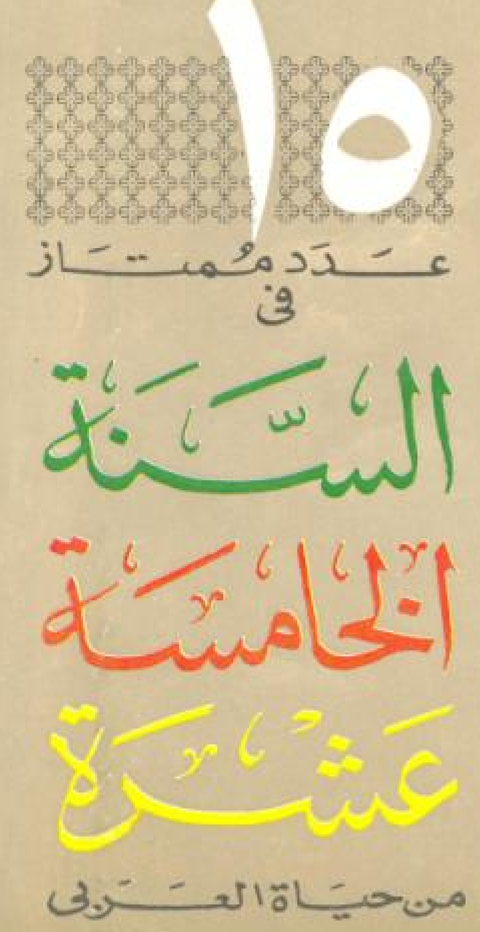
هدية
خريطة الوطن العربي
(النفط والطرق)

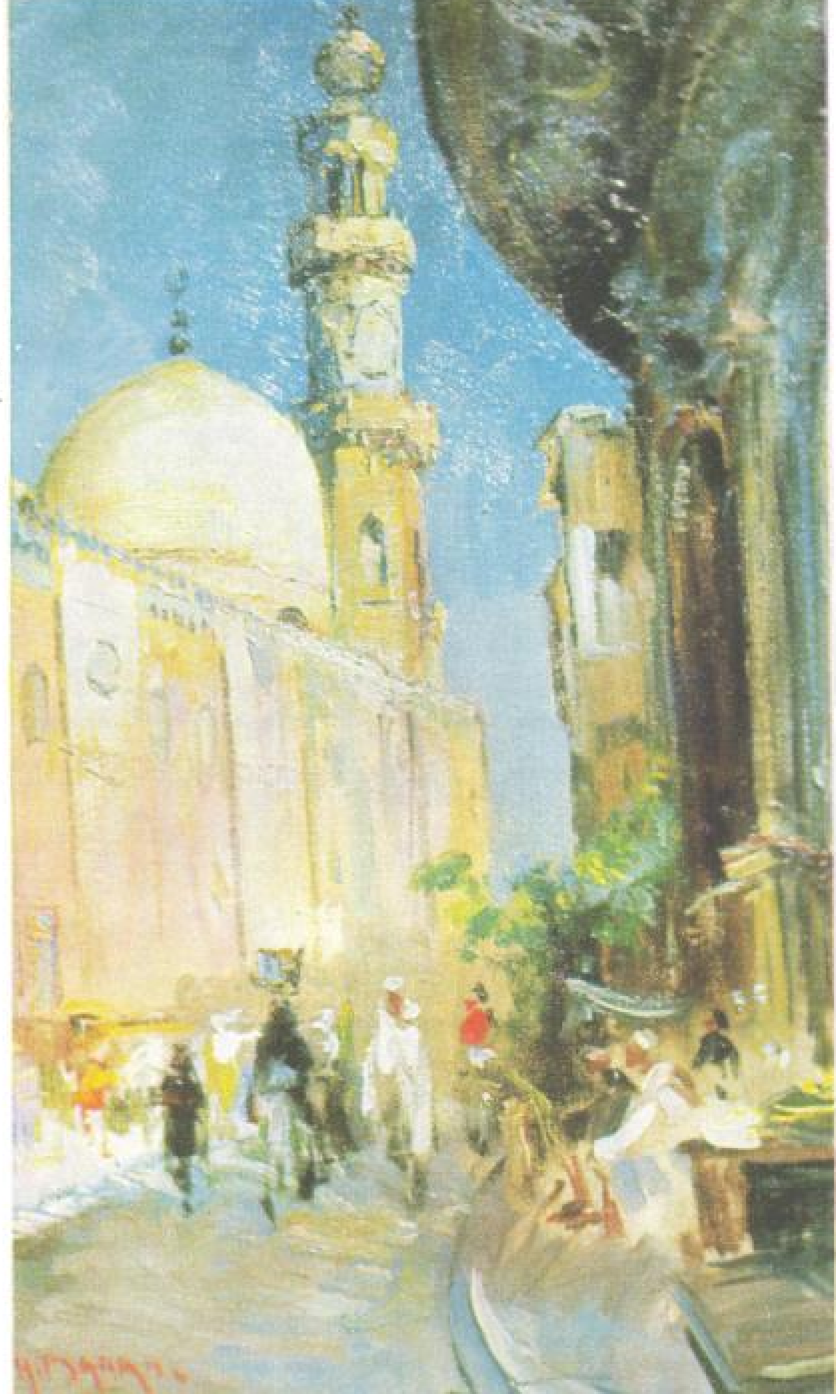
العربي

العدد ١٨٢ ـ ذو الحجة ١٣٩٣ ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤



مئذنة قلاوو

لوحة زيتية للرسا
حسني محمد البن
من جمهورية مص
العربية



من سلسلة لوحات الفنانين العرب

حديث الشهر



جَنِّدُوا الأُمَّةَ العَرَبِيَّةَ

ذكورًا وإناثًا
صِبيةً وشيوخًا

حتى لا يذهب ذاهبٌ أو ذاهبة إلى مدرسة أو جامعة إلا ومعه سلاح
وحتى لا يعود عائد أو عائدة من مصنع إلا ومعه سلاح
وحتى لا يقوم طابخ أو طابخة في بيت إلا وعلى ظهره سلاح

بقلم رئيس التحرير



(الصورة الى اعلا) احدى الدبابات الاسرائيلية الكثيرة التى استولى عليها الجند العربى (والصورة الى اليسار) أحد قتلى اسرائيل وقد غطوا جثته بعلمهم تمهيدا لحملها ، ولكن لم يستطيعوا لمباغتة الجنود المصريين لهم . ان عند الجنود الاسرائيليين اوامر مشددة بان يحملوا موتاهم حتى يذهبوا بها الى القدس وعندها يباركها الحاخامات .

■ الحرب لم تنته بعد .

وما كان لحرب بدأت منذ ربع قرن أن تنتهي هكذا سريعا فى أيام .

والجيل العربى الحاضر رأى من هذه الحرب ما رأى . ولكن الجيل تتبعه أجيال .

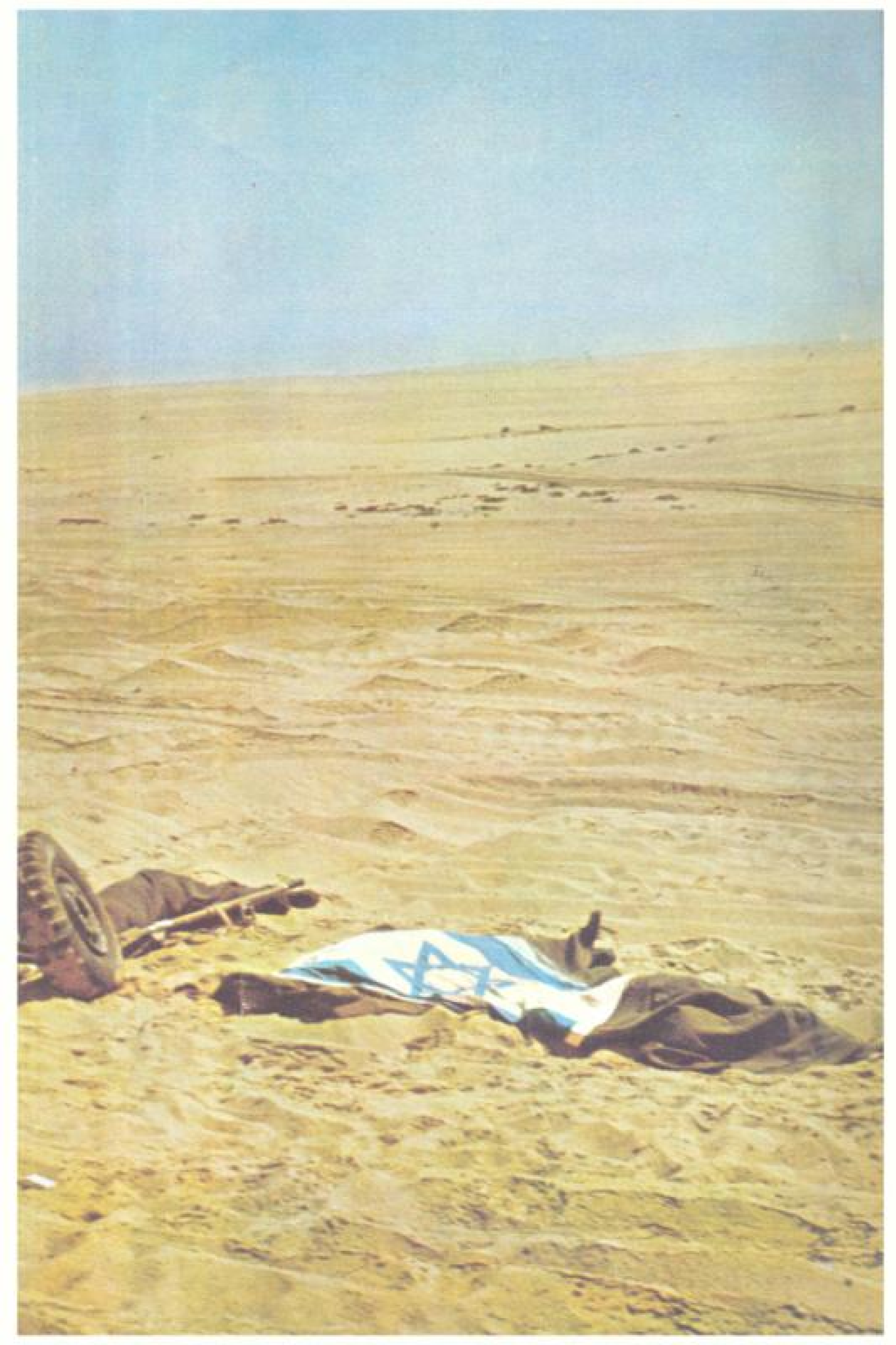
اجيال ، من غير العرب ، سبقت

واجيال من الامم ، من غير العرب سبقت ، ما كاد يخلو جيل منها من حرب حتى تشتعل الحرب جيلها الثانى ، فالذى تلاه ، حتى كادت أجيالهم كلها ان تكون حربا .

والحرب ، الى اليوم ، هى والحياة الانسانية فى صحبة دائمة .

واجيال عربية
اعفتها الأقدار من حروب
فاعفتها من العزّة والكرامة

واعفت الأقدار امة العرب من الحرب





نساء من الميليشيا في الصين ،صناعتهن الصيد ،خرجن اليه ،وعلى ظهورهن عدة الدفاع ،فمن يدرى ..

دهرا طويلا . وكان لهذا ثمن ، ذلك اعفاؤها من الحياة فى ابهج صورها ، وانشط صورها ، واكثرها تفتحا على الدهر وتقدما . وبعد الماضى المجيد ، ماضى الحروب، جاء حاضر السلم الطويل، حاضر الخنوع ، حاضر الذلة ، حاضر الاستسلام . ونسميه اليوم باسمه الجديد ، فنقول عصر التخلف .

ضريبة تعرف بضريبة الدم

ان الحروب لها ضريبة تعرف بضريبة الدم ، يدفعها الرجال فى ميادين القتال، من دفعها ربح الحياة وبها من العزة بقدر ما بذل لها من دم . ومن ساوم فيها واقلت دفع من حريته فى الحياة ، ومن عزته فى العيش بمقدار ما اقتصد من دم .

وعصر حضارة حاضرة اصيبت بانفصام شخصية

وقالوا ان العصر الحاضر عصر علم ، وعصر حضارة ، وعصر فهم .

اما انه عصر علم ، فهذا حق لا مرية فيه .

اما انه عصر حضارة ، بمعنى انه انتج سيارات فخمة، وملابس وانسجة رائعة، واجهزة لها منافع كثيرة وزينة ، فهذا حق ايضا . وشارك بعض العرب فى جنى بعض هذه الثمار ، ولكن دون إثمار .

اما الحضارة بمعنى القيم الانسانية ، فقد انتج العصر شيئا منها ، لا شك فى هذا . وسكنت هذه الحضارة بقيمها هذه فى رؤوس الكثير من رجال هذا العصر ، الى جانب مساكن السيارات وسائر متع الحياة فيها ، ولكن على انفصام حال بينهما ، فلا تقارب بينهما ولا تفاعل .



فى الصين ، تدرب ، حتى النساء ، تدريبا شديدا للدفاع اذا اقتضى الامر وهن لاحامى لهن .

شخصية واحدة انشقت شقين ، نصف للخير ، ونصف لغير الخير على شتيت انواعه . ومن شر انواعه الانانية . ومن شر انواع الانانية ، الانانية مع القوة . وشر القوى مع الانانية ما يكون العلم اساسا لها .

واول ضحايا الانانية والقوى المؤسسة على العلم ، انما هى تلك الامم التى كثر فيهم التحدث عن مزايا الانسانية وفضائل الرحمة بسبب الذى بها من ضعف ومن عجز . ويتحدثون عن السلم ، وانها هبة الله الكبرى لما عزتهم اداة الحرب . وماذا يغنى حديث السلم فأرا ضئيلا ، وقف أمامه قط ضخم يتحداه وقد كشف عن مخلبه والناب .

وانتم ايها العرب ما كنتم يوما جرذانا .

كان لكم ناب ، وكان مخلب ، وكان لكم دم ارخصتموه واغليتم بارخاصه الحياة ، ورفعتموها فوق حياة سائر الامم درجات .

هل جاءكم نبأ اسبرطة والاسبرطيين ؟

كان هذا فى عهد اليونان القديم ، حين لم يكن للاغارقة دولة .

وكان لهم عاصمتان كبيرتان ، اثينا واسبرطة .

كانت اثينا موطن العلم والفن والخطابة والادب ، وموْلد سقراط وارسطو وافلاطون .

وكانت اسبرطة لا تحفل خاصة بعلم او فن ، ولا تقيم المعابد الهائلة الجميلة ، ولا تبنى السدود عند الحدود . وتتخذ من أجساد رجالها جدرانا تقيمها عند الثغور والتخوم ، فلا يخترقها الاعداء . واختصارا كانت تعيش للحرب وللحرب وحدها .

ويولد الطفل فيهم ..

ويولد الطفل فيهم فيمر على بيته

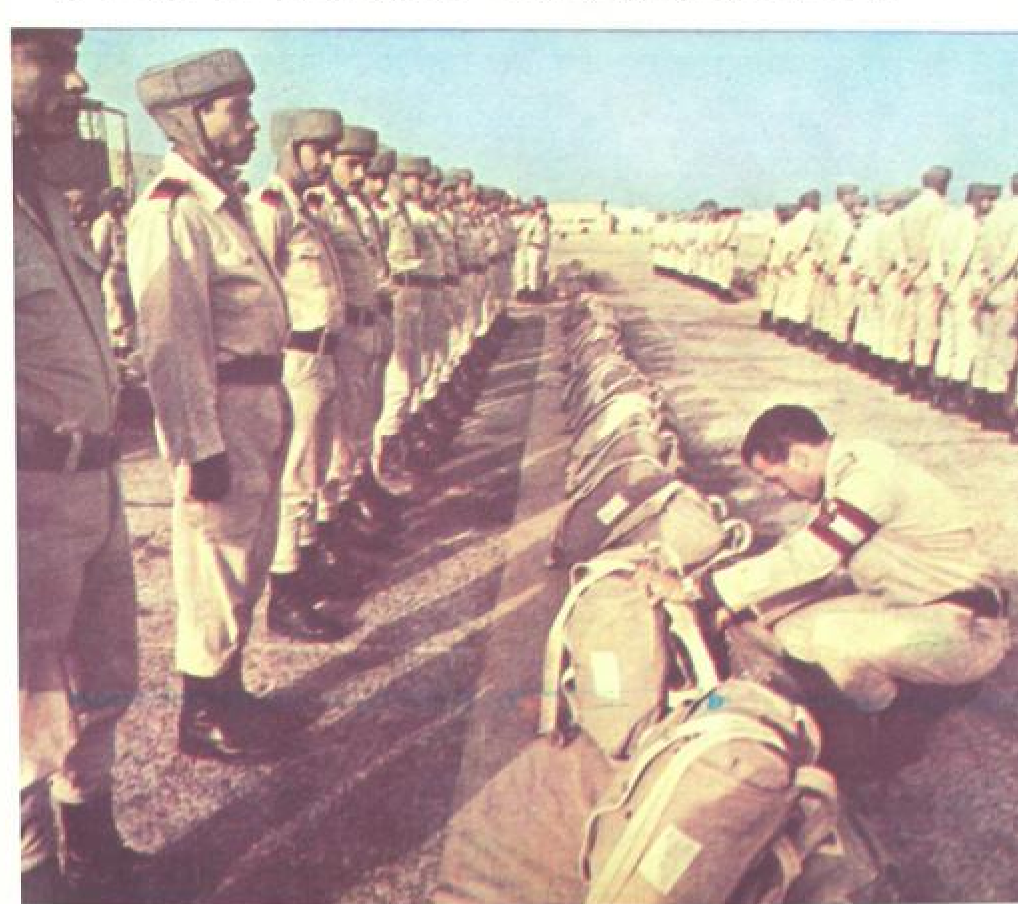
مسئولون من اهل السلطان ، فان وجدوا به علة لا تشفى ، او ضعفا لا يبرا ، امروا به فحمل الى موضع فى العراء البعيد ، وهناك يترك حتى يموت . بهذا نزلت الينا اخبارهم . كانت الحياة عندهم مِنحةً لا يعطاها الا الأقوياء .

فاذا بلغ الصبى السابعة خرج عن اهله الى المنظمات العامة ، بها ينام ، وبها يصحو . وهو اذا اكل ، اكل الطعام الخشن ، واذا رقد ، رقد على غير الوثير من الفراش ، واذا لبس لبس القليل البسيط من الثياب . وهو يقضى نهاره فى التعلم والتدرب . اما الأدب والموسيقى فياخذ القليل منهما ، على عكس نظيره الأثينى ، اما الرياضة البدنية والنظم الحربية فياخذ منها الكثير . وينتهى من كل هذا بجسم يكسوه عضل فى قوة الحديد ، وينطوى على نفس لها عزم الفولاذ .

ويتعلم الغلمان ويتعلم الشبان ، اثناء تدريبهم للحرب ، أن التقهقر فى النزال عار ، والاستسلام للعدو فضيحة . وهم يتعودون فى اثناء ذلك على تحمل الآلام دون التشكى ، وعلى طاعة الأمر فى الميدان دون سؤال .

والرجال والأشياخ

والرجال ، فيما بين العشرين والستين ، يظلون يتصلون بالجيش ، لا يستثنى منهم احد . ويتزوجون ، ولكن يكون عليهم أن ينتسبوا الى ناد من نوادى الرجال ، وفى التكنات يأكلون احيانا وينامون . وحُرِّم عليهم أن يتخذوا من



جندى في سيناء ، حمل احدى القذائف التي يحملها الجندى الفرد ليطيح بها بالدبابة مهما كانت .

فئة من فئات الصاعقة لجيش مصر الجديد ، وهم من رجال المظلات الذين هبطوا خلف خطوط الأعداء داخل سيناء.

دبابة برمائية مصرية تعبر القناة ، عند مصر الأعداد الكثيرة من المدرعات خفيفها والمتوسط والثقيل .





حتى المسرح .. دخلت فيه البندقية تشترك فى الرقصات الشعبية الصينية .

الذهب والفضة زينة ، واغانيهم كانت اغاني حرب .

وتعطي الأم ولدها درعه وهو خارج الى الميدان ، وهي تقول له : لا بد من عودة هذه الدرع الينا، اما حاملا أنت لها، او محمولا انت عليها . فهكذا كانوا يحملون موتاهم فى الحروب .

وسادت اسبرطة ولكن الى حين

بهذا اتسعت فتوحات اسبرطة حتى شملت كل البلاد فى الجنوب من اليونان، وبهذا اشتدت المنافسة بينها وبين نظيرتها سيدة ارض الشمال ، تلك أثينا . وانتهت المنافسة بالحرب الشهيرة التي قامت بينهما من عام ٤٣١ الى عام ٤٠٤ (قبل الميلاد) ، وانتهت بخراب اثينا وسيادة اسبرطة .

اسبرطة ، بسيفها ورمحها ودرعها ، نالت من أثينا شر منال ، على الرغم من علمها وفنها ، ومن ازاميلها التى بها صورت صورا من الجمال الانسانى روائع هبطت الينا مع الزمان .

لا نريد لاسبرطة تقليدا

ونذكر ما نذكر من التاريخ للعظة ، وللتأسي ، والتاريخ نفسه يكشف عن صدق الحوادث وزيفها .

ومن صدق التاريخ أن اسبرطة رات العزة فى القوة ، ورأت القوة فى قوة الأجسام وفى حيلة الحرب ، فتفرغت تدعمها دعما .

ومن زيف التاريخ ان اسبرطة رات العزة فى القوة وحدها ، وعندها انها قوة اجسام وحيلة حرب ، ونسيت جوانب للحياة اخرى تعطى القوة ، لا من حد



اسلوب من اساليب الصين لبناء اجسام شبانها ، فتيانا وفتيات ، دخلت اليه البندقية رمزا للقوة لا يكاد يخلع ابدا .

سيف ، ولا باسالة دم من جرح ، ولكن من زوايا للحياة أخرى ، هى أخفى ، وهى خير على الزمان مآلا .

انها تلك القيم التى عزت على اسبرطة والاسبرطيين فهما ، وبسببها قلب لهم الدهر آخر الأمر مجنه . فلم تدم لهم سطوة بعد الذى كسبوه بحرب ، غير ثلاثين من السنين .

واليوم نجد أثينا ملء البصر عندما نزور اليونان بما خلفوا من آثار ، وملء السمع بالذى نقرأ لهم من علم وفلسفة ، ولا نكاد نسمع لاسبرطة شأنا .

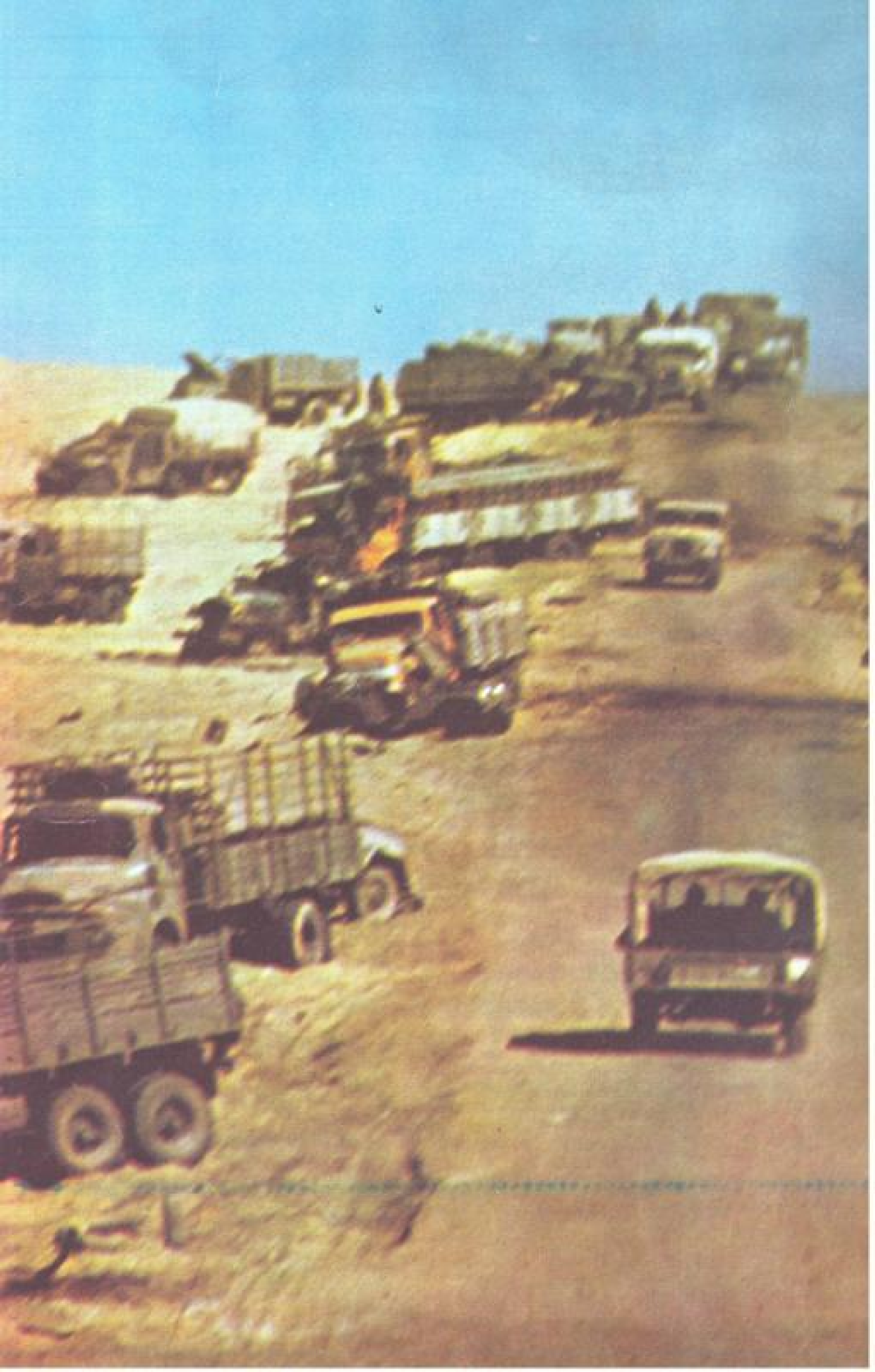
انها اليوم بلدة صغيرة لايزيد ساكنوها عن نحو ١٠٠٠٠ نسمة .

لا . لا نريد لاسبرطة تقليدا فى كل ما صنعت ، ولا غلوا مثل غلوها فيما صنعت . ولكنا نريد ان نقلدها فى استرواح الخطة التى اختطتها ، والغاية التى استهدفتها .

نريد ان نعلم اطفالنا والصبية الحرب وفنون الحرب ، على قدر ما يفهمون من ذلك . وعلم الله انهم ليفهمون من ذلك الكثير . ونعلمهم فن الحرب ، مبسطا ومدرجا على السنين . ونعلمهم أدب الحرب ، وللحرب أدب لا يبلى جديده ابدا . ومن أدب الحرب الجد عند السير فى طرقات العيش ، والترفع عن التدنى الى مزريات الأمور . وحتى فى غياب الجد ، لا يحضر من الهزل ، اذا حضر ، الا الهزل الرفيع . ومن ادب الحرب الصدق ، ومن ادب الحرب الوفاء . ومن ادب الحرب الرحمة ، ولا تعجب ، فالسبع يقتل ليشفى من نهمه ، والرجل النبيل يقتل دفاعا عن حق اغلقت دونه



كشفت معارك الليل عن سيارات ومدرعات اسرائيلية حطمت في الظلام تحطيما، وسطعت عليها الشمس في الغد فلم يكن لأيها عجلة تجري عليها .



الأبواب . وهو قد يقتل ويبكي على ضحيته . فهذا هو الرجل الانسان . وفي الناس قتلة ابرار ، وفيهم قتلة سفاكون .

ونجمع بين اعتزازين

ونجمع بين اعتزاز اسبرطة بسيوفها ودروعها واجسام رجالها ، وبين اعتزاز اثينا بعلمها وفنها واتساع افق الفكر بين رجالها .

ولن نقف باعتزازنا هذا عند القرن الخامس او الرابع قبل الميلاد ، عند الاغريق ، وانما ننتقل به الى قرننا هذا الحاضر بالذى فيه من فنون حرب ، وفنون علم وادب ، وهي زادت على ما كان عند القدماء اضعافا آلافا .

نصائح اوجب ما تكون فى هذا الزمان

وان يكن ما انصح به ، تحقيقه واجب فى كل زمان ، فهو اوجب تحقيقا عند العرب فى هذا الزمان ، الذى اصبح الناس فيه يتساءلون : هل يكون للعرب وجود فى غد ، او لا يكون .

ان للعرب اعداء ، ملكوا الدنيا بحذقهم ، واستولوا على مراكز القوى فى امم الارض بدهائهم . وتصدوا للعرب مرات ، وغلبوا فى سوابق السنين . ومع هذا فهم قلة .

ولكنهم استبدلوا بقلتهم هذه كثرة .

لانهم استوحوا وحى اسبرطة ، واتخذوا من السبق فى تعليم صبيانهم الحرب مثلا .

ان اسرائيل لا يكاد يوجد فيها شاب او رجل لا يعرف كيف يطلق النار . كلهم ، على ما عرفنا ، انتظموا فى سلك الجند . وانتظم فيه حتى الصبية . ومع الصبية انتظمت الصبايا . ويوجد من الرجال جند ، ويوجد من النساء .

وكل جندى هو جندى والحرب قائمة .

وكل جندية هى جندية والحرب قائمة .

فاذا جاء السلم انفض كل هؤلاء ، من رجال ومن نساء ، الى مهنهم فى الحياة . فهذا معلم ، وهذا طبيب ، وهذا سائق سيارة ، وهذه ساقية فى مطعم .

كلهم عمال . وكل عامل جندى ، وكل عاملة . وكم اطلعونا على صور من مستعمرات اقاموها ، لم يبق فيها الا النساء يحمينها ، وهن فى سراويل الرجال ، وعلى اكتافهن البنادق .

واسموها مستعمرات ، وما هى الا معاقل . وما هى الا ثكنات . ويضرب الفدائيون منها بالصواريخ والقنابل ما يضربون ، ولا ينالون منها الا ما ينال الضارب من الحصون . الا انها حصون تنتج الموت ، وتنتج الذرارى معا ، فهى مضاجع ومحاضن .

نبغى القوة
نحمى بها حقوقنا
وندفع ظلامات

انه قبل اشهر ثلاثة ، لم يكن للعرب بين رجالات الدنيا ذكر . ويهتف باسمهم ، فتسد دون ذلك الاسماع . ويزور الزائر العربى من يزور ، فى حقول السياسة فى اوروبا او الولايات ، فتكاد ان تغلق دونه الابواب ، الا ابوابا تنفتح ، لا رعاية للعرب ، ولكن رعاية لبعض الادب .

وتغير كل هذا بعد حرب السادس من اكتوبر هذا الماضى .

اقتحم العرب ما اقتحموا من صفوف الاعداء ، وقذفوا بالكثير من هذه الصفوف الى الوراء ، وانتصروا نصرا شهد به الاعداء ، وشهدت به مائير رئيسة وزراء اسرائيل . ثم جاء العون الامريكى الزاخر ، فاخذ يتبدل الحال ، ومع التبدل صمود .

صورة العربى فى مخيلة الرجل

الاوروبى او الامريكى ، قبل اكتوبر ، كانت صورة هزيلة من ورائها خلفية تلك الهزيمة النكراء ، هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . وبعد اكتوبر ظهرت صورة العربى فى مخيلة الرجل الاوروبى والأمريكى ، ومن ورائها خلفية ذلك النصر الذى كان ، على الرغم مما تلاه من جمود وصمود .

انها القوة ، لها الاحتـــرام ، ولها الاكرام .

ولسنا وايم الحق نبالى باحترام يأتى من اوروبا ، أو اكرام يأتى من الولايات ، وانما نبغى القوة لنحمى بها حقوقنا وندفع بها ظلامات .



« وحتى لا يقوم طابخ او طابخة فى بيت الا وعلى ظهره سلاح .. »

« وحتى لا يعود عائد او عائدة من مصنع الا وعلى ظهره سلاح .. »



القوة بدلت حظوظ الصين تبديلا

ولقد بدلت القوة من حظوظ الصين تبديلا .

كان الأمـريكى ينظـر الى الصينى الاصفر نظرة تكاد تكون ادنى من نظرته الى « الهندى الاحمر » . وما اكثر عقد اللون فى الولايات .

وتمضي العشر من السنوات ، فالعشر فاذا الصين شيء جديد . وهى بدات اول ما بدات باحياء القوة ومظاهر القوة فيها . شملت الذكور والاناث ، وشملت الغلمان والشيوخ . وشملت العامل اين كان واية مهنة امتهن . حتى الرجل الذى فلح الارض حمل على ظهره سلاح الجند .

وانتهت قوة الصين ، من حيث لا يحسب الحاســبون ، الى القنبلة الذرية ، صنعوها ، وفجروها . وبتفجيرها جلست الصين مجلس الصدارة من الأمم .

وصلت الصين الى الذرة قبـل ان تصل الجمهرة من أهلها الى الســيارات والى المتعة بها .

وصلت الصين الى الذرة ، ولا تزال الكثرة الكاثرة من سكانها ، لا تكاد تجد غير الأرز من طعام أهل الارض طعاما .

ومن احترام القــوة يذهب رئيس الولايات المتحدة ، وهى أقوى دولة فى الأرض ، واغنى دولة ، يذهب بنفســه الى الصين ، ويحنى راسه لرئيسها انحناءة القوة للقوة .

احمد زكى

عتاد اسرائيلي (الى اليمين والى اليسار) اصابته طائرة ميج ٢١ عربية ، فاشتعلت فيه النيران .

قافلة من قوافل الأعداء في هضبة الجولان ، ضربها العرب ، فاحرقوا دليلها .

مجموعة من أسرى الأعداء شبكوا أيديهم فوق رؤوسهم .



الذَّرَّة

التى قضت على هيروشيما ونجازاكى كادت تدخل ميادين الحروب لتقضى على الجند ألوفا ومئات ألوف

- **فى خزائن الولايات المتحدة من هذه الاسلحة ماكفاها وكفى حلفاءها.**
- **فكم كان نصيب اسرائيل ؟**
- **والروس كم لهم منها ، وكم للحلفاء ؟**

ظهر التفجير النووى اول ما ظهر بتفجير القنبلة الذرية الأولى فوق مدينة هوريشيما باليابان ، وذلك قبيل ختام الحرب العالمية الثانية تلك التى انتهت فى عام ١٩٤٥ . وتبع هذه القنبلة تفجير أختها الأخرى على مدينة ناجازاكى فى اليابان أيضا، توكيدا لمعنى الخراب الذى تحدثه هذه القنابل فى المدن ، وحفزا لليابانيين على انهاء الحرب طائعين .

ثم كان من الطبيعى ، بعد هذا الذى حدث ، أن تستيقظ الأمم الى ما فى هذه القنابل الذرية من خطورة بالغة ، فأخذت كل أمة ، قادرة على ان تنهج مثل النهج الذى نهجته الولايات المتحدة ، تسلك سبيلا سلكته الولايات فى امر الذرة .

ويجرى العام فالعام ، فاذا بانجلترا تسلك هذا الطريق وتبلغ منه غاية قريبة ، واذا الروس يسلكونه فيبلغون منه غاية .

وقامت الحرب الباردة بين الروس والامريكان فى اعقاب تلك الحرب العالمية، واعتزت الولايات المتحدة بأنها وحدها صاحبة القنبلة الذرية، فشحذ هذا من همة الروس ما شحذ ، فاذا بهم يصنعون القنبلة الذرية ، ثم لا يمضى زمن طويل بعد صنع الولايات القنبلة الأدروجينية الكبرى ، حتى يلحق بهم الروس فيصنعوا مثلها .

وبسبب المسافات الكبيرة التى بين

الروس والولايات ، اذا قامت بينهما حرب ذرية ، أنصرف الجانبان الى صنع الصواريخ التى تحمل هذه القنابل ، هذه الرؤوس النووية ، عبر المحيطات وعبر القارات ، وبلغوا من ذلك مبلغا كبيرا ، انطوى على دمار محقق لكليهما .

ونشا عن خوف هذا الدمار ، خوف ان تنشا بينهما حرب ، فاستقر بينهما السلام غصبا .

فنون الحرب : استراتيجية وتكتيكية

ان كل هذه القنابل الذرية ، او الرؤوس النووية،وما يحملها عبر الفضاء من صواريخ من ارض لأرض ، او من بحر لبر ، تدخل فى فنون الحروب التى يسمونها بالكبيرة . او هى الفنون الاستراتيجية Strategy بلغة اوروبا .

ولكن من فنون الحرب فنون تتصل بالميدان ، وبالحرب وهى قائمة ، فهذه تعرف بفنون الحرب الميدانية ، او هى التكتيكية Tactic بلغة اوروبا .

والاستراتيجية لفظ افرنجى ماخوذ من اللفظ اليونانى Strategos ومعناه القائد . فالفن الذى ينطوى تحت الاستراتيجية هو من الكبر ومن الخطر بحيث انه يكون من شان القادة ، اولا وآخرا . وهو من حيث الشمول يشمل خطوط الحرب الكبرى ، تضم اليها الشئون السياسية فى البلد المحارب ، والشئون الاجتماعية والشئون الاقتصادية ، وحتى الشئون النفسية . وتضم الى هذه الدراسات دراسة مثل هذه الشئون ، فى صفوف الأعداء . فالاستراتيجية ان كان لا بد من تعريبها فهى فنون الحرب القيادية .

والتكتيكية لفظ افرنجى ماخوذ كذلك من اللفظ اليونانى Tactika ، ومعناه الترتيب والتنظيم .وانت تنظم شيئا بين يديك ، انت ملكته ، وانت عرفته ، وانت أخذته ، وانت فى استخدامه فى الوصول الى نتائج محلية ، تكتيكية ، ميدانية ، لا تخرج فى ذلك عما رسمته الدراسات الاستراتيجية الشاملة الأولى .

دخول الأسلحة الذرية الى الميدان

كان طبيعيا بعد ابتداع الأمم القادرة ، فى علم وتكنية، القنابل الذرية التى تحطم المدن،وتذهب بأنفس الملايين من الرجال والنساء والأطفال ، وهم فى غير حرب ، وابعد ما يكونون عن ميادين حرب ، كان طبيعيا أن تفكر هذه الأمم فى ابتداع اسلحة ذرية تستخدم بين المحاربين ، فى ميادين الحرب ذاتها ، فهى اسلحة تكتيكية .

وقد قامت الأمم المتقدمة علما ، والمتقدمة تكنية ، والسابقة الى ابتداع القنبلة الذرية والقنبلة الادروجينية ، قامت جميعها على ما نحسب ببحوث كثيرة وتجارب لابتداع هذه الأسلحة التكتيكيةالذرية التى تسلحبها الجيوش فى الميادين . ولكن ، بسبب شعور هذه الأمم بالذنب فى اقتحامها باب الذرةفوق ما اقتحمت ، ابقت كل منها ما لديها من انتجة فى سر الكتمان زمانا طويلا .

وقد وقفنا على صورة مدفع يطلق قذيفة بها راس ذرى ، وكان تاريخ هذه الصورة عام ١٩٥٣ . وهى مرفقة بهذه الكلمة .

ومعنى هذا انه حتى فى هذا العام الذى جاء بعد عام اسقاط القنبلة الذرية الأولى بثمانية اعوام فقط ، كان من الأمم من نجح فى تطوير القنبلة الذرية لتصبح قذيفة نووية تطلق من مدفع فى ميدان .

وهى ما اطلقت فى حرب . وظلت فى طى الكتمان بعض حين .

ورغم التكتم افتضح سرها . واخذ كل يتساءل ، كم عند الروس من هذه الأسلحة الذرية التكتيكية ؟ وكم عند الولايات المتحدة منها ؟

خــــزائن من الأسلحة الذرية الميدانية عند الولايات المتحدة

واخيرا، وقريبا جدا ، قضت الضرورة باجتماع لجنة رسمية فى الولايات المتحدة تستمع الى ما عند الولايات من عدة الأسلحة . وخرج من خبر هذه الاسلحة بعض ، وبقى بعض لم يخرج .

وعلق رئيس هذه اللجنة الرسمية على ما استمعت اليه من الخبراء فقال :

«ان الولايات المتحدة وزعت الى اليوم، على طائفة من الدول الأجنبية ، وعلى سفننا فى البحار ، وعلى جيوش بأرض الولايات نفسها ، بضع عشرات الألوف من الأسلحة النووية ، لها من القوة عند الانفجار ما يزيد على قوة بضعة آلاف من الملايين من أطنان الناسف المعروف ـ المتخذ وحدة قياسية فى قوة النسف، ذلك هو ت. ن. ت ، أو تراى نيترو ـ توليوين Trinitrotoluene . أو بعبارة اخرى لها من قوة الانفجار مثل ما لبضع مئات الألوف من القنبلة الذرية الأولى التى اسقطت على هيروشيما .

وهــــذه الأسلحــة ، ذات الرؤوس الذرية Atomic heads اصناف ، نجملها فيما يلى :

رؤوس ذريــة تحملها الصواريخ

وهى اربعة أسلحة :

الأول : واسمه Honest John . وهم للتيسير يضعون لهذه الأسلحة أسماء ، كما يضعون للناس اسماء . ولو ترجمنا هـذا الاســم الى العربيــة لكان « حنا الأمين » .

وهو سلاح صار اليوم قديما ، ولكنه جاهز للاستعمال . واقصى مدى يذهب اليه هذا الصاروخ عنـد انطلاقه ٤٠ كيلومترا . وليس به جهاز الكترونى يقوده الى هدفه .

والثانى : واسمه Sergeant ، اى رقيب (رتبة عسكرية ، كانت تعرف قديما باسم جاويش) . وهو كذلك قد قدم به العهد . وباستطاعته حمل راسين ذريين تفاوتت قوتاهما .

وهذان الصاورخان، وبمخازن الولايات منهما بضعة آلاف ، سيبطل استخدام جيوش الولايات اياهما بعد عام ١٩٨٠ ، ولكن منها ما سوف يبقى عند بعض حلفاء الولايات بعد هذا التاريخ .

والثالث : واسمه Lance اى الرمح، وهو سلاح ذرى حديث ، مداه يبلغ ١٢٥ كيلومترا .

والرابع : واسمه Pershing وهو صاروخ ثقيل، ويحمل فى الطرقات اثقله، وقد يبلغ مداه ٧٢٥ كيلو مترا .

وكل هذه الصواريخ للهجوم والدفاع معا ، وهى تطلق على الجيوش ، وعلى خطوط التموين وعلى كل موقع فى تخريبه نفع للمحارب صاحب الصاروخ .

ورؤوس ذرية تطلقها المدافـــع

اما المدافع المستخدمة فهى Guns المدفع ٦٨٤ ، وقطر انبوبته ٦ بوصات ، والمدفع ٣٢٦ وقطر انبوبته ٨ بوصات ، وكلاهما اليوم فى خدمة جيوش الولايات المتحدة وحلفائها فى حلف الأطلسى .

اما القذائف Shells ، فهما قذيفتان اليوم حاضرتان، ولهما فى المخازن مخزون كبير . احداهما قذيفة قطرها ٨ بوصات، بها راس من يورنيوم . وهى فى خزائنها منذ ٢٠ عاما .

اما القذيفة الاخرى فقطرها ٦ بوصات وبها راس يورنيومى صغير ، وهى فى خزائنها منذ ١٠ أعوام ، ومداها لا يزيد على ١٤ كيلومترا .

والقذيفتان فى سبيل ان تستبدل بهما قذيفتــان جديدتان ، يطلق على الصغرى ذات الست بوصات W - 74 ، ويطلق على الكبرى ، ذات الثمانى بوصــات W - 75 ، وبراسيهما بلوتنيوم Plutonium بدلا من اليورنيوم Uranium .

وقد ظهر فى حديث اللجنة ، أن هذا



بدأت الولايات المتحدة فى اطلاق القذائف الذرية من المدفع فى سنة مبكرة هى سنة ١٩٥٣ .

النوع الجديد من القـــذائف سيكلف الولايات ٩٠٠ مليون دولار ، وهى تكلفة ما توزعه الولايات على حلفائها ، وما تبقيه لنفسها .

وهذه القذائف للدفاع والهجوم معا .

رؤوس ذرية عبر الهواء

وهى قنابل هوائية .

وهى خمسة أنواع ، رمزها B 61, B 57, B 28 أما الأولى فمن الضعف بحيث انها ستلغى . واما الاخريان ، فصمتت الحديث فى اللجنة عنهما .

ثم B 61 وتحمل راسا ذريا قوة انفجاره تساوى بضع مئات الالوف من اطنان ت. ن. ت.

ثم W-72 ، ووزنها ١١٢٥ رطلا ، وهى تنزلق الى هدفها ، وتوجه اليه بجهاز تلفازى .

وكل هذه الانواع تضبط بحيث تنطلق فى الهواء ، او بعد وصولها الى الارض .

وهى للدفاع والهجوم معا .

رؤوس ذرية للهدم وهى للدفاع وحده

وتعرف بانها « عتاد ذرى للهدم » ، وهو بالانجليزية عند الامريكان Atomic Demolition Munition ، ويختصرون الاسم فيصبح ADM ، فيصبح هذا المختصر عندهم هو اسمه .

وهو عندهم حجمان ، صغير ومتوسط . اما الصغير فيحمله رجل واحد . واما المتوسط فتحمله وسيلة من وسائل النقل .

والهدف من هذه الرؤوس هو تفجيرها لتصنع فى الارض حفرا كبيرة . كان تستخدم تكتيكيا عندما يراد سد طريق ضيق بين جبلين ، او اى طريق آخر ضيق ، لينتج عن ذلك حرمان العدو عن السير فى هذا الطريق ، او تحويله الى طريق آخر يتجمع فيه كثرة من جنده فتصبح هذه الكثرة هدفا جديدا لرؤوس ذرية أخرى .

ولقد ذهب الأمريكان فى هذا الى ان حفروا فى اوروبا ، عند حلفاء لهم ، حفرا ، وضعوا فيها هذا العتاد الذرى الى ان يحين حينه .

وسلاح ذرى لا يزال فى المختبرات

لا يزال فى المختبرات فهو فى سبيل التنشئة .

وهو سلاح تكتيكى تنبعث عنه الجسيمات الذرية النووية الدقيقة المعروفة بالنيوترونات Neutrons . ويسمى هذا السلاح من اجل ذلك بباعث النيوترونات Neutron emitter . ومن صفة هذا السلاح انه يعطى الجندى المحارب الفرد من الأعداء جرعة من النيوترونات تصيبه بالمرض الشديد وتعجزه فى مدة قصيرة جدا . ومن بعد المرض والعجز ياتيه الموت فى يوم أو بعض يوم .

عدد أنواع الاسلحة الذرية وقوة انفجارها

هذان شيئان مسحتهما الرقابة من النشرة التى تحدثت عن اعمال اللجنة وما كان فيها من شهادة شهود .

على ان شهادة شاهد واحد تعطينا فكرة عن قوة بعض هذه الأسلحة . قال :

ان قنبلة من القنابل الهوائية ، وهي تعد من القنابل ذوات الانفجار القليل ، تنفجر بقوة تساوى بضع مئات من الألوف من اطنان المفجر المعروف ت. ن. ت ، وهو المتخذ وحدة قياس هذه القوى .

هذا علما بان قنبلة هيروشيما،القنبلة الذرية الأولى ، لم يكن لها من قــوة الانفجار غير ١٤ الــف طن من المفجـر الناسف ت. ن. ت.

هذه الأسلحة التكتيكية لاتدخل فى نطاق الحد من الأسلحة الذرية التى تضمنتها المعاهدات

ونمر بذلك الاتفــاق الذى تم بين الولايات المتحدة والروس .

ان هذا الاتفاق حد من التوسع فى الرؤوس الذرية الاستراتيجية الكبيرة التى تجرى عبر القارات وما اليها ، أما الرؤوس التى تستخدم فى ميدان حرب، بين جيشين متحاربين : فلم يشملهما هذا الاتفاق .

هذا ما عند الأمريكان من هذه الأسلحة المدمّرة ؟ فكم عند الروس ؟

لا شك ان عند هؤلاء مثل ما عنـد اولئك ، او يزيد .

ان الناس لا تعلم . واذا علمت فهى لا تتحدث . وأمر هذه الأسلحة امر قديم . وقد ذكرنا أن منها ما كان تم وجوده قبل عشرين عاما . ومنها ما تم وجوده قبل عشر سنين ، والشيء يخفى علـى الناس ، لا يخفى على حكومات الناس ، حيث العلم قائم والتكنية متقدمة، وحيث الانسان استبدل بأظفره المخلب، وبسنّه الناب . ولَبِسَ جلد النمر عند القوة ، وجلد الثعلب عند الضعف .

امـــريكا زودت بهذه الأسلحة حلفاءها فهل زودت اسرائل ؟

سؤال ، قيل لى لا تساله ، فتزعج الناس .

قلت : ان يكن فى القول ازعاج ، ففى الصمت خيانة . ولأن نناقش هذا الامر اليوم خيرا ، خير من ان نناقشـــه غدا ، وقد دخل سلاحا مهلكا فى الميدان .

الموقف يتلخص ببساطة فى ان الولايات المتحدة عندهـا مـن الأسـلحة الذرية التكتيكية الشيء الكثير ، وهى وزعت على حلفائها بعض هذه الأسلحة، بشهادة شهود فى هذه اللجنـة الأمريكيـة التى وصفنا من أمرها ما وصفنا .

واسرائيل لا تعد من حلفاء امريكا . واذن لا يكون لها من أسلحـــة أمريكا نصيب . هذا هو المنطق .

ولكن اسرائيل اقرب الى امريكا من حلفائها . ان علاقة امريكا بحلفائها ، مثل المانيا وفرنسا وانجلترا ، علاقة الزوج بزوجـه ، بينهما وثيقة ارتباط . اما علاقة امريكا باسرائيل فعلاقة المحب المتيم المستهام . فهو يعطى من شـغاف قلبه بغير حساب .

والرأى يقول ان عند اسرائيل نصيبا مما اعطت أمريكا لحلفائها . وهو ان لم يكن نصيب الحليف ، فهو نصـيـب الحبيب .

ويعزز هذا الراى السخف الـذى صحب تصرفات الولايات المتحدة فى شتى سياساتها فى هذه العقود القريبة من هذا القرن الحاضر .

ولكن الراى قد يخطىء كذلك .

وبين صحة الراى وخطئه ، يجب ان يقف العرب على حذر .

حذرا ليومهم هذا .

وحذرا لغدهم القريب .

وحذرا لغدهم البعيد .

وروسيا كم من هذه الأسلحة عندها وبكم منها زوّدت حلفاءها ؟

علم ذلك عند الله اولا . ثم عند هؤلاء الحلفاء .

●●

(أ. ز)

نتيجة مسابقة العدد ١٨٠

شعراء .. وأبيات مشهورة

قامت مسابقة العدد ١٨٠ من العربي على خمسة عشر بيتا من الشعر كلها مشهورة ، وهي كذلك لشعراء مشهورين منهم القديم ومنهم الحديث . ولقد كانت مسابقة سهلة ميسرة يدل على ذلك كثرة الإجابات الصحيحة التي وردتنا .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ أبو القاسم الشابي
٢ ـ أبو العلاء المعرى
٣ ـ امرؤ القيس
٤ ـ أحمد شوقي
٥ ـ أبو الطيب المتنبي
٦ ـ زهير بن ابى سلمى
٧ ـ البصيرى
٨ ـ البحترى
٩ ـ ابو تمام
١٠ ـ أبو فراس الحمداني
١١ ـ كعب بن زهير
١٢ ـ الخنساء
١٣ ـ الفرزدق
١٤ ـ بشار بن برد
١٥ ـ على محمود طه

الفائزون بالمسابقة

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد بن سليمان الخزعل ـ **الزلفى ـ السعودية**.
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : محمد عبدالله نمر ـ **صنعاء ـ اليمن** .
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : مهدى محمد سلمان ـ **الزبير ـ العراق** .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ مصطفى عثمان مصطفى أبو حسنين ـ **بيروت ـ لبنان** .
٢ ـ أحمد سالم الكلالى ـ الحامى ـ **اليمن الديمقراطية** .
٣ ـ قصي كامل ـ **اللاذقية ـ سوريا** .
٤ ـ حسن الرويس ـ **تونس** .
٥ ـ يحيى جمال الدين السنوسي ـ **بنغازى ـ ليبيا** .
٦ ـ سعيد احمود المكيمة ـ **عمان ـ الاردن** .
٧ ـ نوال تقى مصطفوى ـ **الدسمة ـ الكويت** .
٨ ـ حفيظة يوسف قاسم ـ **مسقط ـ عمان** .

وسترسل الجوائز الى أصحابها ▪▪

الذكرى الخامسة عشرة

عزيزي القارئ

● عمر « العربي » الآن ١٥ عاما . وازداد اياما .

وهو عمر في اعمار الناس قصير . ولكنه في اعمار المجلات ، واخص مجلات الشرق العربي ، غير قصير .

● و « العربي » ، منذ ساعة ولد ، مازج الناس في حياتهم ، وهم في شتى اعمارهم ، انه بدا طفلا ، ولكن بين غير اطفال ، فمن ساعاته الأولى قراه الشباب الذي لم يعد بعد صبيا ، وقراه الشبان في شتيت سنواتهم والاعمار ، وقراه الرجال ، وقراه الكهول ، وقراه الشيوخ . وقراه الذكور من هؤلاء جميعا ، وقراه الاناث . فهو في ميلاده الاول كان طفلا ولكن في غير سذاجة الأطفال . كان طفلا له السنوات الطويلة التي للرجال من خبرة حياة ، ومن وفاء بعلم وادب ، ومن اصابة في حكم ، ومن هدى الى طريق . وكل هذا بالذي اسداه اياه كتابه ، كتاب « العربي » ، من ثمرة فكر ، وعاطفة قلب ، امتلات بها صفحاته الثلاثين الفا ، تلك التي صارت اليوم مرجعا ، يرجع اليه الراجعون في استجلاء ابواب المعرفة ، وهي الف باب ، احتوى « العربي » الكثير منها .

● ويحلو « للعربي » ان يذكر ان من قارئيه من كان بدا قراءته وهو غلام في الخامسة عشرة من عمره ثم هو سايره في الحياة الى اليوم ، فهو اليوم في الثلاثين من عمره . عشرة حياة غير قصيرة دامت على النفع والصفاء ، وعلى الصداقة البريئة التي لا يخالطها كدر .

● ويحلو « للعربي » ان يذكر في اغتباط ان من قارئيه ، من بدا قراءته في العشرين ، فهو اليوم في الخامسة والثلاثين ، وهو في الحياة اخبر ، وهو فيها انضج .

● ويذكر « العربي » في اغتباط قارئيه ، وهم في شتى الأعمار . ان الرجل الذي كان في الاربعين هو اليوم في الخامسة والخمسين ، والرجل الذي كان في الخمسين هو اليوم ، اغلب الظن ، متقاعد في الستين ، ومع هذا لا يزال يجد في « العربي » شيئا ما يخفف عليه اثقال السنين .



عجز «العربي» عن ملاحقة الأسواق

● ويؤكد لنا كل هذا ، ويؤكد لنامثابرة القراء التي لا تهن،أن«العربي» ظلت السوق تطالبه بزيادة ما يطبع منه حتى عجز عن ملاحقة السوق منذ سنوات ، فهو وقف عند ١٥٠,٠٠٠ نسخة فى الشهر العادى ، يزيدها عشرة او عشرين الفا كلما تيسرت الامور . واما العدد الممتاز من « العربي » وهو الذى يخرج فى اليوم الاول من كل عام ، فهذا تخرج منه مطابع « العربى » الى الاسواق ربع مليون نسخة تختفى فيها اختفاء .

● وعجز « العربي » عن ملاحقة الاسواق ادخل طائفة كبيرة من نسخه فى السوق السوداء ، ولا نجد لهذا الداء دواء ، وتأتينا الكتب بالشكوى ، وليس للشكوى إشكاء .

● والى ان تنفرج الامور يغتبط « العربي » اغتباطا ، فى طيه أسف ، بهذا الالحاح الذى يأتينا به البريد من القراء شاكين من نقص « العربي » فى الاسواق . اما الاغتباط فلأنه يؤكد أن« العربي » على هدى فى سبيل هو سالكه .

على «العربى» مآخذ

● ومع هذا فتوجد على« العربي »مآخذ ، نحن اول من نأخذها عليه ، ونأخذها عليه ، ونعلم انها من طبيعة الاشياء ، فنلوذ بالصمت .

جاءني يوما طفل ، ومعه قطته : قال انه يحبها ، وانه يحدثها ، ولكنه يأخذ عليها انها لا تجيبه . انها لاتتكلم . بالطبع هي لا تتكلم . لأن من طبعها انها لا تتكلم . فلا عتب ولا ملامة .

● ومن طبع « العربي » انه فى حقيقته كتاب ثقافى ، يصدر شهريا ، وليس صحيفة يومية ، وليس هو مجلة اسبوعية . واذن فهو لا يستطيع ان يتصدى للأحداث الجارية ، فى العالم العربي،تصديا فوريا ومباشرا .

نحن بدأنا بطبع هذا العدد الحاضر من « العربي » الذى هو لاول يناير ، فى اوائل نوفمبر الماضى ، اى قبل خروجه الرسمي من المطابع بشهرين .



وحديث الشهر ، او افتتاحية العدد ،وهي آخر ما ينزل الى المطابع تهيات للطبع فى اوائل ديسمبر . و «العربي» يخرج من الكويت الى سائر البلاد العربيـــة بطـريق البـر او البحر ،لا الطائرة . وهذا يستغرق وقتا طويلا . وبلاد المغرب أبعد غاية .

فتصدى « العـــربي » للاحداث الجارية ، تصديا فوريا ، عبث . ان القراء اذن يقراون راى « العربي » عن احداث سبق وقوعها بشهرين او ثلاثة . ولقد ظهر هذا بينا عندما وقعت حرب ٦ اكتوبر هذه الماضية . وصل « العربي » لاول اكتوبر الى البـلاد العربية ولم يكن فيه شيء عن الحرب . ولحقه عدد نوفمبر وبه كلمة افتتاحية دست دسا فى آخر ساعة ، ملاحقة للأحداث .

و « العربي » ، لظروفه المطبعية ، ولموقعه الجغرافي من البلاد العربية ، هو ابعد اتصالا بالأحداث .

ولهذا نقول دائما ان « العربي » كتاب ثقافة شهرى .

اما الاخبار ، واما الأحداث ، فخير من يباشرها الصحافة العربية ، من يومية واسبوعية .

وظيفة ووظيفة

● والكتاب الثقافى الشهرى ، اوان شئت ، فالمجلة الشهرية ، لها وظيفة غير وظيفة الصحافة اليومية او الأسبوعية .

ان « العربي » للراى ، يبديه حتى فى الحوادث الجارية ، ولكن فى غير مباشرة . انه يبدى الراى فى الحوادث بعد استقرارها . ولهذا يترجح ان يكون الحكم فيها أهدى .

والى جانب الحوادث الجارية ، شعاب المعرفة غير الجارية ، تلك التي تبنى الناس عقولا ، وتبنى الناس انفســـا ، وتبنى النــاس قلوبا واحاسيس . وما على القارىء الا ان يدور ببصره على فهرس هذا العدد ليدرك ما نعنى .

العـــــروبة والاستطلاعات

● وقد اسمينا « العربي » بالعربي توكيدا لمعنى العروبة .

وبدانا فى اعداد « العربي » الأولى نتحدث عن العروبة .

ثم اذا بالعروبة ، من حيث انها مبدا ، لا يحتاج الى توكيد ، انما الذى يحتاج الى توكيد ، بل الى الدرس ، هو وسائل النفاذ الى معاني العروبة ، وهي شتى .

واذا بالعروبة تتفرع الى معان سياسية، واخرى اقتصادية، واخرى ثقافية ، واخرى دفاعية ، الى آخر ماهنالك من فروع .

اما العروبة السياسية فقد شق الحديث فيها ، ودق بظهور المذاهب في بلاد العرب ، وعداء بعض لبعض . وصعب على « العربي » الكتابة فيها لان خفراء الرقابة تحجزه عن ابواب تلك البلاد اذا هو لم يكتب على هواها .

واما العروبة في الوانها الاخرى فقد تركز « العربي » عليها ، وقد تكون في الحق أجدى . وهي ، اولا واخيرا ، العمد التي تبنى عليها العروبة في شتى اشكالها الوحدوية .

ولقد كان لتعريف العرب ، بعض ببعض ، هدف اول عندما بدانا « العربي » . وكان سبيل ذلك الاستطلاعات المصورة .

ونحمد الله اننا بلغنا في هذه الاستطلاعات حدا كدنا نصفه بانه حد الاستيعاب . فقد اصبح من المشقة استطلاع شيء جديد جدير بالاستطلاع في البلاد العربية ، الا ان تذهب « العربي » في الاستطلاعات مذاهب اخرى ، تتصل بالناس ، وما يرى الناس . راينا ذلك ، ولكن راينا كذلك فيه من الحرج الكثير .

واستطلاعات الكويت ، البلد الام ، خرجنا باستطلاع له في كل عدد من « العربي » طوال هذه السنين . حتى اصبح كذلك من المشقة بمكان استنباط جديد . ومع هذا فلن نعدم الجديد ان شاء الله . ان الحيلة لا تفنى . وليس في الدنيا ، امام الحيلة ، باب يظل على انسداده طويلا ، او ابدا .

وبعد

● وبعد ، فهذه كلمة قصيرة اردنابها أن تذكر ، أن عاما من الزمان قد اختتمناه ، وان عاما جديدا من الزمان قد بداناه . وان تكن الأعوام سواسية ، عندما تذكر شمس ، وتذكر ارض ، وتذكر سماء ، فهي غير ذلك عندما يذكر الناس . انها عند الناس تقص في حياة وتقاصر في اعمار ، وهي وقفة عند منتصف ليل واحد ، عند ساعة واحدة ، بل دقيقة واحدة ، بل ثانية واحدة ، تدق فيها الاجراس وتشتعل الشموع . ان شمعة ظلت تحترق بضعة وستين وثلاثمائة يوم ، وفاضت بدموعها حتى لم يبق لها ما به تفيض ، وجب اشعال شمعة جديدة مكانها ، لتحترق وتذرف الدمع تلك الثلاثمائة الجديدة من الأيام .

● وبين اطفاء شمعة ، واشعال اخرى ، يزيط الناس ويصيحون مبتهجين ، في حفلاتهم ، على نغم الموسيقى الصارخ ، فتحسبهم في فرح غامر ، وما هي الا غمرة من سرور اريد بها اغراق ما في القلوب من حزن دفين . وشر الأحزان حزن لا تدمع فيه عين .

« المحرر »



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسأل ونحن نجيب :

اســـــلاميات :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلـــوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 182 December 1973 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ؛ الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ؛ العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٢٢٨٤) ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى . وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة بالدونغ ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



أسئلة من وحي المعركة

لاتزال الحرب التى بدأت فى اكتوبر تشغل تفكيرنا وتملأ احاديثنا فى كل مكان، فلا عجب اذن ان تجيء المسابقة، مسابقة هذا العدد الممتاز من العربي في عامه الخامس عشر، من وحي هذه المعركة . والمطلوب من القراء الاجابة على ثمانية أسئلة من العشرة التالية، لكي يفوزوا باحدى الجوائز :

١) من المعروف ان شبه جزيرة سيناء غنية بالبترول ، وقد بلغ ما استخرجوه من حقولها نحو ٧ ملايين طن سنة ١٩٧٢ ، حسب البيانات الاسرائيلية فاين تقع حقول بترول سيناء .

١ ـ على ساحلها الغربي ؟!
٢ ـ على ساحلها الشمالي ؟!
٣ ـ على ساحلها الشرقي ؟!
٤ ـ تقع في الداخل لا على الساحل .

★★★

٢) من الاسلحة التى استعملت فى حرب اكتوبر الماضي سلاحان ، يرمز الى احدهما (ت ٦٢) ويرمز الى الثانى (م ٤٨) . فما هما هذان السلاحان وايهما عربي وايهما اسرائيلي . ؟

★★★

٣) لعبت الصواريخ دورا خطيرا فى حرب اكتوبر الاخيرة . ونخص بالذكر منها سام ٦ وهو صاروخ ارض جو استعملته القوات العربية وفتكت به فتكا ذريعا بسلاح الجو الاسرائيلي .
فما اسم الصاروخ المقابل لسام ٦ هذا مما لدى العدو من صواريخ . ؟

★★★

٤) دجلة والفرات نهران عظيمان ولا ريب . انهما الرافدان الشهيران فى التاريخ . وهما ينبعان من الاراضي التركية ويسيران كالتوامين في مجريهما : يتقاربان حينا ويتباعدان حينا حتى يلتقيا عند مدينة القرنة ، فيتكون من التقائهما شط العرب الذى يصب في مياه الخليج العربي .
فاى النهرين هو الاطول ؟

٥) دارت معارك طاحنة على سفوح جبل الشيخ فى حرب اكتوبر الماضي . وجبل الشيخ هذا من اعلى الجبال فى سوريا ولبنان ويبلغ ارتفاعه ٩٢٣٢ قدما . فلماذا سموه جبل الشيخ :

١ ـ لان شيخا من ذوى الكرامات مدفون فيه .
٢ ـ لقربه من بلدة الشيخ مسكين السورية .
٣ ـ نظرا لان الثلج يكسو قمته فيبدو عن بعد كالشيخ المعمم .

★★★

٦) من المعروف ان قناة السويس تم انشاؤها قبل حوالي ١٠٠ عام وقد جرى الاحتفال بافتتاحها رسميا سنة ١٨٦٩ . ويذكر التاريخ ان نابليون فكر جديا فى شق قناة كقناة السويس هذه ولكنه عدل عن مشروعه ولم يحققه ، فما هو السبب :

١ ـ ضيق الوقت واضطراره للعودة الى باريس بسبب بعض الاحداث الداخلية .

٢ ـ النفقات الباهظة التي تطلبها تحقيق ذلك المشروع .

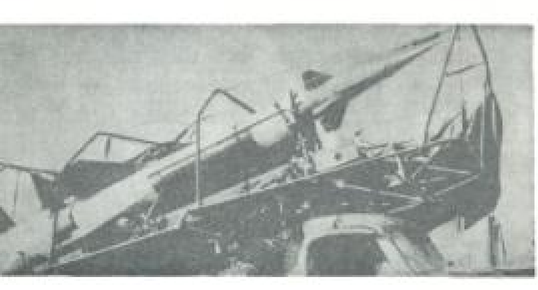
٣ ـ الاعتقاد بان مستوى البحر الاحمر اعلى من مستوى البحر الابيض بحيث لو شقت القناة لفقد البحر الاحمر مياهه وآل امره الى الجفاف !!

★★★

٧) خط بارليف كان من بين الاساطير التى حطمتها حرب اكتوبر الماضية وقد تكلفت عليه اسرائيل اكثر من ٢٠٠ مليون .

وكان يبلغ من الطول اكثر من ١٠٠ كم وكانت فرنسا والمانيا قد انشات كل منهما خط دفاع على





الحدود المشتركة بينهما . ولكن الخطين مالبثا ان تحطما في الحرب العالمية الثانية : فما اسم هذين الخطين ؟

★★★

٨) عين جالوت وحطين معركتان من المعارك الفاصلة في التاريخ الاسلامي . فاين ومتى وقعتا .. ؟ ومن كان بطلاهما ..!

★★★

٩) البرتغال دولة استعمارية كما يعرف الجميع . واكثر مستعمراتها تقع في افريقيا . الا ان واحدة منها تقع في الشرق الاقصى وفي الصين الشعبية بالذات . ويبلغ عدد سكان هذه المستعمرة البرتغالية الواقعة في جنوب الصين والمكونة من شبه جزيرة وجزيرتين صغيرتين اكثر من ربع مليون نسمة . فما اسم هذه المستعمرة ؟

★★★

١٠) في النصف الثاني من القرن الماضي استنجد الخديوي توفيق باشا حاكم مصر انذاك ببريطانيا لتحميه من ثورة شعبية قامت ضده في ذلك الحين . وفشلت هذه الثورة العسكرية آخر الأمر واستقرت بريطانيا بعد ذلك في مصر عشرات من السنين . فمن كان قائد تلك الثورة الشعبية ..؟

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت« مسابقة العدد ١٨٢ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٤ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .





كشوف

فاجأت العلماء على قارعة الطريق

غير كشوف خططوا لها ودبروا تدبيرا

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ الشعر العربي ، يحفظه الحافظ ثم ينساه .

وهو اذ يحفظه اول مرة يلتذه، معنى، ويلتذه ، نغما ، ثم يذهب فكأنما ما كان.

وانت قد تحسب ، وقد انطوى ذلك الشعر بالنسيان ، ان جهدا بذلته فيه ضاع ، كما تضيع الأيام مع الزمان .

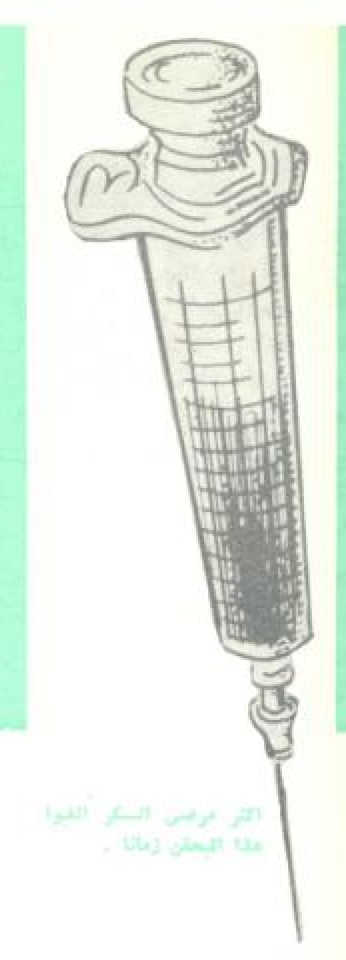
ولكن كثيرا ما يحلّ الانسان من الأحداث موضعا ، يجد فيه ، أن من هذا الشعر الذى هبط فى أعماق نفسه حتى غرق ومع الغرق مات ، ما يصعد حتى يبلغ سطح النفس ، واذا به لفظ ، واذا به نغم ، على اللسان .

وهو يناغم الأحداث التي انت فيها ، من احداث تسر ، واحداث تسوء ، ومن احداث لا سوء فيها ولا سرور .

والشعر يأتي هكذا عفوا ، ويأتي هكذا طفوا ، ولست انت الذى تطلبه ، وانما هو الذى يطلبك، والعجيب فيه مجانسته لما انت فيه . فمن اختاره ؟ ثم من اطلقه من هذه الأعماق ، ومنه ما قدّم به العهد حتى انك نسيت انه من بعض ما اختزنه الخازن فى خزانتك ؟

★ ★ ★

بالامس القريب ، كنت اقرأ قصة حياة رجل كريم ، من رجال الفكر قديم .



اكثر مرضى السكر الفوا هذا الحقن زمانا .

وما اكثر ما كانت مآسيهم . وطويت الكتاب ، وانتحيت من حجرتي ناحية ، فاذا تطفو من اعماق نفسي الى لساني هذه الأبيات ، فارددها لفظا في نشوة واشباع عاطفة .

أمطري لؤلؤا جبال سرنـ
ديب وفيضي آبار(تكرور)تبرا

انا ان عشت لست أعدم قوتا
واذا متّ لست أعدم قبرا

همّتي همّة الملوك ونفسي
نفس حرّ ترى المذلة كفرا

انشدت الأبيات مرارا وتكرارا للمتعة التي كانت في انشادها . وتذكرت انها ابيات مما كان حفظ الشباب ، وما خلت انها بقيت في الحافظة كل هذه السنين .

وتذكرت انها كانت عزيت الى الامام محمد بن ادريس الشافعي ، فزدت تقديرا للامام ، وزاد في تقديري له ، انه جمع بين الفكر في اعلى مراقيه، والكرامة.

كلمة سرنديب

وبيت القصيد من كل هذا اني وقفت عند كلمة سرنديب .

عرفت من المعاجم العربية انها اسم اطلقه العرب قديما على الجزيرة التى تعرف اليوم بجزيرة سيلان ، عند طرف الهند الجنوبي في المحيط الهندى ، وهي المشهورة بالشاى الجيد تصدره اليوم الى بقاع العالم .

واستطردت ابحث عن كلمة سرنديب في المراجع الافرنجية ، وساقني الى ذلك ان في اللغة الانجليزية لفظة يعرفها العلماء ، خيل اليّ انها مشتقة من لفظة سرنديب . تلك اللفظة هي Serandipity ، او السرنديبية .

وهذه اللفظة الانجليزية معناها ان يقع الانسان على الشيء الطيب ، بمجرد حسن الحظ ، لا بانه طلبه او بذل جهدا متعمدا في الوقوع عليه . ويطلقه العلماء على ما يكتشفونه في العلم بالمصادفة دون تدبير وتخطيط .

قصة خرافية

وبالمتابعة لوصل لفظ سرنديب بلفظ السرنديبية ، على بعد ما بينهما ، وقعت آخر الأمر على منشأ هذه الصلة . وهي

قصة قديمة ، من قصص الخيال ، اسمها « اميرات من سرنديب ، ثلاث » ، ملخصها ان اميرات من سرنديب ثلاث ، خرجن لطواف فى البلاد ، فما لبثن ان وقعن على اشياء كثيرة ، لم يكن لهن بها علم ، ولم يكن لهن بها قصد ، انما الحظ الطيب هو الذى أقام هذه الاشياء فى طريقهن .

من هذه القصة اخذ العلماء معنى السرنديبية على النحو الذى ذكرناه .

الكشوف العلمية صنفان

والحق أن الكشوف العلمية ، بل سائر الكشوف من علمية وغير علمية ، تنقسم الى صنفين ، صنف يخطط له العلماء الكاشفون ، ويرسمون له النهج الذى عليه اليه يسيرون ، والصنف الآخر هو ذلك الذى يقع عليه العالم على غير حسبان منه ولا انتظار . انها السرنديبية تضعه له فى الطريق ، ومع هذا فلا بد ان يكون للسائر فى الطريق البصر اللماح الذى به يرى فيدرك قيمة الشيء على الفور .

ولنضرب أمثلة من ذلك .

المصادفة تكشف التيار الكهربائى أوّل مرّة

وقع هذا الكشف فى الثلث الاخير من القرن الثامن عشر ، أى منذ نحو مائتين من الأعوام .

وقع هذا الكشف على يدىْ محاضر فى علم التشريح ، ايطالى ، بجامعة بولونيا Bologna ، بايطاليا . انه الرجل الشهير الآن فى التاريخ ، وفى تاريخ الكهرباء خاصة ، العالم جلفانى Luigi Galvani (١٧٣٧ ـ ١٧٩٨ م) .

كان يجرى أبحاثا فى تشريح الضفادع فى السنوات السبعينية من ذلك القرن ، وكان فى مختبره عدة أجسام من الضفادع تجهزت للتشريح . وكان فى المختبر جهاز كهربائى ، يدار ، فيحدث شررا كهربائيا ، من مثل تلك الأجهزة المعهودة فى مدارس اليوم للايضاح والتدريس . وتبدأ المصادفة عندما يلمح جلفانى انه كلما مسّ عضل الضفدع الميت ، بمس مشرط فى يده ، تقبّض هذا العضل . ويُعيد المس بالمشرط ويتضح له أن هذا التقبُّض يحدث عندما يمسّ من عضل الضفدع الخيط العصبى الذى فيه .

وهو بعد ذلك يعلّق بعض هذا الضّفدع ، وقد تشرح ، بواسطة خُطّاف من نحاس على درابزين من حديد . تجرى الريح فتطوح بجسم الضفدع حتى يمسّ حديد الدرابزين ، فما أسرع ما يتقبّض عضله .



لويجي جلفاني
كاشف التيار الكهربائي

مصادفة تتكرر فتؤكد لعين هذا العالم الباحث ان فى الأمر شيئا جللا : جسم ضفدع ، فيه من السوائل ما فيه ، اتصل من ناحية بسلك من نحاس ، واتصل من الناحية الاخرى بدرابزين من حديد ، واتصل النحاس بالحديد . انها حلقة ثلاثية ، جسم ضفدع ونحاس وحديد . وجرى من ذلك فى الجسم ما جرى فتقبض العضل .

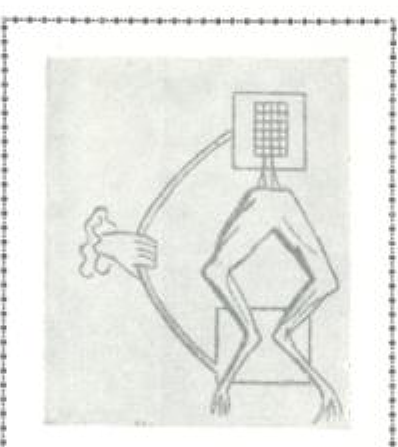
وسمى جلفانى هذا الذى جرى فى جسم الضفدع بالكهرباء الحيوانية Animal Electricity كان راسه مليئا بالكهرباء التى كانت معروفة فى هذا الزمان ، الكهرباء الاستاتية Static Electricity التى تنشأ من دلك قضيب الزجاج بثوب من حرير ، او كتلك التى يحدثها الجهاز الكهربائى الذى كان بمختبره فتنتج شررا .

فسّر جلفانى هذا الذى حدث فى الضفدع بأنها الكهرباء الاستاتية اصابته فتقبض عضله .

واخطأ جلفانى تفسيرا .

وجاء بعد جلفانى ، العالم الفزيائى الطليانى اسكندر ڤلتا Alessandro Volta (١٧٤٥ ــ ١٨٢٧ م) بجامعة باڤيا Pavia واعاد تجارب جلفانى ، وزاد فيها ، ثم اتضح له خطأ تفسيره . ورأى ان الذى حدث انما هو « تيار كهربائى » جرى فى هذه الدورة الثلاثية ، وهى تتألف من معدنين مختلفين ، وجسم كجسم الضفدع رطب . وان هذا التيار هو الذى سبب تقبض عضلات الضفدع .

« التيار الكهربائى » !!



هذه الدورة الثلاثية، تألفت من معدنين حديد ونحاس ، ومن جسم الضفدع وهو رطب ، فجرى فى الدورة تيار ، كان اول ما عرفه الانسان من التيارات الكهربائية .

نوع جديد من الكهرباء ينطق به اول ناطق .

عماد من اعمدة هذه الحضارة الحاضرة عظيم .

هكذا بدأ ، مصادفة . واقعة رآتها عين بصيرة فما افلتتها ، قام من ورائها عقل متوثب لماح ، عقل عالم ، همّه ان يعرف السر الذى اختبأ فيما لا يعرف .

وما أكثر الأسرار .

ودخل اسم جلفانى فى الكهرباء ودخل اسم ڤلتا او ڤلطا فالڤلْت Volt هو اليوم اسم وحدة الضغط الكهربائى . فأنت تقول ان الضغط الكهربائى فى مدينتنا مقداره ٢٢٠ ڤلت. أو ڤلط ، أو هو ١١٠ ڤلط . بالتاء او بالطاء سواء .


اسكندر فلمنج
كاشف البنسلين

والمصادفة كشفت عن عقار

قام على رأس عقاقير جاءت من بعده لعلها امجد العقاقير فى القرن العشرين ، انه البنسلين

وكاشفه العالم البكتيرى الاسكتلندى اسكندر فلمنج Flemming

ولد عام ١٨٨١ ومات عام ١٩٥٥ ، وكان صباه عبرة للمعتبرين .

لم ينشأ فى بيت علم شهير ، ولم ينشأ فى بيت ادب رفيع . نشأ فى الريف الاسكتلندى ، وساعد صبيا فى عمل الريف . ولما بلغ السن التى تؤهله لدخول المدرسة ، كان يمشى نحو اربعة اميال ذهابا ، ومثلها ايابا ، فى برية من الارض سبخة جرداء . وبلغ الثالثة عشرة ، فارسلوه الى لندن يعيش مع اخ له اكبر منه . وفى لندن عمل ٥ سنوات كاتبا فى شركة بالسفن شاحنة .

ثم يحدث ان يحظى بمكافأة دراسية فى مدرسة الطب بمستشفى القديسة مارى St. Mary بلندن . وفيها يتعلم ، وفيها يتخرج ، وفيها يقضى حياته كلها تتربا ، وفيها يكتشف البنسلين .

كشفه البنسلين

كان يعمل فى مختبره البكتيرى . ويزرع صنوف البكتير فى اطباق من الزجاج فيها شىء اشبه بالفالوذج هو غذاء البكتير .. ويتكاثر البكتير ويمتد على سطح هذا الفالوذج . ويأخذ الباحث

البكتيرى من هذا البكتير المتكاثر من فوق السطح ما يشاء . فهذه طريقة تكثير البكتير او زرعه او تزريعه .

وكان فلمنج يكثر البكتير المعروف بالمكوّر العنقودى Staphylococus وهو بكتير خبيث لعين . رفع الغطاء عن زريعة منه ، فوجد البكتير قد تكاثر على سطح الطبقة الغذائية . الا جانبا من هذا السطح خلا من البكتير كل الخلو . ولاحظ الباحث وجود عفن على السطح . ولاحظ ان السطح الذى خلا من البكتير انما وقع حول موضع هذا العفن .

هنا يأتى دور الباحث اليقظ اللمّاح .

ان الباحث العادى ، من سواد البحّاث ، كان على الأغلب يقول لنفسه : ان هذه الزريعة من البكتير دخلها ما افسدها ، ويلقى بها فى القمامة .

ولكن ما كان فلمنج من سواد البحاث .

ان لكل حدث عنده سببا ، ولو خفى عليه . وفكر ، وهداه فكره السريع الى ان هذا العفن لا بد طارد البكتير فمنعه ان يمتد اليه .

واجرى بحوثا على الحيوانات خرج منها بأن هذا العفن ، هذا الفطر الارضى (والفطر Funguses طائفة كبيرة من طوائف النباتات) ، الذى يمنع البكتير ان يتكاثر ، لا يضر بالحيوانات اذ يعطاها ومن الفطر ذلك العفن الاخضر الذى ينمو على سطح الخبز اذ يطول اختزانه .

وحاول قوم ان يفصلوا المادة الفعالة ، التى يحتويها الفطر ، تلك التى تقتل البكتير او يخشاها فتبتعد ، فما استطاعوا ومضت ٩ سنوات ، وبحث العالم البكتيرى فليمنج قابع بين أوراقه ، حتى قيض الله له جماعة من رجال جامعة اكسفورد قاموا ، وعلى راسهم فلورى Florey ، فاستخرجوا هذه المادة من الفطر بمقادير تجارية كبيرة ، وكان هذا بمعونة الولايات المتحدة .

بدا هذا فى عام ١٩٣٨ ، وتم والحرب العالمية الثانية قائمة ، وكان للمادة المستخرجة ، فى تطهير الجروح دور عظيم .

وما كانت هذه المادة الا مادة البنسلين Penicillin ، التي كان لها فى شفاء الانسان من أمراض كثيرة مميتة ، شأن كبير . انها أولى المواد المعروفة باسم الأضداد الحيوية او أضداد الجراثيم Antibiotics التى منها الاستربتوميسين Streptomycin والتراميسين Terramycin وغيرهما .

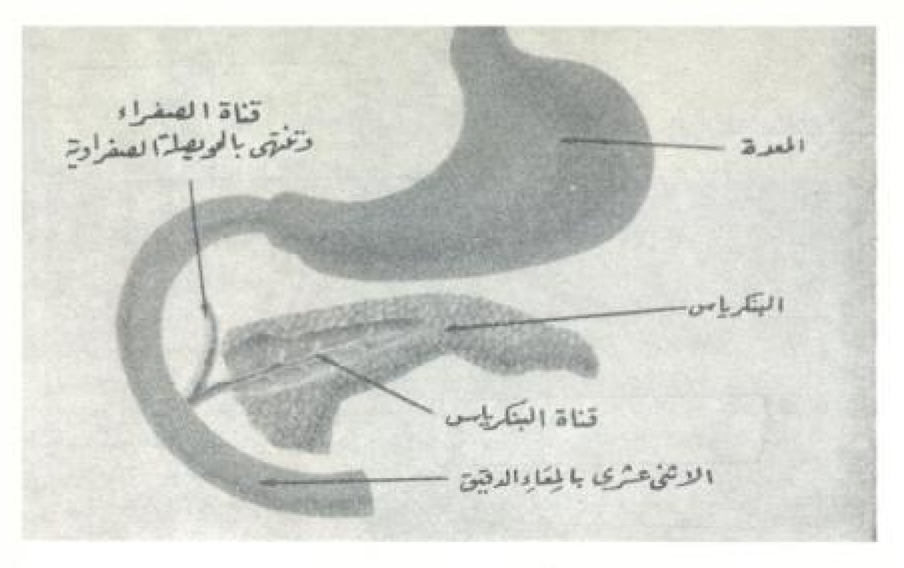
ولا نتابع الموضوع وراء هذا الحد ، فقد بلغنا منه المدى الذى نريد : ان البنسلين ، وأضرابه . من قاتلات الأحياء البكتيرية أو كابحات نشاطها ، انما كان كشفها بالمصادفة وبالحظ الطيب . انه كشف على قارعة الطريق ، لم يأت بالتدبير والتخطيط ، ولم يكن فى بال واجده عندما وجده .

والمصادفة كشفت عن العلاقة بين مرض السكر والانسولين

ولتفسير هذا نبدأ بشرح ما آلت اليه كشوف هذا العلم جميعها ، فيما يختص بمرض السكر ، من بعد ان اتكشف أمر الانسولين وصار اليوم بديهة من بدائه العلاج .

ان البنكرياس غدة كبيرة ، تقع من البطن فى موضع دون موضع المعدة قليلا . وهى طويلة ، وتمتد افقيا كعنقود العنب ، وعنقه ناحية المعاء الاثنى عشرى . وما هذا العنق الا انبوب البنكرياس ينفتح فى الاثنى عشرى ويصب فيه عصارة هضمية يفرزها البنكرياس تجرى فى المعاء كله وتهضم الطعام فيه .

وهذا هو عمل البنكرياس الاول : عصارة هضم يصبها فى المعاء صبًّا ، تصنعها خلاياه .



غدة البنكرياس تصب عصارتها الهضمية فى الاثنى عشرى ، اما الانسولين فتصنعه ويدخل فى الدورة الدموية للجسم مباشرة .

ولكن لهذا البنكرياس عمل كبير آخر . ان به مجاميع من خليات خاصة أخرى ، انضم بعضها الى بعض فكونت شيئا اشبه بالجزائر فى أوسط تلك الخلايا البنكرياسية الاولى التى تفرز عصارة الهضم . وهذه الجزائر Islets وتعرف باسم جزائر لنجرهنس ، وكاشفها لنجر هنس Langerhans ، هي التى تفرز الانسولين .

ولكن الانسولين لايخرج من البنكرياس الى المعاء مع عصارة الهضم . وانه يجرى مباشرة فى الدم عبر مجاريه بالبنكرياس ، ومن دم البنكرياس يذهب الى الدورة الدموية للجسم ، فيصل الى كل الخلايا بالذى فيه من انسولين .

والانسولين يساعد خلايا الجسم على احراق ما بها من السكر (الجلوكوز) واعطائها الحرارة والطاقة .

فاذا امتنع الانسولين او قل ، لم يحترق السكر فى الخلايا بالقدر الكافى وامتنع عن الجسم الطاقة ، واصابه المرض والضعف . وهذا هو مرض السكرى . ويتجمع السكر (الجلوكوز) فى الدم ويخرج مع البول فيكون علامة هذا المرض الوبيل فى الجسم .

فى السنوات الثمانينية الاخيرة من القرن الماضى

فى القرن الماضى لم تكن علاقة مرض السكر بالبنكرياس معروفة .

فهذه العلاقة التجريبية كشف عنها الحظ ، وكشفت المصادفة .

ففى اواخر هذا القرن الماضى كان العالمان فون ميرنج Von Mering ، ومنكوفسكى Minkowski يبحثان فى عمل البنكرياس من حيث هضم الطعام .

وقطعا البنكرياس وفصلاه من عدة من كلاب تمهيدا للبحث . وبقيت الكلاب حية ، وبالت بعد ذلك . وهنا تأتى المصادفة . لاحظ عامل المختبر تكاثر الذباب على البول تكاثرا غير عادى . وذكر هذا للباحثين . وفحص الباحثان البول فوجداه مليئا بالسكر . وفكرا . لماذا حدث هذا ؟ لان البنكرياس أزيل ؟ اذن هناك رابطة بين البنكرياس وما يفرز

من مادة او مواد ، وبين السكر الذى يظهر فى البول .

وكانت هذه اول مرة يستحدث فيها مرض السكرى فى المختبر استحداثا واصطناعا .

فى عام ١٩٢١

فى هذا العام وما تلاه كان فصل تلك المادة التى يفرزها البنكرياس فتذهب الى الجسم مباشرة فتمنع السكر ان يزيد فى الدم . تلك المادة التى هى الانسولين Insulin .

كان سبق فى محاولة فصلها من البنكرياس سابقون ، فاخفقوا ، لأن الخلاصة التىاستخلصوها من البنكرياس احتوت الانسولين ، ومعه عصارة الهضم ، فقامت العصارة بهضم الانسولين واتلافه .

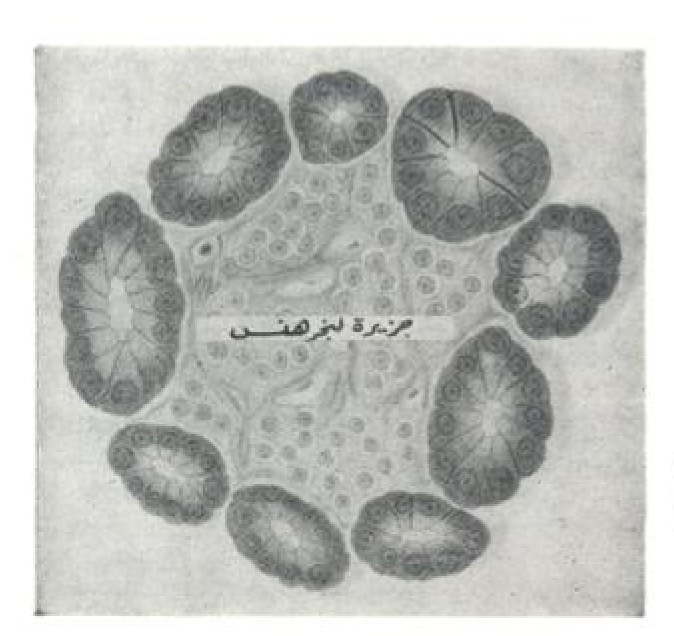
ثم ظهر فى العلم لبعض الباحثين ان ربط عنق البنكرياس ربطا ، وهو فى الجسم ، يضعف الخلايا ذات الافراز الهاضم ، ثم هو يتلفها . وبناء على هذا قام الدكتور بانتنج Banting (١٩٢١) ومساعده الدكتور بست Best بالتخلص بهذه الطريقة من الخلايا التى تفرز الانسولين . وبالابقاء على هذه الخلايا امكن فصل الانسولين منها .

وسنة بعد سنة ظهر الانسولين فى الأسواق . استخلصوه من بنكرياس الأبقار .

كشف آخر عمَّ نفعه الالوف المؤلفة من المرضى ، على السنين الطويلة ، بدا بملاحظة عابرة ، ساقها الحظ ، يسيرة .

واقعة اذكرها

وواقعة اذكرها ولست انساها . كنت فى انجلترا فى تلك السنوات دارسا باحثا . وكانت لى فى القاهرة ابنة عمة مريضة بالسكرى . وكتبوا الىَّ من بعد يقولون أنهم سمعوا ان عقارا جديدا ظهر لمرض السكر اسمه انسولين . ورجونى



جزيرة لنجرهنس ، وتفرز خلاياها الانسولين . وهذه الجزائر منتشرة فى غدة البنكرياس



الدكتور بانتنج
كاشف الانسولين



الدكتور بيشت
صاحب بانتنج في كشف الانسولين

ان ابحث عنه وارسل منه . وبحثت ولكنه لم يكن عند ذلك قد خرج من المختبرات الى الاسواق . واشتد المرض عليها ، فذهبت مع الذاهبين والذاهبات الذين واللاتي لا يرجعن ولا يرجعون .

وكشف امريكا ، القارة ، كان قدَرًا مقدورا

وذكرنا ما ذكرنا ، وهى امثال كلها من العلم ، ولو شئنا لزدناها امثالا .

ولكنّ مثل من خارج العلم يلح ذكره علينا ، ذلك كشف امريكا .

خرج كولمبس من اوروبا يطلب الهند . ولما بلغ ما بلغ من الشاطىء لم يدر اين هو من الارض . والتبس عليه الأمر حتى بعد أن عاد . كشف عن امريكا ولم يدر ما كشف ، ولا خطر له خاطر بالذى اكتشف .

وظهور امريكا ظاهرة من اكبر ظواهر الدنيا ، فيها الخير الكثير ، وفيها الشر المستطير .

كشوف العلم اكثرها تخطيط وتدبير

قد تغرى هذه الامثلة السابقة بعض البسطاء فيحسبون انهم ، لو قعدوا على قارعة الطريق ، فالعلم ، بالمصادفة والحظ ، لا بد وارد عليهم . فهؤلاء يجلسون الاعمار ولا يطوف بهم طائف من العلم واحد .

ان سرنديب والسرنديبية لا يذكرهما اليوم فى العلم كاشف

ان العلم كلما تقدم تفرع ، ومع التفرع تعقد ، ومع التعقد هو يذهب الى الاعماق . فالعلم اليوم تخطيط وتدبير . والمسألة الواحدة يقوم بفحصها الفاحصون ، لا واحدا ، ولا اثنين ، ولكن قوما كثيرين . وقد يكونون اقواما تبلغ الآفا . خذ امر الذرة وما كان من انشقاقها وما كان منها بعد ذلك من قنابل مدمّرة . والوصول الى القمر ، كم آلاف اعانت فيه ، وصنعت له ، ودبّرت له .

والسرطان ، كم له فى الارض من باحثين ، وكم له من مختبرات فى الكثير من الأوطان .

ان العلم اليوم عزّ على الفرد .

وهو على الجماعة أيسر ، واليها اسبق . ●●

أحمد زكى

أنت تسأل .. ونحن نجيب

اسرائيل تجبر ٥٠ ألف عامل عربي من الضفة الغربية وقطاع غزة على العمل داخل فلسطين المحتلة

● شاهدنا في فيلم تليفزيوني عددا من العمال العرب يعملون في اعمال البناء داخل مدن فلسطين المحتلة والتي تقوم بها السلطات الاسرائيلية هناك . فهل هؤلاء العمال من عرب فلسطين المحتلة الذين بقوا فيها بعد انشاء اسرائيل أم من أهالي الضفة الغربية والاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ .

فوزى فاقيش ــ الزرقاء ــ الاردن

ــ ان هناك عددا كبيرا من أهالي المناطق العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ يجبرون على العمل الآن داخل اسرائيل . ويتم اجبارهم بسبب انعدام المشروعات الانمائية داخل هذه المناطق نتيجة للاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن .

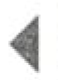
وفي تقرير نشرته مجلة الدراسات الفلسطينية ، التي تصدر عن معهد الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت باللغة الانجليزية ، يتضح أنه طبقا للاحصائيات الاسرائيلية الرسمية بلغ عدد العمال العرب من المناطق التي احتلت بعد حرب عام ١٩٦٧ والذين يعملون داخل اسرائيل اكثر من ٥٠ الف عامل في النصف الاول من عام ١٩٧٢ . وهذا العدد يمثل نحو ٢٥٪ من عدد العمال العرب في هذه المناطق . وتبين هذه الاحصائيات أن ٣٠٪ من القوى العاملة العربية في الضفة الغربية والبالغ عددهم ١٠٠ الف عامل يعملون الان داخل اسرائيل. وان ٢٠٪ من عمال قطاع غزة البالغ عددهم ٦٠ الف يعملون داخل اسرائيل .

ويعمل ٤٧٪ من العمال العرب في الاراضي المحتلة الذين تجبرهم اسرائيل على العمل داخلها في أعمال البناء، و٢٥٪ في الزراعة بالمستعمرات الاسرائيلية، و١٧٪ في الصناعة .

وفي الحقيقة تبلغ نسبة عدد العمال العرب الذين يعملون في البناء داخل اسرائيل حوالي ٤٠ الى ٥٠٪ من عدد عمال البناء في اسرائيل . وهذا يدل على أن الاحصائيات التي نشرت في الصحف الاسرائيلية مؤخرا لا تشمل عددا كبيرا من العمال العرب الذين يقومون بالعمل المؤقت عن طريق غير طريق مكاتب العمل الرسمية .

ويقوم الاسرائيليون باستغلال العرب في الاعمال التي تتطلب قوة جسمانية ، وتبلغ أجورهم نحو نصف الأجور التي تمنح عادة للاسرائيليين الذين يقومون بنفس هذه الاعمال . أما أحوالهم العمالية فهي سيئة للغاية فهم لا يتمتعون بمزايا العمل التي توفر لهم الحماية ضد الطرد او اصابات العمل .

وهناك غرضان أساسيان من اجبار العمال العرب من الضفة الغربية وغزة على العمل داخل أراضي اسرائيل . وأول هذه الاغراض اضعاف حركة المقاومة. وثانيهما محاولة ربط سكان الاراضي



العربية التى احتلت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بعجلة الاقتصاد الاسرائيلى ، وجعل سكان هذه الاراضى يعتمدون اقتصاديا على اسرائيل بغض النظر عن اى حل سياسي بشأن هذه الاراضي قد يتم التوصل اليه مستقبلا .

واخبث من ذلك العمل على نزوح العرب عن اراضيهم واذن تصبح هذه الارض قاحلة لا نبات فيها فياتي الاسرائيليون يشترونها منهم . يشترون ارض العرب لتكون لهم الى الأبد !!

(م. ط)

الازور : ٩ جزر وسط المحيط

■ فى اثناء حرب المصير ، تردد ذكر اسم جزر الازور الامريكية، وقد حاولت عبثا العثور عليها فى الخريطة فلم انجح.. فهل لكم أن تبينوا لنا موقعها ، مع نبذة عنها ؟

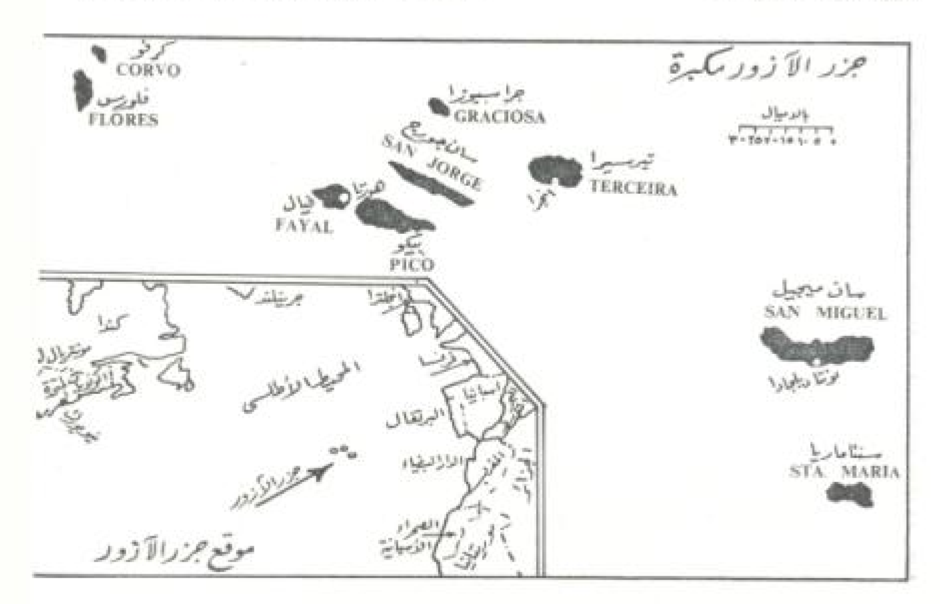
احمد الشامى ـ الحديدة ـ اليمن

ـ الواقع ان جزر الازور ليست امريكية، وانما هى مجموعة جزر برتغالية ، فيها قاعدة عسكرية امريكية ، استأجرتها الولايات المتحدة من البرتغال بموجب اتفاقية وقعت فى عام ١٩٤٣ واستعملتها فى الحرب العالمية الثانية .. وكانت المفاوضات تجرى بين البلدين لتجديد هذه الاتفاقية التى تنتهى مدتها فى شهر مارس القادم ١٩٧٤ وطالب البرتغاليون بزيادة قيمة الايجار ، ولكن الامريكيين قالوا ان قواعد حلف الاطلسي الاخرى جعلت جزر الازور عديمة الاهمية ..

وعندما اشتعلت نيران الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة استخدمت امريكا قاعدتها فى جزر الازور لتكون محطة استراحة لطائرات الجسر الجوى الذى كان ممتدا من الولايات المتحدة الى اسرائيل يحمل لها كل يوم نحو ٨٠٠ طن من الاسلحة والذخائر .

وعلقت صحيفة الجارديان على الاتفاقية الجديدة بين البرتغال والولايات المتحدة بقولها :

« .. وقد أدت المفاوضات الى عرض الولايات المتحدة على البرتغال تأييدها فى الأمم المتحدة ،



وبالفعل ظهرت جدوى هذه الاتفاقية عندما صوتت الولايات المتحدة ضد السماح باجراء مناقشة في الأمم المتحدة حول وضع غينيا البرتغالية .. »

هذا عن الدور السياسي لجزر الازور التي تقع وسط مياه المحيط الاطلسي ، على مسافة ٧٤٠ ميلا غرب الساحل البرتغالي ، اي عند ثلث الطريق البحري بين لشبونة ونيويورك ..

اما ارخبيل الازور فيتكون من تسع جزر اهمها جزيرة ساوميجيل .. ولكن عاصمة الازور ، وهي مدينة انجرا Angara Do Heroisme فتقع على جزيرة تراسيا .. والميناء الرئيسي للازور هو ميناء هورتا ويقع على جزيرة فيال .. اما بقية اسماء الجزر فتجدها موضحة على الخريطة التي بالصفحة السابقة ..

وجزر الازور بركانية جبلية تتعرض للزوابع الهوائية والزلازل الارضية ، فتجعل مناخ الجبل رطب على مدار السنة مما يسمح بنمو زراعات خاصة مثل الاناناس تحت المنازل الزجاجية ، والشيكوريا والشاي وقصب السكر .. وتوفر الاعشاب الجبلية ، غذاء طيبا للابقار الهولندية الحلوب .

ويبلغ عدد سكان جزر الازور ٣٢٣,٠٤٠ نسمة (احصاء ١٩٦٨) كلهم من البرتغاليين تقريبا يعيشون فوق تسع جزر ، مساحتها ٨٨٨ ميلا مربعا .

(س. ز)

بترول سيناء

انقذ اسرائيل من أزمة الطاقة!!

● نرجو ان تعطونا فكرة ما عن قيمة بترول سيناء بالنسبة الى اسرائيل ..

هاني سلامه ــ الكويت

ــ يعتقد الكثيرون ان اسرائيل لن تنسحب من شبه جزيرة سيناء بسهولة وانها ستتمسك بها او بمساحات كبيرة منها ، ما امكنها ذلك . اما باعثها على ذلك فليس « الحديد الامنة » ، كما يدعي زعماؤها ، وانما هو البترول العربي الذي تجود به حقول سيناء وآبارها . فمنذ حرب ١٩٦٧ وبترول سيناء يغطي حاجات اسرائيل البترولية ، اكثرها ان لم نقل كلها . اضف الى ذلك ان بترول سيناء هو الذي شجع اسرائيل على مد خط انابيب البترول من ايلات الى عسقلان ، وعلى انشاء اسطول كبير نسبيا من ناقلات البترول ، العملاقة وغير العملاقة .

ويبلغ عدد حقول البترول في سيناء تسعة ، نذكر منها حقل بلاعيم اهمها ، وابو رديس وابو زنيمه . ويبلغ عدد الابار التي تجود ببترول تلك الحقول نحو ١٢٠ بئرا . وتجدر الاشارة الى ان كل هذه الابار باستثناء بئرين فقط ، كانت قائمة وعاملة قبل الاحتلال الاسرائيلي . فقد باشرت مصر اعمال التنقيب عن البترول في شبه الجزيرة في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، واكتشفت اول حقل من حقولها ــ وهو حقل راس مطرمة ــ سنة ١٩٤٨ .

وانطلقت بعد ذلك المؤسسة المصرية العامة للبترول تستخرج بترول سيناء وتدير اباره وحقوله بالتعاون مع شركة ايني الايطالية . وظلت الامور على تلك الحال الى ان كانت حرب الايام الستة، واذا باسرائيل تغتصب تلك الحقول والابار وتستغلها على اوسع نطاق .

اما الكميات التي كانت تحصل عليها اسرائيل سنويا من حقول سيناء فقد بلغت نحو ٦ مليون طن سنة ١٩٧١ ومثل ذلك المقدار سنة ١٩٧٠ . وهذه الكمية تغطي بل تفيض على حاجات اسرائيل البترولية ، وقد بلغت اقل من ٥ مليون طن سنة ١٩٧١ .

وجدير بالذكر ان هذه الاحصاءات المستمدة من مصادر اسرائيلية ليست مطابقة لاحصاءات اخرى تتضمنها مصادر اسرائيلية اخرى . فانتاج حقول سيناء بحسب هذه المصادر لايجاوز ٥ ملايين طن ولا يغطي سوى ٧٠٪ من حاجات اسرائيل البترولية في السنة الواحدة . وان دل هذا التضارب على شيء فانما يدل على حرص اسرائيل على التكتم حول بترول سيناء وحول مدى اعتمادها عليه . وحسبنا ان نستشهد هنا بما ذكره احد خبراء البترول الاسرائيليين ، قبل حرب اكتوبر بقليل ، اذ قال : « لولا بترول سيناء لعانت اسرائيل من ازمة في الطاقة اشد كثيرا من الازمة التى تهدد اوربا والولايات المتحدة الامريكية » .

ولعل فيما ذكرته صحيفة الفاينانشال تايمز اللندنية ما قد يلقي بعض الضوء على تكتم اسرائيل بصدد بترول سيناء . فقد قدرت هذه الصحيفة المطلعة في عددها الصادر في ١٩٦٨/٢/٢٨ ، قدرت الطاقة القصوى لانتاج آبار البترول في سيناء بنحو ٤٠ مليون طن سنويا . وهذه كمية كبيرة تفوق كل التوقعات وتقدر قيمتها بنحو ٥٠٠ مليون دولار !

(ى . ز)

باب المندب : المدخل الجنوبي للبحر الاحمر

● سمعنا عن اغلاق باب المندب في وجه السفن الاسرائيلية .. فهل لكم ان توضحوا لنا أهمية هذا الممر المائى ؟

عبد العزيز الفهد ـ السالمية ـ الكويت

ـ مضيق باب المندب ، او البوابة الجنوبية للبحر الاحمر ، هو المضيق الحيوى الذى يوصل مياه البحر الأحمر بمياه خليج عدن فمياه بحر العرب ثم المحيط الهندى .. وفي نفس الوقت يفصل بين قارتي آسيا وافريقيا ..

وعرض هذا المضيق ٢٣ كيلو مترا ، تقع فيه جزيرة ميون ، أو بريم ، كما يحلو للغربيين تسميتها .. وهذه الجزيرة الهلالية الشكل والتى لا تتعدى مساحتها خمسة أميال مربعة ، تقسم ممر باب المندب الى ممرين غير متساويين في الاتساع .. فالممر الاول وهو بينها وبين ساحل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التى تتبعها الجزيرة، عرضه خمسة كيلو مترات فقط .. وهو صالح جدا للملاحة ..

معركة العلمين استمرت ١٢ يوما وانتهت بانسحاب قوات المحور ، ولم يتمكن مونتجمرى من تحقيق غرضه في تدمير جيوش روميل تدميرا كاملا

● ترددت في الأنباء مؤخرا أن معارك ٦ أكتوبر التى خاضتها القوات العربية ضد القوات الاسرائيلية تعتبر من اكبر معارك الدبابات في العالم ، وقد ذكرت هذه الانباء أن هذه المعارك تعتبر أكبر من معركة العلمين التى دارت بين قوات المحور والقوات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية . فهل لكم أن تذكروا لنا عرضا موجزا عن معركة العلمين هذه ؟

حسام زكى ـ الكويت

ـ دارت معركة العلمين في الفترة ما بين ٢٣ اكتوبر حتى ٤ نوفمبر عام ١٩٤٢ بين القوات البريطانية بقيادة مونتجمرى وقوات المحور (الالمان والايطاليين) بقيادة روميل وذلك في منطقة العلمين التى تبعد نحو ٦٠ ميلا الى الغرب من الاسكندرية . وقد كانت هذه المعركة واحدة من



والممر الثانى هو ممر مائى وسيع عرضه نحو ١٧ كيلو مترا ، يفصل بين جزيرة ميون والساحل الافريقى وهذا الممر الثانى تبرز فيه رؤوس صخور بركانية ، تأخذ شكل جزر صغيرة يطلق عليهـا « الاخوة الثمانية » وهذه الجزر البركانية تجعل الملاحة فى هذا الممر عملية محفوفة بالمخاطـر والصعاب ..

لهذا تتجه جميع السفن للمرور من المضيق الاول الذى يمر بين وسـط أراضى اليمن الديمقراطية ..

من هذا يتضح أن من يسيطر على جزيرة ميون، يسيطر على حركة الملاحة المتجهة من والى داخل البحر الاحمر او الخارجة منه .

وليست هذه أول مرة يقفل بها مضيق باب المندب ، اذ قامت بريطانيا باحتلال جزيرة ميون فى عام ١٧٩٩ واقامت فيها حامية عسكرية لمنع جيوش نابليون بونابرت المرابطة فى مصر ، من الانطلاق عبر البحر ومضيق باب المندب ، لاحتلال الهند واخراج بريطانيا من مستعمراتها هناك ..

وقبل هذا احتل السفاح البرتغالى البوكيرك جزيرة ميون فى عام ١٥١٣ ليقفل البحر الاحمر فى وجه قوات المماليك .

(س . ز)

اكبر معارك الدبابات والمدرعات التى دارت فى الحرب العالمية الثانية .

وكانت جبهة العلمين عبارة عن صحراء صخرية قاحلة . والى الشمال يقع مرتفع تل العيسى ، وفى الجنوب على ارتفاع ٦٠٠ قدم تقع منطقـة الحمامات على حافة منخفض القطارة الذى لا يمكن اجتيازه أو عبوره . وكان هذان هما العمادين اللذين ترتكز عليهما الجبهة ويفصلهما ٤٠ ميلا . وقد حفرت قوات المحور خنادقها على طول الجبهة كما حفرت القوات البريطانية خنادقها فى مواجهة الجيوش الالمانية ــ الايطالية . وبلغ عدد القوات المتحاربة فى هذه المعركة نحو ربع مليون جندى .

وقد استطاع مونتجمرى ان يحشد اكثر من الف دبابة من طراز جرانت وشيرمان الامريكية الصنع ، وان يستخدم ١٢٠٠ طائرة قاذفة ومقاتلة ضد قوات المحور واكثر من الف مدفع ثقيل . فى حين ان روميل كان يعاني من طول خطوط تموينه وتاخر وصول الامدادات اليه على انه كان لديه حوالي ٩٠٠ دبابة ومدرعة ، أما الطيران المتوفر لديه فلم يكن يزيد عن ٣٠٠ طائرة قاذفة ومقاتلة .

واعتمدت خطة روميل على توقع هجوم للجيش البريطاني لاجتياح قواته لذلك قام بعمل اكبر حقل الغام شهده العالم حتى ان الخبراء العسكريين اطلقوا على حقل الالغام هـذا اسم « حـدائق الشيطان » وتم زرع اكثر من نصف مليـون لغم بمختلف انواعها فى هذه المنطقة .

وفى مساء يوم ٢٣ اكتوبر بدأ هجوم القـوات البريطانية وذلك على اقوى نقطة دفاعية لقوات

« شوناو » القصر القـديم الذى اغلقـه
مستشار النمسا في وجه المهاجرين اليهود

● قرأنا في الصحف العربية والاجنبية عن موجة الغضب التى سيطرت على زعماء اسرائيل، اثر اعلان قرار حكومة النمسا باغلاق مركز تجمع اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل في أراضيها .. فهل لكم أن تقدموا لنا نبذة سريعة عن هذا الموضوع واثره على اسرائيل ؟

محمود سامي ـ القاهرة

لا شك ان قرار حكومة السيد برونو كريسكى مستشار حكومة النمسا باغلاق مقر تجمع المهاجرين السوفييت الى اسرائيل ، قد سبب ازعاجا شديدا للحكومة الاسرائيلية ، ويكفى أن تعلم عدد اليهود الذين مروا عبر هذا المركز خلال السنوات التسع الأخيرة ، في طريقهم الى « ارض الميعاد » ، كما يصورها الاسرائيليون لهؤلاء الوافدين الجدد ، لتدرك مدى الخطر الذى احست به اسرائيل من جراء اتخاذ هذا القرار الهام الذى كان مناصرة للعرب . فقد ذكرت مجلة نيوزويك الامريكية ان عدد هؤلاء المهاجرين خلال الفترة ما بين عامى ١٩٦٥ و ١٩٧٣ بلغ أكثر من ٧٢ الف يهودى سوفييتى ، اى بمعدل ثمانية الاف مهاجر في العام الواحد .

ويقع مركز التجمع هذا على بعد ٣٥ كيلومترا الى الجنوب من مدينة فيينا ، عاصمة النمسا ، وسط غابة من اشجار البلوط ، في قرية تعرف باسم شوناو Schonau ، وهو قصر منيف شيده احد دوقات النمسا في القرن الثانى عشر .

وقد مرت على هذا القصر الاثرى القديم عدة عصور استخدم فيها كابرشية ثم مهجعا للصيد ، ثم مقرا لقيادة قوات الاحتلال السوفييتى قبل نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة الى ان كان عام ١٩٦٤ عندما وقعت الوكالة اليهودية عقدا مع حكومة النمسا على تأجير هذا القصر لمدة عشرين عاما .

ومنذ ذلك الوقت اصبح القصر الاثرى معسكرا تحيط به الاسلاك الشائكة . وقد اقيمت حوله

المحور ، وهي حدائق الشيطان ، وكان هذا الهجوم يخالف مبادىء التكتيك العسكرى لان مونتجمرى فضل ان يدمر اولا مشاة المحور ويحطم جدار روميل الحصين ، ثم بعد ذلك يقتحم مواقع الالمان بدباباته ويدمر مدرعاتهم (المبادىء التقليدية للحروب تقول انه لابد من تدمير المدرعات اولا ثم المشاة ثانيا) .

وقد بدأت المعركة بتمهيد نيران مركزة لمدة ٤٠ دقيقة ، ثم غلالات وحشود نيران لمدة ٤ ساعات متواصلة ، استخدم فيها الف مدفع ثقيل حتى كان لكل مدفع ١٠ ياردات فقط يغطيها بالنيران . واستطاع الجيش البريطاني بهذا القذف المركز بالمدفعية ان يفجر عددا كبيرا من الغام حدائق الشيطان وان يفتح ثغرتين في الشمال ودفع رأس حربة مكونة من فرق المشاة الثلاثة تتبعها فرقتان مدرعتان معهما ٧٠٠ دبابة ، وكانت خطة مونتجمرى مبنية على ان تقوم المشاة بفتح ثغرة في دفاعات المحور لتمر القوات المدرعة منها وتنطلق للمناطق الخلفية للمحور لمهاجمتها وقطع خطوط مواصلاتها . وبهذا يضطر روميل لدفع قواته المدرعة الى هناك لانقاذ الموقف وبذلك يتمكن البريطانيون من القضاء على هذه القوات المدرعة لتفوقهم الساحق في المدرعات . وفي نفس الوقت ستبقى المواقع الدفاعية للمحور بدون حماية وبذلك يسهل تدمير المشاة في مواقعها .

ولم يكن روميل مع قواته ليلة بدء الهجوم .. وعندما وصل الجبهة بعد يومين من بدء القتال كان موقف الالمان سيئا وان كانوا قد كبدوا البريطانيين خسائر فادحة في الارواح والمعدات . وحاول روميل القيام بهجوم مضاد ولكن امكانياته ،



قصر شوناو قبل اغلاقه
في وجه المهاجرين اليهود

مراكز للحراسة ترابط فيها مجموعات من رجال الشرطة النمسويين الذين يحملون المدافع الرشاشة ويضعون فوق رؤوسهم الخوذات الفولاذية ، كما انتشر رجال الأمن الاسرائيليون بملابسهم المدنية في كل مكان خوفا من الفدائيين العرب الذين قد يحاولون اقتحام المعسكر في أي وقت .

يقول مراسلو الصحف الأجنبية الذين زاروا القصر على أثر اعلان قرار النمسا باغلاقه : « لقد اعاد هذا المكان الى الذاكرة صورة معسكرات الاعتقال النازية » .

وفي داخل القصر يتجمع المهاجرون السوفييت مع افراد اسرهم ، حيث يقضون ٢٤ ساعة يستقلون بعدها سيارات النقل الكبيرة التي تنطلق بهم الى مطار فيينا تحت الحراسة المشددة حيث تكون طائرات شركة « العال » الاسرائيلية في انتظارهم لتنقلهم الى مطار اللد في الارض المحتلة .

لقد كانت آخر مجموعة من هؤلاء المهاجرين الذين توقفوا في هذا المعسكر في شهر اكتوبر من العام الماضي ، وبعدها اغلق القصر في وجه المهاجرين اليهود ، ولم تفلح كل الجهود التي بذلتها اسرائيل ورئيسة وزرائها في حمل مستشار حكومة النمسا على العدول عن قراره . (م . ن)

وعدم وصول امدادات له ، لم تيسر له سوى العمل على الانسحاب باقل قدر من الخسائر وتفويت الفرصة على مونتجمري في تدمير جيش المحور باكمله .

ويقسم المحللون العسكريون معركة العلمين الى ٣ مراحل :

المرحلة الاولى : الاختراق للمواقع الدفاعية للمحور وتثبيت اقدام القوات المهاجمة داخل هذه المواقع وقد استمرت هذه المرحلة من ٢٣ الى ٢٤ اكتوبر .

المرحلة الثانية : مرحلة القتال المتلاحم التي تتضمن القيام بعدة عمليات هجومية متتابعة داخل الموقع الدفاعي في اتجاهات مختلفة لتحطيم هذه الدفاعات وهي من ٢٤ اكتوبر حتى ١ نوفمبر .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الانطلاق الى الارض المفتوحة حتى يمكن دفع القوة المدرعة الى مناطق العدو الخلفية وهي في الفترة من ٢ الى ٤ نوفمبر .

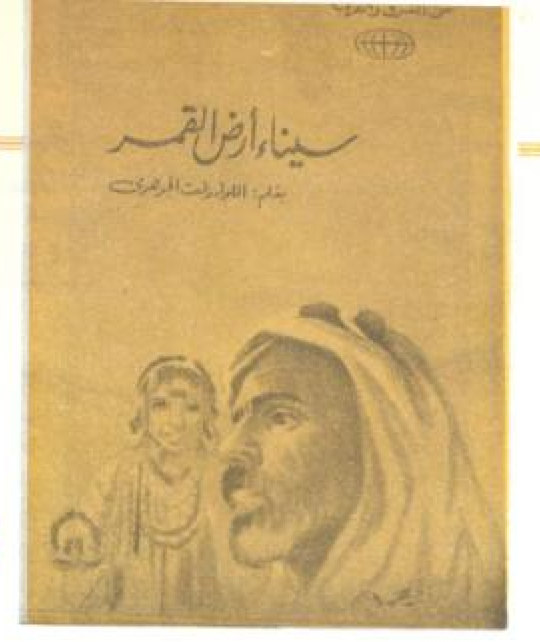
ولقد تمكن روميل من الانسحاب بقواته دون ان تدمر بنجاح الى منطقة فوكه يوم ٤ نوفمبر .

وبهذا انتهت معركة العلمين .

اما حساب الخسائر في هذه المعركة فقد خسرت قوات المحور ١٠ الاف قتيل وجريح واسر منه ٣٠ الف فرد ، كما خسروا ايضا الف مدفع واكثر من ٥٠٠ دبابة ومدرعة .

اما خسائر الجيش البريطاني فقد بلغت ١٣ الف قتيل وجريح و٤٥٠ دبابة ومدرعة .

(م . ط)





أرضُ القمَر

عرض اللواء أركان حرب محمد كمال عبد الحميد

للواء رفعت الجوهري

■ قفزت سيناء الى مركز الصدارة بين مسارح الحروب التاريخية بعد ان شهدت معارك اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٣ ، تلك التي تصارع فيها اكثر من خمسة آلاف مدرعة ومركبة بين مصر واسرائيل . وظهرت خرائط سيناء ، وتابع الناس عليها سير المعارك منذ عبور القوات المصرية قناة السويس واقتحامهم خط بارليف ..

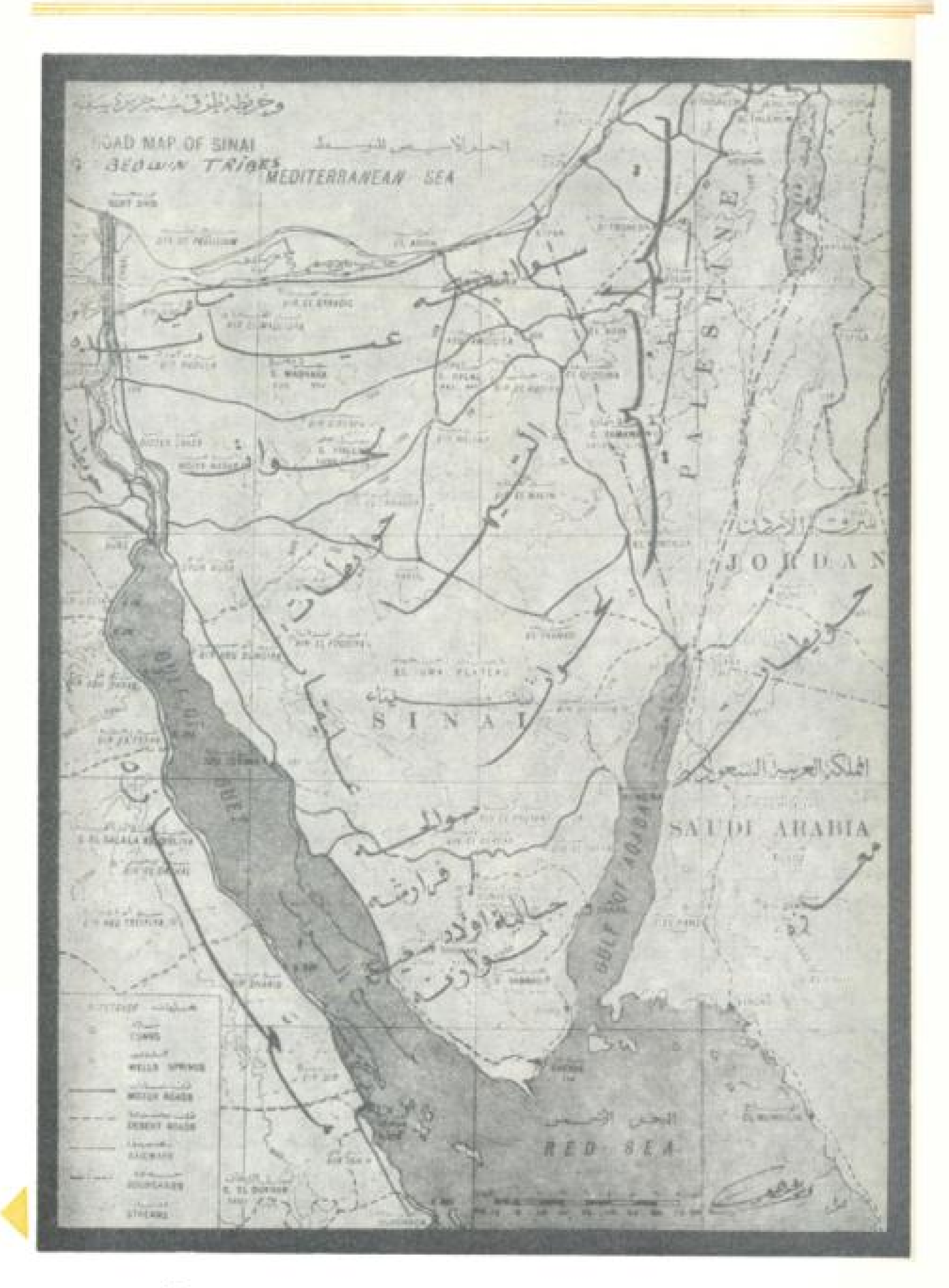
فى جنوب سيناء جبال

لقد عرفت سيناء منذ القدم « بارض القمر » لما اشتهر به اهلها الأولون من عبادتهم للقمر . وتتميز سيناء بمجموعة من جبال وعرة فى الثلث الجنوبي لشبه الجزيرة .. اهمها جبل الطور .. الذى يروى أن موسى جاءه عندما قدم الى أهل مدين .. ومنها جبل موسى وجبل المناجاة الذى ناجى موسى ربه من فوقه. وجبل الصفصافة الذى منه القى موسى الوصايا العشر على بنى اسرائيل. وجبل كاترين وهو اعلى جبال سيناء (٨٥٣٦ قدم) واشهرها عند السائحين .

وفى شمال سيناء سهل ساحلى واسع

واذا انتقلنا الى الشمال من سيناء وجدنا سهلا ساحليا يمتد على البحر المتوسط مئتى كيلومتر فهو اوسع قطاع فى شبه الجزيرة ، وتتخلل هذا القطاع الساحلى بقاع متناثرة صالحة للزراعة ، يفصلها عن الهضبة الوسطى بعض المرتفعات .. ومن اهم معالم هذا القطاع وجود بحيرة البردويل على ساحل البحر ، وبها من الثروة السمكية ما اغرى الكثير من الصيادين بالاقامة حولها ..

وفي هذا القطاع السهلى الساحلى ، تقع


ROAD MAP OF SINAI
BEDWIN TRIBES
MEDITERRANEAN SEA
PALESTINE
JORDAN
SINAI
SAUDI ARABIA
RED SEA
GULF OF SUEZ
GULF OF AQABA
EL TIH PLATEAU

العريش .. اكبر مدن سيناء ، وهي على الطريق الساحلي الممتد شرقا الى رَفَح وغَزّة .. وغربا الى الفرما ، ويعتبر هذا الطريق اقدم الطرق العسكرية التي سلكتها القوات بين مصر والشام من المصريين والفرس والحثيين والاشوريين .. والعريش اصبحت مقرا لمحافظة سيناء منذ الحرب العالمية الاولى ، وتطورت الحياة فيها بارتفاع كفاية اجهزة الخدمات فيها وخاصة بعد عام ١٩٥٢ ..

وقد شهدت هذه المدينة دخول عمرو بن العاص وهو في طريقه لفتح مصر ، واحتلها الاتراك بعد حكم السلطان سليم ، ومر بها نابليون في طريقه الى عكا ، واستردها سليم الثالث ، وكانت قاعدة لامداد القوات البريطانية في الحرب العالمية الاولى ضد الاتراك في فلسطين .

ويلي العريش شرقا بلدة الشيخ زويد على مسافة ٢٧ كيلومترا ، واخذت البلدة اسمها تيمنا باحد التابعين الاوائل من اجداد عرب السواركة وله بها ضريح يزار كل عام عقيب موسم الحصاد ، وتقام له الولائم وحفلات سباق تجرى فيها الخيل والجمال .

وتوجد مدينة رفح في اقصى الشرق من سيناء على الساحل الشمالي ، حيث تلتقي عندها حدود مصر مع فلسطين ، وهي بلدة اقيمت على اطلال مدينة (رافيا) التي ذكرها المؤرخ يوسيفوس .

وهناك طريق معبد يمتد جنوبي هذا الطريق الساحلي .. ويبدا من شرق مدينة الاسماعيلية الى ابو عجيلة (جنوب العريش) ، ثم يتفرع : اما الى العريش شمالا ، او الى طابا جنوبا على خليج العقبة ، او يمتد شرقا الى العَوْجة وبئر سبع بفلسطين .

وفي أوسط سيناء هضبة التيه

وبين جنوب سيناء وشمالها تربض هضبة التيه وتشغل الثلث الاوسط من شبه الجزيرة ، وهي ارض مقفرة ، تتخللها جبال متوسطة الارتفاع او قليلته . ومن اشهر هذه الجبال : الراحة ، القراء ، ام خشيب ، وجبال لبثني . وتقسم بينها عدة اودية اهمها وادي العريش ، ووادي الجراف، والحسنة .

ومن اهم معالم هذه الهضبة ممر « ميتلا » الذي اشتهر باهميته في حرب الصحراء . (وتنظر الخريطة المرفقة لاستجلاء كل هذه المواقع .)

واهم البلاد في هذا القطاع : الحَسَنة ، جدجافة ، التمد ، القسيمة ، ونخل ، وهذه كانت العاصمة القديمة قبل العريش ، وتقع على طريق الحج القديم ، وقد كان ايضا الطريق البري الرسمي بين مصر والشام والهند وقد افتتح عام ١٨٣٥ .

ويوجد بمدينة « نخل » بقايا اربعة القلاع ، وصهاريج صخرية ، وابراج مراقبة ، كما توجد بها بعض الابار .. وهناك مدن اخرى صغيرة متناثرة على ظهر « بَرِّيَّة التيه » واهمها « الكونتلا » وهي مخفر على الحدود المصرية ، يشرف على النقب الجنوبي ويتوفر بها الماء والماوى .

منطقة جبال الطور

وفي الجنوب منطقة جبال الطور وقد اشرنا اليها، واهم بلادها :

ميناء الطور .. على خليج السويس ، واهلها خليط من سلالات العرب والروم والهنود ، وبها اكبر محجر صحي في الشرق الاوسط لاستضافة الحجاج العائدين الى مصر والشام .

ابو زنيمة ، وتكثر بها مناجم المنجنيز . « وسيدر » وهي مستعمرة بترولية شمالي ابو زنيمة .

« وفاران » وتقع على مخرج الوادي المسمى باسمها ، على سفح جبال « سربال » وتشتهر بغزارة حصيلتها من المياه والزراعة وآبار البترول. وقد سكنها العمالقة قديما ثم اقام فيها الرعيل الاول من رهبان المسيحية .

شرم الشيخ ..وهي في الطرف الجنوبي الشرقي لمثلث سيناء الجنوبي على خليج العقبة وتبعد ٨٥ كيلو مترا عن الطور وقد اكتسبت اهميتها الاستراتيجية منذ عام ١٩٤٩ بعد ان خطفت اسرائيل قرية « ام رشرش » من الاردن واقامت بها ميناء ايلات .

دير سانت كاترين .. وهو اشهر المعالم السياحية الباقية في شبه الجزيرة ، وقد بناه

الامبراطور جوستنيانوس سنة ٥٤٥م تيمنا بالقديسة « كاترين » شهيدة الاسكندرية وجعله مقرا لرهبان سيناء .

عيون موسى .. وهي مجموعة من عيون الماء العذب على مسافة ٣٠ كيلو متر من السويس ، وعلى الطريق المؤدى الى موانىء سيناء على خليج السويس ، وتكثر حولها اشجار النخيل والفواكه ويقال ان موسى عليه السلام خرج بالقرب منها ، بعد اجتيازه البحر الاحمر مع بني اسرائيل ، هاربا من مصر ، وانها هى التى اشار اليها القرآن الكريم بقوله « واوصينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » .

سكان سيناء

كان سكان سيناء الاوائل من الساميين وقد عرفوا مما كتب عنهم في الآثار المصرية باسم « هيروشافيو » اى اسياد الرمال ، وسكنوا قديما الكهوف ، ثم منازل من الحجر والطين انشاوها على طراز خلايا النحل سموها « بالنواويس » ، ولا يزال بعضها قائما حتى اليوم على قمم الجبال وضفاف الاودية ، ويرجع تاريخها الى خمسة الاف عام قبل الميلاد .

ثم جاء العرب بعد دخول الاسلام وبقيت بعض القبائل منهم في سيناء بينما هاجر بعضها الى وادى النيل واهم القبائل المقيمة في سيناء هي :

اولا – قبائل الشمال في بلاد العريش

١ – السواركة : وهم اكثر قبائل سيناء عددا ، ويمتاز اهلها بالوداعة والنظافة والايمان ،ويقيمون في القسم الشرقي من بادية العريش الى الشيخ زوَيد .

٢ – الرُميلات : وهم اصلا من « خان يونس » ورحلوا الى العريش ، واندمجوا بالاخاء مع السواركة ، ويقيمون في العريش ورفح واهم فروعها : البسوم ، والعوابدة ، والسند .

٣ – المساعيد : ويقيمون بين شرق القنطرة على قناة السويس والشيخ حميد وجبل الريشة .

٤ – الاخارسة : وتمتد بلادها على شاطىء البحر الابيض ، واهم مراكزها القلس .

٥ – وهناك قبائل البَياضيَّة ، واولاد علي ، والعقايلة ، والسمعدين ، والدواغرة ، والقطاوية موزعة بين رمانة وبئر العبد والمزار وقطية على الساحل الشمالي .

ثانيا قبائل الوسط في هضبة التيه

١ – التَّياهة : وهم – فيما يقال – اول من سكن برية التيه ويقال:ان اصلهم من بني هلال ، وهم مشهورون بالوَداعة ، ويقطنون بالمنطقة من « عين سَيْدر » غربا، الى « نَخْل » «والقسيمة» شرقا .

واهم فروعها : الصقرات والبريكات والقترات والبنيات .

٢ – الترَابيْين : ويقال انهم من سلالة الحسن بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما ، وهم مشهورون بالكرم والشجاعة ، ويقيمون في نواحي الجَوْرة ، والرَّوافعة ، وجِفْجافة ، ولهم فروع في غزَّة ، وفي الجيزة بمصر .

٣ – اللحَيْوات : وينتسبون الى بني عطية المساعيد من نسل مسعود بن هانىء ، واهم بلادهم جفجافة وسيدر والثمد .

٤ – الحويطات : من قبائل قدمت من الحجاز ونجد ، ولها فروع متفرقة في مصر .

ثالثا – قبائل الجنوب في جبال الطور

١ – العليقات : ولها فروع في اسوان والقليوبية بمصر .. ومن فروعها اولاد سلمى والحمايدة .

٢ – مزينة : وتمتد بلادها من جنوب الطور على شاطىء سيناء الغربي ، الى راس محمد في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة ، ويتحدرون من بني حرب ومن فروعها اولاد علي والشداونة .

٣ – اولاد سعيد : ويسكنون جبل الطور ، ومن فروعها اولاد مسلم ، واولاد سيف .

٤ – القرارشة : ويقال انهم منحدرون من

قريش ، ولذلك فان شيخهم يعتبر شيخا لكل قبائل سيناء على الاطلاق،واهم فروعهم النصيرات.

٥ ـ الحبالية : ويسكنون الطور ، وكانوا خليطا من الروم والمسلمين ، واهم فروعها الحمايدة والسلايمة والوهيبات .

العادات والتقاليد في سيناء

تسود العادات والتقاليد البدوية كل ارجاء سيناء : من حب الضيافة ، والكرم ، والنجدة ، وتعظيم الجميل ، وتكريم الابل ، واحترام العرض، والافتخار بالانساب ، وكره التقيد باللوائح والنظم ، وتمسكهم بالثار . ومن العيب الكبير عندهم فرار الرجل من القتال ، او التخلف عن نجدة رفيقه او جاره ، فمن يفعل ذلك ينبذه اهله ، وترفض البنات الزواج منه .

ولكل قبيلة « سِمة » خاصة تسم بها الابل والحمير بالكي بالنار على رقابها او رؤوسها ، اما الابقار والخيول فتترك بلا علامة .

واذا ارتبطت قبيلة بحلف مع قبيلة اخرى يكون لها « حسيب » يحفظ عهودها ، وهناك احلاف بين قبائل سينا ، واهمها :

١ ـ حلف بين الحوَيطات واللحَيوات من جانب ، والترابين والطُوَرة من جانب آخر .

٢ ـ حلف بين النباعة ـ . والترابين .

٣ ـ حلف بين البَياضيين والسَماعِنة .

مساكنهم ..

يسكن معظمهم الخيام،وخاصة في الربيع والشتاء لاسيما اهل البادية .. وتصنع خيامهم من شعر الماعز ، وتقوم نساؤهم بحياكتها ، أو من اوبار الابل وصوف الغنم .

واذا زال البرد وارتفع المطر اقاموا في«العرائش» وهي اكواخ من القش ، واغصان الاشجار ، واما بالمدن العامرة كالعريش ورفح والقنطرة والطور فيسكنون المساكن المبنية بالاحجار ، والمزودة بالماء والكهرباء .

اثاثهم ومتاعهم : بالنسبة الى المخيمات فان اهم ما تقتنيه الاسرة :

المناسف وهي اطباق خشبية متفاوتة الاتساع .. ويقدم عليها الطعام .

احجار الرحى لطحن الدقيق .. الغرابيل ، القدور النحاسية ، عدة القهوة .

الغرائر وهي اكياس من الصوف مصممة لنقل الحبوب وتخزينها .

الاخراج والمزاود : وهي من الصوف او الوبر ، وتستخدم بدلا من حقائب السفر .

والقِرَب لنقل الماء وحفظه ، وهي من جلد الماعز .

واسلحتهم :

السيوف بمختلف اشكالها ، والبنادق على على اختلاف اعيرتها واعمارها ، والطبنجات بمختلف احجامها .

وملابسهم : للرجال : القمصان والقفاطين القطنية،والدفّية أي العباءة الصوف،والجَمدان يلبسه عرب الشرق : من جلد الضان غير المدبوغ، ويلبسونه مقلوبا (الوبر للداخل) ويلبسون العقال فوق الطاقية العراقية ، وأحيانا يلبسون الطربوش المغربي فوق الطاقية وعليه عمامة من الشاش الخفيف .

وللنساء : الثواب واسعة تعرف باسم « ابو ارْدان »وتصبغ هذه الاثواب باللون الازرق، ويتمنطقن بالاحزمة السوداء او البيضاء من الشعر، فوقها احزمة حمراء تتدلى منها « شراريب » يتبرقعن بالبراقع والاقنعة،ويتلثمن بها عند مقابلة الرجال ، وتتزين المراة في سيناء بالوشم ، وخاصة في الشفة السفلى وظاهر اليدين ، ويعجب الرجال بالوشم ، وينشدون فيه الوانا من الغزل واما الحلى فمن عقود الخرز والفضة والخواتم والأساور الفضية او الزجاجية .

ويلاحظ ان نساء البدو في سيناء لايثقبن اذانهن ولكن يثقبن انوفهن من جهة واحدة ويلبسن فيها الاشناف الذهبية والفضية .

ويلبس الاولاد القمصان المفتوحة من الصدر ، ويكتحلون عيونهم ، ويعيشون حفاة عراة الراس، الى ان يبلغوا الرشد ، وطعامهم من الخبز المصنوع من الشعير والذرة والقمح .. وياكلون التمر

والعدس والارز والجريشة، والعصيدة، والمطبوخة والشوية ، والكشري .

معارفهم وعلومهم : واغلب البدو من الاميين وترتفع نسبة المتعلمين في المدن ، ولهم خبرة واسعة بقص الاثر والفلك ، وخاصة في بلاد العريش والطور ونخل .

ويعتقدون في الفال الحسن والتشاؤم ويتبركون برؤية الهلال ، ويهنيء بعضهم بعضا عند رؤيته ، وما يزالون متمسكين بالخرافات كزيارة البحر ، ويقدمون له القرابين بعد الربيع ، وللنساء عادة زيارة بعض الاشجار ويعلقن في اغصانها بعض القطع النقدية والمسامير والخرز واباريق الزيت وحبة العدس ، وعندهم عادة الرقي ضد الحية والعقرب والحيوانات المفترسة ، ولهم خبرة بالطب العربي القديم ويعتمدون الكي بالنار في علاج كثير من الامراض والجروح ..

افراحهم : ولهم عادات طريفة في الافراح ، ويحبون عادة الزواج المبكر بين الاقارب ، وسن الزواج عندهم البلوغ. ويكون من اقرب القريبات للرجل : وهي اولا بنت العم ، ثم من بعدها بنات القبيلة ويهتمون كثيرا بالانساب ، وتتم خطبة الرجل للبنت راسا من أبيها أو ولي امرها ، ولا يؤخذ راى البنت في الزواج اذا كانت بكرا وان كانت ثيبا فلا بد من موافقتها .

ويتفاوت مهر البنت الاجنبية من خمسة جمال الى عشرين ، ومهر بنت العم من جمل الى خمسة جمال وعندهم عادة النقوط ، وهي هدايا تقدم للعريس سواء من النقود او الحبوب او الغنم ، وتعتبر دينا عليه يتحتم الوفاء به مستقبلا .

ويبدأ شهر العسل بعد ثلاثة ايام من الزفاف ، بخروج العروس وورائها العريس من « البرزة » وهي خيمتها الخاصة ، الى الخلاء ، ويقيمان معا وحدهما بينما يتبعهما الاهل ويقيمون بالقرب منهما ليرسلوا لهما الطعام طول مدة شهر العسل ، وتكون من اسبوع الى شهر ثم يذهب العروسان الى منزلهما الجديد .

واجبات الزوجة : وتظهر الزوجة احترامها الكامل لزوجها ، فهي لا تاكل معه حياء منه ، ولا تناديه باسمه بل تناديه باسم أبيه ، الى ان يصير ابا فتناديه باسم ولده أو بنته .

والغريب أن بنات البدو يأنفن التزوج من الحضر حبا في البداوة وحريتها ، وتقوم الزوجة بغزل شعر الصوف ، وحياكة الخيام ، والاخراج والغرائر ، وتقوم بجلب الماء من الآبار والعيون وتجمع الحطب ، وتطحن الحبوب ، وتصنع الخبز وكل الوان الطعام ، وتحلب النياق والاغنام، وتقوم بالرعى عند الضرورة ، ولا تنام قبل رجوع زوجها الى منزله ، ولا توليه ظهرها ما دامت في حضرته ، ولا تقول له كلمة « لا » طيلة حياتها معه فهو رجلها الذى يرعاها ويتولى شئونها .

الرقص والشعر والغناء

والرقص عندهم الوان .. فرقصة الداحية أعظم تسلية عند البدو ، فيقف فيها المغنون صفا واحدا ، وبينهم شاعر أو أكثر يرتجلون الشعر الغنائي .. وتأتى راقصة يسمونها الحاشية للرقص معهم .

رقصة السامر

يرقص فيها الرجال فريقين في صف منحن على شكل هلال مفتوح الوسط ، ويقف مع كل فريق شاعر يسمونه (بداع) ومعه امراة ترقص بالسيف او بدونه ويتبادل الفريقان من الرجال رقصهم على انشاد الشعر الذى يتبارى به بداع كل من الفريقين، واحيانا تقف النساء بين صفي الرجال ، وفيهن شاعرتان كل منهما لأحد فريقى الرجال .

وأما عن الشعر

فهو عادة باللغة العامية ومن انواعه القصيد الذى ينشد على الربابة ، ويشمل باب المدح اما الموال فهو الغناء على ظهور الابل وهناك لون ثالث من الشعر هو حداء الابل اثناء سيرها أو عند ارتوائها .

واهم الات الطرب المعروفة في سيناء :

الربابة والشبابة (وهى الصفارة) ، والمقرون وهى الزمارة (المزدوجة) .

ختان البنات والاولاد

تعتبر احتفالات ختان الاولاد أعظم احتفالات البدو في سيناء ، وفيها تغنى النساء ، ويعاد سباق الخيول والابل صبيحة يوم الختان .

ويختن الاولاد في سن السادسة الى الثانية عشرة ، اما ختان البنات ففى سن الثامنة الى العاشرة ويتم في هدوء بدون اى احتفال .

العادات الدينية

الاسلام هو الدين السائد ولكن قليلا من البدو

يعرف قواعده واصوله ، يهتمون بزيارة قبـور الأولياء والصالحين ، وينذرون لهم النذور ، ويؤمنون بوجود قبور أنبياء في أرض سيناء منهم هارون وصالح عليهما السلام ، ولا يبكي الرجال على موتاهم ، ويترك النعي الى اقرب النساء الى الميت .

ولا يهتم الرجال بالحداد على الميت .. بينما تبقى النساء في حدادهن أربعين يوما الى سنة كاملة ، لا يلبسن فيها الحلي،ولا الثياب الجديدة، ويخلعن البراقع ويتلثمن بالسواد ، وينقطعن عن الحفلات والافراح .

مجالسهم ونساؤهم

يميلون الى الجلوس في مجالسهم قعودا أو جاثين على الركب فوق الأرض او الفرش ، ولا تجلس النساء في مجالس الرجال ، ولا يعقدن مجالس بينهن ، واذا مرت المرأة راكبة بمجلس من الرجال ترجلت ومشت على قدميها .

واذا التقى بدوى ببدوية من أقاربه حنى لها راسه فتقبله في جبينه وتصافحه ، واذا دخل بدوى على صديق له في مجلس وقف له ، ثم أدنى راسه من راسه حتى يمس حاجبه الايمن حاجب صديقه ، ويسرع ويقبله في الهواء ، ثم يجلسان على الارض ويدور بينهما السلام بخجل .

واذا قابلوا حاكما أو كبيرا رفع الواحد منهم يده مبسوطة وضربها في الهواء مرتين اشارة السلام.

القضاء وانواعه

القضاء .. موكول الى خواص رجالهم يحكمون بينهم بالعرف والعادة ، وانواع القضاء عندهم :ـ

١ ـ رجال الصلح .. وترفع لهم المسائل العامة التي لا يتوفر فيها الشهود ولا تحل الا بالتصالح كقضايا القتل والعرض والمال .

٢ ـ المنشد .. للحكم في المسائل الشخصية . ويكون من قبيلة المساعيد .

٣ ـ القصاص .. وهـو قاضي العقوبات الشخصية ، ويكون من قبيلة القصاصين .

٤ ـ المقشبي .. وهو قاضي النساء ويحكم في مسائل الطلاق والمهور ، وهو من قبيلة بني عقبة.

٥ ـ الزيادى .. وهو قاضي الابل ، ويحكم في امور سرقتها ووثاقها .

٦ ـ الضريبي .. وهو قاضي الاحالة ، وهو في العادة من قبيلة الحويطات .

٧ ـ المبشع .. وهـو قاضي الجرائم المنكرة التي لا شهود لها ويختبر المتهم بالنار والماء .

٨ ـ اهل القطاعات والعرائش وهم خبراء في الزراعة والاراضي والنخيل .

محاكم البدو

درجات القضاء عندهم ثلاث ، ولكل درجة قاض،يعتبر اولهم بمنزلة المحكمة الابتدائية والثاني بمنزلة محكمة الاستئناف .. والثالث بمنزلة محكمة النقض والابرام .

ويختار القضاة بواسطة المدعى ، ولا بد مع ذلك من موافقة المدعى عليه .

ويكفي لاثبات الشهادة شاهد واحد ، ولا تقبل شهادة من أتى منكرا مع امرأة جاره ، أو من فر من القتال ، ولا بد للشاهد من حلف اليمين ولهم في ذلك تقاليد خاصة بهم .

ومن شرائعهم

العطوة : وهي الهدنة فقد تعقد بين فريقين بناء على طلب احدهما ومدتها ٣ ايام الى سنة وشهرين ومن يخون رفيقه فيها يقتص منه بقدر ضعفين .

الصلح : ويتم باجتماع كبار الاطراف المتنازعة ويتم بعقد حلف .

الطلوع : الأخوة بانضمام قبيلة ضعيفة الى آخرى للمحافظة على كيانها ، كما حدث في اندماج الرميلات مع السواركة كما أسلفنا .

الرهائن : وتؤخذ من الابل خلسة للحصول على حق مطول .

رمي الوجه : وهو الاستنجاد برجل مهيب لمنع شر أو خصومة .

الحسنة : فهم يحفظون الحسنات فيما بينهم ويدونونها ويحفظونها في صدورهم .

الدية : تدفع فورا أو على أقساط مؤجلة من شهر الى سنة ، واذا لم تتوفر يطوف القاتل بالقبائل يستعطى منها ، حتى يستوفيها ويردها الى أهل القتيل .

الدلنجة : وهي في حالة القتل غدرا فيدفـع القاتل اربع ديات ، وعادة يكتفى أهل القتيـل بواحدة ويتصدقون بواحدة ، ويتسامحـون في

الباقي . ومن قتل طفلا وجبت عليه اربع ديات ومن قتل امراة وجبت عليه ثماني ديات .

قياس الجروح .. تقاس اغوار او اطوال الجروح بالأصابع وهى لاصقة ببعضها البعض وبجعل غرامة كل أصبع بجمل أو أقل وعقوبة الكسر او اتلاف الاعضاء نصف الدية .

الشرود .. اذا شرد شاب وشابة بكر من غير قبيلة واحدة فزع اهل البنت ، واخذوا جملا لأهل الشاب وردوا الشابة ، ويحكم المنشد على الشاب بخمسة جمال الى خمسة عشر جملا .

خطف البنت .. غرامته ٤٠ جملا تؤدى الى أهل البنت .

الاغتصاب .. لو كان الاغتصاب لبنت بكر من القبيلة فالحكم على المغتصب بستة جمال ، واذا كان الاغتصاب لبنت من غير القبيلة فالحكم بثمانية جنيهات (ذهب) واذا كان الاغتصاب لثيب من القبيلة فالحكم بجملين واذا كان الاغتصاب لثيب من غير القبيلة فالحكم عليه بأربعة جمال .

الشرود بالزوجات .. واذا شرد رجل بزوجة آخر فالحكم بأربعين جملا وقد تنتهى الى عشرة جمال .

الطلاق : يكون أكثره بناء على طلب المرأة بأن تذهب الى احد اقاربها تستنجد به للخلاص من زوجها ، فيأتى بها الى (العقبى) أو يحاول الاصلاح بين الزوجين واذا أصرت الزوجة طلقها العقبى من زوجها .

الرهن : بالاراضي الزراعية يستغلها صاحب الحق بفائدة مالية .

الوراثة : للابن البكر سواء لوظيفة ابيه أو ماله .

الابل والخيل .. وللابل شريعة صارمة جدا ، وتترك فى المراعى دون أن يمسها احد ، وقد يضطر البدوى الى استعمال ابل غيره فى حالات الخطر .

وللابل والخيول اسماء وفصائل وتجارة خاصة واشهر فصائل الابل (الزريقى والاصبحان) واشهر فصائل الخيل (المخلدية ، الكبيسة ، والعبية) ويتسابقون بها فى حفلات عيد الاضحى ، ومناسبة الختان ، والمناسبات الدينية الاخرى .

الادارة القضائية

دخلت الادارة القضائية أرض سيناء بعد ١٤ يونيه ١٨٨٣ ، وكانت قبل ذلك فى أيدى قضاة البدو ، ثم تدرجت التبعات القضائية مع تطور نظام الادارة فى محافظة سيناء ، وانتقلت الادارة القضائية من اشراف وزارة الحربية عليها الى وزارة العدل على مدى الثمانين عاما الأخيرة .

الحياة الاقتصادية

يعمل أهل سيناء بالرعى والزراعة والتجارة ، وذلك حسب مناطقهم وتوفر أسباب الحياة لهم .

واهم الزراعات المتوفرة حاليا ما كان فى القطاع الشمالى ببلاد العريش ، ويعتمد الزرع اساسا على الامطار ، ثم المياه الجوفية .

وتبلغ مساحة وادى العريش ١٧ الف كيلو متر مربع ، ويمكن زراعة ستة الاف فدان من المياه المخزونة.ونجحت تجارب الزراعة للخروع والفواكه، علاوة على زراعة الحبوب كالشعير والقمح والذرة، ويوجد النخيل فى مناطق الواحات حول الآبار التى سبقت الاشارة اليها .

كما يتوفر المن الذى يجمعونه من اطراف الاشجار ويبيعونه الى زوار دير سانت كاترين .

التجارة .. ويعنون بتربية الخيل والابل والغنم ويتاجرون فيها وازدهرت أيضا تجارة الفيروز الذى يكثر فى بلاد الطور الجنوبية ، ولهم نشاط ملحوظ فى تسويق المجوة ، والسمار والحصر ، والحنظل والاكلمة الصوفية .

ونشطت عندهم مؤخرا تجارة السلاح سواء ما كان مهربا او من بقايا المعارك الحربية .

المناجم .. وهى متوفرة فى سيناء ولكن استغلالها اكبر من قدرة البدو . وتوجد شركات لاستخراج المنجنيز من أبو زنيمة ، والفحم من جنوب العريش .. والبترول من خليج السويس وخاصة فى بلاعيم وفيران وسيدر .

وتوجد بها مناجم لم تستغل بعد وهى غنية بالنحاس والحديد والذهب والجرافيت والرخام والفيروز والكبريت .

السياحة

اشتهرت سيناء تاريخيا باماكنها المقدسة فاليها خرج الاسرائيليون من مصر ، وفيها تاهوا أربعين سنة ، وفيها نزلت الوصايا العشر والتوراة كما زعموا ، وفيها ناجى موسى عليه السلام ربه ، وقيل : انه قد مر فيها عيسى عليه السلام وامه مريم العذراء فى رحلتها من فلسطين الى مصر .

واشار القرآن اليها كما جاء في سورة القصص وسورة الأعراف عندما تجلى الله لموسى عليه السلام ..

ولم تظفر سيناء بالاستثمارات السياحية كما يجب ، وذلك لقلة الطرق المعبدة بها ، وعدم توفر اماكن الاقامة المريحة الا في مناطق محدودة ، وربما كان ذلك باعتبارها منطقة خضعت بحكم ظروفها للادارة العسكرية لفترات طويلة .

ومع ذلك تعتبر منطقة سياحية لها مستقبل كبير وخاصة بعد استقرار الاوضاع بالنسبة للصراع القائم حاليا بين العرب واسرائيل .

الطرق المعبدة في سيناء

وهناك عدة طرق معبدة اقيمت اساسا لخدمة التحركات العسكرية ولكنها افادت ايضا في تنشيط السياحة والتجارة عبر اراضي سيناء .

واهم هذه الطرق هي : ـ

اولا : القطاع الشمالي :

١ ـ من القنطرة شرقي قناة السويس الى الفرما ـ الجورة ـ بحيرة البردويل ـ الخروبة ـ العريش ـ الشيخ زويد ـ رفح ـ غزة ، ويبلغ طوله ٢٨١ كيلومترا ويمر هذا الطريق على عدة آبار معروفة اهمها : ـ وادى ام كرش،تل حبرة،بئر الرويدار، بئر النصف ، وبئر قطية ، وبئر العبد ، وبئر المساعيد .

وقد استخدم هذا الطريق قديما كطريق رئيسي بين مصر وفلسطين ، واقيمت به محطات ومراكز للبريد والراحة والمبيت وتغيير الخيول ، كما كان طريقا اساسيا للقوافل التجاريةوتحركاتالجيوش.

ويمتد هذا الطريق موازيا في معظم اجزائه لطريق السكة الحديد الذى يمر على البلاد نفسها التى تقععلى الطريق البرى ، وتوجد آثار متفرقة لبعض القلاع والابراج القديمة علاوة على اطلال من آثار فرعونية من عهد سيتي الاول ورمسيس الثاني .

كما توجد خرائب لمدينة قديمة في بلدة الفرما التى كانت من اشهر الثغور البحرية ، وعرفت عند اليونان باسم (بلوسيوم) ، وعند اقباط مصر باسم (فرومى) وعند العرب باسم (الفرما). وكانت هي المدخل الذى اجتازه عمرو بن العاص في فتحه لمصر كما كانت هي مدخل سيدنا يوسف واخوته الى مصر على التوالي ..

ثانيا : القطاع الاوسط : ـ

طريق الاسماعيلية ـ ابو عجيلة ـ العوجة ، مارا بكل من : بئر جفجافة ، جبل الحلال ، ابو عجيلة ، وطوله ١٩٥ كيلو مترا ، ثم يتفرع منه فرع شمالا الى العريش بمسافة ٤٦ كيلو مترا ، او يمتد شرقا الى العوجة لمسافة ٣٠ كيلومترا ، ومنها الى بئر سبع لمسافة ٨٣ كيلو مترا ، ثم القدس بمسافة ٨٧ كيلو مترا .

ويمتد طريقآخر جنوبى هذا الطريق من العوجة وغربا الى القسيمة (ومنها فرع للشمال الى ابو عجيلة) ثم غربا الى بئر الحسنة ، وبئر الثمد ، وممر متلا ، ثم السويس وطوله ٢٦٧ كم وتعتبر طرق هذا القطاع اهم طرق سيناءعلىالاطلاق من النواحى الاستراتيجية ، باعتبارها اقرب الطرق التى تصل بين النقب في فلسطين ، وبين قناة السويس .

ثالثا : القطاع الجنوبى : ـ

وتعتبر طرق هذا القطاع اكثر الطرق المطروقة سياحيا ، والتى احتفظت كذلك باهميتها التجارية بعد توقف السفر برا بين مصر وفلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، لقيام اسرائيل،واهم طرق هذا القطاع:ـ

١ ـ الطريق الذى يبدأ من السويس الى دير سانت كاترين (٢٥٨ كيلو مترا) ويمر على الشط وعيون موسى ،وراس سيدر، وابو زنيمة ، ووادى فيران .

وهناك فرع لهذا الطريق يمتد الى الطور ، ومنها الى شرم الشيخ ، وتنقل هذه الطريق خامات المنجنيز من مناجم ابو زنيمة والبترول المستخرج من بلاعيم وابو رديس وفتران وسيدر وان كانت عمليات النقل البحرى والنقل بخطوط الانابيب تمثل الوسائل الاساسية لنقله .

٢ ـ ويلاحظ ان طريق الحج القديم وهو ايضا الطريق الذى كان يستخدم رسميا الى الهند قبل فتح قناة السويس يمر بهذا القطاع ، اذ كانت قوافل المسافرين والبريد تصل من اوروبا بحرا ثم عن طريق ترعة المحمودية والنيل الى القاهرة ، ثم برا بعربات الامنيبوس ذات الخيول الاربعة الى السويس ، مرورا بالاستراحات والخانات لتغيير الخيول والراحة ، ثم من السويس الى طريق درب الحج في سيناء الى العقبة حيث يتفرع منها اما الى المدينة المنورة او الى القدس ..

موارد الثروة

ما تزال سيناء مكتنزة لثرواتها والتى لم تستغل بعد ، واهم مواردها التى تستثمر حاليا : ـ

اولا : الموارد البترولية والمعدنية :

فتكثر بها حقول البترول فى المنطقة الجنوبية الغربية التى تطل على خليج السويس وعلى الاخص فى مناطق ابورديس، وبلاعيم، وسيدر، وفيران ، كما تم اكتشاف حقول غنية فى مياه خليج السويس امام حقول بلاعيم وعلى بعد ١٥٠٠ متر منها .

كما يوجد المنجنيز فى عدة مناطق بشبه الجزيرة واهمها ابو زنيمة ، وشرم الشيخ، ووادى الشلال، والركايز ، وام سكران ، وابو قفص .

واكدت الدراسات العلمية على وجود كميات احتياطية منه تزيد على ١٥ مليون طن ، فى حين ان كل الكمية التى تم استخراجها منه خلال الاربعين عاما الماضية لم تتجاوز ٤ ملايين طن فقط .

النحاس : ـ فى جنوب سيناء ، واهم مناطقه : الرقيطة ، السمرة ، ابو رقطان ، أبو صورة ، وادى فيران .

الكاولين والطين الحرارى : وتكثر مصادره من الانواع الممتازة فى منطقة جبل سبع سلامة ، ووادى بودرة ومعلوم ان هذه المادة تدخل فى صناعة اطارات السيارات ، والخزف ، والورق ، والاسمنت ، والبويات والاصباغ .

الجبس : ـ ويستخرج من منطقة غرندل جنوبى مدينة الشط المواجهة للسويس ، وايضا فى وادى غرندل واهم اسواقه فى الشرق الاقصى .

الفحم : ـ وبدأ استخراجه اقتصاديا عام ١٩٦٣ من جبل المغارة فى شمال شبه الجزيرة ، وتعتبر مناجم الفحم به اول مناجم تكتشف لهذه المادة فى مصر ، وتعتبر عنصرا تكميليا لصناعة الحديد والصلب فى حلوان .

وهناك موارد معدنية اخرى لم تستغل اقتصاديا، تحوى الذهب ، وحجر الفيروز ، والرخام ، والجرانيت .

ثانيا ـ الموارد الزراعية والحيوانية :

بدات زراعة (الخروع) فى وادى العريش بعد نجاح التجارب التى أجريت عليه ، ومن المقرر اقامة مصنع لزيت الخروع فى العريش .

وتكثر فى سيناء زراعة النخيل ، كما تزرع الحبوب على مياه الامطار ، وتكثر الفواكه والخضراوات بالوديان والواحات حيث تتوفر مياه العيون والآبار .

ويهتم اهل سيناء بتربية الابل والخيول والحمير والاغنام وتوجد عدة جمعيات تعاونية (وخاصة بالعريش ورفح) لصناعة السجاد والاغطية الصوفية ، ولا شك ان استقرار الأمور السياسية بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى سيتيح الفرصة لتعمير سيناء والتوسع فى اقامة المزارع بالتوسع فى استغلال مياه الامطار والمياه الجوفية .

خاتمة تاريخية

وقد اثيرت عدة قضايا سياسية ودولية حول سيناء ومن اهمها فى تاريخنا المعاصر حادثة الحدود التى وقعت ازمتها بين مصر وتركيا عام ١٩٠٦ .

اذ كان معلوما أن الحدود الشرقية لمصر قد تحددت بالفرمان السلطانى الذى اصدره السلطان محمود الثانى عام ١٨٤١ لمحمد على باشا والذى تضمن نظام الحكم فى مصر ليكون وراثيا فى أسرته .

وقد كانت مصر تدير بالفعل كل شبه جزيرة سيناء قبل اصدار هذا الفرمان وكانت تحمى بجنودها القلاع المقامة فيها على مختلف الطرق .

وعندما تسلمت حكومة اسطنبول قلاع الحجاز فى المدة بين ١٨٨٧ الى ١٨٩٢ فرضت على مصر خطا جديدا لحدودها الشرقية ، يمتد مستقيما من رفح شمالا الى خليج العقبة جنوبا حتى بلدة طابا غربا وفى العقبة بقيت بها قوة تركية بقيادة اللواء رشدى باشا .

وعندئذ بدات المشكلة تتفاقم ، اذ كانت العقبة اصلا داخلة فى نطاق الاراضى المصرية ، وتدخلت بريطانيا بجانب مصر وأرسلت الطراد (ديانا) من ميناء السويس الى مياه العقبة لمنع اى توغل للاتراك داخل الاراضى المصرية فى سيناء ،وتصاعدت المشكلة لم انتهت الى تشكيل لجنة مشتركة من المصريين ومندوبين من الاتراك وصلا الى القاهرة وتم الاتفاق دبلوماسيا بعد مفاوضات طويلة الى اخلاء طابا من الاتراك وانسحبوا الى العقبة وتحددت الحدود مرة آخرى وفقا لآخر اتفاق فى ١٩٠٦/١٠/١ وتم رسم الخرائط على هذا الاساس

■■

محمد كمال عبد الحميد



أولجـــا
بطلة ستالينجراد !

● كم من البطولات تضيع وسط دوى القنابل وصوت الانفجارات وطلقات المدافع ، ولكن قلما بقيت هذه القصص الرائعة خافية على التاريخ ، وخاصةعندما يجتمع الرواة ويتحدثون عن هذا الذى رأوه وسمعوه ، فتتحرك الأقلام لتسجيل تلك الصفحات الرائعة فى حياة الشعوب التى صمدت وقاتلت وانتصرت حتى تحقق لها النصر على المعتدين .

وفي ستالينجراد ، تلك المدينة الخالدة التى كانت مسرحا لأعنف وأعتى المعارك فى التاريخ الحديث ابان الحرب العالمية الثانية .. فى ستالينجراد هذه التى حاصرتها جيوش النازى اثناء توغلها فى الأرض الروسية ، لمدة تزيد على ستة أشهر كاملة من شهر اغسطس عام ١٩٤٢ حتى شهر فبراير من عام ١٩٤٣ ، فى محاولة لاحتلالها أولا ، ثم عبور نهر الفولجا لكى يتسنى لها الوصول الى بقية أنحاء روسيا . واجهت قوات هتلر مقاومة ضارية ، خرج فيها كل رجل وامرأة من سكان المدينة الصامدة للدفاع عن أرواحهم وأموالهم ، حتى الصبية الصغار حملوا الخناجر والبنادق وتعلموا كيف يصوبونها الى صدور جنود العدو .

وبقيت المعارك دائرة ، واستمر القتال سجالا بين اصحاب الارض والمعتدين ، حتى تحولت ستالينجراد الى مقبرة هائلة لأكثر من ٣٥٠ ألف جندى ألمانى ، وانتصر شعب المدينة الباسلة ، بعد أن تحول كل شيء فيها الى أكوام من الحطام والدمار تحت وطأة القصف المستمر لمدافع العدو .

ومن شفاه هؤلاء الأبطال ، استطاع شولوخوف الكاتب الروسي الشهير الحائز على جائزة نوبل ، على قصته المشهورة « الدون الهادىء » .. استطاع أن يجمع العديد من قصص البطولة التى حققها أبناء مدينة ستالينجراد .

ومن بينها قصة الفتاة اولجا ، ذات السبعة عشرة ربيعا ، لقد تركها الإلمان وراءهم بعد أن قتلوا كل افراد أسرتها ، ونالوا منها ما يناله الحيوانات من اناثهم بلا رحمة ولا شفقة .. حتى سقطت الفتاة على الارض غير قادرة على الحركة فتركوها ، ومضوا فى طريقهم باحثين عن فريسة أخرى ..

وعاشت الفتاة بعد أن أدركها بعض أبناء بلدتها فى ريف المدينة الفقيرة الجائعة ، وقدموا لها الماء والطعام ، فأكلت وشربت ، وما كادت تستعيد قواها وتعود الى الوقوف على قدميها حتى صرخت: « أريد مدفعا من تلك المدافع الرشاشة التى تحملونها .. »

وقدموه لها ، فحملته ، وانطلقت فى أثر هؤلاء الذئاب الذين هتكوا عرضها ، وافترسوا جسدها..

ومن فوق احدى الروابى العالية شاهدتهم يرقصون ويغنون ، كانوا أكثر من مئة جندى ألمانى من مختلف الرتب .. وانبطحت على الارض ،



أسطورة قائد دخل التاريخ !

« فليدخل كل ضابط ، وليدخل كل جندى منكم هذه المعركة بقلب قوى شجاع ، وبتصميم وعزم على تأدية واجبه كاملا ، طالما بقى فى جسمه عرق ينبض بالحياة .. »

بهذه الكلمات القوية المعبرة ، استهل الفيلد مارشال مونتجومرى قائد الجيش الثامن فى العلمين ، أوامره للقوات البريطانية وقوات الكومنولث ، فى يوم ٢٣ اكتوبر من عام ١٩٤٢ ، عشية معركة من المعارك الحاسمة التى غيرت وجه التاريخ ضد قوات النازى بقيادة رومل فى شمال أفريقيا ابان الحرب العالمية الثانية

ودخلت قوات مونتجومرى المعركة وحققت نصرا حاسما ..

كتب القائد العسكرى الانجليزى بعدها يصف تلك الأيام القليلة التى سبقت معركة النصر ، تلك التى جعلت منه اسطورة عسكرية :

« لقد جئت لأتولى قيادة الجيش الثامن فراعنى ما وجدت .. وجدت جيشا مهزوما ممزقا مهلهلا يلعق جراحه فوق رمال الصحراء الساخنة ..

« كان العتاد يعوزنا ، وكانت كميات الطعام التى تصل الينا لا تفى بحاجة الجنود منه .. ولكننى لم آبه كثيرا بهذا النقص الذى نعانيه .. كنت أدرك حقيقة واحدة ، وهى أن الغذاء الوحيد الذى يحتاج اليه جندى ، هو الغذاء الروحى .. كانت مشكلتى الاولى هى : « كيف أرفع من روحهم المعنوية ! فبدون هذه الروح لا يمكن لأى جيش أن يحقق انتصارا مهما كانت الخطط العسكرية ناجحة وموفقة ! ان القيادة الناجحة تكمن فى قدرة القائد على جمع صفوف المحاربين ، رجالا ونساء ، حوله أولا ثم حول قضية المصير المشترك » .

ونجح مونتجومرى ، وفى أقل من ثلاثة أسابيع من بدء المعارك فى الصحراء ، كان الجيش الثامن قد دحر القوات الالمانية والايطالية بقيادة روميل ، وراح يطارد فلولها المهزومة الى ما وراء حدود مصر الى مسافة تزيد على الخمسمائة كيلومتر .

سألوه يوما : « ما رأيكم فى القادة العسكريين وهل هم حقيقة دعاة حرب ؟ »

فقال مونتجومرى : « نحن الجنود لا نصنع الحرب ، لان الحرب فى رأيى هى استمرار للدبلوماسية ، وعندما يفشل السياسيون فى تحقيق الاهداف التى يسعون اليها سلميا ، فانهم يتجهون الى الجيش ليكمل المهمة التى بدأوها هم ، ولم يتمكنوا من انجازها ! »

وصوبت مدفعها بدقة ، ثم ضغطت على الزناد ، ولم ترفع اصبعها عنه ، وفى دقائق قليلة كانوا كلهم جثثا هامدة لا حياة فيها .

وهبطت مسرعة من التل ، الى حيث رقدت جثث أعدائها هامدة ، لتحتفل وحدها بالنصر الذى حققته ، وعرفت أحدهم ، وكان أول من هاجمها ، ورفعت حذاءها وداست به على وجهه وبصقت عليه

.. وفى هذه اللحظة انطلقت رصاصة .. رصاصة واحدة استقرت فى قلبها .. لقد كان فى النزع الاخير ، وفتح عينيه وعرفها ، فاطلق رصاصة من مسدسه الذى كان يحمله فى يده ، وسقطت الفتاة على الارض ، وماتت « بطلة ستالينجراد » .

وعندما عثروا على جثتها ، كانت قدمها الصغيرة لا تزال فوق رأس عدوها ..

مع ... الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الوحدة

كما تتراءى في هياكل الحيوانات

من ظاهرة وباطنة

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ نبدأ هذا الحديث بكلمة عن حديث الخلية الذى سبق ، وعن موضعه من احاديث الوحدة .

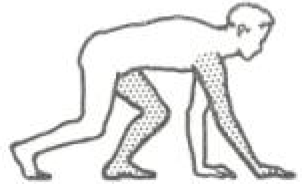
فى الكلمة السابقة تحدثنا عن الخلية ، وقلنا انها الوحدة التي تتألف منها الخلائق جميعها ، من حيوانات ونباتات . وان هذه الخلائق تتألف منها تركيبا ، وتتألف وظيفة .

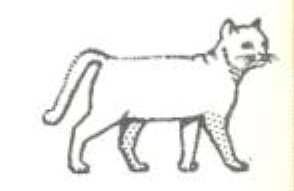
وقارنا بين الخلايا ، وهى فى شتى الخلائق ، من حيث التركيب ، وما احتوته من مكونات ، فاذا بها أقرب ما يكون الشبيه من شبيهه ، بل هى شيء واحد الا ما اقتضته وظيفة الخلية وموضعها من الجسم الواحد ، أو ما اقتضاه موضعها من حيين اختلافهما ظاهر ، كان تكون واحدة خلية فى

ظاهـــرة عجيبـــة

انت تمشي ، وتتحرك ذراعك اليمنى ورجلك اليسرى معا ، ثم ذراعك اليسرى ورجلك اليمنى معا . وانت تزحف على الأرض على اربع ، فتحرك يديك ورجليك هكذا ايضا ، وهكذا يمشي القط ، والبقر ، والفار ، والاسد ، وكل حيوان من ذوات الأربع . انها ظاهرة فى الوحدة عجيبة .







جسم حيوان والاخرى فى جسم نبات .

وقارنا بين هذه الخلايا، وهي فى شتى الخلائق ايضا ، من حيث الوظيفة ، وما تضمنته من تفاعلات كيماوية وعمليات حيوية وظواهر فزيائية ، فاذا بها من التطابق فى أعلى درجاته ، فان كان بينها اختلاف فهو اختلاف دعا اليه اختلاف الحاجات . ومع هذا فهى حاجات تم الوفاء بها بأساليب قائمة دائمة شملت الخلايا جميعا .

وقد جرت احاديثنا فى شئون الوحدة الى الآن فى الحيوانات ، من فقاريات وغير فقاريات ، وندر حديثنا عن النباتات . ولكن فى الحديث عن الخلية ، وقد حلت فى الأساس من بناء الحيوان،وفى الأساس من بناء النبات ، وفى الأساس من وظائف الحيوانات والنباتات معا ، هذا الحديث ضم النصفين الأعظمين من الحيـاة ، حيوانات ونباتات ، فى وحدة قائمة فى اصولهما ، فيها الدلالة الكافية على ان التصميم فى بناء الحياة جميعها واحد ، والأهداف من هذه التصاميم جميعـا واحدة ، واذن فالمصمم ، كان من كان ، هو شيء واحد .

كان فى حديث الخلية عن متابعة حديث الوحدة غناء" ... ولكن

ولقد كان فى حـديث الخليـة ، فى حيوانات كانت ، او فى نباتات ، او فى كليهما معا ، غناء" عن متابعة صور اخرى للوحدة ، كثيرة ، يجدهـا الدارس فى حيوان أو نبات . ذلك لأن الخلية هي اللبنة" ، الطّوبة ، التي تم بها بناء كل الحياة ، وقد اوضحنا انها واحدة فى بناءات الحياة جميعا، تركيبا ، ووظيفة.

ومع هذا ، فهناك صور من الوحدة ، فى شتى الحيوانات والنباتات ، تزيدنا اقتناعا بهذه الوحدة ، فوق الوحدة التي هدتنا اليها وحدة الخلية . فالاقتناع ، والايمان ، درجات . ومع هذه الصور للوحدة التي سوف نعرضها، طرائف هي بعض طرائف الفن الجميل، وكم فى المنطق من جمال فن . وطرائف اخـرى تتصل بجمال التصرف ، وحـذق المصـوّر والمصمّم للخلق ، عندما يصطدم بعقبة تقف فى سبيل ما جرت عليـه قواعد التصميم الواحد، فيدور حولها بمقدار ما

يتخطاها ، ثم هو يعود الى ما درج عليه من قواعد التصميم الواحد .

ومن الصور التي سوف نعرضها ، توكيدا للوحدة ، فى امر الحيوانات ، صور تتعلق :

١ ــ بالهياكل فى شتى طوائف الحيوانات واجناسها .

٢ ــ باجهزة الهضم فيها .

٣ ــ بالدورات الدموية . الى غير ذلك

ونبدأ بالهياكل Skeletons ، واشهرها الهيكل العظمي للانسان .

الهياكل ووظائفها فى شتى الحيوانات

الحيوانات تتألف من شيء رخص لين ، وشيء جامد . والشيء الرخص اللين لا يتشكل ولايكون له قوام الا بالشيء الجامد الصلب .

والشيء الجامد الصلب هو الذى يقيم كيان الحيوان ، وهو هيكله .

والخيمة لا بد لاقامتها من عماد ، ومن عمد . والمظلة التى يحملها الانسان لتقيه من الشمس لا بد لها من اضلاع من حديد ، ترتبط بمحور صلب تقبض على طرفه اليد . وتتباعد الأضلاع فتعطي المظلة شكلها . انها الهيكل الذى لا بد منه لاداء المظلة وظيفتها .

وكذلك هي هياكل الحيوان .

ونحن لا نستطيع ان نتصور ثورا بلا عظام ، ولا ارنبا ، ولا سلحفاة . ان من هذه العظام تتألف هياكل هذه الحيوانات .

ان من الهياكل ما يقيم الاجسام .

وان الهياكل تحمل الاجسام وتحمل اثقالها ، والفيل تحمله فيما تحمل العظام .

وان الهياكل تحمي الأجسام ان يصيبها السوء ، والجمجمة ، وهي من عظم ، تحمي المخ ، ان ينال منه اصطدام . والقوقع يدخل فى قوقعته وهي من كلس يحتمي فيها عندما يستشعر خطرا او يريد أن يهدأ .

والهياكل تستخدمها عضلات الجسم روافع . تتقبض العضلة فتجر اليها العظم الذى ارتبط به طرفها . وهي تنبسط فيعود العظم الى مكانه الأول .

الهياكل خارجية وداخليـة

والهياكل صنفان ، صنف يوجد على سطح الجسم فهو ظاهر . ويسمى بالخارجي Exoskeleton وصنف يوجد فى باطن الجسم فهو خاف ، ويعرف بالداخلي Endoskeleton .

ومن امثلة الهيكل الخارجي القشر الذى يغلف الحيوان المائي ، الرُّبيان (الجمبرى) Shrimps .

ومن امثلة الهيكل الداخلي ، الهيكل العظمي للانسان .

ولقد سبق ان قسمنا ، وقسم علماء الأحياء، الحيوانات الى حيوانات فقارية، واخرى غير فقارية . وكان هاديهم الى هذا التقسيم وجود فقار فى الحيوان اولا وجود له . وما الفقار الا العماد الذى يعتمد عليه الهيكل الداخلي للحيوان .

الهياكـل فى الحيوانات اللافقارية

الحيوانات اللافقارية ، على ما سبق ان ذكرنا ، تبدأ بالحيوانات الواحدة الخلية ، ومن امثلة ذلك الأميبة .

ويأتى بعد هذه ، الحيوانات المتعددة الخلايا Multicellular ، وتبدأ صعودا فى السلم الحيواني بشعبة الاسفنجيات ، وهي تعيش فى الماء .

ثم شعبة الحيوانات ذات التجويف البطني الذى يقوم مقام قناة الهضم وتعرف باللاحشويات ، اى التي لا حشو فيها ، ومنها الهدرة Hydra وهي حيوان مائي متعدد الرؤوس ، ومنها شقائق النعمان

ومنها الحيوانات المرجانية Anemone التى تؤلف فى البحر الصخور التى تعرف بالمرجانية .

ثم شعب الديدان ، Worms ومن الديدان الشريطية والديدان المستديرة.

ثم شعبة الحيوانات ذات الأقدام ذات المفاصل ، وتعرف بالمفصليات . وهي طوائف ، منها طائفة القشريات كالحيوان البحرى المعروف بالسرطان او السلطعون (أبو جلمبو Crab) ، والآخر المعروف بجراد البحر أو الكركدن Lobster ، ومنها طائفة العناكب، وطائفة الحشرات .

وكل هذه سبق أن درسناها .

واذ نتحدث عن العماد الصلب الذى يدخل فى تركيب اجسام هذه اللافقريات، نرى فى الأميبة انها ليست فى حاجة الى هذا العماد ، لصغرها ، ولأنها مع الصغر تعيش فى الماء فهو حاملها ، ولأن جسمها متحرك دائما فى سبيل التقاط الرزق وهضمه على نحو ما سوف نصف ذلك فى حينه .

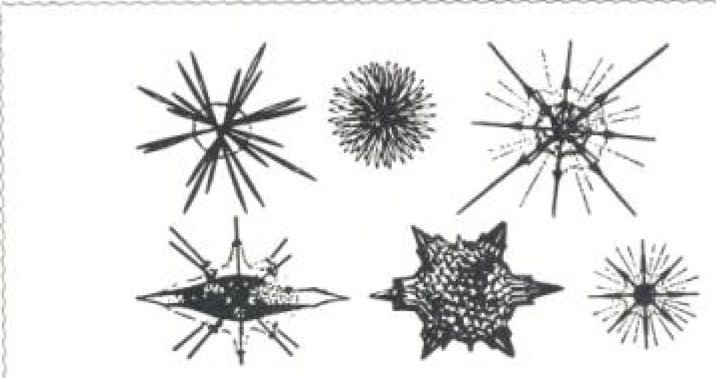
واذا انتقلنا من الأميبة الى ما فوقها فى السلم الحيواني وجدنا فى اجسام هذه الحيوانات صنوفا من الأنسجة الصلبة العامدة لأجسامها، اوالحافظة لها، بعض فى داخل الجسم فهو هيكل داخلي Endoskeleton وبعض فى خارج الجسم فهو هيكل خارجي Exoskeleton .

★ ★ ★

ففي الاسفنج الحي ، وهو يعيش فى الماء نجد اليافا تعمد جسمه وتشكله ، وهي من بروتين. وهذه هي الالياف التي تبقى بعد ذهاب الاسفنج الحي ، ونستخدمها نحن أسفنجا فى الحمامات .
ومن الاسفنج الحي ما يصنع عماده ، لا من مادة البروتين ، ولكن أشواكا من مركبات السيليسيوم (الرمل) ، او من الكلس، واذن لا تستخدم اليافه اسفنجا فى الحمام . وهذا العماد ، من بروتين او سيليس ، او مادة جيرية ، يعتبر هيكلا داخليا .

★ ★ ★

واذا انتقلنا الى الحيوانات غير ذات الحشو فى اجسامها ، ومنها الحيوانات المرجانية ، وجدنا هذه الحيوانات ، واحدة الى جانب اختها، الى جانب اخت ثالثة ، تفرز من حولها هيكلها كالفنجان ، تعيش فيه ، فهو وقاء لها . وهو هيكلها



اشكال لهياكل حيوانات من ذوات الخلية الواحدة يجدها الانسان فى قاع المحيطات رواسب من احياء عاشت عبر السنين والقرون.

الخارجي. وتموت هذه الحيوانات وتبقى هذه الهياكل صخورا من الحجر الجيري في البحر، وتعرف بالصخور المرجانية.

★ ★ ★

فاذا تركنا هذه الحيوانات الى الحيوانات الرخوة Molluscs. وجدناها تعيش في أصداف هي منازلها، تدخلها وتحتمي بها عند خوف. ونسميها هياكل خارجية.

ومن امثلتها المحار، وصدقته هي هيكله. والحيوان الذي بها يكبر، تضيق به الصدقة، فيزيد مساحتها

احياء الارض بدأ ظهورها في الوجود في احقاب من الزمان مختلفة، بعض سبق، وبعض لحق، ووجدت احافيرها في طبقات من الأرض معروف تاريخ تكونها وترسبها فاحتوائها على ما استطاع البقاء فيها من اجسام تلك الاحياء، واخصها الأجزاء الصلبة منها كالعظام.

ونرى في الصورة صورا من هذه الحيوانات

والحيوانات (١) ظهرت في الوجود منذ ٢٠ الى ٥٠ الف عام، ومنها الانسان.

وتليها (٢) ظهرت منذ ١ الى ٦٠ مليون عام.

تليها (٣) منذ ٥٠ مليون عام.

و (٤) منذ ١٠٠ الى ١٥٠ مليون عام.

و (٥) منذ ١٢٥ الى ٢٠٠ مليون عام.

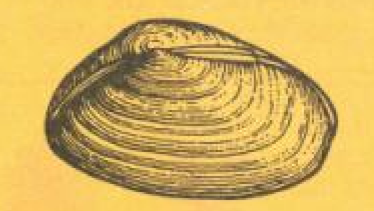
و (٦) منذ ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليون عام.

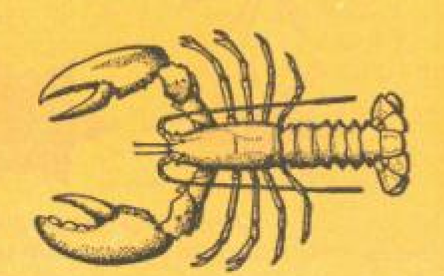
و (٧) منذ ٣٥٠ مليون عام.

و (٨) منذ ٥٠٠ مليون عام.

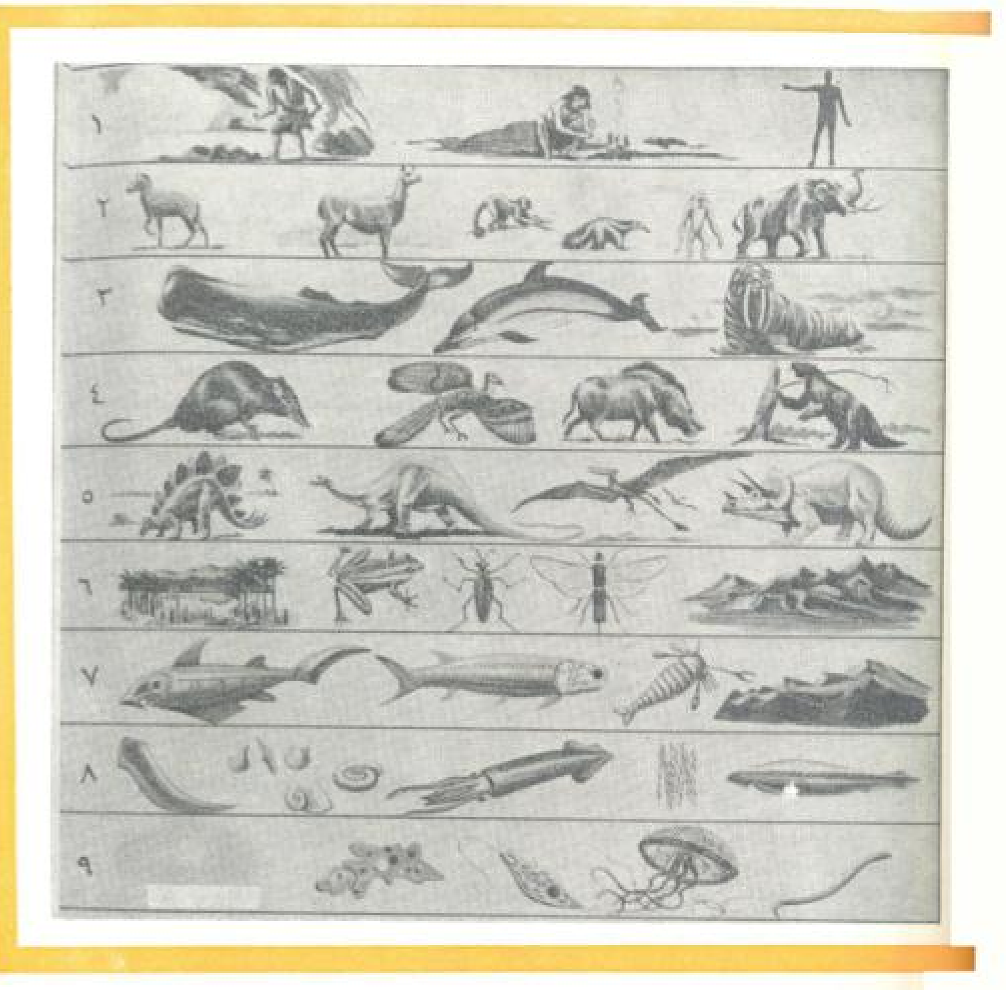
و (٩) منذ ١٠٠٠ مليون عام.

اشكال لهياكل حيوانات لافقرية. العليا لمحار وهو من الحيوانات الرخوة، والسفلى اليمنى لجراد البحر او الكركند، وهو من الحيوانات القشرية، والسفلى اليسرى اشواك يفرزها الاسفنج الذي يعيش في الماء العذب لتعمد جسمه.









بالافراز عند اطرافها ، فتكبر الصدفة . وتكون اطرافها أحدث ما فيها .

★ ★ ★

واذا انتقلنا الى القشريات ، كسرطان البحر او السلطعون (أبو جلمبو) Crab ، او جراد البحر Lobster ، وجدنا القشر يلفه لفا . وهي قشرة مكونة من بروتين ، ومن مادة قرنية ، قد تضاف اليها مادة فسفات الكلسيوم لتعطيها شيئا من الصلابة . وهذه القشرة يبقى على اي حال بها شيء من اللين يأذن بتحرك العضلات داخلها ، تلك العضلات التى تحرك هذه الكائنات الحية عن طريق التحامها بالقشرة من داخلها .

وهذا الهيكل الخارجي ، وهو كالصندوق ، يضيق بهذه الحيوانات عندما تكبر . وإذن هو ينشق عنها ، ويستبدل به الحيوان هيكلا جديدا من حين الى حين . تخطيط في الخلق ، وفي مستقبل الخلق ، عجيب . تمهيد سابق لجديد من اللباس لم يكن حاضرا عندما ضاق قديم اللباس على لابسه .

★ ★ ★

اما الوحدة في كل هذا فتتراءى في وجود هذه الهياكل في هذه الاحياء التي ذكرنا جميعا ، ثم في قيام كل حي منها

بصنع هيكله ،وفقا لحاجته ، وعلى قدر حاجته . وهو هو الذى يقوم بافراز مادة ذلك الدرع . وهو يفرزه من المواد الموجودة فى بيئته ، فان كانت كلسية فمن كلس او سيليسية فمن سيليس . وظاهرة خلع اهاب قديم للبس اهاب جديد ، ظاهرة شائعة حيث يكون مع كبر جسم الكائن الحي ضيق فى احتوائه فى القديم من ثيابه .

وذكرنا من شعب اللافقاريات ما ذكرنا .

ولكن شعبة من اللافقاريات ، هي شعبة المفصليات ، ضمت من انواع الحيوانات جميعا نحو ٧٧٠٫٠٠٠ نوع ، اى اكثر من ٨٠ فى المائة من انواع حيوانات الأرض ، فهذه الشعبة ، بضخامتها ، مثلت الوحدة القائمة فى الخلق ، من حيث هياكل الحيوانات ، ومن حيث شقها والخروج منها Molting ، اصدق تمثيل .

الهياكل فى ذوات الفقار من الحيوانات

واول هذه الحيوانات الانسان ، راس الأحياء جميعا ، وهو اتمها على ما نعرف فى هذه الأرض خلقا ، من حيث تركيب الاجسام، ومن حيث تقسم اعمال الحياة ووظائفها على اعضاء هذه الاجسام واجهزتها ، وتخصصها فى اجراء هذه الاعمال والوظائف ، لتخرج بواسطتها بانتجة للحياة افضل .

ويلي الانسان فى مرتبته هذه العليا ، نزولا فى سلم الحيوانات ، الحيوانات ذوات الثدى وهو منها ، ثم الطيور ، ثم الزواحف ، ثم الحيوانات التي تعيش فى البر والماء كالضفدع ، واخيرا تجيء الاسماك اوطاها مرتبة .

ولاظهار الوحدة الجارية بين هذه المراتب الفقارية جميعا ، من حيث الذى بها من هياكل ، نبدا بوصف اتمها ، ذلك هيكل الانسان ، فى ايجاز شديد ، ومنه ننتقل الى غيره من شعب هذه الحيوانات .

الهيكل العظمي للانسان

نبدا بان نقول ان هذا الهيكل واحد التركيب ، واحد فى الوظائف ، فى آلاف الملايين من بني الناس التي تعمر الأرض اليوم ، وكان واحدا بالامس ، وهو واحد على ما نحسب غدا ، على اختلاف اجناس البشر وانواعه .

وقد جرى العلماء على تقسيم هيكل الانسان الى قسمين: الهيكل المِحْوري، والهيكل الزوائدى .

الهيكل المِحوري

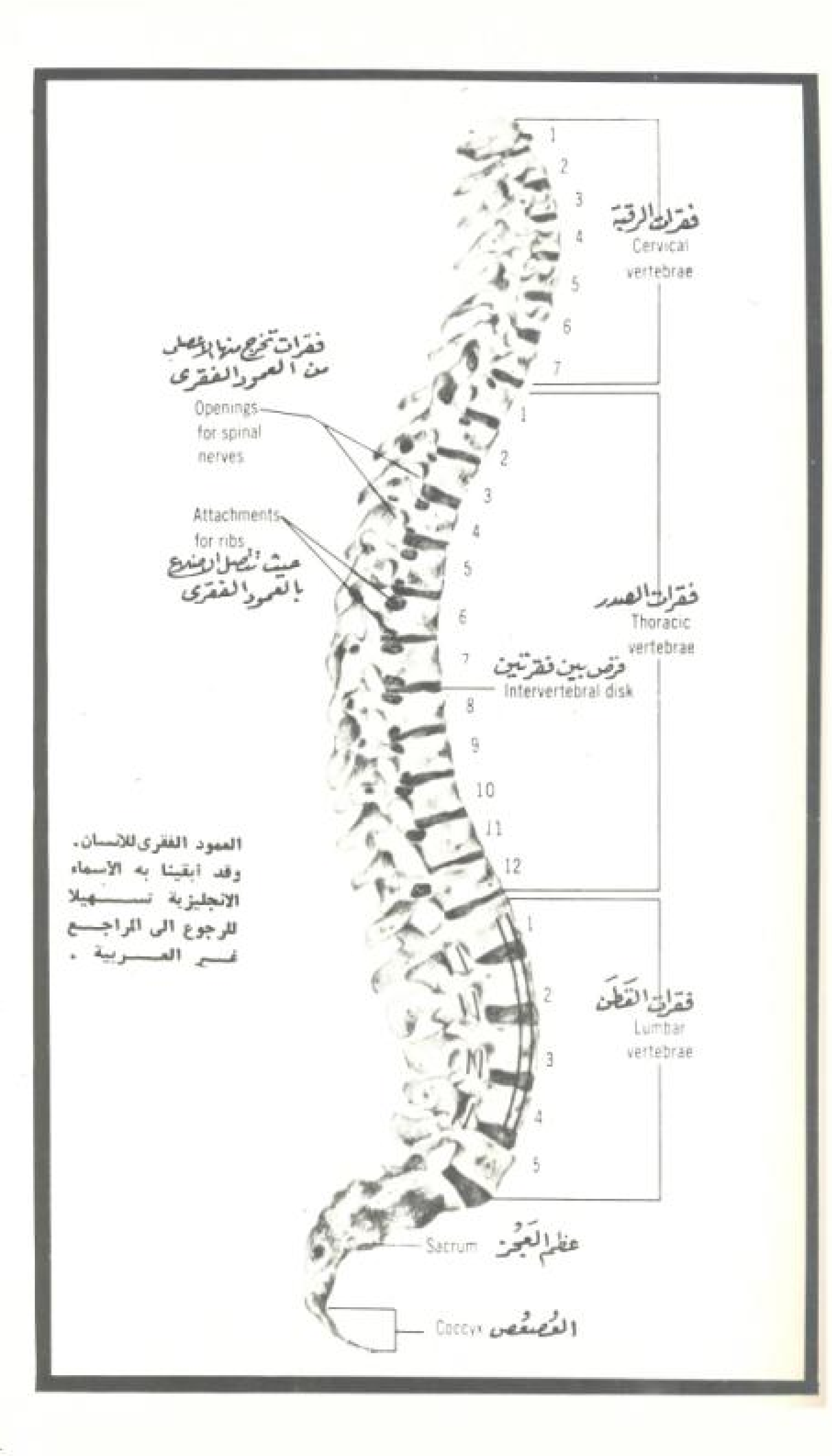
الهيكل المحورى Axial Skeleton وهو يتالف من محور هو العمود الفقارى نفسه ، ومن الجمجمة التي يتصل بها من اعلى ، ومن الأضلاع التي تخرج من العمود الفقارى ، ومن عظمة الصدر الامامية او عظمة القص التي بها تتصل الأضلاع امام الصدر .

والجمجمة تتالف من القحف ، وهو حافظ للمخ ، ومن عظام الوجه .

والعمود الفِقْرى Vertebral Columna او الشوكي Spinal فتتالف من ٣٣ عظمة تسمى الفقْرة والفقرة والفقارة وهي خرزة من خرزات الظهر ، والجمع فِقَر وفِقْرات وفِقار . وتشتبك الواحدة منها بسابقتها بحيث تاذن الشبكة بميل العمود الفقرى يمينا ويسارا ، واماما وخلفا .

والفِقْرات السبع العليا من العمود للرقبة ، والاثنتى عشرة التى تليها ، فللصدر Thoracic ، والخمس التي تلي هذه وهي القَطَنية Lumber فتسند الجزء الأوطا من الظهر . وبعد هذه تاتي فى العمود الفقرى خمس فقرات التحمت فصارت عظمة واحدة هى التي بها يرتبط حزام الحوض العظمي الذى هو واسطة اتصال عظام الرجلين بالعمود الفقرى .

وتسمى هذه العظمة الملتحمة بعظم العَجز Sacrum .



العمود الفقرى للانسان. وقد أبقينا به الأسماء الانجليزية تسهيلا للرجوع الى المراجع غير العربية .

بقي من العمود المصمص Coccyx ونشا عن التحام ٤ عظمات صغيرة . وهو فى الانسان لا عمل له ، اما فى الحيوانات الفقرية ذوات الذيل فهو يمتد لتتألف منه ذيولها .

والفقرة الواحدة بها حلقة كالخاتم ، وبحلقات هذه الفقرات يمر الحبل الشوكي ، ومن هذا الحبل تخرج فروع الاعصاب الى مناطق الجسم جميعا .

وصدر الانسان، وفيه القلب والرئتان، اشبه شيء بالقفص ، وهو يتألف من ١٢ زوجا من الاضلاع ، بالزوج الواحد ضلع يمين وآخر يسار ، وهذه الاضلاع تلتف الى الظهر لتتصل اتصالا وثيقا بالفقرات الاثنتى عشرة التى بالعمود الفقري، وهذه الاضلاع بالتفافها الى الامام تتصل بعظمة الصدر ، وهي تجمعها استكمالا لتشكيل القفص الصدرى ، يستثنى زوجان من هذه الأضلاع ، هما الادنيان فى الصدر ، فأضلاعها تظل عائمة من امام فلا تتصل بعظمة الصدر .

اطراف الهيكل عند الانسان

وسماها العلماء عند التقسيم بالهيكل الزوائدى ، بحسبان ان العمود الفقرى هو الاصل ، واما الذراعان والرجلان فزوائد او لواحق .

والذراع اليمنى تتصل بالجسم من اعلى بحزام ، يتألف من الترقوة Collarbone ، وهي عظمة فى اعلى الصدر من امام (يلتحم طرفها بعظمة الصدر) ومن عظمة الكتف Shoulder Blade وهى تحد الصدر من خلف . ويسمى هذا الحزام بالحزام الصدرى Pectorial Girdle والذراع تتصل بالعظمتين ، عند التقائهما بواسطة مفصل يؤمن لها الحركة .

وكالذراع اليمنى ، الذراع اليسرى ، تتصل بالحزام الصدرى الأيسر .

اما الرجلان فتتصلان بالعمود الفقرى بواسطة حزام الحوض Pelvic Girdle .

وهذا الحزام يتألف من عظمتين مفرطحتين (الحرقفتين Hip bone) اذ يلتحم طرف كل منهما عند الظهر بعظم العجز من العمود الفقرى . وهذا يؤهل هذا الحزام الحوضي لحمل ما فى الجسم من احشاء . وبهذا الحوض تتصل الرجلان بمفاصل فتقومان بحمل الحوض وحمل الجسم كله معا .

عظام الذراعين والرجلين

الذراع اقسام ، اعلى ، وادنى ، ثم اليد .

اما الذراع الأعلى فتتألف من عظمة واحدة هي عظمة العضد Humerus .

واما الذراع الأدنى فمن عظمتين . عظمة الكعبرة Radius وعظمة الزند Ulna .

واما اليد فرسغها Wrist يتألف من ٨ عظمات رسغية Carpals صغيرة ، مصفوفة « صفين » .

ثم الرجل فهى كذلك اقسام ، اعلى وادنى ، وقدم .

اما الرجل الأعلى فتتألف من عظمة الفخذ ، وهى اطول عظمة فى الجسم واثقلها .

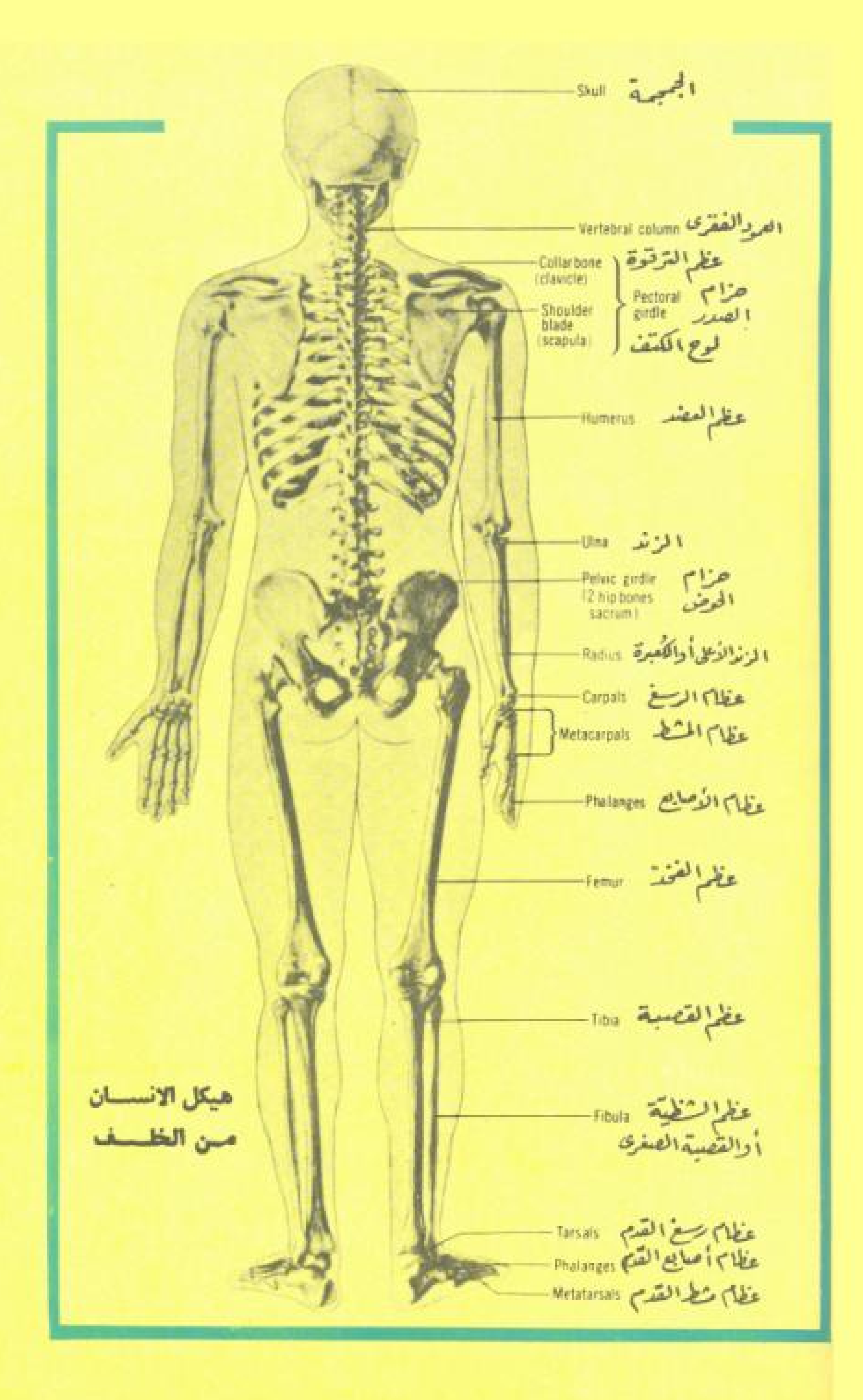
واما الرجل الادنى فيها عظمتان ، عظمة القصبة الكبرى Tibia ، والعظمة الصغرى، عظم الشظية او عظمة القصبة الصغرى Fibula.

اما القدم فعظمها يتألف من ٧ عظام فى الرسغ Tarsals ، ومن ٥ عظمات مشطية Metatarsals ، ثم الأصابع وبكل منها ٣ عظام الا الابهام فبه عظمتان . ففى الاصابع ١٤ عظمة .

وهنا يظهر الشبه جليا بين ارجل الانسان وسواعده .

الهياكل فى سائر الحيوانات ذات الفقار الأخرى

وتذكيرا بها مرة أخرى نقول انها تتضمن الثدييات، ومنها الانسان والقطـ



Skull الجمجمة
Vertebral column العمود الفقري
Collarbone (clavicle) عظم الترقوة
Pectoral girdle حزام الصدر
Shoulder blade (scapula) لوح الكتف
Humerus عظم العضد
Ulna الزند
Pelvic girdle (2 hip bones sacrum) حزام الحوض
Radius الزند الأعلى أو الكعبرة
Carpals عظام الرسغ
Metacarpals عظام المشط
Phalanges عظام الأصابع
Femur عظم الفخذ
Tibia عظم القصبة
Fibula عظم الشظية أو القصبة الصغرى
Tarsals عظام رسغ القدم
Phalanges عظام أصابع القدم
Metatarsals عظام مشط القدم
هيكل الانسان
من الخلف

والثعلب والخيل والأبقار والأرانب والفئران .

تليها نزولا فى السلم الحيوانى ، الطيور . ومنها الصقر والدجاج .

تليها الزواحف ومنها الثعابين والسحالى .

وتليها البرمائيات التى تعيش فى البر والماء كالضفدع .

ثم الأسماك .

والوحدة بينها جميعا ظاهرة بينة بوجود العمود الفقرى فيها ، حتى الأسماك .

ولكن الهيكل يتضمن العمود الفقرى وملحقاته ، ثم الأطراف .

وتصميم هياكل هذه الشعب الفقارية السالفة الذكر ، بما فى ذلك العمود الفقرى وملحقاته او زوائده ، يكاد يكون واحدا ، باستثناء الأسماك ، حتى لجعل العلماء هذه الهياكل شكلا واحدا يمثلها ، هو المرفق بهذه الكلمة. وهو شكل لهيكل عظمى افتراضى نتأمله فنجده قريب الشبه بالهيكل الانسانى . ولكن بالطبع يطرأ عليه تبديل ، يكبر او يصغر ، ويقل خطرا او يزيد ، كلما انتقلنا به من شعبة من هذه الحيوانات الى شعبة .

اما التبديل الحادث والتغيير فانما كان ويكون لاختلاف البيئة ، واختلاف ضرورات الحياة فى كل شعبة . فما كان ينتظر ان يكون الهيكل العظمى للقط مثلا، وهو لا يطير ، شبيها كل الشبه بالهيكل العظمى الذى للغراب وهو يطير .

انها الوحدة الشاملة فى الأصول مع التغير الذى تفرضه ضرورات العيش .

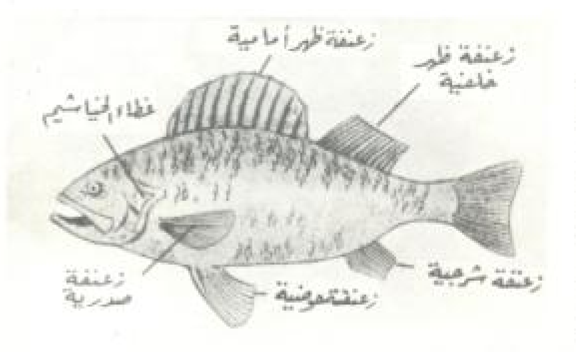
هيكل افتراضي يجمع فى المتوسط بين هياكل الحيوانات الفقرية ، يزاد فيه او ينتقص منه . وهذا رسم ما كان يمكن لولا الوحدة القائمة بين هذه الحيوانات .

هيكل ضفدع من الضفادع Toad، وهو من البرمائيات .

فى السمك

مثال ذلك أن السمك به من الهيكل ، العمود الفقرى ، ولكن ليس له كالانسان يدان أو رجلان ، لأنه لا حاجة له بأيها وهو فى الماء . ولكن تخرج من جسمه زعانف عدة هى أوفق ما تكون لسابح فى ماء .

ومع هذا نجد ان من بين هذه الزعانف زوجا منها يعرف بالزوج الصدرى ، وزوجا آخر منها يعرف بالزوج الحوضى، وكلاهما زعانف حلت محل اليدين



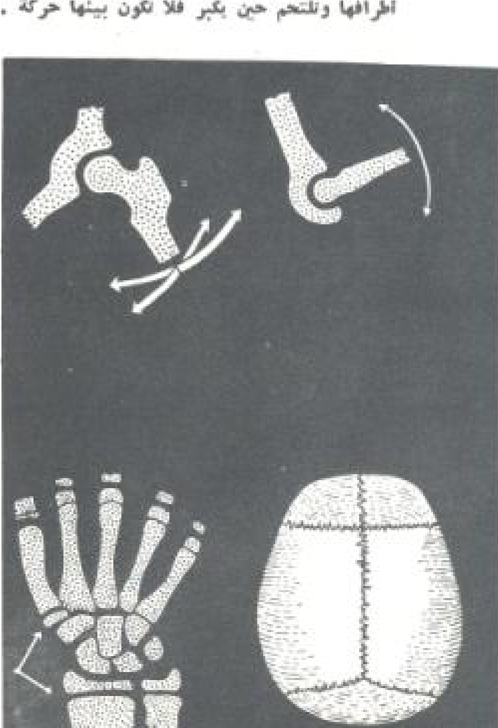
بالسمكة زعانف،منها زعنفة صدرية على يمين جسمها ، ومثلها على يسار جسمها ، وتعرفان بالزعنفتين الصدريتين . وزعنفة حوضية على كل من جانبى جسمها وتعرفان بالزعنفتين الحوضيتين . وهذه الزعانف تناظرهما اليدان اللتان فى الانسان والرجلان . وهكذا تجرى الأشباه ، والوحدة ، من الانسان ، وهو فى قمة الحيوانات الفقرية، الى الاسماك، وهى فى ادناها.

والرجلين في الحيوانات الفقارية الأخرى. وهي تقوم في الماء مقام الموجه عند السبح.

في الطير

وفي الطير حلت الأجنحة محل الأيدي.

عظام الهياكل في الانسان والحيوان يتصل فيها العظم بالعظم بواسطة مفاصل تاذن لطرفيهما بالحركة ، ضيقة أحيانا ، وواسعة أحيانا . وفي الصورة أمثلة لهذه المفاصل . منها المفصل الكروي الحُقي (في شمال الصورة) وهو يعطي العظام اوسع حركة ، كالذي بين عظم العضد وعظم الكتف. ومنها المفصل الرَزِي ويعطي العظام حركة أقل سعة ، كالذي بين عظم العضد وعظم الزند ، ومنها المفصل المتزلق كالذي بين عظام الرسغ وعظام مشط اليد . والجمجمة صندوق من عظم يتالف من عظام تبدأ في الطفل غير ملتحمة ، ثم تتقارب اطرافها وتلتحم حين يكبر فلا تكون بينها حركة .



لأنها بها تطير . ومع هذا اذا انت قارنت عظام اليد في الانسان بعظام الجناح في الطير وجدتهما كليهما يعتمدان على تصميم واحد . ففي الجناح لا نزال نجد عظم العضد ، ونجد عظم الزند وعظم الزند الأعلى او الكعبرة ، تماما كما نجدها جميعا في ذراع الانسان .

وفي الشعبة الواحدة اختلاف

والاختلاف مع الوحدة موجود في الشعبة الواحدة. وفي شعبة الانسان التي هي شعبة ذوات الثدي ، يوجد مثلا الحصان . ويشترك هيكل الانسان مع هيكل الحصان في الكثير ، ولكن كذلك هما يختلفان . فالانسان قائم ، فهو يحتاج الى ما يحمل احشاءه ، فيحمل احشاءه، فيما يحمل، حزامُ الحوض. ولكن الحصان منبسط، وطوله يمتد موازيا للارض ، فحزام حوضه لا يكاد يحمل شيئا من احشائه ، ومن اجل هذا زاد عدد اضلاع الحصان عن عددها في الانسان . ونحن كلما هبطنا في الحيوانات الفقارية ، وجدنا زيادة في هذه الأضلاع .

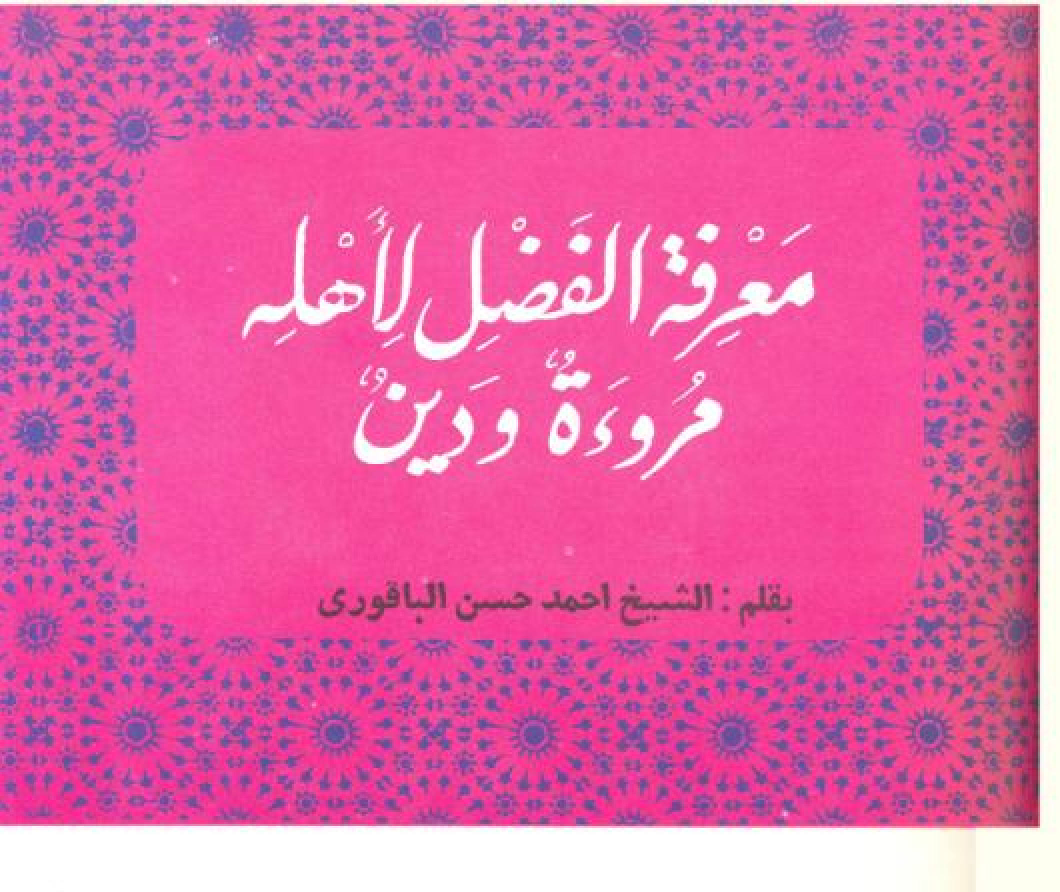
والحصان ، وقد عاش حياته في هلع، كان مَخلصه وكانت نجاته من اعدائه في سرعة جريه . لهذا تهيأت ارجله الأربع لتكون اخف عند الجري واسرع . واذا بهذه الأرجل تعتمد اليوم في جريها على اصبع رجل واحدة زيادة في الخفة ، وهي تحمل ثقل الحيوان كله . وما الحافر الا نظير الظفر في الانسان .

على ان خروج الأحياء ، عن النظم الواحدة الشاملة ، بعض الخروج ، لتستجيب لبعض ضرورات الحياة ، جدير بحديث ممتع منفرد طويل .

انها مرونة الخلق ، والمرونة في غير انحراف ، هي بعض حكمة الحكماء .

●●

احمد زكي



■ هؤلاء الكلمات ـ عنوانا لهذا المقال ـ تهتف بالصدق ، فيهن الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والشرائع التى ادب الله عباده بها ، والتاريخ الذى دون ماوقع ويقع فى دنيا الناس من احداث .

واذا كان الصدق فى هذه الكلمات يتراءى على غاية الوضوح فى كل زمان ومكان ، فانه فى امتنا ارفع اعلاما واوضح معالم . اذ كانت هذه الأمة لم تؤت من شىء قط كما اتيت من جحود الحق ونكران الفضل ، فاذا الفتنة فى كل انحائها مشبوبة النار مسعورة الأوار .

والذين تدبروا ماقرءوا مما كتب الثقات المؤرخون فى الشرق وفى الغرب ، يعرفون فى هذا الباب اكثر مما اعرف ، ويستطيعون ان يقولوا اكثر مما اقول .

غير اننى ـ مع ذلك ـ لا اجد متندحا عن محاولة لقضاء حق هذا العنوان فى مجالى اللغة والدين ، بما يعين على الالمام بهذا الموضوع الماما لايستغنى عنه مقتصد ولا يضيق به مجتهد . والله من وراء القصد .

المعرفة

العرفان والمعرفة كلاهما مصدر للفعل عرف بتخفيف الراء . ومن معانى المعرفة ادراك الشىء ادراكا لاخفاء فيه على ما يقول تعالى : « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » ، وعلى ما يقول : « ولتعرفنهم فى لحن القول » .

ومن معانى المعرفة المجازاة على الاحسان بالحسنى وعلى الاساءة بالسوءى . تقول لمن احسن اليك : لاعرفن لك حسن صنيعك . كما تقول لمن اساء اليك : لاعرفن لك سوء فعلك . تعنى لاجازينك على ذلك بما يناسبه . ومنه قول الله

جل ثناؤه : « واذ اسرّ النبي الى بعض ازواجه حديثا ، فلما نبّأت به واظهره الله عليه عرّف بعضه واعرض عن بعض » . فالمعرفة هنا مصدر للفعل عرّف ـ بغير تشديد للراء ـ كما هي قراءة علي وطلحة وقتادة والحسن والسلمي والكسائي والاعمش . ومعنى الآية في هذه الحال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اسر الى حفصة ام المؤمنين امرا وامرها بكتمانه ، ولكنها افشت سره فطلقها طلقة واحدة ، تاديبا لها ، مع استبقاء الامل في نفسها ، والشرف لابيها وقومها ان تعود كما كانت ، مـن قبـل ، زوجة للنبي ، واماً للمؤمنين . وذلك اليق بالكبار في باب المروءات ، من حيث كان الاستقصاء في العقوبة امرا تنفر منه فطرهم وتمام مروءاتهم ، على ما يقول شاعرهم :ـ

واوفِ ولا تستوفِ حقك كلّـه
وصافح،فلم يستوفِ قطُّ كريمُ

ولا تَغْلُ في شيء من الأمرِ،واقتصد
كلا طرَفَي قصدِ الامور ذميم

الفضـل

والفضل زيادة الخير . ومنه قول الله جل ثناؤه : « ولا تنسوا الفضل بينكم » . فقد روى ان جُبَيْر بن مُطعِم دخل على سعد بن ابي وقاص ـ رضي الله عنهما ـ فعرض عليه سعدٌ بنتا له ، فتزوجها ، ثم طلقها قبل ان يدخل بها ، مرسلا اليها بصداقها كاملا غير منقوص . فسُئل : « لم تزوجتها وانت غير محتاج اليها ؟ » فقال : « كرهت ان ارد صاحب رسـول اللـه ، فتزوجتها » . فسُئل : « فلم بعثت اليها بصداقها كاملا وانت لم تبنِ بها ؟ » قال : « فاين الفضل ؟ » ثم تلا الآية الشريفة : « ولاتنسوا الفضل بينكم » .

المـروءة

والمروءة تمام الانسانية ، وفي حديث عمر رضي الله عنه : « انهما المرآن يقتدى بهما » ؛ يعني بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وابا بكر رضي الله عنه ، وربما قالوا للمراة : « انها لامرؤ صدق كالرجل » ، وفي حديث علي كرم الله وجهه ان رجلا قال له لما تزوج فاطمة رضي الله عنهما : « لقد تزوجت امراة » . يريد امراة كاملة ، كما يقال فلان رجل يعنون انه كامل في الرجال ؛ فالمروءة تمام الرجولة وكمال الانسانية .

النبي يكرم وفد الحبشة

وليس يعرف الناس في باب معرفة الفضل لاهله بمجازاتهم عليه مثلا اولى مما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد الحبشة فقد كان يقوم على خدمتهم بنفسه . فلما قال له اصحابه : « نحن نكفيك ذلك يا رسول الله » ، قال لهم ، معلما ومؤدبا وقدوة للمؤمنين : « انهم كانوا لاصحابنا مكرمين ، واني احب ان اكافئهم » ، يعني بذلك تكريم النجاشي للمهاجرين من اصحابه الى الحبشة ، فرارا بدينهم من اذى المشركين . فاعتبر النبي ذلك فضلا من الحبشة النصرانية على اصحابه هؤلاء ، فقام بنفسه على خدمة وفدهم ، تكريما لهم او تكريما للحبشة فيهم . وكان ذلك خيرَ مَثَلٍ لمعرفة الفضل لذوي الفضل.

ويكرم مشركا عرفانا لفضله

وكما عرف ـ صلوات اللـه عليه ـ الفضل لنصارى الحبشة فجازاهم عليه ، بتكريم وفدها او بتكريمها في وفدها ، عرف الفضل لعلقمة ابن علاثة ، مشركا مقيما عند قيصر . فقد روى ابن ابي الدنيا وابن عساكر عن محمد بن مسلمة انه جمعه باخر طريق ، فتذاكرا الشكر والمعروف ، فقال محمد بن مسلمة : كنا يوما عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لحسان بن ثابت « انشدني من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته » . فانشده حسان قصيدة للاعشى يهجو فيها علقمة بن علاثة هذا ويمدح عامر بن الطفيل ، وفي القصيدة يقول الاعشى : ـ

لو اسـندَتْ ميتا الى نحرِهـا
عـاش ، ولم يُنقَل الى قـابر

حتى يقـول الناس ممّا راوا :
يا عجبـا للميّت الناشـر

دعها فقد اعـذَرْتَ في حبّهـا
واذكـر خَنا علقمـةَ الفاجـر

علقمُ ما أنتَ الى عامر
الناقض الأوتارَ والواتر
ان تسد الحوص فلم تعدهم
وعامر ساد بني عامر
ولست بالأكثر منهم حصى
وانما العزة للكاثر

فلما فرغ حسان من انشاده ، قال له النبي : « يا حسان ، لا تعُد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا » . فقال : يا رسول الله ، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « يا حسان ، أشكرُ الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وان قيصر سأل أبا سفيان ابن حرب عني فشعّث مني ، فلما سأل علقمةَ هذا عني أحسن في القول » . فقال حسان : « يا رسول الله من نالتكَ يدُه وجب علينا شكرُه » .

وابو البخترى المشرك أيضا

يروي الثقات من أهل السير أن النبي قال للمجاهدين من أصحابه في معركة بدر بعد أن انتصر المسلمون ومضوا يأسرون المنهزمين : « من لقي منكم أبا البخترى بن هشام فلا يقتله » . وانما نهى عن قتله لأنه كان أكفَّ الناس عن رسول الله وهو بمكة ، فكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه . وكان من الذين قاموا في نقض الصحيفة الظالمة التي كتبتها قريشٌ على بني هاشم وبني المطلب ، تُحرّضُ الناس على مقاطعتهم ومحاصرتهم في الشعب الذي لاذوا به ، بحيث لا يباع لهم ولا يبتاع منهم .

واستمع الناس الى قول رسول الله وكان المجذر بن زياد البلوى أول من لقي أبا البخترى في ميدان المعركة ، فسارع اليه يبشره بأن رسول الله قد نهى عن قتله ، ارادة أن يستأسر ، حتى اذا جيء به الى رسول الله أطلقه ، عرفانا لفضله ، واكراما لمروءته ، وجزاءً له على ما قدم من يد لرسول الله وأسرته والمسلمين ، ولكن أبا البخترى كان سيء الحظ اذ كان يساير زميلا له جاء معه من مكة في ميدان المعركة ، فلما أنباه المجذر خبر أمر النبي قال أبو البخترى : « هل نهاكم عن قتلي وزميلي هذا أيضا ؟ » فأجابه المجذر : لا والله ما أمرنا الا بك وحدك فأما زميلك فلن نتركه .

فقال أبو البخترى : « لا ، والله ، اذن لأموتن أنا وهو جميعا ، لا تتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة . ثم استل سيفه يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرّةٍ زميلَه
حتى يموتَ أو يرى سبيله

ثم اقتتلا ، فقتله المجذّرُ ، ثم جاء رسول الله فقال له : والذي بعثك بالحق لقد جهرت عليه أن يستأسر فأتيك به حيا فأبى الا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته .

وليس يشك أهل العلم في أن النبي انما نهى عن قتله متوقعا أن يستأسر . ولولا سوء حظه بوجود رفيقه معه ولولا تسرع المجذر البلوى لمضى بهما الى رسول الله أسيرين فمنّ النبي عليهما : أحدهما لفضله على رسول الله وآل بيته ، وثانيهما لصداقته هذا العربي الجاهلي الكريم .

على تلك السنة الكريمة مضى المسلمون في عرفان الفضل لأهله ، بل لقد بالغوا في ذلك فعرفوا الفضل للحيوان الأعجم فأكرموه غاية الاكرام وجازوه أحسن الجزاء .

في دمشق العزيزة

في عاصمة بني أمية ميدان كان يعرف بالمرْجة ولعله لايزال يحمل هذا الاسم حتى يوم الناس هذا ، ولعل الذين طالعوا حجج الأوقاف الاسلامية يرون من بينها وقفا يعرف بهذا الاسم « وقف المرجة » وقد كان هذا الوقف أرضا زراعية وقفها الواقف مفدّى ومراحا للخيول التي تقاتل في سبيل الله ، ذيادا عن الحرم وحماية للاسلام ، حتى اذا شاخت وعجزت عن الكر والفر تركوها في المرجة ترعى حيث تشاء ، لا يتعرض لها أحد بأذى حتى تفارق الحياة بالموت الطبيعي ، دون أن يفعل بها ما يفعله غير المسلمين بالخيول حين تشيخ فيقتلوها رميا بالرصاص .

وكذلك يبدو على طرف الثمام ، أن معرفة الفضل لأهل الفضل كمعرفة السوء لأهل السوء ، ومجازاة أولئك وهؤلاء على ذلك ، انما هو مروءة ودين . ■■

احمد حسن الباقورى
(القاهرة)



ودوره في قضية المصير العربي
وقد كان للكويت وأميرها في المؤتمر موقف مشرف

استطلاع بقلم: **محمد طنطاوي** تصوير: **أوسكار متري**

الرئيسان السادات رئيس جمهورية مصر العربية وتيتو رئيس يوغوسلافيا أثناء إحدى لقاءاتهما الثنائية في فترة انعقاد المؤتمر.

حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت وهو يلقي خطابه في المؤتمر لقد أكد سموه في خطابه اعتماد الكويت سياسة عدم الانحياز ومبادئ ما تستطيع أن تحققه

الى اسفل : صورة عامة للقاعة الرئيسية فى قصر الامم الذى عقد فيه مؤتمر قمة دول عدم الانحياز .

اعربت مجموعة الدول غير المنحازة ، في الامم المتحدة ، في يوم ١٠ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، عن مناصرتها للعرب فى حربهم ، وعن استنكارها لعدوان اسرائيل على العرب ووقوفها مواقف شتى تمنع السلام ان يكون .

■ قبل شهر واحد من اشتعال نيران حرب ٦ اكتوبر بين القوات العربية والقوات الاسرائيلية ، انعقد على ارض الجزائر .. ارض المليون شهيد ، اكبر مؤتمر قمة للبلدان غير المنحازة . وقد حضر هذا المؤتمر ، وهو الرابع من مؤتمرات قمة دول عدم الانحياز ، ٧٦ من رؤساء الدول والحكومات غير المنحازة من جميع انحاء العالم .

الدول الافريقية تقطع علاقاتها باسرائيل

وقد كان لهذا المؤتمر بالذات اهمية خاصة بالنسبة للسياسة العربية .. فقد اتاح هذا اللقاء الكبير

الرئيس هوارى بومدين وهو يصافح الرئيس الحبيب بورقيبة عند افتتاح جلسة مؤتمر القمة الرابع للبلدان غير المنحازة والتي كان مقررا ان يتكلم فيها بورقيبة .



الفرصة لكثير من ملوك ورؤساء الدول العربية ووزراء خارجيتها ان يجتمعوا باغلب رؤساء دول وحكومات بلدان العالم الثالث ، وان يشرحوا في هذه الاجتماعات الثنائية التى تمت داخل قاعات المؤتمر .. وفى مقار سكن الرؤساء والملوك .. الموقف في الشرق الاوسط ، والأطماع التوسعية والعدوانية لاسرائيل فى المنطقة ، وتمسكها باحتلال الاراضي العربية التى احتلتها بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وذلك بالرغم من قرارات الامم المتحدة الخاصة بعدم شرعية الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة .. كما استطاع الزعماء العرب أن يشرحوا لزعماء دول عدم الانحياز وهم يمثلون اكثر من نصف دول العالم سياسة اسرائيل القائمة على العنصرية وعلى الاستغلال والتوسع .

وقد نجح العرب فى اتصالاتهم هذه نجاحا اقل ما يوصف به انه نجاح كبير .. وتمثل هذا النجاح فى البيان السياسي الذى صدر عن المؤتمر وفيه ادانة تامة لاسرائيل ، وتذكير بعدم شرعية ضم الاراضي بالقوة ، ومطالبة اسرائيل بالانسحاب الفورى وغير المشروط من جميع الاراضي المحتلة . كما تعهدت كافة الدول المجتمعة بمساعدة مصر وسوريا والاردن على تحرير اراضيها بكل الوسائل .. واعتبر البيان استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الوطنية شرطا اساسيا لاعادة السلام العادل والدائم فى هذا الاقليم .

ولم يكن النجاح العربى مقصورا على هذه الفقرات القوية فى البيان السياسي للمؤتمر ، ولكنه تعداه الى ان الكثير من زعماء الدول الافريقية قد استطاعوا للمرة الاولى ان يتفهموا بوضوح تام



حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح يتابع احدى جلسات مؤتمر القمة للدول غير المنحازة والى جواره بعض أعضاء وفد الكويت ومن بينهم الشيخ عبد الله الجابر والسادة عبد العزيز حسين وزير الدولة ودرويش المرادى وابراهيم الشطي .

حقوق العرب وموقفهم في الصراع الدائر في منطقة الشرق الأوسط .. وقد ظهرت نتائج هذا المؤتمر بسرعة هائلة .. اذ بدات بعض الدول باعلان قطع علاقاتها مع اسرائيل .. كوبا قطعت علاقاتها في بيان اذاعه كاسترو اثناء المناقشات الختامية للمؤتمر . الدول الافريقية بدأت قطع علاقاتها واحدة بعد الأخرى بعد انفضاض المؤتمر .

تضامن دولى

ولكن تضامن دول عدم الانحياز ظهر واضحا وجليا بعد حرب ٦ اكتوبر .. ففى خلال هذه الحرب بلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل ٢٩ دولة . وفى اقل من ثلاثة اسابيع اثبتت دول عدم الانحياز للعالم كله تضامنها وتكاتفها في مجال السياسة الدولية .

وحصلت الدول العربية على تأييد كامل من كتلة دول عدم الانحياز داخل هيئة الأمم المتحدة اثناء الحرب . ولعبت هذه الدول دورا هاما فى المجال الدولى لصالح العرب .

وقد كانت مجلة « العربى » قامت باستطلاع هذا المؤتمر فى حينه .. ونرى الآن ان المناسبة لا تزال قائمة في نشر ما استطلعته لا سيما وقد تمخض عما تمخض من اشياء خطيرة ساعدت العرب فى صراعهم الحاضر .

١ر٢٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠
عدد شعوب دول عدم الانحياز

فى سبتمبر الماضي انعقد مؤتمر القمة الرابع للبلدان غير المنحازة في الجزائر . وقد حضر هذا المؤتمر رؤساء دول وحكومات ٧٦ دولة ، ويمثل هذا العدد اكثر من نصف دول العالم .

ويبلغ تعداد شعوب هذه الدول غير المنحازة اكثر من ١ر٢٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة يعيشون فى قارات افريقيا وآسيا واوربا وآمريكا اللاتينية .

وقد شاركت الكويت فى هذا المؤتمر الدولي الكبير بوفد برئاسة حضرة صاحب السمو امير البلاد الشيخ صباح السالم الصباح الذى انتخب نائبا لرئيس المؤتمر هو و ١١ رئيس دولة آخرين وقد ساهم وفد الكويت مساهمة ايجابية في صياغة البيانين السياسي والاقتصادى للمؤتمر . وقد وافق المؤتمر على مشروع كويتي بانشاء صندوق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول غير المنحازة، تقدمت به الكويت وتبنته ٥ دول اخرى .

الكويت وسياسة عدم الانحياز

والكويت منذ استقلالها تنتهج سياسة عدم الانحياز .. وقد دعيت لاول مرة الى حضور مؤتمر القمة الثاني لدول عدم الانحياز الذى



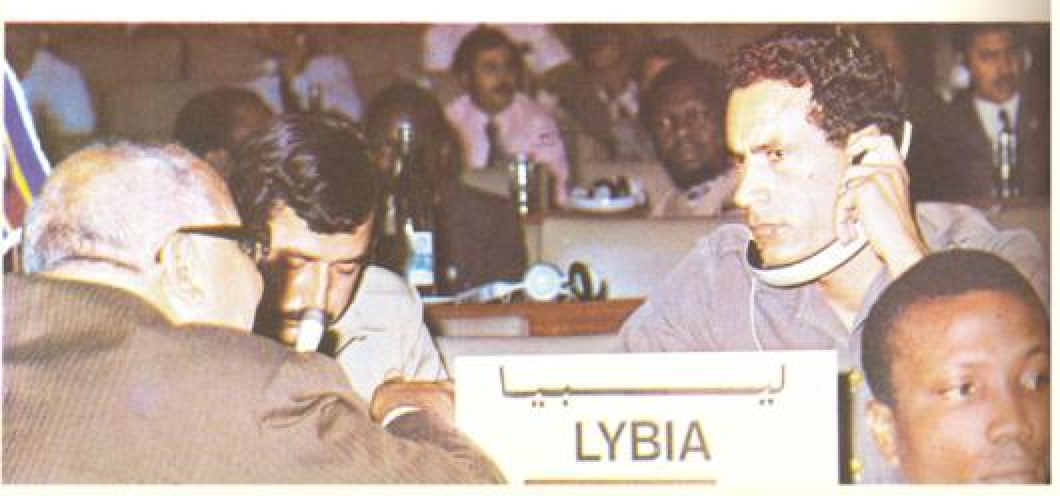
الرئيس هواري بومدين وهو يلقي خطابه في جلسة افتتاح مؤتمر قمة البلدان غير المنحازة بصفته رئيسا للمؤتمر وقد رحب الرئيس الجزائري في خطابه برؤساء الوفود كما ركز على اهمية الدور الدولي الذي يمكن أن تؤديه حركة عدم الانحياز وقد تحقق هذا فيما بعد وخاصة أثناء قيام حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

الى اليسار: ٣ صور سجلتها عدسة «العربي» في جلسة افتتاح المؤتمر في الصورة الاولى الرئيس حافظ الاسد رئيس الوفد السوري والصورة الثانية لسمو أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح والى جواره الشيخ جابر العبد الله الصباح والسيد عبد العزيز حسين والصورة الثالثة للوفد الليبي برياسة الرئيس معمر القذافي .

☆☆☆

الى اسفل : أعضاء وفود ٧٦ دولة و١٤ حركة تحرير و٣ دول ضيوف في قاعة المؤتمر الرئيسية في انتظار افتتاح احدى الجلسات العلنية للمؤتمر والتي كانوا يستمعون فيها لخطب رؤساء الوفود .




ليبيا
LYBIA

عقد في القاهرة في عام ١٩٦٤ . وراس وفد الكويت في هذا المؤتمر امير الكويت الراحل سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح . ومنذ ذلك الحين اشتركت الكويت في كل اجتماعات دول عدم الانحياز. فهي كغيرها من الدول غير المنحازة خرجت من قرون طويلة من الاستعمار ، وحققت استقلالها وتريد ان تنعم بالرخاء والحرية اللذين حرمت منهما زمنا طويلا .

وقد آمنت الكويت بحركة عدم الانحياز ومبادئها في التعايش السلمي والتي تنص على ان : «المبادىء التي تتضمن حق الشعوب في تقرير مصيرها وحقها في الاستقلال وفي حرية تقرير اشكال واساليب تطورها الاقتصادى والاجتماعي والثقافي يجب ان تكون الاساس الوحيد لكافة العلاقات الدولية . وان التعاون الدولي الفعال في ميادين التبادل الاقتصادى والثقافي بين الشعوب هو وسيلة ضرورية لقيام التعايش السلمي بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة . ان سياسة التعايش تعنى بذل جهد فعال للقضاء على كل الاوضاع التاريخية غير العادلة كاضطهاد الشعوب . والتعايش السلمي يعنى اولا ان تتحرر ارادة كل الشعوب لكى يختار كل شعب طريقه وعقيدة حياته . ويعنى ايضا ان يعترف كل شعب ، بحق مماثل لكل الشعوب الاخرى . ويعنى ان يقوم التعاون بين الشعوب والدول على اساس احترام كل شعب لاستقلال وسيادة الاخرين ، وعلى اساس فهم كل شعب لوجهة نظر كل شعب آخر ،ومواجهة المشاكل والعقبات على اساس الفهم المتبادل والرغبة المشتركة في الوصول الى حل » .

ما هى الدولة غير المنحازة ؟!

الدول غير المنحازة التي بلغ عددها اليوم ٧٦ دولة ، يجب ان تتوافر فيها شروط خمسة حسب التعريف الذى وضعته اللجنة الفرعية الخاصة بتحديد معنى عدم الانحياز ، التي انعقدت في شهر يونيو عام ١٩٦١ ، وهذه الشروط هي :

* ان تكون الدولة قد نهجت سياسة استقلالية مبنية على التعايش السلمي وعدم الانحياز .
* ان تكون قد ايدت الحركات التحررية والاستقلالية .
* الا تكون عضوا في معاهدات عسكرية جماعية.
* الا تكون الدولة عضوا في اتفاقيات عسكرية ثنائية مع دولة كبرى .
* الا تكون الدولة قد منحت قواعد عسكرية لدولة اجنبية .

وقد قررت دول عدم الانحياز في مؤتمرها الذى انعقد في كولومبو في شهر مارس عام ١٩٦٤ دعوة جميع الدول المستقلة غير المرتبطة باى من الجانبين الشرقي والغربي لحضور مؤتمر القمة في القاهرة في شهر اكتوبر من ذلك العام . وكان من بين هذه الدول التي وجهت اليها الدعوة للانضمام الى حركة عدم الانحياز ٣ دول عربية هي الكويت والاردن وليبيا. ومنذ ذلك التاريخ انضمت الكويت رسميا الى دول عدم الانحياز ، وشاركت في اعمال كل الاجتماعات ، وفي تنفيذ قرارات الدول غير المنحازة ، ومساعدة حركات التحرر في العالم . وكذلك في محاولات هذه الدول لتخفيف حدة الحرب الباردة بين الدولتين العملاقتين ، والمحافظة على السلاح العالمي .

١٤ حركة تحرير و ٣ دول أوربية ضيوف فى المؤتمر

● حضر مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز ٣ دول اوربية بصفتها ضيوفا على المؤتمر .. هذه الدول هى فنلندا والسويد والنمسا . كما حضره أيضا بصفة مراقب ١٤ حركة للتحرير معترفا بها من قبل منظمة الوحدة الافريقية. وأهم هذه الحركات : منظمة تحرير فلسطين ـ الكونغرس الوطنى الافريقى لجنوب افريقيا منظمة الشعوب الافريقية لزمبابوى ـ الحركة الشعبية لتحرير انجولا ـ الحزب الافريقى لاستقلال غينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر ـ جبهة تحرير موزمبيق ـ الحزب الاشتراكى لبورتريكو .



ضم مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز رؤساء دول وحكومات ٧٦ دولة من جميع انحاء العالم من بينهم رؤساء ٣٦ دولة افريقية والصورة تمثل الوفد الغيني وهو يتابع احدى جلسات المؤتمر .

رأى الكويت
فى دور دول عدم الانحياز

منذ ان اصبحت الكويت عضوا فى دول عدم الانحياز منذ حوالي ١٠ سنوات .. وهي لاتالو جهدا فى المساهمة في انجاح دور هذه الدول فى المجالات الدولية ، ايمانا منها باهمية سياسة عدم الانحياز في عالمنا المتغير . وعندما تلقى حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت الدعوة من الرئيس الجزائرى هوارى بومدين لحضور مؤتمر القمة الرابع للبلدان غير المنحازة ـ كتب امير الكويت الى الرئيس الجزائرى رسالة يقبل فيها الدعوة لحضور مؤتمر القمة ، وفى طيات هذه الرسالة عبر الشيخ صباح السالم الصباح عن رأى الكويت فى دور دول عدم الانحياز قائلا : « مما لا شك فيه ان دول عدم الانحياز لها اليوم ثقلها وفاعليتها ، وعلى وجه الخصوص فى نطاق التجمعات الدولية ، وفى هيئة الامم المتحدة ، بحيث اصبح فى مقدورها تخطيط سياسة اكثر ايجابية تجاه رغبات الشعوب فى السلام والعدالة والاخاء . وتجاه الشعوب المكافحة من اجل حريتها واستقلالها واسترجاع اوطانها » .

نادى الصنوبر
وقصر الامم

وقد قامت بعثة « مجلة العربي » بالسفر الى الجزائر ، لتسجل لقرائها صورة حية عن لقاء قادة ٧٦ دولة من دول العالم ، اختارت سياسة عدم الانحياز ، ايمانا منها باهمية هذه السياسة فى المجال الدولي .

وقد ازدحمت الجزائر بوفود الدول المشتركة فى المؤتمر .. كما ازدحمت باكثر من ١٢٠٠ صحفي، طاروا اليها من جميع انحاء العالم.. وقد استطاعت السلطات الجزائرية ان توفر لضيوفها سبل المواصلات الى مكان انعقاد المؤتمر ، فى نادى الصنوبر، الذى يقع على بعد حوالي ٣ كيلو مترات من مدينة الجزائر ..

ونادى الصنوبر هو فى الاصل منطقة سياحية جميلة على شاطيء البحر المتوسط ، انشىء فيها قصر الامم فى عام ١٩٦٤ ،ليكون مقرا للاجتماعات



الى اعلى : صورة تمثل مبنى قصر الامم الذى أقيم خصيصا للمؤتمرات الدولية في منطقة نادى الصنوبر .

الى اعلى : الشيخ صباح الاحمد وزير خارجية دولة الكويت في حديث مع بعض اعضاء الوفود اثناء اجتماعات وزراء خارجية الدول غير المنحازة والتى استمرت ٣ أيام قبل انعقاد مؤتمر القمة .

الى اليمين : الرئيس الاوغندى عيدي أمين ، يحيى الصحفيين الذين احتشدوا أمام مدخل القاعة الرئيسية للمؤتمر وهو في طريقه لحضور الجلسة الاولى لمؤتمر القمة . **والى اسفل** الرئيس الكوبي فيدل كاسترو في طريقه الى قاعة المؤتمر بينما عدسات التصوير تلاحقه

الدولية .. وقد جُهِّز قصر الامم بقاعة كبرى للاجتماعات ، تتسع لـ ١٢٠٠ شخص ، عدا ٢ قاعات اخرى لاجتماعات اللجان،وفيه أيضا مطعم و ٣ مقاصف .. ومركز صحفي مزود باجهزة التلكس والهاتف والبرق ، وذلك لتيسير اتصال الصحفيين باى مكان في العالم .

والى جوار قصر الامم تتناثر الفيلات الصغيرة الانيقةالتي خصصت لاقامة رؤساء الدول المشتركين في المؤتمر . وفي الساحة الواسعة التي تقع بالقرب من قصر الامم وقفت طائرة هليكوبتر على اهبة الاستعداد للاقلاع فورا الى مستشفى مجهز عند الضرورة او اصابة احد اعضاء الوفود بازمة صحية.وقد دعت الجزائر عددا كبيرا من المترجمين الفوريين ليقوموا بترجمة كل ما يدور في المؤتمر الى ٤ لغات هي اللغات العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية .

ولتيسير اقامة اعضاء الوفود والصحفيين ، خصصت الجزائر عددا من الفيلات والفنادق التي تقع على المنطقة الساحلية بجوار نادى الصنوبر في مناطق مثل موريتي وسيدى فريج . وقد اتخذت السلطات الجزائرية اجراءات امن مشددة لحراسة رؤساء الدول . وقامت بتسيير اوتوبيسات مكيفة الهواء بين نادي الصنوبر والاماكن المخصصة لاقامة الوفود والصحفيين .كما خصصت ايضا المدينة الجامعية لاقامة من يرغب من الصحفيين باجور مخفضة .. وخصصت استاد ٥ يوليو الرياضي مركزا للصحافة الدولية تستخرج منه تصاريح دخول المؤتمر للصحفيين ، وبذلك تكون الجزائر قامت بهذا المجهود الجبار لاحتواء كل هذه الوفود وللسهر على راحتهم وتنظيم اعمالهم وانجاح المؤتمر .

وفد الكويت
في اجتماع وزراء الخارجية

في يوم ٢ سبتمبر ابتدات اجتماعات وزراء خارجية الدول المشتركة في مؤتمر القمة الرابع للبلدان غير المنحازة وذلك قبل ٣ ايام من انعقاد

الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت ووزير الاعلام بالوكالة وهو يتحدث مع وزير خارجية اليمن الجنوبية واشترك في الحديث سفير الجزائر في الكويت.وقد التقطت هذه الصورة في مطار الجزائر وذلك أثناء انتظار وصول امير الكويت الى العاصمة الجزائرية لحضور مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز .



مؤتمر القمة ، لكى تحضّر له ، وقد قام الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح ، وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة ، برئاسة الوفد الكويتي في هذه الاجتماعات التي استمرت حتى يوم ٥ سبتمبر وهو يوم انعقاد مؤتمر القمة .. وقد قام وزراء الخارجية بتشكيل لجنتين : احداهما سياسية ، والاخرى اقتصادية ، وذلك لاعداد الوثائق السياسية والاقتصادية واحالتها فيما بعد على وزراء الخارجية مجتمعين ، ليقدموها بدورهم الى مؤتمر القمة .

امير الكويت يتحدث في مؤتمر القمة

وقد القى حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح خطابا في مؤتمر القمة شرح فيه اهتمام الكويت بسياسة عدم الانحياز ، وتأثير هذه السياسة في المجال الدولي .. وقال سموه الامير في خطابه عن سياسة عدم الانحياز :

ان الاهتمام المتزايد بالاتجاه الذى يمثله تجمعنا هذا لأمر يدعو الى الارتياح ، وجدير بالترحيب والتشجيع ، كما انه دليل اكيد على الايمان بمدى ما تستطيع ان تحققه سياسة عدم الانحياز في عصرنا هذا من انجازات لمصلحة شعوبنا ومن اجل البشرية جمعاء .. »

ثم قال : « لقد شهد العالم تطورات ايجابية هامة في الموقف الدولى ، لا نستطيع التقليل من شأنها ، ولعل من اهم هذه التطورات الانفراج في العلاقات بين الدول الكبرى الذى سيكون من شأنه ، ولا شك ، تخفيف حدة التوتر في العالم والتقليل من احتمالات الصدام الدولى . غير ان هذه التطورات المشجعة لن تساهم — في رأينا — اسهاما فعالا في تقرير السلام والامن العالميين ما لم تؤد الى القضاء على المخاطر التى تهدد امن واستقرار الدول الصغرى ، والى تقرير مبدا احترام ارادة جميع الشعوب والدول وحقها في المشاركة في معالجة القضايا الدولية الاساسية .. »

دول عدم الانحياز وقضية الشرق الأوسط

وتعرض سمو امير الكويت الى قضية الشرق الأوسط وموقف دول عدم الانحياز منها فقال : « ولعل من ابرز مظاهر العدوان التى يواجهها عالمنا اليوم — استمرار — الكيان الصهيونى في



فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا وهو يلقى خطابه في مؤتمر عدم الانحياز .. لقد أعلن بعد ذلك أن كوبا قررت قطع علاقاتها مع اسرائيل .

ممارسة سياسة الارهاب ضد الشعب الفلسطيني، ومواصلة اعتداءاته ضد الدول العربية الاخرى ، واحتلال اراضيها وفقا لسياسته العدوانية التوسعية .

« ان موقف الدول غير المنحازة في اثناء مناقشة مجلس الامن لقضية الشرق الأوسط مؤخرا . وكذلك الاجراءات الايجابية التى اتخذتها بعض دول المجموعة ضد الكيان الصهيونى في فلسطين ، انما تعكس الادراك المتزايد في العالم للطبيعة العنصرية والتوسعية لذلك الكيان .

« لقد بات واضحا للأسرة الدولية ان تحقيق سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الاوسط لا يمكن ان يتم دون استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه المشروعة في ارضه ووطنه ، واحترام حقه في تقرير مصيره . كما ان تجاهل الارادة الدولية ومحاولات

من آسيا .. وأمريكا اللاتينية .. وافريقيا .. جاءت وفود ٧٦ دولة تمثل أكثر من نصف المجتمع الدولي . وقد اتفقت هذه الوفود على ان الموقف في الشرق الاوسط لا يزال متدهورا ، فتماد اسرائيل في استمرار سياستها العدوانية والتوسعية ، وضم الاراضي ، وممارسة القمع ضد سكان المناطق التي تحتلها بالقوة ، يشكل تحديا للمجتمع الدولي وللامم المتحدة ولحقوق الانسان ، كما يشكل تهديدا للسلام والامن العالميين . وطالبت دول عدم الانحياز بانسحاب اسرائيل الفوري وغير المشروط من جميع الاراضي المحتلة . واعتبرت استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية شرطا اساسيا لاعادة

السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط . وطالبت الدول الـ ٧٦ جميع بلاد العالم وخاصة الولايات المتحدة الامريكية أن تمتنع عن تزويد اسرائيل بالاسلحة والدعم السياسي والاقتصادى والمالى الذى يمكنها من مواصلة سياستها العدوانية والتوسعية .

والصور الاربع تمثل **الى اعلى اليمين** وفد دولة الارجنتين برئاسة وزير الخارجية البرتو فيجنس **والى اليسار** وفد دولة بورما **والى اسفل اليمين** وفد الهند برياسة السيدة انديرا غاندى **والى اسفل اليسار** وفد تنزانيا برياسة الرئيس جوليوس نيريرى .

تكريس الأمر الواقع عن طريق العدوان والاحتلال، سوف يؤديان الى تفاقم الوضع في الشرق الأوسط، بشكل يهدد السلام والأمن العالميين . »

الخليج العربى : استقراره هو مسئولية دول الخليج وحدها

وتحدث أمير الكويت عن منطقة الخليج وامنها واستقرارها فقال : « ان امن واستقرار منطقة الخليج العربى ، هما مسئولية دولها وحدها ، دون أى تدخل خارجى ، وبعيدا عن جميع اشكال الصراع الدولى، اننا نشارك فى الدعوة الى مضاعفة الجهود لتنفيذ الاعلان الخاص لمنطقة المحيط الهندى كمنطقة سلام . والى الاسهام فى تطوير مفهوم مناطق السلام .. » ثم استطرد الشيخ صباح السالم الصباح قائلا : « اننا نعلق اهمية خاصة على ضرورة تقوية دور الأمم المتحدة فى حفظ السلام والأمن العالميين وفى تنمية التعاون بين جميع شعوب العالم ، كما نرى ان اى دعم لتطوير المنظمة العالمية لن يتحقق ما لم تعمل جميع الدول الاعضاء بروح الأسرة الدولية الواحدة من أجل تحقيق امن ورخاء شعوب العالم كافة ، بعيدا عن نزعات المصالح الفردية .. »

سياسة اقتصادية لدول عدم الانحياز

وعن الناحية الاقتصادية قال امير الكويت :

« لقد حان الوقت لدول عدم الانحياز ان تركز جهودها لتنفيذ سياسة اقتصادية نابعة من ارادة صادقة ، وروح من التعاون المبنى على مبدا الاعتماد على النفس ، من اجل حماية وتحقيق الاهداف والمصالح المشتركة للدول النامية ، ولا يخفى على احد مقدار ما لدى هذه الدول مجتمعة من الموارد

٧٦ دولة أعضاء حركة عدم الانحياز

● تضم حركة عدم الانحياز الآن ٧٦ دولة .. وقد تضاعف عدد الأعضاء ٣ مرات منذ تأسيس حركة عدم الانحياز عام ١٩٦١ فى بلغراد . وقد بلغ عدد الدول التى حضرت مؤتمر القمة الأول لدول عدم الانحياز فى يوغسلافيا ٢٥ دولة . وفى مؤتمر القمة الثانى الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٦٤ أصبح عدد دول عدم الانحياز ٤٧ دولة .. وفى مؤتمر القمة الثالث فى لوساكا عام ١٩٧٠ بلغ عدد البلدان غير المنحازة « ٥٢ » دولة .

وتضم دول عدم الانحياز ٣٦ دولة افريقية هى :

ليتسوانا لاند ـ بوراندى ـ كامرون ـ جمهورية افريقيا الوسطى ـ تشاد ـ الكونغو ـ داهومى ـ غينيا الاستوائية ـ اثيوبيا ـ جابون ـ جامبيا ـ غانا ـ غينيا ـ ساحل العاج ـ كينيا ـ ليزوتو ـ ليبيريا ـ ملاوى ـ مدغشقر ـ مالى ـ موريتانيا ـ جزيرة موريشيوس ـ النيجر ـ نيجيريا ـ رواندا ـ السنغال ـ سيراليون ـ الصومال ـ السودان ـ سوازيلاند ـ اوغندا ـ تنزانيا ـ فولتا العليا ـ زائير ـ زامبيا .

وتضم ١٧ دولة فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا :

الجزائر ـ ليبيا ـ مصر ـ المغرب ـ تونس ـ الكويت ـ العراق ـ لبنان ـ الاردن ـ اليمن الجنوبية ـ اليمن الشمالية ـ سوريا ـ المملكة العربية السعودية ـ البحرين ـ قطر ـ دولة الامارات العربية ـ عمان .

وفى آسيا ١٢ بلدا هى :

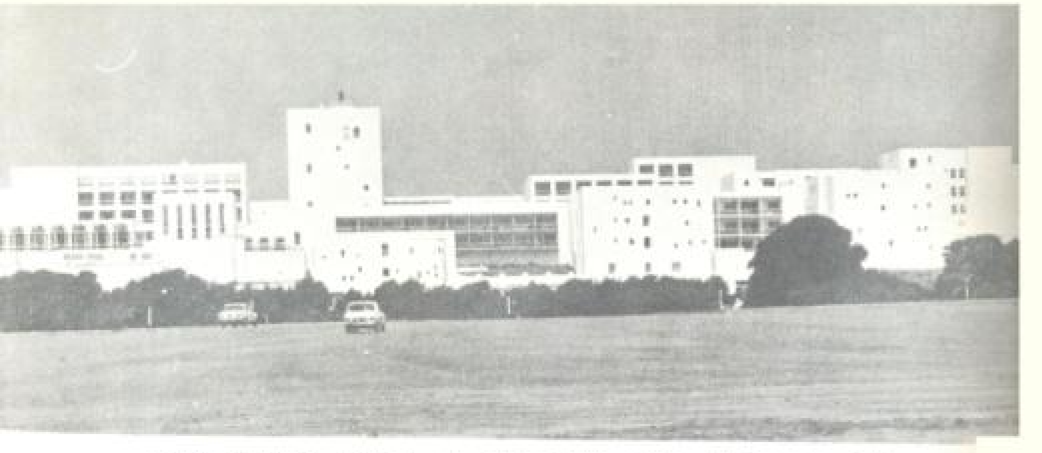
الهند ـ بوتان ـ سرى لانكا (سيلان) ـ اندونيسيا ـ ماليزيا ـ كامبوديا (حكومة الامير سيهانوك) ـ فتنام الجنوبية (الحكومة الثورية المؤقتة) ـ افغانستان ـ بورما ـ نيبال ـ لاوس ـ سنغافورة ـ بنجلاديش .

ومن اوربا ٣ بلدان هى :

يوغوسلافيا ـ قبرص ـ ومالطا .

ومن امريكا اللاتينية ٧ دول هى :

كوبا ـ غيانا ـ جمايكا ـ الارجنتين ـ شيلى ـ بيرو ـ ترينيداد .



خصصت الحكومة الجزائرية اغلب الفنادق الواقعة في القرى السياحية المجاورة لمنطقة نادى الصنوبر وقصر الامم لاقامة اعضاء الوفود المشتركة في المؤتمر . والصورة تمثل ٣ من الفنادق التي خصصت للوفود في منطقة سيدي فريج والتي تبعد ٥ كيلومترات عن مقر المؤتمر .

الطبيعية والمواد الخام التى لم يتم استغلالها ، والخبرات والأيادى العاملة،والطاقات المهدرة ، ورؤوس الاموال غير المستثمرة ، والاسواق الواسعة المفتوحة .

ان دول مجموعتنا تقع عليها مسئولية تحقيق التكامل الاقتصادى في اطار من التعاون الاقليمي، وتهيئة الظروف الملائمة للدخول في مشاريع مشتركة ، وان تعمل مجتمعة على دراسة امكانية استحداث الوسائل والسبل المباشرة والكفيلة بحماية رؤوس اموال واحتياطيات ونقد الدول النامية ، من ازمات النقد الدولية وعمليات التخفيض والتضخم المعتمدة . وأن تضع حدا للعلاقات الاقتصادية غير المتكافئة ما بين الدول النامية والدول المتقدمة . »

واستطرد سمو امير الكويت حديثه عن التنمية فقال :

« وان الدعوة من قبل بعض الدول المتقدمة لخلق تكتلات ومجابهات ـ يقصد تحدى آمال واهداف الدول النامية المشروعة ـ لن تخدم علاقات التعاون ، بل ستكون سببا في ارباك وتعقيد العلاقات بما يضر بالاقتصاد الدولى » .

الكويت والتنمية الاقتصادية

واختتم امير الكويت خطابه فذكر الدور الذى تلعبه الكويت في مجالات التنمية الاقتصادية للدول الصديقة فقال :

« لم تأل الكويت جهدا في تحمل مسئولياتها تجاه الدول الشقيقة والصديقة في المشاركة في برامج التنمية الاقتصادية ، وتحسسا منها بحاجة الدول النامية الى مؤسسات ومصادر للتمويل فقد اسست الكويت عددا من مؤسسات ومصادر الاستثمار الوطنية والدولية . واقامت صندوق الكويت للتنمية الاقتصادية العربية . كما عملت بالتعاون مع الدول العربية الاخرى على انشاء الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى. ونظرا للنجاح الذى حققته المؤسسات التمويلية سالفة الذكر في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وانطلاقا من الشعور بحاجة دول مجموعتنا لمثل تلك المؤسسات، فاننا تقدمنا الى مؤتمركم باقتراح لتاسيس صندوق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لدول عدم الانحياز، تساهم فيه الدول الراغبة منها وذلك ضمن نطاق التعاون المتبادل وتحقيقا لمبدا الاعتماد على النفس . »

وقد أوضح خطاب امير الكويت آراء الكويت بالنسبة للسياسة الدولية وسياسة عدم الانحياز وخطط التنمية والتعاون الاقتصادى بين بلدان هذه المجموعة .. كما اوضح ايضا دور الكويت في المساعدات الاقتصادية والانمائية للدول العربية والصديقة .

الى اعلى : حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت وهو يودع الرئيس السوداني جعفر النميري بعد أن قام بزيارة سموه في الفيلا المخصصة لاقامته في منطقة نادي الصنوبر . وقد كان للاجتماعات الثنائية بين رؤساء الدول أثر كبير على تفهم دول العالم الثالث لقضية الشرق الاوسط بمختلف أبعادها .



ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية اثناء اجتماعه مع الرئيس كنيث كاوندا رئيس زامبيا . وقد قام السيد عرفات بشرح أبعاد القضية الفلسطينية في خطاب القاه في المؤتمر واثناء اللقاءات الثنائية التي قام بها مع بعض رؤساء وفود دول عدم الانحياز .

الى اعلى : جلالة الملك فيصل أثناء اجتماعة مع الرئيس النجيري يعقوبي جوون وقد كان تركيز رؤساء الوفود العربية أثناء اجتماعاتهم برؤساء وفود الدول المشتركة في المؤتمر على شرح الموقف العربي بالنسبة للعدوان الإسرائيلي . وقد أثمرت هذه الاتصالات واستطاعت دول العالم الثالث أن تتفهم عدالة القضية العربية .

☆☆☆



الى اليمين : لقاء ثنائي بين الرئيسين أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية وهواري بومدين رئيس جمهورية الجزائر . وقد دار الحديث في هذا اللقاء حول توحيد الموقف العربي في المؤتمر .



نظرا لاهمية مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز تدفق عدد كبير من الصحفيين من جميع انحاء ال
وقد خصصت داخل قصر الامم لآلات « التيكرز » الخاصة بوكالات الانباء والتى كانت تحمل أنباء الم
بآلات التصوير السينمائية والتلفزيونية ومصورى الصحف والمجلات وكانت هذه الافلام تبث في ا

مؤتمر القمة .. يمتد يوما خامسا

كان من المفروض أن يبدأ انعقاد مؤتمر القمة يوم ٥ سبتمبر وأن يختتم اعماله يوم ٨ سبتمبر ، ولكن هذا الوقت لم يكن كافيا لانهاء أعمال المؤتمر، او اتاحة الفرصة لالقاء كلمات رؤساء الدول والحكومات المشتركين فى المؤتمر ، ولذلك اعلن الرئيس هوارى بومدين فى الجلسة الصباحية للمؤتمر يوم ٨ سبتمبر مد المؤتمر يوما خامسا وتقرر عقد جلسته الختامية بعد ظهر يوم الاحد ٩ سبتمبر . وقد انهى المؤتمر اعماله مساء يوم الاحد ٩ سبتمبر بعد اجتماعين مغلقين طويلين للرؤساء . وقد شهدت المناقشات الختامية للمؤتمر وقائع مثيرة ، منها اعلان فيدل كاسترو ـ رئيس وزراء كوبا ـ قطع علاقات بلاده مع اسرائيل ، وكذلك دعوة الرئيس الاوغندى عيدى أمين كل الدول لمنع التعامل مع اسرائيل على كل المستويات.

بيـــان سياسى

وفى الجلسة الختامية تم اعلان البيان السياسي والبيان الاقتصادى للمؤتمر . وقد جاء فى البيان السياسي أن العدد الكبير من الدول الذى اشترك فى تجمع الجزائر دليل" على حيوية حركة عدم الانحياز وديناميكيتها . ومن أهم النقاط التى جاءت فى البيان السياسي :

* اكد المؤتمر ضرورة قيام بلاد عدم الانحياز بمفهومها ، بعمل أكثر حزما من أجل الوصول الى حل عاجل للصراعات التى تدور على مسرح العالم الثالث ، وحيث تحول سياسة القوى الامبريالية



لتغطية انباء هذا المؤتمر . وقد وصل عدد هؤلاء الصحفيين والمصورين الى اكثر من ١٢٠٠ صحفي .
الى كافة انحاء العالم فور حدوثها (**الصورة الاولى الى اليمين**) كما اكتظت قاعة الاجتماعات الرئيسية
التلفزيون عن طريق الاقمار الصناعية (**الصورة الثانية الى اليسار**) .

والاستعمارية دون تحقيق الأماني المشروعة للشعوب.

* ان الموقف في الشرق الأوسط لا يزال متدهورا. فعناد اسرائيل في استمرار سياستها العدوانية والتوسعية ، وضم الاراضي ، وممارسة القمع ضد سكان المناطق التي تحتلها بالقوة ـ يشكل تحديا للمجتمع الدولي ، وللامم المتحدة ، ولحقوق الانسان، كما يشكل تهديداً للسلام والأمن العالميين.

* اذ يذكّر المؤتمر بعدم شرعية ضم الاراضي بالقوة ، يطالبُ بانسحاب اسرائيل الفوري وغير المشروط من جميع الاراضي المحتلة . ويتعهد بمساعدة مصر وسوريا والاردن على تحرير أراضيها بكل الوسائل . وفي هذا الصدد يعتبر استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية شرطاً اساسيا لاعادة السلام العادل والدائم في هذا الاقليم .

* تطالب البلاد الاعضاء للمؤتمر جميع بلاد العالم وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ان تمتنع من تزويد اسرائيل بالاسلحة والدعم السياسي والاقتصادي والمالي الذي يمكنها من مواصلة سياستها العدوانية والتوسعية . »

* ان استمرار اسرائيل في تحديها للمجتمع الدولي والأمم المتحدة سيدفع بلاد عدم الانحياز فيما بينها وفي الأمم المتحدة الى التعاون مع جميع الدول الاعضاء في هذه المنظمة من أجل أن تتخذ فرادى اوجماعات الاجراءات السياسية والاقتصادية ضدها طبقا للفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة.

* ان تكوين مناطق سلام وتعاون في مختلف جهات العالم على أساس مبادىء ميثاق الأمم المتحدة امرٌ من شانه ان يخفف التوتر ، ويفتحَ التعاونَ السلمي بين البلدان المعنية .



الى اليمين : اشتركت في المؤتمر ٣٦ دولة افريقية وقد ضمت الوفود الافريقية المشتركة في المؤتمر بعض السيدات اللواتي مثلن بلادهن كعضوات في الوفد الرسمي لهذه البلاد . وفي الصورة واحدة من السيدات الافريقيات في طريقها الى قاعة المؤتمر .



الى اسفل : الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في طريقه الى القاء خطابه في قاعة المؤتمر .. ويرى في الصورة وهو يحيي الصحفيين .



الى اعلى : توقع المسئولون الجزائريون أن لا يزيد عدد الصحفيين الذين سيغطون أنباء المؤتمر على ٨٠٠ صحفي .. ولكن هذا العدد وصل الى ١٢٠٠ صحفي ومصور ولذلك وضع نظام يقضي بأن يتم ادخال المصورين السينمائيين والصحفيين الى قاعة المؤتمر على دفعات .. وبالرغم من النظام الدقيق فان قاعة الاجتماعات كانت تكتظ بالمصورين كما يرى في الصورة .

الى اسفل : في الساحة الواسعة الواقعة امام قصر الامم رفعت أعلام الدول المشتركة في المؤتمر كما وضعت صور رؤساء الدول تحت الاعلام ..

* يشجع المؤتمر الجهود التي تبذلها الشعوب العربية في الخليج لدوام الامن والاستقرار في المنطقة، ولتقرير استقلالها ، والصمود للتدخلات الاجنبية في شئونها ، والمناورات الامبريالية في المنطقة .

* تكريس اهتمام الدول غير المنحازة في الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة بعدد من المسائل ، وعلى راسها ازمة الشرق الاوسط ، ومشاكل التنمية والنضال ضد الاستعمار وحماية سيادة الدول على مواردها الطبيعية .

.. والبيان الاقتصادي

اما البيان الاقتصادي للمؤتمر فقد تضمن تصميم الدول المعنية على الاشراف من قرب على نشاط الشركات متعددة الجنسيات والتصرف بكامل سيادتها على مواردها الطبيعية .

واعترف البيان ان اي تاميم تقوم به اي دولة لاستعادة مواردها الطبيعية هو حق من حقوق السيادة . واوصى البيان الاقتصادي بالعمل على تشكيل منظمات للدفاع عن مصالح الدول المنتجة للمواد الاولية على غرار منظمة الاوبك واللجنة الدولية للدول المصدرة للنحاس .

حول المؤتمر

* استغرقت المناقشات في المؤتمر اكثر من ١٣٢ ساعة وذلك بهدف ان تكون قرارات المؤتمر قابلة للتنفيذ ، لا مجرد قرارات لا تمثل الا حبرا على ورق .. !!

* احتلت الشئون الاقتصادية وتدهور الموقف الاقتصادي للدول النامية مكانا بارزا في مناقشات المؤتمر وخاصة ان الدراسات الاقتصادية التي قدمت للمؤتمر قد دلت على عدة حقائق من اهمها:

١ ـ الدخل القومي العام في الدول النامية زاد بنسبة ٣٪ بينما كان مقررا ان يزيد بنسبة ٣ر٥٪ . وخلال السنوات العشر القادمة فان متوسط دخل الفرد في الدول النامية سيرتفع بمقدار ٨٥ دولارا مقابل ١٢٠٠ دولار بالنسبة للدول المتقدمة .

٢ ـ ارتفعت ديون الدول النامية خلال السنوات الثلاث الاخيرة من ٥٠ مليار دولار الى ٦٦ مليار دولار ، وانخفضت الى النصف المساعدات المالية من الدول المتقدمة الى الدول النامية .

٣ ـ امريكا وكندا تمثلان ٤٠٪ من مجموع الصادرات للدول النامية . وهذا يدل على ان هناك احتكارا امريكيا ضخما بالنسبة لسوق الدول النامية .

* تردد في كواليس المؤتمر ، وقبل حدوث الانقلاب العسكري في شيلي ، ان الرئيس الليندي سيكون هو الضحية الاولى لسياسة الوفاق بين امريكا وروسيا .. وبالفعل حدث الانقلاب وانتحر الليندي .

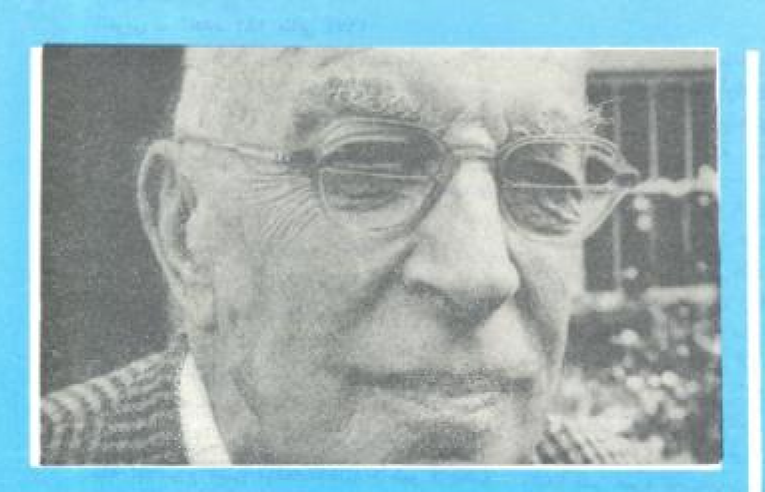
* بذل وفد الكويت جهودا كبيرة ، وكان له نشاط ضخم ، وقد قام كل اعضاء الوفد بمقابلات ثنائية كثيرة في كواليس المؤتمر ، وهذا كان له اثر كبير في تقريب وجهات النظر في بعض النقاط التي كان هناك خلاف عليها .

★ ★ ★

وبعد لقد حقق مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الغرض من اجتماعه ، وخاصة بعد التغيرات الدولية الاخيرة ، والوفاق بين الدولتين العملاقتين . امريكا والاتحاد السوفيتي . وقد اثبت هذا المؤتمر ان سياسة عدم الانحياز لم تفقد اهميتها بعد الوفاق العالمي بين الدولتين الكبيرتين. بل اصبح لهذه السياسة مضمون جديد ، لا يقل اهمية عن مضمونها في السابق ، فهي قد انتقلت الى مرحلة اكثر ايجابية .. هي مرحلة الوقوف بين الدولتين العملاقتين ، حتى لا يكون الوفاق بينهما على حساب الدول الصغيرة وهيئة الامم المتحدة .

■■

محمد طنطاوي



ارنولد توينبي ونظرية التحدى والاستجابة

رأيه أن أحلام الصهيونية باطل يقوم على الإرهاب والإيهام

نصائحه للعرب لكي ينجوا من ذلك التحدي .

ارنولد توينبي
المؤرخ وتفكيره العلمي
الانساني المستقيم

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ في ايامنا هذه يجرى لفظ « التحدى » على كل لسان .

وفي كل يوم تقريبا نقرأ عن « التحديات » التي تواجه العرب ، وحتى الصمود للتحديات .

والقليلون يعرفون أن هذا اللفظ بمعناه أو مفهومه الذى يستعمل فيه اليوم جديد في الاستعمال العربي ، فمهما قرأت في كتابات العرب القديمة ، فانك لا تجد فكرة التحدى لا باللفظ ولا في المعنى ، اما في الغرب فقد وجدت فكرة التحدى منذ ايام النهضة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، وقد استعملها ماكيافلي في بعض كتاباته ، ولكن الذي اعطى هذا اللفظ معناه التاريخي ، وصوّر الحياة على انها تحد للناس وللجماعات هو المؤرخ الانجليزى المعاصر ارنولد توينبي Toynbee (ولد سنة ١٨٨٩ ولا يزال حيا) ونقول المؤرخ فقط ولا نصفه بالفيلسوف ، لأنه هو نفسه يسلك نفسه في عداد المؤرخين دون

الفلاسفة ، ويجب أن يقتصر الناس في الكلام عليه بصفة المؤرخ فحسب .

ولكن الغالبية العظمى ممن يتحدثون عن توينبي ونظرياته في تفسير التاريخ ومنها نظرية التحدي والاستجابة Challenge and Response لا يعرفون هذه النظريات على حقيقتها ، ولهذا يقتضي الأمر منا أن نخصص حديثا لهذا المؤرخ الفريد في بابه، ونتحدث عن تفكيره التاريخي ، ونوضح السبب في ادراكه لحقيقة الخطر الصهيوني على الحضارة الانسانية جملة ، وهذا في ذاته هو اساس موقفه الصريح المنصف للعرب .

ولا بد ان ننبه هنا الى ان موقف توينبي من هذا الموضوع ليس موقفا عاطفيا ، فهو لا يحب العرب لأنهم عرب ، ولا يكره اليهود لأنهم يهود ، بل ان تفكيره العلمي كرجل واسع المعرفة في ميدان التاريخ والحضارات ـ يقول له: انه من المستحيل من الناحية العلمية ان تقوم دولة في مكان ما لمجرد أن هيئة غنية ذات سلطان في السياسة العالمية في وقت ما تريد ان تصنع بقوة المال والسلطان السياسي فحسب كيانا سياسيا له شرعية واصالة وجذور . فالذى تصنعه الصهيونية اليوم هو ما يصنعه رجل موسر ذو سلطان اذ يشترى قطعة ارض في بلد ما ، ويطرد اهلها منها ويقرر انشاء دولة لنفسه فيها زاعما أن شراءه الارض يخرجها من سيادة الدولة، لان الدول لا تصنع هكذا بالقوة والمال ، والشرعية لن تكتسب لا من فوهة المدفع او من اعتراف مجلس الأمن ، لان مجلس الامن نفسه هيئة مصطنعة تسير بحسب ما يريد لها الذين صنعوها،وكما اعترف مجلس الأمن باسرائيل دون ان يكون اعترافه بها وثيقة بشرعيتها ، فكذلك ظل ينكر شرعية الصين الشعبية عشرين سنة لان الولايات المتحدة أرادت ذلك .

وقد استطردت مع الكلام في هذا الموضوع لاعطى القارىء مثالا من تفكير توينبي العلمي المستقيم الواعي .

وسترى بعد قليل أن تفكير توينبي هذا في مثل هذه القضية التاريخية أصح واقرب الى الواقع من تفكير كبار فلاسفة التاريخ من امثال هيجل وكارل ماركس .

فكيف انتهى ارنولد توينبي الى هذا الفهم السليم لتاريخ البشر وقضايا التاريخ ؟

منذ البداية ابتعد توينبي عن منهج الفلاسفة في دراسة التاريخ

السبب فيما نعتقد هو أن آرنولد توينبي مؤرخ وليس فيلسوفا . ابتدأ من التاريخ وسار على مناهج المؤرخين . ولهذا فان احكامه في النهاية تنطبق مع الواقع البشرى ، لأن البشر بحسناتهم وسيئاتهم هم مادة المؤرخ ، وبينما نجد أن هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) يقول ان هدفه هو عمل اطار فلسفي للتاريخ ، ويتناول التاريخ على أنه فلسفة، نجد أن توينبي يتمسك بالقول بأن الفهم الصحيح للتاريخ لا يأتي الا عن طريق معاناة دراسته ، ولهذا فقضى عمره كله يدرس تاريخ الامم،او تجارب الامم ، كما نقول ، يحاول ان يستخرج منها قواعد وضوابط او بتعبير اصح يحاول ان يكتشف لمسار التاريخ خطا ، وعندما تصور أنه اكتشف هذا المسار او الخط شرع في صياغة آرائه في كتاب ـ لم يسمه فلسفة وانما سماه دراسة للتاريخ A Study of History .

لقد سار توينبي في دراسته على نفس طريقة هيجل : وهي القراءة الواسعة في تواريخ البشر ، وقد درس هيجل تسع حضارات (من بينها حضارة مصر القديمة وحضارة العرب) ، ولكنه منذ البداية نظر الى التجارب البشرية أو الحضارات على انها فلسفات ، فلكل حضارة فلسفتها ، وهو يعطى هذه الفلسفة تسمية مبهمة حيرت الناس عندما ارادوا ترجمة كتبه الى لغات اخرى ، فهو يسميها باسم Geist وهو لفظ معناه الروح (بمعنى اللباب او الصميم) فهو عندما يتكلم عن حضارة العرب مثلا يبحث عن روح هذه الحضارة أو لبابها ويسميه der Arabishe Geis وهو يقول ان للحضارة البشرية في مجموعها روحا أو لبابا أو محصلا يسميه باسم Universal Geist ، وهو يفرق بين مفهومين مختلفين تتكون منهما روح كل حضارة وهما مفهومها الخلقي Moralitat وتنظيمها التقليدى أو الاجتماعي Sittlichkeit ، ومن تفاعل هذين مع حركة الزمن تنشأ حركة التاريخ أى مسيرته ، وغايتها عنده هي الله سبحانه ، وهو يقصد الخالق سبحانه في تصور المسيحية وحدها der Christlishe Goff لان هيجل يفكر بعقل

مسيحى بروتستنتى خالص ، وكان يصر اصرارا شديدا على أنه لوثرى ، وقد وصل الى آرائه عن طريق تفكير منطقى متماسك ، وجدل مع الآراء المخالفة .

ولقد افتتن الناس بكلام هيجل فى فلسفة التاريخ افتتانا شديدا ، ونشأ له تلاميذ عظماء ، وظهر له خصوم تمكنوا من قلب تفكيره رأسا على عقب ، فاذا كان هو قد اتبع طريق الجدل المسيحى او الروحى ، فقد قال كارل ماركس بالجدلية المادية ، وصنع نظريته التى يقوم عليها اليوم التفكير الشيوعى كله ، وتفسيره للتاريخ .

وهذه الأساليب فى دراسة التاريخ توسع افق المؤرخ والمفكر ، ولكنها تبعد الانسان عن موضوع التاريخ نفسه ، بل أدت مذاهب نفر من علماء فلاسفة التاريخ المعاصرين من امثال بينديتوكروتشى (١٨٦٦ - ٥٢ Benedetto Croce ور. ج. كولينجوود R.G. Collingwood (١٨٨٩ - ١٩٤٣) الى انكار حقيقة التاريخ نفسه، والقول مثلا بانه لا يوجد الا فى ذهن المؤرخ ، وان الانسان ليتساءل ، وهو يقرأ مؤلفات هؤلاء : اذن ما فائدة التاريخ ؟ ولماذا ندرسه أصلا ؟

حياة توينبي عمل شاق متصل فى ميدان التاريخ وحده

لهذا ابتعد توينبى عن هذا الطريق النظرى الصرف ، وتناول التاريخ على انه شيء حقيقى ، او على انه سلسلة حقائق واقعة ، واذا كانت هذه الوقائع قد انقضت ومضى زمانها ، فليس معنى ذلك أنها زالت وليس لها وجود الا فى ذهن المؤرخ المحترف الذى يعيش فى التاريخ ومنه ، لان الحقيقة انه لا شيء قط ينتهى بنهاية زمانه ، وكما ان الشاب لا ينتهى او يموت عندما يتخطى الخامسة والاربعين بل يظل حيا وفاعلا فى صورة كهل ثم فى صورة شيخ ، فكذلك تجارب الأمم لا تموت ، وهى ترث بعضها بعضا . والذى يموت من الحضارات هو العناصر التى لم تكن تصلح الا لزمانها ، فهذه العناصر تيبس وتتحجر وتتحول الى عناصر متحجرة Petrified cultures ، وما دامت كل حضارة ترث العناصر الصالحة للبقاء من التى سبقتها ، وتسير بها الى الأمام ، فاننا نستطيع القول بان التاريخ لا يسير فى خط مستقيم ولا فى دائرة مقفلة وانما هى حركة حلزونيةصاعدة .

ولكى نفهم كيف وصل توينبى الى هذا الفهم البديع للتاريخ نبدأ معه منذ البداية .

ولد ارنولد توينبى فى لندن فى ١٤ من ابريل ١٨٨٩ ودرس فى وينشسترWinchester ثم فى كلية باليول فى جامعة اوكسفورد ، وتخصص فى التاريخ. وفيما بين سنتى ١٩١٢ - ١٩١٥ كان معيدا للتاريخ القديم ، ثم أصبح استاذا للتاريخ البيزنطى واللغة اليونانية الحديثة فى جامعة لندن ، ثم اصبح استاذا باحثا للتاريخ الدولى المعاصر فى الجامعة نفسها ، ثم عين مديرا للدراسات فى المعهد الملكى للشئون الدولية سنة ١٩٢٥ وظل فى ذلك المنصب ثلاثين سنة متوالية،وتولى اصدار الكتاب المسمى : عرض للشئون الدولية . Survey of International Affairs سنة بعد سنة حتى عام ١٩٥٥ حيث اعتزل العمل الرسمى ، وتفرغ لاكمال كتابه المسمى « دراسة فى التاريخ » .

وقد خطرت فكرة كتابة التاريخ العالمى لتوينبى حين كان يشرح بعض نصوص التاريخ القديم لطلابه ايام كان معيدا . كان يقرأ مع طلابه بعض مؤلفات الكاتب الرومانى توكيديد Thucydides وحديثه عن حروب الرومان مع القبائل الجرمانية ، وكانت الحرب العالمية الاولى اذ ذاك فى بدايتها ، وكان الانجليز يقولون اذ ذاك ان العسكرية الالمانية البروسية (اى الجرمان) تريد القضاء علىالحضارة الغربية ، كما كان المتبربرون الجرمان يعملون على القضاء على الدولة الرومانية وحضارتها . فقال فى نفسه : كان التاريخ يعيد نفسه كما يقولون ، ثم مضى يسأل نفسه عن الأسباب الحقيقية لتدهور الدولة الرومانية ، وانتصار الجرمان عليها ، وشيئا فشيئا نشأت فى ذهنه فكرة كتابة تاريخ للبشرية على انه صراع بين حضارات .

من شبنجلر الى توينبي

وقد سبق توينبى الى هذه المحاولة المؤرخ الالمانى اوزفالد شبنجلر Oswald Spengler (١٨٨٠ - ١٩٣٦) فكتب كتابه المشهور عن«انحدار الغرب Der Untergang des Abendlands وهو محاولة عظيمة القيمة لدراسة أسباب قيام الدول والحضارات ، وضعفها ثم سقوطها . ولقد كان شبنجلر فى أول أمره متخصصا فى الرياضيات ، ثم اتجه الى التاريخ وفلسفته ، وقد تصور بعقله

الرياضي انه يستطيع ان يكتشف قوانين لمسيرة التاريخ وقيام الدول وسقوطها ، فدرس تسع حضارات أو عشرا منذ قيامها الى سقوطها ، وآخرها الحضارة الغربية. ويرتكز تفكيره التاريخي على تصور عضوى لبناء الجماعات ، فقد شبهها (كما فعل جيوفاني فيكو ثم ابن خلدون من بعده) بالكائن الحى : يولد وينمو ويصل الى ذروة قوته ثم يهرم ويموت ، وهى نظرية ثبت خطؤها ، لان الجماعات لا تتطور عضويا مثل الكائن الحى ، بل تصل عن طريق النظم السياسية والقوة العسكرية الى اوج قوتها السياسية والحضارية . وهذا الاوج يسميه اوزوالد شبنجلر بمرحلة الحضارة. فالحضارة عنده هى مجمل القوة السياسية والاجتماعية لاى دولة من الدول .فاذا وصلت الامة الى هذا الاوج توقفت القوة المبدعة الخلاقة عند الشعب ، ويعيش على تراث اجداده ، فتجمد حضارته ، وتتوقف عن التطور ، ومن ثم تتجمد وتموت لتحل محلها حضارة شعب آخر وهكذا .

ولقد كان لكتاب اوزوالد شبنجلر صدى بعيد، لانه قال فيه ان الغرب وصل الى مرحلة حضارته، وانه جمد مكانه ولم يعد قادرا على الخلق والابداع. واخذ كيانه الداخلى يتصدع، ومظهر هذا التصدع هو الحروب الطاحنة بين اممه ، ولكن المؤرخين التقليديين وفلاسفة التاريخ انكروا آراء شبنجلر وحملوا عليها حملة قاسية ، وقالوا اننا لا يمكن ان نكتب تاريخ المجتمعات البشرية على اساس من مفاهيم التاريخ الطبيعى ، فلا شبه بين الكائن الحى والمجتمع البشرى ، وهذا المجتمع لا يهرم ولا يشيخ لان الاجيال كلها تولد شابة ، ولكنها تولد عندما تصل الى مرحلة الحضارة فى « مهاد النعيم » كما يقول ابن خلدون وقد ضعفت فيهـا ملكات الابداع والاختراع ، فتتوقف عن التقدم وتجمد .

وبدأ توينبي من بداية شبنجلر ولكنه سار فى طريق آخر

ولم يحكم توينبى على شبنجلر بهذا العنف ، ولكنه راى فى منهجه جمودا شديدا لا يتفق مع ما تتصف به حياة الجماعات البشرية من مرونة ، ولهذا فقد قدر ان يعيد دراسة التاريخ العالمى على المنهج نفسه ، اى عن طريق دراسة التجارب السياسية والحضارية التى مرت بها الامم ، ومحاولة استخراج قواعد تضبط سيرها ، مع التحرر من جمود شبنجلر والتخلص من فكرة تشبيه الجماعة الانسانية بالكائن الحى ، وهى فكرة خادعة وغير صحيحة .

وقد بدأ توينبى محاولته لدراسة التاريخ العالمى بينما كان يدير معهد الدراسات الدولية ، ويشرف على اصدار كتابه السنوى «العرض للشئون الدولية » وكانت المعلومات عن احوال الامم وسير الحوادث فيها تتوالى عليه ، فيزداد معرفة باحوال البشر وفهما لتجاربهم ، فراى ان يدرس التاريخ البشرى بادئا من الحاضر المشاهد الملموس ثم ذاهبا الى الوراء مع الماضى الذى يقل وضوحا كلما اوغل فى القدم ، اى ان توينبى خالف بقية مؤرخى التاريخ العالمى بالابتداء بالحاضر ثم الرجوع الى الماضى فى حين ان هيجل مثلا بدأ منذ البداية كما يقولون ، ولقد استوقف التفاته ــ وهو يتامل ذات مرة حفلا شعبيا فى بلغاريا ــ ان راى الفلاحين يمثلون صراعهم مع اعدائهم فى رقصة شعبية لبس الرجال فيها قلانس صوفية ضخمة، ذكرته بالقلانس التى كان يلبسها جنود الملك اجزسيس الفارسي ، فى حملته المعروفة على بلاد اليونان قبل الميلاد بخمسة قرون ، فاحس فى نفسه بان اى حضارة من الحضارات لا يمكن ان تموت تماما ، بل لا بد ان تخلف وراءها قطعة من تراثها ينتفع بها من يجيء بعدها ، وهذه القطعة قد تكون ضخمة مثل ميراث الاغريق، وقد تكون صغيرة كهذه القلانس الصوفية، ولكن هذه القطع ــ كبيرة كانت او صغيرة ــ هى التى تثبت ان التاريخ مستمر ، وانه لا توجد حضارات منقطعة ، وان كانت هناك فى كل حضارة اجزاء تيبس وتتحجر وتموت .

اختار توينبى ٢١ تجربة حضارية ودرسها دراسة عميقة شاملة

ولم يقسم توينبى تجارب الامم الى دول او امم كما فعل من سبقوه ، بل اخذها مجموعات Societies Communities وفى كل جماعة تدخل مجموعة من الامم تشترك فى تجربة حضارية واحدة. وقد اختار من هذه التجارب احدى وعشرين تجربة ، عكف على دراستها فى تعمق ، متبعا منهج شبنجلر فى تحليل التاريخ او فولوجيته ، ولكنه حرص على الا يفقد نفسه فى عناء تتبع الحوادث وتفاصيلها ، بل مضى يبحث عن اسباب قيام

الجماعة التى يدرسها ، ويستقصي عوامل نجاحها او فشلها .

يتفق توينبى مع الكثيرين من المؤرخين فى القول بان لكل مجموعة بشرية حضارتها الخاصة بها ، وهذه الحضارة تتمثل فى اشتراك الجماعة فى نظرة واحدة للعالم ، وهو ما يسميه علماء الالمان « فلت انشاونج Weltanschang » وهذه النظرة الى الحياة هى التى تحدد موقف الجماعة كلها من الحياة ، وهذه النظرة هى التى تحدد ايضا جهدهم او عملهم الجماعى في شتى الميادين ،وتشمل عقائدهم الدينية وسياستهم وفلسفتهم في الحياة، وصناعتهم وزراعتهم اى اقتصادهم على الجملة ، وتشمل كذلك طرائقهم فى حكم جماعتهم واساليبهم فى حمايتها بالحرب والسياسة ، وجماع هذا كله يعطينا صورة حضارتهم او طابعهم الحضارى Cultural Pattern وهنا يمتاز توينبى عن غيره باطلاع واسع حقا وادراك عميق لحقائق الطوابع المميزة لكل حضارة من تلك التى تخيرها للدراسة .

وتتميز دراسته الى جانب ذلك باحساس انسانى لا تجده عند هيجل او ماركس او شبنجلر، فهيجل ــ كما قلت ــ لا ينظر الا من الزاوية المسيحية البروتستانتية ، ويعيش العقائد بالنسبة لها ، ثم انه كان المانيا جرمانيا الى الصميم ، وتحس عنده بذلك الغرور الالمانى الذى لم يكن يخلو منه المانى الى الحرب العالمية الثانية ، اما ماركس فتفكيره مادى صرف ، فهو لا يعترف بالجانب الروحي من الانسان وتفكيره جماعي لا يترك للفرد ، وخصائصه الذاتية مكانا ، ثم انه ــ وهذه ناحية يجتهد انصاره فى اخفائها ما وسعهم ذلك ــ يهودى الى الصميم ، وله كتاب صغير يحاولون اخفاءه وهو « الدولة اليهودية Der Judische Staat » وهو فى رأينا الصهيوني الأول ، وما حملته على الاديان الا رغبة فى تحطيم المسيحية والاسلام ، لتبقى اليهودية وحدها ذات كيان وقوام . واوزوالد شبنجلر كان المانيا متعصبا للجرمانية ، وكان فى صميمه رجل سياسة ، وقد جرب حظه فيها فلم يوفق .

لهذا كان توينبي يتميز على هؤلاء جميعا بانه مفكر انساني خالص متحرر من الصبغات القومية والمذهبية الى حد كبير جدا ، وهذا هو الذى جعله يفهم الكثير من الحضارات ، ويقدرها تقديرا عادلا منصفا ، وقد حكى لي استاذنا شفيق غربال انه عندما ذهب الى لندن للدراسة حضر بعض محاضرات توينبي في المعهد الملكي للدراسات الدولية ، فادهشته انسانية الرجل ، فتتلمذ له من ذلك الحين . ولعل الكثيرين لا يعلمون ان محمد شفيق غربال اعد بحثه للماجستير عن « قيام الدولة المصرية الحديثة ، ونهوض محمد علي » تحت اشراف آرنولد توينبي، وظل الرجلان صديقين الى ان توفى شفيق غربال عليه رحمة الله .

المفاهيم التاريخية عند توينبي

قلنا ان توينبى لا يقسم التاريخ الى عصور ولا الى دول ، بل الى وحدات حضارية ، يضم نطاق كل منها مجموعة من البشر ، بجمعهم طابع فكرى واتجاه ذهني ، ومثل عليا مادية ومعنوية ، وطرق حياة متقاربة ، فالحضارة المصرية القديمة عنده وحدة حضارية لأنها شملت وادى النيل كله ، ومعظم الشام وجزءا كبيرا من الشمال الافريقى ، وهو يسمي هذه الوحدة بالجماعة او المجتمع ، فيتحدث عن الجماعة المسيحية الشرقية ،والجماعة المسيحية الغربية ، والجماعة الهندية ، وهكذا . .

وهو يقول ان حضارة كل من هذه الجماعات تمر فى مراحل متعددة لا تشبه مراحل عمر الكائن الحي وانما هي مراحل خاصة بتطور الجماعات ، وهذه المراحل هى مرحلة نشوء ، وتكوين حضارة الجماعة TheGensis of Civilisation ثم مرحلة النمو The Growth ثم السقوط The Breakdown ثم التحلل او التفكك The Disintegration .

وهو يقول ان الحضارات فى نموها واتساع مداها تغزو او تدخل فى كيانها شعوبا اخرى وتتحول الى دولة عالمية Universal State وليس من الضرورى ان تشمل هذه الدولة العالم كله بل جزءا كبيرا منه ، وقد تسمى هذه الدولة مملكة او امبراطورية او خلافة او ما شئت ، فاذا اخذت هذه الدولة العالمية في التفكك خلفت وراءها طابعا حضاريا حيا فاعلا فى كل الوحدات الصغيرة التى تتجزأ اليها الدولة العالمية ، وهذا الطابع الحضارى العام هو الذى يسميه باسم الكنيسة العالمية Universal Church ، ولفظ « كنيسة » لا يحمل هنا معنى مسيحيا، بل يحمل معنى الطابع الحضارى الفكرى العام مهما كانت عقيدته الدينية.

ويرى توينبي ان الحضارة لا يمكن ان تكون من صنع الجماعة كلها ، بل هي دائما ـ وفي كل جماعة ـ من صنع اقلية ممتازة سائدة او موجهة او قائدة Dominant Minority ، وهذه الأقلية هي التي تخلق وتبدع وتصنع النظم وترسم المثل العليا للجماعة وتعطيها طابعها المميز .

اما جمهور الناس فيسميه توينبي في كل حضارة باسم الطبقة العاملة Proletariat ، وهذه الطبقة العاملة اما ان تكون من نواة الشعب الذى صنع الجماعة وحضارتها ، وتسمى في هذه الحالة بالطبقة العاملة الداخلية Internal Proletariat او من الشعوب التي تنضم اليها وتدخل في طاعتها وتسمى External Proletariat اى الطبقة العاملة الخارجية ، وحينما يتصل بالحضارة الاسلامية مثلا تعتبر الطبقة العاملة الداخلية جماعة العرب والخارجية الموالي والشعوب الاخرى التي استعربت .

وتظل الجماعة حية نامية متطورة ما دامت الأقلية السائدة قادرة على الامساك بزمام الأمور وتوجيه امور الجماعة ، فاذا ضعفت هذه نهضت الطبقة العاملة تناوئها ، ويقوم الصراع الداخلي ، ويبدأ السقوط ، ثم التحلل ، في العادة لا تنهزم الأقلية السائدة وتتلاشى الا بعد مراحل شتى من الصراع بينها وبين الطبقة العاملة ، وكلما انتصرت الأقلية الســـائدة مـرة اتجهت الـى ان تصبح استبدادية غاشمة ، ويزداد استبدادها مع توالي الصراع حتى تنهزم اخيرا وهنا تتلاشى الدولـة العالمية Universal State ، ويكون التفكك Disintegration ، ثم تتحـول الجماعة الى نطاق حضارى واسع يضم وحدات سياسية متفرقة ، وهذه المرحلة هي التي سماها بالكنيسة العالمية Universal Church وعلى اساس من هذه « الفرشة الحضارية » تبدأ تجربة حضارية اخرى على يد شعب آخر .

التحدى ومعناه

ويرى توينبى أن الحياة كلها عبارة عن عمليـة تحدٍ واستجابة مستمرة .

فالكائن الحي اذ يخرج الى الحياة يجد نفسه مهددا بالفناء من أول لحظة ، فهناك الجـوع والعطش وظروف الطبيعة، وكل هذه تسعى للقضاء عليه ، اى تتحداه ، وعليه ان يحدد موقفه من ذلك التحدى ، فاما ان ينهزم امامه ويموت ، واما ان يواجهه بقوة فيبحث عن الماء ، ويصارع للحصول على القوت ، ويحتمل البرد او الحر ، ويواجه الأعداء ، فيظل في قيد الحياة ، واما يحتال على هذه الظروف فيتعود الصبر على الجوع والعطش، او يهاجر من وطنه الى موطن اوفر ماء وغذاء أو يغير طريقة حياته او يقنع بأقل نصيب من الماء والغذاء، او يستطيع ان يتغلب على الظروف التي تتحداه ويسودها ، وينشىء لنفسه اطارا حيويا يقيه شرور البيئة الجغرافية ، وهذا الاطار الواقي هو الحضارة .

وهذه الصور كلها لمواجهة التحدى The Challenge تسمى استجابات له Response وقد تكون هذه الاستجابة موفقة او غير موفقة ، وقد تكون ايجابية او سلبية ، ومثال الاستجابة الايجابية الموفقة عند توينبى استجابة المصرى القديم لظروفه ، وتمكنه من السيطرة على مياه النهر ، وتجفيف الأرض ، وتنظيم مجتمعه ، واقامة حضارة كاملة ، ومثال الاستجابة السلبية غير الموفقة موقف الهندى الأحمر من الظروف التي وجد فيها في العالم الجديد ، فهو لم يستطع ان يتغلب على ظروفه الجغرافية ، أو يسودها ، فهلكت منه الألوف بعد الألوف ، ولم يتخط ـ رغم الوف السنين ـ مرحلة الانسان البدائي الذى هزمته ظروفه ، فقنع بأن يعيش دائما حياة الحيوان البدائى ، خاضعا لظروفه ، محاولا جهده النجاة من الموت Survival ولا زيادة .

وتوينبي يصور هذا التحدى تصويرا دراميا يدل على اطلاع خارق للعادة على ثقافة البشر ، ومن امثلة التحدى عنده نزول آدم الى الأرض ، ومواجهته تحدى الحياة كاملا ، وهذا التحدى حورته كتب اليهود في صورة الصراع بين الههم يهوا والحية ، وصورته المسيحية في صورة لعنة الخطيئة ثم الخلاص ، وصوره الشاعر الالماني جيته في صورة تحدى الشيطان للخالق سبحانه ، وهو يقول ان الحياة كلها ـ بما فيها قصة الحضارة ـ تتكون من لقاءات او مصادمات Encounters بين انداد متعارضة، مثل لقاء الانسان مع الظروف الطبيعية ، ولقاء الجماعات البدائية مع البيئات الجغرافية التي وجدت نفسها فيها ، وطرق استجابتها لما ينزل بها من الكوارث أو تغير

الظروف ، وصراع الجماعات مع جماعات اخرى ، ومواقف الجماعات من المشاكل الداخلية او الخارجية التي تواجهها وما الى ذلك . فهناك جماعات تتغلب على الاخطار الخارجية فتنجو من الغزو ، وتتغلب على المشاكل الداخلية فتبقى وتتقدم ، وهناك جماعات لا تثبت للخطر الخارجي فتنهزم وتندرج في كيان الجماعة التي هددتها ، وهناك ايضا جماعات تفشل في مواجهة المشاكل الداخلية فتنحل وتتفكك وتزول ، ويقول ان اللقاء او التصادم Encounter هو كل لقاء بين ندين او شخصيتين ، ولا مفر لهذا اللقاء من ان ياخذ صورة تحد واستجابة Challenge and Respones ، واللقاء او التصادم هو الذى ينتج شرارة الحضارة كما تخرج الشرارة من تصادم حجرين صوانين ، او من تصادم الحجر الصوان والفولاذ :

تاريخ العرب ونظرية التحدى والاستجابة

ودراسة توينبي للتاريخ ما هي الا تطبيق واسع المدى لهذه النظريات .

والقارىء العربي ، اذا نظر الى تاريخه الماضى على ضوء نظرية التحدى والاستجابة ، فهمه فهما جديدا وصحيحا الى حد بعيد .

وانا شخصيا عندما قرات دراسته فى ملحقها (الذى يقع فى مجلدين بدلا من عشرة) عدت الى تاريخ الاسلام اقرؤه واشعر انني افهمه على صورة اكمل واشمل .

بل اذكر ان شعورى بتقدير الحضارتين المصرية ثم العربية الاسلامية زاد اضعافا بعد ان قرات توينبي . فى هذه الحالة قرات ما قاله عن هاتين الحضارتين فى تاريخه المطول . والحق انك لتعجب من سعة الاطلاع وشموله ، وان كنت تمر فى اثناء القراءة باخطاء صغيرة فى التفاصيل .

وينظر توينبي الى السياسة العالمية الراهنة ايضا على ضوء نظرية التحدى والاستجابة .

وعلى ضوئها ايضا ينظر الى التحدى الاسرائيلي الذى يواجه العرب .

ورايه فى ذلك ان العرب جماعة سياسية وحضارية اصيلة وناجحة قامت على ارضها ووطنها ومرت بكل ادوار النشوء والنمو والانحدار ، لم التجزؤ او الانحلال الى وحدات اصغر ، وتحولت من دولة عالمية الى كنيسة (اى وحدة حضارية) عالمية ..

وقد مرت فى تاريخها بالادوار التي لا مفر منها من التجزؤ والتجمع Rout and array .

والاستعمار والصهيونية تتحدى عملية التجمع العربى الحالية ، وتحاول القضاء عليها او ايقافها. وهى الآن فى دور تجمع بعد تجزؤ طويل .

ولا بد للجماعة العربية من مواجهة هاتين الصورتين من التحدى والخطر ، والاستجابة لهما استجابة ايجابية موفقة .

ويكون هذا اولا بالتماسك والترابط ، ومعظم مكاسب الصهيونية جاءت من تفكك العرب واختلاف بعضهم مع بعض واخطائهم .

ويكون ثانيا بالاجتهاد فى فهم الحضارة الراهنة والسيطرة عليها وتمثلها في كيانها واستخدامها في الاستجابة الناجحة للتحدى الصهيوني .

ويكون ثالثا بالثبات وعدم الخوف .

واسرائيل – فى ميزان التجارب السياسية – لعبة" او خدعة تقوم على ظاهر من القوة الغاشمة، ودعاية تجارية ناجحة ، وعملية تخويف نفسية للعرب .

وعلى العرب ان يفهموا ذلك ، وان يثبتوا للتحدى كانهم صخرة ، وان يقفوا كالبنيان المرصوص دون ان ينخدعوا او يتركوا للعدو ثغرة ينفذ منها .

وعليهم ان يظلوا كذلك حتى تتجمع لهم عناصر القوة اللازمة للقضاء على الخطر الذى يتحدى كيانهم .

وقد صارح الصهيونية برايه فيها اكثر من مرة وحاول ثعالبها القضاء عليه فلم يستطيعوا ، لانه على حق وهم يخادعون ، ويعرفون انهم يخادعون.

وهو واثق من ان العرب سيصلون الى ادراك هذه الحقائق .. ولكن متى ؟

هذا هو السؤال الضخم الذى يضعه هذا الانسان الكبير امام العرب ويطالبهم بالاجابة عليه.

■■

حسين مؤنس

ركن
الأسرة والمرأة

لن اتردد فى الوقوف لاودعه ، وهو يسير فى نفس الطريق الذى سار فيه والده من قبل .. و ..

بلا دموع

لا .. لن ابكى ..

لن اقول وداعا لانني ارفض ان اصدق انك لن تعود ..

لن اقول وداعا لانني مازلت احب الحياة .. لقد احببتها لانني عشت احلى ايامها معك .. واحببتها لانني سوف اعيش مرفوعة الراس فى ذكراك ، وسوف احبها دائما لان كل شيء فيها يذكرني بك ..

السماء الصافية التي طالما وقفنا نتطلع اليها في الليل وهي تطل علينا بنجومها السابحة المضيئة وكأنها تحدثنا وتناجينا من بعيد !

الشمس المشرقة التي تتسلل فى رفق لتبعث الدفء الى قلوبنا .. البيت الصغير الهادىء الذى كان يحتضننا نحن الثلاثة .. انا وانت وطفلنا الصغير .. الاشجار الخضراء التي غرسناها فى الارض معا ، ثم جلسنا نرقبها وهي تكبر وتنمو وتظلل بيتنا باغصانها الوارفة ..

كل شيء باق ياحبيبي كما تركته قبل رحيلك .. كل شيء من حولي يذكرني بك .. حتى انفاسك الدافئة مازلت احس بها قريبة مني في كل ساعة في كل لحظة اخلو فيها الى نفسي ..

هل تذكر القطار الذى نقلنا فى رحلة العمر .. انا وانت ، عندما سافرنا لنقضي احلى ايام عمرنا على شاطىء البحر فى شهر العسل.. لقد احسست يومها انني اسعد امراة فى الوجود .. كان حديثك يملأ اذني ووجداني .. وكنت انصت اليك لم لا البث ان اشعر بانني احلق فى آفاق بعيدة مليئة بالامل .. كان اروع ما فيك ياحبيبي هو الصدق الذى كنت اراه يملأ عينيك السوداوين الواسعتين .. لقد احببتك يازوجي الحبيب ، احببتك لانني كنت اشعر ، وشعور المراة لايخونها ابدا ، انك تحبني ، لا بل تعبدني .

هل تذكر ما حدث لنا عندما توقف القطار في نهاية الخط .. لقد بدا كل من فيه يحمل حقائبه ويستعد للنزول ، اما نحن فقد بقينا حيث كنا .. لم نكن نرى شيئا او نسمع شيئا مما يدور حولنا.. حتى صوت قاطع التذاكر في القطار وهو ينبهنا الى الوصول ، ويطلب منا الاستعداد للنزول لم نسمعه .. كنا فى تلك اللحظة نعيش فى عالم آخر لايمت بصلة الى العالم الذى يمتلىء بالزحام والضجيج من حولنا ! حتى وجدناه في النهاية يقف امامنا وجها لوجه .. عندئذ فقط احسسنا اننا لسنا وحدنا ، ولقد كان من الممكن ان ننسى ظهور هذا « الغريب » الذى اقتحم خلوتنا ، لو انه مضى الى حال سبيله .. ولكن لم يمض .. لقد وقف في مكانه دون ان يتحرك .. واخيرا تكلم وقد امتلأ وجهه البدين بضحكة عريضة : « لا مانع عندنا ان نرجع بكم من حيث اتينا .. هل هذا هو هدفكم من هذه الرحلة ؟ لقد بلغنا نهاية الخط ايها السادة ! »

وضحكنا ، واسرعت تحمل حقيبة ملابسنا .. ملابسى وملابسك التي اختلطت داخل الحقيبة الكبيرة ، تماما كما اختلطت ارواحنا ودماؤنا ، منذ تلك اللحظة التي زفوني اليك فيها عروسا ..

★★★

كنت تخاف البحر ياعزيزى .. اما انا فكنت



سباحة ماهرة..هل تذكر ذلك اليوم الذى امسكت فيه بيدك ورحت الوذك وسط الامواج .. انني مازلت اسمع صوتك وانت ترجوني وتتوسل الي ان اعود بك الى الشاطىء مرة اخرى ، وعندما احسست بالارض تبتعد عن قدميك ، رحت تتشبث بذراعي وتتعلق به خوفا من الغرق !

ولكنني لم اياس .. لقد كنت مصممة على ان اعلمك السباحة قبل ان ينتهي بنا شهر العسل .. ونجحت ! كانت اياما جميلة عذبة ، تمنيت لو انها دامت بنا الى الابد ..

واخيرا جاء يوم الرحيل ، وعدنا .. عدنا الى عشنا الصغير الهادىء في الريف ، حيث كنت تعمل طبيبا في احد المستشفيات الصغيرة في القرية ..

وتحققت امنيتي .. لا .. ان ايام العسل ، لم تنته ، ولن تنتهي ابدا .. كنت انت انت لم تتغير نفس الزوج المحب المخلص الوفي الذى اعطاني كل شيء كنت احلم به في حياتي مع الرجل الذى ساشاركه حياته ويشاركني حياتي .. حقيقة كنت اقضي ساعات طويلة انتظر فيها عودتك من عملك وعيادتك لرضاك .. ولكنك كنت تعوضني كل هذا الانتظار في لحظات قصيرة .. كنا نطهو طعامنا معا ، ونغسل ملابسنا معا ، ونخرج معا ، وندخل معا ، حتى المرضى الذين كنت تعالجهم ، قد اصبحوا جزءا من حياتي ، لانني كنت اعلم انهم حياتك كلها خارج البيت ! كنت اعطف عليهم ، واحرص على معرفة اخبارهم ، ولكن لا اخفيك انني كنت اغار منهم عندما اشعر احيانا انهم قد ابعدوك عني ، او انتزعوك من فراشك وانت تغط في نومك كلما دق جرس التليفون اللعين ، وسمعت صوت الممرضة وهي تسال عنك لان هناك حالة مستعجلة تنتظرك في المستشفي !

★★★

بالامس كنت ازور والدتي في المدينة، لقد قضينا النهار في ضيافتها ـ انا وطفلنا الصغير ـ وصنعت لنا بيديها الاطباق الشهية التي احببناها معا ،

والتي طالما قدمتها لنا في الغداء او العشاء كلما ذهبنا لزيارتها ..

لقد راحت امي ترجوني ان امضي الليلة معها، ولكنني اعتذرت .. كنت أريد ان اعود الى بيتي الى بيتنا الريفي الصغير .. اليس غريبا ان اهرب من البيت الذى ولدت فيه ونشأت ، لاعود الى هذا البيت الصغير الذى لم تدم فيه حياتنا معا لاكثر من خمس سنوات .. لا ادري كيف اصف لك شعوري وانا اضع المفتاح في الباب واسمع هذا الصرير الذى يحدثه باب البيت ، وكأني معه على لقاء .. لقد كان صرير الباب هو اعذب صوت يصل الى اذني ، لقد كان دائما نغما جميلاً ، لانه كان يحمل دائما معه أعز انسان الى قلبي ..

وودعتنا امي ، وذهبنا الى محطة السكة الحديد لنستقل القطار الى قريتنا الصغيرة .. ولكنني لم انس ان امر في طريقي الى المحطة على المطعم الذى يقع في هذا الركن الهادىء من الشارع ..

وامام المائدة التي تعودنا ان نجلس اليها ، نحن الثلاثة ، جلست انا وطفلنا الصغير ، وجاء صاحب المطعم لتحيتنا .. كان نفس الرجل الذى عرفناه ، والذى لاتفارق الابتسامة وجهه ابداً..قال يسألنا عما يستطيع ان يقدمه لنا .. وشكرته وقلت : « انما جئنا لنقضي بضع لحظات لنستريح ، قبل ان نستأنف سيرنا الى محطة القطار ! »

وتركنا الرجل وانصرف ، وهو يتمنى لنا رحلة طيبة !

اما انا فقد جلست اتامل المقعد الثالث الذى خلا بعد رحيلك عنا ياعزيزى .. نفس المقعد الذى تعودت ان تجلس عليه ، وانت تداعب طفلنا الصغير تارة ، وتارة اخرى تمد اصابعك الى راسه محاولا ان تصفف له شعره ، ثم لاتنسى ان تذكرني بصفاته التي ورثها عنك ، متمنيا لو انه ورث عني لون عيني العسليتين !

كادت اعصابي تخونني في تلك اللحظة ياحبيبي ، وانا سارحة ببصرى الى ما وراء النافذة الزجاجية، بعد ان بذلت جهدا لكي احول نظرى عن المقعد الخالي .. ولكنني تمالكت نفسي وحبست دموعي ثم امسكت بيد صغيرنا ، ورحت اشق طريقي الى حيث كان يقف القطار ليقلنا الى بيتنا

لقد اقبل الشتاء ياعزيزى .. ولكنني مازلت اشعر بالدفء .. انه الدفء الذى صنعته انت بفضل ما كنت تغدقه علينا من حبك وعطفك وحنانك ..

★ ★ ★

واختتمت الزوجة الشابة رسالتها .. ثم وضعتها في درج مكتبها ، وقامت من مقعدها ، واتجهت الى الصورة الكبيرة التي توسطت الحائط .. صورة زوجها الحبيب بملابسه العسكرية .. انها آخر صورة له قبل ان يذهب الى ميدان القتال ، ليؤدى واجبه نحو هؤلاء الذين كانوا يسقطون جرحى في ساحة الحرب التي قامت من اجل تحرير الارض من العدو المغتصب !

ووقفت الزوجة طويلا امام صورة زوجها الذى ذهب ولن يعود . كانت تحدثه وتناجيه ، وكأنه يقف امامها..ولكنها لم تعتد منه هذا الصمت.. !

وافاقت الى نفسها .. وفجأة وجدت نفسها تعود بذاكرتها مرة اخرى الى الماضي القريب .. منذ اربعة اشهر فقط او نحو ذلك ، كانت تجلس على مقعدها في شرفة البيت التي تطل على الحديقة ، كما تعودت ان تفعل دائما في الصباح ، وهي تستقبل يومها بكل مشاعر الحب والحماس التي تملأ صدرها .. وقد جلس صغيرها بجوارها يداعب قطته !

وفجأة توقفت سيارة عسكرية امام باب البيت ، ونزل منها ضابط سلمها رسالة صادرة من مقر قيادة الجيش ، ثم حياها وانصرف ، وفضت الزوجة الرسالة ، كانت تحمل امرا باستدعاء زوجها الى الخدمة العسكرية..

ولم تكن الرسالة مفاجأة لها ، فقد كانت تتوقع قدوم هذا اليوم بعد ان اندلعت الحرب ، اذ كان زوجها ضمن قوات الجيش الاحتياطي !

وفي هدوء بدأت الزوجة الشابة تعد حقيبة ملابس زوجها ثم حملتها ، واخفتها في مكان من البيت .. لم تكن تريد ان يعرف ان الساعة قد اقتربت . كانت تريد ان تقضي معه الساعات الباقية قبل رحيله في هدوء ومرح بلا احزان وبلا دموع .

وكتمت مشاعرها .. وحبست دموعها ، وعاد الزوج من عمله ، فاستقبلته هاشة ، وجلست معه تحدثه ويحدثها ، وما اكثر ما كان يدور بينهما من حديث عن المستقبل ، وعن الامال والاحلام التي تملأ صدريهما .. وتناولا طعام العشاء الذى اعدته له وحدها في تلك الليلة .. ولم يستطع

الزوج ان يخفي دهشته وهو يرى المائدة العامرة بكل الوان الاطباق التي يحبها ..

وجلس يأكل ، كما لم يأكل من قبل ..

اما هي فقد كانت مشغولة عن الطعام بالتطلع اليه في هدوء .. كانت ترقب كل حركة يأتي بها ، وتتلهف لسماع كل كلمة تخرج من فمه .. ولكنها لم تكف عن الحديث ابدا ، لانها كانت تعلم لو انها فعلت ، فسوف تخونها اعصابها ، وسوف تنفجر باكية كما لم تبك ابدا ..

وتمنت لو ان هذه الجلسة امام المائدة الصغيرة دامت حتى الصباح .. ولكنه مالبث ان ترك مقعده وارتمى بجسده المتعب على الفراش ، لم ينس ان يقبلها قبلة طويلة حارة، ثم اغمض عينيه واستغرق في نوم عميق ..

وعلى مقعد صغير بجوار الفراش الذى كان يرقد عليه زوجها ووالد طفلها وحبيب عمرها ، جلست الزوجة الشابة وقد استغرقت في تفكير عميق .. لقد ازدحمت رأسها بالصور .. وكانت كلها صورا جميلة لحياة سعيدة قضتها بجوار هذا الرجل الذى سيرحل بعد ساعات قصيرة مع اول خيوط الفجر الى حيث رحل من قبله الالوف من الشباب الذين حملوا السلاح للذود عن ارض الوطن ..

وكانت كلما اقتربت الساعة قليلا ، سارعت تتطلع الى هذا الوجه الهادىء ، وكأنها تريد ان تملأ عينيها به .. كان يغط في نوم عميق ، وقد ارتسمت عليه تلك الصورة الجميلة التى لا يراها المرء الا على وجوه الاطفال الابرياء ..

وجاءت الساعة اخيرا .. ومدت اناملها في هدوء تداعب بها شعره . وفتح عينيه ، وامسك بيديها وقربهما الى شفتيه وطبع عليهما قبلة حارة ..

قال : « ولكن موعد ذهابى الى العمل لم يحن بعد يا عزيزتى ! »

قالت : « بل هناك عمل اكبر ينتظرك ! »

وقفز من فراشه .. وكان اول شيء وقعت عليه عيناه ، هو بدلته العسكرية التى اعدتها الزوجة له !

وشرد ذهنه قليلا ، محاولا ان يطرد النوم من عينيه .. واستغرق في تفكير عميق ولكنه لم يدم لاكثر من بضع دقائق ، ثم مالبث ان قفز من فراشه وذهب ليغتسل ، ثم وضع جسمه في بدلة الجندية ، ووقف امامها ، رافعا يده بالتحية العسكرية ثم

قال : « انا مستعد ياسيدى القائد .. ولكن قولي لي كيف ابدو في بدلتي الجديدة ؟ »

قالت : « تبدو اروع واعظم رجل في الدنيا ياحبيبى ! »

وفجأ سمعا طرقا على الباب .. لقد وصلت السيارة العسكرية التى ستحمله الى الميدان ..

وذهب مسرعا الى غرفة طفله وقبله ، ثم نظر اليها وقال : « حاولي ان تجعليه يفهم انني سوف اتأخر بعض الشيء ، وانني لن اعود في المساء كل يوم كما تعود ان ينتظرنى ! »

ثم وقف يودعها .. يودع زوجته وحبيبة عمره ، قال يعانقها في حرارة : « ساعود ياعزيزتى .. ساعود .. ولكن يجب ان تذكرى دائما ان ما اصنعه اليوم ويصنعه الالوف غيرى من الرجال ، انما هو من اجل ابنائنا ومن اجل توفير حياة حرة كريمة لهم . »

وذهب .. ووقفت امام الباب تلوح له بيدها .. وتحاول ان تحبس دمعة كبيرة امتلأت بها عيناها .

★★★

وصحت الزوجة من تأملاتها فجأة وكانت ما تزال تقف امام صورة زوجها الذى ذهب ولن يعود !

وتذكرت كلماته الاخيرة ، وهو يقبلها قبلة الوداع ..وعادت الى رسالتها تخط فيها ما تبقى لها من ذكريات ، قالت : « غدا سوف يقيمون لك احتفالا ياحبيبى .. وساقف وسط المئات من الزوجات والامهات ..ساقف فوق المنصة العالية .. منصة الشرف ، لاتسلم الاوسمة والنياشين التى ساحتفظ لك بها دائما في قلبي وافاخر بها امام الناس

« لا لن ابكى .. سوف احتفظ دوما بدموعي .. لان كل دمعة تمثل ذكرى .. كل دمعة تمثل ساعة حلوة قضيناها معا وستبقى حية ابدا .. من اجل هذا لا اريد ان ابكى ، لانني اريد ان احتفظ بالذكريات .. لقد عشت لك وحدك في حياتك ، وسوف اعيش لك من بعدك .. ساعيش من اجل تحقيق امنية واحدة ، ان ارى طفلنا الصغير ، وقد كبر واصبح رجلا مثلك .. مثل ابيه .. ولن اتردد في الوقوف لاودعه ، وهو يسير في نفس الطريق الذى سار فيه والده من قبل .. وبلا دموع ! » ■■

(م ٠ ن)



الأزمة النقدية الدولية والإصلاح النقدي

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

■ لا يكفي لمجابهة الأزمة النقدية الدولية ، التوجه بالعلاج الى الظواهر الخارجية المتجسدة في تدهور قيمة الدولار، وضعف الثقة بالعملات بصفة عامة، وانهيار نظام سعر الصرف الثابت المقرر في اتفاقية برتن وودز . وانما يكون التصدي للازمة بعلاج مسبباتها ، وبتوفير الاسس السليمة للتعاون النقدي الدولي ، على نحو يسد الثغرات ويعالج المثالب ، التي اشتمل عليها النظام الحالي ، على نحو جعله غير قادر على العيش في ظل التغيرات التي طرأت على الاقتصاد العالمي منذ الحرب العالمية الثانية، وبصفة خاصة منذ أواخر السنوات الخمسينيات .

وعلى ذلك فلا بد من التمهيد للاصلاح ، واعداد الارض الصلبة لاقامته على أسس سليمة وواضحة.

١ ـ التمهيد للاصلاح

للولايات المتحدة الامريكية وجهة نظر رسمية واضحة بخصوص التمهيد للاصلاح النقدي . فهي تطالب بقدر أكبر من حرية التجارة وبتخفيف أعباء التزاماتها قصيرة الأجل التي تراكمت على مر السنين ، هذا فضلا عن وجهة نظرها في وجوب تحمل دول أوروبا الغربية كل او بعض الالتزامات الخاصة بالدفاع وبمساعدة الدول النامية، وبوجوب تحميل الدول ذات الفائض مسئولية أكبر في اعادة التوازن .

ومن ناحية اخرى يرى الكثيرون في اوروبا وخارجها أن اعادة التوازن للاقتصاد الامريكي ومحاربة التضخم يعتبر الوسيلة الفعالة للتمهيد للاصلاح النقدي ، كما يرون ايضا وجوب فتح الباب امام رؤوس الأموال الاوروبية واليابانية للاستثمار في الولايات المتحدة . وتجد هذه الافكار صداها لدى الرسميين في الولايات المتحدة ، حتى ان وزير الخزانة الأمريكي قد صرح بان الامور يجب أن تترك لقوى السوق ، واذا كانت هذه القوى تدفع الى استثمار رؤوس الأموال الأجنبية في الولايات المتحدة ، فانه يرى في ذلك امرا حسنا ومرغوبا فيه .

تحرير التجارة الدولية من القيود

اذا نظرنا الى ما تطالب به الولايات المتحدة من حرية أكبر في التجارة ، لوجدناه يمثل نقدا موجها الى سياسة السوق الاوروبية المشتركة ،

من ناحية سياستها فى حماية الزراعة الاوربية ، ومن ناحية توسعها فى عقد اتفاقات الافضلية مع افريقيا ودول البحر المتوسط ، على نحو يقلل من قدرة الولايات المتحدة على التصدير ، وبصفة خاصة تصدير المنتجات الزراعية الى اوروبا الغربية ودول البحر المتوسط وافريقيا .

فالولايات المتحدة تطالب بقدر اكبر من حرية التجارة ، يتيح لمنتجاتها اسواقا خارجية اكثر اتساعا ، فهى تطالب بتقليل الرسوم والحواجز غير الجمركية التى تعوق الاتجار بالمنتجات الصناعية والزراعية ، وتطالب بالحد من التوسع فى اتفاقات التجارة التفضيلية التى تعقدها السوق الاوروبية المشتركة ، والتى ستشمل فى المستقبل زهاء ثمانين بلدا ومنطقة .

ويلاحظ انه فى نفس الوقت الذى تطالب فيه الولايات المتحدة بتغيير نظام التجارة العالمى على نحو يؤمن لجميع البلاد ممارسة تجارتها وفق انظمة عادلة تطبق على الجميع ، وتلعب فيه قوى السوق الدور الاول فى تقرير مسار التجارة، فانها تطالب ايضا بوجوب التسليم للدولة بحق فرض حماية مؤقتة لتخفيف الآثار الضارة التى تنجم عن التغيرات السريعة التى تعترى المنافسة الاجنبية ، وفى ذلك حد من مبدا حرية التجارة يتمشى مع الفلسفة الامريكية التقليدية .

ويلاحظ من ناحية اخرى ان الولايات المتحدة قد اخذت فى ايجاد علاقات تجارية وصناعية ومالية واسعة مع الاتحاد السوفيتى . وتبلورت هذه السياسة فى تصدير كميات ضخمة من الحبوب هذا العام ، كما تبلورت فى التعهد بتمويل بعض المشروعات الصناعية فى الاتحاد السوفيتى .

وتتجه السياسة التجارية الامريكية الى زيادة حجم مبادلاتها مع الدول الاشتراكية فى اوروبا الشرقية واعطاء هذه الدول مكانة الدولة الاولى بالرعاية ، اى مساواتها فى كافة المزايا التى تمنحها الولايات المتحدة لاية دولة اخرى فى النطاق التجارى. وتعمل الولايات المتحدة ايضا على تسوية علاقاتها مع الصين ،وعلى تنمية فرص التجارة معها فى المستقبل .

محاربة التضخم

يرى الكثيرون ان محاربة التضخم ، وبصفة خاصة فى الولايات المتحدة ، تعتبر شرطا اساسيا لعلاج ازمة النقد الدولى ، وايجاد اساس سليم للنظام النقدى فى المستقبل . فالاقتصاد الامريكى يمثل نسبة هامة من الاقتصاد العالمى ، والسوق النقدى والمالى الامريكى هو اكبر الاسواق المالية واكثرها قدرة وتقدما ، فاذا عم الاضطراب وعدم التوازن الاقتصاد الامريكى ، فان ذلك لا بد ان يؤثر تاثيرا عميقا فى الاقتصاد العالمى فى مجموعه .

ولم تكن اهمية محاربة التضخم بغائبة عن ذهن العاملين فى رسم السياسة الامريكية ، فقد حدثت محاولات لمعالجة هذا الاضطراب منذ اوائل الستينيات ، عن طريق التدخل فى اسعار الفائدة، برفع سعر الفائدة قصيرة الاجل ،من اجل الحيلولة دون الارصدة الاجنبية أن تطلب التحويل الى ذهب ، وبخفض سعر الفائدة طويلة الاجل، تيسيرا لاسباب نمو الاقتصاد الوطنى . وكذلك وضعت بعض القيود على حركات رؤوس الاموال الامريكية الى الخارج ، بوضع رسم على الاقراض للخارج، وبوضع قيود بدات اختيارية على تصدير رؤوس الاموال ، وانتهت بان تكون الزامية .

ولكن السياسة الامريكية لم تستطع الاخذ بالوسائل الحاسمة،لاعادة توازن ميزان المدفوعات، عن طريق السياسة المالية والنقدية الانكماشية ، وذلك خوفا من ان تنعكس هذه السياسة على مستوى النشاط الاقتصادى الداخلى ومستوى العمالة ، وهذه نتائج غير مقبولة سياسيا او اجتماعيا .

ولذلك فقد اكتفت الحكومة بمحاولة التحكم فى الاسعار والاجور،وفقا لسياسة مقسمة الى مراحل اربع ، وهى تمر الآن بمرحلتها الاخيرة ، دون ان تسجل نجاحا مذكورا فى تخفيض الاسعار ، التى ارتفعت خلال شهر يوليو الماضى وحده بنسبة ٥٪ .

تغيير سعر العملة

واذا كانت الولايات المتحدة قد احجمت عن التدخل للتاثير فى مستوى النشاط الاقتصادى الداخلى بشكل فعال ، فانها قد قبلت التضحية بثبات قيمة الدولار الخارجية فى سبيل تحقيق التوازن فى ميزان المدفوعات ، مضحية بذلك بالمبادىء التى تبنتها ودافعت عنها ، عند وضع

اتفاقية صندوق النقد الدولي في سنة ١٩٤٤ ، ومتخلية بذلك عن مسئولياتها ، باعتبارها الدولة صاحبة العملة الرئيسية التي يرتكز عليها نظام النقد الدولي في مجموعه .

ب ــ السمات الاساسية للاصلاح النقدي المنتظر

مكان الذهب :

يختلف المعنيون بالمسائل النقدية الدولية في تصورهم لنظام النقد الدولي المنتظر . فمنهم ــ وهم الأقلية ــ من يرى العودة الى قاعدة الذهب ، حتى يكون النقد الدولي مرتبطا بالرصيد المعدني ، وغير متروك لأهواء السياسة . اما غالبيتهم فترى استحالة الأخذ بالقواعد الجامدة التي يفرضها نظام الذهب ، تلك القواعد التي لم تعد تتسق مع الأهداف النقدية في عصرنا هذا ، حيث يكون تحقيق التقدم الاقتصادي والعمالة الكاملة اعلى مكانا من مجرد المحافظة على قيمة العملة في أسواق الصرف. ويضاف الى ذلك اعتبار آخر ، متصل بالاسعار الحالية للذهب في السوق التي بلغت اكثر من ثلاثة اضعاف السعر الرسمي الذي كان سائدا قبل اعلان وقف صرف الدولار بالذهب في سنة ١٩٧١ . فلو فرض وتقرر اعادة تقييم الذهب النقدي ، على اساس سعره التجاري الحالي ، لترتب على هذا توسيع قاعدة النقد ، ورفع قيمة الاحتياطيات النقدية رفعا كبيرا ، مما يؤدي الى زيادة حجم الكتلة النقدية ، في وقت يشكو فيه العالم من حدة التضخم .

واذا كان هذا هو رأى الغالبية في موضوع الاعتماد على الذهب في اصلاح النظام النقدي ، الا أنه ليس من المنتظر ان يتنحى الذهب تماما من النظام النقدي في المستقبل ، لان هذه التنحية تؤدي الى تدهور سعره ، مما يقلل من قيمة الاحتياطيات الذهبية الضخمة ، التي تحوزها البنوك المركزية الاوروبية في الوقت الحاضر ، وعلى ذلك فمن المنتظر ان يستمر للذهب وضع خاص كاحتياطي نقدي ، على الا يربط به نظام النقد الدولي ، على النحو الذي كان مقررا في ظل النظام الذي اتفق عليه في برتن وودز ، تحت الحاح الولايات المتحدة الامريكية وضغطها اذ ذاك . اما اليوم فقد تغيرت نظرتها الى الذهب تغيرا تاما ، واصبحت ترى الا يكون له مكان في نظام النقد الدولي في المستقبل .

التسليم بدور تغيرات سعر الصرف في اعادة التوازن

يرى البعض وجوب الاخذ بمبدأ حرية تغيرات سعر الصرف ، اي الاستمرار في سياسة «التعويم» الحالية وتعميمها . وذلك لان تغيرات سعر الصرف تحرك العوامل المؤدية الى توازن ميزان المدفوعات ، فاذا حدث عجز في ميزان المدفوعات بسبب زيادة التزامات الدولة قبل العالم الخارجي عن حقوقها خلال السنة ، اما لعجز في الميزان التجاري او لزيادة في تصدير رءوس الاموال وفي التحويلات الى العالم الخارجي ، فان زيادة عرض العملة الوطنية في السوق للحصول على العملات الأجنبية يؤدي الى انخفاض سعر العملة الوطنية . ويترتب على هذا الانخفاض ان تصبح السلع الوطنية للدولة التي انخفضت قيمة عملتها ، ارخص بالنسبة لأصحاب العملات التي ارتفعت ، فيقبلوا على الشراء من هذه الدولة ، وفي نفس الوقت تصبح اسعار السلع الأجنبية المنتجة في الدول ذات العملات المرتفعة اكثر ارتفاعا بالنسبة للمقيمين في الدولة التي انخفضت قيمة عملتها ، مما يقلل من شرائهم من الخارج . ويترتب على زيادة التصدير وقلة الاستيراد عودة التوازن في ميزان مدفوعات الدولة .

وترى الأغلبية من رجال السياسة النقدية ان نظام الصرف المتغير يعتبر عاملا من عوامل الاضطراب في التجارة وفي العلاقات الاقتصادية الدولية. ويرون ايضا ان نظام سعر الصرف الثابت ، الذي اخذت به اتفاقية برتن وودز ، قد مكن التجارة الدولية من التوسع على نحو لم يعرفه العالم من قبل ، ولكنهم يسلمون من ناحية اخرى بوجوب ادخال قدر من المرونة على نظام سعر الصرف الثابت ، حتى يكون لتغيرات سعر الصرف اثرها في تحريك عوامل التوازن في موازين المدفوعات ، دون ان تصل هذه المرونة الى درجة التضحية بمبدأ ثبات سعر الصرف ، والوقوع في مثالب نظام الصرف المتغير .

ويرى بعضهم ان تحقيق الثبات والمرونة في نفس الوقت يمكن ان يتيسر ، اذا ما وسعت حدود التقلبات اليومية المسموح بها في اسعار الصرف .

فنظام صندوق النقد الاصلي لم يكن يسمح بتقلبات تزيد عن ١٪ اعلى او ادنى من السعر الرسمي المعلن ، ثم وسع هذا الحد في اتفاق وشنجطون سنة ١٩٧١ الى ٢٫٢٥٪ في كل من الاتجاهين . وليس هناك ما يمنع من ادخال مرونة اكبر عن هذا الحد ، مع عدم التضحية بمبدأ ثبات سعر الصرف ، ولا بمبدأ التزام الدولة في الدفاع عن السعر الرسمي .

نظام الائتمان المتبادل وخلق احتياطي نقدى عالمي

ومن ناحية تحقيق السيولة اللازمة للاقتصاد العالمي ، فان الاتفاق يكاد يكون عاماً على وجوب تغيير الوضع الحالي ، الذى تنفرد فيه الولايات المتحدة بمسئولية توفير السيولة الدولية ، وايجاد نظام جديد لخلق السيولة الدولية ، عن طريق اشراك كافة الدول الاعضاء في هذه المسئولية .

ويرى البعض ان نجاح الاصلاح يقتضي اعطاء سلطات واسعة ، في اصدار النقد الدولي ، والاشراف على حجمه وتداوله ، لهيئة دولية ، تحل محل صندوق النقد الدولي، وتكون اختصاصاتها من نوع الاختصاصات التي تباشرها البنوك المركزية حاليا على الصعيد الوطني .

ومن الجلي ان فكرة اقامة بنك مركزى دولي ، يتمتع باختصاصات واسعة ، لاتتمشى مع مبدأ الاستقلال السياسي والاقتصادي الذي يسود العالم في الوقت الحاضر ، فكل دولة تحرص على عدم ترك القرارات الاقتصادية الهامة في يد هيئة دولية ، مهما كان هدفها .

ولذلك فان البحث يتركز في الوقت الحاضر على التوسع في نظام حقوق السحب الخاصة ، على نحو يجعل منه نظاما للائتمان المتبادل بين الدول الاعضاء . فاذا ما حدث عجز في ميزان مدفوعات دولة ما ، وقلت بالتالي كميات العملات الاجنبية في يدها ، فانها تستطيع استخدام حقوق السحب الخاصة المقررة لها في شراء العملات الاخرى ، والتغلب بالتالي على الآثار المترتبة على عجز ميزان المدفوعات .

وبذلك يمكن زيادة السيولة الدولية عن طريق الائتمان المتبادل ، بدلا من زيادتها عن طريق عجز ميزان مدفوعات الدولة ذات العملة الاساسية (الدولار) ويمكن بالتالي تفادي ظواهر عدم الثقة بالعملة الأساسية ، نتيجة ظهور العجز في ميزان مدفوعات الدولة التى تصدرها . ويمكن التغلب عن هذا الطريق على احد اوجه النقص في نظام النقد الدولي الحالي .

ومما تجدر ملاحظته ان حقوق السحب الخاصة، ليست بالنقد الذى يتداول في الاسواق في صورة عملة ورقية ، او حسابات في البنوك التجارية تسحب عليها الشيكات ، وانما هي لاتخرج عن ان تكون مجرد حق للبنك المركزى للدولة العضو في الحصول على حسابات بالعملة الاجنبية من بلد آخر عضو في الصندوق . فحقوق السحب الخاصة عبارة عن حسابات لاحتياطيات البنوك المركزية يمكن لهذه البنوك تحويلها الى عملات دولية .

تقرير مسئولية الدول ذات الفائض

ومن المنتظر ان يشتمل الاصلاح النقدى على قواعد تجعل المسئولية عن اعادة التوازن مشتركة بين الدول ذات العجز والدول ذات الفائض ، فقد كان نظام الصندوق يلقى مسئولية المحافظة على قيمة العملة على كاهل الدولة ، وكانت كل النصوص والاجراءات متجهة الى حالة العجز في ميزان المدفوعات ، ولم تكن هناك التزامات محددة على الدول ذات الفائض .

ومن الممكن ايضاح هذه المسئوليات عن طريق



التزامها بتقديم جانب من الفائض لمساعدة الدول ذات العجز ، لكي تتغلب على العوامل التي ادت الى اختلال ميزان مدفوعاتها ، كما يمكن وضع قيود او جزاءات على تراكم الفائض وما يستتبعه من تزايد حجم الاحتياطيات النقدية للدول ذات الفائض .

مشاكل التنمية الاقتصادية

بالرغم من ان اتفاقية برتن وودز قد اشارت الى تحقيق النمو كهدف من اهداف الصندوق ، الا ان جملة نصوص الاتفاقية ، انما كانت تتجه الى معالجة المشاكل النقدية ، ومشاكل اختلال التوازن قصير الاجل في موازين المدفوعات . وترك امر معالجة مشكلة التخلف الاقتصادي للاستثمارات طويلة الاجل . وخصص البنك الدولي للانشاء والتعمير لتحمل المسئولية الدولية في هذا الخصوص .

ولكن يلاحظ ان ثمة اتجاها لاستخدام الموارد النقدية ، لتحقيق استثمارات في البلاد النامية ، او لمساعدتها على تحقيق التوازن في ميزان مدفوعاتها .

ولذلك يقترح البعض تخصيص جزء من حقوق السحب الخاصة للتنمية الاقتصادية ، دون ان يكون هذا الجزء محددا بحصة الدولة النامية في الصندوق او في نظام حقوق السحب الخاصة . ويعارض البعض الاخر هذا الاتجاه ، لانه يؤدي في نظرهم الى اخراج نظام النقد الدولي عن وظائفه قصيرة الاجل ، ويؤدي الى تقليل الثقة بنظام حقوق السحب الخاصة ، اذا حدث وركز جانب هام منها في يد الدول النامية .

ج ـ ملاحظات ختامية

١ ـ مستقبل نظام النقد الدولي مرتبط بالعلاقات الدولية في مجموعها :

تطور التعاون الدولي في المسائل النقدية بصورة موازية للعلاقات السياسية بين الدول ، تلك العلاقات التي تتأثر ايضا بالمصالح الاقتصادية المرتبطة بالتجارة والاستثمار ، وان كانت لاتتوقف على هذه المصالح وحدها .



ولقد ادت العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية ـ الغالب منها والمغلوب ـ الى ان استطاعت الولايات المتحدة فرض وجهة نظرها ، بخصوص اقامة نظام للنقد الدولي يرتكز على الذهب ، ويكون للدولار فيه مركز خاص متميز . ولقد تغلبت وجهة نظر الولايات المتحدة ، بالرغم من الافكار المتقدمة والسليمة التي اقترحها العلامة الاقتصادي « كينز » Keynes اذ ذاك في مشروعه المشهور . الذي اقترح فيه اقامة نظام النقد الدولي على اساس مبدأ الائتمان المتبادل بين الدول الاعضاء ، دون ربط هذا النظام بالذهب .

وها نحن اليوم نشاهد الولايات المتحدة تدافع عن افكار مماثلة لما رفضته في اواسط الاربعينيات ، بينما تقف الدول الاوروبية وخاصة فرنسا ، تدافع عن العودة الى نظام ما يتصل بالذهب .

وفي تقديرنا أن تطور نظام النقد الداخلي ، قد اتخذ مسارا تاريخيا ، منطلقا من نظام الذهب ، الى نظام يرتكز على الائتمان ، بعد أن مر بمراحل متعددة في مساره التطوري . ومن الطبيعي ان ياخذ نظام النقد الدولي نفس الطريقة .

ان معظم الفنيين ورجال السياسة يحبذون طرح الذهب جانبا كاساس للنظام النقدي الدولي ، كما طرح جانبا كاساس لنظام النقد الوطني ، ولكنهم يختلفون في تحديد القاعدة التي يجب ان

يرتكز عليها النظام الجديد ، وان كانت اغلبيتهم تميل الى قبول فكرة الائتمان المتبادل لخلق رصيد نقدي هو « حقوق السحب الخاصة » ، يكون وسيلة لخلق السيولة النقدية ، ويتخذ اساسا لقياس قيم العملات ، وبذلك تحلُّ المسئوليةُ الجماعية محلَّ مسئولية الولايات المتحدة المنفردة عن تقديم الائتمان وتوفير السيولة الدولية .

ان رأى الغالبية هذا ، تقول به الولايات المتحدة ايضا ، كما انه يتفق مع المسار التاريخى لنظام النقد الوطنى ، ومع التطورات التى شهدناها فى التطبيق العملى لاتفاقية بريتن وودز Bretten Woods .

وعلى ذلك فمن المتوقع ان يتقرر شيء ما فى الموضوع فى اجتماعات دولية قريبة .

٢ ـ مركز الدولار بعد الاخذ بنظام حقوق السحب الخاصة :

سبق أن بينا أن حقوق السحب الخاصة ، على النحو المتفق على انشائها على أساسه ، انما هى حسابات احتياطية للبنوك المركزية ، وليست وسيلة وفاء عامة تستعمل فى السوق . وعلى ذلك فستظل وسيلةُ الوفاء المتداولة هى العملات الوطنية ، وستظل وسيلةُ الوفاء المقبولة بشكل عام فى السوق الدولى هى الدولار وغيره من العملات الوطنية للدول الكبرى .

ومن هنا كانت أهميةُ مستقبل الاقتصاد الامريكى بالنسبة للعالم ، حتى بعد اجراء اصلاح نظام النقد الدولى على النحو المنتظر .

وفى تقديرى أن التغيير الكبير فى سعر صرف الدولار بتخفيضه بنسبة ١٨٪ خلال فترة قصيرة من الزمن ، وبترك قيمته فى السوق تتدهور الى ادنى من ذلك ، فى نفس الوقت الذى رفعت فيه الاسعار الرسمية للعملات الكبرى (الدنشمارك والين) ، كل ذلك قد حرك قوى فعالة ـ وان كانت بطيئة التحرك ـ لاعادة قدر كبير من التوازن الى الاقتصاد الامريكى والى ميزان مدفوعاته .

واذا اضفنا الى هذا التطور السياسى الكبير فى علاقات الولايات المتحدة مع المعسكر الشيوعى ، وما اقترن به من تطور فى علاقاتها التجارية والاقتصادية مع هذا المعسكر ، وما يؤدى اليه هذا التطور من تحسن ميزان التجارة الامريكى ، فاننا نجد عنصرا جديدا يشير الى العوامل المتجهة بالاقتصاد الامريكى الى التوازن .

ومن ناحية اخرى ، فان قدرة الولايات المتحدة على التأثير فى السياسة الاوروبية ، ستمكنها بلا شك من ايجاد حل لمشكلة الارصدة الدولارية المتجمعة والمستحقة للدول الاوروبية الغربية ، ومن قبول قدر أكبر من المشاركة فى تحمل اعباء الدفاع والمعونات الاجنبية ، وخاصة وان انتهاء الحرب فى جنوب شرق آسيا وتحسين العلاقات مع الدول الشيوعية ، كل ذلك يجعل من المتصور ان تنخفض نفقات الحكومة الامريكية فى الخارج على مر السنين القليلة القادمة .

٣ ـ مكان الدول العربية تجاه نظام النقد الدولى المنتظر :

ان اهم ما تعنى به الدول العربية ، كجزء من مجموعة الدول النامية ، هو التركيز على موضوع استخدام جانب متزايد من السيولة الدولية ، التى ستخلق عن طريق حقوق السحب الخاصة ، لتمويل التنمية الاقتصادية .

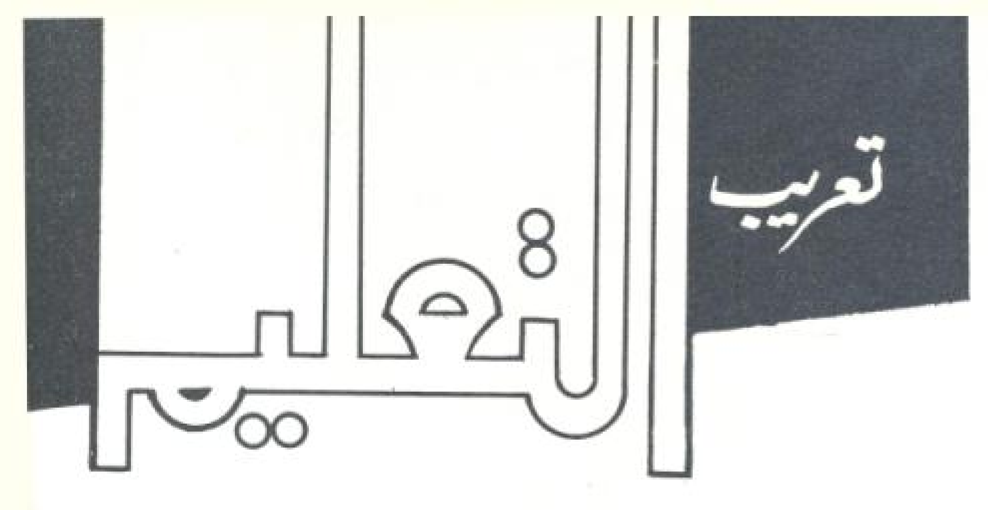
ولا شك فى ان هذه التنمية ـ وان كانت تفيد الدول النامية ـ الا انها تهم العالم كله . وذلك لان تحقيق التقدم المتوازن للاقتصاد العالمى ، يوجب تنمية كافة الموارد المتاحة فى العالم . فعن طريق النمو المتوازن يمكن وضع الاساس لاقامة نظام نقدى دولى يتمتع بقدر كبير من الثبات .

وثمة مشكلة اخرى ، قد تمس الدول العربية المنتجة للنفط ، عند مناقشة موضوع دور الدول ذات الفائض ومسئولياتها عن تحقيق التوازن فى موازين المدفوعات . فقد يقال ان الدول العربية المنتجة للنفط تحوز كميات كبيرة من الاصول السائلة،وان ذلك يمثل فائضا من ميزان مدفوعات الدول العربية ، يمكن أن يخضع للاجراءات او القيود التى قد تطبق على الدول المتقدمة ذات الفائض .

ومن الجلى ، أن وضع الدول العربية ذات الفائض ، يختلف تماما عن وضع الدول الصناعية، فالفائض المترتب على تصدير النفط الى الخارج بكميات تزيد عن احتياجات الدول العربية للاستيراد انما يقابله انتقاص فى الثروة القومية ، مما يجعل طبيعته مختلفة تماما عن فائض ميزان المدفوعات العادى ، ويخرجه عن اى تنظيم لمشاكل النقد الدولى .

١٩٧٢/٩/٨

عبد المنعم الطناملى



تعريب التعليم

بقلم : الدكتور جميل صليبا

■ اذا كان تعريب التعليم لا يزال يثير الكثير من الجدل في بعض الأوساط السياسية والاجتماعية والتربوية فمرد ذلك الى ان الذين يجادلون فيه لا يتحررون من الدوافع الذاتية . فلعلنا اذا اتبعنا في معالجة هذا الموضوع طريقة موضوعية نستطيع ان نهتدي الى رأي يجمع بين الآراء المتعارضة ، أو يضيق على الأقل شقة الخلاف بينها . وسنقتصر كلامنا في هذه الدراسة على الالمام بالمسائل التالية ، وهي :

١ ـ ما هو المقصود بتعريب التعليم .

٢ ـ حجج المخالفين للتعريب .

٣ ـ حجج المدافعين عن التعريب .

١ ـ المقصود بتعريب التعليم

المقصود بتعريب التعليم تدريس جميع مواد المنهج باللغة العربية في جميع مراحل التعليم وانواعه ، لا تدريس بعضها دون بعض ، ولا تدريسها في مرحلة دون مرحلة . فاذا كانت بعض نظم التعليم توجب تدريس جميع هذه المواد في مختلف مراحل التعليم باللغة العربية كان التعريب تاما . واذا كانت توجب تدريسها باللغة العربية في مرحلة واحدة او تدريس بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الاجنبية كان التعريب ناقصا. ويشترط في تعريب التعليم تعريبا تاما ان تكون اهدافه ومضامين مناهجه عربية وان يكون القاء دروسه باللغة العربية الصحيحة ، وان يكون هنالك لدى المعلمين والتلاميذ كتب علمية باللغة العربية موافقة لمنهج التعليم ، وان يؤدي التلاميذ امتحاناتهم الخطية والشفهية باللغة العربية الصحيحة . وهذه الشروط وحدها كافية للدلالة على أن تعريب التعليم لا يخلو من الصعوبات ، لأن بعض المعلمين الذين تخرجوا في الجامعات الغربية يؤثرون القاء دروسهم بالعامية لضعفهم في الفصحى ، أو القاءها باللغة الاجنبية التي تفقوها لتوافر مراجعها ووسائلها لديهم . أما التلاميذ فانهم يقدمون امتحاناتهم الشفهية بالعامية، وامتحاناتهم الخطية بالفصحى ، وان كانت محشوة بالأغلاط . وأكثر الاساتذة لا يحاسبون التلاميذ على أغلاطهم اللغوية في امتحانات المواد العلمية ، فلا عجب بعد هذا أن ينقسم رجال التربية ازاء هذه الصعوبات الى طائفتين : طائفة تذهب الى وجوب تعريب التعليم في جميع مراحله وانواعه تعريبا تاما ، وطائفة تذهب الى وجوب تعليم جميع المواد العلمية باللغة الأجنبية كالفرنسية أو الانكليزية . وبين هاتين الطائفتين طوائف متوسطة بعضها قريب من الطائفة الأولى ، وبعضها قريب من الطائفة الثانية ، وربما كانت اقرب الطوائف الى التوسط تلك التي تقسم مواد المنهج قسمين : قسم تدرس فيه المواد باللغة العربية (كالتاريخ والجغرافية والتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة) وقسم تدرس فيه المواد باللغة الاجنبية



(كالرياضيات والعلوم الفيزيائية ، والكيماوية ، والحيوية ،) . وكل طائفة من هذه الطوائف متطرفة كانت او معتدلة تجمع على استثناء دروس اللغة من أحكام التعريب ، لأن القائلين بالتعريب الكامل يدعون الى تدريس اللغات الاجنبية نفسها ، كما ان القائلين بتدريس جميع المواد باحدى اللغات الاجنبية يجمعون على استثناء اللغة العربية من هذا الحكم .

ونريد الآن ان نلخص حجج المخالفين للتعريب وحجج المدافعين عنه لمعرفة ما في كل موقف من هذين الموقفين من حق او باطل .

٢ ـ حجج المخالفين للتعريب

يرى المخالفون لسياسة التعريب أن من مصلحة الشعوب العربية تدريس العلوم باحدى اللغات الأجنبية كالفرنسية او الانكليزية أو غيرها . ولهم على ذلك عدة براهين منها :

١ ـ قولهم ان الفصحى ليست لغة الكلام والحياة . وانما هي لغة شبه ميتة لا يستعملها الا الشعراء والكتاب ولا تعيش الا في بطون المعاجم، فاذا تكلفها المدرس كان كمن يصطنع لنفسه امرا بعيد المنال ، يعاني في سبيله كثيرا من المشقة . فما بالك اذا كان حرصه على استعمال الفصحى يجعل تعليمه بعيدا عن افهام تلاميذه . واذا كانت غاية التربية أن تترك في ذهن التلميذ آثارا عميقة تبدل فكره وعمله لتمكنه منها فان استعمال الفصحى في التدريس يحول دون بلوغ هذه الغاية، لأنها ليست لغة الكلام ، ولأن من شروط التربية الصحيحة استعمال اللغة الطبيعية السهلة التي يتم بها الفهم والافهام في يسر . وهذه اللغة الطبيعية هي العامية لا الفصحى . فكأن استعمال الفصحى في التدريس لا يختلف عن استعمال اللغة الاجنبية في شيء ، كلاهما يتطلب جهدا صناعيا اضافيا لو صرفه التلميذ في تفهم الحقائق نفسها لقطع شوطا بعيدا في طريق النمو والتقدم.

٢ ـ ومن هذه البراهين قولهم ان اللغة العربية لا تشتمل على المصطلحات العلمية الضرورية للتعبير عن المعاني العلمية الحديثة . فاذا كان من شرط تدريس العلوم أن تتوافر لدى المدرسين مصطلحات علمية ثابتة ، فان خلو اللغة العربية من هذه المصطلحات يجعل عملية التعليم مضطربة .والدليل على ذلك ان لكلمدرس مصطلحات تخصه لا يفهمها الا تلاميذه ، وتختلف هذه المصطلحات باختلاف البلدان العربية ، بل قد تختلف في البلد العربي الواحد باختلاف الجامعات ، وفي الجامعة الواحدة باختلاف الأساتذة . وجميع المحاولات التي قامت حتى الآن لتوحيد المصطلحات العلمية بوساطة المجامع العلمية والجامعات والمؤتمرات الثقافية والاتحادات العلمية لم تكلل بالنجاح ، حتى أن مكتب التعريب الذي انشأته الجامعة العربية في الرباط لم يستطع حتىالآن ان يحقق هذا التوحيد وان كان قد بذل في سبيل ذلك كثيرا من الجهد الذي يستحق الثناء والتقدير .

٣ ـ ومن هذه البراهين قولهم ان اللغة العربية لا تزال حتى الآن مفتقرة الى المراجع العلمية لروح العصر واذا قيل لهم ان الكتب العلمية التي الفها العرب المحدثون في الرياضيات والطبيعيات وغيرها قد يسرت الأمر على المتعلم ، قالوا ان هذه الكتب لا تقاس بالكتب العلمية التي الفها العلماء الاوربيون والامريكيون ، لأنها متفاوتة الجودة والاتقان ، فيها الكثير من الخطأ والغموض والابهام، دع أن قلة انتشارها تمنع من اعادة طبعها لتصحيحها وتنقيحها وتنسيقها واكمال ما ينقصها من الحقائق المطابقة لحالة العلم الحاضرة . ان كتب الطب العربية التي يؤلفها اساتذة جامعة دمشق مثلا على جودتها واتقانها تصبح بعد مدة قصيرة من الزمان غير صالحة للتدريس لسرعة تطور علم الطب ، ولخلو هذه الكتب من الحقائقالعلمية الجديدة . واذا كان الذين يتعلمون الطب في هذه الكتب لا يتقنون احدى اللغات الأجنبية للاطلاع

على مستحدثات العلم فان اعتمادهم على العربية وحدها لا ينفعهم في شيء . فما بالك اذا كانت الجامعات العربية لا تنشر مجلات اختصاصية تتضمن التعريف بالكشوف الجديدة ، أو بنتائج التجارب التى اهتدى اليها الباحثون . لقد حصر علماؤنا جهدهم حتى الآن في تعريب مصطلحات لم يتم الاجماع عليها ، فصرفهم اشتغالهم بالتعريب عن الاسهام في التقدم العلمى . ولو بذلوا في البحث العلمى قسما من الجهد الذى يبذلونه في التعريب لاحتل العالم العربى في تاريخ العلم الحديث مرتبة اعلى من مرتبته الحاضرة .

٤ ـ ومن حججهم قولهم ان اللغة العربية لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات العلميـة الحديثة . وسبب ذلك ان الانتاج العلمى قد توقف فيها مدة طويلة من الزمان ، ولا سيما في عصور الانحطاط ، حتى أصبحت المصطلحات القديمة التى ترجمها العرب عن اليونانية وغيرها غير صالحة للتعبير عن دقائق الفكر الحديث ، اضف الى ذلك ان جهل الاساتذة المعاصرين بالاصطلاحات العربية القديمة جعلهم يخترعون الفاظا جديدة لمسميات قديمة . وقلما وجدت فيهم من يرجـع الى مصطلحات الخوارزمى في مفاتيح العلوم ليقتبس منها مصطلحات الحساب والهندسـة والفلـك والموسيقى والحيل والكيمياء والمكاييل ، او الى مصطلحات ابن سينا في القانون والشفاء ليقتبس منها بعض مصطلحات الطبيعة والتشريح والامراض والادوية وعلم النفس فلا غرو اذا جاءت الفاظهم مبهمة واساليبهم مضطربة . وما حاجتهم الى وضع لفظ جديد لمعنى قديم اذا كان القدماء قد سبقوهم اليه ، ان احياء الالفاظ الدالة على المعانى القديمة يوفر عليهم كثيرا من الجهد ، ولو نسـجوا على منوال القدماء لجاءت لغة العلم الحديث متصلة بلغته القديمة ، ولكن هـؤلاء المؤلفين يخترعون ما لا حاجة الى اختراعه ، ويغضون الطرف عن اختراع ما تدعو الحاجة اليه . لو طلبت من احدهم أن يسمى لك اجزاء السيارة او الدراجة ، او ان يصف لك ما يشتمل عليه احد المعامل الصناعية من الآلات والادوات لأعجزه الأمر . وسبب ذلك ان هؤلاء المؤلفين تلقوا علومهم بالفرنسية او الانكليزية ولم يطالعوا الكتب العربية القديمة ، فاذا آراد احدهم آن يترجم لك مصطلحا اجنبيا حديثا جاءك بلفظ غير مفهوم . دع ان اشتقاق المصطلح العلمى وتطويعه لاصول اللغة العربية ليس بالامر السهل ، لان اللغات الاجنبية تقبل كلمات مؤلفة من عدد من الحروف يفوق العشرة أو العشرين مركبة من جذور متعددة تضاف اليها كواسع ولواحق وليس في اللغة العربية من هذه الوسائل شيء .

٥ ـ ومن حججهم قولهم ان خلو الجامعات العربية من برامج التخصص العالي في الفروق العلمية يوجب على المتخرجين منها ان يقصدوا الجامعات الغربية لاستكمال وسائل تخصصهم . فاذا كانت الجامعات العربية لاتعلمهم هذه العلوم الا باللغة العربية عجزوا عن متابعة دراستها باحدى اللغات الاجنبية واضاعوا في سبيل تخصصهم العالى كثيرا من الجهد والوقت والمال . هل من مصلحة البلاد العربية وهي في حاجة الى العلماء الاختصاصيين ان تبذل في سبيل اعدادهم وقتا اطول من الوقت الذى تبذله الدول المتقدمة . واذا كان الاساس الذى يبنون عليه تخصصهم اساسا واهيا ، فان البناء الذى يقيمونه على هذا الاساس لا يمكن ان يكون الا متصدعا، ان تخلف البلاد العربية عن الركب يوجب عليها اتباع اسرع الطرق في اعداد الخبراء والاختصاصيين . وتعليم العلوم بالعربية ليس من الطرق التى تحقق هذه الغاية في اسرع مدة . يضاف الى ذلـك ان عجـز هؤلاء الاختصاصيين عن الكتابة والخطابة باحدى اللغات الاجنبيه يجعلهم في عزلة « تامة » عن العالم العلمي الدولي ، هذا اذا كان لديهم مايقولونه ، وكثيرا ما تجدهم يحضرون المؤتمرات العلمية الدوليـة للاخذ لا للعطاء واذا كان لديهم مايعطونه احتاجوا الى من يترجم لهم اقوالهم . ولو كان للعرب المحدثين اسهام واسع في الواقع الحضارى لاحتاج علماء العالم الى تعلم لغتهم ، ولكنهم لايزالون حتى الآن في بداية الطريق . وحاجتهم الى علوم الاوربيين اشد من حاجة الاوربيين الى علومهم .

٦ ـ فهذه الاسباب وغيرها جعلت القائلين بوجوب تدريس العلوم باحدى اللغات الأجنبية الحية يتهمون المدافعين عن تعريب التعليم بمخالفة الواقع والبعد عن المنطق . فاذا قال انصار التعريب أن التدريس باللغة العربية واجب قومي،

او واجب ديمقراطي ، قالوا ان في هذه الدعوى انقيادا للعواطف لاتقيدا بالحقائق الموضوعية . واذا قال انصار التعريب ان مبادىء التربية توجب تدريس العلوم بلغة الام لسهولة تبليغها قالوا ان لغة الام هي العامية لا الفصحى. لو كانت الفصحى سليقة فينا لامكننا استعمالها في التعليم فما بالك اذا كنا لا تنطق السنتنا الا بالخطا ، ولا نتكم بالفصحى الا تكلفا . ومع ان المنكرين لتعريب التعليم لاينكرون على العربية فصاحتها وبلاغتها واثرها القديم في بناء الحضارة فانهم عند الكلام على اتخاذها اداة للتعليم يشكون في قيمتها الثقافية ويقولون ان اللغة العربية الحديثة قليلة الانتاج والدليل على ذلك ان انتاج اللغة الانكليزية ٢٢٪ والروسية ١٧٪ والالمانية ١٥٪ واليابانية ١١٪ ، والفرنسية ٩٪ اما انتاج اللغة فهو اقل من ٤٪ شانها في ذلك شان الايطالية والاسبانيولية والبرتغالية وغيرها . فاذا كان الامر على ما ذكرنا كان من الافضل لنا ان نزيد انتاجية لغتنا بتعلم اللغات الاجنبية للاقتباس منها ، ان المسالة مسالة حياة او موت ، ولاحياة للعرب المحدثين الا اذا خرجوا من اقفاصهم المغلقة ومدوا ابصارهم الى العالم ، وصاروا لغيرهم من الامم اندادا في العلم والصناعة ، ولعلنا اذا اردنا تقويم المرحلة التي وصل اليها البحث العلمي في العالم العربي مع بيان آثار هذه المرحلة في تطور اللغة العربية نستطيع ان نعتمد على بعض المعايير التي تبرز لنا ذلك كعدد المجلات العلمية التي ننشرها ، وعدد المؤتمرات العلمية الدولية التي نقيمها ، وعدد البحوث العلمية المبتكرة التي ننشرها ان هذه المعايير وحدها كافية للدلالة على ان اسهام العرب في البحث العلمي ضعيف ، دع ان ضخامة الانتاج العلمي العالمي والسرعة التي تولد بها التعابير ، والمصطلحات العلمية الجديدة، وسرعة تبدلها ، كل ذلك يؤلف عبئا لغويا ثقيلا لا تكفي الجهود المبذولة حتى الآن في حقل المصطلحات العلمية لتخفيفه .

٣ ـ حجج المدافعين عن التعريب

اما المدافعون عن التعريب فيقولون ان اللغة العربية من اغنى اللغات واوسعها اشتقاقا وادقها تعبيرا صقلتها العقول في الماضي بضعة عشر قرنا حتى جعلتها لغة الشعر و الخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة . فما بالك اذا كانت هذه اللغة ذات الطاقات الخلاقة قد اصبحت لغة جميع الاقطار التي فتحها العرب فخلفت فيها جميع اللهجات كالسريانية واليونانية والقبطية واستوعبت علوم الفرس واليونان ، حتى اصبحت اداة طيعة في ايدي العلماء ينشرون بواسطتها افكارهم ، فليس القول بتقصير هذه اللغة في استيعاب العلوم الا اسطورة خبيثة بثها المستعمرون في ابناء هذا الجيل . وخير وسيلة لابراز سخف هذه الاسطورة ايراد الحجج التالية.

١ ـ الحجة الاولى حجة تربوية ، وهي القول ان التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغة الام يتفوق على التلميذ الذي يتعلم تلك العلوم بلغة اجنبية . وسبب ذلك ان لغة الوالدين اقرب الى الفهم والافهام ، وابعد عن التعقيد ، واللبس والابهام ، يستعملها الطفل بتلقائية تامة ، ويدرك ما تعبر عنه من الحقائق في سهولة وسرعة ووضوح . وفي ذلك كما يبدو لنا اقتصاد في الجهد الفكري ، لان الذي يتعلم العلوم بلغة غير لغته مضطر الى بذل جهدين، احدهما لغوي والآخر علمي بخلاف التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغة والديه ، فانه لايحتاج الى اضاعة الوقت في تفهم الالفاظ ولا الى تبذير طاقاته الحيوية في امور لاطائل فيها .

وقد دلت تجارب زملائنا الذين مارسوا تدريس العلوم في المدارس العربية والمدارس الاجنبية معا على ان طلاب المدارس الاولى يتفوقون على طلاب المدارس الثانية في تفهم الحقائق العلمية وحفظها . ولست اريد الآن ان افصّل القول في هذه التجارب ، ولكنني اريد ان اقول فيها قولا واحدا وهو ان نتائجها العلمية مطابقة لما دل عليه النظر العقلي ، فالطالب الذي يتعلم العلم بلغة غير لغته يشبه الرجل الذي ينتقل من بيئة الى اخرى ، كلاهما محتاج الى اضاعة قسم من الوقت في مؤالفة الشروط الجديدة التي يواجهها فلا غرو اذا تفوق طلاب المدارس العربية على طلاب المدارس الاجنبية في امتحانات العلوم مادامت لغة هذه الامتحانات لغتهم الطبيعية .

٢ ـ والحجة الثانية حجة قومية ، وهي قول

انصار التعريب أن اللغة مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان آدابه وسجل مطامحه واحلامه ، ومفتاح افكاره وعواطفه ، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده . وبين اللغة والفكر علاقة وثيقة ، وبقدر ما يتمكن الافراد من لغتهم القومية تنمو مشاعرهم وافكارهم، لأن لافكرة بغير لفظ ، ولا لفظ بغير فكرة ، نعم ان هنالك افكارا غامضة لايمكنك التعبير عنها بالفاظ واضحة ، كما ان هنالك الفاظا فارغة لا تعبر عن اى فكرة ، ولكن الفكرة لاتصبح واضحةومتميزة الا اذا ثبتها اللفظ واللفظ لايصبح ذا حياة وروح الا اذا دل على معنى محدد ، تلك هي وظيفه اللغة ، انها اداة التعبير عن خوالج النفس ، واداة الاتصال والتفاهم بين الناس ، واداة تحصيل العلم وتوسيع الاختيار ، واداة تثبيت الفكر ونقله من الاطار الذاتي الى الاطار الموضوعي ، ورمز الكيان القومي .

ولست اريد الان ان اتكلم على هذه الوظائف ولا على تاثير اللغةفيتكوين الروح القومية وحفظها، فان لذلك مجالا اخر غير هذا المجال ، ولكني اريد ان اقول ان استعمال لغة قومية واحدة ادى الى التقارب والتفاهم بين افراد الشعب من استعمال لغات متعددة او لهجات محلية مختلفة . واذا كانت الروح القومية روحا جماعية مؤلفة من مجموع التصورات ، وكان لكل تصور لفظ واحد يدل عليه كانت الروح القومية الجماعية مقابلة لمجموع ماتضمنه اللغة من الالفاظ ، واذا لم يكن هنالك لفظ واحد للتعبير عن الشيء الواحد تعذر التفاهم بين الناس .

وفي التاريخ امثلة كثيرة تدل على ان تقدم الامم في مجال الحضارة مصحوب بتقدم لغاتها ، اذا ازدهرت حضارة احدى الامم وقويت شوكتها تقدمت لغتها كتقدم اليونانية في العالم القديم ، وتقدم العربية في العصر الوسيط ، واذا تأخرت الأمة في المجال الحضارى تحجرت الفاظ لغتها وتاخرت اساليبها على النحو الذى شهدناه في عصور الانحطاط .

والنتيجة الصادقة التى نستخرجها من هذه المقدمات ان تنمية الروح القومية توجب على العرب المحدثين تطوير لغتهم حتى يجعلوها مطابقة لحاجاتهم ، صالحة للتعبير عن افكارهم وخوالج أنفسهم ، فان أهمال اللغة العربية يضعف الوعى العربي ويبدد الشعور القومي .

ومن احسن الوسائل للنهوض باللغة العربية اتخاذها اداة لتدريس العلوم كلها . لا لتدريس علم دون آخر،لاننا اذا درسنا العلوم المادية والانسانية باحدى اللغات الاجنبية لم نبلغ من التربية القومية غايتنا ، ولان الطالب الذى لايدرس العلوم باللغة العربية يظل ضعيفا في التعبير عن خوالج نفسه . ان المربين الذين يتخذون اللغة الاجنبية اداة للتدريس يعرضون ثمار جهودهم للضياع ، اذ ينشئون بذلك جيلا ذا معارف سطحية لاصلة لها بمحيطة وحياته ولا بخبراته السابقة . وكلما كانت اللغة الاجنبية من فصيلة لغوية غير فصيلة اللغة القومية كان هذا الخطر اعظم . ويكفي ان تدرس العلوم باحدى اللغات الاجنبية حتى تصبح هذه اللغة غولا يأكل اللغة ويقتل تذوق المتعلم لمحاسن لغته . ومعنى ذلك ان اقتصار النشاط التربوى على اللغة الاجنبية وحدها يدفع اللغة العربية الى الوراء ، وتقهقر اللغة القومية امام لغة او اكثر من اللغات الاجنبية يعني تقهقر الفكرة الوطنية . اللغة بهذا المعنى وسيلة وغاية معا ، فهي وسيلة من جهة ماهي اداة للتعبير وهي غاية من جهة ماهي صورة كلية للروح القومية .

٣ ـ يمكننا الان بعد الذى قدمنا ان نفند حجج المخالفين للتعريب واحدة واحدة فنقول .

١ ـ ليست اللغة التي ندعو الى استعمالها في التدريس لغة العصر الجاهلي ولالغة العصر الاموى او العصر العباسي ، وانما هي لغة العرب المعاصرين في مختلف اقطارهم . وهي وان اختلفت بعض الشيء عن اللهجات المحلية الا ان بينها وبين هذه اللهجات قرابة وثيقة . دع ان بعض هذه اللهجات اقرب الى الفصحى مما يظن ، والفرق بين العامية والفصحى في اللغة العربية الحديثة ليس اعظم من الفرق بينهما في بعض اللغات الاجنبية ، فاذا استعملنا هذه اللغة في التدريس لم نبتعد عن الحياة ، فما بالك ، اذا كانت وسائل الاعلام العربية قد جعلت هذه اللغة المبسطة على طرف

الشام ، وقد دل تطور اللهجات المحلية على أن اختلافها عن اللغة الصحيحة اخذ بالتناقص ، وسببذلك انتشار التعليم ونفوذ الاذاعات بواسطة الترانسيستور الى كل بقعة من بقاع الأرض العربية .

ب ـ اما القول ان خلو اللغة العربية من المصطلحات العلميـة يجعل التعليم بها محفوفـا بالصعوبات ، فهو على صدقه لايحول بيننا وبين التدريس باللغة العربية ، فاما ان نؤجل التدريس بهذه اللغة الى أن يتفق علماؤنا على مصطلحات موحدة ، واما ان نباشره منذ الآن بوسـائلنا الخاصة ، بحيث يستعمل كل استاذ مايشاء من المصطلحات، ويكتب الى جانب كل مصطلح مايقابله من الالفاظ الانكليزية أو الفرنسية . لقد اخذنا في سورية بهذه الطريقة الثانية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، فعربنا التعليم الابتدائي والثانوى والعالي في وقت لم يكن لدينا فيه كتب عربية ولا مصطلحات عربية ، ولو لم نطبق ذلك منذ نصف قرن تقريبا لما استطعنا اليوم ان نؤلف الكتب العربية فى كل فرع من فروع العلم ، والمؤلفون بعضهم على بعض رقيب ، فاذا اهتدى احدهم الى اصطلاح موافق اخذه زملاؤه عنه بحيث يمكن القول ان اساتذة جامعاتنا يتعاونون على تثبيت المصطلحات من تلقاء انفسهم . فما بالك اذا كان مجمع اللغة العربية بنشر المصطلحات العلمية فى معاجم خاصة يقتبسها عنه العلماء وينشرونها فى كتبهم ، بل مابالك اذا كان المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ينشر مجلة دورية للتعريف بنشاط الترجمة والتعريب وبنشر المعاجم التي تقترحها عليه وزارات التربية والتعليم بالفرنسية والانكليزية والعربية لتحقيق وحدة المصطلح العلمى فى لغة الضاد .

ج ـ واذا قيل ان تدريس العلوم باللغة العربية يجعل المتخرج من مدارسنا عاجزا عن الافادة من المراجع الاجنبية ، وان ثقافته العلمية اذا اقتصرت على ما قراه في الكتب العربية القليلة العدد ظل متخلفا عن الركب ، قلنا انا لا ندعو الى تضييق الخناق على العقل العربي ، ولا الى حصر نشاطه في لغة واحدة ، بل نضيف الى دعوتنا الى التعريب دعوة اخرى وهي وجوب اتقان لغـة اجنبيـة « واحدة » او لغتين اجنبيتين ، فاذا قرا طلابنا علومهم باللغة العربية وكانوا من القوة فى احدى اللغات الاجنبيـة بحيث يستطيعون ان ينتفعوا بمطالعة كتبها الاختصاصية لم يجمدوا علمهم بل جاوزوا درجات التحصيل التي بلغوها الى درجات اعلى منها .

د ـ اما القول ان اللغة العربية لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات الحديثة فقول باطل من اساسه لان اللغة العربية استوعبت العلوم القديمة كلها يوم ترجمت اليها في العصر العباسي الاول مع انه لم يكن فيها اذ ذاك مصطلحات علمية تسهل سبل هذه الترجمة . ويكفي ان يرجع المرء الى كتب ابن سينا والخوارزمي والرازى والبيروني وجابر بن حيان وابن الهيثم وغيرهم ليدرك ان ما تضمنته هذه الكتب من المصطلحات يصلح ان يكون اساسا لوضع مصطلحات جديدة تعبر عن المعاني العلمية الجديدة ، وفى وسع علمائنا ان يقتبسوا من هذه المصطلحات القديمة مايشاؤون ، واذا عز عليهم ايجاد مصطلح قديم لمعنى علمي حديث وضعوا له بطريق الاشتقاق والنحت لفظا جديدا او عربوه ، ونحن لانشترط فى هذا التعريب ان يكون على وزن عربي ، بل نشترط فيه ان يكتب اللفظ المعرب بالحروف العربية والاجنبية معا لا بالحروف العربية وحدها .

هـ ـ أما القول ان الافراد الذين درسوا باللغة العربية لايستطيعون ان يسهموا في النشاط العلمي الدولي لجهلهم باللغات الاجنبية العالمية فقول مشتمل على شيء من التمويه ، لان العجز عن الاسهام فى النشاط العلمى الدولى لا يرجع الى ضعف علمائنا في اللغات الاجنبية ، بل يرجع الى ضعفهم فى موضوع اختصاصهم . وما حاجتهم الى الاسهام في هذا النشاط اذا لم يكن عندهم مايقولونه. ونحن لم ندع الى الاعراض عن اللغات الاجنبية .

بل دعونا الى تعلمهـا واتقانهـا ، وليس فى تعليم العلوم باللغة العربية ما يوجب الاعراض عن تعلم اللغات الاجنبية ومطالعة كتبها . ■■

جميل صليبا



أبو الفضل الوليد

الياس عبد الله طعمة

بقلم : محمد اديب غالب

■ هذا الشاعر اللبناني العربي الياس عبد الله فرح طعمة كانت له صفة ترفعه الى اعلى منازل الاخلاص والصدق والاكرام ، هي ايمانه بقوميته العربية ، وافتخاره بمحتواها الاسلامي ، يومَ كانت هذه الصفة قد اندثرت وامتحت من القادة الذين نادوا بها ايام الحكم العثماني ، ثم تناسوها وتنكروا لها يوم نزلت فرنسا « الام الحنون » على شواطيء الساحل اللبناني والسورى عام ١٩١٨ ، واعلن وكيل المندوب السامي الفرنسي كولندر في بيروت قائلا : ان فرنسا تلبي طلب اصدقائها الموارنة ، وتأتي لهذه البلاد لحمايتهم (١) » .

مولده ونشأته

ولد شاعرنا الثائر في « القرنة الحمراء » من قضاء المتن عام ١٨٨٩ حيث كان لآل طعمة في تلك المنطقة ، السيادةُ والنفوذ . وكان والده عبد الله طعمة شديدَ الاعجاب بالعرب وبتاريخهم ، يعتز بامجادهم ويتغنى باشعارهم ، ونوادر فصحائهم ، ومآثر ابطالهم . وكان جداه ــ جده لابيه الياس طعمة ، وجده لامه ، خليل طوبيا ــ من الجاه والثراء والسمعة الحسنة، ما جعل الشاعر الياس ينشأ في بيت عريق الحسب والنسب ، ويرفل في بحبوحة من الوجاهة . وكان نصيب الطفل الذى كانت امه « مرشة » ــ وهي حفيدة البطل اللبناني يوسف الشنتيرى الشهير بمروءته وكرمه ، ــ تغذى فيه روح الانفة ، والتطلع الى الغد بروح الشاعر المتامل العزيز النفس .

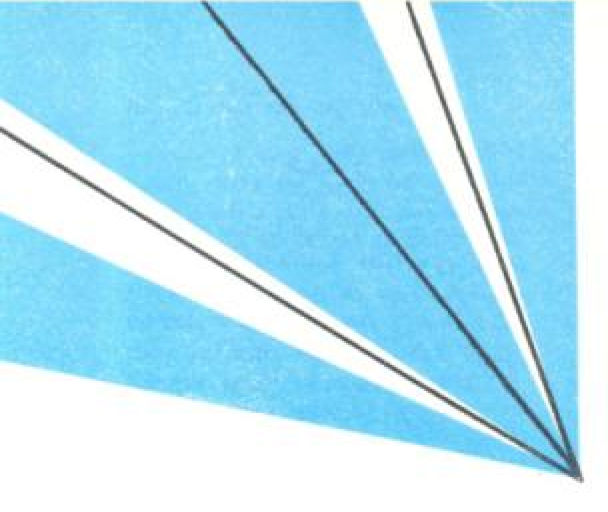
في معهد عينطورة

وفي اواخر عام ١٨٩٩ ارسله والده الى معهد عينطورة ، بعد ان غدا الياس متمكنا من العربية والفرنسية في مدرسة القرية ، وكان معهدُ عينطورة المعهدَ الفرنسي الاول في منطقة الشرق الادنى ، لايدخله سوى ابناء الوجاهة والثراء ، وانصرف التلميذ الى الدرس والاجتهاد ، مما اثار دهشة اساتذته ، ووجد الياس متسعا من الوقت لينظم الشعر باللغتين العربية والفرنسية ، كما أن نفسه ــ بما حملت من الاباء والشمم والنزوع الى الحرية مالت الى التمرد على ما لا يلائم طباعه من تقاليد في المدرسة .

وفي عام ١٩٠٣ انتقل الشاعر الى مدرسة الحكمة في بيروت ، واكب على دراسة العربية برغبة واندفاع ، حتى بلغ منها تحقيقا ودرسا ما جعله احدَ الجنود في نهضة اللغة العربية المعاصرة ، وعاد الى قريته في نهاية عام ١٩٠٥ وهو مكتمل الشخصية مع انه كان في السابعة عشرة من

---

(١) لم تكن حماية النصارى مستوحاة من غيرة الفرنسيين على ابناء دينهم فحسب ، بل كانت ايضا حجة اساسية لتدخل هؤلاء ــ عندما يحلو لهم ذلك ــ في امور الدولة العثمانية ، وذلك سبيل مصالحهم ومنافعهم انظر كتاب « قبل وبعد » لاسكندر الرياشي ص ١١ .



شاعر الوجدان العربي الأصيل

عمره . وامضى وقته يناظر ويجالس العلماء ، وانصرف بكليته الى الادب والتبشير بحب العربية وتراث الاجداد .

هجرته الى اميركا

وعام ١٩٠٨ أبحر من بيروت سائحا الى مصر ، وايطاليا ، وفرنسا ، واسبانيا ، والبرتغال ، ومن هناك تاقت نفسه الى العالم الجديد ، فتوجه الى الارجنتين وتجول في ارجائها طوال سنتين ، ثم انتقل الى اورغواي ومنها الى البرازيل حيث استقر في عاصمتها ريودي جانيرو اثنتي عشرة سنة . وفي تلك الحقبة قام بجولات واسعة، يطوف على ابناء الجالية العربية ، ويلقي الخطب والمحاضرات ، وينشر المقالات والقصائد في تمجيد الوحدة العربية ، والعمل على جمع كلمة ابناء بلده في الخط الوطني السليم .

جريدة الحمراء

وقبل اعلان الحرب العالمية الاولى بسنة واحدة، اصدر جريدة « الحمراء » تيمنا باسم قريته واسم حمراء غرناطة الاندلسية ، فكان لها شان كبير لدى المقربين والاوساط الرسمية ، وظل يصدرها حتى عام ١٩١٧ ، وهي مشبعة بالشعور العربي الصادق والمحبة الوطنية .

اسمه الجديد

وباصرار المؤمن وشجاعة الثائر ، اتخذ في تشرين الاول ١٩١٦ اسم « الوليد » وكنية « ابي الفضل » ودونهما في السجلات الحكومية ، فاصبحا اسمين رسميين يعرف ويعامل بهما . ولم يغير اسمه لانه غير عربي ، بل لان اخصامه حاولوا اغراءه في سبيل اسكاته عن دعوته العربية ، وحمله على مؤازرتهم في ركاب « الام الحنون » وحلفائها الذين خلفوا الحكم التركي البائد .

وكان من اثر عمله هذا ، ان بادر اصدقاؤه ومحبوه الى اقامة الحفلات التذكارية لهذا الحدث الممتلىء بالتحدي لمن كان يتلمس الخلاص والفناء وراء الاجنبي الجديد ، ويقدس انتدابه ، معتبرا انتصاره دعما لمعتقداته المذهبية الواهية .

العودة الى الشرق ووفاته

وفي سنة ١٩٢٢ ركب البحر عائدا الى الوطن ، بقصد معرفة رجالات الثورة العربية الاولى ، فعرّج على الجزائر وتونس، ثم وصل الى لبنان ، وقام بعد ذلك بزيارة مصر وفلسطين والاردن وسوريا والعراق ، وفي سنة ١٩٢٩ انتدبته لجنة من الوطنيين الاحرار ، ليمثل لبنان في المؤتمر الشرقي ضد الاستعمار ، المنعقد في برلين ، فقام بهذه المهمة خير قيام ، وادى رسالة العروبة بكل امانة وشجاعة .

ولقد آثر في ايامه الاخيرة الانصرافَ الى العزلة، وقد هاله طغيانُ الاستعمار وزبانيته في البلاد وظل هكذا يعيش ، حتى وافته المنية عام ١٩٤١ ، فكانت كلماته الاخيرة قوله :

على عمرانها الدنيا خرابُ
ومع قُمْريّها ينعى الغراب
فدعْها غير مأسوف عليها
فأولُها وآخرها تراب

شعره

لقد كان لشاعرنا الوطني في ميدان الشعر باع « طويل » وزعامة ادبية خلقية تلتزم بالايمان والعروبة الصادقة . بل كان مفهومه للوطنية ، انها لاتقوم الا على العروبة ، ولا عروبة الا بالاسلام الجامع بين مختلف الاجتهادات والطرق للوصول الى الهدف الاسمى : « الوحدة العربية تحت ظل رسالة النبي العربي ، والقرآن الكريم » .

وامام التيارات العنيفة المنحازة الى الغرب ، واجه العتابَ واللوم والحرب غير هياب ، متمسكا بمعتقده وايمانه ، وفي قصيدته « المشرقية » التي بلغت ابياتها ١٥٠ بيتا ، نجد صورة تعبر عن اعتقاده هذا ، منها قوله :

أريت الشرقَ ملكا للنبيِّ :
يُزلزَل تحت رِجلِ الأجنبيِّ

فحتّام الفرنجة في هِراشٍ
عليه ، كأنه مالُ الصبي

فقل للطامعين به : رويدا
قد استغنى اليتيمُ عن الوصيّ

الى ان يقول :

ويا ابناء يعرب ، هل أصاخت
ضمائركم لتأنيب النديِّ

فحوّلَ الكعبة العظمى نجومٌ
تطالعكم من الليل الدّجي

ولم يك مجدُ ذي القرنين إلا
حقيراً عند مجد يَعرُبي

وفي قصيدته « الجهادية » المطولة ، يعلنها حربا شعواء على دخول الفرنسيين سوريا ، ودخول الانجليز العراق ، فيقول :

الشام يُقهَر ، والعراق يُضام
فاليوم لاعرَبٌ ولا إسلامُ

أين العروبةُ والخلافة منهما
والمسلمون بلادهم أقسام

لبني أمية ، أو بني العباس في
تلك الربوع ، أمانةٌ وذِمام

شُقَّ الحجابُ ، فلا حجابَ لقدسها
وأهانها زرقُ العيون طغام

زحفت جحافلُهم إلى أرض الهُدى
فالجيش من كل الجهات لُهام

يمشي ، فتمشي الموبقاتُ وراءه
ومن الذخائر والسلاح رُكام

في نكبة الزوراء والفيحاء ما
يُنْعَى له الحَرَمانِ والأهرامُ

ويختتمها بقوله :

فإلى الجهاد ، إلى الجهاد ، تصارخٌ
وعلى الجهادِ ، على الجهاد ، زحام

وقلوبُكم لأكفكم جمّاعةٌ
وجهادُكم لسلاحكم ضمّام

وتعاونوا متعارفين براية
خفَتْ بها الأملاكُ والأعلام

في ظلّها نيلُ الشهادة والعُلى
وأمامها الجناتُ والإكرام

وفي قصيدته « القدسية » يناجي القدسَ الشريف ، والامةَ العربية ، ويستفز حميتها قائلا :

أنتِ العظيمةُ فوق الرمل نائمة
أنتِ الكريمةُ في أيام بؤساكِ

حتام تصبر في ذل وفي جزع ؟
وكيف نحمل بلوانا وبلواك ؟

وافاك في ليلة المعراج سيدُنـــا
محمدٌ ، وكتابُ الله سمّـــاكِ

فبالعروبة والإسلام أنت لنـــا
واللهُ يسمعُ شكوانا وشكـــواكِ

هل تستقر جماهيرُ اليهـــود إذا
دعوتِ يوما « أبا حفص » فلبـــاكِ؟

وذو الوشاح له في الغمْد صَلصلةٌ
وفي الرقاب صليلٌ منه سلْـــواكِ

بالله ، أيتها الأمُّ العروبُ ، خـــذي
بالثأر شعبـاً لنصر البُطْلِ عـــاداكِ

وطهّري القدس من رجْسٍ ومن دَنَسٍ
وأصْلي سيفَ سفّاكٍ لسفّـــاكِ

وللشاعر العربي الياس طعمة ، من القصائد الوطنية التي اشبه ما تكون بالمعلقات الفريدة ، ما لا حصر له ولكلها تبرز مواهبه في دقة الوصف ، وجودة النظم في شتى الابواب التي حفل بها ديوانه المطبوع حديثا ، وقد وقف على طبعه الاديب اللبناني جورج مصروعة ، ونشرته دار الثقافة ببيروت لاصحابها آل طعمة .

رايه في اللغة العربية

ويبدي الشاعر العربي رايه في اللغة العربية بدراسة مطولة ، وبالحماس الوطني نفسه النابع من ايمانه بخصائص الامة العربية وتراثها الخالد. وحسبنا ان نستمع الى مايقوله : « كل لغة ابدت ضمائر اهلها ، لان تلك الضمائر اوجدتها ، فاللغة روح الامة ، وقد تولدت من مزاجها ، وطبعها ، وذكائها ، وشعورها .

« وافضل اللغات العربية ، لان العرب افضل الامم . ومن يقابلها باخواتها الساميات يعرف تفوقها عليهن باللفظ والمعنى ، فليس لهن مالها من تهذيب الالفاظ ، وتلطيف المعاني ، وقد بهرتهن مترفعة ومتقدمة مع اصحابها الذين سادوا الشعوب السامية . واللغات الساميات دُفن وطُعِّمَ اصحابهن بطعمٍ عربي الى الابـد . فكما تقلبت الامة العربية لحق وفضل ـ تقلبت معها لغتها بعمل الزمان والمكان ، والفرق الظاهر بالليونة والمتانة بين العربية والسريانية والكلدانية وغيرها .

« واكبر بينة على ثقافتها ونعومتها ان ليس فيها ابتداء بساكن ، ولا التقاء ساكنين . وكل التحاسين والتعاجيب في صرفها ، ونحوها ، وبيانها ، وبديعها ، وعروضها . فان فيها الابداع والتفنن والتعليل ، الدالة على الاصالة والدراية، فللسان منها اعذب الكلمات، وللجَنان اكبر اللذات، وان من الجناس اللفظي فيها ما يشبه اللآلىء في السموط والازاهر في الغصون » .

مؤلفاتـــه

وللشاعر الياس طعمة مؤلفات عديدة تمد الى جانب ديوانه الضخم من الاهمية بمكان في عمق التفكير ، وبلاغة الاسلوب ، والترسل في الرواية والانشاء . وله روايات مسرحية مقتبسة من تاريخ العرب وهي : « اسرار بغداد » و « احمد وولادة » و « نكبة البرامكة » . كما عرب نظما « البحيرة » للامرتين ، و « الليالي » لدى موسيه ، وقسما من « الكوميديا الالهية » لدانتي .

وفي خليط من النظم والنثر ترجم « آخر بني سراج » لشاتوبريان ، و « احلام العذارى » و « الحب آخره قتل » و « بمتشاء خاطبا فتزوج » لدى موسيه .

ونظم « نشيد الاناشيد » المنسوب الى سليمان، وطبع رواية « زوال الحب والملك » في بيروت ، واتبعها بـ « احاديث المجد والوجد » وديوان « رياحين الارواح » ومنغمة « غافر ولبانة » و « السباعيات » .

هذه ابرز مافي حياة الشاعر المجاهد المغترب الياس طعمه ، ومن المحقق ان حياته وادبه الحافل بمستخبر الاعصار العربي على الاجنبي ـ جدير بالدراسة ، وان دراسة اثاره الباقية فيها من القوة والعزة والوحدة ، ما نحن اليوم بحاجة الى خطراته ونفحاته الصادقة . ■■

محمد أديب غالب



حصوات الجهاز البولي

بقلم : الدكتور حسين أمين

رئيس وحدة جراحة المسالك البولية
مستشفى الصباح ـ الكويت

■ البول سائل مركز مليء بمواد تضر بالجسم لو بقيت فيه ، وقد تصل في تركيزها الى درجات عالية . ومن معجزات الجسم البشري بقاؤها ذائبة دون ان تترسب كما يرسب السكر الزائد في قاع فنجان الشاي . فاذا هي لرسبت تكونت منها الحصوات .

من اين تأتي هذه المواد ؟

هي اولا بعض نفايات المصنع الكيماوي الكبير الذي يدور ليل نهار في خلايا الجسم ، وهي ثانيا : مواد تأتي من الاطعمة بعد تكسرها وتحللها في الجسم ، بالهضم والامتصاص وما يتبع ذلك من ظواهر التغذية .

واهمها يعنينا من هذه المواد هو املاح الكالسيوم واملاح حامض الاكساليك والفوسفات وحامض البوليك . ولم يصل علم الانسان بعد ـ رغم الأبحاث المتواصلة ـ الى الالمام بكافة العوامل التي تبقي هذه المواد الصعبة الذوبان ذائبة في البول ، ولكن ما ثبت الى الآن هو ما يلي :

١ ـ كمية الماء في البول : فانها اذا كانت فوق اللتر ونصف اللتر يوميا فان هذه الأملاح يندر ترسبها .

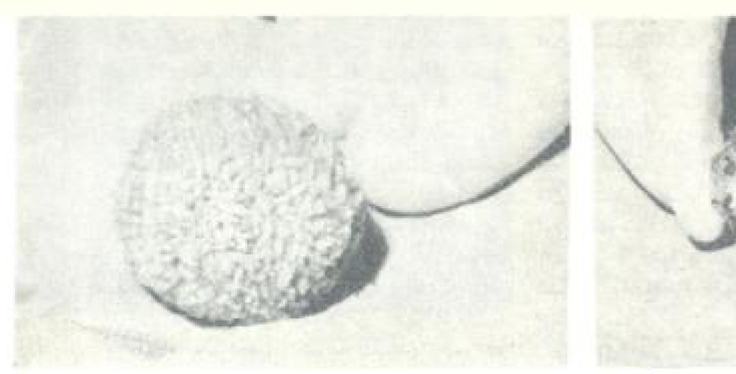
٢ ـ درجة الحموضة والقلوية : فالبول القلوى يساعد على حفظها ذائبة .

٣ ـ توازن خاص يحدث اذا ما وجد الصوديوم والماغنسيوم في البول بنسبة اكبر قليلا من الكالسيوم . واهم مصادر الصوديوم باجسامنا ملح الطعام العادي الذي نتناوله على المائدة .

٤ ـ وجود مواد عضوية واملاح أمينية خاصة تفرزها الاغشية المبطنة للجهاز البولي ، ولا نكاد نعلم عنها كثيرا .



خشونة سطح حصوة الاكسالات تجرح الأغشية وتسبب تلون سطحها ببقع من صبغة الدم الداكنة .



حصوة المثانة تكون عادة مستديرة الشكل

٥ـ عدم ركود البول مددا طويلة بعد تكوينه ، سواء بسبب انسدادات الجهاز البولي، او بسبب التعود على تاجيل التبول ساعة بعد ساعة ، كما يفعل الكثير من الناس ، وخاصة الاناث . وركود البول هذا لا يساعد فقط على ترسب البلورات ، بل يساعد ايضا على تكاثر البكتريا الموجودة في البول الى درجات تسبب التهابات في الكلية ، او جدران الحالب والمثانة . وتؤدى الى مضاعفات لا تنتهي .

تكوين الحصوات واشكالها

تبدا الحصوات بترسب الأملاح على شكل بلورات تتجمع في اشكال هندسية دقيقة الحجم ، وتتراكم مع الساعات والليالي ، ويزيد حجمها الى بضعة مليمترات ، ثم بضعة سنتيمترات . وقد تصل مع السنوات الى احجام قياسية ، مثل الحصوة النادرة ، التي كانت تزن اكثر من كيلوجرام وربع.

ويختلف شكل الحصوة باختلاف نوع بلوراتها . فحصوة الاكسالات خشنة صلبة ، وقد يكون لها فروع مدببة ، وحصوة الفوسفات ناعمة هشة ، وعادة تكون بشكل مجموعة حصوات وليست حصوة واحدة .

ويختلف شكل الحصوة باختلاف مكانها في الجهاز البولي ، فحصوة الكلية تاخذ الشكل المثلث لحوض الكلية ، او الشكل ذا الفروع كمثل شكل قرن ذكر الغزال ، وعلى اسمه سمي هذا النوع من الحصوات. وحصوة الحالب تكون عادة مستطيلة او بيضاوية صغيرة ، ومثلها حصوة مجرى البول الخارجي التي تكون عادة حصوة حالب قد امكن للمريض انزالها الى المثانة ومنها الى مجرى البول حيث تتوقف مؤقتا في الطريق . اما حصوة المثانة فهي عادة مستديرة الشكل كالكرة. ومن الاشكال النادرة حصوة يكون نصفها في المثانة ونصفها في الحالب او في مجرى البول وتكبر في كلا الاتجاهين بينما يظل وسطها على حجمه تقريبا كعنق الزجاجة .

ما يستفيده العلم من دراسة جغرافية وتاريخ الحصوات

الحصوات مرض معروف بين كافة سكان

المعمورة ، وقد وجد بالاحصائيات أن ١٪ من كل سكان أوربا وآسيا وأمريكا يمكن اعتبارهم حاملين لحصوات بولية ، سواء تسببت في أعراض يحس بها المريض ام كانت ساكنة وغير محسوسة . اذن فهي مشكلة عامة وليست مرضا يختص به أفراد قلائل ، ولذا فهي تجتذب اهتمام الهيئات الصحية العالمية التي انفقت وتنفق الكثير الى الآن في بحوث احصائية ، الهدف منها معرفة ما اذا كان من الممكن للدول ان تقلل من نسبة حدوث الحصوات بين رعاياها .

وقد عرفت حصوة المثانة من قديم الزمان ، ووصفها الجراحون العرب القدامى وجراحو القرون الوسطى في أوربا ، ووصفوا طريقة استئصالها بشق البطن فوق المثانة . اما حصوات الكلى والحالب فلم يكن في الامكان تشخيصها الا بعد ظهور واستخدام أشعة « س » .

وقد لوحظ ان حصوة المثانة (وخصوصا في الاطفال) كانت شائعة في أوربا منذ قرون ، ولكنها اصبحت نادرة الآن . وشاعت بدلا منها حصوات الكلتيتين . ثم تكررت الملاحظة في جميع البلدان النامية،بآسيا وافريقيا،اذ وجد انحصوات المثانة تقل،وحصوات الكلتية تزيد في كل بلد، مع ازدياد نسبة الحضارة والتقدم فيها . وقد اصبحت هذه الملاحظة حقيقة ثابتة ، بحيث زادت قائمة امراض الحضارة ، فاصبحت تشمل حصوات الكلى الى جانب قرحة الاثنى عشر وأمراض شرايين القلب والأمراض النفسية .

ترى ما الذي يحدث في المجتمع عندما تدب فيه مدنية القرن العشرين كما نراها الآن ؟ هناك بلا شك تغيير في العادات ، وتغيير في طبيعة الغذاء . ومن هاتين النقطتين يكمن التفسير الذي يمكن أن نبحث عنه لمعرفة أسباب أمراض الحضارة والمدنية .

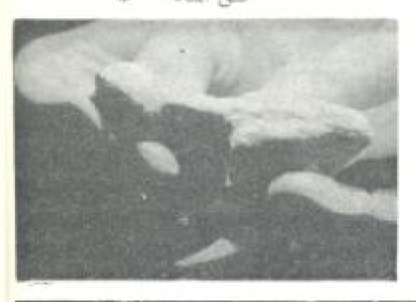
ثم كانت ملاحظة هامة أخرى ، هي ان هناك مناطق في البلد الواحد تمتاز بنسبة أكبر من الحصوات عن غيرها من المناطق . ففي الولايات المتحدة مثلا تكثر الحصوات في الولايات الجنوبية والشرقية . وبالبحث وجد أن الماء في هذه الولايات من نوع الماء العسر Hard Water الذي يحتوي على نسبة أكبر من أملاح الكالسيوم ، عدا بعض أملاح السليكا أيضا .

وتروي الابحاث قصة طريفة لمريض في احدى هذه الولايات ، مصاب بالشلل ، ومزود بقسطرة دائما في المثانة ، وقد كان المريض ذكيا ، اذ لاحظ انه اذا استعمل ماء البئر الموجودة في بيته للشرب فان القسطرة تنسد كل ثلاثة أيام بسبب ترسبات املاح الفوسفات على جدارها ، واذا استعمل ماء الصنبور ، فانها تنسد كل خمسة أيام ، فاذا استعمل ماء مقطرا فانها تبقى مددا طويلة بدون ترسبات .

ملح الطعام وصلته بتكوين الحصوات

وقد لوحظ أن في اليابان تقل الحصوات الى درجة ١ : ٨ في الجزر الشمالية عنها في الجزر الجنوبية ، وهي نسبة كبيرة لا يمكن أن تكون مصادفة ، والطقس يكاد يتشابه في جزر الشمال وجزر الجنوب ، وأهل جزر اليابان كلهم شعب واحد من الناحية الوراثية ، ولكن اختلافا واحدا ظهر عند البحث والتدقيق في العادات الغذائية لأهل الشمال والجنوب . فالشماليون يتناولون في طعامهم كميات من ملح الطعام أكبر بكثير من أهل الجنوب . ولا يمكننا التقليل من أهمية هذه الملاحظة عن ملح الطعام ، وخصوصا بعد البحوث التي أجريت في مناطق قبائل البانتو في افريقيا ، وفي مناطق قبائل الاسكيمو من أقصى الشمال . فهذان الشعبان من الشعوب التي نادرا ما يصاب

حصوة نادرة لها نصفها في المثانة ونصفها في مجرى البول بينما ظل وسطها على حجمه تقريبا عند عنق المثانة *



* الصورة مقتبسة من بحث لكاتب المقال عن حصوات مجرى البول في مجلة British Journal Urology عدد ابريل ١٩٧٢ في وهي منشورة باذن من المجلة .

افرادها بأى حصوات بولية . واثبتت التحاليل الغذائية انهم يتناولون كميات من ملح الطعام اكبر بكثير مما تعودنا نحن . فمتوسط افراز الصوديوم في البول كل ٢٤ ساعة عند رجل البانتو يدل على انه يتناول نحو ١٨٫٥ جرام من ملح الطعام يوميا، اى ما يعادل ٤ ملاعق صغيرة تقريبا . والرجل الأبيض فى المكان نفسه يتناول حوالى ١٢ جراما اى ما يعادل ٢٫٥ ملعقة تقريبا . بينما وجد ان المرضى المصابين بالحصوات من نفس المنطقة يصل معدل تناولهم ملح الطعام الى حوالى ٨ جرام فقط أى ما يعادل ملعقة ونصف ملعقة تقريبا من ملح الطعام يوميا .

وقد اجريت دراسة على حياة جنود البحرية البريطانية ، وكلهم من شعب واحد ولهم عادات غذائية واحدة ، ولكنهم يخدمون ويعملون فى أماكن مختلفة جغرافيا فى انحاء العالم ، واظهرت نتيجة الدراسة زيادة نسبة حدوث الحصوات فى ثلاث فئات :

أ ـ من يعملون فى البلاد الحارة .

ب ـ من يعملون خلف الأفران ، وفى غرف الآلات الحارة .

جـ ـ ذوى الأعمال الكتابية والادارية الذين يكونون عادة مائلين للسمنة ، ومن ذوى الرتب العالية .

وتظهر الفئتان الأوليان مدى تأثير فقدان السوائل بالعرق ونقص كمية السوائل فى البول (وكذلك نقص ملح الطعام الذى يفقد بالعرق ايضا) . وتظهر الفئة الثالثة مدى تأثير الدخل المرتفع والرفاهية وعدم الحركة (ونوع الغذاء ؟) الذى تتسم به الحضارة الحديثة .

الناحية الوراثية فى تكوين الحصوات

عامل الوراثة موجود وثابت ، وخصوصا فى انواع الحصوات التى تتكون من أملاح تفرزها أمراض وراثية ، مثل النقرس Gout وفيه يفرز المريض أملاح حامض البوليك بكثرة ، وكذلك مرض مشابه يسمى Cystinuria وفيه يفرز المريض حمضا أمينيا يسمى سستين Cystine يترسب بسهولة فى البول .

اما فى حالة الحصوات العادية مثل الكالسيوم والاكسالات والفوسفات فان الانطباع السائد لدى الباحثين هو أن أكثر اسبابها تعود الى الغذاء والشراب ، وقد اجريت احصائيات عن كمية



حصوة كبيرة أخذت شكل الكلية من الداخل فاصبحت تشبه قرن ذكر الغزال ذا الفروع ، ومنها أخذ اسم هذا النوع من الحصوات .

الكالسيوم فى البول فاظهرت أن عامل الأسرة الواحدة (أى الزوج والزوجة والأطفال) أهم من عوامل الوراثة (أى الأب والجد) فى هذا المجال . وهذا يؤكد أن الغذاء ونظام الحياة هما من أهم عوامل تكوين الحصوات وليست الوراثة فى حد ذاتها . ويمكننا القول بأن الرغبة فى ملح الطعام فى الأكل مثلا ليست وراثية ، بل هى من العادات المكتسبة من المجتمع تبعا لعادات الطعام .

علاج الحصوات

لا شك أن نسبة كبيرة من حصوات الجهاز البولى يمكن للمرضى انزالها بدون اجراء عمليات، وخاصة عندما تكون صغيرة او ملساء . اما اذا كانت كبيرة الحجم ، أو خشنة السطح ، او اظهرت الاشعة انها تسبب انسدادا يضر بالكلية او توقف نزولها عند مكان واحد لمدة طويلة ، فان الجراحة فى هذه الحالة تكون افضل للمريض من انتظار قد يطول بلا جدوى .

ونزول الحصوة يكون عادة مصحوبا بألم تختلف شدته من حالة لأخرى والناس يختلفون أيضا فى درجة تحملهم للألم. وسبب الآلام هنا هو التقلصات التى تقوم بها عضلات حوض الكلية والحالب لطرد الحصوة تماما كما تفعل عضلات الرحم التى تطرد الجنين الى الخارج اثناء الولادة . اذن فمن مصلحة المريض أن لا نشل هذه الحركة العضلية باعطاء المسكنات الشديدة ، بل بالعكس ، اذا امكن للمريض تحمل الألم مع مسكنات قليلة فان نزول الحصوة يكون اسرع بلا شك .



حصوة المثانة النادرة المثال ، والتى كانت تزن اكثر من كيلو جرام وربع .

ومما يساعد على نزول الحصوة وتقليل الألم فى الوقت نفسه تناول سوائل كثيرة تصل الى ٥ او ٦ لترات يوميا مع مدرّات للبول ، بحيث يكون اندفاع البول فى الحالب هو الذى يدفع الحصوة ويوسع الطريق امامها بدلا من نزولها بواسطة التقلصات العضلية وحدها . فاذا لم يكن المريض قادرا على شرب الكميات اللازمة لذلك من السوائل بدون قىء ، فقد يكون من الأفضل له انذاك اعطاؤها عن طريق الوريد .

اما الحصوات الكبيرة الحجم والتى لا أمل فى نزولها، فالخيار يكون عادة بين اجراء الجراحة لها ، او محاولة تذويبها او تكسيرها ، والخيار الثالث هو تركها وشأنها بلا تدخل . والعوامل التى يبنى عليها اختيار احدى الطرق الثلاث يجب الاعتماد فيها على نصيحة الطبيب ، اذ تدخل فيها عدة اعتبارات طبية لا نجد مجالا للتوسع فى شرحها ، ولكن بعض الحديث عنها قد يكون مفيدا .

محاولات تذويب الحصوات

هى حلم المرضى والاطباء منذ قديم الزمان ، ولكن كل ما امكن النجاح فيه حاليا هو حالة واحدة فقط ، وهى حصوات حامض البوليك ، فهذه يمكننا تذويبها مهما بلغت من الحجم بشرب كميات كبيرة من السوائل مع جعل البول قلويا بصفة مستمرة ليل نهار ، ولكن بشرط ان لا تكون الحصوة قد سببت انسدادا او التهابا خلفها . اما عدا ذلك من محاولات ادخال قساطر خاصة الى الكلية ، وحقن محاليل خاصة تذيب الحصوة فهى تستغرق زمنا يقاس بالشهور احيانا وقد لا تنجح فى النهاية ، وتسبب مضاعفات اكثر من الفائدة المرجوة .

تكسير الحصوات

هذا ما نقوم به فى حالات حصوات المثانة ، بشرط ان لا تتعدى احجاما معينة ، وان لا تكون هناك مضاعفات فى جدار المثانة ، وهناك محاولات لتحسين أجهزة تساعد على تكسير الحصوات فى الحالب او الكلية ، ولكنها دائما محفوفة بالمخاطر .

ترك الحصوة وشأنها

وهو اختيار لا بأس به فى كثير من حالات حصوات الكلية بالذات ، اذا لم تكن تسبب انسدادا أو التهابات متكررة او آلاما غير محتملة . ويجب فى هذه الحالة تناول كميات عالية من السوائل لتقليل فرصة ازدياد حجمها وفرصة حدوث الالتهابات البكتيرية ، مع ضرورة مراجعة الطبيب مرة أو مرتين على الاقل كل سنة . ولقد زاد عدد الحالات التى نلجأ فيها الى هذا العلاج فى السنوات الأخيرة بسبب ما لوحظ فى الاحصائيات العالمية من نسبة كبيرة من تكرر تكوين الحصوات بعد اجراء جراحات لها .

الوقاية من الحصوات

والوقاية خير من العلاج ، سواء بالنسبة للشخص الذى لم يسبق له التعرض الى مرض الحصوات ، او بالنسبة للمريض الذى أنزل حصوة من قبل أو أجرى جراحة ، وهى فى هذه الحالة ألزم وأكثر ضرورة .

فى الحالة الأولى يكفى شيئان :

ا ـ تناول السوائل بكمية لا تقل بحال من الاحوال عن ثلاثة لترات يوميا فى الشتاء وثلاثة ونصف فى الصيف للشخص البالغ ، تزاد اذا كان الشخص يفقد كمية كبيرة من العرق .

ب ـ تناول ملح الطعام بحيث لا يقل عن عشرة جرامات يوميا (اى ملعقتين صغيرتين) ، وتزاد اذا فقد الكثير من العرق . واذا لم يكن الشخص يحب الطعام المالح فانه يمكنه تناوله فى شكل حبوب تذوب فى الامعاء ويمتص منها الملح . وحبوب الملح هذه رخيصة وموجودة فى كافة الصيدليات ولا تحتاج الى وصفة رسمية من طبيب .

اما فى حالة المريض الذى سبق وكون حصوة من قبل، فالوقاية يجب ان تكون اكثر دقة وشمولا، ويجب ان تشتمل خلاف ما سبق ، على ما يلى :

(ا) شرب نصف لتر على الأقل (اى كوبين مليئين) قبل النوم مباشرة ، وربع لتر اخر (اى كوب واحد) خلال الليل . ويجب ان نتذكر

ان البلورات تترسب اكثر ما تترسب في سكون الليل حيث يكون افراز البول اقل ما يكون ، والحصوات بذلك تتكون أثناء النوم وتكبر أثناء النوم *.

وتجدر هنا الاشارة الى انه اذا راعى اي انسان ان يكون لون البول لديه دائما اقرب الى لون الماء منه الى اللون الاصفر فان هذا وحده يمكن ان يعطيه أكثر من ثمانين ٨٠٪ في المائة من الوقاية ضد الحصوات . وتجدر الاشارة هنا الى الاعتقاد الشائع بأن الاكثار من شرب الماء يساعد على الترهل والسمنة ـ وهو اعتقاد خاطىء من الاساس.

(ب) تحليل الحصوة لمعرفة نوعها ، ثم الامتناع عن بعض الأطعمة التي تحتوى على الأملاح التي تتكون منها . ففي حالة حصوة حامض البوليك مثلا يجب الامتناع عن الشكولاتة والكاكاو ومادة الكولا، وكذلك عن الكبدة والكلي والمخ ، ويجب الاقلال نوعا ما من القهوة والشاي . وفي حالة حصوة الاكسالات يجب الامتناع عن بعض الخضراوات مثل السبانخ والفراولة التي تحتوى على نسبة عالية من الاكسالات ـ ولو أن الانطباع السائد الآن هو ان الاكسالات في الحصوات يأتي اكثرها من التفاعلات الكيماوية بالجسم ، وليس عن طريق الطعام .

(جـ) تغيير تفاعل البول بالأدوية الى قلوى أو حامضي حسب نوع الحصوة .

(د) ايقاف الافراز غير العادي للاملاح والكالسيوم عند بعض المرضى . وذلك بالعلاج الجراحي للامراض التي تسبب كثرة افراز الكالسيوم بالبول ، مثل اورام الغدة فوق الدرقية وغيرها ، او بتناول الأدوية الخاصة التي تمنع تكون أملاح حامض البوليك او السستين او الاكسالات في الحالات الوراثية التي سبق ذكرها .

(هـ) الاقلال من وصول الكالسيوم للبول ـ اما بتعاطي الغذاء الخالي من الكالسيوم (وهو غذاء مؤلم ليس له طعم ولا لذة ، وقد يضيق به المريض بعد فترة وجيزة بحيث لا يضمن الطبيب استمرار مريضه عليه) ، واما بالادوية الحديثة التي تتحد مع الكالسيوم في الأمعاء وتمنع امتصاصه وتأخذه معها الى البراز بدلا من افرازه عن طريق الكليتين . وتناول أملاح الفوسفات في بعض الحالات الخاصة قد يكون مفيدا في هذا المجال ايضا .

(و) التأكد من علاج أي انسدادات في الجهاز البولي بالجراحة ، والتأكد من علاج أي التهابات مزمنة ، اما بالمضادات الحيوية (وهي قد تكون ضارة اذا اخذت لمدد طويلة) او بالمطهرات الأبسط منها على المدى الطويل .

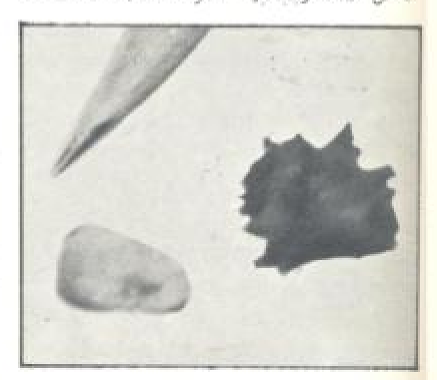
وحديثا بدأ كثير من المستشفيات الجامعية في تخصيص عيادة خاصة يتردد عليها مرضى الحصوات السابقين او الذين يعالجون بدون جراحة . وذلك حتى يكون الاشراف عليهم في نفس الانتظام الذي نراه الآن في العيادات الخاصة بمرض السكر .

هذه عجالة عن مرض الحصوة ، أو ما كان يسميه الأطباء العرب القدامى بمرض « ذات الكلى » ، وقد قصدت فيها ان تكون شاملة من وجهة نظر القارىء بحيث تسلط بعض الضوء على دور المريض في علاج نفسه ، ودور الحكومات والهيئات الطبية في الناحية الوقائية ، وبعض الضوء على الخط الذي تسير فيه أبحاث المستقبل في هذا المجال .

وارجو أن اكون قد وفقت .

حسين امين ـ الكويت

حصوة صغيرة ترسبت فوق قطعة من خيوط الجراحة داخل المثانة وبجانبها حصوة اكسالات خشنة .



* ويستتبع ذلك بالطبع أن مثل هذا المريض لا يجوز له صيام شهر رمضان، وتجب عليه الفدية عن ذلك . فمريض القرحة لا يصوم منعا لتأثير حامض المعدة على غشائها وهي خالية ، ومريض الحصوة لا يصوم منعا لترسب البلورات ثم الحصوات اثناء فترة نقص السوائل .

بعد عشر سنوات من عقد اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية :

التعاون الاقتصادى بين الدول العربية

بلغة الحقائق والأرقام .. بعيدا عن الخطب والشعارات

بقلم : الدكتور السيد أبو النجا

■ نحن الآن فى مستهل عام ١٩٧٤ ، وقد اشتدت قبضة الدول الاوروبية على تجارتها الخارجية بعد السوق الاوربية المشتركة ، وغيرت امريكا سياستها بعد تدهور الدولار ، فوضعت قيودا كثيرة على حرية التجارة وحرية النقد . واوروبا وأمريكا واليابان ترسل وفودا بعد وفود من رجال الأعمال ليتعرفوا على أذواق المستهلكين فى العالم العربى ، وعلى قدراتهم الشرائية ومقتضيات بيئاتهم واجوائهم ومهنهم ، على حين يجلس العرب وراء انطباعات تراكمت بفعل السنين ، وخبرات تجمدت فاصبحت قيودا على حرية التفكير .

لقد أصبح الأمر يقتضى من جانبنا موقفا أكثر واقعية وأعمق أثرا لأسباب خمسة استجدت وهى : –

١ – اتساع الفجوة بين معدلات النمو الحقيقية للانتاج فى الدول الغربية والدول العربية نتيجة تطوير الأساليب .

٢ – اتجاه معدل التبادل التجارى لصالح الدول الاولى ، الدول الغربية ، اذ أن سلعها الانتاجية مصنعة بالطبع ، وسلعها الاستهلاكية مصنعة بالكامل أو فى الأقل القليل نصف مصنعة .

٣ – زيادة قوة الاتحادات والتكتلات الاقتصادية



بين الدول الأولى وتطوير اساليب التجارة الخارجية استيرادا وتصديرا ، من اسلوب التجارة الحرة ، الى اسلوب الحماية والتوجيه ، مع تقييد حركة المدفوعات الدولية بالرقابة على النقد ، ورفع اسعار الفائدة ، وعقد الاتفاقات الثنائية والمتعددة الاطراف ، ومنح التسهيلات الائتمانية .

٤ ـ اشتراط السداد بعملات معينة او في فترات زمنية محددة مما قد يجعله غير مناسب لامكانيات الدول العربية خصوصا وان موازين مدفوعاتها قد تتسم بالعجز .

٥ ـ زيادة تحدى القوى الاستعمارية والعدو الصهيونى ورسمه لسياسات بعيدة المدى تستهدف القضاء على اقتصاديات الوطن العربى او استنزافها .

العواطف والمصالح

ان النوايا الطيبة . والآمال العريضة ،والخطب الرنانة ، لم تعد تصلح لتحقيق التعاون بين الدول العربية في مواجهة هذه العوامل المتقدمة ، فلا بد ان تحل المصالح في البحث محل العواطف ،والأرقام محل الخطب ، والامكانيات محل التمنيات . ولا بد ان يجلس الخبراء دائما مع السياسيين .

ان من الظلم ان نطلب من دولة عربية ان تفضل انتاج شقيقتها ولو كان اسوأ كثيرا في النوع ، واغلى كثيرا في الثمن ، من سلع اوروبا . ومن الخيال ان نطالب سوقا مستهلكة بان تنتظر الطعام من دولة عربية ولو كان لا يجد سبيله الى ناقلته الا بعد اشهر . ومن المبالغة ان نلوم بلدا عربيا توقف عن تزويد بلد شقيق بالصادرات او بالمال لان الميزان التجارى بينهما تتراكم فيه الارصدة المدينة دون دفع .

ان بعض مصدرى المصاحف الى شمال افريقيا لا يعرفون حتى الآن ان القراء هناك متعودون على كتابة مختلفة للقرآن . ومنتجى السجاير قد يصدرونها دون اعلان عنها في البلد المستورد جهلا منهم بان الدخن يستمد من صورتها الذهنية اضعاف ما يستمد من جودة تبغها . وصناع الاحذية يصدرون الفائض لديهم الى الاسواق العربية ولو لم يكن مناسبا لها ، فهم قد يرسلونها برباط الى بلاد حارة يفضل اهلها الحذاء المكشوف « بالاستك » ليسهل خلعه عند الصلاة .

ان معظم الاسواق العربية مفتوح للسلع الامريكية والاوربية واليابانية . وعلى السلع العربية ان تسمو الى ما يقرب من مستوى سواها اذا ارادت الفوز بالمستهلكين في هذه الاسواق .

اتفاقية الوحدة الاقتصادية

لقد بذلت الجامعة العربية جهودا متصلة حتى تم عقد اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية في عام ١٩٦٤ ، وها نحن في عام ١٩٧٤ وحجم التبادل التجارى بين الدول العربية لم يزد خلال هذه السنوات العشر الا قليلا . فاذا قارنا هذه الزيادة الضئيلة بالزيادة الملحوظة في حجم التجارة العالمية كان علينا ان نتوارى من الكسوف والخجل .

ذلك وما تزال دول اوروبا ـ والغربية منها بوجه خاص ـ تحتل المكانة الاولى في تجارتنا الخارجية: فاكثر من ٧٠٪ من صادراتنا واكثر من ٦٠٪ من وارداتنا يتركز في عشر دول على النحو التالى :

الدول المصدر اليها

نسبة الصادرات اليها فى سنة ١٩٧٠ من اجمالى صادرات الدول العربية

الدولـــــة	
ايطاليا	١٥ر٦٩
فرنســا	١٤ر٣١
المانيا الغربية	٨ر٠٢
المملكة المتحدة	٧ر٦٢
اليابان	٦ر٧٩
هـولندا	٦ر٢٠
الاتحاد السوفيتى	٤ر٧٩
اسبانيا	٣ر١٨
بلجيكا ولوكسمبرج	٢ر٢٦
الولايات المتحدة	١ر٧١

الاجمالى = ٧٠ر٥٧٪

الدول المستورد منها

نسبة المستورد منها فى سنة ١٩٧٠ الى واردات الدول العربية

الدولـــــة	
فرنســا	١٢ر٨٣
الولايات المتحدة	٩ر١٢
المملكة المتحدة	٨ر٣٩
المانيا الغربية	٨ر٧٨
ايطاليا	٦ر٦٩
اليابان	٥ر٢١
الاتحاد السوفييتى	٥ر٠٤
الهـند	٢ر٨٠
هـولندا	٢ر٤٧
سويسرا	٢ر٤٢

الاجمالى = ٦٣ر٧٥٪

ومعنى هذا ان احسن دولتين فى التبـادل التجارى مع العالم العربى هما ايطاليا وفرنسا .

نصيب العالم العربى من تجارته الخارجية

أعدت الامانة العامة لجامعة الدول العـربية فى فبراير ١٩٧٣ بيانات احصائية عن تجارة العالم العربى فى عام ١٩٧٠ ، اما سنوات ١٩٧١ و١٩٧٢ و١٩٧٣ فلا نعرف حتى الآن عن بياناتها شيئا . وكيف تتصرف والبيـانات هـى روح التخطيط والتنفيذ والمتابعة وتقييم الأداء !

مهما يكن من شيء فانه يتضح من أرقام سنة ١٩٧٠ أن صادرات الدول العربية كانت ٩٤٤٩ مليون دولار تمثل ٤ر٢٪ من اجمالى قيمةالصادرات العالمية . وان واردات الدول العربية ٧٧٨١ مليون دولار تمثل ٢ر٦٪ من اجمالى واردات العالم . ومعنى هذا ان الدول العربية فى موقف ممتاز حيث تصدر أكثر مما تستورد فتحقق فائضا فى ميزانها التجارى يعز على كثير من الدول المتقدمة .

ومع هذه النتيجة العامة فان تبادل العــالم العربى مع بعض الدول الاخرى يحقق لصالحه فائضا ومع البعض الآخر عجزا . ومن النوع الاول: ايطاليا وكوريا الجنوبية وهولندا وفرنسا واليابان واسبانيا والمانيا الغربية . ومن النوع الثانى : الولايات‌المتحدة وسويسرا والهند ورومانيا والصين الشعبية والسويد واستراليا وانجلترا .

والموقف يتحسن بصفة عامة لصــالح الدول العربية . فقد كان متوسط قيمة الصــادرات العربية خلال الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٦٨ ٢ر١٪ من اجمالى الصادرات العالمية فاصبح ٤ر٢٪ فى سنة ١٩٧٠ ـ كما قدمنا ـ ومع ذلك بقيت واردات ٢ر٦٪ كما كانت خلال الفترة الاولى . وستكون الصورة أكثر اشراقا كلما تغيرت نوعية الصادرات من خامات الى سلع نصف مصنعة ، ثم من هذه الى مصنعة بالكامل . فما يزال البترول يمثل نحو ٧٠٪ من اجمالى الصادرات العربية . والقطن الخام نحو ٧٪ والارز نحو ١٪ على حين انخفضت الصادرات العربية من غزل القطن ونسجه من ١ر٥٩٪ فى عام ١٩٦٨ الى ١ر٣٢٪ فى عام ١٩٧٠ والسجاير من ٤ر٤٢٪ الى ٢ر٢٠٪ .

وتدل احصاءات الامانة العامة على ان حجم التبادل التجارى بين الدول العربية كان ٦ر٩٪ عام ١٩٦٩ فاصبح ٦ر٧٪ فى عام ١٩٧٠ ولم يزد نصيب الدول العربية من اجمالى الصـــادرات العربية الا من ٥ر٦٪ فى سنة ١٩٦٩ الى ٦ر١٪ فى سنة ١٩٧٠ ، ولم يزد نصيبها من اجمالى‌الواردات العربية الا من ٨ر٦٪ فى عام ١٩٦٩ الى ٩ر٦٪ فى عام ١٩٧٠ .

ومما يستوقف النظر‌ان‌النسبة المئوية لصادرات

الدول العربية الى لبنان قد انخفضت من ١٪ في سنة ١٩٦٩ الى ٨٨ر٪ في سنة ١٩٧٠ . وان صادرات لبنان اليها قد ارتفعت في نفس الوقت من ٤٤ر٢٪ الى ٧٥ر٢٪ . وكذلك زادت صادرات الكويت من ٢٥ر٪ الى ٦١ر٪ ونقصت وارداته من ٧٠٪ الى ٣٢ر٪ على حين زادت نسبة صادرات مصر من ٤٦ر٪ الى ٥٠ر٪ وزادت وارداتها من ٩٦ر٪ الى ٠٨ر١٪ .

دلالة هذه الارقام

ان العالم العربي ينقسم اليوم اساسا الى منطقتين كبيرتين كما قلت في مقال سابق في العربي احداهما : زراعية تتألف من (مصر وسوريا والسودان وتونس والمغرب والاردن) .

والاخرى : بترولية وتضم (السعودية والكويت وبلاد الخليج والعراق وليبيا والجزائر) .

وهذا لا يمنع من وجود البترول في المنطقة الزراعية او العكس ، ولكن الصفة الغالبة تبقى كما قدمت .

وكثافة السكان في البلاد الزراعية اكبر منها في البلاد البترولية على عكس مستوى الدخل .

يترتب على هذا أن البلاد التي يرتفع فيها الدخل تزيد فيها التطلعات الى الاستهلاك لتحقيق حياة افضل واستخدام سلع اجود والاستمتاع بخدمات احسن ، فتتجه الى السلع والخدمات الاوروبية والأمريكية واليابانية . والدول التي ينخفض فيها الدخل تزيد فيها التطلعات الى التصنيع فتتجه الى حيث تجد الآلات المنتجة وهذه غير موجودة في العالم العربي .

ما العمل اذن ؟ ان العمل مرسوم في اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وهو : ـ

١ ـ تحرير التجارة بين البلاد الأعضاء توطئة لانشاء اتحاد جمركي بينها .

٢ ـ حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال .

٣ ـ حرية التملك والايصاء والارث .

٤ ـ توحيد أو تنسيق مختلف التشريعات الاقتصادية والاجتماعية اللازمة للتكامل الاقتصادي.

٥ ـ تنسيق الخطط الاقتصادية بما يكفل استثمار الموارد استثمارا اوفى ، وبما ينهض بالصناعة والزراعة وشئون المواصلات .

وقد اجتمع مجلس الوحدة في شهر يوليو الماضي في القاهرة واصدر توصيات منها : ـ

١ ـ تنسيق الخطط الاقتصادية في الدول الاعضاء والسير بها جنبا الى جنب مع تحرير التجارة بينها .

٢ ـ تيسير العضوية بالسوق العربية المشتركة بحيث يقوم الأمين العام لمجلس الوحدة بوضع اسس متدرجة للانتساب لها .

٣ ـ تصفية الاستثناءات والقيود المتبقية والمفروضة على التبادل التجاري بين الدول الاعضاء .

٤ ـ دراسة امكانيات اقامة اتحاد عربي للمدفوعات ، وتخصيص حصة متزايدة من النقد الحر في كل دولة عربية للاستيراد من الدول الاعضاء .

واننا لنتمنى أن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ خلال سنة ١٩٧٤ التي نرجو ان تشهد انضمام النصف الآخر من الدول العربية الى الاتفاقية او في القليل توقف المقاطعات الاقتصادية بين بعض الشقيقات .

البترول وسيلة التنمية

يقدر المخزون من البترول خارج البلاد الشيوعية بنحو ٥٠٠ بليون برميل . ومن هذه الكمية ٣٠٠ بليون في العالم العربي وحده ! ولكن هذه الحقيقة هي التي تدعو الشركات الامريكية وغيرها الى ان توجه ٩٥٪ من عمليات بحثها عن البترول الى خارج الشرق الاوسط . وانها الآن نشيطة في اندونيسيا واستراليا والشواطىء الكندية والامريكية وبحر الشمال ، ويقتصر عملها في الشرق الاوسط على زيادة المستخرج من الآبار المكتشفة .

ذلك ان امريكا بدأت تحس بنقص الطاقة عندها، وهي لا تريد أن تعتمد اعتمادا كليا في تعويض النقص على الشرق الاوسط ، فلو ظل الحال على

ما هو عليه الآن فالمقدار أن الولايات المتحـــدةستحتاج في سنة ١٩٨٠ الى استيراد بين ثمانية ملايين واحد عشر مليون برميل يوميا من الشرق الأوسط .

ويكفي أن تتوقف دولة من الدول العربية الكبرى المنتجة للبترول وهي السعودية وايران والعراق واتحاد امارات الخليج والكويت وليبيا عن تزويدامريكا بالبترول لكي تسبب لها ازمة الطاقة ، ويكفي ان تتوقف دولتان لاحداث فزع في الصناعة الأمريكية .

والمقدر ان انتاج البترول في العالم العربي سيصل في سنة ١٩٧٥ الى ما يلي : ـ

	الانتاج بالاف البراميل يوميا	الدخل ببلايين الدولارات سنويا
السعودية	٨٥٠٠	٥ر٤
الكويت	٢٥٠٠	٢ر٢
العراق	١٩٠٠	٢ر١
ابو ظبي	٢٢٠٠	٥ر١
الامارات الاخرى	١٨٠٠	٠ر١
ليبيا	٢٢٠٠	٠ر٢
الجزائر	١٢٠٠	١ر١
	٢١٤٠٠	٤ر١٤

هذا على اساس عدم ارتفاع السعر وخصوصابعد تدهور الدولار .

والمقدر أن الانتاج سيصل في سنة ١٩٨٠ الى ما يلي : ـ

	الانتاج بالاف البراميل يوميا	الدخل ببلايين الدولارات سنويا
السعودية	٠٠٠ر٢٠	٦ر٢٥
الكويت	٠٠٠ر٤	٠ر٥
العراق	٠٠٠ر٥	٤ر٦
ابو ظبي	٠٠٠ر٤	٠ر٥
الامارات الاخرى	٠٠٠ر٢	٢ر٣
ليبيا	٠٠٠ر٢	١ر٣
الجزائر	٥٠٠ر١	٣ر٢
	٥٠٠ر٣٨	٦ر٥٠

وهذا أيضا على اساس أن منظمة (اوبيك) سوف لا تطالب برفع السعر كنتيجة لتخفيض سعر الدولار .

فاذا كان هذا هكذا فهلا فكرت الدول المنتجة للبترول في تخصيص جزء من دخلها للاستثمار في العالم العربي ؟ هلا فكرت في انشاء بنك عربي للتنمية ؟ وهلا فكرت الدول الزراعية في تقديم الضمانات الكفيلة بالحفاظ على رؤوس الاموال العربية المستثمرة فيها وباعطائها عائدا مجزيا ؟

كفى كلاما .. ولنجعل التكامل الاقتصادي مبدأ تجاريا لا دعوة عاطفية . ■■

السيد أبو النجا ـ (القاهرة)

خط «بارليف»

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ يا «خط بارليف» عليك السلام
ذكرى لنا في رمضان صدى
كأنها «بدر» لدى «يثرب»
قد حطم الأبطال أسطورة

خمدت ذكراك على شطنا
ألم تكن في جنبنا شوكة
علمت أن النصر في «وحدة»
وأن دفع الموت أول بنا

فولاذه أبن وصوانه
كل بناء شاده ظالم
حصنه في يد أجدادنا
دقوا قبيل العصر أبوابه

جاءوا جياعا من صيام ومن
وغابت الشمس فلم يأكلوا
وحقق الله لهم نصره
فطاردوا في الليل أفلالهم

يا جندنا حبتمو عصبة
تكبير الله إذا أقبلت
عقيدة يحفظها مؤمن
في بلوغ النصر عز له

عقيدة إن وهنت لم تعد
خذوا إلى النصر بأسبابها
يا جندنا من تابعي «أحمد»
رأيت نصر الله من حظكم

لربنا لا لسواه الدوام
تبعثه الأنفس عاما فعام
أو «عين جالوت» «ببدر» الشآم
لنا أحالوك لهذا الحطام

ورب مكروه غداة السلام
أبلغ وعظا من فصيح الكلام
وأيها الوحدة أو الانهزام
من فرقة في «الحرب» أو في «النظام»

وحاجز النار وتل الرغام
مآله مهما يطل لانهدام
من عنكبوت نسجه أو هلام
فانتصروا قبل حلول الظلام

نفس ترى في النصر أحلى طعام
حتى يكون الفتح «فطر الصيام»
على عداة الله شر الأنام
يحيون بالحرب «صلاة القيام»

يصونها الحق ليوم الصدام
وترتجى الله بذاك المقام
له بإحدى الحسنيين اهتمام
أو في لقاء الله حسن الختام

تنفع «...وحوى» و«ميج» و«...ام»
فهي وقود النار يوم الضرام
أو تابعي «عيسى» عليه السلام
مادام في ساحته الاعتصام ■■



صدر حيث كان

● كان الحجاج بن ارطاة اول من ولي القضاء لبني العباس في البصرة ، وكان شديد الاعتزار بنفسه وعلمه ، روى انه دخل يوما مسجد البصرة ، واقترب من حلقة احد العلماء ، وجلس مع الطلبة يستمع لحديث الشيخ ، فقيل له « لم لا ترتفع الى الصدر يا ابن ارطاة ؟ مكانك يجب ان يكون قرب العلماء وعلية القوم » ، فقال ابن ارطاة : « انا صَدرٌ حيث كنت » .

دعني

● قال معاوية يوما لعمرو بن العاص: « هل غششتني منذ ان استنصحتك ؟» قال : « لا » . قال : ولا يومَ اشَرتَ عليَّ بمبارزة علي بن ابي طالب في صفين ، وانت تعلم من هو علي ؟ » فقال عمرو بن العاص : كيف وقد دعاك رجل عظيمُ الخطر ، كنتَ من مبارزته على احدَى

زيادة ونقصان

● قيل ان احد الفقهاء كانت له قطعة ارض بجنب احد الفلاحين ، فكان الفقيهُ يضم كلَّ سنة قطعةً من ارض الفلاح ،الى ارضه ، فقال له الفلاح يوما : « ما هذا النقصان في ارضنا يا شيخ ؟ » فقال الفقيه : « اما سمعت قول الله تعالى » « اولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها » فقال الفلاح : « فما هذه الزيادة في ارضك ؟ » فقال الفقيه : «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . » قال الفلاح : « فمن اين اوتيتَ الفضل ،واوتيتُ النقص في ذلك ؟ » فقال الفقيه: « يا أيها الذين آمنوا ، لا تسالوا عن أشياء ان تبدَ لكم تسؤكم . »

ابو قحافة

● ابو قحافة هو والد الخليفة ابي بكر الصديق وقد بقي حيا الى خلافة عمر بن الخطاب وكان قد كف بصره ، واسلم يوم الفتح ، اذ جاء به ابوبكر يقوده الى النبي ، فلما رآه النبي قال : هلاّ تركتَ الشيخَ في بيته حتى اكون انا آتيه ؟ فقال ابو بكر : هو احق ان يمشي اليك : فمسح النبي صدره واسلم .

وقد بلغ ابا بكر عن ابي سفيان بعض مايعاقب عليه ، ... وابو سفيان يترضاه ، فسمع ابو قحافة صياح ابي بكر ، فقال لقائده :«على من يصيح ابني ؟» قال : «علي ابي سفيان». فدنا ابو قحافة من ابي بكر ، وقال : « أعلي ابي سفيان تصيح يا عتيق ؟ لقد تعديت طورك » .

فتبسم ابو بكر ، وقال : « يا ابت ، ان الله رفع بالاسلام قوما ، واذل آخرين » .

ولما مات ابو بكر ارتجت المدينة ، فسمع ابو قحافة البكاء . فقال : ما هذا ؟ قالوا : « مات ابنك » ، فبكى وقال : رزء جليل ، ثم سال من ولي الامر بعده ؟ قالوا : ابن الخطاب . قال : صاحبه .



من هنا

الخشنيين : ان قتلته فزت بالملك ، وازددت شرفا الى شرف ، وان قتلك تعجلت من الله تعالى ملاقاة الشهداء والصديقين .. » فقال : « وهذا اشد من الاول .. » فقال عمرو : « او كنت من جهادك فى شك ؟ » فقال معاوية : « دعنى من هذا . »

أعرف الصواب

● اجتمع رؤساء بنى سعد يوما الى اكثم بن صيفي ـ بعد ان اسن ، وبلغ من العمر عتيا ـ فقالوا له : يا اكثم ، نريد ان نستشيرك فيما دهانا من يوم الكلاب ، ونريدك ان تدلنا الى راى ناجح تتدبر فيه امرنا، فقال اكثم: انّ وهن الكبر قد فشا فى بدني ، وليس معي من حدة الذهن ما ابتدىء به الراى، ولكن اجتمعوا وقولوا اراءكم فاذا مر بي الصواب عرفته » .

الحاح

● كتب الخليفة المنصور الى زياد بن عبد الله الحارثى أن يقسم مالاً قد خصصه للقواعد من النساء، والعميان، والايتام ، فسمع بذلك ابو زياد التميمى، وكانت به غفلة ، فدخل على الحارثى وقال : اصلحك الله ، اكتبنى فى القواعد، فقال له : عافاك الله ، ان القواعد هن النساء اللائى قعدن عن ازواجهن » . فقال : « اكتبنى اذن فى العميان ؟ » فقال الحارثى : « اكتبوه ، فان الله يقول : « فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» . فقال التميمى: « ارجوك ايها الامير ان تكتب كذلك ابنى فى الايتام » . فقال : « نعم ، من كنت اباه فهو يتيم » .

فى الخمر

● يقول ابو نواس فى الخمر :

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر

ويقال انه كان يمشى فى بعض الطرق فسمع بعض الأحداث يرددون هذا البيت، فقال احدهم : « هل لكم ان تجيبونى ،لم قال ابن هانىء « وقل لى هى الخمر؟» فقال الفتى : « انما اراد ان تكون المتعة من الخمر تامة فى كل الحواس الخمس، فشارب الخمر يلمسها ويذوقها ويشمها ويراها ، فلم يبق الا السمع ، لذلك قال ابن هانىء « وقل لى هى الخمر » ليسمع اسمها فتتم المتعة للحواس جميعها .»

قال ابو نواس : والله اننى لم اقصد ذلك ، ولكنك احسنت واحسنت . »



حلب الحديثة

مدينة العلم والصناعة والسّياحة
ثانى أكبر مدن القطر السورى وأجملها

جامعة حلب، أحدث انجاز فى هذه المدينة السورية الكبرى ، وفى الصورة لفيف من طلبة وطالبات الجامعة ، وقد ظهر وراءهم مبنى كلية الزراعة .

استطلاع

منير نصيف

تصوير

أوسكار مترى



القديم والجديد .. أحد شوارع حلب الحديثة ، وهو يصل الى ساحة الملك الظاهر بيبرس ، تطل عليه قلعة حلب التاريخية القديمة . لقد صانوا القلعة وجددوها فأصبحت محطا لأنظار السائحين.

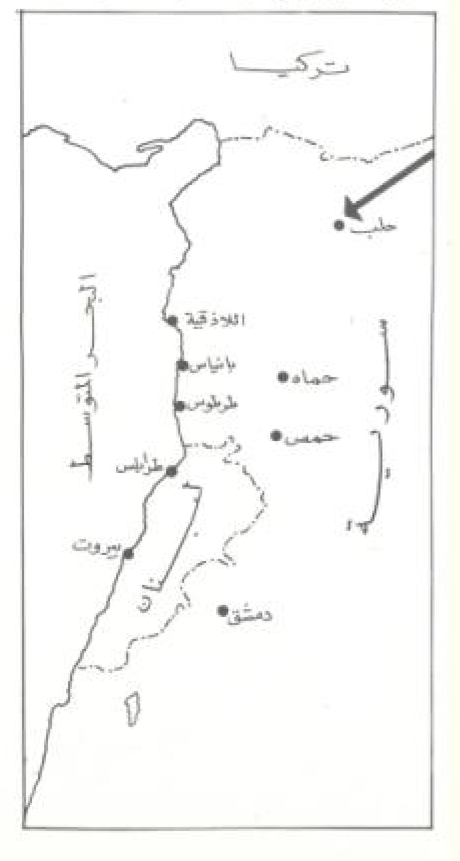
أسرة حلبية في جلسة هادئة في البيت .. والبيت في حلب هو المكان المفضل ، حيث تقضي معظم الأسر الأمسيات في السمر والاستمتاع بمشاهدة برامج التلفاز .

■ احرقوها .. حاولوا ابادة سكانها .. هدموا بيوتها .. ارادوا ان يطمسوا معالمها .. ولكن المدينة التاريخية القديمة ، بقيت مع هذا كله صامدة في وجه الغزاة والطامعين .. صمدت صمود قلعتها الشهيرة التي انهار كل شيء من حولها الا هي .. فقد بقيت القلعة قائمة شامخة بانفها تطل على الغزاة والفاتحين من فوق هذا التل المرتفع ، كما يطل النمر وهو يستعد للانقضاض على فريسته ، فلا الفرس استطاعوا ان يبيدوا اهلها عندما جاء ملكهم خسرو الثاني وراح يشعل الحرائق في طول البلاد وعرضها .. ولا الصليبيون افلحوا في اسقاط المدينة بعد طول حصارهم لها .. وقتالهم مع حماتها ..

ولا المغول نجحوا في ابادة شعبها ، وهم الذين راحوا يوسعون اهلها ذبحا وتقتيلا ..

لقد بقيت المدينة القديمة ، قدم التاريخ نفسه ، ونمت وازدهرت ، واصبحت اليوم ثاني اكبر مدن سوريا وواحدة من اجمل مدننا العربية ..

هذه هي مدينة حلب او مدينة سيف الدولة الحمداني الذي ترى اليوم تمثاله في اكثر من ميدان من ميادينها الحديثة الفسيحة ، اعترافا بفضل هذا الحاكم عليها .. لقد جاءها عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤م) واقام فيها حكمه ، واحاط نفسه بالشعراء ورجال العلم والادب ، وبنى وعمّر وحكم بين الناس بالعدل ، فكان عصره عصرا ذهبيا ..



خريطة تبين موقع مدينة حلب في القطر السوري

اطلالة على التاريخ

اطلالة خاطفة من فوق قلعة حلب على تاريخ هذه المدينة القديم قبل ان تنتقل معنا الى حاضرها .. الى حلب الحديثة .. حلب النامية الناهضة .. حلب الثلث الاخير من القرن العشرين ..

كيف اصبحت حلب اليوم ، وكيف تبدو صور المدينة التي يمتد تاريخها الى تلك الجذور البعيدة منذ عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام كما جاء في « معجم البلدان » : « وفي جانب سور المدينة التاريخي ، قلعة ، في اعلاها مسجد وكنيستان ، وفي احداهما كان المذبح الذى قرّب عليه سيدنا ابراهيم ، وفي اسفل القلعة مغارة ، كان يخبىء بها غنمه ، وكان اذا حلبها ، اضاف الناس بلبنها ، فكانوا يقولون حلب ام لا ؟ ويسأل بعضهم بعضا عن ذلك ، فسميت لذلك حلبا » .

وهناك روايات اخرى واساطير تروى ، وكلها مكملة لبعضها البعض ، يحكى لنا بعضها قصة البقرة الشهباء التي كانت ترعى بين اغنام ابراهيم عليه السلام ، وكان الوافدون عليه يفضلون لبنها على غيرها ، فاذا حلبها وقدمه لهم قالوا : « لقد حلب الشهباء » ومن هنا جاءوا ببقية القصة ، فالشهباء صفة تلازم اسم المدينة في كتب التاريخ القديم منها والحديث .

لقد كنا معها على موعد قبل نشوب حرب اكتوبر بشهور طويلة عندما كتب «العربي» الى المسئولين في دمشق ، وجاء الرد مرحبا ببعثة «العربي». وذهبنا ، وانجزنا جانبا من مهمتنا في بعض محافظات القطر

السورى ، الى ان حان موعد سفرنا اليها ، فركبنا الطائرة التى اقلتنا اليها قاطعة المسافة من دمشق الى حلب وقدرها ٣٥٠ كيلومترا فى اقل من الساعة قليلا .

وسرعان ما فتحت لنا حلب ذراعيها مرحبة ببعثة « مجلة العربي » .. وكان جواز المرور الذى نحمله الى كل مكان هو تلك البطاقة الصغيرة التي تحمل اسم « العربي » ، وهو الكلمة القصيرة التي يطلب فيها رئيس التحرير تسهيل مهمة بعثة « العربي » .

لقاء بقراء « العربي »

وفى مكتب العميد سعيد الهبج ، قائد الشرطة ومحافظ حلب بالوكالة ، كان لقاؤنا الاول بقراء « العربي »،وكان لقاء حارا سمعنا خلاله حديثا ملانا زهوا وفخرا بالمجلة التي نعمل فيها والرسالة التي تؤديها . قال لنا احدابناء حلب ، وهو السيد عصام الجابرى ، مرحبا بنا فى مكتب المحافظ بالوكالة : « لقد كنت اتوق لهذه اللحظة التي تجيئون فيها مستطلعين لهذه المدينة التاريخية الجميلة التي ولد وعاش فيها آبائي واجدادى من قبلي .. انني اضع نفسي فى خدمتكم منذ هذه اللحظة » .

وقال وكيل المحافظ : « ستجدون كل مساعدة انتم فى حاجة اليها لانجاز مهمتكم على الوجه الذى ترتضونه » .

وجه المدينة الجديد

وفى صباح اليوم التالي بدات حلب تطالعنا بوجهها الجديد الحديث .. وهو وجه جميل واجمل ما فيه هو هذا الامتزاج الغريب الذى تراه بين الحديث والقديم .. وبين البناء والشجر .. بين الزراعة والتجارة .. واخيرا بين الريف والحضر ...

حتى وجوه الناس اختلفت وتباينت .. فبينها الوجه الاسمر ، والوجه الاشقر .. العيون سوداء تارة ، وزرقاء تارة ، وبين السواد والزرقة فى اكثر الوجوه .. والمراة هي الاخرى شاهدناها فى مختلف الازياء بالبنطال والفستان القصير ، والفستان الطويل .. رأينا المراة العصرية التي تتبع خطوط الموضة الحديثة .. ورأينا المراة التي ما زالت تخفى راسها دون وجهها بالمنديل ، او «الايشارب»



العميد سعيد الهبج محافظ حلب بالوكالة ، قال لنا: «ان سياسة الدولة اليوم تقوم على تشجيع القطاع الخاص الى أبعد الحدود ، وتشجيع استثمار رؤوس الاموال فى المشاريع الحيوية » .

.. ولكن هذه الاخيرة بدات تضيع وسط الجديد الحديث

كلهم ابناء حلب ، وبناتها ... ابناء الاجداد الذين جاءوا الى حلب من كل صوب فاستطابوا العيش فيها والاقامة تحت ظلال اشجارها العالية الوارفة ، أشجار الصنوبر والفستق الحلبى والفاكهة ، تلك التي اشتهرت بها المدينة منذ القدم ..

وتذكرنا ونحن نمضي فى جولتنا فى المدينة ، وفيما حولها وما وراءها قول الشاعر الصنوبرى ، ابن حلب ، فقد جاء ذكره فى معجم البلدان :

حلب اكرم مأوى
وكريم من أواها
بسط الغيث عليها
بسط نور ما طواها
وكساها حللا أبـ
ـدع فيها اذ كساها

الى ان يقول .

فاخرى يا حلب المد
ن يزد جاهك جاها

حلب هذه هي هي لم تتغير ، انها ما زالت حلب الشهباء ، وحلب الصنوبر وحلب الفستق الحلبي والفاكهة .. ولكن الذى تغير فيها هو هذا الوجه الجديد الذى يطالع الزائر اليها.. حدائقها الجميلة الغناء التي تعتبر من اجمل حدائق الدنيا ما زالت قائمة فاتحة ذراعيها بمياهها الاصطناعية التي تتدفق من نافوراتها ، وكانها رئة هائلة تحتضن قلب هذه المدينة الكبير .

بعض طلبة كلية الطب بجامعة حلب يتناقشون فيما سجلوه أثناء احدى المحاضرات ، وقد ظهرت من ورائهم صورة كبيرة بالالوان للرازى ، تزين جدار البهو

جانب من المبانى الجامعية التى تحيط بها الحدائق ، وقد ظهر فى الصورة مبنى ادارة الجامعة ، تلك التى بدأ العمل فى انشائها عام ١٩٦٠ أيام الوحدة بين مصر وسوريا .



رات جامعة حلب أن اجتماع الطلبة الذكور مع الطلبة الاناث ضرورة تفرضها الدراسات الجامعية ، القائمة ، وذلك لأكثر من وجه ، ومنه الوجه الاقتصادي ، ولذا فقد قررت ادارة الجامعة الجمع بين الجنسين في الدراسة . واتخذت أكثر الطالبات البنطال زيا لأنه أكثر سترا للجسم مع ما يعلوه من ثياب.



لتمثال لأبي فراس الحمداني يتوسط حديقة صغيرة في ساحة السبيل ، وهو من الأحياء الحديثة في حلب ، وظهرت أمام التمثال احدى الطالبات ، وقد وقفت تستعيد دروسها تحت ظلاله ، وكأنها تستوحي عبقرية هذا الفارس الشاعر .

قلعة حلب

قلعتها الشهيرة الرابضة فوق هذا التل المرتفع ، *ما زالت هناك ، تجذب اليها السائحين والزائرين* .. وقد صانوها وحفظوها ، وما فتئوا يجرون فيها الاصلاحات التي من شأنها ان تعيد اليها سابق شكلها واصلها . وتحفظ جدرانها العالية وبواباتها الضخمة من التلف والضياع .. انها ثروة تاريخية رائعة ، واروع ما فيها صورتها التي تراها مع كل شيء حديثه فهي دائما امامك مهما تغيرت وجهتك، ومهما بعدت وقفتك عن قلب المدينة الذي ينبض بالحياة ويزخر بالأحداث والتاريخ ..

وتجارتها ، تلك التي ازدهرت منذ القدم على مر السنين والعصور.. لقد نمت وتطورت وتجددت.. المتاجر الصغيرة ، انتقلت الى محال تجارية كبرى في شوارع المدينة الحديثة التي ازدانت بالكهرباء واضواء النيون .. والمطاعم البسيطة ، تحولت الى قاعات ضخمة والى حدائق غناء تنعم فيها بتناول طعامك على انغام الموسيقى التي تعزفها لك اشهر الفرق العربية والاجنبية .

ان التجارة ليست جديدة على حلب ، فقد كانت المدينة وما زالت سوقا تجارية ضخمة بحكم موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب ، فهي لا تبعد عن الحدود التركية باكثر من خمسين كيلومترا .. وهناك طريقان يربان رئيسيان يربطان بين حلب وتركيا ، فهي محطة على الطريق اذن ، يقف فيها المسافر بالسيارة ليستريح ، ويقف فيها قطار الشرق السريع الذي يبدأ رحلته من بغداد الى سوريا ومنها الى تركيا واوروبا .. ومن قبل كانت الدواب تحمل المسافرين ، وهم قد يمرون بها مرورا ، وقد يستطيبون الاقامة فيها فيقضون بين ربوعها بعض الوقت ..

السياحة في حلب

ومن هنا بدات الدولة تهتم بالسياحة ، وانشات بعض الفنادق السياحية ، وتعاقدت على بناء المزيد من الفنادق مع الشركات العالمية .. وفي مقدمتها شركة Holiday Inn وشيدت المسابح الحديثة في وسط المدينة وفي اطرافها !

فالزائر ياتي الى حلب لمشاهدة اثارها التاريخية القديمة ، تلك التي قامت في ظل الحضارات



مستشفى مكافحة الدرن في حلب ، وهو من اكبر واحدث مستشفيات المدينة ، وقد أنشيء بأموال المواطنين ، وتكلف بناؤه ستة ملايين ليرة ، ويحوى ٣٥٠ سريرا .. وهو المستشفى الثانى الجامعى التابع لكلية الطب (جامعة حلب) ، أما المستشفى الآخر فهو مستشفى حلب الكبير الذى يقع في المدينة الجامعية .

تشرف على ادارة الفندق السياحى في حلب مجموعة من الفتيات المثقفات .. والصورة لقاعة استقبال النزلاء .. وفي حلب العديد من الفنادق القديمة والحديثة .. ولكنها لاتفى بحاجة الزائرين والسائحين .



المتعاقبة منذ فجر التاريخ .. وهو يأتي اليها ايضا ليشترى منتجاتها المحلية من الحرير المطرز والحلوى الحلبية الشهيرة ، والاواني النحاسية التي يتفنن اهالي المدينة في صنعها وزخرفتها .. فاذا جاء في الشتاء وجد ارضا مكسوة بالثلوج ، اذ تهبط درجة الحرارة الى ما دون الصفر .. اما في الصيف فلا يلبث الزائر ان يحس بوطأة الحر ، حيث تصل درجة الحرارة الى الاربعين درجة مئوية او اقل من الاربعين بقليل ، وليس امامه من مكان يهرب اليه من قيظ الحر سوى الحدائق العامة التي امتدت فوق مساحات شاسعة من الارض تبلغ الوف الهكتارات .. فحلب تفتقر الى الشاطيء والى مياه البحر التي تجد فيها الاجسام ارتواء من حر الصيف .. ومن هنا كان الاهتمام بحمامات السباحة التي تجرى فيها المياه المعدنية العذبة بلا توقف ، وتمتليء « بالمصطافين » من ابناء حلب والسائحين .



جانب من المساكن العمالية التي شيدت في عام ١٩٧١ ، وقد تم توزيعها على العمال وتمليكها لهم ، ويدفع العامل مبلغ الف ليرة سورية من ثمن المسكن الذي يتألف من ثلاث غرف ومرافقها ، ثم يدفع باقي الثمن على اقساط شهرية قيمة كل منها ٧٠ ليرة (اي ما يعادل خمسة دنانير كويتية).

الصناعات الحديثة

ان الحديث عن وجه حلب الجديد ، لم يكتمل ، ففي المدينة اليوم نهضة صناعية كبرى ، وبعض الصناعات الحديثة فيها قامت منذ سنوات ، وبعضها الاخر بدأ مع بداية الثورة الزراعية والصناعية في سوريا .. مع سد الفرات الذى احتفل القطر السورى بتحويل مجرى النهر اليه في شهر يوليو الماضي ..

حلب وسد الفرات

وقد ساهمت حلب مساهمة كبرى في بناء هذا السد .. ففيها يصنع الاسمنت الذى كان ينقل يوميا الى موقع السد في ناحية الطبقة ، منذ ان بوشر العمل في تنفيذ هذا المشروع الذى يعتبر حاضر سوريا ومستقبلها .. وقد اوشك العمل على الانتهاء من بناء مصنع حديث للاسمنت بجوار المصنع الحالي ، وينتظر ان يبدأ انتاجه في عام ١٩٧٥ ، وسيصل انتاجه الى اكثر من الف طن من الاسمنت يوميا ، اى ثلاثة اضعاف ما ينتجه المصنع الحالي .



صناعة الجرارات

ومن بين الصناعات الاخرى التي استحدثت في

وجه من حلب ، ان المرأة الحلبية خرجت وتعلمت ، واصبحت تنافس الرجل في شتى ميادين العلم والحياة .



النافورات في ساحة التحرير ، أكبر ميادين حلب ، ويشرف عليه الفندق السياحي، وقد تم التعاقد على بناء العديد من الفنادق السياحية الجديدة في هذه المدينة التاريخية .

داخل مصنع الجرارات ، وقف فريق من العمال يعملون في تركيب المحركات الجديدة وصيانتها .. لقد بدأ هذا المصنع الحديث انتاجه في عام ١٩٧٢ .



في حلب أكبر مصنع للتبغ الذي يزرع في أربع محافظات في سوريا ، وفي الصورة بعض العاملات أمام آلة لف السجائر .



تقدم ادارة مصنع التبغ الخدمات الاجتماعية للعمال والعاملات ، والصورة لدار الحضانة التي الحقت بالمصنع لرعاية أطفال الأمهات العاملات .



مسجد الروضة احدث مسجد في حلب ، وقد شيدته وزارة الاوقاف الاسلامية ، والحقت به مكتبة خاصة بالدراسات الدينية الاسلامية ، ويقع المسجد في منطقة حي السبيل . اما الصورة الاخرى فهي لكنيسة القديس « مار جرجس » لطائفة الروم المسيحيين ، ولا يزال العمل يجري في بنائها حتى الآن .



حلب ، صناعة الجرارات الزراعية ، وقد انشيء مصنع شركة الفرات لصناعة الجرارات في عام ١٩٦٧، وبدأ الانتاج بالفعل في اواخر العام الماضي، وهو مصنع للتجميع Assembly Line ويقوم الآن بانتاج عشرة جرارات يوميا من طراز Ebro ، وهو جرار اسباني ، ويستورد المصنع بعض اجزاء هذا الجرار جاهزة الصنع ، اما بقية اجزائه فتصنع محليا ، وتباع هذه الجرارات للمزارعين بسعر ١٩ الف ليرة للجرار الواحد (حوالي ١٤٠٠ دينار كويتي) .

ويعتبر هذا المصنع الذي يقوم في نفس الوقت بعملية التجميع لانواع اخرى متعددة من الجرارات الزراعية ، الأول من نوعه في القطر السوري كله ، وكانت الدولة قبل انشائه، تستورد هذه الجرارات عن طريق القطاع الخاص وبالعملة الصعبة .. اما الآن فان معظم الجرارات التي تستورد سواء كانت كاملة الاجزاء ام مصنعا بعضها محليا ، فهي تدخل ضمن اتفاقيات المقايضة التجارية بين سوريا من ناحية ، وبين المانيا الغربية وايطاليا واسبانيا من ناحية اخرى . وقد رصدت الدولة مبلغا يزيد على التسعين مليون ليرة لهذا المشروع .

وننتقل الى صناعة اخرى ، وهي صناعة الغزل والنسيج ، وهي ايضا من الصناعات الرئيسية في حلب ..

مصانع في حلب ايضا ، ثم رؤى بعد ذلك تركيزها فيمصنع واحد في عام ١٩٦٠ .. ويبلغ انتاج المصنع يوميا منالتبغ ما يزيد على السبعة ملايين سيجارة، اى بمعدل مليون سيجارة في كل ساعة من ساعات العمل السبع اليومية ، وهى تستهلك كلها ، ولا يكاد المصنع يفى بحاجة السوق المحلى .. فاذا افترضنا ان علبة السجائر التى تحتوى على عشرين سيجارة تباع للمستهلك بليرة ، فمعنى هذا ان ٣٥٠ الف ليرة سورية تحترق في الهواء يوميا .

الخدمات للعمال

ويعمل في هذا المصنع حوالي ٧٠٠ عامل وعاملة ، وقد اهتمت ادارة المصنع بتوفير الخدمات الصحية والاجتماعية للعاملين ، فانشات لهم مستوصفا صغيرا ، وناديا اجتماعيا ومطعما يقدم لهم الوجبات الأساسية باسعار رمزية واقامت للامهات العاملات بعد هذا قسما للحضانة وروضة لتعليم الاطفال الصغار .

قال لنا مدير المصنع ، السيد محمد زاهر : « ان الام العاملة تدفع مبلغ خمسة ليرات سورية شهريا مقابل العناية بطفلها سواء في الحضانة او في روضة الاطفال ، كما يسمح لها براحة لمدة نصف ساعة يوميا لارضاع طفلها في البيت الملحق بالمصنع والمخصص لاقامتهم ، وهو مبلغ يساوى ٣٥٠ فلسا كويتيا . اما وجبة الافطار فهي لا تكلف صاحبها اكثر من ربع ليرة سورى (حوالي عشرين فلسا) وهي تتالف من طبق من الفول المدمس ورغيف خبز وشاى » .

لقد بدا العامل في حلب يشعر بكيانه ووجوده ، بدا يحس ان هناك يدا تمتد اليه لتساعده وتعنى به .. وفي بيت احد العمال، لمسنا صورة اخرى من صور العناية والرعاية التي توليها الدولة للطبقة الكادحة .. انه اب لاسرة كبيرة تتالف من الام واطفالهما السبعة ، وهو يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٢٥٠ ليرة ، اما هذا البيت الذى دعانا الى الدخول اليه ، وقدم لنا فيه افراد الاسرة ، فقد اوشك على ان يصبح ملكا له بعد ان ينتهي من تقسيط ثمنه ، وهو بيت بسيط ونظيف يتالف من ثلاث حجرات وحديقة صغيرة ومطبخ وحمام ودورة للمياه .



صناعة السجائر

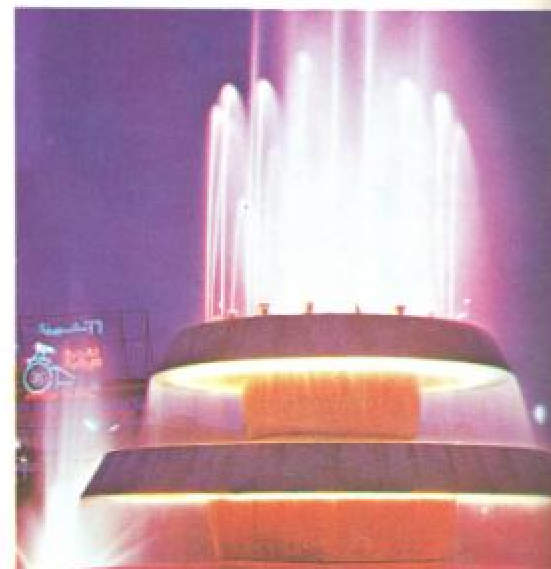
اما صناعة التبغ ومنتجاته فبالرغم من انها صناعة قديمة في سوريا ، الا انها صناعة تنفرد بها حلب دون سائر مدن ومحافظات القطر كله .. فالتبغ يزرع في اربع محافظات سورية ، هي اللاذقية وطرطوس وادلب وحلب ، وتبلغ مساحة الارض المزروعة تبغا ما يزيد على السبعة عشر الف هكتار (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) .

وبالرغم من ان زراعة التبغ في حلب نفسها ، تعتبر زراعة ثانوية ، الا ان مناخها قد وجد ملائما لهذه الصناعة التي كانت من قبل موزعة على عدة

مسبح الريفيرا ، وهو اول مسبح من نوعه في حلب ، وقد أنشىء منذ ثماني سنوات ويتردد عليه يوميا ما لا يقل من خمسمائة شخص، . طوال اشهر الصيف الذى يبدا من اول يونيو ،حتى نهاية شهر سبتمبر .

عنى المسئولون فى جامعة حلب ، باقامة بيت للطالبات المغتربات ، وتدفع الطالبة مبلغا رمزيا لا يتجاوز ٢٥ ليرة سورية شهريا (حوالى دينارين كويتيين) مقابل اقامتها ، وهناك بيت أيضا للطلبة . والصورة لمجموعة من الطالبات في قاعة المطالعة .

احد المحال التجارية الحديثة لبيع المنتجات المحلية التي تشتهر بها حلب ، وكذلك المستورد منها ، وفي مقدمتها التحف المصنوعة من النحاس والبرونز والاخشاب المزخرفة والثريات .



النافورة الكبرى في حلب ، وهي تتألف من ثلاثة أدوار ، وتتوسط حديقة عامة يقصدها أهل حلب في الأمسيات الحارة .

المساكن الشعبية

قال لنا مرافقنا السيد عصام الجابري : « لقد شيدت هذه المساكن بعد الحركة التصحيحية في عام ١٩٧١ ، وكان عددها حوالي ١٦٢ مسكنا ، وزعت على العمال ، وبدأ تمليكها لهم ، مقابل مبلغ الف ليرة يدفعها العامل مقدما من ثمن المسكن (حوالي ٧٠ دينارا) على ان يسدد باقي الثمن على اقساط شهرية متساوية على مدى ١٥ عاما ..

وهو اول مشروع من نوعه تشهده مدينة حلب..

الزراعة في حلب

والحديث عن الصناعة والمصانع ، لا بد وان يجرنا بطبيعة الحال الى الزراعة ، وسوف نستعرض بسرعة اهم الحاصلات الزراعية في حلب الى جانب فستقها الشهير ، والحبوب بصفة عامة، وفي مقدمتها القمح والشعير والعدس ، وكذلك القطن والبقول بانواعها،تشكل اهم هذه الحاصلات. ثم هناك الخضروات مثل الطماطم والكوسا والخيار والجزر والبازلاء والبامية والخرشوف او « الارضي شوكي » كما يسمونه هنا ، وهو اسم تركي ، اشتق منه الاسم الذى يطلق على النبات باللاتينية وهو « Artichot » اما الفاكهة فتنمو منها في حلب اشجار التفاح والكمثرى والمشمش والكرز والدراق . وتعتمد الزراعة اعتمادا كليا على مياه الامطار التي تهطل في الشتاء ، فتحتضنها الأرض وتخزنها في جوفها طوال موسم الجفاف .

جامعة حلب

ونترك المصانع وعمالها والأرض وخيراتها ، وننتقل الى احدث وافخم انجاز في حلب الحديثة .. الى الجامعة ، جامعة حلب ، تلك التي تحتل بمبانيها الضخمة منطقة شاسعة من الارض تقدر مساحتها بحوالى ١٢٠ هكتارا ، وقد قامت فوق التلال المرتفعة ، التى تشرف على المدينة ، وتعتبر من أجمل مواقعها ..

قال لنا مرافقنا الاستاذ انور العقاد ، الاستاذ بجامعة حلب ومدير الشئون العامة والثقافية ، وكان لقاؤنا به في ادارة الجامعة : « لقد انشئت هذه الجامعة الوليدة في ١٩٦٠ ، اى في ايام الوحدة بين سوريا ومصر ، وكانت نواتها الاولى هي كلية الهندسة التي كانت قائمة في ذلك الوقت، وتتبع جامعة دمشق .. ولم تكن ميزانية الجامعة عند انشائها تزيد على الثلاثمائة وخمسين الف ليرة سورية .. ولم يكن عدد طلابها يتجاوز الخمسمائة طالب .. الى ان كان عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ، وهو العام الذى اكتملت فيه الكليات الجامعية وعددها سبع ، وهي كلية الهندسة ، بجميع فروعها ، وكلية الطب البشري، وكلية الطب البيطري ، وكلية الزراعة ، وكلية العلوم ، وكليه الاداب ، وكلية العلوم الاقتصادية الى جانب ثلاثة معاهد متوسطة تابعة للجامعة . واحصينا عدد الطلبة والطالبات في مختلف الكليات ومعاهدها ، فاذا بهم يزيدون على الاثني عشر الف طالب وطالبة .. واذا بهيئة التدريس تضم اليوم ما يزيد على الخمسمائة استاذ ومدرس بين متفرغ وزائر ومتعاقد بينهم اثنا عشر استاذا من كبار اساتذة الجامعة المصريين ، وبعض الاساتذة الاجانب .

« وقد اهتمت الجامعة بالطلبة والطالبات المغتربين فانشأت بيتا للطلبة ومثله للطالبات ، داخل الحرم الجامعي ، ويضم بيت الطلبة خمسمائة طالب ، وتقيم في بيت الطالبات ١٢٠ طالبة من الدول العربية الشقيقة ومن المحافظات السورية القريبة من حلب . ويدفع الطالب او الطالبة مبلغ ٢٥ ليرة سورية مقابل اقامته ، واربع ليرات مقابل الوجبات الثلاث يوميا » .

دور الجامعة في المجتمع الجديد

وفي مكتب الاستاذ الدكتور خالد ماغوط مدير جامعة حلب بالوكالة جلس يحدثنا عن الجامعة ، وقلنا نسأله :

«هل قامت الجامعة بدور في المشروعات الحيوية، سواء كانت تابعة للقطاع العام ام الخاص ؟ »

وقال الدكتور خالد : « لقد شاركت جامعة حلب وما زالت تشارك في معظم المشاريع الهامة ، فهي مثلا قد اسهمت في الدراسات اللازمة لبناء سد الفرات قبل البدء بتنفيذ هذا المشروع الكبير، كما اسهمت في حل المشكلات المرتبطة بانشائه مثل مشكلات الري واستصلاح الأراضي وغيرها .

« ان هناك تعاونا تاما بين اجهزة الدولة المشرفة على دراسة المشروعات السكنية والصناعية والزراعية وتنفيذها ، وكذلك المؤسسات الخاصة وبين اساتذة الجامعة المتخصصين في شتى ميادين

العلم والمعرفة .. وتقوم مختبرات الجامعة باجراء التجارب التي تطلبها هذه المؤسسات والاجهزة ، كما يقوم الاساتذة المتخصصون في الجامعة بالدراسات اللازمة لتنفيذ المشاريع الصناعية والزراعية ، ولا تزال كلية الهندسة تسهم بدورها في متابعة المشروع الخاص بمصنع الجرارات الزراعية . وغيره من المشروعات الاخرى ، كما تساهم كلية الزراعة بدورها في اجراء مسح حراجي شامل في القطر كله ، وبصفة خاصة في المنطقة الشمالية او منطقة الساحل » .



تقوم شركة الفرات لصناعة الجرارات ببيع انتاجها من الجرارات للمزارعين في هذا البلد الزراعي وكانت سوريا تستورد الجرارات قبل انشاء هذه الشركة .. والصورة لجرار من طراز Ebro او الفرات وثمنه ١٩ الف ليرة سورية .. اما الصور الاخرى « تحت » ، فهي لام وابنتها وهما تقومان بجمع الكرز الذي تكثر زراعته في حلب .

مدارس حلب وطلبتها

هذا عن الجامعة ، فماذا عن التعليم في المراحل التي تسبق دخول الجامعة ، وفي مكتب الاستاذ محمد الحجار مدير التربية بمحافظة حلب ، جلس الرجل يحدثنا بالارقام عن عدد المدارس وعدد الطلبة في حلب في مختلف مراحل التعليم قال :
« ان هناك ٢٩ مدرسة ثانوية تضم (١٢ الفا و ١١٩) طالب وطالبة (٥ ٤ ٪ اناث) .

« وعدد مدارس المرحلة الاعدادية ٤٦ مدرسة



القديم والحديث في حلب .. وهو طابع
المدينة التاريخية ، فأنت تراه في ملابس
أهلها . وفي شوارعها وفي مبانيها ، وفي
مصانعها ، وفي كل ما حولها وفيها .

تنتشر الحدائق في مدينة حلب ،والصورة
العليا الى اليسار للحديقة العامة ، وهي
حديقة كبرى تتوسط المدينة وتشبه حديقة
هايدبارك في لندن ، اما الصورة الأخرى
« تحتها » فهي لحديقة السبيل التي تضم
مقهى تحيط به المياه حيث يسبح البط ،
ان هذه الحدائق هي رئات المدينة .

حركة البناء والتعمير تجري على قدم وساق
في جميع أنحاء حلب ، والصورة لمجموعات
من العمارات الحديثة التي شيدت على
جانبي طريق « عزاز » المؤدي الى تركيا .
تركيا .



العمارات الحديثة في حلب ، حيث تمضي حركة البناء في شتى انحاء المدينة ، وقد شيدت الوف العمارات في العامين الاخيرين ، وسارت عملية البناء جنبا الى جنب مع عملية التشجير .. لقد بدأ وجه حلب يتغير منذ الحركة التصحيحية في اكتوبر عام ١٩٧٠

تضم ٣٥ الفا و ١٣١ طالب وطالبة (٣٢٪ اناث).

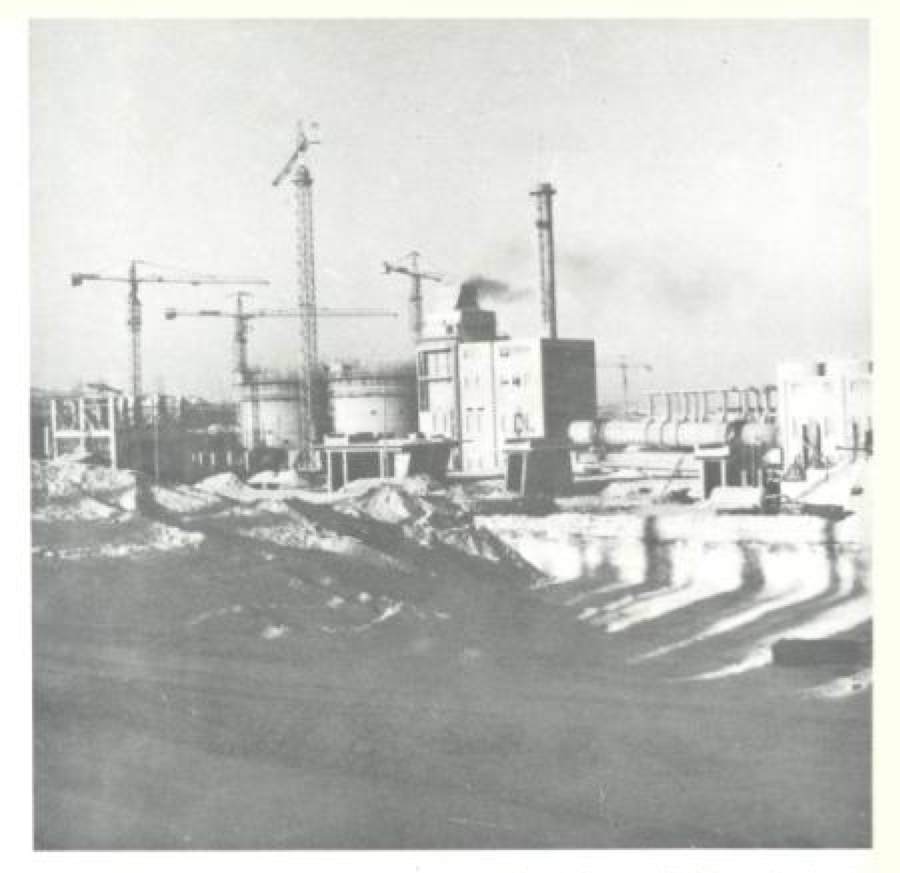
« اما عدد مدارس المرحلة الابتدائية فقد وصل الى ٣٤٢ مدرسة تضم ١١٩ الف و ٢٣٢ تلميذ وتلميذة ، والتعليم مختلط في السنوات الدراسية الاولى والثانية والثالثة (٤٠٪ اناث) .

« بقيت مدارس رياض الاطفال وقد بلغ عددها في هذا العام الدراسي الاخير ٦٥ مدرسة تضم ٧٢١٥ طفلا ، والتعليم فيها مختلط » .

« هذا الى جانب المعاهد التجارية والصناعية ومعاهد اعداد المعلمين والمعلمات في حلب ، ويبلغ عدد هذه المعاهد عشرة تضم ٢٥٤٤ طالب وطالبة».

فاذا علمنا ان مدينة حلب اليوم تضم ٦٢٩ الف نسمة ، طبقا لآخر احصاء اجرى في عام ١٩٧٠ ، واذا جمعنا عدد الطلبة والطالبات الذين يتلقون العلم في مختلف مراحله ، وجدنا ان اكثر من خمس سكان حلب طلبة يتلقون العلم في المدارس.. ان الفتاة الحلبية قد خرجت من بيتها وبدأت تنافس الفتى في مختلف مراحل التعليم ، كما بدأت تنافسه في شتى مجالات العمل التي كانت حتى عهد قريب مقصورة على الرجل وحده دون المرأة

لقد اقتربت جولتنا في حلب من نهايتها ، وكان لابد لنا من لقاء اخير مع الرجل المسئول العميد سعيد الهيج محافظ حلب بالوكالة ، قلنا : « لقد لاحظنا ان عددا كبيرا من المشروعات في حلب وفي غيرها من محافظات القطر قد اقترن بالحركة التصحيحية ، فهل لكم ان تحددوا لنا الاهداف الاساسية لهذه الحركة ، واثرها على الحالة الاقتصادية والنفسية في البلاد ؟ » .



قامت في حلب صناعة الاسمنت منذ سنوات بعيدة ، ويبلغ انتاج المصنع الحالي اربعمائة طن من الاسمنت يوميا ، ويجري العمل الآن في بناء مصنع ضخم سيبدأ انتاجه خلال عام ١٩٧٤ ، ويبلغ انتاجه ثلاثة أضعاف انتاج المصنع الحالي .

حديث المحافظ بالوكالة

قال العميد الهيج « الانفتاح والاطمئنان والثقة هي بعض الاهداف الاساسية .. لقد كانت الأموال محبوسة في جيوب اصحابها قبل الحركة التصحيحية ، وكانت الأموال هاربة خارج سوريا. واليوم بدات الأموال تعود وبدات تخرج من مخابئها ، وبدات تستثمر ، وبدأ اصحابها يودعونها في المصارف بعد ان ظلت حبيسة في بيوتهم سنوات طويلة .

« ان سياسة الدولة اليوم تقوم على تشجيع القطاع الخاص الى ابعد الحدود ، وتشجيع استثمار رؤوس الأموال في المشاريع الحيوية .. لقد عاد الكثيرون من ابناء سوريا بعد ان كانوا قد هجروها ، وسمحت الدولة للمغتربين بممارسة التجارة والمساهمة بدورهم في مشروعاتها ، وتقديم كافة الضمانات لأصحاب رؤوس الأموال المستثمرة.

« ان سوريا اليوم جادة كل الجد في اعطاء كل الضمانات التي يطلبها اصحاب رؤوس الأموال العرب والأجانب ، لاستثمار اموالهم في الصناعة والتجارة والبناء والتعمير .. فقد بدات سوريا عهدا جديدا ، وبدأ اثر هذه السياسة يثمر في شتى مجالات الحياة في البلاد » .

منطقة حرة ومطار دولي

قال لنا مرافقنا : « ان هنالك مشروعين يؤيدان ما ذهب اليه المحافظ في شرحه لسياسة الانفتاح



يمر قطار الشرق السريع بمدينة حلب ، وهو يبدأ رحلته من بغداد مرتين كل اسبوع ، مارا بحلب ثم مدينة استانبول في تركيا ، ومنها الى مختلف انحاء اوربا .. وفي الصورة القطار عند وصوله الى محطة حلب .

تشتهر حلب بساحاتها الفسيحة وميادينها الكبرى ومبانيها ، الحديثة ، والصورة لأحد هذه الميادين التي تنوي المحافظة بناء عدد من الفنادق السياحية الجديدة التي ستشرف على الميدان مباشرة

حلب مدينة زراعية ، وتنمو فيها أشجار الفاكهة بأنواعها كالتفاح والكمثرى والدراق والفستق ، وكذلك الحبوب والخضراوات والصورة لمجموعة من أشجار الفستق الحلبي الشهير



تقدر الثروة الحيوانية في حلب بحوالي خمسة ملايين راس من الغنم و ٢٠ الف راس من البقر ، وقد انشئت أخيرا مزارع للتهجين وتسمين العجول في ريف المدينة .



اللواء مصطفى طلاس نائب القائد العام ووزير الدفاع السوري، الذي تبنى مشروع اقامة مطار دولي في حلب، قال لنا وهو يستقبلنا في مكتبه في دمشق: « ان مدينة حلب بحكم موقعها الجغرافي تعتبر نقطة التقاء بين أوربا والشرق العربي ، وفي تقديري أن وجود مطار دولي مهيأ لاستقبال طائرات الركاب الضخمة ، من شأنه أن يشجع على تنشيط السياحة في هذه المدينة من القطر السوري .

الجديدة في سوريا ، الأول هو مشروع اقامة منطقة حرة في حلب ، والثاني هو تحويل مطار حلب الى مطار دولي . وقد بدىء بالفعل في تنفيذ المشروع الأول ، والهدف منه هو اقامة اقتصاد يتوازى مع الاقتصاد الوطني ، متحرر من كافة القيود الجمركية والقوانين المحلية واحكام التجارة الخارجية والضرائب ، الى آخر ما هنالك من قيود » .

« والغرض من انشاء هذه المنطقة هو تشجيع اصحاب رؤوس الأموال الوطنية والعربية والاجنبية على استثمار اموالهم في سوريا .

فالمستثمر يستطيع مثلا ان يقيم مصنعا او مركزا لتجميع السيارات او اجهزة التلفاز على سبيل المثال او مركزا للتجارة في السلع المستوردة داخل المنطقة ، على ان يسمح له بتصديرها للخارج الى اية جهة يرغب فيها ، كما يسمح له ايضا بادخال ما يعادل ثمن السلع السورية المستخدمة في التصنيع .

كما تقضي اللوائح التي ستطبق بالنسبة للمستثمرين في هذه المنطقة بالسماح لصاحب راس المال الأجنبي باستثمار امواله في البناء والتعمير في اى مكان في الاراضي السورية على ان تكون له الحرية في تحويل عائد هذه الاستثمارات الى العملة الصعبة واخراجها من البلاد » .

« اما المشروع الثاني ، مشروع تحويل مطار حلب الى مطار دولي ، فقد تبناه اللواء مصطفى طلاس نائب القائد العام ووزير الدفاع السوري . وفي مكتبه في دمشق ، استقبلنا اللواء طلاس مرحبا بمجلة « العربي » ، قال يشرح لنا مشروعه الذي ينتظر ان يوضع قريبا موضع التنفيذ : « ان مدينة حلب كانت دائما بحكم موقعها الجغرافي نقطة الالتقاء بين اوربا والشرق العربي .. ومن هنا بدات فكرة المشروع الذى تبنيته ، وسعيت جادا لتنفيذه ، لماذا لا نقيم في حلب مطارا دوليا ؟ .

« وتجرى الآن دراسات جدية للبدء في تنفيذ هذا المشروع الحيوى ، الذى ينتظر ان يكون له اثر كبير على تشجيع السياحة .. ان حلب ترتبط باوروبا برا عن طريق اكسبريس الشرق السريع القادم من تركيا الى بغداد مارا بحلب وبالعكس ، وكذلك عن طريق « الأوتوستراد » الذى يربط بين دمشق وحلب ، وبين حلب وتركيا عند باب الهوى ... فلماذا لا يكون هنالك خط جوى الى جانب هذين الطريقين البريين ؟ » .

وبعد .. ان حلب مقبلة على عهد جديد .. فهي لم تعد مدينة القلعة والآثار والصنوبر والفستق الحلبي فحسب ... انها اليوم مدينة عصرية .. مدينة الجامعة والصناعة والسياحة وسد الفرات ، ذلك الذى شاركت في بنائه وما تزال تنتظر وصول مياهه اليها .. المياه التي ستحدث ثورة في حياة المدينة واهلها وارضها الواسعة الترابية .

منير نصيف



ايهما اخف ضرراً . تدخين السجائر أم الغليون ؟ !

● سمعت بعض الاطباء ينصحون المدخنين بالتحول من تدخين لفائف التبغ (السجائر) الى تدخين الغليون (البايب) ، فما العله وراء تلك النصيحة ؟

ـ لقد تجمعت الادلة الاحصائية التجريبية على ان تدخين التبغ يعرض المدخنين الى الاصابة بسرطان الرئة والتهابات المسالك التنفسية المزمنة. كما ان التدخين ضار بالجهاز الهضمي والاوعية الدموية والقلب. وهو يؤثر على الجهاز العصبي بشقيه الطرف والمركزى تأثيرا سيئا، كذلك لا تنصح النساء الحوامل او الرضع بالاقتراب منه او اولئك الذين اصيبوا بازمة قلبية او ارتفاع في ضغط الدم . وباختصار فان التدخين يضر بالصحة .

غير ان المهتمين بأبحاث التبغ يقولون بأن تدخين الغليون (البايب) والسيجار اخف وطأة من تدخين اللفائف (السجائر) ومدخن الغليون لا يصاب بسرطان الرئة بالقياس الى مدخن السجائر . وتفسير ذلك فرضي بحت. اذ ان النيكوتين الذى يمتص من الفم عن طريق الغليون قلوى التفاعل وذاك الذى يستنشق من الرئتين (السجائر) حمضي التفاعل ، ويفترض ان هذا النيكوتين الحمضي هو الذى يسبب سرطان الرئة . ولكن المؤكد ان العبرة تكمن في كمية الدخان المستنشق بصرف النظر عن الطريق الذى يسلكه .

وكلما زادت الكمية النازلة الى الرئتين زادت نسبة احتمال الاصابة بالسرطان .

والحديث عن التدخين يجرنا الى ايراد حقيقتين اكتشفتا حديثا :

١ ـ ان غير المدخنين يستنشقون كمية من دخان التبغ يضر بصحتهم ويزداد الضرر كلما طالت مدة المخالطة للمدخنين ولذا ننصح غير المدخنين بالابتعاد عن دخان التبغ .

٢ ـ هناك خبر سار اعلن حديثا من شركة التبغ البريطانية والمؤسسة الكيماوية البريطانية .
(Imperial Chemicals Industries Ltd.)
عن اكتشاف مادة مصنعة تحل محل التبغ في صنع السجائر . ولقد ثبتت سلامة هذه المادة وخلوها نسبيا من الاضرار المتوفرة في التبغ . وسوف يتم خلط المادة الجديدة تدريجيا بالتبغ في صناعة السجائر الى ان تصبح السيجارة ١٠٠٪ من المادة الجديدة . غير ان ذلك يستغرق وقتا طويلا . واضمن وسيلة لتجنب اضرار التبغ هو ان يقلع المدخن عن التدخين فورا ، خاصة وان التدخين ليس ادمانا بقدر ما هو عادة ، من السهل التغلب عليها .

فيتامين «أ» وتأثيره على علاج الجلد من الحبيبات

● ظهرت حبيبات صغيرة على الذراعين والساقين لولدي منذ العام الماضي ، ونصحني الطبيب باستعمال فيتامين أ ، الا أنها لم تختف حتى الآن ، فما هو هذا المرض وكيفية علاجه ؟

ـ ان هذا المرض يسمى التقرن وهو عبارة عن اضطراب في التحول القرني لجريب الشعر حيث تنسد فتحة الجريب بمادة قرنية على شكل سدادة تحتوي عادة على شعرة او اكثر تكون ملتوية داخلها ، كما انها قد تكون مصحوبة بالتهاب طفيف . ويظهر المرض على شكل حبيبات صغيرة جدا رمادية اللون تختلف في الحجم من سن الدبوس الى راس الدبوس وتعطي الجلد منظرا مثل جلد الاوز ، وتظهر عادة على ظهر الذراعين والساقين والفخذ ، ويمكن رفع السدادة القرنية التي تسد جريب الشعرة ، الا انها تتكون بسرعة ثانية . ولا يشكو المريض من اي الم ، او حكة ، ولكن منظرها وملمسها الخشن يجعل المريض يبحث عن العلاج ، وهي تتحسن تلقائيا في فصل الصيف ، ولكنها تزداد في الشتاء ، وقد تكون محاطة ببعض الاحمرار في الساقين خاصة في البنات اللواتي يتمتعن بصحة جيدة وعادة يأخذ المرض عدة سنوات حتى يشفى ، ويلاحظ ان وجود الشعر الملتوي تحت السدادة القرنية يعمل كعامل مثير او ملهب قد يؤدي الى حدوث عدوى ثانوية مضاعفة المرض .

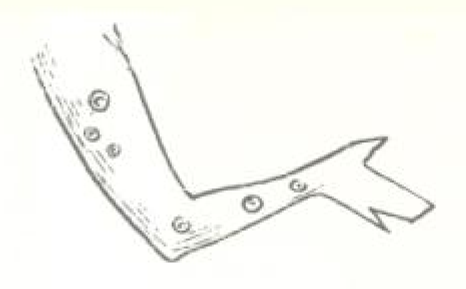
وقد يكون المرض محدودا في مناطق معينة من الجسم مثل الذراعين او الساقين او يكون كجزء من مرض جلدي

قمل العانة قد يصيب الحواجب والشارب والراس

● اصبت بحكاك في منطقة العانة واخبرت بانها حساسية واستعملت الدواء دون نتيجة ، واخيرا اخبرني طبيب اخصائي بان هذه نتيجة الاصابة بحشرات صغيرة ، فما هي هذه الحشرات ، وكيفية الاصابة بها وعلاجها ؟

ان هذه الحشرات التي تصيب منطقة العانة تسمى قمل العانة ، ويسمى المرض Pedicalosis pubis وهو ينتج عن حشرات صغيرة جدا تكاد لا ترى الا بالفحص الدقيق ، وعندما ترفع بواسطة ملقط وتوضع على ورقة بيضاء يمكن رؤيتها على شكل حشرة رمادية او سوداء تتحرك بعنف ، وعادة تصيب الشعيرات في منطقة العانة فقط الا انها قد تمتد الى شعر الابط او شعر الصدر والفخذين ، ونادرا ما تصيب الحواجب او الشارب او الراس وعادة توجد هذه الحشرات في المناطق





عام مثل حرشفة الجلد السمكية Icthyosis . وفى النوع المحدود الذى يعتبر كظاهرة فسيولوجية فانه يظهر فى سن الطفولة ويزداد تدريجيا ليصل ذروته فى عمر الشباب لدرجة اننا قد نلاحظ انه حوالى ٥٠٪ من الاطفال الاصحاء مصابون بها ، ثم تقل تدريجيا كلما كبر العمر . ويلاحظ من انتشار المرض فى هذه السن المعينة ان له صلة بالهرمونات واضطرابها خاصة افرازات الغدة الدرقية ، كذلك العامل الوراثي قد يكون له بعض التأثير . ونفس هذه الاعراض والحبيبات توجد كذلك فى حالات نقص فيتامين أ الشديد .

وبعض الحالات المشابهة تكون ليست نتيجة نقص غذائي او حتى عامل وراثي وانما نتيجة استعمال مواد بترولية على الجلد او القطران او نتيجة الجفاف وعدم النظافة .

العلاج : يجب ملاحظة وجود اى سبب او مرض مصاحب ، وعلاجه ، فيعطى هرمون الغدة الدرقية فى حالة نقصه ، كذلك استعمال فيتامين أ يساعد على تخفيف الحالة ، وينصح بعدم استعمال الماء والصابون بكثرة ، وهناك انواع كثيرة من الكريمات المفيدة ممكن استعمال بعضها الذى يحتوى على فيتامين أ وهرمون Oestrogens ، كما ان استعمال الكريمات المزيلة للكيراتين والمحتوية على حمض السالسليك تساعد كثيرا فى تخفيفها .

حيث تكثر الغدد المنبسقة Apocrine glands حيث ان افراز هذه الغدد يجذب تلك الحشرات . وهذه الحشرات ليس لها دخل بالنظافة أو البيئة ، بالغنى أو الفقر ، وانما تصيب جميع الطبقات مختلفة فى ذلك عن قمل الجسم أو الرأس الذى يصيب الطبقة المهملة الفقيرة فقط التى لا تهتم بالنظافة أو الملبس .

وتنتقل العدوى من شخص لآخر بالملامسة مثلا اثناء الاستحمام أو الاتصال الجنسي أو حتى باستعمال الملابس المشتركة أو الاسرة المشتركة أو الفوط .

ويشعر المريض بحكاك تختلف شدته من شخص لآخر ، ولكن نادرا ما توجد آثار للخدش أو اكزيما او تقيح مثلما يحدث فى الانواع الاخرى ، ولكن توجد بعض الرقع الصغيرة أو الحبيبات المحمرة أو الزرقاء التى تحدث نتيجة امتصاص السائل المفرز بواسطة الحشرات ، ولذلك يحدث الخطأ بأن هذه ارتكاريا أو حساسية .

ولعلاجها يجب علاج جميع اجزاء الجسم مرة واحدة حتى لا يعود المرض ، وكذلك يجب علاج الشخص الملامس .

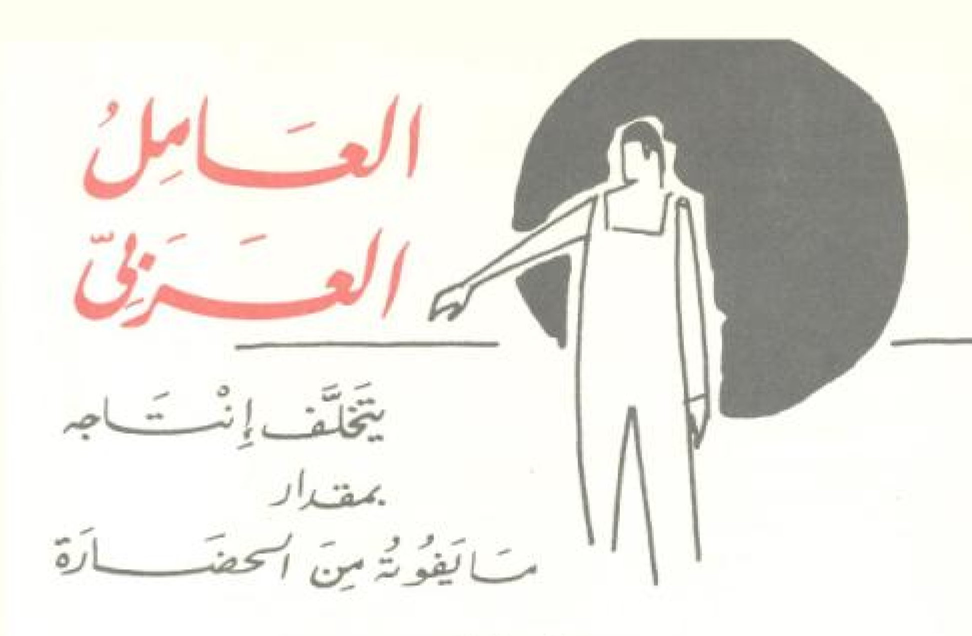
وهناك كثير من الدهانات مثل دهان كويل Kwell أو توبوسيد Topocide أو Benzyl Benzoate - emulsion وتستعمل كدهان يوميا لمدة ثلاثة أيام متتالية ، وهى كافية للقضاء على هذه الحشرات .

كما أن بودرة د.د.ت ١٥٪ فى بودرة تلك تفيد كذلك .

وفى حالات الحكة الشديدة يمكن استعمال الكريمات المرطبة .

وفى حالة اصابة الحواجب والجفون يمكن رفعها بعناية بملقط صغير ، واستعمال مرهم راسب أصفر Yellow oxide of mecury.

■■



بقلم : الدكتور محمد ربيع

■ ان فشل او تعثر الكثير من تجارب التصنيع في البلاد العربية كان لا بد وان يثير اهتمام المعنيين بمشاكل المجتمع العربي ، وان يقود الى التساؤل عن اسباب ذلك الفشل او التعثر . ولما كان العمل في المصانع يقوم على جهود العمال والاداريين منفردين ومجتمعين ، فان تعثر عملية التصنيع يشير بوضوح الى فشل العامل العربي في تحمل مسئولياته وعجزه عن القيام بالدور المنوط به . واذا كان القائمون على العمل والادارة في المصانع العربية قد اظهروا قصورا كبيرا عن استيعاب اهمية وامكانات الآلة التي يتعاملون معها ، فان الفشل لا بد وان يلازم معظم او كل المشاريع الصناعية في البلاد العربية .

وقبل ان نتجه الى الحديث عن انخفاض انتاجية العامل العربي واسبابها نود ان نقرر — منذ البداية — ان مفاهيم التقدم والتخلف والنجاح والفشل ، انما هي مفاهيم نسبية تشترك في تحديدها عوامل عدة ، قد يكون اهمها تطلعات المجتمع وامكاناته ومدى ماتحقق لغيره من المجتمعات الاخرى من تقدم او نجاح في ضوء ما توفر لها من امكانيات

التخلف
يؤثر في انتاج العامل العربي

ان تخلف انتاجية العامل الصناعي في البلاد العربية لا يشير الى حالة شاذة في المجتمع العربي تميز ذلك العامل عن غيره من افراد المجتمع ، وذلك لان حالة التخلف التي يعيشها الوطن العربي تعتبر حالة شاملة ، تشمل كل اجزائه ، وكافة نظمه العاملة في المجتمع . واذا كان علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع وعلماء السياسة يركزون — كل على حدة — على جانب من جوانب التخلف يعتبرونه اكثر اهمية واحق في الاولوية — فان تماسك نظام المجتمع وترابطها يجعل التخلف حالة نفسية ومادية يعيشها المجتمع وتشمل كافة نشاطاته الاقتصادية وغير الاقتصادية . ولما كان كل نظام عامل في المجتمع يتاثر بالمجتمع ككل ويؤثر فيه ، فان فصل اى نظام عن المجتمع الذى يعمل فيه لا بد وان يجعل منه نظاما ناقصا او نموذجا لنظام غير مؤهل لاثراء تجارب الحياة العملية . ولهذا جاءت محاولات تحديد مسؤولية التخلف داخل نظام معين او بسبب عوامل طارئة محاولات

فاشلة عجزت كل العجز عن اعطاء مفهوم واضح ومحدد لمعنى « التخلف » .

ومع ادراكنا الواعي أن للتخلف أسبابا داخلية واخرى خارجية ، بعضها نابع منا وبعضها مفروض علينا ، فاننا نعتقد بأن مجموعة العادات والتقاليد المتوارثة عبر القرون الطويلة من حياة مجتمعنا ، وطبيعة القيم والطرق المعيشية التي يؤمن الانسان العربي بها ، ويتحرك من خلالها ، تشكل — في تقديرنا — الاطار العام لحضارة التخلف التي تحتوي الحياة العربية في داخلها .

انتاج العامل الراسمالي

ان انتاجية العامل الراسمالي الذي يعيش في مجموعة الدول الصناعية المتقدمة — وان كانت تختلف بين بلد وآخر — تعتبر اعلى انتاجية ممكنة في حدود الفن الانتاجي السائد في تلك البلاد . اما سبب هذا الارتفاع فيعود — في الدرجة الاولى — الى طبيعة القيم والتنظيمات التي تسود حياة تلك المجتمعات ، وهي القيم والتنظيمات التي تقوم على تنظيم علاقة العامل بغيره من العمال والاداريين ، وتحديد موقعه من حياة المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن نظام المصنع الذي يعمل في ظله . اذ ان العامل في ظل نظام المصنع وفي ضوء المجتمعات الراسمالية يعمل من خلال مفاهيم معينة ، وتقاليد عمل محددة ، تحدد موقعه من النظام ، ومن الآلة التي يتعامل معها ، وتوفر له الكثير من الحوافز المشجعة على العمل والانتاج ، والتي قد يكون اهمها توفر عامل الربح المادي للعامل والقائم على العمل .

انتاج العامل الاشتراكي

اما انتاجية العامل الاشتراكي الذي يعيش في مجموعة الدول الاشتراكية فانها وان كانت تقل عن انتاجية العامل الراسمالي فانها تزيد كثيرا عن انتاجية العامل العربي . ويعود سبب انخفاضها عن انتاجية العامل الراسمالي الى ان النظام الاشتراكي الذي يقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج — يلغي ما للربح المادي من اثر في رفع انتاجية العامل ، وان كان يفسح المجال امام الحافز الفردي كي يقوم بدوره في الحدود الضيقة التي تسمح بها عائدات العمل المختلفة . ومن اجل الارتفاع بانتاجية العامل الاشتراكي ، تحاول مختلف الحكومات الاشتراكية تقوية الحوافز الفردية ، وذلك من خلال ربط الاجور بالانتاجية، وتشجيع العمال بالمكافآت المادية ، ومن ثم تقوية الشعور بالانتماء لديهم عن طريق ربطهم بالمؤسسات السياسية وتثقيفهم بالثقافة الاشتراكية .

حوافز العمل في مصر وفي العالم العربي

واذا ما حاولنا ان نعرف مثلا موقف النظام الاقتصادي في مصر من العامل الصناعي ، فاننا سوف نلاحظ ان نظام مصر الاقتصادي يحاول ان يوفر للعامل العربي من الحوافز المادية وغير المادية ما من شأنه أن يساعد على رفع انتاجيته ،ويبعث لديه الحافز على زيادة الجهد ومضاعفة الانتاج . ومن امثلة ذلك : حصول عمال المصانع في مصر على ٢٥٪ من الارباح في نهاية كل عام ، وقيام الدولة بتشجيعهم ومكافأة المجدين منهم ، وذلك بالاضافة الى العمل على تنظيمهم عماليا ،وتثقيفهم اشتراكيا، من خلال مؤسسات الاتحاد الاشتراكي العربي . اي ان ما يتوفر للعامل الصناعي في مصر من حوافز مادية وغير مادية لا يتوفر لمثيله في ظل اي نظام من النظامين الرئيسيين في دول العالم المتقدم ، الامر الذي يقود الى الاعتقاد بوجوب ارتفاع انتاجية العامل المصري وتفوقها . الا ان كل الدلائل والاحصاءات المتوفرة عن انتاجية العامل الصناعي في مصر تشير الى انخفاض انتاجيته وتخلفها .

وما قيل عن انتاجية العامل المصري يمكن ان يقال عن انتاجية العامل العربي بوجه عام ، وذلك بمعزل عن النهج الاقتصادي للدول العربية المختلفة ، سواء كان ذلك النهج اشتراكيا ام راسماليا ام خليطا من هذا وذاك .

حقائق ذات معان

ومن اجل تحديد اساس المشكلة التي نحن بصدد دراستها أود ان الفت انتباه القارىء الى وجوب التعرف على معاني ودلالات الحقائق التالية :

١ — ان انخفاض انتاجية العامل العربي الذي يعمل في مؤسسات صناعية عربية يقابله ارتفاع نسبي لهذه الانتاجية عندما ينتقل العامل الى العمل في مؤسسات صناعية غير عربية ، سواء

كانت تلك المؤسسات في بلاد عربية ام في بلاد اجنبية .

٢ ـ ان فشل معظم مشاريع التصنيع العربية يقابله نجاح نسبي لمعظم مشاريع التصنيع العربية التي تحملت العقلية والخلقية الغربية عبء ادارتها.

٣ ـ ان الانخفاض النسبي لانتاجية العامل العربى الذى يعمل في قطاع الصناعة يقابله ا نفاع نسبي لانتاجية العامل العربى الذى يعمل في قطاع الزراعة ، وذلك اذا ما اخذنا بعين الاعتبار مستوى الفن الانتاجي المستخدم في كل قطاع ، اى ان كفاءة استخدام العامل العربى في قطاع الزراعة لمختلف الادوات والاساليب الزراعية التى حصل عليها تعتبر اعلى بكثير من كفاءة استخدام العامل العربى في قطاع الصناعة لمختلف الادوات والاساليب الصناعية التى حصل عليها .

العيب فى العامل لا فى النظام القائم

ودون الاطالة في الشرح والتحليل ارى انه من الممكن ان نقرر ان انخفاض انتاجية العامل العربى لا يعود الى وجود عيب دفين في النظام الاقتصادى الذى يجرى تطبيقه في كل دولة عربية بل الى وجود عيب دفين في الانسان العربى ككائن اجتماعى منتج . اذ ان استمرار تمسك الانسان العربى بعاداته وتقاليده المتوارثة عبر القرون حال دون تقدمه وتطوره بالقدر المطلوب ، وبالتالى ابقى عليه انسانا متخلفا مسلكيا وذهنيا مما جعل انتاجيته سيئة ومشاركته في قضايا عصره ضعيفة وتطلعاته محدودة .

ان وسيلة الانسان في استغلال موارده هى مجموعة من القيم والاهداف التى يؤمن بها ويعمل على تحقيقها ، وهى جسم من المعرفة العلمية والمعتقدات الفكرية التى يتحرك الانسان منها وبها ، اى انها نموذج حضارى معين له دور حياتى محدد يلعبه في تقدم المجتمعات الانسانية وتطورها او في جمودها وتخلفها . اذ ان القيم الحضارية لكل مجتمع من المجتمعات تقدم للفرد فيه طريقة لحل مشاكله الحياتية ، وذلك من خلال العلاقات التى يرتبط بها ، وبناء على هذه الانظمة والقوانين المتعارف عليها ، كما تستثير ردود الفعل عنده انطلاقا من القيم التى يؤمن بها ، واستجابة للعادات والتقاليد التى نشأ عليها . ولهذا تشكل الحضارة بمفهومها العام الاطار المادى والمعنوى الذى يوجه الانسان في تفكيره ، ويحدده في تطلعاته، فيحكم عليه بالجمود والتخلف ، او يقوده الى طريق التقدم والتطور .

يقظة اوروبا ، يقظة حضارية ، انطلقت من واقع الحياة الاقتصادية

ان بداية عصر النهضة الاوروبية يمثل ـ في الواقع ـ يقظة حضارية انطلقت من واقع الحياة الاقتصادية ، وشملت كافة اوجه الحياة الاوروبية. ونتيجة لتلك اليقظة ومن خلالها زادت امكانية استيعاب المجتمعات الغربية لاستخدام مختلف الوسائل التكنية وتعظيم درجة استفادتها منها . ومن اجتياز اوروبا الغربية وامريكا الشمالية لمرحلة الثورة الصناعية تغير سلوك الفرد الاقتصادى في تلك المجتمعات ، اذ اصبح لا يتوقف عن حد اشباع رغبات الانسان الطبيعية بل يتعداها الى محاولة جمع الاموال واستخدامها من اجل الحصول على الربح وامتلاك الثروات . ومن خلال العمل على جمع المزيد من الاموال وتنمية الثروات اصبح الانسان الجديد يشعر بانه في صراع مستمر مع الزمن وليس في عداء معه ، كما اصبح يستخدم ما لديه من ثروات في عملية خلاقة مستمرة وليس في عملية استهلاكية مؤقتة . وهكذا ، تطور الانسان البسيط ليصبح انسانا جديدا يتصرف مسلكيا وذهنيا معتمدا على العلم والمعقولية ، مبتعدا بذلك عن القضاء والقدر والاتكالية .

لقد كان من غير الممكن لامريكا او لغيرها من الدول الصناعية المتقدمة ان تحقق مثل ما تحقق لها من تقدم علمى وتطور تكنى هائل ، لو انه انعدم لديها وجود الانظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القادرة على احداث التغيرات الحضارية المطلوبة على طريق التقدم والرفاهية . اذ ان ما يميز المجتمعات المتخلفة انما هي مجموعة من القيم والنظم والمعتقدات التي توفر للمجتمعات الاولى اسس الانطلاق الفكرى والعمل المبدع وتقف في المجتمعات الثانية حائلا دون ادراكها لضرورة التغير واهميته في تطور المجتمعات وتقدمها.

ولهذا ، كان ايجاد المؤسسات الاجتماعية القادرة على تجنيد القوى البشرية في المجتمعات المتخلفة ورفع درجة استفادتها من مختلف الوسائل التكنولوجية في اعادة بناء حياتها عاملا حاسما في عملية انتقال تلك المجتمعات من مرحلة الحياة في الماضي الى مرحلة التطلع بعين المستقبل .

قبل الثورة الصناعية كانت الثورة الاجتماعية والثقافية في اوروبا

لقد مرت اوروبا الغربية قبل قيام الثورة الصناعية بثورتين متتاليتين ومتداخلتين هما : الثورة الاجتماعية والثورة الثقافية . فعندما بدأ نظام الاقطاع في التلاشي بدأت الدولة القومية في الظهور ونشطت الحياة الاقتصادية ، وعندما اخذ التعليم ينتشر على نطاق واسع بدات حركة الاصلاح الديني حيث اخذت تساهم في اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية والقيم الحضارية للمجتمعات الغربية. ولقد جاءت الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر لتعلن انتصار الثورة الاجتماعية واكتمال الثورة الثقافية ، وبالتالي فتحت الباب واسعا امام الفكر الانساني ليتفاعل وينتج واطلقت قدرات الانسان ليخلق ويبدع .

الدول النامية لم تمر بالثورة الاجتماعية الثقافية ، قبل الصناعة

اما بالنسبة لمعظم او كل الدول النامية التي تحاول اليوم أن تصل الى مرحلة الثورة الصناعية، فان ايا منها لم تمر حتى الآن في ثورة اجتماعية ثقافية تغير قيم المجتمع الراسخة وتمهد الطريق لحدوث ثورة صناعية تكنية . ولهذا ، فانه ليس من قبيل الصدفة او الخطأ أن تكون المجتمعات التي عاشت مرحلة الثورة الصناعية خارج او داخل نطاق التجربة الغربية كانت قد بدات ثورتها الصناعية في مرحلة تابعة لثورة اجتماعية ثقافية او متداخلة معها . وبدراسة اسباب التغير وطبيعته في كل من الدول التي اجتازت مرحلة الثورة الصناعية نستطيع أن نقرر ان كل المجتمعات التي اكتملت لها ثورة اجتماعية ثقافية اجتازت مرحلة الثورة الصناعية بنجاح ، وان كل المجتمعات التي لم تكتمل لها ثورة اجتماعية ثقافية لم تستطع ان تصل الى مرحلة الثورة الصناعية .

ان احداث الثورة الصناعية وما تبعها من تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية كانت قد ادت الى اعادة تشكيل حياة المجتمعات الانسانية التي عاشت تجربة التصنيع على اسس جديدة . ومع ان تلك التغيرات جاءت بطيئة وبصورة تدرجية ، الا انها ادت في النهاية الى قيام نموذج حضاري جديد امتاز عن غيره من النماذج الحضارية السابقة بقدرته على تحقيق استمرار التقدم والتطور في ظل سيادة العلم والموضوعية . ولهذا اصبحت الحضارة التي تقوم على التصنيع والبحث العلمي تختلف في عناصرها وطبيعتها عن الحضارة التي تقوم على العادات والتقاليد والحرف اليدوية والمهارات الفردية .

وفي ضوء حقائق العصر التي نعيشها ونتيجة لما تحقق من تقدم وتطور في وسائل الاتصال والمواصلات في هذا العالم ، اصبح بامكان المجتمعات المتخلفة عامة ان تتعرف على تجارب غيرها من الشعوب المتقدمة وان ترى فيها وفيما حققته من انجازات حضارية ، مادية ولا مادية ، مستقبلها ومستقبل اهداف التنمية في بلادها . ومن خلال هذا الفهم لمشاكل المجتمعات المتخلفة وتطلعاتها يمكن تقسيم مراحل التطور بالنسبة لحياة تلك المجتمعات الى ثلاث مراحل رئيسية نوجزها فيما يلي :

مراحل التطور في المجتمعات المختلفة

١ ــ مرحلة التغير المظهري : وفيها يبدا الافراد والجماعات في احداث بعض التغيرات في مظاهر حياتهم ومقومات تلك الحياة . ومع ان مثل هذا التغيير لا يعبر ــ في حد ذاته ــ عن تطور المجتمع او سيره نحو التقدم ، الا انه يمثل القدرة لدى البعض على رفض القديم وتقبل الجديد .

٢ ــ مرحلة التغير المسلكي : وفيها تبدا بعض قطاعات المجتمع في تغيير سلوكها ونظرتها الى الكثير من قيمها وعاداتها الموروثة . اذ ان اتجاه مختلف

قطاعات الشعب في المجتمعات المتخلفةالياستخدام الكثير من منتجات الحضارة الصناعية يحتم عليهم ان يحدثوا الكثير من التغيرات في مظاهر حياتهم العادية وما يرتبط بها من تصرفات .

٣ ـ مرحلة التغير الفكرى : وتعتبر هذه المرحلة ارقى مراحل التغير واكثرها تقدمية ، اذ تتغير فيها ومعها طرق التفكير واساليب العمل ، وتصل المجتمعات الانسانية من خلالها الى حالة من دوام التغير وديناميكية التفكير ، حيث يشكل كل هدف يحققه المجتمع في هذه المرحلة نقطة انطلاق نحو تحقيق المزيد من الاهداف التى تعتبر اصعب منالا، واسمى مرتبة ، واكثر تقدمية .

ومع انه كان بامكان المجتمعات العربية ان تحصل ـ وبارخص الاثمان ـ على نتاج قرون طويلة من البحث العلمى والتطور التكنى والمعاناة الانسانية ، فان تلك المجتمعات بقيت ـ وحتى يومنا هذا ـ عاجزة عن ادراك الاهمية الحقيقية لذلك النتاج وضرورة الاخذ به سبيلا لتحقيق امكانية التقدم والتطور . ولما كان المجتمع العربي قد اخفق في ادراك اهمية التغير ودوره في تطوير مختلف المؤسسات الاجتماعية القائمة في المجتمع ، فان حدوث تحول اقتصادى حقيقي في البلاد العربية سوف ينتظر اكتمال الثورة الاجتماعية الثقافية التي قد يكون المجتمع العربي قد بداها بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ .

الصناعة بمفهومها الحديث لم تصل بعد الى المجتمعات العربية

واذا كانت المجتمعات الصناعية في الغرب قد استطاعت ان توفر الاجواء الملائمة لقيام عملية الاختراع والتصنيع واستمرارها ، فان الصناعة بمفهومها الحديث لم تصل بعد الى حياة المجتمعات العربية ، وذلك على الرغم من اتجاه تلك المجتمعات الى استخدام الكثير من منتجات الصناعة التكنولوجية على نطاق واسع . ويرجع السبب في ذلك الى طبيعة عملية التصنيع نفسها ، وطبيعة النظم والتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تحتاج اليها . اذ تتم عملية التصنيع الحديثة بمفهومها الواسع على مرحلتين يمكن الفصل بينهما مما يجعل توفير الظروف الموضوعية الملائمة لاتمام احداهما قد لا يخدم بالضرورة كشرط كاف لاتمام المرحلة الثانية .

التصنيع يتم على مرحلتين

المرحلة الاولى : وتشمل ممارسة عمليةالتصنيع بمفهومها الواسع حيث يعتبر التنظيم الاجتماعي لتلك العملية احد مكوناتها الاساسية . اما اهم الشروط التي يجب توافرها لاتمام هذه المرحلة فتكمن في قدرة المجتمعات الانسانية على الخلق والابتكار باتباع الاساليب العلمية الحديثة في البحث والتنظيم والادارة ، ومن ثم توفر القدرة لدى تلك المجتمعات على تقبل الجديد واستعدادها للتكيف مع متطلباته ، وذلك عن طريق احداث الضرورى من التغيرات في قيم المجتمع ومؤسساته المختلفة .

المرحلة الثانية : وتشمل استخدام نتاج عملية التصنيع في تنظيم بعض اوجه الحياة في المجتمع وتوفير الكثير من متطلباتها . اما اهم الشروط التي يجب توافرها لنجاح المجتمع في اداء هذه المهمة فتتلخص في قابلية نظم المجتمع وتقاليده لاحداث بعض التغيرات المظهرية والمسلكية التي تستلزمها عملية استخدام الكثير من نتاج التكنولوجيا الصناعية الحديثة .

امة تعيش بذهنية ما قبل العصر الصناعي

ولما كان المجتمع العربي لم يعش تجربة التصنيع بعد فان الاثار الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على مرور اوروبا بهذه المرحلة لم تجد طريقها الى حياة مجتمعاتنا . ولهذا بقيت معظم المجتمعات العربية في فكرها وطريقة حياتها مجتمعات تقليدية او شبه تقليدية يسودها الجمود ، وتفتقر الى المقومات الحضارية التي من شانها ان تمكنها من الاسهام في ممارسة عملية التصنيع الحديثة . اذ

ان الامة العربية التي تتطلع اليوم الى العيش في القرن العشرين ما زالت تعيش بذهنية وقيم حضارة ما قبل الثورة الصناعية ، وهي الحضارة التي تقوم على الحرف اليدوية والمهارات الفردية والارتباطات العائلية . ولهذا يلاحظ نجاح الانسان العربي في استخدام الوسائل البدائية والادوات اليدوية في مختلف العمليات الزراعية والحرفية ، وفشله في استخدام الوسائل التكنية الحديثة التي تستلزمها عملية ممارسة الحياة الصناعية .

ويجدر بنا ان نشير في هذا المجال الى ان القيم والعادات والتقاليد العربية التي حالت دون تقدم المجتمع العربي في الماضي مازالت تقف اليوم ثابتة قوية تحول دون حدوث تغيرات اساسية في قيم المجتمع العربي في بعض المناطق ، وتبطيء سير التطور في مناطق اخرى . وعلى العموم ، ساحاول فيما يلي ان اقدم بعض الامثلة التي تبرز تعارض بعض قيم المجتمع العربي وتقاليده مع قيم وتقاليد الحضارة الصناعية .

امثلة للتعارض القائم

١ ــ الارتباطات العائلية والقبلية : ان الشعور بوحدة العائلة والقبيلة وتقديم مصلحتها على مصلحة المجتمع يجعل المسؤولين في دوائر الحكومة وفي مختلف المؤسسات الاهلية يفضلون الولاء الشخصي على الكفاءة في اداء العمل . وهكذا ، يكثر الاعتماد على الاقارب والمحاسيب ، ويقل الاعتماد على الكفاءات العلمية وتمحي اعمال التملق والمديح الشخصي صاحبها من الاخلاص في اداء الواجب .

٢ ــ اقرار مبدأ المسؤولية الفردية : ان اتجاه الحضارة العربية الى اقرار مبدأ المسؤولية الفردية تجاه السلطة ، حيث اصبح الفرد هو المسؤول عن اعماله السيئة واعماله الحسنة ، كان قد ساعد على اقرار مبدأ المسؤولية الفردية في الحياة عامة . ولقد كان من نتيجة ذلك ان ساهم اقرار هذا المبدأ في تشجيع العمل الفردي وما يترتب عليه من نشاط احتكاري ، خاصة في المجال الاقتصادي ، واضعاف فرص قيام عمل جماعي على الرغم من كونه اساسَ وجوهرَ العمل السياسي والاقتصادي في عالم اليوم . وهكذا نرى ان اقرار مبدأ المسؤولية الفردية على النحو الذي سبق ذكره ، كثيرا مايؤدي الى الاضرار بمصالح الجماعة ويعمل على خلق الظروف والمؤسسات التي تتعارض مع متطلبات التقدم والعدالة في هذا العصر .

٣ ــ النظرة الغيبية وعدم الايمان بالعلم : ان الايمان المطلق بالمفاهيم الغيبية وبقدرة القوة الخارقة غير الطبيعية يقلل امكانية اتجاه المجتمع الى الاعتماد على العلم وايمانه بقدرة الانسان . وحيث تسود هذه النظرة الى ملابسات الحياة ومشاكلها تحتل اعمال السحر والشعوذة المكانة التي تحتلها منجزات العلم والتكنية ، وتغدو مشاكل المجتمع ومستقبل الحياة فيه رهنا بارادة الخالق ، وخارجة عن رغبة الانسان ومعارفه .

ان اختلاف الانسان عن الالة يجعله يعمل من خلال قيم وعادات وتقاليد عمل معينة ويتحرك مدفوعا بدوافع ذاتية نفسية واجتماعية تحدد حركته وتملي عليه اهدافه ، مما يجعل الكفاءة الانتاجية ذات علاقة وطيدة بتلك القيم والتقاليد والدوافع . اي ان كفاءة استخدام مجتمع معين لاية اداة تكنية معينة او نظام ادارة محدد انما تعتبر نتاجا ثانويا وجانبا من الجوانب غير المرئية لحضارة ذلك المجتمع . ولما كانت الحضارة العربية هي نتاج العرب الحضاري في عهود ماقبل الثورة الصناعية ، فان العرب في عالم اليوم يعكسون في حياتهم العادية مظاهر حضارة غير تكنية بينما يعيشون ويتعاملون مع عالم اهم مقومات حضارته تكنية . ولهذا تصبح امكانية حدوث تقدم علمي وتطور اقتصادي حقيقي في البلاد العربية مرهونة بامكانية حدوث تطور حضاري شامل في الحياة العربية ، يعيد تفسير وتقييم مكونات الحضارة العربية على اسس جديدة ، تاخذ حقائق العصر في الحسبان ، وتساهم في بلورة قيم حضارية جديدة فيها من الانضباط المسؤول والمسؤولية الاجتماعية والتفتح الخلاق ما في قيمنا الحالية من انغلاق وجمود وفوضى وعدم مسؤولية . ■■

محمد ربيع



بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

■ نقصد بالخلافة على الارامل ذلك التقليد الذى يقضي بأن يخلف الرجل على ارملته او ارامله بعض اقاربه . وهو تقليد كان شائعا في المجتمعات القديمة وما زال شائعا في المجتمعات القبلية المعاصرة . وكذلك عرفت بعض المجتمعات المدنية القديمة هذا التقليد في صورة او اخرى من صوره . وسوف نبدأ حديثنا في الخلافة على الارامل باستعراض قواعدها في المجتمعات القبلية المعاصرة، ثم نتعرض لأحكامها لدى بعض المجتمعات القديمة.

فى المجتمعات القبلية المعاصرة

يجرى العرف في كثير من المجتمعات القبلية المعاصرة بانه اذا مات رجل عن زوجة اوزوجات خلفه عليهن بعض اقاربه . ويحدد العرف في كل قبيلة الاقارب الذين يقع عليهم واجب معاشرة الارملة ، والارملة التى تخضع لهذا التقليد ، ومدى حريتها في اختيار عشيرها ، وعلاقة العشير بالارملة ، ووضع الاولاد المولودين من علاقتهما .

الأرملة فى المجتمعات الابوية والامية

والقاعدة أن اولى الناس بالخلافة على أرملة الرجل او ارامله هو أقرب اقاربه . وفى المجتمعات الأبوية يأتى في مقدمة الاقارب الذين لهم هذا الحق اخو الميت . وتختلف الاعراف في تحديد الاخ الاولى بالخلافة . ففي بعضها يفضل الاخ الاكبر للزوج الميت على الاخ الاصغر ، وفي بعضها الآخر يحدث العكس . وفي بعضها يفضل الاخ الشقيق على الاخ غير الشقيق ، وفي بعضها الاخر يفضل الثانى على الاول . وفي بعض المجتمعات يسمح العرف للابن بالخلافة على ارملة ابيه او ارامله فيما عدا امه . بل ان الابن في هذه المجتمعات الاخيرة يتمتع بحق الاولوية على غيره من الاقارب . وفى المجتمعات الامية يأتي في مقدمة الاقارب الذين لهم الحق في الخلافة على الارملة ، اخو الميت لامه وابن اخته .

وتتفق المجتمعات القبلية في عدم اخضاع الارملة التى جاوزت سن الحمل للخلافة ، ذلك ان احد اهدافها الرئيسية هو تمكين الارملة من الاستمرار في انجاب اولاد . ويترك لمثل هذه الارملة حرية اختيار الجهة التي تقيم فيها . فلها ان تواصل الاقامة في بيت زوجها . ولها ان تقيم في بيت ابن لها ، بل من حقها ان تعود الى اهلها . وكذلك لا يخضع بعض المجتمعات لهذا التقليد الارملة التى لها اولاد من زوجها الميت .

حق الارملة فى الاختيار

وتتمتع الارملة في كثير من المجتمعات القبلية بالحق في قبول الخلافة على الارامل او رفضها .

فللارملة الحق في ان تستمر في الحياة مع اهل زوجها وان تقبل احدهم عشيرا لها . ولها اذا شاءت العودة الى اهلها والزواج من جديد . وفي الحالة الاخيرة يلتزم اهلها برد ما دفع من مهر بمناسبة زواجها . وبذا تنحل الرابطة الزوجية التي كانت تربط بين الارملة وزوجها. وفي مجتمعات اخرى لا تتمتع الارملة بحرية الاختيار ، وتبدو الخلافة على الارامل نظاما اجباريا او شبهاجباري.

كذلك تتمتع الارملة في كثير من القبائل بحرية اختيار القريب الذى تعاشره . وقد يجرى العرف بتمكين الارملة من الاعراب عن رغبتها في اختيار قريب معين عن طريق حفلة رسمية او اجراء شكلى . فلدى التسوانا (في جنوب افريقية) مثلا كانت تقام ــ بعد مضى بعض الوقت على انتهاء الحداد ــ وليمة صغيرة فى بيت الارملة كان يحضرها اقارب الزوج . وتجلس الارملة وسط الفناء الى جوار قدر كبير مملوء جعة . وكان الاخ التالى للزوج الميت يتقدم الى القدر ويرفع عنه غطاءه ويضعه الى جانبه . فاذا كانت الارملة لا ترغب في معاشرة هذا الرجل كانت تعيد الغطاء الى مكانه . وعندئذ يتقدم الرجل التالى في درجة القرابة ويؤدى نفس الحركة . ويستمر ذلك حتى تترك الارملة الغطاء باقيا في موضعه ، وتبدأ في تقديم الجعة الى الحاضرين فيكون معنى ذلك انها قبلت هذا الرجل بالذات .

وفي بعض المجتمعات يتم اختيار خلف الزوج بواسطة شيخ او شيوخ جماعته وقد يسمح للارملة بالاعتراض على من اختير لها ويكون من حقها عندئذ ان تختار آخر بدلا عنه وقد لا يكون للارملة سوى الرضوخ لاختيارهم . وفي مجتمعات اخرى يعين الزوج نفسه الرجل الذى يخلفه على ارملته . ويحدث هذا التعيين عادة عندما يشعر الرجل بدنو اجله ويكون ذلك بمثابة وصية يوصى بها . يكون هذا الاختيار في الاعم الاغلب موضع احترام ، سواء من قبل الارملة ام من قبل الاقارب . فكلمة الميت عند القبليين لها نفوذ عظيم ، وتندر معارضها او الخروج على مقتضاها. ومن المجتمعات ما يجرى العرف فيه بتعيين الرجل الذى يخلف الزوج على ارملته في نفس الوقت الذى يبرم فيه الزواج . فيقدم الزوج المقبل احد اقاربه (في العادة احد اخوته) الى اهل زوجته بوصفه خلفه المحتمل على ارملته .

أهو زواج جديد أم استمرار لسابق

والرابطة التى تقوم بين الارملة وقريب زوجها لا تعد في التقاليد القبلية زواجا جديدا . ذلك ان الارملة تعد انها ما زالت، من الناحية القانونية، زوجة الرجل المتوفى الذى دفع من اجلها مهرا . ولهذا فان هذه الرابطة لا توصف بانها زواج . فبعض القبائل يقول عن اخى الزوج انه « امد زوجة اخيه بكوخ » . ويسمى البعض الاخر قريب الزوج « مدفىء البيت » ، ويطلق البعض الثالث على هذه العلاقة اصطلاح « دخول بيت آخر » . ويترتب على ذلك ان قريب الزوج لا يدفع الى اهل الارملة مهرا جديدا . كما ان الاولاد الذين يولدون من علاقته بالارملة لا يعتبرون اولاده وانما يعتبرون اولاد الزوج الميت .

وقد ذهب كثير من الباحثين القدامي الى ان الخلافة على الأرامل ليست سوى تطبيق لقواعد الميراث العادية . والقائلون بهذا الراى هم عادة القائلون بان الزواج المقترن بمهر ينطوى على شراء للزوجة . فالزوج بدفعه من أجل زوجته مهرا يكتسب عليها حق ملكية . فاذا مات كان من الطبيعى ان تؤول ارملته شانها في هذا شان امواله الاخرى ــ الى وارثه . وفي اعتقادنا ان هذا بعيد عن الصواب. فقد استقر الراى بين الباحثين المحدثين على أن الزواج المقترن بمهر ليس شراء للزوجة بواسطة الزوج . واذا لم يكن الزواج شراء لم يكتسب الزوج على زوجته حق ملكية اثناء حياته استحال القول بان الزوجة تصبح جزءا من تركته عند وفاته . وفي اعتقادنا ان هناك عدة اعتبارات ساهمت في ايجاد هذا التقليد . يمكن ان نذكر من بينها : الرغبة في توفير الحمايةوالرعاية للارملة واولادها . والرغبة في الحصول على ذرية وباكبر قدر مستطاع . فالمجتمع القبلى يعد من العبث ان تكون هناك امراة شابة قادرة على الانجاب وتبقى طاقة انجابها معطلة . وما تقتضيه عبادة الاسلاف من ضرورة وجود ذرية للميت تقوم بتقديم القرابين لروحه فى المناسبات المختلفة .

لدى الشعوب القديمة

عرف كثير من الشعوب القديمة نظام الخلافة على الارامل . غير اننا نلاحظ اتجاها في المجتمعات المدنية نحو الحد منه او حتى التخلى عنه . ومن

الشعوب القديمة التي عرفته: الاشوريون والحثيون والهندوس والعبريون وتعرب .

الأشوريون

هناك من الشواهد ما يدل على أن الاشوريين عرفوا تقليد الخلافة على الارامل . فقد تضمنت النصوص القانونية ، التي عثر عليها في خرائب مدينة اشور القديمة (قلعة شرقاط في الوقت الحاضر) والتي يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، بعض القواعد التي تحدد مصير الارملة . فقضت بانه اذا مات الرجل عن امراة لها ابناء كان لها الحق في ان تعيش في بيت احد ابنائها وفقا لاختيارها . اما اذا لم يكن لها ابناء كان لحميها ان يزوجها ممن يختاره لها من ابنائه . كذلك قضت بانه اذا مات رجل عن امراة ولم يكن لها ابناء ، وكان للرجل ابناء من غيرها فلها ان تعيش في بيت مع واحد من ابناء زوجها وعلى الاخرين المشاركة في اعانتها . (١)

الحثيون

وهناك من الشواهد ما يدل على ان الحثيين قد عرفوا نظام الخلافة على الأرامل . فقد تضمنت المجموعة القانونية التي عثر عليها في اوائل هذا القرن في خرائب مدينة بوغاز كوى (في تركيا) والتي يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر او الخامس عشر قبل الميلاد قاعدة مشابهة لما جاء في النصوص الاشورية . تقضي بانه في حالة موت الزوج يتزوج اخوه من زوجته . واذا لم يكن للميت اخوة تزوج ابوه ارملته . واذا لم يكن الأب على قيد الحياة تزوجها أحد أبناء أخيه .(٢)

الهندوس

كانت شريعة الهندوس تسمح لاحد اقارب الزوج الميت بمعاشرة ارملته لتمكينها من الحصول على ذرية . لكن الفقهاء المتعاقبين اوردوا قيودا متزايدة على حق القريب في معاشرة ارملة قريبه، حتى فقدت الخلافة على الارامل طابعها المعروف فقد وضع منو (اكثر فقهاء الهندوس شهرة) الشروط التالية لاتصال القريب بارملة قريبة : « الا يكون للزوج ابن » ، ان يكون الشخص المعين لذلك هو الاخ الاصغر للزوج ، ان يتم التعيين بواسطة كبار الاسرة ، الا يكون دافع الشخص المعين والارملة هو الشهوة ، وانما الشعور بالواجب ، ان يدهن الشخص المعين بالسمن او الزيت وينبغي الا يتحدث معها او يقبلها او يداعبها بشهوة ، ان ينجبا ابنا واحدا فحسب . على الطرفين بعد ولادة الابن ان يعدا نفسيهما حما وكنة (اى ان يتجنب احدهما الاخر قدر المستطاع) . (٣)

العبريون

كذلك مارس العبريون نظام الخلافة على الارامل، وكان واجب معاشرة الارملة يقع اول ما يقع على عاتق اخوة الميت وفي مقدمتهم الاخ الاكبر . غير ان الاخ الاكبر كان يعفى من الزواج من ارملة اخيه اذا ابدى اخ اصغر استعداده لذلك . واذا كان اخو الميت صغيرا الزمت الارملة انتظاره حتى يكبر . بل لم يكن من الضروري ان يكون الاخ قد ولد بالفعل . فكان للاخ الذى يولد بعد وفاة اخيه ان يتزوج من ارملته . وهنا ايضا كان على الارملة الانتظار . واذا لم يكن للميت اخوة انتقل واجب الزواج من الأرملة الى أبيه . واذا لم يكن له اخوة او اب ، انتقل الى القريب الاقرب التالي .

وفيما بعد قيدت شريعة العبريين من حالات الخلافة على الارامل . فقد اصبح واجب الزواج من الارملة مقصورا على الاخوة الذين يعيشون معا اى في حالة شيوع . ولم يعد هذا الواجب ، كما كان في الماضي ، واجبا حتميا . فقد نص العهد القديم (٤) سفر التثنية ، الاصحاح الخامس والعشرين، الآيات ٥ ـ ١٠ على اجراء معين للتخلص منه . فاذا رفض الاخ ان يقوم بواجبه نحو اخيه الميت ، توجهت الارملة الى الشيوخ عند باب المدينة وقالت : اخو زوجي ابّى أن يقيم لاخيه

---

(١) اللوحة الاولى ، المادتان ٤٣ ، ٤٦ .

(٢) انظر القانون الحثي ، المادة ١٩٣ .

(٣) انظر : Das, Woman in Manu and his Seven commentators

(٤) انظر : Neufel, P. 230. Ancient hebrew Marriage laws chapter .

اسما في اسرائيل . لم يشأ ان يقوم لى بواجب اخى الزوج . فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه . فان اصر وقال لا ارضى ان اتخذها ، تتقدم امراة اخيه اليه امام اعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت اخيه . فيدعى اسمه في اسرائيل : بيت مخلوع النعل » . ويهدف هذا الاجراء من ناحية الى توفير قدر من العلانية لواقعة تنازل الاخ عن استعمال حقه على ارملة اخيه ، حيث تصبح الارملة بعد القيام به حرة في الزواج ممن تشاء . كما يهدف من ناحية اخرى تحقير الاخ الذى يرفض القيام بواجبه نحو اخيه ، والحاق العار به وبذريته من بعده .

ومن مظاهر الحد من حالات الخلافة على الارامل عند العبريين قصرها على الارملة التي لم تنجب من زوجها ابنا . والقصد من اخضاعها للخلافة في هذه الحالة هو تمكينها من انجاب ابن له عن طريق علاقتها باخيه . ولهذا كان اول مولود تلده الارملة من علاقتها هذه ينسب الى الزوج الميت ، فيحمل اسمه ويرث امواله .

العــرب

كذلك عرف العرب في جاهليتهم نظام الخلافة على الارامل . وبدراسة ما انتقل الينا من معلومات عن هذا النظام يمكننا ان نستخلص القواعد التالية : ان صاحب الحق في معاشرة الارملة هو ابن الميت او اخوه واحد عصبته الآخرين . واذا تعدد الابناء فالابن الاكبر هو صاحب الحق المقدم . واذا كان الابن صغيرا حبست عليه الارملة حتى يكبر . واذا لم يكن للميت ابن انتقل الحق في معاشرة ارملته الى احد اخوته . واذا لم يكن له اخوة آل هذا الحق الى عصبته الاقرب . ولم يكن خَلَفُ الميت على الارملة يدفع صداقا سوى الصداق الذى دفعه الزوج الميت . كذلك لم يكن يشترط لممارسة الخلافة على الارملة عدم وجود ابناء لها من زوجها الميت . كذلك كانت هناك طريقة شكلية معينة يتبعها قريب الزوج لاعلان رغبته استعمال حقه في معاشرة الارملة ، وهى ان يلقى بثوبه عليها .

واختلف مدى ما كانت تتمتع به الارملة من حرية في الخضوع لهذه الخلافة او عدم الخضوع لها تبعا للجهات . فقد ذكر القرطبي ان هذه السيرة كانت في الانصار (المدينة) لازمة ، وكانت في قريش (مكة) مباحة مع التراضى . وظل العرب يمارسون الخلافة على الارامل حتى نزلت الآيتان الكريمتان « يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » ، « ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء » . فقد حرمت الآية الاولى وراثة النساء رغما عن ارادتهن ، وحرمت الآية الثانية ان يخلف الابن اباه على زوجته ولو كان برضاها . وقد ذكر ابن جرير الطبرى في تفسيره للآية الاولى ان الله تبارك وتعالى يقول : لا يحل لكم ان ترثوا نكاح نساء اقاربكم كرها . ومعنى هذا ان ابن جرير كان على بينة من ان الوراثة لم تكن تنصب على المراة نفسها وانما كانت تنصب على نكاح المراة اى زواجها ، وشتان بين القولين . ومن الواضح ان قول ابن جرير يقترب من المعطيات التى اسفرت عنها الدراسات الانثربولوجية الحديثة ، بقدر ما يبتعد عن الفكرة التقليدية الشائعة من ان العرب كانوا يرثون المراة كما تورث البهيمة او المتاع . وذكر ابن جرير في تفسير الآية الثانية انها نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم . فجاء الاسلام — وهم على ذلك — فحرم عليهم المقام عليهن ، وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم . بينما يروى القرطبى في تفسيرها ان الناس كانوا يتزوجون امراة الاب برضاها بعد نزول قوله تعالى « يا ايا الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » حتى نزلت هذه الآية فصار حراما في الأحوال كلها .

واختفاء الخلافة على الارامل في الاسلام يرجع الى تعارضها مع عدد من المبادىء التى جاء بها . فوراثة الارملة كرها تتعارض مع مبدأ حرية الثيب ، او المراة التى سبق لها الزواج ، في اختيار زوجها الثانى . وحصول قريب الزوج على الصداق الذى دفع من اجل الارملة في حالة عدم زواجه منها يتعارض مع المبدا القاضى بان المهر حق خالص للمراة . ونسبة الاولاد المولودين من العلاقة بين الارملة وقريب زوجها الى الزواج — الميت — اذا صح ان العرب كانوا مازالوا يتبعون هذا المبدا عند ظهور الاسلام — تتعارض مع وجوب نسبة الاولاد الى آبائهم . فضلا عن ان زواج الابن من ارملة ابيه برضاها لم يعد يتفق ومبادىء الاسلام الاخلاقية . ■■

محمود سلام زناتى

قصة





بقلم : نصري عطا الله

... استيقظ من الغفاءة العصر قبيل المساء ، وهي عادة لم يستطع ان يتخلى عنها منذ سنوات شبابه الباكر ... بل لم يفكر في ان يقلع عنها اذ لم يكن هنالك ما يدعو الى ذلك فقد كان يعيش وحيدا ، لا زوجة ولا ولد ، وغفوة المساء كانت تريح اعصابه وتمكنه من السهر الطويل الذى يحبه ، اما تلك الليلة فقد كان لها شان آخر .. انها ليلة راس السنة ، انها تثير كوامن شجونه وتجعله يفكر في حياته وما جنى منها وما جناه فيها، وكعادته أعد لنفسه فنجانا من القهوة وخرج الى الشرفة وكان المساء قد بدا ينشر غلالاته فوق اعطاف المدينة ورمى ببصره الى الافق البعيد وراحت الخواطر تدور في راسه ...

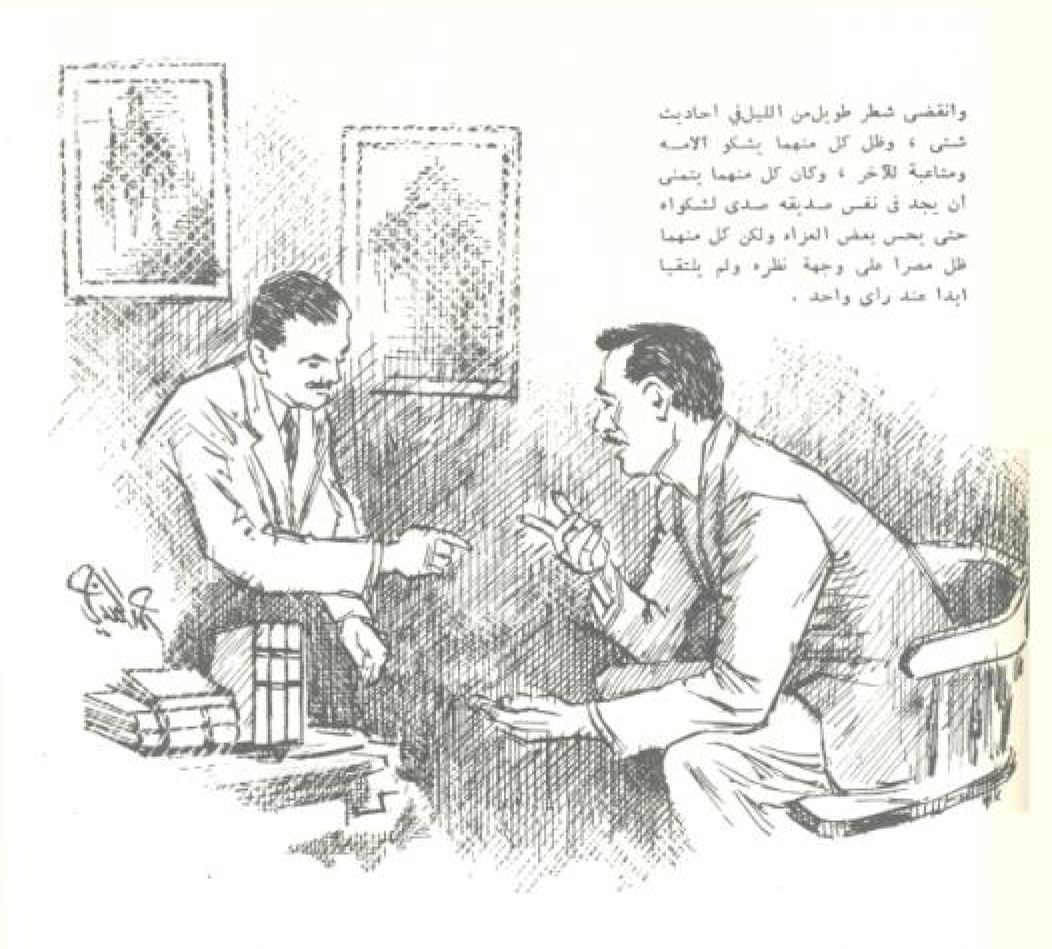
« ليلة راس السنة ... السعداء على موعد جديد مع السعادة ، ففي تلك الليلة يحسون بسعادتهم تنمو وتنتعش وتسرى في الافاق حتى تشمل الكون كله ، انهم يستقبلون العام الجديد بنفوس تتهلل بشرا وفرحا ...

« والبؤساء ايضا مع موعد مع البؤساء ... انهم لا يستقبلون العام ولكن العام يقحم نفسه عليهم ونفوسهم تقطر الما وحسرة ، يجيلون ابصارهم في الكون فلا يرون الا ظلالا داكنة ولا تعيش في نفوسهم الا الهموم والاحزان .

« لم اولئك الذين يصطنعون السعادة في سذاجة .. انهم سعداء ولا يطلبون من الحياة شيئا واولئك الذين يفرضون على انفسهم البؤس دون مبرر مثلهم مثل من يتعمد السفر في يوم عاصف كئيب ، ويضرب في الطريق تلفحه الرياح والاتربة ويقطع الرحلة ويلهث اجهادا . وهنا غيرهم ممن لا يفرقون بين عام وعام او ليلة وليلة ــ ولعلهم الاغلبية ــ ان ايامهم متشابهة .. كالحة لا جديد فيها ، وجدوا انفسهم في الحياة فساروا في ركبها يستغرقهم هم العيش ، لا يعرفون لماذا ولا الى اين ولا الى متى ...

« والذين تعودوا أن يحتفلوا باستقبال العام الجديد ، من السعداء وغيرهم ، يخلعون على احياء المدينة الكبيرة حلة فخمة من البهجة والمرح وتمتد نشوة الفرح من البيوت الى المقاهي الى الشوارع الى الاماكن العامة ، وتعبر عن نفسها بكل ما تملك من وسائل غير عابئة باولئك الذين لا يعرفون للعام او للعمر اولا من آخر ، والسعداء يعرفون أين سيقضون الليلة مع احبائهم واعزائهم والذين يتوهمون أنهم سعداء هيئوا انفسهم للبحث عن وهم جديد يخدعون به انفسهم وآخرون يصرون على الهرب من حياتهم باى ثمن : يغرقون مشاعرهم

وانقضى شطر طويل من الليل في احاديث شتى ، وظل كل منهما يشكو آلامه ومتاعبة للآخر ، وكان كل منهما يتمنى أن يجد في نفس صديقه صدى لشكواه حتى يحس بعض العزاء ولكن كل منهما ظل مصرا على وجهة نظره ولم يلتقيا أبدا عند رأى واحد .



وهمومهم في كاس او يحرقونها في احضان غانية او يبعثرونها على مائدة اللعب ... »

وحار رجلنا هذا ، ماذا يفعل بليلته هذه ، واين مكانه بين كل تلك الفئات من الناس ... ؟؟

وظل واقفا في شرفة منزله المرتفع ، الذى يقيم فيه وحده عند اطراف المدينة ، يرقب ظلال المساء وهي تزداد حلكة تغمر الدنيا من حوله ، ويفكر اين وكيف يقضي ليلته فلا يستطيع ان ينتهي الى راى .. وطالت وقفته حتى شمل الظلام كل شيء ، وبرزت الاضواء وتلألأت في اماكن كثيرة على مدى بصره ، ولم يذكره بنفسه الا نسائم الشتاء الرطبة تلفح وجهه وتسري في اوصاله ... ووجد نفسه ينتفض من البرد فغادر الشرفة واغلق النافذة

وراح يذرع ارجاء مسكنه الصغير وهو لا يدري اين يذهب او ماذا يصنع ...

هل سينتهي به الامر ـ ليلة راس السنة ـ الى ما ينتهي به في اغلب لياليه ؟؟

هل سيقضي الليلة معتكفا في المنزل ؟ انه يحس في هذه الليلة برد الوحدة اكثر مما يحس برد الشتاء ، ويشعر بالوحشة تكتنفه وتحدق به كانها جبال من الثلوج تشل حركته وتخنق الانفاس وتعطل الحياة ..

ماذا يفعل ؟ ان السؤال يلح على ذهنه الحاح الطارق العنيد الذى يزمع ان يحطم الباب المغلق في وجهه ..

وقفز الى خاطره سؤال آخر : ماذا فعل في

مثل تلك الليلة في ماضي أعوامه التي قاربت الاربعين ، ان ذكراها تتوالى على ذهنه واحدة بعد واحدة كقطرات المطر التي تتسرب من سقف خرب وتنقر ارض الغرفة قطرة بعد قطرة في نغمة شجية كانها القدر العنيد ، ماذا فعل في مثل تلك الليلة من الاعوام الخوالي وقد مر به منها ما يقرب الاربعين .. بل ماذا فعل بالاربعين عاما كلها ؟ وأحس بالتعب والحيرة فجلس على احد المقاعد الوثيرة المتناثرة في ارجاء المسكن ، وذهل عن الوقت وهو يفكر في امر نفسه .

لقد كانت حياته ، منذ بدايتها حتى الحد الذي بلغه ـ رحلة شاقة مجهدة خالية من المباهج والمسرات . كان يستيقظ كل صباح فيجدالمشاكل والهموم محدقة به ، وشغله الصراع عن كل شيء .. تحمّل الامه صامتا واصـــبحت العقبات والصدمات أمرا عاديا تدبه ومرت الاعوام وهو يحمل عبء همومه ، دون أن يحني رأسه او تخونه شجاعته او يفقد جلده يوما ما .. ذلك لانه كان يحب الحياة ويؤمن بها .. ولكن اتلك هي الحياة ؟؟ لقد كان يريد أن يتذوق كل شيء فيها .

يتغلغل في أعماقها ويرقى الى أبعد افلاكها ، يعتصر سعادتها اعتصارا ويعب من مباهجها حتى يرتوي ، اما احزانها واشجانها فيكفيه ما اصاب منها .. لقد كان مثل الملاح التائه في بحار الآلام ولم يبلغ الشاطيء الا منذ حين .

واحس بالاسى يغمر قلبه غمرا وهو يفكر في السعادة ..

وهل من سعادة بعد الأربعين ؟؟

ذلك هو السؤال الذي كان يتردد على ذهنه مرات كل يوم ويسبب له الكدر ، الا في احايين قليلة يسودها التفاؤل فيقول لنفسه ان حياته افضل بكثير من حياة الوف الناس ، وانه عرف من المتع والمسرات ما لا يستطيع أن يحسه او يدرك كنهه مئات من حوله ..

ولكنه في تلك الليلة كان منقبضا ..

ماذا يريد ؟؟ ومرة اخرى سأل نفسه : ما هي السعادة ؟ وماذا اصاب منها ؟ وما الذي ينقصه ؟ واجال بصره الحائر في انحاء مسكنه الانيق فأحس من جديد ببرد الوحدة يهب عليه من جميـــع الجهات ..

ان هذا المسكن المترف ـ الذي لا يشاركه فيه احد ـ ختام مرحلة ضخمة من مراحل جهاده وثمرة كل عمره .. ومحتوياته مرآة صادقة لمزاجه وهواياته وطابعه في حياته : تلك هي مكتبته الضخمة تصطف فيها مئات ومئات من الكتب التي كانت ولا تزال منبع لذته وعذابه ، لقد كان يهوى الادب ويجد سعادة في القراءة ، وكانت القراءة تخلق في نفسه الاف الاحساسات الجميلة وترقى بتفكيره وعواطفه وتولد في نفسه الاشواق الثائرة الى تذوق كل ما يقرا عنه وكان الظمأ الى التجربة .. الى الحياة ذاتها ، الحياة التي عاشها على صفحات الكتب فقط ، يسبب له العذاب .. وأي عذاب وتلك الصور الجميلة المعلقة على الجدران والتي دفع فيها ثروة كاملة .. لقد كانت قطعة من نفسه كالكتب تماما .. انه يتأمل تلك البسمات اليانعة تتألق على الثغور ، وتلك الوجنات النضرة تفيض حسنا ورواء وشبابا فيحس وهو يتأملها بالغبطة والنشوة ثم لا يلبث ان يسأل نفسه اين نصيبه من كل ذلك الحسن ؟

وتلك « الإسطوانة » الموسيقية التي يقتني منها مئات لمشاهير رجال الفن في مشارق الارض .. ومغاربها .. انها تحمل روحه الى اسمى وارفع مراتب الوجود .. ولكنه يسمعها وحده ـ ان الفن نصيبه من الحياة وكان الكثيرون من معارفه يغبطونه على ذلك وينظرون اليه في احترام ووقار لا يشركون معه فيهما أحدا .

وهو لم يستقر في حياته ولم تتوفر له الوسائل التي اتاحت له سكنى ذلك المنزل الانيق او اقتناء ما يحتويه الا بعد سنوات طويلة من القلق والجهاد المضني ، ولكنه ما زال يتوق الى اشياء كثيرة واشواقه تعذبه واحلامه التي تملأ لياليه الطويلة تؤرقه وتجعله يشعر انه قد ضيع عمره في أوهام وفي بعض الاحايين كان يتهم الحياة بدلا من ان يتهم نفسه ويرى انه لا مجال ابدا لتحقيق ما يريد في مثل تلك الدنيا القاسية الجحود التي لا مكان فيها الا للمادة وما يجره التهافت علـى المادة من صراع وعبودية وهوان لم ينحدر اليه يوما ما ..

ما الذي جعله يتحاشى النزول الى ميدان الصراع الذي ينزله كل يوم الوف من الناس ؟

مزاجه الرقيق ام اعزازه لنفسه أم ما يتهمه به بعض الناس من أنه خيالي .. ام ترى العجـز هو السبب ؟

وفي تلك الليلة اجاب نفسه على ذلك السؤال اجابة صريحة واضحة .. انه قد قاسى ذل الفقر سنوات متوالية واستطاع في النهاية أن يتغلب عليه ، ولكن ما يتوق اليه الآن لا يجلب بالمال .

.. كان في حاجة الى انسان يفهمه ويثق فيه ويخلص له ، لقد بعثر ثقته على اصدقائه الذين تسللوا من حياته واحدا بعد واحد : هذا استغرقه عمله ، وذلك استغرقه بيته ، وآخر خطفه الموت ثم بقيتهم الذين لم يعد يرى فيهم ما يجعـل للصداقة معنى : لقد ذهبت حماستهم للحياة ، وتنكروا لمبادئهم وانضموا الى القطيع واستغرقهم الصراع ، وبقى هو وحده ..

.. وبقدر ما كان في حاجة الى صديق كان في حاجة الى من يهبها قلبه .. وكم كان يفزعه انه ما زال مشرد القلب .* وقد قارب الاربعين .. وهو اذ يفكر كم اضاع من العمر وهو يبحث عن من يهبها قلبه ، يدرك أنه قد ضيع اطيب شطر من حياته عبثا في حين ان غيره كان ينعم في جنة الحب .. وقد عرف كثيرا من الفتيات وفي كل مرة كان يمنى نفسه بانه قد وجدها ، ويبنى قصور الآمال عالية شامخة ، ويقضى الساعات والايام يحدث فتاته عن نفسه واهدافه ومطامحه ، ولكن سرعان ما يستفيق ويجد قصور الآمال تسقط فوق راسه حجرا حجرا ، ويتبين ان تلك التى هام بها لن تستطيع ان تلاحقه في آفاق الوجود الفسيح الارجاء او تحقق له ما يريد ، فينصرف جريح القلب ويولى وجهه شطر اجواء جديدة وينتظر من جديد ، ومضت السنوات وهو ما زال ينتظر الرفيقة التي يربط كيانه بكيانها ويفنى فيها فيحس انه ربط نفسه باللانهاية ، وكشف اسرار الأبد ، ووصل قلبه بمنبع القوى الالهية المدخرة في اعماق نفسه ... تلك القوى التي تظل سرا مستغلقا لا يفض اختامها ولا يتيح له الاحساس بها او استثمارها الا تلك التي سيحبها ، والتى يبحث عنها منذ ان عرف الحب ولكنه لم يجدها بعد .

اين تلك التى يستعذب من اجلها التضحية والام الصبر والجهاد وفضائل الاخلاص والثبات ، وتنمى تلك الطيبة المقدسة العميقة النابعة من الرجولة الحقة ، تلك الطيبة التي تخلق في نفسه الشعور بالواجب ومعنى المسئولية وتجعله يشعر بالسعادة في حمايتها والذود عنها ... تلك التى تفهمه وتحبه بكل ما فيه ، لا تلك التي تجذبها أو تخدعها بعض صفاته البراقة ...

كان يؤلمه ان ذلك الهناء الاسمى ينقصه ... وهيهات أن يعوضه هناء آخر ...

وظلت افكاره في تلك الليلة تلاحقه وتعذبه وتذكره بما ينقصه : نعمه الاطفال ، ذلك الحنان الذى تضفيه علينا المراة والذى يتحدى كل العقبات والصعاب بل يقهرها .. يعيش عليها .. سر العذراء الذى لا يكشفه الا الرجل الذى وهبته نفسها ، الشعور بالدوام والاستقرار واقتسام الهناء والشقاء مع المراة التى تحبها ، ذلك الجزء من كيانه الذى سيظل خامدا خاملا كالارض العذراء مطوية على اسرارها ....

وكان ذلك الظما المحرق يجعله يشعر بما يشعر به الطائر الأسير الذى يظل يحوم في قفصه ، يطير ويقع ثم يطير ويقع مرة اخرى ويظل ذلك دأبه حتى ينهكه التعب ويغلبه الاعياء على أمره فيجثم في ارض قفصه تمسا حزينا يائسا ..

ودق جرس الباب وهو غارق في تأملاته ، وكانت الساعات قاربت العاشرة ، وعجب من يكون الزائر في تلك الساعة وأحس بانه لا يريد أن يرى احدا ، واتجه نحو الباب بفتور وفتحه بيد متثاقلة ولكن مخاوفه زالت كلها عندما رأى امامه الصديق الوحيد الذى كان يعتز به ايما اعتزاز في فترة طويلة من فترات العمر ، لقد تزاعلا خلال مرحلة حلوة من مراحل الحياة ، واذا كانت سبلهما قد اختلفتبعد ذلك فما زال لكل منهما في نفس صديقه منزلة غالية .

وتبادل الصديقان التهنئة بالعام الجـديد ، وجلسا يتسامران وارسل صاحب الدار في طلب بعض الطعام .. الطعام فقط مع علمه بأن صديقه يميل الى الشراب ، اما هو فقد كان يمقت كل انواع الخمر ويعتبرها ارخص انواع خداع الذات ،

ومضى صاحب الدار يرحب بصديقه ويسأله عن احواله ولكنه لم يستطع ان يغالب سؤالا ظل يتردد في نواحي نفسه ويبدو في نظراته وان تحاشى ان يواجه به ضيفه : ما الذي اتى به الآن في ليلة رأس السنة ؟؟ لماذا ترك زوجته وولديه وبيته الذي يؤمه في تلك الليلة عشرات من الاصدقاء ؟ لماذا آثر ان يأتي ليقضي الليلة في ذلك الركن الخالي من كل شيء ؟؟

واحس الزائر بما يجول في نفس صديقه صاحب الدار وهو يحدق في عينيه بامعان فما لبث ان قال له :

ـ لم اجد مكانا اهرب اليه الا بيتك ، ولن يتحملني مخلوق هذه الليلة الا انت ...

واضاف وهو يلوح بيديه في عصبية وانفعال .

ـ اريد ان اهرب من نفسي ومن بيتي ومن الدنيا والناس .

واجاب صاحب الدار وهو يحملق في وجه صديقه مستنكرا .

ـ كنت اتمنى ان استطيع اسعادك هذه الليلة او التسرية عنك ولكن الأمر كما ترى ..

وبسط يديه معبرا عن احساسه بعدم كفاية الوسائل لديه لتحقيق ذلك ، واجاب الآخر وهو ما زال يلوح بيديه منفعلا .

ـ ان مجرد وجودي في مسكنك هذا يسعدني ويهب نفسي السلام ، انني اتمنى ان اعيش كما تعيش انت ... تصور انني لا استطيع حتى زيارتك ..ان مسكنك هذا هو الجنة، انني اتمنى ان اقضي ليلة واحدة في هذا الهدوء وهذا الجمال استمع الى قطعة من الموسيقى او اقرأ كتابا او اجلس ساكنا لا يعكر صفوي او ينغص علي وحدتي احد ... ان فكري يتجه اليك دائما كلما سئمت حياتي وضقت بما اعانيه من هموم ومتاعب ، واعترف لك انني احسدك .

وابتسم صاحب الدار وهو يقول لصديقه في جد يشوبه بعض السخرية :

ـ وانا ايضا افكر فيك ضقت بما اعانيه من هموم ومتاعب .

ـ انت ؟؟ اي هموم واي متاعب ؟

ـ وانت اي هموم واي متاعب ؟

لا اظنك تجهل : العمل والزوجة والبيت والاولاد .. والامراض ، ومئات المشكلات الصغيرة التافهة التي تستغرق الوقت والجهود والحيوية ..

وكأنما اثاره ما في هذا الكلام من مبالغة فأجاب في صراحة :

ـ لكنا نعرف انك رجل ميسور الحال وسعيد في بيتك ..

ـ سعيد ؟ اعتقد انك لا ترضى ان اخدعك كما اخدع الناس واوهمهم انني سعيد ، انني اعتبر نفسي انسانا فاشلا ضائعا ، سيء الحظ ... اتعس مخلوقات الله .

ـ يا صديقي العزيز .. ان الناس تغبطك على نعم الله ، لقد ورثت عمارتين ، ولم تعرف طعم العوز يوما وكفاك الله شر الحاجة ... وزوجتك سيدة مهذبة وقد تزوجتها بعد الفة وحب وتفاهم، وكفاها فخرا انها تربي ولديك تربية مثالية .. وولداك هذان زهرتان ناضرتان يملآن افق حياتك بهجة وسعادة ... ان اسعد اوقات حياتي هي التي كنت اقضيها في دارك الهو مع ولديك .

ـ اؤكد لك انك لو عشت مع زوجتي اسبوعا واحدا لهربت الى اقصى اقاصي الأرض : غيرة لا تنتهي واستبداد في الرأي ، وتدخل في كل شئوني ، وخلافات مع الخادمة ، وحدة في الطبع ، وقسوة على الاولاد ، اليوم صحتها منحرفة وغدا اعصابها متعبة ، ثم اخوتها واقاربها وتدخلهم في كل امورنا وزياراتهم المستديمة ...

ـ انك تبالغ ... هذا هو داؤك القديم ، ان كل بيت لابد له ان يواجه بعض المشكلات الصغيرة من يوم لآخر ، وبعض المشكلات الكبيرة احيانا ولكنك لا تؤمن بهذا ...

ـ انني اؤمن به ولكن بيتي كله مشكلات كبيرة وصغيرة .

ـ انت واهم ... انك تنسى دائما ان زوجتك سيدة عفيفة نظيفة لم ينحرف تفكيرها يوما الى ما يسوء ، وتنسى ان بيتك دائما نظيف ومرتب ، وطعامك معد احسن اعداد ، وتنسى انها تتفانى في تربية اولادها ... وتنسى اشياء كثيرة ... انني اتمنى ان يكون لي ابن مثل « رامز » .

ـ انك تخدع نفسك ، رامز هذا سهر بالليل وهم بالنهار .

ـ اؤكد لك انني اتمنى ان يكون لي بيت ، واولاد ، ولن يسعدني الا ان يكون لي بيت واولاد ومعه قدر لابد منه من المشكلات ولكنني بدات اعتقد ان القطار قد فاتني ...

ـ انك تفكر الليلة تفكيرا مختلا على غير ما عهدته فيك ، ان اسوا غلطة ارتكبتها في حياتي هي انني تزوجت واصبح لي بيت واولاد يستنفدون كل وقتي وجهدي ومالي ، لقد انتهيت يوم تزوجت .. هل تذكر ماضينا ، اي امال كانت تضطرم في نفسي وقضى عليها الزواج ... لقد انكمشت شخصيتي وضمرت مواهبي .. وبالاختصار انتحرت .

ـ انك لم تجرب برد الوحدة ، وعذاب الانتظار ، والتردد بين اليأس والأمل ، واللهفة الى شيء تعلم بعضه وتجهل بعضه . أنيس هذا هو الضمور والانكماش و ... ؟؟

ـ تلك هي الحياة التي اتمناها لنفسي واحسدك عليها والتي جئت الليلة الى هنا لاعيشها واستنشق عبيرها في مسكنك الهادىء الجميل .. انك لا تدرك مقدار ما انت فيه من سعادة ومع ذلك تغبطني على بؤسي .

وقام الصديق الزائر يجول في انحاء المسكن ، يتامل الصور ويقف امام خزانات الكتب متاملا عنواناتها ويدير الحاكي ويقف ساهما وهو يستمع الى الانغام او يقطع خطوات قصيرة جيئة وذهابا وهو عاقد الجبين وعلى وجهه ظلال من الاسى اما صاحب الدار فقد لزم مكانه يتامل ضيفه ويعجب لامره ، لقد كان يعتقد ان صديقه هذا طفل الحياة المدلل منحته الحياة كثيرا ولكنه يريد ان ينعم بكل شيء ، يبالغ في تصوير متاعبه ، ويتجاهل كل ما ينعم به ، ويتناسى متاعب الناس ومصائبهم ويفكر في القليل الذي يجعل لحياتهم طعما ويعجب كيف يحرم هو منه ، انه يعتقد ان الدنيا والناس قد خلقوا جميعا ليحققوا رغباته ويسهروا على راحته .

وكان الصديق الزائر قد تعب من طوافه بأرجاء المسكن وأوقف الحاكي وجاء ليجلس الى جانب مضيفه ... وبعد لحظات من الصمت قال له :

ـ لقد كنت حكيما يوم اخترت لنفسك هذا اللون من الحياة ... انني اعتقد انك اسعد انسان في الوجود ... انك تعيش للفن والفن اعظم شيء في الحياة ... انني استطيع ان احبس نفسي في هذا المسكن بقية العمر ولا احس انني محتاج الى شيء ما .

وشعر صاحب الدار بالمرارة وهو يسمع كلمات ضيفه وصديقه .. صديق العمر في حين من الاحايين ، حتى هــذا لا يفهم ولا يريد ان يفهم ، حتى هذا لا يشعر معه بوحدته وحاجته الى انسان يصافيه ويفهمه ويشاركه مسرات الحياة ومشقاتها .

وانقضى شطر طويل من الليل في احاديث شتى وظل كل منهما يشكو الامه ومتاعبه للآخر ، وكان كل منهما يتمنى أن يجد في نفس صديقه صدى لشكواه حتى يحس بعض العزاء ولكن كل منهما ظل مصرا على وجهة نظره ولم يلتقيا ابدا عند راي واحد .

وهكذا ولت ليلة راس السنة وبدا نور الصباح يخالط ظلام الليل معلنا قدوم العام الجديد وتهيا الصديق للانصراف فلبس معطفه وهــو يقول لصديقه :

ـ انني عـائد الى داري وبؤسي وسأتركك لسعادتك ونعيمك ... ارجو لك عاما سعيدا آخر ..

ـ والله انني لا ادرى انني سعيد .

ـ هل تعرف لماذا لا تشعر بالسعادة ؟

ـ اتمنى أن أعرف ...

ـ ان الحياة منحتك كثيرا ولكنك تريد كل شيء ، انك تغفل عما عندك وتتطلع الى ما عند غيرك .

وحملق صاحب الدار في وجه صديقه كانه قد اكتشف جديدا وظهرت عليه علامات الانفعال العميق وهو يقول لصديقه وهو يودعه على السلم :

ـ لقد كنت اوشك ان اوجه اليك هذا الكلام بالذات ولكنني آثرت الصمت ...

ولم يجب صديقه هذه المرة بل صافح مضيفه في انفعال يائس واخذ يهبط الدرج مكفهر الوجه ، وفي سرعة بالغة كمن يفر من غريم يطارده .

■■

القاهرة ـ نصري عطاالله

أنباء الطب والعلم والاختراع

لماذا تحمل الام طفلها على الناحية اليسرى من صدرها ؟!
صوت دقات القلب يجعل الطفل حديث الولادة اشد هدوءا

● لاحظ أحد العلماء النفسانيين ان اغلبية الامهات يحملن اطفالهن على الناحية اليسرى من صدورهن، وتكررت ملاحظته هذه حتى في حديقة الحيوانات عندما شاهد قردة اماً تحمل رضيعها ايضا على الناحية اليسرى من صدرها .. وادت هذه الملاحظات العابرة الى اهتمام هذا العالم النفساني وهو الدكتور لى سالك Lee Salk ، بهذه الظاهرة ، والقيام بعدة تجارب لمعرفة ما اذا كانت لهذه الظاهرة اسباب علمية او نفسية . ومن بين التجارب التي قام بها دكتور سالك الى الاعتقاد انه ربما يكون الطفل قد تعود على هذا الصوت وارتبط في مخيلته ان يقوم بمناولة الام حديثة الولادة طفلها .. وينتظر ليرى الى اى ناحية من صدرها ستنقله وهي تحمله . وقد اثبتت التجربة ان ٧٧٪ من الامهات يحملن اطفالهن على الناحية اليسرى وقريبا من قلوبهن .

وكانت التجربة الثانية التي قام بها هذا العالم النفساني قائمة على ان صوت دقات قلب الام هو الصوت الاول الواضح المنتظم والذى كان الطفل يسمعه بصفة دائما وهو جنين في بطن امه . وهذا يؤدى بحالة الاكتفاء والراحة التي كان يتمتع بها داخل رحم امه .

ولاثبات وجود علاقة بين راحة الطفل وصوت دقات امه قام الدكتور سالك بوضع عدد من الاطفال فور ولادتهم في غرفة خاصة بهم ووضع في الحجرة تسجيلات لدقات قلب عادية (٧٢ ضربة في الدقيقة) واستمر هذا التسجيل لمدة ٤ ايام مستمرة دون انقطاع .

وفى نفس الوقت وضع مجموعة اخرى من الاطفال في غرفة اخرى دون تعريضهم لصوت دقات القلب ، ووضع مجموعة ثالثة في غرفة ثالثة مزودة بتسجيل لاصوات اخرى .. وقد لوحظ زيادة صراخ الاطفال في كل من المجموعتين الاخريين .. بينما ظل الاطفال الذين يستمعون لتسجيل ضربات القلب اكثر هدوءا .

وفى نفس الوقت ازداد وزن الاطفال في المجموعة الاولى عنهم في المجموعتين الاخريين .. وقد اثبتت هذه التجربة ان صوت دقات القلب له تاثير نفساني على الطفل حديث الولادة . مما يؤدى الى هدوئه وقلة صراخه وبكائه . كما يؤدى هدوء الطفل الى زيادة وزنه ونموه بصورة طبيعية .

ويبدو ان الام عندما تحمل وليدها وتضمه الى الناحية اليسرى من صدرها فانها تشعر هي الاخرى بنفس الراحة النفسية التي يشعر بها وليدها .

الطبيب يناول الأم طفلها في الوسط تماما (الصورة العليا) ثم ينتظر ليرى الى اى جانب على صدرها ستضم طفلها . (الصورة السفلى) وقد اتضح من التجربة هذه ان ٧٧٪ من الأمهات يفضلن ضم اطفالهن على الناحية اليسرى من صدورهن

المياه الجوفية تمتد تحت رمال الجزيرة العربية والصحراء الكبرى فى شمال افريقيا

٦ تريليون متر مكعب من الماء فى الصحراء الغربية بمصر

● « وجعلنا من الماء كل شيء حي » بهذه الآية الكريمة لخص لنا القرآن الكريم اهمية الماء فى الحياة على الارض. فلولا الماء ما كانت هناك حياة ، وما بقى على الارض انسان او حيوان او نبات . وقد اهتم العلماء اخيرا بدراسة دورة المياه فى الكرة الارضية وعوامل التبخر وتأثر المياه بعوامل الحرارة والرياح ، وكذلك عوامل ترسب المياه فى باطن الارض. ومن دراسة علمية، تمت مؤخرا، ازيح الستار عن أن ٢٠٪ من المياه المترسبة تخترق طبقات الارض فى التربة المنحدرة وتكون انهارا جوفية . وقد تم اكتشاف عدد من الأنهار الجوفية فى بعض المناطق الصحراوية فى ايران والجزيرة العربية وشمال أفريقيا بما فيها الصحراء الكبرى هناك . وقد دلت الأبحاث على أن المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية تحتوى على ٧ طبقات صخرية تحتوى على الماء وذلك فى طبقات الأرض من العصر الحديث Cenozoic وطبقات الارض من العصر الوسيط Mesozoic . وتمتد طبقات العصر الوسيط الى عمق الف متر بالقرب من شواطىء الخليج العربى .

وقد دلت الدراسات الهيدرولوجية ايضا عن وجود ٧ احواض تخزينية رئيسية للمياه الجوفية فى الصحراء الكبرى فى شمال أفريقيا ، وتبلغ مساحة هذه المخازن الرئيسية للمياه ما يقرب من ٥ر٤ مليون كيلومتر مربع بسعة تخزين تصل الى ٣ر١٥ تريليون متر مكعب من المياه(التريليون يساوى : رقما واحدا والى يمينه ١٢ صفرا) . وهذه المناطق السبعة هى : العرق الغربى الكبير ، والعرق الشرقى الكبير ومنطقة تانزروفت فى الجزائر ، وحوض النيجر فى مالى ، وحوض فزان فى ليبيا، وحوض

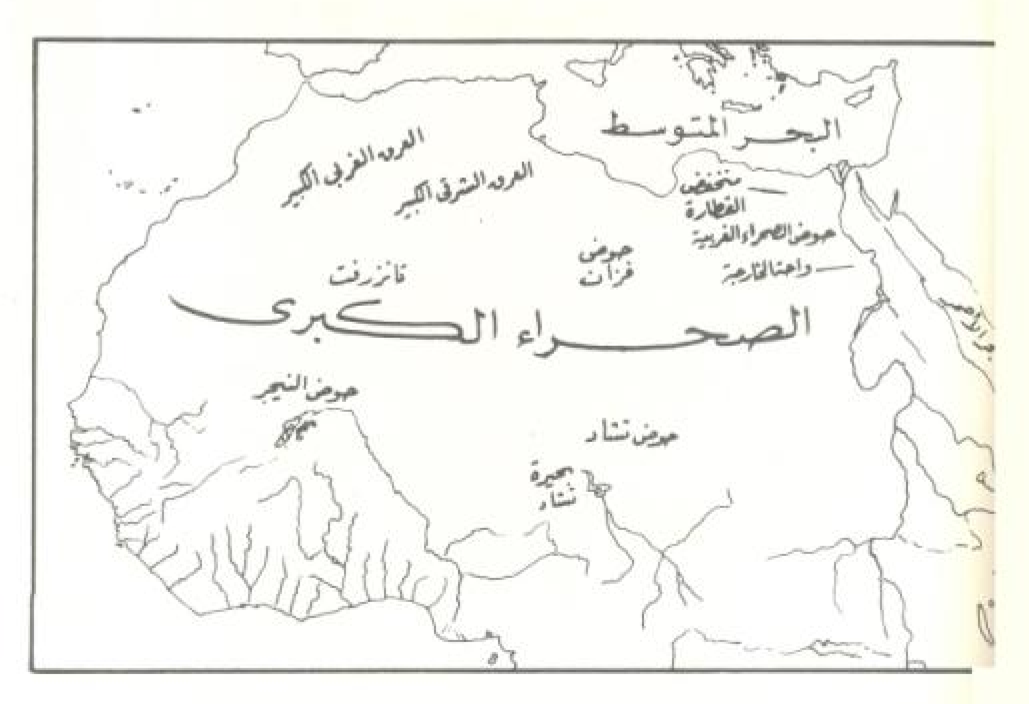
لحوم وألبان ..

لا تؤدى الى رفع نسبة الكولسترول في الدم

● عندما تزداد نسبة الكولسترول Cholestrol فى دم الانسان فان الاطباء يمنعونه من أكل اللحوم والمواد التى تحتوى على دهنيات حيوانية مثل اللبن والجبن والبيض وغيرها . وزيادة نسبة الكولسترول فى الدم تؤدى الى اصابة الانسان بمرض الجلطة .

وقد استطاع فريق من علماء التغذية فى استراليا انتاج أنواع من اللحوم والالبان ذات دهون غير مشبعة Unsaturated fat ولا تؤدى الى زيادة نسبة الكولسترول فى دم الانسان .

وقد قام هؤلاء العلماء بانتاج هذا النوع من اللحوم عن طريق تغذية الابقار



تشادقتشاد والنيجر ونيجيريا ،وحوض الصحراء الغربية فى مصر . (انظر الخريطة المرفقة) .

ويعتبر حوض الصحراء الغربية اكبر مخازن المياه فى شمال افريقيا اذ تبلغ مساحته ١٫٨ مليون كيلومتر مربع بسعة تخزين تصل الى ٦ تريليون متر مكعب من الماء . ويتمد هذا الحوض الى بعض البلدان المجاورة لمصر .

وقد دلت هذه الدراسات على امكانية الاستفادة من هذه المستودعات المائية التى تمتد تحت رمال الصحراء الكبرى مما يؤدى الى اصلاح الكثير من اراضى هذه الصحارى وتحويلها الى اراض زراعية منتجة .

++

بغذاء مكون من زيوت غير مشبعة Unsaturated Oil مخلوطة ببروتين اللبن المسمى كاسين Casein ، ثم يجفف هذا الخليط ويصبح أشبه بالبودرة ويعالج بمادة الفورما لديهايد Formaldehyde وعندما تتم تغذية الابقار بهذا المخلوط فان الدهنيات الموجودة فى لحمها ، وكذلك دهنيات اللبن الناتج عن هذه الابقار تصبح غير مشبعة .

وقد قام الأطباء باجراء تجربة عن تأثير هذا النوع من اللحوم والالبان على ٦ أشخاص حدد طعامهم فى لحوم والبان ناتجة عن ابقار تتغذى بخليط الزيوت غير المشبعة .. بينما وضع فريق آخر من ٦ أشخاص ايضا تحت تغذية عادية من لحوم أبقار تتغذى بالحشائش والاعلاف العادية ، وحددت نسبة الدهنيات فى طعام كلا الفريقين بحوالى ٥٠٪ من السعرات الحرارية التى يتناولها الفرد .

وقد اثبتت نتائج التجربة ان خمسة من هؤلاء الافراد قد انخفضت مادة

الكولسترول فى دمائهم بنسبة ١٠٪ بعد ٣ اسابيع من وضعهم تحت هذا النظام الغذائي باللحوم الجديدة . فى حين ان الذين كانوا يتناولون اللحوم العادية فان نسبة الكولسترول فى دمائهم لم تنخفض بل مالت الى الارتفاع .

وتفتح هذه التجارب باب الأمل امام هؤلاء الذين يعانون من ارتفاع نسبة الكولسترول فى الدم ويحرمهم الاطباء من تناول اللحوم ، فى أن يعودوا مرة اخرى الى التمتع باكل اللحم والجبن واللبن دون اى خوف على صحتهم .

مطلوب وسائل تشخيصية جديدة للكشف بدقة عن حالات الامراض العقلية والنفسية !

● يقول الاطباء النفسانيون ان الطرق التقليدية المتبعة حاليا فى تشخيص الامراض العقلية ليست بالدقة المطلوبة والتي تستطيع ان تفرق على وجه التأكيد بين الشخص العاقل والشخص المجنون .

وقد قام الدكتور دافيد روزنهان David Rosenhan استاذ علم النفس والقانون فى جامعة ستانفورد Stanford بالولايات المتحدة الامريكية باجراء تجربة فريدة ليثبت صعوبة تشخيص حالات الامراض العقلية والتفريق بين العاقل والمجنون . وتتلخص هذه التجربة فى انه قام ومعه ٧ من المتطوعين بطلب الدخول فى مستشفيات الامراض العقلية بحجة سماعهم اصواتا غريبة . وقد تم قبولهم جميعا فى ١٢ مستشفى للامراض العقلية تقدموا اليها وتم تشخيص ٧ حالات منهم بانهم يعانون من انفصام الشخصية Schizophrenia اما الثامن فقد ادخل الى المستشفى وشخصت حالته بالجنون الناتج عن الانهيار العصبي .

وقد سجل هؤلاء المتطوعون ، ومن بينهم علماء نفسانيون ، وطبيب اطفال وربة بيت ، وفنان ، ملاحظاتهم التي تتلخص فى النقاط الاتية :

● بالرغم من أن اعضاء هذا الفريق قد توقفوا عن ادعاءاتهم بسماع اصوات غير حقيقية فور دخولهم مستشفيات الامراض العقلية ، فان احدا من الاطباء الذين يشرفون على علاجهم لم يشك فى انهم عقلاء ، واستمر علاجهم فترات تتراوح بين ٧ ايام و ٥٢ يوما .

● تعرض كثير من اعضاء الفريق الى الاحراج من المرضى الحقيقيين الذين ابدوا شكا فى حقيقة مرضهم . ودلت احصائية قام بها ٣ من فريق الدكتور « روزنهان » أن ٣٥ مريضا من بين ١٨٨ مريضا فى مستشفى للامراض العقلية استطاعوا اكتشاف أمر المتطوعين الثلاثة وانهم ليسوا مجانين ، وانما اشخاص عقلاء . وقد تعرض هؤلاء الثلاثة الى كثير من تعليقات المرضى الذين كانوا يقولون لهم أنتم لستم مجانين ! وبالرغم من ذلك فان احدا من اطباء المستشفى لم يكتشف انهم عقلاء .. !

● ويختم الدكتور روزنهان تقريره قائلا : ان هذه التجربة قد اثبتت اننا لا نستطيع ان نفرق بين العاقل والمجنون فى مستشفياتنا العقلية ، ولا ادرى كم من العقلاء يعيشون الآن فى هذه المستشفيات بينما تلصق بهم صفة الجنون .. !!

ويطالب التقرير ان يقوم علماء وظائف الاعضاء والطب بالقيام بدراسات تؤدى الى وسائل تشخيصية جديدة تكون نتائجها فاصلة فى التفريق بين الجنون والعقل . !!

كُتُب تأثَّرت بمقدمة ابن خلدون

بقلم : محمد عبد الله عنان

لما اكمل المؤرخ الفيلسوف ولى الدين عبد الرحمن ابن خلدون ، كتابة مقدمته الشهيرة ، وهو فى عزلته بقلعة سلامة من اعمال توجين جنوبى مدينة قسنطينة ، وذلك فى منتصف سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) ، ثم عكف من بعدها على كتابة تاريخه الكبير ، واتمه بمدينة تونس ، مسقط راسه ، ورفع نسخته الاولى الى مليكه السلطان ابى العباس الحفصى فى اوائل سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢م) . لم يكن يجول بخاطره ، ان حياته سوف تتحول فجاة الى وجهة جديدة ، والى وطن جديد .

ولكن هكذا شاء القدر ، فقد ضاق ابن خلدون ذرعا بكيد خصومه ، وخشى ازعاج السلطان له بالمهام السياسية التى عافتها نفسه ، بعد حياة طويلة فى خدمة القصور المغربية ، مليئة بصنوف الدسائس والمغامرات ، فعول على مغادرة تونس الى المشرق ، وتذرع لدى سلطانه بقضاء الفريضة فاذن له بالسفر ، وركب البحر الى المشرق فى منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ (اكتوبر ١٣٨٢) ووصل الى القاهرة،بعد اقامة قصيرة بالاسكندرية فى شهرى ذى القعدة سنة ٧٨٤ هـ (اواخر سنة ١٣٨٢م) .

ابن خلدون فى القاهرة ٢٣ عاما

وبدا ابن خلدون حياته الجديدة بالقاهرة عاصمة الشرق الاسلامى ، وموئل التفكير الاسلامى يومئذ ، وتولى التدريس بالجامع الازهر ،وبطائفة من المدارس السلطانية ، وتولى رياسة القضاء المالكى غير مرة ، وعكف على تنقيح مقدمته ، والزيادة فى تاريخه فى مواطن كثيرة ، حتى وصلا الى الحالة التى انتهيا الينا بها ، واستطالت حياته بالقاهرة زهاء ثلاثة وعشرين عاما ، ثم توفى بها فى رمضان سنة ٨٠٨ هـ (مارس ١٤٠٦م).

كتابان مصريان تاثرا بابن خلدون

وبالرغم من ان ابن خلدون لم يستطع لظروف الخصومة التى نشبت بينه وبين المجتمع المصرى المفكر يومئذ ، ان ينشىء له بمصر مدرسة علمية حقيقية تقتفى مناهجه واساليبه ، فانه مع ذلك قد ترك طابعه القوى ، فى بعض نواحى التفكير المصرى المعاصر ، ونستطيع ان نذكر على الاقل كاتبين مصريين من المع كتاب القرن التاسع الهجرى ، هما تقى الدين المقريزى وشمس الدين السخاوى . قد تاثرا كلاهما فى بعض ما كتب ، بنظريات ابن خلدون واسلوبه فى مقدمته .

كتاب « اغاثة الامة بكشف الغمة » للمقريزى

فاما المقريزى ، فقد كان تاثره بمنهج المقدمة شديدا وواضحا ، وقد درس المقريزى فى شبابه على ابن خلدون واعجب ايما اعجاب بتفكيره المبتكر، وكان من اشد الكتاب المصريين تعظيما لقدره ، واجلالا لتفكيره وعلمه . وقد ظهر هذا الاثر واضحا فى كتابه « اغاثة الامة بكشف الغمة » ، الذى انتهت الينا منه نسخة وحيدة ، تحتفظ بها دار الكتب المصرية ، وقد نشرت فى العهد الاخير غير مرة .

ففى هذا الكتاب ، الذى يقول لنا المقريزى انه كتبه فى ليلة واحدة من ليالى المحرم سنة ٨٠٨ هـ، والذى يتحدث عن محن مصر منذ اقدم العصور الى عصره ، ينحو المقريزى فى الشرح والتعليل ، منحى شيخه ابن خلدون فى مقدمته . فيقدم

لرسالته بمقارنة موجزة بين الماضي والحاضر ، وملخص لما جازته مصر من محن الغلاء واشترك منذ الطوفان الى عصره . ثم يفرد لنا فصلا ، يتحدث فيه عن الاسباب التى نشات عنها هـذه المحن ، وادت الى استمرارها طوال هذه الازمان. وفى هذا الفصل بالذات نرى منهج ابن خلدون في البحث والتعليل واضحا ، بل نرى المقريزى يستعمل الفاظ شيخه وعباراته مثل « احوال الوجود وطبيعة العمران » وما اليها ، وفى راى المقريزى ان اسباب الخراب والمحن ترجع اولا ، الى تولية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة ، واستيلاء الظلمة وانجهلاء عليها ، وثانيا الى غلاء ايجار الاطيان ، وزيادة نفقات الحرث والبذر والحصاد اى نفقات الانتاج ، على الغلة ، وثالثا الى ذيوع النقد المنحط .

ويتناول المقريزى هذه الاسباب بالشرح ،ويقدم لنا تقسيما لطوائف المجتمع المصرى ، وهم في نظره سبع طوائف . اهل الدولة . اهل اليسار . الباعة او متوسطو الحال . اهل الفلح او الزراع ، الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ، ارباب الصنائع والأجر واصحاب المهن . وذوى الخصاصة والمسكنة . ويذكر لنا المقريزى احوال كل فريق من هؤلاء بالتفصيل . ثم يتحدث عن اسعار عصره، ويختتم بشرح رايه فى معالجة هذه المحن . وفي رايه انه يجب ان يتغير نظام العملة ، فلا يستعمل منها الا المكين الثابت من ذهب وفضة ،وهى فكرة تثبيت النقد بعينها .

هكذا ينحو المقريزى فى الشرح والتعليل .وهكذا تلمس اثر المؤرخ واضحا فى منهج تلميذه ،ونستطيع ان نجد كثيرا من اوجه الشبه بين ما يعرضه المقريزى في رسالته هذه ، وبين ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن طبيعة الملك وعوامل فساده ، وعن السكة ، وعن اثر المكوس فى الدولة ، واثر الظلم فى خراب العمران ، وكيف يسرى هذا الخلل الى الدولة ، وتغلبها وفرة العمران والغلاء والقحط ، وغير ذلك مما يتعلق بانحلال الدولة وسقوطها .

والسخاوى فى كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ـ] اصى التاريخ »

واما السخاوى فانه بالرغم من خصومته لابن خلدون ، وبالرغم من حملته المضطرمة عليه ، في ترجمته له في كتابه « الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع » قد تأثر كذلك فى بعض مناحى تفكيره ، بنظريات ابن خلدون ، فتراه فى كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ » ويبدو واضحا فيما كتبه السخاوى فى هذا الكتاب عن قيمة التاريخ ، واثره في دراسة احوال الامم ، فهو هنا يبدو متأثرا اشد التأثر بفكرة ابن خلدون الفلسفية في شرح التاريخ وفهمه .

على ان تأثير المقدمة فى ميدان البحوث الفلسفية التاريخية ، كان فى الغرب الاسلامى اعمق وابعد مدى لا. وهو امر طبيعى . فابن خلدون هو ابن هذا الغرب الاسلامى ، وقد انفق معظم حياته فى المغرب والاندلس ، وكان لعلمه وتفكيره منزلة خاصة في هذا الغرب الذى انجبه ، والهم معظم نظرياته من حياته المتوالية فى نصوره ، ومتابعة حوادثه ، ودراسة تقلباته .

ابن الازرق وابن خلدون

وكان فى مقدمة المتأثرين بنظريات المقدمة في الرياسة والملك ، وتكوين الدول وادارتها ،وشئون الاموال والجباية ، مفكر اندلسي هو احد هاته النفثات العقلية الاخيرة التى ارسلتها الاندلس المتحضرة ، قبل ان تلقى مصيرها المحتوم بفترة يسيرة . وهذا المفكر ، هو ابو عبد الله محمد بن على بن محمد بن قاسم بن الازرق الاصبحى ، المعروف عادة بابن الازرق الغرناطي . واصله من وادى آش ، تلك المدينة الاندلسية التالدة ،التى ساهمت فى الحركة الفكرية الاندلسية ، باعظم قسط . وبرع ابن الازرق في الادب والنحو والفقه والمنطق ، وتولى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة ، ولما ساءت الاحوال فى غرناطة ، واشرفت على السقوط في ايدى النصارى عبر البحر الى المغرب ، اسوة بكثير ممن توقعوا سوء المصير . وبعد ان اقام في تلمسان فترة قصيرة سافر الى المشرق ونزل بالقاهرة وذلك فى اواخر عهد السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى حوالى سنة ٩٠٠ هـ ، وكانت غرناطة قد سقطت يومئذ ، وذلك فى سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) ، فحاول ابن الازرق ان يستحث همة السلطان ليقوم بتسيير جيش الى الاندلس لاسترداد غرناطة ،

وقد كانت أمنية كالحلم الجميل .

وكان ابن الازرق قد وضع قبل رحيله عن الاندلس معظم مؤلفاته ، وفي مقدمتها كتاب « روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام ».

كتاب «الابريز المسبوك ، في كيفية أدب الملوك» لابن الازرق

ووضع بالاخص كتابيه الشهيرين في سياسة الملك وظواهره أولهما « الابريز المسبوك في كيفية ادب الملوك » وضعه حسبما يستدل من نسخته المخطوطة المحفوظة بمكتبة الجزائر الوطنية ، والمنقولة عن نسخة المؤلف الأصلية، بمدينة وادى آش في سنة ٨٨٣ هـ ، وهو كتاب كبير الحجم يقع في اكثر من ثلاثمائة صفحة كبيرة ، ويفتتحه مؤلفه بالكلام عن الجباية ، ويعرفها بانها حبس" ، توزع على القبائل وذوى العصبية. ثم يتحدث بعد ذلك عن اقامة العدل، وعن خطط الصلاة والفتيا، في اركان الملك وقواعده ، وعن اقامة الشريعة ، وحفظ المال ، وعن خطط الكتابة والجباية ، ثم عن بطانة الملك والحجابة وغير ذلك ، وهو كثير الاقسام ، يتكون من أركان ومسائل عديدة ، ويقوم في اغلبه بالاستشهاد بما سلف ، ورواية الحكايات المختلفة . وقد طبع كتاب « الابريز المسبوك » بالجزائر منذ مدة طويلة .

والكتاب الثاني الذى وضعه ابن الازرق، متاثرا بنظريات المقدمة هو كتاب « بدائع السلك في طبائع الملك » وهنا يبدو ابن الازرق اكثر تاثرا بالنظريات الخلدونية. وهو بالفعل يلخص في كتابه كثيرا من نظريات المقدمة ، ويعلق عليها ، ويضيف اليها زيادات كثيرة . وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان بخزانة الرباط العامة (المكتبة الجلاوية) وهو مجلد ضخم يقع في أكثر من اربعمائة صفحة كبيرة ، ويحتوى على مقدمتين ، واربعة كتب على النحو الآتى : ـ

١ ـ الكتاب الاول في حقيقة الملك والخلافة وسائر انواع الرياسة .

٢ ـ الكتاب الثاني في اركان الملك وقواعد مبناه ضرورة وكمالا .

٣ ـ الكتاب الثالث فيما يُطالب به السلطان ، تيسيرا لاركان الملك ، وتاسيسا لقواعده .

٤ ـ الكتاب الرابع في عوائق الملك وعوارضه .

سبق ابن خلدون في السياسة الملكية كثيرون

بيد انه مما يلاحظ انه بالرغم من تاثر القاضي ابن الازرق في كتابيه السالفين بنظريات المقدمة واسلوبها ، فان هذا التاثير ينحصر بالاخص في ميدان السياسة الملكية ، وهو ميدان سبق ان طرقه المفكرون المسلمون بكثرة قبل ابن خلدون ، وظهرت فيه مؤلفات كثيرة ، مثل الأحكام السلطانية للماوردى ، وسراج الملوك للطرطوشي . ولكن مقدمة ابن خلدون ، تعالج هذا الموضوع بطريقة احدث ، واقرب الى الناحية السياسية والعلمية ، منها الى الناحية الشرعية ، التى كانت تتسم بها البحوث التى كتبت قبل ابن خلدون . ولقد تاثر ابن الازرق في عرضه بهذا المنهج الجديد في تناول السياسة الملكية ايما تاثير .

ابن الازرق شاعرا

وكان ابن الازرق ، فوق تضلعه في اللغة والادب ، والسياسة الشرعية والملكية ، شاعرا مجيدا، ومن قوله حينمانزلت الجيوش القشتالية، بمرج غرناطة ، تمهيدا لحصارها ، تلك الابيات المؤثرة .

مشوق بخيمات الاحبة مولع
تذكره نجد" وتغريه لعلع
مواضعكم بالآلمين على الهوى
فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة
ومن لى بجفن تنهمى فيه أدمع
رويدك فارقب للّطائف موقعا
وخل الذى من شره يتوقع
وان جل" خطب فانتظر فرجا له
فسوف تراه في غد منك يرفع
وكن راجيا لله في كل حالة
فليس لنا الا الى الله مرجع

ولسنا ندرى تاريخ وفاة ابن الازرق بالتحقيق ، ولكنه توفى فيما يرجح ، حوالى سنة ٩٠٥ هـ (١٤٩٨ م) .

محمد عبد الله عنان ــ القاهره

التلفزيون النقال الجديد موديل TW-12EV ، قياس ١٢ إنشاً
يستقبل على تردد عالي (VHF) باللونين الأسود والأبيض .
ومزود بدارات ترانزستورية كاملة خاصة لتعطي صورة
نقية متوازية واضحة ونقية من أي تشويش .
اقتصادي ، (حيث يكفيه من التيار الكهربائي ٢٦ واط فقط
ومن البطاريات ١٢ واط) . شاشته مزودة بمصفي خاص
ليخفف من عناء العينين . تصميمه رائع ويتماشى مع
مفروشات أي غرفة . وزنه ٧ كغ فقط ويعمل على
التيار الكهربائي المنزلي (١١٠ - ١٢٠ فولط و ٢١٠ - ٢٥٠
فولط) أو على البطاريات (١٢ فولط) . وبهذا .. تستطيع
أن تتمتع بمشاهدة تلفزيونية رائعة أينما كنت .. مع
جنرال - موديل TW-12EV

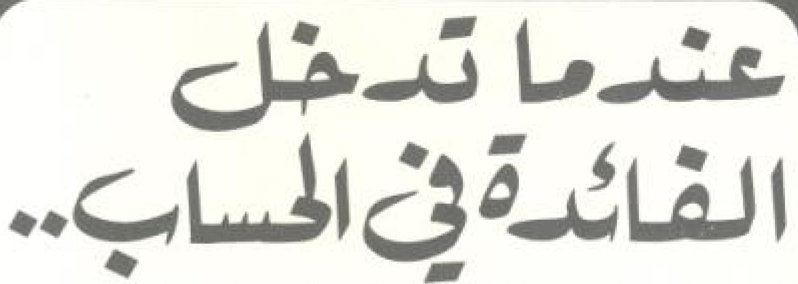
• طاقته الكبيرة وتبريده الناعم الهادئ هما سببان فقط
من الأسباب الكثيرة التي دفعت الناس لأن تقتني
مكيف الهواء موديل AL-6503C . طاقته BTU-
21.500 تكفي لتبريد أكبر غرفة . أما خدمته فهي
متفوقة وتدوم حياة طويلة . ضوابطه مصممة في
موضع يسهل معه استعمالها ، ومصفية .. سهل التنظيف .
هذا إلى جانب الكثير من الميزات الأخرى التي أضافتها
جنرال لتزيد من راحة الإنسان .. وتجعل من مكيف
الهواء هذا شريكاً مثالياً لتلفزيونها موديل TW-12EV .
إن تلفزيونات ومكيفات **جنرال** تضيف إلى
حياتك نشاطاً نوعياً جديداً ...

GENERAL جنرال

الجمهورية العربية السورية : [illegible] ص.ب ٩٥٤ - دمشق [illegible]
الإمارات العربية المتحدة : الشركة الوطنية للاستيراد والتوكيلات ص.ب ٧٣٦ [illegible]
الكويت : شركة [illegible] التجارية [illegible] ص.ب ٩٨ - الكويت .
البحرين : ابراهيم [illegible] ص.ب ٦٧ - المنامة .
الدار البيضاء : [illegible] ١١٤ شارع المقاومة .
ايران : شركة [illegible] شارع [illegible] رقم ٩ - طهران
ليبيا : [illegible] ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس
قطر : [illegible] ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة .

نوعية جيدة من جنرال
تزيدك تسلية وراحة





لومبارد نورث سنترال يقدم
تشكيلة واسعة من الحسابات

حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للودائع

٩½٪

تربح نقودك بنسبة ٩½٪ سنويًا مع طلب مسبق لسحبها بستة أشهر. يمكن سحب ما يبلغ لغاية ١٠٠ جنيه استرليني لدى الطلب خلال كل سنة تقويمية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة.



٩½٪

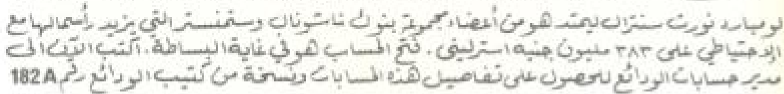
الودائع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه أو ما يزيد، المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة، تربح فائدة بنسبة ثابتة قدرها ٩½٪ في السنة تدفع شهريًا دون حسم أي ضريبة في انكلترا. هذه طريقة ممتازة للحصول على دخل شهري جيد منتظم. يمكن ايداع مبالغ لمدد أطول، وتعطى تفاصيل الفائدة الثابتة لدى الطلب.

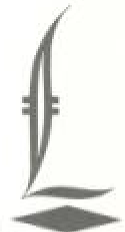
ودائع زمنية

الحد الأدنى للودائع ٥ آلاف جنيه

١٠½٪

الودائع الزمنية المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة تربح فائدة بنسبة ١٠½٪ سنويًا تدفع كل نصف سنة دون حسم أي ضريبة في انكلترا. وهنالك فوائد بنسب جذابة أخرى لمدد ثابتة طولها ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.





Lombard
North Central

Bankers

Head Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England. Tel: 01-499 4111
City Office: 31 Lombard St., London EC3V 9BD, England. Tel: 01-623 4111

Branches throughout Great Britain - Depositors throughout the World



الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الدقة .
ونحن نسعى دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠٣
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGUET
la plus prestigieuse des signatures

تقدم "السعودية" مستمد من تقدم بلادنا

أن مايدعو للاعتزاز أن تعتبر "السعودية" المؤسسة الوطنية للنقل الجوي، مرفق طيران عالمي، لأنه بالإضافة الى موقعها الاستراتيجي في قلب منطقة الشرق الأوسط فانها تنقلك الى ٤٧ مركز تجاري هام في ثلاث قارات.

لقد استطاعت "السعودية" أن تبني لنفسها، طوال السنوات سمعة عالية في حقل صناعة الطيران، وتتجه بخطى واسعة نحو الأفضل، في الكفاءات العالية والراحة التامة والخدمة الممتازة التي سوف تتعرف بها وتتأكد منها عندما تسافر على متن احد طائرات "السعودية" هي نفسها التي تتوقع أن تقدمها لك أية شركة طيران عالمية كبرى، لأن تطور "السعودية" الذي بدأ منذ ٢٨ سنة مضت، يواكب دائما المملكة العربية السعودية الأسرع تطوراً.

و"السعودية" فضلاً عن كونها أول خطوط طيران في الشرق الأوسط، تستخدم الطائرات النفاثة الضخمة في أسطولها الجوي، فانها الأولى أيضاً التي استخدمت طائرات البوينج ٧٢٧ في شبكتها الداخلية حيث تربط ٢١ مدينة بعضها ببعض، أما طائرات البوينج ٧٠٧ الطويلة المدى، التي تملكها "السعودية"، فلا يقتصر استخدامها على نقل الركاب فحسب بل ولنقل الشحنات أيضاً.

لضمان وسرعة تنفيذ مخططات سفرك، أحرص دائما على ان تسافر على متن "السعودية".

السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية

ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من **فافرلوبا** ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ،وبدون تفاصيل وتنميقات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر

خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر

تجعل ذاكرتك طليقة من اى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك أكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .

سي رايدر II

تحوى جميع صفات وميزات الاتقان التي تتحلى بها السي رايدر ، وموضوعة في غلاف قوى لمقاومة المؤثرات .

سي رايدر II للسيدات .

اناقتها حقيقية بشكلها المصمم للمرأة العصرية .



من فافر لوبا جنيف : مجموعة من ٢٥٠ طراز .
الوكيل العام فى الكويت محمد عبدالله شهاب ص.ب (٢٣٨) .
شارع عبد الله السالم ـ تليفون ٤٢٢٣٢٢ شارع فهد السالم ـ تلفون ٤٣٥٢٤١

أروع الأصوات من سوني
يمكنك الاستماع اليها... ويمكنك الاحتفاظ بها



الشيء العظيم في اجهزة الراديو/المسجلة الكاسيت **سوني** هي انها تعطيك اروع الاصوات والالحان من **سوني** . حتى انك تستطيع ان تلمس الفرق عن غيرها بنفسك .

ومعظم الموديلات تعطيك افضل الاصوات من **سوني** على الموجات FM والمتوسطة والقصيرة .

وهكذا ، تستطيع ان تستمع الى البرامج المحلية والاجنبية البعيدة وان تتمتع بها على حد سواء .

ويتميز موديل CF-410 بالعديد من الخصائص الاضافية ، بما فيها امكانية العمل بالتيار المتواصل او المتناوب AC/DC واعطاء صوت قوته ١.٥ وات ، بينما يتميز الموديل الخفيف CF-310S بالعمل أيضا على التيار المتناوب او البطاريات وبالكثير من المزايا الاضافية الخارقة .

الموديل CF-150B يتحلى بجميع المزايا الاساسية، ويعمل على البطارية، وله رفيق شبيه به وهو الموديل CF-150S الذي لا يلتقط الموجات FM بل يلتقط الموجة المتوسطة وموجتين قصيرتين لتوسيع مدى التقاطها .

وكل من هذه الموديلات يمثل قيمة بالغة بحد ذاته .

ومهما كان جهاز الراديو/المسجلة الكاسيت **سوني** الذي تختاره ، فانك تحصل على جهاز ممتاز ، سهل الاستعمال ، رائع التصميم يعطيك ، قبل كل شيء ، اروع الاصوات من **سوني** .

سوني SONY





ميـــاه مبـــردة



قــوة في التبريد

من هيتاشي :
مبردان للماء قويان متينان وجذابان مصممان بطريقة مثالية للاستعمال في المكاتب والمطاعم والمتاجر .
وأعددت التصاميم لتختاروا ما يناسبكم منها . فالموديل RW-1502P الجديد أعد خصيصا ليقام فوق الارض مباشرة .
اما موديل RW-1001B فهو موديل جديد أعدّ ليقام فوق المنصات ، وتتوفر في كليهما كافة وسائل الصحة العامة . لقد صنعا من صلب مجهزا بخزانات الماء ومبردات من الفولاذ الذي لا يصدأ . ويتيح كلاهما لكم تعديل درجة التبريد حسب رغبتكم .

اهم ميزاتهما : المتانة وخلوهما من الخلل لأنهما من صنع هيتاشي . وفروا الحياة الهانئة للجميع باستعمال مبردات الماء . زوروا وكيل هيتاشي اليوم .



RW 1502P

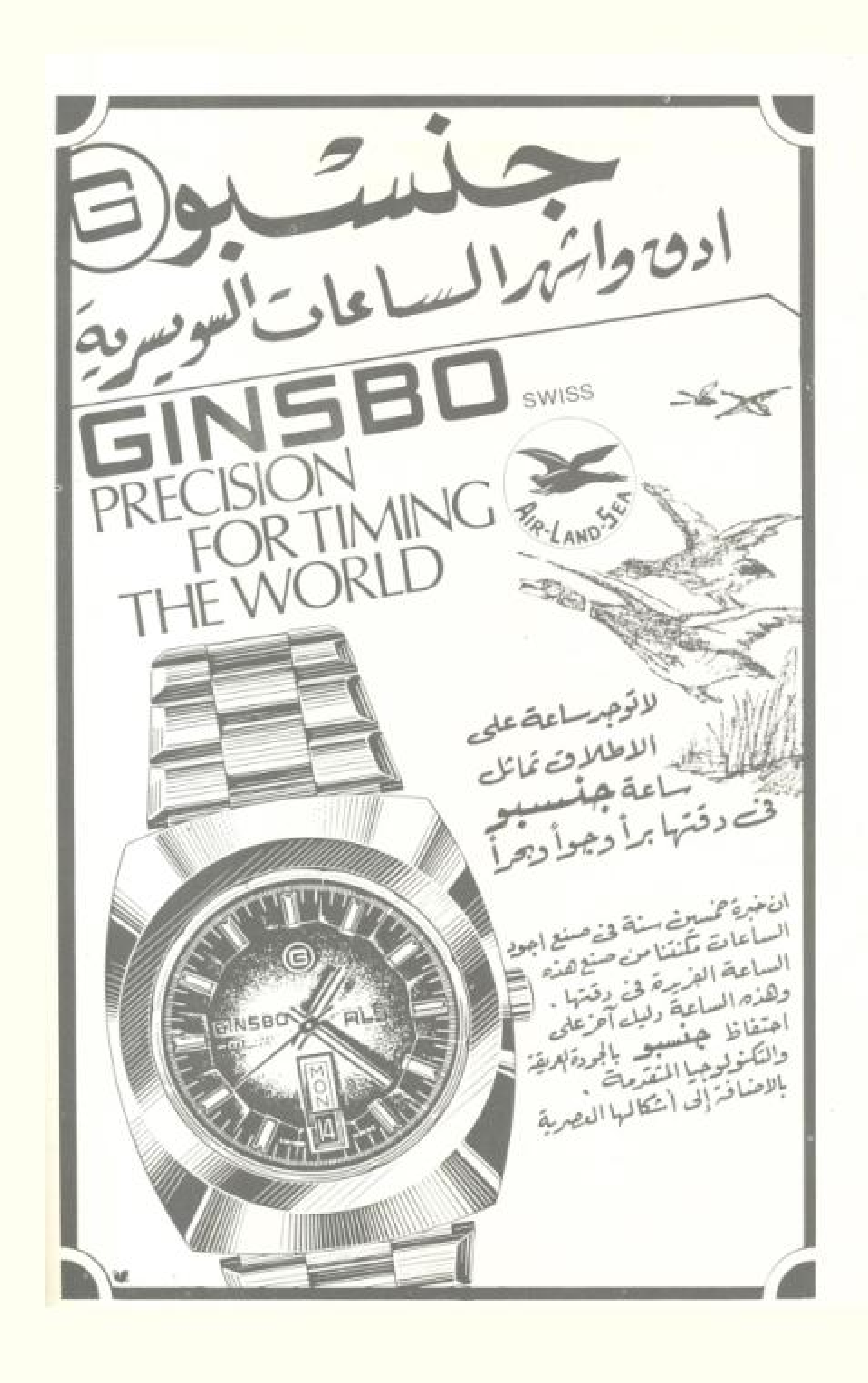
RW 1001B



هدية اصيلة

امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دومًا بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيقة والامينة لا تخذلك ابدا .




جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION FOR TIMING THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
في دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة في صنع اجود
الساعات مكنتنا من صنع هذه
الساعة الفريدة في دقتها .
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة
والتكنولوجيا المتقدمة .
بالاضافة إلى أشكالها العصرية
GINSBO
MON
14



مُسَجلات "اكاي" بالكاسيت حافظت على شهرتها
استمعوا الى اي من مسجلات "دك" الاستريوفونية بالكاسيت من صنع اكاي ولاحظوا الفرق بينها وبين الاجهزة الاخرى في الاداء الرائع.
اوديو وفيديو
AKAI ®
AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

RADO



أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



فهرس
سنة
١٩٧٣

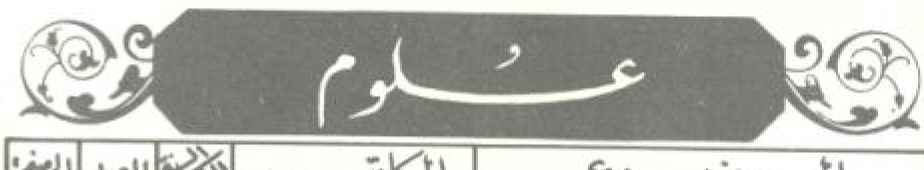
من العدد ١٧٠ إلى العدد ١٨١


حديث الشهر
بقلم رئيس التحرير الدكتور أحمد زكي

شعر وشعراء


أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الرقم والسنة	العدد	الصفحة
كبرياء التحدى في النظرات الجامدة	الفة الادلبي	٧٣/٦	١٧٥	٤٥
مجلة الرسالة	الغزالي حرب	٧٣/٦	١٧٥	٤٨
المثنى بن حارثة	عبد الستار احمد فراج	٧٣/٦	١٧٥	٥٦
بيرل بك صاحبة كتاب الارض الطيبة	محمد طنطاوى	٧٣/٦	١٧٥	١٠٢
كتاب الخواص لجابر بن حيان الكوفى	السيد صالح الشهرستانى	٧٣/٦	١٧٥	١٥٤
محمد سعيد العباسي الشاعر	محمد عبدالمطلب صالح	٧٣/٧	١٧٦	١٥٨
سعد بن ابى وقاص في القادسية	عبد الستار فراج	٧٣/٧	١٧٦	١٦٣
الثقافة وماذا تعنى	د. زكريا ابراهيم	٧٣/٨	١٧٧	٢٠
رجلان عظيمان حظيت بمقابلتهما	انيس المقدسي	٧٣/٨	١٧٧	٣٢
السر والنثر سكوت	د. صفاء خلوصي	٧٣/٨	١٧٧	١٠٢
العقاد	د. طه الحاجرى	٧٣/٨	١٧٧	١٣٤
هاشم بن عتبة بن ابى وقاص	عبد الستار فراج	٧٣/٩	١٧٨	٣٩
الطرفة والفكاهة عند العرب وفى الاسلام	جعفر الخليلى	٧٣/٩	١٧٨	٧٢
الشعر العربى فى قديم الزمان وحديثه	انيس المقدسي	٧٣/١٠	١٧٩	٢٠
الحمامات العامة فى الادب العربى	عبد العليم القبانى	٧٣/١٠	١٧٩	٦٥
القرآن العربى والفاظه الاعجمية	يونس موسى شتات	٧٣/١٠	١٧٩	١٠٨
اوس بن حارثة الطائى	عبد الستار احمد فراج	٧٣/١١	١٨٠	٥٢
النقد الادبى الحديث فى العراق	عبد الرزاق البصير	٧٣/١١	٧٨٠	١٠٩
الحافظ بن عساكر صاحب تاريخ دمشق	مصطفى الشماع	٧٣/١٢	١٨١	٦٦



الموضوع	الكاتب	الرقم والسنة	العدد	الصفحة
الاتجاه التجريبى العلمى	د. سعيد اسماعيل على	٧٣/٣	١٧٢	٧٨
البحث العلمى	د. فاخر عاقل	٧٣/٣	١٧٢	١٤٦
كتاب الخواص لجابر بن حيان الكوفى	السيد صالح الشهرستانى	٧٣/٦	١٧٥	١٥٤
زحف القارات فوق سطح الارض	محمد العيسى الذكير	٧٣/٧	١٧٦	٢٨
تحديات العصر	د. عبد الحليم منتصر	٧٣/٧	١٧٦	١٣١
ارقام الحساب	عبد الستار فراج	٧٣/٨	١٧٧	١١٤
التلوث	هانى عبيد	٧٣/٩	١٧٨	٦٨



صفحة في اللغة



بقلم محمد خليفة التونسي



تاريخ

الموضوع	الكاتب	رقم السنة	العدد	الصفحة
ارقام الحساب	عبد الستار فراج	٧٣/٨	١٧٧	١١٤
السلطان عبد الحميد طاغية وليس خليفة	عبد الله احمد حسين	٧٣/٩	١٧٨	٥٢
الممالك الاسلامية في الحبشة	د. جمال زكريا قاسم	٧٣/٩	١٧٨	١٠٢
دار العلوم بعد مائة عام من انشائها	د. سعيد اسماعيل على	٧٣/٩	١٧٨	١٤١
ملامح من التربية العربية	د. فاخر عاقل	٧٣/١٠	١٧٩	٤٤
معركة الزلاقة	د. عبد الجليل عبدالرضا	٧٣/١٠	١٧٩	٥٢
اساطيل للعرب في البحر المتوسط	د. نصرت عبد الرحمن	٧٣/١١	١٨٠	١٠٢
شريعة حمورابي	د. محمود سلام زناتي	٧٣/١١	١٨٠	١٣٧
النظرية الاقتصادية لابن خلدون	د. ستيلانا بانسيينا	٧٣/١٢	١٨١	١٤٠

تاريخ أشخاص

الموضوع	الكاتب	رقم السنة	العدد	الصفحة
تاريخ اشخاص عرب				
يوسف بن تاشفين	عبد الله كنون	٧٣/١	١٧٠	١٣١
خليل مطران	خميس سلمونة	٧٣/٢	١٧١	٦٦
ابو العباس احمد بن ابى عبده قائد اندلسي مجيد	د. حسين مؤنس	٧٣/٢	١٧١	١٤٢
ابن النديم والبيبلوجرافيا الحديثة	عبد الرحمن معلا	٧٣/٣	١٧٢	٢٩
الخليفة المتخسد	عبد الستار فراج	٧٣/٣	١٧٢	٦٧
الحسن بن الهيثم في كتابه المناظر	د. عبد الحليم منتصر	٧٣/٣	١٧٢	١٣٤
شاعر البرامكة اشجع السلمى	محمد حسين الاعرجي	٧٣/٤	١٧٣	٩٠
سجاح المتنبئة	سنية قراعة	٧٣/٤	١٧٣	١٤٣
ابن العوام في كتابه الفلاحة	د. عبد الحليم منتصر	٧٣/٤	١٧٣	١٧٤
محمد عوض محمد	د. عبد العزيز كامل	٧٣/٥	١٧٤	٢٨
الشعبى : عامر بن شراحيل	عبد الستار فراج	٧٣/٥	١٧٤	٤٢
الواسطى المصور المزخرف الخطاط	عبد المجيد وافي	٧٣/٥	١٧٤	١٣١
الدكتور محمد مندور	رشيد خشانة	٧٣/٥	١٧٤	١٤٢
المثنى بن حارثة	عبد الستار احمد فراج	٧٣/٦	١٧٥	٥٦
الحافظ عثمان الموصلى ، الوسيقار الشهير	جمال الدين الالوسي	٧٣/٧	١٧٦	٧٥
ابو الطيب الرندى	محمد عبد الله عنان	٧٣/٧	١٧٦	١٠٢
محمد سعيد العباسي الشاعر	محمد عبد المطلب صالح	٧٣/٧	١٧٦	١٥٨
سعد بن ابى وقاص في القادسية	عبد الستار فراج	٧٣/٧	١٧٦	١٦٣
ابن خلدون رائد الاقتصاد	د. محمد على نشأت	٧٣/٨	١٧٧	١٨

الموضوع	الكاتب	السنة الشهر	العدد	الصفحة
الشريف الادريسي	حسن الامين	٧٣/٨	١٧٧	١١١
العقاد	د. طه الحاجري	٧٣/٨	١٧٧	١٢٤
هاشم بن عتبة بن ابي وقاص	عبد الستار فراج	٧٣/٩	١٧٨	٣٩
الحجاج الثقفي	علي ادهم	٧٣/٩	١٧٨	١٣٢
ابو حيان التوحيدي	د. طه الحاجري	٧٣/١٠	١٧٩	١٣٦
اوس بن حارثة الطائي	عبد الستار احمد فراج	٧٣/١١	١٨٠	٥٢
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	علي حيدر النجاري	٧٣/١١	١٨٠	١٥٢
ام الشهداء	سنية قراعة	٧٣/١١	١٨٠	١٦٨
الحافظ بن عساكر ، صاحب تاريخ دمشق	مصطفى الشماع	٧٣/١٢	١٨١	٦١
الشيخ يوسف بن عيسى القناعي	عبد الرزاق البصير	٧٣/١٢	١٨١	١٠٧
خالد بن الوليد في اليرموك	عبد الستار احمد فراج	٧٣/١٢	١٨١	١٢٠
تاريخ اشخاص غير عرب				
تركان خاتون	سنية قراعة	٧٣/٢	١٧١	١٢٨
لي بو شاعر الصين	الملكة كوثر مصطفى الطهطاوى	٧٣/٣	١٧٢	١٥٠
ابو الكلام ازاد	د. عبد المنعم النمر	٧٣/٦	١٧٥	٢٢
بيرل بك صاحبة كتاب الارض الطيبة	محمد طنطاوى	٧٣/٦	١٧٥	١٠٢
اكسل منته الاديب الفنان	د. فخرى الدباغ	٧٣/٧	١٧٦	٦٠
رجلان عظيمان حظيت بمقابلتهما	انيس المقدسي	٧٣/٨	١٧٧	٢٢
السير والتر سكوت	د. صفاء خلوصي	٧٣/٨	١٧٧	١٠٢
السلطان عبد الحميد طاغية وليس خليفة	عبد الله احمد حسين	٧٣/٩	١٧٨	٥٢
ابو الكلام ازاد	د. عبد المنعم النمر	٧٣/١٠	١٧٩	٦٠



الموضوع	الكاتب	السنة الشهر	العدد	الصفحة
اجتهاد كبار الصحابة	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٣/١	١٧٠	٢٠
اجتهاد كبار الصحابة	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٣/٢	١٧١	٢٠
رجال ابطال في قتال مسيلمة الكذاب	عبد الستار فراج	٧٣/٢	١٧١	٥٤
الاسلام وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادى	د. محمد شوقى الفنجرى	٧٣/٣	١٧٢	٨٦
موسوعات الفقه الاسلامي	حامد مصطفى	٧٣/٤	١٧٣	٢٠
خلق الجاهلية او ادب الاسلام	الشيخ احمد حسن الباقورى	٧٣/٥	١٧٤	٢٤
فتن في عهد كبار الصحابة	الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	٧٣/٥	١٧٤	٤٨
تاويل القرآن والحديث عند الغزالي	سعيد زايد	٧٣/٦	١٧٥	٢٠

تربية وعلم نفس



سياسة واقتصاد

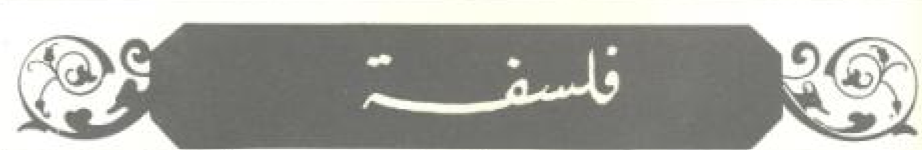




مجتمع واجتماع



الموضوع	الكاتب	رقم السنة	العدد	الصفحة
الناس بين المساواة والمحاباة في قديم الشرائع وحديثها	د. محمود سلام زناتي	٧٢/٢	١٧١	٣٢
الكتاب العربي	د. صليب بطرس	٧٢/٢	١٧١	١٦٦
ثورة الفكر : نموذجـان منها	د. زكي نجيب محمود	٧٢/٣	١٧٢	٢٠
الاعلان يخلق المنافع بالايحاء	د. السيد ابو النجا	٧٢/٣	١٧٢	٤٨
العاملون المتعبون	د. على احمد على	٧٢/٣	١٧٢	١٠٠
خرافات في حياة البشر سائدة	د. صفاء خلوصي	٧٢/٣	١٧٢	١٥٤
ازمة العقل في حياتنا	د. زكي نجيب محمود	٧٢/٤	١٧٣	٣٢
مشكلات الشباب العربي	د. جميل صليبا	٧٢/٤	١٧٣	٣٩
المرأة في نظر الكاتبة سيمون دي بوفوار	د. زكريا ابراهيم	٧٢/٤	١٧٣	٩٤
الطلاق في شريعة حمورابي	د. محمد سلام زناتي	٧٢/٤	١٧٣	١٣٤
العلاقات العامة	د. السيد ابو النجا	٧٢/٥	١٧٤	٦٠
ميثاق للشباب العربي	د. جميل صليبا	٧٢/٥	١٧٤	٦٤
التراث الفلسفي ومدى حاجتنا اليه	د. زكريا ابراهيم	٧٢/٥	١٧٤	٨٦
اخلاق النصر واخلاق الهزيمة	د. حسين مؤنس	٧٢/٦	١٧٥	٢٤
الانسان بين حلم الحياة وحياة الحلم	د. زكريا ابراهيم	٧٢/٦	١٧٥	٤٠
عقاب المجرمين	د. عدنان الدوري	٧٢/٦	١٧٥	١١٨
نظام المحلفين	محسن عبد الحافظ	٧٢/٧	١٧٦	٢٠
الاسيويون في افريقية	د. فؤاد محمد الصقار	٧٢/٧	١٧٦	٣١
تعريف بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب	د. ممدوح حقي	٧٢/٧	١٧٦	١١٠
نقص الادارة والتنظيم	د. حسين مؤنس	٧٢/٨	١٧٧	٣٦
التنمية الصحية	د. نبيل صبحي	٧٢/٨	١٧٧	٤٤
التربية امام الانفجار الثقافي والسكاني	على بركات	٧٢/٨	١٧٧	٥٩
تمرد الشباب الحاضر	د. ملاك جرجس	٧٢/٩	١٧٨	٢٠
المتوسطات في حياتنا اليومية	د. على احمد على	٧٢/١٠	١٧٩	٢٨
المجتمع الاسلامي في باكستان	عبدالرحمن الطاهر السورتي	٧٢/١٠	١٧٩	١٤٤
الامية في البلاد العربية	صالح الناجي	٧٢/١١	١٨٠	٣٢
ثورة على الجمود الفكري	د. زكريا ابراهيم	٧٢/١٢	١٨١	١٠٢



الموضوع	الكاتب	رقم السنة	العدد	الصفحة
اخلاقنا في الميزان	د. زكريا ابراهيم	٧٢/١	١٧٠	٢٥
منطق جديد لفكر جديد	د. زكي نجيب محمود	٧٢/١	١٧٠	٣٨
اخلاقنا في حاجة الى اصلاح	د. زكريا ابراهيم	٧٢/٢	١٧١	٢٥

الموضوع	الكاتب	شهر/سنة	العدد	الصفحة
ثورة الفكر : نموذجان منها	د. زكى نجيب محمود	٧٣/٣	١٧٢	٢٠
ازمة العقل فى حياتنا	د. زكى نجيب محمود	٧٣/٤	١٧٣	٣٢
التراث الفلسفي : ومدى حاجتنا اليه	د. زكريا ابراهيم	٧٣/٥	١٧٤	٨٦
الانسان بين حلم الحياة وحياة الحلم	د. زكريا ابراهيم	٧٣/٦	١٧٥	٤٠
التاريخ بين الذاتية والموضوعية	على ادهم	٧٣/٦	١٧٥	١١١
الثقافة وماذا تعني	د. زكريا ابراهيم	٧٣/٨	١٧٧	٢٠
الانسان المعاصر بين السعادة والشقاء	د. زكريا ابراهيم	٧٣/١٠	١٧٩	٣٢
ثورة على الجمود الفكرى	د. زكريا ابراهيم	٧٣/١٢	١٨١	١٠٢



الموضوع		شهر/سنة	العدد	الصفحة
بنك التسليف والادخار	استطلاع / منير نصيف تصوير/اوسكار مترى	٧٣/١	١٧٠	١٤٨
الهيكل الفضائي الكويتي	استطلاع/سليم زبال	٧٣/٢	١٧١	٧٦
الكويت عند خط النار	استطلاع/محمد طنطاوى تصوير / صلاح آدم	٧٣/٣	١٧٢	٥٢
المدارس العربية الاهلية فى الكويت	استطلاع / محمد خليفة التونسى تصوير/صلاح آدم .	٧٣/٤	١٧٣	٥٢
التلوث	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار مترى	٧٣/٥	١٧٤	٦٨
الفحيحيل	استطلاع/محمد طنطاوى تصوير/صلاح آدم	٧٣/٦	١٧٥	١٣٢
الحرس الوطني الكويتي	استطلاع/منير نصيف تصوير/عبد الناصر شقره	٧٣/٧	١٧٦	١١٦
الفن العربي المعاصر	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار مترى	٧٣/٨	١٧٧	١١٦
مجلس التخطيط عمره الان ١١ سنة	استطلاع/محمد طنطاوى تصوير/عبد الناصر شقره	٧٣/٩	١٧٨	١١٦
الاندية الصيفية	استطلاع/منير نصيب تصوير/عبد الناصر شقره	٧٣/١٠	١٧٩	١١٦
الشعبية	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار مترى	٧٣/١١	١٨٠	١١٦
سلاح النفط العربي يدخل معركة المصير	استطلاع/سليم زبال	٧٣/١٢	١٨١	٢٠

الاستطلاعات العربية المصورة

المـــــوضـــــوع		الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الأزهـــر	استطلاع/محمد طنطاوي تصوير/عبد الناصر شقره	٧٣/١	١٧٠	٧٢
حجه : بلدة فوق قمة جبل	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار متري	٧٣/٢	١٧١	١٠٠
الصناعات السورية : التقليدية منها والحديثة	استطلاع/منير نصيف تصوير/اوسكار متري	٧٣/٣	١٧٢	١٠٨
تطوان بنت غرناطة	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار متري	٧٣/٤	١٧٣	١٠٨
واحة الكفرة	استطلاع/محمد طنطاوي تصوير/عبد الناصر شقره	٧٣/٥	١٧٤	١١٦
جنوب السودان	استطلاع/منير نصيف تصوير/اوسكار متري	٧٣/٦	١٧٥	٧٦
الصليف : مدينة تعيش فوق جبل من الملح	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار متري	٧٣/٧	١٧٦	٨٠
القصيم	استطلاع/محمد طنطاوي تصوير / عبد الناصر شقرة	٧٣/٨	١٧٧	٧٦
عنابـة	استطلاع/سليم زبال تصوير/اوسكار متري	٧٣/٩	١٧٨	٧٦
الســويداء	استطلاع/منير نصيف تصوير/اوسكار متري	٧٣/١٠	١٧٩	٧٦
القطيف	استطلاع/محمد طنطاوي تصوير/عبد الناصر شقرة	٧٣/١١	١٨٠	٧٦
ظفـــار	المستطلع/سليم زبال تصوير / اوسكار متري	٧٣/١٢	١٨١	٧٢

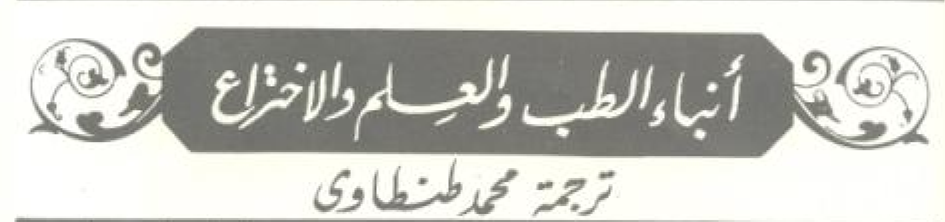
امراض شائعة

المـــــوضـــــوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
التسمم	د. محمد محمد ابوالشوك	٧٣/١	١٧٠	١٢٤
الانفصـــال الشبكي	د. حسن عبد الوهاب	٧٣/٢	١٧١	٧١

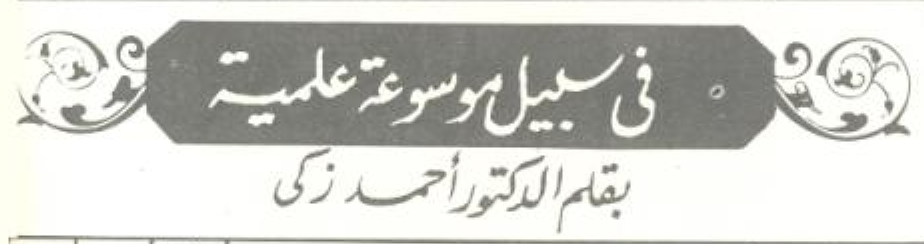


بقلم نخبة من الأطباء

الموضوع	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
البول السكرى الوراثى فى بداية العمر وعلاجه الوحيد حقن الانسولين / اسباب الشيب المبكر / مرض الكلب سببه فيروس وعلاجه فى فترة الحضانة.	٧٣/٩	١٧٨	٩٩
كثرة العرق وهل لها علاج / التدخين يضر بالمراة الحامل والجنين / الامراض الوراثية وضرورة الاحتراس منها / القيء قد يكون سببه نفسانيا ما لم يكن مصحوبا بالم فى المعدة	٧٣/١٠	١٧٩	١١٣
العرق اثناء الاكل .. يزداد مع البول السكرى / نوبات الربو .. لها مواسم تكثر فيها / حساسية الكولونيا / النمش هل هو مرض معد	٧٣/١١	١٨٠	٩٩
ينام وهو يقود سيارته / حبوب منع الحمل ومضارها / الزرقة تحت الجلد، قد تكون علامة لأكثر من مرض فى الدم / مرض النقرس : علاجه يستمر مدى الحيـــاة	٧٣/١٢	١٨١	٩٩



الموضوع	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
حق الحياة بالنسبة الى الجنين / الالوان وهل تكشف عن شخصية الانسان/ ١٠٪ من ضحايا السيارات .. منتحرون / انتاج الطاقة بواسطة اللازر	٧٣/١	١٧٠	١٧٨
احصائية طبية عن الاجهاض القانونى فى أمريكا / مخدرات قيمتها ..١٥ مليون دولار / برامج الصين لتحديد النسل	٧٣/٢	١٧١	١٥٤
الاسلحة الذرية : هل تقوم الدول الصغرى بصنعها / الهند واسرائيل لم توقعا على حظر انتشار الاسلحة الذرية/التعاون بين روسيا وأمريكا والصين/ الاشراف على المفاعلات الذرية فى دول العالم / شبكة مراصد فى انحاء العالم لتحليل جو الارض / الحيوان المنوى هل يختلف عن بقية الحيوانات الاخرى	٧٣/٣	١٧٢	١٧٠
الادمان الكحولى مرض / اطفال الكيبوتز معرضون للاصابة بالامراض النفسية ..٢٦٠ مليون جالون ماء تتدفق فى الامزون كل دقيقة / السلالات الزراعية توحيدها يعرض محاصيل الولايات المتحدة للهلاك / لماذا يهتم الفرد العادى بالعلوم الطبيعية/حبوب منع الحمل تؤدى الى نقص فيتامين ج فى جسم المراة	٧٣/٤	١٧٣	١٣٨
فلسفة طبية جديدة / لماذا انقرضت الدناصير / اعصار يقتل ١١٨ شخصا	٧٣/٥	١٧٤	١٦٢
جامعات امريكا تعانى من ازمة مالية حادة / الهجرة من الريف الى المدن / حيوان فقارى عمره ٣٥٠ مليون سنة والآثار اقدامه فى استراليا / البحث العلمى وسريته	٧٣/٦	١٧٥	١٠٦
تجربة جديدة فى عالم السجون / الاشعة السينية فى الفضاء / اكتشاف ٤ عناصر كيمائية جديدة	٧٣/٧	١٧٦	١٧٠



بقلم الدكتور أحمد زكى

وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه

بقلم الدكتور أحمد زكى

الموضوع	شهر/سنة	العدد	الصفحة
التي تبيض وتلك التي تلد / البيض والطير / التلقيح في البيض / حضانة البيض / رعاية الطير افراخها			
الحيوانات ذوات الثدي : شدة اختلاف اشكالها وانواعها / اكتمال خلقها / تناسلها / صفات خاصة بها / مجموعاتها الثلاث / الثدييات ذات المشيمة / وذات الجراب / وذات المسلك الواحد / مدة الحمل في الثدييات ذات المشيمة / اكلات الحشرات / الثدييات الطائرة / الثدييات القارضة / الارنبيات من الثدييات / والمدرعات ثدييات البحار / ثدييات ذات خراطيم / اكلات اللحوم / ذات الحوافر	٧٣/١١	١٨٠	٣٦
الخلية : الوحدة الصغرى التي منها بني كل حي كيانه / الخلية هي المختبر الاول الذي يصنع الجسم فيه كيمياءه وبالكيمياء يصنع الحياة	٧٣/١٢	١٨١	٥٠



الموضوع	شهر/سنة	العدد	الصفحة
الصين تتخلى عن صور لغتها / افرغ من فؤاد أم موسى / الشيخ مجيب لرحمن / القطن ليس وحده مادة غزل ونسج / حلف الفضول	٧٣/١	١٧٠	١٤٢
الحرم الابراهيمي اقتحمه اليهود واستباحوه / فرافوش لم يكن ظالما / عودة برانت عززت التعاون بين الشرق والغرب / السياحة صناعة المستقبل / التقمص او تناسخ الارواح / اب ولا اب	٧٣/٢	١٧١	١٥٨
الجنرال عيدي أمين / هجرة اليهود الروس تنذر بقيام اسرائيل الكبرى / الموشحات الاندلسية / التضخم المالي في بريطانيا ، اسبابه وسبل علاجه / رالف نادر محام امريكي من اصل عربي	٧٣/٣	١٧٢	١٣٨
الامام علي كيف مات واين دفن / سياسة امريكا نفرت وما نفرت / الاتحاد السوفياتي يتكون من ١٥ جمهورية اتحادية / سدود تحمي أمة من الغرق	٧٣/٤	١٧٣	١٦٦
حتى تيبتوا / احتياطي النفط وانتاجه / الافيون في تركيا / فيثاغورس فلسفته ونظريته الهندسية / اول مجلة في الكويت والخليج	٧٣/٥	١٧٤	١٤٨
اهل الاديان في العالم / خطاب يحمل صيحة انثى / شوان لاي اليد اليمنى لماوتسي تونج تلقى تعليمه في اليابان / التاريخ بالحروف نظما / تيتو ابن فلاح.	٧٣/٦	١٧٥	١٤٤
يشكو القصور ويريد أن يتزوج / الختان ومكانته في الاديان / النقط والتشكيل في لغتنا الحاضرة / كوبرنيكس الفلكي / سد الفرات التركي / عدد الطلاب في ١١ بلدا عربيا	٧٣/٧	١٧٦	١٣٨
الفارابي اللغوي / الاجهاض في فرنسا / الامم المتحدة والهيئات والوكالات المتفرعة عنها / الحماة دائما ابدا	٧٣/٨	١٧٧	١٤٢

الموضـــــوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
طريق الذهب الجديد يخترق الصحراء الكبرى / التحية عند العرب في الجاهلية والاسلام / مصر الدولة السابعة في انتاج القطن / الفلسطينيون يقـارب عددهم ٣ ملايين	٧٣/٩	١٧٨	١٤٨
تعلق الزوج بوالديه واخوته / افلام سينمائية بلغ دخلها الملايين / لقيت منه الامرين / ذهب اكثر الاستعمار ولكن له بقايا / صولون مشرع اليونان القديم/ رسالة التوابع والزوابع	٧٣/١٠	١٧٩	١٤٨
بين القرآن الكريم والاحاديث القدسية / جمعيات حماية المستهلك خارج امريكا/الشعور بالغيرة / سكان تل ابيب وعددهم / البلاد العربية والطاقة الكهربائية / اكبر مدن العالم كثرة سكان	٧٣/١١	١٨٠	١٣٢
اوسع اللغات انتشارا / انتصار متواضع للمراة العربية / رجال صاروا امثالا / لا حياة مع الياس ولا ياس مع الحياة / اول محطة اذاعة في العالم	٧٣/١٢	١٨١	١٣٤



الموضـــــوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الهجرة العربية الى الشرق الاقصى	حسن الامين	٧٣/١	١٧٠	٥٠
اخلاقنا في حاجة الى اصلاح	د. زكريا ابراهيم	٧٣/٢	١٧١	٢٥
قرة قلعة الصمود الفلسطيني	د. محمد علي الفرا	٧٣/٢	١٧١	٨٨
الكتاب العربي	د. صليب بطرس	٧٣/٢	١٧١	١٦٦
ابن النديم والببليوجرافيا الحديثة	عبد الرحمن مصلا	٧٣/٣	١٧٢	٢٩
الحسن بن الهيثم في كتابه المناظر	د. عبد الحليم منتصر	٧٣/٣	١٧٢	٢٩
مشكلات الشباب العربي	د. جميل صليبا	٧٣/٣	١٧٢	١٣٤
اضواء على التخطيط الانمائي في العالم العربي	د. محمود صوان	٧٣/٤	١٧٣	٣٩
في هموم العروبة ومشاكلها	احمد السقاف	٧٣/٤	١٧٣	٨٢
ميثاق للشباب العربي	د. جميل صليبا	٧٣/٥	١٧٤	٦٤
تعريف بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب	د. ممدوح حقي	٧٣/٧	١٧٦	١١٠
الكوميديا في مسرحنا العربي	نعمان عاشور	٧٣/٩	١٧٨	١٦٦
الجزيرة العربية لا يصونها سوى ابنائها	احمد السقاف	٧٣/١١	١٨٠	١٦
يوميات المعركة في اسبوعها الاول	منير نصيف	٧٣/١٢	١٨١	٢٨
بالعدالة وحدها يصان السلام العالمي	احمد السقاف	٧٣/١٢	١٨١	٣٨
الجولان مسرح الجبهة السورية	د. عادل عبد السلام	٧٣/١٢	١٨١	٤٢
خالد بن الوليد في اليرموك	عبد الستار فراج	٧٣/١٢	١٨١	١٢٠





بقلم منير نصيف

الموضوع	رقم السنة	العدد	الصفحة
الصفح والغفران	٧٣/٨	١٧٧	٦٤
المال يهنا به الزوجان ولكن بالحب تكون الهناءة اكمل	٧٣/٩	١٧٨	٦٠
الزواج بداية وليس نهاية	٧٣/١٠	١٧٩	٥٦
الخوف : متى تبوح به ومتى نخفيه	٧٣/١١	١٨٠	٦٤
كيف نغالب الخوف فنقلبه	٧٣/١٢	١٨١	٦٤

قصص وجرائم

الموضوع	الكاتب	رقم السنة	العدد	الصفحة
الحصالة	محمود تيمور	٧٣/١	١٧٠	١٨٢
رحلة العودة	مازن محمد طلال	٧٣/٢	١٧١	١٧٤
شقه للايجار	محمد طه عبد الباقي	٧٣/٣	١٧٢	١٧٥
دواء .. لايجلب العافية	محمد سليم رشدان	٧٣/٤	١٧٣	١٥٨
انا والالهة السمكة تاليف آتوميد بوى	ترجمة سليم الاسيوطى	٧٣/٤	١٧٣	١٧٨
القبلة الاولى والاخيرة	خليل هنداوى	٧٣/٥	١٧٤	١٥٦
القناص للكاتب الايرلندى ليام وافلاهيرتي	نادر يعقوب الاطرش	٧٣/٥	١٧٤	١٧٧
دعيني احب امي	فاضل السباعي	٧٣/٦	١٧٥	١٥٨
ضحية فتاة مراهقة	حسن الجداوى	٧٣/٦	١٧٥	١٦٤
حكاية رجل نصاب	محمود تيمور	٧٣/٧	١٧٦	١٥٤
وجه في الزحام	ترجمة محمد طه عبد الباقي	٧٣/٧	١٧٦	١٧٥
بين الخداع والحقيقة	ابراهيم مهدى الشبلي	٧٣/٨	١٧٧	١٥٤
ماري بسنار	حسن الجداوى	٧٣/٨	١٧٧	١٧٢
حزمة البصل	غبريال وهبه	٧٣/٩	١٧٨	١٦٠
زواج على الطريقة الامريكية	عبد الله كبير	٧٣/١٠	١٧٩	١٥٦
ضحية حماس في غير موضعه	حسن الجداوى	٧٣/١٠	١٧٩	١٧٤
ماساة ارملة	حسن الجداوى	٧٣/١١	١٨٠	١٤٤
من وراء التاريخ	ثروت اباظه	٧٣/١١	١٨٠	١٧٤
الدار المهجورة	لاميل كابوديه	٧٣/١٢	١٨١	١٥٠
عذاب	حسن فتحي خليل	٧٣/١٢	١٨١	١٧٢




الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
محراب مسجد قرطبة	-	٧٣/١	١٧٠	٢ر١٣٧
مسجد قرطبة	يوسف زعبلاوى	٧٣/١	١٧٠	١٣٧
مكتبة فى البيت عامره	-	٧٣/٢	١٧١	٢ر١٣٧
من كتاب جامع التواريخ : النبي يونس والحوت	-	٧٣/٣	١٧٢	٢
صورة حجرة طفلك ايتها الام	-	٧٣/٤	١٧٣	٢
لوحة الحرية قائدة الجماهير دلاكروا	-	٧٣/٥	١٧٤	٢
الواسطى المصور المزخرف الخطاط	عبد المجيد وافي	٧٣/٥	١٧٤	١٣١
لوحة الكاتسات لمت	-	٧٣/٦	١٧٥	٢
لوحة «الصيادون» للفنان المصرى حسنى البنانى	-	٧٣/٧	١٧٦	٢
الحافظ عثمان الموصلى ، الموسيقار المشهور	جمال الدين الالوسي	٧٣/٨	١٧٧	٢
نحو الافق الأزرق للفنان المغربى محمد السرغينى	-	٧٣/٩	١٧٨	٢
الكوميديا فى مسرحنا العربي	نعمان عاشور	٧٣/٩	١٧٨	١٦٦
لوحة منائر وقبب للرسام العراقي محمد علي شاكر	-	٧٣/١٠	١٧٩	٢
لوحة البائس للفنان السعودى احمد فلمبان	-	٧٣/١١	١٨٠	٢
لوحة بائعة الورود للرسام اليمنى هاشم على عبد الله	-	٧٣/١٢	١٨١	٢

وكلاء سانيو لديهم أفضل المنتجات للجميع ... وتلفزيون لك شخصياً

هنالك عشرات المنتجات المفضلة للعائلة ، بما في ذلك التلفزيون العائلي. أما أنت شخصياً ، فباستطاعتك مشاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك الاستمتاع بالأوقات والأماكن التي تريد أن تنفرد فيها . فهنالك التلفزيون الشخصي الذي بإمكانك نقله إلى غرفتك أو إلى أي مكان آخر وفي أثناء رحلاتك الممتعة.
إنه التلفزيون المصنوع خصيصاً لك .



14 T402

تلفزيون موحد الدوائر قياس ١٤ بوصة / بالتيار العادي / البطارية
شاشته واسعة لتشاهده العائلة بأسرها ، جميع دوائره موحدة وتتكون من ٢٨ ترانزستور . الصورة واضحة وناصعة ، يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية ، للاستمتاع بمشاهدة التلفزيون في « أي مكان » متوفر باللون الاحمر أو الابيض .

10 T152

تلفزيون نقال قياس ١٠ بوصات بالتيار العادي / البطارية .
التلفزيون المثالي لرحلاتكم ، جميع دوائره موحدة Solid State وشاشة مظللة تمنع توهج الشمس عند مشاهدته في الهواء الطلق . مزود بروافع منزلقة للتحكم ويعمل بالتيار العادي أو بالبطارية . متوفر باللون الأحمر أو الأصفر أو الأبيض .





12 T 220

تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State
يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة . يتوفر اختيارياً بالموفق للسيارة أو للقارب . شاشته تمنع التوهج ومجهزة بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC" . يتوفر في صندوق جذاب باللون الاحمر أو الأسود .





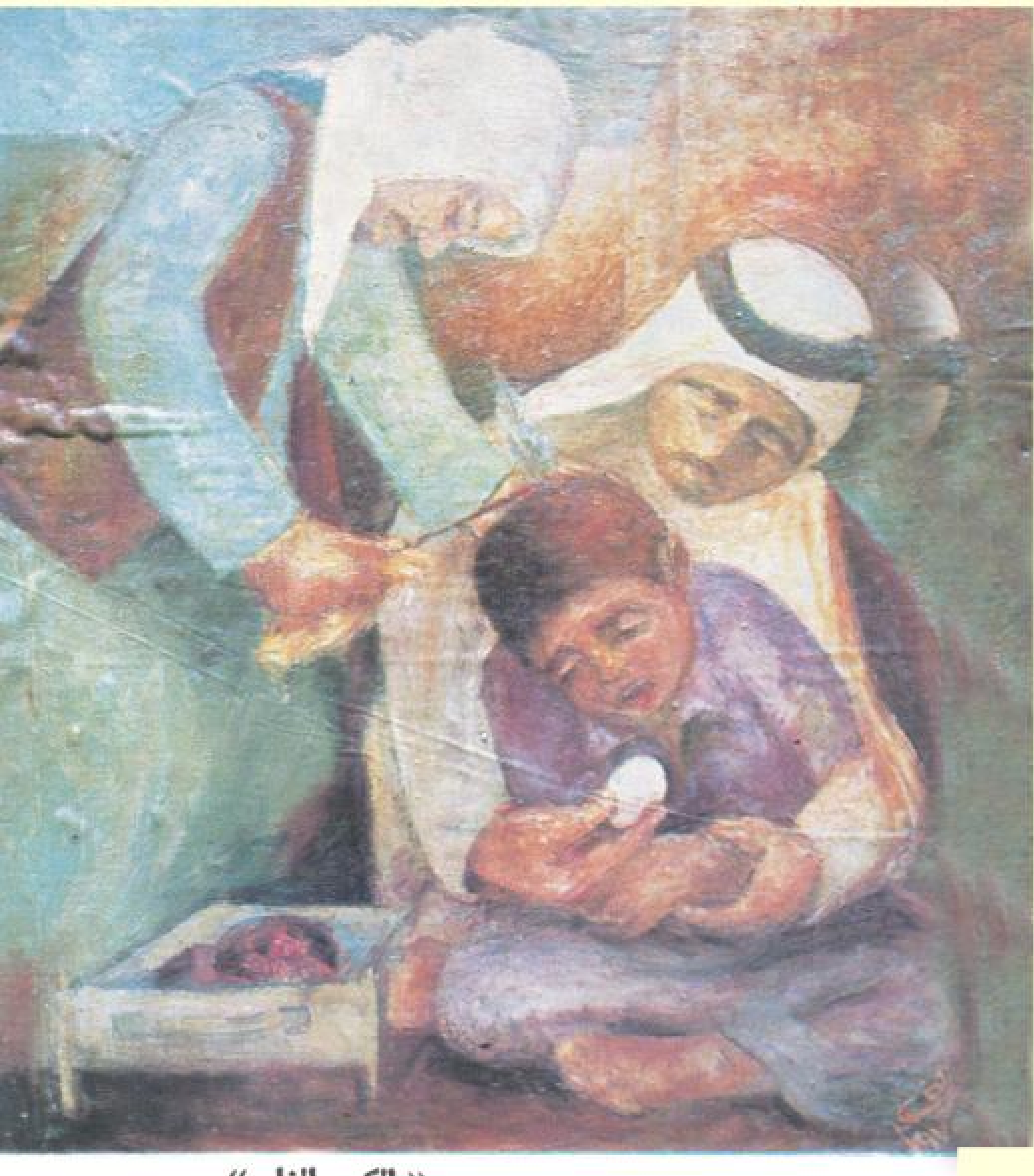
العدد ١٨٣
المحرم ١٣٩٤
فبراير
(شباط) ١٩٧٤

باحثة كويتية فى النبات تجرى بحثا فى تكاثر النباتات الصحراوية .

جوائز ١٢٠٠ دينار سنوياً

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	١ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢ ريال	ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



« الكى بالنار »

لوحة زيتية للرسام جاسم محمد الزينى
من دولة قطر

من سلسلة لوحات
الفنانين العرب



هنري سيمونيه

عزيزي القارئ

النفط
ما تقول اوروبا فيه

● اقدم لك فى هذه المجالة السيد هنرى سيمونيه ، وزير الشئون الاقتصادية السابق فى بلجيكا ، وهو اليوم نائب رئيس اللجنة الأوروبية لشئون الطاقة ، وأقدم ما يقوله عن النفط ودوله المنتجة والمستهلكة فى ضائقة الطاقة الحاضرة . قال :

انها ثورة رضيناها او لم نرضها . ان الدول المنتجة للنفط قد هبت تفك عن نفسها قيودا اقتصادية قيدناها بها ، واستردت حريتها فى تشكيل مقدراتها . ان الحظر الذى فرضته هذه الدول على الزيت ، لو رُفع ، لما عادت الأمور الى ما كانت عليه . انه مضى علينا سنوات مارسنا فيها الجشع والطمع ، كان هدفنا فيها الحصول على النفط ، نستهلك منه اكثر مقدار ، وذلك بابخس الأثمان . واليوم تأبى الدول المنتجة ان تشارك فى لعبتنا هذه . واذن ، الى جانب مسألة حظر النفط ، تقف مسألة اسعار النفط . والحل الواحد لا يكون الا بسياسة تعاونية عالمية وتغيير فى سياستنا ، نحن المستهلكين ، تجاه هذه الدول المنتجة .

ان شركات النفط كسبت الأموال الكثيرة ، وأسقطت حكومات ، واقامت حكومات ، واستغلت احتكارها للنفط اوسع استغلال . ومع هذا لا ننسى ان نقول انها امتعت الدنيا بنفط رخيص . والآن قد مضى هذا العصر ، وانطوى ، وجاء الأوان الذى لا بد ان نراجع فيه علاقاتنا بهذه الشركات .

(عن مجلة تيم الأمريكية)

المحرر

حديث الشهر

الانفتاح على

بقلم رئيس التحرير

عدو يطاول ويماطل

● مضى عيد الميلاد ، وعيد راس السنة الميلادية ونعم الكثير من اهل الارض بهما . وما كادت تنتهي بهما اعياد المسيحيين حتى اتصل بهما عيد المسلمين ، فذلك عيد الاضحى . وفى العام القادم ، عام ١٩٧٥ ، سوف يتقدم عيد الحجيج ليلتقي بعيد الميلاد فيكادا يقعان فى يوم او ايام من الزمان واحدة .

حج هذا العام بلغ رقما عاليا

والذى يتابع احداث هذه الدنيا فى مظاهرها الكبرى ، لا يفوته ان حج هذا العام كان اكثر زحاما من كثير من سنوات حج سبقت ، فلقد سمعت من اذاعة السعودية ان حجيج هذا العام بلغ مليونا ومائتي الف من الناس . ولست اذكر بالدقة كم كان عدد من حجوا فى اعوام سبقت ، ولكن خيل الي عند سماع هذا الرقم انه رقم قياسي فى عدد الحجيج او انه يكاد يكون .

والذى يتابع احداث هذه الدنيا فى مظاهرها الكبرى لا يفوته ان يجمع بين هذا الحدث وبين احداث تتصل به اخرى .

الدنيا ضرورة

بين :

أهل الأوطان
وأهل الأديان
وأهل الألوان

لا تنفع معه إلا حرب استنزاف

ومؤتمر قمة اسلامي

من ذلك دعوة رئيس وزراء باكستان الى مؤتمر قمة اسلامي يعقد فى فبراير ١٩٧٤ ، وانه استجاب الى حضور هذا المؤتمر العاهل العربي الاسلامي، فيصل ابن عبد العزيز ، واستجاب اليه غيره من رؤساء دول عربية اسلامية اخرى ، الى جانب من سوف يحضرونه من امم اسلامية لا تعرف من العروبة الا تنصرتها للعرب .

وبعثة عربية اسلامية مسيحية تزور الفاتيكان

وحدث آخر على المستوى العالمي: رحلة الرئيس النميرى ، والامبراطور هيلاسيلاسي ، وجيمس جرين نائب رئيس جمهورية ليبريا وفون موانجا وزير خارجية زامبيا وكلهم من افريقية، رحلتهم الى قداسة بابا الكاثوليك فى روما ، وحثهم اياه على الدعوة الى تحرير القدس الشريف مما هو فيه . وقد تضمنت هذه البعثة الى الفاتيكان، رئيسا عربيا كبيرا ، ومسلما . وما الفاتيكان





الامبراطور هيلاسلاسي .. المسيحي ، ذهب مع الرئيس النميرى ، المسلم ، وآخرون افريقيون ، الى روما ، يقابلون البابا في أمر القدس وتخليصها مما هي فيه .

الامستقر زعيم هو اكبر زعماء المسيحية في هذه الدنيا الحاضرة .

وفي هذا الحدث امتزاج آخر بين العروبة والاسلام ، تضاف اليهما المسيحية .

وتوج هذا الامتزاج فيما يتصل بالمسيحية من جانب، وبالعروبة والاسلام من جانب ، دعوة قداسة البابا الى رد ما انتزع من العرب من المدينة المقدسة اليهم ، ورد ارزاقهم فيها . وهؤلاء العرب في القدس قلة مسيحية ، وكثرة مسلمة .

كل هذه مؤشرات ظهرت على هامش الصورة العامة لحدث هذه الايام الأكبر، حدث حرب المصير ، بين العرب واسرائيل ، حرب السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ .

ورئيس مصر يعين مسيحيا مصريا قائدا للجيش المصرى الثاني

مؤشر آخر ، وقع في مصر ، ظهر لغير المصريين اكثر مما ظهر للمصريين انفسهم، ذلك تعيين مصرى مسيحي قائدا للجيش الثاني ، ذلك الجيش الذى أبلى بلاء حسنا في الحرب الحاضرة ، حرب السادس من اكتوبر .

انه عند المصريين ، قائد مصرى حل محل قائد مصرى ، ولكن عند بعض الشعوب التي تحتل الطائفية بها مكانا ، قائد مسيحي حل محل قائد مسلم . كل يفهم الصورة بما يستمد لفهمها من عصارة نفسه .

تحول كبير حميد ، بدأ صغيرا ، وسوف يستفحل

بعض الناس ينظر الى هذه المؤشرات، مما ذكرنا ، والى غيرها ، مما لم نذكر ، فلا يعطيها من وعيه الا اللفتة العابرة .

وبعض آخر من الناس ، ينظر الى هذه المؤشرات ، فيرى فيها تحولا كبيرا ، قد بدأ اليوم صغيرا ، وقد يستفحل غدا .

وهذا التحول الذى أعنيه هو تفتح هذه النوافذ الثلاث بعضها على بعض : العروبة ، والاسلام ، والمسيحية .

وأكاد اضيف ، وانا اذكر افريقية ،

كتب ، ترسم للناس فى العيش خطط الحياة ، وترسم لهم فى السياسة خطط النجاة، وقد يجوز ما تقول به هذه الكتب سنة كتابتها ، وتظل تطبع منها الطبعة الثانية ، فالثالثة ، فالعاشرة ، على مر السنين . ولكن السنين تتحول بالتقادم، وهذه الكتب لا تتحول ولا تتغير . وتصبح من المحنطات فى زمن قد تجدّد، وتجددت سياسته، او تجدد مجتمعه، او تجددت، وبفكر جديد ، اجياله .

وفى ظل هذه المؤشرات الجديدة ،

وفى ظل هذه النبوءات المحمولة عليها،

هل يجوز ان يعاد النظر فى معنى « العروبة » من جديد ، ذلك المعنى الذى تفقه فيه كتاب العرب ، بالمشرق العربي، دون اخوان لهم فى المغرب العربي ، اولئك الذين اكتفوا بأن « العروبة هي الاسلام »، وان « الاسلام هو العروبة » . ان يعاد النظر ليعطي العروبة معنى اكبر ، وآفاقا اوسع ، واسلحة فى معارك هذه الدنيا امضى واقطع .

الانفتاح على الدنيا

لقد انتشرت فى الصحف العربية دعوة خلتها جديدة ، وخلت انها هي ايضا انما جاءت مع حرب المصير ، حرب السادس من اكتوبر ، تلك دعوة الانفتاح على الدنيا، الانفتاح سياسيا ، والانفتاح اجتماعيا ، والانفتاح اقتصاديا وتجاريا . وليس كالحرب خالقةً فكر ، وليس كالحروب قالبةً اوضاع . والحرب العالمية الأولى، حرب عام ١٩١٤ ، ان تكن قد غيرت اوضاع الدنيا عشر مرات ، فقد جاءت الحرب العالمية الثانية ، فغيرت اوضاع الدنيا مائة مرة .

لا بد من فتح مغاليق اذهاننا

ونحن ، فى حربنا هذه الصغيرة ، يجب ان نفتح مغاليق اذهاننا ، لتسمع الى ما تلقيه علينا هذه الحرب من دروس،



ودعا البابا الى رد ما انتزع من العرب ، من المدينة المقدسة اليهم ، ورد أرزاقهم فيها .

افريقية اليوم ، انفتاح سواد الناس على بياضهم، وانفتاح بياضهم على سوادهم . وكيف لا ؟ وقد جمع البياض بين العربي والمسلم والمسيحي ، وقد جمع السواد كذلك بين العربي والمسلم والمسيحي ، فى كل من افريقية وآسية .

ويزيد فى صدق هذه المؤشرات ، وصدق ما تحمله اياها من نبوءات ، ان انفتاح هذه النوافذ ، بعض على بعض ، انما هو صورة من بعض وقائع هذه الحياة الحاضرة . صورة من بعض ما يجرى بين الناس عند التقائهم ، فى الطرقات ، وفى بيوتهم ، وفى الأسواق عندما يكون بيع ويكون شراء، وفى التعليم وفى القضاء ، وفى كل مسيرة من مسيرات الحياة .

هذا بين الناس فرادى ولكنه كذلك بين الأمم ، واطلب مثلا عاجلا ، فتسرع الى ذاكرتي الكويت ، وهي تعين السنغال من وفرها ، والسنغال مسلم افريقي ، وما هو بالبلد العربي ، وهى كذلك تمديد المعونة لآخرين .

وتسد هذه النوافذ فيما نقرأ من

لا سيما وهي حرب فناء ، او افناء . حـرب يمشي العربي بعدها ، او بعـد تكرارها ، مرفوع الراس مكرما ، له ارادته وله اهدافه وغاياته ، او يمشي منكس الراس من ذلة لا يكاد يرى من السماء وزرقة السماء شيئا .



اللواء فؤاد عزيز غالى
عينته مصر المسلمة ، وهو المسيحى
قائدا لجيشها الثانى

ومما تلقيه علينا هذه الحرب مـن دروس ، ان نبدأ ، ونحن نبني من بعد حرب ، بأن نتشكك فى كل شيء . وما اقصد بالشك الشك الهادم، وانما اقصد بالشك ، الشك البناء . بالتريث بالفكر عند كل امر ، قديم او جديد ، لنضعه فى المكانة اللائقة به فى بناء حياتنا . او نضعه فى القمامات،وما عرفت حياة ليس لها قمامة . ان لحياة البيت قمامة . وان لحياة الفكر قمامة . وللعادات قمامة . وكل ما تقادم عنه الزمان وخلّفه وراءه فهو قمامة . ولكن ما كل قديم بقمامة .

ولا بد من الخروج من قواقعنا

ومما تشير به الحرب الحاضرة ، الخروج من قواقعنا .

كل ما فيه معنى الحبس نكسر ابوابه. ونقيّم الأشياء بجواهرها ولا نخـدع بالمظاهر .

ولقد ذكرت العروبة آنفا ، وهي شيء غال .

ولقد ذكرت الاسلام ، وهو شيء غال عظيم .

وذكرت المسيحية وهي دين جاء من عندالله ، جاء به رسول هو عند المسلمين كريم .

فالانفتاح الذي ندعو اليه يجب ان يشمل هذه الثلاثة معا ، لا يفرق بينها .

اذا دعا المسلم بالخير للاسـلام والمسلمين ، لا ينسى أن يدعو بالخير للمسيحيين ، فالمسيحية جاء بها رسول، والمسيحيون عباد من عباد الله .

واذا دعا المسيحي للمسيحية والمسيحيين ، لا ينسى أن يدعو للاسلام والمسلمين .

واذا دعا العربي للعروبة ، فلا ينسى ان يدعو لغير العربي ممن يعطف على عروبة او اسلام .

الحضارة الحاضرة وحدت وسائل العيش بين صنوف البشر

ان الحياة الحاضرة وحدت وسائلها

بين من يحياها ، كان هذا عربيا ، او كان مسلما ، او كان مسيحيا ، او حتى كان هندوسيا او بوذيا . متناشط فى احياء المدينة واحدة ، وواجبات وحقوق فى مرافق المدينة واحدة . وتدخل المطعم فلا تكاد تدرى ، لولا صفة فى الوجه ، من هو المسلم ، ومن هو المسيحي ، ومن هو العربي . ان انماط الحياة واحدة ، او متشابهة ، وعلى كل حال هي غير متناكرة .

والخير هو غاية المؤمن ، واحسبه هو غاية المثقف حتى من غير المؤمنين .

والشر يعافه المؤمنون بحكم الطبع ، ويعافه غير المؤمنين .

ومن المدن فى اوروبا ما جمع بين اشتات من الناس،جمعت بينهم الحضارة الحاضرة ، فساروا فى الحياة فى هذه المدن ، لا تكاد تدرى ايها من أى .

شىء واحد يختلف فيه هؤلاء الناس : تلك العقيدة ، وما يتبعها من عبادة . وليست السوق موضع عبادة ، وليست مرافق الحياة .

فاهل الاديان ، واهل الاوطان ، واهل الالوان ، قد يجتمعون اليوم ، على الحضارة الحاضرة ، فى بلد واحد كل يؤدى واجبه ، يطلب الخير ، ويتجنب الشر ، ويصدع بالذى يؤمن ولا يجد من يعترض او يؤنب،ومع هذا هو يختار من الوان الحياة ، من ماكل ومشرب وملبس ومسكن ، ومستراح ، ومعاملة ما حضر من ذلك فى المدينة . ومنه يختار سائر الناس .

ان الحروب بين اهل الدنيا قائمة قائمة ما دامت هناك خصومات قائمة بين وطن ووطن ، وقوم وقوم ، ودين ودين ، ولون ولون .

واعلم ان المحبة العامة بين الناس ، ان جاز انها تكون ، سوف يستغرق مجيئها القرون .

ولهذا يكفينا ، نحن العرب من المحيط الى الخليج ، أن ننفتح على أهل القربى القريبين ، من مسلمين ومسيحيين ،من عرب وغير عرب ، متعاطفين ، وكذلك مع المتعاطفين الآخرين ممن فاتهم أن يكون لهم مثل الاسلام والمسيحية دين،ويجمع بيننا ، فى رقعتنا هذه الواسعة ، الممتدة على قارتين ، نوع من الوحدة الانسانية المتواضعة ، فيها حرية الأمم مكفولة ، ومكفولة لها العقيدة ، ومكفولة لها الكرامة . وبالتعاون نخلع اردية التخلف ونسير فى قافلة البشر الى حيث تقذف بالبشر الأقدار .

ثم الى حديث الحرب هذه القائمة

واترك حديث عيد الميلاد وحديث عيد الاضحى ، لأبدأ فى حديث لا يمكن أن يخلو منه حديث شهر فى هذه الايام ، وذلك هو حديث الحرب القائمة بيننا وبين اسرائيل .

لقد كاد عيد الميلاد وعيد الأضحي ان يجمدا كل نشاط فى مجال العمل للسلم، فى مؤتمر جنيف ، او حتى خارج هذا المؤتمر ، ولم يأتنا من الاخبار الا خبر المناوشات بيننا وبين الاعداء على سائر الجبهات ، وتعددت وتكاثرت حتى خلنا ان خط وقف النار تحطم أو كاد .

مفاوضة اسرائيل مطاولة ارادها العدو ، ومماطلة

وتمت الانتخابات فى اسرائيل ،وخرجت النتائج فلم تؤثر كثيرا على اوضاع الاحزاب فى بلاد العدو ، وخلنا بعد ذلك أن سوف يكون التفاوض تحت علم هيئة الامم انشط مما كان،ولكن مضت الامور بطيئة . فهكذا اراد لها العدو ان تكون بطيئة ، وهكذا هو سوف يريد . انه لا يريد للامور استعجالا ، وما أراد . . ان أسعد ايامه هى تلك التى وصفوها بأنها ليست بأيام حرب ولا بأيام سلم . ففى تلك الايام ، مع السكون القائم الا ما



تحرك به هو من مشاغبات قصد الارهاب، في تلك الأيام كان يقوم العدو، في كثير من الاطمئنان، باستكمال خططه في الاراضي العربية المحتلة، من هدم دور، واستيلاء على ارض، وتعمير طرق، واقامة بناء، ومن كل ما لا بد ان يفعله المستعمر من اجل الاستقرار في الأرض الجديدة التي احتلها. حتى سيناء، خطط العدو لها، ودرس طريق تزويدها بالماء، فكان الماء من ماء النيل يأتي الى سيناء من أنابيب تجري من تحت القناة، قناة السويس. كان في حسبان العدو اذن أن تكون سيناء خالصة له، وان يكون له ماء النيل، وما يتبع ماء النيل من ارض وبشر.

وجاءت حرب السادس من اكتوبر فخيبت آماله. ضاع التخطيط، وضاعت الأرض، وضاع الماء، وضاع الزرع والضرع والبناء.

ولكنها عادة في العدو قديمة معروفة: الصبر، ومع الصبر المراوغة. ثم الصفاقة وهي كسب عظيم. فهذه الصفاقة جعلت العدو لا يبالي ان لا يؤازره الرأي العالمي. انه يحتقر الرأي العالمي، ويحتقر امم، ويحتقر هيئة امم.

ومن أجل هذا كانت مطاولة العدو ومماطلته في مؤتمر جنيف.

وهو يطاول لانه يعتقد انه في مازق سوف ينفرج عن قريب.

وهو يتعلق لانفراج مازقه بأمل ان يتغير الرأي العام العالمي، على الأقل الأوروبي، بسبب ما يعاني من أزمة الطاقة، تلك التي سببها الحد من انتاج النفط.

وهو يتعلق لانفراج مازقه بامل ان تنفك الوحدة القائمة بين الدول العربية، تلك التي شدت الحرب رباطها عندما اندلعت.

وامل ثالث يتعلق به الأعداء، ذلك ان يتقدموا على مائدة الصلح بمقترحات تختص بالانسحاب من الأراضي العربية يتراءى كان فيها ما يرضى بعض المحاربين من العرب دون بعض. واذن يكون هذا اسفينا يدق بين الدولتين، او الدول الثلاث، او ان شئت فالأربع.

على كل حال سوف تكشف الأيام القريبة عما يكون على موائد ذلك المؤتمر من مفاوضات ومفاجآت.

اذا اعتمدنا على المنطق وحده في استخراج النتائج

على أن من يعتمد على المنطق، والمنطق وحده، في استخراج النتائج من اسبابها، يستطيع ان يقول مع كثير من الاطمئنان ان اسرائيل ما ارادت بالأمس، وما تريد اليوم، ان تخرج من الأراضي التي احتلتها بالقوة، الا اذا استبقت باسم الأمن نصيب الأسد منها.

يدل على هذا ما تنطق به رئيسة وزرائهم، وما ينطق به الوزراء.

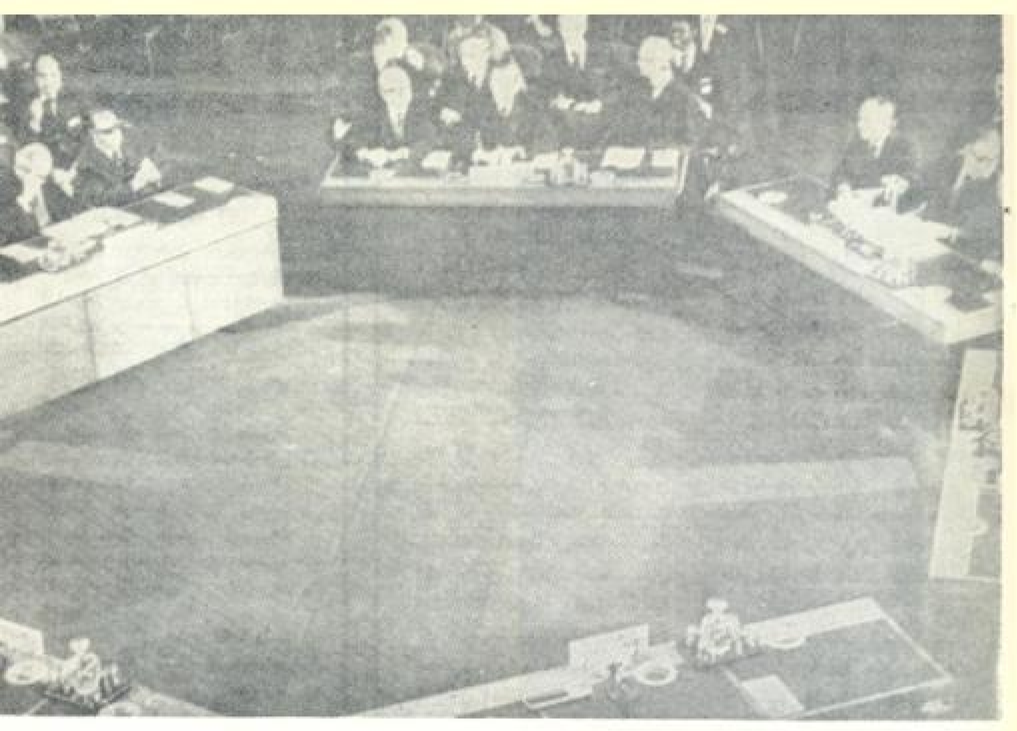
ويدل على هذا رفضهم لقرار مجلس الأمن الأخير في اكتوبر الماضي الذي يقضي بتطبيق قرار نوفمبر عام ١٩٦٧ رقم ٢٤٢، ذلك الذي يقول بترك اسرائيل كل ما احتلته من أرض العرب.

ويدل على هذا رفضهم أن تكون المفاوضة بينهم وبين العرب في رعاية الأمم المتحدة، لأن هذا معناه قبول قرار مجلس امنها، وخروجها عن أرض العرب وفق ذلك القرار، قرار نوفمبر عام ١٩٦٧.

وتشبث العرب بان لا تكون مفاوضة الا في ظل هيئة الأمم.

ورأت امريكا، ورأى الروس، حلا لهذا الخلاف، ان يترأس الجلسة الاولى لمؤتمر المفاوضات بجنيف سكرتير الأمم المتحدة. وتركت الصفة التي يترأس بها هذه الجلسة غامضة: هل هي صفة شخصية؟ ام هي بصفته سكرتير الهيئة؟

ترك الأمر للعدو يقول فيه ما يقول.



من اجل هذا كانت مطاولة العدو ومماطلته فى مؤتمر جنيف .

وترك الأمر للعــرب يقولون فيه ما يقولون .

وارادت اوروبا ان تشترك فى هــذه المفاوضات ، ولا سيما فرنسا وانجلترا ، ورفض الأعداء . اولا لان دول اوروبا فى مجلس الأمن اداناوهم . وثانيا : لأن هذه المفاوضات ستجرى فى الظلام ، لا يحضرها من الدول الكبرى غير الولايات المتحـدة وغير الروس ، والعدو يريد ان يلعب فى هذا الظلام الالاعيب ، وهو لا يبالى ان يحضر الاعيبه الولايات المتحـدة او الروس ، لأنهما ملتزمتان . اما ان يكون فى الصالة فرنسى يناقشهم او انجليزى يحاورهم ، فاهون من هذا الخروج من القاعة . القاعة لا بد ان تكون دافئة ، وهى عندهم ، على عكس ما يفهم الناس من الدفء ، هى ادفا ، فى الظلام ، ومع قلة الحاضرين .

جبهات وقف اطلاق النار احترت ، حتى كادت أن تشتعل

أقول مضــت فترة الاعيــاد ، من مسيحية واسلامية، والاخبار فيها قليلة، الا أخبار المناوشات . وهى مناوشــات استخــدم فيها الجانبــان ، العربى والاسرائيلى، الأسلحة الخفيفة والاسلحة الثقيلة معا ، وتعددت مخالفات وقــف اطلاق النار حتى بلغت فى الأيام الثلاثين والاربعين فى اليوم الواحد .

اذن فما كانت هذه مناوشات فحسب .

والذى نلاحظه أنها مناوشات بداها المصريون على الجبهة الغربية ، وبداها الــسوريون ، على الجبهات الشرقية ، ولم يبداها العدو . فالعــدو كان على العموم يفضل الابقاء على هدوء الجبهات لحاجات فى نفســه .

والذى نلاحظه كذلك ان الشكوى من

هذه المخالفات خرجت من العـدو ولم تخرج من العرب .

والحق الذى نعرفه ان العرب يناوشون لانهم يريدون أن تظل الجبهات ساخنة ، ويخشـــون ان ينالها البرد ، فيتعسر اشعالها مرة أخرى .

انهم رضوا بوقف اطلاق النار لا عن رضى نفس ، ولكن عن ضرورة قاهــرة . والضرورات لا يكشف أمرها والحروب قائمة .

ان العرب يؤمنون بان العدو لا يريد سلاما ، وهم انما رضوا ، او رضى منهم حضور مؤتمر السلم من رضي ، بسبب الموقف الحرج ، وللمواقف احراج بئس هو من احراج . أو لعلهم رضوا حضور المؤتمر رجاء أن يتسع الزمن بهم فيقوموا برقع ما ربما كان قد انخرق .

ان العرب جميعا يؤمنون انه لا سلام الا بحرب ، وان خير قاعات المفاوضات هى ميادين القتال .

والعرب الذين رضوا حضور أحاديث السلم يؤمنون كذلك انه لا ســـلام الا بحرب .

ومن اجل هذا ظل الطرفان العربيان، من حضر حديث صلح ومن لم يحضر ، ينفخان فى مواقدهم على جبهات القتال حتى لا يخبو ضرامها .

وعندى ، انى لو سمعت أن الحرب استؤنفت من جديد ، غدا او بعد غد ، ما راعنى هذا الخبر .

لو قامت الحرب ..

ان الحرب اذا استؤنفت ، ما استطاع احد ان يقول على اى أسلوب تكون . اننا نترك هذا بالطبع للقادة والعارفين بفنون الحرب ، ولسنا منهم . ولكنا نستطيع أن نقول ، بعلمنا المحـــدود فى هـذه الشئون ، أن العدو جاءه من الولايات من أدوات الحرب أحدثها ، ومن اعدادها المئات والالاف . ونعلم أيضا أن الولايات المتحدة تعطى اسرائيل ما تشاء من سلاح دفاع او سلاح هجوم .

وغير ذلك ، روسيا ، فهى تعطى الكثير



ديان
الثعلب الكبير
يخطط مع اصحابه ، وينصب للعرب الأحابيل

من السلاح للعرب ، ولكن للدفاع لا للهجوم .

وفى حرب اكتوبر لم يذهب المصريون مثلا فى سيناء الى اعمق مما وصلوا ، وكان ذلك نحو الخمسة عشر كيلومترا أو تزيد . وهم وقفوا عند هذا الحد (كما سمعنا ، وبعض الخطأ ما يسمع الناس) لانه وجب عليهم ان يبقوا فى حماية الصواريخ المقامة على ضفاف القناة فلا يبتعدوا عنها كثيرا .

فلو أن الحرب قامت ، وقام معها هذا الوجوب ، وصمدت قواتنا فى ظلال الصواريخ الحامية ، سواء كان هذا فى سيناء أو فى الجولان ، اذن لأصبحت الحرب حرب استنزاف ، لا حرب كرّ وفر .

وهذا يكفى ..

فليس اقسى على العدو ، ولا افتّ فى فواه ، من حرب استنزاف .

ففى حرب الاستنزاف يقتل العرب من العدو من يقتلون . ويقتل منهم .

ولكن قتلى العدو تكون افتك به من قتلى العرب .

وذلك لأن قتلى العدو ، اذا نسبت الى سكانه ، أنتجت نسبة اكبر كثيرا من نسبة قتلى العرب الى سكان العرب .

ولكن اهم من ذلك ما يصيب اقتصاد اسرائيل من خراب . فالمعروف المشهور اليوم أن جيشهم انما يتالف من عمال مصانعهم ، وزراع اراضيهم ، ويجندون فيخرج الرجال من المصانع والمزارع ، ويخرج حتى النساء الى المجزرة العامة ، مجزرة ميادين الحروب .

وهم حتى اذا بقوا هناك ، فى هذه الميادين ، فلم يمت منهم أحد ، لكفى هذا الحال لتخريب مصانعهم ومزارعهم ، والنزول باقتصادهم الى المراتب الدنيا ، ولا ننسى ان الحرب لا تقوم الا على اقتصاد مزدهر .

وكلما طالت حرب الاستنزاف طال خراب الأعداء .

ونخسر ويخسرون ، ولكن هم فى آخر الأمر الأخسرون .

فصل بين القوات المصرية الاسرائيلية ، ام نزوح كامل عن سيناء والجولان ؟

من تكتيك العدو انه دائما يأبى ، ثم هو يرضى بعد الحاح صاحبته وحاضنته الولايات المتحدة ، وفى نيته من بعد الرضى ان يعود الى ابائه ، لا بأن يقول لا صريحة ، ولكن بأن يطاول ويماطل ، وكأنما فى ذلك تسانده الولايات .

ان وقف اطلاق النار ، كان العدو أول من نادى به . فلما قضى به مجلس الأمن رفضه العدو ، واحتاج الأمر الى قرار جديد من مجلس الأمن . ومع هذا ظل العدو يحاور ويداور ، واخيرا ظهر كأنما تم وقف اطلاق النار حقا ، وذلك بعد أن نال العدو من غرب القنال فى ظل وقف النار ، ما نال .

وفى المفاصلة بين قوة مصر وقوة العدو غرب القنال ، استغرق الوسطاء زمنا ليأتوا بالعدو الى خيمة المفاصلة ، خيمة عند الكيلو ١٠١ فى طريق السويس ـ القاهرة ، ورضى العدو بالمفاوضة تحت رئاسة قوة الطوارىء الدولية . ويمر اليوم بعد اليوم ، والأسبوع بعد الأسبوع ، ثم لا يكون للمفاوضة انتهاء . وتنتقل المفاوضة من خيمة الصحراء الى قصر منيف ، وهو قصر جنيف . تغيّر الجو ، وبقى جو المفاوضة جو صحراء . انها خطة العدو ، هو راسمها من ساعة دخل رجاله تلك الخيمة لاول مرة .

ويقول الناس ، خارج الخيمة ، ويقول



الناس خارج القصر المنيف : ان هذا اللقاء ، بين العرب وبين الأعداء ، انما قام لفصل جانب من جند عربى ، عن جانب من جند اسرائيلى،فى جانب صغير من ميدان للحرب عظيم . فكيف ومتى يكون اللقاء للهدف الأكبر ، والأخطر ، والاسمى ، تلك المفاصلة بين العدو جملة ، والدول العربية جملة ، لوضعهم حيث كانوا من الارض قبل الخامس من يونيه (حزيران) عام ١٩٦٧ ؟

واسمع ، وانا اخط هذه الأسطر ، خبرا : ان « كيسنجر » ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، سوف يزور مصر على عجل ، ويزور اسرائيل ، ليناقش فى مشروع انسحاب صنعه « ديان » وزير دفاع العدو . ولخصت جريدة «الاهرام» مشروع هذا الانسحاب فاذا به يقضى بخروج جيش العدو ، من غرب القناة ، الى شرقها ، وان يتركز عند ممرات سيناء ، ومنها ممر متلا . وانه فى مقابل ذلك تسحب من جيوش مصر ، شرق القنال ، كل الأسلحة الكبيرة ، وان تقوم مصر بتهيئة القناة للملاحة الدولية ، ومنها الملاحة الاسرائيلية، وان تقوم مصر بتعمير مدن القناة التى خربتها الحرب.

وسائر سيناء ؟ لم نسمع عنه شيئا .

والجولان ؟ لم نسمع عنه شيئا .

وحقوق فلسطين ؟ لم نسمع عنها شيئا .

مشروع يتفق تماما ، ان صح ، مع ما نتصور ان يخططه العدو . اول ما فيه رفض الانسحاب الكامل . وان قيل لنا ان العدو انما يسوف ، رفضنا ان نصدق . وهو مشروع فيه قص جناح الجيش المصرى،واجنحة الطير اذا قصت تحتاج الى وقت طويل لتعود الى طولها. ولن يؤذن للجيش الذى قصت اجنحته ان تطول. وفتح القناة فيه ارضاء اوروبا، واذن فهى سوف تعارض بعد فتح القناة قيام مصر بأى حرب جديدة نتيجة رفض العدو انسحابه الكامل ، فنحن بذلك نخسر اوروبا ونخسر عطفها . والعطف هنا هو دائما عطف مصالح . وتضمين المشروع تعمير المدن المصرية على ضفة القناة شىء غريب . ماذا يهم العدو من تعمير هذه المدن ، الا أن يكون هناك سهم ما فى جعبته ينذر به . ذلك العود الى تخريب هذه المدن من بعد تعمير . وما أيسر تخريبها من بعد تعمير ، لو اننا استجبنا لمطلب العدو باضعاف جيوش مصر فى شرق القناة او غربها .

هذا الى ما فى هذا المشروع من هدف لا يخفى على الغبى ، ذلك تفتيت الوحدة العربية القائمة اليوم .

على كل حال، غدا يأتى وزير خارجية الولايات ، كيسنجر ، الى مصر ، ليلتقى برئيسها والزعماء ، فلننتظر ما يكون . وان غدا لناظره قريب .

مراودة نفس

شىء واحد تراودنى النفس على ان اقوله :

ذلك ان المفاوضة تجرى بين العرب واسرائيل، والمفروض انها تجرى فى ظلال هيئة الامم المتحدة . ولكنى لا ارى فى تلك اللقاءات ، للامم المتحدة ظلالا . حتى امين هذه الهيئة اختفى واختفى اعوانه.

وان قيل لنا ان المفاوضة انما تجرى تحت مظلتين ، مظلة امريكية ، واخرى روسية ، قلنا انا لا نرى من المظلتين الا مظلة امريكا ، هى وحدها المفتوحة ، اما الروس فقد طووا مظلتهم بعد الجلسة الأولى من مؤتمر جنيف . ●●

١٩٧٤/١/٨ — **احمد زكى**

نتيجة مسابقة العدد ١٨١

كتُب .. وأدُباء .. وجوائز

اشتملت مسابقة العدد ١٨١ على ٢٠ سؤالا ، أجوبتها الصحيحة كالآتى :

الكتاب	المؤلف	الكتاب	المؤلف
١ ـ الحرب والسلام :	تولستوى	١١ـ الدكتور زيفاكو :	باسترناك
٢ ـ قصة مدينتين :	شارلز ديكنز	١٢ـ الشيخ والبحر :	ارنست همنجواى
٣ ـ الاجنحة المتكسرة :	جبران خليل جبران	١٣ـ سارة :	عباس محمود العقاد
٤ ـ آلام فرتر :	جوته	١٤ـ تاييس :	اناتول فرانس
٥ ـ نداء المجهول :	محمود تيمور	١٥ـ الجريمة والعقاب :	دستويفسكى
٦ ـ الأرض الطيبة :	نجيب محفوظ	١٦ـ دعاء الكروان :	طه حسين
٧ ـ بداية ونهاية	اميلى برونتى	١٧ـ البؤساء :	فيكتور هيجو
٨ ـ مرتفعات وذرنج :	بيرل بك	١٨ـ زينب :	محمد حسين هيكل
٩ ـ عودة الروح :	توفيق الحكيم	١٩ـ الفرسان الثلاثة :	الكستدر دوماس
١٠ـ الأم :	مكسيم جوركى	٢٠ـ فتاة غسان :	جرجى زيدان

الفائزون بالمسابقة

وباجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة فازت الأسماء التالية :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :**عبد الله فتحى حنون** /كلية المعلمين/ الجامعة الاردنية/عمان .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :**فيصل امين صديق**/واد مدنى / السودان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ، فاز بها :**احمد عارف القانى** / كورنيش المزرعة/لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عوض صالح عوض** /جدة/ السعودية .
٢ ـ **فؤاد كرمان** / حلب / سورية .
٣ ـ **حميد احمد محمد ابو حميد** / شبين الكوم/ مصر .
٤ ـ **انيس عبد العزيز تاجر** / المنامة / البحرين .
٥ ـ **مصطفى محمد راشد** / كلية الآداب/بنغازى ليبيا .
٦ ـ **شاهر بدر الطريم** / الاحمدى / الكويت .
٧ ـ **قاسم رشيد العلوى** / بغداد / العراق .
٨ ـ **محمود مكتار** / لندن / انجلترا .

وسوف ترسل الجوائز لأصحابها بالبريد .



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

أنت تسأل ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 183 February 1974 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● سميرة السيد عمر واحدة من خريجات كلية العلوم بجامعة الكويت اللواتي يعملن في معهد الكويت للأبحاث العلمية . وتقوم سميرة حاليا بعمل بحث عن تكاثر النباتات الصحراوية ، كما تقوم ايضا بدراسة ميدانية عن النباتات في صحراء الكويت . وهي تعتبر واحدة من الجيل الجديد من الباحثين الكويتيين اللذين يعدهم المعهد الان .

(اقرأ الاستطلاع ابتداء من صفحة ١١٦)

ثمن العدد : الكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائري . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ــ ساحة باندونج ــ ص.ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء ــ المغرب .




مسابقة العربي

امتحن معلوماتك العامة

١٠ أسئلة و١٠٠ دينار جوائز

■ ١٤ سؤالا نمتحن فيها معلوماتك العامة ، والمطلوب منك العثور على الاجابات الصحيحة لعشرة أسئلة منها على الاقل ، لتفوز بجائزة من مجموعة الجوائز التى قيمتها مائة دينار .

وهذه هى الأسئلة ، ومع كل منها ثلاث اجابات ، واحدة منها هى الصحيحة:

١ ـ موريتانيا الدولة العربية الجديدة التى انضمت للجامعة العربية ، فارتفع بذلك عدد دول الجامعة الى :

١٤ ـ ١٨ ـ ١٩ .

٢ ـ بختنصر .. فتح فلسطين ، وامتدت حروبه الى مصر ، هذا الملك الذى عاش من عام ٦٠٥ الى ٥٦٢ قبل الميلاد ، كان ملكا فى :

فينيقية ـ سبأ ـ بابل .

٣ ـ نهر الكنغو من اشهر انهار افريقيا ، طوله ٤٦٥٠ كيلومترا ويصب مياهه فى :

المحيط الاطلسى ـ البحر المتوسط ـ بحيرة تشاد .

٤ ـ بوابة براندبرج من اشهر آثار المانيا تقع فى :

برلين ـ هامبورج ـ بون .

٥ ـ زائيرى .. اسم جديد اطلق على جمهورية افريقية مستقلة ، عدد سكانها ٢٣ مليون نسمة ، كانت تعرف قبل ذلك باسم :

ساحل العاج ـ كنغو ليوبولدفيل ـ زامبيا .

٦ ـ ما هو اسم الجائزة الشهيرة التى تمنح لنجوم السينما :

نوبل ـ أوسكار ـ بوليتزر .

٧ ـ جبل طارق .. صخرة ترتفع ١٣٩٦ قدما عن سطح البحر .. استولت عليها بريطانيا عام ١٧٠٤ وفى عام ١٩٦٦ طالبت اسبانيا بجلاء القوات البريطانية عن هذه الصخرة .. رفضت بريطانيا الانسحاب واجرت استفتاء بين اهالى جبل طارق الذين ابدوا باغلبية ساحقة بقاء بريطانيا فى هذه الصخرة التى استمدت اسمها من اسم قائد عربى شهير ، فمن هو هذا القائد ؟





٨ ـ في عام ١٩٢٢ اكتشف قبر توت عنخ آمون، وحلت اللعنة على مكتشفه، فمن هو هذا المكتشف :

اللورد هوارد هيوز ـ اللورد هوارد كارتر ـ اللورد هوارد امري ؟

٩ ـ ما هو أكبر الحيوانات حجما في العالم حتى الآن :

الديناصور ـ الفيل ـ الحوت الازرق ؟

١٠ ـ شارع في لندن اكتسب شهرته العالمية بسبب وقوع معظم دور الصحف البريطانية الشهيرة فيه ، ما اسم هذا الشارع :

داونتج ستريت ـ وول ستريت ـ فليت ستريت .

١١ ـ اول عدد من مجلة العربي صدر بتاريخ :

أول يناير ١٩٦٠ ـ أول ديسمبر ١٩٥٨ ـ أول ديسمبر ١٩٥٩ .

١٢ ـ اى هذه الحضارات سبقت الاخرى في الظهور :

حضارة الفراعنة في مصر ـ حضارة الهندوس في الهند ـ حضارة بابل في العراق ؟ .

١٣ ـ مدينة كييف الروسية ، تقع على نهر شهير طوله ٢١٤٦ كيلومترا هذا النهر هو :

نهر فولتا ـ نهر دون ـ نهر دنيبر ؟

١٤ ـ مصلح مصري توفي عام ١٩٠٨ وعمره لا يتجاوز ٤٣ عاما اشتهر بانه محرر المرأة العربية فمن هو :

محمد عبده ـ رفاعة الطهطاوي ـ قاسم أمين .

الجوائز ١٠٠ دينار

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فيذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٨٣ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مارس (آذار) ١٩٧٤ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

شـــروط المسـابقة

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■



« من سكن ديارنا ، وتكلم لغتنا وتادب ادبنا ، واعتز بعزتنا ، فهو منا »

عبد الرحمن عزام

أول أمين للجامعة العربية

يتحدث ويتذكر

*** لم يكن بالامكان انشاء جامعة عربية افضل .**

*** الجامعة التي كنت امينا لها غير الجامعة التي كنت أدعو لها**

■ بعيدا عن الاضواء يعيش اليوم في بيروت عبد الرحمن عزام ، اول أمين عام لجامعة الدول العربية ، يعيش مع نجله المستشار في الامم المتحدة .. يعاف الاحاديث الصحفية ، ويبتعد عن الخوض في الشئون السياسية .. حياة هادئة ، ولكنها مليئة بالاحداث والذكريات ..

انه اليوم في الثمانين .. وفي شبابه حكموا عليه بالاعدام مرتين ، مرة في وطنه مصر ، ومرة ثانية في ليبيا ..

ورجع « عزام » الى مصر ، وقد صقلته الاحداث والتجارب ليصبح مبشرا وداعيا الى الوحدة العربية ، في مصر والعراق وسوريا والسعودية وحتى الباكستان .. وتكريما لجهوده وجهاده العربي، عين أول أمين عام لجامعة الدول العربية الوليدة في عام ١٩٤٥ وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٥٢ .

وفي بيروت اتصلنا به هاتفيا ، وقالوا له انهم مندوبو مجلة « العربي » ، فوافق على حديث قصير سريع ..

لم يكن بالامكان عمل جامعة افضل

وذهبنا اليه في « تلة الخياط » .. وبدا عزام يتحدث ويتذكر .. أن الحديث معه متعة نادرة ، فهو يكشف خبايا تاريخنا الحديث .. ويسلط الاضواء على احداث سبقتنا ، وأحداث عاصرناها دون أن ندرى كثيرا من خفاياها .. كان في حديثه راوية .. يجيب على أسئلتنا ويتجاوزها بقصص وأحداث من عنده شائقة مثيرة خطيرة .

وبقينا معه ثلاث ساعات ..

قلنا له : « **حدثنا عن الجامعة كيف ولدت .. وفي اى ظروف وجدت .. وهل كنت راضيا عن ولادتها ؟** » .

ولم يحتج الأمر الى تفكير طويل من عزام «باشا» ليستجمع ذاكرته ، بل انطلق يتحدث بصراحة كبيرة قائلا :

ـ لم يكن بالامكان انشاء جامعة عربية افضل من تلك التي انشئت في عام ١٩٤٥ اذ يجب علينا ان نتذكر الظروف التي كانت سائدة في ذلك الوقت .. فالذين اجتمعوا ـ انذاك ـ كانوا مختلفين في كل شيء .. في الراى .. في فهم العروبة .. ومعنى العروبة .. عروبة عزام غير عروبة نورى ، وغير عروبة النقراشي والصلح .. كنا جُدُدا في هذا المضمار لا يفهم بعضنا بعضا .. المغرب كان يجهل فكرة العروبة والوحدة .. ودول الخليج العربي لم يكن لها كيان ، ولم يكن يسمع بها احد في ذلك الوقت !!

« وتحت وطأة الاحتلال البريطاني والفرنسي والايطالي كنا نبحث عن عروبتنا ، ونحاول أن نجد أنفسنا .. حتى مصر لم تعتنق الفكرة العربية الا بعد عودة سعد زغلول من المنفى عام ١٩٢٤ واعلنت تاييدها للعروبة جهارا لاول مرة عام ١٩٢٥ عندما تبرع سعد زغلول بمبلغ ٣٠٠ جنيه مصرى لتاييد ثورة سوريا ضد فرنسا ..

« وكان القوتلي والصلح يفضلان استقلال مصر قبل استقلال سوريا ، لأن مصر المستقلة يمكنها حماية ومساعدة بقية الدول العربية ..

« ان ما شغل بلادنا عن العروبة في ذلك الوقت، هو انشغالها بزحزحة المستعمر عن أكتافها ساعية نحو الاستقلال ..

« واذكر انى تحدثت مرة مع الملك فيصل الاول عن الوحدة العربية ، فرد على قائلا :

ـ صفر + صفر + صفر + صفر ، كم تساوى يا عزام؟
فقلت : ولكن ١+١+١=٣

فاجابني : عندما تصبح كل دولة عربية واحدا صحيحا ، تعال وكلمني يا عزام !

من هو العربي ؟

ويتابع عبد الرحمن عزام كلامه قائلا: «.. وهكذا



بدانا نفكر : لماذا لا نقترب من بعضنا بعضا أكثر وأكثر .. وفي عام ١٩٣١ تعاهدت مع القوتلي ورياض الصلح على العمل من اجل وحدة عربية وشيكة ..

« وفي عام ١٩٣٦ وعندما كنت سفير مصر في العراق ، كانت دعوتنا للوحدة العربية على الوجه التالي : « من سكن ديارنا وتكلم لغتنا ، وتأدب أدبنا ، واعتز بعزتنا ، فهو منا .. » .

« وعندما بدانا في الاجراءات الفعلية لانشاء الجامعة كان الجميع مترددين في دخولها ، ما عدا السوريين ، الذين اندفعوا ـ على عادتهم ـ نحو الوحدة بحماس واضح ..

« أما العراق ولبنان ، فكانا يسرفان في التمسك باستقلالهما ، ويرفضان اى سلطان للجامعة عليهما مهما خف وقعه ..معتبرين أن ذلك نوع من الاعتداء على استقلالهما .. والى السعودية سافرت ، حيث عملت على اقناع الملك عبد العزيز بفكرة الجامعة العربية والوحدة .. »

ويتابع عبد الرحمن عزام كلامه قائلا :

ـ واستمرت اجتماعاتنا في اللجنة التحضيرية لبحث مشروع انشاء الجامعة ، مدة ١٣ يوما كاملة ، وهكذا كانت عملية ولادة الجامعة عملية عسيرة جدا ، تخللتها عقابيل مهدئة ، وانتكاسات كادت تكون قاضية ، لولا ايماننا بحتمية قيام وحدة تجمع شمل العرب جميعا ..

« واذكر بهذه المناسبة أن اعلان مولد الجامعة تاخر ٤٨ يوما ، لان ميثاقها حرر من نسخة واحدة وقع عليه في القاهرة ممثلو ست دول عربية ، ما عدا الامام يحيى ، امام اليمن ، الذى اصر على ارسال الميثاق اليه في اليمن لتوقيعه ، وفعلا نقلنا اليه في اليمن نسخة الميثاق الوحيدة حيث وقعها هناك ..

سلامة الاسس

« الا أن قيام الجامعة بعد جهد جهيد ، لم يحل دون اصطدام العرب ومعاركهم داخل حرمها .. كانت هناك عند ولادتها ، خلافات في الراى ، ولكن الهدف كان واحدا مشتركا ، واستمر الصراع وتنوع ، حتى أصبح يحمل أسماء وشعارات وهمية ..

« ومع ذلك نستطيع القول ان الجيل الذى بنى الجامعة حقق الكثير .. فالجامعة هي المؤسسة العربية الوحيدة التى بقيت سليمة في الوطن العربى ، رغم أحداث السنين الثلاثين الاخيرة . وهذا دليل ساطع على سلامة الانسانية الخيرة التي بنيت على أساسها .. »

الهدف من انشاء الجامعة

قلنا : « هل كنتم راضين عن الجامعة عند مولدها ؟ » .

قال : « ان الجامعة العربية التى كنت ادعو اليها ، غير الجامعة العربية التى كنت أمينا لها طوال سبع سنوات .. !

« وما لم استطع ادراجه في ميثاق الجامعة ، استعضت عنه بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية .

« ان الهدف من انشاء الجامعة خلقُ روح الوحدة العربية ، وابرازُ أوطاننا العربية على صورة امة واحدة تتعاون وتعيش حياة مشتركة .. والحمد لله ان الروح التى غرستْها الجامعةُ العربية قد تاصلت في النفوس دون ان يشعر أحد .. حتى هزائمنا أصبحت انتصارات في اعتقادى ، لانها تجمع شملنا وتحقق امانينا ..

« ان فكرة العروبة بمعناها الشامل أصبحت تعم وطننا العربى الكبير كله ، حتى اننا وصلنا الى مرحلة تكفر فيها من لا يدخل الجامعة !! ان هدفنا كان نشرَ فكرة الوحدة واصالتها ، وبعد هذا لايهمنا الغاء الجامعة او ابقاؤها .

قلنا لعزام باشا : « ما رايكم فيما يقوله بعضهم من ان الانجليزهم الذين انشاوا الجامعة ؟»

قال بهدوء دون ان يثيره السؤال : « اذا كان قماش بدلتك مصنوعا من الصوف الانجليزى ، فهل يعني ذلك انك انجليزى ، او انك لست وطنيا مخلصا لبلادك ؟

« ان التجمع العربي كان احد مطالبنا منذ عام ١٩٢٤ وفكرة الوحدة العربية عربية المنشا ، اصيلة الاساس .. فاذا جاء الانجليز ـ عندما كان روميل يدق ابواب العلمين ، وقالوا ـ لغرض في انفسهم لماذا لاتتجمع البلاد العربية في كتلة واحدة ، تكون اداة طيعة في ايدينا تحقق بها اغراضنا ، فهل يعني هذا الكلام ان نتخلى عن فكرتنا الوحدوية ؟ المهم أن نجتمع ونسير على

اسلوبنا ، وليس على اسلوبهم ..

« وهذا ما حدث فعلا منذ الجلسة الاولى لمجلس الجامعة العربية .. فقد دخلنا نحن العرب من الباب الكبير ، وخرج كل نفوذ اجنبي من الشباك .. وجعلنا من الجامعة العربية سلاحا عربيا خالصا ..

كادت ليبيا ان تتفرع الى ثلاث دول

ويتابع عبدالرحمن عزام سرد اسرار هذه المرحلة بقوله : « كانت الجامعة العربية مكونة من سبع دول عربية ضعيفة ، ولكنها رغم هذا كانت سلاحا سياسيا فعالا ، ومركز جهاد لتحرير المغرب والمشرق العربي من الاحتلال ..

« خذ مثلا ، كان هناك اتفاق سري بين بيفن (الانجليزي) وسفورزا (الايطالي) على تقسيم ليبيا الى ثلاث دول : برقة وتحتلها بريطانيا ، وطرابلس وتحتلها ايطاليا ، وفزان وتحتلها فرنسا .. وكان مشروع تقسيم ليبيا الى ثلاث دول اخطر ما يهدد الكيان العربي ، فاستعنت بالبابا بيوس الثاني عشر ليتدخل من اجل حماية ليبيا من التقسيم ، واثمرت جهودي ، اذ كان لتدخل البابا اثره الواضح في احباط مشروع تقسيم ليبيا ..

« اما اليوم وبعد ان صارت الجامعة العربية تضم ١٩ دولة قوية غنية مستقلة ذات سيادة ، لها اصواتها المسموعة في الامم المتحدة ، فانها لاتذكر عروبتها ووحدتها الا عندما يبين الخطر وتندلع الحرب مع العدو الصهيوني ! . »

كنت اتكلم كثيرا ؟

قلنا : كانوا يتهمونك بكثرة الكلام ، ويلقبونك « ابو الكلام عزام » ، فما ...

وابتسم « عزام باشا » لاول مرة وقال مقاطعا : « حقيقة كنت اتكلم كثيرا ، ولكن ما كان كلامي سفسطة ولاثرثرة .. ولولا كثرة تصريحاتي في ذلك الوقت ، لما عرف العرب ، ولا الاجانب في العالم الخارجي ، بوجود مؤسسة تدعى « الجامعة العربية » ..

قلنا : ما رايكم في ميثاق الجامعة ؟ يقولون انه السبب الرئيس في اعاقة تقدمها ؟

قال ببساطة : « هذا الميثاق عندما وضعناه منذ ٣٠ عاما لم يكن هدفنا ان يصبح ميثاقا ابديا، فلماذا الخوف من تعديله ؟ اننا يجب ان نطور انفسنا وفقا للزمان .. ولكن لا ننس اننا بموجب نصوص هذا الميثاق الناقص نحارب اسرائيل حاليا ..

قلنا : « ولكن هناك من يصر على ان الميثاق هو المشكلة الكبرى في الجامعة ؟ »

فقال بعصبية : « ليس الميثاق هو العقبة بل الاشخاص .. اننا نشغل الجامعة حاليا بمائة مشروع ومشروع .. صرنا نقلد الامم المتحدة ولاداعي لتقليدها .. نحن امة واحدة .. والامم المتحدة ١٢٠ امة .. لقد شغلنا الجامعة العربية باشياء كثيرة لانطيقها ، فانعدمت الرقابة والمتابعة .. فاذا اردنا اصلاحها فيجب ان نقلل من مسئولياتها ونركز على معاهدات اقل ..

قلنا : « هل انت متشائم او متفائل بشأن مستقبلنا ؟ »

فاجابنا : « لست بمتفائل ولا بمتشائم ، انما الحقيقة اننا سائرون في طريق الاتحاد الطبيعي مثل الجرمان والطليان .. والجامعة العربية التي تقولون عنها ، انها « خربة » هي اقوى حاليا من الامم المتحدة .. انظروا وقارنوا وستجدون هذه الحقيقة الناصعة .. »

لاتتوقفوا عن العمل

وهنا جاء « عصام » بحبوب مهدئة لوالده عبد الرحمن عزام ، مع رجالنا بالتوقف عن الحديث .. الذي استمر ثلاث ساعات .. وابتلع عزام « باشا » الحبوب ، وشربنا الشاي ، وحدثنا حديثا خفيفا عن الاولاد والشباب ، فقال : « لاتتوقفوا عن العمل ابدا حتى لو بلغتم الثمانين، فان الجلوس في المنزل بدون عمل جعلني لا افكر الا في آلام جسمي .. »

وسألناه لماذا لاتكتب مذكراتك ؟ فاجابنا ابنه عصام : « هناك الان من يعد رسالة دكتوراه عن والدي .. » ولكن « عزام باشا » تدخل قائلا : « اني افضل الحديث الشفوي على كتابة المذكرات .. فالحديث سؤال وجواب يحتملان التعديل ، اما المذكرات فلا يمكن التعديل فيها .. ! »

■■

(س . ز)



حمايته .. في الدول المتقدمة وغير المتقدمة

بقلم : علم الهدى حماد

■ تعتبر حركة « حماية المستهلك » من الحركات الرئيسية التى تشكل مضمون السياسة الداخلية وتكوينها فى الولايات المتحدة الامريكية . وليس بغريب أن يحاول الاستراتيجيون السياسيون منح الشئون الداخلية تركيزا اكثر مما اخذته في الماضي اعتمادا على الشعور السائد بين الشعب آن على امريكا « تنظيم البيت من الداخل أولا » . ومن المتوقع ان تلعب مبادىء حماية البيئة Environmentalism وحماية الطبيعة Ecology ، وحماية المستهلك Consumerism ـ دورا هاما في انتخابات اى رئاسة امريكية قادمة .

مبدأ ليس بجديد

ومبدأ حماية المستهلك Consumerism الذى يمثل الحركة ليس بجديد على أى نظام اقتصادى في العالم . اذ لا شك فى وجود هذا المبدأ في جميع بلاد العالم بلا استثناء متمثلا في القوانين الصحية لحماية الاغذية والعقاقير ، والقوانين المقياسيه والكيفية لعديد من السلع . والحماية معمول ومطالب بها مهما اختلف النظام الاقتصادى ... فوجودها اساسي للنظام الراسمالى كما هو آساسي للنظام الاشتراكى . ولكن مع وجود السيطرة الحكومية في المجتمعات الاشتراكية على قطاعات الانتاج والخدمات ، لا تاخذ حركة حماية المستهلك نفس القوة التى تنتشر بها فى المجتمع الراسمالى .. حيث يطالب الشعب بتدخل الحكومة ضد اصحاب الاعمال ورجال الصناعة . فالمطالبة بان تقف الحكومة ضد نفسها شيء عسير ان لم يكن مستحيلا .

والذى يشكل ذلك التوسع الهائل للفكرة ونموها المتزايد في المجتمعات المتطورة هو الضغط من جانب المستهلكين على الحكومة للتدخل وفرض القوانين لحمايتهم من رجال الصناعة والاعمال والتجار . والمتفق عليه الآن هو رفض المجتمع للفكرة التى سادت ، وتسمى Caveat Emptor « فليمان المشترى » ومحاولة احلالها بفكرة « فليمان البائع » Caveat Venditor . وبمعنى آخر لا بد وان يتحمل البائع مسئولية السلعة المباعة وضمان حقوق المستهلك كاملة .

أربعة اسس لحقوق المستهلك

وقد تمكن الرئيس الراحل جون كندى فيسنة ١٩٦٢ بخطابه الموجه للكونجرس ان يضع أربعة اسس هامة حددت حقوق المستهلك .

١ ـ حق الأمان The Right to Safety حماية المستهلك من السلع التى تكون خطرا على صحته وحياته .

٢ ـ حق ان يعلم The Right to be Informed حماية المستهلك من الاعلان ، الاعلان المتسم بالغش والتزييف . وتقديم الحقائق له ليستطيع حزم رأيه .

٣ ـ حق الاختيار The Right to Choose تأكيد ضمان جودة السلعة والخدمة بأثمان معقولة للمستهلك كلما امكن ذلك .

٤ ـ حق الاستماع له The Right to be Heard التأكيد للمستهلك بأن مصالحه ستلقى اهتماما وتعاطفا عند وضع السياسة الحكومية كما ستلقي عناية بالغة على الصعيد الادارى .

قانون المأكولات والعقاقير (عام ١٩٠٦)

والذى لا شك فيه هو أن الحركة وجدت صدى من جانب الحكومة في المرات العديدة التى تصاعدت فيها اصوات المستهلكين . وقد شاهدت التجربة الامريكية أول قانون لحماية المستهلك في سنة ١٨٧٢ ، ومع ذلك لم تستطع الحكومة في عديد من المرات التأثير على رجال الصناعة والاعمال لما كانوا عليه من قوة استطاعوا بها أن يمنعوا ما يقرب من ١٠٠ قانون من الاصدار لتنظيم المأكولات والعقاقير ما بين سنة ١٨٧٩ وسنة ١٩٠٥ . ولكن سنة ١٩٠٦ شاهدت تطورا ملحوظا أدى الى اصدار قانون المأكولات والعقاقير . وكان السبب الاساسي الذى ادى الى ذلك يتمثل في الكتاب الذى أصدره الكاتب السياسي ابتون سينكلير Upton Sinclair تحت عنوان « الغابة » The Jungle ، وصور فيه الاهمال والقذارة التى وصلت الى حد خطير ضار بصحة المستهلك . وفيما ورد في ذلك الكتاب، وصف مصنع لتعليب اللحوم فى شيكاجو حيث تخزن اللحوم في غرف قذرة ، وتختلط بما يبصقه العاملون على الارض .. ولرداءة ظروف التخزين تكثر الفئران ، وعندما لا يجد العمال وسيلة للتخلص من هذه الفئران يلقون بالسم في جوانب غرف التخزين حيث تأكل منها الفئران وتموت .. وعندما تبدأ عملية تحويل اللحوم الى سجق ويطلب من العمال احضار اللحوم من غرف التخزين فانهم يحملون اللحوم بما عليها من سم الفئران وما مات من الفئران لتدخل جميعها الى المصنع لصنع السجق . ونتيجة لهذا تم اصدار القانون الذى منع تصنيع أو بيع او نقل ماكولات او عقاقير او خمور ملوثة او مسممة او بدون خاتم .

الموجة تنحسر ، ثم تعود للتصاعد

ولكن الموجة التى تصاعدت في هذه السنة بدأت في الانحسار وفقد السياسيون الاهتمام بالحركة . واستمر رجال الاعمال في تلاعبهم ، حتى تصاعدت موجة اخرى في سنة ١٩٢٧ عند اصدار كتاب الكاتب الامريكى ستيوارت تشيس Stuart Chase وصاحبه شلينك Schlink وبعنوان Your Money's Worth ، والذى صور المستهلك بانه اشبه شيء «باليس» في بلاد العجائب، يهيم بين وعود براقة وادعاءات متضاربة . وكل هذا ادى للمرة الثانية لمطالبة الجماهير بحماية اكثر للمستهلك ، كما أدى لتصعيد « حركة المستهلك » .

تحول فى نظرة الاقتصاديين

من هنا بدأ تفكير كثير من الاقتصاديين في تحويل وجهة النظر الاقتصادية السائدة عما كانت عليه لتكون أكثر وعيا بالمستهلك . فالصورة التى اعطاها «آدم سميث» زعيم المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد تكونت حول الفكرة التى تعكس وجهة نظر المنتج ، فقد أعطى المدلول لاهمية الاستهلاك Consumption وان كان قد وضع كل الثقل والتركيز على الانتاج Production ولكن التحول في النظرية الاقتصادية اخذ يحيد الى جانب المستهلك حيث يرى المجتمع الحديث أن الانتاج لا بد أن يوجه باختيار المستهلك وليس باختيار المنتج . وبأكثر دقة : تحويل السوق الى سوق المشترى بدلا من كونه سوق البائع .

وكما فى الولايات المتحدة ، في أوروبا كذلك

ولم تكن التجربة الامريكية لحماية المستهلك فريدة في نوعها ، فعلى الصعيد الدولى نجد فى بلاد فى اوروبا ، مثل بريطانيا، وهولندا ، وبلجيكا، والدول الاسكندنافية،والنمسا ، والمانيا الغربية، وفرنسا . نشاطا كبيرا في هذا المضمار .

ففي بريطانيا

ففي بريطانيا نجد ان الكتاب الابيض للجنة مالوني Maloney وضع الاسس للمجهودات الحكومية في هذا المضمار في نفس الوقت الذى انتشرت فيه الجمعيات الخاصة للمستهلكين والتى كونت الاتحاد الوطنى لجماعات المستهلكين NFCG .. وتعالج الشكاوى وتبحث في خدمات المحلات العامة ، ومقارنة الاسعار ، كما تشرف على مركز استشارى للمستهلك بلندن .

وفي النرويج

اما النرويج ففيها ما يطلق عليه Forbrukerradet وهى منظمة حكومية للمستهلك، وتصدر صحيفة ، وتتابع شكاوى المستهلكين . وفي الدانمارك ينقسم النشاط بين هيئة حكومية وهيئات فردية . أما النمسا فتعتبر فيها الهيئة المعروفة باسم Verein Für Konsumenten Information من اهم الهيئات ذات النشاط في اوروبا ، فانها لا تصدر نشرات شهرية فحسب بل تشرف ايضا على مركز عملى يقينا فيه يستطيع المستهلك ان يستطلع صفات العينات المختلفة للمنتجات ويحصل على الاستشارة اللازمة .

وبين دول المجموعة الاوروبية

وعموما نجد ان النشاط لحماية المستهلك باوروبا يتخذ شكلا متناسقا بين دول المجموعة الاوروبية . وهناك بعض المكاتب التى تقوم بالتنسيق مثل : المكتب الاوروبى لاتحاد المستهلكين European Bureau of Consumer Union والذى يتكون من عضوية تسع منظمات من الدول الست في السوق الاوروبية المشتركة ، ولجنة الاتصال للمستهلكين في المجموعة الاوروبية Contact Committee of Consumers of the European Economic Community

والمركز الدولى للعلامة International Labelnig Centre

وفي اليابان يلقى المستهلك عناية فائقة ومع ذلك تنتشر الجمعيات والهيئات لحمايته . فهناك جمعية المستهلك اليابانى Japan Consumer Association ، واتحاد المستهلكين اليابانيين ، وجمعيات ربات البيوت .

النظريات السائدة عن المستهلك

هناك نظريتان متعارضتان تماما تحد من دور المستهلك في السوق : الاولى تنادى بمبدأ ان المستهلك « ملك » King ، وهذا ما يصطلح على تسميته « بسيادة المستهلك » Consumer Sovereignty بمعنى ان المستهلك هو الذى يحدد نجاح المنتج او فشله اما النظرية الثانية فتتعارض مع الاولى وتؤكد بان المستهلك ما هو الا « قطعة شطرنج » Pawn تتحرك على رقعة يمكن تحديدها بواسطة العلوم السلوكية والنفسية للتأثير عليه والسيطرة على تقويمه للاشياء وقراراته .

والذى لا شك فيه أن تحديد صحة احدى النظريتين لا يتم الا بايجاد العلاقة بين قرار الشراء والعوامل الآتية :

- اهمية السلعة للمستهلك .
- تعدد مرات الشراء للسلعة .
- مصدر المعلومات عن السلعة المشتراة .

ولكن مهما تعددت وجهات النظر نجد ان المستهلك لا بد وأن يحصل على الاكتفاء من السلعة المشتراة Satisfaction وان كانت هناك امثلة متعددة على عدم الرضا والاكتفاء للمستهلك في كثير من الاحيان كشراء تليفزيون يحترق بعد تشغيله ، أو سيارة جديدة لا تسير ، او بناء سقف تتسرب منه المياه ، او ضمانات لا تنفذ .. وغيرها . وبذلك تتعدد شكاوى المستهلكين وتعلو أصواتهم مطالبة بالتدخل الحكومى للحد من نفوذ رجال الصناعة والاعمال ، والمطالبة بسيادة المستهلك .

قادة يعبرون عن رأى المستهلك

على هذا الاساس ظهر عديد من القادة ليعبروا عن وجهة نظر المستهلك ومنهم المحامى المعروف رالف نادر الذى يرأس منظمة خاصة لحماية المستهلك ، وله عديد من التقارير عن الامان في السيارات – ويعطى المستهلك الامريكى اهمية خاصة لهذه التقارير .

مبررات وجود هذه الحركة في الدول المتقدمة

لا يمكن الحكم على النظم الاقتصادية للبلاد غير المتقدمة بامكانية استيعاب كثير من الحركات ، أو بالقدرة على مسايرة النواحي العديدة للنظم الاقتصادية للبلاد المتقدمة . وبنفس الفكرة التي تحكم في التفرقة بين اقتصاد الدول المتقدمة وغير المتقدمة ، نجد أن عديدا من العوامل الموجهة لحركة حماية المستهلك في البلاد المتقدمة غير متوفرة في البلاد غير المتقدمة .

واذا حاولت استعراض تلك العوامل فسنجد انها كالاتي :

اولا : الزيادة في أوقات المتعة Leisure Time والزيادة في الدخل الفردى ، وارتفاع مستوى التعليم ، كل هذا جعل المستهلك اكثر شراهة لمستوى افضل من المنتجات التي لا يجدها فيما يعرض بالسوق . وعلى هذا الاساس لا يحس بالاكتفاء بالسلع الموجودة بالسوق .

ثانيا : ارتفاع الاسعار جعل المستهلك اكثر توقعا لسلعة أكثر جودة ، وهي في الحقيقة لم تحسن مع زيادة سعرها .

ثالثا : ارتفاع نسبة العمالة الى استخدام العمال غير المهرة الذين اثروا على الانتاج بانخفاض في درجة جودة المنتوج .

رابعا : الالحاح في ادخال التحسينات على عديد من المنتجات ادى الى زيادة التعقيدات الادائية للسلعة كنتيجة حتمية للتقدم التكني ولقد أدى هذا الى صعوبات كثيرة في الصيانة بالاضافة الى مشاكل الاداء والاعتماد على السلعة .

ويتوقع المستهلك عموما الجودة الفائقة للمنتجات كنتيجة طبيعية للتكنية . ولكن ما زالت ربة البيت في دهشة بالغة .. كيف يمكن الهبوط على القمر ومع ذلك لا يمكن انتاج « سوستة » اى زنبرك لا ينفتق !

خامسا : النجاح الجماهيرى الذى وصل اليه عديد من المفكرين والعاملين في مضمار حماية المستهلك مثل رالف نادر Nader ، في نفس الوقت الذي بدات فيه الحكومة التجاوب مع تلك القيادات للتاثير على رجال الصناعة والاعمال .

سادسا : الشعور السائد الآن بان رجال الصناعة والاعمال لابد أن ياخذوا دورا جديدا يتماشى مع مطالب الجماهير . فالنظرة المعروفة عن رجال الاعمال باستقلالهم وانهم لا يفكرون الا بمنطق الربح فقط لا بد أن تتغير وان يتحملوا المسئولية تجاه المجتمع .

الظواهر التى لا تساعد على وجود حركة حماية المستهلك في الدول غير المتقدمة

ان الظواهر التى لا تساعد على وجود الحركة في البلاد غير المتقدمة متعددة وان كانت في الوقت نفسه متصلة اتصالا وثيقا بعضها ببعض . والذى لا شك فيه أن الاختلاف بين الدول المتقدمة وغير المتقدمة يتحدد خلال عدة عوامل، تتركز على الجبهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وبذلك يمكن القول بانه من العسير أن نجد وجه مقارنة بين الدول المتقدمة وغير المتقدمة .

لقد اثبتت الدراسات المختلفة أن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول المتقدمة لا تتلاءم مع ظروف الدول غير المتقدمة واحتياجاتها. ولا بد أن لا نتجاهل أن التغيير لا يمكن فرضه ولكن المجتمع هو الذى يقرر التغيير بتقبله او رفضه . وعلى هذا الاساس لا يمكن محاولة تغيير المجتمعات غير المتقدمة بفرض اساليب ونظم ناجحة في المجتمعات المتقدمة قد تفشل في المجتمعات غير المتقدمة .

ومن الواضح أن المشاكل التى تقابل المجتمعات غير المتقدمة في جميع المجالات تنبعث من المعاناة الاقتصادية . فاذا امكن لهذه المجتمعات أن تتقدم اقتصاديا امكن لها حل ما تعانيه من مشاكل والقضاء على اعدائها الاسطوريين : الفقر والجهل والمرض .

اشار روستو W.W. Rostow في كتابه المعروف مراحل النمو الاقتصادى The Stages of Economic Growth بان مراحل النمو الاقتصادى تنقسم الى :

١ ــ المرحلة التقليدية The Traditional Society في هذه المرحلة نجد أن المجتمع محصور في عمليات انتاجية محددة . ويمكن تسميتها ــ بما قبل نيوتن Newton ــ من معرفة وتكنية .

٢ ــ مرحلة الاستعداد للانطلاق The Pre - conditions for take-off

في هذه المرحلة تبدأ الانظار في الاتجاه نحو العلم وتطبيقه في وظائف انتاجية حديثة في مجـالات الصناعة والزراعة .

٣ ـ مرحلة الانطلاق The take-off

وهنا يبدأ المجتمع في التغلب على التقاليد والمعوقات القديمة ليدخل مرحلة النماء المستمر .

٤ ـ مرحلة النضج The drive to maturity

ويتمتع المجتمع في هذه المرحلة بتطور طويل المدى ونماء اقتصادى منتظم ويتم فيها استخدام التكنية الحديثة بتوسع .

٥ ـ مرحلة الاستهلاك المتوسع
High mass-consumption

وفي هذه المرحلة يتحول الاقتصاد لانتاج السلع والخدمات التى تخدم حاجة المستهلك اليومية من ملبس وغذاء وترفيه .

وتقف الدول غير المتقدمة الآن في المرحلة الأولى أو الثانية، بينما نجد الدول المتقدمة تقف بين المرحلة الرابعة والخامسة باستثناء الولايات المتحدة التى تتمتع بالمرحلة الخامسة. وهكذا نجد أن الهوة التى تفصل بين الدول المتقدمة وغير المتقدمة عميقة وشاسعة ولا يمكن عبورها الا بمجهود قد يصل الى حد المعجزات .

وعلى هذا الأساس يمكن القول بان نوعيات المشاكل الاقتصادية التي تقابل الدول المتقدمة تختلف جذريا عن تلك المشاكل التى تقابل الدول غير المتقدمة. فحتى الفقر يختلف بتعريفه بين الدول المتقدمة وغير المتقدمة ، ففى الولايات المتحدة يعتبر الفرد الذى يقل دخله عن ٣٠٠٠ دولار سنويا فقيرا .. فاين هذا من الذين يموتون من الجوع المباشر في الهند؟

ويمكن استعراض المشاكل التى تعانى منها الدول غير المتقدمة والتى تقف حائلا دون التقدم :

١ ـ عدم وجود رؤوس الاموال بالكفاية اللازمة.

٢ ـ ارتفاع نسبة البطالة بانواعها ـ المقنعة والواضحة .

٣ ـ قلة مصادر الثروات الطبيعية .

٤ ـ الصعوبة في استخدام التكنية الحديثة .

٥ ـ انخفاض الدخل القومى .

٦ ـ انخفاض مستوى متوسط الدخل الفردى.

٧ ـ سوء توزيع الثروات بين الشعب .

٨ ـ الاعتماد على الدول المتقدمة بدرجة كبيرة.

المطالب الاساسية للدول غير المتقدمة

أولا : محاولة انهاء الاعتماد الكامل على الدول المتقدمة والخروج من دائرة الارتباط المحدودة بهذه الدول ، وتحقيق استقلال ذاتي في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثانيا ـ رفع مستوى المعيشة بسرعة والى أعلى مستوى ممكن ، ويتم هذا عن طريق رفع مستوى الدخل القومى الذى يؤثر على الدخل الفردى .

ثالثا : خلق مجتمع تتوفر فيه عدالة توزيع الانتاج والخدمات .

رابعا : اختيار حكومة تستطيع أن تحقق آمال الشعب في التطور وتدفع عجلة التقدم .

خامسا : التعاون في المجال الدولى والاستفادة بمشاريع النماء التى تقدمها الهيئات العالمية .

اذا أين هذه المطالب وتلك المشاكل من المطالب والمشاكل التى تقابل الدول المتقدمة !

ان الذى لا شك فيه هو انتشار العديد من الظواهر والحركات في الدول المتقدمة والتى لا يمكن ان تجد ذلك التقبل والانتشار في الدول غير المتقدمة. والاختلاف بين الدول تحدده قوى معينة قد تساعد او تحول دون انتشار الحركات المطالبة بالتغيير .. وهذه القوى هى :

ـ القوى السياسية ، القوى الاقتصادية ، القوى الاجتماعية ، القوى الثقافية ، التكنية ، والظروف البيئية .

ان حركة حماية المستهلك كشكل من أشكال الشعور الجماهيرى للثورة ضد رجال الصناعة والاعمال ، والمطالبة بالتدخل الحكومى لمصلحة المستهلك تعتبر احتجاجا من المجتمعات المتقدمة تتناسب شكلا وموضوعا مع القوى المختلفة التى تسيطر على تلك المجتمعات . ولا يعنى ذلك أن هذه الحركة او غيرها من الحركات تتناسب مع الدول غير المتقدمة .. فمشكلة الدول غير المتقدمة هى كيفية الحصول على الغذاء ، وليست دقة مواصفاته او نسبة الفيتامينات .

■■

واشنطن : **علم الهدى حماد**



بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ ايماني لايحد بضرورة ان ينسكب ماضينا في حاضرنا انسكابا لايعرقل سيرنا ، بل يجيء قوة محركة دافعة تزيد من عجلة السير ، وذلك لان من تراث الماضي ما يعرقل ومنه مايحرك ويدفع ، واغبى الغباء هو ان نغمض العين عن هذه الحقيقة الصارخة ، ليس للحاضر الحي غنى عن ماض يمده بغذاء الحياة كما تمد الام جنينها ، وليس ادعى الى تشتت وحيرة وضياع من حاضر يهدم الجسور الواصلة بينه وبين ماكان .. لكن كيف تكون الصلة بين حاضر وماض بحيث تحقق للانسان حياة موصولة التيار معلومة الاهداف مكينة الاصول ؟

لعل اجابة من الاجابات الصحيحة عن هذا السؤال – فلهذا السؤال اكثر من جواب واحد – هي ما نستخلصه من لمحة وردت عند « بروست » Proust في حديثه عن الصلة بين الحاضر والماضي في كتابه « البحث عن الزمن الضائع » ، اذ يقول ان الفن من شانه ان يجمد لحظات من الماضي تظل قائمة حية في الحاضر ، فيتيح لنا هذا ان نحطم حواجز الزمن بيننا وبين اسلافنا بان نعيش تلك اللحظات : « فاذا ما سمعنا الان صوتا كنا قد سمعناه من قبل ، وحين نتنشق رائحة كنا قد تنشقناها من قبل ، فعندئذ – بالذكرى – نكون قد سمعنا ذلك الصوت ونشقنا تلك الرائحة في الماضي وفي الحاضر معا ، وحينئذ فقط يزول حاجز الزمن ، وتبرز الى الوجود المتصل المستمر حقائق الاشياء في جوهرها الخفي ، وتستيقظ ذواتنا الاصيلة التى كان قد خيل الينا انها ماتت واندثرت آثارها .. ان لحظة واحدة نعيشها اليوم مع من عاشوها في الماضي ، كفيلة وحدها ان تفك عنا قيود الزمن التى فصلت حاضرنا عن ماضينا .. »

لحظة مع ابى العلاء

واحسب اني قد عشت لحظة كهذه مع ابي العلاء ، حينما اوقفني التامل عند قوله : « ابكت" تلكم الحمامة ام غنت .. ؟ »

هاهي ذى حمامة على فرع غصنها تبعث صوتا ، هو عند الحقيقة الكونية « صوت » متميز بموجاته التى يتناولها علم الصوت في الفزياء بالتحليل والقياس ،فيعرف لهذه الموجات اطوالها وسرعاتها، هو « صوت » في الطبيعة الخارجية ، قد تسجله آذان السامعين او لاتسجله ، لكنه هناك : حدث من احداث الطبيعة وانما هو الانسان بمشاعره ومنافعه ، يصنف تلك الاحداث الطبيعية على مزاجه وهواه ، فيقول : هذا « بكاء » وذلك « غناء » ! ليس في حقائق الطبيعة بكاء وغناء ، فهذان من ذات الانسان وميوله ، حقائق الاشياء كما هى واقعة ، لا تفرق بين « نوح الباكى »

و « ترنم الشادى » ، فالنوح والترنم كلاهما « صوت » كلاهما اهتزازات للهواء ، كلاهما ينصاع فى حدوثه وفى مساره لقوانين محددة معلومة عند علم الصوت فى الفزياء ، واما الذى جعل هذا الصوت نوحا ، وذلك الصوت ترنما ، فذلك هو الانسان ؟ « صوت البشير » شبيه «بصوت النعي» عند الحقيقة الموضوعية الخارجية التي لاتعبث بها وتحرفها اهواء البشر .

والفرق بعيد بعد السماء السابعة عن الارض السابعة ، بين نظرة تلتقط الواقع كما وقع ، ونظرة اخرى تلوى هذا الواقع فتسلكه في رغبات الانسان ، فيصبح منه ماهو محبب له وماهو كريه، ماهو خير وماهو شر ، وحقائق الدنيا بريئة كل البراءة من الخير والشر والحب والكراهية .. وماذا ينقص العربي المعاصر اكثر مما ينقصه من مثل هذه القدرة على التفرقة بين حقائق الدنيا الواقعة من جهة ، وبين انطباعاته هو بتلك الحقائق من جهة اخرى ؟ وليس العيب فى ان يكون للانسان اهواؤه بالنسبة لما يصادفه فى عالم الاشياء ، فيحب مايحب ويكره مايكره ، ولكن العيب كل العيب هو ان نخلط بين الجانبين ذلك الخلط الذى يجيز لنا ان نتحدث عن اوهامنا واحلامنا ، ثم نظن اننا انما نتحدث عن امور الواقع .

الفلسفة الأوروبية

لقد عشت مع ابي العلاء هذه اللحظة التى تسيطر فيها النظرة المحايدة الى الدنيا واحداثها من حولي ، النظرة التى تطرح من حسابها الفوارق الذاتية بين النوح والترنم ، بين الغناء والبكاء ، بين صوت البشير وصوت النعي ، فكنت في تلك اللحظة مثلا مجسدا للصلة الثقافية حين تربط المعاصرين بالسالفين ، وهكذا ـ فيما اظن ـ تجيء تلك الصلة بتراثنا نابضة بالحياة ، لا مجرد لغو لايكاد يتجاوز حدود الشفاه .

انه لما يلفت نظرى فى الفلسفة الاوروبية الحديثة كلها ، منذ نشات على انقاض العصور الوسطى والى عهد قريب ، حرصها الشديد على التمييز ـ فى معرفة الانسان لما حوله ـ بين نوعين من المدركات ، احدهما يصف الواقع كما يقع ، والاخر يتولد في ذهن الانسان عن ذلك الواقع ، ويطلق رجال الفلسفة على الصنف الاول من المدركات اسم الصفات الاولية ، وعلى الصنف الثانى اسم الصفات الثانوية ، فالاولى تفرض نفسها على الانسان فرضا ، ولا قبل له بتغييرها ، واما الثانية فيطهوها الانسان لنفسه ، فاذا كان امامي برتقالة ، فان شكلها الكرى هو من القبيل الاول واما مذاق طعمها فهو من القبيل الثانى .. ولماذا حرصت الفلسفة الاوروبية الحديثة على ابراز هذه التفرقة بين النوعين من خصائص الاشياء وصفاتها ؟ انها فعلت ذلك لتميز بين ما يصلح للنظرة العلمية وما لا يصلح ، فالصفات الاولية موضوعية ولذلك فهي صالحة للبحث العلمي ، واما الصفات الثانوية فذاتية من عندنا ، ومن ثم فهي ان صلحت لان يصفها الشعر والفن بكل اشكاله ، فلا تصلح لابحاث العلماء . « ابكت تلكم الحمامة ام غنت .. ؟ » سؤال قد يجيب عنه الانسان محتكما الى وجدانه الذاتي ، فاذا كان الانسان السامع حزينا عد صوت الحمامة بكاء ، او كان سعيدا مرحا ، حسب الصوت غناء ، واما النظرة العلمية فهي ترفض السؤال من اساسه ، لان البكاء والغناء كليهما يخرج عن مجالها ، وانما تجيبك النظرة العلمية اذا سالتها عن موجة الصوت المسموع ما طولها وما سرعتها ؟

ولنوسع من البكاء والغناء ، من نوح الباكي وترنم الشادى ، من صوت البشير وصوت النعي ، لنوسع هذا المجال الضيق كي نجعلها تفرقه بين الخير والشر بصفة اعم واشمل ، فنرى النتيجة واحدة في الحالتين : العالم الواقع لايعرف خيرا ولا شرا . انما هو انت وهو انا وهم غيرنا من البشر ، الذين يصبون اهواءهم على وقائع ذلك العالم ، فيقسمونها فى اوهامهم خيرا هنا وشرا هناك ، لكننا ـ مع ذلك ـ نلحظ تفاوتا شديدا بين الناس فى مدى هذه الاوهام وتسلطها على حياتهم ، فمن الناس من يلجم هذه الاوهام عند النظر الموضوعى الى حقائق الموقف الذى يعنيهم امره ، ومنهم من يستطيع هذا الالجام ، فيعيش اوهامه في كل المواقف على حد سواء .

التصوف والمنطق عند رسل

قد يتعذر على الانسان بصفة عامة ان يفرق هذه التفرقةفى حياته العملية،فيفصل فصلا رياضيا بين ما هو واقع وبين الطريقة التى تاثر بها هو ازاء ذلك الواقع ، لكنها تفرقة لا بد منها عند من يهمه معرفة « الحق » كما هو ، كائنا ما كان وقعه على نفسه ، وفى ذلك يقول برتراند رسل

(في كتابه « التصوف والمنطق ») « انه اذا ارادت الفلسفة ان تبلغ الحق فلا مندوحة للفلاسفة عن التزام النظرة العقلية المنزهة عن الهوى ، وهي نظرة تميز رجل العلم » واذا اردت ان تقرأ لفيلسوف آمن بهذه النظرة العقلية النزيهة الى حقائق الوجود ، فاظن ان خير من تقرأ له في ذلك هو سبينوزا Spinosa

« غير مجد ـ في ملتي واعتقادي ـ
نوح بـاك ولا ترنم شـادي »

.. تلك هي اللحظة الادراكية التي عشتها مع ابي العلاء ، انه لم يقل ذلك تجاهلا منه للفارق الشعوري عند الانسان بين ان ينوح ساعة بكاء وأن يترنم ساعة نشوة ، فذلك فارق قائم لا بد ان يكون ابو العلاء قد احسه في نفسه، كما لا بد ان يكون قد لحظه الوف المرات في سلوك الآخرين ، لكنه ـ برغم ذلك ـ فارق لا يغير من حقيقة الواقع شيئا ، ان الفرق بين هاتين الحالتين الشعوريتين لا يتعدى حدود الذات ساعة بكائها وساعة نشوتها ، واما الوقائع الصلبة التي منها يتألف الموقف من حولنا فلا يتبدل منها مقدار انملة بسبب ان باكيا هناك ينوح او ان شاديا يترنم .. الحالة الوجدانية تهز صاحبها ، لكنها لا تهز من البعوضة جناحها .

الحب والكراهية ضدان اخلاقيان

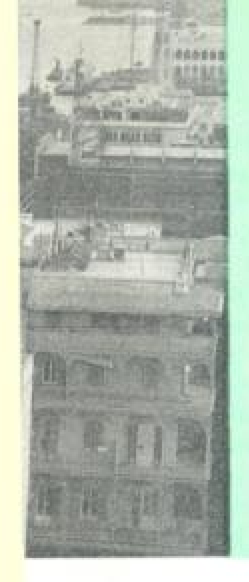
ترى ماذا كان ابو العلاء يقول ، اذا ما بعث اليوم ليرانا نوشك ان نعلق امورنا على مشاعرنا قبل ان نعلقها على مقومات الواقع الفعلي ؟ انه سيجد امامه قوما يملأون الجو بانفعال الغضب وصيحات الغيظ ويظنون ان هذا وحده كفيل لهم بان تنزاح عن ارضهم دبابات العدو وان تختفي من سمائهم طائراته ، قد يصفون العدو برذائل الاولين والآخرين ، قد يصفونه بالغدر واللؤم والكذب والخداع ، وانها لصفات تميزه حقا ، ولكن هل يجدي ذلك من امر الواقع شيئا ؟ ان الفرق بين عالم يسوده الخير والفضيلة وعالم يسوده الشر والرذيلة هو فرق كائن في نفوس البشر ، كائن في رغباتهم وآمالهم ، هو فرق يلحظه الناس بحسب ما يجدون العوائق او لا يجدونها في طريق تحقيق اهدافهم ، اما الواقع نفسه فسوف يظل واقعا الى ان يغيره واقع آخر . يقول برتراند رسل في كتابه الذي اسلفنا ذكره : « الحب والكراهية ضدان اخلاقيان ، لكنهما عند النظرة الفلسفية شبيهان احدهما بالآخر ، من حيث هما طريقتان في النظر الى الاشياء ، فاذا ما اردنا ان ننظر الى المسالة نظرة فلسفية ، وجب ان نحصر النظر في الصورة العامة او البنية العامة لذينك الموقفين ازاء الاشياء ، بعبارة اخرى ، فانه يجب على صاحب النظرة الفلسفية ان يفرغ اطار الوقفة من مضمونها (فالاطار « عقل » والمضمون عاطفة) .

وهكذا فلو حصرنا النظر في الحب والكراهية من حيث هما حالتان شعوريتان ، كان الفرق الذي نراه بينهما فرقا في مضمون وجداني ، مما يتصل بالذات ولا شأن للعالم الطبيعي الواقعي به ، نعم ان علم النفس قد يحدد لنا المميزات الخاصة التي تفرق حالة الحب عن حالة الكراهية لكن النظرة الفلسفية تسقط من حسابها تلك المميزات الفارقة ، لانها « في النفس » وليست « في الاشياء والمواقف » .

الشبه الذي يشير اليه برتراند رسل بين الحب والكراهية من حيث هما موقفان ، هو نفسه الشبه الذي اشار اليه ابو العلاء بين صوت البشير وصوت النعي ، أتقول : ان هذه نظرة متشائمة تغم النفس وتضيق رحاب الامل ؟ قل ما شئت ، لكنه الحق الواقع ، والا فلماذا لا تطالب علماء الفيزياء والكيمياء ان يقيموا البرهان على الاهمية الاخلاقية لكهارب الذرات ؟ لماذا لا تطالب عالم النبات او عالم الحيوان بان يتناول موضوعات بحثه بنظرة تتفق مع آمال الانسان في دنيا النبات ودنيا الحيوان ؟ لا ، ان النظرة العلمية الموضوعية الناضجة هي تلك التي لا تمزج بين « الواقعة »وبين ما يشعر به الانسان نحوها ، وبمثل هذه النظرة الناضجة نظر ابو العلاء فاذا هو يقرر ان لا جدوى ـ من حيث تغيير الواقع ـ من ان ينوح باك او ان يترنم شاد ، واذا هو يقرر ان لا فرق من حيث تغيير الواقع ـ بين ان يكون الصوت المسموع بكاء ام غناء ، واذا هو اخيرا يقرر الشبه التام ـ من حيث القدرة او العجز عن تغيير الواقع ـ بين صوت النعي وصوت البشير .

هي لحظة عشتها مع الماضي ، فاذا هذا الماضي منسكب في حاضري انسكابا هدم حواجز الزمن بيني وبين السلف ، وهكذا ـ في ظني ـ يتحقق الربط المنشود في ثقافتنا بين عصرية وتراث . ■■

القاهرة : زكي نجيب محمود



قناة السويس

خطورتها لمصر والعرب وفي التجارة العالمية

بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

■ تعتبر قناة السويس من اهم الممرات العالمية التى هى من صنع الانسان ، ذلك لانها تختصر الوقت الذى تتطلبه السفن للدوران حول رأس الرجاء الصالح الى النصف ، كما توفر (٩٥٠٠) ميل من رحلة الذهاب والعودة معا بين الخليج العربى وامريكا الشمالية . وكذلك تصل بين بحرين هامين هما البحر المتوسط شمالا والبحر الاحمر جنوبا .

ولقد بوشر فى حفر القناة في عام ١٨٥٨ ـ واستمر احد عشر عاما ـ وذلك بعد أن حصلت الشركة العالمية لقناة السويس The Compagnie Universelle du Canal Maritime du Suez على امتياز بذلك من السلطات المصرية آنذاك . وفي عام ١٨٦٩ افتتحت القناة رسميا بعمق يأذن بمرور سفينة بغاطس قدره ٢٦ قدما . ويبلغ طول القناة نحو ١٠٥ أميال ومتوسط عرضها ١٩٧ قدما . وتستغرق السفينة في اجتيازها في المعدل احدى عشرة ساعة ، اى بسرعة مقدارها ٧ ١/٢ ميل فى الساعة ، وبطاقة قصوى تبلغ ٦٨ سفينة في اليوم ، وينبغى أن لا يزيد طول الناقلة أو السفينة عن ٩٠٠ قدم تمشيا مع سلامة المرور حول بعض المنحنيات التى لا تسمح للسفن الطويلة بعمل مناورة ، كما أن الرياح المعاكسة قد تضر بها .



القناة قبل التاميم وبعده

في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أممت مصر قناة السويس . وقبل هذا التاريخ كانت تديرها الشركة العالمية لقناة السويس ، وكان من المقرر أن ينتهي الامتياز – ومدته ٩٩ عاما – في سنة ١٩٦٨ .

وعلى الرغم من أن القناة مصرية من الوجهة الشرعية ، فان مساهمتها في الاقتصاد المصرى قبل التاميم كانت ضئيلة للغاية . فقبل عام ١٩٤٩ كانت حصة مصر في القناة دون ٥٪ بينما ٩٥٪ من الأسهم كان يحملها أجانب معظمهم من الفرنسيين والانجليز المقيمين خارج مصر . ولم يكن يمثل مصر في مجلس ادارتها سوى عضوين فقط من مجموع الاعضاء البالغ عددهم ٢٨ عضوا . وكانت غالبية المرشدين والفنيين والجهاز الادارى من الاجانب . ولم تكن تتعدى مدفوعات الشركة المباشرة للحكومة المصرية ٥ر١ مليون جنيه مصرى في السنة (١) .

وفي سنة ١٩٤٩ وبعد ان توصلت الحكومة المصرية مع شركة القناة الى اتفاق ارتفعت حصة مصر من قناتها الى ٧٪ من الارباح الاجمالية . وفي عام ١٩٥٦ ،وقبل تاميم القناة،اصبحت المدفوعات المباشرة للحكومة (٦) مليون جنيه مصرى في السنة او نحو ٢٪ من الايرادات الحكومية آنذاك . هذا وقد بلغت مساهمة القناة في الاقتصاد المصرى عامة نحو ١٣ مليون جنيه مصرى او بنسبة ٤٠٪ من الرسوم والضرائب الحكومية ، او ما يساوى ٥ر١٪ من الدخل الوطني للبلاد . كما ارتفعت نسبة الاداريين والفنيين المصريين الى ٤٢٪ من المجموع الكلي ، علاوة على ٥١٠٠ عامل (٢) .

وبعد تاميم القناة تبدلت الاحوال وأصبحت مصرية صميمة في ادارتها وملكيتها وتشغيلها ، وارتفعت نسبة مساهمتها في الاقتصاد المصرى ، اذ قدرت عائدات القناة في عام ١٩٦٦ – اى قبل اشهر من اقفالها الاخير – بنحو (٢٢٧) مليون دولار يضاف اليها (٨٠) مليون دولار خدمات قدمت للسفن التي عبرت القناة ، وهذا المجموع يعادل قيمة صادرات مصر من محصول القطن الذى يعتبر أكبر مصدر للعملة الصعبة (٣) .

اهمية القناة في التجارة الدولية

لقناة السويس اهمية كبيرة في التجارة الدولية اذ بلغت نسبة مساهمتها في الستينيات – اى قبيل اغلاقها الاخير عام ١٩٦٧ – بنحو ١٥٪ من مجموع حركة المرور البحرية في العالم . اما في

(1) Issawi, C.,Egypt in Revolution : An Economic Analysis 1963, P. 212.

(2) Same Reference P. 212 .

(٣) مجلة غرفة تجارة وصناعة الكويت العدد ٨٥ مارس ١٩٦٩ ص ٢٧ .

مجال النفط فالمساهمة كبيرة نسبيا ، اذ تصل الى ٢٤٪ . واهمية القناة كبيرة للاقطار المجاورة فقد قدر ان نحو ٧٠٪ من جملة صادرات كل من الكويت والبحرين وقطر كانت تمر عبر القناة ، في مقابل ٦٥٪ لايران والسودان ، ٤٠٪ للعراق و٢٥٪ للمملكة العربية السعودية .

ومن الجدول رقم (١) يمكننا ان نتبين حركة البضائع (غير النفطية) التى كانت تعبر القناة ذهابا وايابا،ونلاحظ ان هذه الحركة في تزايد،كما يمكننا ان نعرف مدى تزايد الاهمية التجارية للقناة من الجدول رقم (٢) الذى يبين حركة العبور للسفن وناقلات النفط،وذلك قبل اغلاقها.

جدول رقم (١) يبين حركة البضائع ـ غير النفطية ـ عبر قناة السويس بالاف الاطنان ـ ※

	١٩٦١	١٩٦٥	١٩٦٦
من الغرب الى الشرق	٦ر٣٠٠	٧ر٩٠٨	٨ر٩٥٣
من الشرق الى الغرب	١١٤ر٢٧٦	١٥٥ر٠٨٦	١٦٦ر٧١٨
الاجمالـــي	١٢٠ر٥٧٦	١٦٢ر٩٩٤	١٧٥ر٦٧١

※ مجلة غرفة التجارة والصناعة ص ٢٧

جدول رقم (٢) يبين حركة العبور فى قناة السويس فى السنوات التى سبقت أغلاقها※

السنة	عدد السفن	عدد ناقلات النفط العابرة	مجمل حمولة السفن بالاف الاطنان	نسبة الحمولة الى عام ١٩٥٨	حمولة ناقلات النفط بالاف الاطنان	نسبتها الى عام ١٩٥٨	نسبة حمولة الناقلات الى مجمل الحمولة
١٩٥٨	١٧ر٨٤٢	ـ	١٥٤ر٤٧٩	١٠٠ر٠٪	١٠٧ر٨١٦	١٠٠ر٠٪	٦٩ر٨٪
١٩٦١	١٨ر١٤٨	٩ر٣٠	١٨٧ر٠٥٩	١٢١ر٠٪	١٣٣ر٠٠٣	١٢٣ر٣٪	٧١ر١٪
١٩٦٤	١٩ر٩٤٣	٩ر٧٦٦	٢٢٧ر٩٩١	١٤٧ر٥٪	١٦٦ر٠٢٧	١٥٣ر٩٪	٧٢ر٨٪
١٩٦٥	٢٠ر٢٨٩	٩ر٦٦٣	٢٤٦ر٨١٧	١٥٩ر٧٪	١٨٣ر١٩٥	١٦٩ر٩٪	٧٤ر٢٪
١٩٦٦	٢١ر٢٥٠	٩ر٩٣٠	٢٧٤ر٢٥٠	١٧٧ر٥٪	٢٠٦ر١٢٤	١٩١ر١٪	٧٥ر١٪

※ مجلة غرفة التجارة السالفة ص ٢٨

أهمية القناة للنفط

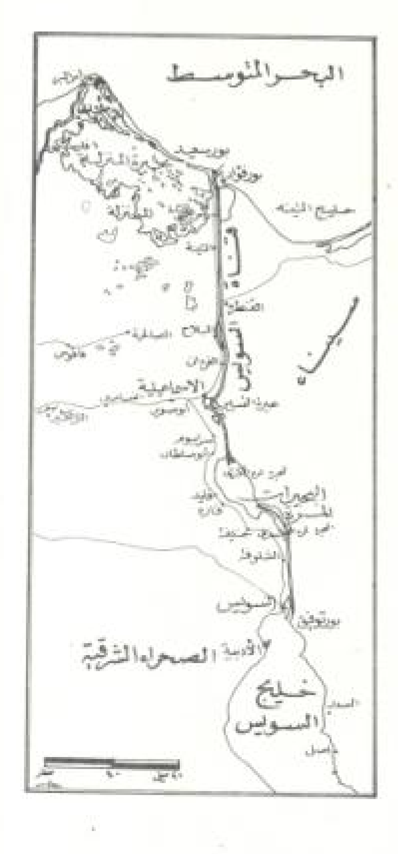
بما ان الاسواق الرئيسية لبترول الشرق الاوسط تقع غرب السويس ، فقد كانت معظم الواردات النفطية للدول الصناعية الاوروبية والامريكية تمر عبر قناة السويس قبل اغلاقها في عام ١٩٦٧ . ومن الجدول رقم (٢) نرى مقدار نسبة الزيادة في عبور الناقلات بنحو ١٩١ر١٪ في عام ١٩٦٦ عن عام ١٩٥٨ ، كما ان نسبة حمولة الناقلات التي عبرت القناة في عام ١٩٦٦ بلغت نحو ٧٥ر١٪ من مجموع حركة العبور الكلية .

وبهذا نرى ان النفط هو اكبر سلعة كانت تستفيد من القناة . ولكن ترددت مؤخرا شائعات بان القناة ستفقد قيمتها بعد التطور الهائل في صناعة الناقلات العملاقة التي تدور حول راس الرجاء الصالح لان وزنها لن يسمح لها باستعمال القناة . ومثل هذا القول ينطوى على مغالطة كبيرة هدفه الحطء من قيمة القناة ، والتقليل من هذا المعر العربي الهام . ولا نشك في ان اعداء العروبة هم الذين يلفقون مثل هذه المغالطات . وردنا على هذا هو ان القناة كانت في تعميق مستمر ضمن لها التمشي مع تطور صناعة الناقلات من حيث الوزن

والحجم والغاطس. ففي عام ١٩٥٦ كانت القناة تسمح بالمرور فقط لسفن ذات غاطس قدره (٣٥) قدما ، وفي عام ١٩٦٦ ارتفع الى غاطس (٣٨) قدما (٤) .

هذا وقد وضعت خطة لتعميق القناة يتم تنفيذها على مراحل ويطلق على هـــذا المشروع مشروع ناصر . ففي المرحلة الاولى التي بدىء تنفيذها بالفعل في فبراير ١٩٦٧ ، وكان من المفروض ان تنتهي في عام ١٩٧٢ ، بحيث تعمق القناة لتسمح بمرور سفن غاطسها (٤٨) قدما او التي تزن ١١٠,٠٠٠ طن وهي بكامل حمولتها ، او ناقلات ضخمة تزن ١٢٥,٠٠٠ طن بحمولة جزئية . هذا الى جانب مرور سفن ذات وزن ٢٠٠,٠٠٠ طن وهي فارغة (٥) . اما المرحلة الثانية والتي كان من المقرر لها ان تنتهي في ١٩٧٥ فيمكنها ان تسمح بمرور سفن حمولتها ٢٥٠,٠٠٠ طن (حمولة كاملة) وبغاطس اقصاه ٥٣ قدما . كما اخذت الترتيبات لتعميق القناة لمرور سفن بغاطس (٦٢) قدما بكامل حمولتها فيما عدا ناقـــلات فئة حمـــولة ٣٢٦,٠٠٠ والتي تتطلب عمقا قدره (٧٢) قدما . وطبيعي ان لهذا التعميق كلفة عالية ، اذ قدر الخبراء بان تكلفة تعميق القناة قدما واحدا يزيد على ٤٢ مليون دولار (٦) .

ولقد كان من المقرر أن تعمق القناه بحيث تسمح عام ١٩٧١ بمرور ناقلات غاطسها ٢٠٠,٠٠٠ طن حمولة ساكنة ، وهذا يعنى أنه في غضون ست سنوات سيحفر من شواطىء القناة ما مقداره ٥٤ مليون متر مكعب ، وينزح نحو ٦٥٠ مليون متر مكعب . وقد قدرت تكاليف هذه العملية الضخمة آنذاك (١٩٧١) بنحو ٤١ مليون جنيه استرليني ، ولكن شركة بنتا المحيطية اليابانية Penta Ocean تقدمت للســـلطات المصريـــة بمشروع آخر بلغت تكلفته ٧٥٠ مليون دولار يهدف الى تعميق القناة لتسمح بمرور ناقلات حمولتها الساكنة ٢٥٠,٠٠٠ طن ، ولكن نظرا لارتفاع الاسعار



الحالية فان التكلفة تقرر الآن بنحو ١٠٠٠ مليون دولار (٧) .

ان رحلة الناقلة من الخليج العربي الى المملكة المتحدة عبر القناة تستغرق ١٧ يوما في حين انها تستغرق ٣٠ يوما عن طريق رأس الرجاء الصالح، اذ تبلغ المسافة بين الكويت وبريطانيا ١١٦٣٦ ميلا بحريا ، وبناء عليه فان استخدام القناة يخفض المسافة بحوالى ٦٧٠٠ ميل بحرى .

(4) Al-Nagar, M.H., «The Geography of oil in the persian Gulf» Ph.D. Thesie, University of London, 1971 (Unpublished) P. 252.

(٥) رجائى الملاخ « قناة السويس : دراسة عن أهميتها الاقتصادية ٢ » « عالم النفط المجلد الثالث العدد ٤٧ ، ١٠ يوليو ١٩٧٠ ص ٤ – ص٥

(6) Al-Nagar, M. H., Op. Cit.

(7) The Sunday Time , October 28, 1973.

مساوىء استخدام الناقلات العملاقة

ان القناة لن تفقد قيمتها كوسيلة هامة ، ومَعْبَر حيوى لنقل النفط ، ذلك ان الاتجاه نحو بناء ناقلات عملاقة قد خفت حدته ، اذ يقدر انه من بين ٢٥٣ ناقلة تزيد حمولتها الساكنة على ٢٠٠٫٠٠٠ طن وسيتم بناؤها بحلول عام ١٩٧٤ ـ توجد فقط ١٤٩ ناقلة سيكون في مقدورها عبور القناة بحمولتها الكاملة ، شريطة تنفيذ مشروع ناصر السابق الذكر . وهناك تسع ناقلات فقط قيد الطلب تزيد حمولتها الساكنة على ٣٠٠٫٠٠٠ طن ولا تستطيع عبور القناة ، وهذا في مقابل ٩٥ ناقلة هي الآن قيد البناء تستطيع استخدام القناة بصورة اقتصادية ومحملة جزئيا او فارغة (٨) .

وترجع قلة الطلب على بناء الناقلات العملاقة الى عدة اسباب منها :

١ ـ ان استخدام هذه الناقلات محدود ، نظرا لان القنوات الطبيعية والصناعية مقيدة ومحدودة العمق .

٢ ـ ينبغي ان تكون المياه عميقة في مراكز التحميل والتشغيل وهذا امر لايتوفر في كل مكان نظرا لان تكاليف هذا العمل باهظة . كما ان على الناقلات العملاقة ان تطيل رحلتها بحثا عن المياه العميقة .

٣ ـ ينبغي توفير مرافق خاصة عند مراكز التحميل والتفريغ ، فلا بد من وجود خزانات ضخمة وانابيب ذات سعة كبيرة وارصفة متسعة وقوية .

٤ ـ ان المرافق والخدمات والصيانة التي تحتاج اليها هذه الناقلات في طريقها من الشرق الى اوروبا لاتتوفر في كل ميناء .

٥ ـ اذا تعرضت الناقلة الضخمة لاى خطر ـ كالحريق مثلا ـ تكون خسارتها كبيرة ، نظرا لكبر الحمولة .

٦ ـ خطر التلوث الذى تتعرض له الناقلات الضخمة ، فان الحادث الذى اصاب الناقلة « توري كانيون » في مارس ١٩٦٧ جعل المسئولين يهتمون بمسالة التلوث .

٧ ـ توظيف راس مال كبير والمجازفة به في حالة الخسارة .

٨ ـ على الرغم من انخفاض تكاليف نقل النفط بالناقلات الضخمة ، فان اسعار التامين ارتفعت ارتفاعا كبيرا في الاتجاه المضاد . ففي سنة ١٩٦٩ كانت تكاليف تامين ناقلة بحمولة ٢٠٠٫٠٠٠ طن ، وثمنها ٢٠ مليون دولار ، تقدر بنحو نصف مليون دولار . وفي منتصف عام ١٩٧٠ ارتفع السعر الى ٧٠٠٫٠٠٠ دولار ، هذا ، وعلى مالك السفينة ان يتحمل ٢٥٠٫٠٠٠ دولار عن كل حادث (٩) .

واخيرا يبدو ان الناقلات المفضلة هي تلك التي لاتزيد حمولتها على ٢٥٠٫٠٠٠ طن ، ذلك انه على الرغم من انه كلما زادت ضخامة الناقلة ، كانت كلفة الشحن للطن الواحد اقل ، الا انه بعد ٢٥٠٫٠٠٠ طن (حمولة ساكنة) فلن يتحقق مزيد من التخفيض في كلفة الشحن هذه (١٠) .

(انظر الجدول رقم ٣ على الصفحة المقابلة)

هل ستؤثر انابيب نفط السويس ـ الاسكندرية على القناة ؟

يرى البعض بان خط انابيب السويس ـ البحر المتوسط The Gulf of Suez-Mediterranean Pipeline (Sumed) المزمع انشاؤه قريبا ، والذي يبلغ طوله ٣٢٠ كيلو مترا سيؤثر على قناة السويس بحيث يقلل من الاعتماد عليها كوسيلة هامة من وسائل نقل النفط . ويجدر بنا قبل دحض هذا الافتراض ان نشير اشارة موجزة الى هذا المشروع .

ان خط الانابيب هذا سيبدا من عين السخنة على خليج السويس وينتهي عند نقطة على البحر المتوسط تبعد نحو عشرة كيلومترات من الاسكندرية ، مارا بجنوب القاهرة (١١) . وذلك بطاقة قدرها (٥٠) مليون طن في السنة على ان تزاد الى ٦٠ مليون طن ، وفي ١٩٧١ وافقت السلطات المصرية على مد خط آخر قطره (٤٢) بوصة مما يرفع

---

(٨) رجائي الملاخ ـ المصدر السابق .

(9) Al-Nagar, M. H. Op. Cit. P. 242,

(١٠) رجائي الملاخ ـ المرجع السابق .

(11) Petroleum Press Service, March 1971. p. 84

جدول رقم (٣) يبين التكاليف بالمقارنة لنقل النفط الخام من ميناء الاحمدى الى روتردام بواسطة ناقلات مختلفة الأحجام وعن طرق متنوعة *

حجم الناقلة	الطريق الذى تسلكه	التكلفة لكل طن سنت دولار
٨٠٫٠٠٠	قناة السويس ذهابا وايابا	٣ ٨٣
١٠٠٫٠٠٠	راس الرجاء وهي محملة ـ السويس وهي فارغة	٣ ٥٠
٢٠٠٫٠٠٠	راس الرجاء وهي محملة ـ السويس وهي فارغة	٢ ٥٣
٢٠٠٫٠٠٠	راس الرجاء ذهابا وايابا	٢ ٧٠
٣٠٠٫٠٠٠	راس الرجاء ذهابا وايابا	٢ ٣٣
٥٠٠٫٠٠٠	راس الرجاء ذهابا وايابا	١ ٨٥
١٠٠٫٠٠٠	قناة السويس ذهابا وايابا	٣ ٣٩
٢٠٠٫٠٠٠ +	قناة السويس ذهابا وايابا	٢ ٨٢

* Petrolenm Press Servi-e, May, 1967, p. 188

+ بافتراض تعميق القناة بحيث تسمح بمرورسفن ذات حمولة ٢٠٠٫٠٠٠ طن .

طاقة الانابيب جميعها الى (٨٠) مليون طن سنويا على ان تزداد في المستقبل الى (١٨٠) مليون طن في السنة (١٢) . وبلغت تكاليف هذا المشروع حوالي (٢٨٠) مليون دولار . وقد وافقت مجموعة من الشركات النفطية العالمية على استعمال هذا الخط بنسب وبكميات مختلفة وذلك على النحو التالي :

شركة البترول البريطانية B. P. والشـركة الفرنسية C. F. P. بمقدار (٧٫٥) مليون طن سنويا لكل منهما . الشركة الحكومية الفرنسية للبترول Elf-Erap و « جلسنبرج » Gelsenberg الالمانية (٣) مليون طن لكل منهما . والشركة الاسبانية Hispanoil بمقدار (٦) مليون طن سنويا ، شركة موبيل Mobil (٧٫٥) مليون طن وكونتننتال Continental (٢٫٥) مليون طن ، وشل Shell (٧٫٥) مليون طن (١٣) و « أجيب » Agip (٤) مليون طن ، وبتروفينا Petrofina (٣) مليون طن ، و « تكساكو Texaco (٧٫٥) مليون طن ، و « سوكال » Socal (٧٫٥) مليون طن ، و « سبسا » Cepsa و « ريبسا » Repesa الاسبانيتين ٧٫٥ مليون طن، و « اماكو » Amoco مليون طن (١٤) .

والحقيقة ان هذا الخط المقترح لايمكن ان يعتبر منافسا للقناة بل انه مكمل لها . ذلك انه في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٦ اى قبل اغلاق القناة تقدم المستر « اونسيس » Onassis ـ صاحب اسطول السفن اليونانية ـ الى السلطات المصرية باقتراح يهدف الى اقامة خط انابيب مواز للقناة، وذلك كبديل لعملية تعميقها وتوسيعها (١٥) وهذا يدل على ان التفكير بالانابيب سابق لاقفالها . ولهذا فانه يبدو لنا بان خط انابيب السويس ـ البحر المتوسط سينسق حركة نقل النفط مع القناة على اساسين هما :

(12) Petroleum Press Service, August 1971, p. 313

(13) Petroleum Press Service, March 1971, p. 84

(14) Petroleum press Service, June 1973, p. 227

(15) Petroleum Press Service, March 1971, p. 84

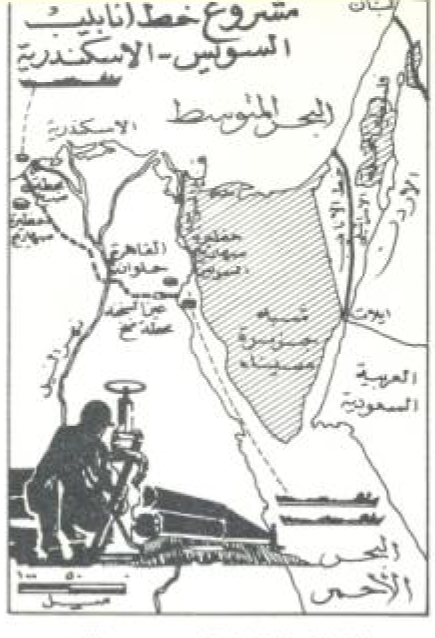
١ ـ لنقل الفائض عندما يبلغ عدد السفن القادرة على عبور القناة اقصى حد لها .

٢ ـ يمكن للناقلات العملاقة التي تزيد حمولتها الساكنة على ٢٥٠,٠٠٠ طن (او التي تزيد حمولتها الساكنة على ٦٠٠,٠٠٠ طن لحين تنفيذ تحسينات القناة) من تفريغ حمولتها في السويس ، بينما تقوم ناقلات اخرى بحمل ذلك النفط في الاسكندرية، وبذلك يجرى استخدام اساطيل الناقلات في البحر المتوسط وفي الخليج العربي بطريقة فعالة في نقل النفط بواسطة الرحلات القصيرة (١٦) .

اثر اغلاق القناة على التجارة الدولية

اقفلت قناة السويس مرتين الاولى في ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ ، وذلك عقب العدوان الثلاثي على مصر ، والثانية في يونيو ١٩٦٧ عقب حرب الشرق الاوسط وظلت مقفلة حتى الآن . ولا شك في ان اقفال القناة الاخير قد الحق اضرارا كبيرة بالتجارة الدولية وبالاقطار المنتفعة بها ، ففي عام ١٩٦٧/ ١٩٦٨ قدرت خسارة بريطانيا نتيجة اقفال القناة بنحو (٥٠٠) مليون دولار ، بينما خسرت دول اوروبا الغربية مجتمعة ١٤٠٠ مليون دولار . هذا زيادة على الاضرار التي لحقت بالدول الاسيوية والافريقية التي تستخدم القناة في صادراتها الخام لاوروبا ووارداتها من الآلات والمصنوعات. وبناء عليه ارتفعت تكاليف نقل المواد الخام المصدرة من الهند (عقب الاقفال) من خمسة دولارات للطن الواحد الى ثمانية او تسعة دولارات . كما ارتفعت اسعار البترول في بريطانيا بمعدل ١٨ ـ ٢٠ شلن للطن الواحد (١٧) .

هذا ويرى بعض الخبراء ان خسارة العالم من جراء اقفال القناة تتراوح بين (٤ر٣) ـ (٥) مليار دولار سنويا وهو مبلغ كبير يتحمله كل من الغرب والولايات المتحدة واليابان على اعتبار انها اكثر اقطار العالم استفادة من القناة . وهذا الرقم يساوي ضعف المبلغ الذى تخصصه الولايات المتحدة لبرنامج المساعدة الخارجية (١٨) .



الفوائد العالمية التى ستتحقق بعد فتح القناة

ان اعادة فتح القناة في المستقبل القريب سيخفض من الضغط على الشحن بالناقلات الضخمة . هذا ويمكن حصر فوائد اعادة فتح القناة في اربعة وجوه هى :

١ ـ الحد من زيادة الكلفة الناجمة عن زيادة المسافات التي تقطعها الشحنات في انتقالها من البلدان المنتجة للنفط في اقطار الخليج العربي الى اوروبا الغربية وامريكا الشمالية .

٢ ـ الحد من ارتفاع اجور الشحن بالناقلات في كل انحاء العالم .

٣ ـ تلافي ازدياد اجور شحن البضائع الجافة التي نجمت عن المسافات الاضافية للرحلة حول راس الرجاء الصالح والتي تستهلك وقتا اطول لكل سفينة ، وعليه فانها تزيد من ضغط الطلب على اسطول النقل البحرى في العالم .

٤ ـ تلافي زيادات اسعار النفط التي تحققت بالنسبة لنفط غربي السويس ، والتي لم تظهر الا نتيجة لازمة اغلاق القناة ، مثل النفط العراقي

(١٦) رجائي الملاخ ـ المرجع السابق .

(١٧) مجلة غرفة تجارة وصناعة الكويت العدد ٨٥ مارس ١٩٦٩ ص ٢٧ .

(١٨) رجائي الملاخ ـ المرجع السابق .

الواصل بالانبيب الى كل من بانياس وطرابلس ، والنفط السعودى المنقول بخط التابلاين الى صيدا في لبنان ، وكذلك نفط الشمال الافريقي .

المستفيدون من اعادة فتح القناة

لا شك في ان جمهورية مصر العربية تستفيد كثيرا من اعادة فتح قناتها اقتصاديا وسياسيا . فمن الناحية الاقتصادية تعتبر القناة موردا هاما للوطن اذ قدرت قيمة العائدات والخدمات حوالي ۳۰۷ مليون دولار في سنة ١٩٦٦ أى قبل اغلاقها . وكان من المؤمل ان يرتفع هذا الرقم نتيجة ارتفاع الاسعار وزيادة حركة العبور . ومبلغ كهذا له اهميته وقيمته لمصر ويساعدها على تنمية اقتصادها . ومن الناحية السياسية فان سيطرة مصر على قناتها ــ وهو حق من حقوقها الشرعية ــ سيكسبها مكانة ممتازة واستراتيجية هامة ، ناهيك عن اعادة توطين سكان القناة ومدنها المعطلة بعد الحرب والتى هى الآن عبء كبير على الاقتصاد المصرى . وانه وان قامت الدول العربية الشقيقة بتعويض مصر عن خسارة ايرادات قناتها ــ وهو عمل حميد ــ فان المشاكل الاجتماعية التى نجمت عن تهجير سكان القناة امر ليس هينا ولا يسيرا ، ولا يمكن حلها الا باعادة فتح القناة .

اما على المستوى العالمى فان العالم الغربى سيكون اكثر المستفيدين من استئناف حركة المرور في القناة ، ذلك لان نحو ٩٣ ٪ من هذه الحركة كانت لحساب العالم غير الشيوعى (١٩) . اما الكتلة الشيوعية فاستخدامها للقناة بسيط لا يتعدى ٧٪ فقط .

وعندما تاخذ في عين الاعتبار مجموع البضائع الجافة والمنتجات النفطية التى تعبر القناة ، فستجد ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تحتل المرتبة الرابعة من حيث نقل السلع في عام ١٩٦٦ ، وذلك بعد كل من ايطاليا والمملكة المتحدة وفرنسا . ويبدو أن حصة الولايات المتحدة قد زادت بنسبة ١٧٪ بين عامى ١٩٦٥ و١٩٦٦ .

ومن بين المنتفعين العشرة الرئيسيين للقناة نجد ان تسعة بلدان تقع في اوروبا الغربية اما العاشرة (ليس من حيث الترتيب) فهى الولايات المتحدة . وهذه البلدان العشرة تشكل معا اكثر بقليل من ٧٦٪ من مجموع حركة العبور لعام ١٩٦٦ . ومما يثير الانتباه ان حصة الاتحاد السوفيتى في العام نفسه لم تتجاوز ٤٪ .

ويبدو أن اعادة فتح قناة السويس مسالة هامة بالنسبة لاوروبا الغربية ، وبخاصة فيما يتعلق بمقدار احتياجاتها من النفط الذى يشكل نحو ٥٨٪ من مجموع الطلب على الطاقة في سنة ١٩٧٠ . وتستهلك الصناعة وحدها ٨٥٪ من هذه الواردات النفطية .

وبناء عليه فان سلامة القطاع الصناعى الاوروبى وتوسعه ونموه مرتبطة الى حد كبير بتوفير كميات كافية من النفط بسعر معقول . هذا ومن المعلوم أن نحو نصف واردات أوروبا النفطية تاتى من منطقة الخليج العربى في مقابل ٢٤٪ فقط من الشمال الافريقي . واذا ما سلمنا بكلفة الانتاج المنخفضة وحجم احتياطى النفط الهائل في الشرق الاوسط فانه من المتوقع ان يزيد حجم نفط الخليج المشحون الى اوروبا زيادة هائلة . وبالفعل يمكننا تتبع هذه الزيادة المطردة ، ففى عام ١٩٦٦ بلغت مستوردات اوروبا الغربية من نفط الشرق الاوسط نحو ٢١٧٫٥ مليون طن مترى ، وفي عام ١٩٧٠ ارتفعت الى ٣٠٩ مليون طن مترى ، وفي عام ١٩٧٢ وصلت الى ٤٢٦٫٤ مليون طن مترى (٢٠) اى ان المعدل السنوى للزيادة نحو ٤٠٪ وهى ولا شك عالية جدا . ومن المعلوم انه في عام ١٩٦٧ بلغت حمولة القناة من النفط نحو ١٧١ مليون طن . ولو افترضنا بان القناة ستسمح في بداية الامر ــ عند اعادة فتحها ــ بمرور الاحجام نفسها من الناقلات التى كانت تستخدمها قبل ١٩٦٧ فان ٣٠٪ من مجموع اسطول الناقلات العالمية سيتمكن من المرور منها بكامل حمولته . وقد ترتفع هذه النسبة الى ٤٠٪ اذا اخذنا في الاعتبار الناقلات التى تمر محملة في الذهاب وفارغة في الاياب (٢١) .

■■

محمد على الفرا
قسم الجغرافيا ــ جامعة الكويت

---

(١٩) رجائي الملاخ ــ المرجع السابق .

(20) B.P. Statistical Review of the world Oil Industry 1966, 1970 and 1972.

(21) The Suanday Times, Octpber 28, 1973.

رائد القصة العربية الحديثة



بقلم : حسن فتحي خليل

■ توفي محمود تيمور يوم ٢٥ اغسطس ١٩٧٣ الموافق (٢٦ رجب ١٣٩٣) عن تسعة وسبعين عاما . كان رائدا من رواد القصة المصرية وعلما من أعلام الأدب العربي المعاصر .

فلقد أعطى تيمور للأدب خالص حبه ووجدانه ، ووهب للقصة بالذات كل جهوده وصحته وقراءاته وكتاباته ، فاسهم منذ مطلع نهضتنا الادبية حتى الآن بكتابة القصة في كافة صورها، قصيرة أو طويلة او ممثلة .

وتيمور رائد بلا شك ، رائد كبير له تلاميذ ومريدون ، ويكفيه فخرا انه من اوائل واضعي الأساس للقصة العربية وأن من تبعوه انما يسيرون على نهجه فيزيدون لبنات في هذا البناء الذى وضع أساسه متينا قويا صامدا .

ولا غرو أن يكون تيمور اديبا متميزا ورائدا اعترف به الكافة ، فلقد نشا في بيئة كلها ادب وادباء ، فوالده المرحوم احمد تيمور باشا كان عالما جليلا وباحثا أصيلا ، وعمته المرحومة عائشة

التيمورية كانت شاعرة عصرها وكانت حدثا جديدا وقتئذ ، وشقيقه المرحوم محمد تيمور كان صاحب نهضة في الأدب الحديث ..

أثر محمد تيمور في أخيه محمود تأثيرا كبيرا

وكان محمد سافر الى باريس ليحصل العلم ففتنته المسرح هناك ، وفتنته الحياة الادبية ، واطلع على الأساليب الجديدة التي عولج بها الادب .. وفتنته المسرحية والقصة القصيرة .. فلما عاد الى وطنه نادى بما اعجبه وأوضح ما زاد به كلفا ... وقاد مع زملاء له النهضة الحديثة في الأدب المصرى آنذاك وكتب المسرحيات واتجه اتجاها جديدا في الأدب المصرى ...اذ كتب مجموعة قصصية ، هي «ما تراه العيون» ، وقد حاول أن يصور فيها نماذج مصرية محلية ...

وبث محمد تيمور في أخيه محمود تيمور هذه الروح الجديدة واطلعه على كل ما تأثر به وهو في باريس ... ووجهه نحو القصة القصيرة فسار على نهجه واحتذى حذوه .. وكان حتى ذلك الوقت يكتب الشعر المنثور ويديع الوجدانيات التي يفيض بها قلبه الشاب..وفي هذا يقول تيمور نفسه « كنت أستنير في مطالعاتي بهداية شقيقي.. فنصح لى فيما نصح أن اطالع حديث عيسى ابن هشام «للمويلحي» ورواية « زينب » للدكتور هيكل ، فرأيت فيهما لونا يختلف عن اللون الرومانسي الذى كنت غارقا فيه ، لونا واقعيا يهبط بالقارىء من سماء الخيال العليا حيث يعيش كالملائكة فوق الضباب الى الأرض التي نحيا عليها حيث نرى الناس بشرا مثلنا على فطرتهم التي خلقوا عليها .

وامتدح لى شقيقى غير مرة « موباسان » Maupassant الكاتب القصصي الفرنسي فبدات اطالعه وما كدت اقرا له مجموعة حتى فتنت به وتابعت قراءتي اياه في شغف عظيم ، واتسعت مطالعاتي فيما بعد في القصص الأروبي وتشعبت . واهم من قرات له هو تشيكوف Anton Chekhov الروسي الذى يصور ماسي الحياة في نواح فنية ناطقة » .

ثم يقول : كتب محمد تيمور اقاصيصه « ما تراه العيون » .. وقد نحا فيها نحو المذهب الواقعي وصور فيها مناظر مختلفة من بيئتنا المصرية واشخاصها ، صاغها اقاصيص جمعت بين فن مبتكر واسلوب رشيق سهل ، فاعجبت بها اعجابا دعاني الى أن أؤلف على غرارها فكتبت باكورتي في القصة « الشيخ جمعة » ثم اردفتها باقصوصة « يحفظ في البوستة » وكنت قد اهملت الشعر المنثور فاندفعت اكتب مترسما في كتابتي المذهب الواقعي وذلك بتاثير الجو الجديد الذى نعيش فيه ، وما كنت اقرا من قصص في هذا المذهب وكنت لا احفل بالاسلوب احتفالي بتصوير الواقع » .

« والشيخ جمعة » وان لم تعتبر قصة كاملة ، الا أنها صورة وصفية بديعة تصور ذلك الشيخ الفطرى في نقاء سريرته وفي فلسفته الساذجة التي تستعلي على مشكلات الحياة .

ولكن القصة التي تعتبر مكتملة المزاج الواقعي والخيالي اى مكتملة لعنصرى القصة الفني هي قصة « يحفظ بشباك البوستة » وموجزها سخرية طفيفة بادعياء المغامرات الغرامية وبخاصة في فورة الشباب ، وهذه القصة اتيح لها ان تترجم بعد ذلك بسنين الى الانجليزية في كتاب يضم نخبة من القصص في مختلف البلاد ولعلها كانت طليعة ما ترجم من الأدب المصرى الى لغة اجنبية وربما كان السر في اختيارها لتمثل الادب المصرى آنئذ انها كانت موفورة الحظ من اللون المحلى الذى يجذب انظار القارىء الأجنبي .

وفجعه القدر في شقيقه محمد سنة ١٩٢١ وهو في عنفوان شبابه ، وشعر على اثر ارتحاله الى دار الخلود بانهيار ما كان يطمع اليه من نماء النبتة الجديدة .. نبتة القصة في ادبنا القومي الحديث. ويقول تيمور .. « ورأيتني اضعف من اخلف شقيقي الراحل على ما كان يبشر به ويسعى اليه فاخلدت الى سكينة اليأس – لبعض حين – ولكن عجلة الحياة جعلت تدفع بي في طريقها المحدود لا يعنيها من الأمور الا ان تستكمل دورانها ولا تبالي بمن انقطعت به الطريق .. فاخذت جراح الفجيعة تندمل رويدا وان كانت الذكرى باقية بقاء الروح في الجسم الحى » .

ونشط لعمله ، وخطا على الدرب في تؤدة وحذره ونفض عن كتفه اليأس ، واقصى شبح الاخفاق ، معولا على نفسه ، مهتديا بهدى شقيقه الراحل فكان يكتب الاقاصيص مندفعا بباعث من وعيه الباطن الى استكمال ما كانت نفس شقيقه تصبو الى تحقيقه لو مد الله في عمره وهو يحس انه بهذا النشاط يكرم روح شقيقه ويقرئها واجب التحية والاجلال

كتابه الأول وكتابه الثاني

وما ان أقبل عام ١٩٢٥ حتى كان قد تجمع لديه ما يصح اخراجه في مجموعة قصصية فسارع الى طبع كتابه الاول « الشيخ جمعة وقصص أخرى » واتبعه بكتابه الثاني « عم متولي » .

ومكث في أوروبا حينا وعاد برأى في القصة جديد

ويقول تيمور عن هذه الفترة « سافرت في سنة ١٩٢٥ وما بعدها الى أوروبا ومكثت بها حينا يزيد على العامين قضيت معظمه في سويسرا فتفرغت للقراءة واتصلت بالأدب الحديث اقرب اتصال ، وطالعتني أثناء اقامتي هناك مرئيات ومناظر هزت نفسي وتغلغلت في صميم قلبي ، كما أن خبرتي بالحياة ومعرفتي لها اتسعت وتنوعت فكان لهذه الحياة الجديدة التي عشتها هناك اثر لا ينكر في تطور فكري ، ورايت على ضوء مطالعاتي الجديدة وفهمي لنظريات الأدب العالمي أن اللون المحلي ليس كل شيء بل هو بعض الشيء ، وما الأدب الكبير الا ان يولي الانسان وجهه شطر النفس البشرية ، فحولت اتجاهي نحو هذه الوجهة محاولا التقدم فيها ما استطعت الى ذلك سبيلا » .

وعلى ضوء كل هذه المؤثرات السابقة ظل تيمور يكتب ويكتب .. بل ويجدد في كتاباته واتجاهاته الفنية .. وتحول من التصوير الواقعي البحت الى تدبيج القصص الممتزجة واقعيا بالخيال واتجه احيانا نحو الرمز ... وظل يطالع قراء العربية في الصحف والمجلات باقاصيصه الفنية وانشا مدرسة كبرى ... مدرسة القصة القصيرة في الأدب العربي . وقلده الكثيرون فسار على نهجه شباب كانوا يتعطشون الى المعرفة والى الالوان الجديدة من الفكر والتعبير العربي الجديد .. وكان يجمع كل مجموعة من هذه الأقاصيص في كتاب ... حتى اكتملت نحو اكثر من عشرين مجموعة قصصية تقريبا وبذلك استحق تيمور أن يلقب برائد القصة القصيرة في الادب العربي وزعيمها وواضع اسسها .

الى القصص القصيرة ، أضاف الروايات الطويلة والمسرحيات

ولم يكتف تيمور بهذا البناء الشامخ بل أراد أن يتسع في مبانيه وان يقيم صروحا أخرى تشهد بكفاءته كاديب .. وكمعلم وكرائد . فاضاف الى القصص القصير روايات طويلة ومسرحيات تاريخية وعصرية تمثل وتنال نجاحا يعتد به .

ومحمود تيمور في رواياته قد تاثر بالمدرسة الواقعية الغربية ، تاثر بما كتبه ترجنيف Ivan S. Turgenev وموباسان اى تاثر بالادب الروسي والادب الفرنسي كما تاثر بالكتاب الروائيين المصريين ، وان كان تيمور هو الرائد في كتابة القصة القصيرة الا انه بدأ في كتابة القصة الطويلة بعد أن سبقه في هذا الميدان الدكتور طه حسين والمرحوم محمد حسين هيكل والكاتب الكبير توفيق الحكيم ، ولقد سار تيمور على نفس الدرب الذى ساروا عليه في معالجة القصة الطويلة وتاثر كل التاثر بالروحانية الشرقية ، كما تاثر بالنزعة الاجتماعية الناقدة للمجتمع والتي تصور الضعف البشري .

روايته « نداء المجهول »

وتبدو روح الشرق المتصوف في روايات تيمور الاولى وخاصة في رواية « نداء المجهول » ومجال الرواية روحاني الى حد كبير الا ان نزعتها الواقعية تبدو واضحة فيما يعتمد اليه تيمور في وصف شخصياتها وكذلك بيئة حوادثها وفيما يعمد اليه من تحليل الانفعالات والعواطف .

وروايته « سلوى في مهب الريح »

وكما تطور تيمور في كتابة القصة القصيرة تطور كذلك في كتابة الرواية فظهرت روايته « سلوى في مهب الريح » وفيها يعالج اثر البيئة والوراثة في تكوين ملامح شخصية الفرد وسلوكه ، والرواية عن فتاة تتاثر بهذه العوامل كلها وتدفعها شخصية امها واخلاقها الى الزلل .

ومن هاتين الروايتين ندرك كيف تطور تيمور في كتابة الرواية .. فالأولى وهي « نداء المجهول » تقوم على الخيال وان كان بها بعض الجوانب الواقعية الطفيفة ، والثانية تقوم على الواقع يحلله الكاتب تحليلا نفسيا وتظهر بوضوح الصور الوصفية فاذا به يصف الأماكن وصفا ملموسا كما يصف الشخصيات وطرق احاديثهم ويعبر بالحوار عن شخصيات الأبطال والعلاقات بينهم .

ثم الى التحليل والنقد فى روايته «الى اللقاء أيها الحب»

ثم يأخذ تيمور فى التطور فيصل الى أروع رواياته التى تقوم على التحليل والنقد، يأخذ من الواقع لمسة ثم يتجه الى التحليل النفسي ويتخذ لنفسه طريقا يميزه عن غيره من الكتاب ويظهر هذا بوضوح فى رواية «الى اللقاء أيها الحب».

ثم الى المسرحيات

وكتب تيمور للمسرح بضع مسرحيات .. حاول فى بداية حياته الادبية أن يجارى شقيقه محمد فى خلق المسرحية المصرية المحلية ثم تطور فى كتابة المسرحية فاستمد قصصه المسرحية من وحى الاحداث التى تحيط به ويعيشها كمسرحيته «المخبأ رقم ١٣» و «قنابل» اللتين استمد مادتهما من وحى الحرب العالمية الثانية وما لازمها من أهوال وأحداث جسام .

ثم الى التاريخ يستمد منه مادته

ثم توجه بعدئذ الى معين لا ينضب مادته الا وهو التاريخ يستمد من احداثه المسرحيات العديدة ولكنه لا يتناول ابطال هذه المسرحيات التاريخية التناول العادى بل ينظر اليهم من زوايا جديدة .. ينظر اليهم من ناحية النفس البشرية والنزعات الانسانية .. ففى مسرحية «صقر قريش» يتناول عبد الرحمن الداخل احد حكام بنى امية الذى فر من العراق الى الاندلس واقام بها دولته الاسلامية .. يتناوله تيمور ليتعمق أغوار نفسه وما فيها من عقد والمؤثرات التى دفعته الى كل ما قام به من اعمال عظام من ناحية ، والى الحقد وخلو قلبه من الشفقة والرحمة من ناحية اخرى ، اذن فتيمور يستكشف عبد الرحمن الداخل كانسان وليس كمجرد شخصية تاريخية .

ويقول الأستاذ زكى طليمات «ان صغار كتاب القصة او المسرحية يؤخذون دائما بأسباب البطولة البراقة التى يضيفها التاريخ الى الشخصية التى يعالجونها فاذا هم يرسمونها وكأن صاحبها كان ليس من فصيلة البشر ، بعد أن يعلوا بصفاتها على مصاف الآدميين ويعصموها عن مواطن التردد والتشكك والضعف والخور ، ولكن محمود تيمور عرف هذا الفارق بين المجهود التاريخى فى الكشف عن تفسير النزعات الخفية التى تعتلج فى نفوس ابطاله وتدفعهم الى العمل ، وبين الصدق الفنى القائم على حقيقة أن النفس واحدة فى جميع العصور بما تتأثر به ثم بما تؤثر فيه .

ولقد أدار تيمور مسرحيته أيضا ليقول ان للجد والمثابرة وللصبر والمصابرة فى سبيل تحقيق الغاية ان لهذا كله ثمرة وجزاء وان المطالب لا تنال بالتمنى وان المحن والاهوال انما هى مقياس القوى الكبيرة الكامنة فى الافراد والشعوب وهذا كله من صميم ادب القوة لا الخور ومما يجب أن يقرع اذان شعوب الشرق العربى وقد أخذت أسباب القوة وأيقنت على هدى الاحداث الا حق ينال من غير قوة تسانده . »

واستمد تيمور من رحلاته الكثير

ولم يكتف تيمور بان يكون اديبا قصصيا ومسرحيا فحسب وانما هو كاتب رحلات من الطراز الأول .. ولقد ساعدته أسفاره الكثيرة المتعددة على أن يكتب عنها بقلم الاديب الساحر وأن يتناولها بنظرة الأديب المتعمق .. والكاتب الفنان حين يرحل يحمل معه روحه ونفسه وقلمه فهو ينقل مشاعره على الورق حتى ليخيل اليك وأنت تقرؤه انك ماض معه مطوفا فى البلاد والانحاء .

وان كان تيمور قد افاد من أسفاره متاعا نفسيا لا حد له اذ رأى ذلك العالم الزاخر بالصور والحضارة والافكار وصادف عشرات المفكرين والباحثين والمثقفين واتصل بالوان من الناس فانه قد أضاف لأدبه وانتاجه وفنه خبرة كبرى هى رصيد لمادته المنوعة العجيبة التى تجمعها قصصه. ولقد سافر تيمور فى مطلع الصبا الى باريس واستقر فى سويسرا وطوف باوروبا ثم سافر الى امريكا وكتب كتابه الرائع «أبو الهول يطير» يصور فيه الحياة الامريكية تصويرا دقيقا رائعا وهذا هو كتابه الاول عن الرحلات . ثم اذا به بعدها يطالعنا بكتابه «شمس وليل» وهو عن رحلة الى السويد يتناول فيه شتى مناحى الحياة فى السويد ويصف الشمس التى تظهر فى منتصف الليل .. كل ذلك فى اسلوب شائق وملاحظات عميقة ومقارنات مفيدة بين أحوالهم وأحوالنا .

ولقد قام أخيرا برحلة الى ايطاليا .. كتب عنها

كتابا يصف فيه احدى البقع بايطاليا وصــف الأديب المتعمق

وهكذا أعطت الرحلات لتيمور زادا فنيا واسلوبا رائعا وأمدت روحه بالفن والجمال .

هذا هو تيمور الاديب .. في أقاصيصه وفي رواياته وفي مسرحياته وفي رحلاته .. شخصياته فيها تتميز بالازدواج .. الشخصية الظاهـرة المحسوسة التي تعمل في المحيط العام المتصل بالمنطق والعقل وقيود المجتمع وتقاليده ، والشخصية الأخرى تحركها عوامل باطنة خفية تبرق في سماء العقل الظاهر كالبرق الخاطف .

كما أن قصصه المسرحية تتميز بالبســاطة الفنية والعمق البالغ والقلق الروحي الحائر وهو لا يتكلف ولا يغالي ولا يستجدي تصفيق الجماهير بالعبارات الحماسية أو الحكم ولا يتملق العواطف بالكلام الجريء او المكشوف .

لم يكن تيمور أديبا فحسب

ولكن تيمور ليس اديبا فحسب .. ليس مجرد اديب يكتب فقط انما هو انسان فوق كل ذلك .. ورجل ذو اخلاق .. تنعكس هذه الصفات على ادبه فاذا به يرسم لرجل الفن صورة تصـدر من صميم نفسيته المتعالية على الاثم الراغبة في خلق عالم افضل واذا هو يصور الفن والجمال والحب على انها معان عالية ممتازة فيقول «فالفن الذي يرمي الى الخير ولا يكون الفن فنا الا اذا كان الخير وجهته . والفنان لا يكون فنانا الا اذا كان الخير وحي فنه وغايته ، او بذرة الخير أصيلة كامنة في تلافيف هذا العالم وهي التي تسير به دائما الى هدف معين هو متعته ورقيه . »

وتيمور يؤمن بأثر القصص في تربية الناس على اعتبار أنها الوسيلة الصالحة في بلوغ الهـداية ونصرة الأخلاق اذ هو يقول « فالقصة الفنية تصاغ حوادثها على نحو يكفل التسلية ويجري كل شيء فيها مستورا تحسه ولا تراه وهي بعرضها مشهدا من مشاهد الحياة ، كما يكون في الواقع ، انما تتيح لنا أن نتأمل في صحائف حياتنا لنتحرر من مزالق الرذيلة ، وهذه الوسيلة في العرض والتعبير تفعل في النفس أكثر من الوعظ المباشر لأنها تتسرب الى الحس من غير استئذان او تنبيه . »

ولا يضع تيمور على عينيه منظارا اسود حين ينظر الى الحياة او حين يرسم الحياة بل تراه مشرق النظرة يتوسم في الحياة الضياء والنور والطلاقة وتقوم نظريته على الحب والخير ، فهو ابعد الناس عن الخصومة التي تجدها في ثنايا قصصه . .ولو انه طبعا يؤمن ان الحياة لا تنطوي على الخير المحض وانما يمتزج به دائما الشر ولكنه يغلب الخير على الشر في سماحة هي سماحة نفسه الحقيقية .

لغة تيمور لغتان

واللغة في ادب تيمور مرحلتان هامتان ـ بدأها غير متعمق بالاستمساك بالفصحى ورعاية أساليبها العالية ثم طورها الى لغة عربية أصيلة فصيحة عالية .. ولما سئل في ذلك اوضح أسبابه فقال : « ان حقيقة الأمر أني نشأت ـ والشباب جديد ـ في عصر تنادينا فيه بالقومية المحلية والشخصية المستقلة تمشيا مع النزعات الوطنية يومئذ وكانت العامية في رأى شباب ذلك العصر من مقومات الشخصية ومن مظاهر القومية ومن دلائل الاستقلال ، فاقبلنا على الكتابة ونصب أعيننا الترحيب بالتعبير المصري المعبر عن نفسيتنا وبيئتنا وحياتنا . وربما كان مما أيد وجهة نظرنا أن أساليب الكتابة بالفصحى كانت غارقة في زخارف لفظية ومحسنات بديعية واوضاع جامدة لا حياة فيها ولا روح ، فاقبلنا على كتابة قصصنا ثم مشينا في تجاربنا ، ونهضــت الأساليب الفصـيحة نهضة عظيمـة وتخلصت من الزخرف والتكلف وظهـر كتّاب يحملون اقلاما بليغة يعالجون بها موضوعــات عصرية فنية حية فكان ذلك كله حافزا على أن نرجع الى حظيرة الفصحى ونستمسك بها ، ومما شد من عزمنا في هذا السبيل وحث من خطانا علـى هذا الدرب اننا أدركنا أن العربية وان ادبنا العربي ليس محدودا بحدود مصريتنا الضـيقة في ذلك العهد انما نحن امة عربية سبيل التفاهم بين اطرافها هو الفصحى ، فمن يكتب بالفصحى يكتب بلغة عالمية يقرأها الملايين . »

تيمور في مجمع اللغة العربية

وفي سنة ١٩٤٩ عين محمود تيمور عضوا في مجمع اللغة العربية ولقد استقبله الدكتور طه حسين وكان وزيرا للمعارف وقتذاك .. استقبله في المجمع بمناسبة تعيينه عضوا به مرتجلا قطعة ادبية خالدة منها هذه الكلمات .

« صدقتني أيها الزميل العزيز انك لم تكن في حاجة الى هذا الخلود المستعار ، فقد اتخذت لنفسك من جهدك وخصب ذهنك ونسيج عقلك وذكاء قلبك وانتاجك الرائع المبدع خلودا ابقى واشمل واخص من هذا الخلود الذى لا تكسبه انفسنا وانما نستعيره من عمل يبقى هو ونزول نحن . لقد سبقت انت الى شيء لا اعرف احدا شاركك فيه الشرق العربى كله الى الآن ، واذا ذهب احد مذهبك او جاء احد فيما بعد بخير مما جئت به فلن يستطيع أن يتفوق عليك لأنك فتحت له الباب ومهدت له الطريق ويسرت له السعى وانحت له ان ينتج وان يمتاز وان يتفوق .

هذا الذى تفوقت فيه وامتزت وسجلت به لنفسك خلودا في تاريخ الادب العربى لا سبيل الى ان يمحى ، هو القصص على مذهبه الحديث في العالم العربى .

فادبك ليس مقصورا على مصر ولا هو مقصور على البلاد العربية وحدها ولكنه تجاوز حدود مصر ثم ضاقت به حدود البلاد العربية فعبر البحر الى اقطار مختلفة من أوروبا .

فاذا قيل انك اديب مصرى ففى ذلك غض منك، واذا قيل انك أديب عربى ففى ذلك تقصير في ذاتك ، وانك تُوفى حقك اذا قيل انك أديب عالمى بادق معانى الكلمة واوسعها واعمقها .

ففى اطوار حياتك الأدبية ما يعطى منك صورة القصاص العربى الذى يصل الى أعماق الحياة ويفهم كنهها ويستخلص صفوتها ، يصوغ ذلك صياغة حسنة ، فاذا كتب ، قراه العامى لانه يلائم ذوقه وقلبه وطبعه ، وقراه الرجل الخاص لان فيه من الابتكار في المعانى ما لا يجده في كثير جدا من الأدب الخاص الممتاز . »

تكـريم

ولم تنس الدولة محمود تيمور بل كرمته اكبر التكريم ففى عام ١٩٤٧ قرر مجمع اللغة العربية تتويج جميع الانتاج القصصى لمحمود تيمور ومنحه الجائزة الاولى للقصة .

وفى عام ١٩٥٠ كرمته الدولة فمنحته جائزة الدولة للاداب واقيم احتفال لذلك في الجامعة كما منح جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٣ .

وبالاضافة الى هذا فقد قررت هيئة التحكيم (جمعية فرنسا ـ مصر ـ باريس) أن تمنح جائزة واصف غالى باشا لسنة ١٩٥١ لكتاب « عزرائيل القرية وقصص آخرى » وهى مجموعة من قصص تيمور ترجمت الى الفرنسية ونشرت بباريس .

هذا وتبلغ الكتب التى اصدرها تيمور اكثر من ستين كتابا كما ترجمت قصصه الى اللغةالانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية واليوغوسلافية والمجرية والايطالية والعبرية والقوقازية والازبكستانية والاسبانية والصينية والاندونيسية والاردية والبنغالية .

تيمور ، الأستاذ الموجه النبيل

هذه عجالة عن حياة تيمور وادب تيمور ، وان الكتابة تستدعى صفحات وصفحات بل كتبا باكملها، ولقد نشرت فعلا خمسة كتب عن تيمور وحياته وادبه .. رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان نعم الاستاذ النبيل والاديب ذى الخلق ، فلقد وجهنى فاحسن توجيهى وقوم أدبى واخذت عنه الكثير من الأخلاق والصفات فلقد علمنى أن الاديب انما هو انسان يجب ان يتحلى بالاخلاق قبل كل شيء ، وان معنويات الأدب والفن والأخلاق تسير كلها في خط واحد وعلمنى أن الصدق في التعبير الفنى انما ينبع من صدق الفنان مع نفسه ومع قلبه ، وعلمنى أن أحب الناس جميعا لأنهم مادة ما نكتبه من قصص فان لم نحبهم ونتعاطف معهم ونستجلى نفوسهم وما تجيش به قلوبهم فلا يمكن ابدا ان نتناولهم تناولا سليما ، وعلمنى أن يهب الأديب الفنان للادب كل جهده وأن يثابر دائما على القراءة والتزود من مناهل العلم والثقافة والأدب ، وعلمنى .. فانا مدين له بالكثير .. ومجموعة كبيرة من الأدباء المصريين خاصة والعرب عامة مدينون له مثلى .. فهو أستاذنا وهو رائدنا .. نهتدى بهديه ونتبع خطاه وندعو له جميعا الى الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنانه .

حسن فتحى خليل

المراجع :

١ ـ قصة « محمود تيمور » للأستاذ أنور الجندى

٢ ـ محمود تيمور الأديب للأستاذ صلاح الدين أبو سالم

٣ ـ أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ للأستاذ محمود بن الشريف

أنباء الطب والعلم والاختراع

نصيحة للأمهات : لا تطعمن أطفالكن أكثر من اللازم لوقايتهم من مرض السمنة

● في كثير من المجتمعات لا تزال سمنة الأطفال علامة مميزة على حسن الاعتناء بهم من ناحية امهاتهم . ولكن الدراسات العلمية الحديثة تشير الى ان زيادة التغذية في السنة الاولى من عمر الطفل قد تؤدي الى داء السمنة في سن المراهقة او في المراحل الاولى من سن الشباب . وقد دلت عدة بحوث على ان الانسجة التى تخزن فيها الدهنيات داخل الجسم لها وقت حاسم للتكون خلال العام الأول من العمر ، وفي هذا الوقت الحاسم يتحدد حجم وعدد الخلايا الدهنية مدى الحياة . وتلعب عوامل الوراثة دورا في التعرض للسمنة ، حيث ان هناك نسبة عالية من

التغير في خلايا العضلات الملساء للشرايين قد يكون هو السبب في الاصابة بمرض تصلب الشرايين

● يقول الاطباء ان اهم المكونات الخلوية للرقائق الليفية ، وهى التى تسبب الخطورة في حالة الاصابة بمرض تصلب الشرايين Atherosclerosis ، هى من خلايا العضلات الملساء التى تبطن جدران الشرايين .

وتكاثر هذه الرقائق مع تكون ترسبات دهنية ، ودماء متجمدة ، وانسجة ضامة ، قد يؤدى الى انسداد الشريان مما يسبب العجز او الموت . ويبقى السؤال الكبير الذى لم يتوصل الأطباء بعد الى الاجابة عليه ، وهو ما الذى يتسبب في تكوين هذه الرقائق ؟ هل هو أختراق الحوامض الدهنية والكولسترول Cholesterol لجدران الشرايين . او تكوين جلطة Clot على السطح الداخلى لجدار الشريان ، او هو نوع آخر من اصابة جدار الشريان بجروح !؟

وللاجابة على هذا السؤال قام فريق من الاطباء في كلية الطب التابعة لجامعة واشنطن بالولايات المتحدة الامريكية باجراء عدة تجارب استخلصوا منها ان عملية التغير الاحيائى Mutation في خلايا العضلات الملساء للشرايين قد يكون لها دخل في الاصابة بمرض تصلب الشرايين، وان عملية التغير هذه قد تكون بسبب التعرض لعوامل كيميائية او الاصابة بفيروس معين .



مرضى السمنة يعانى آباؤهم من نفس الداء .

ولكن دراسة اجريت على بعض التوائم الذين ربوا فى بيئات منفصلة دلت على أن الوراثة ليست هي العامل المؤثر الوحيد . وقد دلت احدى الدراسات على أن نسبة ازدياد الوزن فى الشهور الاولى الحاسمة من عمر الطفل هى المؤثر الفعال على السمنة اكثر من العوامل الوراثية .

وقد اقترح الدكتور س.ل. هامر S. L. Hammar فى مقال نشره فى المجلة الامريكية لأمراض الاطفال ان الطريقة المثلى للتحكم فى وزن الانسان ، هى منع السمنة ، وذلك بأن يقوم الأطباء بنصح الأمهات بأن لا يغذين اطفالهن اكثر من اللازم ، وان لا يدخلن الأطعمة الجافة على طعام اطفالهن فى طور مبكر من العمر . ويدلل الدكتور هامر على أهمية رايه بان الوسائل المتبعة حتى الآن فى انقاص الوزن فى سن البلوغ والمراهقة لا تؤدى الى نتائج فعالة ، وان هناك بعض حالات زيادة الوزن او السمنة لا يؤثر فيها اى نوع من الحمية او العلاج .

ولا يبقى امام مثل هؤلاء الاشخاص الا ان يؤهلوا نفسيا واجتماعيا لكي يتعايشوا مع زيادة وزنهم .

ويقول هذا الفريق من الاطباء ، وهو مكون من الدكتورين ايرل وجون بنديت Earl and John Bendeitt وهما اب وابنه ، انهما بملاحظتهما ان خلايا الرقائق الليفية التى تظهر فى حالات تصلب الشرايين تختلف من ناحية الحجم والصفات الأخرى عن الخلايا العادية فى جدران الشرايين السليمة ، قد تساءلا عن السبب فى هذا ، وعما اذا كانت خلايا هذه الرقائق هى خلايا متحولة تغيرت فيها المورثات Genes عنها فى الخلايا الاخرى السليمة ؟

وتوقع الباحثان ، اذا صح حدسهما ، ان تكون خلايا الرقائق الليفية احادية ، وان تكون كلها متجانسة وناتجة عن خلية مفردة ، بخلاف الأنسجة البشرية الأخرى العادية الناتجة عن مزيج من الخلايا .

ولاثبات وجهة نظرهما قام الطبيبان بتحليل أنزيم معين يسمى Glucose - 6 - Phosphate dehydrogenase وهو انزيم ينتج عن الجينات فى الكروموسوم x ، والمعروف ان كل خلية انثوية تحتوى على اثنين من الكروموسوم x واحد من الأب والآخر من الأم . وبهذا تكون كل انثى هى عبارة عن توازن من نوعين من الخلايا . ولما كان هذا الانزيم يتكون من نوعين أ و ب A,B فان أى نسيج خلوى عادى من اى انثى يحتوى على خليط من نوعى هذا الأنزيم « أ » و « ب » .

وقد اثبتت نتيجة التحليل الذى قام به هذان العالمان ان العينات المأخوذة من انسجة انثوية سليمة قد اثبتت كلها انها تحتوى على خليط من هذا الانزيم ، فى حين ان العينات المأخوذة من الرقائق الليفية فى المصابات بمرض تصلب الشرايين قد اثبتت أنها تحتوى على نوع واحد فقط من هذا الانزيم .

وهذه النتيجة التى تدل على ان الرقائق هى احادية الخلايا تدل على أن تهتك جدران الشرايين أو اصابتها بجروح

ليس هو السبب فى تكون هذه الرقائق ، وان هذه الرقائق انما هى ناتجة عن خلية واحدة أشبه بورم أو نتوء صغير . واشار الباحثان الى أن هناك تغيرا يحدث فى الخلية ، بطريقة ما ، فى المادة الموروثة Genetic Material وأن هذه التغيرات قد يزداد حدوثها نتيجة عوامل تنشط انقسام الخلايا ، كما أن زيادة مستوى الدهنيات فى الدم ، وكذلك ارتفاع ضغط الدم ، يؤديان الى انقسام خلايا جدران الشرايين .

وينهى الطبيبان بحثهما بانه للبحث عن أسباب الاصابة بتصلب الشرايين يجب الاهتمام بالعوامل التى تعمل على تغير الخلايا ، وهى اما عوامل كيميائية أو فيروسات أو كلاهما معا .

الشاعر البريطانى كيتس
كان طبيبا قبل أن يتحول الى الشعر

● **معظم الناس الذين يعنون بالشعر** الانجليزى يعلمون ان الشاعر المشهور جون كيتس John Keats مات بالسل فى عام ١٨٢١ ، ولم يكن عمره يتعدى الخامسة والعشرين . ولكن قليل جدا هم الذين يعرفون أن هذا الشاعر البريطانى قد جمع بين الشعر والطب فى حياته القصيرة هذه . لقد درس كيتس الطب وتدرب على الجراحة عدة سنوات، وحتى الناس الذين علموا بأن كيتس قد درس الطب افترضوا أن الشاعر قد اجبر على هذه الدراسة العلمية ، ولم يكن راغبا فيها . ولكن الحقيقة التى أعلنها روبرت جتنجس R. Gittings بعد ان تتبع تاريخ حياة كيتس ، ان الشاعر قد اختار دراسة الطب بناء على رغبته هو ، وانه استطاع الحصول على درجة تؤهله لمزاولة مهنة الطب كممارس عام قبل ان يتفرغ بقية عمره لقرض الشعر . ولكن عمره لم يطل بعد ذلك اكثر من ٤ اعوام فقط .

ويقول جتنجس فى مقال له عن كيتس نشر مؤخرا فى مجلة الرابطة الطبية الامريكية أن كيتس التحق بعيادة طبيب عام يسمى توماس هاموند T. Hammond وهو فى الخامسة عشرة من عمره تمهيدا لو قاء مدة خمس سنوات فى التدرب على الأعمال الطبية ، وكان هذا من شروط دراسة الطب فى ذلك الوقت ، وأثناء تدربه على مهنة الطب قرض الشعر وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، ولكن أعماله الشعرية هذه لم تكن تنبىء عن اية عبقرية او امتياز . وفى العشرين من عمره التحق « كيتس » بمدرسة الطب فى مستشفى جايز Guy's وسانت توماس Sk. Thomas بلندن . وبدأ فى حضور محاضرات فى العلوم الطبية كالتشريح وعلم الوظائف والكيمياء الحيوية . وحقق كيتس نجاحا سريعا حتى انه منح وظيفة مساعد جراح .. وبدأ كيتس فى هذه الفترة يتحول الى الشعر . وبدأت كراهيته لمهنة الطب


جون كيتس



أكسيد النيتروجين الناتج عن محركات السيارات
كيف يتم التخلص منه لمنع تلوث الجو ؟!

● من بين ملوثات الجو الناتجة عن محركات السيارات ، والتي تقلق بال المسئولين عن صناعة السيارات ، غاز اكسيد النيتروجين« No » وينتج هذا الغاز بتأثير الحرارة الشديدة الناتجة عن محرك السيارات والتي تؤدى الى اندماج النيتروجين الموجود فى الجو مع الاكسجين مكونا غاز اكسيد النيتروجين ، والذى يخرج من عادم السيارات مسببا تلوث الجو . وقد تم اكتشاف مادة حفازة Catalyst تعمل على تحويل غاز اكسيد النيتروجين الى نيتروجين وماء او ثاني اكسيد الكربون. وقد تمت بنجاح تجربة مرشحات مملوءة ببودرة من هذه المادة الحفازة التي تضم فى مكوناتها بعض الاكسيدات من المنجنيز والرصاص وغيرها من المواد . ويقول فريق العلماء الذى اعلن هذا الاكتشاف ، وهم من العاملين فى معامل بل Bell للبحث العلمي فى الولايات المتحدة الامريكية ، ان هذا الاكتشاف الجديد قد يحل مشكلة من مشاكل انتاج محركات السيارات التي تتلاءم مع الشروط الجديدة لمنع التلوث فى اغلب بلدان العالم ، وخاصة انه ثبت بالتجربة ان هذه المرشحات الجديدة لا تنتج سوى كميات ضئيلة جدا من مادة النشادر « الامونيا » (وهي ناتجة عن تفاعل النيتروجين والهدروجين) وهذه المادة بالذات تؤثر على فعالية محرك السيارة اذا زادت عن حد معين .

فى الازدياد عندما اصبح مساعدا لجراح يسمى ويليام لوكاس الصغير W. Lucas. Jr. وكانوا يطلقون عليه اسم جزار المستشفى ، لانه كما قال عنه الكثيرون من زملائه كان يجعل كل من يساعده يرتجف هلعا فى غرفة العمليات بسبب اخطائه فى قطع الشرايين واسالة كميات كبيرة من دماء المرضى . ولكن بالرغم من هذا تقدم كيتس لامتحان طبى وحصل على رخصة الجمعية الطبية لمزاولة المهنة كممارس عام .. وسجل اسمه لاجتياز امتحان الكلية الملكية للجراحة .. وفى خريف عام ١٨١٦ ولم يكن كيتس قد بلغ الواحدة والعشرين ، قام بكتابة قصيدته المسماة : «on First Looking into chapman's Homer» وذهب بقصيدته هذه الى الناقد الادبى الانجليزى لى هانت Leigh Hunt الذى أعجب بها ونشرها ثم كتب عن كيتس وشللى قائلا انهما يكونان مدرسة حديثة فى الشعر . وكانت هذه هى نقطة التحول التى ساعدته على ان يتخذ قراره فى ترك مهنة الطب والتحول الى الشعر .

وفى ٣ مارس عام ١٨١٧ انتهى عمل كيتس فى المستشفى. ولم يدخل امتحان الكلية الملكية للجراحة .. وفى نفس هذا اليوم ظهر فى الأسواق كتاب رمادى صغير تحت عنوان « اشعار لجون كيتس » وبهذا تحدد مستقبل الطبيب الشاعر الذى لم يمهله القدر اكثر من اربع سنوات .

■■



بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ توقفت الفتوح الاسلامية حوالى النصف الثانى من خلافة امير المؤمنين عثمان ابن عفان . وانصرفوا الى الاختلاف فيما بينهم . وزاد الفتنة اشتعالا ما احدثه معاوية بن ابى سفيان من خروج على الامام على كرم الله وجهه ودارت رحى الحرب بين طوائف المسلمين ، ثم بلغت الفتنة منتهاها حين انشق جمع من المسلمين عرفوا باسم الخوارج فكانوا بلاء شديدا على خلافة الامام علي شغلوه عن استقرار امره ، وصرفوه عن انتصاره على معاوية ، الذى ظل متفرجا على ما يدور بينهم حتى انتهى الامر بما فعله عبد الرحمن بن ملجم، عليه لعنة الله ، اذ ضرب الامام عليا بالسيف وهو يصلى بالناس

ثم آل الامر الى معاوية بعد ان تنازل الامام الحسن بن علي ، ليجمع شمل المسلمين وانتهت ايام معاوية وابنه يزيد،وبلغت الفرقة اشدها بعد ان تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة .

اربعة ألوية

فعبد الله بن الزبير اعلن الخلافة لنفسه بالحجاز ، واستولى على بعض العراق . ومروان ابن الحكم اعلن الخلافة بالشام . وطائفة اتبعوا محمد بن الحنفية . وهو محمد بن الامام على كرم الله وجهه . وكان لاتباعه أنصار فى مكة والعراق . هذا الى جانب الخوارج الذين تسببوا فى اضعاف جنود الامام علي واغاروا على كثير من المواطن الاسلامية ، والذين يرون ان من خالفهم كافر حتى بعض الصحابة وعلى راسهم امير المؤمنين عثمان بن عفان وامير المؤمنين الامام على . ولا ندرى كيف جاز على عقول اتباعهم أن يكون الخليفتان المبشران بالجنة كافرين ، وهما من اول المؤمنين بالرسول ، ومن اعظم المجاهدين فى الاسلام . فى حين ان هؤلاء الخوارج ما عرفوا الاسلام الا بعد ذلك .

ولقد يعجب المرء من تفانى زعمائهم فى عقيدتهم التى استولت عليهم ، فجعلتهم يستبسلون فى

القتال ، ويلقون بارواحهم رخيصة في نيران الحروب ، وبلغ من فرقة المسلمين أن يذكر ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك انه في سنة ثمان وستين من الهجرة وافت عرفات اربعة الوية : ابن الحنفية في أصحابه في لواء . وابن الزبير في لواء .. ونجدة الحروري في لواء . وبنو امية في لواء .

ومع أن هذه اشهر حرم ، وعند بيت الله المحرم ، خشي الناس أن تقع بينهم معارك ، يقول محمد بن جبير فيما يرويه الطبري : خفت الفتنة ، فمشيت اليهم جميعا ، فجئت محمد بن على في الشعب فقلت : يا ابا القاسم ، اتق الله فانا في مشعر حرام ، وبلد حرام ، والناس وفد الله الى هذا البيت ، فلا تفسد عليهم

واول ما يعرف عن المهلب بن ابي صفرة انه لما وفد ابوه ابو صفرة على امير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه عشرة من ولده . والمهلب أصغرهم ، جعل عمر رضى الله عنه ينظر اليهم ويتوسم ، ثم قال لأبي صفرة : هذا سيد ولدك . وهو يومئذ اصغرهم .

وسعد بن ابي وقاص الصحابي الجليل ، وقائد المسلمين في حرب القادسية ، كان مستجاب الدعوة ، بسبب دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بذلك ، وبلغه شيء فعله المهلب في العدو والمهلب يومئذ فتى ، فقال سعد ، « اللهم لا تره ذلاً »

واول من عقد له لواء هو الامام على كرم الله وجهه ، وذلك في موقعة الجمل

بن أبي صُفْـرَة

حجهم . فقال : والله ما اريد ذلك ، وما احول بين احد وبين هذا البيت ، ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي . ولكني رجل ادفع عن نفسي من ابن الزبير وما يروم مني ، وما اطلب هذا الامر الا ان لا يختلف على فيه اثنان . ولكن ائت ابن الزبير فكلمه . وعليك بنجدة الحروري .

قال محمد بن جبير ، فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية . فقال انا رجل قد اجتمع على الناس وبايعوني ، وهؤلاء اهل خلاف ، فقلت أرى خيرا لك الكف (عن القتال) قال : افعل .

ثم جئت نجدة الحروري ... وكلمته كما كلمت الرجلين فقال : اما أن ابتدىء احدا بقتال فلا . ولكن من بدأ بقتال قاتلته . قلت : فاني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك .

ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم ، فقالوا نحن على ان لا نقاتل أحدا الا ان يقاتلنا .

مخايل النجابة

في هذا الجو العاصف بالفتنة نشأ المهلب بن ابي صفرة بالبصرة بين قبيلته الازد ، سيدا مطاعا ، وبطلا شجاعا .

اما الشاعر بكثير بن الاخنس فقد رأى المهلب وهو غلام ، فتوسم فيه الخير فقال :

خذوني به أن لم يسد سرواتهم
ويبرع حتى لا يكون له مثل

واكبر تقدير للمهلب ما قاله عنه بعض المؤرخين : لم يل المهلب ولاية قط نظرا له ، وانما كان يؤتى لحاجتهم اليه .

ولايات ونفسية

وحين كان العراق يتبع خلافة عبد الله بن الزبير – بعد أن كان تابعا لخلافة الامام علي وابنه الحسن – صار المهلب ممن يناصرون ابن الزبير ، وقد ولاه ابن الزبير بعض الولايات ، وهي الموصل والجزيرة والاذربيجان وارمينية . وقال له : انما وليتك لتكون بيني وبين عبد الملك بن مروان وجيوشه ، لثقتي بحزمك . وكان مصعب بن الزبير اميرا على العراق بتولية اخيه اياه .

ولم يرض عبد الملك بن مروان بعد موت ابيه ومصير الخلافة اليه أن يشاركه في السلطان أحد ، فجهز جيوشه لمحاربة مصعب بن الزبير في العراق وعبد الله بن الزبير في الحجاز .

وقد تجلت نفسية المهلب الكريمة ، حين كتب الزعماء في البصرة الى عبد الملك يدعونه الى انفسهم ، ويخبرونه انهم مبايعوه ، ما عدا

المهلب بن أبى صفرة،فانه لم يكتب اليه كما كتبوا.

هذا ولم تنفع « مصعبا » شجاعته ، اذ كانت تنقصه التجربة والمعرفة باقدار الرجال الذين ينبغى أن يكونوا حوله فيما ينشب من قتال ، فان اكبر انصاره وافواهم جعلهم ولاة بعيدين عنه ، وهذا عبد الله بن حازم السُّلَمى من ولاة مصعب على خراسان اخبروه بقرب التقاء جيش بنى أمية بقيادة عبد الملك بجيش مصعب ، فقال : أمع مصعبٍ عُمَرُ بن عبيد الله بن مَعْمَر ، قيل : لا ، استعمله على فارس . قال : افمعه المهلب ابن ابى صفرة ؟ قيل لا ، استعمله على الموصل . قال : افمعه عبّاد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة . فقال : وانا بخراسان ، ثم تمثل بقول الشاعر :

خُذِينى فجرِّينى ضِباعَ وأبشرى
بلحم امرىء لم يَشْهد اليوم ناصِرُه

وفى رواية انه لما أخبر بان ابنَ معمر والمهلب غائبان عن مصعب قال :

فلوْ بهما حكّت رحى الحرب برْكها
لقاما ولو كان القيام على رِجلِ

خوف من الخوارج

وبلغ مصعبا اقبال عبد الملك نحوه ، وهو يومئذ بالبصرة ، فسأل أهل البصرة النهوض معه، وكانت الخوارج الحرورية قد نزلت سوق الأهواز وعليهم قطَرىّ بن الفجاءة ، فقالوا : اصلح الله الامير ، كيف نسير معك وهذه الحرورية مُطِلّة علينا وعلى ديارنا وأموالنا ؟

اما المهلب بن أبى صفرة الذى كان واليا لمصعب على الموصل والجزيرة واذربيجان وأرمينية فقد استدعاه مصعب من ولايته ، ولم يكن استدعاؤه ليكون معه فى الحرب ،وانما أحضره ليوجهه لقتال الخوارج في الأهواز ، فقال المهلب لمصعب : اعلمْ أن أهل البصرة والكوفة قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم ، وانه انما اجترأ على المسير الى العراق بكتبهم . ثم قال له : لا تنحّنى عنك ـ أى لا تبعدني ـ واجعلنى منك قريبا . فقال له مصعب : ان أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى ابعثك لقتال الحَرورية ، وأنا أكره اذا اقبل عبد الملك الىّ أن لا أسير اليه فاكفنى هذا الثغر . فقال المهلب : انى لستُ آمنُ غَدْرَ القوم بك . وان فعلوا فأبعدهم الله .

وانتهى مصعب بان قُتِل ، وخضعت البلاد لعبد الملك فارسل المهلب مبايعته له .

مكان المهلب

وولى عبد الملك بن مروان على الكوفة اخاه « بِشْر بن مروان » ، وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد . فجعل خالدٌ على خراج الأهواز ومعونتها المهلّبَ بن ابى صفرة ، وجعل أمر مقاتلة الخوارج الى اخيه عبد العزيز بن عبد الله بن خالد . وكان من امره ان هزموه . فكتب خالد الى عبد الملك بن مروان يقول : « أما بعد ، فانى اخبر امير المؤمنين ، اكرمه الله ، أنى بعثت عبد العزيز بن عبد الله فى طلب الخوارج ، وانهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس .. وقُتِلَ مُقاتِلُ بن مِسْمَع ... »

فكتب اليه عبد الملك بن مروان « أما بعد ، فقد قدم رسولك بكتابك ، تعلمنى فيه بَعْثَتك اخاك على قتال الخوارج ، وبهزيمة مَن هُزِم وقَتْل من قُتِل.وسالتُ رسولك عن مكان المُهلّب، فحدثنى انه عامل لك على الأهواز ، فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال ، وتدع المهلب الى جنبك يَجْبِي الخراج، وهو الميمون النقيبة ، الحسن السياسة ،البصير بالحرب ، المقاسى لها ، ابنها وابن ابنائها .. انظر ان تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز . وقد بعثت الى بشر بن مروان أن يمدك بجيش من أهل الكوفة ، فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب. وتستشيره فيه ، ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله » .

وقد شق هذا على خالد ، ولكنه لم يسعه الا التنفيذ ، وخرجت الجيوش ، واستطاعت أن تجعل الأزارقة يفرون ، حين رأوا جندا كثيفا ، وكانت آراء المهلب في مسيرة الجيش وعمل الخنادق لها شان كبير فى الانتصار .

أحب أن يفشل

بعد عامين أمر عبد الملك أن يكون المهلب هو الذى يتولى بنفسه قتال الخوارج ، وبعث كتابا الى أخيه بشر بن مروان يقول له :

أما بعد ، فابعث المهلب فى أهل مِصْره ـ أى البصرة ـ الى الازارقة ، ولينتخب من أهل مِصْره

وجوههم وفرسانهم واولى الفضل والتجربة منهم فانه اعرف بهم . وخلّه ورايه في الحرب ، فانى أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من اهل الكوفة بعثا كثيفا ، وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا صليبا يعرف بالباس والتجربة للحرب .. »

فدعا بشر المهلب ، فاقراه الكتاب ، وامره ان ينتخب من يشاء ، لكن بشرا شق عليه ان تكون تولية المهلب جاءت من امير المؤمنين عبدالملك، ولم تكن منه هو ولا يستطيع ان يبعث غيره . يقول الطبرى في كتابه : فاوغرت صدره عليه حتى كانه كان اليه ذنب » .

واحب ان يفسد امر المهلب ، فدعا بقائد من اهل الكوفة اسمه عبد الرحمن بن مخنف ، وجعله على الجيش الذى يخرج منها ، وقال له : انك قد عرفت منزلتك منى ، واثرتك عندى ، وقد رايت ان اوليك هذا الجيش . للذى عرفته من شرفك وغنائك ، فكن عند حسن ظنى بك .

انظر هذا الكذا وكذا ـ يريد به المهلب بن ابى صفرة ويكنى عن كلمات شتائم ـ فاستبد عليه بالامر ، ولا تقبلن له مشورة ولا رايا ، وتنقصه وقصر به ..

والحق ان هذا مبدأ من أسوأ ما يفعله حاكم طائش ، وقد كان ما زال لم يتجاوزان يكون غلاما ، ولكنه اخو امير المؤمنين .

يقول عبد الرحمن بن مخنف : تركك ان يوصينى بالجند وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام، واقبل يغرينى بابن عمى ، كانى من السفهاء ، او ممن يستصبى ويستجهل . ما رايت شيخا مثلى ، في مثل هيئتى ومنزلتى ، طمع منه في مثل ما طمع فيه هذا الغلام .

بصير بالحرب

دارت الحروب بين المهلب وبين الخوارج ، ثم اراد الله ان يقع بينهم اختلاف . ففرقة منهم قليلة ظلت مع قطرى بن الفجاءة ، والفرقة الاكثر عددا انضمت الى زعيم من الخوارج اسمه « عبد ربه الكبير » ، وكان هذا من الاسباب التى اراحت المهلب بن ابى صفرة ، اذ اوقع الله باس اعدائه بينهم ، يفتك بعضهم ببعض .

وكتب المهلب الى الحجاج بن يوسف يقول ـ وكان قد صار اميرا على العراق :

اما بعد ، فان الله قد القى باس الخوارج بينهم ، فخلع عظمهم « قطريا » وبايعوا « عبد ربه » وبقيت عصابة منهم مع قطرى ، فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوا وعشيا ، وقد رجوت ان يكون ذلك من امرهم سبب هلاكهم ان شاء الله ، والسلام .

ولم يكن الحجاج ذا خبرة بتدبير الحروب ، ولكنه كان صاحب اوامر يلقيها ، اخطأت او اصابت ، وقتل من كان يراجعه فيما يامر خوفا من بطشه وفتكه .

فكتب الحجاج الى المهلب كتابا يقول فيه :

اما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها ، فاذا اتاك كتابى هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم ، قبل ان يجتمعوا، فتكون مئونتهم عليك اشد ، والسلام .

اما المهلب البصير بنفوس القبائل والمحاربين ، والواثق بتدبير نفسه وصحة تفكيره فقد رد على الحجاج بخطاب يقول فيه :

اما بعد ، فقد بلغنى كتاب الامير ، وكل ما فيه قد فهمت ، ولست أرى ان اقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا ، وينقص بعضهم عدد بعض ، فان تموا على ذلك فهو الذى تريد ، وفيه هلاكهم، وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا ، فاناهضهم على تفيئة ذلك ـ اى بعد ذلك ـ وهم اهون ما كانوا واضعفه شوكة ، ان شاء الله والسلام .

وانتصر المهلب

وسكت الحجاج عن المهلب ، ولم يامر بشيء ، اما المهلب فقد ترك الخوارج يقاتل بعضهم بعضا مدة شهر ، واخيرا انفصل قطرى بن الفجاءة بمن تبعه من العدد القليل ، واتجه الى طبرستان، وبقى « عبد رب الكبير » بالعدد الاكثر ، حينئذ هاجمهم المهلب بن ابى صفرة ، وقاتلهم قتالا شديدا ، حتى افنى اكثرهم ، ولم ينج منهم الا القليل ، واخذ جميع ما كان معهم من عدد وعتاد. حتى زعيمهم عبدرب الكبير قتل ، وفي ذلك يقول الطفيل بن عامر بن واثلة ، ويذكر قطريا ، وقطرى اسمه « نعامة » ومعروف ان النعامة توصف بالجبن،وهذه بخلاف ما كان عليه قطرى منشجعة.

لقد مس منا عبد رب وجنده
عقاب فأمسى سبيهم في المقاسم
وما قطرى الكفر الا نعامة
طريد يدوى ليله غير نائم

فلما فرغ المهلب من قتال الازارقة قدم على الحجاج ، وذلك في سنة ثمان وسبعين من الهجرة ، فاجلسه معه ، ودعا باصحاب البلاء ، اى الذين ابلوا بلاء حسنا في القتال من اصحاب المهلب . فاخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من اصحابه ببلاء حسن الا صدقه الحجاج بذلك . فاحسن الحجاج عطاياهم وجوائزهم ، وزاد في ما يقرر لهم من أعطيات ، وقال : هؤلاء اصحاب الفعال ، واحق بالاموال . هؤلاء حماة الثغور وغيظ الأعداء .

بنو المهلب

ومما يذكر ان المهلب بن ابى صفرة حين ظفر بالخوارج ، وجّه كعب بن معدان الاشقرى ، الشاعر الى الحجاج بن يوسف الثقفى يخبره بما تم من النصر ، وذلك قبل قدومه عليه ، فسال الحجاج كعبا عن بنى المهلب ، فقال كعب :

« المغيرة » فارسهم وسيدهم ، وكفى « بيزيد » فارسا شجاعا ، وجوادهم وشيخهم « قبيصة » ، ولا يستحى الشجاع أن يفر من « مدرك » . « وعبد الملك » سم ناقع ، و « حبيب » موت زعاف . و« محمد » ليث غاب ، وكفى « بالفضل » نجدة .

قال الحجاج : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال كعب : خلفتهم بخير ، قد ادركوا ما أملوا وامنوا ما خافوا . قال الحجاج : فكيف بنو المهلب فيهم ؟ قال كانوا حماة السرح نهارا ، فاذا أليلوا ففرسان البيات .

قال الحجاج : فايهم كان أنجد ؟ قال كعب : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفها .

اخلاص واستقامة

لم يكن المهلب ممن يحبون الفتنة ، بل كان همه دائما وحدة المسلمين ، وعدم الخروج على السلطان.

وهذا خطابه الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، الذى شق عصا الطاعة ، واراد ان يستميل المهلب الى جانبه ، فما كان من المهلب الا ان بعث الى الحجاج بالخطاب الذى ارسله اليه ابن الاشعث ، وبعث هو من جانبه خطابا الى ابن الاشعث ردا عليه يقول له فيه :

اما بعد فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغى ، على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفارقها ، والبيعة فلا تنكثها . فان قلت اخاف الناس على نفسي ، فالله احق ان تخافه عليها من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك دم . ولا استحلال محرم ، والسلام عليك .

نسب المهلب بن ابى صفرة

ابو صفرة اسمه ظالم بن سراق ، وقيل غالب ابن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو ، ينتهى نسبهم الى الازد من كهلان بن سبا من قحطان . فهم من القبائل اليمنية،التى منها الاوس والخزرج. وكنى ظالم ابا صفرة لانه كان يخضب لحيته بخضاب اصفر .

والذى لا شك فيه أن آل المهلب عرب أقحاح، وما كانت زعامة المهلب للازد ، ولا كانت افعاله ووصاياه الا منبئة عن كريم محتده وطيب عنصره. لكن بعض الرواة ، ممن كانوا مجهولى النسب ناقصي الشرف ، اخذوا يلصقون بالسادة شبهات، ويبحثون لهم عن عيوب في سلسلة انسابهم ،وممن اساءوا اليه المهلب وابوه، لكن ابا الفرج الاصفهانى في كتابه الاغانى يقول عنهم :

وليس هذا من الاقوال المعول عليها ، لان اصل المثالب زياد بن ابيه ، لعنه الله ، فانه لما ادعى انتسابه الى ابى سفيان ، وعلم أن العرب لا تقر له بذلك ، مع علمها بنسبه ـ اذ كان ينسب الى أمه سمية ـ ومع سوء آثاره فيهم ، عمل كتاب المثالب ، فالصق بالعرب كلها كل عيب وعار ، وحق وباطل ، ثم بنى على ذلك « الهيثم بن عدى » وكان دعيا ، فاراد أن يعر اهل البيوتات ، تشفيا منهم ، وفعل ذلك ابو عبيدة معمر بن المثنى ، وكان اصله يهوديا ، أسلم جده على يدى بعض آل ابى بكر الصديق رضي الله عنه ، فانتمى الى ولاء بنى تيم ، فجدد كتاب زياد وزاد فيه. ثم نشأ «غيلان» الشعوبى لعنه الله .. فابدع كتابا عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديد التشعب والعصبية ، خارجا عن الاسلام بافاعيله ، فبدا فيه بمثالب بنى هاشم .

عبد الملك بن مروان يحرق كتاب المثالب

ودخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان فقال له : هل عندك كتاب زياد في المثالب. فتلكأ، فقال له : لا باس عليك ، وبحقى الا جئتنى به .

فمضى به ، فقال له : اقرأ على ، فقرأه ، وجعل عبد الملك يتفيظ ويعجب مما فيه من الأباطيل ، ثم تمثل بقول الشاعر :

وأجرأ مَنْ رأيت بظهر غيب
على عيب الرجال أولو العيوب

ثم امر بالكتاب فأحرق .

هذا ، والمثالب جمع مَثلبَة ، ومعناها المعايب. ثلبَه يَثلبُه ثلبا : لامَه وعابَه وقال فيه وتنقصه .

الازارقة والحروريون

ان « حروراء » قرية كانت على ميلين من الكوفة، نزل بها جماعة خالفوا سيدنا الامام على بن ابى طالب،كرم الله وجهه ، فنسبوا الى هذه القرية، فقيل لهم « الحروريون » وكان زعيمهم « نَجدَة الخارجى » ومن زعمائهم أيضا عِمران بن حِطان السدوسى .

وقد صارت الخوارج فرقة اسلامية ، مبالغة اشد المبالغة فى انواع من العبادات ، ولها افكار مخالفة لغالبية المسلمين ، ولهذا اخذوا يقاتلون مَن عَداهم متهمين اياهم بانهم كفار ومن هؤلاء الحروريين فرقة تزعمها نافع بن الازرق ، وهو من بنى حَنيفة وسُموا « الازارقة » كانوا يرون ان اغلب الصحابة الذين تابعوا عثمان أو عليا كفار .

وصايا للمهلب واقوال

ظل المهلب حوالى ثمانية أعوام فى قتال الازارقة، حتى قضى عليهم . وبهذا استقر أمر الخلافة ، وحينئذ ولاه عبد الملك امارة خراسان سنة ٧٩ هجرية ولم يستقر المهلب فى امارته لها الا اشهرا ، ثم بدأ يغزو ما يليه من البلاد التى لم يدخلها الاسلام ، وهى تسمى بلاد « ما وراء النهر » وحاصر احدى البلاد مدة ، حتى طال عليه الأمد، فصالحهم على أن يدفعوا له الفِدية ورحل راجعا الى مَرْو ، وفى الطريق اصابه مرض ، فدعا مَن حضره من ابنائه . وكانوا كلهم فرسانا منهم اشقاء ، وهم ابناء أم واحدة ، ومنهم غير اشقاء ، وهم الذين يُسمون أبناء العَلات . فلما دعاهم أمر باحضار سهام فحزِمت وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ فقالوا لا . قال : افترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة . فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فان صلة الرحم تنسىء الاجل - اى تزيد العمر - وتثرى المال ، وتكثر العدد ، وانهاكم عن القطيعة ، فان القطيعة تُعقِب النار ، وتورث الذلة والقلة ، فتحابوا وتواصلوا،واجتمعوا امركم ولا تختلفوا ، وتباروا تجتمع أموركم . ان بنى الأم يختلفون ، فكيف ببنى العَلات ،وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعلكم افضل من قولكم، فانى احب للرجل ان يكون لعمله فَضل على لسانه ، واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فان الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك . اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له .

وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرب ، واصطنعوا المعروف ، فان الرجل من العرب تعده العِدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده .

عليكم فى الحرب بالاناة والمكيدة فانها انفع فى الحرب من الشجاعة ، واذا كان اللقاء نزل القضاء، فان اخذ الرجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر على وجهه ثم ظفر ، فحمِد ، وان لم يظفر بعد الاناة قيل : ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب .

وعليكم بقراءة القرآن ، وتعلم السنن وادب الصالحين ، واياكم والخِفة وكثرة الكلام فى مجالسكم .

وفـــاة

وفى ذى الحجة ، سنة اثنتين وثمانين توفى المهلب ، وكان أوصى أن يخلفه على عمله ابنه يزيد

وقال نهار بن توسعة يرثى المهلب .

الا ذهب الغزو والمقرب للغنى
ومات الندى والجود بعد المهلب

وباستقرار امور الخلافة ، بعد القضاء على الخوارج ، والقضاء على فتنة ابن الأشعث ، سارت جيوش المسلمين متوجهة للفتوحات الاسلامية ، التى بلغت فى عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد الى الصين شرقا ، والى بلاد الاندلس وجنوب فرنسا غربا . وللمهلب فى ذلك فضل كبير ، ومواقفه واعماله كثيرة جديرة بالاعجاب والتقدير . ■■

عبد الستار احمد فراج



انتقــــام !

● الامبراطورة جوزفين (١٧٦٣ – ١٨١٤) ، زوجة نابليون الاول ، يروى عنها انها كانت امراة مفتونة تهتم بالمظهر دون الجوهر ،وتتعلق بالتقاليد، ولا تتورع عن القيام باى عمل مهما عظم شانه من اجل ارضاء كبريائها وغرورها .

حدث يوما ان اقامت الامبراطورة حفلا ساهرا كبيرا فى قصرها بالعاصمة الفرنسية ، ودعت اليها العديد من أصحاب الالقاب الضخمة والمناصب المرموقة في الدولة ، وفجاة تذكرت انها نسيت ان تدعو احد كبار قواد الجيش الفرنسي ، وكان من الاصدقاء المقربين الى زوجها الامبراطور ، فما كان منها الا ان بعثت اليه برسول خاص يحمل اليـه بطاقة الدعوة فى بيته الريفى حيث كان يقضي عطلة نهاية الاسبوع في الصيد والاستجمام .

وما كاد القائد الكبير يتلقى الدعوة حتى سارع يستقل عربته ، ويلهب ظهور جيادها بسوطه ،



حرصا منه على الوصول الى الحفل فى الموعـد ، حتى لا يثير غضب الامبراطورة !

وما كاد يصل الى باب القصر ، حتى وجـد الامبراطورة تقف فى استقباله مع زوجها ، وقـد استشاطت غضبا ..

فقال على الفور محاولا تهدئتها : « ولكننى لـم اتاخر يا مولاتى ؟ »

وقالت وقد تملكها الغيظ : « هل كلفت نفسك عناء التطلع فى المراة قبل مجيئك ؟ عد فورا الى بيتك ، وحاول ان تضع هذا الجسم البدين المترهل فى ثوب لائق .. انها حفلة ساهرة كما ترى، وليست رحلة صيد !!

وتصبب وجه القائد الكبير عرقا ، فقد آلمه ما لقى من الاذلال على يدى الامبراطورة امام ضيوفها، الذين كانوا يقفون معه امام الباب الخارجى استعدادا للدخول . وعاد يستقل عربته وينطلق بها الى بيته فى المدينة لتغيير ملابسه ، ولكنـه اقسم بينه وبين نفسه على أن يرد على الاهانة مهما كلفه الثمن .

ولم تكد تمضي فترة حتى عاد القائد الى الحفل وقد ارتدى بدلة السهرة الانيقة ، واعلن الحاجب عن وصـوله ، وسارعت الامبراطورة لاستقباله وتقديمه الى المدعوين ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ارتياح شديد. وحان موعد العشاء اخيرا،

ايزنهاور الانسان



● الجنرال دوايت ايزنهاور ، الرئيس الامريكى الأسبق ، والقائد الأعلى لقوات الحلفاء فى أوربا، كان من اعظم القواد العسكريين الذين عرفوهم العالم الحديث .. وسر عظمته فى انه كان يحب السلاح ، صدقا لا كذبا ، ويسعى اليه بنفس القوة التى اشتهر بها فى حروبه . اما هو فقد كان يقول عن نفسه : « ان احدا لا يستطيع أن يقدر معنى السلام وقيمته ، الا اذا عاش ويلات الحروب وأهوالها » .

يروون عنه أنه بكى عندما نقلوا له ارقام ضحايا القنبلة الذرية التى القيت على هيروشيما ، وكان تعليقه وهو يستمع الى الخبر : « يا الهى ، ما ذنب هؤلاء المدنيين الابرياء » .

ويروى ايزنهاور عن نفسه قصة الحرمان الذى ذاقه فى طفولته ، عندما كان يجمع الخضراوات من الحقل الذى يمتلكه والده الفلاح ، ويذهب هو واخوته لبيع ما يحملون لصديقات امهم ، فيطرقون الابواب ويعرضون خضراواتهم ، التى كثيرا ما كانت تفسد من طول تجوالهم بها !

ثم روى ايزنهاور قصة الاذلال الذى تعرض له وهو صبى صغير فى مدرسة القرية ، لقد ذهب الى مدرسته فى صباح ذلك اليوم ، كما تعود أن يفعل كل يوم ، ولكنه لا يدرى ما الذى حدث عندما راه زملاؤه قادما ، فقد انفجروا يضحكون وهم يشيرون اليه باصابعهم ، دون أن يدرى الصبى شيئا عن هذا الذى يضحكهم فى مظهره !

وعاد الى البيت وهرول مسرعا الى امه وهو يبكى بحرقة ويسالها : « قولى لى يا امى ما الذى تجدينه غريبا فى مظهرى ؟ لقد سخر منى زملائى .. دون أن ادرى سببا لهذه السخرية ! » .

وبكت الام ، ثم جلست على الارض ، وبدأت تخلع له حذاءه ثم قالت : « انه الحذاء يا بنى .. فهذا ليس حذاءك .. انه حذائى أنا ، حذاء لا تلبسه الا النساء ، وقد اضطررت أن أقدمه لك بعد أن بلى حذاؤك ولم أجد مالا اشترى به حذاء جديدا .. » .

وجلس الجميع حول مائدة الطعام الضخمة التى تصدرتها الامبراطورة ، وما كادت الاطباق تمتلىء بالحساء ، حتى فوجىء المدعوون بالقائد الكبير يقف فى وسطهم ، وهو يحمل طبق الحساء بين يديه ثم يسكبه فى هدوء على ملابسه الأنيقة وهو يطلق ضحكة هستيرية !

وذهل الضيوف وراحوا يتهامسون . لا بد أن الرجل قد جن !

واخيرا تكلم القائد ، قال : « تصرف غريب ، انا اعرف ذلك . ولكن قد تزول دهشتكم أيها الأصدقاء الاعزاء اذا اكتشفتم مثلما اكتشفت انا الليلة أنى لم ادع الى هذه المأدبة الكبرى ،وانما هى ملابسى الأنيقة التى اصرت الامبراطورة على أن تعيدنى الى بيتى لكى ارتديها .. وقد كان المفروض ان أتناول أنا الحساء ، ولكن ما دامت الدعوة للملابس وليست لصاحبها ، فهى اذن صاحبة الحق فى هذا الطعام ! »

ثم انحنى القائد أمام الامبراطورة فى احترام وغادر القاعة .

رجل واحد كان يقف فى وداع القائد العسكرى الكبير وهو يغادر القصر .. انه الامبراطور نابليون الاول الذى ما لبث ان ضاق ذرعا بغطرسة زوجته وتعاليها على الناس ، فطلقها ليتزوج صديقتها وغريمتها فى آن واحد مارى لويز !

■■



يعزفه الآباء فينشأ على أنغامه الأبناء

بقلم : منير نصيف

■ كان يعشق صوت الطيور ، وكان يقضي ساعات طويلة كل يوم ، يتامل الصور الجميلة التي صنعتها الطبيعة من حوله في الريف ... ريف مقاطعة جلو شستر شاير Gloucestershire بانجلترا .. واحب الريف ، واحب حياة الفلاحين الذين ولد بينهم وعاش حياتهم .

ودخل الصبي المدرسة وتعلم .. ونظم الشعر ، واصبح شاعر القرية قبل ان يبلغ عامه العشرين..

كتب يصف يوما جميلا ، وما اكثر الايام الحلوة التي عاشها وسط ابويه في قريته الصغيرة ..

قال : « وبدأت خيوط الشمس تنسل ببطء وهدوء فتبدد الظلام ...

« والتقت الطيور فوق جذوع الأشجار .

« وراحت تغرد وكأنها تشاركني فرحتي ..

« واى فرحة اكبر من تلك التي يجدها المرء مع مولد كل يوم جديد ..

« اليس غريبا ان تكون هذه المخلوقات الصغيرة اول من يبشر الناس بفجر جديد ..

وكان يمكن ان يتجه هذا الشاعر الصغير الى دراسة الأدب ، ويصبح واحدا من أعظم الشعراء الذين انجبتهم بريطانيا ، لولا ذلك الحادث الذى قلب مجرى حياته رأسا على عقب .. ولولا اهتمام والد بصير رأى في ابنه ما لم يره هو في نفسه ...

اللمسة الساحرة

انها قصة صغيرة بدأت حوادثها مع بداية تلك المرحلة الحرجة التي يمر بها كل شاب في حياته ، وهو يحاول أن يضع قدميه على بداية الطريق .. وهي ايضا قصة تلك « اللمسة الساحرة » التي يبحث عنها كل رجل وامرأة وطفل .. لمسة الاهتمام بهؤلاء الذين نحبهم ونرعاهم ونشق معهم طريقنا الى حياة افضل ، ومستقبل اكثر اشراقا ورفاهية .

ونعود الى قصة الشاعر الصغير ، وتجربته مع والده ..

وتبدأ القصة عندما كانت قريته الصغيرة تغط في نومها ، وقد اغلق الفلاحون حظائر حيواناتهم بينما تركوا نفرا منهم ساهرا في صحبة كلابهم الأمينة لحراسة ثروانهم من الذئاب الجائعة .

« وفجأة يسمع الشاعر صوت انين قادم من البيت المجاور لبيتهم تماما .. ويحاول النوم ،



ولكنه لا يستطيع ان يبعد عن اذنيه صوت الألم الذى ظل يعلو ويعلو .. ويقفز من فراشه مسرعا ويفتح باب بيته ويخرج فى الظلام وحده باحثا عن مصدر الصوت ...

مع الطفل المريض

« انه بيت الجيران .. لقد تأكدت مخاوفه ... ويقف امام البيت ويقرع الباب ، وتفتح له صديقة والدته ... ويدرك الشاب على الفور من الفزع الذى ارتسم على وجهها ان مرضا قد الم بأحد ابنائها الصغار .. انها زوجة مزارع بسيط وام لثلاثة اطفال .. انه يعرفهم جميعا ، ويحبهم كما يحب اخوته تماما . ويسأل الشاب في لهفة ، وقد ازداد صوت الأنين اقترابا الى اذنيه :

« أيهم يا سيدتي .. اى ابنائك هذا الذى يتألم ؟ ما هي علته ، ومم يشكو ؟ هل استطيع المساعدة ؟

« وقالت الام ، ودمعة حائرة تلمع فى عينيها :

« انه بروس الصغير .. انه يعاني من حمى شديدة ، لقد خرج والده منذ الفجر ولم يعد ! »

« ولم ينتظر الشاب ، لقد انطلق في الطريق الطويل يعدو الى عيادة طبيب القرية .. ولم تنقض فترة طويلة ، حتى كانت عربة الطبيب تقف امام باب بيت الطفل المريض ..

« ودخلا .. الشاب في المقدمة ، والطبيب يتبعه .. وبجوار فراش بروس ، كانت ام الطفل المريض تجلس،وهى تمد يدها بين الحين والحين تتحسس بها جبينه الملتهب .. وعلى مقربة من الفراش ايضا كان هناك رجلان ينتظران في لهفة وقلق ما سيقوله الطبيب بعد ان ينتهي من الكشف على الطفل المحموم .. اما الأول فقد كان والد بروس الذى عاد لتوه من عمله فى الحقل ، واما الثاني ، فقد كان والد الشاب الذى اقلقه خروج ابنه في هذه الساعة المتأخرة من الليل وغيابه ، فخرج وراءه يستطلع الأمر ...

نصر وارتياح

« وبدأ الطبيب عمله ، راح يجس نبض الطفل، ويقيس حرارته ، ويفحص حلقه وعينيه ويدق على بطنه باصابعه ، كل هذا والشاب يقف بجواره يرقب كل حركة يقوم بها فى اهتمام شديد ،

ويعاونه كلما احس بحاجته الى هذا العون ، الى ان انتهى الطبيب من كشفه وشخص الداء ، ووصف له الدواء .. لقد اصيب الطفل بحمى الملاريا .. ولا بد له من تناول الدواء مرة كل ساعتين .

وقال الشاب : « سابقى بجواره يا سيدى ، وساسهر على راحته ، وساقدم له الدواء في موعده .

وعبثا حاولت ام الطفل ان تثني الشاب عن عزمه ...

وذهب الجميع ، وبقي هو بجانب صديقه الصغير ساهرا طول الليل ، حتى اذا ما طلع النهار ، كانت الحمى قد فارقت الطفل المريض ، وعادت الابتسامة العذبة الى وجهه البرىء .

وعاد الشاب بدوره الى بيته ، بعد ليل طويل لم يغمض له فيه جفن .. وكان يغني ، وابتسامة حلوة تشرق على وجهه .. ابتسامة الرضا والنصر والارتياح .

المشاعر الطبية

وانقضت بضعة اشهر على هذا الحادث الى ان جاء يوم جلس فيه الوالد يحدث ابنه قال : « اسمع يا بني قد تكون احسن من نظم الشعر في قريتنا الصغيرة .. ولكنك خلقت لان تصبح طبيبا .. ان صورتك وانت واقف بجوار فراش بروس الصغير ساعة مرضه لم تفارق مخيلتي لحظة واحدة طوال الاشهر القليلة الماضية ... اذهب يا بني وليبارك الله خطاك » .

وسر الابن ما سمع من والده ، وكانه وجد في حديثه هذا شيئا ضائعا ، كان يبحث عنه ، ولكنه لا يعرف كيف يجده !

وحزم الشاعر الشاب حقائبه وذهب .. ذهب الى مدينة بريستول ليصبح واحدا من تلاميذ اشهر الجراحين فيها ، وهو الدكتور دانيل لودلو Daniel Ludlow ولم تكد تنقضي بضع سنوات على بدء دراسته للطب ، حتى استطاع هذا الشاب الصغير ان يصبح واحدا من اشهر علماء بريطانيا اللذين دخلوا التاريخ ..

انه ادوارد جينار Edward Jenner (١٧٤٩ ـ ١٨٢٣) مكتشف المصل الواقي من مرض الجدرى .

قصة وعبرة

كتب الشاعر الشاب الذى عشق الطبيعة واحب الناس ، وانقذ البشرية ، يصف سر نجاحه في مكافحة هذا الوباء ، قال : « انني مدين لرجل واحد اعطاني من اهتمامه وحبه ما اضاء لي الطريق ، وكنت ما زلت اتعثر وسط ظلمات الحياة برغم كل ما رايته فيها من جمال .. هذا الرجل هو ابي ... فلولا ابي ما كان لقائي باستاذى الذى علمني أن أقصر طريق للتعبير عما يجيش في صدرى من حب للناس والحياة ، هو المساهمة في تخفيف الام الناس ، ولولا استاذى لما اصبحت مكتشفا ، ولما كان لقائي بتلك الصبية التي جاءتني يوما تشكو علة .. فقد كان هذا اللقاء هو بداية الطريق الذى اوصلني ، من خلال تجاربي ، الى ادراك العلاقة بين جدرى البقر وجدرى الانسان ، وكيف ان مكروب الاول هو مصل واق من الاصابة بهذا الوباء » .

قصة من الماضي ، ولكن ما اعظم ما تحويه من عبر .. انها تعكس ما يمكن ان يصنعه الاهتمام بالانسان ، ثم اهتمام الانسان نفسه بما يراه حوله من صور الحياة ، وما يعتمل في صدور الناس من مشاعر واحاسيس .

لحن الحياة

لقد وصف برنارد شو الاهتمام بالناس « بانه اشبه ما يكون بذلك المؤشر الصغير الذى يحمله قائد الجوقة الموسيقية « المايسترو » ، فاذا حركه، تحركت معه الانامل على اوتار القلوب ، لتعزف لحن الحياة .. اجمل لحن في الوجود » ..

لقد قال ايمرسون فيلسوف امريكا في الاهتمام بالناس : « بانه السحر الذى يصنع المعجزات ، والدواء الشافي من تلك العقد التي تصيب المرء رجلا كان ام امراة ، في طفولته وفي صباه ، وحتى في شيخوخته . فلا شيء يقتل الحب الا الاهمال».

ولا شيء يقتل الرغبة في الاستمرار في الحياة الا الاهمال .

الطفل الصغير يبكي ويتعلق بامه لانه يريد ان يثير اهتمامها به ..

صور من حولنا

والشاب يتمرد ويثور على والديه وعلى التقاليد وعلى المجتمع الذى يعيش فيه لانه يحس بانه لا يلقى من هؤلاء الذين يحبهم ، الاهتمام الذى يحتاج اليه ..

والفتاة تنطوي على نفسها عندما تبدأ تحس بهذا الانقلاب الذى طرأ على تكوينها الفسيولوجي في سن المراهقة ، لأنها لم تجد من والديها ، ومن امها بصفة خاصة ، ما تتوق اليه من رعاية واهتمام وهي تنتقل بسرعة من مرحلة الطفولة الى الانوثة .

والزوجة الشابة التي تضيق بالحياة لان زوجها لا يعطيها من وقته واهتمامه بها ما تحتاج اليه كل امرأة في الزواج ..

واخيرا ، الأم التي تقدم بها العمر بعد ان ادت رسالتها كاملة في الحياة ، او الاب الذى احنت ظهره السنون ، واقعدته شيخوخته بعد ان رأى ابناءه واحفاده ، وقد اصبحوا رجالا ونساء ، ما اعظم الم هؤلاء عندما يشعرون بالوحدة والاهمال في ختام حياتهم ...

قصة أم عجوز

يروى الدكتور سمايلي بلانتون قصة السيدة العجوز التي جاءت يوما الى عيادته في صحبة جارتها ، لقد جلست السيدة تبكي وحدثها ، قالت : « اعرف ان لدى من الابناء والاحفاد ما يزيد على العشرين ، ولكني حرمت منهم ، او حرمونى هم من رؤيتهم ، انني اعيش في وحدة قاتلة يا سيدى ... لقد كانت آخر مرة رأيت فيها احد ابنائي منذ ثلاثة اعوام ، عندما جاء يطرق باب بيتي الذى اعيش فيه وحدى بعد ان مات زوجي ووالد ابنائي ، ليقدم لي مبلغا من المال .. انني لا اريد مالهم يا سيدى ولكنني اريدهم هم، اريد عطفهم ورعايتهم واهتمامهم .. »

وزوجة تشكو الاهمال

ثم يتحدث الدكتور بلانتون بعد هذا عن الزوجة التي كانت تشكو اهمال زوجها لها ، انه لا يهتم قليلا او كثيرا بما تصنعه بنفسها وبيتها ، حتى اطفالهما ، نادرا ما كان يسأل عن حالهم حتى باتت تخشى ان تكون هناك امرأة اخرى في حياته ؟!

وبحث الدكتور بلانتون عن هذا الزوج وجلس يسأله عن حياته وتكلم اخيرا ، قال : « انني سعيد يا سيدى بحياتي مع زوجتي واطفالي الثلاثة .. فزوجتي سيدة فاضلة تعطيني من اهتمامها ورعايتها ما كنت امني نفسي به واكثر .. ولكن مشكلتي تنحصر في ان دخلي من عملي لم يعد يكفي متطلبات اسرتي ، ولذلك فقد اضطررت للبحث عن عمل آخر في اوقات فراغي ، لأتمكن من مواجهة اعباء الحياة المتزايدة ... »

ثم يقول بلانتون : « ولم يكن من العسير بعد هذا ان ادرك اسباب شكوى الزوجة .. ان زوجها لم يهملها ولم ينس بيته واطفاله ، بل بالعكس فقد كان اهتمامه الزائد بهم وبتوفير حياة كريمة لهم ، وراء هذا الشعور الذى سيطر على زوجته فجعلها تتصور ان زوجها لم يعد يهتم بها » .

ويمضي بلانتون في تقديم نماذج من هؤلاء الذين يعانون من الاهمال ، فيحدثنا عن الصبي المتمرد الذى اصبح مشكلة في حياة اسرته ..

ان والديه في حيرة من امره ، فهم لا يدرون ماذا اصابه ، انهم يعطونه كل شيء ولا يبخلون عليه بشيء ، وبالرغم من هذا فهو لا يريد ان ينصلح ..

ثم يروى بلانتون كيف استطاع ان يكسب ثقة هذا الصبي الذى لم يكن يتجاوز عامة الخامس عشر ، حتى نجح اخيرا في اكتشاف الأسباب الحقيقية التي دفعت به الى هذا المسلك الشاذ مع والديه والتمرد عليهما ، قال : « مشكلتي يا سيدى ان والدىّ لا يهتمان بي . ان والدى لا يهتم حتى بمجرد النظر اليّ عندما احاول ان احدثه في امر من الامور التي تخصني . اما امي ، فانا لا اسمع منها سوى اللوم والتقريع بسبب مظهرى الذى لم يرقها في يوم من الايام دون ان تفكر مرة واحدة في الانصات الى حديثي » .

الاهمال والاهتمام رفيقان

يقول الدكتور بلانتون : « ان الاهمال كثيرا ما يصدر من غير قصد .. فالاهمال والاهتمام رفيقان .. واذا اهتم الانسان بأمر ، شغل تفكيره واستغرق وقته ، نسي معه كل ما عداه » .

ثم يقول : « ولكن بعض الاهمال ينجم احيانا بدافع من الانانية .. فالاهتمام « عطاء » ، ولكي يعطي المرء ، فلا بد له من ان يضحي .. لا بد له من ان يفترق عن اشياء قد يكون لها قيمة في حياته .. بعض وقته ، او بعض اهتماماته ، او بعض هواياته .. فاذا فشل ، فهو ربما قد اسعد نفسه ، ولكنه اشقى الآخرين .. واذا نجح فقد اسعد كل من حوله » .

منير نصيف

أنت تسأل .. ونحن نجيب

دبلوماسية .. ام ابتزاز ؟!

لرأى لنا ان بعض السائلين يتحرج من ذكر اسمه. لهذا سنغفل اسماء هؤلاء في هذا العدد وفي الاعداد المقبلة . مع الشكر الجزيل .

● سمعت من احد اصدقائي ان كاتبا امريكيا قد كتب مقالا يدافع فيه عن حق العرب في استعمال سلاح النفط كوسيلة من وسائل الضغط لاسترداد اراضيهم المحتلة . وبحثت طويلا عن هذا المقال ولكني لم اوفق في الحصول عليه . فهل اطمع في ان تنشروا لنا ملخصا وافيا لهذا المقال ؟

ف . ز ـ الكويت

ـ بالرغم من الاتهامات التي انهالت على العرب في الكثير من الصحف الغربية بسبب استعمال سلاح النفط وقطعه عن الدول الممالئة لاسرائيل ، فان عددا من الصحفيين الذين لم يحنوا رؤوسهم للنفوذ الصهيوني ، تكلموا بصراحة عن حق العرب في استعمال نفطهم بما يعود عليهم وعلى العالم كله بالاستقرار والسلام . ولكن هؤلاء الصحفيين كانوا قلة .

ولعل اول مايذكر في هذا العدد المقال الذي كتبه الصحفي الامريكي وليام راسبيري W. Raspberry في جريدة الواشنطن بوست الامريكية بتاريخ ٢٣ نفمبر الماضي،وذلك تحت عنوان « ابتزاز .. ام دبلوماسية ؟ »

وقد بدأ الكتاب مقاله متسائلا : « لماذا نسميها دبلوماسية عندما تقوم الولايات المتحدة الامريكية باستغلال مواردها القومية كسلاح في سياستها الخارجية ، ونسميها ابتزازا عندما يفعل العرب الشيء نفسه .. ؟!

نحن نسمع الان ان حظر النفط العربي ماهو الا ابتزاز ، حتى اصبح هذا الوصف اشبه بالامر الواقع بالنسبة لنا . ولكن عندما يصبح القمح الامريكي ، او العتاد الحربي الامريكي ، او التكنية الامريكية ، او القوة العسكرية الامريكية ، اشياء تمنع للتاثير على المواقف الدبلوماسية لدول العالم الاخرى ، فان هذا يبدو لنا شيئا معقولا ومرغوبا فيه ، بل ويبدو انه احسن تصرف في العالم .

وبعد ان يستعرض الكاتب في مقاله تحيز امريكا لاسرائيل وعدم حيادها في مشكلة الشرق الاوسط نتيجة وجود جالية يهودية ذات نفوذ كبير داخل الولايات المتحدة . وانه نتيجة لهذا ولعدم جدوى المحادثات بين العرب مع امريكا في سبيل الحصول على تاييد لحقوقهم العادلة ، فانهم اضطروا لاستعمال سلاحهم القوى ، سلاح النفط .

ويختتم الكاتب مقاله قائلا :

« ان وصف استعمال العرب لسلاح النفط بالابتزاز يوحى بان امريكا واوربا لديهما حق منحه لهما الله في نفط العرب .. دون النظر للمصالح الحيوية للعرب انفسهم .. وهذا هو الشيء الذى لايمكن ان يستسيغه اى عقل .

ان هناك طريقين يبدوان منطقيين .. الطريق الاول هو ان تقوم امريكا بالعمل على ان تصبح مكتفية ذاتيا من النفط واية مواد اخرى .

والطريق الثاني هو ان تستعمل المقاطعة النفطية، لا كحجة لزيادة شعور السخط والمرارة تجاه العرب بين افراد الشعب الامريكي ، ولكن كاساس للتعامل بشرف وعدل مع شكاوى العرب » .

وتعتبر هذه المقالة التي نشرت في جريدة الواشنطن بوست ، من اقوى المقالات التي تعرضت لحق العرب في استعمال نفطهم كسلاح قد يؤدى لاسترداد اراضيهم السليبة .

(م . ط)

سينـــاء
كَشَفَ العلم فيها عن ذخائر معدنية

● كثر الحديث عن سيناء وثرواتها المعدنية ، فهل لكم أن تقدموا لنا نبذة عن هذه الثروات ؟

ــ المعادن فى سيناء لم تتجاوز مرحلة الدراسة والابحاث ولم تدخل مرحلة التعدين والانتاج . حتى مناجم المنغنيز فى أم بجمه وزنيمة اهملتها اسرائيل نظرا لان اعمال التعدين فيها لم تعد فى نظرها مربحة . وانعدام التعدين لا يتنافى طبعا والقيام باعمال التنقيب عن المعادن وقد قامت بها اسرائيل على نطاق واسع طوال السنوات الخمس الماضية . ويمكن ايجاز النتائج التى انتهت اليها هذه الابحاث فى النقاط التالية :

التنغستين العالى التركيز :

وقد اكتشف فى منطقة تبلغ مساحتها بضع عشرات من الكيلومترات المربعة فى الجزء الجنوبى من شبه جزيرة سيناء وهو الجزء الاهم جيولوجيا ومعدنيا فى نظر العلماء . وتبلغ مساحة هذا المثلث الجنوبي الثرى نحو ١٤٠٠٠ كم٢ اى ما يقارب ربع مساحة سيناء الاجمالية وهى تبلغ نحو ٦٠٠٠٠ كم٢ .

النحاس :

يؤكد العلماء الاسرائيليون وجوده بكميات كبيرة وفى مساحة تقدر بنحو ٢٠٠ ــ ٣٠٠ كم٢ من المثلث الجنوبى الذى سبقت الاشارة اليه . ويؤكدون وجوده ايضا شمال شرم الشيخ .

الفلسبار :

يقول الاسرائيليون انهم عثروا على جبل كامل من هذا المعدن فى مكان قريب من شرم الشيخ ولا يبعد عنها سوى ٣٠ ــ ٤٤ كيلومترا . والجبل كبير وتبلغ مساحته بضعة كيلومترات مربعة ونسبة نقاء الفلسبار الموجود فيه نسبة عالية كما يذكرون . وجدير بالذكر أن هذا المعدن ذو قيمة كبيرة ويستعمل فى صناعات الخزف والاسنان الصناعية .

وتجدر الاشارة الى أن هذه الابحاث قامت بها جماعة من الخبراء الاسرائيليين، برئاسة البروفسور بن تور من الجامعة العبرية ، وكلفت الخزينة حتى الآن نحو مليون ليرة اسرائيلية (اى ما يقارب ١٠٠ ٠٠٠ جنيه استرليني) الا ان هذه الابحاث اقتصرت على مسح سطح الارض مسحا جيولوجيا دون حفر الانفاق . ويقال ان عشر خرائط جيولوجية قد وضعت للمنطقة على أساس تلك الابحاث ، وأن الخريطة الاولى من هذه الخرائط قيد الطباعة حاليا ، ان لم تكن قد صدرت بالفعل .

وقد رافق هذه الابحاث التى استهدفت التنقيب عن المعادن فى اليابسة أعمال تنقيب اخرى تحرت وجود المعادن تحت مياه البحر الاحمر وبالقرب من شواطئه . ونوجز فيما يلى نتائج هذه الاعمال التى قامت بها شركات اجنبية، اوروبية وامريكية :

رواسب معدنية متنوعة :

تشمل الزنك والنحاس والرصاص والفضة والذهب . وتقدر كميات هذه الرواسب الخالية من الملح ، نحو ٥٠ مليون طن وتقدر قيمتها بنحو ٢،٥ الف مليون دولار .

الغاز المكثف (المركز) :

وقد اكتشف بكميات كبيرة سنة ١٩٦٩ فى منطقة برقان الواقعة الى الجنوب من خليج العقبة ، وهى منطقة السعودية

(ى . ز)

قطع العلاقات الدبلوماسية لا يؤدى بالضرورة الى قطع العلاقات الاقتصادية

● نرجو أن تحدثونا عن العزلةأو القطيعة الدبلوماسية التي منيت بها اسرائيل في افريقيا .. من أسبابهاالمباشرة وغير المباشرة ونتائجها القريبة والبعيدة .. ولكم الشكر مقدما .

ـ ـ

ـ لا ريب أن موضوع الأسباب الحقيقية للقطيعة الدبلوماسية التى منيت بها اسرائيل فى افريقيا موضوع هام وجدير بكل اهتمام . وقل مثل ذلك فى النتائج المترتبة على تلك القطيعة ، القريبة منها والبعيدة . على أننا نرى أن الحديث عما كان يربط اسرائيل بافريقيا من علاقات اقتصادية وثقافية واجتماعية وعسكرية ، الى جانب العلاقات الدبلوماسية ، ينبغى ان يسبق الحديث عنهذه العلاقاتالدبلوماسية بمفردها او عنالقطيعة التى حلت بها بالذات . اذ لا سبيل الى تقدير هذه القيمة حق قدرها بدون الالمام بمختلف أبعاد وجوانب التعاون القائم بين اسرائيل والدول الافريقية . اضف الى ذلك ان قطع هذه الدول لعلاقاتها الدبلوماسية بحكومة تل ابيب لم يقترن بقطع علاقاتها الاخرى معها . وهذا يعنى ان القطيعة الدبلوماسية لا تعنى سوى اغلاق السفاراتووقف الاتصالات الدبلوماسية المباشرة . فهى لا تبطل العلاقات الاخرى ، وان كانت تحد منها كثيرا او قليلا . وهذا يعنى أيضا أن التعامل بين اسرائيل والدول الافريقية ما زال قائما فى سائر مجالاته الأخرى ، غير الدبلوماسية .

نشطت العلاقات بين اسرائيل ودول افريقيا فى أعقاب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ونتيجة لفتح مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية . وازدادت تلك العلاقات نشاطا بعد حرب الايام الستة سنة ١٩٦٧ ، وتبعا لاغلاق قناة السويس على وجه التحديد . فقد خلا الطريق أمام المصنوعات الاسرائيلية وانعدمت المنافسة التى كانت تلقاها من السلع الايطالية والالمانية وغيرها . وهكذا تسنى للصناعة الاسرائيلية ان تغزو الاسواق الافريقية ، لا سيما الشرقية منها ، لا بالنظر الى جودة مصنوعاتها او رخص اسعارها ، ولكن بسبب انعدام المزاحمة فى طريقها .

وازداد حجم التبادل التجارى بين اسرائيل والدول الافريقية حتى بلغ مجموع الصادرات الاسرائيلية الى هذه الدول ٤١٫٥ مليون دولار سنة ١٩٧٠ ، وكان لا يزيد على ٣٤٫٢ مليون دولار سنة ١٩٦٩ .

ووصلت تلك الصادرات ذروتها سنة ١٩٧١ حينما بلغت بمجموعها ٤٧ مليون دولار . الا انها ما لبثت ان هبطت الى ٤٥ مليون سنة ١٩٧٢، وهى السنة التى بادرت فيها أوغندا وأربع دول افريقية اخرى الى قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل .

ونورد فيما يلى جدولا يفصّل ما أجملناه ويبين الصادرات الاسرائيلية لسبع دول افريقية مختلفة ، وذلك فى ثلاث من السنوات التى ذكرنا.

	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢
الحبشة	٤٫٤ مليون دولار	٣٫٦ مليون دولار	٤ مليون دولار
كينيا	٣٫٧ مليون دولار	٤٫٢ مليون دولار	٢٫٨ مليون دولار
اوغندا	٥٫٦ مليون دولار	٨ مليون دولار	٣٫١ مليون دولار
زائير	٣ مليون دولار	٢٫١ مليون دولار	٫٩ مليون دولار
زامبيا	٢٫٩ مليون دولار	٣ مليون دولار	٥٫١ مليون دولار
غانا	٢٫١ مليون دولار	٣٫١ مليون دولار	٢٫٣ مليون دولار
نيجيريا	٣٫٦ مليون دولار	٥ مليون دولار	٢٫٦ مليون دولار

ولابد من الاشارة الى المكانة المرموقة التي تحتلها دولة اتحاد جنوب افريقيا في تجارتها مع اسرائيل ، زميلتها في العدوان وفي سياسة التمييز العنصري . فقد بلغت صادرات اسرائيل اليها في سنة ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ ٧ر١٠ مليون دولار و ٩ر٤ مليون دولار و ٨ر٨ مليون دولار على التوالي .

على ان التبادل التجاري بين اسرائيل والدول الافريقية ليس بالخطورة التي قد تبدو لاول وهلة . فهو لايكاد يبلغ ١٪ بالنسبة الى مجموع ما تستورده افريقيا من سائر بلاد العالم ، وقد بلغ ٧ر٥ مليار دولار سنة ١٩٧١ . وهو على كل حال اقل خطورة من التعاون بين اسرائيل والدول الافريقية في مجالاته الاخرى التي نخص بالذكر منها مجال التصنيع والعمران .

ونقدم فيما يلي امثلة عن حجم هذا التعاون حسب الدول التي شملها :

	المشاريع المنفذة من قبل شركات (فرعية) خاصة	المشاريع المنفذة بالاشتراك مع الدولة .
غانا	–	٥ر١٧ مليون دولار
نيجريا الغربية	٢٥ر١٤ مليون دولار	٤ر٢٥ مليون دولار
نيجريا الشرقية	٢٥ر٢	٨ر١٧ مليون دولار
سيراليون	–	٢٥ر١٣ مليون دولار
شاطىء العاج		٥ر٢٠ مليون دولار
اليوبيا (الحبشة)	٤ر١٩	
تنزانيا	٢ر١٢	
زامبيـا	٣ر٧	
كينيـا	٥ر٩	

عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية (ي ز)

الجابية والمؤتمر الذى اقيم بها خلال خلافة عمر

● تسمع عن الجابية ، وقد قيل لنا انها مدينة في هضبة الجولان بسوريا ، ومع هذا لم نسمع لها في هذه الحرب اسما . فهل من حديث موجز عنها ؟

محمد عباس/مغنية/الجزائر .

« الجابية » الاسم العربي لقرية كانت تقوم على عدة تلال في الجولان ، الى الجنوب من دمشق على بعد يقارب خمسين كيلو مترا ، وقد سمى احد ابواب دمشق « باب الجابية » لانه يؤدى اليها ، وعند ظهور الاسلام وقبيله كانت الجابية تسمى « جابية الملوك » لان امراء جفنة من الغساسنة حكام جيلق(اى دمشق) كانوا يؤثرونها بالاقامة لنزهتها ، وكانت يومئذ مثال المعسكر الصحراوى الذى يجمع بين خيام البدو وبيوت الحضر ، وبها حتى اليوم مياه غزيرة ومراع وفيرة ، فهي تستطيع الاعتماد على نفسها لوفرة خيراتها ، وربما كان ذلك سبب تسميتها الجابية (اى الحوض)اى الوعاء الذى يجبي او يجمع الخيرات ، كما انها مكان عال حصين يسهل الدفاع عنه .

ومعلوم ان الفتوح العربية للشام بدات في اواخر خلافة ابي بكر القصيرة وان كان الاحتكاك قد بدأ بينها وبين المسلمين في اخريات عهد النبي ، وبعد فراغ ابي بكر من القضاء على الحركات الانفصالية التي تسمى « الردة » تجاوزا – شرع يوالي ارسال جيوشه للقضاء على خطر الروم في

اللندى رئيس جمهورية شيلي السابق اعتنق الاشتراكية أولا ورفض الشيوعية

● ارجو ان تذكروا لنا شيئا من سلفادور اللندى رئيس تشيلى السابق الذى قتل او انتحر اثناء الانقلاب العسكرى الذى اطاح بحكمه فى شهر سبتمبر عام ١٩٧٣ .

حازم حسين ـ القاهرة

ـ لقد كان الدكتور سلفادور اللندى جوسنس S. Allende Gossens وهذا هو اسمه بالكامل ، يعمل طبيبا قبل أن يدخل الى ميدان السياسة . وقد اثرت مهنة اللندى كطبيب على معتقداته السياسية ، فقد كان يشاهد المرضى والاطفال الذين يعانون من امراض سوء التغذية ، كما لمس بنفسه النسبة العالية لوفيات الاطفال فى بلاده نتيجة الفقر والجهل . وقد حز فى نفس هذا الطبيب الشاب الحالة المزرية التى كان يعيش فيها شعب شيلى ، وتفشى الاوبئة واستغلال الطبقة الفقيرة الكادحة وكان ذلك فى بداية الثلاثينيات بعد تخرجه من كلية الطب .

وبالرغم من أن اللندى نشأ فى أسرة ارستقراطية، وكان والده يعمل محاميا فى حين كان جده احد مؤسسي الحزب الراديكالى ، وهو أحد الاحزاب غير الشيوعية فى شيلى ، الا انه آمن بالفكر الاشتراكى نتيجة لما لمسه من حالة الشعب الشيلى.

وفى عام ١٩٣٣ ساعد اللندى على تأسيس الحزب الاشتراكى الشيلى وكان مؤسسو هذا الحزب قد انشقوا على الحزب الشيوعى الشيلى لاتهامهم موسكو بالفشل فى تحليل الحقائق فى بلادهم .

وكانت المبادىء التى يؤمن بها اللندى هى بناء نظام اشتراكى وفى نفس الوقت المحافظة على الاطار التحررى لحكومة برلمانية ديمقراطية . وكان ينادى بان على تشيلى ان تقوم بتطوير مجتمعها الجديد والتحرر الكامل من العلاقات الاستعمارية الاقتصادية التى تربطها بالدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة الامريكية .

وفى عام ١٩٣٧ ، ولم يكن عمره يتجاوز الخامسة والثلاثين ، انتخب اللندى لاول مرة فى مجلس

بلاد الشام ، فارسل اربعة جيوش هاجمتها من الجنوب والشرق ، ولما استعصى عليها فتح الشام امدها بنصف جيشه فى العراق بقيادة خالد بن الوليد ، اشهر قادته ، بل اشهر قادة المسلمين . وعلى اليرموك ـ احد فروع نهر الاردن ـ التقت الجيوش كلها يقودها خالد ، بجيش رومي كبير ، فمزقوه بَدَدا ، ثم تفرقوا بجيوشهم لاتمام فتحها، وقد سميت موقعة اليرموك أحيانا موقعة الجابية لقربها من مكانها .

وقبيل انتهاء فتوح الشام فى اوائل خلافة عمر طلبه بعض قواده فيها للتشاور فى اتمام الفتح ومدارسته ، وتنسيق الخطط الحربية والادارية فى الاقاليم بعد فتحها ، فاستشار عمر كبار الصحابة ثم اثر نصيحة على بن ابي طالب بان يخرج اليهم بنفسه ، فاستخلف على المدينة عليا ، وخرج ومعه عدد ضخم من كبار الصحابة .

وعند الجابية لقيه قواده، يزيد بن ابي سفيان، وخالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، وابوعبيدة الذى كان عمر قد ولاه القيادة العامة لجيوش المسلمين فى الشام مكان خالد بن الوليد ، فلما راهم عمر مقبلين وعليهم الاردية الحريرية غضب ، فاعتذر اليه القادة بان السلاح تحت ملابسهم ، فلما راى عمر ذلك خف غضبه وقال : « فَنَعِمَّ اذَنْ » ثم صحبوه حتى بلغوا الجابية.

وفى الجابية اقر عمر عهود قواده مع البلاد المفتوحة ، واعطى عهودا جديدة اشهرها عهده مع اهل ايلياء (اى بيت المقدس) التي آثرت التعاهد مع الخليفة نفسه ، وفتحت ابوابها بعد ذلك ، فاستقبله راعيها البطريرك صفرنيوس Sophronius

النواب ومن عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٢ شغل منصب وزير الصحة .

واستمرت حياة اللندى السياسية في هبوط وصعود . وفي عام ١٩٦٤ اصيب بخيبة امل كبيرة عندما سقط في انتخابات الرياسة . وفي انتخابات الرياسة عام ١٩٧٠ استطاع الحصول على تأييد قوى اليسار لترشيحه لمنصب الرياسة بالرغم من وجود معارضة قويةله داخل الاحزاب اليسارية. وكان الامل في نجاح اللندى ضعيفا ولكنه فوجيء هو شخصيا بالفوز الذى حققه في ٤ سبتمبر عام ١٩٧٠ وقال للصحفيين الذين حاولوا الحصول على حديث صحفي منه : « لقد انتظرت هذه اللحظة ١٨ عاما ، فهل لكم أن تصبروا قليلا . »

وقام اللندى ، بعد توليه الحكم ، بتاميم صناعة النحاس ، واستئناف العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع كوبا . واتسمت سياسته تجاه الولايات المتحدة الامريكية بالحذر في باديء الامر ، ولكن علاقاته مع امريكا بدات تسوء تدريجيا حتى انه في خطابه الذى القاه امام الامم المتحدة في عام ١٩٧٢ اتهم المؤسسات الامريكية ووكالات الحكومة والبنوك بالقيام باعمال عدوانية ضد شيلي .

وفي شتاء عام ١٩٧٢ بدات المظاهرات واضرابات اصحاب سيارات النقل في شيلي ، وتدخل الجيش



سلفادور اللندى

لقمعها . وساءت الحالة الاقتصادية للبلاد . وفي ١١ سبتمبر عام ١٩٧٣ انضمت القوات المسلحة للجناح المعارض لحكم اللندى وقامت بانقلاب دموى اطاح به ، وقيل ان اللندى انتحر ، وقيل انه قتل .

وكان آخر تصريح له اذاعه اثناء ضرب مقر الرياسة بالقنابل : « لن استقيل وانا مستعد للمقاومة باية وسيلة ، ولو كان هذا على حساب حياتي » . وفعلا كلفته هذه المقاومة حياته . ومات اللندى تاركا وراءه أرملة وبناتا ثلاثا .

(م . ط)

الملقب « حامي الكنيسة ، وصاحب اللسان المعسول» ـ ولايختلف هذا العهد في روحه ومضمونه جملةً من سائر العهود للبلاد المفتوحة الا في نصه على منع اليهود من دخول ايلياء ، وليس ذلك في عهد آخر .

وفي الجابية قسّم عمر الارزاق ، وسمى الشواتي والصوائف (اى الجيوش التي التي تغزو شتاء وصيفا) ، وسد ثغور الشام بالمسالح (اماكن السلاح) وعين حكام الاقاليم وابقى القواد ما عدا شرحبيل بن حسنة فانه عزله بمعاوية بن ابي سفيان ، فلما قال له شرحبيل : «اعنْ سخطة عزلتني يا امير المؤمنين »،قال « لا ، انك لكما احب ، ولكني اريد رجلاً اقوى من رجل » . فلما طلب منه ان يعلن ذلك في الناس اعلنه فارضاه .

ومن اهم احداث الجابية أذان بلال ، مؤذن النبي ، وكان قد امتنع عن الاذان بعد موت النبي، فلما انتهى مؤتمر الجابية بخطبة لعمر ، حضرت الصلاة ، فاشار الصحابة عليه ان يستدرج بلالاً للاذان ، فاذّن ـ لعظمة المناسبة ـ فما بقي خلال الاذان احد ممن ادرك النبي الا بكي حتى بلّ لحيته ، وعمر اشدهم بكاء ، واعدى الموقفُ من لم يدّركوا النبي فبكوا ايضا ببكائهم ولذكرى النبي عليه السلام.ولهذا المؤتمر شهرته التاريخية لما تم فيه من انجازات وما رسم من مشروعات قريبة وبعيدة ، ولانه المؤتمر الذى توجت به جهود الفتوح السابقة ، كما كان للمؤتمر أثره في تثبيت اهمية الجابية ، وبروزها طوال عصر بني امية لقربها من عاصمتهم دمشق .

(م . خ . ت .)

مع ... الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه



بقلم الدكتور أحمد زكي

■ نبدأ أولا بالتعريف بالطعام ، كما يفهمه الناس ، وكما يفهمه العلماء ، ثم بالهضم كما يفهمه العلماء. ونشرح الهضم كما هو قائم في الانسان لانه أتم أسلوب هضم ، ولان الانسان أتم الحيوانات التي نعرفها اكتمال خلق . ثم نقارن بين جهاز الهضم عند الانسان ، وهو اكمل جهاز ، وبين أجهزته عن سائر الخلائق .

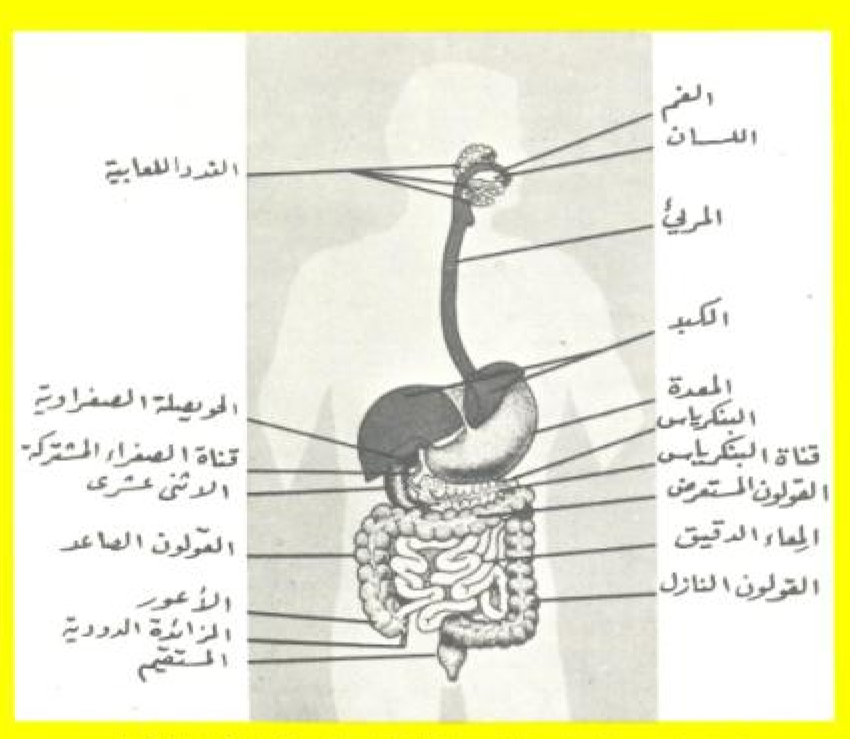
الطعام

الناس تنظر الى الطعام غير نظرة العلماء اليه .

فالخبز عند الناس طعام ، وكذا اللحم طعام ، وكذا اللبن ، وكذا البطاطس والخضراوات والفواكه في شتى الوانها وشتى طعومها .

وينظر العالم الى هذه الأطعمة المختلفة فيردها الى اصول أصيلة ثلاثة :

الأصل الأول ، البروتين Protein وهو الأصل الذي يصنع منه بناء خلايا الجسم ، والبروتينات مركبات مختلفة يدخل في تركيبها عناصر الكربون والاكسجين والادروجين والنتروجين ،



الجهاز الهضمي للانسان ويتألف من القناة الهضمية يساعدها الكبد والبنكرياس ..

ثم الكبريت والفسفور أحيانا . والبروتينات تدخل فى تركيب اللحم أساسا .

والأصل الثانى وتعرف مركباته بالكربوادراتات Carbohydrates او الكربونية المتموهة لأن الأدروجين والاكسجين يدخلان فى تركيبها بالنسبة التى هما عليها فى الماء . وفيها عدا هذين الكربون اى عنصر الفحم . وهى مركبات مختلفة ، وهى تدخل فى تركيب الأرز والبطاطس أساسا . وكذا سكر القصب . والذى يجمع بينها أنها تنحل عند الهضم فيخرج عنها أبسط مركبات السكر (الجلوكوز او سكر العنب واشباهه) . ولهذا هى تسمى أحيانا بالسكريات . وأحيانا تسمى بالنشويات ، لأن النشا يستخرج منها ، من الأرز مثلا .

والأصل الثالث للاطعمة ، هو عند العلماء الكيماويين ، الدهون . وهى مركبات تحتوى على عناصر ثلاثة هى الكربون وكذا الاكسجين والأدروجين (لا بنسبة وجودهما فى الماء) . والدهون مركبات مختلفة ، تنحل فتنفصل جزاين بعد اضافة ماء الى جزىء الدهن ، هما الجلسرين واحماض دهنية عضوية .

الخبز عند الطاعم وعند العالم

فالخبز عند الطاعم من سواد الناس ، انما هو شىء يشبع من جوع ، وهو فى المائدة أساس ، وينظر اليه وكأنه شىء واحد لولا اختلاف طعومه . وينظر الكيماوى الى الخبز فيرى فيه النشا

كثيرا ، (وهو من الكربوادراتات التى تنحل الى سكر العنب) ، ويرى فيه البروتين قليلا . وبالطبع يرى فيه ما به من ماء وملح واشياء اخرى ذات مقادير قليلة نغفلها بغية التبسيط فى الشرح . وينظر الكيماوى الى اللحم فيرى فيه البروتين كثيرا ، ويرى الدهن كثيرا او قليلا . وبالطبع الماء ، واشياء اخرى قليلة . وينظر الكيماوى الى اللبن الحليب فيرى فيه البروتين (وهو مادة الجبن) ويرى فيه الدهن (وهو مادة السمن) ويرى فيه السكر ، سكر اللبن . وبالطبع الماء الكثير ، وغير ذلك من أشياء أخرى قليلة .

الطعام وحّد بين صنوف الحيوانات على هذه الأرض

وذكرنا الأطعمة ، وذكرنا الانسان لها طاعما . وماهو بطاعمها وحده . ان طعام الانسان هو طعام سائر حيوانات الأرض من مستأنسة ومستوحشة ، من آكلة نباتات أو آكلة لحوم .

وهذه وحدة فى الخلق يجب انلا نغفل عنها أبدا .

ولا نبالى انها وحدة لا يحترمها الانسان دائما : ففى البرارى هو يغالب السباع لأنها تأكل من مستأنس الحيوان ما يأكل هو . وهى تأكل الانسان فيما تأكل . وفى البيت يغالب الانسان حتى المستأنس من الحيوان . يغالب القط والكلب ، ويغالب الفأر ، وسائر الحشر لأنها تأكل ما يأكل .

ووحدة بين الخلائق ، وبين بيئتها من سطح هذه الارض

ويجمع بين الناس ، والحيوانات ، والنباتات ، وتربة الأرض ، وما فوقها من هواء ، وما يهبط عبر الهواء من ماء، يجمع بينها جميعا وحدة شاملة .

ان النبات أصل الحياة ، وهو يصنع من كربون الهواء (ثانى أكسيد الكربون) ومن أكسجين وادروجين (ماء) . وان دخل النتروجين او غيره تركيب النبات ليصنع البروتين فمأتاه الأول من هواء هذا الجو . وما التربة الا مساك يمسك النبات حتى يستقيم . ومن التربة يستمد النباتُ الملحَ القليل .

وعلى النبات يعيش الانسان ، أو يأكل الحيوان بعضه بعضا .

من اصول واحدة تفرعت الحياة ، وتغيرت وتبدلت .

ويأتيها الفناء ، فالى تراب الأرض وهوائه ومائه تعود .

هذه الأرض أرضنا . انها موطننا . وموطن الحياة التى تصنع من حولنا ونصنعها . وما القمر لنا بموطن ، ولا الزُهرة ، ولا المريخ .

اجهزة الهضم فى الانسان ، وعند الحيوان

وننتقل من الطعام الى أجهزة هضمه، فى الانسان ، وعند الحيوان .

والسؤال المتبادر هو ، لم الهضم ؟ بل ما هو الهضم ، وما الذى دعا اليه ؟

الذى دعا اليه ان الطعام لا بد من دخوله الى الجسم ، وسيره فى دورته الدموية فى الانسان مثلا ، ليتوزع على الأعضاء لتنتفع به غذاء .

وباتخاذ الجهاز الهضمى للانسان ، مثلالأجهزة الهضمعند سائر الحيوانات، لا سيما العليا منها ، نقول ان هذا الجهاز يتالف من انبوب يجرى فى جسم الانسان، يبدأ عند الفم ، وينتهى عند الاست . أى هو انبوبة طويلة ، تجرى داخل الجسم ولكن جوفها يعتبر خارج الجسم . لها جدران بها منافذ صغيرة غاية فى الصغر ، تأذن بمرور الأجزاء الصغيرة من الطعام المهضوم الذى فى الأنبوبة الهضمية الى داخل الجسم ، وتأذن بعكس ذلك ، أى بمرور العصارات

الهاضمة من داخل الجسم الى القناة الهضمية .

قلنا « المنافذ الصغيرة » ، وهذه صفة من الخطورة بمكان .

وهي التي دعت ، عند دخول الطعام الى القناة ، عن طريق الفم ، والمرور فيها ، الى أن يتحول هذا الطعام الى « اجسام صغيرة » حتى يستطيع ان يمر من هذه « المنافذ الصغيرة » . وهذا التحول هو الهضم .

ولكنك قد تعترض فتقول انك تأكل سكر القصب ، وتحطمه بأسنانك الى قطع غاية فى الصغر ، فهو اذن لا يحتاج الى هضم بعد ذلك .

والحقيقة انك لو شربت محلول سكر القصب ، وفيه هذا السكر ، جزيئات كيماوية لا تراها العين ، فان هذه الجزيئات من سكر القصب تقف عند هذه المنافذ فلا تمر ، لانها جزيئات « كبيرة» بالنسبة لهذه المنافذ الصغيرة .

فالكبر والصغر هنا وصفان تصف بهما الطعام،من بروتين ، أو نشا وسكر، أو دهن ، لا على مستوى رؤية العين ، ولا حتى على المستوى الذى يكون عنده هذا الطعام ذائبا فى الماء أو غير الماء ، ولكن على المستوى الكيماوى عند الجزيئات .

وجزيئات السكر عظيمة . وجزيئات النشا أعظم . والدهن عظيم الجزيء . والبروتين قد يبلغ من الكبر ان يحتوى الجزيء الواحد منه على مئات من الذرات ، أو الوف منها .

هنا يأتي دور الهضم .

انه لتكسير هذه الجزيئات الكبيرة . ولكنه ليس كتكسير الانسان لسكر القصب . انما هو تكسير كيماوى . فك ارتباطات بين الذرات فى جنبات الجزيء الواحد ، وتحويله الى جزيئات أصغر ، تنفذ من المنافذ الصغيرة التى بأنبوبة جهاز الهضم فى الانسان أو فى غيره من سائر الحيوان .

انه تكسير كيماوى. تكسير لايستخدم فيه القدوم ، أو تستخدم الأسنان. فهذا لا يكفى . وانما تستخدم فيه عوامل كيماوية تساعد على انجازه تعرف بالانزيمات Enzymes أو هى الخمائر . وسوف يأتى حديث قصير عنها .

جهــاز الهضم فى الانسان

لا احسب أن احدا فى حاجة الى وصف هذا الجهاز ، ولكنا نذكره للتذكير بـه .

انها انبوبة على نحو ما نعرف عن سائر الحيوانات ، لا سيما من ذوات الفقار،لها مدخل ومخرج، فم وأست. وهى فى أثناء ذلك تتشكل أشكالا خاصة، وتقوم بواجبات فى الهضم خاصة . وبعد انحلال الطعام بالهضم تقوم خلايا فى جدران هذه الانبوبة فتمتص ما انحل بها من الطعام ، فيدخل الى الدورة الدموية بجسم الانسان ، ويتوزع على خلايا الجسم جميعها .

والانبوبة تتألف من الفم ، فالحلق Pharynx ، فالمرىء Esophagus ، فالمعدة ، فالاثنى عشرى Deudenum والمعاء الدقيق Small Intestine ، ويعد الاثنى عشرى بعض هذا المعاء . ثم المعاء الغليظ (وهو قولون صاعد ، وقولون مستعرض ، وقولون هابط) ، ثم المستقيم ، وأخيرا يأتى الأست .

لكل من اجزاء هذا الجهاز الهضمى نصيب من الهضم مختلف

ولكل هــذه الأجـزاء من الانبوب الهضمى نصيب فى عملية الهضم يختص به من حيث نوع الطعام الذى يتهضم فيه ، ومن حيث الخمائر التى تصبها غدده لتساعد على هذا الهضم .

وتبدأ الخمائر تنصب من غددها فى الفم ، والانسان يأكل الطعام . وتخرج مع اللعاب أول خميرة تفعل فى النشا .

ومن غدد المعدة تخرج الخميرة المسماة

ببسينوجين Pepsinogen ، ويخرج معها حامض الكلوردريك فيحولها الى خميرة البيبسين Pepsin وهي تفعل في البروتين.

ومن غدد المعاء الدقيق ، أو على الأدق من غدد الاثني عشري الذي هو أول المعاء الدقيق ، تخرج بضع خمائر تعمل على الأخص في حل البروتينات والسكريات .

وتصحب هذه الافرازات الخميرية مواد مخاطية تزلق الطعام في مسيرته من الفم الى الاست .

ونلاحظ ان المعاء الغليظ لا يفرز الخمائر ، وانما يفرز المادة المخاطية التي تزلق .

الكبد والبنكرياس
غدتان ، على الهضم مساعدتان

ويساعد هذه الغدد التي في جدار القناة الهضمية للانسان غدتان عظيمتان يستقلان بالوجود داخل الجسم : أحداهما الكبد،وتقع فوق المعدة تقريبا، والبنكرياس ويقع تحت المعدة تقريبا ، وعلى مقربة من الاثني عشري والكبد .

اما الكبد فتصب عصارتها الهضمية، صفراء، تختزنهافي الحويصلة الصفراوية حتى يأتي أوانها في عملية الهضم فتصب ما بها من الصفراء في المعاء الدقيق في الاثني عشري الذي هو أول المعاء الدقيق.

والصفراء لا توجد فيها خمائر ،وانما هي تساعد على هضم الدهون في المعاء الدقيق بأن تستحلبها فتسهل عمل الخمائر التي هي هناك فيها .

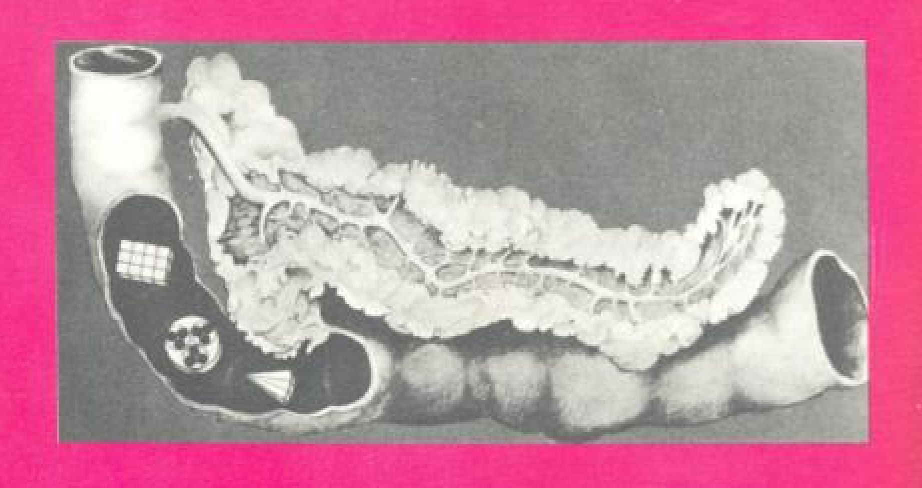
وأما البنكرياس فيصب عصارته الهضمية عن طريق قناة البنكرياس ، وهي تصب العصارة في المعاء الدقيق حيث تصب الكبد صفراءها .

والعصارة البنكرياسية هذه تتضمن بضع خمائر تعمل في البروتينات ومشتقاتها وفي السكريات والدهون .

وهذه العصارات جميعا تتوجه من ذات نفسها الى حيث يراد منها المعونة ، دون ان تخطيء الى مكان عملها سبيلا . وهي تصب في الوقت المناسب ، فلا تتقدم ولا تتأخر . ومن امثلة حسن التوقيت أن البنكرياس لا يصب عصارته في المعاء الدقيق الا عندما يصله من المعدة طعامها المهضوم . والسؤال هنا : كيف يعلم البنكرياس بهذا الوقت بالضبط ؟ ولهذا قصة طريفة ، لا مكان هنا لحكايتها . أو بالاختصار هو رسول (هرمون) يذهب من الاثني عشري في الدم الى البنكرياس ، فيقول له : ان الطعام حضر الى المعاء ، وعليك ان تصب . حكمة في الجسم ، وكم في الجسم من حكم .

وكان في استطاعتنا ان نورد أسماء خمائر الهضم كلها ، ولكنها كثيرة العدد وأسماؤها افرنجية . وهي أسماء أعلام، وعملها في حل البروتينات والنشويات والسكريات وكذا في الدهون ، يحتاج الى علم بالكيمياء فوق ما يوجد عادة عند القاريء المثقف العادي .

غدة البنكرياس ، وهي في الصورة فوق الجزء الأول من المعاء الدقيق ، ويمر بأوسط هذه الغدة قناة ، تجمع منها العصارة الهاضمة التي تصنعها وتصبها في الاثني عشري . وغدة البنكرياس تنتج أيضا المادة المعروفة بالأنسولين التي تساعد على تحول السكر في الدم واستفادة الجسم منه غذاء . ولكن الأنسولين لا يخرج من قناة هذه الغدة ، وانما يخرج مباشرة من خلايا خاصة بالغدة الى الدورة الدموية للجسم فالى سائر خلايا الجسم .



امتصاص
الطعام المهضوم ،
فى جهاز الهضم للانسان

فهذا هو الهضم . تكسير الطعام ميكانيكيا فزيائيا بالأسنان وغير الأسنان، ثم تكسيره كيماويا ، فحل جزيئاته الكيماوية وتحويلها الى جزيئات صغيرة تدخل من ثقوب صغيرة فى الجهاز الهضمى الى الدم ، الى ما وراء جدران الجهاز . وهذا بدوره يوزعها على أعضاء الجسم وأنسجته وخلاياه . وكالدورة الدموية ، يكون للدورة اللمفاوية نصيب فى نقل هذا الطعام .

هذه مجمل صورة امتصاص الطعام من بعد هضمه .

ونزيد فنقول ان جدار المعاء الدقيق، وهو أنشط أجزاء جهاز الهضم فى امتصاص ما انهضم من الطعام ، هذا الجدار به ثنيات كثيرة ، وبه كذلك نتوءات بارزة ، هى وحدات من الزغب villi ، وهذا كله يزيد فى مساحة جدار الأمعاء وزيادة قدرته على امتصاص طعام . فلو أن هذا الجدار كان منبسطا لا تثنى فيه لكانت مساحته نحو ٦ أقدام مربعة فقط ، ولكنه بهذا التثنى والبروز تبلغ مساحته نحو ١٠٠ قدم مربع . وهذه المساحة تزيد فى اتصال الغذاء المهضوم بجدران القناة الهضمية فبأوعية الدم التى بجدار جهاز الهضم ، وأوعيته اللمفاوية ، فتزيد فى امتصاصه.
وقدروا عدد الزغبات التى بهذا الجدار (وفيها الأوعية الشعرية الدموية التى تحمل الطعام وفيها القنوات اللبنية اللمفاوية التى تحمل ما انهضم واستحلب من الدهون) قدروا عدد هذه الزغبات فبلغ المليون زغبة أو يزيد .

مناطق هضم الطعام ،
ومناطق امتصاصه ،
فى الجهاز الهضمى للانسان

تتميز المعدة ، ويتميز الجزء الأعلى من المعاء الدقيق (الأثنى عشرى) ،وكذا

الكبد والبنكرياس، تتميز كلها بالصدارة في عمليات الهضم: هضم الطعام ، تزويدَ عصارة واجراءُ هضم . وهذا لا ينسينا ما يفعل اللعاب في الفم .

اما امتصاص الطعام المهضوم فيتصدر في ذلك الجزء الأدنى من المعاء الدقيق ، ففي هذا الجزء ينشط الهضم وينشط الامتصاص معا .

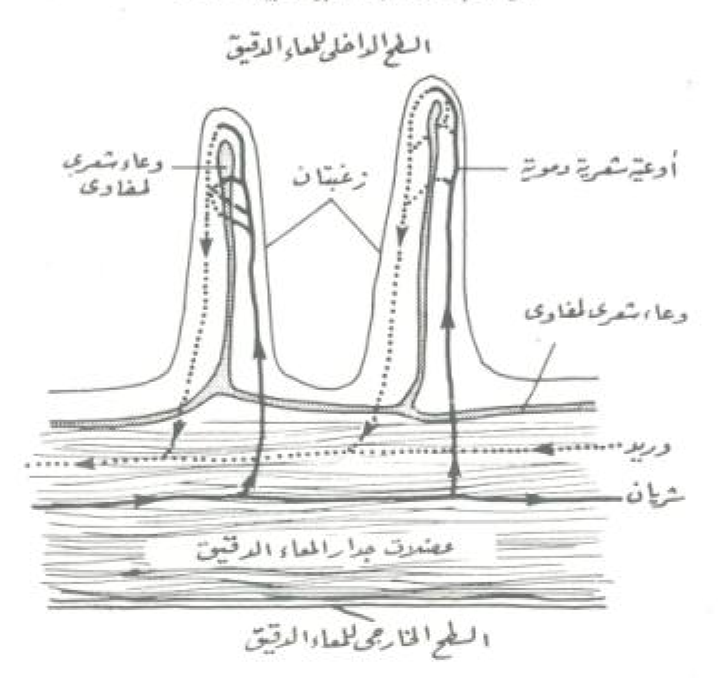
والمعدة ليست من المناطق التي تذكر كثيرا عند ذكر امتصاص .

والمعاء الغليظ عمله الأكبر امتصاص الماء من كل ما وصل اليه من طعام ، من طعام لم يهضم أو طعام لم يمتص . ويخرج البراز من الأست فاقدا الماء ، فهو يصل يابسا او قريبا من ذلك . وان أشتد فقده للماء فهذا هو الامساك . ومن شرّ البلية الامساك .

مظاهر الوحدة ، في جهاز الهضم في الانسان ، واجهزة الهضم في سائر الحيوان

الوحدة بين الانسان وسائر الحيوان، من أعلاه الى ادناه ، ظاهرة بيّنة ، من حيث اشتراك في الطعام الواحد ، وهضم له وطريقة هضم ، ميكانيكية بالسحق ، أو كيماوية بتحليل المعقد من الجزيئات، ومن حيث امتصاص الطعام المهضوم

صورة من النتوءات التي توجد في الجدار الداخلي للمعاء الدقيق ، تلك التي اسميناها بالزغب Villi ، وهي التي تمتص ما في المعاء من طعام مهضوم . وهي تمتصه ليجرى داخلها في اوعيتها الشعرية الدموية، ومنها الى الدورة العامة للجسم ، اما الدهون المهضومة فتجرى في الأوعية اللمفاوية ، وفي آخر المطاف الى الدم . والصورة مكبرة تكبيرا عظيما .





الطعام يجرى فى القناة الهضمية ، ولا بدّ له مما يُجريه . والذى يجريه فى المرىء وفى المِعَاء موجة" تجرى فى الانبوبة تضيقها ، وتعصر الطعام وتدفعه الى امام ، تليها موجة اخرى تجرى فى الانبوبة ترخى عضلاتها وتوسعها ، لتتقبل طعاما يأتيها جديدا ، ثم موجة انقباض ، تليها موجة ارتخاء وهلم جرا . وهذه الصورة تصوّر هذه الموجات كيف تجرى . وتسمى هذه الحركة بالحركة الدودية ، او بالتحوّى او بالتمعّج Peristalsis . وبسبب هذه الحركة يشرب الانسان من ماء قناة فى الحقل ، ينزل اليه بفمه ، ويهبط بالفم دون معدته ، ومع هذا ، يصل الماء من الفم الى المعدة عن طريق المرىء بسبب تحوّيه . انه يرفع الماء ضد جاذبية الارض .

وانتفاع الجسم به ، ولو أن لنا كلمة تالية فيما بعد، تزيد هذا الأمر ايضاحا.

الذى بقى فى التدليل على الوحدة هو امر الجهاز الهاشم الذى يفعل كل هذا.

ان الذى قلناه فيه الكفاية للتدليل على الوحدة ، فهو لا يحتاج الى مزيد .

ولكن لا بد من اتمام الأشكال والتصاميم .

ونحن نقول دائما ، انها وحدة مع اختلاف .

وحدة فى الأساس ، مع اختلاف فى التفاصيل .

وحدة فى الغاية ، مع اختلاف سبيل.

وقد ذكرنا عن الجهاز الهضمى للانسان ما ذكرنا ، وهو أتم جهاز عرفناه فى الخلق .

واذا نحن ذكرنا الحيوان ، ذا الخلية الواحدة ، المعروف بالأميبة ، وطلبنا له جهاز هضم لم نجد من ذلك شيئا .

الانسان فى اعلى سلّم الحيوانات والأميبة فى أسفل السلّم .

والانسان مع جهاز الهضم يعيش .

والأميبة مع غير جهاز هضم تعيش .

مثلهما كمثل الرجل ذى القصر المنيف ، والرجل ذى الكوخ الضئيل . الأول له مطبخ فيه الف وعاء ، والف شعلة ، والف كهرباء ، وفيه يطبخ الطابخ ما يشاء . والآخر ذو الكوخ لا يعرف المطابخ ، ولكنه يعرف قطع الحطب يشعلها فى الطريق يستدفىء بها، واحيانا يطهى طعاما .

وكلاهما يصبح عليه الصباح ، وهو حىّ .

وبين الأميبة والانسان عشرات من الشُّعَب الحيوانية ، والطوائف ، والأجناس ، بعضها فى سلم الحياة فوق بعض .

هل لهذه اجهزة هضم ، وكيف،وكم؟

والجواب : نعم لكل جهاز ، هو فى الصنع أعلى صنعا عما دونه ، وأخفض صنعا عما فوقه . ولكن عند الجهاز الانسانى تطاطىء الأجهزة له ولا تعلوه .

●●

احمد زكى

اعرف وطنك أيها العربي

الجامعة العربية

إلى أين ؟

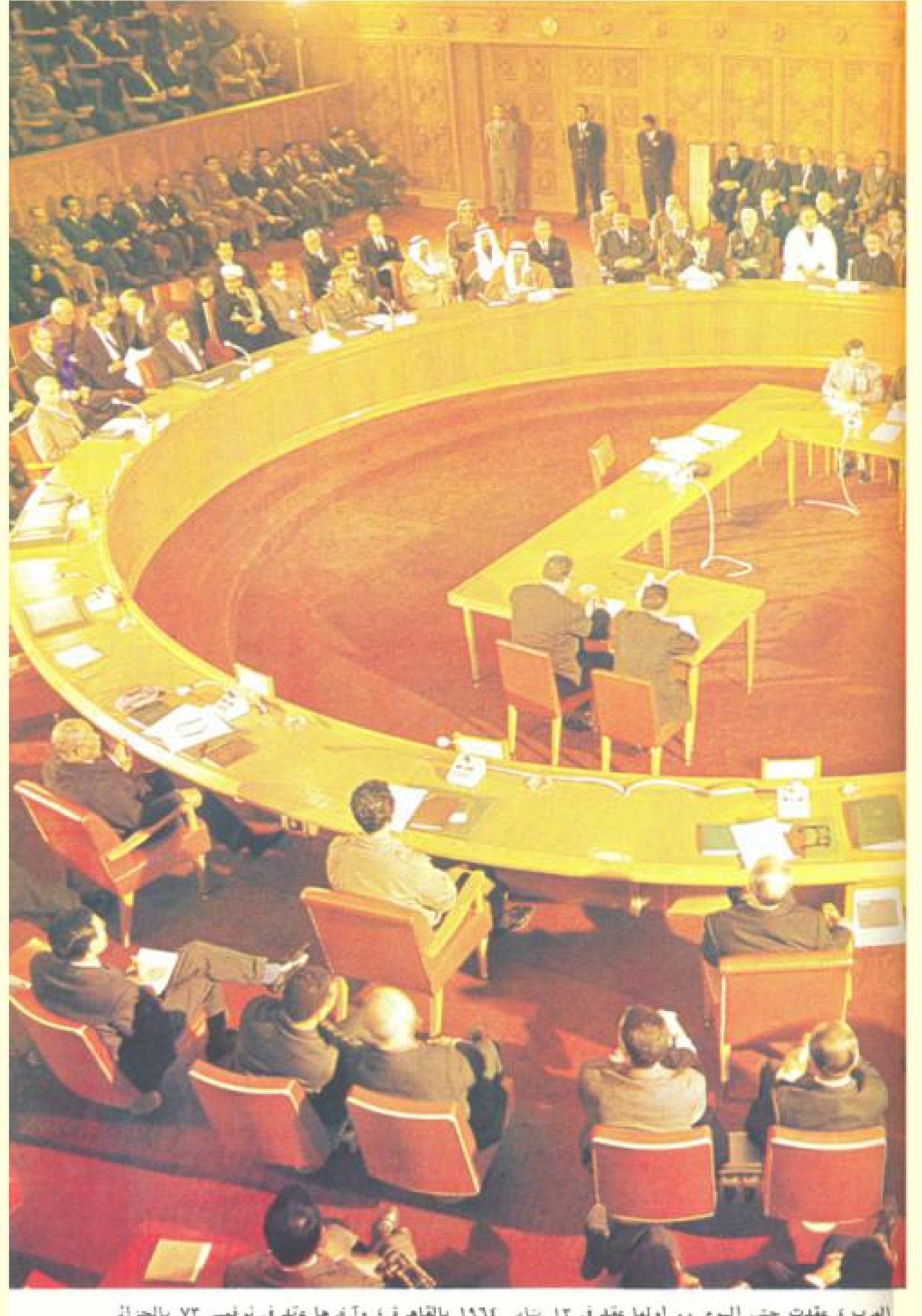
استطلاع : سليم زبال

تصوير : اوسكار متري

جامعة الدول العربية هي رمز وحدة الوطن العربي جميعه ، وهدفها توثيق الصلات وتنسيق الخطط والتعاون بين الدول الاعضاء ..



ستة مؤتمرات قمة ، على مستوى الملوك والرؤ



العرب ، عقدت حتى اليوم .. أولها عقد فى ١٣ يناير ١٩٦٤ بالقاهرة ، وآخرها عقد فى نوفمبر ٧٣ بالجزائر

■ **تعالوا نضرب صفحا عن الماضي القريب ، مع ما كان فيه من خذلان اثر نكسة عام ١٩٦٧ ونتطلع الى مستقبل مشرق مضيء ..**

تعالوا نتفتح على اخطائنا ، ونعمل على اصلاحها ، دون تحامل او غضب ..

ان محاولة حصر اخطائنا تكاد تكون ضربا من المستحيل .. الا أن الكثيرين يعتقدون بان خطأنا الاكبر يتمثل في عدم اهتمامنا ، بل عدم اكتراثنا بجامعة الدول العربية ..

هذه اللا مبالاة التي جرت علينا الكثير من المتاعب والآلام طوال ٣٠ عاما متصلة ..

وجامعتنا العربية ولدت نشيطة ممتلئة بنشاط الصبا ، ولكنها لم تخط خطوة الى الشباب ، وانما انتقلت من صباها الى شيخوختها مباشرة .. فتكاثرت عليها الغمزات واللمزات ، ونعتوها باقذع الكلمات ، مرة بجامعة « ابو الكلام ازاد » ، واخرى بجامعة « تنابلة السلطان » ، وثالثة بجامعة التناقضات والتناحرات .. الى آخر ما هنالك من نعوت واوصاف غير جميلة .. واصبح كل من يحمل قلما ، يحاول أن يكسب لنفسه مجدا برجم جامعة الدول العربية « بمقال » ! !

ترى هل كانوا على حق في تحاملهم هذا ؟

وهل هي فعلا كما وصفوها ونعتوها ؟ واين يكمن الداء .. وما هو الدواء ؟

لقد امضت بعثة « العربي » اسبوعا كاملا متنقلة بين الطوابق التسعة التي يتكون منها مبنى الجامعة العربية ، تتحدث وتسمع وتسجل ، لتقدم لك هذا الاستطلاع الشامل عن : الجامعة العربية من اين ، والى اين ؟

اكبر سنا من الامم المتحدة

والحديث عن حاضر الجامعة يستحيل أن يكون منصفا الا اذا تحدثنا عن ماضيها .. كيف ولدت .. وفي أي ظروف وجدت .. وماذا كان الهدف من تكوينها ؟

ان مبنى الجامعة لو نطق لقال عجبا كثيرا .. لقد رأى الوئام والتلاحم ، ورأى الانشقاق والتفسخ .

ان له قصة طويلة عمرها اكثر من ٢٩ عاما .. فهو اكبر سنا من هيئة الامم المتحدة بثلاثة شهور ، اذ ولدت الجامعة العربية في ٢٢ مارس (آذار) ١٩٤٥ بينما ولدت هيئة الامم المتحدة في ٢٦ يونيو (حزيران) من نفس العام ..

أبو الجامعة يتحدث

.. ودعونا نترك المبنى بحاله فهناك من رأى وسمع اكثر منه .. هناك الرجل الذي ولدت الجامعة على يديه ، فاستحق عن جدارة لقب « أبو الجامعة » ذلك هو الاستاذ عبد الرحمن عزام ، الذي جرى بيننا وبينه في بيروت ، حديث ممتع عن الجامعة العربية ، تجده منشورا ابتداء من صفحة ٢٠ من هذا العدد ..

محاولات سابقة لتعديل ميثاق الجامعة

ومن بيروت انتقلنا الى القاهرة ، حيث يرتفع مبنى الجامعة العربية على شاطيء النيل .. انه مبنى ضخم ، يعيش موظفوه فترة انتقال وترقب ، انتظارا لظهور نتائج تطوير الجامعة وتعديل ميثاقها ..

لقد تم حتى الان تعيين سبعة امناء مساعدين للامين العام .. اما الميثاق العتيد الذي يشتمل على ٢٠ مادة ، ففكرة تعديله تراود الاذهان منذ لحظة توقيعه من قبل ٧ دول عربية في ٢٢ مارس ١٩٤٥ .

وجاء اول اقتراح بتعديل الميثاق عام ١٩٥٩ من الملك محمد الخامس لتمكين الجامعة من اداء رسالتها بقوة تنفيذية .. وضاع اقتراح العاهل المغربي دون نتيجة .. ومرة ثانية شكلت لجنة لتعديل الميثاق عام ١٩٦١ واعدت تقريرا بذلك .. ثم تالفت لجنة اخرى بعد ٥ سنوات قدمت تقريرا جديدا ، ولكن دون جدوى .. ففي كل مرة يجتمع

تاريخ انضمام الدول العربية للجامعة العربية

٢٢ مارس (آذار) ١٩٤٥
* سوريا ـ الاردن ـ العراق ـ السعودية ـ لبنان ـ مصر .

٥ مايو (ايار) ١٩٤٥
* اليمن

٢٨ مارس (آذار) ١٩٥٣
* ليبيا

١٩ يناير (كانون الاول) ١٩٥٦
* السودان .

١١ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٥٨
* تونس ـ المغرب

٢٠ يوليو (تموز) ١٩٦١
* الكويت

١٦ اغسطس (آب) ١٩٦٢
* الجزائر

١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧
* اليمن الديمقراطي الشعبي

١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧١
* البحرين ـ قطر .

٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧١
* سلطنة عمان

٣ ديسمبر (كانون اول) ١٩٧٢
* دولة الامارات العربية المتحدة .

٣ ديسمبر (كانون اول) ١٩٧٢
* موريتانيا

فيها مجلس الجامعة للموافقة على تعديل الميثاق ، ينتهي الاجتماع بارجاء الموضوع ، دون اتخاذ أى قرار ! !

حتى كان شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ وفيه اتخذ مجلس الجامعة قرارا بانشاء لجنة لمراجعة نظم الجامعة ، واقتراح افضل الوسائل لتطويرها ..

وباشرت اللجنة اعمالها برئاسة امين الجامعة.. وقامت بدراسة الاساليب المتبعة في الامم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، ومنظمة الدول الامريكية ، والمجلس الاوربي .. ولم تكتف اللجنة بالدراسة النظرية ، بل ارسلت احد اعضائها لدراسة نظم هيئة الامم المتحدة ، وجلبت في نفس الوقت بعثة من الامم المتحدة ، برئاسة أحد الامناء المساعدين العرب لكورت فالدهايم ، لتدرس وضع الجامعة العربية ..

وعقدت اللجنة الدولية ٧٠ اجتماعا مع لجنة التطوير العربية قدمت بعدها تقريرا شاملا اقترحت فيه نظاما داخليا جديدا لمجلس الجامعة، ولمشاكل الموظفين والتوظيف ، والشئون المالية ، وقدمت مشروعين يتعلقان بالمنظمات المتخصصة واللجان الدائمة في الجامعة .

وما ادراك ما المنظمات واللجان والادارات في جامعة الدول العربية .

ان عددها الكبير الذى يصل الى رقم ٣٦ (بينما مجموع منظمات الامم المتحدة لا يتعدى ٢٢ منظمة) جعل لجنة تطوير الجامعة توصي « بعدم التوسع في خلق منظمات جديدة ، تلافيا « للازدواج والتكرار ، واقتصادا في الانفاق »

وفي صفحة اخرى قال التقرير عن لجان الجامعة العربية :

« ان اوضاع هذه اللجان متغيرة خلافا لما استهدفه الميثاق .. وان بعض المنظمات اصبحت اصبحت تمثل لونا من الازدواج في اعمال اللجان ، وان لجنتين اساسيتين هما اللجنة الاقتصادية واللجنة الثقافية ، قد توقف عملهما بقيام المجلس الاقتصادى ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .. »

والواقع اننا حاولنا مخلصين معرفة كل شيء عن هذه الادارات والهيئات والمنظمات والمراكز واللجان ، التي تدور حول فلك الجامعة العربية ففشلنا ، كما فشلت قبلنا لجنة تطوير الجامعة.

.. ولما اشتد ساعده رماني

وفي محاولة للتعرف على الادارات الاحدى



من المؤسف أن بعض اقطارنا العربية ، تعتقد – تحت تأثير الوهم – بأنها قوية ، الى حد يمكنها من الانطلاق دون حاجة الى الجامعة العربية ، متجاهلة ان عصرنا هو عصر التكتلات .. ولكن دولا اخرى ترى عكس ذلك ، وتدعم بمشاتها الى الجامعة بأفضل العناصر ، **والصورة اليسرى** لمستشارة ومستشار في الوفد المصري ، بينما **الصورة السفلى** توضح مبنى الجامعة ساهرا في الليل اثناء انعقاد مجلس الجامعة .



اللجنة السياسية مجتمعة فى القاعة رقم ١ : كانت هذه اللجنة تجتمع على مستوى وزراء الخارجية لتنسيق العمل السياسي العربي اما اليوم فتجتمع على مستوى سفراء ، وحتى هؤلاء السفراء يرسلون الملحقين فى سفاراتهم ، لتمثيلهم فى أهم" لجنة فى الجامعة العربية !! وكأن" العرب لم يكفهم انهم اصبحوا يجتمعون في غير دار الجامعة ، وبعيداً عن اطارها ، بل عملوا على اهمال شأنها .. وحول هذه المائدة كان يجتمع مندوبو عشر دول ، زاد عددهم اليوم فصاروا ١٩ مندوبا ، ورغم ذلك لم يتبدل حجم المائدة ! .. ويرأس أمين الجامعة السيد محمود رياض ـ الصورة السفلى ـ اجتماعات هذه اللجنة مع الأمناء المساعدين ، ومنهم في هذه الصورة الدكتور سيد نوفل،والسيدان سليم الياقى واسعد الاسعد

عشرة ، الملحقة بالامانة العامة للجامعة العربية ، ومراكزها في نفس مبنى الجامعة ـ اتجهنا الى ادارة البترول ، نستمع الى مديرها الاستاذ حسن رفعت الدمنهوري وهو يحدثنا بمرارة عن نشاط ادارته فيقول :

لا اكون مغاليا اذا قلت ان معظم التطورات البترولية في المنطقة العربية منذ عام ١٩٥٩ حتى الآن ترجع الى ما اوصت به المؤتمرات البترولية العربية التي دعت الى عقدها ادارة البترول بالجامعة العربية .. مثال ذلك : انشاء شركات نفط وطنية ، تحسين أسعار النفط العربي .. تشجيع استخدام العرب في مجال النفط وتفضيلهم على الاجانب .. انشاء شركة عربية لناقلات النفط .. موضوع المشاركة بين الحكومات العربية صاحبة النفط والشركات القائمة بانتاجه .. كل هذه الامور وغيرها اتخذت فيها مختلف التوصيات منذ عام ١٩٦١ وعرفتها الدول العربية وطبقتها في بلادها .

« ومنذ عام ١٩٥٩ وحتى عام ١٩٦٦ والحديث متصل لانشاء منظمة عربية لشئون النفط وضعنا لها الاسس والدراسات ، ووافق المجلس الاقتصادي عليها .. ولكننا فوجئنا بعد ذلك بقيام هذه المنظمة واعلان تأسيسها عام ١٩٦٨ خارج نطاق جامعة الدول العربية .. واقتصر الانتماء اليها على الدول العربية التسع المنتجة للنفط فقط ، وحرمت بقية الدول العربية من ابداء رأيها في مسألة سياسية تمس صميم حياتنا العربية .. »

وهكذا ورثت منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط ، ادارة البترول في الجامعة العربية ، ورثتها وهي ما زالت ادارة؟ حية لها مديرها ووكيلها وموظفوها الذين يحتلون الجزء الاكبر من الطابق السادس في مبنى الجامعة العربية ! !

من الاعلام الى الصحة ، مرورا بالشئون!

وبعد مأساة ادارة البترول في الجامعة العربية، كان لا بد لنا من التعرف على مأساة اعلامنا العربي .. وفي الطابق الرابع رأينا السيد أسعد الاسعد ، الامين العام المساعد لشئون الاعلام ، ينقل ادارته من مكتبه ، ليأخذ السيد سليم اليافي مكانه كمسئول عن الاعلام العربي ، اما السيد الاسعد فقد عينه التنظيم الجديد امينا عاما مساعدا للشئون الاجتماعية والصحية !

لهذا اتجهنا الى السيد ابراهيم شكر الله مدير الاعلام في الجامعة ، وقد عاصرها منذ نشأتها فرأيناه هو الآخر يجمع اوراقه استعدادا للسفر الى الهند ليتولى رئاسة مكتب الجامعة العربية هناك ..

قلنا له : « لن نطيل عليك .. ولكن الذي نرجوه ان تقص على القراء قصة الاعلام العربي من الفها الى يائها .. بكل مآسيها وآلامها .. وماذا تراه لتحسين الوضع ؟

ونظر الينا الرجل طويلا دون أن يتكلم ..

قلنا : « ان الاعلام العربي هو المتهم الرئيسي في وطننا العربي ومن حق كل عربي ان يعرف الحقيقة ؟

قال : الحقيقة .. اذا كنت تريد الحقيقة فلا بد ان ترجع معي الى عام ١٩٤٥ ، ففي ذلك الوقت كان كل السياسيين العرب يعتقدون بأن القضية العربية الفلسطينية هي قضية واضحة لا لبس فيها ، وهي لهذا لا تحتاج الى دعاية للدفاع عنها امام المحافل الدولية .. لان الحق العربي كان واضحا قانونيا ، فهي قضية اغتصاب ارض وتشريد شعب ..

« وجاءت الصدمة الكبرى بصدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ رغم « وضوح القضية » ! وكان وراء قرار التقسيم رصيد ضخم جدا من العطف العالمي على اليهود لمحنتهم ، واكذوبة مقتل ستة ملايين منهم على ايدي النازيين ..

« لقد استطاعت الاجهزة الدعائية الاسرائيلية ان تلعب بمهارة ، وتترجم هذه المحنة الى تأييد سياسي شامل لقيام دولة اسرائيل ..

« وهكذا خسرنا القضية لاننا لم نكن حاضرين للدفاع عنها ، وتوضيحها للرأي العام العالمي ، والولايات المتحدة على الاخص .. »

الاعلام غير المباشر ..

ويتابع مدير الاعلام العربي حديثه قائلا :



لو نفذت جميع القرارات والتوصيات التى صدرت عن الجامعة العربية خلال الثلاثين سنة الماضية ، لكان حال العرب اليوم في اصلح صورة .. ولكن اغلب الدول العربية توافق على القرارات وتساير الخط العربى الجماعى الا أنها عند التنفيذ تتلكأ وتمتنع، فتصبح القرارات حبرا على ورق .. وفى السابق كانت اللجان الفنية يحضرها الخبراء المتخصصون ، فاللجنة القانونية كان يحضرها السنهورى وأقرانه .. اما اليوم فيحضرها الملحقون فى السفارات وبعد هذا تقول : **ان الفساد فى الجامعة !! ؟**

« ودخلت الجامعة العربية ـ لاول مرة ـ معركة الاعلام في عام ١٩٥٤ بانشاء مكتبها فى نيويورك .. فماذا وجدنا هناك ؟ وجدنا التالي :

١ ـ رواسب تحيز حضارى وتاريخي ضد العرب .

٢ ـ احساسا عميقا بالذنب تجاه اليهود فى المجتمع الامريكي .

٣ ـ استطاعت الصهيونية فى مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٣ أن تستقطب بصورة كاملة يهود امريكا، وتجندهم لخدمة اهدافها السياسية .

٤ ـ ان اليهود متمركزون منذ فترة طويلة فى المراكز الرئيسية القيادية فى عالم المال ووسائل الاعلام، وهم يشكلون قوة ضاغطة حقيقية تستطيع السيطرة على السياسة الامريكية .

« اما من ناحيتنا فكان رصيدنا فى الولايات المتحدة كالاتي :

١ ـ افتقادنا الى قواعد للعمل العربى على المستوى الشعبى .

٢ ـ الجاليات العربية انصهرت تماما في المجتمع الامريكى .

٣ ـ الشخصيات القيادية الامريكية التى تؤيد القضية العربية تخشى اعلان تأييدها ، خوفا من اشهار الصهيونية سلاح « معاداة السامية » ضدها ، وهو اتهام خطير فى المجتمع الغربى والامريكى عامة .

« والى جانب كل هذا يفتقد العمل الاعلامى العربى ـ حتى الآن ـ الى الرجال المدربين ، لا على اللغة فقط ، بل على معرفة مخاطبة الجماهير والتأثير فيها ، واستطاعتها اقتحام الجماعات المؤثرة ، وصانعى القرارات السياسية ..

« ورغم كل هذه الصعوبات استمرت الجامعة





لم تقتصر جهود الجامعة في حل المشكلات والمنازعات العربية ، انما تعدتها الى مشكلات بلاد الشرق الاقصى وافريقيا .. وهذه صورة سمو امير الكويت مع امين عام الجامعة العربية ، خلال محادثاتهما ..

الى اسفل : تزدان جدران مبنى الجامعة بأعلام الدول العربية عندما تنعقد مؤتمرات القمة فيه .. ولكن أغلب هذه المؤتمرات تنعقد خارج مبنى الجامعة .



من مستوى رؤساء الحكومات، الى مستوى ملحقين بالسفارات !؟!



تحت ظل الآيتين الكريمتين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » و « اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ينعقد مجلس الجامعة العربية انعقادا عاديا مرتين : في مارس وأكتوبر من كل عام .. ومجلس الجامعة هو أشبه بالجمعية العامة للأمم المتحدة .. وكانت اجتماعاته تنعقد في الماضي على مستوى رؤساء الوزارات ، ونادرا على مستوى وزراء الخارجية ، أما اليوم فقد شهدنا ملحقين في السفارات يمثلون بلادهم .. ومن المؤسف أن وزراء خارجية وممثلي الدول التي انضمت في السنوات الأخيرة للجامعة هم الذين تغيبوا عن الدورة الستين لمجلس الجامعة دون اعتذار .. ورئاسة المجلس تسند الى ممثل كل دولة بالتناوب على حسب الحروف الأبجدية ، ولكل دولة صوت واحد عند التصويت .

في فتح المكاتب في جنيف وكندا والبرازيل والارجنتين وايطاليا والمانيا وفرنسا والهند واليابان ، وثلاثة مكاتب فرعية في بعض دول افريقيا ..

« وظل العمل الاعلامي العربي يتبع الاسلوب التقليدي : نشرات ، ومحاضرات ، وافلام ، ومجلة تصدر باسم المكتب .. حتى كانت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ فبدأ تحول جذري وتغير عالمي من ناحية اهتزاز صورة اسرائيل ، بمعنى انها كانت دائما تطرح نفسها على أنها دولة صغيرة تضم شعبا صغيرا يريد الحياة ويصنع الحياة .. يحيط بها مائة مليون عربي يريدون القاءها في البحر ..

« هذه الصورة تبدلت أمام ألوف من الرأي العام العالمي ، وظهرت اسرائيل بمظهر الدولة المغتصبة التي تحتل أرضا عربية ، وترفض الانصياع لرغبات الامم المتحدة وتعتز بتفوقها العسكري .

« ومن ناحية أخرى تحرك الاعلام العربي ، بمعنى انه أصبح في كثير من الاحوال ، بفضل الاعلام غير المباشر ، على المباشر .. ففي لندن أقاموا مجلس تنمية التفاهم العربي البريطاني يضم ١٦ من اعضاء مجلس العموم البريطاني ومجموعة من الصحفيين والكتاب البريطانيين اللامعين .. الذين دافعوا عن وجهة النظر العربية في مجلس العموم وفي الصحف والتلفاز ، واستطاعوا الوصول والتأثير على صانعي القرارات في بريطانيا . »

نحتاج الى سياسة جديدة

ويتابع الاستاذ ابراهيم شكر الله قائلا :

« وبعد حرب رمضان في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تبدل الموقف تماما ، وبدأنا نتحدث من المنطلقات الآتية :

١ ـ منطلق القومية العربية ، المتمثلة في موقف عربي موحد ، وارادة عربية موحدة .. وهذا لم يكن موجودا من قبل ، اذ كان التمزق العربي هو السائد ..

٢ ـ تبدلت الصورة الحضارية للمواطن العربي فعكستنا صورة للمقاتل العربي الشجاع المنتمي للأرض ، الذي يحسن استخدام الاسلحة الحديثة المتطورة ..

٣ ـ استخدام سلاح النفط بفاعلية ونجاح .. فرض على رجل الشارع الغربي أن يفكر في قضية الشرق الأوسط ..

« كل هذه المواقف الجديدة ، تحتاج الى تحرك جديد ، وسياسة جديدة ، وأسلوب مخاطبة

توزيع الاختصاصات بين الامناء المساعدين للجامعة العربية

تقرر توزيع الاختصاصات بين الامناء المساعدين ومستشاري الامين العام لجامعة الدول العربية على النحو التالي :

- **الدكتور سيد نوفل** (الامين العام المساعد) رئيسا للادارة العامة للشئون السياسية والادارة العامة للشئون الاقتصادية .
- **السيد اسعد الاسعد** (الامين العام المساعد) رئيسا للادارة العامة للشئون الاجتماعية والصحية والثقافية .
- **السيد سليم اليافي** (الامين العام المساعد) رئيسا للادارة العامة لشئون الاعلام .
- **الدكتور احمد السيد حمد** (الامين العام المساعد) رئيسا للادارة العامة للشئون القانونية .
- **السيد محمد رياض** (مستشار الامين العام) رئيسا للمكتب التنفيذي للامين العام .
- **الدكتور محمد الفرا** (الامين العام المساعد) . رئيسا للادارة العامة لشئون فلسطين .
- **السيد نهاد ابراهيم باشا** (مستشار الامين العام) ، رئيسا للادارة العامة لشئون التنظيم والادارة .







د. محمود محمد رياض
المواصلات السلكية
واللاسلكية



د. طيب الحضيري
مدير منظمة العمل العربية



د. عبد العزيز السيد
مدير « اليونسكو العربي »

قاسم الخطاط
مدير معهد
المخطوطات

جديد ، وتوفير ما ينقص الاعلام العربي دائما من الأموال والموظفين الاكفاء المدربين .. »

مسئولية العرب جميعا

وينهي مدير الاعلام كلامه بقوله: « ان مسئولية العمل الاعلامي العربي مسئولية مشتركة ، بمعنى ان أعباءه تقع على عاتق كل حكومة عربية وكل مفكر عربي ، وكل مواطن عربي .. وليس على موظفي ادارة الاعلام فقط .

« ان الجامعة العربية لها وجود محدود في ١٥ عاصمة عالمية فقط ، بينما البعثات الدبلوماسية العربية لها وجود في جميع عواصم العالم .. وتستطيع بلا شك أن تتحمل جانبا هاما من العمل الاعلامي العربي .. اذ أنه في الفترة الحالية لا يمكن الفصل بين العمل الاعلامي والسياسي .

« والممولون العرب الذين يستثمرون اموالهم في السندات المالية ، عليهم أن يشتروا اسهم الشركات الاعلامية ، أي شركات الاذاعة والتلفاز والجرائد المالية .. انها أسهم رابحة جدا ، وكشريك استطيع التأثير في سياستها .. والجرائد والمجلات في امريكا واوربا اغلبها يطلب أموالا وسندات ليبيع افكارا عربية ..

« وعلى كل فرد عربي مسافر الى مختلف بلاد العالم ان يكون داعية لوطنه ، لا ان يستحي من عروبته .. !

« وعندنا في الجامعة العربية كمية هائلة من الخطابات يطلب أصحابها معلومات وصورا من اقطارنا العربية .. ونحن لا نستطيع اجابتها الى طلباتها ، لأننا نكتب بدورنا الى وزارات الاعلام في الدول العربية نطلب منها نشرات عن بلادها ، فلا أحد يجيبنا ، وان اجابوا أرسلوا نشرات هزيلة باللغة العربية ، بينما المطلوب أفلام متنوعة وألوف النشرات الاعلامية بلغات أجنبية عن كل دولة عربية ، لنوزعها على مكاتبنا ، وعلى ألوف الطلبات المكدسة عندنا .. ! »

الميثاق الاجتماعي ، لم يطلبه العرب وطلبه العالم !

وبعد ادارة الاعلام احترنا أين نذهب ، فهناك ١١ ادارة تابعة للامانة العامة ، كما ذكرنا ، وكل ٣ أو ٤ ادارات منها يشرف عليها امين عام مساعد، بعضها يقوم بأعمال رائعة مبدعة ، وبعضها تدهور الى حد اصبح معه اسما على غير مسمى !

وجلسنا الى الدكتور ابراهيم العشماوي مدير ادارة الشئون الاجتماعية نسأله عن عمل ادارته فقال : أعتقد أن كل ما استطعنا أن نفعله حتى الآن ، هو اثارة اهتمام الدول الاعضاء بأهمية القطاع الاجتماعي ، وانه بغير التنمية الاجتماعية التي تهدف الى رفع شأن الانسان العربي ، فانه لا يمكن أن نتوقع أي خير من وراء أي تنمية اقتصادية أو صناعية أو زراعية .

« ومن المضحك المبكي أننا أصدرنا ميثاق عمل اجتماعي وافق عليه مجلس الجامعة العربية

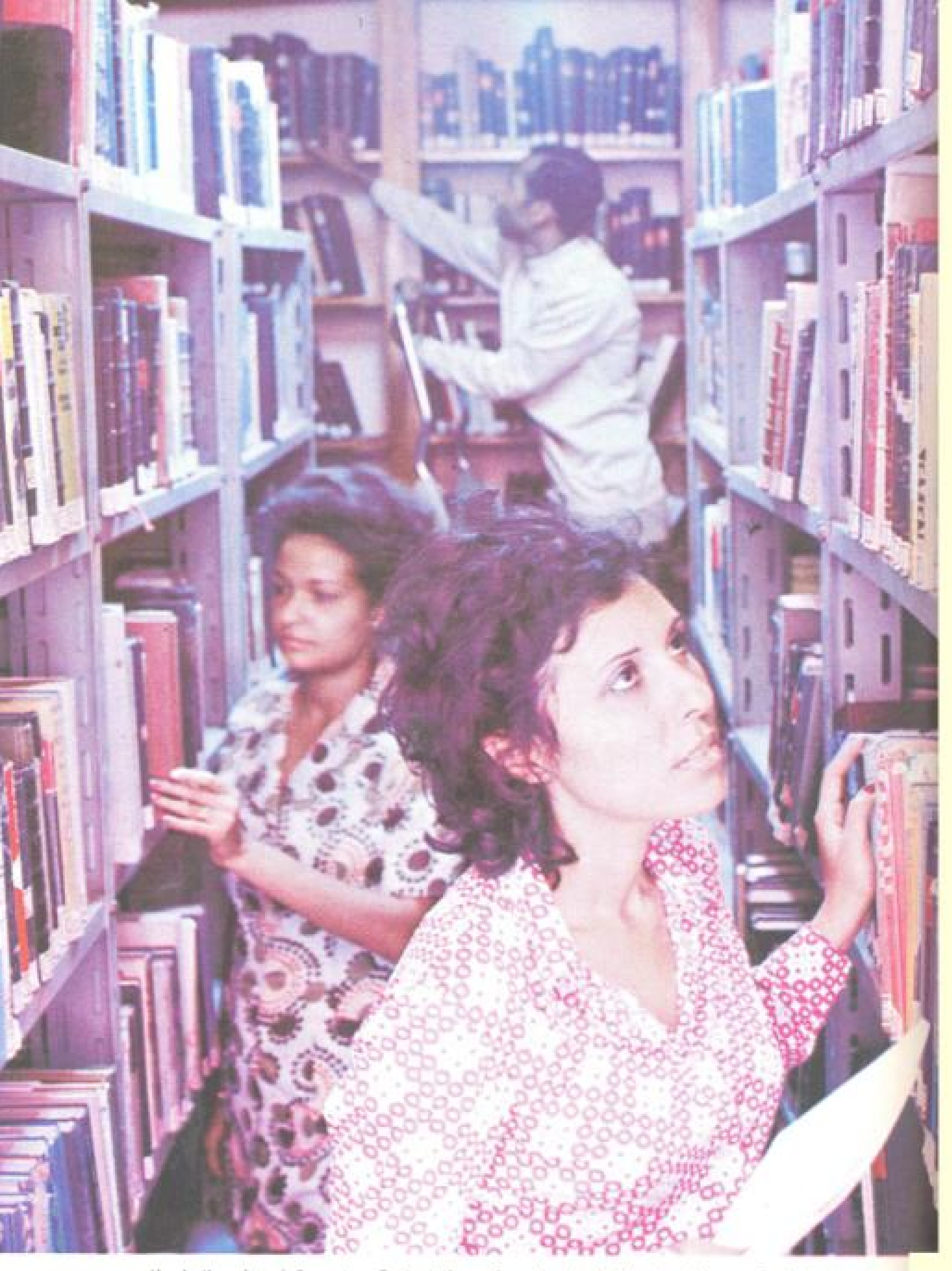


في شهر نوفمبر ١٩٧٣ اعتمدت الجامعة مبلغ خمسة ملايين دولار لتنفيذ خطة اعلامية جريئة تشمل جميع أنحاء العالم، والخطة محاضرات، وأفلام، وكتب، وصور .. ومضى الشهر الاول ثم الثاني وكاد يلحقهما الثالث .. ولم يظهر أى شيء .. انه عجز أجهزة الجامعة الذى يحاول المسئولون اصلاحه حاليا .. ان الهدوء يسود مبنى الجامعة الذى افتتح في ٢٢ مارس ١٩٦٠ بمناسبة العيد الخامس عشر للجامعة .. وامام المبنى يرفرف علم الجامعة المكون من اكليل غار، وسلسلة متصلة بداخلها الهلال، واسم الجامعة (**الصورة السفلى** .



الى اسفل : دورتان عقدتهما لجنة المرأة العربية، وقد حضرتهما ممثلات لست عشرة دولة عربية، واتخذت فيهما قرارات هامة عن المرأة العربية .. وكانت الاجتماعات متواصلة من أجل عقد الدورة الثالثة، وهؤلاء هن عضوات سكرتارية الدورة، مجتمعات مع مقررة اللجنة السيدة تهاني حسنين هيكل.





ازدحام فى مكتبة معهد البحوث والدراسات العربية .. انها مكتبة متخصصة فى شئون الوطن العربى الحديث ، تضم حاليا أكثر من ٥٠ الف كتاب .. ويقدم معهد البحوث المنح للطلبة العرب من خريجى الجامعات ليدرسوا بالمعهد سنتين، يتلقون خلالها أكثر من ٣٠٠ محاضرة ، ويحصلون على دبلوم يؤهلهم لدراسة الماجستير عن الوطن العربى .. وطلاب المعهد حاليا ٥٥٨ طالبا ..

أمام الخمسمائة الكتاب التي اصدرها ـ خلال العشرين سنة الماضية ـ معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم ، جلس وكيل المعهد محمد رفقي خاطر ، مؤكدا لنا ان هذه الكتب يتم تبادلها مع ١٥٠ جهة عربية واجنبية ، والباقي يباع في الاسواق ..

وترجم بالانجليزية وطلبته دول العالم والامم المتحدة .. ولم يطلبه العرب !!

« ان الدول العربية لو اعطت للتنمية الاجتماعية عشر ما تقدمه للتنمية الاقتصادية لاستطاعت ان تضمن النجاح الكامل لمشاريعها .

« ان ادارة الشئون الاجتماعية تقوم بأدوار رئيسية ، فهي قد أقامت مراكز اجتماعية في العراق وصنعاء ، وتبنى حاليا مراكز في عدن والخرطوم وكل مركز منها يكلف ٤٠ ألف دولار ، و١٢ ألف دولار لتدريب العاملين فيه » .

ويتابع الدكتور العشماوى كلامه قائلا :

.. وقد تندهش اذا ذكرت لك أن الجامعة العربية هى التى أنشأت استادات(المدن الرياضية) في المغرب وبيروت والقاهرة وعمان ، وفي طرابلس وبنغازي .. ورصدنا مبلغ ١٠٠ ألف دولار لانشاء ساحات رياضية في اليمنين .. كما اقمنا العديد من مخيمات الكشافة الدولية في البلاد العربية ، وكل منها يتكلف ١٥٠ ألف دولار .

« ورأينا أنه اذا لم تطمئن المرأة في منزلها ، فانها لا يمكن أن تنتج ، فعقدنا دورات وندوات حضرتها مندوبات من ١٦ دولة عربية ، وتغيبت السعودية ودولة الامارات .. كما عقدنا حلقة دراسية خاصة بمركز المرأة العربية في قوانين الاحوال الشخصية ، ورفعنا ٦ توصيات هامة لمجلس الجامعة لاقرارها .. » .

ادارة تصرف المهدئات !

ان ادارة الشئون الاجتماعية هي مثال لادارة من الادارات الناجحة في الجامعة العربية ، وعكس ذلك نجده في ادارة الصحة ، التى قرر مجلس الجامعة في عام ١٩٧١ شطب جميع اعتماداتها المدرجة في الميزانية ، فلم تعين لها الامانة العامة مديرا ولا وكيلا ، ولا طابعا على الآلة الكاتبة .. وهكذا اقتصرت الادارة الصحية في جامعةالدول العربية على طبيب واحد .. يصرف الاسبرين وحبوب منع الاسهال للموظفين الذين تصيبهم الالام اثناء ساعات العمل !!

استقلال المنظمات

والى جانب الاحدى عشرة ادارة ، الملحقة بامانة الجامعة ، تدور ١٥ منظمة عربية حول فلك الجامعة ، واغلب هذه المنظمات لايعترف باى سلطةللجامعةعليه،وفي هذا المجال قال مدير منظمة العمل العربية الدكتور طيب الحضيرى :

« ان قيام منظمة العمل العربية في اطار جامعة الدول العربية لا يعني على الاطلاق أن يكون للجامعة العربية ، ممثلة في مجلسها أو أمانتها العامة ، وصاية ، أو رقابة ، أو اشراف على المنظمة ونشاطاتها ، أو سير العمل في مكتبها .. فالرابطة يجب أن تكون رابطة تشاور وتعاون ، لا رابطة رقابة أو اشراف .. بل ان قيام منظمة العمل العربية سيعنى بالضرورة سحب الكثير من الأمور التى كانت تعالجها الامانة العامة للجامعة العربية اداريا وماليا » .

ويتابع الدكتور الحضيرى حديثه قائلا :

ـ تضم منظمة العمل العربية ١٦ دولة عربية وتتكون المنظمة من مؤتمر عام تمثل فيه كل دولة



بثلاث وفود : واحد حكومى له صوتان ، ووفد عمالى وله صوت ، ووفد أرباب العمل وله صوت.

« وكثيرا ما حدث في المؤتمرات العامة أن كان صوت مندوب الحكومة « نعم » ، ومندوب العمال: « لا » وامتنع أرباب العمل عن التصويت .. وكلهم من نفس الدولة .. انها ظاهرة صحية يجب تشجيعها والنظر اليها نظرة موضوعية .. ان مؤتمر العمل العربى السنوى هو برلمان للوطن العربى كله ..

« انا ما زلنا فى خطواتنا التشريعية العمالية الاولى فى الوطن العربى .. وعلينا أن نبدأ بوضع قرارات بسيطة صغيرة ، مثل تفضيل العامل العربى على الأجنبى .. ونجعل هجرة العامل العربى قانونية انسانية سهلة .. ونطبق القوانين الصحية والاجتماعية المحلية على كل العمال العرب الذين يعملون في البلاد العربية .. واذا نجحنا فى هذه الخطوات المعقولة البسيطة ، فاننا نستطيع التقدم بعدها خطوة أخرى فى سبيل اصدار تشريع عمالى عربى موحد ..

« ان رفع الحواجز ، وخلق سوق العمل العربية الواحدة ، هما أساس الوحدة العربية الحقيقية ، وبمعنى آخر وحدوا سوق العمل العربى ودعوا الوحدة تتحدث عن نفسها ..

اليونسكو العربية

اما أكثر المنظمات حركة ونشاطا فهى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، انها يونسكو العرب وقد حدثنا الدكتور عبد العزيز السيد ، المدير العام للمنظمة قائلا : « بعد انشاء المنظمة فى عام ١٩٦٤ بدأت الدول العربية تنضم اليها ، وانضمت اليها ابو ظبى وقطر والبحرين قبل انضمامها للجامعة العربية ، واليوم أصبح عدد

اصبح التشابك بين القضايا العالمية والمحلية يحتم على كل سياسي ومواطن ان يكون سياسيا ومواطنا عالميا .. وهناك من يقترح تقسيم مكتبة الجامعة ، التي تضم ٥٠ الف كتاب ومرجع ، الى مكتبات متخصصة في مختلف الامور الاجتماعية والسياسية والعلمية وغيرها ، التي تهم الجامعة ومنظماتها .

الى اسفل : تتحول قاعة الاجتماعات الرئيسية في مبنى الجامعة الى محكمة ادارية مرة في السنة لمدة شهر فيجلس القاضي مكان الامين العام ، والمحامون مكان رؤساء الوزارات ، والمدعوون مكان وزراء الخارجية .. ان موظفي الجامعة يتظلمون الى هذه المحكمة التي ينتخب مجلس الجامعة قضاتها من الدول العربية !!

في الطابق الاول من مبنى الجامعة يقع المصلى الذى يؤدى فيه الموظفون فروضهم .

الى اسفل : يضم مبنى الجامعة العربية متحفا للبريد يحوى ٤٠ الف طابع عربي من بينها اول طابع عربي صدر في عام ١٨٦٦ ومما يذكر ان اتحاد البريد العربي اتخذ قرارا بطبع دليل لطوابع البريد العربية بثلاث لغات .. ولكن ٦ دول اعترضت على القرار وامتنعت عن المساهمة بتكاليف طبع الدليل ، الذى لم طبعه رغم ذلك !



اعضائها ١٦ دولة ، ولم تنضم اليها تونس والمغرب ولبنان ..

« وبعد انشاء المنظمة ضمت اليها جميع الاجهزة الثقافية التى فى الجامعة العربية وهى : الادارة الثقافية ، ومعهد المخطوطات ، والجهاز الاقليمى العربى لمكافحة الامية وتعليم الكبار ، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ، ومعهد البحـوث والدراسات العربية ، ومكتب المندوب الدائم لدى اليونسكو .. كما أخذت المنظمة مكان الجامعة العربية فى تنفيذ الاتفاقية الثقافية المعقودة بين الجامعة واليونسكو .

« ومن مشاريع المنظمة القريبة انشاء مركـز لكيفية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وسيقام فى الخرطوم .. وهناك مشروع انشاء مركز اقليمى للوسائل السمعية والبصرية .. وسننشيء كذلك مركز البحوث لتنمية الموارد البشرية ، لان النظرة للتعليم أصبحت نظرة شاملة ، ولم يعـد التعليم التقليدى كافيا ، وانما أصبح التعليم طول الحياة للحياة بالحياة للكبار والصغار ، وهو أساس التنمية الشاملة .. »

منظمات ومراكز بالجملة

ومن « اليونسكو العربية » انتقلنا الى مركز التنمية الصناعية العربية ، وتحدثنا طويلا الى الدكتور امين حلمى كامل مدير المركز عن التكامل الصناعى العربى ومشروعات المركز .. ثم انتقلنا الى ادارة المواصلات والاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية وتحدثنا الى مدير الادارة المهندس حيدر طرابيشي ، والدكتور محمود محمد رياض وزير مواصلات مصر ، وأمين عام اتحـاد المواصلات العربية ، اللذين افاضا فى الحديث عن القمر الصناعى العربى الذى سيربط الوطن العربى اعلاميا وتعليميا ، أى عن طريقه ستتم الاتصالات البرقية والهاتفية ، وستبث برامـج التلفاز الترفيهى والتعليمى، وتنقل أخبار الارصاد الجوية ، ويتم اتصال الطائرات ..

وهكذا كنا نتنقل من منطقة الى اخرى فى القاهرة .. فكل منظمة تقع فى حى مختلف ، فى جاردن ستى والزمالك والدقى و.. و .. والخ ..

وقد اكتفينا بالحديث عما سبق من ادارات لان الحديث عن الكل يتشعب ويطول .

سيد نوفل يتحدث

وكان لا بد أن نقابل فى ختام جولتنا الامين العام للجامعة العربية ، ولكنه كان فى اجتماعات متواصلة لا بد منها ، واذا لم يكن فى اجتماع فهو على سفر : الى الامم المتحدة ، والى مؤتمر عدم الانحياز ، والى مؤتمر القمة العربى ..

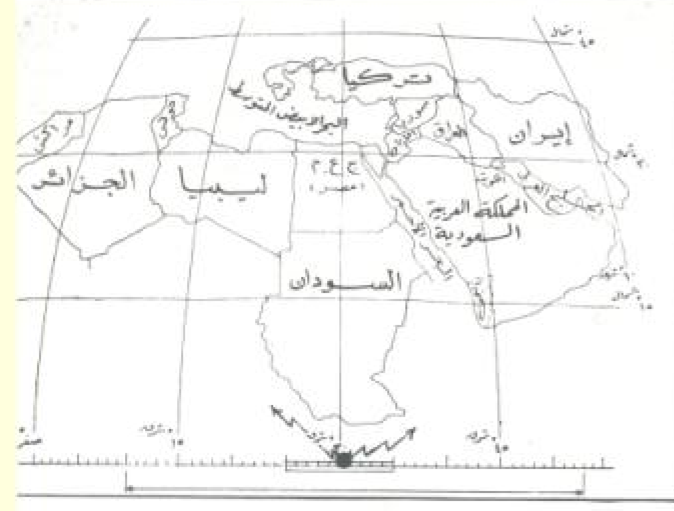
فاتجهنا الى الدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد الذى عاصر الجامعة العربية منذ بدايتها تقريبا .. نعرض عليه ما شهدنا وما سمعنا .. وعن التضارب الكبير بين المنظمات والادارات ، فوجدناه على علم بكل شيء .. وتكلم الرجـل بصراحة قائلا :

ـ الاساس الذى يعتمد عليه الامين العام فى معالجة موضوع المنظمات وكثرتها يمكن ايجازه فى ان المنظمات القائمة فى نطاق الجامعة ليس بينها تنسيق فى مجالات نشاطاتها ، ولا وحدة فى العمل يمكن أن تقوم على هذا التنسيق ، كما انها تفتقر الى جهاز سياسي للاشراف على أعمالها ، افتقارها الى جهاز فنى للتنسيق بين هذه الاعمال وتوجيهها بحسب مقتضيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية ..

« ولهذا عرض الموضوع على مجلس الجامعة فى سبتمبر ١٩٧٢ وعرض على المجلس الاقتصادى فى ديسمبر ١٩٧٣ وصدر قرار المجلس بتنظيم العلاقة بين المنظمات وبين الامين العام .

« كما قرر تأليف لجنة برئاسة الامين العام ، ومن رؤساء هذه المنظمات ، لكفالة التعـاون والتنسيق واعطاء الاولويات للمشروعات حسب الطلب والمصالح العربية المشتركة .

لكن الخطوة الكبرى ستتحقق عندما تنتهى لجنة التطوير ، المؤلفة برئاسة الامين العام وعضوية ستة من السفراء المندوبين العرب لدى الجامعة،



هل تطلق الجامعة قمرا صناعيا ؟! منذ عام ١٩٦٧ والدراسات في ادارة المواصلات ، التابعة للجامعة تجرى من اجل اقامة قمر صناعي عربي .. كانت فكرته ربط الوطن العربي اعلاميا ولكن في عام ١٩٧٠ تقرر ان يستعمل ايضا للاتصالات السلكية واللاسلكية . وتوجد حاليا لجنتان تدرسان امكانيات المشروع وتكاليفه وفوائده .. وقدرت تكاليف المشروع (قبل زيادة اسعار النفط) بمبلغ ٧٠ مليون دولار تقريبا .. وسوف يشتمل المشروع على اطلاق قمرين صناعيين الى الجو (المدار المتزامن) احدهما احتياطي والآخر يعمل ، وبه قناتان للتلفاز الملون وحوالي ١٣٠٠ خط هاتفي ،و ١٥ دائرة لخدمة الطيران والارصاد الجوية وقناة لارسال الصور .. وينتظر ان يثبت مكان القمر جنوب السودان ، بحيث يكون شعاعه مغطيا لاكبر مساحة من الوطن العربي ، باقل تجاوز الى البلاد الاخرى ..

من وضع خطتها في تطوير المنظمات القائمة .. وقد ينتهي الامر الى الاقتصار على المنظمات الاساسية ، وان تكون بعض المنظمات غير الاساسية اجهزة ملحقة بالامانة العامة للجامعة العربية ، على مثال مركز التنمية الصناعية .

« كما ان الامر قد يسفر عن ايجاد وحدة عمل يستلزمها التعاون العربي في نطاق الجامعة ، اكثر مما يستلزمها التعاون العالمي في نطاق الامم المتحدة .

« ومن الغريب في هذا الشأن ان منظمات الامم المتحدة سبقت منظمات الجامعة في التنسيق بين اعمالها ، والتعاون بين رؤسائها ، مع أن الهدف الاساسي للجامعة هو تحقيق الوحدة العربية ، ولا يمكن بالبداهة أن تكون الأجهزة العاملة للوحدة غير موحدة في خطتها وممارساتها واهدافها !!!

« ويبدو ان التنظيم المنشود سيتم على وجه اكمل يوم يوفق الأمين العام في المشروع الذي يعمل فيه حاليا مستهدفا تعديل ميثاق الجامعة على اسس تتفق والتطورات العربية والدولية ، وانجازات الوحدة العربية التلقائية التي تحققت في معارك ٦ اكتوبر السياسية والعسكرية والاقتصادية » .

مراحل مرت بها الجامعة

قلنا : « الجامعة العربية متهمة بانها عاجزة عن تحقيق الحد الادنى من التعاون العربي المشترك ، فما رأيكم في هذا ؟

فاجابنا الدكتور سيد نوفل بهدوء :

ـ من المزايا الاساسية للجامعة أن نظامها لا يسمح بالتعاون الا الى المدى الذي تريده الدول الاعضاء .. ولهذا مرت بها مراحل يمكن أن تسمى مراحل قوة ، ومراحل ضعف ، ومراحل عمل فعال في نطاقها ، ومراحل تجاهل لها وعمل خارج نطاقها .. وكانت الانجازات التي أسفر عنها مؤتمر القمة العربي السادس الذي عقد بالجزائر في نهاية نوفمبر تشرين الثاني الماضي ، شهادة للجامعة

الوحدة العربية لن تبني بقرارات او قوانين ، وانما بخلق الانسان العربي الجديد ، انسان العلم والتكنولوجيا ، وهذا ما تقوم به منظمة التربية والثقافة والعلوم .. تأتي بالشباب العربي على نفقتها تدربهم وتؤهلهم ، قبل عودتهم الى بلادهم .. وفي الصورة مجموعة من ٣٥ متدربا جاءوا من ٦ دول عربية ليتدربوا على الاعمال الجيوفيزقية .. لقد استغلت حضاراتنا القديمة المعادن السطحية على الارض ، ودورنا الآن هو البحث عن نفس المعادن ولكن تحت سطح الارض بالمعدات الحديثة .. وفي **الصورة السفلى** مدير المنظمة الدكتور عبد العزيز السيد ، يقدم الشهادات لعشرين شابا عربيا اكملوا تدريبهم على صيانة الاجهزة الميكانيكية الدقيقة .





من أجرا المشروعات التي حققتها الجامعة العربية ، انشاؤها لمعهد المخطوطات العربية ، وقد قام هذا المعهد حتى الآن بتصوير اكثر من ٢٠ الف مخطوط نادر ، من اصل اكثر من ثلاثة ملايين مخطوط مبعثرة في مختلف انحاء العالم . ولدى المعهد فهرس باسماء هذه المخطوطات وهو يضع تحت تصرف العلماء والافراد في مختلف اقطار العالم افلام الميكروفلم التي صورها ، كما انه على استعداد لارسال اى نسخ مكبرة من هذه الافلام او اعارتها ، باسعار زهيدة لمن يطلبها . ويستطيع اى ناشر ان يقوم بطبعها ونشرها وتوزيعها دون تصريح .. **والصورة العليا** لآلة الميكروفيلم ، بينما نرى في **الصورة السفلى** ، بعض المراجعات يطلعن على أحد المخطوطات داخل الجهاز الخاص .

بمقدرتها على الارتفاع الى مستوى أماني الأمة العربية .

والتجربة والممارسة التى مكنت الجامعة من ان تعيش قرابة ٣٠ عاما ـ بينما فشلت المحاولات الاخرى المتتابعة للعمل خارج نطاقها ـ كل ذلك قد يزكي دور الجامعة ومقدرتها على الوفاء بمطالب العمل العربى المشترك . بأقوى صوره ، كما يريده ابناء الامة ، وكما يستوجبه منطق العصر في التجمعات الاقليمية والدولية ..

ومع ذلك فليس المهم ان تبقى الجامعة او ان يحل محلها جهاز آخر ، انما المهم أن يبقى العمل العربى المشترك ، وأن يزدهر ، وأن يرتقى الى مستوى الاحداث والتطورات ، وأن نحافظ على المكاسب التى حققناها في معارك رمضان المبارك ..

٢٨٨ موظفا فقط .. وميزانية هزيلة

قلنا : « يقولون ان ميزانية الجامعة وعدد موظفيها ، تضخما وزادا عشرات المرات فما رأيكم ؟ » .

ولم يتركنا الامين العام المساعد نتابع سؤالنا بل أجابنا مباشرة قائلا :

ـ ان عدد موظفى الجامعة ومكاتبها في الخارج هو ٢٨٨ موظفا فقط .. يراد زيادتهم الى ٣٧٢ في الميزانية الجديدة .. وميزانية الجامعة ، مع ميزانية مكاتبها فى الخارج لم تبلغ بعد عشرة ملايين دولار .. وهذا العدد ، وهذا المبلغ ، يدلان على ان تطور الجامعة منذ نشأتها أقل بكثير من تطور اى جهاز من أجهزة الادارة أو التمثيل الخارجى للدول العربية أعضاء الجامعة ، فضلا عن الدول الاجنبية . »

وميزانية جامعة الدول العربية لا تبلغ عشر ميزانية منظمة الدول الامريكية ، كما أنها أقل بكثير من ميزانية الدول الاسكندنافية الخمس ، فضلا عن مجلس أوربا ، والسوق الاوربية المشتركة .

متى ترد الدول العربية ؟

قلنا : « يقولون ان الجامعة العربية هى ملجأ الفاشلين والمغضوب عليهم في بلادهم .. وقد لمسنا بأنفسنا نقصا كبيرا في الناحية الادارية فما رأيكم؟»

اجابنا الامين المساعد قائلا :

ـ الادارة في الجامعة العربية هى صورة للادارة العامة في الدول العربية الاعضاء ، بل يمكن أن يقال انها صورة فيها بعض الاشراق ، ومع ذلك فان الامين العام للجامعة منذ عين يطالب الدول العربية الاعضاء جميعا بأن لا تقدم اليه من الموظفين الا أكفأ العناصر ، وأشدها ايمانا بالعمل العربى المشترك .. ولا يزال ينتظر رد الكثير منها ..

« المرجو ان يسفر العام الجديد عن جامعة عربية جديدة بالنظم التى تم اقرارها ، وبالكفايات التى يرجى ان تزود بها ، والتعديلات التى يراد ادخالها على الاجهزة والمنظمات العاملة في نطاقها وعلى ميثاقها .. »

الجامعة مرآة لكل منا

وهكذا وضع الدكتور سيد نوفل النقاط على الحروف موضحا ان صاحب البيت اعلم بمشاكل بيته ، وانه يعمل على اصلاحه .. وانطلاقا من هذا المفهوم أصبح من السخف أن ننتقد اوضاعا او مشاكل هى في سبيلها الى الحل .. وأصبح لزاما على كل عربى محب لعروبته ان يتوقف عن لوم الجامعة والتشهير بها .. عليه أن يبدل اسلوبه ويساندها ويحميها ويعمل على تقويتها .. فالجامعة العربية هى مرآة وصورة صادقة لكل منا دون استثناء ..

اذا كنا اقوياء قويت معنا ..

واذا كنا ضعفاء ضعفت معنا ..

واذا كنا متفرقين تفرقت معنا ..

واذا كنا أصحاب اهواء ، فلن يكون فيمن يعملون للجامعة الا صاحب هوى ، وصاحب غاية، وصاحب انتفاع ..

والحمد لله اننا اليوم في وضع افضل بكثير من وضع الامس القريب .. ■■

سليم زبال



يالو : هدم جزء منها في ١١ حزيران والآخر في ١٨ حزيران ٦٧ وهذا المنظر يثبت كذب ادعاء سلطات الاحتلال أن هذه القرية التي هدمتها مبنية من لبن وطين .. وكذلك كل من القريتين الأخريين .

مأساة قرى اللطرون

"يالو ، بيت نوبا ، عمواس"

بقلم : عارف العارف *

■ انها من أشد المآسي ضراوة ، وأكثرها فداحة وجرحا .. تلك هي المأساة التي آلمتنا بهذه القرى الثلاث ، على يد الاسرائيليين المجرمين .. في حرب حزيران ١٩٦٧ . فقد هدموها كلها ، بعد أن كانت قائمة وسط مروج خضراء ، تزهو على جاراتها وتحمد لهذه الطبيعة السمحاء نعماءها ، وتحكي للأجيال الصاعدة حكاية تاريخها المجيد .

لقد هدمها المجرمون فأصبحت قاعا صفصفا ينعق في ربوعها بوم الشؤم والخراب . فعلوا ذلك بعد وقف القتال . ولو فعلوه أثناء القتال وهدموها بسبب مقاومة أبداها السكان ، لما استحقوا شيئا من اللوم الذي نوجهه اليهم اليوم ،ولسوف يوجهه اليهم التاريخ أيضا فيصفهم بأنهم وحوش ضارية .

هدم الاسرائيليون هذه القرى دونما ذنب اقترفه أبناؤها

ان سكان هذه القرى لم يستطيعوا أن يقاوموا الاحتلال الاسرائيلي ، لأن الحدود بينهم وبين

* هذا هو آخر مقال كتبه الينا الرجل العربي الكبير المرحوم عارف العارف قبل وفاته في ٣٠ تموز يوليو الماضي . وكان آخر مقال كتبه لنا قبل ذلك بعنوان « بين لوردين » وذلك في عدد سبتمبر سنة ١٩٦٦ وفيه شيء غير قليل من تاريخ حياته . وقد اشتهر الفقيد أكثر ما اشتهر به بأنه سجل فلسطين . ففي السنوات الكثيرة يكتب تاريخها ويسجل أحداثها يوماً بعد يوم ، في صبر كبير وفي الشدة واليسر التي كانت لفلسطين على سواء .

الاسرائيليين لم تكن محصنة ، ولم يكن بايديهم اى سلاح يمكنهم من المقاومة ، اذ كان قد حُظر عليهم وعلى غيرهم من سكان الضفة الغربية حمل السلاح حظرا تاما . ولهذا تمكن الجيش الاسرائيلي من اجتياز الحدود واحتلال هذه القرى في غضون ساعة من الوقت لا اكثر ، دون ان تطلق في وجوههم رصاصة واحدة . وكان ذلك في ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء الموافق ٦ حزيران ١٩٦٧ .

هدموها بعد وقف القتال

واستمر الجيش الاسرائيلي بعد ذلك في زحفه الى ان تمكن من الوصول الى مشارف مدينة القدس في اليوم نفسه ، وما كادت شمس اليوم التالي .. الاربعاء ٧ حزيران لتوسط السماء حتى كان القطاع العربي من مدينة القدس قد سقط في ايديهم . وما كاد الفريقان المتحاربان يقبلان قرار مجلس الامن ويوقفان القتال في ١٠ حزيران، حتى عاد الاسرائيليون الى قرى اللطرون ، فأعملوا فيها يد الهدم والنسف والتدمير . فنسفوا في اليوم التالي لوقف اطلاق النار (١١ حزيران) الشطر الاكبر من قرية يالو .. بالديناميت . وبعد اسبوع (اى في ١٨ حزيران) هدموا ما تبقى منها، هدموه بالجرافات الكبيرة المعروفة بـ (بولدوزر).

وكذلك فعلوا بقرية (بيت نوبا) التى نسفوا الشطر الأكبر منها بالديناميت في ١٤ حزيران . تموز فهدموا الباقى بالجرافات .

واما قرية (عمواس) فقد بداوا في ازالتها بالديناميت في ٢٧ حزيران ، ثم عادوا في ١٣ تموز فهدموا الباقى بالجرافات .

وفي اقل من بضعة ايام ، رفعوا الانقاض .. حتى انهم لم يتركوا عليها اى اثر يدل على أنه كان هناك بنيان ، أو كان يعيش في تلك البقعة من الارض اى انسان ! .

قتل الاسرائيليون من سكان هذه القرى اثنين وستين عربيا،نساء وشيوخا عجزا

وطرد الاسرائيليون وهم ينسفون الدور ،سكانها منها بالقوة ولم يمهلوا حتى الشيوخ والنساء والأطفال أن يحملوا (عكاكيزهم) ليستعينوا بها على المشي ، فمات منهم عدد غير قليل أثناء عملية الهدم . فريق منهم قُتلوا أثناء الهدم ودُفنوا تحت الردم ، وآخرون اطلق عليهم الجند النار من بنادقهم فقتلوهم وهم يسيرون الى القرى المجاورة.

والبعض قتلوا عندما شعروا بالتعب،فجلسوا وسط الطريق ليستريحوا من التعب والاعياء اثر المشي على اقدامهم . لم يمهلهم الجند ، بل أطلقوا عليهم الرصاص ، وقتلوهم .



معلمة مدرسة البنات في يالو قبل هدمها وقد هدم اليهود المدرسة وقتلوا المعلمة .



ابراهيم عيسى زياد وعائلته قتل الاسرائيليون رب البيت وهو الكهل الجالس في أقصى اليسار وبيده عصاه وطردوا أفراد عائلته من منازلهم يوم هدموا يالو في حزيران ١٩٦٧ وبلغ عدد البيوت المخربة التي هدمها الاسرائيليون من يالو وبيت نوبا وعمواس ١٤٦٤ دارا .

والضحايا منهم ستة عشر من قرية يالو ، واربعة عشر من قرية بيت نوبا ، واثنان وعشرون من قرية عمواس ، واسماؤهم تحت ايدينا وكلهم نساء ورجالا في سن الشيخوخة .

واليك في ما يلي عدد الدور التي نسفها الجيش الاسرائيلي بالديناميت او هدموها بالجرافات في كل قرية من القرى المقدم ذكرها : ـ

العدد	البلد	تاريخ الهدم
٥٣٩	يالو	في ١٩٦٧/٦/١١ بدأ النسف بالالغام وفي ١٨بالجرافات الضخمة .
٥٥٠	بيت نوبا	في ١٩٦٧/٦/١٤ بدأ النسف بالالغام وفي ٢٨بالجرافات الضخمة .
٣٧٥	عمواس	في ١٩٦٧/٦/١٣ بدأ الهدم بالجرافات وفي ٢٧نسف بالالغام .
١٤٦٤		

واخرجوهم من ديارهم

لم يكتف الاسرائيليون المجرمون بهدم هذه القرى الثلاثة وجعلها قاعا صفصفا وقتل اثنين وستين شخصا من سكانها بعضهم اثناء الهدم والبعض الاخر في الطريق : فقد طردوا من بقى منهم في الحياة.طردوهم من بيوتهم وحرموا عليهم العودة اليها رغم انهم (اى سكان القرى الثلاثة) عبروا عن رغبتهم في العودة اليها حتى ولو اضطروا للعيش في الخيام او في المغاور والكهوف .

ومنعوهم من العيش في القرى المجاورة لقراهم

ليس هذا فحسب ، بل حاولوا منعهم من الاقامة في القرى المجاورة لقراهم . مثل بيت لقيا وبيت سيرا وخربتا المصباح وبيت عور . والذين اصروا على الاقامة في هذه القرى اعتبرهم الاسرائيليون مجرمين . فاعتقلوا بعضهم وفر الاخرون .

وتشتت القوم وتفرقوا ايدى سبأ

وهكذا راح سكان هذه القرى الثلاثة ، وعددهم ٩١٥٠ نسمة ، يعيشون مشردين تحت كل كوكب. ثلثاهم (٦٠٠٠) رحلوا الى ما وراء نهر الاردن في الضفة الشرقية والباقي (٣١٥٠) لجئوا الى رام الله والبيره وما حولهما من قرى وضياع مثل بيتونيا والطيرة وقلندية . وبعضهم ذهب الى بيت حنينا وشعفاط والقرى القريبة من القدس . وراح هؤلاء واولئك يعيشون على الصدقات وعلى ماتجود به عليهم اكف المحسنين ولو سمح الحكام لهم بحرث اراضيهم واستغلالها، لما اصبحوا عالة على الاخرين ، ولكن اولئك الحكام الظالمين استولوا على اراضيهم بالقوة وسلموها لبني قومهم .. سكان المستعمرات اليهودية المجاورة والمهاجرين الجدد القادمين . وقد انشأت حكومة اسرائيل لهؤلاء القادمين مستوطنة جديدة (انظر الى الصورة) وهكذا خسر سكان قرى اللطرون منازلهم التي هدمت ، وابناءهم الذين قتلوا ، ومنشأتهم ـ كما خسروا واحدا وثلاثين الفا وخمسمائة واربعة واربعين دونما من الارض ، تعد من اخصب ارض فلسطين ، واليك عدد الدونمات التي تملكها كل واحدة من القرى الثلاثة المذكورة : ـ

عدد الدونمات	القريـة
١٤٫٩٩٢	يالـو
١١٫٤٠١	بيت نوبا
٥٫١٥١	عمواس
٣١٫٥٤٤	

وكالة غوث اللاجئين الدولية تزودهم بالمؤن فيمنعها الاسرائيليون من ذلك

ان وكالة غوث اللاجئين الدولية عاملتهم بعد رحيلهم عن قراهم كاللاجئين القدامى الذين رحلوا عن ديارهم في حرب التقسيم سنة ١٩٤٨ . فراحت تزودهم بالمؤن لكل واحد منهم .

غرام	كيلو غرام	
ـ	١٠	من الدقيق
٦٠٠		من السكر
٦٠٠		من القطاني
٥٠٠	ـ	من الارز
٣٧٥	ـ	من المواد الدهنية
قطعة	ـ	من الصابون

وبقوا على تلك الحال حوالي ستة شهور من ١ تموز ـ ٣١ ديسمبر ١٩٦٧ . الى ان تدخلت في الامر سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، ومنعت وكالة الغوث الدولية من اطعامهم ! ..

ولكن الحكومة الاسرائيلية رفضت ان يعتبروا لاجئين وان يزودوا بالمؤن من قبل وكالة الغوث الدولية ، فتولت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني تزويدهم على غرار وكالة غوث اللاجئين . وزودهم الاتحاد اللوثرى العالمي في مطلع عام ١٩٦٨ ، بمقادير من الحرامات والاغطية الاخرى .

حتى الهلال الاحمر والاتحاد اللوثرى ، منعتهما حكومة اسرائيل من الاخذ بيد الجائعين

حتى هذا النوع من العون الذى يقدمه الهلال الاحمر الفلسطيني ، لم يرض عنه الاسرائيليون .

فاخذوا هم بعد ستة شهور (اى في ١٩٦٨/٧/١) على عاتقهم تزويدهم بالمؤن وبالعون . وبعد البحث والتحقيق الذى قام به موظفو (مصلحة الشؤون الاجتماعية) الاسرائيليون ، راح هؤلاء يزودون بالمؤن كل فرد كبير او صغير من سكان هذه القرى الثلاثة الذين بقوا في البلاد وهذا اساس المؤن كما حددوها :

٩ كيلو	من الدقيق
١ كيلو	من السكر
١/٢ كيلو	من الزيت

في الشهر الواحد وقد استمر الحال على هذا المنوال ثمانية عشر شهرا ١/٧/٦٨-١٩٦١/٢/٣١ .

وفي مطلع عام ١٩٧٠ اوقفت مصلحة الشؤون الاجتماعية مساعداتها قائلة : انها ليست هي المسؤولة من الهدم ، وانما هم رجال الجيش ! .. وان موظفي الشؤون الاجتماعية لن يعتنوا بعد اليوم الا بالشيوخ والعجز الذين لايستطيعون العمل وكسب عيشهم ، وكذلك الارامل والايتام . واما الاخرون ، ولا سيما الشبان القادرين على العمل ، فعليهم ان يبحثوا عن عمل يرتزقون من ورائه !. وقد عرضوا عليهم العمل في المزارع والمؤسسات اليهودية في تل ابيب وفي المستعمرات اليهودية في اسرائيل وفي المستوطنات الجديدة التي بنيت في المناطق المحتلة .

وحاول الاسرائيليون ارغامهم على نسيان حقهم، ولكنهم رفضوا كل اغراء دون السماح لهم بالعودة الى ديارهم فرفض المختارون وشيوخ البلاد هذا العرض . كما رفضه ابناء القرى كلهم ، وكذلك رفضوا جميع الحلول التي عرضها الحكام الاسرائيليون عليهم ، الا ان يعودوا الى ديارهم التي ورثوها عن ابائهم واجدادهم والتى عاشوا فيها الاف السنين .

حكومة اسرائيل تسلبهم أراضيهم وتنشىء مستوطنة يهودية

وقد رفضت الحكومة الاسرائيلية طلبهم هذا بكل غطرسة وعنجهية وعناد . فوزعت معظم اراضيهم على سكان المستعمرات المنتشرة في قطاع اللطرون ومنها : نخشون ، وشعالفيم واحتفظت بثلاثة آلاف دونم منها من آجل انشاء مستعمرة جديدة للمهاجرين الجدد الذين سيقدمون من الخارج . وقد بدأوا بانشاء هذه المستعمرة فعلا في سنة ١٩٦٩ . انشاوها في الموضع الذى كانت تقوم عليه قرية (بيت نوبا) العربية فراح يستوطنها شبان ينتمون الى منظمة (عزرا Ezrai) وهي منظمة للشباب المتدينين . هؤلاء الشبان اطلقوا على هذه المستوطنة الجديدة اسم Mevo-Horon اى قريبة من حورون وحورون هي القرية التي يسميها العرب (بيت عور) واما الحكومة فقد اطلقت عليها اسم (نوبا) انظر الى الصورة . هذا بمضى مما حل بهذه القرى الثلاثة التي عرفت منذ السنوات الاخيرة ب (قرى اللطرون) وهي : يالو وبيت نوبا وعمواس على يد الاسرائيليين المجرمين الذين يبتغون تهويد هذه البلاد ، ومحو كل اثر من آثار العروبة والاسلام فيها .

وهكذا قضى الاسرائيليون على هذه القرى التاريخية الثلاثة بالضياع ظلما وعدوانا فتشردوا. كثيرون منهم نزحوا الى ما وراء نهر الاردن ، فراحوا يعيشون في عمان وما حولها من مخيمات . وقلة رات من مصلحتها ان تبقى في المنطقة المحتلة من فلسطين . فاختار فريق منهم (من ابناء يالو) السكنى في رام الله وآخر (من ابناء بيت نوبا) في بيت لقيا وثالث (من ابناء عمواس) في البيرة . ولم يسمح لاى واحد من سكان هذه القرى الثلاثة بالعودة الى الديار التى كان يعيش فيها هو واجداده من قبله ، رغم انهم طلبوا من السلطات الاسرائيلية الحاكمة ان تسمح لهم بالعودة على أن يعيشوا في الخيام .. او في المغاور والكهوف ، بل عملت على أن تميت في عقولهم أسماء قراهم ، ومن ذلك صنعها مع المختارين الثلاثة .

استعادت السلطة منهم اختامهم وبدلتها باختام حفرتها هي لهم وكتبت على اختامهم ما يأتى :

١ ـ محمود عبد الرحمن جبريل مختار برام الله
٢ ـ جابر عبد الرحيم محمد مختار ببيت لقيا
٣ ـ حيدر مصطفى احمد مختار بالبيره

ورغم انقضاء ما يقرب من اربع سنوات على هذه المأساة فان احداً لم يستطع حتى الان (١٩٧١/١٢/٣١) الاهتداء الى حقيقة الاسباب التي دفعت الاسرائيليين لاقتراف هذه الجريمة النكراء . الى ان اصدر كاتب يهودي اسمه (عاموس كنان Amas Kenan) كتاباً اسماه (اسرائيل ـ انتصار ضائع Israel - A Waste Victory) الكتاب وضعه عاموس باللغة العبرية. وقد ترجمته الى اللغة الانكليزية يهودية من بني جنسه تدعى (مريم شيموني Mriam Shimni) طبعته دار للنشر في تل ابيب تدعى Amikam سنة ١٩٧٠. وقد جاء في مئة وست وسبعين صفحة من الحجم المتوسط .

ويبدو لنا من الاسلوب الذي اتبعه المؤلف في وصف الاحداث التي حدثت في فلسطين انه لا يقر الكثير من المبادىء السياسية التي اتبعها رجال الحكم من بني قومه سواء اثناء القتال او بعد وقفه . ومما قاله عن اللاجئين الفلسطينيين قوله : « ان الوقت قد حان لان نعترف بالحقائق . ومن هذه الحقائق التي يجب ان نعترف بها ان اللاجئين الفلسطينيين هم في الصميم من الازمة القائمة بيننا نحن اليهود وبين الشعوب العربية » . ومن فقرات اخرى من كتابه قال عاموس ما مؤداه انه ما لم نعترف نحن اليهود بحق عرب فلسطين في الحياة ، فان الخلاف سيظل قائما بيننا وبينهم ، وبيننا وبين العرب اجمعين . وهذا ما ليس في صالحنا قط .

ويبدو ان المؤلف كان احد افراد كتيبة الاحتياط في الجيش الاسرائيلي . تلك الكتيبة التي عُهد اليها بمهمة تدمير قرى اللطرون وازالتها من الوجود . وهي مؤلفة ـ على حد قوله ـ من افراد ينتمون الى جميع الطبقات : عتالين .. وعمال للبناء .. ومديري شركات واساتذة مدارس .. ومحاضرين في الجامعة .. ولم يكن هو ـ اي عاموس ـ راضيا عن المهمة التي انتدبت لها كتيبته فانتقدها نقدا لاذعا ومريرا . حتى انه وجه الى القائمين على الامر ، والمنفذين لتلك المهمة رسالة جعلتهم يغضبون عليه . وقد ارسل نسخا من نقده وتقريره الى كل واحد من اعضاء مجلس (الكنيست) والى عدد من الصحف العبرية . ونشر في تلك الصحف عددا من المقالات . فرايت من مصلحة التاريخ ان اترجم ما قاله المؤلف عن هذه المأساة

.. مأساة قرى اللطرون . في الصفحات ١٧ ـ ٢٣ من كتابه . متذكرا القول المأثور : من فمك ادينك يا اسرائيل . قال عاموس :

« أمرت الوحدة العسكرية التي انتمي اليها ، بعد وقف القتال في حرب حزيران ١٩٦٧ ، أن تساعد الكتيبة التي عهد اليها بتدمير القرى العربية الثلاث الواقعة في منطقة اللطرون .واليك فيما يلي التقرير الذي أعددته عن هذه العملية في بيت نوبا ، والذي بعثت به الى القيادة . وقد ذكرت فيه كيف هدمت هذه القرى واصبحت قاعا صفصفا . وكيف طرد اصحابها منها فاصبحوا لاجئين .

« قال لنا قائد سريتي انه تقرر نسف القرى الثلاثة الواقعة في هذا القطاع وهي يالو ـ بيت نوبا ـ عمواس . وان قرار النسف هذا صدر لاسباب عسكرية واستراتيجية واسباب تتعلق بالامن. اولا من اجل تسوية قطاع اللطرون وتعديل استقامته !.. وثانيا لمعاقبة القتلة والمجرمين من سكان هذه القرى ! .. وثالثا للحيلولة دون انشاء مراكز للمتسللين في مستقبل الأيام ! ..

« بالامكان دحض هذه الاسباب الغريبة من البله والجنون ، والمقصود منها العقاب الجماعي بانها منبعثة عن الاعتقاد بان المتسلل اذا فقد دارا يلجا اليها فانه لن يجد دارا اخرى يلجا اليها وينصب فيها كمينا لنا ! .. وانه لمنطق سخيف هذا الاعتقاد ! .. كيف لا وهو ـ اي هذا الاعتقاد السخيف القائل بحرمان المتسلل من دار يلجا اليها ـ سيضاعف حتما من عدد الأعداء الذين سيناصبوننا العداء ! ..

« ولكن . علامَ الجدل والحوار ! ..

« فقد قيل لنا ان مهمتنا تنحصر في فحص الدور والمنازل في هذه القرى وتفتيشها تفتيشا دقيقا ! .. حتى اذا ما وجدنا فيها رجالا مسلحين فعلينا أن نعتقلهم اسرى ! .. والاشخاص غير المسلحين ، علينا ان نمهلهم حتى يجمعوا أمتعتهم فنامرهم بمغادرة قريتهم الى قرية (بيت سيرا) .. القريبة منهم . وقيل لنا ايضا ان علينا ان نحتل المواضع المحيطة بهذه القرى لنحول دون عودة سكانها الذين قد يحاولون العودة الى منازلهم .. عندما يسمعون اذاعة اسرائيل وهي تؤكد (؟) لهم ان في مقدورهم (؟) العودة الى منازلهم ! ..

فالامر الذى اعطيناه ينص على ان من واجبنا ان نطلق الرصاص عليهم على ان يمر من فوق رؤوسهم، وان نقول لهم : ان الدخول الى القرية ممنوع!..

« البيوت في بيت نوبا جميلة ، وهى مبنية من الحجر (١) وبعضها من الجمال والترف والرخاء بحيث تضاهى منازل السكنى في المدن الكبرى .

« وانك لواجد في كل دار كرما مليئا باشجار العنب والمشمش والزيتون ، وهناك ايضا اشجار السرو والوان اخرى من اشجار الزينة التى تزيد هذه القرى رونقا وجمالا ويبدو ان اصحاب هذه الاشجار كانوا يعنون باشجارهم كما كانوا يعنون بدورهم ومنازلهم عناية لا حد لها . ومن هذه الدور والكروم والاشجار مساحات غير قليلة من الارض يزرع فيها الوان من الخضار وهي - اى الارض - محروثة ومعشبة .

« وقد وجدنا ونحن نفتش البيوت ، عددا من الرجال والنساء العجز . وعندما توسطت الشمس كبد السماء بدات الجرافات عملية الهدم فراحت الدور تتهاوى وراحت الاشجار ايضا تقتلع من جذورها لا فرق بين شجرة زيتونة او ركاما او شجرة سرو غير مثمرة . فلا تمضي عشر دقائق حتى تكون الدار وما فيها من اثاث ومتاع قد اصبحت ركاما . وهكذا بين غمضة عين وانتباهتهااصبحت القرية كلها طللا باليا . وقد ازداد عدد اللاجئين والمشردين لا يدرون ماذا يفعلون ؟ وفي اى اتجاه يسيرون ؟ رجال في سن الشيخوخة ، عاجزون عن المشي .. ونساء عجز يتمتمن في انفسهن اللعنات علينا نحن اليهود المحتلين .. واطفال في احضان امهاتهم وصبية صغار يبكون..طالبين الماء فامرناهم جميعا ان يتجهوا صوب (بيت سيرا) . فقالوا لنا انهم حيثما توجهوا قوبلوا بالرفض . وهم تعبون . عطاش . جائعون . والبعض منهم ماتوا في الطريق . وكل ما كانوا يطلبونه منا : ان نسمح لهم بالعودة الى قراهم . والا فالأفضل ان نقتلهم!.. هذا ما قاله لنا كثيرون . »

بعد هذا قال عاموس في تقريره ما يلى :

« اننا لم نسمح لهم بالعودة الى قراهم ، وانقاذ ما يمكن انقاذه من امتعتهم اذ ان الاوامر التى اعطيناها نصت على انه يجب علينا ان نمنعهم من رؤية بيوتهم وهى تهدم .

« وفيما كان الاطفال يبكون كان عدد منا نحن الجنود ايضا يبكون . وذهب فريق منا لنبحث عن الماء ونسقى العطاش الا اننا لم نجد ماء . وقد مرت من امامنا في تلك اللحظة سيارة عسكرية فيها ضابط برتبة عقيد ، وضابطان برتبة رئيس ، وامراة برتبة ملازم . فرجوناهم ان يزودونا بما لديهم من ماء . فتكرموا علينا بجريكان (صفيحة) من الماء . وكان علينا أن ندور بهذه الصفيحة على عدد كبير من الاطفال والشيوخ العطاش ! .. وكانوا يبكون وقد شاهدت بام عيني عددا من الجنود ايضا وهم يبكون ..

وسالنا الضباط الذين كانوا في السيارة : لم كل هذه القسوة ؟ ولماذا نترك اللاجئين الذين دمرت منازلهم يغدون ويأبون ، فلا نتركهم يستقرون على حال فقالوا لنا : خير لهم ان يكونوا كما هم . وان يتعذبوا !.. فلماذا انتم مهتمون بهم كل هذا الاهتمام وتعطفون عليهم كل هذا العطف ؟! .. اليسوا كلهم عربا ! ..

ولكم سررنا عندما علمنا انهما كاد ينقضي على هذا الحادث نصف ساعة حتى القى القبض على هؤلاء الضباط من لدن البوليس الحربى الذى فتش سيارتهم فوجدها طافحة بامتعة نهبوها من هؤلاء اللاجئين الذين هدمت منازلهم ! .

وما هي الا دقائق حتى امتلا السهل بالمئات من المشردين الذين نزحوا يتساءلون لماذا منعوا من العودة الى منازلهم بعد ان قيل لهم انهم احرار يستطيعون العودة اليها ولم نستطع نحن ايضا ان نفهم السر في ذلك ؟ وقد اشمأزت نفوسنا لما نرى ، وما نسمع من ابتهالات وتوسلات صادرة من اعماق النفوس لهؤلاء المساكين ! ..

---

(١) يثبت هذا القول كذب الزعم الذى حاول الاسرائيليون اذاعته بين الناس أن هذه القرى التى هدموها قرى قديمة بالية وأن بيوتها من طين وأنها مائلة الى الخراب انظر الى عدد من الصور المرفقة لعدد من دور يالو وهي مبنية من الحجر ومن الاسمنت المسلح .

وراح فريق منا يتساءل : ما هي الحكمة في هدم هذه البيوت ؟ ولماذا لا نحتفظ بها لنسكنها نحن الاسرائيليين ؟ وذهب قائد سريتنا الى مقر القيادة ليسأل القادة عما اذا كان هناك امر خطى حول ما يجب ان نفعله بسكان هذه القرى التى هدمت منازلهم ؟ والى اين نرسلهم ؟ وكيف نرتب مسألة نقلهم وايجاد وسائل النقل التي لا بد منها من أجل نقل النساء والاولاد والمواد الغذائيةلاعاشتهم؟ ولكن قائد السرية عاد بعد قليل ليقول لنا انه ليست هناك اوامر خطية !.. وان كل ما علينا ان نفعله هو أن نبعدهم عن المكان الذى كانت تقوم عليه قراهم !.. وهكذا راح المساكين يسيرون تائهين في الفلاة وفي السهل والوعر كالخراف دون رعاة !.. وقد اضناهم التعب والعطش ، دون ان يجدوا من يركض للاخذ بيدهم ، وعندما اقبل المساء علمنا ان (كذبة) طليت علينا اذ قيل لنا ان الجرافات بدأت عملها بنسف الدور والمنازل في بيت سيرا ايضا . ولهذا فلن يسمح للاجئين الذين هدمت منازلهم في يالو وبيت نوبا وعمواس بدخولها (اى الدخول الى بيت سيرا) !.. كما قيل لنا ان هدم الدور ونسف المنازل عملية قائمة على قدم وساق ليس في قطاع اللطرون وحده بل وفي القطاعات الاخرى من المناطق المحتلة !.. ويفهم من هذا أن كلمتنا ليست كلمة شرف ، وان سياستنا ليست بسياسة يدعمها المنطق !.. بدا الجنود يتذمرون !..

وراح سكان القرى يضرسون اسنانهم كلما راوا بيتا انهار او شجرة ذوت وانقضت على الارض. وفي الليل رحنا نحرس الجرافات خشية ان يسطو عليها الناقمون . مع العلم أن جميع أفراد الكتيبة راحت صدورهم تغلى من شدة الغضب !.. فان معظمهم ما كانوا يريدون أن يتولوا مهمة كهذه المهمة !..

وفي صباح اليوم التالى صدر الأمر بنقلنا الى مكان آخر .. دون ان يفهم اى واحد منا لماذا اقدم المسؤولون من حكامنا على مثل هذا العمل . حتى الاشخاص الذين وجدوا مبررا لهذا العمل فقد قالوا انه كان من الواجب أن يدبر المسؤولون ملجأ للاشخاص الذين دمرت منازلهم وطردوا من ديارهم ، كما كان الواجب البحث عن مصير بعد الطرد ، الى اين يجب ان يساقوا ، وكيف يجب ان يعيشوا ؟ وكان يجب أن ينقلوا الى اماكن معينة هم وعيالهم وفرشهم وامتعتهم !.. وما كان احد منا ليفهم لماذا لم يسمح لهؤلاء الناس باخذ مدافئهم معهم واغطيتهم التى تقيهم شر البرد وبعض الاطعمة التى تقيهم شر الجوع . حتى الزغاليل والدجاج التى كانوا يقتنونها فقد نفقت تحت الردم . وانقلبت الكروم التى كانت مزروعة في لحظة امام اعيننا الى خراب . وكنا نرى الاولاد يجرون انفسهم جرا في الطرقات باكين بحرقة والم. فلم يداخلنا اى ريبفيأن هؤلاء الصبية سيصبحون بعد تسع عشرة سنة (فدائيين) وهكذا نكون نحن اليهود قد فقدنا في ذلك النهار (الذى هدمنا فيه بيوت العرب) النصر الذى احرزناه في حرب الستة ايام !..

« في تلك الليلة حصلت على اذن منقائد سريتى، وجئت الى تل أبيب ، حيث كتبت هذا التقرير .. على نسخ عديدة ، أرسلت نسخة منها لكل واحد من أعضاء (الكنيست) والى كل شخص من الشخصيات البارزة في حكومة اسرائيل .والى كل ضابط من ضباط الاركان في قيادة الجيش . فعلت كل ذلك يوم كان الجيش قد بدأ في هدم الدور والمنازل العربية في مدينة (قلقيلية) . فما كاد تقريرى يصل الى القيادة ، حتى صدر الامر بوقف الهدم هناك (اى في قلقيلية) . وبعد مدة قصيرة بدا العمل في اعادة بناء ما تهدم منها (اى في قلقيلية) .

وختم عاموس كتابه بقوله : ــ

« بعد ان ارسلت تقريرى ببضعة أيام،استدعانى قائد المنطقة اليه وسألنى ما الذى دعانى لكتابة تقريرى . فحدثته بما رأيت وحاول هو اقناعى أن الأمر صدر خطأ (بطريقة غير صحيحة) !.. وليست هناك نية للاستمرار في الهدم . ليس هذا

فحسب فقد زودني بناء على طلبي باذن يخولني التجول في المناطق المحتلة بحرية ، لأتأكد بأنه لم يجر أي هدم في تلك المناطق . وباستطاعتي القول الآن ان هذه القرى (٢) (!) لم يعد بناؤها ، وان سكانها ما برحوا لاجئين ! . . »

هذا ما كتبه عاموس في كتابه عن ماساة قرى اللطرون . وقد كان لقوله وقعه في الاوساط الاسرائيلية . ويقول عاموس في موضع آخر من كتابه أنه وتسعة عشر من زملائه الجنود الذين كانوا منخرطين في صفوف الكتيبة التي تولت هدم القرى الواقعة في قطاع اللطرون نشروا في صحيفة (هاآرتس) مقالا نصحوا فيه حكام اسرائيل ان يعقدوا صلحا مع الفلسطينيين . قائلين ان هذا الوقت المناسب للتفاهم معهم . وان الطريق الامثل لهذا التفاهم هوتأسيس اتحاد فدرالي بين الحكومتين الاسرائيلية والفلسطينية . فكان رجع الصدى لهذا المقال أن سرحته الحكومة هو وزملاءه من الجيش، فعادوا الى منازلهم بالخيبة !..

عدد سكان هذه القرى الثلاثة قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان على ما جاء في السجلات الرسمية لحكومة فلسطين (٩١٥٠ نسمة) وعلى ما قاله لنا مخاتير هذه القرى (١٠٫٠٠٠ نسمة). يؤكد لنا مخاتير هذه القرى ان زهاء اربعة اخماس سكان هذه القرى نزحوا الى شرق الاردن . ولم يبق منهم بعد أن هدمت قراهم سوى الخمس . وهذا الخمس (أي زهاء الفي شخص) بقي في فلسطين ، قسم منهم نزلوا قرية بيت لقيا وآخرون رام الله والبيرة . وفي القدس نفسها وعنانا وقلنديا. وبيتونيا وبيت عور التحتا . وبعضهم ذهب الى بيت جالا .

وراح الاسرائيليون بعدئذ يلجأون الى مختلف وسائل الضغط لاجبارهم على نسيان قراهم والتخلي عن حقهم فيها . الا أن هؤلاء السكان ومخاتيرهم رفضوا الاذعان وظلوا صامدين . واصروا على مطالبة سلطات الاحتلال الاسرائيلية كي تسمح لهم بالعودة الى منازلهم والديرة التي عاشوا فيها وعاش فيها من قبلهم آباؤهم وأجدادهم .

حدثنا مختار قرية عمواس النظر الى الصورة انهم (أي الحكام الاسرائيليين) طلبوا منه ان يقابلهم . فقابلهم في يوم من الايام في النصف الاول من شهر آب (اغسطس) ١٩٧١ . فعرضوا عليه ان تعوض حكومة اسرائيل على أهالي هذه القرى تعويضا يتسيهم قراهم . شريطة أن لا يفكروا بالعودة اليها . فتعوضهم منازل أخرى (بدلا من منازلهم) منازل مجهزة بالفراش والماء والكهرباء وجميع وسائل الراحة . فاجابهم قائلا : انه على غير استعداد للبحث في هذا العرض قبل ان يعود النازحون الى شرق الاردن من أبناء هذه القرى ، الى منازلهم في الضفة الغربية . عندئذ نتشاور مع اصحاب الحق كلهم . ويقررون ما فيه مصلحة قريتهم وبلادهم .

وقد انشأ الاسرائيليون فوق الارض التي استولوا عليها من قرية (بيت نوبا) مستوطنة يهودية اسموها (نوبا) . وقد بنوا عليها مساكن لمهاجريهم، وجروا اليها الماء من جهات مختلفة . من بيارة القرية القديمة (بيت نوبا) . واضافوا اليها الماء من بئر حفروها عند باب الواد بعد انتهاء حرب التقسيم في سنة ١٩٤٨ . وبهذا تمكنوا من استغلال اراضي بيت نوبا ، حيث زرعوا فيها مختلف انواع الفواكه والخضار ولا سيما القمح والذرة الحمراء والبطاطا والبصل والشمام وعين شمس وما الى ذلك من مزروعات تحتاج الى ري . وانشأوا مزارع واسعة للمواشي والابقار وغرس الاشجار من اراضي يالو .

ويبدو أن الحكام الاسرائيليين تركوا لسكان هذه المستوطنة اليهودية الحرية التامة في معاملتهم مع العرب وسكان القرى المجاورة . حيث نرى اليهود يستولون على ابقار العرب ومواشيهم الداشرة ويغرمونهم غرامات كيفية باهظة . دون الرجوع الى اية محكمة أو اية دائرة من دوائر الامن .

■■

البيرة فلسطين : **عارف العارف**

---

(٢) انه يعني قرى (يالو ، بيت نوبا ، عمواس) .



استنباط الأحكام

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

من الواضح البين انه لم يكن هناك مجال للاختلافات في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام لا في احكام العقائد ، ولا الاحكام العملية ، لان مصدر المسلمين جميعا فيها الرسول بما يوحي اليه من ربه ، اذ لم يكن الاجتهاد مصدرا تشريعيا للاحكام في عصره وان كان موجودا فعلا .

ولم يكن احد من الصحابة يعتمد في اجتهاده واستنباطه على قواعد مقررة واضحة المعالم والحدود ، وانما كان اعتمادهم على ما لمسوه من روح التشريع في فترة الوحي ، مما كوّن عندهم ذوقا فقهيا متوحدا في تفهم مرامي التشريع ومقاصده ، لانهم اقدر الناس على فهم القرآن ، وقد نزل بلغتهم فتعرفوا اساليبه المتنوعة ، وتاريخ نزول آياته ، واسباب النزول ، والناسخ منها والمنسوخ ، لا شك ان من عاصر اى تشريع وقت ظهوره او وضعه يكون ادرى به واعلم باغراضه وخاصة اذا كان يقف عليها اولا فاولا .

وكانت هذه العوامل والاعتبارات مما كوّن عند الرعيل الاول من فقهاء الصحابة دعائمَ يرتكز عليها استنباطهم، وان لم تظهر في صورة قواعد واضحة، وقوانين محددة ظاهرة ، وانما تؤخذ من النظر والتتبع والاستقراء ، لما أثر عنهم من احكام لكثير من الفروع .

الامام على وجلد شارب الخمر

فهذا الامام على بن ابي طالب يقضي بجلد شارب الخمر ثمانين جلدة ، قياسا على عقوبة القذف ، ويسبب لحكمه هذا فيقول : « انه اذا شرب هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة » ، فاعتبر الشرب وسيلة وذريعة للقذف ، واعطاه حكمه ، واتبعه في هذا جمهور الفقهاء . وان كنا نرى ان عقوبة الخمر ، من قبيل العقوبات ، التقريرية ، وليست من قبيل الحدود . اذ القياس يفيد حكما ظنيا ، مما يجعل في حكمه احتمالاً وشبهة ، و « الحدود تدرا بالشبهات »، على ان الاخبار الواردة عن الصحابة لاتدل على اجماع قاطع بتحديد حد ، بل تفيد انهم لم يستقروا على راى لم يجدوا معدلا عنه اكثر من القدر المشترك بعقوبة التعزير . وقد فصلنا القول في ذلك في موضع آخر (١) ، وقلنا : ان ما حدث في ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان من قبيل السياسة الشرعية .

---

(١) مجلة الوعي الاسلامي التي تصدرها وزارةالاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت بعددى ربيع الثاني وجمادى الآخرة سنة ١٣٩٢هـ .

عِنْدَ الصَّحَابَة .. وعِنْدَ التَّابعين .. ثُمَّ .. عِنْدَ مَنْ جاء بَعْدهم مِنْ فقهاءِ المسْلِمين

عمر وقطع يد السارق

وهذا عمر بن الخطاب حينما اوقف سهم المؤلفة قلوبهم قال:« ان الله اعز الاسلام واغناه عنكم فان ثبتم عليه والا فبيننا وبينكم السيف » . وحينما أوقف عمر قطع يد السارق لان عبدا سرق ، قال لسيده : « اما والله لولا انى اعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم ، حتى ان احدهم لو اكل ما حرم الله عليه حلّ له لقطعت أيديهم ، وايمُ الله اذا لم افعل لاُغرّمنّك غرامة توجعك » . فان عمر رضى الله عنه كان له منهج في اجتهاده اذ جعل الحكم يتبع المصلحة ، ويرتبه عليها ، فغيّره تبعا لتغير علته ، بحيث اذا وجدت العلة وجد الحكم .

وعبد الله بن مسعود

وهذا عبد الله بن مسعود قد افتى بان الحامل المتوفى عنها زوجها عدتها ان تضع حملها لقول الله سبحانه في سورة الطلاق« واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن » والنص يشمل بعمومه الحامل المطلقة ، والحامل المتوفى عنها زوجها . مع ان الله تعالى يقول في سورة البقرة « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا » والاية تشمل بعمومها الحامل وغير الحامل مما جعل الموضوع مختلفا فيه . لكن ابن مسعود يؤيد رايه بقوله : اشهد ان سورة النساء الصغرى (يقصد سورة الطلاق) نزلت بعد سورة النساء الكبرى (يقصد ما جاء في سورة البقرة)وهذا يفيد عند الاصوليين ان النص المتاخر ينسخ النص المتقدم ، او يخصصه .

وقد اقتضت الفتوحات الاسلامية المتتالية في عصر الصحابة مواجهةً مسائل جديدة نابعة من طبيعة البلدان المفتوحة ، واخرى ولدتها ظروف الحرب . ودعتهم هذه المسائل الى الاجتهاد بالراى ، اذ النصوص متناهية ، والوقائع غير متناهية ، فضلا عن ان السنة لم تكن قد دُوّنت بعد . وفضلا عن احتياطهم للتثبت فيما يروى لهم مما ليس لبعضهم به علم . فقد روى عن عبد الله بن مسعود انه قال : « كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع » .

وقد كان الصحابة في اجتهاداتهم احيانا يوافقون ما يعلمون فيه بعد ذلك من سنة ، ومن ذلك اجتهاد ابن مسعود في المفوضة التى مات زوجها ، ولم يَفرض لها صداقا ، فقضى بان لها مهر نسائها لاوكسَ ولا شطط ، وعليها العدةُ ، ولها الميراث ، ولما علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام قضى بذلك فرح وحمد الله .

عمر بن الخطاب والوباء بالشام

ومن ذلك اجتهاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين خرج الى الشام ، وعلم وهو في طريقه اليها ان بها وباء ، ورأى ـ بعد مناقشة مع كبار الصحابة ـ الرجوعَ ، ولما عارضه رجل بقوله : « اتفر من قدر الله ياعمر؟ » اجابه عمر : « نعم نفر من قدر الله الى قدر الله » . ولما علم ـ بعد ان قرر الرجوع ـ ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « اذا سمعتم به ـ اى بالوباء ـ بارض فلا تقدموا عليها ، واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منها » فرح لموافقة رايه ما روى عن الرسول .

وقد كانوا احيانا يعلمون في الواقعة التي اجتهدوا فيها حديثا مخالفا لما انتهوا اليه ،فسرعان ما يعدلون عن اجتهادهم اليه بعد التثبت من صحته ، ومن ذلك ماروى عن عمر بن الخطاب من عدم توريثه المراة في دية زوجها ، وما افتى به ابن عمر من نقض النساء شعورهن عند الاغتسال من الجنابة ، فقد روى من السنة ما يخالف

ما افتى به كل منهما ، حتى يروى أن السيدة عائشة قالت : « عجبا لابن عمر ، أو يأمر النساء بحلق رؤوسهن !! ؟ » .

ومن الصحابة من نظر في مقاصد الشارع

وكان فريق من الصحابة يلاحظ في اجتهاده مقاصد الشارع من شرع الاحكام ، وينفذون الى المعاني والعلل ، ومن ذلك حكم عمر رضي الله عنه في قضية الخليج التي رواها الامام مالك في الموطا ، بان الضحاك بن خليفة ساق خليجا له ، واراد ان يمر به في ارض محمد بن مسلمة ، فمنعه محمد ، فلما علم عمر استدعاه وقال له : « لِمَ تمنع اخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقى به اولا وآخرا وهو لا يضرك ؟! » ثم حكم بامرار الخليج جبرا عنه .

ومن ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد سار لقتال بني قريظة ، وقال لمن معه : لاتصلوا العصر الا في بني قريظة . ولما حان وقت صلاة العصر ـ وهم في الطريق لم يصلوا بعد ـ امتنع البعض عن الصلاة حتى يصلوا بني قريظة استجابة لامر الرسول . بينما نظر الفريق الآخر لقصد الرسول عليه السلام من ذلك ، وعلة التاخير ، وهي أن يسرعوا في مسيرتهم حتى يصلوا اليهم قبل وقت صلاة العصر . وقالوا : اما وقد حان وقت الصلاة فانه يجب اقامة الصلاة لفوات العلة التي من اجلها قال الرسول عليه السلام ذلك .

وقالوا : « لاتقام الحدود في دار الحرب »

وكان الفريق الذي يتجه الى الرأى والنظر في المقاصد والمعاني يبحث العلل ، او يستنبطها ابتداء ، ومن ذلك تعليلهم قول الرسول صلى الله عليه وسم : « لا تقطع الايدي في الغزو » . فقالوا : « ان ذلك مخافة أن يلحق من يقام عليه الحد بدار الحرب » ، ثم عمموا ذلك الحكم بالنسبة لجميع الحدود يقول زيد بن ثابت : « لاتقام الحدود في دار الحرب مخافة ان يلحق اهلها بالعدو » ، وكذلك فقد كتب عمر بن الخطاب لولاته : « لا يجلدن امير جيش ولا سرية احدا الحدّ حتى يطلع على الدرب ، لئلا يحمله الشيطانُ أن يلحق بالكفار » .

وقد شمل التعليل عندهم زوال الحكم عند زوال العلة ، ومن ذلك اسقاط عمر سهم المؤلفة قلوبهم وقد تقدم ، واجتهاد عثمان في ضوال الابل ، وقوله بالتقاطها والتعريف بها ثم بيعها اذا لم يعرفها احد ، فاذا ظهر صاحبها اخذ ثمنها ، ومن ذلك أيضا اجتهاد الامام على في طريق حفظ ضوال الابل فقد بنى لها مربدا يعلفها فيه من بيت المال . مع ان النص وارد بسهم المؤلفة قلوبهم ، والحديث عن الرسول في ضوال الابل ينص « مالك ومالها ؟ دعها فان معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها » .

اجتهاد الصحابة شمل كل وجوه الرأى

واجتهاد الصحابة لم يقف عند القياس ، وانما شمل كل وجوه الرأى ، عمدتهم في ذلك البديهة والفطرة ، وما لمسوه من روح التشريع ، مع وعي كامل للاساس العقلي الذى يقوم عليه الرأى ، والدور الذى يؤديه ، في اظهار الاحكام الشرعية ، فاجتهدوا وهم على بينة من امرهم ، وكانت اجتهاداتهم متنوعة فمنها ما يعتمد على القياس ، ومنها ما يعتمد على المصلحة وهكذا بالنسبة للمصادر العقلية التي عرفت ـ فيما بعد ـ باسماء اصطلاحية ، ولايتعارض مع ذلك ما ورد في السنة من ذم الرأى لانه خاص بما لا يقبل الاجتهاد ، وبالامور الغيبية والعقائد .

ومن الطبيعي ان الاجتهاد بالرأى يترتب عليه اختلاف وجهة النظر ، والتفاوت في الفتاوى والاحكام ، وما ذلك الا لان العقول متفاوتة ، وموازين الرأى مختلفة ، وفقيه الرأى يتأثر بالبيئة ، وما يحقق مصالح الناس ، وييسر عليهم امر دينهم . ولما تفرقوا في الاقاليم كانوا نواة للاتجاهات الفقهية المختلفة التي نشأت عنها مدرسة الحديث ، ومدرسة الرأى .

وبعد الصحابة جاء التابعون

ومن الصحابة الذين تفرقوا في البلاد اخذ التابعون وتأثروا بهم ، وكان ممن نزل العراق من الصحابة عبد الله بن مسعود ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمار بن ياسر ، وابو موسى الاشعرى وعلى بن ابي طالب ، وغيرهم ، وكان اكثرهم اثرا ابنُ مسعود ، وان كان للامام على فقه كثير ، الا ان العوامل السياسية اثرت على ظهور اثره

الفقهي ، وكان ممن بقي بالمدينة عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وعائشة زوج الرسول .

وبرز من التابعين في المدينة سعيد بن المسيّب ، كما برز في الكوفة منهم علقمة النخعي ، وقد كان استنباط كل منهما للاحكام عند انتفاء النص مختلفا . فابن المسيب كان يغلب على منهجه مراعاة المصلحة ، بينما كان يغلب على طابع النخعي ناحية القياس ، فيستخرج العلة في المسالة التي ورد بحكمها نص ، ويطبقها على الفروع المختلفة التي تشترك معها في العلة .

ثم اختلط بالعرب غير العرب

ثم في العصر التالي ـ وكان قد اختلط بالعرب غيرهم ، وكثرت الحوادث والوقائع التي لم يسبق لها مثيل ـ تنوعت طرائقهم في الاجتهاد ، كما كثرت الاشتباهات والاحتمالات في فهم النصوص ، اذ لم تبق الملكة اللسانية على سلامتها، ولأن الكثير من الفقهاء كانوا من الموالي(٢) او من غير العرب .

وكان من الطبيعي ان لا يكون الاجتهاد ميسورا لهم بالسهولة التي كانت لسلفهم من العرب الخلص ، وممن عاصروا فترة نزول الوحي ، وعرفوا اسباب النزول ، وتشبعوا بروح التشريع، كما انه قد جدّ عليهم في مختلف الامور مالم يكن له مثيل من قبل ، مما اوحى الى اختلاف نظرة المجتهدين ، وتباين مناهجهم ، واتساع هوة الخلاف الفقهي بينهم .

ثم جاء الائمة بقواعد وضوابط

وتبع هذا ان وضحت في اقوال ائمة المذاهب الفقهية ، عند الاستدلال على الاحكام ، بعض ضوابط وقواعد وضعها الفقيه ، والتزمها طريقا ومنهاجا له ، واصبحت هذه القواعد محددة بعض الشيء ، ومنثورة مفرقة في خلال الاحكام الفقهية ، ومبثوثة في كتبهم ، بل كانت المناظرات التي تجرى بين كبار الائمة تدور في الغالب حولها، فتناظروا في تقديم القياس على خبر الواحد ، وفي جواز الزيادة على الكتاب بخبر الواحد، وفي اعتبار الاستحسان والاخذ به عند الاستنباط ، وفي اعتبار ما عليه عمل اهل المدينة . بل وفي اعتبار القياس نفسه مصدرا للاحكام .

ولما كان الناس متفاوتين في طرق البحث والاستنباط لتفاوتهم في العقل والادراك ـ وخاصة اذا كانت عادات الناس واعرافهم محل اعتبار ، وهي متفاوتة ـ فاننا نجد الصحابة والتابعين وائمة الفقه ، عندما طبقوا ما حفظوه من نصوص وما فعله الرسول واقره ـ على ما استجد من الحوادث ، وواجهوه من الوقائع ـ كان لا بد ان يقوم ذلك على اساس من النظر والتحقق عند الموازنة والمماثلة من اشتراك الامرين في مناط الاحكام وعللها ، والبحث عن المقتضيات والموانع ، وعن معاني النصوص وما يراد منها ، وصلة بعضها ببعض بيانا واطلاقا وتقييدا وتخصيصا وتعميما ونسخا .

وكان من فقهاء الصحابة ـ تبعا لما قلنا من تفاوت الناس في مسالك البحث وتفاوتهم في الادراك والعقل ـ مَنْ تغلغل في معاني الالفاظ وسبَر غورها ، وتحرّى مرامها ، وفهم روح التشريع وتذوّق معانيه ، وقد كان هؤلاء كثرة ، ولهم الغلبة ، وكان لهم في هدى الرسول اعظم معين ، فقد حرص ـ عليه السلام ـ على توجيههم الى اسرار التشريع ، وامرهم بالتيسير في قوله : « يسروا ولا تعسروا ... » .

واختلفت المناهج

ومع هذا ، كان منهم من يقف عند دلالة الالفاظ ، وما يظهر من المعاني لبناء الاحكام ، مما كان سببا في اختلاف الفقهاء تبعا لاختلاف مناهجهم في البحث والاستنباط ، وما يعتمد عليه كل منهم من وسائل ، وخاصة ان اساس التشريع الاسلامي يقوم اولا على تفهم النصوص ، والتحقق من صحة ما روى عن الرسول من اخبار ، وتمييز ما يجب العمل به منها مما لا يجب العمل به ، وعند انعدام النص في الواقعة وجب الاجتهاد للتعرف على الحكم عن طريق النظر في المصلحة المقتضية للحكم .

---

(٢) الموالي في الاصطلاح الفقهي تطلق بمعنيين : المعتق ـ بفتح التاء ـ ويسمى مولى العتاقة ، والحليف ويسمى مولى الموالاة . ونقصد بالموالي هنا : كل من اسلم من غير العرب لانهم اما ان يكونوا اسرى حرب ثم اعتقوا ، واما ان يكونوا اهل البلاد المفتوحة ، واسلموا وتحالفوا مع العرب .

وهذا قد يستتبع النظر في النصوص «للقياس عليها» ، او العدول عن هذا القياس لوجه اقوى مما يسمى استحسانا ، كما يستتبع النظر في روح التشريع وقواعده العامة ، لاستنباط حكم الواقعة ، والنظر في اقوال الصحابة الذين عاصروا الرسول «وسمعوا منه» واعتبارها مصدرا او تفسيرا او بيانا لنص ، وهل اجمعوا على حكم في مسألة مشابهة ، وهل اجماعهم حجة ملزمة ، وكذا اجماع من بعدهم من المجتهدين اذا كان الاجماع في عصورهم ممكنا .

كما ان هذا يستتبع النظر في العرف ، ومكانته من النصوص . ايصح ان يكون بيانا لها، والنظر فيما ورد في القرآن والسنة من احكام وردت في الشرائع السابقة ، مما لم يرد له حكم في شريعتنا اصالة ، وهل ما لم يرد له حكم في شريعتنا يستصحب فيه الاصل الذي كان عليه الوضع من قبل ... الى غير ذلك مما مرده الى النظر ، والنظر مختلف باختلاف الاشخاص والوقائع

اثر البيئة في الاتجاه الفقهي

وقد كان للبيئة ـ غالبا ـ اثر في تكوين الاتجاه الفقهي عند الفقيه ، مسايرة منه لمصالح الناس ، ودفعا للحرج عنهم ، ولهذا كانوا يستخرجون احكاما للوقائع والحوادث في ضوء ما اطمأنوا اليه من مرونة التشريع الاسلامي التي ترتبط بعموم دعوة الاسلام ، وكانت هذه الاحكام موضع اطمئنان العامة الذين يؤمنون بان رجال التشريع هم رجال الاختصاص الذين ينبغي ان تؤخذ منهم الاحكام . وقد كانوا مرنين ، ينظرون فيما يجد بما يحقق مصالح الناس ، دون خروج على القواعد العامة للتشريع الاسلامي .

وان دستور الدساتير الذي جاء للبشرية كلها حتى تقوم الساعة ـ مع اختلاف المصالح والأعراف ـ جدير ان لا يسلك مسلك الاستيعاب ، وان يترك التفاصيل لاهل الرأي والاجتهاد في الامة ، ليستنبطوا احكام ما استجد عليهم في ضوء هذه القواعد ويسايروا المصالح .

وترجع المرونة في جملتها الى مراعاة ظروف البيئة في ظل توجيه الشارع ، والى مراعاة تلك الظروف ، وطبيعة الاحوال ، كلما دعت الحاجة ، ويتصل بهذا اختلاف الفقهاء في مناهجهم ، وتبدل الاحكام التي ليس فيها نص قطعي ، وتغيرها بتغير تلك الاحوال واختلاف البيئات .

الولاء بين الفقهاء

ولقد كان الفقهاء يختلف بعضهم مع بعض تحت راية الاسلام ، وهم اشد ما يكونون ولاء وصفاء بعضهم مع بعض ، وقد رسم لذلك رسول الله ، وفتح بابه ، ويسر امره ، بما كان يقره من وقوع الخلاف بينهم فيما يتفهمونه ، فاذا تبين وجهات نظرهم اقرها اذا وجدها لا تمت الى الهوى بسبب ، ولا تتصل بعصبية او مارب ، وانما ترجع الى وجهة شرعية دعامتها مسلك الفقيه في فهمه وادراكه لروح التشريع .

وما دام الاختلاف في الرأى بعيدا عن الهوى والغرض والقول بالتشهي ، فانه يجب أن لا يكون سببا في الفرقة والانقسام او مثارا للنزاع. وخاصة أن من طبيعة البشر تفاوت الفهم ،فينبغي ان يتسع افقنا لتفهم كل الاراء ، وان تتسع صدورنا لكل الاشخاص ، ما دامت النيات صادقة ، والغاية واحدة ، والبحث العلمي حق لكل من هو اهل له .

فالجميع يحوم حول قصد الشارع ، كما يبتغي الوصول اليه ، وكل واحد مثاب على ما بذل من جهد ابتغاء تعرف حقيقة حكم الله ، وما كان اختلاف الفقهاء ، ضارا ولا معيبا ، بل هو دليل النضج الفكري ، وما عرف التعصب طريقا الى الفقهاء في العصور المتقدمة ، بل كان كل واحد يرى ان ما يقول من راى انما هو صواب يحتمل الخطأ ، وما يقول مخالفه انما هو خطأ يحتمل الصواب ، ويرى كل منهم ان رايه غير ملزم ، وان من جاء باحسن منه فهو اولى بالصواب .

وفقنا الله الى تفهم احكام دينه على الوجه الصحيح ، والنظر في كل ما يتعلق بشئون الناس وما جد في حياتهم بعين المصلحة ، والتيسير عليهم في حدود قواعد الشريعة الاسلامية التي كلها يسر وسماحة وعدل ، ورحمة الله وسعت كل شيء فاعتبروا يا اولي الابصار . ■■

د. محمد سلام مدكور
الاستاذ المعار لكلية الحقوق والشريعة
جامعة الكويت



المصافحة قد تتسبب فى نقل عدوى الانفلونزا والرشح

● قرات في بعض الصحف ان عدوى الانفلونزا والرشح الانفي تنتقل بواسطة العطاس والسعال فما حقيقة ذلك . خاصة واننا في فصل الشتاء وما هي طرق الوقاية من تلك الانفلونزا المزعجة ؟؟

ـ لعلك تندهش عزيزى السائل اذا قلت لك ان الانفلونزا وامراض الرشح الانفي والمسالك التنفسية العليا هي السبب الاول فى التغيب عن العمل فى المصانع والمؤسسات فى جميع انحاء العالم . اذا لا غرابة فى ان تهتم مراكز الابحاث بالتنقيب عن جذور هذه الاوبئة والتعرف على طرق مكافحتها والوقاية منها . وقد ثبت ان مجموعة من الميكروبات الدقيقة هي السبب فى حدوث تلك الامراض ولقد صنفها علماء البكتريا الى انواع شتى كما ان اكثر هذه الميكروبات انتشارا ميكروب يدعى فيروس الانف Rhinovirus .

وحديثا قامت مجموعة من الاطباء الباحثين باجراء تجارب حول انتقال هذا الميكروب وانتشار عدواه . فلقد طلب من ٢٥ مريضا مصابا بالرشح الانفي بأن يسعلوا ويعطسوا فى اطباق مزروعة بكتيرية . حينما فحصت هذه الاطباق تبين ان اثنين فقط يحتويان على الميكروب المسبب للمرض فى حين ان هذا الميكروب موجود فى الافرازات الانفية لجميع المرضى دون استثناء . من هذه التجربة يتضح ان دور العطس والسعال فى انتشار العدوى دور ثانوى ولكن الدور الاكبر يكمن فى الافرازات الانفية . فمثلا الايدى والاصابع التي تنقب وتنبش فى الانف تحمل الميكروب لمدة ثلاث ساعات وينتقل المرض حينئذ بالمصافحة وبملامسة الايدى الملوثة بالميكروب .

وكذلك يعيش الميكروب فترة مماثلة على الاسطح الملساء الزجاجية والمعدنية والبلاستيكية والخشبية وما شابهها . ثم عن طريق ملامسة هذه الاسطح تنتقل العدوى الى الاصحاء . من ذلك يتضح ان استعمال المرافق العامة والادوات المستعملة من قبل المرضى يعرضان



الانسان الى خطر انتقال العدوى . ومن الطريف انه ثبت ان الاوراق المجففة « كلينكس » او المحارم القطنية (المناديل) لا يعيش عليها الميكروب اكثر من دقائق معدودات ولذلك فان هذه الاشياء من اقل العوامل في نقل المرض . ويجب ان نشير الى ان اصابة الاطفال بالرشح تسبب انتقال المرض الى باقي افراد الاسرة في منازلهم او الى باقي زملائهم في فصول المدرسة بسبب افرازاتانوفهم وبعثرتها في جميع الاتجاهات . هذا ولا بد من التاكيد على ان فرصة انتشار الميكروب تزداد في الاماكن العامة والمغلقة وخاصة اذا كانت قليلة التهوية مثل دور السينما والمقاهي ووسائل المواصلات المزدحمة ولا بد للانسان ان يبتعد عن هذه الاماكن اذا اراد ان يتجنب الاصابة بالانفلونزا والرشح الانفي .

كما ان غسل الايدي والتزام العادات الصحية السليمة هي اكبر ضمان ضد الاصابة بتلك الامراض .

حمية خاصة لمرضى ضغط الدم

● ما هو الطعام الواجب اتباعه في حالات ارتفاع ضغط الدم ؟

يختلف الطعام في حالة ارتفاع ضغط الدم باختلاف بنية المريض ، فان كان بدينا وهو ما يحدث في معظم الحالات ، اعطي طعاما يساعد على تخفيف وزنه ، وهو الطعام المتبع في السمنة والذى يحتوى على ١٠٠٠ ـ ١٢٠٠ سعر حرارى . فعلى سبيل المثال .

يكون الفطور ـ بيضة مسلوقة ـ تفاحة او برتقالة .

قطعة خبز صغيرة ـ شريحة واحدة ، شاى بحليب بدون سكر او سكارين . الغداء ـ شوربة غير دسمة ـ سلاطة بكثرة .

قطعة لحم صغيرة ١/٤ رطل بدون دهن ـ برتقالة او تفاحة .



العشاء ـ بيضة او قطعة جبن اولبن زبادي بدون دهن ـ سلاطة ـ فاكهة ـ قطعة خبز واحدة .

واذا تناول المريض الشاى او القهوة لا بد وان يضيف اليها الحليب ، ويكون السكر قليلا جدا او بسكارين . ويكون الملح قليلا في الطعام ، واذا أحس المصاب بجوع ، يأكل الخضراوات الطازجة كالطماطم والخيار وما شابهها .

اما اذا كان المصاب بارتفاع ضغط الدم نحيفا فيعطي الغذاء الطبيعي الذى يلائمه شريطة ان يكون الدسم فيه قليلا ، اى يكون طعامه معظمه مشويا او مسلوقا ولا يحتوى على كميات كبيرة من الحلوى والنشويات خشية حدوث السمنة . وتقل نسبة البروتينات مثل اللحوم اذا زادت نسبة البولينا في الدم ولا يحتوى الطعام الا على نسبة ضئيلة من الملح .

والاطعمة المستحبة لمريض ارتفاع ضغط الدم هي الفواكه الطازجة والخضراوات الطازجة حتى لا يتعرض لحدوث الامساك ...

عملية نقل الدم
قد يكون لها مضاعفات
اذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة

● ما هي المضاعفات التي تحدث من عملية نقل الدم ؟

ـ كثيرا ما يطلب المريض ان يعطى دما للتقوية ويحس باسى عندما يرفض الطبيب تلبية طلبه عندما لايرى انه ليس فى حاجة الى ذلك. ولعلنا لو القينا ضوءا على المضاعفات التي من الممكن ان تحدث من نقل الدم لعرف الشخص لماذا لايعطى الدم الا اذا كان فى حاجة ماسة اليه . فهناك المضاعفات البسيطة مثل الحساسية مع حكة فى الجلد وظهور طفح عليه ثم ارتفاع فى درجة الحرارة والشعور بقشعريرة ورجفة فى جميع اجزاء الجسم . وفى بعض الحالات اذا لم تؤخذ الحيطة فى اخذ الدم وفى تخزينه فان بعض الامراض تنقل بواسطة الدم المعطى للمريض واهمها مرض الزهرى ومرض التهاب الكبد الفيروسى والملاريا. وكذلك اذا ترك الدم فترة طويلة دون ان يعطي للمريض او تعرض لميكروبات فانها تتكاثر فيه بسرعة وربما سببت تسمما فى جسم المريض المعطى له مثل هذا الدم . ولعل اخطر المضاعفات هي التى تواجه عندما يعطى المريض دما غير مطابق لدمه وذلك لاهمال فى تحديد فصيلة الدم لسبب او لآخر ـ او لعدم تطابق الفصائل الثانوية فى الدم او لعدم تطابق عامل روسوس .

وبعد ان يعطى المريض جزءا يسيرا من هذا الدم غير المطابق يحس بقشعريرة ثم غثيان وقيء وآلام شديدة فى انحاء الجسم خصوصا فى الصدر وفى الخصر .



مع عرق بارد غزير وترتفع الحرارة مع سرعة فى النبض وضيق وسرعة فى التنفس. وتحدث صدمة شديدة للمريض مع انخفاض فى ضغط الدم . وبعد ساعات قلائل يظهر على الجلد وفى العينين اللون الاصفر نتيجة لارتفاع نسبة المادة الصفراء فى الدم نتيجة تكسر الكرات الحمراء غير المطابق ، ويقل البول وربما توقف عمل الكليتين مما يؤدى الى ارتفاع فى نسبة بولينا الدم ربما سببت وفاة المريض اذا لم تعد الكلى لعملها .

من هنا تجد انه لايمكن ان يعطى الدم جزافا لاى انسان ليس فى حاجة اليه ولا بد من اتخاذ الحيطة الشديدة حتى لاتحدث مثل هذه المضاعفات . ■■

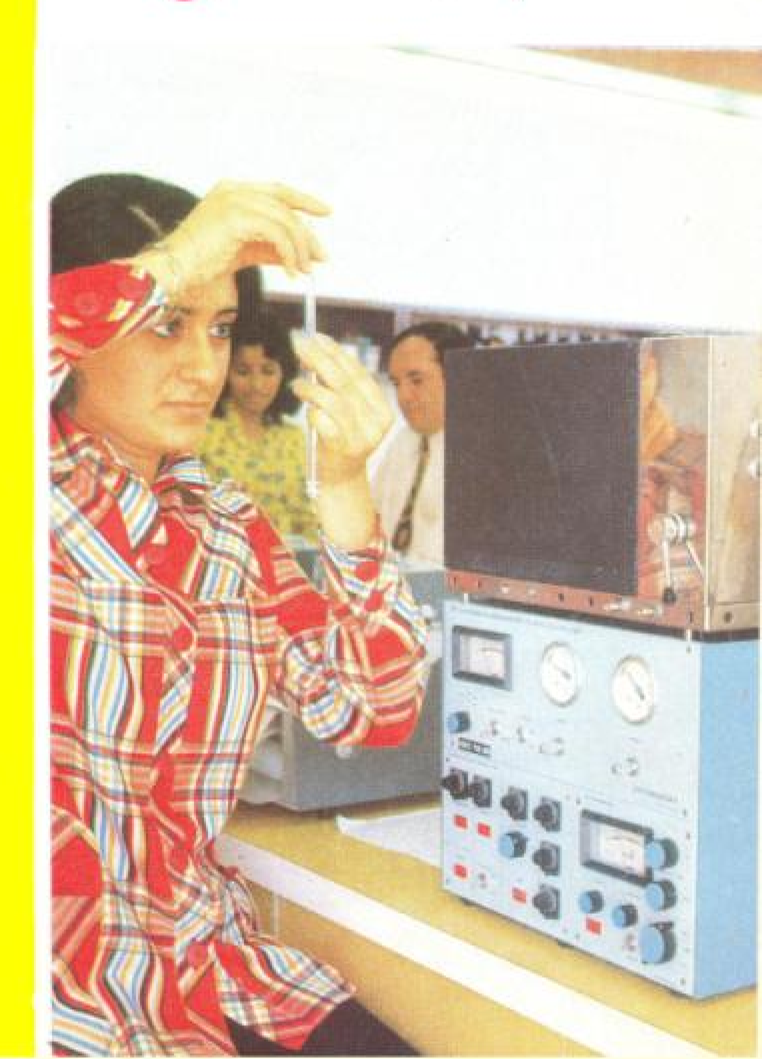
الكويت تدخل مجال البحث العلمي

استطلاع بقلم
محمد طنطاوى

الى اليسار : مبنى معهد الكويت للابحاث العلمية وهو يقع على شاطىء الخليج فى منطقة الشويخ بمدينة الكويت ويتميز بطرازه الفريد .

الى اليمين : الكيماوية الكويتية خيرية عبد الله تقوم بأخذ عينة من البترول لا يزيد حجمها عن ١و٠ من المليجرام تمهيدا لتحليلها فى جهاز الكروماتوجرافى Chromatograhy لتحديد كل الشوائب التى تدخل فى هذه العينة .

• • •



الى اليسار : خريجتان من كلية العلوم هما سهال الفليج وسعاد الجار الله اثناء اجراء التحليلات الكيماوية فى معمل البترول التابع لمعهد الابحاث .



■ جيل جديد من الباحثين الكويتيين يمارس البحث العلمي في معهد الكويت للأبحاث العلمية .

■ ٤٠ مليون من الروبيان تمت تربيتها في الأحواض وأطلقت الى مياه الخليج العربي عام ١٩٧٣ .

■ دراسات ميدانية عن النباتات في صحراء الكويت .

■ يعيش عالم اليوم في عصر العلم .. عصر التكنية .. عصر الفضاء .

وقد استطاع انسان العصر الحديث ان يحقق بواسطة البحث العلمي اشياء كانت في الماضي القريب اشبه بالخيال منها بالحقيقة .. فجّر الذرة، غزا الفضاء ، هبط على سطح القمر ، وغير ذلك من المنجزات العلمية المذهلة التي طورت حياة الانسان وزادت من رفاهيته .

واصبح تقدم الدول يقاس بتفوقها في ميادين البحث العلمي والتكنية .. وازداد اهتمام دول العالم صغيرها وكبيرها بالبحث العلمي وباعداد العلماء من ابنائها لمسايرة العصر التكني الذى ساد العالم واصبح في صميم حياة كل فرد .

وقد اهتمت الدول النامية مؤخرا بالبحث العلمي كوسيلة من وسائل التنمية والتطوير . واهم ما تبدأ به الدول النامية للدخول الى ميدان البحث العلمي هو اعداد الانسان الباحث المتدرب والعالم ببيئة وطنه واحتياجات بلده .

ومنذ ان حصلت الكويت على استقلالها وهى تبذل كل جهد في اعداد جيل جديد مثقف من ابنائها . انشات المدارس .. وتبعتها بالجامعة .. وبعد ان اصبح لديها رصيد من هؤلاء المثقفين من ابنائها بدات الدخول الى ميدان البحث العلمي على اساس سليم متين .

لقد ادركت حكومة الكويت اهمية البحوث العلمية بالنسبة للتنمية الصناعية والاجتماعية ، وخاصة في دولة لديها من الامكانيات المادية ما يتيح لها فرص التنمية والاستثمار . وانطلاقا من هذا الاهتمام تم الاتفاق على اقامة منظمة الابحاث العلمية من خلال اتفاقية الامتياز الممنوحة لشركة الزيت العربية وهي شركة يابانية . وقد نصت هذه الاتفاقية في احد بنودها على التزام الشركة بانشاء وتمويل معهد للبحوث العلمية في الكويت . وفي شهر فبراير من عام ١٩٦٧ بدات الخطوات لانشاء معهد الكويت للابحاث العلمية .

٤ أهداف لمعهد البحوث

وبدات دراسات انشاء معهد الكويت للابحاث العلمية على اسس واقعية نابعة من احتياجات الكويت وامكانياتها البشرية .

وتقرر بناء على هذه الدراسات ان يقوم معهد البحوث بالعمل على تحقيق اهداف اربعة اساسية:

١ ـ اجراء الابحاث التي من شانها ان تلبي بصورة مباشرة احتياجات الصناعة المحلية ، والتي تسهم في مستقبل تطورها وتنميتها .

٢ ـ تشجيع ابناء الكويت على ممارسة البحث العلمي، مع دعم العقلية العلمية في الجيل الناشيء.

٣ ـ مسايرة التطورات الحديثة للمعرفة العلمية جنبا الى جنب ، مع امداد الادارات الحكومية

واجهزة الصناعة والعاملين فيها بالوثائق والمعلومات العلمية والصناعية .

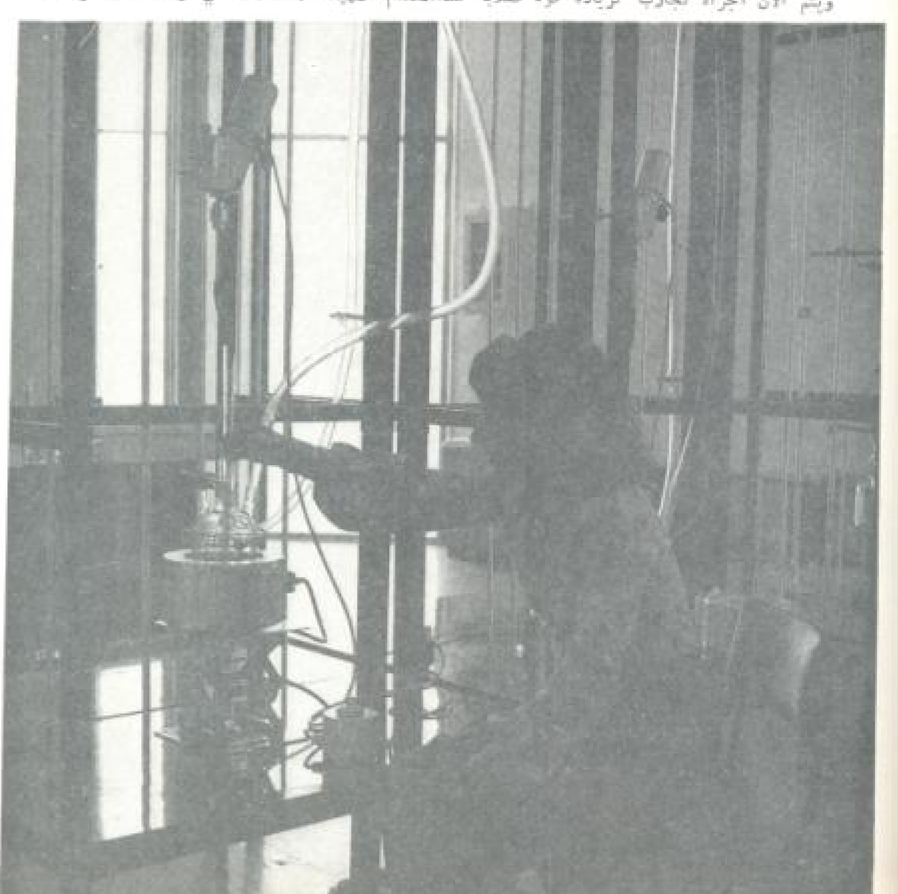
٤ ـ ان يعمل المعهد كوسيط لتحقيق تعاون اوسع على الصعيد العالمي في مجال نشاطات الابحاث العلمية الجارية .

وما ان وضعت هذه الاهداف حتى بدأ العمل على تنفيذها .. لم ينتظر المسئولون حتى تتم المباني الخاصة بالمعهد ، ولكنهم استغلوا الفترة التي استغرقها اتمام المبنى وتجهيزه ، وهي حوالي ٣ سنوات ، في القيام بابحاث تمهيدية تهدف الى التعرف الشامل على الظروف المحلية ، وبهذا تسنى للمعهد اقامة البرامج المستقبلة لاعمال الابحاث في التشغيل والتي بدأت في عام ١٩٧١ .

مدير المعهد يتحدث عن اعداد جيل من الباحثين الكويتيين

ويقع مبنى معهد الكويت للابحاث العلمية في منطقة الشويخ ، بمدينة الكويت ، على شاطئ الخليج العربي ، وهي منطقة هادئة تقـــع بالقرب من الموقع الذى اختير للمباني الجديدة لجامعة الكويت . وفي داخل هذا المبنى ، المتميز بطرازه الفريد في هذه المنطقة ، التقينا بالدكتور محمد الشمالي مدير المعهد ودار معه حديث طويل عن المعهد وعن اهمية البحث العلمي ، وتميز هذا الحديث الطويل بالاسلوب الهادئ المدروس البعيد عن المغالاة .. وقال الدكتور الشمالي ان المعهد لايزال في اطواره الاولى وان عملية البحث العلمي

تجربة في معمل البترول لفحص قوة احتمال المكدام المستخرج من بقايا البترول في الكويت للصدمات . ويتم الآن اجراء تجارب لزيادة قوة صلابة هذا المكدام تمهيدا لاستعماله في رصف الطرق .







صور ثلاث التقطت في مركز الوثائق والمكتبة داخل معهد الابحاث ، **الصورة العليا الى اليمين** تمثل محاضرة يلقيها الخبير الفرنسي في التوثيق على العاملين في المعهد عن اهمية عملية التوثيق العلمي ، **والصورة الثانية الى اليمين** تمثل جانبا من المكتبة التي تضم أكثر من ٢٥٠٠ كتاب علمي . **والصورة العليا الى اليسار** تمثل عملية الحصـــول على المعلومات المطلوبة بسرعة بواسطة جهاز يدوي يتم فيه توثيق المواد وترتيبها ، لسهولة الحصول عليها عند طلبها .

في المعهد قد بدأت من اسفل السلم ، وان الغرض الاساسي من انشاء المعهد هو اعداد جيل جديد من الباحثين العلميين الكويتيين وكذلك دراسة البيئة الكويتية والمصادر الطبيعية في الكويت من بترول ونباتات وثروة سمكية ، والعمل على استغلال هذه المصادر بطريقة منظمة . وبعد ان يصبح في الكويت جيل من الباحثين العلميين سيبدأ تطوير المعهد وتطوير الابحاث التي يقوم بها .

ويقول الدكتور الشمالي ان من اهم الاعمال التي يهتم بها المعهد حاليا تدعيم مركز الوثائق ، لقد اصبح التوثيق العلمي ضرورة ملحة بالنسبة للابحاث العلمية ، لانه من خلال بحث دقيق للمعلومات الفنية يمكن الحصول على احدث التطورات في مجال المعرفة العلمية وبذلك يمكن تجنب اضاعة الوقت والمال في اجراء ابحاث سبق القيام بها . ولهذا تم انشاء مركز الوثائق وهو يقوم بجمع الوثائق العلمية المختلفة وتحليل مافيها من معلومات تحليلا عميقا ثم يتم تصنيفها بطريقة تسهل الرجوع اليها وقت الحاجة .

وبذلك يمكن لاى باحث سواء من داخل المعهد او خارجه الحصول على مزيد من المعلومات الخاصة بالتقدم العلمي والفني والنمو الصناعي في العالم . وذلك بالطبع في نطاق نشاطات المعهد التى تشمل الابحاث البترولية ، والابحاث الزراعية ، وابحاث الثروة السمكية والاحياء البحرية .

وانهى الدكتور الشمالي حديثه قائلا : « انني اترك لكم حرية القيام بجولة في اقسام المعهد ، ورؤية العاملين فيه اننا جميعا نعمل هنا كفريق وكل واحد منا يشعر انه هو المسئول عن العمل ».

مركز الوثائق والمكتبة يضمان ٢٥٠٠ كتاب و ٢٠٠ دورية

بدأت جولتنا في المكتبة ومركز الوثائق .. المكتبة تضم ٢٥٠٠ كتاب في نواح علمية مختلفة عن الزراعة والاحياء البحرية والبترول والطاقة والكيماويات البترولية والاقتصاد والتكنيك والانشاء والتعمير . وقالت المسئولة عن المكتبة ان هناك اكثر من ٥٠٠ كتاب جديد ستصل المكتبة خلال هذا العام .

وفي مركز الوثائق توجد ٢٠٠ دورية علمية منتظمة تصدر عن المعاهد والمؤسسات العلمية في العالم . وفي هذا المركز تتم عملية فهرسة البحوث حسب مجالات تخصصها ثم تخزن هذه المعلومات في جهاز اشبه بالعقل الالكتروني ولكنه مبسط . وينقسم مركز الوثائق الى ثلاثة فروع ، احدها متخصص في الابحاث البترولية والثاني في الابحاث الزراعية ، والثالث ، ابحاث الاحياء البحرية . وعندما تصل الابحاث من الخارج يتم تحليلها وتخزينها وتوثيقها وعندما يحتاج احد اقسام المعهد الى بحث معين فانه يطلب هذا البحث الذى يصله فورا .

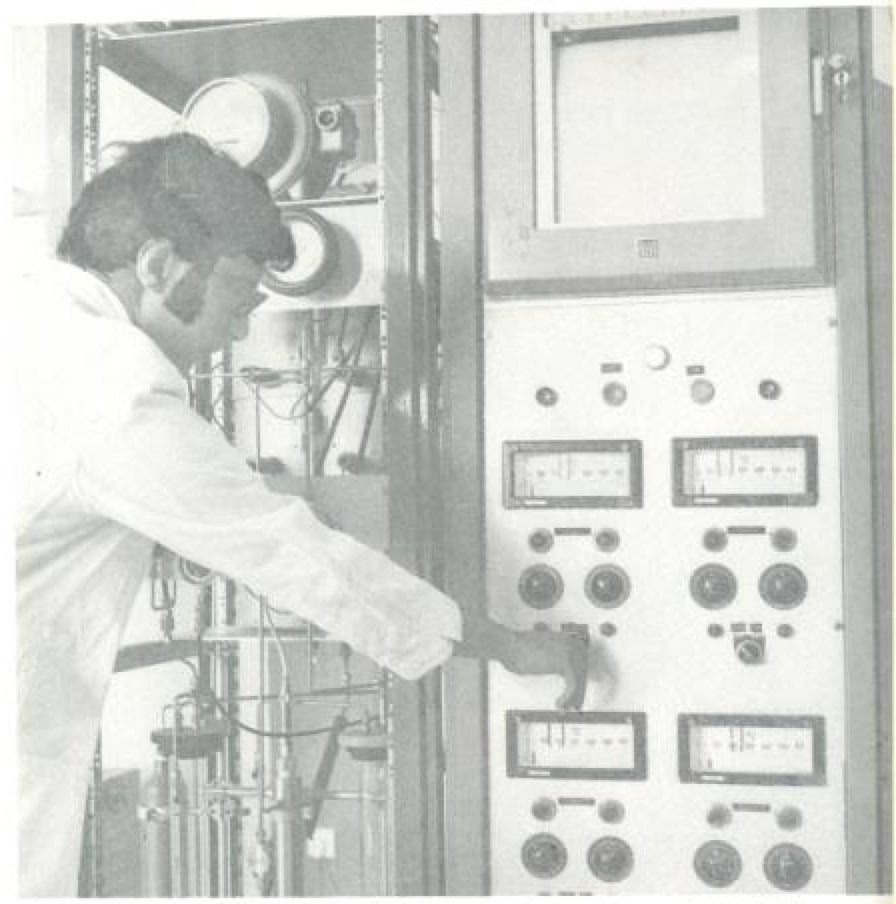
ويقول الخبير الفرنسي في مركز الوثائق ان النية تتجه الى الاستعانة بالمركز الالكتروني التابع لمجلس التخطيط في تخزين المعلومات العلمية التى بدأت تزداد في مركز الوثائق نتيجة لاشتراك المركز في نشرات البحوث العالمية . وانه ابتداء من العام القادم سيتلقى المركز كل الابحاث البترولية التي تجرى في معهد البترول الامريكي American Petrolum Institute وهو يعتبر من اكبر المعاهد العلمية الخاصة بابحاث البترول في العالم .

كما سيزداد عدد الدوريات العلمية التي يشترك فيها المعهد ليصل الى ٢٥٠ دورية .

باحثات كويتيات في قسم البترول

يقوم بالعمل في المختبر الخاص بقسم ابحاث البترول والطاقة وهو مزود باجهزة علمية حديثة اثنتان من الباحثات الكويتيات ، وهما من خريجات كلية العلوم بجامعة الكويت ويقوم الدكتور ناجي كناني ، وهو خبير عراقي ، بالاشراف على البحوث التي تقوم بها الباحثتان الكويتيتان سعاد الجارالله وخيرية عبد الله . وهناك ايضا باحث كويتي ثالث يعمل في مختبر ثان للبترول هو عبد الله الفاضل وهو خريج جامعة نورث وسترن الامريكية.

وقد تمت عدة بحوث في معامل قسم البترول



عبد الله الفاضل يقوم بتشغيل جهاز يقوم بنفس الاعمال التى تتم فى معامل تكرير البترول . وهو جهاز مخصص للتجارب على تكرير البترول الخام وملحق بوحدة البترول فى معهد الابحاث .

من بينها تجارب عن عملية فصل المركبات الكبريتية من البترول الخام ، وزيادة رقم الاوكتين فى وقود السيارات ، وكذلك تجارب عن عمليات التكرير فى وحدة تكرير صغيرة تتم فيها كل العمليات التى تجرى فى معامل تكرير النفط الكبرى . وقد اجرى قسم ابحاث البترول عدة تجارب على المكدام الناتج عن بقايا البترول فى الكويت وذلك تمهيدا لاستخدام هذا المكدام فى تعبيد الطرق فى الكويت .

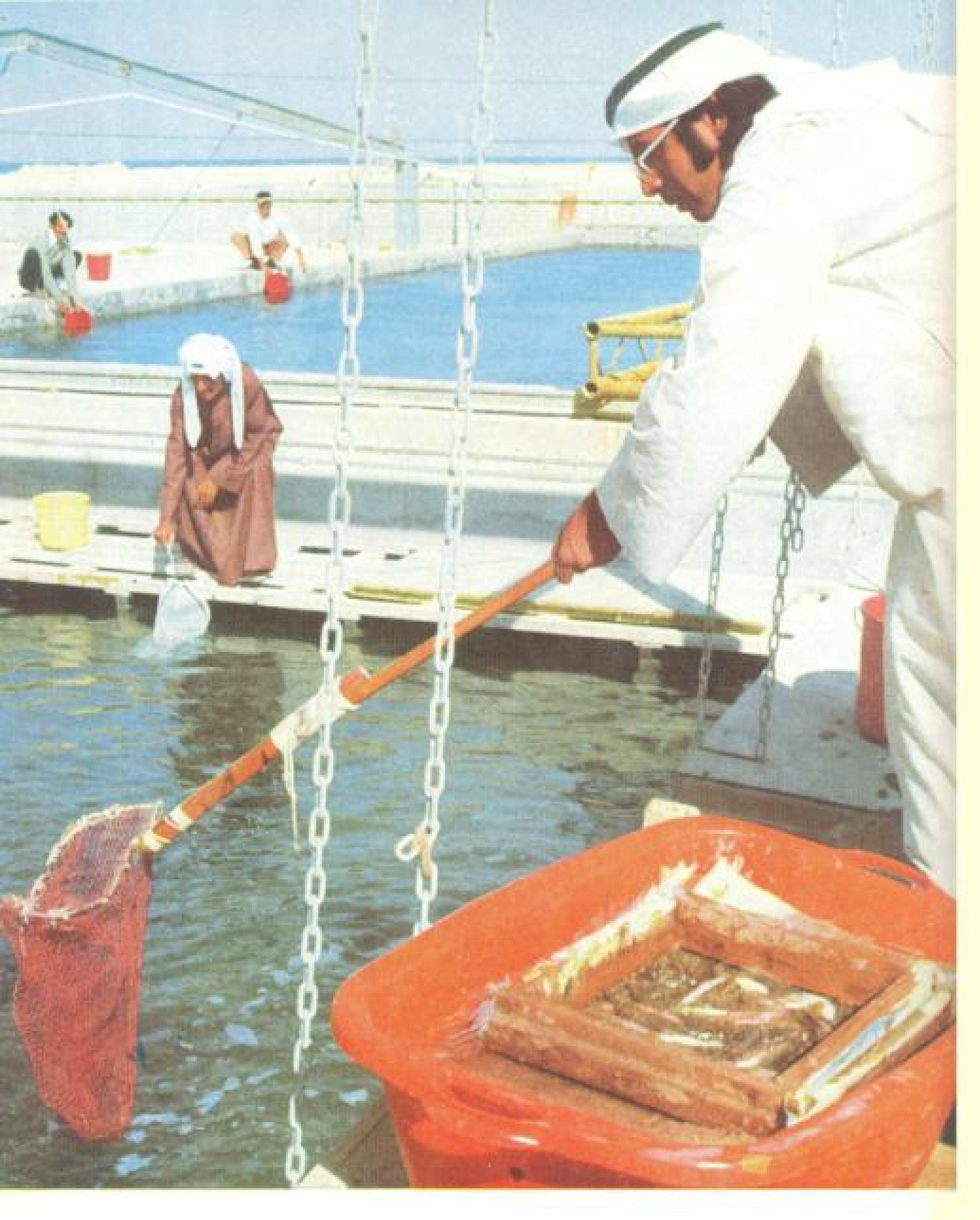
استخدام الملش فى الزراعة

ومن الابحاث التطبيقية التى اجريت بالتعاون بين قسم البترول وقسم الزراعة استعمال الملش البترولى فى الزراعة .. وقد اجريت عدة تجارب فى المزرعة النموذجية فى العامرية . وقد اثبتت التجارب ان الحقول التى غطيت بطبقة من من الملش قد اثمرت قبل تلك التى لم تغط



الى اليسار : اثنان من المختصين بالزراعة اثناء اشرافهما على تجربة الرى بالتنقيط والتى تجرى حاليا فى المنطقة المخصصة للابحاث الزراعية فى مزرعة الصليبية .

الى أعلى : الزراعيان اسعد مقصد ونزار تربح أمام بعض النباتات الصحراوية التى يمكن استعمالها فى اغراض الزينة ، وهناك العديد من هذه النباتات التى يتم اجراء ابحاث عنها لاستغلالها فى الزينة او كمصدات للرياح ، ذلك علاوة على النباتات الطبية الصحراوية التى يمكن استغلالها لاستخلاص الادوية .



الى أعلى : عملية اصطياد الروبيان من الاحواض الاسمنتية الكبيرة التي يتم فيها تربية الروبيان حتى يصبح طوله ٥ر١ سم ثم ينقل بعد ذلك الى بركة التأقلم في منطقة الخيران حيث يترك حتى يصل طوله ٥ر٢ سم وبعدها يطلق الى البحر لزيادة الروبيان في الخليج ٠ وقد تم اطلاق ٤٠ مليون روبيانة في عام ١٩٧٣ ٠

بالملش. والملش الذى يستعمل هو من بقايا البترول ويرش على الارض بسمك بسيط ويكفي من ٣ر الى ٥ر. من اللتر لكل متر مربع من الارض . وقد يزداد السمك او يقل حسب طبيعة الجو والارض ونوع النبات المزروع .

واهمية استعمال الملش فى الزراعة تاتى من ان هذه الطبقة التى ترش على الارض تؤدى الى احتفاظ التربة بدرجة حرارتها فى الشتاء ،وكذلك الاحتفاظ برطوبة الارض والتقليل من عملية بخر الماء فى درجات الحرارة المرتفعة . وبؤدى الى سرعة النبت وسرعة الانتاج والتقليل من استهلاك الماء .

ومن التجارب التى اجريت فى الكويت ثبت ان انتاج النباتات من الفصيلة القثائية (الخيار ـ الكوسة ـ وغيرها) قد ازداد بنسبة ٣٥٪ فى الاراضي المغطاة بالملش .

ولكى نعطى مثالا آخر على اهمية استعمال الملش فىالزراعة نذكر ان الولايات المتحدة الامريكية قد استطاعت ان تنتج القطن قبل مواعيده بواسطة تغطية الاراضي بالملش . وان نجاح هذه التجارب قد يؤدى فى النهاية الى التخلص من الخسارة التى تسببها دودة القطن وهى تنتشر فى وقت معين فى السنة وعندما يتفتح لوز القطن قبل موعده المعتاد فان الدودة لا تؤثر على المحصول .

استغلال النباتات الصحراوية فى الزينة وكمصدات للرياح

ويقوم قسم الزراعة الآن ببحوث حقلية على النباتات الصحراوية فى الكويت .. وقد ثبت أن صحراء الكويت غنية بالنباتات .. وهناك اكثر من ٣٠٠.. نوع من النباتات ، بعضها يمكن استغلاله فى صناعة الادوية والبعض الاخر يمكن استخدامه فى الزينة ، كما يمكن استخدام انواع اخرى كمصدات للرياح .. والميزة التى تتوفر من استخدام النباتات التى تنمو فى صحراء الكويت انها نباتات متاقلمة على البيئة ولا تحتاج الىكميات مياه كبيرة . ومن الاحصائيات ثبت ان العواصف الرملية التى كانت تتعرض لها الكويت فى الخمسينيات لم تكن تزيد على ٦ ايام فى السنة وقد ازداد عدد هذه الايام مع زيادة العمران وتعرية الارض من النباتات واصبح ١٢٤ يوماق عام ١٩٧٢ . وهنا تكمن اهمية استعمال النباتات والاشجار الصحراوية كمصدات للرياح داخل مدينةالكويت.

ولقسم الزراعة معمل كيماوى يتم فيه اجراء بحوث المختبرات وتعمل فى القسم باحثة كويتية هى السيدة سميرة احمد السيد عمر وعدد آخر من الخبراء والباحثين . وتقوم السيدة سميرة الان ببحث عن تكاثر بعض النباتات الصحراوية .

وهناك حقل تجارب تابع لمعهد الابحاث فى الزرعة النموذجية بالصليبية . وتجرى هناك تجارب على



مشكلة توفير المياه للنباتات هى من اهم المشاكل التى تعانى منها الكويت . ويشرف قسم الزراعة بمعهد الابحاث على اجراء تجارب تهدف الى تقنين كميات المياه اللازمة للنباتات بحيث لا يكون هناك اسراف فيها . ومن هذه التجارب عملية الرى بالتنقيط وبالمياه الصليبية . وقد نجحت زراعة بعض انواع الانجاس بواسطة هذه الطريقة ، ولا تزال التجارب تجرى حتى يتم تحديد افضل هذه الانواع .. كما نرى فى الصورتين العليا واليسرى .

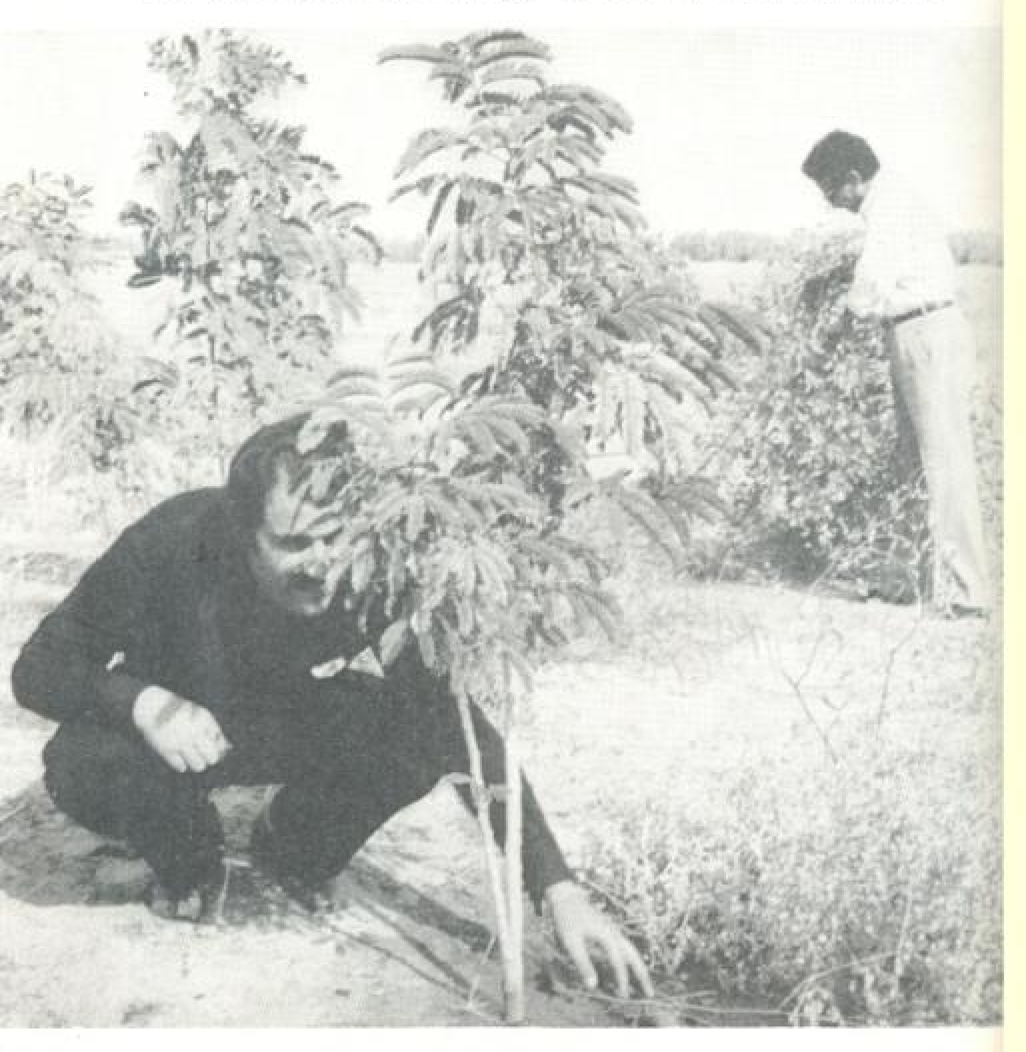
الري بالتنقيط وعلى ملوحة المياه الصليبية وتأثيرها على التربة .

ويتم الآن اجراء أبحاث لدراسة بعض المشاكل المحلية مثل الامراض التي تصيب الطماطم بسبب بعض انواع الفيروسات ، وكذلك اختيار المحاليل الغذائية الافضل بالنسبة للزراعة بدون تربة .

مشروع زراعة الروبيان (الجمبري)

في عام ١٩٧١ وبعد أن اتم قسم الاحياء والثروة المائية في معهد الابحاث دراساته البيولوجية عن الروبيان (الجمبري) في مياه الخليج العربي، تم انشاء محطة تجريبية لزراعة الروبيان وذلك بهدف تعديل المجتمع الحيوي في مياه الخليج عن طريق اضافة أعداد كبيرة من صغار الروبيان التي سبق تربيتها اصطناعيا في الاحواض المعدة لذلك .

وبطبيعة الحال فان استمرار عملية اطلاق صغار الروبيان الى البحر لعدة سنوات سوف يؤدي الى تحسين مصادر الثروة البحرية . وقد



الى اليمين : عملية زرع قطعة من البلاستك الملون فى احد الروبيان قبل اطلاقه الى مياه الخليج وذلك كجزء من تجربة تتبع خط سير الروبيان فى مياه الخليج العربى .

•••

الى اليسار : في المعمل الملحق بوحدة الروبيان والثروة السمكية التابعة لمعهد الابحاث تتم اجراء عدة تجارب حول الاغذية المناسبة للروبيان وهى مكونة اما من السمك المطحون او لوى الصويا .

•••

الى اليمين : نزار ملا حسين رئيس محطة زراعة الروبيان امام عينات محفوظة للروبيان الام وهو يشير الى الخط الرفيع فى ظهر الروبيانة وهو يمثل بيض الروبيان . وتنتج كل روبيانة ام من ١٠٠ الف الى ٢٠٠ الف بيضة .



(تصوير: أ ٠ م)

خصص مبنى خاص لمحطة زراعة الروبيان على شاطىء الخليج العربي في حي السالمية وزود هذا المبنى بمختبر علمي وغرفة تجميد وثلاثة احواض اسمنتية مختلفة السعة يتم فيها تربية والروبيان حتى يبلغ اليوم العشرين او الخامس والعشرين لما بعد اليرقة . ويتم انتاج ١٠ الاف من الروبيان في كل متر مكعب من الماء . وقد بلغ انتاج المحطة في عام ١٩٧٣ ٤٠ مليونا من الروبيان اطلقت في مياه الخليج وقد كان هذا الانتاج لايتعدى ٢٤٫٥٠٠٫٠٠٠ في عام ١٩٧٢ .

عملية زراعة الروبيان كيف تتم ؟

وفي حديث لنا مع نزار ملا حسين رئيس محطة زراعة الروبيان ، شرح الباحث الشاب عملية زراعة الروبيان قال : « ان العملية تبدأ غالبا في الفترة ما بين النصف الاخير من شهر مارس الى بداية ابريل ، وذلك يتوقف على الاحوال الجوية. وفي هذا الوقت يتم صيد امهات الروبيان، ثم تنقل الى المحطة حيث يتم فرزها حسب نضج البيض فيها ، ويظهر هذا البيض كخيط رفيع ذي لون اخضر قاتم على ظهر الروبيان . ويتم وضع الامهات داخل الشباك في مياه الاحواض ، وكل روبيانة ام واحدة تنتج من ١٠٠ الى ٢٠٠ الف بيضة . وعلى سبيل المثال فان الحوض الكبير الذي تبلغ مساحته ١٢٠٠ متر مكعب يتسع من ٥٠٠ الى ٨٠٠ روبيانة أم . وبعد أن تقوم الامهات بافراز بيضها ترفع من الاحواض وفي خلال ١٤ ساعة تبدأ أول مرحلة للفقس وهي مرحلة اليرقة Naupulus ولما كانت كثافة البيض اكبر من كثافة ماء البحر لذلك فان البيض يترسب في القاع ، ولمنع هذا الترسب توضع مضخات الهواء في قاع الاحواض لتقليب الماء وتؤدي هذه المضخات الى منع ترسب البيض في القاع والى تزويد الماء بنسبة عالية من الاكسجين تساعد على فقس البيض.

ان متوسط عمر الروبيان هو سنة واحدة تقريبا، والروبيانة الأم تستطيع أن تبيض مرة واحدة أو مرتين خلال عمرها القصير .

وتترك يرقات الروبيان حتى تستكمل اطوار نموها وتتحول الى روبيان كامل في خلال ٢٠ يوما، يتم تغذيتها فيها بمسحوق السمك المطحون وعصارة الصويا والطحالب البحرية .

وبعد مرور ٢٠ يوما يصبح طول الروبيان حوالى ١٫٥ سم ويتم نقله من أحواض التربية الاصطناعية الى بركة التأقلم التي اقيمت داخل مياه الخليج في خور المفتح على بعد ١٠٠ كم من مدينة الكويت وتبلغ مساحة هذه البركة ١٠ الاف متر مربع .

ويترك الروبيان الصغير داخل بركة التأقلم لمدة اسبوعين أو ثلاثة وحتى يصل طوله الى ٢٫٥ سم وبعدها يتم فتح السدود ويطلق الروبيان الى الخليج .

عملية تتبع الروبيان بعد اطلاقه في الخليج

ولا تنتهي العملية عند اطلاق الروبيان الى مياه الخليج . ولكن تبدأ عملية اخرى ذات اهمية قصوى وهي عملية تتبع مسار هذا الروبيان . وتتم هذه العملية بزرع قطعة من البلاستيك الملون داخل عدد من الروبيان قبل اطلاقه . وبمرور الوقت وعندما يتم صيد هذا الروبيان الذي يحمل هذه العلامات يستطيع الباحثون معرفة خط سير الروبيان الذي اطلق من بركة التأقلم . وفي الحقيقة ان عملية التتبع لم تأت بالنتائج المرجوة منها لعدم تعاون مراكب الصيد العاملة في الخليج مع المعهد . وقد تحتاج هذه الدراسات الى وقت طويل وامكانيات اكبر حتى تتم دراسة خط سير الروبيان في مياه الخليج .

هذه صورة سريعة لما يجري الآن تحقيقه داخل معهد الكويت للابحاث العلمية .. ذلك المعهد الذي يتم فيه العمل في صمت وهدوء بعيدا عن أية دعاية .. ان العاملين جميعا لا يهمهم سوى ان يحققوا نتائج عملية تفيد بلادهم وتعمل على ان تدخل الكويت ميدان البحث العلمي .

محمد طنطاوي

في منزل الدكتور جونسون واضع أول معجم باللغة الانجليزية



الدكتور جونسون يقرأ مخطوطة « قسيس ويكفيلد » لكولد سمث

كانت ربة بيت الأديب الانكليزي كولد سمث قد طالبت بحبسه لعدم ايفائه بايجاراته المتراكمة البالغة ٣٦ جنيها مما حمله على الاستغاثة بصديقه جونسون الذي خرج الى قراءة مخطوطة له وبيعها بستين جنيها ، وترى ربة البيت في الصورة وهي تنتظر نتيجة حكم جونسون على المخطوطة ، وكانت قد احتجزت ملابس كولد سمث لتمنعه من الهرب !

الزِّيارَة الَّتي تَأَخَّرت ١٨٨ عَامًا

أرواح الفراهيدي والجوهري وابن جِنّي وابن منظور تحوم في أبهاء المنزل

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ وهكذا بعد مضي ١٨٨ عاما من رحيل صاحب المنزل ، قيض لي أن أطأ عتبة بيته ، واقوم بزيارته ، وانها لعمري زيارة متأخرة ، ولكنها مع ذلك ، بدت لي رائعة ، فقد أخذت سَمْتي من جامعة لندن الى حي الصحافة (Fleet Street) ماشيا ، لانني لا اشعر بلذة زيارة بيوت الادباء الا كذلك ، عملا بقول شيخ شعرائنا المتنبي :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

واخترقت زقاقا ضيقا من بقايا القرن الثامن عشر ، لاجد نفسي في ساحة مستطيلة ، يمثل قبالتي في الركن الايمن منها بيت ذو ثلاثة طوابق يحمل الرقم : « ١٧ ساحة كوف » Gough Square كان يسكنه يوما ما شخص" تقمصت فيه أرواح سبعة اشخاص : صحاف ، وشاعر ، ومخبر برلماني ، وأديب ، وشيخ نواد ، ورحالة ، ولغوي من الطراز الاول ، أسمه الدكتور صاموئيل جونسون .

والغريب في الانكليز ان القاب الاشخاص تبقى ملازمة لهم ، حتى بعد موتهم ومغادرتهم هذه الحياة الفانية ، فالروائي الشاعر ولتر سكوت لايزال بالنسبة لهم السر ولتر سكوت ونيلسون Nelsou لا يعرف الا باسم اللورد نيلسون ، لذلك عندما سألت بعض المارة عن مسكن « جونسون » اجابني بشيء من الاستنكار الخفي : « تقصد الدكتور جونسون ! ... » واوما الى بمكانه ! ... لقد اشعروني كما لو كان الرجل حيا ، ويجب الا ينتزع منه لقبه ، أما نحن فننتزع الالقاب من الاحياء ، فضلا عن الاموات ، فقد روى المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني انه استقل ذات مرة احدى العربات التي تجرها الخيول ، وكانت يومها شائعة في بغداد ، وسأل الحوذي عما اذا كان يعرف منزل ياسين باشا الهاشمي ، احد رؤساء الوزراء العراقيين ، فالتفت اليه الحوذي مصححا وهو يضرب خيله بالسوط : « تقصد ياسين الهاشمي . نعم ، اعرف منزله ! »

ودلل يومها المرحوم المازني بهذا الحادث على ديمقراطية العراقيين،ولعل هذه النزعةالديمقراطية العراقية نفسها هي التي حدت بي على غير شعور مني ، الى انتزاع اللقب العلمي من الدكتور جونسون ... مع ذلك ، فقد بقيت اكرر الاسم مقرونا باللقب ، طوال زيارتي للمنزل ، خشية اثارة حفيظة القوم .

جونسون .. والفراهيدي

ورغم ان الدكتور جونسون واضع اول معجم بالانكليزية ، فهو بهذا كبير الشبه بالخليل الفراهيدي واضع اول معجم بالعربية ، وهو كتاب العين ، اقول رغم هذا فان شبهه بابن جني اشد وأقوى ، فقد كان ممتعا باحدى عينيه كابن جني، وكان محققا لديوان اكبر شاعر في الانكليزية، هو شكسبير ، كما كان ابن جني محققا لديوان اكبر شاعر في العربية هو المتنبي ، وكلاهما متحدث بارع ، وشاعر ولغوي ، عُنِيَ باصول المفردات ، واكثر من الشواهد الى حد بعيد ، فان شواهد ابن جني في « الفسر » او شرحه لديوان المتنبي بلغت عشرة آلاف شاهد . اما شواهد جونسون في معجمه ذي المجلدين الضخمين فعددها هائل ايضا ، ويكفي ان تلقي نظرة على المعجم ، لتتأكد الى اي حد كانت مطالعات جونسون في الكتب المختلفة التي استقى منها الشواهد وكم كانت ذاكرته عجيبة في الحفظ واختزان العبارات .

ومن غريب مالاحظته في « معجم جونسون » ان صفحاته غير مرقمة ، ولعل تسلسل الالفاظ هو الذي كان يعين على تجليد نسخه ، وقد استطعت ان اطلع على النسخة التاريخية الخاصة بـ « ابدموندبيرك Edmond Burke » احد اصدقاء جونسون ، والمحفوظة في المتحف البريطاني الذي يعتز بثلاث نسخ من الطبعة الاولى للمعجم الفريد الذي هو للانكليز بمثابة كتاب العين للعرب، غير ان الذي استرعى انتباهي ان بعض الالفاظ قد أعطى تعاريف غريبة ساخرة ، من نحو تعريفه للفظة Pension « الراتب التقاعدي » بانه « مرتب يدفع لأجير الدولة ، لقاء خيانته لبلاده » وهو تعريف أقل ما يقال فيه انه غير مالوف ، فهل ياترى كان الموظفون في زمانه خونة في نظره يؤيدون السلطة الجائرة من غير اعتراض ، لئلا يحرموا من مرتبهم التقاعدي ؟ هذا مالم اكتشفه بعد !

عصر السخرية والتهكم

على ان امثال هذه التعاريف الساخرة جاءت نتيجة تأثر جونسون بروح عصره ، عصر فولتير ، عصر السخرية والتهكم ، وقد كان لاذعا حتى في احاديثه الاعتيادية ، ويتضح ذلك في«ترجمة حياته» التي وضعها له صديقه الحميم بوزويل Boswell الذي يعتبر ما كتبه عن جونسون ونشره سنة ١٧٩١ أعظم كتاب في السيرة ، في اللغة الانكليزية اطلاقا ، وهو رأي متفق عليه ، باجماع الآراء ، ولعل شهرة جونسون قد جاءت من هذا الكتاب اكثر من معجمه الضخم او اشعاره ، او حتى مسرحيته الشرقية آيرين Irene التي وضعها عن عشيقة السلطان محمد الثاني،فاتح القسطنطينية، وهذا المنحى ايضا من تأثير القرن الثامن عشر الذي



اجتماع ادبي في دار رينولدز

اجتماع « المنتدى » الذي اسسه جونسون سنة ١٧٦٤ ويرى في الصورة **(من اليسار الى اليمين)** وكاريك ، وبولي ، وبرني ، ووارتون وكولدسمث وقد انتسب الى المنتدى عدد كبير من ادباء ومثقفي العصر لم يكونوا حاضرين عندما رسمت الصورة ، وفي اقصى اليمين خادم جونسون العبد الذي حرره وترك له ميراثا .

بوزويل **(مؤلف سيرة جونسون)** فجونسون نفسه ، فالرسام رينولدز **(مضيف المنتدى)** وايدموندبيرك،

عنى بالقصص الشرقي عناية كبرى ، نتيجة ترجمة « الف ليلة وليلة » الى الفرنسية سنة ١٧٠٤ وبالتالي الى سائر اللغات الاوربية .

ومن الطريف ان نذكر انه يوم ازمع جونسون على وضع معجمه في ظرف ثلاث سنوات استغرب استاذه « آدامز » وسأله : « كيف يمكنك ان تفعل ذلك ، والاكاديمية الفرنسية التي تضم اربعين عضوا استغرقت اربعين سنة في وضع معجم اللغة الفرنسية ؟ » .

فرد عليه جونسون قائلا : « انه لكذلك ، فالمسالة نسبية . دعني اجري عملية حسابية بسيطة : فلو ضربنا الرقم ٤٠ في ٤٠ لكان الناتج ١٦٠٠ وكنسبة العدد ٣ الى ١٦٠٠ هي نسبة الرجل الانكليزي الى الفرنسي » !

وهو قول لايخلو من غرور، لان جونسون المتبجح لم يستطع انجاز المعجم باقل من ثماني سنوات ونصف السنة ، وهي مع ذلك ، فترة قصيرة في تاريخ المعجمات في العالم ،وتدل على طاقة هائلة كانت كامنة في هذا الرجل العجيب . والاعجب من ذلك انه اشتهى ان يرى سور الصين العظيم فلم تتح له الفرصة فبعث اليه الصينيون بحجرة فخمة من هذا السور ليمتع بصره بها وهي لاتزال محفوظة في صندوق زجاجي ، في منزله التاريخي .

ومن غريب ما يروى عنه كذلك انه كان له معطف جيبين عظيمين يتسع كل منهما لاحد مجلدي معجمه الضخم بكل سهولة ، ولعله كان يحملهما معه في اسفاره احيانا بهذه الصورة لتزجية ساعات الفراغ والملل . ■■

صفاء خلوصي
لندن



تعريب التعليم في الدول العربية حاضره ومستقبله

بقلم : الدكتور جميل صليبا

■ كانت البلاد العربية قبل الحرب العالمية الثانية خاضعة لنفوذ الثقافات الغربية فالتي سيطرت عليها الثقافة الفرنسية كانت تدرس العلوم باللغة الفرنسية بخلاف البلدان التي سيطرت عليها الانجليزية او الايطالية فانها كانت تدرس العلوم باحدى هاتين اللغتين ، فلما نالت هذه البلاد استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية عملت على التحرر من السيطرة الخارجية وكان تعريب التعليم احد التدابير التي اخذت بها للتحرر من هذه السيطرة .

ولكن هذا التعريب لم يصل حتى الان الى غايته ، وذلك لعدة اسباب اولها فقدان المعلمين القادرين على التدريس باللغة العربية ، وثانيها فقدان الكتب العربية الصالحة للتدريس ، وثالثها كثرة التخبط في وضع المصطلحات العلمية، ورابعها اضطراب مناهج التعليم ، وخامسها وهو اهمها ما تركه الاستعمار في نفوس المسؤولين عن مناهج التعليم من رواسب سلبية تحول بينهم وبين المضي قدما في سياسة التعريب حتى نهايتها.

تعريب التعليم في سورية

وربما كانت سورية اكثر الدول العربية الحديثة تحمسا لمبدا التعريب ، فقد طبقته منذ نهاية الحرب العالمية الاولى في جميع مراحل التعليم وانواعه دفعة واحدة وظلت متمسكة به خلال الانتداب الفرنسي ، وما ان حصلت على استقلالها التام بعد الحرب العالمية الثانية حتى عملت على التحرر من سيطرة الثقافة الفرنسية فعربت جميع مواد المنهج ، وانشات في الجامعة السورية فروعا جديدة تدرس الهندسة والرياضيات العالية والفيزياء والكيمياء والعلوم البيولوجية والزراعية باللغة العربية ، هذا بالاضافة الى فروع الحقوق والطب والصيدلة التي كانت تدرس جميع موادها باللغة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، وفي سورية الان كتب عربية في مختلف فروع التعليم ومراحله الفها الاساتذة السوريون ، او نقلوها عن اللغات الاجنبية ، كما ان لديها معاجم طبية وعلمية وزراعية وادبية وعسكرية وفنية مفصلة او مختصرة تثبت المصطلح العربي الى جانب المصطلح الفرنسي او الانكليزي . فالتعريب في سورية اذن تام ، لان اللغة العربية لغة التعليم ، ولان الطلاب يراجعون دروسهم في كتب عربية الفها اساتذتهم ويقدمون امتحاناتهم الخطية والشفهية باللغة العربية . لاشك ان هذا التعريب لم يحقق جميع الامال المعلقة عليه لان معظم اساتذة العلوم لايزالون يلقون دروسهم ويديرون مناقشات طلابهم بلغة قريبة من اللغة العامية ، ولان قانون الجامعات الذي جعل العربية لغة التعليم يسمح بالقاء بعض

الدروس باللغة الاجنبية في حالات خاصة ، حتى ان بعض الكليات العلمية التي انشئت في جامعتي دمشق وحلب اضطرت في وقت من الاوقات الى النظر في تدريس بعض المواد باحدى اللغات الاجنبية . وكان الغرض من هذه الفكرة الجديدة المخالفة لمبدأ التعريب الكامل رفع التعليم من جهة ، وخلق طبقة من الاختصاصيين تتقن احدى اللغات الاجنبية من جهة أخرى. وتدل المناقشات التي دارت حول هذه القضية في مؤتمر تطوير التعليم الجامعي الذى انعقد في دمشق عام ١٩٧١ على ان سورية اميل الى الاقلاع عن هذه التجربة منها الى التمسك بها . وذلك لعدة اسباب اهمها ضعف الطلاب في اللغات الاجنبية ، وثانيها شعور الاساتذة بأن طلابهم لايفهمون ما يقولونه الا اذا ترجم لهم . ومن التبذير تكليف احد الخبراء طبع محاضراته باللغة الاجنبية ثم ترجمتها الى العربية لمساعدة الطلاب على فهمها .

تعريب التعليم في سائر الوطن العربي

وما يقال على سورية يقال ايضا على مصر والعراق والاردن والسودان وليبيا والكويت والمملكة العربية السعودية ، فان التعليم في هذه الدول تعليم عربي ، وان كانت بعض معاهده العالية تسمح بالقاء الدروس باللغة الاجنبية ولا سيما كليات الطب التي يزعم اساتذتها حتى الآن ان التدريس باللغة العربية امر عسير المنال .

اما دول افريقية الشمالية فان الامر فيها مختلف ، ومشكلة التدريس باللغة العربية في معاهدها لاتزال حتى الآن مشكلة عويصة ، لان المستعمرين حولوا التعليم عن اللغة العربية الى لغتهم ، وبالرغم من ان تونس والمغرب والجزائر تقوم بخطوات جريئة من اجل نشر اللغة العربية فانها لاتزال حتى الآن في بداية الطريق .

واما لبنان فان كثرة انتشار المدارس الاجنبية فيه لم تحل بينه وبين الدعوة الى الاخذ بمبدأ التعريب وان كان تطبيق هذا المبدأ يصادف في طريقه بعض المقاومات لاسباب سياسية واجتماعية مختلفة .

وقصارى القول ان جميع البلدان العربية تتحمس لمبدأ التعريب وتدعو الى تطبيقه ، ولولا هذه الحماسة الفكرية لما عنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بوضع الكثير من المصطلحات ، ولا نشر مكتب التعريب في الرباط عدة معاجم ولا وضعت بعض الدول العربية مخططات للتعريب التدريجي، ومع ذلك فان هذه الحماسة لم تبلغ بعد غايتها لاننا لا نزال نجد في الوطن العربي طوائف من المتشككين يعترضون على التعريب التام وينادون بوجوب تعليم العلوم في المعاهد العالية باحدى اللغات الاجنبية لاعتقادهم ان هذه العلوم اذا درست باللغة العربية هبط مستواها .

التعريب قادم ، قادم ، وشامل

واذا اردنا الان ان نتنبأ بما سيؤول اليه امر التعريب في المستقبل قلنا انه لن يمضي عليه الا القليل حتى يعم العالم العربي كله ، فان سياسة التعريب مبنية على أسس موضوعية ، وأهم هذه الأسس في نظرنا الأسس التربوية والأسس القومية. والتربية المقارنة تدل على ان لغة التعليم في كل بلد هي لغته القومية فليسأل اذن كل متشكك نفسه ما هي لغته القومية ، وليجعل هذه اللغة لغة التعليم في جميع المدارس العامة والخاصة . فما من شعب متحضر ذي ثقافة وطنية وتراث قومي يرضى لنفسه تدريس العلوم في مدارسه بلغة غير

لغته ، وهذا شأن جميع الامم في الماضي والحاضر ، الا الامم التي ليس لها لغة ثقافية او التي تضحي بثقافة غيرها ، او التي تتركب من جماعات عرقية مختلفة ولها لغتان او اكثر لا لغة واحدة .

ان اللغة العربية كما قدمنا حضارية استوعبت في الماضي جميع العلوم والف علماؤهم كتبا ترجمها الاوربيون في العصر الوسيط الى اللاتينيةودرسوها في ارقي معاهدهم . ويكفي ان يؤمن العرب المحدثون بصلاحية لغتهم وان يبداوا العمل بها بحماسة حتى تزول جميع الصعوبات ، لانه لابد لكل من سار على الدرب من الوصول الى غايته ، وان احتاج الى زمان . فاذا شئنا ان نصل الى غايتنا بسرعة واطمئنان وجب علينا ان نؤمن بانفسنا ، وبصلاحية لغتنا،وان نعد الوسائل المؤدية الى التعريب التام. من هذه الوسائل تاليف الكتب العلمية باللغة العربية، ووضع المصطلحات المطابقة للمعاني الحديثة ، والقاء الدروس باللغة العربية الصحيحة ، واعداد المعلمين الصالحين لتنفيذ سياسة التعريب .

ولا بد لنا ان ندرك ان تعريب التعليم لا يبلغ غايته الا اذا اشتملت مناهجه على دراسة تاريخ العرب ، وحضارتهم ، وجغرافيتهم وأحوالهم السكانية ، والاجتماعية والاقتصادية وفنونهم الشعبية وآدابهم وموسيقاهم .

المعلم الذى نريد لتعريب التعليم

ومن اعظم الاشياء خطورة أن يكون المعلمون المكلفون تنفيذ هذه المناهج عربا بلسانهم ، وهممهم وشمائلهم ، واخلاقهم ، ان العرب المعاصرين احوج الى تعريب افكارهم وعقولهم ، واذهانهم وتصوراتهم منهم الى تعريب الفاظهم ، والسنتهم. ان المعلمين الذين يزدرون الثقافة العربية ويعظمون الثقافات الاجنبية اعظم خطرا على تعريب التعليم من المستعمرين الذين يريدون ان يفرضوا على العرب لغاتهم ، ان شعورهم بمركب النقص يحول بينهم وبين التقدم .

المصطلح العلمى وخطورته في تعريب التعليم

لا شك ان اعظم مشكلة تعترض سبيل التعريب ضعف المعلمين في اللغة العربية ، لا ضعفهم في المادة العلمية ، ولكن هذه المشكلة لا تستعصي على الحل. فقد علمتنا التجربة أن المعلمين الذين تلقوا علومهم باحدى اللغات الاجنبية لا يجدون صعوبة في تعليم هذه العلوم بلغتهم ، هذا اذا اقبلوا على ذلك بحماسة وايمان . وفقدان المصطلح العلمي الثابت لا يؤلف مشكلة خطيرة بالنسبة الى هؤلاء المعلمين . لأن الاصل في العلم هو الفكرة لا اللفظ المعبر عنها . فاذا لم يكن هناك مصطلح علمي عربي ففي تعريف اللفظ الأصلي غنى لنا عن ترجمته . لقد كان العرب القدماء يقولون جيومطريا ، واسطرونوميا ، وارثماطيقي . وديابيطس فاذا قلنا على غرارهم بارومتر ، وترمومتر ، وراديو ، والكترون لم تخالف عبقرية اللغة العربية في شيء .

نعم ان المثل الاعلى لتعريب التعليم يوجب أن يكون هنالك مصطلح عربي واحد لابناء الشعب العربي في مختلف اقطاره . ولكن تعليق تنفيذ التعريب على وجود هذا المصطلح الموحد قيد زائد على الحاجة لانه يكفي في تعريب التعليم ان يكون المعلم قادرا على التعبير عن افكاره بجمل واضحة، فباي اصطلاح امكنه أن يعبر عن فكرته فذلك هو المطلوب . ومشكلة المصطلح العربي لم تنشأ الا عن كون كل مؤلف يضع لنفسه مصطلحات خاصة به وهذه مشكلة عامة لا يمكن التغلب عليها بسرعة ما دامت الاقطار العربية مجزأة ، وما دام كل عالم من علمائها يعمل في دائرة ضيقة . وخير وسيلة للتغلب على هذه الصعوبات تحقيق الاتصال بين العلماء بواسطة المجامع العلمية ومكاتب التعريب والاتحادات العلمية والجامعية وغيرها لا تحقيقه بطريق المؤتمرات والحلقات لا غير ، لان الاتصال يجب ان يكون دائما وهذه اللقاءات منقطعة .

وقد دل التطور خلال السنوات الاخيرة على ان مصطلحات العلماء تتجه الى التقارب والتشابه والوحدة وسبب ذلك ان مجمع اللغةالعربيةومكتب التعريب وغيرهما من المجالس والهيئات وضعت في ايدي العلماء نماذج من المصطلحات العلمية والحضارية ، فصار العلماء يقتبسونها او يأخذونها بعضهم عن بعض فما بالك اذا كان معظم المؤلفين العلميين يلحقون بمؤلفاتهم فهارس بالالفاظ التي وضعوها .

ويبقى لنا ان ننبه منذ الآن الى حقيقة تربوية

مسلم بها ، وهي أن تعريب التعليم لا يوجب أن تكون مناهجه موحدة في جميع البلدان العربية ، لان لكل بلد عربي حاجاته ومنازعه الخاصة ، نعم ان هنالك قدرا مشتركا يجب على كل بلد عربي تحقيقه في مناهجه ، الا انه لا بد من اشتمال منهج كل بلد على أمور خاصة تضاف على القدر المشترك وتزيد وتنقص حسب طبيعة ذلك البلد وحاجاته المحلية . ومعنى ذلك أن الفرق بين دولة ودولة او بين منطقة ومنطقة في الدولة الواحدة أمر يستحق الاهتمام ، ومع ان تطور مناهج التعليم يدل على أن هذه الفروق اخذة بالتقلص فان اعطاءها الوزن الكافي في المرحلة الحاضرة أمر واجب .

تلخيص بعض الحقائق لابرازها وتوكيدها

١ ـ من هذه الحقائق قولنا ان اللغة العربية صالحة للتدريس الابتدائي والثانوي والجامعي والفني ، ولا يحد من استعمال اللغة العربية في التدريس سوى تقاعس ابناء العربية عن النهوض بها ، فالرياضيات والعلوم الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والعلوم التطبيقية والعلوم المهنية المتوسطة والعالية كل ذلك يجب أن يدرس باللغة العربية . واذا كانت بعض المواد العلمية لم تستكمل بعد وسائل تدريسها بالعربية فمرد ذلك الى صعوبات جزئية آخذة بالزوال .

٢ ـ ومنها قولنا ان تعريب التعليم يوجب تبسيط اللغة العربية المستعملة في التدريس حتى تصبح لغة « سهلة » قريبة من اذهان التلاميذ ، وسبيل ذلك تطوير اللغة العربية وتضييق الشقة بينها وبين العامية .

٣ ـ ومنها قولنا ان تعريب التعليم لا يقتصر على اللغة فحسب بل يمتد الى المناهج والكتب والمعلمين وجميع مظاهر الحياة الحديثة .

٤ ـ ومنها قولنا ان اتقان لغة أجنبية واحدة على الأقل ضروري لاغناء الثقافة العربية الحديثة من جهة ، ولمساعدة المثقفين العرب على استكمال ما يحتاجون اليه من عناصر المعرفة من جهة أخرى. ان تحقيق التفاعل بين الفكر العربي والفكر الاوربي لا يتم الا باتقان لغة أوروبية واحدة على الأقل ، ولكن حذار من اتباع نظام متوسط يسمح بتدريس بعض المواد العلمية بالعربية وبعضها الآخر باحدى اللغات الاجنبية لأن من شان هذا النظام الحائر أن يؤدي الى تقهقر اللغة العربية .

٥ ـ ومنها قولنا ان تأخر اللغة العربية عن مسايرة اللغات العالمية الحديثة يرجع الى تخلف اهلها لا الى نقص في تركيبها . ان انتشار لغة من اللغات رهن بمدى اسهام اهلها في الواقع الحضاري، كما ان نموها كامن في القضاء على تخلف العرب في الحقل العلمي . لا تصبح اللغة العربية لغة عالمية في هذا العصر الا اذا حقق العرب المحدثون وحدة لغتهم وتماسكهم وجددوا نشاطهم العلمي الخلاق لا باقتباس العلوم عن الدول الغربية فحسب ، بل بالاسهام في تنمية العلم بطريق البحث المبتكر ، لانه اذا لم يكن لدينا فكر جديد نقدمه الى العالم لم يقبل الدارسون والمثقفون الاجانب على تعلم لغتنا ، ان انتشار اللغة العربية متوقف على مقدار الحقائق العلمية التي يضيفها العرب الى التراث العالمي ، فلو كشف العرب المحدثون عن حقيقة علمية جديدة لسميت هذه الحقيقة باسم العالم الذي اكتشفها أو بالاسم الذي سماها به ، ولاضيف هذا الاسم العربي الجديد الى المصطلحات العلمية العالمية ، فالعيب اذن في الباحثين لا في اللغة العربية ، وتشجيع البحث العلمي والتاليف المبتكر خير وسيلة للقضاء على هذا التخلف .

٦ ـ ومنها قولنا ان فقدان التناسق بين العرب مثار ضعفهم لا في سياستهم واقتصادهم فحسب، بل في لغتهم وعلومهم . وأهم المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية وانتشارها فقدان الترابط بين البلاد العربية المختلفة ، ولا بد من تحقيق هذا الترابط من الاتفاق على مصطلحات علمية واحدة . ان ترجمة المصطلح العلمي الواحد بالفاظ عربية مختلفة يحول بيننا وبين تفهم ما يقوله زملاؤنا ، فما بالك اذا كان قارئنا أجنبيا .

بعض الاقتراحات المتعلقة بسياسة التعريب

١ ـ اذا كان تدريس العلوم باللغة العربية

مطابقا للمبادىء التربوية والقومية كان لا بد من اقراره دفعة واحدة لا على سبيل التدريج ، ان العادات السيئة لا تكافح بالتدابير التدريجية ، بل تكافح بفعل ارادي موحد يقول للشيء زل فيزول. والدليل على امكان هذا الاصلاح الدفعي او الثوري ان سورية لما انفصلت عن الدولة العثمانية لم تتبع طريقة التدريج في تعريب التعليم ، بل طبقته دفعة واحدة على قلة الوسائل التي كانت متوافرة لديها . لا شك ان الخطوات الاولى في هذا التعريب الدفعي تجيء مشتملة على الكثير من التخبط ، ولكن التخبط مع الحركة افضل من القعود دون قيام ، دع ان الزمان كفيل بقلب التخبط الى استقرار واتزان . ونحن نعتقد ان طريقة التدريج في التعريب لا توصل الى نهاية ، لان اعداء التعريب يجدون في تدريجه الحائر وسيلة للطعن فيه كالقائد الذي يخشى التقدم الى الأمام خوفا من ملاقاة عدو يزعم ان وسائله اقوى من وسائله ، فلا يلبث هذا العدو ان يوقفه وينتصر عليه .

٢ ـ لا بد في تحقيق التعريب الكامل في مختلف الأقطار العربية من تأليف كتب كاملة في مختلف المواد العلمية يتخذها كل مؤلف محلي مرجعا يقتبس منه ما يريد . ونعني بهذه الكتب الكاملة كتبا مفصلة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الأحياء الخ .. يشتمل كل واحد منها على جميع المسائل الخاصة بأحد هذه العلوم ، فاذا اراد عالم محلي ان يؤلف كتابا في الفيزياء مثلا مطابقا لمنهج بلده رجع الى كتاب الفيزياء الكبير واقتبس منه ما يشاء ، هكذا تتحد لغة الكتب العلمية ومصطلحاتها في مختلف البلدان العربية اتحادا فعليا بطريق الكتب الموضوعة في أيدي المعلمين والتلاميذ وهكذا تتحقق الوحدة الثقافية والتناسق الثقافي بين الاقطار العربية المختلفة .

والسبيل الى تأليف هذه الكتب انشاء هيئة علمية موحدة تمثل العالم العربي كله ، سم هذه الهيئة ما شئت بيتا عربيا للحكمة ، او مجمعا علميا عربيا ، او يونسكو عربية ، او مكتبا للترجمة والتأليف ، فهي هي في الجوهر وان اختلفت في الشكل والمظهر . مهمتها اختيار العلماء الذين يقومون بالترجمة والتأليف ومراجعة مؤلفاتهم وطبعها . الأساسي في ذلك كله ان تصبح هذه الكتب مرجعا للمؤلفين المحليين لا من حيث مادتها العلمية فحسب ، بل من حيث مصطلحاتها ، ولما كان العلم في تطور دائم كان من الواجب على هذه الهيئة ان تنشر مجلة علمية جامعة تتضمن ما جدّ من الحقائق العلمية وما ينبغي اضافته من المصطلحات الجديدة على المصطلحات القديمة المدوّنة في الكتب. ان الاتفاق على مصطلحات واحدة افضل من التعدد، وان كانت هذه المصطلحات غير مستوفية جميع شروط الكمال .

ومن الواجب على الدول العربية جميعا ان تشترك في تمويل هذه الهيئة ، فان مهمتها قومية، وهي في نظرنا اعظم اثرا في تحقيق الكرامة القومية من اتخاذ العربية لغة عمل في اليونسكو .

٣ ـ ولا بد في استيفاء شروط التعريب من انشاء مجلس عربي موحد لاعداد المعلمين يحدد اهدافهم المشتركة ويشرف على اوضاعهم . وليس المقصود بهذا التعريب اعداد المعلمين في كليات تربوية واحدة ، وانما المقصود به ان تكون مناهج اعدادهم متقاربة ، وان يكون لهم نقابات واتحادات وانظمة متشابهة ومجلات مهنية عامة وخاصة تعالج مشكلاتهم وتعبر عن منازعهم حتى يتم بذلك كله اعداد معلم عربي مؤمن بأمته ، معتز بقوميته عامل على النهوض بلغته حتى تصبح اداةً صالحة للتعليم الحديث .

٤ ـ ولا بد في تعريب المناهج من ان تستوفي الشروط التي قدمنا ذكرها وهي اشتمالها على دراسة تاريخ العرب وحضارتهم واحوالهم في الماضي والحاضر ، وليس المقصود بهذا التعريب ان تكون مناهج التعليم واحدة ، وانما المقصود به ان تكون اتجاهاتها عربية واهدافها عربية وان يكون هنالك قدر مشترك بينها يحمل على تحقيق هذه الاهداف، ولضمان تحقيق هذا القدر المشترك ينشأ مجلس عربي اعلى للتربية يشرف على مناهج التعليم وينظم المؤتمرات التربوية المتخصصة ، وينشر مجلة تربوية تتضمن دراسة المشكلات التربوية العامة والخاصة ، واقتراح الطرق التربوية الموافقة لبلوغ الاهداف المقصودة .

٥ ـ ولا بد في سياسة التعريب من العمل على

تحقيق التقارب بين معلمي البلاد العربية وطلابها وذلك بوضع مشروع لتبادل المعلومات والاساتذة والطلاب ، وليس المقصود بتبادل المعلمين أن يكون تبادلا في الكم دائما بل المقصود به تبادلاً في الكيف والنوع بحيث يحمل كل مدرس الى البلد المضيف خلاصة تجربته في بلده الاصلي ويقوم في البلد المضيف بالتدريس الفعلي لا بالمشاهدة والمراقبة لا غير . ان قيامه بالتدريس يوجب عليه استعمال العربية الصحيحة لانه لو استعمل لهجته المحلية المختلفة عن لهجة تلاميذه لما نجح في عمله . وفي ذلك كما لا يخفى اسهام في تعريب التعليم على نطاق عربي عام .

٦ ـ ولا بد اخيرا من استخدام جميع وسائل الاعلام لتحقيق التعريب الكامل فقد ادى نمو وسائل الاعلام في الوطن العربي الى نشر اللغة العربية الصحيحة في جميع الاوساط الاجتماعية بحيث اصبح العربي المقيم على سواحل الخليج يفهم بطريق الراديو والصحافة كلما يقوله العربي المقيم على ساحل المحيط ، وسبب ذلك اتخاذ اللغة العربية الصحيحة أداةً للتعبير عن الفكر ،ونجاح الاذاعات العربية والصحافة العربية في هذه المهمة مواز لنجاح المعلمين العرب في تدريس العلوم باللغة العربية ، فما بالك اذا انتشر استعمال الوسائل السمعية والبصرية في المدارس العربية انتشارا واسعا .

خاتمـــة

لما اخذ الفيلسوف اليوناني زينون يتفنن في ايراد الحجج والبراهين على امتناع الحركة وقف ديوجن بعد ذلك ساخرا وقال : انتم تبرهنون على امتناع الحركة وان أمشي واتحرك بالفعل . ونحن نقول للذين يشكون في امكان تعريب التعليم ان الدليل على امكانه وجوده . اننا نحاضر باللغة العربية في كل موضوع علمي مهما تكن طبيعته ، ونؤلف كتبا علمية بلغة عربية صحيحة يفهمها تلاميذنا وقراؤنا . ومشكلة المصطلحات ليست من المشكلات التي يتعذر حلها ، لاننا اذا دعونا الى تدريس العلوم باللغة العربية فنحن انما ندعو في الوقت نفسه الى اتقان لغة اجنبية تمكن الطالب من استعمال المصادر العلمية بلفظها الاصلي مع ترجمتها الى العربية حتى يتم بعد ذلك توحيد المصطلحات وتعميمها .

انا نعتقد ان كل لغة تصلح للتعليم ابتدائيا كان او ثانويا او جامعيا فما بالك باللغة العربية وهي من اغنى اللغات لكثرة مفرداتها ذات المعاني الدقيقة المتقاربة ولمرونة تراكيبها ، ولماضيها الحضاري ، ولكونها لغة جماعة كبيرة من الناس ، لهم تراثهم الجليل ووطنهم الواسع .

ان المشكلات التي تعترض سبيل الاساتذة الجامعيين في التعليم والبحث باللغة العربية ترجع في نظرنا الى سبب واحد . وهو ان الاستاذ الذي تلقى علومه بالفرنسية او الانكليزية او الالمانية يستسهل التعبير عن افكاره العلمية باللغة الاجنبية التي الفها ، ويستصعب استعمال اللغة العربية في التدريس لا لنقص هذه اللغة بل لتقصيره هو نفسه في اتقانها . ولا يمكن التغلب على هذه المشكلة النفسية الا بايمان الاساتذة الجامعيين بانفسهم وبمستقبل لغتهم ، وهذا لا يحدث في يوم وليلة، لانه ثمرة من ثمرات التربية الوطنية الصحيحة ونتيجة من نتائج الاطلاع على الثقافة العربية المتمثلة في تراثها . ولا يخفى ان لغات كثيرة اشد عسرا في قواعدها وفي طريقة كتابتها من لغتنا قد طوعت نفسها للعلم ، فلم تقف دون تفوق ابنائها في العلوم النظرية والتطبيقية . واذا كان هنالك مانع حقيقي من ان تصبح اللغة العربية لغة علمية ثم لغة عالمية فهو ليس في اللغة نفسها ، وانما هو في قصور الهمة والكسل وضعف الثقة بالنفس ، ان كثيرا من الدول التي ليس للغاتها ماض حضاري كماضي اللغة العربية لم تتردد لحظة واحدة في تدريس جميع العلوم بلغاتها . وما ذلك الا لسلامتها من عقدة النقص التي اصابت بعض اعداء التعريب، فمن الضروري اذن شفاء هذه النفوس من عقدة النقص المسيطرة عليها والسيف الذي يقطع هذه العقد ويشفي منها هو الايمان بالنفس . ■■

بيروت : جميل صليبا



امرأة

● كان عمر بن الخطاب يسير يوما وبرفقته المعلّى بن الجارود ، فلقيته امرأة من قريش ، فقالت له : « يا عمر » ، فوقف لها ، فقالت له : « كنا نعرفك مرة عُمَيْرا ثم صرتَ بعد عمير ـ عمرَ ثم صرت ـ بعد عمر ـ أميرَ المؤمنين . فاتق الله يا ابن الخطاب ، وانظر في امور الناس ، فانه من خاف الوعيد قرُب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي

ابالدعاء فقط

● قيل ان الشعبي مر يوما بابل قد فشا فيها الجرب ، فقال لاعرابي كان يحرسها : « اما تداوى ابلك يا اخا العرب ؟ » فقال الاعرابي : « ان لنا عجوزا مؤمنة تتكل على دعائها .. » فقال الشعبي : « لو جعلتَ مع دعائها شيئا من القطران ، كان ذلك ارجى » .

القصيدة السينية

● دخل ابو تمام الطائي يوما على احمد بن الخليفة العباسي ، المعتصم ، وانشده قصيدته السينية المشهورة فلمابلغ قوله :

اقــدام عمرو في ســماحة حاتم، ... في حلـم احنف ، في ذكــاء اياس

قال يعقوب بن الصــباح ـ وهــو الفيلــوف الكنــدي ، وكان حاضرا المجلس ـ : « ما صنعت شيئا يا ابا تمام ، وما زدت على ان شبّهت ابن امير المؤمنين بصعاليك العرب .

فاطرق الطائي ثم انشد :

لاتنكروا ضربي لـه مَنْ دُونـه ... مثلا شرُودا في الندَى والبــاس
فالله قد ضرب الاقل لنــوره ... مثلا من المشــكاة والنبـراس

يشير بذلك الى قوله تعالى : (الله نور السموات والارض ، مثــل نوره كمشكاة فيها مصباح) .

ولم يكن هذان البيتان في القصيدة ، وعمرو الذى عناه الشاعر هو عمرو بن معدي كرب المشهور بشجاعته ، اماحاتم فهو حاتم الطائي المشهور بكرمه وجوده ، أما احنف فهو الأحنف بن قيس المشهور بحلمه واما اياس بن معاوية ، فقد اشتهر بالذكاء ، وكان من قضاة عمر بن عبد العزيز ،



تحاور عمر

الفوت » ، فبكى عمر بن الخطاب ، فقال لها المعلى : ايه يا امة الله ، فقد ابكيت امير المؤمنين . فقال له عمر : « دعها يا ابن الجارود أتدرى من هذه ؟ ويحك، هذه خولة بنت حكيم ، التى سمع الله قولها فى عليائه ، فعمر احرى ان يسمع قولها ويقتدى به .

(وخولة هذه هى التى نزلت فيها بعض آيات من سورة « المجادلة ») .

فى الهدية

● بلغ انو شروان ان بعض عماله قد قبل هدية من بعض العامة ، فاحضر انو شروان عامله ، فلما دخل عليه قال : « هل قبلت الهدية ؟ » قال : « نعم » . فقال : « ان قبلتها لتستكفيه شيئا لم تكن تستكفيه لولاها ، انك لخائن ، وان قبلتها ولم تكافئه انك للئيم ، وان كنت كافأته فقد بسطت لسان رعيتك عليك ذما . فمن اتى ما لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه » . ثم ان انو شروان عزل عامله .

مراتب الشعر

● قال الجاحظ : يقال للمجيد من الشعراء فحل ، ولمن دونه مفلق ، ثم شاعر ، ثم شويعر ، ثم شعرور ، وقيل اقسام الشعر اربعة: ضرب حسن لفظه ومعناه ، واذا نثر لم يفقد حسنه، وذلك نحو :

فى كفه خيزران ريحها عبق ... من كف اروع ، فى عرنينه شمم

يغضي حياء ، ويغضى من مهابته ... فما يكلم ، الا حين يبتسم

وضرب حسن لفظه ، وحلا معناه ، نحو قولهم :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالاركان من هو ماسح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ... وسالت باعناق المطي الاباطح

وضرب جاد معناه وقصر لفظه نحو :

خطاطيف حجن ، فى حبال متينة ... تمد بها ايد ، اليك نوازع

وضرب قصر معناه ولفظه نحو :

ان محلا وان مرتحلا ... وان للسفر ـ اذ مضوا ـ شغلا

أمراض شائعة

الرَّدْب القولونى

أعراضه ـ مضاعفاته ـ طرق علاجه

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوى

■ الردب لغة هو الجيب ، والجمع أرداب ـ أى جيوب . ويقال أيضا انه كيس فرعى مجوف مغلق الطرف يخرج من عضو انبوبى .

ونتكلم في هذا الموضوع عن الجيوب التي تصيب المصران الغليظ (القولون) في الانسان ، والتى تعرف باسم الأرداب القولونية .

ويكون القولون في هذه الحالة مصحوبا بجيب واحد او عدة جيوب جانبية عادة ما تكون على شكل بروزات صغيرة في الغشاء المخاطى والطبقة تحت الغشاء المخاطي المبطن للقولون خارجة عن الجدار الداخلى ، وأحيانا الخارجي ايضا مكونة جيوبا تختلف في حجمها من ١ او ٢ مم الى ٢ سم .

وتشاهد هذه الحالة في الأشخاص فوق سن الاربعين ، وهي نادرة فيمادون ذلك .

وتتكون هذه الجيوب في المناطق الضعيفة من الجدار القولوني والتي تمر منها الأوعية الدموية المغذية لهذا الجدار . وتعجز هذه المناطق الضعيفة عن احتمال اى ضغط شديد من داخل القولون فتتبعج الى الخارج مكونة الجيوب القولونية .

واكثر ما تتكون هـذه الجيـوب في القولـون السجمى (Sigmoid Colon) وهو الجزء الواقع بين القولون النازل والمستقيم .

وتقول احدى الاحصائيات انه ضمن ٣٠٠٠ حالة فحص شعاعي للأمعاء الغليظة وجدت بـ ١٠٪ منها جيوب قولونية ، ٣ر٢٪ منها مصحوبة بالتهابات ،

صورة شعاعية للقولون في شخص طبيعي

قولون فى شخص طبيعي

قولون فى شخص معه جيوب وتشاهد بارزة على جانبى القولون السجمى مليئة بالباريوم على شكل كرات أو دوارق .



ووجدت ايضا اربع حالات فقط مصحوبة بأورام سرطانية

ويقول اكثر المؤلفين ان وجود اورام سرطانية فى القولون فى الوقت الذى توجد فيه هذه الجيوب ليس الا مجرد صدفة ، ولا يعنى هذا بالضرورة ان تؤدى الجيوب القولونية الى الاصابة بالسرطان .

ويلاحظ ان نسبة الاصابة فى الرجال أعلى منها فى النساء فهى تقريبا ٥٤ الى ١٦ حول سن السادسة والخمسين . ومما يجدر ذكره أن ثلث المرضى تقريبا كانوا من ذوى الأجسام البدينة .

التشخيص الاكلينيكى :ـ

يمكن رؤية هذه الجيوب بوضوح بواسطةالفحص الشعاعى بعد اعطاء المريض مادة معتمة للاشعة هي سلفات الباريوم عن طريق الفم أو الحقنة الشرجية ، حيث تظهر هذه الجيوب متصلة جميعها بتجويف القولون كالبراعم البازغة منه . وتكون بعضها ذوات رقاب مليئة بالباريوم تصل بينها وبين القولون مما يجعلها قريبة الشبه بالدورق . وكثيرا ما تحتفظ هذه الجيوب بمادة الباريوم عدة ايام او ربما عدة اسابيع . فاذا ما أعدنا الفحص الشعاعى بعد يوم او اثنين من اعطاء الباريوم ، حيث يكون القولون قد تخلص من هذه المادة ، فان هذه الجيوب تظهر مثل الكرات الصغيرة كانها منفصلة حول مجرى الأمعاء .

أعراضه وظواهره :ـ

تبقي الجيوب القولونية ساكنة لا يشعر بها صاحبها الا مصادفة عند حدوث التهابات داخلها او خارجها (Diverticulitis) .

فاذا كانت الالتهابات من الخارج يشعر المريض بالام تتراوح بين المتوسطة والمبرحة في مكان الجزء الملتهب وعادة مايكون منطقة القولون السجمى ، وهو اسفل البطن من الجهة اليسرى . وربما يحس المريض جزءا متورما فى هذه المنطقة نتيجة لحدوث خراج حول الجزء الملتهب .

اما اذا كانت الالتهابات من الداخل ، فان

المريض يشعر بآلام مبرحة واحساس مستمر بالاسهال نتيجة لتهيج الجزء الملتهب. وعادة مايكون منطقة القولون السجمى ، وهو أسفل البطن من الجهةاليسرى. وربما يحس المريض جزءاً متورما في هذهالمنطقة نتيجة لحدوث خراجحول الجزء الملتهب وكذلك ينزف من الشرج بكميات متفاوتة ـ فربما يكون مجرد خيوط وربما يكون غزيرا مهددا للحياة.

وفي بعض الحالات تزداد درجة تهيج القولون فينقبض الجزء الملتهب انقباضا تاما بحيث لا يسمح لمادة الباريومبالمرور ـ وهنا تكمن صعوبةالتشخيص والحكم على سبب الانسداد ، وأما اذا كانت الالتهابات مصحوبة بأورام سرطانية أم لا .

واحيانا يكون المريض مصابا بجيب واحد ساكن غير ملتهب في منطقة المصران الأعور (أسفل البطن من الجهة اليمنى) فاذا التهب هذا الجيب سبب أعراضا شبيهة بأعراض التهاب الزائدة الدودية .

ويمكن التأكد من ذلك خلال العملية الجراحية ، حيث تتضح سلامة الزائدة الدودية . فاذا كانت الزائدة قد استؤصلت قبلا فان احتمال وجود هذا الجيب الملتهب هو اقرب ما يكون الى الذهن . ويمكن التأكد من ذلك بواسطة الفحص الشعاعي الذي يؤكد وجود هذا الجيب .

وقد يحدث أحيانا ان ينفجر أحد هذه الجيوب الموجودة في منطقة القولون السجمى ، فيسبب التهابا حاداً في كل التجويف البريتوني يشعر به المريض بوضوح .

وقد يكون الالتهاب محليا ـ أي حول مكان الانفجار فقط فيؤدي الى وجود ناصور بين التجويف القولوني واحد الأعضاء المجاورة كالمثانة مثلا ، مسببا بذلك التهابا شديداً في الجهاز البولي .

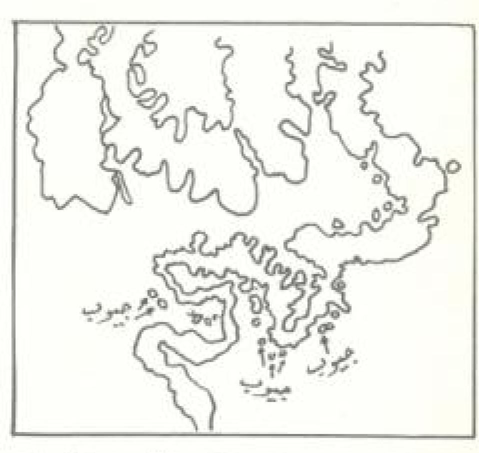
وعادة مايكون المريض المصاب بالجيوبالقولونية خالي الذهن تماما ولا يعلم بوجودها الا اذا حدث التهاب بها .

طرق العلاج : ـ

يجب أن يطمئن المريض صاحب الجيوب غير



الجيوب مليئة بالباريوم مع القولون .



الجيوب بعد ٤٨ ساعة من الفحص وتشاهد الجيوب منفصلة عن القولون وتبدو مثل الكرات .

الملتهبة منذ البداية الى ان الحالة حميدة وليست خبيثة ، وان حدوث الالتهابات يمكن العمل على منعه اذا اتبع بعض النظام في حياته ، كاجتناب الامساك بواسطة الملينات الخفيفة مثل زيت البرافين او لبن الماتيزيا ٣٠ ـ ٦٠ سم كل ليلة . وكذلك يجب الامتناع عن الأطعمة ذات الالياف ، مثل البطيخ والشمام والجزر والسبانخ ، وهذه تسبب تهيجا في الغشاء المخاطي المبطن للقولون . ويمنع منعا باتا تناول الأطعمة ذات البذور الكبيرة مثل الطماطم والتين الشوكي (الصبر) حيث يمكن ان تستقر احدى هذه البذور او اكثر في تجاويف الجيوب القولونية ، مما يسبب لها النوبات والالتهابات .

اما التخلص من السمنة واجتناب الافراط في الطعام فهما من المقل . وعلى كل ذي جسم بدين ان يضع صحته نصب عينيه ويقيم حاجزا بينه وبين نهمه ، عملا بقول الرسول الكريم (ماملأ ابن ادم وعاء شراً من بطنه ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) . وفي ذلك أيضا بنصحنا رسول الله بعدم الافراط في الطعام بقوله (نحن قوم لا ناكل حتى نجوع ، واذا اكلنا لا نشبع) .

ومجرد وجود جيوب قولونية غير ملتهبة يمكن ان يسبب بعض الألم في منطقة البطن مصحوبا باسهال أو امساك بدون سبب ظاهر . واحيانا يخرج بعض الدم مع البراز ، وفي هذه الحالة يمكن ان يستجيب المريض للعلاج الدوائي دون اللجوء الى التدخل الجراحي الا اذا كان النزف شديدا ويخشى منه على حياة المريض .

اما في حالة حدوث التهابات تحت الحادة ـ فالعلاج هنا هو الراحة التامة في السرير مع غذاء بسيط كالجيلي والمهلبية (Soft Diet) واعطاء المريض بعض المهدئات الخفيفة والمسكنات بجانب المضادات الحيوية . وربما يحتاج المريض للمكمدات الدافئة على البطن .

ويستمر هذا العلاج حتى تزول اعراض الالتهاب.

وعلى المريض ان يتجنب الامساك بكل وسيلة ، فحدوثه يمكن ان يؤدي الى نكسة أخرى ، وذلك باستعمال الملينات وتلافي الأطعمة ذات الألياف والبذور كما بينا سابقا .

وعند احساس المريض بنوبة جديدة من الالتهاب عليه ان يسرع باخذ بعض مركبات السلفا التي لا تمتص في الأمعاء مثل السلفاجوانيدين او الثلازول (Sulphaguandine or Thalazole) لمدة عشرة أيام ، وهذا يكفي للقضاء على النوبة قبل بدئها .

اما اذا كانت النوبة شديدة وحادة ، وانتشرت في اجزاء كثيرة من القولون مع تعدد حدوثها ، فان ذلك ينذر بتكوين بعض الخراريج التي قد تنفجر خارج القولون مسببة التهابات موضعية او شاملة للتجويف البريتوني ، وقد تسبب الناصور في بعض الأحيان كما سبق شرحه قبلا .

التدخل الجراحي : ـ

يؤخذ به عادة اذا كان المريض مصابا بنزيف حاد او انفجار في الجيوب القولونية او كان عرضة لعدة هجمات من الالتهابات الحادة ، وفشل العلاج الدوائي في التغلب عليها .

وتدخل الجراحة في حالات التهيج القولوني المصحوبة بانسداد في الأمعاء أو التهابات في المجاري البولية ، او لدى ادنى شك في وجود اورام سرطانية مع الجيوب القولونية .

وتستحسن الجراحة العاجلة للمرضى الذين يعيشون بعيدا عن المستشفيات والمراكز الطبية ، كالبدو وسكان المناطق النائية ، حتى لا تفاجئهم هذه النوبات وهم على بعد ، فيتعذر اسعافهم ، وتسوء حالتهم وتكون العواقب حينذاك وخيمة .

هذا هو الردب القولوني ـ ذلك الضيف الثقيل الذي لايرحب به انسان ـ أوجزته في عجالة ، اظنها تكفي لالقاء الضوء عليه من كل جوانبه ، وكيف نقي انفسنا منه ، وكيف نعالجه . وقديما قالوا ـ الوقاية خير من العلاج . ■■

دكتوره فاطمة الغرباوى

اخصائية الأشعة

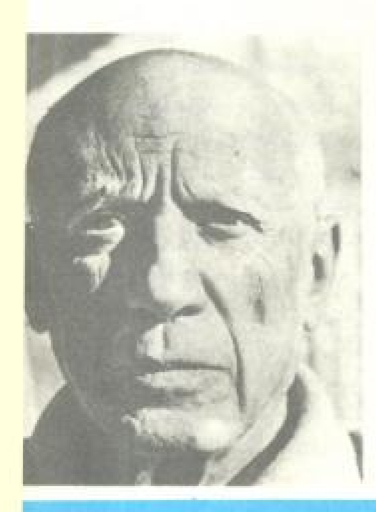
المستشفى الأميري ـ الكويت



بيكاسو [1]



حياته وأعماله



تأليف : رونالد بنروز

عرض : الدكتور محمود السمره

■ ليس كبيكاسو فنان اختلف الناس حوله . وليس كبيكاسو فنان لقي من التكريم في حياته مثل ما لقي .

واذا كانت هناك حياة تستحق ان تسجل، فانها حياة هذا الفنان الذي بدأ فقيرا معدما ، ليكسب الملايين ومئات الملايين ، من فن لم تستسغه سوى القلة القليلة من الناس .

والواقع ان المؤلف الذي ينتدب نفسه لمثل هذه المهمة ، انما يحاول ان يقوم بعمل شبه مستحيل ، بسبب تعدد مواهب بيكاسو وتشعبها . ومع هذا فقد قدم لنا (رونالد بنروز) كتابا ممتازا ، هو سجل دقيق لنشاطات بيكاسو الكثيرة ، وعلاقاته بنسائه العديدات ، وكل هذا في اسلوب جذاب اخاذ .

انه كتاب ممتاز رغم خلوه من الوثائق التي هي ضرورية في مثل هذه الدراسة ، وبخاصة رسائله التي تبادلها مع اصدقائه ومريديه ، وهي كثيرة .

ونحن نعرف ان بيكاسو كان يحتفظ بكل شيء مهما كان عديم القيمة في نظرنا . ولا يعيننا المؤلف في محاولة القاء الضوء على تلك الجوانب الخفية من حياة بيكاسو من اجل ان نزداد فهما لآثاره الفنية، لان الصلة قوية جدا بين حياة الفنان الخاصة واعماله الفنية .

واذا كان المؤلف قد افاض في الحديث عن حياة بيكاسو في طفولته وصباه ، وبخاصة في برشلونة ، الا ان السؤال الكبير يبقى دون جواب، وهو : ما هي الاسباب التي دفعت هذه العبقرية الفنية الى الثورة على الوان الفنون في عصره ، ليكون هذا الفنان المجدد الذي قلب الرؤية الفنية راسا على عقب ؟ ولماذا انجبت الحياة الادبية والفنية في برشلونة رساما بز الغابرين والمعاصرين، بينما هي نفسها لم تكن تحفل بالرسم ، بل بالادب؟ ونحن نثير هذا السؤال ، الذي من الممتع أن تجد

---

(1) Ronald Penrose, Picasso ; His Life and Work .



Woman with Pears—1909



Harlequin—1915

الجواب عنه ، رغم معرفتنا ان بعض العبقريات تعز على التفسير .

وأخيرا فاننا لا نجد في هذا الكتاب تحليلا كثيرا لاعمال بيكاسو الفنية ، ولعل المؤلف يريد بهذا ان يقول لنا ما قاله له بيكاسو عندما ساله عما تعنيه لوحة من لوحاته ، فاجابه : « ماذا تعني ؟! قل لي انت !! »

شخصيته

ومن السمات البارزة في شخصية بيكاسو قدرته الفائقة على التركيز التام على ما بين يديه : فاذا امسك بكتاب فكأنه يرى الكتاب لاول مرة في حياته ، واذا وقع اسمه فانه يوقعه بعناية وكانه لاشيء يشغله في الدنيا سوى هذا . وتذكر احدى عشيقاته ، فرانسوازجيلو ، في كتابها عنه : انها سالته يوما كيف يقضي الساعات الطويلة امام لوحته منكبا على الرسم دون أن يحس بالتعب فاجابها : عندما ابدا بالرسم انزل جسدي خارج باب الاستوديو ، كما يفعل المسلمون عندما يدخلون المسجد للصلاة. ان الرسم عندي عبادة واستغراق روحي .

وكان بيكاسو ذا ذاكرة قوية : فهو يستطيع ان يذكر لك التفاصيل الدقيقة لسهرة قضاها قبل سنوات ، او لزيارة قام بها الى لندن قبل خمسين سنة ... والوجوه التي عرفها لا ينساها : ولعل هذه الذاكرة القوية هي التي جعلته اكثر الفنانين المبدعين ثقافة .

وبيكاسو مضيف انيس كريم . واذا كان هو نفسه يأكل قليلا ، ويشرب نادرا ، الا انه كثير العناية بما يقدم على المائدة من طعام وشراب ، ويسعده أن يملا اطباق اصدقائه بكميات هائلة من الطعام ، ويسر لمرآهم وهم يلتهمونها .

فنه

لم يحدث في تاريخ الفن ان فنانا طبع القرن الذى عاش فيه بطابعه ، كما فعل بيكاسو في القرن العشرين ، حتى بدا في نظرهم خلاصة لمدنية هذا القرن . وبقي منذ نعومة اظفاره حتى يوم وفاته

بعمل دون انقطاع ، قائلا : « لا توجد هناك لحظة في حياتي استطيع ان اتوقف عندها لاقول : لقد قمت اليوم بعمل جيد ، وغدا ساستريح » .

ولو اقتصر بيكاسو على ما ابدعه في النحت ، او السيراميك ، لكان هذا كافيا لتذيع شهرته في كل انحاء العالم كفنان مبدع،ولو انه لم يوجد الفن التكعيبي(Cubism)لبقي،مع هذا اشهر فنان،انجبه القرن العشرون . ولكنه ، بكل تاكيد ، كان اكثر من فنان ابدع في السيراميك . لقد كان اولا وقبل كل شيء رساما . وكان ايضا فنانا لا مثيل له في رسوم الحفر ، والملصقات ، ورسم ديكور المسرحيات ، وتصميم ملابس الممثلين . وكان شاعرا ، وكاتبا مسرحيا . وباختصار لقد كان هو بيكاسو ، وكفى .

لقد رسم الوجوه ، والمناظر الطبيعية ، والمناظر داخل البيوت ، والشخصيات الاسطورية ، وصراع الثيران ، ورجال السيرك ونساءه، والطيور والادوات الموسيقية..وفوق هذا كله رسم النساء. وكل هذه رسمها بابتكارات فنية متعددة : رسمها على طريقة المدرسة الواقعية ، والسريالية ، والكلاسيكية الجديدة ، والتكعيبية . لان عبقريته كانت دوما دائمة التطور والابتكار .

وبهذا التنوع ، وبشخصيته الفذة ، استطاع ان يؤثر في فن القرن العشرين ، ويوجهه ، ويطبعه بطابعه . ولورة بيكاسو في عالم الفن ، لم تحدث تغييرا في الفن فقط ، بل احدثت تغييرا ايضا في نظرة الناس الى الاشياء . وكان يؤمن بان الفن قادر على تغيير نفسية الناس ، وخلق حياة افضل لبني البشر ، حتى انه قال : « سياتي اليوم الذي تستطيع فيه اللوحة الفنية ان تشفي الانسان الذي يشكو من الم الاضراس من الله ، اذا تامل في اللوحة واستوعبها » . ترى ، اكان بيكاسو جادا في قوله هذا ، ام ان هذا القول ليس سوى سخرية من سخرياته العديدة ؟

لقد كان فن بيكاسو معنيا بالانسان ، بافراحه واتراحه ، وهو مهما اوغل في التجريد ، فان المنطلق الانساني واضح فيه . وتروى فرانسواز جيلو Francoise Gillot في كتابها المشهور عنه « حياتي مع بيكاسو » ، انه قال : « مهما كانت العاطفة التي تدفعني الى الابداع ، فانني دوما احاول ان اقيم صلة بينها وبين العالم المرئي ، حتى ولو كان الغرض من هذه الصلة ان اهاجم هذا العالم المرئي » .

لقد اثار النقاد والناس معا بفنه التكعيبي ، وبالتشويهات التي ادخلها على الجسم الانساني في لوحاته واثاره الاخرى ، حتى لقد اتهموه بانه سلب الفن جانبه الانساني ، وانه عاشق للقبح . واخيرا ادركوا ان الفن عند بيكاسو هو عملية خلق ، لا عملية تقليد في الطبيعة ، فاذا كانت الطبيعة قادرة على خلق ، فان الفنان ايضا قادر على الخلق مثلها . ولم يكن الفن التكعيبي سوى محاولة لخلق اشياء جديدة ، وجعل الناس يرون في الحياة اشياء لم يكونوا قادرين على رؤيتها من قبل ، وذلك عن طريق تحطيم ما في الطبيعة الى اجزاء على ما هو مالوف في الواقع . وكل هذا من اجل تسجيل اللحظة النفسية لما يرسم ، ومن يرسم ، لان الرسم غير التصوير الفوتوغرافي .

وقد سالة مرة احد الادباء عن المعنى في هذه اللوحات التكعيبية التي يرسمها ، فاجابه : « كل شخص يريد ان يفهم الفن ! لماذا لا يريد اذن ان يفهم تغريد العصفور ؟ ولماذا يحب الليل والازهار وكل شيء حوله،دون ان يحاول ان يفهمها ؟ الا يمكن ان يحب الانسان الفن لانه جميل دون ان يفهمه؟! » وفي رايي ان كلام بيكاسو هذا ان صدق على الناس العاديين،فانه لا يصدق على الدارسين والمختصين.

ولان بيكاسو بقي الى يوم وفاته الفنان الذى لم يتوقف عن الابداع ، فقد ترك للعالم اكثر من ستة الاف لوحة، وعددا لا حصر له من الرسومات، والتماثيل ، والسيراميك ، والملصقات . وفهرستها تحتاج الى سنين . وهي في راى الخبراء ، تساوى نحو (٧٥٠) مليون دولار .

الصبي الاسباني

في الخامس والعشرين من شهر اكتوبر (تشرين الاول) من عام ١٨٨١ ، وفي مدينة مالقة ، الميناء الاسباني،ولد بابلو جوزيه رويز Pablo Jose Ruiz من والد طويل القامة ، احمر الشعر ، يطلق عليه الناس لقب « الرجل الانجليزى » ، ومن ام هي ماريا بيكاسو من ميورقة ، وسوداء العينين والشعر وعن هذه الام اخذ اسمه الذى عرف به ، وسواد العينين والشعر ، واضاف اليهما جسما قويا ، وجبهة عريضة ، وانفا ضخما ويروى انه بعد ولادته كان ساكن الجسم لا يتحرك ، فنفخ عمه بدخان

سيجارة في وجهه ، فاذا بالحياة تدب في الجسد الصغير .

وكان احتراف الرسم مطمح كل من جده لابيه واعمامه ، ولكن لم ينجح في هذا سوى والده ، الذي اصبح معلما للفنون يحظى بتقدير لا باس به.

ومنذ اليوم الذي استطاع فيه الطفل بابلو ان يمسك بقلم الرصاص بين أصابعه ، اخذ يرسم ، تحت اشراف والده وتوجيهه ، فكان طفلا معجزة يذكرنا بالموسيقار موتزارت ، اذ كان يستطيع ان يرسم اى حيوان دون أن يرفع القلم عن الورق ، وهو مغمض العينين ، ولم يعد التاسعة من العمر.

وتدل رسومه ، وهو في الرابعة عشرة ، على انه حذق كل ما يجب على الرسام المحترف ان يعرفه ، ولهذا فان كل ما تعلمه بعد هذه السن ، انما كان مصدره موهبته الفنية . وفي سن الخامسة عشرة اشترك في مسابقة من اجل الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة في برشلونة ، التي كان يعلم فيها والده . وكانت تعطى للطالب الراغب في الالتحاق بهذه المدرسة مدة شهر ، يرسم فيها ما تكلفه المدرسة برسمه ، فاذا نجح ، قبل فيها . وقد استطاع بيكاسو ان يرسم الموديل الذى طلب منه رسمه (وهو رجل عار) في يوم واحد ، ونجح في الامتحان بامتياز

ويذكر بيكاسو انه تقدم للالتحاق بهذه المدرسة لان عائلته لم تكن تتصور ان اى امرىء يمكن ان يكون رساما دون ان يكون حاملا لشهادة من معهد للفنون . وبعد أن امضى عاما فيها ، التحق بمدرسة اخرى للفنون في مدريد ، لم يمكث فيها سوى مدة قصيرة .

وبين عامى ١٩٠٠ و ١٩٠٣ قام بثلاث زيارات لباريس.وفي اواخر عام ١٩٠٣ قام بزيارته الرابعة، التي استقر بعدها في باريس ، في حى مونمارتر ، بين الرسامين ، والمثالين ، والشعراء والعاملين في السيرك ، وكثيرين ممن قست عليهم الحياة .ولكن اسبانيا ، وبخاصة برشلونة ، بقيت تعيش في دمه واعصابه .

وعندما بلغ العشرين من العمر ترك اسم عائلة والده (رويز) وتسمى باسم عائلة والدته(بيكاسو) ولعل السبب في هذا الجفوة التى قامت بينه وبين والده ، الذى لم يرض عن لوحاته هذه التى لا يفهمها ، وكان يريد له أن يكون رساما على طريقة الرسامين الكلاسيكيين : رفائيل ومايكل انجلو .

لقد تخلى الابن عن الرابط الوحيد الذى يربطه بوالده ، قائلا عن لوحاته بسخرية : انها لا تصلح الا لتزيين غرف الطعام .

المرحلة الزرقاء ، والمرحلة الوردية

وفي باريس ، وفي حى مونمارتر ، وبين عامى ١٩٠٠ و ١٩٠٤ ، اخذ بيكاسو يرسم لوحاته مستعملا لونا واحدا هو اللون الازرق ، وكان يبيع بعضها لتاجر تحف فنية اسمه (فولارد) Vollard بمعدل نصف دينار للوحة الواحدة .وهذا التاجر اصبح فيما بعد ، من المشاهير ،لانه بقى هو الذى يتولى تسويق لوحات بيكاسو ، حتى بعد ان اشتهر .

وقد حاول النقاد والدارسون أن يفسروا سبب استعمال بيكاسو للون الازرق وحده ، فقال بعضهم ان اللون الازرق يعبر عن اليأس ، بأس بيكاسو الذى كان يعيش بائسا معدما . وقال آخرون : انه قد تكون هذه محاولة منه لاظهار قدرته الفائقة في الرسم ، بحيث يستطيع بلون واحد ان يؤدى في اللوحة ما يؤديه غيره بعدة الوان . ولكن كل التفسيرات التى قيلت ليست الا من قبيل التخمين . ولعله ، في رأيى ، استعمل اللون الازرق لان هذا اللون اعجبه ، ولم يكن باستطاعته ان يشترى الوانا عدة .

ان اللوحات التى رسمها في هذه الفترة تبين اناسا تعساء ، واشخاصا كئيبين ، وشحاذين نحيلين ، ونساء ضعيفات ، واولادا وشبابا عضهم الفقر .

وشهد عام ١٩٠٤ نهاية « المرحلة الزرقاء » وبداية « المرحلة الوردية » التى استمرت عامين ، وهى مرحلة يطلق عليها أيضا اسم « مرحلة السيرك » ، لأن أكثر انتاجه الفنى فيها كان عن رجال السيرك وفتياته ، الذين عرفهم وخالطهم في حى مونمارتر .

وفي حى مونمارتر ، سرعان ما اصبح ستوديو بيكاسو ملتقى كثيرين من رجال الفن والأدب ، من اصدقائه الجدد ، الذين اصبح لهم فيما بعد شان كبير ، وكان بينهم : الشعراء ماكس جيكوب Max Jacob ، وابولونير Apolnaire ، وملارميه Mallarme ، والكاتب القصصي بلزاك Balzac ، والموسيقار سترافنسكى Stravinsky

والرسامون : ماتيس Matisse ، وبراك Braque ، وجرى Gris ، والاديب المتعدد المواهب جان كوكتو Cocteau ، والاديبة الامريكية جرترود شتاين Stein ، وعدد من جامعي التحف الفنية وتجارها ، منهم : فولارد ، وكهنويلر Kahnweiler ، اللذان اصبحا على راس بائعي روائع بيكاسو للمتاحف وللاثرياء الهاوين لجمع الآثار الفنية .

وكانت هذه « الشلة » هي محور لوحات بيكاسو ورسومه في « المرحلة الوردية » وهذه الأسماء الآن خالدة في عالم الادب والفن . ومن الطريف ان جرترود شتاين احتجت مرة على بيكاسو ، بعد ان رات احدى لوحاته التي رسمها ، قائلة : « ولكني لا ابدو هكذا !! » فأجابها : « ولكنك ستكونين هكذا في المستقبل » وعندما تقدمت بها السن ، بدت فعلا كما رسمها بيكاسو في شبابها .

فتيات افنيون

في عام ١٩٠٧ رسم بيكاسو اللوحة التي غيرت مسيرة الفن في القرن العشرين ، وهي لوحة « فتيات افنيون » ، من وحي فتيات شارع افنيون في برشلونة، ولا علاقة لها بمدينة افنيون الفرنسية . وكانت هذه هي اول لوحة تكعيبية في تاريخ الفن ، وهي تمثل خمس فتيات ، الاثنتان على يمين اللوحة زنجيتان .

وعندما شاهد براك وجرى هذه اللوحة لاول مرة شهقا فزعا ، لأن بيكاسو فيها قد حطم قواعد الفن القديم واقام فنا جديدا . ولم يتمالك براك ان صاح به قائلا : « لكانك تطلب منا ان نشرب بترولا ! » فما كان من بيكاسو الا ان لفها ، ووضعها جانبا .

ولم تمض سوى ايام حتى استهوت هذه الطريقة براك وجرى ، وتبعهما آخرون .

ويقال ان ماتيس هو الذي اطلق اسم «التكعيبية» على هذه الطريقة في الرسم ، من باب التندر ، وذلك عندما شاهد لوحات كان قد رسمها براك حديثا ، وبدت له كأنها مجموعة من المكعبات ، فصاح قائلا : « انظروا الى المكعبات الصغيرة ! » لقد كان ماتيس يؤثر الخطوط اللطيفة ، ويبتعد عن الزوايا الحادة ، وبسبب ملاحظة ماتيس هذه سمي هذا الفن « الفن التكعيبي » . ولا يزال النزاع حول هذا الفن قائما الى اليوم ، وان تكن حدته قد خفت قليلا .

وقد عرف بيكاسو هذا الفن فقال : « كانت اللوحة من قبل جملة مجموعات ، فاصبحت عندي جملة تهديمات . »

جيرنيكا Guernica

لقد كانت الفترة بين عامي ١٩٣٥ و١٩٣٧ من احرج السنوات في حياة بيكاسو ، كان فيها يكابد الشعور بالوحدة واليأس ، حتى انه قلما دخل الاستوديو ليرسم . ولكن هذه الغمة زالت عند ظهور الشاعر الفرنسي المشهور (بول ايلوار) في حياته ، فكان نجي روحه ، وملاكه المنقذ .

ونشبت الحرب الاهلية الاسبانية ، فاذا به يبيع كل لوحاته ، ويجمع نصف مليون فرنك ، ويذهب الى موطنه الام ليحارب مع الجمهوريين ضد قوات فرانكو .

وفي عام ١٩٣٧ قصفت الطائرات الالمانية، حليفة فرانكو ، مدينة (جيرنيكا) بالقنابل ، وهي من مدن الباسك ، فدمرتها تدميرا . وقد اثارت هذه الحادثة بيكاسو ، فرسم لوحة تصور هول ما حدث . وقد عكف على رسمها شهرا ، مقبلا على عمله بكل قلبه واعصابه ، فكانت اللوحة المشهورة « جيرنيكا » ، اشهر لوحة رسمها بيكاسو واشهر لوحة في القرن العشرين . وهي لوحة طولها ٢٥٫٥ قدما ، وعرضها ١١٫٥ قدما .

في اللوحة : لمبة كهربائية كبيرة ، وسراج ، ولكنهما لا يبعثان نورا (يأس من الحضارة المعاصرة والقديمة ؟) وبيت يحترق ، وحصان يعاني الما شديدا لأن حربة انغرزت فيه ، ومحارب مقتول ما زالت يده قابضة على مقبض سيف مبتور وامراة شبه عارية تبدو وكأنها تحاول ان تزحف للوصول الى الحصان، وامراة اخرى مدلاة من شباك تصرخ، وامراة ثالثة راسها مشوه بشكل مرعب مادة ذراعيها ، وثور ذو نظرة حاقدة ، وامراة تحمل بين ذراعيها طفلا ميتا ، وطائر يمد عنقه فاتحا منقاره.

انها لوحة مرسومة بالطريقة التكعيبية ، لامثيل لها في الفن الحديث في تصوير الرعب واليأس المطبق . ويبدو الاستشهاد فيها واضحا ، ولكنه ليس استشهاد القديسين ، بل استشهاد الناس العاديين . انهم لا يجابهون مصيرهم برضى

كالقديسين الذين يقدمون أنفسهم دفاعا عن فكرة نبيلة ، بل يستقبلون الموت بفزع يغمر وجوههم .
ومع أن اللوحة تعبر عن اهوال الحرب والموت ، الا ان الدم الاحمر لا وجود له فيها . ان كل ما فيها هو لون اسود ، ورمادى . ولهذا تبدو اللوحة للناظر اليها وكأنها صرخة الم واحدة مخنوقة .

وقد عرضت اللوحة أولا في معرض باريس الدولى الذى اقيم في ذلك العام الذى رسمت فيه اللوحة، ثم نقلت الى « متحف الفن الحديث » بنيويورك ، وما زالت فيه . وقد وضعها بيكاسو وديعة في هذا المتحف ، تبقى فيه الى حين عودة الحكم الجمهورى الى اسبانيا ، وعندها تسلم اليه لتعرض في أحد متاحف اسبانيا . ورغم الاغراءات الكثيرة، والمبالغ الطائلة التى عرضت على بيكاسو ثمنا لها ، الا انه لم يتخل عنها . ونذكر هنا أن بيكاسو كان يحتفظ بغيرة أعماله لنفسه ، ولا يبيعها .

ويروى بيكاسو انه اثناء الاحتلال النازى لفرنسا، في الحرب العالمية الثانية،دخل عليه في الاستوديو ضابط نازى ، فرأى صورة فوتوغرافية للوحة ، فسأله : « انت رسمتها ؟ » فاجابه : « لا ، انتم الذين رسمتموها »

الحرب العالمية الثانية وما بعدها

ولم تمض فترة طويلة على انهاء بيكاسو للوحة « جرنيكا » ، حتى ابتلى العالم باهوال الحرب العالمية الثانية . وقد عرضت كل من امريكا والمكسيك على بيكاسو أن يهاجر اليها ، ولكنه آثر البقاء في فرنسا ليشارك البلاد التى احتضنته مصيرها ، ولكنه اعفى من الخدمة العسكرية بسبب جنسيته الاسبانية .

واحتل الالمان فرنسا ، وسقطت باريس . وشددت قوات الاحتلال الرقابة على بيكاسو ، لانها كانت تعرف كراهيته لها ، فحرمت عرض آثاره الفنية ، وحظرت ظهور اسمه في الصحف . ومع هذا لم يبرح باريس ، وبقى عاكفا على أعماله الفنية . وبيكاسو منذ عام ١٩٤٠ اصبح اكثر فنان شهرة في العالم .

وعند انتهاء الحرب ، انضم الى الحـــزب الشيوعى الفرنسى ،وقد واجه حملة من الانتقادات لعمله هذا ، واتهمه بعضهم بانه لم يكن جادا عندما انضم الى الحزب ، لان الشيء الوحيد في حياته هو الفن . وردا على هذا قال بيكاسو : « ماذا ترون في الفنان ؟ أتظنونه أحمق لا يملك سوى عينين اذا كان رساما ، وأذنين اذا كان موسيقيا ، وقلبا يخفق اذا كان شاعرا ؟! ان هذا هو الخطأ بعينه ، فالفنان فنان ، ولكنه في الوقت نفسه رجل سياسي ، تحزنه الاحداث المؤلمة ، وتفرحه مسرات الناس في كل مكان . واللوحات الفنية ، لا يرسمها الفنان لتزين بها الغرف والقاعات ، ولكنها أسلحة قتال يوجهها الى كل ما في الحياة من فساد وانحلال . »

والواقع أن بيكاسو ، وان انضم الى الحزب الشيوعى ، الا انه لم يكن ممن يتحدثون في نظرياته. وكل آثاره الفنية لا تتفق ورأى الشيوعية في الفن ورسالته . وقد وجه كثيرون من الشيوعيين نقدا مرا لآثاره الفنية ولكنه لم يحفل بهم . وأعلن ستالين عدم رضاه عن فنه . ولم يقم اى معرض له في اى بلد شيوعى . وعندما احتج الشيوعيون على اللوحة التى رسمها لستالين بعد وفاته سنة ١٩٥٢ ، رد قائلا : « لماذا يحاول الشيوعيون أن يتحدثوا معى عن الفن ؟ انني لا احاول ان اناقشهم في شؤون الاقتصاد ! »

وبعد الحرب العالمية الثانية كتب عدة مسرحيات، اعترض الرقيب على اثنتين منها ، لانهما تقتضيان ان يظهر الممثلون على المسرح عراة . وكان من قبل قد حاول نظم الشعر بالاسبانية ، وكان يلقيه مترجما الى الفرنسية . ولكن تجربته في ميدان الأدب ليست بذات بال .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، استقر في جنوبى فرنسا في دارته المسماة « كليفورنى » مع زوجته الثانية جاكلين روك ، وآخر النساء في حياته ، ومجموعة من الحيوانات بينها كلب وعنز. ويتردد عليه بين الحين والآخر اصدقاؤه الخلص. وقد سجل لنا حياته هنا في صور فوتوغرافية رائعة المصور الامريكى المعروف David Douglas Duncan وصدرت هذه الصور في كتاب بعنوان « العالم الخاص لبابلو بيكاسو » (٢) وهى صور تؤكد بوضوح ما قاله عارفو بيكاسو من أنه كان هنا يحيا حياة حافلة بالسعادة والمسرة . وتدل على هذا ايضا كل آثاره الفنية التى ابتدعها في هذه الفترة ، فقد رسم بألوان زاهية عازف الناى ،

---

(2) The Private life of pablo picasso .

والزوارق المتقلمة ، والنساء وهن يرقصن بفرح.

حمامة السلام

في عام ١٩٤٨ طلب منه صديقه الشاعر اراجون ان يرسم رمزا لاول مؤتمر عالمي للسلام كان سيعقد في وارسو في ذلك العام ، ولكنه نسي الموضوع وسط مشاغله الكثيرة . ولما دخل عليه الاستوديو اراجون يستنجزه ما وعد ، ولما رأى انه لم يرسم شيئا ، اخذ يقلب بين اللوحات فوقعت بين يديه لوحة لحمامة رسمها بيكاسو بالطريقة التقليدية، فاعجبته ، ووافق عليها بيكاسو لتكون شعار المؤتمر ، ورمزا لحركة السلام العالمية ، وما زالت الى اليوم . وقد لبى بيكاسو الدعوة لحضور المؤتمر ، بصحبة صديقه الشاعر بول ايلوار . وفي السنوات الاخيرة من حياته اختير رئيسا فخريا للمؤتمر .

وللحمامة ، الطائر الوديع ، منزلة خاصة في نفس بيكاسو ، منذ ان فتح عينيه عليها في بيت ابيه . ومن محبته لها سمى ابنته من عشيقته فرانسوازجيلو ، « بالوما Paloma » ، وهي « الحمامة » بالاسبانية .

المجد والثراء

عاش بيكاسو ليرى بعينيه تكريم الدنيا له ، وليصبح اشهر واغنى فنان :

في عام ١٩٥٧ اقام له « معرض الفن الحديث » بنيويورك (وهو يملك اكثر من ٣٠٠ اثر فني لبيكاسو) معرضا ، كان اضخم معرض اقيم لفنان فرد .

وفي عام ١٩٥٨ اهدى بناية اليونسكو الجديدة بباريس لوحة جدارية تصور انتصار قوى النور على قوى الشر ، اسمها « هبوط ايكارس » .

واقيمت لآثاره الفنية معارض كثيرة في مدن العالم ، توجت بالمعرض الذي اقامته فرنسا له عام ١٩٧١ ، احتفاء بعيد ميلاده التسعين ،فعرضت ببهو متحف (اللوفر) ، مجموعة تمثل تطور اعماله . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يقيم فيها متحف اللوفر معرضا لفنان في حياته .

واخرجت عدة افلام عنه ، منها فلم عن لوحته « جيرنيكا » ، وفلم اشهر اخرجه المخرج المشهور (كلوزو) بعنوان « سر بيكاسو » ، عرض في مهرجان (كان) السينمائي .

وبيعت لوحاته في حياته باثمان خيالية ،ومثال ذلك ان « المعرض الوطني » بنيويورك اشترى في عام ١٩٧٢ لوحته « امرأة عارية » التي رسمها سنة ١٩١٠ ، بمبلغ ١ر١ مليون دولار ، وهو اكبر مبلغ دفع ثمنا للوحة لفنان في حياته ، وهو سعر يدل على ما ستكون عليه اسعار لوحاته في المستقبل . وكان يكسب من اعماله الفنية في كل عام اكثر من (١٥) مليون دولار ، عدا استثماراته من املاكه .

ونستطيع أن نقول ان بيكاسو اصبح في السنوات الاخيرة من حياته اشهر فنان عرف في تاريخ الفن كله ، بمعنى أن من سمعوا باسمه من الاحياء اكثر بكثير من اولئك الذين سمعوا باسم مايكل انجيلو، او ليونارد دافنشي، او رفائيل ، او سيزان .. الخ. ومع هذا كله لم يترك لحظة ليستمتع بكل هذه الثروة ، وبقيت حاجاته من الحياة بسيطة : يأكل قليلا ، ويشرب اقل ، ويقضي نهاره على الشاطئ في الهواء الطلق ، يلبس السراويل القصيرة ، والصندل .

النساء في حياته

كان الفن حياة بيكاسو ، ثم النساء . وكانت النساء اللواتي احبهن ، هن احب موديلاته اليه ، يرسمهن في لوحات لا تنتهي . عشق منهن سبعاً وتزوج منهن اثنتين .

كانت (فرناند اوليفييه) هي حبه الاول ، عندما كان يعيش في حي مونمارتر ، فقيرا معدما . وكانت ابنة بائع زهور . و « فرناند الجميلة » ـ كما كان يدعوها ـ هي التي بقيت الأمل في نفسه بحبها له ، فترك « المرحلة الزرقاء » الى « المرحلة الوردية » وهام بعدها باحدى موديلاته ، وهي (مارسيل همبرت) .

وتزوج (اولغا خوكلوفا) Olga Khoklova راقصة الباليه ، وانجبت له ابنه (باولو) ولكن رغبتها العارمة في الاستمتاع بالحياة قضت على هذا الزواج فانفصلا عام ١٩٣٥ . ولكنه لم يستطع ان يتزوج ثانية الا بعد وفاتها ، عام ١٩٥٥ .

وظهرت في حياته (ماري تريز) ، ابنة العشرين ربيعا ، فانجبت منه فتاة اسمها (مايا) . ثم جاءت (دورا مار) Dora Mar ، وهي رسامة ومصورة يوغوسلافية . وتركها في عام ١٩٤٤ ليقيم علاقة امتدت ثماني سنوات مع (فرانسواز جيلو) Gilot ، وهي رسامة في الحادية والعشرين وانجبت منه ولدا هو (كلود) وابنة هي (بالوما) .

وبعد أن انفصلت عنه كتبت عن حياتها معه كتابا فيه حقد على بيكاسو ، وهو الكتاب الذى اشرنا اليه سابقا . وقد حاول بيكاسو أن يتدخل لمنع تداول الكتاب ، ولكنه فشل . ورغم هذا ففى الكتاب احاديث جرت بينها وبين بيكاسو حول الفن ، مفيدة لدارسيه ، ومثال ذلك أنها تروى ان بيكاسو قال لها مفسرا الفن التكعيبى ما يلى : « ان الحقيقة لم تعد موجودة فى الشىء المرئى ، بل هى موجودة فى اللوحة الفنية . وعندما قال الرسام التكعيبى لنفسه : « سأرسم طبقا » ، فانه بدأ يرسمه وهو يعى ان الطبق فى اللوحة ليس له صلة بالطبق فى حياة الناس . وكنا نؤمن انا نحن الواقعيون ، بالمعنى الذى قاله أحد الفنانين الصينيين : انى لا اقلد الطبيعة ،ولكنى اقوم بعملية الخلق مثلها . »

وفى عام ١٩٥٥ بدأت علاقته بجاكلين روك Jagueline Rogue ، حبه الكبير والاخير ، وزوجته الثانية وقد تزوجها عام ١٩٦١ ، وعاشا سعيدين ، على أحسن ما تكون الحياة الزوجية ، الى يوم وفاته .

وهناك حبيبة أخرى فى حياة بيكاسو ، تختلف عن كل الحبيبات ، هى وطنه اسبانيا : فقد بقيت تعيش فى قلبه ، وبقى هو نفسه اسبانيا فى روحه وعواطفه ، ورغم انه لم يقض فيها سوى ايام طفولته وصباه . وحدث عام ١٩٦٦ ، فى مهرجان السينما بمدينة (كان) أن سمع اناشيد اسبانية كان يغنيها فى طفولته ، فتساقطت الدموع من عينيه .

وفــاته

فى الساعة ٢٠ر١١ من يوم الاحد ، صباح الثامن من ابريل (نيسان) من عام ١٩٧٣ ، وفى دارته المسماة (موجين) Mougins فى بلدة نوتردام دى فى Note dame de vie بالريفيرا الفرنسية ، توفى بالسكتة القلبية بابلو بيكاسو ، عن واحد وتسعين عاما ، وستة شهور ، وسبعة عشر يوما .

فى الليلة الماضية كان بيكاسو وجاكلين يقيمان عشاء لاصدقائهما ، وكان يبدو على بيكاسو المرح والنشاط . وفى الساعة الحادية عشرة والنصف نهض عن المائدة ، واستأذن ضيوفه ، قائلا : « والآن على أن اعود الى العمل » ودخل الاستوديو وبقى يرسم حتى الثالثة صباحا . وأفاق فى الحادية عشرة والنصف صباحا كعادته ، ولكنه فى هذه المرة لم يستطع أن ينهض من فراشه . وهرعت اليه زوجته جاكلين ، وابنه الكبير باولو ، وبعد عشر دقائق كان قد فارق الحياة ، قبل ان يصل الطبيب . لقد منحته الحياة كل ما تمنى ، حتى الطريقة التى يموت فيها ، فقد قال مرة لأحد اصدقائه : « ان الموت لا يخيفنى . بل على العكس اننى اجد فيه نوعا من الجمال.وانما الذى يخيفنى هو أن اقع مريضا ، ولا استطيع الاستمرار فى العمل . عندها يصبح الزمن ضائعا ثقيلا . »

وقد قطعت اذاعة باريس برامجها لتعلن نبأ وفاة بيكاسو ، واصدرت كثير من الصحف ملاحق تحمل لقرائها وفاة الفنان الشهير . وعندما سمع لويس اراجون ، اشهر شعراء فرنسا الاحياء ، نبأ وفاته قال : « من الصعب أن نجد الكلمات التى ترقى الى قدر الرجل . »

وعند فجر يوم الثلاثاء ، والثلوج تغمر جنوبى فرنسا ، حمل جثمانه الى قصره فى قرية فوفينارج Vauvenargues وهو قلعة من القرن الرابع عشر ، ليدفن فيه . ولاسباب لم يكشف عنها بعد ، فقد منعت ابنته (مايا) وابنه (كلود) وابنته (بالوما) من مشاهدة جثمانه ، ومن السير فى جنازته .وكان بيكاسو فى السنوات الاخيرة من حياته قد حرم عليهم مشاهدته ، ولم يعترف رسميا بأبوته لهم .

ولم يترك بيكاسو وصية مكتوبة ، ولهذا ينتظر أن تثير تركته خلافا كبيرا بين الطامعين فى نصيب منها ، ولكنه أوصى زوجته جاكلين وابنه باولو شفاها ، أن يقدما لمتحف اللوفر كل الآثار الفنية التى يملكها ، والتى هى من عمل غيره من الفنانين، وهى كثيرة جدا (بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ لوحة) وللمشاهير من الفنانين ، ويبلغ ثمنها ثروة طائلة وقد اعلنا هذا النبأ بعد وفاته ، وسارع بيير مسمير ، رئيس وزراء فرنسا ، فاعلن باسم فرنسا قبول هذه الهبة السخية .

لقد بقى بيكاسو نشيطا لا يكل ولا يمل ، الى يوم وفاته .

ولعل الأجيال القادمة ستسجل أن دوره فى الفن، كان كدور اينشتين فى الفيزياء ، وفرويد فى علم النفس ، وشكسبير فى الادب .. ابداع منفرد غير من مسيرة الفن ، وتركه يوم وفاته مختلفا عنه يوم دخل بابه لأول مرة . ■■

د. محمود السمره

مِنَ الكتب التي وصلتنا

هجرة الكفايات العلمية

تأليف : الدكتور محمد ربيع
الناشر : جامعة الكويت/ الكويت

● تعتبر مشكلة هجرة الكفايات العلمية والفنية الى الدول المتقدمة من أهم المشاكل التي تواجه الدول النامية وتهدد خطط التنمية فيها ، اذ ان عملية التنمية لا تتم الا عن طريق احداث تغيرات حضارية في المجتمع ، ولما كانت عملية التغير الحضارى ، وبالتالي عملية التنمية لا تتم الا من خلال تطوير مختلف الأفكار والمفاهيم التي تسود حياة المجتمعات الانسانية ، فان الدور الذى يلعبه التعليم والعلماء في احداث ذلك التطور وتوجيهه يصبح على درجة كبيرة من الأهمية ، لذلك فان هجرة الكفايات العلمية من تلك الدول المتخلفة تفقدها جزءا كبيرا من العنصر البشرى الذى يتمتع بالقدرة على بدء عملية التنمية وقيادتها .

والمؤلف يحاول في هذا البحث أن يتناول مشكلة هجرة الكفايات العلمية والفنية بالدراسة والتحليل من أجل تحديد المحتوى العام لمفهوم هجرة الكفايات العلمية وتوضيح الأبعاد المختلفة التي اتخذتها هذه الظاهرة من خلال تطوراتها المختلفة .

وعلى العموم فان البحث يتجه في مجموعه الى محاولة توضيح وتحديد ما يسمى بهجرة الادمغة خاصة من البلاد العربية ، وذلك بهدف زيادة درجة الوعى العام تجاهها ، كما ان هذه الدراسة من الدراسات العربية القليلة التي تحاول طرح هذا الموضوع ومناقشته من كافة النواحي .

تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام

تأليف : الدكتور احمد مختار العبادى ــ والدكتور السيد عبد العزيز سالم
الناشر : جامعة بيروت العربية ــ بيروت/لبنان .

● يقترن تاريخ البحرية الاسلامية في الشام ومصر بحركة الفتوحات الاسلامية التي بدأت في خلافة ابي بكر واستمرت طوال عصر الخلافة الراشدة ، ثم في عصر الدولة الاموية ، فقد كان لزاما على العرب بعد ان تم لهم فتح الشام ومصر ، واصبحت لهم سواحل تطل على البحر المتوسط ، ان ينتهجوا سياسة بحرية معينة لان استيلاء المسلمين على الشام ومصر ادى الى تمزيق وحدة الامبراطورية البيزنطية ، واصبح البحر وحده الوسيلة الوحيدة للربط بين اجزاء هذه الامبراطورية

لذلك عهد العرب الفاتحون بالضرورة الى انتهاج سياسة بحرية دفاعية ، لمواجهة الخطر البيزنطي الماثل على ثغور المسلمين ، فاتجهوا الى اقامة الحصون الساحلية في الشام ومصر ، واقامة الاربطة والمناظر والمسابح على طول الساحل ثم شحنها بالمقاتلة ، لذلك حظيت سواحل الاسكندرية ورشيد والبرلس في مصر وسواحل عكا وصور وصيدا وبيروت وطرابلس وانطاكية في الشام بقلاع شحنت بالحاميات المرابطة .

وفى خلافة عثمان حاول العرب اصطناع سياسة بحرية دفاعية وهجومية في ان واحد ، فتحتم عليهم ان ينشئوا الاساطيل ، واستعانوا بأهل البلاد المفتوحة كالاقباط في مصر ، وملاحي الشام الذين كانت لهم تجارب بحرية واسعة، كما استعان معاوية ابن ابي سفيان بالعناصر العربية اليمنية في تسيير السفن الاسلامية وقيادة العمليات البحرية في الشام وقد تجلت براعة أهل اليمن في الغزو البحرى في بحار الشام ومصر والاندلس ، فظهرت شخصيات امثال جنادة بن ابي امية الازدى .

ثم كان الاهتمام المتزايد بانشاء مزيد من السفن في دارى صناعة السفن في اسكندرية وعكا وقد تطلع العرب الى موارد الاخشاب اللازمة لصناعة السفن من غابات آسيا الصغرى وجبل لبنان واحراج مصر العليا .

وقد كان الاشتباك البحرى الحاسم في ذات الصوارى سنة ٣٤ هـ هو الذى سجل نهاية للسيطرة البحرية البيزنطية وبداية عصر القوة في تاريخ البحرية الاسلامية .

وهذا البحث ينقسم الى موضوعين رئيسيين الاول تناول تاريخ البحرية الاسلامية في الشام

ومصر حتى نهاية العصر الفاطمي ، وكتبه الدكتور عبد العزيز سالم . اما الموضوع الثاني فيعالج البحرية الاسلامية في الشام ومصر في العصرين الايوبي والمملوكي وكتبه الدكتور مختار العبادى .

شرح قانون الجزاء الكويتي

تاليف : الدكتور عبد الوهاب حومد

الناشر : جامعة الكويت/الكويت

● كانت الكويت كسائر الاقطار العربية والاسلامية تطبق قواعد الشريعة الاسلامية في احكامها الجزائية ، ولكنها فتحت الأبواب للتشريع المصرى ، فاصدرت قانون الجزاء الكويتي الذى لا يتعارض واحكام الفقه الاسلامى الذى كان معمولا به قبل صدور القانون ، وليس هذا العمل جديدا على مجتمعاتنا فقد تبنت الدولة العثمانية قانون الجزاء الفرنسي، وكذلك مصر تبنت قانونا للجزاء والتشريع الجنائى المصرى أخذ من فرنسا كما أن اقطارا عربية اخرى وضعت لنفسها تشريعات جزائية عصرية اخذتها على وجه الاجمال من التشريع الفرنسي اذ تأثرت به الى حد كبير .

وقد وضعت الكويت قانونا للجزاء وعدلته بالقانون رقم ٣١ لسنة ١٩٧٠. كما وضعت قانون الاجراءات واصول المحاكمات الجزائية في الفترة ذاتها وعدلته بالقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦١ . وتجدر الاشارة الى ان قانون الجزاء الكويتي مستوحى من قانون حديث أعد للبحرين كما جاء في المذكرة التفسيرية، وتختص مادة القانون الجزائى Droit Penal أو القانون الجنائى Droit Criminel بدراسة نصوص القانون التى تعرف الجرائم وتحدد عقوبتها وتدرس العلوم الجزائية للسلوك الاجرامى واسبابه التى تحركه .

اعلام الجيل الاول من شعراء العربية في القرن العشرين

تاليف : انيس المقدسي ـ بيروت ـ لبنان

● هذه دراسة في حقل الادب العربي الحديث تنصب على الناحية الشعرية الصرفة ، وتلقى بعض الضوء على نخبة من اعلام شعرائنا العرب المحدثين الذين نبغوا في النصف الاول من القرن العشرين وقد سبقونا الى عالم الارواح ، تاركين لنا الكثير من آثارهم ونتاجهم الفكرى .

ان شعراء هذه الحقبة كثيرون ، منهم البارزون ومنهم المغمورون ، على ان الشهرة وحدها ليست مقياسا حقيقيا للحكم على الشعراء ، واذا كان المؤلف قد اختار بعضهم للدرس والتحليل فليس ذلك لمجرد شهرتهم بل لانه وجدهم افضل تمثيلا للروح السائدة في عصرهم ، بل واشد تأثيرا من سواهم في حياة مجتمعهم ، وان لم يكن كلهم من المجلين في هذا المضمار بالقياس الى من لم يقع عليهم الاختيار .

اما تسميتهم باعلام الجيل الاول من شعراء القرن العشرين فلانهم بداوا حياتهم في اواخر القرن الماضي وعاشوا اكثرها في النصف الاول من القرن الحاضر ، فهم يمثلون طورا خاصا من اطوار نهضتنا الادبية الاخيرة ، كما تلاهم وعاصرهم جيل آخر ممن ولدوا في القرن العشرين وعاشوا فيه وتشربوا روحه ، فكانوا اشد اتصالا بما دخله من روح فنية جديدة ، وما طرا عليه من تطورات بل ثورات فكرية واجتماعية واكثرهم ما يزالون احياء يرزقون ، ومنهم من تكامل عمله الشعرى وانتهى ، ومنهم من لا يزال يعمل وينتج ، ولا شك انه سيقوم من سيتناول نتاجهم الشعرى بالدرس والتدقيق .

وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب دراسة عن شوقي وحافظ ومطران والزهاوى والرصافي والملاط وبشارة الخورى وايليا ابو ماضي دراسة تحليلية لشاعريتهم كما تتجلى في دواوينهم مع مختارات تمثل نزعاتهم الشعرية واثرهم في حياة مجتمعهم .

دعائم الصحة المهنية والامن الصناعي

تاليف : الدكتور محمد سيد عبد العال .

الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● ان التقدم الاقتصادى والاجتماعي في كل امة رهن بحسن استغلال مواردها الطبيعية ، وتعتبر القوى العاملة من اهم تلك الموارد لذا يطلق على هذه القوى ، جيوش التصنيع ، ومن أجل ذلك تولى هذه الدول اهتماما بالغا بتوفير الوقاية الصحية لافراد تلك الجيوش درءا لاخطار الامراض المهنية . كما تعنى

توفير احتياطات الامن اللازمة لمنع الحوادث والاصابات .

وتقوم الصحة المهنية اصلا على دعامتين الاولى : صحة الابدان واكتمال قواها ، والثانية صحة العقول اى راحة النفس والبال والسمو بروح الفرد المعنوية ، لذلك فان المرء مهما يملك من طاقة وقوة فانه لا يستطيع بطبيعته البشرية ان يكافح ويصارع في جبهتين في وقت واحد ، فاما كفاح مع ما تمكنه الحياة البيئية في كل ناحية من نواحيها ، فيستهلك ذلك الكفاح النفسي وقوة المرء وطاقته واما تفرغ للصراع والكفاح في دنيا الانتاج والعمل ، وعندما يفقد الانسان في صراعه الاول التوازن والتماسك والانسجام البدني والروحي فانه يعجز وينهار عن مواصلة الكفاح في دور الصناعة او دنيا الانتاج وكفايته ايا كان نوعه ، وهذا الكتاب يوضح مايلزم توفيره للعمال من صحة وامن خلال اعمالهم الصناعية .

الاستدلال الصورى

الجزء الاول/تأليف : الدكتور عزمي اسلام

الناشر : جامعة الكويت/الكويت

● كتاب يدرس الاستدلال في المنطق التقليدى القديم ويهدف المؤلف في هذا الكتاب ان يعيد كتابة المنطق التقليدى في صياغة رمزية ، وقد دفعه الى ذلك اسباب عدة ، اهمها ان ارسطو مؤسس المنطق القديم كان يميل الى استخدام حروف الابجدية اليونانية بدلا من الفاظ اللغة المتداولة ، لاسيما في اثناء عرضه لنظريته في القياس كما ان التعبير التقليدى القديم باستخدام جهاز رمزى مناسب يعتبر عملا تمهيديا للقارىء الذى تعود قراءة كتب المنطق التقليدى والذى يجد بعض الصعوبة والمشقة في متابعة ما يكتب في مجال المنطق الرمزى المعاصر ، ثم ان المنطق الصورى بالدرجة الاولى والصورية تكاد تتحقق بقدر بعدنا عن الفاظ اللغة ذات المضمون والدلالة ، كما ان استخدام الرموز في المنطق يساعد على ابراز عمليات الاستدلال والبرهان وتوضيحها ، والاستدلال كما هو معروف هو الموضوع الاساسي في دراسة المنطق ، كما ذكر المؤلف مكونات الاستدلال من قضايا وحدود بوصفه مدخلا للاستدلال، كما افرد فصلا ثلاثة انواع من البراهين المستخدمة في المنطق الرمزى المعاصر بالنسبة للقياس التقليدى .

عروبة فلسطين في التاريخ

تأليف : محمد اديب العامرى

الناشر : المكتبة العصرية صيدا ـ لبنان

● يعالج هذا الكتاب ناحية رئيسية من تاريخ فلسطين، وهي مدى عروبة هذه المنطقة قبل الاسلام وفيه اهتمام خاص بالقدس وبدعوى اليهود بما يسمى حقهم التاريخي في البلاد ودعواهم بان الرب وعدهم بها لتكون لهم وطنا .

وقد اهتم الكتاب الغربيون بابراز مكانة البلاد بالنسبة الى الديانتين اليهودية والمسيحية وتجاهلوا مكانتها من الناحيتين الاسلامية والعربية، فهذا الكتاب محاولة جيدة لتلافي هذا النقص ، وسد هذا الفراغ ، بغية اظهار الحقيقة دون تحيز الى فئة من الفئات ، وبخاصة من الناحية القومية مع الرد على دعوى الحق التاريخي لليهود في البلاد .

لقد عمد المؤلف في البحث عن (وعد يهوه) لليهود بارض فلسطين وهو يعالج هذا الموضوع من مفاهيمه المختلفة دينية وتاريخية وعلمية ، معالجة تضع القارىء امام ذلك الوعد في ضوء النظرة العلمية الحديثة وتبين له خباياه ، كما ميز المؤلف بين المعنى القديم للسامية ومعناها الحديث .

لقد سكن العرب فلسطين منذ الاف السنين وهم الذين عمروها ، وهم الذين بنوا القدس لاول مرة وهم الذين اسبغوا عليها صبغة التقديس لاول مرة في التاريخ ، اما اليهود او العبرانيون فانهم طرأوا على القدس وفلسطين طروءا عابرا ثم تركوها في مطلع القرن الاول للميلاد .

ان التوراة التي كتبها اليهود بايديهم ذات تأثير ديني على العالم المسيحي الغربي ، وكان لقصصها تأثير على التراث الاسلامي ، وقصص التوراة تدور معظم احداثها في فلسطين، فالطفل المسيحي الغربي يخرج من تلاوة التوراة وذهنه مملوء بالعقيدة بان فلسطين هي لليهود ، وان اليهود هم اصحاب فلسطين ، وان غير اليهود طارئون عليها ولذلك اثرت في عقول الناس بقدر لا يتناسب ومبلغ صحتها.

ومن هنا نجد منذ البداية صعوبة كبيرة في زحزحة افكار الغربيين في اوربا وامريكا عن العقيدة التي غرستها التوراة في نفوسهم قرونا عديدة .

الرأي العام وتأثره بالاعلام والدعاية

تأليف : الدكتور محمد عبد القادر حاتم
الناشر : مكتبة لبنان/ بيروت /لبنان

● اصبح الاعلام في عصرنا الحاضر علما له قواعده واصوله ، فلم تعد الممارسة العملية وحدها كافية للتقدم في مجالات الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتلفاز وسينما وغيرها من وسائل الاتصال بالجماهير، لذلك اتجهت الدول المتقدمة نحو انشاء المعاهد والمراكز المتخصصة لدراسة علوم الاعلام وفنونه .

وينقسم هذا الكتاب الى قسمين ، الاول يدرس الرأى العام وكيف يقاس ؟ وكيف يساس ؟ وكيف يتكون ؟ وكيف يتنبأ به ؟ وكيف يتطور ؟ فلم يقدم المؤلف مذهبا من مذاهب دراسة الرأى العام اعتنقته مدرسة من المدارس الفكرية ، ولكن المؤلف قدم دراسته لهذا الموضوع بفكر عربي يستعين بآراء ومذاهب كل الذين أتيحت له مطالعة آرائهم، ثم المتخصصين فى علوم الاعلام ، وما يرتبط بها من دراسات سياسية واجتماعية وغيرها . وبهذه النظرة كانت دراسة الرأى العام وهو اساس دراسة كل علوم الاعلام ، وفى ممارسة العمل الاعلامى ذاته ، ذلك أن دراسة الموضوعات المتخصصة فى مجالات الاعلام على اختلافها وتعددها لا بد أن ترجع الى معرفة الانسان ومعرفة هذا الانسان هى دراسة الرأى العام .

واما القسم الثانى فهو بعنوان الاعلام والدعاية، ويحاول المؤلف هنا أن يربط النظريات بالتجارب، وذلك لأن العلوم الانسانية التى سبقت علوم الاعلام والدعاية سلكت سبيلا علميا صحيحا عندما قامت على أساس المشاهدة والملاحظة والتجربة . ولذلك سيجد القارىء أن المؤلف قد التفت الى التجارب الاعلامية والدعائية كثيراً ، وجعل منها مادة للمناقشة ، وخاصة فيما عرضه من نظريات وقواعد ومبادىء للاعلام والدعاية .

ويرى المؤلف أن التجارب البشرية فى الاعلام كثيرة ، ولكل تجربة ظروفها ، ولذلك فان هذه التجارب التى تستخلص منها النظريات يجب أن تدرس بعناية ، لأن اختلاف الظروف يحتم اختلاف النظرية الاعلامية التى طبقت فى ظروف أخرى .

ان خلاصة التجارب الناجحة وصلت بنا الى نظريات فى الاعلام والدعاية ، ولكن تطبيقها يصبح شيئا آخر ، فلئن كانت النظرية الاساسية فى الاعلام مثلا أن تقول الحق دائما ، فان هناك وسائل متعددة لتوصيل كلمة الحق الى الجماهير ، وهذه الوسائل ترتبط بظروف واحوال كثيرة ، فهنالك اسلوب التدرج من أجل الوصول الى الجماهير ، ولذلك اصبحت نظرية توصيل المعلومات عن طريق التدرج من النظريات الاساسية فى الاعلام ، وكذلك نظرية أن تكون انسانا مع عدوك ، وخلاصتها من وجهة النظر الاعلامية هى ان العنصر الانسانى اساس راسخ فى الدعاية والاعلام .

مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة فى دور السجلات البريطانية

عرض وتعليق : الدكتور جمال زكريا قاسم

● هذا الكتاب محاولة طيبة للتعرف على الوثائق المتعلقة بتاريخ الكويت والخليج العربى بأرقامها ومحتوياتها من دور الوثائق والسجلات البريطانية ، والغرض من ذلك تحقيق هدفين : أولهما: اعداد دليل يشمل التعريف بالوثائق وأماكن وجودها وأرقامها ومحتوياتها وكل ما من شأنه مساعدة الباحثين وطلاب الدراسات العليا على سهولة التعرف للمادة التاريخية التى لا غنى عنها فى الدراسة . وثانيهما : أن تقوم الجامعة بتصوير ونقل ما تمس اليه الحاجة من هذه الوثائق ، كى تضعه نواة لمركز وثائقى عن الكويت والخليج العربى .

ولا شك أن جامعة الكويت بحكم وجودها فى منطقة الخليج تحمل على عاتقها امانة علمية ، هى ضرورة اهتمامها بالدراسة الخاصة بهذه المنطقة من الوطن العربى وتسليط مزيد من الأضواء على موضوعات جديدة فيه يمكن أن ينفذ منها الباحثون الى آفاق واسعة لهذه المنطقة .

اما الاماكن التى توجد بها هذه الوثائق فهى على الوجه الآتى :

١ ـ سجلات وزارة الهند
India Office Records

٢ ـ مكتب السجلات البريطانية العامة
Public Record Office

٣ ـ المصادر الاولى الخاصة بالكويت والخليج العربى المحفوظة فى « مكتبة المتحف البريطانى
«British Museum Library

■■

كارولين

من غرائب القضايا

زوجة جورج الرابع ملك الانجليز

هل ظلموها، أم ظلمت نفسها، ووضعت نفسها موضع الشبهات ؟

بقلم : حسن الجداوى

■ ان هذه القضية فى نظر انصار كارولين تمثيلية قام بترتيب أدوارها وزراء جورج الرابع الخائنون ، البسوها مظهر القضاء والتقاضى ، ففيها شهود . وفيها اتهام . وفيها مرافعات . وفيها دفاع وان يكن مقيدا . ومجلس لوردات يقوم بدور القاضى والمحلفين ... وكل ذلك بقصد حرمان المتهمة من أن تدافع عن نفسها. انتهت مع ذلك بان خابت تدبيرات مدبريها فلم يسعهم فى نهاية الأمر الا ان يسقطوا الادعاء وان يكن بحيثيات تدين المتهمة .

لم تكن شخصية كارولين تستحق حب شعبها ولكن الشعب مع ذلك تحمس لها ولقضيتها، لا حبا فيها .. ولكن كراهة لزوجها .

★ ★ ★

كارولين هي الابنة الثانية لدوق « برونزويك » زوج كبرى اخوات جورج الثالث . ولدت فى عام ١٧٦٨ ، اميرة بحكم انتسابها لاسرة « برونزويك » التى تتصل بأواشج النسب بآل رومانوف ، الاسرة المالكة فى روسيا القيصرية ، وآل هوهنزلرن الالمانية وآل هابسبورج حكام النمسا .

وفى تلك الايام لم يكن الشعب الانجليزى يحمل لملوكه الحب العميق الذى نراه فى هذا القرن . لقد كانوا جميعهم من هانوفر ، ابتداء من جورج الاول حتى جورج الرابع ، ووليم الرابع ، وحتى الملكة فيكتوريا التى لم يحبها الشعب الا فى اواخر حكمها الطويل . وسبب ذلك ان الاسـرة المالكة من اصل جرمانى ينظر اليهم الاشراف الانجليز بانهم دونهم . ولم يجلس على عرش انجلترا ملك انجليزى « قح » منذ عهد الملكة « آن » آخر آل استيوارت الاسكوتلانديين . وحتى اسرة تيودور التي حكمت ما بين سنة ١٤٨٥ و ١٦٠٣ كانت من بلاد الغال . وكان الارستقراطيون الانجليز يعتبرون انه منذ حكم آل يورك (١٤٦١ ـ ١٤٨٥) لم يجلس على العرش أعلى منهم مقاما . لذلك فان جورج الثالث ـ برغم تصرفاته غير المتزنة ـ اكتسب شعبية اكثر من زملائه الهانوفريين فى فترة حكمه التي انتهت بضياع المستعمرات الامريكية واستقلال

الولايات المتحدة . وفي الوقت ذاته كان ابنه امير الفال مكروها الى اقصى الحدود .

★ ★ ★

كان امير الفال او ولي عهد انجلترا الذي اصبح فيما بعد جورج الرابع زوج كارولين ـ محبوبا لدى الذين يعرفونه عن كثب ولكن أفراد الشعب كرهوه لسوء تقديره السياسي وتقربه من الوجز Wiggs (حزب الاصلاح) . وكان مع ذلك على قدر لا بأس به من الثقافة والذوق الرفيع كثير الاطلاع والاجتماع برجال الادب والفن والموسيقي ، يعاملهم على قدم المساواة ... ولكن خصومه كانوا يقولون عنه انه شهواني فاقد الذوق والشعور والاحساس اناني جبان وما شابه ذلك من العيوب .

★ ★ ★

ولما بلغ ولي العهد الثانية والثلاثين عام ١٧٩٤ كان وزنه قد اصبح ـ بسبب افراطه في الطعام والشراب ـ مائة وخمسين كيلوجراماورأى أبوه وحكومته انه لا بد من تزويجه زواجا يتناسب مع حالته ولضمان استمرار العرش . اما زواجه العرفي من السيدة فتزهربرت فلم يكن يقيده قانونا ولا يحول دون زواجه . ووقع الاختيار على الاميرة كارولين برونزويك بحسبانها الاميرة الوحيدة اللائقة في تقدير ابيه جورج الثالث وحكومته . ولم يترك اى خيار للامير فقد قال له ابوه ان هذه هي الطريقة الوحيدة للتخلص من ديونه العديدة المتراكمة .

★ ★ ★

وأوفد الاب لورد ملمسبرى لاعداد ترتيبات الزواج . وشعر اللورد بخيبة أمل لا مثيل لها حين قابل الاميرة .. فقد كانت جذابة الى حد ما.





قزيرة الشعر ... ولكنها كانت قذرة بكل ما تحويه هذه الكلمة . لا تكاد تعرف الاستحمام . ملابسها الداخلية خشنة وجواربها سميكة. واسوأ من كل ذلك حديثها وتبذلها في معاملة من هم دونها. اى انها باختصار لا تصلح - فيما عدا - محتدها ونسبها - اميرة لولي العهد فضلا عن ملكة لانجلترا

ولكن اللورد كان يدرك ان جورج الثالث قد وطد العزم على تحقيق ذلك الزواج وخشي أن يضع العراقيل في سبيل تحقيق تلك الرغبة . وكل ما تبقى له هو ان يحاول أن يعلم الاميرة ان تفكر قبل ان تتكلم . وكان ذلك جهدا ضائعا . فان كارولين - في السابعة والعشرين - لم يعد من السهل الحد من تصرفاتها الشاذة وحماقاتها التي سوف تسبب لها ولزوجها - كما سنرى - متاعب لا حد لها كادت تطيح بالعرش البريطاني .

★ ★ ★

وفي ابريل سنة ١٧٩٤ وصلت كارولين الى انجلترا. ولم تكن المقابلة الاولى بينها وبين خطيبها تبشر بخير . فقد طلب الخطيب - أول ما وقع نظره عليها - كأسا من البراندى . أما هي فلم تخف عليه وعلى من حولها انها وجدته بدينا جدا وليس جميلا كما كان يبدو في صورته .

وبعد ثلاثة ايام عقد قرانهما في كنيسة القصر . ووصف احد الذين حضروا عقد القران ان الامير كان اشبه بمن يريد ان يخفي نفسه عن نظرات العالم اجمع . وقيل انه كان مخمورا بينما كانت الخطيبة في اقصى حالات المرح . وامضيا شهر العسل في قصر الأمير « وندسور » .

وسرعان ما ظهر التناقض بين أخلاقهما . فبينما كانت الاميرة لا تعنى بنظافتها كان الأمير على العكس شديد العناية بنظافته . ولذلك اثارت اشمئزازه ولم يستطع الاقتراب منها الا بشق النفس ، وهكذا انجبت ابنتها شارلوت في ٧ يناير سنة ١٧٩٦ وليدة الاتصال الاول والاخير بينهما .

★ ★ ★

ولم يطيقا الاقامة تحت سقف واحد . فاتفقا على الانفصال ، وحولا زواجهما الى زواج ابيض كما يسمونه ، وكان ذلك يحدث كثيرا بين العائلات المالكة . ولكن هذا الزواج بالذات كان الغرض منه ضمان انتقال العرش . وكان مطلوبا من الامير ان ينجب وريثا ذكرا مهما اساءت الزوجة اليه ، ومهما يكن مدى نفوره منها .

★ ★ ★

وحين أدرك الشعب أن الامير يكره زوجته عطف عليها وفتح لها قلبه واصبحت محبوبة لندن . وهجرت الاميرة قصر كارلتون لتعيش قرب جرينتش وهناك خالطت وصادقت عددا من ضباط البحرية مما اثار فضيحة اضطرت حيالها الحكومة - في عام ١٨٠٦ - أن تبدأ تحقيقا عرف باسم «التحقيق الدقيق » اقتضت اهميته ان يتولاه رئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير العدل ووزير المالية . وكانت التهمة ان كارولين ارتكبت جريمة الزنا مع سير توماس لورنس ، وسيرسدني سميث ، وكابتن مانبي ، واخرين غيرهم . وكان اخطر اتهام انها انجبت ابنا غير شرعي . واكدت ليدى دوجلاس ان الاميرة المتهمة قد شرحت لها ادوار حملها بتفصيل لا تقدر عليه الا سيدة حملت وولدت فعلا . ولكن لجنة التحقيق تأكدت ان كارولين انما عطفت على طفل لامرأة فقيرة زوجها متعطل فأوته ولم تنجبه .

ومع اقتناع اللجنة ان الاميرة لم تكن حريصة في تصرفاتها وان لسانها « مفلوت » وانها لم تكن تقاوم ميولها الجنسية ، فانها رأت ان زوجها لم يكن اقل منها استهتارا، وهذا حملها على أن تقترح طي اوراق التحقيق . ووضعت كارولين املها في جورج الثالث الذى كانت تعتبره صديقا وسندا لها ولكنه رفض ان يقابلها ، وعنفها بشدة . وفقدت هي كل امل حينما ثبت ان الملك قد اصيب

بلوثه او بالاصح ظهرت عليه اعراضها بلا امل في شفاء .

★ ★ ★

وفي عام ١٨١٤ تركت الاميرة انجلترا ضد نصائح انصارها ومحبيها وارادتهم . ولعلها فعلت ذلك طلبا للحرية ولتتخلص من مضايقات زوجها الذى اصبح وصيا على العرش بسبب نكبة ابيه الملك . ونسب اليها انها صرحت بانه ما دام الانجليز يضنون عليها بلقب« اميرة ويلز » دلالة على زواجها من ولى العهد، فانها ستصبح « كارولين السعيدة المرحة » . وتبعها في غربتها عدد كبير من سيدات المجتمع الانجليزى كونوا لها بلاطا محترما في البلاد التى زارتها ، ولكنهن سرعان ما انفضضن من حولها حين وجدن ان شخصية كارولين السعيدة المرحة قد طغت على شخصيتها كاميرة ، وانها لا تنوى العودة الى انجلترا ، فادركن ان بقاءهن معها معناه ان يحكمن على انفسهن بالنفى من الوطن ، وهو الامر الذى لا يردنه ، فانفرطن من حولها .

ومع انها كانت متاكدة وهي في سويسرا ان عيون ولي العهد ــ الوصي على العرش ــ كانت لها بالمرصاد ، ترقب كل ما تقول وتفعل ، فانها لم تعبا بنصائح اصدقائها، وكانت تقول لهم : « تقولون ان الوصى سيحاط علما بكل ما اقول وافعل . فليكن . انني ارجو ان يعلم . فانني اريد ان اجرح مشاعره » .

★ ★ ★

والتقت في ميلانو بافاق ايطالى اسمه برتولوميو برجامى، وسيم الطلعة، فارع الطول ، رومانتيكي، مجهول الاصل والنسب ، فولته شئون رحلتها وضمته الى حاشيتها وبدات وهو في ركابها جولة فاضحة استمرت سبع سنوات في ظروف اشمأزت منها اوروبا ، فهجرها من تبقى في حاشيتها من الانجليز ، وقصدت نابولى في شرذمة من الخدم ثم عبرت البحر الابيض المتوسط الى تونس حيث تناولت القهوة مع الباى وسط جواريه ، ثم الى اثينا ، وزارت جزر اليونان والاستانة وعكا وبيت المقدس الذى دخلته على صهوة جواد عربى اصيل في شهر يوليو سنة ١٨١٥ . وعادت الى ايطاليا لتستقر في فلته اشترتها على ضفاف بحيرة «كومو» وزارت فيما بين سنتى ١٨١٧ و ١٨١٩ ميونيخ وغيرها من المدن . وبينما كانت تقضى الشتاء في مارسيليا وصلها خبر وفاة جورج الثالث واعتلاء زوجها العرش باسم جورج الرابع .

واصدر جورج الرابع اوامره لسفرائه في اوروبا بان يعارضوا ــ بشدة ــ اعتراف الدول بكارولين ملكة ، واسقط اسمها من طقوس كنيسة انجلترا . واراد جورج الرابع ان يطلقها بتهمة الزنا وجمع ادلة كثيرة ليثبت انها كانت تعامل برجامى معاملة العشيق . وقال له مستشاروه ان السير في هذا الاجراء يعرضه لاخطار شديدة ، لان كارولين سوف تدافع عن نفسها برد السهم اليه وتوجه اليه تهمة ارتكاب جريمة الزنا التى يصعب دحضها فقد كان معروفا ان له مجموعة من العشيقات ، وخشى الوزراء ان يسيء ذلك الى مقام الملكية .

★ ★ ★

وكان طبيعيا ان تتوق كارولين الى العودة الى انجلترا وتطالب بمكانها الطبيعى كملكة . كما كان طبيعيا ان يعارض الملك تلك الرغبة . حتى انصار الملكية انفسهم وان كانوا يعتبرون ان جورج الرابع عبء وعقبة فقد ادركوا أن وجود كارولين يزيد ذلك العبء ثقلا .

الا ان كارولين برغم تحذيرها بان الاتهام سيوجه اليها صممت على العودة الى انجلترا ونكبت عن سوء العواقب جانبا . وعند وصولها الى سانت اومير ، بقرب كاليه ، قابلها رسل من قبل الملك (زوجها) وعدد من انصارها بينهم هنرى بروغام (اللورد الذى تولى بعد ذلك الدفاع عنها امام مجلس اللوردات) مفوضا من قبل الحكومة ليعرض مرتبا سنويا مقداره خمسون الف جنيه استرليني اذا عدلت عن دخول البلاد . ولأمر ما فشلت المحاولة ، وربما كانت طريقة العرض غير مستاغة فقد اغضبها ــ من الوهلة الاولى ــ ان الملك كان مصرا على ان لا يذكر اسمها في صلوات الدعوة لافراد الاسرة المالكة . فباى صفة يتحدث جورج الرابع عن الفضيلة ؟! وعلى اى أساس يرجمها ؟ ولذلك صممت كارولين على ان تخترق الحدود ، وتطالب بحقوقها .

★ ★ ★

ولو ان الملك وحكومته تصوروا ما تحدثه عودة كارولين من تأثير على الجماهير لبذلوا اضعاف ما بذلوا للحيلولة دون عودتها . فقد اصدر قائد حامية دوفر امرا باطلاق المدافع تحية لها ، وتجمهر الاف من الناس يهتفون لها عندما نزلت الى الرصيف ، وكانوا يسالونها « لماذا لم تحضر معها « الملك برجامى ؟ » . وفي طريقها الى لندن احاطت

وتأييدا لهذه الفتوى وكان مما قاله أحد انصار الملكة انها نقية كالثلج الذى لم تطلع عليه الشمس. (وهذا اثار موجة من الضحك) . وقال عضو آخر ان شهود الاتهام مجموعة من الافاقين اشتروا بالمـال .

★ ★ ★

وتقدم الاتهام بشهود قرروا انه بعد ان بلغ الغلام الذى احتضنته الملكة سن الحلم ، ولم يعد يشارك الملكة غرفة نومها ، انتقل بيرجامى من قسم الخدم الى غرفة ملاصقة لغرفة نوم الاميرة. وآخرون شـهدوا أنهم رأوا بيرجامى يعاونها فى ارتـداء ملابسها . وانهم شاهدوه فى سوريا يدخل خيمتها بملابسه الداخلية . وانه كثيرا ما استدعى الى الخيمة ليقوم على خدمتها . وانتقدوا نظام النوم على ظهر المركب اثناء رحلاتها بالبحر الابيض . وقال النائب المترافع انه ما من سيدة تسمح لانسان بمثل هذه الحرية الا اذا كانت قد منحته اعز ما عندها .

ومن طرائف ما حدث ان شاهد الاتهام الأول واسمه تيودور ماجوكى ــ وكان ايطاليا ــ كان يرد على كل سؤال يوجه اليه بجملة ايطالية « نون مى ريكاردو » شغلت ترجمتها وقتا طويلا من وقت المجلس . هل معناها « لا أعرف أو لا أذكر » « ولذلك اطلقت الصحف البريطانية على الشاهد اسم مستر « نون مى ريكاردو » .

واستمرت المناقشة ــ او المحاكمة كما سموها ثلاثة اشهر . وكانت التفاصيل تنشر فى الصحف بكل وقائعها الفاضحة المثيرة ، حتى ليقال انها اصبحت موضوع احاديث الصالونات ومناقشات الناس فى المقاهي والنوادى ، وان رئيس اساقفة كانتربرى سمع يبدى ملاحظات جريئة فى اوساط مختلفة . ومنع كثيرون ابناءهم من قراءة الصحف ... ووضع النائب العام حدا للاتهام بان صرح انه يعتبر ان ما قدم من أدلة كاف لاثبـات ارتكاب الملكة لجريمة الزنا مع بيرجامى .

وتأجل انعقاد المجلس ثلاثة اسابيع ليعد الدفاع مرافعته .

★ ★ ★

وفى الثالث من اكتوبر افتتح بروغام دفاعه بخطاب قوى رائع استغرق يومين كاملين سخر فيه من محركى التهمة ، وتهكم على الشهود ، وتساءل كيف يتصور عاقل ، بل مجنون ، ان الاميرة ــ



بموكبها مجموعة من الفرسان ، ولكن احدا من قبل الملك او الحكومة لم يستقبلها .. لقد كانوا مشغولين باعداد أدلة ادانتها . او هكذا اعتقدوا ، فقد جهزوا مجموعة اقرارات من اناس مختلفين تثبت أن الملكة تصرفت تصرفات معيبة اثناء وجودها خارج البلاد .

وقدم لورد ليفربول رئيس الوزراء مشروع قانون بحرم كارولين من لقبها وحقوقها كملكة لانجلترا وفسخ عقد زواجها ، متهما لها بالسلوك غير اللائق الذى يثير الاشمئزاز فى علاقتها ببرتولوميو بيرجامى وانها تصرفت معه فى عدد من البلاد الاجنبية ــ سرا وعلانية ــ بحرية ورفع كلفة لا تليق » .

وطلبت الحكومة ان يناقش مشروع القانون فى مجلس اللوردات وحده . ومعنى ذلك ان يكون من حق كل عضو ان يستجوب الشهود ، وان يحضر المناقشة" وكلاء" عن الطرفين .

★ ★ ★

وتحمس افراد الشعب للملكة وبدأت تصلها عبارات التأييد من كثير من البلدان . وفى القراءة الثانية لمشروع القانون اثار لورد جراى ــ منذ البداية ــ دفعا فرعيا بان ما هو منسوب للملكة يشكل خيانة عظمى لانها قبلت تلويث فراشها مع شخص غير خاضع لسلطان الملك. وتناول القانونيون من اعضاء المجلس هذا الدفع بالشرح والتحليل وافتوا ان هذه الواقعة ــ حتى لو ثبتت ــ لا تكون جناية الخيانة العظمى ، ودارت المناقشة نفيا

وهي تعلم ان كلماتها وحركاتها بل وسكناتها محسوبة عليها وانها مراقبة" ـ تتصرف بمثل الطيش الذى شهد به الشهود . انها ـ في زعمهم ـ لا تختار مكانا منزويا لترتكب فضائحها ـ بل تفعل ذلك تحت سمع الشهود واعينهم ... شهود بلغ عددهم في بعض الوقائع احد عشر شاهدا . وليتهم تركوا للوردات ان يستنتجوا بل لا بد ان يقول الشهود انهم راوا كل شيء وسمعوا كل حركة .

ثم استدعى الدفاع شهودا شهدوا بان الملكة وبيرجامي كانا يتصرفان طوال الرحلة بطريقة لا شائب عليها ولا غبار .

★★★

وكان اللفتانت هاونام من اقوى من شهدوا لمصلحة كارولين ، ومع ذلك فقد قرر في شهادته انه ما كان يمكن ان تنام الاميرة في الخيمة ـ فوق سطح البحر ـ من غير ان ينام معها حارس يحميها . وفهم ان ذلك الحارس المحتوم هو بيرجامي ..

وجاءت الضربة القاضية للاميرة الملكة من محاميها توماس دنمان الذى ختم مرافعته بكلمة السيد المسيح للمراة الزانية حين قال للجمهور الهائج ضدها « من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر » فانصرفوا جميعا « ان احدا لم يتقدم لادانتك . وانا ايضا لا ادينك . اذهبى ولا تخطئى بعد الآن» .

★★★

ومع ان غالبية اللوردات آمنوا بان الملكة مذنبة، فان القراءة الاولى للقانون لم تحصل الا على اغلبية ثمانية وعشرين صوتا . ردت عليها الملكة بعريضة اشهدت الله فيها على انها بريئة من الجريمة المنسوبة اليها . وبدأ اللوردات يتراجعون . لان مشروع القانون لم يحظ بشعبية ، وتحول الرأى العام ضد الحكومة .

وعند اقتراح قراءة المشروع للمرة الثالثة ليصبح قانونا كان الراى العام قد تحول فلم ينل القانون الا اغلبية تسعة اصوات . وطلب رئيس الحكومة تاجيل اخذ الراى لفترة ستة اشهر . ومعنى ذلك في لغة البرلمان دفن المشروع . وقوبل اقتراحه هذا بالهتاف والتصفيق . فلم يبق امام رئيس الحكومة الا اسقاط المشروع اذ تحقق ان مجلس العموم لن يقره .

وفرحت لندن بهذا الحل السعيد الموفق ولكن شعبية الملكة لم تعش طويلا .

فقد احتفل بتتويج جورج الرابع احتفالا رائعا ، "هرع" الانجليز من كل انحاء المملكة لمشاهدته ، وطالبت كارولين بحقها في ان تتوج معه ولكن احدا لم يابه بطلبها . وحاولت عدة محاولات مؤسفة لتدخل الى الكنيسة ولكن جميع الابواب اغلقت في وجهها فانصرفت مهيضة الجناح ، مكسورة الخاطر ، اذ لم تعد لندن تساندها . ان الجمهور "قلب" ، ورجال السياسة لم يعودوا بحاجة اليها .

وبعد اسبوعين قضت كارولين نحبها ونقلت الى مدافن آل برونزويك حيث كتب على تابوتها جملة اختارتها بنفسها في حياتها « هنا ترقد كارولين برونزويك . ملكة انجلترا المظلومة » .

اما انها ظلمت واسيء اليها فما في ذلك شك . ولكن يجب القول انها عملت كل ما من شانه اثارة زوجها . لقد ارتكبت اسوا انواع الطيش والحماقة . كانت متعجرفة وعنيدة ، ولكن هل ارتكبت الجريمة التى نسبها اليها الملك والحكومة؟ ان غالبية معاصريها اعتقدت ذلك . ولكن من الصعب تصور ان سيدة ـ اية سيدة ـ ما لم تكن قد فقدت صوابها ـ تتصرف مع بيرجامي بالطريقة التي نسبت اليها . لقد كانت تعرف حق المعرفة ان "رسل" "وصي" العرش يقفون لها بالمرصاد . ويسجلون عليها تحركاتها وسكناتها . "كما كانت تعرف ان الاعدام ينتظرها ان ارتكبت الزنا . كما كانت تعلم انها سترتقي حتما عرش انجلترا عند وفاة جورج الثالث .

لقد كانت طائشة . ولكنها لم تكن مجنونة . وكانت ذات اطماع لا تفرط فيها بسهولة .

★★★

ان الشهود الذين شهدوا ضدها سيئو النية ، مشكوك في نياتهم . ومن المشكوك فيه جدا ان يكون سلوكها مع بيرجامي قد تعدى تصرفات طائشة . فقد قالت انها زنت في حياتها مرة واحدة مع زوج السيدة فتز هربرت أى مع جورج الرابع .. زوجها . ■■

حسن الجداوى



الفراء..

أمير الأمراء في النحو

بقلم : اسماعيل الصابجي

● كان اذا نهض من مقامه ابتدر الى تقديم نعليه وليا عهد المسلمين .

● وكان في اللغة بحرا ، وفي الفقه عارفا ، وفي الطب خبيرا ، وبالنجوم ماهرا ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا .

■ في عهد الخلفاء الراشدين ، ظل القرآن الكريم عرضة للتصحيف والتحريف رغم ما بذله الخلفاء من مساع محمودة خلصوا منها أخيرا الى حفظه وصيانته . ثم من المولدة من عمل على اعرابه ، ومنهم من عمل على اعجامه ، عمل زياد ابن ابيه على اعرابه ، وعمل الحجاج بن يوسف الثقفي على اعجامه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ليضع حدا بين علامات الاعراب وعلامات الاعجام فوضع « الفتحة والضمة والكسرة » وعند هذا الحد رست قواعد اللغة ، واستقرت آيات الذكر الحكيم .

ثم طفق العلماء يدرسون القرآن وينتحون به مناحي مختلفة . فمنهم من اتجه نشاطه الى تصحيح متن القرآن عن طريق الرواية الثابتة والراوي الثبت ، وهم القراء . ومنهم من ركن الى الجانب العملي منه فقصر عمله على تفهم واستنباط الاحكام التي تتضمنها آياته ، خدمة منهم للمجتمع ، وهؤلاء هم الفقهاء . وآخرون استأثروا بالجانب اللغوي من كتاب الله المنزل ، مستعينين برواية اللغة على اعراب نصوصه ، ثم تناولوا علل التأليف (١) أو علل الاعراب بالدراسة والتمحيص ، وأولئك هم النحاة .

وظل القرآن محجة للعلماء والمتعلمين ردحا طويلا من الزمن ، كل يرفد منه ما تاقت اليه نفسه ، فلا هم في غنى عنه ، ولا هو ينضب مما يستقون .

واختلف اللغويون فتكثرت مدارس النحو

ثم راح اللغويون يغذون السير الى هذا المورد العذب أكثر من غيرهم ، يتناولون نصوصه وآياته بالدراسة والتعليل ، فمنهم من توحدت آراؤهم فانتهجوا لهم مذهبا خاصا في قواعد النحو والاعراب ، ومنهم من خالف اولئك في الرأي والمنحى

(١) لانهم عرفوا النحو بأنه : علم النظم وعلم التأليف .

فكان لهم مذهب مباين للمذهب الأول ، ويختلف معه في جلّ تعاليله واحكامه ، وعند ذلك حان للمدارس النحوية ان تنشأ وتتعدد ، ومن تلك المدارس مدرسة الكوفة . ترى من هم رائدو هذه المدرسة ؟

مدرسة الكوفة

لم اخذ الزمن يسير ، لا يلوى على شيء ، وتفاقم الخلاف بين المدارس النحوية في البصرة والكوفة وبغداد وقد بهر الجميع كتابُ سيبويه وكان قائلهم يقول :

« من اراد ان يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي» لذلك صار هذا (الكتاب) منطلقا لمناظراتهم ومرجعا لاختلافاتهم . وتعاقبت على تلك المدارس احقاب زمنية تزعمتها طبقات من العلماء كانوا ياخذون العلم عن شيوخهم واحدا عن الآخر ، حتى صحّ القول ان «نحو» البصريين عند الخليل وسيبويه ، والكوفيين عند الكسائي والفراء

الفــرّاء

ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله ، مولى بني منقر ،عرف الفرّاء ولم يكن يعمل في الفراء او يبيعها لكنه كان يفرى الكلام (١) وبالرغم مما بلغه الفرّاء من مكانة رفيعة بين النحاة ، ومنزلة عظيمة بين اعلام اللغة ، لم نجده يستأثر باهتمام الكتاب والمؤلفين . فالأقدمون تعرضوا له بما ليس فيه الكفاية وكأنهم على عجَل حين يصل دور هذا الرجل ، فلا نعرف عن مناظراته الا النزر القليل، ولا عن حياته الا النتف البسيطة التي لا يؤبه لها . والأحدثون لم يكن بمقدورهم ان يكونوا للفرّاء طابعا ينتقونه مما بين أيديهم من نصوص واحداث ، فكانوا اكثر تحفظا وتحرزا ، اللهم الا صاحب كتاب (مدرسة الكوفة) (٣) الذى استطاع ان يستشف طبيعة شخصية الفرّاء ويرسم لهذه الشخصية الصورة الناطقة التي تجلت له بعد دراسة مستفيضة لأساتيذه وتلاميذه ثم راح يكتب عنه بكل ما في الجراة من معنى ، وبكل ما في الجدّة من مواصفات ، فيقول :

« ولا نعرف عن حياة الفراء الاولى كثيرا ، لانه لم يكن من ذوى الأسر التي يحسب الكتّاب والمؤرخون لها حسابا ، ويملئون الصفحات بكل تافه من الوان حياته المترفة ، فقد كان ابوه مولىً لقبيلة عربية انتسب اليها كثير من الصحابة وغيرهم وهي قبيلة بني منقر ، ونشا كما ينشا اولاد الفقراء ، ينتهب حقه من الحياة انتهابا ، ويفرض شخصيته على الزمن فرضا ، ولم يفتح التاريخ على يحيى بن زياد الا وهو شاب عرفه زملاؤه بنفاذ الذهن ، ودقة الحسّ ، وقدر له استاذه ابو جعفر الرواسي مستقبلاً علميا جليلا».

اساتيذه ومَن اخذ عنهم

يكاد يجمع النحاة الاقدمون والأحدثون ، ان الفرّاء اعلم علماء الكوفة بالنحو بعد الكسائي ، وقد اخذ علمه هذا عن الكسائي وهو عمدته ومن اساطين حفّاظ بحثه ، واجلّ اصحابه ، ثم اخذ عن اعراب وثق بهم ، مثل ابي الجرّاح وابي ثروان وابي فقعس وغيرهم ، كما اخذ نبذا عن يونس ، واهل الكوفة يدّعون انه استكثر منه ، واهل البصرة يدفعون عنه هذا الادعاء . ومهما تكثرت الادعاءات ، فمن الثابت انّ الفرّاء كان شديد التعلق باستاذه الكسائي ، مأخوذا به ، معجبا بادائه ، ملازما لـه ، لا يفارقه في سفر ولا حضر، وكان اذا سافر فهو عديله يحادثه ويسامره، واذا اقام فهو جليسه يذاكره العلم ويدارسه .

يقول ابن ابي سعد : حدثني ابن طهمان قال سمعت والله الفرّاء يحيى يقول : مدحني رجل من النحويين فقال : ما اختلافك الى الكسائي وانت مثله في النحو ؟ فاعجبتني نفسي فاتيته فناظرته مناظرة الاكفاء ، فكأني كنت طائرا يغرف من البحر بمنقاره (٤) .

كان معتدّاً بنفسه

وبعد ان خرج الفرّاء من تحت كساء استاذه..

---

(٢) ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب ، والسيوطي في كتاب بغية الوعاة ، جـ ٢،ص٣٢٢.

(٣) الدكتور مهدى المخزومي ، مدرسة الكوفة ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٧٧ هـ .

(٤) طبقات الزبيدي ، ص ١٤٠ ، مطبعة مصر ، ١٣٧٢ هـ . ويذكرها محمد مرسي الخولي في مقال نشره في مجلة العربي ، عدد (٦٥) ، ص ٧٤ .

خرج وهو على تيه وزهو واعتداد بالنفس ، بعد ان نال من كل علم طرفا ، فراح يخوض غمار المناظرات مع اعلام اللغة دونما تهيّب او وجل ليخرج منها خروج الظافر المنتصر .

يقول الخطيب في تاريخ بغداد : كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفرّاء ، وكان الفرّاء يوما جالسا عنده ، فقال الفرّاء : قلّ رجل انعم النظر في باب من العلم فاراد غيره الا سهل عليه ، فقال له محمد : يا ابا زكريا قد انعمت النظر في العربية فاسالك عن باب في الفقه ؟ فقال: هات على بركة الله تعالى ، قال : ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ، ففكر الفرّاء ساعة ثم قال : لا شيء عليه ، فقال له محمد : ولِمَ ؟ قال : لان التصغير عندنا لا تصغير له ، وانما السجدتان تمام الصلاة ، فليس للتمام تمام ، فقال محمد : ما ظننت آدميا يلد مثلك .

اتصاله بالمامون

لم يعد الخلفاء والامراء والملوك في غنى عن الاتصال بمثل هذه العينات البشرية النادرة ، فقد كانت مجالسهم تحفل بالاديب والفقيه واللغوي والقاضي والمؤنس والنديم ، وغالبا ما كان الخلفاء يعهدون الى هؤلاء مهمة تعليم اولادهم وتاديبهم ، وكثيرا ما وجد الملوك عند هؤلاء الراى الحصيف والمشورة الصائبة . فليس من باس اذن ، ان يتردد الفرّاء على باب المامون ليتبوأ مكانه في مجلسه . بينما هو ذات يوم على الباب اذ جاء ابو بشر ثمامة بن الاشرس وكان خصيصا بالمامون ، قال ثمامة : فرايت ابهة اديب فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا ، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيجَ وحدِه ، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهرا ، وبالطب خبيرا ، وبايام العرب واشعارها حاذقا ، فقلت له : من تكون ؟ وما اظنك الا الفرّاء ، فقال : انا هو ، فدخلت فاعلمت امير المؤمنين المامون ، فامر باحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به (٥) .

المامون يامر الفرّاء ، والفرّاء يعمل بطواعية وامتثال

وصار الفرّاء يختلف الى مجلس المامون ، والمامون يظاهر عليه من يسائله في النحو ويناظره في اللغة، الا انه كان يهزمهم تباعا ، ويفحمهم ، والمامون عالم قبل ان يكون حاكما ، خبير باقدار العلماء ومراتبهم ، فقد آنس في يحيى بن زياد حذقا وسعة اطلاع . يقول الخطيب في تاريخ بغداد : فامره بان يؤلف له ما يجمع به اصول النحو ، وما سمع من العربية، وامر ان يفرد بحجرة من حجر الدار، ووكل به جوارى وخدما يقمن بما يحتاج اليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوق نفسه الى شيء ، حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة ، وصيّر له الورّاقين والزمه الامناء والمنفقين ، فكان يملي والورّاقون يكتبون ، حتى صنف الحدود في سنتين .

الفرّاء يملي كتاب المعاني

وبعد ان فرغ الفرّاء من تصنيف الحدود ، قال لاصحابه يوما : اجتمعوا حتى املي عليكم كتابا في القرآن الكريم ، وجعل لهم يوما ، فلمّا حضروا خرج اليهم ــ وكان في المسجد رجل يؤذن فيه ، وكان من القرّاء ــ فقال له : اقرا ، مبتدئا بفاتحة الكتاب ففسرها ، ثم مرّ في الكتاب كله على ذلك ، يقرا الرجل ويفسر الفرّاء . قال الراوى : « واردنا ان نعدّ الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني ، فلم نضبطهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا » .

وليّا عهد المسلمين يدرسان النحو بين يدى الفرّاء

وشدّ ما يدهش المامون هذا السفر العظيم الذى استهوله القرّاء والمفسرون، ونال ثناءهم واعجابهم ، حتى قال قائلهم : « كتاب المعاني كتاب لم يعمل مثله ، ولا يمكن احدا ان يزيد عليه » . فكانت الرغبة شديدة في نفس المامون ، والظرف مجوجا في نظره ، بان يدفع بولديه الى الفرّاء ليلقنهما النحو والصرف ويغرس في نفوسهما التادب ، فما كان من الفرّاء الا ان يكون بمستوى المسؤولية التى انيطت اليه ، فلم يبخل على هذين الحدَثين بجهد ، ولم يضن عليهما باهتمام ، حتى صارا شديدى التعلق باستاذهما ، لا يانسان الا الى قربه ومعسول احاديثه ، فضلا عما كانا يكنّان له من تجلة واحترام . فقد نهض يوما الى بعض

---

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٥ ، ص ٢٢٥ ، مطبعة السادة ، مصر ، ١٩٤٩ .

حوائجه ، فابتدرا الى نعله يقدمانه له فتنازعا ايهما يقدمها ، فاصطلحا ان يقدم كل واحد منهما فردا ، فقدماها ، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر ، فرفع ذلك الخبر اليه ، فوجه الى الفراء من استدعاه ، فلما دخل عليه قال : من اعز الناس ؟ قال : ما اعرف اعز من امير المؤمنين، قال : بلى مَنْ اذا نهض يقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم له فردا ، قال : يا امير المؤمنين لقد اردتُ منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت ان ادفعهما عن مكرمة سبقا اليها او اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها ، وقد روى عن ابن عباس (رض) « انه امسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما ، حين خرجا من عنده » فقال له بعض من حضر : اتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وانت اسن منهما ؟ فقال له اسكت يا جاهل ، لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل ، فقال له المامون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا ، والزمتك ذنبا وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع قدرهما ، وبيّن عن جوهرهما ، ولقد ظهرت لي مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلاث : عن تواضعه لسلطانه ووالده ومعلمه العلمَ وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين الف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن ادبك »(٦) .

الناس واللغة

اهتم العرب ، قبل الاسلام وبعده ، بلغتهم اهتماما متزايدا ، معتقدين ان العجمة التي ترتضخ السنتهم ، او اللحن الذي يطرا على لهجتهم ، انما هو عيب مخل ينال من كرامتهم عربا ، خاصة وأن نبيهم محمدا (ص) كان يفخر بالافصاح ، ويابى اللحن ، فقد قال (ص) : « انا من قريش ، ونشأت في بني سعد (٧) فأنّى لي اللحن » لذلك لم تكن علوم اللغة مقصورة على العلماء والمتفضلين ، وحسب ، وانما راح يشاركهم في ادراك تلك العلوم الاعراب والحضر، حتى درجوا بحكم الطبع والسليقة ، على النطق السليم مما حدا بهم أن يقولوا : « السنتنا لا تقوى على النطق بالخطأ » .

فامة هذا ديدنها وحفاظها على لغتها ، ليس عجيبا ان تزخر بواديها بعلوم وافرة على مختلف المستويات ، فهذا الكسائي يسال استاذه الخليل ابن احمد في لحظة من لحظات اعجابه به : من اين اخذت علمك هذا ؟ فيجيب الخليل : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فما كان من السائل الا ان يشدّ رحاله الى تلك البوادي ، يسمع عن اعرابها من غريب اللغة ونوادرها ما انفذ في كتابته خمس عشرة قنينة حبر ، سوى ما حفظ .

فهل يلحن الفراء ؟؟

بين يديّ رواية اتحرج من ذكرها كما اتحرّج من ان ارفع منصوبا او انصب مخفوضا . والرواية متواترة عند جلّ المؤلفين في النحو واللغة ، يذكرها الحنبلي في شذراته ، والزبيدي في طبقاته ، وابن خلكان في وفياته ، وكثيرون غيرهم . ومفاد الرواية ان الفراء دخل على الرشيد ، يوما ، فتكلم بكلام لحن فيه مرات ، فقال جعفر بن يحيى البرمكي : انه قد لحن يا امير المؤمنين ، فقال الرشيد للفراء: اتلحن ؟ فقال الفراء : يا امير المؤمنين ان طباع اهل البدو الاعراب ، وطباع اهل الحضر اللحن ، فاذا تحفظت لم الحنْ ، واذا رجعت الى الطباع لحنت ، فاستحسن الرشيد قوله .

ولا ندري مدى نصيب هذه الرواية من الصحة، رغم تواترها . كل ما ندريه الآن ، ان عملاقا من عمالقة اللغة قد لحن .. ولحن مرات ، وان نحويا من نحاة الكوفة ، كان في الكلام بحرا لا يجارى ، وحبرا لا يبارى،هذا النحويّ قد خانه الطبع فلحن امام ادهى خليفة عرفته العصور العباسية، كان عالما باسرار اللغة ، متضلعا من شواردها . لم شاءت الرواية ان تلفت انتباه جعفر بن يحيى لهذا اللحن دون الرشيد ، ويعزو الفراء اخيرا لحنه واضطراب لسانه الى عدم تحفظه من كلامه ، ولانه رجع الى الطبع ، وكان الفراء لم يدخل في حسبانه ان المقام

---

(٦) وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ .

(٧) هم بنو سعد بن بكر بن هوازن ، اظآر النبي (ص) واسترضع عندهم وكان حاضنه منهم الحارث ابن عبد العزى بن رفاعة ، ومرضعه زوجه حليمة بنت عبد الله بن الحارث . (انظر جمهرة الانساب لابن حزم ٣٥٢) .

يتطلب منه ان يتثبت في نقله ويتحفظ . من هذه النقاط وغيرها يتجلى لنا تهافت الرواية واسفافها، وانها موضوعة على الرجل ، اقحمها عليه حساده ومناوئوه ، ولمثل هذا يتعرض الرجال العظام دوما.

الفراء يتعهد مدرسة الكوفة بالنمو

يحدثنا التاريخ بان اهل الكوفة امتازوا بالفقه والحديث والقراءة ، ثم تعاطوا النحو بعد ان بات بينهم وبين البصريين شاو بعيد . ودراسة النحو في الكوفة انما تبدأ ــ حقا ــ بعد الكسائي فهو امام مدرسة الكوفة . وفي رأي الدكتور المخزومي « انه نهج بالنحو منهجا جديدا تولاه الفراء من بعده بالرعاية ، فهما ــ الكسائي والفراء ــ رئيسا المدرسة واليهما يعزى تأسيسها وتنظيم منهجها وبهما يبدأ تاريخها . »

« واذا كان الكسائي قد وضع اسس هذه المدرسة الجديدة ، وجمع لها مادة درسها ، ورسم المنهج الذي يعتمد عليه انشاؤها ، فان الفراء قد تكفل باتمام البناء وتعهد المدرسة بالنمو ، واعاد النظر فيما جاء به الكسائي ، فاخذ منه ما يتفق مع طبيعة المدرسة وبنى منهجها على اساس علمي جديد » (٨) .

تفلسف في النحو ، فاساء الى هذا الدرس من حيث اراد الاحسان

ثم تابع الفراء مسيرته ناشطا دونما كلل او ملل ، وله في العربية قصب السبق في اغلب التعاليل والتخاريج النحوية الجديدة،فتارة تراه يحمل العربية على الالفاظ والمعاني فيرع واستحق التقدمة ، وتارة يقلب المسألة على وجوهها المختلفة وله في كل وجه منها اكثر من تعليل وتفسير . وآراؤه النحوية هذه ، وتفسيراته لوجوه الاعراب فلسفية ــ ان صح مثل هذا التعبير ــ يطغى عليها الطابع الفلسفي ، فمثلا حين يرى الخليل بن احمد ان « كلا » اسم ، يراها الفراء بين الاسماء والافعال فيقول:فلا احكم عليها بالاسم ولا بالفعل، فلا اقول انها اسم ، لانها حشو في الكلام ، ولا تنفرد كما ينفرد الاسم ، واشبهت الفعل لتغيرها في المكنى والظاهر ، لاني اقول في الظاهر : رأيت كلا الزيدين ، ومررت بكلا الزيدين ، وكلمني كلا الزيدين ، فلا تتغير ، واقول في المكنى : رأيتهما كليهما ، ومررت بهما كليهما ، وقام الي كلاهما، فاشبهت الفعل ، لاني اقول : قضى زيد ما عليه، فتظهر الالف مع الظاهر ، ثم اقول قضيت الحق ، فتصير الالف ياء مع المكنى .

ولم يخالف الفراء الخليل ، وحسب ، وانما خالف استاذه الكسائي في كثير من مذاهبه(٩) فرفع المعطوف على اسم « ان » اجازه فريق من النحاة في جميع الامثلة او بعضها ، ومنهم الكسائي الذي كان يجيز ذلك مطلقا .

اما الفراء « فلم يمنع رفع المعطوف ، ولم يجوزه مطلقا بل فصل وقال : ان خفي اعراب الاسم يكون مبنيا او معربا مقدر الاعراب ، جاز الحمل على المحل ... والا فلا » (١٠) .

ثم يعرض الفراء لهذا في تفسيره لقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » ، فاعرب « والصابئون » ــ كما يحدثنا الدكتور المخزومي ــ على انها معطوفة على (الذين) وعلل اعرابه هذا بان « الذين » حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه ، فلما كان اعرابه واحدا ، وكان نصب (ان) ضعيفا ، وضعفه انه يقع على الاسم ولا يقع على الخبر ، جاز رفع الصابئين .

وطابع الفلسفة واضح على هذه المسألة ، كما ان سمة التمحل والتهافت بيّنة فيها .

ووثق من قول احد الاعراب ، فذهب الى اسمية « نعم وبئس » لانه سمع منه « والله ما هي بنعم الولد » وجوز اعراب العدد المركب قياسا اذا اضيف استنادا الى ما سمعه من ابي فقعس الاسدي ، وابن هيثم العقيلي : ما فعلت خمسة عشرك (١١) .

---

(٨) الدكتور مهدي المخزومي (مدرسة الكوفة) ص ، ٧٩ ، ص ١٢٧ .

(٩) الحلبي ، مراتب النحويين ، ص ٨٨ .

(١٠) شرح الرضي على الكافية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ .

(١١) شرح الاشموني ، جـ ٤ ص ٧٠ .

تعصبه على سيبويه

درس الفراء (كتاب) سيبويه عن كتب وروية، حتى وجد بعضه تحت وسادته التي كان يجلس عليها، لكنه ، وبالرغم من ذلك ، كان زائد العصبية على سيبويه ، يتعمد مخالفة مذاهبه ومزاعمه في ألقاب الاعراب وتسمية الحروف ، وقيل : انما كان لا يفارق (الكتاب) لانه كان يتتبع خطأه ولكنته » فاذا صحت هذه القولة ففيها غلوّ وتعصب واضحان فالكتاب (١٢) اكبر من أن ينال منه الفراء او غيره . وبحسبك ان تعلم انه كان يسمى « قرآن النحو » .

مؤلفاته ومصادر دراسته

ترك الفراء مؤلفات كثيرة قيّمة واغلبها في النحو واللغة . فقد صنّف : معاني القرآن ، البهاء فيما تلحن فيه العامة ، اللغات ، المصادر في القرآن ، آلة الكتاب ، النوادر ، المقصور والممدود ، فعل وافعل ، المذكر والمؤنث ، الحدود ، مشتملة على ستة واربعين حدا في الاعراب وله في غير ذلك .

وبعد أن عرفنا مصنفات هذا العالم النابه ، يجدر ان يتناهى الى علمنا ايضا مصادر دراسته وعلامَ كان يعتمد .

من الثابت ان القرآن المجيد هو المصدر الرئيسي، الذي كان يصير اليه الفراء ، ويأنس فيه ضالته وتعليمه ، فقد كان يعزى اعجازه اللغوي الى نزوله بلغة قريش التي خلت من مستبشع الالفاظ ، ومستقبح اللهجات ، كتلتلة بهراء ، وطمطمانية حمير ، وكشكشة ربيعة ، وعجعجة قضاعة ، وفخفخة هذيل ، وشنشنة اليمن ووتمها . واعتمد ايضا على القراءات المختلفة ، وبالرغم من ان هذه القراءات شاذة في نظر نحاة البصرة ، الا ان الفراء صوّبها واحتجّ بها . ومن الشعر وكلام العرب اتخذ كثيرا من الشواهد لا فرق بين وصول تلك الشواهد عن طريق المشافهة ، ام عن طريق المناقلة .

قالوا عن الفراء ...

وهؤلاء الذين قالوا عنه هم اسناد اثبات ، امناء في احاديثهم ومقولاتهم ، ولو رصدت تلك الآراء وتنقلت بينها باناة وتريث ، تجلت لك شخصية الفراء بوضوح .

فهذا ابو بكر الانباري يقول : « لو لم يكن لاهل بغداد من علماء الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس » (١٣) وقالوا : النحو للفراء والفراء امير الامراء في النحو (١٤) ويقول ابو العباس احمد بن يحيى : « لولا الفراء لما كانت عربية ، لانه حصّنها وضبطها (١٥) . وقال السيوطي : « كان متدينا متورعا ، على تيه وعجب وتعظم » (١٦) . وابن خلكان يعرض له فيقول : « كان ابرع الكوفيين ، واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب » (١٧)

وهذا صاحب كتاب (مدرسة الكوفة) يقول : « اكثر ما كان للكوفيين من آراء انما هو للفراء » (١٨) .

وفاته

ومات الرجل العظيم بطريق مكة سنة سبع ومائتين للهجرة ، عن سبع وستين سنة ، وقد قضى اكثر سنيه في بغداد ، يتطلب العلم جثوا على الركب ، بين اروقة الجوامع وافنية المساجد.

يقول سلمة بن عاصم : دخلت على الفراء في مرضه ، وقد زال عقله ، فسمعته يقول : انّ نصبا فنصبا ، وانّ رفعا فرفعا . ■■

اسماعيل العبايجي

النجف ـ العراق

---

(١٢) كان المبرد اذا اراد انسان ان يقرأ عليه كتاب سيبويه ، يقول له : هل ركبت البحر ، تعظيما له واستصعابا لما فيه . (انظر اخبار النحويين البصريين ص ٥ ، او فهرست ابن النديم ص ٧٧ .)

(١٣ ، ١٤) العسقلاني ، تهذيب التهذيب (جـ ١١ ، ص ٢١٢) .

(١٥) طبقات الزبيدي ، ص ١٤٣ .

(١٦) بغية الوعاة ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

(١٧) وفيات الاعيان ، جـ ٥ ، ص ٢٢٥ .

(١٨) الدكتور مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص ١٢٦ .

صفحة
في
اللغة

استَفْعَلَ

ودلالة الألف والسين والتاء

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ معروف ان الفعل (الماضي) في لغتنا العربية لا يقل عن ثلاثة احرف، ولا يزيد على ستة والثلاثي المزيد بثلاثة احرف له اربع صيغ ، هي :

١) استفعل ، بزيادة همزة الوصل والسين والتاء ، مثل : استغفر ، واستكتب ، واستعاد ، (الاصل الثلاثي : غفر ، كتب ، عاد او عود) ، وسنتكلم على دلالة هذه الصيغة .

٢) افعوعل ، بزيادة الهمزة والواو وتكرار العين ، مثل اعشوشب ، واحدودب ، واغرورق واحلولى ، (الاصل الثلاثي : عشب ، حدب ، غرق ، حلا او حلو) .

٣) افعوّل ، بزيادة الهمزة والواو مشددة ، مثل : اجلوذ الفرس (اسرع في السير) والاصل الثلاثي : جلذ . ويبدو لنا الثقل في صياغتها الى جانب ان امثلتها في اللغة قليلة .

٤) افعالّ ، بزيادة الهمزة والالف وتكرار اللام) مثل : اخضارّ واحمارّ ، والاصل الثلاثي، خضر ، حمر ، للدلالة على اللون من الخضرة ، والحمرة ، فمعنى اخضار الشجر صار اخضر ، او مال الى الخضرة واخذ فيها ولا تخلو الصيغة من ثقل ، وامثلتها قليلة .

دلالة الالف والسين والتاء في استفعل

ونعود الى الصيغة الاولى « استفعل » ويلاحظ انها اخف هذه الصيغ، واكثرها استعمالا ، ولكن ما دلالتها ، او ما دلالة الحروف الثلاثة الزائدة فيها او ما دلالاتها ؟

اما هذه الدلالات كما قررها علماؤنا ، واقر قياسيتها ، على فترات متباعدة ، مجمع اللغة العربية في القاهرة ــ فهي كما يلي :

١ ــ الطلب : ويرى بعض علمائنا ان هذه الدلالة هي الاصل في صيغة « استفعل » وان غيرها من الدلالات محمول عليها ، ومن امثلتها : استقتل واستمات واستشهد ، اى حارب بقوة طالبا ان يقتل او يموت او ينال الشهادة، واستغفر الله واسترحمه واستعانه ،اى طلب غفرانه ورحمته وعونه ، واستجاره

اى طلب جواره او حمايته ، واستنجده واستغاثه ، اى طلب نجدته وغوثه ، واستاسر اى طلب ان يؤسر .

٢ ـ الصيرورة : مثل : استحجر الطين أى صار حجرا ، استنوق الجمل، اى صار كالناقة . استاسد المقاتل ، صار كالاسد، واستنعج، صار كالنعجة، واستذاب صار كالذئب ، واستنسر العصفور صار كالنسر .

٣ ـ الاتخاذ والجعل ، مثل : استعبدت غلاما أو استاجرته، اى اتخذته عبدا او اجيرا ، واستامى جارية اى اتخذها امة ، واستخلف الله آدم فى الارض ، اتخذه او جعله خليفة له . واستشعر ثوبا اتخذه شعارا (يلى شعر جسده) واستعد للحرب اتخذ لها عدتها، واستلام الدرع لبسها لتكون لأمة له ، اى سلاحا .

تعقيبات

ولكن يلاحظ ان هناك امثلة لا تدل الالف والسين والتاء فيها على اى واحدة من هذه الدلالات الثلاث فى حدودها الحاسمة .

استفعل
تدل على الراى

١ ـ مثال ذلك افعال فى هذه الصيغة تدل على الراى مثل :

استحسنت الشىء عددته ورأيته حسنا ،ومثله: استقبحته، واستهجنته، واستحرمته ، واستبحته واستلطفته ، واستجملته ، واستجدته ، واستجزته ، واستبشعته ، اى رايته قبيحا ، او هجينا ، او حلالا ، او حراما ، او مباحا ، او لطيفا ، او جميلا ، او جيدا ، او جائزا ، او بشعا ، واستصغره واستكبره رآه صغيرا او كبيرا .

استفعل تدل على تحقق الفعل

٢ ـ هناك افعال فى هذه الصيغة تدل على تحقق الفعل ويمكن ان تدخل هذه الدلالة احيانا فى دلالة الصيرورة بمعناها الواسع ، ويتمكن ان يحل الفعل الثلاثي او الرباعي او الخماسي هنا محل الفعل السداسي (استفعل) مثل استطار الفجر او الحائط او القلب ، بمعنى طار وتفرق وانتشر (اى صار كالطائر) ، واستمر فى العمل ، اى مر ومضى،واستوعب القصيدة ، اى وعبها او أوعبها ، بمعنى جمعها ، واستماز الرجل غيظا اى تميز ، بمعنى انقطع . واستحر القتل ، اى حر واشتد ، واستجاب لدعوته اى اجابها ، واستبحر فى المعرفة اى تبحر ، واستعصم اى اعتصم،واستشاط غضبا او ضحكا ، بمعنى شاط، اى التهب او احترق ، بمعنى انه بالغ فى الغضب او الضحك .

الفعل واحد
ومعانيه مختلفة

٣ ـ قد تكون الكلمة الواحدة على هذه الصيغة ذات دلالة فى عبارة ، ولها دلالة مخالفة فى عبارة اخرى ، وزيادة السين والتاء هي التي تفيد الدلالة فى كل عبارة مثل : سمعت بحكمتك فجئتك مستفيدا منها ، اى طالبا الفائدة ، واستفدت بحكمتك اى افدتها فعلا ، او حققت الفائدة منها . ومثل : استنسبني فاستنسبت له ، اى طلب أن يعرف نسبي فحققته له ، واستنسبني لاكون شريكه فى العمل، اى رآني مناسبا لمشاركته فيه. واستشعر ثوبا صوفيا اتقاء البرد ، اى اتخذه شعارا ، وصمت لاستشعر الجوع ، اى اطلب الشعور به ، وانا استشعر العطف على الفقراء اى اشعر به فعلا ، او صار العطف شعورا لي . واستهدف الشيء اى صار هدفا ، ومنه قولهم : « من ألف فقد استهدف » اى من كتب شيئا صار هدفا للناقدين ، واستهدفت الحكمة ، اى جعلتها هدفي .

الصداقة

قصة للكاتب الروسى : بوريس جورباتوف

الكاتب فى سطور

بوريس جورباتوف (١٩٠٨ – ١٩٥٤) ولد وقضى طفولته في وادى نهر الدون ، وهوى الأدب في وقت مبكر من حياته ، فقرض الشعر ، واشتغل بمراسلة الصحف ، وظهر أول كتبه عام ١٩٢٨ عن عمال وادى الدون من أعضاء الشبيبة السوفييتية، وبعد أن أدى الخدمة العسكرية في الجيش اختص بمراسلة جريدة « برافدا » ، فمكنه ذلك من القيام بجولات واسعة في أنحاء الأورال ، وسيبيريا ، والشرق الأقصى ، كما شهد حفل اشتعال أول فرن في مركز التعدين بماجنيتا جورسك وتدشين المحطة الكهربائية المائية في وادى الدنيبر .

وقد شحنت هذه المشاهد ذاكرته بمادة غزيرة من الأوصاف الرائعة للأحداث التي حفلت بها قصصه : « الكومنترن » ١٩٣٢ ، و « مسيرة بين الجبال » ١٩٣٢ ، و « رؤساء العمال » ١٩٣٣ ، و « جيلى » ١٩٣٤ .

كذلك اشترك في رحلة الطيران عبر منطقة القطب الشمالي عام ١٩٣٦ ، كما زار المحطات السوفييتية بالمنطقة القطبية ، وكانت نتيجة زيارته للمنطقة الشمالية كتاب « الدائرة القطبية المتدلة » عام ١٩٣٧ – ١٩٣٨ .

وخلال الحرب العالمية الثانية كان جورباتوف مراسلا حربيا لصحيفة الجيش في الجبهة الجنوبية، وقد قطع الطريق مع الجيش من جنوب القوقاز الى برلين ، وفي ذلك الحين كتب « رسائل الى صديق » ، و « قصص من قلب جندى » ، و « الجندى اليكسى » ، و « كوليكوف » ، و « المنتظر » ، كما كتب كثيرا من المسرحيات والروايات السينمائية ، وفي عام ١٩٥١ ظهر المجلد الأول من روايته « حوض نهر الدون » .

وقد كتب عنه سيمونوف : « انه كتب كتبا جيدة وكان له قلب انسان كبير ، يستجيب دائما للأحزان والمسرات الانسانية » . وهذه هى قصته : الصداقة .

■ **حينما أقلعت جميع السفن ، وطارت كل الطائرات ، واكتسى الخليج المتجمد بدفقات الثلج الأولى ، خيم الصمت على جو المنطقة الشمالية ، وتنفس رجال اللاسلكى الصعداء ، أما ستيبان تيموفييفتش فلأول مرة منذ ثلاثة أسابيع ينظر في المرآة ، ويشهق فى دهشة وهو يقرب المرآة من أنفه :**

– انها حمراء !

لم يكن من الغريب أن تطول لحيته وتحمر ، اذ لم يكن يجد لديه وقتا خلال الرحلة الملاحية لكى يحلق لحيته ، أو حتى لكى ينظر فى المرآة ، فانه – ككل رجال اللاسلكى – كان يقضي ليله ونهاره على محطة الارسال . أما الآن فقد انتهت الرحلة الملاحية ، وتوقف الاتصال بالسفن التي كانت تعبر الى بحر الشمال .

كان ستيبان تيموفييفتش فى نوبة عمله ، وقد



وانحنى عليه شخص لايعرفه ولكنه راى فى وجهه امارات الطيبة ، وراى لحيته الحمراء فتذكر فجأة ، وهمس فى بسمة مشرقة : ــ تيموفيفتش ؟

ساد الجو صمت حزين متواصل ، بعد أن كان الرجال يتجمعون حوله طول الوقت ، فالقى فليوته ، ونظر فى جدول المواعيد ، وادار المفتاح، وفجأة انهار حاجز الصمت والعزلة، ودبت الحياة، وثار الضجيج خلال السماعة ، واصبحت النقط والشرط تتجمع بسرعة لتكون الكلمات ، وامتلا الأثير بالأصوات الصديقة المعروفة .

فى ذلك اليوم كانت كل المحطات تعمل طبقا للبرنامج، ما عدا محطة واحدة ، هى محطة «خليج الأمل » فانها كانت متوقفة ، انها محطة جديدة وصغيرة ، وناداها تيموفييفتش طويلا ، وراح يدق اجراسها ولكنها ظلت صامتة .

وغضب تيموفييفتش ، ودون امامه فى السجل: « محطة خليج الامل لا تعمل » . واحتد وهو يلوح بفليونه ، لكن محطة خليج الأمل تنادى بنفسها مركز الارسال ، واجاب تيموفييفتش على ندائها بعاصفة من الغضب والشتائم :

ــ لماذا تضيع كل هذه الايام الخمسة ؟ انت كذا .. وكذا .. اين نشراتك الجوية ؟

واجاب صوت مستعطف يبرىء نفسه من التهمة:

ــ مهلا .. يا صديقى .. انني مازوم ، سوف اصحح اخطائى .. معذرة يا صديقى .

وحينما اجاب بهذا الاسلوب المؤدب عطف قلب

تيموفييفتش ، فقال له وهو يدق على جهـــاز اللاسلكى :

ـ حسنا .. حسنا .. استمر ..

وضحك بينه وبين نفسه لهذه الفكرة التى قفزت الى ذهنه فجاة ، وقال :

ـ لقد اعطيته الآن درسا جعله يفكر في انني ساصلح اخطاءه .. لقد خوفته بالعقاب ..

واخذ يدق ، ولكنه لم يتمالك نفسه ، فانفجر ضاحكا ، وهو يصيح :

والآن .. اسرع .. اسرع . كيف ولماذا تعطيني الخط الميت ؟

وفجاة سمع صوتا واضحا وسريعا فوق العادة، فصاح :

ـ ما هذا ؟

عندئذ اصفر وجه عامل اللاسلكى ، واخذ يرسل في سرعة وخوف ، لكي يحمى نفسه من العقاب ، في نصف الوقت المخصص كان قد اتم ارسال جميع النشرات الجوية المتجمعة في مدى خمسة ايام . وقال تيموفييفتش :

ـ « يا لك من زميل طيب ! ! »

لقد اسرته رقة هذا الزميل ولطفه ، فقرر أن يستغل الجزء المتبقى من الوقت في التعرف على زميله رجل اللاسلكى ، فساله :

ـ انا لا أعرف شيئا عن مفتاح الشفرة الذى تستعمله ، فهل أنت جديد ؟

ـ نعم . فهذا اول شتاء لى في العمل .

ـ ما اسمك ؟

ـ كوليفنوف .

ـ اما انا فاسمى تيموفييفتش .

ـ انا سعيد بمعرفتك يا تيموفييفتش .

ـ انى اخشى أن يسمونى في المستقبل «ستوبك رازين » ، لان لحيتى ـ ان كنت لا تعرف ـ تطول وتحمر .

ـ لكن لحية رازين سوداء .

ـ اما انا فلحيتى حمراء .

ـ لا بد أن لونك أحمر .

ـ هذه هي الفكرة .

هكذا بدات الصداقة ، واصبحت محطـــة خليج الامل تذيع في مواعيدها تماما ، وصار من المالوف أن يتبادل رجلا اللاسلكى التحيات القلبية، وفي كل يوم يسـال لاسلكى محطة خليج الامل :

ـ كيف حال لحيتك ؟

ويجيب تيموفييفتش اجابته التى لا تتغير :

ـ انها تطول ، وتسود .

هل حاولت صبغها ؟

كان مراسلو محطة خليج الامل قليلين جدا ، وقد عرف تيموفييفتش ان الذين يقضون الشتاء هناك اثنان : صديقه رجل اللاسلكى كوليفنوف ، ورجل الارصاد الجوية سافينتسيف ، وكثيرا ما كانت ترد الرسائل اللاسلكية باسم سافينتسيف ، من أمه ، أو من خطيبته ، أو من الاصدقاء . واكثر من مرة وردت رسائل لاسلكية باسم رجل اللاسلكى كوليفنوف ، ولكن كوليفنوف لم يكن يجيب على هذه الرسائل ، وادهش ذلك تيموفييفتش ، فاخذ يفتش في السجلات ، ولكن بدون جدوى ، اذ لم يجد سببا لذلك .

في هذا اليوم بالذات هتف تيموفييفتش الحائر محييا كوليفنوف ، ثم قال له :

ـ لم ترد اية رسائل باسمك اليوم .. فالى الغد ..

واجاب رجل اللاسلكى :

ـ انا لا ارقب ورود رسائل .

ـ لماذا ؟

ـ لانه ليس هناك من يراسلنى .

ـ وامك ؟

ـ ماتت .

ـ وزوجتك ؟

وانتظر تيموفييفتش طويلا ، دون أن يتلقى اجابة ، فاخذ ينادى زميله ، لكن هذا لم يجب رغم تكرار النداء ، حتى انتهى الوقت . عندئذ ادرك تيموفييفتش انه ما كان ينبغى أن يسـال كوليفنوف عن شيء يخص زوجته او بيته ، ولحظتها شعر بالاسف والخجل من صديق لم ير وجهه مرة واحدة ، لكنه الآن يتخيل وجهه الشاحب المتجهم، مما سببه له من الايلام .

ومن هذه الحادثة اللاسلكية عرف تيموفييفتش

ان كوليفنوف غالبا ما يقضي وقته وحيدا ، اما سافينيتسيف فانه يقوم برحلات الصيد ويبحث عن البطولات والمغامرات ، ويحلم باكتشاف خليج جديد .

كان كوليفنوف على وشك ان ينتهي من احدى نوبات عمله ، وكان عليه ان يعد الطعام ، وان يطعم كلبه ، وتخيله تيموفييفتش — وقد اشفق عليه في وحدته — وكأنه يطل عليه من نافذة ، فيراه وقد اختفى نصفه في الثلج،وهو يتثاءب ويشرب الشاى، والكلب يقبع على ركبتيه ، ويلعق يديه .. «هل عنده كلب حقا ؟ » — هذه الفكرة لم تخطر ببال تيموفييفتش الا الآن فقط ، ولقد انتظر حتى حان الوقت المناسب وساله في هذه اللحظة :

— هل عندك كلب ؟

ولم يفهم كوليفنوف ماذا يعني ، فهتف به قائلا :

اعد سؤالك ، فانني لم افهم ماذا تقصد .

وارتبك تيموفييفتش ، وخانته اللباقة ،فقال:

— لا شيء .. اعطني النشرة الجوية .. انا مهتم بان اعرف هل معك كلب في المشتى ؟

— طبعا .. معي كلب ، هو صديقي ، وهــو رفيقي .

وارتاح تيموفييفتش لهذه الدعابة الطبيعيــة المفاجئة التي ارتدت اليه ، وابلـــغ الرسائل اللاسلكية المعتادة الى صديقه ، ومنذ ذلك الحين كان يكثر من السؤال عن الكلب ، ويبعث اليــه بالتحيات ، وذات مرة سأل كوليفنوف :

— كيف حــال الجو عندكم ؟

واجاب تيموفييفتش وهو ينظر من النافــذة مكرها ، اذ لم يكن لديه وقت للاهتمام بحــالة الجو مطلقا :

— يبدو انه مليء بالعواصف الثلجية .

— ونحن عندنا عواصف ثلجية تبلغ قوتها ثماني درجات .

وساله تيموفييفتش بحنو :

— هل تشعر بالاسى ؟

— لا .. لا شيء .

ولم يصدق تيموفييفتش ، فسأل ؟

— عاصفة ثلجية ؟ انه لمن المزعج ان تكون هناك عاصفة ثلجية .

ونظر من النافذة ، وانصت فاذا الرياح تولول وتئز في الاسلاك ، وتدق الابواب بعنف ، لكن تيموفييفتش يذهب بعد نوبة عمله الى المطعم الدافيء ، حيث الاضواء والناس والموسيقى ،ومع ذلك فهناك قوة اسرة ما تزال تجذبه نحو الانسان الذي يعرفه ولا يعرفه ، والذي هو وحيد في هذا العالم .

حل اليوم السابع من شهر نوفمبر — وهو عيد سنوي لثورة اكتوبر الاشتراكية — فانتشرت على موجات الاثير فوق المنطقة الشمالية عاصــفة من الرسائل اللاسلكية التي تلقاها تيموفييفتش ، تحمل التحايا والتهاني من الاسر ، ومن الاصدقاء، ومن المواطنين .

كان من بين هذه الرسائل اللاسلكية رســالة لم تكن متوقعة بالمرة ، كانت من سوخومي — وهي مدينة على شاطيء البحر الاسود في ولاية جورجيا من اصدقاء قدامى ، تذكروه فجأة فارسلوا اليه : « تلاقينا ذات يوم في المصح ، وقد تذكرناك الآن ، وتذكرنا شبابنا في الجبهة . نهنئك — ايها الصديق القديم بالعيد — ، وتشرب نخب صحتك » .

وحركت هذه الرسالة شجون تيموفييفتش ، فقلب الورقة في يده بحيرة ، ثم عاد الى عمله ، واقترب موعد عمل محطة خليج الامل ، فنظــر تيموفييفتش داخل الخزانة ، وتناول رزمة خفيفة من الرسائل اللاسلكية ، واخذ يتاملها واحدة واحدة ، ويقرأ : الرسالة الاولى:«سافينيتسيف» .. الثانية : « خليج الامل — سافينيتسيف » .. وهذه ايضا : « سافينيتسيف » .. وهــذه الاخرى : « سافينيتسيف » . وفجأة صاح في عصبية :

— وكوليفنوف ؟ لا شيء لكوليفنوف ؟

ومن جديد اعاد النظر في الربطة ، فلم يجد شيئا لكوليفنوف :

— حتى هذا اليوم .. لا شيء من اجلك . آه .. كم انت مسكين . انت انسان وحيد على هذه الارض .

وانحنى على المنضدة ، واخذ يعد لصديقه رسالة لاسلكية :

« خليج الأمل – اخصائي اللاسلكي كوليفنوف.

صديقنا العزيز : تحياتنا القلبية ، وتهنئاتنا لك بالعيد ، وبيوم ثورة اكتوبر العظيمة ،وتمنياتنا لك بالصحة والانتعاش » .

ثم وقع الرسالة بامضاء « مركز اللاسلكي » ، وفكر قليلا ، ثم اضاف الرقم « ٨٨ » الذي يعني في لغة اللاسلكيين في جميع انحاء العالم عبارة : « مع اطيب التمنيات » .

وبعث بهذه الرسالة اللاسلكية الى كوليفنوف، فتلقى في نفس الوقت الرد التالي :

« شكرا لكم أيها الاصدقاء الاعزاء . ان كلماتكم الحارة قد بعثت في روحا من العون والعزاء ،انني بشرف أحرس خليجي » .

اخصائي اللاسلكي
كوليفنــــوف
« ٨٨ » للجميع

في امسية العيد كان تيموفييفتش سعيدا كما لم يكن في اى وقت مضى ، كان كل من في المشتى قد عرف صداقة تيموفييفتش لكوليفنوف ،لذلك حينما عاد تيموفييفتش ذات مرة من نوبة عمله كئيبا مضطربا فهم الجميع في الحال ان شيئا ما قد حدث لكوليفنوف ، وقال تيموفييفتش :

– ان محطة خليج الأمل لا تجيب .

وقال مستمعوه في دهشة :

– ماذا تعني ؟ أليس كوليفنوف هناك ؟

وهز تيموفييفتش كتفيه وهو يقول في مرارة :

– لقد ظللت اناديه عشرين دقيقة ، ثم أعدت نداءه مرة أخرى ، وثالثة .. ولكن بدون جدوى اذ لم اسمع شيئا .

وظل تيموفييفتش مضطربا طــوال الليــل ، وحينما جاءت نوبة العمل التالية ، ولم تجب محطة خليج الأمل على كل نداءاته لم يعد لديه ادنى شك في ان حادثا ما غير سعيد قد حدث لكوفينوف ، ولكن ماذا حدث له ؟ لقد بدا له حينئذ انه قد فقد صديقه الى الأبد ، وهو مع ذلك لا يعــــرف وجهه ، ولا صوته ، ولا يده . ماذا يستطيع أن يذكر عنه ؟ لا شيء .. لا شيء سوى النقط والشرط التي تتحول الى كلمات .. من هو كوليفنوف ؟ اهو جميل ؟ اهو حليق ام ذو لحية ؟ كيف عيناه؟ كيف يضحك ؟ هل يدخن ؟ هل هو هادىء ؟ – انه لا يعرف شيئا من كل هذا .

وفي حزن اخذ تيموفييفتش يدخن غليونه ، ويراقب الخليج،كان يعمل وهو يفكر في كوليفنوف، وكلما مر الوقت بعث الأمل في نفسه من جديد .

وتناول الرسائل اللاسلكية الموجهة الى خليج الأمل ، والتي تكدست منها ربطة كاملة ، وبدأ في اصرار وعناد ينادي محطة خليج الأمل من جديد ، والوقت يمضي،والمحطة تمعن في صمتها ،ويستغرقه الحزن ، فيعود الى جميع الرسائل ليضعها من جديد في مؤخرة الخزانة ، وفجأة يلمح وسط هذه الرسائل رسالة ، كاد يصعق لها عند النظرة الأولى ، انها معنونة على الوجه التالي : «خليج الأمل – كوليفنوف » .

واخذ يقرأ وهو لا يصدق عينيه .. الا يكون قد اخطأ عند القراءة الأولى ؟ ولكن .. لا .. انها الى كوليفنوف بالتأكيد .. من النظرة الأولــى ، وعند تكرار النظر ، ونقل بصره الى التوقيع ، فاذا هو توقيع « غاليا » ، وقرأ اسم « غاليا » ، وكرر نطقه بصوت عال:« غاليا » ، ثم اخذ يقرأ الرسالة، فاذا فيها :

« فاسيلي . معذرة،لقد كنت غبية ، ولقد رجعت، لا استطيع الحياة بدونك . »

« غاليا »

والقى تيموفييفتش بنفسه على المفتاح ، ومن جديد اخذ ينادي محطة خليج الأمل ، وكان يهمس وهو يدق على المفتاح في يأس :

– فاسيلي .. عد يا فاسيلي .. ارجع .. فاسيلي .. هذه رسالة لك من غاليا .. غاليا تحبك .. ارجع . فاسيلي . يامحطة خليج الأمل، يا فاسيلي ..

لكن خليج الأمل ظل صامتا ، وكان يتوقف في انتظار الاجابة ، ثم يعاود النداء من جديد ، لكنه

لا يسمع سوى صفير الرياح ، وعاد من نوبة عمله الى منزله محطما منهوك القوى .

مضى على ذلك نحو خمسة ايام عسيرة ، وحتى هذه اللحظة كان قد مضى سبعة ايام على صمت محطة خليج الامل حينما وفدت اول طائرة من طائرات الربيع تحمل البريد من المشتى . وفي امل نظر اخصائي اللاسلكي الى الطيار .. الى طاقته الشابة،والى وجهه البريء الذي ينم عن الشهامة، وتوجه على حياء الى مكانه في المطعم قائلا :

ـ ايها الصديق .. انك تكاد تتجمد من شدة البرد .

واجاب الطيار مبتسما :

ـ لا ، لا باس ، ان عندكم قهوة جيدة .

ـ انت على عجل .. اليس كذلك ؟

ـ هذا يتوقف على حالة الجو .

ـ الا يمكنك ايها الصديق ان تنقذ انسانا من الهلاك ؟

ونظر اليه الطيار دون ان يجيب ، وحينئذ حدثه تيموفييفتش بكل شيء عن محطة خليج الامل التي لم تعد تجيب ابدا ، وعن كوليفنوف اخصائي اللاسلكي الوحيد في خليج الامل ، وعن الصداقة التي توثقت بينهما ، وعن غاليا التي أرسلت له في النهاية رسالتها اللاسلكية .. وقاطعه الطيار مشفقا :

ـ ولكن لماذا تتوقع ان كارثة قد حلت بصديقك؟ الا يحتمل ان تكون محطة الارسال التي يعمل بها قد تعطلت ؟

وهز تيموفييفتش راسه في حزن ، وهو يقول :

ـ لا انها كارثة بكل تاكيد..انا واثق انها كارثة. لو ان زميلك ايها الطيار طيار اصيل ، طار مثلا من جزيرة ديكسون الى جزيرة دودينكا ، ومر يوم واثنان دون ان يعود الى ديكسون او يصل الى دودينكا ، او يهبط في اية محطة على الطريق، فماذا تقول ؟ الا تتساءل : ماذا اصاب زميلي الطيار ؟ انت تعرف ان ليس للطيران مرض .. ولا بد ان تقول حينئذ :ان كارثة قد حلت بصديقي، ولا بد ان تطير على الفور للبحث عنه .. اليس كذلك ؟

وابتسم الطيار وهو يقول :

ـ حقا .. هذا منتهى التفكير السليم .

ـ انا اخصائي لاسلكي .. لاسلكي اول ،وعندما ينقطع زميلي عن العمل والارسال في المواعيد المحددة سبعة ايام متوالية ، فلا بد ان اقول ان كارثة قد المت به . وانني لارجوك ايها الصديق .. ارجوك بحرارة ان تبادر الى انقاذ صديقي .

ونهض الطيار ، واخذ يتمشى في فناء الحجرة صامتا مفكرا ، ثم قال في النهاية :

حسنا . خليج الامل ؟ على مدى ساعتين او ثلاث بالطائرة عبر التندورة مباشرة ، فلناخذ الوقود ، ولنصطحب الطبيب ، ولنبحث عن صديقك . هيابنا .

عند الفجر اقلعت الطائرة وعليها الطبيب ، متجهة شطر خليج الامل ، وقد وضع الطيار في جيبه رسالة «غاليا» ، لقد قال له تيموفييفتش وهو يسلمه المظروف :

ـ هذا هو الدواء .. اعظم دواء في العالم .

وجلس ستيبان تيموفييفتش بنفسه الى جهاز اللاسلكي ليتابع اتصالاته بالطائرة ، وبسرعة محمومة كتب في السجل :

ـ « نحن نطير الآن فوق التندورة .. الرؤية سيئة .. نحن نطير في ضباب » .

وقال هو في اجابته :

ـ « هل من المحتمل ان تعودوا ثانية ؟ »

ـ « سنحاول أن نشق طريقنا وسط الضباب » .. « نحن لا نرى شيئا » .. « الساعة الرابعة والدقيقة الاربعون .. نحن نطير وسط عاصفة ثلجية » « الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة .. نحن نحاول .. نحن نطير فوق راس اللسان الحجري » ..« افلحنا في شق طريقنا .. لقد شققنا طريقنا » .

وابتهج تيموفييفتش ، كانت كل افكاره ومشاعره وآماله ومخاوفه ـ كانت كلها في هذه اللحظة على جناحي الطائرة .

ـ « نحن نسير باقصى سرعة في سبيل نجدته .. الساعة الخامسة والدقيقة الاربعون .. فوق

خليج كريستا .. الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعون .. نحن نسرع في الهبوط ..»

وانقطعت الاتصالات ، ومرت عشر دقائق ثقيلة مملة .. هل نزلوا ؟ ام لا ؟ هل الجميع في سلام ؟ مرت عشر دقائق بلا اخبار ، ماذا يصنعون ؟ هل نزلوا من غرفة الطائرة ؟ هل يسيرون في للـــوج المشتى ؟ .. عشر دقائق اخرى تساوى دهرا كاملا .. ماذا حدث ؟ لم هذا الصمت ؟ .. يا محطة خليج الامل .. يا خليج الامل .. ماذا حدث ؟

فجاة ارتسمت نقطة .. فشرطة،ثم انبعث صوت واضح رنان :

ـ هنا محطة خليج الامل .. انا محطة خليج الامل .. يا مركز اللاسلكى .. يا مركز اللاسلكى .. انا خليج الامل .. هل تسمعنى ؟

واجاب تيموفييفتش بفرح :

نعم . نعم . انني اسمعك .

لقد اتضح له الآن انه ظل ينادى فاسيلى طوال الاسبوع الماضي بلا جدوى ، اذ لم يكن فاسيلى موجودا لا يده ، ولا صوته ، ولا خطه .

ـ اعطنى فكرة عن الطقس .. بسرعة .. نحن نطير الآن في طريق العودة .

وابرق تيموفييفتش :

ـ ورجل اللاسلكى ؟ .. رجل اللاسلكى فاسيلى؟

ـ في حالة سيئة جدا ، ونحن نحمله معنا ، وهو حى .. برغم حالته السيئة فهو ما يزال حيا.

ها هى الطائرة .. تشق طريقها في الفضـــاء ، اننا نطير الآن قادمين اليكم .

ويسال تيموفييفتش

ـ وماذا حدث لكوليفنوف ؟

ـ حالته سيئة جدا .. كان في رحلة صيد .. وحده .. ويظهر انه ضل طريقه في الجبل ، فسقط .. ارتجاج في المخ .. والطبيب يقول ..

ـ وماذا يقول الطبيب : « ان حالته خطرة » ، ولكن هناك امل .. نحن نطير الآن في اتجاه الجزيرة .. نحن نستعد للهبوط .

حينما اسرع تيموفييفتش نحو الطائرة وجد كل سكان الجزيرة قد احتشدوا هناك ، وراى كيف انزلوا شخصا من غرفة الطائرة بحرص شديد وعناية .. انه ملفوف في فراء .

واندفع لنجدته ، فانزله من مكانه ، وبمساعدة اثنين من رجال اللاسلكى نقله الى المستشفى ، وحينما نزع الفراء عن المريض راى تيموفييفتش وجه صديقه القديم لاول مرة ، لقد راى الشيب يزحف في فوديه ، والتجاعيد العميقة في وجنتيه ، واسنانه المكزوزة . كانت عيناه مقفلتين ، ولم يكن له شارب ولا لحية ، ولكن كان على وجنتيه وعلى ذقنه الشديدة الانحدار شعر ازرق ، لقد نما واستطال منذ داهمه المرض .

عندئذ راى تيموفييفتش شيئا لم يره الآخرون، فقد استشف مما رآه قوة ارادة هذا الانســـان المستلقى امامه في غيبوبة ، وفهم كل شيء ، اذ كان كل شيء هنا : في هاتين الوجنتين الزرقاوين ، لقد كان يحلق ذقنه كل يوم بانتظام واصرار ،وكان يخشى ان يضعف او يسقط ، ومن المحتمل انه كان يغسل قميصه بنفسه ، ويغير باقته كل يوم ، ومن المحتمل كذلك انه كان يضع لنفسه نظاما يوميا صارما يسير عليه ، وانه كافح لكى يروض نفسه على العزلة ، والافكار القاتمة الحزينة ، وانه خرج منتصرا من هذا النضـــال . وهمس تيموفييفتش وهو يعبث بلحيته :

ـ اى الرجال انت !! يالك من انسان !!

لقد مكث الى جواره بالمستشفى لم يبرحه طيلة يومه،وحينما عاد الى كوليفنوف وعيه ببطء شديد راى نفسه يرقد في حجرة غريبة ، ولم يستطع ان يتذكر شيئا مما حدث ولم يعرف كيف جاء الى هنا . وانحنى عليه شخص لا يعرفه ولكنه راى في وجهه امارات الطيبة ، وراى لحيته الحمــراء فتذكر فجاة ، وهمس في بسمة مشرقة :

ـ تيموفييفتش . ■■

ترجمها عن الروسية : **رضوان ابراهيم**

« كُتُم »

عَذرَاء دارفُور

بقلم : مبارك المغربي

■ هاله السحرُ ، فأبدى ما كَتَمْ … حين حيت بمحياها « كُتُمْ »

حين لاقته وفي النفس هوًى … لمجاليها .. وفي الصدر نغم

إنها الجنةُ من لاذ بها … عاش في فيض من الحسن عَمَمْ

الصفاء المحض والسحر الذى … يطلق الأنفس من ضيق وهم

يرقد « الوادى »[1] على أعطافها … لم يطق فُرْقتَهَا منذُ القدم

يتثنى في التباع حولها … دافقا بالخير فيها والنِّعَم

ضمها ، والوجد في أعماقه … عاشقٌ أودى به طول السقم

والجبال الشمْ – ما أروعها – … حضنتها في حنان وشمم

وبدا النخل على هاماتها … شامخَ الأنفَ سما فوق القمم

جثثُهَا آوى إلى أفيائها … في خريف ساحر عذب الديم

وسماء قد توارى نجمُهَا … تارة تبكى وأخرى تبتسم

كم شهدتُ السحرَ في حُلّته … في اجتلاء الفجر .. في جنح الظُلَم

في مغانيها وقد ضاع الشذى … من روابيها وريّاها الشّبِم

لهف نفسى كيف لا تهفو لها … وهى دنيا من خيال وعِظَم ؟

وشباب جمّلوا مَربعَهَا … بجميل من فعال وشيم

يهنأ الضيف متى حلّ بهم … بين فيض من وفاء وكرم

وحديث مثل كاسات الطّلى … من رقيق الشعر أو عذب الكَلِم

بالأيام تقضت بينهم … كيف مرت مثلما يمضى الحلم

فاهنئى يا جنة الوادى بهم … ولتدم في رفدك النُّعمى لهم

سحر « لبنان » – على فتنته – … لا يُدانى روعةً سحرَ « كُتُم » ■■

مبارك المغربي

(1) وادي كلوت .. من وديان غرب السودان .

مِنَ المسرح العَالَمِيّ

سِلسِلَة ثقافيّة
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول فبراير ١٩٧٤

(٥٣)

ابن أُمَيَّة
أو
ثورة الموريسكيّين

تأليف : مارتينس دى لاروزا
ترجمة وتقديم : د. لطفى عبد البديع
مراجعة : د. محمود مكى



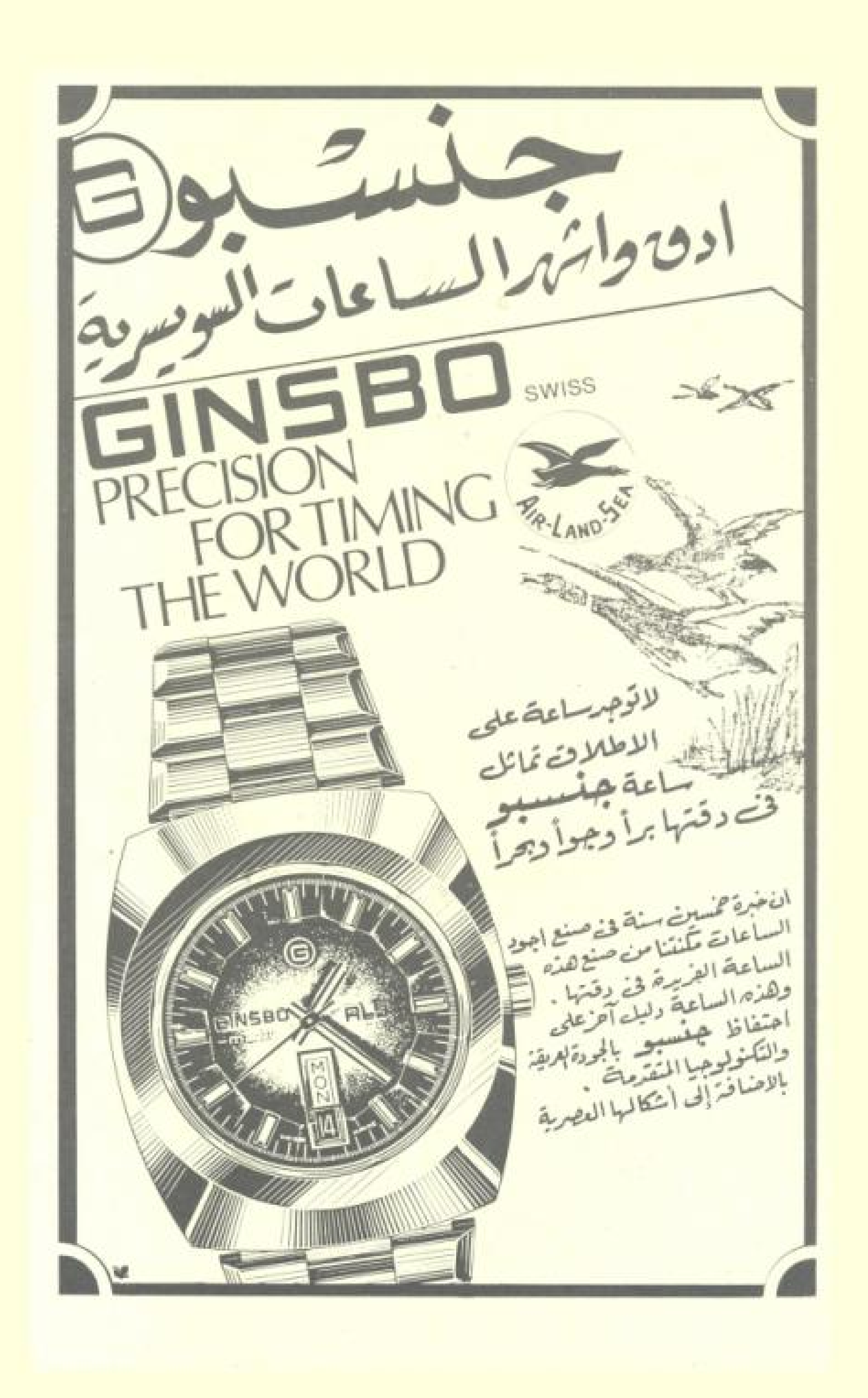
بعض الأفراد يفضل الانتقال إلى أمكنة
المجالس والاجتماعات بسيارات كبيرة أنيقة وفخمة.
والبعض الآخر يفضل اقتناء سيارات متوسطة أو صغيرة متينة
تخدمهم سنين طويلة.. ان الموارد المتنوعة
والطاقات الهندسية الضخمة التي يتمتع بها رابع منتج
للسيارات في العالم تؤمن لكل فرد رغبته حسب حاجته مهما اختلفت
متطلباته في عالم السيارات. فجميع سيارات داتسون،
ابتداءً من الموديل الفخم 2600cc سيدان
إلى سيارات الجيب ذات العجلات الدافعة الأربع والسيارة
السباقة ذات الشهرة العالمية 240Z ... جميعها ينتج
بنفس الدقة والفخر بكل ما لدى
داتسون من طاقات بشرية وتقنية.
كوننا نستطيع أن نقدم لك الأكثر.. جعلنا رابع
منتج للسيارات في العالم.

NISSAN DATSUN

NISSAN MOTOR CO., LTD.



بوم اي مرسييه
الساعة المعجزة
أعظم انتاج في حقل الساعات
BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
غاية في الدقة
رائعة في الجمال
أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين
حجر كريم تعمل لمدة
٥٥ ساعة بدون تحريك
الوكيل العام:
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة
الموزعون المعتمدون
أحمد بهبهاني واخوانه
السالمية ت/ ١١٨٢٢٤

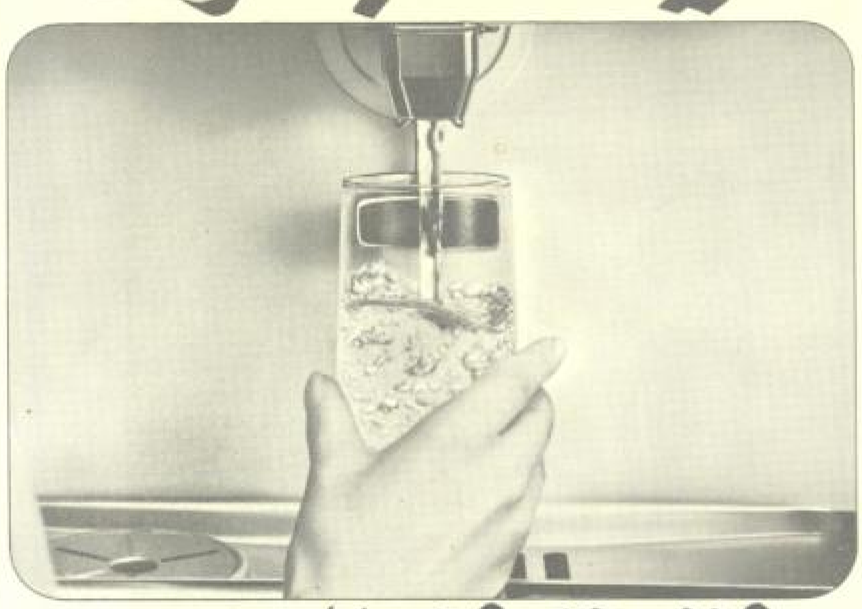

جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION
FOR TIMING
THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
في دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة في صنع اجود
الساعات مكنتنا من صنع هذه
الساعة الفريدة في دقتها
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة
والتكنولوجيا المتقدمة
بالاضافة إلى أشكالها العصرية
GINSBO ALS
MON
14


OLMA
Super Caravelle


OLMA
AUTOMATIC
24
Super
Caravelle
25 JEWELS


ساعة
أولما
للجميع
سوبر كرافيل
أوتوماتيكية
دقيقة الصنع
جذابة

مياه مبردة



قوة في التبريد

من هيتاشي :

مبردان للماء قويان متينان وجذابان مصممان بطريقة مثالية للاستعمال في المكاتب والمطاعم والمتاجر .

وأعدت التصاميم لتختاروا ما يناسبكم منها . فالموديل RW-1502P الجديد أعد خصيصًا ليقام فوق الارض مباشرة .

اما موديل RW-1001B فهو موديل جديد أعدّ ليقام فوق المنصات . وتتوفر في كليهما كافة وسائل الصحة العامة . لقد صنعا من صلب وجهزا بخزانات الماء ومبردات من الفولاذ الذي لا يصدأ . ويتيح كلاهما لكم تعديل درجة التبريد حسب رغبتكم .

اهم ميزاتهما : المتانة وخلوهما من الخلل لانهما من صنع هيتاشي . وفروا الحياة الهانئة للجميع باستعمال مبردات الماء . زوروا وكيل هيتاشي اليوم .





RW-1502P

RW-1001B

HITACHI

هيتاشي



وكلاء سانيو لديهم
افضل المنتجات للجميع
... وتلفزيون لك شخصياً

هناك عشرات المنتجات المفضلة للعائلة، بما في ذلك التلفزيون العائلي أما أنت شخصياً، فباستطاعتك مشاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك الاستمتاع بالأوقات والأماكن التي تريد أن تنفرد فيها. فهنالك التلفزيون الشخصي الذي بإمكانك نقله إلى غرفتك أو إلى أي مكان آخر وفي أثناء رحلاتك الممتعة.
إنه التلفزيون المصنوع خصيصاً لك.

14 T402

تلفزيون موحد الدوائر قياس ١٤ بوصة / بالتيار العادي / البطارية

شاشته واسعة لتشاهده العائلة بأسرها، جميع دوائره موحدة وتتكون من ٢٨ ترانزستور. الصورة واضحة وناصعة، يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية، للاستمتاع بمشاهدة التلفزيون في أي مكان. متوفر باللون الاحمر أو الابيض.



10 T152

تلفزيون نقال قياس ١٠ بوصات بالتيار العادي / البطارية

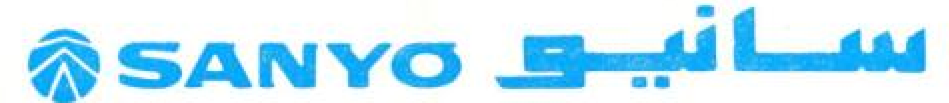
التلفزيون المثالي لرحلاتكم، جميع دوائره موحدة Solid State وشاشته مظللة تمنع توهج الشمس عند مشاهدته في الهواء الطلق. مزود بروافع مدرجة للتحكم ويعمل بالتيار العادي أو بالبطارية. متوفر باللون الأحمر أو الأصفر أو الأبيض.



12 T 220

تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State

يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة. يتوفر اختيارياً بالموفق للسيارة أو للقارب. شاشته تمنع التوهج ومجهزة بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC". يتوفر في صندوق جذاب باللون الاحمر أو الاسود.





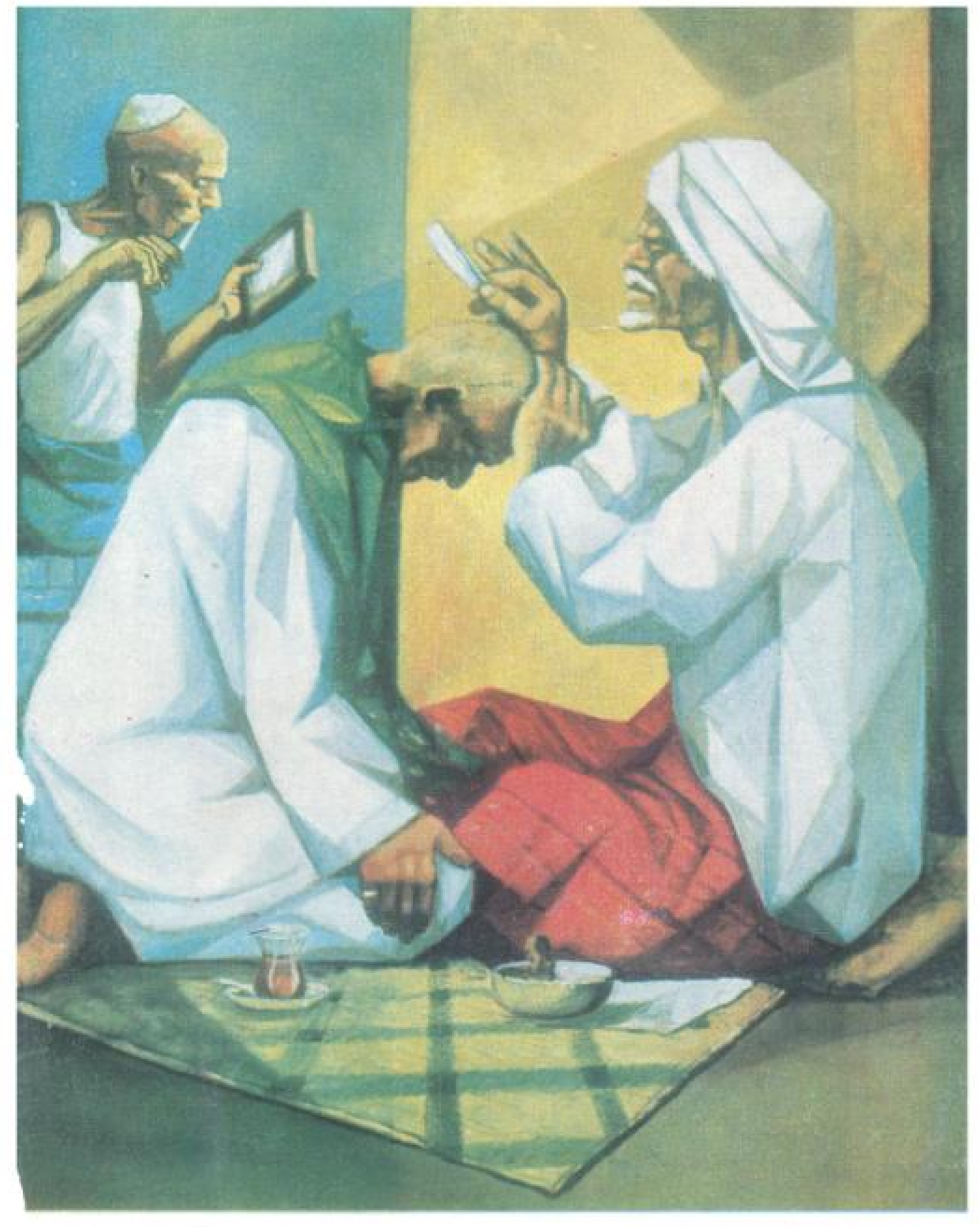
العدد ١٨٤
صفر ١٣٩٤
مارس
(آذار) ١٩٧٤

سد مأرب ..
بنته « سبأ » قبل الفى عام ويريد العرب اعادة بنائه هذه الايام

جوائز
١٢٠٠
دينار سنوياً

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



« حلاق سوق الخضرة »
لوحة زيتية للرسام عبد الله أحمد محرقي
البحرين

من سلسلة لوحات
الفنانين العرب

عزيزى القارىء :

● اود ان احدثك عن ازمة عالمية هي ازمة الورق . قل الورق في العالم حتى كاد ان يختفي ، وارتفعت أثمانه الى حد ان تضاعفت ، واذن وجب على المجلات ، ووجب على « العربي » ، الحيطة للمستقبل ، وقد تكون الحيطة بنقص بعض صفحات « العربي » ، فان اضطررنا الى هذا ، فسوف نعمل على تمثيل اكثر فروع المعرفة التي تعودناها في « العربي » على الرغم من ذلك . ثم نحن نطبع شهريا الآن من « العربي » فوق المائة وخمسين الف نسخة ، نرجو الا يكون في هذا العدد نقص . واى نقص سوف لا نمارسه الا اضطرارا . النقد موجود ، ولكن الورق عزيز المنال . ومع هذا قد تنفرج الازمة على غير انتظار .

ثم اليك يا عزيزى الكاتب :

رجاؤنا ان لا تزيد المقالات بسبب ظروف الورق الحاضرة على ما بين ٢٥٠٠ — ٣٠٠٠ كلمة ، وكلما قل المقال واستوعب ، كان ذلك خيرا .

ثم ان كثيرا من الكتاب ، تقبل مقالاتهم للنشر عندنا ، ولكن يستغرق نشرها اشهرا كثيرة ، ويكتبون الينا عاتبين ، والسبب كثرة المقالات الواردة في الفن الواحد ، وكلها مقبولة ، ففي « تواريخ الحياة » مثلا قد يكون لدينا عشرات من المقالات تكفينا سنتين او تزيد .

فهذا هو تفسير ما استعجم على بعض اخواننا من الكتاب .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسال ونحن نجيب :

دين :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No, 184 March 1974 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا «العربي»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم، آيةٌ ، جنتان عن يمينٍ وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدةٌ طيبة وربٌّ غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العَرِمِ وبدّلناهم بجنتيهم جنّتين ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خمْطٍ وأثْلٍ وشيءٍ من سِدْرٍ قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازي إلا الكفورَ .. » (قرآن كريم)

(انظر استطلاع سد مارب ابتداء من صفحة ٦٨)

تربية وعلم نفس :

اجتمـــاع :

سياســة :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

كتــب :

قصص .. وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائرى . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت — ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ — ساحة باندونج — ص.ب ٦٨٣ — الدار البيضاء — المغرب .





تصويب
في أصل تسمية تل أبيب

● قرات فى العدد (١٨٠) من مجلة العربى(اكتوبر ١٩٧٣ باب أنت تسال .. ونحن نجيب) عن عدد سكان تل ابيب واسباب تسميتها بهذاالاسم . اسمحوا لى أن أقول ان مدينة تل أبيب الحالية سميت على اسم مدينة قديمة كانتموجودة في أرض الجزيرة فى سوريا ، على نهر الخابور ، أحد أفرع نهر الفرات . وكان يعيشبها اليهود أثناء السبى البابلى فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد وأوائل القرن السابع .

أما معنى كلمة « أبيب » فالعشب أو ما ينمومن زرع . ولعل فى اطلاق الصهاينة هذا الاسم على عاصمتهم دلالة على مطامعهم التوسعية .

فايز عزيز عبد الملك / القاهرة

العربى : كلمة أبيب تعنى فى العبرية (الربيع)أو فصل الربيع ، لا الينابيع كما ورد فى العربى فى العدد ١٨٠ ذلك أن النص الانجليزى الـذىاعتمده المترجم تضمّن لفظ Springs (ينابيع) بدلا من Spring (ربيع) ، فكان الخطأ الذىتأسف له العربى . والربيع ، كما لا يخفى ، مقرون دائما بالعشب والزرع .

وقد جاءتنا أربع رسائل حول هذا الموضوع ،منها المثبتة فوق هذا الكلام ، ومنها رسالة من الاستاذ ابراهيم عبد رئيس قسم تجهيز الوسائلفىوزارةالتربية،الكويت.ومنهارسالةالدكتور محمد التونجى ، أستاذ اللغة العبرية في الجامعة الليبية.أما رسالة الأستاذ فايق ابراهيم العشناوى ، مدرس اللغة العبرية وآدابها فى جامعة الكويت ،فقد ارفق بها كاتبها مقالا وافيا وجديرا بكل تقدير عن تل أبيب ونشأتها . ولما كان المجال هنا لا يتسـعلذلك المقال ، فاننا نرجو أن تسنح لنا فرصة مقبلة للرجوع اليه وافادة القراء بمحتوياته .

ما قال هذا الرسول
وانما العباس

● جاء في العدد ١٨٠ من « العربى » وفى مقالعن الامام النووى للاستاذ الغزالى حرب،الصفحة ٢٥ السطر ١٢ ما يلى : « ... ابى سفيان بنحرب الذى أثنى عليه الرسول نفسه بقوله ـ وهو احكم المربين : ان أبا سفيان رجل يحب الفخر ،مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن !! »

والصحيح أن الذى قال هذا هو العباس عـمالرسول عليه الصلاة والسلام ، كما ورد فى سيرة ابن هشام (باب فتح مكة) .

ثم قال العباس قلت : يا رسول الله ان اباسفيان ، كما أعلمه ، رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » .

زهير الاسعد البكرى ـ حماه مديرية الصحة

جائزة
تبحث عن صاحبها

تدعو السيد يوسف الرقام الذى فاز بجائزة فى مسابقة العدد ١٧٤ من مجلة « العربى » ، وهو من ابناء ولاية قفصة بالجمهورية التونسية ، لارسال عنوانه الصحيح الينا ، اذ اننا ارسلنا قيمة الجائزة على عنوانه الذى لدينا ، فاعيدت الينا ثانية .



السيد المسيح
وبنو أسرائيل

● جاء بالصفحة ٣٩ من العدد ١٨١ من مجلة « العربى » القراء فى مقال الاستاذ الفاضل احمد السقاف عبارة نصها :

(ان اليهود من اشد أعداء الديانة المسيحية وهم قتلة سيدنا المسيح عليه السلام) .

وهى لا شك هفوة عابرة من الاستاذ الكبير لأنها تتعارض مع قوله تعالى بشأن المسيح عليه السلام واليهود : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) ، لذا لزم التنويه وشكرا .

الغريب خليل مصطفى ـ الرياض/السعودية

الجولان
جغرافيا وعسكريا

● اطلعت على مقال الدكتور عادل عبد السلام حول جغرافية الجولان فى العدد ١٨١ ص ٤٢-٤٩ ، وهو مقال جدير بالتقدير . الا أن بودى لو أن السيد الكاتب حاول القاء بعض الضوء على الوضع الراهن ـ أى بعد حرب العاشر من رمضان ـ فالغموض يكتنف هذا الوضع عامة ، والخطوط التى يقف عندها الجيشان ، الجيش السورى والجيش الاسرائيلى القادر بصفة خاصة .. غير واضحة .

عبدالعزيز عبد اللطيف آل شيخ
كلية التربية / جامعة الرياض

العربى : هذا أمر يتصل بشؤون الحرب وماينشر فيه وما لا ينشر وكذا بسياسة النشر .

الممالك الاسلامية في الحبشة

بقلم الدكتور جمال زكريا قاسم
(العدد ١٧٨ سبتمبر ١٩٧٣)

● اغفل السيد الكاتب امر مملكة شوا الاسلامية التي قامت في منطقة شوا فى شرق اليوبيا فى تاريخ مبكر . حقيقة لم يذكرها اى كاتب اسلامي ؛ ولكن المستشرق الايطالي شيرولي Cerulli ، اكتشف امرها حين عثر فى سنة ١٩٢٦ على وثيقة عربية كتبها مؤرخ مجهول ونشرها فى سنة ١٩٣٦ وقد عاشت هذه الدولة قرابة اربعة قرون . وكان العرب المسلمون المهاجرون الذين اقاموها فى سنة ٢٨٣ هـ ينتمون الى قبيلة مخزوم التي كانت قدخرجت من شبه الجزيرة العربية ايام عمر بن الخطاب برئاسة ود بن هشام المخزومي . وعداء عمر بن الخطاب لمخزوم ، (وهي قبيلة امه واليها ينتسب خالد بن الوليد) معروف فى التاريخ .

وقد جهلنا تاريخ هذه الدولة تماما حتى انتهذه الوثيقة فالقت بعض الضوء على الخمسين سنة الاخيرة من حياتها . وكانت قد قامت فى مقاطعة شوا كما ذكرنا ، واتخذت لها عاصمة ، هي مدينة ولله ، التي ضاعت معالمها تماما بعد ان خربها عمر ولسمع الذى اسس دولة ايفات بمساعدة الامبراطور يكونو املاك .

القاهرة د . زاهر رياض

البقية على صفحة ١٧٥

إذا جَمَعتْ الحربُ

فلابُدَّ أنْ تُفرِّق



بقلم رئيس التحرير

● اذا جمعت الحربُ ، فلا بد ان تفرّق السلم .

واذا صاح صائح دراك ، فما أسرع ما تتكوكب من حوله الناس ، كل يريد ان يدفع ، وكل يريد ان يسعف ، فاذا ما انقضى عهد دفاع واسعاف ، حل محله عهد كلام وخصام يشترك فيه العقل والمنطق حينا ، ويشترك القلب وتشترك العاطفة حينا ، فهذا يصوّب ، وهذا يخطئ ، واكثر الامر أن ينفضّ الزحام بسلام .

ولقد سبق ان ذكرنا عن حرب أكتوبر هذه الماضية ، أو لعلها بحرب رمضان اشبه واولى ، ذكرنا انها حرب اجتمع فيها العرب يدا واحدة ، فكانت حربُ مصر،وحربُ سوريا ، وفلسطين وحرب سائر العرب ، وقلنا ان وحدة اليد هذه مرهونة بحرب،وانه اذا توقفت الحرب، وبدت للسلم اشراقةٌ واحدة ، حل اللسان محل السيف ، وحلت الأقلام. والسيف سبيله واحدة ، فهو يقطع أو لا يقطع ، ولكن اللسان له ألف لفة ولفة، وكذا الأقلام لها صرير وصرير وصرير .

خَشِيءَ امرؤٌ ليس فى قلبه ريبة

وقع كل هذا فى محنتنا الحاضرة ، نحن العرب ، عندما أطلقت النيران ، وعندما توقف اطلاقها .

وما خشينا من كل هذا شيئا ، لأن الذى حدث انما كان امــرا طبيعيا فى الناس . الحرب لها هدف واحد ، هو ضرب العدو حتى يقول كفى . ولكنّ للسلم، أو لطلائع السلم ، اهدافٌ عدة، هى بقدر ما للناس من أجواء واهواء . ولا ننسى المنافع ، وكل منفعة حق . ثم الرّيب ، وخَشِيءَ امرؤٌ ليس فى قلبه ريبة . وان كنت فى ريبة من ذلك ،

ان مسلك العدو اليوم يثير الريبة ، فان كان غدراً ، فلا جوابَ للغدر الا الغدر . والعدوُ غادرٌ غادر ، الا أن تجفَ موارد السلاح اليه ، والا ان يكون للعرب ، مجتمعين، مواردُ للسلاح غزيرةٌ منها يستقون .

حرب رمضان كانت ، الى الآن ، كسبا لا مِرْية فيه . ولكن كذلك لا مِرْيةَ في أنه كسبٌ قليلٌ اذا ما نسبناه الى ما نرجوه ، كثيرٌ اذا ما نسبناه الى ما سبق ان كنّا فيه .

فاحضرْ مجلس ميراث لأب توفاه الله ، وانظر كم في قلوب الاخوة الحاضرين،وكم في السنتهم ، من ريبة ، تظهر رغم ما في الموقف من حزن ، وكبت ، وحياء ، واستحياء .

واضرب هذا مثلا ، واعلم ان السلم ، تأتى العرب ، او تنذر بالاتيان ، ليست بالميراث الذى يتقسّم ، وانما هى ردُّ حقوق سلبت ، للفرقاء منها انصبة سواء ، أو يجب أن تكون .

وقفُ اطلاق النار كسبٌ كبير وصغير معا

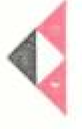
واخوض فيما خاض فيه العرب بعد وقف اطلاق النار واختلفوا .

ان وقف اطلاق النار ، والذى تلاه من مفاصلة بين القوات المصرية وقوات الأعداء ، هو ، الى تلك الساعة التى اكتب فيها فى الرابع من فبراير (شباط)

عمل وصفوه بأنه عسكري ، وليس بالسياسى ، وهذه لغة تكنية لا أفهمها ولا يفهمها الناس . ان الذى أفهمه منها ويفهمه السواد أن ارضا كان يقف فوقها الأعداء صار اليوم يقف فوقها العرب ، ومجرى الماء ، ذلك الخطير الذى كان العدو اقتحمه فى غفلة منا ، صار اليوم لنا ، نحن العرب . وهذا كسب لا شك فيه . وقد نسمّيه كسبا كبيرا اذا نحن نسبناه الى ما كان الحال عليه منذ عام مضى ، وقد نسميه كسبا صغيرا اذا نحن نسبناه الى الغاية الكبرى التى كنا لانزال نبتغيها من الحرب .

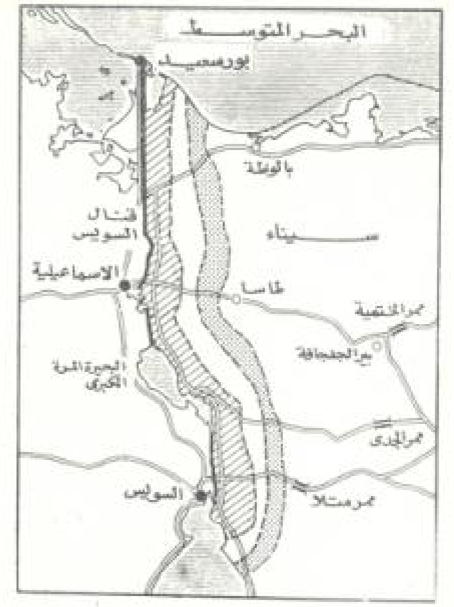
واثبت العرب فى محنتهم ان لديهم قدرة على التعوض عما خسروا عجيبة

ان علم الحيوان يعلّمنا ان من



الحيوانات ما يفقد في القتال عضوا من اعضائه،ثم لا تلبث الطبيعة ان تصنع بدل هذا العضو المقطوع عضوا آخر مثله،وفي اسرع وقت. وهذا ما يسمونه التعوّض او الاسترجاع Regeneration .

واحسب ان هذا هو الذى وقع فى جيش مصر العربى . اقتحم العدو القنال الى ضفته الغربية فى غفلة منه ، او من الزمان . ولا بد للزمان فى الحروب من غفلات . وهذه الغفلة كانت من الغفلات التى لا تغتفر . واصاب جيش مصر بسببها ما أصابه ، ولكن ما اسرع ما سدّ الثغرة ، ثم هو أخذ يزيد سدّها احكاما حتى اصبح المحاصرُ محصورا . وحتى أصبح جيش العدو الغازى «جيبا»



الخريطة ايضاح لموقف القوات المصرية تجاه القوات الاسرائيلية بعد فك الارتباط بينهما ، فحيث الخطوط مائلة توجد القوات المصرية ، وحيث النقاط توجد القوات الاسرائيلية . وفى الفراغ الأبيض الذى بينهما توجد قوات الطوارىء الدولية لتفصل بينهما.

واصبح موقفه فى خطر شديد يتهدده الفناء . وكان جيش مصر قادرا على ذلك بتضحيات من الرجال غير قليلة . فلما آثر امر تفاصل القوات ، كان العدو هو الذى اقترح ان تتفاصل هذا الفصال الذى ذهب به عبر القناة الى شرقها .

احكي هذا لأدلل به على قدرة جيوش مصر العربية ، ثم على أنها لم ترض بالذى رضيت به الا من موقف قــوة ، ولو مشروطة .

واقول هـــذا ، وغير هذا ، لانتهى بالقول الى **ان الحرب التى وقعت ، كانت ، الى الآن ، كسبا لا مرية فيه . وكذلك لا مرية فى انه كسب قليل اذا ما نسبناه الي ما نرجو،كثير اذا ما نسبناه الى ما سبق أن كنا فيه .**

ولا أحسب انه يخالفنى فى هذا رجل، له رأس عربى ذو منطق ، وقلب عربى ذو عاطفة سليمة .

وكسَبْنا ارضا ، وكسبنا زيتا

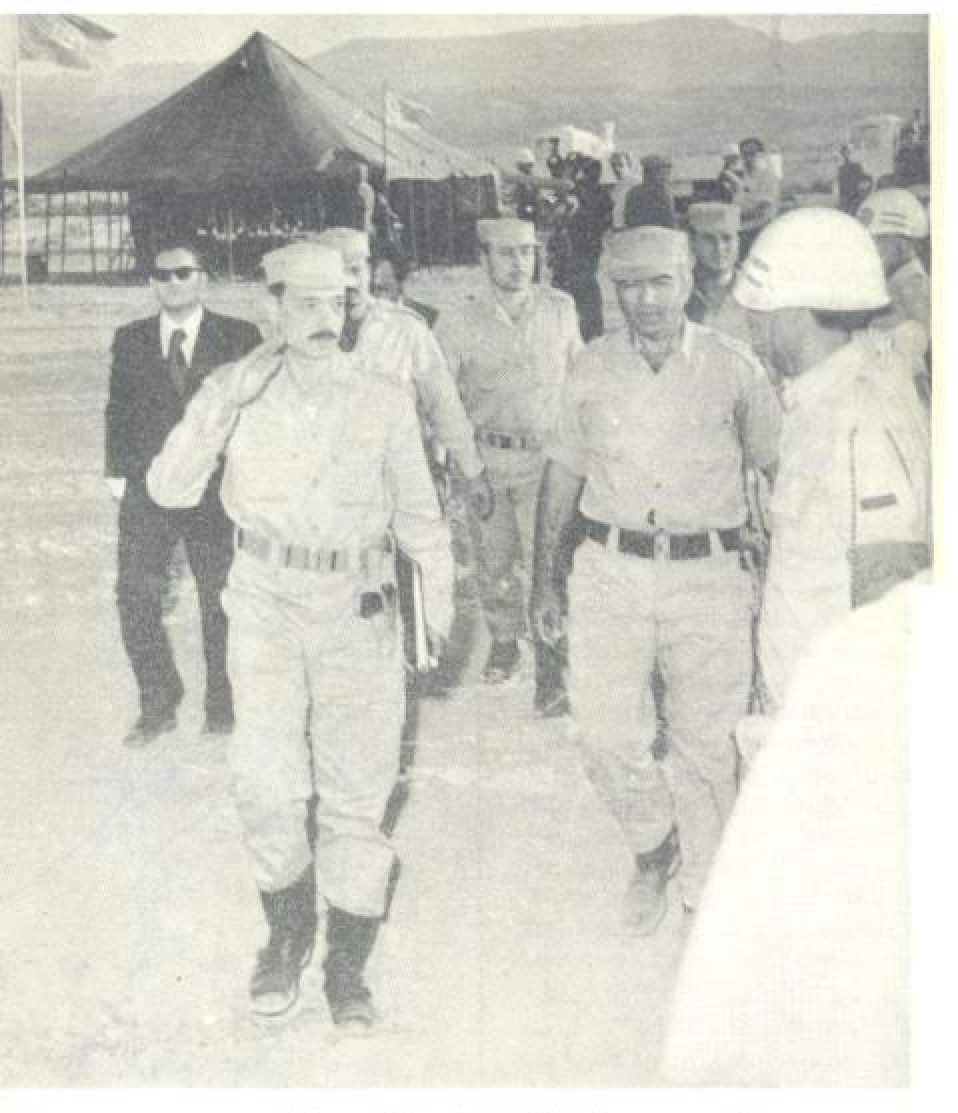
والى جانب ما كسب العرب من أرض، ما كسبوا من زيت . انه زيت سيناء .

استولى عليه العدو سنوات . وقيل ان آباره سدت حاجات العدو من الزيت فى تلك السنوات . وقالت الصحف الغربية ، بل سدت نحو ٨٠ فى المائة من هذه الحاجات .

وزعم العدو أنها ما كانت تنتج فى العام غير ٥ ملايين طن . وجاء فى «الدراسات الفلسطينية» نقلا عن صحيفة «الفيناشيال تيمز» ، وهى صحيفة من اوثق صحف العالم دراية ، فى الزيت وفى الاقتصاد عامة ، جاء :

« ان مصادر مسئولة قدرت هذا الانتاج بالذى وصل الى ٤٠ مليون طن فى العام . ومعنى هذا بالحساب ، أن هذه الآبار ، وهى تشتغل كلها ، تنتج من الزيت ما ثمنه ٥٠٠ مليون دولار.هذا باسعار عام ١٩٦٨ »

فاذا نحن حسبنا الثمن بالاسعار الحاضرة ، لكان ثمن هذا الزيت فوق الألف مليون دولار .



اللواء محمد عبد الغنى الجمصي رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية..بعد توقيع التفاصيل الخاصة بتنفيذ اتفاقية فك الارتباط بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية في سيناء..

وسميناها مكاسب وما هي بمكاسب

وسميناها مكاسب باعتبار أن صاحب الدار المسروقة ، اذا أعيد له مما سرق من داره شيء ، خال أن هذا كسب . وما هو بكسب . انه عودة مسروقات .

وكسبنا ثقة أهل الارض

وبما أننا نتحدث عن الكسب والخسارة ، فلا بد أن نذكر الى جانب كسب الارض ، كسب ثقة دول أوروبا وأمريكا . ولكيلا ننسى ، وما أسرع ما ننسى نحن العرب ، يجب أن نعود بالذاكرة الى السنوات

الماضية ، لا سيما سنوات ٧٣و٧٢و٧١. كلها كانت سنوات وقفت اسرائيل فيها بيننا طويلة عارمة،وبيدها سوط طويل، تضرب به من تشاء من دول العرب . وتهدد ، وتقرن تهديدها بالنفاذ . وما كان للعرب من رد على ذلك الا الكلمة تقال فى الخطبة او تكتب فى الصحيفة . ولحق لبنان ما لحق من العدو ، ولم تستطع دولة عربية أن تسعف.ولم تجد بيروت ملجأ الا الى مجلس الأمن ، وما كان فيه موضع للاجىء .

وعلمت امم الارض،فى هذه السنوات، انه لا سلام فى بلاد العرب الا بالشرطة ، وان اسرائيل صارت شرطتها .

ولا ننسى ما قاله (نكسن) رئيس الولايات ، وما قاله (كيسنجر)، عندما علموا بقيام الحرب بين اسرائيل والعرب. قالوا : **انها حرب ما اوشك ان تنتهى .** ثم افزعهم انها لم تنته ، وان شرطة الشرق العربى قد عجزت عن القيام بحفظ الامن فى الشرق ، فسارعوا فى نجدتهم بالذى علمناه فى حينه . وكان منه وبسببه للعرب ما كان .

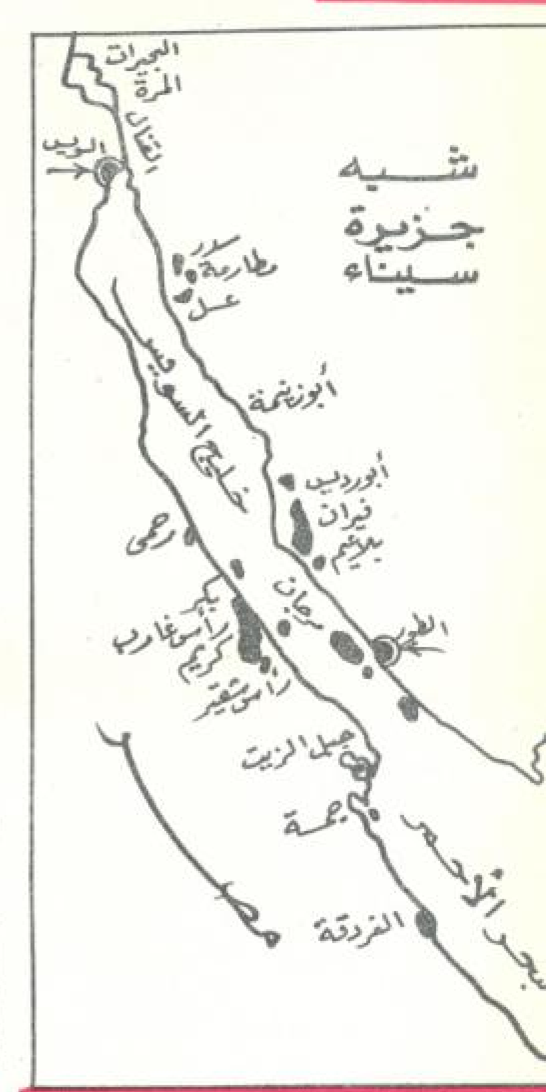
والنتيجة الكبرى من بعد حرب واجتياز قنال ؟ تغيرت صورة العرب عند أهل اوروبا ، وحتى عند اهل امريكا .

نشر أعداؤنا ، ونشر استخذاؤنا ، صورا لنا قبيحة ، مرذولة ، فاذا بها تتبدل ، لا اقول الى صور جميلة ،ولكن الى صور غير قبيحة ، وغير حقيرة ، ولا مرذولة ، ولكن الى صور الرجل الفتى المهيب المحترم ، **وكفى باحترام اهل الارض كسبا .**

اقول هذا للذين اضلهم المنطق فصاحوا يتساءلون عن هذه الحرب ، **ماذا كسبنا منها ؟ انكارا لكسبنا ، وهو لعمر الله كسب غير قليل .**

عام ١٩٧٣
عام العرب ، حربا وزيتا

قرات فى صحيفة «الابزرفر» الصحيفة الكبرى اللندنية المشهورة المعتدلة



حقول البترول فى سيناء قدر الخبراء انتاجهـا من الزيت باكثر من ٥٠٠ مليون دولار سنويا باسعار ١٩٦٨ .. وهذا يعنى اكثر من الف مليون دولار بالاسعار الحالية ، ان صدق التقدير .

المحترمة فى عدد قريب لها ، وهى تتحدث عن عام ١٩٧٣ ، عند اختتامه ، فوجدتها تقول :

« كنا ننظر فى هذا العام ، وقد انقضى منه تسعة اشهر ، الى الحوادث التى قد تجعل منه عاما بارزا فى تاريخ العالم ، فذكرنا من احداثه الشىء الكثير ، ذكرنا ان فيه اختتمت الحرب فى فتنام ، ووقعت الاطراف المتحاربة فيه وثيقة السلام ، وانسحبت الولايات المتحدة من الهند الصينية انسحابا ، وكان هذا عملا جديرا بان يخلد العام . وذكرنا ان فيه اتسعت السوق الاوروبية المشتركة ، فدخلت فيها بريطانيا وارلندة ، والدنمركة ، وهذا حدث ذو بال . وذكرنا ان فيه حدثت فضيحة (واتر جيت) ليُدان فيها رئيس الولايات . وذكرنا ان فيه حدثت الاطاحة برئيس دولة (شيلى) اطاحة عنيفة قبيحة مزرية قل ان تأتى بمثلها الايام . وفى هذا العام اصيبت افريقيا بانحباس الامطار فبالقحط والجوع والدمار . وفى هذا العام زار عاهل الروس عاهل امريكا ، وامضيا معا ذلك الوفاق المعروف المشهور . كل هذا حدث . وكل هذا جاز ان يكون ريشة فى قبعة ذلك العام ، عام ١٩٧٣ ، ولم يبق عند الولايات من كبير الاعمال ما يقلقها الا اوروبا ، وامن اوروبا ، حتى لقالوا : ان (نكسن) ، وان (كسينجر) ، بعد التخلص من ورطة فتنام ، بدءا يخططان لاوروبا ، حتى سموا العام عام اوروبا » .

« ثم اذا بالعرب يشنون الحرب على اسرائيل ، فى غير انتظار ، فتنقلب الامور راسا على عقب » .

وتنتهى الصحيفة الكبيرة بأن تقول ما مؤداه :

« ان عام ١٩٧٣ ، انما كان عام العرب، حربا وزيتا . فبالحرب ادخلوا الشك فى الكثير من مفاهيم السلام والامن على هذه الارض ، وبالزيت ايقظوا الامم الصناعية الحضارية الحاضرة من سبات عميق ، صحت منه لتدرك لاول مرة انها باندفاعها هذا الشديد فى الاختراعات والابتداعات والصناعات الى ما لا نهاية له، انما تساق هابطة لتصطدم بصخر عظيم هائل تتحطم عليه ، وهى فى غفلة من زمانها » .

وما قالته هذه الصحيفة الكبرى قالته صحف أخرى .

وقال مثل هذا ، فى الدول ، رؤساء ، وقال سفراء .

ووزراء الدول ما لبثوا أن تكاثروا على الدول العربية ، يزورونها فى اهتمام شديد ما كان يتحقق منذ اعوام . ورئيس دولة غربية وقف ممثله على التلفاز العربى ، وروى عنه انه قال : **« لقد تغيرت مكانة العرب فى الدنيا كل التغير ، ولست اقول انهم صاروا قوة فى الدول العظمى ، ولكن اقول انهم ، العرب ، صاروا كمعادلة من معادلات علم الجبر ، لاينحل بدونها الكثير من سائر المعادلات »**.

وكسب آخر
لا بد انا ذاكره

يظهر هذا الكسب ، الذى جاء نتيجة لتفاصل القوى على ضفة القناة ، وفوق تفاصل القوى على ضفة القناة ، اذا نحن قارنا مواقف الجيوش المصرية العربية من القناة ، بمواقفها قبل اتمام هذا التفاصل .

ان القناة اليوم فى قبضة المصريين ، شرقها وغربها .

ونعم خفّضوا القوى التى هى لهم قائمة شرق القناة ، ولكن الأعداء خفّضوا مثل ذلك فى قواهم المواجهة ، وذلك لكى يتسنى تسريح بعضهم ليعملوا فى صناعة بلادهم ، وقد نزل بها تجنيد الرجال الى الحضيض . وقيل انهم سرحوا سبعين الف رجل ، وقيل فوق ذلك .

والمهم اليوم ان لا تؤخذ مصر على حين غفلة بمثل ما أخذت لما عبر الاسرائيليون قناة السويس فوق البحيرة المرة والحرب قائمة .

انى آخذ على مصر اليوم انها تقيم ،

لتراجع العدو الى الناحية الاخرى من القنال ، وهو كسب لا شك فيه ، فوق ما جاز ان يقام له من المباهج . انهم حاصروا الاسرائيليين غرب القناة ، وانهم جعلوا منهم « **جيبا** » . يهلكون رجاله متى شاءوا ولو بتضحية غير يسيرة ، وهذه المحاصرة هي التي ادت يقينا الى هذا الكسب ، وعبور العدو القناة الى شرقها . وحق لهم أن يبتهجوا .

ولكن الابتهاج كثيرا ما ينسي واجب الدفاع القائم . وانى لأذكر انه ، بينا كان الرئيس السادات يشيد في مجلس الأمة بالقاهرة ، بما صنعت جيوش مصر ، وما نالت في اوائل حرب رمضان من نصر ، في تلك الليلة او نحوها استغفل الثعلب الاسرائيلي (شارون) الموقف ، واقتحم بجيشه القناة الى الضفة الغربية ، وكان من اثر ذلك ، وبعد ذلك ، ما كان .

اليقظة ، اليقظة .

لا بد من استنهاض الهمم بتذكير الجند والشعب بما كسبوا ، ولكن مع تذكيرهم بانهم ما كسبوا الا القليل ، وبقي الكثير ، وانه بقي من الانفس الاف تستعد للقاء ربها في ميادين القتال .

ولكن ماذا عن سوريا ؟

كتبت ما كتبت فاذا بي اجد انه يتعلق بالجبهة الغربية من القتال ، جبهة مصر ، تلك التي جرت فيها الاحداث سلبا وايجابا .

فماذا عن الجبهة التوام ، الجبهة السورية .

اما ما كان منها والحرب قائمة فشيء ضخم .

ذكر ذاكر لرئيس الجمهورية المصرية العربية اسم سوريا والحرب التي كانت ، فقال بالحرف الواحد : **ما بيننا وبين سوريا هو وحدة الدم ، ولن ننسى ابدا للرئيس الأسد موقفه ، ودوره العظيم في حرب رمضان ، ونحن على اتفاق كامل في وجهات النظر** (عن صحيفة الأنوار البيروتية ، لشباط) .

وقال الرئيس السادات غير ذلك الكثير . ولكن اقلاما بدات تتشكك منذ اللحظة الأولى ، بعض يتشكك في براءة واخلاص ، وبعض في آخلاص اعمى ، وبعض قام يتشكك عن عادة ، لانه لم يألف ابدا أن تكون بين العرب وحدة ولا سيما بين مصر وسائر بلاد العرب . واضاع الشك عن زعماء العرب علمهم بالذي دار وراء الستائر مما كان ولا يزال مستورا عن الشعب الى حين .

على انه لا حاجة بنا لتقدير ما هو كائن اليوم بين الجبهة الشرقية العربية والجبهة الغربية العربية ، من تفاهم وتضامن . لا حاجة بنا الى الرجوع الى ما يذيعه السادات ، او ما يذيعه الأسد . والمنطق وحده كفيل بتقدير هذا التضامن والتكافل ، لانه يخلو من طلاوة التحية التي يسديها رئيس الى رئيس .

فماذا يقول المنطق ، منطق المصلحة الخشن الجاف ، وحده ؟

يقول : **ان هذه الحرب التي كانت ما كانت لتنتهي الى ما انتهت اليه ، الا بتعاون الجبهتين ، هذه شرقية شمالية ، وهذه غربية جنوبية ، فهما صنعا معا ما تصنع الكماشة ، بمقراضيها ، او ما يصنع المقص بسلاحيه ، أو ما يصنع الانسان بفكيه . لو انه كان فكا واحدا لهلك الانسان جوعا .**

واسرائيل زرعت نفسها في الشرق لتبقى ، او هكذا هي تقول . وهي تقول بالسلم وتبني للحرب . وبناؤها للحرب يتمثل في تلك الافواج من المهاجرين التي هي تحرص على مجيئها من بلاد الارض جميعا ومن روسيا خاصة . وبناؤها للحرب يتمثل فيما تهدم وتبني في الضفة الغربية من الاردن ، وما تشتري هناك

من ارض . وهو يتمثـــل فيما ذكره الذاكرون من انها لا تريد، اذا هي تركتْ هذه الضفة ، غيرَ الأردن جارة . ومع هذا فهي لا تخرج عنها الا اذا اقامت على نهر الاردن حصونا لها ، هي صاحبتها ، وفيها جندها . نوعٌ جديد صـهيوني من الاستعمار ، لا أستطيع ان اصـفه حتى بالمقنّع الا اذا وضعـت نفسي وقارئي من البلاغة بمكان . واخيرا تلك المدينة التى زعموا انها خطّطت لها وانها تبدأ في انشائها على ارض الجولان في اول هذا الصيف القادم .

ان صح هذا ، فلا سلام ولا كلام .

ليت شعري ، ماذا ترى امريكا ،وماذا يرى العالم ، في امر هذه الاخبار التـى تخرج من افواه قادة العدو . أيراد بها تقويض السلم ، ان كان هنالك سـلم يقوّض ؟

ان العدو يبرر بقاءه في الجولان لان الجولان تشرف على ارضه الواطئة ، ارض الناصرة وما حولها ، فهي تهدد السلم فيها . وما ارض الناصرة الا جزء من ارض فلسطين التي تحكمها اسرائيل . وفي نوايا العدو المستورة انه انما يريد الجولان ليهدد بها دمشق ، ودمشق العاصمة ، ولكم ذكر العدو دمشق في هذه الحرب ، وكم ذكر انها صارت في مرمى مدافعه ، وما صارت .

بهذا المنطق الجاف ، يدرك العربي كم من خطر في الجولان جاثم ، وكم من خطر من ذلك على سورية ، وعلى مصر ،وعلى العرب اجمعين .

واتخذ العدو من اسراه ، تعلة

مضى العدو قدما في تفاصل القوات على قناة السويس ، ثم اذا به يتردد في المضي بمثل ذلك في تفاصل القوات على الجولان .

والسبب ؟

قال العدو انه يريد جدولا بأسماء اسراه المعتقلين في سوريا ، وان يزورهم مندوب من الصليب الاحمر ، وذلك قبل ان يبدأ المفاوضة لاقرار سلم .

ونـسمع بهذه العلة فتذكرنا بتعلات يتعلل بها الأطفال الصغار : مائة او مئات من الأسرى ، يمنعون السلم ان يكون ، وذلك علما ان بالسلم يفك الأسرى .

ويعتمد العـدو في ذلك على قوانين الحرب المعقودة في جنيف . وهو اليوم فقط يذكر هذه القوانين الدولية التى كانت لتنظيم العلاقات بين الدول ، حتى في الخصومات ، وادخال لون من الـوان الانسانية الرحيمة فيها .

فعل العدو كل ما فعل ، ونقض من هذه القوانين كل ما نقض ، في ميادين الحرب وغير ميادين حرب ، وفي الضفة الغربية ، وهي لم تكن ميدان حرب ، ثم هو يتمسك بها فيما يختص بأسراه .

هنا الريبة ، تأخذ بالعربي كل مأخذ .

ماذا تخبيء (مائير) باعلانها يوما بعد يوم انها لا تمارس المفاوضة مع سوريا الا بعد نشر جدول باسراها .

شيء خبيء قبيح وراء كل هذا .

اتراه هو الغدر ، بعد ان فصلت بين جيشها والجيوش المصرية القوات الدولية التي اقامتها هيئة الامم بينهما .

ان كان هذا ، فلا جواب للغدر الا الغدر .

ولقد أعلنت مصر باسم رئيسها انهـا متيقظة لذلك ، وانها على أهبة العمل اذا تبين ذلك .

وتأهب القوات وهي غرب القناة ، لتعبر عبورا خاطفا الى شرق القناة ، بعددها وعديدها ، هو الضـمان كل الضمان لملاقاة الغدر اذا هو ذرّ بقرنيه .

والعدو غـادر غادر ، الا ان تجف موارد السلاح اليه ، والا ان يكون للعرب مجتمعين موارد غزيرة للسلاح يستقون منها .

وفلسطين
ماذا كان منها

أو ماذا كان عنها .

قلنا ان العرب اتحدوا فى حرب ، وجاءهم السلم فاختلفوا . اتحدوا سيوفا ، ثم اختلفوا اقلاما .

ثم عادت الوحدة للكثرة العربية الكاثرة .

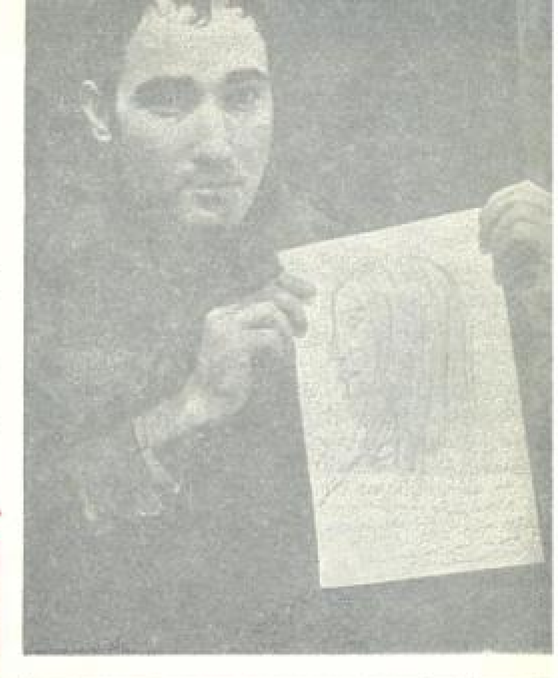
وكذا الاخوة الفلسطينيون ، اختلفوا على السلم اختلافا كبيرا .

والعجيب ، أن فلسطين ، وهى أصل



الى اليمين : اليست مجلة بارى ماتش الفرنسية فى تحقيق صحفى لها ان معاملة الاسرى الاسرائيليين فى سوريا هى معاملة انسانية والصورة العليا لاسير اسرائيلى يحمل صورة رسمها لزوجته وقد طلب من مندوب المجلة ان يبلغ حبه لها .. والصورة الثانية لثلاثة من الاسرى الاسرائيليين اثنين منهما بسيران والثالث جالس .وهذه الصور ابلغ دليل على كذب الدعاية الاسرائيلية .. وتبين ان اسرائيل تخبىء شيئا خبيثا وراء ادعاءاتها هذه .

الى اليسار : الرئيس السادات اثناء اجتماعه بزعماء منظمة التحرير الفلسطينية ويرى فى الصورة وهو يتحدث مع ياسر عرفات وزهير محسن وخالد الحسن . ان حل القضية الفلسطينيةهو امر متروك للفلسطينين وحدهم ، وهم اصحاب الراى فيها .. ونزيد فنقول ان اتحاد الراى يعطى القوة لنفاذه ، والانقسام ضعف .





القضية العربية القائمة ، يختلف عليها اهلها كل هذا الاختلاف .

والعرب هل اختلفوا على فلسطين ؟

اتخذ العرب لفلسطين صياغة سياسية واحدة ، وقالوا جميعا **بالحقوق المشروعة للفلسطينيين . ولم يكد احد ان يقول ما هي الحقوق المشروعة ، تركوا ذلك للفلسطينيين .**

والحق ان القضية الفلسطينية من اسهل القضايا حلا .

فلسطين احتلها قوم غرباء عنها ، فالحل نزوح هؤلاء عنها . وبدا الفلسطينيون يقولون بهذا النزوح . ثم لما اصبح ذلك غير ممكن ، قالوا بالدولة الديمقراطية العلمانية تقام في فلسطين مكان الدولة الدينية ، على ان يدخل فلسطين ، مواطنا ، اليهودي والمسيحي والمسلم ، ومن كل دين .

ويرفض الصهاينة هذا ، يرفضونه اليوم . اما الغد فعلمه عند الله .

فالصهينة لا شك الى ادبار ، الدنيا لا تريدها عندما تعرف الحقائق .



والذاريات اليهودية القادمة نفسها سوف ترفضها فى الأجواء الجغرافية والبشرية والانسانية القادمة .

ولكن هذا الغد المأمول ما زال بعيدا .

والراى الفلسطيني الثاني يقول (والراى العالمى الحاضر هو ما هو) يقول **بقيام دولة فلسطينية لهم، تتركز فيها آمالهم، وتكون منطلقا لغد قريب او بعيد .**
ولكن تعارض هذا اسرائيل . انها لا تريد ان يكون بينها وبين الأردن بلد آخر ، او بعبارة أخرى لا تريد الى جوارها دولة فلسطين . والملك حسين ، ملك الأردن، على ما أعلن ، يريد رد **الضفة الغربية من نهر الأردن اليه اولا ، بحسبان أنها انتزعت منه ثم تقوم هيئة الأمم بعد ذلك باستفتاء بين اهلها** ، أتنضم للاردن ، او تكون دولة وحدها .

وهنا ترتفع الكثير من الأنامل الى الرؤوس كأن بها حكة توجعها .

فهذه هى الآراء ، نذكرها متباينة ، لتظهر واضحة ، وما كانت فى حاجة الى وضوح .

وليس لنا من راى فيها . انا نقول ما قالت البلاد العربية : نقول بحقوق فلسطين المشروعة ، وهم اصحاب الراى فيها .

ولكنا نريد فنقول : **ان اتحاد الرأى يعطى القوة لنفاذه ، والانقسام ضعف .**

تعويضات الحرب

بقى امر لا بد من ذكره .

تلك تعويضات الحرب .

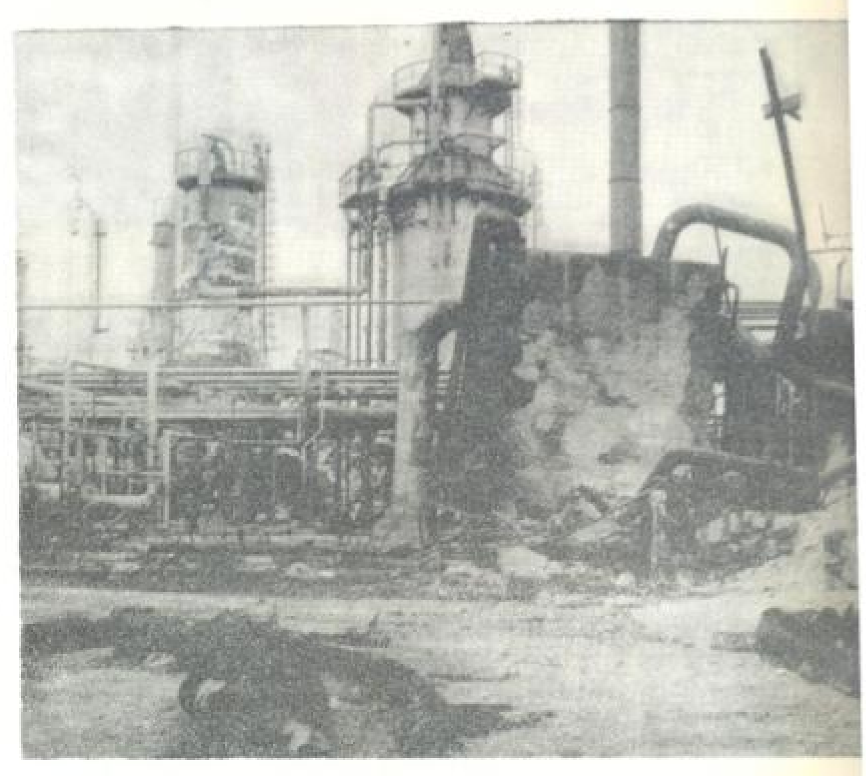
ان حرب رمضان هذه هيأت لاسرائيل ان تنال من سورية بالخراب ما تنال . منازل ومرافق ومصانع .

ولم تستطع اسرائيل ان تنال من مصر فى حرب رمضان بالخراب الشيء الكثير ، وذلك لأنها خربت فى السنوات الست الماضية كل ما تستطيع تخريبه ، واخص مدن القناة ، بورسعيد والاسماعيلية والسويس . وبورسعيد سوت مبانيها بالارض ، والذى لم يسجد منه ، فقد استشهد قائما .

والمصانع، ولا سيما مصانع السويس، بمنطقة الزيتية ، خربتها تخريبا .



معمل تكرير البترول فى حى الزيتية بالسويس
اسرائيل بتخريبه تخريبا .. حتى اصبح كما تمثل



بلغت تكاليف انشائه اكثر من ٤٠ مليون جنيه استرليني (والاسترليني بقيمته القديمة) .. وقامت هذه الصورة الآن . كل هذا التخريب من يقوم باصلاحه ؟ اين تعويضات الحرب يا قوم .. ؟!

فعلت اسرائيل كل هذا لانها استولت على الارض الى حيث يسكن الناس ويقع العمار . ولم تستطع الجيوش العربية أن تصنع بمدن اسرائيل شيئا . لقد حمتها الصحارى المترامية الاطـراف والجبال .

وكل هذا التخريب من يقوم باصلاحه؟

كل هذا الهدم من يقوم ببنائه ؟

اين تعويضات الحرب يا قوم ؟

شيء آخر يجب ان أذكر به ، وما انا في حاجة . ذلك أن اسرائيل ما فعلت ما فعلت الا بسلاح طيرانها .

واني لأرى أن مستقبل العرب يرتبط بسلاح طيرانهم وتدريب طياريهم ، لا مئات من الرجال ، ولكن الوفا من بعد الوف .

●●

احمـد زكى



العقيدة الدينية
تهزم في الحروب
من لا دين له .

بقلم : الدكتور احمد شوقى الفنجري

■ « نحن لا نعتبر انفسنا امة بعد اليوم ، بل جماعة دينية، فالصهيونية هي العودة الى حظيرة اليهودية قبل ان تتحقق العودة الى ارض الميعاد » .

هرتزل مؤسس الصهيونية (١)

■ مرة اخرى ، وفي عصر التكنولوجيا وعلوم القرن العشرين ، تثبت العقيدة الدينية اهميتها ومقدرتها على خلق الدول ونهضة الشعوب .

وخير مثل على ذلك هو دولة اسرائيل نفسها . .

فقد اجمعت الدراسات المستفيضة التي اجراها الباحثون والمفكرون من شتى انحاء العالم حول اسرائيل على انه : لولا العقيدة الدينية لما قامت هذه الدولة من العدم كدولة .. ولولاها لما حقق اليهود اى نصر عسكرى مهما توفر لهم من فنون الحرب وآلاتها الحديثة ، ولما ظهرت لديها تلك النهضة السريعة في السياسة والاقتصاد والعلوم والفنون والآداب . وهذا عرض موجز لاثر العقيدة الدينية في كل هذه المجالات :

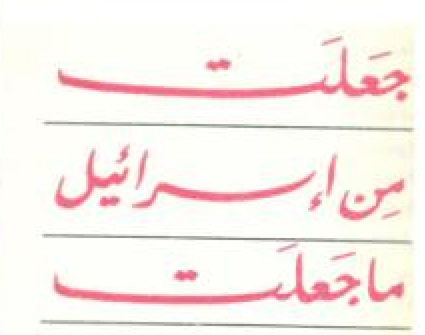
فكرة انشاء اسرائيل ، اساسها ديني

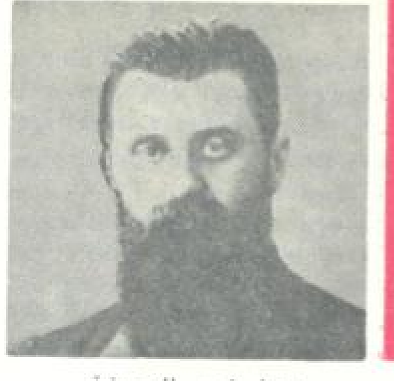
فعندما اشتد اضطهاد اليهود في اوروبا في اوائل القرن العشرين عرضت عليهم كندا اقامة وطن قومي لهم في ارض مستقلة. ثم تقدمت استراليا بنفس العرض وكذلك البرازيل . . ولكن الصهيونية العالمية رفضت كل هذه العروض ، وظلوا على عنادهم لايرضون بارض فلسطين بديلا .. وكانت حجتهم في ذلك ان اقامة دولة في اى مكان غير فلسطين سيجعل هذه الدولة خالية من الروح والعقائدية التي تتمتع بها ارض الميعاد وهي الأرض التي يحلمون بها منذ اكثر من الفى سنة ، وان هذه الدولة الجديدة لن تستطيع اجتذاب يهود العالم روحيا كما تجتذبهم الأرض المقدسة . فبالرغم من ان فلسطين فقيرة بالخيرات والموارد الطبيعية بالمقارنة الى كندا او استراليا او البرازيل الا انها سوف تعوضهم بالدفع العقائدى والروحاني الذى هو بدوره اثمن واغلى من كل خيرات الارض . .

وكانت فلسطين اذ ذاك تحت الخلافة الاسلامية في تركيا. وقد أصدر الخليفة السلطان عبدالحميد قرارا بمنع هجرة اليهود الى فلسطين وحرم عليهم شراء الاراضي فيها ، كما منع اقامة أى يهودى بعد اداء مناسك الزيارة اكثر من ثلاثة اشهر .

ولكن الصهيونية لم تيأس واخذت تعمل في السر على تقويض نفوذ الخليفة من الداخل .. فامرت جميع اليهود الاتراك الى جانب يهود الدنمة الذين يتظاهرون بالاسلام بان ينضموا الى حزب

(1) Herzel Speaks Herzel Institute , N. Y. 1960





هرتزل مؤسس الصهيونية

الاتحاد والترقى المناهض للسلطان ، وقد بلغ نفوذهم فى هذا الحزب الحد الذى جعل ثوار الاتراك ضد السلطان عبد الحميد يختارون زعيم يهود سالونيك عمانوئيل قره صوه افندى وحاخام الجالية اليهودية فى تركيا حاييم ناحوم(٢) افندى على رأس اللجنة التى ذهبت الى السلطان عبد الحميد لتبلغه قرار عزله ثم استطاعوا اخيرا الغاء الخلافة الاسلامية نهائيا واعلان تركيا دولة علمانية لا دينية .

وبعد انهيار الخلافة وعزلة تركيا عن العالم الاسلامى انتقلت فلسطين الى الانتداب البريطانى فنقلت الصهيونية العالمية نشاطها الى بريطانيا واصبح منهم الوزراء واعضاء المجالس النيابية وهكذا حصلوا على وعد بلفور المشهور الذى اعطاهم من جانب واحد أرض فلسطين بمن عليها من البشر .

الدين والحياة المدنية فى اسرائيل

ورغم أن دولة اسرائيل ليس لها دستور مكتوب حتى اليوم الا أن الدين هو العامل المسيطر على التشريع والقوانين والمهيمن على الحياة المدنية(٣) .. وفى اسرائيل وزارة الشئون الدينية ودار للحاخامية تسيطران على جميع الوزارات الاخرى بحيث لا يمكن أن يمر قانون دون موافقتهما ..

وفى اسرائيل نحو ثلاثة عشر حزبا سياسيا . ورغم اختلافهم البين فى المسائل السياسية والاقتصادية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار الا ان أساس هذه الاحزاب جميعا دينى ،ويطالب أكثرها بجعل التوراة دستور الدولة ، والمصدر الوحيد للتشريع .

وحين عرضت على الكنيست الاسرائيلى صيغة قسم الولاء للدولة والذى جاء فيه « انعهد بالولاء لدولة اسرائيل وقوانينها والا أسىء استعمال القانون أو امنح أى محاباة لأحد » رفضت الاغلبية هذه الصيغة ، وأصرت على شطب (وقوانينها) بعد دولة اسرائيل ..وكانت حجتهم فى ذلك ان أى مسئول فى الدولة اذا رأى فى القوانين الوضعية ما يتعارض مع تعاليم الدين فمن حقه بل من واجبه أن لا ينفذها أو يتقيد بها.

ورغم أن العقائد اليهودية قد دخل عليها الكثير من الخرافات والبدع على مر العصور الا أنهم فى تعصبهم الشديد للدين يطبقون كل تلك التعاليم ويتقيدون بهاحتى المتعلمون منهم وحملة الدكتوراه.

وحسب قانون السبت(٤) يعتقد اليهود أن العمل أو اشعال النار يوم السبت حرام. وينطبق هذا على تدخين السيجارة أو اضاءة الكهرباء أو اشعال النار للطعوم أو ركوب السيارات ، والقانون يمنع جميع السيارات من السير يوم السبت حتى سيارات النقل العام وسيارات السياح .

والمتدينون فى اسرائيل لا ينتظرون تدخل الحكومة لتطبيق هذه القوانين الدينية، فكثيرا ما يتعرضون لأى سيارة تسير يوم السبت دون تصريح سابق

(٢) من كتاب خطر الصهيونية على الاسلام والمسيحية « عبد الله التل » .

(٣) الدولة والدين فى اسرائيل « للدكتور أسعد رزوق ص ٤٩ » .

(4) Religion and State in Israel by Kurt Sontheimer .

ويرجمونها بالحجارة ، وعندما اعلن بعض الشباب المتحرر تطوعهم لحلب الابقار فى المزارع يوم السبت تجمع المتعصبون حولهم ومنعوهم من العمل بالقوة.

ومن القصص الطريفة فى هذا المجال ان بن جوريون عندما كان رئيسا للوزراء ذهب الى لندن لحضور جنازة تشرشل(٥) وكانت يوم سبت .. فرفض ركوب السيارة التى ارسلتها اليه الحكومة البريطانية لتنقله من الفندق الى مقر الجنازة ، واعلن السير على قدميه مسافة عشرة كيلومترات فسار معه جميع أبناء الطائفة اليهودية الانجليز .. وتحولت المسيرة بعد ذلك الى مظاهرة اعلامية يهودية ناجحة ..

وعندما سئل بن جوريون عن السر فى هذا التمسك الحرفى وهو حامل الدكتوراه ـ قال : « ان التمسك بهذه الشعارات البسيطة يعطيها معنى كبيرا ، ويجعل العقيدة ذات فعالية ضخمة فى رفع المعنويات » .

وفى اسرائيل تمنع تربية الخنازير او ذبحها او استيراد لحومها . وبموجب قانون طعام الكوشير(٦) يمنع تقديم اى طعام غير يهودى أو غير مباح فى الديانة اليهودية . ويطبق هذا على الفنادق السياحية والمطاعم العامة وشركة طيران العال وشركات الملاحة البحرية ..

وكان من المعتقد لدى الكثير من الكتاب والمفكرين الاوروبيين والعرب انه من المستحيل تجميع اليهود من شتى انحاء العالم بنزعاتهم وعاداتهم وميولهم المختلفة فى بلد واحد ، وان اليهودى الامريكى او الالمانى لا يمكنه أن يتعايش فى مكان واحد مع اليهودى الهندى أو الزنجى ، وقد يؤدى ذلك التناقض الفكرى والجنسى الى انهيار سريع لهذه الدولة .. ولكن الدراسات الواقعية اثبتت أن العقيدة الدينية قد استطاعت الى حد مذهل تقريب الفوارق والفواصل بينهم ، وخلقت روحا من التقارب والتفاهم فى وجهات نظرهم الى الحياة، فذاب الجميع الى حد كبير فى مجتمع واحد غير متنافر .. حقيقة انه ما تزال هنالك ثغرات وفروق ، وما زالت الاقليات الآسيوية والافريقية غير راضية عن اوضاعها ، ولكن ذلك لم يمنع الجميع من الترابط والانصهار فى ظل العقيدة الواحدة .

وبفضل هذه العقيدة انطلقت الملكات الخلاقة والمواهب الكامنة فانتعش الفن والفكر والعلوم فى هذه الدولة الناشئة ، واحيوا اللغة العبرية التى كانت لغة ميتة لا يتكلم بها الا قلة من الكهنة فاصبحوا يكتبون بها الطب والعلوم والآداب وحصل بعضهم بها على جائزة نوبل للادب .

العقيدة الدينية والنهضة العسكرية

لا شك أن التكنية والعلوم الحديثة هى أساس اى نهضة عسكرية .. ولكن العقيدة الدينية هى التى تعطى التكنية الحديثة الفعالية والقدرة على التاثير والابداع .

العقيدة تعطى الانسان هدفا يتقن العمل من اجله ، بل يتمنى الموت من اجله ، حتى ينال ما وراء الموت من ثواب عظيم .. اما الانسان الذى يحارب بغير عقيدة فمهما كان نصيبه من التكنية فانه يصبح اقرب الى الجندى المرتزق ، اذا انقطع عنه الراتب او زالت عنه الرقابة تكاسل او تمرد ..

ولقد لعب الدين الدور الرئيسى فى كل الانتصارات العسكرية التى حصلت عليها اسرائيل فى ثلاث حروب متوالية ، فالجندى الاسرائيلي مقاتل عقائدى ، وهم يضعون فى كل دبابة توراة ، وعلى كل كتيبة رجل دين يقاتل معهم ، ويذكرهم بالجنة ويحرضهم على الموت .. وقد اخذوا هذا الاسلوب عن حروب الاسلام عندما كان حفظة القرآن وعلماء الدين لا يكتفون بالخطابة على المنابر ، بل يتقدمون الصفوف لتشجيع الجنود .

ـ واليهود يقدسون الدفن فى أرض اسرائيل ، لذلك ترى أن معظم الجنود يربط حزاما حول وسطه لكى يجره منه زملاؤه اذا قتل ، لكى يدفن فى ارض الميعاد ..

ـ وعندما دخل الجيش الاسرائيلى أرض سيناء سنة ٥٦ وسنة ٦٧(٧) نزل الجنود من سياراتهم ، ودباباتهم ، وخلعوا نعالهم ، واخذوا يقبلون

---

(5) The Times .

(6) The Unique and the Universal by Talmon J. L.

(7) The Six Day War by Churchill - Penguin Books .

الارض التى تاه فيها أجدادهم ، وصلوا عليها قبل بدء المعركة ..

ـ والقيادة الاسرائيلية تراعى بمنتهى الدقة تعاليم الدين والمناسبات الدينية في مواعيد القتال ، وسير القتال ، وانهاء القتال .. وهم لا يبداون الحرب مطلقا يوم السبت ، لان الحرب في هذا اليوم حرام ، ويتشاءمون منها . ولكن هذا لم يمنع بن جوريون من استصدار قانون من الكنيست يقول :

« حين تكون القضية قضية خطر يتهدد حياة المجتمع ، فلا بد من خرق قانون السبت » .

ـ ويتفاءل اليهود ببدء القتال يوم الاثنين (٨) كما كان يفعل انبياؤهم ، لذلك فقد كان هجومهم على مصر سنة ١٩٥٦ يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ .

ـ وهم يضفون على معاركهم وحروبهم اسماء ترتبط بالدين او بالمناسبات الدينية » .

ـ فحرب سنة ٤٨ سموها « حرب التحرير » للايهام بانهم كانوا يستعمرون ويحررون أرضا كانت ملكا لهم : هي أرض الميعاد .

ـ وحرب سنة ٦٧ سموها حرب الايام الستة : رغم انها لم تكن ستة ايام .. وقصة هذه التسمية الدينية تعود الى حرب الايام الستة التى شنها (النبى يوشع) على اعدائه يوم الاثنين ، وظل يحاربهم الى أن حل مساء السبت فخشي أن ينتهى هذا اليوم وهو لم ينته من أعدائه ، فطلب من الله أن يؤخر غروب الشمس حتى يتمكن من احلال السلام في هذا اليوم المقدس فاستجاب له ربه . وفي هذا يقول الشاعر احمد شوقى مخاطبا الشمس :

قفى يا أخت يوشع خبرينا
أحاديث القرون الغابرينا

ـ اما حرب سنة ٧٣ فقد سموها حرب « يوم كيبور » لانها وقعت في يوم عيد الغفران او الكيبور الذى يصوم فيه اليهود خمسة وعشرين ساعة عن الطعام وهى المدة التى صامها النبى موسى عليه السلام . ويزعمون ان من يصوم هذا اليوم من اليهود تغفر له ذنوبه ، الا الزنا ، وظلم اليهودى اخاه اليهودى ، أو كفره بالله . ومن شريعتهم أن من لم يصم هذا اليوم يستحق القتل (٩) .

وقد كان اختيار هذا اليوم بالذات للهجوم العربى الكبير في كل من سيناء والجولان دليلا على أهمية معرفة القائد العسكرى لطبائع عدوه ومواسم اعياده وعقائده الدينية ، حتى ينجح في مفاجاته ، وامساك زمام المبادرة في يده . فقد حقق هذا التوقيت (١٠) الذكى ما يأتى :

١ ـ صادف يوم الغفران (يوم كيبور) في هذه السنة بالذات يوم سبت وهو اليوم الذى يتشاءم اليهود من الحرب فيه .

٢ ـ كان عدد كبير من جنود الجبهة يقضون اجازة العيد في بيت المقدس ، لاقامة صلاة الاستغفار .

٣ ـ اما باقى جنود الجبهة فقد كانوا مرهقين من أثر الصيام منذ غروب شمس اليوم السابق اى منذ اكثر من عشرين ساعة قبل موعد الهجوم العربى الذى تم في الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت .

٤ ـ وقد ذكر في التحقيقات الاخيرة التي اجريت في اسرائيل أن قيادتهم العامة كانت تجد صعوبة كبيرة في الاتصال بالوزراء والمسئولين ، مما عطل استدعاء المجندين والاحتياطى بشكل جعل الحرب كارثة عليهم .

نخرج من هذه الدراسة :

بانه لا بد من دراسة كل ما يتعلق بالعدو قبل المعركة . ولا يكفى في ذلك معرفة قوته العسكرية ونوعية سلاحه. بل لا بد من معرفة تقاليده الدينية وعاداته وأخلاقه وطبائعه ومعنوياته . كذلك نخرج بان العقيدة الدينية لم تزل في عصر التكنية والعلوم الحديثة لها أثر عظيم في نهضة الشعوب وبعث قوتها ووحدتها .

د. أحمد شوقى الفنجرى

(٨) لمزيد من التفاصيل « راجع كتابنا « اسرائيل كما عرفتها » ص ١٤٥ .
(٩) من كتاب « نهاية الارب في فنون العرب » السفر الاول صفحة ١٩٥ نسخة وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر .



تقاليد القتال عند العرب

بقلم : الدكتور ابراهيم احمد العدوى

■ تمثل تقاليد القتـال الجانب التطبيقى لفلسفة الأمم فى الحروب ، والواجهة الخارجية لما فطرت عليه طبيعة تلك الأمم من روح انسانية سامية أو نزعات عدوانية باغية . اذ تخضع تصرفات الجيوش فى ميادين القتال ، من حيث التزامها بالمسلك القويم أو المشين ، الى تقاليد راسخة ، لا تتأثر بأنماط الأسلحة التى تفرضها طبيعـة العصر أو متطلبات التطور . ومن ثمّ غدت تقاليد القتال على مر العصور تكوّن المقياس الذى يحدد للأمم أقدارها ، من حيث علو بعضها فوق بعض درجات ، وتقرر أيضا لتلك الأمم منازلها من العائلة البشرية الكبرى ، باعتبارها من بناة الحضارة والعمران أو من معاول الهدم والخسران .

منشا آداب القتال عند العرب

ونالت تقاليد القتال فى الحروب العربية أعلى درجة سجلتها تلك المعايير الخالدة بفضل ما اتسمت به من طابع خلقى وانسانى رفيع . اذ استندت تلك التقاليد الى فلسفة عربية أصيلة جاءت وليدة الخصال التى تربى عليها العربى فى مهده بشبه الجزيرة العربية ، وثمرة أيضا للتعاليم التى تزوّد بها من الدين الاسلامى الحنيف . فرأى العربى ـ بفطرته ـ فى خوض غمار الحروب حماية أولا للحرية التى جبلت عليها نفسه ، ودفاعا ثانيا عن خلة الوفاء التى ارتضاها لنفسه شريعة تنظم معاملاته الخاصة والعامة ، وردعا ثالثا لرذيلة الغدر التى اعتبرها أخطر آفة

تهدم المجتمعات البشرية ، وتحرمها نعمة الطمانينة والاستقرار .

واشاد بهذه التقاليد المبكرة احد قادة العرب، وهو النعمان بن المنذر ـ ملك الحيرة ـ وذلك حين قارن بين امته العربية وغيرها من الامم في مناقشة جرت بينه وبين كسرى فارس ـ وهي احدى القوتين العظميين في العالم قبل الاسلام، فقال :

« أيها الملك ، ما من أمة تقرنها بالعرب ، الا فضلتها بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وباسها وسخائها وحكمة السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها . والعرب لم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيولهم ، ومهادهم الارض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، اذ غيرها من الامم انماعزهاالحجارة والطين وجزائر البحور. واما العربى فان احدا ليبلغه أن رجلا استجار به ، وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى أصابته أو تفنى قبيلته » .

وجاءت تلك التقاليد المبكرة وليدة المفاهيم التى سادت الحروب القبلية قبل الاسلام ،والتى اشتهرت باسم « أيام العرب » . فلم تكن الحروب ـ على نحو ما يتوهتم القارىء العابر لها ـ أعمالا همجية ، ولكن مرآة صادقة لفلسفة العربى فى الحياة واسلوبه ايضا فى توفير أسباب العيش لنفسه واهله . اذ كان العربى يعتبر الارض التى تنتشر عليها مضارب قبيلته ومراعيها كذلك هى « الحمى » الذى يجب أن يذود عنه، و« الدار » التى يجب أن يدافع عنها بكل مرتخص وغال . وفرض هذا المفهوم الفطرى على العربى الا يكون البادىء ابدا بالعدوان ، لان سلامة « الحمى » و« الدار » تطلب منه اتباع سياسة حسن الجوار، نظرا لتداخل مضارب القبائل بعضها مع بعض ، فضلا عن احترام العهود والمواثيق باعتبارها القانون الذى يستطيع وحده تنظيم الحياة فى بيئة تدفع الى التجوال والترحال . وظل العربى مسالما ووفيا فى نفس الوقت طالما احترم جيرانه ارضه ومواثيقه ، ولكن اذا احس خطرا يتهدد «الحمى» او «الدار» التابعة له ، هب للقتال فى ضراوة وبسالة ، عملا بقول الشاعر العربى :

وما أبتغى الشـــر والشر تاركى
ولكـــن متى أحمل على الشر اركب

وبدات تقاليد القتال تحدد سلوك العربى فى المعارك التى امتلات بها الحروب القبلية ، حيث الزمته باتباع كل ما يعلى ذكره ، والابتعاد عما ينتقص من قدره . فاتخذ العربى من « المبارزة والنزال » سبيلا لاظهار شجاعته وبسالته وما يصاحب ذلك من المناداة على خصمه حتى يستعد للقتال عن وعى كامل وادراك سليم باهداف هذا القتال وأسبابه أيضا . اذ نفر العربى طــوال القتال من طعن الخصم من الخلف ، حيث راى فى ذلك ضربا من الغدر الذى تأباه نفسه ، ومظهرا من مظاهر الجبن والخسة الكامنة فى النفوس . وزاد فى دعم هذا اللون النبيل من تقاليد القتال ان اعباء الحروب القبلية وقعت على رجال القبيلة وفتيانها الاحرار وحدهم ، وهم الذين تربئوا على الاباء والشمم ، والحرص على نيل المعالى عن طريق التمسك بخصال الشرف وما يقترن به من الاعمال النبيلة .

الاسلام يوسع دائرة التقاليد الحربية عند العرب

ودخلت تقاليد القتال فى الحروب العربية مرحلة هامة من مراحل تطورها وامجادها ايضا بظهور الاسلام . اذ وسّع الاسلام دائرة التقاليد ، بعد أن أزال عنها ما علق بها من شوائب « العصبية القبلية » ، وزودها بتعاليم الدين الجديد ،وما امتلات به من معان انسانية سامية . فلم تعد الحروب سبيلا لنصرة القبيلة على جاراتها من القبائل ، ولكن غدت الحروب فرضا قرره الدين الاسلامى من أجل حماية الامة الجديدة التى غدت تحتضن جميع القبائل العربية،على قدم المساواة، لا فضل لواحدة منها على الاخرى الا بالتقوى . وانتقل بذلك الولاء من القبيلة الى الامة العربية (الاســلامية الفتيــة) ، وصــار واجب حمايتها والدفاع عنها فرضا على جميع ابنائها ، مهما كانت اوطانهم ومساكنهم ، ومهما كان موضع الخطر الذى يتهددامن تلك الامة العربية(الاسلامية) وسلامتها .

واكتسبت تقاليد القتال فى ظل العهد الاسلامى الجديد مزيدا من القواعد الاساسية التى جعلتها موضع الهيبة الاجلال . اذ اكد الاسلام أن مفهوم الحرب هو الدفاع عن الدين الجديد ، ودون الالتجاء الى اعمال العدوان ، وذلك فى قـوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » .وارتبط

بتلك القواعد الجديدة ايضا اسمى تقاليد القتال، وهو الابتعاد عن استخدام القتال سبيلا لفرض الدين نفسه ، وذلك عملا بقوله تعالى « لا اكراه في الدين » .

رأى ابن خلدون فى أنواع الحروب

وقد شرح ابن خلدون في مقدمته هذه الفلسفة الجديدة للحروب العربية في ظل الاسلام ، ودورها في بناء تقاليد القتال ، فقال :

« ان الحرب لم تزل واقعة منذ ان بدأ الله الخليقة ، وهي امر طبيعي في البشر لا تخلو منه امة ولا جيل » . ثم قسّم ابن خلدون تلك الحروب بعد ذلك الى اربعة أنواع ، الأولى تسببها المنافسات وأعمال الغيرة ، والثانية تخلقها النزعات العدوانية الفطرية ، والثالثة تقوم دفاعا عن الدين وقدسيته ، والرابعة تفرضها سلامة الأمة وسلطانها . واختتم ابن خلدون هذا التقسيم قائلا « فهذه اربعة أصناف من الحرب ،الصنفان الأولان منها حروب بغي وفتنة ، والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل . وقد حرّم الاسلام الصنفين الأولين ، وأذن بالصنفين الآخرين » .

تقاليد القتال في وصايا النبي والخلفاء الراشدين

وبدأت هذه المفاهيم الجديدة والمعاني السامية تأخذ طريقها الى تقاليد القتال عن طريق التعليمات التي زوّد بها الرسول الكريم وخلفاؤه من بعده ايضا قادة الجيوش والجنود ، ولا سيما طوال عهد الفتوح الكبرى على أيام الخلفاء الراشدين والأمويين . ومن ذلك قول الرسول الكريم لخالد ابن الوليد حين بعث به في احدى الحملات الحربية « ولا تقتل امرأة ولا ذرية ولا عسيفا » ، (والعسيف هو العامل في الحقل أو في أي عمل آخر). وسار على نهج الرسول الكريم خليفته ابو بكر الصديق ، حين بعث الجيوش للقتال في سبيل الدين . ومن ذلك قوله لأحد قادته ، وهو اسامة ابن زيد وجنده « لا تخونوا ولا تغلّوا ، ولا تغدروا ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تقطعوا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكلة » .

وجاء بيان مفصّل عن تقاليد القتال في الحروب العربية في ظل العهد الاسلامي في رسالة بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب الى أحد قادته وهو سعد ابن أبي وقاص . حيث يقول فيها « أما بعد فاني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال ، وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ... » . ومضى يقول :

« وترفق بالمسلمين في سيرهم ، ولا تجشّمهم مسيرا يتعبهم . وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا ... واجعل امر السرايا الى اهل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها احدا بهوى ، فيضيع من رأيك وامرك اكثر مما حابيت من اهل خاصتك .. فاذا عاينت العدو فاضمم اليك اقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الارض كلها ، فتصنع بعدوك كصنيعته بك ... والله وليّ امرك ، وولي النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان » .

وصية عبد الملك بن مروان

وكانت سلامة الجيوش العربية والابتعاد بها عن اية مغامرة خاسرة شرطا أساسيا من تقاليد القتال ، وامرا ردّده الخلفاء دائما لقادة جيوشهم . وقد اوضح احد الخلفاء الأمويين ، وهو عبد الملك بن مروان ، هذا التقليد الهام من تقاليد القتال حين قال لأحد قادته : « انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيّس الذي ان وجد ربحا تجر ، والا تحفّظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك » .

واللياقة البدنية عند المقاتلين

وقد اكتسبت تقاليد القتال من التعاليم الاسلامية ومفاهيمها ايضا القدرة على مواجهة مطالب التطور الذي شهدته الأمة العربية في بناء قواتها المسلحة ونظمها العسكرية أيضا . اذ ظهرت الى جانب الحماسة الدينية الحاجة الى ضرورة توافر اللياقة البدنية عند المقاتلين ، وضرورة فرض التجنيد الاجباري أيضا . ووضع الرسول الكريم وخلفاؤه أيضا أسس هذه التقاليد الجديدة ومراعاة الدقة في تطبيقها . فكان الرسول الكريم

يستعرض الجند قبل الدخول فى المعركة ، ويختار القادرين منهم على القتال بدنيا ومهارة كذلك فى استخدام الأسلحة. وكان الشباب موضع التفضيل حسبما نصت عليه وأكدته أيضا تقاليد القتال ، وبخاصة من تجاوزت منهم سنه الخامسة عشرة. وكان يستثنى من شرط السن من تتأكد لديه القدرة على القتال ، ويصغر سنه قليلا عن الخامسة عشرة من عمره . ومن طريف ما يروى فى ذلك ان الرسول الكريم أجاز يوم احد رافع بن حديج في الرّملة ، وكانت سنه اربعة عشر عاما ، « اذ قام على خفين فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف اصابعه ليبدو طويلا وافيا في العين ». ولكن مهارته فى الرماية كانت هى السبب الأساسى فى التغاضي عن فارق السن اللازم للتجنيد .

التجنيد الاجبارى فى الاسلام

واستندت تقاليد القتال فى الاهتمام بالتجنيد الاجبارى الى التعاليم الاسلامية أيضا ، التى جعلت القتال فى سبيل الدين الجديد « فرضا من فروض الكفاية » ، اى هو واجب عام . وصار هذا التقليد موضع التنفيذ المنظم على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وذلك حين انشا بعد مضي عامين من خلافته « ديوان الجند » ، وكانت تحفظ فى هذا الديوان سجلات تحتوى على قوائم باسماء المقاتلين ورواتبهم ، والقواعد التى يجرى عليها تكوين الجيوش النظامية للدولة . وقام « ديوان الجند » بتوفير السلاح اللازم ، ومتابعة تطور اساليب القتال واعداد ما يلزم ذلك من معدات حربية . واشرف هذا الديوان مع قادة الجيوش على تدريب الجنود واستخدامهم للسلاح ، وذلك منذ تأسيسه . فكان الخليفة عمر بن الخطاب يقوم بحملات تفتيشية مفاجئة لمراكز تدريب الجند ، ويتابع سير العمل فيها بنفسه . وحذا حذوه قادة الجيوش العربية،حتى غدا من اهم واجباتهم « استعراض » المقاتلين والاشراف على تدريباتهم بما يكفل لهم النهوض بواجباتهم فى أى وقت ، وفى اى مكان .

نظام التعبئة فى القتال

وزوّدت تقاليد القتال ــ بقدرتها على التطوّر ــ « نظام التعبئة » أيضا فى الحروب العربية بأسباب التفوق المستمر ، والتغلب على التحديات التى يفرضها هذا التطور . اذ جعلت تلك التقاليد من «التعبئة»كلمة جامعة ، تعنى تنظيم الجيوش وصف الكتائب وتحريكها قبل المعركة وبعدها ، مع حشد الطاقات المادية والمعنوية اللازمة للنصر في المعارك . واشتملت « التعبئة العربية » بذلك على معانى المصطلحات الحديثة الثلاثة الشائعة فى الوقت الحاضر ، وهى « الاستراتيجية » اى فن تحريك القوات العسكرية واختيار مواقعها الحربية ، و « التكتيك » وهو فن استخدام الفرق الحربية والتنسيق بينها اثناء المعركة وفق خطط القيادة العليا وطبيعة ارض المعركة ، و « التعبئة » وهو ما جرى عليه المصطلح الحديث بمعنى حصر القوى اللازمة فى الدولة ، ثم حشدها من أجل المعركة .

وصاحبت تقاليد القتال الاشراف على « نظام التعبئة العربية » منذ غزوات الرسول الكريم ، وعلى امتداد الفتوح الكبرى التى حملت الدين الاسلامى من حدود الصين شرقا الى جبال البرانس بين اسبانيا وفرنسا غربا .

وكانت غزوة بدر أول تجربة اثبتت فيها تقاليد القتال العربية فى ظل الاسلام قدرتها على بناء نظام جديد للتعبئة استطاع أن يتفوّق على نظام التعبئة القبلى . وكان اهم مظهر تزوّدت به التعبئة الجديدة ــ الى جانب الحماسة الدينية ــ اقتباس نظام الصف فى القتال . وكان هذ النظام الذى تدرّب عليه العرب المسلمون فى صلاتهم اول تجديد في « الاستراتيجية » التى استخدمها الرسول الكريم في غزوة بدر . اذ أمسك عليه الصلاة والسلام بعصي قصيرة فى يده ، وسوّى بها صفوف أصحابه فى دقة وحزم استعدادا للمعركة . وكفلت هذه «التعبئة الجديدة » التفوق للعرب المسلمين على جماعات قريش التى اعتمدت على « التعبئة القبلية » القديمة ، القائمة على الكر والفر . اذ عندما تقدمت جماعات قريش للقتال وقف المسلمون فى انتظارهم صفوفا متراصة، دون أن يتزحزحوا قيد انملة امام كرّ خيالة قريش . وعندئذ انهارت قوة قريش أمام تقاليد القتال الجديدة ، وولّى رجالها الأدبار .

وتابعت تقاليد القتال منذ غزوة بدر اداء رسالتها كاملة في تزويد الجيوش العربية بما تحتاج اليه من نظم جديدة للتعبئة ، تتفق وميادين الحروب

التي دارت معاركها على أراضي قارات العالم المعروفة اذذاك وهي آسيا وافريقيا وأوربا . وحرصت الاجيال العربية خالفا عن سالف على المحافظة على تلك التقاليد واستكمال مقوماتها .

مبادىء حربية كانت عند العرب

اولا : الحرب خدعة ، وهو مبدأ قررته تقاليد القتال في الحروب العربية منذ صدر الاسلام ، وطوال العصور المجيدة للفتوح العربية الاسلامية . فكان النبي (ص) اذا غزا اخذ طريقا وهو يريد اخرى ، ويقول « ان الحرب خدعة » . ودأب قادة الجيوش على احترام هذا التقليد الهام ، فكان بعضهم يقف بين الجند قبل الهجوم ، فيحمد الله ويثني عليه ، ثم يقول : « انني اسير بالغداة في طريق كذا ، ويقصد بذلك تضليل جواسيس الاعداء . فاذا اصبح بالغداة سلك بالجند طريقا غير ما سماه ، ويروغ من الجواسيس كما يروغ الثعلب

ثانيا : القيادة علم وفن،وهو مبدأ يجعل القيادة ليست حكرا على طائفة معينة ، ولكن يجعلها بابا مفتوحا لكل من تثبتمواهبه واستعداداته وخبراته القدرة على تحقيق النصر ، وسلامة الجيوش . وشرح الرسول الكريم أهمية هذا المبدأ الثاني من تقاليدالقتال قائلا : « انني لأؤمّر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه ، لانه ايقظ عينا وابصر بالحرب » . وبعث الرسول جيشا بقيادة عمرو بن العاص ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب . ولما وصل الجيش الى مكان المعركة حاول أبو بكر وعمر أن يوقدا نارا ، فنهاهما عمرو عن ذلك ، فاغضب هذا عمر . ولكن ابا بكر قال لعمر بن الخطاب : ان الرسول استعمل عَمْرًا لعلمه بالحرب ، ولا بد من طاعته .

ثالثا : الضبط والربط ، وهو مبدأ خالد تتطلبه الحروب ، مع الدقة في تنفيذه . وكان من أولى الأمور التي نصّ عليها هذا المبدأ هو المحافظة على حسن سلوك الجند ، وحثهم على العمل بما أوجب الله تعالى . وعمل القادة في تطبيق هذا المبدأ بقول الرسول الكريم لأمراء جيوشه « انهوا جيوشكم عن الفساد فانه ما فسد جيش قط الا قذف الله في قلوبهم الرعب . وانهوا جيوشكم عن الزنا فانه ما زنى جيش قط الا سلّط الله عليهم المَوَتان (أي الموت الكثير الوقوع) . وانهوا جيوشكم عن الغلول (الخيانة في المغنم) فانه ما غلّ جيش قط الا قذف الله الرعب في قلوبهم .

رابعا : تقوى الله ، وهي أسمى تقاليد القتال في الحروب العربية ، والتي تمسك بها قادة الجيوش ، وصارت علما رافق العرب في جميع فتوحهم وسجّل لهم أروع الصفحات في تاريخ البطولة الرفيعة ، والالتزام بالجانب الانساني في نفس الوقت . فكانت « تقوى الله » عماد جراة الجنان والشجاعة . فقوة الايمان بالله والاعتقاد الراسخ بان الموت بيده جعل قادة العرب يندفعون في حماسة نادرة للقتال ، كما أحاطهم بيمن الطالع، والثقة التامة في النصر .

حوار بين خليفة وقائد حول مبادىء القتال

وظلت « تقاليد القتال في الحروب العربية » موضع اعتزاز قادة الجيوش العربية ، ومصدر امجادهم وانتصارهم زمانا ، وذلك على نحو ما سجله الحوار التالي بين الخليفة الاموي سليمان ابن عبد الملك وأشهر قادة جيوشه العظام ، وهو موسى بن نصير ، اذ قال الخليفة لموسى : ما الذى كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟

قال موسى : التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين .

قال الخليفة : هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق او كنت تخندق حولك ؟

قال موسى : كل هذا لم أفعله .

قال الخليفة : فما كنت تفعل ؟

قال موسى : كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر ، واتحصّن بالسيف وأستعين بالله وارغب اليه في النصر .

قال الخليفة : اخبرني ، كيف كانت الحرب بينك وبين عدوك ، اكانت عقبا ؟ (أي يوم نصر ويوم هزيمة) .

قال موسى : يا أمير المؤمنين ، ما هزمت راية لي قط ، ولا فضّ لي جمع ، ولا نكب المسلمون معي في أية معركة من المعارك طيلة حياتيالعسكرية .

■■

ابراهيم أحمد العدوى

استاذ التاريخ ـ جامعة الكويت



الابداع وما جرى حوله من بحوث في النصف الثاني من القرن العشرين

بقلم: الدكتور فاخر عاقل

■ شهد النصف الاول من قرننا العشرين الاهتمام بالذكاء وروزه وظهور روائز الذكاء الاولى وتطورها وانتشارها ، اما النصف الثاني منه فقد تميز بالاهتمام بالابداع والمبدعين لاسباب سنشرحها . وسنحاول في هذا المقال ان نعرف القارىء ماهية الابداع وصفات المبدع وذلك من خلايا البحوث الحديثة التي ما زالت قائمة على قدم وساق ، ونامل ان نلحقه بمقال آخر نعالج فيه التربية للابداع وكيف تكون .

أسباب الاهتمام بالابداع

لقد كان للاهتمام بالابداع اسباب كثيرة ، ذلك بان الحرب العالمية الثانية استدعت ـ في جملة ما استدعت ـ بذل جهود عظيمة للاختراع والتجديد والتحسين في ميادين الحياة المختلفة ، ولا سيما ما اتصل منها بالحرب ، وكانت ذروة المخترعات القنبلة الذرية وما تلاها من اسلحة للدمار هائلة. ثم ان حلول السلام الذى لم يكن سلاما بالمعنى الصحيح للكلمة زج بالعالم في حماة الحرب الباردة التي تطلبت جهودا كبيرة في مجال الاختراع والابداع ، ومن هنا كان الطلب المتزايد على الادمغة المخترعة التي لم يتوفر منها قط ما تحتاجه الامم المشتركة في هذه الحروب الباردة والساخنة.

ثم بدأ عصر الفضاء وتصاعد السباق بين العملاقين الكبيرين : اميركا والاتحاد السوفييتي ، وكانت الصواريخ ، وغزو الفضاء ، والادمغة الالكترونية وسواها . وكان من جراء ذلك الطلب المتزايد على الادمغة المبدعة ، وبالتالي الالحاح على علماء النفس في الكشف عن هذه الادمغة ، وتحديد معنى الابداع ومكوناته وطرائق تكوينه ، ومن ثم كانت مطالبة الامم لمربيها ومدارسها بتهيئة اكبر عدد ممكن من المبدعين والمخترعين .

ان البحوث التي بدأت منذ منتصف هذا القرن، وللاسباب التي ذكرنا تشعبت وتمايزت واتبعت مسالك عدة ، وطرحت الاسئلة الاساسية التي تطرح في مثل هذه الاحوال ، الا وهي : ماذا ؟ كيف ؟ لماذا ؟ ولقد بذلت جهود ـ وما تزال ـ لحل بعض المشكلات العملية بالاستناد الى هذه البحوث .

هذا ومن الطبيعي ان تكون البحوث في ميدان جديد لا تاريخ له ـ ذات طبيعة تلمسية لا تستند

الى فرضيات اختبارية ، وبالفعل فان بحوث الكثيرين من العلماء فيما بعد عام ١٩٥٢ كانت من هذا النوع ، وقد انطلقت من منطلقات مختلفة وتناولت ميادين وجماعات متباينة .

ولقد كان من اهم الطرائق التي اتبعت في دراسة الابداع وعوامله وعلاقته بالذكاء طريقة التحليل العاملي (FactorAnalysis) على يد فريق من العلماء يرأسه العالم الشهير غِلفورد Guilford وذلك في جامعة كاليفورنيا الجنوبية .

لقد انطلقت هذه الدراسات من التنكر للنظرية السائدة عن الذكاء وعن كونه قابلية واحدة موحدة، كما تنكرت للاعتقاد بان المواهب المبدعة امور خارجة عن نطاق الذكاء ، وبدأت بافتراض أن ثمة عدة قابليات ممكنة التمييز يشتمل عليهـا الابداع ، وافترضت كذلك أن المواهب الابداعية ليست وقفا على عدد قليل من الافراد المحظوظين، وانها ربما كانت موزعة على جميع الناس وبدرجات متفاوتة ، ولذلك فان من الممكن البحث عنها ، ليس عند الموهوبين وحدهم ، وانما عند الناس جميعا

وقد بدأ التحليل العاملي المبدئي بفرضيات قبلية عن التمييزات المتوقعة بين القابليات التى يجب أن تكون اساسية في الانجاز المبدع ، وقد اثبت التحليل العاملي وجود معظم القابليات التى افترضت وذلك من خلال بحـوث (غِلفورد) ومعاونيه عام ١٩٥٤ .

وفي بحوثه الباكرة عن الابداع حـاول (غلفورد) أن يعرف الابداع تعريفا بسيطا فقال :

« ان الابداع بمعناه الضيق ، يشـير الى القدرات التى تكون مميزة للاشخاص المبدعين . ان القدرات الابداعية تحدد ما اذا كان الفـرد يملك القدرة على اظهار السلوك الابداعي الى درجة ملحوظة . ويتوقف اظهار الفرد المـالك للقدرات الابداعية نتائج ابداعية ، او عدم اظهاره مثل هذه النتائج بالفعل ، يتوقف على صفاته الاثارية والطبعية .. وان مشكلة عالم النفس هي الشخصية الابداعية » .

« ان شخصية الفرد هي النمط الفرد لملامحه، ويتجلى الابداع من خلال السلوك ، ويشمـل السلوك الابداعي ـ فيما يشمل ـ الاختراع والتصميم والاستنباط والتاليف والتخطيط . والاشخاص الذين يظهرون مثل هذه الانواع من السلوك والى درجة واضحة هم الذين يوصفون بالمبدعين .

ولقد تساءل الناس لماذا كان الابداع دومـا امرا نادرا ؟ ولقد قدر العلماء ان نسبة المبدعين في الناس ومنذ فجر التاريخ لا تتجاوز اثنين في المليون . كما تساءل الناس : لماذا ينشأ الكثيرون من العباقرة من بيوت متواضعة ولماذا كان الترابط بين العبقرية والتربية والتعليم منحطا في كثير من الاحيان ؟ ولماذا لم يزد عدد العباقرة في عصرنا الحاضر زيادة تتناسب مع زيادة التربية كما وكيفا ؟ ان هذه الاسئلة وسواها اسئلة جادة تستحق التفكير والبحث . ويبدو لنا ان مشكلتنا الحاضرة مع الابداع مشكلة ذات وجهين :

اولهما : عن كيفية اكتشاف القدرات الابداعية الواعدة عند أطفالنا وشبابنا ؟

وثانيهما : عن كيفية تنمية شخصياتهم المبدعة؟

على انه لا فائدة من محاولة الاجابة على هذين السؤالين اذا لم نعرف ماهية الابداع لننتقل بعد ذلك الى البحث عنه عند اولادنا وشبابنا ، ولنعمل على تنمية شخصياتهم المبدعة .

القدرات الابداعية

افترض « غِلفورد » عددا من الفرضيات عن طبيعة التفكير الابداعي وكان في ذهنه نماذج مـن المبدعين من مثل العالم والتكنولوجي (بما في ذلك المخترع) فقد كان الفلاسفة فيما مضى يحسبون ان الابداع واحد في كل الميادين ولكن (غِلفورد) لا يقبل هذه النظرة وهو يعتقد ان ثمة فروقا في انواع الابداع في مختلف الميادين ، وذلك بالرغم من اعتقاده بان ثمة عوامل مشتركة بين كل المبدعين وانماط قدراتهم .

ويرى (غيلفورد) أن القدرات الاولية التى يمكن أن تساهم في الجهود الابداعية للعلماء والتكنولوجيين والمخترعين هى عوامل المحاكمة ، ولكنه يخص بالذكر من هذه العوامل ما يلى :

١ ـ الاحساس بالمشكلات : ولا يهتم (غيلفورد) بكيفية حدوث فرق في هذا الصدد بين الافراد ، كما انه لا يهتم بما اذا كان هذا المتحول قدرة او واحدا من ملامح الطبع وانما يهتم بالحقيقة البسيطة وهى أن شخصا ما يلمح مشكلة او مشكلات في وضع ما ، في حين أن شخصا آخر لا يرى مثل هذه المشكلة او المشكلات . وهكذا فان عالمين ينظران في تقرير عن بحث ، ويكون في هذا التقرير نتائج مقبولة بصورة عامة ، ولكن يكون هنالك انحراف في النتائج . ان واحدا من العالمين يعزو الانحراف الى خطا تجريبى ، في حين ان الاخر لا يرتاح الى الانحراف ويستثير الانحراف فضوله ويطالبه بتفسير له يكون من جراء ذلك بحث جديد يؤدى الى مكتشفات قيمة .

ان قسما كبيرا من نجاح العالم ، يتوقف على قدرته على طرح الأسئلة ، وبالطبع نقصد طرح الأسئلة الصحيحة والمناسبة .

٢ ـ الطلاقة : Fluency في الموهبة الابداعية عامل ، أو عوامل طلاقة ، ولا يعنى هذا ان جميع المبدعين يجب أن يعملوا تحت ضغط الوقت ويجب أن ينتجوا بسرعة أو لا ينتجوا ابدا . ولكن معناه ان الشخص القادر على انتاج عدد كبير من الافكار في وحدة زمنية ما فانه ـ اذا تساوت الاعتبارات الاخرى ـ يكون صاحب حظ أكبر في ابداع أفكار ذات معنى . ويوجه (غيلفورد) ومعاونوه اهتماما شديدا ودقيقا للعوامل المختلفة المكونة للطلاقة وقد وجدوا انه في الاختبارات الكلامية وحدها توجد ثلاثة عوامل متميزة للطلاقة وهى : الطلاقة الفكرية والطلاقةالترابطية والطلاقة التعبيرية .

٣ ـ المرونة Flexibility ان مرونة نفس الفرد او سهولة تغييره لتهيئه النفسي ـ عامل" هام من عوامل الابداع ، فالانسان الذى يقف عند فكرة او يتصلب بالنسبة لطريقة من الطرق اقل قدرة على الابداع من انسان مرن التفكير قادر على التغيير حين يكون لازما . ويميز (غيلفورد) انواعا من المرونة مثل : المرونة العفوية والمرونة التكيفية وسواهما .

٤ ـ التجديد : يملك الانسان المبدع افكارا جديدة متجددة . ودرجة التجديد التى يكون الانسان قادرا عليها او التى يظهرها في المعتاد عامة" في الابداع . ويمكن اختبار هذه القدرة بمقدار تكرار ما هو غير شائع ولكنه مقبول من الاستجابات .

٥ ـ التوسيع ـ Elaboration في اثناء بحث غيلفورد ومعاونيه عن القدرات التى يشتمل عليها التخطيط وجدوا نوعا آخر من القدرة سموها بالقدرة على التوسيع ، وهكذا ، ففى واحد من الاختبارات اعطى الممتحن مخططا بسيطا لموضوع ما وطولب بتوسيعه ورسم خطواته التى تؤدى الى كونه عمليا . وبطبيعة الحال فان الدرجة التى كان يحصل عليها الممتحَن" كانت تتناسب مع مقدار التفصيلات التى كان يعطيها .

وقد قبل (غيلفورد) ومعاونوه ان قدرات الطلاقة والمرونة (بما فيها الاصالة) والتوسيع متشابهة

٦ ـ القدرتان التركيبية والتحليلية : يتطلب الكثير من انواع التفكير المبدع تنظيم الافكار في انماط أوسع واشمل ، ولهذا قال غيلفورد بوجود قدرة تركيبية تقابلها قدرة تحليلية . ان البناءات الرمزية يجب أن تحلل قبل تركيب بناءات جديدة.

٧ ـ اعادة التنظيم Reorganization استوحى (غيلفورد) علم النفس الشكلى (الفشتالت) حين قال بوجود عامل لاعادة التنظيم (أو اعادة التعريف) للافكار . ان الكثير من الاختراعات كان تحويلا لشيء موجود سابقا الى تصميم جديد أو وظيفة جديدة او استعمال جديد . ولعل هذه الفاعلية تشتمل على مزيج من المرونة والتحليل والتركيب ، وتسمى أحيانا بالتحويل او التحوير.

٨ ـ التعقيد Complexity : ثمة امكانية لوجود قدرة ذات علاقة بدرجة التعقيد للبناء المفهومى

الذي يستطيعه الفرد : كم من الافكار المترابطة يستطيع الانسان ان يدير في ذهنه في الوقت عينه؟ كثيرا ما يحتاج العالم او المخترع الى ان يحتفظ في ذهنه بعدد من المتحولات والشروط والعلاقات حين يفكر في مشكلة ما . وقد يكون لهذه القدرة علاقة بالعامل التركيبي ولكنهما متمايزان .

٩ ـ التقويم Evaluation : العمل الابداعي الذي يريد ان يكون واقعيا او مقبولا يجب ان يتم تحت درجة من الضبط التقويمي ولا شك في ان الضبط والمنع مضرة" بالابداع ، ولكن اختيار الافكار الصالحة للبقاء تحتاج الى شيء من التقويم، ولا شك ايضا في ان التقويم على انواع ، وانه يختلف من ميدان الى آخر .

وباختصار فان (غلفورد) يعتقد ان القدرات الاكثر أهمية في التفكير المبدع تقع في زمرتين : زمرة القدرات ذات النتائج ، المفرّقة Divergent Production Abilities وزمرة القدرات التحويلية Transformation Abilities

ويسميها احيانا القدرات ذات النتاج المجمّعة Convergent Production Abilities.

اما القدرات ذات النتائج المفرّقة فتعمل على توليد الافكار كما هو الحال في حل مشكلة ما حيث يكون التنوع هاما . ويضع غلفورد ضمن هذه الزمرة قدرات من مثل الطلاقة والمرونة والتوسيع . اما في زمرة القدرات التحويلية فيضع اعادة التنظيم والتحويل او التحوير وغيرها .

ويميل غلفورد الى اعتبار التقويم زمرة خاصة ثالثة .

مسائل تتصل بالابداع

ان ثمة مسائل كثيرة تتصل بالابداع وتطرح أسئلة ملحة على عالم النفس المشتغل بالابداع نعرض فيما يلي الى بعضها :

١ ـ الكم والكيف : تطرح أسئلة عديدة عن علاقة الكم بالكيف في مسألة النتاج المبدع . ان ثمة فرضية تقول : « الكمية تولد الكيفية » وهي فرضية تستحق المناقشة والبحث. انها تقول اذا كان شخص ينتج عددا أكبر من الافكار فانه لا بد منتج عددا أكبر من الافكار الجيدة وذلك في وحدة زمنية محددة . ولكن هناك فرضية اخرى تقول بانه اذا صرف الانسان وقته في اعطاء عدد كبير من الافكار فان الافكار الجيدة بينها ستكون قليلة .

على أن ثمة وجها آخر لهذه المناقشة ،فالانسان حين يكون مهيا لاعطاء أجوبة جيدة فانه يلجا الى المحاكمة والتقويم حين يمضي في اعطاء الأجوبة . ومن المعتقد أن الموقف النقدي التقويمي هذا يمنع تدفق الافكار سواء في ذلك الجيد منها والروتيني . ولكن من وجهة أخرى فان من المعتقد ان اللجوء الى التقويم أثناء المضي في عملية التفكير ذو تأثير انتقالي مما يمنع صدور الاستجابات الرديئة ويسمح بانطلاق الاستجابات الجيدة .

ويرى هايمان Hyman أن الكم قد يولد الكيف في بعض انواع المشكلات دون بعضها الآخر، كما يرى أن الموقف النقدي العام يمكن نقله والافادة منه في حل المشكلات . اما غلفورد فيرى من الصحيح القول بان نوع الموقف التقويمي الذي يتخذه المفكر على صلة كبرى بكمية الاستجابات التي ينتجها ونوعيتها ، وان اللجوء الى التقويم والنقد مفيدان اذا كان المفكر قد تبنى الصيغة الجيدة للتفكير .

٢ ـ التفكير الجماعي والتفكير الفردي : كثيرون من المفكرين في الامور التربوية يقولون انه في ظروف التربية الجماعية الجارية اليوم لا يستطيع المربي ان يفعل الكثير من اجل كشف المبدعين وتربيتهم ، ذلك بان الطفل اليوم يدفع الى الانسجام مع رفاقه ، والسير في ركابهم،والتمشي مع مقاييس وضعت للتلميذ المتوسط ، وفي هذا ما فيه من قتل للمواهب والقدرات الابداعية وتثبيط لهمة المبدع الذي يتصف بالفردية والتميز. أضف الى ذلك ان الحاح المعلمين على الحفظ والتسميع والتكرار يقتل المواهب ويخمد الابداع.

على ان المسالة التي نعنى بها هنا تذهب الى ابعد من ذلك . ان مسالة قيمة كل من التفكير الجماعي والتفكير الفردي كانت ـ وما تزال ـ موضع اهتمام العلماء وفي جملتهم غلفورد .

ان ثمة طريقة مشهورة اسمها امطار الدماغ Brain Storming تنسب الى (اوزبورن Osborn) واستعملها غيره كثيرون وهى تتلخص فى جمـــع جماعات من الناس المهتمين بموضوع من المواضيع (جماعات صغيرة لا تتجاوز عشرة افراد) ، والسماح لكل واحد منهم وبمطلق الحرية ان يدلى بافكاره ويشارك غيره أفكاره عن الموضوع المطروح . ان القائلين بهذه الطريقة يرون ان احدى حسناتهـا تنحصر في أن الواحد من الجماعة المفكرة يستثير الآخر . وتأكيدا لهذه الفرضية يشير (اوزبورن) الى أن قرابة ثلث الافكار التى تنتج فى (امطار الدماغ) الجماعى هى من النوع الذى يتولد من الاحتكاك بين الافراد ، وهكذا فان فكرة شخص تكون مستندة الى فكرة شخص آخر . ولكن ثمة نتائج لدراسات لا تؤكد هذه الفرضية ولا تدعمها.

ولعل الحقيقة هى انه لا الطريقة الفردية ولا الطريقة الجماعية صالحتان فى كل الظروف ومن اجل جميع الافراد . ومن الممكن أن تكون الطريقتان صالحتين اذا احسن تطبيقهما . وفى كل الاحوال فان جمهرة المشتغلين بالابداع تعتقد أن الشخص المبدع بدرجة كبيرة يكون عادة مفكرا مستقلا وان ابداعه يكون أمرا شخصيا . وقد وجد (تورانس Torrence) ان الطفل شديد الابداع يشتغل فى معظم الاحيان لوحده .

٣ ـ سياق الابداع : يطرح سؤال عما اذا كان الشخص ذاته يكون مبدعا وبدرجة متساوية فى جميع الميادين ؟

يقول (غلفورد) جوابا عن هذا الســؤال : « بالاستناد الى نتائجنا التحليلية نستطيع القول بان هذا الامر ممكن الوقوع ولكننا نادرا ما نتوقع أن يكون الشخص عينه قادرا على الابداع بصورة متساوية فى العلوم والفنون والرياضيات والادارة والتاليف الموسيقى . ان الافراد المبدعين بدرجة عالية فى كثير من هذه الميادين المختلفة قد تكـون لهم صفات ممتازة مشتركة فيما بينهم ، ولكن الدراسات النفسية تدل كذلك على أن بينهم فروقا واضحة » .

٤ ـ الادراك والذاكرة : كثيرون من الناس لا يرون الصلة بين التفكير والذاكرة ، بل ان بعضهم يذهب الى حد القول بوجود تضـــارب بين التفكير الجيد والذاكرة الطيبة ، والعكس هو الصحيح . والحق أن الذاكرة الطيبة تساهم فى التفكير الجيد مساهمة كبرى .

أما عن العلاقة بين الذكاء والابداع فقد ثبت للعلماء أن الصلة بين القدرات الابداعية الكامنة والانتاج الابداعى من جهة ، وحاصل الذكاء من جهة اخرى قريبة من الصفر وذلك حين يتنـاول حديثنا أولئك الذين يكون حاصل ذكائهم مرتفعا . وبكلمة مختصرة نقول انه حين يكون حاصل الذكاء دنيئا فان القدرات الابداعية لا تكون الا دنيئة ، اما حين يكون حاصل الذكاء عاليا فان القدرات الابداعية تتراوح بين الدناءة والعلو اى ان الذكاء شرط لازم للابداع ولكنه غير كاف .

٥ ـ الابداع والعمر : استعملت الطرائــق التقليدية فى دراسة الابداع ونموه ونضجه ، فقد استعمل (تورانس) عام ١٩٦٢ اختبارات من النوع المستعمل فى التحليل العاملى ، ليفحص كيفية تغير القدرات الابداعية الكامنة بوصفها وظيفة من وظائف العمر عند الاطفال والراشدين، فوجد أن النمو لا يحدث بنسبة واحدة موحدة ، ووجد أن أول التغيرات ذات المعنى يحدث فى الصف الرابع الابتدائى اى فى سن التاسعة ، وبالرغم من ان هذه الاختبارات قد اظهرت نوعا من التطامن فى اخريات سن المراهقة فان بعض الاختبارات الاخرى اظهرت مزيدا من النمو حتى فى عمـر الثلاثين . وهذه النتائج تؤيد ما توصل اليـــه ليهمان Lehman من أن نوعية الانتاج تصل قمتها بصورة عامة فى مطلع الثلاثينيات . على أن من المحتمل أن يكون منحنى النمو مختلفا من حالة الى أخرى ومن عامل الى آخر .

٦ ـ الصفات والفروق غير الاستعدادية : اتبع العلماء طرائق عدة فى قدر صفات الطبع والاهتمامات والمواقف عند الاشخاص المبدعين . وكانت احدى الطرق المتبعة هى الكشف عن الاشخاص الاكثر ابداعا فى الجماعات المهنية المختلفة . من مثـل المهندسين والكتاب والعلماء وسواهم ، ثم قدر صفاتهم بالطرائق المتوفرة فى علم النفس الحالى ، فاذا كانت الجماعة المبدعة تختلف نظاميا عـن

مجموع السكان أو الجماعات الاخرى ذات العمر نفسه والجنس ذاته والمستوى التربوي عينه فانه كان يستنتج ان هذه الجماعة المبدعة تتميز بالصفة المبحوث عنها .

ولكن هذه الدراسات تعتبر ذات اخطار عديدة ولا يعتمد على نتائجها الا اذا كانت الفرق الضابطة Control Groups مضبوطة تماما . ولعل الطريقة الانسب هي أخذ عينتين من المهنة نفسها تتألف الواحدة منهما من مبدعين الى حد كبير ، وتتألف الثانية من مبدعين الى حد بسيط ، ثم مقارنتهما بالنسبة للصفات المختلفة .

وقد تبين بان الجماعات المهنية المبدعة في مختلف الميادين تشترك في بعض الصفات النادرة، وتختلف في بعضها الآخر . ان واحدا من الاختلافات مثلا قد لوحظ بين طلاب العلوم المبدعين وطلاب الآداب والفنون المبدعين . ان طلاب الآداب والفنون الاكثر ابداعا أشد ملاحظة لما يجرى من مشاركتهم فيه (هامر Hammer ١٩٦١) ، أما طلاب العلوم الاكثر ابداعا فهم اكثر مشاركة في الامور من زملائهم الاقل ابداعا (غاروود Garwood ١٩٦١).

وثمة اتفاق على أن الطالب المبدع حقا ، وبصورة خاصة الشخص ذو الابداع الاصيل ، يكون واثقا من نفسه . ومن هنا يقوم سؤال : أيهما اسبق الاصالة أم الابداع ؟ انها قصة البيضة والدجاجة وأيهما اسبق ؟ والواقع أن الاصالة تسبب النجاح ومن هنا تكون الثقة بالنفس ، كما ان الثقة بالنفس تدفع بصاحبها الى معالجة مشكلات يحجم عنها الآخرون . وفي بعض الاحيان تصبح الثقة بالنفس عجبا وغرورا وحساسية ضد النقد .

والثقة بالنفس قد يصاحبها شعور بتوكيد الذات أو العناد الاجتماعي ، ومهما يكن من أمر فان الشخص المبدع يكون واثقا من محاكماته وحسن قدره للامور . وكثيرا ما يوصف المبدع بانه مفكر مستقل حر له قيمه الخاصة ، وهو كثيرا ما يتجاهل النقد الموجه اليه أو يحتقره .

والشخص المبدع يتمتع في معظم الاحيان بالاكتفاء الذاتي ، ويعتقد ان الافكار أهم من الاشخاص ، ولذلك فقد يكون قليل التفاهم مع الناس .

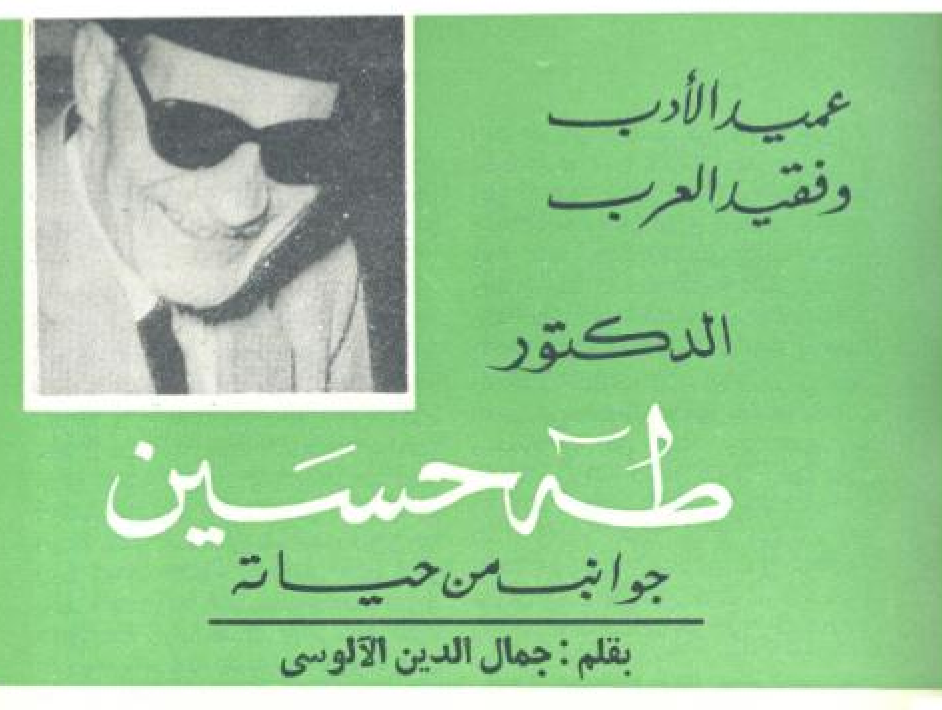
ولقد دلت البحوث على ان الشباب الذين يسجلون ارقاما عالية في الطلاقة كثير ما يميلون الى ان يكونوا مندفعين ، مرحين ومسترخين . اما أولئك الذين يسجلون ارقاما عاليه في اختبارات الاصالة فيميلون الى أن تكون لهم اهتمامات جمالية وينغمسون في التفكير المفرّق . انهم لا يميلون الى الدقائق ولا يخضعون للانضباط ومع ذلك فهم لا يظهرون كراهية للسلوك المقبول اجتماعيا ، ولاتنجلي عندهم علامات على العصابية ومن الامور التي وجدت بين طلاب المدارس الثانوية الذين حصلوا على علامات عالية في اختبارات التفكير المفرق روح مرح قوية . كما ثبت ان الرسامين والمؤلفين والموسيقيين والرياضيين المبدعين يشعرون بقدر كبير من السرور والمتعة في التعامل مع الامور التي يتعاملون بها في اختصاصاتهم.

ويرى (ماكينون Mac Kinnon) أن الانسان يلمح في اوصاف المبدع اشارة الى أهم صفاته الا وهي الشجاعة . ولسنا نعني بهـا الشجاعة الجسدية وانما الشجاعة المعنوية التي يمكن اعتبارها صفة مركزية عند المبدع الذي كثيرا ما يتباعد عن المجتمع ـ بمختلف الوانه واشكاله ـ بل وحتى كثيرا ما يقف ضد المجتمع . ولا شك في أن شجاعة المبدع تتبدى في اشكال عديدة وفي انواع مختلفة من سلوكه . وهكذا فالمبدع انسان يحقق نفسه ولا يحرص على ان يكون ما يريده الناس ان يكون ولا يهتم برأيهم فيه وانطباعهم عنه .

ويرى (ماكينون) ان الاشخاص المبدعين لا يكونون ملتزمين في ميدان ابداعهم . ولكنهم من جهة اخرى ليسوا فوضويين ، انهم مستقلون استقلالا أصيلا .

ان ما قدمناه عن بعض صفات المبدعين في مختلف الميادين قد يعيننا على التعرف عليهم ، ولكن يجب ان نسارع الى القول بانه ما من صفة من هذه الصفات يمكن اعتبارها دلالة قاطعة على الابداع. والامر نفسه صحيح حتى عن مجموعها الذي لا يكفي ـ اذا وجد عند فرد ما ـ للدلالة على انه مبدع . ■■

فاخر عاقل



عميد الأدب وفقيد العرب

الدكتور طه حسين

جوانب من حياته

بقلم : جمال الدين الآلوسى

■ « امثالك تموت أجسامهم ، لأن الموت حق على الأحياء جميعا ، ولكن ذكرهم لا يموت ، لأنهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضا ، وسيوارى شخصك الكريم في اطباق الثرى ، ولكن القبر الذى سيحتوى شخصك لن يستأثر بك ، فلك في قلوب الذين يحبونك والذين ينتفعون بادبك وعلمك ذكر لن يموت ، ولكنهم لن يستأثروا بذكرك ، وانما ستشاركهم فيه الاجيال التي تبقى بقاء الدهر .. » .

هذا مقطع للدكتور طه حسين من رثائه لصديقه العقاد الكاتب الكبير ، وأنا اوجهها اليه ، واعنيه بها ، فهي تصدق فيهما رحمهما الله ...

في صدر ترجمته لكتاب « نظام الاثينيين » يقول الدكتور طه حسين ، « اني لم اتعلم لانتفع بما تعلمت وحدى » ، وبرغم انه املى هذه الكلمات قبل لثنتين وخمسين سنة ، الا انها كانت عهدا اخذه على نفسه ، واخذ نفسه به منذ احترف التعليم والتفكير ، كان معلما مثاليا جادا ، اخلص لنفسه ولطلابه ، عاش حياته يتعلم ويعلم ، كان يحترم المدرس ، ويحترم التلميذ ، وهو بذلك يحترم نفسه . ما كان يدخل قاعة الدرس الا بعد ان يُعِدّ درسه اعدادا جديدا ، لا يعتمد على علم الامس ، ولو علّم تلك المادة سنوات وسنوات . وكان من مبدئه « ان الحياة تتجدد ، وافواقنا تتجدد ، ومعلوماتنا تتجدد ، ولزيادتها دخل كبير في تذوقنا الجديد » .. وبهذه الخصلة طبع طلابه .

وكان مشغوفا بالتجديد ، يكره الركود ويكره الجمود ، ويثور على حجر الفكر ، وكم لقي من تشهير وعنت وحرمان في سبيل الحفاظ على حرية الفكر ، كان لا يبالي بحملات التشهير فيما يراه امانة علمية .

فرص في حياة طه

في حياة طه فرص ، كان القدر يمهد له فيها ليصل به الى ما قدر له في اللوح المحفوظ .

أولى تلك الفرص اتصاله بالاستاذ احمد لطفي السيد ، حين كان يصدر « الجريدة » وهي صحيفة مستقلة تدعو الى التجديد ، والى الاخذ بالحضارة الغربية ، وقويت الصلة بينه وبين لطفي السيد حتى أصبح ملازما لمكتبه ، يلم به في اكثر أيام الاسبوع ، ويلقاه الاستاذ هاشا وباشا ومرحبا ، فاتحا له أبوابا من التفكير لم تكن تخطر على باله ، حتى أصبح له استاذان احدهما يذكره بائمة البصرة والكوفة وهو الشيخ سيد المرصفي ، والاخر يذكره بفلاسفة اليونان الذين أخذ يدرس اطرافا من فلسفتهم في الجامعة الاهلية وهو لطفي السيد ، وأحاديث رواد مجلسه تفتح

طه حسين أبوابا من المعرفة والطموح والأمل ، لم تكن تخطر على باله ، ولم يكن يقدر وجودها .
شجعه الاستاذ لطفي السيد على الكتابة واخذت « الجريدة » تنشر له مقالات جريئة قلما كان الشباب يتقدمون عليها في تلك الأيام .

طه ، وعبد العزيز جاويش

وثانية تلك الفرص اتصاله بالشيخ عبد العزيز جاويش وهو من ابرز اعضاء الحزب الوطني ومن متطرفيه ، وكان الشيخ ـ على ورعه ودماثة خلقه ـ عنيفا اذا ذُكرت السياسة ، أو ذُكر الازهر وشيوخ الازهر ، أو ذُكر الكتّاب الذين لا يكتبون في صحف الحزب الوطني ، فكان يحبب الى طه حسين العنف ، ويرغبه فيه ، ويزين اليه الجهر بمهاجمة الشيوخ ، والتجني عليهم في غير تحفظ ، فكان اذا اقتصد في النقد نشر في « الجريدة » ، واذا عنف نشر في جريدة « العلم » التي يرأس تحريرها الشيخ عبد العزيز ، وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش يقع نصيب غير قليل من تلك الفصول التي كتبها طه في نقد «المنفلوطي» وكان طه ـ رحمه الله ـ نادما اشد الندم ، ولم ينقطع استخذاؤه وحياؤه من تلك المقالات الظالمة .
ولكنّ للشيخ عبد العزيز جاويش فضلاً على طه أيّ فضل ، فهو الذى القى في روعه فكرة السفر الى اوربا ، والى فرنسا بالذات ، وعن طريقه وتشجيعه عرفه الجمهورُ القاهريّ ، وعرفه القراء في مصر عن طريق جرائد الحزب الوطنى التي يشرف عليها الشيخ جاويش ، فكان طه من الخطباء البارزين في الحفلات التي يقيمها الحزب بالمناسبات الدينية وفيها القى قصائد من نظمه الذى تركه واجتواه .

طه طالبا في الجامعة المصرية

وثالثة تلك الفرص : قيام الجامعة المصرية الاهلية ، فانتمى اليها يوم مولدها فكانت من الاحداث التي وجهت طه وجهته الأدبية ، ودفعته الى الغاية التي دبرها له القدر ، كان في الجامعة اساتذةٌ مصريون الى جانب الاساتذة الاجانب ، فكان لهؤلاء الاساتذة المواطنين ابعدُ الأثر في حياته واعمقها « جدّدوا علمه بالحياة وشعورَه بها ، وفهمَه لقديمها وجديدها ، وغيروا نظرته الى مستقبل ايامه ، واتاحوا لشخصيته المصرية العربية ان تقوى ، وتثبت امام هذا العلم الكثير الذى كان يأتي به المستشرقون ، وكان جديرا ان يحوله تحويلا خطيرا يفنيه في العلم الاوربى » .
ولكن اساتذته المصريين اتاحوا لمزاجه ان يأتلف ائتلافا معتدلا من علم الشرق والغرب جميعا ، ويذكر عددا من اساتذته الذين اعجب بعلمهم ، وكان من هؤلاء الأساتذة العلامة « حفني ناصف » رحمه الله ، وصفه طه بأنه « كان ابتساما كله ، وفكاهة كله ، وتواضعا كله ، على غزارة في العلم وأصالة في الفقه ، بما كان يدرس من الأدب القديم ، وكان الطلاب يكلفون به أشد الكلف ، ويطمعون فيه اعظم الطمع ، وكان بعضهم ربما انصرف عن دروسه ليجلس اليه في « قهوة كوبرى قصر النيل » التي كان يجلس فيها ساعةً قبل الدرس في يوم الخميس من كل اسبوع ، وكان الطلاب يأبون عليه ان يختم دروسه في آخر العام ، دون ان يزيدهم على المقرر درسين أو دروسا » ، وكان فقيدنا طه لسانَهم حين كانوا يرغبون اليه في ذلك .

الجامعة وسيلة لا غاية

كانت الجامعة المصرية بالقياس الى طه حسين وسيلة لا غاية ، بعد ان القى الشيخ عبد العزيز جاويش في رُوعِه فكرةَ السفر الى اوربا ، والغريب ان فكرة السفر الى فرنسا قد مازجت نفسه ، واصبحت جزءا من حياته ، وجعل ينظر اليها لا على انها حلم يداعبه نائما او يقظان ، بل على انها حقيقة يجب ان تكون ، وفي ذات يوم قرأ في الصحف اعلانا من الجامعة تطلب فيه الى الشباب ان يستبقوا الى بَعثتين من بَعثاتها في فرنسا احداهما لدرس التاريخ والأخرى لدرس الجغرافيا ، ولم يكد يفرغ من قراءة هذا الاعلان حتى استقر في نفسه انه صاحب احدى هاتين البعثتين وانه سيعبر البحر الى باريس لدرس التاريخ في السوربون ، وقد تم له ما اراد بعد جهود مضنية ، وهذه فرصة خامسة كان لها اثرها في تكوين طه حسين الأدبي .

الشك

عرف طه حسين من ايام الطلب في الازهر بان ظاهرة الشك خصلة من خصاله ، وزادت نموا وقوة يوم لازم دراسة حياة ابى العلاء المعرى ودراسة عصره ، فقد تأثر بافكار ابى العلاء لدرجة ان فلسفته وأفكاره طغت على عقل طه ، وهيمنت

على تفكيره ، حتى استحالت من نوازع نفسه في خلواتها وفراغها ، بدءا وامتدادا من « ذكرى ابى العلاء » ، ثم « تجديد ذكرى ابى العلاء » ثم « مع ابى العلاء في سجنه » ثم « صوت ابى العلاء » ثم « تحقيق الفصول والغايات » واخيرا « ترجمة لزومياته » نثرا ليقرب فهمها الى افهام القراء ، وما هي في واقع الحال الا خلوات نفسية وفكرية ، وحوارا ذاتيا مع نفسه .

طه يخطط للثقافة الجماهرية

كان يقترن الفكر بالعمل كلما تيسر له العمل ، ولا أدل على ذلك من تخطيطه للثقافة الشعبية في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » عام ١٩٢٨ ، فقد عرف تنفيذه يوم تسلم مقاليد « التربية والتعليم »

ويوم نادى طه حسين بأن يكون التعليم كالماء والهواء لم يكن نداؤه مجرد دعوة واقوال ، وانما شرع في تنفيذ ما نادى به حين تولى وزارة التعليم .

وهو بطبيعته شعبى التفكير ولذلك يرى : « ان الاديب - مهما كان أمره - كائن حى ، لا يستطيع أن يتفرد ولا يستقل بحياته الادبية ، ولا أن يستقيم له أمر الا اذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس ، فكان صدى لحياتهم ، وكانوا صدى لانتاجه ، وكان مرآة لما يذيع فيهم من رأى وخاطر » .

ازمـــات

في حياة طه حسين ازمات عنيفة نال منها اذى كثيرا ، وشهّر به من جرائها ، ولكنها في النهاية كان اثرها نافعا له وللقراء ..

اول تلك الأزمات العاصفة التى ثارت حول كتابه « في الشعر الجاهلى » اهتبلها خصومه وكان عنيفا معهم ، فهاجوا عليه الازهر ، والصحف الحزبية التى كان لها عليه ثارات وخصومات ، وصبر لها وصمت ، ولم يرد على أحد بقول ، واحيل الى النيابة ، واتهم في دينه ، وكان من حظ الأدب أن حظى بعد هذه الأزمة بكتابه الخالد « الأيام » الجزء الاول ، فقد ضاق بهذه الأزمة وما نشأ عنها فكره الحاضر الذى كان فيه مهددا في رزقه وحياته ، ففر منه الى أيام الطفولة .

وازمة ثانية كانت بينه وبين اسماعيل صدقى رئيس الوزراء يوم طلب اليه وزير المعارف - وكان طه عميدا لكلية الاداب - أن تمنح الكلية أو مجلس العمادة لقب « الدكتورية » لعدد من الوزراء ، فرفض طه الطلب واصر على الرفض حفاظا على كرامة الكلية ، كي لا تمتهن القابها وتبتذل ، وفصل من الكلية ، واحتمل الاذى ، واحترف الصحافة ، وقد نشأ من هذه الأزمة ان اثمرت كتابه (على هامش السيرة) .

ازمة ثالثة حدثت بينه وبين الشيخ المراغى ، ومحمد محمود رئيس الوزراء ، بسبب تعادل الشهادات ، ونشأ من هذه الأمة استقالته من العمادة ثم املاء الجزء الثانى من « الايام » .

ويوم ساءت احوال مصر وامسى الحكم فيها قاسيا ، وغدت الصراحة تفضى الاحالة على القضاء كتب كتابه الثورى « المعذبون في الارض » وتلاه بكتابى « جنة الشوك » و « جنة الحيوان » وهى كتب اسلوبها رمزى ، بخلاف ما اعتاد طه حسين في كتبه ومقالاته في اسلوبه الواضح الصريح .

وليست كتبه التى كتبها في الاسلام بدءا وامتدادا من « الفتنة الكبرى » و « الشيخان » ابى بكر وعمر وكتاب « على هامش السيرة » و « مرآة الاسلام » - الا ردا على خصومه الذين اتهموه في عقيدته ، وفي هذه الكتب تجلت واضحة غيرته على الاسلام ، ودلت على عمق ثقافته الاسلامية وصدق ايمانه «والله أعلم بمن اهتدى» .

أسلوبه

وخلاصة ما يقال في أسلوبه انه يتفرد به عن كثير من الكتاب والخطباء ، فقد تجد كاتبا يتحدث اليك فيروعك حديثه ، ويروقك أسلوبه ، فاذا كتب ذلك الحديث فقد تلك الروعة ، وقد يبهرك خطيب ، وحين يسجل خطبته لا تجد فيها تلك الطرافة التى أعجبتك حين سمعتها ، الا الدكتور طه فان أسلوبه وهو يتحدث هو أسلوبه وهو يملى ويكتب . هو الوحيد الذى طابقت براعة الكاتب فيه براعة المتحدث .

ومن خصائص أسلوبه أنه سهل يجرى متمهلا ، ويسرى مترفقا ، جادا تارة ، ساخرا اخرى ، ميسورا معبدا ، همه ان يسيطر على انتباه السامع أو القارىء .

انه حقا تعلم وعلّم ، وستظل افكاره ومؤلفاته متعينا ثرا للقارئين والمتادبين ، والسلام عليه في الخالدين .

جمال الدين الآلوسى

الاعظمية / بغداد

في موكب الفقهاء بالقرآن

بقلم : الشيخ احمد حسن الباقورى

■ روى العالم الجليل ابو حامد بن ابي الحديد ان عالما فاضلا زاهدا كان يضيق بمجالسة الناس فلا يرى الا معتزلا ، ناظرا في كتاب أو قارئا في مصحف . فقال له قائل : « يا هذا ما أصبرك على الوحدة » . قال : « كلا . انى اجالس ربى فان شئت ان يناجينى ، قرأت القرآن ، وان شئت ان اناجيه دخلت في الصلاة » .

والتناجى بين اثنين يعطى معنى تفردهما كل منهما بصاحبه ، حتى لا يكون معهما ثالث يشاركهما في محادثة او استماع . وهي – على مانرى – منزلة رفيعة تغرى اهلها والحراص على بلوغها بادامة تلاوة القرآن وتدبره ، لتتهيأ لهم بذلك السبيل الى تلك المنزلة بمناجاتهم ربهم او مناجاته اياهم .

وعن هذه الصورة الشريفة من الادراك والتصرف القويم في هديها ، مضى أسلافنا الطيبون يتلون كتاب الله ويتدبرونه . فكلما زادوه اقبالا عليه زادهم فقها به ، ومقدرة على استشهاد آياته في كل ما يعرض لهم من قضايا تتعلق بشئون الدنيا وشئون الدين .

قيل لاحد هؤلاء السادة : هل نجد في القرآن « خذ الجار قبل الدار » .

قال نعم يقول الله تبارك وتعالى في سورة التحريم : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون : اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا في الجنة » فانت تراها في دعائها ربها قد آثرت الجار فقدمت كلمة « عندك » ، على الدار فاخرت كلمة بيت ، وفي النظم الشريف على هذه الصورة تحقيق لما تسأل عنه من المثل المأثور : خذ الجار قبل الدار .

ويروى الثقات أن زوجة وضعت حملها بعد ستة أشهر من بناء زوجها بها ، وراب الزوج ان تضع زوجته لستة أشهر فرفع أمرها الى ولى الأمر ليقيم عليها حدود الله التى خيل اليه انه لابد من اقامتها في مثل هذه الحال .

واستفتى الأمير زوج المرأة يشفى غليل صدره أن يرى زوجته قائما عليها حد الله ، وقد ركبت بالخزى والعار من تعتزى اليه من ذوى القربى ، او تعتز بصحبته وصداقته من ذوى البعدى ، ولكن الامير قال « في حزم الحاكم ووقار الفقيه : ما الذى رابك من زوجتك ؟ قال : رابنى منها انها ولدت لستة أشهر من بنائى بها وذلك أمر غير مألوف يثير من حولها الشبهات فانا اطالب باقامة حدود الله . قال الامير الفقيه : ولكن الله يمنعها منك ويحميها من تجنيك عليها فذلك حيث قال تبارك وتقدس : « حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » . فقد أجملت هذه الآية المكية مدتى الحمل وتمام الرضاع في ثلاثين شهرا ، ثم جاءت آية البقرة المدنية ففصلت هذا الاجمال بجعل تمام الرضاعة اربعة وعشرين شهرا فذلك قوله جل ثناؤه : « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » . فانت اذا طرحت الاربعة والعشرين شهرا التي هي مدة تمام الرضاع من الثلاثين التي هي مدة الرضاعة والحمل معا فقد بقى بعد ذلك ستة أشهر هي المدة وضعت زوجتك حملها بعدها ،

فلا اثم عليها ، والولد ولدك ، والزوجة زوجتك .
وبهذا الفقه للقرآن العظيم نجت الزوجة واسرتها وكل من له بها صلة ، واطمأن الزوج الى حياة مستقرة بعيدة عن هواجس الشيطان وسيئات الظنون .

ومن أجل صور هذا الباب ما اجاب به الحسن ابن الفضل سائلا قال له:هل تجد في كتاب الله ان الحلال من الرزق يأتيك كفافا وان الحرام يأتيك جزافا جزافا فقال نعم انه قول الله تبارك وتعالى : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، اذ يعدون في السبت ، اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » .

ففي الاية الشريفة ان قدامى بني اسرائيل كانوا في ايام الأسبات يرون السمك كثيرا ظاهرا على وجه الماء ميسورا صيده وقد حرم الله عليهم ذلك ، فكانوا يحتالون على صيده فيصيدونه . فاما في غير ايام الاسبات فان السمك كان قليلا عصي الاصطياد ، وذلك هو معنى ان الحلال من الرزق كفاف وان الحرام منه جزاف .

وصورة دقيقة موصولة بهوى السياسة اخذ بها الفقيه بالقرآن ـ الطريق على خليفة عباسي ظالم ، اراد ان ينفي عن أبناء فاطمة الزهراء انهم من ذرية رسول الله فاستدعى عالما كان يتشيع لهذه السلالة الشريفة الطهور فقال له : اريدك ان تأتيني باية من القرآن تقرر ان نسل فاطمة هم ذرية لرسول الله ، وقد ظن الخليفة انه بهذا يحرج العالم المخلص لعقيدته فقال له : « نعم ، ذلك قول الله من سورة الأنعام : « ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين » .

ومعلوم بداهة عند المسلمين ان عيسى ليس له اب وأن أمه مريم من سلالة ابراهيم فقد اطلق القرآن على عيسى أنه من ذرية ابراهيم نظرا الى امه عليهما السلام .

فالحسن والحسين على هذا ذرية لرسول الله بالنسبة الى فاطمة الزهراء ، اخذا بهذا المنطق القرآني الشريف . وانقطعت حجة الظالم ، وانتصر الحق وأهله على الجبارين .

ومن هذه الصور المعجبة ما رواه العالم المصري كمال الدين الدميري من أن رجلا كان يداعب زوجته فقال لها : انك أحسن من القمر . وظنت الزوجة انه يسخر منها ، لانها عند نفسها لم تكن بهذه المنزلة من الجمال . وخشي الرجل مغبة سخطها عليه فأكد لها هذا المعنى قائلا : « انت طالق ان لم تكوني أحسن من القمر » يريد بذلك ان يؤكد لها انه لم يكن ساخرا بها كما ظنت . وكان ذلك مما زاد الأمر سوءا ، والزوجة سخطا . فان المرأة ـ بحكم دقة حسها وحدة عاطفتها ـ اشد تشبثا بمعنى الدين من الرجل خاصة في هذا المجال ، مجال صلتها بزوجها .

ولم يكن بد من أن يصحب الزوج زوجته الى فقيه بكتاب الله يستفتيه في هذه النازلة ، لكي تطمئن المرأة وتستقر الحياة الزوجية بينهما على اساس من الدين سليم .

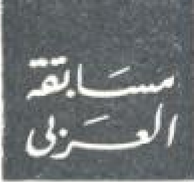
وقال الفقيه ، موجها خطابه الى الزوجة الحريصة على دينها : ان زوجك صادق فيما أخبر ، وان يمينه صحيحة . وشاهد ذلك ، قول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

فكونك أحسن من القمر ثابت بالقسم العظيم في هذه الآيات على ان الانسان مخلوق في احسن صورة من خلق الله .

ولما كنت من الجنس الانساني كنت بحكم هذا النص احسن صورة من كل مخلوقات الله ومن بينها القمر ، فيمين زوجك صحيحة بارة . وما أن سمعت الزوجة هذا المنطق المدعوم بكتاب الله حتى هدأت نفسها وعادت اليها السكينة فأخذت بيد زوجها راضية مطمئنة الى بيت هانيء سعيد.

فكذلك كان أسلافنا يتدبرون القرآن تدبرا ينفعهم وينفع الناس بهم في شئون الدنيا وشئون الدين . ■■

أحمد حسن الباقوري



تنبيه : من الآن فصاعداً يجب ان تصلنا الاجابات قبل يوم اول مايو (ايار) ١٩٧٤

ابحث عن الرقم الصحيح واربح ١٠٠ دينار

■ المطلوب فى هذه المسابقة ايجاد الاجابة الصحيحة لعشرة أسئلة على الأقل من مجموع ١٣ سؤالا ، هى :

١ ـ كم يوما تزيد سنة ١٩٧٤ الميلادية عن سنة ١٣٩٢ هجرية :
٧ ـ ٩ ـ ١١ ـ يوما .

٢ ـ حروف الابجدية العربية اذا حذفنا منها اولها وهو (ا) وكذلك (لا) فسوف يتبقى منها من الحروف :
٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ حرفا

٣ ـ حروف الأبجدية الانجليزية مجموعها :
٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ حرفا

٤ ـ كم دولة عربية وقعت ميثاق جامعة الدول العربية فى عام ١٩٤٥ :
٧ ـ ٨ ـ ٩ دول ؟

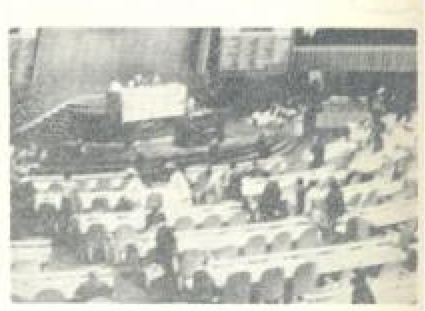
٥ ـ كم مؤتمرا من مؤتمرات القمة العربية للملوك والرؤساء عقد حتى اليوم :
٤ ـ ٥ ـ ٦ مؤتمرات ؟

٦ ـ كم دولة من دول الجامعة العربية تقع فى افريقيا .
٦ ـ ٧ ـ ٨ دول ؟

٧ ـ ما عدد الامارات التى تتألف منها دولة الامارات العربية المتحدة :
٧ ـ ٨ ـ ٩ امارات ؟









٨ ـ كم من البلاد تفهم عندما تسمعهم يتحدثون عن « المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلندا » :

٣ ـ ٤ ـ ٥ ؟

٩ ـ ما عدد الدول التى لها حدود مشتركة مع ليبيا :

٣ ـ ٥ ـ ٦ دول ؟

١٠ـ ما عدد الدول الواقعة في شبه الجـــزيرة العربية ، بما فيها دولة البحرين وهى جزيرتان صغيرتان متصلتان تكادان تمسان الساحل الشرقى لشبه الجزيرة :

٦ ـ ٧ ـ ٨ دول ؟

١١ـ ما عدد البحار التى تطل عليها أراضى المملكة العربية السعودية :

١ ـ ٢ ـ ٣

١٢ـ بلغ عدد دول العالم المنضمة الى هيئة الامم المتحدة ١٣٨ دولة .. ولكن فى عام ١٩٤٥ لم يوقع على انشائها سوى :

٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ دولة ؟

١٣ـ عدد العواصم العربية التى تبدأ أسماؤها بحرف الدال يتساوى مع عدد العواصم التى تبدأ أسماؤها بحرف الميم ، وتتساوى أيضا مع عدد العواصم التى تبدأ أسماؤها بحرف الراء ..فما هو هذا العدد المشترك :

٢ ـ ٣ ـ ٤ .

شروط المسابقة

ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٨٤ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر مايو (أيار) ١٩٧٤ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .





وَحْدَةُ اللهِ تَتَراءَى فى وَحْدَةِ خَلْقِهِ
وقُدْرَةُ اللهِ تَتَراءَى فى بَدِيعِ صُنْعِهِ



بقلم الدكتور أحمد زكى

■ أتينا فى الكلمة السابقة على وصف الهضم وجهاز الهضم فى الانسان ، وهو اتم جهاز . ولا عجب ، فالانسان يحتل اعلى درجة من درجات السلم الحيوانى . وذكرنا الأميبة ، وهى تتالف من خلية واحدة ، وقلنا انها مَثَلٌ للحيوانات الدنيا ، تلك التى تحتل فى السلم الحيوانى اسفل درجة .

وقلنا ، وبين الانسان والأميبة شعب من الحيوانات شتى .

والآن نبدأ بتفصيل ذلك ، ونبدأ بالشعبة الدنيا من هذه الأحياء ، متمثلة فى الأميبة :

الأميبة

الأميبة تمثل تلك الطائفة الأدنى من الأحياء التى تسمى بالأوّليات Protozoa (اى الحيوانات الأولى) ، وهى تتالف من الخلية الواحدة . وتنظر الى الأميبة تحت المجهر فلا تكاد ترى منها غير كتلة كأنها الفالوذج ، وهى تتحرك فى الماء بأن تمد من فالوذجها هذا جزءا الى الأمام كأنه الأصبع ، ويثبت حيث هو ليلحق به الجسم كله ، وبهذا تتحرك الأميبة يمينا ويسارا وفى كل اتجاه تريد . . ومن

اجل هذا يسمى هـــذا الجزء الممتد كالاصبع بالقدم الكاذبة .

وما هـــذا الفالوذج الا حشـــو من بروتوبلزم كالذى يوجد فى سائر الخلايا الحية ، وفى هذا الحشو البروتوبلزمى كل ما فى الخلايا الأخرى من اشياء ، ومنها نواة الخلية . وحول الحشو غشـاء يلفه .

والآن نسال ، واين جهاز هضمها ؟ جهاز هضم الأميبة ؟

وهو سؤال لا مكان له من الاعراب ، فكيف يكون لحي ذى خلية واحدة جهاز يتالف من الآلاف المؤلفة من الخلايا .

ان الأميبة لا جهاز بها للهضم .

ولكن هل تاكل ؟

والجواب : نعم تاكل ، والا ما عاشت .

ويتحول السؤال فيكون : واذن ماذا تاكل ؟

والجواب : تاكل ما يتراءى لها فى الماء ، حيث هى ، من حيوانات هى اصغر منها . وهى عندما تحس بوجود هذا الطعام ، بالقرب منها ، تمد اليه « اصبعا » كالذى وصفنا من جسمها ، فيلتف عليه التفافا ، ويلتحم طرف هذا الأصبع بمادة الأميبة فى الناحية الاخرى ، او باصبع آخر قد امتد منها ، ويلتقى الاصبعان ، وبذلك تحتوى الأميبة الضحية احتواء . ان هذا الحيوان الضحية صار يحتل فجوة

الأميبة

وهي من ابسط الحيوانات ذات الخلية الواحدة . وبها خلية واحدة . وبها تجويفان او حويصلتان هي تصنعهما ، احداها تعرف بحويصلة الطعام ، وبجرى فيها الهضم ومنها الامتصاص ، وتسير فى هلام الخلية فيتوزع الطعام فيها على سائر الارجاء . اما الحويصلة الاخرى ، وتعرف بالحويصلة المنقبضة ، وهي تجويف يظل يكبر بدخول الماء اليه من الخلية ، وهو يتقبض ليتخلص من هذا الماء ، وهو بهذا يعدل ما يكون قد دخل الى الخلية من قدر من الماء لا تطيقه الخلية . والأميبة مثل لشعبة كبيرة من الاحياء من ذات الخلية الواحدة تتراوح احجام الكثرة منها بين ١٠٠ و ٣٠٠ جزء من الف من المليمتر ، وتتالف من طوائف مختلفة ، وقد وصف العلماء منها ٢٥٠٠ نوع على الاقل وقدروا انه يوجد منها نحو ١٠٠٠٠ نوع ، بل فوق ذلك . ولا ننسى ان الأميبة تصيب الانسان بالداء المعروف بالزحار (الدوسنطارية) الاميبية ، ويصحبه اسهال شديد .



فى داخل الأميبة . وتصب الأميبة فى هذه الفجوة ، فى هذه الحويصلة ، عصارتها الهضمية، فتفعل فى هذا الطعام فتهضمه ويخرج الطعام المهضوم من جدران الحويصلة امتصاصا . يمتصه حشو الأميبة . وتبقى من الطعام بقية فى فى الحويصلة لا تنهضم تماما كما يحدث فى الانسان . ولا بد من اخراجها . والانسان يخرجها عن طريق الأست ، والأميبة لا است لها . واذن فهى تصنع لنفسها الأست. تقترب هذه الحويصلة، هذه الفجوة ، بالذى فيها من بقية طعام غير نافع ، تقترب من الغشاء الذى يلف الأميبة او يلف حشوها البروتوبلزمى ، وتشق فيه شقا تخرج منه بالذى فيها الى الماء .

خلية واحدة ، هى خلية الاميبة ، فعلت بطعامها ما يفعله الانسان، بطعامه، صيدا ، وهضما ، وامتصاصا من بعد هضم ، ثم التقاء بالفضلات الى حيث تذهب مع قمامات الحياة .





الأميبة وضحيتها

الصورة اليمنى للاميبة وقد كادت تلتقط ضحيتها ، وهي حيوان اكثر منها صغرا ، والصورة اليسرى ترينا الاميبة ، وقد طوت الضحية في جسمها فابتمع جوفها ، واخذ فى هضمها .

وهنا نعود الى سؤالنا الاول : هل للأميبة جهاز هضم ؟

والجواب : اما جهاز دائم ، فلا . واما جهاز هى تصنعه ، يحتوى على فم ، وهضم ، وامتصاص ، ثم تخلص من نفاية ذلك ، فنعم . جهاز له فم ، وله است ، ولكن لا تتسلسل اجزاؤه . جهاز مؤقت ، هى تصنعه ، بل تصنع أجزاءه، عندما يتطلب الطعام ذلك ، لا قبله ولا بعده، ثم هو يختفى وتختفى كل اجزائه.

وهذا تدبير فى شئون الخلق عظيم . خلية واحدة ، تصنع ما يصنع جسم الانسان ، بملايين الخلايا . خلية واحدة تلتقط الطعام ، وتتخذ منه غذاء، وتتخذ من الغذاء حياة .

وهكذا يفعل الانسان . وهكذا يفعل البقر والخيل والكثير من سائر الحيوان، كلها تفعل ما تفعل ، من هضم واجهزة هضم ، لكسب الحياة .

ولكن يجب ان لا ننسى الفارق العظيم بين حياة وحياة .

حياة الأميبة ، ابسط الاحياء ، حياة ليس لها أهداف، وهى لا تفهم الاهداف. حياة لا وعى لها . وانت تنظر الى الاميبة تحت المجهر فتحسب اكثرها ، وهو فى غير حركة ، كانه الشىء الجامد الميت . وغير ذلك الانسان فى انطلاقه فى هذه الدنيا ، أرجاء وآمالا .

انطلاقات معقدة ينطلقها الانسان وسائر الحيوان ، ما كانت تنتج الا عن أجهزة حياة معقدة مركبة ، منها جهاز الهضم الذى نحن فيه ، وبه من تعقد البناء ، وتخصصه ، ما فيه .

وشىء لا بد من ذكره قبل ان نترك الاميبة ، ذلك انها بميوعة حشوها البروبلازم ، هي فى غير حاجة الى دورة. ان الدورة الدموية تقوم ، فى أجسام الحيوانات التى هى فيها ، بتوزيع الطعام المهضوم على كل خلايا الجسم . اما الطعام فى الأميبة فتحمله وتهضمه الحويصلة التى تصيده. وهذه الحويصلة تسير فى كل اتجاه ، ويتحلب منها

امتصاصا طعامها المهضوم وهى تسير . وبهذا يتوزع على ارجاء الخلية .

ولكن للدورة الدموية عمل آخر . انها تحمل اكسجين الهواء الى الكائن الحى ليحرق الغذاء ليصنع منه طاقة حياة . فكيف تصنع الاميبة ؟ ان الاكسجين يدخل اليها مع الطعام ، وهو ذائب فى الماء . وكالطعام يتوزع على الخلايا .

ولكن ، احتراق الاغذية بالاكسجين يتولد عنه ثانى اكسيد الكربون واشياء غيره ، وهى فى الانسان تخرج عن طريق الرئة . فكيف تخرج عن الاميبة ؟

يخرج عنها فى الفجوة ، فى تلك الحويصلة التى حملت ما تبقى من طعام غير نافع .

الاسفنج وجهاز هضمه ؟

انه مرتبة فى سلم الحياة اعلى من مرتبة الاميبة وصواحبها .

ونتنقل من شعبة الاوليات ، وتمثلها الاميبة، الى شعبة أعلى فى بناء الحيوانات تلك شعبة الثقبيات Porifera ، اى الشعبة ذات الثقوب ، وهى شعبة الاسفنجيات، او هى شعبة الاسفنج Sponges .

والاسفنج حيوان يعيش فى الماء ، والواحد منه يعيش مستقلا ، او هو يتجمع فيعيش فى مستعمرات تتكتل فوق صخر تغطيه وتستقر عليه .

والاسفنج الواحد يختلف حجمه ، فيتراوح قطره بين جزء من البوصة ، وثلاث يردات .

يحكى أن الفيلسوف الاغريقى الشهير ارسطو نظر الاسفنج فحسبه لسكونه نباتا من النباتات .

والواقع أنه حيوان ، وفيه الحركة دائبة ، وهى حركة الماء ، يدخل من ثقوب خارجة فى جدرانه ، الى أوسط الاسفنج الواحد ، وهو كالوعاء الأجوف ، ثم هو يخرج من فتحة فى أعلاه هى الفم .

ولتفسير ذلك نذكر ان الفرد الواحد من الاسفنج يتألف ، كما تراه فى الشكل، من جسم مجوف ، جدرانه بها الكثير من الثقوب . وهو يعيش فى الماء . فاذا انت اسقطت قرب جدار الاسفنج، من الخارج، نقطة او نقطتين من الحبر الاسود ، فانت لا تلبث أن ترى هذا الحبر يخرج اسود من فم الاسفنج وهو فى اعلى جسمه ، ومعنى هذا ان تيارا من الماء حمل الحبر، ودخل به الى جوف الاسفنج من ثقوب جدرانه ، وخرج من اعلاه .

والسؤال الآن هو : ولكن ماذا يدفع الماء فيكوّن هذا التيار فى الماء .

والجواب : ان جدار الاسفنج يتألف من طبقتين من الخلايا ، بينهما طبقة كالفالوذج بها خلايا حرة ، تتحرك حيثما تتحرك ، وبهذه الطبقة الفالوذجية شوكات صغيرة من السليكون ، وأحيانا من كربونات الكلسيوم . وتكون أحيانا من المادة المرنة المعروفة بالاسفنجين ، وهى المادة التى تبقى من هذا النوع من الاسفنج بعد تصنيعه ، وتستخدمها فى الحمامات .

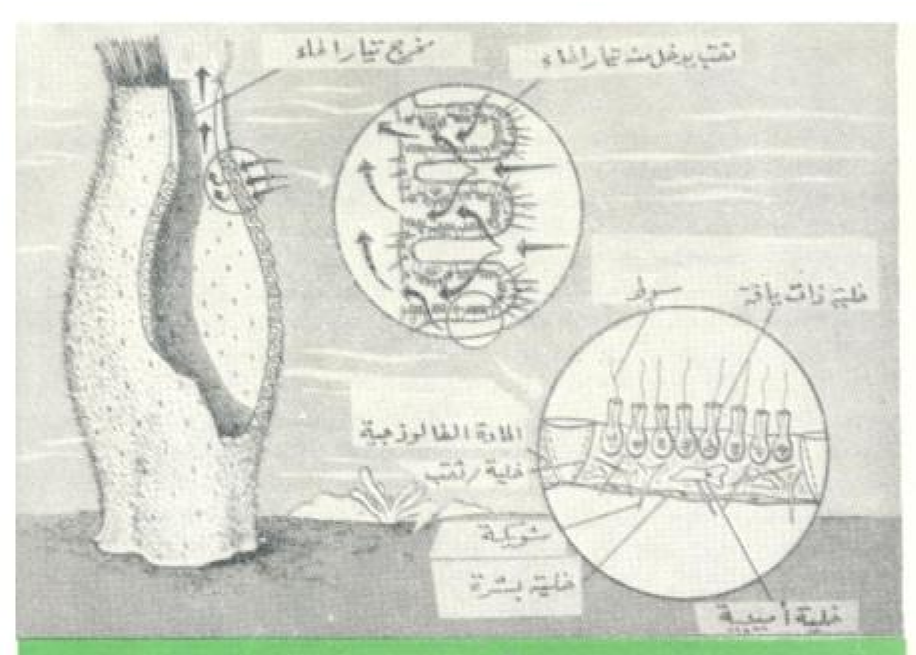
فهذا عن الطبقة الفالوذجية الوسطى من جدار الاسفنج .

اما الطبقة الخارجة الظاهرة من جدار الاسفنج فوقاية له .

واما الطبقة الداخلة فامرها عجيب ، ذلك أن بها خلاياها ، ذوات رقبات كأنها الباقات ، وتخرج من اوسطها زوائد كالسياط . وتتحرك هذه السياط فى الماء بحيث تدفع الماء فى تيار يتجه الى داخل الاسفنج ليخرج من فمه .

فهذا هو سر التيار الذى سبق ان ذكرنا . وقد حسبوا كم من الماء يمر فى باطن الاسفنج بسبب هذا التيار، فوجدوا أن فى الاسفنج الواحد ، الذى طوله ١٠ سنتيمتر ، وقطره سنتيمتر واحد ، يمر من الماء فى جوفه مامقداره ٢٢٫٥ لترا فى اليوم الواحد .

تيار عجيب ، لا شك فى هذا ، ولكن ما الغاية منه . ان لكل شىء فى الخلق هدفا .



الاسفنج

ونجد الى اليسار وحدة اسفنجية مرتكزة في الماء على صخر ، ولها جوف ، وجدران بها ثقوب يدخل منها ماء البحر الى الجوف ، حاملا الطعام والاكسجين . والصورة الوسطى جزء مكبر من الجدار يوضح كيف يدخل الماء عبر ثقوب الجدران . وفي الصورة الثالثة (اليمنى) جزء مكبر من الصورة الوسطى يريك خلايا البشرة الخارجة ، تليها الى الداخل الخلايا الاميبية التي تحمل الطعام المهضوم ، وتدور به على سائر خلايا الجسم تطعمها ، ومعها في تلك الطبقة الشويكات التي تعمد الجدار ، فهي هيكله الداخلي . ثم الخلايا ذات الياقات ، وهي تلتقط الطعام من الماء وتهضمه . اما الذى يخرج منها كالخيط فهي الأسواط التي تتحرك فتحدث التيار الذى يجرى به الماء الى جوف الاسفنج . واخيرا ترى في فم الاسفنج من اعلى امدادا ، وهذا الفم يتسع ويضيق ليعدل مقدار ما يدخل الى جوف الاسفنج من ماء .

ان هذا التيار له حكمة كبرى . انه يحمل الى جوف الاسفنج ما في الماء الذى يعيش فيه الاسفنج من طعام . وتمر قطع الطعام هذه بالخلايا ذات الياقات فتلتقطها ما بها من سياط ، وتدخلها الى باطن هذه الخلايا ذات الياقات فينهضم بالذى بها من خمائر صبتها الخلية .

وهذه الخلايا ذات الياقات ، ذات السياط ، خلايا خطرها اذن عظيم . ان تصطاد الطعام من الماء ، وهي تقوم بهضمه .

وبعد هذا يجرى امتصاص الطعام المهضوم ، تمتصه الخلايا التي وصفناها بأنها حرة تتحرك ، وهي حرة في التحرك بالطبقة الفالوذجية المتوسطة من جدران الاسفنج ، وتوصف احيانا بالخلايا الأميبية Amoebocytes ، لأنها تشبه الأميبة ، وذلك لأنها تسير في هذه الطبقة الفالوذجية تنقل ما حملت من الغذاء المهضوم الى سائر الخلايا . وهي اذن تعمل عمل الدورة الدموية من حيث توزيع الطعام في الاجسام المتقدمة ، وهي دورة لا وجود لها بالطبع في الحيوان الاسفنج .

كذلك اغنى عن الدم وعن جهاز التنفس فى حمل الاكسجين الى خلايا جسم الاسفنج أن الاكسجين يدخل مع الطعام ، وثانى اكسيد الكربون المتولد من احتراق الغذاء بالاكسجين لاحداث الطاقة لجسم الاسفنج ، هذا الاكسيد يخرج مع نفاية الطعام ، تماما،كما ذكرنا عند وصف الاميبة ، واستثنائها عن الدورة الدموية ، وفى التنفس عن الرئة.

حيوانات لا احشاء لها

وننتقل من الاسفنج والاسفنجيات ، الى شعبة أعلى فى سلم الحيوانات ، تعرف بأنها التى ليس لها احشاء ، او كما يسميها رجال العلم باللاحشوية .

وهى حيوانات لها اجسام مستديرة جدرانها ، ولكن ليس بداخل هذه الجدران شيء . ليس بداخلها حشو . ليس بداخلها احشاء .

والاحشاء لفظ الفناه عندما نتحدث عن الانسان ، وعن الابقار ، والاغنام . وانت ترى جسم الخروف وقد تعلق فى دكان الجزار ، فلا ترى منه الا جدران هذا الجسم ، وهى على شكل اسطوانة تقريبا . اما الاحشاء ، اعنى الرئتين والقلب والمعدة والمعاء وسائر الجهاز الهضمى كله ، ومعه الكبد والبنكرياس وغيرها ، فقد انتزعها الجزار انتزاعا ليبيعها على حدة . انها الأحشاء ، او انها الحشو الذى يملأ الجسم .

وهكذا الشعبة التى نحن بصدد الحديث عنها ، تلك التى هى اعلى من شعبة الاسفنج ، انما سميت بالشعبة اللاحشوية* Coelenterates لأن جسمها المستدير الجدران خال من الاحشاء ، وخلوه هذا ، لا لأنه افتقد الأحشاء ، ولكن لأنه خلق هكذا بدون احشاء .

واذن فما الذى يقوم لحيوانات هذه الشعبة بعملية التغذية ، هضما وامتصاصا (وكان يقوم بها جهازا هضم فى الانسان) وما الذى يقوم باخراج نفاية الطعام من الجسم (وكان يقوم بها القولون والمستقيم) وما الذى يقوم بتوزيع الطعام المهضوم على سائر خلايا الجسم ليحيا ويعيش (وكان يقوم بها الدورة الدموية). وما الذى يقوم بتزويد هذه الخلايا بالاكسجين الذى يحترق به الطعام فى الخلايا ، وينتج الطاقة ، ومع الطاقة ثانى اكسيد الكربون ومواد آزوتية اخرى (وكان يقوم بها جهاز التنفس ، ويقوم باخراج هذه المواد الآزوتية وامثالها من المواد الضارة بالجسم الكليتان والجهاز البولى) .

ما الذى يقوم بكل هذا ، وكانت تقوم به فى الانسان والكثير من الحيوانات هذه الاجهزة جميعها . ويضمها جميعا لفظ الاحشاء. والشعبة اللاحشوية لا احشاء لها . .

الجواب : انه يقوم بكل ذلك جدران هذه الاجسام فى هذه الشعبة التى لا احشاء لها ، وسوف نبين هذا .

الحيوانات اللاحشوية

ومن امثلة هذه الحيوانات الهدرة Hydra ، والحيوانات المرجانية

---

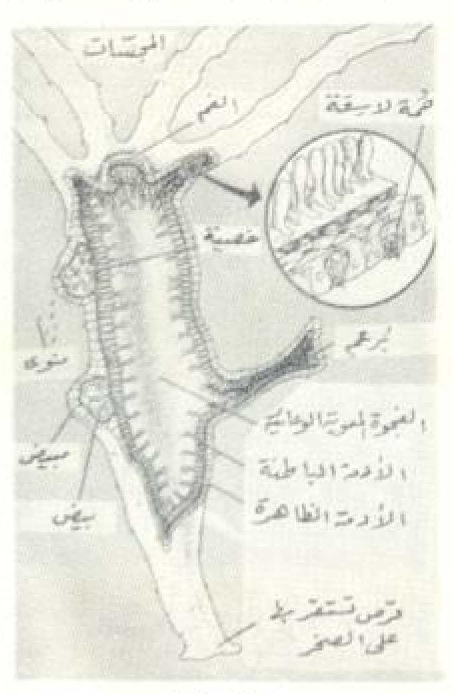
* اللفظ الافرنجي Coelenlerate ومفرده Coelenteron يتألف من Coelen ومعناه الجوف ، وانتيرون Enteron ومعناها المعاء ، ووضعوا هذا الاسم العربي (اللاحشوى) ، ليدل على هذه الحيوانات التى خلا جوفها من الجهاز الهمي تخلا من توابعه . وبعض من علماء العرب يترجم هذا اللفظ الافرنجى فيقول الجوفمعي والجوفمعويات. ولعل الاوفق فى الصياغة العربية ان يكون الجوفي المعوى . ولعلهم نظروا فى هذا ان الجوف هنا يقوم بما تقوم به المعاء ، اى بالهضم ، وامتصاص الطعام ، وما كان خلو الحيوان من الاحشاء الاشيئا عارضا .

Corals التي تحدث مادة الصخور المرجانية لتستقر عليها، وشقائق النعمان Sea Anemones، وما يعرف بالسمك الهلامي Jelly Fish (وسماه الانجليز سمكا وما هو بسمك)، وقنديل البحر.

وكل هذه حيوانات مائية لا يألفها من الناس الا من عاش على السواحل.

الهدرة

ونختار من هذه الحيوانات التي لا



الهــدرة

وهي تمثل شعبة الحيوانات التي ليس لجسمها احشاء (اللاحشوية) او بعبارة اخرى التي يقوم جوفها وجدران الجوف بعملية الهضم ، وتوزيع الطعام على الجسم ، ومن اجل هذا سميت بالمعائية الوعائية ، وصلا لها بمعنى الهضم الذى يقوم به فى الاحياء المتقدمة المعاء ، وبمعنى الاوعية الدموية التي تقوم بتوزيع الغذاء .

احشاء لها ، او الجوفية المعوية، الحيوان الصغير الذى يعيش فى المياه العذبة المعروف ، بالهدرة Hy ra ، نتحدث عن الهضم فيها ، وجهاز الهضم كيف كان فيها ، واشياء اخرى .

انك ترى فى الصورة شكل هذا الحيوان، انه غاية فى الصغر، يتراوح طوله بين نصف بوصة وبوصة ونصف. ويدخل فى هذا الطول ملامس فى اعلاه، اذا احس بأن شيئا يقترب ، حيوانا صغيرا من الأوليات او طعاما مأكولا كان ما كان ، فما أسرع ما تمتد اليه هذه الملامس ، وتأخذ به ، وتطويه حتى تدخله فى فمه ، فالى جوفه ، جوفه الذى لا حشو فيه .

هنا تقوم جدران جسم الحيوان نفسها بما كان يقوم به جهاز الهضم . ان خلايا فى هذه الجدران لا تلبث ان تفرز عصارة هضمية بها الخمائر التي تهضم الضحية، اشبه شيء بالذى يتم فى معدة الانسان ومعائه . فاذا وصل الهضم الى نصف الطريق ، تلقفت خلايا جدران الجسم هذا الطعام، وهو نصف مهضوم، فقامت هي ، وهو بداخلها ، باتمام هضمه . اما ما لم ينهضم من الضحية ، فيعود ليخرج الى الجوف ليخرج من الفم . نعم لان هذا الحيوان لم يبلغ من الرقي ان يكون له است .

فهكذا يجري الهضم فى شعبة هذه الحيوانات ، وهذا بعض صورة الجهاز الذى يجريه !

بقي ان نتساءل : فما الذى يدور بالطعام المهضوم على خلايا الجسم جميعا ليغذيها ، كما تفعل الدورة الدموية فى الانسان .

والجواب : ان الطعام يوزعه فى جوف الحيوان خلايا فى جدرانه ذات اهداب ، او ان شئت فأسواط Flagellats ، تتحرك فتحرك الطعام الى شتى الجهات. وكذلك يحرك الطعام فى جوف الحيوان

تقلصات تجري في بدنه متلاحقة ، كالموجة تلحق الموجة ، وكذلك يتوزع الطعـام انتشارا .

والتنفس ؟ يدخل الاكسجين مع الغذاء والماء ، فهو في الماء ذائب . فاذا احرق الجسم به أغذيته ليحصل على الطاقة ، من كل نوع ، ونتج عن ذلك ثاني اكسيد الكربون ، خرج ثاني اكسيد الكربون ، معوما يخرج من سوائل الجسم وانتشارا .

والمواد الآزوتية التي تنتج من التفاعل الكيمـاوى الحيوى الذي ينال المـواد الآزوتية في الجسم خاصة ؟ فهذه تخرج مع سائر السـوائل التي تفارق الجسم .

عمليات لها في الانسان أجهزة معقدة لانها متخصصة غاية التخصص ، تقوم بها هذه الحيوانات ، التي افتقدت الاحشاء ، بأحسن ما تأذن لها هذه الاجهزة ، او اللاأجهزة ، التي اتيحت لها .

جهاز الهضم اولا
ثم تتبعه الدورة الدموية
ثم جهاز التنفس
ثم الكلى واجهزتها البولية

ذلك لأن الطعام يأتي في الحيوانات اولا ، ثم تقوم هذه الأجهزة على تجهيزه (القناة الهضميـة) ، ثم توزيعـه والانتفاع به (الدورة الدموية التنفسية) ، ثم جمع نفايات هذا الطعام من غازية (الدورة الدموية والدورة التنفسـيـة ايضا) ، ومن فضلات كيماوية تسمم الجسم لو بقيت فيه (الكليتان والجهاز البولي) . فالقناة الهضمية تتصدر ، تليها سائر الاجهزة بطانةً وتوابع .

والحيوانات اللاحشوية هذه تقوم بكل هذه الواجبات ، في غياب هذه الأجهزة ، ومـن اجل هذا سـميت الفجوة التي بأوسط هذه الاجهزة بأنها Gastrovascular اى معوية وعائية ، لأنها تقوم بعمل الهضم والأوعية الدموية معا .

ثلاث شعب
من الحيوانات مرّت

هي شعبة الأوّليات .

ثم شعبة المثقبات ، اى ذات الثقوب ،

ثم شعبة اللاحشويات او الجوفية المعوية .

اما الاولى ، وتمثلها الاميبة ، فتتالف من خلية واحدة تصنع كل العمليات الضرورية لحياتها البسيطة . واذن ليس لديها احتمـال ان تصنع الانسـجة ولا الاعضاء ولا اجهزة لسائر الاجسام ، لأن هذه تتالف من اكثر من خلية .

اما الثانية ، ويمثلها الاسفنج ، فهي ابسط الشعب الكثيرة الخلايا . والنظرة الأولى الى الأسفنج توحي بأن الاسفنجة الواحدة ليست الا مستعمرة من خلايا ، كل منها يعيش وحده . ولكن بالدخول في درسها تجد ان هذه الخلايا متخصص بعضها . فهذا لعمل لا يعمله ذلك . والتخصص بدء الرقي . ثم ان من هذه الخلايا ما يعمل معا لصالح الجميع . ومع هذا لم يبلغ الاسفنج مبلغ الترقي الجثماني الذي يصحبه تكوّن الانسـجـة وتخصصها . دع عنك الاعضاء .

اما الثالثـة فقـد تقدمت سابقـةً الاسفنجيات ، فمستوى تخصصها أعلى ، فمن خلاياها ما كوّن العضل ، ومنه ما كوّن العصب ، ومنه ما اتجـه نحـو الاخصاب والتكاثر .

★ ★ ★

وبالوقوف عند هذا الحد ، انما نقف حيث لـم تصل القناة الهضمية ، في المخلوقات الحيوانية ، الى ان تكتمل اكتمالا كاملا ، فتكون بذلك انبوبة لها فتحة دخول (فم) وفتحة خروج (شرج او اسـت) . انما نقف بالقناة وهي لاتزال انبوبة مفتوحا طرف منها ، مسدودا طرفها الآخر ، والدخول اليها والخروج منها انما يكون من طرفها هذا المفتوح الواحد .

●●

احمد زكي

هَلْ يَسْتَطِيعُ الآبَاءُ أَنْ يَمْنَحُوا أَطْفَالَهُمْ .. ذَكَاءً مُتَفَوِّقًا ؟

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ نسمع ونقرأ كثيرا في العقد الاخير بخاصة ، عن شأن السنوات الاولى من العمر في نمو الفرد الفكرى والعلمى في المقبلات من أيامه .

بل كثيرا ما نسمع ونقرأ أن خبرة هذه السنوات الأولى التى تمتد بين الولادة والخامسة من العمر تكاد تكون حاسمة في تكوين الانسان ، اليها يرجع الأمر فيما يحققه من نجاح وتفوق في حياته كلها .

وما نسمع ونقرأ ليس مجرد تكرار للمسلمات الفرويدية القديمة حول الأهمية الانفعاليـــة والجنسية لهذه الفترة من العمر، بل هو يجاوزها الى ما هو أبعد مدى ، حين يرى في هذه الفترة المجال الخصيب لتكوين الذكاء المتفوق والقابليات المتفتحة ، والتربة الصالحة لخلق تباشير الابداع وبراعم العبقرية لدى الفرد .

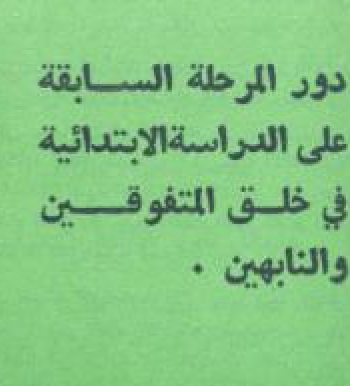
ومن هنا ترتفع الأصوات عالية منادية بأهمية العناية برياض الأطفال بل بأهمية العناية بالمرحلة السابقة على الحياة المدرسية .

التربية من المهد أساس كل تربية لاحقة

وكما يتريث المربون اليوم عند الدور الكبير الذى تلعبه تربية الراشد في المرحلة اللاحقة على حياته المدرسية ، تراهم يقفون وقفة اكبر عنـد الدور الخطير الذى تلعبه تربية الطفل في المرحلة السابقة للدراسة الابتدائية ، بل السابقة لمرحلة رياض الأطفال (ويندرج ذلك كله تحت ذلـــك الشعار الذى غدا شعار التربية الحديثة في السنوات الأخيرة ، نعنى شعار التربية الدائمة المستمرة ، التربية « من المهد الى اللحد ») .

والدراسات التجريبية العديدة التى قامت هنا وهنالك في أرجاء العالم ، تنتهى الى تأكيد الدور





دور المرحلة السابقة على الدراسة الابتدائية في خلق المتفوقين والنابهين .

الكبير لمرحلة الطفولة الأولى ، والى تأكيد جملة من الحقائق اهمها :

١ ـ الاطفال الذين تلقوا تربية سابقة علـى الدراسة الابتدائية (في رياض الأطفال أو في البيوت) يصيبون في الدراسة الابتدائية وما يليها نجاحا أكبر من سواهم . والاخفاق المدرسي لديهم بالتالي دونه عند من عداهم .

٢ ـ الأطفال الذين هيئت لهم مثل هذه التربية المبكرة اكثر نجاحا في الحياة غالبا ، وقدرتهم على التكيف مع المجتمع والبيئة أوفر واخصب .

٣ ـ قدرة الطفل على التعلم في السنوات الأولى من العمر اكبر بكثير مما نقدر ، ومما كان يظنه علماء النفس فيما مضى . وكثير من التجارب اثبتت ـ خلافا للاعتقاد الذى ساد ردحا من الزمن ـ ان في وسعنا ان نقدم للطفل منذ طور مبكر جـداً مفاهيم ومعاني ومعارف تيسر تكوينه وتسـعد قابلياته وذكاءه ، وتغذيه في الوقت نفسه اعدادا افضل واسرع . وبهذا نصيب هدفين في آن واحد: أولهما تيسير نمو الطفل وبزوغ قابلياته وانقاد ذكائه ، وثانيهما تقديم المعارف والحقائق في وقت ابكر ، وفي مدة اسرع ، تتناسب وحاجتنا الى الاعداد السريع في عصر يتقدم فيه العلم بخطى سريعة ، وتتسع فيه الثروة العلمية التى يحتاج الفرد الى تعلمها .

٤ ـ العناية بالسنوات الأولى من العمر ليس من شأنها ان تزيد في قدرة الفرد على التعلـم فحسب ، بل من شأنها ان تزيد من طاقة ذكائه ، ومن مدى قابلياته .

الذكاء يزيد وينقص

هذه الحقيقة الاخيرة ، جديرة بان نتريث عندها لما تحمله من معان جديدة ، ومن ثورة على نظرتنا التقليدية الى ذكاء الانسان وقابلياته :

لقد ظل علماء النفس فترة طويلة من الزمـن ـ وما يزال بعضهم حتى اليوم ـ يعتقدون ان ذكاء الانسان امر فطرى ثابت تحدده عوامل الوراثـة ولا شأن فيه للبيئة . وكلنا يعلم نظرية « ثبات نسبة الذكاء » لدى الفرد منذ الولادة حتى خاتمة

حياته ، تلك النظرية التى حرص عليها علماء النفس طويلا ، بل قدسوها طويلا ، وما تزال عزيزة على بعضهم حتى اليوم ، لا يفارقونها الا في كثير من اللوعة والحذر .

غير ان الدراسات الحديثة الكثيرة بدأت تثبت يوما بعد يوم أن « ثبات نسبة الذكاء » موضوعة تحتاج الى فضل من تمحيص ، وان كل شيء لدى الانسان قابل للنماء والتكامل ولو بمقدار . ولقد كشفت ابحاث كثيرة عن أن الترابط غير قائم في الواقع بين نسبة الذكاء التى نحصل عليها من العمر ، ونسبة الذكاء التى نحصل عليها لديه عندما يكون في قرابة الثالثة الى السادسة من عمره او التى نحصل عليها بعد ذلك عندما يجاوز الثانية عشرة من عمره . واثبتت دراسات حديثة كثيرة ان مستوى الذكاء لدى الطفل يتأثر تأثرا واضحا بالبيئة العاطفية التى يحيا فيها ، وبمقدار العناية التى يلقاها من البيئة العائلية خاصة ومن البيئة الاجتماعية عامة .

ولن نخوض في هذه الابحاث المتوالدة المتكاثرة التى ذاعت في السنوات العشرة الاخيرة خاصة ، مؤكدة تأثر الذكاء بعوامل البيئة من حولها وبالبيئة المربية المثقفة التى ينشأ فيها الطفل . كما اننا لن ندخل في ذلك الجدل ـ القديم الحديث ـ بين أنصار الطبيعة والفطرة وانصار البيئة والتربية ، اذ نرفض غلو كليهما ، ونجنح الى الموقف العلمى الذى يقرر في النهاية ان لا شيء في حياة الفرد ونموه يمكن أن يعد نهائيا ، بما في ذلك استعداداته الموروثة التى تحمل من امكانات التفتح والتشكل الجديد الشيء الكثير. وما نريد ان نخلص اليه هو أن هذه الابحاث القت ضوءا جديدا على اهمية السنوات الاولى من العمر ، وعلى الدور الذى تلعبه التربية (في المنزل وسواه) في تكوين ذكاء الافراد خاصة وفي تكوين شخصيتهم عامة . ومن هنا جاء هذا التأكيد على التربية السابقة للمدرسة Pre - School education في شتى اشكالها وصورها .

في مقدور الآباء أن يخلقوا من أطفالهم متفوقين وعباقرة

وهكذا بدأنا نسمع شعارات جديدة ، فيها الكثير من الجذب والاغراء ، تهيب بالآباء أولا ، وبرياض الاطفال ثانيا ، ان يقدموا لابنائهم واطفالهم ذكاء متفوقا ، وان يخلقوا منهم عباقرة ومبدعين. وأصحاب هذه الشعارات يحملون في جعبتهم جملة من الادلة لا مجال الى تعدادها ، ونكتفي بذكر القليل منها :

١ ـ للبيئة المادية والطبيعية التى يحيا فيها الطفل دور في تحديد ذكائه وقابلياته . ويكفي ان نذكر على سبيل المثال لا الحصر ان نوع الغذاء الذى يتلقاه الطفل يلعب دورا في نسبة ذكائه، كما اثبتت ابحاث كثيرة اجريت على الاطفال المحرومين من الغذاء الكافي ولا سيما الغذاء الذى تتوافر فيه بعض المواد البروتينية وسواها .

٢ ـ للبيئة الاجتماعية التى يحيا فيها الطفل دور اكبر في نمو ذكائه وقابلياته وشخصيته . ولا حاجة ههنا الى أن نذكر بالابحاث الكثيرة التى قام بها علماء الانتروبولوجيا والاجتماع ، والتى اوضحت دور « الثقافة » الخاصة بكل مجتمع (بالمعنى الذى يحدده الانتروبولوجيون حين يعنون بالثقافة انماط السلوك السائدة في مجتمع دون آخر) في التكوين النفسي لافراد ذلك المجتمع وليس من الغلو أن نقول ـ انطلاقا من هذه الدراسات ـ ان لكل مجتمع نموذجه الانساني الخاص به .

٣ ـ الدراسات التى أجريت على الاطفال في دور الأيتام ، وعلى التوائم ، اكدت أثر البيئة في التكوين العقلى للطفل . ولا مجال ههنا للاسهاب في هذه الدراسات . وحسبنا ان نذكر انها كشفت عن أثر « الدور الفعال » الذى تلعبه البيئة المنزلية في نمو ذكاء الطفل وقابلياته ، وبينت ان غياب هذا الدور الفعال ـ كما في دور الايتام ، وفي الاسر ذات الاولاد الكثيرين ـ يؤدى الى هبوط واضح في نسبة الذكاء نفسها . وحسبنا أن نذكر كذلك أن الدراسات التى أجريت على التوائم الحقيقيين (الذين ينقسمون من بيضة واحدة) بينت أن نسبة ذكاء كل من التوأمين تختلف اذا ما اختلفت البيئة التى يحيا فيها كل منهما (وقد يصل هذا الاختلاف الى حدود ٢٤ نقطة في سلم الذكاء) .

٤ ـ الدراسات التى قام بها بعض الباحثين

حول مشاهير الرجال والعباقرة عبر التاريخ (من مثل الدراسات التى قامت بها كوكس Cox وشملت السير الذاتية لثلاثمائة عبقرى) اكدت — بعد التحليل — الدور الذى لعبته البيئةالمنزلية في تكوين هؤلاء العباقرة ، وبينت ان معظم هؤلاء هيئت لهم منذ الطفولة المبكرة عناية تربوية كثيفة من قبل آبائهم او امهاتهم من حولهم (تشهد على ذلك السير الذاتية لأمثال ليبنتس Leibenis وجون استيوارت ميل Jhon Stuart Mill وغوته Goete وسواهم) .

وسائل تكوين الاطفال المتفوقين

تلك كلها ادلة تشهد على أهمية البيئة التى تقيّض للطفل فى سنواته الاولى في تكوين ذكائه وقابلياته وشخصيته . غير ان ما هو أهمّ من هذه الادلة وما هو أهمّ من تاكيد اثر خبرة السنوات الاولى في تكوين الانسان ، ان نشير الى أن هذا الاثر لا يتم الا اذا توافرت في التربية التى تقدمها خلال هذه السنوات الاولى شروط عديدة،ووسائل جديدة . فليست ايّ عناية تربوية يقدمها الآباء لابنائهم جديرة بان تفتتح ذكاءهم ، وتفتق قابلياتهم ، وتطلق مارد العبقرية لديهم . بل قد تؤدى العناية التربوية المغلوطة الى عكس هذه النتائج،وقد تكون سببا في خلق افراد غير أسوياء، يشكون طوال حياتهم من سوء التكيف الانفعالى والعقلى .

ويطول بنا الحديث ان اردنا ان نشير الى الشروط والوسائل اللازمة لتوفير البيئة التربوية الفعالة المنتجة خلال سنوات الطفل الاولى .ونكتفى بذكر بعض الحقائق العامة التى كشفت عنها الدراسات :

١ — ان استخدام وسائل تربوية فعالة وحديثة وناجعة يجعلنا قادرين على أن نعلم الأطفال منذ طور مبكر كثيرا من الحقائق العلمية التى كنا نحسب انها لا تصلح الا لسن متاخرة . فلقد اثبتت تجارب عديدة أن فى وسعنا — باستخدام طرائق صالحة — ان نعلم أطفالا بين الثانية والخامسة من العمر الضرب على الآلة الكاتبة والقراءة والكتابة والاملاء بيسر واغراء ودون اى ارهاق . بل اثبتت ان فى وسعنا — بفضل مثل هذه الطرائق ان نقدم للاطفال منذ طور مبكر مفاهيم رياضية وعلمية عديدة ، كان نعلم اطفالا في سن الخامسة كثيرا من الاسس النظريةللرياضيات او ان نصل بهم الى استخدام المعادلات الجبرية بل الى ابتكارها منذ سن التاسعة . ومثل هذه الحقائق كانت — كما نعلم — سببا في انقلاب مناهج التعليم فى كثير من بلدان العالم في السنوات الأخيرة (ولا سيما في الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة) . وبفضل مثل هذه الطرائق يتم اليوم الربط الوثيق بين مناهج التعليم في مرحلةرياض الاطفال وفي المرحلة الابتدائية وبين مستلزمات عصر العلم والتكنولوجيا . وبالركون الى هذه الطرائق استطاع بلد كالاتحاد السوفياتى أنيختصر مرحلة الدراسة الابتدائية سنة واحدة ، مع جعل الدراسة فيها الصق بحاجات التكوين العلمى والعصرى .

٢ — لا بد فى سبيل ذلك ان يحيط المربى علما — ولا سيما في رياض الاطفال وفي المدرسة الابتدائية — بقوانين النمو البيولوجى والنفسى والاجتماعى للطفل ، وان تكون لديه دراية عميقة باحدث ما انتهت اليه الدراسات فى هذا الميدان.

٣ — هنالك دون شك جملة من المبادىء والقواعد الخاصة باساليب تربية الاطفال فى كل سنة من سنوات العمر الاولى . وهذه المبادىء تبين ما ينبغى ان يقدم للطفل من خبرات وتدريبات ومعارف في كل من هذه السنوات . ومن هنا تاتى اهمية الاعداد الدقيق والرصين لمعلمى رياض الاطفال .

لا بد من اعداد الآباء

ومع ذلك لا يجوز ان يقتصر الامر على المعلمين

في رياض الاطفال ، بل لا بد أن يتلقى الآباء أنفسهم حظا من الاعداد ، يجعلهم يدركون بعض المبادىء العامة في تربية الأطفال الصغار . وهذه الحقيقة الأخيرة هامة ، لأن الطفل أولا لا يرتاد روضة الأطفال الا حوالى الثالثة من العمر ، ولأن كثيرا من الاطفال في معظم بلدان العالم لا تهيئا لهم ظروف ارتياد رياض الاطفال . وحسبنا أن نذكر أن نسبة الاطفال في البلاد العربية الذين يرتادون رياض الاطفال لا تجاوز ٣٪ من مجموع الاطفال الذين هم بين سن الثالثة والخامسة. واذا استثنينا بلدين عربيين هما الكويت ولبنان ، نكاد لا نقع على أي عناية تذكر بالتعليم السابق على المرحلة الابتدائية في أي بلد عربي .

وواضح أن توفير رياض الأطفال ـ على أهميته القصوى ـ ما يزال صعب المنال لكثير من بلدان العالم التي تنوء بأثقال التعليم الابتدائي وما بعده ، والتي لا تتوافر لديها الامكانات المالية والبشرية لمراحل التعليم التقليدية ، وهيهات بالتالي أن تتوافر لديها امكانات التعليم في مرحلة رياض الأطفال .

ومن هنا لابد من التفكير في حلول واقعية ، قوامها الاعتماد على الآباء أولا ، وعلى تزويدهم بالدراية اللازمة وبالدربة الضرورية من أجل تربية أطفالهم وتوجيههم منذ طور مبكر .

دور وسائل الاعلام الجماعية وجهود المؤسسات الخاصة

يضاف الى ذلك أنه من الممكن والواجب أن يستعان في هذا المجال بوسائل الاعلام الجماعية ولا سيما التلفزيون ، وفضلا عن هذا كله لا بد من الاستعانة ببعض الجهود الاهلية الخاصة التي يمكن أن تقوم بها جمعيات أو منظمات أو جماعات من الآباء ، من أجل توفير أنواع من التربية السابقة للمدرسة الابتدائية . ولعل للجمعيات النسائية دورا تلعبه في هذا المجال .

العناية بالطفولة تعني العناية بمنابع الابداع لدى الامة

وأيا كانت الحال ، فالقصد هو منحُ مرحلة الطفولة الاولى حظها من العناية ، وبذلُ الجهود الواسعة في سبيل استخراج طاقات الانسان الكبيرة التي يتفتح عطاؤها ويتجزَّل حين يتاح لهذه المرحلة من العمر ما هي جديرة به من رعاية .

وهي بالقليل أن يعمل أيُّ مجتمع ، وأن يعمل مجتمعنا العربي ـ وسواه من المجتمعات النامية المتعطشة الى قوى الابداع والعطاء ـ على اطلاق الشرارة الاولى للتفوق الفكري والعلمي لدى أفراده وأن يحرص على التفجير الاكمل والأمثل لاحتياطي الذكاء والقابليات لدى أطفاله ؟

ان حلم الآباء في أن يجعلوا من أبنائهم عباقرة ومتفوقين ـ غدت له مقوماته وأصوله ، وما عليهم الا أن يَجْتهِدوا للبحث عن وسائل تحقيق هذا الحلم . وان طموح المجتمعات الى تكوين الافذاذ القادرين على دفع عجلة التقدم فيها يجد جذوره العميقة فيما تقدمه هذه المجتمعات من عناية تربوية ببراعمها الصغيرة التي تحمل امكانات الخصب والعطاء الكثيرة . وان طموح مجتمعاتنا النامية خاصة الى قفزة سريعة في معارج التحديث ومراقي العلم والتكنولوجيا ، يجد منطلقه ومتكأه في أن تبدأ هذه المجتمعات من حيث ينبغي أن تبدأ ، وفي أن تقدر السنوات الاولى من العمر حق قدرها ، وأن تدرك أنها التربية الاساسية لتنمية طاقات الخلق والابداع ، ولتكوين الاتجاهات العلمية والتكنولوجية اللازمة لدخول العصر .

ان تكوين روح الخلق والابداع Creotivity غدا مطلبا أساسيا من مطالب التربية في العالم . وبذور هذا التكوين وجذوره تستقي مادتها وحياتها مما توفره تربية الطفولة الاولى من حرث وغذاء . ■■

عبد الله عبد الدايم



المرض الفطرى .. هل هو معد ؟

● ظهرت في ابنتى التى لم تبلغ عامها الاول من العمر بقع بيضاء في فمها وشفتيها واخبرنى الطبيب بانه مرض فطرى ، ونصحنى باستعمال الدهان الازرق، وبعد فترة ظهر احمرار وتسلخ في فخذها ، وعلمت انه نفس المرض ، فما هو هذا المرض الفطرى ، وهل هو معد ؟

— ان هذا الالتهاب ينتج عن فطر المونيليا ويسمى المرض Candidiasis ويمكن ان يصيب الأغشية المخاطية والجلد والأظافر . أما اصابته للاغشية المخاطية فعادة تلاحظ في الأطفال الا انه ممكن حدوثه في الكبار ضعاف الصحة او الذين يستعملون مضادات الحيويات بكثرة وباستمرار ، وفيها تصاب الأغشية المخاطية مثل الفم والمستقيم والمهبل وقناة مجرى البول بالفطر ، وتظهر الاصابة على شكل لطع بيضاء رمادية اللون ملتصقة على الأغشية المخاطية وقد تكون محاطة بهالة حمراء .

وفي الجلد عادة يصيب المرض المناطق حيث الاحتكاك والحرارة والرطوبة مثل منطقة الفخذ والعانة وتحت الصدر والابط . ويظهر المرض على شكل رقع حمراء عليها افراز وبعض الترسبات البيضاء وكثيرا ما يتسلخ الجلد من كثرة الاحتكاك والالتهاب . وقد يظل المرض محدودا في مناطق معينة من الجلد او ينتشر في جميع أجزاء الجسم حتى يشمل الجسم كله خاصة في الأطفال الرضع ، وقد يوجد الفطر في الامعاء حيث يمكن رؤيته بالميكروسكوب عند فحص البراز ، وقد يكون هو السبب في ازمان المرض في بعض المرضى اذا لم ينتبه اليه ويعالج .

ومن العوامل المساعدة والمهيئة لحدوث المرض وجود مرض السكر ، السمنة ، وكثرة العرق ، وكثرة البلل ، كما في حالة الغسالات وعمال المطابخ ، وكثرة تعاطى مضادات الحيويات ، وكثرة شرب الكحول، ونقص فيتامين ب المركب .

وهذا المرض معد حيث ينتقل من مكان لآخر في نفس الشخص ومن شخص لآخر كذلك ، كما ان المولود ممكن أن يصاب به اثناء الولادة اذا كانت الأم تعانى من هذا الالتهاب بالمهبل .

ولعلاج المرض يجب اعطاء الفيتامينات خاصة فيتامين ب المركب ، وملاحظة التهوية وعدم ترك الجسم مبللا ، وازالة اللطع والبقع البيضاء، واستعمال غسيل برمنجنات البوتاسيوم او حمض التنيك، واستعمال دهان الجنشيانا الازرق او كريم مثيوفورم ، وحاليا يستعمل لوسيون ومرهم نستاتين Nystatin ، بنجاح وكذلك حبوب نستاتين بالفم ،

مرضى هبوط القلب لهم غذاء خاص يجب أن يتبعوه بدقة

● هل هناك غذاء من الواجب اتباعه في حالة هبوط القلب ؟

ـ مريض هبوط القلب يحتاج الى أن تكون وجبته الغذائية صغيرة ، سهلة الهضم . وتكون على فترات قصيرة اى كل ساعتين او ثلاث ساعات، لا ان يتناول ثلاث وجبات كبار كما هو المعتاد. والأكل سهل الهضم هو الذى لايحتوى على كميات كبيرة من الدهن ، اذن يستحسن ان يكون الطعام مسلوقا او شواء والفاكهة اذا اكلت تؤخذ على هيئة عصير مركز طازج خوف ملء المعدة بالياف الفاكهة ، على ان تؤخذ بالياقها بعد تحسن حالة المريض حتى يمنع الامساك ، وكذلك لاتؤكل الخضراوات الطازجة بالياقها الا بعد تحسن حالة المريض ، وتؤخذ على هيئة عصير فى أول الامر كعصير الطماطم وعصير الجزر او مهروسه ، واللبن والحليب ومشتقاته كالجبن من الاطعمة سهلة الهضم التى تصلح لهؤلاء المرضى والتى تحتوى على كميات غنية من البروتينات التي يحتاجها الجسم وعلى سبيل المثال لاالحصر ، أسوق هذه الوجبات :

الفطور: كوب حليب ، وخبز توست، مربة ، شاى بحليب ، عصير برتقال ،

الساعة العاشرة : كوب حليب .

الغداء : شوربة خضار غير دسمة ، شريحة دجاج مسلوقة او مشوية، خضار مهروس كالبطاطا ، عصير طماطم ، عصير فواكه .

العشاء : كوب حليب ، عصير فواكه ، قطعة جبن ، قطعتان من التوست .

واذا احس المريض بالرغبة فى الطعام فليكن كوب حليب او عصيرا . والملح يكون قليلا اذا كان هناك تورم فى الجسم . وتزاد كمية الملح اذا زال هذا التورم ، او اذا كان المصاب يعرق بغزارة كما هو الحال فى فصل الصيف .

النساء الحوامل أكثر عرضة للاصابة باليرقان

● اصيبت زوجتي وهي حامل في شهرها الرابع بمرض اليرقان الكبدى، انني فى غاية القلق ، فهل يتم شفاؤها نهائيا أم يظل المرض يتهددها ؟

ـ مرض اليرقان (الصفراء) يطلق على اولئك المصابين باصفرار فى بياض العينين مع اصفرار فى لون الجلد واحمرار البول بالاضافة الى اعراض اخرى . واسبابه كثيرة من اهمها داء التهاب الكبد الوبائى وامراض المرارة .

وفى الغالب فان زوجتك مصابة بداء التهاب الكبد المعدى حيث انه واسع الانتشار ، وان النساء الحوامل اكثر عرضة للاصابة به . ويتسبب هذا المرض من اصابة خلايا الكبد بميكروب صغير جدا ، لا يرى حتى بالمجهر الضوئى ، ولكننا نتعرف عليه من خلال فحص الدم للمريض . وينتقل الميكروب بواسطة المواد البرازية للمريض اذا ما لوثت المأكولات او المشروبات ، كما أنها تنتقل عن طريق عمليات نقل الدم أو حقن الوريد أو العضل وذلك فى حالة تلوث الدم أو تلوث الابر المستعملة .

ويتماثل المريض للشفاء تماما خلال

علاج الملاريا يجب أن يبدأ فور تشخيص المرض

● اصبت بحمى الملاريا منذ ثلاثسنوات ورغم العلاج الا انها صارت تعاودني كل سنة فهل من علاج ناجع ؟

ـ حمى الملاريا تصيب الانسان فى المناطق الموبوءة والتي يكثر فيها البعوض (الناموس) الناقل لهذا المرض . واعراضها تختلف باختلاف طفيلي الملاريا الذى يصيب المريض . فهناك نوعان الاصابة فيهما فى اليوم الاول ثم ظهور الاعراض فى اليوم الثالث . ونوع آخر يصيب الانسان فى اليوم الاول ثم الثاني والثالث بدون اعراض وتظهر الاعراض فى اليوم الرابع . والنوع الرابع تكون الأعراض مستمرة . وتكون الاعراض فى النوعين الاولين على شكل الشعور ببرودة مع رجفة فى الجسم . ويحتاج الانسان الى التدفئة وتغطيته باغطية ثقيلة ثم بعد ذلك ترتفع درجة الحرارة ربما الى ٤٠ درجة مئوية . ويحس المصاب بالحرارة الشديدة مصحوبة بصداع شديد وقىء، وربما استمرت هذه الحرارة من ساعة الى ست ساعات بعدها يغمر العرق جسم المريض ويحس بعده بالراحة والميل الى النوم ويحس بانه شبه طبيعى فى اليوم التالي ، ثم تعاوده النوبة فى اليوم الثالث او الرابع حسب نوع الاصابة .

وتعرف نوع الاصابة بتحليل الدم ، وتؤخذ العينة أثناء ارتفاع درجة الحرارة حتى يمكن ان يرى الطفيلي بسهولة وهو ينتشر فى الدم . واذا عولجت بالدواء الخاص تجد انه من الممكن أن لا تعاود المريض ، ولكن فى بعض الحالات ـ ربما ذهب الطفيلي الى الكبد واختبأ فى خلاياها ثم يظهر من آن الى آخر ليسبب نكسة للمرض وتظهر الاعراض .

وعلاج الملاريا يجب ان يكون مبكرا حتى لايترك مضاعفات ، وهو يستجيب عادة لعشرة اقراص من الكلوروكوين Chloro Quin ٤ اقراص ثم بعد ٦ ساعات قرصان كل يوم لمدة يومين . وفى الحالات الثلاث يعطى الكلوروكوين لمدة اربعة ايام قرص ثلاث مرات يوميا ثم بعدها يعطى بريما كوين Prima Quin قرص مرتين او ثلاث مرات لمدة اسبوعين .

عدة اسابيع او عدة شهور فى ٩٥٪ من الحالات المرضية ولكن يجب الاشارة الى ان المرض يحمل فى طياته خطرا حقيقيا اذا ما حدثت احدى الحالتين التاليتين :ـ

١ ـ فى حالة اكتساح الميكروب لجميع خلايا الكبد : حينئذ تتدهور صحة المريض بسرعة خلال ايام قلائل وتصبح حياته فى خطر اذ تصل نسبة الوفيات الى ٨٠٪ ، وما توانى الاطباء عن علاج هذه الحالات باستعمال طرق كثيرة :منها عمليات استبدال دم المريض كله أو تنقية دم المريض خلال كبد حيوان آخر او استعمال كبد انسان توفى حديثا ، ولكن للاسف الشديد لم تنجح هذه المحاولات، وفى الآونة الاخيرة تم اختراع جهاز تنقية دم المريض من السموم المتراكمة فيه بسبب العجز الكامل لخلايا الكبد (وهى السبب المباشر للوفاة) ولحسن الحظ فان النتائج الاولية مشجعة .

٢ ـ فى حالة الشفاء الجزئى مع استمرار نشاط الميكروب مدة طويلة اذ ينتج عن ذلك تليف خلايا الكبد وقد ينتهى الامر بالمريض الى حالة التشمع الكبدى وما يحمل ذلك من مضاعفات .

والذى انصح به ان يمتثل المريض الى اوامر طبيبه ـ خاصة فيما يتعلق بالراحة التامة لمدة كافية ـ قد لا يراها المريض ضرورية ـ مع التزام دقيق بنوعية الطعام مع مراجعة الطبيب المختص .



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ كثيرا ما يحاول فلاسفة الأخلاق ـ لفرط حرصهم على ترغيب الناس فى القيم ـ ربط الأخلاق بالطبيعة البشرية ، وتأصيل جذور القيم الخلقية فى صميم الوجود الطبيعى . ومن هنا فاننا نراهم يؤكدون أن أصول « القيم » كامنة فى « الوقائع » ، وأن ثمة ضربا من التطابق بين ما هو « سوى » أو « صحى » من جهة ، وما هو « خير » أو « حسن » من جهة أخرى . وهذه النظرية الطبيعية الى « الأخلاق » هى التى حدت ببعض الفلاسفة الى جعل « القيم البيُولوجية » بمثابة الدعامة الكبرى لكل حياة خلقية ، وكأن « اللا ـ أخلاقية » هى الخروج عن سنن «الطبيعة» أو كأن « الشر » هو التعدى على « القيم البيولوجية » وهكذا اقترنت « الاخلاق » ـ فى نظرهم ـ بالسهولة ، والتلقائية ، واليُسر ، ولم يعد « الالزام الخلقى » ـ فى رأيهم ـ سوى مجرد « نداء طبيعى » يهيب بالانسان أن يسير وفقا لما تقضى به قواعد الصحةالجسمية والنفسية . وما دام الموجود البشرى ـ فيما يرى هؤلاء ـ مجرد « كائن طبيعى » تتحكم فى كل سلوكه بعض « القيم البيولوجية » . فلا جرم أن تكون « الاخلاق » امتدادا طبيعيا للتلقائية الاصلية التى تملى عليه طلب « اللذة » ، والانصراف عن « الألم » !

هل نقول : «ان الأسهل محمود ، والأعسر مذموم»!؟

.. اننا لنعرف ـ بطبيعة الحال ـ كيف أن « اللذة » (كما قال ارسطو من قديم الزمان) « بيِّنة » طبيعية لا تحتاج الى تفسير ، ولا تفتقر الى تبرير : فانها « واقعة » سهلة " تملك من قوة الاقناع وسحر البيان ما يَعجِز عن الرد عليه أيُّ منطقٍ عقلى ، كائنا ما كان ! وقديما قال أجدادنا العرب : « الراحة فى اتباع ما يسهل : فان الأسهل محمود والاعسر مذموم » ! أجل ، نحن على ثقة من أن « اللذة » لا تحتاج الى كبير عناء حتى تفرض نفسها علينا : لاننا جميعا نقبل عليها من تلقاء أنفسنا،دون أن نسائل ذواتنا كيف يمكننا تفسيرها ، أو لم كانت « المتعة » أمرا مرغوبا فيه!

ولكن ، اذا كانت القدرة الصغيرة من «اللذة» قد تكون كافيةً أحيانا لبَلبَلة الرأس الكبير ، أفلا يجدر بفيلسوف الاخلاق أن يتردد قليلا ، قبل أن يدعوَ الناس الى الاستجابة لنداء « الطبيعة » ؟ ألا تدلنا التجربة على أن الانقياد لسحر « اللذة » كثيرا ما يهدد الارادة باعتياد السهولة ، وعندئذ لا تلبث الذات أن تفقد القدرة على المقاومة ، لكى تنتهى فى خاتمة المطاف الى الوقوع تحت رحمة دكتاتورية الجسد ؟ ألسنا نلاحظ ـ فى العادة ـ أن « النفس ـ بطبيعتها ـ عن الحق أنفر ، وللهو آثر » (كما قال الماوردى فى كتابه « أدب الدين والدنيا ») ؟ واذن فهل من عجب أن نرى بعض فلاسفة الاخلاق ـ وعلى رأسهم دعاة مذهب الواجب ـ يفيضون فى ذم « فلسفة اللذة » : لانهم يلاحظون أن الضمير المرهف يجزع من حياة السهولة ، وينفر من عملية الاستسلام للشهوات، ويأبى أن ينزلق الى حياة التلقائية والاشباع المباشر !؟ صحيح أن « السهولة » هى سبيل الراحة ، وطريق الجهد الاقل ، ولسان حال



التلقائية الطبيعية ، ولكنها في الوقت نفسه نداء الهوى ، وصوت اللذة السريعة العابرة ، ولسان حال الشهوة التى تعمى وتصم : تعمى عن الرشد ، وتصم عن الموعظة ! وقديما قال الامام على (رضى الله عنه) « الهوى عمى » !

لا « أخلاق » بدون « جهد » و « عسر » و « مشقة » !

هنا قد يعترض معترض فيقول : « ولكن ، فيم الحرص على ربط الاخلاق بالشدة والضيق والعسر ؟ أليس من مصلحة المربين والمصلحين ورجالات الاخلاق أن يصوروا للناس حياة الفضيلة بصورة الحياة السهلة ، الهينة اليسيرة ، بدلا من أن يصوروها لهم بصورة الحياة الصعبة ، الجهيدة ، العسيرة ؟! . »

وردنا على هذا الاعتراض انه ليس ثمة «أخلاق» بدون « جهد » ، كما أنه ليس ثمة « جهد » بدون « عسر » . صحيح أننا كثيرا ما نلتقى بكتب رخيصة يحاول أصحابها (مثلا) أن يضعوا بين أيدينا وسائل سهلة لتعلم « اللاتينية » (أو غيرها من « اللغات ») بدون أدنى صعوبة ، ومن دون أى « جهد » ولكن التجربة نفسها سرعان ما تظهرنا على أنه ليس ثمة « تعلم » يمكن أن يتحقق في جو ملؤه الراحة ، واللذة ، والمتعة المستمرة !

وحينما سئل الان Alain يوما : « كيف يتعلم المرء العمل ؟ » ، كان جوابه أن « المرء لا يتعلم العمل الا حين يعمل» ، بمعنى « حين يقوم بالجهد ، وحين يلتقى بالعائق ، وحين يعرف معنى العسر»! ونحن نعرف كيف ظل الفيلسوف الفرنسى الكبير جاستون باشلار يعمل حتى آخر نسمة من حياته وكيف أنه كتب يوما يقول ـ في ختام كتاب من كتبه المتأخرة (١) ـ : « ما زال على أن ادرس هذه المشكلة ، وأنا أطمع في دراستها بتوسع أكبر ، في كتاب أصعب ، كتاب آخر أجد في كتابته المزيد من الجهد ، والعسر ، والشدة ! » وكانت حجة باشلار في ذلك أن الفكر لا يمارس نشاطه الحقيقى الا حين يجد نفسه بازاء « مشكلة » تسبب له من « التوتر » ما يستطيع معه أن يتحدد، ويتكون، ويتعمق !

والواقع أن قانون الفعل البشرى ـ في كل زمان ومكان ـ هو قانون الجهد المتزايد الذى لا يكف عن السعى وراء « ما هو أعسر » ! وليس من شأن التعليم أن يوفر على التلميذ كل « جهد » ، أو أن يجنبه مشقة الاصطدام بـ « العائق » ، بل أن من واجب المربى الحقيقى أن يدع للطفل فرصة اعتراك الشدائد ، ومواجهة الصعاب ، حتى يعلمه كيف يواجه الحياة بروح المغامر الشجاع الذى يعرف كيف يحيل « العائق » نفسه الى «واسطة». حقا ان من واجب المربى ألا يضع أمام الطفل عقبات عسيرة تثبط همته ، أو صعوبات هائلة تعوق حركته ، ولكن من واجبه ـ على الأقل ـ أن ينمى في نفس الطفل الرغبة في مواجهة الصعاب ، والقدرة على مجابهة العوائق . وهو لن يستطيع أن يضمن له أدنى قسط من الصلابة النفسية ، اللهم الا اذا عوده ـ منذ نعومة أظفاره ـ حياة العسر ، والمشقة ، لا حياة اليسر ، والتساهل ، والليونة .

كما أن الطفل لا « يتعلم » الا حين « يعمل » ، و « يجتهد نفسه » ، و « يواجه الصعاب » ، فان الانسان البالغ أيضا لا « يترقى أخلاقيا » ، الا حين « يتصاعد » ، و « يتحامل على ذاته » ، ويرفض مبدأ « التساهل مع النفس » ! وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول : « ان الهبوط دائما سهل ، في حين أن الصعود ـ باستمرار ـ عملية عسيرة شاقة » . والاخلاق ـ بحكم تعريفها ـ عملية « تخلق » ينتقل فيها الانسان من مستوى

(1) G. Bachelard : « La Flamme de la Chandelle », Paris, P. U. F.; 1961; Conclusion.

« الحضارة » ، متصاعدا بذاته من عالم «الوقائع» الى عالم « القيم » . وحينما قال المسيح (عليه السلام) : « ادخلوا من الباب الضيق » ، فانه كان يعني ان « الباب الرحب » هو باب التساهل ، والتهاون ، والتسامح مع الذات ، في حين ان « الباب الضيق » هو باب التشدد ، والصرامة ، ومحاسبة النفس . ولو اننا اعتبرنا « الاخلاق » مظهرا من مظاهر « الجمال » و « الانسجام » في الحياة البشرية ، لكان في وسعنا ان نقول مع برجسون : « ان كل ما هو صعب عسير لابد بالضرورة من ان يكون جميلا دائما . » ! أليست « الصعوبة » علامة على « الاتقان » ، ودليلا على جودة التحقيق ؟ ومن جهة اخرى ، أليست « السهولة » علامة على « التسرع » ، ودليلا على « تعجل النتائج » ؟

السهولة هي « التسرع » و « السبق الى الحكم قبل النظر » !

لقد قال بعض حكماء العرب : « ان الجاهل ينظر بعينه وناظره ، في حين ينظر العاقل بقلبه وخاطره » . وهذا هو السبب في ان العاقل كثيرا ما يتهم نفسه في صواب ما احبت ، وتحسين ما اشتهت،ليصح له الصواب ، ويتبين له الحق. ويعلق احد فلاسفة الأخلاق العرب على هذا الرأي فيقول : « ان الحق أثقل محملا ، واصعب مركبا، فان أشكل عليك أمران فاجتنب أحبهما اليك ، واترك اسهلهما عليك » . وواضح من هذا التعليق ان « السهولة » ـ في نظر هذا الحكيم الاخلاقي ـ « قاعدة مرذولة : لانها تعني الاستسلام لدواعي الهوى ، والركون الى خداع الاوهام » . ولعل هذا ايضا ما عناه العباس بن عبد المطلب حين قال : « اذا اشتبه عليك امران ، فدع احبهما اليك ، وخذ اثقلهما عليك » : وعلة هذا القول ان الثقيل تبطيء النفس عن التسرع اليه ، فيصبح ـ مع الابطاء وتطاول الزمن ـ اوضح وأصح ، وبذلك يتضح صواب ما استبهم ، وتظهر حقيقة ما استعجم (على حد تعبير الماوردي) . والى هذا المعنى ايضا ذهب علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ حين قال : « من تفكر أبصر ، والمحبوب السهل تسرع النفس اليه ، وتعجل بالاقدام عليه ، فيقصر الزمان عن تصفحه ، ويفوت استدراكه ، ليقضي فعله ، فلا ينفع التصفح بعد العمل ، والاستدراك بعد الفوت » .

والحق ان السلوك الاخلاقي حليف التدبر ، والتروي، والاستبصار ، فلا يمكن للفاعل الاخلاقي ان يستسلم للتلقائية ، والتسرع ، والحكم المندفع المبتسر ، اللهم الا اذا انساق وراء « السهولة » ، واستجاب لداعي « التساهل » ولا شك ان الخطأ الاخلاقي كثيرا ما يكون وليد ضرب من « التهاون » الذي يستثقل معه المرء اعمال فكره في تمييز ما اشتبه ، وعندئذ تراه يطلب الراحة في اتباع ما يسهل ، دون ان يفطن الى انه بذلك يقع صريعا لدواعي الهوى واوهام اللذة ! وليس أيسر على الانسان ـ بطبيعة الحال ـ من ان يركن الى « العادة » ، او ان يستسلم لآلية « الروتين » ، ولكنه ـ عندئذ ـ انما يحيل نفسه الى « موجود طبيعي » صرف ، يصدر في سلوكه عن انماط متحجرة « العادات » دون ان يستخدم ما لديه من « حرية » في « تعليم » ما يريد تحقيقه من افعال » .

ومهما يكن من أهمية « العادات » في حياة الانسان ، فان من المؤكد أن الانسان الذي لا يصدر في كل سلوكه الا عن امثال تلك « الانماط الحركية » الجاهزة ، سرعان ما يستحيل الى « جهاز آلي » تديره الظروف،وتتحكم فيه المؤثرات الخارجية. وعلى حين ان « الاستمرار » دائما « سهل » : لانه لا يزيد عن كونه مجرد «قصور ذاتي» انجدان البداية دائما « صعبة » : لانها عملية انطلاق تفتقر الى « ارادة » . ومعنى هذا ان اتباع العادات امر سهل ، ولكن اقتلاعها امر صعب ، لأن مثل هذا الاقتلاع يستلزم ضربا من « المقاومة » ، ويتطلب معاودة البدء من جديد ! واذن فليس أثقل على الانسان من البداية ، او معاودة البدء ، لانه يحتاج عندئذ الى تعبئة كل طاقاته ، وشحذ كل ارادته ، من أجل العمل على القيام بذلك « الفعل الجهيد » الذي اعتدنا ان نسميه باسم « فعل المبادأة » ! وعلى حين ان «العادة» استمرار ، واتصال ، ورتابة ، وآلية ، نجد ان « المبادأة » انطلاق ، ومشيئة ، وارادة وحرية ! ولعل هذا هو السر في ان « الفعل الاخلاقي » قد بدا للكثير

من فلاسفة الأخلاق بطابع « الفعل الحر » الذى يقول للشيء « كن فيكون Fiat » ، أليست « الأخلاقية » اذن صورة من صور « الابداعية » ؟!

هل تكون « الشجاعة » حليفة « الصعوبة » ؟!

ان المتأمل في كتب حكماء الأخلاق ـ قديماً وحديثاً ـ ليلاحظ أنهم قد أجمعوا الرأى على القول بأن « الشجاعة » هى فضيلة الفضائل ، ان لم تكن هى صميم « الروح الاخلاقية » . وربما كان السر في هذا التوحيد بين « الشجاعة » و « العاطفة الخلقية » ، ما لاحظه فلاسفة الأخلاق من أن « الشجاعة » حليفة « الصعوبة » ، في حين أن « الجبن » لا يكاد يفترق عن «السهولة» ، و « السهولة » افساد لكل فضيلة . ويحاول احد فلاسفة الأخلاق المحدثين (الا وهو رنيه لسن Rene le senne) رد كل « الفضائل » الى فضيلة « الشجاعة » ، فيقول ان فضيلة الانتصار على اغراءات الاسراف هى التى تجعل من الادخار فضيلة ، في حين أن انعدام فضيلة مقاومة الأهواء الانانية هى التى تجعل من البخل رذيلة . وبالمثل ، يمكننا أن نقول ان فضيلة الشجاعة الأدبية (التى نستطيع معها مواجهة اعتراضات المعترضين) هى التى تخلع على التفكير الشخصى طابعه الأخلاقى ، كما ان شجاعة المرء في الحكم على نفسه هى التى تكون فضيلة « الأمانة الخلقية » ، أو « فحص الضمير » ، وهلم جرا . بل أن بعض فلاسفة الاخلاق ليذهبون الى حد أبعد من ذلك ، فتراهم يؤكدون ان الاستمرار على طريق الفضيلة يستلزم ضربا من الشجاعة ، كما أن الاقلاع عن القيام بأفعال « الأنانية » ، أو مظاهر « الكبرياء » او تصرفات « التهور » يستلزم أيضا قدرا غير قليل من « الشجاعة » . وحينما تجيء «العادة» فتجعل من أى « فعل خير » نقوم به ـ ضربا من « السلوك السهل » أو « العمل اليسير » ، فهنالك يحاول « الضمير » زحزحتنا عن تلك العادة ، والعمل على دعوتنا الى تجاوز ذلك « الفعل الآلى السهل » ، من أجل استثارة ما لدينا من «شجاعة» قد تكون هى الكفيلة باتاحة الفرصة لنا من أجل احراز « نجاح » جديد !

والحق أنه ليس يكفى أن نقول ان «الشجاعة» هى روح كل « حياة خلقية » ، وكل « شعور خلقى » ، بل يجب أن نضيف الى ذلك أيضا ان « السهولة » (وهى التعبير الموضوعى عن«الجبن») مرض أخلاقى يترتب عليه فساد كل الفضائل . وآية ذلك أن « السهولة » حين تدب في أوصال « الشفقة » ، فانها تحيلها الى « تأثر وجدانى كاذب » ، قد يترتب عليه من « الشر » أكثر مما قد ينجم عنه من « خير » ! وبالمثل ، يمكننا أننقول ان من شأن « السهولة » أن تحيل « المحبة » الى مجاملة سطحية ، أو نفاق كاذب ، أو رياء محض ، كما أن من شأنها ان تحيل « الذكاء » الى دهاء ، أو مكر ، أو خبث ، وهلم جرا . ولهذا يقرر احد حكماء الاخلاق أن « الشجاعة هى بمثابة الملح الذى يحول دون فساد النفس البشرية » !

واذا كانت الصلة وثيقة بين « الاخلاق » من جهة ، و « العسر » من جهة أخرى ، فما ذلك الا لأن المبدأ الاخلاقى الاول ـ في كل حياتنا البشرية ـ انما هو ذلك الذى يقول : « تغلب على العائق » ، أو « حاول الانتصار على الصعاب » ! وليست « الشجاعة » سوى مجرد « تعبير واقعى » عن هذا الشعور الخلقى الذى يحفزنا دائما الى مواجهة العائق ، ومقاومة الواقع ، من أجل العمل على تجاوز الفشل ، وتخطى سائر العقبات .

وعلى حين أن «مبدأ السهولة» يرفض ـ أصلا ـ فكرة « المقاومة » ، ويقنع منذ البداية بحياة « التكيف مع الواقع » ، نجد أن «مبدأ الصعوبة» هو الذى يدعونا دائما الى « رفض » العائق ، والعمل على « تجاوز » الواقع . ولو كانت « الاخلاق » مجرد عملية « تكيف مع الواقع » ، لما كان ثمة موضع ـ في الحياة الاخلاقية كلها ـ لفضيلة « الشجاعة » التى تعنى ـ في أصلها الاشتقاقى ـ « الرجولة » ، و « الصلابة » ، و «القدرة» على تطعيم « الواقع » بمصل «القيمة»! واذن أفلا يحق لنا أن نقول : ان كل ما يحمل معانى « العسر » و « الصعوبة » ، لا بد من ان يكون ذا طابع اخلاقى ، لانه لا بد بالضرورة من أن يجيء منطويا على أفعال «الشجاعة» و«المقاومة» و « الصلابة » ؟

هل نقول ان الانسان عن الحق انفر ، وللباطل آثر ؟!

وهنا قد يعود أنصار « السهولة » الى الاعتراض فيقولون: «لماذا تأبون الا أن تصوروا لنا «الفضيلة» بصورة « الجهد العسير » الذي يستلزم من الانسان ضربا من « الشجاعة » أو « الارادة » أو «التحامل على الذات » ؟ ألسنا نلاحظ أن فضيلة «الصدق» ـ مثلا ـ هي مجرد « فعل تلقائي » لا يقتضي من صاحبه أكثر من تصوير الواقع على ما هو عليه، دون أدنى زيادة أو نقصان ؟ أفلا يكون «الصدق» ـ اذن ـ سلوكا سهلا يقتصر فيه المرء على مسايرة طبيعته الأصلية التي تلزمه باحترام « الواقع » ؟ .. « ـ وردنا على هذا الاعتراض أن الانسان ـ أولا ـ ليس مجرد آلة تصوير أو جهاز تسجيل، بل هو ادراك يلتقط ويميز، وذاكرة تتخير وتستبقي ومن هنا فان الانسان كثيرا ما لا يرى بعض ما تقع عليه عيناه ، كما أنه قد لا يسمع أحيانا بعض ما يطرق باب أذنيه ! وحينما قال أحد علماء النفس: « ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يستطيع ان يكذب » فانه كان يعني بذلك ان الفاصل (عند الموجود البشري) بين الحقيقة والخيال ، بين الواقع والوهم ، بين الموجود والممكن ، فاصل دقيق كحد الشعرة ! هذا الى أن « سوء الطوية » الذي يميز الموجود الناطق هو المسئول عن كونه « الحيوان الكذوب » الذي يستطيع أن يدعو الى الوجود ما ليس بموجود ! وقد يقسم الانسان ـ امام القاضي ـ أن يقول الحق ، والا يقول الا الحق ، ولكنه يضع تحت كلمة « الحق » أمشاجا عجيبة من الواقع والخيال ، والوهم ، والشعر، والأسطورة، والخرافة ، والكذب ، والاختلاق !(٢)

ونعود الى التساؤل فنقول : « أيهما أيسر : قول الصدق ، أم التفوه بالكذب » .. ان الكذب ـ بلا شك ـ تورط في عالم « اللا ـ واقع » ، واستسلام غير محمود العواقب لخيالات «الممكن» أو « المحال » أو « اللاموجود » ، ولكنه في الوقت ذاته اختلاق يتضمن ضربا من السعي وراء المنافع، وتحويرا للحقيقة حتى تصبح أكثر تلاؤما مع أهوائنا ورغباتنا ! انه « الحل السهل » الذي لا يتحرى « الموضوعية » ، ولا يلتزم « الدقة » ولا يحترم « الواقع » ! انه صوت « الهوى » الذي يزين لنا ان « الواقع » على نحو ما نريده نحن أن يكون فلا نعود نبصر منه الا كل ما يروق لنا ! وحينما قال أحد فلاسفة الاخلاق المعاصرين « ان الكذب أفيون الجهد الاقل » ، فانه كان يعني بذلك أن الكذوب انسان هو على استعداد للتنازل عن كل المزايا البعيدة التي يمكن أن يجتنيها من وراء قول الصدق ، في سبيل الحصول على بعض المكاسب الرخيصة القريبة التي يوفرها له الكذب !ومعنى هذا ان الكذب انتهاج للمسار القصير ، أو ـ على الأصح التجاء الى طريق « المقاومة الاقل » La ligne de moiudre resistace وعلى حين ان قول الصدق ينفذ بنا الى عالم الـ « نحن » (حيث التبادل ، والتواصل ، والمشاركة) ، نجد ان قول الكذب ينفذ بصاحبه الى عالم الـ « أنا » (حيث الوحدة ، والعزلة ، والانطواء على الذات) ! وكثيرا ما يكون احتماء الفرد بقوقعة الكذب مجرد تعبير عن تمسك الانسان بالحل السهل الذي يمثل« أدنى حد » اقتصادي في عالم العلاقات البشرية !

كلمة أخيرة

وبعد ، الا ترى معي ، يا عزيزي القارىء ، ان أعدى أعدائنا اليوم ـ في المجتمع العربي المعاصر ـ هو هذا التساهل الاخلاقي الذي يجعلنا نرفض الجهد ، ونضيق بالمقاومة ، وننفر من الصعاب ؟ أليست « أخلاق السهولة » هي المسئولة ـ الى حد كبير ـ عما انحدرنا اليه من فساد خلقي ؟ واذن أفلا يجدر بنا ـ ساسةً كنا أم مربين أم مصلحين أم غيرَ ذلك ـ أن ندرّبَ أبناءنا من الشباب على حياة العسر ، والمجاهدة ، والمشقة ، حتى نخلق منهم رجالا أقوياء يعرفون ان « الشدائد » وحدها هي التي تصنع « الأبطال » ، وأن « الأبطال » وحدهم هم الذين يصنعون « التاريخ » ؟ ■■

زكريا ابراهيم

(٢) زكريا ابراهيم : « مشكلة الانسان » ، القاهرة مكتبة مصر ١٩٦٧ ـ ص ٦٩ ـ ٧١ .



الشعر العربي بين العامية والفصحى

بقلم : الدكتور احمد الشرباصي

الاستاذ بجامعة الازهر

■ انه كتاب « الشعر العربي بين العامية والفصحى » للاستاذ الشاعر عبد الله زكريا الانصاري ، هو ثالث كتاب يقدمه الى المكتبة العربية، فقد سبقه كتابه القيم « فهد العسكر : حياته وشعره » ، وكان لونا من الوان الوفاء للشعر والشعراء ، ولبلد الباحث وقومه ، وسبقه ايضا كتابه : « مع الكتب والمجلات » الذي يعطينا صورة واسعة للمتابعة الادبية التي يقوم بها الباحث في ارجاء الوطن العربي .

وهذا الكتاب الحاضر كان في اول امره مجموعة من المقالات تناثرت على طائفة من مجلات الادب ، وفي طليعتها « مجلة البيان » الكويتية ، ولكن خيطا قويا من الربط والتلاقي كان يجمع بين هذه المقالات ، ويشد بعضها الى بعض ، فهي كلها تدور حول الشعر ورأي الباحث فيه ، ورايه في نقد الشعر ونقاده ، والاخطاء التي يقعون فيها، وموقفه من الشعر الفصيح والشعر العامي ، ورايه في التجربة الشعرية .

قيمة الكتاب

وبدأ المؤلف حديثه ببيان قيمة « الكتاب » ـ اي كتاب ـ لان الكتاب هو اهم دعامة من دعائم بناء الامم وتقدمها ، ورفع مستواها الفكري ، والكتاب الموفق هو عصارة من عصارات الفكر والعقل ، والمرء باصغريه : قلبه ولسانه، ويوحي الكاتب الى قومه العرب بان يعنوا كل العناية بامر الكتاب ، لان الامة لا تقدر على حل مشكلاتها ، والنهوض بواجباتها الا اذا كان الكتاب رائدا يدلها على حل المشكلات ، وفك الرموز ، وبذلك يعد الكتاب دليل رقي الانسان وتقدمه .

وليس المهم هو ان يقرأ الانسان كيفما كانت القراءة ، لان الكتب الوان وانواع ، وهناك امم تقرأ للتسلية او تزجية الفراغ ، وهذه امم ليست جديرة بالبقاء . ويضيف المؤلف قوله : « ان الكتاب في هذا العصر المتقدم يحتل اكبر منزلة واهمها ، لتربية النشء وتقويمه ، فالكتاب الجيد الممتاز يربي جيلا ممتازا ،والكتاب الرديء يؤثر في النشء فيطلع جيلا ضعيفا رديئا . والمجتمع الحي المتطور يعرف كيف يختار كتبه التي ينشيء بواسطتها جيلا قويا يستطيع ان يضطلع باعباء الحياة ، وحياة هذا العصر حافلة بالاعباء الثقيلة ، والعقد الكثيرة ، واذا لم يستطع المجتمع ان يختار لنشئه الكتب الناضجة التي تربي في روحه وفي عقله حب هذه الحياة ومعرفة مشاكلها وحمل اعبائها وحل عقدها ، لا شك انه سيخسر جيلا من الاجيال التي يعتمد عليها في بناء مستقبله بناء يتناسب وتقدم العصر وتقدم الحياة » .

كتب لتضليل الشعوب

ويشير المؤلف الى أن بعض الامم أخذت بسبب من بقيها تسيء استغلال الكتاب لتضليل الشعوب، او تخديرهم ، أو تدميرهم ، حيث اصبحت الغزوات الاستعمارية غزوات فكرية ، وقد كانت ـ من قبل ـ غزوات عسكرية ومادية ولذلك يعد « الكتاب » ـ كما يقرر الباحث ـ اخطر ملامح فى هذا العصر ، واهم وسيلة لتقدم الامم وازدهارها ، كما أن ضعفه اهم وسيلة لتاخر الأمة التى لا تعرف كيف تميز الخبيث من الطيب ، والكتاب أصبح ضرورة من ضرورات العصر ، ولهذا وجب على الأمة ان تختار كتابها المفضل الذى تعتمد عليه فى تربية جيل حى قوى .

النقد الأدبى

وكما سلط المؤلف مصباحه الكاشف على منزلة الكتاب وأثره ، سلطه على « النقد الأدبى » ، الذى هو تمييز العمل الفنى : جيده من رديئه ، وصحيحه من زيفه ، ويتمى الباحث على هذا النقد الأدبى حظه الاسود عند كثير من الناس ، لأننا اذا امعنا النظر وجدنا كثيرا من التضليل والزيف فى نقد الأدب شعرا أو نثرا ، لأن أكثر النقاد يتأثرون تأثرا كبيرا بالعلاقات الشخصية التى تربطهم بالشاعر أو الأديب الذى ينقدونه ، ويتأثرون بميولهم وآرائهم الخاصة التى تدفعهم الى النقد، وقد يخلطون بين النقد الادبى ، والحديث عن الامور الشخصية ، والتصرفات الذاتية ، فتسيطر عليهم عاطفة الحب او عاطفة البغض ، فيبعد نقدهم عن الحقيقة ، وينأى عن الواقع ، وبذلك يضرون بنقدهم ولا يفيدون ، وقد كان الزم اللوازم للناقد ان يتجرد من ميوله الذاتية وعواطفه الشخصية ، كما أن من واجب الشخص المنقود أن ينظر الى هذا النقد الواقعى بعين الرضى ، وأن يستفيد به، لانه لا يوجد انسان منزه عن الخطأ .

ظاهرة الالحاح فى بيان الفكرة

ونحن نشهد فى كتابه وأسلوبه ما نستطيع أن نسميه « ظاهرة الالحاح فى بيان الفكرة «والتوسع فى رسم الصورة » ، وهذا قد يعده بعض الناس اطنابا أو اسهابا ، ولكنه يدل على امتلاء الكاتب بالفكرة ، وهذا الامتلاء يدفع الكاتب الى هذا البيان المنفسح ، ليملأ قلب قارئه بما امتلأ به الكاتب .

ومن شواهد ذلك أنه يحمل على أولئك الناقدين المخادعين المضللين ، وبعد أن يصول فى حملته ويجول ، يضيف قوله : « وهكذا نرى أن النقد فى هذا العصر وصل الى درجة التضليل والخداع على مستوى السياسة ، ووصل الى درجة النفاق والأهواء الشخصية على مستوى الادب ، وكادت الحقيقة أن تنطمس فى هذه التيارات المتصارعة ، والاهواء المتضاربة ، والمصالح المادية ، والعواطف الشخصية .

ولهذا وجب على الناقد الحر أن يكشف النقاب عن كل انحراف يُخل بالنقد ، وأن يرفع الغطاء عن كل وجه يحاول التستر وراء الأهواء والتضليل، وأن يبحث عن الحقيقة اينما كانت، وحيثما وجدت وان يَفضح النقاد الذين يختفون أو يحاولون الاختفاء وراء اساليب النقد التى يتبعونها ، أو خلف أساليب المديح والاطراء الذى يقذفونه على الناس بدون وزن وبدون حق ، سـواء كانوا مظلومين بهذه التصرفات والاساليب أو غير مظلومين، اى سواء كانوا متعمدين اتباعها أو غير متعمدين . ذلك لأن تصرفاتهم هذه خطر على الأمة ، وَوَبَال على المجتمع وما داموا هم مصدرها ، اذن فهم مصدر الخطر ، وبالتالى يجب محاربة الخطر والقضاء عليه ، حتى لا يتفشى بين الناس ، ويمتد وينتشر ، كالوباء تماما ، ان لم تقض عليه ادى الى الانتشار وان لم تعزله عن الناس سرى بينهم وفتك بهم .

رأى فى الشعر ، كيف يكون

ويقبل الكاتب على « حرم الشعر » ، الشعر القائم على المعاناة النفسية ، والاداء المعبر بوضوح عما تعانيه النفس الصادقة والشعر المرهف ، مع الأسلوب البليغ ، لان المعنى الرفيع لا بد له من أسلوب رائع يصور المعنى ويعبر عنه ، ولا بد للمعنى الجليل من الاسلوب الجميل ، وما أكثر المعانى التى ضاقت بسبب اضطراب الكلمات وضعفها ، وركاكة الاسلوب وتفككه ، وقبح الاطار الذى وضعت فيه .

وفي رأى الباحث ـ وهو محق فى رأيه ـ ان للشعر السليم مقومات ، فى طليعتها التمكن من السيطرة على أصول الشعر وقواعده ، والموهبة الشعرية ، لان الشعر ليس علما ولا حرفة ولا هواية ، وانما هو شعور واحساس ، وفيض عاطفة ووجدان .

واللغة هي قوام الشعر الذى يستمد منه الشاعر مَعينَه تعبيرا وتصويرا ، وبلاغة وبيانا ، والشاعر محتاج الى حسن الاختيار لالفاظه وكلماته ، والشاعر الذى يحس في نفسه دوافع الشعر ، والرغبة الملحة فى التغنى به للتعبير عن مشاعره ووجدانه ، يجب عليه اولا ان يجيد لغته اجادة تامة ، ويعرف اسرارها ، ويتقن عناصرها المهمة التى تقوم عليها فى الاداء والتعبير ، وان يتمكن من معرفة قواعدها واصولها التى لا يستمر بقاؤها بدونها ، والتى قد تتطور ولكنها لا تفنى ، ومتى تمكن الشاعر من هذه الاصول والقواعد ، استطاع ان يعبر عن خلجات نفسه تعبيرا سليما واضحا دون لبس او ابهام .

الشعر الحديث

الكاتب يقاوم ما يسمى بتجربة (الشعر الحديث) ، التي كثر الخائضون فيها ، وخلطوا بين الاصالة وغير الاصالة ، وساووا بين العمق فى هذه التجربة ، والسطحية التي اخذت تطفو فى كلامهم ، حتى دخلت تجربة « الشعر الحديث » فى متاهات ومنعرجات لاتمت الى الشعر بصلة ، لان النغم والايقاع ـ وهما ميزتا الشعر الاصيل ـ يكادان يختفيان فى هذه المتاهات والمنعرجات ، كما ان الصور الشعرية والرؤى الفكرية المجنحة تكادان تضيعان فى دروب ملتوية غامضة .

ويحمل الكاتب حملة قوية على هؤلاء الذين يتحللون من القواعد والاصول التي التزم بها الشعر العربي ، لانهم لن يصلوا الى نتيجة فى شعرهم الذى هو الى النثر اقرب منه الى الشعر ، حيث لاتجد فيه حرارة الشعر ولا روح الشاعر ، والشعر العربي شعر غنائي مشحون بالعواطف المشبوبة والمعاني الرفيعة ، والصور المجنحة ، والمشاعر الحارة

ولا شك ان كثيرا من مقطوعات الشعر المسمى « الحديث او « الحر » او « المرسل » ، مغرق فى الرموز الغامضة والتعبيرات المبهمة التي لايصحبها حقها من الوضوح والابانة ، ولا يحيط بها حقها من التصريح والكشف ، وهذا الكثير من هذا الشعر كالفن التشكيلي المعاصر المغرق فى الغموض والابهام .

ويتساءل الكاتب لماذا يسمى هذا الشعر الذى ينطلق من افواه بعض الناس ، ولا يلتزم الاصول والقواعد بالشعر الحديث ، وما هو معنى الحداثة فى الشعر ؟ ان الانصاف يقضى بان نقرر ان الشعر الحديث هو الشعر الذى ياتي بالجديد من المعاني ولاياتي بكلام معاد مكرر مملول . واذا كنا لانطالب الشاعر بان يلتزم قافية واحدة فى القصيدة ، ولا ان يلتزم بوزن واحد فيها ، فاننا فى الوقت نفسه لانريد ان يتحرر الشاعر من الوزن والقافية ، فما الذى يبقى من اصول الشعر بعد فقدانهما ؟

شعر المهجر

وهؤلاء هم شعراء المهجر قد ابدع كثير منهم فى الشعر ، وجددوا فيه تجديدا رائعا ، ومع ذلك لم يتحللوا من اصول الشعر وقواعده ، ولذلك يطلب الباحث من شعراء الشعر الحديث ان يجددوا ويحدثوا فى الشعر بحسب اصول وقواعد ، وان يجددوا ويحدثوا في المعاني التي تسمو بالشعر ، لان التجديد فى المعاني اهم بكثير من التجديد فى الشكل والهيكل ، وحتى طابع القصيدة المميز يمكن التجديد فيه والابداع به ، بحيث يكون هذا التجديد وذاك الابداع منتظمين حسب قواعد واضحة ، واصول ثابتة ، لايسيئان الى الشعر العربي ، ولا الى بلاغته الرفيعة ، وبيانه السامي .

الفن التشكيلى المعاصر والشعر الحديث

ويبين الكاتب الاديب صلة الفن التشكيلي المعاصر بالشعر ، ويشير الى ان الغموض والابهام اللذين اصيب بهما هذا الفن اصيب بهما ما يسمى « الشعر الحديث » . ويعلل لهذا الوضع بان مشكلات الحياة وتعقيداتها الكثيرة هي التي اثرت فى هؤلاء الفنانين والشعراء ، فاخذوا يعبرون بهذه اللوحات وتلك المقطوعات الشعرية عن التعقيدات والازمات النفسية التي سببتها لهم هذه المحن ، فجاءت لوحاتهم وقصائدهم وفيها ظلال هذه الازمات وتلك التعقيدات .

ولذلك نرى الرسوم التى يعرضونها في المعارض ليس لها طابع" مشهود ولا معنى معروف ، والشعر الحديث نقرا اكثره فلا نحس فيه موسيقى الشعر ولا اصالته ولا ايقاعه الجميل ، بل ولا نفهم معنىً لكثيره ، لان اصحابه يميلون الى التعمية والتخفية . والفنان الاصيل يستطيع بمقدرته الفنية ان يعبر تعبيرا صادقا عن معاناته ، ويعكس بفنه مشكلات مجتمعه ، ويقربها الى الناس بصورة بليغة مؤثرة ، ويضع المعالم الواضحة على الطريق الذى يسير عليه الناس .

وماأشد احتياج المجتمع العربي الى الفنان الأصيل الذي يستطيع بفنه أن يدل على الطريق السوي الذي يسير عليه نحو جمع شتاته ، وتوحيد كلمته ، وانطلاقه نحو بناء نفسه قبل ان يغرقه الطوفان .

بين العامية والفصحى

ويُعنى المؤلف بالحديث عن الفصحى والعامية عناية ظاهرة ، لأنه يرى ان اللغة العربية حُوربت حربا ضاربة،حُوربت بالحرف والكلمة والأسلوب، وحوربت بالدعوة الى العامية ، وحوربت بتضييع الأصالة العربية ، ومن لا أصالة له فلا روح له ، ولذلك يجبأننؤمن بضرورة نشر العربيةالفصحى، والرجوع اليها ، والتعبير بها في كل مجال تصلح لـه .

ولذلك نجد الكاتب يحمل على الشعر العامي ، ويرى ان اللهجة العامية عندنا هي تلك الكلمـات العربية المحرفة المشوهة ، التي يتداولها الناس في اشياء عابرة بعيدة عن الفكر والمنطق ، خارجة عن الخط العربي القويم،واللسان العربيالسليم، وتأتي على غير طبيعتها الأصلية ، ولذلك تصعب قراءتها ، وهي لاتعيش مع الزمن ، ولا تخرج عن بيئتها المحدودة الضيقة ، بل تبقى متقوقعة منعزلة على نفسها حتى يدركها الموت فتموت .

ولا يبخس المؤلف « حق الشعر العامي » الذي يأتي رائعا في قليل من الاحيان ، ويضرب المثل في هـذا بشـاعر الكويت العامي المرحـوم « فَهَد بُورسلي » ، ولكنه مع هذا يصف الشعر العامي بالتقوقع والانعزال ، لتحلله من أصول الفصحى وقواعدها ، ولذلك يحمل على العامية ودعاتها حملة قوية ، لأنهم يمزقون اشلاء الأمة بدعوتهم تلك .

وقفة مع المؤلف

ولكننا نتوقف مع المؤلف هنا قليلا ..

انه في صفحة « ١٢١ » يقول : « اننا نعتقد جازمين ان الشعر العامي لم يكن له اي دور في الحياة ولم يقدم اي خدمة تذكر للأدب العـربي بشكل عام . ولم يقم بتأدية اي واجب نحـو الأمة العربية ككل » .

فكيف يتفق هذا مع قوله في صفحة (١٢٨) من الشاعر العامي فَهَد بُورسلي :

« هذا الشاعر الشعبي استطاع أن يكتب شعرا عاميا جميلا رقيقا ، واستطاع ان ينقد بهذا الشعر الجميل مختلف الأوضاع في الكويت ، وأن يصور تصويرا رائعا بعض الأخطاء التي ترتكبها دوائر الحكومة في حق المواطنين ، بل انه استطاع في هذا الشعر ان ينتقد أوضاعا سياسية ، وأن يسخر هذا الشعر العامي بكلماته العادية في نقد أوضاع اجتماعية وأخطاء سياسية وعسكـرية حدثت في العالم.وان ينتقد في هذا الشعر حكومات عدوانية ، واعتداءات وخيانات استعمارية ضد الأمة العربية ، واستطاع أن يعبر عن آراء الكثير من الناس في الكويت ، في نقده اللاذع ، وقصائده التهكمية الساخرة ، حتى لقبه الناس ـ بحق ـ « شاعر الشعب » ، أو « الشاعـر الشعبي للكويت » ، وراحت قصائده تتلى في الدواوين ، ويتردد صداها في مختلف انحاء الكويت ، ويتغنى بها الكويتيون ، ويرددون انغامها العذبة المتسللة».

كيف يتفق هذا مع ذاك ؟ قد يكون من الصعب انتقرر اولا ان « الشعر العامي لم يكن له اي دور في الحياة » ثم نقرر هذا الأثر العميق البليـغ للشعر العامي الذي ارسله فهد شواظا من نار على الظالمين والمتجبرين .

لا ينقد الشعر الا شاعر

ويذهب الشاعر المؤلف الى انه لا ينقد الشعر الا شاعر ، ويتعصب بقوة لهذا الرأي الذي يعتقده ويؤمن به فيقول : « لا يحق لأي ناقد مهما اوتي من مقدرة ، أن ينقد حقيقة الشعر وجوهره، ومعاناة الشاعر ووجدانه ، ان لم يكن هذا الناقد شاعرا ، بل شاعرا عرف حقيقة الشعر ، ودرس جوهره ، وجرب معاناته،ووعى وجدان الشاعر، وادرك حالة المعاناة التي يمر بها الشاعر ، وادرك قيمة القصيدة التي يغيب فيها عن كل شيء ، الا عن احلامه الشعرية اللذيذة ، هذا هو الناقد الشاعر الذي يحق له ان ينقد الشعر ويتصدى لنقد الشعراء ، وتقويم اشعارهم وتصنيفها ، ومقارنة بعضها ببعض » .

ومن اليسير علينا ان نتفق مع المؤلف في أن خير من ينقد الشعر هو الشاعر الذي عاني الشعر ، بشرط ان يكون بصيرا بأصول النقد وقواعده ،ومن اليسير علينا كذلك ان نوافق المؤلف في أن الناقد لا بد له من مقومات النقد ، ولكنه ليس مـن اليسير علينا ان نوافقه في أنه « لا يحق لأي ناقد

مهما أوتى من مقدرة أن ينقد حقيقة الشاعر » . فلقد يستطيع ناقد بصير مقتدر على أن ينقد الشعر ، ويقول ما له وما عليه ، دون أن يكون شاعرا ، ما دامت ملكة النقد المستقيمة قد توافرت له بخصائصها ومقوماتها ، وكثير ممن نقدوا الشعر والشعراء في الماضي كانوا غير شعراء، وكثير ممن ينقدون الشعر والشعراء كانوا غير شعراء . وهناك شعراء يكثرون من قول الشعر الجيد ، ومع ذلك لا يحسنون نقد الشعر ولا نقد النثر ، وهناك شعراء طالت أيديهم في قول الشعر، ومع ذلك لم يتعرضوا لنقد الشعر طيلة حياتهم . واظن ان هذا الموضوع جدير بتفصيل الحديث والرأى فيه ، في مجال أوسع من هذا المجال المحدود .

ليست محنة النقد في مجتمعنا الأدبي هي ان غير الشعراء يتعرضون لنقد الشعر ، ولكن المحنة كل المحنة هي أن « النقد الادبى » في مجتمعنا قد صار كالكلا المباح للدهماء ، يتطفل عليه كل من هب ودب في دنيا الادعياء !

الشعر اكثر تاثيرا من النثر

وكذلك يقول المؤلف : « المعنى الذى ياتى به الشعر اكثر تاثيرا في النفس من المعنى الذى ياتى به النثر » .

واظن انه لا يسهل علينا ان نطلق الحكم هنا بالتعميم ، فلقد يستطيع الناثر المتقن ان يفوق الشاعر في تصور المعانى وتجلية الافكار ، والمؤلف نفسه يقرر نحو هذا في مجال آخر من بحثه حيث يقول في صفحة (٧٤) : « بعض الكتاب الناثرين يستطيعون أن يعبروا عن شعورهم بكلام رائع بليغ قوى العبارة ، سلس الاسلوب ، رفيع المعنى » .

وفي صفحة (٢٥٥) يقول المؤلف : « وقد قال الشيخ محمد عبده في أصحاب العمائم قولة مشهورة ، رددها الكثير من الناس ، وما زالوا يرددونها ، وهى :

ولست أبالى أن يقال محمد
أبلّ أم اكتظّت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه
احاذر أن تقضى عليه العمائم

ونسبة هذه الأبيات الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أمر مشهور بين الأدباء والعلماء ، وقد ذكرت ذلك في كتابى « رشيد رضا صاحب المنار » وذكرت اقوالا تذهب الى التشكيك في هذه النسبة ولكن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن كتب في عدد اكتوبر ١٩٧٢ من مجلة « الاديب » البيروتية يذكر أن هذه الأبيات تنسب الى الشاعر المغربى ابى عبد الله محمد بن احمد بن اكنسوس المراكشي المتوفى سنة ١٨٧٧م وكان شاعرا لامعا في بلاده ، وكان على خير الصلات مع رجال الحكم والادارة في المغرب ، وقد قال الابيات السابقة الذكر قبيل وفاته آسفا على ما وصلت اليه حال المسلمين وزعمائهم وشيوخهم في ذلك الزمان . وما زال موضوع نسبة هذه الأبيات محتاجا الى جلاء وتمحيص .

وهناك بعض الملاحظات اللفظية الخفيفة التى لا تخل بموضوع الكتاب ، ومنها ان المؤلف استعمل كلمة « تتوفر » عدة مرات بمعنى توجد بكثرة ، والصواب لغة « تتوافر » وقد استعملها المؤلف صحيحة في صفحة (٧٧) .

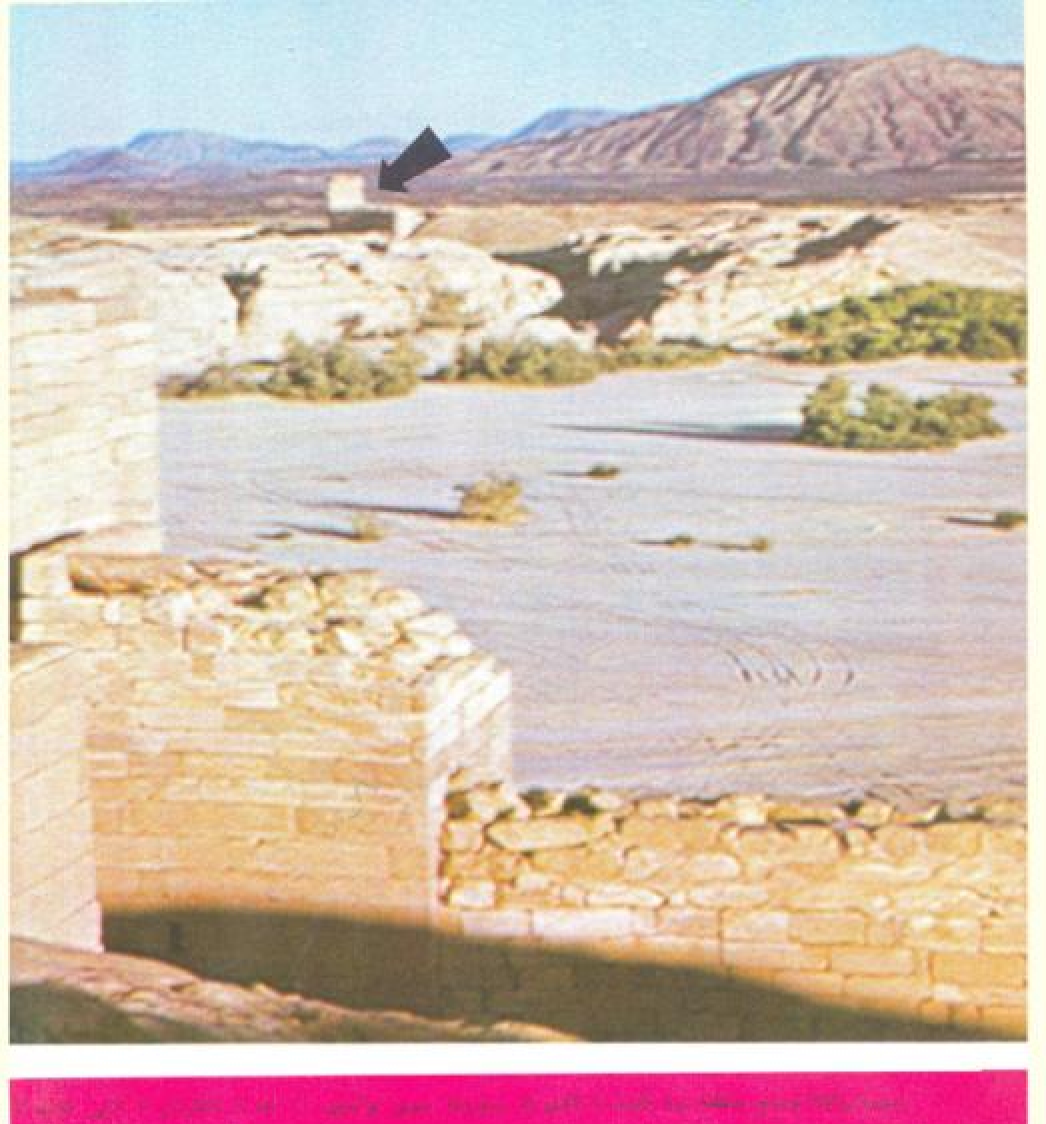
وكذلك ذكر المؤلف كلمة : « افساح المجال » والصواب « فسح المجال » لان الفعل هنا ثلاثى: « فسح » ، والقرآن الكريم يقول في سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم »*.

ومع أن الكتاب جهد طيب ملحوظ ، له مكانته ومنزلته ، ترى المؤلف الباحث يتدثر بخلق التواضع ، فيقرر أنه لا يدعى الكمال ، فالكمال لله وحده ، وتحية لكتابه الجديد القيم « الشعر العربى بين العامية والفصحى » لانه صرخة صادقة موفقة لنصرة الشعر العربى الأصيل ، ودعوة حارة الى اعزاز الفصحى أول مقوم لشخصية الأمة العربية التى تفخر على الدوام لنزول القرآن بلغتها ، وهو جزء من قدر الله الغالب الذى حفظ على هذه الفصحى كيانها وخلودها ، مصداقا لقول الحق عز شانه : « انا نحنُ نزّلنا الذكْرَ ، وانا له لحافظون » . ■■

أحمد الشرباصي

---

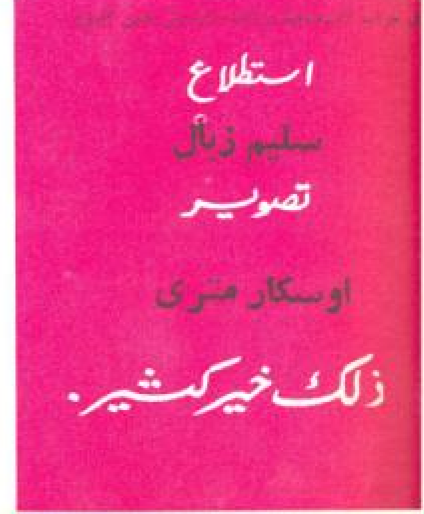
* العربى » : في المعجم وفّر الشيء أى كثّره ، فتوفّر قياسا تكون بمعنى تكثر . وفي المعجم ان فسح لا تتعدى ، ومثلها أفسح ، فافسح في المجال وفسح فيه سواء .



اعرف وطنك أيها العربي

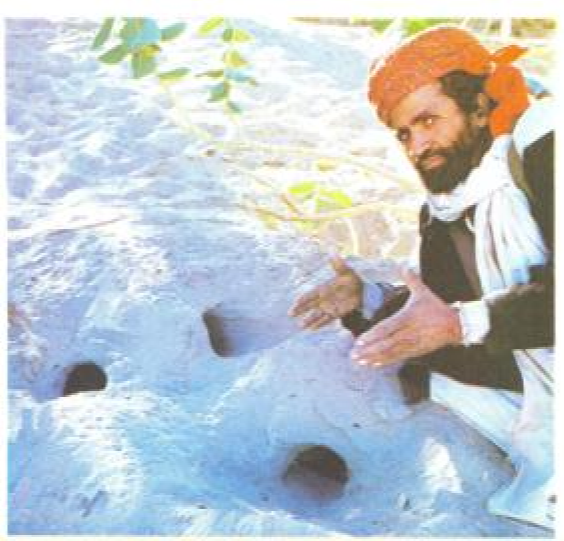
سد مأرب

جرفه "سيل العَرِم" واليوم يريد العرب إعادة بنائه، فالذي من ورا



استطلاع
سليم زبال
تصوير
اوسكار متري

ذلك خير كثير.



■ كان رجال الفضاء ينطلقون بين الكواكب والنجوم بحثا عن عالم الغد ..
اما نحن فكانت رحلتنا عكسية .. كنا نبحث عن عالم الامس !
عالم سبأ وبلقيس ، الذى اندثر منذ خمسة عشر قرنا مضت ! ..

ان عالم سبأ ، هو جزء من ارض اليمن .. انه عالم مجهول تماما . لقد حرص بعض المؤرخين العرب على اظهار صورة العربي ، الذى عاش قبل الاسلام ، بصورة الشخص الذى لم يعرف حضارة ، ولم يتذوق ثقافة ، بل عاش دائما في جهالة بدون أصالة .. مطلقين على عصره اسم : العصر الجاهلي ...

وكأنما ارادوا بهذا أن نطمس ونتجاهل شعوبا وحضارات عربية قدمت للانسانية فنونا وعلوما وثقافات ، وارست الكثير من الاسس التي قامت عليها حضاراتنا الحديثة ..

ان الاسلام الذى جاء بعد هذه الحضارات القديمة ما كان من الممكن ان تثبت بذوره في ارض كانت من الجدب بحيث يصفون .. ان الذى جعل الاسلام يستقر ويثبت ، وينمو ، وينتشر في تلك الارجاء ، انما كان بسبب ما كان فيها من ثقافة ، وما كان من حضارة ، وما كان من فهم ..

قال رسول الله (ص) : « خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا .. » .

هذا ما صنعناه بآثارنا

ان العرب الاقدمين تركوا لنا آثارا كثيرة في شتى ارجاء الجزيرة العربية تنطق بما كان لهؤلاء الاقوام من شان كبير غير مبخوس ، لو انها بقيت سليمة ..

ولو ان العرب الأحدثين اهتموا بها وقاموا فدرسوها واستنطقوها ، لتحدثت لهم عن ماضي العرب بالشيء الكثير .. ولكن ما صنعه العرب بهذه الاثار شيء لايحمد ..

الكثير منها هدمناه ، قلاعا وقصورا .. وانتزعنا منها الاحجار ، واقتلعنا منها المرمر والرخام لنبني منها بيوتنا .. اما الذى خف حمله من تلك الاثار ، فقد بعناه لعلماء اوربا ، وهواة اقتناء الاثار بابخس الاثمان ..

وقام هؤلاء العلماء بدرس آثارنا ، والكشف عن ماضينا ، واستجلاء ما بهم من امسنا هذا البعيد ، واخرجوا لنا نتيجة ذلك ، دراسات حول التاريخ العلمي الصحيح للحضارات العربية القديمة ، دون زيف او تهويل ..

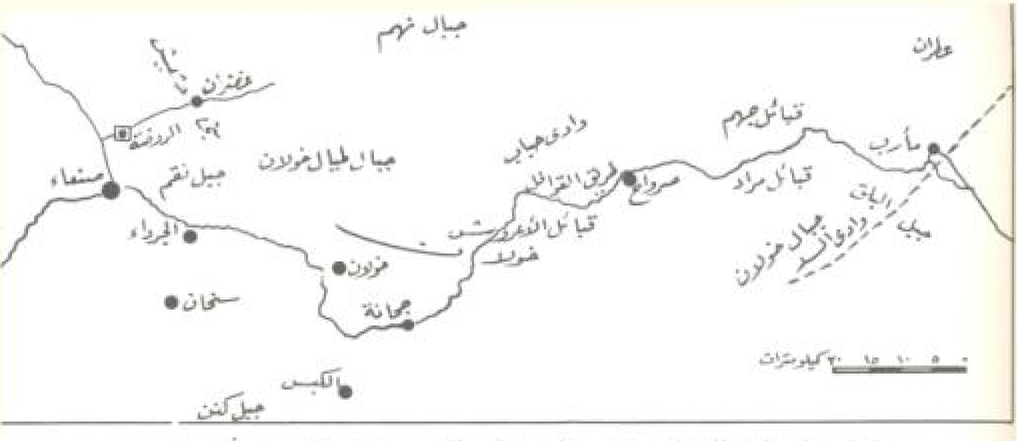
ان علماء الغرب يعتزون ـ يا اخي ـ بآثارنا وحضاراتنا العربية .. ويضعونها في صدر متاحفهم في لندن وفينا وباريس وكوبنهاجن واستنبول وواشنطون وغيرها ..

انهم يعلمون الكثير عن قتبان ، ومعين ، وحمير واوسان وسمعي وسبأ .. اسماء حضارات عربية مجهولة تماما لدينا ، فيما عدا سبأ ، التي ورد ذكرها مرتين في القرآن الكريم ، وعشرات المرات في القصص والروايات الخياليه التي نسبوها الى ملكة سبئية سموها « بلقيس » !

وحتى لانبدأ مقالنا من حيث يجب ان ينتهي ، تعالوا ننطلق معا في رحلتنا هذه الى مملكة سبأ خطوة بخطوة ، دون تزويق او تنميق ..

الى اسفل : كان « لصوص الآثار » يستعدون لنقل هذه اللوحات المزدانة بخط المسند ، عندما فوجئوا بوصولنا .. فتركوها على الارض واختفوا .. وترى القاضي اسماعيل الاكوع يحاول قراءة ما اشتملت عليه .





توضح هذه الخريطة الطريق الذى سلكته بعثة « العربي » من صنعاء حتى مأرب .

بعد خمس سنوات من الانتظار

منذ خمس سنوات مضت ، ونحن نحاول الوصول الى مدينة مارب ، عاصمة مملكة سبا .. وفي كل مرة كان المسئولون في صنعاء ، عاصمة اليمن ، يقولون لنا : « انتظروا قليلا ، فالطريق مازال وعرا غير مأمون العواقب .. »

وفي زيارتنا الاخيرة لليمن ، اتجهنا الى رئيس الوزراء القاضي عبد الله الحجرى ، نسأله التصريح لنا بالسفر على نفس الطريق القديم الذى كانت تسير عليه قوافل الجمال القادمة من مملكة سبا الى صنعاء ..

ووجدنا تجاوبا سريعا من القاضي الحجرى الذى قال لنا : « الامان مستتب حاليا في كافة أرجاء اليمن .. ويمكنكم الذهاب الى حيث تشاؤون .. وتسهيلا لمهمتكم سيرافقكم القاضي اسماعيل الاكوع رئيس الهيئة العامة لشئون الاثار ودور الكتب ، والنقيب علي الرويشان من كبار مشايخ خولان ، وعبد الكريم الخميسي سكرتيرى الخاص لشئون الاعلام .. وساضع سيارتي الخاصة تحت تصرفكم ، علها تساعد في تسهيل المهمة .. » .

ولم نصدق اذاننا ، فهذه اول مرة يسمع فيها بالسفر الى بلاد سبا منذ ١٥ سنة !

البحث عن المتاعب

ومع اول خيوط شمس يوم الاربعاء ٢ ديسمبر (ك ١) ١٩٧٢ انطلقنا من صنعاء متجهين شرقا داخل سيارتين صحراويتين (لاندروفر) ، واحدة احتياطية للاخرى .

كان بامكاننا السفر الى مارب مباشرة بطائرة عمودية (هليكوبتر) ولكننا فضلنا السيارة لنتعرف على الارض واهلها .. كيف يعيشون وبماذا يفكرون؟ وهل حقيقة انهم من اهل الجن ، كما يقول المؤرخون العرب ؟

قد يكون المؤرخون اخطاوا ، فليس بين اهل الارض جن ، ولكن الذى رأيناه أعجب من «الجن» نفسه .. ! ان حال أهل سبا اسوا من حال سدهم الذى جرفته السيول واكلته الفئران ؟!!

الحرب غيرت طبيعة الانسان

كانت السيارة تنطلق بنا وسط سلسلة جبال على ارتفاع ٢٢٠٠متر فوق سطح البحر .. هذا جبل اللوز .. وهذا جبل كنَن اكثر الجبال ارتفاعا وآثارا .. وهذه بلاد سنحان ، وتلك بلاد الروس .. وهذه هي « الجرداء » قرية صغيرة على مسيرة ربع ساعة من صنعاء كانت تتلاقى عندها حدود الجمهوريين والملكيين حتى عام ١٩٧٠. اما ما خلفها شرقا فاراض يمنية واسعة .. اراض حولتها الحرب الاهلية اليمنية الاخيرة ، التي استمرت ثماني سنوات ، الى خراب ودمار رهيبين ..

ولم تقتصر اثار الحرب على المباني فقط ، بل امتدت الى الانسان القبلي الطيب ، فغيرت من طبيعته .. وعزلته عن التيار الحضارى الذى بدا يدخل اليمن ، وجعلت ارضه منطقة مغلقة لايسمح للغريب او القريب بدخولها ..

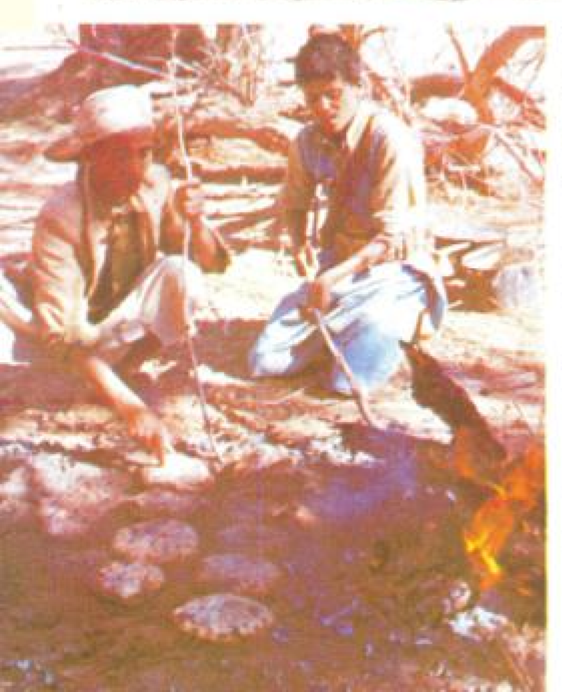
واصبح المال هو الهدف وهو الوسيلة وهو الغاية .. ومن اقوالهم القديمة في هذا المعنى :

مانا قبيلي حد ، ولاحد دولتي
مادولتي الا مـن مـلا كفي قروش

اى انا لا انتمي ، ولا احد يملكني ، ولكن ولائي لمن يملأ كفي قروشا !!







الى اعلى : منذ ٢٥٠٠ سنة كانت قوافل السبئيين تنقل الى صنعاء ، الملح الجبلى من منطقة الملح الكبرى فى صافر ، وتقع على مسافة مائة كيلومتر شرقى مأرب ، وهى منطقة تبدو فيها احتمالات وجود البترول بكميات كبيرة جدا .. اما اليوم فما زالت قوافل الجمال تتجه من وادى حباب الى صنعاء ، محملة بالحطب والاعشاب فى مسيرة تستمر ستة ايام .. وعلى هذا الطريق نفسه كانت سيارتنا تسير لتتوقف كل بضعة كيلومترات عند « نقاط الحدود » التى وضعها رجال كل قبيلة على الطريق الممتد ١٨٨ كيلومترا .. ولم نأخذ معنا شيئ ، وانما كنا نعيش ونأكل كما يأكل اهل المنطقة **وفى الصورة اليسرى** « على ومبارك » يقومان باعداد وجبة الغداء !

كانت سيارتنا تتقدم بقية السيارات ، ونحن نسير في أراضي بني جبر ، وفجأة سمعنا طلقات الرصاص تدوي في كل مكان ، فضغط سائق السيارة على البنزين بعنف لنخرج من دائرة الخطر .. وفي منطقة الوادي توقفنا ، فلحقت بنا سيارة نزل منها رجال مسلحون قالوا لنا : **« لماذا لم تتوقفوا عند سماعكم الرصاص .. لقد كنا ندعوكم لتناول الطعام عند عبد المجيد احمد ختشي من رجال بني جبر ... »** ان الكرم العربي ما زال موجودا عند الكثيرين من احفاد سبأ . أما قبائل عبيدة ، فقد تركونا ننام على الرمال الباردة ، تحت بوابة السد ، بعضنا بجانب بعض،في دفء النيران المشتعلة بأغصان أشجار الأثل .



اعجب طريق

انطلقنا نسير على طريق طوله ١٨٨ كيلومترا ، هو وبلاشك مرشح ليكون اعجب طريق في العالم ، فكل بضعة كيلومترات منه تخضع لقبيلة مختلفة ، وما كان بامكاننا أن نسير من منطقة الى أخرى ، الا بعد ان نستأذن من شيوخ القبيلة التالية .. يأتون الينا حاملين كامل اسلحتهم من بنادق ومدافع خفيفة .. ويجلسون في نصف دائرة ، ويبدأ النقيب الرويشان السلام الطويل معهم بهذه الصورة :

ـ قويتم

ـ الله يحييك

ـ علمكم ؟

ـ كل خير

ـ من صنعاء ما جرى علم

ـ وانتم منكم اخباركم

ـ قدامكم ما علم شر .. حيا بكم ، واهلا بالرجال الابطال ..

وبعد سكون قليل يقول شيخ القبيلة :

ـ ما وراك يارويشان ؟ .. ومين هاذول اللي معاك ؟

فيخرج الرويشان خطابا من رئيس الوزراء الى شيخ كل قبيلة يقدمنا ويعرفنا ، ويدعو فيه الشيخ للحضور الى مقر مجلس الوزراء في صنعاء من اجل التفاوض مع الحكومة لصالح المنطقة .. وكان اغلب زعماء القبائل يرحبون بالدعوة .. فيطلب منهم « الرويشان » أن ينضموا الينا في رحلتنا الى مأرب، اظهارا للتضامن القبلي وتسهيلا لمهمتنا .

وهكذا كان عددنا يتزايد شيئا فشيئا كلما تقدمنا بضعة كيلومترات .

في بلاد الغادر

كان كل شيء يسير منتظما ، حتى وصلنا الى منطقة « الخيام » ، وهناك جلسنا ساعتين تحت الخيمة ننتظر قدوم الشيخ علي الغادر .. من مشايخ الأعروش ..

وبعد فترة من الوقت سمعنا اصوات سيارات وجلبة ، وما هي الا لحظات حتى ظهر « الغادر » عند مدخل الخيمة وخلفه مجموعة كبيرة من رجاله كلهم مدججون بالاسلحة السريعة الثقيلة الحديثة .. ووقف الجميع ودخل الرجال الخيمة ، وبداوا السلام : اليد تصافح اليد ، والرسغ يضرب الرسغ .. ومن بين الشفاه يخرج صوت رفيع « تسي Tsi » .. لم يقولوا السلام عليكم .. أو حياكم الله ، وانما اصوات كالصفير تنطلق من بين الشفاه : تسي .. تسي .. !

وجلس «الغادر» مع رجاله في طرف الخيمة ،

كل الطرق

من صنعاء تنطلق ثلاثة طرق الى مأرب : طريق شمالي طوله ٢٢٣ كيلومترا .. وطريق أوسط وطوله ١٦٥ كيلومترا ، وطريق جنوبي طوله ١٨٨ كيلومترا ، هو الذي يمر بأرض خولان ، وهو الذي تطمناه .. وهذا الطريق لم رصفه بالايدي في عهد الامام أحمد (الصورة اليمنى) .. أما حاليا فقد تكفل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، بتكاليف شق طريق



وفى الجانب الاخر جلسنا مع الرويشان والقاضى الاكوع وبقية المشايخ الذين انضموا الينا فى الطريق .. وبدأ السلام المعتاد كل شيخ قبيلة يلقى السلام على « القادر » .. وبدأ «الرويشان» يتحدث الى « القادر » ويقدم له مرافقيه ونحن منهم ، وكيف ان الحكومة فى نيتها ضبط المنطقة وتنظيمها .

كان القادر يستمع لحديث الرويشان محركا اكواب الشاى الصغيرة بعصبية ظاهرة ، وتوقفت لعبة الاكواب ، عندما بدأ يقول : يارويشان باى صفة تحدثنى ، بصفتك ابن خولان او مندوبا عن الحكومة .. ؟ أريد أن أعرف !

فقال الرويشان : انا ابن خولان وافتخر بهذا..

فاسرع القادر قائلا : « اذن .. اذا أرادت الحكومة أن تحادثنا فعليها الاتصال بنا .. انها لم تتصل بنا ، ولم تتحدث اليها ، ولم تتحدث الينا .. ولم نعترف بها او تعترف بنا .. اما ارسالها الوفود للمرور من اراضينا دون سؤالنا او التفاوض معنا ، فهذا ضحك على الدقون .. »

فقاطعه احد شيوخ القبائل المرافقين قائلا :

« لاداعى لهذا الحديث امام الضيوف .. »

فاجابه القادر : « لايوجد ما اخفيه .. ».

فقال الرويشان للقادر : « انا عندى حديث خاص معك .. تعال نجلس فى الخيمة المجاورة.. »

وانتقل جميع شيوخ القبائل الذين انضموا الينا فى رحلتنا الى الخيمة المجاورة .. ومكثنا وحدنا فى الخيمة الكبيرة الباردة ، ومضت الساعات الاولى والثانية ، وكاد ينتصف الليل واصوات المشايخ ونقاشهم الحاد مازال تقطع سكون الليل ..

النوم فى الخان

وكان التعب والجوع والبرد ، قد اخذت منا ماخذها ، فقلنا لصاحب الخيمة ، هل عندك غرفة مقفلة نستطيع النوم فيها ؟ فاخذنا الى « الخان » .. غرفة صماء ليس فيها فتحات ، مستطيلة الشكل (٣ أمتار فى ٨ امتار) ينام فيها اربعة اشخاص ، اضطجعنا بجوارهم على الارض ونحن نجهل مصيرنا : هل سنتابع السفر الى مأرب ؟ ام نعود الى صنعاء ! .. ورحنا فى سبات قصير ، اذ استيقظنا على اصوات المشايخ الذين انفض اجتماعهم ، جاءوا ينضموا الينا فى الخان ، فنمنا متلاصقين .. بعد أن اصبح عددنا ١٧ شخصا !!

النظام القبلى ما زال حيا فى اليمن !

وهنا يجب ان نتوقف قليلا لنتحدث عن النظام القبلى فى اليمن ، الذى يشبه لعبة الكلمات المتقاطعة من فرط تشابكه وتقاطعه !!

ولو حاولنا تبسيطه لقلنا أن سكان الجزيرة

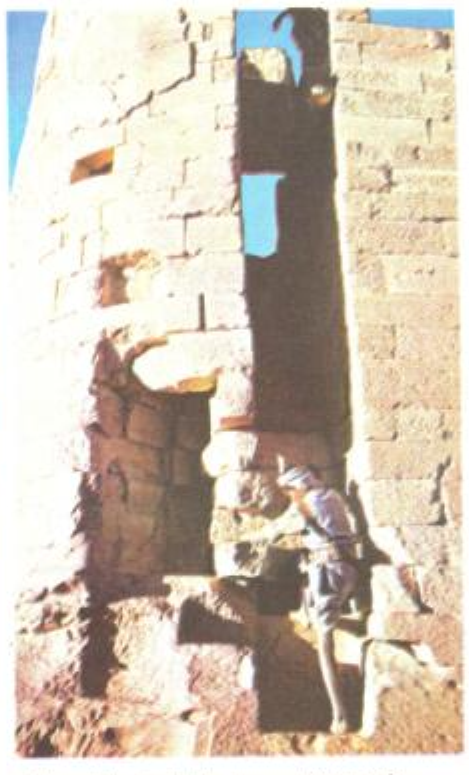


تؤدى الى مأرب !

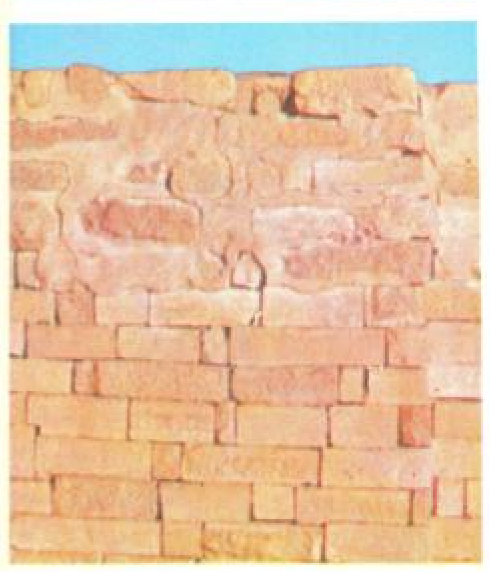
حديث من صنعاء الى مأرب .. وفعلا بدأت شركة سويدية بعملية مسح شاملة للطرق الثلاثة المؤدية الى مأرب ، لاختيار افضلها ..والى اليسار نرى المهندس اليمنى عبد الاله القميشى يجرى عملية المسح .. وقد جاءت الاخبار اخيرا تفيد أن الاختيار قد وقع على الطريق الشمالى الموصل الى مأرب ... حقيقة انه أطول الطرق ، ولكنه اقلها تكلفة ومشقة فليست فيه جبال ووديان الى جانب انه قريب الى منطقة الجوف .



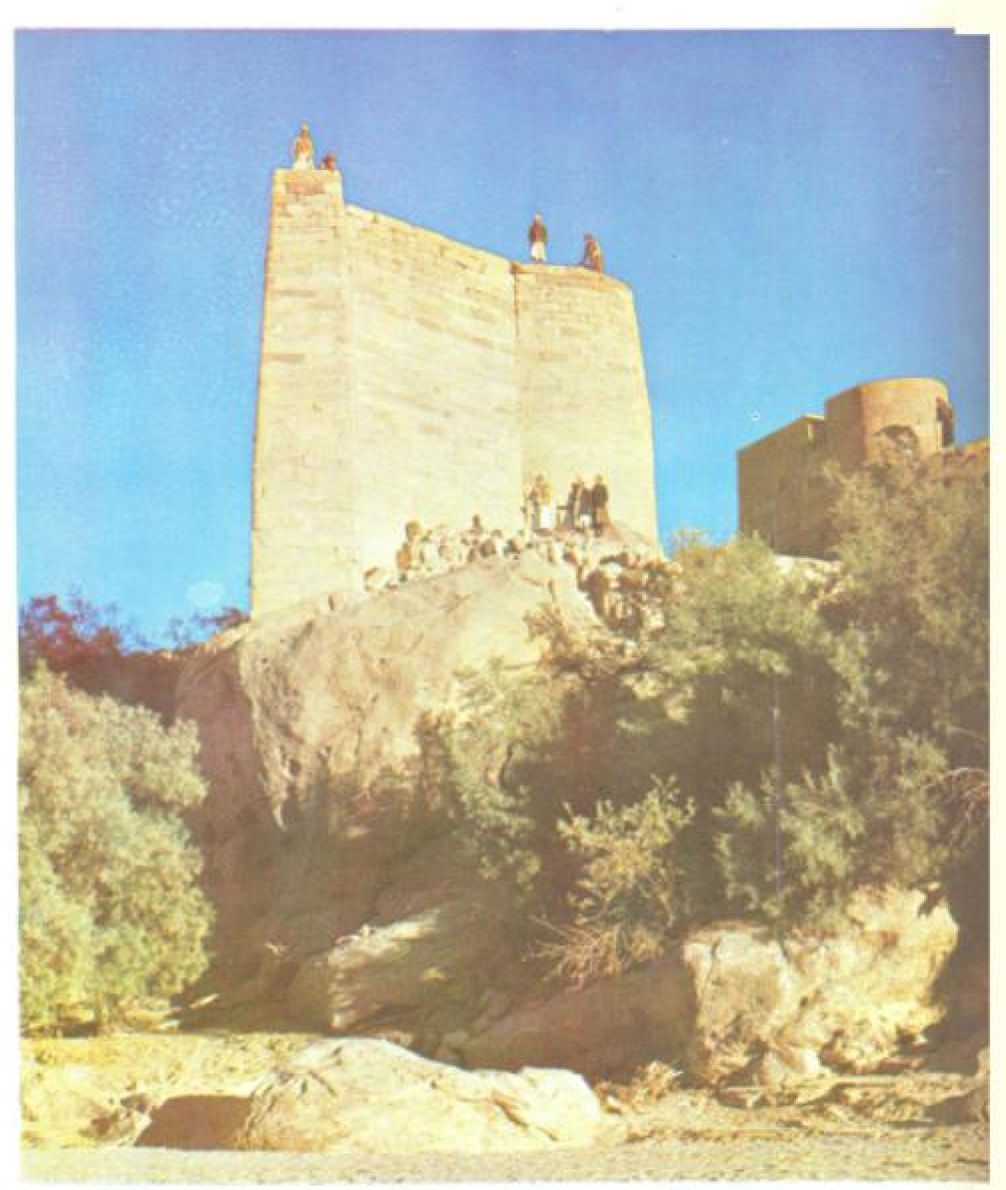
الى اليسار : عندما بدأ سد مأرب في التصدع ، حاول بعض الملوك السبئيين اصلاحه ، فاضافوا على جدار البوابة الجنوبية (المبنية من الحجر المنحوت ، وعرضها نحو ٨٠ مترا) احجارا من الحصى لتتماسك (الصورة الثانية) فشوهت جمال الهندسة السبئية الاولى ، التي كانت تعتمد على الاحجار المتداخلة بعضها في بعض ، بصورة هندسية رائعة (الصورة الثالثة) .



في هذا المكان من البوابة الجنوبية للسد ، كانت اعمدة حديدية وخشبية ، تحرك **الاحجار** الضخمة الكبيرة ، التي كانت بمثابة بوابات تفتح وتغلق حسب حاجة اراضي « **الجنة الجنوبية** » الى المياه .. ان الهدف من بناء السد كان السيطرة على مياه السيول وتخزينها وصرفها بمقادير خاصة .







هذه هى البوابة الجنوبية لسد مأرب ، ويطلقون عليها اسم « **مربط الدم** » اى مربط القط ، وهى ترتفع فوق أحجار جبل بلق الجنوبى .. لقد استطاع « **سيل العرم** » ان يكتسح جسم السد ، اما بوابتيه فبقيتا حتى اليوم شاهدا على عظمة هذا السد الذى يقع على أرض ترتفع ١٠٥٠ مترا فوق سطح البحر .. وبعد خراب السد تفرق أهل المنطقة اشتاتا فى مختلف اجزاء الجزيرة العربية ، واخذت كل طائفة منهم طريقا .. فضربت العرب بهم المثل فقيل : **ذهب القوم ايدى سبا ، وايادى سبأ ،** واليد تعنى الطريق .. أى فرقتهم طرقهم التى سلكوها ، كما تفرق أهل سبأ فى جهات متفرقة ..



دول داخل دولة : من صنعاء الى مأرب لم نشهد اثرا للحكومة اليمنية ، او لاى مساعدة سواء
الرجل القبلى الطيب بندقيته ، كى يحمى نفسه وارضه ، ويفرض ما يتراءى له من نظم وقوانين
معرفة احوال العالم واخباره .. ونجلس في القرية حتى يأتى رجال القبيلة التالية ليسمحوا لنا

العربية يعتبرون انفسهم اسرة واحدة تنتمى الى سام بن نوح .. وهم يتفرعون الى فرعين رئيسيين: عدنان وقحطان .. وبعدها تقسيمات لاحصر لها .. فقحطان مثلا تنقسم الى كهلان وحمير .. وكهلان تنقسم الى حاشد وبكيل .. والى بكيل تنتمى قبيلة خولان التي نحن بصددها، فافرادها يعيشون في هذه المنطقة التي تعرف باسم ارض خولان الطيال .. والطيال معناها المرتفعات ، تمييزا لها عن خولان الشام ، اى فرع خولان الذى يعيش في منطقة صعدة شمال اليمن ..

وخولان قبيلة كبيرة ، عدد افرادها ، كما يدعى بعض ابنائها ، هو ١٨٥ الف نسمة ، منهم ٤٠ الف محارب .. هذه القبيلة تنقسم الى ٨ بطون ، وكل بطن منها ينقسم الى اربعة او خمسة افخاذ!!

وهذا التفرق والتقطع الى عائلات صغيرة جعل هذه القبيلة الكبيرة ، تعيش بدون زعيم كبير تدين له جميع البطون والافخاذ بالطاعة والولاء التامين .. فحلت الفرقة والتناحر ، وانتشرت الحروب الصغيرة بين اولاد العم ، واستعاض الناس عن العصا بالبنادق السريعة : روسية والمانية وزكى كرام .. نسبة الى اسم الوسيط زكى كرام الذى اشترى الاسلحة للامام فاطلقوا اسمه على بندقية المانية سريعة الطلقات !!

وتحصنت كل قبيلة داخل اراضيها ، ووضعوا الحراس على طول الطريق الممتد ١٨٨ كيلومترا من صنعاء الى مأرب.. كل قبيلة تحتل كيلومترات



...رية او اجنبية ولو من منظمة الامم المتحدة ، كلهم غائبون عن المنطقة .. ونتيجة لهذا الغياب حمل ما تكاد تصل الى بلدته حتى يتجمعوا (الصورة اليسرى) انهم مشتاقون الى العالم الخارجي ، يريدون ...ن اراضيهم • وترى هنا النقيب على الرويشان، يتحدث الى أشراف مأرب ، للسماح لنا بالمرور الى مأرب.

معدودة منه ، يقطعونها أو يفتحونها لمن يريدون وحين يريدون !

انها دول تعيش داخل كيان دولة اليمن .. دول ظهرت نتيجة توقف دوران عقارب الزمان والتطور منذ قرون بعيدة في اليمن السعيد .. !

امانة في عنقكم

ومررنا بالقرى الواحدة تلو الاخرى .. كل منها وراءها قصة ومأساة تهز مشاعرك هزا عنيفا مؤلما .. هذه مثلا قرية الكتبس .. قرية السلام الوحيدة، يحمل رجالها العصي بدلا من المدفع الرشاش .. هذه القرية تحولت منازلها الى اطلال ، وقصورها الى انقاض من فعل قذف الطائرات ومدافع الدبابات.

وسألنا الاستاذ على الكبسي ورفاقه : « ماذا في مدينتكم ؟ » .

اجابوا ساخرين متألمين : « لا شيء .. لا مستوصف .. لا مدرسة .. لا منازل .. لا طريق .. ولا آبار .. ولكن عندنا الكثير من انواع الامراض .. عندنا البلهارسيا والتيفو (التيفوئيد) والسل .. وطالما شكونا مرارة الجهل ودائه .. وها أنتم أول من وصل الى بلادنا .. اننا نحملكم مسئوليتنا .. اننا امانة في عنقكم .. فلا تخذلونا » .

مائة ((دفتر)) لن تكفي ..

وفي قرية الوتدة التف حولنا الاهالي يتحدثون ويتحدثون ، قائلين : « من عهد بلقيس لم يعلمنا

ترتفع قيمة المرأة بارتفاع كمية المخلص (أي الفضة) التي تضعها فوق رأسها دائماً ، حتى أثناء ذهابها لسحب الماء ، تحتفظ بها على رأسها .

الى أسفل : هذا الرجل مسافر على قدميه منذ الفجر الى صنعاء ، حاملاً معه صوف الغنم لدرء البرد عنه وبعث الدفء الى جسمه .





الخنجر ، وحزام الرصاص ، والبندقية .. ثلاثة أشياء لا غنى للرجل القبلي عنها .. وعندما وصلنا الى مارب كان معنا مجموعة من شيوخ القبائل هم : النقيب (وهو لقب قبلي أعلى مرتبة من شيخ) محمد عبد الوهاب ابو حليقة من رؤساء هجرة خولان ، والشيخ جاسم بن ناجي حنطش والشيخ محمد ابن جاسم المسمى ، من مشايخ بني جبر ، والشيخ ناجي بن علي الدبا من مشايخ الاعروش ، والشيخ محمد المصري ، والشيخ علي سعيد عمير من مشايخ جهم ، والشيخ سعيد بن حسين الشجني ، والنقيب محمد بن حسن بوحليجه من مشايخ منسور .. ونرى بعضا منهم في **الصورة السفلى** .



أحد .. ما زلنا حتى الآن نخلع أسناننا بالكلابة التي تخلعون بها المسامير ! وجع الرأس نكويه بالنار .. نساؤنا يلدن في الجبال ، ويقمن ويعملن بعد ٣ أيام من ولادتهن .. رضيعنا نرضعه السمن السائل فينام دون آلام .. اذا عطشنا في أيام الجفاف « نشط » الجمل من بطنه لنأخذ الماء من معدته .. واذا احتجنا لدواء قطعنا عرقاً في أنف الجمل نجمع منه الدم نسخنه ثم نشربه .. ونضع العسل مع أوراق الريحان على الجرح تحت حجر نربطه على الجريح ».

وعندما رآني الشيخ النقيب علي دبا ، من قبيلة الاعروش أسجل هذا الكلام قال : « الامنا كثيرة وعديدة .. ولا يكفيك مائة دفتر لتسجيلها .. الآلام تحيط بنا من كل الجهات .. سبع سنين مضت في جفاف وحروب ، كلنا بدون عمل .. عمل ! .. منين العمل .. ! انا شعب ضائع .. !! » .

الثأر .. الثأر

كنا نسير على نفس الطريق القديم للقوافل التي كانت تنقل الملح من منطقة صافر الى صنعاء .. وكان عددنا يتزايد بانضمام مشايخ قبائل الينا .. ان الحديث المشترك الذي تسمعه في كل المنطقة هو : الثأر .. الثأر لمقتل ٦٥ من زعماء وشيوخ خولان في الكمين الذي دبر لهم في منطقة بيحان منذ ما يقرب من نحو عامين ..

رأينا الاعلام السوداء والجمال المجللة بالسواد .. لقد قتلت نساء المقدورين كلابهن ، معبرات عن عدم وجود حام لهن .. وسمعنا بقصة المرأة التي ألقت بنفسها من فوق منزلها ، لأن والدها وزوجها وأخاها واثنين من أولادها قتلوا في المذبحة، فقالت وهي تلقي بنفسها : وأنا كذلك انتهيت ..

والأخذ بالثأر من العادات المتأصلة في المنطقة ، وفي اليمن عامة ، واذا جاء أحدهم وقال لأهله : استقضيت بعد سنة (أي أخذت بثاري بعد سنة) قالوا له : لماذا استعجلت !!

وكان على رأس المقتولين في بيحان الشيخ ناجي علي الغادر شقيق علي الغادر الذي قابلناه تحت الخيام . . . ان الشقيق يطالب حكومة اليمن بأن تقف معه في مطالبته بدم أخيه ، وهو بدوره يخزن الاسلحة والالغام ويجمع المحاربين استعدادا ليوم الانتقام والثأر ، حتى قالوا لنا ان ما يملكه من بعض أنواع المتفجرات يوازي الكمية الموجودة لدى جيش حكومة اليمن نفسها ! ! ؟

العنب بدلا من القات

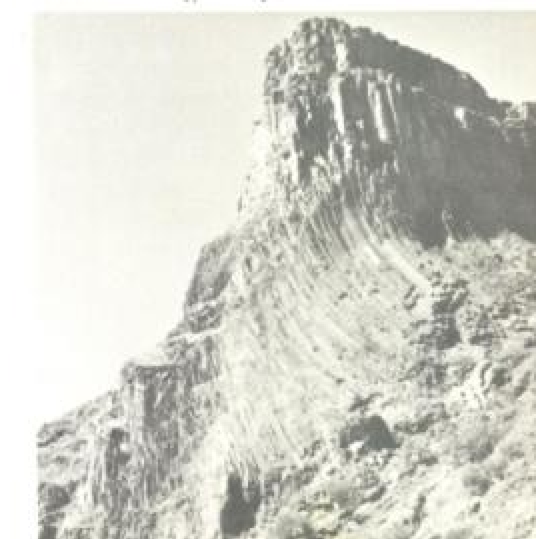
كان الطريق شاقا مرهقا ، تنطلق عليه السيارة بسرعة ١٥ كيلومترا في الساعة ، اننا نسير الآن وسط وديان مسور ، والسوهان ، والاعروش ، رحباب .. ان النجاح الرائع لزراعة العنب في هذه المنطقة جعلهم يخلعون القات ، ليزرعوا العنب ، لزيادة مردوده الاقتصادي .. حدث هذا لأول مرة في اليمن ، على ما نعرف ..

أرض اللبن والعسل سابقا !!

كنا عند مشارف صرواح .. وما أدراك ما هي صرواح ، انها العاصمة السبئية الاولى .. والمنطقة التي شهدت أعنف المعارك وأشرسها في الحرب اليمنية الاخيرة ..

وقد أثبتت النقوش التي اكتشفها الرحالون الالمان ، ان أول ملوك سبأ ، ويطلق عليه مكرب، جاء الى صرواح عام ٨٠٠ق.م . من شمال الجزيرة العربية مجتاحا بلاد المعينيين وجيرانهم الحضارمة والقتبانيين .. واستقر هنا في صرواح يبني المعابد

الى أسفل : أخطأت الصبية وحملت سفاحا فلم تجد أمامها وسيلة للتخلص من عارها الا بإلقاء نفسها من قمة هذا الجبل ، الذي أصبح يعرف باسم (مَرْجة الصبية) أي خطيئة الصبية !!





من كل أرجاء الجزيرة العربية كانت القبائل تهاجر الى أرض سبأ ، أرض العسل واللبن ، وهذا النقش السبئي القديم لعناقيد العنب يعكس ما كانت عليه هذه الارض من خصب .

والقصور .. وقد وجد نقش يبين هذا الكرب ، واسمه (سمة على) يقدم البخور والمر الى الاله القومى السبئى (القه) نيابة عن قبيلته التى قادها من الفيافي والقفار ، الى « الارض السعيدة التى تفيض لبنا وعسلا » ..

نعم كانت هذه حالة الارض منذ ٢٨٠٠ سنة ، اما اليوم فقد تحولت الى ارض تفيض بؤسا وشقاء !!

ولم يعد لصرواح اى وجود ، فهى مدينة مدفونة تحت الرمال .. لهذا اصبحت تعرف باسم « الخربة » .. واشهر ما فيها حاليا هو بقايا مبنى اثرى ، يقولون له معبد بلقيس ، فى حين انه قصر لاحد ملوك سبا .. وجدناه مغلقا .. اين المفتاح ؟ مع الشيبة (اى الرجل العجوز) وهو غير موجود حاليا .. عند عودتكما من مأرب يكون « الشيبة » قد وصل ، فيفتح لكم الباب ..»

حجرا صرواح !

وشعرنا بشخص يقترب منا ويقول هامسا : « تعال بمفردك لأريك شيئا خياليا رائعا » .. واصابنا حب الاستطلاع ، فانسحبت دون ان الفت الانتباه ، وسرت مع محدثى الى متجر مظلم جلست فيه على حجر قديم ، بينما سار هو الى الداخل، وعاد حاملا لفتين من الورق القديم فتحهما فاذا بداخلهما قطعتان من المرمر الابيض والمرمر الاحمر عليهما رسم ثعبان .. ثم جاء بمجموعة أخرى من الاحجار عليها كتابات سبئية ..

وقال هامسا : « هذه الآثار وجدتها كلها تحت سور المعبد .. هل تريد شراءها ؟ » وطلب مبلغا كبيرا من الريالات وبعد اخذ ورد ومفاصلة ، اشتريت القطعتين وحملتهما سعيدا فخورا الى مدير هيئة الآثار لاقدمهما له ..

وامسك المدير بالقطعتين ووضع نظارته على عينيه .. ونظر الى مبتسما ، ثم قال : انهما قطعتان مغشوشتان !! ؟

ولم نصب بخيبة امل كبيرة ، فقد استطاع الاهالى من قبل بيع آثار مزيفة للرحالة هليفي ومتحف بومباى وحتى اللوفر ، وغيرهم .. وقد افادت هذه اللوحات المزورة كثيرا ، لانها كانت تقليدا لاخرى اصلية ضائعة .

التبة الحمراء

وانطلقنا فى السيارتين بالرجال الى محطتنا الاخيرة الى مارب وسدها، تحيط بنا جبال صرواح التى كانت تحمل أسماء: الاشقرى وهيلان والمجارم .. اما اليوم فتحولت هذه الاسماء الى : التبة



ما من شك أن فتح منطقة مأرب أمام السياحة العالمية ، يمكن أن يجعلها أكثر المناطق ازدهارا في جنوب الجزيرة العربية .. ومنذ ثلاث سنوات عرض « **وندل فيلبس** » على السلطات اليمنية ، استعداده لبناء فندق ومدينة سياحية عالمية في مأرب ، لانه حسب قوله ، يريد أن يرد الجميل الى حكومة اليمن التي اذنت له بالتنقيب في المنطقة .. ان الآثار اليمنية في طريقها الى الفناء والضياع ما لم يتخذ اجراء حازم لصيانتها .. واثناء تجوالنا في المنطقة كنا نشاهد القطع الاثرية على الطريق ، فيقوم صالح العقيلي بحملها لنقلها الى متحف صنعاء . **والصورة السفلى** تبين رئيس هيئة الآثار اليمنية يحاول اقناع سعيد عبد الله ، بان قصر صرواح الاثري ليس من املاكه!





بالرغم من صدور قانون يمنع خروج الآثار من اليمن ، ومنع سرقتها وبيعها وهدمها .. راجت تجارة الآثار التي كانت تتسرب عبر الحدود المفتوحة، بين مأرب ونجران .. وهذه الصورة تبين الحالة المؤلمة التي آل اليها جسم البوابة الشمالية من سد مأرب .. كانت حائطا أملس ، آية في الروعة والجمال .. هكذا كان بالامس .. اما اليوم فان الاحفاد اقتلعوا الاحجار من اماكنها ، ارسلوها للخارج ، وكسروها قطعا صغيرة ، حفروا عليها بعض الرسوم الهزيلة ، وهم يبيعونها لعشاق الآثار ، على انها قطع اثرية قديمة !



الى اليسار : بعد زيارتنا للمنطقة اتجه اشراف مأرب، ثم مشايخ عبيدة، في قافلة طويلة الى صنعاء .. وهناك تم الصلح بينهما مدة شهرين.. قابلة للتجديد !

الحمراء ، والسوداء ، والثنية رقم ٥ . اسموها الحمراء لان صخورها ورمالها اصطبغت بالدماء الغزيرة التي سالت عليها في الحرب الاخيرة ..

لقد جاءت القوات المصرية الى صرواح واقامت معسكراتها هناك .. لان من يحتل صرواح يسيطر على المنطقة الشرقية من اليمن .. وكان ثلث القوات المصرية تقريبا يرابط حول بئر الماء الوحيدة في صرواح .. «لان ضياع البئر كان معناه نقل المياه جوا وهو امر صعب ، او الموت عطشا ، وهو امر اكثر صعوبة !!! »

كنا ننطلق صوب السد ونحن نحلم بمارب ، وبلقيس ، وسليمان الحكيم ، والجن !

لقد انتقلت عاصمة السبئيين من صرواح الى مأرب ، بعد أن ظلت صرواح عاصمة لهم من نحو عام ٨٠٠ الى عام ٦٥٠ قبل الميلاد ، تعاقب على حكمها ٨ مكربين (ملوك) سبئيين ، وكان كل همهم بناء سدود على وادي (ذنة) ولكنها جميعا كانت تعجز عن تامين حاجة المنطقة الزراعية من المياه .. حتى جاء (يثع امرين) بين عام ٦٥٠ و ٦٢٠ ق.م. ونجح في اقامة سد مارب الجبار الذى اعتبر اكبر عمل هندسي عرفته الجزيرة العربية حتى منتصف القرن العشرين الذى نعيشه .. واعتبره البعض من عجائب العالم القديم ..

اما مارب فقد ظلت عاصمة للسبئيين ، طوال فترة حكم ٦٧ ملكا سبئيا تعاقبوا عليها .. اى من تاريخ بناء السد حتى تاريخ خرابه .

لسنا حشرات ..

كنا نتذكر هذه القصص ، عندما شهدنا حاجزا خشبيا يمنع تقدمنا .. وبجواره وقف شاب طويل قال بصوت هادىء : « ايش عندك يا رويشان .. ومن معك ؟! » .

ونزل اليه « الرويشان » وتحدث معه ... وسمعنا الرجل يقول : « الحكومة تأخذ مالا .. وانتم تاخذون مالا .. ونحن لنا حق في وطننا ، نحن لسنا حشرات نحن أناس مثلكم تماما .. »

ولم يستغرق النقاش طويلا ، اذ سرعان ما انضم الينا الشيخ على سعيد عمير من قبيلة « طعيمة » وركب سيارته الوحيدة في المنطقة التي تحمل لوحة : محافظة مارب .. لقد ركب عميرة معنا ليساعدنا في اقناع أشراف مارب بالسماح لنا بدخول مدينتهم ..

لمن تتدفق السيول ؟

وسرنا وسط اراض خصبة ليس فيها نبتة ولا انسان .. اننا نسير وسط وادى « ذنة » .. هنا تتجمع السيول .. تندفع اليه من الجبال ، من الغرب والشمال والجنوب .. وتنطلق شرقا .. كل سيل له اسم : سيل القطوطة .. وسيل الجوبة .. ولكن جميع السيول تاخذ اسم سيل الذنة عندما تتجمع في هذا الوادى .

وانتقلنا من وادى ذنة الى « الضيقة » ، ممر عرضه نحو ٥٠ مترا يقسم جبل بلق الى جبلين : بلق الايمن وبلق الايسر ، كل جبل منهما يرتفع ٢٠٠ قدم فوق سطح الارض ..

واعقب « الضيقة » متسع من الارض عرضه نحو ٥٠٠ متر وطوله اربعة كيلومترات ، هنا كانت تقوم بحيرة سد مارب ، تحجز كمية هائلة من المياه .. لتروى «الجنتين» عن اليمين والشمال.

ان الامطار لا تهطل على منطقة مارب الا نادرا ، ولكن السيول المتدفقة بغزارة في واديها هى التى جعلت السبئيين يقيمون السد الجبار لرى نحو

الى اسفل : بئر الماء في صرواح ، وبجانبها مخلفات الحرب .. منذ ٢٨٠٠ سنة وهم يستقون من هذه البئر العميقة التى يحرسها جن أسود يخرج في الليل ، واذا مات هذا الجن فان البئر ستجف !! هكذا يعتقد الاهالي على الاقل .. !





رسم يوضح منطقة سد مأرب .. وكيفية تدفق السيول من الشمال والجنوب والغرب لتتجمع في خزان طبيعي دائري قبل السد .. اما جسم السد فكان طوله نحو ٦٠٠ متر .. وعلى جانبيه بوابتان : شمالية وجنوبية .. ومن هاتين البوابتين تخرج قناتان ، واحدة تروي الجنة الجنوبية واخرى تروي الجنة الشمالية .. وكل قناة تنقسم في نهايتها الى ١٢ فرعا عند مقاسم المياه ، لتروي ارضا كانت مساحتها ٨٠ كيلومترا مربعا تقريبا .. وفي مطلع هذا العام هبطت عند منطقة السد طائرة عمودية (هليكوبتر) تحمل مهندسين عالميين لدراسة امكانية اعادة بناء السد على نفقة الشيخ زايد .. لان المياه ما زالت تتدفق بغزارة دون أن يحجزها حاجز .. (الرسم بتصرف من كتاب رحلة في بلاد العربية السعيدة للاستاذ نزيه مؤيد العظم)

٨٠ كيلومترا من الاراضي الزراعية الطيبة المرتفعة عن بطن الوادي بخمسة امتار ..

والسيول الغزيرة ما زالت تتدفق الى اليوم بغزارة وبنفس الكميات ولمدة ٩٠ يوما في السنة ، ولكنها تذهب وتضيع هباء لعدم وجد سد يحبسها.

السد لن يطير

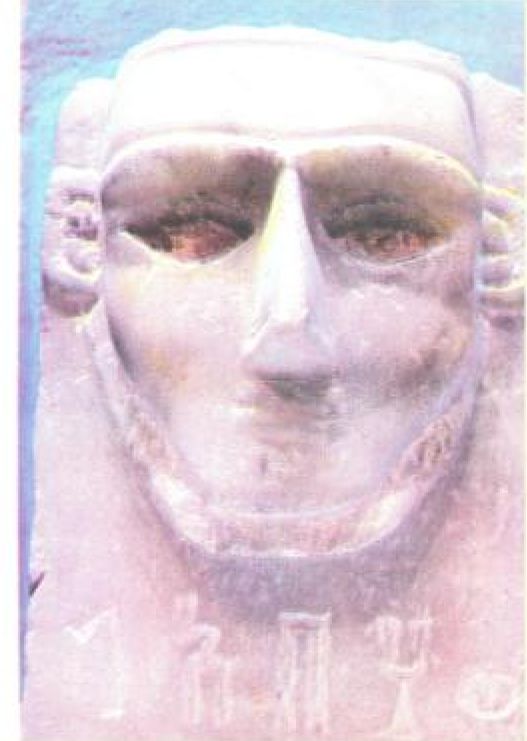
كانت عيوننا شاخصة الى الامام ، فموقع السد اصبح قريبا .. ولاح امامنا بناء عال مرتفع توقفت السيارات عنده .. وسارعنا بالهبوط .. كل منا يحاول أن يسبق زميله في الوصول الى السد اصبح قريبا .. ولاح امامنا بناء عال مرتفع اليه .. ولم تنفع نداءات الشيخ محمد المصري ، من مشايخ بني جهم ، وهو يقول لنا : « على مهلكم يا اخوان فالسد واقع في اراضينا .. ارض قبيلة بني جهم .. وعندكم مطلق الحرية وطول الوقت لمشاهدته كما تريدون .. فهو لن يطير .. »

والواقع اننا كنا نخاف فعلا ان يطير السد .. فمنذ ١٥ سنة لم يصل شخص غريب الى هذا المكان الذي نقف عليه ، وكم من محاولات يائسة قام بها رجال الآثار والتاريخ في العالم للوصول الى السد،باءت كلها بالفشل .. كل هذا بالاضافة الى العراقيل والمتاعب التي صادفتنا في الطريق، فصرنا نعتقد اننا لن نصل ابدا الى السد ..

السد ومرجاز البن !

ووقفنا تحت ظلال السدفرحين سعداء ..نصوره من كل زاوية واتجاه ، كانه عروس نريد استجلاء كل اوجه جمالها وحسنها .. نتطلع اليه مشدوهين مذهولين من ضخامته وروعة هندسته ، وكم تمنينا لو كان معنا كل مهندس عربي ليرى هذا التناسق والجمال .. ويرى كيف استطاع الاولون حفر الجبل وتحويله الى ممرات ، وكيف استطاعوا ربط احجار البناء بالجبل .. وكيف ربطوا

كلما تدفق سيل على منطقة سد مأرب ، جرف معه آثارا ومجوهرات سبئية نادرة ، ويخفيها الاهالى حتى يجدوا المشترى المناسب الذى يدفع الثمن .. وفي متحف الآثار بصنعاء ، شاهدنا مجموعة رائعة للآثار السبئية . ان العالم بدأ عملية نهب آثار اليمن منذ منتصف القرن الثامن عشر .. نقل الى بلاده أروع النقوش والتماثيل البرونزية والنحاسية والمرمرية السبئية، ومع ذلك فان ما بقي في المتحف يوضح تماما مقدار التقدم الحضارى الذى كانت عليه مملكة سبأ ..
انظر الصورة العليا مثلا : صورة نسر سبأ الشهير يصارع حيتين بمنقاره ومخالبه .. لوحة بارزة رائعة منقوشة على قطعة من المرمر .. اما الصورة اليمنى فتمثال من المرمر لوجه امرأة قدمته الى اله القمر السبئى الشهير « المقة » الذى استمرت عبادته نحو الف عام في بلاد العرب الجنوبية ، تعبيرا عن شكرها للإله الذى أستجاب طلباتها .



الى اليمن : بدأ عهد سبأ حوالي سنة ٨٠٠ قبل الميلاد ، واستمر حتى عام ٥١٠ بعد الميلاد .. وهذا التمثال الرائع المصنوع من البرونز قد صنع في القرن السادس قبل الميلاد وقد قدمه صاحبه (معد يكرب) الى الاله (المقه) بشكره على افضاله ..



اغرب ظاهرة لمسناها خلال جولتنا بين آثار هذا الماضي البعيد، هي ان اخواننا العرب في منطقة مأرب يكتبون خط « المسند » الحميري بسهولة اكثر من الخط العربي الذي نكتبه اليوم .. لان المدارس العربية لم تظهر في هذه المنطقة بعد !! وهذا نموذج لخط المسند ، منقوش على قطعة رخام شفاف من العهد السبئي ..

الاحجار بعضها مع بعض مستعملين قضبانا قصيرة من الرصاص والنحاس لزيادة قوة البناء ..

ومن المؤسف ان الاحفاد يسرقون حاليا تلك القضبان ، يستعملونها « مرجازا » يدقون به البن !!

والواقع ان البناء الذى شهدناه امامنا ليس هو السد باكمله ، فجسم السد قد ازاله « سيل العرم » ولم يتبق من السد سوى البوابتين الشمالية والجنوبية .. (انظر تفاصيل السد مع الصور والرسوم) .

القرآن الكريم وسبأ

وقصة سد مأرب وسبأ ، تلخصها آية سبأ التى وردت فى القرآن الكريم ، وفيها يقول الله تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان من يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور .. »

وقد اختلف المفسرون فى معنى العَرِم ، فذكر صاحب لسان العرب : « العَرِمة سد يعترض به الوادى والجمع عرم .. وقيل قد يكون ذكر الفأر .. وقيل اسم واد .. وقيل العَرِم هو المطر الشديد » .

اسطورة الفار الذى هدم السد

وقال ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان : « ان موعد خراب سد مأرب تنبأت به كاهنة تسمى طريفة ، أخبرت الحكام بنبوءتها ، فصعدوا الى رأس الوادى ليروا ما حدثتهم عنه ، فشهدوا الجرذان الحمر تحفر السد بأنيابها، فتقلع الحجر الذى لا يحمله مائة رجل ، ثم تدفعه بمخاليب رجليها حتى تسد الوادى ..

ولم يترك بقية المؤرخين العرب قصة الفئران تمر بسهولة ، فذكرها العلامة الدميرى فى كتابه حياة الحيوان قائلا : « لما كفر أهل مأرب بنعمة ربهم ، سلط عليهم جرذا أعمى ، يسمى الخلد، نقب السد من أسفله ، فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا وربطوا عندها درم (أى قطة أو هرة) ولكن أقبلت فأرة حمراء الى هرة من تلك الهررة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة ، فدخلت الفأرة فى الفجوة وحفرت ثقبا ، فلما جاء السيل وجد خللا ، فدخل فيه حتى قلع السد ، وفاض على اموالهم (ارضهم ومزارعهم) فأغرقها ودفن بيوتهم بالرمال .. » .

اما « الضحاك » فقد ذكر ان الجرذ الذى خرب السد كانت مخالبه وانيابه من الحديد !!

فار السد مازال يتناسل حتى اليوم

وسألنا مرافقينا : هل ما زالت الفئران باقية الى اليوم ؟

فاجابنا أحد ابناء بنى جهم : « الله يشهد ان الفار الذى فجر سدنا العظيم نزل فى غرارة كان يحملها جمل من خولان .. ايه والله .. وهذا الفار ما زال يفرى أولادا ، ونسله مستمر من

الى اسفل : هكذا اصبحت حالة بنات بلقيس: مريضة فوق ظهر حمار .. ! قال لنا شقيقها بلهجته العامية « انها وجيعة جدا فى رأسها ، أشتهى دكتور ، ماشي مع الحمار منذ ساعة » انها احدى مآسى انغلاق المنطقة .



ذلك اليوم الى تاريخنا .. الآن .. وحجمه مثل البَسّم (القط) الصغير .. ايه والله .. وراسه راس بسم .. وشنبه شنب بسم .. وايديه وارجله نفس الشيء .. الا انها اقصر قليلا .. »

النوم فوق الرمال

كنا نتحدث غير منتبهين الى الوقت .. لقد اتجه الشيخ عمير الى اشراف مارب ليسمحوا لنا بزيارة مارب ، التي تقع على مسافة ١٠ كيلو مترات منا ، واتجه شيخ بني جهم الى قبيلة عبيدة لتسمح لنا بالمرور الى اشراف مارب .. ولكن كلا المندوبين لم يعد .. والليل بدأ يرخي سدوله ، وبرودة الجو تزداد .. فبدانا نقتطع شجر الاثل المنتشر عند السد ، نستعمله حطبا للتدفئة .. واتجه سائق السيارة الى صرواح ليشتري خروفين للعشاء ..

« بلقيس » بين الحقيقة والخيال

ورحنا نقطع الوقت باحاديث خفيفة ، بدأناها بسؤال احد شيوخ القبائل عن بلقيس وهل كانت جميلة

فاجابنا على الفور : « جميلة ؟ الله على جمالها .. لقد خلقها الله على أجمل صورة .. لكن الشعر على رجليها كان ينبت كثيفا !! »

اما نشوان الحميري المتوفى عام ٥٢٧ هـ. فيذكر ان بلقيس هي ابنة الملك الهدهاد بن شرحبيل الذي تزوج بامراة من الجن لم ير الراءون احسن منها وجها ، ولا اكمل منها خلقا .. فولدت له بلقيس فنشأت اعقل امراة سمع بها في ذلك الزمان ، وافضلهن رأيا وحلما وتدبيرا وعلما .. وقد ملكت بعد وفاة ابيها .

وفي ايامنا هذه نشر احدهم كتابا عن قصة بلقيس في ٧٠٠ صفحة !!

وحتى نقطع الشك باليقين في قصة بلقيس سالنا القاضي اسماعيل الاكواع رئيس هيئة الآثار اليمنية ان يحدثنا عنها ، فقال : « لم يرد اسم بلقيس في اي من النقوش أو الرسوم السبئية التي عثر عليها حتى اليوم .. الا انه ورد في بعض النقوش اسم « ملكة » دون تحديد اسم لها .. وفي منطقة بني حشيش توجد قرية اسمها : الملكة .

« وفي سورة النمل : قال الله تعالى : **« اني وجدت امراة تملكهم »** ، ولم يذكر اسم بلقيس ..



كانت ترتفع هنا ستة اعمدة اثرية بجانب قصر صرواح ، لم يبق منها اليوم سوى هذين العمودين ، اما الاربعة الباقية فقد استعملت في بناء منازل الاهالي !!

واعتقد أن هذا الاسم معروف بالتوارث جيلا بعد جيل .. ومن يدري !! »

قف عندك !

وبينما كنا نتحدث حول النار سمعنا سائقنا يصيح : « قف عندك » **.. وفي الحال أمسك جميع مرافقينا ببنادقهم السريعة الطلقات ووضعوا أصابعهم على الزناد ..**

ومن الظلام خرج شاب هزيل تبدو عليه ملامح التعب ، قال لنا : اسمي علي عبد الله الحداد .. واريد زجاجة بترول ! »

قلنا : « واين هي سيارتك ! »

هل هناك أقسى من أن يكره المواطن ارضه وبلده ؟ هذه اليوم هي مأساة شباب منطقة سبأ .. لقد التقينا بثلاثة منهم ، قال أولهم : « **خذوني معكم لقد كرهت هذا البلد ، ابي لا يريد أن يعلمني ..** » وقال الثاني : « **لا اجد شيئا يستحق ان اعيش من اجله هنا ..** » وقال الثالث : « **اريد ان اهرب من الحياة القاسية التي اعيشها ، ويعيشها كل شاب مثلي هنا .. انى ابحث عن العلم في اي مكان .. « شلوني» خذوني معكم الى كويتكم ..** » وتركناهم ، وفي العين دمعة ، وفي القلب غصة، ولكنا لم نتخل عنهم فقد نقلنا صرختهم الى السيد جاسم المرزوق وزير التربية الكويتي ، فقال : « **مرحبا بهم في وطنهم وبلدهم الكويت .. وكل بلد عربي فهو لهم وطن** » ..



الى اليمين : أقام بعض الاهالي المضخات في مناطق متفرقة من البلاد ، سحبوا بها المياه من جوف الارض ، زرعوا عليها العنب والقمح والذرة ، فكانت المحاصيل مذهلة من ناحيتي النوعية والكمية..ومن الغريب أنهم يستعملون الرخام والاحجار كعرائش لاشجار العنب ..



اشتهرت قرية الكبْس بأنها مركز « المهجرين » ، أي الذين يهجرون بلدتهم ليقوموا بمهمة « حمامة السلام » بين القبائل المتحاربة دوما .. ويرتدي المهجرون على رؤوسهم « القاووق » وهي عمامة مصنوعة من الحرير الملون ، تلف عليها قطعة من الشاش الخفيف .. وحجم القاووق يصغر ويكبر حسب أذواق الناس ، وإن كان الحجم الصغير هو المفضل حاليا .. ان « الكبس » ، أو « بلدة السلام » ، تعرضت في الحرب اليمنية الأخيرة لقصف عنيف بالدبابات والطائرات ، أسفر عن تهدم معظم دورها ، وأصبح طلبة المدرسة القرآنية يتلقون دروسهم في الهواء الطلق بعد خراب مدرستهم !! ترى من الذي سيرمم هذا الدمار الشامل !!

قال : « انا لا أملك سيارة .. وأريد البترول حتى أتخلص من السوس (الدود) الذى فى معدتى .. » !!

قلنا متعجبين : « ولكن شرب البترول قد يقتلك ! »

قال : « لا .. اعطونى قليلا ، ولن اموت .. »

وأكد لنا شيوخ القبائل الذين معنا ، ان هذا العلاج شائع فى المنطقة ، وانه لا غضاضة فى ذلك .. وامسك الرجل بزجاجة البترول ووضعها على فمه وبلع ما فيها .. فرجوناه أن يبتعد عن النار رحمة بحاله !!

المدرسة قبل الطريق

قلنا لشيوخ القبائل الذين معنا : عندما كنا فى صنعاء قال لنا السيد عبد الله فهد القبل ، مدير مكتب مساعدات المملكة العربية السعودية لليمن ان لدى المكتب اعتمادا ماليا لبناء سبع مدارس وثلاثة مستوصفات فى المنطقة الشرقية من اليمن ، وهم ينتظرون انفتاح الطريق ليبدأوا فورا فى بناء المدارس ، فما رأيكم فى هذا الكلام ، واين يمكن بناء هذه المدارس ؟ »

فقالوا : « نحن على أتم استعداد للمساعدة فى بناء المدارس مجانا ، كل الذى نريده أن يتعلم أبناؤنا .. ولا يمكننا الانتظار حتى يشق الطريق ، فهذا قد يستغرق سنوات وسنوات .. اننا فى حاجة الى ١٥ مدرسة ، فى جحانة ، والاعروش ، وفرو ، وبنى سحام ، والكبس ، وسهمان ، وحباب ، وبنى شداد ، وصرواح ، وارالد دنا ، ومأرب ، مرادة ، وحصون جلال ، والجدوة .. ان اطفالنا يكبرون بسرعة ، لهذا نريد هذه المدارس بسرعة !!

« أما المستوصفات فقد رأيت حالتنا .. ان كل شخص هو طبيب نفسه هنا .. وثلاثة مستوصفات فى جحانة والاعروش وصرواح ، يمكن ان تخفف الكثير من آلامنا .. »

وكان البرد قد اشتد ، فارسل شيخ صرواح السيارة الى بلدته لتجلب لنا الاغطية الصوفية ، وضعناها فوق رؤوسنا ورحنا فى سبات عميق (انظر الصورة) .

الجنة اصبحت رمالا

وجلسنا فى الصباح نشرب « القشر » اى قشر البن ونستمع الى اخبار « على عميرة » و « بن جهم » يخبراننا بان أشراف مارب سيصلون عند الظهر ، وان قبائل عبيدة سيصلون بعد صلاة العصر .

وبدأنا نتجول ، فيما تبقى من الوقت ، بين الآثار .. اتجهنا نحو البوابة الشمالية للسد ، ورأينا حجارتها المنزوعة المسروقة . .وسرنا بين الاطلال المتبقية من جسم السد .. وانطلقنا لمشاهدة « الجنتين » فلم نجد الا رمالا ، بعد أن كانت المرأة السبئية من قبل تسير بين اشجارهما حاملة الزنبيل على رأسها فتتساقط الفاكهة ، ويمتلىء الزنبيل بها ، دون أن تلمس المرأة الشجرة !! قصة تكرر ذكرها فى كتب التاريخ تظهر لنا مدى خصب تلك المنطقة التى كان يعيش فيها ملايين البشر ، انخفض عددهم اليوم الى ثلاثة آلاف نسمة فقط !.

حروب محلية

وعدنا ظهرا الى موقعنا تحت السد ننتظر وصول أشراف مارب ، فلم يصل منهم أحد .. وجاء من يخبرنا أن اشراف مارب منقسمون الى قسمين ، يتحاربون فيما بينهم حول مارب ، وقد وقع منهم اربعة قتلى .. ومن ناحية ثانية هناك معارك حربية اخرى بين أشراف مارب وقبيلة عبيدة ، حول محرم بلقيس أو معبد اله الشمس ، لهذا تأخر وصول أشراف مارب الينا ، حتى يتم الاتفاق بينهم اولا ..

اما قبيلة عبيدة فقد حضروا بعد صلاة العصر .. وتبعهم أشراف مارب .. وسمحوا لنا بدخول مدينة مارب لمدة ٢٠ دقيقة فقط .. لقد قررت القبيلتان عقد هدنة ، ووقف القتال بينهما لمدة سبعة أيام اكراما لنا ..

مدينة الاشباح

كانت الشمس تميل للمغيب .. وسيارة (اللاندروفر) تسرع بنا نحو مارب فى سباق مع الشمس .. ودخلنا المدينة التى طبقت شهرتها آفاق العالم القديم ، وسرنا فى شوارعها ..فصعقنا .. انها مدينة الاطلال والاشباح .. كل شيء مهدم فيها : دار الضيافة تصدعت .. وبناية المتحف تهدمت .. ومبنى الحكومة الحديث الضخم ، الذى استعمل فى بنائه احجار ١٥ معبدا سبئيا اثريا ، اصبح مهجورا متداعيا ..

انها الحرب هذه القرية التى هدمت ١٠٥٠ بيتا من بيوت مدينة مارب ، فهجرها اهلها واصبحوا يعيشون فى البوادى والضواحى ..



هذا ما تبقى اليوم من جسم السد الذى اكتسحه سيل العرم .. لقد كان طول جسم السد نحو ٦٠٠ متر ، وعرضه ٢٠ مترا ، وارتفاعه ١٥ مترا تقريبا .. وكان مصنوعا من الطين والاحجار والرصاص اما اليوم فيجرى التفكير في اعادة بنائه بالاسمنت والحديد ..

وسألنا عن مصير الآثار التى اكتشفها « وندل فيليبس » فاخلونا الى حجرة فارغة مهدمة فى مبنى الحكومة .. ان الآثار النادرة الثمينة التى اكتشفها وندل فيليبس « سرقتها » القوات الملكية والجمهورية التى تبادلت احتلال مدينة مارب عدة مرات !!

اما معبد اله الشمس ، او محرم بلقيس ، فقد جاءنا التصريح بالذهاب اليه متأخرا من قبيلة عبيدة ، وكنا فى عجلة من امرنا ، فتركنا المحرم الذى اخبرونا بان حجارته المنقوشة الملونة البديعة ، قد اقتلعت منه ، وارسلت الى نجران لتساهم فى بناء مبانيها .

لو تعلمنا

وبدانا رحلة العودة .. رحلة كثرت فيها الاحاديث وتبادل الآراء عن مشاهداتنا ونزلنا عند الشريف عبد العزيز عبد الرحمن الامير من رؤساء اشراف مارب ، الذى اصر على تناولنا العشاء والنوم فى منزله وكان عددنا ١٩ شخصا ، فذبح لنا العديد من الخراف ، وجهز لنا الغرف بالفراش .

وعند الشريف استمعنا مذهولين الى الشاب يحيى عبد الله الامير يحدثنا ببراءة وذكاء قائلا :

« أنتم لا تريدوننا أن نتعلم ، لأننا لو تعلمنا وكانت عندنا مدارس ، لتغلبنا وتفوقنا عليكم .. اننا نقود



الى اليسار : كانت الوعول والغزلان تعيش في منطقة صِرْواح بأعداد كبيرة .. وقد سجل السبئيون في نقوشهم رسوم هذه الحيوانات بمهارة زائدة.. وترى هنا أحد هذه النقوش الدقيقة ملقىً بإهمال زائد في فِناء قصر صرواح ، وبجانبه جلس علي محمد المصري الجهمي ، أحد أبناء صرواح ..



الى اليسار والى اسفل : صورتان توضحان حالة مدينة مأرب اليوم .. لقد أصبحت مدينة الاشباح ، لا تسكنها الا اربع عائلات .. والمطلوب اليوم اعادة ترميم وبناء منازلها التي هدمتها الحرب اليمنية ، حتى يعود اليها أهلها الذين يعيشون اليوم ، حاقدين ثائرين في السهول والوديان .

السيارة في الجبال دون أن نتعلم السياقة .. ونبطل مفعول المتفجرات في الالغام بشوكة من شجر "السَّلَم" .. ونطلق القنبلة من مدفع البازوكا دون جهازها ، باستعمالنا بطارية صغيرة .. كل هذا نفعله دون أي تعليم ، فكيف بنا لو تعلمنا ؟ !» .

اين هي الحكومة

وعندما وصلنا صرواح اتجهنا الى «معبد القمر» وفتح لنا عبد الله سعيد الباب .. وكم كان من الافضل لو لم يفتحه .. لقد تحول القصر العظيم الى مستودع للمهملات والنفايات كلها ، تحيط بلوحة النصر السبئية الرائعة الملقاة على الارض مهملة..واصر صالح بن علي ، على طردنا من المعبد قائلا : أنا صاحب المعبد .. اخرجوا من هنا .. قلنا : لا .. لن نخرج هذا المعبد ملك للحكومة .. اجابنا بسرعة : واين هي هذه الحكومة .. اننا نريدها .. ولكنها لا تأتي الينا ولا نعرفها !!

الى اسفل « لعنة بلقيس هي التى أصابت مبنى الحكومة في مارب ، لانهم اخذوا أحجار ١٥ معبدا سبئيا قديما ، ليشيدوا بها هذا المبنى الحكومى » ، الذى أصابته قنابل الطائرات والمدافع في الحرب الاهلية اليمنية الاخيرة .



هذه هي فاكهتنا ..

وكان قد مضى على وجودنا في المنطقة نحو أسبوع لم نذق خلاله الا لحم الخراف مع الارز .. اما الفاكهة والخضراوات والثلج والمياه الغازية ، وحتى مياه الشرب النظيفة ، فليس لها اثر في المنطقة ..واحس بن عميرة بما نفكر فيه فقال لنا : تشتهون تفاحة ؟ .. تفضلوا .. وادخل يده في حزامه واخرجها ممسكة بقنبلة يدوية ، قائلا : هذا هو تفاحنا وبرتقالنا .. ان سر حياتنا يكمن فيها .. ولكننا على استعداد للتنازل عنها وعن كل اسلحتنا اذا جاءتنا الحكومة ، وحرستنا وابعدت العدو المخرب عن ديارنا .. »

احاديث .. واحاديث لا نهاية لها .. كل شخص له رأيه ، وله مشكلته ، وله متاعبه ، وله مأساته والامه ..

كل منهم يحمل سلاحا هجوميا متطورا ، يهاجم ولا يدافع .. وكلما ضعفت حكومة صنعاء زادت قوة القبائل .. ان مشكل المنطقة يتمثل في كيفية نقل ابنائها من حالة الحرب والثار ، الى حالة السلام والمحبة ..

انهم يعيشون في فراغ شامل ، حتى قال لنا أحدهم : « ان العصر الجاهلي لم يكن قبل الاسلام انما هو في هذه الايام .. »

مطلوب كلمة حلوة

انهم يستصرخونك ايها الاخ العربى لتجدتهم ..

لقد تكفل الشيخ زايد آل نهيان ، بشق الطريق الى مارب ، وباعادة بناء السد ، وانشاء متحف للآثار في صنعاء ..

وهذا شيء عظيم رائع .. الا ان المطلوب أكثر من ذلك بكثير .. فهناك مهمة اعادة بناء المدن المهدمة .. وقبل هذا وذاك مهمة اعادة بناء الانسان الذى لم يعلمه او يطوره احد منذ عهد بلقيس !

ان هذا الانسان العربى الاصيل الذى لم يختلط به اى جنس من الاجناس ، في حاجة الى العطف والمحبة والابتسامة والتسامح ، اكثر من حاجته الى الشدة والحزم والبطش .. ان تأثير الكلمة الحلوة في ارض سبأ اقوى من الف طلقة وطلقة ..

ولكنا للاسف لم نجد شخصا واحدا ينطق بكلمة حلوة في المنطقة التى كانت ، في يوم من الايام ، مركزا للعسل واللبن ، وموطنا لمملكة سبأ !! ■■

سليم زبال

أنت تسأل .. ونحن نجيب

عمر بن الخطاب يمنع اليهود دخول بيت المقدس

● قرأت عقد الصلح الذى تم بين عمر بن الخطاب ونصارى بيت المقدس حين فتحها المسلمون في عهده سنة ١٥هـ ولفت نظرى فى الصلح قوله «ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود» فهل كان عمر يفضل النصارى هنا على اليهود، مع ان الطائفتين من أهل الكتاب؟ وما وجه العدل فى ذلك وعمر اشهر الحكام بالعدل؟ ولماذا سميت المدينة فى الصلح ايلياء؟ وهل كانت تسمى أورشليم يومئذ او قبله؟

خليفة احمد ابو زيد
كلية الشريعة والقانون ـ اسيوط ـ مصر

ـ قبل أن يصل ابراهيم عليه السلام الى هذه المدينة في نحو القرن ١٩ ق.م كانت تسمى يبوس، وهذا اسمها « يابيث » عند الفراعنة قبله، واليبوسيون هم الذين بنوها ودعوها اورشليم (اى : حامية السلام) وكانت منذ ايامهم حتى الآن مقدسة، مع اختلاف الاديان التى اعتنقها سكانها من أمم شتى طوال العصور.

واذا رجعنا الى بعض تفصيلات أحوالها فى البضع عشرة سنة التى سبقت الصلح عليها ـ بين بطريركها صفرنيوس وعمر بن الخطاب ـ نجد أن هذا الصلح غاية فى العدل والاحتياط له، فقد كان دخول القدس محرما بالقانون على اليهود منذ ثورتهم على الرومان نحو سنة ١٣٥ فى عهد الامبراطور هادريان الذى اخمد الثورة ودمر المدينة وهيكلها، وقتل من اليهود والنصارى فيها وفيما حولها نحو ٦٠٠،٠٠٠ نسمة، وقيل ١،٠٩٠،٠٠٠، وجعل فلسطين مستعمرة رومانية، ثم اعاد بناء المدينة وعمرها بالسكان، وسماها ايليا كبتولينا Aelia Capitolina ـ وايليا هو الاسم الاول لهذا الامبراطور ـ ثم جاء الامبراطور قسطنطين (٣١٢ ـ ٣٣٧م) فاعاد اليها اسمها الاول : اورشليم، وكان قد تنصر اول حكمه وكانت امه (القديسة هيلانة) مسيحية قبله، فعمرت كثيرا من الآثار المسيحية في المدينة، ومع أن قسطنطين حرم كأسلافه التبشير باليهودية الا انه تسامح مع كل الاديان، ومع ذلك ظل الصراع قائما بين اليهود الذين حاربوا المسيحية منذ ظهورها وبين الرومان الذين دان معظمهم بالمسيحية بعد تنصر الاباطرة. وبلغ الصراع قمته بينهما خلال الحرب البيزنطية الفارسية (٦١٠ ـ ٦٢٨) فقد زحف الفرس من الشرق حتى انتزعوا الشام ومصر من الرومان، وخلال ذلك دخلوا اورشليم بالتحالف مع اليهود ضد النصارى ودولتهم البيزنطية، فقتلوا من المسيحيين ٥٧ الفا وأسروا ٣٥ الفا، واحرقوا الكنائس، وسجنوا بطريرك المدينة، ونكل اليهود بالنصارى تنكيلا رهيبا، فلما تم الفتح للفرس ارتدوا على اليهود فنفوهم جميعا من المدينة، ثم استعاد الامبراطور هرقل مصر والشام، فلما دخل فلسطين فى مارس (آذار) سنة ٦٣٠ (٧ هـ) وعرف من النصارى فيها ما فعله بهم اليهود، اجاز لهم الانتقام، وحرم على اليهود الاقتراب من اورشليم.

ويلاحظ أن هرقل هذا هو الذى انتزع المسلمون منه الشام، وان هذه الحرب الفارسية البيزنطية او الرومانية كانت معلومة الاخبار جملة فى مكة بعد ظهور الاسلام، وفيها نزل قول الله تعالى «غُلِبَتِ الرومُ فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين» اشارة الى انتصار الفرس

على الرومان، ثم التنبؤ بانتصار الرومان عليهم أخيراً، وهذا الانتصار هو الذي تم على يد هرقل ضد الفرس . كما لا بد أن نفترض أن صفرنيوس ـ بطريرك اورشليم الذي صالح عمر ـ كان على علم بكل هذه الفظائع التي ارتكبها اليهود ضد اهل ملته لانه كان في قلب المعمعة ، وان نفترض ان عمر كان على شيء من المعرفة بذلك ، وانه اتم معرفته حين ذهب لاورشليم ، ويلاحظ أن أحد اليهود جاء عمر يعرض عليه معونته قبل دخوله اورشليم ، فاذا احتاط البطريرك لاهل ملته في اجراء الصلح لكيلا تعود الفتن اليهودية ، واذا وافق عمر على ذلك ـ فان هذا كله هو ما يوجبه العدل والحكمة ، ويلاحظ أن الصلح لم يحرّم دخول اليهود اورشليم كما حرمه هادريان بل حرم عليهم سكناها فحسب .

(م. خ. ت)

اليوم الدولي لمكافحة التفرقة العنصرية

● لماذا اختارت الامم المتحدة يوم ٢١ مارس من كل عام ، يوما دوليا لمكافحة التفرقة العنصرية والقضاء عليها ؟

محمد سعيد ـ دبي

ـ لقد وقع اختيار الجمعية العامة للامم المتحدة على هذا اليوم بالذات ، استنكارا منها للمذبحة الدامية التي ارتكبتها حكومة جنوب افريقيا البيضاء ، ضد المواطنين السود من أهل هذا البلد ، وهي المذبحة التي كانت أرض القارة السوداء مسرحا لها يوم ٢١ مارس عام ١٩٦٠ ، أي منذ أربعة عشر عاما ، والتي اعتبرت قمة العنف في التفرقة العنصرية .

وقد اتخذت الجمعية العامة قرارها هذا خلال دورتها السنوية المنعقدة في عام ١٩٦٦ ، وبناء على توصيات الندوة العلمية التي دعت الأمم المتحدة الى عقدها في مدينة برازيليا عاصمة البرازيل الجديدة في شهري أغسطس وسبتمبر من ذلك العام نفسه ، للبحث في مشاكل التفرقة العنصرية وسبل القضاء عليها .

لقد كان يوم ٢١ مارس عام ١٩٦٠ ، هو اليوم الذي اختاره المواطنون الافريقيون السود في جنوب افريقيا ويبلغ تعدادهم ١٢ مليون مواطن ، مقابل ، ثلاثة ملايين من السكان البيض الوافدين ، لكي يعبروا سلميا عن أحزانهم وآلامهم بسبب المعاملة السيئة التي يتعرضون لها من جانب حكومة جنوب افريقيا البيضاء ، التي كان يرأسها آنذاك فيرفورد (ابو التفرقة العنصرية) .

وكان في مقدمة الاجراءات التي خرج المواطنون للتعبير عن احتجاجهم عليها ، تصريحات المرور التي تصرفها الحكومة البيضاء للمواطنين السود من اهل البلاد ، حتى تضمن التحكم في تنقلهم من مكان الى آخر ، وبالتالي تحول دون نزوح المواطنين الافريقيين الى المدن الرئيسية التي يسكنها البيض من المنازل التي خصصت لهم في القرى البعيدة النائية ، حيث يعيشون حياة بائسة تحت ضغط الفقر والمرض .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يخرج فيها المواطنون الافريقيون في مثل هذه المظاهرات السلمية للاعراب عن احتجاجهم على هذه التصريحات التي ابتدعها المستعمر الاوروبي في أوائل القرن التاسع عشر . فقد قاموا بخمس محاولات سابقة على فترات متفاوتة كان اولها ما حدث في عام ١٩١٠ ، وآخرها في عام ١٩٥٢ اي قبل وقوع المذبحة بثماني سنوات تقريبا . ولم تكن صور احتجاجاتهم في كل هذه المحاولات تتعدى التجمع في الميادين، وحرق التصريحات وتسليم انفسهم لرجال الشرطة.

وكان يمكن أن يمر يوم ٢١ مارس ١٩٦٠ هادئا، في معظم مدن جنوب افريقيا كما مرت المحاولات السابقة لولا الجريمة التي ارتكبها رجال الشرطة في مدينة شاربفيل Sharpeville ، بالقرب من جوهانسبرج عندما راحوا يطلقون نيران بنادقهم على المواطنين العزل من السلاح ، فسقط ٦٩ قتيلا واصيب المئات بجروح خطرة ، وسارعت حكومة جنوب افريقيا الى اعلان الاحكام العرفية في البلاد . واعتقلت الالوف منهم ، وراحت تتمادى في اجراءاتها التعسفية التي أثارت الضمير العالمي، ودفعت بقضية التفرقة العنصرية الى المحافل الدولية والصفحات الاولى من صحف العالم كله.

(م . ن)

بحيرة جديدة على النيل

● منذ بضع سنوات ، أضيفت على الخرائط « بحيرة ناصر » فوق مجرى النيل .. فهل يمكنكم اعطاؤنا فكرة عن هذه البحيرة الجديدة ؟

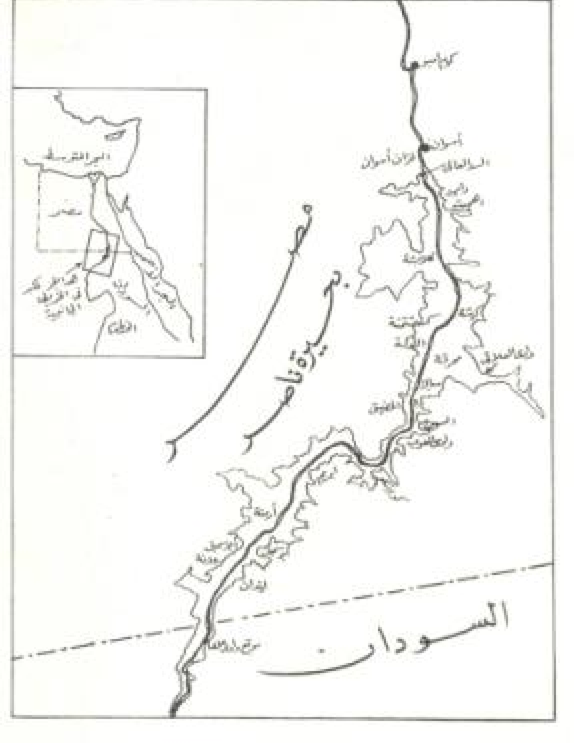
احمد الصواف ـ العمارة/ العراق

ـ في عام ١٩٧١ وبعد أن انتهى العمل من بناء السد العالي ، بدأت المياه تتجمع جنوب السد بكميات هائلة غطت مجرى النيل القديم والوديان المحيطة به شرقا وغربا ، مكونة ما يعرف اليوم باسم بحيرة ناصر ..

وقد أصبح طول هذه البحيرة ٥٠٠ كيلومتر ، منها ٣٥٠ كيلومترا تمتد في الاراضي المصرية ، و ١٥٠ كيلومترا تمتد داخل الاراضي السودانية .. والمساحة الاجمالية لهذه البحيرة بلغت ٦٥٢٠ كيلومترا مربعا ، وبها من الماء نحو ١٧٧ مليارا من الأمتار المكعبة ..

وقد أخذت هذه البحيرة شكلا غير منتظم ، فالوديان الصحراوية القديمة تحولت الى خلجان صغيرة تتفرع في كل اتجاه ، بلغ عددها ٨٥ خليجا ، منها ٤٨ على الشاطىء الشرقي للبحيرة و ٣٧ على الشاطىء الغربي (انظر الخريطة) .

وفي هذه الخلجان تتجمع ثروة سمكية هائلة ، وفرت عملا لاربعة آلاف صياد ، يصطادون كل عام نحو ٦ آلاف طن من الاسماك ، التي ترسل طازجة او مملحة ، الى مختلف المدن والقرى المصرية ..



لقد قامت بحيرة ناصر وسط رمال الصحراء .. ويقول الدكتور عبد الرحمن الخولي في كتابه القيم عن الثروة المائية في الدول العربية الذي اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: « لقد قامت بحيرة ناصر وسط رمال الصحراء ، ومع ذلك ثبت من الدراسات ان البحيرة غنية بالهوام النباتية ، وفي أيام الفيضان ترتفع كمية الفوسفات والسليكات والنيترات الموجودة في مياهها ، ويعمل الضوء الشديد ، وارتفاع درجة الحرارة ، على نمو الطحالب الخضراء . فاذا جمعنا كل هذا وغيره ، لوجدنا ان مياه بحيرة ناصر غنية بالاملاح الغذائية ، التي تسمح بالعيش لاكثر من خمسين نوعا من الاسماك الطيبة . »

واشهر هذه الاسماك هو « البلطي » ويمثل ٤٠٪ من انتاج البحيرة ، ويبلغ طول السمكة الواحدة منه نحو ٦٠ سنتيمترا ، ووزنها سبعة كيلوجرامات تقريبا ..

« ومما يذكر أن بحيرة ناصر هي واحدة من البحيرات الصناعية الاربع التي تكونت في الستينيات بالقارة الافريقية ، اذ تاتي معها بحيرات : الكاريبا بزامبيا ، والفولتا بغانا ، وكينجي بنيجيريا .. »

(س . ز)

٩ر٢٣٪ من دخل اسرائيل القومي ينفق على الجيش الاسرائيلي

● نسمع ان كثيرا من الدول تنفق على جيوشها مبالغ ضخمة من ميزانياتها . فهل لكم ان تذكروا لنا بعض المعلومات عن جيوش عدد من الدول الغربية والشرقية وكذلك دول الشرق الاوسط وتكاليف تسليح هذه الجيوش ومصاريفها . بالنسبة للدخل لكل دولة ؟

فوزى سلطى قافيش ـ الزرقاء

ـ ان الاجابة على سؤالك تتلخص في ذكر ارقام احصائية ذكرها المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن وهي ارقام تقريبية عن القوى العسكرية في العالم كله في عام ١٩٧٢/٧١.

وسنركز اجابتنا على عدة دول هي : الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفيتي ،وبريطانيا وفرنسا ، والصين الشعبية ، ومصر ، وسوريا ، والعراق،، والاردن ، واسرائيل .

ولعل الارقام التي سترد في الجدول المنشور تحت هذا الكلام ، تغني عن اى تفسير لها . وان كان من المستحسن ان نذكر هنا ان الكونجرس الامريكى قد وافق على اعتماد مبلغ ٧٣ الف مليون دولار كميزانية للدفاع عام ١٩٧٤ .

(م. ط)

البلد	عدد القوات المسلحة بالالاف البحرى	البرى	الطيران	قطع اسطول بحري	طائرات قاذفة	مقاتلة	مصاريف القوات المسلحة بالنسبة للدخل القومى
الولايات المتحدة	٥٩ر١٠	٦٠٢	٧٣٠	٣٤٣	٥٤٠	قاذفة استراتيجية	٣ر٧٪
					١٤٠٠	قاذفة مقاتلة ١٢٤٠	
الاتحاد السوفيتى	٠٠٠ر٢	٤٧٥	٥٥٠	٥٧٥	٢٠٠٠	قاذفة مقاتلة ٥٥٠٠	١١٪
					١١٥٠		
					١٤٠	قاذفة استراتيجية	
بريطانيا	٥ر١٨٠	٦ر٨٤	١١١	١١٤	١١٠	قاذفة مقاتلة ١٥٠	٧ر٤٪
					١٣٠		
فرنســـا	٣٢٨	٧٩	١٠٥	٧٢	٢٢٥	قاذفة مقاتلة ١٥٠	١ر٣٪
					٣٦	قاذفة استراتيجية	
					٣٠		
الصين الشعبية	٥٠٠ر٢	١٦٠	٢٢٠	٤٥	٥٠٠	قاذفة مقاتله ١٥٠٠	١٠٪
					٤٠٠		
مصـــر	٢٨٥	١٥	٢٥	١٧	٣٢٠	قاذفة مقاتلة ٢٢٠	٧ر٢١٪
					٢٨		
سـوريا	١٠٠	٧ر١	١٠	ـ	١٢٠	قاذفة مقاتلة ٩٠	٨ر٩٪
العـــراق	٩٠	٢	٨ر٩	ـ	٨٠	قاذفة مقاتلة ١٠٠	٥ر٦٪
					١٠		
الاردن	٦٥	ـ	٤	ـ	٣٥	قاذفة مقاتلة ١٥	٣ر١١٪
اسرائيـل	٦١ر٥ الى ٥		١١ ـ ٢٠	٣	٢٩٢	قاذفة مقاتلة ٩	٩ر٢٣٪
	٢٧٥				١٠		



الاتفاق على شق نفق المانش

● تحدثت الاذاعات من النفق الذي بدأوا في شقه بين بريطانيا وفرنسا تحت مياه بحر المانش . نرجو ان تعطونا فكرة عن طول هذا النفق وتكاليف انشائه .

ـ بحر المانش ، كما يسميه الفرنسيون ، او القنال الانجليزي ، كما يسميه الانجليز ، ما زال بلا نفق .. اى ان نفق المانش ما زال مشروعا ولم يدخل مرحلة التنفيذ الفعلي بعد . الا ان من المؤكد المباشرة في تنفيذ هذا المشروع بين لحظة واخرى وقد تم الاتفاق بين الحكومتين البريطانية والفرنسية في (الخريف الماضي) وتم كذلك او كاد ان يتم التصديق النهائي عليه من قبل البرلمانين المعنيين .

ويبلغ طول النفق ٣٢ ميلا (اى نحو ٥ر٦٤ كيلو متر) وسيصل بين بلدة شاريتون Cheriton الانجليزية قرب مدينة دوفر وبين بلدة فريثون Frethun الفرنسية قرب مدينة كاليه . (انظر الخريطة) .

اما تكاليف نفق المانش فستبلغ عند اكتمال العمل فيه سنة ١٩٨٠ ، نحو ٨٠٠ مليون جنيه استرليني . وهذا مبلغ ضخم كما لا يخفى . وتعزى ضخامته الى ان المشروع المرتقب يستهدف انشاء ثلاثة انفاق لا نفق واحد . نفقان منها كبيران بقطر ٢٤ قدما كما تؤكد احدى الصحف البريطانية والثالث صغير يتوسط المسافة بينهما وهي تبلغ ٧٤ قدما . وسيخصص النفق الصغير لاعمال صيانة النفقين وليكون منفذ نجاة حين الضرورة .

اما النفقان الكبيران فسيعدان للقطارات فقط وسيخصص احدهما لقطارات الركاب ، والآخر لقطارات الشحن التي ستقوم بنقل مختلف البضائع وكذلك سيارات الركاب . وهذا يعني ان نفق المانش لن يصلح لعبور السيارات . وسيصل بين شبكات السكك الحديدية البريطانية من جهة وبين الشبكات الفرنسية والبلجيكية وسائر الشبكات الاوروبية من جهة اخرى . وستكون القطارات التي ستعبره من القطارات السريعة جدا (١٦٠ ميلا بالساعة) بحيث يتسنى لها قطع المسافة بين لندن وباريس في ثلاث ساعات واربعين دقيقة .

وتجدر الاشارة الى ان مشروع انشاء نفق تحت بحر المانش ليس مشروعا جديدا . فقد فكر فيه الفرنسيون ابتداء من نابليون . الا ان الانجليز كانوا يبدون فتورا نحو هذا المشروع ، بل تخوفا من تحقيقه . ذلك ان الانجليز كانوا يعتبرون البحر حصنهم الطبيعي المنيع . لا عجب اذن ان توقف الانجليز سنة ١٨٨٢ عن المضي في شق نفق كانوا اتفقوا مع الفرنسيين على شقه ومضوا في حفره نحو ١٠٠٠ قدم على كلا الجانبين .

ولكن الحال تغيرت بظهور الطائرات والصواريخ وغيرها من الاسلحة الحديثة . وتغيرت الحال كذلك بدخول بريطانيا السوق الاوروبية المشتركة ، وخروجها من عزلتها التي فرضتها عليها جغرافية بلادها . وبذلك اصبح مشروع المانش في نظر الانجليز مشروعا ضروريا تقتضي تحقيقه مصلحة بريطانيا نفسها .

(ى . ز)



عاشت تسعين عاما .. كلها شباب

بقلم : منير نصيف

■ كانت تجلس وحيدة فوق المقعد الصغير وسط الحديقة العامة التى لا تبعد كثيرا عن البيت الذى عاشت فيه أحلى أيام عمرها .. لقد اعتادت أن تقوم بهذه الرحلة القصيرة بعد ظهر كل يوم ، لقضاء لحظات مع الاشجار والزهور كلما انقضت ايام الشتاء الباردة واقبل الربيع ..

وكانت تجد متعة ما بعدها متعة وهى تتأمل اوراق الشجر الخضراء وهى تكسو من جديد الفروع التى جفت تحت وطأة الصقيع ، والبراعم الصغيرة التى بدأت تتفتح مع دفء الربيع ..

وكان قلبها الكبير يخفق بالحب كلما رأت الاطفال الذين تمتلىء بهم الحديقة وهم يلعبون ويلهون من حولها .. فقد كانت ترى فيهم أبناءها واحفادها الذين قضت حياتها كلها ترعاهم وتفنى جسمها وروحها وكيانها فى تربيتهم حتى صاروا رجالا ونساء ، لا تغيب صورتهم عن مخيلتها لحظة طوال ساعات النهار ، رغم تلك المسافات البعيدة التى تفصل بيتها وبينهم !

وسرحت بذاكرتها قليلا الى الوراء .. الى الماضى البعيد القريب عندما كان البيت يمتلىء بهم، يزدحم بضحكاتهم وصياحهم ..

الجدة .. والحفيدة !

وصحت فجاة من ذكرياتها الحلوة عندما احست بيد صغيرة تمتد الى كتفها وتلمسه فى رفق ..

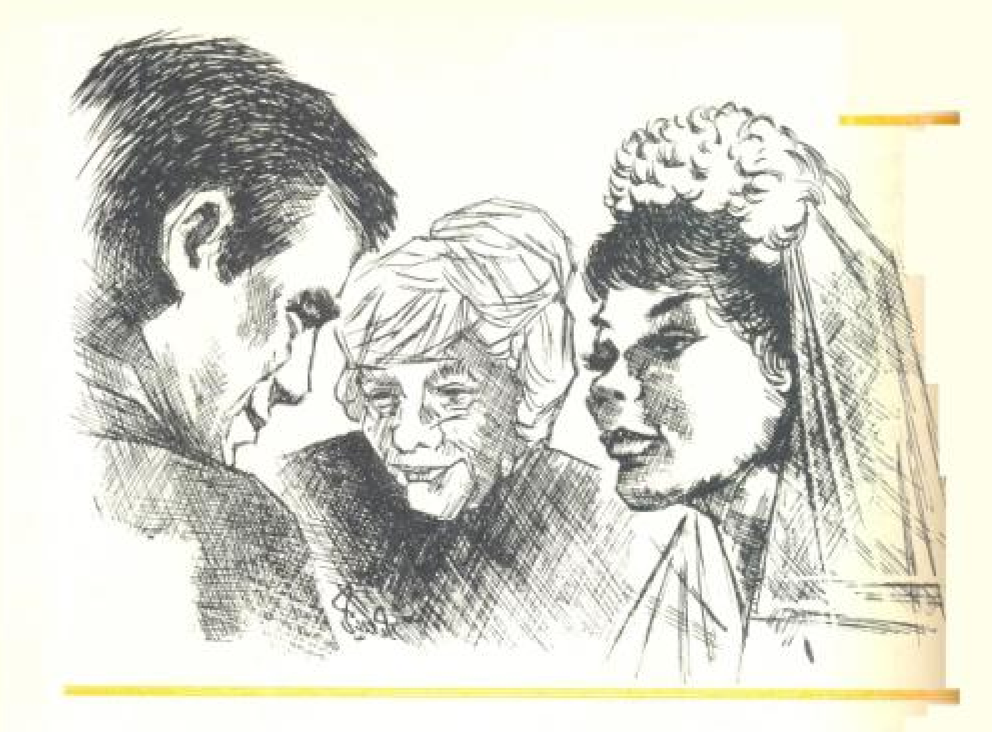
ونظرت الى صاحبة اليد ، فوجدتها طفلة صغيرة جميلة لا تتجاوز عامها السابع ..

قالت : « اسعدت مساء يا سيدتى .. هل تسمحين لى بالجلوس معك .. انك تشبهين جدتى تماما .. ولكنها لم تعد تعيش معنا الآن ، لقد رحلت ! »

وامسكت السيدة بيدى الزائرة القريبة الصغيرة وضمتها الى صدرها وقبلتها وراحت تداعب شعرها باصابعها النحيلة ، ثم قالت تحدثها ، وقد لمعت عيناها المتعبتان ببريق يحمل كل معانى الحب والحنان : « أنت أيضا يا صغيرتى تذكريننى باحفادى الصغار .. انك طفلة جميلة ، ويسعدنى أن تجلسى معى ، وتؤنسى وحدتى وتحدثينى عن نفسك ! »

قالت الطفلة : « فى براءة حلوة ان شعر رأسك ناصع البياض ، هل أنت عجوز يا سيدتى ؟! »

وأجابت الجدة العجوز وهى تزداد اقترابا منها، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عذبة : « لا



يا صغيرتي ليس الأمر كذلك تماما ، ولكنني أستطيع أن أقول لك انني قضيت سنوات شباب طويلة .. طويلة جدا ! »

الصديقة الصغيرة

وتكرر لقاء الجدة العجوز بصديقتها الصغيرة ، في نفس المكان ، في نفس الساعة كل يوم ، وكانت تحمل لها في كل مرة تلقاها هدية صغيرة ..وكانت الطفلة لا تكاد تلمحها قادمة من بعيد حتى تهرع اليها وتلقى بنفسها بين ذراعيها .. ثم تبدأ تبحث بعينيها عن الهدية الجديدة التي حملتها لها صاحبتها العجوز ، حتى اذا وجدتها ، راحت تفض اللفافة بسرعة ، لترى ما بداخلها ، ثم تمسك بيدها وتقودها الى المقعد الذي تعودا الجلوس عليه كل يوم ..

كانت أحب الهدايا الى نفسها هي تلك الاصناف المنوعة من الكعك والفطائر التي كانت تصنعها الجدة العجوز بيديها !

كانت السيدة قد جاوزت عامها الخامس والسبعين عندما كان لقاؤها بهذه الطفلة الصغيرة التي ملأت حياتها وأخرجتها من وحدتها وعزلتها. ومرت الأعوام ، وتعددت لقاءات الجدة بالطفلة الصغيرة في البيت ، وفي المدرسة مع زميلاتها الاطفال ، وفي المناسبات والاعياد .. وكانت اذا مر عليها يوم لم تر فيه صديقتها الصغيرة،أحست بأن شيئا قد ضاع منها .. ولا يهدأ لها بال حتى تجدها ، حتى ولو اضطرها الأمر الى الذهاب الى بيتها قاطعة مسافة تزيد على الكيلو مترين مشيا على الاقدام .. وكم من مرة شاهدوها تسير وحدها عائدة الى بيتها في ساعة متأخرة من الليل وقد تدثرت بمعطفها الثقيل في ليالي الشتاء الباردة .. وهي التي لم تكن تبرح هذا البيت ابدا منذ أن تركه الابناء ورحلوا سعيا وراء رزقهم منذ سنوات وسنوات ..

حرارة الحياة

لقد أحست بانقلاب في حياتها .. لم تعد تشعر بهذا الاحساس بالفراغ والمرض والشيخوخة كلما خلت الى نفسها وراء جدران بيتها .. لقد بدأت تحس بحرارة الحياة تعود الى عروقها .. لم تعد تعيش في هذا الفراغ الذي احتواها،لقد أصبحت حياتها مليئة .. أصبح هناك أمل تعيش من أجله ، ولو انها لا تدري على وجه التحديد ما هو هذا الأمل !

ولكن الذى تعرفه أن هذه الطفلة الصغيرة التى ظهرت فجأة فى حياتها ، والتى اعطتها كل حبها وحنانها ورعايتها واهتمامها .. هذه الصديقة قد اعادت اليها ذكريات حلوة مضت وانقضت مع اطفالها هى ، ومع احفادها الذين تمنت لو أن حياتهم معها وحياتها معهم قد دامت الى الأبد ..

الشيخوخة كيف نقيسها ؟

يقول الدكتور سمايلى بلانتون عالم النفس الكبير فى كتابه « فن السعادة الحقيقية » : « ليس هناك ما هو اشد ألما على النفس ، أكثر من الشعور باعراض الشيخوخة وهى تزحف زحفا بطيئا الى اجسامنا .. وهو شعور طبيعى ، وخاصة لأننا نعرف أنه ليس هناك مهرب منها ، ليس هناك مفر من الهرم !

« ولكن الذى لا نعرفه ، أو الذى يجهلــه الكثيرون منا هو تلك الحقيقة العلمية الثابتة : « ان الشيخوخة لا علاقة لها بالارقام ، ولا بعدد السنين التى نحسبها من اعمارنا .. فكم من شيوخ بدوا شبابا بعد أن جاوزوا السبعين والثمانين .. وكم من شباب أدركتهم الشيخوخة وهمبعد فى ربيع العمر!ولكن البشر جميعا يستوون فى شيء واحد ، رجالا كانوا أم نساء .. فنحن قد نفقد علامات الشباب الظاهرية ونحن نسير فى قطار الحياة ونمضي به من سنة الى اخرى ، ومن جيل الى جيل .. وقد تترك هذه السنون آثارها واضحة على وجوهنا وأجسامنا وقاماتنا التى تنوء بحملها ، ولكننا مع هذا قد نستطيع أن نحتفظ دائما بتلك الروح الشابة المرحة المليئة بالحياة والامل ، تلك التى غمرت نفوسنا فى مستهل حياتنا وشباب عمرنا .. »

الفراغ والوحدة

ويقول الدكتور بلانتون: «اننا نخشى الشيخوخة، وهذا الشعور بالخوف ، هو الذى يعجل بشيخوختنا ... وهو شعور لا يتولد الا مع الشعور بالفراغ والوحدة والتفكير المستمر فى المستقبل الذى نقترب معه حثيثا الى ساعة الرحيل .

« وفى كثير من المجتمعات ، يحكم الناس على المسنين والمعمرين بالاعدام ، فهم يقيمون لهم البيوت التى يسمونها « بيوت العجائز » Old folks Homes ويدعون اليها كل رجل وكل سيدة بقيا وحدهما بلا عائل ، ولا ولد ، حيث يقضون فى هذه البيوت ما تبقى لهم من اعمارهم !

« وما هذه البيوت فى حقيقة الأمر سوى مقابر تحوى بين جنباتها رجالا ونساء اكثر ما يكونون حياة وحيوية .. ! »

« ان قدراتنا لا تتوقف عند سن معينة الا فى وحدتنا ، والا فى فراغنا .. ولو أن العجوز التى بدانا بسرد قصتها فى مستهل هــذا الحديث ، استسلمت لوحدتها وفراغها والعيش مع ذكرياتها، فربما جاءت خاتمة رحلتها فى الحياة ، فى اللحظة التى تركها فيها ابناؤها ورحلوا ..

ولكنها عاشت حتى شهدت ذلك اليوم الذى جاءت فيها صديقتها الطفلة الصغيرة تطرق باب بيتها بعد مرور خمسة عشر عاما علي لقائها الاول بها فى الحديقة العامة التى تعودت أن تجلس فيها مع وحدتها وذكرياتها .

وكبرت الصديقة الصغيرة

وعندما ذهبت لتفتح الباب ، وجدت الجـدة نفسها وجها لوجه امام صديقتها التى استاثرت بكل اهتمامها ، وكانت شابة جميلة ناضجة ممتلئة بالحياة ..

« وقالت الصديقة الصغيرة : « لقد جئت لأدعوك الى حفل زواجي يا « جدتى » ، ويسعدنى أن تكونى معنا فى تلك الليلة .. أن خطيبى يتحرق شوقا للقائك !

« واخذتها بين ذراعيها وقبلتها كما تعودت أن تفعل دائما كلما التقتا ، وفى المساء كانت هناك سيارة خاصة تقف امام باب الجدة لتنقلها الى حفل زفاف الطفلة التى شغلت كل وقتها وتفكيرها فى وحدتها طوال الاعوام الاخيرة .. وذهبت ، وجلست فى الصفوف الاولى ..

« واقترب منها العريسان بعد أن انتهت مراسيم الزفاف ، وقدمت الفتاة صديقتها قائلة : « انها السيدة التى رعتنى فى طفولتى .. انها « جدتى الحبيبة » التى حدثتك عنها طويلا ، وكنت فى شوق دائم للقائها ! »

« وانحنى العريس على يديها يقبلهما ، وبكت الجدة وهى تحتضن رأسه بين ذراعيها ثم قالت :

« هذه الفتاة اعادت الى الامل فى الحياة ، ارجو أن تكون جديرا بحبها ! » واغمضت عينيها ومالت برأسها الى الوراء فى هدوء ، ثم سكتت الى الأبد .. لقد توقف قلبها الكبير المتعب ،وماتت

الجدة العجوز الطيبة وعلى وجهها ابتسامة مليئة بكل معاني الحب والأمل ..

شباب القلب والعقل

يقول الدكتور بلانتون : « ان المرء يبقى شابا دائما ابدا مهما تقدم به العمر ، طالما بقى قلبه يخفق بالحب ، وطالما امتلأت حياته بالصداقة والفكر والأمل ..

« فالشباب ، شباب القلب ، وشباب العقل ، ولا يمكن للعقل أن يبقى شابا الا بالعمل المنتج الخلاق فهذا النشاط الذهنى هو الذى يحرك فينا الرغبة في الاستمرار .. »

« يروى الدكتور سمايلى بلانتون بعد هذا قصة الرجل الذى أحيل الى التقاعد بعد بلوغه الستين ..

« لقد عاش الرجل حياة حافلة مليئة بالعمل والنشاط ، وكان ابا لتسعة ابناء كبروا وتزوجوا بعد أن تخرجوا كلهم في الجامعة ..

« وكان من الممكن أن يقضي هذا الرجل ما تبقى له من عمر ، كما يفعل الالوف غيره من الرجال الذين بلغوا سن التقاعد ، فراحوا يمضون وقتهم في النوم والكسل والاغتراف من ملذات الحياة .. ولم لا ؟ وقد أتموا رسالتهم ووفروا من دخلهم ما ييسر لهم مثل هذه الحياة السهلة التى طالما تاقوا اليها في سنى شبابهم وكفاحهم ..

حياة بعد التقاعد

« ولكنه رفض أن تكون هذه هي خاتمة حياته .. رفض ان يكون واحدا من هؤلاء الذين يقفون في طابور العاطلين المتقاعدين .. فقرر ان يصنع شيئا .. شيئا كبيرا يملأ حياته .. ولكن ماذا يمكن أن يصنع ؟

« وتذكر أبناءه ، وما تحملوه من مشقة في سبيل طلب العلم .. لقد كانوا جميعا يعيشون في احدى القرى الصغيرة التى كان يعمل فيها مهندسا زراعيا .. وكانت أقرب مدرسة ثانوية الى القرية تبعد بما يزيد على الخمسين كيلومترا يقطعها ذهابا وايابا كل يوم ، حتى اذا ما أتموا تعليمهم الثانوى ، افترقوا عن أسرتهم ليذهبوا الى المدينة ويلتحقوا بجامعتها ..

« ولقد بقيت القرية على حالها حتى اليوم .. فلماذا لا تقوم فيها مدرسة ثانوية ؟ لماذا لا يكون هو صاحب هذه المدرسة !

« وافتتح الأب أول مدرسة ثانوية في القرية .. كان هو مديرها وصاحبها والمدرس الاول فيها .. كان يصحو من نومه في الساعة السابعة صباحا ، ولا يعود الى بيته قبل أن تغيب الشمس ..

أمنية تحققت

« كتب يصف شعوره بعد مرور عشرين عاما على تأسيس مدرسته : « أمنيتى أن أعيش لأرى نواة اول كلية جامعية تقام في قريتنا « الكبيرة ! »

ومرت بضع سنوات أخرى، عندما حمل البريد يوما رسالة موجهة الى صاحب اول مدرسة ثانوية في القرية .. وفض الرسالة ، فاذا بها تحمل توقيع مدير التعليم ، واذا بها تحمل اليه تحية تقدير واعجاب بما صنعه لبلاده ، وتدعوه اخيرا لتولى منصب عميد اول كلية جامعية للزراعة ، تقام في قريته الكبيرة ! »

الحياة كما يراها برنارد شو

قال الكاتب والفيلسوف الانجليزى الساخر برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠) ، وقد مات عن اربعة وتسعين عاما ، وكان آخر أيام حياته ينافس اكثر شباب عصره ، فكرا وحيوية وشبابا ، قال يوما يحدثنا عن الحياة وأسرارها : « لا يمكن أن يكون الله قد خلقنا لمجرد الخلق ، هكذا وبلا هدف .. فلماذا يجيء بنا الله لو أنه يستطيع أن يصنع كل ما يريد أن يصنعه من أجلنا بدون مساعدتنا .. لقد خلقنى الله من اجل عمل معين لا بد لى من ان اقوم به ، وقد مضيت أؤدى عملى حتى آخر لحظة في حياتى .. ومن اجل هذا سوف أرحل عن هذه الدنيا راضيا قانعا بما صنعته فيها من أجل نفسى ، ومن اجل البشرية كلها ! » .

يقول الدكتور بلانتون في ختام حديث عن « السعادة في الشيخوخة » : « ان السعادة التى ننشدها في شيخوختنا يجب أن تكون هدفا نسعى الى تحقيقه بجد ونشاط بكل ما لدينا من قوة وشجاعة وتصميم ، وقبل كل شيء بايماننا الذى يجب الا يهتز ويتزعزع ، في قدرتنا على التغلب على الصعاب التى قد يضعها الزمن في طريق مسيرتنا .. وليس هناك من صعاب أكبر أو أعظم من تلك التى تنشأ مع شعورنا بالوحدة والفراغ والحياة بلا أمل ! »

منير نصيف

عبرة لليوم بالأمس ،

من تاريخنا البعيد

عندما غزا المغول المسلمين

■ قصة الغزو المغولي الناجح من اضخم الاحداث في تاريخنا ، وقد كان لا بد من التنقيب عن عوامل ذاك الغزو ، ووقائعه ، وما رافق تلك الوقائع من اباحة من الغازين ، ومن صمود وتناصر ، او هروب وتخاذل من المغزوين .

ففي طيات ذاك الحدث المريع من القصص العجيبة ما يثير الفكرة بعد الفكرة ، وما يدعو الى التأمل الطويل ، وما يجدر بنا الكشف عنه وبثه بثا شاملا لنستخلص ما نستطيع من العبر والعظات ، مما لا بد منه في حياة الامم المتوثبة الى الحياة الكريمة الطامحة الى المقامات العُلى..

شعب شرس مجتاح

لم تكن هجمة المغول على البلاد الاسلامية وغير البلاد الاسلامية اول هجمة تنقضُ بها تلك الجماعة على الناس ، مكشرة عن انيابها ، باسطة ايديها بالسيف .. فقد سبقتها في التاريخ البعيد هجمات دامية عانت منها البشرية ما عانت ، وكابدت منها الارض ما كابدت .

فمن تلك السهول المنبسطة في الشرق من اسيا ، حيث تقوم اليوم جمهورية (منغوليا) انطلقت على فترات متباينة من التاريخ موجاتٌ من العتاة القساة ، كان قوام حياتهم الغزو العنيف لجيرانهم في الصين وتركستان ، غزوا عماده القتل والسلب . بل كانوا اذا اعوز جماعة منهم ضروراتُ العيش ، لم تبال تلك الجماعة ان تستطيل على من هو اضعف منها من قومها ، فتقتل فيه وتسلب وتعيث ما استطاعت العيث .

ومن سلالات تلك الجماعات الدموية عرف العالم قبائل (الهون) Huns في القرن الخامس الميلادي ، تلك القبائل التي تصدرت اكتساح اوربا فهزمت (القوط) الجرمانيين ، وبدت باقصى مظهر من مظاهر العنف والوحشية ، فنشرت في اوربا الهلع المقيم المقعد .

وفيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين عرفت آسيا ما عرفت من البلاء من قبائل (تليو) المغولية التي كانت مواطنها على ضفاف نهري « اورخون » و « تولا » حيث تقوم اليوم « اولان باتور » عاصمة منغوليا .

لقد سيطرت قبائل تليو على المناطق الشاسعة فيما حولها ، وتحكمت باهلها على اختلاف عشائرهم تحكما قاسيا ، على انها هي نفسها كانت محكومة حكما جائرا لا رحمة فيه ، فقد كانت السيطرة فيها لطبقة معينة ، هي الفائزة بالمغانم والاموال ، وهي المتمتعة بالترف والنعيم . طبقة مؤلفة من القواد والحكام والقضاة وجامعي الضرائب ، تلتف حول زعيمها « كاغان » ، واما بقية الشعب فقد كان يتالف منها مجموعة الجيش، وكان عليها أن تملأ بطونها وتسد خلتها مما تجنيه من المعارك وما تنهبه من المقهورين المهزومين .

الامبراطور ابن الراعي

وتطورت بعد ذلك الامور ، فقلت الفروق بين الطبقات خلال القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين . ثم استطاع راع بسيط ان يسيطر بقوة شخصيته وجبروته على الموقف ، ويستولي على الحكم ، وان يتزوج اميرة رزق منها ابنه (تيموشين) ويسميه ابن الاثير (تموجين) الذي ورث ملك والده . وفي سنة ١٢٠٦ نودي بان تيموشين (كاغان) ، ولقبوه ب (جنكيزخان)

أول غزو

بقلم : حسن الأمين

اى مبعوث السماء . واطلق على القبائل كلها اسم القبائل « المنغولية » . و (مبعوث السماء) هذا ، هو الذى مضى يفسد فى الارض ، بعد ان اعد قومه اعدادا جبارا ، مدخلا فى روعهم انهم فوق كل الاقوام ، وانه سيقودهم الى السيطرة على الامم ، والى الغنائم والاسلاب .

وفى السنة نفسها نظم جيشه ، وصهر تلك القبائل المتفرقة صهرا جعلها كتلة واحدة ، ودشن وقائعه بالهجوم على شمال الصين . ولم يصطدم بالمسلمين الا بين سنة ١٢١٥ و ١٢١٦ حيث اشتبك مع شاه خوارزم علاء الدين محمد فى حدود خوارزم التي كانت تمتد من ايران الى فرغانة ، ومن بحر ارالى الى منابع نهر الاندس . والتي كانت عاصمتها (جرانج) الواقعة على نهر جيحون (اموداريا) والتي كانت فى ذلك العصر من المدن العالمية المزدهرة . وما تزال اطلالها بادية فى ضواحي مدينة (كن اورغنش) فى جمهورية تركمانيا السوفياتية

هوى لا يتحقق

كانت لشاه خوارزم علاء الدين محمد بن تكش مطامع واسعة حارب من اجلها (الخطا) وغير الخطا حروبا ضارية عنيفة . وكان من مطامعه ، ولنا ان نقول من مطامحه : ان يدوى اسمه فى بغداد كما خطب قبل ذلك للبويهيين ثم للسلجوقيين مقرونة اسماؤهم باسماء الخلفاء . ولكن الأمر يومئذ كان على غيرما كان عليه أيام البويهيين والسلاجقة ، فالفريقان استغلا ضعف الخلافة ففرض كل منهما نفسه فرضا على بغداد بقوة السيف .

اما اليوم فان الخليفة قد حرر عاصمته ونفسه، واعاد للخلافة هيبتها السالفة ، مما جعله يرد شاه خوارزم ردا حاسما .

واكثر من ذلك فقد كان اذا ورد (الشاه) بغداد لا يعامل المعاملة التى يرى انه يستحقها . يقول ابن الاثير : (وكان سبيله اذا ورد ان يقدم غيره عليه ، ولعل فى عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه ، فكان اذا سمع بذلك يغضبه) .

الجيوش توجه الى الاهل

فى الحين الذى كان فيه (مبعوث السماء) يحشد قومه على حدود خوارزم ، ويثير فيهم الروح العسكرية الطاغية ، وينظم جيشه تنظيما دقيقا ، كان خوارزم شاه مشغولا بالحصول على الالقاب ومتلهيا بطلب ترديد اسمه على منابر بغداد . بل كان العالم الاسلامي كله متمزقا يقاتل بعضه بعضها ويثبت فيه القوى على من يحسبه اضعف منه ، وما خوارزم شاه الا مثالا لغيره من المتسلطين فى تلك الايام . وتذكر شاه خوارزم انه قوى ، وان السلاجقة وقبلهم البويهيين قد لجاوا الى القوة فكانوا اصحاب السلطة فى بغداد ، يتلقبون بما يشاءون ، ويضعون أسماءهم حيث يريدون ، فقرر التشبه بهم والزحف على بغداد . ولكن الثلوج اعاقت تقدم جيوشه وابادت بعضها ، فاوقف الزحف راجعا الى خراسان .

ولم يكن امر المغول خافيا عليه ، ولا كانت اهدافهم مجهولة عنده ، ومع ذلك تخلى عن الاعداد لهم ، ووجه جيوشه الى بغداد . والدليل على ذلك ان ابن الاثير يقول وهو يصف ما حل بالجيوش الخوارزمية المنطلقة الى بغداد : (ومات كثير منهم وطمع فيمن بقي بنو ترجم الاتراك ، وبنو هكار الاكراد ، فتخطفوهم ، فلم يرجع منهم الى خوارزم شاه الا اليسير ، فتطير خوارزم شاه من ذلك الطريق ، وعزم على العود الى خراسان خوفا من التتر) . اذن فالخوف من التتر كان ماثلا امام عينيه ومع ذلك ساق الجيوش الى بغداد ليتردد اسمه على منابرها .

وعاد علاء الدين الى بلاده وفى نفسه

هاجسُ الانتقام من الخليفة الناصر لدين الله لما الحقه به من مهانة ، فلم يجد افضل من ان يعامله بمثل ما عامله الناصر،لذلك قطع الخطبة باسم الناصر فيما تحت يده من بلاد .

ذهنية عجيبة

ولنتعرف الى الذهنية المسيطرة على المغول يومذاك ، نذكر ان ابن الاثير ـ بالرغم من رصانته بالنسبة الى غيره ـ قد شمت بما نال خوارزم شاه على ايدي المغول بعد ذلك .. فقد قال ابن الاثير معلقا على قطع الخطبة باسم الناصر ومشيرا الى خوارزم شاه : (... فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان ، وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العباسي ، لم يتصده احد باذى الا لقيه فعله وخبث نيته ، لاجرم لم يمهل هذا خوارزم شاه حتى جرى له ما نذكره مما لم يسمع بمثله قديما وحديثا) .

وبهذا المستوى من التفكير كان يعالج امر الخطر المغولي .. ومؤرخ بمنزلة ابن الاثير يرضيه ان يضرب خوارزم شاه على ايدي جنكيز خان وتسحق بلاده وتدمر ارضه ، لان ابن الاثير يرى في ذلك عقابا الهيا لمن تجرأ فتعرض (للبيت العباسي الشريف) .

وليت ابن الاثير عاش فادرك عصر هولاكو حفيد جنكيز خان حين تعرض (للبيت العباسي الشريف) لا بقطع الخطبة فحسب بل بالاذلال والقتل والقضاء على الخلافة فلم (يلقه فعله وخبث نيته) ، وان البيت العباسي وغير البيت العباسي،لا يحميهم الله حين لا يحمون شعوبهم...

على ان ابن الاثير نفسه ، لا يلبث حين يتحدث بعد ذلك عن نهاية خوارزم شاه ان يرثيه بمثل هذا القول : (... وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما ، وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه، وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات وانما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين) .

وحدة بالقتل والافناء

يرى ابن الاثير ان العامل الاكبر فيما كتب للمغول من فوز كان (ان خوارزم شاه محمد كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعا فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها) .

ولا يستطيع المؤرخ الحديث الا ان يقف طويلا امام هذا الراى يقلبه على وجوهه ، بل ان هذا المؤرخ لتاخذه الحيرة كل الحيرة من هذا القول يرسله مؤرخ معاصر ، اذا كان لم يشهد الاحداث عن كثب ، فقد كان على كل حال ، قريبا منها (١).

لقد كان يبدو لنا ان تمزق البلاد الى سلطات متعددة وامارات متنوعة هو اليوم وقبل اليوم ، هو في عصر الصهيونية الآثمة كما في عصر المغولية المجرمة ، عامل الضعف الاول وسبيل العدو الافضل . وان تجميع الشمل في وحدة شاملة هو السند القوى . ولكن نظرية ابن الاثير تظهر الامر على غير ما نعتقد ونجزم . فكيف كان استيلاء خوارزم شاه على البلاد وبقاؤه وحده سلطانها جميعها ، كيف كان ذلك علة النكبة ؟

ان ابن الاثير نفسه قد اجاب على ذلك بكلماته القليلة التي قرن بها رايه هذا ، وهو وان لم يكن يقصد التعليل ولم يرد التفصيل ، فان عبارته على ايجازها تدل دلالة واضحة على جوهر الامر . ان ابن الاثير يوجز تصرف خوارزم شاه بانه (قتل ملوكها وافناهم) .

اذن فسبيل التوحيد كان (القتل والافناء) ، واذا كان ابن الاثير لم يذكر الا الملوك ، فمن البديهي ان الملوك لم يقتلوا ولم يفنوا الا بعد استحرار القتل في الشعوب واشرافها على الفناء .

ومن الموجع ان (القتل والافناء) كان شعار الحكام منذ العام ٤١ من الهجرة ، وان هذا الشعار هو الذي اوقع في الامة النكبة بعد النكبة، ومزق صفوفها وجعلها فريسة الفتن والخصام .

علاء الدين ومبرر الهجوم

لم يكن جنكيز خان بحاجة لمبرر ، لكي يقذف بفيالقه التي اعدها احسن اعداد الى البلاد الاسلامية ، ومع ذلك فان خوارزم شاه قد اعطاه المبرر ليهجم بقوم متحفزين لكل شر .

لقد كان جنكيز خان سيزحف حتما الى بلاد خوارزم شاه ، سواء اعطاه خوارزم شاه المبرر ام لم يعطه اياه ، هذا ما يلوح لكل فكر .

---

(١) كان ابن الاثير يومذاك في بلاد الشام .

ولكن الوقائع كانت في اول امرها تتجه غير هذا الاتجاه ، فان جنكيز خان كان قد (فارق بلاده وسار الى نواحي تركستان) ،كما ينص ابن الاثير، وما ادرانا ان لو واصل جنكيز خان سيره ، ولم تحوله افعال خوارزم شاه عن خطه الاول ـ ما ادرانا ماذا كان يمكن للاقدار ان تفعل وماذا كان يمكن ان يطرأ على خطط المغول من تبديل وتغيير ؟

ولكن تصرف خوارزم شاه الاهوج،عجل بالصدام وادى،الى ان تكون مملكة خوارزم شاه هدفه الاول.

الوضع الاقتصادى المغولي

يبدو انجنكيزخان كان بحاجة،الى ان،يعد لرجاله كسوة تنقصهم في سيرهم الطويل نحو تركستان ، فبعث بجماعات تحمل منتوجات بلاده لبيعها في مملكةخوارزم شاه،وتشترى بثمنها كسوة لرجاله.

ويهمنا ان نعلم ماذا كانت بلاد المغول تصدر ، بعد ان عرفنا ما تريد ان تستورد . وفي هذا ما يعطينا فكرة عن نوع التعامل بين البلاد في ذلك الزمن،ويوضح ملامح الوضع الاقتصادى المغولي .

ومن حسن الحظ ان ابن الاثير قد اشار الى ذلك اشارة عابرة ، ولكنها ثمينة ، فقد قال وهو يتحدث عن هذه القصة : (وسيّر ـ اى جنكيز ـ جماعة من التجار والاتراك ومعهم شيء كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ما وراء النهر : سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة) .

وهكذا عرفنا خلو البلاد المغولية من صناعة النسيج،وقيام اقتصادها على قواعد بدائية عمادها الصيد ، وان اقصى ما يمكن ان تصدره هو جلود الحيوانات المعدة فراء ثمينا (٢) اما النوع الاخر والذى يمكن اعتباره اكثر اعراقا في البدائية ، كما يمكن اعتباره عماد الاقتصاد العالمي على مر العصور ، فهو (النقرة) ، فانها حين تنهب من الشعوب ثم تذاب وتكدس ليقايض عليها بالكسوة، تكون في ذلك معرقة في البدائية الشرسة .. (٣) هذا اذا كان فهمنا لمعنى القندر والنقرة فهما صحيحا ، واغلب الظن انه صحيح .

وقد رابنا ان ابن الاثير قد اضاف الى كلمتي : (القندر والنقرة) كلمة (وغيرهما) مما دل على ان في صادرات بلاد المغول غير هذين النوعين ولكن هذين النوعين هما الاساس ، وغيرهما ثانوى قليل. وليت ابن الاثير سمى لنا ما قصد (بغيرهما) لزادنا بذلك معرفة على معرفة .

المال يعمي البصائر

هذه الصلات التجارية التي افتتح بها جنكيز خان روابطه مع مملكة خوارزم ، والتي كان يخيل للناظر انها ربما كانت فاتحة علائق غير سيئة بين الطرفين ، اصبحت فاتحة شر مستطير وقع بمملكة خوارزم ، وبعلاء الدين محمد بن تكش شـــاه خوارزم ، ثم بما طالته ايدى المغول في تلك الفترة الرهيبة ، وصيرها الى افظع مصير ...

ذلك ان اولئكالتجار مضوا الى مملكة خوارزم، فوصلوا اول ما وصلوا الى مدينة (اوترار) ، وهي اول مدينة يصلها القادم الى خوارزم ، ومن البدهي انهم كانوا من الكثرة بحيث يبرز وجودهم في (اوترار) بروزا واضحا ، فلم يدعهم والي (اوترار) يؤدون مهمهم بسلام ، بل ارسل الى علاء الدين يخبره بامرهم وبما يحملونه من مال وافر . ويبدو ان بريق (النقرة) وصفاء (القندر) قد اعشيا عقل علاء الدين ، وان ما وصفت به تلك السبائك وتلك الجلود من الكثرة والوفرة قد غطى على بصيرته فلم يعد يفكر بغير الغنائم والاسلاب ، ولم يعد يرى غير المال .. فارسل الى واليه في (اوترار) يامره بقتل التجار حملة الذهب والفضة ونقلة الفرو الثمين، واحتواء جميع ما يحملونه وانفاذه اليه (وكان كثيرا) ـ على حد تعبير المؤرخين ـ فنفذ واليه اوامره فقتل التجار جميعـا وقبض لرواتهم وانفذها الى خوارزم شاه ، فاسرع هذا ببيعها على تجار بخارا وسمرقند وقبض اثمانها .

واذا قدر لنا ان نسير مع الاحداث في مقالات تالية فسنرى كيف طالب المغول اهل بخارا بما اشتروه من علاء الدين والحال التي وصل اليها اهل بخارا وغير اهل بخارا . ولكن هذا موقوت بزمانه

بيروت ـ حسن الامين

---

(٢) القُنْدُر والقُنْدُس : حيوان لبون من رتبة القواضم ، له ذنب مفلطح قوى ولون أحمر قاتم ، تتخذ منه الفراء ، معرب كندسك بالفارسية .

(٣) النُقْرة القطعة المذابة من الذهب والفضة .

أنباء الطب والعلم والاختراع

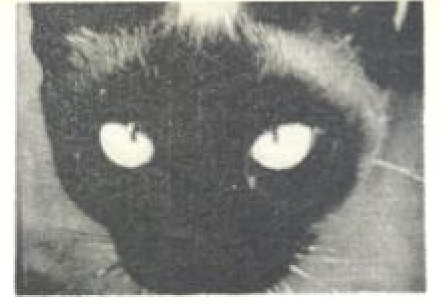
الازدحام .. وصحة الانسان

ساد طويلا الاعتقاد بأن المعيشة فى اماكن مزدحمة تؤثر تأثيرا سيئا على صحة الافراد وعلى سلوكهم . وقد كان العالم الأمريكي جون كالهون John B. Calhon ، والذى يعمل فى المعهد القومي للصحة العقلية ، من اكبر المؤيدين لهذا الاعتقاد وخاصة بعد أن قام بعدة تجارب على فئران المعامل والتي تعيش فى اقفاص مزدحمة . واثبتت تجاربه هذه ان صحة الفئران تدهورت كما تدهور سلوكها ايضا . ولكن قام مؤخرا العالمان الأمريكيان روبرت فاكتور Robert Factor وانجريد والدرون Ingrid Waldron وهما يعملان فى جامعة بنسلفانيا بعمليتى مسح فى مناطق مزدحمة بالسكان ، واستخلصا من هاتين العمليتين ان الازدحام ليس له هذا التأثير الكبير على صحة الانسان .

وقد قام فاكتور ووالدرون باجراء مسح شامل فى ١٠ أحياء بمدينة شيكاغو تتماثل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، ولكنها تختلف من ناحية الكثافة السكانية ، وكانت هذه الكثافة تتراوح بين ١١٫٨٠٠ الى ١٩٫٥٠٠ نسمة فى كل ميل مربع .

وشملت العملية الثانية للمسح بلدين يتماثلان فى مستوى دخل الفرد فيهما ، وعمليات الرعاية الصحية ، فى حين أن الكثافة السكانية فى بلد منهما تبلغ ضعفها فى البلد الآخر .

وقد بحث العالمان فى كل من عمليات المسح التي قاما بها نسبة الوفيات فى مختلف الأحياء والبلاد التي اجروا فيها بحثهما . وبتحليل الأرقام التى حصلا عليها لم يجدا سوى علاقة ضئيلة تكاد لا تذكر بين ارتفاع نسبة الوفيات والمعيشة فى اماكن مزدحمة . وقد استخلص « فاكتور » و « والدرون » من هذه النتيجة أن الاعتقاد الذى كان سائدا بوجود تأثير كبير للمعيشة فى الاماكن المزدحمة على صحة الافراد هو اعتقاد غير سليم ، وانه يبدو ان الازدحام ليس له تأثير كبير على صحة الانسان.



هل هناك علاقة بين نقص المادة الملونة لجلد الحيوان والعيوب الخلقية فى الجهاز البصرى ؟!

● من المعروف ان هناك بعض انواع الشذوذ فى الجينات او المورثات يؤدى الى فقدان المادة الملونة فى خلايا الحيوان، والمصحوب فى نفس الوقت بشذوذ فى الجهاز البصرى . ومن امثلة الحيوانات المعروفة بهذا الشذوذ القطط السيامية، فهي ذات الوان فاتحة الا فى مخالبها واطراف ذنبها وانفها واذنها ، والسبب ان نقص المادة الملونة يتأثر بدرجة الحرارة، والاطراف دائما درجة حرارتها ابرد من جسم الحيوان . وغالبا ما تكون هذه القطط مصابة بنوع من الحول ، اما اذا لم تكن حولاء فانها تكون مصابة بمجرى غير طبيعي للعصب البصري الذي تذهب بعض فروعه الى الناحية الخاطئة فى المخ . وقد ظهرت هذه الحالات غير الطبيعية بالنسبة للجهاز البصرى المصحوبة بفقدان المادة الملونة فى خلايا جلد الحيوان ، فى عدد من الثدييات الاخرى ، واحدث هذه الحيوانات النمر الملقب بالنمر الأبيض .

وهذا النوع من النمور يتميز بعيونه الزرقاء المصابة بالحول ، وان جلده مخطط بالابيض بدلا من اللون الأصفر ، وكذلك باللون البنى الفاتح . وقد اتيحت الفرصة مؤخراً للعلماء لدراسة هذا الشذوذ الناتج من المورثات فى هذه الفصيلة من النمور ، اذ مات احدها فى حديقة حيوانات واشنطن ، وبذلك قام العلماء بدراسة تشريحية على مخ هذا النمر واثبتت تماثلا مع نفس الشذوذ الموجود فى مخ القطط السيامية .

ويتساءل العلماء الآن هل هناك علاقة بين المادة الملونة لجلد الحيوان ، وهذا الشذوذ فى الجهاز البصرى ؟ واذا كانت هناك علاقة فما هي . . . ؟! وهل ينطبق هذا على الانسان ايضا ؟ وكلها اسئلة لم يجب عليها العلماء حتى الآن .

المحافظة على الحيوانات من الانقراض مهمة جديدة لحدائق الحيوان

● تدل الاحصائيات التي نشرت مؤخرا على ان هناك حوالي ٢٩١ نوعا من الحيوانات الثديية و ٢٤٠ نوعا من الطيور مهددة بالانقراض من على ظهر الارض ، وان هذه الانواع من الثدييات والطيور قد اخذت فى النقصان بدرجة خطيرة . وتقول هذه الاحصائيات ان نصف عدد الثدييات المهددة بالانقراض يوجد فى حدائق الحيوانات ، بينما لا يوجد فيها سوى خمس عدد الطيور المهددة بالانقراض .

ولما كانت هناك اعداد اخرى من الحيوانات الثديية وغيرها مهددة ايضا بالانقراض نظرا لتلوث البيئة وغيره من الظروف التي تمر بعالمنا الحالي ، فان دور حدائق الحيوانات كاماكن للمحافظة على انواع هذه الحيوانات من الانقراض بدأ يأخذ شكلا هاما .

ويطالب العلماء الآن بأن تقوم حدائق الحيوان بالعمل على تربية هذه الانواع المهددة بالانقراض فى مجموعات حتى

يستمر انتاجها النوعي ، وتبقى على ظهر الارض بدلا من ان تختفي كما اختفت من قبلها حيوانات اخرى كثيرة. ويتطلب هذا في راى هؤلاء العلماء ان تقوم حدائق الحيوان ببناء اماكن مخصصة لمثل هذه الثدييات او الطيور حيث يوفر لها الجو والغذاء اللازمان لتكاثرها . وخاصة ان عددا كبيرا من الثدييات والطيور قد اثبتت انها تتكاثر تحت ظروف وجودها في حدائق الحيوان حاليا ، وهي ظروف الاسر ، وهذه الظروف تختلف في بعض الأحيان عن الظروف والبيئة الطبيعية التي كانت تعيش فيها هذه الحيوانات .

عناصر الحياة .. هل هي متوفرة على سطح القمر « تيتان » ؟!

● « تيتان » Titan هو اكبر والمع الاقمار التسعة التي تدور حول الكوكب « زحل Saturn وهو ايضا القمر الوحيد في المجموعة الشمسية الذى يعرف بأن غلافا جويا او كتلة غازية تحيط به . وقد اثبت التحليل الطيفي لأشعة الشمس المنعكسة من القمر « تيتان » وجود غاز الميثان Methan والادروجين Hydrogen .. ولكن العلماء قالوا ان وجود هذين الغازين ليس هو سبب اللون الأحمر المميز لهذا القمر والذى يشبه لون المريخ . وقد اثبت مجموعة من الباحثين في جامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية ان « تيتان » مغطى تماما بسحب معتمة ، وان « اللون الاحمر » قد يكون بسبب امتصاص اللون الأزرق والأشعة فوق البنفسجية داخل هذه السحب المعتمة المحيطة بالقمر تيتان .

ويقول العلماء ان مثل هذا الغلاف الجوى قد يؤدى عمل « بيوت الأزهار » التي تبنى لتدفئة النبات Green house في رفع درجة حرارة سطح هذا القمر الصغير .

ويفرض ان الغلاف الجوى المحيط « بتيتان » يتكون اساسا من الادروجين، فان درجة حرارة سطح تيتان قد تصل الى ـ ١٠٠ فرنهيت ، اما اذا كان الغلاف الجوى يحتوى ايضا على الميثان والنشادر (امونيا) فان درجة حرارة سطح تيتان قد تصل الى ٩ درجات فهرنهيت .

ويقدر الضغط الجوى على سطح تيتان بانه يتراوح بين عشر وتسعة اعشار الضغط الجوى على الارض في مستوى البحر .

ويقول العلماء ، انه من المعروف علميا ، ان شحنة كهربائية أو اشعاعا من الاشعة فوق البنفسجية بتفاعلهما مع مزيج غازى من النشادر والميثان والماء ينتج عن هذا التفاعل الادروجين وكذلك جزيئات عضوية مركبة يكون بعضها ذا لون احمر لامع . والجزيئات العضوية الناتجة عن مثل هذا التفاعل هي السكريات والاحماض الامينية Amino Acids والبيورين Purines والبريميدين Pyrimidines وهي كلها مواد اساسية لبناء الكائن الحي .

ويستخلص العلماء من هذه المشاهدات والحسابات ان الحياة تحت هذه الظروف المتوفرة على سطح « تيتان » امر لا يمكن استبعاده ، ويقترحون في نفس الوقت ان « تيتان » يعتبر هدفا ممتازا لرحلة فضائية اما ماهولة او غير ماهولة .

فى اواخر الستينات هبطت نسبة النمو الاقتصادى في الدول المتقدمة ودول الاقتصاد الموجه وارتفعت هذه النسبة بين الدول المتنامية

● تدل الاحصائيات على ان هناك حركة نمو اقتصادى فى كل بلد من بلدان العالم . ولكن نسبة هذا النمو تختلف من بلد الى آخر ، وهى تتراوح بين ٢٥ ٪ سنويا الى اقل من ١ ٪ .

وقد قامت الامم المتحدة بنشر معلومات وارقام عن حركة النمو الاقتصادى فى دول العالم ، خلال الستينات ، وهو عقد التنمية كما وصفته الامم المتحدة ، وذلك فى الكتاب السنوى للامم المتحدة للاحصاءات القومية .

وقد قسم هذا الكتاب الدول الى ثلاثة اقسام دول متنامية، ودول متقدمة ذات سوق اقتصادى (اى الدول التى ليس لديها اقتصاد موجه) ودول ذات اقتصاد مركزى موجه (وهى روسيا ودول شرق اوربا) وقد دلت الاحصائيات أن الدول المتنامية تنمو بنسبة ٢ر٥ ٪ فى المتوسط ، بينما تنمو الدول المتقدمة بنسبة ١ر٥ ٪ ، ودول الكتلة الشرقية ذات الاقتصاد الموجه بنسبة ٧ر٦ ٪ .

وتقول الارقام ان نسبة النمو بين الدول المتنامية تتراوح من ٢٥ ٪ فى ليبيا مثلا، الى ١ ٪ فى هايتى وغيانا واورجواى. وان من بين الدول المتنامية التى تبلغ فيها نسبة النمو سنويا ٧ ٪ او أكثر ، زامبيا ، وبنما ، والمكسيك ، وايران ، والمملكة العربية السعودية ، وتايلند ، وكوريا .

وقد زادت سرعة النمو فى البلدان المتنامية فى النصف الثانى من الستينات واصبح متوسط درجة النمو ٨ر٥ ٪ سنويا ، بدلا من ٢ر٥ ٪ فى حين أن هذه النسبة هبطت بالنسبة للبلدان المتقدمة الى ٤ر٦ ٪ سنويا بدلا من ١ر٥ ٪ وكذلك الحال بالنسبة للبلدان ذات الاقتصاد المركزى الموجه فقد اصبحت نسبة النمو

الفجوة الاقتصادية بين الدول المتقدمة والدول المتنامية تزداد يوما بعد يوم مما يعرض الكثير من اهل الارض لخطر المجاعة .

الاقتصادى ٩ر٥ ٪ سنويا ، بعد ان كانت ٧ر٦ ٪ سنويا فى اوائل الستينات .

ويذكر هذا الكتاب احصائيات لمتوسط دخل الفرد فى بلدان مختلفة . وتبين هذه الارقام ان فى بداية عقد التنمية (الستينات) كان متوسط دخل الفرد فى الدول المتقدمة ١٣٦٠ دولارا سنويا يقابله ١٣٠ دولارا كمتوسط لدخل الفرد فى الدول المتنامية . وفى عام ١٩٧٠ اصبح متوسط دخل الفرد فى الدول المتقدمة ٢٦٦٠ دولار فى حين اصبح متوسط دخل الفرد فى الدول المتنامية ٢١٠ دولار، فقط . ويقول مركز المعلومات الاقتصادية والاجتماعية التابع للامم المتحدة ان هذه الارقام التى تشير الى متوسط دخل الفرد فى انحاء متفرقة من العالم ان دلت على شىء فانما تدل على اتساع الفجوة الاقتصادية التى تفصل بين الدول المتقدمة والدول المتنامية . وهى تلك الفجوة التى تهدد استقرار العالم اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

●●



رغم المحاولات الكثيرة المتواصلة فى سبيل القضاء على الامية ، الا ان خطرها ما زال قائما فى كل
فى الازدياد بازدياد عدد السكان ، هذا ما ذكره جهاز محو الامية فى الجامعة العربية .. والصور الاربع

استطلاع الكويت

تعليم الكبار ومحو الأُمِّيَّة

سرطان مستفحل فى جسم الأمة العربية نعالجه بالمهدئات بدلاً من.. الاستئصال بالجراحة!

رجاء وطننا العربي ..ونسبتها لم تنخفض الا بنسبة ٢٪ خلال خمسة اعوام ، وعدد الاميين آخذ
في هاتين الصفحتين التقطناها في مراكز محو الامية وتعليم الكبار المفتوحة في جميع مناطق الكويت،







■ تعليم الكبار .. لماذا ؟ وما هو الهدف ؟ ..

اليس من الأوفق لو ركزنا تعليمنا على الصغار،وتركنا مشكلة جهل الكبار الى الزمن ، يحلها باسلوبه الخاص ؟ .. تساؤل سمعناه يتردد في كثيرمن اقطارنا العربية التي ابتليت ـ نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ـ بنسبة مخيفةمن الأميين ..

والواقع ان فكرة جعل التعليم مقصورا على الصغار ، هي اقتراح لا يتفق مع الظروف التي يمر بها المجتمع العربي .. لان برامج التنمية القائمة حاليا ، تقع مسئولية تنفيذها على الافراد الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦ و ٥٠ سنة ، اي الفئة المنتجة في البلاد النامية ..

وبكل اسف نجد ان الامية متركزة في هذه الفئة .. وبالتالي ينتج عن اهمالها تباطؤ عجلة التنمية في اقطارنا العربية ..

وشيء آخر ، فقد ثبت عمليا دحض الفكرة القديمة التي كانت تشكك في قدرة الكبير على التعلم ، واكتساب المهارات اللغوية ، ففي مراكز الكويت لتعليم الكبار ، وجدنا الدارسين ينهون المرحلة الابتدائية في سنتين من الزمن ، بدلا من السنوات الاربع التي يستغرقها الطفل ليستوعب نفس المنهج المقرر ..

اهداف تعليم الكبار

ويبدأ تعليم الكبار في الكويت من سن ١٦ الى ٥٠ سنة للجنسين ، كل جنس على حدة ..

ويهدف هذا النوع من التعليم ـ المطبق في الكويت وغيرها من بلادنا العربية ـ الى البدء بمحو امية الدارس ، مرحلة اولى .. ثم يعمل على تكملة تعليمه ليحصل على شهادة الثانوية في نهاية المطاف ، مرحلة ثانية .. ومعنى هذا انه يدرس ما تدرسه المدارس النظامية العادية .. وهو تعليم لا يتصل بالخبرة التي يحتاج اليها الذى يعيش في زمن الحضارة الحاضرة .

متى بدأ تعليم الكبار ؟

ولا بد لنا من الرجوع الى الوراء قليلا ، لنرى كيف بدأ تعليم الكبار عربيا وعالميا ..

يقول الدكتور فؤاد البهي السيد/استاذ علم النفس بجامعة عين شمس : « ارتبط الدين في سفر الاسلام ، بحركة تعليم الكبار ارتباطا وثيقا، فالقرآن الكريم كتاب يقرأ ويفهم ، ويتحول في حياة المسلمين الى شريعة وعمل ونظام واسلوب للحياة بجميع ابعادها وامتداداتها المتشعبة المنتشرة ، ولهذا بدأت حركة تعليم الكبار في العالم الاسلامي يوم بدأ الرسول ، صلى الله عليه وسلم رسالته ..

« واقر الاسلام منذ نشأته الاولى فكرة تعليم الكبار ، فكان الرسول الكريم يطلق سراح الاسرى لكي يعلموا بعض المسلمين الاميين القراءة والكتابة .. وهكذا بدأت الحملات الاولى لمكافحة الامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

« وما زال الدين يؤدي رسالته في تعليم الكبار، وذلك عن طريق خطب الجمعة ، ودروس الوعظ والارشاد » .

اما عن تعليم الكبار في اوربا فيقول : « ويرى بعض الباحثين ان النشأة الحقيقية لتعليم الكبار في المجتمع الاوربي ترجع في جوهرها الى عملية التصنيع ، التي تعود هي الاخرى بدورها الى تطوير الطاقة البخارية والكهربائية لعمليات الانتاج .. وهكذا ظهرت الآلات ونشأت المصانع، وتطورت المجتمعات من النشاط الزراعي الى الصناعي .. وكان لزاما على الكبار أن يتعلموا الطرق والوسائل الصناعية الجديدة حتى يسيروا تلك الآلات المختلفة .. وبما ان الحضارة الصناعية تتطور بسرعة نتيجة للاكتشافات والمخترعات العلمية المختلفة ، اذن كان على الكبار أن يتعلموا ويتدربوا حتى يسايروا ذلك التطور . وهكذا بدأت اهمية وضرورة حركةتعليم الكبار لمواجهة التطور الصناعي القائم .. »

التعليم مدى الحياة ..

مما تقدم نفهم ان تعليم الكبار في الدول المتقدمة ارتبط بمجالات واسعة شملت النواحي المهنية والاجتماعية والاقتصادية .. بمساهمة الحكومات، وفتحت الجامعات الاوربية والامريكية ابوابها ، ليتعلم فيها الكبار فيما اصطلحوا على تسميته باسم : Life Long Education **اى « التعليم مدى الحياة » ..**

اما نحن في الوطن العربي ، فليس من المستحيل علينا ان نتبع نفس الاسلوب ، فالامكانات متوفرة لدينا ، وانما الذى ينقصنا هو التخطيط السليم من اجل محو امية الفرد .. تلك الامية المتفشية في بلادنا العربية بنسب تتراوح بين ٥٠و٩٥٪ للذكور و ٨٤ و ١٠٠٪ للاناث .. في حين ان الامية انتهت وتلاشت في البلاد الاوربية !!

مدالية التقدير للكويت

وفي عام ١٩٥٤ تكونت منظمة اليونسكو ، وكان من بين اهدافها تعليم الكبار ومحو الامية .. وتشجيعا للعاملين في هذا المجال تقوم هذه المنظمة بمنح جائزتين عالميتين سنويا ، الاولى تقدمها ايران ، والثانية تقدمها روسيا ، للدولتين اللتين تنجزان عملا مرموقا في ميدان محو الامية وتعليم الكبار .. وفي عام ١٩٧٢ اقرت لجنة تحكيم الجوائز العالمية منح ميدالية التقدير والشرف ، الى ادارة تعليم الكبار ومحو الامية بوزارة التربية بدولة الكويت ،تقديرا منها للجهود الكبيرة المتواصلةالتى بذلها الكويت في ميدان محو الامية وتعليم الكبار.

مشكلة انصاف المتعلمين

والواقع ان جهود الكويت في هذا المجال تعمل بنشاط متواصل بدأ منذ عام ١٩٥٨ بعدد من الدارسين بلغ ٣٥٠ دارسا ، اما اليوم ، في عام ١٩٧٢ فقد قفز الرقم الى نحو ٢٣ الف دارس ودارسة ..

زيادة هائلة تدل على مقدار الجهد الكبير الذى بذله الكويت في هذا المضمار .

ولكن هل استراحت الكويت ، ورضيت بهذا الجهود ؟ .. لا .. ففي عام ١٩٦٨ وجه سمو امير البلاد كلمة بمناسبة اليوم العالمى لمحو الاميةجاء فيها : —

« .. وفي هذا الصدد ، وعلى ذكر الامية ، اود ان اشير الى اننا نشعر بعدم ارتياح لمسألة لا تقل خطورة عن الامية ، الا وهى مشكلة انصاف المتعلمين ، ممن يجهلون ، ويجهلون أنهم يجهلون ، واننا نجد من الضرورى معالجة هذه المشكلة ، وليس من علاج شاف لها ، سوى مضاعفة الجهد المركز لنشر التعليم الحر بشكل واف ومتين .. »



اعتراف دولي بالجهود الكبيرة المتواصلة التي بذلتها دولة الكويت في ميدان محو الامية وتعليم الكبار ، تمثل في جائزة (نادزدا كروبوسكايا) المخصصة لمحو الامية والتي منحتها منظمة اليونسكو للكويت في عام ١٩٧١

٤٩٪ نسبة الامية

لقد وجدت الكويت نفسها بعد ان منحها الله فيضا من خيره المادى ، وجدت نفسها في حاجة الى راس مال بشرى وطني ، يستثمر لها راس مالها المادى بصورة افضل .. بعد ان مرت بقفزة حضارية قلبت نظمها وعاداتها رأسا على عقب ..

ولم تستطع هذه القفزة ان تقضي على كل مشاكل البلد بجرة قلم ، فقد ظلت هناك «جيوب» تضم عددا كبيرا من كبار السن ، الذين فاتهم قطار التعليم ، لظروف خارجة عن ارادتهم ..

واشار تعداد سكان الكويت لعام ١٩٧٠ الى الاميين، فذكر ان نسبة الامية بين الذكور الكويتيين هي ٣٣٪ لترتفع بين الاناث الى ٦٥٪ أى أن متوسط انتشار الامية في الكويت بين الجنسين هو ٤٩٪ .

علاج الوضع

وادرك المسئولون في الكويت خطورة استمرار

الطريق من المطبخ الى معمل الكيمياء يصبح قصيرا عندما تتوفر النية الصادقة للتعليم .. ان هؤلاء السيدات تركن صينية البطاطا في فرن المنزل ، وجئن الى هنا للتعرف على الاحماض والقلويات واستعمال عباد الشمس للتفريق بينهما .. **اما الصورة السفلى** فهي لمجموعة من طلبة القسم الثانوي بمركز ثانوية كيفان يستمعون الى شرح استاذ الطبيعة عن كيفية ايجاد معامل التمدد الطولي للنحاس .



الى اليسار : عربية فلسطينية ، وصومالية ، تدرسان معا في مركز طليطلة الثانوى المسائي في صف رابعة ثانوى علمي .. ومما يذكر أن نتيجة الامتحان في السنة الماضية كانت نجاح ٥٠ دراسة من اصل ٥٥ تقدمن الى امتحان شهادة الدراسة الثانوية العلمي .. وقد تم اختصار خطة الدراسة الاسبوعية الى ثلاثة ارباع مثيلتها المقرر في المدارس النهارية ، بسبب ضيق الوقت .





يتم اختيار مدرسات لتعليم الكبار ، من بين المدرسات المتفوقات في التعليم النظامي العادى .. وارى في الصورة العليا السيدة اليسة محمد جعفر ، المعروفة « بماما اليسة » رئيسة قسم الارشاد بادارة تعليم الكبار ومحو الامية ، مجتمعة مع السيدة سعاد ابراهيم فريد مشرفة مركز طليطلة الثانوى ، وبعض المدرسات .

● ● ●

الى اليسار : هذه السيدة اضطرتها ظروفها الى قطع دراستها .. ولكنها ، وبعد مضي خمس سنوات ، عادت لتتابع دراستها ثانية ..

هذا الوضع ، فبداوا في افتتاح مراكز تعليم الكبار في مختلف ارجاء البلاد .. مدارس الصباح حولوها الى مدارس ليلية تشع ثقافة وعلما .. جميع امكانات وزارة التربية، بما فيها المعامل والمختبرات، وضعت تحت تصرف مراقبة تعليم الكبار .

واقبل الرجال والنساء ، على الاستفادة من هذه الدراسات الليلية .

وفي العام الدراسي ١٩٧٣/٧٢ كان عدد الملتحقين بفصول محو الامية ٩٣٠٣ دارس ودارسة وفي المرحلة الثانوية ٣٦١٨ وفي التعليم التجارى ١٨٧ اى ما مجموعه ٢٢٩٩٢ دارسا ودارسة ،من بينهم ١٤٣٨٩ كويتيا بنسبة ٦٢٪ من المجموع العام ، الذى يضم ٢٩٦٧ دارسا ودارسة من ابناء الخليج، و ٥٣٠٩ من جنسيات عربية اخرى و ٣٢٧ من جنسيات مختلفة .

الطفل والدارس الكبير

وتعليم الكبار يختلف تماما عن تعليم الصغار ، فالشخص الكبير (بين ١٦ و ٥٠ سنة) يتمتع بخبرات واسعة في الحياة .. وجهاز للنطق كامل .. وادراك تام لمعاني المفردات والجمل ، تسهل عليه فهم الفكرة العامة لموضوع الدرس . وجميع هذه « المزايا » يفتقدها طالب الابتدائي العادى .

فعندما تتكلم مع طفل في الثانية الابتدائية عن الاسد والارنب والزرافة، لا بد من لوحة ايضاحية حتى يفهم معنى الكلمات ، فهو عادة خالي الذهن من صور هذه الحيوانات .. بينما نجد الدارس الكبير يدرك معانيها دون اللجوء الى وسائل الايضاح التي تعطى معاني المفردات ..

والناحية الثانية التي يتميز بها الدارس الكبير هي القدرة على الاستيعاب وتخزين المعلومات، بعكس قدرة الطفل الذى في سن السادسة .. ثم هناك القوة العضلية ، فمنذ اليوم الاول يستطيع الرجل الكبير القراءة والكتابة بالقلم ، بينما يمر الطفل بمرحلة لا تقل عن شهرين ، يتدرب خلالهما على الكتابة بوسائل مختلفة ، قبل استخدام القلم ..

وفي مادة الحساب نجد عند الكبار خبرات في العمليات الحسابية العقلية ، تساعدهم على فهم الحسابات التحريرية بصورة اسرع .. فالواحد منهم يعرف تماما قيمة الدينار والفلس ، ويدرك انه اذا اشترى بمبلغ ٤٠٠ فلس فان باقي الدينار يصبح ٦٠٠ فلس .. بعكس الطفل الذى لا يتعلم هذه العملية البسيطة الا بعد ٣ سنوات من بدء تعليمه الابتدائي .

وهذه « المزايا » التي يتمتع بها الكبار ، تسهل من مهمة المدرس ، الذى لا يبقى امامه الا عملية تنظيم الخبرات الكامنة ، واكتشافها ، وتهيئة المناخ المناسب لتنميتها واظهارها ..

تركيز التعليم الابتدائي في سنتين

وجلسنا نتحدث الى مراقب تعليم الكبار ومحو الامية بالكويت ، عن الكتب، والاساتذة ، واهداف تعليم الكبار ، والمشاكل التي تصادفهم ، فقال :

« يبدا تعليم الكبار في الكويت بعملية سريعة للقضاء على امية الدارس ، بحيث يصبح باستطاعته الحصول على شهادة محو الامية ، المعادلة للشهادة الابتدائية ، بعد سنتين دراسيتين فقط .. أى في خلال نصف الفترة الزمنية المقررة لتلميذ المدرسة العادية ..

« وقد حددنا في الكويت منهج محو الامية بنهاية الفصل الرابع الابتدائي، واقتصر المنهج على تدريس اللغة العربية والحساب والتربية الدينية ، بالاضافة الى الوان من الثقافة تقدمها له من خلال دروس المطالعة والقراءة .. وقد بدأ تعليم الكبار في عام ١٩٥٨ على نفس نمط تعليم الصغار ، أى لمدة اربع سنوات ، وبنفس الكتب التي كان يستعملها الاطفال .. الا اننا وجدنا أن هذه الكتب تنزل بمستوى الدارسين الكبار الى مستوى الطفل في التأمل والتفكير .. لهذا سارعنا ، بعد سنتين من بدء العمل ، الى احداث تغيير شامل في اسلوب تعليم الكبار .. وركزنا فترة التعليم الى سنتين ، كما سبق وذكرت ، وقمنا بطباعة كتب خاصة لمحو الامية عند الكبار ..

« وحتى اليوم قامت وزارة التربية بتأليف وطباعة ثمانية كتب خاصة بمحو الامية ، اربعة منها في القراءة ، وتحوى موضوعات تصلح لتعليم النساء والرجال .. وكتابين في الحساب .. وكتاب في التربية الاسلامية .. وكتاب في الثقافة العامة .

« وحتى تحقق هذه الكتب الاهداف المرجوة منها ، قمنا بعمل دراسات ميدانية متواصلة عليها، كانت نتيجتها ادخال تعديلات وتحسينات ، واعادة

طبع الكتب ثلاث مرات ، حتى تفي تماما باحتياجات تعليم الكبار ..

« وتقوم وزارة التربية بارسال هذه الكتب الى بعض الدول العربية التي تطلبها ، لتساعدها في محو امية الكبار في بلادها .. »

المرحلة المتوسطة والثانوية

ويتابع مراقب تعليم الكبار حديثه بقوله :

«ولا تقف برامج تعليم الكبار في الكويت عند مرحلة محو الامية ، بل تتعداها الى مراحل التعليم المتقدمة ، وبامكان جميع الدارسين والدارسات الذين ينتهون بنجاح من مرحلة محو الامية ، أن يواصلوا تعليمهم في فصول مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي ، المنتشرة في مختلف ارجاء الكويت ..

« وقد حاولنا اختصار خطة الدراسة في كل مرحلة من هاتين المرحلتين ، من اربع سنوات الى سنتين أو ثلاث ، ولكن التجارب اثبتت استحالة تحقيق هذه الفكرة ، بسبب زيادة مواد الدراسة المقررة ، وتعذر حذف أي مادة منها ..

« وهكذا اصبح الدارس عندنا يؤدي نفس امتحان المتوسط والثانوي الذي يؤديه طالب المدارس الرسمية النظامية » .

المدرس المتخصص مفقود

اما عن المدرسين فقال مراقب تعليم الكبار :

« عندنا حوالي ٧٠٠ مدرس ومدرسة ، يقومون بتعليم نحو ٢٣ ألف دارس ودارسة .. ونحن نختار المدرسين من بين الاساتذة المتخصصين في التعليم الابتدائي بمدارس وزارة التربية ، ويجب ان يكون الاستاذ مشهودا له بالكفاءة والنجاح ..

« ان هذا الاسلوب في اختيار المدرسين اسلوب اقتصادي تربوي سليم .. حقيقة انه ليس بالاسلوب المثالي ، الا أن استاذ تعليم الكبار المتخصص غير موجود في اسواق وطننا العربي ، ونحن نرسل سنويا ثلاثة من اساتذتنا ليتدربوا في مركز التعليم الوظيفي للكبار الموجود في سرس الليان بمصر ، وهو المركز الوحيد في وطننا العربي الذي اقامته اليونسكو لتدريب الاساتذة العرب في ميدان محو الامية .. »

المشاكل واحدة

« اما عن مشاكل الكويت في مجال تعليم الكبار فتكاد تكون متشابهة مع مشاكل كل اجزاء وطننا العربي .. ومن خلال المؤتمرات التي حضرناها ، وجدنا ان الطلب الرئيسي الذي اجمع عليه المختصون هو : « ضرورة توعية الفرد » وذوي الحل والربط في بعض أقطارنا العربية الى الفائدة المرجوة من هذا التعليم .. »

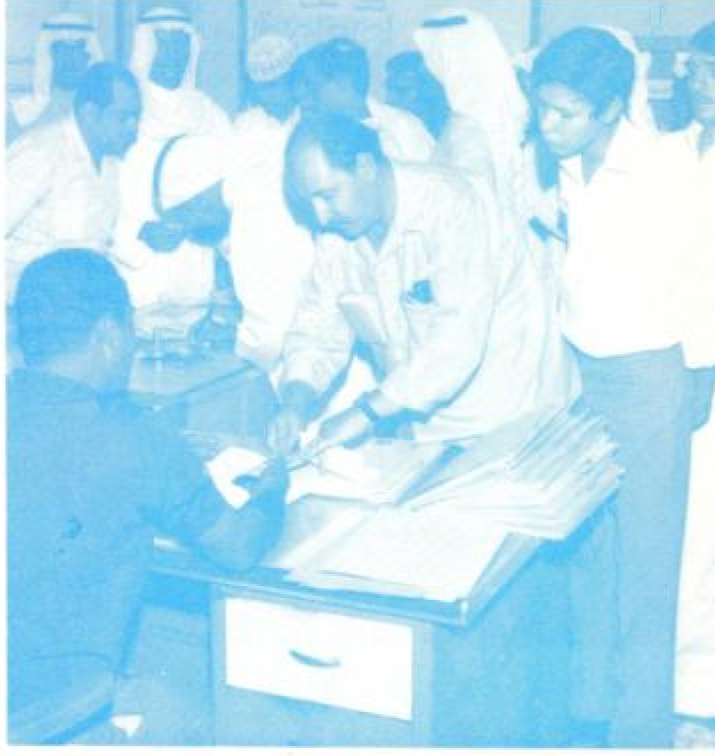
« وفي البلاد الاجنبية توصلوا بعد تجارب عديدة الى عمل احصائيات قالوا فيها : **ان التعليم البسيط الذي يحصل عليه العامل في سنة واحدة زاد انتاجه بنسبة ٣٠٪ والذين تعلموا اربع سنوات زاد انتاجهم فوق انتاج الاميين بنسبة ٤٣٪ والمتخرجون في الثانوية العامة زاد انتاجهم على انتاج الاميين بنسبة ١٠٨٪ اما خريجو الجامعات فيزيد انتاجهم على انتاج الاميين بنسبة ٣٠٠٪ .**

« هذا بالطبع في حالة تهيئة الظروف الحافزة للعمل لكلا الصنفين .

« هذه هي بعض نتائج التعليم التي وعاها



توزيع الكتب والكراسات مجانا على الدارسين والدارسات في مراكز تعليم الكبار .. وهناك كتب اعدت خصيصا لمرحلة محو الامية ، اما كتب المرحلتين الاعدادية والثانوية فهي نفس الكتب التي تدرس في المدارس الحكومية الرسمية .

منذ أن انشئت مراكز تعليم الكبار في عا ١٩٥٨ وهي تفتح ابوابها لتستقبل الراغب
كبيرا فقد بدأت بمركزين للرجال فقط ، اما اليوم فاصبح عدد المراكز ٨١ مركزا ، منها ٣١ م
جنسيات عربية و ٣٢٧ من جنسيات اخرى ، أي ما مجموعة ٢٢٨٠٥ دارس ودارسة .. وال
اللغة الفرنسية لطلبة المرحلة الثانوية في م

العرب وعمل على الاستفادة منها ، ومع الاسف ان مثل هذا الوعي مازال ينقص الكثير من العرب .. »

التسرب هو المشكلة الاولى

« وفي الكويت نجد ان المشكلة الرئيسية التي يعاني منها مخططو برامج محو الامية ، هي المشكلة التي يسمونها في التعليم العادي **«الهرب من المدرسة»** .. اما في تعليم الكبار فنسميها **« التسرب »** بمعنى انه في بداية السنة الدراسية يكون عدد المسجلين عندنا نحو ٢٣ الف دارس .. ونقوم تبعا لذلك بتعيين عدد المدرسين اللازمين لهذا العدد ، ولكن مع حلول نهاية العام الدراسي نجد أن العدد ينخفض الى نحو ١٧ الف دارس فقط .. وهذه تسبب لنا متاعب شتى ..

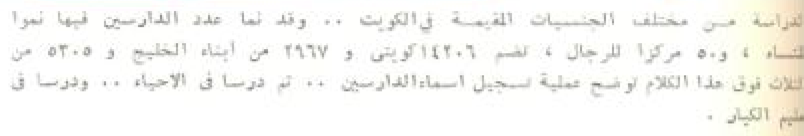
« وتعود اسباب **«التسرب»** الى مشاغل الدارس وظروف عمله واوقاته ، مع انعدام الوعي في بعض الأحيان كل هذا يعيقه عن متابعة دراسته المسائية، وعن بذل جهد في منزله ، فتراه يتغيب عن المركز، ويتوقف عن متابعة دروسه ، لانه يرى نفسه قد تخلف عن بقية زملائه ، وهذا يدفعه بالتالي الى تأجيل دراسته للسنة القادمة ..

« وقد حاولنا عبثا ان نجد الحلول لهذه المشكلة في المؤتمرات العالمية والعربية » .

حل المشكلة

وينهي مراقب تعليم الكبار كلامه بقوله :
« الا اننا نعتقد بأن الطريقة المثلى لمحو الامية في الكويت ، وفي بقية بلادنا العربية ، تتمثل في فرض التعليم الالزامي على الكبار كذلك ..

« لان اى خطة لمحو الامية لا يصاحبها التشريع ، والمساندة من جميع المسئولين ، لن يكتب لها النجاح .. » .



الدراسة من مختلف الجنسيات المقيمة في الكويت .. وقد نما عدد الدارسين فيها نموا
النساء ، و٥٠ مركزا للرجال ، تضم ١٤٢٠٦ كويتي و ٢٩٦٧ من أبناء الخليج و ٥٣٠٥ من
الثلاث فوق هذا الكلام توضح عملية تسجيل اسماء الدارسين .. ثم درسا في الاحياء .. ودرسا في
تعليم الكبار .

مطلوب قرارات جريئة

ان مرض السرطان ، لا تجدى المسكنات في علاجه ، بل يجب استئصال ورمه الخبيث ليشفى المريض !! وكذلك حال الامية في بلادنا العربية... ورم خبيث يعطل كل مشاريعنا وتقدمنا ، ومع ذلك نعالجه سطحيا بالمسكنات !!

لقد آن الاوان لأن نبدل اسلوبنا في مكافحة الامية، وأن يتوقف خبراء اليونسكو عن كتابة تقاريرهم التي تهدف الى رفع مستوى اليونسكو اكثر من رفعها لمستوى الدارس !!

ان تشريع محو الامية بين الكبار يجب أن يصدر في كل قطر عربي ، متضمنا مواد حاسمة جريئة ، نحاول بها استئصال المرض من جذوره ، مثل منع التوظيف .. ومنع اعطاء الجوازات .. ، وحتى اجازات قيادة السيارات يجب ان نمنعها هي وغيرها ، عن كل شخص أمي ، ولا نمنحها له الا بعد ان يتعلم !!

وفي الوظائف الصغيرة يجب أن يكون هناك حافز من ترقية ، وتفضيل في المرتب ، للحاصل على شهادة الابتدائية او المتوسطة .

لقد اصبح من العار أن تشهد نسبة الامية تزداد ، بدلا من أن تتقلص في اغلب اجزاء وطننا العربي .. ان الامية تستنزف مجهود أمتنا وطاقاتها ، وقد حان الوقت للتخلص منها ، حتى نتهيأ لتطوير ثقافة المتعلمين ، فيلحقوا بالتبدلات السريعة التي تطرأ يوميا على عالمنا ..

اننا نؤمن أن ثقافة الانسان العربي ، يجب أن تمتد من المهد الى اللحد .. وهذا لن يتم الا اذا تبدلت عقلية مجتمعنا .. ■■

سليم زبال



الفن كما يراه ستيفنسون !

● روبرت لويس ستيفنسون (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤) ، الكاتب الاسكتلندى الشهير ، صاحب قصة « الدكتور جيكل والمستر هايد» أو ان شئت فقصة الخير والشر ، وقصة « جزيرة الكنز » وعشرات من القصص العالمى التى احتلت مكانها فى الأدب البريطانى ، سألوه يوما عن رأيه فى الفن .. فقال : « **انه الادراك لما يجب أن يتركه المرء فى احاديثه وفى كتاباته عن نفسه وعن الناس .. ان هذه الذكريات التى تنسى او نتناسى ونحن نستعيدها ، الكثير من تفاصيلها الصغيرة والكبيرة ، هى الفن بعينه فى هذه المدرسة التى ادعو اليها .. ان الشىء الناقص هو الذى يعيش دائما ، والجزء يعمر أكثر من الكل .. اننا ندرك جميعا مدى الملل الذى نحس به عندما نجلس لنستمع الى خطيب وهو يتحدث فى موضوع ما بكل تفاصيله ودقائقه .. ولو أنه سكت عن ذكر بعض هذه التفاصيل أو تناساها ما أصبح حديثه مملا !**

« ان الشىء الناقص يثير الفضول ويستوقف النظر ويحرك الخيال ... هل فكر احد فى سيمفونية الموسيقار العالمى شوبيرت Schubert ، التى لم تتم . الا يمكن أن يكون هذا الفنان الكبير قد تعمد أن يتركها هكذا بغير خاتمة ؟ .. ان سحر هذه السيمفونية الخالدة يكمن فى كونها



ناقصة وغير كاملة . اخرجوا الى الغابة ، وشاهدوا الأشجار التى تساقطت فوقها الثلوج فغطتها ما عدا أطرافها الصغيرة التى انحسر عنها الجليد .. ما أكثر الشبه بينها وبين المرأة الجميلة التى وضعت جسمها فى هذا الثوب الطويل الواسع الفضفاض وغطت رأسها فلم يعد يظهر منها سوى وجهها الجميل ويديها الناعمتين » .

بين المعدة والعقل

● جين اوستن Jane Austin (١٧٧٥ ـ ١٨١٧) المؤلفة الانجليزية المعروفة التى وقفت مدافعة عن أفراد الطبقة المتوسطة فى بريطانيا ، بقوة وايمان ، حتى وصفوها بالكاتبة المثالية ، كتبت يوما تحدث القراء عن مهنة الكتابة ، تلك التى أحبتها وافنت فيها كل عمرها ؛ قالت موجهة حديثها الى كل من امسك بالقلم ليكتب ، ويحاول ان ينقل افكاره

مرحبا بالموت فى سبيل الحرية



● ميرابو Mirabeau (١٧٤٩ — ١٧٩١) خطيب الثورة الفرنسية ، الذى طالما الهبت خطبه مشاعر الشعب ، وغذّت كلماته روح التمرد على الظلم والطغيان اللذين سادا فرنسا فى عهد الملك لويس السادس عشر ، يروى عنه انه كان يوما يلقى خطابا سياسيا هاما قبل نشوب الثورة الطويلة باشهر قليلة ، وكان يقف بجواره تماما فوق المنصة احد أصدقائه، وهو محام شاب يدعى فرانسوا جيرمان .. وارتفعت الأيدى تصفق بحماس للخطيب ، ودوت الحناجر بالهتاف وفجأة انطلقت رصاصة ، واتجهت الأنظار الى المنصة فوجدوا الدماء تخضب ملابس ميرابو ، ثم تحولت الرؤوس الى الاتجاه الآخر .. الى مصدر الرصاصة، فرأوا رجال الملك فى ملابسهم العسكرية وقد شهروا بنادقهم واحاطوا بهم من كل اتجاه ..

واسرع البعض الى حيث كان يقف ميرابو، فوجدوا صديقه فرانسوا جيرمان ملقى على الارض جثة هامدة .. لقد اصابته الرصاصة فى القلب تماما !

وحمل ميرابو جثمان صديقه والدموع تملأعينيه واحنى الجميع رؤوسهم فى خشوع ، وقبل ان ينزل عن المنصة ، القى خطيب الثورة كلمة قال : « **أريد أن اقول لهؤلاء السفاحين ، مرحبا بالموت فى سبيل الحرية » .. واريد أن اقول لفرنسوا المسكين : « انني سعيد يا اخى لانك لن تشاركنى الظلام الذى ينتظرنى .. كم كنت أتمنى ان اكون معك هـذه اللحظة ! »**

ثم نظر الى من حوله ، وقال وهو يسلمهم جثمان صديقه ورفيق كفاحه : « واروه التراب فى أقدس بقعة » .

وقضى ميرابو فى ظلام سجن الباستيل بضعة أشهر ، قبل أن يخرج الى النور من جديد ..

كانت أمنيته ان يرى الخاتمة السعيدة للثورة التى شارك فى اشعالها ، ولكنه مات قبل نجاح الثورة وأعدام الملك بعامين .. مات شابا لم يتم بعد عامه الثانى والاربعين .

الى الناس : « **اذا اردت أن تكون كاتبا فلا بد ان تكون قارئا غير عادي ، قارئا مدمنا يبحث دوما عن الطبق الشهى فى كل مطبخ فى اى مكان من الدنيا .. ثم تجلس وحدك فى ركن قصى هادىء وتاكل وتاكل كل ما حوته هذه الوجبة الدسمة من شتى الوان الطعام .. ولكن اياك أن تصاب بعسر هضم .. فلا بد ان تكون معدتك قوية سليمة من اى مرض .. فالعقل السليم هو معدة الكاتب الناجح !**

« فاذا احسست بأن راسك قد امتلأ، قم من كرسيك وامش .. ثم فكر فيما قرات واستوعبت وامسك بقلمك واكتب .. اكتب باختصار حتى يقبل الناس على قراءة ما تكتب .. وقدمه لهم بوضوح ، حتى يفهموا ما حوته كلماتك من أفكار، واعرضه فى اطار مزخرف جميل ، حتى تبقى الصورة عالقة دائما فى أذهانهم .. وقبل كل شىء تَحرّ الدقة فى كل ما تكتب حتى تكون كلماتك هى الضوء الذى يسيرون على هداه وسط ظلمات الحياة!»

ذو القَرْنين

شخصية حيرت المفكرين

بقلم: الدكتور عبد المنعم النمر

■ كان ذو القرنين من الالغاز التى أراد يهود المدينة ان يحرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسؤال عنها .. ولكن ما كان الرسول ليحرج ووراءه ربه ، يسانده ويسعفه بالجواب ، ليخرس السنة هؤلاء الأعداء ، فنزل القرآن الكريم يحكى سؤالهم ، ويجيب عنه ، لا يذكر الاسم الحقيقى لهذا الرجل ، ولا مكانه ، ولا الأمة التى ينتسب اليها ، ولكن يذكر المهم من تاريخه واعماله ، فقال تعالى فى سورة الكهف :

« ويسالونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء (١) سببا . فاتبع سببا . حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة (٢) ووجد عندها قوما ، قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا . قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا . واما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا . ثم أتبع سببا . حتى اذا بلغ مطلع(٣) الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا . كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا. ثم أتبع سببا . حتى اذا بلغ بين السدين(٤) وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خَرجا ، على ان تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعلْ بينكم وبينهم ردما . (١)آتونى أفرغ عليه قطرا (٧) . فما استطاعوا ان الصدفين(٦) قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا(٧) . فما اسطاعوا[2] ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاءً وكان وعد ربى حقا » ـ ٨٣ ـ ٩٨ سورة الكهف .

---

(١) اعطاه من كل شيء يحتاجه لتدعيم ملكه طريقا لما يريد

(٢) المراد بها ذات الماء المائل للكدرة والمكارة وليس صافيا ، وذلك حين بلغ الشاطىء الغربى لآسيا الصغرى ورأى الشمس تغرب فى بحر ايجه فى المنطقة المحصورة بين سواحل تركيا الغربية شرقا واليونان غربا وهى كثيرة الجزر والخلجان .

(٣) رحلته الثانية شرقا التى وصل فيها الى حدود باكستان وافغانستان الآن ليؤدب القبائل البدوية الجبلية التى كانت تغير على مملكته .

(٤) المراد بين جبلين من جبال القوقاز التى تمتد من بحر الخزر (قزوين) الى البحر الاسود حيث اتجه شمالا .

(٥) المراد قطع الحديد .

(٦) أى جانبى الجبلين المحيطين بالفتحة التى سدها .

(٧) القطر النحاس المذاب .

(١) صحة السطر : آتونى زُبرَ الحديد حتى اذا ساوى بين

(٢) صحتها : اسطاعوا .

اربعة عشر قرنا وكشف عنها «أبو الكلام أزاد»

وقد بينت هذه الآيات عقيدة الرجل ، وعدله فى حكمه واتساع ملكه . لكن ما اسمه ؟ واين ومتى عاش وحكم ؟ لم تتكفل الآيات ببيان ذلك ، لأن العبرة ليست فيه ، وانما العبرة والفائدة تكمنان فى ذكر ما تكفلت الآيات بذكره من أحداث حربية ، ومن عدل ، وايمان ، فبقى الاسم موضع تساؤل واجتهاد من المفسرين والمؤرخين فى تعيينه ، اشباعا لما فى النفوس من غريزة الكشف عن المجهول وحب الاستطلاع .. حتى ولو لم يكن وراء معرفة هذا المجهول فائدة تذكر .. لكنها الغريزة ، ورغبة العلماء فى اشباعها ..



تمثال كورش الذى عثر عليه فى حفريات اسطخر ايران

فلا تجد مفسرا قديما أو حديثا الا وذكر ما وصل اليه فى ذلك ، ولامؤرخا اسلاميا الا وادلى بدلوه في البحث عن هذا الاسم ، وذكر ما وصل اليه من اقوال مأثورة عن سابقيه .. حتى جاء فى اوائل هذا القرن « أبو الكلام ازاد » عند هذه الآيات ، وهو يفسر القرآن الكريم ، فكان لابد له ان يقول رأيه كذلك فى ذى القرنين .

وكان امامه حشد هائل من اقوال السابقين : وكان من الممكن أن يكتفى بهذه الأقوال ، ويختار منها كما فعل غيره ، وينتهي . ولكنه لم يفعل .. لانه لم يقتنع بقول من اقوال السابقين ، كما لم يقبل ان يترك الموضوع يمر دون بحث .

فخاض غمار الكشف عن المجهول بطريقته الخاصة ، وبما وفره الله له من عقل وقدرة على البحث ، وسعة في الاطلاع . وقدم لنا اخيرا فى تفسيره بحثا مقولا ، وصل فى نهايته الى تعيين الاسم والمكان والزمن الذى عاش فيه ذو القرنين ، ودعم كشفه هذا بمقارنة بين ماذكره التاريخ عن هذا الرجل ، وماذكره القرآن عنه . ووجود تطابق بين المصدرين ، مما لايدع مجالا للشك فى صحة ما وصل اليه .. وعلى غير عادة المفسرين ، رسم ازاد فى تفسيره خريطة تبين رحلات او حروب ذى القرنين كما ذكرها القرآن ، وفصلتها كتب التاريخ القديم ، لا سيما المصادر اليونانية التي أنصفت الرجل برغم ماكان بينه وبين اليونان من عداء ..

على أنه لم يكن وحده هو موضع التساؤل ، بل انضم اليه مكان السد الذى بناه ذو القرنين

اين هو ؟ ثم ياجوج وماجوج ومن يكونون ؟ فعني ازاد بالكشف عن مكان السد ، والتعريف بياجوج وماجوج . وبين على الخريطة المنطقة التي كانوا يعيشون فيها والممر الذي كانوا ينحدرون منه للاغارة والافساد ، والذي بنى ذو القرنين فيه السد ، ليمنع شر هؤلاء المغيرين .. فجاء بحثه مطولا ربما اخذ من مجلة العربي نحو خمسين صفحة ..

والذي نريده في هذا العرض الذي يحكمه عدد الصفحات هو أن نعطي القارىء خلاصة ما وصل اليه مع صورة عن المنهج الذي سلكه ازاد في الوصول الى الحقيقة ، وهو منهج يزيدنا ويزيد كل باحث ومحب للحقيقة اكبارا وتقديرا له ..

ماذا قاله المفسرون والمؤرخون ؟

ولكن قبل ان نتحدث عن بحوث ازاد ، يجدر بنا ان نعرض ولو ملخصا للآراء التي ذكرها المفسرون والمؤرخون ، مع العلم بان اكثر ما قالوه كان عن طريق النقل بعضهم من بعض ، وان كان لبعضهم آراء انفردوا بها ، وهي كلها مبنية على مجرد النقل .. وعلى سبيل المثال :

يذكر تفسير الكشاف للزمخشري : انه الاسكندر وقيل انه عبد صالح . نبي . ملك . وذكر رواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، انه سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقا وغربا . وقيل كان لتاجه قرنان . كان على رأسه ما يشبه القرنين ..

والامام ابن كثير : يذكر في تفسيره : انه الاسكندر ثم يبطل هذا . كان في زمن الخليل ابراهيم عليه السلام وطاف معه بالبيت . وقيل عبد صالح .واورد في تاريخه : « البداية والنهاية» ج ٢ ص ١٠٢ مثل ذلك وزاد انه نبي او مَلَك.

اما القرطبي في تفسيره فقد اورد أقوالا كثيرة ايضا : كان من اهل مصر واسمه : مرزبان ، ونقل عن ابن هشام انه الاسكندر ، كما نقل روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بانه ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب . وعن عمر وعن علي رضي الله عنهما بانه مَلَك .. او عبد صالح وهي روايات غير صحيحة . وقيل انه الصعب بن ذي يزن الحميري ، وكلها روايات واقوال تخمينية ولا سند لها .

اما الالوسي في تفسيره ، فقد جمع الاقوال السابقة كلها تقريبا ، وقال : لا يكاد يسلم فيها رأي ، ثم اختار انه الاسكندر المقدوني ودافع عن رأيه بان تلمذته لارسطو ، لا تمنع من انه كان عبدا صالحا !! اما المفسرون المحدثون فكانوا كذلك ينقلون عن الاقدمين .

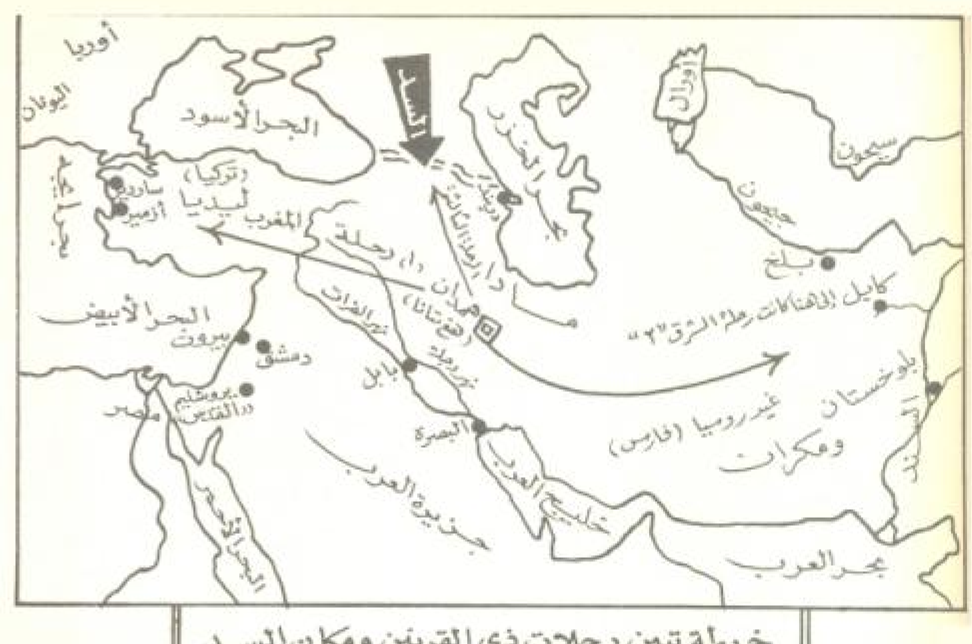
موقف ازاد من هذه الاقوال

لم يرتض ازاد قولا من هذه الاقوال ، بل ردها، وقال عنها:انها قامت على افتراض مخطىء لا يدعمه دليل ، وعني بالرد على من يقول بانه الاسكندر المقدوني .. بانه لا يمكن ان يكون هو المعنيَّ بالذكر في القرآن ، اذ لا تعرف له فتوحات بالمغرب ، كما لم يعرف عنه انه بنى سدا ،ثم انه ما كان مؤمنا بالله ، ولا شفيقا عادلاً مع الشعوب المغلوبة، وتاريخه مدون معروف .

كما عني بالرد على من يقول بانه عربي يمني .. بان سبب النزول هو سؤال اليهود للنبي عن ذي القرنين لتعجيزه واحراجه . ولو كان عربيا من اليمن لكان هناك احتمال قوي لدى اليهود ـ على الاقل ـ ان يكون عند قريش علم به ، وبالتالي عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فيصبح قصد اليهود تعجيز الرسول غير وارد ولا محتمل .لكنهم كانوا متاكدين حين سالوه بانه لم يصله خبر عنه، وكانوا ينتظرون لذلك عجزه عن الرد .. سواء قلنا بانهم وجهوا السؤال مباشرة او اوعزوا به للمشركين في مكة ليوجهوه للرسول ..

ثم قال : « والحاصل ان المفسرين لم يصلوا الى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين ، القدماء منهم لم يحاولوا التحقيق ، والمتاخرون حاولوه ، ولكن كان نصيبهم الفشل . ولا عجب فالطريق الذي سلكوه كان طريقا خاطئا . لقد صرحت الآثار بان السؤال كان من قبل اليهود ـ وجهوه مباشرة او اوعزوا لقريش بتوجيهه ـ فكان لائقا بالباحثين أن يرجعوا الى أسفار اليهود، ويبحثوا هل يوجد فيها شيء يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين . انهم لو فعلوا ذلك لفازوا بالحقيقة » .

لماذا ؟ لأن توجيه السؤال من اليهود للنبي لاعجازه ينبىء عن أن لديهم في كتبهم وتاريخهم علما



خريطة تبين رحلات ذى القرنين ومكان السد

به ، مع تأكدهم بأن النبى او العرب لم يطلعوا على ما جاء فى كتبهم .. فكان الاتجاه السليم هو البحث عن المصدر الذى اخذ اليهود عنه علمهم بهذا الشخص .. ومصدرهم الاول هو التوراة ..

وامسك ازاد بالخيط

وهذا هو الذى اتجه اليه أزاد ، وامسك بالخيط الدقيق الذى وصل به الى الحقيقة .. وقرا وبحث ووجد فى الأسفار ، وما ذكر فيها عن رؤى للانبياء من بنى اسرائيل وما يشير الى اصل التسمية : « ذى القرنين » او « لوقرانائيم » كما جاء فى التوراة .. وما يشير كذلك الى الملك الذى اطلقوا عليه هذه الكنية ، وهو الملك « كورش » (٨) أو « خورس » كما ذكرت التوراة .

ولكن لماذا عنى اليهود بكورش هذا ، وحاكوا حوله كل هذه الرؤى ، واطلقوا عليه كثيرا من الفاظ المديح ؟ حتى جاء كتاب يشعياء : «وانى اقول فى حق « خورس » بانه راع له ، وهو يتم مرضاتى كلها . يقول الرب فى شان مسيحه « خورس » انا اخذت بيده اليمنى لاجعل الامم فى حوزته ، وانزع القوة من سواعد الملوك ، وافتح له الابواب تلو الابواب . اجل اننى امشى بين يديك واقوم ما اعوج من سبلك » الى أن يقول : « افعل كل ذلك لتعلم اننى انا الرب اله اسرائيل ، الذى ناداك باسمك صراحة ، لاجل اسرائيل شعبه المختار » (٤٥ : ١) .

(٨) تكتب غورش ، أو كورش ، أو قورش . ويقول الدكتور عبد السلام فهمى فى كتابه عنه : بالرجوع الى القراءة السليمة للكتابات الهخامنشية ـ الفارسية ، والنطق الصحيح للتوراة نجد أن اسلمها نطقا وأصدقها كتابة هو « كورش » تمشيا مع النطق الفارسي الحديث » أ . هـ .

ولكن ازاد كتب اسمه عن التوراة (خورس) في تفسيره الاوردى كما كتبه ايضا « سائرس » ، ويقول الدكتور عبد السلام : « اما في اللغتين الانجليزية والفرنسية فينطق « سيروس » Syrus وفى الالمانية Cyros وفى الإيطالية والاسبانية Cho وفى اليونانية Koresh وفى العبرية Koresh كذلك » .

ولكن ماذا فعله من أجل شعب اسرائيل ؟

ان النصوص التى اوردها ازاد من الاسفار ، تصور ان ملكا سيظهر فى الشرق ، وينقذهم من الاسر الذى وقعوا فيه على يدى « بختنصر » ويعيدهم من بابل الى أرضهم ، ويجدد عمارة يروشليم « القدس » والذى يفعل هذا قد ذكرت الأسفار وصفه تارة على طريق الرمز بصورة كبش له قرنان ، « لوقرنائيم » او عقاب ياتى من الشرق له جناحان ، وتارة تذكر اسمه صراحة بانه « خورس » وتصفه بانه مسيح الله وتضفى عليه من صفات المدح وثناء الرب عليه ومخاطبته اياه بالكثير من الأوصاف ..

وقد ظهر هذا فى الاسفار على شكل نبوءات ، ورؤى سابقة على ظهور خورس ، مما جعل المؤرخين يتهمون اليهود الاسارى فى بابل بمساعدته حين هجم عليها ، حتى انتصر على ملكها ..

ومما قدموه اليه واطلعوه عليه من نبوءات خاصة به ، ومما قيل عن هذه المساعدة ، تجاوب الملك الفارسي الفاتح معهم ، وعطف عليهم ، واعادهم مكرمين الى بلادهم وجدد لهم عمارة يروشليم .

ويضيف أزاد الى هذا عاملا دينيا آخر وهو اتحاد عقيدة كورش مع عقيدة اليهود فى توحيد الله ، وسط أقوام تعكف على عبادة الاصنام .. فكورش كان من اتباع الدين الزرادشتى وهو دين « توحيد » (٩) ، واليهودية دين توحيد كذلك .

يقول أزاد مستنتجا : « وما دام الامر هكذا فمن المعقول ان نفرض أن كورش بعد تغلبه على بابل لما بلغته عقائد اليهود والأحكام الاخلاقية التى جاء بها دينهم يكون قد وجد تصوراتهم الدينية قريبة جدا لتصوراته الدينية فاندفع بطبيعة الحال الى احترامهم وتلقى نبوءاتهم برغبة خالصة » .

ويضيف الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى فى كتيبه عن « كورش الكبير » ص ٦١ سببا آخر سياسيا لمساعدة اليهود على اعادة تأسيس دولتهم فيقول : « ان كورش كان يطمع فى الاستيلاء على مصر ، ولكنه كان يجد صعوبة فى ذلك فقد كانت مصر مضرب المثل فى القوة والمنعة فرأى احياء الدولة اليهودية لتكون حائلا بينه وبين مصر ، وليتخذها فيما بعد رأس حربة ان اتيحت له الفرصة وليستعين بهم وقت اللزوم » .

وفعلا قام خلفه « كبوشيه » أو « كم بن سيز » فى اليونانية أو « قمبيز » كما نسميه بحملته على مصر سنة ٥٢٥ ق. م .

والمهم من هذا كله ان نعلم انه كانت هناك صلات قوية عقائدية ومصلحية قامت بين اليهود وبين كورش ، وانه قد صار فى تاريخهم بطلا منقذا رد اليهم اعتبارهم ، ومن هنا كان أمره معلوما لديهم دون غيرهم ، وانهم لهذا وجهوا السؤال للرسول صلى الله عليه وسلم لاعجازه .. وهم مطمئنون الى ان الرسول لم يطلع على ما عندهم من التوراة ولا على تاريخهم السابق .

هل يمكن الاعتماد على التوراة وحدها ؟

يقول أزاد : « خطر فى بالى لأول مرة هذا التفسير لذى القرنين فى القرآن ، وانا اطالع سفر « دانيال » ثم اطلعت على ما كتبه مؤرخو اليونان فرجح عندى هذا الرأى ، ولكن شهادة اخرى خارج التوراة لم تكن قد قامت بعد ، اذ لم يوجد فى كلام مؤرخى اليونان ما يلقى الضوء على هذا اللقب .

(٩) وقد قدم ازاد هنا بحثا مفصلا ورائعا عن الدين الزرادشتى وعن الفرق بينه وبين المجوسية التى أطلقها علماؤنا على الدين الزرادشتى خطأ ، مع أن المجوسيين كانوا يسمون الديانة الوثنية التى كانت سائدة قبل زرادشت ، والتى حاربها ليقضى على الوثنية وينشر التوحيد . وهو بحث نفيس جدا يجدر بالعلماء أن يطلعوا عليه . وارجو أن يتاح لهم ذلك قريبا فى كتابى عن : « ازاد » الذى يطبع الآن .

تمثال كورش

ثم بعد سنوات لما تمكنت من مشاهدة آثار ايران القديمة ومن مطالعة مؤلفات علماء الآثار فيها زال الحجاب ، اذ ظهر كشف اثرى قضى على سائر الشكوك ، فتقرر لدى بلا ريب ان المقصود بذى القرنين ليس الا كورش نفسه فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص آخر غيره » .

« انه تمثال على القامة الانسانية ، ظهر فيه كورش ، وعلى جانبيه جناحان ، كجناحى العقاب، وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش ، فهذا التمثال يثبت بلا شك أن تصور « ذى القرنين » كان قد تولد عند كورش ، ولذلك نجد الملك فى التمثال وعلى رأسه قرنان » اى أن التصور الذى خلقه أو اوجده اليهود للملك المنقذ لهم « كورش » كان قد شاع وعرف حتى لدى كورش نفسه على انه الملك ذو القرنين .. اى ذو التاج المثبت على ما يشبه القرنين .. كما يتبين من صورة التمثال .. سواء قلنا انه صنع فى عهده نفسه ، أو فى عهد خلفائه ..

كورش بين القرآن والتاريخ ..

ومع أن ما وصل اليه ازاد قد يعتبر لـدى الباحثين كافيا ، الا انه مفسر للقرآن وعليه أن يعقد المقارنة بين ما وصل اليه وبين ما جاء به القرآن عن ذى القرنين أو عن الملك كورش .. اذ ان هذا يعتبر الفيصل فى الموضوع لدى المفسـر المؤمن بالقرآن .. ويقول ازاد : انه لم توجـد مصادر فارسية يمكن الاعتماد عليها فى هـذا ، ولكن الذى أسعفنا هو الكتب التاريخية اليونانية، ولعل شهادتها ، تكون أوثق وأدعى للتصديق ، اذ أن المؤرخين اليونان من امة كان بينها وبين الفرس عداء مستحكم ومستمر ، فاذا شهدوا لكورش فان شهادتهم تكون شهادة حق لارائحة فيها للتحيز، ويستشهد ازاد فى هذا المقام بقول الشاعر العربى :

ومليحـة شـهدت لهـا ضراتهـا
والفضل ما شهدت به الأعداء

فقد أجمعوا على أنه كان ملكا عادلا ، كريما ، سمحا ، نبيلا مع أعدائه ، صعد الى المقام الاعلى من الانسانية معهم .

وقد حدد آزاد الصفات التى ذكرها القرآن لذى القرنين ، ورجع لهذه المصادر اليونانيـة فوجدها متلاقية تماما مع القرآن الكريم ، وكان هذا دليلا قويا آخر على صحة ما وصل اليه من تحديد لشخصية ذى القرنين ، تحديدا لا يرقى اليه شك ..

فمن كورش او قورش اذاً ؟

انه من أسرة فارسية ظهر فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد فى وقت كانت فيه بلاده منقسمة الى دولتين تقعان تحت ضغط حكومتى بابل واشور القويتين ، فاستطاع توحيد الدولتين الفارسيتين تحت حكمه ، ثم استطاع أن يضم اليها البلاد شرقا وغربا بفتوحاته التى أشار اليها القرآن الكريم ، واسس أول امبراطورية فارسية، وحين هزم ملك بابل سنة ٥٣٨ ق.م. اتاح للاسرى اليهود فيها الرجوع لبلادهم ، مزودين بعطفه ومساعدته وتكريمه . كما أشرنا الى ذلك من قبل .. وظل حاكما فريدا فى شجاعته وعدله فى الشرق حتى توفى سنة ٥٢٩ ق.م.

وفى العام الماضى احتفلت ايران احتفالا قوميا عالميا رائعا بذكرى مرور خمسة وعشرين قرنا على تأسيس أول امبراطورية على أرضها وكان كورش هذا ، هو الذى أسس هذه الامبراطورية ..

سد يأجوج ومأجوج

انما نسميه بهذا لانه بنى لمنع الاغارات التى كانت تقوم بها قبائل ياجوج ومأجوج من الشمال على الجنوب ، كما يسمى كذلك « سد ذى القرنين» لأنه هو الذى اقامه لهذا الغرض ..

ويقول آزاد : « لقد تضافرت الشواهد على انهم لم يكونوا الا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية ، تدفقت سيولها من قبـل العصر التاريخى الى القرن التاسع الميلادى نحو البلاد الغربية والجنوبية ، وقد سميت بأسماء مختلفة فى عصور مختلفة ، وعرف قسم منها فى

الزمن المتأخر باسم « ميفر » أو « ميكر » (١٠) في اوربا .. وباسم التتار في آسيا ، ولا شك ان فرعا لهؤلاء القوم كانوا قد انتشروا على سواحل البحر الاسود في سنة ٦٠٠ ق.م. واغار على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز ، ولنا ان نجزم بان هؤلاء هم الذين شكت الشعوب الجبلية غاراتهم الى « كورش » فبنى السد الحديدى ، لمنعها » ، وتسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية (الوطن الاصلى لهؤلاء باسم « منغوليا » وقبائلها الرحالة « منغول » ، وتقول لنا المصادر اليونانية ان أصل منغول هو « منكوك » أو «منجوك» وفي الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبرى « ماكوك » والنطق اليونانى « ميكاك » ويخبرنا التاريخ الصينى عن قبيلة اخرى من هذه البقعة كانت تعرف باسم « يواسي » والظاهر ان هذه الكلمة ما زالت تحرف حتى اصبحت ياجوج في العبرية .. »

ويقول : « ان كلمتى : ياجوج وماجوج » تبدوان كانهما عبريتان في اصلهما ولكنهما في أصلهما قد لا تكونان عبريتين ، انهما اجنبيتان اتخذتا صورة العبرية فهما تنطقان باليونانية «كاك Gag » و « ماكوك Magog »

وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة ، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الاوربية » .

والكلمتان تنطقان في القرآن بهمز وبدون همز(١١).

وقد استطرد ازاد بعد ذلك لذكر الادوار السبعة او الموجات السبع التى قام بها هؤلاء بالاغارة على البلاد الغربية منها والجنوبية .

مكان السد

ثم يحدد مكان السد بانه في البقعة الواقعة بين بحر الخزر « قزوين » والبحر الاسود حيث توجد سلسلة جبال القوقاز بينهما ، وتكاد تفصل بين الشمال والجنوب الا في ممر كان يهبط منه المغيرون من الشمال للجنوب ، وفي هذا الممر بنى كورش سده ، كما فصله القرآن الكريم ،وتحدثت عنه كتب الآثار والتاريخ .

ويؤكد ازاد كلامه بان الكتابات الارمنية ـ وهى شهادة محلية ـ تسمى هذا الجدار أو هذا السد من قديم باسم « بهالا غوراني » و « كابان غوراني » ومعنى الكلمتين واحد وهو مضيق « غورش » أو « ممر غورش » و « غور » هو اسم « غورش أو كورش » .

ويضيف ازاد فوق هذا شهادة أخرى لها اهميتها ايضا وهى شهادة لغة بلاد جورجيا التى هى القوقاز بعينها . فقد سمى هذا المضيق باللغة الجورجية من الدهور الغابرة باسم « الباب الحديدى » .

وبهذا يكون آزاد قد حدد مكان السد وكشف المراد من ياجوج وماجوج ..

وقد تعرض لدفع ما قيل ان المراد بالسد هو سد الصين ، لعدم مطابقات مواصفات سد الصين لمواصفات سد ذى القرنين ولان هذا بنى سنة ٢٦٤ ق.م . بينما بنى سد ذى القرنين في القرن السادس قبل الميلاد .

كما تعرض للرد على ما قيل بان المراد بالسد هو جدار دربند ، أو باب الابواب كما اشتهر عند العرب بان جدار دربند بناه انوشروان(١٢) بعد السد بالف سنة ، وأن مواصفاته غير مواصفات السد..

ولقد كان ازاد بهذا البحث النفيس اول من حل لنا هذه الاشكالات التى طال عليها الأمد ، وحيرت كل المفكرين قبله . وحقق لنا هذا الدليل ، من دلائل النبوة الكثيرة .. رحمه الله وطيب ثراه .. ■■

عبد المنعم النمر ـ القاهرة
مدير البعثات والثقافة بالازهر

---

(١٠) هذه الكاف ذات الشرطتين تسمى بالكاف الفارسية وهى تشبه في نطقها الجيم لدى أهل القاهرة أو القاف عند بعض الريفيين ..

(١١) جاء في تفسير الكشاف للزمخشرى عنهما« اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين ».

(١٢) من ملوك فارس من ٥٣١ ـ ٥٧٩ م وهذا السد ممتد من الجبل الى الساحل ناحية الشرق وليس بين جبلين ..
وهو من الحجارة ولا أثر فيه للحديد والنحاس .

صفحة في اللغة



كلمات

تظن في العربية دخيلة وهي فيها أصيلة

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ مئات من الكلمات نستعملها في احاديثنا بلهجاتنا الدارجة ، ولكننا نحيد عنها حين نكتب او نتكلم بالفصحى او الفصيحة ، وننعى على غيرنا ان يستعملها حين يتفصح ، فنحن ننكرها ونطاردها ــ ولا سيما المتزمتون منا ــ كما تطارد خلايا الجسم الحية اعداءها من الجراثيم المهلكة او الضارة ، او كما يطارد الشرطة المخلصون اخطر المجرمين .

أليس من واجبنا ان نسأل من اين جاءتنا هذه الكلمات ؟

اننا حين نبحث لها عن اصل في لغات الشعوب التي عاشرناها بالمخالطة او الجوار لا نجد لها هناك اصلا قريبا او بعيدا ، فاذا تفرسنا في هذه الكلمات برزت لنا ملامحها العربية في جلاء ، وكشفنا الاسر التي تنتمي اليها في صميم العربية. انها كلمات « عربيات سقط قيدها » كما قال يوما الدكتور احمد زكي رئيس تحرير هذه المجلة في افتتاحية لاحد اعدادها(العربي العدد ٧٣ ــ ديسمبر /كانون الاول ١٩٦٤) ولا شك ان للكلمات الفصيحة او الفصحى سجلات تقيد فيها ، واقرب هذه السجلات تناولا هي المعاجم . ولكن المعاجم مهما تبلغ من السعة والشمول لا تستوعب كل الصيغ اللغوية وان استوعبت جذورها المستعملة وذكرت بعض صيغها دون بعض ، اعتمادا على معرفة اشتقاق الكلمات حسب القواعد النحوية والصرفية والبلاغية

ففي المعاجم نجد مثلا الجذر « بسل» ونجد كلمات ذوات صيغ مختلفة قد اشتقت من هذا الجذر ، ولكننا لا نجد كلمة «بواسل »ــ جمعا على صيغة فواعل ، بمعنى الشجعان ، ونجد الجذر « ب ا س » ولا نجد بين الكلمات المشتقة منها كلمة « بئيس » بمعنى بائس ، التي تجمع على بؤساء بمعنى بائسين ، مع ان هاتين الكلمتين قد جاءتنا فيما يحتج به من شعر القدماء .

وهناك اسباب كثيرة توجب علينا ان نعيد الى هذه الكلمات المطاردة اعتبارها،ونعترف باصالتها العربية ، ومن هذه الأسباب :

١ ــ وجود اسرة في الكلمات الفصيحة لكل منها .

٢ ــ ووجود ملامح مشتركة واضحة بينها وبين تلك الأسرة .

٣ ــ وجريانها على الصيغ الصرفية التي لاشك في انها عربية .

٤ ــ ثم حاجتنا الى بعضها ، لانها ــ في تطورها الجديد ــ تؤدي من المعاني ما لا تؤديه غيرها في العربية بمثل دقتها وايجازها .

٥ ــ ثم اننا نستعملها في لهجاتنا الدارجة على مدى واسع لدى كثير من الشعوب العربية ، وهي بيننا معلومة مفهومة ، فماذا يدعونا الى اضاعة

الوقت والجهد في مطاردتها جهلا وظلما ، بدل أن نعترف بها ونستعملها في لغتنا الفصيحة ، بل نفرّغ منها ما تحتمله من مشتقات ، لتزيد لغتنا ثراء ووفاء .

وهذه امثلة لطائفة اولى من الكلمات الدارجة ، تشترك في ظاهرة لغوية واحدة ، وقد تاتي بعدها بطوائف مشابهة .

فعل + ل = فعلل

اولا ـ شَعْلَل

يستعمل لازما ، مثل « شعلل الرجل » اى اشتعل ، او التهب غيظا او غضبا او حقدا ، او نحو ذلك . ويستعمل متعديا فنقول على سبيل الحقيقة « شعلل الرجل الحطب » ، او « شعلل النار فيه » ونقول على سبيل المجاز « شعلل الرجل خصمه او شعلل النار فيه » اى اشعل غيظه او غضبه او حقده ، ونحو ذلك من الاثارات النفسية او البدنية . والأصل الثلاثي هو (ش ع ل) وهي ومشتقاتها تؤدي هذه المعاني السابقة حقيقية ومجازية . وفي الفصحى « الشعلول » الشعلة من النار .

ثانيا : صَهْلَل

فنقول مثلا « صهلل المغنى » او « صهلل الخطيب » بمعنى أن صوته انطلق بجيد ما لديه من فن ، و « صهلل السامعون له » اى انطلقت اصواتهم استحسانا له و « صهلل السكران » انطلق لسانه بالغناء او بما يخطر في باله دون تحفظ ولا مبالاة . وجذر الكلمة في الفصحى « ص هـ ل » و « الصَّهْل » حدة الصوت أيا كان صاحبه ، وصهل الجمل خبط بارجله وعض، ولجوفه دوى ، ومن ذلك صوت الخيل وهو حاد ، فهو « الصهيل » .

ثالثا : عكنن

فنقول : حرارة الجو تُعكننِي او تعكنن مزاجي و « هذا الرجل مغرم بالعكننة » وكلها تؤدى معنى القبض والانقباض والطى والانطواء من جراء الاساءة او النكد ، ونحن نقول في الفصحى « انقبض صدرى لرؤية البائس » و « انطويت على نفسي » و « صديقي انطوائي » والجذر « عكن » في الفصحى يدل على هذه المعاني ، فان « العكنة » ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سِمَنًا ، وهذه الطيات او الثنايا هي « العُكَن » وجارية « عكناء » و « مُعكّنة » : اى تمكّن بطنها ، او صار ذا عُكَن .

رابعا : بَقْلَلَ

نقول مثلا : « بَقْلَلَ بطنه » من الاستسقاء أو من كثرة الطعام أو الشراب اى : ظهر ، بسبب تمدده . وبقللت يدُه او رِجله ظهر فيها الانتفاخ، ومعنى « ب ق ل » في الفصحى هو الظهور ، والعرب يقولون « بَقَلَ وجهُ الغلام » او ظهر شعره ،و « بَقلت الارضُ » ، وابقلت » ظهر نباتها.

خامسا : شعنن

نقول في الدارجة « هذا الرجل شعْنُون (١) » و « هذه شعنونة » بمعنى انه سريع الثورة ، ولا يستلزم من ذلك انه شرس ، بل يكفي احيانا ان ينقبض اذا اسيء اليه ، وجذر الكلمة في الفصحى هو« شعن » وفيها ـ كما ذكر القاموس ـ شَعر مشعون . اى مشعث ، واشعانّ شعره اشعينانا ، فهو مِشعانّ الرأس اى ثائره ، فنحن هنا نجد الجذر« شعن » ثم نجد « شعنن » والمعنى في الدارجة والفصحى واحد ، وبعض الناس لم يزالوا يسمون اولادهم بكلمة « مشعانّ » .

سادسا : زَغْلَل

فنحن نقول مثلا « زغلل النور بصرى » اى فرّقه ، حين انصب عليه فتعطلت الرؤية ، وفي الفصحى : « زغل الرجل الماء » اى صبه دُفَعا ، ومجّه (والماء المجموع من الفم لا يخرج منه الا متفرقا قويا) ، وزغلت البهمة امها : فهرتها فرضعتها

(١) يلاحظ أن كل هذه الأسماء على وزن(فُعلول) بضم الفاء ـ مثل عُصفور ، ونحن ننطقها في الدارجة خطأ بفتح الفاء .

اول من تنبه الى هذه الظاهرة

واول من تنبه الى هذه الظاهرة ، ونبه عليها ـ فيما نعلم ـ هو ابو عثمان المازني ، صاحب الكلمة العبقرية الشهيرة « ما جاء على كلام العرب فهو من كلام العرب » واقدر من تبعه فى التمسك بها والسير عليها ابو على الفارسي وابن جنّي ، وتلاتهم من كبار ائمة النحاة ، واحرصهم على القياس فى اللغة وعلومها . فالمازني في فقرة من كتابه في التصريف سمى هذه الظاهرة « الالحاق المطرد » وعرفها بانها تلحق الاصل الثلاثي من جهة آخره بتكرار لام الكلمة ، ومثّل لها بكلمات منها : قعدد ، ورمدد ، وشملل ، وهذا الالحاق يختلف عن انواع اخرى من الالحاق شاذة في رايه ، كالحاق حروف متنوعة بفاء الكلمة ، مثل : جوهر وجيهر (الاصل : جهر) او عين الكلمة مثل : جهور (الاصل ايضا : جهر) ويذكر ابن جنّي انه كان يوما يقرأ على استاذه الفارسي هذه الفقرة فى « الالحاق المطرد » من كتاب المازني ، فقال له استاذه الفارسي ـ وكأنه قد امسك باول الخيط ثم انطلق يسعى به ـ « لو شاء شاعر" او ساجع متّسع" ان يبنيَ بالحاق اللام اسماً وفعلا وصفة لجاز له ، ولكان ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك : خرجج اكرم من دخلل (اى : ظاهر افضل من باطن) ، وضربب زيد عمرا (اي : ضربه) ، ومررت برجل ضربب وكرمم (اى : ضارب ، وكريم) ونحو ذلك « فقال له ابن جنى معترضا « افترتجل اللغة ارتجالا ؟ » فاجاب استاذه : ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم ، فهو اذن من كلامهم ثم ضرب له بعض الامثلة تقريبا للفكرة ، وايناسا بها .

ظاهرة الالحاق المطرد

ومن تتبع الكلمات الفصيحة يجد عشرات وعشرات من امثال هذه الكلمات ، ونحن نكتفى هنا ببعض الامثلة لما سماه المازني ظاهرة « الالحاق المطرد » الذى يلحق آخر الاصل الثلاثي بتكرار لامه ، وليس من الضروري ان يكون هذا الالحاق عاما فى جميع الجذور الثلاثية ، ولا فى جميع الصيغ فى كل جذر على حدة ، وحسبنا ان وجد فى بعض الصيغ فى بعض الجذور ، ثم يعتمد القياس فيما وراء ذلك اذا لزم الامر ، ونحن لا نوغل ايغال ابى على الفارسى ، ولكن لا ننكره عليه ، بل يكفينا الاعتراف بعروبة هذه الالفاظ وهذه امثلة من الكلمات الفصيحة التى تظهر فيها ظاهرة الالحاق المطرد .

١ ـ ابلولة ، صيرورة ، بينونة ، غيبوبة ، بيتوتة ، قيلولة ، ديتونة ، ديمومة .

٢ ـ يقال : ذهبوا شماليل ، او ابابيد او شماطيط ، او عباديد (اى متفرقين) .

٣ ـ ونقول : اسودّ ، احمرّ ، ابيضّ ، اصفر ، اخضر ، ازرق ، اربدّ ، ادهمّ ، اسمرّ ، اشهبّ ، اشهلّ ، ازورّ ، اغبرّ ، ارفضّ ، اعوج ... ومصادرها ، اسوداد ، احمرار .. واسوادّ ، ثم هناك احمارّ وابياضّ .. ومصادرها اسويداد ..

٤ ـ السّؤدد السّودُد (السيادة) .

٥ ـ رعديد (جبان) ، غربيب (اسود) ، صِنديد ، وصِنْدد (السيد ، الشجاع ، الحليم ، الكريم ..) عالم نِحرير (متعمق) . ليل حلكوك (اسود) .

٧ ـ الثؤلول (حلمة الثدى ، بثرة صلبة) ، البُهلول (الضحاك ، السيد الجامع لصفات الخير) . جارية رُعبوب ورُعبوبة ورعبيب (بيضاء حسنة ، حلوة ، ناعمة) . زُغلول (طفل ، رجل خفيف) .

الكلمات المعربة كالعربية

وقد عرّب اسلافنا كلمات ، فساروا فيها سيرتهم فى كلماتهم العربية ، وهذا مثال واحد : القنْد (عسل قصب السكر) فقالوا : قِنديد ، وعليه قول المتنبي : « ان المنية عند الذل قنديد » وقد عربنا اخيرا كلمة Machine ، فقلنا : مكِينة ، مثل مكنة الخياطة ، والتطريز ، ومكنات الحصاد ، والدرس ، والطحن ، فاذا كنا نعتمد على المكنات فى الاعمال الزراعية فهو نظام المكْننة ، فى الزراعة ، وهذه اوْلىَ من كلمة « الميكنة » ، لانها تجرى على « الالحاق المطرد » او القياس الاشيع ، وان كانت لكلمة « الميكنة » نظائر فى العربية ، مثل حيدر ، وفيصل ، وفيهق . ■■

التوتر العصبى والاضطراب النفسى

كلاهما سبب معظم أمراضنا في عصرنا المدنى الحاضر

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ لك الله ايها الانسان - أى انسان - فى عصرنا الحاضر ، فلقد اعطتك المدنية كل اسباب النعيم وهيأت لك التكنولوجيا الحديثة ما لم يخطر لك على بال ، ثم انها مع هذا العطاء تسلبك اشياء تعتز بها وتتمنى عدم زوالها ، ولكنها سنة الحياة : نعيم وحرمان ،شقاء وسعادة،يسر وعسر.

وتحضرني قصة الحطاب الذى كان يسكن بجوار « قصر الغنى » يبيع ما يحتطب ، قانعا هو وعائلته بما رزقه الله ، يغنى اول الليل وسرعان ما يداعب الكرى جفنيه فيكون فى سبات عميق ، ويحسده جاره الغنى الذى يشكو من الأرق والسهر ، ولا يجد سببا ظاهرا لسعادة الحطاب ، فيهديه تفكيره الى ان يعطيه مبلغا كبيرا من المال ، وينظر ماذا يصنع ، فاذا الغناء يصير أنات ، واذا الجفون يهجرها النوم ، واذا الحال يتبدل والافكار تتكاثر اين يضع المال ؟ واين ينفقه ؟ وماذا يصنع لو هاجمه لص ؟ الى ذلك من هواجس ، سلبته السعادة التى كان يعيش فيها ، والصحة التى كان يتمتع بها ، وهداه تفكيره الى ان يرد المال الى صاحبه ، ويعود الى سيرته الاولى لتعود اليه سعادته .

تلك حال الانسان فى هذا الزمان ، ولكنه لا يمكنه ان يرد ما اعطى ، فهو فى نهم زائد ، واستكثار من الرخاء والمال ، لعله بذلك يجد الوسيلة الى السعادة والهناء ، وهيهات أن يبلغ ما يتمنى ، وهذا هو ما نسميه بالتوتر العصبى .

ويعانى الشخص من التوتر العصبى اذا كان تفاعله للتغيرات التى تصادفه فى حياته تفاعلا يؤثر على أجهزة جسمه المختلفة ، ويستمر هذا التفاعل فترة طويلة ، وذلك لان هذا الشخص يذكى هذا التفاعل فى نفسه ، ويزيد من حدته ، فيجعل منه اداة دائمة ومؤثرة على أجهزة الجسم المختلفة . والانسان بتكوينه الوظائفى يتفاعل مع الأحداث سواء منها الحسية او المعنوية ، ولكن تفاعله يكون لفترة يرجع بعدها لحالته الطبيعية . والملاحظ أن التوتر العصبى يؤثر على جميع أجهزة الجسم لفترة طويلة لذا كان من واجب المريض والطبيب معا البحث عن السبب الذى ادى الى هذا التوتر . ولننظر معا مدى تأثر كل جهاز بهذا التوتر العصبى

الجهاز العصبى

والجهاز العصبى أول الأجهزة التى تتأثر بالتوتر، ومن خلاله تتأثر باقى الأجهزة عن طريق العصب



السمبثاوى وغيره من الاعصاب التى تكون مجموعة الجهاز اللاارادى Autonomic Nervous System فيحس المصاب بالانفعال الشديد تجاه اى مؤثر خارجى اذ يضيق صدره لاتفه الأسباب، ويرتعد جسمه ، وترجف عضلاته ، ويحس بدوار مع عرق غزير فى بعض الاحيان ، ويعترى المصاب ارق شديد مع أحلام مزعجة فى بعض الحالات ، وما يتبع ذلك من الاحساس بالاجهاد وعدم الشعور بالراحة والاحساس بالتعب عند القيام بمجهود عضلى بسيط ، ولقد لوحظ أن المصابين بمرض الشقيقة أو الصداع النصفى Migrain تعتريهم النوبات على فترات وجيزة ، عندما يصابون بالتوتر العصبى ، بل لوحظ فى بعض الامراض العصبية ان للتوتر العصبى اثرا فى حدوثها، كما هو الحال فى التواء الرقبة العصبى ، وكذلك الحال فى امراض الصرع فكثيرا ما تحدث النوبات الصرعية بعد التعرض لتوتر عصبى ، ولا يخفى على الكثير منا الصداع الذى يعترى الاشخاص الذين يعانون من التوتر .

وللتوتر العصبى والاضطرابات النفسية الاثر الشديد على حياة الفرد ، اذا كان لا يمكنه ان يتكيف والبيئة التى يعمل بها ، والمجتمع الذى يعيش فيه ، فلقد أخذت حالات الانتحار تزداد يوما بعد يوم ، والكثير ممن يحاولون الانتحار لا يتعرضون لذلك الا للفت النظر اليهم ، والاهتمام بهم . وكذلك كان للتوتر العصبى الاثر السيىء على حياة الأسرة من جميع وجوهها سواء المادية والاجتماعية والاخلاقية ، وكم من اسرة انفك عقدها وتقطعت اوصالها ، لتوتر اعصاب عائلها، وفشله فى حياته وتعرض اسرته للضياع .

وللتوتر العصبى الاثر السيىء كذلك بالادمان على تعاطى المشروبات الروحية ، والتدخين ، والأدوية بما فيها المنومات والمهدئات ، ويتبع ذلك ما يجره على الفرد من ويلات تكون سببا فى تفكك الأسرة وترديها فى المهاوى والاخطار ،فوق ما يعانيه من امراض تسببها هذه المواد التى يتعاطاها

الجهاز الدورى (الدموى)

ويلعب التوتر العصبى دورا هاما فى امراض الجهاز الدورى ، فلقد وجد من الاحصائيات المختلفة ان ارتفاع الضغط يحدث كثيرا فى حالات التوتر العصبى ، ويقل ارتفاع الضغط او يزول مع زوال السبب . وهذه الاحصائيات تمت اثناء الحرب فى الجهات المختلفة من العالم وما يتبع ذلك من زيادة مطردة فى عدد المصابين بارتفاع ضغط الدم .

وهناك مرض يصيب الشرايين الصغيرة ،فيجعلها تتقلص بشدة ، مما يقلل سريان الدم فى اليدين والرجلين ، ويزداد هذا المرض شدة ويساعد على حدوثه التوتر العصبى ، ويصحب ذلك شعور بالخدر (التنميل) فى اليدين والرجلين .

وكثيرا ما يساعد التوتر العصبى على اضطرابات فى دقات القلب ، ففى بعض الحالات تكون سريعة، أو تحدث دقات زائدة مع الشعور بالخفقان ، أو الاحساس بتوقف القلب .

وكذلك ثبت أن جلطة شريان تاجى القلب كثيرة

الحدوث في الطبقات التي تفكر كثيرا ، وتتعرض كثيرا لنوبات اضطرابات نفسية وعصبية .

الجهاز الهضمي

والجهاز العصبي من الاجهزة التي تتأثر كثيرا بالاضطرابات النفسية ، والتوتر العصبي ، فترتبك وظائفه ، وتحدث اعراضا كثيرة يصعب في بعض الحالات علاجها والتخلص منها ، وتحير المرضى ، وتزيد في حيرة الاطباء ، وتجعل المريض يتردد من طبيب الى آخر ، يستمع الى تشخيص لمرضه اليوم ، ليتبدل هذا الى تشخيص آخر في اليوم التالي لأن الأعراض ووصف المريض تختلف حسب حالة المريض النفسية ، ومدى تأثر الجهاز الهضمي بها في ذلك اليوم ، ونرى ذلك واضحا فيمن يعانون من فقدان الشهية للاكل ، او الامتناع عن الاكل ، وفي القيء العصبي ، وفي الاسهال الذي يكون مصاحبا للاضطرابات العصبية ، وفي حالات القولون الحساس ، والمغص الذي يتبعه مع الامساك الشديد ولكون القولون يمتد في تجويف البطن من اليمين الى اليسار ، ولقربه من الاعضاء الاخرى داخل البطن ، فان الآلام فيه تتشابه الى حد كبير الام هذه الاعضاء ، وكثيرا ما تعطى التشخيصات المختلفة لامراض عدة ، فتكون مرة التهابا بالمرارة ، واخرى التهابا بالكبد ، وثالثة التهابا بالكلى ، والتهاب الزائدة الدودية وغير ذلك ، ومن هنا يقع المريض في حيرة من أمره فيستفحل الداء ، ويستعصي الدواء .

ومن امراض الجهاز الهضمي الشائعة والتي تتبع الاضطرابات النفسية التهاب المعدة وما يصحب ذلك من زيادة في الحموضة ، والشعور بالم في منطقة المعدة وعدم تصرف الطعام ،ومحاولة المريض التدخين بكثرة مما يسبب له انتفاخا في منطقة المعدة ، وهذه تزيد وتضغط بالتالي على القلب وتسبب زيادة او لغطا في دقات القلب ، وما اكثر الحموضة في ايامنا ، وما اكثر ما يحمل اصحاب الحموضة الزائدة اقراصا في جيوبهم للتغلب على هذه الحالة .

ولقد ازدادت نسبة حدوث قرحة المعدة والاثنى عشر في البلاد المتقدمة لكثرة ما يعانيه سكانها من اضطرابات نفسية وتوتر عصبي شديد ، وما يصحب ذلك من زيادة في حموضة المعدة ، وتقلص في شرايينها ، وتعرضها للتقرح .

وهناك مرض منتشر في أوروبا ، ولو انه يشاهد من آن الى آخر في منطقتنا ، وهو يصيب الشبان والشابات وهو ما يسمى بالقولون المتقرح . ويظهر على شكل اسهال ، مع وجود دم وقيح ومخاط في البراز،ويكون مصحوبا في بعض الحالات باسهال شديد،ويمكث هذا فترة طويلة او قصيرة، ثم يعود المصاب الى حالته الطبيعية انتظارا لحدوث نوبة أخرى ، وهكذا ، وتؤثر الاضطرابات النفسية والتوتر العصبي على هؤلاء المصابين ، حتى انه يقال ان سبب المرض وجود هذا التوتر في هؤلاء المصابين .

ومن هنا عندما يكون مصابا باضطراب نفسي يشكو عجزه عن البلع ، وتوقف الغذاء في حلقه، وبالفحص يتبين انه لا يوجد مرض عضوي في الحلق او البلعوم أو المريء . ولكن يرجع ذلك الى تأثر اعصاب البلعوم والمريء بالاضطرابات النفسية وتسبب تقلص العضلات وعدم القدرة على البلع ، وما اكثر هذه الشكوى بين الذين صدموا في حياتهم ، عاطفيا ، ومعنويا ، وماديا ، واستحالت حياتهم ـ على حسب قولهم ـ جحيما لا يطاق .

والمغص وآلام البطن التي تعتري الانسان عند التوتر العصبي،والتي تزول بازالة السبب،تشاهدها في المستشفيات،ولا علاج لها الا بالراحة والمهدئات.

الجهاز التنفسي

ولعله لا يخفى على المرضى المصابين بالربو الشعبي مدى تأثرهم ، وحدوث النوبات الشديدة عندما يتعرضون لصدمات نفسية وتوتر عصبي سواء كان ذلك في الاطفال او الكبار ، فكثيرا ما نشاهد طفلا تعتريه النوبات عندما يحس بالاضطهاد، او بعدم مراعاة أهله له ، او اهماله ، او عدم تلبية رغباته وتشاهده وقد اعترته اسوأ النوبات، وعندما يبقى في المستشفى فترة تزول عنه النوبة ، ولو لم يعط اي علاج ، وعندما يبدو امامه انه قد قرب موعد مغادرته المستشفى تعتريه النوبة،وتسوء حالته . والزوجة غير السعيدة في زواجها ، تكثر لديها نوبات الربو ، والفاشل في عمله ، والذي يغضب لاتفه الاسباب ، والذي جرح في عاطفته ،

كلها تلقى بثقلها على الشعيبات الهوائية وتسبب نوبات شديدة من الربو .

الغدد الصماء

والغدد الصماء تسيطر عليها الغدة النخامية ، اذ انها ترسل هرموناتها اليها ، فتزيد من افرازها او تقلل ، حسب ما تقتضيه حاجة الجسم ، او اذا تأثرت بمرض من الامراض ، والغدة النخامية تقع تحت تأثير سرير المخ Hypo thalamus لاتصالها بهذا الجزء من المخ ، لذا يلاحظ انه عند الاضطرابات النفسية او التوتر العصبي ان هنالك اضطرابا في افراز الغدد الصماء . ففي حالة الغدة الدرقية نجد أن مرض التسمم الدرقي كثيرا ما يحدث بعد اضطرابات نفسية وعصبية وتوتر عصبي شديد ، فتزداد نسبة الثيوروكسين Thyroxine في الدم ، ويتبع ذلك زيادة في النبض ، مع عرق غزير ، وزيادة في الاحساس بحرارة الجسم ، ونقص في الوزن ، وتضخم قليل في الغدة الدرقية مع جحوظ في العينين .

وكثيرا ما نواجه مرضى بالبول السكرى بعد صدمة نفسية ، وفي بعض الحالات يزول المرض بزوال السبب الذى سبب التوتر العصبي او الصدمة النفسية .

ومع التوتر العصبي تكون الاضطرابات فيالعادة الشهرية ، وتعود لحالتها الطبيعية اذا تحسنت الحالة .

ويلاحظ في بعض المرضى السمنة المفرطة انهم يفرطون في الطعام عند التوتر العصبي او الاضطرابات النفسية . وما توقف لبن المرضع بغريب علينا عندما يجف لبنها عند اصابتها بصدمة عصبية ، أو توتر عصبي .

ولقد لوحظ ان فقدان الشهية للاكل مع نحول الجسم في الشابات المراهقات مع اضطراب العادة الشهرية يكون مرجعه للاضطرابات في الغدة النخامية ، على اثر اضطرابات نفسية .

والاضطرابات النفسية والتوتر العصبي تعترى الشباب فيعانون من العجز عن الجماع الصحيح ، وسرعة القذف ، وعدم الانتصاب السليم ، فتحدث لهم عقدة في نفوسهم ، وتسوء حالتهم الزوجية ، وربما ادى ذلك الى الانفصال ، ولقد لوحظ ان ٩٠٪ من هذه الحالات ليس لها أصل عضوى بل كلها اضطرابات نفسية .

واذا ما تقدم السن بالسيدة وحان انقطاع الطمث وجدت الاضطرابات النفسية والتوتر العصبي على اشده ، فيزيد من حدة هذه الفترة في عمر الاناث ، فيزداد الارق والتهيج لاتفه الاسباب ، والشعور كأن لفحة حر تغطى الجسم من آن الى آخر ، ويتبع ذلك ارتفاع في ضغط الدم ، والآم في العضلات والمفاصل .

الجلد

والجلد مرآة الجسم تنعكس عليه علامات الامراض التى تصيب أجزاءه المختلفة ، فهنالك انواع عدة من الطفح تظهر على الجلد عند الاضطراب العصبي والتوتر ، وكذلك الحكة في أجزاء عدة من الجسم ، ويكون هذا الطفح محيرا للمريض والطبيب الى ان يكتشف امره ، وتظهر العلاقة بينه وبين هذا التوتر ، وبزواله يزول السبب .

والاستعداد للحساسية وما يتبعها من مضاعفات تزداد كثيرا بالتوتر العصبي ولقد وجد انه بزوال هذا التوتر تقل الحساسية بل تتحسن كثيرا وربما تذهب الى غير رجعة. وهذا ما يسمى «بالارتكاريا» وفي بعض الحالاتتكون شديدة مع تدرنات بالجلد، وحكة شديدة واحتقان في الجلد ، مع ما تسبب من أرق .

وفي بعض حالات التوتر العصبي تكون حكة الجلد الشديدة العرض الوحيد لهذا التوتر .

وسقوط الشعر سواء كان ذلك في اجزاء متفرقة من الرأس او سقوط الشعر كلية يكون في معظم الحالات راجعا لتوتر عصبي شديد او اضطرابات نفسية .

وهناك بعض المرضى يحس بعد التوتر العصبي وكأن حشرات تسير في الجلد او تحته وهذا يسبب اضطرابا شديدا في حالة المريض وربما استمر مدة طويلة ما لم يتخلص المريض من توتره العصبي .

الخلاصة

من كل هذا نرى أنالتوتر العصبيوالاضطرابات النفسية تلعب دورا خطيرا وراء الامراض الكثيرة

التي تعاني منها في مجتمعنا المعاصر ، مما يدل دلالة واضحة على زيادة الامراض ، والوقوع تحت طائلتها رغم هذا التقدم العلمي السريع لكشف اسباب الامراض وطرق الوقاية والعلاج التي ما زالت تثب وثبات واسعة .

ولعلنا بذلك نبذل كل جهد لابعاد حالة التوتر من هذا المجتمع المتحضر ، وكم يتمنى الانسان ان يبذل المال في تخفيف ويلات الحياة وفي تقدم الدول النامية ، بدل ان يصرف المال لزيادة حالات التوتر في شتى المجالات ، وعلى راسها الحروب التي لا تكتفي بحصد البشر في ميادين القتال ، ولكن تحصدهم فيما وراء هذه الميادين نتيجة للامراض التي يكون التوتر العصبي هو العامل الرئيسي في حدوثها وما اعزها امنية ان يعيش الفرد في عالم كله سلام وهدوء وطمانينة، وراحة بال .

العلاج

ويسال السائل : ولكن هل من سبيل ؟

نحن لا يمكننا ان نتصور ان نرجع العالم الى الوراء ، حتى نطمس او نزيل ما به من معالم حضارية ، واسباب جعلت الانسان يتسابق مع الزمن ، ويهادنه مرة ، ويثور مرات ، فيتناحر على غلبته ، فتسوء حاله .

من ذلك نرى انه لا بد وان يغير الانسان من نفسه فيتكيف حسب الاوضاع التي تحيط به ، ولا يجعل من صغائر الامور ما يزيد من صراعاته ويؤثر في اعصابه ، ويسأل نفسه دائما ما فائدة تعقيد الامور ؟ هل تحل المشاكل ؟ هل تزيل الصعاب ؟ وما هو السبيل للخلاص مما يعكر الصفو ، ويؤثر على النفس ؟ وليعرف دائما وبقوة ايمانه انه « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا» ومن هنا يبدأ التفكير السليم في هدوء واناة ، ولا بد ان يهديه تفكيره الهادىء الى مخرج من مازقه ، وبالتالي استرخاء في أعصابه ، وطمانينة في نفسه.

والذى عاشر الانجليز في بلادهم يتساءل دائما : لماذا هم باردو الاعصاب ، هادئو المزاج ؟ ولماذا هم قليلو الانفعال ؟

ولعل اهم سبب لذلك هو طريقة حياتهم ، فحياتهم قائمة على النظام واحترام الافراد بعضهم بعضا والعمل بحرية دون التعرض لحرية الاخرين، فالكل يتبع قضاء حاجياته وهو في صف واحد تلو الاخر ، حتى الاطفال الصغار يعودون من صغرهم عدم التعدى او الخروج من هذا الصف ، فالكل ينتظر دوره دون تافف او ملل ، لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير ، والغني والفقير ، والعامل والمدير ، بل كل في هذا الصف سواء ، وياله من احتقار وازدراء اذا حاول تجاوز هذا الصف . ثم قل لي بربك ماذا يدعو الانسان الى أن يتشاجر ما دام يحس انه ياخذ حقه وهو في راحة واحترام. مكثت بينهم سنة سنوات ولم أر او اسمع مشاجرة، لا شيء غير « من فضلك » و « شكرا جزيلا » ، « عفوا » ، و « اسف » . ثم الوفاء بالوعد والتقيد بالمواعيد ، واحترام الناس بعضهم بعضا والرد على خطاباتهم سواء الرسمية وغير الرسمية، وتوفر اسباب الراحة والطمانينة للفرد ، ثم التامينات المختلفة الصحية ، والمعاشية ، كلها جعلت الفرد لا يفكر كثيرا في المستقبل ، فحياته مكفولة اذا كبر ، واذا مرض ، نظير مبلغ قليل يستقطع من راتبه .

وكذلك تكفل الدولة له المرافق العامة على احسن وجه ممكن له ، لذا يرى الفرد ان واجبه يحتم عليه دفع الضرائب المطلوبة منه لأنه يحس الفائدة التي تعود عليه من هذه الضرائب . من هنا نرى ان الدولة والفرد يمكنهما ان يحققا اسباب الطمانينة ومايتبع ذلك من الهدوء العصبي والنفسي .

وما دور الدواء في هذه الحالات ؟

اهم من الدواء هو تفهم المريض ومعرفة سبب توتره العصبي ، ومحاولة تخفيف الاسباب ان امكن ، ولعله في بعض الحالات يحتاج الى دواء مهدىء لفترة قصيرة واقول « لفترة قصيرة » خوف الادمان على المهدئات حتى تنقشع اسباب التوتر ويمكن للانسان السيطرة على أعصابه ، وتكييف نفسه في وضعه الجديد ، وربما احتاج ذلك بعض الوقت ولكن يحتاج الى المثابرة والعزيمة ، واذا توفر هذا كله امكنه التغلب على ما يعانيه من اضطرابات ، وبالتالي لا يعرض نفسه لامراض هو في غنى عنها . ■■

د. محمد محمد ابو شوك



من وحي البحر

بقلم : محمود غنيم *

يا لجمال المنظر الخلاب
عند التقاء الافق بالعباب
فوقهما مواكب السحاب
ممدودة الرواق كالقباب
ممدودة الرواق كالقباب
والشمس تارة بلا نقاب
وتارة ترف فى الحجاب
خلف ظلام الغيم والضباب
والبحر كاس ازرق الجلباب
زرقة عين الغادة الكعاب
من لى بمجهر واصطرلاب ؟
حتى ارى الشمس على اقتراب
اذ مال قرصها الى الغياب
واصطبغت بحمرة العناب
وانطفأت جمرة الالتهاب
فى الماء فهى كالسراج الخابى
وصاح صوت الدهر كالغراب
فى نغم خال من الاطراب
صفحة انطوت من الكتاب

* * *

يا بحر انت ملتقى الاحباب
وباعث النشوة فى الاعصاب
ومبدل الانس بالاكتئاب
وطاعن الصيف بلا حراب
اذا عدا كالضيغم الوثاب
مهددا بمخلب وناب
تموز عاش منك فى ارهاب
آراده حانية الرقاب

* (العربى) : هذه هى آخر قصيدة ارسلها الشاعر لمجلة ((العربى)) قبل وفاته.

قهرته برقة الحباب
والنسمات الحلوة الرطاب
فعاد مرتداً على الأعقاب
للتين حد ليس للقرضاب
ما فيك شيء ليس بالجذاب
حتى اصطدام موجك الصخاب
بالصم من صخورك الصلاب
يحكي لنا زئير أسد غاب
مهتاجة مثارة غضاب
كم موجة تومض كالشهاب
او كحسام سل من قراب
بيضاء مثل درة الحلاب
نثارها من لؤلؤ مذاب
موجك مثل الدهر في انقلاب
بينا نراه لين الجناب
اذا به ارفع من هضاب
عزت على الاجدل والعقاب

★ ★ ★

ان كنت غير سائغ الشراب
فمنك ماء الأنهر العذاب
ان تفخر الانهار بالاحساب
فالنيل من ابنائك الانجاب
ملء الثغور انت والاكواب
بكل عذب بارد منساب
كالشهد في الأفواه ، والرضاب
ماؤك سر النسل والاخصاب
وواضع البذور في الاصلاب
وانت سر خضرة الروابي
وثمر النخيل والاعناب
انت عمرت الارض من يباب
لولاك ما حبا عليها حابي
او خلق الانسان من تراب

★ ★ ★

كأنما انت هنا اعرابي
خيامه اربت على الحساب
منصوبة مشدودة الاطناب
عالية مفتوحة الابواب
ري الظماء مطعم السغاب
تجمع بين الصيد والأوشاب
بين رءوس الناس والاذناب
وربرب الغزلان والذئاب
ما ثم نابح من الكلاب
او حاجب فظ من الحجاب
وانت جالس على الاعتاب
من الرمال فارش زرابي (١)
تستقبل الوفود بالترحاب
طلق المحيا واسع الرحاب
ضخم الجفان فاهق الجوابي (٢)

★ ★ ★

والغيد اسراب الى اسراب
ينبتن في شطك كالاعشاب
يكدن يبدون بلا ثياب
يا بحر اين شرطة الآداب ؟
غيدك قد افقدنني صوابي
اهكذا يلعبن بالالباب ؟
هنا جمال ليس بالكذاب
والبحر لا يجور او يحابي
يذيب كحل العين والأهداب
وما على الأوجه من خضاب

(١) زرابي : بسط فاخرة ، واحدتها زربي بضم الزاي وكسرها .
(٢) الجابية : القصعة الكبيرة ، فاهقة : مكتظة بالطعام .

وما على الشعور من اطياب
اضوع من مسك ومن مَلاب(٣)
ليعرف الزيف من اللباب
ملابس البحر بلا « أرواب »
فوق الجسوم الفضة الاهاب
اخطرُ من نار على احطاب
كم ذات جسم للنهى سلاّب
يرمقها الناظر فى اعجاب
بكل طرف سارق نهّاب
بجرح مثل مدية القصّاب
يا للجمال الصائب المصاب
الحمد لله خلت وطابى
من الهوى وعطّلت ركابى
ما عاد لى بين الحسان سابى
يذيقنى حلاوة العتاب
ولا يطيل فى الهوى انتحابى
من كثرة الهجر والاجتناب
لست ليوم الوصل فى ارتقاب
وكيف اغشى حلبة التصابى
وما معى قوسى ولا نشّابى ؟
كيف اخوضها بسيف نابى ؟
وفرس بادى الهزال كابى ؟
مالى وللكواعب الاتراب ؟
اين مضيت اين يا شبابى ؟
تبخت يا اخدع من سراب
ما الحب غير قدر غلاّب
وسبب العمران والخراب
عذوبة الحب من العذاب
وشهده مختلط بصاب

★ ★ ★

يا بحر قد اصبحت من اصحابى
اكاد اشتكى اليك ما بى
كانما تشفى من الاوصاب
او تفهم المقصود من خطابى
فان اقل تهمُّ بالجواب
يا بحر دقت ساعة الاياب
وهكذا العمر الى ذهاب
عمرى لو امتدّ الى احقاب
قضيته وما انقضت آرابى
ان مت فادفنوا معى رغابى

★ ★ ★

يا بحر انت ربة المرتاب
لكننى فيك ارى محرابى
دابك هذا ابدا ودابى
اغشاك للأجر وللثواب
غشيان عبد خاشع أوّاب
محلّق بفكره جوّاب
فى الملك ملك سيد الارباب
الشهب سرب فيه من ذباب
والشمس عود لاح من ثقاب
والارض ترس دار فى دولاب
وانت قطر سال من لعاب
جل جلال الخالق الوهاب
مقدّس الصفات والالقاب
كم همسة فصيحة الاعراب
للموج تطرى الله فى اسهاب
تشرح سرّ الكون للطلاب
يا بحر ، كم وصلتَ من اسباب
بينى وبين الغافر التوّاب
انت لكل ملحد وصابى
ان تاه فى مفترق الشعاب
يا خامس الاربعة الاقطاب

■■

محمود غنيم

(٣) الملاب : نوع من الطيب .



بقلم : عبدالستار أحمد فراج

■ العمل العظيم ، يقدر احسن تقدير ، سواء اكان صدوره من حاكم متبوع ، ام من تابع محكوم. لا فرق بين عمل وعمل في جنس المحسن ولونه .

ويرتفع شان الفعل اذا كان شاملا مثمرا ، يفيض من قلب عامر بالخير ، راغب اشد الرغبة في افادة الذين يكون المرء مسئولا عنهم . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وقد دخل في الاسلام اجناس متعددون . وظهر من كثيرين منهم ما يستحق التقدير والتنويه ، خصوصا حين لا يكونون معروفين لغالب الناس .

ذنب ازرق

ان صلاح الدين الايوبي مثلا من مفاخر رجال الاسلام ، وشهرته التاريخية ، وسعة حكمه ، وانتصاراته ، كل ذلك غير خاف على احد ، لكن رجلا تزوج اخت صلاح الدين ، وحكم منطقة محدودة ، عمل من صنوف البر والاحسان ما جعل ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » يعرض لنا نوعا من اعماله الباهرة، تثير الاعجاب ، واسمه « كوكبوري » بن علي بن بكتكين بن محمد ، ولقبه مظفر الدين . وكلمة « كوكبوري » تركية ، معناها باللغة العربية « ذنب ازرق » ونحن العرب نسمي باسم فهد ، وباسم نمر ، وباسم سرحان . وباسماء كثيرة من اسماء السباع وغيرها ، فلا غرابة ان يكون اسم رجل معناه ذنب ازرق .

اخت صلاح الدين

واخت صلاح الدين الايوبي ، واسمه هو يوسف ابن ايوب ، هي ربيعة بنت ايوب . كانت متزوجة اولا احد الحاكمين ، واسمه سعد الدين مسعود فلما توفي زوجها في سنة ٥٨١ هجرية ، كانت مازال لم تبلغ الخامسة والعشرين ، فزوجها اخوها صلاح الدين بمظفر الدين كوكبوري . وعاشت الى سنة ٦٤٣ وقد جاوزت ثمانين سنة من العمر ، وكانت محبة للخير والاحسان ، فاهمة لقدر العلم . ولهذا بنت مدرسة بدمشق ، ووقفت اوقافا كثيرة على اعمال البر والصدقات والتعليم .

ومحارمها عشرات الحاكمين

يقول ابن خلكان عنها في ترجمته لزوجها ، مبينا ما كانت تظفر به من الاكرام ، وما كان لها من شان ومقام : « ادركت من محارمها من الملوك من اخوتها واولادهم اكثر من خمسين رجلا ، غير محارمها من غير الملوك » ، وبين بعضا مما كان

بحكمه اقرباؤها المحارم . فزوجها كان حاكما في بعض بلاد العراق ، واولاد بنتها حكموا بلادا في العراق ايضا ، عدا اخوتها ومنهم صلاح الدين الأيوبي ، وابناء اخوتها ، الذين حكموا مصر والشام والحجاز واليمن وارض الجزيرة في العراق. وقد عرضنا لهذه الزوجة الكريمة العنصر، العزيزة الجانب ، الباذلة للمال في سبيل الله ، لتبين ان من كان هذه شأنها ، لا بد أن يكون زوجها ـ بعد أسرتها ـ من اصحاب الشأن الرفيع . ولقد ظلت مع زوجها مظفر الدين كوكبورى الذى كان اكبر منها بحوالي اربعة عشر عاما ، الى ان توفي قبلها في سنة ٦٣٠ هجرية ، وعاشت بعده حوالي ثلاثة عشر عاما ، قضتها في صالح الأعمال .

من هو مظفر الدين

ولنعد الى سيرة زوجها مظفر الدين كوكبورى ، ونروى بعضا من حياته واعماله .

كان أبوه على ، حاكما على «اربل» وما جاورها، وله ذرية كثيرة ، ولما توفي سنة ٥٦٣ هجرية ، كان ابنه مظفر الدين كوكبورى في الرابعة عشرة من عمره ، فتولى مكان ابيه ، ثم ان بعض قواده انضم الى اخيه الذى كان اصغر منه ، فعزله ، وولى اخاه مكانه ، واخرجه من بلده ، وانتهى به الامر الى ان ذهب الى السلطان صلاح الدين الايوبى ، فجعله واليا على بعض البلدان ، وكان قد اعجب به وبشجاعته ، وثباته في الحروب التي خاضها صلاح الدين مع الصليبيين ، حينئذ زوجه اخته ربيعة بنت ايوب . وقد اثبت جدارته وقدرته في معركة « حطين » الخالدة في التاريخ ، فان هذه المعركة قد انهزم فيها جماعة من اتباع صلاح الدين ووقف معه المظفر « كوكبورى » هو وتقي الدين صاحب « حماة » فلما علم المنهزمون بثباتهما مع صلاح الدين عادوا ، وقويت العزائم ، حتى انتصر المسلمون انتصارا ساحقا، وفتح الله عليهم بسبب اخلاصهم وتضحياتهم ، فاستعادوا بيت المقدس من الصليبيين .

ولما توفى اخو كوكبورى الذى اخذ « اربل » عاد كوكبورى اليها ، وضم اليه صلاح الدين ولاية اخرى معها ، وكانت عودته الى « اربل » في سنة ٥٨٦ .

اربــل

واربل في ذلك العهد كانت قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة في فضاء من الارض واسع ، ولقلعتها خندق عميق ، وهي في طرف من المدينة ، ولها سور ، وفي هذه القلعة اسواق ومنازل للرعية ، وجامع للصلاة ، وقد زارها ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان في أواسط حكم مظفر الدين كوكبورى. ولعله لم يجد من الحاكم رعاية واستقبالا ، ولهذا ذم مظفر الدين بدعوى انه كان ظلوما . ثم قال : « وهو مع ذلك مفضل على الفقراء ، كثير الصدقات على الغرباء ، يسير الاموال الجمة الوافرة يستفك بها الاسارى من ايدى الكفار . »

ولعل مظفر الدين كان يفرض على أصحاب الاموال ضرائب كبيرة لكى ينفذ ما يريده من المشروعات المتعددة الجوانب ، الكثيرة المنافع ، للمقيمين والطارئين الزائرين .

ويقول ياقوت عن اربل في ايام حياته هو وحياة كوكبورى :

« وفي رَبَض (١) هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة عريضة طويلة ، قام بعمارتها وبناء سورها ، وعمارة اسواقها وقيسارياتها الأمير مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين ، فاقام بها، واقامت ـ بمقامه بها ـ لها سوق ، وصار له هيبة ، وقاوم الملوك ونابذهم بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه ، فانحفظ بذلك اطرافه ، وقصدها الغرباء ، وقطنها كثير منهم ، حتى صارت مِصْرًا كبيرًا من الأمصار » .

ان الرجل الذى يجعل بلده تعمر وتكبر ، ويفرض هيبته على كل من حوله ، في عصر كثر فيه الطامعون ، والذى يثبت في مقام لا يثبت فيه الا الابطال الشجعان ، وهو مجال الحروب ،ويستحق ان ينال اعجاب صلاح الدين الايوبى ، ويظفر

---

(١) الربض المأوى الذي تستقر فيه .

بمصاهرته ، والذي ينشيء كل مرافق الاصلاح والتثقيف ، لا يستطيع أن يقوم بكل ذلك الا اذا كانت الموارد أمامه كثيرة سواء أكانت من كسبه أو من ضرائب يفرضها على من لايدفعون طوعا واختيارا للنفع العام المطلوب .

عطف على المصابين

ان ذوي العاهات الذين لا يستطيعون أن يقوموا بعمل ، خصوصا في أزمان لم يكن فيها التأهيل المهني لأمثالهم ، يحتاجون فيه للرعاية والعناية . وكان مظفر الدين كوكبوري مثلا عظيما في رعاية هؤلاء ، فقد بنى لهم دورا كثيرة ، خصصت فيها مساكن لهم ، تجمع من فقدوا نعمة البصر ، ومن ابتلوا بعاهات . وقرر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه مرتين في الاسبوع ، في عصر يوم الاثنين ، وعصر يوم الخميس ، ويدخل عليهم ، ويدخل الى كل واحد في مسكنه الخاص به ، ويتفقده بشيء من النفقة ، ويسأله عن حاله . وينتقل الى الآخر . وهكذا حتى يدور عليهم جميعهم ، وهو يباسطهم ويمزح معهم فيسر بذلك قلوبهم .

ولم يكتف بالاحسان الى هؤلاء ، بل ان النساء اللواتي فقدن العائل ، وصرن أرامل ، بنى لهن دارا ، وأجرى عليهن النفقات . كما بنى دارا لمن فقدوا آباءهم فصاروا ايتاما ، حيث يجدون في الدار التي بناها ما يحتاجون اليه ، حتى اللقطاء بنى لهم دارا ، ورتب لهم مرضعات ، فكل مولود يلتقط يحمل الى هذه الدور ، ويتفقد احوال من فيها ، ويعطي نفقات حين زيارته زيادة عما هو مقرر يوميا .

مستشفى

هذا الى جانب ما بناه من مستشفى لعلاج المرضى وهو يزور المرضى ، ويقف على كل مريض ، ويسأله عن حاله ، وكيف بات ليلته ، وما الذي يشتهيه . وفي الحق أن في كل ذلك انعاشا للمرضى ، واظهارا للعناية ، وتنبيها للعاملين على خدمة كل هذه الدور ، ومن يقومون بالعلاج ، الى ان عينه ساهرة ، فلا يقصرون ويؤدون خدماتهم بجد واخلاص ، ما داموا يرون الحاكم نفسه مهتما بأمور الضعفاء ، ويخشون أن يشكوهم أحد أن قصروا أو أهملوا ، وليس بينهم وبين الحاكم حجاب .

دار ضيافة

وفي أيامهم كان المسافر يقضي أياما على الدواب ، فيحتاج الى مأكل ومأوى ، اذا لم يكن معه من المال ما يكفيه ، مع الخشية من الطرق وما فيها من مفاجآت اذا حمل معه مالا كثيرا ، ولم تكن في تلك الأيام مصارف ،ولا كان ورق النقد متداولا ، وانما هو ذهب أو فضة يحملان على الدواب ، فيجذبان الانظار ، ويثيران الجشع ، فيشعر بقيمة دور الضيافة التي كان يقيمها بعض الكرام المحسنين . ولم يغفل مظفر الدين كوكبوري هذه الناحية ، فقد بنى دارا للضيافة يدخل اليها كل قادم على بلده « اربل » من عالم أو فقير أو غيرهما ، ولا يمنع من دخولها أحد ممن يقصدها للدخول اليها ، ويقدم في دار الضيافة الطعام والشراب . ثم بعد ذلك يقدم لمن كان فيها حين السفر ، نفقة تعينه على تمام سفره ، حسب ما يليق به ، فالعلماء الذين كانوا يتنقلون طلبا للعلم ورواية الحديث تكون نفقتهم أكثر والعناية بهم أكبر .

حب علماء الدين والصوفية

ولكل عصر علومه ، والعصور التي نتحدث عنها كان علمها متعلقا بالفقه والدين ، وكان الصوفية الأتقياء لهم منزلة خاصة . لذلك بنى مظفر الدين مدرسة ، رتب فيها الفقهاء ، وجعل فيها بيوتا لسكنى العلماء ، بحيث تتسع لهم ولابنائهم ، والدليل على ذلك ما يرويه ابن خلكان نفسه ، وهو صاحب كتاب « وفيات الأعيان » اذ يقول « ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر ، حادي عشر شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وستمائة ،بمدينة اربل، بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين»، والسبب في ذلك ان والده كان مدرسا بها .وكذلك كان غيره من المدرسين في هذه المدرسة ، التي كان يتلقى الطلاب فيها الفقه والحديث .

من علماء اربل

ويقصدها للتعلم وللتعليم رجال وشبان ، لأن فيها من العلماء من لهم شهرة واسعة ، مثل

المبارك بن احمد بن المبارك ، الذى كان رئيسا جليل القدر ، كثير التواضع ، واسع الكرم ،وكان عارفا بعدة فنون ، وله مؤلفات كثيرة كبيرة الحجم ، وله ديوان شعر . ومن كان هذا فضله لا بد ان يعرف قدره ، ولا شك ينال اعلى المناصب ، وفعلا ولاه مظفر الدين منصبا يسمى « مستوفى الديوان » يقول عنه ابن خلكان « والاستيفاء في تلك البلاد منزلة علية ، وهو تلو الوزارة ، ثم بعد ذلك تولى الوزارة في سنة ٦٢٩ ، وشكرت سيرته فيها ، ولم يزل عليها الى ان مات مظفر الدين » .

ولد مرة اخرى

ومن طريف ما يحكيه ابن خلكان عن المبارك وعن مظفر الدين كوكبورى ، ان المبارك بن احمد كان قد خرج من مسجد بجواره ليلا ليجيء الى داره ، فوثب عليه شخص وضربه بسكين قاصدا قتله ، فتلقى المبارك الضربة بعضد ذراعه،فجرحته جرحا واسعا ، وبعد ان ضمد جرحه ، ولف عضده بالقماش ، اعتبر المبارك بن احمد نفسه انه ولد فى هذه الليلة ، لانه نجا فيها من موت محقق ، فكانه ولدت له حياة ، وصار ما على ذراعه كالقماط للطفل ، والتمريخ وهو التدهين للجرح هو فى ايامهم كالتدهين للطفل بالمرهم . يقول ابن خلكان : فكتب المبارك الى الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل يطالعه بما تم عليه في هذه الأبيات :

يا أيها الملك الذى سَطواته
من فِعلها يتعجّبُ المريخُ
آياتُ جودك مُحكَمٌ تنزيلها
لا ناسخٌ فيها ولا منسوخُ
اشكو اليك وما سمعت بمثلها
شنعاءَ ، ذِكرُ حديثها تأريخُ
هى ليلة فيها وُلِدْتُ وشاهدى
فيما ادّعيتُ القمطُ والتمريخُ

من شعر المبارك

ويقول ياقوت عن المبارك بن احمد في لقائه قبل ان يصير المبارك وزيرا « متحقق بالادب محب لأهله ، متفضل عليهم ، وله دين واتصال بالسلطان ، وخلقة شبيهة بالوزارة ، وقد سمع الحديث الكثير ممن قدم عليهم اربل ، وألف كتبا، وقد انشدني من شعره ، وكتب لى بخطه عدة قطع ، منها :

تذكّرتُكِ الريحُ مرّتْ عليلةً
على الرّوض مطلولاً وقد وضَحَ الفجرُ
وما بَعُدتْ دار ولا شطّ منزلٌ
اذا نحن ادنتنا الأمانىُ والذّكرُ »

احتفال

وهذه صورة رائعة لما كان يقام من حفلات فى تلك العهود ، تذكرنا بما نشاهده فى العصور الحديثة ، من مهرجانات واستعراض ، وما يقام من اعمال الزينة ، ومشاركة الحاكم في كل ذلك ، الا ان الفضل فى الاقامة والعمل هنا يرجع الى الحاكم نفسه ، وهو مظفر الدين ، يقول ابن خلكان « واما احتفاله بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، فان الوصف يقصر عن الاحاطة به . لكن نذكر طرفا منه ، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه — اى اعتقاد كوكبورى فى المولد — فكان في كل سنة يصل اليه من البلاد القريبة من اربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم ، وتلك النواحى ، خلق كثير ، من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من المحرم الى اوائل شهر ربيع الاول ، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب ، كل قبة اربع او خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة واكثر ، منها قبة له ، والباقى للامراء واعيان دولته ، لكل واحد قبة ، فاذا كان أول صفر ، زينوا تلك القباب بانواع الزينة الفاخرة المتجملة ، وقعد فى كل قبة جوق" (١) من الاغانى ، وجوق من ارباب الخيال —يشبه ظلال الاراجوز الآن— ومن اصحاب الملاهى ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى رتبوا فيها جوقا .

---

(١) الجوق : كل خليط امرهم واحد .

اجــازة ومآدب

وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران عليهم . وكانت القباب منصوبة من باب القلعة الى باب الخانقاه (٢) المجاورة للميدان ، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ، ويقف على قبة قبة الى آخرها ، ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم ، وما يفعلونه في القباب ، ويبيت في الخانقاه ، ويعمل السماع فيها ــ الذكر ــ ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع الى القلعة قبل الظهر ، هكذا يعمل كل يوم الى ليلة المولد ، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر ، وسنة في ثاني عشره ، لأجل الاختلاف الذي فيه ــ أي اختلاف المؤرخين في يوم مولد رسول الله .

فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائدا عن الوصف ، وزفّها بجميع ما عنده من الطبول والاغاني والملاهي حتى يأتي بها الى الميدان ، ثم يشرعون في نحرها ، وينصبون القدور ويطبخون الالوان المختلفة ، فاذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير ، وفي جملتها شمعتان أو اربع من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها ، وهي مربوطة على ظهر البغل ، حتى ينتهي الى الخانقاه ، فاذا كان صبيحة يوم المولد انزل الخلع من القلعة الى الخانقاه ، على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة (٣) ، وهم يتتابعون ، كل واحد وراء الآخر ، فينزل من ذلك شيء كثير .

استعراض

ثم ينزل « مظفر الدين » الى الخانقاه ، وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من الناس ، وينصب كرسي للوعاظ وشبابيك أخر للبرج ايضا الى الميدان ، وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ، ويجتمع فيه الجند ، ويعرضهم ذلك النهار ، وهو تارة ينظر الى عرض الجند ، وتارة الى الناس والوعاظ . ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم ، فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك ، ويكون سماطا عامّا ، فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يُحَدّ ولا يوصف ، ويمد سماطا ثانيا في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي ، « كرسي الوعاظ » وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحدا واحدا من الاعيان والرؤساء والوافدين لاجل هذا الموسم ، ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ويخلع على كل واحد منهم ، ثم يعود الى مكانه ، فاذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه ، لمن يقع التعيين على الحمل الى داره ، ولا يزالون على ذلك الى العصر او بعدها ، ثم يبيت تلك الليلة هناك ، ويعمل السماعات الى بكرة ، هكذا دأبه في كل سنة .. »

« فاذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل انسان للعودة الى بلده ، فيدفع لكل شخص شيئا من النفقة » .

سرقات الأدباء

واذا كنا نعاني في أيامنا هذه من أناس يسطون على ما جادت به قرائح بعض المؤلفين من مقالات او أشعار ، فذلك ليس جديدا . فكم سطا شعراء على شعراء في الأزمان السابقة ، وكانوا في أمان من أن ينكشف خبرهم وقت ادعائهم لما سلخوه عن غيرهم ونسبوه لأنفسهم ، لبعد المسافات ، ولعدم وجود النشر الواسع السريع المتصل في اليوم نفسه او في تاليه أو في أسبوعه .

كان أبو الخطاب عمر بن الحسن المشهور بابن دِحْية الكلبي عالما كثير الفضل ، عارفا بالأدب ، قام برحلة في البلاد متنقلا من الأندلس الى المشرق ، ووصل في طوافه الى اربل سنة ٦٠٤ هجرية ، ورأى ما كان يقوم به مظفر الدين من عناية واحتفال ضخم فخم بالمولد النبوي ، فألف لمظفر الدين كتابا سماه « كتاب التنوير في مولد السراج المنير » وقرأه على مظفر الدين بنفسه . واعجب مظفر الدين بهذا حتى انه كان يقرأه على الناس كل عام بنفسه ، فابن خلكان يقول « وسمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في جمادى الآخرة ، سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦) ويذكر أن الملك

---

(٢) الخانقاه : بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية .

(٣) البقجة : شبه الصرة .

المظفر اعطى ابن دِحْية الف دينار ، غير ما غرم عليه مدة اقامته من الاقامات الوافرة .. » ثم اضاف ابن خلكان قوله : « وكان ابو الخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة مدح بها مظفر الدين اولها:

لولا الوُشاةُ وهُـــمْ
أعداؤُنا ما وَهِمنـوا

صاحب الشعر

وفى ترجمة الاسعد بن الخطير المصرى المشهور « بابن مَمّاتى » والذى نظم سيرة صلاح الدين الايوبى ، ونظم كتاب « كليلة ودمنة » ، ولـه ديوان شعر وغير ذلك من المؤلفات ، وتوفى سنة ٦٠٦ هجرية . يذكر ابن خلكان قصة ابى الخطاب عمر بن الحسن المشهور بابن دِحية وتاليفه للكتاب، ويورد نصه السابق ويختلف ابن خلكان فى اسم الشهر ، ولا يخطيء فى السنة ، لانه الف كتابه « وفيات الاعيان » بعد ذلك فى اعوام طويلة يقول : « وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين فى شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، والقصيدة فيه» ويقول :

« ثم بعد ذلك رايت هذه القصيدة بعينها فى مجموعة منسوبة الى الاسعد بن مَمّاتى ، فقلت لعل الناقل غلط ، ثم بعد ذلك رايتها فى ديوان الاسعد بكمالها ، مدح بها السلطان الكامل رحمه الله ، فقوى الظن » .

ثم يذكر ان المبارك بن احمد الذى كان مستوفيا لمظفر الدين ــ والذى قدمنا بعض فضله فى مقالتنا ــ سال ابا الخطاب ابن دحية عن معنى بيت شعر فيها ، فما احار جوابا . يقول ابن خلكان ، فلما وقفت على هذا ترجح عندى ان القصيدة للاسعد المذكور ، فانها لو كانت لابى الخطاب لما توقف فى الجواب » .

وسيرة مظفر الدين

ونعود فنورد شيئا من سيرة مظفر الدين انه لم يكن له لذة سوى السماع ، وانه كان لا يتعاطى المنكر ، ولا يمكن من ادخاله البلد .

والسّماع هو الغناء ، وكل ما التذته الآذان من صوت حسن ، هكذا عرّفه الزَّبيدى فى « تاج العروس » . ونلحظ ان اكثر السماع الذى كان يستطيبه مظفر الدين هو ما كان انشادا وتطريبا بالمدائح الدينية التى يتنغم بها الصوفيون.

وكان يُسَيِّر فى كل سنة دفعتين جماعة من امنائه الى بلاد الساحل ، ومعهم جملة مستكثرة من المال ، يَفتَكّ بها اسرى المسلمين من ايدى الكفار ، فاذا وصلوا اليه اعطى كل واحد شيئا ، وان لم يصلوا فالامناء يعطونهم بوصية منه فى ذلك .

وكان يقيم كل سنة سبيلا لمن يحجون الى بيت الله الحرام ، ويُسيّر معهم جميع ما تدعو حاجة المسافر اليه فى الطريق ، ويُسيّر فى صحبتهم امينا معه خمسة او ستة الاف دينار ينفقهـا بالحرمين الشريفين على المحتاجين ومن جعل لهم رواتب .

وله بمكة آثار جميلة ، وهو اول من اجرى الماء الى جبل عرفات ليلة الوقوف بعرفة ، وانفق على ذلك جملة كثيرة من المال ، وعمر بالجبل حياضا شبه صهاريج ليجمع فيها ماء المطر ليحفظ لوقت الحاجة الى شربه ، وتسمى هذه الحياض مصانع جمع مصنعة ..

وقبل انشاء مظفر الدين لذلك كان من يحجون يتضررون من عدم الماء .

امنية ولكن

وكان مظفر الدين يتمنى ان يدفن بعد موته فى مكة ، حيث اعد لنفسه بها قبّة فى سفح الجبل ، فلما توفى فى منزله سنة ٦٣٠ نقل الى قلعه اربل ودفن بها ، ثم تبين انه اوصى بدفنه بمكة ، فلما توجه الركب الى الحجاز سنة ٦٣١ سيّروا جثمانه فى صحبة الركب . لكن الحجاج فى تلك السنة حال دون وصولهم الى الحج حائل ، مما كان يحدث من قطاع طرق ، وعدم امان ، من قتل ونهب ، فرجعوا من الطريق ولم يصلوا الى مكة ، فرجعوا بجثمانه ودفنوه بالكوفة ، بالقرب من مشهد الامام على كرّم الله وجهه .

رحم الله هذا الرجل الذى كان مثلا عظيما للحاكمين ، وفى سيرته كثير مما يحسن ويطيب .

■■

عبد الستار احمد فراج



الانبياء للهداية لا للجباية

● **في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ) كتب اليه احد الولاة ان الجزية نقصت في بيت المال ، لكثرة الداخلين في الاسلام ، واستاذنه في ابقاء الجزية عليهم ، مع ان الاسلام يوجب رفع الجزية عمن اسلم ، فاجابه عمر « قبح الله رايك ، ما بعث الله محمدا جابيا ، بل هاديا » .**

اشجـ

قيل : اشجع العرب حكيم بن جبلة ، خرج في « موقعة الجمل » بين جيش الامام علي من جانب ، وجيش طلحة والزبير والسيدة عائشة زوج النبي من جانب آخر ، وفي اثناء القتال قطعت رجل حكيم ، فاخذها بيده ، وزحف على قاتله ، فضربه بها وهو يرتجز :

اكرهوك على الغناء فهل اكرهوك على الاحسان فيه ؟

● كان احمد بن ابي دؤاد الايادي من كبار القضاة واهل المشورة في ايام المعتصم العباسي ، وكان ينكر الغناء انكارا شديدا ، فاخبره المعتصم ان صديقه ابا دلف يغني ، فقال احمد : « ما اراه مع عقله يفعل ذلك » وكان ابو دلف القاسم العجلي – وهو من كبار سادات العرب واجوادهم وقادة جيوشهم يومئذ – مقربا من المعتصم ، فاراد المعتصم ان يثبت لاحمد ان ابا دلف يغني ، فجاء باحمد وستره في موضع ، واحضر ابا دلف ، وامره ان يغني ، ففعل ذلك ، واطال واحسن ، ثم اخرج احمد من موضع ستره ، والكراهة ظاهرة في وجهه ، فلما راى ابا دلف قال له : « سوأة لمن فعل هذا ، بعد هذه السن ، وهذا المحل ، تضع نفسك كما ارى ! » فخجل ابو دلف وقال : « انهم اكرهوني على ذلك » فقال له احمد : « هب انهم اكرهوك على الغناء ، فهل اكرهوك على الاحسان والاطالة فيه ؟ »

علي ينصح عمر في أول خلافته

عندما ولي عمر بن الخطاب الخلافة قال له الامام علي : « ان سرك ان تلحق بصاحبيك (النبي وابي بكر) فقصر الامل ، وكل دون الشبع ، وارقع القميص ، واخصف النعل ، واستعن على الناس بفقرك – تلحق بهما » .

عربية

عرب

يا نفس ، لا تراعي
ان قطعت كراعي
ان معي ذراعي

قلما اصابت رجله قاتله اسقطته ارضا ، فزحف اليه حتى امسك به وقتله ، فلا يعرف في العرب احد صنع مثل صنيعه .

غرام العرب بالشعر حتى خلال الحرب

● كان القائد العربي الكبير المهلب ابن ابي صفرة يقاتل الخوارج ايام الامويين ، وكان على الخوارج قائدهم الشاعر الفارس المغوار قطري بن الفجاءة الذي كان اذا صاح اهتز الجيش لصيحته ، وكان يفصل بين المعسكرين نهر .

في احد المواقف ، وقعت في عسكر المهلب خصومة بين رجلين في قضية شعرية ، موضوعها : « ايهما اشعر : جرير ام الفرزدق ؟ » . فتحاكم الخصمان الى المهلب ، وسالاه الحكم في القضية ، فحذر المهلب ان يفضل احد الشاعرين، فيتعرض لسخط الآخر وهجائه ، فقال لهما : لا اقول بينهما شيئا ، وما كنت لاعرض نفسي لهما ، ولكن ادلكما على من يهون عليه سخطهما: عبيدة بن هلال اليشكري .

وكان عبيدة هذا في عسكر الخوارج – وهم مشهورون بالشدة والجدة والصرامة والصراحة في القتال وفي سائر ما يفعلون ويقولون – فخرج الرجلان بين المعسكرين ، وطلب احدهما من عبيدة أن يخرج اليه – وعبيدة يظنه مبارزا – فلما خرج قال له : « ياعبيدة، اني اسالك عن شيء تحاكمنا اليك فيه » فقال : « وما هو ؟ عليكما لعنة الله » قال : « اي الرجلين عندك اشعر : جرير ام الفرزدق ؟ » قال عبيدة : « لعنكما الله ولعن جريرا والفرزدق ، امثلي يسأل عن هذين ؟ » قالا : « لا بد من حكمك » قال : « جرير » فانصرفا الى معسكرهما ، وعاد عبيدة الى معسكره.

الذعر ينبه في الشجاع الرأى لا الجبن

● كان هشام بن عبد الملك بن مروان من ملوك بني امية ، وكان قائد جيوشه اخاه مسلمة بن عبد الملك، الذي كان من انجب ابناء عبد الملك ، ولكنه لم يتول الملك كاخوته الاربعة : الوليد وسليمان ويزيد وهشام هذا ، لان امه كانت جارية اعجمية ، ولم يكن بنو امية يملكون ابناء الجواري الاعجميات . قال هشام يوما لاخيه مسلمة هذا : « يا ابا سعيد ، هل دخلك ذعر في حرب قط شهدتها ؟» فاجابه : « ما سلمت في ذلك من ذعر ينبهني الى حيلة ، ولا غشيني ذعر سلبني رأيي » فقال هشام : هذه هي البسالة » .

كتاب الشهر

الأُمَمُ المتَّحِدَة

■ يتناول هذا الكتاب بالدراسة عدة موضوعات مختلفة تتعلق بهيئة الامم المتحدة.

فيبدأ اولا بمناقشة فكرة التنظيم الدولي ثم يعرض بعد ذلك لنشأة عصبة الامم ويبين اسباب فشلها ويلي ذلك دراسة كاملة لفكرة نشأة الامم المتحدة والمبادىء التي قامت من اجلها تلك المنظمة الدولية وابراز دورها في حل المشكلات الدولية التي تهدد السلام العالمي ، وفي ذلك يتناول الكتاب بعض المشاكل التي عرضت على الامم المتحدة وابرزها مشكلة فلسطين .

كما تعرض الكتاب الى مشكلة التفرقة العنصرية باعتبار انها تتعارض مع المبادىء الانسانية وحقوق الانسان .

واخيرا يناقش الكتاب مستقبل الامم المتحدة ودورها في سبيل حفظ السلم والامن الدوليين والعمل على تنمية التعاون من اجل الرخاء الاقتصادي بين دول العالم وحل المنازعات التي تنشأ بينها بالطرق السلمية ومنع استعمال القوة في العلاقات الدولية .

فكرة التنظيم الدولي

ادى استعمال القوة وتفشي الحروب الى ظهور طائفة من المفكرين تنادي بتجنيب البشرية ويلات الحروب ويرون تحقيق ذلك الحلم تكوين منظمة دولية واحدة ، وقد تمخض تفكرهم هذا عن عدة مشروعات تنادي بانشاء هيئة تحافظ على السلام والامن الدوليين .

ويمكن تقسيم هذه المشروعات الى ثلاثة اراء لكل منها فلسفة خاصة :

المدرسة الاوربية :

ترمي هذه المدرسة الى تكوين التنظيم الدولي



والسلام العالمي

تأليف : محمود متولي
عرض : عبد المنعم أبو السعد

على نمط التنظيم الداخلي للدولة ، اى ان يكون للمنظمة هيئة تنفيذية تفرض سلطاتها ولا شك ان ذلك صعب التحقيق في المجتمع الدولي الذى تتمسك فيه كل دولة بالنزعة المتصرية .

وتنادى هذه المدرسة بفض المنازعات بالتحكيم الاجبارى وان تاخذ بشدة كل طرف يمتنع عن تنفيذ ماتراه كفيلا لفض المنازعات .

المدرسة الانجلوسكسونية :

تدعو المدرسة الانجلوسكسونية الى نظام يقوم على اساس قوة الرأى العام الذى يكفل عدم اخلال الدول بالتزاماتها او تنفيذ ما يأمرها به التنظيم الدولي .

وهذا يختلف عن وجهة نظر المدرسة الاوربية التى تطالب بقيام تنظيم دولي يستند الى قوة مادية لردع اى دولة تحاول التنصل من التزاماتها، كما أن المجتمع الاوربي حتى ذلك الوقت كان يقصر السلام وفكرة التنظيم الدولي على اوربا وحدها وذلك من منطلق النزعة الدينية .

المدرسة الاسلامية :

من اشهر من دعا الى هذه المدرسة ابو نصر الفارابى وعبد الرحمن الكواكبي .

وقد حاولت المدرسة الاسلامية باعتبار انها تدعو الى اقامة تنظيم دولي يتكون من الامم الاسلامية على أساس أن الأمة الاسلامية امة واحدة .

وقد تميزت هذه المدرسة عن غيرها بالناحية الروحية ، اذ اهتم الاسلام باخلاق وصفات القائمين على التنظيم ، وعلى العكس من ذلك اهتم الاوربيون بالنظم والقوانين واغفلوا الصفات التى ينبغى توافرها فى الاشخاص المسئولين عن هذه التنظيمات .

عصبة الامم

تتضح لنا مبادىء واهداف عصبة الامم من ديباجة ميثاقها التى تنص على ان :

« الاطراف السامية المتعاقدة بقصد تنمية التعاون بين الامم وتحقيق السلام والامن رأت ان تقبل بعض الالتزامات التى تقضى بعدم الالتجاء الى الحرب ، وان تعمل على اقامة علاقات صريحة بين الدول اساسها العدل والشرف، وان تنفذ تنفيذا دقيقا قواعد القانون الدولي وان تجعلها القاعدة الحقيقية للصلة بين الحكومات وان تحافظ على العدالة وتحترم بنزاهة جميع الالتزامات المترتبة على المعاهدات فى علاقات الشعوب المنظمة بعضها البعض » .

من هذا نخلص الى ان اهداف عصبة الامم تتركز فى :

١ ـ تجنب الحرب وتحقيق السلام والأمن بين دول العالم .

٢ ـ تحقيق التعاون بين الدول الاعضاء فى جميع المجالات من اجل خير البشرية .

ولكن هذه التجربة الاولى فى تكوين تجمع عالمى منيت بالفشل والغيت عصبة الامم فى ٨ ابريل سنة ١٩٤٦ عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .

اسباب فشل عصبة الامم

يرجع فشل عصبة الامم الى عدة اسباب اهمها :

١ ـ لم تنضم اليها جميع الدول الكبرى ، فقد رفضت الولايات المتحدة الانضمام اليها فى بدء تكوينها وكذلك روسيا السوفيتية ، اضف الى ذلك انسحاب اليابان سنة ١٩٣٢ والمانيا سنة ١٩٣٣ وايطاليا سنة ١٩٣٧ .

٢ ـ سيطرة اوربا على العصبة فكانت بمثابة نقابة اوربية اكثر منها منظمة عالمية .

٣ ـ خلو الدستور من قانون الزام الدول بما تراه ضروريا للمحافظة على السلام .

٤ ـ كانت العصبة اداة فى يد الدول الكبرى لتحقيق خططها واهدافها ومصالحها .

وبفشل تجربة عصبة الامم اصبح العالم يتطلع الى ضرورة وضع دستور للبشرية يجنبها ويلات الحروب .

هيئة الامم المتحدة

بعد ان تناولنا بالبحث اول تجربة عرفها العالم في سبيل تكوين تجمع عالمي يهدف الى المحافظةعلى السلام وارساء قواعد العدالة وفشل هذه التجربة في تحقيق حلم البشرية ، نعرض لنشأة هيئة الامم المتحدة والمراحل التي سبقت اعلان تشكيل الامم المتحدة .

المرحلة الاولى (تصريح الاطلنطي) :

في ١٤ اغسطس سنة ١٩٤١ اجتمع كل من الرئيس تيودور روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة ومستر ونستون تشرشل رئيس وزراء المملكة المتحدة وتمخض عن هذا الاجتماع اصدار بيان رسمي عرف باسم تصريح الاطلنطي جاءت به اشارة الى ضرورة اقامة تنظيم دولي بعد انتهاء الحرب القائمة وقتذاك .

المرحلة الثانية (تصريح الامم المتحدة) :

بعد هجوم اليابان على ميناء بيرل في ديسمبر سنة ١٩٤١ ، الذي أدى الى دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب الحلفاء ، قام المسئولون في وزارة الخارجية الامريكية باصدار تصريح سمي بتصريح « الامم المتحدة » يتضمن الاعتراف بتصريح الاطلنطي والقضاء على الدكتاتورية واقامة منظمة دولية جديدة .

وقد وافقت على هذا التصريح في اول يناير سنة ١٩٤٢ حكومات ٢٦ دولة هي :

الولايات المتحدة ـ المملكة المتحدة ـ بلجيكا ـ سلفادور ـ بولونيا ـ الاتحاد السوفيتي ـ كوستاريكا ـ اليونان ـ بناما ـ جنوب افريقية ـ الصين ـ كوبا ـ جواتيمالا ـ هايتي ـ نيكاراجوا ـ يوغوسلافيا ـ كندا ـ الهند ـ تشيكوسلوفاكيا ـ هندوراس ـ نيوزيلندا ـ النرويج ـ استراليا ـ جمهورية الدومينيك ـ لكسمبرج ـ هولندا .

وفي مارس سنة ١٩٤٥ انضمت اليهم ١٨ دولة اخرى هي :

المكسيك ـ الفلبين ـ اثيوبيا ـ العراق ـ البرازيل ـ بوليفيا ـ ايران ـ كولومبيا ـ ليبريا ـ فرنسا ـ اكوادور ـ بيرو ـ اوراجواي ـ تركيا ـ مصر ـ السعودية ـ سوريا ـ لبنان .

وقد كان هناك رأيان : رأي يرى وجود تنظيم دولي يقوم على اساس اقليمي ورأي آخر يرى ان يمتد هذا التنظيم ليشمل الصعيد العالمي كله.

وقد كان تشرشل وروزفلت يؤيدان وجهة النظر التي ترى ان يقوم التنظيم الدولي على اساس اقليمي ، كما كان تشرشل يهدف ايضا الى انشاء تنظيم دولي عام يتكون من ثلاث قوى هي :

الولايات المتحدة ـ المملكة المتحدة ـ روسيا .

ولكن كان التنظيم الدولي العام في نظر تشرشل ماهو الاصورة ثانوية لاقيمة لها اما التنظيم الاقليمي فهو في رايه يمثل كل شيء .

المرحلة الثالثة (مؤتمر موسكو) :

في المدة من ١٩ الى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٤٣ عقد هذا المؤتمر وبانعقاده تأكدت النزعة العالمية على الاقليمية واشتركت فيه المملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وانضم اليهم في آخر الجلسات سفير الصين في موسكو .

وقد صدر عن هذا المؤتمر تصريح موسكو الذي جاء بالفقرة الرابعة منه :

« ان حكومات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين قد ادركت ضرورة انشاء تنظيم دولي عام في اقرب وقت ممكن يقوم على مبدأ المساواة في السيادة بين كل الدول المحبة للسلام ويكون لجميع تلك الدول صغيرها وكبيرها حق الانضمام اليه للمحافظة على السلام والامن الدوليين » .

المرحلة الرابعة (مؤتمر دومبرتون اكس) :

عقد المؤتمر في ٢١ اغسطس سنة ١٩٤٤ في « دومبرتون اكس » من ضواحي مدينة واشنطن لمناقشة المشروع الذي قدمه مستر « ستتنوس » وزير خارجية امريكا بشأن التنظيم الدولي الجديد .

وقد ووفق على المقترحات الواردة بالمشروع المشار اليه في ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ والمقترحات التي جاء بها « قيام تنظيم دولي يعرف باسم « الامم المتحدة » يكون من اهدافه حفظ السلم والامن الدوليين وتحقيق التعاون الدولي في الشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتكون مبادىء هذا التنظيم التي يسير عليها لتحقيق اهدافه هي :

(١) أ ـ المساواة بين الدول .

ب ـ حسن النية في تنفيذ الالتزامات الدولية .

جـ ـ فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية.

د ـ عدم استعمال القوة في العلاقات الدولية .

هـ ـ تأييد الدول لاستعمال القوة لمساعدة

التنظيم الدولي لقمع اية محاولة لتعكر صفو السلام العالمي .

و ـ الامتناع عن مساعدة اى دولة يتخذ ازاءها عمل من اعمال القمع .

(٢) انشاء فروع للتنظيم الدولي على النحو التالي : ـ

ا ـ جمعية عامة تتالف من مندوبي جميع الدول وظيفتها حفظ السلم والامن وتنمية التعاون في الشئون الاقتصادية والاجتماعية .

ب ـ مجلس امن ويتالف من خمس دول دائمة وست غير دائمة ، تنتخبهم الجمعية العمومية ويضطلع مجلس الامن بمهام النظر في المشاكل التي تهدد السلام العالمي وله حق استعمال القوة.

ج ـ محكمة عدل دولية .

د ـ امانة عامة للشئون الادارية والسياسية.

(٣) موافقة مؤتمر « دومبرتون اكس » على وجود التنظيمات الاقليمية الى جانب التنظيم الدولي » .

المرحلة الخامسة (مؤتمر يالتا) :

في الخامس من فبراير عام ١٩٤٥ اجتمع الزعماء الثلاثة الكبار(الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة) في يالتا وهي مدينة تقع على البحر الاسود ـ اجتمعوا ليحث ما لم تتم الموافقة عليه من القرارات التي اتخذت في مؤتمر«دومبرتون اكس » والمتعلقة بالتنظيم الدولي الجديد .

وتم الاتفاق على دعوة الحكومات التي قبلت تصريح الامم المتحدة ووقعت عليه لحضور مؤتمر « سان فرنسيسكو » وذلك لوضع ميثاق التنظيم الدولي الجديد،كما اتفقوا على منح الدول الكبرى حق الاعتراض (الفيتو) في مجلس الامن .

المرحلة السادسة (سان فرنسيسكو) :

اجتمع في « سان فرنسيسكو » ممثلو خمسين دولة وهي الدول التي وافقت على تصريح الامم المتحدة ، وقسم المؤتمر الى اربع لجان شكلت على النحو التالي : ـ

١) اللجنة التوجيهية وشكلت من رؤساء وفود الدول الداعية والدول المشتركة في المؤتمر .

٢) اللجنة التنفيذية وتتألف من رؤساء وفود الدول الداعية بالاضافة الى رؤساء عشر دول من الدول المدعوة ينتخبهم المؤتمر .

٣) لجنة التنسيق : وتتكون من ممثلي الدول الاعضاء في اللجنة التنفيذية .

٤) واخيرا لجنة فحص وثائق التفويض .

المرحلة الاخيرة :

عند توقيع الميثاق وقعت الدول اتفاقا ينص على تكوين لجنة تحضيرية تتولى وضع الاسس الهامة للامم المتحدة واجتمعت هذه اللجنة في المدة من ٢٤ نوفمبر حتى ٢٢ ديسمبر بلندن وتنفيذا لما نص عليه تقرير اللجنة التحضيرية دعيت الجمعية العامة الى عقد اجتماع في لندن في العاشر من يناير ١٩٤٦ وفي هذا الاجتماع تمت الموافقة على المشروعات التي تقدمت بها اللجنة وتم انتخاب الاعضاء غير الدائمين لمجلس الامن واعضاء المجلس الاقتصادى والاجتماعي وقضاة محكمة العدل الدولية وعينت الامين العام (وكان سير تريجفي لي) ثم تكوين مجلس الوصاية .

اهداف الامم المتحدة

تحت هذا العنوان يناقش هذا الكتاب اهداف المنظمة الدولية التي تتضح من استعراض ديباجة ميثاق انشائها الذى ينص على : « نحن شعوب الامم المتحدة وقد آلينا على انفسنا أن ننقذ الاجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين احزانا يعجز عنها الوصف وان نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية ، وبكرامه الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية . وان نبين الاحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى ، وان ندفع بالرقى الاجتماعي قدما،وان نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية افسح ، وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا : ـ

أن ناخذ انفسنا بالتسامح وان نعيش معا في سلام وحسن جوار وان نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والامن الدولى وان نتكفل ـ بقبولنا مبادىء معينة ، ورسم الخطط اللازمة لها ـ الا نستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة ، وان نستخدم الادارة الدولية في ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها ، قد قررنا ان نوحد جهودنا لتحقيق هذه الاغراض » .

ثم يعرض الكتاب لموضوع تكوين هيئة الامم المتحدة فيستعرض بالتفصيل مجلس الامن والجمعية العامة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى

ومجلس الوصاية ومحكمة العدل الدولية واخيرا الامانة العامة للامم المتحدة .

قصور الميثاق عن تحقيق امل البشرية

لم يحقق الميثاق الامال التى كانت معقودة عليه ولعل هذا يرجع الى : ـ

١ ـ تحكم الدول الكبرى عن طريق استخدامها حق الفيتو ضد اى قرار تراه لا يتفق مع اهدافها ومصالحها .

٢ ـ سوء نية بعض الدول فى تفسير القانون الدولى وعدم رغبتها فى التعاون الحق مع البشرية.

٣ ـ سيطرة كثير من الدول الاستعمارية الكبرى وتحكمها فى اجهزة المنظمة الدولية بما يؤدى الى قصورها عن تحقيق امل البشرية فى رفع مستوى المعيشة والرفاهية وحق تقرير المصير .

٤ ـ لجوء الدول الكبرى الى حل كثير من المشاكل بعيدا عن اطار المنظمة الدولية .

٥ ـ قصور الامم المتحدة عن امتلاك قوة حربية تستطيع الزام الدول الكبرى بما تراه كفيلا لحفظ السلام

٦ ـ ضرورة تعديل الميثاق حتى يتلاءم واهداف المجموعة الجديدة من الدول التى استقلت حديثا فما دامت الامم المتحدة تهدف الى اسعاد البشرية فلا بد ان تكون قوانينها وموادها الدستورية نابعة من ارادة وضمير دولها ، ولما كان اكثر من خمسين دولة من اعضائها لم يشتركوا فى تحرير هذا الميثاق فان المنطق يقتضى اجراء تعديل فى الميثاق.

٧ ـ ازدياد الاهتمام بالمنظمات الاقليمية بضعف المنظمة الدولية حيث تحولت المنظمات الاقليمية من مساعدة الامم المتحدة فى حل مشكلات مجموعة معينة من الدول فى اقليم معين الى تكتل ومعسكر يقف امام المعسكر الاخر يتربص به .

٨ ـ يجب ان تضم الامم المتحدة كثيرا من الدول التي لم تنضم اليها بعد لضمان تنفيذ هذه الدول اى قرار تتخذه الامم المتحدة .

٩ ـ ومن اهم الاسباب التى تؤدى الى قصور الامم المتحدة عن تحقيق اهدافها عدم نضج المجتمع الدولى وتمسك كل دولة بسيادتها ولا شك انه ليس الا رهنا بمشيئةاتفاقيات وحسن نياتالدول طالما انها تسير وفق القانون الدولى والضمير الانسانى

مستقبل الامم المتحدة

قامت الامم المتحدة من اجل ايجاد سلام عادل ونبذ الحرب كاسلوب لحل المشاكل الدولية ولبذل كل طاقتها من اجل حماية البشرية من ويلات الحروب ودمارها .

ان عالمنا اليوم يشهد وسيشهد صراعا لانهاية له من اجل سلام دائم قائم على العدل وان شعوبا كثيرة ـ تخضع لسيطرة الاستعمار ـ تعلق امالها على المنظمة الدولية لتساعدها فى منحها حق تقرير المصير وضمان حقوق الانسان .

ان اخطاء الامم المتحدة ليست ناتجة من وجود عيوب مزعومة فى الميثاق بقدر ماهي ناتجة من السياسة التى تتبعها بعض الدول الكبرى منتهكة بذلك مبادىء هذا الميثاق .

ان مقياس نجاح الامم المتحدة فى تأدية رسالتها ليس الارهنا بمشيئة اتفاقيات وحسن نيات الدول المكونة لهذه المنظمة . فلو شاءت دول العالم لانجحت الامم المتحدة فى تادية رسالتها لانها هى التى تصدر القرارات وهي الملزمة بتنفيذها فاذا لم تنفذها فما ذنب المنظمة فى ذلك ؟ .

ان الامم المتحدة ما هى الا منظمة لا قيمة لها بدون دولها ، ودولها هى لسانها الناطق وهم ـ اى الدول ـ القادرون وحدهم على نجاحها وهم ايضا لو تقاعسوا فى مباشرة مهامهم وقصروا فى واجباتهم لساروا بهذه المنظمة الى الهاوية .

وقد ثبت ذلك جليا فى موقف الولايات المتحدة الامريكية من ازمة الشرق الاوسط فى مجلس الأمن حين استخدمت حق الفيتو ضد قرار ايدته اوربا وآسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية يستنكر احتلال اسرائيل للاراضي العربية ويدين العدوان .

فامريكا وقد كشفت النقاب تماما عن حقيقتها الزائفة ومؤازرتها للمعتدى ومساندتها له ماديا وعسكريا انما تتحدى ارادة المجتمع الدولى كله وتهدم بذلك ميثاق الامم المتحدة وتعطل الجهود الرامية الى احلال سلام دائم قائم على العدل بالمنطقة بانسحاب اسرائيل المعتدية من الاراضي العربية وضمان حقوق شعب فلسطين . ■■

الاسكندرية ـ **عبدالمنعم ابو السعد**



من الكتب التي وصلتنا

فى الأدب وفنونه

تاليف : علي بو ملحم
الناشر : المطبعة العصرية للطباعة والنشر
صيدا / لبنان

● يتضمن هذا الكتاب دراسة وافية للادب وفنونه ، وهي محاولة متواضعة في فهم الادب ، على منهجية واضحة وموضوعية .

لقد اجمع الباحثون على ان الادب ينقسم الى قسمين رئيسيين هما الشعر والنثر ، وعلى أن كلا من الشعر والنثر فروع عديدة اطلقوا عليها فنون الادب ، اما فروع الشعر فهي اربعة : الملحمة ، والمسرحية والشعر الغنائي ، والشعر الحكمي ، أما فروع النثر فهي : الخطابة ، والقصة ، والمقامة ، والسيرة ، والمقالة ، والرسالة ، والمثل والحكمة . ولكن ما هو الاساس الذى بني عليه تقسيم كل من الشعر والنثر الى فروع او أنواع سميت فنونا ، وهنا يحاول المؤلف ان يعرف كل نوع من هذه الانواع يقول : ان الاساس في ذلك يرجع دائما الى الموضوع ، فموضوع الملحمة البطولات القومية الخارقة ، وموضوع المسرحية هو الازمات النفسية ، وموضوع الشعر الغنائي وجدان الشاعر وما يجيش فيه من انفعالات ، ولما كانت هذه الانفعالات متنوعة أدى ذلك الى تنوع الشعر الغنائي تبعا للعاطفة التي بعثت عليه فكان المديح صدى للاعجاب والهجاء تعبيرا عن السخط والرثاء تنفيسا عن الحزن ، والغزل تفريجة الحب ، والفخر ترجيعا لتكريم الذات .

اما موضوع الخطابة فهو وجهة نظر الخطيب الذى يحاول أن يقنع بها الجمهور ، ويؤثر فيهم ، وموضوع القصة الحياة الاجتماعية بمختلف نواحيها ومشاكلها وموضوع المقامة ابراز المهارة اللغوية ، وموضوع السير حياة الانسان وموضوع المقالة قضية يحاول الكاتب معالجتها وابداء رأيه فيها .

قانون العمل الكويتي

تاليف : محمود جمال زكي
الناشر : جامعة الكويت / الكويت

● قانون العمل احد فرعى القانون او التشريع الاجتماعى ، وقد ظهر اصطلاح القانون الاجتماعى حديثا فى اللغة القانونية ويقصد به فى الفقه الحديث مجموعة من القواعد القانونية يرجع ظهورها الى تغير الظروف الاقتصادية للافراد فى الدول الغربية التى تمثل النهضة الصناعية ،وهى تقوم أساسا على فكرة الحماية التى توفرها للخاضعين لاحكامها، وهم فى الاصل طوائف العمال، اما برفع الغبن عنهم فى تحديد آثار عقد العمل او تهيئة الظروف المناسبة لهم فى تنفيذه ، واما بتامينهم من الاخطار الاجتماعية التى تحيط بهم وقد تؤدى الى فقد القدرة على العمل ، وبالتالى العجز عن الكسب ، كالتعطل والمرض والشيخوخة ووفاة العائل ، وان كانت الحماية قد امتدت فى صورتها الثانية الى طوائف اخرى غير العمال .

ينظم القانون الاجتماعى على هذا الوجه فى فرعين ، يعنى الفقه بالتمييز بينهما : قانون العمل الذى ينظم علاقات العمل وقانون الضمان الاجتماعى الذى يؤمن العامل من الاخطار الاجتماعية .

وبينما يعتبر القانون الاجتماعي فى نظر بعضهم قسما مستقلا يقف مع القانون الوضعى الى جانب قسميه الخاص والعام واذا هو فى رأى آخرين يدخل فى نطاق القانون الخاص ، وان كان فى الفقه من يرى دخول قانون الضمان الاجتماعى ، لقيام الدولة على تنفيذه فى دائرة القانون العام ، ويترتب على فكرته وجوب تفسيره وفاقا للطرق السائدة فى تفسير القانون العام .

زينب
ابنة الزهراء وبطلة الفداء

تاليف : الاستاذ علي احمد شلبي
التاشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية/القاهرة / مصر

● هذا الكتاب ترجمة لحياة السيدة زينب بنت على ابن ابي طالب ، تلك المراة المسلمة الشريفة الفاضلة المكافحة التي جمعت بين العبادة والتبتل ، وبين العمل والجهاد، وكانت في مجال العلم في اسمى الدرجات، وكانت صابرة في الله متحملة ما تلقى في سبيل الحق ، مع ثباتها النابع من ايمانها القوى .

وقد درس المؤلف في استفاضة حياة السيدة زينب ، ودرس من أجلها كل من احاط بها من اشخاص كرام ، وحوادث اليمة ، فقد درس ماساة الحسين من جوانبها التاريخية بكل جوانبها، فقدم صورة تتمثل فيها صفات اهل البيت من الطهر والشجاعة والثبات في المواقف التي تتزلزل فيها اقدام الرجال ، صورة هؤلاء الذين كانوا يدافعون عن الحق لا يبالون على اى جنب كان في الله مصرعهم ، ولن تجد الدنيا في القديم منها والحديث من يماثل اهل البيت في التمسك بالحق والثبات عليه واعلانه ونشره والذب عنه مهما كلفهم ذلك ، انهم امثلة عليا في العمل بما آمنوا به .

وقد قسم المؤلف كتابه فبدا بمحبة آل البيت ، ثم تناول نسب السيدة زينب ، مع ذكر شيء من مآثر اسلافها ، وميلادها الكريم وما تبعه من حوادث ألرت فيها وفي نشاتها ، ثم زواجها وذريتها من ذلك الزواج ، ثم عبادتها وانقطاعها الى الله تعالى ووصف علمها ومناقبها وفصاحتها ثم صبرها وشجاعتها وتسليمها الامر الى الله ، وما لاقت من محن وما حاق بها من مصاعب في موقعة كربلاء وما تبعها ، ثم حضورها الى مصر للاقامة بها الى ان لاقت ربها ، ثم بعض القصائد التي قيلت فيها ، ثم اختتم المؤلف كتابه بنبذة عن تاريخ ضريحها ومسجدها الطاهر ، وما جرى عليه من تعمير واصلاح وترميم حتى وصل الى ما وصل اليه حين كتابة هذا الكتاب .

التامين

تاليف : عاصم سليمان
الناشر : مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل / العراق

● يتضمن هذا الكتاب دراسة مستفيضة عن التامين والتجارب العلمية والعملية فيه ، هذا العلم الجديد الذى برز في القرن الاخير كما يدرس الكتاب ما للتأمين من آثار اجتماعية واقتصادية اسهمت في بناء تطور المجتمعات المتقدمة ، وقد حاول المؤلف ان يجعل هذا الكتاب مفيدا لكثير من تساؤلات الطلبة المبتدئين في دراسة مادة التامين .

وقد قسم الجزء الاول من كتاب التامين هذا الى ستة فصول ، فكان الفصل الاول منه تحت عنوان مدخل في التامين ناقش في هذا الفصل ماهية التامين من الناحية العلمية والعملية ، واستعرض آثار التامين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ثم انواع التامين المختلفة وهيئاته .

اما الفصل الثاني فدرس فيه التامين من حيث خصائصه واركانه ومعرفة طبيعة هذا العقد وجوانبه ، وفي الفصل الثالث دراسة للتعرف على مفهومه باعتباره محلا لعقد التامين ، اما الفصل الرابع فيتضمن المبادىء القانونية لعقد التامين . وماهية تلك المبادىء ومدى انطباقها على عقود التامين ، وفي الفصل الخامس بحث موضوع ابرام عقد التامين ، حيث استعرض المؤلف كل مايتعلق بعمليات ابرام عقوده بالتعرف على اطرافها المؤمّن ، والمؤمّن له ، ثم وسطاء التامين بمختلف مستوياتهم ثم بحث قسط التامين واسس احتسابه ومبلغه

وقد افرد المؤلف جزءا خاصا للجانب التطبيقي للتامين ، فبحث مراحل ابرام عقده ، مبتدئا ببحث مرحلة التفاوض ، وتقديم الطلبات ، ومارا بمراحل الاصدار والتوزيع ، وتسديد الاقساط ، منتهيا باسلوب التعديل ثم مرحلة التعويض .

اما الفصل السادس فقد خصصه المؤلف لبحث التامين البحرى ، وقد حرص ان يحوى هذا الفصل دراسة عملية لاهم فرع من فروع التامين الاوهو مراحل ابرام عقود التامين البحرى للبضائع واخيرا اختتم الكتاب بموضوع تسوية تعويضات التامين البحرى . ■■



عِلمُ الصِّحةَ المِهنى

بقلم : الدكتور محمد سيد عبد العال

■ علم الصحة المهني Occupational Health فرع من فروع علم الصحة العامة ، يبحث في تأثير البيئة في صحة العامل وفي مقدرته الانتاجية ، والبيئة تشمل البيئة العمالية : المصنع والمتجر والمكتب والحقل ، وتشمل كذلك بيئات الاعمال الاخرى ولهذا يسمى هذا الفرع اليوم بالصحة المهنية بعد ان كان يسمى بالصحة الصناعية . اذ ليس العمل والانتاج وقفا على الصناعة وحدها، بل يشملان كل عمل في دنيا الانتاج والخدمات . وجدول المهن المختلفة يتضمن حسب الاحصاءات الامريكية ثلاثة وثلاثين الف مهنة وصنعة .

ولعل اصدق القول واقربه للحقيقة هو : ان الصحة العامة هي المرحلة الاولى للفرد : لبناء قوامه وروحه على اسس علمية صحيحة ، اى انها مرحلة البناء الاول - اما الصحة المهنية فهي المرحلة الثانية ، مرحلة اللمسات الاخيرة ، مرحله

استثمار قوة الفرد الكاملة على افضل نحو ، واحسن تقدير .

العامل في قديم الزمان

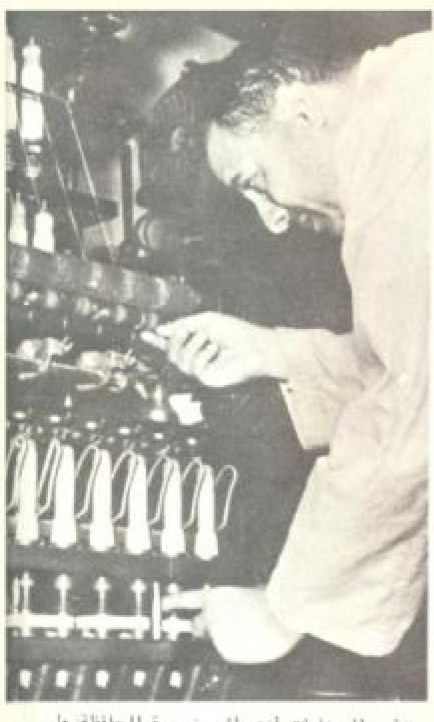
قديما كانت الصناعات وغيرها من مختلف المهن تقوم على اكتاف العبيد ، وسجلات التاريخ تحكي عن العبيد انهم كانوا دائما لاسيادهم مصدر رزق ، وموردا لربح وفير .

ولم يكن للعمال في تلك الازمان رعاية تذكر ، ويروى « جالينوس » (الذى عاش ما بين عام ١٣١ ــ ٢٠١م) ــ وهو اشهر اطباء الامم القديمة بعد ابو قراط انه زار منجم للنحاس بجزيرة صقلية ، وكاد يفقد حياته فيه ، من شدة ابخرة النحاس وادخنته المتطايرة ، ووصف في زيارته هذه تعرض العمال لخطورة ادخنة ذلك المنجم بقوله : « كانوا يركضون باقصى سرعة وهم يحملون النحاس المنصهر ، كي لايدركهم الموت اختناقا داخل المنجم » .

على هذا النمط والاسلوب ، في ظروف بيئية قاسية وقاتلة ، نشأت الصناعات ونمت ، وكان الارهاق للطبقة العاملة النتجة شنيعا ، ففي ظل ارهاب السوط كان على الجميع ان يعملوا حتى الموت الذى يضع حدا لآلامهم وشقائهم .

تطور الصناعة

واخذت الصناعة وسائر المهن في التطور على مر الاجيال ، ولم يكن هذا التطور ناجما عن ارتقاء الآلات والاساليب الفنية التكنولوجية ، بل نشأ نتيجة لازدهار القيم الاجتماعية الجديدة. اذ عندما تهيات الظروف وتنبهت الافكار وراع المصلحين في اوروبا سوء الحالة البيئية ، وانتشار الامراض بين الطبقات العاملة ، وارتفاع نسبة الوفيات بينهم ظهر الاهتمام بالعامل ، وانتشرت المبادىء الاشتراكية واستيقظت الروح الانسانية واستيقظت الذاتية الفردية واستيقظ الوعى الداخلى في النفس البشرية . وكما جرى هنا في النفس البشرية ، جرى بالضبط بدوره في المجتمع ، وهذا معناه الثورة على الدكتاتورية والطغاة وقيام الديمقراطية وحقوق الانسان وكان الزمن كعادته اقوى من الانسان مهما كان جبروته وبطشه واستبداده .



تطور الصناعات أدى الى ضرورة المحافظة على صحة العمال من التاثيرات الضارة للمواد الناتجة من هذه الصناعات . ومن هنا نشأت ضرورة علم الصحة المهنى

اول اهتمام بالعامل

وظهر الاهتمام بالعامل في اول الامر بانجلترا وكان روبرت اون Robert Owen ، الرائد الاول في هذا الميدان ، ويعتبر بحق ابا للخدمة الاجتماعية العمالية ، لما قام به عمليا من الخدمات ابان حياته ، مديرا لمختلف المصانع التي تولى امرها ، ولمقالاته القيمة التي كتبها ما بين عام ١٨٠٠ ــ ١٨١٦م تحت عنوان « وجهة نظر جديدة للمجتمع » .

ولقد اقتفى آثار روبرت اون كثيرون في فرنسا والمانيا وبلجيكا وامريكا .

والواضع الاول لدعائم علم الصحة الحديث هو مصلح السجون الكبير « جون هوارد » John Howard ، اذ قام بزيارة معظم السجون بانجلترا واوروبا ، وكتب عنها تقارير عدة ، تفصح

عما بها من فساد وحرمان وقسوة . وتصح باجراء اللازم نحو اصلاحها وعدم استعمال القسوة مع المسجونين بضرورة التفتيش عليها من حين لآخر ، وكتابة التقارير عما يجرى فيها ، والعمل على درء النقص بها من جميع النواحي الصحيةوالبيئية وهذا هو نفسه ما تقوم به اليوم الادارات الصحية من تفتيش ورقابة على المصانع والمدارس والسجون، مشفوعة بالتقارير الخاصة ورفعها للهيئات الحكومية لاتخاذ الاجراءات الصارمة ضد كل من يخالف الارشادات والقوانين الصحية .

جسم الانسان جهاز كيميائي فزيائي

كان لتقدم العلوم الطبية وغيرها ابان القرن الماضي والحالي أثره البارز في اثبات الحقائق التي لاتقبل اليوم نقدا او نقضا بان الانسان ذروة الاحياء،وما جسمه في الحقيقة،الا جهاز « كيمائي فزيائي»يسيطر على جميع انواع سلوكه وتصرفاته، وعلى (ادراكه ، وذكائه وطاقته ، ونشاطه ، وتشاؤمه وانشراحه) . وما سلامة الجسم الاتفاعلات كيميائية سليمة تجرى في الجسم وسواته بميزان وحساب . وما الجسم المريض المعتل الاتفاعلات كيميائية اعتراها الاختلال من حيث الزيادة والنقصان .

والعامل النفسي

ومن خصائص هذه التفاعلات انها حساسة للغاية تؤثر فيها عوامل شتى . ومن هذه العوامل ماهو نفسي (اى سيكولوجي) ومنها ما هو فزيائي اى طبيعي ، وكلاهما ـ اى العامل النفسي والعامل الفزيائي ـ من صميم البيئة التي خلقت فيها الاجسام الحية .

وجسم الانسان خاصة ، بتكوينه التشريحي ، مهيا ليتلاءم ويتكيف ويتفاعل ويتأثر جهازه الكيميائي الفزيائي بما يحيط به من ظروف البيئة وعلى قدر هذا التأثر وعلى قدر الاستجابة او المقاومة يكون التكيف ، وهو القانون الاول لحياة الاجسام الحية ، ومن ثم يطلق على الانسان في نهاية المطاف ، انه « جهاز كيميائي فزيائي نفسي بيئي » . اى انه وحدة متماسكة ، لا يمكن فصل الصفة التشريحية منه عن الصفة الوظيفية (الفسيولوجية) ولا عن الصفة النفسية البيئية .

واصدق دليل على ذلك هو البحوث المتعددة المتباينة التي اقنعت علماء الطب العلاجي والوقائي بان « الجسم » و « النفس » عاملان متفاعلان ، يتاثر كل منهما بالآخر . فكما ان « النفس تنبسط وتبتهج وتنقبض وتبتئس ، وفقا لحالة الجسم من الصحة والمرض (اى التفاعلات الكيميائية)،فكذلك الجسم يتاثر بما يعترى « النفس » ويغشاها من الازمات العاطفية،وما ينتابها من المشاعر المضطربة، وما يستقر في حناياها من اللواذع المكبوتة » .

وقد اجمع العلماء رايا على تعريف الصحة الجيدة بانها الحالة التي يكون الفرد فيها « اسعد ما يمكن من الناحية البدنية والنفسيةوالاجتماعية» مع مراعاة الاسس والقواعد المثلى ازاء العمل والانتاج ، بان تكون في حدود ما يناسب الفرد ، ويلائم طاقته البدنية ، وقدراته العقلية ، والا كان العمل والانتاج وبالا على حياة الفرد وصحته .

وعامل البيئة

لقد ادرك العلماء ـ تبعا لابحاثهم القيمة ، وتجاربهم المتواصلة ، وخاصة علماء الطب الاجتماعي ـ اهمية البيئة وصلاحيتها للفرد في كل مناحي النشاط الادمي والانتاج وكفايته ، مهما اختلفت الافراد وتباينت قدراتهم . كما ادرك ايضا ارباب الصناعات والمهيمنون على شئونها بعد لأى ، ان النظرة الى العامل نظرة انسانية على انه كائن حي له احاسيسه ومشاعره ، وله على الهيئة التي يعمل فيها حقوقا وامتيازات ، اذا روعيت في البيئة انطلق الى الاسهام باكبر قدر ممكن للعمل والانتاج .

والعنصر الانساني

وتفصح هذه التجارب وتؤكد اهمية العنصر الانساني في انتاجية العامل بالمصنع ، والموظف بالمكتب او المتجر . اذ ان الانسان مُسَيَّر بعواطفه ، ولا يعتمد على المنطق في حياته اليومية . ولكي يستنفد كل عامل او موظف قواه العقلية وروحه

المعنوية في الانتاج ـ لا مفر من توفر الراحة النفسية طالما كانت هي وحدها تتحكم في كل طاقاته البدنية والعقلية . وان شئونا هامة كالاضاءة الكافية ، وفترات الراحة ، واختفاء الجلبة والضوضاء ، ورخص الطعام الذي يقدم له،بل الاجر التشجيعي او المرتفع الذي يتقاضاه ، ليست بالشيء الهام بصدد الانتاج ووفرته ، اذا قيست بشعور العامل او الموظف بالاطمئنان او القلق في عمله ، وبقدر حسن العلاقات او سوئها القائمة بينه وبين رؤسائه، او بينه وبين زملائه ، وحرارة الشعور والاحترام والمودة المتبادلة او فتورها بين صاحب العمل وموظفيه وعماله ، او بين الرئيس او المدير ومرءوسيه وموظفيه .

دعائم لابد من توافرها

وتعتبر الدعائم التالية من العوامل البيئية الهامة التي يجب مراعاتها ، والتي اذا توافرت توارت المتاعب ، وانطلق العامل في مصنعه ، والموظف في وظيفته ، بكل قواه العقلية والبدنية نحو الانتاج وكفايته :

اولا : عوامل طبيعية اي فزيائية تؤثر على وظائف الاعضاء .

ثانيا : عوامل نفسية (سيكولوجية) ترفع روحه المعنوية وتضفي على نفسه السعادة وراحه البال .

ثالثا : عوامل تحمي العامل من الحوادث والاصابات .

رابعا : عوامل تحمي العامل من العدوى والامراض المعدية .

ويشتمل كل عامل من العوامل انفة الذكر على فقرات وبنود تحدد معانيها وتوضح مراميها على الوجه الاتي :

العوامل الطبيعية

اولا : العوامل الطبيعية (الفزيائية) التي تؤثر على وظائف الاعضاء :

ا ـ حرارة الجو ورطوبته . اي حاجة العامل الى جو معتدل من الحرارة والرطوبة داخل اماكن العمل ، تمنع انتشار كمية مفرطة من حرارة بدنه، ولا تحول دون انتشار حرارته عندما يكون الجو المحيط به عالي الحرارة مرتفعا . (تزداد الحوادث والاصابات في الجو الحار والبارد على ماهي عليه في الجو المعتدل) .

ب ـ نقاء الهواء وكفايته .

جـ ـ انارة مناسبة وضوء كاف طبيعي او صناعي دون ان يبهر البصر ويزغلله .

د ـ وقاية العامل من الجلبة والضوضاء ، مخافة ان يفقد السمع ، او يعتريه الضيق والتوتر العصبي ، فيتعرض للاخطار والاصابات .

هـ ـ وقاية العامل من اخطار ارتفاع ضغط الجو وانخفاضه ، كما هو الشأن في العمل بالمناجم ، او عند بناء الانفاق ، او اثناء الغوص لاستخراج اللآلىء والاسفنج من قاع البحار ، حيث يتعرض العمال لضغط جوي مرتفع . او اثناء الصعود في الجو للوصول الى قمم الجبال او في الطيارات، بحيث ينخفض الضغط وتقل كثافة الهواء .

و ـ وقاية العامل من الاشعاعات المختلفة كالاشعة البنفسجية او تحت الحمراء او الاشعة السينية وذرات الفاوبيتا وجاما .

ز ـ وقاية العامل من ضيق الرقعة التي يعمل فيها فتمنعه من الحركة المريحة الامنة .

حـ ـ امداد العامل بالغذاء الكافي قدرا ونوعا .

العوامل النفسية

ثانيا : العوامل النفسية اي السيكولوجية :

ا ـ كفاءة العامل العقلية والبدنية وملاءمته لطبيعة العمل الذي يقوم به . وبمعنى آخر ، وضع الرجل المناسب في العمل الملائم ، باستخدام الوسائل العلمية ومقاييسها ، اهتماما بالانسان اكثر من الاهتمام بالعمل .

ب ـ وقاية العامل من الاجهاد المضني ، وتنظيم فترات الراحة ، وساعات العمل ، لتكون في حدود الطاقة البشرية .

جـ ـ رعاية العامل صحيا واقتصاديا واجتماعيا الى الحد الذي يشعر فيه بالرضا والطمأنينة .

د ـ تهيئة الفرص وكفالتها التي تحفزه للاسهام

في العمل ، وتدفعه للاندماج في بيئته العمالية ، وتقضي على التذمر .

هـ ـ تدبير وسائل الرياضية ، واستثمار اوقات الفراغ في الرحلات والنواحي الفكرية والفنية التي تضفي على العامل السعادة والهناءة .

وقاية العامل من الامراض والاصابات

ثالثا : العوامل التي تقي العامل من الحوادث والاصابات والامراض المهنية :

ا ـ وقاية العامل من اخطار الحريق ، وتزويد مكان العمل بما يكفل اطفاءها سريعا ، والهروب عند اشتعالها .

ب ـ وقاية العامل من اخطار التسمم بالعناصر ومركباتها وغازاتها ، وكذلك من الامراض الجلدية .

جـ ـ وقاية العامل من الصدمات الكهربائية .

د ـ وقاية العامل من اخطار المرور وحركته داخل المصنع .

رابعا : العوامل التي تقي العامل من العدوى بالامراض المعدية :

ا ـ تموين اماكن العمل بموارد الطعام والشراب الصحية .

ب ـ اعداد اماكن العمل بدورات المياه المزودة بالاشتراطات الصحية .

جـ ـ نظافة مكان العمل وما حوله .

د ـ اتساع المصنع بوجه عام ، وسعة الرقعة الخاصة بكل عامل .

هـ ـ اقصاء حامل العدوى وعلاجه .

ولو تتبعنا جميع التشريعات التي صدرت في العالم الغربي ابتداء من اواخر القرن الماضي واثناء القرن الحالي بشأن العامل المنتج اي « الانسان » الذي قامت على اكتافه الحضارة المادية وشيدت ـ لادركنا انه بالنقد المتواصل لهذه التشريعات قد طرا بالتعديل والتصحيح ـ تغيير وتطور الى حد قلب الاوضاع راسا على عقب .

ففي دنيا الانتاج اصبح العامل المنتج هو المحور الذي تدور عليه نظم الصناعة والانتاج ايا كان نوعه ، بعد ان كان محور الانتاج هو المصلحة الشخصية والربح الوفير لارباب الصناعات .

ولهذا تولي الامم المتحضرة المتقدمة في شئون العلم والعرفان ، اهتمامها البالغ في تحسين ظروف البيئة العمالية والمهنية ، لما في ذلك من اثر واضح في سعادة الفرد اولا ، وفي زيادة الانتاج وتحسينه ثانيا .

القوى العاملة
خط الدفاع الاول عن الوطن

وتعتبر القوى العاملة في الامم الراقية ذات الحضارة المادية ، بمثابة جيوش التصنيع التي هي خط الدفاع الاول عن الوطن في كل امة . اذ لا تستطيع الجيوش العسكرية القيام باعبائها في الحروب والذود عن الاوطان ، دون تموينها من المصانع . ولا يمكن للمصانع ان تلعب دورها على اكمل وجه دون ان تستقيم الحياة الصحية من جميع الوجوه لجيوش التصنيع .

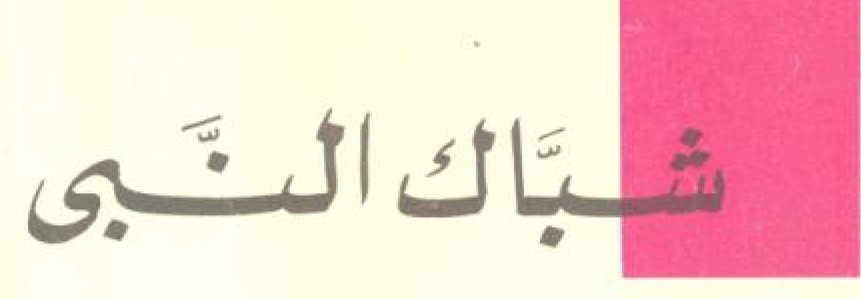
الانتاج مظهر لتفاعل عوامل عدة

يستعمل لفظ « الانتاج » عادة للتعبير عن انتاج العمل الانساني فحسب ، ايا كان نوعه ، الا ان التطور الاقتصادي الاجتماعي قد بدل اليوم هذا المفهوم وذلك المعنى ، واصبح الانتاج مظهرا واضحا لتفاعل العوامل البدنية والنفسية والاجتماعية ، طالما ان لهذا التفاعل اثرا بينا ، له دلالته في تفكير الفرد وسلوكه وتصرفاته .

ويعني هذا،ان عوامل كثيرة غير ملموسة ومتداخلة بعضها في بعض ، هي التي تحدد نوع الانتاج وكفايته ، وقد تكون هذا العوامل ذات صبغة بدنية او اقتصادية او نفسية او اجتماعية او فنية . ويستحيل القول بان عاملا معينا هو السبب وحده في ارتفاع درجة الانتاج ، او انه نتيجة له .

ومن البدهي اليوم ، ان الانتاج وكفايته لايقوم على تقدم الوسائل الفنية (التكنولوجية) ، وزيادة رؤوس الاموال المستثمرة وحسب ، بل يعتمد كل الاعتماد على طاقة العاملين وكفايتهم . ولا تصدر هذه الطاقة وهذه الكفاية عن الخبرة والمران وحدهما،بل تصدر عن أن استعداد الفرد وحالته الصحية من الناحية البدنية والعقلية على حد سواء ، اساس الدافع والرغبة والنشاط في العمل . ■■

محمد سيد عبد العال (القاهرة)



شبّاك النبي

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ وقعت حوادث هذه القصة اوائل هذا القرن ، في سنة ١٩٠٩ على وجه التحديد .

حكاها لي صاحبها ـ او بطلها ، اذا شئت ان تسميه بطلا بعد ان تقرأ حكايته ـ قصها عليّ عندما حججت سنة ١٩٦٥ . كان قد اصبح شيخا مثقلا بالسنين .

وعندما زرت الحجاز بعد ذلك بسنوات ثلاث ذهبت ابحث عنه في المدينة المنورة . كان له مطعم صغير يبيع فيه الاطعمة المصرية الشعبية المعروفة : الفول والطعمية والباذنجان وما اليها . وذكرته وهو في سنة ١٩٦٥ حين كان لا يزال يعمل بيده ويخدم عملاءه الكثيرين . كان نظره قد ضعف بعض الشيء ، وكذلك كانت ساقاه تشكوان عبء السنين ، ولكنه كان ما يزال مستقيم المظهر نشيط الحركة محتفظا ببقية من المرح الذي حمله معه عندما انتقل من احدى حواري شارع خيرت بالقاهرة مهاجرا او هاربا الى الحجاز ...

وفي سنة ١٩٦٨ وجدت الدكان ، ولكن صاحبه الشيخ العجوز كان قد انتقل الى الدار الاخرى ، وخلفه في العمل زوج ابنته ، وهو رجل سعودي كريم لطيف شديد السمرة اصله من عمان .

عرفني اول ما رآني ، ورحب بي وقادني الى المنضدة الصغيرة التي كنت اجلس اليها مع حميه، عليه رحمة الله ...

ابلغني الخبر وقال ان المرحوم لم يمرض طويلا : شكا من دوار ثقيل يوم الثلاثاء وفي صباح الجمعة واروه في قبره ...

واتاني الرجل بشيء من الطعام ، وفرغ من حديثه ، ثم تركني ومضى يخدم عملاءه ، وجلست وحدي آكل على مهل ، وتردد على مسمعي صوت الرجل العجوز يحكي عليّ قصته ...

وهاهي على قدر ما اذكر ...

★ ★ ★

نشأت في حارة خميس بشارع خيرت في القاهرة ، وبدأت حياتي عاملا في محل المشة في شارع خيرت . كان صاحب الدكان رجلا طيب القلب عارفا بشئون تجارته ، عرف كيف يجعل من دكانه الصغير محلا تجاريا محترما ، يبيع في





وكان يشرب الماء،ثم يشعل سيجارة ، ثم يقول : اين كنا ؟ واقول اين كنا ـ آه .. تذكرت .. وصلنا الى جدة ومنها الى المدينة .

اليوم بمبلغ يتراوح بين خمسة عشر وعشرين جنيها من نقود تلك الايام .

وعندما بدأت العمل عنده كنت في حوالي العشرين من عمري ، واخذت أصعد السلم في بطء شديد . لقد آنس الرجل فيّ نشاطا وكفاءة ، فنهض بي من خادم تقريبا الى عامل ثم الى بائع ، وبعد ثلاث سنوات اجلسني على « الكيس » احصل من الناس اثمان المبيعات .

كنت دائما حريصا دائم الانتباه ، فاتقنت هذا العمل . كنا نعمل في الثامنة صباحا الى الثامنة مساء ، اثنتي عشرة ساعة كاملة في اليوم ، وانا جالس مكاني ، استلم النقود ، واضع خاتم الدفع على الفواتير ، وارد للناس البواقي كانني ماكينة لا تتعب .

في الساعة الثامنة مساء ، وبينما يكون كل عامل مشغولا باعادة اثواب القماش الى اماكنها ، بعد تسجيل اعداد ما باع من الامتار من كل منها ،

كنت اجلس الى المعلم صاحب المحل اسلمه الايراد ، ونراجع الفواتير . كانت هذه العملية تستغرق نحو ساعة اخرى ، اخرج بعدها محطما ، وراسي يدور من طول ساعات العمل ، فاذهب الى دكان اخي الاكبر . كان بائع فول وطعمية ،

منه تعلمت هذه الصنعة ، هناك كنت اتناول طعامي وعيناي مثقلتان بالنوم .

كانت كل حوادث اليوم تتوالى على ذهني وانا اتعشى ، وفي ذهني تتراءى صور الناس يناولونني الجنيهات ، وانا اعد واسجل واختم وارد الباقي في حركة دائمة لا تسكن طول النهار ...

وكنت اتقاضى عن هذا العمل ستة جنيهات . وكنت سعيدا جدا بها ...

كنت اؤدى منها جنيهين لاخى لقاء طعامى وسكناى في غرفة صغيرة في شقته العتيقة في حارة خميس .

وكانت امي تلح عليّ في ان اتزوج . ولكني كنت ارجيء امر الزواج الى ما بعد ، كان جريان المال في يدى طول النهار قد اثار في نفسي الطموح الى الغنى . كنت اقول في نفسي : لو اقتصدت مائة جنيه استطعت ان افتح دكانا صغيرا لبيع القماش ، واخذت بعض زبائن المعلم لابدأ بهم .

الحقيقة انني كنت قد اتقنت عمل بيع الاقمشة او المانيفاتورة (١) كما كنا نسميها اذ ذاك ، وكان من الممكن جدا ان تتحقق احلامي تلك .

وشغل هذا الطموح نفسي ، فاخذت ادخر القرش بعد القرش ، وتملكني طمع شديد جعلني اقوم بسرقات صغيرة بين الحين والحين ، لا تزيد الواحدة منها عن جنيهين دون ان ينتبه الى ذلك احد ، فقد كانت ثقة المعلم فيّ عظيمة جدا ، وشيئا فشيئا اقتربت من المائة جنيه المنشودة ، وبدات ابحث عن الدكان الصغير الذى ساستاجره فاذا انا في ذلك اذ اصيبت امى بمرض اقتضى منا ان نجرى لها عمليتين ، ثم توفيت بعد ذلك ، فاخذ ذلك كله ما امامي وما ورائي ، ولم اجد في يدى بعد دفنها وسداد الديون الا اربعة جنيهات .

★ ★ ★

واسودت الدنيا في عيني ..

اربعة وثمانون جنيها راحت في ثلاثة شهور . الله وحده يعلم كيف جمعتها ، والله وحده يملك ان يغفر لي ماصنعت لاجمع بعضها ...

وكان العمل في دكاننا الكبير يتزايد يوما بعد يوم .. اشترى الرجل دكانين مجاورين ووسع المحل الى الناصية واشترينا ماكينة تسجيل النقد وارتقيت الى مدير حسابات براتب قدره خمسة عشر جنيها ، وحلت محلى على « الكيس » آنسة صغيرة اعطيناها خمسة جنيهات راتبا شهريا .

واصبح لي مكتب صغير في داخل المحل الى جانب غرفة المعلم الذى ترك القفطان والمعطف ولبس البدلة واصبح يعرف باسم سلامة بك .

وكنت اضع بيدى كل يوم مئات الجنيهات في الخزانة الى جوارى في غرفتي الصغيرة ، وكنت اغلق باب الغرفة ، واتامل المال في الخزانة واشعر بشعور غريب ، فاتصور ان يدى تمتد وتاخذ هذه الربطات الضخمة من الاوراق المالية وتضعها في جيبي لاشترى بها دكانا لنفسى ، واصبح انا الاخر تاجرا محترما مثل سلامة بك . واخذت هذه الفكرة تستبد بنفسى ،وما من مدة سلمت الايراد الضخم لسلامة بك الساعة التاسعة مساء على العادة الا شعرت بحسرة وغضب ...

★ ★ ★

في تلك الايام عرفت بنتا هي الغاية في الجمال .. كانت ابنة موظف محترم ستعرفه ـ انت ـ بعد قليل . اتتنى مرة لتشكو من خطا في الحساب وقعت فيه الصرافة ، فبهرني جمالها ، وحللت لها الاشكال ...

ولم تبرح مخيلتي صورتها بعد ذلك ابدا .

واعتقد ايضا انني احببتها ، لانها اتصلت بى بالتليفون مرة بعد اخرى ثم زارتني في غرفتي ، وقد قالت لي بعد ذلك انها ظنت انني ابن صاحب المحل ... وعندما قلت لها انني لست ابن صاحب المحل وانني موظف صغير راتبي خمسة عشر جنيها لم تهتم ، بل قالت انها تقبلني حتى لو كان راتبي خمسة جنيهات .. وطلبتُ الى سلامة بك ان يرفع راتبى لانني اريد ان اتزوج فزادني ثلاثة جنيهات بعد جهد شديد .. وبالرتب الجديد تقدمت اطلب يد البنت، فرفضوا رفضا باتا ، بل اعتبروا تقدمى اليهم اهانة وطردوني انا واخي من البيت طرد الكلاب ..

وازدادت الدنيا في عيني سوادا ..

نحن الفقراء ياسيدى فيران تسكن جحورا تحت

---

(١) اللفظ ايطالي معرب اصله Manifattura اى الصناعة ويراد به صناعة او صناعة النسيج أو النسيج نفسه في الاستعمال الجارى كما يقابل الانجليزية Fabrics ويراد بها الاقمشة .

الارض . اذا اردنا ان نعيش فعلينا ان نلزم الجحور ، فاذا خرجنا الى النور تخطفتنا القطط والكلاب .. وبالفعل كنت اشعر فى تلك الايام وكانني فار حقير ، يخرج فى سواد الليل الى الطريق ، ليشم من الهواء ويلتمس ماتيسر من الرزق ، ثم يعود مسرعا الى الجحر العتيق الحقير ..

وحاولت ان انسى البنت ـ واسمها سميرة ـ فلم استطع ، واشتد شوقي الى رؤيتها ، ولكن هذه الرؤية اصبحت مستحيلة،لان اهلها حاصروها حصارا شديدا ، وانذروني بابلاغ صاحب المحل سلامة بك اذا انا حاولت رؤيتها .

وذهبوا الى ابعد من ذلك فابلغوا سلامة بك لكى ينبه عليّ ، فدخل عليّ مرة فى الصباح ، ووبخني على جراتي على مافعلت ، وحذرني من ان احاول الاقتراب من الشارع الذى تسكن البنت فيه .

يومها احسست انني احقر من فار ..

احسست انني صرصور تشمئز النفس لرؤياه ...

واحسست انني اريد ان احطم الكون على راس من فيه جميعا ... وماذا يهم الصرصور اذا قامت القيامة ؟

★ ★ ★

وكان لنا عميل تاجر من الحجاز ياتينا ليشترى منا بضائع بين الحين والحين ، وكانت تربطني به صداقة متينة ، وكان يقضي سهراته فى القاهرة معي ..

اتانا فى تلك الايام السوداء .. وجلسنا معا فى « قهوة المالية » ففتحت له صدرى وشكوت له همي كله ..

وفكر الرجل فى حالي ، ثم ذهبنا الى احد الملاهي، وعدنا بعد منتصف الليل ، فقال لي ونحن نسير فى شارع عماد الدين فى طريقنا الى حي السيدة .

ـ هل البنت تحبك ؟ ..

ـ اعتقد ذلك ...

ـ هل هي مستعدة للهرب معك ؟

فتوقفت عن المسير وقلت له فى دهشة :

ـ هرب ؟ اهرب بها ؟ ..

ـ بعد ان تتزوجها طبعا ..

ـ ومن يزوجني بها ..

ـ اى رجل من اقاربها نوكله هي عنها ، ونحضر شهودا ونزوجك بها ..

ـ والى اين اهرب بها بعد ذلك ؟ ..

ـ الى بلدنا ... الى الحجاز ...

وصلنا الى قهوة وجلسنا نفكر صامتين .

فى تلك السنوات ، قبل الحرب العالمية الاولى، لم تكن الحجاز دولة منظمة كما هو الحال اليوم . كان شريف مكة يحكم بصورة قبلية ، لم تكن هناك دفاتر او سجلات مراقبة ، وكان الامر كله الى الموظفين التابعين للشريعة ، وكانت هناك الف طريقة للتفاهم معهم على اى شيء..

وقطع صديقي الصمت وقال :

ـ ان والي مكة زوج ابنة عمي ، وهو شريكي فى التجارة ، وهو يستطيع ادخالك البلاد واخفاء الامر اذا سال عنك احد .

ولم انبس بكلمة ، ظللت مكاني جامدا كالحجر غارقا فى افكارى ، وجاء عامل المقهي وقال :

ـ عن اذنكم ياحضرات...جاء اوان التشطيب.

★ ★ ★

فى بيتي قضيت بقية الليل افكر . من يزوجني من سميرة ؟

ومع اشعة الفجر الاولى جاءنى الرد :

ـ ابن خالها عباس .

كان فى مثل سني وكان صديقا لي ، كنا معا فى الكتاب كان يعمل كاتبا فى وزارة المالية ، وكان ساخطا على الدنيا مثلي . وكان يكره والد سميرة لانه كان يتعالي عليه . عندما علم برفضهم اياى غضب لى واخذ يواسيني واشتركنا معا فى صب اللعنات على مصطفى افندى ادهم والد سميرة والسيدة عنايات زوجته ، وهما اللذان طرداني واهاناني .

والظن انهما اهاناه هو من قبل عندما جرؤ على طلب يد اختها زينب ...

وبعد الظهر قابلته . كان يوم جمعة ..

وحومت فى حديثي حول الموضوع من بعيد ، ثم اخذت اقترب شيئا فشيئا حتى انتهينا الى

بيت القصيد .. فقال لي بعد كلام طويل جدا ..

ـ وهل هي توافق ؟

نعم ...

فابتسم وقال : وبعد الزواج تاخذها وتهرب ؟

ـ في الحال ..

فازدادت ابتسامته عرضا وقال :

ـ اذن تكون هذه ضربة قاضية لذلك المنفوخ مصطفى ادهم وزوجته المترهلة الست عنايات التي تظن انها من العائلة المالكة ..

وبعد ايام قابلت صاحبي الحجازي واتفقنا على ان تذهب معه اذا تمت العملية .. واتصل ابن الخال بسميرة ورتب لنا لقاء سريعا ...

وتلاقينا بعد ايام بعد المغرب بقليل في آخر « شارع المبتديان » .

وجدتها على اتم الاستعداد لعمل اى شيء لتهرب مما هي فيه .

كانوا قد ضيقوا عليها الى درجة ان مجرد النظر من النافذة اصبح مشكلة ، واتوها بعريس من اقاربهم من البلد ، منظره كما قالت يجعلها تفكر في الانتحار ...

وبالفعل كانت تفكر في قتل نفسها .

وموت بموت .. فالهرب احسن وليكن مايكون .

ورتبنا الامر في احكام . كان عليها ان تستعد لان صاحبنا الحجازي سيسافر وستسافر معه في بحر عشرة ايام . رغم التضييق الشديد عقدنا العقد في مسكن ابن خالها : اتينا بالمأذون والشهود وكل شيء ، اخذ المأذون جنيهين ليسهل الاجراءات ...

في عشر دقائق تزوجنا ، وعادت البنت الى بيتها ونامت مع امها وابيها واهلها دون ان يعلم بذلك منهم احد ..

وآه من الشيطان ، عندما يريد ان يلعب بالانسان .

★ ★ ★

نعم آه من الشيطان .

كنت اسير في عملي على العادة دون ان يلحظ احد شيئا .

وكلما فتحت خزانة المحل ورأيت اكداس الاوراق المالية هتف في نفسي الشيطان : هذا هو المال امامك ، مم تخاف ايها التعس ؟ تسافر الى بلد بعيد مع زوجتك وتخرج خالي الوفاض ؟ كيف ستعيش ؟ من اين كسب هذا الرجل ذلك المال كله ؟ اليس من عرق جبينك انت ايها الجبان ؟ دبر امرك .. قبل الرحيل خذ ما تستطيع .. كل ماتستطيع .. خذ واجر باقصى سرعة .. الى ان يتنبهوا تكون انت قد ركبت المركب من السويس ومن سيكتشف الى اين ذهبت . خذ معك رأس مالك ولاتخف .. لايفوز باللذة الا الجسور .. ولكن هل انت جسور ؟ انك جبان خائر العزيمة ، ولهذا فانت فار بل صرصور .. وستظل صرصورا الى ان يدوسوك باحذيتهم.انهم يدوسون الصراصير امثالك بالمئات كل يوم .. وتستحقون .. نعم تستحقون .. انكم تخدمون اللصوص ، وتحرسون اموال اللصوص ، ولهذا تستحقون ان تموتوا تحت النعال .. تحت نعال من تحرسون اموالهم..

وآه من الشيطان عندما يقرر ان يلعب بالانسان.

جاءني صاحبي الحجازي وقال :

ـ يا محمود لم يبق الا ثلاثة ايام ، المركب تخرج من السويس صباح الاحد وها نحن الاربعاء..لابد ان تسافر من هنا بقطار السويس مساء الجمعة على الاكثر ... دبر نفسك واسرع ارجوك .

وفي المساء ناداني سلامة بك صاحب المحل وقال :

ـ محمود .. انا مسافر الى الاسكندرية غدا صباحا واعود بعد ظهر الاحد .. سأترك كل شيء في عهدتك .. وخلي بالك .. ليس لدي وقت لاخذ الايراد الآن : خذه غدا صباحا وسلمه في البنك ، عندك رقم حسابنا . تفعل مثل ذلك ايضا بايراد الخميس والسبت .. افتح عينيك جيدا يامحمود.

ولم تكن هذه اول مرة يترك فيها ماله بين يدي .

ولكن هذه المرة لم يترك المال عندي بل عند الشيطان .

طبعا لم اذهب بالايراد الى البنك صباح الخميس ولا صباح السبت ..

كنت قد رجوت صاحبي ان نسافر مساء السبت بدلا من مساء الجمعة ..

واتفقت مع سميرة على الهرب ، وساعدت الظروف .

وآه من الشيطان عندما يلعب بالانسان الغلبان .

مرضت خالتها فجاة وخرجوا جميعا وتركوها في البيت ..

وبكل هدوء خرجت البنت هاربة من بيت ابيها.
وكان الايراد الذى تحصل عندى سبعمائة جنيه واربعين وقروش .

تركت القروش فقط واخذت الباقي واغلقت الخزانة ووضعت مفتاحها في الدرج وخرجت بكل هدوء بحجة انني ساخلع ضرسي ، ورجوت ادريس افندى ــ اقدم عمال المحل ــ ان يتسلم الايراد من فتاة الكيس وينتظرني ..

وفي هدوء تام خرجت انا ايضا ، كان صاحبي جالسا في « قهوة المالية » والى جواره حقائبه وحقائبي ، اخذنا تكسيا ، وفي مكان ما من شارع « امين سامي »خلف كلية دار العلوم اخذنا سميرة. المسكينة كانت متسترة بملاءة لف ، لم تكن معها من الملابس غيرها .. ولكن كنت قد دبرت امرى وحملت معى ملابس كثيرة ، وفي الساعة الحادية عشرة ليلا كنا في السويس.نمنا عند قريب لصاحبي الحجازى وفي الحادية عشرة صباحا اقلعت الباخرة الى جدة ..

كانت باخرة انجليزية هندية صغيرة اسمها جدة ..

وفي قمرة صغيرة على هذه الباخرة الصغيرة دخلت بزوجتي ..

لاكان معى عقلي ولا كان معها عقلها ..

وانما كان معنا الشيطان .

واه من الشيطان عندما يقرر ان يلعب بالانسان.

★ ★ ★

كان يقص على هذه الحكاية ونحن جالسان على حصير في ردهة بيت المطوف الذى نزلت عنده عندما ذهبت للحج سنة ١٩٦٥ .

كان هذا المسكين واسمه محمود بزورني في هذا البيت ، وقد اثقلت حركته السنون ، وكنت اصغي اليه واتامل وجهه فارى انسانا تائها يبحث عن نفسه في اطواء الليالي والايام .

وكان بين الحين والحين يتوقف عن الحكاية ويقول :

ــ اعطني ماء مثلجا ..

وكان الماء المثلج غالي الثمن جدا . كان المطوف يبيعنا اياه بسعر الذهب ، ولكنى كنت ابر به رغم ذلك ، كنت اعتبر هذا المال صدقة ..

وكان يشرب الماء ثم يشعل سيجارة ، ثم يقول : اين كنا ؟ ..

واقول له اين كنا ...

ــ اه .. تذكرت .. وصلنا الى جدة ومنها الى المدينة .

انت لاتعرف المدينة المنورة انذاك .

انت تراها اليوم مدينة زاخرة بالحياة ،تضيئها مصابيح الكهرباء بالليل .. مدينة ذات شوارع وميادين ، مدينة فيها امن ونظام وحكومة ..

في تلك الايام ، قبل الحرب العالمية بسنتين لم يكن هناك من هذا كله شيء ..

دخلنا بالليل بلدا صغيرا مظلما ..

كان صاحبي قد اكترى لنا مسكنا لا تتصور بشاعته .. لا مياه ولا دورة مياه .. هناك زير في الحوش والى جانبه دروة من حصير .

وصرخت سميرة المسكينة وقالت :

ــ هنا بيتنا .. ؟

وفي صمت قمت فاشعلت مصباح زيت والتفت اليها وقلت ..

ــ نعم .. هذا بيتنا ..

ولم نتبادل كلمة حتى الصباح ..

المسكينة .. لا اكلت ولا نامت ولا اغتسلت طول الليل ، جالسة وراسها منكس ، ودموعها تجرى في صمت ..

هنا فقط ادركت حقيقة ما فعل بى الشيطان..

★ ★ ★

واشهد ان صاحبى الحجازى فعل كل ما يستطيع ..

حصل لنا على الاقامة ، واستاجر دكانا لى ، وبدات اعمل في تجارة القماش .. ولكن سميرة كانت تذبل شيئا فشيئا ..

والحق ان الحارة التى سكنا فيها كانت قبرا..
كنت اشعر وانا فيها انى في قاع بئر عميق جدا ..

وهذا هو الحق:لقد سقطنا في قاع بئر عميق..

كانت الحارة غاصة بالاعناز .. كانت اكثر من الناس .

كانت المسكينة سميرة تقضي اليوم ويدها على خدها وتقضي الليل وعيناها مفتوحتان ..

ماذا جرى لها ؟ .. الست الرجل الذي احبته وهربت معه ؟

قطعا لا .. لقد احبت شابا طموحا يعمل في محل تجاري ، ولكنها تزوجت لصا هاربا .. تزوجت لصا هرب بها الى « قرافة باب الوزير » كما كانت تقول ..

وكان كل شيء شحيحا : المادة والطعام والراحة والسرور ..

وصدق او لا تصدق ، من يوم نزلت المدينة لم امس امراتي هذه ..

لا انا جرؤت ولا هي ابتسمت مرة واحدة حتى اتشجع ..

★ ★ ★

وكان عزائي الوحيد قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، «الروضة الشريفة .. بعد صلاة العصر كنت اخلو في الروضة الشريفة ، وامسك بكلتا يدي شباك النبي ، واضرع اليه ان يسأل الله الغفران ، لي ويمنح سميرة شيئا من البشر .. ولكن .. باي وجه وانا السارق الهارب كنت استطيع ان ارجو رسول الله شيئا .. وقالت لي مرة :

ـ خذني الى شباك النبي ، اريد أن أمسك بيدي شباك النبي وأرجوه أن يفرّج عني .

واخذتها وامسكت بشباك الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبكت بكاء شديدا ، وقالت :

ـ اغفر لي يا رب .. سألتك الشفاعة يارسول الله .. ردني لأهلي .. لبلدي .. اغفر لي يا رب .

وبكيت معها .. وعدنا الى بيتنا ونحن لا نرى الطريق من فيض الدموع .. وفي منتصف الليل نادتني . كنت ارقا . وجدتها تبتسم فانشرح صدري فقالت :

ـ سيدنا النبي استجاب لي .

ـ خيرا ان شاء الله .

ـ سيردني الى بلدي ..

وشعرت كأن قلبي قد اختطف من صدري ، احسست كانني سافقد سميرة . ما كنت اتصور فكرة حرماني منها . ونظرت اليها في ضوء ذبالة الزيت التي كانت تضيء حجرة نومنا ، وجدتها قد نامت وعلى وجهها ابتسامة ، جعلت أتامل وجهها الفاتن ، وانحدرت دموعي ، بكيت نفسي .

★ ★ ★

بعد شهور قليلة ذهبت بعد العصر لأزور الروضة الشريفة ، كنا في شهر رجب ، وقد بدأ زوار العمرة يتوافدون على الحجاز ، ولكن الروضة كانت خالية تماما ، صليت العصر ، ثم اقبلت فلثمت شباك الحبيب وقلت ـ اغفر لي يا رب .. اشفع لي يارسول الله .. »

وسمعت من ورائي صوتا يقول :

ـ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشفع للصوص الخونة ..

وجمد الدم في عروقي ..

كان صوت سلامة بك ..

في سكون التفت خلفي ، وجدته جالسا في ركن ، ظللت واجما لحظة ، ثم تقدمت نحوه وركعت على قدمي وقلت :

ـ بحق المصطفى يا سيدي سلامة ما شعرت بالحياة لحظة منذ فعلت ذلك .

ـ اذن فانت تعترف .

ـ وهل يمكن أن اكذب في حضرة سيدنا المصطفى .

ـ لماذا فعلت ذلك يا خائن .. هل قصرت في حقك ؟ هل آذيتك مرة ..

ـ بالله يا سيدي لا توبخني .. انني اوبخ نفسي ليل نهار ..

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

ـ الشيطان يا سلامة بك .. الشيطان لعب بي ..

ـ ومالي ..

ـ عندي ، كاملا لم امسه .. اعيده لك الآن

اذا اردت ، ولكن سألتك بالله الا تفضحني .. المال في بيتي ..

ـ سر أمامي الى بيتك ..

وخرجنا معا ، عندما كنا بالباب التفت نحوه وقلت :

ـ ولكن قل لي .. كيف عرفت مكاني ..

ـ لم اعرف مكانك . ما كانت عندي فكرة انك هنا .. ولكنك عندما سرقت مالي اوقعتني في ضيق شديد ، كنت قد سافرت الى الاسكندرية لأشتري عمارة ، ودفعت فيها كل ما كان عندي ، ثم عدت الى مصر معتمدا على المال الذي في الخزنة وما تكون قد اودعته في البنك . لم اجد شيئا ووقعت في ضيق شديد جدا ، حتى اسعفني بعض اهل الخير من اصحابي التجار .. وخرجت من الازمة .

ـ وهل ابلغت البوليس .. ؟

ـ البوليس فقط ... لقد انقلبت الدنيا راسا على عقب بحثا عنك ..

ـ ثم عرفت أنني هنا ..

ـ قلت لك لا .. لم أعرف ، ولكن الشيخ عبد الرحيم شيخ الطريقة قال لي يوما بعد ان خرجت من الضائقة :

ـ اذهب الى الحجاز ، واقض العمرة ، وامسك بشباك المصطفى ، واشكر حضرة النبي ، لهذا أتيت ، لأشكر سيدنا ومولانا المصطفى عليه ازكى السلام ..

وبالامس في منتصف الليل كنت هنا وسألت النبي ان يدلني عليك ..

ـ وها هو ذا قد اتاك بي .. لقد أتيت ممتثلا لأمر الرسول ..

ثم وقفت جامدا،فنبهني بيده وقال فيم تفكر ؟

ـ في نفس اللحظة التي كنت انت فيها هنا رات سميرة زوجتي ان حضرة المصطفى سيعيدها الى بلدها .

ثم سرنا حتى وصلنا البيت ، في الطريق لحق بنا شاب . نظرت اليه فاذا هو ممدوح بن سلامة بك . نظر اليَّ طويلا دون أن يصدق عينيه ، ولكن اباه قال له :

ـ دعه يا ممدوح .. لقد أتانا به حضرة النبي عليه الصلاة والسلام ، سيعيد الينا مالنا ونتركه لحال سبيله ..

ولا اعتقد ان ممدوحا فهم شيئا .. ولكنه سار معنا ..

ودخلنا البيت ، وجلسنا في الحوش ، كان الحوش هو الصالة ومن حوله الحجر ..ودخلت واتيت بالمال في ربطته وناولته لسلامة . ولم ينقص منه الا خمسون جنيها ..

فتح الربطة وعد المال وقلت له :

ـ الخمسون جنيها آتيك بها ..

ودخلت سميرة بالقهوة ، ووضعتها امام الرجل ثم اجهشت بالبكاء وقالت

ـ لقد سمعت زوجي يكلمك . اعف عن زوجي انه مسكين ، الشيطان لعب به وبي .. فاطال الرجل النظر اليها وقال :

ـ من مصر انت يا صبية ؟

ـ خدامتك سميرة بنت مصطفى افندي ادهم..

فحش الرجل وقال :

ـ اذن انت التي خطفك المجرم .. اهلك كادوا يموتون حزنا عليك ..

ـ كيف حال امي .. وابي .. ؟

ـ لم يذوقا طعم السعادة من يوم خطفك هذا الرجل ..

لم يخطفني يا سيدي . لا تظلمه .. انا ذهبت معه .. تزوجنا .. الشيطان خدعنا ..

ثم سكتت لحظة وقالت :

ـ اذن الناس غير ساخطين عليَّ في مصر .

ـ انهم حزينون عليك يحسبون ان هذا الرجل خطفك .

ـ اذن ساعود الى اهلي معك .. حضرة النبي الحبيب ارسلكم لكي تعيدوني الى وطني .. فنظر اليَّ الرجل وقال :

ـ دعها تعود معنا الى أهلها . .

ـ هي حرة يا سيدي .. لقد ظلمتها معي ..

انني لا اتصور حياتي بدونها .. ولكن تلك مشيئة الله ، وانا احبها ، ولا اريد الا سعادتها ..

ـ اذن طلقها ..

فسكت طويلا وانسابت دموعي ثم قلت :

ـ هي طالق لوجه الله .

وشهقت هي باكية .. وساد الصمت .

★ ★ ★

في الصباح عاد سلامة بك وابنه ليأخذوا سميرة ..

كنا قد قضينا بقية الليل في بكاء .. ولكنها حزمت متاعها ..

وقال سلامة بك :

ـ سميرة .. ابني ممدوح يريد ان يتزوجك وانا موافق .

وقال ممدوح : في حياتي ما رأيت أجمل من هذا الوجه .

وقال سلامة : ولا انا .. تبارك الخلاق .. لا تخافي يابنتي .. سادبر امر صلحك مع اهلك .. وانت ايها التعس لا تخف .. لن اقول لأحد اين انت بشرط ان تعاهدني على ان تظل بقية حياتك هنا .

ـ واين اذهب وسجون مصر في انتظاري ..؟

ومضي ثلاثتهم وتركوني وحيدا ..

★ ★ ★

كان اذان الصلاة للمغرب قد تعالى عندما بلغ الشيخ العجوز هذا المبلغ من قصته .. رايته يبكي في سكون ، كان شرقا بدموعه .. انتظرت حتى خف انفعاله وحل نشيجه ثم نظرت اليه اطالبه ببقية الخبر .

فاشعل سيجارة ثم قال :

ـ ما زلت اراها تسير بين الرجل وابنه تبتعد عن ناظري في الحارة الضيقة بين الأعتاز . كنت غائبا عن الوجود تقريبا .

ثم توقفوا وعادت نحوي تمشي على مهل . عندما صارت امامي هوت يدها نحوي بكيس وقالت :

ـ يعز عليّ أن افارقك يا محمود . كنت اتمنى ان أعيش عمري كله الى جانبك ، ولكنك ترى اننا هنا ميتان . انت ميت وانا ميتة .

ـ انني افهم ذلك تماما .. صدقيني انني بعدك جسد بلا روح ، ولكني لا استطيع ان احكم عليك بهذا الموت البطيء .. انني احبك ، احبك جدا ، ولهذا طلقتك ولهذا تركتك تذهبين .

ـ ساكون معك دائما يا محمود .

وبعد لحظة صمت :

ـ خذ هذه .. انها مائة جنيه ..

ـ لا أريد من سلامة بك شيئا ..

ـ انها مني .. انها صداقي الذي سيعطيني اياه عند عقد الزواج ..

وترددت لحظة ثم اخذتها ، لا لانها نقود ، بل لانها شيء من ناحيتها .. وقلت ..

ـ اذهبي الآن يا سميرة .. اذهبي مسرعة .. اذهبي قبل ان يحدث لي شيء ..

وتنفس في عمق ونفث الدخان في الهواء ، ثم قال :

ـ وعشت بعدها الى اليوم .. قل انني بقيت في قيد الحياة ، أمشي بلا روح ، افتتحت ذلك المطعم لانني كرهت القماش ، وتجارة القماش ، وتزوجت لمجرد أن ابقى حيا . لا يجوز أن يقتل الانسان نفسه في حرم سيدنا رسول الله .. ومرت السنون وتغيرت الاحوال وانجبت بنتا سميتها سميرة ..

وفي كل يوم بعد صلاة العصر اذهب الى الروضة الشريفة واصلي وامسك بشباك سيدنا رسول الله واقول : كيف حالها يا ترى .. لقد خرجت من مصر لكيلا اصبح صرصورا فتحولت الى دودة .. دودة تعيش تحت الارض لانني اتبعت الشيطان .. آه من الشيطان . ■■

حسين مؤنس



استطلاع عنابة

العدد ١٧٨ شهر سبتمبر ١٩٧٣

● طالعتنا مجلة العربي بتحقيقها لمدينة عنابة الجزائرية الواقعة في اقصى الحدود الشرقية للجزائر ، ونود ان نعقب على ما جاء في هذا الاستطلاع بما يلي :

ان مدينة عنابة التي يريد القراء معرفتها ـ كما تصور ـ هي تلك المدينة الجميلة في مناظرها الخلابة،وحدائقها الغناء ، واوجه البناء والتشييد التي تنجزها يوميا مما يجعلها في طليعة المدن العربية الرائدة ، ولو اردنا ان نتكبد القليل من المتاعب لوقفنا على مصانع الحديد والصلب والفوسفات والنسيج والاسماك وحفظ الغلال وتعليبها ، وكلها من منجزات سنوات قليلة من عودة السيادة الى القطر العربي الذي ظل تحت وطأة الاحتلال مدة ١٣٢ عاما.ولو تصورنا ان مصنع الحديد والصلب يعطي البلاد اليوم مليونا ونصف مليون من اطنان الحديد نصف المصنع ، وينتج ٧٠٠ كلم من تمديدات النفط .

على ان الذي يجدر بنا ذكره هو ان الباحث الكريم ، كاتب التحقيق ، كان غاية في النزاهة والتجرد في حديثه عن واقع الجزائر وعن احداثها الاليمة التي عاشتها في عهد الاحتلال ، وما تزال تعيش رواسبه ومخلفاته حتى الآن .

عربية من منطقة عنابة

استطلعوا كركوك

● ان العربي ليست مجلة وانما هي كتاب كل عربي متطلع ومتشوق للعلم والمعرفة . ولهذا ارجو منكم استطلاع كركوك . وكركوك احدى المدن العراقية المشهورة باستخراج النفط فيها . وقد قمتم باستطلاعها قبل عشر سنوات ولكنها اليوم قد تطورت وتغيرت معالمها . فارجو منكم ان تستطلعوها في اقرب فرصة . وفي الختام ارجو لكم دوام التقدم في خدمة كل عربي .

طه محمد شاكر الدباغ

كركوك ـ العراق

ابو الكلام ازاد

بقلم الدكتور عبد المنعم النمر

العدد ١٧٥ شهر يونيو ـ حزيران

● مضافا الى ما جاء في هذا المقال النفيس ، ارى ان اشير الى الاستاذ الاول الذي كان له فضل توجيه آزاد وجهته الاسلامية ، مما بدا اثره واضحا في مجلته الهلال . هذا الاستاذ العظيم هو السيد ناصر حسين الذي كان في عهده من اكبر علماء الهند واوسعهم مدارك واكثرهم عملا في الاصلاح .

كما لابد من الاشارة الى ان ابو الكلام كان احد ثلاثة يؤلفون لجنة القمة لتحرير الهند . والاثنان الاخران هما : جواهر لال نهرو وديلبه بهائي باتل .

حسن الامين .

تصويب

● لقد اطلعت على العدد ١٨٠ في مقالته « عقوق الوالدين » للدكتور علي احمد علي حيث لاحظت الآتي :

١/الآية (١٠٢) من سورة « الصافات » جاء فيها (فلما بَلَغَ معهُ السَعْيَ قال يا بُنَيَّ ، اني ارى في المنام اني أذبحك ، فانظر (ما ترى) . والصحيح (فانظر ماذا ترى) الآية .

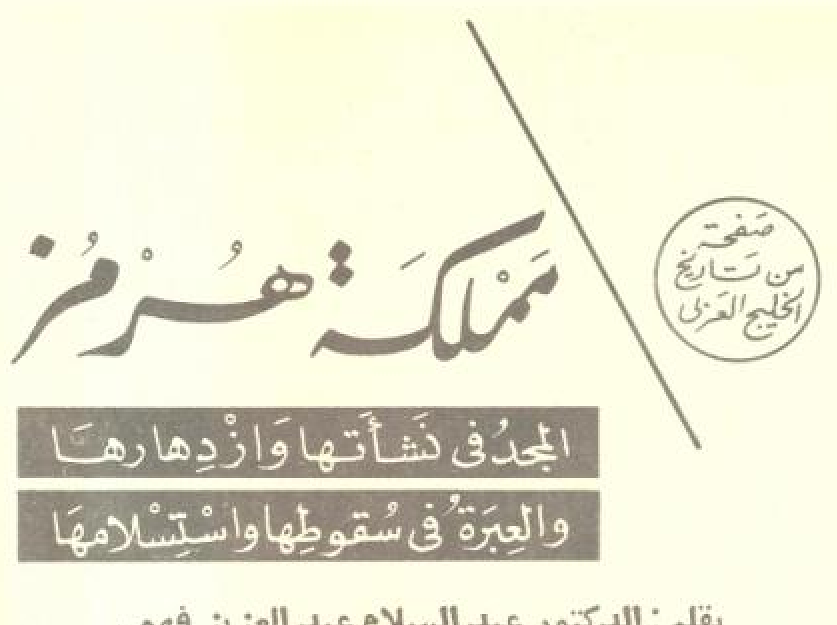
٢/ في الآية (٤٦) من سورة مريم (قال سلام ساستغفر لك ربى) الآية .

والصحيح (قال سلامٌ عليكَ ، ساستغفرُ لكَ ربّي ، انه كان بي حَفِيًا) .

امل تصحيح ذلك ولكم تحياتي وتقديري .

سعيد مسعود الاحمدي

جدة / المملكة العربية السعودية



بقلم : الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي

■ امتازت العصور الوسطى بوجود امبراطوريات وممالك بحرية تتمثل في مدن ساحلية اختار اهلها تجارة البحر سبيلا الى الرائهم ، وتمكنوا من بسط نفوذهم وسلطانهم على بلاد تبعد عنهم الاف الاميال، وسخروا لذلك الاساطيل والجنود واحتكروا تجارة الشرق والغرب واضطروا الى محاربة من يقف في طريقهم أو يعترض سبيلهم . وكانت للمدن الايطالية من قبيل جنوة Genoa والبندقية Venice السهم الوافر والشهرة العريضة في هذا المضمار . وتحدث المؤرخون عن كلا المدينتين التجاريتين وافاضوا في الحديث عنهما ، واعطونا صورة واضحة لما كانت عليه تجارتهما وقوتهما البحرية وبلاط ملوكهما ، وما قدموه للبشرية من خدمات انسانية وازدهار ومدنية .

ونحن العرب ، كانت لدينا امبراطورية بحرية تضارع جنوة والبندقية قوة وعظمة وثراء . وتزيد عنهما تجارة وتمدنا . ونالت شهرة عريضة في اوروبا تمثل فيها سحر الشرق وجماله ، الا وهي مملكة هرمز Ormyz تلك المملكة التي كانت في يوم ما متربعة على مدخل الخليج العربي ومالكة زمام التجارة العالمية عنده .

أردشير بن بابك مؤسس مدينة هرمز

بدأت هرمز تدخل التاريخ كمدينة ساحلية عندما اسسها أردشير بن بابك مؤسس الامبراطورية الساسانية (٢٢٤ - ٢٤١ م) . وكانت طوال العصر الساساني مركز اقليم كرمان التجاري . واشتهرت بتصدير الغلال والارز والعنب والنيلة التي تشكل محاصيل كرمان وما يجاورها من مقاطعات ايرانية . كما كانت تصدر منها الخيل الفارسية الى الهند .

وازدادت اهمية هرمز بعد الفتح الاسلامي ودخول العرب ايران ، فاخذت المدينة صبغة عربية خالصة ، وهاجر اليها جموع غفيرة من القبائل العربية من عمان ونجد واليمن واتخذوها قاعدة تجارية يوجهون منها سفنهم الى سواحل الهند وشرق افريقيا وبلاد الصين .

واستمرت هرمز تحتل مركز الصدارة في التجارة البحرية وانصرف اهلها الى العمل التجاري دون سواه الى ان سقطت بغداد وقضت جحافل المغول على الخلافة العباسية وحينئذ لم تسلم هرمز من الفوضى الضاربة اطنابها في بلدان الخلافة الشرقية واصبحت عرضة لغارات البدو الرحل والعشائر

التركية التى زحفت على ايران واستقرت في اجزاء عديدة من مقاطعاتها منتهزين فرصة ضعف جيوش ملك هرمز البرية لاهتمامه بالقوة البحرية وعجزه عن ايقاف تيار حملات المعتدين .

المغول وتدمير هرمز

تمكن فرسان المغول في سنة ١٣٠١ م (٧٠١ هـ) من الاغارة على المدينة والاستيلاء على كل شيء نفيس فيها وذبحوا الكثير من اهلها ، ولم يستطع ملكها بهاء الدين اياز السيفي ان يفعل شيئا امام هذا التيار المدمر،واضطر ازاء ما لحق به وبشعبه من اضرار الى ترك المدينة واخلائها ، واستقلوا مراكبهم واتجهوا اول الامر الى جزيرة قيس حيث استضافهم شيخها العربي . والظاهر ان الملك بهاء الدين وجد في اقامته بجزيرة قيس مكانا غير مناسب له ولشعبه فهاجر منها قاصدا جزيرة « جرون » التى لا تبعد كثيرا عن مدينة هرمز والتى كان قد تركها خاوية منذ مدة .

ويعتبر بهاء الدين السيفي الملك الخامس عشر من حكام هرمز القدماء وآخرهم ، وفي نفس الوقت اول ملك جديد على هرمز الجديدة .

امبراطورية هرمز الجديدة

اخذت جزيرة جرون في وضعها الجديد والتى سميت بهرمز تيمنا باسم المدينة التى تركها الملك بهاء الدين وشعبه ، تنتعش اقتصادياتها ويزاول اهلها التجارة ، ولم تمض فترة وجيــزة حتى استعادت هرمز سابق مجدها واصبحت عاصـــمة لامبراطورية اشتملت على جزء كبير من ســواحل شبه جزيرة العرب من ناحية وعلى سواحل ايران الجنوبية من ناحية اخرى . وامتد نفوذها الادارى على طول الخليج حتى البصرة ، واستمرت كذلك قرابة مائتى عام حتى سيطرة البرتغاليين على المياه الشرقية واستيلائهم على هرمز ضمن ما استولوا عليه من بلاد اسلامية .

تمجيد الرحالة ماركوبولو الايطالى لمملكة هرمز القديمة

وزار الرحالة ماركوبولو هرمز في سنة ١٢٩٢ ، واعطانا وصفا شائقا للمدينة ، فذكر انها « مدينة عظيمة ونبيلة على البحر » ، وتحدث عن العادات الاجتماعية لشعب هرمز ونشاطهم التجارى . وكان شرحه يتصف بالشاعرية ، منها انه عندما يأتى التجار الى هرمز قادمين من الهند بسفنهم محملة بالتوابل والاحجار الكريمة واللؤلؤ والقماش ليبيعوها لتجار هرمز فهؤلاء بدورهم يحملـون هذه الاصناف الى جميع بلاد العالم لبيعها ثانية .

الشريف الادريسي ووصفه لهرمز

ولدينا وصف آخر لهرمز القديمة ذكره الادريسي في كتابه « الممالك والمسالك » الذى دونه في القرن السادس الهجرى ، اى قبل رحلة ماركو بولو بقرنين من الزمان ، يذكر فيه ان « هرمز هى السوق الرئيسية لمقاطعة كرمان ، وهى مدينـة واسعة حسنة البنيان ، والمناخ حار لذلك ينمو النخيل بكميات كبيرة في منطقتها ، ويزرع فيها الكمون والنيلة التى لا مثيـل لها في نوعها حتى اصبحت مضرب المثل وتصدر بكميات وفيرة . ويصنع فيها السكر من القصب ، والشعير يشكل طعام السكان وهو الانتاج الزراعى الرئيسى ، والمنطقة تنتج تمرا ممتازا . وهرمز مبنية علــى ضفاف خور يقال له « هيز » وتصل السفن الى المدينة بواسطة هذا القنال » .

وقد اجمع المؤرخون المسلمون امثال الادريسي والاصطخرى والمقدسي ان شعب هرمز خالط الكثير من تجار الشرق حيث كان يؤمها تجار ايرانيون وهنود وزنوج وبلوش وترك وعرب واوروبيون ، لدرجة كانت تظهر المدينة بما تحويه من مختلـف الاجناس والاشكال واللغات كمنطقة تجمع عالمية وان احتفظت بطابعها العربى الاسلامى .

وقد نضيف الى ذلك ما كان يقوم به التجـار العرب من اهل هرمز من زيجات غير عربية اوجد نسلا جديدا ، لا هو بالعربى ولا هو من الاجناس الاخرى ، بل هو خليط من اجناس متعددة وان اتفق شعب هرمز على عروبة اللغة والجنس .

ابن بطوطة وزيارته لهرمز

وجزيرة هرمز من المناطق التى زارها الرحالة العربى ابن بطوطة ، وذلك في رحلته الاولى التى

قام بها في المدة من ١٢٢٥ الى ١٣٤٩ ميلادية ، وذكر لنا وصفا ممتعا من هرمز وسلطانها وتجارتها وحياتها الاجتماعية ، وآخر المطاف يعطينا صورة رائعة لما كانت عليه هرمز من عظمة وثراء .

بدا ابن بطوطة حديثه بانه سافر من بلاد عمان الى بلاد هرمز ، وقام اولا بزيارة المدينة القديمة التي وجدها خاوية متهدمة لا حياة فيها وليس بها سوى القليل من صيادي السمك الذين اتخذوها ملجأ لهم لقضاء اوقات الراحة ، وتقابلها من ناحية البحر هرمز الجديدة وبينهما ثلاثة فراسخ (المعادلة لخمسة أميال) .

وفي وصفه لهرمز الجديدة ذكر انها حسنة كبيرة لها اسواق حافلة ، وانها مرسى السند والهند ، ومنها تحمل سلع الهند الى العراقين وفارس وخراسان وان سوقها مجهزة احسن تجهيز . وفي المدينة يسكن السلطان قطب الدين ووصفه بانه من كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الاخلاق ، ووجده مشغولا مهيأ للحرب مع ابني اخيه نظام الدين ، كما ذكر انه استقى معلوماته التاريخية عن مملكة هرمز من كل من وزير السلطان شمس الدين محمد بن علي والقاضي عماد الدين الشونكاري .

اما عن وصفه لسكانها العرب ، فذكر انهم يعيشون على السمك والتمر الذي يجلب من البصرة وعمان ، وعندهم مثل يقول « السمك والتمر طعام الملوك » ، وماء الشرب غالي الثمن وهناك صهاريج وخزانات صناعية لجمع ماء المطر والناس يذهبون للاستسقاء منها بآنية كبيرة (قرب) حيث يملؤونها ويحملونها على ظهورهم .

الرحالة الاوروبيون وهرمز

وجذبت شهرة هرمز وعظمتها انتباه عدد من الرحالة والسياح الأوروبيين ، منهم « لودفيج وارتمان Ludowig Wartheman » الذي زار الجزيرة في حدود سنة ٩٠٩ هجرية ، قبل استيلاء البرتغاليين عليها وشاهد عظمتها ، ومما ذكره عن هرمز « كان يوجد في ميناتها احيانا ما يزيد على الثلاثمائة سفينة تجارية لمختلف بلاد العالم راسية على ارصفتها ، ويقيم فيها بصفة دائمة اربعمائة تاجر ، وان تجارة هرمز اكثرها اللؤلؤ والحرير والأحجار الكريمة والادوية والتوابل » .

اما ما ذكره الاب راينال Pérre Raynal فكان رائعا ، منها « كان الناس يفدون الى هرمز من جميع انحاء العالم ، ويتبادلون السلع ويعقدون الصفقات التجارية في جو من الادب والرعاية مما يندر مثله في اي مكان تجاري آخر . والشوارع مغطاة بالحصر وفي بعض الاماكن بالسجاجيد . وتزين المنازل الأصص الذهبية والخزف والصيني المليء بالورود والأزهار وكان السكان يشاهدون وهم يتناولون اطايب الطعام جماعات وبكميات وفيرة » . ويختتم الأب راينال حديثه بان الرخاءالعام والتجارة الواسعةوالكياسة في الرجال والمروءة في النساء كل ذلك ، وحدت سلوكهم وجعلت المدينة مركزا للسرور والبهجة .

وثالث شخصية نذكرها من الرحالة الاوروبيين وقد فاق غيره في وصف هرمز ، هو الرحالة البرتغالي « دوارت باربوسا Durte Barbosa » الذي قام برحلته في سنة ١٥١٨ ميلادية اي قبل وصول البرتغاليين الى هرمز كمحتلين غاصبين ، فذكر « ان المدينة ليست كبيرة على قدر ما هي جميلة ، ففيها مبان عالية من الحجر والطين ذات سقوف منبسطة ونوافذ كثيرة وكلها مبنية بطريقة تمكن الهواء من ان يهب من الطوابق العالية الى المنخفض حينما يحتاجون اليه . وتجار هذه الجزيرة من العرب والايرانيين،وكلهم من المسلمين، يسيرون مرتدين اردية حريرية من الانواع الغالية، ويتمنطقون باحزمة يعلقون بها خناجرهم المزينة بالذهب والفضة حسب نوعية من يلبسها وقدرته المالية ، وهم رماة مهرة وسهامهم مدببة الاطراف، وفي ايديهم قسي تركية تحقق رميا بعيد المدى ، ويحمل آخرون بلطات صغيرة وصولجانات حديدية ذات اشكال عدة موشاة بنقوش دمشقية غالية . وأكلهم اللحم المطبوخ وخبز القمح والأرز الممتاز ومختلف انواع الفواكه الطازجة والمجففة ، وماء شربهم ممزوج بقليل من المستكة ويضعونه في مكان بارد ويستخدمون طرقا عديدة لتبريده .

وعندما تعرض باربوسا لمنازلهم ذكر أنها غاية في الفخامة والنظافة ، وبيوت اثريائهم اشبه ما تكون بالمتاحف لما تحويه من تحف وقطع الاثاث الواردة من الهند والصين والسجاد الايراني الفاخر

والقناديل المصرية ذات النقوش الشرقية البديعة . وهم يستقبلون ضيوفهم بالترحاب ، ويتناول الحديث موضوعات عن التجارة والسياحة والآداب وفنون الحرب، كما ان لذوى المراكز منهم منازل ريفية في البر الأصلي حيث يذهبون اليها في فصل الصيف وقضاء فترات صيد وقنص .

استيلاء البرتغاليين على هرمز

نجح البرتغاليون في اوائل القرن السادس عشر الميلادى ـ وهم رواد الاستعمار الأوروبى انذاك ـ في احتلال عدد من المدن على شواطىء بحر العرب والخليج العربي وبعض جزره منها مسقط وعمان وصحار وخور فكان وكانت آخرهم هرمز وممتلكاتها . وبذلك تمت لهم السيطرة الكاملة على مناطق الخليج فيما عدا الاحساء التى بسط الاتراك العثمانيون سيادتهم عليها. وكان الهدف الاساسى من التوسع البرتغالى الوصول الى الهند والشرق الاقصى مباشرة دون الحاجة الى توسط المسلمين العرب والبنادقة في نقل التجارة .

ولم يجد سيف الدين ، ملك هرمز ، وكان فتى صغير السن ، بدا من نزال البوكيرك قائد البرتغاليين . وكان يدير امور الدولة احد افراد اسرته ويدعى الشيخ عطار وكان رجلا حاذقا شجاعا . وبدأ استعداده عندما سمع بما فعله البوكيرك في البلدان التى مر بها والتابعة لهرمز واصدر أوامره بمنع السفن الراسية في الميناء من مغادرته ، واستاجر جنودا من العرب والفرس والبلوش ، واستنفر ملوك المسلمين لنصرته ، والتمس من الشاه اسماعيل الصفوى العون والمساعدة ، لكن الشاه الصفوى لم يكن في وضع يسمح له بمساعدة احد اتباعه ؛ فقد كان صراعه مع سلطان العثمانيين قد ملك عليه حواسه وجهده ورجاله ايضا ، وكانت معركته مع الدولة العثمانية في الشمال الغربي من بلاده تحول دون ارسال جزء من قواته لهرمز ، ولم يعر حملة البوكيرك اهتماما ، وتصور انها نوع من المناوشات الطائشة تتلاشى بالسرعة التى بدات بها . ولم يفعل سوى ان طمان رسول سيف الدين ملك هرمز ووعده الخير كله واهتمامه بشئون الامبراطورية وعدم سماحة لأى مغير بعبث بالاراضى الايرانية .

ثلاثون الف جندى ، واسلحة من السهام والنبال !

واستطاع سيف الدين ملك هرمز ومن خلفه الشيخ عطار ان يجمع ثلاثين الف جندى محارب استقروا على الشاطىء حاملين اسلحة قديمة معظمها من السهام والنبال والسيوف ، والقليل منهم كان يحمل البنادق الحديثة . وفي البحر كانت اربعمائة سفينة ترفع الاعلام الاسلامية منها ستون وحدة ذات حجم كبير عليها الفان وخمسمائة من البحارة العرب .

والبوكيرك ، ومعه ٢٠٠ سفينة بالمدافع

ومن الناحية المقابلة كان البوكيرك قد جمع قواته في مواجهة الميناء موزعة على مائتى سفينة صالحة للقتال مزودة بالمدافع . وبدات سفن البرتغاليين تقذف حممها على المدينة وتحدث دويا هائلا وخسائر مروعة نظرا لتكدس المدافعين ووقوفهم في مواجهة العدو في منطقة لا يزيد طولها على ثلاثة اميال .

وشعر المدافعون من اول وهلة ان لا طاقة بمنازلة البوكيرك، وايقنوا ان تضحياتهم وشجاعتهم لا تجدى شيئا ازاء قوة المدافع البرتغالية والبنادق الحديثة والاسلحة المدمرة .

وحاول البوكيرك ان يثنى ملك هرمز عن مواصلة الحرب ، ويدخل في طاعة ملك البرتغال وتابعا له ومناه بتثبيته على مملكة هرمز ان فعل ذلك في مقابل دفع قيمة الخراج التى كانت تسدد سنويا لشاه فارس الصفوى . ورفض الشيخ عطار قائد جيوش ملك هرمز اى نوع من الاستسلام ، وكان يرى مراوغة العدو وتفويت الفرصة لعله تصله نجدات من شاه فارس او السلطان العثمانى او شيوخ عرب الخليج .

قتال غير متكافىء

ولم يجد البوكيرك بدا من اقتحام الميناء وتدمير قوة ملك هرمز بعد ان شعر بخوف قواته من منازلة المسلمين العرب ، فقام بحملة جريئة على سفن ملك هرمز ودار قتال عنيف غير متكافىء بدات

بعدها سفن هرمز تتهاوى الواحدة تلو الاخرى في قاع البحر ، وارتفعت السنة النيران من السفن وعلا الدخان وغطى سماء المعركة . وعندما لاحت في الافق بوادر الهزيمة حاولت كل مركب النجاة بنفسها خوفا من وقوعها في ايدي البرتغاليين الذين حالوا دون ذلك وانتهت المعركة على هذا النحو المزري بهزيمة ملك هرمز وانتصار البرتغال وعرض سيف الدين على البوكيرك الاستسلام فارسل سفينة برتغالية حملته اليه .

واستسلم سيف الدين

ووقع سيف الدين شروط الاستسلام ، على ان يدفع غرامة حربية وجزية سنوية ، واعطى البرتغاليين مزايا في المعاملات التجارية منها عدم دفعهم جمارك اكثر مما يدفعه الوطنيون من ابناء هرمز على البضائع التي يشترونها من هرمز والموانى التابعة لها ، واعفاء البضائع التي ترد من البرتغال من الضرائب . واشترط البوكيرك عدم اشتغال اي سفينة وطنية في الخليج دون اذن من السلطات البرتغالية . وكان آخر شرط انتزعه البوكيرك هو حصول البرتغال على قطعة ارض جزيرة هرمز يبنى عليها قلعة ، وقد ارسى البوكيرك حجر اساس البرج الرئيسي منها في شهر اكتوبر سنة ١٥٠٧ ميلاديه وتعهد الملك سيف الدين بتقديم الخامات والعمال اللازمين لانجاز القلعة .

ولم يغادر البوكيرك هرمز الا بعد ان اسس وكالة تجارية في المدينة زودها بالعديد من مختلف البضائع التي تروج في الشرق ، وامر بان تباع باسعار زهيدة حتى يقبل الناس على شرائها ويرغبها تجار هرمز على غيرها من المنتجات الأوروبية .

وثيقة الاستسلام

وهكذا وقع سيف الدين ملك هرمز وثيقة استسلامه بعد ان خاض معركة يائسة جمع فيها كل ما قدر عليه ، وحاول جاهدا ان يسمع صوته الى كافة بلاد المسلمين ينذرهم بالخطر ، خاصة بعد ان وجد البرتغاليين متمادين في استغلال بلاده وجعلها مركزا ، ليس للتجارة فحسب ، بل انطلاقة للمبشرين لنشر الديانة المسيحية ، الا ان صوته لم يتعد جزيرته ؛ فقد كان مغلوبا على امره ، مهدرة" كرامته مسلوبة" ارادته .

وباشر البوكيرك بنفسه تنفيذ مخططه الاستعماري، وهو القضاء على السكان الوطنيين من عرب وايرانيين وغيرهم ، وكانوا يعدون البعض بحجة خطرهم على الامن ومعاداتهم للنظام البرتغالي ، ويفتشون منازل البعض الآخر وينهبونها ويستولون على ما فيها من ذهب ومجوهرات وتجارة متذرعين في ذلك باوهى الاسباب . ومنعوا الصلاة في المسجد الجامع واعتبروا عدم التعاون مع البرتغاليين سادة هرمز الجدد جرما يعاقب مرتكبه بالاعدام . ووصل الامر الى حد ان الناس كانوا يهيمون على وجوههم ومعهم اسرهم بعد طردهم من منازلهم ولا احد يقدر على مد يد المساعدة لهم. وخرج البوكيرك عن طور الآدميين ؛ فكان يطرب عند مشاهدته القتل والسلب وهتك الاعراض ويتلذذ عند رؤيته بيوتا تنهار على من فيها ويمعن النظر في الوجوه المجدوعة الانوف والمقطوعة الايدي .

تحول الاستسلام الى معاهدة ضد العثمانيين

ونظرا لكون مملكة هرمز تخضع اصلا" لنوع من السيادة الايرانية تمثلت في دفع خراج سنوى فقد امر البوكيرك بقطعها ، واعلن الشاه اسماعيل الصفوي استنكاره للاعتداء البرتغالي على اراضيه وطالب المعتدين بالانسحاب . ولما لم يجد بدا امام قوة البرتغاليين الصاعدة ارسل مبعوثيه لمفاوضة البوكيرك حول تقسيم النفوذ في المنطقة الجنوبية من بلاده وتخطيط الحدود ، وهي المفاوضات التي انتهت فيما بعد في سنة ١٥١٥م بتوقيع معاهدة بين دولة فارس والبرتغال سلمت فيها ايران بالسيطرة البرتغالية على هرمز بينما تعهدت البرتغال بالوقوف بجانب ايران ضد الدولة العثمانية .

هرمز تحت حكم البرتغال

وزار عدد من السياح الاوروبيين هرمز وهي

تحت الحكم البرتغالى ، منهم السائح الفرنسي « تافرنييه Taverner » الذى قام برحلة الى ايران وزار خلالها هرمز وذكر انه كان بها ثلاثة آلاف منزل ، وان سكانها الاصليين من الاعراب المسلمين، ويوجد بينهم اقلية مسيحية تقيم بينهم، وتعداد سكانها .؛ الف نسمة يشتغل غالبيتهم بالتجارةويحتكرون تجارة ايران والجزيرةالعربية.

ويذكر المستشرق بارتولد عند تاريخه للاستعمار البرتغالى لهذه الجزيرة ، انه كان يسكنها ثلاثة آلاف اسرة على النحو التالى : خمسمائة اسرة برتغالية وثلاثمائة اسرة هندية ، وثمانمائة أسرة من عبدة الاصنام ، والف ومائتا أسرة مسلمة ، وعلاوةعلىالمساجد المنتشرة في انحاء الجزيرة يوجد ايضا كنائس كاثوليكية .

ونشطت التجارة في هرمز مرة ثانية وحازت مقاما شامخا في ظل الاستعمار البرتغالى الذى ظل قرابة المائة عام مركزا لتجارة اللؤلؤ الذى يستخرج من البحرين وسيلان ويحمل الى هرمز حيث تتناوله يد العمال المهرة لصقله ثم بيعه في مختلف أسواق العالم . ولكن الفائدة كلهـا كانت تعود على البرتغاليين ولم يكن نصيب العرب منها الا النذر القليل . كما اشاد بجمالها السياح والتجار المسلمون على السواء ، وتعرضوا لاهميتها التجارية وثروتها الخيالية ومركزها الاستراتيجى الهام واعطونا وصفا رائعا لقـلاع الجزيـرة واستحكاماتها ومآذنها العالية وكنائسها الجميلة واسواقها العامرة بالتجارة .

نهاية هرمز

استمر حكم البرتغال لجزيرة هرمز حتى عام ١٦٢٢ ميلادية وظهرت عوامل عديدة أودت بالحكم البرتغالى للمنطقة العربية منها المنافسة الهولندية والبريطانية وظهور ملوك في ايران من القوة التى مكنتهم من طرد الغاصب . وهكذا انتهز الشاه عباس الكبير الصفوى فرصة انتهاء مرحلة من مراحل الصراع مع الدولة العثمانية واستطاع ان يتفرغ للجنوب وان يحصل على تعاون العرب النازلين في اقليم لار . ومن جهة اخرى كان الانجليز قد بداوا يوثقون صلاتهم التجارية مع فارس وتوسع اهلها في منح هذه الامتيازات في نظير اكتساب تعاونهم معه ضد البرتغاليين .

انتزع الشاه هرمز من ايدى البرتغاليين، ثم أمر بتدميرها

وامر الشاه عباس الكبير والى فارس امام قلى خان ان يستعد لنزال البرتغاليين بعد ان اوقع بهم هزيمة منكرة في البحرين وطردهم منها والعمل على اعادة هرمز الى الوطن الام ويؤمم مخازن التجارة البرتغالية . وفعلا قام القائد الايرانى بما وكل اليه خير قيام واستولى على جزيرة هرمز وانتزعها من ايدى البرتغاليين وجعل المدينة نهبا لجنوده ، ثم امر بتدميرها وكان ذلك في سنة ١٦٢٢ .

بندر عباس مكان هرمز

وخلفت" هرمز بلدة" تواجهها ، كانت تسمى « جمبرون » وتتبع ايضا للبرتغاليين ونقل اليها الشاه الصفوى الوكالة البرتغالية القديمةوجعلها مركزا للتجارة العالمية واسماها « بندر عباس » اى ميناء عباس ، وطلب من الدول الاوروبية ان تساهم في تنشيط الميناء الجديد لانه راى ان مكانه افضل من الناحية التجارية من هرمز .

ورغمان بندر عباس قد حلت محل هرمز وورثتها واصبحت مركزا للتجارة عبر البحار الا ان الميناء الجديد لم يبلغ مكانتها وشهرتها . ولا غرابة ان هرمز لم تحصل على شهرة تجارية فحسب ، بل حصلت على شهرة في عالم الادب عندما وصفها بعض الكتاب والشعراء ، وعلى راسهم الشاعر الانجليزى الكبير « ملتون » Melton في ديوانه « الجنة المفقودة » .

وفي ختام حديثنا نذكر بيت شعر انجليزى عن هرمز يقول « اذا كان العالم مجرد خاتم ــ فان هرمز ستكون جوهرته » .

— If all the world were but a Ring .
— ormuz the diamond should bring .

لنؤكد ما ذكرناه من ان هرمز كانت تحوز شهرة عالمية يلزمنا تسجيلها وسرد تاريخها . ■■

عبد السلام عبد العزيز فهمى

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٧٤

(٥٤)

مأساة كريولانس

تأليف : وليم شكسبير

تقديم : يان كوت

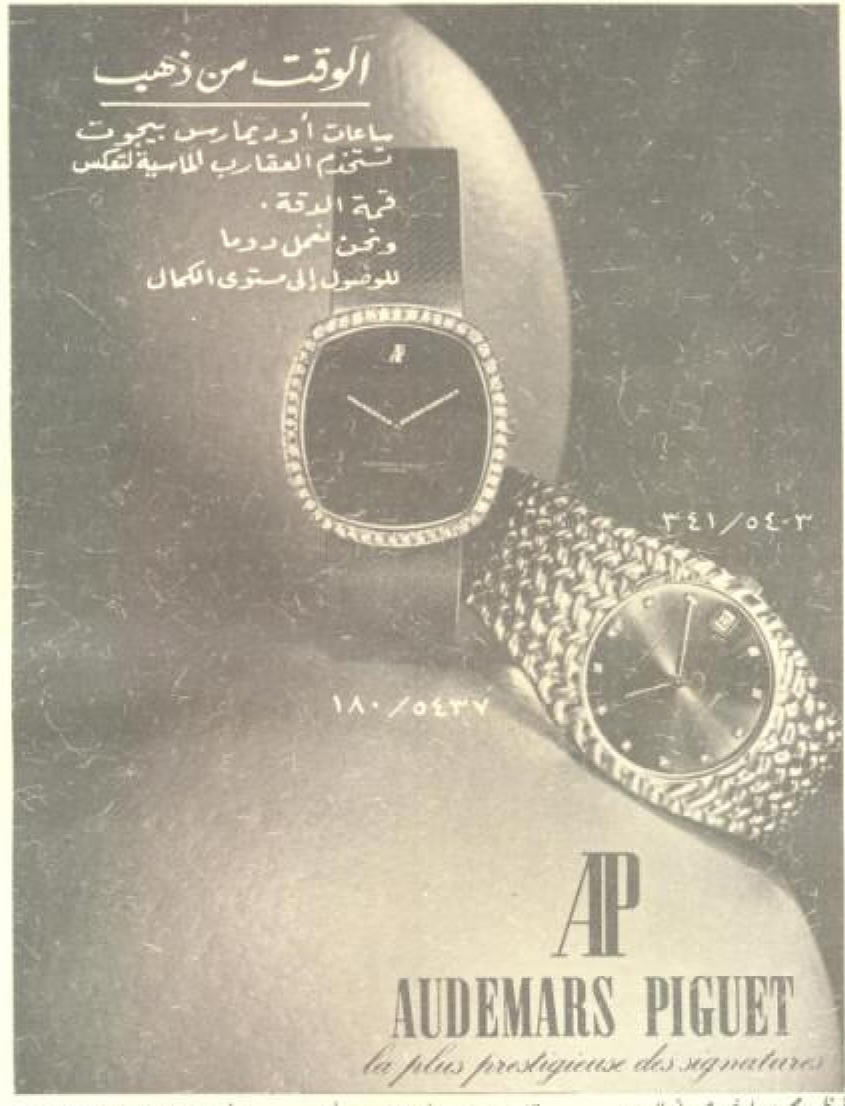
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

لكَ منّا دومًا
الأكثر.. تنوعًا وجمالًا

بعض الأفراد يفضل الانتقال إلى أمكنة
العمل والاجتماعات بسيارات كبيرة أنيقة وفخمة.
والبعض الآخر يفضل اقتناء سيارات متوسطة أو صغيرة متينة
تخدمهم سنين طويلة.. ان الموارد المتفوقة
والطاقات الهندسية الضخمة التي يتمتع بها رابع منتج
للسيارات في العالم تؤمن لكل فرد رغبته حسب حاجته مهما اختلفت
متطلباته في عالم السيارات. فجميع سيارات داتسون،
ابتداءً من الموديل الفخم 2600cc سيدان
إلى سيارات الجيب ذات العجلات الدافعة الأربع والسيارة
السباقة ذات الشهرة العالمية 240Z ... جميعها ينتج
بنفس الدقة والفخر بكل ما لدى
داتسون من طاقات بشرية وتقنية.
كوننا نستطيع أن نقدم لك الأكثر.. جعلنا رابع
منتج للسيارات في العالم.

NISSAN DATSUN





الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الدقة .
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠٣
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGUET
la plus prestigieuse des signatures


PIAGET

كلاهما يسليك أحلى تسلية، وكل
منهما يزودك بما لا يزودك به أي
جهاز آخر للراديو ومسجل الكاسيت.
فالجهاز الرائع TRC-4000A يستقبل
إذاعات العالم على أربع موجات - منها
إثنتان قصيرتان.
أما الجهاز TFC-2450SW فيعمل بموجة
متوسطة واثنتان قصيرتان، ويتضمن مسجل
للكاسيت زود بآلية التوقف الأوتوماتيكي
تمتع بالموسيقى مع أحدث ما أنتجته
جنرال.. أكنت في المنزل.. أو أينما كنت.
فكل من هذين الجهازين الرائعين
خفيف الوزن ويعمل على التيار الكهربائي
أو البطاريات ومزود بميكروفون
داخلي فائق الحساسية.
أما المجموعة الكاملة لأجهزة جنرال
فتضم أحدث ما انتج وصمم لتزيد
من إستمتاعك.. وتسليتك.

GENERAL
جنرال

جنرال تعطيك أفقاً سمعياً جديداً بإسلوبين جديدين



TFC-2450SW Solid State
MW/SW1/SW2
Radio-Cassette Recorder

TRC-4000A Solid State
MW/FM/SW1/SW2
Radio-Cassette Recorder

إنك في المقدمة حين تتعامل مع
البنك الوطني





بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مؤسسات شقيقة: بنك الكويت المتحد، لندن. بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف ش.م.ل. بيروت. فراب بنك الدولي - باريس - بنك البحرين والكويت - ش.ب.م. البحرين. البنك الاوروبي العربي، بروكسل - البنك الاوروبي العربي (ش.م.ب.) هـ. هونكونغ

ساعات الرايدرز
قوة ، ابتكار من فافرلوبا ـ جنيف

تصميمات فافرلوبا تكون عادة متقدمة لسنوات عديدة عن تاريخ صناعتها . والبرهان على ذلك ، يكمن في هذه النماذج الاربعة . غاية في الاناقة ، وبدون تفاصيل وتمحيقات غير لازمة ، نماذج ذات خطوط وطرز تدعو للاعجاب .

سي رايدر

خلقت اعجابا شديدا ووصلت مبيعاتها ارقاما قياسية ، انها اوتوماتيكية باليوم والتاريخ (٣٦٫٠٠٠ نبضة في الساعة ـ بل انها اكثر دقة) ، جهاز لتعديل التاريخ بسرعة ونظام ايقاف الثانية ، مقاومة كبيرة للماء (١٥٠ قدم) محمية من الصدمات ، غير مغناطيسية .

ميمو رايدر

تجعل ذاكرتك طليقة من أى قيد ، ميمو رايدر ثابتة على رسغك أكثر من ثبات رباط منديلك . حركتها الاوتوماتيكية مع التاريخ بالاضافة الى استنباط الاشارة الصوتية يجعل هذه الساعة واحدة من الخطوات الرائدة في صناعة الساعات في هذا العصر . الميمو رايدر ضد الصدمات، غير مغناطيسية ، تقاوم الماء الى ٩٠ قدم .



ستريو سوني الرشيق والأنيق يعطيكم أنقى وأروع الأصوات



فكروا بالطرق العديدة والمناسبة التي يدعكم بها هذا النظام الستريو الرشيق الجديد HMK - 20 تتمتعون بأروع الأصوات من سوني . فهو يضم مضخم ستريو بالاضافة الى ستريو FM / منغم FM/AM حساس . وهو يضم أيضاً لاعب اسطوانات ستريو بسرعتين كي تستمعون الى اسطواناتكم المفضلة . وفيه ايضاً طاولة (دك) كاسيت ستريو تسمح لكم بتسجيل ما يروق لكم (رأساً من الاسطوانات أو التلاوة أو الأغاني أو الأحاديث "الحية" بواسطة مايكروفونات اختيارية) على كاسيتات مونو أو ستريو . والاستماع اليها . انها بالفعل مصادر ثلاثة للأصوات الستريو العظيمة في وحدة أنيقة

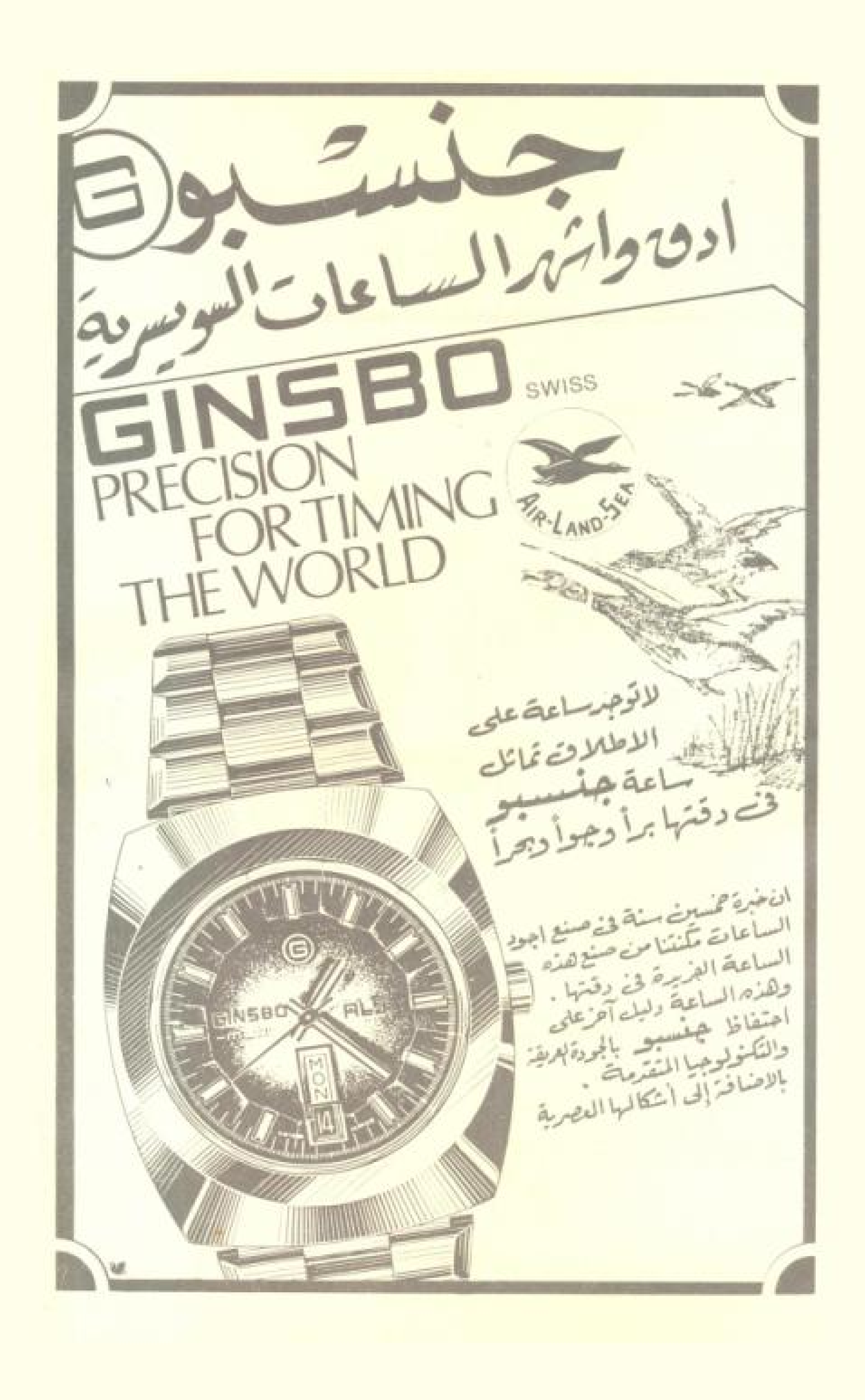
تتلاءم تماماً مع مفروشات منزلكم ، مهما كان طرازها . وما نزيد عليه هو نظام موسيقي ستريو كامل ، سهل الاستعمال ومعتدل الثمن . وبما انه مصنوع من قبل سوني ، فان أصواته أجمل وأكثر رخامة بكثير .

شاهدوا واستمعوا الى جهاز سوني HMK - 20 بأقرب وقت ممكن .

النظام الموسيقي سوني

- الطاقة الموسيقية : ٢٠ وات
- تسجيل سهل على كاسيت
- إمكانية مزج مايكروفوني
- جهاز للترقيف الفوري
- ذراع الاسطوانات تعود أوتوماتيكيا
- القياسات : ١٨٠ X ١٦ ¾ X ١٤ ¾ انش

SONY® سوني



جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION
FOR TIMING
THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
في دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة في صنع اجود
الساعات مكنتنا من صنع هذه
الساعة الفريدة في دقتها .
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة
والتكنولوجيا المتقدمة .
بالاضافة إلى أشكالها العصرية
GINSBO
MON
14

هديّة اصيلة

اميـنة ، يُعـتَمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العـديدة .
أصالة هديتك تذكّر اصدقاءك دومًا بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيّقة والاميـنة لا تخذلك ابدًا .



RADO



أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

وكلاء سانيو لديهم أفضل المنتجات للجميع ... وتلفزيون لك شخصيًا"

هناك عشرات المنتجات المفضلة للعائلة، بما في ذلك التلفزيون العائلي. أما أنت شخصيًا، فباستطاعتك مشاهدة البرامج المفضلة لديك وكذلك الاستمتاع بالأوقات والأماكن التي تريد أن تنفرد فيها، فهناك التلفزيون الشخصي الذي بإمكانك نقله إلى غرفتك أو إلى أي مكان آخر وفي أثناء رحلاتك الممتعة.
إنه التلفزيون المصنوع خصيصًا لك.



14 T402

تلفزيون موحد الدوائر قياس ١٤ بوصة / بالتيار العادي / البطارية
شاشته واسعة لتشاهده العائلة بأسرها، جميع دوائره موحدة وتكون من ٢٨ ترانزستور. الصورة واضحة وناصعة، يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية، الاستمتاع بمشاهدة التلفزيون في أي مكان، متوفر باللون الأحمر أو الأبيض.

10 T152

تلفزيون نقال قياس ١٠ بوصات بالتيار العادي / البطارية.
التلفزيون المثالي لرحلاتكم، جميع دوائره موحدة Solid State وشاشته مظللة لتمنع توهج الشمس عند مشاهدته في الهواء الطلق. مزود بروافع منزلقة للتحكم ويعمل بالتيار العادي أو البطارية. متوفر باللون الأحمر أو الأصفر أو الأبيض.





12 T220

تلفزيون نقال ١٢ بوصة Solid State
يعمل بالتيار العادي أو بالبطارية الخاصة. يتوفر اختياريًا بالموفق للسيارة أو للقارب. شاشته تمنع التوهج ومجهزة بدائرة التحكم الآلي في الكسب "AGC". يتوفر في صندوق جذاب باللون الأحمر أو الأسود.

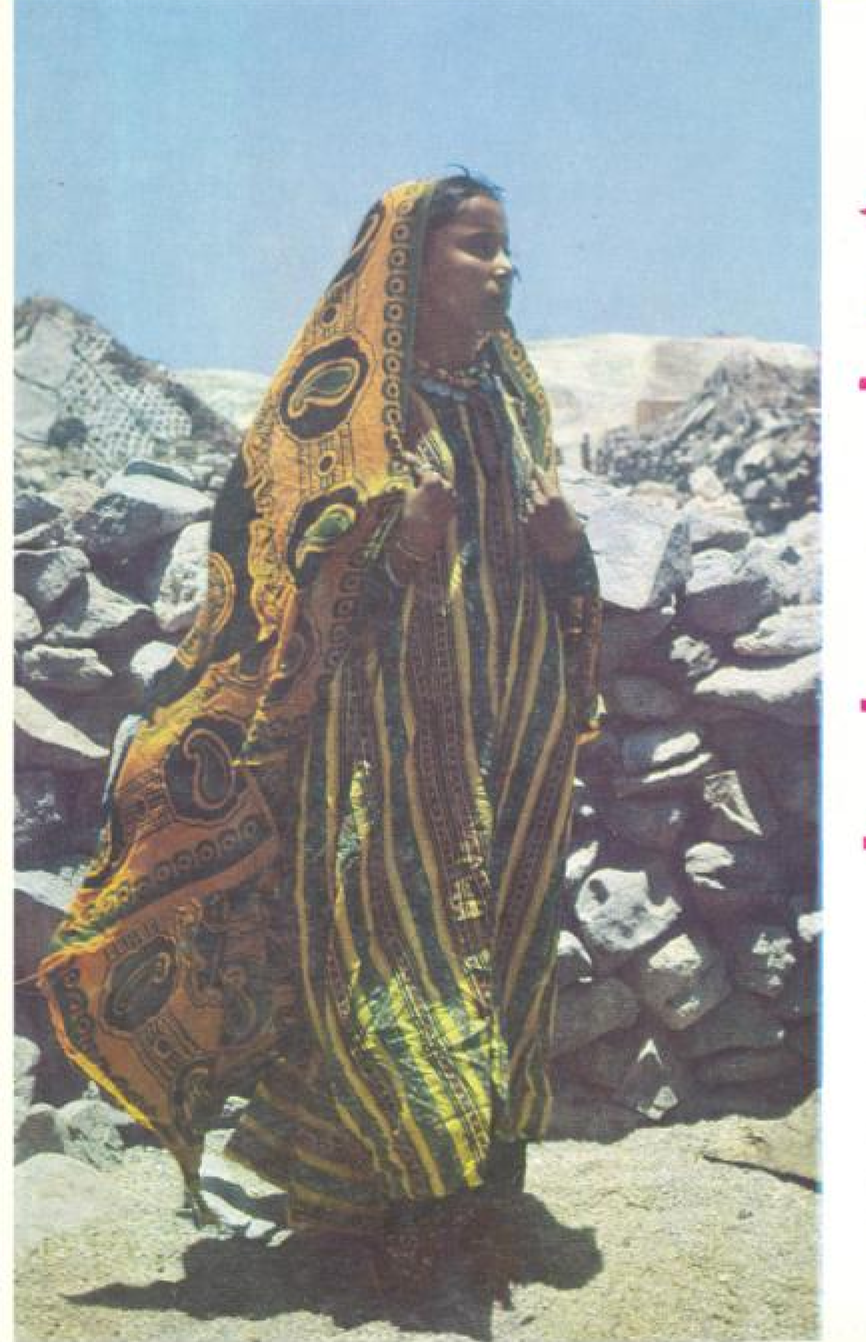


SANYO سانيو

A.A.A./K-3/73/REV

العربي

العدد ١٨٥
ربيع اول ١٣٩٤
ابريل
(نيسان) ١٩٧٤



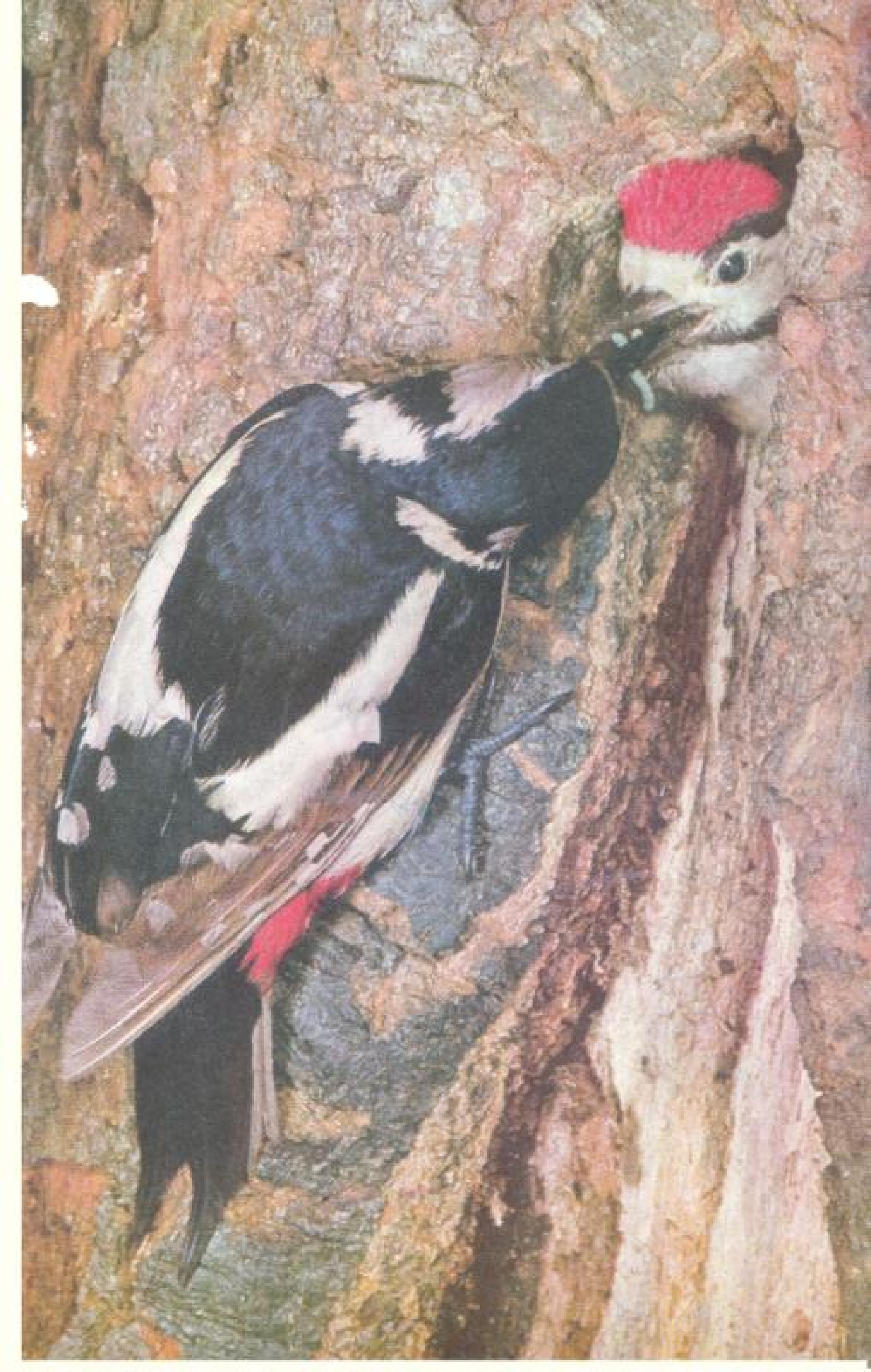
اطلب
العربي الصغير
مع هذا العدد

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

خمس جزر
عربية منسية
تكشف عنها النقاب

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	ريال ق
السعودية	٢	ريال
البحرين	٢٠٠	فلس ب
اليمن	٥ر٢	ريال
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سوريه	١٠٠	قرش
ج٠م٠ع٠	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢	دينار
المغرب	٢	درهم



عزيزي القارئ

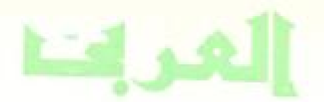
تعودنا ، في الصفحة الثانية (الداخلة) من الغلاف ، ان نجعلها نافذة الى الفن ، صورةً متميزة ذات ألوان ، ننشرها فيهذه الصفحة . أما موضوع الصور فاختلف . كان حينا صورا من مدنية كانت ثم بادت ، وحينا مما خلف العرب من آثار ، وحينا مما رسم الرسامون العرب اليوم من لوحات ، الى غير ذلك .

واليوم نبدا بالفن الجميل في معدنه الأصيل ، في الخلق . في الحياة . في صُوَر الطبْع والطبيعة . وسوف نجد في هذه الصور لذّة العين ، ومعها لذّة الحكمة التي نستمرئها بالكشف عما انطوت عليه الطبائع من أهداف معلومة توصّل اليها سُبُل مرسومة .

ونبدأ ، في غير ترتيب مقصود ، بالطائر المسمّى بالناقر ، ناقر الخشب .

أنظر صفحة ٢ ، وصفحة ٥١ .

المحــرر



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

أنت تسأل .. ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 185 April 1974 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ للبرقيات «العربى»

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :



● تنقلك العربي في هذا العدد الى منطقة نائية مجهولة من وطننا العربي .. تنقلك الى خمس جزر عربية في بحر العرب ، يعيش فوقها ٨١ نسمة ، عيشة صعبة قاسية .. وفي الصورة امرأة تقف بجوار « منزلها » في احدى هذه الجزر ، التي تقرأ قصتها كاملة ، ابتداء من صفحة ٥٢ من هذا العدد .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠م٠ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى ، وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة بالدونج ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



الدولتان العظميان

● نشرتم فى عدد ديسمبر الماضي رقم ١٨١اعتراضكم على تعبير رجال الاعلام الذى يقولون فيه : « الدولتان الاعظم » وانتم باعتراضكم تصححونه الى « الدولتان العظميان » . وقد أذاع احد البرامج الاذاعية من اذاعة القاهرة (برنامج ابجد هوز) ما يلى : « لقد اعترضت احدى المجلات العربية على تعبير : « الدولتان الاعظم » مصححة اياه : « الدولتان العظميان » وبسبب هذين التعبيرين قام نقاش حاد داخل المجمع اللغوى وانقسم المتعارضون فريقين ، احدهما يؤيد التعبير الاول ويعترض على الثاني ، اما الفريق الثانى فعكس الاول ، ولكل حجته ، فقد قال أحد الفريقين بخصوص تعبير : « الدولتان العظميان » ان هذا هو الاصح لان مثنى كلمة : عظمى هو : عظميان ومن ثم فلا يصح ان نقول : « الدولتان الاعظم » . والفريق الاخر أجاب قائلا: « التعبير الاخر هو الاصح لان كلمة « العظميان » قد تفيد ان هناك دولا عظمى أخرى تناظر هاتين الدولتين ، والصحيح هو : الاعظم لانه تعميم ولانه يفضلهما على غيرهما من الدول ويوضح انه ليس هناك فوقهما او ما يفوقهما » .

واستقر الراى أخيرا على اجازة التعبيرين وكلاهما صحيح ، ولك ان تستخدم ايهما .

أشرف السيد ابراهيم/الاسكندرية

العربى : ان صح ما تقولون ، فالراى عندنا انكم اذا اردتم حكما لغويا فالصحيح هو الدولتان العظميان ، وان اردتم فتوى فقد تعودنا على ان الافتاء كثيرا مايجيز ما لا يجوز .

من هو الشاعر يوسف أبو الدان ..

● قرات فى مجلة العربى (العدد ١٦٤ – يوليو ١٩٧٢) قصيدة بقلم يوسف ابو الدان . وتوقيع حماة/سورية ، ونحن لم نقرأ لشاعر يحمل هذا الاسم فى مدينتنا حماة شعرا ولا نثرا ..

وقد بحثت عن القصيدة (صورتى هذه ام الوهم سمى) فى مظانها الحقيقة ، حتى وجدتها .. فكانت لمدرس العربية والدين الأديب محمد خير الدرع ، وقد كان هذا الاستاذ يصدر فى حماة مجلة دورية ثقافية باسم « فتاة العاصي » وقد ظهر العدد الاول فى نيسان عام ١٩٥٣ واحتلت قصيدة الاستاذ الدرع الصفحات الاولى ، وهى القصيدة نفسها المنشورة فى العربى اخيرا ..

وانا اعترف بان العربى « مظلومة » لان مجلة محلية صدرت فى حماة منذ عام ١٩٥٣ لا يمكن ان يطلع عليها حموى واحد .. فكيف باخواننا وهم يقيمون فى الكويت ..

نزار نجار/ كلية الاداب/دمشق

(العدد ١٧٨ لشهر سبتمبر /ايلول)

رسالة من الجبهة

● لقد كان لى شرف القتال على جبهة سيناء .. وزادنى احساسا بالشرف ان نشرت مجلة العربى فى عددها الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٧٣ العدد رقم ١٨١ صورة لاحد معابر الجيش الثانى اثناء عبور احدى الدبابات المصرية مخترقة الثغرة التى فتحها الجيش فى الساتر الترابى فى خط بارليف . ولقد كان من حسن حظى ان اكون انا

تصويب

● في عرض كتاب الشهر « سيناء ارض القمر » في العدد (١٨٢) جاءت في الصفحة ٥١ آية قرآنية بطريق الخطأ هكذا «واوصينا الى موسى استسقاهقومه ان اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » وصواب الآية « واذ استسقىموسى لقومه ، فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » ورقم الآية (٦٠)من « سورة البقرة » ، فارجو تصحيح الآية ، ولكم الشكر .

خليفة احمد ابو زيد
كلية الشريعة والقانون اسيوط /مصر

قصيدة شهيرة عزاها الخفاجي الى القرطبي

● في « العربي » ، العدد ١٧٦ قرأت مقالا عن « الرندي » بقلم المؤرخ الاديب الاستاذ عبد الله عنان ، وفي الحديث عن المرثية الاندلسية الشهيرة التي مطلعها :

لكل شــيء اذا ما تــم نقصـــان
فــلا يغــر بطيــب العيش انسان

يقول الاستاذ عنان : « ان المقري (لا المعري كما ورد خطأ طباعيا)في كتابه نفح الطيب والرياض. ومن الغريب أن ابن الخطيب وقد اورد في ترجمة الرندي طائفة مختارة من شعره ، لم يشر بكلمة واحدة الى مرثيته الاندلسية ، بالرغم من انها تعتبر قطعا من غرر قصائده ، وهو أمر يدعو الى الدهشة والتساؤل . فاما أن الناسخ لمخطوط كتاب الاحاطة قد اغفل ايراد القصيدة اختصارا او ظنا منه بأن شهرتها تغني عن ايرادها ، واما أن ابن الخطيب قد اغفل ايرادها اعتقادا منه ، وهو من اولياء بني نصر ، ملوك غرناطة وربيب نعمتهم بان وجود هذه القصيدة في مؤلفه قد يسيء الى ذكريات ابن الاحمر الكبير ، الذي وقعت في عصره محنة الاندلس ، ثم نظمت القصيدة كذلك في عصره ، بقلم شاعره الاثير » ثم يقول : « وعلى اي حال فقد نقل المقري القصيدة الينا من مصدر لم يذكره واكتفى بان يقول لنا انه نقلها من « خط من يوثق به » .

ان اغفال لسان الدين ابن الخطيب القصيدة كليا ، واكتفاء المقري الذي جاء بعد لسان الدين باكثر من قرنين ونصف قرن بقوله انه نقلها من « خط من يوثق به » يحملاننا نحن على الشك في عزو القصيدة الى الرندي !! ان الشهاب الخفاجي (احمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري) قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الادب واللغة ترجم معاصريه في كتاب الفه ، اسمه « ريحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا » وعزا فيه هذه القصيدة الى القرطبي قائلا : « فارسل قصيدة نعى بها الاسلام ونادى ملوك الروم وعظماءها الاعلام ، فلم يجد بها صفيا ، يقول له : « لقد اسمعت لو ناديت حيا » والروم تطلق يومئذ على الاتراك وكانوا في أوج عزهم . ترى هل في عزو الخفاجي هذه القصيدة الى القرطبي ما يمكن ان يعد جوابا عن تساؤل الاستاذ عنان ؟ أم ان تحقيقه يتطلب مزيدا من البحث والتحقيق ؟

أكرم زعيتر

احد الافراد الموجودين بالصورة المنشورة في الصفحة « ٧ » في مقال سيادتكم المسمى « بحديث الشهر » وتحت عنوان « بعد ١٧ يوما من سير القتال قرر مجلس الأمن : وقف اطلاق النار » . فتحية الى مجلتنا « العربي » التي سعت وحاولت ألا تسبقها الأحداث والا تفوتها المشاركة .

مقاتل احمد بدر الدين عبدالعزيز امام/الاسكندرية



سؤال

■ سؤال جاءني من شاب ، عن نفسه ، وعن بعض من هم في مثل سنه ، قال :

نحن في حيرة من معنى لفظين شاعا بين الكتاب العرب وخطبائهم في هذا الصراع الجدلي القائم اليوم بينهم ، هما المادية ، وما يصحبه عادة من لفظ الروحانية . والخصم يرمى الخصم بانه مادى، فكانما نسبّه . وهى عادةً صفة يقذف بها القاذف ومعها صفات أخرى مختارة كالكفر والزندقة ، والمروق . والمادية ان كانت سبا ، فنحن نستنتج بذلك فيما بيننا أن المادة مسبوبة .. وكيف نسب المادة ، ونحن من مادة وكل خلق الله من مادة، وكذا السماوات والأرض.

خطاب طويل فيما ذكرنا منه الكفاية .

المادة والمادية في لغة العرب

اول شيء صنعته أنى رجعت الى معاجم اللغة ، ولا سيما « لسان العرب » فلم أجد ان في اللغة العربية لفظ «مادة» بمعناه الحديث . والمادة ، والمدد ، هو ما تمد به الناس ليستعينوا به على امر ، وكذا ما تمد به الجيش من عتاد . اما لفظ المادى، فلا وجود له في هذه المعاجم.

والقرآن الكريم ، وهو الأصل الأول من بين أصول اللغة، ليس فيه لفظ مادة ولا مادية . وسألت اهل الذكر فعلمت منهم ان اللفظين لم يردا في احاديث الرسول .

ومعنى هذا ان المادية ، بالمعاني التي تجرى بهما السنة الناس اليوم عامة ،



المادة والماديون ، والروحانيةوالروحانيون ، الفاظ تجرى على ألسنة السواد من الناس ، والمتحدثين باسمالاسلام خاصة ، وهى الفاظ دخيلة على اللغة العربية . لم ترد فى أى من الآيات القرآنية ، ولا الأحاديث النبوية .

والمتحدثين باسم الدين الاسلامى خاصة ، لا اصل لها فى لغة عربية او فى دين اسلامي .

المادة والمادية
على السنة السواد من الناس

وانت تسمع اليوم لفظ المادية والمادى يجريان على ألسنة الكثير من الناس .

وقد سمعت رجلا يصف آخر بانه « مادى » . فانتهزت الفرصة لاستوضح معنى المادية عنده ، فقال : ان الرجل المادى هو الذى يعنى أكبر عناية بجمع المال، ويقبل على متع الدنيا بكل صورها، ولا يمد يده بشيء الى الناس ليشرك معه أحداً . فهو بخيل . وهو انانى ، وهو وهو ...

فسألت صاحبي هذا : وصلة مثل هذا الرجل بالله ، وبالايمان عامة ، ما تكون ؟

قال : تكون ما تكون .

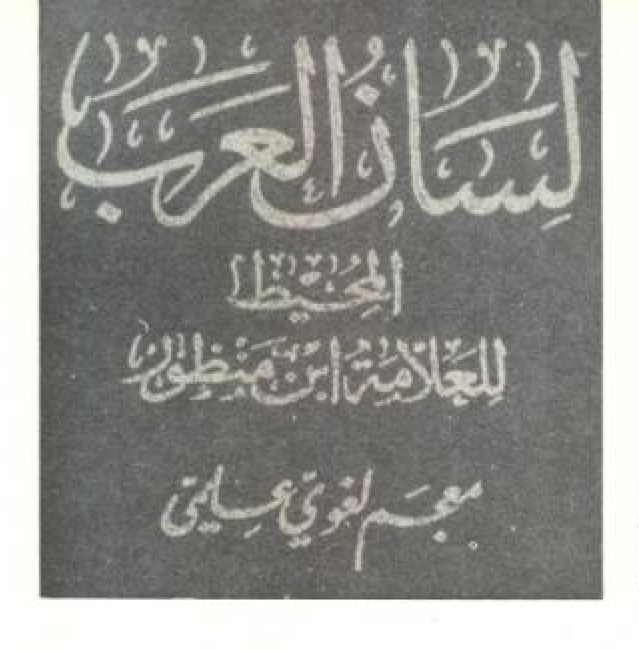
فسألته : والروحانية عندك ما تكون ؟

قال : عكس هذا . انها محبة الناس ، واسداء الخير اليهم ، والبذل لفقيرهم ، والتعاطف فى ارزائهم ... والاحساس العميق الصادق بانهم منه ، وانه منهم .

قلت : وصلة رجل روحاني كهذا ، بالله ، والايمان ، كيف تكون ؟

قال : تكون ما تكون .

فالمادية عند هذا الرجل، والروحانية، كلتاهما تدور حول معنى التعاطف بين الانسان واخيه الانسان ، والتراحم ،



المادة والماديون والروحانية والروحانيون الفاظ دخيلة على العربية، بمعانيها الشائعة اليوم ، فلن تجدها فى قرآن او معجم اصيل «كلسان العرب»

والبذل ، والمحبة ، والسعي للنجدة ، وان لم يسالها السائل. فهى معان تدخل فى نطاق الاخلاق ، وهي لاتتصل بمذهب فلسفى ، أو بدين من الأديان .

ورحت انظر فى كيف ادى معنى المادة الى كل هذه المعاني . فتبين لي واضحا . ان كل اسباب المتعة التي هي هدف الرجل الذى ننعته بالمادى انما هي من مادة ، بمعناها الذى لم يرد فى معاجم اللغة . وورد بمعنى لفظ Matter عند الانجليز أو Matiere عند الفرنسيين. فلذة الفم طعام وشراب ، وكلاهما مادة. وشهوة الجنس مادة . والملبس الانيق والمسكن الجميل مادة. والذهب والفضة يجمعهما جامعهما مادة . ومن اجل هذا سمي هذا الرجل ، الموغل فى لذاته دون النظر الى حظ الآخرين منها ، ومن مآسي الدنيا ، بالمادى .

على انه هناك نوع آخر من الرجال ، ذلك الرجل الذى يجمع المال ويجعل من جمعه للحياة غاية ، ويبخل على نفسه وعلى أهله .. فلا يذوق هو ولا هم يذوقون من متع الحياة شيئا . فهذا رجل جمع بين المادية والمرض النفسانى.

على أنه توجد للمادية والروحانية معان اخرى ، خارج نطاق الاخلاق ، وتدخل فى نطاق الفلسفة ، وفى نطاق العلم ، وفى نطاق الدين ، نمهد لها بذكر «الثنائية» الشهيرة ثنائية المادة والروح .

« المادة والروح » « ثنائية » سجلها التاريخ من قديم الزمان

واذا نحن تركنا عالم العوام ، ولغة السواد ، ودخلنا نبحث فى مفهوم المادة فى الفكر الانساني ، وجدنا للمادة معنى آخر ، مختلفا جدا . هو ذلك المعنى الذى يقوم فى الفكر مقابلا للروح .

انها الثنائية القديمة Dualism التي سايرت العصور ، ونكاد نقول منذ كان فكر وكان انسان . ونظر الانسان فى هذا الوجود فوجده مليئا بالطلاسم ، واراد حلها ، واراد تفسيرها ، واختلفت الحلول ، واختلفت التفاسير ، واختلفت قيمها ، فمنها الساذج المعقول ، والساذج غير المعقول ، ومنها الراشد ، ومنها ما بلغ من رشد أن دخل الى نظم فلسفية ، عاشت فى التاريخ الانساني دهورا .

ويحدثنا مؤرخو الفكر فى هذا الصدد

عما اسموه بالأديان الطبيعية ، تلك التي جاءت الانسان وهو على البداوة ، لا مرشد له الا بصره ، والا سمعه ، والا ما كان حباه الله فى تلك الفترة من التقدم الانسانى من عقل وادراك ومنطق يستنتج به الأمور .

نظر الانسان في بدايته الاولى الى الارض ، فوجدها تموج بالزرع ، اذا جاءها المطر وغزر ، ويذبل نبتها وتجف اذا عز المطر وانقطع . فلم ير سببا معقولا لمطر يجيء ومطر يتخلف . فخال ان وراء ذلك شيئا لا « يُرى » ، ولا يُسمَع ، ولا يُحس ، وهو منزل الماء ، وهو قاطعه ، وسماه « ربا » .

ونظر الى البحار يعلوها الموج ويصطخب . ويغضب فيذهب بالذي فوقه من سفن بها المال والرجال . قوة عارمة لا بد أن وراءها عارما ، منه الخير ، ومنه غير الخير . وجعلوا منه للبحار « ربا » .

والنار ، وجدوها نفّاعة ضرّارة ، فزعموا لها « ربا » .

وجعلوا لكل ظواهر الحياة « ربا » . للريح . للبراكين . للصواعق .

وكلها ارباب لا ترى : انها الأرواح .

والذى يُرى : انها الأجساد . وفى التاريخ المتأخر : انها المادة .

وصار الوجود نصفين : نصف خاف ، ونصف ظاهر .

فالظاهر البيّن سموه الطبيعة كما تراها العين .

والخافى سموه ما وراء الطبيعة .

ونتزل من هذا التاريخ البعيد ، غير المكتوب ، الى التاريخ المكتوب ، فنجد الاغريق ، وهم يُعدّون مصدر الحضارة الأوروبية الحاضرة ، نجدهم لا يزال عندهم من تلك الأرباب الشيء الكثير . فأبولو رب الضياء والأغنية وصانع الموسيقى وقد عبده الشعراء . وأثينا ربة الحكمة . وبوسيدون رب البحار . وهاديس رب الدنيا التحتية ورب الاموات ، وزيوس رب الأرباب .

وكل هذه أرواح لها عالمها أصلا ، فهي من معاني ما وراء الطبيعة ، حيث لا تنفذ عين راء من بنى البشر ، ولا أذن سامع .

جعل الاغريق لكل ظاهرة من ظواهر الكون ، وكل قوة من قواه الها ، وجعلوا للالهة الها اكبر ، هو زيوس ، يأمر فيهم فيطاع . وهذا الجبار اطلس ، احد الجبابرة الذين حكموا العالم قبل آلهة جبل اولمب ، عصى زيوس فحكم عليه بأن يحمل على منكبيه الدنيا العريضة بارضها وسمائها . ومن هذا المعنى جاء المعنى الجغرافى للفظ اطلس .



اما البشر فمن الطبيعة . والطبيعة ، وما وراء الطبيعة، ثنائيٌ يتألف منه الوجود.

« الثنائية » في الأديان السماوية

وتأتي الأديان السماوية بالشيء الجديد . وعن طريق الوحي تعلم أن هناك الها واحدا ، هو قابع وراء هذه المظاهر الدنيوية كلها ، وهو الواحد الأحد ، وهو القوى ذو الجبروت ، وهو الرحمن الرحيم . والى جانب هذا نعلم انه ليس كمثله شيء ، وانه أقرب الينا من حبل الوريد . واننا حيثما توجّهنا فثمّ وجهُ الله .

صفةللوجود لا تزال تتصف بالثنائية. فالانسان والحيوان والنبات ومخلوقات الأرض والسماء من مادة ، فهي ترى ، وهي تسمع، وهي توزن وتقاس. اما الله العلي القدير فلا يراه احد . انها العودة الى الطبيعة ، فما وراء الطبيعة . للمخلوقات الطبيعة ، ولله جل وعلا .. ما وراءها، فهما لنا وامتناعٌ رؤية . ولا يمنع هذا ان يكون فيها وان يكون خلالها . « وما رميتَ اذ رميتَ ولكنّ الله رمى » .

وهذه الثنائية ،ومعها وحدانية الله ، جاز للعقل الانساني ان يهتدى اليها لو ان الوحي كان امتنع عن نزول . والوحي، والقرآن يحمل معانيه الينا، لا يقول للناس ان الله واحد ، وهكذا انا أقول، فآمنوا، رضيتم أم كرهتم . انما هو يقول للناس ان الله واحد ، ويروح يدور في الارض وفي السماء يضرب الأمثال على ان الله واحد. وقد جاز للعلم الحاضر ، وارتقاء الفكر الانساني ، ان يصل الى هذه الغاية من وحدانية الله .

من ثنائية الوجود الى ثنائية الانسان والخلائق

ومن ثنائية الوجود نظر الانسان الى نفسه فقاده الطبع الى استشعار هذه الثنائية في نفسه ، فخرج بأن الانسان جسد وروح . والجسد مادة توزن ، والروح لطافة . والجسد مادة هي بعض الطبيعة ، والروح هي مما وراء الطبيعة .

واعان الانسان على كشف هذه الثنائية في نفسه جبلته ، وكثيرا ما تهتدى الجبلة وتضل كل وسائل المنطق والحجاج .

رأى الانسان أخاه حيا ، فهو في حركة دائبة ، وهو بصرٌ حاد ، وسمعٌ مرهف، وحس رقيق ، وفكر يجوب الارض والسماء فيجمع بين اشتاتها ، وقدمٌ تدب فوق الأرض فتكاد تهزها من قوة . ثم يأتيه الموت بغتة فاذا هو جسد هامد . كل شيء ذهب . المائة والألف كلها صارت صفرا . شيء كان ثم بان ، وخرج هذا الشيء ومعه كل نشاط وكل حياة . انه لا يدرى ما هو ، ولا يعلم ما كنهه ، ولكن جبلته تقول له انه كان هناك . فسمى هذا الشيء الخبيء الخافي ، الروح، وهو ما رأى الروح قط .

ثنائية قديمة جازت عند كل الأديان .

وقالوا انها لم تجز عند البوذية . واحسب انها تجوز . وكيف ، والبوذية تؤمن بتناسخ الأرواح ..

وقالوا : انها لم تجز عند الكنفوشية، وذلك لأن كنفوشيوس لم يتعرض لما وراء الطبيعة في شيء . سأله سائل عما يكون بعد الموت ، فقال له ، هل عرفت كل ما يجب أن تعرف قبل الموت ؟

الفلاسفة وثنائية المادة والروح

رأى الانسان ما رأى في أمر الجسد والروح ، جبلةً .

وجاء من ورائه الفلاسفة ، على شتى

ازمانهم ، يمتحنون صدق هذه الثنائية ، فكرا .

واختلف الفلاسفة .

اعترفوا بوجود الجسد والروح ، أو بوجود المادة ، والى جانبها الفكر والعقل والنفس . ولكنهم اختلفوا فى تقدير احدهما منسوبا الى الآخر .

فالفيلسوف اليونانى انكساجورس Anaxagorus (٥٠٠ ـ ٤٢٦ قبل الميلاد) اقر بوجود المادة والروح ، وبانفصالهما، وهو بذلك يعد فى التاريخ المكتوب أول فيسوف ثنائى ، ولكنه مع ذلك راى فى الروح انها الشىء الابقى والاظهر .

وبعد انكساجورس تاتى بافلاطون ورايه فى فصل عالم النشاط الفكرى عن عالم الاحاسيس ، عالم المادة ، معروف .

وبعد افلاطون نذكر ارسطو ، وهو ارتأى ان الروح شىء أضيف الى الجسم من خارجه . فهى والجسم شيئان مستقلان جوهرا . فهو ثنائى الرأى .

وياتى الرواقيون ، من بعد ارسطو وأفلاطون ، فيقاربون بين المادة والروح قربا ، ويمزجونهما مزجا، ثم هم يؤكدون الطبيعة المادية لكل حقائق الوجود .

ويمشى الزمن، فتتغير الحال ،وتتبدل فى المجتمعات الأحوال ، وتقوم العقول ترد الفساد الى المادة . ويرون ان المادة عقبة ، وانها شر .

وياتى دور آخر فلاسفة العهد القديم، فلاسفة الاسكندرية ، الافلوطينيين .. وذلك قبل نشأة المسيحية بقليل . فتقوم الدعوة تحط من الأحاسيس المادية جميعا ، وتشيد بعالم الفكر فى معارضة شديدة لعالم المادة .

ونمرّ مرّ الكرام بالقرون الوسطى فى اوروبا ، وقيام الدين المسيحى فيها ، لنصل الى العصور الاحدث عند الفيلسوف ديكارت .

كانت فلسفة ديكارت Descartes **فاتحة الفلسفة الحديثة ، ولأول مرة فى الفلسفة أمكن فصل الروح عن المادة فصلا بيّنا لا شبهة فيه . وعنده أن الروح للفكر، وكلاهما لا يرى ، اما الجسد فيحتل حيزا يرى، ويستطيع الانسان ان يجزئه أجزاء لا حصر لها . وعنده أن الظواهر المادية انما تفسر بالطرق المادية ، والظواهر النفسية انما تفسر بالطرق النفسية . فالمادة والنفس (الروح) شيئان منفصلان . وهل يصلهما شىء ؟ نعم ، « يصلهما رباط من الله » .**

وقد كان لهذه الفلسفة وقع طيب فى الدوائر العلمية . والقرن السابع عشر ، قرن ديكارت ، وقرن نيوتن Newton كان قرن الثورة العلمية الحديثة . وعانت هذه الثورة وعانى العلماء ، قبل فلسفة ديكارت ، من محاولات كانت تهدف الى تفسير الظواهر العلمية ، ولا سيما الظواهر الفسيولوجية، ظواهر الأجسام الحية وما يجرى فيها ، تهدف الى تفسيرها بالفروض الروحية ، وحدث من جراء ذلك اضطراب فى الفهم وعرقلة فى مسيرة العلم .

وبالطبع لم يترك الفلاسفة راى ديكارت فى المادة والروح بدون نقد ، وبدون نقض .

فالفيلسوف الهولندى اسبينوزا Spinoza (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) رأى ان الظواهر المادية والروحية انما هما وجهان لشىء واحد .

والفيلسوف الالمانى ليبنتز Leibnitz (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) راى ان كل شىء يستمد كيانه من مصادر روحية ، وأن الاجسام ليست الا مسارح يعمل عليها شتيت من هذه المصادر .

وتاتى الحركة الانسانية الجديدة Neo - humanism **، ويمثلها الشاعر الالمانى الكبير جوته** Goethe **(١٧٨٩ـ١٨٣٠) والحركة الرومانسية ، وكلتاهما تتطلب ارتباطا أشد بين المادة والروح ،**

بين الذى يقع تحت الحواس والـــذى لا يقع تحتها ..

وهكذا دواليك .

ويدخل العلم الحديث بكشوفه الرائعة الضخمة فتتراجع،أمام هذا الفيض ،الروحية، وتاخذ بزمام هذه البحوث ، المادية

وكان هذا امرا طبيعيا .

فقد كان من طبيعة العلوم ، وهى انما تنظر فى طبائع الأشياء التى توزن وتقاس



الفيلسوف الفرنسي دكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠م) اول من قال ان الظواهر المادية (ظواهر العلوم الطبيعية) انما تفسر بالطرق المادية ، أما الظواهر النفسية (الروح وما اليها) فتفسر بالطرق النفسية .

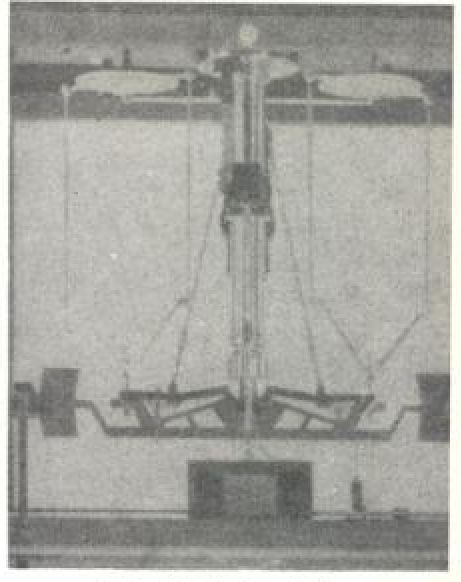
، اى الأشياء المادية ، ان تلتزم فى بحوثها الخطوط المادية ، اسبابا ونتائج . ان العلم الحديث انما ينظر فى الطبيعة كما تدركها الأحاسيس ، وليس فى ما وراء الطبيعة ، وقد سد العلم الحديث هذا الباب لا لقلة خطورته ، ولكن لأنه ، وهو على الخفاء الذى يطويه ، ليس لدى اهله وسائل البحث فيه . فهو العجز عن الدخول فى هذا العالم ، عالم الخفاء .

وزاد العلماء تمسكا بالمادة ، وخواص المادة ، فى تفسير تجاربهم فى مختبراتهم وهى تجارب مادة ، دخول بعض العلماء ، ممن يعتـــزون بالروح اعتـزازا ، الى مختبرات العلمـاء يتحمون الـروح فى تفسير النتائج ، وتعليل الأسباب بما لا يتصل بالأرواح بمعناها الشائع فى شيء. ومن امثلة ذلك الصراع الذى قام حول التخمر وفساد الأطعمة،بل والامراض ، ما اسبابه واسبابها . وردها بعض من العلماء من نصراء الروح الى فعل الأرواح. وعارضهم فى ذلك بستور تلك المعارضة الشائعة الطويلة التى انتهت بكشـــف المكروبات ، وانها ، لا الأرواح ، اسباب التخمر وفساد الأطعمة ووقوع بعض الأمراض .

وراح بعض العلماء ، نتيجة لانتصار المادة هذا الانتصار الرائع فى تفسير الحقائق العلمية ، راحوا لا يجدون فى الحياة غير المادة ، والحياة نفسها عندهم ما هى الا صفة من صفات المادة . واذا ماتت المادة ، ماتت معها صفاتها وانطوت الروح انطواء .

ومعنى هذا انكار وجود الروح. وهذا اثار على هؤلاء القوم الطوائف الدينيــة جميعها . واسموهم بالماديين ، ومذهبهم بالمادية ، وهم قد انكروا وجود الروح ، فهم ينكرون وجود الله ، وهم ملاحدة ، وهم ، وهم ..

ولم ينكر وجود الروح كل العلماء ، ولا حتى اكثرهم .



الميزان من أدوات العلم الاولى والعلم يختص ببحث المادة ، وهى توزن وتقاس، والعلم ترك الروح وبحوثها ، لأنها لا توزن ولا تقاس . فهو لم يتركها كفرا بها ، وانما عجزا عنها .

ولعل الحقيقة أن العلماء اهتموا بالمادة قوانين ، واهتموا بها مظاهر حياة، وظواهر كون . لأن عندهم الوسائل المادية لبحثها ، وسكتوا عن الروح لأنها أعصى من أن يتناولها بحث أو يحوزها مختبر . فاتخذ أكثر الناس من هذا السكوت عن الروح انكارا لها . والحق أنه كان عند العلماء الأحدثين ايمان بالروح بالقدر الذى عند غير العلماء ، اثباتا أو رفضا ، تبعا لما آمنوا به من دين ، أو ما اتبعوا من فلسفة ، أو اتفق لهم من مزاج .

على أن الأمر تبدل أخيرا ، وادرك العلماء أنه ليس من الجائز عند عالم أن ينكر ما لا يعلم ، أو ما لا يستطيع علمه . وغير ذلك اتضح للعلماء أن مسألة الرفض لا تكون بهذه السهولة ، وأن تسلسل الظواهر الحيوية، وتتابع بعضها وراء بعض فى منطق عجيب ، وهدفا بل اهدافا فى الحياة واضحة ، تشير كلها الى ان للحياة تخطيطا وتدبيرا لا يمكن ان تقوم به وحدها المادة الصماء الخرساء .

وطوائف من النساك كرهوا اجسامهم ، مادة وراحوا يعذبونها لتصفو أرواحهم من ادرانها

وهم طوائف من أهل الزهد والتقشف قديمة ، كانت قبل المسيح ، وكانت بعد المسيح ، ولها ذيول امتدت الى يومنا هذا .

طوائف آمنت بالمادة والروح معا . وفى أنفسهم آمنوا بالجسد أصل كل رذيلة ، واصل كل خطيئة ، وموضع الشهوات جميعا والملذات ، وهو شر ، وهو نجاسة وهو قذر ، من أجل هذا قاموا يميتون الشهوات فى الجسم باماتة الاجسام نفسها ، جوعا ، وعطشا . والفقر صار لهم غاية ، وكذا الحياة اتخذوها أقسى ما تكون، ولهذا اتخذوا الصحراء مسكنا . والبعد عن النساء فيه النجاة . وكل هذا تقربا الى الله ، أو طلبا للحياة الأرقى والأصفى والأطهر التى سوف تكون لهم بعد هذه الحياة الدنيا .

المادة من خلق الله

ولا استطيع ان اقنع نفسى بأن انسانا، كان ما كان ، يستطيع أن يتقرب الى الله، بذم خلق الله ، فالأجسام مادة ، وهى من خلق الله . فكيف تكون هى بعد ذلك شرا فى ذاتها . وكيف يتقرب انسان الى الله بنفى مقاصد الله فى مخلوقاته . ان شهوة الطعام من صنع الله ، وما صنعها الا لهدف . وشهوة الجنس من صنع الله ، وما صنعها الا لهدف . هدف الأولى وصل الحياة فى الفرد . وهدف الثانية مواصلة اسكان الأرض . وان كان بهما ما يعاب فهو الافراط أو التفريط.

ولا أكاد أصدق أن رجلا يؤمن بالله يذم المادة أبدا ، بمعناها الخلقى (بتسكين اللام) . أما معناها الخلقى (بضم اللام) ، بمعنى الأنانية والبخل والحرص، فمقبول معنى ، مرفوض لفظا . قل : ان الرجل بخيل ، أو محب للمال ، أو مفرط فى شهواته ، أما أنه مادى فلفظ فيه التباس كريه .

طراز من التنسك قديم

وهذا الطراز من التنسك Ascetism على اختلاف مقداره ، واختلاف نوعه ، انتشر فى كل الأمم القديمة . فهناك التنسك الهندوكى ، والتنسك البوذى، والتنسك الايرانى ، والتنسك اليهودى، والتنسك الاغريقى ، واخيرا التنسك المسيحى .

وفى التنسك المسيحى كانت مصر مهده الأول ، وكانت صحراؤها قد امتلأت باهل التقوى، الهاربين من الحياة وأوضارها ، الى حيث تقل ظواهر الحياة ، فتقل أوضارها (كتب الكاتب الفرنسى الشهير قصة رائعة تصف حال هؤلاء النساك واخلاصهم فى سبيل الله، وذلك فى صحراء مصر ، هى قصة تاييس Thais وهى قصة رائعة حقا ، وقد وقعت وقائعها فى القرن الثانى من المسيحية) .

وقد اختلف علماء المسيحية والباحثون فيها فى هذا النوع من العبادة . فعند بعضهم انه جاء من أصول المسيحية ، وآخرون يرون انه تطور يحمده الحامد، أو لا يحمده ، ولا يؤثر فى مسيحيته شيئا .

الرهبنة والرهبان

ومن هذا التنسك الشديد خرج نظام الرهبنة والرهبان، وظهور الاديرة لرجال ونساء ، وهو نظام مبنى على التزام الفقر ، وعلى العفة ، فلا يتزوج الراهب ولا الراهبة . وعلى الطاعة . ولم يكن فى هذا النظام قسوة التنسك القديم .

وانشقت الكنيسة الرومانية ، واحتفظ الكاثوليك بنظام الرهبنة ، ورفضه البروتستانت ، فقساوستهم يتزوجون ويمارسون الحياة كما يمارسها سائر الناس .

وفى الاسلام قول الرسول الكريم « ان لا رهبنة فى الاسلام » .

بولس الرسول
بيشر بين اصحابه

ومن المسيحيين الباحثين من قال انه لم يتزوج لسببين ، أولهما ، نزول الرومان فى تلك الأزمان بالمرأة الى الحضيض، ومعها الخمر والسكر ، وثانيهما اشتغاله بالدعوة للدين الجديد . وقد اجاز الفاتيكان فى هذه الأيام ، زواج القساوسة، فلعلهم اعتمدوا على مثل هذا الرأى فيما اعتمدوا.





من طوائف الرهبان طوائف ترى أن تملأ أوقاتها بالعمل ، وعلى الأخص في الزراعة والبستنة ، ايمانا منها بان الفراغ شر على المرء ووبال .

الفكر الانسانى به أكثر من وجه عجيب

وهكذا تقلب الفكر الانساني فى ثنائية الوجود ، بين طرفيها ، مادة ومادية ، وروح وروحانية ، بعض يهبط بالطرف الأول ويرتفع بالطرف الثانى ، وبعض يرتفع بالطرف الأول ويهبط بالطرف الثانى ، وبعض يسوى بينهما . وتمتلىء القبور بالآلاف المؤلفة من الجماجم الانسانية التى احترت بالجدال فى نصرة المادة ، والتى احترت فى نصرة الروح ، ثم بردت على الموت جميعا .

وكل الذى أرجوه أن يتحقق عندى أن تكون أنفس هؤلاء الرجال قد اطلعت من بعد موت على حقيقة الحال ، ووددت لو أنهم استطاعوا بعد ذلك أن يتصلوا بالزمر الحية من الرجال وأن يفضوا اليهم بالسر الأكبر الذى كشف لهم عنه الموت . وذلك رجاء أن يهدىء الرجال الأحياء من جدلهم ، ويقدروا حقيقة ما يستطيع الفكر الانسانى كشفه فى فترات من الزمن قصار هى فترات أعمارهم ، وأن يصبروا ، فما أسرع ما سوف تنكشف لهم الحقيقة عندما تفترق أجسامهم ، وهى مادة ، عن أرواحهم ، وهى لطافة ، وأحسب أنهم عند ذلك سوف يدركون أن الانسان مادىٌ وروحى فى آن .

والعاقبة للصابرين .

●●

احمد زكى

مسابقة العربي

٨ أسئلة و١٠٠ دينار

■ هذه ثمانية أسئلة ، نرجو أن تتمكن من الاجابة على ستة منها اجابة صحيحة ، لتفوز بجائزة من عدة جوائز ، مجموع قيمتها ١٠٠ دينار كويتي :

١ ـ دلتا النيل مشهورة بخصوبتها كما هو معروف . ولكن لماذا سميت « دلتا » ؟!

ا ـ بسبب خصوبتها ، اذ ان « دلتا » لفظ فرعوني ويعني التربة الخصبة ؟

ب ـ أم بسبب قربها من البحر .. ؟

ج ـ أم بسبب شكلها الذي يشبه المثلث .

ذلك ان (دلتا) لفظ اغريقي ويرمز الى احد حروف الهجاء اليونانية الذي يكتب أو يرسم على شكل مثلث ؟!

٢ ـ فردناند دلسبس المهندس الفرنسي المعروف اشتهر بحفر قناة السويس سنة ١٨٦٩ . فمن هو باني قناة بناما في امريكا عام ١٩١٤ :

ا ـ فردناند دلسبس نفسه ب ـ جمهورية بناما ـ جـ الولايات المتحدة الامريكية بعد بداية فاشلة قام بها الفرنسيون وعلى رأسهم دلسبس .

٣ ـ جزيرة فرموزا ، أو تايوان ، حيث السيادة للصين الوطنية .. هذه الجزيرة لم تكن معروفة قبل القرن السادس عشر ، وقد اكتشفها البرتغاليون سنة ١٥٩٠ وسموها فورموزا نظرا لجمال مناظرها الطبيعية . هل هذا صواب أم خطأ ؟!

٤ ـ الدول الاعضاء في منظمة الدول المصدرة للبترول (اوبك) أكثرها دول عربية واقليتها دول غير عربية .. ما هي الدول غير العربية ؟

٥ ـ عمر الخيام من اعلام التراث الاسلامي ، كان شاعرا اشتهر برباعياته ، وكان في الوقت نفسه عالما رياضيا اشتهر بكتاب له في الجبر ، وقد كتب كلا من الكتابين باحدى اللغتين العربية والفارسية .. فاي الكتابين كتبه الخيام بالعربية وايهما كتبه بالفارسية ؟!

٦ ـ دول العالم جميعا لها دساتير . ولكن هذه الدساتير مكتوبة او مدونة .. الا ان بعضها غير مكتوب . فاي الدول التالية ، دساتيرها مكتوبة ، وايها دساتيرها غير مكتوبة .. ؟

ا ـ الاتحاد السوفياتي ب ـ الولايات المتحدة الامريكية جـ ـ بريطانيا د ـ السودان هـ ـ دولة العدوان اسرائيل .

٧ ـ الاسماء التالية هي أسماء كتاب اجانب احرزوا شهرة عالية على مر الايام ..

ا ـ جوجول ب ـ ابسن جـ ـ طاغور د ـ مارك توين هـ ـ كرولشه .

فالى اى البلاد ينتمي كل هؤلاء الكتاب ؟

٨ ـ عاصمة من عواصم دول شمال اوروبا تشبه كثيرا مدينة البندقية الايطالية . فهي مبنية على نحو ١٠٠ جزيرة والكثير من شوارعها مائي .. وعدد سكانها حوالى مليون نسمة .. فاى عاصمة تلك :

ا ـ بروكسل ، عاصمة بلجيكا ب ـ لندن ، عاصمة بريطانيا جـ ـ أمستردام عاصمة هولنده .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح . ٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي : مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اليوم الاول من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٤ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■





التفرقة العنصرية

بين النظرية والتطبيق

بقلم : الدكتور فؤاد محمد الصقار

■ بدأ العالم يهتم بمشكلة التفرقة العنصرية ، بعد الحوادث الدامية التي تعرض لها الافريقيون في مدينة (شاربفيل Sharpeville) في جمهورية جنوب افريقية ، خلال مارس عام ١٩٦٠ . واستنكر العالم وما يزال يستنكر ، السياسة العنصرية التي تنتهجها هذه الدولة ، وان كان هذا الاستنكار لم يغير من الامر شيئا ، فما تزال التفرقة العنصرية تمارس على نطاق واسع في المناطق التي نكبت بالاستعمار الاستيطاني في افريقية وفلسطين ، كما تمارس بصورة او باخرى في الولايات المتحدة وفي بعض الدول الاوربية .

وتظهر التفرقة العنصرية بوضوح حيث تحكم اقلية من الناس اكثرية تختلف عنها في صفاتها الجسمية ، كما هو الحال في جنوبي افريقية وروديسيا ، لتاكيد واستمرار السيطرة الشاذة للاقلية على الاغلبية المحرومة من حقوقها . كما تظهر التفرقة العنصرية حيث توجد بعض الاقليات المستضعفة في وسط محيط واسع من البشر ،

يختلفون عنهم من الناحية الجسمية ، كما هو حال الزنوج في الولايات المتحدة ، وقد حرروا قانونيا ، ولكنهم ما يزالون في بعض الولايات الجنوبية محرومين من كثير من الحقوق .

للتفرقة العنصرية تاريخ طويل :

وقد شاعت التفرقة بين البشر ، وانتشرت في كثير من المجتمعات القديمة ، ولكنها لم تكن بالضرورة مرتبطة بلون البشرة ، أو بالاختلافات الجسمية ، فالتفرقة الدينية والحضارية والمهنية والقبلية والاقليمية كلها ظاهرات شاعت قديما ، وما تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر ، واذا كان الرق في المجتمعات القديمة يرتبط به نوع من التفرقة العنصرية ـ مما جعل الاغريق والرومان يضعون الحواجز في وجه الاختلاط بالارقاء ، فان الرق لم يرتبط في العصور القديمة ، وكذلك في العصور الوسطى ، بسلالة معينة أو بلون خاص .

ودعت الاديان السماوية الى الاخاء والمساواة ، ولكن المسلمين وحدهم هم الذين انفردوا طوال تاريخهم الطويل بتحقيق هذه الدعوة ، فلم يكن هناك فرق بين عربي ولا اعجمي الا بالتقوى ، وان الله قد جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا، وان اكرمهم عند الله اتقاهم ، ولم يكن للون البشرة او شكل الانسان أى اثر . ولم يذكر التاريخ أن المسلمين قد عاملوا شعبا من الشعوب بنوع من التعالي بسبب اختلاف اللون ، بل على العكس اختلطوا بالشعوب الاخرى وان اختلفت الوانها ، وكان ذلك من اسباب انتشار الاسلام بين كثير من الشعوب والسلالات .

بعكس ذلك كان اليهود وما يزالون ، فهم يفرقون بينهم وبين غيرهم ، ايمانا بما ورد في العهد القديم من التفرقة بين ابناء (سام) وابناء (حام) ، وانسجاما مع تعاليم نبيهم (عزرة) ، بل اكثر من ذلك فرقوا بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، وما يزال اليهود حتى الآن جماعات منعزلة لا تختلط بغيرها ، ولا تعترف بالمساواة بينهم وبين غيرهم . كذلك استغل الاوربيون الدين المسيحي استغلالا سيئا في العصور الوسطى (محاكم التفتيش) والحديثة (الاستعمار الاوربي) للتنكيل بغيرهم من الشعوب التي يراد استعمارها واستغلال خيراتها ، ومارسوا ابشع انواع التفرقة العنصرية عليها .

وتعتبر الكشوف الجغرافية والتوسع الاستعماري والاستيطان في بعض المناطق المستعمرة، وتجارة الرقيق ، ونقل الزنوج الى العالم الجديد ـ ، بداية التفرقة العنصرية كما تمارس في وقتنا الحاضر . وتطورت التفرقة العنصرية التي مارسها الأوربيون ضد غيرهم من الشعوب ، من استغلال الدين الى استغلال الحضارة والعلم ، ثم كشفت عن حقيقتها ، فارتبطت بالسلالة ، وبدا الحديث عن الفروق الواضحة بين السلالات، واذ ان لون البشرة اهم عامل واضح في اختلاف السلالات ، واللون لا يتغير بسهولة من جيل الى جيل ، من أجل ذلك اصبحت التفرقة العنصرية مرتبطة باللون .

للتفرقة العنصرية مظاهر متعددة :

وتختلف الصورة التي تتخذها التفرقة العنصرية من مكان لآخر ، ومن زمن لزمن ، فهناك التحيز العنصرى ، ومؤداه أن يعتقد عنصر من العناصر البشرية انهم ارفع شانا من بقية العناصر ، وقد سبب هذا التحيز كثيرا من المشاكل السياسية والاجتماعية التى تمثلت في الفاشية ، والنازية ، والصهيونية ، وكراهية الاجانب ، والتعصب للذات . وقد يكون التحيز العنصرى ضد مجموعة واحدة ، كما هو حال التحيز ضد الزنوج في الولايات المتحدة وفي بعض الدول الأوربية ، او ضد المجموعات السلالية الاخرى ، كما هو حال التحيز ضد العناصر غير الأوربية في جنوبي افريقية وروديسيا ، وقد يكون التحيز ضد البشر جميعا كما يفعل اليهود .

وقد لا يعبر التحيز العنصرى عن نفسه اذا لم يكن هناك احتكاك واختلاط بين المجموعات العنصرية المختلفة ، او اذا كانت الجماعات التي تعتنق هذه الافكار اقلية لا نفوذ لها . وفي هذه الحالات يبقى التحيز العنصرى حالة نفسية او نوعا من مركب النقص .

واذا زاد الاحتكاك بين العناصر المختلفة تحول التحيز العنصرى الى نوع من الاضطهاد ، وبذلك

يتحول الى ظاهرة اجتماعية من شأنها فرض وضع اجتماعي خاص لكل عنصر من العناصر المختلفة ، وعن طريق الاضطهاد العنصري تحاول الجماعات التي تمتلك النفوذ والقوة والسيطرة ابقاء وضعها المتميز على الجماعات المستضعفة ، ولو ادى ذلك الى استخدام اساليب العنف والقمع . فالاوربيون في افريقية يشعرون بقلة عددهم وقوة نفوذهم ، ويحاولون التمسك بما في يدهم عن طريق اضطهاد العناصر الافريقية .

ثم هناك الفصل الاجتماعي بحيث يخصص لكل مجموعة مناطقها الخاصة ، واعمالها المحددة ، حتى يقل الاحتكاك بينهم . وسياسة المعازل او المناطق المحجوزة (Reserve) التي اخترعها الاستعمار البريطاني في افريقية نموذج من نماذج الفصل الاجتماعي ، وسياسة استراليا البيضاء التي تمنع هجرة العناصر غير البيضاء الى استراليا نموذج آخر ، وطرد العرب من اراضيهم ومن وطنهم فلسطين هو ابشع واسوأ انواع الفصل الاجتماعي . وقد تقبل بعض الجماعات الانعزال عن غيرها ، لتمارس حياتها بحرية تامة ، ولكن كثيرا ما يفرض الفصل الاجتماعي بالقوة ، عن طريق الاضطهاد العنصري ، فالزنوج في افريقية لم يتحشدوا في معازلهم برضاهم ، والعرب لم يخرجوا من فلسطين طواعية .

الالمان يفلسفون العنصرية :

تركزت الفلسفة العنصرية منذ القرن الثامن عشر وحتى اوائل هذا القرن في سيادة وامتياز ما يسمى (بالعناصر الآرية) ، ويقصد بها السلالة التي تعيش في شمال غربي اوربا . وقد امتزجت هذه الفلسفة في بادىء امرها بالفروق الاجتماعية والاقتصادية ، نتيجة للصراع بين الطبقات . وكان الفرنسيون أول من نادوا بهذه الفلسفة ، وحسبنا قراءة كتابات بولينفييه (Boulainviller) في عام ١٧٢٧ والكونت دي جوبينيو Count de Gobineau من بعده . وكانت فلسفتهم تهدف الى تجميد الاوضاع الاجتماعية في اوربا ، على اساس اختلاف الدماء بين الطبقات الارستقراطية والطبقات العاملة . فالطبقات الارستقراطية الاوربية ترجع في اصولها الى التيوتون Teutonic الذين اسقطوا الدولة الرومانية ، وكونوا طبقة ارستقراطية استمرت محافظة على اوضاعها ودمائها منذ ذلك الحين . اما الدهماء فمن سلالة الرومان والغال والكلت وسلالة البحر المتوسط . وهؤلاء الآخرون من الناحية الجسمية اقل شأنا من التيوتون .

الانتخاب وبقاء الاصلح ؟

واذا كان علماء التطور قد نادوا بما اسموه عامل الاختيار الطبيعي لتفسير انقراض بعض الحيوانات وتطور بعضها الاخر ، فقد نادى فلاسفة العنصرية الآرية بما اسموه عامل الاختيار الاجتماعي Social Selection واساسه ان العناصر القوية هي الأجدر بالبقاء والاستمرار والتطور ، وان العناصر الضعيفة يجب ان تفنى وتزول .

وقد استهوت هذه الفلسفة الالمان فاعتنقوها ، وعمموا الدماء الآرية على جميع الالمان في داخل المانيا وخارجها ، واستغلوا هذه الفلسفة في توحيد المانيا ، وفي صراعهم مع الدول الاوربية الاخرى ، وفي محاولتهم تكوين امبراطورية لهم تنافس الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية . فما دام أغلب الالمان حسب رأيهم من (الآريين) فان عامل الاختيار الاجتماعي قد وقع عليهم ليقودوا العالم بعد ان يسيطروا عليه . وما دام سقوط الدولة الرومانية قد نتج عن اختلاط الرومان بغيرهم ، فمن واجب الالمان المحافظة على نقاء دمائهم ، بعدم الاختلاط بالشعوب الأخرى ، وما دام على الآريين واجب القيادة ، فلا بد من ضم العناصر الالمانية الى الوطن الالماني ، ليساهموا في السيطرة على العالم ، في مقابل طرد العناصر غير الالمانية من المانيا . ويظهر ان اليهود قد استهوتهم هم ايضا هذه الفلسفة ، واختصوا بها انفسهم ومثلوا الدور نفسه في مشرقنا العربي . واذا كانت الفلسفة الآرية قد اتت بالنكبات على المانيا ، فستأتي الفلسفة الصهيونية بالنكبات على اليهود .

الفلسفة الآرية لا سند لها من العلم :

والواقع ان الفلسفة الآرية لا سند لها من العلم ، فالاختلاط الواسع بين الشعوب قد جعل من فكرة النقاء العنصري فكرة بعيدة عن الروح العلمية ، لان الاختلاط من سمات الشعوب

الناهضة كنتيجة لعلاقاتها الواسعة بغيرها ، وتحتمه الحقائق البيولوجية ، لتستمد السلالات دماء جديدة ، تساعدها على الرقي والتطور ، ويختفي الاختلاط بالطبع حيث توجد العزلة .

وليس هناك ما يميز سلالة من الاخرى جسميا فكلها فروق مظهرية وليست جوهرية ، كما انه ليست هناك فروق واضحة في النواحي العقلية ، لو اعطيت كل سلالة فرصا متساوية . وقد يكون لنشاط شعب من الشعوب أثره في تطور الحضارة، ولكن مما لا شك فيه أن الصفات الجسمية لهذا الشعب ليست العامل الحاسم في هذا الموضوع. ثم ان الحضارة البشرية ليست من صنع سلالة معينة او شعب واحد ، وهي في بداية تكوينها أبعد من أن تكون من صنع (الآريين) أو البيض. كما انه ليست هناك صلاحيات خاصة لسلالات معينة ، فجميع السلالات بامكانها القيام بنفس العمل بالتعليم والتدريب . لذلك كان الحديث عن الفروق الجوهرية بين السلالات نوعا من الاكاذيب التي يراد بها تبرير استمرار أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية غير طبيعية . ويعلم قائلوها قبل غيرهم فسادها .

الانجليز يمارسون العنصرية :

اذا كان الألمان قد فلسفوا التفرقة العنصرية ، فان الانجليز قد مارسوها بالفعل : اذ تاجروا في الرقيق عند ما كانوا يحتلون مناطق متسعة في امريكا ، ومنعوا تجارة الرقيق وحاربوها عندما فقدوا مستعمراتهم الامريكية ، وزاد اتساع مستعمراتهم الافريقية . غير أنهم مارسوا تفرقة عنصرية اصبحت نموذجا للبيض في افريقية وفي غيرها من المناطق .

فظهور ما يعرف باسم الحاجز اللوني Colour Bar كان على اشده في المستعمرات البريطانية السابقة ، وكانت سياسة الحاجز اللوني تحتم ابعاد العناصر الافريقية عن كل ما يتمتع به البيض ، فهناك فنادق للبيض واخرى للسود ، ومدارس ومستشفيات لكل من الفريقين، والزواج المختلط محرم في اغلب المناطق ، أو على الاقل كان يقابل بالسخط وعدم الرضى ، وفرضت مناطق خاصة لسكنى الافريقيين ، وأعمالا خاصة لهم .

غير أن اهم مشكلة سببتها التفرقة العنصرية التي مارستها الادارة البريطانية كانت مشكلة الارض ، ففي الولايات المتحدة منحت الادارة البريطانية (قبل استقلال الولايات المتحدة) الاراضي للمهاجرين الاوربيين ، وطردت منها الهنود الحمر ، ولم يستطع حتى أولئك الذين شاركوا البريطانيين في حربهم ضد الفرنسيين (كقبائل الايركو Iroquois) – الاحتفاظ بأراضيهم .

وحدث الشيء نفسه في افريقية رغم الفارق بين القارتين من حيث ازدحام السكان ، والاعتماد على الزراعة ، وتظهر مشكلة الارض بصورة واضحة في المناطق التي هاجر اليها الاوربيون بكثرة ، بقصد الاستيطان مثل جنوب افريقية وروديسيا ، وكما كان الحال في كينيا وتنزانيا ، وفيها امتلك الاوربيون أخصب الاراضي وأصلحها للاستقرار ، تاركين المناطق الفقيرة للشعوب الافريقية .

وزاد المشكلة تعقيدا اختلاف نظرة كل من الافريقيين والاوربيين الى الارض فبينما ينظر الاوربيون الى الارض نظرتهم الى الممتلكات الشخصية التي يمكن ان تستغل وتباع وتشترى وتؤجر للغير ، ينظر الافريقيون الى الارض نظرتهم الى حياتهم وموطن آبائهم واجدادهم ، وأرواح آلهتهم ، وأن لكل فرد من افراد القبيلة حق استغلالها والمشاركة في ملكيتها ، ولكن ليس من حقه التصرف فيها ، كما انه ليس من حق شخص آخر دخولها أو استغلالها الا باذن من القبيلة أو العشيرة . وبالرغم من ذلك فقد انطلق المستوطنون الاوربيون ينتزعون الاراضي في افريقية ، ويمتلكونها ، فوضعت الشركات الاوربية يدها على جزء كبير منها ، ووضع التاج البريطاني يده على الجزء الباقي .

ولكن الى اين انتهت السياسة العنصرية البريطانية في افريقيا ؟

رجعت هضاب كينيا (البيضاء) الى اصحابها

الافريقيين ، واستعادت تنزانيا ، واوغندة ، ومالاوى ـ اراضيها من يد غير الافريقيين ، واختفت المعازل الافريقية من زامبيا ، ورجعت مزارع غرب افريقيا الى اصحابها ، ولم تعد السياسة العنصرية باقية الا في جنوب افريقيا وروديسيا (الجنوبية سابقا) ، وان كان جذورها ما تزال موجودة لدى بعض افراد الشعب البريطاني تتمثل في رفضهم السماح بسكنى غير البيض في منازلهم ، وفي الصيحات المتشنجة التي تدعو الى طرد غير البيض من بريطانيا انسجاما مع مبدأ « حفظ بريطانيا بيضاء » .

البرتغاليون والتفرقة العنصرية :

كان البرتغاليون أسبق الاوربيين جميعا في اقامة المراكز التجارية على سواحل افريقية جنوب الصحراء الكبرى ، كما كانوا اول من مارس تجارة الرقيق ، وعلى الرغم من تقلص الاستعمار الاوربي في افريقيـة فما تزال البرتغال تمتلك مناطق في افريقية تبلغ مساحتها حوالي ٢،٠ مليون كيلومتر مربع ، تتمثل في انجولا وموزمبيق وغينيا (بيساو) والراس الاخضر ، وبضع جزر اخرى قليلة ، تمكنت من السيطرة على اغلبها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

وتعتبر المستعمرات البرتغالية اشد مناطق العالم تخلفا ، ويكفي أن نشير الى أن ٠،٧٪ فقط من مساحة انجولا هي التي تستغل للزراعة ، على حين تصل نسبة الاراضي القابلة للزراعة الى ٢٥٪ من المساحة . وتبلغ نسبة المساحة المنزرعة في موزمبيق ٢،٦٪ ، والمساحة القابلة للزراعة فيها حوالى ٤٠٪ من مساحة البلاد. وتبرز اهمية الزراعة في اقتصاد هاتين المنطقتين اذا علمنا بالتخلف الشديد لقطاعات الاقتصاد الاخرى ، وباستحالة الرعى في بعض المناطق ، لكثرة وجود ذباب « تسى تسى » .

وينقسم سكان المستعمرات البرتغالية نوعين مختلفين من السكان : السكان المتحضرون Populacao - Civilizada والسكان غير المتحضرين Nao - Civilizada ويشمل القسم الاول جميع الاوربيين ومعظم المولودين Mesticos ، اذا كان احد الوالدين من اصل برتغالي ، وقليلا من الاسيويين ، ونسبة ضئيلة من الافريقيين ، ويطلق على هؤلاء (المتحضرين) من غير البرتغاليين اسم « المندمجون Assimilado البرتغاليون» أما الباقى فيطلق عليهم اسم الرعية البرتغالية . وبين القسمين اختلافات اجتماعية وسياسة وقضائية كبيرة .

وقد سمحت القوانين لغير المتحضرين بالحصول على حقوق المواطن ، والدخول في عداد المتحضرين اذا كانت لديهم المؤهلات التالية :

١ ـ التدين على المذهب الكاثوليكي .

٢ ـ التحدث بطلاقة باللغة البرتغالية ، وعدم استخدام اللغات المحلية ، والحصول على قسط كاف من الثقافة البرتغالية .

٣ ـ اتباع التقاليد والنظم البرتغالية ، وترك واحتقار التقاليد الافريقية .

٤ ـ أن يكون له دخل مناسب .

٥ ـ أن يؤدى الخدمة العسكرية في الجيش البرتغالي .

وعندما يمثل الشخص غير المتحضر أمام هيئة حكومية خاصة ، ويثبت لها أن لديه هذه المؤهلات يصبح مواطنا ، ويسمح له بالاشتراك في الانتخابات ، كما يحاكم في المحاكم الاوربية ، ويسمح له بدخول الملاهي والحانات التي يرتادها البيض .

هذا ـ وقد عملت الادارة البرتغالية جاهدة على الحد من عدد الافريقيين الذين يمنحون حقوق المواطن ، وميزات المتحضر فلم يظفر بهذه المميزات وتلك الحقوق سوى ٠،٧٪ من سكان انجولا ، ٠،٠٧٪ فقط من سكان موزمبيق الافريقيين وذلك طيلة الوقت وحتى عام ١٩٦٠ . وعلى الرغم من أن منح هذه الاقلية الضئيلة من الافريقيين لقب مواطن برتغالي لا تشرفهم على الاطلاق ، فانها تمطيهم من الحقوق ما لا تعطيه لباقي الافريقيين المحرومين من حقوقهم الانسانية .

وعلى الرغم من أن عامل الحضارة هو العامل البارز في هذا التقسيم مما جعل الكثير من الكتاب يتحدث عن عدم وجود الحاجز اللوني في

المستعمرات البرتغالية ، شأن ضآلة نسبة الافريقيين الذين منحوا لقب مواطن تجعل التفرقة الحضارية مرتبطة في جوهرها بلون البشرة ، وان كانت مغلفة بأكاذيب عن الحضارة الاوروبية والدين المسيحي .

وحسبنا ان نشير الى ان البرتغال قد استحدثت في مستعمراتها نظام السخرة ، ليحل محل نظام الرقيق . وقد وافقت البرتغال على توقيع اتفاقية الغاء ومحاربة الرق حديثا جدا (عام ١٩٢٦) ولكنها رفضت الموافقة على اتفاقية السخرة التي ابرمت عام ١٩٣٠ ولنكر البرتغال ممارستها للسخرة بالعمل الاجباري ، ولكنها تعترف بأنها تمارس ما يعرف باسم (العمل الموجه) وذلك لفائدة الافريقيين حسبما تدعي . فالسلطات البرتغالية تقوم بنقل العمال من انجولا وموزمبيق للعمل في المناطق الافريقية الاخرى ، وذلك بعد اجبارهم على توقيع (أو بصم) عقود خاصة ، من ثم كان الاسم الذي يعرف به عمال السخرة هو (المتعاقدون Contratado) وقد اثبتت دراسة هذا الموضوع في اوائل هذا القرن انهم قد انتزعوا من بين اهليهم عنوة ، وبطرق لا تختلف عن تلك التي اتبعها تجار الرقيق في الماضي .

جنوب افريقيا تطور أساليبها العنصرية

نصل اخيرا الى جنوب افريقية التي تعتبر التفرقة العنصرية فيها أقصى ما يمكن ان تصل اليه العلاقة بين عناصر السكان وفئاتهم من سوء . وفي هذه الجمهورية وكذلك في مستعمرتها جنوب غرب افريقية تمارس جميع وسائل التمييز العنصري من تحيز واضطهاد وفصل اجتماعي . وينظر الاوربيون في روديسيا الى الفلسفة العنصرية وتطبيقها في جنوب افريقية على انها النمط النهائي الذي يسعون اليه ، حتى يضمنوا استمرار سيادتهم وسيطرتهم . ومن الغريب انه على الرغم من أن سياسة التفرقة العنصرية في جنوب افريقية قديمة ، ترجع الى عهد الاستيطان الاوربي في اقليم « الكيب » في القرن السابع عشر ، فان هذه السياسة لم تخف وطأتها ، بل انها تفاقمت واستفحل امرها بمرور الزمن .

ويعتبر اتحاد جنوب افريقية من اشد مناطق العالم تعقيدا في سكانه ، لا بسبب كثرة العناصر البشرية فحسب ، بل بسبب اختلاف مشارب السكان واتجاهاتهم ، فهناك عناصر (البوشمن والهتنتوت) سكان « الكيب » الاصليين ، وقبائل (البانتو) بأقسامها العديدة التي تعيش في اغلب المناطق ، وهناك العمال الاجانب من الرقيق السابقين الذين جلبتهم شركة الهند الشرقية الهولندية للعمل في المزارع . وهناك الهنود الذين جلبهم الانجليز للعمل في مزارع السكر في ناتال . وهناك الملونون في « الكيب » الذين نتجوا عن اختلاط الهنود الاوائل بنساء الهتنتوت . ويكون هؤلاء جميعا ٨٣٪ من سكان جنوب افريقية (افريقيون ٧١٪ وملونون ٩٫٣٪ وهنود ٢٫٧٪)

اما باقي السكان (١٧٪ تقريبا) فهم الاوربيون ويشملون الهولنديين البوير الذين استوطنوا البلاد منذ أيام شركة الهند الشرقية الهولندية والهجنوت الفرنسيون الذين هربوا الى جنوب افريقية طلبا للحماية ، كذلك بعض الهاربين والفارين من المانيا وبلجيكا وفرنسا . ثم الانجليز الذين استعمروا هذه المناطق في القرن التاسع عشر ، واخيرا اليهود الذين اتوا من روسيا وبولندا والمانيا بحثا عن الثراء بعد اكتشاف الذهب والماس . واغلب المهاجرين الاوربيين من المجتمعات البروتستانتية ، التي بنيت آراؤهم الدينية ونظراتهم الاجتماعية على العهد القديم وعلى ما فيه من تفرقة عنصرية ، وزاد من ترسيخ مبدأ التفرقة العنصرية ما يلي :

١ ـ الاختلافات الدينية ، وانقسام المجتمع الى اوربيين مسيحيين ، وافريقيين غير مسيحيين ، مما جعل المسيحية ترتبط في اذهان اغلب الافريقيين بالرجل الابيض ، وكان ذلك من اسباب بطء انتشار المسيحية ، وخاصة عندما اعلن فلاسفة العنصرية انه لا مساواة في الدولة او في الكنيسة . ويكفي ان نذكر انه لا يتبع ما يعرف باسم كنائس البانتو سوى ١٤٫٥٪ فقط من مجموع افراد هذه القبائل البالغ اكثر من ١٥ مليون فرد .

٢ ـ تجارة الرقيق التي سادت هذه المناطق فترة طويلة بعد الاستيطان الاوربي ، وقد قام الارقاء الافريقيون بجميع الاعمال والخدمات الشاقة بلا مقابل . وعلى الرغم من الغاء الرق وزواله ، فانه قد ترك آثارا اجتماعية عميقة في مجتمع جنوب

افريقية ، وخلق نوعا من الافتراض الخاطىء بعلو منزلة كل ما هو ابيض ، واحتقار كل ما هو اسود .

٣ ـ الصراع السياسي والعسكري بين العناصر المختلفة ، وقد طال امده نحو ثلاثة قرون : صراع بين البيض والسود (بين البوير من ناحية وقبائل الزولو والاكسوسا من قبائل البانتو من ناحية اخرى) ، وصراع بين السود والسود (بين قبائل البانتو بعضها وبعض ، وبينها وبين البوشمن والهتنتوت) ، وصراع بين البيض والبيض (بين الانجليز والبوير) .

وكان من شان هذه الصراعات أن تركت في نفسية شتى الفئات رواسب من المرارة والشك والكراهية . وكان من المأمول فيه أن تنتهى سياسة التفرقة العنصرية بعد تكوين الاتحاد في عام ١٩١٠، أو بعد اعلان الجمهورية في عام ١٩٦١ ، ولكن ما حدث كان عكس ما كان متوقعا ، اذ اشتدت التفرقة العنصرية في جميع انحاء البلاد ، بعد أن كانت مقصورة على مناطق اورنج وترنسفال .

٤ ـ الصراع الاقتصادي وامتلاك الاوربيين كل وسائل الانتاج تقريبا ، فالمزارع الصالحة (٨٨٪ منها) يمتلكها الاوربيون ، وكذلك جميع المناجم والمؤسسات الصناعية والتجارة الداخلية والخارجية . اما الافريقيون فمحرومون من خيرات بلادهم . ومن الطبيعي أن يحدث الصراع بين الفريقين ، فيلجأ الاوربيون الى تثبيت الاوضاع الاقتصادية القائمة ، عن طريق القوانين التى تؤكد السيطرة الاوربية على اقتصاديات البلاد .

المعازل في جنوب افريقية :

منذ نهاية القرن الثامن عشر ، وبعد التوسع في الاستيطان الاوربى نحو الشمال ، والصراع على الارض مع قبائل البانتو الزراع ، بدأت تظهر مشكلة تحديد نفوذ كل من الاوربيين والافريقيين . وهكذا اخذت القوانين تتوالى ، حتى اصبحت المناطق التى يسمح للافريقيين بامتلاكها او استغلالها لا تتجاوز ١٢٫٥٪ من المساحة الكلية للبلاد (٩٫٢٪ من مساحة الكيب ، ٣٢٪ من مساحة ناتال ، ١٨٫٧٪ من مساحة ترنسفال ، ١٪ من مساحة اورنج) ، علما بأن جانبا كبيرا من هذه المساحة لا يصلح للزراعة . وقد حولت الادارة البريطانية هذه المناطق الافريقية الى معازل Reserves لتكون حاجزا يمنع اختلاطهم بالبيض، وخزانا للعمال الافريقيين . وينص القانون الذى وضعه سيسل رودس ـ رئيس وزراء الكيب عام ١٨٩٤ ـ على أن يعطى الافريقيون المناطق التى لا يرغب الاوربيون في امتلاكها ، وعلى الافريقيين أن يديروا شئونهم بأنفسهم ، وبنظامهم القبلى ، في مقابل العمل في مزارع البيض ومناجمهم ، لمدة ثلاثة شهور في العام ، نظير اطعامهم ، أو أن يقوموا بدفع غرامة مالية كبيرة اذا رفضوا هذا العمل . وقد تغيرت وتعدلت قوانين الارض بعد ذلك كثيرا، ولكن الهدف الذى وضعه رودس ما يزال هو الهدف النهائى .

ويكره الافريقيون فكرة المعازل ، لانها رمز الفصل العنصرى ، كما انها نفسها قد اصبحت شديدة الازدحام ، وبها القليل من الاراضى الصالحة ، كما يكره الاوربيون فكرة المعازل ، لانهم حسب تعبيرهم لا يريدون (بقعا سوداء) في جنوب افريقية ، ويطالبون بطرد الافريقيين الذين لايحتاج اليهم البيض الى الدول الافريقية المجاورة ، ليتخلصوا نهائيا من هذه المشكلة ، ويحولوا جنوب افريقية الى دولة بيضاء لا دولة يحكمها البيض فحسب .

لا عجب اذن أن تركزت كل السلطات في يد البيض (لا يمثل غير البيض أحد في مجلس الشيوخ ـ ٥٤ عضوا ، أو مجلس العموم ٦٦ عضوا) . وفرضت الضرائب العالية على غير الاوروبيين ، واهمل تعليمهم (٤٪ فقط ممن هم في سن التعليم ملتحقون بالمدارس الوسطى والثانوية)، وظهر ما يعرف باسم التعليم الافريقى المهنى على النظم القبلية والقراءة والحساب وبعض المهن غير الفنية . ولذلك لم يكن غريبا أن يكون نصيب البيض (١٧٪ من السكان) حوالى ٩٠٪ من الدخل القومى الكبير في جنوب افريقية . ■■

فؤاد محمد الصقار

استاذ الجغرافيا بجامعة القاهرة
والمعار لجامعة الكويت

مع ...
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه



الديدان

ارتفعت ببناء الأجسام في الحيوان ،

إلى مرتبة ظهرت فيها أجهزة الانسان واضحة بينة

بقلم الدكتور أحمد زكي

مراجعة :

■ وقفة قصيرة نتعرف فيها على مقدار ما قطعنا في مسيرة الوحدة ، وحدة الأحياء ، ووحدة الحيوان خاصة، من حيث وحدة بناء اجسامها ، ووحدة الوظائف في هذه الاجسام ، ووحدة غاياتها ،واذن فالبناء واحد ، والمخطط واحد ، وراسم السبيل واحد .

صعدنا سلم الحيوان درجة من بعد درجة ، ندرس بناء هذه الحيوانات ، بناء اجسامها . ولكن بناؤها يتألف من أجهزة عدة ، فجهاز الهضم ، وجهاز التنفس ، والدورة الدموية وغير ذلك . وما كان لنا ان ندرس كل هذه الأجهزة ، بالتفصيل ، في كل هذه الدرجات ، معا.

لهذا ركزنا على جهاز الهضم ندرسه اولا في اختصار كثير ، وذلك لأنه كلما زاد ارتقاء، وازداد تخصصاً في الحيوانات ازدادت معه سائر الأجهزة تخصصا وارتقاء .

ونركز على اجهزة الهضم ، ونتبعها بكلمة عن سائر الأجهزة في كل درجة من درجات الحيوان .

والى الآن ، صعدنا من السلم الحيواني الدرجة الأولى الدنيا ، شعبة الأميبة واخواتها ، ثم الدرجة الثانية ، شعبة الاسفنج . ثم الدرجة الثالثة ، شعبة الحيوانات التي لا احشاء لها ، او المعوية الوعائية ، وفيها الجوف يقوم بما تقوم به قناة الهضم ، فهي لا



دودة ارض عارمة من استراليا

قناة لها ، ومدخل الطعام فى أجسامها مخرج النفايا .

وليس لاى من هذه الدرجات الحيوانية دورة دموية،او جهاز تنفسي، او جهاز ابرازى على النحو الذى نعرفه للانسان وللكثير من الحيوان .

ونصعد الدرجة الرابعة من السلم الحيواني التي نعالجها الآن ، الى شُعَب الديدان ، فنجد فيها ان الجهاز الهضمي بدأ يظهر وبدأ يكتمل ، ومعه سائر الاجهزة .

الديدان شُعَب كثيرة

منها الديدان المفرطحة Flat worms
ومنها الديدان المستديرة Round worms
ومنها الديدان الحلقية او المحلقة Ring Worms.

وبكل شعبة من هذه الشعب نحو ١٠٠٠٠ نوع من الدود .

وسنأتي بأمثلة للديدان تكشف عما اكتسب بناء أجسامها من تقدُّم .

الدود المفرطح

ونختار من هذه الشعبة جماعة الدود المعروف بالمستورق (مفرطح كالورق) ، وهو يعيش حرا فى الماء ، اى غير متطفل على غيره من الاحياء . ويختلف طوله من ربع البوصة الى نصفها .

ويتناول طعامه مما يجد فى الماء منه ، وذلك بواسطة فتحة فى بطنه من اسفل، بها قناة ، هى البلعوم ، تخرج الى الطعام فتمتصه ، وهو بذلك يدخل جوف الدودة الذى هو نفسه جهاز الهضم ، وتقوم خلايا الجدران بالتقاط اجزاء هذا الطعام فتهضمه فى حويصلات للهضم تصنعها كما سبق ان وصفنا فى الأميبة . ويصل الطعام المهضوم الى سائر خلايا الجسم انتشارا .

وفضلات الطعام تعود فتخرج من نفس الفتحة التى دخل منها الطعام .

وينتج عن هذا الوصف ان هذه الدودة ليس بها جهاز دورى دموى ، فالذى ينتج من تفاعل الطعام فى خلايا الجسم لا يجد ما يحمله الى خارج الجسم ، الا قنوات صغيرة للافراز تنفتح ، بالذى فيها ، على سطح جسم الدودة من خارجها .

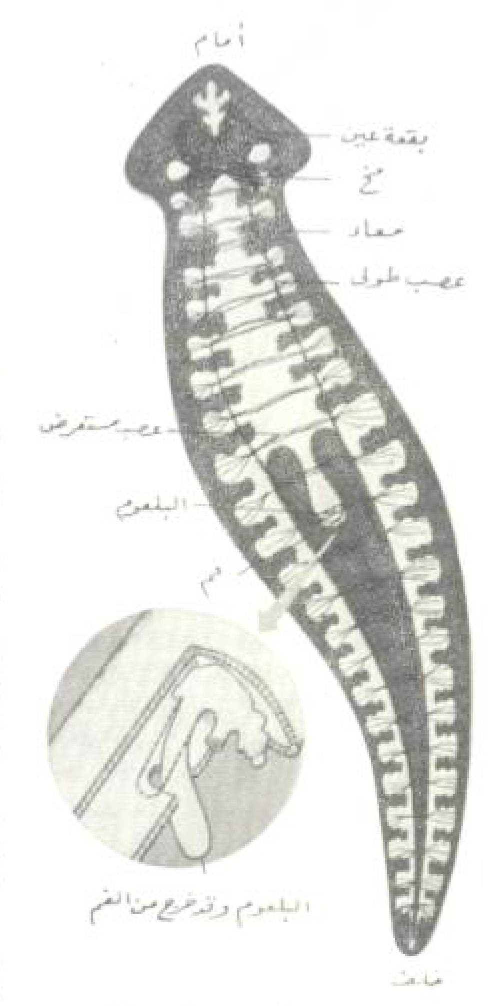
والجهاز العصبى لهذه الدودة ارقى من اجهزة الحيوانات الماضية . ولهذه الدودة بقعتان تعرف الواحدة منهما بالبقعة العينية Eyespot ، وهما لا يريان ، وانما يحسان الضوء .

وتحت هاتين البقعتين توجد كتلة من نسيج عصبى ، نسمح لانفسنا بان نسميها « المخ » تجوزا . وهى لا شك خطوة نحو « الترئيس » ، اى ظهور الراس فى الحيوانات، وبه المخ والحواس، وهى فى مقدمة الحيوان ، وهو الجزء الذى يتقدم بالحيوان فيؤمن له مسيرته وهو يخطو الى الامام على حذر .

ومن هذا « المخ » يخرج خطان عصبيان يمتدان بطول الجسم . انه الجهاز العصبى فى ارهاصاته الاولى .

ان الديدان ، حتى هذه المفرطحة التى هى ادنى الديدان تقدما ، خطت فى التطور الحيوانى خطوات لا بأس بها . ومع هذا بقى جوف جسمها يعمل عمل قناة الهضم ، كما هو الحال فى الحيوانات السابقة التى لا احشاء لها ، وقد حان ان تكون للحيوانات قناة هضم مستقلة .

ولكن هذه نجدها فى المثل الثانى الذى نضربه من الديدان ، انها الديدان المستديرة .



دودة مفرطحة ـ دودة مستورقة

الدود المستدير

الدود المستدير Round worms دود متطاول رفيع ناعم ، يستدق عند طرفيه . وهو قد يصغر حتى ليكون دون جزء من مائة جزء من البوصة ، وقد يكبر نحو اربعة اقدام طولا .

وتحتوى هذه الشعبة على الاف الانواع من الدود . ودودها يوجد فى تربة الارض او فى الماء الملح او العذب ، وكذلك متطفلا على النباتات والحيوانات .

اما عن التطفل فسوف يكون لنا فيه حديث وحده .

ولهذا الدود جهاز هضمى هو قناة لها طرفان ، مدخل (فم) ومخرج (آست) . وهذه القناة بها من الطول ما يأذن بهضم الطعام وامتصاصه وهو يسير فيها، ثم يترك ما لم تمتصه ليخرج من الجسم عن طريق الاست . ووجود قناة الهضم ، داخل جوف الجسم ، يشكل صورة فريدة : قناة داخل قناة . وهكذا هو الانسان فى آخر المطاف .

والطعام المهضوم الذى امتصته قناة الهضم يدخل الى السوائل التى بين القناتين ليتوزع على سائر خلايا الدودة . وذلك لان الدودة ليس لها جهاز دورة دموية يدور بهذا الغذاء كما فى الانسان .

ولهذا الدود جهاز عصبى يبدأ حلقات حول البلعوم ثم يمتد خيوطا فى سائر الجهات ، فى خدمة العضلات ، وكذا الاحاسيس .

وجهاز الابراز يتألف من خلايا تتصل بقنوات تنتشر فى الداخل وتؤدى الى قناة واحدة تفرغ ما تجمع فيها الى الخارج بواسطة ثقب عند الرأس يعرف بالثقب

الافرازي . جهاز كأنه الجهاز البولي . تقدمٌ في كل ما ذكرنا لا شك لا ينكر .

الدود المحلق
دودة الأرض ...

الدود المحلّق، او الحلقي ، او المتحلق Segmented worms ، وسُمّي بذلك لأن جسمه يتألف من حلقات كثيرة ، هو اكثر الدود تقدمُ اجسام . واكثر هذا الدود يعيش في الماء الملح ، وبعض في الماء العذب ، وبعض في الارض العادية ، وسوف نتخذها مثلا لهذا الدود .

دودة الأرض

ودودة الأرض العادية Earth Worm يتألف جسمها من حلقات ظاهرة ، وهذه الحلقات يتراوح عددها في الدودة البالغة ما بين ١٢٠ الى ١٧٥ حلقة ، وليس فيها عضو للاحساس ظاهر .

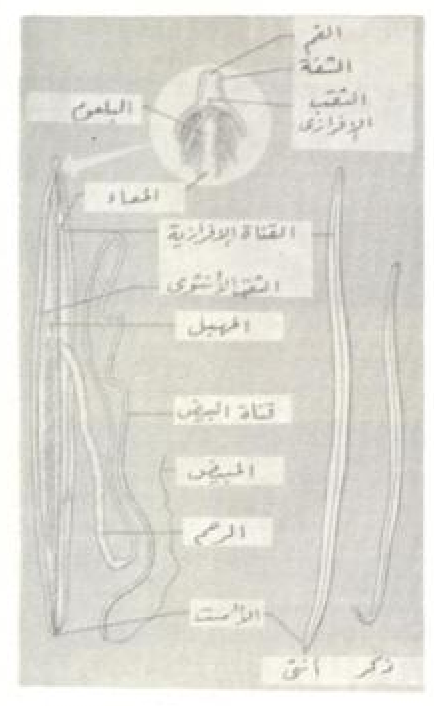
والفم نجده في مقدم الجسم ، وله شكل الهلال ، وهو يقع تحت ما يشبه الشفة العليا . أما الأست فنجده في مؤخر الجسم ، في اقصاه . ومعنى هذا ان هذا الدود له قناة هضم مكتملة الشكل .

والحلقات الظاهرة في الجسم اعدادها كبيرة .

اما الشعرات الشائكة التي بالحلقات من اسفل فتساعد الدودة على الحركة ، وتساعدها على التشبث بجدران الثقوب التي تحفرها في الارض ، وهي في هذه الحركة تحتاج الى ما بها من عضلات طوليّة ، واخرى حلقيّة .

جهاز الهضم بدودة الارض

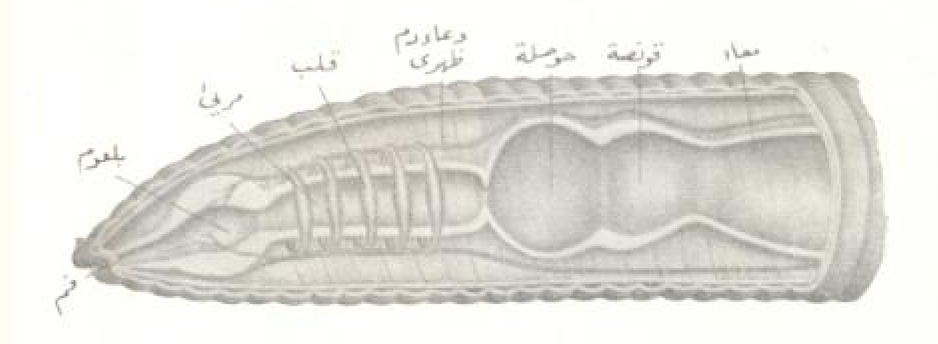
تستخدم الدودة بلعومها ، بعضله القوي ، ليمتصَّ تربة الارض بالذي فيها من طعام ، هو مواد عضوية او نباتية متحللة . وليس للدودة فك وليس لها اسنان . وتذهب هذه التربة بالذي بها من طعام عبْرَ البلعوم الى الانتفاخ

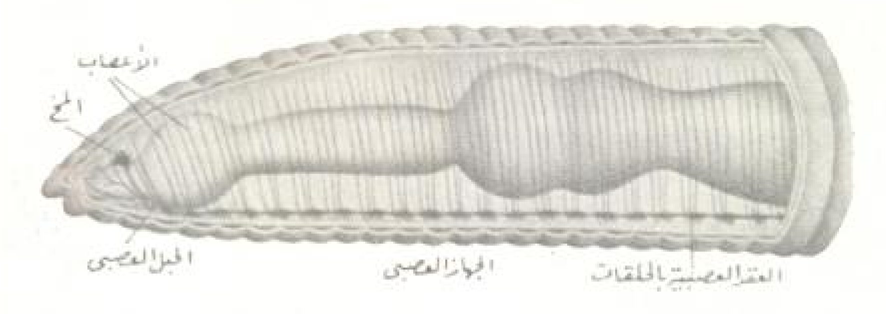


دودة مدوّرة

المستدير الذي بقناة الهضم . ويعرف باسم الحوصلة Crop ، وفيها يختزن الطعام عند الحاجة اختزانا مؤقتا . ومن الحوصلة تدفع التربة بطعامها الى القانصة او القرنصة Gizzard ، وهي تتقبض فتحك الرمل والحصى الذي في التربة بالطعام الذي فيها فتسحقه . ومن القانصة ينتقل الطعام جملة الى المعاء ، وهو يبدأ من الحلقة التاسعة عشرة الى آخر حلقاتها ، وفي المعاء يتم الهضم والامتصاص فالخمائر تهضم ، والدم الجاري في جدار المعاء يمتص ، تماما كما في الانسان .

والتربة التي دارت في القناة ، وهي كبيرة المقدار ، تخرج من الدودة عن طريق الشرج . والدودة الواحدة قد تخرج من التربة ١٨ طنا في العام .





دودة محلقة ـ دودة ارض

وعمل الدود هذا نافع للارض فهو يزيد هواءها ، ويزيد ماءها ، وفضلات الهضم تخصب التربة .

الجهاز الدورى الدموى فى دودة الأرض

ان الدم يأخذ الطعام المهضوم من جدران المعاء ويدور به فى الجسم يوزعه على سائر خلاياه .

هذا فى هذه الدودة الارضية . وقد كان توزيع الطعام المهضوم على سائر خلايا الجسم فى الحيوانات البسيطة انما يتم بانتشاره فى سوائلها ، ولم يكن لازما على الطعام أن يسير طويلا ليبلغ هذه الخلايا . وقد كانت متقاربة .

وهذه الدورة فى هذه الدودة لا تتضمن قلبا ، فماذا يحرك هذا الدم ؟

تحركه اوعية دموية تنقبض وترتخى ، فتجعل الدم يستمر فى جريانه ، وسموا هذه الأوعية قلوبا .

وهذه الديدان تتنفس عن طريق جلدها ، تأخذ الاكسجين بواسطته من الهواء ، وتطلق فيه ثانى اكسيد الكربون . ولا بد من بقاء الجلد رطبا ليتم هذا . ويتم هذا بأن تفرز البشرة افرازا مخاطيا يبلل الجلد . ان الدودة تموت اذا هى جفت فى الشمس .

والافرازات النتروجينية فى دودة الأرض

نعنى تلك التى تفرزها الكليتان فى

الانسان ، البولينة وحامض البوليك وغيرهما .

والدودة تفرز هذه المواد على طريق انابيب صغيرة ، تخرج من كل حلقة ، وتصب فى الخارج . لكأنها الكلية تزودت بها الحلقة من بعد الحلقة من هذه الديدان .

والجهاز العصبى فى دودة الارض

فى هذه الديدان جهاز عصبى من نوع ينظم حركات الجسم ، ويرسل الاوامر بناء على الأحاسيس التى يتسلمها من اعضاء للحس فيه ، الى أجزاء الحركة فى الجسم لتعمل .

ونحن لو فحصنا الحلقة الثالثة لوجدنا بها مركزا عصبيا صغيرا جدا ، يخرج منه عصبان يدوران حول البلعوم، ثم يلتقيان ليتكون منهما حبل عصبى طويل يجرى فى الجهة البطنية من الدودة .

كذلك يوجد فى كل حلقة من حلقات هذا الدود مركزان عصبيان كبيران ، عقدتان Ganglia عصبيتان ، يخرج من كل منهما ثلاثة أزواج من اعصاب .

وهذا الدود ، دود الارض هذا ، ليس له عيون يرى بها ، ومع هذا هو يحس الضوء ويحس الصوت ، ذلك أن بجلده خلايا خاصة تحس هذه الاشارات الضوئية والصوتية ، وتنقلها بسرعة نبضات الى عضلات الدود لتفعل .

الديدان خطت خطوة كبرى فى تقدم بناء الاجسام

يظهر هذا جليا بمقارنة الديدان ، لا سيما المستدير منها والمتحلق ، بما سبق من الحيوانات . وقد كانت حيوانات غير ذات أحشاء ، سبقتها حيوانات اسفنجيات ، سبقتها حيوانات واحدة الخلية .

اما ذوات الخلية الواحدة ، وتمثلها الأميبة ، فمن بساطة الخلق بمكان .

واما الاسفنجيات فتكادتكون حيوانات من ذوات الخلية الواحدة ، اتخذت سكنا واحدا ، فيه تجاورت . وحدث بينها بحكم هذا تجاوب وتعاون ، تركز اساسا على الاشتراك فى تحريك الماء وبه الطعام الى الخلايا جميعا ، وهى بجدران الجسم . ونعم قامت خلايا بجدران هذا الجسم وأخرى بالامتصاص وتوزيع الطعام ، وما الى ذلك ، ولكنها لم تبلغ مبلغ الانسجة ، تتكون من الخلايا لتقوم بتخصص واحد .

واما الحيوانات ، غير ذات الاحشاء ، فقد خلا جوفها ليتسع لما يدخل من طعام تصيده ، وتقوم جدران هذا الجسم بالهضم ، والامتصاص، وكل شيء تتطلبه الحياة . وتخصصت خلايا هذه الجدران، فبعض يصنع الخمائر ، وبعض يتم هضما . الى آخر ما هناك من واجبات. ولكن حرمان هذه الحيوانات من القناة الهضمية ، وفيها من التخصص ما فيها، وقيام جدران جسمها بعمل القناة ، جعلها فى موضع من الحياة ادنى .

ثم تأتى الديدان ، لا سيما المستديرة والمتحلقة ، فيكتمل خلقها بأن تكون فيها قناة هضمية ، ودورة دموية ، وأخرى افرازية، وأخرى عصبية، أجهزة عرفناها فى سيد الخلق ، الانسان ، وعرفناها فيما القناه من حيوان . ونعم لم تبلغ مبلغها هذا العالى ، ولكنها حسبها انها بلغت ما بلغت . حتى القلب اعوزها ، فقامت الى بعض اوعيتها الدموية الكبيرة، تضغطها وتطلقها من ضغطها ، ثم تضغطها وهلم جرا ، تحرك بها الدم فى دورته المغلقة ، تحاول أن تتشبه بقلب الانسان، ولما يأن لها الأوان لبلوغ هذه الغاية . انها فى السلم حيث وضعها واضعها .

●●

احمد زكى

طرائف غريبة

احزان فردى

● جيسيبي فردى Giuseppe Verdi (١٨١٣ ـ ١٩٠١) ، الموسيقار الايطالي العالمي ، عاش حياته بقلب عصره الحزن ومزقه الالموالياس، وقد انعكس هذا كله على موسيقاه التي عبرت عن حياة هذا الفنان التعس !

لقد عاش فردى ومات وهو يعانى آلام وحدته ، بعد ان فقد كل افراد اسرته الصغيرة ، وهو شاب لم يبلغ بعد عامه الثامن والعشرين ..

يروى الرجل الذى عاشت الحانه من بعده لتذكر الناس بحياة هذا الموسيقار العظيم البائس .. يروى ماساته مع القدر، يقول : « تقدمت اطلب « مرجريتا » ابنة الرجل الذى آمن بي فوهبني من حبه وعطفه وماله ما دفعني الى المضي في طريقي دون ان اتوقف لحظة واحدة. كنت يومها في الثالثة والعشرين ، وكانت خطيبتي وحبيبتي مرجريتا تصغرني بعام واحد وتزوجنا في شهر مايو من عام ١٨٣٦ . واعطتني زوجتي الحبيبة طفلين ، ابنة جميلة بعد عام واحد من زواجنا ، ثم ولدا كبير الشبه بامه في العام التالي ، وتحول بيتنا الصغير الهادىء الى مهرجان تصدح فيه انغام موسيقاى طوال ساعات النهار .. كنت لا اكف عن العزف الا عندما تغمض عيون طفلينا على الالحان التي كنت اضعها خصيصا لهما !

ولكن سعادتنا لم تدم طويلا ، فقد ذهبت ابنتنا .. خطفها الموت قبل ان تكمل عامها الثاني وبعد مرور شهر واحد على مولد شقيقها الطفل ! « بوستو » ، وما كدنا نستقر في مدينة « ميلانو »، وما كدت انتهي من وضع أول اوبرا كتبتها بدموعي واحزاني ، حتى عاد الموت يطرق باب بيتنا ، ليختطف منا ابننا الوحيد « ايسيليو رومانو » .

« وعشنا مع أحزاننا الجديدة ـ انا وزوجتي مرجريتا ـ وحاولت المسكينة ان تنسيني الامي ..

وحققت الاوبرا الجديدة اوبرتو Oberto ، التي كتبتها بدموعي ، نجاحا فاق كل ما كنا نتوقعه .. وعدت استند الى ذراع الانسانة الوحيدة التي تبقت لي ، ولكن سرعان ما ذهبت هي الاخرى بعد ان هدها الحزن الذى كان يعصر قلبها وتحاول جاهدة أن تخفيه عني ! لقد ماتت مرجريتا قبل ان تكمل عامها السابع والعشرين ..

« وبقيت وحدى اعيش على الذكريات .. ذكريات خمس سنوات من الالم والحزن والعذاب ! ولكنها لم تفارقني ابدا .. لم تغب صورة مرجريتا عن مخيلتي لحظة واحدة .. كانت تقف امامى كلما جلست لاكتب لحنا جديدا .. وعندما تلقيت برقية التهنئة التي بعث بها الى الملك امبرتو ملك ايطاليا في عيد ميلادى الثمانين ، حملتها وذهبت الى حيث ترقد مرجريتا كما تعودت ان افعل كل عام ووضعت البرقية على قبرها .. قال الملك في برقيته :

« في هذا اليوم الذى تستقبل فيه عاما جديدا من حياتك العظيمة التي لم يعلها الصدا يوما .. اقف فخورا بك، واضم صوتي الى اصوات الملايين من ابناء الامة ، مبتهلين الى الله ان يمد في عمرك من اجل هذا الفن الذى نبع من روحك ، واكسبك المجد والاعجاب في شتى انحاء العالم المتحضر ! »

قال وهو يلمس قبرها بشفتيه : « انها تحية لك انت ياحبيبتي ترى هل تسمعين ؟ »





الرحالة موم

● سومرست موم Somerset Maugham (١٨٧٤ – ١٩٦٥) الكاتب والمؤلف الانجليزى الشهير كان يعشق الاسفار ، فلم يترك بلدا فى الشرق او فى الغرب لم يرحل اليه .. وكان يعيش بين أهل هذه البلاد ، ويحدثهم ويأكل طعامهم ويدرس تقاليدهم وعاداتهم ، ومن خلال رحلاته الكثيرة ، ومن خلال تجاربه فى اسفاره ،كتب اروع مؤلفاته وفى مقدمتها « حد الموسى » The Razor's Edge وهي تحكى قصة شاب كان يبحث عن المعرفة فلم يجدها الا عندما حزم حقائبه ورحل .. وظل يتنقل من بلد الى بلد ،حتى قادته الاقدار الى الهند فى الشرق البعيد.. وفى هذه البلاد الواسعة التي ركبت الافيال ، ومن فوق جبالها الشامخة ، وقف الشاب يتطلع الى الافق الممتد امامه ، ويبحث عن الحقيقة وسط اساطيرها التاريخية . وهناك وجدها .. وجد المعرفة التي كان يسعى اليها ..

ولقد كان « حد الموسى » ، هو الذى اوحى الى هذا الكاتب الكبير الذى عاش قرنا من الزمان ملأ فيه دنيا الفكر بعشرات الكتب والمؤلفات ، بان يوصى بمنح جائزة سنوية للكاتب الانجليزى الذى يضع احسن كتاب اشترط أن ينفق الكاتب الذى يجب الا تزيد سنه على ٣٠ عاما ، قيمة الجائزة كاملة على الرحلات والاسفار .

وذكر موم فى وصيته ، وهو يضع هذا الشرط الاخير : « انه خير ضمان يمكن ان يقدم للكاتب الفائز ، حتى يستطيع ان يضع كتابه الثاني .. انني مؤمن بان هذه هي افضل وسيلة لتوسيع مدارك الكاتب الناشيء وتجاربه وخبرته بالحياة !

اما هو ، فقد امضى العشرين عاما الاخيرة من عمره فى طواف حول العالم . ولم يكف عن رحلاته واسفاره الا عندما وقف يحتفل بعيد ميلاده التسعين ! قال وهو يطفىء الشموع : « لقد بدأت اشعر بالوهن .. يبدو لي ان اعراض الشيخوخة بدأت تزحف الى جسمي ! » .

ولم تستمر حياته فى شيخوخته طويلا ، فقد مات قبل بلوغه العام الحادى والتسعين !

الحرية امرأة



● جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا الحالى نشأت بينه وبين ليوبولد سنجور علاقة زمالة وصداقة ، عندما كان رئيس جمهورية السنغال طالبا يتلقى العلم فى باريس منذ أكثر من ثلاثين عاما مضت .

وفى احد الأيام اتفق الصديقان على زيارة متحف اللوفر Louvre فى باريس ، ووقفا طويلا يتاملان لوحة حديثة لفنان ناشيء ، وكانت اللوحة تمثل امرأة كبلت السلاسل الحديدية معصميها ، ولكنها كانت سلاسل محطمة ممزقة.. انها الحرية، كما صورها صاحب اللوحة .

وفجأة التفت سنجور الى صديقه وقال متسائلا:

« اليس غريبا أن يختار الفنانون المرأة فى كل عمل يرمز الى الحرية ؟ » .

وقال بومبيدو : « ربما كان هذا لأنها عاشت حياتها كلها مغلوبة على امرها ، منذ ان كانت هناك حياة على هذه الارض » .



عبد الملك بن مروان

فقيه، جاءته الخلافة على غير انتظار

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ حياة عبد الملك بن مروان ، الذى صار الخليفة الخامس من خلفاء بنى أمية في دمشق ، مملوءة بالمواقف الحربية والأدبية ، وكلها تدل على ما كان له من قدرة على الفهم ، والتصرف الحازم، مما جعله يترك لبنيه بعده دولة واسعة الأرجاء ، كثيرة الخيرات .

وفي ايامه ، شابا وكهلا ، كانت اللغة العربية الفصحى منتشرة ، والقرآن الكريم يقبلون عليه حفظا ، الى جانب ما يحفظون من مأثور القول ، وبخاصة ما ابتدعته قرائح الشعراء في كل فن من غزل ووصف ، ومدح وهجاء ، وحكم ونصائح . وقد اخذ عبد الملك بن مروان من كل هذا بنصيب وافر ، يتجلى في سرعة استشهاده باقوالهم حسب ما يوافق الحال .

انه حين انصرف للعلم والادب في عمره الاول ، لم يكن مرشحا للخلافة ، لا هو ولا ابوه ، اذ كان الذين يلون امرة المؤمنين عثمان وعليا ، فالحسن فمعاوية ، فابنه يزيد ، فمعاوية بن يزيد ، لهذا كان عبد الملك بن مروان في شبابه يعد من خيرة العلماء وفقهائهم ، حتى لقد قيل لعبد الله بن عمر بن الخطاب: انكم معشر اشياخ قريش توشكون ان تنقرضوا ، فمن نسأل بعدكم ؟ فقال ابن عمر : « ان لمروان ابنا فقيها فاسألوه » .

العلم في المدينة

ولقد كانت مدينة رسول الله حاضرة العلم ، يتوارثه أهلها عن الصحابة الذين لقوا رسول الله فحفظوا ما قال ، وقلدوا ما فعل ، كما رووا من اصحابه الاعلام الكرام ، من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى .

واشتهر في المدينة جماعة من فقهاء الشريعة ، منهم سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير . وعدّوا عبد الملك بن مروان في مرتبتهم علما وزهدا ، وذلك قبل ان يكون اميرا للمؤمنين ، يقول احد علماء المدينة : ادركت المدينة وما بها شاب انسك ، ولا أشد تشميرا ، ولا أكثر صلاة ، ولا اطلب للعلم ، من عبد الملك بن مروان .

شهد له معاوية وابن العاص

وقد شهد له معاوية وعمرو بن العاص بحسن ما كان يتصف به ، ذلك انه دخل على معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فسلم وجلس ، ثم لم يلبث ان نهض ، فقال معاوية : ما اكمل مروءة هذا الفتى ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، انه اخذ باخلاقٍ أربعةٍ ، وترك اخلاقا ثلاثةً :

انه اخذ باحسن البِشْر اذا لقِيَ ، وبأحسن الحديث اذا حدَّث ، وبأحسن الاستماع اذا حُدِّث ، وبأيسر المؤونة اذا خُولِفَ .

وترك مزاحَ من لا يوثق بعقله ولا دينه ، وترك مجالسه لئام الناس، وترك من الكلام ما يُعتذر منه .

وهذه الجمل تروى بأساليب مختلفة فيها نقص او زيادة ، اخذت منها رواية كتاب تاريخ بغداد .

ترك الورع حين تولى

لكن عبد الملك بن مروان لما تولى امرة المؤمنين سنة ٦٥ من الهجرة ، حين مات ابوه مروان بن الحكم ، تغيرت طباعه ، فصار شديد الوطأة على اعدائه ، ويكفى أن أسوأ الولاة واشهرهم ظلما ، وهو الحجاج بن يوسف الثقفى ، هو الذى ترك له الحبل على الغارب ، يسفك الدماء بلا رادع من ضمير ، ولا وازع من دين . كان عبد الملك يغضي عن كل ذلك ، في سبيل ما يمهده له الحجاج من سلطان ويذلّل له من صعاب المخالفين .

وفي الحق انه اخضع له اكثر الناس عداوة واشدهم عليه ثورة .

تغيروا وتغير

الا ان عبد الملك كان في زمن كثر فيه المخالفون والخارجون ، فاستحل لنفسه أن يقر له الامر بكل الوسائل والسبل ، وكان من مبدئه قوله حين خطب فقال : الا تنصفوننا يا معشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ، ولم تسيروا في انفسكم ولا فينا بسيرة رعية ابي بكر وعمر . اسال الله ان يعين كلاًّ على كلٍّ .

ويقال انه كتب الى الحجاج مرة - ولعل ذلك في اول عهده - بلغني عنك اسراف في القتل ، وتبذير في المال ، وهاتان خلتان لا احتمل عليهما احدا .

وقد حكمت عليك في العمد بالقود - اى القصاص - وفي الخطا بالدية ، وفي الاموال ان تردها الى مواضعها .

وكتب في آخر خطابه أبياتا لعلها من شعره ، نختار منها قوله :

سأملي لذي الذنب العظيم كأنني
أخو غفلة عنه وقد جبَّ غاربُه
فإن كفَّ لم أعجلْ عليه وإن أبى
وثبتُ عليه وثبةً لا أراقبُه

حياة

ويعنينا من حياة عبد الملك جوانبه الأدبية أكثر من اعماله السياسية،ولكننا نوجز تاريخه ايجازا.

ولد عبد الملك بن مروان في السنة التي تولى فيها سيدنا عثمان بن عفان الخلافة سنة٢٣هجرية.

واستعمله معاوية واليا على المدينة ، وهو ابن ست عشرة سنة تقريبا ، ومات وسنه تدور بعد الستين بعامين اوثلاثة ، اذ كان في سنةست وثمانين هجرية « ٨٦ » ظل تسعة اعوام ينازعه الأمر عبد الله بن الزبير الذي كانت تتبعه الجزيرة العربية والعراق ، في حين كان هو مسيطرا على مصر والشام ، ثم غلب على كل البلاد الاسلامية من بلاد الهند الى المحيط الاطلسي،وتفرد بالخلافة، وزادت في عهده الفتوح ، وفي أيامه حوّلت الدواوين الى العربية ، ونقشت الدنانيروالدراهم باللغة العربية في سنة ٧٦ وكانت على الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية ، وعلى الدراهم كتابة بالفارسية .

نهى عن الاعراب

ومن الطريف ان هذا الرجل الفصيح البليغ ، الذى كان من أحسن متكلمي وقته ، يُروَى عنه في كتاب « البصائر والذخائر » انه كان يدعو الى عدم الاعراب عند المخاطبة ، وما اظن ذلك ان صح الا لحبّه لابنه الوليد بن عبد الملك الذى كان ولي عهده ، وكان الوليد غير فصيح . فلم يشأ ان يكون ابنه غير محمود الفصاحة بين المتحدثين ، لكن عبد الملك مع هذا يخضع لحسن القول ، ويتجاوز عن الأمر الذى اصدره ، اذا وقع منه موقعا يرضي طبيعته الفصيحة ، وسليقته المُبِينة، يقول الزهرى محمد بن مسلم القرشي - وهو من أعظم العلماء في عهده وفي عهد ابنائه - كنت عند عبد الملك بن مروان ، فدخل عليه رجل حسن الفصاحة ، فقال له عبد الملك : كم عطاؤك ؟ قال : مائتا دينار . قال : في كم ديونك ؟ قال : في مائتي دينار ، قال عبد الملك : أما علمتَ انى امرت أن لا يتكلم احد باعراب ؟ قال : ما علمت ذلك .

قال : أمن العرب انت أم من الموالي ؟ قال : يا امير المؤمنين ، ان تكن العربية ابا فلست منها. وان تكن لسانا فاني منها . قال : صدقت ، قال الله تعالى : « بلسان عربى مبين » .

وهذا فهم من عبد الملك لطيف ، فان الله وصف اللسان بانه عربى ، واللسان معناه ما نسميه اللغة التى يكتب بها وتكون بها المحادثة والخطاب، واذن فمن كان فصيح اللسان بالعربية استحق أن يقال له عربى .

الشعر الذى يقدره

لكنه كان يختبر اهله وبنيه ، ليعلم ما عندهم من حفظ للكلام الفصيح ، قال يوما وعنده جماعة من اهل بيته وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به . فذكروا شعرا لامرىء القيس ، وشعرا للأعشى ، ولطرفة ، وما زالوا يكثرون حتى اتوا على محاسن ما قالوا ، فلما لم يصيبوا ما في نفسه قال لهم :

اشعرهم الذى يقول - ويعنى به معن بن أوس المُزَني - وهى أبيات بلغت من سياسة الحلم وجمع الكلمة مستوى رفيعا :

وذي رَحِمٍ قَلّمْتُ أظفار ضِغْنه
بحِلمِيَ عنه وهو ليس لـه حِلْمُ
يحاولُ رغْمِي لا يحـاول غـيره
وكالموت عندي أن يَحلّ به الرَّغْمُ

.. الى ان يقول :

فما زلتُ في رفق به وتعطّـف
عليه . كما تحنو على الوَلد الأمُّ
وخَفْضٍ له مني الجَناح تألّفاً
لتُدْنيَه مني القرابة والرّحْـم
وقولي إذا أخشى عليه مُلِمّـة
ألا اسْلَم فداك الخالُ ذو العقْدِ والعَمّ
وصبري على أشياء منه تريبنـي
وكَظْمي على غيْظي وقد ينفع الكَظْمُ
وأطفأتُ نار الحرب بيني وبينـه
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سِلْمُ

معرفته بقدر نفسه

وعبد الملك بن مروان لم يكن يجهل قدر نفسه ومعرفته بما له من خبرة ، كما لم يكن يجهل قدر خصومه ، ولهذا انتصر على كثير منهم ، حتى دانت له البلاد بالطاعة ، اما عن رضا ومحبة واما عن خضوع ورهبة .

اراد أن يحارب مصعب بن الزبير الذي كان يحكم العراق من جهة اخيه عبد الله بن الزبير ، فاشار عليه بعض من حوله ان يقيم بدار ملكه دمشق ، وان يبعث بعض اهله ويمده بالجنود ، فقال عبد الملك : انه لا يقوم بهذا الأمر الا قرشي له رأي . ولعلي ابعث من له شجاعة ولا رأي له ، واني بصير بالحرب ، شجاع بالسيف ان احتجت اليه . ومصعب شجاع من بيت شجاعة ، ولكنه لا علم له بالحرب ، يحب الخَفْض ـ أي لين العيش ـ ومعه مَنْ يخالفه ، ومعي من ينصح لي .

فلما عزم على المسير بنفسه ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد ، فبكت وبكى جواريها لبكائها ، فقال : قاتل الله كثير عزة ، لكانه يشاهدنا حين يقول :

إذا ما أراد الغزْوَ لم يَثْنِ همّـه
حَصَانٌ عليها عِقْدُ دُرٍّ يزينُها
نَهَتْه فلما لم تر النّهْيَ عاقَـه
بكَتْ وبكَى مما عنَاها قَطينُها

القطين : الخدم والجواري .

وسار وانتصر ، وقتيل مصعب ، وخضعت البلاد لعبد الملك بن مروان .

اختبار وتقديم

واتته القبائل تبايع ، ومن القبائل التي جاءته قبيلة عَدْوان . وقدموا رجلا منهم كان جميلا ، فقال عبد الملك :

عَذيرَ الحيِّ من عَـدْوا
نَ كانـوا حيّـةَ الأرضِ

ثم اقبل على ذلك الرجل الجميل وقال له : ايه . يريد منه ان يكمل الابيات ، فقال الرجل الجميل ، لا ادري . وكان وراءه « معبد بن خالد الجدلي » فقال :

ومنهم حَكَمٌ يَقْضـي
فـلا يُنقَضُ ما يَقْضـي

فاقبل عبد الملك على ذلك الرجل الجميل وقال له :

من هو قائل هذا الشعر ؟ فقال : لا ادري .

فقال معبد بن خالد : هـو ذو الاصبع العدواني . لكن عبد الملك الذي يحفظ الشعر ويعرف القائل وكنيته احب ان يستمر في اختباره لهذا الذي قدموه عليهم ، والذي يجهل مفاخر قومه ، في عهد كانت القبائل تبحث عن مآثرها فتروبها ، وتعتز بمعرفة قائليها . فقال عبدالملك للرجل الجميل : لماذا قيل له ذو الاصبع ؟ فقال: لا ادري . فقال « معبد » : لان حية نهشت اصبعه فقطعت ، فقال عبد الملك للرجل الجميل: من ايكم هو ؟ فقال : لا ادري ، فقال « معبد » من بني ناج .

حينئذ قال عبد الملك : كم عطاؤك ؟

وهو ما يفرض من مال يأخذه من بيت المال في الشهر أو في السنة ، فقال الرجل الجميل المظهر عطائي سبعمائة ـ فقال لمعبد بن خالد : كم عطاؤك؟ قال : ثلاثمائة . فقال عبد الملك لكاتبه : اجعل معبدا في سبعمائة ، وانقص من عطاء هـذا اربعمائة .

غزالة وشبيب

وقد ظهر في عهد عبد الملك جماعة من ابطال الخوارج ، حاربوا جنوده وولاته بشجاعة منقطعة النظير ، لكن عبد الملك وكثير من القادة من استطاعوا ان يقضوا على اغلبهم ، حتى كسر شوكتهم وفلّ حدتهم ، ومن هؤلاء الذين كانوا ابطالا من الخوارج « شبيب بن يزيد الشيباني » وكذلك كانت امه ، وامراته التي كانت تسمى « غزالة » وبلغ من قوة شبيب انه هزم جيوشا كثيرة للحجاج بن يوسف الثقفي ، الوالي من قبل عبد الملك بن مروان على العراق . وقد نذرت « غزالة » امراة شبيب أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين ، تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل عمران ، والكوفة مقر امارة الحجاج فزحف زوجها بمن معه من فرسان الخوارج على الكوفة ، فتحصن الحجاج بدار الامارة خوفا منها ومن جيش زوجها ، واتت هي الجامع ، وصلّت الركعتين ، ووفت بنذرها ، حتى قال اهل الكوفة :

وفَتْ غزالةُ نَذْرَهــــــــــــا
يارَبِّ لا تغفــر لهــــــــــا

وكان هرب الحجاج من لقائها وزوجها مدعاةً لسخرية عمران بن حطان الخارجي ايضا ، اذ يقول معيّرا الحجاج :

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامــــــة
فتخاءُ تنفر من صفير الصافرِ
هلّا كررت إلى غزالة في الـــوغى
بل كان قلبــك في جناحَيْ طائرِ

امير المؤمنين شبيب

وبلغ شبيب من المكانة بين الخوارج أن صاروا يدعونه امير المؤمنين ، ولما عجز الحجاج عن قتال شبيب الخارجي بعث اليه عبد الملك بن مروان جندا بقيادة سفيان بن الابرد الكلبي ، وحاربوه فهزموه ، واتبعه سفيان ، فلما وصل الى جسر دجيل نفر بشبيب فرسه ، وكان عليه الحديد الثقيل من درع ومغفر ، فالقاه في الماء ، فقال له بعض اصحابه من الخوارج : اغرقا يا امير المؤمنين؟ فقال : ذلك تقدير العزيز العليم . ومات شبيب غريقا .

وكان احد الشعراء الخوارج ، واســـمه « عتبان » قال يفخر بفرسان الخوارج ، ويخاطب اتباع بني مروان :

فإن يَكُ منكم كابْنِ مَروانَ وابْنِه
وعَمرٍو ومنكم هاشمٌ وحَبيبُ
فمنّا حُصَيْنٌ والبُطَيْنُ وقَعْنَبٌ
ومنا أميرَ المؤمنين شَبيـــــــبُ

فلما انتهى امر شبيب ، وقُبِض على «عتبان» جيء به الى عبد الملك بن مروان ، فقال له : ألست القائل ــ وذكر البيتين السابقين .

ومنا اميرُ المؤمنين شبيبُ .

فقال : لم اقل ذلك يا امير المؤمنين ، وانما قلت :

ومنا ــ أميرَ المؤمنين ــ شبيبُ .

فقبل قوله وعفا عنه ، وهذا نوع من التغيير في اعراب الكلمة ، حوّل الكلام من معنىً الى معنى ، فهو حين رفع كلمة « امير » جعل شبيبا هو امير المؤمنين ، لكنه حين نصب كلمة امير ، جعــل الكلام مخاطبة لأمير المؤمنين ونداءً له ، كأنه يقول له : ومنا شبيبٌ يا امير المؤمنين . وهذا الذكاء من « عتبان » جعل عبد الملك يعجب به ويعفو عنه .

من نصائحه

في جواب لعبد الملك لابنه الوليد ، وقد سأله عن السياسة ، تتبين خبرته وحكمته اذ قال : هيبة الخاصة ، مع صدق محبتها . واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها .

اما نصيحته لمؤدب أولاده فكانت منهاجا للكمال وحسن الخصال اذ قال له :

علّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم على الاخلاق الجميلة ، وروّهم الشعر يَمْجُدوا وينْجُدوا ، وجالس بهم أشراف الناس وأهل العلم منهم ...

وجنّبهم شتم اعراض الرجال ، فان الحرّ لا يجد من عرضه عوضا .

واحمِلْهم على صلة الأرحام ، واعلم ان الأدب اولى بالغلام من النسب . ■■

عبد الستار احمد فراج

مختبر الفضاء
« سكاى لاب »
خطوة فى الطريق لرحلات المستقبل الى الكواكب

بقلم : سعد شعبان

■ لقد فرغ علماء الفضاء مؤقتا من دراسة القمر ، الذى هو اقرب اجرام السماء الى الارض ، وذهبوا الى الفضاء الفسيح الذى يليه ، ويمموا وجوههم شطر ما هو ابعد ، الى الكواكب ، اخوات الارض ، التى تكون أسرة تدين بالولاء للشمس ، وترتبط معها برباط الجاذبية .

واذا استعرضنا برنامج « ابوللو » الامريكى الذى انتهى فى ديسمبر ١٩٧٢ ، نجده قد استهدف دراسة القمر ، وجيولوجيا صخوره ، وطوبوغرافية سطحه . وترك رواد الفضاء على سطحه عشرات من الاجهزة العلمية التي سيظل بعضها يعمل لعشرات السنوات المقبلة . وقد تم فى برنامج ابوللو انجاز (١٧) رحلة ، وفي كل رحلة منها منذ الرحلة الحادية عشرة ، هبط على القمر رائدان ، درجا عليه بارجلهم ، وانتقلا فوق سطحه بعربات .

ومن بعد « ابوللو » ، تطلع العلماء الى خطوتهم المقبلة ، الى الكواكب .

ويمثل مختبر الفضاء « سكاى لاب » بعدا جديدا فى طريق الانسان شكل (١) الى الكواكب. واقرب الكواكب الى الارض هما كوكبا الزهرة والمريخ ، ولا شك فى انهما يمثلان محطات الفضاء المقبلة . ومعروف أن المسافة بين الارض والقمر تبلغ فى متوسطها ٢٣٩ الف ميل (٣٨٥ الف كيلومتر) ، أما تلك التى بين الارض والزهرة فمتوسطها (٤١,٤) مليون كيلومتر . واقصر مسافة بين الارض والمريخ هي (٧٨) مليون كيلومتر .

لذلك نجد أن المسافات فى ابحاث الفضاء الماضية كانت تقاس الى القمر بالاف الكيلومترات، وها هى قد قفزت الى ملايين الكيلومترات . فبعد أن كانت الرحلة الى القمر لا تستغرق الا اياما معدودة ، ستصبح الرحلة الى الكواكب الأخرى ، تستلزم شهورا عديدة .

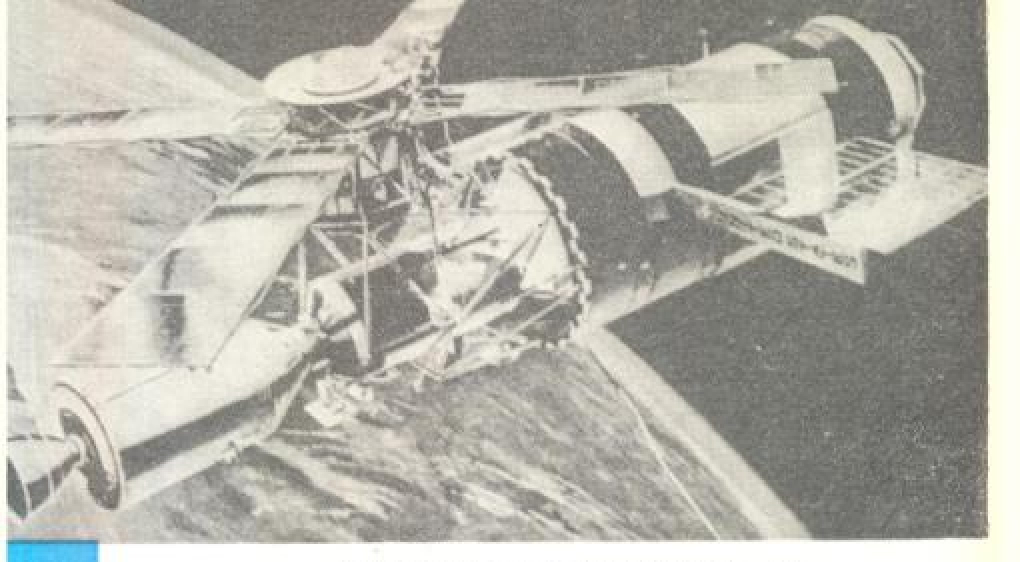
ان « سكاى لاب » يمثل قمة فى انجازات التكنولوجيا فى عصر الفضاء ، من اجل قياس القدرات البشرية على البقاء فى الفضاء مددا طويلة تحت تاثير حالة انعدام الوزن ، مع القيام باختبارات فضائية مستحدثة منها الطبي ومنها العلمى . وهذا هو موضوع مقالنا .

« سكاى لاب » مختبر لثلاث تجارب

ولقد وضع تصميم المختبر ليظل محلا لثلاث تجارب فضائية متعاقبة ، على مدار ثمانية شهور . وتتم كل رحلة بواسطة ثلاثة رواد ، يلحقون بالمختبر بواسطة احدى سفن « ابوللو » ، ويظلون به بعد ان تلتحم سفينتهم به ، ثم يعودون الى الارض بسفينة ابوللو التى صعدوا بها .

ولقد تمت الرحلة الاولى بثلاثة رواد ظلوا بالمختبر مدة (٢٨) يوما ، بدأت فى مايو ١٩٧٣ . وبعد شهرين قام ثلاثة رواد آخرين بالتحام بالمختبر بسفينة اخرى وظلوا به مدة ٥٦ يوما ، وهى مدة تبلغ ضعف المدة الاولى .

وقد بدات هذه التجربة الثانية فى يوليو سنة ١٩٧٣ .



المختبر « سكاى لاب » ملتحمة به سفينة « ابوللو »

وفى ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ تكررت التجربة مرة ثالثة بعد مضى شهر من انتهاء التجربة الثانية ، وظل الثلاثة الرواد الجدد فيها أطول مدة قضاها انسان فى الفضاء وهي (٨٤) يوما .

وقد يتساءل البعض عن السبب فى تحديد مدد هذه الاختبارات المتتالية (٢٨) يوما ، ثم (٥٦) يوما ، ثم (٨٤) يوما . والحقيقة مرجعها أن اكبر مدة قضاها رائد فضاء امريكى فى الفضاء خلال احدى رحلات برنامج « جيمنى » كانت (١٤) يوما . لذلك اختيرت مدة الرحلة الاولى فى المختبر لتكون ضعف هذه المدة ولتكون مدة التجربة الثانية فيه ضعف المدة الاولى ولتكون مدة التجربة التالية ثلاثة امثالها .

غير أنه لا بد من الاشارة الى ان ثلاثة من الرواد السوفييت سبق لهم البقاء فى الفضاء مدة أطول حيث بقى رواد السفينة « سويوز ١١ » مدة ٢٣ يوما و ١٨ ساعة .

لذلك يعلق علماء الفضاء اهمية كبرى على تجارب « سكاى لاب » البيولوجية والفسيولوجية وأثر انعدام الوزن فى الرواد ، اذ سيكون لها آثارها على الرحلات المقبلة فى السفر الى الكواكب ولا شك ستكون اطول فى مددها واسرع فى انطلاقها.

دراجة فى المختبر

ومن الطريف ان نجد أن المختبر الفضائى يحوى بين أجهزته دراجة ثابتة ، يستطيع أن يعمل عليها الرواد لتنشيط دوراتهم الدموية والتغلب على ما يؤثر على القلب لطول البقاء تحت تأثير هذه الظاهرة .

والمؤثرات السيكلوجية

ولا يغيب عن البال أن المؤثرات السيكلوجية على الرواد خلال رحلات « سكاى لاب » الثلاث محل دراسة ايضا .

ذلك أن الصمت الطويل والظلام الحالك الذى يحيط بهم فى الفضاء ، بالاضافة الى رهبة المجهول ، والعزلة فى الكون ، لها آثارها البالغة على نفسية الرواد ، وبالتالى على تصرفاتهم . ولعل هذا هو السبب الحقيقى فى اطلاق رواد الرحلة الثانية اسم « رحلة الملل » على مهمتهم ، وطلبهم زيادة المهام التى يطلب منهم اداؤها ، ليتغلبوا على الفراغ .

ماذا يحوى المختبر

يعتبر مختبر « سكاى لاب » أثقل الاجسام التى اطلقت الى الفضاء الى الآن . فمن حيث الوزن يقترب وزنه من ١٠٠ طن . هذا ثقل لم يعهد فى الاقمار الصناعية او سفن الفضاء من قبل . ومن حيث الحجم يفوق حجم سفن ابوللو من الداخل خمسين مرة . ولذلك فهو رحب متسع، سعة تعدل منزلا مكونا من خمس حجرات .

ولعل ذلك هو السبب الحقيقي في أن رواد المختبر يزاولون حياتهم اليومية داخله بأساليب جديدة لم تعهد في الرحلات الفضائية السابقة سواء السوفييتية أو الامريكية .

فرواد سكاي لاب ، لديهم أسرة خاصة للنوم وان كانت الأسرة ملتصقة بجدران المختبر في وضع رأسي اذ ليس في الفضاء وضع رأسي أو افقي ، لأن هذه الاوضاع ليس لها اعتبار الا بالنسبة للارض .

كما يحوي المختبر مطبخا لتجهيز الطعام وتسخينه ، بعد اخذه من ثلاجات خاصة او من وحدات تجميد . ويبلغ عدد وحدات تجميد الطعام (٥) ، وعدد الثلاجات (١١) وبه أيضا عديد من مستودعات المياه اللازمة للشرب والطبخ والتنظيف .

وتشغل خزانات المياه حجما كبيرا من المختبر ، اذ لا بد أن تكفي رواد الرحلات الثلاثة داخل المختبر .

وبالاضافة الى خزانات المياه ، يوجد عدد كبير من دواليب حفظ الملابس ، اذ ان طول مدد الرحلات يجعل لزاما على الرواد تغيير ملابسهم سواء الداخلية أو الخارجية من سراويل وقمصان واحذية وجوارب وقفازات ، الى جانب ما يلزمهم من فوط واكياس لحفظ البول والفضلات .

ومن الطريف ان المختبر يحوي دشا يستطيع الرواد الاستحمام فيه ، ويتكون من جسم اسطواني تنبثق المياه من جدرانه في مختلف الاتجاهات ، بينما يحوطه غطاء من البلاستيك ليمنع تطاير رذاذ المياه في جو المختبر فتسبح به متأثرة بحالة انعدام الوزن .

كما يضم المختبر مكنسة كهربائية يستطيع الرواد تنظيفه بها من الداخل ، بشفط الاتربة ، وصيدلية تحوي العقاقير والادوية اللازمة للاسعاف والعلاج الى جانب بعض المعدات الطبية اللازمة لعلاج الاسنان والاضراس .

هذا فضلا عن عدد كبير من أجهزة البرق الكاتب « تليبرنتر » Teleprinter لارسال واستقبال الاشارات من الارض .

خواص المختبر ومداره

ويبلغ وزن المختبر ٨٨ طنا ، بينما يصل حجمه الى ٣٢٥ مترا مكعبا ، ويمتد طول جسمه الاسطواني مسافة ٣٦ مترا ، بينما يعلوه برج تنبثق منه أربعة أذرع ترصع عليها الخلايا « الكهربائية الضوئية » ويبلغ طول كل ذراع ٣٠ مترا .

ويحيط بالجسم جناحان مستطيلان ترصع عليهما خلايا كهربائية ضوئية أيضا ، ليكتمل مجموع عددها ٢١٢ الف خلية تستطيع ان تحول الطاقة الضوئية للشمس الى طاقة كهربية تستغل في امداد أجهزة المختبر بالكهرباء اللازمة لتشغيلها .

ويدور المختبر في مدار حول الارض ارتفاعه عن سطح الارض يبلغ ٤٣٥ كيلومترا ، ويستطيع خلال مدة بقائه في الفضاء عمل ٣٩٥ دورة ليتم مسافة طولها جملة ١٨ مليون كيلومتر .

الحركة داخل المختبر

لعلنا لو تصورنا معاناة رواد الفضاء لحالة انعدام الوزن التي يمكن أن تجعل أيا منهم مقلوبا رأسا على عقب داخل المختبر ، يمكن أن ندرك مبلغ صعوبة الحركة داخله . غير أن المختبر مجهز بوسائل تعين الرواد على سهولة الحركة داخله وتتنوع هذه الوسائل . واحد هذه الوسائل يتمثل في قضبان معدنية تمتد عبر أجزاء المختبر من الداخل ، ليستند اليها الرواد اثناء حركتهم داخله .

وهناك طريقة اخرى تتمثل في أحذيتهم المجهزة باجزاء مغناطيسية تجعلها تلتصق بأرض المختبر . كما أن هذه الارض نفسها مقسمة الى أجزاء مجوفة يمكن أن تشتبك بها أحذية الرواد .

مصاعب في الرحلة الاولى

بعد انطلاق المختبر في مايو ١٩٧٣ بثوان قليلة لا تعدو ٦٣ ثانية ، تعرض المختبر لمحنة تكنولوجية تسببت في تأجيل اطلاق رواد الرحلة الاولى بضعة أيام . ذلك أن المختبر تعرى جزء من جسمه الاسطواني من درعه الواقي من الحرارة المحيطة به ، فتسبب ذلك في ارتفاع درجة الحرارة داخله الى ٥٤٨ م . وتفاقم الامر عندما التف جزء من هذا الدرع حول احد اذرع المختبر الاربعة ، وجعل انبساط الذراع صعبا وغير كامل مما تسبب في خفض الطاقة الكهربية المتولدة من الخلايا الكهرو ـ ضوئية .

وزاد تعقد الامور الفنية ان اثنتين من البطاريات الكهربية انتزعتا من مكانيهما أثناء عملية الاطلاق فنجم عن ذلك انخفاض الطاقة الكهربية المتولدة داخل المعمل بنسبة ٢٥٪ .

ولقد سارع العلماء على الارض الى تجنيد جيش من المهندسين لتصميم وسيلة مضادة لمحاولة خفض درجة الحرارة العالية السائدة داخل المختبر ، وقد أسفرت جهودهم عن تصميم مظلة يحملها الرواد معهم ويفردونها فوق الجزء العارى من جسم المختبر لتغطيته ووقايته من حرارة الشمس. وقد كللت جهود الرواد بالنجاح وادى ذلك الى اتمام الجزء الاكبر من برنامج المختبر في رحلاته الثلاثة المتعاقبة ، بعد أن انخفضت درجة الحرارة الى ٢٢°م.

ولقد تدرب الرواد على فرد المظلة التى صممت على عجل ، داخل حوض شكل (٣) مملوء بالماء المقطر ، في ظروف تماثل الظروف في الفضاء .

وبذلك انقذ المهندسون سمعة امريكا العلمية ، وانقذوا معها مبلغ ٣ بليون دولار كانت مهددة بالضياع .

وتعرضت رحلة المختبر الثانية لمحنة تكنولوجية كذلك ، تعرضت صواريخ الدفع العكسية للعودة الى الارض ، لعطل يهدد تشغيلها وازاء ذلك جند الفان من المهندسين والعمال للاسراع في تصنيع سفينة نجدة يمكن عودة الرواد بها الى الارض . غير انه امكن اصلاح العطل ، وكف العمل فى سفينة الانقاذ .

اما في الرحلة الثالثة فقد تعطلت مجموعة توجيه المختبر ، وامكن التغلب على هذا العطل باستخدام وحدة توجيه اخرى احتياطية .

سيل من التجارب

لا شك أن برنامج المختبر الفضائى « سكاى لاب » يمثل الرواد للمعلومات الفضائية لم يحدث من قبل . فقد اتاحت طول مدد الرحلات التى تمت بداخله فرصا نادرة لاجراء تجارب عديدة في الفضاء ، على ارتفاع كبير .

وليس من باب المبالغة القول بأن تجارب سكاى لاب ، تعتبر حجر زاوية في طريق البحث العلمى فى الفضاء ، اذ سيكون لها اثرها على رحلات المستقبل الى الكواكب . وسيكون لها اثرها على مشاريع الفضاء المقبلة .

ويمكن تقسيم هذه التجارب الى ثلاثة انواع مختلفة ، فمنها العلمى ومنها الطبى ومنها الفلكى. وبعضها يعتبر فتحا جديدا في مجال استخدام الفضاء لصالح البشرية باستغلال ظاهرة «الاستشعار من بعد» Telemetry . اذ انه لاول مرة يستغل الفضاء فى التعرف على الآفات الزراعية فى الغابات والمساحات الشاسعة المزروعة بالنباتات كما يمكن تتبع اتجاهات هجرة الاسماك فى المحيطات، والكشف عن المعادن المخبوءة فى باطن الارض ، والتعرف على آبار البترول والمياه الجوفية المحبوسة بين طبقات التربة .

وتبلغ جملة التجارب في برنامج المختبر (٢٧٠) تجربة علمية ، منها ٢٦ تجربة طبية . ويحوى المختبر بداخله (٥٨) اداة وجهازا (شكل ٥) لانجاز هذه التجارب منها (١٨) جهازا طبيا .

ومن أهم التجارب الهندسية ، تحقيق لحام المعادن بواسطة اشعة الكترونية كخطوة تمهيدية لتجميع محطات الفضاء فى المستقبل .

ومن أهم التجارب الفلكية ، قياس الاشعاعات الشمسية والتركيز على تصوير قرص الشمس المضيء Photo Sphere والاندلاعات التى تنبثق منه بواسطة تلسكوب ضخم يحمله المختبر فوق قاعدة كبيرة تبلغ مساحتها (٢×٢) متر . وفي التلسكوب (٨) عدسات و (٦) كاميرات للتصوير.

ولا شك أن وجود هذا التلسكوب على الارتفاع العالى لمدار المختبر بعيدا عن تعويق السحب المحيطة بالارض ، يعطى صورا أوضح لاجرام السماء .

وقد شارك المختبر فى رصد حركة المذنب « كهوتيك » عند اقترابه من الارض خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ .

وجدير بالذكر أن وضع خطة التجارب العلمية والطبية لمختبر سكاى لاب قد شارك فيها (٢٠٢) عالم متفرغ ، ساعدهم (٤٢٤) عالم نصف متفرغ، وهذا العدد الضخم من العلماء ليسوا كلهم من الامريكيين بل من اجناس مختلفة اذ يتبعون (٢١) دولة . ■■

مهندس سعد شعبان

رئيس اللجنة الفضائية بنادى الطيران المصرى



الحركة العلمية في عهد المأمون

بقلم: الدكتور عبد الحليم منتصر

■ يكاد أن يتفق المؤرخون على أن عصر المأمون أزهى عصور النهضة العلمية في العصر الاسلامي، وفي ذلك يقول « هوجز » ان الخليفة نفسه كان عالما من أساطين العلماء، واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفذاذ في الشرق والغرب، هذا الى جانب الأساتذة والمثيرين والمترجمين والمفكرين، الذين أعلى بهم بلاطه، وزين ملكه.

ويقول « سيد أمير علي » ان بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة، من رجال العلم والأدب والشعراء، والأطباء والفلاسفة، الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من العالم المتمدين، وشملهم جميعا بعنايته، مهما اختلفت مشاربهم وجنسياتهم.

ولد عبد الله المأمون سنة ١٧٠ هـ. وهي السنة التي استخلف فيها الرشيد، فسماه المأمون تيمنا بذلك، وترجع حظوته لدى الرشيد الى شجاعته الخارقة، وميله الى جد الأمور، وترفعه عن سفسافها، وسموه عن دناياها، واضطلاعه بما يكلف به من أعباء ومهام.

وكان المأمون حسن التوفيق في اختيار حاشيته ومشيريه، فجمع حوله طائفة من ذوي الدهاء والحنكة، تفقوه التثقيف الذي يكفل له النجاح، حكم نحوا من عشرين سنة منها ست سنوات في خراسان، وأربع عشرة في بغداد، وتوفي وعمره ثمان وأربعون سنة. وكان ذلك في سنة ٢١٨ هـ.

بيت الحكمة

أنشأها هارون الرشيد، ووصل النشاط فيها ذروته في عهد المأمون، حيث نشطت الترجمة لنقل العلوم من اللغات الأجنبية، وقد حوى بيت الحكمة كتبا وُضعت في الأصل بلغات مختلفة، من أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية. يقول « ابن أبي أُصَيبعة » ان الرشيد قلد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجدها في انقرة وعَمّورية، وسائر بلاد الروم حين غزاها المسلمون.

ويذكر « ابن نباتة »، أن المأمون عيّن سهلُ ابن هارون أمينا على « بيت الحكمة » حيث كتب الفلاسفة التي نقلت الى المأمون من جزيرة قبرص، ذلك أن المأمون لما هادن صاحب الجزيرة، أرسل اليه يطلب كتب اليونان، وقد اغتبط بها المأمون. ويروي ابن النديم، أن مجموعة ثالثة جاءت من القسطنطينية الى بيت الحكمة، طلبها المأمون من ملك الروم.

صنفت هذه الكتب التي وردت بيت الحكمة، حسب موضوعاتها، واختير لها المترجمون ممن

لهم خبرة علمية بالموضوع الذى يترجمون عنه ، بالاضافة الى اجادة اللغة المنقول عنها ، والمنقول اليها ، وهى العربية .

ويعتبر بيت الحكمة ، اول مكتبة عامة ذات شان فى العالم الاسلامى ، كان بمثابة جامعة يحج اليها العلماء والطلاب للبحث والدرس والترجمة . ويروى بعض المؤرخين انها كانت تعمل ليلا ونهارا ، بحيث لا تخلو فى اية ساعة من ساعات الليل والنهار من عدد من العلماء ، يترجمون أو ينسخون أو يتعلمون أو يتعلمون . فكانت بذلك مركزا علميا ممتازا ، شمل معارف العصر . من طب وحكمة وفلسفة وفلك ومنطق ورياضيات ومعادن ، وما اليها .

ويعتبر عصر المامون من أزهى عصور بيت الحكمة ، فقد كان المامون مثال الخليفة العالم ، يهب العلمَ والعلماء وقته ورعايته ، كما يهب العلماء عطفه وعنايته ، فقد كان ينفق بسخاء على العلم والعلماء ، ويدفع وزن ما يترجم ذهبا .

وقد اهمل المعتصم شان هذا البيت العظيم ، وتوالت الاحداث بعد ذلك ، مما زاد فى الافلال من شانه ، ولكن ظل يقاوم الى ان داهم التتار بغداد ، وقتل « هولاكو » المستعصمَ آخر الخلفاء العباسيين . وانتهى مع الاسف هذا المعهد العظيم الذى تدين له الحضارة العلمية ، فقد اندثرت خزانة الكتب .

عصر الترجمة

لقد مرت الترجمة فى العصر العباسى بثلاثة أدوار الاول من خلافة ابى جعفر المنصور الى وفاة هارون الرشيد أى من عام ١٣٦ – ١٩٣ هـ . وقد نبغ فى هذا العهد عدد من التراجمة ، نذكر منهم « يحيى بن البطريق » و« جورجيوس بن بختيشوع » وعبد الله بن المقفع ، ويوحنا بن ماسَوَيْه .. وغيرهم ، ويبدأ الدور الثانى من ولاية المامون سنة ١٩٨ حتى سنة ٣٠٠ هـ . واشتهر من التراجمة قسطا بن لوقا البعلبكى . وحنين بن اسحق وابنه « اسحق بن حنين » ، وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة وغيرهم .

وقد بذل المامون جهده فى استخدام التراجمة ، وكان ينفق فى ذلك بسخاء عظيم ، وكان يحرض الناس على القراءة ، واقتدى به الكثيرون من اهل دولته فى بغداد ، فتقاطر اليها المترجمون من انحاء العراق والشام وفارس ، وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة ، يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية ، والسنسكريتية والقبطية واللاتينية وغيرها .

وكثر فى بغداد الورّاقون وباعة الكتب ، وتعددت مجالس الأدب والمناظرة ، وأصبح همُّ الناس البحثَ والمطالعة ، وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المامون الى عدد من خلفائه .

اما تراجمة الدور الثالث ، وهم بطبيعة الحال من تلاميذ الجيل السابق فيبدأ من سنة ٣٠٠ هـ وينتهى فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، منهم سنان بن ثابت بن قرة . ويُعَدُّ حنين بن اسحق شيخ تراجمة العصر العباسى ، بلغ اهتمامه بترجمة الآثار اليونانية ، مبلغا عظيما فكان يجوب الاقطار فى طلبها والحصول عليها ، مثال ذلك كتاب البرهان لجالينوس ، الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى . والذى قال عنه حنين ، اننى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجُبْتُ فى طلبه ارجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر والاسكندرية ، ولم اظفر الا بما يقرب من نصفه فى دمشق . وقد ترجم حنين الى العربية سبعة من كتب ابقراط ، وترجم الى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابا ، وترجم الى العربية منها تسعة وثلاثين . كما راجع واصلح مما ترجمه تلاميذه ستة الى السريانية . وسبعين الى العربية . كما راجع واصلح معظم الخمسين كتابا التى كانت ترجمت الى السريانية . ونقل أيضا ثلاثة من كتب « اوريباسوس » ، خلاف ما نقله من كتب الفلسفة وغيرها لافلاطون وارسطو . وبلغت تاليفه الخاصة نحو ثلاثين كتابا . ومن أشهر تاليفه كتاب عشر مقالات فى العين . ويعتبر هذا الكتاب اقدم ما ألف فى امراض العين بطريقة علمية منظمة ، وقد نشره وحققه « مايرهوف » ومن اخلد اعماله ترجمة كتاب التشريح لجالينوس .

ومنهم ابو يعقوب يوحنا بن ماسويه ، خدم الرشيد والامين والمامون ، وعاش الى عصر المتوكل ، وولاه الرشيد بيت الحكمة ، وقلده ترجمة الكتب اليونانية التى حصل عليها فى حروبه بانقرة وعمورية . بلغت تصانيفه عند القفطى ، واحدا وعشرين كتابا . ومن ضمن مؤلفاته كتاب فى الجذام ، وهو اول من الف فيه .

اما ثابت بن قره وابناه ابراهيم وسنان وحفيداه

ثابت وابراهيم ، فكانوا نقلة مجيدين . بلغت مؤلفات ثابت ثلاثة وعشرين كتابا ، منها خمسة في الطب ، وباقيها في الحساب والهندسة والفلك غير ما نقل للاوائل من كتب المنطق والرياضيات والطب ، وكان يجيد اللغة اليونانية كما يجيد السريانية والعبرية ، وترجم في المنطق والرياضيات والطب والتنجيم . ونبغ ابنه سنان بن ثابت في صناعة الطب .

ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي ، كان طبيبا حاذقا ، عالمابااللغات اليونانية والسريانيةوالعبرية. نقل كتبا كثيرة من اليونانية الى العربية ، أحصى ابن النديم ما له من الكتب ـ سوى ما نقل وفسر وشرح ـ فبلغت خمسة وثلاثين كتابا .

يروى أن يحيى بن أبي منصور الموصلي ، أحد أصحاب الارصاد في العصر المأموني ، ومحمد بن موسى الخوارزمي صاحب الازياج ، وصورة الارض، ومؤلف كتاب الحساب والجبر كانا من خزنة بيت الحكمة المأمونية ، كذلك كان الصنوبري الحلبي ، والفضل بن نوبخت ، وموسى بن شاكر وبنوه : محمد وأحمد وحسن الذين قاسوا محيط الارض ، والفوا كتابا في علم الحيل (الميكانيكا) ، هؤلاء أيضا كانوا من رجالات بيت الحكمة في العصر المأموني . وكانوا يترددون على بيت الحكمة للعمل فيها بصفة رسمية للمطالعة او النسخ أو الترجمة او التاليف .

المأمون يجلب الكتب اليونانية ويأمر بترجمتها

ويروى بعض المؤرخين ان المأمون بعث الى حاكم صقلية المسيحي ، أن يبادر بان يرسل اليه مكتبة صقلية الشهيرة ، الغنية بكتبها الفلسفية والعلمية العديدة ، وأن الحاكم تردد في ارسالها ، فجمع كبار رجالات الدولة ، وأدلى اليهم بطلبالمأمون، فاشار عليه المطران الاكبر بان يرسلها اليه .

ويقول الاستاذ محمد كرد على : ان المأمون هو الذي جمع بعض حكماء عصره على صنعة الصورة التي نسبت اليه ، ودعيت الصورة المأمونية ، صوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ، ومساكن الامم والمدن ، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس وجغرافية مارينوس . وقد وضع له علماء رسم الارض كتابا في الجغرافية ، أعان عمال الدولة على معرفة البلاد والامم التي أظلتها الراية العباسية ، هذا الى عناية بالفلك . وفلكيه ابراهيم بن محمد الفزاري أول من استعمل الاسطرلاب من العرب ، وعني بالطبيعة والرياضيات فوق عنايته بالطب ومعرفة العقاقير والنبات والحيوان وغير ذلك من العلوم مما كان له أثر محسوس في ادخال المدنية الى الامة العربية ، وفتح به المأمون باب العقل والفكر والمعرفة على مصراعيه .

كلمات ومعان جديدة في اللغة العربية

فلم يكن في الجاهلية ولا صدر الاسلام ، ذلك التراث العظيم من الالفاظ العلمية والطبية وأسماء الادوية والجراحة وأسماء الامراض والاصطلاحات الفلسفية ، وغير ذلك مما وضع في العصر العباسي خاصة ، وذلك مثل قولهم صيدلة ، وتشريح ، ونبض ، وهضم ومبردات ، وقابض ، ومسهل، وتشنج ، وذات الرئة ، وبنج ، وهيولى وضغط وجاذبية وتطور الى غير ذلك من مئات الالفاظ والمصطلحات .

وكذلك لعب المأمون دوره البارع في اذكاء الروح العلمية ، ونشر الفكر العلمي ، مما أتاح للامة العربية أن تقوى وتستعلي بالعلم ، وامتدت الامبراطورية العربية الاسلامية من حدود الصين شرقا ، الى حدود فرنسا غربا ، وغدت اللغة العربية ، هي اللغة العلمية العالمية ، فكل من اراد ان يكتب علما تقرؤه الناس لجأ الى اللغة العربية فكتب وألف بها . وكذلك سطعت الحركة العلمية بفضل البذور التي غرسها هذا الخليفة العالم ، وامتد نموها ليغمر ارجاء الامبراطورية كلها ، وسطع في سماء الحضارة العلمية مئات من العلماء الاعلام ، الذين يقرنون الى أعاظم العلماء في كل عصر وآن .

فضل العرب على النهضة الاوربية الحديثة

تقول المستشرقة « سيجريد هونكه » Sigrid Hunke في كتابها « فضل العرب على أوربا » أو « شمس العرب تسطع على الغرب » لقد شاء الله

ان يظهر من الاوروبيين من ينادى بالحقيقة ، ولا يغمط العرب حقهم ، فى انهم حملوا رسالة عالمية، وادوا خدمة انسانية للثقافة البشرية قديماً وحديثا . ان هذا النفر من الاوروبيين المنصفين ، لا يأبه من تحدى المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها .

وتضيف : « ان اوربا تدين للعرب والحضارة العربية ، وان الدَّيْنَ الذى فى عنق اوربا وسائر القارات الاخرى للعرب كبير جدا . وكان يجب على اوربا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد. ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك عليها غشاوة ، حتى اننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة ، فلا نجد فيها اشارة الى فضل العرب ، وما اسدوه لنا من علم ومعرفة . اللهم الا هذه الاشارة العابرة الى أن دور العرب ، لا يتعدى دور ساعى البريد الذى نقل الينا التراث اليونانى »

وتقول انها سُنّة ان يعلم اهل العلم من الاوروبيين ، ان العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الانسانية من قبل ، وأن هذه النهضة فاقت كثيرا ما تركه اليونان أو الرومان ولا يقررون هذا . ان العرب ظلوا ثمانية قرون يشعون على العالم علما وفنا وأدبا وحضارة ، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات الى النور .

وتختتم الدكتورة « سيجريد هونكة » مقدمتها الرائعة لكتابها « شمس الله على الغرب » بقولها:

« ان هذا الكتاب يهدف ايضا الى تقديم شكر كان يجب أن يقدم الى العرب منذ عصور قديمة. »

هذه النهضة العلمية العارمة ، انما هى من غراس هذا الخليفة العالم ، عبد الله المأمون الذى رعى العلم والعلماء . ولم يبخل بوقت ولا جهد ولا مال . ولنتصور أنه لو لم تعوقنا المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها اوروبا ، تكون من نصيب امتنا العربية، وتتقدم عليها فى التاريخ عدة قرون وتكون لغتها هى العربية . ولكنها ارادة الله أن نزرع ليجنى غيرنا الثمار .

لقد ادرك المأمون بثاقب نظره ان العلم فى ركابه القوة دائما ابدا ، فبذل غاية جهده فى تقوية الأمة العربية بالعلم .

هل نعمل ما عمل المأمون فى نشر الثقافة ؟

ما احرانا أن نعيد عهد المأمون ، فنبذل فى سبيل العلم بسخاء ، فننشىء ديوانا للترجمة كما فعل المأمون ، ونكثر من معاهد العلم ومختبرات البحث العلمى ، ونرصد له ميزانية ضخمة ، ونسبة لا تقل عن خمسة بالمائة من دخلنا القومى ، ونعمل على رسم سياسة علمية قومية للوطن العربى كله، عسى الله ان يقيل عثرتنا ، ويبدلنا من ضعفنا قوة ، وما ذلك على الله بعزيز . ■■

د. عبد الحليم منتصر

المهلب يوصى أولاده

المهلب بن أبى صفرة من كبار سادة العرب ، وقوّاد الجيوش فى أوائل عهد الأمويين . يحفظ التاريخ له وصايا كثيرة، وجهها الى أبنائه ، وكانوا جميعا من سادة العرب وقادتهم النجباء ، وان لم يبلغوا مبلغه فى الشهرة والأثر . وهذه احدى وصاياه لهم ، قال : « يابنى ، تواصلوا تتحابّوا ، ان البرّ يَمُدّ فى الأجل ، ويزيد فى العدد ، وان القطيعة تورث القلة ، وتعقب النار بعد الذّلة ، واتقوا زَلّة اللسان ، فان الرجل تزلُّ رجله فينتعش ، ويزل لسانه فيهلك ، وعليكم بالمكيدة ، فانها أبلغ فى النجدة ، وان القتال اذا وقع ـ وقع القضاء ، فان ظفِرَ الرجلُ ذو الكيد والحزم سَعِدَ ، وان ظُفِرَ به لم يقولوا : فرّط »



بقلم : الدكتور فخري الدباغ

■ عرّفوا الذاكرة Memory بانها « قابلية الانسان على الاحتفاظ بالتجربة والمعرفة واستدعائها وتذكرها عند اللزوم » .

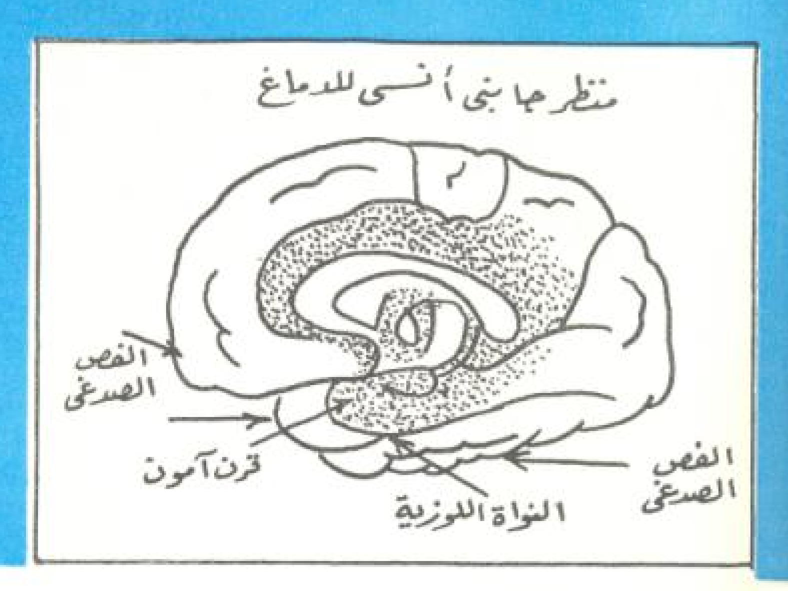
وقالوا ان : « لا تقدم حضارى ولا تعلم بدون الذاكرة .. » .

وقد يبدو هذا الحكم مبالغا فيه ، ولكنه الحقيقة بذاتها . ولنبدأ منذ الساعة الاولى التى يدخل فيها الطفل مدرسته الابتدائية ليتعلم الالف والباء .. والواحد والاثنين .. وكيفية كتابتها .. ، فانه بدون قابلية الدماغ للتسجيل والخزن والتذكر سيضطر ذلك المخلوق الى اعادة تعلمها فى اليوم الثانى والثالث .. ، وحتى آخر العمر .. ، دون أن يتقدم قيد انملة فى دروب المعرفة بسبب نسيان ما تعلمه . ويترتب على ذلك ان كل خبرة عملية وكل حركة يكتسبها بالتجربة تفلت منه حال غيابها وعبورها فى الزمن ، اذ بدون الذاكرة لن يتمكن من اعادتها وتذكرها والاستفادة منها فى تجربة جديدة . ونستطيع ان نتصور كيف أن الانسان بدون ذاكرته لن يتمكن من تصحيح أغلاطه السابقة فى التعلم ، بل كيف تبهره كل تجربة أو معرفة جديدة ، وكيف تبدو له الاشياء غريبة جديدة مهما تكرر ظهورها وعودتها . وبما ان التعلم لا يبدأ فى المدرسة بل منذ اللحظة الاولى التى يدشن بها المرء حياته بعد ولادته من رحم امه ، فانه بالاحرى لن يستطيع تمييز الأصوات والاشياء .. ولن يحفظ أسارير وتقاطيع وجوه امه وأبيه واخوته .

الذاكرة اذن هى السر وراء كل تقدم حضارى، ولولاها لبقى الانسان مخلوقا يتنافس مع القردة فى غابات وحروش البسيطة ، ولظلت الحياة بدون قراءة وكتابة ، وبدون علوم او اختراعات أو اكتشافات .

ذاكرة البشر متفاوتة :

لا يوجد انسان بدون ذاكرة مهما كانت درجة ذكائه واطئة . ولكن القابليات العقلية متنوعة . فهناك اناس يمتلكون قابلية ذهنية على حل المسائل الرياضية ، وآخرون على الكلام والحفظ، وآخرون على الانجاز والمهارة العلمية اليدوية .. وهكذا . والذاكرة كاحدى الملكات العقلية لا توجد بصورة متساوية لدى كل الافراد . وقد يمتلك فرد ذاكرة قوية جدا ، ولكنه لا يمتلك قابلية رياضية أو مهارة عملية مناسبة ، بل قد يكون معدل ذكائه العام اعتياديا أو واطئا أو ممتازا .



وفي علم النفس امثلة على مجموعة من الافراد اطلق عليهم اصطلاح « الاغبياء ـ الموهوبون » Idiot Savant ، وهم من ذوى الذكاء الواطىء ولكنهم يمتازون بذاكرة قوية في احدى القابليات الحسية . فمثلا : هناك طفل عمره ٩ سنوات كان يحفظ مواعيد سير القطارات بين مدينتي لندن ومدينة برايتون Brighton لمدة أربع سنوات متتالية . وهناك طفل عمره ٧ سنوات كان يحفظ اسماء جميع ازهار حديقتهم باللغة اللاتينية .. وآخر عمره ١١ سنة كان يستطيع العزف على البيانو بعد سماعه اى لحن مباشرة .

عباقرة الذاكرة :

ويمتلك بعض الافراد ذاكرة حادة تثير الدهشة والاستغراب أحيانا لأنها تفوق ما تعودنا عليه وما هو مألوف عن الذاكرة . « والحكاية » التي تروى عن أبي العلاء المعري خير مثال على حدة الذاكرة . فقد طرق بابه شخص فارسي غريب لا يعرف العربية يسأله عن أحد سكان بلدته (معرة النعمان) اذ لم يجده في داره .. ، ولما كان الغريب راحلا فقد هوّن عليه ابو العلاء مشكلته بأن طلب منه أن يقول له ما يريد أن يقوله لذلك الغائب . وكانت رسالة الغريب بالفارسية . وحفظها أبو العلاء لتوه ، ثم أعاد تلاوتها على الشخص الثاني بعد قدومه دون أن يفقه معناها ، وكانت رسالة ذات اخبار سيئة !. واذا نحن بررنا قوة ذاكرة ابى العلاء بكونه أعمى ومرهف الحس ، فان اشخاصا اخرين لم يكونوا عميانا مثله ، كما سنرى .

وفي العصور التي سبقت ظهور الطباعة والصحافة والتسجيلات على الاسطوانات والشرائط ، استغل ذوو الفطنة من اصحاب الذاكرة القوية قابليتهم في اغراض متعددة: منها التاريخية، ومنها العملية، أو الفنية او التجارية . وظهرت اسماء لامعة لأصحاب الذاكرة المدهشة Mnemonists.

فالمدعو (وليم وودفول) W. Woodfall (١٧٤٦ ـ ١٨٠٣ م) كان يستطيع اعادة ذكر كل ما سمعه من حديث بصورة دقيقة ومباشرة .ولذلك عمل مخبرا صحفيا ينقل وقائع جلسات البرلمان البريطاني الى صحيفة (مورننج كرونيكل) اللندنية Morning Chronicle دون تدوينها او فقدان شيء منها ! ...

اما (وليم بوتيل)W. Bottell(١٨٧٥ ـ ١٩٥٦م)، فقد كسب عيشه من ذاكرته الخلابة ، اذ عمل في مسرح (بالاس) في لندن Palace Theatre يوميا طيلة اثنى عشر شهرا من احدى السنوات. وكان يظهر على المسرح ليجيب على الاسئلة المتعددة التي يطرحها عليه الجمهور حول حوادث وشخصيات شهيرة كان يحفظ تفاصيلها بدقة . وقد تجول في

ارجاء الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة الامريكية عدة سنوات ممارسا تلك المهنة ! ..

اما ابن الحائك الفقير (ريشارد بورســـن) R. Porson (١٧٥٩ – ١٨٠٨ م) ، فقـد برع في حفظ المقطوعات الادبية بنصها ، والمسائل الرياضية ، واللغة الاغريقية . وتدرج في الدراسة الجامعية – برعاية المحسنين – الى ان تخرج من جامعة كمبردج ، واصبح استاذا للغة الاغريقية في جامعة كمبردج ذاتها ، ثم مديرا لمكتبة المعهد البريطاني .

كل هذه الامثلة الواقعية تدل على ان قـــوة الذاكرة – كما ذكرنا – توجد في اشخاص ذوي مستويات ذكاء متفاوتة دون اشتراط اصــابتهم بعاهات حسية اخرى او بالغباء الموجود لدى « الاغبياء الموهوبين » الذين تطرقنا الى ذكرهم .

الشعور ، واللاشعور ، والذاكرة :

عندما يفكر الانسان ويجادل ويمارس التجربة والدراسة او الانفعال ، فان كل ما يدور اثنــاء ذلك من عمليات عقلية يتم بوعي منه ، اي انه يشعر ويتنبه ويركز على الموضوع الدائر انئـذ . والوعي الآني في لحظة ما قد يصبح بعد لحظات او دقائق في عداد النسيان ، لان الانسان ينتقل الى حالة شعور ووعي آخر ، اي ان دائرة الوعـي تنتقل الى موضوع آخر . ولكن ما يتعلمه الانسان لا ينعدم بالحقيقة بل يحفظ في مكان ما من دماغه ليرجع ثانية الى مستوى الوعي والشعور عندما « يتذكر » الانسان ما تعلمه سابقا .

هـذا « النسيان » الوقتي او الخزن في مستويات خارج نطاق الوعي .. ، بل هـــذه الذكريات القديمة التي تقفز فجاة امام الشعور بعد ان تصورنا اختفاءها كلها هي التي دفعت (سيجموند فرويد Sigmund Freud) الى تقديم نظرية « اللاشعور » في البناء العقلي للانســان . وهي النظرية التي اصبحت حقيقة لا مجــال لدحضها اذ ان كثيرا من مظاهر الحياة العقلية للانسان يؤيدها . وبما ان دائرة الوعي والشعور محصورة بوقت زمني قصير ، وبما ان اللاشعور هو خزان كبير لكل ما يطرحه الوعي خارج حدوده ، فان اللاشعور يجب ان يكون كبيرا ضخما تقبع فيه الذكريات المؤلمة او العنيفة او المرعبة او التي لا حاجة لها ، كما تكمن فيه ايضا الاهواء والميول التي سيطر عليها العقل الواعي وطردها من الشعور لوقاحتها او رذيلتها او مخالفتها للعرف والتقاليد والمثل .

ومن دلائل وجود ذاكرة مخزونة تحت الشعور اننا كثيرا ما نريد تذكر كلمة او حادثة ونشــعر بحماس انها قريبة منا وانها على « طرف اللسان » ثم اذا بها تظهر فعلا وتدخل في نطاق الوعي ..

ان فرويد وعلم الفسلجة العصبية الحديثة لم يستطيعوا لحد الآن ان يحددوا ماهية اللاشعور وموقعه وآلياته ..

التفسير الفسلجي – العصبي للذاكرة :

منذ ان عرف الدماغ على انه مركز العقــل والشعور والسلوك ، حاول علم الفسلجة والجهاز العصبي معرفة مواقع واسرار العمليات الذهنية المختلفة للانسان . وما توصل اليه كثير ، ولكنه لا يزال يعتبر نزرا يسيرا بالنسبة الى المجهـول الذي لم يكتشف بعد .

ويستمد العلماء معرفتهم عن العقل البشري من مختلف الامراض التي تصيب دماغ الانسان .. ، واثناء العمليات الجراحية ، ومن الاختبــارات والتجارب الفسلجية التي يمكن اجراؤها دون اذى على الانسان . ويستند القسم الاخر من المعلومات التجريبية المطبقة على ادمغة الحيوانات (كالفئران والارانب والقطط والكلاب والقردة) على اساس ان التركيب الحياتي (البيولوجي) للكائنات الحية يشترك في اصول متشابهة نوعا ما .

واسرار الذاكرة وما تتضمنه من تسجيل للحوادث والمعرفة وخزنها وربطها ثم اعادتها بعد حقبة من زمن قد تستغرق عشرات السنين ، هي من جملة ما حاول علم فسلجة الجهاز العصبي دراسته . وكان اختراع الآلة الحاسبة الالكترونية (الكمبيوتر) Computer نموذجا مبسطا او « ساذجا » للذاكرة العقل البشري . وعن طريق الحاسبة حاول بعض العلماء تفسير ذاكرة الانسان بانها عملية تسجيل تتم في احد مواقع المخ وتنقل الى موقع آخر تخزن فيه ثم تسحب في كل مرة ياتيها ايعاز بذلك .

اما علم الفسلجة العصبية Neurophysiology فقد توصل الى « مبادىء » اولية عن عملية الذاكرة نوجزها بما يلي : ان الفص الصدغي للمـخ Temporal Lobe يستلم المعلومات الاولى عن طريق الحواس المعروفة ليبدأ عملية التسجيل

والنقل . وقد وجد جراح الجملة العصبية الشهير (بنفيلد) Penfield انه عندما قام بتحفيز جزء من ذلك الفص بالتيار الكهربائي على احد مرضاه اثناء عملية جراحية لم يسأل المريض عن مشاعره في تلك اللحظة : قال المريض انه « تذكر » حوادث قديمة جدا تعود الى الطفولة وبصورة خلابة واضحة . كذلك وجد نفس الجراح انه عندما قام باستئصال جزء من الفص الصدغي الذى يحتوى على الجزء المسمى ب (قرن آمون) Hippocampus فقد ذلك المريض ذاكرته الحديثة بينما احتفظ بكل ذكرياته القديمة حتى ساعة العملية الجراحية . وعندما انتقل المريض بعد العملية الى دار جديدة بدأ « ينسى » موقع داره والطريق المؤدى اليها والمعلومات والاسماء الجديدة التى ترد اليه . وهنالك تجارب كثيرة اخرى تشير الى ان منطقة الفص الصدغى واتصالاته الاخرى مع بقية أجزاء المخ هى الجزء الاولى المسؤول عن الذاكرة الحديثة وتسجيلها (انظر التصوير الايضاحى) .

وتحوم شكوك اخرى حول عملية التسجيل وكيف انها تتم داخل خلايا الدماغ وبواسطة جزئيات لمواد كيماوية حيوية هى حوامض نووية بروتينية Ribonucleic Acid (RNA) وان تلك المعلومات والذكريات تنقل على تلك الجزئيات الى خلايا اخرى فى مواقع اخرى من الدماغ ربما توجد فى مناطق سفلية وعميقة منه تتعلق بالجهاز الشبكى Reticular System ومما يعزز هذه النظرية ان مادة (البيورومايسين) Puromycin التى تخمد نشاط جزئية الحامض النووى RNA تؤدى الى خفوت وفقدان الذاكرة الحديثة . كما أن جزئيات الـ RNA الحاملة لمعلومات حديثة اذا ما اخذت وحقنت بجسم حيوان آخر من نفس النوعية يكتسب المعلومات الجديدة مباشرة .

ان بساطة هذه الاكتشافات بالنسبة الى عظمة ما هو قائم فعلا ومجهول يوضح بجلاء الحبكة الالهية والاتقان الكيمياوى العصبى لعمل الدماغ .

امراض الذاكرة :

والنسيان Forgetting هو مرض الذاكرة ، وهو العملية العاكسة للتذكر . ولكن كيف يتم النسيان ؟ .. يحاول علم النفس تفسير عملية النسيان بالعوامل التالية :

١ ـ النسيان النفسي : وهو تطبيق للمثل القائل « فى النسيان الشفاء .. » اى ان الانسان ينسى او « يتناسى » ما يؤلمه او يزعجه او يربك حياته . وهو نسيان ذو هدف وباعث Motivated ، اى انه وسيلة للهرب والتجاهل Escape Mechanism وهو ما يؤكد عليه علم النفس فى حوادث الكبت Repression وفقد الذاكرة الهستيرى Hysterical Amnesia فى الحروب والصدمات المفاجئة عندما ينسى المحارب اسمه او رقمه وموطنه بصورة وقتية . ويتضح هنا دور التحليل والعلاج النفسى فى استرجاع الذاكرة التى حاول الفرد دفنها الى الابد ..

٢ . النسيان بالتشويش والتداخل Interference فالتداخل الحاصل من ورود ودخول معلومات جديدة اخرى تحل محل او تضعف من الذكريات التى سبقتها يؤدى الى النسيان ، وهكذا . ويتم التداخل بطريقتين :

أ ـ عندما تؤثر المعلومات الجديدة على سابقتها وتضعفها وهو ما يسمى « بالكف المتاخر » Retroactive Inhibition.

ب ـ أو على العكس ، أى عندما تؤثر المعلومات القديمة الراسخة على الجديدة وتضعف من ثباتها ، وهو ما يسمى « بالكف المتقدم » Proactive Inhibition .

٣ ـ النسيان من قلة الاستعمال : Disuse اى ان كل معرفة تتآكل وتذوى على مر الزمن من قلة الاستعمال . وهى نظرية غير قوية لاننا كثيرا ما نتذكر حوادث قديمة جدا بكل دقائقها .

٤ ـ النسيان الناتج عن أمراض الدماغ العضوية ، فكل مرض يؤدى الى موت بعض خلايا الدماغ او ضمور قشرته السنجابية Cerebral Cortex ينشأ عنه خلل او اضطراب فى الذاكرة . ومن هذه الامراض : التهابات الدماغ المختلفة ، زهرى الجهاز العصبى ، تصلب الشرايين الدماغية ، اورام الدماغ ، الصدمات والارتجاج الدماغى الشديد Concussion ، والشيخوخة المبكرة ، وخرف كورساكوف Korsakov Psychosis.

هل من فن للتذكر ؟

ان اهمية الذاكرة والتذكر دفعت علماء النفس ورجال الفكر والتربية والتعليم الى دراستها

ومعرفة العوامل والمؤثرات في تقويتها واستغلالها الى أقصى امكاناتها . وكانت بعض تلك الدراسات تخمينية أو استنتاجية . وظهرت في العصور الوسطى الكتب التي تصف الذاكرة ومناطقها في الدماغ وخرائطها ! . ولم تكن تلك الآراء علمية تجريبية . الا أن علم النفس بمنهجه العلمي الحديث وبعد دخوله في مرحلة التجربة العلمية للظواهر العقلية ، خرج بنتائج ومبادىء أساسية عن الذاكرة وفن الحفظ والتذكر ، نعدد منها ما يهم القارىء الكريم في حياته الفكرية والعلمية :

١ ـ التصميم على الحفظ : فاذا فرضنا انك تعرفت الى شخص اسمه (زيدون ؟)، فان التصميم على حفظ اسمه يتم بأن تكرر اسمه خلال تعرفك عليه : « كيف حالك ياسيد (زيدون؟)» .. وما رأيك يا سيد (زيدون) ؟ .. الخ . وبذلك تتفادى نسيان اسمه ، أو عدم الاكتراث به لافتراضك أنك سوف لن تقابله مرة أخرى طيلة حياتك . وهذه النية على الحفظ تفيد في تذكرك لكثير من الاشياء والاسماء التي تسمعها أو تقرأها أو تلاحظها في حياتك اليومية .

٢ ـ تعزيز الذاكرة بالتصور والخيال : فاسم (زيدون) يرسخ أكثر فيما لو حاولت تصور تقاطيع وجهه وخصائصه البارزة .

٣ ـ الانتباه الى الاهم والاعم : ففي قاعة المحاضرات ، يستحسن ان ينتبه الطالب الى الموضوع الاساسي للمحاضرة وان لا يتيه في تدوين التفاصيل . فالتدوين بين حين وآخر افضل من التدوين المستمر التفصيلي . ان الطلبة الخاملين يدونون احيانا اكثر التفاصيل في محاضراتهم ثم يتخبطون فيها .

٤ ـ ربط الحدث أو التجربة الجديدة بما تتعلق به من صلات منطقية تساعد على حفظه كما يقول العلامة النفساني (وليم جيمس William James) فالترابط يساعد على الحفظ والتذكر . ولنذكر مثالا بسيطا . ان رقم التلفون ١٤٩١٦٢٥ صعب الحفظ لعدم تناسقه . ولكن احدهم حفظه بسهولة بأن وجد لنفسه العلاقة الرياضية التالية: قال ان رقم التلفون هو بالحقيقة ١٢٣٤٥ اذا رفعنا كل رقم الى حاصل تربيعه . اى أن مربع ١ = ١ ومربع ٢ = ٤ ومربع ٣ = ٩ ومربع ٤ = ١٦ ومربع ٥ = ٢٥ .

وهذا الترابط اصطناعي يبتكره الشخص لنفسه ، مثلما يتذكر البعض الآخر تسلسل ابيات قصيدة طويلة ، او تسلسل خطاب يريد ان يلقيه فيجد لنفسه طريقة على ذلك .

٥ ـ ان الوزن او اللحن او السجع يساعد على الحفظ والتذكر ، كما هو مالوف في جمل وكلمات واغاني الاعلانات في المذياع والتلفاز . ولهذه الطريقة حدودها وقيودها .

٦ ـ توزيع عملية التعلم على مراحل وتجنب الحشو والكظ Cramming او ما يدعى احيانا (الدرخ) . يعني ان قراءة الموضوع دفعة واحدة في يوم واحد Massed Learning قبل موعد الامتحان لا تضاهي قوة ورسوخ ووضوح المادة فيما لو تعلمها الشخص بدفعات مرتبة منقطعة تسمح له بالاعادة والتفكير والربط مع الخبرات السابقة .

٧ ـ المذاكرة والاعادة : حاول كلما سنحت الفرصة أن تعيد حفظ واعادة حفظ ما قرأته ، لأن المذاكرة Recitation العقلية تساعد على الخزن والرسوخ .

٨ ـ الراحة بعد المذاكرة ، فالاستراحة بعد القراءات والدراسات المهمة (او النوم مباشرة بعده اذا حل موعده) هي افضل من الاستمرار والانتقال الى موضوع جديد آخر . فالراحة بعد حفظ مادة تساعد على ابقاء حدة ووضوح المعلومات الجديدة ، بينما يخف تسجيلها ويضعف رسوخها بتشويش المعلومات التي تعقبها مباشرة . ويزيد التداخل والازاحة اذا كانت المعلومات او الدراسات بحاجة الى تركيز وجهد ذهني متواصل . وهكذا يجب أن يتم توزيع جدول الدروس اليومي في المدارس . اى انه لا ضير من وضع حصة التاريخ بعد ساعة الرياضيات ، ثم بعد مادة الآداب ، ثم الرياضة . اما ان تتراكم حصص الرياضيات فالفيزياء فالكيمياء واحدة بعد الاخرى دون وجود فترات راحة مناسبة فان ذلك يؤدى الى زعزعة قوة رسوخ بعض تلك المواضيع .

٩ ـ يستحسن قبل قراءة فصل او قطعة طويلة من كتاب القاء نظرة شمولية عامة عليها ، واذا وجد لها ملخص فاقرأه قبل الشروع في قراءة الفصل بدقة ■■

فخري الدباغ

الموصل ـ العراق ـ كلية الطب

الطائر ناقر الخشب



نوعان من الطير ناقر الخشب ، كبير الحجم وصغيره ، لهما من جمال الالوان ما لهما . ويلاحظ ان للكبير عرفا كعرف الديك ، وترى مخالبه وقد تمسكت بالخشب فربطته به ، وبرى ذيله القوى وقد ساعدق اعتماد جسمه على جذع الشجر ، وكذا فى الصغير ..

■ لون هذا الطائر الذى نعرض الآن (صفحة ٢) السواد مع الدكنة ، وفى الراس حزمة من ريش احمر . وهو لون تتوارثه الذرارى ..

وفى فم هذا الطائر دودة ، هى لا شك بعض طعامه ، ولكنه يؤثر بها ولده . انه حنان الجيل الراحل للجيل القادم من طير وغير طير . هو يبيضه أو يلده ، ثم هو يرعاه حتى يستطيع ان يقف على قدم ، أو فى الهواء على جناح . انها صيغة من وحدة الخلق التى تتبين منها وحدة الله .

ثم نقول ، انه ناقر الخشب . وحقا هو نقر هذا الجذع من الشجر ، وفى الفجوة التى صنع ألقى بيضه الذى وضع . والانسان بدأ قديما ماواه فى الصخر . ومن الحيوانات ما صنع بيوته بالحفر فى تربة الأرض . وهذا الطائر حفر فى الشجر . كل يطلب المأوى الساتر . الساتر من تقلبات الجو ، والساتر من اعتداء الغير . انه الأمن والطمانينة التى هى غاية كل حى .

ولكن كيف حفر هذا الطائر هذا الخشب الجامد ، وكيف استطاع ان يتشبث بجذع الشجر مدة للحفر وجبت أن تكون طويلة ، والجذع قائم ، لايستقر عليه جالس .

استطاع نقب الخشب بمنقاره . ان منقاره كالفولاذ صلابة ، وهو مدبب كانه السلاح حدة .

اما تشبثه بجذع الشجر القائم ساعة الحفر فبسبب ما له من أقدام قوية قصيرة لها مخالب حادة كالابر ، وهى أصابع اربعة ، اثنان الى أمام واثنان الى خلف . فاشتباك المخالب بخشب الشجر كاشتباك المسامير .

وهذا الطائر يصعد جذع الشجر ، وهو قائم ،بمخالبه هذه ، وهو اثناء ذلك يفتش فى لحاء الشجر عن طعامه ، دودا كان أو حشرا . فبيته من خشب ، وطعامه فى خشب ، والشجر موطنه .

ويتعاون على رعاية بيت هذا الطير انثاه والذكر .

ولهذا الطير أنواع قاربت المائتين ، منتشرة فى أكثر بقاع الارض . واختلفت طباعها . فمنها المقيم ، ومنها المهاجر . ومنها من تحوّل الى الارض يقتات من حبها وفاكهتها ، كأنما عزّ عليه فى حقبة من زمانه طعامٌ خُلق له ، ووجب عليه ان يتحول ، حفظا لحياته ، فتحوّل . ان قانون الحياة اقوى من كل العادات . ■■

راس ناقر الخشب ، وقد تعرى من الريش ليظهر ما تحته من عضلات قوية فى الراس والرقبة هى التى تضرب بالمنقار بقوة فى الخشب ، فاذا ظهرت الحشرة الخبيثة على جذع الشجرة التقطها هذا اللسان الطويل بسرعة .

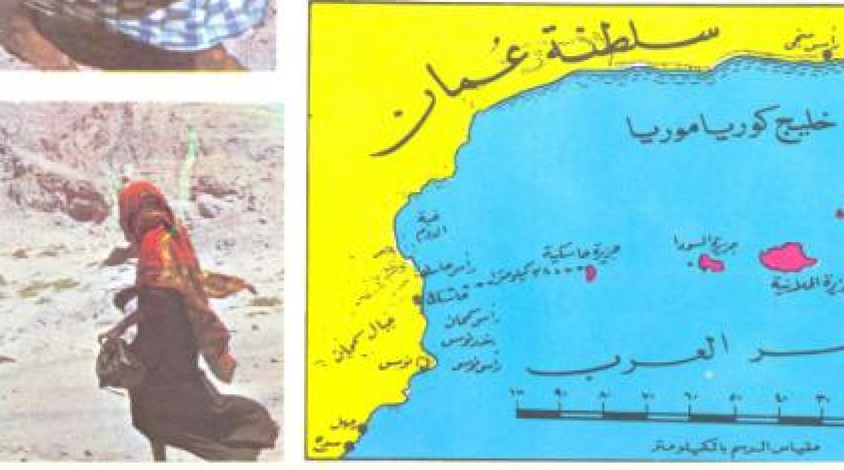


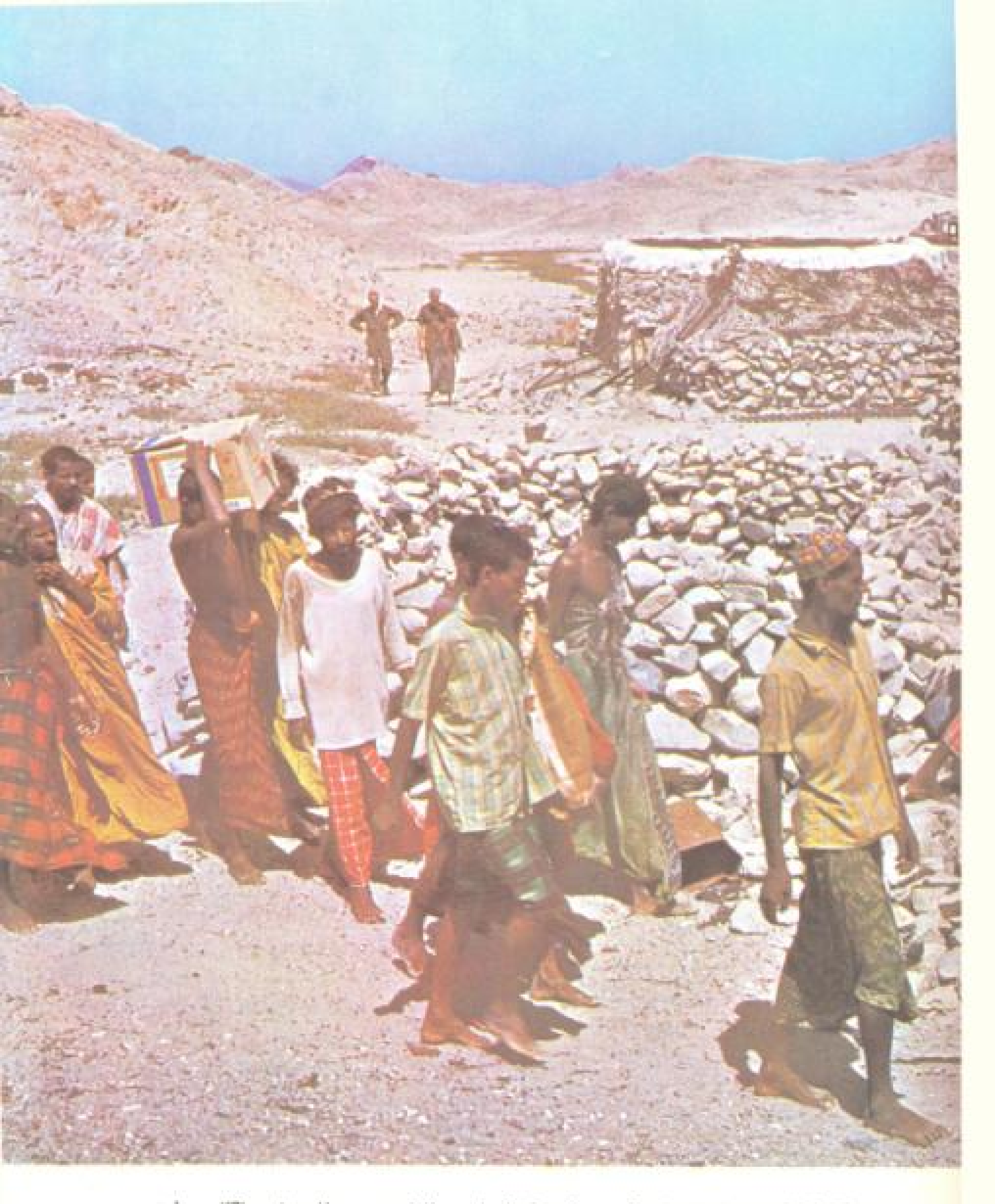




استطلاع
سليم زبال
تصوير
أوسكار متري







■ **قالوا لنا :** « خذونا معكم الآن .. لا تتركوناهنا وحدنا نموت من الحرمان والآلام ..! »

صرخة انطلقت من ٨١ انسانا عربيا ينتظرون الموت فعلا .. ينتظرونه وهم يدورون في حلقة مفرغة ، محاولين قتل وقتهم ، قبل ان يقتلهم هذا الوقت !!

ولكن اي نوع من الحياة هذه التي يعيشونها..؟

انها اغرب قصة لاعجب حياة يعيشها ٨١ رجلا وامرأة وطفلا عربيا ، فوق خمس جزر مجهـــولة نائية .. عيشة مؤلمة قاسية .. فهم يولدون ويموتون دون ان يدري بهم العالم ، ودون ان يدروا هم شيئا عن هذا العالم البعيد القـريب من حولهم !!

بيوتهم اكوام من احجار الصوان والجرانيت ، صف بعضها على بعض بلا نوافذ ولا ابواب .. سقوفها من عظام الاسماك الكبيرة التى يصطادونها من مياه البحر ، يجففون لحمها ، ويحتمون تحت ظل اشواكها .. !

وفوق العظام اقمشة بالية ممزقة ، واعشاب « الشبة » الجافة التى انتزعوها من تحت مياه البحر !

ان هذه الارض التى يعيش فوقها هؤلاء الناس، هى جزء من ارض وطننا العربى المجهول !!

انها جزر تعارفوا على تسميتها باسم غريب عنها: كوريا موريا .. وموقعها ليس فى البحر الاحمر ، ولا فى الخليج العربى .. بل فى جنوب الجزيرة العربية .. فى بحر العرب بالذات !

خمس جزر صغيرة تقع وسط منطقة الانواء والاعاصير .. يبتعد عنها اهل السفن ، واذا اخطأ احدهم واقترب منها ، شهق الربان والبحارة بصوت واحد قائلين : « رباه هذه هى «الحلانية» .. كان الله فى عوننا » .

قصتها فى اسمها !

ان الجغرافيين والرحالة العرب الذين ذكروا هذه الجزر فى كتاباتهم هم اثنان او ثلاثة .. اطلقوا عليها اسماء مختلفة متغيرة ، حتى اصبح التضارب فى اسمها يثير الحيرة اكثر مما يثيره غموضها !!

والواقع ان وراء هذه التسمية « كوريا موريا » تكمن قصة تلك الجزر العربية المجهولة المنسية ..

ما هو الهدف ؟

تعجب المسئولون فى مدينة مسقط «واستغربوا عندما طلبنا منهم السماح لنا بالتوجه الى جزر كوريا موريا ، وقالوا : « لماذا جزر كوريا موريا بالذات ؟ وما اهميتها بالنسبة لقرائكم ؟ »

قلنا : « لا هدف لنا الا تعريف المواطن العربى بجميع اجزاء وطنه الكبير .. وكوريا موريا جزء مجهول تماما من هذا الوطن .. »

قالوا : « من المؤسف أن المواصلات اليها شبه مقطوعة ، فنحن على ابواب موسم الاعاصير التى تقفل المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان ، لهذا نعتذر عن اجابتكم لطلبكم .. »

ولم نيأس ، بل انتهزنا فرصة مقابلة السلطان قابوس ، وعرضنا قصتنا .. فقال بلا تردد : « بلادنا مفتوحة امام العربى ، ويمكنكم الذهاب حيثما تشاؤون .. »

ووجه السلطان حديثه لمستشاره الصحفى حفيظ الغساني قائلا : « ارجو ان تتخذ كل الاجراءات لتسهيل مهمة بعثة العربى ، ولا مانع من وضع طائرة هليكوبتر تحت تصرفهم لتنقلهم الى كوريا موريا .. »

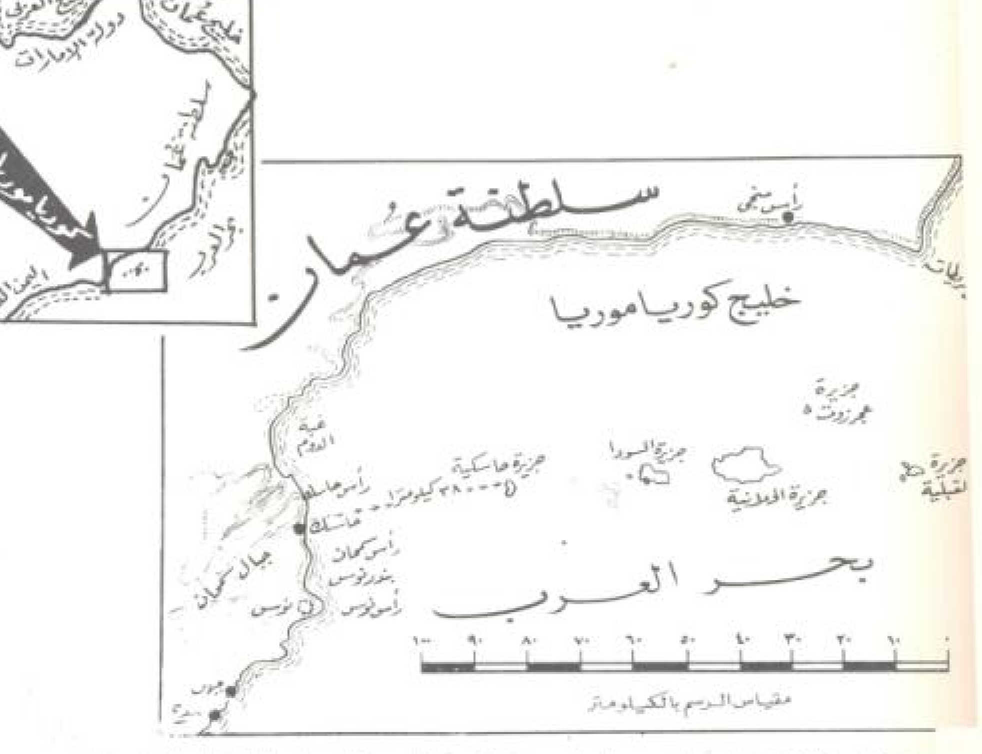
عودوا عند انفتاح البحر !

من «مسقط» طرنا الى «صلالة» ، مركز اقليم ظفار ، لنستقل الطائرة العمودية (الهليوكوبتر) الى جزر كوريا موريا .. ولم تكن العملية سهلة فقد كنا نرغب فى أن تنقلنا الطائرة وتتركنا فى الجزر لمدة يومين او ثلاثة ، ثم تعاود الحضور لاعادتنا .. هكذا فعلنا فى استطلاعاتنا عن جزيرة سقطرى وغيرها .. ولكن كان الامر هنا مختلفا فموسم الاعاصير كان على الابواب اما عملية تركنا فى الجزيرة ، ثم العودة لنا بعد انتهاء عملنا ، فامر مستحيل ، لانه اذا هبت الاعاصير فجاة فانها لا تتوقف .. وقد تظل سجينين فى كوريا موريا طوال ستة شهور دون اى اتصال مع العالم!

من اجل هذا كله اعادوا علينا ما سبق ان سمعناه : « عودوا الينا فى وقت « ينفتح فيه البحر » لانه من شهر يونيو حتى ديسمبر ، لا يمكننا المخاطرة بنقلكم الى كوريا موريا .. »

ما كادت الطائرة العمودية تحط بنا على ارض جزيرة الحلانية ، حتى تجمع حولها الاهالى ، كل منهم يمد يده مصافحا مرحبا ..





خريطتان : الاولى توضح موقع جزر كوريا موريا بالنسبة للجزيرة العربية والثانية خريطة تفصيلية للجزر التى تبعد ٣٨ كيلومترا عن الساحل العمانى ، ونحو ١٢٠٠ كيلو متر من ميناء عدن .. والاسماء التى تطلق على هذه الجزر متعددة مختلفة تطالعها بالتفصيل فى الاستطلاع ..

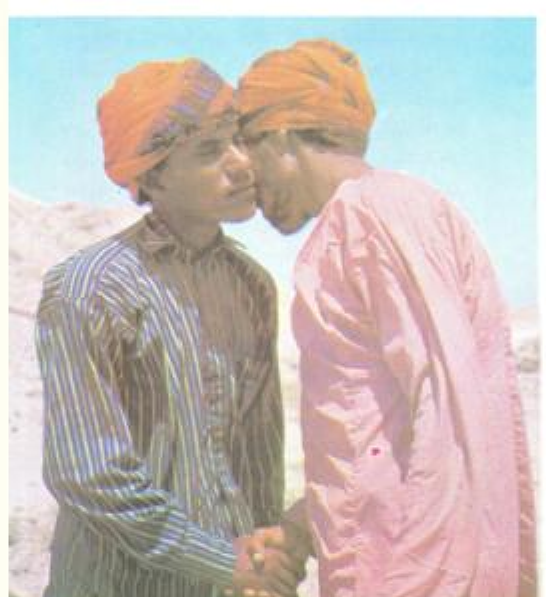
على مسئوليتنا

ولكننا كنا فى « صلالة » ، ولم يكن من الممكن ان نتراجع رغم كل الظروف التى ذكروها .. واتصلنا بمسقط واتصلوا هم كذلك .. وجلسنا ننتظر .. واخيرا جاء من يقول لنا : « حسنا ، سوف ننقلكم الى كوريا موريا دون أن نتحمل اية مسئولية عنكم .. وسوف نعطيكم فترة اربع ساعات لتنتهوا من عملكم الصحفى فى الجزر .. ننتظركم خلالها فى الجزيرة الرئيسية ، ثم نعاود الطيران ونرجع معا الى صلالة .. » .

ووافقنا على الشروط،ووقعنا الاوراق الرسمية التى تخلى بموجبها مسئولية السلطات الرسمية.

البحر عن يميننا والجبال عن يسارنا

ومع اشراقة الصباح كنا جلوسا علىسور مديرية الاعلام فى « صلالة » ننتظر وصول الطائرة العمودية لتحملنا الى جزر كوريا موريا .. وبعد دقائق كانت الهليكوبتر تهبط وسط عاصفة من الرمال اثارتها محركاتها ، لتعاود الطيران بنا ، منطلقة بمحاذاة ساحل « ظفار » .. البحر عن يميننا .. والجبال عن يسارنا كلها شقوق ووديان ، ووصلنا الى مطار بلدة « مرباط » بعد نصف ساعة ، وبعد أن اخذنا كفايتنا من البنزين ، وارتدينا صدرية النجاة ، انطلقت بنا الطائرة مرة ثانية بمحاذاة جبل « سمحان » : جبل البخور واللبان فى ظفار .. ووديانه خضراء ولكن بدون انسان .. لون الصخور يتحول الى الاحمرار .. السهل الساحلى بدأ يختفى..جبل سمحان يتقدم ويحتل الساحل.. البحر يتصدى لزحف جبل سمحان فيغطى صخوره التى لم يعد يظهر منها الا رؤوسها .. البحر يربح المعركة مع الجبل .. لم يعد تحتنا الا مياه" زرقاء داكنة .. انه خليج كوريا موريا الذى هو جزء من مياه بحر العرب .. الاسماك الكبيرة وكلاب البحر نشهدها بالعين المجردة ، تسابق فى المياه العميقة التى ليس فيها اثر لسفينة او مركب ..



خلال الساعات الاربع التي قضيناها في جزيرة الحلانية ، قام الدكتور بزدوى محمد سعيد الرباص ، الذى رافقنا في رحلتنا ، بفحص ابناء الجزيرة ، وعددهم ٨١ شخصا .. وكانت النتيجة انهم جميعا مصابون بفقر دم وسوء تغذية !! ونراه في الصورة العليا يفحص صدر عبد الله سعيد الذى افترش الارض ، اذ لا يوجد في الجزيرة كلها مقعد أو سرير ، أو طاولة !! كل هذه الاشياءمازالت تعتبر من الكماليات لابناء هذه الجزيرة ، الذين يتبادلون السلام بحك الانفين ! (الصورة اليسرى)



جبل من الجرانيت القاسي يرتفع من وسط جزيرة الحلانية ، لتفتح وديانه على سواحل رملية رائعة ، حفر فيها الاولون أربع آبار ما زالت تستعمل الى اليوم ، جدرانها مكسوة بأحجار الصوان ، عمقها نحو خمسة أمتار ، وقطرها متران (الصورة اليمنى) .. وملؤها يميل الى الملوحة .. وفي جبال الحلانية تسع آبار للماء بعضها حار وبعضها بارد .. وهي أقل ملوحة من الآبار الساحلية القريبة من البحر .. والمقابر !!

« حاسكية » جزء من « سمحان » !

وبعد ربع ساعة من الطيران انطلق صوت كابتن الطائرة يقول ـ عبر السماعات التي على آذاننا ـ : « جزيرة حاسكية امامنا .. انها اولى جزر كوريا موريا التي تقابلنا .. وهي تبعد ٣٨ كيلو مترا عن الشاطىء .. وبعد هذه الجزيرة تتناثر بقية الجزر على منطقة طولها ٥٠ ميلا تمتد من الشرق الى الغرب .. »

الطائرة تقترب من « حاسكية » ، والطيار يدور بنا حولها على ارتفاع منخفض .. ان منظرها اوحى الينا بان جبل السمحان الذى غرق فى مياه بحر العرب ، عاد للظهور من وسط المياه الزرقاء على هيئة هذه الصخرة الكبيرة التي لا تزيد مساحتها على ميل مربع واحد ، وارتفاعها ٥٠٠ قدم ..

انها جزيرة حاسكية التى لم تشهد عليها اثرا لانسان او حيوان او نبات .. وشكلها اشبه بكف اليد لتشعبها وامتداد خلجانها !!

مخلفات الطيور تجلب الانسان

ان هذه الجزيرة (الحاسكية) وشقيقتها جزيرة (القبلية) ليس بهما اليوم الا الفئران والعقارب و « ام سبعة وسبعين رجلا » ، اما بالامس فكانتا مقصدا لعشرات السفن الامريكية والفرنسية والبريطانية .. سفن جاءت الى هاتين الجزيرتين الصغيرتين لتنقل منهما الوف الاطنان من « الجوانو » .. ذلك السماد الطبيعي لطيور البحر ، التى اتخذت من هاتين الجزيرتين ، او الصخرتين بالاحرى .. مسكنا لها ، عبر قرون ، لم يضايقها خلالها احد .. حتى وصل ارتفاع مخلفاتها الطبيعية نحو ستة اقدام !

تنافس الدول على « الجوانو »

لقد بدات السفن الامريكية ، بعد استقرار الثورة الامريكية ، تجوب منطقة بحر العرب والمحيط الهندى تبيع القطن والبضائع بالمفرق ، وتصطاد الحيتان من المحيط الهندى ، وتتاجر بالعبيد ، وتشترى البخور واللبان والجلود والعاج .. حتى سماد الجوانو بدأت تجمعه من جزر كوريا موريا حوالي عام ١٨٣٠ ثم جاءت السفن الفرنسية وبدأت هي الاخرى تجمع سماد الجوانو ..

كل هذا كان يتم قبل ان تضع بريطانيا يدها على جزر كوريا موريا ، وتستأثر بالجوانو ، تنقله الى بريطانيا ليخصب به الفلاحون الانجليز اراضيهم هناك ..

والتركيب الكيماوى للجوانو هو ٧٠٪ فوسفات ٢٩٪ سيليكا ورطوبة و ١٪ نشادر .

هدية قيمة ..

والواقع ان بريطانيا لم تحتل جزر كوريا موريا ، بل تقبلتها هدية من سلطان مسقط « سعيد بن سلطان » .. الذى امتد سلطانه واتسع فى المنطقة ، وكان يتبادل الهدايا مع بريطانيا : اعطاها اول مرة اكبر قطعة حربية فى اسطوله مجهزة باربعة وسبعين مدفعا ، تقبلها الملك وليم الرابع بسرور وارسل له بدلا منها يختا فخما مزخرفا بالرسوم والنقوش ، كان يستعمله الملك جورج الرابع ، ومن كثرة رسومه وزخارفه كان السلطان سعيد لا يؤدى الصلاة فيه !

وفى عام ١٨٥٤ اوعزت بريطانيا الى احد قباطنة سفنها الكابتن فريمنتل Fremantle بالتفاوض مع السلطان سعيد لشراء جزر كوريا موريا .. ورفض السلطان فكرة البيع ، وبدافع من الكرم العربي ، كتب حجة للكابتن فريمنتل يقول فيها :

« حضر لدى من الامة العزيزة الكابتن فريمنتل التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة يطلب منى جزائرى : بن كولفيم ، جزائر « كوريا موريا » اي رولانيسا ، جبلية ، سوداء ، حاسكى ، جوززوند .

« وانني بمقتضى هذا اتنازل عن الجزائر المذكورة الى الملكة فيكتوريا ، لتكون ملكا لهـا ولورثتها ولخلفائها من بعدها .

« والبانا لهذا ، قد اثبت هنا توقيعى وخاتمى من نفسي وعن ابنى من بعدى ، وذلك بمحض ارادتى ورضاى ، ومن غير قهر ولا ارهاب ، او منفعة مالية أيا كانت ، وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا ..

من وضع يدى : سعيد بن سلطان ـ امام مسقط
حرر فى مسقط ١٧ شوال ١٢٧٠ هـ
الموافق ١٤ يوليو ١٨٥٤ .



منظر عام « لمدينة الخلائبة » وهي في سهل وسط التلال ، تضم ٣٨ كوخا منها ٤ مهدمة ، يعيش بداخلها ٨١ شخصا .. لاحظ أسلوب البناء ، ومهبط الطائرة الملاصق «للمدينة» الواقعة جنوبا ..

ومقابل هذه الهدية الثمينة قدم اللورد كلارندون Claredonn هدية سخيفة للسلطان هي : « علبة لحفظ النطوس !! ! »

وهذه القصة قد ذكرها وندل فيلبس في كتابه المسمى Oman a History

نقل الجوانو

وبعد هذا التنازل بعام واحد قامت شركة تجارية بريطانية باستئجار جزر كوريا موريا لفترة خمس سنوات . اقامت خلالها مركزا تجاريا صغيرا في الجزيرة القبلية ، كان يقوم بتنظيم عمليات شحن سماد الجوانو الى بريطانيا .. وبلغ عدد السفن التي كانت تشاهد في مياه كوريا موريا ٥٢ سفينة مرة واحدة ..

وهكذا تم نقل كل حفنة من هذا السماد الذي كان يغطي جزيرتي : الحاسكية والقبلية وسمكه يتراوح بين قدم واحدة وست اقدام ..

وقدروا كمية سماد الجوانو الذي نقلته الشركة البريطانية بنحو ..٢٠٠ الف طن !!

بريطانيا تعيد الهدية

وبعد الانتهاء من نقل الجوانو ، ضعفت اهمية جزر كوريا موريا واضمحلت تقريبا .. وحاولت « شركة البحر الاحمر » و « شركة كراتشي » اقامة محطة لاسلكية ، ولكن برج الارسال سقط وتهشم عام ١٨٦٢ ، ولم يحاول أحد اعادته او اصلاحه .

والحقت جزر كوريا موريا بحاكم عدن ، ولكن المسافة الطويلة بين عدن والجزر ، جعلتهم يحولون مسئولية الجزر الى المقيم البريطاني في الخليج العربي .. وقبل استقلال عدن والجنوب العربي، اعادت بريطانيا جزر كوريا موريا الى سلطان مسقط .. وهي اليوم جزء من أراضي سلطنة عمان ..



الى اليمن : القارب الوحيد الذي يملكه احد اهالي الجزيرة .. يصطادون به اللخم ، أي سمك القرش الوحشي الكبير ، الذي يأكلون لحمه بعد تجفيفه تحت الشمس .. (الصورة السفلى) ولهذا اطلقوا عليهم لقب (آكلو السمك) ..

الى اليمين : البندقية الوحيدة في الجزيرة يحملها عبد الله بن حمد .. ولكنها بندقية بدون نار .. اذ لا توجد طلقة رصاص واحدة في الجزيرة !! ويصعد الناس الى جبل « الحلانية » للصيد ، يسيرون بالايام خلف الماعز الوحشي حتى يمسكوه بالايدي ويذبحوه !! اما سمك القرش « اللخم » فانهم يقطعون لحمه بعد صيده وتجفيفه (الصورة السفلى) ثم يضعونه بعد تجفيفه في المغارة داخل الجبل ، ويبيعونه للبحارة الذين يمرون بالجزيرة



الناس يهجرون « السودا »

وانتزعنا صوت قائد الطائرة من ذكريات التاريخ الى الواقع بقوله : « نقترب الآن من جزيرة « السودا » .. الجزيرة الثانية من جزر كوريا موريا ، انها على مسافة ١٤ ميلا من الحاسكية .. »

« السودا » تحتنا .. انها اضخم بكثير من « حاسكية » .. لونها ليس بالاسود ، فمن وسطها يرتفع جبل من الجرانيت الى علو ١٣١٠ اقدام ، تحيط بها سواحل رملية ساحرة ، المياه خضراء شفافة .. والخلجان الصغيرة تتتابع على الشاطىء .. تنفصل عن الجزيرة بعض الصخور مكونة جزرا صغيرة ملاصقة تقريبا للجزيرة الكبيرة.

ان هذه الجزيرة التي لا يسكنها احد اليوم يمكن ان تتحول الى جزيرة سياحية عالية في المستقبل .

و« السودا » ـ وطولها ٣ أميال وعرضها ميلان ـ كان لها سكانها في بداية هذا القرن ، هاجروا منها لازدياد ملوحة المياه في بئرها الوحيدة .. ورأينا الطبيعة تزرع الاعشاب واشجار السدر في غياب الانسان ..

هذه هي الحلانية

وما هي الا دقائق حتى ارتفع صوت قائد الطائرة قائلا : « الحلانية أمامنا .. »

وشخصنا بابصارنا وكأننا نريد تصويرها بأعيننا .. انها كبرى جزر كوريا موريا الخمس ، عرضها من الشمال للجنوب ثلاثة أميال ونصف ميل ، وطولها سبعة اميال ونصف ميل ، وهي الجزيرة الوحيدة الآهلة بالسكان من جزر كوريا موريا ..

الطائرة تدور بنا حول « الحلانية » .. الجبال من وسطها مسننة الرؤوس ، وكأنها الحراب المشترعة ، وشاطئها الغربي خليط من الرمال الصفر والتلال والصخور .. في طرفها الشمالي مستنقع من المياه الآسنة ، حوله أعشاب خضر .. لا يوجد شاطىء رملي جنوب الجزيرة ، بل جبال صخرية تغسلها المياه العميقة الزرقاء .. في الطرف الشرقي خليج هادىء اسمه «قبة الرحيب» محمي من الرياح ، وتقف على مسافة من شاطئه سفينة عربية وحيدة .

لا توجد « طاولة »

وخرجنا من الطائرة ، لتجد امامنا مجموعة من الرجال والصبية ، لوحت الشمس بشرتهم فجعلتها سمراء .. صدورهم عارية ومكشوفة ، و « الفوطة » تغطي النصف الاسفل من الجسم .. وبدأ السلام بشوق وترحيب ، بكلتا اليدين مرة واحدة ، وسمعنا لهجتهم فوجدناها مزيجا من العربية والمهرية ..

وما كاد الاهالي يعلمون بوجود طبيب معنا في الطائرة ، حتى تجمعوا حوله ، وجاءوا بغطاء من الصوف ، وضعوه على الارض ليفحصهم عليه ، فليس في الجزيرة طاولة واحدة !!

آكلو السمك

وبينما كان الدكتور العثماني « بزدوى محمد سعيد الريامي » يفحص المرضى ـ جلسنا الى الشيخ سعيد محمد عبد الله نسأله عن اهل الجزيرة وحياتهم فقال :

ـ من يوم وجودنا ومعيشتنا على السمك .. نصطاد مختلف الانواع منه .. الكبير والصغير من لخم ـ أي القرش ـ وكنعد وصافية وخثام وشعري وسمان .. بالسنارة والايدي أحيانا .. فليس عندنا شباك ، وفي الماضي كان لدينا ثلاثة مراكب خشبية نسيرها بالمجداف ، اثنان منها أصابتهما عوامل الزمن وقلة الصيانة فتوقفا عن

عملية تجميل قبل التقاط الصورة .. ولكن العدسة كانت اسرع فصورت جزءا من الشال الطويل الذي يلتف حول الرأس !



الحركة ،ولم يعد في الجزيرة حاليا سوى مركب صغير .. هو الآخر في طريقه للبلى ..

« لهذا تجدنا محصورين داخل « الحلانية » لا نستطيع مغادرتها الى اى مكان آخر .. حتى الجزر الاخرى القريبة لا نستطيع الذهاب اليها، لعدم وجود وسيلة انتقال عندنا ..»

جزيرة العقارب

قلنا : لماذا لا تزرعون ، وقد سمعنا أن عندكم الكثير من آبار الماء ؟

قال : من يوم ما خلقنا ونحن ما نفهم في الزراعة .. الزراعة تحتاج الى فهم وتدريب وحبوب .. ونحن ليس عندنا اى شيء من هذا .. في كل الجزيرة لا يوجد متجر واحد ، ليس عندنا بترول ولا سجاير ولا شموع ولا ارز ولا حتى مدرسة أو ادوية ، وعندنا العقارب منتشرة في كل مكان واذا لدغت شخصا فانه يخلط الرمل مع الماء ويشربه ، فيخف من لدغة العقرب !! »

اول احصاء للسكان

وسألناه : كم سكان جزر كوريا موريا ؟

اجابنا : عدد السكان حوالى ٩٨ نسمة قابلة للزيادة والنقصان ..

وهنا اقترح مرافقنا الاخ عبد العزيز محمد الرواس ، مسئول الاعلام في ظفار ، ان نجـري عملية احصاء فورية . وبدأ الرجال فعلا يسجلون اسماءهم ونحن نكتب :

سعيد مسكم ـ ثابت مزى ـ خلفان بن مسلم ـ مفيط عبد الله محمد ـ خميس بخيت ـ فرى مايد ـ سالم هلال ـ احمد مسلم .....

ولم تستغرق عملية تعداد سكان جزر كوريا موريا اكثر من ربع ساعة ، ثبت بعدها أن عددهم ٨١ نسمة ، ينقسمون الى :

٢٧ رجلا ، ١٧ امرأة ، ٢٣ صبيا وطفلا صغيرا، ١٤ طفلة !

ازمة زواج عند الشباب

واشتكى الينا الشباب قائلين :

ـ نريد أن نتزوج ، ولكنه لا توجد فتيات .. اننا عشرة عزاب حائرين ، نرجو أن تجدوا لنا



سمك القرش الرهيب ، تحول الى شرائح من اللحم المجفف تحت الشمس ، ينقلها أحد أبناء الحلانية ليحفظها في الكهف حيث تكثر العقارب و « ام سبعة وسبعين » !

وسيلة نستطيع الذهاب بها الى مرباط ، حتى نتزوج هناك ونعود الى الجزيرة .

قلنا : « لماذا لا تنتظرون الفتيات الصغيرات حتى يكبرن ؟ »

اجابونا : « لا يمكننا انتظارهن ، فهناك الصبيان الصغار الذين سيكبرون هم ايضا ، وهؤلاء عددهم يزيد على عدد الفتيات الصغيرات » .

انها ازمة سيعانى منها شباب الجزيرة لمدى سنوات كثيرة قادمة ..

وعند الحيوان كذلك

وارتفع صوت احدهم قائلا : وازمة الزواج عندنا تتعدى الانسان لتصل الى الحيوان .. عندنا حمارة بدون حمار .. وعندنا ٢٠ دجاجة واربعة





فراغ .. ولا شيء الا الفراغ .. لا يوجد اى شيء يغريهم بالبقاء فى جزيرتهم .. ان أمنيتهم هى الرحيل والهجرة من أرضهم المتسية الجدباء .. تنظر الى وجوههم فلا تجد الا العبوس والصرامة .. شبابهم ، مثل عوقرث محمد ، وسعيد سعد (**الصورة العليا**) يريدون الزواج ، ولكن لا توجد فتيات ، ولا حتى وسيلة مواصلات تنقلهم من الجزيرة الى مرباط ليتزوجوا هناك حيث النساء أكثر .. والرجال الكبار ، يضمون يدهم على خدهم (**الصورة اليسرى**) حائرين لا يعرفون حلا لمشكلاتهم ! ولم نسمع فى «الحلانية» صوتا واحدا عاليا ، الا نهيق الحمارة الوحيدة فى الجزيرة (**الصورة السفلى**) .. لقد طلب أهل الجزيرة من المسئول عن سفينة تموينهم أن يحضر معه حمارا من مدينة صلالة فى رحلته القادمة .. حتى تتصل الانسال .. !!



دبولك و١٣٠ ماعز وغنم وحشي « وايد » في الجبال اكثر من الف .. اما القطط فعددها يزيد على ٣٠٠ قطة !

حقيقة اسماء الجزر !

قلنا للشيخ سعيد عبد الله : ما اسم الجزر التي تعيشون عليها ؟.

قال : جزيرتنا هذه هي « الحلانية » **.. اي التي حل فيها الانسان ، وهي الوحيدة الماهولة بالسكان ، اما الجزر الباقية فهي :** حاسكية .. السودا .. الجبلية **(اي القبلية)** ..عجرزوت ، ومعناها الراس الصغير ..

خريان مريان هو الاصل

وهنا نتوقف قليلا لنتحدث عن هذا التخبط في الاسماء الذي لا شك لاحظه القارىء .. فقديما كان يطلق على مجموعة الجزر اسم جزر غلفان ، **نسبة الى قبيلة بني غلفان التي استولت على الجزر ، ثم اتجه شيخها سعيد بن عمر بن غلفان نحو مرباط يريد احتلالها ولكنه فشل ، فعاد الى الجزيرة الام ثانية .. واسم جزر** غلفان **هو الذي حور في اتفاقية الهدنة بين السلطان والانجليز الى اسم جزائر** بن كولفيم **.. وبعدها اطلق بعض المؤرخين العرب اسم** « خرطان مرطان » ، و« خريان مريان » **على مجموعة الجزر ومعناها (زرق العصافير) .. ومن المرجح أن تكون الكلمة الانجليزية** « كوريا موريا » **هي تحريف** « خريان مريان » ، **اذ أن حرف الخاء صعب النطق عند الاجانب ، فتحول الاسم الى ما هو معروف به اليوم :** كوريا موريا .. **وهذا ما جعل الكتاب الانجليز يقولون :** ان اسم كوريا موريا هو اسم عربي الاصل .. **بينما يتحذلق بعض الكتاب العرب ويقولون :** ان الاسم اجنبي !

وقد تجاوز بعض الكتاب هذه الاسماء ، فهم يطلقون اسم الجزيرة الكبيرة « الحلانية » **على مجموعة الجزر كلها فيسمونها :** جزر الحلانيات !!

ويمتد التضارب الى اسم كل جزيرة على حدة ، وخاصة اسم جزيرة عجرزوت **.. مرة يسمونها** عرزوت **ومرة** جورزوند ، **واكتفى البرتغاليون بتغيير اسمها الى** رودندو Rodondo !!.



نقل المياه من البئر الى الكوخ ، عملية تقوم بها المرأة .. حياة قاسية تعيشها ١٧ امرأة في مجتمع قاس !

خذوني من الآن ..

وسألنا رجال الحلانية : « هل تريدون البقاء في هذه الجزر ام هجرتها الى ارض الوطن الام ؟ »

وتشاوروا فيما بينهم ، وترددوا في الاجابة ثم قال بعضهم : « لو البلد كلها تروح .. نروح احنا كمان .. » **وقال بعض الرجال :** « لو كانت عندنا تسهيلات الحياة ، لما فكرنا في ترك الجزيرة .. ان الحكومة ترسل الينا سفينة تحمل لنا الزاد .. ولكنها **لا** تصلنا في مواعيد منتظمة .. وكم من مرة مكثنا دون طعام .. **لا** نأكل **الا** الاسماك فقط ، دون خبز ، أو تمر ، أو أرز .. اما الفاكهة

والمغراوات الطازجة ، فقد سمعنا عنهما ولم نرهما فى حياتنا بعد ..

« ان الامراض تفتك بنا ، نعالجها بطرق بدائية ، نكوى انفسنا بالنار ، ونشرب الماء المخلوط بالرمال باعتباره خير دواء !!

اننا فى حاجة الى زيارات منتظمة من طبيب ليعالجنا من امراضنا .. امامك الدكتور الذى يصحبنا حاليا اساله ، وهو سيخبرك عن ماهية امراضنا .. »

سل وملاريا

وهنا قال الدكتور الريامى : « الواقع ان جميع سكان كوريا موريا كانوا مهددين بالفناء فى عام ١٩٧٣ عندما اصابهم مرض الملاريا، ولولا مسارعتنا لنجدتهم لما بقى واحد منهم حيا .. واليوم ، وبعد ان اجريت الكشف ، وجدت ان معظمهم مصاب بفقر دم وسوء تغذية ، وهذا يؤدى الى تعرضهم للامراض المزمنة مثل السل .. ولا تنسوا أن الملاريا من الامراض المستوطنة فى الجزيرة ! »

صداقة ٤ ساعات

وتجولنا فى « الحلانية » بين الساحل والقبور وبقايا التجمعات السكنية القديمة ، تسجل وتسمع ما تراه مفصلا تحت صور هذا الاستطلاع .

واتجهنا بعد ذلك صوب الطائرة ، فقد ازف وقت الرحيل ، وتجمع حولنا الصبية والرجال وهم يقولون : « لا تنسونا .. اننا نحملكم الامانة فاكتبوا عنا بصدق .. » **وبدا الوداع والسلام .. ولشد ما كان مؤثرا ، فان السلام تحول** من مصافحة الايدى الى « حك الانوف » .. **رمز الصداقة العميقة والالفة .. التى ربطتنا باهل كورياموريا خلال الساعات الاربع التى مكثناها معهم ..**

ما هو الحل

وقال قائدالطائرة : « هل نتابع رحلتنا الى الجزيرة الباقية ؟ »

قلنا : «لقد اكتفينا بما شاهدنا .. وعجزروت لا تختلف فى شىء عن شقيقاتها ، فهى جزيرةصخرية لا يعيش فيها الانسان ، تحيط بها صخور هى اشبه « بجزر مساعدة للجزيرة الاصلية .. »

وانطلقت الطائرة تصعد بنا عموديا .. والاهالى يلوحون بايديهم غير مبالين بزوبعة الرمال التى اثارتها المحركات ..

وجلسنا نتساءل : ترى كيف يمكن حل مشكلة هؤلاء السكان ؟ .. هل نهجرهم من الجزيرة ، أم نبقيهم فيها ؟ »

والجواب ذو شقين : اذا نظرنا للموضوع من الوجهة الاقتصادية **فمما لا شك فيه انها عملية خاسرة ، فمصاريف اقامة منشآت ومستوصف ومدرسة فى الحلانية سوف تكلف مبالغ تتعدى اضعاف ما يتكلفه انشاء المبانى نفسها على الوطن الام .. والحصيلة لهذه النفقات ؟ ان قلة عدد السكان تخلق مشكلة ، فالذين سيستفيدون من هذه المنشآت اقل بكثير منالذين يمكن أنيستفيدوا منها على أرض الوطن الام .**

اما الشق الثانى للجواب فيتمثل فى ان تكون نظرتنا للمشكلة من الناحية الانسانية البحتة . وهنا سنصل الى اتفاق تام على انه لا يمكن ان نترك سكان كوريا موريا يعيشون بنفس الاسلوب الذى يعيشون عليه اليوم .. يجب ان نصنع لهم شيئا .. لا بل اشياء ..

يجب ان نزيد من رحلات سفينة التموين ، وتنظيم مواعيدها ، وزيادة ما تحمله من تموين .. يجب أن نرسل اطفالهم ليتعلموا فى المدارس على الارض الام .. يجب أن نحفر لهم آبارا للمياه العذبة .. يجب ان نساعدهم لتحسين اسلوب الصيد ونقديم القوارب الحديثة لهم ..

وبالاختصار يجب ان نبدا معهم من تحت الصفر فى كل امور الحياة ..

هل ادينا واجبنا ؟

واخيرا .. امن اجل ٨١ شخصا كانت هذه المشقة التى تكبدناها ، وكل هذه الصفحات التى خصصناها . نعم .. فهؤلاء منا ، ولو كان عددهم لا يزيد على اصابع اليد الواحدة ..

ان المواطن العربى ـ اينما وجد ـ واحد من افراد الاسرة العربية الكبيرة .. ومن حقه علينا .. ومن واجبنا نحوه .. ان ننقل صورته ، ونعبر عن آلامه وآماله ..

نامل ان نكون قد ادينا واجبنا نحو ابناء كوريا موريا .. ■■

سليم زبال



بين الشريعة والعمارة

بقلم : عبد المجيد وافى

■ روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ انه قال :

« كان المسلمون حين قدموا المدينة ، يجتمعون ، فيتحينون الصلوات ، وليس ينادى بها احد ، فتكلموا يوما في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : قرنا مثل قرن اليهود (بوقا على هيئة قرون الحيوان ينفخ فيه) فقال « عمر بن الخطاب » : اولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : يابلال ، قم فناد بالصلاة » .

وروى الامام احمد ، وابو داود ـ بسندهما عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه ـ انه قال : « طاف بى من الليل طائف وانا نائم : رجل عليه ثوبان اخضران ، وفي يده ناقوس يحمله ، فقلت : يا عبد الله ، اتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به الى الصلاة ، قال : افلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت : بلى ، قال : تقول : الله اكبر الله اكبر ، الله اكبر الله اكبر ـ وردد عليه الفاظ الاذان التي يؤذن بها الى اليوم ـ قال عبد الله بن زيد : ثم استأخر غير بعيد ، قال : ثم تقول اذا أقمت الصلاة : الله اكبر الله اكبر ـ وردد عليه الفاظ اقامة الصلاة بما هو معروف منها الى اليوم ـ قال عبد الله بن زيد : فلما اصبحت اتيت رسول الله ـ صلى الله وسلم ـ فاخبرته بما رأيت ، فقال : « انها لرؤيا حق ان شاء الله ، فقم مع بلال فالق عليه ما رأيت ، فانه أندى صوتا منك « فقمت مع بلال ، فجعلت القيه عليه ، ويؤذن به » .

وكان بلال مؤذن المسجد ، يعلن بالصلاة من حول المسجد ، وكان ابن ام مكتوم ، مؤذن الاسواق البعيدة عن المسجد.

كما كان في الفجر ، يسبق اذانُ ابن ام مكتوم اذانَ بلال بفترة، ولذلك نبه رسول الله الصائمين الذين يقومون للسحور من الليل بقوله :

« اذا سمعتم اذان ابنِ ام مكتوم فكلوا (اى لا تكفوا عن الطعام ان كنتم تهمون به ، او لم تتموا سحوركم) فاذا سمعتم اذان بلال فارفعوا ايديكم » او « فكفوا » .

كما روت كتب السيرة ايضا ان بلالا كان يرتفع على شَرَف (مكان عال) في اذانه ، وكذلك ابن ام مكتوم ، ليبلغ بالاذان ، اكثر مما يبلغ لو كان يؤذن وهو على مستوى الارض .

كان ارتفاع المؤذن على ابراج

وذكرت كتب السيرة ايضا ان ذلك المرتفع ـ او الشرف ـ كان برجا مربعا في بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب وزوج رسول الله ، « وكان يرقى على اقتـاب فيه » اى اقواس مقبية على هذا البرج .

كما كان في دار عبد الله بن عمر بن الخطاب ،

برج" لِصْقَ" جدار القبلة ، خلف المحراب ، كان يؤذن من فوقه ، وكان مربعا ايضا .
من هنا نرى ان اول منارات او مآذن ، كانت في المسجد النبوى الشريف ، على عهد رسول الله ومن بعده ، وقد ظل هذان البرجان يؤذن فوقهما، حتى ازيلا في توسعة المسجد ايام ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة .

توسعة المسجد النبوى

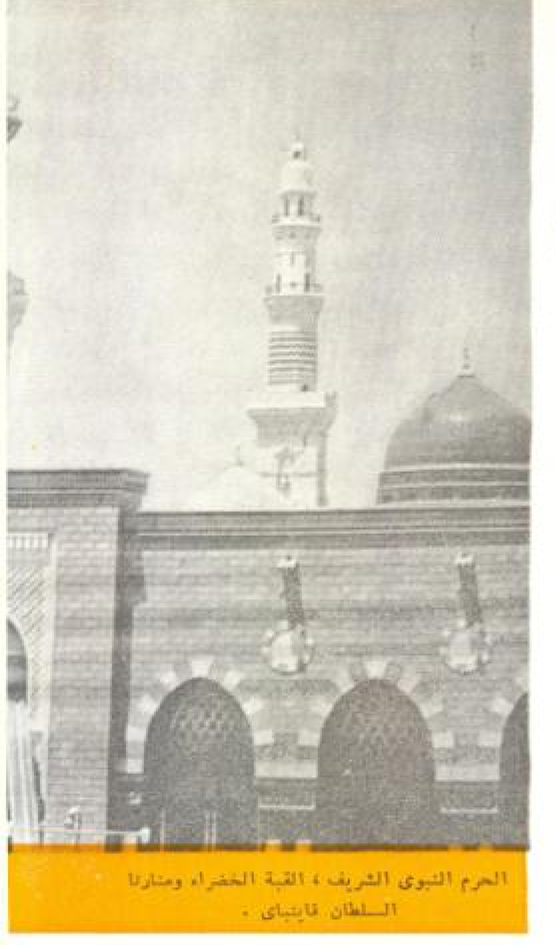
وقد بدات هذه العمارة سنة ٨٨ هـ = ٧٠٦ م وانتهت ٩١ هـ = ٧٠٩ م ، واشرف على هذه العملية ، وباشر الانفاق عليها عمر بن العزيز ، تحت مراقبة صالح بن كيسان، من خيار التابعين.
فلما هدمت المنارتان او البرجان ـ فيما هدم من بناء المسجد للتوسعة ـ اقيم باطراف المسجد الاربعة اربعة ابراج او مآذن ، وكان اتساع ابعاد المسجد بعد هذه العمارة ، حيث بلغ طول جدار القبلة ١٦٥ ذراعا ، وطول الجدار الغربي ٢٠٠ ذراع ، ودخلت في عمارة المسجد بيوت" زوجات الرسول ، بعد ان كانت خارج المسجد .
وبذلك تكون المنارات الاربع ـ بعد هذه التوسعة ـ ضرورة واضحة لتنطلق اصوات المؤذنين الى الآفاق جميعا .

ثم تتابعت المآذن

وعقب هذا التجديد في تنظيم عمارة المسجد الاول ، تتابعت ابراج الاذان في المساجد الاسلامية، في دمشق ، ومصر ، والعراق ، ثم افريقية ، وان ظلت المساجد الافريقية والاندلسية : كالقيروان، وقرطبة ، واشبيلية ، وفاس ، ومراكش ، وغيرها، محتفظة" بالشكل المربع لمناراتها ومآذنها .

وتعدد المؤذنون فى المسجد الواحد

واذا لم يكن قد اشتهر في السنة المطهرة والسيرة النبوية الشريفة ، ان للنبي ، اكثر من مؤذنين : بلال ، وابن ام مكتوم ، فان اماما من الائمة السابقين ، هو الليث بن سعد ـ امام اهل مصر ، قبْل الشافعى ، وقد عاصر مالكا امام اهل المدينة ، ودارت بينهما محاورات ، وكانت بينهما صلات ـ قد افتى بجواز تعدد المؤذنين في المسجد الواحد اذا اتسعت رقعته ، ترتفع اصواتهم



الحرم النبوى الشريف ، القبة الخضراء ومنارتا السلطان قايتباى .

جميعها بالاذان من زوايا المسجد المختلفة ، ومن فوق المآذن المتعددة .
وقد ظل هذا يعمل به في مساجد مصر الجامعة، حتى بداية هذا القرن الحالى ، ولقد كان المؤذنون يرقون المآذن المتعددة في تلك المساجد ، للاذان، او الاعلام بالخطر عند الكوارث او النوازل، وفي المواسم، وعند وفاة ذوى الهمة من العلماء ، واولى الحجة عند عامة المسلمين .

بدات المئذنة مربعة الشكل

اما شكل المنارة او المئذنة ، فقد بدا مربعا ـ كما ذكرنا ـ اقتباسا للشكل نفسه الذى كانت عليه ابراج بيت حفصة ام المؤمنين، وبيت عبد الله ابن عمر .
وقد ظل هذا الشكل طابع المنارة المغربية الى



منارة السلطان قايتباي ذات الرأس الواحدة ومنارة السلطان الغوري ذات الرأسين من منارات الجامع الازهر .

يومنا هذا ، وكانت مآذن الاندلس من اول عهده الاسلامي ـ ٩١ هـ الى ٨٩٧ هـ (٧١١ م ـ ١٤٩٢ م) ـ على هذا النمط وقد بقيت منارة المسجد الجامع في اشبيلية اثرا ماثلا الى وقتنا هذا ، محاكية بذلك مثال المنارة الام في الاندلس وهي منارة المسجد الجامع بقرطبة حاضرة الخلافة الاندلسية ، وعنهما اخذت مساجد المغرب حتى اليوم .

اما صورة اقدم مثال لمنارة في الشمال الافريقي، فهي منارة المسجد الجامع بالقيروان ، وقد بدأ عمارته « عقبة بن نافع » سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م) والمنارة الحالية اقيمت في المكان نفسه ـ مكان منارة عقبة ايام هشام بن عبد الملك ـ ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) وقد جددت مع ما اصاب المسجد ، من عناية الولاة بالترميم والتجديد ، الا انها ظلت محتفظة بطابعها .

بناء مربع القاعدة ، ترتفع جدرانه في ميل هرمي خفيف ، ليقف البناء عند الدورة الاولى للمؤذن ، عالية عن جدران المسجد ، تحف بالباب الرئيسي للمسجد ، ومن دورة المؤذن تبدأ المرحلة الثانية نسبة الميل نفسها ، الا ان ضلع تربيع البناء يضيق عن ضلع الجزء الاول ، وينتهي هذا الجزء بالدورة الثانية ، حيث تبدأ المرحلة الثالثة التي تنتهي بقبة مفصصة ، باعلاها سفود ، كانت تنتظم فيه التفافيح المذهبة ، على مثال تفاحات منارات قرطبة واشبيلية والكتبية في مراكش .

وتعتبر منارة القيروانهي المنارة الوحيدة المربعة ذات الميل الهرمي ، وكل منارات المغرب والاندلس المربعة مستقيمة الجدران ، وكذلك بعض منارات مصر : كمنارة جامع الغورى وجامع محمد بك ابى الذهب ، على حين كانت منارات جامع دمشق الاموى ، ومنارة قانى باى الرماح ، وامثله اخرى بالقاهرة ـ مربعة القواعد فحسب، غير انها جميعا اشتركت في استقامة الجدران دون ميل ، حتى مع تعدد الدورات والطبقات .

وقد اكتسبت المآذن بعد ذلك طابعا محليا في اشكالها ، وارتفاعاتها ، ومواد بنائها ، باختلاف بقاع العالم الاسلامي .

المآذن في آسيا الوسطى

فمآذن آسيا الوسطى .. « الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي » ، ذات اشكال مختلفة ، غلب عليها الهيكل الاسطواني ، سواء بدأت بقاعدة مربعة او استدارت منذ بدايتها ، مستقيمةالجدران او مائلة ، تنتهي عند علو شاهق بدورة واحدة ، مسقوفة ذات طيقان او عقود ، وقد برزت هذه الدورة عن جسم المنارة ، بتوزيع عدة حطات من المقرنصات ـ زخارف نباتية كاعشاش النحل ـ لتحدث بروزا انتقاليا الى المستوى المطلوب .

وقد بنيت اكثر هذه المآذن بالآجر (المطوب المحروق) ، واتخذ المعمارى توزيع المداميك لتشكيل سطح زخرفي جميل ، نتيجة لتعاقب قوالب الآجر في انحراف ، او تتابع او تقاطع ، مستخدما في ذلك عنصر التلوين ، باستعمال القوالب ذات الدهان الزجاجي ، بالوانه المختلفة، مع تصميمات كتابية ونجمية تشغل البدن كله ، او افاريز على مستويات مختلفة من الارتفاع .

وفي الريف المصرى

وقد نجح معماريو الريف المصرى في سلوك اسلوب مشابه ، مع احتفاظ منارتهم بشكل المنارة المصرية الحجرية البناء وطابعها ، وذلك باستعمال الطوب المحروق وتلوينه ، دون طلاء زجاجي .

ولا شك ان جمال بناء المئذنة ، يستمد بهاءه ورواءه من الزخارف التي يضفيها المعماري عليه ، ويبلغ ذلك البهاء حد الروعة ، كلما كانت عناصر التشكيل الجمالي هي عناصر البناء نفسها ، فذلك يدل ، على براعة البنّاء واقتداره ، اذ يَستخدم العنصر الواحد في وظيفتين : وظيفة اساسية ، وهي تكامل البناء ، ووظيفة جمالية ، وهي تناسق الشكل الجمالي العام في تكوين البنّاء .

مساجد طشقند وبخارى وسمرقند

وهناك واجهات مساجد طشقند وبخارى وسمرقند .. ومناراتها المتنوعة الاشكال والارتفاعات ، وقد بزّت مثيلاتها في جميع مساجد آسيا، بما حفلت به من زخارف الكتابات الكوفية، بانواعها العديدة ، والكتابات النسخية ذات الالوان المتعددة ، والتوزيع المتغاير ، وتتابع التشكيل ، فيحار الناظر في رؤيتها ومحاولة قراءتها، وساعد على ذلك طواعية الحروف العربية لتنوع التشكيل .

وفي تركيا

واذا كانت قوالب الطوب المحروق ، قد شكلت عناصر البناء والزخارف معا ، ـ من حيث اسلوب معمارى في تلك المناطق ـ فان مآذن العثمانيين في تركيا ، وما دان لها من بلاد في ايام الخلافة العثمانية ـ قد اتخذت عنصرا آخر ، هو الرخام ، او الحجر الرملى ، او الجيرى ، مع استقامة المئذنة وسموقها في الارتفاع ، مخروطية النهاية ، على شكل قلم الرصاص المبرى ، بيضاء اللون ، مرتفعة في كبد السماء ، مستديرة البناء او مضلعة، مذهبة القمم ، وبخاصة في استانبول ، يشغل بَدَنها وزرات رقيقة من الآيات المحفورة على الحجر والرخام ، وكثيرا ما تعددت الدورات على ارتفاعات مختلفة ، كما نرى في مآذن السليمانية ، وآيا صوفيا، وغيرهما من مساجد العاصمة القديمة للدولة الرومانية الشرقية، والتي اصبحت عاصمة للخلافة بعد الفتح العثماني .

واينما وجدت منارة مدببة في شرق اوربا ، او الشرق الادنى ، قلت انه مرت من هنا تاثيرات عثمانية على العمارة المحلية .

اثر الترك في مصر

ولعل مسجد محمد علي في القاهرة هو المسجد الوحيد الذى استغل عنصر الرخام في بناء مناراته، وكسوة واجهاته ـ داخلا وخارجا ـ كساء كاملا . على حين ظلت مآثر العصر التركي في القاهرة وغيرها من مدن مصر ، في ما عدا ذلك ، مبنيّة بالحجارة الرملية او الجيرية ، او منهما معا ، بتعاقب المداميك ، لتوضح التاثير اللونى المتتابع لنوعى الحجارة التي كثرت في مصر .

مئذنة مسجد عمر المحضار باليمن الجنوبية نموذج رائع وفريد في سموقه رغم بنائه القريب المظهر



ولكن الذى لا شك فيه ان البيئة تقلب ، وتغير طابع البناء ، ولذلك لم تكن منائر مصر العثمانية صورة طبق الاصل بل تصرف فيها المعمارى المصرى بروحه المعروفة ، وقدراته الابتكارية .

منارات فارس والعراق

ولا شك ان منارات فارس والعراق ، ذات الدورة الواحدة العالية ، والبدن المفتول المستدير السامق ، وبلاطات الخزف المزجج (القاشاني) بالوانها الزاهية البراقة ـ تخطف الابصار من ابعد المسافات ، متممة بذلك تناسق الواجهات ، التي ارتفعت على جوانب مداخلها المآذن ثنائية ، وقد تزيد الى اربع في زوايا المسجد او المدرسة ، وقوام ذلك التشكيل اللونى المتعدد مسطحات" من الزخارف الهندسية او النباتية او منهما معا، تتخللها نطاقات الكتابات وافاريزها ، من سور القرآن الكريم او الحديث النبوى وكلها بالخطوط العربية العديدة الطرز، المتنوعة التشكيل، وكثيرا ما تتم وتتوج ذلك الجمال المعمارى الفائق قباب" مذهبة ، تعكس بريق اشعة الشمس الساطعة من آفاق بعيدة .



منارات ومسجد شاه جيهان بباكستان .

ومآذن مصر
سجل حافل لتطور المآذن

ومآذن مصر في اغلبها ـ من الاسكندرية الى اسوان ، مبنية اما بالحجارة رمليها وجيريها ، او بالطوب المحروق ، والنوع الاخير يغلب على عمارة مآذن الريف المصرى .

وقد تعددت اشكال المنارة المصرية وطرزها منذ العصر الطولونى الى العصر العثمانى ، ولذلك تعتبر مدارس مصر ومساجدها سجلا حافلا لتطور المآذن التى تمتاز في جملتها برشاقتها ، ولعل ارشق صورة وصلت اليها المنارة المصرية كانت في العصر المملوكى ، والتي تعتبر تحفة في قوامها وتتابع دوراتها بين ثلاث واربع ، وتظهر براعة المعمارى المصرى ، في تنويع شكل البدن بين دورة واخرى ، بين مربع القاعدة ، والبدن المثمن المتعاقب بين الدورات ، وتعاقب الاستدارة مع الثمانيات احيانا. ثم في توزيع الزخارف المحفورة والكتابات، بادئة من اساس المئذنة حتى اعلى قمتها .

وقد يظن الناظر المتابع لجمال وحدات التوريق والزخارف الهندسية ومناطق الكتابات ، انها قد حفرت على البدن بعد تمام البناء ، ولكنها كانت جميعا تتم على الحجارة حجرا حجرا على الارض حول منطقة البناء ثم يتكامل شكلها عند التجميع في البناء .

ولعل ابرز ما يشد انتباه المتأمل لمعظم المنائر المملوكية في مصر ، دوراتها الاخيرة ، وخوذاتها البصلية الشكل ، التى حملتها ثمانية من الاعمدة الرخامية الدقيقة او ستة ، في رشاقة بالغة .

وكلما هبت الريح او عصفت بالاجواء عواصف، خال المرء ان ذلك الثقل المرتفع على تلك الابعاد العالية ، فوق هذه الاجسام الدقيقة الرفيعة ، يوشك ان يتهاوى ، وتعصف الرياح بمبان لاصقة بسطح الارض ، ثم تمضي ، ومنارات القاهرة المملوكية ما تزال سامقة شامخة رشيقة في مكانها .

ولقد كان للمصريين القدماء خبرة لا تبارى في معالجة الاحجار، تشهد بذلك اهراماتهم ومعابدهم، واصبح للمعمارى المصرى في العصر الاسلامي ، البراعة نفسها في توزيع التشكيل الزخرفي على بدن المنارة ، فهناك واجهات المساجد والمدارس

كوحدات من الكتل الجمالية المتناسقة ، وقد يظن المرء لشدة التشابه بين المآذن في الهيئة والمظهر انها شيء متكرر ، ولكنه عندما يصعد دورانها يرى الفارق الكبير والدقيق معا بين منارة واخرى.

وليس ادل على ذلك من منارتي مسجد المؤيد شيخ ، اللتين قامتا على ابراج باب زويلة ، ولا يشك احد في وحدتهما مظهرا حينما ينظر من الطريق اسفل البوابة ، ولكن يظهر الفرق الدقيق عندما يصعد الى المنارتين .

وكثيرا ما عقد المعماري المصري ابتكاره ، ببناء درجين داخل المنارة الواحدة ، لا يلتقي الصاعد في احدهما بالصاعد في الاخر الا في دورة الاذان ، ومحور الدرجين واحد .

ونرى في المآذن المملوكية مآذن مربعة القاعدة ، تتحول الى مثمنة بعد القاعدة مباشرة ، او بعد الدورة الاولى ، ثم يستدير البدن حتى القمة ، وقد تبدأ مستديرة بعد القاعدة مباشرة ، وسر جمال المنارة المملوكية في تناسق نسبها ، واقطارها، وارتفاعاتها، حتى اصبحت كالعرائس (تعبير الاثرى التونسي الراحل العلامة حسن عبد الوهاب) .

او مثل قدّ « بنت البلد » المشوق ، ملتفا بالملاءة السمراء ، منقوشة الحواشي ، مرسلة الاهداب ، مميزةً دقةَ الخصْر وانثناء الاعطاف .

وقد سبقت المآذنَ المملوكية نماذجُ ايوبية وفاطمية، عرفت بالمآذن المَبْخَرية، لتعدد الفتحات في دورتها الاخيرة ، مثل ثقوب المباخر ، يخرج منها دخان الند والعود عبقا يعطر الايوانات ، ويروى ان كميات من البخور كانت تحرق في تلك المآذن ايام الجمع ، ومن تلك الفتحات تخرج سحب الدخان المعطر .

وكانت المصابيح في ليالي رمضان تضاء منذ الغروب حتى الفجر ـ على اطراف المآذن جميعا ولا تطفأ الا عند اذان الفجر .

ولعل اغرب المآذن في القاهرة ، شرفة حجرية برزت في واجهة زاوية « كتخدا » ، بشارع القربين ، وهو امتداد لاقدم شارع في القاهرة المعزية ، شارع المعز لدين الله ، ذلك الشارع الذى حدثنا عن آثاره المغفور له العلامة حسن عبد الوهاب ، في عدد من اعداد العربي الغراء .

وقد كان صغر مبنى هذه الزاوية من العصر العثماني ، حافزا للمعماري كي يستعيض عن المنارة بهذه الشرفة البارزة عن وجه البناء ، ذلك الوجه الذى حفل بالنقوش والزخارف والكتابات المنسقة تنسيقا بديعا .

وربما استعمل المعماري المصري عناصر مكملة ، لاحداث تغاير في المظهر اللوني لبدن المنارة ، وذلك عندما كان يلبس في البدن ، بعضَ التشكيلات الخزفية الملونة، وذلك مثلما نراه في منارة السلطان الغوري بالازهر بعد الدورة الاولى ، وكذلك منارة القاضي يحيى زين الدين بشارع الازهر ايضا .

وكما نرى بقايا الخزف الملون الذى كان يغطي منارتي الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ، ويعزى الحدث الفني الى التاثيرات الوافدة من اواسط آسيا وقد حفلت بها العمارة الاسلامية المصرية انذاك ، مثل القباب السمرقندية التي انتشرت في عمائر عصر الناصر .

ولم يساعد تقلب المناخ القاهري بين الرطوبة والجفاف ، والبرودة والحرارة تلك العناصر المضافة على البقاء ، بقدر ما احتفظت الحجارة او الطوب المحروق بمظهرها عبر القرون .

العصر المملوكي في غير مصر

ولقد ترك العصر المملوكي نماذج من مآذنه في سورية والحجاز ، ولعل منارتي السلطان قايتباى في الحرم النبوى خيرُ مثال على ذلك ، وان اضافت التعميرات الحديثة في الحرمين اشكالا جديدة ، الا انها ما زالت تحمل تاثيرات مصرية ، وخاصة في منارات الحرم النبوى الجديدة .

وفي اوربا الغربية اقتبست كثير من كنائس القرنين السادس عشر والسابع عشر مظهر المنارات المغربية والاندلسية لابراج الاجراس .

الأذان والهامه الفني

وبعد فما أعظم ما الهم الاذان الذى يرتفع به صوت المؤذن في اجواء المدن الاسلامية تكبيرا وتهليلا، مكتسبا طابع السمو الروحي ، تؤوب به الرياح وترجع ، وتتجاوب به اصوات المؤذنين على المآذن المتقاربة والمتباعدة ، في صفاء وقوة ، مكونة ملحمة موسيقية صوفية التعبير عند كل صلاة ، ان الاذان كان عاملا من عوامل الالهام للمعماريين الذين تباروا عبر القرون ، في رفع سمت المآذن ، كاذرع الداعين، مرتفعة بالاكف ، ضارعة ، ترجو الله تعالى رحمته ورضوانه . ■■

عبد المجيد وافى



نحــوى

● حكى الاصمعى قــال : مررت باحد أسواق الكوفة ، فاذا انا بنحوى ظريف يتقعر في لغته ، فاقترب من احد باعة الفواكه . فقال النحوى : بكم تانك البطيختـــان اللتـــان بجنبهما السفرجلتان ودونهما الرومانتان، فقال الفاكهى : بضربتان وصفعتان ولكمتان، فباى آلاء ربكما تكذبان ..

المستشار

● لما أصيب زياد بن أبيه بالطاعون فى يده احضر له الاطباء ، ثم دعا زياد شريحا فقال له : لا صبر لى على شدته وقد رايت ان اقطعها . فقال شريح : اتستشيرنى فى ذلك ؟ قال : نعم . فقال: لا تقطعها ، فالرزق مقسوم والاجــل معلوم ، وانا اكره ان تقدّم على ربك

لست بكفؤ

● لما حاصر المنصور ابن هبيرة ،بعث اليه ابن هبيرة يطلب منه ان يبارزه. فقال المنصور : لا افعل . فقال ابن هبيرة : لاشهرن امتناعك ، ولأعيرنك بين الناس ، فقال المنصور : ان مثلنا ما قيل ، ان ذئبا بعث الى الاسد يقول له قاتلنى ، فقال الأسد : لست بكفؤ . ومتى قتلتك لم يكن لى فخــر ، وان قتلتنى لحقنى عار عظيم . فقال الذئب:لأخبرن السباع بذلك . فقال الأسد : احتمال العار فى ذلك ايسر من التلطخ بدمك .. وفى عذر من يخاصم دنيئا ويدافعه !

وفـــاء

● كان مرداس الخــارجي فى سجن عبيدالله بن زياد، فقال له السجان: انى احب ان اوليك حسني ، فان اذنت لك فى الانصراف الى دارك كل اسبوع مرة ، اترجع الى السجن مرة اخرى ؟ فقال :نعم : فكان يفعل ذلك كل اسبوع .

فلما كان ذات يوم قتل بعض الخوارج صاحب شرطة ابن زياد، فامر ابن زياد ان يقتل من فى الحبس مـن الخوارج ،وكان مرداس خارج السجن . فقال له اهله : اتق الله فى نفسك فانك مقتول ان رجعت .. فقال : ما كنت لالقى الله غادرا ، وابن زياد رجل جبار ، ولا آمن ان يقتل السجان . فرجع الى السجن ، وقال للـــسجان تساقط الي ما عزم صاحبك مـن قتل اصحابنا فبادرت الرجوع لئلا يلحقك مكروه ! فقال السجان : خذ اى طريق شئت ،نجاك الله .



ابن" لم ألده

● قال عثمان بن عنبسة بن ابي سفيان : ارسلني ابي الى عمي لاخطب اليه ابنته ، فجذبني عمي ، والقمني جنبه . وقال : مرحبا بابن لم الده ، قريب خطب الى احب" حبيب ، لا استطيع له ردا ولا اجد من تشفيعه بدا . قد زوجتكما ، وانت اعز علي منها ، وهي انوط بقلبي ، فاكرمها يعذب" على لساني ذكرك ، ولا تهنها فيصغر" عندى قدرك ، فهي بضعة مني ، انفصلت اليك ، وثمرة من جنتى قلبي حصلت" لديك . وقد قربتك فلا تباعد قلبي من قلبك .

مؤتمن

مقطوع اليد ، فان قال لك لم قطعتها ، قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك ، ثم مات بعد ذلك زياد من يومه . فقال الناس لشريح : لم نهيته عن قطعها ؟ فقال : استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الامانة لوددت ان اقطع يده يوما ورجله يوما .

امرأة شجاعة

● اسرت ام علقمة الخارجية واتى بها الى الحجاج ، فقيل لها لا تخالفيه في رايه فقد يظهر الشرك مكرا ، فقالت : قد ضللت" اذا وما انا من المهتدين .. فقال لها الحجاج : قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط المشواء . فقالت : لقد خفت" الله خوفا صيرك في عيني اصغر من ذباب . وكانت منكسة الراس ، فقال لها الحجاج : ارفعي راسك وانظرى الي" . فقالت : اكره ان انظر الى من لا ينظر الله اليه . فقال : يا اهل الشام ما تقولون في دم هذه ؟ قالوا : حلال . فقالت : لقد كان جلساء اخيك فرعون ارحم من جلسائك حيث استشارهم في امر موسى . فقالوا : ارجه واخاه . ثم امر الحجاج فقتلت.

هَجِــين

● جاء اعرابي الى المهدى وهو في طريقه الى مكة . فقال : يا امير المؤمنين . انا عاشق بنت عم لي . وقد ابي ان يزوجنيها . فقال المهدى : لعله اكثر منك مالا . قال : لا . قال : فما القصة ؟ قال : ادن مني يا امير المؤمنين . فضحك المهدى واصغى اليه براسه . فقال سرا : انا هجين ... فدعا المهدى عم هذا الاعرابي ، وقال : لم لا تزوج ابن اخيك. فقال انه هجين .. فقال : ان ذلك لا يضيره ، امير المؤمنين كلهم هجناء ..زوجه ابنتك ، فقد اصدقت عنه عشرة آلاف درهم .





مجالس أحمد تيمور (١)

بقلم : أنور الجندى

▪ كانت ندوة « احمد تيمور » من الندوات الحافلة فى اوائل هذا القرن ، الى ان توفى عام ١٩٣٠ .

اشترك فيها عدد كبير من اعلام العصر فى مقدمتهم الشيخ محمد عبده ، حسن الطويل ، اسماعيل صبرى ، طاهر الجزائرى ، محمد كرد علي ، خير الدين الزركلى ، الشيخ محمود الشنقيطي ، احمد كمال باشا ، السيد محب الدين الخطيب .

وكانت تعقد بداره فى « درب سعادة » بباب الخلق ، او فى قصره بالزمالك ، او فى ذهبيته فى النيل . وكان اعلام الباحثين فى التراث من بغداد ودمشق والمغرب ينزلون فى ضيافته اسابيع طويلة ، يراجعون معه قوائم الكتب ، ونوادر المخطوطات . ولا يكاد يمضى اسبوع دون ان يفاجىء تيمور باشا زواره ورواد ندوته بجديد من غرائب ما يكتشف او يحقق من ابحاث .

الساعة العربية

ويروى تيمور باشا كيف ان كتابا مجهول الاسم والمؤلف عثر عليه بين مجموعة مما وصله من المخطوطات القديمة ، رتبه مؤلفه على السنين عن حوادث (٦٢٦ — ٧٠٠ هجرية) . وقد جاء في حوادث ٦٣٣ منه وصف الساعة العربية التي وضعها امير المؤمنين المستنصر العباسى فى مدرسة الطب والمستشفى التابعين لمدرسته العظمى المعروفة بالمستنصرية .

يقول المؤلف المجهول : بنى فى حائط صُفّة الايوان دائرة ، وصورت فيها صورة الفلك ، جعلت فيها طاقات لطاف ، لها أبواب لطيفة ، وفى الدائرة بازيان (تثنية البازى : الطائر المعروف) من ذهب ، فى طاسين من ذهب ، ووراءهما بندقتان (٢) لايدركهما الناظر ، فعند مضى كل ساعة ينفتح فما البازين . وتقع منهما البندقتان ،

---

(١) هو أحمد تيمور باشا والد المرحوم الاستاذ محمود تيمور ، وفي منزله بدرب سعادة ولد له « محمود » .

(٢) البندقة : كرة صغيرة (العربى) .

وكلما سقطت بندقة" انفتح باب" من ابواب تلك الطاقات . والباب مُذَهَّب" ، فيصير حينئذ مُفضضا ، واذا وقعت البندقتان في الطاسين ذهبان الى مواضعهما ، ثم تطلع اقمار من ذهب ، في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها . وتغيب مع غيوبها ، فاذا جاء الليل فهناك اقمار" طالعة من ضوء خلفها ، كلما تكاملت ساعة" تكامل ذلك الضوءُ في دائرة القمر ، ثم يبتدىء في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس . فتُعلَمُ بذلك أوقاتُ الصلوات .

وفي صفحة اخرى من هذا الكتاب : اشارة الى ان نور الدين بن تعلب الساعاتي قد توفي عام ٦٨٣ هـ . وكان يتولى تدبير الساعات تجاهَ المستنصرية . وان مولده كان عام ٦٠١ .

الخليج المصرى

في احدى الندوات،ناقش احمد تيمور باشا قصة شارع الخليج المصرى ، على اثر ما نُشِرَ في الصحف من أن شركة الترام في القاهرة قد اتفقت مع الحكومة على انشاء خط الترام في الخليج المصرى واشار الى أن انشاء مثل هذا الخط في الخليج يستدعي زوالَ ما عليه من القناطر . وهي من الاثار العظيمة التي لاينبغي اغفالها . فاذا لم تُصَوَّرْ زالت من التاريخ ، وتعذَّر أن يُوجد من يتحدث عنها . ومن ثم فقد نزل احمد تيمور الى الخليج قبل ردمه . وصور آثاره من جميع جهاتها . وبذلك حفظت هذه الصورُ تلك الواقعةَ التاريخية (وما تزال هذه الصور محفوظة في دار الكتب) .

دار ابن لقمان

وتحدث احمد تيمور في احدى ندواته عن اكتشافه « دار ابن لقمان » في المنصورة قال : لما وصلت المنصورة رغبت في تحقيق مكان دار ابن لقمان . ولما كنت متخيلا موضع الاثر بما قرانه عنه ورايته في لوح تخطيطه ، فقد قصدت « مسجدَ الموافي » وهو مسجد كبير عامر تقع وجهته الشمالية الغربية في ميدان واسع ، ذي حديقة تسمى حديقة الموالي ، وسرت في هذه الوجهة جاعلا لها عن يميني ، حتى وصلتُ الى آخرها ، ثم عطفت في الطريق الموصل اليه . وبعد سير قليل واجهت الباب ، فرايت ، في اعلاه لوحين من الرخام . وضعهما لجنة الاثار ، ونقشت على احداهما التعريف بالاثر بالعربية . وعلى الاخر بالفرنسية ، ولما دخلت وجدت ما وراء الدار يطابق ما وصفه صابر باشا في تقريره ، فسرت في مدخل يُفْضي الى فِناء مسقوف ، به مقعَد ، تشرف نوافذُه عليه،ويُصعَدُ اليه بسلّم ملاصق لحائط المسجد الذي به القبلة ، ثم خرجت منه الى فِناء آخر اصغر منه مكشوف ، به حجرتان صغيرتان ، وهذا كل مابقي مسجلا باللجنة وتبين لي المكان وهو الواقع في الجهة الشمالية من الدار ملاصقا للمسجد . اما سائرها فقد بيع وهُدِم ، وجُدِّد بناؤُه وتغيرت معالمه . والبناءُ في الاثر المسجل جميعه بالاجر . وهو على قِدم عهده لا اثر للفن فيه . ولايظن انه يرتقي الى عصر ابن لقمان . بل لابد ان يكون مما جُدِّد بعده .
اما الجزء الاخر الجنوبي فواقع في نهاية سوق الحدادين ، عن يمين الداخل فيه ، قاصدا باب المسجد الجنوبي . وهو عبارة عن حجرة ارضية ، لها نافذةٌ وباب" على الطريق ، كانت — فيما يُرْوَى — موضعَ اعتقال الملك . وهي التي زارها البارون تيلور . ومع سؤالي من كثيرين عن هذه الحجرة لم اجد أحدا يعرف عنها خبرا ، وعجبت كيف فات لجنةَ الآثار تسجيلها ، حفظا لمعالمها من الدُثور ، كما سجلتُ الجزءَ الشمالي ، وهو لا يمتاز عنها بشيء فني او تاريخي .

وقد اشار احمد تيمور الى الدار الموجودة ، وانها ليست هى الدارَ القديمة . وانما جُددت. وكان الوزير فخرُ الدين بن ابراهيم بن لقمان قد اسَرَ فيها« لويسَ التاسع » بحراسة الطواشي صُبَيْح بعد هزيمة الفرنسيين في المحرم عام ٦٤٨ هـ . وقد ظل هذا الاثر مجهولا عند المصريين. ولم يتعرف اليه الا قلة" من الباحثين الاجانب .
وقد راجع تيمورُ من اجل ذلك كلَّ ما اوردته كتب التاريخ.وبخاصة السيوطى في كتابه «حسن المحاضرة » في كتاب السرّ حيث اشار الى أن ابن لقمان ولى ديوان الانشاء بعد البهاء زهير .

وقال : لم اجد احدا من المؤرخين تكلم عن هذه الدار باكثر من ذلك . ولا عن موقعها وان كان المقريزى قد اشار اليها في خططه . ونقلها عنه على مبارك في الخطط التوفيقية . وقد حقق ما

ذكره المقريزي وراجعه . واشار الى آن هذه الدار كانت مطبخا . وقال : به حبس سلطان فرنسا ايام حرب دمياط . ووضع محمود رشاد نبذة عنه في زيارته للمنصورة عام ١٣٠٣ هـ ، قدمها الى المجمع العلمي المصري ومعها رسم لما شاهده من بقايا الدار .

الكرة الارضية

وقدم احمد تيمور في بعض تدوّاته ما وصل اليه البحث عن الكرات الارضية والفلكية التى صنعها العرب وقال : ان ما وصل الى علمه انها سبع كرات :

اولا : كرة الصوفي المتوفى عام ٣٧٦ هـ (ابو الحسين بن عبد الرحمن بن عمر) وقد ساقتها المقادير الى مصر . فكانت في خزائن الفاطميين .

ثانيا : كرة الادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد) وهى من الفضة ، صنعها للملك صقلية راجار .

ثالثا : هناك كرتان احداهما ارضية اندلسية ، والاخرى فلكية اندلسية . محفوظتان بخزانة نابولى . ولم يعرف اسم واضعهما . وقد رآهما العلامة محمد بيرم الخامس التونسي ، وذكرهما في رحلته (صفوة الاعتبار) .

رابعا : كرة علم الدين قيصر (المتوفى ٦٤٥ هـ) وكان مهندسا فاضلا ــ ذكرها ابو الفداء في تاريخه . وصنعها من خشب ، مدهونة، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة .

خامسا : كرات رضوان الفلكي المتوفى بمصر عام ١١٢٢ ــ ذكره الجبرتي . وهي عدة كرات من النحاس الاصفر . ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها . ودوائر العروض والميول . وكتب عليها اسماءها بالعربية . ثم طلاها بالذهب .

سادسا : كرة فلكية مصرية : عملت للملك الكامل الأيوبي ، اخبره عنها السيد عبد الحميد البكرى . مما قرأ عنها في كتاب باللغة اللاتينية .

مجالسه ونوادر كتبه

ولطالما تحدث تيمور عن ابحاثه وكشوفه في التراث : قبر السيوطي ، الآثار النبوية ، التصوير عند العرب ، الرتب والالقاب ، العلم العثماني .

وقد اشار العلامة خير الدين الزركلي صاحب موسوعة « الاعلام » الى طريقته في البحث فقال : كنت ازوره عند الاصيل ، فامكث ساعتين او ثلاثا ، اراجع كتبا واستوفي موضوعا . وما زلت اذكر له لقاءه بين يدى قمطرايه ومذكراته يوم بدا له انني ابحث عن تراجم المتأخرين . وقد عاصر بعضهم ، وبادلهم الترجمة على طريقة السلف . فكانت لي منه فوائد كثيرة لو التمست لها وسيلة اخرى لاعياني تطلبها .

اما طريقته في العمل فكانت العمل على جمع نفائس الكتب ومراجعة هذه الكتب واحدا واحدا في صبر واناة ، ثم فهرستها ، ومراجعة موضوعاتها . واعداد بطاقات تحوى ابرز الموضوعات التى تتناولها ، واشراك اهل العلم والفضل في كل ما يصل اليه .

وكان يراسل صفوة العاملين في هذا الميدان ، وله مراسلات مطبوعة مع الاب انستاس مارى الكرملي ، والسيد محمود شكرى الالوسي في بغداد ، ومبادلات ومراجعات . ولا تخلو رسائله من ذكر اسماء الكتب الجديدة التي وردته : فاذا شاء صاحبه في بغداد او في دمشق (الشيخ طاهر الجزائرى ، ومحمد كرد علي) شيئا منها نسخه له وارسله ، وهو دائب الاشارة الى الوراقين الذين قدموا من هنا او من هناك . وما جاءوا به ، من ذلك قوله في احدى رسائله الى الكرملي « من المخطوطات التي دخلت خزانتي اخيرا (بحر الاسجاع ومستقصى الامثال) للزمخشرى ، ومن المطبوعات ما صدر من كتاب ابن ماجد ، وحلية الفرسان وشعار الشجعان في الخيل وفنون القتال لابن هذيل الاندلسي .. الخ »

ميادينه الفكرية

وقد اولى احمد تيمور اهتمامه بالتاريخ الاسلامي والجغرافيا الاسلامية والخطط المصرية . وفنون الحضارة والعمران في الاسلام وعلوم العربية .

يقول السيد محب الدين الخطيب صفيه وصاحبه في اواخر ايامه : انك لتقف امام المجلد الضخم المكتوب منذ خمسمائة سنة او ثمانمائة سنة بخط يصعب قراءته على كبار العلماء . فترى تيمور باشا قرأه قراءة درس وتحقيق ، وجعل له في آخره فهرسا اشار فيه الى كل ما هو مدخر في المجلد من مسائل لا ينتبه لها الا

العالم التحرير . ولقد اوردت الصحف نبا المحاضرة التى القاها الاستاذ جوليوس لاسكا . احد مشاهير علماء المشرقيات فى برلين ، عما بلغه الطب العربي من الشاو العظيم فى عهد العباسيين، والظراهمية الكتاب الذى الفه جابر بن حيان ابو الكيمياء فى السموم . وقال ان هذا الكتاب لا نظير له . وقد ارسله اليه الدكتور ماكس مايرهوف ، طبيب العيون بالقاهرة .

وقال الدكتور مايرهوف : ان النسخة التي نقلت منها هي واحدة عند احمد تيمور . ولطالما وجدت كتب ليس منها الا نسخة واحدة ، هي عند تيمور ، ومن ذلك الفصول والغايات لابي العلاء المعري .

ليلة الوفاة

وحدثني السيد محب الدين الخطيب عن اللحظات الاخيرة في حياة احمد تيمور قال : كنت عنده في الليلة التي توفى فى صباحها . وكان يحقق موضوع الكتب النبوية . وما ذكره المؤرخون من ان الكتاب النبوى الى هرقل كان محفوظا عند الفونسو امير طليطلة . وأن أحد العلماء المصريين رآه هناك . وان الفونسو قال لذلك العالم المصري : ان امراء طليطلة يعنون بهذا الكتاب . ويحرصون على حفظه وهم يتوارثونه عن جدهم هرقل . فكان تيمور باشا يبحث في المعالم الافرنجية عما اذا كانت الاسرة الاسبانية فى طليطلة ترجع بنسبها الى هرقل ام لا .

مسألة الجبرتي

ومما اولاه تيمور باشا اهتمامه ، وعني بالاشارة اليه في مجالسه ، وسأل عنه اقرانه في البحث ــ مسألة الجبرتي المؤرخ المصري : كان يسعى جهده لان يثبت ان الجبرتي عاش ثلاثة اعوام بعد فراغه من تصنيف تاريخه . وأن بصره كف وقت دراسة علم الفلك بالازهر ، وبذل في تحقيق ذلك شيئا كثيرا من جهده وماله ، فقد بحث في مكاتب هولندا وتركيا واسبانيا لعلمه بان هناك كتابا فى ترجمة الجبرتي . ولكنه لم يصل الى ما كان يريد .

مراجعات مع الاعلام

ولقد كان احمد تيمور صاحب الكلمة الاخيرة فى كل الابحاث التي ينشرها زملاؤه المتخصصون في التراث . فبعد ان نشر الاب انستاس ماري الكرملى (بامضاء مستهل) بحثه عن (مصانع الاسلام الراقية) عالج تيمور الموضوع . وقدم اشياء جديدة : تكلم عن التصوير على الثياب والستور والخيام والجدران والاقداح والأواني والمصابيح الزجاجية . وتكلم عن فن (الربازة العربية) اى فن الكتابة العربية الحادثة بعد الهجرة ، واستشهد بعشرات من الشعراء العرب، واستدل بقطع موجودة في دار الآثار العربية من الحرير الاخضر . واشار الى مجموعة المصابيح الزجاجية المزخرفة من صنع العرب فى العصور الاسلامية .

ولما تحدث احمد زكي باشا عن (فن الخط الدقيق)في العصر الحديث ، وارجعه الى الحضارة الاسلامية . وقال انه يعرف فى القديم شهاب الدين النقاش عام (٦٩٩ هـ) وعبدالله بن محمد المغربى السوسيى عام (٩٠٢ هـ) ــ جاء تيمور باشا فاستدرك على صديقه زكي باشا . وقدم اربعة أعلام آخرين هم : جواد بن سليمان اللخمي (٧٥٦ هـ) ، واسماعيل المعروف بالزمكحيل (٧٨٨ هـ) ، واحمد بن مسعود بن خليفة المكى ٨٦٥ ــ ومحمد ذكر الاسحاقي ٦٩٩ هـ . ولقد استحق بذلك تقدير الكاتبين والشعراء حتى نرى الدكتور احمد زكى ابو شادى يتجلى عمله فى تحقيق دار بن لقمان فيقول :

دار ابن لقمان ، قد جددت دارسها
بوصفك المرجع التاريخ للناس

تكان تخلق من بر معالمها
رغم الزمان ، وتبدو بين حراس

وقد صدقت بما حققت من أثر
لكنه وارث مخبوء آساس

وقد قدم تيمور للمجامع العلمية هدايا ثمينة. وخاصة « مجمع دمشق » الذى اهداه مجموعة بديعة من النقود القديمة ، عددها ٤١٨ قطعة ، ومعها اختام قديمة ، عددها ٣٤ قطعة .

ويقول العلامة كرد علي : انه لم تؤسس في الشرق العربى خزانة كتب الا وكانت هداياه اليها اول الهدايا . ولقد اوصى بمكتبته لدار الكتب المصرية (١٧ الف مجلد) واوقف عليها خمسة وعشرين فدانا . ■■

أنور الجندى

الاختلافات الفقهية ومناهج الفقهاء



بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ لم يكن الوصول الى معرفة كل الأحكام المتعلقة بافعال العباد أو تصرفاتهم بعد عصر الرسالة ميسورا لكل انسان ، لذلك فان الله سبحانه قد امتن على المسلمين بعلماء من الصحابة والتابعين وائمة الفقه ، تفقهوا فى دين الله ، وتعمقوا في فهم النصوص ، واظهروا للناس ما فيها من احكام عن طريق النظر والاستنباط ، وصدق رسول الله فيما رواه عنه ابن عمر « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى هدى ، او يرده عن ردى ، وقوله ايضا « ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين » (١) .

ومن الطبيعى ان يختلف هؤلاء في بعض أقوالهم، وتتعدد فتاواهم في المسالة الواحدة ، وليس فى هذا ما يعيبهم او يؤخذ عليهم ، فهم جميعا متفقون على وجوب اتباع ما صح من النصوص وسلم من المعارضة ، ومتفقون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن تيمية : واذا وجد لواحد من الائمة قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه . من عدم اعتقاده أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله ، أو عدم اعتقاده ارادة تلك المسالة بذلك القول ، أو اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .. ثم قال : ان هذه الاعذار تتفرع الى أسباب متعددة .. بينها (٢) .

مناهج الفقهاء في التعرف على الأحكام

وان المتتبع لاقوال أئمة الفقه الاسلامى ، يلمس أن للفقهاء مناهج يسلكونها في التعرف على الأحكام قد تكون هذه المناهج مستترة فى أذهانهم لم تتضح في عصورهم ثم يمكن تبينها بعد ، أو تكون ظاهرة واضحة من أول الأمر ، كما نلمس أمانتهم وتورعهم عن القول في دين الله بغير علم ، وانما كانوا يرون أن من فقه الرجل أن يقول فيما لا علم له به : لا أعلم .

---

(١) الخبر الاول رواه الطبرانى في الأوسط الثانى رواه البيهقى .

(٢) فى كتابه رفع الملام عن الائمة الاعلام صفحة ١٠ فما بعدها الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٠ ببيروت .

وان محاولة التعرف على هذه المناهج ، مما ييسر الامر امام كل باحث ، ويبين اصول المسائل على الوجه الصحيح ، ويجعل المقارنة بين الآراء سهلة نيرة ، وقائمة على اصول واضحة . وقد يكون في التعرف على مناهج المجتهدين السابقين ، والمصادر التي يستقون منها احكامهم ، وطرقهم في الاستنباط منها ، ما ينير لنا الطريق ، ويخرجنا من نطاق الجمود على التقليد الصرف .

والمنهج هو الطريقة المتبعة ، ولا بد لتصور الجهود العقلية من وجود طريقة متبعة في التفكير، ومن الواضح البين أن المفكرين يختلفون فيما بينهم في هذه الطرق مما يؤدى الى اختلاف النتائج التى يصلون اليها غالبا تبعا لذلك ـ فالناس بفطرتهم جد مختلفين فيما يتناولون من الأمور ، وما يسلكون من طرق البحث والاستنباط .

بين الألفاظ والمعاني

ففريق منهم لا يبخس الالفاظ ودلالتها ما لها من حق، ولكنه يتغلغل في معانيها، ويسبر اغوارها، ويتحرى مراميها .

وفريق آخر لا يضيع عنده حق المعاني ولكنه يرعى ذلك بقدر ، ويهاب التغلغل في التعليل والقياس ، ويقف عند ما تدل عليه الالفاظ .

هكذا كان شان المجتهدين من الفقهاء . كلهم يعطي الالفاظ اتم الرعاية وجلهم يقيس الاشياء بنظائرها ولكنهم مختلفون في مدى الاتجاه نحو معاني الالفاظ وسبر اغوارها ، او الوقوف عند ظواهرها

القرآن والسنة يدعوان الى النظر والتدبر

ففريق يتذوق معاني الالفاظ ويغوص على العلل ، ولهم في هدى الرسول عليه الصلاة والسلام اعظم معين . فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على التوجيه الى المعاني ، وتذوق اسرار التشريع ، فقد قال لن ساله ايقضي احدنا شهوته ويؤجر ؟ : «ارايت لو وضعها في حرام . اكان يأثم ؟ قال : نعم . قال : فكذلك يؤجر . افتجزون بالشر ولا تجزون بالخير » . رواه احمد وابو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ساله عن قبلة الصائم لامرأته : «ارايت لو تمضمض بماء ومجه وهو صائم ؟» قال عمر : « لا باس » . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « فكذا هذا » .

روى احمد وابو داود عن عمر بن الخطاب قال : هششت يوما فقبلت وانا صائم . فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : صنعت اليوم امرا عظيما . قبلت وانا صائم ؟! فقال الرسول عليه السلام : « ارايت لو تمضمضت بماء وانت صائم ؟ » قلت : «لا باس بذلك » . فقال«ففيم؟!» .

ويروى عنه صلوات الله وسلامه عليه انه قال للخثعمية حين سالته عن الحج عن ابيها . « ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته اكان ذلك ينفعه؟» قالت : نعم . قال « فدين الله احق ، فاقضوا فالله احق بالوفاء » .

وهذه هي سنة القرآن في مخاطبة العقول ودعوتها الى النظر في جميع الأمور ، وهذا هو توجيه القرآن للناس دائما اذ يخاطب العقل ، وجعل العقول مناط التكاليف وخصوصا فيما يتعلق بامور الدنيا وبمعرفة الخالق وطاعته . يقول الله سبحانه (٣) : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ويقول(٤) : « أفلا تعقلون » ومن طبيعة هذا الاتجاه أن يشجع صاحبه على الاقدام على الفتوى حتى افتراض المسائل والاجابة عنها .

الفقهاء المتدبرون

وكان على هذا الاتجاه من فقهاء الصحابة ام المؤمنين عائشة ، وعمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وغيرهم من فقهاء الصحابة المكثرين للفتوى ، كما كان عليه فقهاء المدينة السبعة وهم :

سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم ابن محمد ، وابو بكر بن عبد الرحمن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ،

(٣) سورة الحشر آية رقم ٢ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٤٤ .

كما كان على هذا الاتجاه ابراهيم النخعي وحماد ابن سليمان وابو حنيفة النعمان واصحابه وابن ابي ليلى من فقهاء العراق والأوزاعي فقيه الشام.

وفقهاء لا يغوصون

واما الفريق الآخر الذي يهاب التغلغل في التعليل والقياس ، ولا يضيع عنده حق المعنى لكنه لايغوص فيه . فقد آثر ما رآه احتياطا في الوصول الى حكم الله وطلب السلامة لنفسه . وكان من طبيعة هذا الاتجاه أن يحمل صاحبه على التهيب من الفتوى . وكان على هذا الاتجاه . أبو الدرداء وابن سيرين واحمد بن حنبل وبعض فقهاء الأمصار.

فقهاء يقفون عند الظاهر

ومن وراء هذين الاتجاهين تجد من يقف عند الظاهر ، وينكرون ما للمعاني من دلالة ولا يقولون بتعليل ولا قياس ، فالنصوص في ظواهرهم تفي بالاحكام ، فلا اجتهاد الا للوصول الى حكم الوحي وفي نطاق تفهم المراد من اللفظ،واذا كان للشافعي اتجاه ناحية الاخذ بالظاهر الا انه يبحث وراء المعنى ايضا ، ويغوص للبحث عن العلل والقياس عليها ، فان داود الظاهري كان يقف عند ظواهر الالفاظ لا يتعداها .

لا عجب في اختلاف المناهج

ولكل فريق موازين معينة يهتدي بها في تفكيره ويعتمد عليها في استنباطه، ويكون له منهجا خاصا يتميز عن منهج غيره الفكري ، واذا كان ارسطو فيلسوف اليونان قد وضع قوانين عامة للفكر الانساني تعصمه من الزلل في التفكير ، وانتقلت هذه القوانين المنطقية الى العالم الاسلامي فان معظم مفكري الاسلام لم يقبلوه ، ووضع كل فريق من المفكرين المسلمين عناصر منطقية مبتكرة ، وهي ظاهرة بوضوح في منهجهم الاصولي وان كان الامام الغزالي مزج المنطق الارسطاليسي بعلوم المسلمين بوضعه المقدمة المنطقية التي صدّر بها كتابه المستصفى في علم الاصول ، فانه قد تبعه في هذا كثير من الأصوليين اذ جعلوا المنطق جزءا من علم الأصول ، وصوروا كتاباتهم بمقدمات كلامية .

والواقع ان فكرة اتباع منهج معين في استنباط الاحكام وجدت لوجود الفقه . لانه حيث يكون فقه يكون حتما منهاج للاستنباط ، وان كان هذا المنهج لم يتميز بوضوح ويتخذ قواعد منضبطة في عهد الصحابة والتابعين من بعدهم . الا ان فقههم وفتاويهم لم تكن بالهوى ، وانما كان نتيجة منهج في نفس الفقيه، وان كان لم يصرح به ، ولم يجعل له قواعد منظمة بينة ، ولذا فان منهم من كان يميل الى الراي،وهو واضح في مسلكه القياسي والبحث عن علل الأحكام ، ومنهم من كان يتبع المصلحة حيث لا نص .

والمصطلحات الأصولية والموازين وان كانت لم تعرف في ايام الصحابة والتابعين ، الا ان الصحابة ومن بعدهم كانت لهم مناهجهم الخاصة . يقول الزركشي : ان الصحابة تكلموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في العلل .

منهج الامام الشافعي وظهور علم الأصول

ويقول الرازي : كان الناس قبل الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع اليه في معرفة دلائل الشريعة وفي كيفية معارضتها وترجيحها ، حتى استنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه من مراتب أدلة الشرع .

ولما كثرت الفروع الفقهية وتنوعت الفتاوى والاحكام ، وظهر الائمة المتخصصون لدراسة الفقه، وازدهر الفقه الاسلامي تبعا لذلك وضعت هذه المناهج واصبح لها كيان وهيكل عند كل فقيه .

فهذا ابو حنيفة الذي كان يعتبر رأس مدرسة ذات منهج خاص ، له منهج يختلف عن منهج مالك الذي تاثر في منهجه ببيئة المدينة وفقهائها السبعة فابو حنيفة من أوائل من بين وجود دلالات القرآن، ومن أبرز ما اختلف فيه مع غيره في ذلك مفهوم المخالفة فانه لم يعمل به ، وكذلك نجده لا يعتبر اخراج بعض عموميات القرآن بدليل مستقل غير مقارن لها في النزول تخصيصا وانما عده نسخا ، ولذا فانه لم يصح عنده أن يكون هذا الدليل سنة آحاد بل لا بد ان يكون متواترا أو مشهورا اذ الحديث غير المتواتر عنده مشهور وآحاد .

كما كان رضي الله عنه لا يكتفي بالنظر في سند الحديث لاعتباره مصدرا وانما يتفحص متنه ايضا ويعرضه على النصوص العامة والقواعد الثابتة ، وبالنسبة للاجماع فانه يتوسع في اعتباره اذ يعتبر الصريح منه ويعتبر ايضا الاجماع السكوتي .

كما انه يعتبر قول الصحابي الذي لا مجال للراي فيه كالعبادات والحدود والمقدرات في حكم السنة المستندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقدمه على القياس ، ومن ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في اقصى مدة الحمل .

اما ما كان للراي فيه مجال فانه كان يتخير بين اقوالهم ما يوافق اجتهاده دون خروج عليهم ما داموا لم يجمعوا على حكم ، وفيما بعد اقوال الصحابة لا يتقيد براي وانما يطلق لنفسه الاجتهاد وقد نقل عنه انه قال :

« انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم اجده فيه اخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآثار الصحاح عنه التى فشت في ايدى الثقات ، فاذا لم اجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله اخذت بقول اصحابه من شئت وادع من شئت ثم لا اخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب بقصد التابعين - فعلي ان اجتهد كما اجتهدوا .

ومنهج ابى حنيفة

وكان ابو حنيفة يقدم القياس على الاخذ بخبر الآحاد الذى لم تحف به القرائن التى تقوى نسبته الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبتوسع في الاخذ بالقياس الذى خفيت علته لمعنى ينقدح في نفسه نتيجة لمزاولة الادلة الشرعية وبعدا عن القياس الذى وضحت علته .

منهج الامام مالك

بينما الامام مالك رضي الله عنه - وهو الذى كان على راس اتجاه آخر في نفس العصر الذى كان فيه الامام ابو حنيفة - وقد تاثر بالبيئة التى هو فيها في المدينة موطن الحديث - كثيرا ما كان يعتمد على السنة ، وكان عمدته في الحديث على ما رواه علماء الحجاز ، ومع هذا فطريقته في الاستنباط مشبعة بالراى حتى عده ابن قتيبة من فقهاء الراى .

كان رضي الله عنه يشرح الحديث وينزله على الحياة العملية في بيئته لانه اعتبر عمل اهل المدينة حجة ملزمة للكافة فيقدم ما اجمعوا عليه ، لان الاجماع الملزم يتحقق عنده بذلك ، وكان يراعى الوسائل فيعطيها حكم المقاصد ، كما توسع في اعتبار الاستحسان والمصالح المرسلة ، وله فروع فقهية كثيرة مبنية على ذلك .

فالامام مالك يشبه ابا حنيفة في هذا حينما كان يشرح الحديث وينزله على الحياة العملية في بيئته ، ويلاحظ الاستحسان ، واذا كان مالك لم يتوسع في الاخذ بالقياس توسع ابى حنيفة فانه كثيرا ما كان يبنى احكامه على اساس ما سماه المصالح المرسلة والاستصحاب وسد الذرائع .

الامامان ابو حنيفة ومالك فيم يلتقيان ؟ وفيم يتباعدان

فمجال الراى عند مالك غير منحصر في القياس ، ولم يكن الخلاف بين مالك وابى حنيفة في اصل الاخذ بالسنة وخبر الآحاد منها او الاخذ بالراى ، ولكن في التوسع في احدى الناحيتين . ومع هذا فلم يكن مالك متساهلا في الاخذ بالحديث بل كان شديد التحرى فيما يثبت عنده ، واذا كان ابو حنيفة قدم القياس على خبر الآحاد في بعض صوره احيانا فان مالكا كثيرا ما قدم عليه عمل اهل المدينة .

كان رضي الله عنه يعتمد في اجتهاده على ما سمع ، فان لم يكن فيما سمع افتى بشبيه ما سمع والا اجتهد واستخرج الحكم من كتاب الله وسنة رسوله متبعا منهج اصوله في ذلك من نص الخطاب او فحواه او اشارته او مفهومه . موازنا بين النصوص فيزن السنة بما في الكتاب .

ويبدو ان مالكا كان يعتمد اساسا على ما ورثه عن شيوخه وما عرفه عن الصحابة والتابعين من احكام حتى قال عنه الشاطبي : ومالك هو الذى

رضي لنفسه في فقهه بالاتباع بحيث يخيل لبعضهم انه مقلد لمن قبله (٥)، والواقع ان مالكا كان يقدر ما كان يتمسك بعمل اهل المدينة ويأخذ بالسنة المتواترة المستفيضة والآثار مما روى عن الصحابة والتابعين فانه افسح المجال للرأى الى حد كبير .

الامام الشافعي
يقيم فقهه على أصول منهجه

أما الامام الشافعي رضي الله عنه فقد كان له منهجه الخاص فهذا اول من نظم الفقه ودون علم اصول الفقه واوضح قواعده ، وكان مذهبه اول مذهب فقهي اقيم على أسس وقواعد منظمة وطرق متميزة ، وكان وسطا بين الاتجاهين : بين المتصرفين عن الرأى والمتغالين فيه وان كانت فكرته الاساسية في الواقع أقرب الى طريق المحدثين فكان دعامة من دعائم مدرسة الحديث الذين لا يقدمون في الاستدلال على الحديث شيئا حتى سمى بناصر الحديث ، كما انه كان يميل الى اعمال اللفظ على حقيقته فيأخذ بما يمليه ظاهر النص ما لم تصرفه عن ظاهره قرينة قوية .

ويقول الامام الشافعي كما في الأم : « العلم طبقات شتى : الاولى الكتاب والسنة اذا ثبتت ، ثم الثانية الاجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة والثالثة ان يقول بعض أصحاب رسول الله قولا ولا نعلم له مخالفا منهم والرابعة اختلاف أصحاب النبي في ذلك والخامسة القياس ، ولا يصار الى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان (٦) .

فالشافعي يعتمد اولا على الكتاب والسنة ، ويجعل السنة في مجموعها في مرتبة الكتاب عند استنباط الاحكام ، غير انها اذا عارضت الكتاب اخذ به دونها ، وان كان نص الكتاب محكما استقل بالاستدلال دونها . ثم يلحق الحكم الذى لا يجد فيه النص الى أقرب الامور المنصوص عليها .

واعتبر الشافعي الاجماع حجة في غير موضع النص ولو خبر آحاد الا اذا كان الاجماع يستند الى نص رواه جماعة عن جماعة فانه يقدمه عليه . ومع هذا فهو لا يعتبر الاجماع السكوتي ، ولا يعتبر عمل اهل المدينة محققا للاجماع .

ويعتبر قول الصحابي ويقدمه على القياس ويجعله بعد الاجماع ولا يأخذ بالاستحسان الذى هو دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على اظهاره لعدم مساعدة العبارة عنه ولا يعتبر المصلحة المرسلة مصدرا الا اذا كانت تشبه مصلحة معتبرة باجماع او بنص .

وكثيرا ما وجه النقد لمنهج الامام مالك في تقديمه عمل أهل المدينة على خبر الآحاد ، كما وجه النقد أيضا لفقهاء الحنفية في تقديمهم القياس عليه ، وانتقد المذهبين في الاخذ بالاستحسان ، وكان رحمه الله يتحفظ بالنسبة للحديث المرسل مخالفا الامامين السابقين ابا حنيفة ومالكا في اخذهما به .

منهج ابن حنبل

اما الامام احمد بن حنبل . فقد عرف فقه الرأى واعرض عنه ، وعرف فقه الحديث فاقبل عليه ولا يردّ في فقهه حديثا نسب الى رسول الله الا اذا عارضه ما هو أقوى منه ، كما يعتمد على أقوال الصحابة عموما وأقوال التابعين من بعدهم حتى انه اذا وجد في المسألة أقوالا للصحابة مختلفة ولم يتمكن من المفاضلة بينها اخذ بها مع اختلافها وروى الاقوال دون ان يجزم بواحد منها بورعا منه عن الترجيح .

فاذا لم يجد نصا ولا خبرا مرسلا ولا قولا لصحابي ولا لتابعي ولا اجماعا على حكم ان امكن حدوث الاجماع وكان مقطوعا به .اضطر الى الاجتهاد، وكان يعتمد في اجتهاده كثيرا على المصلحة المرسلة واستصحاب الاصل ، كما يعتمد على القياس .

وهكذا بالنسبة لسائر الائمة فان مذهب كل امام يقوم الاستنباط فيه على منهج خاص يتفق مع اتجاه له معين في الفقه وطرق الاستنباط . وقد بسطنا القول في ذلك كله وفصلناه في كتاب اخرجناه بعنوان « مناهج الاجتهاد » تقوم جامعة الكويت بطبعه حاليا سنة ١٩٧٣ . ويكفينا في هذا المقام هذا العرض السريع الموجز الذى يعرض لقرائي الموضوع . ■■

محمد سلام مدكور

---

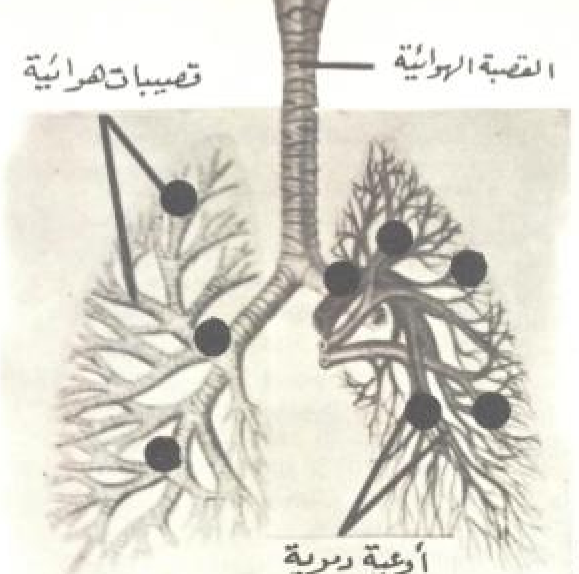
(٥) الاعتصام جـ ٢ ص ١٧٧/١٧٨ .

(٦) الأم جـ ٧ ص ٢٤٦ .

أمراض شائعة

سرطان الرئة

بقلم: الدكتور سالم نجم



● أماكن محتملة لسرطان الرئة

■ تعتبر الرئتان والقصبات الهوائية من اكثر أعضاء الجسم تعرضا للاصابة بالاورام . والاورام الرئوية نوعان : ـ

١ ـ النوع الحميد ـ Benign Tumour

وهذه محدودة الاضرار وتبلغ نسبتها ١٠ ـ ١٥٪ من اورام الجهاز التنفسي .

٢ النوع الخبيث Malignant Tumour وغالبية الاورام الرئوية من هذا النوع الخبيث ويسمى سرطان الرئة ونسبته تزيد على ٨٠٪ وهو موضوع مقالنا اليوم .

ولا بد من الربط بين سرطان الرئة وبين عادة التدخين حيث ان الابحاث العلمية والاحصائيات الطبية تشير الى وجود علاقة وثيقة بين تدخين السجائر وبين هذا المرض الخبيث .

ويحضرني في هذا المقام قول بدوي من صحراء الجزيرة العربية يصف عادة التدخين باسلوب بسيط بليغ فيقول (ريحته بتخيس الفاه وبتخلي المخباة لا باوله بسم الله ولا بتاليه الحمد الله) وتفسير ذلك ان التدخين يجعل رائحة الفم كريهة ويذهب نقود المدخن وليست فيه فوائد الطعام فلا يبدأ المدخن بقول بسم الله كما يبدأ بالطعام ولا ينتهي بقول الحمد لله حينما ينتهي منه . هذا ما امكن للبدوي القاطن في الصحراء ان يكتشف من خلال ملاحظاته بعض اضرار التدخين . ولكننا معشر الاطباء نتحدث عن مساوىء التدخين من خلال التجارب العلمية والممارسة العملية لمهنة الطب فنقول ان للتدخين اضرارا كثيرة على اجهزة الجسم مثل القلب والاوعية الدموية والمثانة والجهاز الهضمي ولكني احصر حديثي هنا عن اضراره التي تتعلق بالجهاز التنفسي وخاصة سرطان الرئة .

ولا بأس من ايراد بعض الاحصائيات العالمية عن سرطان الرئة ودور التدخين فيه .

فهو يصيب المدخنين ـ وخاصة مدخني السجائر ـ بنسبة تزيد ثلاثين مرة عن غير المدخنين ويتناسب معدل الاصابة بهذا الداء تناسبا طرديا مع عدد السجائر المستهلكة يوميا ومع طول مدة التدخين .

ـ وهو يصيب الرجال خمسة اضعاف اصابته للنساء وعادة يبدأ المرض بعد سن الاربعين في كلا الجنسين .

ـ وسرطان الرئة اكثر انواع السرطان انتشارا وان نسبته في جميع انحاء العالم تزداد سنة بعد اخرى كما ان ٤٠٪ من مجموع الوفيات من السرطان بين الذكور سببها سرطان الرئة والقصبات

ـ وان هناك وسائل طبية حديثة للكشف عن هذا المرض الخبيث في بدايته ولذا فان ثلثي المرضى المصابين به لديهم فرصة الشفاء بالطرق الجراحية والطبية وبالعقاقير اذا ما اكتشف المرض في مراحله الاولى .

انواع سرطان الرئة والقصبة الهوائية

تنقسم الاورام الخبيثة في الرئة الى نوعين اساسيين : ـ

١) النوع الاول Primary Malignancy

وينشأ ابتداء من انسجة الرئة وخاصة من جدران القصبات والقصيبات الهوائية ـ وهذا النوع يشتمل على اكثر من ٩٠٪ من امراض سرطان الرئة.

٢) النوع الثاني Secondary Malignancy

ويتكون هذا النوع من اعضاء بعيدة عن الجهاز التنفسي مثل الكبد والامعاء وغيرها من الاعضاء ، وتنتقل الخلايا السرطانية من هذه الامكنة الى الرئة من طريق الدم او الاوعية الليمفاوية او غير ذلك من طرق الانتقال ونسبة هذا النوع لا تزيد عن ١٠٪ من مجموع الاورام الخبيثة بالرئتين .

كيف تنشأ الاورام الخبيثة الاولية
Primary Carcinoma

هذا النوع هو الذي يكثر بين المدخنين للتبغ من الجنسين رجالا كانوا ام نساء وربما يرجع السبب في ذلك الى التهيج المستمر الذي يحدثه دخان السجائر في الجدران الداخلية للقصبات والمسالك التنفسية والارتها وترسيب المواد الكربونية على هذه المسالك ممايدفع بعض الانسجة والغدد في جدران القصبات الى النشاط والتكاثر لكي تتغلب على هذه الاجسام الغريبة الملتصقة بها . وتكون النتيجة حدوث ورم بسيط جدا من المجموعات الخلوية في اول الامر ثم لا يلبث ان يكبر الورم شيئا فشيئا وتنقلب طبيعة التكاثر بين الخلايا الى صورة شاذه لا تخضع معها لقوانين الجسم وتنفلت تماما من جميع الضوابط الفسيولوجية والبيولوجية التي تتحكم في انقسام الخلايا في الحالات الاعتيادية وينتهي الامر الى تكوين الاورام الخبيثة ونشاتها بالصورة المرضية بخصائصها المميزة .

هل هناك فرق بين من يبتلع الدخان أو من ينفثه من فمه ؟

بعض المدخنين يقعون في الوهم الكاذب من انهم في امان من حيث الاعتقاد بان من يدخنون السجاير دون ان يبتلعوا شيئا من الدخان لن يصابوا بامراض الرئتين ـ وهم بذلك انما يخدعون انفسهم فالدخان هواء لا يمكن التحكم فيه وبدون ادنى شك فسوف يتجه هذا الهواء الساخن الى اسفل داخل القصبات كما يتجه الى الخارج عن طريق الفم او فتحتي الانف ، ويكفي ان يعلم المدخن انه حينما يدفع الهواء من فمه فانما يدفعه تحت ضغط مناسب داخل تجويف الفم يزيد عن ضغط الهواء الجوي. ولعله يعلم ان القصبة الهوائية مفتوحة دائما في جميع الحالات ما عدا اوقات بلع الطعام والشراب وان الضغط داخل القفص الصدري والرئتين يقل عن ضغط الهواء الجوي فهو حينما ينفث الدخان من فمه يتجه هذا الهواء الى كلا الجانبين ـ الخارج والداخل ـ وهو الى الداخل اسهل مرورا لانخفاض الضغط فيه .

هل هناك عوامل تزيد من الاصابة بسرطان الرئة ؟

لقد ثبت بالتجارب العلمية وبالاحصائيات الطبية ان العاملين في بعض الصناعات معرضون للاصابة بسرطان الرئة بنسبة تزيد عنها في صناعات أخرى واهم هذه الصناعات التي تحمل في طياتها خطر الاصابة بهذا المرض هي : صناعة النيكل والكروم وغاز الفحم وصناعة الزرنيخ والاسبستس .وتخضع هذه الصناعات الى اشراف طبي دقيق في البلاد التي تكثر فيها ويحيطون عمال هذه المصانع برعاية طبية وتعليمات تقيهم الاصابة وتجنبهم الكارثه .

سرطان الرئة الثانوي من اين يأتي ؟

حينما ينشأ سرطان في مكان ما بالجسم ويتعدى مراحله الاولى بحيث يحطم خلال نموه وتكاثره وعاء دمويا ـ وريديا كان أو شريانا ـ فان الخلايا السرطانية تختلط بالدم وتنتقل الى القلب والرئتين في دورتي الدم الصغرى أو الكبرى الى جميع أعضاء الجسم وانسجته .

بعض هذه الخلايا تبقى في انسجة الرئتين وبعضها يغادرها الى الاعضاء الاخرى ـ كالكبد والجهاز العصبي المركزي والعظام وغير ذلك من انسجة الجسم ـ في هذه الاماكن الجديدة تتكاثر الخلايا وتتكون الاورام الخبيثة وفي هذه الحالات لا تصلح الجراحة واستئصال الورم الاصلي علاجا بل يستبدل بذلك العلاج بطرق اخرى غير الجراحة.

واهم سرطانات الاعضاء التي ترسل خلاياها الى الرئتين ـ هي ـ الثدي ـ الغدة الدرقية ـ المعدة ـ الامعاء ـ الكبد ـ واورام الجهاز البولي والتناسلي واورام العظام .

اعراض سرطان الرئة ومعالمه

تنبيـــه

يجب ان انبه القارىء الكريم الى ان الاعراض التي سوف اذكرها هنا تتشابه الى حد بعيد مع اعراض امراض اخرى في الجهاز التنفسي اقل خطورة وشأنا . والفيصل الحكم الذي يقرر ذلك هو الطبيب المعالج فهو وحده الذي يتصح المريض ويؤكد التشخيص او يستبعده . وارجو الا يخلط القارىء بين ما قد يحسه من هذه الاعراض وبين الحكم بان عنده سرطانا ، وهذا حكم لا يصح من مريض .

الاعراض : ـ اما اعراض هذا الداء فهي كثيرة متنوعة وتعتمد بالدرجة الاولى على مكان الورم . وهل هو في موضع من القصبات يسد فيه جزءا من اجزاء الرئة او فصا من فصوصها وهل الورم في منطقة من المسالك التنفسية العليا او في طرف ناء من اطراف الشعب الهوائية . وهل الورم يضغط على ما يجاوره من انسجة واعضاء اخرى هامة مثل الانسجة والامتدادات العصبية او الاوعية الدموية (وريدية وشريانية) وقد يضغط على المرىء او على الاضلاع او الفقرات .

والاعراض في مختلف هذه الحالات تتباين تباينا واضحا . ولكن هنالك قدرا مشتركا من شكوى المريض ربما تشير الى الاصابة بهذا الداء الوبيل وهي السعال المستمر لفترة طويلة مع كمية من البصاق الهلامي المتقيح احيانا واحيانا اخرى يخالط البصاق كمية من الدم وقد يتكرر النزيف الرئوي . ومع هذا السعال والبصاق يضيق التنفس ويصاب الجسم بهزال شديد وضعف عام وفقر دم حاد . وفتور في نشاطه ونقص في وزنه وانعدام الشهية للطعام ـ وقد يصاب المريض بآلام في الصدر او في الكتف او في الظهر . وقد يشكو من الاصابة بخراج رئوي لا يستجيب للعلاج ولا يلتئم بسرعة .

كما قد يكون هنالك انسكاب بلوري يعوق التنفس ويضخم الصدر وقد يبرز جزء من القفص الصدري كما تظهر الاوردة على سطحه منتفخة متعرجة وقد يشكو المريض من تورم واحتقان بالرقبة والوجه والذراع ـ وقد يصاب بصعوبة في بلع الطعام او تغير في نبرات الصوت وقوته .

اعراض ناتجة عن الجهاز العصبي واجهزة اخرى غير الرئتين

ربما يشكو المريض من اعراض عصبية محددة ـ كالتهاب في الاطراف العصبية والم في العضلات مع هزال بها ، واختلال في حفظ توازن الجسم اثناء الوقوف او السير مع اختلال في قواه العقليـــة وخاصة في شخصيته ـ فهو غريب الاطوار متقلب الاحوال كثير الضحك سريع البكاء .. وقد يصاب بضعف في قوة الابصار او بكسور في عظام مناطق مختلفة من الجسم . وخلاصة القول فان المريض ربما اظهر من الاعراض والعلامات المرضية ما يشير الى اصابة جهازه التنفسي او اي جهاز اخر من جسمه طبقا لنشأة المرض وانتشاره .

تشخيص الاورام الخبيثة :

من حسن الطالع ان وسائل تشخيص المرض متوفرة وهي في مجموعها تستطيع تحديد الاورام وحصرها ونخص بالذكر :

ـ اشعة اكس العادية والملونة X rays ، ورسم الرئتين بطريقة المواد المشعة وخاصة مادة التكنيتيوم Technetium 99

ـ فحص البصاق الخلوي لاكتشاف الخلايا السرطانية .

ـ الفحص المنظاري للقصبة والقصيبات الهوائية واستخـراج عينـــة نسـيجية للفحص المجهري .

ـ الحصول على عينة من خلال فتحة خارجية في الجدار الصدري .

تلك اغلب وسائل التشخيص وبمقدور الطبيب المختص ان يصل الى التشخيص الصحيح في معظم حالات اورام الرئة من ٨٠ ـ ٩٠٪ .

طرق العـلاج :

اهم طرق العلاج هو استئصال الورم جراحيا وهو يعطي نتيجة طيبة اذا ما اجريت العملية في مراحل المرض الاولى وقبل انتشاره في اعضاء اخرى . وبعض المراكز سجلت نجاحا بلغ ٧٠٪ وهذه نتيجة حسنة . ثم هناك العلاج بالاشـعة العميقة وبالعقاقير الطبية ■■

سالم نجم

عزيز أباظة

بقلم: العوضي الوكيل

■ تهاوى دراكاً كالنجوم الزواهر ... صحابُكَ . فاصبر – إن قدرتَ – وصابر
خلا الدربُ إلاَّ من خُطاي وئيدةً ... وأقفر إلاَّ من شحوب مشاعري
وأبقيتُ وحدي أجرعُ الحزنَ بعدهم ... وأرشفُ كأس الدمع رشفَ المعاقر
وأمست تهاويلُ الغروبِ تروعني ... كأنَّ فؤادي في مخالب كاسر
أفي كل يوم صاحبٌ بعدَ صاحب ... توسّده كفاي ليلَ المقابر
أأدفن قلبي فلذةً بعد فلذةٍ ... فيالك من جدٍّ على الدهر عاثر
مضوا والصِّبا ، واستبقوا الحزنَ طاغياً ... وذكرى تشبُّ الشجوَ في كل ذاكر
وكنت أظنُّ الدمع عوناً على الأسى ... فمزقني فيضُ الدموع البوادر

★ ★ ★

مضى الشاعر الشادي بأحلام قومه ... حميداً . وأبقى لوعةً في السوامر
مضى لم ير النصر الذي بشّرت به ... أناشيدُه في كل باد وحاضر
فياليت شعري هل تهزّم صدرُه ... بفحواه شدواً وهو بين الحفائر
وهل شهدته مقلتاه فرددت ... جوانحه لحناً كلحن القياثر
وهل هزّه يومُ العبور فجمجمت ... تجاليدُ روح في الصفائح طاهر
فغنّى لوصّالين في الرّوع خطوَهُم ... وغنّى لبنّائين صُمَّ المعابر
وهل خفقت أعلام سيناءَ فانتشى ... كما رشف الندمانُ جريالَ[1] عاصر
أحبّ ثرى مصر . وغنى بقدسه ... فلاحت له حصباؤه كالجواهر
وأذكت ليالي الرقمتين فؤادَهُ ... على شطّ مصر في الضفاف النواضر
مضى الشاعر الشادي الذي طار شعره ... فألهم في أفنانه كلّ طائر

★ ★ ★

أباشيخةَ الفصحى[2] وحراس قدسها ... بتلك العقول الملهمات العباقر
تذودون عنها كل بلغٍ يرومها ... بسوء . ويرميها بحقد المكابر



ولم أر كالفصحى ، فإنَّ بيانها ... لِيُبرز أخفى ما اختفى في السرائر

***

لعَمْرك ما عَيَّتْ بمعنًى وإنما ... هو العِيُّ في بعض النهى والخواطر
ورام رماها بالقصور عن المدى ... وما هو إلا قاصرٌ أيُّ قاصر
عجبتُ لقوم جددوا الشعر ضِلةً ... فجاءوا بشعر « سائب » متناثر
تجافوا به عن كل معنى وفكرة ... كأن المعانى حجبت بستائر
ويصغى اليهم سامع القوم سائلا : ... أذلك شعر أم تعازيم ساحر
رماهم عزيزٌ بالمقال فأجفلوا ... وأعول منهم زاجرٌ بعد زاجر
وكر عليهم بالقصيد يصوغه ... فيبدع في التصواغ إبداع قادرِ
أقام عليهم حجة الفن باذخا ... بشعر كسِرِّ الراح في روح ساكر

***

مضى الشاعر الشادى الذى طار شعره ... فألهم في أفنانه كلَّ طائرِ
مضى الحارس اليقظان وانتابه كرًى ... يَفيء إليه كل غافٍ وساهرِ

***

صديقى وشيخى . قد رحلت . فإنما ... أغالبُ فيك الحزنَ والحزنُ قاهرى
وأشهدُ فيك الخَطْبَ أنى حملته ... وإن لم أكنْ – لما دهاني – بصابر ■■

(١) الجريال : الخمر .

(٢) الخطاب موجه الى اعضاء مجمع اللغة العربية ، زملاء الشاعر الراحل .

لِلوَرد عِطرٌ ولعسَل النَّحل حلاوة ..

والحياةُ لها عِطرٌ ولها حلاوة

إذا افتقدت إحساسك بهما فقد افتقدت الحياة

■ ما الفرق بين أن نعيش ، وبين أن نتنعم بالحياة ؟

اننا نفكر ، ونعمل ونتحرك ونأكل وننام ، ثم نصحو من رقدتنا لنستقبل يوما جديدا ... فهذه هي الحياة .

ولكن كم منا يشعر حقيقة بانه ينعم بهذه الحياة ؟

يقول الكاتب الانجليزي الكبير تشارلز لامب :

« اليس غريبا ان تشيخ ارواحنا قبل ان يخط الشيب شعر رؤوسنا ؟ »

« اننا نبدأ حياتنا في سن الشباب ، ونحن اكثر ما نكون حماسا ، وقد امتلأت نفوسنا بالتوقعات .. فنحن نتوقع النجاح ، ونتوقع الشهرة والجاه ، ونمضي في الطريق بكل حماس الشباب واندفاعه ولكن لا نكاد نبلغ منتصف الطريق ، وربما قبل أن نبدأ مسيرتنا ، حتى نفاجأ بريح الحياة الباردة تهب علينا ، وقد يلجأ البعض منا الى جناحيه محاولا ان يستعين بهما ، كما تفعل الطيور ، وهي تجاهد في سبيل اخفاء اجسامها الصغيرة وحمايتها من البرودة والصقيع ، فلا تلبث ان تشعر بالدفء يعود اليها ..

ولكن ما أكثر الذين يتخلون عن امالهم واحلامهم ، عند اول نكسة او عند اول حجر يتعثرون فيه وهم يسيرون على طريق الحياة فلا يلبث اليأس يحتويهم ويهوون ، وربما سارت بهم الحياة وساروا بها في طريق آخر لفه الظلام ، فملأهم الخوف ، وانتزع من قلوبهم رومانسية الحياة !

سحر الحياة

وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث للمرء ، عندما يشعر بانه لم يعد يحس بسحر الحياة .. لم يعد يحب الحياة !

ان حبنا للحياة واحساسنا بنعمها شيء لا يمكن أن يقدر بمال ، وفقداننا لهذا الشعور مأساة بل هو الموت بعينه . فالمرء قد يجمع من المال ما يجمع ، ويصيب من الشهرة ما يصيب ، وقد يحظى بكل ما يطمع فيه انسان من تقدير واعجاب ، وبالرغم من ذلك فاننا نجد ان المتعة الحقيقية للحياة ، ليست في شيء من هذا كله .. ولكنها في الاستمرار في الشعور برومانسية الحياة ، وما نجده فيها من سحر نحاول دائما ان نكشف اسراره ، وما يخبئه وراءه من صور جميلة نراها في كل شيء من حولنا ..



عندما تذهب بهجة الحياة

ترى ماذا يصنع الناس عندما يكتشفون أن بهجة الحياة قد ذهبت أو انها في الطريق الى الذهاب ؟

هناك العديد من الرجال والنساء الذين يتحولون بكليتهم الى الاهتمام بالماديات ، كمصدر محتمل لاستعادة هذه البهجة التى اختفت من حياتهم .. انهم يظنون أن الشعور بمتعة الحياة سوف يعود اليهم اذا نجحوا في جمع المزيد من المال ، وامتلكوا المزيد من الاشياء ، وتمتعوا بمزيد من المزايا .. وحجتهم في هذا ان هذه الرغبة الجديدة التي استبدت بهم في الامتلاك سوف تعيد اليهم حتما الشعور بمتع الحياة ، ناسين ان الرغبة تولد الرغبة ، فالجشع طبيعة من طبائع النفس البشرية ، وسرعان ما نجدهم قد فقدوا هذا الشعور المؤقت بمتع الحياة المادية ، فيجدون انهم قد امتلكوا كل شيء يطمع فيه الانسان ،ولكنهم فقدوا في الوقت نفسه ذلك الحس المرهف الذى لا غنى للمرء عنه ، لكي يشعر بقيمة الحياة .

المليونيرة الصغيرة

يروى تشارلز لامب قصة الفتاة الصغيرة التي ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب .. لقد كانت تنام على فراش من الحرير ، وتملك كل ما تشتهيه اية فتاة في الدنيا ، ويسهر على راحتها عشرات من الخدم والحشم فقد كانت الابنة الوحيدة لأحد كبار أصحاب الملايين .

« فهل شعرت المليونيرة الصغيرة يوما بمتعة الحياة ؟

« لقد قضت حياتها كلها تبحث عن الحب ولكنها لم تجده .. فقد حرمت منه في طفولتها ولم تكن تابه كثيرا أو قليلا بالفساتين الجديدة التي يشتريها والدها .. لم تكن تهتم بنظرات الغيرة والحسد التى تراها في عيون زميلاتها في المدرسة ، وهي تهم بركوب سيارتها الفارهة عندما تصل لتقلها عائدة الى البيت ، في نهاية اليوم الدراسي .. كانت تشعر بالوحدة بينهن ، رغم كل هذا الاهتمام الذى كانت تلقاه من مدرساتها في المدرسة . كانت تتمنى لو انها لقيت نفس المعاملة التي تلقاها زميلاتها .. كانت تشعر دائما كما لو كانت مخلوقة غريبة وسط هذا المجتمع المتجانس المتآلف من حولها !

« كانت تشعر دائما بان كل هذه الابتسامات التى تقابل بها في صباح كل يوم ، وكل تلك المجاملات التي تسمعها من شفاه هؤلاء الذين تعرفهم ، ليست من اجلها هي ، وانما من اجل ملايين والدها ، ومن اجل ثرونه ونفوذه . وكانت تعود الى قصر والدها من المدرسة وتبحث عن امها ، فلا تجدها .. فهي مشغولة عنها دائما بزياراتها وسهراتها .. وعبثا تحاول مربيتها ان تهدىء من ثورتها ، وتستسلم الفتاة في النهاية ، وتغلق باب حجرتها عليها وتستغرق في البكاء ..

مع رحلة الحياة

وتمر الاعوام ويلتقي الكاتب الكبير بالفتاة الصغيرة التى عرفها في طفولتها .. كانت تجلس على مقعد صغير في انتظار وصول القطار الذى سيقلها الى المدينة التى اختارتها لتبدأ فيها حياة جديدة ، بعد ان مات والداها ..

كانت قد اصبحت امرأة جميلة ، ولكنه جمال هادىء حزين .. جمال بدا الذبول يزحف اليه قبل أن يتفتح .

وعرفته ، ومدت اليه يدها مصافحة ، وقال : « كدت الا اعرفك يا ابنتي .. حدثيني ، ماذا صنعت بك الايام ، وماذا صنعت بها ! »

قالت : « مات أبواى ، فهجرت البيت الكبير ، وقررت ان اخرج واواجه الحياة ، كما تفعل كل امراة في سني .. لعلك تعلم أن زواجي قد فشل! نعم فقد كان زوجي طامعا في ثروتي ، انه لم يكن يحبني كما تصور والدي ، وعندما علم انني قد اصبحت الوريثة الوحيدة لأبي ، راح يسومني الوان العذاب ، لكي اتنازل له عن جزء من ثروتي، اذا اردت ان استعيد حبه .. ورفضت ان اشترى حب زوجي بمالي .. فتركته !

« انني ذاهبة الآن الى حيث لا اعرف احدا ولا يعرفني احد .. سوف ابحث عن عمل ، وسابحث عن الحب الذى حرمتني منه ملايين ابي ، مع عملي الجديد ! انني اريد ان انعم بحياتي بعيدا عن ثروة ابي وجاهه ! »

الاصل والصورة

يقول نورمان فنسنت بيل في كتابه « الفن الجديد للحياة » : « اذا اردنا ان نعرف كيف يمكن ان ننعم بمتع الحياة ، فلا بد لنا ان ندرك ان سر الحياة السعيدة الناجحة يكمن في حرصنا على ان نرى ما فيها من جمال .. وجمال الحياة في جوهرها الأصيل .. في العمل الذى نؤديه ونرتزق منه .. في شعورنا ونحن نستقبل يومنا الجديد كل صباح .. في الحماس الذى يملأ نفوسنا ونحن نؤدى اعمالنا ، في اللحظات القصيرة التي نخلد فيها الى انفسنا ونتأمل جمال الحياة من حولنا .. فالحياة فن ، يجب ان نتعلمه ، ولكى نتقن هذا الفن ، فلا بد لنا ان نفرق بين الحقيقة والصورة .. فكثيرون هم هؤلاء الذين يشدهم الزخرف دون الجوهر .. واكثر منهم الذين لا يعرفون كيف يميزون بين الحقيقة والزيف

الحياة أعظم تجربة

كتبت شاعرة الانجليز الشهيرة « اليزابيث باريت » يوما تقول : « ان اشد مايخيفني هو ان اجد معظم الناس وقد قنعوا بما لا يمت الى الحياة بصلة ! »

وهي على حق فالكثيرون منا يمضون في طريقهم في الحياة بسرعة وقلق واضطراب ، ساعة من بعد ساعة ، ويوما من بعد يوم ، دون ان يتوقفوا لحظة واحدة ويفكروا فيما هم مقبلون عليه ، ثم يسمونها بعد هذا حياة ، ولو انهم توقفوا قليلا وقفة تفكير وتأمل ، لوجدوا ان الحياة اجمل من ذلك بكثير ، واثمن من آن نضيعها فيما يصادفنا من هموم ومشاكل ومتاعب تستغرق كل وقتنا وجهدنا .. فنحن نعيش حياتنا مرة واحدة ، وهي تجربة عظيمة ، لايفيد منها الا العقلاء وحدهم .

يقول روبرت لويس ستيفنسون : « اذا عرفنا كيف نسخر من الشدائد والصعاب ، واذا تعلمنا كيف نبتسم تحت مياه المطر وهي تتساقط فوق رؤوسنا وتبلل اجسامنا واذا استطعنا ان نواجه الهزائم بروح رياضية ، فقد عرفنا كيف ننعم بالحياة في كل صورها » .

بين الأمس واليوم

لم يقل ستيفنسون : « حقيقة ان العصر الذى نعيش فيه قد عَقَّدَ حياتنا ، وجعلها من الصعوبة بحيث يجب ان نبذل من الجهد اضعاف ما كان يبذله اباؤنا واجدادنا من اجل توفير حياة سعيدة كريمة لانفسنا ولاسرنا . فنحن جيل جديد من البشر مشغول دائما بالعديد من الامور .. ولكننا بالرغم من هذا نستطيع ، اذا اردنا ، ان ننعم بكل لحظة تمر بنا في حياتنا ، ونسعد بها ، كما لم يسعد « الملوك » انفسهم ! »

واذا كان هذا هو حال الجيل الذى كان ستيفنسون احد ابنائه ، فلا شك ان جيل اليوم سوف يجد من هذه الامور ، اضعاف ما كان يشغل جيل هذا الكاتب الكبير منذ نحو قرن من الزمان او اقل قليلا ! » .

« حقيقة ، لقد تقدم العلم ، ونحن اليوم نعيش في عصر الآله والميكنة ، كل شيء يعمل بالازرار ، يكفى ان تضغط على زر صغير فيأتيك الضوء الذى تحتاج اليه للقراءة ، او الدفء الذى يحتاج اليه جسمك ، او الموسيقى التي يمكن ان تنبعث من اى مكان في بيتك !

« ولكن هذا التقدم العلمي الكبير ، قد صاحبه قدر اكبر من القلق والتوتر والخوف ، التي اصبحت من امراض هذا العصر ..

« ولا سبيل للتخلص من هذه الامراض الا بادراكنا للمعنى الحقيقي للحياة » .

قصة بناء

لقد اراد محافظ احدى المقاطعات في بريطانيا ان يعيد بناء مدينته التي دمرتها القنابل بعد الحرب العالمية الثانية في رقم قياسي ، فكتب

لافتة على مدخل المدينة تقول : « هذا المكان يطير باجنحة ويجرى فوق عجلات ولا مكان فيه لعاطل او قاعد ! » .

وجاء العمال بالمئات ، وراحوا يبنون ويعمرون في المدينة الخربة بلا توقف .. واقترب الموعد الذى حدده الرجل لافتتاح المدينة بعد ان اعيد بناؤها .. ولكن العمل لم يكن قد انتهى بعد .. وقرر ان ينزل بنفسه الى ميدان العمل والبناء ويصرخ في الرجال ان اسرعوا ، فقد حان الموعد ولم ينته البناء !

وكان التعب قد اخذ منهم كل ماخذ ، كانوا يعرفون انهم لم يتهاونوا ، ولم يتكاسلوا ولكن ماحيلتهم وحجم العمل اكبر من حجم العاملين فيه!

ولم تفلح محاولات محافظ المدينة لانجاز العمل في موعده .. ولم يكن باقيا على موعد الافتتاح غير يومين اثنين !

نغم الحياة !

« وفي صباح اليوم التالي شاهدوه .. ولم يكن الرجل يرتدى ملابسه الرسمية ، بل كان يلبس لباس العمال ، ويقف وسطهم ويحمل قطع الطوب والحجارة معهم ، وكان يغنى .. واعجبهم النشيد الذى كان يردده ، فارتفعت اصواتهم معه تنشده .. ولم يكد ياتي المساء ، حتى كانت عملية البناء قد اكتملت !

ماذا حدث لهؤلاء الرجال ؟ انهم هم هم لم يزد عددهم ، ولكنها عزيمتهم هي تلك التي نمت وتضاعفت .. فقد احسوا لاول مرة بالحياة .. كانوا اجساما تعمل وتتحرك بلا شعور ، ولا شيء غير العمل والعمل .. فاذا باروحهم تشدو واذا بسواعدهم تشتد وتقوى مع هذا النغم .. نغم الحياة ..

ولعل من اروع ما قيل في قيمة الحياة ومعناها الكبير هو ما جاء على لسان زوجة السياسي البريطاني رامزي ماكدونالد الذى تولى رئاسة الحكومة البريطانية في وقت من الاوقات ، فقد كانت اخر كلماتها لزوجها وهي تودع الحياة : « اوصيك باىنائنا .. واعلم دائما ان خير ما تفعله من اجلهم ، هو ان تعلمهم كيف يحبون الحياة ، وكيف ينعمون بحياتهم ! » .

قال نابليون لجنوده قبل ان يخوض احدى معاركه التاريخية : « تذكروا دائما انكم لاتحاربون من اجل القتل ، ولكنكم تضطرون الى القتل اضطرارا من اجل النصر .. لم لاتنسوا ان اعظم ما يمكن ان يصنعه الجندى الشجاع ، هو ان يهب الحياة لعدوه المهزوم ! » ■■

منير نصيف

أسعد أم سعيد

❊ كان لضبة بن اد بن طابخة بن الياس ابنان يقال لاحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت ابل لضبة في ليلة ممطرة عاصفة ، فوجه ابنيه في طلبها فتفرقا . ووجدها سعد فردها ، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب . وكان على سعيد بردان ، فساله الحارث ان يهديهما اليه ، فابى عليه ذلك ، فقتله واخذ برديه .

فكان ضبة اذا امسى ورأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد ؟ فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة .

ومكث ضبة بعد ذلك زمنا ، ثم انه حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد فقال له : هل أنت مخبرى ما هذان البردان اللذان عليك ؟ فقال : بلى ، لقيت غلاما وهما عليه فطلبتهما منه فابى عليّ فقتلته واخذت برديه هذين . فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم . فقال : اعطنيه انظر اليه فاني اظنه صارما ، فاعطاه الحارث سيفه . فلما أخذه من يده هزه وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به وقتله فقيل له : أفي الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف العذل ، فهو أول من سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة .

ابن الرومي

مدح ممدوحيه ثم هجاهم
وكان في هجائه مظلوما لا ظالما

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

استاذ الادب العربي بكلية الآداب ـ جامعة الرياض

■ لم ينل شاعر من اعراض مؤرخي الادب مثل ما لقيه ابن الرومي ، بسبب كثرة خصوماته في عصره وافراطه في الهجاء حتى صدق ما قاله فيه أحد معاصريه ان لسانه اطول من عقله .

والمتصفح لديوان ابن الرومي سواء ما طبع منه ، أو الجزء الذي لا يزال مخطوطا ، يرى الهجاء غالبا على كل ما عداه من فنون الشعر فيما عدا المديح ، حتى لرسخ في النفس ان هذا الشاعر عدوٌّ للناس والمجتمع ، بعيد عن الاتزان وضبط النفس ، وهما سمة الانسان العاقل ، قريب من معاداة الانسانية بمعناها العام ، بل لقد يحس كذلك انه اتخذ الهجاء صناعة بحكم علله النفسية وما يشعر به من نقص وحقد وحسد وغيرة ازاء الناس والمجتمع .

وكثيرا ما كان الهجاءون يعانون مثل هذه العلل والنقائص التي تدفعهم الى التعويض بسلاطة اللسان ، والتهجم على الاعراض ، وتخويف من عداهم من البشر المسالمين .

ننفي ذلك عن ابن الرومي

ولكننا ننفي ذلك كله عن ابن الرومي من واقع اخباره واشعاره ، ونرى انه في كل اهاجيه ـ برغم كثرتها وفحشها وسلاطتها كان الضحية المعتدى عليه ، وان هجاءه كان سلاحا للدفاع عن النفس، في عصر لا يتبرّأ الضعفاء ، ولا يرحم المساكين ، وان هذا السلاح لم يكن ابن الرومي يشرعه الا في حالة الاضطرار والاستفزاز .

كان ابن الرومي بطبعه مصافيا للناس يالفهم ويالفونه ، ويتبرأهم ويبرونه ، ولكنه كان فقيرا يتكسب بشعره ، شديد الحساسية في احتفاظه بكرامة نفسه وكرامة شعره على السواء ، وكان فيمن صادفهم ابن الرومي في حياته الغنيُّ الذي يريد استعباده بماله ، والعابثُ الذي يلمح فيه مواطن الضعف فيلح عليها بعبثه ، والغبيُّ الذي يجهل قيمة شعره ، وامثال هؤلاء كانوا يستفزون ابن الرومي فيضطرُّ الى هجائهم ، ويحركون فيه طبعه الحاد، او طبعه المقاتل الذي لا يستسلم، ولا يستكين لمهاجمه .

مدح ثم هجاء !

وقد يغفر بعض الباحثين هجاء ابن الرومي للكثرة الهائلة من شعراء عصره وكتابه وعلمائه من امثال البحتري ، والناجم ، والناشيء ، والمبرد ، ونفطويه ، والاخفش ، وقد يتسامحون في هجاء ابن الرومي للمغنين والمغنيات في ايامه ، ولكنهم يقفون من ابن الرومي موقف التشكك والاتهام بالنسبة لهجائه من سبق له مدحهم من ذوي المناصب العامة ، هؤلاء الذين كان يتوجه اليهم

مديحه ، ليستعين بجوائزهم على مواصلة الحياة، فهل كان ابن الرومى انسانا غير سَوِيّ الطبيعة ، مرائيا منافقا عديم الوفاء ؟ وايهما كان اصدق : مديحه السابق ام هجاؤه اللاحق ؟ واذا كان مديحه خافقا فى سبيل لقمة الخبز ، فما جدواه من وراء هجاء ذوى المناصب ، وبعضهم كان ما يزال فى منصبه ؟ هل نجد فى شخصية ابن الرومى تهورا واندفاعا فى سبيل الهجاء ، بحيث يتنكب عن ذكر العواقب جانبا ؟

دستور ابن الرومى فى هجائه

ان مصاحبتنا لشعر ابن الرومى تجعلنا نؤكد انه لا يبتدر خصومه بالهجاء ، بل يظل يصبر عليهم حتى لا تبقى للصبر بقية ، وهو حذر جدا فى علاقته بذوى السلطان ، لانه شديد الاحساس بعوزه وحاجته الى التكسب بشعره ، ومحال ان يقطع مُعِين رزقه لاندفاع او تهور ، بل ما اعجبه حين يصف لنا حذره من ذوى السلطان ، ويضع بنفسه حدودا لهجائه فى قوله :

لا اقذع السلطان فى أيامه
خوفا لسطوته ومرِّ عقابه (١)
وإذا الزمان أصابه بصروفه
حاذرت رَجْعَتَه ووشكَ مثابِه (٢)
وأعدُّ لؤماً أن أهم بعضه
إذ فلَّت الأيام من أنيابه
تالله أهجو من هجاهُ زمانُه
حَرُمتْ مواثبتيه عند وثابِه (٣)
فليعلم الرؤساء أني راهب
للشر . والمرهوب من أسبابه
طَبٌّ بأحكام الهجاء . مبَصِّر
أهلَ السَّفاه بزيفه وصوابه
حَرُمَ الهجاءُ على امرئٍ غيرِ امرئٍ
وقع الهجاءُ عليه من أضرابه
أو طالبٍ قوتاً حماه قادر
ظلما حقوقَ طعامه وشرابه (٤)

ما احكم هذا الدستور الذى وضعه ابن الرومى لهجائه وما اشد صرامته ، انه لا يهجو اصحاب السلطان وهم فى اوجهم ، خوفا من سطوتهم وعقابهم ، فاذا خان الزمان احدهم عفّ ابن الرومى عن هجائه خوفا من عودته الى السلطة مرة اخرى . ولكن هذه العفة لا تقوم على أساس الخوف وحده ، بل على أساس من كريم الخلق ، فمن اللؤم هجاء انسان تعرض لمحنة . وكم من الشعراء كانوا ينهشون ممدوحيهم السابقين بمجرد تجردهم من السلطة ، وكان البحترى مشهورا بذلك ، فقد هجا نحو اربعين من ممدوحيه السابقين بعد تجردهم من السلطان . وابن الرومى يطمئن الرؤساء من ناحيته ، فهو يرهب الشر ، وهو خبير بأحكام الهجاء: متى يجوز ومتى لايجوز، وهو يقتصر جواز الهجاء على موضعين : الرد على من يهاجيه من اقرانه ، وردع الظالمين الذين يمنعون الفقير حق ما يقتات به . فاذا كان ابن الرومى قد خرج على دستور الهجاء الذى وضعه ، فليس من سبب لهذا الخروج الا ان يكون اضطرارا يستفز الشاعر لهذا الهجاء .

ابن الرومى يهجو ابراهيم بن المدبر

واول من يلقانا من اصحاب المناصب ، ممن هجاهم ابن الرومي بعد مدح ، ابراهيم بن المدبر الكاتب الذى شغل عدة مناصب هامة ، كان من بينها منصب وزير المعتمد . ويترجم له ياقوت فيقول عنه « ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، ابو اسحق الكاتب ، الأديب الفاضل ، الشاعر الجواد المترسل ، صاحب النظم الرائق والنثر الفائق ، تولى الولايات الجليلة ، ووزر للمعتمد ، توفى ٢٧٩ هـ وهو يتقلد ديوان الضياع للمعتضد ببغداد » وقد مدحه ابن الرومى بمناسبة هروبه من سجن الزنج سنة ٢٥٧ هـ ، ولكن يبدو ان ابن المدبر لم يكن كريما مع ابن الرومى بحيث يمنحه جائزة سخية على مديحه ، بل لعله ـ بحكم شاعريته ـ خاض فى نقد شعر ابن الرومى ، ولهذين السببين استحق الهجاء ، ويطالبه ابن

(١) اقذع : أى ارميه بسوء القول (٢) مثابه : عودته (٣) تالله أهجو : أى لا أهجو ، لأن لا تحذف بعد القسم بالله والتاء (٤) حماه بمعنى منعه .

الرومي ـ في بعض هجائه ـ برد قصائد مدبحه فيه ، ولو ممزقة ، يقول :

أرُدُّ عليَّ قراطيسي ممزقـةً
كيما تكون رؤوسا للدماتيج (٥)
فان ذلك أدنى من تشاغلها
بحفظ مدحك باعلج العلاليج

ابن الرومي يهجو احمد بن محمد الطائي

ومن اصحاب المناصب الذين سبق لابن الرومي ان مدحهم ثم عاد فهجاهم ، احمد بن محمد الطائي الذي كان واليا على الكوفة سنة ٢٦٩ هـ ، وظل في منصبه حتى قبض عليه سنة ٢٧٥ هـ كما يذكر المسعودي والطبري في احداث تلك السنة . وقد هجاه ابن الرومي لسببين يزكيان خروجه عن دستوره في الهجاء ، اما السبب الاول فهو مماطلة الطائي في تحقيق وعد قطعه على نفسه باجراء عطاء على ابن الرومي ، والسبب الآخر اختطافه ابن احد الكتاب واتخاذه رهينة بسبب خوفه من القتل في اثناء وزارة ابن بلبل في واسط ، اي حوالي سنة ٢٧٣ هـ ، كما نعلم من تتبع حياة ابن بلبل . يقول ابن الرومي في هجائه للطائي مطمئنا وهو في حمى ابن بلبل :

علجٌ ترقّى رُتبةً فرتبة
ولم يكن أهلا لهاتيك الرتب
فزلّ من تلك المراقي زلة
أصبح منها مُشفيا على العطب
وهكذا . كلُّ ارتقاءٍ في العلا
قريبُ عهد بارتقاءٍ في الكُرَب

بين ابن الرومي وابن بلبل

وعلى الرغم من صلة ابن الرومي القوية بابي الصقر اسماعيل بن بلبل الذي تقلب في عدة مناصب رئيسية ، فكان رئيسا لديوان الضياع في سامرا سنة ٢٥٥ هـ ، وكان وزيرا في ايام الموفق ، وعلى الرغم من مدائح ابن الرومي المطولة فيه في مناسبات مختلفة ، وعلى مدى سنوات كثيرة ـ الا انه ناله بهجائه ، وكان السبب الواضح في ذلك اغفالَ ابن بلبل التعمّدَ لابن الرومي ، ومنعه ما يستحق من جوائز على مدبحه ، فهو يقول له :

ما بال شعريَ لم تُوزَنْ مثوبتُه
وقد قضت منه أوزانٌ وأوزان

ويستخدم ابن الرومي ـ قبل ان يتحول تماما الى هجاء ابن بلبل ـ اسلوبا طريفا في الهجاء يبدؤه بمعنى صريح غاية في الصراحة ، وهو ان مدبحه لابن بلبل ليس نابعا من محبة شخصية او اعجاب به ، ولكن للحصول على عطائه فحسب، يقول :

أظنك خُبِّرْتَ أني امرؤٌ
أبَرُّ الرجالَ بشعري احتسابا
وذلك أحسن ما في الظنون
إذا ما أخٌ بأخيه استرابا
ولو غيرُكَ السائمي ما أرى
تشعبُ للظن فيه شعابا
فقلت : غبيٌّ كسا جهلُه
نواظرَه دون شمسي ضبابا
وران علي قلبه رَيْنُه
فليس يريه صوابي صوابا
أذلك ؟ أو قلت : كان امرءًا
رأى الجودَ ذنبًا عظيما . فتابا ؟
هفا هفوة بالندَى . ثم قال
أنبت إلى الله فيمن أنابا ؟
أذلك ؟ أو قلت : بل لم يزل
أخا البخل إلا عِداتٍ كذابا
مُريغٌ ثناءً بلا نائل
بمَنّي أمانيَّ تُلْفَى سرابا
إلى كل ذاكَ تميل النفو
س . أخطأ ظنٌّ بها أم أصابا

ه : الدسجة : الكأس او الزجاجة .

وابن الرومي في هذه القصيدة يستخدم اسلوبا غير مباشر في الهجاء ، يقوم على الظن والافتراض الذي قد يكون مرده الى الخطأ ، ولكنه بعد كل ظن يقول له : اذلك ؟ وكأنه يريد ان ينتزع منه اعترافا بصحة كل ما افترضه فيه من سوء الظن.

وقد الح ابن الرومي على ادعاء اسماعيل بن بلبل نسباعربيا في شيبان ، وكان ادعاء العروبة بين ذوي الاصول الاعجمية كثيرا منذ القرن الثاني الهجري . يقول ابن الرومي فيه :

عجبت من معشر بعقوتنا
باتوا نبيطاً . وأصبحوا عربا
مثل أبي الصقر . إن فيه وفي
دعواه شيبان – آية عجبا
بيناه علجاً على جبلته
إذ مسه الكيمياء . فانقلبا
عربه جده السعيد كما
حول زرنيخ جده ذهبا
يا عربيا . آباؤه نبط
يا نبعة كان أصلها غربا
كم لك من والد ووالدة
لو غرسا الشوك أثمر العنبا
بل لو بهزان هزة نثرت
من رأس هذا وهذه رطبا
لم يعرفا خيمة . ولا وتدا .
ولا عمودا لها . ولا طنبا

ولم يكن ابن الرومي في هجائه اسماعيل بن بلبل متجنيا ، بل ان هذا الرجل قد اذاقه بحيث جعله يتعرى مشاعره بصورة كاملة ، فاذا بنا امام انسان مظلوم قهره الظلم ، يبيع عصارة فكره ولا يجد من يشترى ، بل ان الممدوحين يحاولون اذلاله واساءة معاملته ، فهو يقول لاسماعيل بن بلبل هذا :

كم نسام الأذى . كأننا كلاب
كم . إلى كم يكون هذا العقاب
كلما جئت قاصداً لسلام
ردني عن لقائك البواب
ما كذا يفعل الكرام . ولا ترضى بهذا في مثلي الآداب
أنا حر . وأنت من سادة الأحرار أهل الحجا المصاص اللباب
وقبيح بعد الطلاقة والبشر بذي المجد نبوة واحتجاب

وجميل من ابن الرومي ان يذكر ممدوحه بانه حر مثله ، وليس عبدا يقرع ، او كلبا يطرد . وهذا الموقف اللااخلاقي من جانب اسماعيل بن بلبل جعل هجاء ابن الرومي ذا نفحة انسانية ، على الرغم من تعبيره عن ذاتيته فهو يقول :

حرمت في سنى وفي مبتغى
قراى من دنيا تضيفتها
لهفي على الدنيا . وهل لهفة
تنصف منها إن تلهفتها ؟
كم آهة قد تأوهتها
فيها . ومن أف تأففتها
أغدو . ولا حال تسفعتها
فيها . ولا حال تردفتها
قبحا لها . قبحا . على أنها
أقبح شيء حين كشفتها
تعسفتني أن رأتني امرءا
لم ترني قط تعسفتها
كدرت النفس . من بعد ما
رفهتها قدما وعففتها
لا طالباً رزقاً سوى مسكة
ولو تعدت ذاك عنفتها
طالبت ما يمسكها مجملا
فطفت في الأرض وطوفتها

ونأكد الجد . فمنيتهـــا
وماطل الحظ . فـوقتهـــا

ما أشد احساس ابن الرومي بعذابه في هذه الدنيا التي لم يرد منها الا ما يمسك عليه حياته ، ومع ذلك يأبى الحظ ان يماطله عن طريق اولئك الممدوحين الذين لا يثيبونه على شعره الرائع ، وليس غير هذا الشعر وسيلة لاكتساب الرزق الشحيح ، الذي لا يحصل عليه الا بعد كد ومعاناة .

الهجاء قصاص الاهمال

ونستفيد مما تقدم ، ومن كثير غيره ان ابن الرومي كان مظلوما في هجائه لممدوحيه السابقين، فقد كان موقفهم منه مخزيا متعفنا وقد صدق العقاد حين قال : « وانت تقلب ديوان ابن الرومي فتقرا فيه عشر قصائد في الشكوى والتذكير والاستبطاء والالحاح والانذار والهجاء ، الى جانب قصيدة واحدة في المدح » .

ويعدد العقاد مواقف الممدوحين المخزية من ابن الرومي ، فاسماعيل بن بلبل يسيء فهم مديحه الرائع فيه ويظنه هجاء ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر يهجو شعر ابن الرومي :

مدحت أبا العباس أطلب رفـده
فخيبني من رفده . وهجا شعري

ويكتب قصيدة في عتاب ابي سهل النوبختي ، فيراها ملقاة في جانب الدار ، وقد خطط في ظهرها بالمداد ، والرياح تتلاعب بها ، ولهذا يقول له :

رقعة من معاتب لك ظلـت
ولها في ذراك مثوى مهـان
سطر العابثون فيها أساطيـ
ر عفت متنها . فمايستهان(٦)
خط ولدانكم أفانين فيها
أو رجال كأنهم ولـدان
وقبيح يجوز كل قبيـح
رقعة من معاتب لاتصـان

وكان ابن الرومي يشعر باستعباد الممدوحين له، فهم يمنون عليه ان قبلوه في مجالسهم ، واحضروه موائدهم ، ويفرضون عليه وفاء العبد للسيد ، والصنيعة لولي النعمة ، ويظنون انهم كفلوه بالعيش الرغيد ، والظل الظليل ، يقول ابن الرومي في ذلك :

إذا امتاحهم أكلة عبدو
ه تعبيد رب لمربوبه (٧)
يخالون أنهم بلغو
ه بالقوت أفضل مطلوبه
وأنهم حرسوا نفسه
به من غوائل مرهوبه
يذيل مضيفهم ضيفه
كملبوسه أو كمركوبه (٨)

ولهذا هجا ابن الرومي ممدوحيه السابقين ، وكان يروي أنهم غافلون عن شعره :

ما خمدت ناري . ولكنهـا
ألفت قلوبا نارها خامـدة

او هم جاهلون لا يفهمون :

ما بلغت بي الخطوب رتبة من
تفهم عنه الكلاب والقردة
وما أنا المنطق البهائم والطيـ
ر سليمان قاهر المردة

وقد بالغ العقاد في الدفاع عن موقف ابن الرومي من هجاء ممدوحيه ، فجعلهم – كلهم او اكثرهم – لصوصا ، لا ينقضي على احدهم في المنصب اشهر او سنوات حتى يعمر بيته بالمنهوب والمسلوب من ارزاق الرعية الضعفاء ،وليست القضية بهذا التعميم ، كما انها ليست قضية لصوصية الممدوحين ، بل هي قضية انسانيتهم المضيعة ازاء هذا الشاعر الذي ذوب عصارة فكره في تمجيدهم ، ولم يقبض منهم الا على هواء ، فعاش مضطهدا كسيرا ، ومات مهضوما مظلوما . ■■

د. محمد مصطفى هدارة

٦) العربي : اهي ، يستهان ، لان ما كتبه فيها العابثون محا متن القصيدة ، فهو غير واضح .
٧) امتاحهم أي استمنحهم ، وعبدوه أي استعبدوه
٨) يذيل هنا بمعنى يهين ، أي انه يهين ضيفه كما يهين ثوبه أو دابته .

استعمال الغاز السائل كوقود للسيارات في روسيا

● بينما تقوم مصانع السيارات في امريكا بابحاث جديدة وعديدة للتخفيف من الغازات الضارة الناتجة عن احراق بنزين السيارات وجعلها اقل تلوثا للجو، يقوم الاتحاد السوفييتي باجراء تجارب على وقود جديد للسيارات يحل محل البنزين لحل مشكلة التلوث . وتتركز هذه التجارب على الغاز السائل ، سواء الغاز الطبيعي او الغاز المصنع .

وابتداء من العام القادم سيبدأ تحويل سيارات النقل في موسكو ، لكي تسير بالغاز السائل بدلا من الوقود العادى . ويبلغ عدد هذه السيارات ٣٥ الف سيارة . وسيتم ايضا استعمال الغاز السائل في سيارات الاجرة التي تجوب شوارع موسكو . ويامل العلماء السوفييت ان يتم تحويل كل السيارات السوفييتية الى استعمال الوقود الجديد بدلا من الوقود العادي بعد تقييم نتائج استعمال سيارات النقل والاجرة للغاز السائل .

وتعتبر هذه البحوث جزءا من البرامج السوفييتية للمحافظة على البيئة من التلوث والتي بدأ تنفيذها منذ عدة سنوات . ومما يذكر ان مدينة موسكو من اقل مدن العالم الكبرى تلوثا ، وقد استطاع علماء البيئة ان يخفضوا نسبة التلوث بالكبريت في اجواء المدينة بنحو الثلث خلال الاعوام الخمسة عشر الماضية .

استغلال الطاقة الشمسية في التدفئة والتبريد

● يتم الآن في بلدة لنكولن Lincoln بولاية ماساشوستس Massachusetts بالولايات المتحدة الأمريكية اقامة بناء كبير ضخم ، اشبه بناطحات السحاب ليكون مركزا رئيسيا لاحدى الجمعيات في الولاية . وقد قام المهندسان المشرفان على المبنى بتصميمه بحيث يتم استغلال الطاقة لتوفير ٨٥٪ من الحرارة اللازمة لتدفئة هذا المبنى وتبريده . وسيتم تخزين الطاقة الشمسية بحيث توفر التدفئة حتى اذا لم تظهر الشمس ثلاثة ايام متوالية . واستخدام الطاقة الشمسية لتدفئة المنازل سبق ان جرب من قبل ، ولكن في مبان صغيرة لا تقارن بهذه البناية الضخمة .

ويعتبر المهندسان ان هذه هي المرة الاولى التي تستغل فيها الطاقة الشمسية لاغراض التدفئة والتبريد في بناء كبير . وان نجاحهما ربما يفتح الباب ، امام استغلال الطاقة الشمسية على نطاق اوسع، وخاصة بعد ازمة النفط الحالية .

حملة ضد الببغاوات الصغيرة في أمريكا

● في اواخر القرن التاسع عشر استوردت الولايات المتحدة اعدادا صغيرة من طائر الزرزور Starlings من اوربا .. وبدات هذه الطيور تتكاثر وتنتشر في جميع انحاء الولايات المتحدة حتى اصبحت الآن اكثر الطيور عددا في امريكا الشمالية وابغضها الى الفلاحين واصحاب المزارع لما تسببه من خسائر في المزروعات والمحاصيل .

واليوم يحذر المسئولون عن الحياة الحيوانية في امريكا من تكرار هذه الظاهرة . ولكن مع نوع جديد من الطيور هو الببغاوات الصغيرة المستوردة من امريكا الجنوبية Monk Parakeet والتي كان الناس يقبلون على اقتنائها في بيوتهم للزينة ، ويبدو ان كثيرا من هذه الببغاوات قد فرت من اقفاصها او اطلقها اصحابها مما جعل المسئولين عن الحياة الحيوانية في امريكا يسجلون وجود اعداد متوسطة من هذه الببغاوات طليقة ومنتشرة في اكثر من ٢٢ ولاية من ولايات امريكا الشمالية . وقد بدات هذه الببغاوات تتكاثر بسرعة وتقيم اعشاشها في هذه الولايات وبالقرب من المزارع بل وحتى المدن الكبيرة ايضا . فقد تم احصاء حوالي ٢٠٠ ببغاء تعيش طليقة في وسط مدينة نيويورك بالرغم من جوها الشتوى المتجمد .

وتقول احصائية نشرت مؤخرا انه تم استيراد اكثر من ٥٠ الف ببغاء من هذا النوع الى الولايات المتحدة خلال الاعوام من ١٩٦٨ - ١٩٧٢ . وان اعدادا كبيرة من هذه الببغاوات تتسرب الى الاجواء طليقة بسبب اهمال من يقتنونها في اقفال الاقفاص عليها .

وتتميز هذه الببغاوات بان لون مقدمة راسها رمادى فاتح بينما يكون ذيلها وجناحاها باللونين الاخضر والازرق . ويبلغ متوسط طول هذا الببغاء ١١ بوصة .

وتعيش هذه الببغاوات عادة في

النساء .. والتعليم العالى

● « في الوقت الذى يعاني فيه العالم من النقص في كل موارده تقريبا ، فمن العار اهدار اى مورد من مواردنا الطبيعية .. ولكن للأسف فان هذا ما يحدث الآن بالضبط ... » بهذه الكلمات بدا التقرير الذى اعدته لجنة كارتيجي للتعليم العالي في الولايات المتحدة الامريكية عن انخفاض نسبة النساء في مستويات التعليم العالى من علمي وادبي بامريكا .

ويقول التقرير ان نسبة كبيرة من مصدر رئيسي من مصادر الانتاج في الولايات المتحدة لا يتم استغلالها .. وان هذا المصدر يوجد بين النساء اللواتي يتمتعن بذكاء ممتاز .. ويدلل هذا التقرير على هذا بالاحصائيات التى تقول انه بينما تكون الفتيات نحو ٥٠٫٤ ٪ من عدد الخريجين من المدارس الثانوية ، فان هذه النسبة تنخفض الى ٤٣٫١ ٪ من عدد الحاصلين على شهادة جامعية ، والى ٣٦٫٥ ٪ من عدد الحاصلين على شهادات الماجستير والدكتوراه .. وتنخفض مرة اخرى لتصبح ٢٤ ٪ من



تجمعات اشبه بالمجتمع الانساني ، فهي تبني اعشاشها كبيرة مشتركة تعيش فيها كمجموعة . وقد تم العثور على بعض الأعشاش الكبيرة التي يبلغ طولها ٦ اقدام وعمقها ٤ اقدام ولها ٨ مداخل .

اما الخطر الذي يحذر منه المسئولون عن الحياة الحيوانية في امريكا من تكاثر هذه الببغاوات فيتمثل في اتلافها للمحاصيل والفواكه وامثالها ، وتكبيدها المزارعين خسائر قد تقدر بملايين الدولارات سنويا . ويقولون في هذا المجال ان الارجنتين وبوليفيا والبرازيل وباراجواي واوراجواي وهي من دول امريكا الجنوبية ، تفقد نحو ٤٥٪ من بعض محاصيلها كبذور عباد الشمس والذرة الرفيعة والحبوب والحمضيات نتيجة وجود هذه الببغاوات باعداد كبيرة هناك . وان الارجنتين مثلا تكافح هذه الببغاوات وتعمل على التخلص منها نهائيا منذ عام ١٩٤٧ ولم يتم لها ذلك حتى الآن .

ويحذر المسئولون الأمريكيون من ان تكاثر هذه الببغاوات قد يسبب كارثة اقتصادية على المحصولات الزراعية في امريكا ، وخاصة ان الببغاوات المستوردة تخضع لشروط صحية معينة قبل السماح بدخولها الى الولايات المتحدة ، مما يجعل جيل الببغاوات الموجود حاليا في اجواء امريكا محصنا ضد الامراض وخاليا منها تماما ، وذلك يساعد على سرعة تكاثرها .

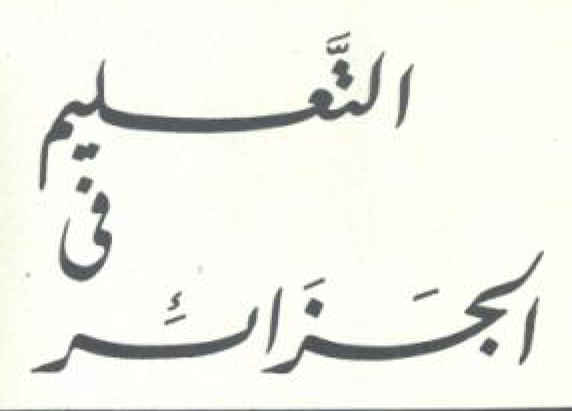
وقد بدا علماء الحيوان في امريكا الآن بوضع خطة لابادة هذه الببغاوات الطليقة وتدمير اعشاشها ، ورميها بالرصاص ، وذلك كاجراء وقائي قبل ان تستفحل المشكلة .

عدد العاملين في التدريس بالجامعات ، والى ٥ر٨٪ من عدد الاساتذة الجامعيين المتفرغين . ويقول التقرير ان النساء العاملات في التدريس بالجامعة يتقاضين اجرا يقل عن الرجال الذين يؤدون نفس العمل بما يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ دولار سنويا .

ويطالب التقرير بازالة جميع العوائق التي تقف امام تقدم المراة في ميدان التعليم العالي ، والقيام باستغلال الطاقات الخلاقة بين النساء مع الاهتمام الخاص بالمشاكل التي يتعرضن لها . ويطالب التقرير باتاحة الفرصة امام النساء بالعودة الى الدراسة الجامعية بعد زواجهن ، ومنحهن اجازات للوضع وتربية اولادهن وغير ذلك من الميزات التي تشجع المراة المتزوجة على استئناف دراساتها العليا . ويقول التقرير ايضا ان القوانين التي تنص على عدم جواز استخدام المراة وزوجها في نفس المؤسسة يجب ان تعدل بما يتيح للمراة المتزوجة العمل في نفس المؤسسة التي يعمل فيها زوجها .

وتنهي اللجنة تقريرها بانه ، حتى واذا اتبعت كل الوسائل والتوصيات للعمل على تشجيع المراة في الدراسات العالية ، فان نسبة النساء الى الرجال في هذا الميدان لن تتساوى قبل عام ٢٠٠٠ .

●●



التعليم في الجزائر

خلال عشر سنوات من الاستقلال

بقلم : سلامة عبد الرحمن

■ عندما زرت المشرق العربي أخيرا في جولة صحفية ، مندوبا عن مجلة «الشباب الجزائرية»، ذهلت للصورة المشوهة التي يحملها عنا اخواننا العرب هناك ، فهم يكادون لا يعرفون عنا سوى اننا شعب" لا يعرف الا الفرنسية" ، ويجهل لغته العربية ، ولهم الحق في ذلك ، اذ ان سنوات الاستقلال الاولى جعلتنا ننطوي على انفسنا ، ونهتم بمشاكلنا الخاصة التي هي تركة" ثقيلة ، وحصيلة" قرن ونيف من الاستعمار الاستيطاني الرهيب .

وقد رايت ان الفت النظر الى الحقيقة التي يجب أن يعرفها كل عربي شقيق ، وهي ان الجزائر بلد عربي مسلم ، والى العروبة تنتسب ، ولم تكن في يوم من الايام متنكرة" لاصالتها العربية ، ولغتها العربية ، ولعل في لغة الارقام ـ وهي تتحدث عن نفسها ـ خير" دليل على صدق عروبتها ، وعلى تمسكها بروحها العربية الطاهرة الخالصة ، وعلى المكانة المرموقة التي تحتلها اللغة العربية في بلادنا، وذلك من خلال المراحل التي قطعها التعليم العربي في بلادنا منذ عام ١٩٦٢ حتى الآن :

وضعية التعليم خلال السنتين ٦٢/٦٣ و ٦٣/٦٤

تعتبر هذه الفترة من اخطر المراحل الحرجة التي مرت بها المدرسة الجزائرية ، شانها في ذلك شان" المصالح الرسمية الاخرى على اختلافها ، نتيجة" لمغادرة الاطارات الاستعمارية للبلاد وبقاء المناصب شاغرة ، وانتشار الامية بين ابناء الشعب ، وخاصة باللغة العربية ، فهي تبلغ ٨٩٪ وامام خطورة الوضعية اتجهت الانظار الى الاهتمام بفتح المدرسة الجزائرية ، لاستقبال التلاميذ ، اعتمادا على الاطارات التعليمية القليلة التي لبت نداء الواجب . ولم يكن الهدف ـ بطبيعة الحال ـ التعليم" ، بقدر ما كان الهدف افشال المخططات الاستعمارية اللئيمة التي كانت ترمي الى احداث فوضى ، وبالتالي الى الارتماء من جديد في احضان الاستعمار . وهكذا تم قبول كل من تقدم بطلب للعمل بالتعليم ، دون خضوع لاية شروط تذكر ، فتمكنت بذلك المدرسة الجزائرية في ٦٢/٩/١ من فتح ابوابها خلال التراب الوطني لابناء الجزائر المستقلة . وقد التحق بها ... ٧٧٢ تلميذ يقوم بتعليمهم ١٩٩٠٨ معلم. وبالرغم من ان التعليم كان يتخبط في مشاكل لا حصر لها ،



احتلت اللغة العربية مكانتها، وعربت السنوات الابتدائية، والمواد الاساسية في التعليم الثانوى والجامعة .

نتيجة للضعف الذى كان يسوده ، وعدم التنظيم، وقلة الاطار ، ونقصان الوسائل التربوية والمادية من كتب ووسائل ايضاح ـ فقد كانت هذه المرحلة اعدادا وتهيئة للمرحلة التى تلتها .

وضعية التعليم خلال السنوات من (٦٤/٦٥) الى (٦٩/٧٠)

تعتبر هذه السنة حدا فاصلا للفترة الانتقالية الحرجة التى مرت بها المدرسة الجزائرية خلال السنتين الماضيتين ، فقد عرف القطاع التربوى النظام الادارى لاول مرة فى تاريخ المدرسة الجزائرية ، بظهور مديريات التربية والثقافة فى الولايات ، ومفتشيات التعليم الابتدائى والمتوسط فى الدوائر ، وقيام الدولة الجزائرية الفتية باستيعاب عدد كبير من الاشقاء المعلمين العرب من سوريا وفلسطين والاردن والعراق ولبنان ومصر وتونس والمغرب والبلدان الصديقة ، واستيراد كمية هائلة من الوسائل التربوية والكتب العربية. وقد نجم عن هذا ان عرفت المدرسة الجزائرية الاستقرار الحقيقى لاول مرة ، وخطواتها الواعدة على الطريق تنطلق ثابتة ، وارتفع عدد المقاعد فيها وهكذا ارتفع عدد التلاميذ على النحو المفصل فى الجدول رقم (١) .

ومن الجدول المنشور فى اسفل الصفحة يمكن ان نعرف التطور الحقيقى الذى مرت به المدرسة الجزائرية من ١٩٦٤/١٩٦٥ لغاية ١٩٧١/١٩٧٢،اذ ارتفع فيه عدد التلاميذ والمعلمين ، وازداد عدد المنشآت المدرسية واستحدثت دور المعلمين ومعاهد التعليم العالى لتخريج الاساتذة ، وانشاء جامعتين جديدتين : احداهما فى ولاية وهران ، واخرى فى ولاية قسنطينة، وثلاثة معاهد لتكوين مدرسي التعليم المتوسط ، فتخريج مدرسي التعليم الاعدادى . انظر الجدول رقم (٢) .

وقد نتج عن هذا التطور فى التعليم العربي بالجزائر،أن احتلت اللغة العربية مكانتها،وعربت السنوات الابتدائية ، ومعظم السنوات الثانوية ، والمواد الاساسية فى التعليم الثانوي والجامعة .

الجدول رقم (١)

السنة الدراسية	التعليم الابتدائى	التعليم الثانوى	التعليم العالى
١٩٦٢ ـ ١٩٦٣	٧٧٢ر...	٤٧ر...	١ر...
١٩٧٠ ـ ١٩٧١	١ر٨٥٠ر...	٢٤١ر...	١٨ر...
١٩٧١ ـ ١٩٧٢	٢ر١٠٠ر...	٣٠٥ر...	٢٥ر...

وصدر مرسوم رئاسي يقضي بان يكون عام ١٩٧١ سنة التعريب والعربية ، وعلى كل مواطن ان يتعلم العربية مهما تكن وظيفته او سنه .

وتقرر عدم ترقية اى موظف او ترفيعه ، او قبول اى موظف جديد ابتداء من عام ١٩٧١ اذا لم يكن حائزا على الشهادة الابتدائية باللغة العربية ، او مستوى السنة الاولى الاعدادية ، فانتشرت بذلك المدارس الليلية في المدن والقرى والارياف والمزارع ، وبرز الى الوجود عدد كبير من الصحف العربية الناطقة باللغة العربية ، منها « مجلة الشباب ، وجريدة الشعب ، ومجلة آمال ، ومجلة الثقافة ، ومجلة المعاهد الاسيوعية ، ومجلة الوان ، ومجلة الاثر ، وجريدة النصر اليومية ، والحلقة » وتحولت الجزائر من اقصاها الى ادناها حركة متواصلة من العمل الجدى الايجابي ، لاعطاء اللغة العربية مكانتها اللائقة بها في الادارات والمؤسسات الوطنية ، وفي القطاعين الاشتراكي والخاص .

كما تم تاسيس الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، وعدة مطابع عصرية لطباعة الكتب والمؤلفات . وبدات حركة فكرية ثقافية عربية لاشك ان صداها سيبلغ الآفاق العربية قريبا ان لم يكن قد وصل .

وضعية التعليم خلال سنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣

بلغ عدد التلاميذ في التعليم الابتدائي في هذا العام ٢ر٢٥٤ر٤٢٨ تلميذا اى بزيادة ١١ر٧٪ بالنظر الى الارقام التي احصيت بعد الاستقلال (٧٧٢ر٠٠٠) . وبعبارة اخرى ، نجد عدد تلاميذ الابتدائي قد زاد بمثله في ظرف عشر سنوات . وبهذا الصدد اشير الى انه سيتم بناء خمسة آلاف حجرة جديدة . وازاء هذه الزيادة في عدد التلاميذ فان عدد المعلمين باللغة العربية يرتفع باستمرار ، اذ بلغ هذا العام ٥٥ر٩٠٠ معلم ، مقابل (١٩ر٩٠٨) معلم سنة ١٩٦٢ . اما التعليم الاعدادى والثانوى فيبلغ عدد التلاميذ فيهما على اختلاف شعبهم ٥٤٨ر٥٠٠ وبالنظر الى سنة ١٩٦٢ – زاد الحجم في هذا المستوى سبعة امثاله . اما البنايات المدرسية فقد تم منها بناء عشرين (٢٠) اعدادية ، وست ثانويات ، وثلاثة معاهد تكنولوجية . وبلغ عدد مدرسي التعليم المتوسط والثانوى هذه السنة ١٥٥٣٠ معلم .

ولا بد ان اشير هنا الى ان عدد المعلمين من الاشقاء لم يزل مرتفعا في هذا القطاع . اما بالنسبة للامتحانات فيبلغ عدد الحاصلين على الشهادة الاعدادية بالعربية ١٦ر٢٦٢ من التلاميذ في النظام الازدواجي اى بنسبة نجاح تبلغ ٤٨٪ و ١١٤٤٥ من التلاميذ في النظام المعرب اى بنسبة نجاح تبلغ ٣٨ر٢٠٪ .

اما عدد الناجحين في البكالوريا المزدوجة فيبلغ ٦ر٢٠٠ من التلاميذ (نجاح بنسبة ٤٩ر٥٪) وفي البكالوريا المعربة ١١٦٨ من التلاميذ (نجاح بنسبة ٤٧ر٧٪) وفي البكالوريا التكنية ٦٢٢ تلميذ (اى بنسبة ٦٨ر٣٪) ، وبلغ عدد نسخ الكتب الخاصة من تاليف وطني عربي جزائرى – وهي خاصة بالتلاميذ – ٤ر٢٥٠ر٠٠٠ كتاب من بينها ٣ر١٣٠ر٠٠٠ باللغة العربية ، وبلغ عدد الكتب

الجدول رقم (٢)

السنة	عدد التلاميذ	نسبة الزيادة	اناث	ذكور
١٩٦٤ – ٦٥	١ر٢١٥ر٠٤٧	٥٠٪	٤٦٣ر١٣٠	٧٥١ر٩١٧
١٩٦٥ – ٦٦	١ر٣٢٢ر٢٠٣	١١٦ر١٦٦	٥٠٤ر٥٢٢	٨٢ر٧٥١
١٩٦٦ – ٦٧	١ر٣٧٠ر٣٥٧	٣ر٩٥٤	٥١٣ر١١٥	٨٥٧ر٢٤٢
١٩٦٧ – ٦٨	١ر٤٥١ر٧٧٩	٨١ر٤٢٢	٥٤٤ر٧٧٩	٩١ر٧٠٠
١٩٦٨ – ٦٩	١ر٥٥٠ر٩٨٩	٢٩ر٢١٠	٥٧٤ر٣٧٩	١ر٠٥٨ر١١٠
١٧٦٩ – ٧٠	١ر٦٨٩ر٠٢٣	١٣٨ر٣٠٤	٦٣٠ر٨٧٠	١ر٠٥٨ر١٥٤
١٩٧٠ – ٧١	١ر٨٥١ر٤١٦	١٦٢ر٣٩٣	٧٠٠ر٤٢٤	١ر١٥٠ر٤٩٢
١٩٧١ – ٧٢	٢ر٣٠٠ر١٥٠	٤٤٨ر٧٤٤	٦٠٪	٧٥٪

الخاصه بالمعلمين ...ر٨٧ كتاب من بينها ...ر١٩ باللغة العربيــة ، وبلغ عدد المعدات الخاصــة بتجهيز الاقسام ...٢٥٠ وسيلة عصرية في الابتدائي و ١١٠٥٧٠٥ في الثانوى والمتوسط .

وعلي ذكر التعليم الاعدادي المتوسط والثانوى اذكر ان المعاهد العليا لتخريج المدرسين بدات تعطي ثمارها، والجدول رقم (٣) يبين هذه الثمار بوضوح

وقد ساعد هذا التخرج على الاستغناء عن الاطار المتعاقد في التعليم الابتدائي ، والغى تعاقد كافة المدرسين الاجانب من فرنسيين وبلجيكيين وغيرهم ، واصبح التعيين في التعليم الابتدائي مقتصرا على الاطار الجزائرى المعرب ، واقتصر التعليم المتوسط الاعدادى على الاطار العربي المتعاون هذا العام .

وفيما يلي قائمة بالمعاهد الخاصة بتكوين الاطارات التعليمية للتعليمين الابتدائي والثانوى .

ا ـ المعاهد التكنولوجية للتعليم الابتدائيوتكوين المعلمين والمدرسين .

١ ـ معهد مصطفى خالف ، بابن عكنون ، بالجزائر العاصمة .

٢ ـ معهد خميس مليانة ، بولاية الاصنام .

٣ ـ معهد ولاية المدية .

٤ ـ معهد بنين ولاية تيزى وزو

٥ ـ معهد بنات ولاية تيزى وزو

٦ ـ معهد بنين ولاية قسنطينة .

٧ ـ معهد بنات ولاية قسنطينة

٨ ـ المعهد المختلط لباتنه

٩ ـ معهد ولاية عنابة

١٠ ـ معهد العلمة ولاية سطيف

١١ ـ معهد بنين وهران

١٢ ـ معهد بنين ابفيل ايزان

١٣ ـ معهد بنات وهران

١٤ ـ معهد مختلط مستغانم

١٥ ـ معهد ولاية تلمسان .

١٦ ـ معهد ولاية سعيده

١٧ ـ معهد ولاية تيارت

١٨ ـ معهد بشار

١٩ ـ معهد الاغواط .

ب ـ المعاهد التكنولوجية لتكوين مدرسي التعليم المتوسط (الاعدادى) .

١ ـ معهد بوزريعة للبنين / ولاية الجزائر العاصمة

٢ ـ معهد ابن عكنون للبنات / ولاية الجزائر العاصمة

٣ ـ معهد وهران بنين / ولاية وهران

٤ ـ معهد وهران بنات / ولاية وهران

٥ ـ معهد قسنطينة المختلط / لولاية قسنطينة

ومن المقرر ان تقوم هذه المعاهد بسد حاجات المدرسة الجزائرية من الاطار المعرب خلال الثلاث السنوات القادمة على ابعد حد ، حيث من المتوقع ان يستغنى عن الاطار المتعاون نهائيا . وواضح من هذا ان التعليم العربي في الجزائر يشق طريقه نحو الغاية المثلى، وان اللغة العربية المعبرة عن اصالة الشعب الجزائرى ـ قلبا وقالبا ـ تحتل مكانتها اللائقة بها ، وانه لم يعد هناك مجال للخوف من خطر الاستعمار الفكرى ، ذلك انالشعب الجزائرى الذى حققالاستقلالالعسكرى والاقتصادى والسياسي يعمل الان جاهدا لتحقيق الاستقلال الفكرى ، حيث بدات بوادر الثورة الثقافية تعطى ثمارها ، وهي الثورة التي انطلقت على اساس عربي سليم ، من اجل بعث نهضة عربية ، وثقافة عربية حية في الجزائر العربية .

■■

سلامة عبد الرحمن/الجزائر

الجدول رقم (٣)

السنة الدراسية	التعليم الابتدائي		المجموع	التعليم الاعدادى	المجموع
	مساعدون	مدرسون		مدرسون	
١٩٧٠ ـ ١٩٧١	١٧٨	٣٧٨١	٣٩٥٩	٦٤٥	٤٥٠٤
١٩٧١ ـ ١٩٧٢	٩٨٠	٤٠٥٤	٥٠٣٤	١٣٤٧	٦٣٨١

العربي : للجزائر تهنئتنا بما بلغته من تعريب في التعليم ، هو دعامة الاستقلال الكبرى .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

هذا هو الصومال وثرواته

● انضمت الصومال الى جامعة الدول العربية ، فأصبحت بذلك الدولة العربية رقم ٢٠ فنرجو اعطاءنا لمحة سريعة عن هذا البلد العربي الجديد وثرواته ؟

جعفر الموسى /المكلا/اليمن

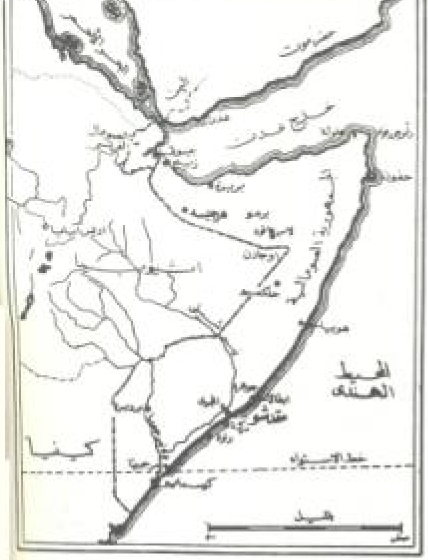
ـ جمهورية الصومال الديمقراطية هي دولة فتية اعلن مولدها في اليوم الاول من شهر يوليو عام ١٩٦٠. بعد فترة عشر سنوات قضتها تحت الوصاية الدولية .. وفي ٢١ اكتوبر ١٩٦٩ استولى مجلس ثوري مكون من قوات الجيش والشرطة على مقاليد الحكم فيها ، واستعان بوزارة من المدنيين لمساعدته في حكم البلاد ..

وقبل هذا التاريخ كان الصومال منقسما الى خمسة صومالات ، ترمز اليها الاطراف الخمسة للنجمة البيضاء التي تتوسط الرقعة الزرقاء في علم الصومال .. وهذه الصومالات الخمسة كانت: الصومال الايطالي ، فالبريطاني ، فالفرنسي ، فالكيني ، فالحبشي .. كانت كلها ارضا واحدة تخضع لامر سلطان زنجبار ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وبعدها جاء المستعمرون الاوربيون واستولوا على البلاد ، قسموها واقاموا الحدود، تفصل بين الاخ واخيه .

وجمهورية الصومال الحالية تشمل اراضي الصومالين الايطالي والبريطاني فقط ، وعاصمتها مقديشو .. وعدد سكانها ٢٫٩٤٠٫٠٠٠ نسمة (تقدير الامم المتحدة عام ١٩٧٢) الا ان الاهالي يقدرون عددهم باكثر من خمسة ملايين نسمة .

ومما يذكر ان المنطقة التي كانت تعرف باسم الصومال الايطالي هي اغنى الصومالات الخمسة ، ومساحتها ١٨١ ٦٢٥ ميلا مربعا وعدد سكانها نحو ١٫٢٧٠٫٠٠٠ نسمة .. وكان سلطان زنجبار قد تنازل عن موانيها لايطاليا عام ١٩٠٥ مقابل ١٤٤ الف جنيه استرليني !!

اما الصومال البريطاني فمساحته ... ٦٨ ميل مربع وله ساحل يمتد ٤٥٠ ميلا على خليج عدن ، وهو اقليم جاف حار يعيش فيه نحو ... ٧٥٠



اغلبهم من الرعاة، وعاصمته كانت مدينة هرجيسة ، واهم موانيه زيلع وبربره ، وهي موانيء صغيرة..

والاقتصاد الصومال ضعيف ، يعتمد على المساعدات التي تأتيه من مختلف انحاء العالم ، من : الولايات المتحدة ، وروسيا ، وايطاليا ، ومصر..واهم اعمال الاهالي تربية الماشية والزراعة .. اما منتجات الصومال الرئيسية فتشمل البخور واللبان ، والسكر ، والموز ، والسرجوم Sarghum وهو نبات شبيه بالذرة ، والصمغ ، والجلود ، والقبك Kapok ، وهي الياف حريرية ..

اما معادن الصومال فما زال اغلبها غير مستغل ، وتشمل الحديد ، والقصدير ، والجبس ، والحجر الرملي والبوكسيت Bauxite وهو خام الالومنيوم ، والمرشوم Meerschaum وهو معدن قوامه سليكات المغنيسيوم تصنع منه غلايين التدخين ، ومعدن التيتانيوم Titanium وهو عنصر فلزي ، وغيرها من المعادن .

وفي عام ١٩٦٨ اعلنت حكومة الصومال عن اكتشاف رواسب كبيرة من اليورانيوم في اراضيها.

(لزيادة المعلومات عن الصومال انظر استطلاعنا في العدد رقم ٤١ من العربي) .

(س. ز)



الرتب العسكرية في البلاد العربية وما يقابلها في دول الغرب والشرق

● هل لكم أن تذكروا لنا أسماء الرتب العسكرية للضباط في البلاد العربية وما يقابل هذه الرتب في المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي لو أمكن .

وليد الشابي ـ دمشق

ـ ان الرتب العسكرية للضباط في البلاد العربية تشتمل على ١١ رتبة تماما كما في جيوش الدول الغربية وخاصة بريطانيا وفرنسا وامريكا اما في روسيا فان هناك ١٤ رتبة وفي الصين توجد ١٥ رتبة .

وسنذكر في اجابتنا على سؤالك الرتب العسكرية العربية متدرجة من الرتبة الصغرى والتي تمنح للضابط بعد تخرجه من الكليات العسكرية وما يقابلها في الغرب والشرق مع توضيح الخلاف الذي قد يوجد في بعض الاحيان .

يبدأ سلم الرتب العسكرية في البلاد العربية برتبة الملازم ويقابلها في المعسكر الغربي رتبة 2nd Lieutenant ، وكذلك في روسيا والصين .

ويلي ذلك رتبة ملازم اول ويقابلها ايضا في اغلب دول المعسكرين الغربي والشرقي رتبة First Lieutenant ما عدا في بريطانيا فهي Lieutenant ، ويوجد في الجيش الروسي رتبة Senior First Lieutenant ولا يقابلها رتبة من الرتب العربية او الغربية .

والرتبة التالية نقيب ويقابلها رتبه Captain في كلا المعسكرين ورتبة الكابتن في الصين تنقسم الى فئتين فئة عادية وفئة اخرى تسمى Senior Captain

ويلي ذلك رتبة رائد ويقابلها رتبة Major

ثم رتبة مقدم ويقابلها Lieutenant Colonel

ورتبة عقيد ويقابلها في كلا المعسكرين Colonel

ورتبة عميد ويقابلها في كل من امريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا Brigadier Colonel

اما في الصين فيطلق على هذه الرتبة Senior Colonel.

ورتبة لواء ويقابلها في كل من امريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين رتبة Major General

ثم تأتي رتبة فريق ويقابلها في كلا المعسكرين رتبة Lieutenant General ، ويلي ذلك رتبة فريق اول ويقابلها رتبة General ، ثم رتبة « مشير » ويقابلها في امريكا General of the Army

وفي انجلترا Field Marshal ، وفي فرنسا Marshal of France وهي تعتبر ارقى رتبة في السلك العسكري العربي وكذلك في البلاد الغربية، اما في الاتحاد السوفيتي فهناك بعد رتبة المارشال رتبة Chief Marshal ، وكذلك رتبة مارشال الاتحاد السوفيتي Marshal of the Soviet Union وفي الصين تلي رتبة المارشال رتبة المارشال الاعلى Supreme Marshal

ولسهولة المقارنة نورد لك الجدول الآتي :

ملازم	Second Lieutenant
ملازم اول	First Lieutenant
نقيب	Captain
رائد	Major
مقدم	Lieutenant Colonel
عقيد	Colonel
عميد	Brigadier General
لواء	Major General
فريق	Lieutenant General
فريق اول	General
مشير	Marshal or General of the Army.

(م. ط)

مستقبل التجارة بين روسيا وأمريكا

● بلغ حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ١٦١ مليون دولار سنة ١٩٦١ . ولكنه ما لبث ان ارتفع الى ٥٤٧ مليون دولار سنة ١٩٧٢ . ثم قفز التعامل التجاري بين الدولتين العظميين حتى بلغ ٥٥٠ مليون دولار في الاشهر الخمسة الاولى فقط من سنة ١٩٧٣ ، ومن يدري فقد يكون حجم هذا التعامل قد بلغ ١٥٠٠ مليون دولار او يزيد عندما انتهت تلك السنة سنة ١٩٧٣ .

على ان هذه الارقام الضخمة لاتلبث ان تتضاءل اذا قيست بابعاد التعاون الصناعي بل المشاريع الصناعيةالتي تقوم بتنفيذها في الاتحاد السوفياتي شركات امريكية شتى .

فشركة جنرال موتورز ، على سبيل المثال ، ماضية منذ منتصف سبتمبر الماضي في انشاء مصنع كبير للسيارات في سيبيريا .وسيختصهذا المصنع بانتاج سيارات الشحن وسيكون اكبر مصنع لهذه السيارات في العالم كله . اما تكاليف انشاء هذا المصنع فستبلغ نحو ٥٠٠ مليون دولار. وجدير بالذكر ان العمل ماض منذ حين في انشاء مصنع آخر لسيارات الشحن ، هو مصنع كاما ، وذلك بالقرب من موسكو . على ان هذا المصنع اصغر كثيرا من مصنع سيبيريا بدليل ان تكاليفه لن تجاوز ٢٢٠ مليون دولار . هذا بالرغم من ان عدة شركات امريكية تتعاون في تنفيذه .

ولا يقف هذا التعاون الصناعي عند مصانع السيارات . فقد ظفرت شركة البيبسي كولا بعقد احتكاري مدته عشر سنوات . وينص هذا العقد على تزويد الاتحاد السوفياتي بنحو ٧٢ مليون زجاجة بيبسي كولا سنويا . لاعجب اذن ان اقامت هذه الشركة الامريكية مصنعا كبيرا للتعبئة في بلدة نوفورد سيسك الروسية .

اضف الى ذلك ان المصرف الامريكي المعروف (تشيز منهاتان) قد انشا فرعا له في موسكو وراح يمد الحكومة السوفياتية بالمعونات المالية والتسهيلات الائتمانية ، وقد بلغت بمجموعها حتى نهاية السنة الماضية (١٩٧٣) نحو ١٠٠ مليون دولار .

وتجدر الاشارة هنا الى التفاهم الذي تم بين شركة أوكسيدنتال بترولوم الامريكية وبين السلطات السوفياتية على التعاون التجاري والصناعي على اوسع نطاق ممكن .

ولا يعرف ان كان هذا التعاون الاقتصادي بين الدولتين العظميين سيكتب له الازدهار بل كل الاستمرار او لا . فالقرار الذي اتخذه الكونجرس الامريكي يقضي بحرمان الاتحاد السوفياتي وضع الدولة الاكثر رعاية يشكل عقبة كبيرة في طريقهذا التعاون . وثمة عقبة اخرى اكبر وامر ، وهي مواسم الحبوب الطيبة التي جناها الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٧٣ ، وقد بلغت بمجموعها نحو ٢٢٢ مليون طن. ذلك ان مواسم الحبوب الروسية كانت رديئة جدا سنة ١٩٧٢ . ولولا رداءتها تلك لما اضطر الاتحاد السوفياتي لاستيراد ما قيمته نحو ٧٠٠ مليون دولار من قمح الولايات المتحدة ، ولما اضطر ايضا للتعامل التجاري معها على النطاق الواسع على نحو ما ذكرنا .

(ى. ز)

امين الريحاني

● أمين الريحاني مؤلف كتاب « ملوك العرب » ارجو اعطائي نبذة عن الكاتب ورحلاته في العالم العربي مع الاشارة الى كتبه الاخرى ان كان له منها شيء ؟

عبد الله بن حسن الاسمري ـ المملكة السعودية

ـ لقبوه « فيلسوف الفريكه » .. ولو لقبوه اديبا او مفكرا لكانوا اقرب الى التعريف به وانصافه ، فحظه من الادب الاصيل والتفكير المستقل واضح في جملة مؤلفاته التي تزيد على العشرين ، وحظه فيها من الفلسفة غير واضح ، الا اشارات لا تدل على تعمق في دراسة الفلسفة ولا بصيرة خاصة فيها ، ثم هو لا يخلو من ميول صوفية . والفريكة التي تنسب اليها قرية بلبنان، فيها ولد في ١٨٧٦/١١/٢٤ ، وفيها نشأ وتعلم القراءة والكتابة والمزامير ، واليها كان يعود من رحلاته التي كانت تطول او تقصر في انحاء العالم غربا وشرقا ، واستقر فيها تقريبا قبل نحو سنتين من وفاته في ١٩٤٠/٩/١٣ وفيها دفن عن ٦٤ سنة وقد شيد اهله هناك سنة ١٩٥٦ متحفا خاصا يضم جميع آثاره .

في صيف سنة ١٨٨٨ هاجر مع شقيق له الى نيويورك ، فأتقن الانجليزية قبل العربية ، وتعلم

رحـالة العرب



التمثيل ، وأتم تعلمه بدراسة الحقوق ، وفي سنة ١٨٩٨ عاد الى لبنان لمدة سنة كان يعلم فيهـا الانجليزية ويتعلم العربية حتى أتقنها ، ثم عاد الى نيويورك فبقي فيها خمس سنوات تعلم فيها شيئا من اصول الرسم والتصوير ، وشرع يكتب المقالات في الصحف هناك ، ويؤلف الكتب، ومنذئذ حتى وفاته وهو يتنقل بين امريكه وغيرها لا سيما نيويورك . تزوج في سنة ١٩١٦ من فتاة امريكية، كانت مثله مصوّرة كاتبـة ، فأسعدته في حياته وأعماله .

ومن أشهر اعماله الأدبية الباكرة ترجمته الى الانجليزية بعض شعر المعري ، وكان شـديد الاعجاب والتقدير له ، كما كان معجبا بالصوفي الكبير ابن عربي ، فتردد ذكرهما والاستشهاد باقوالهما في كثير من كتاباته ، وكان ينزع منازعهما الى محبة الانسانية والدعوة اليها ، وكان شديد الاهتمام بقومه العرب ، ومناصرة قضاياهم بقدر ما يستطيع أن يراها ويجاهد لها ، فدعا الى اتحاد ملوك الجزيرة العربية وامرائها حتى العراق، وناصر قضية فلسطين منذ نشوئها ، فقـاوم الصهيونية في امريكا بخطبه ومقالاته ، لتبقى فلسطين خالصة لاهلها ، وزاد اهتمامه بقضايا العرب عقب الثورة العربية في الحجاز ضد الاتراك سنة ١٩١٥ ، وقد ساح في اقطار الجزيرة العربية سنة ١٩٢٢/١٩٢٣ ممتطيا الجمال والخيل وغيرها، فطوف في الحجاز واليمن ولحج وامارات الخليج العربي والعراق ، وكتب في ذلك سنة ١٩٢٤ كتابه « ملوك العرب » في جزءين بلغا اكثر من ٨٧٠ صفحة ، كما طوف في المغرب والاندلس قبيل وفاته فكان كتابه « المغرب الاقصى سنة ١٩٣٩ في نحو ٦٨٠ صفحة ، وزار كثيرا من اقطار اوربا والمكسيك والهند وايران ومصر » .

وكان يتقن الفرنسية أيضا ، وان كانت كتابته بالانجليزية والعربية ، وكان بارعا في الكتابـة والخطابة والنظم بهما ، وله كثير من المقالات في الصحف ولا سيما الامريكية والانجليزية ثم العربية .

وفي كل البلاد التى زارها اتصل ببعض رؤسائها وأهل الرأى فيها ، وقد لقى كثيرا من التكريم ، فاقيمت له الحفلات واهديت له بعض الأوسمة تقديرا له ، وكان عضوا في عدة مؤسسات ثقافية في امريكا ، وقيل أن الفرنسيين عرضوا عليه رئاسة الجمهورية اللبنانية قبيل وفاته ، فاباها.

(م.خ.ت)

تحويل التقويم الهجرى الى ميلادى

● كان العربي تناول موضوع التحويل الذى تطلب في أعداد سابقة ، كان آخرها (عدد يناير ١٩٧٠ رقم ١٣٤ صفحة ١٨٢) .. وقـد أعطى المعادلتين التي يتم بواسطتها التحويـل في كلا الاتجاهين . وتوخيا للفائـدة نعطى فيمـا يلـي المعادلتين :

التاريخ الميلادى = ٣٢/٣٣ (التاريخ الهجرى + ٦٢٢)

التاريخ الهجـرى = ٣٣/٣٢ (التاريـخ الميلادى ـ ٦٢٢)

ولا يخفى ان الرقم (٦٢٢) يمثـل السنة الميلادية التي هاجر فيها النبي مكة الى المدينة . فهو اذن بداية التقويم الهجرى .

ولما كانت كل ٣٣ سنة قمرية تساوى ٣٢ سنة شمسية ظهر هذان الرقمان في المعادلتين على نحو ماترى .

بقي . ولا بد لك من الرجوع الى الجداول المفصلة للحصول على هذه أو تلك . واليك فيما يلي ثلاثة من هذه الجداول ..

(١) « التوفيقات الالهامية » ... تأليف محمد مختار باشا .

(٢) التقويمان الهجري والميلادي تأليف فريمان ـ جرنفيل وترجمة الدكتور حسام الألوسي .

(٣) أطلس التاريخ الاسلامي تأليف هاري زارد وترجمة ابراهيم زكي خورشيد .

هذا الى جانب مراجع اخرى أجنبيه ولم تترجم الى العربية لكتاب وستنفلت وماهلر ...

(ى. ز)

مصادر بروتين جديدة لتغذية الانسان

بقلم : الدكتور ابراهيم المدفع

معهد تغذية الانسان بجيسن/بالمانيا الاتحادية

■ تثبت البيانات الاحصائية الصادرة عن منظمة الغذاء والزراعة Food and Agriculture Organisation (FAO) التابعة لهيئة الامم المتحدة ـ ان انتاج المواد الغذائية في بلدان العالم النامية لا يستطيع مجاراة السرعة المذهلة التي يتزايد بها تعداد سكان الكرة الارضية . لقد ارتفع المعدل السنوي لتزايد سكان العالم في الثلاثين عاما الماضية من ٠٫٤٪ الى ١٪ ليصل في بعض المناطق (كالهند ، وبعض اجزاء امريكا الجنوبية ..) ٢٪ . واذا استمر تزايد عدد سكان العالم بهذه السرعة ، فان تعدادهم في سنة ٢٠٠٠ سيصل حوالى ٦٫٤ مليارد ، وهذا يعني

جدول رقم (١)

تزايد عدد السكان في مناطق مختلفة من العالم (بالمليون) ماخوذ عن CREMER

المنطقة	سنة ١٩٦٠	سنة ٢٠٠٠	الزيادة بالمائة
اوربا	٦٢٤	٩٤٥	١٥٢
الولايات المتحدة الامريكية	١٩٢	٣٢٥	١٦٩
غرب افريقيا	٨٥	١٧٨	٢١٠
شرق افريقيا	٦٨	١٥٣	٢٢٥
جنوب اسيا	٥١٠	١٢٧١	٢٤٩
شمال افريقيا	٢٥	٧٢	٢٨٧
غرب امريكا الجنوبية	٤٥	١٥٣	٣٠٨
امريكا الوسطى	٥٧	١٨١	٣١٩
البرازيل	٦٦	٢١٩	٣٢٤
الدول النامية	٢١٦١	٥١٠٠	٢٥٠
الدول الصناعية	٨٥٢	١٣٥٠	١٦٠
العالم	٣٠١٣	٦٤٥٠	٢٢٠

* ماخوذ عن محاضرة القاها المؤلف في المؤتمر السنوي ، لجمعية الزراعة الالمانية (DLG) Deutsche Landwirchfth Gesellscaft ولجامعة جيسن Giessen ، المنعقد فيها في الفترة من ١٠/٩ ـ ١٩٧٢/٩/١٢



والحيوان

ان الارض ستكون حتى ذلك الحين ماهولة باكثر من ضعف سكانها في الوقت الحاضر ، وذلك كما يبين الجدول رقم (١)

في الدول النامية يعيش قرابة ٧٠٪ من سكان الكرة الارضية (هذا يبلغ ٣ر٢ مليارد) ، يتهدد الجوع ما يقرب من ٢٠٪ منهم وذلك لندرة المواد الغذائية اللازمة ، كما ان حوالي ٦٠٪ من سكان هذه المناطق يقاسون من امراض نقص التغذية بسبب عدم توفر الكميات الكافية من بعض المواد الغذائية الهامة : مثل الفيتامينات والاملاح المعدنية ، وبالدرجة الاولى البروتينات .

ان مشكلة توفير البروتين لاكثر تعقيدا من مشكلة توفير المواد الغذائية ومصادر الطاقة الاخرى .

يقدر متوسط ما يحتاجه الانسان من البروتينات (على مستوى العالم) بحوالي ٥٠ ـ ٧٠ جم يوميا على ان يكون نصفها ـ حوالي ٣٠ جم ـ من مصدر حيواني كاللحوم والاسماك والبيض .. وذلك حسب توصيات الـFAO . وفي الحقيقة ان الاستهلاك الفعلي للبروتينات في كثير من مناطق العالم لم يستطع ان يرقى الى هذا الحد الذى يتوخى الوصول اليه ، وذلك كما يبين الجدول رقم (٢)

والسبب في ذلك يكمن في عجز اجزاء كثيرة من العالم عن سد احتياجاتها من البروتينات من مصادر محلية تعتمد على المنتجات الزراعية وغيرها .

ولتحسين الحالة الغذائية في الدول النامية ـ وبالذات توفير الكفاية من البروتين ـ يجد الانسان نفسه مضطرا ، ليس فقط للاعتماد على تطوير

جدول رقم (٢)
استهلاك البروتين في بعض مناطق العالم
ماخوذ من BALINT

العلامة × تشير الى قيمة ، اقل من المتوسط العالمي .

المنطقة	الاستهلاك الكلي جم/يوم	بروتين حيواني جم/يوم	
شمال افريقيا	٦٦	١٠	×
غرب ووسط افريقيا	٥٠	٥	×
شرق وجنوب افريقيا	٦٩	١٧	×
جنوب اسيا	٥٠	٧	×
امريكا الوسطى	٥٨	١٤	×
استراليا ونيوزيلندة	٩٤	٦٦	
غرب اوروبا	٨٣	٣٩	
المتوسط العام	٧٠	٣٠	

الزراعة مستعينا باستخدام طرق الانتاج الحديثة والميكنة ـ وانما الى جانب ذلك لا بد من التفكير في ايجاد وسائل اخرى (ربما جديدة) تسهل الحصول على البروتين الجيد بطرق مجزية .

حتى يومنا هذا تكشفت التجارب عن عدة وسائل يمكن بواسطتها انتاج مصادر اغذية جديدة ، تمتاز بكونها غنية بالبروتينات . وعموما يجب ـ حال التوصية باستخدام احدى هذه الوسائل ـ مراعاة العوامل التالية :

١ ـ يجب ان تكون المواد الخام اللازمة لتجهيز هذه الاغذية الجديدة متوفرة ، كما يجب ان لا

تكون على درجة من الندرة يتعسر معها الحصول عليها مستقبلا .

٢ ـ يجب ان تكون هذه المواد الخام نقية ، وبهذا نضمن الحصول على ناتج نهائي نقي جيد .

٣ ـ يجب ان تكون القيمة الغذائية للمصادر البروتينية الجديدة مرتفعة ، ليتيسر عن طريقها معالجة مشكلة نقص البروتين . وهنا يجدر بنا تحديد ما يفهم من القيمة الغذائية لاي مادة غذائية :

أ ـ اتزان نسبة البروتينات الى الطاقة (بروتين / سعرات) ، اذ يجب ان يشكل البروتين ١٥ ـ ٢٠٪ من القيمة الحرارية (السعرية) الكلية .

ب ـ ان يكون المحتوى البروتيني للمادة الغذائية مرتفعا .

جـ ـ ان تكون القيمة الحيوية لهذه البروتينات عالية ، والقيمة الحيوية تبين مدى تشابه بروتين اى مادة غذائية من حيث التركيب الكيميائي مع بروتينات الجسم ، او بمعنى ابسط انها تبين مدى استفادة الجسم من هذه البروتينات .

د ـ سهولة الهضم ، وتيسر عملية الامتصاص .

٤ ـ يجب ان تكون المادة الغذائية الجديدة خالية من المركبات السامة او الضارة بالصحة على وجه العموم ، كما يجب ان لا يسبب تناولها اي مضاعفات .

٥ ـ واخيرا يجب ان تكون المصادر الغذائية الجديدة مستساغة .

مصادر جديدة للبروتين

والآن يمكننا ان نعرض لامكانيات الحصول على مصادر للبروتين جديدة :

اولا : مصادر بروتينات جديدة جيدة يحصل عليها من مخاليط لبروتينات نباتية معروفة :

في سبيل حل لمشكلة نقص البروتينات في العالم ، تركزت انظار العلماء وجهودهم اول ما تركزت على المنتجات الزراعية المتوفرة ، وبالذات المحتوية منها على نسبة عالية من البروتين ، وان كانت القيمة الحيوية لها غير مرتفعة مثل البقوليات وانواعها (وهي المساة في بلادنا « لحم الفقير ») مثل اللوبيا ، والفاصوليا والحمص والفول وغيرها وكذلك الحبوب بانواعها مثل القمح والذرة والارز وغيرها .

وقد يرجع الاتجاه للبروتينات النباتية كمواد خام في تصنيع مصادر بروتينية جديدة الى عاملين :

اولهما : توفر هذه المنتجات الزراعية ، وكذا سهولة انتاجها في مناطق جغرافية مختلفة .

وثانيهما : الرغبة الملحة في تغطية الاحتياجات البروتينية لملايين البشر من النباتيين Vegetarians ، الذين يمتنعون عن تناول الاغذية الحيوانية المصدر ، وذلك لاسباب دينية .

لهذا نجد ان الهند وبعض دول آسيوية اخرى تهتم في تنشيط وتطوير هذه الصناعة الجديدة في معهد التغذية الخاص بامريكا الوسطى وبنما Institute of Nutrition for Central America and Panama ويسمى اختصارا (I N C A P) تم تجهيز العديد من مخاليط بروتينات نباتية تسمى اجمالا انكابارينا Incapurina او انكاب Incap (التسمية ماخوذة عن الحروف الاولى لاسم المعهد) تميز عن بعضها برقم مسلسل يعطى لكل مركب جديد . فمثلا المخلوط انكاب رقم Incap No. 14 ١٤ يحتوي على ٥٩٪ طحين ذرة ، ٣٩٪ فول الصويا محمص (معامل بالحرارة) ، ٢٪ خميرة .

ومن المعروف الان ان ثمار وبذور الزيت (مثل بذرة القطن ، وبذرة السمسم وغيرها) تحتوى ـ الى جانب الزيت ـ على كميات عالية من البروتينات . لقد جرت العادة منذ القدم على ان تستعمل مخلفات صناعة الزيوت كوقود ، واحيانا في بعض المناطق كسماد ، الا انها تستخدم منذ وقت قصير كعلف للحيوان وذلك بعد معاملات خاصة تقتصر غالبا على التسخين ، لهدم بعض المواد ذات التاثير السام مثل الجوسيبول Gossypol ، الموجود في بذرة القطن ، واخيرا تبين انه من الممكن استعمال هذه كمصدر للبروتين في تغذية الانسان .

ان المخاليط النباتية تعطى في الناتج النهائي نسبة من البروتين تبلغ ٢٠ ـ ٤٠٪ وهى تعرف وتحضر في كثير من مناطق العالم المختلفة وتختلف عن بعضها اسما وتركيبا ، وفي الجدول رقم (٢) نعرض لمجموعة منها :

جدول رقم (٣)
مخاليط بروتينات من مصادر نباتية
نســـبة البروتين فى الناتـج النهائى ٢٠ ــ ٤٠٪ (ماخوذ عن CREMER)

اسم المخلوط	المنطقة الشائع استعماله فيها	مكونات المخلوط
١ ــ انكابارينا (انكاب) Incaparina	جواتيمالا	دقيق ذرة ، بذور قطن ، خميرة ، فيتامينات ، املاح
٢ ــ غذاء عديد الغرض (MPF) Multi Purpose Food	الهنــد	دقيق الفول السوداني ، بازيلاء ، الفيتامينات ا ، ب، ، ب٢ ، أملاح .
٣ ــ ساريديلى Saridele	اندونيسيا	مستخلص فول الصويا ، سكر ، الفيتامينات ب، ، ب ١٢ ، جـ ، املاح .
٤ ــ سوبرو Supro	شرق افريقيا	دقيق الذرة او الشعير ، خميرة ، لبن مجفف .
٥ ــ بروتو نوترو Protunutro	جنوب افريقيا	ذرة ، فول الصويا ، الفول السوداني ، لبن مجفف ، خميرة ، فيتامينات .

ان اقبال المستهلك على البروتينات الحيوانية (لحوم بانواعها ، أسماك ..) يرجع الى تاثر المستهلك بطعم ورائحة اللحوم مثلا ، الى جانب مظهرها المغرى ، وتركيبها المميز . وقد توقع علماء التغذية ان اقبال المستهلك على البروتينات نباتية المصدر (وهذه يكثر انتاجها حتى فى كثير من الدول النامية) سيزداد حتما لو نجحنا فى جعل هذه مشابهة للحوم مثلا فى الطعم والتركيب .

وحقيقة فقد كشفت نتائج الابحاث لعلماء الاغذية فى امريكا عن امكانية تجهيز مركبات بروتينيـــة مضغوطة على شكل انسجة والياف اللحم ، مزودة بطعمه ونكهته سميت (البروتين النباتي المنسوج) (T V P) Textured Vegetable Protein الا ان من عيوب هذه ان تكاليف انتاجها ما زالت عالية . وفى بداية عام ١٩٧٣ اختفت او سحبت هذه المنتجات من الاسواق ، مع استمرار البحث فى تحسين وتطوير الانتاج حتى يمكن بيعها باسعار تتلاءم مع القدرة الشرائية لذوى الدخل المنخفض.

صيد البحر

ثانيا : صيد البحر :

يعتبر من أجود مصادر البروتينات المعروفة . وهنا تساءل الكثيرون : لماذا لا نتجه لزيادة كفاءة اساطيل الصيد ، ورفع انتاجية محطات تصنيع الاسماك ؟

اجابة على هذا السؤال نقول ان عديدا مـن الشركات العالمية (فى الدول الاوربية ، الولايات المتحدة ، اليابان ، الاتحاد السوفيتى) اقبلت منذ وقت ليس بالقصير على صيد كافة انواع الحيوانات البحرية ، لدرجة أن بعض هذه الانواع قدانقرض فعلا ، وانواعا أخرى تترك الان بموجب توصيات دولية ، وذلك محافظة على نوعها من الانقراض . تقوم هذه الشركات بتجفيف وطحن كميات هائلة من الاسماك وخلافها لانتاج « طحين السمك » Fish meat الذى يستعمل غالبا فى تغذية الحيوان كما ان جزءا منه يدخل بصورة او باخرى فى تغذية الانسان .

وفى الواقع لا يمكن الاعتماد على البحر كمصدر دائم لهذه البروتينات الجيدة ، ذلك لان معين كثير من البحار من الثروة السمكية بدأ ينضب ، وكما ذكرنا سابقا ان بعض الانواع من الاسماك والحيوانات البحرية الاخرى بدا فعلا فى الانقراض ان لم يكن قد انقرض .

كما ان اجمالى كميات الصيد فى العالم يبلغ ٦٠ مليون طن فقط ولا يمكن رفعها الى اكثر من ١٠٠ مليون طن فى السنة ، هذا اضافة الى تعذر أو

استحالة الصيد في كثير من البحار بسبب تلوث مياهها بمخلفات النهضة الصناعية القائمة على شواطئها .

الكائنات الحية الدقيقة

ثالثا : مصدر اخر للبروتينات جديد على مسامع مناطق كثيرة من العالم ، لكنه ليس بالجديد على مناطق اخرى ، حيث يعرف فيها منذ أقدم عصور التاريخ ..

انه الكائنات الحية الدقيقة Microorganisms

في مطلع القرن العشرين ، وعندما بدات الصناعات الكيميائية تحقق نجاحات باهرة ، اعتقد الكثيرون ، أن بامكان الكيمياء والكيميائيين تخليق كل شيء وتحضيره صناعيا ، حتى البروتينات لتكون غذاء المستقبل الرخيص . وقبل حوالي ٦٥ سنة كتب عالم الكيمياء الالماني اميل فيشر E. Fischer برفض مثل هذه الاعتقادات والتخمينات متشككا في احتمال تحقيقها .

واليوم .. نجد عددا كبيرا من علماء التغذية والكيمياء والميكروبيولوجي الذين يخالفون الكيميائي فيشر في الراى ، ولا يقبلون مثل هذه الاعتقادات وحسب ، بل يحاولون جهد الطاقة تحقيقها املين بذلك الوصول الى حل لمشكلة تهدد وجــود كثير من سكان الكرة الارضية ، معتمدين بذلك على القدرة الفنية في التصنيع ، وقد تجلت في امامنا هذه على أوضح صورها .

وقد يتساءل البعض : لماذا الاحياء الدقيقة ؟ او بمعنى اخر : لماذا بروتينات من الكائنات الحية الدقيقة ؟

كثير من الناس يرفض الكائنات الحية الدقيقة كمصدر للبروتين او كغذاء بصفة عامة وذلك لان اسمها Microorganisms او الميكروبات Microbes يتضمن البكتريا Bacteria وخلافها . كما يرفضها البعض بشده عندما يعرفون ان بعض الانواع ـ وبالذات تلك التى تعطى اكبر الانتـــاج من البروتينات ـ تنمو وتنتشي فعلا على مشتقات الزيوت المعدنية لذلك فقد اصر الاستاذ C.Wilson في معهد التكنولوجيا MIT بالولايات المتحدة الامريكية Massachusetes Institute of Technology على تسمية البروتين الذى يحصل عليه من الاحياء الدقيقة «بروتين ذوات الخلية الواحدة» Single Cell Protein اختصارا S C P ، وليس بروتين الميكروبات او بروتين البكتريا ، وذلك رغبة منه في حماية هذا المصدر الجديد للبروتين من دواعي النفور ، والتى هي نفسية فقط وتتعلق كما ذكرنا بتسميتها .

والاحياء الدقيقة التى يمكن استعمالها لانتاج البروتين تستطيع النمو على بيئات مصـــدرها الفضلات الزراعية (مثل مخلفات مصانع الاغذية والالبان) والصناعية (مخلفات مصانع الورق ومحطات تكرير وتصنيع البترول) على السواء ، والتى ان لم تعدم بوسيلة او باخرى (بالحرق مثلا) فانها تسبب مشاكل بيئة كثيرة .

من الاحياء الدقيقة التى تستعمل فعلا في الانتاج نذكر :

١ ـ طحالب Algea : ومنها اجناس تستعمل في فرنسا ، واخرى في المانيا الاتحادية في محطات تربية الطحالب ، وكذلك في ميسور بالهند ، وفي تايلاند (اسيا) وبيرو (امريكا الجنوبية) ، وتعطى الطحالب اكبر الانتاج في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية وذلك لطول الفترة الضوئية (لطول النهار) .

٢ ـ بكتريا Bacteria ، وتستعمل منها اجناس متعددة بعضها ينمو على الزيت المعدني ومشتقاته .

٣ ـ خمائر Yeasts ، ومنها اجناس تربى على بيئات تحتوى على السكر ، واخرى علـى مخلفات صناعة الورق كما في المانيا الاتحادية وجنس اخر بانواعه ينمو على الزيت المعدني وقد تبنت انتاجه شركات بترولية كثيرة British Petrol .

حقيقة ان فكرة استخدام نموات الاحياء الدقيقة كمواد غذائية وكمصدر للبروتين في تغذية الانسان والحيوان ليست بالجديدة ، فمثلا كان خبز فلاحي ايسلند Iceland ، يحتوى على جزء من الطحالب البحرية المجففة المطحونة . كما انهم كانوا يتركون مواشيهم على شاطىء البحر في وقت الجزر لتلتقط كثيرا من النباتات والطحالب البحرية التى تقذفها الامواج صوب اليابسة . وفي تشاد Chad بالقرب من بحيرة تشاد Chad Lake يجمع السكان هناك نوعا من الطحالب يسمى Spirolina لياكلوه خضراوات ، وهذا قد لفت انتباه شركات فرنسية وامريكية لبحث خواص هذا الكائن الحي وانتاجه بكميات كبيرة . اما في اليابان فتؤكل الطحالب

جدول رقم (٤)

مقارنة الفترة اللازمة لمضاعفة الوزن لمصــادر بروتينية مختلفة (البيانات تستند على أســاس احصــائى) (ماخوذ عن REY and MAUROM)

المصدر	الزمن اللازم
١ ـ احياء دقيقة (بكتريا ـ خمرة ـ طحالب)	١ ـ ٩ ساعة
٢ ـ نباتات راقية (حبوب ـ بقوليات ـ درنات)	١ ـ ٤ اسبوع
٣ ـ الكتاكيت	١ شهر
٤ ـ الخنازير	٤ شهور
٥ ـ البقــر	اكثر من سنتين

على اختلاف انواعها كجزء رئيسي من غذاء اليابانى وذلك منذ اقدم عصور تاريخ تلك المنطقة .

والخمائر نجدها منذ القدم في كثير من اطعمتنا التى نجهزها مثل الخبز والمنتجات اللبنية وغيرها. في وقت الازمات الاقتصادية التى اجتاحت دول العالم بسبب الحربين العالميتين استخدمت الخميرة من انواع مختلفة تتبع جنس (Candida) Torula في كل من بريطانيا والمانيا كمصدرين للبروتين ، وبنهاية الحرب ومع تحسين الاحوال الاقتصادية لم يعد بهذه البلاد حاجة لانتاج المزيد من هــذه الخمائر .. الى ان تنبه العاملون فى مجال التغذية الى الدور الهام الذى قد تلعبه الخميرة فى تغذية الحيوان فعاودوا انتاجها بغزارة، اذ تجاوز الانتاج العالمى قبل سنتين حوالى ٢٥٠ الف طن سنويا .

ان انتاج العالم من الخميرة وبالذات من تلك التى تنمو على مشتقات الزيوت المعدنية يتزايد بشكل ملفت للنظر ، ففى هذا المجال مثلا تعمل كل من بريطانيا ، فرنسا ، تشيكوسلوفاكيا ، الاتحاد السوفيانى ، الهند ، تايوان (فرموزة) ، الصين الشعبية وغيرها.وشركة البترول الانجليزية (BP) British Petrol لوحدها تملك محطات لانتاج هذه الخميرة فى جنوب فرنســا وفى سكوتلانده تنتج الاولى ١٦ الف طن سنويا والثانية اقل قليلا ، تستغل كلها تقريبا فى تغذية الحيوان . واما شركة اسو ، بالاشــتراك مــع مصــانع الاغذية والالبان التابعة لشركة مستقلة Nestle فتجرى تجارب باجتهاد على تنقية هذه البروتينات لانتاج بروتينات تصلح لتغذية الانسان .

مزايا الاحياء الدقيقة

وعلى العموم تتميز الاحياء الدقيقة اذا ما استخدمت كمصادر للبروتين على مصادره النباتية والحيوانية المعروفة فيما يلى :

١ ـ الاحياء الدقيقة تتكاثر بسرعة اكبر ، حيث تبلغ الفترة اللازمة للجيل الواحد فى البكتريا ٠٫٥ـ٢ ساعة ، الخميرة ١٫٣ ساعة وللطحالب حوالى ٩ ساعات وذلك كما يبين الجدول رقم(٤).

٢ ـ فى الاحياء الدقيقة يسهل الحصول على تغيرات وراثية (طفرات) Mutations عن طريق معاملات طبيعية أو كيميائية ، مثل هذه الطفرات تسهل الحصول على عدد كبير من الاصــنــاف Varities التى تحمل صدفاتا مرغوبة .

٣ ـ تحتوى الاحياء الدقيقة على نسبة عالية من البروتين يصل فى البكتريا ٥٠ ـ ٨٠٪ وفى الخميرة ٥٠ ـ ٧٠٪ وفى الطحالب ٢٠ ـ ٦٠٪ (محسوبا كبروتين خام) .

٤ ـ تعتبر الاحياء الدقيقة من المصادر الجيدة لبعض الفيتامينات . فالخميرة مثلا تعد من اغنى المصادر المعروفة فى فيتامينات المجموعة ب ، وخصوصا الفتامين ب١ . اما الطحالب فتحتوى الى جانب فيتامينات ب كميات كبيرة من مولد فيتامين أ الذى يعرف باسم بيتا كاروتين B.Carotin وكذلك فيتامين أ . واما البكتريا فتحتوى بعض انواعها على كميات كبيرة (نسبيا) من فيتامين ب١٢ (حوالى ٦٤ ميكروجرام لكل ١ جم).

■■

ابراهيم المدفع

رعاية الشباب
في الكويت
كم هي اليوم ، وكم ترجى غدا

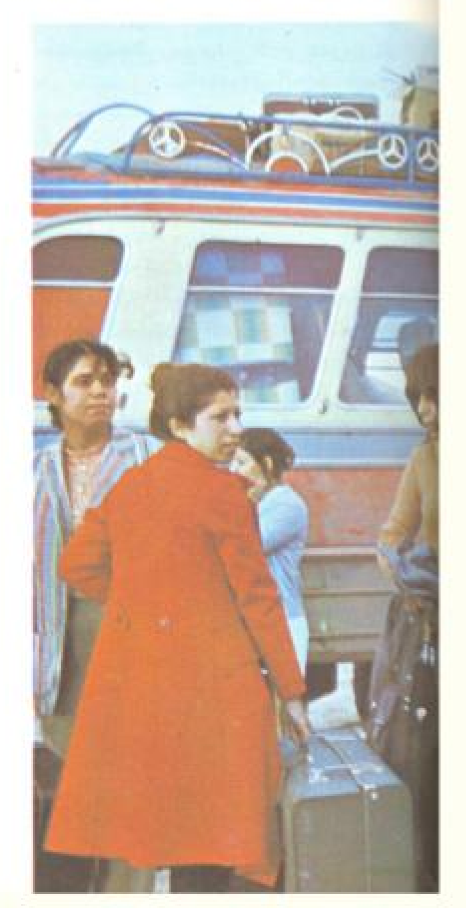
استطلاع بقلم :
منير نصيف



هنالك ثلاث جهات حكومية مسئولة مسئولية مباشرة عن رعاية الشباب في الكويت ، وهي وزارة الشئون الاجتماعية ووزارة التربية ، وادارة جامعة الكويت **والصورة العليا** لفريق الملاكمة في الجامعة ، وهي رياضة مستحدثة أما الصورة**(الى أسفل)**فلمجموعة من الطالبات العراقيات اللواتي استضافتهن بيوت الشباب في الكويت .



السيد حمد مبارك العيار وزير الشئون الاجتماعية والعمل قال لنا : « بذلت الدولة وما زالت تبذل كل جهد في سبيل توفير كل الوسائل التي من شأنها حماية الشباب ورعايته في هذه السن الحرجة ..»



■ الشباب ، هذه المرحلة الجميلة من مراحل عمر الانسان على الارض ، رجلا كان ام امراة .. الشباب الذي نعيشه فلا نكاد نشعر به ولانحس بلذته ، حتى اذا ولى ، رحنا نذكر ايامه الحلوة ، ونردد ما قاله الشاعر :

الا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

والشباب هو المرآة التي تعكس صورة صادقة للمجتمع الذي يعيش فيه الفتى وتعيش فيه الفتاة ..وهو يمثل مشكلة في كل المجتمعات ، ولكن هذه المشكلة تختلف من بيئة الى اخرى ، ومن مكان الى مكان ، فهي تتباين وتتفاوت ابعادها ، طبقا لظروف الحياة التي تسود المجتمع الذي نشأ فيه الشباب ، وتقاليد هذا المجتمع وعاداته ومدى ما حققه من اسباب التقدم والرقي والحضارة ..

حتى في البلد الواحد نجد ان هناك اختلافا اساسيا بين شباب الريف وشباب الحضر ..

ولو ان هذا الراى لا يمكن أن نتخذ منه قاعدة، نبنى على اساسها حكمنا على الشباب .. ذلك ان علماء التربية والاجتماع يشيرون دائما باصابعهم الى البيت .. الى الأسرة في الريف او في الحضر.

جهود الحكومات

ان مشاكل الشباب تستأثر باهتمام الدول ، كل الدول ، لانهم حاضرها ومستقبلها وأملها في غد اكثر رفاهية واشراقا ..

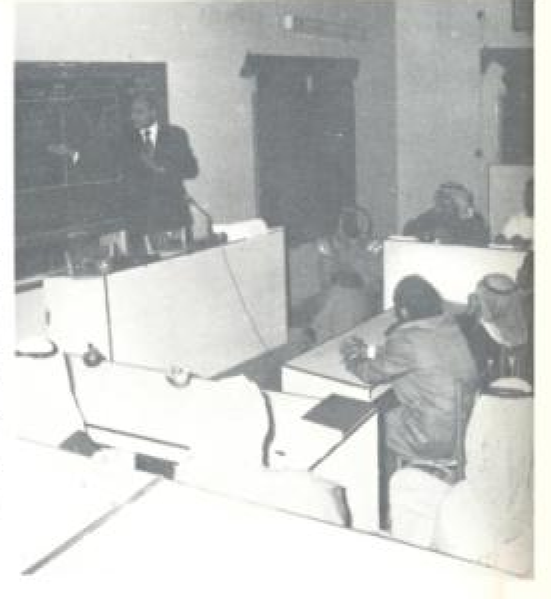
من أجل هذا تخصص الحكومات القدر الكبير من جهدها ومالها لرعاية شبابها ، ولتوفير كل الوسائل التي من شانها أن تساهم في بناء جيل جديد صالح قادر على مواجهة تحديات الحياة ، والمساهمة في بناء بلاده وتقدمها وحضارتها ..

ولكن ما هي طبيعة هذه المشاكل ؟

ولعلنا نجد فيما قاله أحد كبار علماء التربية وعلم النفس الاجابة على هذا السؤال ، فقد كتب فيما كتب في كتابه « عالم المراهقين » ، أن مشاكل الشباب هي مجموعة من العوامل النفسية التي تسبب لهم الكثير من المعاناة في هذه السن المبكرة من حياتهم .. وعلى عاتق الوالدين اولا ثم المدرسة ثانيا تقع مسئولية تخليص الشباب من الكثير من العقد التي يعانون منها .. فهذه العوامل التي تؤثر على نفسية الشباب ليست عقدة مزمنة لا يمكن حلها .. فهي في واقع الامر لا تحتاج الى اكثر من تخصيص جانب من وقت الآباء للتعرف على مشاكل ابنائهم ، ومساعدتهم في التغلب عليها ، وهذا بطبيعة الحال يتطلب قدرا من الصبر والاحتمال ، وبذل اكبر جهد ممكن لكسب ثقة الأبناء لكى نشجعهم على اللجوء الينا كلما شعروا

المعسكرات العلمية ومعسكرات العمل للشباب من المهام التي تضطلع بها وزارة الشئون الاجتماعية والعمل، وفي يوم ١٥ فبراير الماضي، افتتح السيدعبد الرحمن المزروعي مدير ادارة رعاية الشباب بالوزارة المعسكر العلمي الثاني للشباب بالتعاون مع جامعة الكويت ، لدراسة البيئة الصحراوية . ويرى السيد المزروعي (الثالث من اليمين) ، يحدث الشباب ويؤكد ضرورة الاستمرار في اقامة هذه المعسكرات التي تتيح للشباب فرصة التعرف على بيئتهم والالتقاء في جو من الدراسة وممارسة اساليب البحث العلمي تحت اشراف الاساتذة المتخصصين .





مركز اعداد القادة الرياضيين ، وهو تابع لوزارة الشئون الاجتماعية ، ومهمته تخريج الرياضيين في مجالات الادارة والتنظيم والتحكيم والتدريب ، وصقل مواهب العاملين في الميدان الرياضي وتزويدهم بأحدث التطورات في النظم والاساليب التي تؤدي الى رفع المستوى الرياضي ودعمه .. ويستضيف المركز كبار الاساتذة من مختلف انحاء العالم .. والصورة لمحاضرة في قانون كرة اليد يلقيها الاستاذ صلاح عبد القادر (عميد شرطة) وهو حكم دولي ، ووكيل اتحاد كرة اليد في مصر .

انهم في حاجة الى توجيه او نصيحة او مساعدة .. »

الفراغ .. المشكلة الاساسية

على أن هناك مشكلة ظاهرة في حياة الشباب .. كل الشباب، وهي الفراغ ، في رأي علماء التربية، المشكلة الكبرى التي واجهت وتواجه كل شاب بالامس واليوم وفي كل يوم .. فهي مشكلة عرفناها وعشناها جميعا،وعاشها آباؤنا واجدادنا من قبلنا، ولكنها ازدادت خطورة ونحن ننتقل بسرعة من عصر السلحفاة والتنقل على ظهور الدواب ، الى عصر السفر الى الكواكب في الفضاء !

مقدمة سريعة تقودنا الى موضوعنا اليوم وهو رعاية الشباب في الكويت ..

والذي لا شك فيه أنها كانت طفرة سريعة قوية، تلك التي نقلت الكويت من عصر الى عصر ، ومن حياة الى حياة ، ومن ماض حافل بقصص الكفاح من اجل البقاء ، الى حاضر مزدهر مليء بالعمل والانتاج والتقدم ، بعد ان كشفت الارض عما في جوفها من خير عمّ البلاد فحولها الى واحدة من اغنى دول العالم !

ونتوقف هنا قليلا لنتساءل : « ما هي مشكلة الشباب اذن في دولة الكويت ؟ » .

وزير الشئون الاجتماعية يتحدث

وفي مكتب السيد حمد مبارك العيار وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، تلقينا الجواب على تساؤلنا عندما استقبلنا مرحبا ، قال الرجل المسئول عن رعاية الشباب في الكويت : أنتم تريدون أن تعرفوا مشاكل شبابنا ، وانا اقولها لكم بصراحة .. ان هناك اسبابا رئيسية كثيرة وقد نذكر منها المال الذي تمتليء به جيوب بعض الشباب هؤلاء هم الذين قصدهم الشاعر بقوله :

ان الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أي مفسده

فمن هؤلاء من يشترون السيارات وينطلقون بها في حموة شبابهم في شوارع البلاد وطرقاتها وكانهم في ميدان للسباق .. ان الاحصائيات التي تعلنها ادارة المرور تقول ان نسبة كبيرة من حوادث المرور سببها طيش الشباب الذين يقودون سياراتهم بسرعة هائلة في قلب المدن ! ولكن لو نظرنا الى الشباب الكويتي عامة كثير المال وقليله وجدنا أن الفراغ وحده ، هو المشكلة التي يشكو منها كل شاب . »

ومضى الوزير يقول : « ومن أجل هذا بذلت الدولة وما زالت تبذل كل جهد في سبيل توفير كل الوسائل التي من شانها ان تحمي شبابنا وترعاه في هذه السن الحرجة من حياتهم .. وهي رعاية اجتماعية وثقافية ورياضية الهدف منها اولا وآخرا توجيه الشباب الى ما فيه خير البلاد ونفعها، بحيث يصبحون عنصرا عاملا في بناء بلادهم ونهضتها ..

ثلاث جهات مسئولة عن رعاية الشباب

« ان هناك ثلاث جهات حكومية مسئولة ، مباشرة عن رعاية الشباب في الكويت .. وهي وزارة الشئون ووزارة التربية وأخيرا الجامعة .



رعاية الشباب ليست مقصورة على الشباب الكويتي وحده ، فهي تشمل أيضا الشباب الوافد الى الكويت ، من الطلبة والطالبات الذين يأتون زائرين للتعرف على هذا الجزء من وطنهم العربي الكبير ومن أجل هذا أقيمت بيوت الشباب للجنسين ، **(والصورة العليا)** لطالبة انجليزية جاءت مع زوجها في رحلة سياحية ، فقدم لها المشرف على بيوت الشباب الأخ سليمان يوسف الاشوك غرفته الخاصة **(أما الصورة السفلى)** ، فهي لمجموعة من الطلبة الزائرين في حفل سمر بالحديقة المحيطة ببيوت الشباب.



مجموعة أخرى من الطالبات الزائرات في القاعة المخصصة لهن في بيوت الشباب .. ويقول السيد وزير الشئون الاجتماعية : « هناك اهتمام بتطوير بيوت الشباب حتى نستطيع أن نساهم في تعريف الشباب العربي وغير العربي بهذا الجزء من الأمة العربية »

في مراكز رعاية الشباب ، يمارس الطلبة من سن ست سنوات حتى ١٧ سنة ، نشاطاتهم الرياضية والاجتماعية والثقافية ، وفي الكويت الآن اربعة مراكز سوف يتضاعف عددها قريبا ، كما ستقام مراكز جديدة لرعاية الشابات ، وستكون الاولى من نوعها . وفي الصورة طالب يمارس الرسم في مركز الفيحاء.



عرض سينمائي اثناء محاضرة في مسرح الجامعة لطلبة وطالبات كلية العلوم .. كجزء من النشاط الثقافي الذي تشرف عليه ادارة الجامعة .. ان الاختلاط قائم وموجود في الرحلات والندوات الثقافية ، كما قال لنا السيد عبد احمد يعقوب ،ومن رايه ان يبدأ الاختلاط في قاعة المحاضرات اولا .

والجهة الاولى تقدم خدماتها للشباب عن طريق مراقبتين ، الاولى ، مراقبة الهيئات الاهلية وهي تضم الاندية الرياضية ، والاتحادات الرياضية كذلك، ثم اللجنة الاولمبية وجمعيات النفع العامة.

« اما المراقبة الثانية ، فهي مراقبة خدمات الشباب،وتشمل مراكز رعاية الشباب ،ومعسكرات الشباب ، والجوالة ، وبيوت الشباب وحدائق الشباب .

« ويكفي أن تعلموا بعد هذا أن الدولة تدفع عن طريق وزارة الشئون الاجتماعية والعمل مبلغ ٢٨ الف دينار سنويا لكل ناد من الاندية الرياضية في الكويت وعددها ١٤ ناديا ، لمساعدتها على المضي في رسالتها على الوجه الاكمل .. وهذه الاعانة تدفع للاندية بغض النظر عن مستوى النادي أو عدد المشتركين فيه من الرياضيين ..

ثم قال الوزير : « لا تنسوا بعد هذا الجوائز التشجيعية التي تقدم للفرق الرياضية الفائزة في المباريات ، وتقدر قيمة هذه الجوائز بما يزيد على الستين الف دينار سنويا ، ثم هناك الى جانب ذلك كأس سمو امير الكويت ، والجوائز المالية التي تقدم مع الكأس للنادي الفائز وقيمتها ثلاثة الاف دينار ، الى جانب الجوائز التشجيعية التي يقدمها ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء.»

جهود الدولة لن تتوقف

قلنا نسأل الوزير : « وهل نجحت هذه الجهود الكبيرة في اجتذاب الشباب الى النوادي، وحل مشكلة الفراغ ؟ »

وقال الوزير : « لا شك أن هذه الاندية والمباريات الرياضية التي تقام فيها قد ساهمت الى حد كبير في شغل أوقات الفراغ عند شبابنا وامتصاص جانب من طاقته واحب أن أضيف الى هذا أن جهودنا لن تتوقف عند هذا الحد ، فقد قطعنا شوطا ، وشوطا كبيرا في هذا المجال ، وفي كل مجتمع مشاكل ، ولكن المهم أن تقوم الدولة بدراسة هذه المشاكل وان تعمل على حلها ..

« ونحن من جانبنا سوف نمضي في بناء المزيد من النوادي الرياضية ، ومن مراكز رعاية الشباب، وسنقوم بتأثيثها ، وتجهيزها بالمعدات اللازمة ، واود ان اضيف الى ذلك ان هناك دراسات تجرى الآن لافتتاح اول مركز من نوعه لرعاية الشابات في الطفولة من سن ٦ سنوات الى ١٧ سنة ، أسوة

بمراكز رعاية الشباب،وسيكون هذا المركز الجديد الذى نامل له النجاح باذن الله ، نواة لمراكز اخرى كثيرة للشابات في مختلف انحاء الكويت . »

مراكز رعاية الشباب

قلنا : « لقد لاحظنا من خلال جولتنا السريعة بين النوادى ومراكز رعاية الشباب ، ان هذه الاخيرة لم تعد كافية لاستيعاب الاعداد المتزايدة من الشباب الذين يرغبون في الاشتراك فيها وممارسة هواياتهم ونشاطاتهم .. فقد شيد اول مركز ، وهو مركز الفيحاء في عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، ثم شيد بعده ثلاثة مراكز اخرى في مناطق الدعية والقادسية والشامية ، وبعدها توقف بناء المزيد من هذه المراكز ، رغم النجاح الذى حققته ، ففيها تخرج العديد من النجوم في شتى المجالات الرياضية والفنية ! »

وقال الوزير : « ان هذا الموضوع لم يغب عن بالنا ، فقد وجدنا بالفعل ان هناك العديد من المناطق التي حرمت من مراكز رعاية الشباب في الكويت .. ومن أجل هذا فقد وضعت خطة مدروسة ، وارسلت الى مجلس التخطيط لاعتماد المبالغ اللازمة لانشاء المزيد من هذه المراكز في



السيد عيد احمد يعقوب المشرف على رعاية الشباب ، يقول انه رغم ضيق وقت الطلبة والطالبات فانهم يقبلون على ممارسة الانشطة المختلفة بصورة مرضية .

كافة المناطق في جميع انحاء الكويت .. ان وزارة الشئون الاجتماعية ، كما تعلمون ، تهتم برعاية الشباب خارج البيت وخارج المدرسة .. فالاسرة هي الراعي الاول ، كما تقوم وزارة التربية برعاية الشباب داخل المدارس وخلال اليوم الدراسي ، حيث تتيح للطالب والطالبة فرصة ممارسة هواياتهم ، سواء كانت هوايات رياضية او علمية او ثقافية او فنية ، ومن هنا ترون ان رسالة وزارة الشئون هي في واقع الامر مكملة لرسالة وزارة التربية ، ومتممة لدور البيت والمدرسة ».

نواد للاسرة كلها

ثم قال الوزير : « واود ان اضيف الى هذا شيئا جديدا .. ان اهتمامات الدولة لم تعد مقصورة على رعاية الشباب وحده ، فقد بدانا نتجه الى الاسرة الكويتية .. اننا نحاول ان نخرجها من البيت ، ومن العزلة التي تعيش فيها .. نريد للاسرة الكويتية أن تشارك ابناءها فرحتهم بالانجازات التي يحققونها ويكافاون عليها امام الجماهير في شتى المجالات .. نريد للاسرة اخيرا ان تتيح فرصة التعارف لابنائها من الجنسين ، تحت رقابتها واشرافها .. وهو امر لا بد منه في كل مجتمع صحي سليم .. من اجل هذا قررنا ان يصبح نادى الكويت الجديد الذى انتهى العمل في انشائه ، ناديا للاسرة كلها .. واود ان اشير الى ان الفتاة الكويتية قد دخلت بالفعل الى بعض النوادي الرياضية ، مثل نادى القادسية وغيره من الاندية الرياضية ، وهي تشترك في جميع النشاطات الرياضية والاجتماعية

سكن الطلبة الجامعيين ، وهو مخصص للطلبة والطالبات المغتربين ، والاقامة فيه بالمجان وكذلك الوجبات الثلاث والصورة لطالبان يوغوسلافيان مسلمان مع زميل كويتي يستذكرون ، ويقيم في السكن الجامعي ما يزيد على الالف طالب وطالبة .





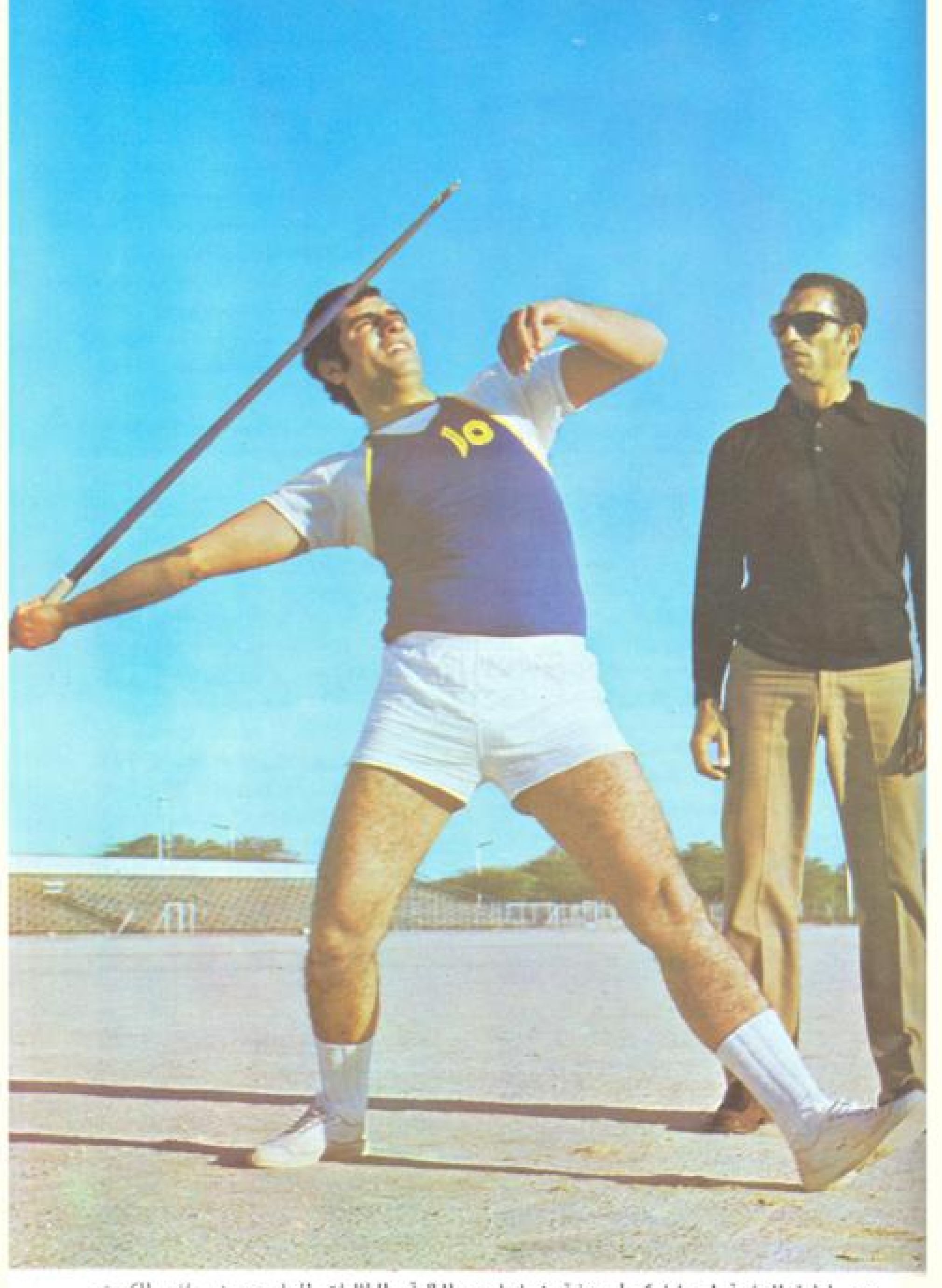
صناعة نماذج القوارب الشراعية التي كان يستخدمها أهل الكويت قديما في التجارة ، من الهوايات التي يقبل عليها العديد من الفتيان في مراكز رعاية الشباب .



غرف النوم في بيوت الشباب ، وهناك قسم مخصص للطالبات وآخر للطلبة ، بطبيعة الحال ، ويجرى العمل الآن لبناء المزيد من هذه البيوت القادرة على استيعاب عدد أكبر من الشباب .



التصوير الفوتوغرافي ، من الهوايات التي يمارسها الشباب في مراكز رعاية الشباب ، ومن هذه المراكز تخرج العديد من النجوم في كرة القدم والرسم والنحت والتصوير



تهتم ادارة الجامعة اهتماما كبيرا برعاية شبابها من الطلبة والطالبات الجامعيين ، حاضر الكويت ومستقبلها وتشمل هذه الرعاية التربية الرياضية والاجتماعية والثقافية وتوفير السكن الصحي الملائم للطلبة من الكويتيين الذين يقطنون في أماكن بعيدة عن الجامعة ، وغير الكويتيين من الطلبة المغتربين .



مجموعة من الطلبة العراقيين الذين استضافتهم بيوت الشباب في الكويت ، وقد جاءوا في رحلة جماعية من بغداد بالسيارة .. وتقوم ادارة هذه البيوت باعداد الاماكن المخصصة لاقامة الطلبة الزائرين بناء على مواعيد مسبقة .

فنحن نهدف الى تحويل هذه الاندية الى نواد اجتماعية تضم افراد الاسرة كلها ..

« وليست هذه بدعة ، لان الهدف من انشاء النادي اولا ان يكون ناديا اجتماعيا ، وهذا هو المتبع في جميع انحاء الدنيا ، وفي الدول العربية الشقيقة ، واذكر على سبيل المثال نادي الجزيرة في مصر » .

وحديث عن الزواج

قلنا للسيد الوزير : « ان حديثكم عن النوادي الاجتماعية يجرنا الى حديث اخر يتصل به اتصالا وثيقا وهو ازمة الزواج بين الشباب في العالم العربي ، فالاحصائيات تقول ان الشباب يعزفون عن الزواج في معظم الدول العربية لاسباب اقتصادية اولا ، كان يكون مرتب الشاب غير كاف للانفاق على بيته واسرته ، وخاصة في مثل هذه الظروف التي نجتازها الآن ، والتي ارتفعت فيها تكاليف المعيشة ارتفاعا كبيرا . وكان المفروض ان تختلف الصورة في الدول العربية الغنية ، حيث المال ، وحيث تعنى الدولة بتوفير السكن والعلاج والتعليم بالمجان لكل ابنائها ، كما هو الحال في الكويت .. ولكننا نقرا ونسمع عن وجود ازمة زواج في الكويت ايضا .. هل تجدون تفسيرا لهذه الظاهرة .. ولماذا لا تشجعون الزواج بين الشباب لتحموهم من الضياع ؟ ان بعض علماء التربية والاجتماع ينادون بالزواج المبكر بين الشباب حتى قبل وصولهم الى مرحلة التعليم الجامعي ، ما دام الزوج قادرا على الانفاق على بيته واسرته ! »

وقال الوزير : « اولا ، لا اتصور ان الدولة اية دولة ، تستطيع ان تشجع الزواج بقرار .. فالزواج انسجام وتفاهم وحب متبادل بين الطرفين ، هذه واحدة . وفكرة الزواج المبكر سليمة ، وانا من اشد المؤيدين لها ، ولكن الخوف كل الخوف ، من النتائج التي قد تترتب على ارتباط الشابين بالزواج في هذه السن المبكرة ، فهذه سن المراهقة وهي سن لا يفرق فيها الشاب بين الرغبة وبين الهدف الاساسي من الزواج ، وهو بناء الاسرة والمجتمع .

اؤيد الزواج المبكر

ثم قال الوزير : « انني احبذ زواج الشباب ولكن في المراحل المتقدمة من التعليم في الجامعة ، عندما يكتمل نضوج الشاب والفتاة ، ولكن بشرط ان يعتمد الشاب على نفسه ، وان يتحمل المسئولية الجديدة في زواجه .. ولكن لكي يجد الشاب الزوجة التي يبحث عنها . ولكي تعرف الفتاة بدورها الشاب الذي سوف تشاركه حياته ، فانني ادعو الى الاختلاط في المراحل النهائية في الجامعة .. والواقع ان الاختلاط موجود فعلا في غير قاعات المحاضرات .. موجود في مكتبة الجامعة ، وفي الندوات الثقافية وفي الرحلات الجامعية وفي اجهزة الدولة المختلفة ، ولكننا بالرغم من هذا كله لا نريد ان نعترف به .

وتساءل الوزير : « هل منعنا مثلا البعثات الدراسية الى الخارج ، اننا نرسل بناتنا وابناءنا لتلقي العلم في الجامعات خارج الكويت ، وهي كلها جامعات مختلطة حيث تجلس الفتاة الكويتية وسط زملائها من الطلبة الغرباء .. وبعيدا عن اشراف الاهل ، وكانت دائما مثالا للخلق الكريم ، وقد تخرجت الكثيرات منهن وتولين مناصب مرموقة بعد عودتهن الى بلادهن الكويت . فكيف

تسمح لبناتنا بالاختلاط خارج بلادهن ، ونحرم عليهن الاختلاط باخوانهن في الكويت ؟ !

بيوت الشباب

وننتقل بعد هذا الى الحديث عن جانب آخر من جوانب رعاية الشباب ، وهو بيوت الشباب وهذه البيوت موجودة فعلا في الكويت وهي تستقبل افواج الوافدين من الطلبة والطالبات الذين يجيئون في رحلات سياحية الى الكويت ، ولكنها لم تحظ بعد بالاعتراف الدولي لها .. والسبب ان الدولة .. دولة الكويت ، هي التي تنفق عليها وترعاها ، واول شروط الحصول على هذا الاعتراف ان تتحول هذه البيوت الى جمعية اهلية . قلنا للوزير : « ماذا اعددتم من مشروعات للنهوض ببيوت الشباب ؟ » .

قال : « هناك اهتمام فعلا بتطويرها حتى نستطيع ان نساهم في تعريف اكبر عدد ممكن من الشباب العربي وغير العربي بهذا الجزء من الامة العربية ، ولذا فسوف نقيم جمعية تكون مسئولة عن هذه البيوت ، وسوف تتولى الجمعية ، جمع التبرعات من أهل الخير ، وهم كثيرون والحمد لله ، كما ستقوم الدولة بنصيبها كاملا لتطوير هذه البيوت وزيادة عددها لكي تصبح قادرة على استيعاب اكبر عدد ممكن من الشباب الرحل الزائر » .

حكاية الشباب في الجامعة

وفي جامعة الكويت ، التقينا بالمشرف على رعاية الشباب الجامعي ، السيد عيد احمد يعقوب ، قلنا نسأله :

« حدثنا عن نشاطات الشباب في الجامعة ؟ » ، قال : « لقد قامت خطة رعاية الشباب على اساس الاضطلاع بكافة الانشطة والبرامج التي من شأنها ان تكون اداة للتفكير الاجتماعي ووسيلة من وسائل تمتع الفرد بمجتمعه في حدود ضوابط وقيم هذا المجتمع » .

ثم قال السيد عيد : « اما رعاية الشباب في الجامعة فهي ذات شعب ثلاث، التربية الاجتماعية والتربية الرياضية ، وقسم الاسكان الطلابي ، حيث توفر الجامعة السكن الصحي الملائم للطلاب الكويتيين الذين يقطنون في الاماكن البعيدة عن الجامعة ، وطلبة وطالبات البعثات المغتربين ! »

قلنا : « هل يقبل الطلبة على هذه الانشطة ؟». قال : « الواقع ان طلبة الكليات العملية ، اقل اقبالا على ممارسة النشاطات الرياضية والاجتماعية عن طلبة الكليات النظرية ، ويرجع هذا لضيق وقت الفئة الاولى ، فيومهم مزدحم بالعمل بين المحاضرات والمعامل .. كما ان النظام الجديد الذي استحدث في كلية التجارة ، اخذ الكثير من وقت طلابها ، حيث اصبحت الدراسة تستمر حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، مما ادى الى توقف الكثيرين عن ممارسة نشاطاتهم ، ولكنني استطيع ان اقول بصورة عامة انه رغم كل هذه الظروف فالطلبة يقبلون على هذه النشاطات بصورة مرضية .

نعم .. الاختلاط موجود فعلا

قلنا : « من واقع وجودكم في الحرم الجامعي ، لا بد انكم كونتم رأيا في الموضوع الذي اختلف الناس فيه كثيرا في الكويت بين مؤيدين ومعارضين، وهو موضوع الاختلاط ، نود ان نسألكم رأيكم فيه ، دون ان يكون لنا فيه رأي ؟

قال المشرف على رعاية الشباب في الجامعة : « قد لا تعلم ان بعض انواع الرياضة تزاولها الطالبات هنا في ارض الجامعة ، حيث لا تتوفر الملاعب اللازمة لهذه الانواع من الرياضة في كلية البنات الجامعية .

« ثم هناك حقيقة ثابتة ، وهي ان الاختلاط موجود فعلا وقائم ، في الرحلات وفي الحفلات والندوات ، وفي مكتبة الجامعة . وكان المفروض في رأيي ان يبدأ الاختلاط في قاعة المحاضرات وينتهي في النشاطات الاجتماعية والثقافية .

« انني احبذ الاختلاط لانه في رأيي شيء مفيد للجنسين ، لانني اعتقد ان في وجود الفتاة بجانب الشاب تهذيبا وتقويما لاخلاق الشباب » .

ثم ماذا .. لم يبق سوى دور وزارة التربية في رعاية الشباب ، وقد تناولناه في عدة استطلاعات ظهرت في العربي ، كان آخرها الاندية الصيفية ، الذي نشر في العدد رقم ١٧٩ وتحدث فيه وزير التربية والمسئولون عن رعاية الشباب عن دور المدرسة في اعداد شباب المستقبل ، اعدادا ثقافيا وتعليميا ورياضيا . ■■

منير نصيف



اختلاف عامل روسوس .. بين الزوج وزوجته قد يتسبب في وفاة الاطفال حديثي الولادة

● كثيرا مانسمع عن عامل روسوس ماهو هذا العامل وما مدى تاثيره ؟

ـ تحمل الكرات الدموية عاملا يسمى معامل روسوس (Rheusus Factor) وهو مايسمى Antigen D وهو موجود في ٨٥٪ من الذكور والاناث ويسمى حامله بانه موجب (Rh+Ve) واذا لم يوجد هذا العامل سمى صاحبه بالسلبي (Rh—Ve) فاذا تزوج شخص (Rh+Ve) بسيدة (Rh—Ve) فاذا حملت فان جنينها سيحمل العامل ويصير (Rh—Ve) وفي هذه الحالة تنتج الام مواد مضادة لدم طفلها ـ هذه المواد المعاكسة لعامل جنينها تدخل عن طريق المشيمة وتذهب الى كرات طفلها الحمراء فتكسرها ، وعلى قدر هذه المواد المضادة تكون حياة الجنين . ففي العادة في الطفل الاول تكون كمية المواد المضادة قليلة فيتكسر عدد قليل من الكرات الحمراء ولا تظهر اى علامات مرض عليه عند الولادة . واذا زادت هذه المواد تكسر عدد اكبر وولد الطفل وعنده فقر دم نتيجة لهذا التكسر ، وفي الحالات الشديدة يولد الطفل وهو مصفر اللون ومصفر العينين نتيجة لوجود كمية من الصفراء كبيرة داخل جسمه بعد كسر كراته الحمراء ، وفي بعض الحالات يولد الطفل ميتا او يموت بعد ولادته بوقت قصير . ولقد اكتشف في الآونة الأخيرة معاملات أخرى غير (Antigen D) تسبب تكسر كرات الدم الحمراء للطفل ولكنها نادرة الحدوث . ومما يزيد في خطورة هذه الحالة أن تعطى السيدة التى تحمل Rh—Ve دما قبل أن تحمل لسبب او آخر . فاذا كان الدم من نوع Rh+Ve تكونت عندها كميات هائلة من المضادات . وعندما تحمل فان كرات دم طفلها Rh+Ve تتعرض من أول الحمل الى هذه المضادات ونادرا ما ينجو هذا الطفل ، لذا كان من الواجب ان لا تعطى انثى في مقتبل العمر دما الا ما يلائمها فان كانت Rh—Ve فلا تعطى الا دما Rh—Ve .

واذا حملت انثى Rh—Ve من زوج Rh+Ve فيجب فحص مصل الأم من آن الى آخر ما بين الاسبوع الثانى والثلاثين والسادس والثلاثين من الحمل ، فان وجدت المضادات للعامل فانه من الواجب ان تدخل الام المستشفى لانه في مثل هذه الحالة ربما احتاج طفلها عند الولادة ان يعطى دما او ان يغير دمه كلية بدم آخر حتى تكتب له النجاة ، ولقد وجد اخيرا انه اذا اعطيت الام التى تحمل Rh — Ve مواد تعاكس Antigen D تسمى Anti D Y globvin بعد الحمل مباشرة فان هذا يساعد على عدم حدوث تكسر كبير في كرات طفلها وتكتب له النجاة .



زيادة سمك الجلد علاجه صعب

● اشكو من شدة سمك الجلد فى يداى وقدماى منذ سنوات ، ولم استفد كثيرا من العلاج ، فما سبب ذلك ، وهل من علاج ؟

ــ ان زيادة سمك الجلد فى اليدين والقدمين يسمى Hyperkeratosis وهو مرض وراثى ، ويلاحظ دائما أن هناك افرادا آخرين فى العائلة مصابين بنفس المرض . وقد وجد المرض فى عائلة كاملة من الجد والأب ، وحتى الأبناء كانوا كلهم مصابين . وفى هذا المرض يشتد سمك الطبقة القرنية فقط فى اليدين والقدمين ، فى اماكن متساوية ومتشابهة فى الناحيتين . وقد يمتد ليشمل ظهر اليدين كذلك . اما فى القدمين فتتأثر القدم كلها الا قوس القدم ، فعادة يظل سليما . ويبدو الجلد المصاب سميكا وذا لون اصفر وقشور سميكة ، والسطح اما ان يكون ناعما او مشققا وبه حفر وتجاعيد . وقد تتأثر الأظافر كذلك بنفس المرض فتصبح سميكة معتمة وغير منتظمة .

وعلاج هذه الحالة صعب ، الا انه يمكن الحصول على بعض التحسن باستعمال اشعة رونتجن بواسطة الطبيب الاخصائى . كذلك يجب اعطاء فيتامين ا مع استعمال المراهم الموضعية المحتوية على مرهم الساليسلك .

لا تتركى ملابس طفلك الداخلية مبللة حتى لا يصاب بالتسلخ والالتهاب

● اصيبت طفلتى المولودة باحمرار وتسلخ فى منطقة الحفاض ، وكلما عالجتها عاودها الالتهاب ثانية ، فما سببه ، وما علاجه ؟

ــ ان الطفح الناتج عن الحفاض Diaper Rash منتشر كثيرا بين الأطفال الرضع ، ويظهر على منطقة البطن والفخذ والارداف والأجزاء التناسلية كاحمرار وتسلخ ، وقد تظهر فقاعات ممتلئة بالماء . وفى الحالات الشديدة قد تؤدى الى قروح سطحية . وقد يحدث التهاب فى طرف العضو التناسلى وينتج عن ذلك كثرة تبول الطفل . وقد تظهر بقع من الدم فى الحفاض . وعادة ينتج ذلك الطفح نتيجة ترك المولود مبللا طوال فترة الليل حيث ان ذلك يؤدى الى تكون بعض البكتريا التى تحول اليوريا الموجودة فى البول الى امونيا ، كذلك استعمال الملابس النايلون التى تمنع التهوية ، وتحفظ الرطوبة فتجعل جسم الطفل مبللا باستمرار .

ويجب تفرقة ذلك الطفح من بعض الامراض الاخرى المشابهة خاصة المونيليا Monilia (وهو مرض فطرى . وكذلك

من طفح الزهري الوراثي ، كذلك يجب تفرقته من طفح الحساسية الناتجة من غسل الحفاض بمواد مطهرة .
ولعلاج هذه الحالة يجب العناية بنظافة المولود باستمرار وعدم ترك الحفاض مبللا على جسمه ، وعدم استعمال الملابس النايلون او الضيقة ، كذلك ترك الطفل ينام على بطنه بعض الوقت تاركا فخذه والارداف معرضة للشمس، مع استعمال الاحفضة الورق التي تلقى بعد استعمالها.

ولتنظيف الطفل يستعمل زيت الزيتون أو الزيوت الاخرى الخاصة بالاطفال . كذلك البودرة المحتوية على اكسيد الزنك والبوريك مفيدة جدا ، وفي بعض الحالات ينصح باستعمال المراهم المحتوية على الكورتيزون . واذا كان هناك تسلخ او اي عدوى ثانوية تستعمل حمامات بمحلول مخفف من البرمنجنات مع مضادات الحيوبات موضعيا وعن طريق الفم .

التهاب الكلى .. له غذاء خاص يجب على المريض أن يلتزم به

● **ما هو طعام المريض المصاب بالتهاب الكلى ؟**

ـ التهاب الكلى على انواع ثلاثة :
التهاب الكلى الحاد والمزمن وفيه تعجز الكلى عن افراز البول بكميات طبيعية ، ولذلك تتراكم السوائل داخل الجسم ويتورم وتزداد نسبة بولينا الدم ، لذا كان من الواجب ان تكون كمية السوائل محددة ، وتحدد بكمية البول الذي يبوله المريض مع زيادة ١٠٠٠ سم كمية السوائل التي يفقدها الجسم في التنفس والعرق .
لذا كان من الواجب قياس البول ومعرفة كمية السائل الذي يتعاطاه المريض على هيئة ماء أو عصير ، ثم يجب أن تكون كمية البروتينات التي تكون على هيئة لحم او لبن محدودة حتى لا تساعد على زيادة البولينا .
وعلى سبيل المثال :
فطور : عصير فواكه ـ توست ـ مربة ـ شاي بسكر ـ حليب من الكمية التي يصرح بها يوميا .
غداء : قطعة لحم صغيرة ـ خضار ـ شريحتا خبز ـ فواكه .
عشاء : شريحتا خبز ـ مربة او عسل ـ فاكهة ـ شاي بحليب من الكمية المصرح بها .
الحليب اليومي ٢٥٠ سم او نصف كوب كبير .
ويلاحظ عند التورم الذي يحدث في الجسم ان يقلل الملح خصوصا اذا ارتفع ضغط الدم . وفي حالة التهاب الكلى **تحت الحاد** يكون الجسم جميعه متورما لفقدان كمية كبيرة من البروتينات ـ ويتبع ذلك اختزان الماء داخل الجسم .
الفطور : عصير فواكه ـ كوب حليب ـ بيضتان ـ شريحتان او ثلاثة من الخبز ـ مربة او عسل ـ شاي بحليب .
في العاشرة ـ كوب حليب وبسكويت .
الغداء : لحم أو سمك ½ رطل او نصف دجاجة ـ خضار ـ بطاطس ـ فواكه ـ خبز .
بين الغداء والعشاء ـ كوب حليب .
العشاء : لحم أو سمك أو بيض عدد ٢ ـ خبز ـ خضار ـ لبن زبادي ـ شاي بحليب .
قبل النوم ـ كوب حليب .
الحليب المصرح به يوميا ½ لتر .
٣٠ جم من الزبدة . ■■



كلمات عربية سقط قيدها

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ كثير من الكلمات عربية اصيلة ، ونحن نظنها عامية دخيلة لشيوعها فى لهجاتنا الدارجة ، فلا نجرى بها الألسنة والاقلام حين نقصد التعبير الفصيح . وقد اوردنا فى « صفحة سابقة » (١) طائفة من هذه الكلمات تعمها جميعا ظاهرة لغوية واحدة ، فكلها ذات أصل ثلاثى فى الفصيح ، مع تكرار لام الكلمة او حرفها الثالث ، (مثل : شمل ، وشملل) ، ولها نظائر فى الفصيحة ، وقد سمى أبو عثمان المازنى هذا التكرار « الالحاق المطرد » .

وهناك طائفة أخرى من الكلمات فى الدارجة تشترك فى ظاهرة لغوية أخرى مقاربة ، اذ كل كلمة منها ذات أصل ثلاثى ايضا (على وزن « فعل ») ولكن فاء الكلمة تتكرر بعد العين فيها . وهذا الأصل الثلاثى موجود فى الفصيحة ، اما بمعنى الكلمة نفسها ، أو بما يدخل مع معناها فى فى حيز واحد . مثال ذلك فى الفصيحة (د ح ر) فهذا الجذر يدل على الطرد والابعاد والدفع ، وبزيادة الدال بعد الحاء (أو « فاء » الكلمة بعد عينها) يصير (دحْدَر) فتقول : دحدره فتدحدر ، اى دحرجه فتدحرج ، أو دفعه فاندفع . وكل هذا فى الفصيحة ، ولفظ « دحدر » فصيح .

ولفظ فعفل المشتق من فعل هو موضوع هذه الكلمة .

صيغة « فعفل »

اليك أمثلة لكلمات على صيغة (فعفل) تجرى فى اللهجات الدارجة بمعناها العربى الموجود فى اللفظ الفصيح(فعل)،وذلك،للتوسع،أو للمبالغة فى المعنى باعتبار أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وبعض الكلمات تدل على الزيادة أو المبالغة فى ناحية خاصة من المعنى ، لا مجرد الحدث وحده فى معناه العام :ـ

١ ـ نعش ، ونعنش

فى الفصيحة : نعشه الله ونعّشه : جبره بعد فقر ، وانتعشت حاله : حسنت وطابت ، ونقول هواء أو شراب منعش ، أى سارّ ، يحدث فى النفس خفةً وراحة .

ونقول فى الدارجة : شراب او هواء مُتَعَنْتِش بالمعنى نفسه ، وتَعَنْتَشْت أى انعشنى ، وحسّن حالى ، فالمعنى واحد .

٢ ـ ملص ، وملمص

فى الفصيحة : تملّص من الشيء تخلص منه ، وانملص : أفلت ، والخيط ملِصٌ : تزْلق اليد عنه ، ملّص الكتاب من يدى : سقط متزلقا، او متزلجا .

ونقول فى الدارجة : فلان يتملْمَص من واجبه، او دينه اى يفلت منه ، او يحاول الافلات ، وامسكت بيده فتملمص منى ، أى أفلت متزلقا ، فالمعنى واحد .

٣ ـ فلص ، وفلفص

فى القاموس : فلّصه تفليصا : خلّصه فافلص ، وانفلص ، وتفلّص .

ونقول فى الدارجة : كلما طالبته بالدين فلفص، أو حاول الفلفصة ، اى اضطرب وحاول التخلص مراوغا ، فالمعنى واحد .

(١) العدد ١٨٤ من مجلة العربى مارس (آذار) ١٩٧٤

٤ ـ شرب ، وشرشب

من معاني الشارب في الفصحة : الشعرات النابتة في الشفة العليا ، لان الانسان (او الحيوان) اذا شرب نزلت هذه الشعرات في الماء اذا كانت طويلة او زائدة ، كأنها تشرب .

وكذلك في الدارجة تسمى ما يشبه هذه الشعرات الزوائد شرشوبة (١) ، وشراشيب ، كالزوائد التي تكون اطارا او حاشية للحقائب او السروج ، او المفارش او الملاءات او الالحفة ، ونقول شرشبنا المفرش : اي اتخذنا له شراشيب، وشرشوبة المسبحة او السبحة : الخصلة من حرير وغيره تكون في طرفها . وكلها مشتق من لفظ شرشب اي فعلل .

٥ ـ فرش ، وفرفش

في القاموس : فرشه يفرشه ويفرشه : قطعه ، وافرشت الشجة العظم ولم تهشمه ، وتفارشت الرماح : تداخلت في الحرب ، وافترشت : وقع بعضها على بعض . فالمادة تدل على القطع والمصادمة

ونقول في الدارجة مثلا : هو يفرفش الحمص او العظم (او اي جسم فيه صلابة) بمعنى يقطعه مع صوت من أثر اصطدام اسنانه بالجسم الذي يفرشه او يفرفشه فالمعنى واحد .

٦ ـ فرش ، وفرفش

في القاموس : فرش فرشا وفراشا بسطه ، وفرشه امرا اوسعه اياه .فالفرش بمعنى السعة والبسطة .

ونقول في الدارجة : فلان مفرفش : اي مسرور، خفيف النفس ، وهذا شراب مفرفش ، اي يحدث خفة وسرورا ، والاصدقاء يفرفشون : اي يسر بعضهم بعضا ، ونقول للصديق ، « فرفش » ، اي وسع على نفسك ، وابسط لها الحال ، فالمعنى واحد .

٧ ـ مرغ ، ومرمغ

في القاموس : مرّغ الدابة في التراب : قلبها، وتمرغ : تقلب ، والمراغة : متمرغ الدابة ، كالمراغ .

وفي الدارجة نستعمل هذا الفعل كذلك ، ونقول ايضا : مرمغه في التراب بالمعنى نفسه ، او نقول مجازا : مرمغ سمعته : اي شهر به وفضحه .

٨ ـ شرح ، وشرشح

في الفصحة : شرح : قطع ، وشرّح : قطع ، ومنه تشريح الاجسام ، وحتى حين نقول : شرّحت الكلام (بمعنى وضحته وفسرته) لا نخرج عن المعنى نفسه ، لان الشارح يفصل او يقطع الكلام فيوضح ما خفي منه .

ونقول في الدارجة : شرشحه او شرشح عرضه، بمعنى مزقه ، ونقول امرأة شرشوحة بمعنى ممزقة العرض .

٩ ـ طرف ، وطرطف

في الفصحة : نسمى نهاية كل شيء طرفا ، فأطراف الشيء حروفه ونهاياته ، والطريف والطارف الجديد .

ونحن في الدارجة نستعمل الفعل « طرطف » فنقول « طرطف » الشجرة قطع اطرافها ونقول « طرطوفة » الشجرة اي نهايتها وهي جزؤها الجديد او احدث أجزائها نشأة . ونقول « طراطيف » الكلام ، اي اطرافه ، وكذلك « طرطوفة » المسبحة ، او المكتب ، او الثوب : اي طرفه .

١٠ ـ درش ، دردش

في القاموس ، الدردشة : اللجاجة .

وفي الدارجة نقول : دردش فلان ، وهو يدردش اي يثرثر ، او يمضي في الكلام دون نظام ، والانسان يستريح الى هذا النحو من الكلام المسترسل مع اخوانه مهما يبلغ من الحكمة والوقار او كما يقول الشاعر :

« في انقباضٍ وحِشمةٍ . فإذا
جاورتُ اهل الوفاء والكرم ـ
ارسلت نفسي على سجيتها
وقلت ما قلت غير محتشم »

١١ ـ رهف ، ورهرف

في الفصحة : رهَفَ سيفه وارهفه : رققه،

---

(١) هذه الكلمات وأمثالها مثل عصفورة على وزن فعلولة ، ولكننا في الدارجة نفتح الفاء خطأ بدلا من ضمها كما في الفصيحة .

ورهف السيفُ رَهافة ورَهفا : دقَّ ولطُف ، وتقول مجازا : احساس مرهف ، وسمع مرهف : اى دقيق ، وارهفت سَمْعي له : أصغيت اليه برقة ودقة . وفي الدارجة نقول : رأيت او سمعت الطفل يبكي فرهرف قلبي له : اى ادركتني له رقة ، وفلان يعيش عيشة مرهرفة اى ناعمةورقيقة مرفهة (يلاحظ التقارب بين « رهف » ، و «رفه»).

١٢ ــ لعط ، ولعلط

في الفصيحة : اللّعطة (كذلك المُلْعَطة) خط بسواد أو صفرة تخطها المرأة في خدها والالْعاطُ : خطوط تخطها الحبش في وجوهها (والغرض في كل ذلك هو الزينة مادية او معنوية) ، وفي الدارجة نقول : المرأة ملعلطة : اى متزينة بزينة واضحة ، وكذلك الحجرة تَلَعْلَط ، او الحُلّة او الصورة ، بمعنى انّ زينتها واضحة .

١٣ ــ مرط ، ومرمط

في القاموس : مَرَط الشَعر : نتفه، والمُراطة: ما سقط في التسريح او النتف ، ومرَط الشعرُ : نتفه ، وتمَرَّط الشعرُ : تساقط ، ومارطه : مرط شعره وخدشه .

ونقول في الدارجة : مَرْمَطت المرأة الثوب : دلكته عند الغسل ، لتنظفه من الاقذار ، وهو في حيز المعنى نفسه ، ونقول مجازا : مرمطه ، اى اساء اليه ، فكأنه قلبه ونتف عرضه .

١٤ ــ حرش ، حرجش

في الفصيحة : حرشه ، والحَرْشة : الخشونة ودينار احرش : خشن لجدته ، وحية حرشاء : خشنة، والتحريش : الاغراء بين الكلاب للتهارش، او التحارش ، او التخارش ، اذ يحتك بعضها ببعض ، ونقول في الدارجة : دقيق حرشي : اى خشن ، وهذا الطعام يحرش المعدة ، او يحرجشها : اى يخشنها ، ونقول : هو يحرشه او يحرجشه على فلان اى يغريه : ليصادمه ، ومن الاعلام عندنا : حرحش وحرحوش، وفيهما معنى الخشونة .

١٥ ــ ٣١ أمثلة اخرى

وطلبا للايجاز نذكر الأمثلة التالية ، فنبدأ باللفظ الفصيح يليه اللفظ الدارج :

مرت ، برق وبربق ، ومرمت ، برش وبربش طرق وطرطق ، فرع وفرفع ، سرب وسرسب ، كرع وكركع ، فرط وفرفط ، فرط وفرقط ، سرع وسرسع ، لهب ولهلب ، كلع وكلكع ، بعك وبعبك ، خرش وخرخش ، شرخ وشرشخ ، دب ودردب ، دك ودردك .

فينبغي لنا ان ننظر في الفصيحة الى جذور كل كلمة في الدارجة قبل ان ننكر اصالتها في العربية الفصيحة ، وفيما نقدم نماذج لتحليل الكلمات حتى نعرف اصولها .

نظائر في العربية جرى عليها القياس في الدارجة

هل لهذه التصريفات نظائر في العربية ؟الجواب: نعم ، فهناك أمثلة تُعَدُّ بالعشرات ، نقتصر منها هنا على ما كانت جذوره ثلاثية مختلفة الحروف ، كالأمثلة السابقة . وهذه بعض امثلة من الكلمات المانوسة ، اختلفت الحروف الثلاثية في كل منها، ثم تكررت فاء الكلمة بعد عينها .

١ ــ دحر،ودحدر (وقد بدأنا به الكلام) .

٢ ــ لوب ، ولولب ، فاللوب استدارة الحائم حول الماء ، واللولب الماء الكثير اذا استدار عند نزوله من فتحة الصنبور، واللولب السلك المعدني المستدير وهو الزنبرك وقد شبه بلولب الماء .

٣ ــ الدّيْنُ ، والدَّيْدَن ، بمعنى العادة .

٤ ــ كوب،وكوكب : يدل هذا الجذر (ك.و.ب) على التفاف الشيء ، ومن ذلك الكوب الذى يشرب منه ، وتكوكب الناس اجتمعوا ، وكوكبة من الجند : جماعة منهم ، والكوكب احد كواكب السماء .

٥ ــ قاع ، وقوقع ، والوقعة ، فالفعل «قاع» مثل خنس ونكص وزنا ومعنى ، اى اختفى ورجع ، والقوقعة بيت الحيوان الضعيف ، يختفي داخلها، والمعنى واحد .

والمعرب كالعربي

وربما كان هذا هو ما يسّر على السنة العرب قبول كلمات مماثلة على نسق (فعفل) من اللغات الاخرى ، ومن ذلك : سمسار (وسيط التجارة) ودبدبان(حارس)، وكركما التوابل)، وسفسطة .

■■

محمد خليفة التونسي

من غرائب القضايا

الثرثرة القاتلة

بقلم : حسن الجداوي

■ في يناير سنة ١٩٢٢ في مدينة « دو واجياك » من اعمال ولاية ميتشيجان. توفي « كلود كوشنج »، وحزن لموته اقاربه واصدقاؤه وجيرانه . فقد كان خيّرا ومحبوبا .

وكانت وفاته بعد مرض لم يمهله الا اربعة اسابيع . وكان طبيب القرية يعوده يوميا في اثناء مرضه . كذلك كانت امه تزوره يوميا . وقد مرضته زوجته مود أثناء مرضه كاحسن ما يكون التمريض فلم تكن تتركه لحظة واحدة وكانت تمضي الليل الى جوار سريره تلبي جميع طلباته .

ولما توفي لم يتردد الطبيب المعالج في توقيع شهادة وفاة اثبت فيها ان سبب الوفاة آلام بالمعدة وهبوط بالقلب .

وسار موكب الجنازة في شوارع المدينة وسار السكان خلفه يبدون عطفهم على الارملة الشابة الجميلة التي لم تكن قد بلغت الاربعين وعلى اطفالها الصغار الباقين على قيد الحياة من بين ثمانية أولاد رزق بهم الزوجان خلال زواج موفق سعيد مدته عشرون عاما ، كان الجيران يضربون به في أحاديثهم المثل .

وبعد الدفن بقيت الزوجة والاولاد في منزلهم لعدة أسابيع ثم تركت المدينة .

***

وفي شهر فبراير من ذلك العام وصل الى الجريدة المحلية خبر من اخبار المجتمع اعتبر المحرر انه يستحق ان ينشر في الصفحة الاولى وليس في باب الاجتماعيات فقط .

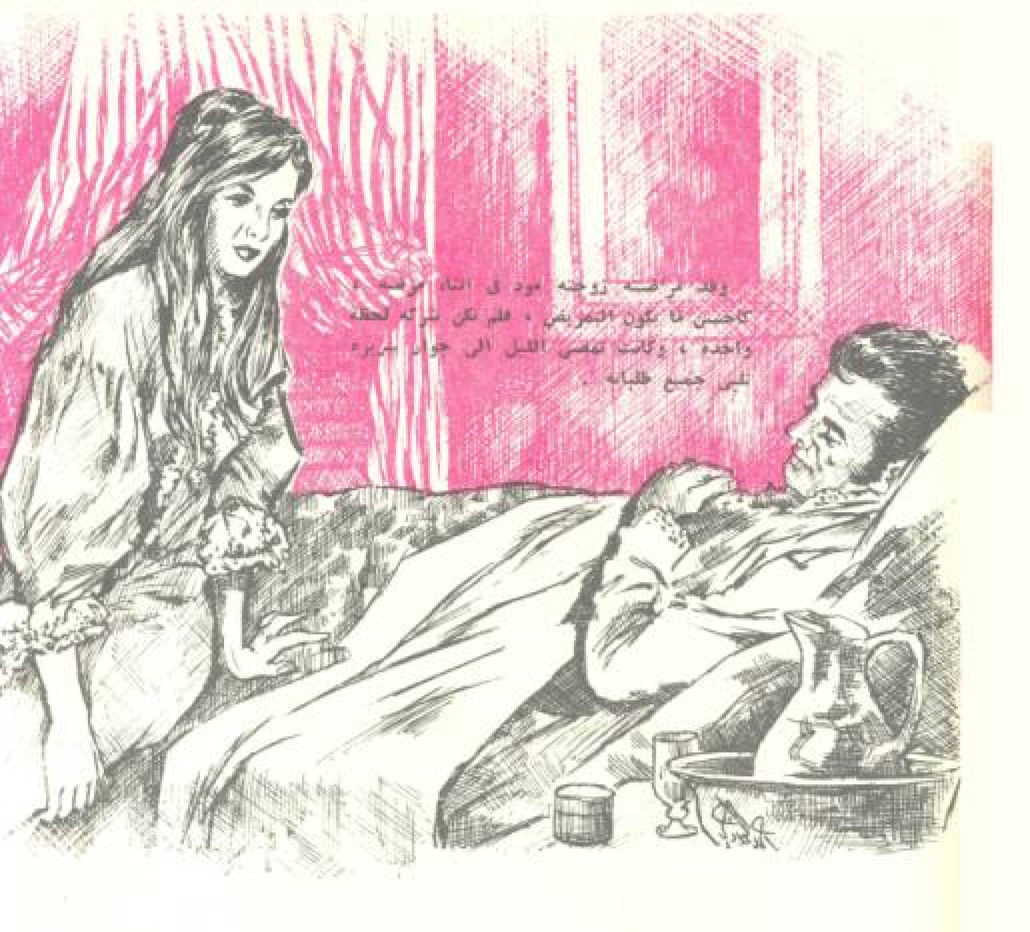
وكان الخبر هو ان الارملة الجميلة مسز «كلود كوشنج» قد تزوجت في ٢١ يناير سنة ١٩٢٢ في مدينة « بند الجنوبية » من ولاية انديانا . اى بعد اقل من شهر من وفاة زوجها .

وصح ما توقعه محرر الصحيفة المحلية . فان الخبر أثار دهشة كل من عرف الزوجين «كوشنج» لا ، لأن حزن الارملة لم يطل ، ولكن لأن الزوج السعيد هو « ايموري استوريك » .

ذلك ان ايموري استورك كان صديقا حميما لاسرة كوشنج . وكان يعمل سائقا لقطار محلي ينقل الركاب من مدينة دو واجياك ومدن صغيرة اخرى تقع على شاطيء بحيرة متشيجان . وكان قد انتقل الى مدينة ديترويت ليدرس هندسة النقل الآلي ، وكان من زملائه في الدراسة ريتشارد كوشنج الابن الاكبر لكلود . وهو شاب في الثامنة عشرة من العمر . ومن هنا قامت الصداقة بين ايموري واسرة كوشنج .

***

كان لنشر الخبر دوى القنبلة في أوساط سكان المدينة . فقليلون هم الذين ارسلوا يهنئون الزوجين ، وكثيرون هم الذين اخذوا يبحثون عن تفسير لذلك الزواج السريع . وانتشرت الشائعات بين سكان القرية . فمن قائل ان مود سبق لها



وقد مرضته زوجته مود في اثناء مرضه ، كاحسن ما يكون التمريض ، فلم تكن تتركه لحظة واحدة ، وكانت تمضي الليل الى جوار سريره تلبي جميع طلباته .

ان فكرت وتحدثت عن امكان ان تطلق زوجها . ومن قائل ان استورك كان يعمل على خط الترام المتجه الى ميناء « بنتون » حيث كانت مود تمضي عدة اسابيع في ذلك المصيف في كل صيف . وباضافة واحد على واحد ، وبالاضافات التي نتجت من نقل الاشاعة من شخص لآخر ، نبتت فكرة ان استورك ومود كانا عاشقين . واستدلوا على ذلك بان انتقال استورك الى ديترويت دليل قاطع على صحة ذلك الاستنتاج . اذ لا بد أن يكون كوشنج قد ضبط العاشقين متلبسين فاصبح محتما أن يترك استورك المدينة لقطع ألسنة مطلقي الاشاعات.

ولكن أنى لهواة الشائعات ان يسكتوا . لقد تصوروا بل ايقنوا ان كوشنج لم يمت ميتة طبيعية واخذت هذه الفكرة التي لا ترتكز الا على الظن الاثم تنتشر على السنة الكثيرين . والناس يسارعون الى تصديق الاخبار المثيرة ولكثرة ترديدها ـ بين مؤيد للخبر ومستفسر ومكذب ـ حتى وصلت الى سلطات المدينة فاصدر المشرف على مصلحة الأمن امرا بتحقيق طبي في موضوع الوفاة .

★★★

ورحبت مسز استورك (كوشنج سابقا) بهذا القرار بل كانت عنيفة في ترحيبها وقالت لمخبري الصحف انها كانت قد طالبت بتشريح الجثة ـ عقب وفاة زوجها لمعرفة اسباب موته ـ ولكن والديه عارضا ، كما سبق أن رفضا اقتراحها بادخاله المستشفى عند مرضه الاخير .

وصدر امر قضائي باستخراج الجثةواستخرجت اجزاء هامة منها ارسلت الى الباثولوجي ، عالم الامراض ، بجامعة ميتشيجان .

★★★

وفي انتظار نتيجة الابحاث العلمية استمر الجيران في تخميناتهم واحاديثهم والميحاتهم ومقاطعتهم للزوجين ، حتى لم يستطيعا صبرا

فقررا أن يتركا المدينة الى مدينة مجاورة ، ولكن ذلك لم يضع حدا للاقاويل .

وطال انتظار نتيجة الابحاث العلمية ـ والابحاث العلمية بطبيعتها بطيئة ولا يمكن استعجالها . واخيرا وصل تقرير الباحث الباثولوجي بانه عثر على آثار ثاني اوكسيد الزئبق في معدة كوشنج وجدرانها والمعاء والكليتين والكبد .

وصدر امر بالقبض على السيدة مود كوشنج استورك بتهمة القتل المتعمد ، واعيدت الى اقليم كاس واعتبر النائب العام للولاية أن القضية من الخطورة بدرجة تتطلب تخطي المدعي العام المحلي ، واختار مساعد النائب العام ليتولى تمثيل الاتهام امام محكمة الجنايات .

وبدأت المحاكمة في مارس سنة ١٩٢٣ .

***

وبدأ ممثل الاتهام هجوما عنيفا على الزوجة المتهمة وقال انه سيثبت للمحلفين أن العلاقة الغرامية كانت قائمة بين المتهمة والرجل الذي تزوجته بعد موت زوجها في حياة الزوج ، وانها قتلت الزوج لتتزوج العشيق . وقدم من الشهود من اركن عليهم لاثبات دعواه .

فشهدت السيدة دايتون كوشنج (والدة الزوج القتيل) بانها رأت ابنها يتألم من تقلصات وغثيان شعر بها بعد أن اذابت زوجته (مود) قرصا ابيض في كوبة شاي ناولتها له وقالت لها ـ اي للام ـ : ان هذا الدواء قد وصفه له الطبيب المعالج .

وهذه شهادة لا تقدم ولا تؤخر في اثبات التهم فقد يكون القرص الابيض ضمن الدواء الذي وصفه الطبيب ولكن الغرض من هذه الشهادة هو الايحاء بأن السم قد استبدل بالدواء الذي وصفه الطبيب .

ثم جاء بائع عقاقير يشهد بانه من مدة عام قبل موت كوشنج باع لمسز كوشنج (المتهمة) ثاني كلوريد الزئبق . وجاء بعده عدد من الجارات احداهن رأت الزوجة تتخلص من الادوية بعد موت الزوج ، فتصورت ان هذا التخلص من الزجاجات والعلب امر غير طبيعي .

وجارة ثالثة قالت انها قبل عدة سنوات كانت مع المتهمة تقلبان صفحات احدى المجلات فعثرت على مقال عن قضية قتل بالسم ، فقالت الزوجة المتهمة « لقد عرفنا الآن ما يمكن أن نقدمه لأزواجنا » . وهي شهادة قاتلة ، ولكنها ـ تحت تأثير استيضاح القاضي لها ـ اعترفت بان ذلك القول كان على سبيل المزاح . لم اقرت هذه الجارة الثالثة في استجواب محامي الدفاع لها انها لم تأخذ قول الزوجة على محمل الجد بل ايقنت انها كانت تمزح ولكن كثرة الاقوال من الجيران ـ بعد الوفاة ـ جعلتها تسير مع التيار حتى لا تبدو شاذة امام باقي أهل القرية .

وقال جار آخر انه سمع مود (الزوجة المتهمة) تقول : ان كلود (القتيل) أحسن حالا حيث هو الآن (أي في قبره) فقد كان يتألم كثيرا اثناء مرضه الطويل .

***

وقد توقع المترددون على قاعة محكمة الجنايات ان يسمعوا اخبارا مثيرة ووقائع تتفق مع اللغط الكثير الذي سمعوه ولكنهم منوا بخيبة امل كبيرة . اذ اقتصرت ادلة الخيانة الزوجية ـ التي زعم ممثل الاتهام انه سيقدمها ـ على شهادة صاحبة كوخ صغير بميناء بنتون انها رأت استورك ـ صديق العائلة فيما نعلم ـ يزور السيدة كوشنج واولادها . وشهادة متعهد نقل الموتى (الحانوتي) الذي اختلف مع مسز كوشنج على العابه التي استغرقت كامل مبلغ التامين المستحق للزوجة ـ انه رأى مسز كوشنج تمشط شعر جثة زوجها (بلا مبالاة) ـ وانها علقت على ذلك بعد أن أتمت العملية « ألا تعتقد انني اصلح حانوتية ! » وقال انها قالت ذلك بصوت مرح .

***

وقدم الدفاع شهودا تثبت أن كلود ـ الزوج المتوفى ـ كان مصابا بوسواس المرض وكان يستهلك كميات كبيرة من ادوية مجهولة التركيب .. الادوية السرية والمقويات .

كذلك شهد ريتشارد كوشنج (أكبر الابناء) أن والده كان يستعمل باستمرار ثاني اوكسيد الزئبق للغرغرة وكان يضع قرصين في فنجان شاي ماء . وانه كثيرا ما ارسله لبائع العقاقير ليشتري انواعا من الادوية . وأن والده عندما شكا من مرض جلدي (طفح في قدمه) كان يعالجه بمرهم الزئبق .

كذلك شهد اخوه الاصغر انه كان دائما يصاحب والدته في رحلاتها الى ميناء بنتون ، وانه كان ينام معها في نفس الغرفة .

وشهدت احدى الجارات ــ من الصديقات القليلات التى تمسكت بصداقتها للمتهمة ــ انها قابلت كوشنج ذات يوم وعلقت على جمال جو الصباح ولكن كوشنج كان كئيبا وقال لها : « ربما كان ذلك صحيحا عند بعض الناس » ثم اخذ يبدى شكواه من ان حلقه (مسلوخ) من تاثير الغرغرة بثانى كلوريد الزئبق وقال : « لولا بعض الموقات لابتلعت كمية منه لانهى كل شىء ، واضع حدا لآلامى » .

★★★

وبرغم تحامل القاضى فى تلخيصه فان شهود الجلسة انقسموا فريقين . فريق توقع صدور القرار بالادانة وفريق شعر بتوبيخ الضمير .. وكان قرار المحلفين بان مود مذنبة ، وصدر الحكم عليها لارتكابها جناية قتل من الدرجة الاولى . فلما احتجت وصرخت بانها بريئة قال لها القاضى : « ان زوجك كلود كوشنج يرقد الآن فى قبره وانا سأرسلك الى قبر آخر ترقدين فيه الايام الباقية لك فى الحياة . فقد حوكمت محاكمة عادلة . لقد جاء الوقت ليعلم الجميع ان النساء لن يبرأن بسبب العطف او شهامة الرجال » .

واصدر القاضى حكمه بالسجن مدى الحياة لأن ولاية متشيجان لا تبيح عقوبة الاعدام ، والحكم بالسجن مدى الحياة فى تلك الولاية معناه ــ مدى الحياة .

★★★

وبدا ستورك بمجرد اغلاق ابواب السجن على زوجته معركته الطويلة فى سبيل ان يرد لها حريتها فهو مؤمن ببراءتها . وطعن فى الحكم بالاستئناف ولكن محكمة الاستئناف ايدت الحكم . ومضت ست سنوات والزوج لا ييأس . وفى عام ١٩٣١ اعتقد أن مسعاه قارب النجاح فقد عثر على طبيب من قرية دو واجياك قرر له ان كلود كوشنج كان يتغرغر بثانى كلوريد الزئبق لسنوات عديدة قبل موته وانه حذره مغبة ذلك ونصحه بالاقلاع عن تلك العادة لانه يسم نفسه ببطء . وحصل منه على شهادة بذلك ادلى بها ــ بعد حلف اليمين ــ امام موثق . وقدم تلك الشهادة الى لجنة العفو المشروط بعريضة وقعها المحلفون الثمانية الذين كانوا ما يزالون احياء اكدوا فيها انهم لو كانوا علموا بتلك الوقائع لما صوتوا بالادانة . ولكن لجنة العفو لم تفعل شيئا .

ولكن الزوج لم ييأس ونجح فى ان يحصل على اهتمام السيدة اليان شاتس وهى محامية من ديترويت عرفت بتبنى قضايا المظلومين . فقامت من جانبها بتحقيق طويل وقدمت التماسا ــ فى عام ١٩٤٩ ــ الى محافظ الولاية تطلب اصدار عفو على اساس ان مسز ستورك بريئة . وقدمت خطابا كانت مسز دايتون كوشنج قد كتبته لزوجة ابنها تطلب منها ان تغفر لها ما ارتكبته فى حقها وتبدى ندمها . كما استشهدت بابنة اخ مستر كواى الذى مثل الاتهام فى القضية ، تلك التى قررت ان عمها كان قلقا جدا عقب صدور الحكم وكان كثيرا ما يعيد دراسة اوراق القضية وينتهى به الرأى الى عدم وجود ادلة مقنعة بالادانة ، وان ادانة مسز كوشنج نتجت من الشعور العام ضدها . وانه افضى لابنة اخيه ــ قبل وفاته ــ ان الشائعات التى ملأت جو المدينة هى المسئولة عن هذا الخطأ .

واخيرا استجاب الحاكم وامر باعادة نظر القضية . واخضعت مسز ستورك لتجارب اثبات الكذب . وقرر المحلل انها كانت تقول الصدق وهى تؤكد ــ بلا تردد ــ انها لم تناول زوجها السم .

كذلك قرر المدعى العام ــ بعد دراسة جديدة لادلة الثبوت التى قدمها فى تقرير مفصل للنائب العام شكوكه فى صحة التهمة .

واقترحت لجنة الافراج المشروط ان تحول عقوبة السجن مدى الحياة المحكوم بها ، الى المدة التى قضتها (المتهمة !) فى السجن وان يفرج عنها . كل ذلك فى سبيل الابقاء على ماء وجه رجال القانون الذين تحمسوا لفكرة ان احكام القضاء لا تخطىء ابدا . ولكن محاميتها ابت الا ان تحصل على قرار ببراءة موكلتها براءة كاملة .

وحصلت فعلا من الحاكم على قرار عفو شامل فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٤٩ . اى بعد ستة وعشرين عاما قضتها موكلتها فى السجن وكانت قد بلغت الخامسة والستين .

وحين خرجت من السجن لم يكد يوجد فى دو واجياك من يذكر القضية التى اثارت المدينة فى حينها واطلقت الالسنة بالباطل . ■■

حسن الجداوى

أثر الإسلام في أفريقيا



The influence of Islam upon Africa

J. Spencer Trimingham



كتاب الشهر

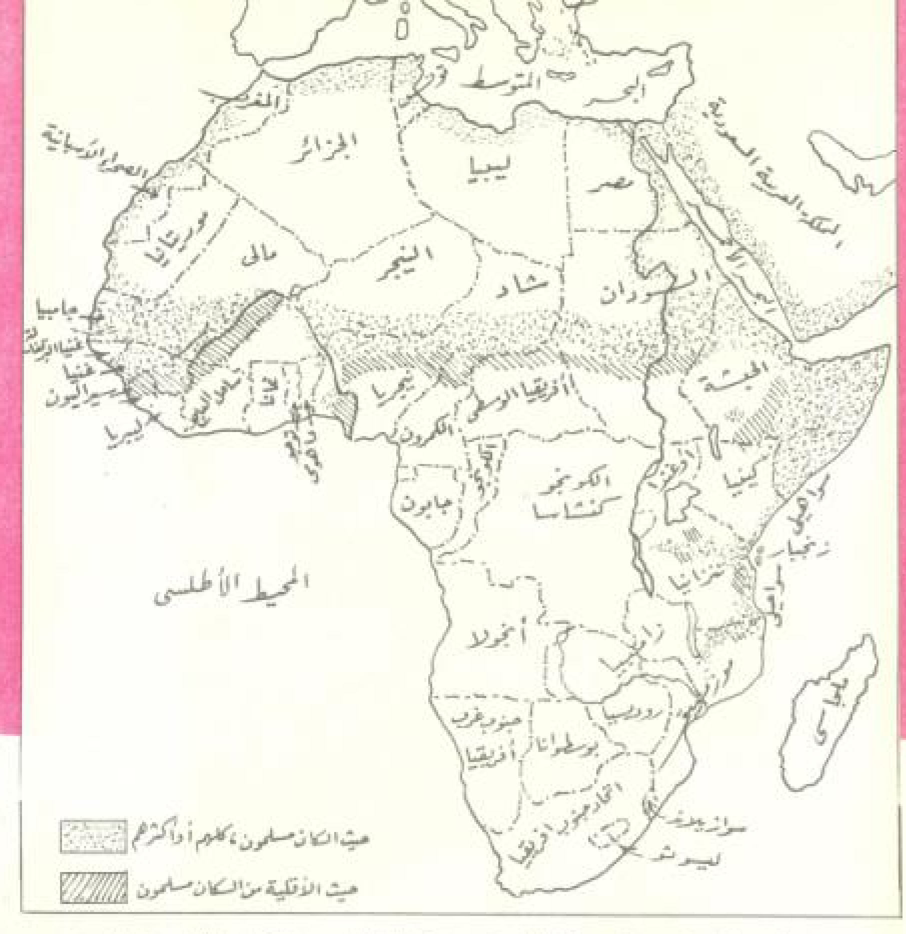
تاليف : سبنسر تريمنجهام

عرض : الدكتور محمد على الفرا

■ انه مما يؤسف له ان الكتب العربية التى تدرس اثر الاسلام على افريقية تكاد تكون نادرة على الرغم من اهمية هذا الموضوع وخطره . وكتابنا الذى نقدمه لقراء « العربي » اليوم يتناول هذا الموضوع . وقد كتبه المستشرق البريطاني « سبنسر تريمنجهام » J.Spencer Trimingham الذى كان يعمل رئيسا لقسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية بجامعة جلاسجو باسكتلنده. وتم نشر الكتاب في سنة ١٩٦٨ ، ضمن مطبوعات سلسلة التراث العربي بالجامعة الامريكية ببيروت.

منهج الكتاب

لم يحاول المؤلف ان يدرس الاسلام في افريقية كما يقول ـ ولكنه يعطي فكرة عامة عن ذلك .وهو مهتم بالجانب التاريخي ، وغرضه توضيح اثر الاسلام كتراث ثقافي ديني على الافارقة . ويبدا الكتاب بدراسة الاختراق الاسلامي لافريقية بحسب اقاليمها . ويحاول المؤلف ان يبين الطريقة التي غير الاسلام بها المجتمعات الافريقية ، والافكار العالمية الجديدة التي اتى بها الى بعض الاقوام ،



هذه الخريطة تقريبية ، كما لا يخفى ،وقد نقلناها من الكتاب الانجليزي المعروض .

وما غرس فيهم من اتجاهات بدلت نظرتهم الى الحياة ، ثم تناول شكل الاجهزة او المؤسسات التي استطاع ان يتم من خلالها هذا التأثير . وحاول المؤلف ان يوضح فيما اذا كانت الاقاليم يؤثر بعضها في البعض ليعرف اذا كانت هناك مظاهر مشتركة عند جميع الافارقة المسلمين في جميع هذه الاقاليم او ان كل اقليم يختلف عن الاخر من حيث تأثير الاسلام فيه . وقد وضع المؤلف في اعتباره ظاهرة مضادة من التغير عند المجتمعات الافريقية المسلمة جاءت نتيجة ضغط القوى الجديدة (الاستعمار) من الثقافة الغربية العلمانية التي دخلت افريقية في الاونة الاخيرة .

وفيما يلي نعرض لاهم ما جاء في الكتاب :

الاقاليم الثقافية الاسلامية تاريخها وخصائصها

يمكننا تقسيم بلاد الاسلام في افريقية الى ستة اقاليم ثقافية ، يعتمد تحديدها على المظاهر الجغرافية والعرقية (الاثنولوجية) والثقافية ، وكذلك على المظاهر التاريخية للاختراق الاسلامي الى قلب القارة وآثاره . وهذه الاقاليم الستة هي افريقية البحر المتوسط : السودان الغربي والسودان الاوسط والسودان الشرقي وشمال شرق الحبشة وشرق افريقية .

اولا : افريقية البحر الابيض المتوسط

وهو اول اقليم دخله الاسلام ، وذلك مع

الفتوحات العربية الاولى . وقد اصبح الاسلام متأصلا فيه ، ومغروسا في كل مظهر من مظاهر حياته . ولكن توجد بعض الفروق المحلية بين مصر واقطار المغرب ناجمة من التاريخ المختلف لكل بلد قبل الاسلام .

ان دور مصر في ادخال الاسلام لسائر افريقية محدود للغاية ، نظرا لانها تؤلف عالما قائما بذاته ، حول نهر النيل ، فاتصالاتها كانت ــ الى حدما ــ مقصورة على اقطار البحر المتوسط ، فيما عدا بعض اجزاء من افريقية نخص بالذكر منها منطقة النوبة .

اما الوضع في المغرب العربي فهو مختلف ، ذلك ان الصراع كان قائما بين الصحارى والسهول ، فالصحراء الكبرى لم تكن مانعا كما كان الحال في مصر . وكان الصراع دائما بين البدو (سكان الصحراء) وبين الحضر(سكان المدن في السهول). ولم يستفد البربر كثيرا من المراكز الواقعة على البحر المتوسط ، الامامية ، بالنسبة لهم ، ولكنهم تعربوا بعد الفتح العربي واعتنقوا الاسلام ، وزادت حركة التعريب بعد هجرة بعض القبائل العربية في القرن الحادى عشر ، مثل قبيلة بني هلال . وعلى الرغم من تعريب غرب الصحراء الكبرى المغربية الا ان العرب لم يخترقوا وسط هذهالصحراء ، حيث ظل الطوارق محتفظين بلغتهم وثقافتهم ومعتقداتهم، وفي هذه المنطقة يقل البربر فهم يسكنون الجبال (جبال اطلس) ، ولكن الطوارق انتشروا جنوبا حتى حدود اراضي نهر النيجر ، وهم بخلاف الطوارق في الشمال فقد تكيفوا بحسب البيئة الطبيعية واصبحوا عاملا هاما في تاريخ غربي السودان ووسطه .

ولعل اهم مظهر من مظاهر هذا الاقليم الدينية هو انتشار الصوفية التي يعتبر « احمد بن العريف » من اقدم رجالها ، وهو من قبيلة صنهاجة البربرية ، عاش في اسبانيا عام ١١٤٣م . وقد بلغت الصوفية اوج عظمتها وانتعاشها على يد « ابن عربي » وممثله في الشمال الافريقي « ابن مدين » المتوفى عام ١١٩٧م . وقد زار اصحاب الطرق الصوفية اقليم الجبال حيث عاش كثيرون منهم مع عائلاتهم في زوايا .

ومنذ القرن الرابع عشر بدات الصوفية في التخلف ، ثم انتعشت فجاة ، وخطت الى الامام على شكل حركة شعبية مرغوبة . وقام زعماؤها مثل « الشدهيلي » بتعليم طرقها الخاصة التي لاقت رواجا عند طبقة الطليعة الروحية . ولكن تطورت هذه التعاليم فيما بعد مكونة طوائف ليس هدفها ارشاد اعضائها الى طرق الوسائل الصوفية وحدها ولكن ربطهم بصلة قويه مع سيد الطريقة ايضا ، ثم تطورت الى تقديس الاسياد الروحيين ، والنظر اليهم كانهم وسطاء مع عالمهم الروحي . وقد بدا هذا النهج السيد / الجزولي المتوفى سنة ١٤٦٥/١٤٦٦ . وعلى الرغم من ان تعاليم الصوفية الاخيرة هذه وما جاءت به من عادات وتقاليد لم تستطع ان تدخل قلوب عامة الناس ، ولكن مناهج الاوامر والنواهي الدينية ناسبت اساليب الناس وافكار حياتهم ومشاعرهم .

ومن خلال هذه الدوافع الجديدة استطاع الاسلام كسب سيطرة متكاملة على كافة الطبقات المتفرقة للمجتمعالمغربي.هذا وان فَهْم الاسلام ــ كتراث مغربي ــ اوجد نقطة انطلاق تاريخية ، ورؤيا جديدة ، ونوعا جديدا من المجتمع ، فحلت الاسماء العربية بدلا من البربرية ، سواء في الريف او البادية . كما شاع احترام الاضرحة والمقامات الاسلاميةالتي كانتتزار التماسا للبركة،واصبحت موريتانيا او شنقيط مركزا هاما لمثل هذا النشاط الروحي ، وكذلك الساحل السوداني .

ثانيا : السودان الغربي

يعتبر الحاميون والزنوج اول الاقوام الراحلة (المتنقلة) التي تحترف الرعي في هذا الاقليم ، بينما استقر غيرهم من الشعوب ليعملوا فيالزراعة. وقد امتزجت الحضارة بالزراع والرعاة فيما بعد. وقد كان لاختلاف حضاراتهم وامتزاجها اثر" هام على مظاهر التاريخ الاسلامي في افريقية . ولكن منذ القرن التاسع الميلادى زاد عدد بربر الصحراء وقويت شوكتهم . وعن طريقهم انتشر الاسلام ومؤثراته الحضارية ، وذلك لان الصحراء لم تكن ــ كما قلنا ــ عامل فصل يفصل الشمال الافريقي عن الساحل القاني ، بل كانت الصحراء الكبرى طريقا هاما لتجارة الملح والذهب ، وظلت كذلك الى ما بعد الفتح العربي الاسلامي للشمال الافريقي . وبهذا وصلت المؤثرات العربية في القرن الحادى عشر الى اعالى السنغال واقليم الساحل الاطلسي . وقد عبرت القوافل هذه الصحراء الى ساحل دولة غانة لتتبادل معها الملح وبضائع بلدان

البحر المتوسط كالذهب والرقيق . وقد خصص الغانيون حيًا خاصا للتجار المسلمين ، وفيه شيدوا لهم مسجدا . وتأسست مراكز اسلامية مثل « كوغا » Kugha ، ونتيجة لهذا ظهرت طبقة من الزعماء السودانيين الروحيين اشتغلت بالحفاظ على الاسلام واحواله وشئونه .

ويبدو ان ظهور دولة المرابطين في غرب الصحراء زاد من تاكيد انتشار الاسلام عند بربر الصحراء مثل « جودالا » Goddala و « لمتونة » Lamtuna وعلى الرغم من ان هذا الاثر قد غيرت من التربح السياسي للمغرب الا انه لم يؤثر كثيرا على السواحل الغربية الافريقية ، فيما عدا فتح العاصمة غانا سنة ١٠٧٦م وحطم قوة الدولة الغانية ومزقها الى عناصر مختلفة ، ولكن كان من نتائجها اعتنـــاق جماعات « السوننكيين » Soninks الاسلام ، الذى ساد اعالى السنغال في منطقة « التوكولر » Tokolor وساحــــل السوننكي،واصبح المسلمون يشكلون طبقة التجار. وعن هؤلاء انتشر الاسلام في ساحل غانة وشماله .

اما الزنـوج الناطقـون بلغـة « الفلفلدى » Fulfuled في اعالى السنغال والذين يطلق عليهم « التكرور » فقد اعتنقوا الاسلام فيما بعد واصبحوا من المتعصبين له .

ولا ننسى في هذا المقام اثر انتشار البربر في اواخر عصر المرابطين على اعتناق كثير من الافارقة للاسلام . وكذلك كان لدولة « مالى » دور كبير في هذا المجال . وقد كانت مالي دولة كبيرة يحكمها صن جاتا Sun Jata (١٢٥٠ — ١٢٥٥م) الذى شملت فتوحاته الواسعة دولة غانية . وزادت شهرة مالي بعد ان واظب حكامها الملقبين « بالمنساس » Mansas على الحج وشـــجعوا التجارة ، وحببوا العرب على زيارة بلادهم مثل ابن بطوطة الذى زار البلاد بين عامي ١٣٥٢ و١٣٥٣م.

ثالثا — السودان الاوسط

ويشمل هذا الاقليم القسم السوداني الممتد من بلاد جماعات « السنغاى » Songhay ، في منتصف النيجر عبر اراضي الحوصا او الهوسا Housa ، والبورنو Bornu و « كانم » Kanem ووادى Waday ، الى دارفور في جمهـــورية السودان .

ونجد ان تاريخ توغل الاسلام في هذا الاقليم وتاثيره مختلف تماما عما هو في السودان الغربي ، والسبب يعود الى نظام الطرق التجارية ، فقد كان التجار من الشمال الافريقي ينشطون على ثلاثة محاور تعبر الصحراء الى السودان الاوسط. ويروى اليعقوبي ان تجارة الرقيق كانت تجرى عن الطريق الممتد من طرابلس عبر « زاويلا » Zawila الى « كاوار » Kawar ومنها الى المراكز التجارية الهامة التى كان يرسل اليها زعماء الزنوج والتجار عبيدهم ورقيقهم ،والفارق بين غربي السودان ووسطه ان النقاط الرئيسية للتبادل التجارى كانت تقع على هذه الطرق في قلب الصحراء وليس على اطرافها او حدودها ، كما ان البدو هنا الذين يطلق عليهم « زغاوة » Zaghawa كانوا حماة للتجارة بحكم سيطرتهم على اقاليم « كاوار » Kawar وتبستى Tibesti وبسطوا نفوذهم على «كانم» وشمال شرق بحيرة « تشاد » وفي نهاية القرن الحادى عشر دخل ملكهم « هيوم » Hume الاسلام ، وحذت باقى القبائل حذوه . وقد كانت هذه القبائل — التى كونت لها دولة فيما بعد — على علاقة طيبة بكل من تونس وطرابلس ومصر . ويمكننا القول ان الاسلام لم ينتشر في هذه المنطقة بواسطة التجار وانما عن طريق رجال الدين الذين جاءوا من « كانم » والسودان الغربي .

رابعا — السودان الشرقي او النيلوتي

ان الموقع الجغرافي للسودان الشرقي قد جعل منه منطقة تفاعل بين الحاميين والزنوج وعرب افريقية . وكان الاساس البشرى لهذا الاقليم هم الاقوام الحامية الشرقية او « الكوشيين » .

وفي اثناء الفتح العربي الاسلامي لمصر كان في جنوب اسوان دولتان نيلوتيتان تدينان بالمسيحية هما : ماكارا Maquarra وعاصمتها في دنقلة ، وتمتد من حدود الشلال الاول حتى التقاء النيل بفرعه في عطبرة ، والدولة الثانية اسمها «علوة» Alwa وتمتد من حدود الدولة الاولى وتشمل النيل الابيض والازرق ، وعاصمتها « سوبا » Soba قرب مدينة الخرطوم حاليا . وقد ظهر الاسلام لاول مرة على يد الفاتحين الاوائل لمصر من العرب ، ولكن حال دون تقدمه جنوبا دولة ماكارا . ولكن والى مصر عبد الله بن سعد قاد حملة الى جنوبي اسوان حتى النوبة ، وحاصر دنقلة عام ٦٥١/٦٥٢ م . وكان من نتيجتها ابرام

معاهدة تحالف وتبادل تجارى استمر عدة قرون حتى قيام دولة المماليك البحرية فى مصر .

هذا وقد استوطن العرب بين جماعات النوبيين والبجة Beja واستغلوا مناجم الذهب فى منطقة « العلاقى » Allagi ، ولكن هذه القبائل فقدت عروبتها بعد ان امتصتها الجماعات النوبية والبجية . ومن هذه القبائل العربية « بنو كنز » التى اصبحت قوة كبيرة فى اقليم الحدود ، ولعبت دورا كبيرا فى الحوادث التى ادت الى سقوط دولة « ماكارا » . هذا وقد نشط التجار المسلمون ووصلوا حتى العاصمة « علوة » وكان لهم حى خاص بهم . وعلى كل حال فقد تفككت دولة « ماكارا » بعد غزو ركن الدين بيبرس لها بين عامى ١٢٦٠ ـ ١٢٧٠ م فتشجعت القبائل العربية وهاجرت جنوبا الى الاراضى النوبية .

اما « علوة » فقد عاشت بعد سقوط « ماكارا » ولكن تاريخ زوالها ظل غامضا .

ويمكن القول بان هذا الاقليم لم يسيطر عليه الاسلام تماما الا بعد قيام الاسر الدينية الوطنية التى نشرت تعاليم عبد القادر (١) (القادرية). وكان معلمو القادرية الأوائل مهاجرين مثل غلام الله ابن عبدى الذى استقر فى دنقلة حوالى ١٣٦٠ ـ ١٣٨٠م وعلم القرآن والفقه واسس له اسرة دينية .

خامسا ـ اقليم شمال شرق الحبشة

فى هذا الاقليم يظهر الكثير من التباين الجغرافى والبشرى والثقافى واللغوى والدينى . ولما كان ارتباطه المصرى قوى بالبحر الاحمر ووادى النيل فان مؤثراته السامية جاءت من الجزيرة العربية ، فالمهاجرون الذين جاءوا من طريق البحر الاحمر كونوا مملكة « اكسوم » Axum فى اقليم «تجرى» Tigrai ، وفى القرن الرابع الميلادى اصبحت المسيحية عقيدة ملكية واعتنقها جميع الناس . ولكن قيام الاسلام فى الشرق الادنى ومصر فصم عرى ارتباطها بالعالم المسيحى الواسع ، وظلت الحبشة دولة مسيحية فى محيط مسلم .

ونظرا لاتصال بلدان البحر الاحمر بجزيرة العرب ـ مهد الاسلام ـ فقد دخلت مدن هذا البحر وجزره وسواحله فى الاسلام بعد ظهوره تقريبا (مثل جزر دهلك Dahlak ، التى خضعت للامويين فى سنة ٧١٥م) . ومن هذه المدن والجزر والسواحل انتشر الاسلام فى الاراضى المنخفضة السهلية المجاورة مثل « البجة » Beja وافار (الدناقل) Afar Danakil ، وذلك بفضل الطرق الجيدة التى تربط بلاد البجة بموانىء البحر الاحمر ، مثل طريق عيذاب الذى كان يسلكه الحجاج عابرو الصحراء ومن زيلع كانت الطرق التجارية تسير نحو الداخل عن طريق « هرر » فى الحبشة الى الاقليم المرتفعات . وكان التوسع الاسلامى مرتبطا بالتجارة التى كانت فى اوج نشاطها . وبناء عليه قامت دويلات اسلامية فى هذا الاقليم منها « افات » Ifat و « آدال » Adal و « مورا » Mora ، و « هوبات » Hobat ، و « جدايا » Jidaya . كما اعتنق الاسلام كثير من القبائل فى جنوب نهر « هواش » حيث نمت هرر كمدينة مسلمة . وكان الاسلام قوة كبيرة يقاوم توسع نفوذ الدولة الحبشية فى الجنوب والجنوب الشرقى . وكان من ابرز الشخصيات الاسلامية « احمد جران » الذى سيطر على الحبشة ، ولكنه قتل فى عام ١٥٤٢ م فضعف نفوذ اتباعه .

اما فى الشمال اى فى الاقليم المعروف اليوم باسم « اريتريا » ـ حيث تقطن قبائل البجة فى السهول ـ فقد اعتنقت الاسلام جماعات كثيرة من مدة طويلة ، ولكن بحلول القرن التاسع عشر اقبلت كثير من القبائل المسيحية على الاسلام .

وبعد ذلك ضعفت شوكة المسلمين بعد النجاح الذى احرزته الملكية فى الحبشة ، وما نجم عن ذلك من توحيد الدولة ، وكان هذا ابان النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وقد كان لجهود الاباطرة الاحباش العظام ـ مثل تيودور وجون ومنليك خاصة ١٨٨٩ ـ ١٩١٣ ـ أثر كبير فى توحيد الحبشة وتوسيع حدودها بحيث ضمت اليها الدويلات الاسلامية سابقة الذكر .

---

(١) العربى : هو الشيخ الصوفى عبد القادر الجيلانى ، وطريقته الصوفية منتشرة فى كثير من البلاد الاسلامية بين الهند والمغرب ، وقد عاش فى بغداد ودفن فيها وله هناك مقام معظم ، حاشد دائما بالوفود الاسلامية من كل هذه البلدان .

ومن حيث التأثير الاسلامي يمكننا أن نميز اربع مناطق نفوذ في هذا الاقليم هي :

١ ــ النطاق الساحلي الممتد على طول البحر الاحمرحيث نجد مزيجا بشريا من الحاميين والزنوج ، ثقافتهم اسلامية ، اختلطت فيهم الدماء العربية بحكم الهجرات التي وفدت من الجزيرة .

٢ ــ أقاليم الهضبة الشمالية والوسطى ، ويسودها الاحباش المسيحيون ، ويحيط بهم اقوام مسلمون مثل الجبرتية (الاحباش المسلمون) وجماعات الجالا .

٣ ــ السهول الشرقية والجنوبية الشرقية وهضبة « هرر » حيث تعيش قبائل متنقلة مثل « أفار » Afar ، أو الدناقل والصوماليين . وجميع هذه المنطقة اسلامية .

٤ ــ الجنوب الغربي من الحبشة أو اقليم « جيبي » Gibe وفيه يكثر المسلمون ويقل الوثنيون .

سادسا ــ شرقي افريقية

وهو اقليم سهل الاختراق ، فقد حضر التجار المسلمون الى ساحل افريقية الشرقي منذ عهد بعيد مكملين للنشاط العربي قبل الاسلام . وقد قسم العرب الساحل الافريقي الشرقي اربعة أقاليم هي : « اقليم بربارا او كوش وبلاد الزنج ومنها مدينة ممبسة واقليم سوفالا بلاد الذهب وأراضي واق الواق الغربية في الجنوب .

ويقول الادريسي (١١٥٤م) بان الاسلام كسب مناطق ساحل بربارا ولم يكسب بلاد الزنج فيما عدا جزيرة زنزبار . وفي الشمال دخل الاسلام ساحل كوش حيث تقطن فيه اقوام رُحّل ، فكسب الطبقة الحاكمة لدولة « سيداما » Sidama وفي الوقت نفسه فان السواحليين المسلمين كانوا يحترفون التجارة ، وكانت نظرتهم تجاه المحيط ، فلم يهتموا بنشر الاسلام بين الافارقة ، ولكنهم كونوا مجتمعا سواحليا اختلطت بهم عناصر من البانتو . ولقد تأثرت حضارة السواحليين بحضارة حضرموت الاسلامية . وظل السواحليون محتفظين بقوتهم ووحدتهم الى أن جاء البرتغاليون في القرن الخامس عشر ، وعملوا على تفككهم وتدهور تجارتهم ، فقام النزاع بين جماعات الجالا في الشمال ، وعصابات الزنوج الغزاة في الجنوب .

وبعد نحو ٢٠٠ عام تدهور نفوذ البرتغاليين فطردهم عرب عمان الذين حافظوا على ارتباطهم بالساحل ، واقام بعضهم في جزيرة زنزبار وكانوا من الاباضية ، ولكنهم لم يحاولوا نشر مذهبهم ، وعلى العكس من ذلك شهدت هذه الفترة وصول افواج من مهاجري حضرموت ، كان من بينهم رجال دين فنشروا المذهب الشافعي ، وبداوا بكتابة السواحلية بحروف عربية . ولعل انتشار العناصر الاسلامية المتعددة في هذا الاقليم ، وبقايا البانتو والشيرازي واختلاطهم مع الحضارمة ادى الى ظهور مكونات الثقافة السواحلية الحالية ذات التوجيه والالهام العربي ، على عكس الحال في اسلام السودان الآتي من بربر المغرب .

وكان تأثير حكام عمان قليلا على الساحل الافريقي الى أن قام « سعيد بن سلطان » المتوفى عام ١٨٥٦ بنقل مركزه الى مسقط وحول انتباهه الى افريقية ، وجعل زنزبار مركزا لحكومته فيما بعد . وقد بدأ الاختراق العربي السواحلي للداخل في أوائل القرن التاسع عشر من أجل تبادل السلع المختلفة بالعاج ، وتم التوصل الى ما بعد تنجانيقا والكونجو ونياسا ، وتاسست مراكز تجارية مستقلة . وبعد فترة من الاستيطان الساحلي لم ينتشر الاسلام بين جماعات البانتو الا بعد سنة ١٨٨٠ م ، وذلك بعد أن استولى الالمان على هذه الاراضي وهي منطقة الشرق الافريقي وتنجانيقا بوجه خاص .

وعلى كل حال فان انتشار الاسلام في الشرق الافريقي يختلف عنه في النطاق السوداني ، ذلك أن الاسلام لم يدخل الى المجتمعات القائمة انذاك بالتدريج ، ولكن أنشأ في المرحلة الأولى مجتمعات اسلامية سواحلية ، ثمت بعد ان دخل الاسلام اقوام من البانتو ، وفي المرحلة الثانية التي بدات بانتشار الاسلام منذ سنة ١٨٨٠ م وكان هذا على شكل كبير ، تمّ عن طريق التحول الفردي عن المعتقدات غير الاسلامية .

عملية التغير الديني والثقافي

مما سبق نجد ان أثر الاسلام يقع في اربع مراحل تاريخية ، سنعمل على ايجازها طالما انها

تمشي مع اربع مستويات او انماط اسلامية موجودة في افريقية المعاصرة .

تبدا المرحلة الاولى بعد فتح العرب المسلمين الاوائل لسواحل البحر المتوسط من مصر حتى ساحل الاطلسي بالمغرب . اما المرحلة الثانية فبدات بانتشار الاسلام عبر الصحراء الكبرى ، ومن النيل الى نطاق السودان بواسطة التجار ورجال الدين. واسلم في هذه الفترة القبائل الرحل في الصحراء، وزنوج الساحل ، وبعض سكان انهار السنغال والنيجر والنيل .

وتبدا المرحلة الثالثة من سنة ١٧٥٠م ، وتمتاز بظهور رجال دين يحملون اراء وافكارا دينية جديدة تمتاز بالتعصب والتزمت وعدم التسامح ، وكونوا دويلات في السودان الغربي قرب المحيط الاطلسي ، حتى الحبشة شرقا . والاسلام في هذه المرحلة انتقل من كونه هامشيا بالنسبة لحياة معتنقيه الى صلب حياتهم الاجتماعية وجوهرها .

اما المرحلة الرابعة ففيها انتشر الاسلام باعداد كبيرة ، نتيجة الظروف المناسبة ، بعد التوسع الاستعماري الاوروبي لافريقية . وتتمثل هذه الظروف في شق الطرق وتوفير سبل الأمن .

ولعل اهم العوامل التي ساعدت او عاقت انتشار الاسلام في افريقية تعود الى ظروف مناخية والى طبيعة المجتمعات المتاثرة بالاسلام ، كما يجب أن تؤخذ في الاعتبار العوامل الموضوعية والذاتية .

كما ينبغي أن لا ننسى العوامل التاريخية التي تشمل الروابط التجارية والهجرة والحركات القبلية والنزاعات السياسية ومسالة الاندماج الثقافي . ويعتبر دور البدو الرحل كبيرا في انتشار الاسلام ، لا يوازيه او يفوقه اهمية في هذا المجال الا دور التجار المتنقلين .

أثر الاسلام في الحياة الاجتماعية

على الرغم من أن الاسلام غير الاسس الدينية التي كان يقوم عليها الاساس الاجتماعي في افريقية الا انه لم يسبب تغيرا اجتماعيا جذريا لدى الاقوام الافريقية ،او لم يعمل على قصم عاداتها وتقاليدها قبل دخولها الاسلام . ففي المجتمعات الافريقية التي اعتنقت الاسلام مبكرا نجد أن العادات الحالية عندها هي نتيجة عملية طويلة من التغير حدث قبل أن تتاثر بالقوانين الاسلامية . وفي بعض المجتمعات لم تبدا عملية التغير الا قريبا جدا ، وبناء عليه نتبين انماطا متنوعة ومتطرفة من عادات وتقاليد المجتمعات المختلفة مما يجعل تعميمات هذه الانماط الاجتماعية امرا مستحيلا ، اذ ان لكل قبيلة ولكل اسرة وعائلة عاداتها المميزة من غيرها.

ويبدو ان عملية التغير الاجتماعي لافريقية الزنجية لم تتم على النحو الذى حدث في البلاد التي دخلها الاسلام في اسيا او الشمال الافريقي. ولعل سبب هذا يعود الى أن الزنوج الافارقة لم يختلطوا مع المجتمعات الاسلامية المتحضرة في الشمال الافريقي لوجود الحاجز الصحراوى . ولهذا فان التغير الى نمط الحياة الاسلامية قد مر خلال سلسلة من الخطوات ، وحينما تعرف الافارقة على مظاهر القانون الاسلامي . ولكن بالنظر الى جميع الشعوب الافريقية نكاد نرى بوضوح أن المسلمين الافارقة استطاعوا أن يكونوا لهم نمطا خاصا من الحياة . ولكن نكاد نلمس اختلافا واضحا بين توغل الحركات الدينية التي نقلت الوعي الديني المغربي في القرن السادس عشر الى النطاق السوداني الغربي وبين السودان الشرقي، والفرق يمكن رؤيته بوضوح من التباين بين السودان النيلوتي حيث ارتبط الاسلام والتعريب بشكل متكامل ، وتاثر السكان فيه كثيرا بالدين الاسلامي كما شاع في الجزيرة العربية ومصر . ولكن سكان وسط السودان وغربه لم تتقبل القانون الاسلامي بالدرجة نفسها التي تقبله بها أهل السودان الشرقي ، نظرا لقرب العرب من شرقي السودان ، وبُعدهم وعدم تمكنهم من دخول الوسط والغرب.

وبما ان التغيرات الاجتماعية تستغرق مدة اطول حتى يتقبلها الناس على عكس الأمور الدينية التي يمكن اعتناقها بسرعة لما لها من صفة القداسة والاحترام،فان النواهي والمحرمات المتعلقة بالطعام وطرق العادات وذبح الحيوانات ومزاولة الصلوات نجدها متحققة عند الافارقة ، ولكن الامور الخاصة بالعلاقات العائلية والارث لم تطبق الا بعد مدة طويلة . فمثلا نجد الطوارق الذين يسكنون الصحراء وعددهم لا يزيد على ٢٠٠٠٠٠ نسمة ما زالوا رغم اسلامهم منذ نحو الف عام لم يطبقوا

امثال هذه الجوانب الاجتماعية الاسلامية والتى تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض . اما الاقوام الذين يعيشون في منطقة ثنية النيجر وعند الساحل - وعددهم نحو نصف مليون نسمة - فقد كان تاثرهم اكثر . وبناء عليه نجد ان زعماء الجماعات الصحراوية حاولت احلال الدية بدلا من الثار من الاقارب ، كما نجد العرف الخاص بتوريث الارامل شائعا بين جماعات « ديولا » Dyula وهم تجار في افريقية الغربية ، ولم ينجح الاسلام في تغيير عاداتهم وتقاليدهم تغييرا كبيرا .

والملاحظ ان البلاد التى اعتنقت الاسلام وهاجر اليها العرب اخذت من عادات العرب وتقاليدهم الاسلامية - كما حدث في المغرب العربي ومصر - اما البلاد التى اسلمت ولم يدخلها العرب فظلت محتفظة بكثير من عاداتها وتقاليدها الشائعة قبل اسلامها .

النمط الاجتماعي للاسلام

لو توفر للاسلام عنصر الزمن لنجح في غرس مظاهره الاجتماعية في نفوس الافارقة . ويمكننا ملاحظة هذا بشكل واضح في المدن. فمدن السودان الغربي والاوسط مثل تمبكتو Timbuktu و«جنى» Jennei ، و « سكوتو » Sokoto ، و«ميدوجورى» Maidugur ، كلها مدن معالمها الاسلامية واضحة وظاهرة ، لا تختلف كثيرا عن ام درمان في السودان، وفاس في المغرب ، والقيروان في تونس . ولكن الازدواجية تبدو واضحة في المجتمع بمجرد ان يتحرك المرء الى خارج هذه المدن ويصل الى قرى « السنغاى » Songhay ، المجاورة ، مثل : « بوزو » Bozo ، و « هوسا » Hausa او « كانورى » Kanuri الزراعية ، بعكس الحال في قرى السودان الشرقي المستعربة التى لا تختلف كثيرا عن ام درمان في عاداتها وتقاليدها الاسلامية العربية .

ويبدو ان اول تاثير للاسلام انصب على الأسرة التى غيّر الاسلام - من خلال تعاليمه - بعض مظاهرها الخاصة بالزواج والطلاق ورعاية الاطفال وكفالتهم ، وكذلك العلاقات - المتبادلة بين الزوجين والمسئوليات ، ونظام الزوجات الرفيقات وما يتعلق بامور توريثهن . هذا وقد قلل الاسلام من عدد افراد الأسرة الافريقية التى كان يصل عددها الى ثمانين شخصا فاصبحت مقصورة على الزوجين وابنائهما . وجعل الاسلام لرب الأسرة مكانة مرموقة ، وكلمة مسموعة .

وفيما يختص بالزواج من الاقارب - كانت كثير من الجماعات الافريقية تحرم الزواج من نفس العشيرة او البطن ، فجاء الاسلام وغير هذه الانماط ، واباح الزواج بين ابناء وبنات الاعمام والعمات والخالات .

وفي المجتمعات الافريقية الزراعية - كان تاثير الاسلام ضئيلا ، فنظام الوقف لم يعمل به ، ذلك لان معظم المسلمين كانوا تجارا بينما اشتغل الوثنيون بالزراعة . ومن الامور التى يحمد عليها الاسلام انه نهى عن اظهار العورات ، ونص على ستر الاجسام ، والزم الافارقة الذين كان بعضهم عراة بارتداء الملابس ، ولذلك يميز المسلمون عن سواهم في بعض المناطق الافريقية بملابسهم الطويلة الفضفاضة . كما نهى الاسلام عن اختلاط النساء بالاغراب من الرجال ، واصبحت دور المسلمين تتميز عن سواها باسوارها العالية .

اما من حيث اللغة فنجد أن الحاميين البيض اخذوا العربية ، بينما ظل الزنوج على لغاتهم ، واستخدموا فيما بعد الحروف اللاتينية مع ادخال كثير من الكلمات العربية فيها .

ومن حيث اتصال الافارقة بالوطن العربي - كان هذا منعدما في الماضي القريب، ذلك لان المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين وغيرهم كانوا غير راغبين عن هذا الاتصال ، بل انهم كثير ما وقفوا ضده ، وحالوا دون اتصال الافارقة المسلمين باخوانهم في الدين من العرب . ولكن بعد استقلال افريقية حدث نوع من الاتصال ، وقام بعض رجال الحكم ورؤساء الدول الافريقية المسلمة باداء فريضة الحج ، وتعرفوا باخوانهم في الدين . كما ان المؤتمرات الافريقية ادت الى تقريب الافارقة من العرب . ■■

محمد على الفرا

من الكتب التي وصلتنا

معارك خالد بن الوليد

تاليف : المقدم ياسين سويد
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/لبنان

● يتناول هذا الكتاب دراسة تاريخية عسكرية شاملة لمعارك خالد بن الوليد في الجزيرة العربية والعراق والشام في مطلع الفتوحات الاسلامية ، ويبرز خصائص الفن العسكري الاسلامي الذي تميز به القائد المسلم ، ويقدم تحليلا لمعاركه من الوجهتين الاستراتيجية والتكتيكية ، والمؤلف هنا يعتمد على المنهج العلمي الحديث في التحقق من الحوادث وتحليلها واستخلاص نتائجها ، وذلك باسلوب وصفي مقارن ، اما الكتاب فينقسم قسمين : الاول يدرس الفن العسكري عند العرب في العهد الاسلامي الاول ، اما القسم الثاني فيدرس المعارك التي خاضها خالد بن الوليد في العراق ، اما الفصل الثالث فيدرس معارك خالد بن الوليد في الشام . اما القسم الرابع من الكتاب فقد خصص لدراسة عبقرية خالد العسكرية .

الذكريات من الطفولة الى الصبا

تاليف : حسن الامين
الناشر : دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت/لبنان

● مجموعة ذكريات للمؤلف تمثل في قسم منها الحياة الدمشقية الشعبية بما في ذلك حوادث واحداث شهدها المؤلف بنفسه ، وانطبعت في ذاكرته ، وظلت تلازمه حتى يومنا هذا ، وهذه الذكريات قد لا تهم كل الناس ، ولكن قد ياتي يوم لاحدنا لا يسوؤه ان يعرف كيف كانت تمضي الحياة بفريق من الناس في يوم من الايام الماضية وكيف ان الاطفال يعيشون عمرهم . في مضطرب الاحداث ومضطرم الحوادث لا سيما وانها تمثل احداثا وحوادث كانت على الكثير من الاهمية والحسم في تاريخ هذا البلد .

التغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا

تاليف : حمد سليمان المشوخي
الناشر : دار الجامعات المصرية/الاسكندرية/ مصر

● يهدف هذا الكتاب الى توضيح الطريقة التي اتبعها اليهود في تغلغلهم الاقتصادي في افريقيا فهو هدف سياسي في المحل الاول يتمثل في تاكيد الوجود الاسرائيلي للخروج من العزلة التي تعيشها اسرائيل .

وقد ابرز المؤلف في البداية اهمية موضوع البحث محددا ابعاده وخطة معالجته ثم عالج في القسم الاول المرتكزات الاساسية للتغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا موضحا هيكل الاقتصاد الاسرائيلي وتطور قطاعاته وابراز مجالات انطلاق هذا الاقتصاد ، اما في القسم الثاني من هذه الدراسة فشرح التغلغل الاسرائيلي بادئا بجذوره موضحا اشكاله ووسائله المتنوعة كما تعرض لاهم مقوماته وتطورها ، موضحا المجهودات العربية ثم مجهودات مصر بخاصة في عرقلة نموه ، كما قدم المؤلف عدة توصيات لمواجهة هذا التغلغل بطريقة فعالة .

من وحي الاسلام والاحداث

تاليف : الدكتور عبد المنعم النمر
الناشر : دار الكتاب اللبناني/بيروت/لبنان

● مجموعة مقالات اسلامية نشرها المؤلف في افتتاحيات مجلة الوعي الاسلامي التي تصدر في الكويت عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، حيث كان المؤلف يرأس تحرير هذه المجلة مدة ٥٥ شهرا ، وهذه المقالات كما يقول المؤلف نبضات قلب ، ونفثات روح ، وزفرات الم ، وصيحة نذير ، ودعوة غيور فاض بها القلم مع الاحداث المتتابعة التي المت بامتنا وعاشت في خضمها ، مرتبة مع سير الزمن مجموعة كباقة فيها عطر لاناس وفيها شوك لآخرين يحتاجون الى وخز الشوك ، او الى اكثر منه ليستيقظوا .



بقلم : محمد سليم رشدان

■ فردوسنا الضائع .. فلسطين ..

حين نذكرها في ماضيها ، نذكر فيها امجادا ، ونذكر فيها مآثر ، ونذكر فيها تاريخا حافلا بالجلائل من الاعمال ، ثم نذكر فيها الى جانب ذلك كله نهضة فكرية ، وابداعا في ثمرات الاقلام . ونذكر فيها المؤرخين الافذاذ ، والخطباء المفوهين ، والعلماء العاملين بعلمهم . ونذكر فيها الأدباء المعدودين يصورون من حولهم مظاهر الحياة اصدق تصوير ، ثم نذكر ـ أخيرا ـ قافلة الشعراء ، وعلى هؤلاء اقف حديثي ..

فحيا الله الوجوه ..

اربعة شعراء

ودعني اطل بك من بعيد ، نستعرض على وميض خافت من ضياء التاريخ ، بعض ما قاله اربعة من شعراء فلسطين ، تلاحقوا في مراحل الزمن ، وأدرك ثلاثة منهم نهاية المأساة هناك .

ولقد تخيرتهم دون سواهم ..

لاذكر مواطنهم التي كانت درة في حاضر العرب وماضيهم ، وطالما تساقط الشهداء من اسلافنا ، في سبيل الدفاع عنها ، او في سبيل تحريرها من ايدى الغزاة الطامعين ، وبين عشية وضحاها اصبحت جزءا من الفردوس الضائع ، والوطن السليب ..

فتعال معي اذن ..

الشيخ يوسف النبهاني

ودعنا ننطلق مع الخيال الى ضاحية في أعالي الكرمل ، من ضواحي مدينة حيفا ، انها قرية (اجزم) ، التي يحيط بها نطاق اخضر من مزارع التين والزيتون ، ومن الغابات الكثيفة ، الزاخرة باشجار الصنوبر والبلوط .

وفي ربوع هذه القرية ، وتحت افياء شجر الزيتون من حولها ، كانت مسارح الشعر ومواطن الالهام للشاعر المطبوع (الشيخ يوسف النبهاني)[1] ، أحد الرواد السابقين للنهضة الأدبية ، التي لم تلبث أن ازدهرت بعد ذلك في فلسطين .

---

(١) العربي : هو الشيخ يوسف اسماعيل النبهاني (١٢٦٥ ـ ١٣٥٠ هـ) ◦ (١٨٤٩ ـ ١٩٣٢ م)

وفي تلك القرية الرابضة في أعالي الكرمل ، كانت تقع الانظار على الشيخ الجليل وهو في شرفة علييته ، يرسل النظرة الحائرة الى الافق البعيد ، كانما هو يستلهم عرائس الشعر من هناك.

وكان في جلسته تلك ، يستعيد ذكريات الماضي، وخاصة تلك الذكرى المريرة ، التي عاد بها من الاستانة عاصمة دولة بني عثمان ، فاذا هي تثير في نفسه احزانا واشجانا ، واذا هو ينشد :

ويممت دار الملك احسب انها
الى اليوم ، لم تبرح الى المجد سُلّما
فالفيت فيها امة عربية
يرى الترك منها امة الزنج اكرما
وما نقموا منا بني العرب خلة
سوى أن خير الخلق لم يك أعجما
بني الشرك اني ما تكلمت هاجيا
ولكن قلبي من جفاكم تكلما

وحين نلتمس الاسباب ــ بعد ذلك ــ ثم نحدق النظر ونجهده ما وسعتنا الحيلة ، لتتبين اخبار الشيخ النبهاني واثاره ، لا نجد منها ما يشفي القليل ، او يطمئن اليه الخاطر .

وذلك ان الشيخ يلتف به ضباب كثيف من النسيان ، ويحيط به من الاهمال والضياع ومفاجآت الايام ، ما يجعل البحث عن اثاره ينتهي الى طريق مغلق ، لا يفضي الى هدف ، ولا ينتهي بمن سلكه الى غاية .

وهكذا تضيع اثار الشيخ عند هذا المدى ، كما ضاعت من بعده مسارح خياله ، وملاعب صباه ، ومواطن احلامه وامانيه ، حيث اصبحت قريبة (اجزم) و (جبل الكرمل) من حولها ، ثم مدينة (حيفا) الجميلة ــ منطلق تلك القرية واهلها ــ في قبضة عدو رهيب ، ليس له مثيل فيمن سبق من الغزاة والمحتلين ، وذلك انه يمتلك الاوطان بعد ان يشرد منها ساكنيها ، وهو نوع من الغزو فريد في بابه ..

محيي الدين الحاج عيسى

وحين نفرغ من الشيخ واثاره ..

لا نجد مفرا من الانحدار عن الجبل الاشم ، لنتجه متصعدين الى الشمال الضاحك ، الى الجبال المعشبة ، الى (كنعان) الاخضر في جبروته وجلاله . وهناك عند هضبة من هضابه تنحدر قليلا عن قمته ، وتشرئب على ملا من جبل (الجرمق) ، لتطل على (بحيرة طبريا) ، وتشرف على (وادي الطواحين) ، وسفوح الليمون في جنباته ، وكروم (الظاهرية) في المنحدر الطويل ..

وهناك في (صفد) مرابع الذكريات للشاعر المجيد ، الاستاذ (محيي الدين الحاج عيسى) [1]، حيث كان هناك يطالع من حوله باسلوب ساحر ، والفاظ جزلة ، ومعان مبتكرة ، ليحدثهم عن ربيع بلده الاخاذ ، وهو يفاخر مزهوا ، ويرد معتزا بما يصف اذ يقول :

واني الربيع يعود'نا فتزخرفت
قمم الربى ، وتزينت صحف الثرى
ينفي عن العين القذا نوّاره
ويحط اثقال الهموم عن الورى
او ما ترى (كنعان) يلبس حلية
قد زخرفت ، فحكت لعينك منظرا
كم طاب في (صفد) الربيع وزهره
يكسو الربى وشي المحاسن مزهرا
فمتى اراها في السماك تقدما
قد ازهرت بالعلم حتى اثمرا !

واذا ما حدثك هذا الشاعر عن الفتى العربي في صيالمونتساله وهو يقاوم الاستعمار والمستعمرين، الفيته يتدفق بكلام ينبعث فيه بريق من مضاء العزيمة ، ويشع وميضا من سَوْرة الاقدام ، واذا هو يصفه بقوله

هتفت به اوطانه فأجابا
والموت يخطر جيئة وذهابا
شاكي السلاح قد انتضى بيمينه
سهم القضاء وبالبتار شهابا
مستبسلا كالليث ، الا انه
اضرى واقطع في النوائب نابا
لم تثنه عن عزمه دبابة
طلع العدو بها قصد وخابا
وصواعق منقضة .. وزلازل ..
تفني الحياة وتذهل الالبابا
فالنصر يشرق من سنا اقدامه
والمجد يرقب عزمه الوثابا

ثم ينطلق الشاعر بخياله الى شواطيء البحيرة

(١) العربي : يعيش الآن في حلب في سورية .

الساجية .. بحيرة طبرية ، فاذا هو يأتيك بصورة عنها تكاد تحملك على جناح من الوهم ، فاذا انت تقلب الطرف عند شاطئها الأخضر ، تتراكض امام ناظريك تلك المشاهد ، حتى لكانك معه تحس ما يحس به ، وتبصر ما يبصره ، فاسمعه حيث يقول في ذلك :

قف على شاطىء البحيرة سلها
عساها تجيبنا من سؤالك
هل يلذ الهوى بغير لراها ؟
ام يطيب القرار الا هنالك ؟
رق منها الهواء فهو عليل
مر فيها كخاطر من خيالك
فلبثما الايام نحسا وبؤسا
وهي مهوى لكل ناو وسالك
قل لمن رام غدرها واذاها
« انت تبغي ويمكر الله ذلك »

هكذا يقول الشاعر بكل آماله وظنونه ..

ولكن القدر يأبى الا ان يخيب آماله وظنونه ، فيقف في وجهه ساخرا ليقول له : لقد طاب في (صفد) الربيع ، ولكنك لن تراها في السماك تقدما تزهر بالعلم وتثمر وهي لبني قومك ..

كما يقول له : ان الذي رام لبحيرة (طبريا) وما حولها الغدر والأذى تم له ما يبغي ، ونزل بها على يديه من الأذى ما لا يخطر على بال ، وما لم يكن يتوقعه عربي في فلسطين وفي غير فلسطين..

اجل يا شاعر (صفد) ..

لقد ذهبت (صفد) من ايدي العرب ، ليعمرها اناس غرباء عنها ، فيملاوا جوانبها حتى لتغص بهم ، ويشغلوا كل دورها وفي ضمنها دارك انت ، ويحيلوا مساجد المدينة التي كانت آهلة بالمصلين عند كل فريضة ، الى بيوت خربة اغلقوا بعضها وردموا بعضها الآخر ، واحالوا جامع السوق الكبير الى متحف يعرضون فيه ما يفقد معه جلاله ومهابته ، وردموا قبالته ضريح صلاح الدين الصفدي الشاعر الخالد ، الذي حضر تدشين بنائه الفخم شيخ العروبة الجليل من مصر الى جانب الكثيرين من رجالات العرب وعلمائهم من فلسطين وخارج فلسطين ، وهدموا سوق المدينة بكامله ، وهدموا معه الكثير من الدور والقصور ، التي شيدها اهلها بالدعة والطمأنينة ، وهم يتصورون انفسهم في مأمن من غوائل الدهر . لم ردموا المباني الكثيرة عند مدخل الجسر من الشرق في جانبي الشارع ، واقاموا بدلا عنها سلسلة من المباني الشاهقة التي تعددت فيها طوابقها ، وحشدوا فيها جموعا من المهاجرين ، وهدموا مزار ولي الله (ابي قميص) ، ليقيموا مكانه وفي حرمه الواسع المحيط به مركزا لانطلاق سيارات (ابجد) ، واحالوا حي الاكراد بكامله ، وبكل ما فيه من عمران زاهر الى اطلال مهدمة ، ضاعت فيها معالم المسالك هناك .

ولم يقفوا عند هذا الحد ..

فلقد ازالوا من الوجود كافة القرى المحيطة ب (صفد) ، ابتداء من قرى : (عين الزيتون) و(عين الحمراء) ، و (الظاهرية) ، و(عكبرة) ، و (وادي الطواحين) ، وانتهاء عند : (الجش) و(علما) و (ميرون) و (فراديا) .

ولقد ازالوا من الوجود كذلك مقبرة (صفد) وردموا فيها قبور الاولياء والصالحين ، واقاموا فيها متنزها ، وحفروا فيها بركة للسباحة ، وعلى مقربة من مكان (عين العافية) ، اقاموا مقصفا يعرض فيه المتنزهون هناك صورا شتى من التبذل على رفات الاجيال المتعاقبة من اهل (صفد) ، وفيهم الكثيرون من الطيبين الاخيار والشهداء الابرار .

وحسب هذه المدينة العريقة في عروبتها ، انها اصبحت في غربة قاتلة لا يطالعها معها وجه عربي واحد ، ولا يتردد في جنباتها لسان اهلها ، كانما لمستها عصا ساحر ، فاحالتها الى بلد اعجمي ، لا تربطه بالعرب والعروبة اية رابطة !!

الشيخ سليمان التاجي الفاروقي

وحين ندع (صفد) على حالها ذاك ..

وننحدر نحو الجنوب من فلسطين ، لم نوغل في السهل الفسيح الاخضر على مقربة من الشاطىء الجميل ، تطالعنا مدينة (الرملة البيضاء) ؟ حيث اطلال بني امية هناك ومعالم آثارهم الخالدة ، وحيث مدارج الحداثة وملاعب الصبا ، ومسارح الشاعرية المبدعة والمواهب الفذة ، للاديب الملهم الشيخ (سليمان التاجي الفاروقي) (١) الشاعر

---

(١) العربي : مات بعد سنة ١٩٦٠ .

الناثر الخطيب ، والصحفي المجلي على صفحات جريدته (الجامعة الاسلامية) .

وما دام حديثنا عن الشعر ..

فاسمعه ـ الآن ـ في شعره وهو يحدثك عن الناس في اخلاقهم وطباعهم ، وما لمسه منهم بعد ان خبرهم وابتلاهم ، ثم ما ساوره من اليأس منهم في اعقاب هذا الذي ابتلاهم به ، وذلك حيث يقول :

ولما رأيت الناس ضلت حلومهم
فلا أحدٌ يَهدي .. ولا أحدٌ يُهدَى
وشيمتُ وجوهَ الناس قد غاضَ ماؤها
فلا وجنةٌ تحمرُ .. أو جبهةٌ تندى
يئست من الانسان .. أنّى وجدتُهُ
بسبب الأسى سهوا .. ويغشى الأذى عمدا

وحين وقف حيال وطنه الذي اختلفت فيه الآراء انذاك ، وتضاربت فيه المذاهب المتنافرة ومزقت شمله العصبيات الطائفية ، والعصبيات الاقليمية ..

حين وقف حيال هذا الوطن ، وشاهد فيه ذلك كله ، اوشك أن يغلبه اليأس منه ومن اهله ، لولا ما ثار في نفسه من امل ، دفعه الى ان يهتف قائلا :

لا تهن .. نحن هنا يا وطنُ
سوف يصفو لبنيك الزمنُ
نمنح النصرَ لنا نحرزهُ
عممٌ جبارةٌ لا تهنُ
وشبابٌ باسلٌ متدفعٌ
حين تحمرُ المآقي خشنُ
وكهولٌ في ملاقاة الردى
يجبن الموتُ وهم ما جبنوا
لو بألف من صناديد الوغى
يزنون الفردُ منهم .. يزنُ
ويح من كادوا لنا .. غدرا بنا
ويحهم في دارهم ان امنوا
نحن مهما بعد الدين بنا
وتناءت في التلاقي سنننُ
اخوة قد جمعتهم وحدةٌ
بارك الله بها .. والوطنُ

وفي الرملة البيضاء ..

نجد القدر يقف للشاعر بالمرصاد ، ليتحداه مثلما تحدى شاعر (صفد) ، فاذا هو يصرخ بوجهه قائلا : بل انكم لستم هنا ايها الشاعر ، وان الزمن لم يصفُ لكم كما كنتم تؤملون ، كما ان هممكم التي وصفتها لم تضمن لكم النصر ، وشبابكم وكهولكم الذين يزن الواحد منهم الفا تمزقوا في افاق الارض، وطوى منهم الردى كثيرين.

يقول له ذلك او ما يدانيه ..

لأن حاضر (الرملة البيضاء) لم تعد له صلة بغابرها ، فلقد انطوت منها صفحة العروبة جملة وتفصيلا ، واصبح كل من فيها هم من الغرباء وازيل منها كل اثر يربطها بغابرها ، فلقد دمر العدو فيها مزار (ابى يزيد البسطامي) واصبح في موضعه ركام من الخرائب ، ولقد ازالوا جانبا كبيرا من هذا الركام واقاموا فيه الدور والمباني، وهم ماضون في ازالة ما بقي منه ، ولقد احالوا المسجد الكبير ، الذي كان يعرف بالجامع الأبيض الى مكان خرب مهجور بعد ان كان عامرا بالمصلين مع كل فريضة ، وتركوا منارته الجميلة توشك أن تؤول الى السقوط ، بعد ان مضى عليها العهد دون صيانة او ترميم ، ولقد ردموا مزار (نبي الله صالح) وازالوا اثار المسجد الكبير من حوله، واوشك برجه الحصين على السقوط ، بعد ان كان يعتبر من ابرز المعالم الاثرية في فلسطين ، حتى كانت صورته مثبتة على اوراق النقد في عهد الانتداب .

وحين يطالعنا ذلك كله ..

تجود العين بدمعها على ما حل بـ (الرملة البيضاء) من المآسي والخراب وازالة المعالم .

الشيخ ابراهيم الدباغ

لم نتحول الى مدينة (يافا) على مقربة منها ، وفيها كانت مسارح الصبا وملاعب الطفولة لشاعر آخر هو الشيخ (ابراهيم الدباغ) (1) ، الذي نشأ وترعرع في مدينة (يافا) ، حتى بلغ فيها مبالغ الرجولة ، وعندها اقض مضجعه وجود المستعمرين هناك ، ففرض على نفسه الغربة الدائمة في مصر ، ولكنه في ذلك المغترب لم ينسَ وطنه ، ولم يغب طيفه عن خاطره ، فهو شغله

---

(١) العربي : الشيخ ابراهيم مصطفى الدباغ توفي ودفن في القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م .

الشاغل ، وهو موضع اهتمامه ، وهو ملء نفسه وفؤاده ، وفيه يقول :

أموجُ بالدار أبكيها .. واندبهـــــا
فقلْ سلاما لها .. من حبيرٍ مأسور
تحركت لك أشواقي .. وما برحتْ
هبْنِي اذا سكن الهدّار .. بل ثورى
فكلُّ نفسٍ لهـا من سعيها أمـــلٌ
ولا تنـال مناها .. دون تحريـــر

وحين يزيد ما في نفس الشيخ من حنق على العابثين بوطنه ، يستنهض اليهم همم الفتيان من ابناء هذا الوطن ، قائلاً :

يا فتيةَ الاكرمين العُربِ .. هــل لكمو
في نجـدةٍ .. مـن بقايا نخوة العرب ؟
أين الفتى العربيُّ المستعانُ بـه
يومَ الكريهة..؟..هل ضاعَ الفتى العربي ؟
متى أرى القومَ حولَ الصخرةِ اجتمعوا
بعدَ التفــرقِ .. من نأءٍ ومقتربِ ؟
وقفتُ بالـدارِ أبكيهـا .. وترمقني
عيونهـا .. بلحـاظِ اللائمِ العتِـبِ
يا مربضَ الخيلِ لو أنَّ الاعشّـةَ لـي
اطرتهـا شهبـا .. تأتي على الشهبِ
قومي وأهلي .. وما لاقوا .. وتجدانهم
لقيمتي .. وعنادَ الدهرِ يقعدُ بي

وفي مدينة (يافا) ..

يقف لسان الحال ليتحدث بالواقع المرير ، الذي تعيشه عروس الشاطيء في حاضرها المظلم ، فيقول بالصوت الجهير : ان استنهاض الشيخ للفتى العربي في كل ديار العروبة لم يُجدِ نفعا ، ولقد ذهب ـ مع الاسف الشديد ـ صرخةً في وادٍ او نفخةً في رماد ، وان اجتماع قومه العرب بعد التفرق في صف واحد حول الصخرة المشرفة لم يتم ، لا من قريبٍ ولا من ناء بعيد ، وان الديارَ التي بكاها وهي ترمقه بلحاظ اللائم العتب ظلت ترمق غيره من ابناء العروبة بهذه اللحاظ ، ولكنه لم يتأثر بلومها وعتابها احدٌ منهم .

وهكذا .. ومع كل ما يرافق ذلك من اوجاع واسى .. !!

لم يعد في مدينة (يافا) احدٌ من اهلها ، واصبح (حي المنشية) بكامله خرائب مهجورة ، تركها العدو على حالها دون صيانة او ترميم ، ليتداعى بنيانها بفعل السنين ، وذلك ما حدث ، وهو الآن يجرف انقاضها ليلقي بها الى البحر ، فتتسع له بذلك رقعة العمران . ومدينة (يافا) القديمة احالها الى انقاض وركام ، ثم جعل منها حديقة جلب اليها النخيل متكاملاً وغرسه وسط هذا الركام وفوق تلك الانقاض ، وكان ماضيا خلال الصيف الماضي في عمله ذاك ، ليجعل منها حديقة زاخرة بالنخيل ، فيمحو بذلك كل اثر من اثارها .

و (حي العجمي) بكامله ، و (حي ابو كبير) وكافة ما حوله ، و (حي النزهة) كـذلك ، اقتلع منها كافة اهلها جميعا واسكن فيها الغرباء الوافدين من افاق الارض ، وجمع من بقي من اهلنا هناك وحشرهم دونما استثناء في (كـرم الدهون) واقام عليهم حراسا من الشرطة والجيش في القصر الاخضر ، الذي كان يعرف بقصـر (الشيخ علي) ، ليراقب منهم تحركاتهم وسكناتهم ، ومنعهم من مغادرة ذلك المعتقل الى اي جانب من جوانب المدينة ، وهو ماضٍ في ازالة كل اثرٍ يربط المدينة المغلوبة على امرها بماضيها العربي ، ومن اجل ذلك اغلق جميع ما فيها من مساجد ، وتركها خربة مهجورة لتؤول الى السقوط كما آل (حي المنشية) بكامل عمرانه ، ولذا تجد الجامع الكبير في وسط المدينة مغلقا ويمنع الدخول اليه ، كما تجد كذلك كافة المساجد الاخرى في مختلف اطرافها .

باكورة النهضة الأدبية

هذه صور من الشعر ، لبعض شعراء فردوسنا السليب فلسطين ، ولقد كان هناك باكورة النهضة الادبية التي قامت فيما بعد ، وان لم يمتد بها العمر طويلا ، وهؤلاء الشعراء على اثارهم سلك اللاحقون وعلى منوالهم نسجوا ، في النهضة الادبية التي قامت هناك وازدهرت كثيرا ، وان لم يمتد بها العمر طويلا بسبب تلك النكبة التي حلت بالبلاد ، وكانت سببا بخروج اهلها منها ، ليعمرها قوم غيرهم وليزيلوا منها كل اثر من اثار العروبة والاسلام .

ليت شعري .. هل يطول بها ذلك الاسر ام ينتهي الى زوال قريب ؟!

انه تساؤل يردده ابناء الوطن العربي كله .. ترى متى الذي يجيب عليه ؟! ■■

عمان ـ الاردن : **محمد سليم رشدان**

نتيجة مسابقة العدد ١٨٢

صواريخ ومدافع وطائرات

■ كانت مسابقة العدد ١٨٢ على اسئلة من وحي معركة ٦ اكتوبر ، وكانت معظم اسئلتها تدور حول اسلحة اومواقع حربية استراتيجية كانت حديث تلك الحرب . ولما كانت احاديث البطولة والحرب محببة الى النفوس ، فقد انعكس ذلك على اجوبة القراء ، حيث كانت اغلب اجاباتهم صحيحة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ تقع حقول بترول سيناء على ساحلها الغربي.
٢ ـ السلاحان هما الدبابة ويرمز ت ٦٢ للدبابة العربية وم ٤٨ الى الدبابة الاسرائيلية .
٣ ـ الصاروخ المقابل لسام ٦ هو الصاروخ هوك.
٤ ـ نهر الفرات أطول من نهر دجلة .
٥ ـ سمي جبل الشيخ نظرا لان الثلج يكسو قمته فيبدو من بعيد كالشيخ المعمم .
٦ ـ عدل نابليون عن شق قناة السويس لأن الاعتقاد كان بأن مستوى البحر الاحمر اعلى من مستوى البحر المتوسط .
٧ ـ خط ماجينو كان في فرنسا ، وخط سيجفريد كان في المانيا .
٨ ـ عين جالوت وقعت في الشام في عام ١٢٦٠ م وانتصر فيها « قطز » على التتار ، اما حطين فقد وقعت في يوليو عام ١١٨٧م بالشام وانتصر فيها صلاح الدين الايوبي على الصليبيين
٩ ـ هذه المستعمرة هي مكاو .
١٠ ـ قائد هذه الثورة الشعبية هو احمد عرابي .

الفائزون بالمسابقة

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمود عبد الحميد سليمان ـ الاسكندرية ـ مصر.
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عبد الله ابراهيم السقاف ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : خالد يعقوب يوسف ـ المحرق ـ البحرين.

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥دنانير فاز بها كل من :

١ ـ احمد زياد زكريا ـ حلب ـ سوريا .
٢ ـ محمود ايوب سند ـ عمان ـ الاردن .
٣ ـ سهيل نعمة الله عبود ـ بيروت ـ لبنان .
٤ ـ عصام الدين حسن زكي ـ النقرة ـ الكويت.
٥ ـ عوض عبد الماجد ـ الخرطوم ـ السودان .
٦ ـ محمد عزو حيتو ـ الموصل ـ العراق .
٧ ـ عبد الرحمن عبد المحسن البابطين ـ الرياض ـ السعودية .
٨ ـ لميس حسين رزق ـ ابو ظبي ـ الامارات العربية .

وسوف ترسل الجوائز الى الفائزين بالبريد .

■■

إنك في المقدمة حين تتعامل مع
البنك الوطني





بنك الكويت الوطني ش.م.ك

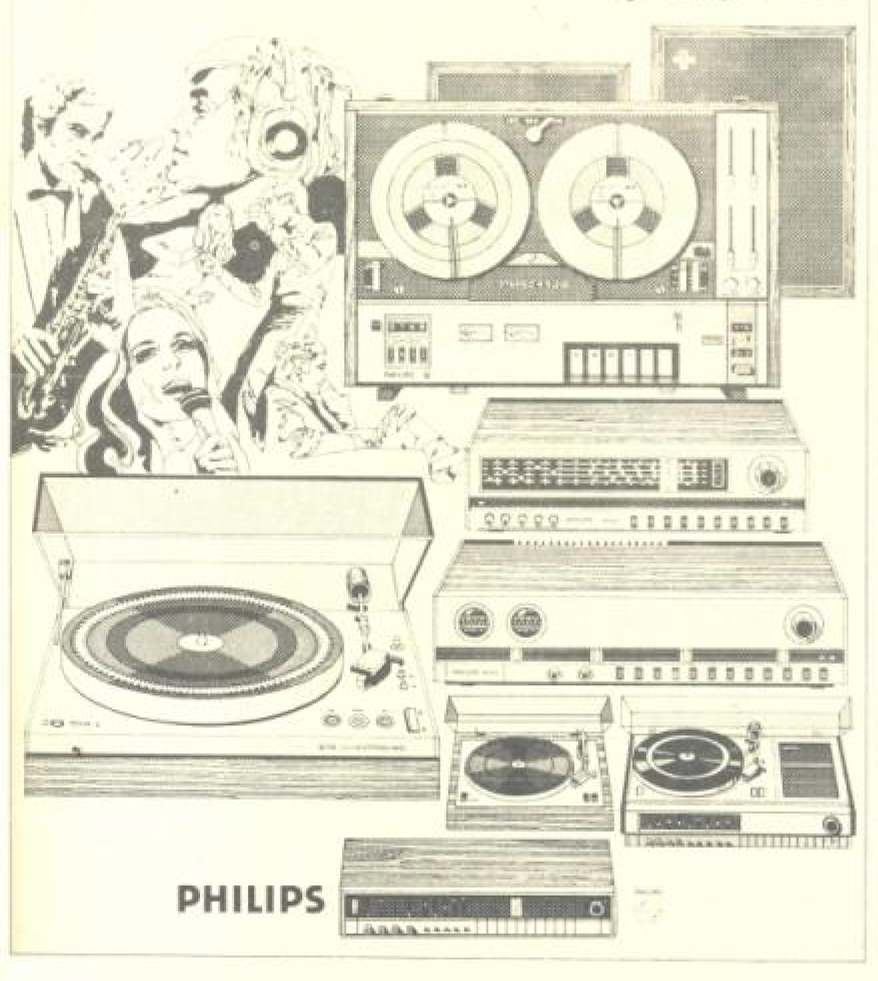
تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مؤسسات شقيقة: بنك الكويت المتحد، لندن. بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف، ش.م.ل. بيروت. فراب بنك الدولي - باريس - بنك البحرين والكويت - ش.ب.م - البحرين - البنك الأوروبي العربي، بروكسل - البنك الأوروبي العربي ج.م.ب.هـ. فرنكفورت

فيليبس هاي فاي تعزف لك أحلى الموسيقى

ان المجموعة الأنموذجية من معدات فيليبس "هاي فاي انترناشونال" قد تتألف من هذه الأجهزة: لاعب الاسطوانات جـ. أ ٢٠٢، المسجل الشريطي ن ٤٥٠٠، مضخم الصوت ر. هـ ٥٩١، ضابط اللحن ر. هـ ٦٨٧، الصندوقين الصوتيين ر. هـ ٤٩٦. كل هذه معا تقدم لك أروع ما يعرفه عالم الموسيقى، سواء على الشريط أو الاسطوانة أو الراديو.. ولهذا أمر منطقي، لأن محتويات هذه المجموعة هي كلها من صنع فيليبس. ذات التصميم ينسجم مع طريقة الصنع. كل جهاز من هذه الأجهزة يحمل علامة "هاي فاي انترناشونال" للدلالة على انه مطابق لجميع الشروط القياسية الرسمية المتعارف عليها عالميا. ابحث عن هذه العلامة عند شرائك أجهزة هاي فاي. انها الضمانة التي تكفل لك أجود معدات الانتاج الموسيقي.




الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الرقة.
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠٣
AP
AUDEMARS PIGUET
la plus prestigieux des signatures

كل ما تحتاجون اليه للتمتع بالستريو المنزلي الكامل

بالإضافة الى أفضل الأصوات من سوني

هنالك طريقة سريعة وسهلة لملء منزلكم بالأصوات الستريو الرخيمة والممتعة التي تشنف الآذان.

وهذه الطريقة هي النظام الموسيقي الستريو سوني HP - 219 A فهو يضم مضخم أصوات ستريو ومنغم راديو FM Stereo / FM - AM حساس.

وهو يضم أيضا لاعب اسطوانات بـ ٣ سرعات مع مغير اوتوماتيكي يعالج لغاية ٥ اسطوانات، ويمكن تشغيله يدويا ايضا.

كما انه يضم لاعبة كاسيت تسجل (إما من الراديو او الاسطوانات، او الأصوات "الحية" بواسطة مايكروفونات اختيارية) وتعيد بث جميع انواع التسجيلات المسجلة على كاسيتات مونو أو ستريو.

وأخيرا، يضم زوجا من مكبرات الأصوات المتناسقة تماما مع بعضها التي تعطي أنعم وأمتع الأصوات من سوني.

إملأوا منزلكم بأروع الأصوات بالطريقة السهلة. راجعوا موزعي سوني بخصوص النظام الموسيقي الستريو الكامل سوني HP - 219 A.









الوكيل العام } مراد يوسف بهبهاني ساحة الصفاة

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة اندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبيرة من خامات الحديد والنحاس والقصدير والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أو عن آثار الثورة الزراعية .

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري في نطاق الباسفيك ؟ أو ان يخبركم عن تكامل الأسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الأحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة - حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الأحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلات الرفيعة التجهيز قرار تحليله .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الأقصى ، او رغبتم في معرفة [illegible] فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافورة ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن . ب . أ . غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن . ب . أ . نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.



مياه مبردة



قوة في التبريد

من هيتاشي:
مبردان للماء قويان متينان وجذابان مصممان بطريقة مثالية للاستعمال في المكاتب والمطاعم والمتاجر.
وأعدت التصاميم لتختاروا ما يناسبكم منها. فالموديل RW-1502P الجديد أعد خصيصا ليقام فوق الارض مباشرة.
اما موديل RW-1001B فهو موديل جديد أعدَّ ليقام فوق المنصات. وتتوفر في كليهما كافة وسائل الصحة العامة. لقد صنعا من صلب وجهزا بخزانات الماء ومبردات من الفولاذ الذي لا يصدأ. ويتيح كلاهما لكم تعديل درجة التبريد حسب رغبتكم.
اهم ميزاتهما: المتانة وخلوهما من الخلل لانهما من صنع هيتاشي. وفروا الحياة الهانئة للجميع باستعمال مبردات الماء. زوروا وكيل هيتاشي اليوم.



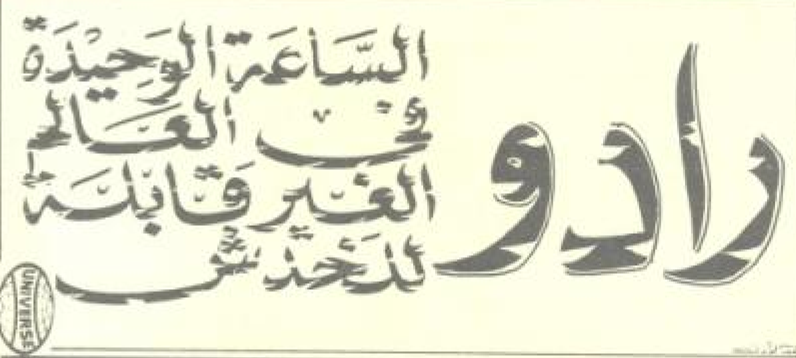


RW-1502P

RW-1001B



RADO



أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

لقد جعلنا تسجيل الصوت والصورة سهلاً كتسجيل الصوت

VC 500

VTC 7100

Video Cassette Tape

فالأمر يختلف تماماً مع الكاسيت ذو البكرتين قياس ½ بوصة . وكل ما يحتاجه كبسة ونقرة خفيفتين لتثبيته ، وكبسة ونقرة لإزالته ، والباقي كبسة أيضاً.

* التسجيل « في كل زمان ومكان » بالتيار الكهربائي المتناوب أو البطارية التي يعاد شحنها.
* الصوت متوافق مع مكبّر الصوت المثبت داخل الكاميرا.
* التأكد من « الموقع » من خلال آلة التصويب التي تعمل كجهاز مرئي للتحكم.
* الاستماع والمشاهدة من خلال تلفزيون المنزل بالسرعة العادية أو البطيئة أو الثابتة
* خفيف الوزن جداً ، إذ يقل وزن الكاميرا والمسجل والبطارية عن ٢٠ باوند.





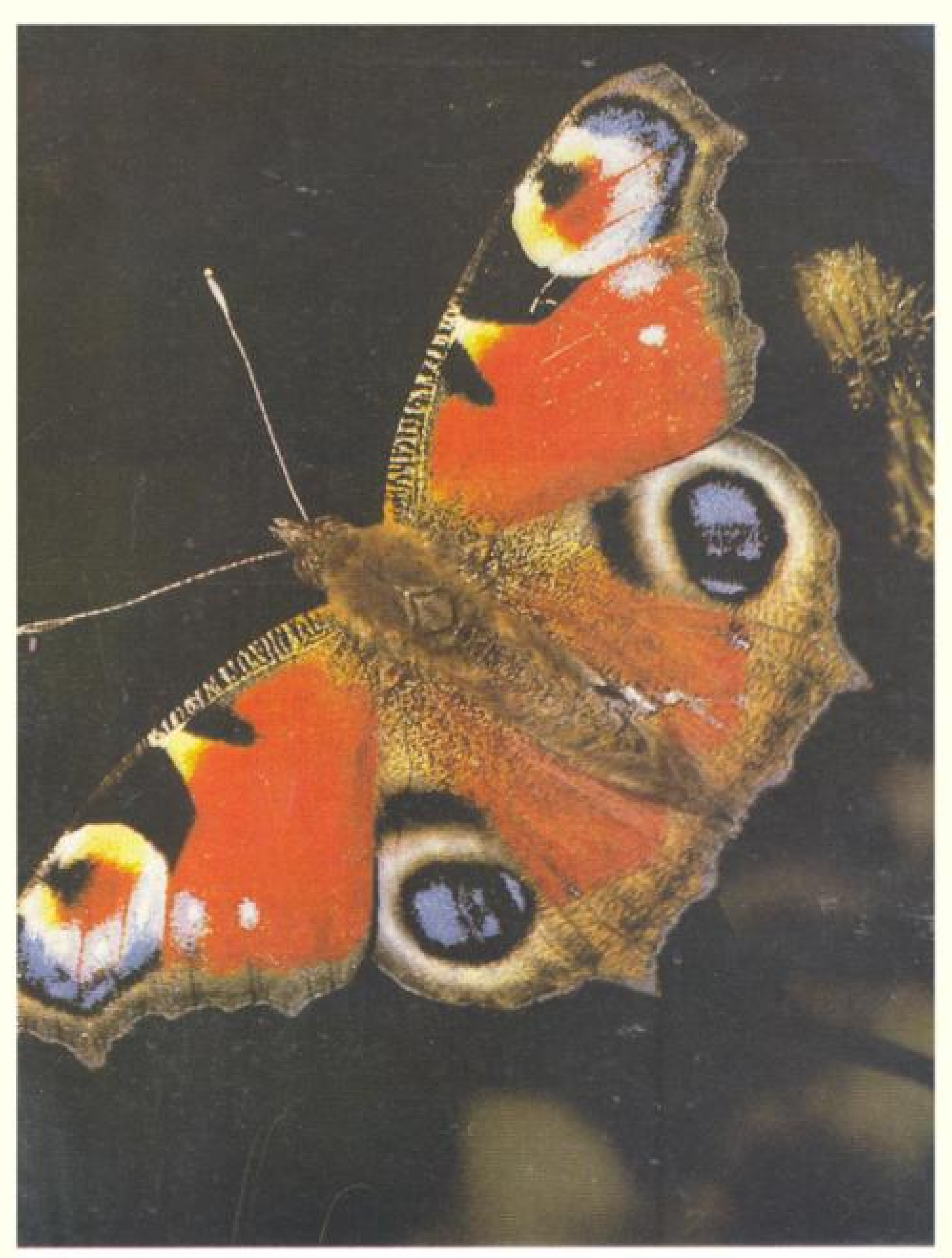
العدد ١٨٦
ربيع ثاني ١٣٩٤
مايو
(أيار) ١٩٧٤

طفلة من حرض بالسعودية تفرح باحتضانها حملا صغيرا
هو أساس الثروة الكبرى التي صنعتها ثورة العمران

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	١٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠ع٠م	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



الفراش ، من أزهى الحشرات
الوانا ، وارقها اجساما .

(انظر صفحة ٣٠



عزيزي القارئ

لا يصل هذا العدد من « العربي » الا وقد حل شهر آيار،وشهر آيار اول الربيع.انه الشهر الذي تنشط فيه الحياة بعد تخاذلها . فتنشط في النصف الشمالي من الأرض ، حيثما كانت ورقة خضراء تنبت ، او رجل على الأرض تدب، او جناح في الهواء يصعد ، او زعنفة في الماء توجه .

وهو الشهر الذي قال فيه ابن الرومي :

تشتاق آيار نفوس الورى　　　وانما الشوق الى ورده

فهذا آيار يا صاحبي،فاستمتع بصفاء شمسه ، وتروّح بالعليل من نسائمه ، ولا تنس ورده وريحانه ، وفله وياسمينه ، فلها جميعا روائح كبعض روائح الجنة ، هبطت بذورها الى الأرض في غفلة من الزمان .

المحرر

حديث الشهر

اختلافُ الرأْى،



بقلم رئيس التحرير

■ اعود الى الكتابة فلا أجد بابا ، كالسياسة، يغرى الكاتب بالدخول فيه.

ذلك لان السياسة هى اليوم امس شىء بحياة العرب ، واكثر الأمور ارتباطا بمصائرهم . وكثيرا ما هبّت رياحها عاصفة تنذربإقتلاعهم من الأرض اقتلاعا، ثم هدأت ثورة الريح فافسحت الأمل ببقاء ليس هو خير بقاء .

واحيانا تفيض بالعربى الآمال فيضا ، فيدرك ادراكه الواسع الصحيح بانه بعض الناس ، وانه متأهل للفهم ، وله نصيبه من الذكاء مثل سائر الناس ، وانه فى وسعه ان يعمل كما يعمل الآخرون فى سائر الأمم ، بعضله ، وبعقله ، ليسد ما فيه من نقص ، وليمحو ما فيه من تخلف، ويسبق فى ميادين السباق جميعا فيكون فيها أولا .

فالعربى كسائر الناس ، لا ينقص عنهم ، واقول ولا يزيد عليهم . وكما سبق الآخرون وترأسوا ، يستطيع العربى ان يسود ويترأس ، بالذى حباه الله من فطنة وارادة حبابهما من تقدم من خلقه ومن تخلف .

ولكن مفتاح كل هذا ، فى هذا الزمان الحاضر ، وللعرب خاصة ، هو السياسة التى سوف يتمخض عنها هذا الزمان ، لا سيما بعد حرب اكتوبر هذا الماضى .

عدوّان

ان العرب ، لهم فى السياسة التى تتخلق اليوم ، فى هذا الزمان ، عدوّان : **عدو من غير انفسهم، وعدو من انفسهم.**

اعداء من غير انفسهم

اما اعداؤهم من غير انفسهم فهم كل من لم يشركهم فى ماض من التاريخ او حاضر . كل هؤلاء اعداء محتملون . بعضهم اعداء ذوو عداء تحقق . وبعض ذوو عداء لم يتحقق ، ولكن كانى به وقد اوشك ان يكون .

ويزيد فى أعداء العرب ، من محققين

في سبيل الخير

الرأي عن خبث وغدر

وهو لا يمنع من الالتقاء والتناصح والمودة
تطول ما طالت الأعمار،
فيفنى الرأي ويفنى صاحبه

ومحتملين ، من امم سبقت وتقدمت ، تلك الفرجة الواسعة القائمة اليوم بين العرب وسائر هذه الأمم السابقة . وهى فرجة واسعة، فى رأى ، وفى مزاج حياة، وفى حضارة .

ان العداء يبدأ بعداء فكر ، واذن فبعداء منهج ، واذن فبعداء مصالح .

وكثيرا ما تتراءى المصالح متعاكسة ، وما هى على التعاون وخلوص النيات بمتعاكسة ، ولكن المتعاكس هو ما فى القلوب من تنفرة ، سببتها النشأة المختلفة واللسان المختلف ، وعادات الراس المختلفة عند التفكير . ونعلم أن الحب والبغض مكانه القلوب ، ولكن للقلوب منافذ الى الرؤوس وهى تفكر ، فيفسد الحب او البغض ، الذى هو حصيلة الزمان المتراكم ، يفسد على الرؤوس كل تفكير .

ولا خلاص للدنيا من هذه العداوة النافرة الا بالتقارب فى أنماط الحياة الانسانية ، ما يتصل منها بالأجسام وما يتصل بالأرواح . الا بان تلبس هذه الأنماطُ أزياءً متقاربة ، ولا أقول متواحدة .

ان الولادة توحد بين الناس .

وان الموت يوحد بين الناس .

وآلام الحياة وارزاؤها توحد بين الناس .

والأمراض توحد بين الناس ، وبوحد الشقاء الذى هو حصيلة الحياة .

وللناس جميعا، وفى كل موطن ، آمال تتحقق واخرى تخيب ، ويأتى الزمان ، فيطوى الناس ، ويطـوى آمالهم فيما تحقق او خاب ، فكأنها لم تكن ، وكأنما خطها اصبع فى رمل فذراه الريح ، او كأنما خطها اصبع على صفحة ماء ، فما كاد يبين حتى اختفى .

واعداء للعرب من انفسهم

اما الآخرون من اعداء العرب ، مـن انفسهم ، فقوم يحـدثون الفرقة فى الناس ، عامدين او غير عامدين .

بعض عنده الفرقة لخصام وحرب ، والخصام عندهم متعة ، وكذا الحرب . ومن هؤلاء بعض رجال الصحافة .

واذكر مثلا حاضرا لصحافية عربية ذهبت الى رئيس دولة عربية كبيرةتسأله رايه فى حل المسألة الفلسطينية كيف يكون ، وتحرجه بأن تقول له ، انه اذا لم يجب فستعد ذلك تهربا منه . وهى تعلم ان رئيس هذه الدولة ، كسائر رؤساء الدول العربية ، يتحاشون ابداء راى فى هـذا الموضـوع ، وتركوه للفلسطينيين انفسهم ليقولوا رايهم فيه، بعد ان اختلف الفلسطينيون اى اختلاف فيه . فالرؤساء ارادوا حصر الخلاف حتى لا يزيدونه رقعة بطرح آرائهم فيه. انها آراء لو طرحوها ، لا يكون منهـا اتساع الفرقة فحسب ، وانما تفتيت الوحدة .

هذه الصحافية لا شك تعلم ذلك . ولكنها تفعل ذلك لتحظى بما يسمونه نصرا صحفيا ، وما هو الا نكبة عربية ابت فطانة رئيس الدولة المذكور ان يقع فيها.

ومن اعداء العرب ، قوم شعوبيون ، طريق السلم عندهم ان يسلم وطنهم ، وتحترق سائر الأوطان .

ومن امثلة هؤلاء رجال نعوا على مصر فتح القناة لأن اغلاقها بعث رواجا غير منظور فى بلدهم هم ، وسيذهب فتح القناة بهذا الرواج . اذن لا بد من ابقاء القناة مغلقة . وعارضوا الأسواق الحرة تفتتح فى مدن القناة لأن خيرات هـذه الأسواق سبقت الى جيوب آخرين فى بلاد عربية اخرى . وعندهم ان بلادا كاد عدد سكانها ان يبلغ الاربعين مليونا، لم تعرف هذه الأسواق الحرة ، وعانت التخلف والفقر عشرين عاما ، فهى قد الفت ما فى الحياة من فقر وتخلف ،حتى اصبح الفقر فيها والتخلف عادة . هذه البلاد باستطاعتها ان تظل على ما هى فيه ، فلا تفعل ما تتقلب به الأوضاع بين بلد عربى وآخر عربى ، فتقلب بذلـك موازين العروبة !!

ان اعداء العرب ، فيما بينهم صنوف كثيرة ، ولكن يمنع الحرج من الاستطراد فى ذكرهم ، ويمنع الخجل ، ويمنع من ذلك ايضا أن كثيرا منهم لا يفطنون الى ما هم صانعون ، فبعضهم ابصارهم لا ترى الا ما عند مواقع اقدامهم ، فموطن العروبة عندهم هو ما قامت عليه هاتان القدمان .

الجـولان

وادع العام الى الخاص .

وانظر الى رقعة الحوادث ، فاجد كل شىء هادئا فى الميدان على غير ما أتوقع ، الا نيرانا فى هضبات الجولان ما زالت ، وانا اكتب فى الخامس من نيسـان ، تشتعل اشتعالا،وتكبد الأعداء الخسائر، حتى اقضت مضاجعهم ، ووصـف الواصفون هذه الحرب ، فقالوا : انها كحرب السادس من اكتوبر ذلك الماضى، او هى اشد ضراوة .

وضراوة هذه الحرب التى يدير اخواننا السوريون رحاها ، ضراوة معقـولة مفهومة مقبولة . انها غضبة الأمة التى تدافع عن عاصمتها دمشق ، فدمشـق



القنال : اغلقوه ، فانتفع ناس من العرب ،وخسر ناس ،فلما اراد اصحابه ان يفتحوه ،اعترض المنتفعون

لا تبعد عن الجولان غير بضعة عشر من الأميال . ودمشق ، هدف من اهداف الصهاينة ، استهدفوه في أوائل هذا القرن ، ثم لما منعوا منه ، حزنوا حزنا كثيرا . وبذلك تحدثنا في « العربي » منذ سنوات . فسوريا تحارب تطلب لعاصمتها الحدود الآمنة . واسرائيل تحارب لتبقى في الجولان اقرب ما تكون وثبا على هذه العاصمة .

ولقد ذكرت مرة أن استيلاء الصهاينة على دمشق هو بعض آمالهم . فهل ما قلت من سمعوه من العرب . هالهم أن تفكر في هذا اسرائيل ، وهالهم أن ترضي بذلك الدنيا . امثال هؤلاء العرب لايمكن أن يفطنوا لمعنى أن الزمان يتغير ، وانه قد يتغير فيقلب الدنيا ، ودنياهم خاصة ، راسا على عقب . ان الصهاينة لو استطاعوا غزو دمشق لغزوها ، ولو استطاعوا الاستيلاء على القاهرة لاستولوا عليها ، ويكون أول مصفق لهم كل الأمم التي هي اليوم « صفوة » أهل الارض . فصفاء أهل الارض اليوم كدر ، وعهودهم غدر ، وسياساتهم حيلة واحتيال . وكل شيء عندهم مقبول لمن قدر عليه . فالقدرة تأذن بالقبول .

اضعنا أولى القبلتين

لقد كنا نكبر أن يستولي اليهود على مسجد الصخرة وعلى المسجد الاقصى ، ولكنهم استولوا عليه عنوة واقتدارا ، ولم نستطع خلاصا الا بالدعاء يخرج في



اولى القبلتين ،ضياعها انذار بضياع القبلة الثانية

الصلوات بالمساجد ، وغير المساجد . ويسمع الله الدعاء ، ولكنه لا يستجيب، لأن لاستجابة الدعاء عنده تعالى شروطا اغفلها الانسان الداعى .ان القوة ضيعت على المسلمين احدى القبلتين ، وضيعت على النصارى مرقد المسيح ، أو ما ظن الناس انه مرقده فأجلوه وقدسوه ، ولكن قبل أن تضيع القوة،قوة الأعداء، ضيع الاهمال ، وضيعت الغفلة،وضيع الحرص على مكاسب الدنيا ، وما كان اقلها . كل هذا مهد للقوة ان تفعل فعلها . واللهلايستجيب لدعاء الضعفاء.

ما بال القبلة الثانية

لقد أضعنا احدى القبلتين ، فما بال القبلة الثانية .

ذكرت ذلك لاحد الاخوة العرب ، فهاله أن قلت ذلك . ومع هذا ، فعندى انه قد لا يبعد على الزمان ان تنقلب الاحوال ، فيقع ما لا يخطر حتى لابله اليوم فى حسبان، فتحمل قضبان السكة الحجازية الكبرى ما تحمل من عتاد ورجال . الى اين ؟ الى حيث توجه الضربة الى الصميم الأصم من قلب الاسلام .

الضياع ، وجود رجال عند الحرمين اشداء ، يعملون فى صمت ، وفى رجاحة عقل ، وأحسب انهم الزعماء الذين اختارهم القدر لدفع هذه الأسواء ..

ضياع الثقة
اشعل النيران بالجولان

لقد أشعل النيران بالجولان حرص الاخوة السوريين على تامين سلامة دمشق ، عاصمة سورية ، وعاصمة الارض . لا تامينها اليوم ، ولكن تامينها غداً ، وبعد غد ، والى قرون طويلة من الزمان .

ومع هذا الحرص كان ضياع الثقة ، ثقة الاخوة السوريين ، فى القوم الساعين للسلام .

وفى هذه الثقة اختلف السوريون عن المصريين .

وثقت مصر فى « رسول السلام » كيسنجر ، وزاد ثقتها فيه ما بذل من عون فى تخليص القناة شرقا وغربا . وهو تخليص نتج عنه أن ساد على الجبهة الغربية الجنوبية المصرية من ميدان حرب اكتوبر سلام ، ولو الى حين . واقول الى حين ، لأن مصر لم تحصل من أرضها الا على القليل ، وبقي الكثير الاكثر ، ومن غير أرض مصر ، بقى الكثير .

وثقت مصر ولم تثق سوريا فى«رسول السلام » هذا ، فتصاعد القتال على الجبهة الشرقية الشمالية من الميدان .

الخلاف بين سوريا ومصر خلاف ثقة.

ان ظروف الحرب،وما كان من اتخاذ العريش محطة تموين نزل بها الامريكان لتموين اسرائيل بكل ما تريد ، وما كان من احتمال دخول امريكا بثقلها فى هذه الحرب دفاعا عن اسرائيل ، وما كان من راى للروس فى حرب اكتوبر اتكون أو لا تكون ، وما كان من قطع المدد الحربى عن مصر بعد ان اعلنت مصر الحرب على اسرائيل فى غير رضى من الروس ، كل



نكسن اكبر رأس لاكبر امة لا يهمه او يهم امته مناحداث الدنيا الا الحدث الكبير العظيم وعلى الضعفاء العفاء .

هل يتحرك نكسن لذلك ، أو هل يتحرك تابعوه ؟

وهل يتحرك ولسن لذلك أو هل يتحرك تابعوه ؟

وهل ، وهل ؟ .

حادثة كهذه ستكون عندهم حادثة من حوادث الزمان عابرة ، فليس فيها تفجير ذرة ، وليس فيها نزول باقدام انسان على سطح قمر .

انما يطمئننا على القبلة الثانية ، وقد ضاعت القبلة الأولى ، أو هى فى حكم

الامريكان ثبت الوفاء بها ولو بعضا .

والثقة كثرتها وقلتها ، ليست من الأشياء التى توزن فى الميزان . والثقة ليست من الأشياء التى تثبت صحتها او خطؤها بالمنطق وحده . فهى عاطفة وفكر معا ، فان انت وجدت للفكر فيها سببا او اسبابا تبرره ، فلست بواجد للعاطفة سببا .

من اجل هذا لا تحمَد مصر على ثقتها ولا تذَم .

وكذلك لا تحمَد سورية على ضياع ثقتها ولا تذم .

كيسنجر فى شهر عسله

ان زمن المتاعب زمن جد واعتصار . فيه ما فيه من الضباب من تعكير صفو الرؤية ، وفيه من الليل حلوكة وظلام ، ومع هذا لا تخلو هذه الازمان من عود ثقاب يشتعل فيذهب ببعض ظلمتها وحلوكتها .

وقد تهيأ لهذا الزمن الحاضر ان يكون هنرى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، موقد هذا الثقاب .

وهو اوقده فاشتعل على حين غفلة ، وهو لا شك ترك بذلك على كل فم ابتسامة ، ولا تسالنى اى نوع من الابتسام هى .

بدا كيسنجر شهر عسله ، بزواجه الثانى ، من اول ابريل ، وجعل له عشرة ايام يقضيها فى بلاد المكسيك ، ينعم به فيها .

وبذهابه الى المكسيك قلت الأخبار فى الاذاعات ، وفى الصحف ، اعنى اخبار الحرب والسلام ، الا ما جاء منها من الجولان ، وحسبك بخبرها خبرا .

والزواج امر فردى شانه شان صاحبه . ولكن توقيت غيابه على هذا النحو ، وفى هذا الوقت ، وهو الرجل السياسى ، المزدحم بالسياسة ، ما كان يقع بغير غاية واستهداف . وقد يكون له أكثر من هدف . فلقاؤه مع الروس احتاج الى



كوسيجن رئيس وزراء روسيا
لم يكن من راى الروس ، فى حرب اكتوبر ، ان تقوم حرب

هذه الظروف وغيرها ترك مصر فى ميدانها بغير صديق مؤازر، فلما جاءها الامريكان يعرضون من السلم ما يعرضون ، وثقت مصر بهم حين كان لا بد من ثقة أن تكون.

كان بعض هذه الثقة عن قناعة ، وكان بعضها عن ضرورة . انك عند ما تفتقد الصديق المعين ، تنتزع انت الثقة من نفسك لاقرب معين . وهذا ما حدث مع الامريكان . هذا بعض ما حدث مع الأمريكان . اما النصف الآخر من الثقة التى جاءت طبيعية ، فوعود وعدها

استرخاء . ولكن ظني ، فيما يختص بالعرب وحربهم وسلامهم ، انه لم يجد سبيله واضحة بين سورية واسرائيل ، وان الصراع يتزايد بينهم ، فخال ان يترك لهم الفرصة ليتزايد القتال ويشتد استعارا ، وبذلك تلين عرائك القوم عندما يعود ويأخذ في الاجتماع بسورية واسرائيل في عاصمة بلاده .

واحزر ان سورية ربما كان لها هدف شبيه بهدف كيسنجر : **ان تذيق الصهاينة ألوانا من العذاب قبل الذهاب الى واشنجطن ، حتى اذا ذهبوا ، ذهبوا وقد لانت عرائكهم ، بعد ان عرفوا ما هم مقبلون عليه لو انهم رفضوا السلام .**

فان كان هذا هو هدف الأخوة السوريين ، فهو نعم الهدف .

ولكنّ هناك احتمال ان لا ينتهي شهر العسل الا ويكون الجولان قد تطور الصراع فيه الى حرب كاملة ، يتدخل فيها الطيران . ويغري الصهاينة ما عندهم منه بالضرب في الأعماق ، في اعماق سورية .

اذا حدث هذا فزعمي ان وجه الحرب والسلام كله قد يتغير ، وتتسع رقعة القتال فلا يكون لها حدود . وكل ما انعقد سوف ينفرط . ونضطر عندئذ بالعودة الى الحرب الشاملة ، الى المقامرة بمستقبل العرب كله ، كما يقامر الرجل بماله كله عند عجلة الروليت .. فاما النصر كل النصر ، واما الخذلان كل الخذلان .

اقول هذا ولا اتوقعه ، وانما هو القلم يسبر كل احتمال .

على انه يوجد لهذه الخطة بين العرب نصراء . انهم أولئك القلقون اهل الحسم ، يريدون ما يريد الشعراء ، اما الحياة الكاملة ، واما الموت الحاسم ، وحسبك بالموت حاسما .

واسرائيل تخشى ما يخشى العرب ، ولكنّ فيها المقامرون الذين تغريهم عجلة الروليت في دورانها .

ولكني احسب ان اسرائيل اكثر من العرب خشية ، ومن خطتها ان تكسب الكسب كله ، ولكن على مراحل .

فهل للعرب ان يرضوا بهذه المراحل خطة ، على الأقل في الظروف القائمة في الدنيا هذه الأيام ؟

ان اسرائيل لا تزال تبني المستعمرات في سيناء ، وفي غزة ، وفي الارض المحتلة التي زعموا انها ستجلو عنها . انها لا تريد أن تجلو ، لا اليوم ولا غدا ، ولا تريد لنفسها أمنا وهي تعلم انها في امن الولايات المتحدة ، ومن يدري ، **فلعلها** في امن غير الولايات ايضا . وهي ان قعدت اليوم القرفصاء ، فانما تفعل ذلك لتمهد لوثبتها القادمة .

ان اغتصاب الارض لا يحميه الا اغتصاب ارض ، والاستعداد دائما لزيادة اغتصاب .

فان قلنا نحن بالسلام ، وان هم قالوا ، فللسلام هنا معنى لا تجده في معاجم اللغة ابدا ، الا ان يقتلع اليهود عن المعاني الدينية الغريبة التي تورطوا فيها وتفردوا دون سائر الاديان .

الدكتور كيسنجر وعروسه كان من الزمان متسع لشهر العسل ولكنهما دبراه ليكون اجازة في غمرة السياسة .



والنفـط
هل أخطأ العرب في رفع حظره عن الولايات المتحدة ؟

لقد اجتمع زعماء العرب آخر الأمر في ليبيا ، وتخلف بعض .

والذين اجتمعوا قضت أكثريتهم برفع حظر النفط الذي كانوا فرضوه على الولايات المتحدة ، وقضت قلة منهم بالابقاء عليه .

وادلى كل بحجته . اما الرافعون الحظر فأملهم كان أن تستمر الولايات في بذل مساعيها حتى يتم للعرب ما يشاؤون . واما الرافضون فساء رأيهم في الولايات ، ما كان منها ، أو ما سوف يكون .

وانت تجادل الرافعين الحظر فتكاد تؤمن بالذي يقولون . وانت تجادل الرافضين الرفع فيكاد يقنعك ما يقولون . ويحدثك اهل الرفع بالذي يحدث لو انهم رفضوا فيزعجك ما الذي به يتحدثون . ويحدثك اهل الرفض بالذي يحدث اذا نال الأمريكان مبتغاهم من النفط ، فتكاد ترفض مع الرافضين .

ان السياسة علم غير سائر العلوم ، وما هي بعلم عند اهل الرأي والمتفقهين .

في علم الرياضة تقول ٤×٥=٢٠ ، ويؤمن على ما تقول الف من الرجال والف من النساء ، وحتى الصبية يؤمنون .

وفي علم الفزياء تقول ان الانسان ان غطس في ماء البحر وبقي به طويلا مات اختناقا ، ويؤمن على ما تقول الوف من الرجال والنساء ، ومن الصبية ايضا ، انها حقيقة لا ريب فيها .

وكذا سائر العلوم .

اما في السياسة فقضاياها تسفر عن احكام يحتمل أن تكون أو لا تكون .

واختلف العرب في امر النفط ، بين الحظر ورفع الحظر ، فكان اختلافهم اختلاف ثقة مرّة أخرى . وأجد بين رجال الشعوب العربية من يتحمّس لهذا الجانب أو ذاك ، وتنتفخ أوداجه ، ويعلو صوته ، فيكاد يتمزق ويمزّق ، وكل هذا بناء على ثقة لا أساس لها من منطق، فهي قد تصدق وقد تكذب .

وهي قد تصدق اليوم فتأتي الأحداث في الغد فتكذبها وتنفيها .

وقد اسهبت في هذا المعنى عمدا حتى لا يمتد اختلاف زعماء، في ثقة بالآخرين، من الأغراب ، الى اختلاف فيما بينهم في عروبة ومناصرة .

الثقة تكشف الأيام عن صدقها او زيفها . ولكن العروبة صادقة دائما ابدا، وهي طوق النجاة اذا هاجت البحار فأخذت ترمي بكل سفينها فتجعل منه حطاما ركاما .

انه رجاء الى الزعماء أن يفرقوا بين اختلاف في الرأي عن صدق واخلاص ، واختلاف آخر عن مروق وغدر ، أو حتى عن انانية ، فالسفينة التي يركبون واحدة ، فالذي يثقبها انما يقضي القضاء المبرم على كل الراكبين .

ان هناك من بين الشعوب العربية أفرادا هيئوا أنفسهم دائما بأقلام اشبه شيء بالدفوف والطبول التي تحتفل بها النادبات النائحات المعولات من النساء استعدادا لاقامة المآتم صارخة باكية كلما مات في الحي رجل .

هؤلاء لا يبالون اي رجل مات، فالدف واحد ، والطبل واحد، والصياح واحد، والمراثي الحزينة واحدة .

هذه الاقلام تكاد تتلقف كل خلاف لتجرّب فيه صرير اقلامها، عاليا مدويا .

هذه الاقلام هي أخطر شيء ، وأضر شيء بالحياة العربية السياسية ، وهي اشد احراجا للزعماء مما يقع بينهم من خلاف .

الخلاف في السياسة لا يمنع الصداقة ولا المشاورة

ان الخلاف في السياسة ، ما دام عن غير عوج ، لا يمنع المتخالفين من الزعماء



شوبنهور الفيلسوف الالمانى الشهير

ان يتصادقوا ، وان يتناصحوا ، وان كل يوم يتناصحون، ولو مشى احدهم شرقا، ومشى الآخر غربا ، ما دام أن كلا يمضى فى سبيله يطلب الخير ، والخير فى سبيل الله لا يحدث الجفوة .

اقول كل هذا . ثم أعود الى نفسى ، فاقول لها انها انما تريد أن تجعل من الزعماء انبياء . وهيهات . ان دم الزعماء دم كدمى ودمك ، ودم الأنبياء صيغ من جوهر غير ما صيغت منه سائر الدماء .

على أن أهل الثقة لا تخلو قلوبهم من أن يكون بها ريبة

ان اهل الثقة يربطونها بأعناق رجلين، نكسن رئيس الولايات المتحدة، وكيسنجر وزير خارجية الولايات .

وان أهل الثقة يدركون أن الثقة قد ترجى اليوم ، ولا ترجى غدا .

وبقاء الثقة عندهم منوط ببقاء رئيس الولايات رئيسا للولايات ، وبالرجل الآخر وزيرا لخارجيته .

ولكن فى الولايات اليوم عاصفة تزداد كل يوم عصفا ، وهى تقترب من الرئيس وصاحبه ، فقد لا يكونان من بعد ان كانا . والثقة التى ارتبطت بهم ينفك عندئذ رباطها .

كل هذا مفهوم عند كل الناس ، وعند اهل الثقة خاصة .

فالثقة التى يتحدثون عنها ليست ، كجبل المقطم ، بالشىء القائم الدائم .

والعدو الصهيونى يعلم هذا .

وكانى به يستغل هذا الموقف الصعب، موقف رئيس الولايات وصاحبه ، فيعمل فى الخفاء على اقتلاع جذورهما من أرض الولايات المتحدة ذاتها . ان نكسن خدم العدو فوق ما خدمه انسان، فهو عندهم الصديق الأمين . ولكن العدو لا يعرف الصداقة ولا الصديقين . انه يحرق صديق الأمس عند الضرورة ليأتى « بصديق » غيره . ان الرجال عنده كالمرائس حشوها من قش وقطن ، وهى لا تصمد فى النار طويلا .

القلم عندما يترك كالثور الهائج

ان القلم ، عندما تعطى له الحرية كل الحرية ، يكون كالثور السائب تتركه فى المدينة او الريف . هو حينا يطلب منهما المرعى الأخضر ، وحينا يخوض فى الماء الآسن بقذره ووحله، وحينا يدخل مخزنا لا يدرى ما به فاذا به مخزن للخزف ، يجول فيه ويصول ويحطم كل شىء .

القلم لا بد له من الضبط والربط .

واضبط قلمى آخر الأمر ، فيحدثنى عن مستقبل للعرب زاه زاخر ، يحمل الخير فى اطوائه أشتاتا ، ويحمل الفرص الكبار ،للعمل ، والتقدم بالعمل ، وحتى للسبق فى مضمار الأمم . كل هذا منوط بارادة العرب . وقديما قال حكيم الالمان، الفيلسوف شوبنهور :«ان الحياة ارادة»، وله فى ذلك كتاب ضخم بهذا الاسم . كل **ما يطلب من العرب أن يريدوا ، وأن يريدوا بقوة وبعزم، فتتحقق لهم احلامهم، ويتحقق ما فوق الأحلام .** ●●

أحمد زكى

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسأل .. ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

طبيب الاسرة :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 186 May 1974 P.O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا (العربي)

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

اقيم في منطقة حرض بالسعودة مشروع تجريبي لتوطين ابناء البادية .. وتاتي اهمية هذا المشروع التجريبي في ان هناك صحاري واسعة في اغلب البلدان العربية .. والنتائج المرتقبة من هذا المشروع قد تفيد العالم العربي كله لا المملكة العربية السعودية فقط .. وتمثل صورة الغلاف ابنة احد العاملين في المشروع ، وهي سعيدة باحتضان حمل صغير من الحملان التي تنتجها حظائر تربية الاغنام في المشروع .. (انظر الاستطلاع ص ٦٨) .

فلسفـة :

سياسة واقتصاد :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

كتـب :

قصص وقضاء :

فنـون :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي ، وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ــ ساحة باندونج ــ ص.ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء ــ المغرب .

زيادة أسعار النفط وتأثير ذلك في الأوضاع الاقتصادية العالمية المضطربة وتأثره بها

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

■ كان اليوم السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، يوما مشهودا في تاريخ العرب ، تخطت آثاره النطاق العسكري والسياسي ، وامتدت تشكل وتغير في التطورات العالمية ، ومنها المعطيات الاقتصادية . فبعد ذلك اليوم الأغر بعشرة أيام معدودات ، قررت الدول العربية المنتجة للنفط في ١٦ اكتوبر ، رفع اسعار نفطها عما كانت عليه في اول اكتوبر بنسبة ٧٠٪ . وقد صدر هذا القرار من جانب الدول ، دون ما املاء من الشركات صاحبة الامتياز .

ويمثل هذا التفرد في اصدار القرار ، وما انطوى عليه من زيادة في الأسعار المعلنة للنفط الخام ، حدثا بالغ الأهمية ، لا لما ينطوي عليه من زيادة كبيرة في ايرادات النفط فحسب ، بل لما يتضمنه أيضا من استرداد الدول المنتجة للنفط لسلطة تحديد الأسعار ، ودخولها بذلك ميدان السياسة الاقتصادية المؤثرة في اتجاهات الاقتصاد العالمي .

التزايد المطرد في أسعار النفط وارداته

ولم تقف الدول العربية المنتجة للنفط عند المستوى الذي بلغته الأسعار المعلنة نتيجة لقرار ١٦ أكتوبر ، انف الذكر ، بل اتخذت في ٢٣ ديسمبر قرارا برفع الأسعار ، بلغ بها الى أكثر من ضعف ما كانت عليه . فأصبح السعر المعلن (١) لبرميل النفط الخام من اقل الأنواع جودة في منطقة الخليج العربي يبلغ ١١,٦ دولار تقريبا ، وذلك

---

(١) « السعر المعلن » لبرميل النفط هو السعر الذي تتم على أساسه محاسبة الشركات على حصة الحكومة من الايرادات . وقد يباع النفط الخام في السوق بأسعار تزيد أو تنقص من السعر المعلن تبعا لظروف السوق في وقت معين .

ابتداء من اول يناير ١٩٧٤ ، بعد ان كان السعر المعلن لنفس النوع من النفط قرابة ١١/٢ دولار فيما قبل ١٥ فبراير سنة ١٩٧١ وكان٤/٢٢ دولار تقريبا فى اول اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وتختلف التوقعات عن مستقبل اسعار النفط المعلنة فى السنوات القادمة ، وان كانت هناك احتمالات كبيرة لتزايد الاسعار فى السنوات القادمة، لتبلغ ـ فى نظر البعض ـ ١٦١/٢ دولار للبرميل من النفط الخام ، بزيادة تتجاوز نسبتها ٤٠٪ من الاسعار المعلنة حاليا بالنسبة لنفس النوع(٢).

ولا ترجع الزيادة الكبيرة التى طرات على الايرادات الحاضرة والمتوقعة للدول المنتجة للنفط الى مجرد التزايد فى اسعاره ، بل ترجع ايضا الى تزايد قدرتها على حيازة مواردها النفطية ، اما عن طريق التاميم او الاتفاق مع الشركات صاحبة الامتياز ، والى الافادة مما تؤدى اليه هذه الحيازة من حصول الدولة على كل الايراد الصافى الناتج عن استغلال مورد النفط او على جانب متزايد من هذا الايراد .

ولقد ادى التغير الذى حدث فى ميزان القوى بين الدول المنتجة للنفط والشركات صاحبة الامتياز ، الى نجاح عمليات التاميم التى اخذت بها بعض الدول العربية ، والى وصول الدول التى فضلت سياسة المفاوضة الى اتفاقات بشان مشاركتها للشركات تسلم لهذه الدول بحصة فى الشركات المستغلة للموارد النفطية تبلغ ٦٠٪ ، بعد ان كانت الاتفاقات الاولية لا تسلم للدولة الا بحصة مبدئية تبلغ ٢٥٪ فقط ، هذا بصرف النظر عن التدرج المتزايد فى هذه الحصص . ومن المنتظر ان تتم حيازة الدول العربية لكل مواردها النفطية او للجانب الاكبر منها فى عدد قليل من السنين ، سواء اكانت تاخذ بسياسة التاميم ام بسياسة المفاوضة .

ومن الجلى ان تطور الاسعار وما يقترن به من تطورات فى نصيب الدولة من الايرادات ، يضاعف من الموارد المالية للدول العربية المنتجة للنفط .

وكذلك تؤثر سياسة الدولة بشان معدلات زيادة الانتاج فيما تحصل عليه من ايرادات سنوية. وتاخذ الكويت بسياسة تحديد الانتاج وعدم زيادته عن حد معين ، بينما تنتهج الدول النفطية العربية الاخرى سياسة التوسع فى الانتاج بدرجات متفاوتة .

وهناك تقديرات متعددة للتطور المحتمل فى ايرادات النفط بنيت على اساس الافتراضات المتقدمة. نورد فيما يلى واحدا من هذه التقديرات.

ايرادات الحكومات من النفط (٣)
(١٩٧٠ ـ ١٩٨٣)

بملايين الدولارات الامريكية .

	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٧	١٩٨٠	١٩٨٣
المملكة العربية السعودية	١٢٠٠	٢١٤٩	٣١٠٧	١٧٨٦٩	٢٨٥٥٠	٣٨٥٦٦	٥٤٢٦٢
ليبيا	١٢٩٥	١٧٦٦	١٥٩٨	٦٧٠٣	٨٨٨٩	١٠٠١٥	١١٢٨٣
الكويت	٥٢١	١٤٠٠	١٦٥٧	٦٢٠٧	٧٥٤٣	٨٥٢٦	٩٦٣١
العراق	٨٩٥	٨٤٠	٥٧٥	٥٣٧٣	١٠٠٨٥	١٢٩٧٣	١٦٤٣٥
ابو ظبى	٢٣٣	٤٣١	٥٥١	٣٢٠٥	٩١٣١	١٢٠٠٣	١٧٣٨٩
قطر	١٢٢	١٩٨	٢٥٥	١٣٥٨	١٨٠٠	٢٣٦٦	٣٠٤٦
الجملة	٤٢٦٦	٦٧٨٤	٧٧٤٣	٤٠٧١٥	٦٥٩٩٨	٨٤٤٤٩	١١٢٠٤٦

(٢) اتخذت الدول المنتجة للنفط اخيرا قرارا بتثبيت اسعار النفط الخام خلال الاشهر الثلاثة التالية (ابتداء من شهر مارس ١٩٧٤) .

(٣) تقدير الدكتور ابراهيم سعد الدين مستشار معهد التخطيط بالكويت والمقدم الى ندوة السياسات الاستثمارية للدول العربية المنتجة للنفط التى عقدت فى الكويت فى شهر فبراير ١٩٧٤ .

الفائض الحاضر لأموال النفط واستخداماته الحاضرة

يتكون الفائض المالي لدول النفط ، من الارصدة النقدية ، الموظفة لأجل قصير ، ومن الاموال المستثمرة لآجال طويلة ، ايا كانت طبيعة الاصول التي تمثلها،وسواء أكانت مملوكة للدولة وللهيئات العامة ، ام كانت مملوكة للافراد أو للاشخاص المعنوية الخاصة .

ولا نريد ان نقوم هنا بعملية حصر هذه الاموال وتقديرها ، ولكننا نود أن نشير من بعيد الى الصغر النسبي في حجمها ، اذا ما قيست الى ما ستتطور اليه في المستقبل القريب ، هادفين من وراء ذلك الى بيان ضخامة التطور ، المترتب على التزايد في ايرادات النفط ، وما ينطوي عليه من تحديات للوسائل المستخدمة حاليا في استثماره

وعلى ضوء هذا الهدف المحدد ،نكتفي بايراد بعض المعلومات عن الاحتياطي الحكومي دون غيره قاصرين معنى هذا الاحتياطي على الاموال المتجمعة من السنوات السابقة ، دون ادخال حسابات الميزانية التي تغذيها ايرادات النفط او ما يشابهها من حسابات في تقديرنا ، ودون أن ندخل في حسابنا المدخرات غير الحكومية بالرغم مما لهذه المدخرات من أهمية لا تقل عن اهمية الاموال الحكومية التي تبحث عن الاستثمار .

وتدل الاحصاءات والبيانات ، على ان ما تم للدول العربية المنتجة للنفط تكوينه من احتياطيات لا يزال حتى الامس القريب في حدود ضيقة تبعد كثيرا عن التصورات المبالغ فيها ، والتي قد يوحي بها ما طرا على ايرادات النفط من تزايد خلال السنوات الماضية .

فاذا نظرنا الى دولة الكويت مثلا ، لوجدنا ان ايراداتها من النفط قد ارتفعت قرابة التسعة اضعاف خلال العشرين سنة الممتدة من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٧٢/١٩٧٣ . ومع ذلك ، فان جملة الاحتياطي الحكومي المتجمع حتى اواخر الستينات لا يتجاوز ايرادات الكويت من النفط في سنة ١٩٧٢/١٩٧٣ وحدها ، وهذا مع عدم ادخال حسابات الميزانية وغيرها من الحسابات المماثلة في الحسبان . والسبب في ذلك ، هو تزايد الانفاق الحكومي بمعدلات عالية تكاد توازي التزايد في ايرادات النفط ، بل تتخطاه في بعض السنين .

وتفسير هذا التزايد يرجع الى سياسة التوسع في ايجاد عمل حكومي لجميع المواطنين مع تحقيق معدل مرتفع لتزايد أجورهم ، والى سياسة بناء الهيكل الاساسي للاقتصاد القومي مع التوسع في اداء الخدمات ، بالاضافة الى اتباع سياسة توزيع جانب من دخل النفط ، عن طريق سياسة استملاك الحكومة للاراضي المملوكة للافراد من اجل القيام بتنفيذ المشروعات العامة كالطرق والمدارس والمستشفيات وغيرها .

واذا نظرنا الى طريقة استثمار الفائض الحكومي واستخداماته لوجدنا ان جانبا كبيرا منه مستثمر في رؤوس اموال الشركات الكويتية التي تساهم فيها الحكومة وفي دعم بعض الشركات الاهلية عن طريق الاقراض ، هذا فضلا عن الاكتتاب في راس مال الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، أما ما يستثمر من الاحتياطي الحكومي خارج الكويت ، فان جانبا منه ياخذ شكل قروض ومساعدات للبلاد العربية ، اما الباقي فيستثمر في السوق الدولية في السندات والودائع في البنوك وغيرها من الاستثمارات التي تتحقق فيها درجة عالية من السيولة . ولم يكن المستثمر على هذا النحو ليزيد على ٢٥٠ مليون دينار كويتي في اواخر الستينات .

وبالرغم من تواضع هذه الارقام ، فانها لا شك كانت تمثل وضعا ممتازا لو قورنت به الاوضاع في البلاد العربية الاخرى العريقة في انتاج النفط.

ان التطور الذي حدث في ايرادات النفط ، والذي يكشف عنه الجدول السابق ذكره ، يخلق وضعا جديدا ، يختلف تمام الاختلاف عن الوضع الذي اتينا على وصفه ، فايرادات الكويت من النفط قد اصبحت في سنة ١٩٧٤ اربعة اضعاف ما كانت عليه في سنة ١٩٧٢ ، وايرادات الدول العربية الست الواردة في الجدول السابق زادت اكثر من خمس مرات خلال نفس الفترة . وغني عن البيان ان الدول العربية المنتجة للنفط لا يمكنها استخدام هذا التزايد في الايرادات بنفس الطريقة التي استخدمت بها الزيادات السابقة على شهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كما انه من غير المتصور ان يتم استثمار هذا الفائض على نفس

النفط وبواسطة نفس الاجهزة التي كانت تقوم على الاستثمار في الماضي القريب .

هذا ويلاحظ ان التزايد في ايرادات النفط الحكومية يؤدي الى التزايد في حجم المدخرات غير الحكومية ، مما يضاعف من حجم المشكلة الاستثمارية المترتبة على تزايد ايرادات النفط .

الوضع العالمي من تضخم مالي واضطراب نقدي ، لا يزال قائما

يتسم الاقتصاد الدولي في السنوات الاخيرة بظاهرة التضخم والاضطراب النقدي، وهو ما اسميته بمشكلة «الازمة النقدية» في مقالات ثلاث اعددتها في اوائل سبتمبر ١٩٧٣ ، ونشرت بمجلة «العربي» في عددي نوفمبر وديسمبر من تلك السنة ، وفي عدد يناير من السنة الحالية ١٩٧٤ .

وكان من توفيق الله الا اخطيء التقدير ، من ناحية ما توقعته اذ ذاك من تطورات محتملة لهذه الازمة ومسبباتها ، اذ اشرت الى اتجاه ميزان التجارة الامريكي صوب التوازن ، والى احتمال كسب الدولار لمركز في النظام النقدي الدولي ، ان لم يكن مماثلا لمركزه السابق كاساس لهذا النظام، فانه على اي حال سيكون مركزا متميزا يتيح اساسا مقبولا للاصلاح النقدي المنتظر .

ولقد حدث ما توقعت ، واستعاد الدولار الكثير من مكانته كعملة عالمية ، واخذت عملات اوربا الغربية وكذلك الين الياباني ، تفقد المكانة التي كانت قد بلغتها في اسواق النقد العالمية .

ومع ذلك كله ، فانه لم تتوافر بعد كل الشروط الضرورية لتمهيد السبيل لاصلاح النظام النقدي الدولي . ومن اهم هذه الشروط ، الحد من موجة التضخم المتزايدة التي تجتاح العالم ، والاتفاق فيما بين الدول المعنية على الاسس السليمة التي يقام عليها نظام النقد الدولي الجديد .

ومما يزيد من تعقيد الموقف الدولي ، ما ترتب على ارتفاع سعر النفط وميل اسعار بعض المواد الاولية الاخرى والمواد الغذائية الى ارتفاع ، من التاثير على القوة التنافسية لاوروبا الغربية واليابان ، تجاه الولايات المتحدة ، وعلى توازن موازين مدفوعات تلك الدول التي ينتظر ان تتمخض عن عجز كبير ، بسبب ارتفاع اسعار الواردات من النفط من ناحية ، وبسبب زيادة تكلفة انتاج صادرات تلك الدول من ناحية اخرى .

ولهذا الوضع العالمي آثاره على الدول العربية المنتجة للنفط ، لما تثيره من مشاكل في الامد القصير او الطويل ، يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ـ ان الارتفاع المتزايد في اسعار واردات تلك الدول العربية نتيجة حركة التضخم العالمية، ياكل جانبا من ايرادات النفط .

٢ ـ ان التدهور في اسعار العملات الخارجية، ياكل جانبا من قيم استثمارات تلك الدول في هذه العملات ومن ايرادات هذه الاستثمارات . ويلاحظ ان ضعف القدرة الاستيعابية للاستثمارات في الدول العربية المنتجة للنفط وفي العالم العربي بصفة عامة ، وما تتميز به الاسواق الدولية من قدرة جذب للاستثمارات الخارجية ، يجعل الخيار محدودا امام الدول العربية المنتجة للنفط في استثمار فوائضها المالية ، ويؤدي بالتالي الى استمرار تعرض استثماراتها للتاكل نتيجة التضخم الخارجي وتدهور قيم العملات الدولية .

٣ ـ ان الاتجاه العالمي الحالي لدفع دول النفط الى المشاركة في حمل اعباء التنمية في العالم الثالث ، ولتحمل جانب من مسئوليات تثبيت نظام النقد الدولي ، بتقييد حركات رؤوس الاموال العربية، وباعتبارها من دول الفائض التي ستتحمل في ظل نظام النقد الدولي الجديد مسئوليات خاصة لتحقيق توازن الاقتصاد العالمي . كل ذلك يخلق ضغطا على الدول العربية المنتجة للنفط ليس من المستبعد ان تكون نتيجته تخصيص جانب من مواردها لتحمل مسئوليات دولية على اساس لا يتمشى مع الطبيعة المؤقتة للموارد النفطية لهذه الدول .

٤ ـ ان الاختلاف النسبي في المصالح بين الدول العربية المنتجة للنفط ، نتيجة اختلاف كمية ما لديها من احتياطي ، قد يضعف وحدة الجبهة النفطية العربية . فالدول ذات الاحتياطيات الضخمة قد تجد من صالحها الاخذ بسياسة معتدلة في تسعير النفط ، تقليلا من تعرضه

لمنافسة مصادر الطاقة الاخرى ، وتفضل زيادة ايراداتها خلال السنوات القليلة القادمة ، عن طريق زيادة الانتاج لا عن طريق رفع الاسعار ، بينما تجد الدول ذات الاحتياطيات الصغيرة ان تأخذ بسياسة تعتمد على رفع الاسعار اكثر من اعتمادها على زيادة الانتاج .

٥ ـ ان سرعة حركة التطور فى الكشف عن مصادر جديدة للطاقة باستخدام الموارد غير النفطية المتاحة حاليا او بالبحث عن مصادر جديدة تجعل لسياسة تسعير النفط اهمية حيوية ، تقتضي الحكمة والتبصر في اتخاذ القرارات بشأنها على ضوء الظروف الحالية والمستقبلة .

وضع الامور فى نصابها

لا بد للخلوص الى بيان الخطوط العريضة لسياسة نفطية واستثمارية عربية ، من تحديد حقيقة المشاكل التى تواجهها من الناحية العربية والدولية ، بوضع الامور فى نصابها ، وهو ما آتى عليه فيما يلى :

١ ـ ايرادات النفط العربى ثروة تفنى باستخراجها وليست دخلا متجددا . وهذه حقيقة يمكن أن يعيشها ليراها ، لسوء الحظ ، الجيل الحالى من ابناء الثلاثين فى بعض البلاد المنتجة للنفط . ويترتب على هذه الحقيقة أنه لا بد من احلال اصول جديدة ثابتة ومتجددة الدخل لتحل محل الثروة النفطية التى تفنى . والبلاد العربية المنتجة للنفط ، برغم كبر مواردها المالية فى الوقت الحاضر ، ليست بالغنى الذى توصف به ، ولا تكفى مواردها المالية المنتظرة ، على النحو الذى تنفق وتستثمر به حاليا ، ومع التطور المنتظر فى عدد السكان وفى حدود الالتزامات العربية والدولية ، من أن تخلق لها بديلا للنفط ، يسمح بتوفير مستوى للدخل وللتقدم ، يماثل المستوى الذى ستصل اليه فى ظل النفط خلال السنوات العشر القادمة .

وعلى ذلك فلا بد من تفادى عملية التآكل التى اشرنا اليها بمختلف صورها وأوضاعها ، أو على الأقل السعى الدائب للتقليل منها ، سواء اكان ذلك نتيجة تبذيرنا فى الاستهلاك الجارى ام كان ذلك لاخطائنا فى اختيار انسب الاستثمارات لطبيعة مواردنا .

ويترتب على ذلك كله ، ان وصف هذه الدول بأنها دول غنية ذات فائض ، على نفس المستوى الذى توصف به الدول المتقدمة ذات الفائض فى موازين المدفوعات، بسبب زيادة صادراتها الجارية عن وارداتها الجارية ، امر فيه تجن على الحقيقة.

وقد يكون من الواجب الآن ان يعاد تصوير الحسابات القومية للدول العربية المنتجة للنفط وأن يقدر الناتج القومى الاجمالى السنوى لكل منها على اساس طبيعة الموارد ، ومع ادخال الجانب الاكبر من ايرادات النفط فى احصاءات الثروة ورأس المال القومى دون اضافتها الى ارقام الناتج القومى ، حتى يتضح للكافة حقيقة الوضع الاقتصادى والمالى لهذه الدول .

٢ ـ ان الاضطراب الحالى فى الاقتصاد العالمى لا يرجع الا فى جزء صغير منه الى التغير فى أسعار النفط ، اما العجز المنتظر فى موازين مدفوعات دول اوروبا الغربية ، فلا شك فى اهمية أسعار النفط بالنسبة له ، وان كان توازن الاقتصاد الاوروبى عند مستويات جديدة أمر ممكن التحقيق.

ان حقيقة ما حدث ـ نتيجة ارتفاع أسعار النفط ـ لاتخرج عما يحدث فى اى اقتصاد داخلى، نتيجة ارتفاع اسعار سلعة ما لأسباب تتعلق بعرضها او بالطلب عليها ، اذ يصيب منتجو هذه السلع ارباحا اكبر بينما يكون نصيب منتجى السلع الاخرى أدنى مما كانوا يحققونه من قبل . ويحدث هذا ايضا على الصعيد الدولى ، فاذا ما ارتفعت أسعار النقل أو أسعار احدى المواد الاولية او المنتجات المصنوعة او الخدمات مثلا ، ارتفع ما يعود على المستثمرين فى اوجه النشاط هذه بالنسبة لغيرهم من المشتغلين بالانشطة الاخرى . واذا نظرنا الى التطور فى قيم المنتجات المصنوعة خلال فترة ما ، فاننا نلاحظ تزايدها المستمر ، بنسب عالية ، اذا قارناها بأسعار المواد الاولية . وفى مثل هذه الظروف لا يطالب من ارتفعت قيمة منتجاته او خدماته بتعويض

الاخرين ، بل يعود التوازن عند نقط جديدة ، تتمشى مع الهيكل الجديد للاسعار .

فالامر لا يعدو ، في صدد النفط ان يكــون مجرد حدوث تحسن في نسبة مبادلة النفط بالسلع الاخرى . وكل ما يؤخذ على هذا التغير ، انه حدث في فترة قصيرة نسبيا ، وانه يمس سلعة ذات اهمية خاصة واستخدام شائع . ولو نظرنا الى جملة ما تدفعه الدول الصناعية في استيراد النفط وقارناه بجملة انفاقها القومي السنوى ، لوجدنا ان النفط لا يمثل الا نسبة صغيرة جدا من الانفاق القومى ، في اكثر الدول اعتمادا على النفط كقوة محركة . ومن ناحية اخرى ، فان شيوع استخدام النفط يوزع اعباء ارتفاع السعر على عدد كبير من الانشطة مما يقلل من اهميــة ارتفاع السعر .

٣ ــ ان الارتفاع في أسعار النفط لا يعــدو ان يكون نقلا محدودا للموارد ، من الدول المستوردة الى الدول المصدرة للنفط ، وهو نقل تستطيع الدول المستوردة المتقدمة ان تتحمله ، كنتيجة طبيعية لتغير ظروف العرض والطلب ، وخاصة انها قد افادت سنوات طويلة من الحصول على ثروة البلاد المصدرة للنفط بأسعار ضئيلة جدا ، اذا ما قيست الى الاسعار التى تستورد بها هــذه البلاد منتجات الدول المتقدمة . هذا مع ملاحظة ان اعتماد دول اوروبا الغربية واليابان علــى استيراد النفط بدرجة اكبر من الولايات المتحدة قد زاد من الميزات النسبية للاقتصاد الامريكى في المرحلة الراهنة التى لا يستورد فيها من الخارج ، الا نسبة صغيرة من احتياجاته ، نظرا لكبر موارده المحلية من النفط وغيره من مصادر الطــاقة ، ولا شك ان اعادة التوازن بين الاقتصاد الامريكى من ناحية والاقتصاد الاوروبى الغربى واليابان من ناحية اخرى ، تقتضى التعاون بين الدول الكبرى ، وهو تعاون قد تسهم فيه الدول العربية المنتجة للنفط بنصيب ، على اساس سليم يدخل في الاعتبار طبيعة مواردها ومصالحها الاقتصادية والسياسية .

وغنى عن البيان ان الدول النامية الفقيــرة تصاب بضرر ملموس نتيجة ارتفاع اسعار النفط .

ويشكل هذا الموضوع مشكلة عالمية ، لا بد وان تحل ضمن الاطار العالمى لمشكلة النمو الاقتصادى والوسائل العادلة والعملية لتحقيق هذا النمو .

وعلى ذلك فلا بد من النظر الى مشكلة تأثير تغيرات أسعار النفط على الاقتصاد العالمى علــى ضوء الاعتبارات المتعددة التى ذكرناها ، ومع وضع هذه المشكلة في اطارها الحقيقى دون ما مبالغة او محاولة للضغط على الدول العــربية المنتجة للنفط لتحمل ما لا تطيق .

ولا شك في ان حركات رؤوس الاموال العربية صوب العالم الخارجى تصحح جانبا من العجز في موازين مدفوعات الدول التى تذهب اليها . ومن العدالة ان يقال هنا ، ان توزيع الاستثمارات العربية على العالم الخارجى ، لا يتمشى تماما مع توزيع الصادرات النفطية .

النقاط على الحروف

من كل ما تقدم يتضح ان التزايد في ايرادات النفط ، انما هو تحول في صورة الثروة القومية ، التى تزايدت قيمتها نتيجة تغير نسبة المبادلــة الدولية الى المستوى المتمشى مع حالة العــرض والطلب في المرحلة الراهنة من تاريخ تطور المصادر المولدة للطاقة .

ولقد صادف التغير في سعر النفط الاقتصاد العالمى في فترة تضخم حاد الدرجة ، وفي وقت فقدت فيه العملات الاساسية ثباتها ، مما جعــل الامر يختلط على الافهام فلا ندرى ما هو نصيب التغير في اسعار النفط فيما يشاهد من تزايد معدلات ارتفاع الاسعار ، وما يلاحظ من احتمالات العجز في موازين مدفوعات الكثير مــن الدول المستوردة له . ولكن لا مندوحة من ان يواجه الاقتصــاد العالمى فترة الاضطــراب المؤقت التى تعتريه ، وأن يصل الى نقط توازن جديدة ، تتمشى مع ديناميكية المتغيرات المؤثرة فيه ، ومن بينها الهيكل السعرى للمواد النفطية .

■■

د. عبدالمنعم الطناملى



الناس وطبقاتهم

قال معاوية بن ابى سفيان يوما لصعصعة ابن صوحان ــ وكان من حكماء العرب وبلغائها ــ « ماذا تقول عن الناس وطبقاتهم ؟ » . فقال : « خلق الناس اطوارا ، طائفة للسيادة والولاية ، وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة للباس والنجدة ، ثم رجرجة بين ذلك ، يغلثون السعر ، ويكدرون الماء ، اذا اجتمعوا ضروا وان تفرقوا لم يعرفوا » .

من ولاة

حكى ان عمير بن سعد كان واليا لعمر ابن الخطاب على ولاية حمص ، فدخل ذات يوم على عمر ، بعد ان استدعاه من ولاية حمص، وليس معه الاجراب واداوة وقصعة وعصا ، فقال له عمر بن الخطاب : ما الذى ارى بك من سوء الحال ؟ فقال عمر بن سعد : اولست

وفاء السموأل

قيل ان امرا القيس الكندى اودع دروعه عند السموال بن عادياء فقصده احد الملوك واخذ ابنه وقال : « ان دفعت الدروع الى ، والا ذبحت ابنك » ، فقال السموال : « اجلنى يوما او بعض يوم » فجمع السموال عشيرته واستشارهم فاشاروا عليه بان يدفع الدروع الى الملك . فلما اصبح قال : « ليس الى دفعها من سبيل ، وافعل مابدا لك » .

فذبح الملك ابنه ، ثم ان السموال وافى الموسم ومعه الدروع ، فدفعها الى ورثة امرىء القيس وقال :

وفيت بادرع الكندى ، انى اذا ــ ما خان أقوام ــ وفيتُ

مساومة

قال الجاحظ : « كنت أسير فى احد شوارع البصرة ، فاذا انا بدلال ، ومعه نعال نجدية جميلة الصنع ، فسألته عن ثمنها ، فقال الدلال : « بعشرة دراهم » . فقلت له : «لو ان هذه النعال كان جلدها من جلد بقرة بنى اسرائيل ما اخذتها باكثر من درهم » . فقال الدلال : «والله لو كانت دراهمك من دراهم اصحاب الكهف والرقيم ما اعطيتكها . »

عاقلة

قيل لامراة من الخوارج أسر الحجاج زوجها وابنها واخاها : « يا امة الله ، ان الحجاج قد اعطاك الخيار فى ان تختارى احد هؤلاء الثلاثة كى يطلق سراحه ، فمن تختارين؟ »

فاطرقت المراة راسها هنيهة ثم قالت : « الزوج موجود ، والابن مولود، والاخ مفقود، اختار الاخ » . فقال الحجاج : « عفوت عن جماعتهم لحسن كلامها وحكمتها . »



عمـــر

ترأني صحيح البدن معاق ، معي الدنيا بحذافيرها ! فقال : وما معك ؟ قال : جرابي أحمل فيه زادي، وقصعتي أغسل فيها ثوبي وراسي . واداوتي فيها ماء لشربي ووضوئي . ومعي عصاي ان لقيت عدوا دافعت بها وما بقي من الدنيا تبع لما معي قال عمر : صدقت .

أماني ابله

حكى ان الحجاج مر ليلة بدكان احد باعة اللبن ، وكان بيد اللبان وعاء" زجاجي ، وهو يتثنى ويقول : « انا ابيع هذا اللبن بكذا درهما ، واشترى به كذا ، ثم ابيعه ، ثم يكثر مالى ، ويحسن حالى ، واخطب الى الحجاج ابنته عاتكة ، فاتزوج بها ، فتلد لى ابنا ، فادخل عليها يوما ، فتخاصمنى فاضربها برجلى كذا . » ثم ان الرجل مد رجله فكسر الوعاء الزجاجى ، ففزع الحجاج ، واخذ يضربه ضربا موجعا ، وقال : « اليس لو ضربت بنتى بوكزة هكذا لفجعتنى بها ! »

يوم مشهود

كان جعفر بن علبة ـ احد شعراءالغزل المخضرمين ـ شجاعا مقداما ، وقد سجن لقتله اناسا من بنيعقيل ،ثم حكم بقتله . فلما اخرج للقصاص قال له غلام من قومه : اسقيكشربة من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت ـ لا ام لك ـ اني اذا لمهياف ؟ (والمهيافهو الذى لا يصبر عن العطش) . وانقطع شسع نعله فوقف فاصلحه فقال لهرجل : اما يشغلك عن هذا ما انت فيه ؟ فقال :

اشــد قبـال نعلى ان يرانــى عـدوى للحـوادث مسـتكينا

ولما قتل قام ابوه علبة بن ربيعة فقتلجمعا من النوق والشياه والقاها بين نساء القبيلة ، وقال : ابكين معنا علىجعفر ، فما رئى يوم كان اوجع ، ولا ماتما اكثر حزنا ، من ذلك اليوم .

هل أنتم منتهون

كان عمرو بن معدى كرب الزبيدىمن اصحاب الشراب فى الجاهلية ، وبقي على ذلك فى الاسلام ، ومما يروى عنهانه قاللاحد اصحابه وكان قد نزل ضيفا عليه : اى الشراب احب اليك ؟ اللبن امما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟

فقال صاحبه : اوليس قد حرمها اللهعز وجل علينا فى الاسلام ؟

فقال عمرو : انت اكبر سنا ام انا ؟قال : انت يا عمرو . قال : فانت اقدم اسلاما ام انا ؟ قال : انت : فاني قدقرات مابين دفتي المصحف فما وجدت به تحريما ، الا انه تعالى قال : « فهلانتم منتهون ؟ » فقلنا : « لا » فسكت وسكتنا .



بقلم : الدكتور احمد شوقي الفنجري

■ ان الباحث الدارس فى المكتبة العربية عن احوال اسرائيل لا يجد من المراجع الا ما يذكر مساوئها وعيوب النظام فيها .. ومن الخطأ الكبير ان لا تقرأ عن عدوك الا كل ما يسرك ويريح خاطرك .. فهذا اقرب الى وضع رؤوسنا فى الرمال عندما يحدق بنا الخطر . ولا شك ان التجربة الاسرائيلية ـ بصرف النظر عن المآخذ الكثيرة عليها ـ فيها جوانب اخرى من النجاح والقوة . والانسان العاقل الناجح هو الذى يستفيد من عدوه علما وتجربة .. وفى حديث سابق(١) تكلمنا عن الدعامة الاولى فى قوة اسرائيل وهى « العقيدة الدينية » ، واليوم نتكلم عن الدعامة الثانية وهى « الديمقراطية » و « الحرية السياسية » .

وصف المستر نكسون الرئيس الامريكى ، اسرائيل فى احدى خطبه بانها « واحة الديمقراطية فى الشرق كله » ويقول المستر انتونى ناتنج(٢) الوزير البريطانى عنها فى احد كتبه « ان اسرائيل دولة اكثر اشتراكية من الاتحاد السوفييتى ، واكثر ديموقراطية من الولايات المتحدة » .

والواقع ان الديمقراطية فى اسرائيل عملة ذات وجهين : وجه ديموقراطى مثالى للمواطن الاسرائيلى اليهودى وحده ، ووجه دكتاتورى مستبد للمواطن غير اليهودى ، فالاقلية العربية المسلمة والمسيحية فى هذه الدولة ـ وهى تمثل من سكانها ١١٪ ـ لا تتمتع باى حقوق سياسية ، وليست لها حرية شخصية .. بل تحرم من كافة حقوق الانسان ..

وليس هذا بمستغرب على دولة شعارها الرسمى كما جاء فى التلمود(٣) « الشفقة على غير اليهودى محرمة ، واذا رايته واقعا فى نهر او مهددا بخطر فيحرم عليك ان تنقذه » . ويقول ايضا « محرم على اليهودى ان ينجى غير يهودى من الهلاك ، او يخرجه من حفرة يقع فيها .. بل اذا راى احدهم يقع فى حفرة لزمه ان يسدها بحجر » .

واسرائيل تطبق هذه التعاليم بنصها مع مواطنيها من غير اليهود .. فعندما ذهب وفد من العمال الفلسطينيين العرب فى اسرائيل لمقابلة بن جوريون ، للشكوى من التفرقة العنصرية ، والقيود على حريتهم ، قال لهم بصراحة : « اننا نريد دولة

---

(١) مجلة العربى ـ العدد ١٨٤ ص ٢٠

(٢) I saw for myself

(٣) التلمود شريعة اسرائيل .

اليهود وأرواح غير اليهود :

ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود ، فقد جاء فى التلمود : يحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من الأمميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، بل إذا رأى أحد الأمميين يقع فى حفرة لزمه أن يسدها بحجر ، وقال « ميمانود » : الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى ، فإذا رأيته واقعا فى نهر أو مهددا بخطر فيحرم عليك أيها اليهودى أن تنقذه ، لأن السكان الذين كانوا فى أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم يقتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقى أمم الأرض ، ولذلك يلزم قتل غير اليهودى لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين.

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودى كل أممى لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله[1] .

من كتاب « اليهودية » للدكتور احمد شلبى مؤلف كتاب مقارنة الاديان والاستاذ فى جامعة القاهرة ، ورئيس معهد الدراسات الاسلامية فى اندونيسيا .

يهودية ١٠٠٪ » . وترجمة ذلك ان هذا الاضطهاد سياسة" مرسومة للدولة لكى تخرجكم من ارضكم .. »

ما هى قصة الديموقراطية فى اسرائيل ؟ . وكيف كانت الحرية السياسية العامل" الرئيسي فى خلق هذه الدولة وتطويرها بهذه السرعة القاسية ، ثم كيف اعطتها القوة والاستقرار ..

الديموقراطية واثرها فى خلق دولة اسرائيل

يعتقد كثير من الناس أن تاريخ اسرائيل السياسي يرجع الى يوم اعلان هذه الدولة في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ثم انتخاب اول كنيست او مجلس نيابى لها . والواقع أن الاحزاب الاسرائيلية قد تكونت قبل تاسيس اسرائيل بزمن طويل جدا ، قد يرجع الى ما قبل القرن العشرين ، اى قبل اعلان الدولة بخمسين سنة . فقد تكونت أحزاب يهودية مختلفة فى عدد من البلاد الاوروبية : منها روسيا وتركيا وانجلترا وامريكا وسويسرا ، وتجمعت كلها تحت اسم المنظمات الصهيونية ، وقد انشات هذه الاحزاب فروعا سرية لها فى فلسطين فى اواخر الحكم التركى ، ثم توسعت فى النشاط والعمل في اثناء الانتداب البريطانى .. وقبل تاسيس الدولة لم يكن وضع هذه الاحزاب بحكم هذه النشاة كشبهه فى مجتمع مستقر .

كان الهدف تاسيس دولة من الصفر ، او خلق مجتمع جديد ، الى جانب بناء نواة لقوة عسكرية تقوم على اكتافها هذه الدولة .

وهكذا تخطت هذه الاحزاب الفهم الضيق لاهداف الحزبية ، الذى يعتمد على تربص كل حزب بالآخر لكشف اخطائه ونشر فضائحه ، الى الفهم الصحيح للحياة السياسية باوسع معانيها .. فكان كل حزب يقوم بدراسات اقتصادية وثقافية وتاريخية ، بل وتجارب علمية ايضا فى الكيمياء والزراعة ، لدولة المستقبل . ولم تكتف هذه الاحزاب بالدراسات النظرية بل كان كل منها يشترى الاراضي في فلسطين ، ويقيم فيها المزارع الجماعية والمستعمرات النموذجية ، لكى تكون مثلا لدولة المستقبل كما يراها ويتصورها ..

ثم تعدت الاحزاب هذه المرحلة الى تكوين جيش مستقل لكل حزب منها ، من المتطوعين . وقد اشتركت هذه الكتائب الحربية مع الحلفاء ضد الاتراك فى الحرب العالمية الاولى ، ثم مع الحلفاء ضد النازى فى الحرب العالمية الثانية ، وهى

الكتائب التى قامت بما يسمونه « حرب التحرير » سنة ١٩٤٧ عندما كانت عصابات صهيونية ، ثم اتحدت فيما يسمى جيش الدفاع الاسرائيلى ..(٤)

ومن المعروف أن هـــذه الاحزاب السياسية تتفاوت فى اتجاهاتها تفاوتا بيّنا من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، وان بينها خلافات لا تقتصر على المسائل الفرعية بل على الامور الجذرية : فمنها المتطرف فى الراسمالية ، ومنها المتطرف فى الاشتراكية ، ومنها المطالب بدولة علمانية ، ومنها المتعصب لدولة دينية لاهوتية ..

وقد قام بين هذه الاحزاب قبل الاستقلال صراع رهيب(٥) وحوادث اغتيال ، وقتال فى شوارع القدس وتل ابيب ، كاد يقضى على فكرة قيام الدولة الصهيونية فى مهدها .

وتنبه قادة الأحزاب الى خطر هذا الانقســام فيما بينهم، فاجتمعوا تحت ظل الوكالة الصهيونية، ووضعوا القواعد الديموقراطية للتعايش السلمى، وهى تتلخص فى حق كل حزب فى حرية ابداء رأيه بكافة الطرق السلمية ، وعدم اللجوء الى العنف فى المعارضة ، والخضوع لرأى الاغلبية مهما كان مخالفا لرأيهم. وقد ظل هذا التحالف الديموقراطى معمولا به حتى اليوم ، وكان السبب الرئيسي هو نبذ الاحزاب لخلافاتها الداخلية ، وتفرغها للعمل البناء ، ولمعركة تحرير الدولة ثم تطويرها ..

وهكذا كانت الديموقراطية احد العوامـــل الحاسمة فى خلق دولة اسرائيل ، وفى تجميع هذا الخليط المتنافر من شعوب الارض تحت راية واحدة.

الاحزاب السياسية وأثرها فى صيانة الديموقراطية

اتفق علماء التخطيط والسياسة فى الصهيونية العالمية على أن النظام المثالى لتحقيق حكـم ديموقراطى مستقر فى دولة ناشئة هو النظـــام البرلمانى المتعدد الاحزاب .

فعدم وجود الاحزاب يترك الامة فى فراغ سياسى، ويعرضها للدكتاتورية ، والانقلابات العسكرية ، والاكتفاء بحزب واحد يحرم الامــة من فرص المعارضة والنقد وكشف الأخطاء ، فهو لا يختلف كثيرا عن الغاء الاحزاب . هكذا فكروا .

واذا لا يبقى الا الحل الثالث وهو الحـرية الحزبية المطلقة كما هو معمول به فى انجلترا وامريكا وفرنسا وغيرها من دول العالم الحر .. وهذا هو ما اخذت به اسرائيل باوسع معانيه .

ويبلغ عدد الاحزاب التى تشترك فى انتخابات الكنيست الاسرائيلى (٢١) واحدا وعشرين حزبا سياسيا .. ورغم هذا العدد الكبير ــ بالنسبة الى حجم الدولة ــ فما زال القانون(٦) يسمح لأى فئة او جماعة باقامة اى تنظيم تريده ، سواء كان سياسيا او ثقافيا او رياضيا او تجاريا .. ولا يحتاج تكوين هذه الاحزاب السياسية الى اذن خاص من الحكومة او تصريح منها ، وكل ما هو مطلوب ــ لكى يصبح الحزب مسجلا ــ ارسال وثيقة عن اهدافه. قد تقع فى بضعة سطور ، او فى مجلد كامل ، وقد يكتفى نشر هذه الوثيقة فى الصحف اليومية ، ثم يمارس الحزب نشاطه الحزبى فى الحال (٧) .

والسؤال الذى يتبادر الى الاذهان هو : هل من صالح اى امة ان تكثر الاحزاب فيها وتتعدد بهذه الصورة ؟ الا يؤدى ذلك الى المزيد من الانقسام والخلافات ؟

والواقع أن الديموقراطية تحل دائما مشاكلها بنفسها ، ودون حاجة الى تدخل من السلطة ... فهذا التسامح الديموقراطى ازاء الاحزاب السياسية قد صفاها غالبا بطريقة طبيعية الى حزبين كبيرين رئيسيين كما هو حادث فى انجلترا وامريكا وفرنسا ... والحزب الرئيسي فى اسرائيل هو حزب الماباى، او حزب العمل ، والحزب الرئيسي المنافس له هو اتحاد الاحزاب الدينية اليمينية والمسمى (ليكود) .. كما أن هناك كتلة ثالثة من تجمع احزاب اليسار .

ولكن من الملاحظ دائما انه لم يحصل اى حزب فى اى وقت على اغلبية مطلقة تخوله الانفراد بالسلطة .. فاعضاء الماباى فى الكنيست فى حدود الخمسين عضوا من مجموع (١٢٠) مائة وعشرين

---

(٤) منها « الهاجاناة » ، التابعة لحزب «الماباى»، ومنها عصابة « شترن » وعصابة « الارجون » التابعة للاحزاب اليمينية .

(٥) كتاب « الحياة الديمقراطية فى اسرائيل » صبرى جرجس .

(٦) كتاب « الحياة السياسية فى اسرائيل » ــ رفيق حبيب مطلق .

(٧) محاضر الكنيست سنة ١٩٥٧ .

تاليا . وهذه النسبة الصغيرة قد حافظت على التوازن والتعايش السلمى ، وجعلت معظم الحكومات الاسرائيلية حكومات مؤتلفة ، وكثيرا ما كانت الاحزاب الصغيرة عند اشتراكها في الحكم مع الماباى (حفاظا على مصالحها) تعارض في ان تتخذ الحكومة اى اجراء غير ديموقراطى بالنسبة الى معارضيها ، خوفا من ان يمسها هذا الاجراء في نهاية الامر عندما تصبح خارج الحكم .

الحريات الشخصية والسياسية

رغم ان اسرائيل مليئة بالمعتقلات والسجون السياسية الا ان هذه مقصورة على المواطنين العرب وحدهم. وقد صرح مراقب الدولة الاسرائيلى في الكنيست وهو يتحدث عن الامن لسنة ١٩٥٧ بانه « لم يصدر امر واحد في اسرائيل بالاقامة الجبرية او المنزلية او امر اعتقال سياسي او نفي او نقل او مصادرة الاموال ، ضد اى مواطن يهودى منذ انشاء دولة اسرائيل ، وان استعمال السلطة لهذه التدابير مقصور على المواطنين العرب وحدهم»

وليس لاى شخص مهما علا مركزه في الدولة اى امتيازات ترفعه على غيره من المواطنين ، ففي سنة ١٩٦٨ رفض الحاخامون تسجيل زواج حفيدة بن جوريون مؤسس الدولة ورئيس الوزراء ، لان والدتها غير يهودية (٨) مما اضطرها الى اجراء هذه المراسيم خارج اسرائيل (٩) ... وبعد الانتصار السريع الذى حققه موشي ديان وزير الدفاع في حرب الايام الستة ابتدات صحافة العالم تكيل له المدح ، وابتدأ بدوره يلقي بالتصريحات والاحاديث المشهورة ، فخرجت صحف اسرائيل كلها في وقت واحد تهاجمه وتقول « اسكتوا هذا المغرور » .

وكل مسئول في الدولة قبل تعيينه يؤخذ عليه قسم « بالمحافظة على دولة اسرائيل » وبعدم المحاباة بين الناس في عمله » .

والوظائف السياسية في اسرائيل ليست حكرا لفئة معينة ، او طبقة معينة ، فكل مواطن في الدولة له الحق — حسب كفاءته ومقدرته — في الوصول الى اعلى المناصب . وتحرص اسرائيل في هذا المجال على اتاحة الفرصة امام الشباب والدم الجديد على اخذ دوره في قيادة الدولة . وهذا السبب الرئيسي في كثرة التغيير في الحكومات الاسرائيلية ، حتى بلغت (١٦) ستة عشرة وزارة منذ سنة ٤٨ ، ومع كل وزارة تاتي شخصيات جديدة الى الحكم ودم جديد .. وقد ساعد هذا على خلق جيل جديد من القادة السياسيين يمكنه ان يقوم بالمسئولية ، ويواصل المسيرة بعد الجيل العتيق الذى قام على اكتافه بناء الدولة .. ومن الملاحظ ان هذا المبدأ قد طبق بصورة اوسع في قيادات الجيش ، حيث يراعى دائما تجديد دم القيادات ، لادخال الطرق الحديثة والمتطورة على نظم القتال ، وقد جرت العادة على تغيير رئيس الاركان الاسرائيلي في كل ثلاث سنوات(١٠)

استقلال القضاء

وسيادة القانون واستقلال القضاء في اسرائيل يعتبران مضرب الامثال في العالم كله . فمنذ لحظة تعيين القاضي في منصبه تفقد الحكومة اى سلطان عليه فلا يقال او ينقل او يحرم من ترقية مهما كانت ميوله السياسية (١١) . والمحكمة العليا الاسرائيلية ، تمثل مجلس الدولة ، او ديوان المظالم ، وحكمها نافذ على الحكومة .. والعدالة وحدها لا تكفي اذا لم يتبعها سرعة وصول الحق ونفاذ الحكم .. وقد اتبعت اسرائيل نظاما فريدا في نوعه للقضاء في الامور المستعجلة ، حتى لا يعرقل الروتين سير العدالة .. وبموجب هذا النظام يحق للقاضي أن يصدر اى حكم مستعجل وهو في بيته والحكومة ملزمة بالتنفيذ في الحال . ومن الامثلة الطريفة على ذلك ماحدث عندما تولى وزارة الاعلام وزير يميني متدين ، فاصدر امرا بمنع البث التلفازى يوم السبت (١٢) . ولم يرق احد المواطنين هذا القرار ، فرفع دعوى الى قاضي المحكمة العليا في بيته ، ذكر فيها انه — في يوم راحته الوحيد — يكون اكثر حاجة الى البث التلفازى من اى يوم اخر ، وفعلا اصدر القاضي قرارا عاجلا يلغى امر الوزير فعاد البث التلفزيوني في اليوم نفسه بعد أن توقف بضع ساعات فقط . وعندما اجتمعت المحكمة العليا بعد ذلك بكامل هيئتها

---

(٨) قوانين الدولة في اسرائيل تنص في تعريف « اليهودى » على انه من ولد من ام يهودية ،
(٩) صحيفة « هآرتس » في ١٩٦٨/٢/٢٢ .
(١٠) حاتم صادق « نظرة على الخطر » ص/١٠٧
(١١) قانون القضاة في اسرائيل لسنة ٥٧١٣عبرية ، او ١٩٥٣ ميلادية ص/١٨٠
(١٢) صحيفة « دافار » في ١٩٦٩/١١/٩ .

(وهي خمسة قضاة) اقرت حكم القاضي باجماع الاراء . وهكذا ذهبت صرخات وزير الاعلام المتزمت ادراج الرياح . وكان اشد ما اثار سخطه ان القاضي قد حكم في القضية في يوم سبت ، وهو يوم يحرم فيه العمل في الديانة اليهودية .

حرية الصحافة والفكر والاعلام

ان الوجه الديموقراطي الحقيقي لاى دولة هو الصحافة الحرة .. وبغير حرية الصحافة والفكر لا يمكن الادعاء بأن هناك حرية سياسية ، وقد كتب الكثير عن حرية الصحافة والاعلام في اسرائيل ...

فلا توجد في هذه الدولة رقابة من اى نوع كان : سواء على الكتب او الصحف او المجلات السياسية والعلمية والنقابية والمهنية والحزبية. وليس هناك اسهل من استصدار اذن بصحيفة او مجلة جديدة. وجميع الصحف الاجنبية (عدا العربية) تدخل اسرائيل دون رقابة وحتى الكتب التي تهاجم اسرائيل او تنتقد الصهيونية تباع في الاسواق ، بل ان بعض هذه الكتب الناقدة يصدر من داخل اسرائيل نفسها ...

وفي الانتخابات الاخيرة سنة ١٩٧٣ وضعت الحكومة اجهزتها الاعلامية بما فيها التلفاز الحكومي والاذاعة تحت تصرف اى حزب معارض ، لكي يبث منها دعايته الانتخابية ، وكان بعضها يوجه اللوم والنقد الى رئيسة الوزراء والحزب الحاكم (١٤) .

والمشكلة الوحيدة التي كانت موضوع جدل بين السلطة والصحافة هي الموضوعات التي تتعلق بامن الدولة .. وفي سنة ١٩٤٩ عقد اجتماع بين مندوبي الاحزات السياسية والصحافة والحكومة، وقد ابرم فيه اتفاق (جنتلمان) غير مكتوب ، تحدد فيه الموضوعات التي تمس امن الدولة والتي يحق للرقابة ان تتدخل فيها ، وبديهي ان نقطة الخلاف تبدو عندما تحاول السلطة ـ تحت اسم امن الدولة ـ التدخل في الصحافة في مسالة سياسية مثل نقد الحكومة وسياستها الداخلية والخارجية .

وبموجب هذا الاتفاق اصبح على الحكومة ان تلتقي باصحاب الصحف في اجتماعات دورية ، للتفاهم حول هذه الموضوعات .. واذا قام خلاف بين الطرفين في تفسير قضية شائكة يعرض الامر على لجنة تحكيم من ثلاثة اعضاء محايدين وكثيرا ما يحضر وزير الدفاع او رئيس الاركان تلك الاجتماعات الدورية ، لاطلاع الصحفيين على الموقف العسكرى وعلى المسائل التي يحسن عدم نشرها .

ومنذ هذا التاريخ والامور بين الصحافة والسلطة تسير على طريق التفاهم والاقناع ، وخلق جو من الثقة المتبادلة ، حتى اصبحت الصحافة نفسها رقيبة على نفسها في مسالة امن الدولة .. وقد ساعد على ذلك ان معظم الصحافيين هم فعلا جنود او ضباط احتياط في الجيش ، وذلك لان التجنيد اجبارى وعام .

ومع هذا فهناك موضوعات تدخلت فيها الرقابة نذكر منها : فضيحة لافون المشهورة عندما ارسلت المخابرات الاسرائيلية رجالها لضرب المؤسسات الامريكية في مصر بهدف الايقاع بين مصر وامريكا وكان ان اعتقلوا ، وساءت العلاقات مؤقتا بين امريكا واسرائيل .

اسرائيل لا تعلن الاحكام العرفية في الحــرب

منذ نشأة اسرائيل وهي في حالة حرب شبه دائمة مع جيرانها الذين اغتصبت اراضيهم .. ورغم دخولها في اربع حروب متوالية ظلت تحتفظ بالاحزاب السياسية ، والمجالس النيابية ،وحرية الصحافة والنقد والاعلام ، وترفض اعلان الاحكام العسكرية او العرفية.ومن امثلة هذه الديمقراطية ما اذيع في اسرائيل من تشكيل لجنة قضائية وعسكرية عليا لدراسة اخطاء القيادة السياسية والقيادة العسكرية في حرب اكتوبر سنه ١٩٧٣ (١٦).

فهذا القرار ـ يساعد هذه الدولة على تلافي اخطائها ومجازاة المحسن وعقاب المسيء والمقصر مهما علا مركزه في الدولة .

وقد استفادت اسرائيل اعظم الفائدة من هذه الديموقراطية في مرحلة المفاوضات التي تلت حرب رمضان . فاخذت تماطل في الانسحاب بحجة الانتخابات النيابية .. في اثناء مفاوضات جنيف كان المسئولون في اوربا وامريكا يواجهون كل مسئول عربي بقولهم : ـ

« اعذروا الجماعة في اسرائيل على تشددهم

---

(١٣) صبرى جرجس: كتاب « الحريات الديمقراطية في اسرائيل » ص/٨٠

(١٤) صحيفة « الرأى العام » الكويتية » في ١٩٧٣/١٢/٣١ .

معكم .. فهم دولة ديموقراطية ، ولديهم معارضة حرة قوية .. وهم لذلك لا يستطيعون تقديم تنازلات .. واذا قدمت حكومتهم اى تنازلات للعرب فسوف تسقط في الحال .. فعليكم أيها العرب أن تسكتوا وترضوا بالقليل الذى يقدمونه اليكم » .

الصهيونية تشجع الاستبداد فى الشعوب الاخرى

ومع كل هذا فالصهيونية تؤمن بان خير وسيلة لقهر شعوب العالم الاخرى والسيطرة على مصائرهم هى نشر الاستبداد السياسي وتشجيع الحكم الفرد . ويرى حكماء صهيون أن الدولة التى يحكمها شخص واحد حكما مفردا أسهل انهيارا ، وأسلس انقيادا لهم ، من دولة حكمها جماعى ، تتوزع فيها السلطة والمسئولية بين عدة جهات .

وحكمتهم فى ذلك أن التأثير على الفرد الواحد أو استمالته أو اخضاعه امر اسهل بكثير من التاثير على جماعة كبيرة .. وعن طريق هذا الحاكم المفرد تصبح الدولة بملايينها تحت سيطرتهم. وللصهيونية حيل واسعة وفنون متنوعة ذكرت كلها فى « بروتوكولات حكماء صهيون » فى التأثير على الفرد أو صاحب النفوذ مهما كان معاديا لهم .. فمنها استعمال سلاح الجنس ، أو سلاح التشهير ، أو الابتزاز ، أو سلاح الرشوة ، وعندما تفشل هذه الأسلحة فهنالك سلاح الاغتيال او اثارة القلاقل الداخلية .

ولهذا فليس بمستغرب بعدما وجدناه من حرية مطلقة وديموقراطية فى الكيان الداخلى لدولة اسرائيل أن نرى (البروتوكولات الصهيونية) (١٦) تحث على نشر الاستبداد السياسي والحكم الفردى فى أنحاء العالم .

فقد جاء فى البروتوكول الاول :

« ان مما يحقق السعادة أن تكون الحكومة فى قبضة شخص واحد مسئول ، وبغير الاستبداد لا يمكن أن تقوم الحضارة » .

ـ وجاء فى البروتوكول الثانى :

« حينما نستحوذ على السلطة فى العالم يجب أن نمحق كلمة الحرية من معجم الانسانية » .

ـ وجاء فى البروتوكول العاشر عن الحاكم المستبد الذى يفضلونه : ـ

« وامثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفقة أخرى سرية ، وان رئيسا من هذا النوع سيكون منفذا لأغراضنا لانه سيخشى التشهير » .

الخلاصة

من هذه الحقائق كلها نخرج بالنتائج التالية :

١ ـ ان الحرية والديموقراطية هى التى خلقت دولة اسرائيل ، وصانت هذه الدولة (رغم هذا الخليط من الشعوب الذى تتكون منه) من اى انقسام أو خلافات داخلية . وقد ساعدت الحرية على تقارب الاحزاب ، ونبذ العنف ، ومنعت اسباب الانقلابات العسكرية ، مما هيأ للدولة الاستقرار السياسي والاقتصادى .

٢ ـ وفى ظل الحرية السياسية تمكنت اسرائيل من الغاء المحسوبية وتحقيق العدالة والمساواة ، وتثبيت استقلال القضاء وهيبته .

٣ ـ والحرية قضت على الروتين الحكومى ، واصلحت اخلاق الحكام والمسئولين ، خوفا من النقد ، وساعدت على كشف اخطائهم ، ومنعتهم من الانحراف والغرور والرشوة والاهمال .

٤ ـ وفى ظل الحرية السياسية نمت الكفاءات السياسية والقيادية والعسكرية ، ووصلت الى اعلى وظائف الدولة .. وظهرت الكفايات العلمية والرياضية والادبية ، وانتعشت الفنون .

٥ ـ وفى ظل الحرية السياسية انتعش اقتصاد الدولة بسرعة مذهلة ، حتى اصبح دخل الفرد فى اسرائيل ١٤٥٠ دولارا فى العام الواحد ، رغم ميزانية الحرب الثقيلة .

٦ ـ وقد اثبتت تجربة اسرائيل ان الحرية فى وقت الحرب الزم منها فى وقت السلم ... فالشورى وتبادل الرأى هى السبيل الوحيد لتمحيص القرارات ، ولتجنب الأمة اى خطوة مرتجلة ، او خطأ فى التقدير ، مما يؤثر على سير المعركة ومصير الأمة لعشرات السنين .. ■■

أحمد شوقى الفنجرى

---

(١٥) الاهرام ، فى ١٩٧٣/١٢/١٧ .

(١٦) «بروتوكولات حكماء صهيون» ترجمة وتعليق الاستاذ محمد خليفة التونسى .

الفَراش

كلمة متصلة بالصورة التي بالصفحة ٢

من هذا العدد (صفحة الغلاف الداخلي)

اسم لنوع من الحشر ، هو من رق الحشرات ، وتتلون أنواعه بأزهى الالوان ، وتطير ، فيحسبها ذو الخيال الخصب أنها الزهور بالوانها الجميلة اتخذت اجنحة طارت بها في الهواء .

وتظهر الوانها مبسوطة زاهية وهي تطير ، ناشرة اجنحتها ، ففي هذه الاجنحة تتجلى الالوان وتتعدد .

الفراش ... ٢٠٠ نوع

والفراش انواع كثيرة تبلغ مائتي الف نوع وقد تزيد . وهي صنفان ، صنف يشتد صفاء الوان ، وجمال الوان ، ويعيش حياته في ضياء النهار ، ويسميه الافرنج ، والانجليز خاصة Butterflies والصنف الآخر دون ذلك صفاء لون وازدهار لون ، او لا لون له ، ويعيش حياته أثناء الليل في الظلام ، ويسميه الانجليز Moths.

فراش نهار ، وفراش ليل

والصنفان معا هما عند العرب فراش ، والواحدة فراشة .

ويتميز الصنف الاول بأن المجسات التي تخرج من راسه ، وهي خيوط رفيعة يتحسس بها ، شأن الكثير من الحشر ، هذه المجسات تنتهي بكتلة صغيرة مستديرة . اما فراش الليل فليس بمجساته هذه الكرات .

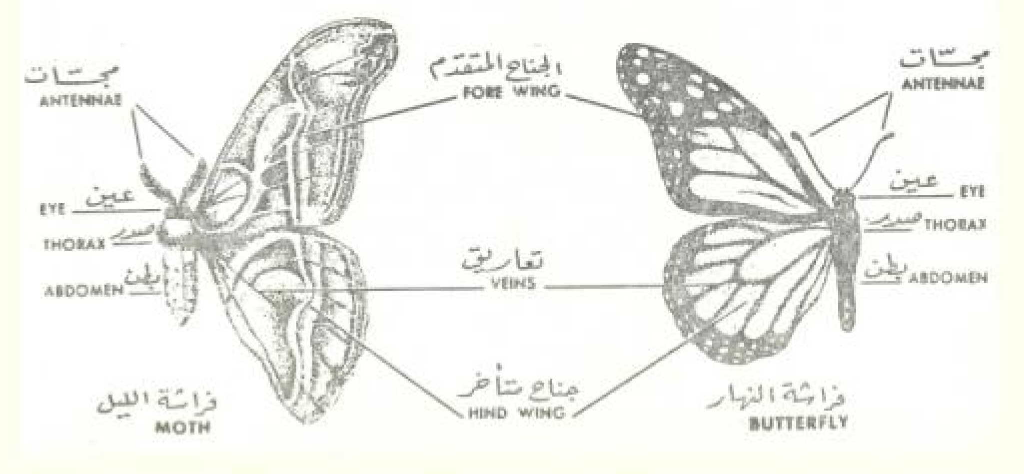
الفراش راس وصدر وبطن

اما من حيث التركيب ، فالفراش حشر ، فله تركيب الحشرات : راس وصدر ، وبطن . والصدر يحمل الارجل ، وهي ثلاث على كل جانب ، والصدر يحمل الاجنحة ، وهما زوجان ، زوج متقدم وزوج متخلف . ويهبط الفراش على الشجر او غير الشجر فتنضم اجنحته وتختفي بذلك الوانه .

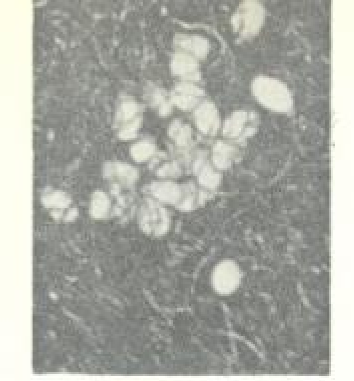
الانسلاخ

والفراش يمر بادوار الانسلاخ الحشرى انسلاخا كاملا . واذا بدأنا بالفراش وهو حشرة طائرة ، نجدها تحيا هذه الفترة من حياتها ليجتمع ذكرانها باناثها فيكون التلقيح . ومن التلقيح يخرج البيض .

وهذه الفترة هي في العادة قصيرة ، كل همها اللقاح ، وما الاجنحة الا حوامل تحمل الذكر الى الانثى ، والانثى الى الذكر ، فيكون بينهما اتصال حياة .







عثة الصوف ، والفرو والشعر . انها دودة تأكل كل شيء من هذه ، من ملابس وغير ملابس ، وهى تبدأ من بيض تضعه انثى الفراش . وينفقس البيض ، كالذى فى الصورة ، فتخرج منه الدودة ، كالتى فى الصورة ايضا ، ويبلغ طولها عادة نصف بوصة . انها دودة نهمة .

فم كالخرطوم

والفراش يتغذى فى هذه الفترة من رحيق الزهر ، وله فم كالخرطوم ، يلتف فيكون كزنبرك الساعة ، فاذا وقع على زهرة بسط فمه فصار كالخرطوم ، تدخل به الى بطن الزهرة فاستقى من رحيقها مصا .

ومن البيض يخرج ما يشبه الدود . والدودة هى اليرقانة ، أو هى اليسروع Caterpillar وهى صورة نهمة من صور هذا الفراش ، تأكل ما تجد بشراهة ، لانها تريد أن تنمو . ويعرف الفراش فى هذه الصورة بانه العثة لانه يفسد الكثير من اشياء الناس ، ملابسهم واطعمتهم .

ويكبر اليسروع فيضيق جلده عنه فينزعه ليلبس جلدا اوسع جديدا ، ثم يعود الى طرح هذا الجلد كلما كبر . ويتكرر هذا مرات .

ثم يتهيأ اليسروع ليتحول الى الخادرة Pupa وهى الطور الانتقالى بين اليرقانة والحشرة الكاملة .

واليسروع قد يلف نفسه بنسيج يحميه ، وهو يبقى فيه بمنأى عن التهلكة ، بينا يتحول الى الخادرة وهو داخل هذا النسيج . ويعرف هذا النسيج بالشرنقة .

وننظر الى الخادرة فنحسب أنها شيء ميت لا حياة فيه ولا حركة . ولكن الحقيقة أن الذى يحدث فيه ، فى هذه الفترة ، شيء عجيب . فأكثر الاشياء التى كونت اليسروع تأخذ فى التحول وتضمحل ويصبح مكانها شيء خليط بين المائع والصلب ، ثم اذا ، من هذا الخليط ، يتخلق جسم الحشرة الجديد ،



وجه فراشة مكبر ، ترى فيه فم الفراشة وقد التف على نفسه كزنبرك الساعة . فاذا حطت الفراشة على زهرة ذات رحيق انبسطت هذه الانبوبة انبساطا يمتد الى داخل الزهرة ، الى الرحيق ، تمتصه غذاء لها طيبا ، فى دور حياتها القصير ، ذلك الدور الذى فيه تطير .

من صدر وبطن وجناح ورجل ونحو ذلك . ثم تتهيأ الحشرة الكاملة الى الخروج من محبسها هذا ، الى هذا الهواء وهذا الفضاء ، تستمتع بالتحليق فيه الى حين .

●●

ز .



الموسيقى

وموقف الاسلام منها

حرم الماجن منها، و أباح الطيبات

بقلم : محمد علي سليمان

عميد معهد الدراسات الموسيقية بالكويت

■ جاءت الاديان لتضع للناس الحياة المثلى للاستمتاع بالدنيا ومباهجها تحت ظل من الحدود والقوانين التي تصون للانسان حياته ، وتمد روحه باسباب التوازن في كل شيء ... وتعددت الديانات وتنوعت العقائد واتخذ كل انسان ماتيسر له في الدين والعقيدة عن طريق التوارث ، أو عن طريق الفكر والتامل ، وزاول طقوس الدين والعقيدة متفردا بنفسه او منضما الى جماعات . وحينما ينضم الى الجماعات فهو بحاجة الى أن يخلق انسجاما معهم في الحركة او الصوت أو فيهما معا. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة التوافق الحركي والصوتي في العبادة وطقوس الاديان . وظلت الاديان والمعتقدات ردحا طويلا من الزمان متخذة من الموسيقى والالحان وسيلة متممة لرسالة المعابد والهياكل ودور العبادة ، وقامت الموسيقى بدورها الكبير في تحريك الوجدان ، وتغذية المشاعر ، لانسان عاش طويلا في عصور العنف والقسوة والقوة وصراع الطبيعة .

واذا ماتتبعنا طقوس الاديان على اختلاف المكان والزمان وجدنا انها جميعا قد اتخذت من الموسيقى اداة للتعبد الجماعي ، وبعث النشوة الروحية ... فماذا كان موقف الاسلام حيال الموسيقى بفنونها الرحبة الواسعة ؟

موقف الاسلام حيال الموسيقى

ان الاسلام قد جاء مؤيدا للكثير مما جاءت به الأديان السماوية السابقة في مناسكها وحدودها وشرائعها ، مع تعديل يلائم نضوج المجتمع البشري الذي بدأ يتحول من عصور البدائية العتيقة الى عهد جديد تخللته حضارات ومدنيات : عهد جديد بدايته « اقرا » وجوهره الاخلاق ، ونهايته التكامل . فكانت البداية انفتاحا للبحث والتعلم والدراسة والتامل حينما خاطبت السماء العقول والافهام ، واتجهت نحو الغرائز تهذبها وتكبح جماحها ، ثم تعمقت في أحاسيس الانسان وفي مشاعره فلم تطلق لها العنان على آخره، بل طالبت بالتوسط في كل شيء ... وجعلت لكل عاطفة حدا ... فالبكاء والضحك بميزان ، والحزن والسرور بميزان ، والياس والامل بميزان ، حتى الطعام والشراب والمتاع الحسي كلها بميزان .

ولما كانت الفنون في مجموعها تخاطب الاحاسيس والمشاعر والعاطفة ، فقد تدخل الاسلام لكي يقف بهذه الفنون عند حدود ماجاءت به الشريعة دون أن يتعارض مع قوانينها واهدافها لخير الانسان .

وكانت قوانين الاسلام وسطا في كل شيء . فلم تغفل طبيعة البشر ، ولم تكبت الغرائز والميول ، ولم تهمل ماتشتهيه الانفس ... ووضعت عن الناس الكثير من القيود والاغلال،فاباحت الطيبات وحرمت الخبائث في غير تزمت ولا جمود ولا تقتير ولا اسراف .

« كلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

« قل من حرَّم زينةَ الله التي أخرج لعباده ، والطيباتِ من الرزق » .

« ما جعل عليكم في الدين من حَرَج » .

« يأيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلَّ الله لكم » .

« قل لا أجد فيما أوحي إليَّ مُحرماً على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون مَيْتَةً أو دماً مَسفوحا ، أو لحم خنزير » .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

وفي ظلال هذه الآيات الكريمة نستروح فضل الله ونعمته على عباده : بان جعل شريعتنا مطهرة سمحاء ، تهدف الى اسعاد البشرية في هذه الدنيا . كما جاءت كلمات الرسول عليه الصلاة والسلام شارحة لكل ما انطوت عليه تلك الآيات البينات من اسعاد ، ورفع قيود واغلال :

« روِّحوا عن قلوبكم ساعة بعد ساعة » .

« قُتل المتنطعون » .

« إن هذا الدين يسر » .

« إن المُنبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى » .

ومن هذا الاستعراض السريع العابر لبعض آيات الله تعالى ، وكلمات نبيه الكريم ، نرى ان الاسلام لم يحرم شيئا الا لمضرة فيه تفسد علينا جمال الحياة ونعيمها عاجلا او آجلا . كما أنه منع المغالاة او الاستغراق المطلق في اى شيء حتى العبادة .

وعلى ضوء ذلك نتناول في مقالنا هذا موضوع الموسيقى بين الدين والمجتمع .

الموسيقى في المجتمع الانساني

اختلفت آراء الناس حول اهمية الموسيقى في المجتمع الانساني . ففي اليونان وفي مصر القديمة اعتبروها من اهم مقومات التربية في الطفولة والشباب،واشترطوا ان تكون الألحان التى يسمعها الطفل والشاب من الموسيقى الجيدة التى تحض على الفضيلة ، وتبتعد عن التميع والضعف ، تثير الحماسة والبطولة وتقوى الذاكرة .

وكذلك عند الرومان الذين اعتبروها ضمن الفنون السبعة التى لابد منها لكل دارس . وجاءت المسيحية فرأت ان الموسيقى لها ارتباط وثيق بالمسرح الوثني عند اليونان والرومان ، وانها استخدمت مع الاغاني العنيفة والخلقية التى كانت تنشد في ساحات قتل العبيد ومصارعة الحيوان والانتقام ممن دخلوا في المسيحية . فوقف حيالها في تحفظ وحذر. ولكن سرعان ما أدرك رجال الدين المسيحي ضرورتها في تهيئة الوجدان للتعبد ، فجعلوا من الغناء الكنسي وسيلة للتربية والعبادة ، وحرموا الغناء بغير ألحان الكنيسة .

وانبلج نور الاسلام من الجزيرة العربية . فهل كان موقفه من الموسيقى موقف المنع او التحريم ؟ اعتقد ان موقفه ينطبق عليه كل ما جاء فيه عن الشعر .

موقف الاسلام من الموسيقى ، موقفه من الشعر

فالشعر في عرف الناس والتاريخ فن من الفنون التى لاغنى للامم عنها ، لانه في ذاته فن جميل يهذب العواطف ويرقق الوجدان . واعتقد انه لخطورة هذا الفن .. جاءت باسمه احدى سور القرآن الكريم « سورة الشعراء » وجاء ذكر الشعراء فيها بقوله تعالى : « والشعراء يتبعهم

الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

فلننظر في الامر من زاويتي الدين والمجتمع بالنسبة للشعر والشعراء ...

لقد نشأ الشعر العربي عزيزا في الجاهلية . عرف اهلها قدره فلم يتناوله الا اشرافهم وعظماؤهم كالمهلهل (عدي بن ربيعة)،وامرىء القيس،فسمت بمنزلتهم منزلة الشعر وعظمت اغراضه .. ولكن مالبث عندما تعاطاه السوقة ليتكسبوا به كما في شعر النابغة الذبياني ، والاعشى ، ثم الحطيئة الذي استجدى بالشعر واظهر انحطاط الهمة حتى مقت الناس الشعر فذل اهله .

وجاء الاسلام والشعر في هذه المنزلة الوضيعة التي هام فيها الشعراء . فكان لابد من التنديد بمن جعلوا الشعر مطية للاستجداء والاغراض المهينة .. وعز الشعراء بالاسلام فعزت معهم منزلة الشعر حتى لقد قال في ذلك النبي الكريم « ان من البيان لسحرا،وان من الشعر لحكمة » . كما انه اتخذ له شعراء يؤيدون دعوته ، ويردون سهام الغوالين الذين تعرضوا للنيل من الاسلام ورسول الاسلام .

وما يمكن ان ينطبق على الشعر ينطبق ايضا على الموسيقى والغناء . فلقد كان احترافهما في العصر الجاهلي مقصورا على طبقة القيان . كما كان المغنون من الرجال يتشبهون بالنساء في كثير من عاداتهن واطوارهن ، حتى لقد اشتهر هؤلاء المحترفون باسم المخنثين لتشبههم بالنساء . فكان لا بد من ان يقف الاسلام بشدة حيال هذا الانهيار الذي يحطم الرجولة ويهبط بمستوى المجتمع . فكان بعض ما سمعنا عن التشدد والاستنكار . ولكنه مع ذلك لم يرد في الموسيقى تحريم صريح او قول قاطع ينتقص من قدرها . وكل ما قاله المفسرون في كلمة اللهو ونسبوه الى الموسيقى والغناء يمكن ان ينصب على كل لهو من لعب وسباق وترويض طير او حيوان . ومع ذلك فان من اللهو ما هو مباح ومستحب ما لم يعطل حدا او شريعة أو فريضة كما في قوله تعالى : « واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما » وقوله تعالى « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » .

وجاء في السيرة الشريفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الشعر واستحسنه حتى في الغزل .. وكذلك في حياة كبار أئمة الدين مثل سيدنا مالك بن انس نشهد صورا جميلة من تناول الحياة الرقيقة الممتعة فلقد ذكر عنه انه كان يبدو دائما جليل المظهر حسن الثياب يتناول من الطعام اطيبه ، ويترنم بالشعر والحان الغزل .

وشاهد النبي صلى الله عليه وسلم رقص الاحباش وغناءهم وكانت ترافقه السيدة عائشة . فقال لهم عندما تقاعدوا عن الغناء والرقص اجلالا لمقدمه « جدوا يا بني أرفدة ، حتى تعلم اليهود والنصارى ان في ديننا فسحة » وزفت من دار النبي جارية فقال :

« هلا بعثتم معها من يغني لها ؟ » فاجابوا وبم نغني يا رسول الله ؟ قال « تغنون فتقولون :

أتينـاكـم أتينـاكـم
فحيـونـا نحييـكـم
ولـولا الـذهب الاحمـر
مـا حلـت بواديـكـم
ولـولا الحنطة السمرا
ء لم تسمن عذاريكم

وانتهر ابو بكر رضي الله عنه ابنته عائشة عندما رأى جارتين تغنيان في بيت رسول الله ، فقال له الرسول الكريم « يا ابا بكر ان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا » .

ويقول كثرة من أهل الفكر والدين بأن فن السماع أو فن الموسيقى من الفنون الجميلة التي لا غبار عليها ولا تحريم لشيء منها ، الا ما كان ممتزجا بالخلاعة ، أو مثيرا للشبهات .

بل ان عمر رضي الله عنه مع تشدده وصرامته قال يوما لأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن ابن عوف « دعوا ابا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده » .

وفعلا غنى ابو عبد الله حتى كان السَّحَر ، فقاموا للذكر والصلاة . اذن فاين هو التحريم الصريح للموسيقى والغناء ؟ .. وهل سناخذ التحريم بغير كلام الله واحاديث رسوله ؟ لئن اخذنا !! فنحن ظالمون.ولئن وردت بعض الاحاديث وفيها اشارة الى كراهية او تحريم للموسيقى فانها بلا شك قد وردت في مناسبات معينة ربما

كان الغناء او الاداء الموسيقى فيها مما تنكره الشريعة اولا تبيحه، كالغناء الماجن الذى لاتستطيعه اهل العفة والشرف ، او الذى يخدش الحياء او يهدر الفضيلة . فلا بد حينئذ ان يكون الموقف حياله موقف الاستنكار والازدراء والتحريم كما فى الميتة ولحم الخنزير .

الموسيقى كانت دراسة جادة لدى علماء المسلمين

ولو تتبعنا الموسيقى من حيث فلسفتها وتاريخها وادابها وطبيعتها لرأينا انها كانت دراسة جادة لدى الكثير من فلاسفة الاسلام وعلمائهم ، حتى لقد قال الامام الشافعى « الطرب عقل وكرم ، ومن لا يطرب فليس بعاقل ولا كريم » . وقال احد ائمة الصوفية «ان الفقير لا يسمع الا عند الوجد». واجمعت الدراسات النفسية فى مختلف العصور على أن الموسيقى والغناء مما يرقق القلب ، ويحرك الوجدان ، ويبعث البسمة والنشوة ، فيحد ذلك من اثقال الحياة ، او يبعث الدمعة فيرق القلب ، ويستعد لاستقبال المواجيد والتأثر الباكى فى الخشية مع الله . وما اشد وقع الآية الكريمة على قساة القلوب فى قوله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة . وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله » .

والخلفاء ، عمرت مجالسهم فى صدر الاسلام ، بالموسيقى

ولطالما عمرت مجالس الخلفاء فى صدر الاسلام والعصور الاموية والعباسية وما بعدها بالموسيقيين والمغنين . بل ان مجالس السيدة سكينة بنت الحسين ـ رضى الله عنها ـ كانت تضم الموسيقيين والادباء والشعراء . وكذلك اشتغل بالعلوم الموسيقية فلاسفة مسلمون من امثال الخليل والفارابى والموصلى وابن سينا وغيرهم . ولئن احتج البعض بأن الموسيقى والغناء من اللهو فان كلمة اللهو لغة تدل على كل ما يتلهى به الانسان عن عمل جاد ، ولهذا أطلق بعضهم على الات الموسيقى (الات الملاهى) بينما لا يدل اى نص لغوى على أن الموسيقى لهو واللهو موسيقى ، وقد خاطب القرآن الكريم نبينا عليه الصلاة والسلام بالآية الكريمة « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فانت عنه تلهى » وقد كان التلهى هنا وفى هذا المقام مقابلته اكابر القوم وسادتهم ولم يكن فى الامر مجلس غناء .

وها نحن اولاء نرى أن الموسيقى منذ بداية عصر الاسلام كانت اداة الاعلام ، مبشرة بقدوم رسول الله الى المدينة حيث خرج الانصار باطفالهم ورجالهم وشبابهم ونسائهم ينشدون ويغنون :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

وبمثل ذلك سجل الشعر ايضا دولته فى دنيا الاعلام عن الاسلام ومبادئه محققا فى ذلك قول الشاعر :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

واننا الآن فى عصر الاعلام الاذاعى نتخذ من الموسيقى والاغانى مبدأ ومنكا ، لكل مادة ، ولكل برنامج . ولا أعتقد أن العصر الحاضر فى وسعه أن يهمل الموسيقى رسالة وثقافة وفنا ، له خطره فى كل مجتمع ، ولهذا فان الامر ليس مجرد النظرة فى تحليل الموسيقى او تحريمها ، وانما فى توجيه هذا الفن لخدمة البشرية فى التربية والثقافة ، وتزويد الوجدان والمشاعر والاخلاق لكل ما يرفع من شان الانسان فيختفى اللحن الماجن والنغم المعربد والكلمة الخارجة عن محيط آذان الغناء ، فيستقى الناس فنا نظيفا خاليا من شوائب الاضرار بالنفس والروح » .

والله الموفق والمستعان .

محمد على سليمان

لكي لا ننسى

الدكتور عبد الرزاق السنهوري

أفقه فقهاء القانون..

بقلم : محسن عبد الحافظ

نائب رئيس ادارة الفتوى والتشريع بالكويت

■ قد لا يكون معروفا لدى الكثيرين أن الدكتور السنهوري عليه رحمة الله من أكبر المتشيعين للفقه الاسلامى مصدرا للتشريع ، والحقيقة انه منذ أوائل عهده بالتدريس وهو يدعو لذلك، وقد بدأت هذه الفكرة الآن تنتشر وتقوى ، ويكثر دعاتها بعد زوال السيطرة الأجنبية عن البلاد العربية .

وقد دعا الى ذلك في كتبه كما دعا اليه في مقالاته التى نشرها سواء باللغة العربية أو اللغة الفرنسية تعريفا لفقهاء القانون الفرنسيين بما تحويه الشريعة الغراء من مبادىء عظيمة لم يصل اليها القانون الحديث الا حديثا أو ما يزال يجهد للوصول اليها حتى الآن .

فقد كتب بحثا باللغة الفرنسية طبع في مجموعة لامبير القانونية عنوانه « الشريعة الاسلامية مصدرا للتشريع » ، كما قدم بحثا عن المسئولية التقصيرية باللغة ذاتها الى مؤتمر القانون المقارن بلاهاى (وقد نشر هذا البحث بمجلة القانون والاقتصاد التي تصدرها كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٧) .

وقد كان لهذا التعريف بالفقه الاسلامى أثره في تعريف فقهاء القانون الغربيين بالشريعةالاسلامية حتى لقد قرر مؤتمر القانون المقارن أن الشريعة الاسلامية تحوى من المبادىء ما يصلح ليكون مصدرا للتشريع الحديث وأهاب بالدول الاسلامية أن تيسر لمن لا يعرفون اللغة العربية التزود من هذا الكنز الثمين .

كان يقول ان استفادة تشريعنا من وحى الشريعة الاسلامية« عمل يتفق مع تقاليدنا القومية ويستقيم مع النظر القانونى الصحيح من أن القانون لا يخلق خلقا بل ينمو ويتطور حاضره بماضيه » .

ثم يعلنها مدوية « ان الشريعة الاسلامية بحالتها الموجودة ، من غير تجديد فيها ، صالحة لأن تكون مصدرا للتقنين » (مجلة القانون والاقتصاد ـ السنة السادسة) .

وعندما كان رئيسا للجنة التي أعدت مشروع القانون المدنى العراقى سنة ١٩٥١ دعا الى قانون عربى موحد أساسه الفقه الاسلامى .

وأوضح ذلك في محاضراته بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، تلك التى طبعت في كتاب من عدة أجزاء بعنوان « مصادر الحق في الفقه الاسلامى » ، فقد دعا الى كتابة الفقه الاسلامى على أسلوب الفقه الغربى تيسيرا لطلاب هذا العلم في الوقت الحاضر ، وهم لم يتعودوا الدراسة في كتب الفقه القديمة وما فيها من اساليب،وعدم تنظيم،وعدم تجميع للموضوع الواحد في المكان الواحد ، وبذلك يمكن لرجال القانون المحدثين أن يفهموا الفقه الاسلامى ويدرسوه ويجعلوه لهم نبراسا ، لأن هذا الفقه « نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ، ويتميز عن سائر النظم القانونية في صياغته ، وتقتضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقيه الجليل بمقوماته وطابعه . ونحن في هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل

ترأس مجلس الدولة فكان فيه للحريات الحصن الحصين

الى تقريب الفقه الاسلامي من الفقه الغربي ، ولا يعنينا أن يكون الفقه الاسلامي قريبا من الفقه الغربي ، فان هذا لا يكسب الفقه الاسلامي قوة بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع وهو جانب للفقه الاسلامي منه حظ عظيم » .

(مصادر الحق في الفقه الاسلامي ـ الجزء الأول ـ التمهيد) .

وقد حرص على ان يبين ما في الفقه الاسلامي من ابتداع سبق الفكر الغربي بقرون ، ويكفينا ان نذكر هنا مثالين مما اورد :

١ ـ المنزلة الوسطى بين الحق والرخصة ، عرفها الفقه الاسلامي منذ قرون بينما لم يصل الفقه الغربي الى تبين هذه المنزلة الوسطى الا حيث ارتقى ووصل في الرقى الى مرحلة بعيدة كما في الفقه الألماني .

٢ ـ انعقاد العقد بالايجاب والقبول ، فقد قرر الفقه الاسلامي قاعدة أساسية تقضى بأن الايجاب والقبول وحدهما كافيان في تكوين العقد ، ومن الغريب أن هذه القاعدة على بساطتها وكونها من بديهيات القانون الحديث لم يصل القانون الروماني على عراقته الى تقريرها كقاعدة عامة حتى في آخر مراحل تطوره (نظرية العقد ص ٦٣) .

وطبيعى أن يضيق السنهورى ذرعا بأولئك الذين يريدون أن يضعوا الفقه الاسلامي في قوالب جامدة لا تتغير بتغير الأمكنة والأزمنة فمثلا يرد على القائلين بأن الفقه الاسلامي لا يعرف الا تلك العقود المسماة التى تناولها الفقهاء بالشرح (كالبيع والاجارة والوديعة والعارية) وأن أى اتفاق لا يدخل تحت عقد من هذه العقود لا يكون مشروعا . وعلى أساس هذا الرأى يقولون ببطلان كل عقد مستحدث لم يكن من قبل ـ فيقول « ان هذه النظرة الى الفقه الاسلامي نظرة سطحية » .

ويشرح وجهة نظره في ذلك موضحا ان كل اتفاق



تتوافر فيه الشروط التي يقررها الفقه الاسلامي يكون عقدا مشروعا سواء كان الفقهاء قد عرفوه أم لا ، ويستند في ذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم « المسلمون عند شروطهم » ، ذلك ان العقود المسماة التي ذكرها الفقهاء المسلمون هي العقود التي كان يغلب بها التعامل في زمنهم ، فاذا استحدثت الحضارة عقودا أخرى تتوافر فيها الشروط المقررة فقها كانت عقودا مشروعة .

ولكي يقطع دابر كل شك أضاف عند اعداده للقانون المدني العراقي نصا عاما هو نص المادة ٧٥ يقضي بان « يصح أن يرد العقد على أي شيء آخر لا يكون الالتزام به ممنوعا بالقانون أو مخالفا للنظام العام أو للآداب . »

★ ★ ★

وعلى أساس هذا الرأي كان يعرض العقود الحديثة على مبادىء الفقه الاسلامي ليستبين ما اذا كانت مشروعة أو غير مشروعة بصرف النظر عما اذا كان الفقهاء المسلمون قد عرفوها أم لا .

ولا أجد مثالا لذلك أوضح من عقد التامين ، وهو عقد صار من أهم العقود في النظام الاقتصادي الحاضر .

عرض الدكتور السنهوري هذا العقد على الفقه الاسلامي وانتهى الى أنه عقد جديد له مقوماته وخصائصه وهو ليس من العقود التي عرفها الفقه الاسلامي ، ولكن ذلك لا ينال من صحته فالعقود في الاسلام لم ترد على سبيل الحصر كما سبق البيان .

ثم يرد على القائلين بانه مقامرة وفيه غرر وينطوي على الربا بان عقد التامين من الناحية الفنيـــة الاقتصاديـــة ليس بمقامرة لا بالنسبة الى المؤمن فهو ياخذ الاقساط من المؤمن لهم ثم يعيد توزيعها عليهم ولا يعرض نفسه لاحتمال الخسارة أو المكسب باكثر مما يعرض نفسه أي شخص آخر في تجارة ، ولا بالنسبة الى المؤمن له اذ هو لا يقامر معتمدا على الحظ والمصادفة بل على العكس من ذلك تماما فهو يقصد أن يتوقى شر الحظ والمصادفة ويتعاون مع غيره من المؤمن لهم على توزيع أضرار ما يبيته الحظ والمصادفة لهم جميعا ، أما عن الغرر فيقول ان أكثر المذاهب تطورا في الفقه الاسلامي هو مذهب مالك وقد بين ابن رشد في عبارة جلية الأصل عند مالك في ذلك فقال « والاصل عنده أن من الغرر ما يجوز لوضع الضرورة » ، أما عن الربا ، فان هذه مسألة لا تقتصر على عقد التامين بل تتناول ضروبا كثيرة من التعامل وانه يجب التمييز بين ربا الجاهلية من جهة وربا النسيئة وربا الفضل من جهة أخرى وقال ان الثاني غير جائز الا للحاجة وانه اذا قامت الحاجة في نظام اقتصادي معين الى دفع فوائد معتدلة على رؤوس الاموال كان هذا جائزا ما دامت الحاجة قائمة .

ثم ينتهي من هذا البحث الذي لخصناه الى أن عقد التامين لا يجوز القول بعدم مشروعيته ، وبهذه المناسبة كان رحمه الله ـ عندما كان خبيرا قانونيا لحكومة الكويت قد أعد مشروعا لقانون باحكام عقد التامين ، وهذا المشروع ما يزال معروضا على مجلس الأمة الكويتي حتى الآن .

★ ★ ★

كان طويل الفكرة ، يقلبها على كل الوجوه حتى يصل الى أعمق أعماقها ، حتى اشتهر عنه قول صديقه الحميم المرحوم الاستاذ سليمان حافظ انه « يفلق الشعرة بالطول » فلم يكن يكفيه النظر العاجل أو القراءة السريعة ، واذا عرض عليه موضوع طلب ممن يعرضه التؤدة في العرض، ويستعيده مرارا وتكرارا ، ولا يانف من مناقشة أصغر تلاميذه أو مرؤوسيه طويلا ويستمع الى رأيه ويحفل به ويشجعه حتى لو خالفه، وكان حين يدرس أمرا يدرسه دراسة منتظمة ، حتى عندما بلغ أعلى مراتب الفقه . أذكر أنه عندما عين رئيسا لمجلس الدولة في مصر سنة ١٩٤٩ وكان اذ ذاك أفقه فقهاء القانون المدني ، تبين أنه لا بد له من دراســـة القانون الاداري ، فهو الذي يطبقه مجلس الدولة، فبدأ من البداية ، طلب مني كتابا مبسطا في هذا القانون يتعرف فيه على مصطلحاته ومبادئه ، فاعطيته كتابا مختصرا ضمن مجموعة مختصرات « داللوز » مؤلفه الاستاذ الفرنسي رولان ، وهو كتاب مدرسي للطلبة ، فبدأ به دراسته للفقه الاداري ، فما لبث الا أن صار من أكبر فقهائه، وله



صورة تذكارية للاستاذ عبد الرزاق السنهورى أثناء زيارته للكويت فى عام ١٩٥٩ بعد أن وقع عليه الاختيار ليصبح خبيرا قانونيا لدولة الكويت ، وقد التقطت هذه الصورة فى مكتب الشيخ عبد الله الجابر رئيس دائرة العدل فى ذلك الوقت .

فى ابحاثه واحكامه روائع من المبادىء فى هذا المجال .

★ ★ ★

كان ايمانه بالحرية والعدل عميقا غاية العمق ، وكلنا يذكر احكامه العظيمة فى هذا المجال ، تلك الاحكام التى أصدرها بالافراج عن رجال السياسة والصحافة حتى ممن كانوا قبل شهور يناصبونه العداء ، ويعملون على اخراجه من رئاسة مجلس الدولة .

كانت حرية الصحافة عنده أساس الحريات جميعا ، فيها يكون ضمان سائر الحريات ضد عبث الحكام .

كانت الصحافة تهاجم الملك السابق وحاشيته ، كما كانت تهاجم الحزب الحاكم والحكومة القائمة فى ذلك الوقت ، ولذلك تعرضت للنقمة وتعرض محرروها للاضطهاد فكان مجلس الدولة برياسة السنهورى الحصن الحصين الذى يلجأون اليه ، فاخذ الملك السابق والحكومة فى تهديد السنهورى بالعزل بل بالغاء مجلس الدولة كقضاء ادارى ،

وفى ظل هذا التهديد أوعزت الحكومة الى أحد نوابها فى مجلس النواب أن يتقدم بمشروع قانون يقضي على حرية الصحافة ، وطلب الديوان الملكى من مجلس الدولة اعداد مذكرة فى هذا الشأن تؤيد ذلك المشروع .

كانت كلمة السنهورى رحمه الله لعضو مجلس الدولة الذى كلفه باعداد تلك المذكرة « اسمع يا فلان لا تدخل ذلك التهديد فى حسابك فليلغوا مجلس الدولة اذا شاءوا ، واكتب المذكرة كما يمليه عليك ضميرك ومبادئك ، فاما أن يكون هناك مجلس دولة أو لا يكون » .

وقد كان وقدمت المذكرة الى السراى على غير ما كانوا ينتظرون ، اذ جاءت انكارا لمشروع القانون ودفاعا عن حرية الصحافة .

رحم الله السنهورى بما أدى لدينه ووطنه من امانة ، وما تحمل فى سبيل ذلك من مشاق .

■■

محسن عبد الحافظ

مسابقة العربي

جزر، ومضايق، وخطوط جغرافية وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تشمل مختلف أرجاء العالم .. والمطلوب منك معرفة أسماء الاشياء التى تشير اليها الارقام فى الخريطة ، وهى :

رقم (١) يشير الى ممر عالمى ، وفى الخريطة اشارة الى ثلاثة من هذه الممرات ، فما اسم كل منها ؟

رقم (٢) يشير الى جزيرة معروفة ، فما اسم الجزر السبع المشار اليها فى الخريطة؟

رقم (٣) يشير الى خط توهمى جغرافى معروف ، فما اسم هذه الخطوط الاربعة التى يشير اليها هذا الرقم فى الخريطة ؟

رقم (٤) يشير الى بحيرة تقع بجوار بحر قزوين ، فما اسم هذه البحيرة ؟

شروط المسابقة وجوائزها

ارفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة . واكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح . ضع اجابتك فى مغلف واكتب عليه العنوان الآتى : مجلة العربى / ص.ب ٧٤٨/ الكويت ـ مسابقة العدد ١٨٦ .

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هواليوم الاول من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٤ .

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .

■■



وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

بالوصول إلى الديدان بدأت خطة الخلق تتضح استطرادا منها إلى الانسان

انها توزيع العمل على اعضاء الجسم ، مع تخصص العضو الواحد في العمل المنوط به وهذا هو معنى الارتقاء في الخلق .

بقلم الدكتور أحمد زكي

درسنا من امر الديدان ما درسنا لا سيما الديدان المتحلقة .

وقبل ذلك درسنا ما دون ذلك ، في سلم الحيوانات ، من احياء .

وفي هذه الخلائق الادنى لم تكن الخطة، الخطة التي رسمها راسمها على الورق الازرق لتجرى عليها هندسة الخلائق ، بالخطة الواضحة .

حتى اذا اتينا الى الديدان ، وجدنا الخطة بدات تتضح .

انها خطة الغذاء ، كيف تصلحه الأجسام لينفع غذاء لها ، وكيف تنتفع به الأجسام مصدرا لطاقات الحياة . وما الحياة آخر الأمر الا طاقات .

وقد تبين لنا ان الخطة ، وقد كانت في الحيوانات ذات الخلية الواحدة ، كما في

الاميبة، تقوم وحدها بكل الوظائف اللازمة للحياة ، من صيد غذاء ، الى هضمه ، الى امتصاصه والانتفاع به ، هذه الخطة اخذت تتبدل بصعودنا فى سلم الحيوانات من درجة الى درجة . من شعبة واحدة الخلية ، الى الحيوانات الاسفنجية ، الى شعبة الحيوانات اللاحشوية ، الى شعب الديدان ، فما وراء الديدان .

واتضح لنا ، لا سيما بالوصول الى الديدان ، ان الخطة ترمي الى تقسيم عمل الحياة على اقسام الجسم ، ومعنى هذا ان يتقسم الجسم ، وتسمى هذه الاقسام اعضاء . واذن يقوم العضو بالعمل الذى تخصص له دون سواه . فهو اذن يتقنه .

خطة تهدف الى توزيع العمل ، مع التخصص له

الخطة اذن هي توزيع العمل Division of Labour ، مع التخصص له Specialisation.

انها القاعدة التى اهتدى اليها الانسان فى صناعاته الحاضرة ، وتكتيناته المتعددة . هى هى قاعدة الخلق ، وهى خطته ، وهي التي سبقت كل الخطط جميعا .

اتضاح الخطة اول اتضاح فى الديدان

ونأتى الى الديدان ، فتظهر معالم هذه الخطة واضحة :

الجهاز الهضمي : انه قد اكتمل لأول مرة ، فله مدخل (فم) ، وله مخرج (آست) ، وبالجهاز طول يقتضيه هضم الطعام وامتصاصه ، والتخلص من نفاياه جميعا . والغدد ذات العصارات الهاضمة اكتملت على طول هذه القناة . والغدد الماصة للطعام المهضوم هي ايضا ظهرت حيث وجب ان تظهر ، حيث يكون الطعام قد انهضم بحيث استعد لامتصاص . والكبد والبنكرياس ، وهما عضوان اضيفا الى جهاز الهضم اضافة، ليستعين بهما جهاز الهضم .

ومن معالم الخطة ظهور الدورة الدموية فى الديدان ، وهى تحمل الطعام وتوزعه على كل ناحية من نواحى الجسم ، لا سيما عندما تتباعد فى هذه الاجسام الارجاء .

والجهاز العصبي بدا ظهوره فى الديدان ولم يكتمل . والمخ ظهرت له عقد تمثله .

كل هذه ارهاصات جاءت بها دراسة الديدان تنبئنا بالذى سوف يكون عليه الخلق عندما يبلغ الذروة فى الانسان . وهذا بالطبع على فرض انا نجهل ما كان عليه الخلق فى هـذه الذروة ، ذروة الانسان ، وما جهلنا .

الخطة ماضية، بعد الديدان، الى اكتمال

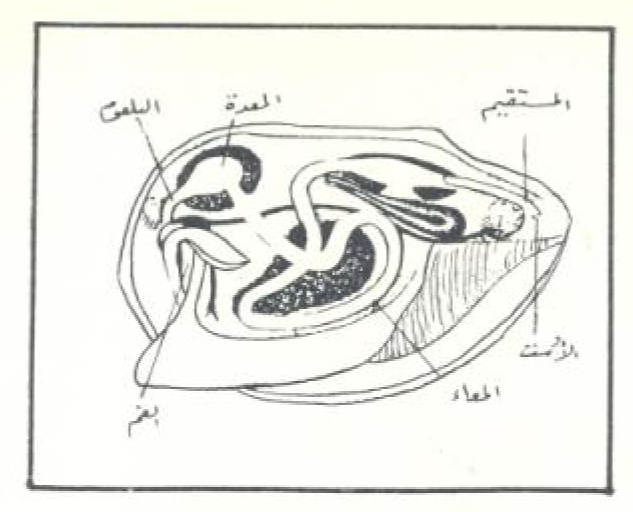
ونتابع دراسة شعب الخلق ، فى السلم الحيوانى ، فى الدرجات العليا التي تلي الديدان ، فى الحيوانات الرخوة ، ففي القشرية ، ففي المفصلية ، ففي الحشرات ، والعناكب ، والعقارب ، وما بعدها ، فماذا نجد ؟

نجد الخطة سائرة فى اتجاهها هذا الذى وصفناه ، زيادة فى تقسيم العمل ، وزيادة فى تخصص الاعضاء فى الموكول اليها من هذا العمل .

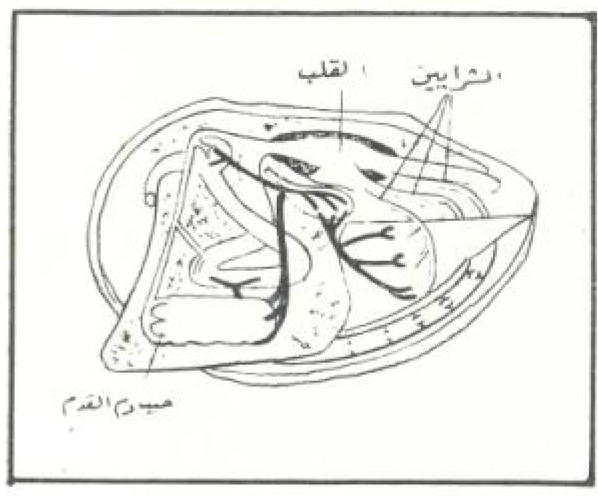
والاجهزة ، من اجهزة هضم الى دورة دم ، الى جهاز تنفس ، كلها تزداد اكتمالا ، وتزداد دقة . والذى بدأ بدائيا ضعيفا يشتد ويمتد ، وتتعقد ادواته لتفى بتعقد وظائفه ، وهى وظائف ، علم الله ، لا ندرى من تأويلها وتفسيرها الا الشيء القليل . واذا نحن ، بلغ بنا الطمع ان نتأتي بمثل هذه الوظائف فى المختبرات ، عجزنا كل العجز . عجزنا عن تقليد شيء هو يجرى فى باطننا سهلا هينا ، وهو بعض الحياة التى تهبط على

البطليموس

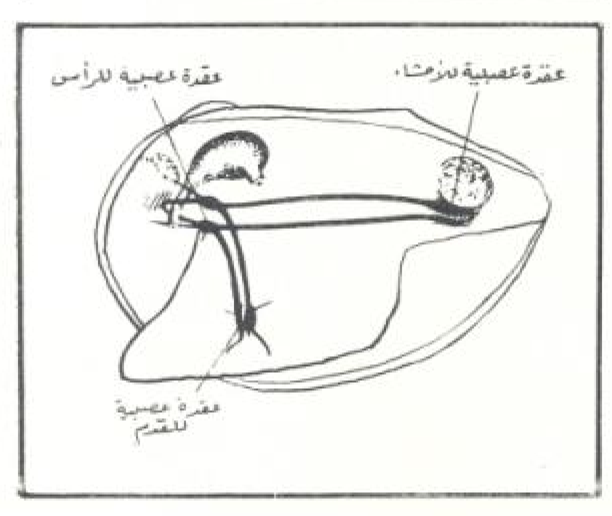
شكل رقم (١)



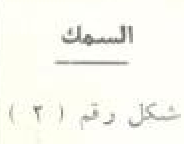
الجهاز الهضمي

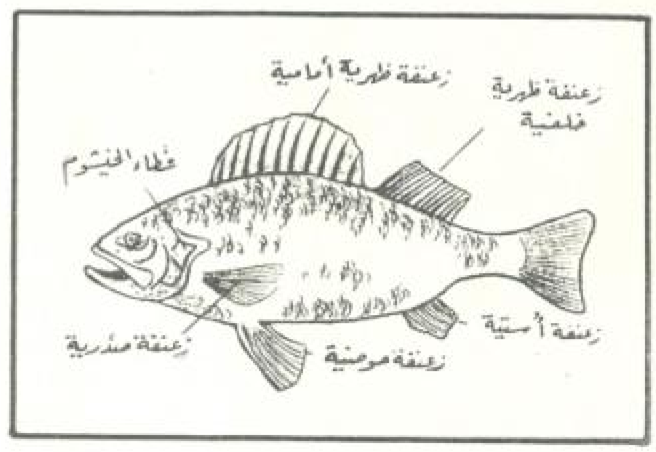


الدورة الدموية

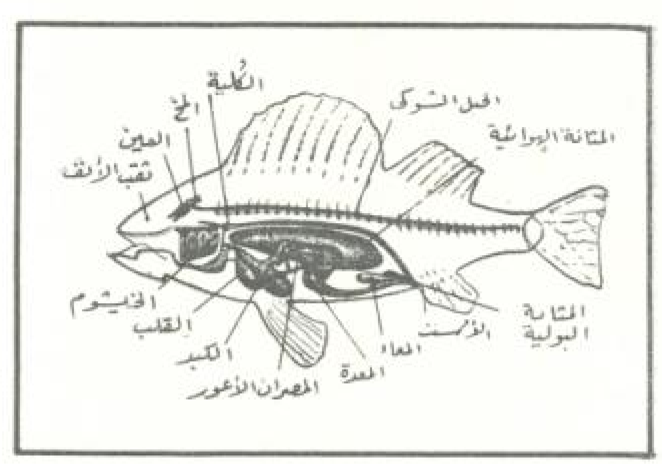


الجهاز العصبي





تركيب السمك من الداخل



تشريح السمك من الداخل

الانسان فى سهولة المطر الذى ينزل على الأرض من السماء .

ومن الحيوانات اللافقارية الى ذوات الفقار

واذا نحن انتقلنا بعد ذلك الى النصف الارقى من الحيوانات ، الى الحيوانات ذوات الفقار ، ونبدأ بالأسماك ، فالحيوانات البرية المائية (كالضفدع) ، فالزواحف (كالسحالي) ، فالطير ، فالحيوانات ذات الثدى ، فالانسان ، وجدنا اننا ننتقل بأجهزة اجسام هذه الحيوانات ، ووظائفها ، الى اعلى : زيادة فى التركيب يصاحبها زيادة فى التخصص . والانسان على رأسها اكملها جميعا ، تشريحَ أعضاء ، ووظائفَ أعضاء .

وفى استطاعتنا ان ندرس هذه الشعب واحدة من بعد واحدة ، لنثبت كل هذا ، ولكن الدراسة عند ذلك تطول فوق ما يتسع له المقام .



الطائر

شكل رقم (٣)

واكتفينا فيه بايضاح الجهاز الهضمي

واذن تصبح دراسة علم الحيوان بتفاصيلها ، ونحن انما نريد ان نركز على ما بين الخلائق الحية من وحدة اساسية ، يزيدها ثبوتا هذا التدرج فى الخلق .

انه المخطط الواحد ، والا لاختلف التخطيط ، ولماكان هذا التدرج المحسوب ، خطوة تليها خطوة ، والخطوة التالية تتضمن الخطوة الاولى ، تشبهها وتزيد عليها ، لانها منها اشتقت ، او الى مثل اهدافها اتجهت .

★★★

من اجل هذا نكتفي باعطاء صور لحيوانات تقع فى السلم الحيواني بين الديدان والانسان نستجلي منا ما ذكرنا من اطراد فى خطة الخلق ، حتى بلوغ الذروة ، ذلك الانسان .

ونختار من هذه الحيوانات ثلاثة :

١ ــ البطليموس Clam ، وهو حيوان من الرخويات له صدفتان تنطبق احداهما على الاخرى والحيوان الرخو داخلهما ، او هما تنفتحان فينفتح الحيوان على ماء البحر الذى هو فيه فيحصل من ذلك على غذائه . وهو شبيه بالحيوانات الصدفية المعروفة بالمحار كام الخلول ونحوها . (انظر الشكل رقم ١)

٢ ــ والسمك وهو اوطأ الحيوانات الفقارية خلقا . (انظر الشكل رقم ٣) .

٣ ــ ثم الطيور وتقع فى السلم الحيواني فى الفقاريات بين الاسماك والثدييات التى منها الانسان . (انظر الشكل رقم ٣) .

واخيرا يأتي الانسان وقد سبق ان نشرنا منه ، تشريحا ووظائف ، صورا كثيرة ، تمثل اكتمال الخلق . ●●

احمد زكى

طرائف غربية

تعاسة فنان عبقرى

● فنسنت فان جوخ Vincent Van Goqh (١٨٥٣ ــ ١٨٩٠) الرسام الهولندى التعس ، الذى كان واحدا من اعظم فنانى القرن التاسع عشر ، أصيب بالجنون ، حتى انه وقف يوما امام مرآته الصغيرة التي طالما وقف يتطلع فيها الى وجهه ، ويرسم نفسه فى البيت الصغير الـذى عاش فيه حياته القصيرة مع زميله وصديق عمره بول جوجان Paul Gauguin ، ثم امسك بالموسى وقطع اذنه وحملها فى مظروف صغير ، وأسرع الى الحانة القريبة ليقدمها لواحدة من الفتيات التى طالما حاول أن يخطب ودها ، وهى تعرض عنه وتنفر منه !

وصرخت الفتاة وهى ترى قطعة اللحم داخل المظروف والدماء تنزف من تحت الوشاح الذى غطى به الفنان الكبير اذنه المصابة !

روى فان جوخ فى كتابه « شـهوة الحياة » Lust for life ، قصة تلك السنوات القصيرة التعسة التى عاشها، وحكى سر بؤسه وشقائه قال:

« حتى الاسم الذى اختارته لى امى لم يكن اسمى .. لقد كان اسم شقيقى الذى رزق به والدى من قبلى ، ومات وهو طفل صغير فى الاسابيع الاولى من عمره .. كنت أعيش فى شبح شقيقى الذى ذهب ، وكنت أرى فى عينى أمى اننى لست اكثر من مجرد بديل « لفنسنت الاول » .. لم تكن امى تحبنى ، وقد امضيت حياتى كلها ابحث عن هذا الحب الذى افتقدته فى طفولتى .. بحثت عنه مع النساء اللواتى عرفتهن .. كنت أريد امـرأة تعوضنى حب أمى ، تحبنى دائما ولا تكف عن حبى .. تحبنى وحدى فلا توزع حبها على الرجال بقدر ما يعطون ، وأخيرا كنت أبحث عن امرأة أستطيع أن اعطيها انا أيضا كل ما كان يخفق به قلبى من حب « سجين » .. بحثت وبحثت ، ولكننى قضيت العمر كله أبحث الى ان اقتربت نهايتى ، عندما بدأت أنظر حولى ، فلم اجد غير نظرات السخرية فى عيون الناس وكرهت الحياة !»

ومات فنسنت فان جوخ وهو شاب لم يبلغ بعد عامه السابع والثلاثين .. مات بعد أن فقد عقله ولم يكن معه لحظة رحيله سوى شقيقه الصغير تيو Theo ، الذى أحبه وسهر على راحته خلال أيام حياته الاخيرة .

« القروى

● مهما قيل فى نيكيتا خروشوف (١٨٩٤ ــ ١٩٧٢) رئيس وزراء روسيا الاسبق ، فسوف يذكر له التاريخ أنه الرجل الذى حطم أسـوار السجون ، وأعاد الحرية للالوف من المواطنين الابرياء الذين القى بهم ستالين رجـل روسيا الحديدى وراء القضبان ، وفتح النوافذ وأزاح الستار القوى الذى طالما حجب هذه البلاد وأهلها عن انظار الغرباء .. وانفتحت بلاده على العالم الخارجى لاول مرة منذ ثورة اكتوبر / ١٩١٧ .

حقيقة ، لم يكن خروشوف هو الذى اختير ليخلف ستالين مباشرة بعد موته الذى أحـدث زلزالا فى روسيا ، فقد سبقه الى الجلوس على كرسى الرجل الكبير ، مالنكوف وبولجانين .. ولكنه بالرغم من هذا كان وراء كل عمل من شأنه ان يفضح « عهد الارهاب » الذى ظل سائدا فى روسيا طوال حكم ستالين ، الرجل الذى أسماه خروشوف طاغية وسفاحا وقاتلا ومزيفا للتاريخ فى خطابه الشهير عام ١٩٥٥ .



تولستوى الانسان !

● ليو تولستوى Leo Tolstoy كاتب روسيا الكبير (١٨٢٨ – ١٩١٠) كان فنانا وكان انسانا ، وكان اعظم كاتب فى التاريخ الحديث ، حتى ان الكاتب الروسي العظيم « ترجنيف » ، قال عنه يوما : « هذا الكاتب الناشيء سوف يحجب عنا النور. اعتقد انه من الخير لنا أن نكف عن الكتابة !»

وكان تولستوى يومها فى الرابعة والعشرين ، وكان جنديا فى جيش القيصر الذى خرج لقمـــع ثورة التتر . وكان يحمل سلاحه ويقف فى الطابور امام رؤسائه ، حتى اذا اداروا له ظهورهم ، هرع الى خيمته والقى بسلاحه جانبا وجلس علـــى الارض يكتب ويكتب ، فاخرج للعالم « طفولة » Childhood ، واغاره Raid ، والقوزاق The Cossacs وقبل ان يكمل عامه السادس والعشرين كتب فى مذكراته يقول : « انني اكـره القتال . ليتنى عدت الى قريتى الصغيرة ياسيانا بوليانا لأدير الاملاك الشاسعة التى ورثتها عن ابى .. ولكن لا باس ، فقد علمتنى الحرب أن الشيء الوحيد الذى يمكن أن يسعد البشرية هو الا نضل طريقنا الى الله !! » .

وعاد الى قريته أخيرا والى الارض التى حاول الهرب منها ، وتزوج من الفتاة التى أحبها ،وكانت تنتمى لأسرة تربطها بأسرته علاقة ود وصداقة .

وعاش معها اربعة عشر عاما كانت أسعد ايام حياته .. وفى ظلال الريف الجميل بدأ يكتب قصته الخالدة « حرب وسلام » ، وما كاد ينتهى منها حتى شرع فى كتابة « انا كارنينا » . وفى الريف اكتشف شيئا جديدا .. احس بالحرمان والفقر اللذين يعيش فى ظلهما الفلاح المسكين ، فقرر أن يوزع كل ارضه على المزارعين الأجراء ..

وفى القطار الذى حمله بعيدا عن قريته سقط تولستوى مريضا ، وكان قد جاوز الثانية والثمانين من عمره .. ولم يمهله المرض طويلا ، اذ ما لبث أن سكت قلبه الكبير الى الأبد .. مات تولستوى وبقيت مؤلفاته حية من بعده ابدا وتوقف رأسه الكبير عن التفكير ولكن افكاره عاشت وتحولت الى مثل عليا ما زالت بيننا حتى اليوم .

الذى حطم أسطورة ستالين

وكان خروشوف « القروى » كما شاء لبعض ساسة الغرب وأمريكا أن ينعتوه ، يفعل هذا كله بحكم منصبه كسكرتير ثان للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى قبل أن يصبح رئيـــسا للوزراء !

اين كان هذا الرجل أيام عهد ستالين«الحديدى» قبل أن يقفز الى الصفوف الاولى ؟



يقول تشارلز بولن سفير امريكا الاسبق فى الاتحاد السوفييتى الذى توفى أخيرا ، والرجل الذى عمل مستشارا لكل وزير جديد للخارجيـــة فى الولايات المتحدة ، وهو يرسم سياسة بـــلاده تجاه روسيا ، يقول : « لقد كان خروشوف لا شيء أيام حكم ستالين .. كان ان صح التعبير مجرد « نديم للملك » ، وكان الملك هو ستالين ، وكان دكتاتور روسيا يجد متعة فى الســــخرية من خروشوف « البدين القصير » ، فلا يكاد يلقاه فى حفلات وسهرات الكرملين حتى يمتليء وجهه الجامد بابتسامة عريضة ، ويقول : « ارقص يا نيكيتا الصغير ، ارقص » .. وكان نيكيتا خروشوف يرقص ويرقص ، ويهتز جسده السمين كله وسط ضحكات المدعوين .. !!

ومرت الأعوام ، واذا بالراقص الصغير يصبح الرجل الاول فى روسيا .. واذا به يهدم بيديه الاسطورة التى اشاعت الرعب والخوف فى نفوس الملايين لأكثر من ثلاثين عاما !

اختلاف المناهج الدراسية فى.. تعليم الشريعة الاسلامية

بقلم : الدكتور محمد عبد الجواد محمد

الاستاذ بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم

ازدواجية التعليم والثقافة بصفة عامة ، والتشريع والقضاء بصفة خاصة :

■ كان للتطور التاريخى والحضارى الذى مر به العالمان ، العربى والاسلامى ، وضعف الدويلات العربية والاسلامية ، ونهوض الدول والحضارة الأوروبية ، أثره الحتمى فى ازدواج الثقافة والتعليم ، والتشريع والقضاء فى بلاد العالمين العربى والاسلامى .

ويخطىء من يظن أن الاستعمار الغربى لبلاد العالمين العربى والاسلامى هو الذى أوجد هذه الازدواجية . لأن هذه الازدواجية بدأت فى أواسط عهد الخلافة العثمانية واستقرت على التحديد فى سنة ١٨٥٥ بصدور قوانين التنظيمات العثمانية ، وما تلاها من قوانين ، أوجدت « محاكم نظامية »، بل وقانونا للميراث سمى « الميراث النظامى »بجانب « الميراث الشرعى » .

وجاء الاستعمار فوجد الارض ممهدة والطرق مفتوحة . وكان من أهم العوامل التى هيأت له الغزو الفكرى والتشريعى :

١ ـ الضعف السياسى والحربى للدويلات العربية والاسلامية ، بسبب تفرقها وتناحرها فيما بينها ، مما جعلها لقمة سائغة للاحتلال عند الدول الاوربية المختلفة .

٢ ـ الضعف الحضارى والعلمى الذى لا بد أن يتبع الضعف السياسى والحربى للدول . وهو الذى يجعل الشعوب الضعيفة والمتأخرة حضاريا وعلميا تحاول تقليد الدول القوية فى علمها وحضارتها ، وكذلك فى زيها ولباسها .

وبدلا من أن تعمد هذه الدول الى تطوير نظمها التعليمية والتشريعية والقضائية ، عن طريق اقتباس ما يصلح لها من نظم الدول الأوربية ، عمدت الى ترك مدارسها ومعاهدها الموجودةعندها، لكى تسير على نظمها العتيقة ، ولجأت الى فتح مدارس ومعاهد وجامعات على الطراز الاوربى ، وبذلك حدث الازدواج الثقافى والتعليمى .

٣ ـ اتفاق الفقهاء المسلمين على اقفال باب الاجتهاد ، وتدهور حال المحاكم والتشريعات ، وهذا أدى بالخلافة العثمانية الى انشاء المحاكم النظامية على الطراز الاوروبى ، الى جوار المحاكم الأصلية التى سميت « الشرعية » فى مصر وغيرها .

كما أدى الى نقل القوانين الأوربية حرفيا فى أواخر عهد الخلافة العثمانية فى مصر ، دون أن يكون للاستعمار أى دور فى هذا ، وبذلك انحصر نطاق تطبيق الشريعة الاسلامية فى ميدان الاحوال الشخصية .

استقلال الدول العربية والاسلامية سياسيا،وبقاء تبعيتها الثقافيةوالتعليمية والتشريعية :

ولما استقلت الدول العربية والاسلامية بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت النظم التعليمية والقضائية الأوربية قد استقرت بها ، وتخرجت فيها أجيال .

ومن الخطأ انكار تعصب الانسان المثقف ، أيا كان مصدر ثقافته ، للنظام التعليمى الذى نشأ وتربىفى أحضانه . ولذا وجد فىبلاد العالمين العربي والاسلامى طائفتان من المثقفين،الدينيونوالمدنيون وتباعدت أفكارهما ـ ومازالمتباعدةـ بقدر ما بين

وتدريس القوانين الوضعية أسبابه ونتائجه

الدين وقواعده التقليدية التى لم تسمح الظروف بتطورها وبين التعليم والحضارة الغربية بما قامت به عن الفصل بين الدين والدولة، ذلك الفصل الذى نقرأ فى الانجيل أن السيد المسيح عليه السلام قال به ، وذلك ، بقوله : « اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، وهذا المبدأ تفاخر الحضارة الغربية بتطبيقه منذ الثورة الفرنسية ، بعدما عانت الشعوب الأوروبية من ظلم واضطهاد الملوك والنبلاء ورجال الدين على سواء .

مبدأ الفصل بين الدين والدولة جاز فى المسيحية ، ولكنه مستحيل فى الاسلام :

ان الفصل بين الدين والدولة ليس مبدأ ابتكرته الثورة الفرنسية ، ولكنه التطبيق للقول المنسوب الى السيد المسيح عليه السلام .

والاسلام جرى على العكس تماما ، فهو ـ طبقا للنصوص القرآنية ـ يضع نظاما تاما لقواعد الدين، ونظام الحكم . ولذلك يقال ان الاسلام « دين ودولة » .

فيكون من الطبيعى أن تكون قوانيننا مقتبسة فى اصولها وقواعدها العامة من الشريعة الاسلامية ، مع اقتباس ما لا يتعارض معها من القوانين الاخرى بالوضع الذى سنبينه .

الدساتير العربية والشعار الاسلامى :

اذا كانت النظم التعليمية والقضائية فى بلاد العالمين العربى والاسلامى قد قامت على الأسس والاشكال الأوروبية ، فان المعاهد القديمة ظلت تؤدى دورا ضعيفا ، فى معظم الأحوال ، ولكن أثر الدين ظل مسيطرا على النفوس . وما ان بدأت الدول العربية تضع دساتيرها حتى رفعت شعار « الاسلام دين الدولة » . ولكن هذا الشعار ظل نظريا فى جميع الأحوال . كان مقتضاه أن تعمل هذه الدول على احياء المبادىء الاسلامية ، وأن يعاد النظر فى برامج ومناهج الدراسة فى المعاهد والجامعات لنقل هذا الشعار الى الميدان العملى ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، لأن الحضارة الاوروبية بنظمها المختلفة قد شملت جميع الميادين، والضعيف يقلد القوى ، دون التفات لحضارته الأصلية .

الدساتير العربية والشريعة الاسلامية :

الا ان بعض الدساتير فى البلاد العربية لم تكتف بالشعار الاسلامي النظرى ، ولكنها نصت على « ان الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع ».

فاذا لم يكن المقصود بهذا النص مجرد رفع شعار دستورى كشعار « الاسلام دين الدولة » ، فانه يتحتم ، والحال هذه ، العمل على تهيئة الجو المناسب لجعل الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع .

الصعاب جمة والعقبات كأداء :

يقول استاذنا واستاذ الجيل المرحوم الدكتور السنهورى ـ ودوره أشهر من أن يذكر فى دراسة وتدريس الشريعة الاسلامية ، واقتباس الكثير من احكامها وقواعدها فى القانون المدنى المصرى الذى يطبق الان فى أكثر من نصف الوطن العربى من حيث عدد السكان ـ يقول : « والهدف الذى قصدت اليه هو أن يكون للبلاد العربية قانون مدنى موحد، يشتق رأسا من الشريعة الاسلامية . ولكن هذا الهدف بعيد ، وأنا العليم بما يحوطه من صعاب كأداء ، وما يقتضيه من مشقة بالغة ، وما يتطلبه من زمن طويل يقصر عنده الأجل ، ويفنى دونه العمر . وكنت ـ وأنا أعلم أن الشقة بعيدة ـ أعلم فى الوقت ذاته أن السبيل أيضا غير ممهد » .

واذا كان السنهورى قد لقى ربه ، وبين يديه ما قدم للفقه الاسلامى من خدمات جليلة بما اقتبسه منه للقانون المدنى ، فيشهد الله أنه قد «مهد السبيل » لتقنين هذا الفقه .

أولا: دراسة الشريعة الاسلامية، والقوانين تسير في خطين متوازيين لا يمكن أن يتلاقيا:

الدراسة الحالية للشريعة الاسلامية ، ودراسة القوانين الوضعية ، تسيران في خطين متوازيين لا يمكن أن يلتقيا بحال من الأحوال . والتكوين العلمي لكل من أساتذة القانون وأساتذة الشريعة الاسلامية ، في الكثرة الغالبة منهم ، لا يسمح لهم بالدراسة المقارنة بين القوانين الوضعية والشريعة الاسلامية التي تثبت ان الفقه الاسلامي صالح للتقنين وحكم المجتمع الحديث .

نقد في غير موضعه :

ونعتب عتابا أخويا مخلصا على الأخ الصديق الاستاذ الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر الذي يرى أن « كليات الحقوق سر تخلفنا » ويجعل من ذلك عنوانا في مجلة آخر ساعة (١). كما تساءل في عنوان آخر : « أين القانون الاسلامي في كتب الفقه الاسلامي ، وكتب الفقه هذه كتب عربية ، ألفاظها عربية ، وجملها عربية ، وخطها عربي .. » . وأنا على يقين أن الأستاذ الأكبر أعلم الناس بصعوبة البحث على المتخصصين في هذه الكتب ، واستحالته على غير المتخصصين .

ومثل هذا النقد كان يمكن أن يصدر من عالم أزهري في غير موضع المسئولية . أما الدكتور عبد الحليم محمود ـ وقد كان وزيرا للأوقاف والأزهر ، وهو الآن شيخ للأزهر ـ فانه يستطيع أن يعمل أعمالا مجدية ، ولا يكتفي بمجرد النقد. وطرق العمل لاحياء المبادىء الاسلامية عامة والقوانين الاسلامية بخاصة، طرق معروفة والأستاذ الأكبر أخبر بها من غيره .

أما موضوع كتب الفقه العربية التي ذكرها الأستاذ الأكبر ، فواقع الامر أنه لا يمكن بحال من الاحوال ، أن يطلب الى القاضي ، حتى ولو كان أزهريا ، أن يحكم بما في هذه الكتب . فقد انقضى من عصور طويلة عهد القاضي الفقيه المجتهد ، والقاضي الآن في حاجة دائمة الى نصوص قانونية واضحة بالصورة التي تصدر بها القوانين الحديثة .

وقد سبق تقنين فقه المذهب الحنفي في مجلة الأحكام العدلية ومرشد الحيران ، وفقه المذهب المالكي جزئيا في مجلة الالتزامات والعقود التونسية التي وضع مشروعها المستشرق صانتيلانا ، وادى بذلك عملا رائعا للشريعة الاسلامية يجب أن يوضع بجوار عمل المرحومين محمد قدري والسنهوري .

وقد أصبحت الدراسات الحديثة في الفقه الاسلامي من الكثرة بحيث يمكن القول بأنها قد أصبحت كافية في ميدان القانون المدني ، والقانون الجنائي ، والقانون الدستوري ، والقانون الدولي .

ونقرر هنا أن بقية فروع القانون يسهل العثور على مبادئها العامة في كتب الفقه الاسلامي ، كالقانون الاداري ، والقانوون المالي .

ثانيا : الصراع بين الثقافات القانونية المختلفة :

في سنة ١٩٦٦ أريد وضع مشروع قانون مدني في الاردن مقتبس من القانون المدني المصري ، فعارض فريق قوي في مجلس النواب والأعيان ، وطالبوا بتعديل « مجلة الأحكام العدلية » . وقد انتصر هذا الفريق ويقال ان العمل قد بدأ في وضع مشروع قانون مدني من الفقه الاسلامي .

وفي السودان صدر القانون المدني سنة ١٩٧٢ مقتبسا من القانون المدني المصري ، ولكنه ألغي في سنة ١٩٧٣ . وفي رأينا ان ذلك مظهر من مظاهر الصراع بين الثقافة القانونية الانجليزية التي استقرت في السودان منذ سنة ١٩٠٠ الى الآن ، والثقافة القانونية العربية الفرنسية الأصل .

ولو وضع في السودان، وغيره من البلاد العربية، قانون اسلامي مقتبس من الفقه الاسلامي والقوانين الحديثة، فيما لا يوجد له حكم في الفقه الاسلامي، ولا يتعارض مع قواعده العامة ، لما استطاع أحد أن يدعي جهله بهذا القانون ، ولا يجرؤ أحد على معارضته .

الدعوة لعقد مؤتمر لبحث تعديل المناهج في كليات الحقوق :

واذا أريد ، حقا وصدقا ، للشريعة الاسلامية

---

(١) العدد الصادر في ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .

ان تكون مصدرا رئيسيا للتشريع في اي بلد عربي او اسلامي ، فانه يجب تهيئة الجو الصالح لهذا الانقلاب التشريعي، واعداد رجال القانون القادرين على تطبيق القوانين الاسلامية .

ولكن هذا الاعداد قد يحتاج الى جيل ، ونظلم الحقيقة والواقع اذا قلنا ببساطة ان رجال القانون واساتذته في اي بلد عربي او مسلم لا يستطيعون وضع القوانين الاسلامية وتطبيقها .

والتاريخ يثبت انه عندما وضعت القوانين الحديثة المنقولة حرفيا ، او المقتبسة ، من القوانين الاوروبية ، فانها وجدت من يطبقها ، بل يحسن تطبيقها فهما وعملا وشرحا . وهي القوانين الغريبة التي زرعت في ارض غير ارضها ، ولكنها بالرعاية وحسن التعهد نمت وترعرعت وازاحت القوانين الاسلامية ، وحلت محلها .

فهل يتصور احد انه يستحيل ، او يصعب مجرد صعوبة ، على رجال القانون واساتذته في بلاد العالمين العربي والاسلامي ، اذا ما وضع قانون اسلامي – ان يفهموه ويطبقوه .

ولكن وضع القوانين الاسلامية يحتاج لمجهود كبير ، ونظام الدراسة الحالي في كليات الحقوق ، وكليات الشريعة والقانون ، في العالمين العربي والاسلامي ، لا يمكن ان يصل بنا الى هذه النتيجة .

والامر ، في نظرنا اجل واخطر من ان تنفرد به كلية او جامعة ، بل وبلد عربي او اسلامي واحد.

ولذا طالبنا كثيرا – وما نزال نطالب – بالدعوة الى عقد مؤتمر عربي او اسلامي ، لكليات الحقوق والشريعة في العالمين العربي والاسلامي ، لمناقشة الموضوع ، والاتفاق على وضع منهاج موحد لدراسة الشريعة الاسلامية والقانون .

هدف قريب ، وهدف بعيد :

ولما كنا نرى انه لا يمكن ان نغير النظام القانوني الحالي ، من حيث التشريع والدراسة ، بجرة قلم ، او في يوم وليلة كما يقولون ، فاننا نرى ان يكون الغرض القريب من تعديل مناهج الدراسة في كليات الحقوق ، هو التقريب بين دراسة الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، سواء في كليات الحقوق ، او في كليات الشريعة والقانون . وان تحدد لذلك مدة تتراوح بين خمس وعشر سنين ، نصل بعدها الى الهدف البعيد المقصود اصلا ، وهو اولا توحيد المناهج في كليات الحقوق وكليات الشريعة والقانون ، او دمجها بحيث تتوحد الثقافة القانونية . ودراسة جميع فروع القانون في الشريعة الاسلامية ، ومقارنتها باشباهها ونظائرها في القوانين الوضعية الحديثة في النظم القانونية العالمية ، ايا كان مصدرها . بحيث تساير القوانين الاسلامية هذه القوانين الحديثة ، وتتمشى مع تطورات المجتمع.

ولا يتسع المجال هنا لبيان كيفية دراسة وتدريس الشريعة الاسلامية وتحديد المناهج وغير ذلك ، مما يجب ان يترك لمؤتمر او ندوة علمية ، قد تعقد على مستوى كليات الحقوق والشريعة والقانون في مصر اولا ، ثم في الوطن العربي ثانيا . واخيرا في العالم الاسلامي .

خطأ عقد الندوات منفصلة

وقد جرى اتحاد الجامعات العربية على عقد ندوات منفصلة لكليات الحقوق ، واخرى لكليات الشريعة والقانون في الوطن العربي ، وقد انتقدنا هذا الموضوع في المؤتمر العام الثاني لاتحاد الجامعات العربية (٢) واقترحنا توحيد هذه الندوات .

ونقولها صريحة واضحة انه ما لم نعمل على تضييق الشقة بين الدراسات القانونية ودراسة الشريعة الاسلامية ، بحيث يكون الهدف النهائي توحيد هذه الدراسة ، فاننا لن نقترب ابدا من مرحلة الاتفاق على تقنين الفقه الاسلامي .

كما نقولها صريحة واضحة ايضا ، انه ما لم نتفق على مناهج الدراسة ، دون ان يدعي بعضنا انه الحارس الشرعي على هذه الدراسة او تلك ، ودون ان نتعاون بصدق واخلاص للعلم اولا بصفة عامة ، وللشريعة الاسلامية بصفة خاصة ، وننسى اشخاصنا لاعداد جيل او اجيال موحدة الثقافة تحمل العبء بعدنا ، مشتركا وموحدا ، فاننا لا نقترب من تقنين الفقه الاسلامي . ■■

الخرطوم – **محمد عبدالجواد محمد**

---

(٢) المنعقد بجامعة القاهرة (٧ – ١٤) فبراير « شباط » ١٩٧٣) .





بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ قضية اليوم تتصل باشكال الأرقام الحسابية التى يستخدمها العرب فى المشرق العربى ،واشكال تلك الأرقام الحسابية التى يستخدمها العرب فى المغرب العربى .

نحن فى المشرق العربى من مصر الى العراق وتشاركنا فى ذلك الدولة العريقة ايران وما والاها شرقا نكتب هذه الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ..

حتى تونس الى منتصف القرن العشرين كانت تكتب ارقامها مثل ما يكتبها عرب المشرق ، كما قال لى ذلك الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ، وهو من كبار علماء تونس الاجلاء .

وفى المغرب العربى يكتبون الارقام هكذا ، 1.2.3.4.5.6.

اى انهم يكتبونها كما يكتبها اهل أوربا اليوم .

وقد ادعى بعض الناس ــ نقلا عن بعض المصادر الاوربية ــ ان العرب هم الذين اخترعوا الارقام التي يكتبها الاوربيون والمغرب العربى .

وهذه دعوى باطلة .

الأدلـــة

ونسوق أدلتنا ، وهى صور من مأثور ما كتب العرب فى القرون السابقة من القرن الرابـــع الهجرى الى عهدنا الحاضر ، فاول ذلك ما رسمه ابن النديم « القرن الرابع الهجرى » فى كتـابه الفهرست، وهذه صورته. (انظر الشكل رقم ١)

وما هو مرسوم فى كتاب الفصول فى الحســاب الهندى للاقليدسي الفه سنة ٣٤١ هـ والمخطوطة

(شكل ١)

وذكر هذا الجبل المقدم ذكره انهم فى الاكثر يتعبين بالنسخة الاحرف على هذا الحد

واستعملوه ا ب ج د ه و ز ح ط فاذا بلغ الى ط اعاد الحرف الاول ونقطه تحته على هذا المثال

الارقام فى صورتها الساذجة كما سجلها صاحب الفهرست فى القرن الرابع الهجرى .

عروبة أشكال الأرقام الأوربية دعوى لا سند لها

الموجودة لهذا الكتاب فرغ الناسخ من نسخها في سنة ٥٥٢ هـ . (انظر الشكل رقم ٢)

والذين تملكوا الكتب سجلوا اسماءهم عليها وتاريخ تملكهم لها ، وهذه صور للتملك في القرن الثامن والقرن التاسع . (انظر الشكل رقم ٣)

وهذا كتاب خاص بعلم الفلك مكتوب في القرن السابع ، « زبدة الادراك » وواضح فيه استعماله للارقام الهندية ، ويلاحظ أن الصفر كان يكتب دائرة ، أما الخمسة فكانت تكتب كرسم الاربعة مقفلة بواحد امامها . (انظر الشكل رقم ٤)

حتى النقود حين كتبت عليها الأرقام نجدها

بعض صفحة من كتاب الفصول المخطوط مؤلفه من أهل القرن الرابع الهجري والكتاب يشمل جميع العمليات الحسابية .

(شكل ٢)

الباب الاول

١/٣ في معرفة الاحرف التسعة والمراتب

ان اول ما ينبغي ان يعلم من ذلك لمن ابتدأ بهذا العلم معرفة الاحرف التسعة وهي هذه

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ *

صورة الارقام التي ينص محقق كتاب الفصول انها هي التي في المخطوطة .

« هذه هي اشكال الارقام التي نجدها في المخطوطة . ومنها الصفر بشكل دائرة صغيرة و لانجد اشكالا اخرى للارقام الا في رقم متأخر لأوراق المخطوطة يبدأ من الورقة ١٠٥ . وفي حواشي متأخرة على الهامش ، نجد الصفر نقطة و الخمسة دائرة . وكل عدد او رقم في المخطوطة فوقه خط . ولكنا سنهمل هذا الخط فيما يلي وسنكتب الارقام باشكالها المألوفة اليوم .

هذا تعليق الدكتور احمد سعيدان على الأحرف التسعة السابقة والصفر الذي كان يكتب دائرة يتفق مع مخطوط زبدة الادراك .



(شكل ٣)

سورة تملكق القرن الثامن الهجري وتملك في القرن التاسع الهجري .

(شكل ٤)

مخطوطة « زبدة الادراك » في الفلك كتبت في القرن السابع الهجري والصفر فيها دائرة

تستعمل ما يستعمله عرب المشرق . (انظر الشكل رقم ٥)

ومن شنقيط ، التى هى الآن جزء من موريتانيا نجد المرحوم الشيخ الشنقيطي ، الذى كان من كبار علماء العرب سجل التاريخ في كل كتبه ، التى تجاوز المائة بالأرقام الهندية المستعملة في الشرق، وذلك من سنة ١٢٩٢ الى ١٣٢١ هجرية، اما كتابته للكلمات فكانت على الطريقة المغربية ، التى تتميز بان الفاء لها نقطة من اسفل ، وان القاف لها نقطة واحدة من أعلى ، وهذا يدل على انه تعلم في المغرب ، فلا يقال انه تعلم في المشرق واستعمل ارقام المشارقة . (انظر الشكل رقم ٦)

اقوال المؤرخين

بعد هذا نسوق ما قاله المؤرخون والباحثون ، من مشارقة واوروبيين .

في كتاب قصة الأعداد ، تاليف باتريشيا لوبر، وترجمة الدكتور عبد الحميد لطفي ، في صفحة ٥٢ ما يأتي « ومن حسن الحظ ان الهنود كانوا تجارا ، ومع رحلاتهم نقلوا كلا من البضائع والأفكار » ، فنقلوا معهم الأعداد الجديدة الى مدينة بغداد من حوالي ١٢٠٠ سنة ، ومن بغداد نقل عرب المغرب هذه الأعداد الى الغرب ، وانتشرت هذه الأعداد في اسبانيا ، ثم نقلت من اسبانيا الى باقي اوربا . .

وموسوعة لاروس تحت لفظ Chieffre تصور هذه الأرقام وعصورها . (انظر الشكل رقم ٧)

وخلاصة ما قالته هذه الموسوعة عن الأرقام الأوربية هو « وهذه الارقام ـ .1.2.3.4 لا يزال أصلها مجهولا تماما رغم الافتراضات والتخمينات» . (انظر الشكل رقم ٨)

ونذكر ان الأرقام الهندية ادخلت أوربا في القرن العاشر ، والذى أدخلها ، البابا سلفستر ، وان اشكالها تغيرت . واذن فالأرقام الأوربية الآن ليست هى الأرقام التى دخلت أوربا ، بل تغيرت، وان أصلها غير مقطوع به ، والصورة السابقة واضحة في تغير الأرقام من قرن الى قرن .

أصناف الأرقام ليس فيها عربية

واول ما نعرفه عن كلمة الارقام الغبارية في مؤلفات المشارقة ، والتى لا نعرف صورتها الأصلية القديمة ، هو ما قاله القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، في الجزء الاول صفحة ٤٦٦ عن علم الحساب .

« ومن الكتب المصنفة على طريق الهندى كتب معدة ـ صحتها متعددة أو عدة ـ ومن الكتب



(شكل ٥)
قطعة من النقود في القرن الثامن عشر الهجري .

المصنفة فيه على طريق الغبار كتاب الحصار وكتاب المدخل » .

واذن فالقلقشندى الواسع الاطلاع ، والمؤلف في كل ما يختص بالدولة ، لا يذكر أن هناك أرقاما عربية ، وانما يقسمها الى هندية والى غبارية .

اما أوسع كتاب في ذكره للمؤلفات ، والذى يرجع اليه كل باحث ، وهو كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ، فانه يقول تحت كلمة حساب « علم الحساب » .

« وتنسب هذه الأرقام الى الهند » ثم يعقب بقوله « واقول بل هو علم بصور الرقوم الدالة على الأعداد مطلقا ، ولكل طائفة ارقام دالة على الآحاد ، كالأرقام الهندية والرومية والمغربية والافرنجية والنجومية » .

الحق انه كان أوسع تفصيلا ، ومع ذلك لم يذكر أن هناك أرقاما عربية ، كما لم يذكر أن هناك ارقاما غبارية ، وواضح من كلامه أن الأرقام المغربية هي غير الرومية ، وغير الافرنجية ، وغير الهندية.

أما دائرة المعارف الاسلامية ، فانها تفصل، فتذكر ان هناك ارقاما هندية ، وأسماء للأرقام ، أي ما نقوله باللفظ : واحد ، اثنان ، ثلاثة .. وارقاما غبارية .

وتذكر أن الخوارزمي (٧٨٠ ـ ٨٤٠ ميلادية) اقدم ما يعرف من كتب الحساب بالأرقام الهندية.

وأن الكوفي (٩٧٠ ـ ١٠٣٦ ميلادية) كان يكتب أسماء الأرقام . وان معاصرا له هو على بن أحمد النسوى كان يكتب بالأرقام الهندية .

أما الكتابة بالأرقام الغبارية فتذكر من مؤلفيها « الحصار » الذى عاش تقريبا في القرن الثاني عشر الميلادي ـ أى بعد الخوارزمي بأربعة قرون تقريبا ـ وذكره القلقشندى في صبح الاعشى كما مر سابقا ـ .

ثم تضيف دائرة المعارف أن من المؤلفين على الطريقة الغبارية القلصادى المتوفى سنة ١٤٨٦ ميلادية ، وواضح انه كان بعد الخوارزمي بسبعة قرون .

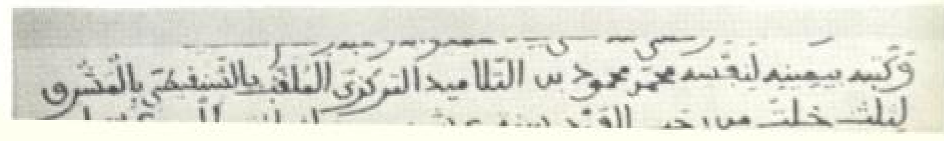
وفي مذكرة الاتحاد البريدى العربى التاسع للجامعة العربية في التحرى (٢٧) صفحة ٤ تذكر أن الذين استعملوا الأرقام الغبارية هم ابن الزرقال ، وابن البنا وابن الرقام وابن ياسمين وعلى القلصادى ـ وكلهم من المغاربة ـ ولم تذكر عالما من علماء المشارقة استعمل الأرقام الغبارية ، مع العلم أن العلماء الذين ذكرتهم متأخرون جدا عن علماء المشارقة بقرون .

واذن ، أليس من المعقول أن الارقام الهندية التى أدخلها العرب الى اسبانيا قد تطورت في

(شكل ٦)

فصل بذله بعد ما سمعه وانعقد عليه و الله وكيلي حسبنه
وكتبه مكتسبه ماله واقعه محمد محمود لعشر بقين من شوال سنة ١٣٠٩

صورتا التاريخ بخط الشيخ الشنقيطى : الارقام كأرقامنا المشرقية والكتابة لاحرف الهجاء بالطريقة المغربية .


وكتبه بيمينه لنفسه محمد محمود بن التلاميد التركزي الملقب بالشنقيطي بالمشرق

chiffres des Arabes d'Orient

chiffres des Arabes d'Occident

chiffres du XII^e s.

chiffres du XIII^e s.

(شكل ٧)

الارقام كما صورتها موسوعة لاروس (١) مشرقية (٢) مغربية (٣) من القرن ١٢م والقرن ١٣ م

appelés chiffres arabes, et ce n'est pas que nous ayons emprunté ces chiffres mêmes, tels que nous les traçons, aux Arabes, mais c'est en souvenir du système entier de numération qu'ils nous ont transmis. En réalité, l'origine même des dix caractères : 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 0, reste entièrement inconnue, malgré les hypothèses les plus ingénieuses que l'on ait pu formuler. Introduits au X^e s. en Europe, par le pape Sylvestre II (Gerbert d'Aurillac), premier pape français, ces chiffres ne furent pas admis simultanément par tous les peuples européens, et leur forme devait être bien souvent modifiée pour s'adapter à tous les genres d'écriture.

(شكل ٨)

نص موسوعة لاروس الذي يقرر ان الارقام الاوربية مجهولة الاصل تماما

اوروبا ، ثم عادت فغزت المغرب العربي بصورتها المتطورة ، واخذت اسم الغبارية ، كما يسميها بعض المؤلفين ، او لفظ المغربية كما يسميها صاحب كشف الظنون ، ثم زادت في تطورها حتى صارت على الوضع الذى يسير عليه الأوروبيون الآن ، كما هو واضح من فروق في الصورة التى اوردها لاروس في موسوعته .

على انه يفهم من مقدمة الدكتور احمد سعيدان ان للكتاب الذي حققه ، وهو كتاب الفصول ان مايكتب على التخت او الرمل سمي الغباري وان الارقام الهندية ايضا كتبت على التخت والرمل واذن يشملها القول انها غبارية ، وهناك اقوال تقرر ان الارقام الاوروبية هي تطور لارقام هندية ايضا اخرى غير التي استعملها عرب المشرق .

سبب الغلط

ان الغلطة التى وقع فيها المترجمون اخيرا ، او التى نقلوها مبتورة ، يوضحها لنا قول الدكتور البرت ديتريش استاذ الدراسات العربية في جامعة جوتنجن ، وذلك في مقاله الحافل بالدراســـة والمراجع ، المنشور في مجلة مجمع اللغة العـــربية بدمشق ، في الجزء الرابع من المجلد الســادس والأربعين بتاريخ شعبان ١٣٩١ تشرين الاول ١٩٧١ تحت عنوان « دور العرب في تطور العلوم الطبيعية» يقول في صفحة ٧٢٢ (اما في الرياضيات فاوربا مدينة لاشهر ممثليه من المسلمين، وهو الخوارزمى مبتكر علم الجبر ، وناشر الارقام الهندية التى تدعى في الغرب « الارقام العربية » حتى اليوم) .

ويقول في صفحة ٧٣٥ « ان ما سماه الغرب الأرقام العربية هى - كما مر سابقا - ليست عربية الأصل حقا ، وقد حملت النزاهة العلميـة العرب على ان لا يعتدوا بنسبة هذه الأرقام الى انفسهم . »

وينقل نصوصا صريحة عن مروج الذهب ، وعن مفاتيح العلوم ، ثم يقول « واقدم وثيقة خطية عن تداول الارقام الهندية في الشرق الاسلامى هى بردية عربية كتبت في مصر عام ٢٦٠ للهجـرة ، ويفيد مصدر آخر انها درجت في الاوساط العلمية قبل هذا التاريخ اى سنة ٢٣٦ . »

وتلك الدراسة العميقة ، المعتمدة على المراجع الكثيرة ، التى قدمها الدكتور البرت ديتريش ، لا تدع مجالا للشك في ما يقول ، ويؤيدها كل ما قدمناه من وثائق ونصوص في مراجع عربية أصيلة ومراجع أوربية .

فليسكت الداعون الى استعمال الأرقام الاوربية

لقد تلقف جماعة من العرب ما يقوله بعض الأوربيين عن ارقامهم انها عربية ، ولم يستمعوا الى بقية القول ، اذ لم يعرفوا المقصود بقولهم انها عربية . وواضح أن الأوربيين يسمون ارقامهم عربية ، لأن العرب هم الذين ادخلوا اليهم الأرقام في اول الأمر ، وتطورت عندهم ، ولكنهم على الرغم من تطويرها سموها باسم الذين نقلوها اليهم ، وهذا ما جاء واضحا كل الوضوح في قول الدكتور البرت ديتريش عن الخوارزمى « ناشر الأرقام الهندية التى تدعى في الغرب الارقام العربية حتى اليوم . »

لقد استغل بعض الناس هذا الخطأ، او النقص في الترجمة فظل في كل لجنة تجتمع ، يدعو الى استعمال الرموز الأوربية المتطورةعنالرموز الهندية بدعوى انها عربية ، محوّلين كلمة الارقام الاوربية الى كلمة الأرقام الغبارية ، ثم محولين كلمة الأرقام الغبارية الى كلمة الأرقام العربية ، في حين أن لاروس يقول عن الارقام الاوربية 1.2.3.4.5. ما زال اصلها مجهولا تماما رغم الافتراضـــــات والتخمينات ■■

عبد الستار احمد فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

نوع جديد من السرجوم (الذرة السكرية)
يحتوى على نسبة عالية من البروتين
ويحل مشكلة تغذية ٣٠٠ مليون من البشر

● منذ سبع سنوات وجامعة بيرديو Purdue تقوم بجمع عينات مختلفة من محصول السرجوم وهو نبات شبيه بالذرة يطلق عليه احيانا الذرة السكرية .. ويزرع بكثرة فى الاراضى المستصلحة او شبه الصحراوية .. وتاتى اهمية « السرجوم » الى ان الكثيرين من سكان افريقيا وبعض البلاد الفقيرة يعتمدون عليه كغذاء رئيسى لهم ولماشيتهم . وقد قام اساتذة جامعة بيرديو ، المتخصصون فى علم الوراثة والكيمياء الحيوية، بفحص ٩ آلاف عينة مختلفة من السرجوم .. واستطاعوا ان يكتشفوا من بينها نوعين يحتويان على نسبة من البروتين اعلى وانقى من البروتين الموجود فى النباتات الاخرى التى فحصوها . واتضح ان هذا النوع يزرع فى منطقة نائية بأثيوبيا . ولما كان من الظاهر ان نوعية البروتين وكميته يتحكم فيها نوع او نوعان من المورثات (الجينات) ، فان هذا يعنى انه من الممكن عن طريق هذه الجينات زيادة كميات البروتين فى الانواع الاخرى من السرجوم بطريق التهجين .

ويعتبر هذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات التى نتجت عن الثورة الخضراء .. وهو الاسم الذى اطلقه العلماء على الجهود العلمية التى تبذل من اجل الحصول على انواع من الحبوب والخضر ذات القيمة الغذائية العالية من اجل شعوب الدول المتنامية والفقيرة .

وأعلن الاكتشاف الجديد العالم الامريكى ج. د. آكستل J. D. Axtell ، من جامعة بيرديو فى مؤتمر صحفى عقد مؤخرا ، وقد أعلن «آكستل» أن باحثا هنديا « رامشوار سنج » « Ramechwar Singh » هو الذى اكتشف السرجوم الغنى بالبروتين أثناء قيامه بتحضير بحث علمى فى جامعة «بيرديو» وقد عاد سنج الى الهند بعد نجاحه فى ابحاثه .

ويقول علماء التغذية ان «السرجوم» ، وهو نوع من الحبوب الشبيهة بالذرة ، هو الغذاء الرئيسى لاكثر من ٣٠٠ مليون من البشر الذين يعيشون تحت ظل الفقر المدقع ، واغلبهم فى افريقيا وآسيا . وحيث ان اراضيهم شبه صحراوية فان هذا النبات هو مصدرهم الغذائى الوحيد وهم يصنعون منه الدقيق أو يحولونه الى عصيدة فيتغذون بها . والحصول على « سرجوم » يحتوى على نسبة عالية من البروتين يحل الكثير من مشاكل سوء التغذية التى يتعرض لها هؤلاء الملايين من فقراء الارض .

وهناك اهمية اخرى ، وهى ان نبات السرجوم يعتبر غذاء اقتصاديا للماشية

ويقول « وودز توماس «Woods Thomas» مدير البحوث الدولية فى جامعة بيرديو ان هذا الاكتشاف هو نصر علمى من الدرجة الاولى . وان « السرجوم »

الجديد يحتوى على ٣٠ الى ٤٠٪ زيادة فى البروتين عن انواع الـرجوم الاخرى وتصل نسبة البروتين فيه الى نحو ٧٥٪ من البروتين الموجود فى اللبن . كما أن النوع المكتشف يحتوى على ضعف كمية الحمض الامينى « اللايسين » Lysine الموجودة فى انواع الـرجوم الاخـــرى . ومن المعروف أن كمية البروتين العالية فى غذاء ما ، مع الحمض الامينى الموجود فيه تعتبر ذات اهمية قصوى خاصة اذا كان هذا الغذاء يعتمدعليهالناس كأساس وحيد لتغذيتهم . ويحتاج الفرد الى كمية محدودة منالبروتين يوميا ليحتفظ بصحته . وتحتـاج عمليـة امتصاص البروتين فى جسم الانسان الى كمية متوازنة من الاحماض الامينية .

ويتوقع الدكتور «آكستل» الذى أعلن نبأ هذا الاكتشاف العلمى ، ان تمر من ٣ الى ٥ سنوات قبل ان يصـبح من الممكن انتاج « الـرجوم » الجديد على نطاق واسع لتغذية الانسان .

والسؤال الذى يتردد فى اذهـان البحاث الآن هو مدى تقبل شعوبالدول المتنامية لهذا الغذاء الجديد . وهـل ستكون انتاجية الوحدة الزراعية منهذا النوع مساوية للانتاجيـة من الانواع التقليدية ؟

ولهذا تجرى الآن تجارب حقلية على هذا النوع الجديد من الـرجوم فى كل من بورتوريكو والبرازيل . ويبدو مـن النتائج الأولية ان انتاجية مساحة ما من الارض تتساوىمعانتاجية نفس المساحة

نوع من البكتيريا قد يسبب عقم الرجال

● اسبـاب عقم الرجال او عـدم اخصابهم من الأمور الطبية المعقدة ، والتيلا تشخص بسهولة . فهناك حالات عديدة قد تؤدى الى عقم الرجل منها العجـز فى انتاج كميات كافيـة مـن الحيوانات المنوية ، او وجود انسداد فى مجرى الحيوانات المنويـة فى الجهـاز التناسلي للرجل ، او عدم المقدرة على اتمـام الاتصـال الجنسي السـليم اى العنة .

ومن المعروف ان هذه الحالات قد تنتج عن اختلال فى ميزان الهرمونات داخل الجسم ، او اورام ، او تناول المخدرات او حالات نفسية .

واخيرا استطاع عالمان سويديان ان يضيفا سببا جديدا للعقم عند الرجال فقد اكتشفا ان بعض حالات عقم الرجال تنتجبسبب نوع معين من البكتيريا يسمى ت ميكوبلازما T. Mycoplasma وقد بدأ اكتشاف العالمين السويديين وهمـا هاكان جنارب Hakan Gnarpe وجان فريبرج Jan Friberg من جامعة اوبسـالا Uppsala بالسويد ، بانهما لاحظا وجود هذا النوعمنالبكتيريا فى حالات الاجهاض وولادة الأطفال غير الأحياء .. واثناء بعض التحليلات التي قاما بها للحيواناتالمنوية لرجال مصابين بالعقم ، دون اسباب ظاهرة ، لاحظا وجود هذا النوع من البكتيريا بين هذه الحيوانات المنوية . واختمر الشك فى ان تكون هذه البكتيريا السبب فى عقم هؤلاء الرجال، فقاما بعلاج هؤلاء الرجال بواسطة المضادات الحيوية التى تقضى على هذه البكتريا . وكانت النتيجة ان ٣٠٪ من زوجات هؤلاء الرجال قـد حملن . ولزيادة التأكـد من ان هـذه البكتيريا هي التي قد تسبب بعض العقم عند الرجالقام العالمان السويديانباجراء فحوصبالمجهر الالكتروني اثبتتالتصاق هذا النوع من البكتيريا بالحيواناتالمنوية للرجال المصابين بالعقم .

وبهذا البحث اكتشف سبب جديد من اسباب العقم عند الرجال ، لم يكن معروفا من قبل .



الباحث الهندى رامشوار سنج يحمل عينات من « السرجوم » الغنى بالبروتين والى جواره اثنان من علماء جامعة « بيرديو »

المزرعة بالانواع التقليدية .

اما من ناحية تعرض النوع الجديد للاصابة بالآفات الزراعية فان هـــذه المسألة يبدو انها ليست ذات قيمة بدليل انتاج هذا النوع لعدة مئات من السنوات فى اثيوبيا دون ان يتعرض للهلاك .

بقيت مشكلة واحدة ، قد يكون من الصعب حلها ، وهى ان السرجوم يحتوى على صبغات مرة مكونة من حمض التنيك او « العفص » Tannins ، وهى تمنع الطيور من اكل المحصول اثناء وجوده فى الحقل وتؤدى الى الحد من امتصاص البروتين داخل الجهاز الهضمى ، ولهذا فانه اذا كان المطلوب ان يستفيد البشر من السرجوم الذى يحتوى على نسبة عالية من البروتين فيجب التخلص من هذه المادة . ويبذل العلماء فى جامعة « بيرديو » محاولات متعددة الآن فى سبيل تحقيق هذا الفرض .

الزيوت المستعملة في الآلات هى السبب الرئيسي في تلوث البحار

● ما من دولة فى العالم تقع على شاطىء البحر ،او لها شواطىء على البحار ، الا وفيها قانون يحرم على البواخر القاء مخلفاتها من الزيت فى مياه البحر ، وتهدف هذه القوانين الى منع تلوث مياه البحر بالزيت ، ذلك التلوث الذى اخذ يزداد فى الآونة الاخيرة بشكل اصبح يهدد بانقراض الثروة السمكية وحرمان الانسان من رياضة السباحة فى مياه البحار .

ولكن كثير من هذه الدول التى تعمل على محاربة تلـــوث مياههـــا بالزيوت ومخلفاتها ،لم تنتبه الى المصدر الرئيسى لهذا التلوث ، والذى اثبتت الاحصائيات انه يمثل اكثر من ٦٠٪ من الزيوت التى تسبب تلوث مياه البحر . ان هذا المصدر هو ملايين البراميل من الزيت المستعمل فى ادارة محركات السيارات والآلات الاخرى فى جميع انحاء العالم والذى يتم تغييره بعد مدة معينة من الاستهلاك .

والغريب أن ملايين البراميل من هذه الزيوت المستهلكة تلقى فى البالوعات او فى مجارى المياه التى تصب فى البحار وتسبب تلوث مياه البحر بالزيت ،وتقول احصائية نشرت مؤخـــرا فى الولايات المتحدة الامريكية ان فى السنوات العشر الماضية كان بعض تجار المخلفات يسلمون ٣٠٠ مليون جالون من الزيوت المستهلكة الى معامل تكرير البترول فى امريكا سنويا وقد انخفض هذا الرقم حاليا الى نحو ١٠٠ مليون جالون فقط سنويا .

وتفكر الآن حكومة الولايات المتحدة الامريكية وبعض الحكومات الاخرى فى سن قوانين تمنع القاء هـــذه الزيوت فى مجارى المياه او فى البحار وذلك لحماية بحارها من خطر التلوث .



«الكلام» و «الصمت» عند الانسان العربي

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ روى لنا أبو حيان التوحيدي ـ في كتابه « المقابسات » ـ أنه سمع يوما استاذه سليمان المنطقي السجستاني يقول : « نزلت الحكمة على رؤوس الروم ، وألسن العرب ، وقلوب الفرس ، وايدي الصين . » وليس في وسع أحد ان ينكر أن الحضارة العربية قد خلفت لنا فكرا ، وعلما ، وفنا ، وتقنية ، ولكن أحدا لا يستطيع أن يجحد دور « اللغة » ، والبيان ، واللسان ، والبلاغة ، في شتى مرافق الحضارة العربية .

« كلام المرء من عمله »
« تكلموا تعرفوا » !

.. لقد كان « الكلام » ـ عند الانسان العربي ـ « سلوكا » .

صحيح « ان مثل هذا السلوك لا يزيد ـ عند البعض ـ عن كونه مجرد « سلوك لفظي » ، لكن الرجل العربي كان يرى فيه ترجمانا يعبر عن كل شخصيته ، ولسان حال ينطق باسم ذاته العميقة . ولهذا قال حكماء العرب : « ان الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ، ويخبر بمكنونات السرائر ، لا يمكن استرجاع بوادره ، ولا يقدر على رد شوارده » ولم تكن الحكمة العربية بغافلة عن دور « الكلمة » في حياة الانسان : فانها كانت على وعي بما قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين توجه بالنصح الى معاذ فقال : « يا معاذ ، أنت سالم ما سكت ، فاذا تكلمت ، فعليك ، أو ، لك » . أجل ، فان « كلامك من عملك : يشهد لك أو يشهد ضدك » ان « الكلمة » من قائلها بمعناها في نفسه ، لا بمعناها في نفسها ، وهو حين ينطق بها ، فانها تحكم عليه ، أكثر مما يحكم هو عليها ! وهي حين تكون محكومة معقولة ، فانها تجيء لتوضح حقا ، أو تدحض باطلا ، أو تنشر حكمة ، أو تذكر نعمة . واما حين تكون هوجاء طائشة ، فانها قد تكشف عن جهل ، أو تسبب ضرا ، أو تذيع سرا ، أو تتلف نفسا .. الخ .

وقديما قال سقراط ـ لشاب كان يديم الصمت ـ « تكلم حتى أراك » ! والى هذا المعنى أيضا ذهب الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ حين قال : « تكلموا تعرفوا : فان المرء مخبوء تحت لسانه » ومعنى هذا القول ان عقل الانسان مخبوء تحت

لسانه ، فلا شيء أوتيَ بطول حبسٍ من لسان يقصر عن الصواب ، ويسرع الى الجواب ، ولا حاجة بالعاقل الى التكلم الا لعلمٍ ينشره ، او غنمٍ يكسبه . وهذا ما عبر عنه رسول الله حين قال : « رحم الله من قال خيرا فغنم ، او سكت فسلم . » ومما يروى عن عمر بن عبد العزيز – في هذا الصدد – انه قال : « من لم يعدّ كلامَه من عمله ، كثرت خطاياه . » وكل هذه العبارات – وغيرها كثير – انما تكشف عن تقديس الانسان العربي للكلمة ، وتقديره لدور « اللسان » في حياة الانسان .

ولكن ، اذا أردت الكلام فاعلم – اولا – ان للكلام شروطا . . !

ولم يكن من قبيل الصدفة ان يشغل الادباء والشعراء مكانة كبرى في الحيـــاة الاجتماعيـــة والسياسية للامة العربية : فقد كانت بلاغة اللسان ، وقوة البيان ، وسحرُ الكلمة ، شروطا اساسية لا بد من توافرها في السياسي الناجح ، والحاكم النابه ، ورجل الدولة المرموق .. الخ . وقد كان من بين السمات الرئيسية للسياسي العربي ان يملك لسانه ، بحيث يعرف كيف يأتي بالكلام في موضعه : لان تقديم ما يقتضي التأخير عجلةٌ وخُرْق ، وتأخير ما يقتضي التقديم توانٍ وعجز . ومن هنا فان السياسي العربي – في معظم الاحيان – كان رجلا حكيما يدرك ان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به ، ويعرف ان ما لا ينفع من الكلام هذيانٌ وهذَر ، ويعلم حق العلم ان لكل مقام قولا ، وفي كل زمان عمـــلا . وقد اهتم حكماء العرب بشرح شروط الكلام ، لا للرجل السياسي وحده ، بل لكل من يضعه منصبه موضع المعلم او الموجه او المرشد ، فقالوا ان الشرط الاول من شروط الكلام ان يكون القولُ لداع يدعو اليه : اما في اجتلاب نفع او دفع ضرر ، والشرط الثاني ان يأتي المتكلم بقوله في موضعه ، ويتوخى به اصابةَ فرصته ، والشرط الثالث ان يقتصر منه على قدر حاجته ، في حين ان الشرط الاخير ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به ، خصوصا وان « اللسان عنوان الانسان ، يترجم عن مجهوله ، ويبرهن عن محصوله » (على حد تعبير بعضهم) .

وحينما قال الشاعر العربي القديم :

كفى بالمـــرء عيبـــا أن تـــراه
لــه وجـــه وليـــس لـــه لســان !

فانه كان يشير بذلك الى اهمية « البيان » ، بوصفه مقوما من مقومات شخصية الانسان . وقد روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – انه قال يوما لعمه العباس : « يعجبني جمالك » ، فـــال : « وما جمال الرجل يا رسول الله ؟ » ، فـــال « لسانه » ! وهكذا كان جمال الرجل – في رأى الرسول – وثيق الصلة بفصاحة لسانه ، ورجاحة عقله . ولم يكن الصحابة بغافلين عن صلة اللغة بالفكر ، فكانوا يعدّون كلام المرء برهانَ أصله ، وترجمانَ عقله ، وبيان فضله . والى هذا المعنى ذهب الامام علي – كرم الله وجهه – حين قال : « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الاحمق وراء لسانه » . وقد علق الشريف الرضي على هـــذه العبارة فقال : « وهذا من المعاني العجيبة الشريفة ، والمراد به ان العاقل لا يُطلق لسانه الا بعـــد مشاورة وروية ، ومؤامرة الفكرة ، والاحمق تسبق سقطاتُ لسانه ، وفلتاتُ كلامه ، مراجعةَ فكره ، ومماخضةَ رأيه ، فكان لسان العاقل تابع لقلبه ، وكان قلب الاحمق تابع للسانه . » وقد كان العرب يرون ان للعقل محلا هو القلب ، فكان من ذلك قول الامام علي ايضا : « قلب الاحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه . » ولكن العرب لم يكونوا يستحسنون الاسراف في القول ، والاسترسال في الكلام : لانهم كانوا يرون ان « من اعجب بقوله ، اصيب في عقله » ، فضلا عن انهم كانوا على وعي بان المسترسل في الكلام كثيرُ الزلل ، دائم العثار . ومن هنا كان اجدادنا العرب يضيقون ذرعا بالثرثار ، ويذمون الدعيَّ المكثار ، ويحملون على المتلبّج المهذار .. الخ . ولعل هذا ما عناه الجاحظ حين قال : « ان للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن الاحتمال ، ودعا الى الاستثقال والملال ، فذلك الفاضل هو الهذْر .. »

وقد يمدح الصمت

وان ابتغيت « الصمت » ، فاعلم ان للصمت ضروبا وضروبا !

والحق ان المتأمل في تراثنا الاخلاقي يجد الكثير من الاقاويل المأثورة في امتداح « الصمت » والثناء على محبيه ، والاشادة بذوى « الهيبة » من اهل « السكوت » ! ولعل من هذا القبيل – مثـــلا – ما روى عن احد حكماء العرب من ان رجلا سأله يوما : « متى اتكلم » ؟ فقال : « اذا اشتهيت

الصمت » ! وعاد الرجل يسأله : « متى أصمت ؟ » ، فقال : « اذا اشتهيت الكلام » ! ومن ذلك أيضا قول جعفر بن يحيى « اذا كان الايجاز كافيا ، كان الاكثار عيا ، وان كان الاكثار واجبا ، كان التقصير عجزا » . ومن الحكم المأثورة عن الامام على ـ رضي الله عنه ـ قوله : « بكثرة الصمت تكون الهيبة » . وقال بعض الأدباء : « من اطال صمته ، اجتلب من الهيبة ما ينفعه ، ومن الوحشة ما لا يضره . » وبالغ بعضهم في استحسان الصمت فقال : « عيّ تسلم منه ، خير من منطق تندم عليه ، فاقتصر من الكلام على ما يقيم حجتك ، ويبلغ حاجتك ، واياك وفضوله، فانه يزل القدم ، ويورث الندم » .

قد يكون الصمت خيانة

بيد أننا نلتقي ـ في تضاعيف التراث الاخلاقي العربي ـ بضرب من التصنيف المحكم لأنواع الصمت ، وكأن حكماء العرب قد فطنوا الى خطورة الحكم التعميمي القائل بأن « الصمت ابلغ من الكلام » ! صحيح ان هناك صمت الغنى والامتلاء والثراء ، ولكن هناك أيضا صمت الفقر والفراغ والخواء ! وربما تمر على المرء لحظات تكون فيها « الكلمات » سرفا لا طائل تحته ، ولا جدوى منه : اذ يتم التواصل بين ذاته وغيرها من الذوات ، دون حاجة الى كلمات ، ولكن هناك لحظات أخرى يصبح فيها « الصمت » ضربا من الخيانة : لأن من يرى الفساد دون أن يفتح فاه انسان خائن جبان ! ومن هنا تحدث حكماء العرب عن أربعة ضروب ، وصمت : صمت الجهلاء ، وصمت الجبناء ، وصمت الخبثاء ، وصمت الحكماء !

اما صمت الجهلاء فهو صمت العيّ والجهل والحصر .. ان هناك أناسا يصمتون عن عجز ، وهؤلاء لا يملكون سوى ان يصمتوا ، لأنهم أهل فقر وخواء ! وربما كان من مصلحة هؤلاء أن يتركوا غارقين في صمتهم ، فان كلامهم هو الكفيل بالكشف عن جهلهم ! ولعل من هذا القبيل ـ مثلا ـ ما روى عن شاب كان يجالس الأحنف، ويطيل الصمت، فاعجب ذلك الاحنف ، ولما خلت الحلقة يوما ، قال له الاحنف : « تكلم يا ابن اخى » ، فقال : « يا عم ، أرأيت لو ان رجلا سقط من شرف هذا المسجد ، هل كان يضره شيء ؟ » فقال الاحنف : « يابن اخى ، ليتنا تركناك مستورا » !

ومن ذلك أيضا ما روى عن أحد الفقهاء من ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت ، فقال له الفقيه : « الا تسأل ؟ » قال : « بلى . متى يفطر الصائم ؟ » قال الفقيه : « اذا غربت الشمس » ، قال الفتى : « فان لم تغرب الى نصف الليل ؟ » قال : فتبسم الفقيه ، وتمثل بقول الشاعر :

عجبت لازراء العييّ بنفسه
وصمت الذى قد كان بالقول اعلما
وفي الصمت ستر للعييّ وانما
صحيفة لب المرء أن يتكلما

صمت الجبناء

واما صمت الجبناء، فهو صمت الخوف والخشية والهلع ؟ ! والواقع ان هناك أناسا يصمتون عن خوف ورهبة ، وهؤلاء يريدون الكلام ، ولكن الخشية تعقد ألسنتهم ، فهم أهل جبن وخيانة! وليس من شك في أن السكوت على الجريمة جريمة ، كما أن التستر على الفساد فساد ! ولهذا كان اهل هذا النوع من الصمت ـ في كل زمان ومكان ـ موضع احتقار وازدراء ، من جانب الداعين الى النطق بلسان الحق ، خصوصا حين يكون في وسع المرء أن ينطق بالحكم ، ثم يجيء صمته فيكون بمثابة انسحاب أو هروب أو فرار . ولعل هذا ما عناه الامام على ـ رضي الله عنه ـ حين قال : « لا خير في الصمت عن الحكم ، كما انه لا خير في القول بالجهل » . ومعنى هذا ان التوقف عن الحكم ـ حين يكون في الامكان اصداره ـ صورة من صور التنصل من المسئولية ، أو ضرب من ضروب الخيانة الفكرية .

أين صمت الخبثاء من صمت الحكماء ؟

واما صمت الخبثاء فهو صمت المكر والخديعة والدهاء ! .. ان هناك أناسا يصمتون عن قصد وسوء نية ، وهؤلاء يلتجئون الى الصمت اما لاخفاء حقيقة ، أو تمويه واقع ، أو بدافع من تصنع الجهل ، وادعاء البراءة ! ولا شك أن الانسان الذى يسكت تسترا على الآخرين ، أو رغبة منه في اطفاء جانب من جوانب الحقيقة ، انما هو انسان خبيث سيىء النية ، فهو لا يصدر في صمته الا عن وازع شرير ، يملى عليه التذرع بالصمت ، طمعا في كسب أو مغنم !

واما صمت الحكماء فهو صمت الروية والتعقل وطول الاناة ! .. ان هناك أناسا يصمتون عن قصد

ولكن بحسن نية ، وهؤلاء يلتجئون الى الصمت ، حرصا منهم على وضع الكلمة في موضعها ، او تقديرا منهم لظرف خاص قد يتطلب السـكوت . وحينما قال بعض حكماء العرب : « الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ، ويؤمّنك سوء المغبة ، ويلبسك ثوبَ الوقار ، ويكفيك مئونة الاعتذار» فانهم كانوا يعنون ـ بلا شك ـ صمت الحكماء ! وهكذا اقترنت « الحكمة » ـ في نظر الكثير من فلاسفة الاخلاق العرب ـ بالمقدرة على «الصمت» حتى لقد قال قوم منهم : « فم العاقل ملجم ، اذا هم بالكلام احجم ، وفم الجاهل مطلق ، كلما شاء اطلق » .

مقام « الصمت » عند صوفية الاسلام

ومن بين حكماء العرب طائفة اعلت من شـأن « الصمت » ، وعدته مقاما من مقاماتها ، وتلك هي طائفة « الصوفية » ، التي كانت تتمسـك بقول الرسول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا ، او ليصمت » . وهؤلاء قد ذهبوا الى ان « السكوتَ في وقته صفةُ الرجال ، كما أن النطق في موضعه من اشرف الخصال » . ولكن الصوفيين العارفين ببواطن الامور ، كانوا يجدون في الصمت تعبيرا عن « حيرة البديهة » عند ورود « الكشف » ، فكانوا يقولون ان البغتةَ الاشراقية ـ اذا حدثت ـ خرست العبارات ، فلا بيانَ ولا نطق ، وانطمست الشواهد ، فلا علم ولا حس ! .

واما ارباب المجاهدة ، فانهم كانوا ينادون بالسكوت ، نظرا لأنهم فطنوا الى ما في الكلام من الآفات فكان سهل بن عبد الله يقول : « لا يصح لاحد الصمتُ ، حتى يلزم نفسَه الخلوة ، ولا تصح له التوبةُ حتى يلزم نفسه الصمت .» وكان ابو بكر الفارسي يقول : « من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول ، وان كان صامتا . » ومعنى هذه العبارة ان الصمت ليس وقفا على اللسان ، ولكنه يكون ايضا بالقلب والجوارح كلها . ولهذا قيل « ان صمت العوام بألسنتهم ، وصمت العارفين بقلوبهم ، وصمت المحبين من خواطر اسرارهم.» وقيل ايضا : « المحب اذا سكت هلك ،والعارف اذا سكت ملك » ! وللصوفية ما لا حصر له من الاقاويل في مدح «الصمت» ، وكلها تشهد بانهم ربطوا « الحكمة » بالتفكر والصمت ، وجعلوا من «السكوت» وسيلة من وسائل المكاشـفة والاشراق . وهكذا كان لسان حال الصوفية ما قاله معاذ بن جبل حين توجه بالنصيحة الى الصوفي فقال : « كلم الناس قليلا ، وكلم ربك كثيرا ، لعل قلبك يرى الله تعالى » .

هل يكون « الصمت » تعبيرا عن عمق تجربة « الكشف » ؟

بيد ان الصوفية المسلمين ـ حين دعوا الى التقليل من مكالمة الناس ـ فانهـم لم يكونوا يَعنُون بذلك ان « الصمت » أصدق دائما من «الكلام» ، وانما هم كانوا يشيرون بذلك الى صعوبة تحقيق التواصل بين الناس من خلال « اللغة » . وآية ذلك ان الصوفيين قد فطنوا الى أن لكل انسان « سرا » هيهات للآخرين أن ينفذوا اليه ، وانه ليس في وسع اى تعبير لغوى ان يذيع هذا « السر » على الآخرين ، او أن ينقله ـ على حقيقته ـ الى الآخرين ! وهذه العلاقة الوثيقة بين مفهوم « الصمت » ومفهوم « السر » هي التى حدت بالكثير من الصوفيين المسلمين الى الاعتراف بأن كل محاولات « التعبير » ، لا بد أن تصطدم ـ في خاتمة المطاف ـ بتلك « الحقيقة المنيعة » التى لا سبيل الى التعبير عنها ! وحينما قال أحد الشعراء الصوفيين :

افكر : مـا اقـول اذا افترقنـا
وأحكم ُ دائبـا حججَ المقـال
فانسـاها اذا نحنُ التقينـا
فانطق حين انطق بالمحـال !

فانه لم يكن يشير بذلك الى « حيرة البديهة » في لحظة التلاقى فحسب ، وانما كان يعنى أيضا ان اللسان عاجز عن التعبير حين يكون عليـه أن ينطق بمكنون سره في حضرة المحبوب ! ولكن الصوفيين لم يكونوا يرون في « الصمت » (من حيث هو امتناع عن الكلام) صورة من صور « التعبير » ، وكانما هو ـ بطبيعته ـ ابلغ من كل كلام ، وانما هم كانوا يرون أن من شأن «الصمت» ـ في بعض الاحيان ـ أن يستنطق « الاعماق » ـ حين تكون ثمّة اعماق ـ ، وأن يستحضر « الحقيقة الغائبة » ـ حين تكون ثمة حقيقة غائبة ـ ! ولعلهم كانوا يعنون أن النور الالهى حين ينكشف للقلب ، فلا بد للعبارات من أن تخرَسَ ، ولا بد للمنطق من أن يصمُت : لأنه حين ينبلج « الحقُ » ، فهيهات أن يكون ثمة بيانٌ ، أو أن يكون ثمّة نُطق ! .

زكريا ابراهيم





قل لمن تحب أنك تحب كلمة.. التقدير لها من السحر مالها

بقلم : منير نصيف

■ لماذا نتردد في اظهار مشاعرنا ؟

وهل من الخير للمرء أن يحبس احاسيسه في صدره فلا يبوح بها ، أم يجاهر بما يحس به ، فاذا استاء اظهر استياءه ، واذا سره شيء لم يحاول أن يخفي سروره ! فنراه حزينا مكتئبا ، أو سعيدا فرحا ، حتى اذا حاولنا أن نعرف مزاجه ونكشف عما يعتمل في صدره من مشاعر وأحاسيس، وجدناه كتابا مفتوحا يستطيع المرء أن يقرأ ما في بطنه دون جهد أو معاناة ؟

يقول وليام جيمس الفيلسوف الامريكي وعالم النفس الكبير الذي يعتبر واحدا من اعظم مفكري عصره : « كنت اؤمن بيوتوبيا Utopia ، أو المدينة الفاضلة المثالية ، التي حدثنا عنها افلاطون في جمهوريته منذ قرون طويلة مضت ، فقد كنت انظر الى الحياة من حولي كما لو كنت شجرة يانعة لا تجف أغصانها أبدا .. تصمد للخريف ، ولا تبالي بالعطش ، وتمتليء بالثمار طوال اشهر السنة .. وليس معنى هذا انني لم اصادف لحظات ألم ، فقد عانيت ، وعانيت كثيرا ، ولكنني كنت قادرا دائما على التخلص من اسباب معاناتي بسرعة ، حتى احافظ على تلك البسمة التي تعود ان يراها تلاميذي في الجامعة على وجهي كلما لقيتهم في كل صباح .

وماتت الشجرة اليانعة !

« وهكذا بقيت صورة الشجرة المورقة المثمرة امامي دائما ، الى ان جاء يوم ، وكنت اظن انه لن يأتي ابدا عندما حملوني الى المستشفى للعلاج من المرض الذي الم بي ، وتوقعت ان استعيد صحتي بسرعة ، فاعود بدوري الى سابق عهدي بالحياة التي احببتها ، ولكن شفائي تاخر ،وطالت فترة مرضي ، ومن وراء زجاج نافذة حجرة نومي ، ولاول مرة ، نظرت ، ورايت ، وبالهول ما رايت، شجرة الحياة ، تلك التي لم أعهدها الا وارفة الظلال مشرقة ، وقد جفت أغصانها ، وتناثرت اوراقها الجافة من تحتها ، وتعرت من كل ما يمت الى الحياة بصلة .. وحزنت ، وكان حزني عليها عظيما ! وفجاة أحسست برائحة الموت تملا الغرفة التي كنت ارقد فيها مريضا !

وفي هذه الليلة زارني ابي ، وراى ما راى من امري ، كنت اتالم ، ولكنني حاولت ان اخفي عنه المي ، لقد كتمت مشاعري وحبست دموعي ، لانني كنت اشفق عليه من الالم ، كان ابي المسكين حائرا



لا يدرى ماذا يصنع بى ، وماذا يفعل من اجلى ، وهو الذى لم يفارقنى لحظة واحدة فى مرضى .. لقد ظل يحملنى من مستشفى الى مستشفى ومن طبيب الى طبيب .. كان قلقه ولهفته اكثر مما يمكن أن تحتمله اعصابه المتعبة !

وتصورت أننى قد نجحت فى اقناع ابى بان العلة بدات تفارقنى .. ولكننى عندما نظرت الى وجهه وجدت دمعة كبيرة حائرة يحاول جاهدا أن يحبسها فى مقلتيه ! لقد ادرك الأب محاولاتى لاخفاء المى ، فزاده هذا حزنا على حزن !

قال وهو يلمس جبينى بشفتيه ، وكأنه قد تذكر شيئا هاما : « نسيت يا بنى أن اقدم لك هذه الرسالة ، لقد سلمنى اياها احد أساتذتك ، مع هذا الباقة من الزهور ! » .

رسالة أعادت الى الحياة

« وفضضت الرسالة بسرعة ورحت اقراها ، قال أستاذى الذى احببته دائما ولم افترق عنه طوال فترة دراستى الجامعية: « لا اجد ما اقوله لك فى مرضك سوى بضع كلمات قصيرة قد تجد فيها ما أريد أن اعبر لك عنه .. انني أحبك يا بنى ، ثم اننى « أقدرك » ، فانت شاب نابه واتوقع لك مستقبلا عظيما .. لا تدع المرض ينال منك .. فنحن جميعا نترقب يوم خروجك سليما معافى » .

وقرأ وليام جيمس الرسالة ، وبكى .. ولم يكن يبكى من الالم هذه المرة ، وانما كان يبكى من الفرحة .. كان يبكى من السعادة التى غمرته، حتى أنسته كل آلامه ومرضه !

وسارع الأب يجفف دموع ولده ، واذا بابتسامة عريضة تملأ هذا الوجه الشاحب ، لاول مرة منذ حملوه الى المستشفى مريضا بداء القلب !

أعظم هدية !

وفى هذه الليلة ، قرر وليام جيمس أن يرد على هذه الهدية التى حملها اليه والده ، وهو راقد على فراش المرض وكان رده فى رسالة موجهة الى العالم والى الناس من حوله ، قال : « انها اعظم هدية تلقيتها فى حياتى .. فقد ذكرتنى بشىء لا أعرف كيف نسيته وانا اسجل تجاربى وما تعلمت فى كتابى « مبادىء علم النفس » ، وعدت الى الكتاب وأمسكت بالقلم ، وشعور غريب بالذنب يحتوينى ، وجلست على فراشي لادون أعظم صفة اكتشفتهافى الانسان.. الا وهى الحنين الى التقدير .. الشعور بأن هناك اناسا الى جانب هؤلاء الذين نسلم بحبهم لنا وعطفهم علينا ، ما زالوا يذكروننا ، ويقدرون اعمالنا ..

وفى هذه الليلة نام وليام جيمس كما لم ينم من قبل .. نام بعد ان احس براحة نفسية لم يعهدها طوال فترة مرضه ، حتى قبل ان يفرغ من تسجيل تلك الاسطر التى اضافها الى كتابهالخالد.

الشعور بالتقدير

ولكن ماذا يحدث لو اننا افتقدنا هذا الشعور الذى يحن اليه المرء رجلا كان ام امرأة .. الشعور بالتقدير وخاصة اذا كنا ننتظره ونتوقعه من هؤلاء الذين نسلم بحبهم لنا !

والحياة جراح ، كما هي في الوقت نفسه زهور ورياحين .. ولا يمكن لانسان أيا كان ان يتنعم برائحة زهور الحياة ، دون أن يذوق مرها ويعرف جراحها ..

يقول الدكتور سمايلي بلانتون : « رجل واحد هو الذى يمكن ان يجنب نفسه جروح الحياة .. انه الرجل الذى لا يبالى بشيء ، ولا يبالى باحد، لانه لن يجد من يقول له : « لقد نصحتك ولكنك لم تستمع ! »

جروح الحياة

ثم يقول : « والذى لا يريد أن يصاب بجروح الحياة لا بد أن يدرك أن ارتباطه بشخص آخر لا بد وأن يجرحه كما يسعده سواء بسواء .. فاذا أحب الرجل امرأة بكل قلبه وجوارحه ، ثم تزوجها ، فان هذه الزوجة قد تسعده بدورها ، وقد تشقيه ، والسعادة شيء لا يحسه المرء الا اذا تخللتها لحظات تعسة وهذه اللحظات ، مهما قصرت ، ومهما تباينت أسبابها ، تكون دائما اشد الما على النفس من غيرها لانها تصدر عن انسان نعزه ونقدره ونحمل له في قلوبنا كل الود والحب .. ولكن يجب الا ندع هذا الالم يسيطر على نفوسنا او يبقى في قلوبنا ..

والذى يريد ان يخفف من أثر الجرح الذى قد يصيبه في الزواج ، يجب الا يتجنب اطفالا ، فالطفل يضاعف من ارتباط الزوجين ، ثم هو بعد ذلك سوف يستأثر بالنصيب الاكبر من حب والده او امه او الاثنين معا .. وهو بعد هذا محط آمالهما ورجائهما .. وقد يحقق لهما هذه الآمال ، وقد يفشل ، فيكون الجرح أكبر وأعظم .. وقد لايشفى منه القلب أبدا .

اسس الحياة

ثم يتساءل الكاتب : « ولكن أى معنى للحياة اذن ، اذا قامت على غير هذه الاسس التى تفرضها الطبيعة على الرجل والمرأة ؟ معناها أن يعيش المرء كما يعيش المتصوفون والرهبان ، في عزلة عن الناس والدنيا لا لشيء الا لكى يكرسوا حياتهم لخدمة الله ، أو لكى يجنبوا أنفسهم جروح الحياة .. هؤلاء وحدهم هم الذين يعيشون بمنأى عن رائحة الحياة الحلوة وعن جروحها الداميـة ! فيديرون ظهورهم الى أجمل ما في الحياة من نِعَمٍ!

ويمضى الدكتور سمايلي بلانتون في حديثه فيقول : « ولنعد الى الحياة التى فرضتها علينا الطبيعة .. حياة الاسرة التى هى أساس المجتمع .. الحياة التى بدونها لا تكون حياة .. ولنعد الى تلك السطور التى اضافها وليام جيمس الى مبادئه في علم النفس ، وهو راقد على فراش المرض يغالب الالم ، رحمة بوالد حائر ملهوف حزين : « التقدير » اروع معانى الحياة . انه الحياة ذاتها ! فالرجل الذى يحقق نجاحا يتوقع أن يسمع كلمة تقدير ، انه يعود من عمله في نهاية اليوم متعبا متهالكا ، فيجد زوجته في انتظاره في البيت، وهى قد تستقبله بابتسامة او كلمة حلوة تعبر بها عما في صدرها من مشاعر ، فتقول مثلا : « لقد افتقدتك يا عزيزى ! » وقد يقنع الزوج بما سمع ، ولكن ليس هناك ما يعوضه عن هذا التعب ، ويهز كيانه هزا عندما يسمعها تقول له : « انني فخورة بك يا عزيزى ! »

ان هذه الكلمات الصغيرة على بساطتها تحمل اجمل واروع معنى يطمع فيه اى انسان في الوجود!

قصـة زوجـة

ويروى بلانتون بعد هذا قصة الزوجة الشابة التى جاءته يوما الى مكتبه تستشيره .. ولم يكن من العسير عليه أن يكتشف مدى ما كانت تعانيه من حزن دفين بدا واضحا على قسمات وجهها الشاحب الجميل قالت الزوجة بعد أن دعاها الى الجلوس وهو يحاول أن يخفف عنها : « لقد جئتك لاسالك في امر طلاقى من زوجى ، فلم أعد أطيق الحياة مع هذا الرجل ؟! »

ويقول بلانتون : « ومن خلال قصة الزوجـة التعسة ، وهى تروى لى شكواها ، استطعت ان اصل الى جذور المشكلة .. انها محرومة من التقدير الذى تتوق اليه .. انها تريد أن تشعر بقيمتها في البيت .. تريد أن تسمع كلمة واحدة تعيد اليها ثقتها بنفسها ، وتجعلها تحس بأنها انسانة مرغوب فيها !

« ورجوتها أن تتريث بعض الوقت ، وطلبت اليها أن تعود الىَّ بعد بضعة أيام !

ذهول ودهشة

« وارسلت في طلب زوجها .. فجاء .. وما كاد يجلس على المقعد .. نفس المقعد الذى جلست

عليه زوجته بالامس ، وهى تحدثنى عن متاعبها .. حتى قلت له على الفور : «زوجتك تريد أن تنفصل عنك .. انها لم تعد تطيق حياتها معك .. انها تطلب الطلاق !

« وذهل الرجل ، وقال وقد استبدت به الدهشة : لا يمكن أن يحدث هذا .. انها لن تتركنى أبدا ، لأنها تحبنى ! »

وقلت : « يجب الا تكون واثقا دائما من شعورها نحوك ، فكل شيء يمكن ان يتغير .. ثم ما هى هذه المشاعر ، أليست هى نتيجة للتصرفات والاعمال التى تصدر من الجانبين ! »

قال ، وقد ازدادت دهشته : « ولكن هذا غير ممكن .. مستحيل ان اتصور أن زوجتى تريد أن تطلقنى ، ترى ماذا أفعل بدونها ! »

هل قلتها لها !

قلت : « هل فكرت يوما فى ان تقول لها انك لن تطيق الحياة فى غيابها ! »

قال : « ربما لم احدثها فى هذا من قبل ،ولكننى لا اظن انها تجهل هذه الحقيقة ! »

قلت : « كل امرأة تعرف انه لا غنى عنها فى البيت ، وانه لن يكون هناك بيت ، ولن تكون هناك اسرة بدون المرأة .. ولكنها تريد ان تسمع هذا من زوجها .. ان كل امرأة فى الدنيا تتوق الى سماع كلمة « تقدير » من زوجها كلما كانت هناك مناسبة للتعبير عن هذا التقدير .. ثم لا تنس ان هناك الف طريقة وطريقة تستطيع ان تعبر بها عن تقديرك لزوجتك وأم اطفالك .. هل عدت يوما الى البيت حاملا باقة من الزهور هدية لزوجتك .. هل تذكرت مثلا عيد ميلادها،أو عيد زواجكما فحرصت على أن تفاجئها بدعوتها الى العشاء فى الخارج .. هل تشترى لها علب الحلوى التى تحبها ؟ كل هذه تعبيرات أخرى لمعنى الكلمة التى تود زوجتك أن تسمعها منك ! »

وصحا من غفوته

قال الرجل ، وكأنه صحا من غفوة : « سأفعل .. سأفعل يا سيدى .. ولكن متى ابدأ ؟ »

قلت : « هذه اللحظة ! »

وخرج الزوج عائدا الى بيته ، وهو يحمل باقة كبيرة من الزهور !

وفى اليوم التالى جاءت الىّ الزوجة ، ودعوتها الى الجلوس ، فرفضت .. كانت مشرقة الوجه ، سعيدة ، قالت : « انس ما ذكرته لك يا سيدى بالامس ! ان زوجى اعظم رجل فى العالم ! »

قلت : « ولِمَ العجلة .. ألا تجلسين وتحدثيننى عن هذا الانقلاب الذى وقع فى حياتك بين يوم وليلة ! »

قالت : « كنت أود أن افعل ، ولكن زوجى ينتظرنى فى الخارج ، اننا على موعد لتناول العشاء .. نعم سوف نمضى السهرة فى نفس المكان الذى التقينا فيه لاول مرة ! »

وتركتنى وخرجت مهرولة .. واتجهت الى نافذة مكتبى ، ومن وراء الزجاج رأيتهما .. كانا يتعانقان فى عرض الطريق .. ومشيا وكأنهما يطيران !

■■

منير نصيف

حسنات البنات

● ولدت لاعرابية جارية فهجرها زوجها مدة من الزمن ، وفى يوم مر الرجل على داره يتفقدها فاخذ يسترق السمع الى غناء ينبعث من منزله . فاذا زوجته ترقص الجارية وتقول :

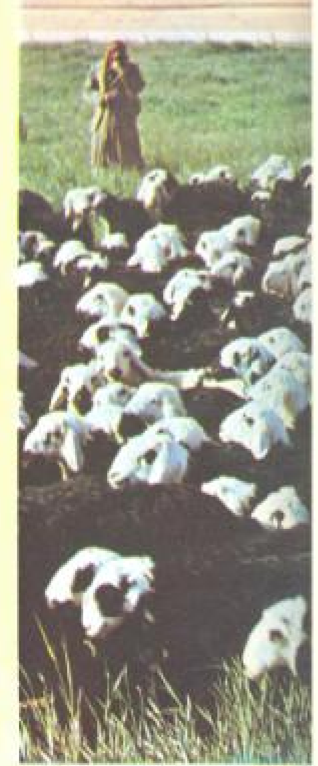
وما علي ان تكون جاريه	تكنس بيتي وترد العاريه
تمشط راسي وتكون الفاليه	وترفعُ الساقط من خمَاريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه	زَرَّيتها ببردةٍ يمانيه
زَوجتها مروانَ او معاويه	أصهارُ صدق لمهور غاليه

فلما سمع الرجل هذه الابيات رجع الى زوجته وطابت نفسه بها .

تَوطِينُ البَـ

تدفقت المياه من الآبار التي تم حفرها في حرض .. (**الصورة الى اليمين**) ومع تدفق المياه بدأت الحياة تدب في الصحراء التي زرعت بالشعير الاخضر وحشيشة السودان والسرجوم، وهي كلها تستعمل كأعلاف لقطعان الاغنام (**الصورة الى أعلى**) التي تعتبر احد اسس مشروع التوطين . **والى اليسار** صورة لأحد أبناء البادية والذين يعملون الآن في مشروع التوطين .. وهو واحد من الآف أقيم من اجلهم هذا المشروع التجريبي





اعرف وطنك أيها العربى

تجربة فى حرض بالسعودية لتطوير الحياة فى الصحراء.

لابد منها لمستقبل الدول العربية وأكثرها صحارى.

ـدو

استطلاع بقلم :

محمد طنطاوى

تصوير :

عبد الناصر شقرة





تقع منطقة حرض على الحدود الشمالية للربع الخالي . وهي على بعد ٢٦٥ كيلومترا جنوب شرق مدينة الرياض وهذه الخريطة تمثل موقع حرض .

■ من اهم المشاكل التى تواجه الكثير من البلادالعربية مشكلة توطين البدو والعمل علىاستقرارهم وتحويلهم من حياة التنقل والترحال الى حيـاةالاستقرار والانتاج . ومنذ ان بدات الدول العربية تلحق بركب التطور فى عصرنا الحالى ، وهنـاالمشروعات ودراسات عديدة حول هذه المشكلة وكيفية حلها . ولكن هذه الدراسات والمشروعاتلم تلق العناية اللازمة بها فى كثير من البلاد . وحتى بعض الدول التى بذلت بعض المحاولات تقاعستعندما بدات مشاكل التنفيذ ، وظهرت معهـا الصعوبات التى يلاقيها القائمون على المشروع فىمحاولة تغير حياة البادية وجعلها حياة مستقرة ، وتحويلهم من الاعمال التى تعودوا عليها الى اعمالاخرى .

ان حب البدوى لعاداته وتقاليده وللصحراء عميق يتمسك به . وهنالكفىالتاريخ العربى روايات كثيرة تبين صعوبة فراق البدوى لحياة البداوة على الرغم من صعوبتها ومشقتها وعدم الاقبال على الحياة الحضرية الرغدة .

وليس ادل على ذلكمن قصة ميـسون بنت بحدل الكلبى وهى زوجة معاوية بن أبى سفيان عندما انتقلت من مضارب ابيها فى بادية الشام الى قصر زوجها الخليفة بدمشق .. وسمعها معاوية يوما وهى تترنم بعدة ابيات من الشعر تقول فيها :

لبَيْتٌ تخفق الارياح فيـه
احب الى من قصـر منيف
ولبس عبـاءة وتقر عينى
احب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطُراق دونى
احب الى من قـط اليف
واكل كسيرة فى كسر بيتى
احب الى من اكل الرغيف

فقام معاوية بتطليقها واعادها الى مضارب ابيها.




يعتبر خط السكك الحديدية الذي يربط بين الرياض والدمام وسيلة الاتصال الرئيسية بين حرض وسائر انحاء المملكة العربية السعودية ..وهناك قطار يومي يصل الى حرض من الرياض وآخر من الدمام الى حرض .. ويحمل القطار أيضا البريد اليومي الذي يربط حرض بالعالم الخارجي (الصورة الى اليسار) .

كل هذه الاعتبارات جعلت من عملية توطين البادية عملية صعبة شاقة تحتاج الى جهد ووقت، وجعلت الكثير من الدول العربية تتردد في تنفيذ مثل هذه المشروعات تاركة للزمن والتطور ان يحل المشكلة تلقائيا .. ولكن المملكة العربية السعودية وتعداد البادية فيها يتراوح ما بين ١٥ الى ٢٥٪ من مجموع تعداد سكانها (لا يوجد احصاء دقيق عن سكان البادية) رأت ان حل مشكلة البادية داخل اراضيها امر يجب ان يبدأ .. ولذلك قامت بدراسات مستفيضة انتهت بتنفيذ مشروع تجريبي لتوطين البدو في منطقة « حرض » اطلق عليه اسم مشروع جلالة الملك فيصل لتوطين البادية ..

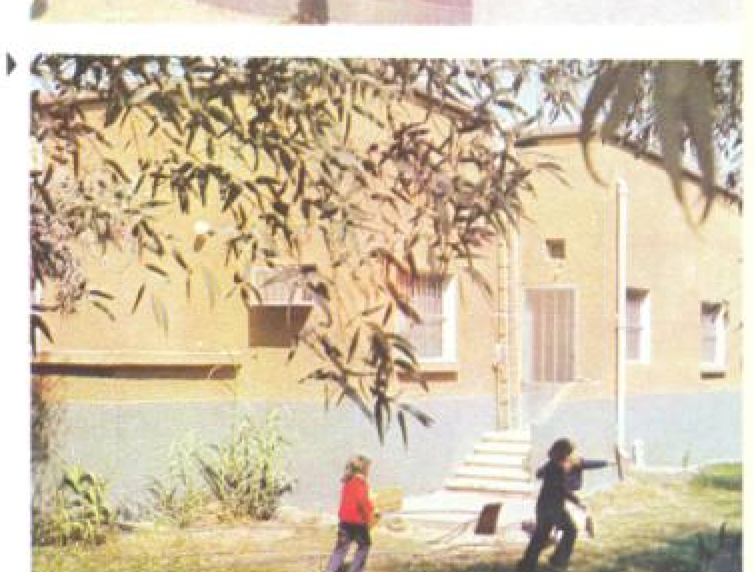
لماذا اختيرت منطقة حرض

ومنطقة حرض تقع على الحدود الشمالية للربع الخالي .. وليست هناك طرق معبدة تربطها بشبكة الطرق الحديثة التي تربط اغلب مناطق المملكة العربية السعودية ، ولكن هناك خط سكك حديدية يربط بينها وبين الرياض والخرج والاحساء والدمام. ويعتبر خط السكك الحديدية هذا وسيلة الاتصال الرئيسية بين حرض وسائر انحاء الجزيرة العربية . وتقع حرض على بعد ٢٦٥ كيلومترا جنوب شرقي مدينة الرياض يقطعها القطار في حوالي ٣ ساعات . وبحكم وقوع هذه المنطقة على حدود الربع الخالي ، ووجود خط السكك الحديدية ، وقع الاختيار عليها لبدء مشروع توطين البدو فيها، وخاصة في منطقة وادي السبهاء التي تكثر فيها المياه الجوفية والتي اثبتت البحوث ان كمية الاملاح الموجودة فيها لا تؤثر على صلاحيتها للري. وعهد بتنفيذ الاعمال الانشائية من حفر الآبار ، ومسح الاراضي ، وتجهيزها للزراعة ، الى عدة شركات عالمية . وبديء فعلا في تنفيذ الانشاءات وحفر الآبار في عام ١٩٦٧ وانتهت في عام ١٩٧١ . وتكلفت الانشاءات اكثر من ٣٠ مليون دولار (١٠

الى اليمين : الماء هو عصب الحياة فى الصحراء ، ولذلك فان عملية صيانة آبار المياه وطلمبات المياه تتم على أعلى مستوى فنى . ويقوم الخبراء بتدريب عمال من أبناء البادية على كل ما يتعلق بأعمال صيانة الآبار. أن هناك ٥٠ بئرا تعمل باستمرار خلال فترة الصيف وذلك لسد حاجة المزروعات فى المنطقة .

الى اليسار : الى أعلى من يصدق أن هذه الصور التقطت فى الصحراء وعلى حدود الربع الخالى .. ولكن الماء **يفعل المعجزات فى** الصحراء .. **والى أسفل :** عمال الرى يعملون فى أحد الحقول .. ومعهم أحد المشرفين السعوديين يوجههم الى طريقة الرى الصحيحة حتى لا تضيع قطرة ماء هباء.

الى اليمين : نموذج لأحد منازل العاملين فى مشروع التوطين بحرض .. بينما الأطفال الصغار يلعبون فى حديقة المنزل ، والمنازل هناك مزودة بالكهرباء وتكييف الهواء ومؤثثة على أحدث طراز يكفل الراحة فى قلب هذه الواحة التى ظهرت حديثا فى الصحراء .





ملايين دينار كويتي) شملت حفر ٥٠ بئرا وانشاء ما طوله ٧١ كم من قنوات الري الاسمنتية الرئيسية و٢٣٦ كم من قنوات الري الفرعية ، و ١٤ جسرا ومحطة توليد للكهرباء تقع على بعد ٢٠ كم من وادي السهباء وتعمل بالغاز الذي كان يحرق قبل ذلك . وتبلغ قوة هذه المحطة ٢٠ مليون واط ، وهي تزود مضخات الآبار بالكهرباء اللازمة وكذلك بقية مرافق المشروع كما ان في طاقتها تزويد ٨ قرى كاملة بالكهرباء .

مرحلتان للمشروع

عندما وصلنا الى مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، كان اول لقاء لنا مع وكيل وزارة الزراعة طاهر عبيد ومن الصدف الغريبة ان لقاءنا به جاء أثناء اجتماع له مع لجنة الخبراء لوضع خطة مشروعات الزراعة الجديدة في السعودية. ودار الحديث عن مشروع توطين البدو في حرض. وتلخص حديث وكيل وزارة الزراعة في عدة نقاط اهمها :

● بدأت دارسة المشروع في عام ١٩٦٤ ميلادية .. وكانت الفكرة في البداية تتلخص في اصلاح ٤٠ الف دونم (٤ آلاف هكتار) من ارض وادي السهباء في حرض وتوزيعها على الف اسرة من البادية ، وبناء ٩ قرى وما يتبعها من مرافق صحية وتعليمية. وأثناء فترة التنفيذ رئي انه من الانسب الا نبدأ بهذا الاسلوب ، وان يكون المشروع على مرحلتين ، الأولى قصيرة الامد ويتم فيها اتاحة الفرصة لابناء البادية في العمل بالمشروع وتدريبهم على كافة الاعمال الفنية واعدادهم للحياة والاستقرار .. وقد بدأت هذه المرحلة منذ حوالي عامين ونصف . والمرحلة الثانية هي المرحلة الطويلة الامد ولم نبدأ فيها حتى الآن لاننا نريد انجاح المشروع من الناحية التجارية والفنية واتاحة الوقت الكافي لدراسة تأثير العمل الجديد على ابناء البادية وذلك قبل ان نبت في مسألة توزيع الاراضي المستصلحة عليهم .

● هناك اهتمام خاص بمشروع التوطين .. ولذلك اخرجته الدولة عن دائرة الروتين وانشأت هيئة خاصة لادارته وشكل لها مجلس ادارة يشرف على كل اعمال المشروع . ويرأس هذا المجلس وزير الزراعة ، ويضم بين اعضائه نائب رئيس الهيئة المركزية للتخطيط ، ووكيل وزارة المالية لشئون التنظيم والادارة ، واحد اساتذة جامعة الرياض ،

هـذا المبنى المتنقل المصنوع من الخشب ورقائق الالمنيوم هـو مبنى مدرسة حـرض الابتدائية والمتوسطة .. ان هناك تخطيطا جديدا لقرية حرض لم تنته دراسته بعد .. ولكن بعد أن يتم ستتغير الصورة تماما .



في مساء كل يوم اثنين من كل أسبوع يجتمع المهندس محمد علي مكي مدير مشروع التوطين مع العاملين في المشروع والخبراء لتدارس ما تم وسيتم من أعمال . ان العمل الآن في المشروع يتم على أساس انجاحه تجاريا وذلك بعد أن أصبحت ادارته موكولة الى هيئة خاصة لا تخضع للروتين .

ومدير عام المشروع . ويتمتع هذا المجلس بصلاحية عامة في ادارة المشروع على اساس تجارى ، ومدة مجلس الادارة ٣ سنوات .

● يعتبر هذا المشروع مشروعا تجريبيا وبعد نجاحه ستقام عدة مشروعات مماثلة في مناطق عديدة من السعودية .. ويتم الان التركيز على تربية الاغنام بالطرق الحديثة . وقد بدأنا بتكوين قطيع من الاغنام النجدية وهي اغنام متأقلمة على البيئة ، وتربية الاغنام هي في نفس الوقت من الاعمال المحببة الى سكان البادية .. واحضرنا خبراء من انحاء العالم في الثروة الحيوانية ، وهم يشرفون حاليا على القطيع بطرق علمية حديثة ويقومون بتدريب ابناء البادية على افضل طرق التربية الحيوانية . ونتوقع أن يبلغ انتاج مشروع حرض السنوى نحو ١٦٠ الف راس غنم سنويا وذلك في نهاية السنة الانتاجية الرابعة للمشروع . وهذا الرقم يمثل ١٠٪ من مجموع ما تستورده المملكة العربية السعودية حاليا من الاغنام .

● في بداية تشغيل المشروع كانت نسبة ابناء البادية الذين يتركون العمل بعد شهر او شهرين مرتفعة ، والان وبعد عامين ونصف بدأت هذه الظاهرة تقل تدريجيا . لقد ازداد دخل الفرد فيهم زيادة كبيرة .. فبعد فترة لا تزيد عن ٦ شهور من التدريب للعامل البدوى الجديد يتضاعف مرتبه ويصبح حوالي ٦٠٠ ريال شهريا . ونستطيع ان نقول ان عملية التوطين تتم الان من خلال فرص العمل هذه .

واختتم وكيل وزارة الزراعة حديثه معنا قائلا :
انني لم اعطكم سوى فكرة سريعة عن المشروع . لان ما سترونه عند زيارتكم لحرض على الطبيعة هو الذى سيجعلكم تلمون بكل جوانب عملية التوطين ..

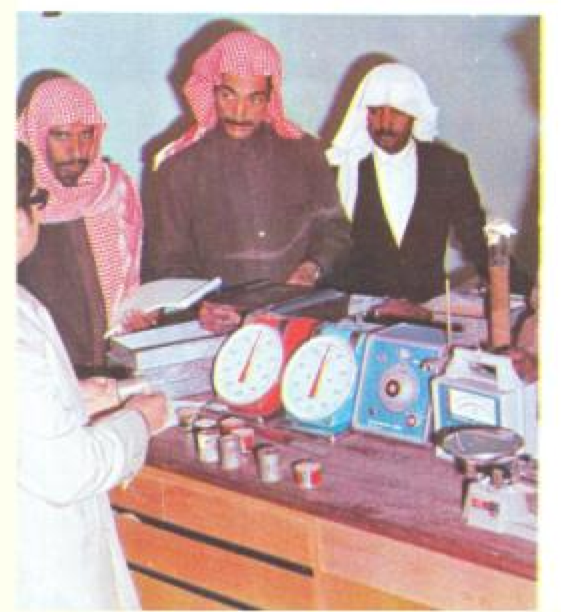
في الطريق الى حرض

في صباح اليوم التالي ، كنا في طريقنا الى حرض ، تلك القرية التي تقع في قلب الصحراء ولا يربطها فيما يجاورها من مدن سوى خط السكك الحديدية الممتد من الرياض الى الدمام .. واستغرقت الرحلة الى حرض حوالي ٣ ساعات قطع فيها القطار ٢٦٥ كيلومترا وسط رمال الصحراء ، ولم نقابل فيها شيئا من مظاهر الحياة سوى بعض قطعان الابل المتناثرة هنا وهناك ، وسوى قليل من الاشجار والمزارع في منطقة الخرج .. وعندما نزلنا من القطار في محطة حرض تلفتنا حولنا لنتعرف على هذه القرية التي وصلنا اليها .. لم نر سوى عدة منازل من الخشب والصفيح (يطلق عليها اسم صنادق) يتوسطها جامع بسيط انيق لا يزال تحت الانشاء .. والى جواره مدرسة صغيرة في مبنى من المباني الخشبية المتنقلة .. ولكن سرعان ما انتقلنا من حرض المحطة

ابنـاء البادية يتدربـون

من اهم أهداف مشروع توطين البدو في حرض تدريب أبناء البادية على الاعمال الميكانيكية وقيادة الآلات الزراعية الضخمة ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف يقوم خبراء التدريب بارشاد أبناء البادية وتدريبهم على القيام بهذه الاعمال بطرق سليمة علمية مبسطة . **والصورة العليا الى اليمين** تمثل أحد أبناء البادية وهو يقود جرارا ضخما ويقوم بعملية حرث الارض .. **والصورة العليا الى اليسار** تمثل أحـد المدربين وهو يقوم بعملية شرح عملي على طرق





على الاعمـــال الميكانيكية

صيانة الجرارات .. و (**الى اليمين**) داخل الورشة المتنقلة التي تنتقل الى الحقول لاصلاح اى خلل يقع فى احدى الآليات .. ان الاعتماد أساسا فى عمليات الزراعة في المشروع هو على الآليات . وتمثل **الصورة الى اليسار** تدريبا نظريا على مقننات المياه لكل نوع من المزروعات فى الارض الصحراوية .. ويقول أحد الخبراء وهو يشرف على تدريب أبناء البادية ان الذكاء البدوى الحاد يتجلى فى تعلمهم السريع لاعمال الصيانة وقيادة الآليات .

الى حرض المشروع وهي تقع على بعد ١٠ كيلومترات من محطة القطار وذلك عبر طريق معبد قطعته السيارة في نحو ٧ دقائق .. وما أن اقتربنا من المشروع حتى وجدنا الاسوار الشائكة التي تتوسطها البوابات تمتد على طول الطريق . ورأينا الصحراء وقد بدات الاشجار والنباتات تنمو فيها فتحول التربة الصفراء الى ارض خضراء ، وقطعان الاغنام متناثرة في الحقول الخضراء المزروعة بالشعير . وكان منظرا فريدا في قلب الصحراء . ودخلنا الى المنطقة السكنية حيث تتناثر المباني البسيطة النظيفة ، وهي مباني ادارة المشروع وسكن الموظفين والخبراء ، وورش الصيانة والتدريب .. وهي تتوسط ارض المشروع التي تمتد ٤٠ كيلومترا تربطها شبكة من الطرق المعبدة.

جولة في أرض المشروع

لم نكد نستقر في غرفتنا بدار الضيافة التابعة لمشروع التوطين حتى جاء مدير عام هيئة المشروع المهندس الزراعي السعودي محمد علي مكي ، وبدانا معه جولتنا الاستطلاعية الاولى .. ان الارض المستصلحة تمتد على طول ٤٠ كيلومترا بعرض يتراوح بين كيلومتر واحد وكيلومترين ، ويحدها من الشرق والغرب الاراضي الصحراوية والتلال الصغيرة . ابار المياه تمتد على طول الوادي كل بئر فيها لها رقم ، وكل قطعة أرض لها رقم . سيارات الخبراء العاملين في المشروع تنتقل بهم من القطاع الشمالي الى القطاع الجنوبي ،سيارات أوتوبيس صغيرة تحمل البدو العاملين في المشروع من معسكرهم الى أماكن عملهم المتفرقة . بعضهم يعمل في الري ، والآخر يعمل في رعاية الاغنام ورعيها .. والبعض الاخر يعمل على الآليات الزراعية ، حراثات وحصادات وجرارات ضخمة وآلات تسوية وتسميد . وتمتد على طول الاربعين كيلومترا قنوات المياه الاسمنتية التي تحمل الماء الى الارض الصحراوية العطشى لتنشر فيها الحياة .. انها أشبه بشرايين الدم تحمل الغذاء الى خلايا الجسم فتبث فيها الحياة والنشاط .. وفي خلال هذه الجولة السريعة ، ومن خلال حديثنا مع مدير المشروع محمد علي مكي بدات حقيقة المشروع وضخامته تظهر لنا . ان التركيز الآن يدور حول انجاح تشغيل المشروع من الناحية التجارية . الارض كلها المزرعة مخصصة للاعلاف الحيوانية واهمها حشيشة السودان ، والسرجوم (الذرة السكرية) والشعير ، وهنالك قطع صغيرة من الاراضي مزروعة زيتونا وخضراوات ولكنها للتجارب

قامت ادارة مشروع حرض ببناء مساكن بسيطة لأبناء البادية من العزاب الذين يعملون في المشروع، وقد قسمت هذه المباني الى حجرات كل حجرة تتسع لشخصين .. وعندما يلتحق احد أبناء البادية بالعمل في المشروع يصرف له فراش وكل مستلزماته .. وبعدها يستقر في غرفته الجديدة المكيفة الهواء.. والملحق بها مطبخ صغير ودورة مياه.





جهاز اللاسلكي هو حلقة الاتصال بين حرض وسائر انحاء المملكة العربية السعودية .. وعن طريق هذا الجهاز يتم انجاز الاعمال الخاصة بالمشروع .

فقط . رجال البادية الذين يعملون في المشروع وصل عددهم الى ٤٠٠ حتى الآن . ويزداد هذا العدد مع زيادة الارض المزرعة وزيادة قطعان الاغنام سنويا ويتوقع أن يصل العدد النهائي من البدو الذين سيستوعبهم هذا المشروع الى نحو ٧٠٠ عامل مع أسرهم .

ويتم تدريب البدو على مختلف الطرق الحديثة المتعلقة بتغذية الاغنام ورعايتها . وهناك اطباء بيطريون واخصائيون في تغذية الحيوانات وتربيتها . انهم يعملون في الحقول والحظائر وفي نفس الوقت يقومون بتدريب البدو وارشادهم الى احسن الطرق العملية في تربية الحيوان . واغلب العاملين في المشروع من الشباب السعودي المؤهل علميا ولا يزيد عدد الخبراء من غير السعوديين على ٦ خبراء .

المرحلة الاولى في المشروع هدفها هو تغيير الافراد من الناحية النفسية واعطاء البدو فرصة كافية للتدريب على مختلف الاعمال الزراعية والميكانيكية . اما مدى هذه المرحلة فهو يعتمد على تجارب ابناء البادية ، وان كانت الدراسات تدل على أن هذه المرحلة قد تمتد من ٧ الى ٨ سنوات منذ تاريخ البدء في تشغيل المشروع ، وان هذه المدة قد تكون كافية لخلق طبقة عمالية زراعية قادرة ومدربة ومستقرة نفسيا وذهنيا بحيث يكون في الاستطاعة تحويل عملية الانتاج اليها ..

٢٤ الف راس غنم ستصبح ٢٠٠ الف بعد ٥ سنوات

في صباح اليوم التالي قمنا بزيارة الحظائر المخصصة للاغنام ، كما شاهدنا بعض القطعان التي تطلق لرعي حقول الشعير الخضراء .. وصحبنا في زيارتنا الدكتور سمير بدوي اخصائي الثروة الحيوانية ومحمد شقير وهو شاب سعودي متخصص في تغذية الحيوانات ويحمل درجة الماجستير من جامعة آيوا Iowa بالولايات المتحدة الامريكية . لقد بدأ تكوين قطعان الاغنام في المشروع بشراء ١٣٫٨٠٠ من الامهات النجدية من منطقة القصيم على عدة دفعات ، وهي نعاج متأقلمة على الجو الصحراوي القاسي . وفي خلال عامين اصبح هناك ٢٦ الف رأس من الاغنام بيع منها الفان من الذكور للذبح بينما احتفظ بالاناث لكي تتوالد . وتتم تغذية الاغنام بواسطة الاعلاف الناتجة عن أرض الوادي التي خصص أغلبها ان لم تكن كلها لزراعة الاعلاف . ويتم تحصين الاغنام ضد الامراض ، كما يتم حصر الامهات التي تلد التوائم وذلك لتغذيتها تغذية خاصة والاحتفاظ بنسلها ، ويقول محمد شقير اخصائي التغذية الحيوانية ان هناك فكرة لانشاء معمل خاص للقيام بتجارب على متطلبات الاغنام النجدية من الناحية الغذائية . وخاصة ان المعلومات العلمية عن هذا النوع بالذات غير متوفرة . وان الحمل الصغير اذا توفر له الغذاء الذي يحتوي على ١٥٪ من البروتين فان وزنه يصل الى ٢٤ كيلو جرام خلال ٣ شهور ، واذا كانت كمية الحليب في الأم ممتازة فان وزنه قد يصل الى ٣٠ كيلوغرام . وقد لوحظ أن كثيرا من الامهات في السلالة النجدية لا تقوم بعملية الامومة ، ولذلك فهناك دراسة حول تغيير هذا السلوك . اما فترة الاخصاب في النعاج فهي لا تزيد على ٧ سنوات ، وبعد ذلك يتم التخلص منها . وتبشر اقتصاديات



هناك خطة للاكتفاء الذاتي بالنسبة لتربية الاغنام في حرض .. **والي اليمين** احدى ماكينات خلط الاعلاف التي تتكون من الشعير والبرجوم ويضاف اليها بعض المعادن والفيتامينات وذلك لتغذية الاغنام التي بدأت تتكاثر في المشروع والتي يتوقع أن يصل عددها في خلال السنوات الخمس القادمة الى نحو ٢٠٠ الف رأس .

الى اليسار : هذا البدوي لم يكن يعرف **الاستقرار .. فهو دائما** في حل وترحال يبحث عن العشب والماء في الوديان والجبال ... **واليوم اصبح له عمل ثابت وهو يعمل في رعاية الاغنام وهو عمل محبب له . انه يتقاضى** راتبا يصل الى نحو ٥٠٠ ريال شهريا ويتم أيضا تدريبه على أحدث الطرق العلمية في تربية الاغنام .



تربية الاغنام في حرض تتم على أسس علمية سليمة **والصورة الى اليسار** في حظيرة الامهات وهذه الأم قد أنجبت توأمين ولذلك فان مواليدها يتم الاحتفاظ بهم وترقيمهم حتى تزداد فرص ولادة التوائم . **والى اسفل** أحد الأطباء البيطريين يقوم بعلاج أحد الأغنام ومعه متدرب جاء خصيصا من البحرين للاستفادة من تجربة حرض .

المشروع بالخير اذ انه بتحقيق انتاج ١٠٠ الف من الذكور سنويا وبيعها فان الدخل من عملية البيع قد يصل الى نحو ٢٠ مليون ريال (نحو ٥ مليون دولار)ويحقق ربحا قد يبلغ ٧ ملايين ريال سنويا. ومن المتوقع ان يصل انتاج مشروع حرض من الاغنام الى ٢٠٠الف راس سنويا خلال السنوات الخمس القادمة .. وعادة ما يكون نصف هذا العدد من الاناث .

فى مركز التدريب على الآليات

بعد زيارة حظائر الاغنام انتقلنا الى مركز التدريب ، وهو يضم ورشة حديثة مزودة بأحدث الآلات الالكترونية . ويتم فى هذا المركز تدريب العمال من البدو على صيانة الآلات الزراعية واصلاحها وقيادتها . ويقول أحد الخبراء الاجانب وهو المشرف على ورشة الاصلاح ، ان البدوى يتمتع بذكاء حاد ولديه اقبال كبير على الاعمال الميكانيكية بالذات . وانه يستوعب ادق التفاصيل بسرعة غريبة .

فى مساكن العمال العزاب وبداية استقرار البدو

ويضم المشروع حاليا مساكن للعمال العزاب من البدو وهى مبان بسيطة نظيفة مقسمة الى حجرات مكيفة الهواء ، وتتسع كل حجرة لاثنين من العمال . وتقوم ادارة المشروع بصرف اثاث لكل عامل يتكون من سرير ومرتبة واغطية ووسادات . والسكن مجانى . وتتسع المساكن هذه لحوالى ٢٠٠ عامل . ويقول عبد المحسن العجاجي مدير الادارة فى المشروع ان هناك الآن طلبات كثيرة من البدو للعمل فى المشروع ، وانه منذ حوالى عامين كان البدو يجيئون للعمل ثم فجاة يتركونه ليأتي غيرهم وهكذا .. اما الآن فان عدد العمال من البدو الذين مضى على استقرارهم فى المشروع أكثر من عام قد بدا يزداد . بل ان هناك عددا كبيرا من البادية يأتون يوميا للحصول على عمل رغبة منهم فى الاستقرار بعد ان شاهدوا اصدقاء لهم يكسبون ويتعلمون ويستقرون . ان المكافاة التى تدفع للعامل فى فترة التدريب الاولى تصل الى ٣٦٠ ريالا شهريا ، وبعد مرور ستة اشهر يقفز مرتبه الى نحو ٥٠٠ ريال . وهناك الآن عدد من رجال البادية الذين تدربوا على الاعمال الفنية يتجاوز مرتبهم الـ ٨٠٠ ريال شهريا . وان عددا كبيرا منهم يقبل الآن على الدراسة فى المساء ضمن برامج تعليم الكبار التى تتم فى مدرسة حرض . وتقوم اوتوبيسات المشروع بنقلهم الى المدرسة .

اصبحت ليالينا قمراء وأراضينا خضراء

من القبائل الرئيسية التى تقطن فى منطقة حرض قبيلة بنى مرة ، وهى احدى القبائل الكبيرة التى تقطن فى المنطقة كلها . ورأينا ان نذهب للقاء شيخ القبيلة وهو الشيخ حمد العرج المرى . وذلك لكى نستطلع اراءه حول مشروع التوطين . ولقينا الشيخ فى منزله . ومع فناجين القهوة العربية (المرة) والشاى العربى اخذ الشيخ حمد يتحدث باستفاضة عن تاريخ قبيلته ومنطقة حرض .. وكيف ان افراد قبيلة بنى مرة هم من احسن قصاصى الاثر فى المملكة كلها . لقد اطلق اسم حرض على المنطقة لانها ارض قاسية صماء من الآجر . واسم حرض لا يطلق على القرية الواقعة على محطة السكك الحديدية فقط ، ولكنه يطلق على المنطقة كلها . وتنقسم حرض الى حرض المحطة ، وحرض المشروع ، وحرض العد ، وحرض ١ وحرض ٢ (وهى ارقام اطلقتها شركة ارامكو على الآبار التى حفرتها فى المنطقة) .

وقال الشيخ حمد ان البادية ترحب بما فعلته الحكومة . وانهم فرحوا بشيئين اولا المدارس التى اسست فى البادية وجعلت ابناء الجيل الجديد يعرفون ما لهم وما عليهم . والشيء الثاني ان هذه الارض كانت مرتعا للحيوانات المفترسة والذئاب . وكانت الطبيعة فيها قاسية ، وكانت قبيلته تضطر الى التنقل فى الصحارى وعبر الربع الخالى ثم تعود الى المنطقة فى فترات محدودة ، اما الآن فهو يصف الحال بلهجة بدوية صميمة قائلا : «اصبحت ليالينا قمراء (يقصد الكهرباء) واراضينا خضراء » .

لقد بدا اغلب افراد القبيلة الآن فى الاستقرار بالمنطقة وهو يطالب بانشاء مدرسة للبنات .. وبناء مساكن حديثة للبدو من المتزوجين . ومدها بالكهرباء والمياه . ان أفراد قبيلته مغرمون بالاعمال الميكانيكية وقيادة الآلات الزراعية واصلاحها . وهم



في الماضي القريب كان ابناء البادية يلتحقون بالعمل في المشروع ، ولا يكاد يمضي عليهم عدة شهور حتى يحنوا الى حياة الترحال مرة أخرى فيتركوا العمل ويعودوا الى حياة البداوة .. أما اليوم فان هناك اعدادا متزايدة من ابناء البادية يطلبون العمل في المشروع وفي الصورة عبد المحسن العجاجي مدير ادارة المشروع يتلقى سيلا من طلبات العمل من ابناء البادية.

يريدون تعليم اولادهم وبناتهم . حقيقي ان هناك عددا منهم لا يزال متمسكا بحياة التنقل وتربية الابل ولكنهم عندما تتوفر لهم الاعمال المجزية المربحة سيستقرون . انه يتعجل المرحلة الثانية من المشروع وهي مرحلة تمليك الارض للبدو .

طرق جديدة وتخطيط جديد لقرية حرض

وانتقلنا من منطقة حرض المشروع الى قرية حرض . والتقينا هناك بأمير المنطقة سعود سحاري وهو شاب لا يتجاوز الثلاثين من العمر . وكان اول سؤال لنا هو لماذا لا يوجد في حرض سوى المباني الخشبية التي يطلق عليها اسم « الصنادق » . وجاءت اجابته سريعة ، ان هناك الآن تخطيطا جديدا للقرية تقوم احدى الشركات الاستشارية بدراسته ، ولهذا السبب صدر امر بمنع اي بناء الا بعد انتهاء التخطيط الجديد . وهناك مشروع تعبيد طريق طوله ١٧٥ كيلومترا يربط حرض بلدة الخرج وبذلك تتصل حرض بكل مدن المملكة بطريق معبد سهل ، ان تعداد سكان القرية لا يزيد حاليا عن ١٥٠٠ ولكن بعد تنفيذ المشروعات الجديدة ، ونجاح مشروع التوطين فان هذا العدد سيزداد زيادة كبيرة .

نحن نريد ان نتعلم عن طريق المشروع

بعد ان مكثنا في حرض عدة ايام ، التقينا فيها بالعاملين في المشروع من بدو الى فنيين الى خبراء ولمسنا الروح الجماعية التي تسود بين العاملين لانجاح المشروع ، غادرنا حرض الى الرياض مرة اخرى . حيث كان لنا لقاء مع رئيس واعضاء مجلس ادارة مشروع التوطين . وفي هذا اللقاء دارت مناقشة بين بعثة العربي والرجال المسئولين عن ادارة المشروع .

وبدأ المناقشة الاستاذ حسن المشاري وزير الزراعة والمياه في المملكة العربية السعودية ، وهو



الى اعلى : يقبل البدو على التعليم ولا فرق في ذلك بين كبير وصغير والصورة تمثل أحد فصول تعليم الكبار . انهم يحاولون اللحاق بركب التطور .

●

الى اليسار : الشيخ حمد العرج المري شيخ قبيلة بني مرة يتحدث عن مشروع التوطين .. انه يقول : «اصبحت ليالينا قمراء واراضينا خضراء »

في قلب الصحراء وفر المشروع الخدمات لابناء البادية .. **في الصورة العليا** طبيب المستوصف يقوم بالكشف على أحد البدو .. وهناك نية الآن الى انشاء مستشفى صغير في المستقبل .. **والى اسفل** سوق مركزي تتوفر به كل أنواع البضائع وذلك تسهيلا على العاملين في المشروع وكذلك ابناء البادية .

فى نفس الوقت رئيس مجلس ادارة الهيئة المشرفة على مشروع التوطين قال :

« ان هذا المشروع هو مشروع تجريبى ، ونحن نريد ان نتعلم عن طريقه ما يجب ان نتخذه فى المستقبل بالنسبة للمشروعات المماثلة . والمشروع يستهدف اساسا توطين البادية ولكننا حتى الآن فى الواقع لم نقرر ما يجب أن تكون عليه سياسة التوطين ، اننا نركز الان على ان ينجح هذا المشروع كمشروع تجارى ، وأود ان اشير الى ان المشروع بطريقته الحالية يحقق فى الوقت نفسه هدفا من اهداف التوطين ، لانه يوفر وظائف ذات دخل ثابت لابناء البادية فى المنطقة ، ويوفر ايضا قدرا معينا من التدريب . وهذا الامر يدفع ابناء البادية اما الى التمسك بهذه الاعمال والاستقرار فى منطقة حرض ، واما الى الاتجاه الى اعمال مماثلة فى الحكومة والشركات . ان الفرد الذى لم يكن له دخل ثابت من قبل ، ثم اصبح يملك دخلا ثابتا ، وتدرب على اعمال فنية منها مثلا قيادة الالات الثقيلة لن يعود مرة أخرى الى حياة البداوة . وهذا يحقق احد اهداف التوطين ولكن بطريق غير مباشر . ان هناك الآن اعدادا كبيرة من افراد البادية يعملون فى الحكومة والشركات كحراس وسائقين وهم بالتالى يتحولون الى حياة الاستقرار . »

دراسات اجتماعية

« لقد أجرينا بعض الدراسات الاجتماعية بصفة عامة عن حياة البدو ، ولكن الدراسات الاجتماعية عن مشروع حرض لم تبدأ فيها حتى الآن ، والسبب أننا فى هذه المرحلة نركز على انجاح المشروع كمشروع تجارى . وقد طلب مجلس الادارة من ادارة المشروع وضع تقييم للمشروع من الناحية الاجتماعية .. لقد كان الاعتقاد السائد فى البداية فى أذهان المواطنين وبعض البحاث الاجتماعيين أن البدوى لا يرغب فى حياة الاستقرار ، ولكن تجربتنا على صعيد « الهجر » والقرى الصغيرة ، أن ابناء البادية الآن حريصون كل الحرص على المطالبة بالانارة ، وبالمياه ، وبالمدارس .

لقد قاوم بعض ابناء البادية منذ نحو ٣٠ عاما السلطة فى ادخال أجهزة التليفون ، أما الآن فهم من أحرص الناس على استعمال الوسائل الحديثة . والمشكلة الرئيسية لابناء البادية أن هناك أعمالا معينة بالذات لا يقدمون عليها بسبب التقاليد والقيم الاجتماعية .. مثل التجارة والحدادة .. »

المشروع خاضع للتعديل

وقال الدكتور فايز ابراهيم بدر عضو مجلس ادارة الهيئة المشرفة على مشروع التوطين ونائب رئيس الهيئة المركزية للتخطيط : « ان مشروع حرض خاضع لكثير من التعديلات لأن تغيير اتجاهات التفكير عند البدو عملية صعبة بطبيعتها . وقد تمت دراسة كافة النشاطات التى يمكن أن تغرى البدوى اغراء ذاتيا لكى يستوطن من نفسه بدلا من أن ندعوه نحن لاننا نريد منه ان يكون مقتنعا بما يفعله . وقد رأينا أن عملية تربية الاغنام من أقرب الاشياء التصاقا بطبيعة البدوى ونحن نقوم بتعليمه الآن الطرق الحديثة لتربية الاغنام .. وقد ساعده

يطلق العاملون فى المشروع على هذه العربة اسم « عربة الولادة » فهى التى تحمل النعاج التى تلد مع مواليدها من الحقول الى الحظائر . وهناك بعض الايام التى تصل حالات الولادة فيها الى نحو مائة أو اكثر .





اجتماع مجلس ادارة الهيئة المشرفة على التوطين برئاسة الاستاذ حسن المشارى وزير الزراعة والمياه والى يمينه الدكتور فايز ابراهيم بدر والاستاذ محمد الصقير والى اليسار الدكتور عبد الله الوهيبى . ان المجلس يبحث الآن ما تم في مشروع التوطين ومدى النجاح الذي حققه وكيفية السير بهذا المشروع التجريبى على اسس سليمة .

الدافع العزيزى لهذه المهنة على الاقبال عليها وبالتالى يستقر ويستوطن ، وبهذه الطريقة نستطيع أن نحقق الهدف المزدوج من المشروع وهو الناحية التجارية والتوطين . »

مشكلة البدو مشكلة اقتصادية

وقال الاستاذ محمد الصقير وكيل وزارة المالية وعضو مجلس ادارة الهيئة: « ان التطور الاقتصادى شمل معظم قطاعات المملكة ، مما حقق زيادة كبيرة في متوسط دخل الفرد ، ولكن سكان البادية لم يزدد دخلهم بنفس النسبة التى زاد بها دخل بقية المواطنين .. ونحن نعمل على ان يشمل التطور الاقتصادى كل المواطنين بما فيهم البادية .. ومن المؤكد ان التوطين من المشروعات التى ستؤدى الى زيادة دخل سكان البادية وفي نفس الوقت زيادة الانتاج الزراعى والحيوانى في المملكة. »

التغيير سهل على البدوى ولكنه يتطلب وقتا

اما الدكتور عبد الله الوهيبى عضو مجلس ادارة الهيئة واستاذ مساعد التاريخ في جامعة الرياض فانه يقول : « ان أبناء البادية ملتصقون بحياة البادية منذ آلاف السنين . وبالرغم من ذلك فان البدوى بالذات يسهل عليه تغيير لون حياته أكثر من الحضرى عندما يطالب بتغيير لون حياته ، وهذا يرجع الى ان البدوى لا يرتبط بنوع معين من التربة ، أو حتى نوع معين من روتين الحياة ، فهو مستعد دائما للتكيف مع الظروف . وهو ينتقل من السهل الى الجبل بنفس السرعة التى ينتقل بها من السلم الى الحرب . فاذا استطعنا ان نوفر لعناصر المجتمع البدوية شيئا من المغريات لكى نشعرها بروابط تقيدها الى تربة بعينها فاننا بذلك نحصل على مجتمع متكامل . ونحن يجب أن نتيح لابناء البادية فرصا متكافئة مع بقية أفراد المجتمع . ان البدوى الذى بقى حتى الآن في خيمته ووراء ابله واغنامه ليست هناك فرصة امامه لكى ينافس الحضرى . ان عملية التوطين تتطلب زمنا طويلا وصبرا .. »

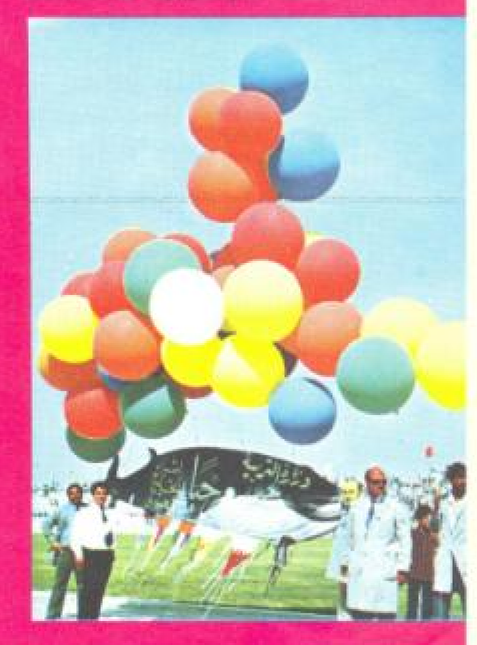
كانت هذه هى آراء أعضاء مجلس ادارة هيئة التوطين . وهى كلها آراء تتسم بالواقعية . ان مشروع حرض لا يزال في مرحلته الاولى . ولكنه في نفس الوقت يحقق بعض اهداف مرحلته الثانية . انه مشروع تجريبى ولكنه يحمل معه الامل للكثيرين من أبناء البادية لتحقيق حياة افضل واللحاق بركب التطور والمدنية . ■■

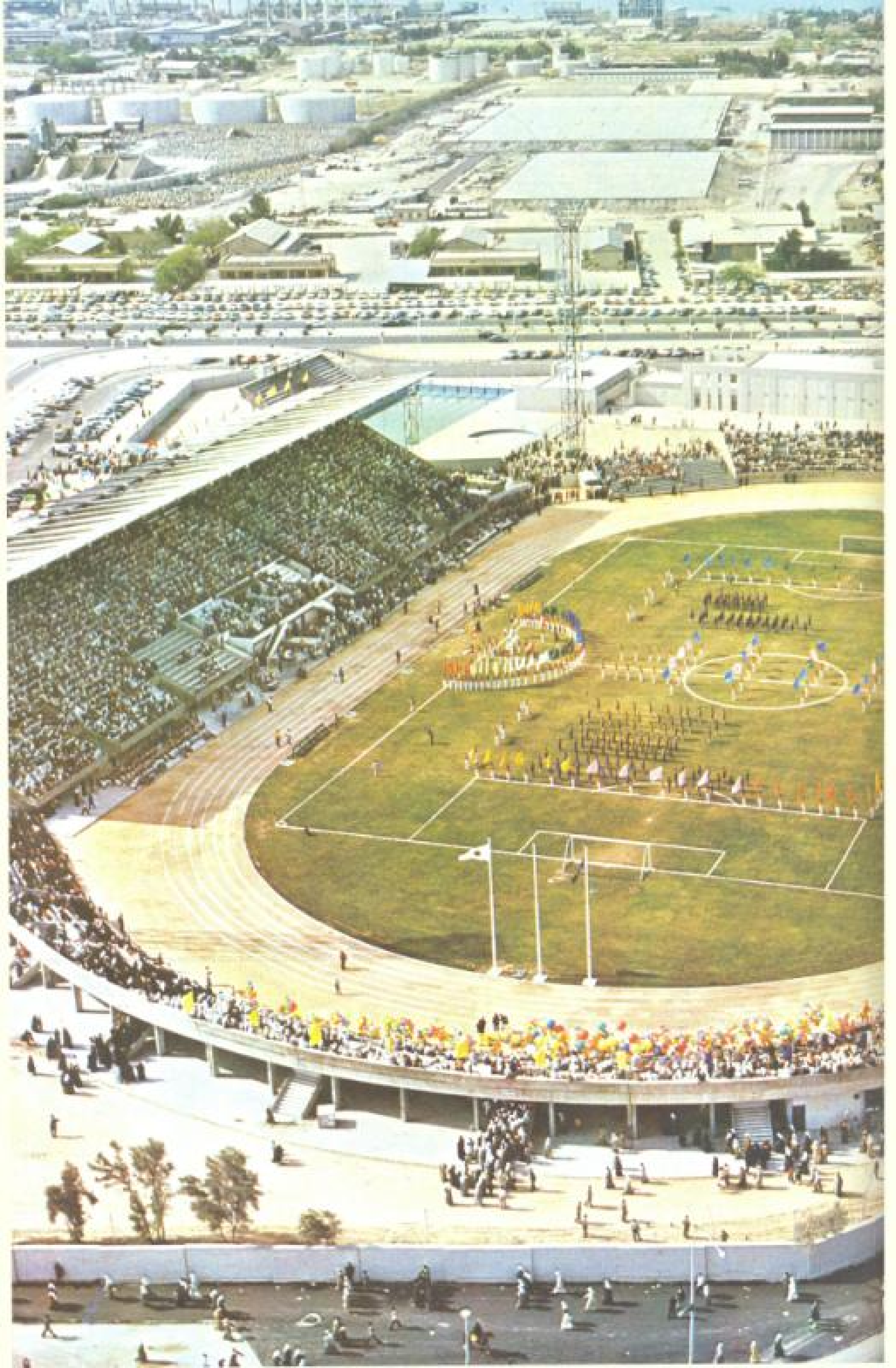
محمد طنطاوى



دورة كأس الخليج العربي الثالثة لكرة القدم

استطلاع بقلم سليم زبال





■ « جول .. جول .. جول !! » . هتاف انطلق كالهدير من الوف الحناجر ، ثم دوى التصفيق حادا متواصلا كالرعــــد ، ففزعت الحمامات البيضاء المسكينة التي كانت ترفرف باجنحتها فوق الارض الخضراء .. ارض الملعب حيث كانت الصورة التى هزت المشاعر هزا ٢٢ لاعبا فى حركة دائبة .. كل همهم ركل تلك الكرة الصغيرة المستديرة التى ترتفع وتهبط ، وتتقدم وتتاخر : كريشة فى مهب الريح لا تستقر على حال .. مسكينة تلك الكرة التى زينوها ببقع سوداء ، ونفخوها بما تحتمله من ضغط هواء ، ثم القوا بها وسط اقدام الفريقين المتنافسين !

عشاق الكرة

وفى استاد الكويت شهدنا نحو ٢٠ الفا يتفرجون على مباريات كاس الخليج الثالثة لكرة القــدم .. فى حين كان اكثر من مليون ونصف مليون جالسين امام اجهزة التلفاز الملون والابيض والاسود ، يتابعون المباريات من منازلهم فى مختلف دول الخليج العربى ..

وعشاق كرة القدم ينقسمون الى فئات مختلفة فالصبى مثلا ، يحلم بان يصبح نجما ولاعبا مشهورا ، والرجل الذى تقدمت به السن يتفرج ويتذكر ، ويتحسر فى نفس الوقت على الايام الذهبية للكرة كما كانت ايامه ، ونراه مناصرا ومرشدا وحكما قاسيا .. فهو يصرخ باللاعبين من فوق مقعده فى المدرجات دون أن يسمعه أحد ، سوى جاره فى المقعد المجاور !! وفى غمرة حماسه يفقد السيطرة على الفاظه : « اهجم .. شوط .. دِش .. تحرك .. لعنة الله عليك ! » ويردفها بكثير من الكلمات التى قد يتوقف عند استماعها قانون الجزاء لحظة !

جاءوا ليرفعوا معنويات فرقهم

وعنصر جديد دخل مدرجات المشاهدين .. انهم كبار رجال الدولة ، الذين اصبحوا يواظبون على حضور اغلب مباريات الكرة .. وفى دورة الخليج التى جرت فى الكويت حرص سمو امير البلاد الشيخ صباح السالم على حضور مباراة

● مهرجان "زاخر" ساهر اتصل ليله بنهاره ، طيلة خمسة عشر يوما .

الافتتاح ، رغم الوعكة التى المت به ، وحضر معه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح .. ومن دولة البحرين جاء ولى عهدها الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ... ومن السعودية جاء امير الرياض الامير سلمان بن عبد العزيز .. ومن قطر جاء ابناء آل ثانى ..

كل منهم جاء على راس فريق من بلاده ليرفع من معنوياته فى مباريات دورة كاس الخليج الثالثة لكرة القدم ، التى بدات على ارض الكويت من منتصف شهر مارس (آذار) حتى نهايته ..

ست فرق تتنافس

ودورة الخليج تعقد كل سنتين مرة ، بدات لاول مرة فى البحرين عام ١٩٧٠ بحضور اربـــع فرق للدول التى تطل على مياه الخليج العربى ، وهى : السعودية ، البحرين ، قطر ، الكويت .. وبعد عامين عقدت الدورة الثانيــــة فى الرياض بحضور خمس فرق رياضية ، اذ انضمت دولة الامارات الى الفرق الاربع السابقة .. وبعــد عامين اى فى عام ١٩٧٤ اقيمت هذه الدورة الثالثة على ارض الكويت وانضمت اليها سلطنة عُمان فاصبح عدد هذه الفرق المشتركة ستا .

وكان الفوز فى دورة البحرين والرياض من نصيب فريق الكويت ، الذى فاز بالكأس الفضي الكبير ودرعَىّ البطولة والمداليات الذهبية .. وفى كل مرة كان يعود فيها فريق الكويت الى بلاده حظى باستقبالات شعبية ورسمية قل أن حظى بها فريق من قبل ..

وعود ورابطات للتشجيع

وحز هذا الفوز المتكرر فى نفوس فرق الخليج ، فجاءت الى دورة الخليج هذا ، بعد استعدادات

وتمرينات استغرقت أكثر من عام ، كانت متحفزة لفريق الكويت،تحاول ان تثأر من هزائمها المتتالية على يديه ..واجزل المسئولون الوعود لفرقهم في حالة فوزهم .. سيارة لكل لاعب ، وهدايا عينية وحفلات تكريمية و .. و ..

ومع كل فريق وصل الى الكويت ، جاء فريق اخر مساعد" اطلقوا عليه اسم : رابطة المشجعين .. ورؤساء كل « رابطة » يتمتعون بامتيازات تكاد تعادل امتيازات فريق الكرة ، تصرف لهم تذاكر سفر مجانية ، ويقيمون في الفنادق ، وياكلون ويشربون وينامون على حساب حكوماتهم .. كل هذا مقابل احداث اكبر ضجة ممكنة بالدفوف والطبول والميكروفونات والمزامير والهتافات لتشجيع فريقهم !

العمل بصمت

ولم يكن هذا التحدى الرياضي خافيا على فريق الكويت ، الذى كان يستعد بصمت وعزم .. ولاختبار مدى قدرته على مواجهة التحديات ، جلب اتحاد كرة القدم الكويتى ، عدة فرق خارجية ، من المغرب ومن البرازيل ومن رومانيا ، لتلعب مع الفريق الاهلى الكويتى قبل دخوله مباريات دورة الخليج .. وفي نفس الوقت وعد سمو ولى العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح ، اعضاء الفريق باكمله مع اداريه ومدربيه ، بالسفر على نفقته والاقامة في ميونيخ لمشاهدة مباريات كرة القدم على كاس العالم .. في حالة فوزهم بكاس دورة الخليج الثالثة .

تشجيع الرياضة وصل الى الذروة

لقد وصل تشجيع الرياضة والرياضيين في دول الخليج الى الذروة .. وقد سبق ان نشرنا في العددين ١٢٦ و١٨٥ من العربى استطلاعين عن الاندية الرياضية ورعاية الشباب في الكويت ، ونزيد عليها فنقول : انفقت الحكومة الكويتية في العام الماضي ٢٢ ألف دينار ثمنا لملابس وادوات رياضية لتلاميذ المدارس فقط ! ومع ذلك نجد ادارة التربية البدنية تطالب برفع هذا المبلغ الى ٣٣ الف دينار للسنة الحالية ١٩٧٤ .

وفي مدارس الكويت الحكومية ـ وعددها ٢٨٧ مدرسة ـ يتولى ٨٧٣ مدرسا ومدرسة متخصصين تعليم" الالعاب الرياضية لطلبة المدارس وعددهم ١٧٠ الف طالب وطالبة .

اما الاندية الرياضية فوصل عددها في الكويت الى ١٤ ناديا ، تقدم الحكومة لكل منها ٢٨ الف دينار اعانة سنوية ..

تنويع الالعاب الرياضية

وفي العام الماضي عندما ادرك المسئولون عن الرياضة ان نشاط الاندية الكويتية يكاد يكون مقصورا على كرة القدم ، سارعوا بعرض الامر على سمو ولى العهد ، الذى عمد الى تقديم كاس فضى و ٦٠٠٠ دينار جائزة تقدم للنادى الذى يحصل على اكبر مجموعة نقاط في جميع الالعاب الرياضية .. بمعنى أن الفوز في كرة القدم اصبح له نقطة واحدة ، مثله في ذلك مثل الفوز في مباريات كرة اليد و « الجودو »

الكرة تتصدر موكب الزهور في المهرجان الشعبي الكبير الذى شهده نحو ٥٠ الف شخص .



« بسم الله الرحمن الرحي
نعلن افتتاح دورة كاس الخلي
العربي الثالثة لكرة القدم
متمنين للجميع النجا
والتوفيق » ، بهذه الكلما
افتتح سمو امير الكويت الشي
صباح السالم الصباح ، دور
الخليج ، ثم سلم علم الدور
الى السيد أحمد السعدو
رئيس اللجنة المنظمة ، يحيط
به كبار المدعوين (الصور
اليسرى) وبعد رفع العلم
اصطفت الفرق الرياضية الت
على ارض الملعب بأعلامه
(الصورة السفلى) مرددة
قسم الدورة : « **اقسم بالله**
العظيم ان اشترك في هذه
الدورة بروح رياضية وان اتنافس
مع زملائي تنافسا شريفا ، والله
على ما اقول شهيد .. » وف
نفس الوقت كانت الزهرا
يحملن الزهور ويهتفن مرحبات
(الصورة اليمنى) .. ثم
اشترك ٤٢٥ طالبا في تقدي
العاب منها القفز على الترمبولين
(الى اليسار)



(المصارعة اليابانية) والاسكواش وغيرها ...

ونتيجة لهذا القرار بدأت الاندية تتخاطف لاعبي التنس وكرة السلة وكرة اليد والسكواش .. ولاول مرة نفضت وزارة التربية الغبار عن معدات لعبة الشيش التي ظلت مهملة في مخازنها منذ ١٥ عاما لا يفكر احد في اخراجها او اللعب بها.

ووصل الأمر الى حد التشابك السياسي مع الرياضة ، فالشخص الذي يريد البروز في الميدان السياسي ، يمكنه أن يبدأ طريقه من ميدان الرياضة : يفوز في انتخابات الاندية والاتحادات واللجنة الاولمبية .. وبعدها يصبح باب المجالس السياسية مفتوحا واسعا امامه ..

عيد الشباب

وانطلاقا من هذه المفاهيم لم يكن مفاجئا ان تستأثر دورة كأس الخليج الثالثة لكرة القدم بهذا الاهتمام الذي فاق كل تقدير ، عاشت خلاله الكويت" عيد" الشباب ، ومهرجان لقاء ابناء الخليج العربي ، واستمرت الاحتفالات ١٥ يوما كاملة لم تشهد الكويت لها مثيلا من قبل ..أفواج من البشر تباعا الى البلاد بالطائرات وقوافل السيارات ، قدروا عددها باكثر من ٢٠ الف نسمة ، امتلات بهم فنادق الكويت السبعة عشر ، ذات الـ (١٩٩٠) سرير ، واضطرت ادارة رعاية الشباب في الكويت الى طلب المعونة من الجيش ، فاخذت منه الف سرير و ٤٥٠ خيمة كبيرة نصبتها في حديقة بيت الشباب وفي استراحة الحجاج لينزل فيها من لم يجد مكانا في الفنادق !!

الاعلام الداخلي يتحرك

وقبل افتتاح الدورة كان كل شيء معدا لنجاحها اعلاميا ، وكان على رأس لجنة الاعلام ، الاستاذ محمد السنعوسي مدير تلفاز الكويت ، وكانت اجتماعات لجنة الاعلام متتالية .. ومع افتتاح الدورة شهد الناس لاول مرة في الكويت البرامج تبث بالالوان من الملاعب مباشرة .. وكانت مدة البث الملون ساعتين ونصف ساعة يوميا ، فاقبل الناس على شراء أجهزة التلفاز الملون ، حتى بلغ ما بيع منها في خلال العشرة ايام الاولى من الدورة نحو ١٠ الاف جهاز .. فارتفع بذلك عدد أجهزة التلفاز ، الملون والابيض والاسود ، الموجودة في منازل الكويت الى نحو ١١٠ الاف جهاز !!

ومع كل صباح تصدر مجلة ملونة انيقة في ١٦ صفحة ، تحمل كل اخبار الدورة ، الى جانب المجلتين الرياضيتين الاسبوعيتين اللتين تصدران بانتظام في الكويت .. وادركت الصحف اليومية الخمس التي تصدر في الكويت اهمية الدورة ، فزادت ٤ صفحات يومية على صفحاتها لأخبار الدورة !

وفي مساء كل يوم كان يقام مهرجان" ، او حفل تكريم للفرق المشتركة ، وبلغت المهرجانات ذروتها يوم ٢٥ مارس عندما اجتمع نحو ٥٠ الفا من سكان الكويت وزوارها ، على كورنيش الخليج يشهدون الاستعراضات الجميلة الرائعة التي ادتها قوات رمزية من الجيش وسلاح الطيران ، كما اشتركت المؤسسات الخاصة والحكومية في موكب سيارات الزهور .. ولم يترك الفنانون الفرصة فقدموا الرقصات والاغاني الشعبية .. واخيرا جاء اطلاق الصواريخ والالعاب النارية الجميلة لمدة نصف ساعة ، كانت ختاما لتظاهرة فنية شعبية رائعة شهدتها الكويت لاول مرة ..

غيرة

ولكن هذا الاهتمام الكبير بالرياضة والرياضيين اثار غيرة" وحساسية زائدتين في الكويت ..فمنطقة كيفان التي اقيم فيها استاد الدورة شهدت تحسينات عمرانية كبيرة ، من شق وتعبيد وانارة للعديد من الطرق ، مما جعل سكان المناطق الاخرى مثل الشامية والعديلية والروضة يحتجون على اختيار منطقة كيفان وليست منطقتهم لاقامة الاستاد !.

الادباء يشتكون

ولم يستطع بعض الادباء السكوت على هذه العناية الزائدة بالرياضة ، فخرجت مجلة البيان الرصينة التي تصدرها رابطة الادباء في الكويت بافتتاحية ثائرة تحمل عنوان :

« وباء يجتاحنا اسمه الرياضة ! »**قالت فيه :** « هذا العبث الذي يحدث الآن في الكويت قد طغى على كل شيء ، واصبح يستحوذ على اهتمام كل الناس ، وتقوم الدولة بتقديم كل ما تستطيع



تحت اضواء الصواريخ والالعاب النارية سلم سمو نائب أمير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كأس الدورة الى فريق الكويت ، وبهذا اصبح الكأس ملكا للاتحاد الكويتي لكرة القدم ، بعد أن فاز فريق الكويت الاهلى بالكأس ثلاث مرات ..

من عون مادى ومعنوى الى محبى هذه الرياضة .. حتى مشاهدة التلفاز أصبحت أمرا لا يحتمل، فقد طغت المباريات الرياضية على معظم ساعات الارسال .. وصار الانسان يظن أن لا شيء يشغل الامة ويهمها سوى هذه الرياضة التى متهما يتحدثون .. »

حتى المرأة ثارت

ولم تستطع السيدة فاطمة حسين أن تتحمل هى الأخرى هذا الوضع فكتبت تقول : « لا املك الا ان احنى رأسي امام غرام ابنائنا بلعبة كرة القدم ، واحنيه ، واحنيه اكثر واكثر امام عشاقها ، ولكن ان تصاب البلاد وأجهزة الاعلام بالشلل من أجل الكرة ، فهذه فى نظرى مصيبة !!

« قبل مدة وجيزة عقدت فى الكويت ندوة فكرية لدراسة السياسة الاستثمارية للدول المنتجة للنفط لم تحظ الا بدقائق من الاشارة السطحية جدا .. وحاليا تقف البلاد كلها أياما على قدم وساق لاستقبال أبطال الكرة .

« خوف كبير من أن تهرب العقول من الرؤوس وتستقر فى الاقدام ، وتتحول الى شعب لا يعشق ولا يجيد الا ركل الكرة ! » .

الرياضة ترد

ورد الاستاذ فيصل عيسى مطر مدير ادارة التربية البدنية والكشافة بوزارة التربية على هذا الكلام قائلا : « الرياضة ليست وباء ، بل ان الاوبئة تنتشر عندما تنعدم الرياضة ، ولم تكن تتصور أنه يوجد شخص يجهل ذلك . ان الرياضة والحضارة متلازمتان تلازما وظيفيا .. فأينما وجدت حضارة كانت الرياضة مظهرا من مظاهرها .

« حتى الفيلسوف البريطانى برتراند راسل قال : « ان العقل الانسانى موجود داخل جسم اى أن الجسم وعاء للعقل ، فاذا كان الوعاء غير سليم فان ما فيه يتعفن .. » .

« ولنقف عند هذا الحد لنقول ان ما يقولونه من وجود ميزانية ضخمة للدورة لا تتعدى ٨٠ الف دينار ، هذا المبلغ الذى صرف على الدورة ،



الى اليمين : اللوحات الخلفية الحية : كانت من اجمل ما قدم في حفل افتتاح دورة كأس الخليج ، وقد اشترك في تأديتها ١٣٥٠ زهرة ومرشدة ، استغرق تدريبهن ثلاثة شهور لتقديم ثماني لوحات خلفية حية ترحب بسمو امير البلاد ، وبالضيوف الكرام .

الى اسفل : رابطة المشجعين .. مع اغلب الفرق التى اشتركت فى الدورة جاءت مجموعة من المشجعين .. وقبل مباراة (عمان ــ قطر) وصلت الى الكويت طائرة خاصة من قطر تحمل عددا كبيرا من المشجعين ، حضروا المباراة وشجعوا فريقهم ثم عادوا فى نفس الليلة الى بلادهم بالطائرة ! اما ابناء السعودية الذين قدموا لتشجيع فريقهم فقد قدروا عددهم بأكثر من ١٠ آلاف مشجع !

التلفاز الملون .. دخل الكويت مع حفل افتتاح دورة كأس الخليج الثالثة .. وكان يبث برامجه الملونة يوميا لمدة ساعتين ونصف تقريبا ، وبعد انتهاء الدورة انخفضت مدة البث الى ساعة واحدة فقط .. وفي الصورة احدى العائلات الكويتية تشهد المباراة على الشاشة الملونة ..

الى أسفل : بلغ مجموع الاهداف التي سجلت خلال الدورة ٣٠ هدفا .. وكانت الكويت الدولة الوحيدة التي لم تدخل الكرة الى شباكها .. اما هدّاف الدورة الذي سجل أكبر عدد من الاهداف فكان جاسم يعقوب وقد سجل ٦ أهداف أثناء المباريات ..



كان قليلا اذا قيس بما يصرف على الدورات في البلاد المتحضرة ، وسبب ذلك اننا ما زلنا بلدا ناميا ، وعندما نصل الى مصاف الدول ذات الحضارة المزدهرة سوف لا تكفي الملايين لمثل هذه الدورة .. »

ولم تستمر هذه المعركة الجانبية طويلا ، فقد اجتاحها طوفان نجاح الدورة ، التي انقلبت الى اول تجمع خليجي شعبي رائع ، تلاحمت فيه القلوب والنفوس، ولمس كل فرد مدى تقدم اخيه، وانتهز الرسميون الفرصة فعقدوا اجتماعات فرعية جانبية مع المسئولين الكويتيين .

الحظ يتخلى عن فريق البحرين

اما عن النتائج الرياضية للدورة ، فقد ظهر فريق سلطنة عمان لاول مرة على المسرح الرياضي العربي ، كان يعرف مقدما أن لا امل له في الفوز .. لكنه جاء ليحتك بالفرق الشقيقة ، فلعب مكافحا ولكن دون نتائج كبيرة ..

وفريق البحرين كان مرشحا ليصبح « مفاجأة الدورة » مع احتمال فوزه بالكاس .. الا أن « الحظ » لم يساعد الفريق فاصيب مرماه اصابات متعددة ، جعلت عضو المجلس الوطني البحريني الشيخ ابراهيم سلمان الخليفة يقول لجريدة الملاعب :

« عند عودتي الى البحرين سأطالب المجلس الوطني باجراء تحقيق مع مسببي الهزيمة .. ومن ثم سأطالب بتنظيم الرياضة في البحرين .. »

لقاء تاريخي

اما فريق دولة الامارات ودولة قطر ، فقد لعبا بعناد ولكنهما لم ينجحافي التغلب على الفريقين الرئيسيين : فريق المملكة العربية السعودية ، وفريق دولة الكويت ، اللذين تصدرا المجموعتين ا و ب وتقابلا يوم الجمعة ٢٩ مارس في لقاء تاريخي على أرض نادي الكويت .

كانت المدرجات مكتظة بالمشاهدين ، الاف والاف من ابناء السعودية جاءوا في الطائرات وقوافل السيارات ليشهدوا هذه المباراة .. وامتلأت المدرجات منذ الصباح بالمشاهدين ، واعلنت حالة الطوارىء بين الشرطة والجيش لحفظ النظام ..

وما كادت المباراة تبدأ حتى اصيب الناس بالذهول ، ففي الدقيقة الاولى سجل فريق الكويت الهدف الأول في مرمى السعودية .. وكأنما تيار كهربائي مس الجمهور فانطلق يهتف ويصفق ويغني ويصرخ ..

وقدم الفريقان عرضا شيقا رائعا ، ولكن منتخب الكويت كان يلعب بحماس غريب ، كان مسيطرا تماما على الملعب ، وكأنه يلعب عشر مباريات في مباراة واحدة ، وهذا جعل مهمة دفاع السعودية شاقة جدا ، فانهالت الاصابات المباشرة في مرماه، حتى بلغت في مجموعها اربعة اهداف .. ولم يسجل اى هدف في شباك مرمى الكويت منذ بداية الدورة .. وكانت هذه المباراة النهائية اشبه بسيمفونية رائعة تشرف كرة القدم في الخليج العربي ، وفي الوطن العربي ..

الى اللقاء

وتحت اضواء الصواريخ وعلى اصوات الهتاف والزغاريد سلم سمو نائب امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كاس الدورة والمداليات الذهبية الى فريق الكويت .. ونال الفريق السعودي المداليات الفضية ، والفريق القطري المداليات البرونزية ..

وانزل علم الدورة من فوق السارية المرتفعة ، وقدمه الاستاذ احمد السعدون رئيس اتحاد كرة القدم الكويتي ، الى زميله رئيس اتحاد الكرة القطري ، ليحتفظ به حتى بداية دورة الخليج الرابعة لكرة القدم التي ستقام في عام ١٩٧٦ في مدينة الدوحة عاصمة قطر ..

وبانتهاء دورة الخليج بدأت الوفود الرياضية تعود الى اوطانها ، بينما انطلقت مظاهرات الفرح تجوب شوارع الكويت .. وفي اليوم التالي بدأت الحياة تعود الى طبيعتها .. وبدأ الناس ينامون على صوت الموسيقى بعد ان ظلوا ينامون طوال ١٥ يوما على صوت المذيع يخبرهم بأن : « الكرة مع حمد .. وشاطها لكميل .. أعطاها لجاسم .. ودش بها منطقة المرمى .. وشاط .. جول .. .. جول .. جول !! »

■■

سليم زبال

نتيجة مسابقة العدد ١٨٣

المغرب العربي يشترك في المسابقة

■ دارت مسابقة العدد ١٨٣ من « العربي » على اسئلة في المعلومات العامة، في شتى ميادين المعرفة، ولاول مرة تتاخر نتيجة مسابقة العدد شهرين ، كي يتمكن القراء في مغربنا العربي أن يرسلوا اجابات المسابقة خلال هذه المدة ، وكذلك قراء بعض الدول التى تصل « العربي » الى اسواقها متاخرة عن موعدها المحدد . واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ بانضمام موريتانيا ارتفع عدد دول الجامعة العربية الى ١٩ دولة .

٢ ـ بختنصر الذى فتح فلسطين كان ملكا على بابل .

٣ ـ نهر الكونغو يصب في المحيط الاطلسى .

٤ ـ بوابة براندنبرج تقع في برلين .

٥ ـ زائيرى كانت تعرف باسم كنغو ليوبولدفيل .

٦ ـ جائزة اوسكار تمنح لنجوم السينما .

٧ ـ جبل طارق استمد اسمه من اسم القائد طارق بين زياد .

٨ ـ اللورد هوارد كارتر هو الذى اكتشف قبر توت عنخ امون .

٩ ـ اكبر الحيوانات حجما هو الحوت الازرق .

١٠ ـ صدر العدد الاول من « العربي » في اول ديسمبر ١٩٥٨ .

١١ ـ حضارة الفراعنة في مصر سبقت الاخريات في الظهور .

١٢ ـ مدينة كييف الروسية تقع على نهر الدنيبر .

١٣ ـ المصلح المصرى الكبير الذى اشتهر بانه محرر المراة هو قاسم امين .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **مقران محمد** ـ الرباط ـ المغرب .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **قاسمى عبد الرحمن** ـ الجزائر .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **زينب محمد طاهر** ـ الخرطوم ـ السودان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **حسن محمد سليم عبد الهدى** ـ بيروت لبنان .

٢ ـ **محمد سالم السبهان** ـ الرياض ـ السعودية

٣ ـ **سوسن على زايد** ـ عمان ـ الاردن .

٤ ـ **عبد الله على زاهد** ـ الاحمدى ـ الكويت .

٥ ـ **سامح جابر السحرى** ـ القاهرة ـ مصر .

٦ ـ **نجيب عبد الاحد** ـ بغداد ـ العراق .

٧ ـ **محمد بدران** ـ طرابلس ـ ليبيا .

٨ ـ **شمس الخطابى** ـ جنيف ـ سويسرا .

وسترسل الجوائز لاصحابها . ■■



« تعاليم روسو هي الاساس الذى بنيت عليه كل التطورات التربوية فى القرنين التاسع عشر والعشرين » .



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ كان خلق روسو Rousseau مزيجا غريبا من القوة والضعف ، ومن الحق والباطل ، ما هو جذاب وما هو كريه . ولذلك كان لا بد من ان ندع جانبا كل التحيزات المتعلقة بروسو نفسه وبالاسلوب الذى عبر به عن افكاره لكي نستطيع قدر افكار الرجل وغاياته حق قدرها ، ولكي نتعرف على الحركة الفكرية الاجتماعية التي تدين لروسو باعظم ما في تعاليمها من قيم . وهذا التحفظ يصبح اكثر ضرورة حين نحاول بحث اثر تعليماته فى التفكير التربوى . لقد كان روسو يملك قدرة عجيبة على وضع الافكار فى القوالب الكلامية وضعا غريبا فى تحقيقها العلمى. ان بضاعته الفكرية هي البصيرة النيرة وعطفه الشديد وقلة معارفه الصحيحة وجموح قواه العاقلة . ولذلك فقد انحصر عمله فى منح الافكار التي سبقه اليها غيره قوة لم يستطيعوا منحها اياها مما جعله واحدا من اعظم العوامل القوية فى التاريخ حتى لقد قال نابليون بان الثورة الفرنسية لم تكن ممكنة الحدوث لولا روسو . لقد كان اول من بشر بالانسان العادي وطالب بحقه فى التربية وقال بان هذا حق من حقوقه يوم يولد . ولقد كانت الثورة التربوية التي خلقها اعظم من اى عمل قام به اى فرد او جماعة من المربين .

نشأته

ولد (جان جاك روسو) سنة ١٧١٢ فى جنيف وقد كانت مشهورة فى ذلك الحين بنشاطها الفكرى وقوتها الاخلاقية ، ولقد كانت تسود تلك المدينة رغبة فى الحياة الاخلاقية وصفاء العلاقات الاجتماعية وبساطة النظام الاجتماعى وحرية الحكم مما كان يناقض بذخ باريس حيث قضى روسو حياته ، فيما بعد ، وتصنعها وتهتكها.

لقد كانت حياته الاولى حياة واسعة متحررة ، فقد تعلم القراءة والكتابة وهو حدث ، فقضى سنيه الاولى في التهام القصص الغرامي فاثار هذا عواطفه والهبها وجعل من العسير على تربيته التى تلقاها فيما بعد خلق اى تغيير اساسي فى خلقه الاول . وفى الثانية عشرة من عمره حاول تعلم حرفة ما فلم يتعلم ، على ما يقول هو ، الا الكسل والغش والخداع . وبعد سنوات اربع انتهى امره الى التشرد بكل معانيه وبقي على هذا الحال سنوات طويلة فوت هواه للطبيعة ومعرفته بها ، وبقيت العواطف والاهواء والحواس قائده فى هذه الحياة ، حتى لقد كان لا يطمع فى اكثر من وجبة طعام تامة وزجاجة خمر فى ضيافة راهب اعاده فيما بعد الى حظيرة

البروتستانتية مما كان له الاثر العميق في حياة روسو .

مثل روسو استقاها من حياته

وما يهمنا هنا هو ان نشير الى ان مثثل روسو التربوية العليا صدرت عن حياته الخاصة ، ففي حياته ونظرياته كان للعواطف لا للعقل المحل الاول . كما كانت غرائزه والميول الطبيعية تعد اكثر اهمية . وقد دلته خبرة حياته على ما بشر به من ان الافكار الاخلاقية والدينية لا يمكن ان تنمو خلال سني الطفولة الاولى وان من الواجب استخلاصها من العلاقة بالطبيعة لا بالكتب او عن طريق التعريف ، وان النمو الصحيح انما يكون بالقضاء على كل العوائق التي قد تقف في وجه الميول الطبيعية مانعة اياها من الانطلاق .

ثورة على البناء الاجتماعي قرب الاربعين

ولما قارب الاربعين سيطرت على حياته فكرة عظيمة كانت متنفس عواطفه ومعتقداته ، تلك كانت فكرة الثورة على البناء الاجتماعي في فرنسا وفي غيرها . تلك الثورة التي كانت بدء عهد جديد في التربية حين تسربت اليها . لقد كانت فكرته بسيطة وهي اليوم شائعة ولكنها لم تكن كذلك حين قال بها هو ، ونعني بها ما يلي :

السعادة والرفاه حق طبيعي لكل فرد وليسا وقفا على حفنة من المحظوظين من طبقة معينة ، وقد وجد التنظيم الاجتماعي والتربية المشروعان لتحقيق هذه الامنية .

ثم اضاف لهذا فكرته الاساسية التي يمكن اعتبارها الفتيل الذى يفجر القنبلة وذلك في قوله بان العلم والفن والحكومة والتربية المعروفة في زمانه تمنع تحقيق هذه الغاية ولذلك فالواجب هو القضاء عليها .

نظرية الحالة الطبيعية عند روسو

وقف روسو سنة ١٧٤٩ صدفة على موضوع طرحه مجمع مدينة ديجون Dijon للبحث فتحمس للجواب عليه بعد ان (الهم) جوابه ، على حد تعبيره . اما السؤال فقد كان التالي : « هل ساعد احياء العلوم على تنقية الاخلاق ؟ »

وقد دافع جواب روسو الذى نال الجائزة الاولى عن الوجهة السلبية معبرا عما سماه بالحالة الطبيعية . وقد كانت هذه الفكرة موضع بحث في ذلك الحين ، بل ان الكثيرين سبقوا روسو الى ما قاله بخصوصها ، ولكن روسو بز اقرانه باللهجة العاطفية التى استعملها في مقاله وباسلوبه الجميل الذى اقنع الناس فكان له شرف اقناع الشعب بفكرته . والحق ان روسو لم يزد على ان صور حياته الاولى في جنيف تصويرا جميلا مثاليا . لقد كان لحياة روسو التى يشبهها هو بحياة الابتدائيين وجه سيىء تتصف به حين يكون في اسوأ حالاته فيكون كاذبا ، كافرا ، نماما ، سارقا ، مستهترا ، قاسيا ، جبانا ، انانيا ، اما وجهها الخير فيتجلى حين يكون روسو عفويا ، بسيطا ، سعيدا ، قانعا ، نشيطا ، شريفا . وهو في ذلك كله مخلص للحياة ، فاذا قارنا هذا كله بحياة المجتمع الباريسي الشكلي السطحي وغير الانساني وجدنا فيه ، على رأى روسو ، كثيرا من الميزات التي ترجحه . ان قلة جاذبية الحياة الطبيعية ناجمة عن سفسطائية الحياة الاجتماعية في ذلك الحين ، اما قوة نظرية روسو فمصدرها الاعتراف بان قيمة الفرد تتعلق بكفاياته هو واعتبارها المحبة قانونا عاليا وولعها بالتحرر من الظلم والاستبداد والتقاليد الفاسدة .

كتابه « العقد الاجتماعي »

ولقد كان مقال روسو الثاني « اصل عدم المساواة بين الناس » وصفا خياليا للحالة الاجتماعية عند الابتدائيين ، وقد كانت فكرة هذا المقال هى التى قادت روسو الى كتابة (العقد الاجتماعي) المشهور الذى اشتمل على النظرية الاساسية للثورة الفرنسية واعلان الاستقلال الامريكي . وفي هذا الكتاب يقول روسو ان الحكومة (عقد) بين افراد الشعب ، بواسطته تعطى صلاحية الحكم لبعض الافراد في حين يقدم هؤلاء بعض الخدمات مقابل ذلك . وهكذا فالحكومة التى قامت على الاتفاق يمكن حلها حين لا يتفق الطرفان.

ومما تجب ملاحظته هو أن الفكرة (الحالة الطبيعية) قد عدلت في (العقد الاجتماعي) فلم تعد الحياة المثالية هى حياة المتوحشين ولكنها الحياة في مجتمع منظم تحت حكم الشعب وحيث تسود رغبات الشعب . ويكرس مثل هذا المجتمع نفسه لايجاد حياة مثالية فلا يقضى على(الانسان الطبيعي) ولا تضيع الحرية ولا تنمو فنون المجتمع (المهذب) وعلومه .

وكما ان نظرية تحرير الانسان العادي تجد اصولها في تعاليم روسو فان نظريات التربيـــة الكبرى التي تحرر الطفل تجد اساسها في كتاباته. وكما ان (العقد الاجتماعي) يحتوي على بذور الثورة الافرنسية فان كتاب (اميل) يحتوي على بذور فكرة (طرائق الاطفال) والمدرسة الابتدائية الحديثة والفكرة العصرية في التربية بكاملها .

كتابه اميل EMILE والتربية حسب الطبيعة

يصف روسو في هذه القصة الطويلة تربية الاطفال المناسبة لمجتمعه المثالي وذلك بعد ان يؤخذ الطفل من اهله ومن المدرسة فيعزل عن المجتمع ويوضع بين يدي معلم مثالي يربيه في احضان الطبيعة بجمالها وعجائبها .

وفي هذا الكتاب يتحدث روسو عن طريقته في (التربية حسب الطبيعة)

معان ثلاثة لكلمة طبيعة في كتاب اميل

يبسط روسو مبداه الرئيسي في الجملة الاولى من الكتاب فيقول « كل شيء خير حين يخرج من بين يدي خالق الطبيعة ولكن كل شيء يفسد بين يدي الانسان » . ومع ان روسو لا يثابر على استعمال كلمة (طبيعة) بمعنى واحد صريح فان واحـدا من معان ثلاثة يمكن ان ينسب لهذه الكلمة حين يستعملها روسو .

المعنى الاول الاساسي لكلمة طبيعة في كتـاب اميل هو المعنى الاجتماعي فهو يرينا في (العقد الاجتماعي) امكان بناء حالة من الثقافة العالية على مبدا سياسي أصدق وبالتالي امكان نشـوء نوع من الحياة الاجتماعية اسمى من حياة القرن الثامن عشر الاجتماعية . ان الانسان الطبيعي ليس الانسان المتوحش ولكنه الانسان الذي تحكمه وتوجهه قوانين طبيعته الخاصة . وهذه القوانين انمـا تكتشف بالبحث شانها في ذلك شان قوانين اي جزء من أجزاء الطبيعة .

والمعنى الثاني لكلمة (طبيعة) هو ان الاحكام الغريزية والعواطف الابتدائية والغرائز الطبيعية والانطباعات الاولى يمكن الوثوق بها كقاعدة للعمل اكثر من التامل والتجربة التي تتكون عن طريق الاتصال بالآخرين . يقول روسو : « ان ما اسميه طبيعتنا هو استعداداتنا قبل ان يطرا عليها تغيير عن طريق عادات التفكير والمحاكمة التي نقتبسها من غيرنا » . ولذلك فان روسو يهاجم العـادات في التربية قائلا : « العادة الوحيدة التي يجب ان يسمح للطفل بتكوينها هي عدم التعود بتاتا » .

والمعنى الثالث لكلمة (طبيعة) هو الطبيعة غير الانسانية ، فالتربية السيئة التي يكون مصدرها الانسان لا بد من تعديلها عن طـريق الاحتكاك بالحيوانات والنباتات وحوادث الطبيعة وقواها احتكاكا جريئا مخلصا . لقد كان روسو يعشق الطبيعة ، والى تعاليمه يعزى الفضل في الحركة الادبية التي عشقت الطبيعة والتي سادت أوروبا. ولقد كان روسو يقول : « المدن مقابر البشر » .

التربية السلبية

لقد كان المفهوم السائد عن الطبيعة الانسـانية عامة وطبيعة الطفل خاصة ، المتفق مع التعاليم الدينية والتربوية في ذلك الحين يخالف مفهـوم روسو مخالفة تامة . لقد كان المتفق عليه ان طبيعة الانسان شريرة في الأصل وان غاية الدين والتربية هي القضاء على الطبيعة الاصلية واستبدالها باخرى يصوغها المربي ، لكن روسو خالف هذه الفكرة بالمبدا التالي : « يجب ان تكون التربية الاولى سلبية محضة تنحصر لا في تعليم مبادىء الفضيلة والحقيقة ، بل في تجنيب القلب مزالق الاثم والنفس مهاوي الزلل » . وقد قال روسو بأن مصدر تربية الطفل هو النمو الحر لطبيعته الخاصة وقواه الذاتية وميوله الطبيعية وان من الواجب عدم الوقوف في وجه ارادته .

التربية من السنة الاولى حتى السنة الخامسة

زبدة تعاليم روسو التربوية لهذه السن هي احتجاجه على القماط المستعمل في لف المواليد والضغط على حرية الطفل وقسره على قضاء وقته داخل البيت ومحاربة ميوله الطبيعية ورغبـاته وعقابه قبل ان يتكون لديه مفهوم الخطا والصواب والثواب والعقاب . وهو يسرف في امتداح حياة الريف والحرية الرياضية والالعاب . أما نمو الطفل العقلي والاخلاقي في هذا العمر فلا يحتاج الا الى انتباه قليل .

التربية من الخامسة الى الثانية عشرة

« ادق مراحل الحياة البشرية ويجب أن يتحكم بها مبدآن :

أولهما وجوب كون التربية سلبية ، وثانيهما وجوب التدريب الاخلاقي عن طريق النتائج الطبيعية ويجب عدم القيام باي شيء مما يكون نفس الطفل او يقحم فيها المبادىء خلافا لما هو مألوف من اعطائه مختلف الافكار . للطفولة غاياتها الذاتية وانما تريد الطبيعة أن يكون الاطفال اطفالا قبل أن يصبحوا رجالا فلا حاجة لان يتعلم الطفل القراءة مع انه قد يحاول ذلك هو نفسه . » يقول روسو « رب الجسد والاعضاء والحواس والقوى ، ولكن دع الروح مستريحة اطول مدة ممكنة » .

التربية من الثانية عشرة حتى الخامسة عشرة

في هذه الفترة من الحياة تزيد قوة الفرد على حاجاته ، وبما أن النتيجة العامة للتدريب العقلي هي زيادة الحاجات دون تنمية القوى اللازمة لتلبية هذه الحاجات ، فانه يمكن الاستفادة من هذه الفترة في الحصول على أكثر ما يمكن من معلومات ، ولكن الاشياء ذات القيمة الحقيقية التي يجب تعلمها قليلة العدد والفضول ـ ذلك التحمس للمعرفة الذي يصدر عن الرغبات الطبيعية لا عن الرغبة في احترام الناس ـ هو الدافع الاهم والدليل الوحيد . اما مقياس المعرفة ففائدتها العملية .

وقد تعلم الصبي اميل ، في جملة ما تعلم ، صناعة « لا من أجل تعلم الصناعة فقط بل من اجل عدم احتقارها » . ويلح روسو على اهمية العمل اليدوي والنشاط الصناعي في التربية .

التربية من الخامسة عشرة الى العشرين

لقد تكون جسد أميل وحواسه ودماغه حتى الآن ولذلك فقد حان الوقت للعناية بقلبه . لقد ربي الطفل حتى هذا الوقت لنفسه وبنفسه ، اما الآن فقد جاء الوقت لتربية الشاب تربية تمكنه من العيش مع الآخرين وتعويده العلاقات الاجتماعية ولذلك فمحبة الاخرين هي الآن الدافع الذي يضبط توجيهه ، كما أن الهدف هو الكمال الاخلاقي والنمو العاطفي .

ويشبه روسو الى الاهمية البالغة لسن الرشد في التربية فيقول : « في هذه المرحلة تنتهي التربية عادة ولو اردنا الدقة لوجب ان تبدأ الآن » .

أثر روسو في التربية الحديثة

كانت النتيجة المنطقية لنظريات روسو التي المعنا اليها فيما سبق اعتباره التربية عملية حياة ، عملية تدوم مدى الحياة ، أو على الأقل من الولادة الى نهاية الرشد ولذلك فمعناها لا ينحصر في دور خاص او حالة مستقبلة ، بل في العملية ذاتها . وفي رأي روسو ان التربية ليست عملية اصطناعية قاسية عدائية معاكسة لكل ميل طبيعي تجعل من الطفل ، الذي تعتبره رجلا صغيرا ، راشدا كبيرا على يد معلم قاس . ولكنها ، على العكس ، عملية نمو لذيذة متناسقة متزنة مفيدة لانها تسمح للقوى الطبيعية أن تجري في مجراها . والتربية لا تحقق هدفها حين تجعل الطفل يعيش حياة الراشدين بل حين نسمح له ان يعيش حياته اليومية وفق ميله الطبيعي وما يستتبعه من واجبات مشروعة ورضى مناسب . ويستتلي هذا تبسيط العملية التربوية الى اقصى حد ممكن . ويستأثر روسو بشرف استخلاص النظريات التربوية ـ في عالمنا الحديث ـ من طبيعة الطفل . واذا كان من المقبول القول بان معرفة روسو بحياة الطفل وطبيعته كانت ضحلة وان عطفه على الطفل لم يكن الا عاطفية محضة لم تأخذ قط شكل التطبيق العملي فانه صحيح أيضا أن التربية تجد للمرة الاولى هدفها وعملياتها وطرقها في حياة الطفل ذاته وفي خبرته . ان أصل اصلاحات بستالوتزي Pestalozzi وهربارت Herbart وفروبل Froebel وغيرهم موجود في تعاليم روسو الذي تشدد في القول بان العطف على الطفولة يجب ان يكون جوهر كل عمل تربوي .

ان تعاليم روسو هي الاساس الذي بنيت عليه كل التطورات التربوية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، من بستالوتزي الى ديوي Dewey بالرغم مما في هذه التعاليم من بعض المبالغات . لقد كان روسو المصلح التربوي الذي فضح ما في الماضي من شرور وتنبأ بما في المستقبل من خير عميم . لقد كان وحي المصلحين الذين وضعوا نظرياته موضع التطبيق والمصباح الذي استهدى بهديه كل من تلاه من المربين . ■■

دمشق — **فاخر عاقل**

زمرد الدمشقية

بحث وتحليل

بقلم : سنية قراءة

■ كان حكم الموالي ... واستبداد حكامها بالارض التى اغتصبوها من الخلفاء قد مزق الدولة العربية الاسلامية الكبرى ، وفرض لونا من الوان اللامبالاة بين الناس . واذ كان هذا هو شان الكثرة الغالبة التى فرض عليها الجهل الرضا والتسليم ، فقد كانت هناك فئة مؤمنة بحق العربى المسلم في وطنه .. وحتمية جهاده في استعادة كل حق مسلوب ..

من بين هذه الفئة كانت الاميرة زمرد بنت جاولى الدمشقية أخت الملك « الدقاق » صاحب دمشق الذى حالت أسقامه دون التفكير في يومه وغده ، وهو شبه محاصر بالقوى الصليبية .

ولكن الاميرة زمرد لم تكن على شاكلة اخيها في شيء : لم تسلم بالواقع او تستسلم اليه ، بل راحت تحدث اخاها في وضع مدن الشام الداخلية ، ووجوب اقدامها على عمل جريء ، ولكنها لم تجد منه القبول ، فانصرفت عنه لتشغل نفسها بعلم نافع ، الى ان يشاء الله فتجاهر برأيها وتفرضه فرضا ..

كانت جميلة وضاءة تعرف مكانتها من قومها .. وهم يعرفون مكانتها منهم فهى مقصد المحتاج وعون الطالبة والطالب ، وذات اليد الطولى في كل الملمات ، وكانت على علم بالكثير من أحوال الشعب وظروفه ، فاذا هى معهم دائما في كل مناسبة . حرص ابوها منذ صغرها على تنشئتها نشأة دينية خالصة ، فدرست الحديث الشريف على يد كبار الدارسين في زمنها امثال ابى الحسن ابن قيس ، وابى الفتح نصر الله بن محمد وأبى طالب بن عقل الصورى .. واقبلت على امهات الكتب التى تحوى درر المعرفة تقرؤها ، بل تقوم بنسخ بعضها امعانا في الدراسة والمعرفة والحفظ .. وقرأت كتاب الله الكريم مرارا .. وحفظته عن ظهر قلب تحت اشراف ابى محمد بن طاووس وأبى بكر القرطبى من شيوخ القراءات واقطابها ..

وبلغت الاميرة في مراتب علوم الدين درجات لم يبلغها كثيرون من الرجال ، فكانت المحدثة اللبقة العارفة باسرار الحديث .. وكانت الراوية الصادقة .. وكانت الراسخة القدم في الدراسة حتى لقد بلغ من شغفها بعلوم الدين ان وجهت اهتماماتها - وهى في سنيها المبكرة - الى ضرورة افادة كل راغب في العلم من مناهل العلم ، ولم تبخل في هذا بمجهود ولا مال ، فبنت المدرسة الخاتونية في دمشق وطنها ، وحبست عليها العديد من الاحباس ، لتستطيع النهوض برسالة العلم كاملة ، واختارت للتدريس فيها أقطاب العلم وشيوخه : امثال على البلخى وشرف الدين عبد الوهاب الحورانى وغيرهما .

وطالما آلم الاميرة زمرد أن تمر بسلام مأساة احتلال الارض المقدسة ، وانتزاع المدن الساحلية والموانيء الحربية الهامة من بلاد الشام .. وكانت تحلم بتجمع عربى اسلامى موحد يطرد الغاصبين ويلقنهم درسا لا ينسونه ، ولكن أحلامها تلك



كانت اسرافا في الخيال ، اذ سارت الامور على غير ما تشتهى .

عاشت زمرد الدمشقية ماساة الاحتلال الصليبي بوجدانها وترقبها ومخاوفها ، ونظرتها البعيدة للمستقبل ، وقد كبر عليها أن يتناسى المسلمون اوامر دينهم في مثل هذه الظروف من وجوب الجهاد ، عاملين على نصرة الله ودين الله لينصرهم الله ..

كانت زمرد امام واقع الامر الذى فرض عليها تشعر بالتمرد على ذاتها وتحس عدم الرضا بما فرضته عليها التقاليد ، وارتضاه العرف الظالم في زمنها ، وقد قضى بان تكون المراة قعيدة دارها ، لا تشارك في اى لون من الوان النشاط الاجتماعي، مما أشعرها بانها سجينة ، فرض عليها القيد ، وانها ـ بحكم وضعها الاجتماعي ـ اداة معطلة في مجتمع كل ما فيه يوحي بالدأب والعمل ، وينادي بالجهاد .

تزوجت الامرة الفاتنة في سنى عمرها المبكرة ، وزوجها ـ كما يفهم من تاريخ ابن خلكان ، في ترجمة أبى سعيد تتش ـ هو تاج الملوك ابوسعيد بورى بن طغتكين ، الذى ملك دمشق ، فولدت له في سنة ٥٠٦ هـ ابنه اسماعيل ، وكانت عاثرة الحظ في الزواج .

أرادت الأميرة زمرد أن تخرج على شرعة الصمت الذى فرض قسرا على المراة في مجتمعها ، وتمنت في اخلاص لو تتاح لها فرصة للعمل أو الجهاد ، لتخرج من سجنها القاتم ، الى حيث الحياة الرحبة المتعددة الميادين ، المتشعبة الطرقات ..

وظلت الحياة في مسيرتها الرتيبة تلك .. وطن محاط بالاعداء من كل جهاته .. وارض لها قداستها ومكانتها الروحية والدينية قد اغتصبت وسرقت .. فكيف تترك في أيدى عصبة من الاشرار المتعصبين الذين ينكرون التسامح ،وتهون أمام مطامعهم كل المثاليات الانسانية والقيم العالية التى نادت بها ديانات الله جمعاء !!

سارت الحياة على تلك الوتيرة القلقة المضطربة او هكذا قدر عليها ان تسير ، وقد غمرت الناس شواغلهم وشواغل حياتهم ومسئولياتها ... اذا باهل دمشق يستيقظون ذات صباح على نبأ مثير ... لقد مات الملك « الدقاق » شقيق الامرة زمرد ... وتوالت أحداث ، وتتابع ولاة ، ثم صار شمس الملوك اسماعيل واليا .

كان شمس الملوك اسماعيل هو الابن البكر لزمرد بنت جاولي الدمشقية ، ولقد خيل الى امه ان آمالها التي ابى الحظ عليها ان تراها تخرج الى النور ـ سوف تجد طريقها الى الحياة المتوثبة في عهد ولدها شمس الملوك ، وعلمت الامرة

ولدها شمس الملوك بن اسماعيل ملك دمشق الجديد الكثير من تاريخ بلاده واحداثها ، بل ما هو اكثر من الكثير ... وتعمدت مرات بعد مرات ان تثير نخوته العربية ، وتوقظ مكامن العزة وروح المغامرة في نفسه ، وهي تروي له مسيرة الاحداث في وطنه العربي الكبير مشرق الحضارات ، ومهدها الاول ، ومعلمها لكافة الامم والشعوب ، وكيف حدث ـ وشمس العروبة ساطعة مشرقة ايام نهضة السلاجقة ـ ان حجبتها فجاة ودون مقدمات غيوم المطامع وسحب الاهواء ، فاضطربت وحدة الصف العربي وتخاذلت ، ثم راحت تتهاوى فكان الغروب وكان التمزق ، وكان افســـاح المجـال امام الطامعين الغاصبين المتعصبين من اهل العدوان ، الذين حملوا ظلما اشارة الصليب ، وان سماحة السيد المسيح وتعاليمه منهم براء ...

وتسلم الشاب شمس الملوك اسماعيل عرشه .. وبدا يباشر تصريف امور دولته ... وعينا امه تراقبانه في حنان الراعية الحذرة الساهرة على سلامته وسلامة تصرفاته، وقد عقدت عليه الرجاء ، وجعلته مناط الامل كله .. وتمنت لو تراه يوما حيث ارادت له ان يكون للقضاء على العدوان وتطهير الارض ، وطرد الغاصبين .

ومرت الايام .. وزمرد تنتظر وترجو وتترقب دون ان يجد جديد غير نزوع ولدها شمس الملوك الى التباعد عنها والتبرم بتوجيهاتها ورغبته في التفرد وحده بالجاه والسلطان ...

وكتمت الام الامها في احناء صدرها ، ولم تجد غير ان ترجو وان تتمنى ، وهي تسال الله لولدها الرشاد ، ولكنه لم يكن من نسيج يميل الى التعقل بل كان توافا الى الجبروت ، نزاعا الى الكبرياء ، يبغض ان يعلو على صوته صوت ويرفض ان يستمع لنصيحة مجرب يحب ان يهديه سبيل الرشاد ...

وحكم شمس الملوك وتحكم وجار حتى ضج شعبه ، وارتفعت اصواته بالشكاية ... وراح في جنون ونزق يتخلص من ناصحيه الامناء ، ويبعدهم عن طريقه ويقرب من بطانته اهل البغي والسوء وعشاق الفساد في الارض وطلاب المنافع والملاذ ..

وراحت انباء الابن الطائش تصل الى مسامع امه ، فكادت تجن ، ولكنها صبرت واحبت ان تنصحه املا ترجو له الخير والسداد ، وتسال الله العون ليعيده الى الطريق السوي ، ولكنه ادبر واستكبر وطغى ، بل نسي مكانة امه منه ، ومكانته منها ، وكان جافيا غليظ القلب في معاملتها ...

واذا هو من الجراة بحيث امرها ان تلتزم حدود قصرها ، وهو وحده المسئول عن كل تصرف من تصرفاته ، ولو كانت جائرة طائشة .

وعادت زمرد بقلب كسير ... وحارت في امرها ... ماذا تفعل ... واي موقف تستطيع ان تقفه منه .. والعدو يحيط ببلاد الشام ومدنه الكبرى ، حيث قامت في قلب الوطن العربي الكبير امارات ودوقيات وممالك ، على راس كل من فيها من الدوقات والامراء ، بلدوين ملك بيت المقدس الماكر الداهية الذي فرض سلطانه وسلطان امرائه ودوقاته على المسيحيين والمسلمين ...

وعادت زمرد ـ بنت جاولي امرة دمشق وام ملكها شمس الملوك اسماعيل ـ بقلب كسير حطمه غرور ولدها الملك وعقوقه وتنكره لها ... وكبر عليها ان ينصرف الابن اللاهي الى طيشه ونزقه فيتعامى عن رؤية ما كان يحدث حوله . كبر ذلك في عيني الام ... وعادت تحاول المرة بعد المرة ان ترد ابنها الطائش الى وعيه ...

ثم حدثت المفاجاة الكبرى التي اذهلت الام واطارت صوابها ، ولم يعد في قوس صبرها منزع ، فطفح الكيل ووجدت نفسها في موقع المفاضلة بين حبها لولدها ... وولائها وحبها لوطنها الذي بدا بخونه ابنها شمس الملوك اسماعيل ...

كانت بطانة سوء وفساد قد احاطت بالابن ، وزينت له خيانة وطنه ، بعد ان اقنعته ان سوف يجني من وراء هذه الخيانة ـ التي اطلقوا عليها اسم المغامرة ـ الجاه والسلطان ..

وسمعت الام ان ابنها انزلق في مهاوي الخسة ، وارتضى خيانة وطنه الحبيب ، وخيانة اهله وعشيرته وخالص احبائه .. واصبح عونا عليهم .

جريمة نكراء ... بل خيانة بشعة ... وان الام العربية المسلمة التي نشات في مهاد البطولة والمثاليات ، تسائل نفسها ـ وهي مرتاعة مذعورة امام هول ما سمعت ـ كيف تقف امام الخيانة وان تحول دونها وتكشف حقيقة وجهها امام الشعب ؟ ثم كيف تحول دون اتمامها وولدها شمس الملوك اسماعيل مصر على تنفيذها ؟

واستبدت الحيرة القاتلة بالام وامامها وطن يكاد يضيعه ابن عابث لا يقدر عاقبة جرمه .. ولا مدى العار الذي سوف يلحق به واهله الى آخر الدهر ...

كانت زمرد حائرة بين عاطفتها الجامحة كمواطنة اولا ... وكام للملك بعد ذلك ، حتى لقد راحت

تسائل نفسها اى العاطفتين ترجح ، والى جانب ايهما تقف .. الوطن .. ام الابن !!

الوطن ... او الابن !!

كان هذا هو السؤال الذى لم يكن له غير جواب واحد ، لا ثاني له ... وكانت تعرفه ، وتوقن به ، وتنحاز اليه ، فهو المخرج ، وهو الحل ، وهو دون غيره طريق الخلاص ...

الابن القطعة الحية من كبد الام وقلبها ...

وتبتسم زمرد ساخرة من تصورها ، وقد كبر لديها ان تنحدر بتفكيرها نحوه وهي تؤمن ان الابن زائل .. خيال يمر على صفحة الاحداث كملايين من الخيالات مرت على نفس الصفحة من قبله ... وملايين سوف تمر من بعده .. ولكن ..

الوطن ... الوطن الغالي الذى تهون من اجله الروح ، ويرخص الابن والاهل ، فكلهم الفداء له ...

الوطن،الارض ، الاستقرار ، الامان ، الماضي الذى تولى باحداثه، واليوم الذى نعيشه بغرائبه، والمستقبل الذى نسير اليه بمفاجئاته ، بسعادته وشقائه ، برابطة الدم ، بكل صلة سامية ،ورباط قدسي شريف .. كيف يهون هذا الوطن العزيز وتقف الاميرة ام الملك منه موقف الحَيْدة لا تنحاز الى جانبه حتى لو قدر عليها ان تواجه ابنها او .. تجعله يختفي من طريقها ... وطريق امن وطنه ومستقبل هذا الوطن الى الابد ؟

يختفي ... الى الابد ... ودوت الكلمات البسيطة الثلاث فى احناء تصوراتها برنات مفزعة ، صارخة ، مزمجرة ، وقد تصورت ما بعدها حين يختفي الخائن الملعون من الطريق ... والى الابد ... !!

كان هذا وحده الحل ، ولم يكن هناك من حل بديل له ، او مخرج من الحيرة والعار والضياع سواه ، اذ لو حدث ان اختفى شمس الملوك ولدها البكر والى الابد من مسرح الجريمة الموشكة الحدوث فلن تتم ابدا جريمة الخيانة اللعينة ، وهذا وحده يكفي، لانها سوف تستطيع ان ترفع راسها فى زهو، ولا يقال عنها يوما انه كان لها ابن عاق ، تملك فخان امانة الملك ، وحكم فلم يكن امينا على شعبه، واراد ان يبيع اقداره ومستقبله للعدو الغاصب البغيض .

اذا .. وامام هاتيك الدوافع جمعاء ، وحتى لا يضيع الوقت مع الانتظار والتردد فتفلت الفرصة ، عليها ان تغتنمها ، وان لا تدع مجالا للتغيير او التفكير او الاختيار لانها كانت امام واقع مسلم به ولا ثاني له فى الوجود ..

واختفى بطل الجريمة من مسرح جريمته قبل ان تتم ، اختفى شمس الملوك اسماعيل من الوجود فجاة ، وفى صمت ، ودون جلبة وان عرف الخاصة المقربون ان امه الباسلة الثابتة الجنان ، النقية القلب ، كانت وحدها صاحبة فكرة الاسراع فى اخفائه ، وانها قد اوصت حاشيتها الاوفياء بذلك فوثبوا عليه وقتلوه .

ابدا ما احست زمرد الدمشقية انها اقدمت على سفك دم بغير حق لانه ، لو حدث وعاش شمس الملوك ولدُها ـ لجرت دماء الابرياء فى الطرقات ، واصبح الضحايا الذين لا ذنب لهم الوفا بعد الوف ، وانها لتحس انها ما خالفت شريعة ، ولا عصت امرا من اوامر الله سبحانه وتعالى ،ولكنها نفذت ارادته ـ جل وعلا ـ فى خائن كان من اللازم ان يختفى من الوجود ..

وعادت الحياة تسير فى دمشق ، وقد تعلم الشعب درسا خالدا فى معنى التضحية من اجل الوطن باغلى شيء ، واعز شيء ، ومن هنا راحت النفوس تتهيا لعمل جديد ..

ومات ملك دمشق ، ونادى الواجب وظروف الاحداث نفسها بحتمية وجود ملك جديد ، وجدته الاميرة ام الملك فى شخص ولدها الثانى شهاب الدين ابى القاسم محمود بن بورى ، فنودى به ملكا مكان اخيه الذى قتل عام ٥٢٩ الهجرى ١١٣٥ الميلادى اى بعد ما يقرب من الاربعين عاما من دخول الصليبيين الارض المقدسة وتكوينهم امارات لهم فى قلب بلاد الشام وفلسطين .

وراحت الايام تمر ، ايام فى اثر ايام ، وعام من بعده عام ولم تلبث الفتنة ان راحت تطل من جديد براسها ، تخفى وراءها شبح الخيانة اللعين الذى تحركه اليد الصليبية ، وقد وجدت بين بطانةالملك شمس الملوك خائنا حرضته على الانتقام بدافع الوفاء لسيده المظلوم .

وبدا الذهب الصليبي يقوم بدوره .. ووجد التابع الخائن من يظاهره من رجال شمس الملوك، فعظم امر الفتنة وتكاثر اعوانها ولم يكد يحل يوم الثالث والعشرين من شوال عام ٧٢٣ الهجرى (١١٣٩ الميلادى) حتى وثب الخونة على شهاب الدين ابو القاسم بن بورى ملك دمشق وذبحوه انتقاما لاخيه شمس الملوك سيدهم السابق الذى قتل غيلة .

وتعرضت البلاد للفوضى ، واستطاعت اصابع الدسيسة الدنيئة ان تجد مرتعها ، واضطرب حبل الامور ، وكادت الاميرة زمرد ان تجن ،وهالها أن يصل الامر الى حد الفوضى ، وليس في مكان الحكم مسئول بسوس الامور ، ولو حدث وجرؤت زمرد الباسلة ذات القلب الكبير على ان تباشر شئون الحكم وتكون ملكة على دمشق نزولا على الواقع ـ ولا يوجد من اهل شهاب الدين من يستحق ان يخلفه ـ لفعلت ذلك عن رضا ومقدرة، ولكنها لم تستطع نزولا على شريعة التقاليد ، وخضوعا للعرف ، وخشية أن تتسع رقعة المؤامرة الكبيرة التي سلم اصحابها من العقاب ، ويقال عنها بعد ذلك انها هى ولا احد سواها من دبر الحوادث ، ورتب الامور ، وازاح الابن الاكبر من الطريق ، واتبعه بالابن الثانى ، كى تشبع رغبة التحكم في نفسها ، وتصبح ملكة دمشق ..وراحت من جديد تفكر وتراقب مسرح الاحداث ، وهل عاد لها في رحابهالمحكمة الاغلاق مدخل أو منفذ يصل بها الى سبيل موطد تستطيع عن طريقه ان تخرج من موقفها الضنك ؟

وضاقت السبل في وجه الاميرة زمرد ولكنها عادت في هدوء مستمسكة بقول الله سبحانهوتعالى بان رحمته سبحانه ستجد طريقها الى القلوب اليائسة ، لانه لا يأس من رحمة الله .. واسرعت تنقل ناظريها في من حولها وهى تسأل الله العون..

وكان الحق ، الخلاق ، القادر ، مفرج الكروب عند حسن ظن عابدته المؤمنة وهو القائل «ادعونى استجب لكم » .. وقد استجاب لها وهداها ووجدت من تستطيع أن تجد لديه العون ..

وكان الاتابك عماد الدين زنكى قد ظهر على مسرح الاحداث السياسية في الشرق عام ١١٢٧ الميلادى ايام حكم الملك العابث شمس الملوك فعرف مأساته ، وراقب احداث بلاده ، وعرف بتولى اخيه شهاب الدين شئون ملكه ثم قتله .. وكان عن كثب من الحوادث ، ولكنه ابى ان يقحم نفسه فيها .

وجاءت الفرصة .. وتبت للاميرة زمرد أن رجلها المنقذ لن يكون غير عماد الدين زنكى فارسلت سرا احد أعوانها المخلصين الاوفياء تطلب عونه ، وقد شرحت له في كتابها الموقف جيدا وهو على علم تام به ، وطالبته بالنصرة والوقوف الى جانبها في ساعة العسرة .. ولاحت للبطل الكبير النفسي بارقة الامل في وجوب الاقدام على عمل جرىء حاسم يعيد العقول الى من فقدوها ..

كانت لعماد الدين زنكى امال ، وكان له طموح .. وطالما شغله التفكر في الطريقة التى يصل بها الى تحقيق امله وارضاء طموحه حتى تبدت له في النهاية هذه الفرصة الذهبية التى لن تعوض ابدا ، وسرعان ما اقدم على العمل .. وصدرت اوامره بالاستعداد .. مفاجأة اذهلت الجميع ولا شك ، وقد انتبهوا من غفواتهم ليجدوا انفسهم امام جيوش السلاجقة وعلى راسها عماد الدين الزنكى نفسه ، الذى استطاع في يسر وسهولة ان يعيد الامن الى نصابه ، وأن يعيد كل شيء الى حاله من الاستقرار الذى اشعر الصليبيين وامراءهم انه قد تحرك جيش مشوق الى النضال ودخل عماد الدين زنكى دمشق الفيحاء ، وخيم الامن على ربوع دمشق وجاراتها العربية .. وانكمشت القوى الصليبية وقد احست في تحرك جيش السلاجقة بقيادة عماد الدين زنكى الخطر كل الخطر ..

وبدأت الامور تأخذ وجهتها الصحيحة . ولم يعد يهم زمرد أن تكون بنت ملك دمشق وأخت الدقاق صاحب دمشق وام ملكين حكما دمشق ، بقدر ما كان يهمها ان يعظم صيتها ويدون اسمها بين الشعب وفى شتى اوساط المسلمين مجاهدة عربية كافحت وناضلت ، وكان لها مقدرات وصلت بها الى تحقيق غايات ذات نفع للوطن العربى الكبير ..

وراحت تستعرض اعمالها في البر والعون ، وتشجيع الناس على طلب العلم ، وتيسير سبله لهم حيث شيدت قبلا المدرسة الخاتونية اول ما شيدت ، وكفلت ارزاق اساتذتها ومدرسيها ، ورتبت لهم ولنوابغ الطلاب العطايا ، ثم شرعت تبنى مسجدها الجامع الكبير مسجد زمرد خاتون وحبست عليه الاحباس لعمارته وتجديده والصرف عليه وعلى من يعملون فيه ، ورتبت له اماما وقارئا ومؤذنا وراحت بعد ذلك تفكر في مزيد من الخير للمسلمين ..

ومما يذكر أن الاميرة الخيرة زمرد راها الامير قسيم الدولة ، حاكم حلب ، واتابك جندها ، فوقعت منه موقع القبول .. فكان ان خطبها فلما مانعت تشفع اليها بمن لا تستطيع معارضته او رفض شفاعته فقبلتها ، وارتضت الاتابك قسيم

الدولة زوجا لها ، وشريكا لحياتها وهى تأمل أن تجد فى زواجه الراحة ، وفى بيته والى جواره الأمن والامان والاستقرار .. وقدر لاميرة دمشق الفيحاء ان تترك قصرها الشامخ ، ومهد طفولتها ، ومرتع صباها فى دمشق ، الى قصر زوجها قسيم الدولة فى حلب ، لتبدأ فى ظله حياة تمنت من كل قلبها أن تكون حياة أمن واستقرار وهدوء بال .

وبدأت الحياة تسير سيرتها المرتقبة فى ظروف كتلك التى كان يمر بها الوطن العربى وقتها ، ومع مطلع عام ١١٤٤ حدثت المفاجأة وهاجم عماد الدين زنكى اعظم معاقل الصليبين واكثرها قوة ، هاجم مدينة « الرها » وانتزعها من الغاصبين . تلك لحظات سعيدة عاشتها الاميرة زمرد وغلبتها فرحتها حتى لقد راحت تردد انه الغيث وقد بدا يرسل القطر ولن يلبث أن ينهمر ..

وبينما كانت الاميرة فى احلام سعادتها وامنياتها ايقظها واقع مؤلم هز كيانها ومشاعرها هزات عنيفة وقد وجدت فجأة ودون مقدمات ان قصرها فى حلب اقفر من سيده اتابك قسيم الدولة الذى مات . !!

وفى غمرة الاحزان وطوفان الأسى سالت الاميرة نفسها لماذا تبقى فى حلب الشهباء .. ولم لا تعود الى قصرها بدمشق ، لعلها تجد السلوى فى عمل نافع ، او جهاد مثمر ، تعود عن طريقه الى الحياة الاجتماعية من جديد ..

كان الفراغ الذى بدأ يحيط بها بصقيعه رهيبا قاسيا فقد ضاع الاحبة ، ولم تبق لها غير الاحزان والذكريات ، مات الزوج ، ومن قبله قتل الابن البكر ، ثم الابن الذى يصغره ، فماذا بقى لها غير الصبر ؟ ولكن ..

ولكن .. أين كانت تستطيع أن تجد الصبر الذى ولت اليوم انه ليس غير سراب كلما اقتربت منه امعن فى الهروب والابتعاد ..

وهكذا ضاقت فى عينى زمرد رحاب الحياة ، لقد فكرت فى اعتزال الناس ، فقد عملت باكثر مما يمكن لامرأة أن تعمل ، وجاهدت باعظم ما تستطيع امرأة أن تجاهد ، وضحت بأثمن ما يمكن أن تضحى به ام" عشقت وطنها وتعلقت بامجاده ، وهان فى حبه دم الابن الحبيب ..

وكان يعزيها فى محنتها الكبرى ان عجلة الاحداث بدات تسير فى قوة حتى لقد اقر الله عينيها برؤية زوال الكابوس الصليبى وفشل الحملة الاولى على ارض الشرق ، وفجأة .. وكما يحدث دائما والبدر فى اشراقته الوضاءة .. حدثت مفاجأة مذهلة وقتل عماد الدين زنكى ، ولكن الله الذى أراد للوطن العربى الاسلامى صحوة وبعثا ـ قيض لهذا الوطن من ملأ عن جدارة مكان عماد الدين فى شخص أولاده وعلى الاخص ابنه نور الدين محمود ..

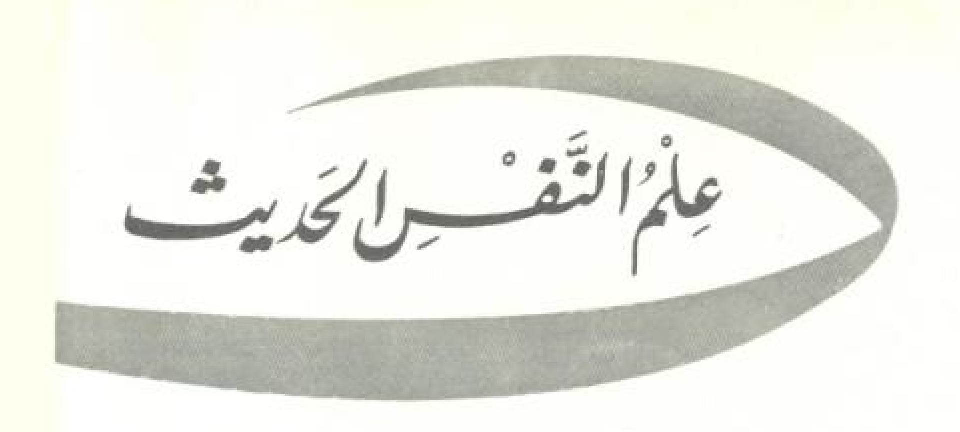
وفى الوقت الذى كانت ظروف الاحداث الكبرى تمهد للحملة الصليبية الثانية أحبت الأميرة المجاهدة أن ترحل الى مكة . لقد حلا لها ـ وقد تقدمت بها سنوات العمر ـ أن تهاجر الى الله ، لتعيش على أرضه الحرام الى جوار البيت العتيق فشدت الرحال الى هناك حيث بدأت حياة الزهد والتنسك والمناجاة والضراعة ..

ومرت الاعوام دون أن تهتم بها العابدة المسلمة زمرد الدمشقية ، اذ كانت تحيا فى خلوة صفاء روحى ، وتعيش من مالها وصبّاباته التى تبقت ، ولكنها .. وما ان فرغ المال .. حتى عاودتها روح المسلمة المكافحة التى تفهم قيمة العمل ، وتقدر السعى على الرزق ، فخرجت تشقى من اجل قوتها ، ومارست العديد من الاعمال ، فكانت تؤدى خدمات للقادرات اللاتى يدفعن أجرها فغربلت القمح والشعير ، وطحنته لتستعين بما تاخذه اجرا عليه .

وسارت بها الحياة فى طريقها الجديد المليء بالكفاح الذى احبته من أجل لقمة العيش ، وهى تحس انها ما تذوقت طعاما اشهى وأحب الى نفسها مما تذوقته من كد يدها وعرق جبينها ..

وظلت تعمل وتجاهد ولم يعد ينقصها غير ان تلقى الله راضية قريرة العين بما قدمت وما ضحت به .. وما عملت،فماتت عام ٥٥٧ الهجرى، بعد ان خلفت وراءها ثروة لا تقدر بمال من الذكر الحسن والعمل الباقى والآثار الاسلامية الخالدة، فتبلى الجسد وعاشت هى ، عاشت زمرد بنت جاولى الدمشقية خالدة فى ذكراها ، فى تضحياتها، فى وطنيتها ، فى اعمالها ومنشآتها ، فى جدها وجلدها ، فكانت بحق من المكرمات فى الدنيا والآخرة ... وكانت جديرة بان تظل فى طلائع المسلمات الخالدات .. ■■

القاهرة ـ سنية قراعة



علم النفس الحديث

بقلم : سمير وهبى

■ يقول المؤرخ الانجليزى هيو اليوت Eliot ان الدارس لتاريخ الفكر في العصور القديمة ليصاب بالدهشة لكثرة ما يعثر عليه من أخطاء ، حتى ليخيل للمرء ان مقدار ما فيه من الخطأ يفوق بكثير مقدار ما فيه من الصحة . والفكر عند القدماء هو التاريخ والادب والسياسة والعلوم كافة . وما يصدق على العصور القديمة يصدق على العصور الوسطى ، لان العلم لم يشق طريقه الا بعد ان انتهج الطريق التجريبى الذى وضع اساسه فرانسيس باكون Francis Bacon. غير ان هناك جوانب أخرى جديرة بالبحث والتمحيص رغم انتسابها الى عصور قديمة . وهذه الجوانب تتصل بمعرفة النفس البشرية . وعلم النفس – كما لا يخفى – من العلوم التى تفرعت من الفلسفة حتى استقل بنفسه واصبح علما تجريبيا له مدارسه ومذاهبه المختلفة .

لكل انسان تاملاته النفسية

وللشعراء بصيرة صادقة تجعلهم يستشفون خبايا النفس وأعماقها . وليس من الغريب أن قدماء الشعراء قد توصلوا بتفكيرهم الى اكثر من « نظرية » من نظريات السيكولوجيا الحديثة . ليس هذا بغريب ، لأن التامل في النفس البشرية وسبر اغوارها وملاحظة سلوكها لم يكن في يوم من الأيام وقفا على جيل دون غيره . فكل فرد في الوجود هو في الواقع فيلسوف على طريقته في تكوين آرائه وفي اختيار طريق الحياة المثلى . وكما يتامل في نفسه ، نراه يتامل ايضا في سلوكه الجماعى ويستخلص لعقله أحكاما عامة لا تخلو في بعض الاحيان من أصالة النظرة وصدق الراى . وكان الامبراطور مارك اوريلوس Marc Aurèle – عندما كتب تاملاته المشهورة – واحدا من القدماء الذين برزوا في هذا الميدان الذى يتصل بمعرفة النفس البشرية وسلوك الجماعات .

واذا انتقلنا الى العرب والى شعرائهم خاصة وجدنا انهم اكتشفوا ببصيرتهم الصادقة الأصيلة الشيء الكثير من خبايا النفس وافصحوا عنها بالشعر .

مركب النقص فطن اليه أسلافنا قبل ادلر

من ذلك مثلا ، تلك العقدة النفسية التى يطلق عليها العلماء المحدثون مركب النقص أو الشعور بالضعة Inferiority Complex الذى افرد لها السيكولوجى النمسوى الفرد ادلر Alfred Adler دراسات واسعة . هذه العقدة عرفها ابو العلاء المعرى وعرف تاثيرها على الناس الذين كان يعايشهم . وعرف ببصيرته النافذة أن الشخص الضعيف ، حين يشعر بضعفه وبنقصه ، يحاول ان يبرز وان يتفوق على خلانه ، فهو يقول:

لو لم تكن في الناس أصغرَهم
ما بان منك عليهم كِبَر

في الشِّعْرِ العَرَبِيّ القَدِيم

وفي مثل هذا المعنى قال ابو تمام :

وضـعيفة ، فاذا اصـابت فرصة
قتلت ، كذلك قـدرة الضـعفاء

ذلك لانه عرف ان الضعيف لا يمكن أن يكون مخلصا ، وانما يكون نهازا للفرص ، ويحب الانتقام ، يلقي بشروره لانه ضعيف مخاتل ، تماما كالعقل الباطن حين يلقي بمخزونه في لحظـات الارتخاء .

وبهذا الكلام نذكر ما قاله اناتول فـرانس Anatole France من ان الفضيلة عجز ، أو ما سبق أن انشده عمر بن ابي ربيعة :

ليت هـندا انجـزتنا ما تعـد
وشـفت انفـسنا مما نجـد
واسـتبدت مـرة واحـدة
انمـا العاجـز من لا يسـتبد

عقدة اللذة في تقبل العذاب

اما الماسوشزم ، ذلك الانحراف الذي يجعل الفرد يجد لذة في تقبل العذاب والالم على يد محبوبته ، فقد عبر عنه الشاعر اجمل تعبير حين قال :

عـذبيني فمهجتـي في يديـك
وامـريني فالقلـب عبد لديـك

وقد يكون من الافراط أن نجعل هذا المعنى يحمل شذوذا جنسيا . ولكن هذا لا يمنع انالمعنى الذي قصده الشاعر انه يستمرىء العذاب وهو انحراف جنسي اليم يطلبه راغبا مختارا ، لانه يجد فيه لذة ما بعدها لذة ويشعر بسعادة عظمى في الخضوع للمراة والتمرغ تحت اقدامها . وهذه كلها صفات الماسوشزم Masochism ان قلبه ليصيح قائلا مع الشاعر المعاصر الـذى تغنى له احدى مغنياتنا القصيدة التي مطلعها :

لـي لـذة في ذاتـي وخضـوعي
واُحبُ بين يديـكِ سفكَ دموعي

والاحلام تفضح ، والطبع يغلب

ومن المعلوم في علم النفس ، ان الاحلام تكشف عن رغباتنا المستترة والمكبوتة . وكان ابن الرومي عارفا بوظيفة الاحلام ، عندما شكا الكبت الذي يعاني منه :

ولقـد منعت من المرافـق كلهـا
حتـى منعت مرافـق الاحلام
من ذاك اني ما اراني طاعمـا
في النـوم او متعـرضا لطعـام

والطبع يغلب التطبع ، لان سلطان العادات قهار وغلاب ، ومهما اجتهد الانسان في اخفاء عيوبه ، فهي ستظهر في وقت من الاوقات . ويقول زهير ابن ابي سلمى :

ومهما تكن عند امـرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

وعرف اسلافنا اسرار الانفعالات

كان القدماء على دراية بالانفعالات النفسـية وما تسببه من تغييرات فسيولوجية في الافراد . قال المتنبي في رثاء جدته :

اتاها كتابي بعد يأس وترحة
فماتت سرورا بي ، فمت بها غما

لقد ادرك ابو الطيب ان من السرور ما يقتل ، وانه ليس بالحزن وحده يموت الانسان . وفي هذا المعنى انشد قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويصف فيها خيمة سقطت :

فلا تنكرن لها صرعة
فمن فرح النفس ما يقتل

فالفرح المفاجيء يؤثر على العصب السمبتاوي الذي يسيطر على وظائف الغدد والجسم . ولا يقتصر الامر على الفرح ، وانما يشترك فيه الحزن مع بقية العواطف الحادة ، مثل الغضب والقسوة البالغة ، وجميع تلك العواطف تؤثر في العصب السمبتاوي .

وهذا امرفطن له ابو الطيب حين انشد :

والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصية الصبي ، ويهرم

هذه الانفعالات النفسية وغيرها تصيب الفرد فتؤثر فيه ، وتغير لون شعره ، وتنزل عليه نزول الصاعقة ، فتؤثر في لون وجهه . اما اذا كان قوى النفس ، يتميز بالمقاومة الداخلية ، فهيهات ان تنال منه . الا اذا كانت نفسه كبيرة المطامع ، واسعة الطموح ، عندئذ سوف تصيب صاحبها بالتعب . وفي هذا المعنى يقول ابو الطيب :

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

وعرفوا احلام اليقظة

واحلام اليقظة من الظواهر التى تساعد الانسان على تنفيس رغائبه . ومثلها في ذلك أحلام النوم. فالفقير يحلم بسوق الخبز ، والضعيف يتخيل نفسه جبارا عصيا ، والمحروم يجد نفسه مكفولا بكل الضمانات ، والتعس يحلم ابدا بسعادة الدنيا ، سواء في يقظته او في منامه :

وسعادة مرت على مستيقظ
تطوى القفار الى بلاد النوم

وعرفوا ان الحياة صراع وان البقاء فيها للاقوى

ومن « غريزة حفظ النوع » مثلا نلمس ان شاعرا كالمتنبى قد عرفها تماما بكل ابعادها . شاهد الاسود في البرية تاكل قويها ضعاف الحيوانات، ورأى الحرباء يتغير لونها حفظا لنوعها من الانقراض ، وابصر بالانسان يكافح ويقاتل ويعقد الأحلاف في الحرب ليضيف قوة الصديق الى قوته الذاتية . اما في السلام فهو يحرص على حياته ويقوى نفسه اذا ما اصابها مرض او وهن ، ذلك لان الكل يصبو الى الحياة ويتوق الى المحافظة عليها . فيقول :

ارى كلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبا

فالكائنات الحية بينها حرب ضروس لا تقل في مخاطرها عما ارتاه دارون عندما اعلن نظريته في النشوء والارتقاء ، وبيّن اهمية الصراع بين الانواع بالانتخاب الطبيعى ، فيكون البقاء فيها من حظ الاقوى . قال ابو مسلم الخراساني :

ومن رعى غنما في ارض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

فلا امان اذن ولا راحة ، لان الصراع بين الانواع قانون حتمى . والطبيعة سلحت الاحياء . يقول حكيم المعرة ابو العلاء :

وما جعلت لأسود المر
ين اظافر الا ابتغاء الظفر

وهو في هذا البيت لا يختلف كثيرا عن اراء « النشوئيين » في نظرتهم الى الاسلحة التى تزود بها الطبيعة كائناتها ، لتؤهلهم للحياة المريرة ، حتى يبقى الأصلح وينقرض الضعيف . ويوضح رايه ايضا البيت الآتى :

ولو ذهبت عينا هزبر مساور
لما راع ضأنا في المراتع او سربا

والكل متمسك بالحياة « مستهام بها » على حد قول المتنبى ، حريص عليها ، يبتغيها لنفسه ، يخشى الموت . ويقول ايضا ابو العلاء المعرى في هذا المعنى :

ارى حيوان الأرض يرهب حتفه
ويفزعه رعد ، ويرهبه برق

وعرفوا ظواهر التملق والرياء

والطبيعة البشرية مجبولة على الرياء . يكفى

ان ينجح فرد من الافراد حتى تنفتح الدنيا لـه على مصراعيها ، ويعبد الطريق امامه . والويل له اذا ما سقط . عندئذ تكثر السكاكين التى تقتاله .

وفي ذلك يقول بشار :

والناس من يلق خيرا قائلون لـه
ما يشتهي ولأم المخطىء الهبـل

والتصنع أخو الرياء . والنفاق فارسـهما الثالث . والمرء ينافق ويتجمل ويتصنع ، وكثيرا ما يفعل ذلك مكرها ، كما حدث لأبي العلاء :

لقاء الناس الجاني برغمـي
الى حسن التجمل والنفاق

وعرف ابن سينا العلاج النفسي

اما العلاج النفسي ، فقد عرفه ابن سينا وقد مارسه في شخص شفاه . لقد ابتدع الرئيس وسيلة شبيهة بتلك التى طورها سيجموند فرويد فيما بعد ، وهى التى بناها على « تداعي الخواطر » وركز ابن سينا على استقصاء الانفعالات في مريضه. وكان العلاج الذي اشار به هو تزويج المريض من حبيبته . فكيف عرف المعالج سر المريض الـذى كان يكتم امره عن الناس . كانت طريقته انه تحسس نبضه ، واستدعى من يذكر أسماء أحياء المدينة . فلما شعر بنبض المريض يسرع ـ بعد ذكر حي معين ـ استدعى من يذكر اسماء سكان الحي . فلما أسرع النبض بعد سماع اسم معين استدل على سبب العلة ، أو في الحقيقة على من سببتها .

كلنا يعرف « التقليد » ، فهو من الظواهـر الشائعة واقربها الى الاذهان عـدوى التثاؤب وسببها نفسي . يكفي أن يفتح فرد فمه متثائبا حتى يقلده بعض الموجودين معه . وقد سـمع ابو العلاء المعري عن تلك الظاهرة ، فقال عنها :

تثـاءب عمرو اذ تثـاءب خالد
بعـدوى فلـم تلحقني الثؤبـاء

وطبيعي ان التثاؤب لن يلحقه ، لانه اعمى ، والتقليد يحتاج أولا الى الرؤية .

وعرفوا العادات وآثارها

وماذا عن العادات وطبعها الغالب ، وقد نفشى في الاذهان اعتقاد صارم بان الطباع لا تتغير مهما حاول المرء ذلك ، حتى لقد قال أحد شعرائنا :

كل امـرىء راجع يوما لشـيمته
وان تخلـق أخـلاقا الى حـين

والعادات متاصلة في الانسان تاصلا جعل الناس يعتقدون ان الطباع جميعها يغلب عليها الشر . وربما خلطوا بينها وبين الغرائز :

وجبلة الناس الفسادُ ، فضلُ من
يسمو بحكمتـه الـى تهذيبهـا

وليس ابو العلاء وحده الذي يقرر بان الفساد متاصل في طبيعة البشر ، ويدعو في تشاؤمه المرير الى ترك الطبيعة البشرية دون اصلاح،لان ارشادها عبث ما بعده عبث ، فقد اشترك معه المتنبى حين قال :

ومن عـرف الأيام معرفتي بهـا
وبالناس روّى رُمحَه غير راحـم

فالطبيعة البشرية ميئوس من اصلاحها ، لا يستحق افرادها اى رحمة ، لان الشر شائع في اجناسها جميعا ، او كما يقول ابو العلاء :

والشـر طبـع وقد بثت غريزته
مقسـومةً بين أنواع واجنـاس

هل يمكن اصلاح البشر ؟

ولكن هل صحيح ان الطبيعة البشرية لا صلاح لها على الاطلاق ، بالرغم من دعاة الاصلاح ونزول الأنبياء على الارض واقامتهم فيها . يقول المعرى صاحب اللزوميات :

كـم وعـظ الواعظـون منـا
وقـام في الأرض انبيـاء

وانصـرفوا والبـلاء بـاق
ولـم يـزل داؤك العيـاء

حكـم جـرى للمليـك فينـا
ونحـن في الاصـل اغبيـاء

ولكن يخفف من تلك النظرة التشاؤمية ان بعض الشعراء قد أدركوا ان النفس لا ترجع عن

فيها ، ما لم يكن الحافز نابعا منها . وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

لا ترجعن النفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

وهذا ما يذكرنا بقول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » . ويدعو شاعر آخر الى البحث عن الكمال ، فيقول :

اقبل على النفس ، واستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

حديث الموضوعات الجنسية

والموضوعات الجنسية من الموضوعات التي يحلو دائما للشعراء ان يخوضوا فيها . ومن المعلوم ان عدم الاختلاط بين الجنسين بسبب عادات المجتمعات المحافظة قد جعل الرجل ، في كثير من الاحيان ، يكبر من شان المراة ويسقط عليها صفات فريدة غير موجودة فيها اصلا ، وانما قد نبتت في خياله اولا ، ثم خلعها على محبوبته . ومن جهة اخرى، تعمل المبالغات في التصور على توليد التشبيهات ، والمعاني الفريدة . فهذا عباس بن الأحنف مثلا يمرض . وقد يكون مرضه حقيقيا او وهميا ، ولكنه مقتنع بأن الشفاء سيكون على يد حبيبته ، اذا ما استطاعوا أن يحصلوا له على جرعة ماء يأتون بها من عندها ، قال :

خذوا لي منها جرعة في زجاجة
الا انها لو تعلمون طبيبي

اما البهاء زهير فهو اكثر « ماسوشية » من ابن الاحنف،أي انه ازاء المراة ، اكثر انضاعا وخضوعا، فهو يقبل قدميها :

فقبلت أقداما لغيري ما مشت
ووجها مصونا عن سواي محجبا

وهو كلام يعيد الى اذهاننا الانحدار الذي وصلت اليه بعض الاغاني الشائعة ، نذكر منها على سبيل المثال ذلك المقطع الذي يغنيه احد المغنين المعاصرين (وان طال على الجفا ، انسى معاك كل عزة) ، أو ذلك البيت الذي تغنيه احدى مغنياتنا :

لي لذة في ذلتي وخضوعي
وأحب بين يديك سفك دموعي

وهذان المثلان حديثان . ولكن هل تطورت النفوس منذ قديم الزمان ؟ الرد بالنفي . فقد اورد ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) أبياتا لابي الشيص يقول فيها:

وقف الهوى بي حيث انت ، فليس لي
متأخر عنه ولا متقدم

واهنتني ، فاهنت نفسي جاهدا
ما من يهون عليك ممن يكرم

اشبهت اعدائي ، فصرت احبهم
اذ كان حظي منك حظي منهم

اجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم

ان الملامة درجة من درجات الاذلال ، خاصة اذا ما كانت مقبولة ، وهي تتخذ لونا سيكلوجيا اذا ما اقترنت باللذة ، مثلها في ذلك مثل الضرب الذي يقولون عنه في الامثال الجارية « ضرب الحبيب مثل اكل الزبيب ! »

وختاما ، نقول بأن كثيرا من المعاني ـ خاصة اشعار الحكمة ـ هي معان بسيطة من الحكمة الدارجة ، أو اللاحقات المعروفة ، وقد يكون من الاسراف أن نحملها أكثر من طاقتها من نظريات وحقائق نفسية . وقد طرقنا في هذا البحث عدة نواح درسها علماء النفس المحدثون ، وكان يعرفها قبلهم قدماء الشعراء ، حتى ليصدق عنتر الشاعر الجاهلي الذي يشهد بانه يكرر معاني من سبقوه لفظا ومعنى ، وانه في عصره لم يكن يأتي بجديد :

ما ارانا نقول الا معارا
او معادا من لفظنا مكرورا

■■

سمير وهبي
القاهرة ـ مصر

العربي : حاول الكاتب ان يربط بين ظواهر نفسية عرفها قدماء العرب،وعلى الأخص شعراؤهم، وبين ظواهر نفسية عرفها علماء النفس في هذه الايام ، وانما الذي ربط بينه الكاتب هو حكمة عرفها القدماء بحكمة تعرفها الاجيال الحاضرة ، من علماء نفس ، أو علماء أخلاق ، او علماء انسان .



فقر الدم الشديد يعالج بنقل الدم

● **اعانى من فقر دم شديد . وقد اقترح على بعض الاطباء أن أعالجه باقراص . فهل هذه الاقراص كافية لشفائى .؟!**

ــ فقر الدم الناتج عن فقدان دم من الجسم أو من سوء التغذية او من الاصابة بديدان خصوصا دودة الانكلستوما قد يؤدي ــ في كثير من الاحوال ــ الى انخفاض نسبة الهيموجلوبين فى الدم الى اقل من ٤٠٪ (والطبيعى ١٠٠ ــ ١٠٥ فى الرجال ــ ٩٠ ــ ٩٥٪ فى السيدات) .

وفى الحالات الشديدة التى تقل نسبة الهيموجلوبين فيه الى اقل من ٥٠٪ يحتاج المريض الى نقل دم حتى ترتفع النسبة الى ٦٠٪ او ٧٠٪ ثم يكمل العلاج بواسطة الاقراص الى أن ترتفع النسبة الى الحد الطبيعى ، ويصحب ذلك علاج السبب مع مراعاة نوع الغذاء فيؤكل الطعام الذى يحتوى على كميات كبيرة من مادة الحديد كالكبد ، واللحوم ، والفواكه والخضراوات الطازجة والعدس والبازلاء . وفى بعض الحالات تعطى مادة الحديد بواسطة حقن . وهذه الحالات هى عدم القدرة على تعاطى أقراص الحديد بالفم بأن يصحب ذلك آلام فى المعدة او قيء او اسهال شديد ، وفى حالات أمراض الجهاز الهضمي عندما يكون امتصاص مادة الحديد أقل مما يحتاجه الجسم ، وفى اثناء الحمل عندما لا تستطيع الحامل تعاطى الاقراص . وفى بعض الامراض مثل الأمراض الشبه روماتيزمية المزمنة والتى لا تستجيب لمادة الحديد بالفم ــ وكذلك يعطى الحديد بواسطة الحقن بعد العمليات الكبيرة المصحوبة بفقدان كميات كبيرة من الدم .

على أن يراعى ان تعطى الحقن بواسطة الطبيب خوف المضاعفات ، ففى بعض الحالات تحدث صدمة من آلام الحقنة أو تكون الحقنة ليست فى العضل على عمق مناسب فيتلون الجلد بلون أزرق يمكث مدة طويلة . أو يحدث التهابات ، لذا كان من الواجب أن لا يعطى الحديد بالحقن الا اذا رأى الطبيب ذلك ويكون تحت ملاحظته .

الوشم ... كيفية التخلص منه

● عندي وشمة في يدي منذ الصغر ، فهل لهذه الوشمة من فائدة وكيفية التخلص منها .

ـ الوشمة Tattoo Marks معروفة من قديم الزمان وكان يعتقد ان لها علاقة بالطقوس الدينية والزواج والاخصاب ، وهي عبارة عن انواع من الصبغات غير الذائبة التي يمكن ادخالها في الجلد بواسطة الابر او اي معدن مدبب . ومن امثلة هذه الصبغات كارمين انديجو . فيرميلون ، وكذلك India Ink ويلجأ البعض الى عمل الوشمة على اشكال مختلفة او رسومات ومناظر من هذه الصبغات . وقد يحدث دخول ذرات من الصبغة عرضا في الجلد نتيجة حوادث الطرق او خلافه مؤدية الى نوع من الوشمة .

وليس للوشمة اي فائدة سوى ان كانت كعلامة مميزة مثلا او كنوع من التجميل في بعض القبائل او بعض افراد البحارة . ولكن قد تنشأ بعض الاضرار اذا عملت الوشمة بآلات أو صبغة غير نظيفة مثل حدوث التهابات في الجلد او نقل مرض معد مثل الزهري . السل . فيروس الكبد ، او يكون الشخص حساسا للصبغة فتؤدي الى احمرار وورم . كما انه لوحظ ان بعض الامراض الجلدية تفضل الظهور في مناطق الوشمة قبل المناطق الاخرى من الجلد .

ومن الصعب جدا التخلص من علامات الوشمة الا اذا كانت الوشمة صغيرة وسطحية . وفي مكان سهل حيث ان السنفرة قد تفيد في بعض الحالات . او استعمال طريقة Variot بحقن حمض التنيك ثم دلكها بقضبان نترات الفضة . كذلك في الوشمة الصغيرة يمكن استئصال جزء الجلد المصاب بالجراحة في عملية تجميل .

غذاء مرضى الكبد

● ذكرتم في « العربي » مواد الطعام الواجب تعاطيها في بعض الامراض واود ان تضيفوا اليها طعام مريض يرقان الكبد . ولكم الشكر الجزيل .

ـ غذاء مرضى الكبد ، التهاب الكبد الفيروسي ، المصحوب بيرقان او في حالة انسداد المجرى المراري . يلاحظ في هذا الغذاء ان يحتوي على كمية كبيرة من الكربوهيدرات اي النشويات والسكريات اوكمية محدودة من المواد الدهنية وكمية البروتينات المصرح بها يوميا للانسان العادي . ولقد لوحظ أن الغذاء الذي يحتوي على كمية كبيرة من النشويات يساعد على نمو واستعاضة خلايا الكبد التي تتأثر بالالتهاب وعلى سبيل المثال .

قبل الفطور : كوب عصير فواكه محلى بالسكر .

الفطور : شريحتان من الخبز ، مربة او عسل ، شاي بحليب .

الساعة العاشرة صباحا : ـ شاي بحليب بسكر او عصير فواكه محلى بالسكر .

الغداء ـ قطعة من صدر دجاجة . قطعة سمك او لحم تكون مشوية او مسلوقة ومطهية طهيا جيدا . خضراوات مهروسة أو مصفاة ، بطاطس بوريه .

فواكه مقشرة ـ او مطبوخة ، او مصفاة ، او معلبة .



الوشم على الجلد

الساعة الرابعة مساء : —

كوب عصير فواكه محلاة بالسكر ، مع بسكوت ، شاى بحليب بسكر .

العشاء : —

شريحتان من الخبز ، مربى او عسل ، عصير فواكه ، او فواكه مصفاة ، أو مطبوخة .

كسترد ، او مهلبية .

شاى بحليب بسكر .

قبل النوم : —

كوب حليب بزال الدهن من اعلاه او عصير فواكه .

وفى هذه الحالة يبتعد المريض عن الزبد والسمن الصناعى والدهنيات على اختلاف انواعها بما فيها الزيوت والبيض وانواع السردين والكعك والشيكولاته وكل أنواع الاطعمة المقلية .

تورم اصابع الايدى والاقدام

بسبب البرد

علاجه تناول فيتامين ب وج

● **تورمت اصابع يدى وقدمى وقيل لى ان ذلك نتيجة البرد ، فما هى وما علاجها ؟**

— ان هذا المرض يسمى Chilblain حيث يحدث تورم واحمرار محدود نتيجة التعرض للبرد خاصة فى اولئك الناس حيث تكون الدورة الدموية عندهم ضعيفة فى الاطراف ، وهو من اخف انواع الاصابة التى تنتج من شدة البرودة ، وعادة يؤثر هذا المرض فى اليدين والقدمين والاذن والوجه فى الاطفال ضعاف الصحة خاصة فى الاماكن الرطبة حيث تتورم هذه الاجزاء مع احمرار خفيف ، ثم يبدأ حكاك وحرقان ثم يزداد الاحمرار مع زرقة وتكون باردة الملمس ويختفى اللون الاحمر مع الضغط وعادة تتكرر هذه الاعراض فى الشتاء البارد وتختفى فى الصيف .

ولعلاج هذه الحالة يجب الانتباه الى الصحة العامة واستعمال الغذاء الجيد والفيتامينات خاصة فيتامين ب ، ج ولتحسين الدورة الدموية ، كذلك يجب اداء التمرينات الرياضية بانتظام ، كما ان استعمال الكورتيزون يفيد فى هذه الحالات سواء موضعيا او عن طريق الفم .

وموضعيا يعمل تدليك خفيف للاجزاء المصابة بزيت دافىء يوميا وحمايتها من الاصابة ، ومن التعرض للبرد والرطوبة واستعمال القفازات والجوارب الصوفية والتدفئة العامة ، كما أن استعمال مراهم اكتيول مع بعض الدهانات الملطفة مثل الكالامينا يفيد التورم والحكة .

تقويمٌ جديد للدّعوة العبّاسيّة

« الدعوة العباسية ، لم تكن دعوة عنصرية ، بين فرس وعرب، كما فهمها بعض المؤرخين » .

بقلم : الدكتور فاروق عمر فوزي

■ تحفل كتب المؤرخين المسلمين الرواد بالعديد من الروايات عن الدعوة العباسية ، الا ان هذه الكتب قلما تقدم لنا تفسيرا لطبيعة الدعوة او نقدا لواجباتها المتعددة . وهنا يأتي دور المؤرخ الحديث ليميز بين الروايات الغثة والروايات السمينة ويحل غموضها وتناقضها ، ثم يقدم الحقيقة بلا طلاء .

الاستشراق والدعوة العباسية :

لقد بحث الكثير من المؤرخين المحدثين في تاريخ الدعوة العباسية وكان ابرزهم المستشرق الالماني المعروف فان فلوتن في كتابه (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات) والمستشرق الالماني ولهاوزن في كتابه (الدولة العربية وسقوطها) ، اللذين قرأا الدعوة العباسية على انها ثورة الموالي والفرس ضد الحكام العرب . وبمعنى آخر ان الثورة العباسية كانت ثورة قومية ايرانية ضد العرب الأسياد . والواقع ان هذين المؤرخين تأثرا بالافكار العنصرية التي كانت سائدة في أوربا وخاصة المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ولذلك نظرا الى الثورة العباسية بمنظار الصراع بين الفرس والعرب أو الآريين والساميين . والخطأ الذي وقع به كلا المستشرقين هو انهما نظرا بمنظار ضيق الى طبيعة الدعوة العباسية ، ولم يحاولا تفهم الوضع السياسي والاجتماعي في خراسان بؤرة الثورة ، ومثلهم كمثل المؤرخ الذي يؤمن بقواعد ونظريات ثم يحاول جمع مادته ليثبت صحة تلك النظرية التي يؤمن بها مسبقا . والخطأ في البداية يقود بطبيعة الحال الى الخطأ في النهاية .

والجدير بالذكر ان هذا التفسير الاستشراقي لاقى قبولا لدى فئة من مؤرخينا العرب والمسلمين بل لا تزال كتب تصدر ومقالات تنشر ، لتجتر تلك الآراء التي آن لها ان يستبدل بها غيرها .

بداية الشكوك :

مع بداية العقد الخامس من هذا القرن ظهرت دعوات صريحة تدعو الى الشك واعادة التمحيص في آراء ولهاوزن وفان فلوتن، فقد استطاع الدكتور محمد عبد الحي شعبان في كتابه (الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية ـ هارفرد ١٩٦٠ ـ باللغة الانكليزية) ، ان يعطي صورة متكاملة للوضع في خراسان . وأوضح علاقة المقاتلة العرب في خراسان بالفرس من جهة وبالوالي الاموي من جهة اخرى . ويرى الدكتور شعبان بأن هدف الدعوة العباسية كان :

« دمج كل المسلمين العرب وغير العرب في الدولة في مجتمع اسلامي لكل فرد من ابنائه حقوق

متساوية » اما العنصر الرئيسي الذي اشترك في الثورة ، حسب رأي الدكتور شعبان ، فكان العرب المستوطنين الذين اندمجوا مع السكان المحليين الايرانيين ، والذين فقدوا امتيازاتهم كاعضاء في الكتلة العربية الحاكمة والذين تذمروا كذلك من وضعهم تحت سلطة الدهاقين الفرس المسئولين عن جباية الضرائب في الاقاليم الايرانية .

التفسير الحديث :

ان اعادة تقييم الروايات التاريخية في مصادرنا المعروفة وبعد الاطلاع على نصوص تاريخية غاية في الاهمية في مخطوطات لم تنشر بعد مثل « انساب الاشراف » للبلاذري ، او مخطوطات نشرت حديثا مثل « اخبار العباس وولده » لمؤلف مجهول و « الفتوح » لابن اعثم الكوفي و « تاريخ الموصل » للازدي وغيرهم ، هذه كلها تظهر مدى المبالغة في الفكرة القائلة بأن الثورة العباسية كانت ثورة الفرس على العرب . وفي هذه المصادر المحققة حديثا معلومات" فريدة غير موجودة في الطبري واليعقوبي عن استقرار العرب في خراسان ومدى اعتماد الدعوة العباسية عليهم .

انني اعتقد بأن الدعوة التي نظمها الدعاة العباسيون كانت موجهة بصورة رئيسية الى عرب خراسان المقاتلة منهم والمستقرين على السواء . فقد انتشر الدعاة في قرى مرو حيث استقرت القبائل العربية وفي كل مدينة فيها حامية او رابطة عربية . لقد ادرك الدعاة بأن العرب وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة الوحيدة في خراسان . ومن أجل الانتصار يتحتم على الدعاة كسب العرب الى الدعوة . ولم يفضل الدعاة في بداية الدعوة قبيلة على أخرى رغم انهم حصلوا على عضد اليمانية أكثر من المضرية . كما انضم الى الدعوة الموالي الفرس الا أن دورهم لا يمكن مقارنته بدور القبائل العربية .

أسباب تذمر العرب :

ان ظروف خراسان من حيث علاقة قبائلها بعضهم ببعض ، وعلاقتهم بالسكان المحليين وبالخلافة الاموية في دمشق ، لعبت دورا في ايجاد الجو المناسب للثورة دون شك ، ولكن من ناحية اخرى نجد أن العرب الذين استوطنوا خراسان كانت لهم اسباب للتذمر ترجع الى حرمانهم من الامتيازات التي يتمتع بها العرب المقاتلة . ان هؤلاء العرب المستقرين حرموا من العطاء والوظائف ، واضافة الى ذلك كان الدهاقين يتحكمون فيهم عن طريق جباية ضريبة الخراج . ولم يكن العرب المستقرون وحدهم يتذمرون بل كان للمقاتلة العرب في خراسان اسباب للتذمر لعل أهمها : سياسة التجمير ، وهي سياسة اتبعتها الدولة الاموية تهدف الى ابقاء المقاتلة في الثغور وعلى خطوط النار شتاء في الوقت الذي يرغب المقاتلة في الرجوع الى عوائلهم شتاء . ومن أسباب التذمر الشادة بين الوالي الاموي وزعماء القبائل حول الفيء والغنيمة حيث كان الوالي يأخذ احيانا اكثر من حصته منها . ثم ان القبائل العربية في خراسان سئمت من النزاع المستمر بين الزعماء المتنفذين والرؤساء الطموحين للوصول الى السلطة، اذ اوجد هذا بين قبائل خراسان نوعا من القلق لدى اليماني والربعي والمضري الذين وجدوا في الدعوة العباسية املا جديدا لحياة اكثر استقرارا ويسرا .

الارتباك السياسي في الشام :

ان الوضع القلق في بلاد الشام ؛ قلب الدولة العربية الاسلامية ، حيث ازدادت ثورات المدن السورية ضد حكم مروان بن محمد ، واشتدت مؤامرات الأمراء الامويين ضد سلطته التي اعتبروها غير شرعية باعتبار أن مروان اغتصب الخلافة من اصحابها الشرعيين، كل ذلك فت من عضد الدولة، وافسح في المجال للدعوات السرية بالعمل الفعال من أجل اسقاطها .

ورغم ادراكنا أن الدعوة العباسية كان لها واجهات متعددة حيث انها حاولت ضرب عناصر مختلفة تحت شعارات براقة متباينة ، وهذا في الحقيقة سر نجاحها ، فان الذي يهمنا في هذا البحث هو الواجهة السياسية للدعوة ، وذلك رغبة منا في ابراز دور العرب من أهل خراسان في هذه الحركة ذلك الدور الذي كان ولا يزال مغمورا لم ينصفه التاريخ .

الواجهة السياسية للدعوة :

ان النصوص التاريخية في المخطوطات التي خرجت الى النور حديثا تشير الى أننا يجب أن نبحث عن أسباب الثورة العباسية في ظواهر اخرى غير ظواهر الصراع بين العرب والفرس ،

او التمييز الاجتماعي والاقتصادي الذي مارسته السلطة الاموية تجاه الموالي . فلقد اهمل المؤرخون سياسة الامويين الادارية والمالية في خراسان وردود الفعل لدى اهل خراسان من عرب وعجم تجاه هذه السياسة .

لقد اشترطت معاهدة مرو التي عقدها العرب الفاتحون مع مرزبان مرو بفسح المجال لاستيطان العرب في القرى المحيطة بمدينة مرو وقد كان لهذا الاجراء اهمية كبيرة لانه اعتبر الاساس الذي بنيت عليه علاقات العرب الفاتحين بالسكان المحليين ، تتابعت عمليات الاستيطان بتتابع الهجرات القبلية من الكوفة والبصرة . وبمرور الزمن اخذت بعض القبائل تفضل الاستقرار والاشتغال بمهن مدنية كالتجارة والزراعة بدلا من الجيش . ان هذا الاتجاه نحو الاستقرار اوجد عوامل جديدة في الموقف السياسي والعسكري واضطر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ ـ ١٢٥ هـ) الى أن يامر امير خراسان بحذف اسماء المقاتلة العرب الذين يرفضون الاشتراك في الحملات العسكرية في تركستان ويحرمهم من العطاء وهذه اول اشارة واضحة الى ان عملية الاستيطان والاندماج بين العرب والسكان المحليين الايرانيين قد بدأت فعلا ، وبدأ العرب يألفون الحياة المدنية والاشتغال بالحرف والمهن ، ولا يمكن للسلطة الاموية معارضة هذا الاتجاه الجديد بالقوة . ان الاتجاه الجديد قد قسم العرب في خراسان الى كتلتين : المقاتلة والمستقرين المستوطنين . كما ان ارسال دفعات جديدة من العرب الذين يرغبون في القتال ليحلوا محل المستقرين قد عقد الامر اكثر حيث احدث شقاقا بين القادمين الجدد والعرب القدماء .

لقد انتشر الدعاة العباسيون في مواطن استقرار العرب في خراسان . وليس من السهل التعرف على الدوافع التي حدت بمحمد بن علي العباسي على اختيار خراسان ، ولكن يمكن القول بانها كانت موطن المقاتلة العرب الذين عركتهم الحرب الطويلة في تركستان والسند وغيرها من الثغور الشرقية والذين عبروا عن تذمرهم مرارا من السياسة الاموية . وقد نظمت الدعوة تنظيما سريا محكما فكان هناك النقباء وعددهم ١٢ نقيبا يترأسهم سليمان بن كثير الخزاعي شيخ النقباء والقائم بامر خراسان . فكان غالبية النقباء من العرب من خزاعة وتميم ، وبجيلة . وهنا لا بد من القول بان بعض الشخصيات العربية تلقبت بالقاب فارسية او نسبت الى مدن فارسية فمثلا خازم بن خزيمة التميمي وهو من رجال الدعوة العباسية كان ينسب الى مروالروذ فيسمى بالمروزي ولقب عمر بن حفص المهلبي الازدي بـ (هزار مرد) وقد ظن بعض المؤرخين ان هؤلاء وغيرهم كانوا من الموالي الفرس !! . كما استغل الدعاة فكرة التنبؤات والملاحم الشعبية فاشاعوا بين الناس تنبؤات عن ظهور ابن الحارثية .

ابراهيم الامام يتسلم القيادة :

توفي محمد بن علي سنة ١٢٥ هـ فتسلم ابنه ابراهيم زمام الدعوة السرية ، وبدأ وجه فعال جديد للدعوة . وحين سارت الحالة في خراسان بانقسام العرب الى كتلتين رئيسيتين يقود احدهما نصر بن سيار والي الامويين ، ويقود الاخرى جديع بن علي الازدي الكرماني ، ادرك الدعاة العباسيون بان ظروف الثورة قد اختمرت وان الوقت قد حان لاعلانها ، فطلب سليمان الخزاعي نقيب النقباء من ابراهيم الامام ان يرسل شخصية تمثله في خراسان ، وعبثا حاول ابراهيم الامام اقناع سليمان الخزاعي بان يكون هو الشخص الذي يمثله ، ولذلك أرسل مولاه أبا مسلم الخراساني ليمثله في خراسان .

شخصية أبي مسلم الخراساني :

ان شخصية ابي مسلم ودوره في الدعوة قد اصبحا اسطورة نسجت حولها الروايات المختلفة . وقد بالغت بعض الروايات الفارسية في ابراز دوره واظهرته بمظهر المحرك للسياسة العباسية . والواقع ان المسؤولية كانت مشتركة بين النقباء الاثنى عشر ، وان سليمان الخزاعي نقيب النقباء كان وراء كل عمل قام به ابو مسلم . كما ان سليمان الخزاعي كان المتكلم باسم الدعوة والمفاوض باسمها مع شيوخ القبائل ووالي خراسان . وكان سليمان الخزاعي هو الذي يؤم الناس في الصلاة . وهذا يدل على ان سليمان الخزاعي وبقية النقباء لعبوا دورا في انجاح الدعوة لا يقل عن دور ابي مسلم الخراساني .

وحين ارسل ابراهيم الامام أبا مسلم الخراساني اوصاه على حد قول ابي مسلم نفسه ، « ان

انزل في اهل اليمن اتالف ربيعة ولا ادع نصيبي من صالحي مضر واحذر اكثرهم من اتباع بني امية واجمع الي العجم». وقال ابو مسلم في مناسبة اخرى « لقد امرنا الامام باختصاص اليمن » . واستطاع الدعاة ان ينتهزوا فرصة التصادم الذي حصل بين انصار نصر بن سيار ، وانصار جديع الازدي شيخ قبائل الازد اليمانية ، ليبعثوا دعوتهم بحرية فكسبوا الكثير من الناس . وتؤكد رواية فريدة في كتاب .(اخبار العباس وولده) ذلك فتقول :

« فطالت الفتنة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرماني (وهو ابن جديع الكرماني الذي قتل في الفتنة) ومن كان بها من العرب حتى اضجر ذلك كثيرا من اصحابها وجعلت نفوسهم تتطلع الى غير ما هم فيه ، والى امر يجمعهم ، فتحركت الدعوة يدعو اليماني من الشيعة (الشيعة العباسية) اليماني ، والربعي الربعي ، والمضري المضري ، حتى كثر من استجاب لهم .. »

تدل النصوص السابقة بصورة واضحة على ان العرب الخراسانية كانوا عصب الدعوة العباسية وان كسب الدعاة لعلي الكرماني شيخ قبائل الازد كان نقطة تحول كبيرة ، لانه كان يعني انضمام عدد كبير من العرب الى الدعوة ، وبهذه القوة الضاربة كانت نهاية نصر بن سيار والامويين في خراسان ، حيث سقطت مرو ونيسابور بيد الشيعة العباسية.

التقدم نحو العراق :

تفصل رواياتنا التاريخية في شرح الاحداث التي صاحبت تقدم الشيعة العباسية الى المدن الاخرى بعد احتلالها العاصمة مرو. فلقد جاءت اوامر ابراهيم الامام بتعيين قحطبة بن شبيب الطائي قائدا لانصار العباسيين الذين توجهوا الى العراق والشام عبر فارس . على ان المعركة المهمة وقعت في جرجان حيث وقف اهل جرجان الفرس الى جانب الامويين وقاتلوا معهم العباسيين . على ان الجيش العباسي استطاع احتلال جرجان وقتل الكثير من سكانها الفرس ، وان معركة جرجان دليل اخر على الدعوة العباسية لم تكن ثورة الفرس على العرب .

وقد ساعدت القبائل العربية في العراق الجيش العباسي حيث هدته الى اقصر الطرق واسلمها للوصول الى الكوفة . فكان من السهل على شيوخ هذه القبائل ان ينقلوا ولاءهم من الامويين الى العباسيين ، وعلى حد قول احدهم « ان دولة بني امية دولة مدبرة ، وان دولة بني العباس مقبلة » فهو يامل منها الخير الكثير !!

وقد اغلقت قبائل الموصل ابواب المدينة في وجه مروان الاموي بعد هزيمته في موقعة الزاب ، فاضطر الى الانسحاب مسرعا الى الشام . وفتحت الموصل ابوابها للجيش العباسي مستقبلة اياه بالتهليل .

وفي حصار واسط استنجد العباسيون بالقبائل اليمانية المتحصنة في داخل المدينة واغروهم قائلين : « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم ». فانحازت اليمانية الى جانب العباسيين وسقطت واسط . وقد ثمن ابو جعفر المنصور موقفهم قائلا: « فيحق لنا ان نعرف لهم حق نصرهم لنا ، وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا » .

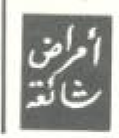
وفي حصار دمشق استنجد عبد الله بن علي العباسي قائد الجيش العباسي بالقبائل اليمانية مرة ثانية قائلا : « انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وانصارنا » .

وبعد ذلك كله فعلينا الا نستغرب ، كما يقول الجاحظ في رسائله ، من افتخار العرب بانهم سند الدعوة ونقباؤها وانصارها . ولا عجب كذلك من رفع الدعوة شعار « يا محمد يا منصور » . ومحمد هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس منظم الدعوة اما المنصور فهو منصور اليمن اي المنقذ الذي تذكره الملاحم والنبوءات وتتوقعه الدعوة القبائل اليمانية القحطانية التي كانت عصب الدعوة العباسية !!

الخاتمة

ولعل فيما ذكرناه قد اوضح انه من الضروري استبدال التفسير القديم للدعوة العباسية بتفسير جديد يجلي حقيقة هذه الدعوة مؤكدا بانها لم تكن عنصرية كما فهمها بعض المؤرخين بل على العكس فان فهمها للاسلام كان اكثر شمولا واوسع نطاقا مما تصوره بعض المؤرخين . ■■

جامعة بغداد ـــ **فاروق عمر فوزي**



سوء التغذية

يُرحب بالأمراض التي تصيب أجسامنا

« وامراض تؤدى الى سوء التغذية ، فالمرض ويدور الجسم بينهمـا في حلقـة مفرغة » .

بقلم : الدكتور نبيل صبحى

خبير في هيئة الصحة العالمية

■ يتالف الغذاء عادة ، كما هو معروف ، من المواد التالية ، منفردة او مجتمعة ، بكميـات ونسب متفاوتة حسب المصدر :

اولا : الكربوادراتات او (الفحوم المائية) كما عربها البعض Carbohydrates مثل النشـويات والسكريات وهى موجودة بكثرة في الحبوب والبقول والفواكه .

ثانيا : البروتين Protein وهو اهم العناصر التى يتشكل منها اللحم ـ واهم مصادره الحيوان، وقد يأتي ايضا من النبات .

ثالثا : الدهن Fat بمصدريه الحيوانى والنباتى .

رابعا : الفيتامينات Vitamins ، بانواعها الكثيرة وهى شائعة مالوفة .

خامسا : بعض المعادن مثل الحديد واليود والصوديوم والبوتاسيوم والفوسفور والمغنيزيوم ويحتاجها الجسم بكميات متوسطة ، وهناك معادن يحتاج الجسم اثرا منها فقط Trdee ، وهى الكوبالت والزنك والنحـاس والمانغانيز والموليد"نوم والسيلينيوم" .

وتوفر" العناصر الثلاثة الاولى بعد امتصاصها وتمثلها قدرة" حرارية يحتاجها الجسم ايصرفها في نشاطاته الدائمة عن طريق عمليات الجسم الكيماوية الحيوية Metabolism المستمرة ، ومع ازدياد معدل النشاط تزداد الحاجة للقدرة ويرتفع معدل ما يصرفه الجسم من جهد حرارى . اما الوحدة التى تقاس بها القدرة الحرارية المأخوذة والمصروفة في الجسم فهى السُعر Calory وليس هناك حد ثابت لمتوسط متطلبات الجسم من الاسعار كل يوم ، فالأمر يختلف حسب السن والجنس والعمل والبيئة الجغرافية والمناخ .

واذا كان لا بد من تقديم مثل محدّد اقول : انّ شابا صحيحا في الثلاثين من عمره وزنه حوالى ٧٠ كيلوغراما وطوله حوالى ١٧٠ سنتيمترا ، ذا نشاط يومى متوسط ، يحتاج لتغذية توفر له يوميا حوالى ٣٠٠٠ سعر . ولقد وجد العلماء ان كل غرام واحد من البروتين او الكربوادرات يوفر للجسم اربعة اسعار تقريبا ، امّا كل غرام واحد من الدهن فيوفر للجسم تسعة اسعار ، ويستحسن ان ياخذ الانسانُ في طعامه اليومى غراما واحدا من البروتين مقابل كل كيلوغرام من وزنه ، على الاقل ، واظهر مسحٌ عالمى حديث للتغذية النتائج التالية :

المنطقة	ما ياخذه الفرد يوميا من الاسعار الحرارية	
افريقيا	٢٣٦٠	للفرد يوميا
اوروبا (بما فيها الاتحاد السوفييتى)	٣٠٤٠	للفرد يوميا
الشرق الادنى	٢٤٧٠	للفرد يوميا
امركا الشمالية	٣١١٠	للفرد يوميا
اوقيانوسيا (استراليا)	٣٢٥٠	للفرد يوميا
امركا اللاتينية	٢٥١٠	للفرد يوميا

تؤدي للموت ، ان لم نقطع بالعلاج الناجع قبل فوات الاوان .

حالات من سوء التغذية :

من أهم حالات سوء التغذية واخطرها في الاطفال مرض يدعى (كوشيركر Kwashiorkor) ، وعدد المصابين به غير قليل في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وينتج عن نقص كبير في كمية البروتين وكمية الاسعار الحرارية في الغذاء الذي يتناوله الطفل ، واول من وصف هذه الحالة الدكتورة الانكليزية سيسلي وليامز عام ١٩٣٣ عندما كانت تعمل في غرب افريقيا ، وكلمة (كوشيركر) هي نفس اللفظ الافريقي لوصف هذه الحالة ، وهي تحدث عادة بعد الفطام ، وكان علاج الطبيبة لهذا المرض بسيطا فلقد اعطت المصابين كمية كافية من الحليب ، الصورة رقم (١) .

ولقد اظهر مسح محدود في اربع ولايات بجنوب الهند ان واحدا بالمئة من الاطفال ما بين عمر (١ ـ ٥ سنوات) مصابون بهذا المرض اي ما يعادل مئة وعشرين الف اصابة بين هؤلاء الاطفال. اما في افريقيا فلقد اظهر المسح ان نسبة المرض بين اطفال اوغندا هو ٦ ـ ١١ ٪ ، وفي نيجيريا ٢ ـ ٥٪ وكانت نسبة المرض في الكونغو مرتفعة جدا .

وهناك حالة اخرى خطرة من سوء التغذية تصيب الاطفال ايضا تدعى بالانكليزية مارازموس Marasmus ، وهي حالة شديدة من سوء التغذية لا تتعلق فقط بنقص البروتين والاسعار اللازمة في الغذاء بل هي نتيجة نقص شديد في الغذاء عامة ، قريبة من وضع « المجاعة » التي تحدث في الحروب



طفل مصاب بمرض كوشيركر الناتج من نقص كبير في كمية البروتين وكمية الاسعار الحرارية وهو من اهم حالات سوء التغذية .

ويدل هذا المسح ، بصورة عامة على أن شرقنا العربي لا يتمتع بمستوى غذائي محترم عند كثير من أبنائه ، وان امريكا اللاتينية ، مع أنها افقر منا نقدا ومصادر طبيعية ، هي في حالة نسبية افضل منا حسب هذه الارقام .

مدى انتشار سوء التغذية في العالم

من المؤسف أن يكون نصف سكان العالم او ربما ثلثاهم مصابين بسوء التغذية (١) الذي يقول عنه المدير العام لمنظمة الصحة العالمية ، « ان سوء التغذية هو واحد من أهم المشكلات الصحية في العالم » .

وهناك علاقة وطيدة متبادلة بين سوء التغذية والامراض بصورة عامة ، والامراض السارية منها بصورة خاصة ، فسوء التغذية يضعف مقاومة الجسم ومناعته ضد الجراثيم والطفيليات ، وبالمقابل فالامراض السارية تسبب درجات متفاوتة من حالات سوء التغذية ، وهناك حلقة مفرغة قائمة مستمرة في مناطق كثيرة من العالم .

فسوء التغذية يسهل حدوث الامراض وهذه بدورها تزيد من سوء التغذية الذي يضعف مقاومة الجسم فتشتد اعراض المرض وتزمن ثم تفدح حالة سوء التغذية وهكذا تستحكم الحلقة التي قد



(١) مقدمة المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في « دراسات اساسية » رقم ١٢ عن سوء التغذية والمرض ، منشورات منظمة الصحة العالمية ١٩٦٣ .

والكوارث الطبيعية الكبرى ، وربما تحدث الحالة رغم توفر الغذاء وذلك لعدم استفادة الطفل من الغذاء المأخوذ بسبب مرض ما ، مثل الاسهال الدائم ، راجع الصورة رقم ٢ . وفي المسح الذي أجري في جنوب الهند تبين ان هناك ربع مليون حالة بين الاطفال .

ومن الامراض الخطرة التي تحدث عن سوء التغذية « العَمَى الكلي » نتيجة نقص في فيتامين أ ـ A ـ وهو موجود في الخضار والحليب والبيض والزبدة وغيرها ، والاسم العلمي لهذه الحالة هو كزيروفتلميا Xerophthalmia ، وهو منتشر في امريكا اللاتينية والشرق والاقصى وافريقيا وبخاصة شمال افريقيا . وفي عام ١٩٦٣ اظهرت الدراسة في الاردن ان ٨٪ من الاطفال ما بين عمر ٥ر٢ ـ ٥ر٣ سنوات مصابين بالكزيروفتلميا ، ومن الجدير بالملاحظة تلازُم وجود نقص فيتامين أ ـ A ـ مع وجود بعض الامراض السارية وبخاصة الالتهابات المعوية التي تنتج عن التسممات الغذائية ، واسهالات الصيف كما يسمونها Summer Diarrhoea ، كذلك الحصبة والسل، ويظهر ان بعض الامراض السارية كجدري الماء Chicken Fox ، او حتى اللقاح ضد الجدري العادي يخفض نسبة فيتامين أ ـ A ـ في الدم كما اثبتت دراسة جرت في غواتيمالا .

ولذا يجب الحذر عند تلقيح الاطفال او الاولاد المصابين بسوء التغذية . ونتيجة دراسة شاملة لنقص فيتامين أ ـ A ـ واصابات العيون بمرض Xerophthalmia يظهر الجدول التالي أنواع الأمراض السارية التي تلازم هذا الداء في بعض دول افريقيا .

الامراض الملازمة للنقص الشديد في فيتامين أ ـ

الدولة	
مصر	الاسهالات وديدان الاسكاريس المعوية
ليبيا	الاسهالات
تونس	الاسهالات
الصومال	الحصبة
رواندا	ديدان الاسكاريس والديدان المعوية الاخرى
بورندي	السل
زامبيا	الملاريا والانكلوستوما والديدان المعوية الاخرى



قبل العلاج

كيفية تأثير الأمراض السارية في الحالة الغذائية

تؤثر الامراض السارية على الحالة الغذائية للطفل بأساليب متعددة منها :

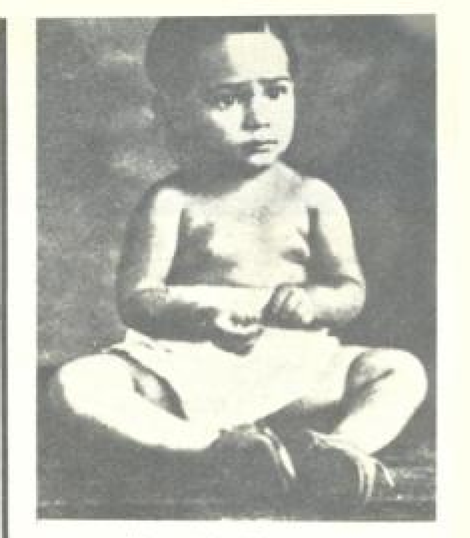
اولا : يصاحب المرض الساري حالة من ضعف الشهية Anorexia .

ثانيا : ابّان ارتفاع الحرارة في الجسم يستهلك هذا الاخير مدخراته الغذائية بسرعة وبكميات كبيرة .

ثالثا : الطفيليات التي تسبب أمراضا كالملاريا والديزنتاريا (الاميبيّة) والديدان المعوية تستعمل بعضَ البروتين ، تأخذه من جسم المريض ، كذلك قد تخرب الطفيليات الكريّات الحمراء بأعداد كبيرة كما يحدث في الملاريا ، فيضيع الهيموغلوبين ـ خضاب الدم ـ وهو يحوي أيضا كمية لا بأس بها من البروتين .

رابعا : بعض الامراض السارية كالبلهارسيا والانكلوستوما تسبب نزفا داخليا دائميا يؤدي ـ مثل الملاريا ـ الى فقر الدم ونقص الحديد وهبوط نسبة الخضاب ـ الهيموغلوبين ـ وهكذا يضعف الجسم بصورة عامة .

خامسا : تُحدث بعضُ الطفيليات ، كالاميبا ، تغييرات عضوية في جدار الامعاء الدقيقة ـ وهذا ما يشاهد ايضا في حالة مرض (الكوشيركر) ـ وينتج عن ذلك اضطراب في امتصاص وتمثّل الغذاء من جدار الامعاء .



بعد العلاج لمدة عشرة أشهر

وبالمقابل فان سوء التغذية يعرض الجسم لاصابته بالامراض السارية ، فالجسم الذى ينقصه الغذاء وبخاصة البروتين — لا يستطيع تشكيل مستوى عال من المناعة ضد الجراثيم والطفيليات — (بخاصة وحيدات الخلية) — والديدان المعوية .

لذلك فان اعراض هذه الامراض تكون أشد عادة في الجسم المصاب بسوء التغذية ، كما أن ازمان هذه الامراض يطول في مثل هذه الاجسام ، ولقد وجد الاطباء ان اعراض الملاريا تكون شديدة وتبقى طويلا في الاطفال — ما بين ٣ اشهر — ٣ سنوات من العمر — المصابين بالكوشيركر والامر كذلك في أعراض وازمان مرض البلهارسيا في المصابين بسوء التغذية ، ومن المعلومات المتداولة أيضا العلاقة المتبادلة بين مرض السل وسوء التغذية وتاثير كل واحد منهما على الاخر ؛ ولقد اظهرت دراسة في الهند ارتفاع نسبة السل في اطفال مصابين بسوء التغذية ولدوا من نساء مصابات بالسل ؛ وفي حالة سوء التغذية تتاثر عملية التليف التى تساعد ، عادة ، في تندب جروح السل .

وترتفعجدا نسبة المضاعفات عند الاصابة بمرض الحصبة اذا كان المصاب في حالة سوء تغذية ، وهذه نتائج دراسة لمئة وسبع حالات (١٠٧) بمرض الحصبة .

● سوء التغذية

الوضع الغذائي	عدد المضاعفات الشديدة
حسن	١٨
سيىء	٨٩

وفي حالات سوء التغذية وبخاصة نقص الفيتامينات أ — وَ ب ١ ، وَ ب ٢ ، وَ ج يحدث تغير في بنتيه الجلد والجدران المخاطية في الجسم بحيث تضعف مقاومتها لدخول الجراثيم المرضية .

خلاصة

ان سوء التغذية وبخاصة في البلاد النامية — اى المتخلفة — مشكلة من اهم مشكلات الصحة العامة وله انعكاسات كثيرة على ارتفاع نسبة وفيات الاطفال والاولاد الصغار ، كذلك له تاثير كبير على انتاج الفرد والانتاج القومي .

فمن البديهي ان يكون للانسان السيىء التغذية مردود منخفض سواء في مجال الزراعة او الصناعة او غيرها ، كذلك فان تاثير سوء التغذية على منجزات تلاميذ المدارس معروف ومدروس فهو يضعف من قابليتهم للفهم والتعلموالنشاط الذهني والتذكر والرغبة في التحصيل .

وفي عالمنا العربي العديد من الامراض السارية كالديدان المعوية (والانكلوستوما) والبلهارسيا والأميبا والسل والحصبة والملاريا وغيرها ، وهناك أيضا سوء تغذية عند الكثير من الاطفال والاولاد ، والتفاعل المتبادل قائم بينالأمرين لغير مصلحة الانسان العربي ، وعلى حساب صحة أجياله الناشئة ، عضويا وعاطفيا ، ناهيك عن الخسائر المادية الكبيرة ، فمتى تقوم الجهود المخلصةالمدروسة لتغير هذا الواقعالمهين، وتتعادل العقول الواعية والأيدى القوية البناءة ، ونحن لا ينقصنا ، بحمد الله ، المال فهو وفير ولا نحتاج لليد المدربة الماهرة فكثير منها عاطل عن العمل يضرب في الارض خارج الوطن بحثا عن العيش الكريم . ■■

الدكتور نبيل صبحي



فتاة يفرض ابواها عليها الزواج

انا فتاة في الرابعة والعشرين ، اكملت تعليمي الجامعي والتحقت بوظيفة ، وقد كنت سعيدة بعملي وبحياتي ، بدأت متاعبي عندما فاجأتني امي بشاب يمت لنا بصلة القرابة ، وقالت : « اسمعي يا ابنتي .. لقد كبرت ، واخشى عليك من الفتنة ، ولهذا قررت ان اختار لك هذا الشاب زوجا ! وعبثا حاولت ان اقنع امي ان فتاة اليوم غير فتاة الامس . فمن غير المعقول ان اتزوج شابا لا اعرفه ، ولا اعرف شيئا عن طباعه او اخلاقه .

انني في حيرة يا سيدي ، فقد حددت امي موعد الخطبة وكتب الكتاب ، ووافق ابي على الزواج وباركه ، قولوا لي بالله عليكم ماذا افعل ؟ .

الحائرة س. ل ـ حلب

ـ يجب الا تنسى يا آنسة انك تعيشين في مجتمع محافظ . ونحن معك في ان فتاة اليوم غير فتاة الامس ، فقد خرجت الفتاة وتعلمت وجلست بجوار الرجل ، ووقفت منافسة له في شتى مجالات العلم والحياة .

ولكن التقاليد يا ابنتي هي التقاليد ، ونحن نحمد الله على تمسكنا بتقاليدنا حتى اليوم ، في هذا العصر الذي تمزقت فيه اواصر الصلات بين افراد الاسرة الواحدة في مجتمعات اخرى سبقتنا كثيرا ، كما لو كان هذا التمزق مظهرا من مظاهر نموها وتقدمها !

اننا لانجد غرابة في هذا التصرف الذي بدر من جانب والدتك .. فانت لاشك توافقين على ان والديك يريدان لك الخير ، وحرصهما على مستقبلك لايمكن ان يكون مجالا للشك .

وقد تكون والدتك اقل منك ثقافة وعلما ، ولكنها اكثر منك تجربة ، وتجارب الحياة يا ابنتي اعلى من مستوى اية شهادة جامعية ..

لقد اختارت لك والدتك هذا الشاب من اقربائها ليكون زوجا لك ، ولم نقرأ في رسالتك مثلا انه رجل غير جدير بك . فكل اعتراضك ينصب على عدم معرفتك به وجهلك بطباعه واخلاقه . وهو اعتراض وجيه ، والسبيل الى علاجه هو أن تطلبي الى والديك ان يسمحا لكما بان تلتقيا مرات ومرات ، على ان تتم هذه اللقاءات امامهما ، ومعهما ، في البيت وفي خارج البيت ..

انك لاتشعرين باي ميل نحو هذا الشاب الذي اختارته لك امك ، كما ذكرت في خطابك ، واذن فسوف يكون عقلك وحده هو الفيصل في الحكم عليه من خلال حديثه معك وحديثك معه ، ومن خلال تصرفاته في البيت وفي خارج البيت ..

من بعرى ، فقد تجدين فيه الرجل الذي كنت تحلمين به . فلا تتسرعي في الحكم عليه لمجرد ان والدتك قد اختارته لك دون مشاورتك اولا .

وحاولي ان تركزي جهدك الان في امر واحد ، وهو ان تقنعي والديك بتاجيل الخطبة فترة من الزمن ، تتاح لك فيها معرفة هذا الرجل الذي اختاراه لك زوجا .

(م . ن)

فلم ((محمد رسـول اللـه))

● سمعت ان احدى الشركات السينمائية العربية تقوم الان بتصوير فيلم عن النبي محمد (صلعم) فهل هذا الخبر حقيقي .. وهل يجوز عرض صورة النبي الكريم في مثل هذه الافلام ؟ !

هشام عبد العظيم ـ القاهرة

ـ لقد كان انتاج فلم سينمائي عن النبي محمد صلوات الله عليه حلما يراود الكثير من العاملين في ميدان السينما العربية ، وقد بدا هذا الحلم يتحقق اخيرا بعد ان وافقت ٤ دول عربية هي ليبيا والكويت والمغرب والبحرين على تمويل انتاج هذا الفلم بمبلغ ٦ ملايين دولار . وذلك بعد ان وافق المجلس الاعلى للازهر والمجلس الاعلى الشيعي على سيناريو الفلم . وقد تكونت شركة سينمائية عربية من اجل انتاج فلم محمد رسول الله وبراس مجلس ادارتها محمد السنوسي



كم عدد الطلبة الفلسطينين في سائر البلاد العربية ؟

● نشرتم في العدد ١٧٨ من العربي احصائية عن عدد الفلسطينيين الخريجين من الجامعات والمعاهد العليا، وذكرتم أن عددهم ٥٠ الف خريج للفترة الواقعة بين اعوام ١٩٤٨ و١٩٧٢ فيا حبذا لو زدتم وذكرتم لنا اعداد الطلبة الفلسطينيين في مختلف مراحل التعليم .

ق. الصوابين
صيدا ـ لبنان

ـ الرد على سؤالك تجده في الكتيب الذى أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، عام ١٩٧٣ عن الطلبة الفلسطينيين في الوطن العربي ، وذكرت فيه أن اجمالي عدد الطلبة والطالبات الفلسطينيين بلغ نحو ٥١١ الف ، يتلقون تعليمهم في مختلف المراحل التعليمية بالمدارس والمعاهد العربية ..

ولكنها للاسف لم تذكر لنا شيئا عن عدد الطلبة الفلسطينيين في كل من لبنان والعراق .

واذا حللنا الارقام الواردة في كتيب المنظمة العربية لوجدنا أن ٦٤٪ من هذا المجموع ، اى ٣٢٠ الف طالب وطالبة ، يدرسون في المرحلة الابتدائية و٣٣٪ ، أى ١٦٦ الف طالبة وطالب ، يدرسون في المرحلتين الاعدادية والثانوية ..

والباقى اى ٣٪ ويمثل ١٤ الف طالب وطالبة ، يدرسون في مرحلتى التعليم العالى والجامعى .. والنسبة الغالبة من الطلبة الجامعيين اى ٤٤٪ يتعلمون في الكليات النظرية مثل الآداب والحقوق .. في حين أن ٣١٪ يدرسون في الكليات العملية ، مثل الهندسة والعلوم والطب وغيرها . و٢١٪ يدرسون في المعاهد العليا و٤٪ من مجموع الطلبة الجامعيين يتلقون دراسات عليا ..

اما عن توزيع الطلبة الفلسطينيين ـ ومجموعهم ٢٨٣٨٤٢ طالبا و ٢٢٦٨٦٥ طالبة ـ على المعاهد والمدارس العربية فنجد انهم يتعلمون في ١١ دولة عربية ، بيانها كالتالى :

الاردن ٢٩٣٢١٠ ـ قطاع غزة ١١٠٠٠٠ ـ الكويت ٤٢٤٥٧ ـ سوريا ٤١٤٤٧ ـ السعودية ١١٠٢٤ ـ مصر ٦٥١٤ ـ قطر ٣٠٣٩ ـ ليبيا ١٣٤٣ ـ اتحاد الامارات العربية ٢١٤ ـ البحرين ٣٠٨ ـ السودان ٤٠ عمان ١٢ .

من هذا التوزيع يتضح أن الاردن يضم ـ وهذا امر طبيعى ـ اكبر عدد من الطلبة الفلسطينيين ، يتعلمون في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية .. بينما تأتى مصر في مقدمة الدول التى تضم اكبر عدد من الجامعيين الفلسطينيين ، ويبلغ عددهم ٥٥٠٠ طالب وطالبة في الجامعة .

(س. ز)

يتكلف ٦ ملايين دولار

وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون التليفزيون في دولة الكويت .

وقد بدأ تصوير المشاهد الاولى من الفلم في مدينة مراكش بالمغرب خلال شهر يناير ١٩٧٤ . والمعروف ان ٣ كتاب مشهورين اشتركوا في كتابة سيناريو هذا الفلم وهم توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوى .

وطبقا لهذا السيناريو يستغرق عرض مشاهد الفلم ٣ ساعات كاملة وستتم عملية دبلجة الفلم بعشرين لغة من لغات أهل الارض وذلك ليعرض في مختلف بلاد العالم بلغات اهل هذه البلاد .

وقد اكد المسؤولون عن انتاج فلم « محمد رسول الله » ان صور النبى أو خلفائه رضى الله عنهم او اصواتهم او ظلالهم لن تظهر في اى من مشاهد الفلم ، وانه نتيجة لهذا التأكيد وافق رجال الدين والافتاء على انتاج مثل هذا الفلم عن اعمال الرسول العظيم ..

(ع . ط)

ابن هشام صاحب السيرة النبوية

● كنت اقرأ طبعة قديمة للسيرة النبوية التي الفها ابن هشام، فوجدته ينقل كثيراً عن سيرة اخرى الفها ابن اسحاق ، فمن هو ابن هشام ؟

عمر صالح العزاوي/كربلاء/العراق .

ـ ابن هشام صاحب السيرة النبوية هو عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري ، ويكنى ابا محمد ، والمرجح انه من « مَعَافِر » وهي قبيلة كبيرة من همدان في اليمن ، نزح كثير منهم الى مصر بعد ان فتحها الاسلام ، ولهذا يقال له «المعافري» ايضا ، ولد في البصرة ونشأ فيها ثم عاش في مصر ، والراجح انه تنقل في بلدان كثيرة كشأن طلاب العلم يومئذ ، اذ كانوا يأخذونه سماعا من شيوخه المعروفين به ، وكانت وفاته في الفسطاط بمصر في سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ .

كان ابن هشام اماما في اللغة والنحو ، ولذلك يقال له « النحوي » و « اللغوي » . ومعروف ان الدراسات النحوية واللغوية ورواية الشعر نمت وازدهرت في البصرة قبل غيرها من مراكز الثقافة الاسلامية العربية ، وقد ظهر ذلك بوضوح في ايام امامها الاكبر الخليل بن احمد (١٠٠ ـ ١٧٠ هـ) اي قبيل مولد ابن هشام ، الذي انتفع بهذه الدراسات كثيرا كما تدل على ذلك اخباره ، ووصف العلماء له بانه امام في اللغة والنحو .

ومن كتب ابن هشام كتابه « شرح ما في اشعار العرب من الغريب » ، وهو يدل على اتجاهه ،

صحف امريكا اليومية

● نرجو أن تحدثونا عن الصحف اليومية في الولايات المتحدة الامريكية وقد حدثتمونا في عدد سابق عن المجلات الاسبوعية وغير الاسبوعية في تلك البلاد .

ـ الصحف اليومية كثيرة جدا في الولايات المتحدة الامريكية وقد بلغ عددها في آخر احصاء لها نشروه في مطلع هذه السنة ١٧٦٠ صحيفة . وقد تختلف هذه الصحف من حيث سعة الانتشار والاتجاه الا انها تتشابه في أنها تلعب دورا حيويا وخطيرا في حياة البلاد ، شأنها في ذلك كشأن الصحافة في سائر دول الغرب المتقدمة . ويعزى ذلك فيما يعزى اليه ، الى ما تنعم به تلك الصحف من حرية كادت ان تكون مطلقة ، حرية في الرأي والقول والعمل ، تؤكدها الدساتير ، وتكفلها المجالس النيابية وتقدسها ويدافع عنها افراد الشعب وفئاته . لا عجب اذن ان تمتعت بعض الصحف الامريكية بنفوذ كبير يمكنها من الوقوف في وجه حكومة واشنطن والبيت الابيض بالذات . ويصدق هذا بخاصة في صحيفتي النيويورك تايمز والواشنطن بوست ، وهما ليستا أكثر الصحف الامريكية انتشارا كما نرى في الجدول التالي :

الصحف الامريكية الأكثر انتشارا

الصحيفة	التوزيع	
وول ستريت جورنال	١٫٣٠٠٫٠٠٠	نسخة يوميا
لوس انجلس تايمز	١٫٠٣٦٫٩١١	نسخة يوميا
نيويورك تايمز	٩٤٠٫٠٠٠	نسخة يوميا
شيكاجو تريبون	٦٨١٫٧٦٦	نسخة يوميا
واشنطن بوست	٥٣٢٫٠٠٠	نسخة يوميا

وتحتل صحيفة النيويورك تايمز بالتخصيص مكانة بارزة وفريدة بين صحف امريكا جميعها . فهي الاولى بين تلك الصحف ، ولعلها الاولى بين

وبحره في الشعر واللغة حتى القريب ، ثم كتابه« التيجان ، لمعرفة ملوك الزمان » ، وهو يتضمن قصص الانبياء وملوك اليمن ، وقد اشرنا قبل الى ان ابن هشام يماني الاصل ، وهذا الكتاب طبع حديثا .

واما اشهر كتبه واروجها واكثرها معتمدا عليه فهو كتابه« السيرة النبوية» ونعرف بسيرة ابن هشام ولا تقاربها اى سيرة قديمة في رواجها الا « السيرة الحلبية » لمؤلفها علي بن برهان الدين (عاش في مصر ٩٧٥ ـ ١٠٤٤) .

على ان ابن هشام انتفع في سيرته بسيرة للنبي سبقت ، الفها ابن اسحاق (ولد في المدينة في سنة ٨٥ هـ ومات في بغداد سنة ١٥٠ او سنة ١٥٢ هـ) وقد اشار ابن هشام الى هذا بالنقل عنها غالبا .

على ان ابن اسحق لا يقتصر على السيرة النبوية فكتابه اوسع نطاقا في الزمن ، يشمل بدء خلق العالم وتاريخ البشرية ـ كما كان معروفا في زمانه ، حتى وفاة النبي في المدينة .

اما ابن هشام فيبدا سيرته بذكر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ويعرض باختصار لاخبار اجداد النبي حتى ظهور قريش واستيلائها على مكة ، ثم مولد النبي وحياته في مكة ، ثم جهاده حتى توفي بالمدينة ، وقد ترك ابن هشام من سيرة ابن اسحاق مالا يتعلق بالنبي ، وما لم ينزل فيه قران ، او يفسر شيئا منه ، او يكون شاهدا عليه ، وحذف من اشعارها مالم تصح نسبته الى اصحابه عند اهل العلم بالشعر ، كما حذف ما يشنع الحديث به او يسوء بعض الناس ، ثم زاد عليه كثيرا من الاخبار والاشعار التي يعرفها هو عن رواة عن رواة اخرين . ودعم بعض روايات ابن اسحق باسانيد اخرى .

(م.خ.ت)

صحف العالم جميعها من حيث ضخامة جهازها الاخبارى وشمول تغطيتها للانباء المحلية والعالمية .

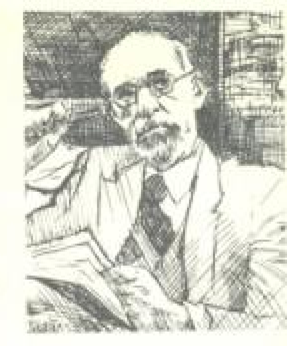
ولو ذكرنا ان عدد العاملين في قسم الاخبار في صحيفة النيويورك تايمز لا يقل عن ٦٥٠ محررا ومراسلا لما استغربنا التحقيقات الاخبارية الرائدة والكشوف الصحفية المثيرة التي تقوم بها هـــذه الصحيفة بين حين واخر . ونذكر من هـــذه التحقيقات مذبحة ماى لاى التي قام بها نفسفا ، عدد من الضباط والجنود الامريكيين في فيتنام . فقد فضحت الصحيفة هذه الجريمة البشعة ، رغم تستر سلطات الجيش الامريكي عليها ، ولم تكف عن الحملات المركزة التي راحت تقوم بها بصددها حتى امكن تقديم مرتكبي تلك الجـريمة الى القضاء .

وبلغت صحيفة النيويورك تايمز ذروة تحقيقاتها وحملاتها تلك في المعركة التي خاضتها ضد حكومة الرئيس جونسون السابقة فقد اثبتت ان الحكومة الامريكية كانت تضلل الشعب الامريكي وتكـذب على مجلس الكونجرس الامريكي فيما يتصـــل باسباب حرب فيتنام واحداثها . اثبتت ذلك بالوثائق الخطيرة التي كانت تحتفظ بها طي الكتمان وزارة الدفاع الامريكية والتي استطاعت النيويورك تايمز الحصول عليها ونشرها على الملا تباعا ، ثم تعميمها في كتاب وزعته في اسواق العالم على اوسع نطاق . على الرغم من اعتراض الحكومة بل محاكمة الصحيفة عليها ..

وتلعب صحيفة النيويورك تايمز كذلك دورا قياديا بارزا في ميادين اخرى غير السياسة ، نذكر منها الادب ونقد الكتب ، والفن المعماري وهندسة البناء ، والتمثيليات المرحية وبلغ من نفــوذ محرري الصحيفة في هذا الباب الاخير ان تمثيليات مسرح برودواي بالذات تعتمد في نجاحها وفشلها والى حد كبير على راى نيويورك تايمز فيها .

وتجدر الاشارة قبل اختتام هذه الكلمة الى ان صحيفة واشنطن بوست قد تقدمت كثيرا في المدة الاخيرة لا سيما بعد الكشف الصحفي الكبير الذى حققته في فضيحة واترجيت ولعلها بدات تنافس النيويورك تايمز نفسها من حيث عنف ما تخوض من معارك وجراة ما تقوم به من حملات ضـــد الحكومة الامريكية .

(ي. ز)





للكاتب الروائي سمرست موم

■ تتحكم البيئة في حياة اكثر الناس ، وهم لا يتقبلون الظروف التي ألقى بهم في غمارها باستسلام فحسب ، بل يرتضونها بنية حسنة ، وهم مثل عربات الترام التي تجرى في الشوارع على قضبانها راضية قانعة ، وهم يحتقرون السيارات الصغيرة الخفيفة الحركة ، التي تشق طريقها خلال حركة المرور ، وتنطلق مرحة مسرعة في الخلاء المكشوف ، وانا احترمهم فهم مواطنون افاضل ، وازواج طيبون ، وآباء صالحون .

وبطبيعة الحال لا بد ان يدفع الضرائب بعض الناس ، ولكنى لا أجدهم مثيرين للاهتمام ، وانما تشوقني وتختلب لبي الرجال الافذاذ بحق ، الذين يحملون حياتهم بين ايديهم ، ويشكلونها على ما يبدو ، حسب ما يميلون اليه ، وربما لا نملك ما يسمونه حرية الارادة ، ولكن مهما يكن من الأمر فاننا نتوهم وجودها ، ويبدو لنا عند مفترق الطرق اننا نستطيع أن نتجه يمينا او شمالا ، ومتى تم الاختيار فمن الصعب أن نرى ان اتجاه تاريخ الدنيا برمته قد ارغمنا على السير في الاتجاه الذى اخترناه .

ولم الق قط في حياتي انسانا اكثر اثارة للاهتمام من ميهيو ، لقد كان محاميا في مدينة ديترو يت ، وكان محاميا ناجحا ، وحينما بلغ الخامسة بعد الثلاثين كانت مهنته تدر عليه مالا وفيرا ، وقد جمع ما يكفيه ، ووقف على عتبة المجد ، وكان له ذهن دقيق ، وشخصية جذابة ، واخلاق مستقيمة ، ولم يكن هناك ما يحول دون ان يصبح من الناحية المالية او من الناحية السياسية قوة في البلاد .

وفي ذات مساء كان جالسا في ناديه مع جماعة من الاصدقاء يحتسون كؤوس الشراب ، وكان احد هؤلاء الاصدقاء قد عاد حديثا من ايطاليا ، وحدثهم عن منزل رآه في جزيرة كابرى ، يقوم فوق تل مشرف على خليج نابولي ، وبه حديقة فيحاء وارفة الظلال ، ووصف لهم جمال أجمل جزيرة في البحر الابيض المتوسط .

فقال ميهيو : « يبدو لي انه منزل انيق ، فهل هذا المنزل معروض للبيع ؟

فاجابه صديقه قائلا : « كل شيء في ايطاليا قابل للبيع » .

ـ « فلنرسل اليهم برقية ، ونقدم لهم عرضا لشرائه » .

« ولكن ماذا تصنع بمنزل في كابرى ؟ » .

فاجاب ميهيو : « اعيش فيه » .

واستحضر صورة برقية ، وكتبها ، وبادر بارسالها ، وجاءه الرد بعد ساعات قلائل بقبول العرض الذى قدمه .

ولم يكن ميهيو منافقا ، ولذلك لم يخف حقيقة انه ما كان ليقدم على مثل هذا العمل الجنوني لو كان مكتمل الوعى ، ولكنه ـ بعد ان استرد وعيه ، وثاب الى رشده ـ لم يأسف على ذلك ، ولم يكن ممن ينساقون مع الدوافع ، ولا ممن تحركهم العواطف ، وانما كان رجلا أمينا مخلصا ، وما كان ليمضي في هذا التظاهر بحب المخاطرة والاقدام ، لو هداه تفكيره الى أن هذا التصرف لم يكن حكيما ، وصمم على أن يعمل بما قاله ولا يحيد عنه قيد أنملة . ولم يعبأ بالثروة ، وكان عنده من المال ما يكفي لمعيشته في ايطاليا ، ورأى انه يستطيع أن يفعل بحياته شيئا اكثر من أن يقضيها في تسوية خصومات تافهة ، تقوم بين قوم لا اهمية لهم ، ولم يكن له خطة معلومة ولا غاية مرسومة ، وانما كان يريد أن يهرب من حياة اعطته كل ما تستطيع منحه ، وأحسب اصدقاءه خالوه قد أصيب بلوثة ، وبذل بعضهم كل ما يستطيعون من جهد ليثنوه عن عزمه ، ولكنه سوى أموره ، وشحن أمتعته وارتحل .

وكابرى صخرة جرداء موحشة ، ولكن كرومها الخضر البواسم تضفي عليها جمالا رقيقا شفافا ، وهي متنائية ، خفيفة الظل ، تستحب الاقامة

فيها ، وقد وجدتُ أنه من الامور الغريبة أن يستقر ميهيو بهذه الجزيرة المحبوبة لانى لم أعرف انسانا أقل منه احساسا بالجمال ، ولست أدرى ماذا كان يطلبه بها ، أهو السعادة ، أو الحرية ، او مجرد اللهو والراحة ، وانى اعرف ما وجده ، ففى هذه المكان الذى يستجيب استجابة شديدة للحواس عاش عيشة رُوحيةً كاملة،وذلك لأن هذه الجزيرة غنية بالذكريات التاريخية،اذ ترف عليها باستمرار ذكرى ذلك الامبراطور الغامض تابيرياس ، وكان ميهيو يشرف من نوافذ منزله على خليج نابولى وصورة بركان فيزوفياس الذى تتغير الوانه بتغير الضوء ، فيرى مئات الاماكن التى تعيد ذكرى الرومان واليونان ، فاخذت أطياف الماضى تغشاه ، وكان كل ما راه لاول مرة يحرك فى نفسه الخيال الخلاق ، لأنه لم يكن قد ذهب الى خارج بلاده قبل ذلك ، وكان رجلا جم النشاط ، وسرعان ما عقد العزمَ على أن يكتب فى التاريخ ، واخذ يبحث عن الموضوع الذى يتناوله ، واستقر رأيه اخيرا على أن يكتب تاريخ الدولة الرومانية فى القرن الثانى ، وكان المعروف عن هذا التاريخ قليلا ، وبدا له أن تاريخ تلك الفترة يقدم لنا مشكلات شبيهة بمشكلات عصرنا الراهن .

وبدأ فى جمع الكتب وسرعان ما اصبحت فى حيازته مكتبةٌ ضخمة ، وكان تدريبه القانونى قد علمه سرعة القراءة ، واقبل على العمل ،وكان فى بادىء أمره قد تعود أن يجتمع فى المساء مع المصورين والكتاب واضرابهم الذين كانوا يتلاقون فى حانة صغيرة قريبة من الميدان ، ولكنه سرعان ما امسك عن حضور هذه الاجتماعات ، لأنانغماسه فى دراساته اصبح طاغيا ملحا ، وكان من عادته ان يذهب للاستحمام فى ذلك البحر الهادىء ، وأن يتجول طويلا فى كروم الجزيرة الشائقة ، ولكن حرصه على الوقت جعله يمتنع عن ذلك شيئا فشيئا ، واخذ يعمل بنشاط ودأب اكثر مما كان يلتزمه فى ديترويت : كان يبدأ العمل فى منتصف النهار ، ويظل يعمل طوال الليل حتى يسمع صفير الباخرة التى تذهب فى كل صباح من كابرى الى نابولى ، فيعلم أن الساعة قد بلغت الخامسة صباحا فيأوى الى فراشه .

واتسع امامه نطاق الموضوع ، وتكشفت له نواحيه أكثر فاكثر ، وتخيل مؤلفا يضعه الى جانب كبار المؤرخين السالفين ، وكان كلما مرت السنوات تدَّر غشياته للاماكن التى يَرى فيها الناس ، ولم يكن يغريه بالخروج من المنزل سوى قيامه بلعب دور من أدوار الشطرنج ، او مصادفة الدخول فى مناقشة ، وكان كلفا بان يضع اراءه فى مواجهة اراء غيره ، وقد أصبح واسع الاطلاع ، لا فى التاريخ وحده،بل فى الفلسفة والعلوم كذلك ، وكان بارعا فى الجدل والنقاش ، سريع الخاطر ، صارما ، ولكنه كان مع ذلك ميالا الى الفكاهة ، جمَّ العطف ، كان يجد متعة انسانية فى الغلبة والانتصار ، ولكنه لم يكن يجد سرورا فى القمع والاذلال .

وكان فى ابتداء مجيئه الى الجزيرة ضخما فخما مفتول العضل ، له شعر أسود كثيف ،ولحية سوداء ، وبنيتُهُ قوية ، ولكن جلده أخذ فى الاصفرار والشحوب شيئا فشيئا ، ونحف جسمه ، ودبَّ فيه الهزال ، وكان هنالك تناقض عجيب فى أشد الناس تمسكا بالمنطق ، فقد كان من أشد الناس اقتناعا بالنزعة المادية وتحمسا لها، ولكنه كان مع ذلك يحتقر الجسد ، وينظر اليه باعتباره آلةً حقيرة يستطيع أن يرغمها على ان تقوم بما تطلبه الروح،ولم يستطع المرض ولا الكلال أن يمنعاه من الاسترسال فى عمله ، وقد ظل طوال اربعة عشر عاما يعمل جاهدا بغير تهاوُن ولا تراخ، وكتب الآلاف المؤلفة من المخطوطات ، وحققها ونسقها ، واصبح مالكا زمامَ موضوعه ، وكان مستعدا بعد ذلك ليبدأ الكتابة ، وجلس ليكتب ، وادركته الوفاة .

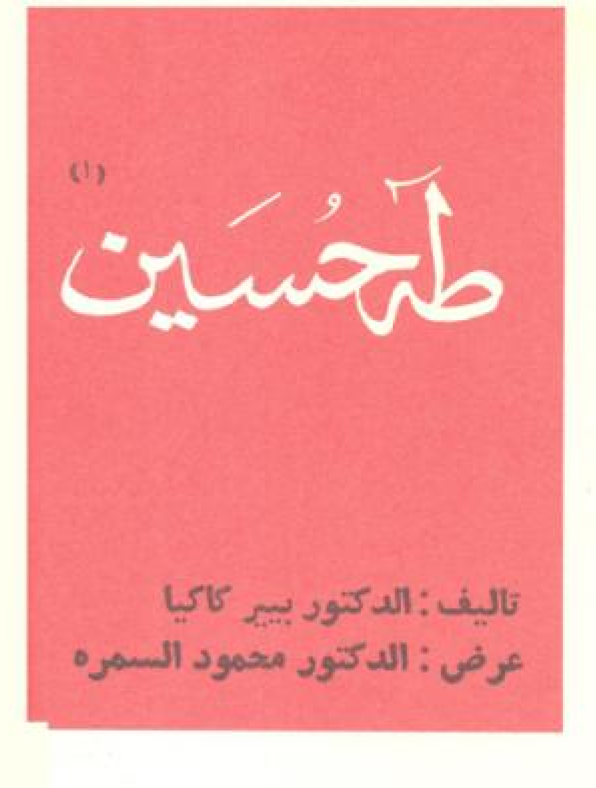
فالجسد الذى احتقره هذا الذى كان يدين بالمذهب المادى قد انتقم لنفسه .

وفقدت هذه المجموعة الهائلة من المعرفة الى الابد ولقد كان عبثا هذا الطموح ، ومن المؤكد انه لم يكن طموحا غيرَ نبيل . كان يريد أن يوضع اسمه الى جانب اسم جيبون وهو مسن، وذكراه ما تزال باقية فى نفوس اصدقائه القليلين ، وهم ــ واسفاه ــ يقلون كلما مرت السنون ، وهو فى موته مجهول فى الدنيا كما كان مجهولا فى حياته.

ولكن حياته فى رايى كانت نجاحا ، فقد صُبَّت فى قالب صالح وكامل ، لانه فعل ما اراد ، وقد قضى نحبه حينما تراءى له هدفه ، ولم يعرف مرارة تحقيق الهدف وبلوغ الغاية . ■■

ترجمة : علي أدهم





طه حسين (١)

تاليف : الدكتور بيير كاكيا

عرض : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب عن طه حسين كتبه بدقة واستقصاء الدكتور كاكيا ، المالطي الجنسية ، الاسكندراني النشأة ، والمحاضر الان في قسم الدراسات العربية والاسلامية بجامعة ادنبره . والكتاب في سبعة اقسام تتحدث عن عصر النهضة في مصر ، وطه حسين الانسان ، والمصلح ، والاديب . وساعرض فيما يلي لفصلين ، هما : شخصية طه حسين ، وطه حسين المصلح .

توفي طه حسين عن ٨٤ عاما

في عام ١٨٨٩ ، وفي احدى قرى مغاغة في الصعيد المصري ، ولد طه حسين . وكان السابع بين ثلاثة عشر ولدا وبنتا ، والخامس بين اخوته الاشقاء . وفي سن الثانية رمدت عيناه ، فاخذته امه الى حلاق ليعالجه . فاودى جهله ببصره . وكان لهذه العاهة من التاثير في نفسه ، بحيث لانكاد نجد اثرا من اثاره يخلو منه . وفي الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الاحد ، الثامن والعشرين من شهر اكتوبر (تشرين الاول) من عام ١٩٧٣ ، فارق دنيانا عميد الادب العربي ، الدكتور طه حسين ، ابعد انسان اثرا في حياتنا الفكرية والادبية المعاصرة ، وقد بلغ الرابعة والثمانين من العمر :

شخصيته

وطه حسين مثل حي على ان قوة الارادة قادرة على التغلب على كل العقبات . وهذا الجانب هو ما اكدت عليه جامعة اكسفورد ، عندما منحته درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب .

وهو شديد الحساسية لعاهته ، يعود اليها دوما في كتاباته ، وهي التي حببت اليه فيلسوف الشعراء ابا العلاء المعري ، لان بينهما مشابه كثيرة.

وكان يعوض عن فقد بصره بارهاف حواسه الاخرى ، ولهذا كان شديد الحساسية للاصوات والروائح ، والاشياء الملموسة . ونجده احيانا يستخدم حواسه في غير ما خلقت له ، لتقوم عنده بما تقوم به حاسة البصر .

• والغريب انه كان يجد للظلمة صوتا يبلغ

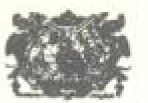
(1) Pierre Cachia, Taha Husayn: His Place in the Egyptian Literary Renaissance.

ṬĀHĀ ḤUSAYN

HIS PLACE IN THE EGYPTIAN LITERARY RENAISSANCE

By

PIERRE CACHIA, B.A., Ph.D.



LUZAC & COMPANY LTD.
46 GREAT RUSSELL STREET, LONDON W.C.1
1956

اذنيه ، صوتا متصلا يشبه طنين البعوض لولا انه غليظ ممتليء ، وكان هذا الصوت يبلغ اذنيه فيؤذيها ، ويبلغ قلبه فيملؤه روعا » . (٢)

وهو لايحاول ان يخفي عنا احساسه بهذا النقص الذى يعاني منه بسبب فقده بصره . واذا كنا نقع في كتبه على كثير من الاوصاف للاشياء المنظورة ، فانه يعترف ان عاهته تقعده عن القيام باعمال كثيرة : فهو ان حاول ان ينظم الشعر ، فانها تحد من خياله ، وتجعله عاجزا عن منافسة الشعراء ، وعلى هذا فهو لا يستطيع ان يكون سوى مقلد لمن احب من الشعراء (٣) وفي مقارنة له بين (بروج) ، و (فينيسيا) يستدرك انه انما يحاول ذلك عبثا بسبب لايخفي على القارىء :

« لقد اريد ان احدثك عما في هذه المدينة « بروج » من الآثار ، ومن آيات الفن ، ولكني عاجز كل العجز عن هذا ، واحسبك لاتجهل مصدر هذا العجز . » (٤)

وقد جعلته هذه العاهة شديد الحساسية في علاقته بالاخرين ، فكان لايرضى ابدا ان يقف منهم موقفا يجعله دونهم ، وكان اشد ما يكره ان يطلب اي شيء من اى انسان . وعندما كان طفلا كان يشارك الاطفال الاخرين في العابهم بخياله ، فعرفها دون ان يلعبها ولو مرة . وفي صباه كان لاياكل امام الاخرين طعاما يحتاج فيه الى استعمال الملعقة ، الى ان تزوج وغيرت زوجته من عادته هذه . وكان اشد ما يخشى سخرية الاخرين منه .

وطه حسين شديد الثقة بنفسه ، معتز بآرائه، غير مستعد للمساومة او التساهل ، ولايزعجه ان ياخذها الاخرون ، او ان يجرحوها :

« وانا — حين اذيع في الناس رايا ، او انشر فيهم كلاما — لا اتحفظ ، ولا اعطي بيد لآخذ بالاخرى . وانما اذيع مخلصا ، وانزل للناس صادقا عن كل ما انشر وما اذيع ، وابيح لهم ان يأخذوا وان يستغلوا ، بل اجد سعادة لا تعدلها سعادة حين اراهم يأخذون ويستغلون . وأني كذلك مخلص كل الاخلاص ، صادق كل الصدق ، بعيد كل البعد عن التكلف حين اقول : اني لا احب شيئا كما احب نقد الناقدين لي ، وانكار المنكرين علي ، وتشهير المشهرين بي .

وان الذين ينقدون ويعيبون ويشهرون لايعرفون من عيوبي الا أقلها ، وهم حين ينقدون ويعيبون ويشهرون انما يؤدون الي بعض ما احب ان يؤدى الي من حق ، فايسر ما للكاتب على قرائه ان يقوموا عوجه ، ويصلحوا خطأه » (٥)

★ ★ ★

وهذه الثقة الفائقة بالنفس ، وتاكيد الذات ، كانت تدفعهالى ان يقف مواقف متطرفة : كموقفهمن شيوخ الازهر ، وما كتبه عن حافظ وشوقي والمنفلوطي ، الى غير ذلك . وكان يدافع عن آرائه بقوة وشجاعة وتصميم واذا هوجم كان رده عنيفا : فقد كتب ردا على هجوم الرافعي عليه ، قائلا :

« لقد يكون من الحق على الرافعي ، لو انصف نفسه ، ان يعلم اني من قوم قد بلوا السفهاء ، فاحسنوا بلاءهم ، وصبروا لهم واحتملوا منهم شرا كثيرا،لاضجرين،ولا متحجرين ولا مستخفين في ثيابهم . وان رجلا يحتمل من السفهاء مثل ما تحتمل منذ امتحن الله مصر في أخلاقها هذه

(٢) على هامش السيرة ، ص ٣٨
(٣) تجديد ذكرى ابي العلاء ، ص ١٢٠ — ١٢١
(٤) من بعيد ، ص ١١٠
(٥) من حديث الشعر والنثر ، ص ٦

الاعوام الاخيرة ، لخليق الايضيق صدره ان زاده الله على هؤلاء السفهاء واحدا ، او يسم لفرط ان نقص الله من هؤلاء السفهاء واحدا » .

ومن طبيعة الانسان المفرط الحساسية ، أن تأسره بادرة الحب ، ويثيره اى مظهر من مظاهر الاستخفاف به ، او النقد له . وهكذا كان طه حسين : يحب فيفنى نفسه كلها لمن يحب ، ويكره فلا تعرف كراهيته لها حدودا .

ان طه حسين ، بتكوينه النفسي ، وسلوكه ، نتاج هذه العاهة التى اصيب بها منذ ان كان طفلا فى الثالثة من العمر .

فلسفته

يقول لنا طه حسين انه يجد متعة كبيرة فى قراءة افلاطون ، وارسطو ، والتفتازاني ، وديكارت ، وسبنسر ، وبيرجسون .. وايضا فى قراءة جيته ، وشيلر ، وهاينى . اما كانت وهيجل ، ومعظم الفلاسفة الالمان ، فلا يستسيغهم .

وتاملات طه حسين دون قراءاته بكثير . وقد عرف الفيلسوف بانه : الانسان الذى درس دراسة علمية وعميقة ، العلوم الطبيعية ، واللاهوتية ، والاخلاقية ، وطبقها على حياته العملية وسلوكه الشخصي ، بحيث لا يكون هناك تناقض بين هذه العلوم وما يصدر عنه من أفعال (٦) .

وواضح ان مثل هذا التعريف انما هو تعريف للحكيم لا للفيلسوف .

ونقطة الانطلاق فى فلسفة طه حسين ، هى الايمان « بالحتمية التاريخية » : فكل ظاهرة ، سواء أكانت مادية أم خلقية ، يمكن ردها الى قوى اجتماعية أو كونية .

والتطور من طبيعة الاشياء . وقد لا ندرك هذا التطور فى حينه ، وقد نكرهه ونحاول مقاومته ، ولكنه يستمر فى تقدمه كالجيش المنتصر . وهو نتيجة للصراع الدائم بين الخير والشر .

واذا كان طه حسين قد اكد ان التطور من طبيعة الاشياء ، فانه لا يبين لنا كنه القوة الكامنة وراء هذا التطور . وغرائز الانسان تدفعه الى الشر ، والعقل هو النور الذى يثير الظلمة . ولهذا كان يجب أن يكون العقل مرشد الانسان فى حياته .

ومهما كان الضوء ضعيفا ، والظلمة كثيفة ، فعلى العقل الا يتخلى عن القيام بمسؤوليته .

وينتج عن هذا أن تاريخ التقدم الانساني هو تاريخ الدور الذى لعبه العقل فى الحياة الانسانية . وقد استعرض طه حسين فى كتابه « قادة الفكر » الفكر الانساني فى تطوره . وفى رايه ان المرحلة الاولى كانت « عصر الشعر » ، عندما كان الخيال اداة المعرفة الاولى . والمثال عليه هوميروس ، سواء وجد حقيقته كانسان أم لا . ثم جاء « عصر الفلسفة » ، وهو عنصر نمت فيه الفردية ، وتشدّ البشر توسيع قاعدة الحكم ، وحاولوا استغلال الطبيعة ، بدلا من أن يقفوا امامها مذعورين . ويمثل هذا العصر: سقراط ، وافلاطون ، وارسطو . وتلا هذا « عصر السياسة » ، عندما حاول الاسكندر ، ثم يوليوس قيصر ، توحيد العالم فى حضارة واحدة . وكان الاغريق والرومان فى هذا سابقين لعصرهم . وكان العصر الرابع هو « عصر الشرق » ، وهو عصر كانت السيطرة فيه للدين ، سواء فى الشرق او الغرب . والطريق الاسلم ، فى رايه ، ان يجمع الانسان بين الايمان الديني ، ونور العقل ، اذ ليس للانسان غنى عن اى منهما .

آراؤه التجديدية

يرى طه حسين أن وجود الصراع بين القديم والحديث امر طبيعي ، وهو دليل على الحيوية :

« ويظهر أن هذه الخصومة ستستمر ابدا فى كل لغة ، وفى كل جيل ، وحول كل ادب . »

وحيثما وجدت حياة ، وجدت قوتان : قوتا القديم والجديد . وقد يحدث احيانا ان يختل التوازن بينهما . فاذا انتصر القديم ساد الركود والجمود ، واذا غلب الجديد كان هناك تطور . ولكن هذا التطور مرحلى ، لا يلبث ان يصبح قديما ، وفى صراع من جديد مع الجديد .

« فليس للجديد بدّ من أن يجاهد ليظهر ويستأثر بالحياة ، وليس للقديم بد من أن يجاهد قبل أن يزول ويفقد سلطانه على النفوس . فما دامت هناك حياة ، فهناك قديم وجديد ، وجهاد بين القديم والجديد ، وانصار للقديم وانصار للجديد . » (٧)

---

(٦) تجديد ذكرى أبى العلاء ، ص ٢٥٠

(٧) حديث الاربعاء ٣/ ٣١

« وقوام الحياة الصالحة لأمة من الامم ، أو مظهر من مظهرها الاجتماعى ، انما هو التوازن الصحيح بين عنصر الاستقرار ، وعنصر التطور . فاذا تغلب عنصر الاستقرار فالأمة منحطة . واذا تغلب عنصر التطور فالأمة ثائرة ، والثورة عرَض والانحطاط عرض ، كلاهما يزول ليقوم مقامه النظام المستقر على اعتدال هذين العنصرين . »(٨)

وقد شرح طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » ، ركائز التجديد الذى يريده ، وجعل هذا التجديد قائما على ثلاثة اركان : احتذاء الغرب ، واحياء التراث العربى الاسلامى ، والشخصية المصرية . ويبدو ان طه حسين متأثر فى موقفه هذا بفاليرى ، الذى يرى أن الفكر الاوروبى هو حصيلة اركان ثلاثة ايضا هى : الحضارة الاغريقية كما تبدو فى الادب والفلسفة والفن ، والحضارة الرومانية البادية فى السياسة والشرائع ، والمسيحية . ويرى طه حسين أن مصر تشارك اوروبا فى الاخذ من الحضارتين الاغريقية والرومانية . وهى بايمانها بالاسلام ، تقترب اكثر من اوروبا ، للتشابه الكبير بين الديانتين اللتين ظهرتا فى الشرق الادنى ، وتأثرتا بالفلسفة الاغريقية .

ورغم اعجابه الشديد بالحضارة الغربية ، فانه يعترف أن لها عيوبا لا تنكر . ولكن هذه العيوب يجب ألا تمنعنا من الاخذ منها خشية أن يتسرب الينا شىء من عيوبها ، فقد اقبل اجدادنا من المسلمين الاول على الحضارة الاغريقية ، والحضارة الفارسية ، يأخذون منهما ، دون أن يخشوا تسرب شىء من عيوبهما اليهم . ولا خوف على مصر أن تفقد شخصيتها ، ان هى اخذت عن الغرب ، لأن شخصيتها قائمة ثابتة ، مستمدة من جغرافيتها ودينها ، ولغتها ، وتراثها .

★ ★ ★

وثقافة مصر ، وان كانت شرقية فى اصولها ، الا انها تمصرت فى وقت مبكر من التاريخ ، واصبحت وكأنها مصرية المنبت والمنشأ . فقد ضربت جذورها فى التربة المصرية منذ القرن الاول للهجرة ، وآتت أكلها فى اخريات القرن الثانى للهجرة . واصبحت الفسطاط ، كالبصرة والكوفة ، احدى المراكز الثقافية الهامة فى الامبراطورية الاسلامية ، وتكاد تنافس بغداد فى كل ضروب المعرفة . ويصف طه حسين البيئة المصرية فى القرن الرابع الهجرى ، فيقول :

« ولم تكن البيئة المصرية أقل من البيئة الحلبية خصبا ولا نشاطا ، ولا ثروة من العلم والفلسفة والادب ، حين وفد المتنبى على الفسطاط . بل قد يكون من الخطأ أن نسوى بين البيئتين فى ذلك ، فقد كانت البيئة المصرية قديمة العهد بالحياة العقلية على اختلاف ألوانها ، أقدم عهدا بها من دار الخلافة نفسها . والناس جميعا يعلمون أن علوم الدين ، وفنون الادب ، ازدهرت فى الفسطاط قبل وجود بغداد .

ازدهرت فيها منذ أواخر القرن الاول للهجرة ، ثم سلكت سبيلها الى الرقى هادئة مطمئنة طوال القرن الثانى والثالث ، لم تضعف ولم تفتر ، ولم يدركها الخمود . ولعلها كانت تقوى حتى تتجاوز المألوف من النشاط احيانا فى بعض فروع العلم ، أو فى بعض فروع الفن ، كالذى كان حين وفد الشافعى على مصر ، وانشأ بها مدرسته آخر القرن الثانى وأول القرن الثالث ، فقد كان لهذا الحادث أثر عظيم فى تنشيط الحياة العقلية فى مصر ..

.. ولست أزعم أن الفسطاط قد سبقت بغداد ، أو بلغت منزلتها ، فى ذلك العصر ، ولكنها كانت على كل حال قريبة من بغداد ، ومتجاوزة للحظ الذى انتهت اليه حلب من النهضة أيام سيف الدولة . وقد كان العلماء ينشئون فى مصر ، وكان العلماء يفدون عليها من الاقطار الاسلامية فيعلمون فيها ويتعلمون . ولم يكن هناك فرع من فروع العلم والفن والفلسفة يزدهر فى بغداد الا وله حظ من الازدهار فى مدارس الفسطاط ومساجدها وأندية السادة والقادة من أهلها ..

★ ★ ★

ومصر فى حاضرها ، يجب أن تجعل الدين الاسلامى احد اسس نهضتها : فالاسلام هو دين العقل ، ولهذا شجع العلوم وكل ضروب المعرفة . وهو دين لا كهنوتية فيه ، ولا يفرض على معتنقيه الايمان بمعجزات لا يستطيع العقل الانسانى

---

(٨) حديث الاربعاء ٣٥/٣

استساغتها ، ويترك للناس الحرية المطلقة فى ان يؤمنوا او يبقوا على كفرهم « لا اكراه فى الدين ».

وفى كتابه « على هامش السيرة » ، يرى معجزة الرسول « القرآن » الذى يخاطب العقل الانسانى، ويظهر له كل احترام وتعظيم :

« وما رأيت أعجب من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فيما رأيت وما علمت من امور الانبياء رجل* كان يطالبه خصومه واعداؤه بالمعجزات ، فيبرأ منها ، ويعلن اليهم انه بشر مثلهم ، وانه لم يرسل ليبهر العقول بالاحداث العظام ، وانما ارسل ليتلو على الناس قرآنا يتحدث الى عقولهم فيملؤها هدى ، ويتحدث الى قلوبهم فيشمرها رحمة وبرا ». (٩)

والدين الذى يجعل همه الاول مخاطبة العقل ، لا بد وأن يكون دينا يدعو الى حرية الانسان . وهو دين التطور ، والتطلع الى المثل فى عالم الروح والمادة ، وهو دين التوحيد الذى يدعو الى العدالة الاجتماعية والاقتصادية .

« وحسبنا أن نذكر أن الاسلام انما جاء قبل كل شيء بقضيتين اثنتين : اولاهما التوحيد ، وثانيتهما المساواة بين الناس .

★ ★ ★

وبالاضافة الى الاسلام ، فان اللغة العربية والادب العربى يجب ان يكونا من اركان الثقافة المصرية فى نهضتها الحديثة . واذا كان الفرد العربى اليوم لا يتجاوب مع الادب العربى القديم، فمرد ذلك الى غزارة الانتاج الادبى الحديث الذى يصرفه عن قراءته ، وكسله فى بذل الجهد لادراك الادب القديم وتمثيله .

« ونحن لا نحب أن يظل الادب القديم فى هذه الأيام ، كما كان من قبل ، لاننا نحب القديم من حيث هو قديم ، ونصبو اليه متأثرين بعواطف الشوق والحنين ، بل نحن نحب لأدبنا القديم أن يظل قواما للثقافة ، وغذاء للعقول ، لانه أساس الثقافة العربية . فهو اذن مقوم لشخصيتنا ، محقق لقوميتنا ، عاصم لنا من الفناء فى الاجنبى ، معين لنا على أن نعرف أنفسنا .

فكل هذه الخصال امور لا تقبل الشك ، ولا يحسن فيها المراء ، ولكننا مع ذلك نحب ان يظل ادبنا القديم أساسا من أسس الثقافة الحديثة ، لانه صالح ليكون أساسا من أسس الثقافة الحديثة ونحب أن يظل ادبنا القديم غذاء لعقول الشباب ، لان فيه كنوزا قيمة تصلح غذاء لعقول الشباب . والذين يظنون أن الحضارة الحديثة قد حملت الى عقولنا خيرا خالصا يخطئون ، فقد حملت الحضارة الحديثة الى عقولنا شرا غير قليل، لم يأت منها هى ، وانما أتى من أننا لم نفهمها على وجهها ، ولم نتعمق أسرارها ودقائقها . وانما أخذنا منها بالظواهر ، وقنعنا منها بالهين اليسير، فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود وجهل ، كما كان التعصب مصدر جمود وجهل أيضا ». (١٠)

وهذا الموقف من التراث ، هو من المواقف التى قفى حياته داعيا اليه ، باذلا جهده فى الكشف عن محاسنه، وتحبيبه الى النفوس ، فى كتبه ومقالاته ومحاضراته . ووقف موقفا معاديا من الدعوة الى استعمال العامية ، لانها لا تقوى على التعبير عن الادب الرفيع ، والفكر الدقيق . ولكنه دعا الى تبسيط الفصحى ، عن طريق ابتكار طرق افضل لتدريسها ، وعن طريق نشر التعليم بين الشعب.

آراؤه فى اصلاح التعليم

ونحن نجد آراء طه حسين فى اصلاح التعليم فى كتابه مستقبل « الثقافة فى مصر » الذى صدر عام ١٩٣٧ .

يرى طه حسين ان التعليم ليس ترفا ، بل هو حاجة قومية لا بد منها لبناء الوطن ، كحاجته الى الجيش للدفاع عنه ، ولهذا يجب ان ينفق المال عليه بسخاء ، ولا يجوز أن يحرم منه اى مواطن بسبب فقره . والتعليم هو وسيلة الوطن لتكوين متجانس ، ولهذا انتقد بشدة وجود أنواع متعددة من المدارس فى مصر : المدارس الحكومية، والدينية ، والتبشيرية ، والخاصة . ودعا الدولة الى تولى مسؤوليتها فى الاشراف على التعليم اشرافا كاملا ، مع منح نوع من الحرية للجامعات والمعاهد العليا . اما الموضوعات التى تكون الشخصية المصرية ، وهى : اللغة العربية ، والتاريخ المصرى ، وجغرافية مصر ، والدين

(٩) على هامش السيرة ٢/٢٤٢

(١٠) حديث الاربعاء ١/١٣

الاسلامى ، فيجب ان تكون موضوعات اجبارية على الطلبة ، تشرف الدولة مباشرة على وضع مناهجها وامتحاناتها .

وطه حسين شديد الانتقاد لطريقة تقسيم مراحل التعليم فى مصر الى : مدارس ابتدائية ،واعدادية، وثانوية ، ولا يرى لهذا التقسيم معنى ، سوى ان بريطانيا هدفت من ورائه ان تضع العراقيل امام تعلم المصريين . اما التقسيم الطبيعى ، فى رايه ، فهو : مرحلة التعليم الابتدائى ، ومرحلة التعليم العام . والتعليم الابتدائى من حق كل مواطن على الدولة . اما التعليم العام فيشمل مرحلتى المدارس الاعدادية والثانوية ، وهو للطلبة المتوسطين فى مستواهم . ويبقى التعليم الجامعى مقصورا على الصفوة الممتازة عقليا ، والتى منها سينشا قادة المستقبل . ونلاحظ ان طه حسين قد عدل من رايه هذا فى التعليم الجامعى ، بعد ان اصبح مستشارا لوزارة التربية والتعليم ، ثم وزيرا للتربية والتعليم ، وذلك عندما دعا الى ان يكون التعليم فى جميع مراحله متوفرا لجميع المواطنين ، كالماء والهواء .

وهو ، وان كان قد دعا الى ضرورة الاهتمام بتعليم اللغات الاجنبية ، الا انه يرى انه يجب الا يبدأ التلاميذ بتعلمها الا فى السنة الخامسة من التعليم العام ، لان السنوات الاولى يجب ان يعتنى فيها بأن يدرّس التلاميذُ اللغة العربية . وهو ينتقد بشدة طريقة تعليمها ، ويرى ان تبسط ، وتكتب للتلاميذ الكتب الشيقة ، التى تجعلهم يحبون لغتهم ويقبلون عليها ، وتبتكر طريقة فى كتابتها تجعل الحركات حروفا من صلب الكلمة .

ولا يمكن تحقيق هذه الغاية الا باعداد المعلمين الاكفاء . وكان المعلمون يعانون من : قلة المرتبات، وكثرة الاعباء التى يحملونها،وسوء نظام الامتحانات والتفتيش الذى لا يترك لهم مجالا لاستغلال كفاءاتهم الشخصية . ثم وجه نقده للمعاهد العليا التى تخرج هؤلاء المعلمين ، وهى : الازهر، ودار العلوم ، والجامعة . ويرى ان الازهر يحسن صنعا ان اقتصر على العناية بالدراسات الدينية ، لأن طريقته القديمة فى تعليم اللغة لا تلائم عصرنا. وطريقة دار العلوم المدرسية لا تصلح لاعداد هؤلاء المعلمين ايضا ، لأنها تقتصر على تعليم بعض المعلومات على انها حقائق ، وتكتفى فى الادب بايراد نتف عن الشاعر او الاديب وما قال القدماء فيه . ولا يمكن انقاذ دار العلوم من وضعها هذا الا بالحاقها بالجامعة.والجامعة وحدها هى المؤهلة لتخريج هؤلاء المعلمين الاكفاء ، بسبب انفتاحها على الغرب ، واخذها بمناهجه فى البحث والنقد.

ثم ان الشهادة الجامعية لا تكفى وحدها لتاهيل المعلمين ، ولا بد لهم من تلقى دروس فى التربية لمدة عام .

وفوق هذا ، على مصر ان تقوم بدورها القيادى فى العالم العربى ، فتسعى الى توحيد المناهج الدراسية فى كل المدارس ، وتقوم ببناء مدارس فى البلاد التى لا تمكنها امكانياتها المادية من هذا ، وتزودها بالمعلمين .

وقد سعى طه حسين بكل قوته لتحقيق منهاجه فى اصلاح التعليم فى عهد صديقه نجيب الهلالى باشا ، وزير التربية والتعليم فى وزارة الوفد (١٩٤٢ ــ ١٩٤٤) ، وابرز ما تحقق فى هذا العهد انشاء جامعة فاروق (جامعة الاسكندرية اليوم) ، والغاء رسوم التعليم فى المدارس الحكومية ، الابتدائية والاعدادية .

وحقق طه حسين المزيد من منهاجه الاصلاحى عندما اصبح وزيرا للتربية والتعليم من يناير (كانون الثانى) ١٩٥٠ الى يناير ١٩٥٢ ، فى وزارة الوفد ، واقبل على العمل بجد ونشاط وتصميم على الاصلاح بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ الوزارات المصرية : فجعل التعليم السابق للجامعة مجانيا ، وزاد عدد الطلبة المقبولين فى المدارس ، وشاد المدارس الجديدة ، واصبحت ميزانية وزارة التربية والتعليم اكثر من ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ، وضم بعض المعاهد العليا الى بعضها وكون منها جامعة ابراهيم (جامعة عين شمس الآن) التى بدأت عملها فى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٠ ، ووضع الدراسات لانشاء جامعتين جديدتين واحدة فى مصر العليا ، والاخرى فى طنطا .

وعلى الرغم من كل هذه الاصلاحات ، فان طه حسين يبقى اكثر خلودا فى كتبه النقدية ، التى فتحت للدارسين النوافذ ليدخل منها النور . ولكن طه حسين الناقد له مكان غير هذا المقال .

■■

محمود السمره

(من الكتب التى وصلتنا ــ ص ١٤٠)

العربي : وقد كان لوفاة عميد الأدب الكبير الدكتور طه حسين رنة حزن واحساس بالفقد لدى سائر البيئات الأدبية العربية ، وكان رد فعل ذلك ان حصلنا على كثير من الرسالات القيمة ، التي كتبها الكتاب والشعراء في احياء ذكرى الفقيد ، وقد بلغت هذه من العدد بحيث تعذر نشرها جميعا ، اخترنا من بينها الرثاء الرصين الآتي الذي تكرم بكتابته الاستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي ببغداد .

في تأبين الدكتور طه حسين

« حيٌّ مع الناسِ »

بقلم : الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

■ حيٌّ مع الناس أحياءٌ بما شعروا
لا الرأي يبلَى ولا ذو الرأي يندثرُ

بأبي الفناء كتابٌ أنت سورته
تُتلَى ، وألواحه آراؤكَ الغُرر

وأنت آية هذا العصر مبصرةٌ
ماتُخطئ العين أو ما يجحد النظر

يبقيك هذا الذي أحييت من أدب
عفّاه من عرّفوا منه ومن نشروا

بما استراحوا له من قائم درجَت
على سيادته الأوهام والعُصُر

مخلّقات وأمشاجاً لو التحمت
يبعضها لتعايا الطول والقِصَرُ

حتى انبرَيْتَ لها بالشكّ تقتلها
علما فتحيا بها موءودةٌ قُبِرُوا

سبحانك الله تؤتي النورَ فاقدَه
وتَحجب النورَ عن قوم بهم بَصر

* * *

يا أيها العيلَم الهدّار ماركدَت
رياحُه أو سجَت أمواجه الغُزُرُ

أتوا سَواحلَكَ الدنيا فخامَرَهم
أن يركبوا اليمّ فاجتازوا وماعَبرُوا

مُغرَّرين رأوا تشزًا فأطمعهم
وما دَروا أنّه موج وينحسر

وأن غائرةً في القاع فاغرة
تَهوي بهم للأُلى من قبلهم غُمِرُوا

أنت ابن عشرين ماتُلوَى فتنهصرُ
وابنُ الثمانين ما تُطوَى فتنكسر

صُلْبٌ قناتُك لم تُغمَز فإن عُجِمَتْ
كُعوبُها انماز من غيظٍ بهاشرَرُ

ذَوداً عن الرأى أو نَشراً لرايتـه — بالقول يفلجُ والأقـلام تَشتَجِرُ
فى حين للـرأى أجنادٌ وأسلحـة — وفي الأساليب مهزوم ومنتصـر
وللبيـان على الألباب هَيْمَنَـةٌ — لم يُرْجَ إلاّ لمعقودٍ بها ظَفَـرُ

***

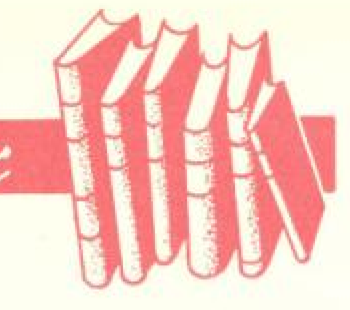
يا ثانى اثنين للعلياء دونهمـا — تُفْعِي الدهاريرُ مما آدَها السَّفَرُ
ألفٌ مضتْ وهْيَ وَحْمَى فيك مُثقَلَةٌ — حتى وُلِدْتَ فهلْ ألفٌ بها أخَرُ؟؟
عَهْدَانِ من عُمُرِ الآدابِ قد نَعِمَا — بالمِصرِيَّيْنِ هُما الأوضاحُ والغُرَرُ
وغير دَيْنِك أصداءٌ وتسليـة — يُزْجَى بها الوقت أو يَحلو بها السَّمَرُ
ويسألونك ماطه ولو خَبَـرُوا — ما عندهم منه لاستغنَوْا بما خَبَرُوا
والغيثُ يَشربُه الظمآن من قُلَلٍ — وربما سأل الأنواءَ ما المَطَرُ ؟
هذا الذى أنا ألقيه وتسمعـه — له ، فلا العودُ من عندى ولا الوَتَـرُ
والجامعات التى تَعلوك شاهقـةٌ — مما بنَى أو علَى آثاره عَمَرُوا
فالعلم زادٌ مُشاعٌ ليس يَطْعَمُه — من أترفوا ويمنّـاهُ من افتقروا

***

عايشتَ جيلَكَ أصفى ما تكون له — نبعاً وإن ساءَ وِرداً بعضُ مَن صَدَرُوا
للجامعيّين أبناءٌ أبٌ حَلِيَـتْ — به الرِّقابُ وإن شَبّوا وإن كَبِرُوا
والمجمعيين إخوانـاً أخٌ كَرُمَتْ — به الأواصرُ واعتزّت به الأُسَـرُ
تَخال من هيبة في الحَفْلِ يَحضره — أن الملائك في وَادِى طُوًى حَضَرُوا

***

عاشت على فَضْلَةٍ فى زاده زُمَرٌ — وأفضلت فأتت من بعدها زُمَـرُ
من ناقدين على منهاجه هجـوا — وباحثين على أضوائه سَفَـرُوا
حتى الذين أتوا نهْجاً يُخالفه — عاشوا بأنهمُ في خُلفِه اتّجروا
مما يهوّن من خَطْب ألمّ بنـا — أنا على كُرَةٍ يَسْعَى بها قَدَرُ
وأنّ مصرَ على ماعاهَدَتْ وَوَفَتْ — تَبنِي الشوامِخَ ماقَلّوا ومانَزَرُوا
يا مصرُ لى بك قبل اليومِ واحدةٌ — أسْرَى بها النَّجمُ واستَهدَى بها القمر
غَنّت بمطرانَ فاستهوت قصائده — بأن يَعود لها من وَصْله وَطَـرُ
سَلِمْتِ ولتذْهَب الدنيا وهل ذَهَبَتْ — دُنيَا بها مِصْرُ والفُصحَى لهاوَزَرُ؟



احصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر

تأليف : الدكتور على حلمى موسى
الناشر : جامعة الكويت / الكويت .

● لقد شهد عصرنا قفزات فكرية وعلمية استخدم فيها الكمبيوتر (العقل او الحاسب الالكتروني)بدقة منقطعة النظير فى عدد من المجالات، لذلك اصبح من آمال علماء اللغة استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في البحث عن كنوز اللغة ، واتباع المنهج العلمى فى تصنيف حروفها وتحليل جذورها واحصائها فى جداول ميسرة للدارسين .

وهذا الكتاب يدرس جذور معجم لسان العرب حيث يعتبر هذا المعجم من اكبر واشمل المعاجم التي وصلت الينا من تراثنا اللغوى ، وقد قام المؤلف بتجميع الاحصائيات وتحليلها بهدف التوصل الى معرفة مقاييس اللغة في كمها الصوتي وكيفها الحركى وقد عرض هذه النتائج فى ١١٤ جدولا احصائيا تم اعدادها على الكمبيوتر وتضمن منهجا لتوارد الحروف وتتابعها وتراكيب الجذور اللغوية كما عنى بعقد موازنات بين معجم لسان العرب وبين معجم الصحاح .

التخطيط للتعليم العالى

تأليف : الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع
الناشر : مكتبة النهضة المصرية/القاهرة/مصر

● اصبحت قضايا التعليم من القضايا المصيرية فى حياة الأمم ، كما اصبح التخطيط اسلوبا علميا للنهوض بالمجتمعات النامية ، وهذا المؤلف يعالج هذا الجانب من الموضوع ، فالتخطيط للتعليم العالى انما هو استثمار للقوى البشرية لتخريج الكادرات والاطارات والمهارات اللازمة لخدمة مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة.

والكتاب يتناول اساسيات التخطيط للتعليم العالى ومتطلباته ، والتخطيط للقوى العاملة ومشكلاته ، والربط بين الهيكل الوظائفى للدولة والهيكل التعليمي لهـا ، كما تناول مجالات التخطيط من تدريب وتمويل وتغذية ورعاية صحية وتنظيم وادارة ، ومن حيث الابنية التعليمية والاحصاء التعليمي ، ثم بالاضافة الى ذلك تناول التخطيط للتعليم العالى من حيث قطاعاته وانشطته من نشاط هندسي او تجاري او زراعى او طبي او تربوى . كما تعرض المؤلف للدراسات المقارنة في الخارج لتنظيم التعليم العالى ، واختار لذلك الاتحاد السوفييتي وامريكا وبريطانيا وبعض الدول العربية .

النظرية العامة للموجبات والعقود فى الشريعة الاسلامية

تأليف : الدكتور صبحي محمصاني
الناشر : دار العلم للملايين/بيروت/لبنان

يهدف هذا الكتاب الى استخلاص النظرية العامة للالتزام فى الشريعة الاسلامية ومقارنتها بالنظرية العامة المعروفة في القوانين المدنية العصرية ، كما يسعى الى جمع المبادىء العامة للالتزام فى الشريعة الاسلامية والى اخراجها فى لغة النظريات الحديثة او في حلة الاسلوب الحديث ، وقد حاول المؤلف هنا الالمام بالمذاهب المختلفة حتى تصبح بعدئذ مقارنة النظريات الاجنبية بالشريعة الاسلامية بكاملها لا بمذهب واحد منها ، وقد اورد المؤلف بعض احكام القانون الروماني وغيرها من المسائل التي تحتاج الى بيان ، وكان هذا شيئا لا بد منه لاجل تسهيل المقابلة التي هي اول مقاصد هذا الكتاب .

ويعتقد المؤلف ان فى الشريعة الاسلامية بمجموعها وعلى اختلاف مذاهبها أحكاما عامة ، تصلح لان تكون اساسا لنظرية عامة فى الالتزام ، واذا كان في بعض المسائل الفرعية فراغ او نقص او خلاف فذلك سببه اختلاف الأزمنة والأمكنة واختلاف النهج الفقهي الاسلامي . ■■



بين عاميتها والفصحى

بقلم الدكتور
عبد المنعم سيد عبد العال

■ اللغة ، فى حقيقتها ، وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الانسانى ، تربط بين الافراد ، وتربط بين الجماعات ، وتربط بين الشعوب ،فهى بمثابة عملة يتخذها الناس وسيلة فى تبادل المنافع ، فكلما احتاجوا الى أمر يستعينون به على قضاء حوائجهم الدنيوية لجأوا الى اللغة فقضت لهم حوائجهم وحققت لهم أغراضهم .

ومما لا شك فيه أن الفضل فى نشأة اللغة الانسانية يرجع الى المجتمع نفسه ، والى الحياة الاجتماعية ، فلولا اجتماع الافراد بعضهم مع بعض وحاجتهم الى التعاون،والتفاهم ، وتبادل الافكار، والتعبير عما يجول بالخاطر من معان ومدركات ما وجدت لغة ولا تعبير ارادى . لذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما تنشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية ، فتخلقها فى صورة تلقائية طبيعة الاجتماع ، وتنبعث من الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شئون .

عرف الناس القراءة والكتابة قراءة ولغة

وقد اصبح الناس فى عصرنا هذا يقرأون اكثر من ذى قبل ، ويكتبون اكثر كذلك ، بل ان التوسع فى محو الامية ، واخراج طابع بريد رخيص الثمن، قد منح الناس اكثر من وسيلة للاتصال الحر ، رغم المسافات البعيدة ، واصبحت الكتابة اشبه بالعادة .

لا بأس من استخدام اللفظ العامى ما دام أن له وجها لغويا

ولسهولة الاتصال فى العصر الحديث وشيوع الادوات التى تعمل على نمو هذا الاتصال وتطوره ، من صحف واذاعة ، اتجه قادة الشعوب فى كل مكان نحو اللغة القومية لاستغلالها فى توحيد أهداف الناس واحاسيسهم وميولهم ، ووجدوا أن خير جامع لتلك الاهداف ، والاحاسيس : هو اللغة المشتركة التى تنظم كل نواحى الدولة ومجتمعاتها، على أن تؤخذ الفاظ هذه اللغة المشتركة من الصحيح الذى يتحدث الناس به فيما بينهم ، وبهذا نعمل على ايجاد هوة تفصل بين حديث العامة وكتابة الخاصة ، اذ لو وجدت هذه الهوة لتوعرت الطرق المؤدية الى انخراط الكل فى مجتمع متعاون يتبادل افراده المنافع فيما بينهم ، وقد أفرد ابن مكى

فى كتابه « تثقيف اللسان » فصلا لما تنكره الخاصة على العامة وليس بمنكر ، وكأنه يقول : انه لا بأس فى استخدام هذه الالفاظ ـ وان كانت عامية ـ ما دام لها وجه فى اللغة ، ويقول ابن حزم فى كتابه « التقريب لحد المنطق » ، « البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي . »

كثير من العامية الفاظ قرشية

ونحن اذا تتبعنا لغة التخاطب الآن لنعلم نسبتها من العربية وجدنا الفاظا عربية قرشية صحيحة او محرفة عنها تحريفا قليلا ، واما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش ، أو محرفة عنها تحريفا قليلا وذلك بنقص احوال الاعراب ، او تغيير حروف بعض الكلم : (الحركة او السكون ، او التخفيف ، أو التشديد ، أو الحذف ، او الزيادة ، او القلب ، او الابدال) ، ومن هنا نرى ان بعد الالفاظ العامية عن العربية مبالغ فيه ، فالفرق لا يزال ضئيلا بينها وبين الفصحى ، ومن اليسير تدارك الامر ، اذا نحن عنينا بجمع كل المفردات العامية وعنينا باعادة الاعتبار الى كل ما يمكن رد الاعتبار اليه ، وصححنا كل ما يمكن تصحيحه منها بغير ابعاد لها عن صورتها كلما امكن ذلك ، ولهذا يجب على كل مشتغل باللغة العربية أن يحتضن مفرداتها الموجودة فى العامية ، على أن يرد ما تشوه منها الى أصله العربى ، ويعمل على استعماله صحيحا ، وما لم يشوه من هذه الالفاظ العامية يستعمل على حاله .

العامية والفصحى مشكلة تربوية

ان اهم المشاكل التربوية التى تصادفنا ان يعيش ابناؤنا بين لغتين احداهما خاصة بالمنزل والاخرى خاصة بالمدرسة ، وان نقول ان كلا منهما تختلف عن الأخرى ، مع ان هذا الاختلاف لا وجود له أصلا فى احداهما ، وانما هو وهم نسجه الزمن بسبب قصور الادراك وتقصير المشتغلين بأمر اللغة العربية ، ووقوفهم عند حد القول ـ بل الحكم ـ بعامية لفظ وفصاحة آخر ، دون اعتماد على بحث فى معجم ، أو قراءة للنصوص التى يضمها تراثنا الادبى ، ولو كلفوا انفسهم مشقة القراءة لوجدوا ان كثيرا من هذه الالفاظ التى يقولون بعاميتها فصيحة وردت فى كثير من النصوص العربية .

ان اختيار الكلمات الشائعة فى البيئة والمستعملة فى الكلام اليومى ، والتى تعود فى حقيقتها الى الأصل العربى ، تعتبر اساسا هاما لتعليم اطفالنا فى المدرسة الابتدائية ، وركيزة أولى لها أهميتها فى تعليم الكبار فى ميدان محو الامية ، وهى مشوقة للدارسين تشجعهم وتحبب اليهم السير فى تعلم القراءة والكتابة ، لأنها الصور المختلفة التى يتبادلونها لمعرفة مطالبهم فى الحياة .

كم من مؤتمرات خاصة بالتعليم أو بمكافحة الأمية ، عقدتها الهيئات المختلفة ونادى فيها الاعضاء المختصون بوجوب استعمال الفاظ البيئة ودعوا الى وضع معجم يحقق ذلك يستعين به مؤلفو كتب القراءة عند وضعها واعدادها للصفوف التعليمية المختلفة وخاصة فى صفوف المبتدئين ، وآخرها المؤتمر الذى عقدته جامعة الدول العربية لمكافحة الأمية والذى دعا فيه اعضاؤه الى تحقيق وضع مثل هذا المعجم والتوصية بوضع مسابقة لتاليفه بين المتخصصين .

ان تسهيل اللغة العربية فى لفظها واسلوبها ـ حتى تكون مفهومة للناس ، لا فرق بين مثقف وغير مثقف ـ ميسور لمن يكتب بالعربية الفصحى ، اذا توخى فى مخاطبته الجمهور ، الاسلوب الطبيعى ، فيتخير الالفاظ المانوسة عند من يكتب لهم ، ولا بد ـ مع هذا ـ من العناية برفع مستوى المدارك فى الجماهير فذلك خير من أن تنحط اللغة .

يجب أن لا نحتقر الصحيح من المفردات العامية

ان واجب كل مشتغل بالعربية (مدرس ـ اديب ـ صحفى ـ واعظ ـ مذيع) الا يحتقر الصحيح من مفردات العامية فيهجره لأن آباءنا وأمهاتنا يستعملونه ، بل يجب ان تاخذ الالفاظ الصحيحة ، وتاخذ الالفاظ المريضة بعد ان نصححها ، ونجعل كل ذلك يجرى باقلامنا كل يوم فتأنس العامة بلغتنا لانهم يقراون فيها ما فى نفوسهم ، ثم ياخذون ـ من حيث لا يشعرون ـ كثيرا من الالفاظ الفصيحة التى نكتبها والتى ليست مستعملة فى الاسواق ، وقد سبقنا ابن هشام اللخمى فى مقدمة كتابه ـ المدخل الى تقويم

للسان ـ اذ يقول : « ان اول ما يجب على طالب للغة ، تصحيح الالفاظ العربية المستعملة التى ترفتها العامة عن موضعها ، وتكلمت بها على ر ما تكلمت بها العرب فى ناديها ومجتمعها ، فاذا سححها وأزال عنها التحريف ، ونفى عنها لتصحيف ، كان ما وراء ذلك اقرب واسهل تطلب » .

وما أحرانا أن نستخدم الفاظنا العامية شريطة ن يساير تطورها الاسلوب العربى فى الصياغة التعبير ، وألا نجعل الكلمات ذات شقين ، شق ربى وشق عامى بالرغم من ان هذا العامى قرشى . من لغات القبائل العربية الاخرى .

معجم ألفاظ عامية
اصولها عربية

ولقد لاحظت عند وضعى لمعجم الالفاظ العامية الذى اقر المجمع اللغوى مادته قريبا ـ أن كثرة من الفاظنا العامية تحتفظ برسم ودلالة ربية ، وان القلة منها تحتفظ بالرسم العربى ع تغير فى الدلالة وهذا التغير الدلالى امر طبيعى تتازه الالفاظ فى كل لغة تتطور مع الزمن ، ومن ثلة ما جاء فى هذا المعجم على هذا النحو :

١ ـ فى السعودية : يقولون :

(الطلى) ويطلقونها على الخروف عامة ، وفيها ور دلالى يختص باطلاق الخاص على العام ، ى القاموس : الطلى كفتى : الصغير من اولاد غنم .

(رتب الزرار) اى ثبته بالخيط فى الثوب ، وفى القاموس ترتب رتوبا : ثبت .

(شخب البعيرة) اى حلبها . وفى القاموس : الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن .

٢ ـ فى المغرب يقولون :

(آل كام) أى سرير النوم وفيها تطور دلالى علاقته المكانية ففى القاموس : كام الرجل زوجته: جامعها .

(سباط) اى الحذاء وبعضهم يظن انها ماخوذة من الاسبانية Zopatos والواقع أنها عربية محرفة عن السبت اى النعل المدبوغ .

(فيق الفردج) صوت . وفى القاموس : القيق: صوت الدجاجة .

٣ ـ فى مصر يقولون :

(حلا عليه) اى منعه من مواصلة السير وفى القاموس حلا : منع وفى الشعر :

يحلا يوم ورد الناس ابلى
وتصدر وهى محنقة ظماء

(الت عليه وتمالت) : اى هزىء منه وسخر به حين ينقص قدره وفى القاموس الت : انقص . فى القرآن الكريم (وما التناهم من عملهم) اى ما انقصناهم .

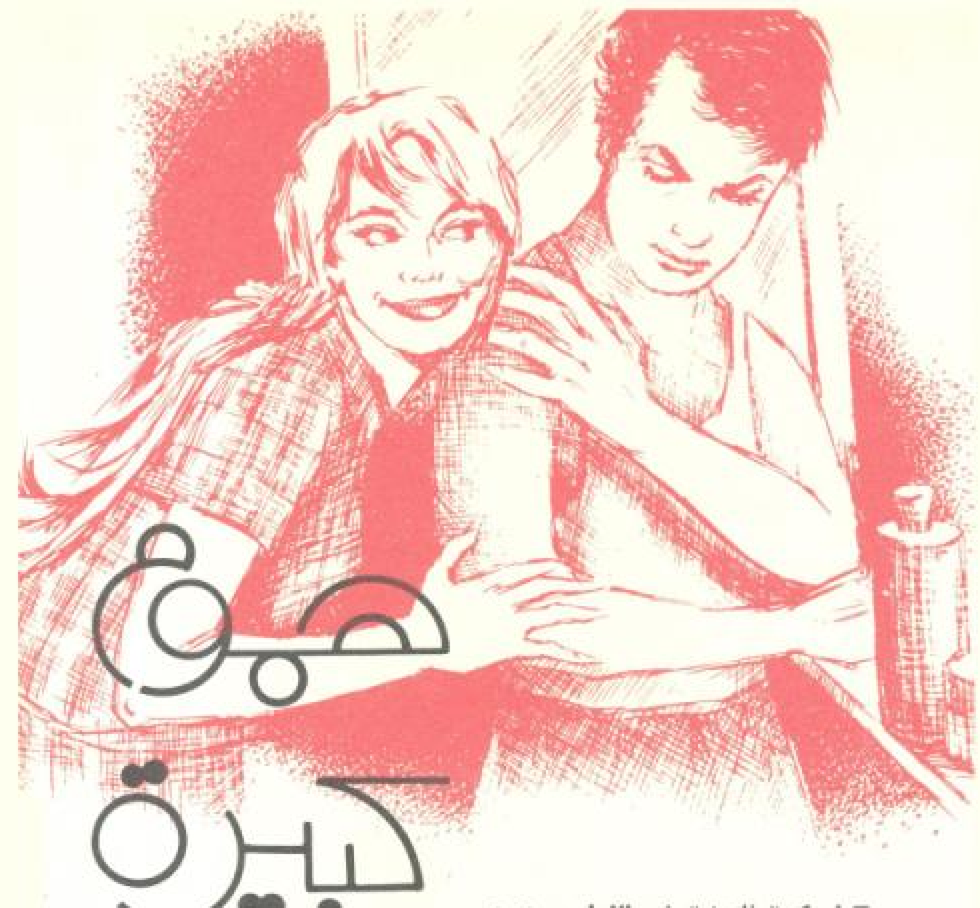
(حاجة ابهة) : فخمة وعظيمة وفى القاموس ابهة كسكرة : عظمة وبهجة .

اكتفى بهذا القدر وبهذه الدول مثلا ومن اراد مزيدا فليرجع الى معجم مختص . ■■

د. عبد المنعم سيد عبد العال

من باهلة

● قيل ان قتيبة خرج يوما متنزها فلقى أعرابيا . فقال له : ممن الرجل ؟ فقال : من عبد قيس .. فقال قتيبة نسب مهزول .. فقال الأعرابي : فمن انت ؟ فقال : من باهلة .. فقال : واويلاه واهولاه .. امثلك يقول نسبي مهزول وانت بين الدعة والخمول . فقال له قتيبة : يا اعرابي ايسرك انك أمير وانك باهلي ؟ فقال : لا ولا خليفة الله فى ارضه .. فقال : ولك حمر النعم .. فقال : لا . ولا ما طلعت عليه الشمس .. فقال : وانك تدخل الجنة . فاطرق الاعرابي رأسه . ثم رفعها وقال : ان كان ولا بد فعلى أن لا تعلم بذلك أهل الجنة فضحك قتيبة ووصله .



همومٌ كبيرة

بقلم : فاضل السباعى

■ لم يكد « خلدون » يضع المشط من يده ، حتى التقطت اذنه رنين جرس الباب ، فتساءل من هذا الذى يجيء فى ساعة القيلولة هذه ؟ والقى نظرة على نفسه ، قبل أن ينسحب من امام المرآة : الشعر قد صُفِّفَ بعناية ، ولكن الصدر عارٍ الآ من قميص ... ومضى نحو الباب : لعله اجير الكوّاء جاء يطرق بابنا ، والأهل ما زالوا نياما .

صاح بصوت جهير لم يُعْنَ بتلطيفه :

قال ـ (ويده على مقبض الباب) نعم ؟ من ؟

فطالعه محيّا تلك الغادة اللطيفة ، الذي طالما ارتسم فى خاطره ، والى جوارها ظهرت اختها الحلوة الأسرة !

احسّ انه يذوب خجلا ، وهو فى بنطال المنامة وقميصه الكاشف عن صدره والزندين ! اغضى لحظة ، ثم رفع رأسه مرحبا بصوت حرص أن يجعله رقيقا هادئا :

ـ أهلا وسهلا . تفضلا .

قالها هو يفتح لهما مصراع الباب على آخره ، مرتدا ، وهو فى البهو امامهما، بخطوات مضطربة، نحو الصالون ، ففتح لهما بابه ، وهو ما يزال مُغْضِيا بناظريه . حتى اذا دخلتا ، استأذنهما بالصوت الرقيق ذاته :

ـ عفوا ، لحظة واحدة ، ريثما ادعو لكما « باسمة » !

ومضى نحو غرفة اخته ، محدثا نفسه بمرارة : يا لحظي النكد ! لو انهما تاخرتا فى مجيئهما دقائق معدودات ، اذن لكنت فى أكمل هندام ! او ليتني نهضت من سريرى قبيل دقائق ! ولكن ... ما بال اختي فى غرفتها لم تبرز الى ضيفتيها ؟ واعتصر

الفمُ قلبه : اختي باسمه ، انها عِلتني ، واصل متاعبي ! . . .
نقر باب غرفتها ، منادياً برفق :
ـ باسمة !
لم يتلق جوابا . فكر في غضب كظيم : انا لست مكلفاً بفتح الباب لصديقاتها ، واستقبالهن ، لم اترفق في ايقاظها ! لتقم هي ، حضرتها ، تفتح وتستقبل ! ولكن سرعان ما اخذ يفكر بحنان : لو انها تظل ، الآن ، غارقة في نومها ! لو اني في بدلتي ! واطلق آهة حرّى : كنت امضيت معهما لحظات طيبات ، آه ، وملأت صدر اختي غيظا وقهرا !
عاد ينقر الباب باصبعه ، مترفقا :
ـ باسمة ! باسمة ! . .
فترامى الى سمعه صوت خامل :
ـ نعم !! (ثم في ضيق) ماذا تريد ؟!
فاطل عليها :
ـ ماذا أريد ؟ أليس بينك وبين بعضهن موعد ، يافهيمة ؟!
فتفكرت اخته لحظة ، رفست بعدها الغطاء جانبا :
ـ يا لي من غبية ! انهما « كوثر » و « غالية ». يا لله ! قد أخذني النوم .
فتهكم بها :
ـ معلوم ! صديقاتك أنت ، واقوم انا بواجب استقبالهن ! تشريفاتي عند حضرتك .
رق صوتها ، وقد غدت في وسط الغرفة :
ـ وأين هما ، يا خلدون ؟
ـ وأين تكونان ؟ قد أدخلتهما الصالون ، فهما تنتظران مقدمك الكريم !
فسألته ، وهي في الباب :
ـ وهل استقبلتهما ، وأنت في هذا الـ . . . « منظـر » ؟
ـ نعم ستي . متُّ خجلا ! انبسطي !
قالت تعتذر ، وهي في البهو :
ـ آسفة ، يا خلدون . اشكرك على عنايتك باستقبال صديقتيَّ !
واتجهت الى حيث المغسلة . . .
وقف خلدون امام المرآة في غرفتـه يفكر : الماكرة ، تبدي لي اسفها ، وتشكرني ! هي سعيدة ، لا شك ، لأني بدوت لعينيها وانا في بنطال المنامة والقميص ! ذلك ما يؤكد لها اني لم اجالس صديقتيها لحظة واحدة ! باسمة علتي انها تجلب لي المتاعب ، تكيد لي ، تنتصر عليَّ ابدا ! . . . وما كان هذا ليتحقق لها ، لولا ان امي تشدُّ من آزرها على الدوام :
ـ خلدون ! تعال اليَّ ، يا خلدون ! . . .
كم من محاولة رغب فيها ان يجالس الزائرات من اترابها ، ساعةً ، دقائقَ ، دقائق وجيزات ! يحس في نفسه ميلاً جارفا . . . يتوق الى ان يتطلع اليهن ، أن يصغي ، يبادلهن الحديث . . . ولكن اخته تابى عليه ذلك ، تسلبه كل فرصة تجود بها الظروف . تبدا اولا ، اذا ما واتته السانحة ، بان ترمقه بنظرة من جانب عينيها، معناها :« دعني، يا خلدون ، أنا وصديقتي . . . انا وصديقاتي . . . انت امسيت رجلا ، ونحن بنات ! » . نظرة بات يفهم جيدا ما تحمل في طياتها . مضى يستجيب لها ، بادىء الامر ، فيغادر الغرفة مرغما ! ولكنها امعنت ، فلم يعد يستجيب ، ذلك يُضيِّع عليه الفرص اللهبية . فاخذت تصارحه :
ـ خلدون ! دعنا ، يا خلدون . بيننا حديثُ بنات ، لا يَحْسُن أن تستمع اليه !
واحيانا تغلو في مصارحته ، على مسمع من صديقاتها :
ـ لا تتطفلْ علينا ، يا خلدون ! نحن بنات ، وانت صبيٌّ !
فيضطر ، مع هذا الاحراج العلني ، الى ان ينسحب من بينهن ، خجلان خزيان . ولكنه ـ كذلك ـ اخذ يتمرد عليها ، متهكما بها :
ـ وأية أسرار سخيفة تلك التي تريدين أن تفرغيها في الآذان ؟!
فاذا هي تستعين بامها . شدَّ ما يغيظني من اختي ان تستعين عليَّ بامي . انها بذلـك تبرهن على انها من جنس ضـعيف . بنـات جنسـها حلـوات ، ظريفـات ، عذبـات . ولكنهن سرعان ما يظهرن ضعفا . لا يتشبثن امام قوة ، لا يُبْدين مقاومة . ما يُحنقني ان اختي لا تتصرف بمنطق . والا ما معنى ان تصر ، في تلك اللحظـات ، على أن تصارح صويحباتهـا بحديث مما لا يحسن أن يستمع اخ اليه ؟ ! لم لا تُفْضي اليهن باسرارها حين لا اكون بينهن ، فتدعني بصحبتهنَّ دقائق ، لحظـات ؟! كم هي قاسية ! انانية ! غيور ! سخيفة ! . . .
وامي ـ لله درها ! ـ ما تفتأ تشدُّ من آزرها :

ـ خلدون ! عندما تكون صديقات أختك في زيارتها ، فليس لك أن تفرض نفسك عليهن !

ولكن من زعم اني افرض نفسي ؟ انهن يرحبن بوجودي . انا لا اسبّب لهن ازعاجا . انا اسليهن بطريف نوادري ، امتعهن . يرتحن لي . تشع البسمات في الثغور ، في الاحداق . ولكن باسمة ... تغار ، تغار ، تغار !

التقطت اذناه وقع خطواتها في البهو . قد انمّت لبسها . فهي ، الآن ، تتوجه الى صديقتيها اللطيفتين .

اصاخ السمع : تنقر على الباب .

صياحهن ، الثلاث ، يتعالى :

ـ أهلا وسهلا ... كوثر ، غالية ... باسمة !

ما اعذب صياحهن ، وما يثيرن من ضجيج ! ما احبهن الى القلوب ! لِمَ تقسو اختي علي ، فتحرمني من مجالستهن ومؤانستهن ؟! اهي تعاملني بالمثل ؟ انا ، حقا ، احس غيْرة عليها من اصدقائي . ولكنني ـ انا ـ رجل ، والامر مختلف. نعم ، انا لا اسمح لها بان تجالسهم . اذكر يوم قامت تفتح الباب لصديق من اصدقائي ، وادخلته الصالون ريثما تدعوني . بدا ان صديقي .. قد استلطفها ؛ ذلك انها اذ اقبلت بصينية القهوة تقرع الباب ، هفا ـ اللعين ـ بناظريه نحو الباب ، فأحسستُ النار تشتعل في اهابي ! ... نعم ، اني رجل ، فالامر يختلف ! ولكن اي ضير في ان اجلس، انا، الى صويحباتها ؟ انا اعرف نفسي طيبا، مهذبا ، رقيقا. لو اني كنت ، الساعة ، في بدلتي، اني اهفو الى هاتين القادمتين اللطيفتين . هل تعرف اختي مشاعري نحوهما ! انا لم افصح لاحد عما اكنه لهما من احاسيس وعواطف مكبوتة . هل قرأتْ في عيني ، في قلبي ، ما اجتهد في حبسه وراء الضلوع ؟! انا استلطف الاختين ، نعم ، وماذا في ذلك ؟

وعاد بذاكرته الى ماقبل عامين مضيا . كان اذ ذاك في الرابعة عشرة ، في مثل عمر اخته الآن . وليس للايام ان تمحو من ذاكرته صورة الاختين ، وهما تدلفان الى فناء المبنى ...

كان في ساعة عصر . وكانت الدنيا في مطلع الصيف ، كما هي الآن تماما . كان يلعب الكرة في الفناء وحيدا ، يقذفها بقدمه الى الجدار ، فترتدُ اليه ، فيقذفها من جديد . واذ أخطأ التصويب مرة ، فانحرفت الكرة يمينا باتجاه المدخل ، برزت لعينيه من هناك صبية حلوة ، انيقة ، تلبس الابيض الناصع .. بدت له ملَكا تنزّل من السماء . فما كان منها ، والكرة تتدحرج صوبها ، الا ان اندفعت تردها اليه بضربة من قدمها الصغيرة ، بحيوية طافحة ومرح استرعيا انتباهه . فاستقبل الكرة ، وردّها اليها ... فاذا اختها ، التي ترتدي الابيض السابغ ايضا تتصدّى للكرة .. تبادل واياهما اللعب لحظات، من امتع لحظات لعبه بالكرة ، بل من اسعد ايام عمره ، قبل ان يعرف انهما تقصدان اخته !

سألته الكبرى سؤالَ العارف ! ـ انت اخو باسمة ؟

اجاب : نعم .

ـ هي هنا ، طبعا .

ـ اجل .

اضافت الصغرى ، وهي تحدُ النظر اليه :

ـ لله كم يشبهها ، يا كوثر !

فتاقت نفسه ، وهو يراهما تدخلان البيت : اه ، لو يتاح لي ان اعرفهما معرفة اوثق .رشيقتان لطيفتان ، مرحتان !

ولكن اختي ، اه ، ان اختي ، علتي ، لا تريد لي الخير . عندما اخذت الاختان في التردد عليها، فالتقيت بهما لماما ، وجاذبتهما شيئا من الحديث، ذلك لم يزدني الا ارتياحا لهما ، واعجابا بهما ، وافتتانا برفقتهما . آثرتُ الكبرى لانها أوعى (تصغرني بسنة واحدة) ولكني فتنتُ بالصغرى (تصغرها بسنتين) ، لانها اشدُ عذوبة ! هل نمّت عيناي عما في صدري ؟ اني كلما التقيت بهما عرَضا ، احسست انهما تمنحانني راحة ، مرحا ، انطلاقا ، شعورا مستعذبا ، بالاختصار : اجدني امامها ، وقد امسيت انسانا اخر ! هل كشفتني اختي ؟ لا بد ان فرحي ، اضطرابي ، احمرار وجهي ، ساعة تكونان في زيارتنا ، ذلك كله يشي بي ويفضحني . واختي تغار ! انها تنتقم مني ، تعاملني بالمثل ! ولكنها تخطىء اذ تعاملني بالمثل . الامر يختلف . انا امنعها ، نعم ، من استقبال اصدقائي ، ولماذا تستقبلهم ؟ انا .. لا اقول ذلك بدافع الغيرة ! لا ادري كيف افسر الامر! ربما كانت .. هي الغَيْرة !! ولكني ، الى ذلك ، لا اذكر اني لمحت ، في زياراتي لاصدقائي ، اختا من اخواتهم ! فلماذا تستقبلهم اختي ؟!

ـ تفتحين لهم الباب ، لا مانع . واما ان تجلسي

واياي ، في زيارة احدهم لي ، فلا .

اعترف باني شديد صارم. لاني اعرف من سرائر اصحابي ما تجهله اختي . ولكن ماذا عن سرائرهن، اولئك اللطيفات الانيسات ؟ ماذا يمكن ان يصيبني منهن من الاذى ؟ انا لا اضمر لهن الا الاعجاب . اني استلطفهن وحسب . واختي تقسو عليّ ، تصرفني من حضرتهن ، بالحسنى او بالقول الصريح الذي يحز في النفس ! فاذا اخفقتُ ، بعد ذلك كله ، في صرفي ، التجأت الى امها :

ـ ماما ! قولي لخلدون يتركنا !

فترفع امي صوتها : ـ خلدون ! تعال اليّ . (ثم تلوي على مقرعة) منة مرة قلت لك : عندما تكون لدى اختك صديقاتها ، لا تحشر نفسك بينهن !!

ـ ولكن .. ليس بينهن اسرار ، يا امي .

فتصرخ بي : ـ دع اختك وصديقاتها ، اقول لك ! (وتلوّح بيدها فوق راسي مهددة) افهمني، يا ولد .

انا ، في نظر امي ، مجرد ولد ! وامي سريعة الاستثارة ، غضوب . واختي باسمة قادرة على الاستفادة من هذه التناقضات ! امي تضربني احيانا ، وهي غالبا ما تضربني بسببها . وهل انسى يوم ثارت ، يوم جُنّ جنونها ، فانهالت علي ضربا بال . .

★ ★ ★

ارهف خلدون سمعه : وقع خطوات باسمة في البهو .

تدخل ، الآن، المطبخ . اجل ، لتُعد للاختين كاسين من الشراب البارد . لو ان الفهيمة ذات ذوق وكياسة ، لما تركتهما ، هاتين الضيفتين اللطيفتين ، في الصالون وحيدتين ، لا تفعلان شيئا سوى التطلع الى اربعة جدران وسقف ! .. لو ان العلاقة بيني وبينها حميمة ودود ، على نحو ما ينبغي ان تكون العلاقة بين الاشقاء الطيبين ، اذن لعمدت انا نفسي ، ودون تكليف من احد ، الى ان اعدّ كؤوسا ثلاثا اصفها في صينية ، واتوجه بها الى باب الصالون ، لاقول همسا :

ـ دونك الضيافة ، يا باسمة !

فتهتف، وقد اشرق محياها : الشراب ؟! الله !! شكرا ، شكرا . لتسلم يداك ، يا اخي .

فاجيب من وراء الباب : ـ هل من خدمة اخرى اؤديها ، يا اختاه ؟

فتدعوني ، بصوت اجده لا اعذب ولا ارق : ـخلدون ، اخي الحبيب ! لم لا تمنحني لحظات من وقتك ، فترتدي بدلتك في الحال ، وتأتيني لاعرفك الى صديقاتي الظريفات ؟ هيا اسرع ، قبل ان اذن لهن بالانصراف ، يا عزيزي !!

ضحك خلدون بينه وبين نفسه ، وهو يذرع الغرفة : انه حلم ، اين منه الواقع الذي يُعاني وفطن الى انه كان في سبيله الى ان يرتدي بدلته، فاذا الاحلام تراوده ، والاوهام ، والذكريات .

انه لحلم يقظة ، ليس الا ، ان يسمع اخته تدعوه ، من فمها هي ، لتقدمه الى بعض لداتها ! ولكنها دعته مرة ! نعم ، دعته ، ولكنه اعتذر ! وكان جديرا به ان يعتذر ..

كان ذلك من نحو عام . الحت في دعوته للدخول، فرفض ! فرجته متوسلة ، فابى واستكبر ! فذهبت الى امها تشكوه ..

واعلن امام امه ، بملء جرائته :

ـ ماما ! ارجوك ، لا تحاولي ان ترغميني على ان افعل امام الناس ما يحطُّ من قدري ! غدوتُ شابا كبيرا اطول منك ، ولي كرامتي . لا اريد ان اقوم امامهن بما يفعله «مصلح كهرباء » !

ادارت امه بسمةً كادت تظفر الى شفتيها (لقد لمحها !) ، وخرجت . وانسلت وراءها باسمة ، والدمعة في مقلتيها . لتبكي . لتنشقّ من الغيظ . كم مرة ابكته !

ومضت الى ابيها . سمعها تبكي امامه ، وتقول:

ـ بابا ! جهاز الموسيقى في الصالون معطل ، فيه ذلك الخلل الخفي ، الذي لا يعرف احد في البيت ان يُصلحه غير اخي ! تصليحه لا يحتمل سوى دقيقة . وخلدون يرفض . لعله هو الذي احدث الخلل ، يا بابا ، ليحرجني امام صديقاتي. نريد ان نسمع الموسيقى ونرقص . ولكن الجهاز معطل . توسلتُ اليه ، فرفض بعناد . حدثته امي ، فاحتج بانه شاب له كرامته . ما دخل الكرامة بتصليح الجهاز ، بتصليح خلل فيه هو صاحبه ! بابا ، ارجوك ، قل لخلدون ان يُصلّحه!

وكان لا بد لابيه من ان يتعاطف معها ، ما دامت شكت وتباكت

ـ لم لا تُصلح جهاز الموسيقى لاختك ، يا خلدون ؟

ـ لانني لا اعرف تصليحه ..

ــ ومن ذا الذى يعرف فى البيت اذن ؟ من الذى خربه سواك ، أنت الذى نراك تعبث به على الدوام ؟!

كلامها مسموع ! اتهاماتها لى مصدقة دائما !

ــ ولكن ، يا بابا ..

ــ لا اريد ان اسمع كلمة اخرى . خلل انت صاحبه ، اصلحه فى الحال .

ــ ساحاول . ولكن اذا لم استطع ..

ــ طيب ، حاول ، وتعال فاخبرنى .

ودخل الى حيث الصويحبات ، مطرقا ، خجلان ، ممتعضا ، وما القى سلاما . فلن عنه ، لا بد ، فى انفسهن : عديم ذوق ! ليحسبن ذلك وما هو اسوأ من ذلك . فانما ارغم على ان يدخل عليهن دخلة اجير كهربائى ! انحنى على الجهاز ، والعرق يرشح من جبهته . عالج اشرطته الخلفية (يعرف جيدا موطن الخلل !) . وسرعان ما اخذ الجهاز يعمل ، يصدح بالموسيقى ، واذا البنيّات يتقافزن من فرح ، مصفقات ، مهللات ، راقصات .. ما احلى ضجيجهن ! ولكنهن ، مع الصخب الذى اثرنه ، ما فاتهن ان يشكرنه على صنيعه :

ــ شكرا ، خلدون .. شكرا لك .. شكرا .

اجاب منشرح القلب : ــ عفوا . لا شكر على واجب .

هل اعلمتهن اخته بامتناعه ، بادئا ، عن اسعافهن بالاصلاح ؟ وهو ينقل نظراته بينهن مخلوب اللب ، مشوقا الى ان يصخب معهن !

وامه ، بعدئذ ، حاسته القول :

ــ خلدون ، ابنى ! اما كان خيرا لك ان تنهض الى تصليحه ، من البداية ، يا ولدى ؟ لم لا تسمع الكلمة ، ياعينى ؟ لم العناد ، يا حبيبى ؟

فتجارا يقول معانيا : ــ ان ما يهمك ، يا امى ان تقضى مطالب ابنتك ، مطالبها وحدها . واما كرامة ابنك ، فشىء لا يهمك كثيرا . لقد دخلت عليهن خزيان ، وخرجت ندى الجبين ! ايرضيك ذلك ، يا امى ؟

★ ★ ★

اخذ خلدون يتامل نفسه امام المرآة ابهما اليق بالبدلة : ربطة العنق هذه او تلك ؟ كان قد لبس بنطاله الصيفى ، ثم لم يلبث ان نضاه . شاقه ان يرتدى بدلة ، بدلته هذه الجديدة .

خلع ربطة العنق : تلك اليق .

اخته تدخل ، الآن ، الى الضيفتين ، بصينية الشراب . لقد تركتهما ، قليلة الكياسة ، عشر دقائق تعدان بلاط الغرفة من سام ! ليتنى كنت واياهما ، خلال هذه الدقائق العشر ! يسعدنى ان ادخل عليهما مضيفا مرحبا ، لا اجيرا كهربائيا ! امى قدّرت ، فى ذلك اليوم ، مشاعرى فلم تقسرنى على اصلاح الخلل . ولكن ابى هو الذى لم يقدّر . تبنى كل اتهام ادعته اختى ، فكان ان نالنى من ابى ذلك القسر الشديد . ولكنها ــ باسمة الطيبة ! ــ كانت السبب فيما نالنى من امى من اذى كبير ، فى ذلك اليوم الذى ثارت فيه ثائرتها وجنّ جنونها ، فانهالت على ضربا بالخرطوم ، ضربا مبرحا لا انساه ما حييت !

كنت فى العاشرة من عمرى . وكنا ، يومها ، فى بيت جدتى . ذهبت امى وخالتاى وجدتى جميعا فى جولة ، وتركتنا فى البيت ، نحن عشرة من الاحفاد او يزيد . ذلك يوم لن تمحوه الايام من ذاكرتى . انصرف الصغار الى اللعب فى البهو . وجلسنا ، نحن الاكبر سنا ، فى الغرفة نتجاذب اطراف الحديث .

كنت ، انذاك ، احمل فى راسي افكارا ما ، عجيبة ، عن المراة والزينة والتبرج ، قد جرعنا اياها احد اساتذة المدرسة ، حين غرس فى نفوسنا حذرا من الجنس الاخر ، او لاقل : حذرا مشوبا بالازدراء ، فالمراة بالاختصار : جنس مثير للفتن !

اعترف بانى كنت غرا حين اقبلت ، دون تمحيص ، على تناول هذه الجرعات الكبيرة كلها من الافكار البالية ! ولكن هل كان يتسع ولدا ، فى سنى انذاك ، ان يفطن الى ما فى اقوال استاذه المحبوب من مغالاة فاحشة او تجن ؟ كان من نتائج تاثرى به ان اخذت ازرى بشان اختى الطفلة ــ وكان عمرها ثمانى سنوات ــ كلما تناقشت واياها : « وهل تفهمين ؟ ما انت الا انثى ،بنصف عقل ! » . وهى ما كانت لتستوعب ابعاد هذه الكلمات القليلة ، ولكنها شكتنى يوما الى امى ، فساءلتنى امى من اين جئت بهذه الافكار«العالية؟! اجبتها ببلاهة : « من استاذى ! » . فقالت : « استاذك مجنون ! » ، حاسمة الامر بالحكم على استاذى بالجنون ؟

ولكنى ، فى ذلك المساء ، وابى والكبار غائبون ، رحت اعيب ــ متساقا مع منطق استاذى ــ على المراة

امورا وامورا . كان قد اترعني بآرائه ومشاعره وكلماته . والاولاد ، وفيهم باسمة ، يستمعون اليّ :

ـ المراة شر . هي لا تتزين الا لتخلب الرجال وتفتنهم ! ..

كلام ، كما هو واضح ، لا يعلنه الا مجنون !

كفّ الصغار عن اللهو ، وتجمعوا في الغرفة ، يصغون ، وانا اتحدث كخطيب . فقد كان استاذى حاذقا في تلقيني . كان قد شبه لنا المراة ، وكذلك فعلت انا تلك الساعة :

ـ .. والمراة أشبه بالخرزة الرخيصة البراقة ، المراة تلمع تحت المساحيق ، كما تلمع الخرزة بالالوان الكاذبة تحت ضوء الشمس !

كانت تلك «العموميات» قدمتها ، انتهيت الى ان اعلن ، بمنتهى الصراحة ـ وهنا موطن الخطورة ـ « توصياتي » :

ـ ان على امي وخالتيّ ان يقلعن عن التزين والتبرج ، حتى لا يجعلن من انفسهن فتنة في الشوارع تخلب الابصار !

فرغت من خطبتي ، وانفض الاجتماع ، وقام كل سامر الى لهوه . ولكن بدا ان اختي اللعينة قد حفظت ـ وما اقوى ذاكرتها على فعل الاذى ! ـ كلّ كلمة فاه بها لساني ، وبخاصة هذه الكلمات التى سلكتها من اقوالى سلا : « المراة شر ! امي فتنة في الشوارع ! امي فتنة تخلب الابصار ! » . حتى اذا عادت امي وجدتي والخالتان من جولتهن ، سكبت اختي في اذن امها ، على انفراد ، ما سمعت مني وما لم تسمع .. فما وعينا ، نحن من في البيت ، الا وصرخة تنبعث من احدى الغرف :

ـ فتنة !! انا فتنة في الشوارع ؟!

طرقت الصرخة مسمعي : انها كلماتي ! وانه لصوت امي العاصف !

ـ واين هو ؟

اوجست خيفة ، وقد تبينت ان الاذى ما يوشك ان ينزل بساحتي . وسرعان ما غدوت بقفزتين ، في البهو ، ومنه تسربت ـ على مراى من الاولاد ـ الى اول غرفة استقبلتني بابها المفتوح ، متواريا فيها ما بين سريرين . كنت اعرف جيدا امي اذا ثارت ثائرتها ، وانما صرختها المطلقة تذيرُ غضب عظيم !

واولاد الخالتين يتبرعون بدلالتها :

ـ هنا ، هنا ، دخل خلدون الى هنا !

وامي توالي صرخاتها :

ـ انا فتنة تخلب الابصار !

انبطحت على بطني ، زاحفا الى ما تحت احد السريرين .

ـ اين هو ، المغضوب ؟

والصغار ، الذين لا يؤتمنون ، يشيرون الى مكمني :

ـ هنا ، انه هنا ..

جذبتني امي من قدمي ، فانجذبت ، وانقلبت بين يديها .. فاذا انا واياها وجها لوجه ، وفي يدها قطعة من خرطوم لا ادرى اى حظ نكد وضعها في متناول يدها !

ـ ماذا كنت تقول : في غيبتنا ، يا فيلسوف ؟!

ـ وماذا قلت ؟

ـ امك تتبرّج ! فتنة للابصار ! خرزة رخيصة براقة !!

وكان لابد من ان انكر :

ـ انا لم اقل شيئا !

ـ أتريد ان تعيدنا الى « عصر الحريم » ؟!

ـ انا لم اقل هذا !

ـ بل قلت ما هو اسوا .

واهوت عليّ بالخرطوم المطاطي .

ـ اعترف . قل الحقيقة ، ايها الشقي ! هل قلت كل هذا !

ـ لم اقله .

ـ لم تقله ، ها ؟!

واخذ الخرطوم يخفق في يدها ، فيغمرني بضربات مبرحة ، على كتفي ، وصدري ، وجنبي .. تنهال به على كيفما اتفق ، وكانما مسّها صاعق من جنون :

ـ المراة شر ؟! تقول عن امك : فتنة ؟! انا واختاى نتزين للرجال ! ولمن تريدنا ان نتزين ؟ للنساء ؟! .. بالامس تقوم لاختك : « انت انثى ، لا تفهمين ! » ، والآن تعيب على امك انها تلبس وتتزين ! اتريدني ان ازهد ، وانا في عز شبابي ؟! لم يعد ينقصني الا ان تحرض اباك عليّ !! ابني الصغير يتحكم بي ، وهو بعد بطول ساقي !!

وانا استجير . والاولاد ، صبيانا وبنات ، يتفرجون . ولا من مجير . ولما تراءى لجدتي ان تتدخل ، كانت امي قد استنفدت بالضرب عزمها

كله ، فانهارت على السرير تنتحب بعصبية ! واما انا ، وقد حُمِلْتُ من الغرفة حملا ، فلم يبق في جسمي موضع الا وفيه سربة من ذلك الخرطوم اللعين !

فظللت ، طول الليل ، أئنّ من فرط الالم ، وانا العن باسمة التي فتنت ، وأستاذي المجنون المأفون ! وامي ما نفتأ تطل عليّ ، في غرفتي ، بين الساعة والاخرى ، متعللة بالبحث عن شيء ، وما هي بحاجة الى شيء ، ولكنها تسعى الى تسكين قلقها على ولدها الموجوع ، بتفقدها اياي وانا في سريري ، وتعرّفها على اية حال امسيت !

وقد سولت لي نفسي ، في اليوم التالي ، أن اشكوها الى أبي ، متوسلا الى بسط شكواي برسالة سطرتها اليه ـ انا ابن العاشرة ـ رحت اقص عليه فيها اي اضطهاد نالني ـ بسبب باسمة ـ من امي ، واي ضرب مبرح وأذى ، امام الكبار والصغار في بيت جدتي .. وختمتها بأن بللتها بدمعات امتزجت بحبر اسطرها ، ثم مهرتها بهذا التوقيع : « ابنك المعذب من امه » ! ! ودسستها في احد جيوبه ، في غفلة من العيون ... ولست ادري ما اذا كان كاشفَ امي بالامر ، او ان يدا امتدت الى الرسالة ـ وهي في جيبه ـ فمزّقتها ، هي يد امي ، أو لعلها يد اختي الشقية الفتانة : باسمة !

★ ★ ★

صحا خلدون من خواطره ، فادرك أن عواطفه قد استثيرت على نحو جلي ، حتى لقد اغرورقت عيناه . فحادثة ذلك اليوم خلفت في نفسه ندبا لا ينمحي .. ولكنه تبيّن ، أيضا ، أنه قد استبدل بربطة العنق ثالثة ، وهو لا يدري !

سائل نفسه : الى اين انت ذاهب ، الآن ؟ فقد انساه استطراده انه كان قد نهض من قيلولته ليذهب الى صديق . وأحس مرارة : ان « يوم الخرطوم » ينسيني ولا انساه !

ترامت الى سمعي جلبة ، في البهو ، صفرةُ الضيفتان الحلوتان تنصرفان .

اصاخ السمع : ضحكات عذبة صافية تصل .

ـ سنراك قريبا ، يا باسمة .. ها ؟

انه صوت الكبرى : كوثر .

واخته ترد :

ـ أكون عندكما في الموعد تماما .

ـ لا تنسَيْ أن تحضري معك .. الاسطوانات !

انها الصغرى : غالية .

ـ وكيف انسى ، يا عزيزتي !

الاصوات تبتعد ، تغيب ..

هُرِع الى النافذة ، وهفا بناظريه الى الفناء : تلك هي كوثر ، تلبس الوردي هذه المرة ، لله ما ما اروعها ! وغالية تلبس اللون ذاته . كأنهما توأمان . ما ارقى ذوقيهما ! ما ارقهما ! ترى هل لهما أخ في مثل سني ، تجدان في تعذيبه ، وامٌ قاسية ، وابٌ لا يسأل ؟ .

غادرتا الفناء الى الطريق .

تضمخ بالعطر ، ملقيا نظرة اخيرة الى المرآة : كمال في الهندام !

وانطلق من الغرفة نشيطا .

تقابل واخته ، في البهو . هتفت مأخوذة :

ـ يا للرائحة ! (وامعنت في النظر اليه) ما هذه الاناقة كلها ! الى اين ، وانت في أحلى بدلاتك ، يا خلدون ؟!

شمخ بانفه : ـ الى .. موعد !

فاتسعت منها العينان : ـ موعد ؟!!

لم ينبس .

أولاها ظهره ، وهو يجتاز البهو : قد أثرت في صدرها شكوكا ! تصنع الجد ، وقد غدا في الباب ، فلم يلتفت اليها ، وتخيلها ـ في صمتها وسكونها ـ تلاحقه بنظرات مرتابة !

وفي الفناء احس راحة عظمى تتنزل على قلبه : يبدو أني افلحت في أن اثير عندها ظنونا ووساوس! وحدث نفسه : ههنا تلقت كوثر الكرة ، قبل سنتين ، فردتها اليّ بضربة من قدمها الصغيرة الانيقة !

وفي الطريق فكر بسعادة : ان كنتُ قدرت أن أوهم باسمة بأني ماضٍ ، الآن ، الى الاختين ، في موعد اختلسته لحظة فتحت لهما الباب،اكون بذلك قد سجلت انتصارا عليها ، يعْدِل انتصارَها هي عليّ في .. يوم الخرطوم !

لمحهما في المنعطف:غزالتان شاردتان ،عصفورتان! زفر بمرارة : آه ، ما ضرّ لو كان بيني وبينهما موعدٌ الآن ، فالتقي بهما ، وانحدث اليهما حديثا ممتعا ، يتناول العامَ الدراسي الذي انقضى ، والكتبَ التي استعد لمطالعتها ، واحبّ الاغنيات الى نفسي ! وندع ما سوى ذلك الى .. لقاء آخر!

أجل ، يا ربي ، أي ضير ... ■■

فاضل السباعي ـ دمشق



■ لماذا . كلّما اعتنقت على شغفٍ سواعدُنا
وضجَّ الشوقُ فى دمنا . ينُادينا ، ويدفعنا
وأغمضنا عيونَنا أشعلتْ فيها رغائبُنا
وكدْنا نلمسُ الأحلام ، كدْنا نعبُرُ الدنيا
طليقين من الأسْرِ الذى كمْ قيّدَ اللقيا
وأوشكنا نرى بالعيْنِ ما رفّت به الرؤيا
أتى شئٌ ففاجأنَا .. وأجهدنا ، وأطفأنا
وباعَدَ بيْننا حيناً . وفرّق بيْننا زمنا
ورُحنا نرقبُ الأيامَ أن تأتى فتجمعنَا !

★★★

لماذا .. كلّما اقتربَتْ من المرْمَى سفينتُنا
وأوشكتِ الرُّؤى ترتاحُ والدنيا تعانقنا
وقلْنا نحملُ الأشواقَ والأحزانَ والذكرى
نُوسّدُها إلى صدْرٍ يهدهدُ نارها الحرَّى
أتى شيءٌ ثقيلُ الخطْوِ بدّد ما وهمْناهُ
وغاضت لحظةُ الصفوِ الذى كنّا صنعناهُ
وعُدْنا نسألُ الأيامَ عن حُلْمٍ فقدْناهُ
وفى أعماقِ أعيننا التى احترقتْ رأيناهُ !

★★★

لماذا لا أرى إلاّكِ فى صحوٍ وفى حُلُمٍ
وأنّى فتحتَ عينىِ . وأنّى طوّفتْ قدَمى
فأنت سحابةُ الأشواقِ والأفراحِ والنغمِ
وأنت الجنّةُ المعطاءُ تغمرُنى عطاياها
وتنضَحُ ملءَ أيامى أطايبُها وريّاها
وتحملنى على أفُقٍ بعيدِ الضوءِ كفّاها
لماذا تُطلق الأسرارَ من شفتَىّ عيناكِ !
لماذا لم تعُدْ دُنيايَ إلاّ بعضَ دنياكِ !

■■

القاهرة — **فاروق شوشة**



لكَ منا دوماً
الأكثر.. تنوعاً وَجَمالاً



بعض الأفراد يفضل الانتقال إلى أمكنة
للمجالس والاجتماعات بسيارات كبيرة أنيقة وفخمة.
والبعض الآخر يفضل اقتناء سيارات متوسطة أو صغيرة متينة
تخدمهم سنين طويلة .. ان الموارد المتنوعة
والطاقات الهندسية الضخمة التي يتمتع بها رابع منتج
للسيارات في العالم تؤمن لكل فرد رغبته حسب حاجته مهما اختلفت
متطلباته في عالم السيارات. فجميع سيارات داتسون،
ابتداءً من الموديل الفخم 2600cc سيدان
إلى سيارات الجيب ذات العجلات الدافعة الأربع والسيارة
السباقة ذات الشهرة العالمية 240Z ... جميعها ينتج
بنفس الدقة والفخر بكل ما لدى
داتسون من طاقات بشرية وتقنية.
كوننا نستطيع أن نقدم لك الأكثر .. جعلنا رابع
منتج للسيارات في العالم .

NISSAN DATSUN

NISSAN MOTOR CO., LTD.

شبابك لايعني فقط عمرك
انه حيويتك
ونشاطك ايضاً





سوپر ويت أون بطعم الفريز والموز هو مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات.

سوپر ويت أون يحتوي على عدة فيتامينات، د، ب ١٢، ب ١ و ب ٦ يعطيك ما يلزمك من قوة وحيوية ونشاط لتتمتع بما أعطتك إياه الحياة.

سوپر ويت اون مستحضر مقو للجسم في بضعة أيام يجعل منك رجل آخر.

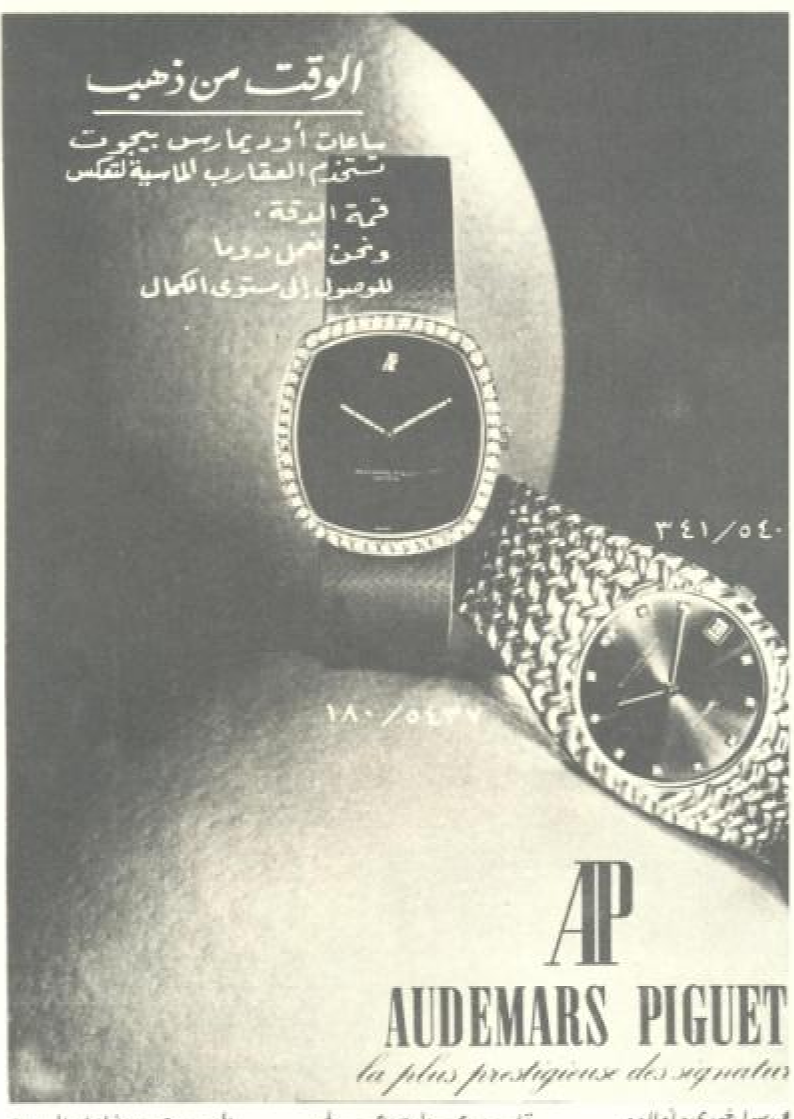
النساء يكتسبن شكلاً جذاباً بازدياد وزنهن في الأماكن اللازمة.

سوپر ويت اون يباع في كافة الصيدليات

سوپر ويت - اون

انتاج د.د.د

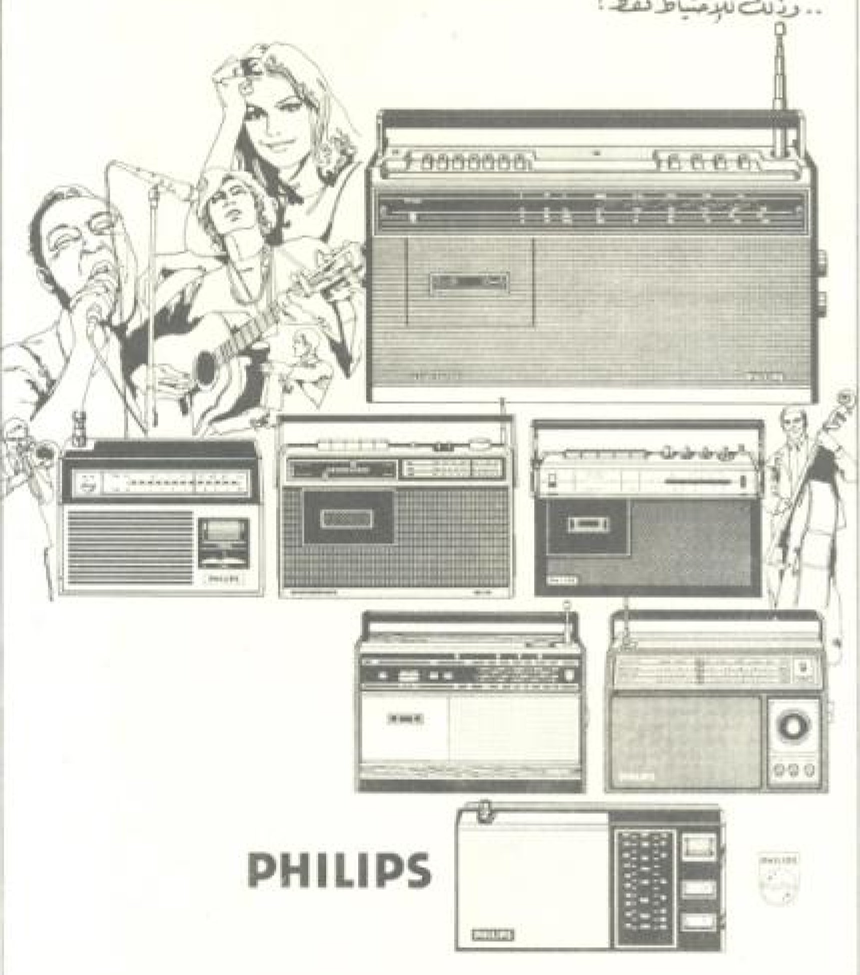
Publirez

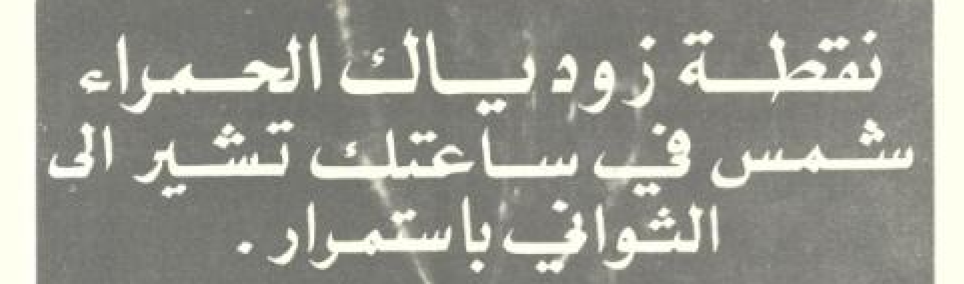


الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الدقة،
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGUET
la plus prestigieuse des signatur

دع فيليبس تطربك بموسيقى العالم كله!

الجو مليء بالموسيقى.. على مختلف الموجات، ومن مختلف الأقطار. دع راديو صغيراً من فيليبس ينقلها إليك أينما كنت.. في بيتك، في مكتبك، أو في المتنزهات. توجد مجموعة كاملة من الموديلات التي تلائم كل ذوق. عدد كبير منها يعمل بالبطارية أو بالكهرباء. وحتى أصغرها حجماً له صوت قوي في غاية الصفاء والوضوح. ثلاثة منها لها مزايا خاصة. لأن فيليبس ركبت في داخلها جهاز الكاسيت الذي ابتكرته هي. فإنك لا تستقبل الألحان فقط بل تسجلها أيضاً على كاسيت. أو تستمع إلى كاسيت جاهز. موديل رد ٧٠٥ مثلاً، يمكن اعتباره ستوديو خصوصي، بإنتاج مقداره ١٥٠٠ ميلي واط من خلال مكبرة واسعة قطرها ٤ بوصات. وتذكر.. أينما ذهبت فإنك تجد فرعاً يعتمد عليه من فروع فيليبس للصيانة.. وذلك للاحتياط فقط!





زودياك استروغرافيك طريقة جديدة لتحديد الوقت.
بهجة اوفر ومتعة اكبر وتوقيت ارق.
انها في حدود الاسطورة الخارقة، ساعة الدقة.
ساعة الرجال تنبض ٣٦٠٠٠ هزة في الساعة.
اوتوماتيكية، روزنامة للمرأة وللرجل:
ساعة اوستروغرافيك من زودياك





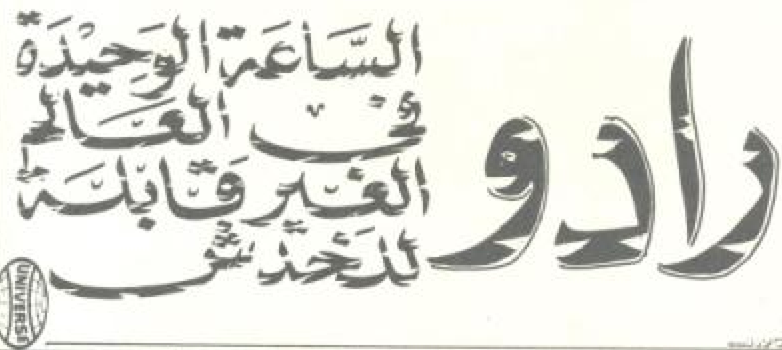


Zodiac

اينما كنتم اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



RADO



أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو

رمز الجودة



A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

لقد جعلنا تسجيل الصوت والصورة سهلاً كتسجيل الصوت

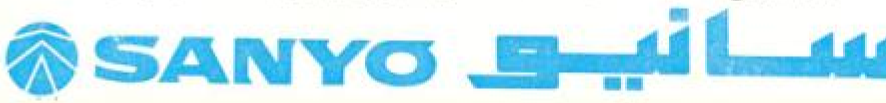
VC 500

VTC 7100

Video Cassette Tape

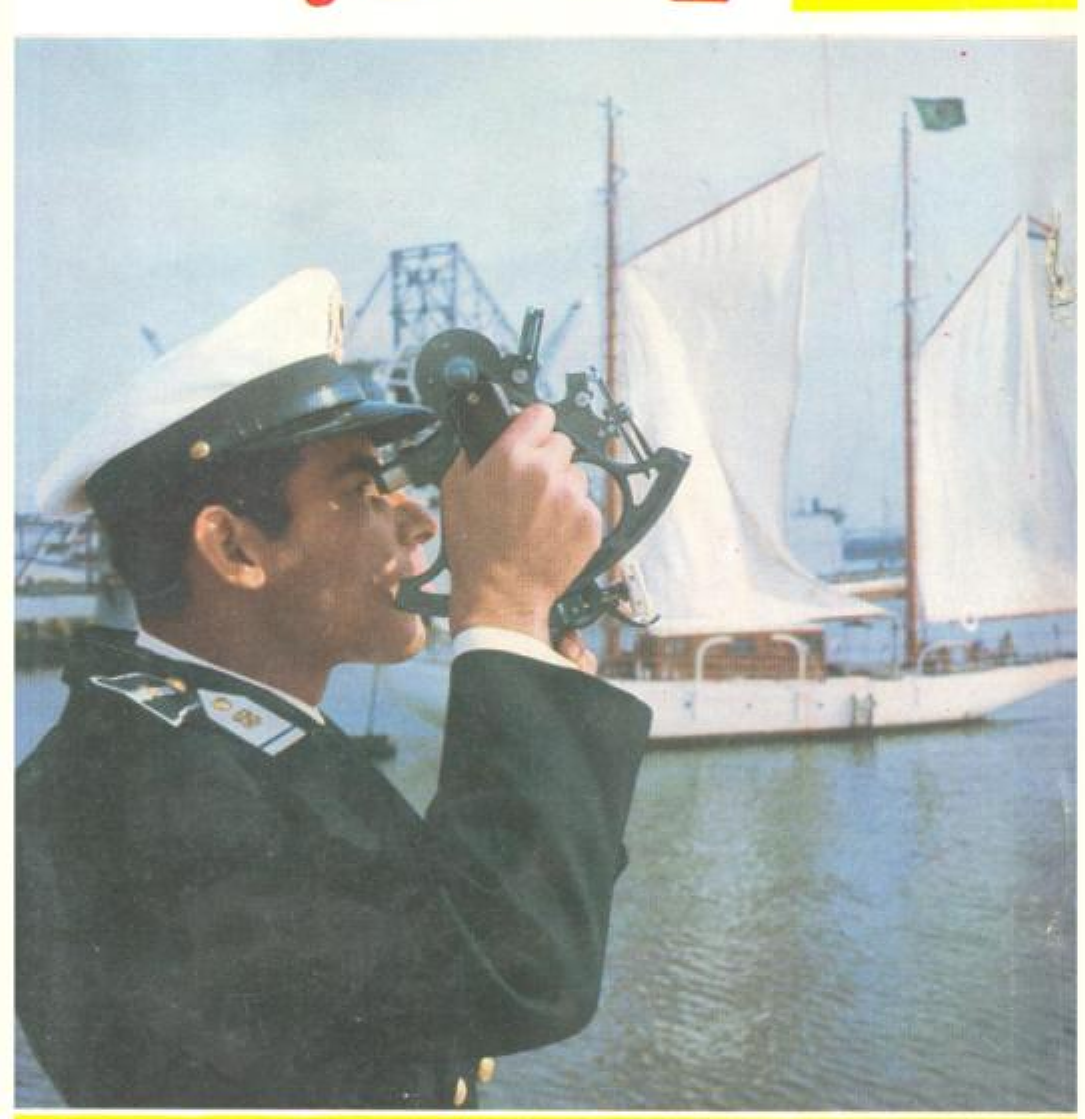
فالأمر يختلف تماماً مع الكاسيت ذو البكرتين قياس ½ بوصة . وكل ما يحتاجه كبسة ونقرة خفيفتين لتثبيته ، وكبسة ونقرة لإزالته ، والباقي كبسة أيضاً.

* التسجيل « في كل زمان ومكان » بالتيار الكهربائي المتناوب أو البطارية التي يعاد شحنها.
* الصوت متوافق مع مكبّر الصوت المثبّت داخل الكاميرا .
* التأكد من « الموقع » من خلال آلة التصويب التي تعمل كجهاز مرئي للتحكم.
* الإستماع والمشاهدة من خلال تلفزيون المنزل بالسرعة العادية أو البطيئة أو الثابتة
* خفيف الوزن جداً ، إذ يقل وزن الكاميرا والمسجل والبطارية عن ٢٠ باوند.



العربي

العدد ١٨٧
جمادى الاولى ١٣٩٤
يونيو
حزيران ١٩٧٤



ربابنة المستقبل •• يعيدون اليوم لاجدادهم سالف مجدهم فى البحر ••

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



عزيزي القارئ

اذا سلبك عدوك شيئا ، فلك في استرداده سبل ثلاث :

١ ـ اما ان تكون ذا قوة راجحة ، فانت تستطيع ان تنتزع الشيء السليب ،ولو كان في فم سبع كاسر ٠

٢ ـ واما ان تكون ذا قوة مرجوحة ، فانت تستطيع ان تتربص بالعدو الأيام والشهوروالسنين ، وبذلك تستطيع ان تسترد الشيء السليب على مراحل ٠ انها سياسة المراحل ٠

٣ ـ اما اذا لم تكن لك قوة ، لا راجحة ، ولا مرجوحة، فالعن الزمان الذى بلغ بك هذا الحال ٠ وان شئت ان تتروّح فغنّ مع المتنبي قوله :

كَفَى بك داء ان ترى الموت شافيا
وحسبُ المنايا ان يكنّ أمانيا

المحـرر

امومة !

خرج طفلها من مجتمع صغارها، فخشيت عليه السوء ، فراحت تحمله بين اسنانها لتعود به الى حيث الأمن والسلامة ٠

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

أنت تسأل ٠٠ ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

عروبة :

استطلاعات مصورة :

طب ٠٠ وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 187 JUNE 1974 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



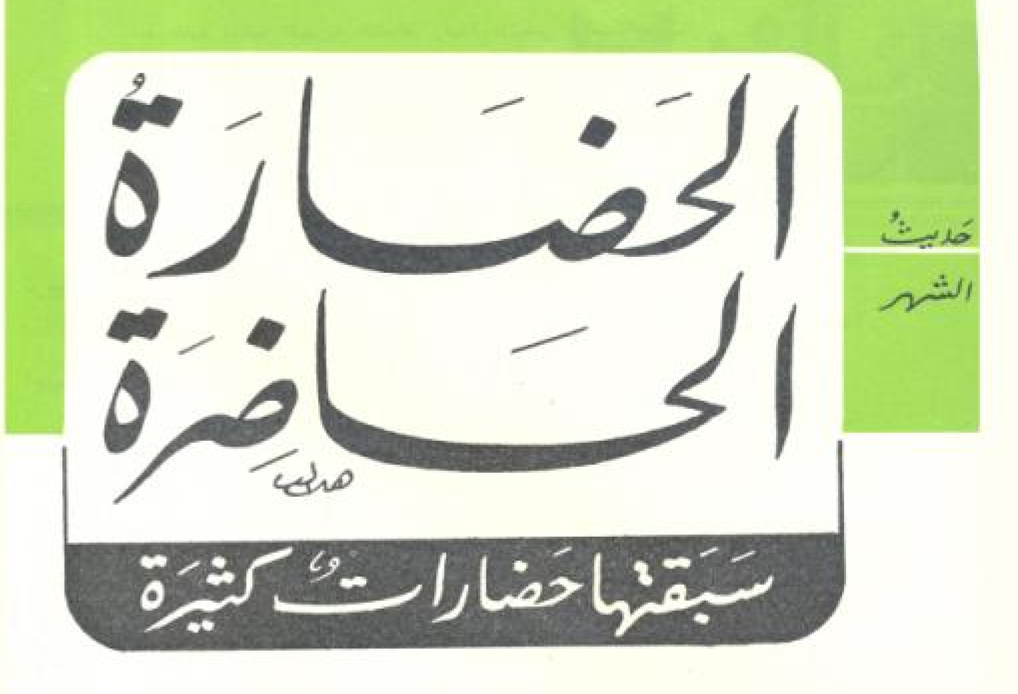
صورة الغلاف

احد طلبة الكلية البحرية اثناءاخذ رصدة للشمس بواسطة جهاز السدس Sextent ، ويستخدم هذا الجهاز الحديث في اخذ الزاوية الراسية للاجرام السماوية لتحديدموقع السفينة في اعالي البحار ، وهو جهاز عرفه العرب قديما ، في شكلبدائي قبل تطويره .

(اقرا الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونغ ـ ص.ب ٦٨٢ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



بقلم رئيس التحرير

■ جرى الحديث في الحضارة ، ومن الحديث الى النقاش ، وانا أسمع . ولما احتد النقاش ، ادركت ان المتناقشين يفهمان من الحضارة معنيين مختلفين ، ولهذا جرى الفكر بينهما مجريين متباعدين ، بل نقيضين .

وفي سبيل وقف النقاش ، لعله يبترد ، قلت للاخوين ، ان من الالفاظ الجارية بين الناس ، الفاظا تجرى على السنتهم جرى الشيء الباده ، ولكن تفسيرها يكون من اصعب الأشياء . ومن هذه الالفاظ لفظ الحضارة الذى انتما فيه تختصمان .

وحاول احدهما للفظ الحضارة تعريفا عاجلا سريعا فعجز . واعتبر الآخر بفشل صاحبه فلم تكن منه الا ابتسامة . قلت : لم تبتسم ؟ قال : لا اتفق معه فيما ذهب اليه من تعريف .

وذكرني هذا الجواب بالذى قرأته اكثر من مرة ، لبعض الفلاسفة والمناطقة ، ان الأمور التى نتخاصم فيها ، والتى يتناقش الناس فيها ، يجب ان تبدأ اولا بالتعاريف حتى تتضح معانيها ، وتتحدد ، فان كان لها اكثر من معنى ، نتبين اى معنى من هذه المعانى هو موضع الدرس والبحث .

الحضارة ،

لفظا لغويا

اما في اللغة العربية فهى الحضارة او هى المدنيّة . لفظان لهما معنى سواء .

إنَّ الذين يَطلبونَ مِنَ الحضارةِ رَفَهَ العَيش وَحْدَهُ ، دُونَ رَفَهِ الفِكْرِ ، إنَّما يَطمِسُونَ فى الكَونِ خَيْرَ ما فيهِ مِنْ إشعاع



من الحضارات الاولى : هذه بعض ادوات الانسان القديم ، فى الصين ، وهى من صخر

واما فى اللغة الانجليزية والفرنسية فهى Civilisation ،وشبيه بهذا اللفظ الالمانى .

واللفظ الافرنجى مشتق من اللفظ اللاتينى Civis ، وهو يشير الى المدينة او رجل المدينة .

واللفظ ، المدنيّة ، مشتق أيضا من المدينة .

واللفظ العربى الثانى ، الحضارة ، ماخوذ من الحَضَر . والحضر يقابله عند العرب البدو . ومن البدو جاءت البداوة .

والانتقال من البدو الى الحضر ، انما هو انتقال من لا مدينة الى مدينة. فالحضر والمدينة سواء .

اى هذه الالفاظ اقدم ؟

ويخال كثير من اخواننا العرب ان اللفظ العربي ، سواء مدنية هو او حضارة، انما هو ترجمة للفظ الافرنجي ، وان اللفظ الافرنجي اسبق من العربي .

وهذا قد يجوز على لفظ « المدنية » فقد بحثت عنه في معاجم اللغة العربية ، فلم يكن له فيها وجود .

ولكن هذا قطعا لايجوز على لفظ الحضارة ، فهو لفظ قديم .. وكان لابد من ظهوره في اللغة العربية ، لأن بلاد العرب غلبت عليها البداوة والبدو اولا. فلما نشأ الحضر واتسع كان لابد من لفظ يدل عليه ، بوصفه مكانا أو وصفه حالة، فكان الحضر ، وكانت الحضارة .

والمتنبى ، وهو عاش في القرن العاشر الميلادى ، قال فى قصيدة شهيرة له :

حُسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفى البداوة حسن غير مجلوب

والصحيح ان اللفظ الافرنجي Civilisation لفظ حديث .

ان كثيرا من القراء لا بد يذكرون الرجل الانجليزى الفكه الشهير الدكتور جونسن Samuel Johnson (١٠٧٩-١٧٨٤م) صاحب معجم من أوائل المعجمات الانجليزية الجديدة وهو باسمه، ويذكرون كذلك صاحبه ورفيق حياته بزول Boswell ، وهو كاتب تاريخ حياته من بعده . نشير الى هذا لنقول ان « بزول » ذكر ان الدكتور « جونسن » ، عندما جاء فى معجمه على اللفظ الذى معناه الحضارة ، اقترح عليه « بزول » ان يكون هذا اللفظ هو Civilisation . ولكن « جونسن » ابى هذا اللفظ وفضل عليه اللفظ الأقدم الذى هو Civility .

الخلاصة اذن هى أن المدنية او الحضارة هما لفظان يعبران عما يتألف منه العيش وأنماط العيش فى المدن، نقيضا لما يكون عليه حال الناس ، فى غير المدن ، كأن يكونوا فى البدو وعلى البداوة .

الانسان فى ادوار تطوره الاولى

نستمع بعد ذلك الى علماء علم الانسان القديم ، فى ادوار تطوره الاولى خاصة، فنعلم منهم ان هناك من الدلائل الكثيرة ما يدل على ان الانسان بدأ اشتاتا من الناس متفرقة تعيش على الصيد ، صيد الطير ، وصيد الحيوانات فى البرارى ، او على جمع الغذاء والثمار فيما يقعون عليه من نبات واشجار . ولا ننس البحار وأسماكها .

اشتات من الناس غايتهم الطعام، وهى غاية كل حى . ويصيد الانسان فى هواء او ارض ، او فى بحر . انه غذاء حاضر جاهز .

وتمضى الآلاف من السنين ، فيصبح الانسان اعرف ببيئته ، واقدر على تصور دنياه ، واكثر تفتحا لفتح مغاليق الحياة. فيخترع ضروراتها الأولى ، من حيث سقف يقيه ، وعش يأويه ، ونار تدفئه، وأداة تعينه على ما تعجز عنه يداه من الأعمال .

ثم يتعلم الزراعة من الطبيعة ، وهى

خطوة من خطوات الانسان الى الحياة كبرى .

وتتجمع كل هذه الآثار وتتراكم على السنين والقرون ، فاذا بالشعوب او ما يشبه الشعوب تقوم عند مصادر المياه الأولى ، والزراعة عماد حياتها .

وينتهى الأمر أخيرا بأن تقوم امم فيما يسمونه بالهلال الخصيب فى تلك المنطقة الطويلة العريضة من الأرض ، التى تبدأ بضم نهر النيل غربا ، وتنتهى بضم دجلة والفرات شرقا . وهى تمتد بعد ذلك الى نهر هندوس فى السند بقارة الهند .

الزراعة
أعطت الانسان
الاستقرار فى الأرض

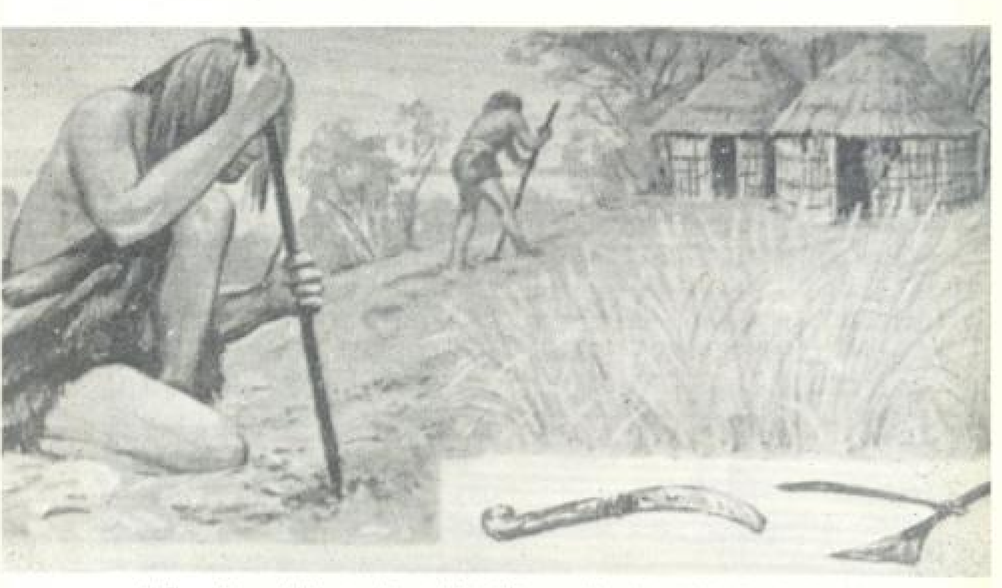
والحضارة تجمعات انسانية ، تستقر فى المكان الواحد،وتصنع لنفسها القرى ، وتصنع المدن . ولفظ المدينة جاء من قولهم (مدن فى المكان) اى اقام فيه واستقر .

ان الاستقرار لا بد له من رباط.ولا رابط للانسان كرابط الغذاء . وارتبط الغذاء بالأرض ، فربط الانسان بها .

وتتبدل الحضارات ماتتبدل ، وتبقى الزراعةقوامها الاول ، ووعاؤها التربة الخصبة والماء .

ان ولاء الانسان الأول للطعام ، واذن فولاؤه الاول للأرض . وولاؤه للأرض ولاء للحياة ذاتها .

الم يصف الناس الأرض بانها الأرض « الطيبة » ؟ والم يعودوا اليها من بعد غياب ، فيسجدوا اليها يقبلون ترابها ؟ ان من هذه التربة تخرج الحياة .



ما جاء القرن التاسع قبل الميلاد او نحو ذلك حتى اخذ الانسان ينتقل من حياة الصيد الى حياة الزرع ، فاستقر فى الارض ، وبدات الحضارات على ذلك البساط الأخضر الذى صار موطنها جميعا ، ما كان منها وما سوف يكون .

وتعطى الزراعة للزارعين

فوق حاجتهم من طعام

فيتفرغ سائر الناس لغير الزراعة

من اعمال

ان أنجح المدنيات القديمة هي تلك التى قامت على الانهار ٠ ويفيض نهر النيل ، فيغمر البلاد ، ثم ينحسر وينثر الزارع الحب ، وتعمل فى الحب الشمس ، وتعمل التربة ويعمل الماء ، فاذا بالنبات الأخضر يشق السطوح الغبراء شقا ٠ ويأتى الحصاد ٠ وقد قام على العناية به الف ، فاذا به يكفى الألوف ٠

واذن يكون بين هذه الكتل الانسانية المتجمعة فى القرى ، صنفان من الناس ، صنف زارع ، وصنف لا يزرع ٠ والذى لا يزرع يأكل من فيض من زرع ٠ ثم لم يلبث ان ينصرف غير الزارع الى الوفاء بحاجات الحياة الاخرى ، فليست الحياة كلها طعاما ، ولا شيء الا الطعام ٠

ويتخلق الى جانب الزارع من يفتق الحيلة لتبلغ به بناء المسكن وقاء للناس ، وآخر يفتق الحيلة لتبلغ به نسج الثياب ، او لعلها تبلغ به تشكيل الاداة التى يقطع بها ، ولو كانت من حجر ٠ وحمل الماء يحتاج الى وعاء ٠ والطبخ يحتاج الى نار ، والنار الى ثقاب فلا بد من ثاقب ٠ ويستانس الانسان الحيوان للحمه ، ولأنه يحمل الأثقال ، فيقوم بذلك ، والكثير غير ذلك ، من لم تكن له الزراعة مهنة ٠

وهكذا تتعقد الحياة فى هذا القبيل الاول من الناس ، وهو يخطو فى الحضارة خطواتها الأولى ، فيتصدى أفراد من هذا القبيل لكل عقدة من هذه العقد ٠ انه يبدأ بالتعرف عليها ثم التغلب على حلها حتى تكون له حرفة ، يكون هو حرّافها ٠

والذى وصل بهذا المجتمع البادىء الى ما نصف شيئان :

اولهما : فيض من الطعام جاءت بـه الزراعة ، اعفت قوما من الزراعة، فقاموا يتفرغون لغيرها ، فابتدعوا من الحرف ، مما لم يكن يعرف الانسان ، ما سد حوائج سائر الناس فى العيش ٠ وكل هـذا يدخل فى معنى الثقافة والتثقف ، ومـا التثقف الا السبيل الى تلك الحالة التى نسميها بحضارة الانسان ٠

وثانى الأشياء التى وصلت بهذا المجتمع البادىء الى ما نصف ما فى خلق الانسان نفسه من دوافع تدفع به الى هذا التفتح والتطور الذى يهدف الى سلوك طريق الحضارة على شتى درجاتها ٠ وهو تفتح ، وهو تطور لا يدريه الانسان ، وهو قائم به وفيه ٠ انه لا يعلم منه ، وهو لابسه ، الا كما تعلم الزهرة عندما تتفتح، لا تدرى انها تتفتح ، ولا تدرى لماذا هى تفعل ٠

واستقل الانسان بهذه الدوافع الخافية، فجاز عليه وحده ، دون سائر الخلق ، ان يتفتح ، وان يتطور ، وعرف الانسان المدنيات المختلفة فى تاريخـه الطويل ، وما عرف الاسد ، على قوته ، مدنية ، وما عرف الفأر على ضعفه ٠

الحضارات

كاجسام الخلق ،

اعضاء ووظائف

ان جسم الانسـان ، وسائر اجسام



اكتشاف النار كان من الخطوات الأولى التي خطاها الانسان في طريق الحضارات ·

الحيوان ، تتألف من اعضاء غير قليلة ، وكل عضو له واجبان : عمل يقوم به فهو من اختصاصه دون غيره من سائر الأعضاء ، وواجب ان يعطي من ثمرات عمله لسائر الأعضاء انصبة هي بعض حاجات الحياة ، كما يأخذ هو من كل نصيبه ·

فالحياة ، في الاجسام الحية ، وحدة ، من اعضاء مختلفة ، اختلفت وظائف ، وتعاونت اخذا واعطاء ·

ولكن كذلك الحضارات ·

ان الحضارة ، بعد ان خطت خطواتها الحضارية الأولى من تامين اسس الحياة ، تعددت فيها الوظائف ، وتعددت رجالات هذه الوظائف · وهي وظائف الف ، لكل رجالات الف · وكل وظيفة عليها واجبان : الواجب الأول ان تحسن عملها ، والواجب الثاني ان تقسم عطاءها على سائر الوظائف ورجالاتها · الخباز يخبز لياكل الطبيب والمدرس والنجار والحداد · والطبيب يمارس طبه ليعالج الخباز والمدرس والنجار والحداد · والمدرس يقوم بتعليم ابناء كل هؤلاء · وهلم جرا ·

كل يعتمد على صاحبه في الحضارات جميعا ، ناشئها ، والناضج · فالطبيب لا يطلب منه ، في المجتمع المتحضر ، ان يكون الى جانب طبه خبازا او مدرسا او نجارا او حدادا ·

وجسم الانسان اذا اعتل عضو فيه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ·

وكذا الحضارة ، يخل بها جميعا ان يتعطل عضو فيها ·

وهذا معنى احسبه لا يتضح كثيرا لكثير من اهل الحضارات الحاضرة او حتى الغابرة ·

ان الحضارة تضامن بين اشتات من المقيمين لها ألف · عقد واحد ينتظمها جميعا ، اذا انفرط ، تشتتت حباته · وبانعدام الرابط لا يكون لها قيام ·

والحضارات
لها سلم كسلم الحيوانات
تصعد فيه وتهبط

والعلماء ، علماء الحيوان ، نظروا في الحيوانات ، اعضاء ووظائف ، فجعلوها مراتب ، دنيا وعليا ، وفيما بينهما · وجعلوا من هذه المراتب سلما يضعون

على درجاته الحيوان الذى بلغ من الرقى الخلقى مرتبة تلك الرتبة ٠

وهم جعلوا في ادنى هذا السلم الحيوانات ذات الخلية الواحدة ٠ وجعلوا في اعلى السلم الانسان ٠ ووضعوا فيما بينهما حيوانات هى دون الانسان اعضاء ووظائف ٠

والانسان ، سيد الحيوان ، تميز بكثرة اعضائه، وكثرة وظائفها ٠ وجمع بين وظائف لها مثيلات في سائر الحيوانات ٠ وجمع بين وظائف تمتاز دقة واتقانا عما في سائر الحيوانات ٠ وتميز عن الحيوانات جميعا بما نسميه بالعقل وبالوعى ، وبالمنطق ، وبالنفس ، وبكل هذه الأشياء التى لا توزن كما توزن الكبد ، ولا تقاس ٠

وكذلك المدنيات ٠ هى في اولها اقتصرت ، على الظن الغالب ، على اجراء الحياة ، بالقدر الذى ينفى عنها الموت ٠ حتى العقل استخدمته ، لهذه الغاية ٠ ولكن ، بتقدم الحضارات وتفرغ الانسان او بعض الناس لغير اعداد تكاليف الحياة في اصولها المادية الاولى ، توجه العقل الانسانى الى ما فوق ذلك، وظهر الوعى، وظهر المنطق ٠ وظهرت النفس ، وظهرت آثار نسميها النفسية ، وقليلا ما نفهمها ٠

ونعتبر ان هذا التطور الحضارى ، انما هو تطور الى اعلى ، الى الأفضل ٠

وبتقدم الحضارات ظهر فيها الشعر ، وظهر الغناء ، وظهرت الموسيقى ٠

ومع هذا فالانسان القديم ، لم يعدم الحس، والحس بالفن ، فراح يرسم على الصخر ما اتصل بحياته من صور حيوان ٠ اكان ذلك للفائدة ؟ ام كان للمتعة ؟ انه بعض نوازع النفس الانسانية تلك التى ازدهرت آخر ازدهار في المدنية ، وقبل ان تاتى المدنية الحاضرة ٠



اقول ان هذه الأشياء كانت ارهاصا بالحضارة الآتية ، ولم تكن تحقيقا لها ·

وانما الذي حققها وبدأ وجودها واستهل حياتها ، فذلك اكتشاف البخار مصدرا للطاقة عظيما · البخار أدار المكنات ، واجرى القطارات على الأرض والسفائن في البحار · ومن البخار خرجت طاقة اكبر واشمل واطول باعا ، واشد اتساعا ، هي الكهرباء · واكتشف الزيت ببطن الأرض فزاد الطاقات سهولة حصول ، وسهولة استعمال · ومن هذه الطاقات خرجت شتى المواصلات ، عبر ارض ، وعبر سماء ، وعبر ماء ، وعبر فضاء ·

والمصانع دخلتها تلك الطاقات العارمة فأنتجت فيها انتجة ما كانت تخطر لانسان ، من انسان القرون السابقة ، على بال ·

الحضارة الحاضرة

حضارة آلة وعلم

ان الحضارة الحاضرة ، حضارة الطاقة ، وحضارة الآلة ·

ومن وراء الطاقة والآلة كان العلم ·

وسبق العلم الآلة ، بل صاحبها · ان من كشف المكروب اول كاشف ، ورآه رأى العين ، ذلك الرجل الهولندى العجيب الساذج لوفنهوك Leeuwenhoek · كان يصنع عدسات صغيرة من زجاج في زمانه · وخال ان ينظر عبرها في الماء ، وغير الماء ، من طاهر الماء وغير طاهره ، فرأى عجبا · وجاليليو Galileo رأى من القمر ما رأى بمنظار مقرّب هو صانعه · ويزيد العلم ، فيزداد صنع الآلة ، لتعينه في تقدمه · ان حواس الانسان ، وان يديه ، وكل كفاياته كانت اعجز من ان تنال مبتغاه ، فتقدم فكره يبتدع الآلة التي تزيد بها آذناه سمعا ، وتزيد بها عيناه ، على القرب والبعد ، بصرا · وكذلك الآلة التي بها من القوة ما يزيد على قوة الف من الرجال ، ومن الدقة ، برغم القوة ، على دقة لم يألفها الانسان الا في انامل المرأة الفنانة ، والرجل الفنان ·

وانشقت جهود بني الناس ، في الاخذ بيد الحضارة في سبيلها المحتوم الى غد ، وبعد غد ، انشقت عن علوم بحتة وعلوم مطبّقة · ودخل الداخلون في هذه البحوث الى اعماق كادت تستنفد قدرة الانسان ·

وانتفع الناس بهذه الحضارة الجديدة في بيوتهم ، وفي طرقاتهم ، وفي ملاهيهم ، وانتفعوا في تزويد عقولهم والقلوب · واستطاع الرجل المتوسط في القرن العشرين ان يبلغ من نعمة الحياة ومتعتها فوق ما بلغ بعض الملوك في قديم القرون ·

الحضارة بين الجيل والجيل

والحضارة الحضارة حضارة شق الانسان طريقه اليها وهو غير واع كل الوعي بما يفعل · ويأتي الجيل الانساني في حياته بالكثير الذي يزود به الحضارة · ويتخلق اثناء ذلك من ذريته جيل جديد ، فيورّثه كل علم عرف ، وكل صناعة ، ويغرس فيه نفس الأمل ونفس الطموح ، فينشأ من بعد الجيل جيل يبني كما بنى سابقوه ، ويأمل املهم ، ويطمح طموحهم ·

وهم في كل ذلك كأنما هم مسيّرون غير مخيّرين ·

لماذا تأخرت الحضارة الحاضرة

فلم تبدأ الا منذ ٣ قرون او اربعة

تأخرت لأسباب كثيرة ، تستجلي اهمها في حادثين :

اولهما : ما اصاب العالم جاليليو من


والحصان والبعير ،كانا من بعض مصادر الطاقة فى تلك الحضارات الغابرة • قبل ظهور الطاقـة من بخار وكهرباء

رجال الكنيسة عندما قال بأن الأرض تدور حول الشمس •

وثانيهما : ما كان من ضيق اهل ذلك الزمان بالكنيسة والانشقاق الـذى وقع فيها ، ذلك الذى قام به لوثر Luther وكلفن Calvin واضرابهما •

كلاهما دل على ضيق الكنيسة بالنقد، وضيقها خاصة بالرأى الحر خشية ان يصيب الايمان بما تكره ، فوقفت للرأى الحر بالمرصاد • وتغلب الاحرار ، فكان من بعد ذلك للعلم فى جـو الحرية الفكرية انطلاق • واللطيف الذى يذكر ان العلماء الذين جاءوا من بعد ذلك كانوا مسيحيين خلصاء • كان كذلك جاليليو الايطالى ، وكان كذلك كبيرهم اسحق نيوتن الانجليزى، وكان غير هذين من رجال العلم الجديد •

الحضارة بين سابقين ومتخلفين

نشـأت الحضـارة الحاضرة فى اوروبا بسبب ظروف معروفة ، فسبق الى الحضارة اهلها • وتخلف سائر أهل الارض •

ونظـر المتخلفون الى الفوائد الكثيرة التى جاءت بهـا هذه المدنية الحاضرة ، فخففت بها من ثقل العيش ، وأضافت الى العيش المتع الكثيرة• فتحركت فيهم الرغبة ان يتقدموا ليلحقوا بالذى سـبق اليـه هؤلاء لينعموا بما نعموا •

والحضارة عند المتخلفين هى هى هذه الحضارة الأوروبية الحاضرة لا غيرها • ذلك لأنهم مـا عرفوا غيرها • ولأن ما أسدت هذه الحضارة الغربية الى اهلها من نعم ، ملأت الأبصار فلم تر من الحياة الدنيا شيئا غيرها •

وانقسم المتخلفون

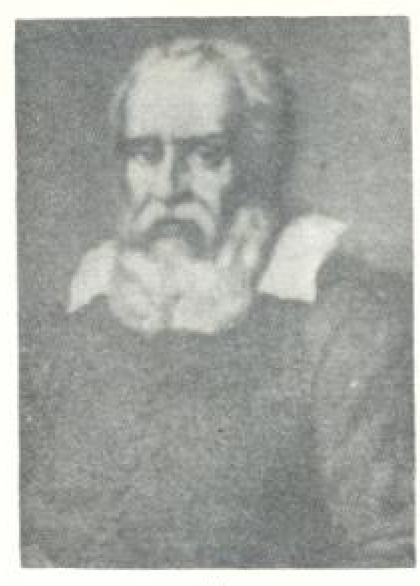
وانقسم المتخلفون فيما بينهم • هل يأخذون من هـذه الحضارة الحاضرة أو لا يأخذون •

فصار منهم رافضون الحضارة الحاضرة، ومنهم لها قابلون .

وانقسم الرافضون،فمنهم من يرفضها كما وكيفا ، ومن ألفها الى يائها ، لأن عندهم ان التفاحة التى بها عطب يلقى بها فى القمامة ، ولو كان بها جزء سليم. ومن الرافضين من يحرص على الجزء السليم من التفاحة ، فهو له حافظ .

وانقسم كذلك القابلون ، فمنهم من يقبل الحضارة الحاضرة ، عاطبها والسليم. ومنهم من لا يقبل غير السليم .

والحق ان الحضارات ، عندما تهب على الأمم ، تكون كالريح اذ تهب فتشمل سطح الأرض كله ، وتملأ اجواءها ، وقليلا ما تبالى بقابل لها او رافض .



جاليليو

ولقد علمنا ان القردة تحسن التقليد، وانه من خصائصها. ونذكر القردة وننسى الانسان ، وهو اكبر مقلد . يقلد طفلا، ويقلد رجلا وامرأة ، ويقلد أمة . ومن اجل هذا دخل الينا نحن العرب من حضارة الغرب ما دخل ، دون ان يستأذن لدخول، او نأذن له بدخول . دخل ، واذا هو بيننا ولا ندرى كيف دخل .

ان الشعوب هى التى تقبل ولا تدرى انها تقبل ، وهى التى تصد وترفض .

ومع هذا فالشعوب لها حس دفين تدرك به النافع والضار ، والذى لا ينفع ولا يضر ، وقد تغضب على ما لا تحب مواسعة فى الأفق ومصابرة ، حتى اذا دق الأبواب الضار الذى لا شك فيه فما اسرع ما يضمر لقلة العناية به والترحاب.

ونحن العرب عندما ننظر فى الحضارة الحاضرة ، ونطلب الجد دون الهزل ، نرى فيها اشياء لا بد ان نقتبسها . فالعلم لابد ان نقتبسه . والتكنية لا بد ان نقتبسها.



نيوتن

ويدخل فى ذلك العلوم الطبيعية جميعها ، من رياضة ، الى فلك ، الى فزياء ، الى كيمياء ، الى علم ارض ، الى علم بحار، الى علم نبات ، الى علم حيوان ، الى طب • ويدخل فى ما دخل من الصناعة كل ما نحتاج اليـه ، ممـــا يسهل العيش ، ويضاعف انتاج العمر •

كل هذه سبل واضحة لا خفاء فيها ، ولا يمكن ان يكون عليها خلاف •

فاذا جئنـــا الى النظـم الاجتماعيـة والاقتصادية اختلفنا،لأن الحضارة الحاضرة نفسها اختلفت فيها • فاذا اخذنا منها فلنأخذ الصالح الذى تصلح عليه حياة الجماهير • المصلحة اولا هى الحَكَم • المصلحة فى هذه البيئة ، ولهؤلاء الرجال والنساء خاصة ، فى هذا الزمان •

والادارةوالحكم،كذلك اختلفوا فيهما• اختلف اهل الحضارة الحاضرة • فلنا ان ننظر وان نتخيَّر ،ويتخيَّر الشعب معنا•

وفى كل هـذه الأمور ، توجد رجال تقول ، ونحن نستمع•وللمختصين وحدهم نستمع • ففى العلم نستمع الى العالم ، وفى الطب ، نستمع الى الطبيب ، وفى صناعة الالمنيوم نستمع الى رجل المصنع او المصانع • فاذا هو حدثنا عن عقوبة الاعدام ، حديث اختصاص ، أتكون او لا تكون ، قلنا له قف ، فما انت بهذا قمين •

على انه فى الأمم المتخلفة ، والأمة العربية منهـا ، جماعة ، اسموهم اهل الفكر•فهم يفتون فى كل شىء ، ويقودون فئات الناس فى كل موضوع • واختار الكثير منهم اكثر المواضيع فى الأمـــة

اقتبست اليابان حضارةالغرب ومع هذا ابقت على الكثير من مظاهرثقافتها •• وفى الصور انظر ثياب الأب والأم ، انه الثوب اليابانى الكومـونـة ، ولاحظ انهم جميعا جلسوا على الأرض ، وان الابن مايزال ياكل بالعصى •

حساسية ، فأنكروا على الناس الحديث فى الغيبيات ، والايمان بالنبوات ، وهزأوا بالأديان ، شأن العباقرة ، وحسبوا انهم بذلك يمهدون الطريق للتقدم ، وهم انما يضعون فى سبيل التقدم ، العقبات •

انهم يخطئون من وجهتين :

الوجهة الأولى : انهم ينسون ان الحضارة الحاضرة التى يدعون الناس اليها انما قامت فى قرون عامرة بالايمان • عمرت اوروبا بالايمان والعلم يتنشـا فيها • وعمرت اليابان الى اليـوم • ويوجـد فى اليابان ديانتان ، البوذية والشنتو • اما البوذية فمعروفة • واما الشنتو،وهى



الدين الرسمي ، فتقول بأن اليابانيين من سلالة آلهة الشمس « اماتيراسو » ، وانهم اسرة واحدة رأسها الأمبراطور • واليابان في القمة من الحضارة •

الوجهة الثانية : ان الانسان به ، في خلقه ، حوافز كثيرة، بعضها يتصل بالعيش على سطح هذه الأرض ، وبعضها فضول فكري طبيعي لا بد منه ، ذلك انه يريد ان يعلم ، من اين هو جاء ، والى اين المصير •

ان الذين يطلبون من الحضارة رفه العيش وحده ، دون رفه الفكر ، انما يطلبون في الكون خير ما فيه من اشباع• وان الرجل الذي غايته هي فقط الطعام المستطاب ، واللباس الأنيق والمسكن المترف ، وسائر ملذات هذه الحياة ، هذا الرجل اشبه بالحمار الذي يلبس الياقة البيضاء ، ويأكل المكرونة والتفاح ، وينام على الحشو من قز ، ثم ينفق كما تنفق الحمر جميعا ، لم يستطب من العيش غير لذة الفم وامتلاء البطن بالطيب من الطعام •

ووجهة ثالثة : انه ليس بعالم من ينكر امرا فيقول انه لا يكون • كل ما يستطيع العالم القح ان يقوله : لا ادرى، فليس من وسائل العلم ، وهي مادية، ما يهدى الى ما يفتون الناس فيه • ●●

احمد زكي



ثوسيديدز المؤرخ
أيوناني هو أم روماني

● قرأت في العدد ١٨٧ من مجلتنا العزيزة ان (ثوسيديدز Thucydides) كان كاتبا رومانيا وان حديثه عن حروب الرومان مع القبائل الجرمانية هو الذي الهم المؤرخ البريطاني الكبير « فكرة كتابة تاريخ للبشرية على انه صراع بين حضارات ».. ذلك ان سقوط روما بيد القبائل الجرمانية « المتبربرة » (كما كان يحلو للرومان أن ينعتوهم بذلك) تم في القرن الخامس الميلادي وعلى وجه التحديد في عام ٤٧٦ للميلاد ، في حين ان (ثوسيديدز) عاش ومات قبل هذا التاريخ بكثير . اذ ان كتب التاريخ تشير الى انه ولد في (٤٧١ ؟) وتوفى في (٤٠٠ ؟) قبل الميلاد . بالاضافة الى ذلك فانه لم يكن رومانيا بل يونانيا وكان معاصرا لمؤرخ اليونان الاكبر (هيرودتس) وقد اتت شهرة (ثيوسيديدز) من تاريخه للصراع الذي نشب بين اسبارطة واثينا قبل الميلاد لا ذلك الذي حدث بين الرومان والجرمان بعد الميلاد .

ارجو الاشارة الى ذلك مع وافر التقدير .

حميد محمد القزاز

مدرس التاريخ الاقتصادي ـ كلية الادارة والاقتصاد بالموصل ـ الجامعة المستنصرية

يشكو الاستغلال والجشع !

● من المؤسف حقا ان ارى مجلتي الغالية ـ العربي ـ تستغل لصالح مجلات اخرى .. ذلك ان موزع العربي في جهتنا يرفض بيع مجلتكم ما لم يبع معها مجلة « طبيبك » ، وذلك بثمن يزيد على الثمن المعلن بربع او نصف ريال .. والقيمة لا تهم .. فلوا اصر هذا الموزع على بيع العربي بعشرة ريالات لما ترددت في شرائها ، علما بان راتبي محدود ولا يسمح بمثل هذا الاسراف .. ارجو ان يكون في امكانكم وضع حد لاستغلال موزعي العربي وجشعهم .. كما ارجو الا تنشروا اسمي بالكامل لئلا يمتنع الموزع المذكور عن بيعي مجلة العربي ..

ع . م . ـ القطيف

العربي : ان صح هذا ـ وهو لاريب صحيح ـ فهو بعض مخلفات الكوارث العربية وهي واهلها لا شك الى زوال .

خطأ مطبعي في مسابقة العدد

● هل لي ان انوه عن خطأ مطبعي وقع في نشر نتيجة مسابقة العدد ١٨١ المنشور في العدد ٣٨١ والذي وصلنا بتاخير كبير (اليوم بالذات وصلنا اي ٢٧ شباط/٧٤) فقد جاء بالحل هكذا :

٦ ـ الارض الطيبة ـ نجيب محفوظ .
٧ ـ بداية ونهاية ـ اميلي برونتي .
٨ ـ مرتفعات وذرنغ ـ بيرل بيك .

والصحيح كالتالي :

٦ ـ الارض الطيبة ـ بيرل بيك .
٧ ـ بداية ونهاية ـ نجيب محفوظ .
٨ ـ مرتفعات وذرنغ ـ اميلي برونتي .

اخيرا اتمنى لكم كل خير ونجاح ، ووصول باكر الينا .

مروى البوز ـ دمشق

تصويب

● كان كتاب الشهر للعدد ١٨٢ الصادر فيذى الحجة ١٣٩٣ هـ كانون الثاني م « سيناء ارض القمر » للواء رفعت الجوهري عرض اللواء اركانحرب محمد كمال عبد الحميد•وتحت عنوان «منطقة جبال الطور» قرات في آخر البحث ص ٥١ قولهتعالى « واوصينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرةعينا » وقفت مترددا في صحة هذا النص • هكذا ينص بهالقرآنالكريمام بغير لفظ ؟ وبعد مراجعةكتاب الله تعالى باستعانتي بالمرشد الى ايات القرآن الكريم وكلماته لم اجد هذا النص طابق نصا في كتاب الله تعالى • ولكن وجدتفي سورة البقرة آية (٦٠) قوله تعالى (واذا استسقىموسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) ووجدت في سورة الاعراف اية (١٥٩) قوله تعالى (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) لم اجد الاية التى نشرت في المجلة قد طابقت نصا من نصوص القرآن الكريم • رجائي ان تكونوا عند حسن ظني وظن القراء بضبط الايات القرآنية قبل نشرها ـ ولا اظنه تساهلا من جنابكم الكريم وان تكون مجلتكم العربي قد حققت دستور العربي بنشر تصويب لهذه الاية بالنص الصحيح • وفقنا الله واياكم لخدمة دينه وكتابهـوالهمنا واياكم الصواب وصدق الله اذ يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) • محمد عبد الله العيسى ـ العراق

حديث الشهر

● في كل شهر تطلع علينا العربي بمحتوى جديد في مواضيع مختلفة جديدة • ومن حسن حظي اني وجدت في هذه المجلة ضالتي •• فلا اتركها الا بعد ان اكون قراتها من الغلاف الى الغلاف ••

ولما كانت الاحاديث الشهرية هي اهم ما يهمني في محتويات العربي فاني اطلب منكم العمل على جمع هذه الاحاديث ونشرها في كتاب لتعم الفائدة ، ولكم الشكر ••

خليفة بوزير ـ الجمهورية التونسية

نشاط جامعة الدول العربية في البرازيل

● لايخفى على سيادتكم اهمية البرازيل المتزايدة على المستوى الدولي سواء من الناحية الاقتصادية او من الناحية السياسية ، مما قد يجعل من هذه البلاد ، في مستقبل غير بعيد،احدى الدول الكبرى في العالم •

ولايخفى على سيادتكم كذلك ان البرازيل تعتبر اكثر دول امريكا اللاتينية اقترابا من العالم العربي سواء بفضل ما تلتقي به مع الروح العربية او بفضل ما تصبو اليه من تنمية ورقي ، كما هو الشان في العالم العربي او بفضل تالجالية العربية فيها ، اذ يقطنها عدة ملايين من اصلعربي موزعين على مساحتها الشاسعة وهم يشغلون في غالبيتهم مراكز مرموقة في جميع مرافق الحياة •

في نطاق هذا الاطار،قررت بعثة جامعة الدول العربية في البرازيل اقامة ندوة للدراسات الاقتصادية تجمع بين البرازيليين والعرب لتبادل المعلومات والاراء حول تنمية العلاقات الاقتصادية بين الطرفينبشكل يمكن الذين يهمهم الامرفيالعالم العربي ان يبنوا مشاريعهم واعمالهم في البرازيل على اسس متينة ، ويفتح امام البرازيليين آفاقا جديدة في العالم العربي •

لقد سبق ان نظمت جامعة الدول العربية في العام الماضي مهرجانا ثقافيا باسم « المهرجان الثقافي العربي الاول في البرازيل » وقد ادى نجاحه الفريد اليتحسسالبرازيل تحسسا متزايدا بشئون العالم العربي وقويت رغبتها في انماء العلاقات معه •

منصور شليطا

رئيس بعثة جامعة الدول العربية في البرازيل

الاجتهاد في الدين

واجب في كل زمان ومكان

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ «الاجتهاد هو بذل الجهد في استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها بالنظر المؤدى اليها ، او هو كما يقول البعض : طلب الصواب بالاشارات الدالة عليه•واذا كان الامام الشافعي في رسالته يجعل الاجتهاد بمعناه الخاص مرادفا للقياس • فاننا نطمئن الى ما قاله ابو بكر الرازى من أن الاجتهاد يقع على ثلاثة معان :

١ ــ القياس الشرعي ، لان العلة لما لم تكن موجبة للحكم لجواز وجودها خالية عنه لم يوجب ذلك العلم بالمطلوب فلذلك كان طريقه الاجتهاد بالمفهوم الخاص •

٢ ــ ما يغلب في الظن من غير علة كالاجتهاد في الوقت والقبلة والتقويم • وهذا بعيد عن وظائف المجتهدين وعن الاجتهاد الاصولى •

٣ ــ الاستدلال بالاصول ، وهذا هو الاجتهاد الذى نعنيه هنا اى بالمفهوم العام ، لان القول فيدين الله بمجرد استحسان العقل ، وما يمليه الهوى ، من غير استناد الى دليل ــ لا يكون اجتهادا فقهيا •

والاجتهاد واجب بالنسبة لمن توافرت فيهم شروط الاجتهاد ، فيلزمه أن يستنبط احكام ما يجد من مسائل ويقع من حوادث يراد معرفة حكم الله فيها ، سواء اكان ذلك لنفسه ام لغيره ، بحيث اذا لم يفعل كان آثما ، الا اذا كان في أمر لا يتعلق به هو وقام به غيره من أهل الاجتهاد لاندفاع الحاجة • اما بالنسبة لما يتعلق به هو فالاجتهاد واجب وجوبا عينيا اذ لا يجوز للمجتهد أن يعمل برأى غيره •

وجوب الاجتهاد

ويدل على وجوب الاجتهاد قول الله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » وقوله جل شانه : « فان تنازعتم فيشيء فردوه الىاللهوالرسول » فقد امر الله سبحانه من هو أهل للتفهم والتأمل بالاعتبار ،وقال المفسرون: ان الآية الأولى تفيد وجوب الاجتهاد على من هم أهل له • كما أن المقصود من قوله تعالى : «فان تنازعتم في شيء» اى ما لم يرد به نص يفيد القطع من الله ورسوله ، وأن معنى رده الى الله ورسوله ، أن ينظر المجتهدون في الكتاب والسنة والأحكام المعللة ، فيستنبطوا الأحكام على اساسها •

كما يدل على وجوب الاجتهاد ما روى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اجتهدوا فكلٌ ميَسَّر لما خلق له ••• » فقد أمرنا صلوات الله عليه بالاجتهاد،والأمر يفيد الوجوب بالنسبة لمن هو أهل له (١) ويدل عليه أيضا ما حدث من اجتهاد الصحابة في عهد الرسول ،

---

(١) على تفصيل بيناه في كتابنا « الأمر في نصوص التشريع الاسلامي ودلالته على الأحكام »

ويأمر منه وفى حضرته وغيبته ، وان لم يكن للتشريع مصدر فى عصر التنزيل سوى الكتاب والسنة ٠

كما يدل على وجوب الاجتهاد ما حدث فى عصر الخلفاء والصحابة والتابعين ومن بعدهم من الاجتهاد فى النوازل التى لم يرد فيها نص ، كما اجتهدوا فى دائرة تفسير النص وتفهم دلالاته ٠

كما يدل عليه أيضا أن النصوص متناهية ، والحوادث غير متناهية ولا بد لما يتجدد على مر الزمن من معرفة حكم الله فيه،ما دام التشريع الاسلامى باقيا ما بقيت الحياة، وخوطب به الناس جميعا فى كل عصر ومكان ٠

وينقل الشوكانى (٢) عن بعض العلماء أن الاجتهاد فى حق العلماء على ثلاثة أضرب : فرض عين ، وفرض كفاية ، وندب٠فالاول على حالين : اجتهاد فى حق نفسه عند نزول الحادث ، والثانى اجتهاد فيما تعين عليه الحكم فيه فان ضاق فرض الحادثة كان على الفور والا كان على التراخى ٠ الضرب الثانى على حالين : احدهما اذا نزلت بالمستفتى حادثة ، فاستفتى أحد العلماء ، توجه الفرض على جميعهم ، وأخصهم بمعرفتها من خص بالسؤال عنها ، فان أجاب هو أو غيره من اهل الاجتهاد سقط الفرض،والا أثموا جميعا ٠والثانى أن يتردد الحكم بين قاضيين مشتركين فى النظر ، فيكون فرض الاجتهاد مشتركا بينهما ، فايهما تفرد بالحكم فيه سقط عنهما ، الضرب الثالث على حالين أيضا : أحدهما فيما يجتهد فيه العالم من غير النوازل كى يسبق الى معرفة حكمة قبل نزوله ، الثانى أن يستفتيه أحد فى واقعة قبل نزولها ٠

ومجال الاجتهاد فى الواقع هو مايعرض من الوقائع سواء أكانت منصوصا على حكمها بنص ظنى الثبوت او الدلالة أم غير منصوص عليه ٠ فالاجتهاد فيما فيه نص ظنى الدلالة يتحقق بتفهم ذلك النص ، والوصول الى المراد منه ، ومعرفة ما اذا كان النص خاصا أو عاما ، ثم هل العام باق على عمومه أو مخصص ، ومعرفة ما اذا كان مطلقا أم مقيدا ، وهل المطلق على اطلاقه أم دخله التقييد ،كما يكون الاجتهاد بالنسبة للنص الظنى الثبوت من السنة بالتحقق من ثبوت النص ونسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم والتثبت من سند النقل والنظر فى حال الرواة ٠

والاجتهاد فيما لا نص فيه يكون بالاستدلال على حكمه بالقياس ، والاستحسان ٠ ومراعاة المصلحة المرسلة أو باى من الأدلة التى نصبها الشارع للوصول الى حكم ما لا نص فيه ، والمجال فى هذا النوع واسع وهو ما يسمى بالاجتهاد بالرأى ٠

والاجتهاد بالرأى

والاجتهاد بالرأى يرجع الى أنواع كثيرة . فقد ينحل الى قياس جلى او خفى ، وقد ينحل الى غير ذلك من أنواع الأدلة التى عرفت فيما بعد بأسماء أصولية اصطلاحية : كالمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ، والاستحسان ، لكن مدلول الرأى عند الصحابة كان أوسع من ذلك ، ويكاد يكون مرادفا للاجتهاد لأنه يشمل عندهم تفسير النص ومن ذلك قول أبى بكر فى تفسير معنى الكلالة : « أقول فيها برأيى »وقول زيد بن ثابت فى نصيب الأم فى التركة عند اجتماع الأبوين وأحد الزوجين دون وجود فرع وارث ولا جمع من الاخوة : « اقول فيها برأيى » ٠ وقد قال ابن القيم : ان تفسير النصوص من الرأى المحمود (٣) ٠

والاجتهاد عامل ضرورى فى تاريخ نشوء التشريع اذ هو الوساطة لاستنباط الأحكام من ادلتها الشرعية منقولة كانت أو معقولة ، ومن المعلوم أن لله سبحانه حكما فى كل مسالة صغرت أو كبرت ، وأن الكثير من الاحكام مسكوت عنها ، وقد نصب الشارع أمارات ومهد طرقا للدلالة عليها ، وأن بعض الأحكام قد ورد بها نص قاطع، او عرفت من الدين بالضرورة فلا يمكن أن تكون محل نظر واجتهاد ، بينما المسكوت عن حكمها ، او ما ورد فيها نص ظنى فى دلالته أو ثبوته ، ينبغى أن تكون محل نظر واجتهاد ٠

---

(٢) ارشاد الفحول صفحة ٢٥٣ ٠

(٣) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٨٢ ولا يتعارض مع ذلك ما ورد من آثار تنهى عن تفسير القرآن بالرأى اذ النهى منصب على ما لا يعلم تفسيره الا من طريق النقل من نحو مشكل القرآن ومتشابهه٠

شروط المجتهد

ولاشك أن هذه الاشياء التى هى موضع اجتهاد مما تختلف فيها أنظار الباحثين ، فمن الطبيعى أن لايكون الاجتهاد على نحو واحد ، لاختلاف مسالكه وأن الأحكام التى يصل اليها المجتهدون باجتهادهم ليست منقبيل الانشاء والتشريع وانما هى من قبيل التطبيق والكشف عن حكم الله حسب ظن المجتهد واعتقاده •

وتحصل درجة الاجتهاد كما يقول الشاطبى (٤) لمن اتصف بوصفين : الاول فهم مقاصد الشريعة على كمالها ،الثانى التمكن منالاستنباط بناء على فهمه فيها • ويقول الغزالى (٥) : وللمجتهد شرطان احدهما أن يكون محيطا بمدار الشرع متمكنا من استثارة الظن فيها بالنظر وتقديم ما يجب تقديمه وتاخير ما يجب تاخيره • الثانى أن يكون عدلا مجتنبا للمعاصى القادحة فى العدالة ، وهذا الشرط لقبول الفتوى لا لصحتها •

وقد أطال كل من الشاطبى والغزالى فى بيان ذلك ، كما فصل القول فيها اكثر الأصوليين ، وليس هذا من موضوعنا فى هذا المقال وقد بسطنا القول فيه فى كتابنا « مناهج الاجتهاد فى الاسلام » •

ويعنينا هنا أن نقول أولا : ان ما يراه المجتهد باجتهاده ، ويطمئن اليه قلبه ـ ليس حجة بالنسبة لكافة المسلمين ، ولا يلزمهم اتباعه والعمل به ،اذ الواقعة التىظهر حكمها بالاجتهاد لا مانع من أن تكون مجالا للاجتهاد فى كل زمن وبيئة اذ الاجتهاد السابق لا يمنع من اجتهاد لاحق • فاجتهاد المجتهد لا يمنع غيره من الاجتهاد فيما اجتهد هو فيه ، اذ الحكم الذى وصل اليه المجتهد مبنى على غلبة الظن ، ولا فرق فى هذا بين ما اذا كان المجتهد الآخر أعلم منه ، أو مثله، ما دام قد أعمل ملكته ، واستفرغ جهده ، ووصل الى الحكم الذى ارتاه عن طريق ذلك •

وقد اختلف الأصوليون كثيرا فى جواز تقليد المجتهد لغيره ،واخذه برأيه ،دون نظر واستنباط، فقال محمد بن الحسن : يجوز تقليد العالم لمن هو أعلممنه،ولايقلد منهو مثله،أو دونهوقيدذلك ابن سريج بما اذا تعذر عليه وجه الاجتهاد ، وذهب القاضى ابو بكر واكثر الفقهاء الى منع تقليد العالم للعالم مطلقا قال الآمدى : وهو المختار (٦) •

التعصب المذهبى واقفال باب الاجتهاد

غير أنه فى منتصف القرن الرابع الهجرى ـ وقد بدأ الضعف يدب فى جسم الدولة وانتابها ما يؤثر فى نهضتها ونشاطها العلمى ، وكان قد وضح التعصب المذهبى ـ ظهر قول باقفال باب الاجتهاد ، والزام كل من يتصدى للفتوى التقيد باحكام الائمة السابقين ، حتى قال ابن نجيم فى كتابه الاشباه والنظائر ،وما خالفالائمة الأربعة، مخالف للاجماع » ،ونقل عن التحرير لابن الهمام، أن الاجماع انعقد على عدم العمل بمذهب مخالف للائمة الاربعة •

وقد نسب ابن الصلاح هذا الى المحققين لا الى المجتهدين ، ويعلق على ذلك الامام المراغى بقوله : ليس لاجماع المحققين قيمة بين الأدلة الشرعية ••• وانما الاجماع المعتبر هو اجماع المجتهدين،فلا يقوىاجماعالمحققين ـ ان صح ـ على نسخ اجماع المجتهدين من الامة الاسلامية على جواز الاجتهاد بشروطه فى كل عصر •

ثم يقول الامام المراغى : وانى مع احترامى لرأى القائلين باستحالة الاجتهاد أخالفهم فى رأيهم وأقول : ان فى علماء المسلمين من توافرت فيه شروط الاجتهاد وحرم عليه التقليد •• ثم يخصص بعد ذلك فيقول : ان المسائل التى أفتى فيها الفقهاء لم يبق للمجتهد الا اختيار رأى منها ، اما الحوادث التى تجد فهى التى تحتاج الى آراء مجددة •

ونحن من جانبنا نستطيع مناقشة ذلك بأنه اذا ما توافرتفىشخصشروط الاجتهاد وجبعليه أن يتبع اجتهاده فى كل الامور ويحرم عليه كما قال فضيلته التقليد فيها • فكيف يتفق هذا مع قوله بانه يبق للمجتهد فيما أفتى فيه الفقهاء الا اختيار رأى منها • على أننا نقول أيضا : ان الحكم الاجتهادى حكم ظنى لا يلتزم به مجتهد

---

(٤) الموافقات جـ ٤ ص ٤٨ •

(٥) المستصفى جـ ٢ ص ٣٥٠/٣٥٣

(٦) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ٤ ص ٢٧٨

اخر ، لا في نفس العصر ، ولا في عصر آخر ، اذ المجتهد يتأثر في اجتهاده بظروف البيئة ، ومصالح الناس ، وهي مختلفة باختلاف العصور والبيئات ٠

امكان الاجتهاد في كل عصر

لا ينبغي القول بخلو العصر من وجود مجتهد تتوافر فيه شروط الاجتهاد ، لأن طريق معرفة الاحكام الشرعية انما هو الاجتهاد ، اذ الوقائع متجددة،والحاجةالىمعرفةحكم الله مستمرة في كل زمن ، وشريعة الله خوطب بها الناس في كل العصور يقول الله سبحانه وتعالى : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » فلو خلا عصر من مجتهد يمكن الاستناد اليه في معرفة الأحكام ، وما جد منها خاصة ، أو ما كان منها يتأثر باختلاف العصر والبيئة ـ لأفضى ذلك الى تعطيل الشريعة ، وعدم امكان تطبيقها فيما يجد من الوقائع ٠

يقول ابن القيم : وهذا هو المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » (٧) وهم الذين قال فيهم الامام علي: لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته ٠

وينقل الشوكاني تفصيلا في ذلك فيقول (٨): ذهب جمع الى انه لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس ما نزل اليهم، بل لا بد أن يكون في كل قطر من يقوم به الكفاية لأن الاجتهاد من فروض الكفاية ٠ ونقل عن ابن الصلاح قوله : الذي رأيته في كتب الأئمة يشعر بأنه يتأتى فرض الكفاية بالمجتهد المقيد ، ويدل على ذلك ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة » رواه الحاكم عن ابن عمر باسناد صحيح ، كما روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » ٠

ونقل ابن الصلاح عن الحنابلة القول بأنه لا يجوز خلو العصر عن مجتهد وبه جزم الاستاذ ابو اسحق والزبيري لأن الله تعالى لو أخلى زمانا من قائم بحجة زال التكليف، اذ التكليف لا يثبت الا بحجة ظاهرة ، واذا زال التكليف بطلت الشريعة ٠ وقال ابن دقيق العيد : هذا هو المختار عندنا فالأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة، والأمة لا بد لها من سالك بالحق على واضح الحجة ٠

ونقل الشوكاني عن الزركشي انه يجوز خلو العصر عن المجتهد وبه جزم صاحب المحصول ، ونقل عن الرافعي انه قال : الخلق كالمتفقين على انه لا مجتهد اليوم ، وقد قال القفال من قبل : بخلو العصر من المجتهد ٠

ويبدو من هذه النقول عن القائلين بخلو العصر من المجتهد انهم من فقهاء الشافعية ، مع ان ابن دقيق العيد من الشافعية يتجه غير ذلك الاتجاه ، كما ان من فقهاء الشافعية من بلغ درجة الاجتهاد كالعز بن عبد السلام الذي قال عنه الزركشي في البحر : ولم يختلف اثنان في ان ابن عبد السلام بلغ مرتبة الاجتهاد ، وكذلك ابن دقيق العيد ٠

ويناقش الشوكاني القائلين بخلو العصر من المجتهد بأنهم ان قالوا ذلك باعتبار المعاصرين لهم ، فقد عاصر القفال والغزالي والرازي والرافعي أئمة قائمين بعلوم الاجتهاد ، وكانوا أوفياء لهم يرون الوصول الى منزلتهم ـ فقد جاء بعدهم من أهل العلم من جمع الله له العلوم فوق ما اعتبره أهل العلم في الاجتهاد ٠

وان قالوا ذلك باعتبار ان الله عز وجل رفع ما تفضل به على من قبل هؤلاء من هذه الأمة من كمال الفهم ، وقوة الادراك ، والاستعداد للمعارف ـ فهذه دعوى من أبطل الباطلات ٠

وان كان ذلك باعتبار تيسير العلم لمن قبل هؤلاء المنكرين وصعوبته عليهم وعلى عصورهم فهذه ايضا دعوى باطلة فان الاجتهاد قد يسره الله للأجيال المتأخرة تيسيرا لم يكن للسابقين ، لأن تفاسير القرآن قد دونت ، كما جمعت السنة، ومحصت رواياتها ، واصبح كلاهما متداولا ، وقد كان السلف الصالح من قبل هؤلاء المنكرين ـ يرحل الواحد منهم للحديث من قطر الى قطر ٠

فالاجتهاد على المتأخرين أيسر وأسهل دون خلاف ، ومن حصر فضل الله على بعض خلقه ،

---

(٧) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة ٠

(٨) ارشاد الفحول ص ٢٥٣ ٠

وقصرفهم الشريعة على من تقدم عصره فقط فقد تجرأ على الله ثم على الشريعة الموضوعة لكل العباد ، ثم على العباد الذين تعبدهم الله بالكتاب والسنة .

ويعجبني ما قاله صاحب فواتح الرحموت على مسلم الثبوت (٩) بعد أن نقل ما قيل حول خلو العصر من مجتهد وانتهاء الاجتهاد : وهذا كله هوس ولا يعبأ به لأن من قال به فقد افتى من غير علم فضل واضل .

باب الاجتهاد مفتوح

ونحن نتجه الى ان باب الاجتهاد مفتوح لكل من توافرت فيه الصلاحية ، وليس هذا بعزيز ، بل هو أمر قد شهد له الواقع ودلت عليه الممارسة والاتصال بكبار رجال الفقه الاسلامي الذين تـوافرت فيهـم الملكـة ، بل نرى أن التشريع الاسلامي يتقاضاهم ذلك ويوجبه عليهم فهم ورثة الأنبياء ومبلغو شريعة الله ، والذين في عنقهم اثبات أن الشريعة الاسلامية صـالحة لكل زمان ومكان، وليس من المعقول أن تتحقق تلك الصلاحية اذا نكص من هم أهل للاجتهاد عن مواجهة تلك المعاملات الجديدة واعادة النظر في بعض الأحكام الفقهية التى تتاثر باختلاف البيئة والزمن .

(٩) جـ ٣ ص ٣٩٩

غير اننا نرى مقاومـة للهوى أو الادعاء غير الصـادق الذى ينبنى عليه التلبيس فى احكام الشريعة ، والتضليل فى عرض الأحكام ـ ان يكون ذلك الاجتهاد في ظل الاشتراك بين أولى الأمر من العلماء مما يسمى اجتهـادا جماعيا ، ويتحقق ذلك احيانا فى لجان الفتوى ، واحيانا فى المجالس التشريعية ، واحيانا فى المؤتمرات العلميـة والفقهيـة ، اذا ما دعى اليهـا ذوو الكفايات .

وواضح أن كل ذلك من وسائل الاجتهاد التى تقطع على كل مشاغب شغبه ،وتلجىء كل معارض الى القول بان مجال الاجتهاد ما يزال قائما برغم كل مقاومة رجعية ، وصدق رسول الله فقد روى عنه انه قال : « الخير فىّ وفى امتى الى يوم القيامة » .

وكل ما نرجوه من المعوقين أن يفسحوا المجال للعاملين ليعملوا ، ما داموا هم لايعملون ، لأنهم بجمودهم يوقعون الناس فى الضيق والحرج ،والله يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . سبحانه يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » اللهم وفقنا الى تحكيم عقولنا فى اقوالنا، واهدنا الى الرشاد والطريق المستقيم . ■■

محمد سلام مدكور

حجام سكيت

حكى الفضل بن الربيع قال : قال لى الرشيد: «اطلب لى حجاما ، أصمت من الحجر » ، فقلت نعم ، لى غـلام سكيت ، فقال : « ابعثه لى » ، فدعوت به واخذت عليه الوصية أن لا ينبس ببنت شفة ، وهو فى خدمة أمير المؤمنين، ثم انى دخلت الى الرشيد فرأيته يضحك وقال لى : « ان لذلك الحجام شـأنا سأرويه لك فيما بعد» ، ثم سألت فراشا مختصا بالرشيد عن خبره فقال : انه لما بدأ عمله قال : « يا أمير المؤمنين انى اريد أن أسالك عن شيء » فقال له : « ما هو ؟ » قال : « لمَ قدّمت الأمين على المأمون ، والمأمون أسنّ منه ؟ » قال : أخبرك بالجواب اذا فرغت . فلم يلبث غير قليل حتى قال : « وأسألك عن شيء آخر» . قال الرشيد : «هات» . قال : « لم قتلت جعفر بن يحيى ؟ » قال: «أخبرك به اذا فرغت» ، قال : «وأسالك لم اخترت الرقة على بغداد ، وبغداد أطيبُ منها» قال: «سأخبرك اذا فرغت» ، فلما فرغ الحجام من عمله دعا الرشيد مسرورا الخادم وقال له : « لا تشرب عليه الماء » ، أى عاقبه عقابا شديدا لقد سألنى عن ثلاث لو سألنى المنصور عنها ما أجبته .

نتيجة مسابقة العدد ١٨٤

الجامعة العربية ومؤتمراتها

دارت مسابقة العدد ١٨٤ من «العربي» على الأرقام ، وكانت الاسئلة حول عالمنا العربي من مشرقه الى مغربه ثم الجامعة ومؤتمرات القمة العربية التى عقدت حتى الآن وقد كانت الاسئلة سهلة ميسرة وبذلك استطاع القراء ان يجيبوا عليها دون كثير عناء ، وهذا يدل على تفهم الانسان العربي لواقع وطنه وتاريخه المجيد.

وهاك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم قائمة بأسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ تزيد سنة ١٩٧٤ الميلادية عن سنة ١٣٩٣ الهجرية بـ ١١ يوما .

٢ ـ حروف الابجدية العربية اذا حذفنا اولها وهو (ا) ، وكذلك (لا) يبقى منها ٢٧ حرفا .

٣ ـ مجموع حروف الأبجدية الانجليزية ٢٦ حرفا .

٤ ـ عدد الدول التى وقعت ميثاق الجامعة العربية عام ١٩٤٥ (٧) دول .

٥ ـ عدد مؤتمرات القمة العربية التى عقدت حتى الآن هى ٦ مؤتمرات .

٦ ـ عدد دول الجامعة العربية التى تقع فى افريقيا هى ٨ دول .

٧ ـ الامارات التى تتالف منها دولة الامارات العربية هى ٧ دول .

٨ ـ المملكة المتحدة تتضمن ٤ بلاد ، هى : انجلترا ـ ويلز ـ اسكتلندا ـ شمال ايرلندا .

٩ ـ عدد الدول التى لها حدود مشتركة مع ليبيا هى ٦ دول .

١٠ ـ عدد الدول الواقعة فى شبه الجزيرة العربية بما فى ذلك البحرين هو ٨ دول .

١١ ـ عدد البحار التى تطل عليها اراضى السعودية هى البحر الاحمر ، والخليج العربى .

١٢ ـ عدد الدول التى وقعت على انشاء هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٥ هو ٥١ دولة .

١٣ ـ العدد المشترك هو ٢ .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **اسعد الدربى** ـ حلب ـ سوريا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **طارق بادى** ـ طرابلس ـ ليبيا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **حامد عبد الملك قاسم** ـ صنعاء ـ اليمن الشمالى .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ، فاز بها كل من :

١ ـ **ضيف الله على ابو غليون** ـ الموقر ـ الاردن .

٢ ـ **محمد احمد محمد كريم** ـ الاسكندرية ـ مصر .

٣ ـ **حسن سالم ابو بكر** ـ الكويت .

٤ ـ **نعمان احمد محمد** ـ المنطقة الشرقية ـ السعودية .

٥ ـ **محمد رياض هوشر** ـ طرابلس ـ لبنان .

٦ ـ **سيف الدين محمود عبد الله** ـ الخرطوم ـ السودان .

٧ ـ **محمد عواد احمد** ـ بغداد ـ العراق .

٨ ـ **محمد حسين الشريف** ـ الجزائر .

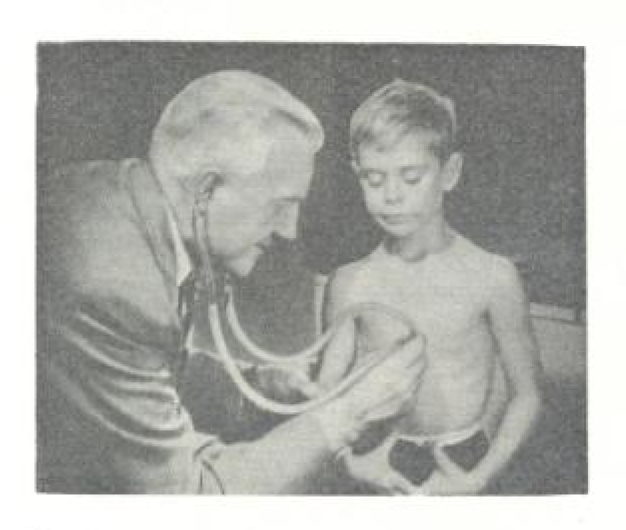
وسترسل الجوائز الى أصحابها .



سماعة الصدر والقلب

التى يحملها الطبيب أينما ذهب

كيف كشفوها ، ومتى ؟



■ انها الاداة التى يتسمع بها الطبيب الى ضربات القلب فى الصدر · واسموها سماعة ، واسموها مسماعا ، بحسبانها اسم آلة · وسماها مخترعها Stethoscope وهو اسم مؤلف من مقطعين ، اولهما Stetho ويشير الى الصدر ، والثانى Scope ومعناه الكاشف ·

وهو اسم على عادة العلماء الغربيين ، يبعدون به عن لغات اهل اوروبا ، حتى يكون مقبولا عند الجميع ولأسباب شتى ·

مخترع المسماع طبيب فرنسى

تم هذا الاختراع فى الربع الاول من القرن الماضى ، القرن التاسع عشر ·

وكان صاحب هذا الاختراع طبيبا فرنسيا من اهل الشمال بفرنسا ، اسمه لينيك Laënnec · وهو ولد فى عام ١٧٨١ وتوفى فى عام ١٨٢٦ · وهو وصف الطريقة التى كشف بها المسماع ، او السماعة عام ١٨١٨ · ونابليون مات عام



الطبيب ، مخترع سماعة القلب

١٨٢١ فهو لم يكد يعلم بهذا المسماع قبل وفاته وهو فى منفاه ·

الحاجة تفتق الحيلة

كانت عادة الاطباء في ذلك الزمان ان يتسمعوا الى قلب الانسان بأن يضعوا اذنهم على صدر المريض ، حيث القلب · ويدق القلب فيسمعون دقاته · ثم حدث لهذا الطبيب ان جاءه مريض يشكو قلبه · وكان هذا المريض فتاة شابة · وكانت سمينة وكان الطبيب فى حرج ان يضع اذنه على هذا الجلد الغض وبه من الأنوثة ما به · ووقع الطبيب فى حرج آخر ، ذلك ان سمن الفتاة أقام بين قلبها واذنه عائقا من الدهن يُضعف الصوت ·

وراح الطبيب بعد ذلك يفكر · وذكر انه عرف فى علم الصوت ان الانسان اذا جاء بعود من خشب ، او من شيء آخر صلب كالمعدن ، ووضع طرفه عند اذنه ، وخدش الطرف الآخر ليحدث صوتا ، سمعت الاذن صوت الخدش عاليا واضحا ، لأنه يصل الى الاذن فى هذه الحالة ، لا عبر الهواء ، ولكن عبر العود الخشبى او المعدنى ·

وراح طبيبنا هذا يجرب · وجاء بصحيفة من ورق ، ولفّها لفا ، حتى اذا اتخذت شكل اسطوانة ، استخدمها كما خال ان يستخدم عود الخشب او الحديد · وضع طرفا منها على صدر مريضه ، ووضع الطرف الآخر فى اذنه هو ، وتسمّع · وطرب طربا شديدا لما سمع : ضربات القلب واضحة ، وعالية ·

وصنع اول مسماع ، فكان انبوبة من خشب ، قصيرة ، طولها كطول مسطرة عادية اى نحو قدم ، تتسع عند أحد طرفيها لتشمل بعض الصدر ، وتتسع عند الطرف الآخر لتشمل اذنه وهو يتسمع ·

نشر الدكتور لينك ، فى عام ١٨١٨ ، رسالة شرح فيها مسماعه هذا الأول ، وطريقة استخدامه

وتغير شكل المسماع على السنين بعد ذلك · صار له فرعان ، لكل اذن فرع ، واختلفت مواد صنع منها ، على نحو ما سوف نصف ونرى فى الصور ·



صورة يابانية ترينا كيف صنع الطبيب ، مخترع السماعة ، سماعته الأولى ، من ورق ، وكيف جربها فى التسمع الى قلب انسان ·

اختراع جاء في أوانه

ذلك انه جاء في اوائل القرن الماضي ، القرن التاسع عشر ، ذلك القرن الذى يعرف فى تاريخ الطب بالعصر الذهبى ، فهو قرن بدأ بجهل فى الطب كثير ، واختتم عندما عرف الناس من الطب الشيء الكثير • عرفوا الهضم ما هو ، والكبد ما تفعل ، والبنكرياس وغيرها من وظائف الاعضاء • وعرفوا اسباب الامراض ، وعرفوا هناك مكروبات تسبب الامراض • والمستشفيات ، وكانت مقابر للمرضى ، ما انتهى القرن التاسع عشر حتى اخذ الناس يقبلون عليها فى طب او جراحة •

سمّاعة يصنعها الصبية فى البيت

نعم ، ان السماعة من البساطة بحيث يصنعها الصبية فى بيوتهم •

انها انبوبة من المطاط ، يَلبس احد طرفيها ساقَ قمع من الزجاج • فهذا القمع يضعه الواضع على صدر المريض (او السليم) ليسمع دقات قلبه • اما الطرف الآخر فيضعه الواضع فى اذنه ليسمع • ولكن لكى لا يجرح هذا الطرف اذنه ، هو يطويه طيّةً بسيطة •

والصورتان المرفقتان فيهما تتمة الايضاح فلا يحتاجان الى المزيد •

كيف يزداد الصوت فى السماعة

ان الصوت عندما يخرج من جرس مثلا ، تنتشر من حول الجرس امواج صوتية فى الهواء ، فى كل ناحية •

وهذه الامواج الصوتية تنعكس اذا وقعت على ما يعكسها ، تماما كما تنعكس امواج الضوء •

ففى القمع الذى وصفنا يدخل من فتحته الواسعة امواج صوت من دقات القلب كثيرة ، وهي تنعكس على سطحه لتدخل فيه متركزة متكثفة ، وقد ازدادت قوة ، او زادت طاقة كما يعبر العلماء •

ومعنى هذا زيادة الصوت المسموع الذاهب الى الاذن •

سماعة القلب الحديثة

هى اشبه ما تكون بالتى يصنعها الصبية فى البيت •

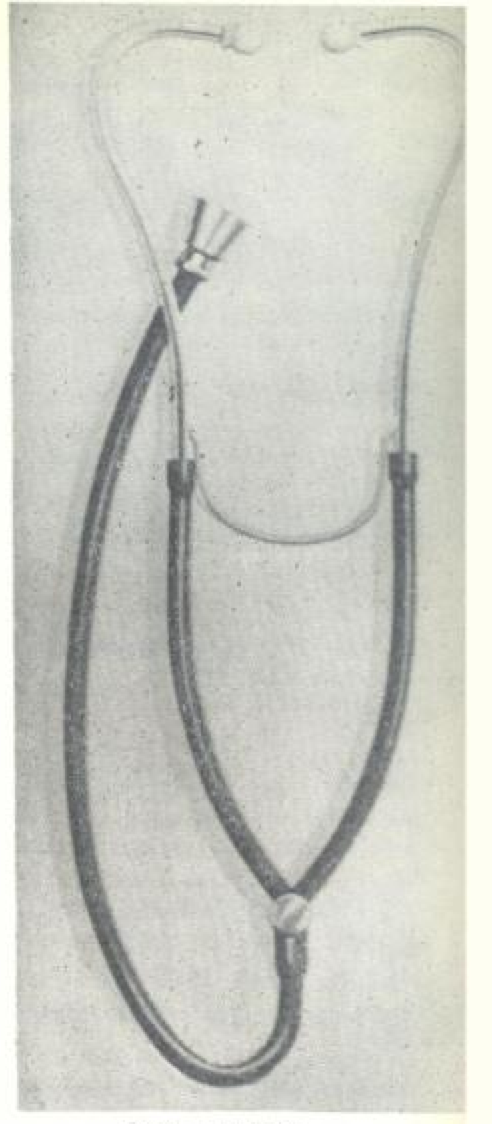
وهى ، كما فى الصورة المرفقة ، تتألف من انبوبة بطرفها قمع صغير (او طبلة جوفاء) هو الذى يوضع فوق صدر المريض • وتتفرع الانبوبة عند طرفها الآخر ، الى انبوبتين ، تنتهيان بطرفين



سمّاعة صنعها صبية فى البيت



صبيّان يجربان السمّاعة التى صنعاها فى البيت



سماعة القلب الحديثة

اثنين للسمع ، مصنوعين من عاج او شبه عاج فهما ناعمان ، يضع الطبيب كل طرف منهما فى اذن ٠

الاستماع الى ضربة قلب

ان ضربة القلب الكاملة لا تستغرق الا جزءا من الزمن صغيرا ، ثانية ، بل دون ذلك ٠

ولكن هذه الفترة القصيرة تنقسم الى فترتين ٠

وفى الفترة الاولى تنقبض عضلات القلب لتفرغ منه الدم (من البطينين) فيذهب الى خارج القلب (الى الاورطة والى الرئتين) ٠ وتعرف هذه الفترة باسم فترة الانقباض وبالافرنجية Systole .

وفى الفترة الثانية تسترخى عضلات القلب ويتسع القلب ليدخل الى البطينين دم من خارج القلب ليملأهما (دم وارد من الرئتين بعد تنقيته ، ودم وارد من الجسم من اوردته) ، وفى هذه الفترة الثانية يمتلىء البطينان دما ٠ وتعرف هذه الفترة بفترة انبساط القلب ، وبالافرنجية Diastol .

ومجموع الفترتين كما قلنا ثانية من الزمان او نحوها ٠

ويقوم على فتح ابواب خزائن القلب هذه (البطينين) واغلاقها صمامات فى القلب ٠ وهذه نوعان : وينغلق الواحد منها فيحدث فى سماعة الطبيب صوتا يختلف عن صوت انغلاق الصمام الآخر ٠ وهذان الصوتان (لَب ـ دَب) ٠

وتنعكس كل هذه الحركات اصواتا تسمع فى السماعة فتدل على صحة القلب او مرضه ٠

ولا بأس ان نذكر هنا بأن ضغط القلب عندما يقاس ضغطان ، كبير ، وهو ضغط الدم فى الشرايين ، والقلب يعتصر دمه ويخرجه ، وصغير ، والقلب مسترخ ٠

السماعة للقلب ، والصدر ، ولسائر الأعضاء

والسماعة للقلب، ولكن كذلك للصدر٠ فالصدر له صوت وهو على الصحة ، ولكن له صوت آخر على المرض ، فهو قد يفرغ ، وقد يمتلىء ٠ وقد وقد ٠٠ وتختلف الاصوات فى السماعة ٠

واعضاء اخرى فى الجسم يتسمع اليها الاطباء ٠

والأجنة فى أحشاء أمهاتها ، يتسمع الطبيب الى نبضات قلوبها ، وهى نبضات اسرع كثيرا من نبضات الأم ٠ ●●

احمد زكى



زيادة إيرادات الدول العربية المنتجة للنفط وأثر ذلك فى سياستها الاستثمارية

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملى

■ تجد الدول العربية ـ المنتجة للنفط وتلك المستوردة لرأس المال على السواء ـ نفسها امام تحديات ضخمة ، لابد لها من أن تجد الوسائل الفعالة للسيطرة عليها وللتحكم فى تطوراتها ٠

فمن ناحية الدول العربية المصدرة للنفط ، لا بد لها من اعادة النظر فى النهج الحالى لانفاق الدخل ، هذا النهج الذى يمكن تلخيصه فيما يلى :

ا ـ الانفاق الاستهلاكى والتسليح ٠

ب ـ الانفاق على المشروعات المحلية ـ دون التأكد من عائدها ـ مع انتشار الدعوة القائلة بأن معيار الربح المالى ليس بالمعيار السليم للحكم على جدوى الاستثمار ، ومع المبالغة فى تقدير ما يسمى « بالربح الاجتماعى » على أساس أنه يمثل عائد الاستثمار على الاقتصاد القومى فى جملته ، دون ما بحث حقيقى لهذا العائد ٠ وذلك كله فى وقت يرى الباحثون فى الاقتصاد الاشتراكى (الشيوعى) ذاته أن اهدار معيار الربح المالى يفتح السبيل أمام التبذير وأمام سوء التصرف ٠

ج ـ استخدام نفس فنوات الاستثمارات المتاحة، باكتتاب فى القروض ، وبالتهافت على حيازة بعض الأصول العينية الأخرى ، دون ما تأكد من مستقبل هذه الاستثمارات ، على ضوء التطورات المحتملة للاقتصاد العالمى فى مرحلة التضخم الحالية ٠

د ـ محاولة الاستثمار فى الدول العربية غير النفطية ٠ وقد تحققت بعض الخطوات المفيدة فى هذا الصدد ، ولكن الأمر كله لا يزال فى مراحله الأولى ٠

أما من ناحية الدول العربية غير النفطية ، فقد اتخذت العدة التشريعية لفتح أبوابها للاستثمارات العربية،وكونت الهيئات والشركات، ولكن لا يزال الأمر يحتاج الى خطوات تطبيقية ، ليتأتى استيعاب جانب من رؤوس الأموال العربية

المتاحة للاستثمار ، فى مشروعات مدروسة ذات عائد يتمثل فى ارباح يحققها المستثمر ، وفى ضمان أسباب نمو حقيقى للدول المستوردة •

الخطوط العريضة لسياسة الاستثمار

ان الأمر كله يحتاج الى تغيير وتطوير وذلك فى النواحى التالية :

أ ـ من الناحية التنظيمية :

لقد تعددت الأجهزة والشركات والصناديق والمؤسسات الاستثمارية فى الدول العربية المصدرة للنفط وتلك المستوردة لراس المال•وثمة مقترحات عديدة لتكوين جهات اخرى تنفيذية محلية او جماعية • ولا شك فى أن تزايد الأموال المتاحة يبرر التوسع فى مثل هذه الأجهزة وتحقيق أكبر تعاون وتنسيق ممكن فيما بينها •

وفى تقديرى أن الوضع أصبح يقتضى ايضا ايجاد جهات لتخطيط السياسة العليا • واظن أن من الواجب أن يكون لكل دولة مصدرة للنفط مجلس قومى للاستثمار ، ينسق نشاط مختلف الأجهزة المحلية العاملة بها ويمد البصر الى نشاط الأجهزة الدولية المقابلة للأجهزة المحلية • ويجب ان يكون هذا الجهاز على أعلى المستويات التخطيطية، وأن تشارك فيه البنوك والشركات الوطنية العاملة فى حقل الاستثمار ، فضلا عن الادارات والمؤسسات الحكومية •

اما عن الدول العربية المستوردة لراس المال ، وهى تاخذ بنظام التخطيط الاقتصادى بصورةشاملة او جزئية ، فعليها أن تعيد النظر فى خططها الاقتصادية علىنحو يتمشى مع الوضع الجديد وان تحول خططها العامة الى مشروعات عملية ، تقسم على اساس ربحيتها ، الى أنواع صالحة لجذب رأس المال الحاضر أو لاستثمار رأس المال العام فيها ، كل بالشروط التى تلائمه •

ولا شك فى أنوجود المجالسالوطنية للاستثمار فى الدول المصدرة لراس المال ، ووجود مجالس التخطيط فى الدول المستوردة له ، سيجعل من اليسير تحقيق تعاون ايسر وأكثر عملية بين جميع الجهات المعنية •

ب ـ من ناحية أنواع الاستثمار :

لا يمكننا هنا أن نتعرض لتفاصيل العمليات الاستثمارية وادواتها ، أو للسياسات الاستثمارية التى يفضل انتاخذ بها مختلف الاجهزة الاستثمارية العامة أو الخاصة ، فتلك امور فنية ، قد لا يتسع لها النطاق الثقافى لمجلة « العربى » ، ولكن يمكننا الاشارة الى ضرورة رسم سياسة الاستثمار فى الدول المصدرة للنفط على النهج المتمشى مع طبيعة الموارد المالية لهذه الدول • ان هدف الاستثمارات الحكومية على وجه الخصوص ، يجب أن يكون ايجاد أصول بديلة للثروة القومية النفطية • وعلى ذلك فمن الطبيعى أن تفضل المشروعات المحلية ثم الاقليمية لتكون اعادة الاستثمار فى نفس الارض التى أخرجت النفط أو فى أرض عربية أخرى ، هذا مع توافر شرط العائد المناسب ، ومع المحافظة على الاصل المستثمر •

الافكار المطروحة

وكذلك الامر بالنسبة للاستثمارات التى تجرى فى البلاد غير العربية ، فلا بد وأن تتمتع الاستثمارات الحكومية باكبر قدر ممكن من الامن فى الامد الطويل •

ومن بين الافكار المطروحة على الدول العربية المصدرة للنفط ، أمر الاستثمار المباشر فى مصادر الطاقة الاخرى ، ومنها المصادر النووية ، باعتبار أن مستقبل هذه الاستثمارات مضمون ، وأن عائدها سيتزايد نتيجة نضوب النفط • ومن بين الافكار المطروحة ايضا ، الاستثمار فى العمليات الصناعية والخدماتالمكملة لعمليات استخراج النفط الخام • ويلحق بركب هذه المقترحات ايضا موضوع الاستثمارات العقارية على المستوى العالمى ، وموضوع التوسع فى الصناعات البتروكيماوية واقامة المصانع لتحويل منتجاتها فى الاسواق الخارجية ، وكذلك موضوع المشاركة فى رؤوس أموال الشركات العاملة فى مختلف مرافق النشاط، وان كانالبعض يفضل التركيز علىالشركات العاملة فى الحقل المالى او التجارى ، كالبنوك وشركات الاستثمار وشركات التجارة الدولية والتامينوالنقل وغيره من الخدمات •

ان المقترحات السابقة تتمشى فى جوهرها مع المبادىء التى اشرنا اليها ، ولكن يرد عليها ، أو على بعضها على الاقل ، أن تركيز الاستثمار فى اصول ذات اهمية خاصة وحجم كبير قد يجعلها لصيقة الصلة بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية الاساسية للدول التى تقام فيها المشروعات ، مما يجعلها عرضة للتاميم . فلو فرضنا وتملكت الدول العربية المنتجة للنفط جانبا هاما من رؤوس أموال المشروعات المشتغلة بتوليد الطاقة فى اوروبا أو اليابان ، او تملكت جانبا هاما من مصانع تقطير النفط فى بلد ما ، او تملكت خطوط نقل المنتجات النفطية او الغاز بالانابيب او محطات توزيع هذه المنتجات ، أو سيطرت فى مكان ما على مؤسسات مالية او تجارية كبرى ، او بلغت ملكيتها العقارية حدا ظاهرا ، او ليس من المحتمل ان يظهر التعارض بين المصالح فى المستقبل ، وان تعمد الدولة المضيفة الى تاميم الاستثمارات فى تلك المرافق الاساسية ؟ .

ان خطر التاميم او تقييد الارباح أمر لا بد وان يكون محل تقييم حقيقى ، وان تؤخذ بشانه المواثيق الدولية ،ايا كانت الدولة المضيفة ،ومهما كانت مبادىء السلوك التى تتبعها فى الوقت الحاضر .

وقد يكون فى سياسة توزيع الاموال على عدد كبير من الاستثمارات مخرج من خوف التاميم او التقييد. ولكن يلاحظ أن تفتيت الاستثمارات يخلق مشكلة ادارية قد يصعب حلها على المستوى الحكومى . ومن هنا كانت اهمية التعاون بين الاجهزة الاستثمارية الخاصة والاجهزة الحكومية على المستويات المحلية داخل ما اسميناه بمجالس الاستثمار الوطنى .

ربط الاستثمار فى السندات باسعار السلع المستوردة

واذا نظرنا الى الطلب الحالى على الاموال العربية، لوجدنا أن من المصادر الاساسية لهذا الطلب ، ما ترغب الدول المتقدمة والنامية على السواء من اقتراضه من الدول العربية المصدرة للنفط ، فى صورة سندات تصدرها الحكومات أو تصدر بضمانها من جانب الشركات الكبرى أو الهيئات المحلية .

ويقبل هؤلاء المقترضون بصورة أو باخرى تحمل كل أو بعض مخاطر تغيرات قيم العملات الأجنبية ، بقبولهم ان تتم القروض بالعملات العربية، كالدينار الكويتى او غيره من العملات العربية أو على أساس وحدة تعدادية تمثل الوحدات النقدية العربية فى الدول النفطية .

ولا شك فى أن هذا الطلب الكبير والمتزايد على رؤوس الاموال العربية سيجذب جانبا هاما من الاموال العربية المترتبة على تزايد ايرادات النفط، لانه يضع تحت تصرف دول النفط وسيلة سهلة لتوظيف الاموال فى استثمارات تتمتع بدرجة عالية من الامن ، من ناحية نوع المقترض وأسعار الفائدة وتفادى اثر تغيرات قيم العملات الاجنبية .

ولكن يلاحظ ايضا ان موجة التضخم العامة التى تجتاح العالم ، ستجعل سعر الفائدة الذى سيتفق عليه أيا كان مستواه ــ وهو مستوى تحكمه الاسعار السائدة فى السوق الدولى ــ سيظل غير قادر فى الامد الطويل على تغطية التاكل الذى سيصيب رأس المال المستثمر خلال فترة القروض الطويلة .

ولذلك فان الامر يقتضى محاولة ربط قيم سداد القروض الطويلة الاجل ــ أيا كانت العملة التى ستقدم بها ــ بمعدل تطورات الاسعار ، وبصفة خاصة اسعار الواردات ، حتى تحتفظ ايرادات النفط بقوة شرائها الخارجية على مر السنين .

وغنى عن البيان ، ان السياسة الاستثمارية السليمة ، انما تمزج بين انواع متعددة من الاستثمارات للافادة من مختلف المزايا ولتوزيع احتمالات للمخاطر . وما ذكرناه عن السياسة الاستثمارية فيما تقدم ، ان هو الا مجرد تصور للاطار العام للاستثمارات الحكومية ، طويلة الامد، وهو اطار خاضع للظروف المتغيرة التى تحكم النشاط الاستثمارى العام او الخاص .

جـ ــ ضرورة تنمية السوق المالى العربى :

لقد بلغ عدد الاجهزة الاجنبية التى اقيمت خصيصا لجذب رؤوس الاموال العربية رقما خياليا، ولا تزال حركة تاسيس الشركات الدولية ، التى



يساهم فيها العرب أو لا يساهمون ، داخل الوطن العربى وخارجه ، تسير بمعدلات مرتفعة •

وان المرء ليتساءل عما يفيده العرب من انشاء هذه الشركات أو المساهمة فيها ، وعن المواقف التى يجب تشجيعها أو شجبها قبل هذه الشركات والتنظيمات ، التى اخذت تتوالد وتتزاوج على وتيرة غير عادية •

يبدو ان اقامة جهاز مالى يتجه طلبه الى السوق العربى ، يزيد الفرص الاستثمارية المتاحة لهذا السوق ، ويضع امامه بالتالى خيارات قد تكون جديدة كل الجدة أو على الاقل اكثر ملاءمة من تلك التى كانت موجودة قبل خلق الجهاز الجديد • هذا مع افتراض ان الامر متعلق بجهاز فنى يتمتع بدرجة مناسبة من القدرة والملاءمة •

ويلاحظ أن ما تفيده السوق العربى يتعاظم قدرا ونوعا ، لو تم تعامل الجهاز الخارجى مع السوق العربى ، عن طريق اجهزة وطنية مقابلة ، ينالها نصيب من ربح العمليات ، وتكتسب الخبرة والكفاية مع الممارسة اليومية فى العمليات الدولية •

ويلاحظ من ناحية اخرى ، أن زيادة قدرة

● زيادة ايرادات النفط

الاسواق الدولية على جذب الاستثمارات العربية قد تؤدى الى حرمان الاسواق العربية ـ حتى فى البلاد المصدرة للنفط ذاتها ـ من قدر مناسب من رؤوس الاموال كان يمكن استثمارها فى اسواقها فتكون كما يقول الشاعر :

« كالعيس فى الصحراء أهلكها الظما
والماء فوق ظهورها محمول »

وغنى عن البيان أن تطوير سوق مالى عربى فى دولة كالكويت او غيرها من دول النفط يزيد من نصيب الدول العربية ، من عائد الخدمات المترتبة على عمليات تجميع المدخرات العربية وتوظيفها فى الخارج •

ولسنا نريد الاسترسال فى بيان طرائق تطور السوق المالى العربى ، ونكتفى بالقول بان اتباع سياسة اكثر انفتاحا وتحررا ، من ناحية تاسيس الشركات المصرفية والمالية فى الوطن العربى ، وتنظيم مباشرتها لنشاطها ، يعتبر شرطا اساسيا لقيام ذلك السوق •

ـ ضرورة تنظيم الاطارات الفنية العربية :

انما يرتبط نجاح المشروعات او فشلها ، بمدى القدرة الفنية والكفاية النفسية للقائمين عليها والعاملين فيها • وتعانى البلاد العربية نقصا فى الفنيين فى المجالات المالية والاستثمارية ، وخاصة فى مجالات العمل على المستويات الدولية •

ويقتضى التغلب على هذه العقبة جهودا خالصة وذكية ، تتجه الى التعليم والتدريب والتثقيف •

اما التعليم والتدريب فيخصان الفنيين ، الذين ترتكز عليهم النهضة العربية فى مجال استخدام الثروة الناتجة من النفط وتثميرها •

واما التثقيف فلا يقتصر على هؤلاء ، بل يمتد ايضا الى جمهور الامة والى قادتها ، لتصحيح نظرتهم بشأن عمليات تثمير الاموال ، وطرق ادارتها ، ومواقع الثقة والخوف فيها ، لتسلم خياراتهم من الخطأ ، ولتقع ثقتهم حيث يجب أن تكون ، لا حيث يسهل أن تكون •

■■

عبد المنعم الطناملى

١٩٧٤/٣/٢٦

والِـدَة الشَّـهيد

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

وَلَدَتْهُ في ليلٍ .. وكنتُ طبيبَهَا — وسقَتْه ذَوْبَ فؤادِها وحليبَهَا
وتعهّدَتْه مَلاعبَاً ومعاهـدا — فاجتاز فوق خُطى النجاح دُرُوبَها
حتى استقامَ شبابُهُ وسَعَتْ به — قدمٌ تدبُّ على الحياة دبيبهـا
فانضمَّ للجيشِ المجاهـد ضابطا — نادته أوطان فكان مُجيبهـا
واعتزّت الأمُّ النجيبـة أنهـا — أهدت إلى الوطن العزيز نَجيبَهَا

★★★

ياوقعةً ، رمضانُ خلّد ذكرَها — ما زِلْتُ أنْشَقُ في الوقائع طيبها
عبَرَتْ كتائبنا القناة ولم يكـن — لينُ القناةِ لدى الصدام نصيبهـا
يرمي الإله إذا رمت أعداءهـا — ويَدُ الملائك أحْكَمَتْ تصويبها
دكّتْ حصون الظالمين وأوْرَدَتْ — شمسَ الغرورِ أفُولَها وغروبها
تمحو خرافة « إسرائيلَ » وخَطَّها — وتُهيلُ في شط القناة كثيبهـا
ومضت أسود بلادنا ونسورُها — قنّاصةً صقْرَ العداةِ وذيبهـا
عبَرَتْ إلى «سيناءِ مِصْرَ» فكَفّرَتْ — عن مِصْرَ نكسةَ أمْسِها وذُنُوبها
يبنون بالموت الحياةَ لأمّـةٍ — صنَعَ اليقينُ سلامَها وحُروبها
فأراهم الرحمن بُشْرى نَصْرِهِ — وأراهمو ريحُ الجِنَـان هُبُوبهـا

★★★

وهناك في سيناءَ لاقي ربّـه — في وقعةٍ كانت مُناه نُشُوبَهَا
لله بين النـاس أحبابٌ فـلا — عتْبٌ على نفسٍ تريد حبيبهـا
إن كان الاستشهادُ غاية أنفس — كان المماتُ صديقَهـا وقريبهـا
كان اسمه يحيى .. ويحيا ذِكْرُهُ — في مِصْرَ يُذْكي عِطْرَها وطُيُوبها
خلع الفَنَاءَ إلى الخلودِ وجنـةٍ — خَلَعَتْ عليه ببهجَتها وقشيبها

★★★

وتماسكَتْ أم الشهيد تخاف أن — يغشى اللهيبُ دُمُوعَها فيُذيبها



كان ابنَهَا لكنه كان ابنَ مِصْـرَ وفَدْوَهَا وملاذها وربيبها

قد وَدَّعَتْ في الخالدين شبابه واستقبلت في الصابرين مَشيبها

تَحْيا على الذكرى وطيفِ زائرٍ كقميصِ يُوسُفِها أتى يَعْقُوبها

تسعى بخَطْوِ الكبرياء فلا ترى عينُ البصير جروحها وندوبها

وتُبينُ بسمتُها سكينة نفسها فكأنما نفت الحياة كروبها

إلا هنيهات تعاودُ قلبَهَا حيناً فتُنْكرُ خَفْقَهَا وَوَجيبها

فتصونُها سِرّاً ، ولا تُبْدِي به إلا إليَّ أنا .. وكنتُ طبيبها

■■



الدرهم والدينار في الأدب العربي

عملتان عايشتا العرب بضعة عشر قرنا

بقلم : عبد الله كنون

لعل الدرهم والدينار اكثر اسماء العملة دورانا على الالسنة في اللغة العربية ، بل لعلهما اقدم هذه الاسماء استعمالا فيها ، فقد جاء ذكرهما في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم والحديث الشريف وهلمّ جرا .

وقد بلغ من كثرة استعمالهما انهما صارا يطلقان على المال والعملة من اى صنف كانت — حتى لو لم تكن تحمل اسم واحد منهما ، فيقال : فلان لا يملك درهما ولا دينارا ، والحال ان ما يتعامل به الناس جنيهات او قروش او غيرهما .

ولم يزل هذان الاسمان متداولين حتى في عصرنا هذا ، ففي المغرب يطلق الدرهم على الوحدة الاساسية للعملة الوطنية ، وفي الجزائر يطلق الدينار على هذه الوحدة ، في حين انه يطلق في تونس على اكبر وحدة من العملة الوطنية التي تقابل الجنيه في مصر ، وكذلك الامر في العراق والكويت وليبيا . بل اننا نجد اسم الدينار يطلق على العملة الوطنية في بلاد غير عربية ولا شرقية وهي يوغوسلافيا . وهذا منتهى الشهرة والانتشار . ولا شك انهم اخذوه عن العربية والبلاد الشرقية التي تأثروا بها كثيرا .

اسمان معرّبان

على ان هذين الاسمين في أصلهما غيرُ عربيين ، وانما اخذا من الفارسية ، ففي كتاب المعرّب للجواليقي : (الدينار فارسي معرب ، واصله دِنّار . وهو وان كان معربا فليس تعرف له العرب اسما غير الدينار ، فقد صار كالعربي). هذا قول الجواليقي ،وصحح الاب انستاس الكرملي أن أصله رومي .

وفي كتاب المعرب أيضا : (ودرهم معرب ، وقد تكلمت به العرب) فلم يذكر أصله ، وعند الاب انستاس أن اصله دراخما (١) من اليونانية .

وعلى ما رواه البلاذري في كتاب النقود كانت دنانير الروم ودراهم الفرس تردُ على اهل مكة في الجاهلية ، فكانوا لا يتعاملون بها الا على انها تِبْر ، يعني قطعا من عيْن المعدن ، غير مضروبة . ولكن المثقال كان وزنا معروفا عندهم ، فكانوا يزنونها به . وبقي العمل على ذلك في صدر الاسلام حتى ضرب عبد الملك بن مروان الدراهم والدنانير العربية .

الدينار ذهب والدرهم فضة

والمعروف أن الدينار كان من الذهب ، والدرهم

(١) درهم Drachma يونانية قديمة تطلق على قطعة من العملة أو من الوزن .



من الفضة ، ولذلك لما قدّرت الزكاة في العين ، كان النصاب الذى تجب فيه من الذهب عشرين دينارا ، ومن الفضة مائتى درهم ، والواجب فيهما معا ربع العشر .

ولم تزل الشعراء تشبه الوجوه المشرقة بالدنانير ، لانها ذهب خالص براق . قال محرز بن المكبر الضبي يمدح قوما باشراق وجوههم في الحروب .

كأن دنانيراً على قسماتهم
وإن كان قد شفّ الوجوه لقاء

ومن شواهد البيان ما قاله المرقش الاكبر :

النشر مسك ، والوجوه دنا
نير ، وأطراف الأكف عنم

وبيّن شاعر الفرق بين الدينار والدرهم في التشبيه أتمّ بيان حين قال :

ويظلم وجه الأرض في أعين الورى
بلا شمس دينار ولا بدر درهم

فجعل الدينار شبيها بالشمس ، والدرهم شبيها بالبدر ، ليخبو نوره وكونه من الفضة .

ومن أقدم الشعر الذى ورد فيه ذكر الدرهم فيما احفظ قول عنترة في معلقته يصف روضة :

جادت عليها كل عين ثرّة
فتركن كل قرارة كالدرهم

ومنه قول احد الأعراب :

فكيف لنا بالشرب ان لم يكن لنا
دراهم عند الحانوىّ ولا نقد

وهو من شواهد النحو ، وتنسب للفرزدق ، ولكن الفرزدق لم تبلغ به الصعلكة الى الحد الذى لا يجد فيه ما يدفع به ثمن الشراب ثم هو لا يوجد في ديوانه ويذكرني هذا البيت بقول احد الشعراء المغاربة :

بدكّانة السفّاج لاحت كواكب
فياليتها كانت مقاربها فمى
وقد زعموا أن الدّراهم مهرها
فما حيلتى والله قد قل درهمى

والسفاج صانع الاسفنج وهو نوع من الفطائر ، هش مستدير يقلى في الزيت ويتناول في الفطور صباحا .

في القرآن والحديث

وجاء ذكر الدرهم في القرآن الكريم بصيغة الجمع في قوله تعالى في سورة يوسف : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » . اما الدينار فذكر بلفظ المفرد في سورة آل عمران ، في قوله تعالى : « ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . والآية فيها انصاف عظيم لاهل الكتاب ، اذ جعلتهم على قسمين ، آمين وخائن ، وهذا يكاد يكون طبيعيا في كل الامم ، لكنها انكرت عليهم اعتقادهم حليّة الخيانة في حق العرب وهم الاميون ، في الآية ، وحكمت بان ذلك كذب وبهتان ، فان الخيانة حرام في الملل كلها ، وفي حق الناس كلهم .

واما في الحديث الشريف فقد ورد ذكرهما كثيرا ، ومن ذلك قوله عليه السلام : (الدينار بالدينار لا فضل بينهما ، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما ، فمن كانت له حاجة بورق (فضة) فليصرفها بذهب ، ومن كانت له حاجة بذهب فليصرفها بالورق (٢) ، والصرف هاء وهاء » أى يدا بيد .

ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) «تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم وعبد الخميصة (٣) ، ان اعطى رضي ، وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، واذا شيك (٤) فلا انتقش » وهذا دعاء على من انقطع للدنيا وباع نفسه للمادة ، لا يرى للحياة

(٢) الورق الدراهم المضروبة .
(٣) الخميصة ثوب من خز أو صوف معلم .
(٤) أى اذا شاكته شوكة فلا قدر على انتقاشها أى اخراجها بالمنقاش .

غاية غير الزينة وجمع الحطام . ولقد ابلغ الحديث في ذم من كانت هذه حاله ، حين عبّر عنه بعبد الدينار والدرهم ، فجعله بحيث يتمبّدانه ويتحكمان فيه ، بدل ان يكون هو المتحكم فيهما والمستعبد لهما .

ومما قيل في هذا المعنى شعرا :

النارُ آخرُ دينار نطقتَ بـــــه
واهـمّ آخرُ هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما مالم يكن ورَعـــاً
معذّب القلب بين الهـم والنار

وقيل في المتظاهرين بالصلاح وهم من عبيد الدينار والدرهم :

أظهرُوا للنـــاس نُسكـــاً
وعـلى الـديـنـار داروا
وله صلّوْا وصامـــــوا
ولــه حجّــوا وزاروا
لــو رأوه في الثريّـــا
ولهـم ريش لـطـارُوا

★ ★ ★

خصص الحريري احدى مقاماته ، وهي الثالثة ، بمدح الدينار وذمه ، وسماها لذلك بالمقامة الدينارية ، فمما قاله في مدحه ارجوزة تختار بعضا من مشاطيرها .

أكرِمْ بهِ أصفرَ راقت صفرْته
جوّابَ آفاق ترامَـتْ سَفْرته
به يصول من حَوته صرّتـــه
كم آمرٍ به استتبّتْ إمرتـــه
وجيش همٍ هزمته كَرّتُـــه
وبدرِ تمٍّ أنزلته بَـــدْرتــه
لولا التقي لقلت جلّت قدرته

ومما قاله في ذمه ونختار ايضا بعض المشاطر:

تبّاً له من خادع ممُـــاذق
أصفرَ ذي وجهين كالمُنـــافق
لولاه لم تقطـعْ يمينُ ســـارق
ولا بَدت مَظْلمـــة من فـاسِق
ولا اشمأزّ باخـل من طـــارق
وشرُّ ما فيــه من الخلائـــق
أن ليس يغني عنك في المضايِق
إلا إذا فرّ فِرارَ الآمِـــق

ومن اسير الشعر في مدح الدراهم قولُ بعضهم:

إن الدراهم في المواطن كلهـــا
تكسو الرجال مهابةً وجمــالا
فهْيَ اللسانُ لِمَن أراد فصاحـةً
وهْيَ السلاحُ لِمَن أراد قِتــالا

الرسول الحكيم

ومن ملح ابي بكر الطرطوشي قوله :

إذا كنتَ في حاجة مرسِــلا
وأنت بانجـازِها مغـرَمُ
فأرسلْ حكيماً ولا توصِــه
وذاكَ الحكـيم هو الدرهـــمُ

وقد ركبه على بيت من قطعة لعبد الله بن جعفر يقول فيها :

إذا كنت في حاجة مرســـلا
فأرسل حكيمــا ولا تُوصِــه
وإن بابُ أمْرٍ عليك التُــوَى
فشاورْ لبيبــاً ولا تَعْصِـــه

ومن هذا الباب ما كتب به أحدُ الظرفاء الى معشوقة له :

هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلـــةً
تُدنِني إليك ؟ فإن الحب أقصاني

فاجابته بقولها :

اجعلْ شفيعكَ منقوشاً تُـدلُّ به
إن الدراهم تُدني كـلَّ إنســان

ومن قول احد الادباء في قيمة المال والاعتداد به:

فصاحةُ سَحْبَانٍ وخطُّ ابنِ مُقْلَة
وحكمةُ لقمان وزهدُ ابنِ أدْهم
إذا اجتمعت في المرء والمرءُ مفلس
فليس يُساوى في الورى نصفَ درهم

ومن حسن الوصف وبديع التشبيه قول عبد المهيمن الحضرمي :

وإنما الناس أمثال الفراش فهم
يُلْفَوْنَ حيث مصابيح الدنانير

امثال وحكم

ويجرى لفظ الدينار والدرهم في امثال وحكم تدور على السنة الناس مثل قولهم : ادخر درهمك الابيض ليومك الاسود وقولهم « درهم وقاية خير من قنطار علاج » ، وقولهم : الدَّيْن ، يسوّد الخدَّين ، ولو درهمين » . وقولهم : « الدينار القصير يسوى دراهم كثيرة »،وقولهم « الحمد الله الذى ابدل درهمنا بدينار » ، ولهذا المثل حكاية طريفة ، وهي ان هندا بنت النعمان كانت ذات حسن وجمال وادب رفيع ، وكانت زوج الحجاج فكرهته ، وسمعها تنشد :

وما هندُ إلاّ مهرة عربيــــة
سُلالة أفراس تحلّلها بَغــل[5]
فإن ولدت مُهرًا فلله درهــا
وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

فطلقها . وسمع بها عبد الملك بن مراوان فخطبها فاشترطت عليه أن يقود محملها الحجاج ، فارسل اليه عبد الملك بامره بذلك ، فلما كانت في الطريق رمت من محملها دينارا الى الارض ، وقالت ياجمّال سقط منا درهم فارفعه الينا ، فنظر الحجاج فلم ير الا دينارا فقال بل هو دينار ، فقالت الحمد لله الذى ابدل درهمنا بدينار ؟ »

حكاية اخرى

يحكى ان احدهم دخل مطعما فاعطى صاحبه دينارا وقال له انى جائع ، واريد ان آكل حتى اشبع ، فرحب به صاحب المطعم وقام على خدمته وقدم له احسن ماعنده من اصناف الطعام،فازدردها باسرع ما يكون ، فقدم له دفعة ثانية وثالثة وهو لا يزداد الا نهما، فجاءه بقلة ماء وقال له يا سيدى هذه قلة ماء بارد ، اذا شئت ان تشرب ، فقال له انا عادتى الا اشرب الا في نصف الاكل . فقال لـه اعمـل معروفا ، خذ دينارك وربنا يكفينا شرك ؟ » .

وعلى العكس من صاحب هذا الدينار الوحيد الذى لا يصرفه الا ليستعيده بهذه الطريقة او باخرى ، ذلك الشاعر الذى يقول :

لا يألفُ الدرهم المضروب صُرَّتنا
لكن يمر عليها وهو مُنطلِـق

والبيت من شواهد المعاني .

★ ★ ★

صاحب مائتى درهم ملك

واخيرا فقد غبر زمان كان من يملك فيه مائتى درهم يعد نفسه ملكا ، وذلك حسب هذا الرجز الذى انشده صاحب التكملة :

لو أن عندى مائتى دِرْهَـــام
لابْتَعتُ داراً في بني حَـرَام
وعِشتُ عيش الملك الهمــام
وسرتُ في الأرض بلا خاتــام[6]

وهو يدل ايضا على القوة الشرائية التي كانت للدراهم حينذاك بحيث يشترى المرء دارا مضمونة، ويفضل له من مائتى درهم مايعيش به عيشة الملوك غير المتوّجين ، او الذين لا ينقصهم الا الخاتم على حد تعبير هذا الراجز .

ونكتفي بهذه النماذج في الموضوع الذى لو تتبعناه لطال جدا ، على انا لم نثبت منه الاما استحضرناه مع اغفال لغير قليل من النظائر خشية الاملال .

طنجة ـ عبد الله كنون

---

(٥) النغل ولد الحصان والاتان .

(٦) الدرهام لغة في الدرهم والخاتام لغة في الخاتم .

مع ...
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

التماثل

صفة شائعة في بناء الأبدان ، من الديدان، إلى الجرذان، إلى الإنسان

الأبدان، نصف أيمن، ونصف أيسر، كالشيء وخياله في المرآة

بقلم الدكتور أحمد زكى

وهي صفة دليل الوحدة القائمة بين الخلائق . وهي وحدة خطّة ، واذن وحدة مخطّط . وان شئت فوحدة خلق ، واذن فوحدة خالق .

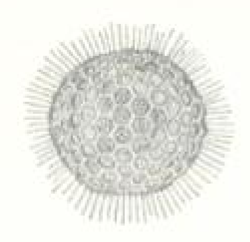
التماثل في الهندسة بالمدارس

معنى التماثل معنى في الهندسة أصيل، لا شك عرفه كل طالب .

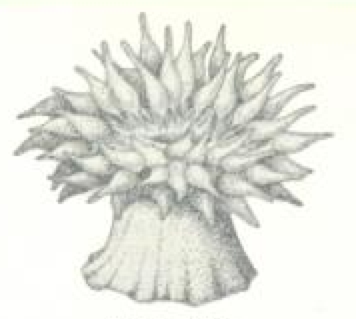
فالدائرة لها محيط ولها مركز ، وكل جزء على هذا المحيط له مثيل له في الناحية الأخرى من المركز . ومن المثيل او المثل جاء معنى التماثل . والتماثل هنا منسوب الى نقطة هي المركز .

والكرة كذلك لها مركز ولها سطح . وكل جزء من اجزاء هذا السطح له جزء يماثله تماما في الناحية الاخرى من مركز الكرة . والتماثل هنا منسوب الى نقطة ايضا هي مركز الكرة .

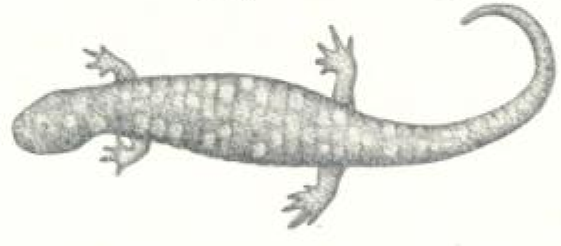
والاسطوانة سطح منحن يدور حول خط مستقيم في أوسطه هو محور الاسطوانة، وكل جزء من هذا السطح المنحنى له جزء يماثله في الناحية الاخرى من المحور .



حيوان من الاوليات
ذات الخلية الواحدة ، تماثله كروى ، بالنسبة لنقطة هى مركز الكرة .



شقائق النعمان
احياء بحرية تماثلها تماثل محورى ، والمحور خط نتخيله قائما راسيا فى اوسطها .



السلمندر ، واشباهه من الزواحف وكذلك من الضفادع ، وسائر الفقاريات ، تماثلها نصفى ، وهو واقع بالنسبة لسطح راسى يقطع هذه الحيوانات نصفين ، يكونان كالشىء وخياله فى المراة .

وهذا تماثل بالنسبة لخط مستقيم او محور . او هو تماثل محورى .

وفى الدائرة ، وفى الكرة ، وفى الاسطوانة ، يمكننا أن نقسم ايا من هذه الاشكال الثلاثة قسمين ، نقسمها الى نصفى دائرة ، أو نصفى كرة ، أو نصفى اسطوانة . واذا ظل القسمان ، كل فى وضعه بعد القسمة ، ظهر على الفور ان كل نصف يماثل النصف الآخر .

فنصف الدائرة يماثل نصفها الآخر بالنسبة للمحور الذى وقعت فيه القسمة . فهو تماثل الى خط مستقيم .

ونصف الكرة يماثل نصفها الآخر بالنسبة للسطح الذى وقعت فيه القسمة ، فهو تماثل بالنسبة لسطح مستو .

وكذلك الاسطوانة ، يماثل فيها نصف نصفا . والتماثل هنا بالنسبة لسطح مستو هو الذى قطع الاسطوانة مارا بمحورها .

التماثل فى اجسام الحيوان

ونبدأ بالانسان .

ونبدأ بالقول على الفور ان جسم الانسان ، واجسام سائر الحيوان ، عندما تتماثل ، لا تتماثل كتماثل تلك الاشكال الهندسية ، فى استقامة خطوطها ، وفى دقتها .

وننظر الى جسم الانسان ، من الظاهر ، فنجد انه يتماثل بالنسبة الى سطح مستو يشقه نصفين متساويين من قمة رأسه الى صدره فبطنه ، الى ما بين فخذيه .

الرأس نصف ايسر ، وآخر يماثله أيمن .

وكذا الرقبة ، وكذا الصدر والبطن .

والذراع أيمن وأيسر ، وكذا ما انطوى عليه الذراع من عضل وعظم .

والفخذ أيمن وأيسر ، وكذا ما انطوى عليه الفخذ من عضل وعظم .

والرجل والقدم،رجلان وقدمان ، وهما متماثلان ، ظاهرا وباطنا .

واذا عدنا الى الوجه وما احتواه،وجدنا التماثل قائما . فالعين عينان . والاذن اذنان ، والأنف منخاران . ودخل التماثل الى الفم واللسان والاسنان . كلها انصاف تماثلها انصاف ، أيامن وأياسر .

والنصف لا يطابق النصف . فاليد اليمنى لا تطابق اليد اليسرى ولا تحل محلها . انهما كالشيء وخياله في المرآة .

★★★

واذا دخلنا الى الأحشاء بقي من التماثل شيء ، وضاع منه شيء تحت ضغط الحاجة بل واستحالة التماثل .

ومن التماثل ان الرئة رئتان ، والكلية كليتان ، والخصية خصيتان .

★★★

ونهبط في السلم الحيواني فنجد هذا التماثل قائما في الحيوانات الفقارية قيامه في الانسان بوجه عام ، من الثدييات (التي منها الانسان) ، الى الزواحف والطيور ، الى الحيوانات البرية المائية (كالضفدع) الى الاسماك .

ونهبط في السلم الحيواني دون ذلك ، الى الحيوانات غير ذوات الفقار ، فنجده قائما في الحشر وفي المناكب والمفصليات جميعا . ونجده في الحيوانات الرخوة الى حد كبير . ونجده حتى في الديدان .

★★★

وبهبوطنا الى ما دون ذلك يأخذ التماثل يتحول الى تماثل من نوع آخر،كان ينتسب الىمحور كالذي يكونفيالشكلالاسطواني . واقرب مثل لذلك شقائق النعمان ، ذلك الحيوان البحري الذي تراه فتحسبه النبات في أبدع أشكاله .

فاذا وصلنا في الهبوط الى الحيوانات ذات الخلية الواحدة ، كالأميبة ، وجدنا انه قد شغلتها وظائف العيش المتعددة المتراكمة ، وهي خلية واحدة ، فلم تستطع ان تتشكل على حال جامدة .

ومع هذا نجد في هذه الحيوانات أشكالا لها تماثل كروي كالذي في الصورة .

والحيوانات ، لها رؤوس وذيول

كذلك من خطة الخلق ان يكون للخلائق طرف يتقدم ، وطرف يتأخر ، لا سيما في تلك التي تتحرك . اى ان يكون لها رأس هو سابق عند تحرك تلك الأجسام وانتقالها . ويقال عند ذلك ان الحيوان قد « ترأس » Cephalisation ، اى ظهر له رأس ، ونحن نصعد في سلم الحيوانات الى الانسان .

والحيوانات البدائية لا رأس لها ، ثم نصعد في السلم الحيواني الى أعلى فما اسرعما تظهر الرؤوس في الخلائقواضحة، تنطق في غير خفاء ، بأنها بعض صفات الخلق .

والديدان لها رأس،ولها ذيل.وما فوق الديدان من حيوانات غير ذات فقار .. فللحيوانات الرخوة رأس ، وللمفصليات رأس . واكثر ما تتبين الرأس والذيل ففي الحشرات . والحيوانات ذوات الفقار جميعا لها رؤوس ولها ذيول .

وصفة اخرى عامة في الخلق ، دليل وحدة التصميم :

ان الحواس وضعها واضعها في الرأس ، من عين تبصر ، واذن تسمع ، وانف تشم ، لأن الرأس يتقدم الجسم ، عند التنقل ، فهو يخفره . فيمضي في الطريق اذا دلّه الحس على انه مفتوح آمن،ويرتد عنه اذا دله الحس على خطر فيه .

فالأحاسيس تتقدم ، مع الرأس ، والأجسام تتبع .

ويمكنك أن تتصور كيف يكون الحال في القط او الكلب ، اذا كانت عينه واذنه وانفه في ذيله . اذن لوجب عليه ان يسير، لا يتقدمه رأسه ، وانما يتقدمه ذيله .

كل شيء في الخلق وضع في مكانه المناسب ، لهدف يستهدفه ، لاجراء الحياة واتصالها على أوفق حال .

●●

أحمد زكي

مسابقة العربي

جولة فى الفضاء، وفى فجاج الأرض وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تحلق بك فى الفضاء الخارجى للكرة الأرضية، ثم تأخذك فى جولة بين الجزر والبراكين والخلجان والبحيرات، وغيرها، مما تجده فى الأسئلة العشرة التالية.. والمطلوب منك معرفة الإجابة الصحيحة لثمانية منها على الاقل. وهذه هى الأسئلة:

١ - فى الساعة الثانية و٥٦ دقيقة و٢٠ ثانية من بعد منتصف الليل (توقيت جرينتش) من يوم ٢١ يوليو ١٩٦٩ وضع أول رجل قدمه على ارض القمر، واسم هذا الرجل:

يولى جاجارين - نيل أرمسترنج - جون جلين.

٢ - تقدم جائزة نوبل يوم ١٠ ديسمبر من كل عام، احتفالا بذكرى وفاة واضع الجائزة «الفريد نوبل» الذى توفى عام ١٩٠١، ومن المعروف أن نوبل كان مهندسا كيميائيا، وهو مكتشف:

حامض الايدروكلوريك - حامض الكبريتيك - الديناميت.

٣ - الدلتا هى الارض الطيبة المحصورة بين نهرين.. واكبر دلتا فى العالم هى الدلتا المحصورة بين فرعى نهر:

ا - النيل فى مصر

ب - الجانج فى بنغلادش

ج - الميكونج فى فيتنام

٤ - اكبر بحيرة فى العالم مساحة هى:

البحر الميت - بحيرة تانا - بحيرة قزوين.

٥ - مدينة عربية قديمة تعتبر اقدم عاصمة فى العالم، فهى مسكونة باستمرار منذ عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد حتى الآن، انها:

سيناء - دمشق - القاهرة

٦ - يقدرون عدد البراكين الثائرة فى العالم بنحو ٤٥٥ بركانا، ٨٠ منها تحت سطح الماء، واكبر تجمع للبراكين (١٦٧) يقع فى:

بورما - ايطاليا - اندونيسيا.

٧ - خلجان البحار بعضها كبير، وبعضها صغير، واكبر خليج فى العالم مساحته ١٥٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع، وهو:

الخليج العربى - خليج المكسيك - خليج السويس.

٨ - اكبر شبه جزيرة على الكرة الارضية، مساحتها ٣٫٢٥٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع، وهى:

شبه جزيرة ايبريا - شبه جزيرة العرب - شبه جزيرة اسكندنافية.

٩ - اكبر ارخبيل جزر يضم اكثر من ٣ آلاف جزيرة هى:

جزر بحر ايجه - جزر اندونيسيا - جزر باهاما.

١٠ - فى يوم ١٦ يونيو ١٩٦٢ انطلق صاروخ يحمل فى داخله اول امرأة الى الفضاء الخارجى، دارت حول الكرة الارضية ٤٨ مرة، وهذه المرأة اسمها:

كارتينا - فالنتينا - بالوقيا.

شروط المسابقة

١ - أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة.

٢ - اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح.

٣ - ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه: مجلة العربى - صندوق البريد ٧٤٨ الكويت.

٤ - آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اليوم الاول من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٤.

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى:

الجائزة الاولى **٣٠ دينارا.** الجائزة الثانية **٢٠ دينارا.** الجائزة الثالثة **١٠ دنانير.**

٨ جوائز مالية: قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها ٥ دنانير.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع.

■■



رسالة من الجزائر تثير الآلام والشجون

بين الغنى والفقر في الجزيرة فجوة كبيرة

بقلم : احمد السقاف

■ منذ بضعة اشهر كتبت في هذه المجلة مقالين احدهما تعرضت فيه لشئون شبه الجزيرة العربية ودعوت مخلصا الى الاهتمام الجاد باوضاع الاشقاء الذين يعيشون في اجزاء من هذه الجزيرة ، لايماني العميق بان خير الجزيرة سواء اكان في الصحراء او في السواحل انما هو لابناء هذه الجزيرة قبل كل شيء ، وثاني هذين المقالين تحدثت فيه عن الغزو الصهيوني لفلسطين .

ولقد تلقيت منذ نشر هذين المقالين الكثير من الرسائل واكثرها يحمل تعليقات متنوعة تستاهل الاهتمام ، وفي امسية من امسيات الجمعية الثقافية النسائية وكنت مشاركا في ندوة عن حرب رمضان المبارك سالني بعض الحاضرين بعد انتهاء الندوة فيما كتبت عن القومية في المقال الاول ، وطلبوا أن اكتب بشيء من الوضوح حول جعلي الدين الاسلامي من مقومات القومية العربية لان الكثيرين ممن يكتبون عن العرب والعروبة في هذه الايام لا يجعلون الدين الاسلامي من مقومات القومية العربية ، وتساءل اخرون عن الاسباب التي ادت الى توقفي عن الكتابة حول التعاون المنشود بين اجزاء شبه الجزيرة العربية ، وضرورة قيام الاجزاء الغنية بواجبها نحو الاجزاء الفقيرة من هذه الجزيرة ، وآخرون طلبوا المزيد مما كتبت عن مستقبل فلسطين .

والحقيقة اني هممت اكثر من مرة بان اكتب فيما ورد من تساؤلات في الرسائل والمقالات الشخصية ولكني كنت ارجيء الكتابة منتظرا اشياء ذات بال ظننت انها ستستجد في العلاقات بين اجزاء شبه الجزيرة العربية ، وفي هذا الانتظار وافتني رسالة من طالب من ابناء شبه الجزيرة العربية يدرس في الجزائر قضت على التردد والتأجيل . فالرسالة عاصفة منذرة بسوء المصير، وهي في تقديري وقناعتي تمثل وجهة نظر الالاف من الجياع والمشردين من ابناء شبه الجزيرة العربية ممن اقاموا على جوع او تشردوا طلبا للعلم او التماسا للرزق ، ولا ذنب لهم

فيما هم فيه سوى انهم ينتمون الى اجزاء من هذه الجزيرة لم يتفجر فيها النفط ، بالرغم من انهم اخوة اشقاء للغارقين فى البذخ ورغد العيش ، ممن يعيشون فى اجزاء اخرى من هذه الجزيرة تفجرت بالثروة الخيالية المذهلة .

حوار

وليسمح لى القارىء الكريم بنشر مقطع من الرسالة فيه حوار دار بين الطالب وبين صاحب نزل ــ بنسيون ــ فى باريس يقول الطالب فى رسالته : ــ

«ولكن الذى حركنى للكتابة هو ما طرقتموه فى اخر مقالكم حينما تكلمتم عن ضرورة مد يد الاخوة نحو الاجزاء الفقيرة فى شبه الجزيرة . لقد كان لهذه الاشارة وقع مؤثر لانها ذكرتنى بما حدث لى فى فرنسا حينما ذهبت اليها لقضاء ايام من العطلة الصيفية وبحثت عن عمل يساعدنى على قضاء ايام قليلة هناك ويسهل لى شراء بعض الملابس الشتوية ، فالطقس فى الجزائر شديد البرودة فى الشتاء . لقد دار بينى وبين من طلبت منه العمل وهو صاحب « بنسيون » حوار عجيب ، حوار يظهر بوضوح مدى الغبن الذى وقع علينا نحن ابناء الجزيرة العربية ممن لم يتفجر النفط بعد فى الاجزاء التى نعيش فيها ، وانى ما نسيت هذا الحوار وسيبقى منقوشا فى نفسى ، لقد كان الحوار هكذا : ــ

ــ ماذا تريد سيدى ؟

ــ ابحث عن عمل متواضع فانا طالب غريب وفقير لا استطيع ان ادفع لك اجرة الغرفة .

ــ لدى عمل مؤقت ولا يشترط فيه فترة زمنية محددة .

ــ اقبل .. انى احتاج الى عمل ولو ليوم واحد !!

ــ لكننى لم افهمك . انك عربى صحيح ، لكنك لم تخبرنى من اى بلد انت ؟

ــ اننى من الجزيرة العربية . واخرجت خارطة الجزيرة العربية .

ــ كيف تكون فقيرا وانت من الجزيرة العربية ؟! ان الجزيرة العربية غنية جدا .. انها تتفجر بالبترول .. انها كنز يا سيدى .. هل يعقل ان تأتى لطلب عمل وارضكم غنية ؟

ــ اننى يا سيدى لست من الاجزاء التى ظهر فيها النفط ارجو ان تفهمنى ..

ــ امر محير تماما . اننى اعرف ان هذه الجزيرة تعوم على بحر من نفط وان سكان هذه الجزيرة لا يهتمون بأمور المادة ، يعيشون عيشة رغدة بأقل مجهود .

فتدخلت زوجته فى الموضوع لتقول ربما يكون ما قاله السيد صحيحا لماذا تكثر من الاسئلة ؟ فيرد عليها الزوج :

ــ ليس اكثارا من الاسئلة ولكن لم اسمع يوما بان اصحاب هذه الجزيرة واشار باصبعه الى شبه الجزيرة العربية طلبوا عملا . ربما كان ذلك قبل اكتشاف النفط اما اليوم فانها غنية ، غنية جدا .

ــ المهم اننى احتاج الى العمل فانا لست من جزء ينتج النفط ، اجزاء اخرى من شبه الجزيرة تنتج النفط . اعتقد ان هذا واضح ؟

ــ دعنى اتطفل يا سيدى وابحث فى الموسوعة « لاروس » اغفر لى تطفلى .

عاد وبيده الموسوعة ويقول :

ــ انك صادق يا سيدى . هناك اجزاء لا تنتج النفط فى الجزيرة ، انه لامر غريب ان تعيشوا كلكم فى منطقة واحدة وانتم من اصل واحد ثم نرى بعضكم يقطر شحما ، وبعضكم تتكسر عظامهم من الجوع وانت منهم . اننى لا افهم هذا العالم المخيف ..

تدخلت زوجته مرة اخرى وعلى شفتيها ابتسامة لتقول دعك من هذه الثرثرة فالسيد يحتاج باختصار الى عمل ولو لم يحتجه لما تحول من نازل فى هذا « البنسيون » الى خادم فيه يمسح الاطباق ..

ــ اننى لا اقول شيئا على الاطلاق والان ايها السيد ستنام وستأكل وسندفع لك خمسة وثمانين فرنكا لتغسل الاطباق وتنظف ثمانى حجرات ، واذا تحسن دخل « البنسيون » فسيزداد اجرك ، هل تقبل؟

ــ شكرا اقبل اقبل اقبل . ولماذا لا اقبل الست من جزء من شبه الجزيرة العربية لا ينتج النفط ؟ »

تنبيه وتحذير

اننى لا اعتقد ان المتخمين والمرفهين فى مناطق النفط فى جزيرتنا العربية لن يسروا بقراءة هذا المقال ولا بالحوار الذى دار بين الطالب وبين صاحب النزل ، ولكنى بايمان لا يتزعزع وفى هذا الظرف الذى يرفض المجاملة اخاطب فى مقالى هذا الضمير العربى المسئول فى المناطق الغنية من شبه الجزيرة وانبه محذرا صادقا فى التحذير الى الاخطار الجسيمة التى تتجمع اليوم فى اماكن بائسة من جزيرتنا هذه ، واذا لم نبادر بوعى عربى وحس اخوى

الى الاهتمام الجاد بشئون هؤلاء الاخوة بوصفهم شركاء فيما نحن فيه من خير فلن نستطيع ان نكون شيئا مذكورا في ميادين العلم والحضارة والعمران والتصنيع ، وسنجد ثرواتنا تذهب سدى الى مصانع الاسلحة التي لن تحمينا من غضب الجائعين وعواصفهم المدمرة • لقد قلت وما زلت اقول ان ثروة الجزيرة العربية يجب ان تصرف قبل كل شيء لخير الانسان العربي في شبه الجزيرة العربية • لقد قاسى شعب الجزيرة العربية الوانا شتى من البؤس والظلم والاضطهاد والحرمان طيلة قرون وقرون بالرغم من الدور الخطير الذي قام به هذا العربي في تاريخ الانسانية وهو اليوم دون ادنى شك احق من غيره بالتمتع بخيرات الجزيرة العربية مهده ومهد اجداده منذ الازل ، ولا يجوز باية حال من الاحوال ان تحجب هذه الخيرات عن قوم هم شركاء في هذه البقعة المطوقة بالبحر والصحراء تحت اي عذر من الاعذار •

ان للجزيرة العربية سواحل تفجرت بالذهب الاسود ولها صحارى تعوم على بحار من هذا السائل الثمين ، وفي الجزيرة شعب لا يجوز ان نشرذمه ونحن محتاجون اليه ، ولا ان نحرم بعضه من خيرات جزيرته مستغلين حالة التشرذم والشتات• ان شعب الجزيرة المتوحد في العادات والتقاليد وفي الهيئات والسمات والمطبوع بصفات خاصة غرستها فيه بيئة خاصة بالجزيرة ليرفض اليوم ان يبقى على هامش الحياة ، ينعم بعضه باكثر مما يحتاج ويكدح بعضه الليل والنهار فلا يجد القليل القليل مما يحتاج • اننا ان بقينا على هذه الحال فلن يحترمنا شعب من شعوب الارض ، وسنندم حين يتفاقم الخطب وتفلت الامور ولات حين مندم •

اقتراحات

انني لأطالب حفاظا على مستقبل الجزيرة العربية ومنعا لاي حال خطر قد يحدث في اي جزء من اجزائها بان تلقى هذه الاقتراحات صدورا رحبة لدى القابضين على ازمة الامور في بلدان الجزيرة ليسارعوا بعد ذلك الى ايجاد المناخ الملائم لتطبيقها في اقرب وقت : ـ

١ ـ يسمح بتنقل ابناء شبه الجزيرة في اجزاء موطنهم ـ الجزيرة العربية ـ دون جوازات سفر ويكتفى بحمل البطاقة الشخصية في التنقل •

٢ ـ جعل الاولوية لابناء شبه الجزيرة في كافة الاعمال في بلدان الجزيرة العربية •

٣ ـ تقديم ابناء شبه الجزيرة العربية على غيرهم في الاستيطان في الاجزاء التي تعاني من قلة السكان ولا يجوز على الاطلاق ان يحل محلهم الملفقون من شتى الجنسيات لما في ذلك من اعتداء اثم على حق الانسان العربي في جزيرته العربية •

٤ ـ تقديم الاموال اللازمة لاقامة المشاريع المنتجة في البلدان المتخلفة في شبه الجزيرة العربية كالسدود ومصانع الاسمنت ومصانع الاسماك وتحسين الزراعة،واستغلال المعادن المتوافرة في الجبال والوديان ، والتنقيب عن البترول ، وتشجير الجبال وتهجين الابقار ، وانشاء مزارع الدواجن بطرق علمية حديثة ، وانشاء مصانع الالبان ،والاهتمام بالمراعي لتنمية الثروة الحيوانية ، والاعتناء بمصادر المياه ، وغيرها من المشاريع الكثيرة ، ولا مانع من ان تقدم هذه الاموال كقروض دون فائدة او بفائدة زهيدة ولآجال طويلة ، ويستطيع الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ان يقوم بدور عظيم في الاجزاء الفقيرة من شبه الجزيرة العربية بعد ان اصبح رأس مال الصندوق الف مليون دينار كويتي وللصندوق الكويتي اليوم بعض المشاريع •

٥ ـ سد اي عجز في ميزانية الحكومات الفقيرة في شبه الجزيرة ليتمكن العامل والموظف من الحصول على ادنى اجر يستطيع به ان يعيش عيشة مقبولة•

٦ ـ التنسيق والتخطيط في شئون التعليم ورعاية شباب الجزيرة العربية في الخارج لتحصل الجزيرة العربية على جيل متعلم هدفه تعمير الجزيرة والصعود بها الى المستقبل الزاهر الكريم • ومن الانصاف ان اذكر ان الكويت قد كانت السباقة الى مد يد الواجب للاخوة في بعض الاجزاء من شبه الجزيرة في مجال الخدمات التعليمية والصحية ونزلت في هذا الميدان اخيرا بعض الدول الموسرة في شبه الجزيرة •

٧ ـ ربط بلدان الجزيرة بطرق مواصلات حديثة ورفع الحواجز الجمركية وتخفيض اجور المسافرين من بلد الى اخر للقضاء على اثار العزلة التي عاشها ابناء الجزيرة في الماضي •

٨ ـ السعي الحثيث لاقامة تعاون وثيق بين اجزاء شبه الجزيرة العربية لتتمكن هذه الاجزاء من خلق نوع من الاتحاد فيما بينها يصد عن الجزيرة وعن شواطئها وجزرها اطماع الطامعين ولقد قلت في ندوة عن مستقبل الخليج العربي في رابطة الاجتماعيين ان دول الخليج لا تستطيع

بمفردها ان تدرأ عن نفسها الاخطار مالم تستند الى قوة شعب الجزيرة العربية ، وما لم تتخذ هذه الدول من العراق قوة اضافية بوصفه من الدول القوية المطلة على الخليج ولايجوز أن نتراخى فى حسم الخلافات مع العراق مهما كبرت فعلاقتنا بالعراق يجب ان تظل علاقة الاخ باخيه رغم الحوادث الفردية العابرة ولا ننسى بعد ذلك اننا محتاجون الى كل قطرة من مياه شط العرب ففى تدفق هذا النهر العظيم الى الخليج ضياع لثروة لا تقل اهمية عن ثروة النفط فبهذا الماء نستطيع ان نغير الصحراء فى شبه الجزيرة وتجعلها خضراء ممرعة تسر الناظرين •

الاهتمام بالانسان العربى

وانه لمن نافلة القول ان اؤكد هنا ان الاهتمام بالانسان العربى فى شبه الجزيرة العربية لا يعنى البتة اهمال الواجب القومى نحو قضية فلسطين فهذه القضية هى قضية الوجود العربى ولا مناقشة فى هذا التصور على الاطلاق والبذل بسخاء لمعركة فلسطين واجب يستلزم الاداء • غير انى اعتقد جازما ان الاهتمام بالانسان فى شبه الجزيرة العربية انما هو اهتمام حقيقى بالقضية العربية وفى طليعتها قضية فلسطين • فلا يمكن ان يتصور اى عاقل ان هذا الانسان يستطيع اليوم ان يصد عن نفسه الاخطار وهو فى حال يصعب على سكان الارض تصديقها ، فكيف نطالبه وهو على هذه الحال ان ينهض بالواجب تجاه فلسطين أو غير فلسطين ؟ !!

انني حين اطالب بحرية تنقل ابناء شبه الجزيرة العربية فى اجزاء جزيرتهم دون جوازات سفر فلا اتقدم الى المسئولين فى هذه الجزيرة بأمر مستغرب فلقد كان ابناء شبه الجزيرة العربية يتنقلون فى شبه الجزيرة العربية دون جوازات سفر الى عهد قريب • والغريب العجيب ان يتم التنقل دون قيود فى وقت كانت الموارد المالية معدومة أو شبه معدومة فى أجزاء كثيرة من هذه الجزيرة ، وحين كثرت الموارد المالية واشتدت الحاجة الى الايدى العاملة وضعت هذه القيود امام سكان الجزيرة للحيلولة دون تنقلهم فى جزيرتهم • وعاملت الجزيرة العربية ابناءها معاملة الغرباء ، وقد تجد فى بعض امارات الخليج العربى – مع الاسف الشديد – من يفسح المجال امام الأجانب من شتى الاجناس ويوصد الابواب فى وجوه اخوانه من ابناء شبه الجزيرة العربية •

انني حين اطالب بأن تكون الاولوية لابناء شبه الجزيرة العربية فى العمل والاستيطان فلا اكون قد طالبت بشىء مختلف عليه ، فمن الخطورة بمكان ان يلجأ بعض المسئولين فى بعض امارات الخليج العربى الى تقديم الاجناس الغريبة وتفضيلهم على اشقائهم وشركائهم فى الجزيرة • ان هؤلاء لا يستطيعون ان يتجاهلوا أنهم حراس لعروبة الساحل الشرقى من شبه الجزيرة العربية وان الواجب ليحتم عليهم صيانة هذا الساحل والذود عن عروبته وصد آية هجرة اجنبية تهدد أمنه وسلامته فى الحاضر والمستقبل •

مشكلة الاستيطان

والحديث عن الاستيطان حديث طويل • ولقد كان هذا الاستيطان يتم بصورة عفوية زمن الفقر وانعدام الموارد المالية اما اليوم فقد اصبح من الامور الملحة الداعية الى القلق الزائد ذلك ان هذه الموارد المالية الضخمة التى تنوء بها طاقة هذه الاجزاء من شبه الجزيرة تحتاج الى سكان يستطيعون القيام بما يحتاج اليه التعمير والتصنيع والتحضير ، فالدولة الكبيرة الغنية فى شبه الجزيرة العربية تحتاج على سبيل المثال الى مئات الالوف من الايدى العاملة، لتستطيع أن تحدث تطورا سريعا فى كل شأن من شئون الحياة • وليس من المعقول ان تظل هذه الآلاف المؤلفة من البشر اجيرة تتطلع هنا وهناك وتخضع لقانون العرض والطلب دون ان تستقر لتوظيف نشاطها وانتاجها وكفايتها وخبراتها فى جزء من شبه الجزيرة العربية هى منه واليه منذ اقدم العصور ، واذا كان هذا حال اكبر دولة فى شبه الجزيرة فكيف يكون الحال فى هذه الامارات التى نشأت على ساحل الجزيرة الشرقى ، انها تحتاج الى الملايين من السكان بعد ان غرقت فى بحر من الثروة المفاجئة ، ولا أظن ان عاقلا كائنا من كان يمنع استيطان ابن الجزيرة العربية المحتاج الى العمل فى سواحل جزيرته ويجعل هذا الاستيطان حقا لمختلف الشعوب ممن لا يمتون بأية صلة الى الامة العربية • لقد كان شمال الجزيرة العربية وما زال موطنا للعرب دون تمييز قبلى فالقبائل فى شمال الجزيرة وفى بقية امارات الخليج تعود فى انسابها الى العدنانيين والقحطانيين على حد سواء وكذلك حال جنوب

الجزيرة والقبائل العدنانية والقبائل القحطانية قد امتزجت فاصبحت تمثل اسرة عربية ضخمة تفترش ارض الجزيرة وكم من اسرة او قبيلة عربية لها في كل مدينة من مدن الجزيرة أهل واقارب وفي هذا مايدل على وحدة الاصول في شبه الجزيرة العربية ، ولن تستطيع الجزيرة العربية ان تنهض ما لم تعالج الكثافة السكانية ، في جزء والفراغ السكاني في اجزاء اخرى بوطنية صادقة مبتعدة عن ايحاءات الاعداء والحساسيات البدائية المتهافتة • فمستقبل الانسان العربي في شبه الجزيرة العربية يجب أن يكون الهدف الذى تتضاءل امامه جميع الصعاب •

الحل الامثل

ولا اظن احدا يستطيعان يجد حلا لمشكلة الفراغ السكاني في بعض امارات الخليج العربي غير هذا الحل فسكان الجزيرة العربية اولى من غيرهم بملء هذه الفراغات ، والويل كل الويل لمن يتجاهل هذا الحق او يعطيه اجناسا غير عربية ترفض الامة العربية من خليجها الى محيطها ان يكون لها موضع قدم على سواحل الخليج •

ولا داعي الى شرح كل نقطة من النقاط التي اوردت ، فالامور جلية لا تحتاج الى عناء فاما ان نؤمن كاخوة في بقعة واحدة من الارض بان هذه الثروة لنا جميعا لافرق بين جزء ظهر فيه النفط وبين جزء ما زال النفط حبيسا فيه وعندئذ يجب ان نؤدى الواجب بسخاء دون ابطاء ان كنا جادين فعلا في خلق الانسان العربي الجديد في شبه الجزيرة العربية وان كنا فعلا جادين في الحفاظ على عروبة الخليج وصد الاطماع الاجنبية عنه ، واما ان نبقى على ما نحن فيه من تناس للاخوة وتجاهل للاوشاج والقربى وتفضيل للتشرذم وتقريب للاعداء وللمتربصين وفي هذه الحال يجب ان لا ننتظر من الجائعين المظلومين في شبه الجزيرة ان يكتفوا بالتفرج علينا ونحن ننفق خيرات الجزيرة يمينا وشمالا دون مراعاة للمواطنة المقدسة في هذه البقعة المحصورة بالمياه والرمال والتي نشأنا فيها متشابكين مترابطين منذ الاف السنين !!

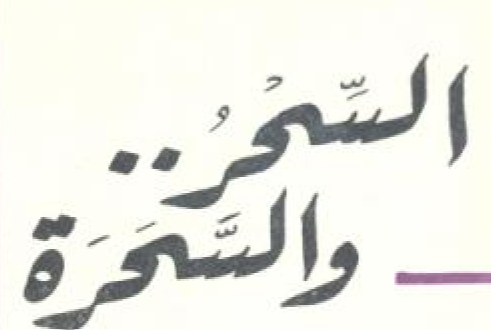
ان اهتمام بعض الانظمة الحاكمة في شبه الجزيرة بقضية فلسطين لا يمكن أن يخفي هذا التجاهل لاخطر القضايا التي تعيشها شبه الجزيرة وارجو ان لا تكون قضية فلسطين قميص عثمان يرفعه من يشاء ان يتجاهل الاوضاع السائدة في بعض اجزاء من شبه الجزيرة • انني لاعلم وقد سبق ان اشرت الى هذا ان كلاما كهذا الكلام لن يعجب المتخمين في الجزيرة وسواحلها الشرقية فهؤلاء كغيرهم من المتخمين يحاولون ان يستحوذوا على كل شيء حتى يفقدوا كل شيء ، وهذا ما لا نريده ولا نحب ان يحدث في يوم من الايام ، فنحن لا نؤمن بالصراع الطبقي ولا نقره لأنه اسلوب من اساليب الاحزاب الشيوعية للوصول الى الحكم ، ولكننا في الوقت نفسه نرفض ان ينام الاغنياء على انات الجياع والبائسين والمحرومين •

الطابور الخامس

وهناك بعد ذلك الطابور الخامس المنتشر هنا وهناك لخدمة الدول الاجنبية الطامعة في ثروات الجزيرة العربية فهذه الطوابير الشريرة لايهمها سوى تشرذم الشعب العربي في الجزيرة العربية ولا يسرها سوى استمرار الصراع القائم بين التخمة والجوع في ربوع هذه الجزيرة ، واية دعوة خالصة مخلصة لتكاتف ابناء الجزيرة وتضميد جراحاتهم انما هي خناجر مسددة الى قلوب هؤلاء الطامعين • ان الدوائر الاستعمارية لا تخطط الا لنهب ثروة الشعب العربي ، فكيف تسمح هذه الدوائر بتكاتف ابناء الجزيرة العربية ، وبتوجيه اموالهم الضخمة لبناء الانسان العربي في جزيرته العربية ؟ !! ان هذه الدوائر لا تريد الا ان تعود هذه الاموال من جديد الى خزائنها ولا بد لتحقيق ذلك من زرع القلاقل والفتن في ربوع الجزيرة العربية لتخويف بعض الانظمة الحاكمة ودفعها الى شراء الاسلحة بالاف الملايين ، وليس الاستعداد العسكري الضخم الذى يشاهد على مقربة من الخليج بعيدا عن هذه المخططات • ان القوة الحقيقية لشبه الجزيرة العربية تكمن في تكاتف شعبها العربي وفي تصميمه على بناء حياة افضل ، ولن تستطيع اية دولة من دول الجزيرة العربية ان تكون قوية بالطائرات والصواريخ اذا بقيت في قوقعتها الاقليمية متخوفة من شخصيتها التاريخية وبيئتها الجغرافية ومعذرة لاقتصاري الحديث فيما سبق مع اعتقادى بأن ما جاء في هذا المقال انما هو للعروبة وللقومية وللفلسطين ولي حديث في هذه الشئون في المستقبل ان شاء الله • ■■

الكويت ـ أحمد السقاف





بقلم : جمال كنانى

■ ليت لي سحر هاروت لاعرف من السحر ما عرف ، واقول فيه فلا اقول الا صدقا وحقا •

ان السحر ، في رأي علماء الانثروبولوجيا او علم الانسان – ومنهم تايلور Taylor وفريزر – انما جاء نتيجة لمحاولة الانسان وضع بعض القواعد او الخطوط العريضة التي قد تمكنه من ان يتنبأ بالمستقبل •• على ان من الناس كذلك من يعتبر السحر مجرد نصب واحتيال ، او هو وسيلة من وسائل الدعاية والتسلية •• ولكن الثابت ان القبائل البدائية التي كانت تمارس السحر لم تكن تعقد جلساته ، او تزاول طقوسه ، لمجرد اللهو ، ولكنها تنظر اليه نظرة جدية بحتة •

كان بعض السحر دينا

ومن القبائل الافريقية والاسيوية والاسترالية قبائل اعتنقت السحر دينا لها منذ القدم ، حتى قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث •• وقد ورد ذكر السحر بعد ذلك في الكتب السماوية لهذه الديانات •

تحدث الكتاب المقدس عن السحر والسحرة والانبياء ، ممن بعثوا لتصحيح تلك الاوضاع في اكثر من مناسبة •• من ذلك انه اشار الى السحر عندما لجأ اليه اول ملوك بني اسرائيل فاستشار ساحرة اسمها اندور Endor • كذلك ورد في الاصحاح الرابع في سفر الخروج ، فقال له الرب ما هذه في يدك ، فقال عصا ، فقال اطرحها الى الارض ، فطرحها الى الارض ، فصارت حية ، فهرب موسى منها • ثم قال الرب لموسى : مد يدك ، وامسك بذنبها ، فمد يده وامسك به فصارت عصا في يده » •

وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك القصص ، جاء فيه « وما تلك بيمينك ياموسى – قال هي عصاي ، اتوكأ عليها ، واهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب اخرى • قال ألقها ياموسى ، فالقاها ، فاذا هي حية تسعى • قال خذها ولاتخف ، سنعيدها سيرتها الاولى » •

وفي القرآن : « قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى • قال : بل القوا ، فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى • فأوجس في نفسه خيفة موسى • قلنا : لا تخف انك انت الاعلى ، والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث اتى » •

الايمان بالسحر قديم

لم يقتصر الايمان بالسحر على الجماعات البدائية بل امتد الى مجتمعات متحضرة تقوم حضارتها على اسس اقتصادية صناعية معقدة •

ففي اوروبا وفي امريكا آمن الناس بالسحر ايمانا اقلق بال الكنيسة ، تقاومه مقاومة كادت تصل الى عصرنا هذا الحديث •

والذين آمنوا بالسحرة في اوروبا وامريكا كانوا يعتقدون ان السحر شيء تزاوله النساء

خاصة ، وكان عندهم رمز الساحرة انها تطير على مكنستها ، اما اغلب السحرة بين اهل الشرق فكانوا رجالا ، الا « كوديات الزار » Horas .

ولقد عرفت الحضارة اليونانية السحر واشار اليه « هومر Homer » ، كما ان « هوراس » ، وصف ما قامت به ساحرتان زارتا المقابر ليلا فى ضوء القمر ، لتجمعا من عظام الناس والحيوان ما يعينهما على القيام بطقوسهما ..

وفى احد مؤلفات القرن الرابع الميلادى نجد وصفا لامرأة شريرة مسها الشيطان فكانت تركب ظهور الوحوش فى الليل ، وتقطع مسافات طويلة .

بين السحر والكنيسة والغرب

خافت الكنيسة اثر السحر على عقول الناس ، وان يشكوا فى دين السيد المسيح ، فاخذ القساوسة يخطبون فى الكنائس ايام الآحاد وغيرها من ايام الاسبوع ويكتبون الكتب والمقالات يبشرون ضد السحر والسحرة ، ويفرقون بين السحر والدين ، وبين الساحر والقس ، فقالوا ان الله وحده مسير الكون ، فهو اكبر من كل قوة . وردوا بذلك على من قال ان السحر اساسه قوة فوق الطبيعة .

وقالت الكنيسة ان الساحر انسان يعيش فى شبه عزلة ، وانه لا يصل الى مركزه كساحر بعد اى دراسة ، اما القس فانسان مدنى يعيش فى مجتمعه ويدرس اللاهوت وغيره من الدراسات ، قبل ان يصبح قسا مؤهلا .

وذهب بعض الباحثين الى ان السحر فن عملى ،من شانه ان يحقق بعض الحاجات الواقعية ، فى حين ان المسيحية دين يعنى بما هو ابعد واعمق من ذلك من المشكلات ، حتى ولو تعذر حلها حلا فوريا ، كما ان من شان المسيحية ان تفسر للناس معانى الحياة ،والموت ، والقضاء والقدر .

واشتدت حملة الكنيسة ضد السحر ، فزاد اقبال الناس عليه ،فشرعت الحكومات القوانين ضد السحرة حتى بعد انتهاء القرون الوسطى .

ففى انجلترا مثلا صدر قانون فى عام ١٥٤٢ يحرم السحر والشعوذة ، ويقضى بالاعدام على من يدان بايهما ، وعلى الرغم من ان ذلك القانون الغى عام ١٥٤٧ الا ان قانونا جديدا غيره صدر عام ١٥٦٣ وعملت به الدولة حتى عام ١٧٣٦ .

اما فرنسا فقد نجحت فيها الحركة الماسونية والحركة الوطنية التى ظهرت فى القرن الثامن عشر فى صرف الاذهان عن السحر والسحرة .

على ان ما قامت به الكنيسة من مقاومة عنيفة ، وما بذلت الحكومات من جهد للقضاء على السحر ـ جذب الناس الى جلسات السحر ـ فى الخفاء ، فالسلطات التى كانت تطارد السحرة ، كانت هى نفسها ابواق دعاية للسحر والسحرة .

محاكمات السحرة

وللسحرة محاكمات فى التاريخ مشهورة .

واشهر تلك المحاكمات كان فى القرن الرابع عشر فى مدينة تولوز عام ١٣٣٥ . ويتبين من مضابط جلسات تلك المحاكمة ان بعض المتهمات اعترفن بحضور جلسات سحر كانت تعقدها احدى الساحرات ، كما اعترفن بجريمة الزنا ، اذ قلن انهن جامعن الشيطان فى هيئة تيس كبير .

وادعت احدى المتهمات انها تؤمن ايمانا راسخا بان الشيطان صنو للرب ، وان له السلطان على الارض ،وقالت اخرى انها تمكنت من عقد حلف وثيق مع الشيطان ، يمكنها من اصابة زراعة جارها ، وايذاء غنمه وماشيته ، وادعت ان الساحرة المتهمة قادرة على ان تميت اى انسان اذا صنعت له دمية من الشمع ، ثم البستها بعض ملابسه ، ثم احرقتها .

وقضت المحكمة باعدام الجميع .

السحر فئات ثلاث

قال السحرة ان فى مكنتهم تخليص الناس من قبضة الشيطان اذا حل الشيطان فى اجسادهم ، فظهرت عليهم العلة ، واصابتهم الامراض والاوجاع . وقالوا انهم قادرون على ان يصيبوا هذا الرجل او تلك المرأة بالعقم ، وان يحيلوا رجلا نسولا الى عنين ، وان يهلكوا الحرث ، ويبيدوا النسل و،ان يولدوا الحب والبغضاء ..

والسحر فئات ثلاث :

أ ـ سحر الانتاج

ب ـ سحر الوقاية

ج ـ سحر الايذاء

اما سحر الانتاج فهو ـ على الرغم منه ـ ذو فائدة فى المجتمعات البدائية ، لان من شأن الجلسات السحرية التى تنعقد لمواجهة الازمات الاجتماعية ـ كضعف المحصول فى الارض ، او

نقص السمك في البحيرة مثلا ـ ان تقوى وشائج الصلة بين افراد القبيلة ، وتثير فيهم روح التعاون ، مما يؤدي الى زيادة المحصول ، نتيجة لزيادة ما تجنى من الثمر مثلا .

وما قيل عن السحر الانتاجي يقال عن السحر الوقائي الذي يعمل على شفاء مريض ، او تخليص مصاب من داء ، فمجرد الايمان والاعتقاد بان الشفاء على الأبواب يساعد على الشفاء ، وعمق العقيدة بان الفرج على الأبواب يفرج الكروب .. فالايحاء هنا ايحاء صحي مفيد نافع .

والنوع الثالث وهو سحر الايذاء ، وهو اقرب انواع السحر واحقها واجدرها باسم الشعوذة ، لانه يؤثر في هؤلاء البدائيين اثرا سيكولوجيا يعتمد على الوهم .. فالطبيب الساحر يوهم عدوه انه سيضعفه جنسيا ، فيملك الوهم على الرجل نفسه ، فيغال بعد حين انه عنين .

لغة السحر وادواته

من المسلم به ان العبارات التي تتردد اثناء جلسة سحرية ذات اهمية بالنسبة للتجربة السحرية ذاتها ، ولقد عرف السحر بانه « الوصفة » التي تمكن الانسان من القيام باعمال تخرج عن نطاق قدرته العادية . ويرى البعض ان هذه « الوصفة » سر قديم توارثته الاجيال ، فالأب لا يلقن ابنه الكلمات السحرية فحسب ، بل يدربه على طريقة ادائها وترتيلها .. و « الوصفة » هي الكلمات والاداء والحركات والمعينات جميعا .. وهذه الكلمات في اغلب الاحيان قديمة لايفهمها « الاطباء السحرة » الذين يعيشون بين القبائل الافريقية او في نيوزلندة مثلا في ايامنا هذه ..

كان سحرة الغرب يظنون ان تلك الكلمات من اصل عربي ، وكان سحرة العرب يظنونها من أصل عبري ، لانها كانت وما زالت مقاطع لا معنى لها ، الا انها تتصل في عقل الساحر وقلبه بالطقوس اتصالاوثيقا. فسكان استراليا الاصليون مثلا يرتلون تعويذة سحرية يظنون انها تكسب قواربهم سرعة فائقة ، فاذا رتلوا التعويذة خيل لهم ان قواربهم تحمل على اجنحة الطير .

والطبيب الساحر يستعين ببعض العشب او الجلد المجفف أو المساحيق ، يضيفها الى الكلمات التي يتمتمها ، والحركات التي يؤديها .. ومن هذه الاعشاب ما هو مفيد ، ومنها ما هو سام قاتل .. ولا يزيد علم الطبيب الساحر بهذه العقاقير عن علم مريضه بها .. فهذا المسحوق قد يقضي على ما بالبحيرة من سمك ، اذا شاء الطبيب ان يلقى به في مائها .. وقد تراه يقرأ تعاويذه على سن تمساح ، ثم يحك شجرة من اشجار الموز بالسن لتنمو وتثمر .. فلا السن يتاثر ولا الشجرة تنمو بفعله .

كتاب قديم هو عمدة في شئون السحر والساحرات والساحرين

السحر : ماهو ؟

انه كتاب كتب في عام ١٤٨٦ ، كتبه قسان بعنوان « مطرقة السحرة » وترجمه سومرز الى الانجليزية عام ١٩٢٨ ، فكان الكتاب وثيقة اعتبرتها الكنيسة البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية مرجعا كنسيا وقانونيا في كل ما يتعلق بالسحر والسحرة .

جاء في الكتاب ان اصل السحر هو ان بعض النساء يولدن وفي اجسادهن شهوة جنسية لا يشبعها الا الشيطان نفسه . ونادى المؤلفان بوجوب استعمال كافة الوسائل ـ بما في ذلك وسائل التعذيب ـ عند تحقيق قضايا السحر ، واقترحا ان يحكم بالسجن المؤبد على كل من يدان ، فاذا لم يتب حكم عليه بالاعدام .

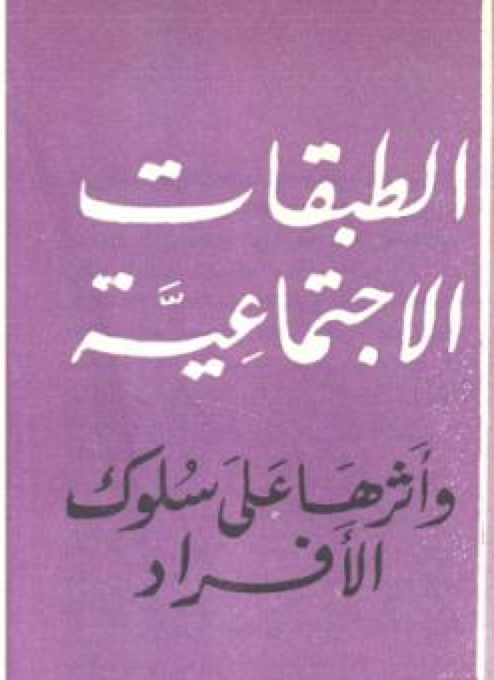
واحتل الكتاب مكانة في دراسات علم النفس ، اذ ذهب المؤلفان الى ان الجنون مرجعه احتلال الشيطان لجسد المريض ، فاذا ما تمكن الشيطان من الجسد ، اصيب الضحية بلوثة .. ورأى المؤلفان ان علاج هؤلاء المرضى لا يكون الا بحرقهم . وكان لهذا الرأي دعاته حتى القرن الثامن عشر ، بل لقد قيل ان مارتن لوثر كان يؤيده .

على ان عددا كبيرا من المفكرين والعلماء ورجال الدين انفسهم ناهضوا هذا الكتاب وما جاء فيه من آراء ، وكان من بين هؤلاء الفيلسوف الايطالي جيوردانو برونو Giordano Bruno الذي اعلن ان هؤلاء الساحرات ما هن الا نسوة اختلطت عقولهن نوعا ، وانهن مرضى في حاجة الى العلاج .. لا الى العقاب .. واتهم هذا الفيلسوف بعد ذلك بالزندقة واحرق !! ■■

جمال كناني

ماجستير في التربية وعلم النفس





الطبقات الاجتماعية

وأثرها على سلوك الأفراد

بقلم : الدكتور على احمد على

■ واقع الحياة فى كل ارض ، وكل بلد ، شرقيا كان اوغربيا ، اشتراكيا كان او رأسماليا ، يدلنا على أن النـاس تعيش فى طبقـات ، وأن بعضهـم يرتفع فـوق بعض درجات . امـا سبب ذلك فـان الافراد يختلفون فى قدراتهم العقلية وامكانياتهم الجسمية ، ويختلفون ايضا فى كميـة الجهـد الذى يستطيعون بذله فى عمل معين ، من اجل هذا نجد اختلافا بين الناس فى دخولهم واعمالهم ومراكزهم الاجتماعية،واذن فى طبقات من المجتمع يحتلونها .

ومن يدرى ، فلعل الله تعالى قد جعل الناس على هذا القدر من الاختلاف فى القدرة وفى الجهد الذى يمكنهم بذلـه حتى تتنوع اعمـال النـاس وانشطتهم ، وحتى تسعد المجتمعات بذلك فتجد من بين ابنائها من يقوم بمختلف الاعمال الكبيرة والصغيرة ، العظيمة والضئيلة،اليدوية والعقلية، وحتى يكون ، فى كل مجتمع ، القائد والتابع ، والسيد والمسود ، وكلاهما لا غنى عنه لتقدم اى مجتمع ورفاهيته .

وقد شغل موضوع الطبقات الاجتماعية Social classes التى يحيا فيها الناس تفكير الكثير من علمـاء النفس والاجتماع وغيرهم مـن المهتمين بدراسة سلوك الانسان ، على اساس ان الطبقة الاجتماعية بصفتها البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد،تؤثر على سلوكهوطموحه وقيمه ونظرته للكثير من المسائل والامور . ولم تجر دراسات متعمقة للطبقات الاجتماعية فى بلادنا العربية لمعرفة اثر هذه الطبقات على سلوك الانسان العربى وتفكيره واتجاهاته وقيمـه وذلك باستثناء بعض الدراسات الفردية المحدودة التى اجريت فى هذا المجال . لهذه تطلب الدراسات فى غير العربى من البلاد .

الطبقات الاجتماعية فى المجتمع

يقسم العلماء المجتمع الى ثلاث طبقـات : الطبقة العليا وعادة ما يكون عدد الافراد المنتمين اليها قليلا ، وهذه الطبقة تمتلك المال والجاه



والسلطة والحياة الميسرة الممتازة،والطبقة المتوسطة Middle class وهي ذات الدخل المتوسط والحياة العادية والالحاح والاقبال الشديد من جانب افراد هذه الطبقة على التعليم والرغبة في التقدم والصعود ٠ والطبقة الدنيا وتمثل الطبقة الكادحة محدودة ومنخفضة الدخل ٠ وعادة ما يسعى افراد هذه الطبقة الى الاشباع العاجل لحاجاتهم المادية ولا يستطيعون العمل في سبيل عائد مؤجل ،لذلك يفضل الكثيرون منافراد هذه الطبقة ترك الدراسة مبكرا والالتحاق باعمال تدر عليهم ولو دخلا بسيطا عاجلا يشبعون به حاجاتهم ومطالبهم الاساسية ٠

وعادة ما يحدد انتماء أسرة ما الى طبقةاجتماعية معينة ما يأتي :

١ ـ دخل الاسرة ٠

٢ ـ مستوى تعليم رب الاسرة ومستوى التعليم الشائع بين ابناء هذه الأسرة ٠

٣ ـ المركز الادبي لمهنة وعمل رب الاسرة ٠

٤ ـ العائلة التي تنتمي اليها هذه الأسرة ومدى شهرتها ٠

حركة الافراد بين الطبقات الاجتماعية

ومن المهم أن نوضح هنا ان حركة الافراد بين الطبقات الاجتماعية تسير احيانا من أسفل الى اعلى ٠وتتمثل هذه الحركة في الافراد الذين بجهدهم وذكائهم وتعليمهم يرتقون من طبقتهم الاجتماعية الى طبقة اجتماعية اعلى ٠ وقد زادت الحركةالطبقية في هذا الاتجاه فيمعظم البلاد العربية وذلك نتيجة مجانية التعليم وتكافؤ فرصه امام مختلف فئات الشعب العربي ٠ وهذا التعليم يمثل اهم دعامة تمكن الافراد من الحركة طبقيا الى أعلى ٠

ولكن بعض الافراد يتحركون احيانا من أعلى الى اسفل ٠ فقد يتركون طبقتهم الاجتماعية الى طبقة ادنى نتيجة لعدم استغلالهم لذكائهم واهمالهم وعدم بذلهم الجهد وعدم قدرتهم على الكفاح والمثابرة ٠

الطبقة الاجتماعية وأثرها على سلوك افرادها

والواقع ان كل طبقة من الطبقات الاجتماعية السابقة تعرف على اساس الطريقة التي يدرك بها الناس أعضاء هذه الطبقة ٠ وفي احدى الدراسات التي قام بها Warner (١) عنالطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة ، وجد أن هناك كلمات معينة استخدمها افراد الجمهور لوصف افراد الطبقةالعليا مثل : « ال ٤٠٠ » ، « الاعيان » ، « الناس أصحاب المال والعائلات » ، « الارستقراطيين » ، « المغرورين » ، « محدثي النعمة » ٠ وليست جميع الكلمات والاوصاف التي اطلقها افراد الجمهور على افراد الطبقة العليا في الولايات المتحدة محببة ، ولكن بعضها له طابع سلبي وعدواني ٠ ولكن الافراد الذين شملهم بحث Warner قد اتفقوا في تمييزهم للطبقة العليا على أنها تقع في أعلى شكل ما من أشكال تنظيم اجتماعي معين ٠

وقد أوضح بحث Warner السلوك السائد بالنسبة لافراد كل طبقة من الطبقات الاجتماعية وأثر الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد عن نفسه ، وأثر هذه الطبقة على قيم واتجاهات



(1) Warner, W. L. American Life, Chicago : University of Chicago Press, 1953,4i8-420.

وطموح افرادها ودرجة استخدامهم للانفعالات في التعبير،والعلاقات الاسرية داخل كل طبقة اجتماعية.

وقد لوحظ في الكثير من بلاد العالم ان افراد الطبقة المتوسطة عادة مايكون لديهم دافع اكبر للنجاح والتحصيل . كما ان افراد هذه الطبقة يمكنهم ان يعملوا في سبيل الحصول على العائد المؤجل او المكافاة في المستقبل ، وليس في الحاضر. وقد لوحظ ايضا ان افراد هذه الطبقة المتوسطة يستطيعون ان يتحكموا في انفعالاتهم وتاجيل التعبير عن هذه الانفعالات او التعبير عنها باسلوب غير مباشر . والطبقة المتوسطة تقدر التعليم وتعطيه قيمة كبيرة بالنسبة لافرادها ، وعادة مايؤجل سن الزواج بالنسبة لافراد هذه الطبقة لكي يحصلوا على مزيد من التعليم والاستقرار الوظيفي .وكثيرا ما يسود افراد هذه الطبقة قدر من القلق وشعور الذنب نتيجة عدم قدرتهم على اشباع دوافعهم وفشلهم في هذا المجال وكثيرا ما يستخدم افراد هذه الطبقة بعض الحيل النفسية اللاشعورية Defense Mechaisms لكي يدافعوا بها عن انفسهم ولكي يحتفظوا بثقتهم بانفسهم ، ومن امثلتها التبرير.كما ان افراد هذه الطبقة يمكنهم بذل الجهد الشاق لتحقيق الاهداف التي رسموها لانفسهم .

ويختلف الوضع بالنسبة لافراد الطبقة الدنيا Lower Class حيث نجد شكلا آخر من اشكال التكيف Adjustment . وبسبب ظروف الحرمان المادي التي تعيشها هذه الطبقة ، لذلك فان افرادها يبحثون عن اشباع مادي سريع وعاجل ومباشر لحاجاتهم ، كما ان الكثير من افراد هذه الطبقة لا يهمهم ان يبذلوا جهدا كبيرا في تحصيل مستقبل او عائد مؤجل . لهذا يفضل افراد هذه الطبقة ان يخرجوا الى سوق العمل قبل ان يتموا تعليمهم وذلك لانهم في حاجة الى اشباع مادي سريع وعاجل ولا يتحملون تاجيل هذا الاشباع لفترة طويلة مقبلة . اما بالنسبة للتعبير عن الانفعالات فعادة ما يكون افراد هذه الطبقة اقل رغبة من افراد الطبقة المتوسطة في السيطرة على هذه الانفعالات ، وعادة ما ينقاد افراد هذه الطبقة الدنيا وراء انفعالاتهم فيعبرون عن غضبهم وخوفهم وفرحهم وحزنهم باسلوب ظاهر مكشوف .

الفروق بين افراد الطبقات الاجتماعية في السلوك الاجرامي

وهناك ظاهرة بين افراد الطبقة الاجتماعية الدنيا والمتوسطة فيما يتصل بالسلوك الاجرامي Criminal behaviour (١) فمعدل الجريمة اعلى في الطبقة الدنيا منه في الطبقة المتوسطة وذلك بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والاسرية غير المناسبة التي يعيش فيها افراد الطبقة الدنيا. ولكن يجب ان نتذكر ان سبب ارتفاع معدل الجريمة بين افراد الطبقة الدنيا ان التشريعات في بلدان العالم كله تعكس قيم المشرعين والقضاة الذين يضعون ويفسرون هذه التشريعات والذين عادة ما ينتمون الى الطبقة المتوسطة ، وهذا ينعكس على احكامهم وعلى نظرتهم الى الجرائم ، وكثيرا ما يتشددون في الحكم على الجرائم السائدة بين افراد الطبقة الدنيا .

وقد وجد ان نوعية جرائم افراد كل طبقة اجتماعية تختلف ، فالجرائم الشائعة بين افراد الطبقة الدنيا هي السرقة وجرائم العنف والاغتصاب والاعتداء على الممتلكات وتخريبها ، اما الجرائم المنتشرة بالنسبة لافراد الطبقة المتوسطة فهي الجرائم التي تتطلب قدرا من التخطيط والاعداد والذكاء ، مثل : التزوير والاحتيال والنصب والسطو المسلح، وعادة ما يلجا افراد الطبقة المتوسطة الى ارتكاب هذه الجرائم مدفوعين للحصول على مزيد من المال الذي يدعم مركزهم الاجتماعي ويشبع رغبتهم في الظهور .

وقد لوحظ انه بالنسبة لجرائم السرقة قد يسرق بعض افراد الطبقة الدنيا عادة لاشباع حاجة اساسية مثل شراء طعام او ملبس ، او اشباع حاجة عاجلة كما يحدث مع بعض المراهقين الذين يسرقون سيارة لاستخدامها في نزهة قصيرة ، او سرقة بعض النقود لمشاهدة فيلم من افلام المغامرة المحببة اليهم.

(1) E. H. Sutherland, Principles of Criminology. (5 th ed.) Philadelphia: Lippincott,1947.

ويختلف سلوك افراد الطبقة العليا ، فالتاكيد عادة ما يكون على شكل السلوك وعلى سمعة العائلة التى يجب ان يضعها افراد هذه الطبقة فى الاعتبار عند تعاملهم مع الغير ، كما ان افراد هذه الطبقة عادة ما تسودهم نزعة التعالى • وبالرغم من ان طفل الطبقة العليا فى الكثير من المجتمعات وخاصة المجتمعات الراسمالية قد وضعت على تصرفاته الكثير من القيود والضوابط لكى يحتفظ باسم العائلة وسمعتها ، الا ان هذا الطفل عادة ما يشب بعيدا عن الضغوط التى يخضع لها الطفل فى الطبقة المتوسطة،فالطفل فى الطبقة المتوسطة عادة ما يطلب منه بذل المزيد من الجهد فى التعلم والتفوق والامتياز حتى يتحرك الى اعلى فى اتجاه الطبقة الاجتماعية الاعلى ، فى حين ان طفل الطبقة العليا قد ولد فى وضع ممتاز وليس مطلوبا منه اى شىء سوى المحافظة على هذا الوضع الممتاز • هذا بالاضافة الى ان الاحباطات والمشكلات التى عادة ما تحيط بنمو طفل الطبقة الاجتماعية العليا اقل منها بالنسبة لطفل الطبقتين المتوسطة والدنيا • وكذلك نجد ان طفل الطبقة العليا عادة ما يكون اكثر شعورا بالامن طالما انه يخضع لتقاليد ونظم الطبقة التى ينتمى اليها ويلتزم بها •

الطبقة الاجتماعية والصفات الشخصية لافرادها

وقد اظهرت استفتاءات الشخصية Personality Questionnaires فروقا بين افراد طبقة اجتماعية واخرى بالنسبة لبعض سمات الشخصية Personality traits فقد حصل افراد الطبقة المتوسطة الذين اجابوا على الاستفتاء على درجة اعلى بالنسبة لسمات مثل الكفاية الذاتية Self - Sufficiency والتسلط Dominance والثبات الانفعالى Emotional Stability • بينما اظهر افراد الطبقة الدنيا اتجاها نحو عدم الامن Insecurity وعدم الاستقرار Irritability (1) وقد اظهرت الدرجات التى حصل عليها طلاب المدرسة الثانوية من افراد الطبقة المتوسطة فى استفتاءات الشخصية اتجاها اكبر نحو الدفاع عن النفس Self-defense والتحفظ Reserve فيما يتصل بالمسائل الشخصية والمشكلات ، كما اظهر افراد هذه الطبقة اتجاهات Attitudes وسلوكا اكثر محافظة، وكذلك ابدوا قلقا اقل بالنسبة للصحة الجسمية من الطلاب الذين ينتمون الى الطبقة الدنيا •

وقد اظهر الطلاب من الطبقة الدنيا فى استفتاءات الشخصية حبا اقل للمدرسة ، واتجاها اكثر للعصبية ، وعدم القدرة على السيطرة على انفعالاتهم ، كما اظهروا رغبة اقل فى ترك الاسرة للحصول على وظيفة والالتحاق بعمل بعيدا عنها • ولكن نتائج الابحاث السابقة لا يمكن ان تنطبق على جميع افراد الطبقة الواحدة ، فما زال هناك قدر من الاختلاف فى السلوك بين افراد كل اسرة وعلى راس هذه الاسرة الوالدان ، ولكن ما ذكر سابقا يمثل بعض الاتجاهات العامة التى تسود افراد الطبقة الاجتماعية عادة • ولا يمكن ان ينطبق القول السابق على كل الافراد • فمثلا قد نجد من بين افراد الطبقة المتوسطة من ليس لديه الدافع الى التعلم والتحصيل والتقدم،وذلك يعكس الاتجاه الذى عادة ما يسود افراد هذه الطبقة • فى حين اننا قد نجد من بين الطبقة الدنيا من يتمتع بدافع قوى للتحصيل والتعلم وقدرة كبيرة على تاجيل العائد واللذات الحاضرة فى سبيل عائد ومكافاة اكبر فى المستقبل •

كلمة أخيرة

الطبقة الاجتماعية لها اثر كبير على سلوك افرادها ، ولكن اثر الطبقة الاجتماعية يتوقف على ظروف هذه الطبقة ومدى مرونة او عدم مرونة حركة الافراد بين الطبقات الاجتماعية المختلفة ، كما ان الطبقات الاجتماعية تختلف من بلد لآخر فى تكوينها وتنظيمها والضغوط التى توقعها على افرادها لكى تخضعهم لقيمها واتجاهاتها ونمط السلوك السائد فيها • ■■

على احمد على

(1) E, Louise Hoffeditz. Family Resemblances in personality Traits. J. Soc. psychology, 1964. 5, 214 - 227.



بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ مسالة الامية جديرة بان تعد من السهل الممتنع . يبدو مركبها طيعا ، وهو في واقعه خشن . ويبدو القضاء عليها مطلبا يسيرا ، دونه ــ في حقيقة الامر ــ اهوال .

ولا ادل على ذلك من ان مئات المشروعات القومية والدولية قامت من اجل مكافحة هذا الداء ، ومع ذلك فسيل الامية جارف ، وداؤها مستفحل .

وكثيرا ما نسمع هنا او هناك ان دولة من الدول قد حزمت امرها على مكافحة الامية خلال سنوات معدودات ، معبئة لذلك كامل جهدها وطاقاتها . ثم يستبين لها ولنا بعد قليل ان الامر جلل ، وان دون المهمة عقبات كاداء .

وفي مقابل هذا نجد بين الحين والحين محاولات يقيض لها ان تصيب نجاحا سريعا باهرا ، على نحو ما حدث في كوبا التي تمكنت الى حد كبير من القضاء على الامية خلال سنوات ثلاث فيما تذكر احصاءاتها ، وعلى نحو ما نجد في الصين وفي الاتحاد السوفياتي من قبل .

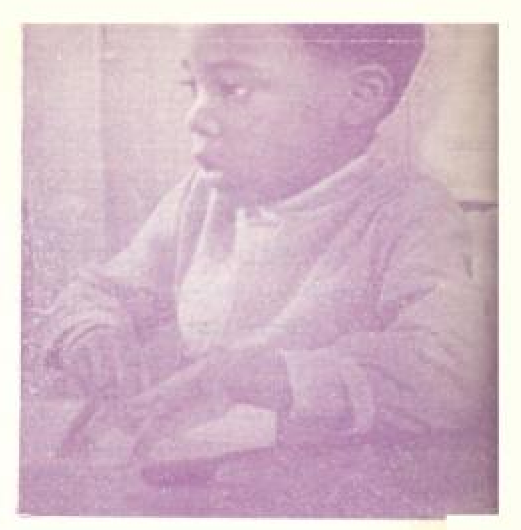
والحق ان الموقف العالمي اليوم لم يعد ينظر الى المسالة هذه النظرة السهلة ، بل قادته التجارب العديدة الى الايمان بانها من اشق المسائل متناولا ، واصعبها مراسا ، وانها في حاجة الى تخطيط دقيق وتنظيم محكم . ومن هنا ظهرت الاتجاهات الدولية التي تؤثر المعالجة العميقة للموضوع ، والتي تحاول ان تبني جهودها استنادا الى دراسات اجتماعية عميقة تكشف عن اسسها الاجتماعية والاقتصادية والسكانية ، وتبين تعدد اوجه المسالة واختلاف اشكالها تبعا للبلدان وللمجتمعات وللبيئات . ولعل شعار : « محو الامية الوظيفي » الذي ساد التجارب الدولية منذ اقل من عشر سنوات ــ اوضح دليل على ادراك صعوبة المسالة وتعقيدها، وعلى ضرورة اصطناع فهم علمي دقيق في معالجتها.

الارقام تتكلم

بل لعل اصدق برهان على تعقد المسالة وصعوبتها وعلى حاجتها الى اساليب جديدة في العلاج ، ما تنبئنا عنه الارقام حول تطور الامية في العالم .

فهذه الارقام تبين في النهاية ان اعداد الاميين (الاعداد المطلقة) آخذة في الازدياد في العالم . على الرغم من الجهود الحثيثة التي تبذل هنا وهناك :

ففي عام ١٩٥٠ تقدر احصاءات اليونسكو ان مجموع الراشدين في العالم (من هم فوق الخامسة عشرة من العمر) يبلغ حوالي (١٥٧٩) مليونا ، وان الاميين بينهم يبلغون (٧٠٠) مليون ، بينما يبلغ عدد غير الاميين (٨٧٩) مليونا . ومعنى هذا ان نسبة الاميين الى مجموع سكان العالم



ان هذه الاحصاءات التنبؤية تشير الى ان عدد سكان الارض الراشدين عام ١٩٨٠ سوف يبلغ (٢٨٢٣) مليونا ، وان عدد الاميين بينهم سوف يرتفع (بالقياس الى الاعداد المطلقة فى السنوات السابقة) ليبلغ حوالى (٨٢٠) مليون امى (اى بزيادة قدرها ٣٧ مليون امى ، رغم ان نسبة الاميين الى مجموع السكان الراشدين سوف تهبط ايضا ، فتبلغ ٢٩٪فقط) ٠

كذلك تشير تلك النبوءات الى ان عدد الاميين فى العالم سنة ٢٠٠٠ لن يقل - فى احسن الاحوال - عن (٦٥٠) مليونا ، وان نسبتهم الى مجموع سكان العالم الراشدين سوف تهبط الى (١٥٪) ٠ ومعنى هذا ان تباشير القرن الحادى والعشرين نفسها لن تشهد انحسارا كبيرا فى اعداد الاميين، وان القرن العشرين لن يعرف مقتل الامية فى العالم ٠

الراشدين فى ذلك العام تبلغ (٤٤،٣٪) ٠ وفى عام ١٩٦٠ تقدر احصاءات اليونسكو ان عدد سكان العالم الراشدين (١٨٦٩) مليونا ، بينهم (٧٣٥) مليون امى ، و (١١٣٤) مليونا غير امى ٠ اى ان نسبة الاميين الى مجموع سكان العالم الراشدين هبطت الى (٣٩،٣٪) ٠

وفى عام ١٩٧٠ تقدر تلك الاحصاءات ان عدد سكان العالم الراشدين (٢٢٨٧) مليونا منهم (٨٧٣) مليون امى ، و (١٥٠٤) ملايين غير اميين ٠ اما النسبة فقد هبطت الى (٣٤،٢٪) ٠

هذه الارقام بليغة المعنى ٠ انها تبين ان نسبة الاميين الى مجموع السكان الراشدين فى العالم اخذة فى الهبوط (من ٤٤ر٣٪ الى ٣٩ر٣٪ الى ٣٤،٢٪) ٠ غير انها تبين فى الوقت نفسه - وهذا اهم - ان اعداد الاميين فى العالم آخذة فى الارتفاع (من ٧٠٠ مليون الى ٧٣٥ مليونا الى ٧٨٣ مليونا) ويرجع السبب فى هذا الخلاف - بين هبوط النسب وازدياد الارقام المطلقة - الى التزايد الكبير فى اعداد السكان فى العالم ،ذلك التزايد الذى يؤدى بطبيعة الحال الى تزايد اعداد الاميين (بالارقام المطلقة) ٠

صورة المستقبل

ولا تكتفى احصاءات اليونسكو برصد اتجاهات الماضى ، بل تحاول ان تتنبأ باتجاهات المستقبل ٠ وهنا ايضا تبدو الصورة أدهى وامر :

توزيع الامية على بلدان العالم

ومع ذلك فالمسالة اهون خطرا حين ننظر - كما فعلنا حتى الان - الى صورة الامية فى العالم كله ٠ اما اذا التفتنا الى ملامح هذه الصورة فى بلدان العالم المختلفة ، فالصورة تبدو اكثر قتاما ٠

ولن نستطيع ههنا ان نقدم عرضا مفصلا لهذه الملامح المتباينة للامية فى بلدان العالم المختلفة ٠ وحسبنا ان نشير الى اهمها :

ان الاحصاءات الدولية تبين مثلا ان نسبة الاميين (الى مجموع السكان الراشدين) عام ١٩٦٠ ، قد بلغت اوجها لدى الدول الافريقية (٨١٪) والدول العربية (١ر٨١٪) ٠ بينما لم تجاوز فى مثل امريكا الشمالية (٢،٤٪) وفى مثل اوروبا والاتحاد السوفياتى (٥،٣٪) ٠

اما عام ١٩٧٠ ، فتدل الاحصاءات على ان اكبر نسبة من الامية نجدها ايضا فى الدول الافريقية (٧٣،٧٪) وفى البلدان العربية (٧٣٪) وان تكن نسب الامية فى كلتيهما قد هبطت بعض الشىء بالقياس الى عام ١٩٦٠ ٠ وفى مقابل ذلك هبطت نسبة الامية فى امريكا الشمالية خلال الفترة نفسها الى (١،٥٪) وفى اوروبا والاتحاد السوفياتى الى (٣،٦٪) ٠

امية الذكور وامية الاناث

على ان نسبة الامية لدى الاناث ، فى انحاء العالم جميعها ، اكبر منها لدى الذكور ، وان يكن التفاوت فى هذا المجال فادحا وفاضحا فى بلداننا العربية خاصة ٠

بل تشير الاحصاءات الى ان تناقص نسب الامية فى العالم ، بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠ ، هو عند الذكور اكبر منه لدى الاناث ، وان يكن ذلك التناقص قد اصاب كليهما :

لقد بلغت نسبة الاميين الذكور عام ١٩٦٠ فى العالم كله (الى مجموع سكان العالم الراشدين الذكور) ٥ر٣٣٪ بينما بلغت هذه النسبة لدى الاناث (٩ر٤٤٪) ، وفى عام ١٩٧٠ هبطت هذه النسبة لدى الذكور الى ٢٨٪ ، بينما هبطت لدى الاناث الى ٣ر٤٠٪ فقط ٠

غير ان ما هو افدح خطرا توزع الامية لدى الاناث على بلدان العالم المختلفة ٠ فبينما تبلغ نسبة الامية لدى الاناث (الى مجموع الاناث الراشدات) ٨ر٢٪ فى امريكا الشمالية عام ١٩٦٠ ، تصل هذه النسبة فى الدول الافريقية الى (٥ر٨٨٪) ، وتقفز فى البلدان العربية الى (٧ر٩٠٪) ، وهى اعلى نسبة عالمية مع الاسف الشديد ٠

اما عام ١٩٧٠ فتهبط نسبة الامية لدى الاناث فى امريكا الشمالية الى (٩ر١٪) ، بينما لاتقل عن (٧ر٨٣٪) فى افريقيا ، و (٧ر٨٥٪) فى البلدان العربية !

اسباب ارتفاع اعداد الاميين فى العالم

وواضح ان هذا التزايد الذى نشهده فى الاعداد المطلقة للاميين فى العالم (لافى النسب) يرجع ـ اولا وقبل كل شيء ـ الى ان التزايد السكانى يفوق الامكانات التعليمية المتاحة ، سواء للاطفال او للراشدين :فمعدل التزايد السنوى لسكان العالم يبلغ ٢٪ تقريبا (بسبب تطور الرعاية الصحية والغذاء) ٠ وهذا المعدل يرتفع بوجه خاص فى البلدان السائرة فى طريق النمو (حيث يبلغ ٣٪ سنويا او يزيد) ٠ ومعنى هذا ان التوسع التربوى فى التعليم الابتدائى ـ على اقل تقدير ـ ينبغى ان يزداد سنويا زيادة كبرى اذا اردنا ان نمتص سيل الامية الجديد الذى يتجلى فى عدد الاطفال الذين لا يتاح لهم دخول المدرسة ٠ ومثل هذه الزيادة لا نجدها فى معظم البلدان السائرة فى طريق النمو ٠

ونرى ذلك بوضوح اذا اشرنا اشارة عابرة الى تطور النسب المئوية للمسجلين فى المدارس الابتدائية ، بالقياس الى فئة السن المقابلة (اى نسبة المسجلين فعلا فى المدارس الى جميع الاطفال الذين هم فى سن الدراسة الابتدائية) ٠ ان هذه النسب تتزايد دون شك غير ان تزايدها مايزال محدودا :

لقد كانت نسبة المسجلين هذه فى التعليم الابتدائى (٦٣٪) فى العالم كله عام ١٩٦٠/١٩٦١ ولم ترتفع عام ١٩٦٧/١٩٦٨ الى اكثر من (٦٨٪) ٠ وفى البلدان العربية كانت تلك النسبة (٣٨٪) عام ١٩٦٠/٦١ وارتفعت الى (٥٠٪)عام ١٩٦٧/٦٨ (اى ان نصف الاطفال الذين فى سن التعليم الابتدائى يبقون خارج المدرسة فى البلاد العربية) ٠ ومعنى ذلك ان المعدل السنوى لتزايد نسب المسجلين قد بلغ اقل من ١٪ فى العالم كله ،ولم يجاوز ٢٪ فى البلدان العربية ٠

على ان تزايد الاميين لا يرتد فقط الى هذا التطور البطيء فى نسب الاطفال المسجلين فى التعليم الابتدائى ٠ فهنالك عوامل اخرى قد لاتبدو للوهلة الاولى ٠ منها تسرب الطلاب (تركهم للدراسة قبل نهايتها) بنسب كبيرة فى التعليم الابتدائى ولا سيما فى البلدان السائرة فى طريق النمو (وفى الارياف خاصة) ٠ ومنها عودة الكثير من الاطفال الى الامية بعد تركهم الدراسة الابتدائية (قبل نهايتها او بعد نهايتها) لاسيما اذا عادوا الى بيئة امية جاهلة ٠

من هم الاميون ؟

ومع ذلك قد تكون هذه الارقام كلها ـ على فداحتها ـ ارقاما متفائلة ، وقد تكون الامية اوسع انتشارا من هذا بكثير ، اذا نحن حاولنا ان ندرك معنى الامية ادراكا اعمق واشمل ٠ فالمسالة كل المسالة ان نعرف من هم الاميون ٠ وهيهات ان نجد تعريفا واضحا متفقا عليه فى هذا المجال ٠ على ان الاتجاه الغالب اليوم هو الذى لايقبل ان تكون الامية مجرد الجهل بالقراءة

والكتابة،بل يحاول ان يقدم للامية تعريفا عمليا • انه يرى بايجاز ان غير الامي هو الذى يستطيع ان يلبى ما ينتظره المجتمع عادة فى ميدان المعارف الاولية الضرورية •

واذا نحن أخذنا بمثل هذا التعريف ، انقلبت النظرة راسا على عقب ، وبدت الامية فى صورة مباينة ، وغدت ارقامها ونسبها اعلى مما قلنا ، وفوق ما نتصور :

فالاشخاص الذين ندعوهم رسميا غير اميين ، كثيرا ما يعجزون عن القيام بمهمات بسيطة يطلبها المجتمع منهم من مثل ملء بعض « الاستمارات » التى تطلب اليهم ، او تسجيل بعض الحسابات، او تقديم بعض المعلومات • وفى مثل هذه الحال، ينبغى ان نعد امثال هؤلاء فى زمرة الاميين • وعند ذلك تتضارب الارقام الرسمية التى تقدم عن الامية مع واقع الامية •

ولنضرب على ذلك بعض الامثلة :

فى الولايات المتحدة مثلا لا تتجاوز نسبة الاميين عام ١٩٦٩ حسب الاحصاءات الرسمية (١٪) من السكان الراشدين • ومع ذلك فقد كشفت دراسة اجريت عام ١٩٧٠ ان (١٨٫٥) مليون امريكى تقريبا (ممن يبلغون السادسة عشرة من العمر فاكثر) يعجزون عن ملء « الاستمارات » الضرورية ، للحصول على بعض المساعدات والخدمات الاجتماعية الاساسية•كذلك كشفت تلك الدراسة ان اربعة ملايين من الراشدين لاتمكنهم مقدرتهم الكتابية من ملء الاوراق الخاصة بطلب تعويضات البطالة ، وان زهاء (١٢) مليونا لا تتوافر فيهم الشروط المطلوبة من مؤسسة « الضمان الاجتماعى » ، وان حوالى (١١) مليونا لايستطيعون الحصول على اجازة « سوق السيارة » (التى يتطلب الحصول عليها اختبارا كتابيا)•

وقد اجريت مثل هذه الدراسات فى بلدان اخرى متقدمة ، فكشفت عن نتائج مماثلة • هذا ما توصلت اليه فى ايطاليا دراسة قامت بها جامعة روما ، وهذا ما توضحه لنا دراسة نشرت فى ملحق صحيفة «التايمس» فى بريطانيا ، بل هذا ما اكده استقصاء هام قامت به فى بريطانيا ايضا « الجمعية الوطنية للتربية العلاجية » وقد بيّن هذا الاستقصاء الاخير – فيما بيّن – ان حوالى ١٠٪ من المسجونين فى السجون البريطانية اميون وان ٢٥٪ منهم يقراون بصعوبة كبرى •

وبكلمة موجزة ، اذا اخذنا بهذا التعريف العملى للامية ، ليس فى وسعنا ان نعتبر القروى المقيم فى اى ناحية من الريف العربى انسانا غير امى ، اذا كان قادرا على مجرد تحرير رسالة بسيطة الى ابناء قريته ، بينما يعجز عن ان يقرا ويفهم التعليمات المعلنة على جدران المصنع الذى يعمل فيه ، او عن حساب مقدار الفائدة التى ينبغى ان يدفعها عن مبلغ استدانه •

محو الامية الوظيفى

من هنا ظهر فى السنوات الاخيرة ذلك الاتجاه الجديد الذى ينادى بمحو الامية الوظيفى • وقد نادت بهذا الاتجاه منظمة اليونسكو كما نعلم ، منذ حوالى تسع سنوات ، وانطلقت من اجل ذلك – بالتعاون مع منظمات دولية – ذلك المشروع الضخم الذى عرف باسم « البرنامج التجريبى العالمى لمحو الامية » وذلك يمول جانبا كبيرا منه « برنامج الأمم المتحدة للتنمية » P.N.U.D.

وقد قيل الكثير عن « محو الامية الوظيفى » ، وكان له انصاره وخصومه • وتجربة اليونسكو والامم المتحدة التى اشرنا اليها ما تزال موضع تقويم ونقد • ومع ذلك فما يزال هذا المفهوم الجديد يجلله فى اذهان الجمهرة الكبرى من الناس غموض كبير • ولن نحاول فى هذه العجالة ان نجلو معالمه كاملة ، وحسبنا التوقف عند الخصائص الاساسية التى تميزه من محو الامية التقليدى :

١ – محو الامية فى الاطار التقليدى كان ينظر اليه غالبا كمشروع منفصل عن جملة مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية •اما محو الامية الوظيفى فيؤكد الترابط بين مشروعات محو الامية وبين سائر مشروعات التنمية ، ويرى ان اى برنامج لمحو الامية ينبغى ان يكون جزءا لا يتجزأ من برنامج تنمية اشمل •

٢ – وهذا يعنى ان محو الامية الوظيفى لايتجه الى الاميين جميعهم على حد سواء ، بل يختار ويميز • فمطلب مكافحة الامية لدى جميع الاميين يبدو له مطلبا نظريا وعقيما وبعيد التناول ، فضلا عما يؤدى اليه من اهدار المال

والوقت والجهد • ولهذا لابد من تركيز حملات مكافحة الامية ـ في البداية على الاقل ـ بحيث تتوجه الى الراشدين الذين يمكنهم ان يجتنوا منه اكبر فائدة ، والذين يرجى منهم اقصى قدر من الاسهام في التقدم الاقتصادى والاجتماعى لبلدهم • اى لابد ان يتجه محو الامية الى الفئات الاجتماعية التى تشكل اميتها عائقا مباشرا يحول دون التنمية ، والتى ينتظر ان تتاح لها اكبر الفرص لاستخدام المعارف التى حصلت عليها (الامر الذى يسمح لها بالاحتفاظ بالتالى بهذه المعارف بل بتجويدها وتحسينها) •

من هنا نرى برامج محو الامية الوظيفى تنصب بالدرجة الاولى على الاشخاص الذين هم في مواقع الانتاج المباشر (كالعمال والمزارعين وسواهم) ، وتتقدمهم على سواهم •

٣ ـ كذلك يتصف محو الامية الوظيفى بسمات خاصة في الطرائق التى يستخدمها وفى المناهج التى يقدمها :

فبينما يجنح محو الامية التقليدى الى مكافحة عريضة لجبهة طويلة المدى ، يلجأ محو الامية الوظيفى الى مكافحة مركزة قصيرة المدى ،فيتلقى الطلاب مثلا ثلاثة دروس اسبوعية مدة كل درس منها ساعتان ، بحيث يصيبون تقدما سريعا ويستخدمون معارفهم الجديدة بعد فترة وجيزة ، فيحفزهم هذا على متابعة تعليمهم •

وبينما تهتم برامج محو الامية التقليدى بالقراءة والكتابة ، واحيانا بالحساب ، تستهدف برامج محو الامية الوظيفى تكوين مهارات ومعارف دقيقة منصبة على العمل والانتاج ، بالاضافة الى المعلومات الاولية في القراءة والكتابة وسواهما • بل ان تعليم القراءة والكتابة والحساب في منظور محو الامية الوظيفى مرتبط دوما بنشاطات الاميين اليومية ومشكلات عملهم ومهنتهم ، تلك المشكلات التى من اهدافه ان يسعى الى حلها •

وادوات التعليم (الكتب وسواها) في محو الامية التقليدى ينتجها اختصاصيون في التربية (وكثيرا ما تكون نفس ادوات التعليم المعدة للاطفال) ! وهى تعتبر ادوات صالحة للراشدين جميعا الذين يتكلمون لغة واحدة • اما في محو الامية الوظيفى فكل برنامج من برامج محو الامية يوضع وفقا للحاجات الخاصة للفئة التى يتوجه اليها • انه برنامج « مفصل على قد الطلاب » ان صح التعبير • ومن هنا كانت ادوات التعليم التى تصلح لعمال في مصنع ، هى غير التى تصلح لزارعى القطن او للصيادين او لربات البيوت •

زد على ذلك انه مادام الهدف ، في محو الامية الوظيفى ، ليس مجرد تعليم القراءة والكتابة ، بل تكوين المعارف والمهارات الملائمة للنشاطات المهنية العملية ،فمن الطبيعى ان يلجأ محو الامية الوظيفى هذا ـ بالاضافة الى الوسائل التربوية المعينة « التقليدية ـ الى وسائل تربوية احدث » كالمناقشات في حلقات ، وكالتجارب العملية ، وكالافلام ،والبث الاذاعى ،والتسجيلات الصوتية، والتسجيلات المرئية ، وسواها •

٤ ـ وتبعا لذلك يتخذ توزيع المسؤوليات بين المشرفين على برامج محو الامية الوظيفى شكلا خاصا • فبينما تتولى مكافحة الامية في الاطار التقليدى السلطات المدرسية ، ويتولى التعليم المعلمون ـ نجد ان محو الامية الوظيفى يشرك منظومة واسعة من الاختصاصيين ، سواء فى عملية اختبار الاميين ، او في التخطيط لبرامج محو الامية ، او في انفاذ تلك البرامج • ويضم هؤلاء الاختصاصيون عادة خبراء في التنمية الصناعية او الزراعية ، ومعلمين قادرين على تقديم اعداد فنى وتعليم اولى ، وسواهم من الاختصاصيين الذين يعملون فريقا واحدا متكاملا•

٥ ـ وفوق هذا كله ، واهم من هذا كله ، ان محو الامية الوظيفى ينظر الى محو الامية نظرته الى عملية مستمرة لا تتوقف • انه يعتبر اكتساب اليات القراءة والكتابة واكتساب المعارف والمهارات الموجهة نحو العمل والانتاج ـ مرحلة اولى من عملية تعلم مستمرة • وبهذا يربط رباطا وثيقا بين محو الامية وبين مفهوم « التربية المستمرة » ، التربية طول العمر من المهد الى اللحد ،تلك التربية التى غدت شعارا من شعارات المجددين اليوم • ومن هنا يعنى محو الامية الوظيفى بان يوفر للطالب ، ليس مجرد الاحتفاظ بما تعلمه وخبره ، بل استخدام وسائل التعلم الجديدة التى اكتسبها ،وقدرات التفكير والمحاكمة النقدية التى حصل عليها ، بحيث يتمكن من زيادة قدراته وكفاءاته باستمرار ، ومن توسيع افقه العقلى والاجتماعى دون انقطاع •

زد على ذلك انه يمده بادوات تعليم مستمرة بعد تخرجه من دورات مكافحة الامية ، ويقدم له وسائل مختلفة ومتجددة يجدد عن طريقها معلوماته وخبراته ٠

اما فى محو الامية التقليدى ـ كما نعلم ـ فالانسان يعتبر غير امى اذا هو نجح فى امتحانات معينة ، ثم يترك وشانه بعد ذلك ،دون ما محاولة لاحقة لرفع مستواه ، بل دون ما اكتراث بعودته الممكنة الى الامية من جديد ٠

٦ ـ واخيرا ، لا حاجة الى القول ان هدف محو الامية التقليدى تزويد الامى ببعض القدرات لاغراض انسانية فى جوهرها ٠ اما محو الامية الوظيفى فهدفه الاجمالى ليس مجرد تكوين بعض القدرات ، ولا مجرد تزويد الامى بمعارف موجهة نحو العمل وزيادة الانتاج ، وانما هدفه النهائى تغيير نظرة الامى الى العالم الذى يحيا فيه ، وتطوير موقفه تجاهه ٠ ويعنى ذلك ان يجعله قادرا على ان ينظر فى الاعمال التى يقوم بها او يقوم بها الاخرون نظرة تكشف عن بواعثها وتفهمها وتحللها تحليلا نقديا ، وان يعده للتكيف مع عالم متغير متطور ، تخضع فيه العادات والتقاليد والمعتقدات لتغير مستمر ، دون ان تفقده دون شك هويته الخاصة وارتباطه ببيئته ومجتمعه ٠

اين النجاح واين الفشل ؟

وقد كان بودنا ـ لولا ضيق المجال ـ ان نتحدث عن مدى النجاح والفشل الذى اصابته مشروعات محو الامية الوظيفى هذه ٠ وحسبنا ان نقول عابرين ان هذه المشروعات التى انطلقت حوالى عام (١٩٦٥) تتالف من اثنى عشر مشروعا رائدا (بالاضافة الى مشروعين مختلفين بعض الشيء فى كينيا وفينزويلا) ٠ ومن بين هذه المشروعات الرائدة مشروع فى سورية (منطقة الغاب) واخر فى الجزائر وثالث فى السودان ٠ ويضاف الى هذه المشروعات التى تمولها اليونسكو ومنظمات الامم المتحدة مشروعات اخرى لمحو الامية الوظيفى ، تتم عن طريق البلدان نفسها او عن طريق التعاون مع منظمات اخرى ، من بينها مشروع قام فى « الكويت » يستهدف تحقيق تجربة رائدة فى محو الامية الوظيفى فى بيئة زراعية ، ومن بينها مشروع قام فى تونس باخذ ببعض منطلقات محو الامية الوظيفى ، ويحاول تكييفها تبعا للبيئات المختلفة ، ومن بينها كذلك مشروع قام فى الاردن واخر فى السعودية (١)٠

غير ان ما لابد من قوله فى خاتمة المطاف ان محو الامية ـ وهو العمل الانسانى والثقافى والاقتصادى المقدم على سواء ،ولا سيما فى بلادنا ـ يحتاج دون شك الى خطة علمية دقيقة ، وتنظيم محكم ، ويحتاج الى دراسة كاملة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى البيئات التى تتم فيها المكافحة ٠ على انه يحتاج فوق هذا وقبل هذا الى ايمان عميق لدى المسؤولين ، والى جو من الحماسة القومية يشيع فى اوساط الشباب بخاصة ٠ ولعل دور الشبان فى هذا المجال هو الدور الاكبر (٢) ٠ ذلك ان محو الامية مهمة ضخمة ، اما ان تجند لها طاقات البلد على اوسع نطاق ممكن ، فى اطار تعبئة شاملة مركزة ، واما ان تظل تجر اذيالها طويلا ٠ وعليها خاصة يصدق المثل اللاتينى الشهير : كل شيء او لا شيء ٠

عبد الله عبد الدايم

---

(١) لايتسع المجال للحديث عن تجارب محو الامية فى البلاد العربية ، ونرجو ان نفرد لهذا الموضوع مقالا براسه ٠ ونرد القارىء فى هذا الاطار الى المنشورات العديدة التى اصدرها « مركز سرس الليان » فى مصر ، وعلى راسها كتاب الدكتور محمود رشدى خاطر عن « مكافحة الامية فى بعض البلدان العربية » (عام ١٩٦٠) والدراسات التى قدمت الى حلقة بيروت حول « محو الامية فى خدمة التنمية والانتاج بالبلاد العربية » من ١١ اغسطس (آب) الى اول سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩ ، والى حلقة الخرطوم حول « ربط برامج محو الامية الوظيفى بمشروعات التنمية والخدمات فى البلاد العربية » (١٧ ـ ٢٧ ديسمبر « كانون الاول » ١٩٦٩) ٠

(٢) اصدرت منظمة اليونسكو كتيبا خاصا عن الشباب ومحو الامية ، عام ١٩٧٣ ٠ عنوان الكتاب : (Youth and Literacy, By A. Gillette)



آلام .. أزالت الآلام ! !

● ارنست بيفن Ernest Bevin (١٨٨١ – ١٩٥١) الزعيم العمالي الكبير الذى اختاره ونستون تشرشل وزيرا للعمل ، فى وزارته القومية ابان الحرب العالمية الثانية ، كان من اعظم الرجال الذين انجبتهم بريطانيا .

اما تشرشل نفسه فقد قال عنه : « لم يستطع رجل واحد فى بريطانيا قبل بيفن ان يسيطر بمثل هذه الصورة التي سيطر بها هذا الرجل على قلوب وعقول الملايين من افراد الشعب البريطاني فى احرج اللحظات التي مرت بها بلادهم . لقد كان يحرك الرجال والنساء على السواء ، بنفس السهولة التي يحرك بها لاعب الشطرنج الماهر جنوده على الرقعة الصغيرة ، دون ان يخسر جولة واحدة مرة واحدة فى حياته ! »

ولكن ربما كان اروع ما قيل فى هذا الرجل الذى تولى ارفع المناصب فى الدولة ، واستطاع ان يجمع افراد الطبقة الكادحة فى بريطانيا فى اول اتحاد يدافع عن حقوقهم ويزيل اسباب الامهم ، هو ما سجله عنه الكاتب الانجليزى الشهير هـ.ج. ولز ، فقد كتب يقول : « ان سر عظمة صديقي ارنست كانت فى قناعته وكانت فى سعادته الدائمة ، وفى ابتسامته الهادئة التي كانت تملأ وجههالبدين، حتى فى اقسى لحظات حياته .. وقد كانت حياته سلسلة من الفقر والحرمان والالام .

« مات ابوه الفلاح الفقير قبل ان يولد ارنست ويرى الظلام من حوله باربعة اشهر ، وماتت امه وهو طفل فى السادسة . وعمل خادما ، وغسل الاطباق ومسح البلاط ، وقاد عربات توزيع الالبان ، وكانت اكثر لحظات حياته ألما وهو يكدح ويشقى فى شبابه المبكر ، هي تلك التي يقف فيها داخل مطبخ الحانة التي يعمل بها فى انتظار صدور تعليمات الطباخ بغسل الاواني التي فرغت من الطعام ، فقد كانت رائحة الاطعمه الشهية تملأ انفه دون ان يتمكن من تذوقها او حتى الاقتراب منها ..

« ولكنه كان سعيدا ، لم يشك يوما ، وكان يقول : « مادمت اجد طبقا من الطعام .. اى طعام املأ به معدتى قبل أن اذهب لانام ، فانا قانع راض بحياتي ! »

واما ارنست بيفن فقد قال عن نفسه : « لقد كانت اسعد لحظات حياتي هي تلك التى حصلت فيها على وظيفة سائق لعربة توزيع زجاجات المياه المعدنية ، فقد اصبحت سيد نفسى ، ثم ، وهذا هو المهم ، قبضت اول مرتب كبير فى حياتي ، شجعني على ان اتقدم واطلب يد الفتاة التي احببتها .. لقد كان مرتبي ١٨ شلنا كاملا فى الاسبوع (اقل من جنيه استرليني) .

وعندما رزقنا بطفلتنا الوحيدة ، احسسنا بان السماء قد فتحت لنا ذراعيها ! »





الحب في حياة وليام جيمس

● وليم جيمس William James (١٨٤٢ – ١٩١٠) المعلم وأستاذ الفلسفة وعلم النفس بجامعة هارفارد الامريكية وصاحب « فلسفة الذرائع » الذى جمع عصارة علمه وفكره فى كتابه العظيم « مبادىء علم النفس » The Principles of psychology ، كان رجلا ساخرا ، حاضر النكتة سريع البديهة ، وما اكثر ما كان يقف وسط تلاميذه يحاضرهم ويشرح لهم أسرار الحياة فى الجامعة دون أن تفارق الابتسامة وجهه النحيل الشاحب يوما واحدا .. وكان يحلو له فى كثير من الاحيان أن يخلط ما بين الجد والهزل ، حتى ان طلابه فى الجامعة التى عمل فيها استاذا مدة تزيد على الخمسة وثلاثين عاما ، كانوا يضطرون فى كثير من الاحيان الى التوجه اليه بالسؤال عما اذا كان هذا الذى يقوله مزحا أم علما وفكرا جديدا ؟!

ولم يكن فى وسع الاستاذ الكبير الا أن يضحك معهم على نفسه ! ولكن كثيرة هى تلك اللحظات التى قضاها وحده مع الألم .. فى صباه كان يسيطر عليه شعور بالكآبة والحزن ، دفعه يوما الى محاولة الانتحار .. وعندما تقدم به العمر ، أصيب بضعف فى القلب نتيجة للجهد الكبير الذى كان يبذله فى عمله ..

سألوه يوما « كيف وجدت الحياة ؟ »

قال : « انها أكبر مغامرة ، لأنها اعظم تجربة .. اما بالنسبة لى ، فقد كان كفاحى للتغلب على الآلام التى احتوتنى والامراض التى اصابتنى ، هو الأساس الذى اقمت عليه فلسفتى .. ومن خلال نظرات الاشفاق والقلق التى كنت اراها فى عينى ابى كلما وجدنى منكبا على عملى ، تعلمت أن القيمة الحقيقية للانسان لا تظهر فيما يقدمه للناس من فكر وعلم فحسب ، وانما أيضا فيما يراه فى عيونهم وما يسمعه من أفواههم من حب وتقدير .. وقد احبنى ابى واحبنى تلاميذى ، فاحببت الدنيا كلها ! »

وجه القلب في الصورة !

● كان البابا يوحنا الثالث والعشرين (١٨٨١ – ١٩٦٣) رجلا قصيرا بدينا ، اصلع الراس ، يحب النكات ، ولا يتردد فى أن يسخر من نفسه اذا اقتضى الموقف!

حدث يوما ان قصد المصور الكندى المشهور « يوسف كارش » الى المقر البابوى فى الفاتيكان لتصوير البابا يوحنا برفقة صديقه الاسقف فولتون شين .

وقد روى كارش الذى صوّر ملوك العالم وعظمائه، تفاصيل الحوار الطريف الذى دار بينه وبين البابا وهو يعد آلات التصوير ومعداته ، ويقوم بتنظيم الاضاءة فى القاعة الكبرى ، فقال : « لقد اقترب منى البابا ، وقال وهو يهمس فى اذنى وانا منهمك فى اعداد آلة التصوير وتثبيتها : « انا اعرف ان وجهى لا يصلح للتصوير ، واخشى ما اخشاه ان تجىء الصورة معبرة عما تجده أمامها تماما ! »

وقلت للبابا : « من الذى قال لك هذا .. ان صورى كلها ناجحة ، وسوف اثبت لك عمليا أن وجهك الممتلىء هو أجمل شىء فيك ! »

وقال البابا : « أن صدرى يا بنى يحمل قلبا مليئا بالحب ، فاذا استطعت أن تنفذ بعدستك الى هذا القلب ، فقد تنجح فى ان تقدم للناس صورة جميلة حقا ، لا تمت الى ما تراه أمامك بصلة ! »

وظهرت الصورة أخيرا، فقدمها كارش الى البابا ، فقال : « انها صورة رجل ، امتلأ قلبه بحب الناس ، فلم يكن فى وسع الناس الا أن يحبوا الصورة وصاحبها!»



الأمين العام لمجمع اللغة العربية يقول :*

محصول المجمع لمصطلحات العلم

■ من المسئول عن لغتنا العربية ؟

وكم هى المصطلحات الجديدة التي تدخل لغتنا ، لتواجه متطلبات الثقافة والحضارة المعاصرة ؟

ان مسئولية حماية هذه اللغة وتطويرها تقع اكثر ما تقع على « الخالدين » الذين يعملون بصمت وهدوء في مجامعنا العربية ..

وكان للعربي لقاء مع واحد من الخالدين ، امضى ٢٨ عاما عضوا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، واصبح امينا عاما له ، انه الدكتور ابراهيم مدكور ، الرجل الذى يتحدث اليك بطلاقة ويسر .. تنساب الكلمات من فمه دون تلعثم او تردد .

* قلنا للدكتور مدكور : كم مجمعا للغة العربية فى وطننا العربى ، وهل هناك تنسيق بين أعمالها ؟

ـ المجامع الموجودة الان فى الوطن العربي ، بالترتيب الزمني هي الاتية :

مجمع دمشق وهو اولها وجودا ، وقد احتفل بمرور ٥٠ سنة على انشائه منذ عدة سنوات .

ويليه مجمع القاهرة الذى صدر مرسوم انشائه عام ١٩٣٢ وبدأ عمله فى عام ١٩٣٤ وانصافا للتاريخ احب أن الاحظ ان فكرة انشاء مجمع لغوى فى القاهرة تصعد الى اخريات القرن الماضي .. وقد انشئت بالفعل مجامع اهلية متتالية منها « مجمع السيد توفيق البكرى » ومجمع دار الكتب الاهلية .

وظهر بعد القاهرة مجمع بغداد ..

واعتقد ان هناك دولا عربية اخرى تفكر فى انشاء مجامع خاصة بها ..

ومجمع القاهرة يرحب دائما بالتعاون النافع فى هذا السبيل ، على شريطة ان ينظم اتصال ثابت بين هذه المجامع ، منعا للبلبلة والاضطراب .

وقد انشىء منذ عامين اتحاد للمجامع اللغوية يضم المجامع الموجودة الآن ، وهو يرحب دون نزاع بكل مجمع ينضم اليه .



الشاطر والمشطور .. والأرزيز ..

والدولتان الاعظم

مصطلحات مفتراة

على مجمع اللغة

العربية .

٢٥٠٠ مُصطلح في العــام

ومحصوله فيما سبق من أعـوام ٨٠٠٠ مُصطلح

※ هل هناك شروط معينة لقبول عضو المجمع ؟

ـ هناك شروط تعد في اساسها اعتبارية ، ولا يمكن ان تكون الا كذلك ، وتتلخص في ان يكون المرشح لعضوية المجمع أديبا ، او لغويا ، او عالما برهن على خبرة وكفاية في خدمة العلم واللغة ..

والامر متروك لتقدير السادة الاعضاء في الترشيح .. وانا هنا اتحدث بطبيعة الحال عن مجمع القاهرة ، ولا اشك في ان مجمعي دمشق وبغداد لايخرجان عن هذا المبدأ العام .. والى جانب العضو العامل يوجد العضو المراسل ، وهو عضو له الحق في ان يشترك في جلسات المؤتمر ، وان يقدم له مايرى من بحوث ، ويقصد منه أن يعالج بعض المشاكل اللغوية المحلية في وطنه، وعندنا في مجمع القاهرة حوالي (١٢٠) عضوا مراسلا من جميع العالم العربي وخارجه ..

※ هل يعنى هذا ان مجمع القاهرة لا يشتمل الا على أعضاء مصريين ؟

ـ الحقيقة ان مجمع القاهرة منذ انشائه اعلن انه مجمع اللغة العربية لا مجمع القاهرة ولا مجمع الديار المصرية ، ولوحظ ذلك في تكوينه تماما فكان من ٢٠ عضوا نصفهم من المصريين والنصف الثاني مقسوم بالتبادل بين العرب والمستعربين .. فكان في المجمع خمسة من الاعضاء العرب وخمسة من كبار المستشرقين الاوربيين ، واستمر على هذا الحال حتى سنة ١٩٦١ ، وفي هذا التاريخ انضم اليه مجمع دمشق وعدل قانونه الاساسي ، واخذ اخواننا السوريون منذ البداية بان يخصصوا العضوية العاملة بالمواطنين .. واضطر مجمع القاهرة أن يجاريهم في ذلك ، ولكن في شيء من التوسع ، فقصر العضوية العاملة على اربعين عضوا من المصريين و ٢٠ من السوريين وضم الى ذلك ٢٠ عضوا من البلاد العربية .

وبهذا ترون ان تكوينه حتى الان ما يزال يلحظ فيه جانب اللغة ، لا الجانب الوطني .. وان كان قد فاته عضوية المستشرقين فانه احتفظ استثناء بمكانين لعضوين من مؤسسيه هما : ماسنيون من فرنسا والمرحوم جب من انجلترا . وقد احتفظا بالعضوية العاملة طول حياتهما ..

※ ما هي اختصاصات كل مجمع من المجامع العربية ؟

ـ قوانين المجامع الثلاثة تلتقي فيما يلي :

حماية اللغة وتطويرها بحيث تواجه متطلبات العلم الحديثة والحضارة المعاصرة .. وقد سار العمل في هذه المجامع كل حسب ظروفه والامكانات المتاحة له .. ومجمع القاهرة يواجه حاجات متجددة للغة العلم في مرحلة التعليم العام والتعليم العالي بعد ذلك ، في المعاهد والجامعات العليا ، فكان مضطرا ان يقف قسطا كبيرا من جهده على المصطلحات العلمية ، واعانه على ذلك المتخصصون

※ بعد كتابة ما تقدم انتخب المجمع الاستاذ الدكتور ابراهيم مدكور ، وهو استاذ جامعي قديم ، رئيسا للمجمع بالاجماع خلفا للرئيس الراحل المرحوم الدكتور طه حسين .



في العلوم الحديثة المختلفة من اساتذة الجامعة ، وكبار الباحثين ، واعدّ في ذلك زادا ، اعتقد انه اغنى زاد في هذا الباب في العالم العربي جميعا .. ولم يمنعه ذلكمن ان يعرضلاصول اللغة وقواعدها وان ييسر فيها ما وسعه ، كما لم يمنعه من وضع معجمات لغوية واخرى متخصصة في ضوء المنهج.. منهج التاليف المعجمي الحديث ..

واسهم ايضا في احياء التراث القديم ، وحرص على ان يقف اسهامه هذا ما امكن على كتب اللغة والادب ..

ولمجمعي دمشق وبغداد اسهام واضح في احياء التراث،وخاصة ما اتصل منه بالعاصمتين الكبيرتين دمشق وبغداد .. هذا الى جانب ما يقومان به من بحوث ودراسات اخرى .

واحب ان اضيف الى ذلك ان مجمع القاهرة يجاهد بانتظام ليرسل قراراته ومطبوعاته الى اخويه المجمعين الاخرين ، ويرحب دائما بما يبديانه من ملاحظات ، وحرصا على هذا الاتصال بقيت فكرة اتحاد المجامع التي اشرنا اليها من قبل ، وهي قائمة حتى الآن .

واستطيع ان اقول ايضا ان مجمع القاهرة تحت تصرف الباحثين والدارسين : عربا كانوا او مستعربين،ويقصده من حين لاخر طلاب الدراسات العربية ، وخصوصا ممن يعدون رسائل للماجستير او الدكتوراه ..

ولا يتردد في ان يجيب على ما يوجه اليه من الاسئلة ، من بعض الافراد والهيئات ، ويسارع الى تلبية ما يطلب اليه من مطبوعات ، ويأسف لان توزيع مطبوعاته في العالم العربي لايتم على وجه يرضيه ، ويحاول دائما ان يعمم ذلك ما استطاع .

※ هل ميزانية المجمع كافية ، وكم هي المكافاة التي يتقاضاها العضو ؟

ـ الواقع ان جماعة الخالدين اولا يعتبرون عملهم ضريبة يؤدونها عن طيب خاطر ، وتلك هي الصيغة التي اختارها احمد لطفي السيد رئيس المجمع الاسبق ، واقره عليها الاعضاء السابقون واللاحقون .. وما تزال مكافآتهم رمزية وهي اقرب الى بدل انتقال منها الى المكافاة .

اما محررو المجمع وموظفوه فهؤلاء يخضعون لنظام وظائف الدولة ، وينمون نموا طبيعيا متدرجا مع اعمال المجمع وتعددها ..

وكانوا في البداية يعدون على اصابع اليدين اما اليوم فقد اصبحوا عشرات : بين محررين ، وكتاب ، واداريين ، وللفتاة المصرية بينهم نصيب ملحوظ ..

وكلما جد عمل جديد استلزم موظفين يضافون الى الطاقة الانتاجية الحالية .

※ ما مدى ثروة المجمع من المصطلحات العلمية التي اقرها حتى الآن ؟

ـ لكي اقدم فكرة واضحة عن هذا الموضوع ، احب ان اشير الى ان في المجمع ٢٠ لجنة فنية متخصصة : واحدة في الطبيعة ، وثانية في الرياضة ، وثالثة في الهندسة وهكذا ..

وتعقد هذه اللجان ما يقرب من ستمائة جلسة في العام المجمعي ، وتقرّ كلّ لجنة ما لا يقل عن ٣٠٠ مصطلح في المتوسط سنويا .. وهكذا اصبح لدى المجمع سنويا ما يزيد على ٦٠٠٠ مصطلح في مختلف العلوم،ولكن لا تعرض على المؤتمر السنوي من هذه الحصيلة الا نحو نصفها اي نحو ٢٥٠٠ مصطلح ، تاخذ وضعها النهائي بعد اقرار المؤتمر لها .. وبذلك توفرت لدينا حصيلة تكاد تقرب من ٨٠ الف مصطلح ، اخرجنا منها اعدادا كبيرة في مجموعات المصطلحات التي تصدر واحدة" منها كل عام ، واصبحت مادة لاخراج معجماتمتخصصة بدانا نعالجها الآن .. ونامل ان نظهر هذا العام نماذج" من هذه المعجمات واحد منها في الفيزيقى النووية ، والآخر جزء من معجم كبير .. ولدينا مواد صالحة لاخراج معجمات في الكيمياء ، والجيولوجيا ، والهيدرولوجيا ، وغير ذلك من الدراسات العلمية الحديثة .



● امين عام مجمع اللغة العربية

❋ ما هو الانتاج العلمي للمجمع ؟

ـ المجمع يخرج دوريات منتظمة كالآتى :

١ ـ مجلة نصف سنوية : اى عددين كل عام .

٢ ـ مجموعة المصطلحات التى أشرت اليها .

٣ ـ محاضر جلسات المجلس .

٤ ـ محاضر المؤتمر (وله الى جانب ذلك مطبوعات اضافية : مثل « الفاظ القرآن » في ستة اجزاء اولا ، ثم في جزئين كبيرين لطبعتين متلاحقتين ، و « المعجم الوسيط » الذى أعيد طبعه اخيرا في جزئين واخرج منه ١٥ الف نسخة ..و« المعجم الكبير » الذى ظهر جزؤه الاول ونعد العدة لاخراج جزئه الثانى ، وكل جزء ينصب على حرف واحد من الحروف الهجائية ، الاول على حرف الهمزة ، والثانى على حرف الباء .

❋ هل مجمع القاهرة مفترى عليه ؟

ـ الواقع ان المجامع ـ مثل الكثير من الهيئات التى تعمل في الظل ـ عرضه" أن يفترى عليها ، اكثر" من ان تفترى هى على الناس ، ذلك لان المجمعين وهم في الغالب من شيوخ الباحثين لا يرحبون بالاعلان عن اعمالهم،ويفضلون ان يتركوها للناس ليفيدوا منهامايشاءون ويأخذوااما يأخذون.

هذا الى أن اعماله طويلة النفس ، وهم يؤثرون ان تعالج المشكلات اللغوية في هدوء وطمأنينة ،وأن تقبل في رفق ولا سبيل أن تفرض على القراء والكتاب بحال ..

واسلم بانهم يجتهدون أحيانا ولكنهمفي اجتهادهم عادة لا يقبلون الخروج الشاذ على أصول اللغة ومبادئها ، ولا يرضون أن تتوقف حركتهم فهناك طرف مجدد يدفع للامام ، وطرف محافظ ينادي بالتريث ، وهذا التقابل نفسه كفيل بالوصول الى نتيجة هى اقرب ما يكون الى التوسط والاعتدال .

وهم لا يحاولون ابدا ـ فيما يقررون ـ أن يوجهوا نقدا الى كاتب او باحث بعينه ، بل يعنيهم أن يقولوا بالقاعدة أو التيسير الذى يلائم الجميع .. وصعب عليهم أن يفتروا ، لان اللغة عزيزة عليهم وهم حرّاسها .

اما ان يفترى عليهم فكثيرا ما يحدث هذا فيعزى اليهم ما لم يقولوا ، وينسب اليهم ما لم يسلموا به .. ويكفى أن اشير هنا الى ان العدد الاخير من العربى سجل قصة نقلت اليه ، ولا اساس لها من الواقع ، وهى قصة « القوتان الاعظم » ، فقيل ان المجمع اقر هذا التعبير وانى لاقرر عن بينة أن هذا الموضوع لم يعرض على مجمع القاهرة مطلقا ، واشك كل الشك في أن يقره ان عرض عليه . وانا شخصيا مع العربى في ان التعبير الصحيح هو « الدولتان العظميان ».

❋ قصة الشاطر والمشطور ، هل هى من المفتريات على المجمع ؟

ـ قصة « الشاطر والمشطور وبينهما طازج أو كامخ » ، تتلخص في أن بعض مدرسى اللغةالعربية في المدارس الثانوية يحاولون من جانبهم أن يضعوا بعض الالفاظ او التعبيرات ، للدلالات على بعض المستحدثات في الحضارة الحديثة .

ولا شك أن « السندويتش » من المستحدثات التى يعرفها شباب المدارس الثانوية ، فاراد واحد من أساتذتهم ان يسميه « الشاطر والمشطور وبينها طازج » ولعلهم ارادوا أن يمنحوا هذا التعبير قداسة فعزوه الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، واستطيع أن اقرر أنه لا وجود له في ملفات المجمع ولا جزازاته .

ولعل من هذا ايضا « الارزيز » الذى اطلق على التليفون ، واشهد أن المجمع أعتمد لفظ « التليفون » وأن أضاف كلمة « الهاتف » تقديرا لبعض الاستعمالات في البلاد العربية ، وهو يأمل للفظ الشائع ان تقدر له الحياة أكثر من غيره .

اما « الارزيز » فلا وجود له في عرف المجمعيين!!

■■

سليم زبال

اعرف وطنك أيها العربي







اليخت « فينوس » ، وهو مدرسة عائمة ، تابع للكلية البحرية ، ويقوم الطلبة على هذا اليخت بمختلف التدريبات العملية في قيادة السفن واستخدام الاجهزة الخاصة بتوجيهها . وفي الصورة مجموعة من طلبة الكلية على ظهر اليخت وهو يستعد للابحار بهم الى عرض البحر من ميناء الاسكندرية .



نموذج مجسم لمباني الاكاديمية العربية للنقل البحرى . ويجرى العمل الان فى اقامة هذه المبانى واستكمالها بمنطقة خليج ابى قير بالاسكندرية .ويقوم بعملية الانشاء شركة « المقاولون العرب » . تقدر تكاليف المبانى والتجهيزات بما يزيد على الخمسة ملايين من الجنيهات المصرية .

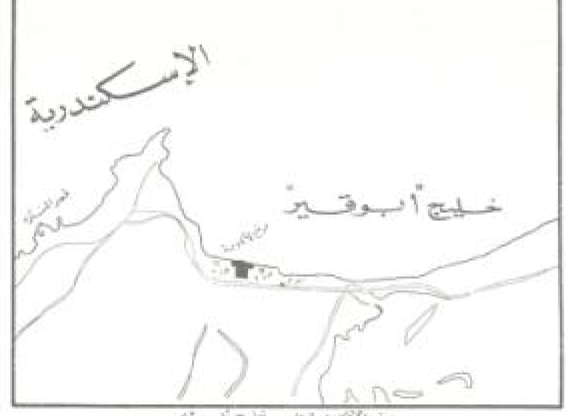
أحدث إنجاز على المستوى القومى لإعداد الضباط والفنيين البحريين

• • •

مؤسسة متكاملة على خليج أبى قير بالاسكندرية

استطلاع بقلم : **منير نصيف**

تصوير : **اوسكار مترى**



موقع الاكاديمية
على خليج ابى قير

■ قصة الانسان العربى مع البحر ، قصة قديمة ، قدم التاريخ نفسه .. فقد ركب العرب البحر ، وعاشوا حياتهم فوق مياهه ، وغاصوا باجسامهم فى أعماقه ، وضربوا بمجاديفهم امواجه، وتركوا الريح تملأ اشرعة سفنهم البدائية الاولى ، فراحت تبحر بهم ، ثم تبتعد وتبتعد ، حاملة تجارتهم حتى وصلت بهم الى الهند والصين شرقا، والى أوربا غربا ، حتى قيل انهم عبروا مياه الاطلسى العاتية وكانوا أول من حط على شواطىء العالم الجديد .. عالم الامريكتين،قبل ان يكتشفه كولمبس !

كان العرب عمالقة البحار ، قبل ان يعرف الانجليز البحر ، وقبل ان يغزوه بسفنهم التجارية الحربية التى حققت لهم السيادة على المحيطات ، وما تحتويه مياهها من قارات !.

ومرت قرون طويلة ، عبرنا وعبر فيها العالم من حولنا جسر التاريخ الطويل ، وذهب اجدادنا ولكن بقيت امجادهم وبطولاتهم فى الكتب تحكى لنا قصة الانجازات التى حققوها والبطولات التى سجلوها فى صراعهم الطويل مع البحر الذى عاشوا على شواطئه ، فعرفوا هدوءه وطيشه واكتشفوا امتداده وعمقه ونعموا بصفائه ونعومته، وقاوموا اضطرابه وثورته ، فارتبطوا به وارتبط بهم ، واصبح البحر بالنسبة لهم كل حياتهم .

وتحرك الاحفاد

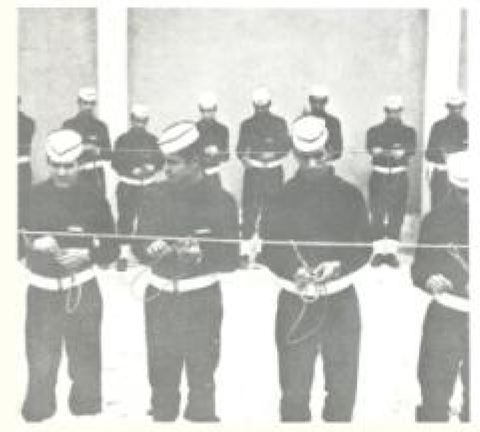
ومع جسر الحياة تطورت الدنيا ، وتغير حالها، واختفت السفن الخشبية التى كانت تمخر عباب البحار والمحيطات معتمدة على أشرعتها ومجاديفها وعلى البحّار فى تسيير دفتها الى شاطىء الامان .. وظهرت السفن العملاقة والناقلات الهائلة والاساطيل التجارية الضخمة التى أصبحت عماد اقتصادنا وتجارتنا فى موانئنا التجارية ، تلك التى قامت على شواطىء بلادنا المترامية الواسعة، من المحيط الى الخليج !

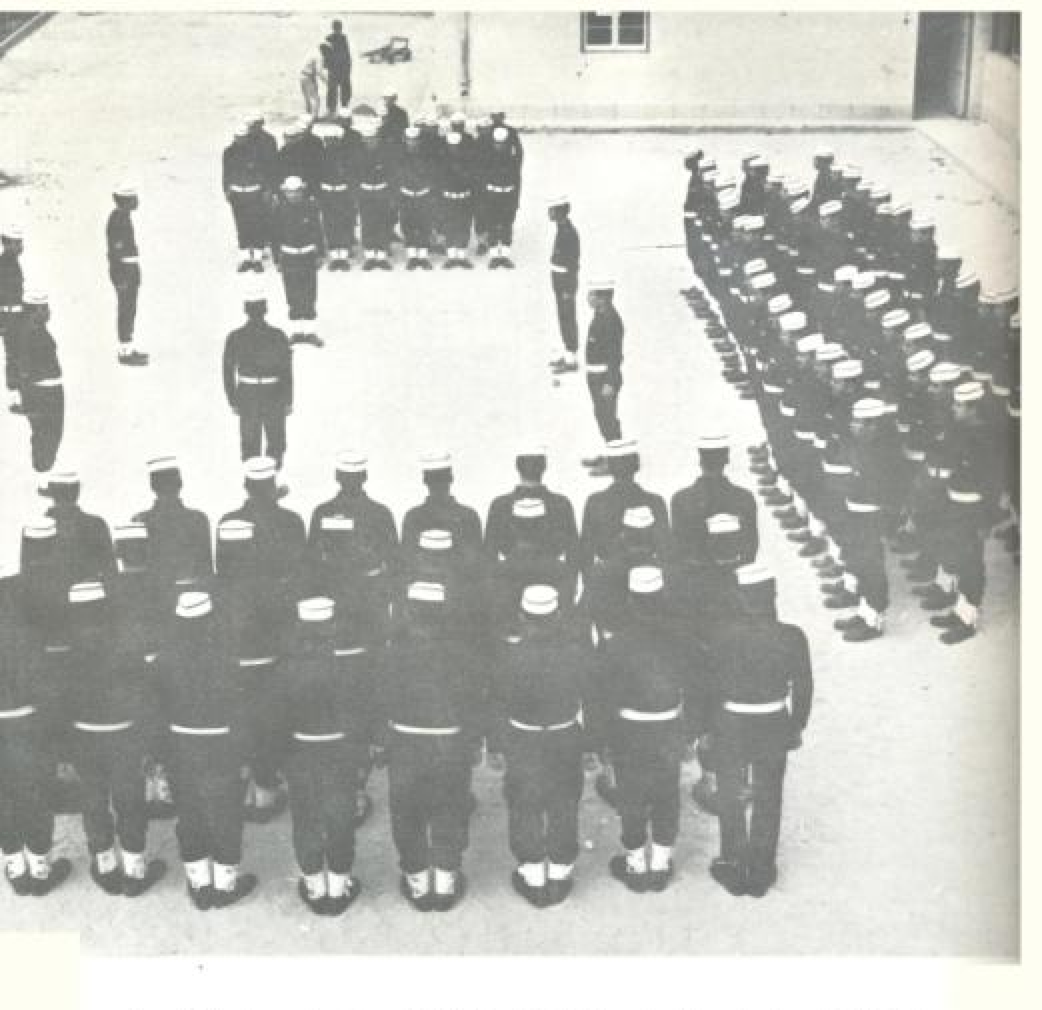
وبدأ الأحفاد يتحركون ، ولم يكن ممكنا الا ان يتحركوا ، فقد بقيت صناعة السفن والبحر فى أيدى المستعمرين الذين احتلوا بلادنا قرونا طويلة من الزمان ـ ثم حمل الاستعمار فى النهاية عصاه على كتفه ورحل .. وبدأ التحرك فى كل الاتجاهات .. فى بناء السفن الحديثة ، وفى اعداد الرجال الذين سيركبون البحر ويكتشفون أعماقه واسراره، وفى تشييد الموانىء الجديدة التى تتسع لاستقبال أحدث ما توصل اليه العلم فى صناعة سفن المستقبل .

اول واكبر تحد للعرب

لقد كان البحار العربى ، حتى عهد قريب يعتمد فى دراسته على الكليات والمعاهد البحرية والتجارية الموزعة بين مصر وبعض دول الخليج ومن بينها الكويت ، ثم يؤهل بعد ذلك عمليا على

لفيف من طلبة الكلية البحرية فى أثناء التدريب على عمل أنواع مختلفة من العقد البحرية بالحبال فى ارض المقر المؤقت للكلية .





طلبة الكلية البحرية في طابور الصباح يحيون العلم .. وفي الكلية الان - وهي احد معاهد الاكاديمية الخمسة - ١٤٠ طالبا من مختلف الاقطار العربية، وسوف يتضاعف عددهم بعد الانتقال الى المباني الجديدة للاكاديمية التي يجري العمل في تشييدها بخليج ابي قير . وتضم الكلية الان طلبة من الكويت والعراق وسوريا وليبيا وفلسطين والسعودية ومصر .

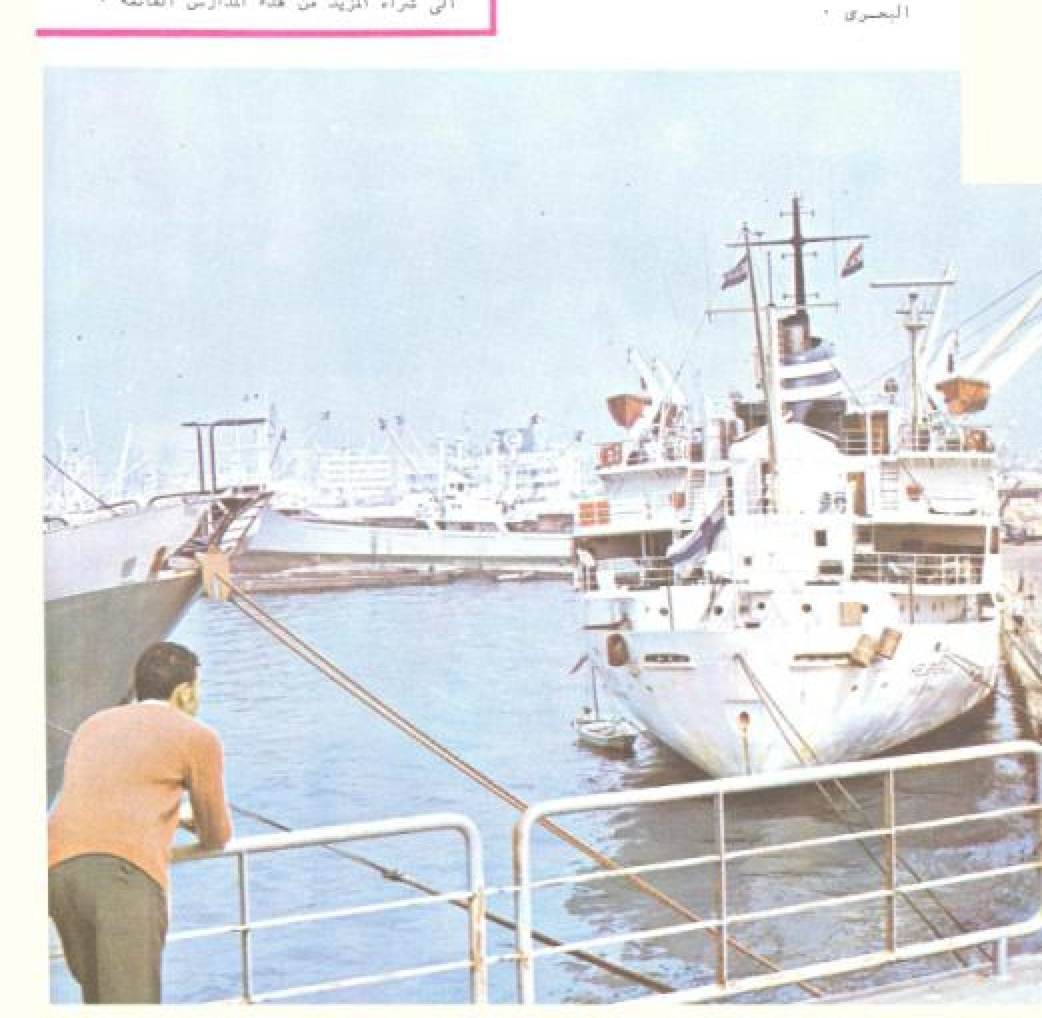
ظهر السفن لمدة عامين او ثلاثة .. الى ان كان اكبر تحد واجهته الامة العربية الى عودة قناة السويس الى اصحابها الشرعيين في عام ١٩٥٦ ، وانسحاب الربابنة والمرشدين البحريين الاجانب ، لكي يثبتوا للعالم ان العرب الذين استعادوا قناتهم ، سوف يفشلون في ادارتها وتسيير دفة الامور فيها .. وكانت المفاجاة عندما واصل العاملون العرب في قناة السويس ليلهم بنهارهم في عمل متصل لا يهدأ .. وكانت النتيجة ان استمرت الملاحة عبر القناة ، دون ان يعتريها الشلل الذي توقعوه لها .. ووقف العالم مشدوها يصفق لهؤلاء الذين استطاعوا ان يعيدوا لأجدادهم سالف مجدهم .

ومن قبلها ، كانت هناك جهود فردية في العديد من الدول العربية ، قام بها الكثيرون تدفعهم في محاولاتهم ، غيرتهم ووطنيتهم ، لسد الفراغ في مجال النقل البحري الحديث .. ونجحت المحاولات ، الا اننا بقينا نعتمد الى حد كبير على الخبرة والخبراء من خارج البلاد العربية حتى يومنا هذا ..

(الى اسفل) جانب من ميناء الاسكندرية ، وفي الصورة سفينة شحن فنلندية ،اثناء تفريغ حمولتها من الورق على احد ارصفة الميناء ·· لقد قدم المسئولون عن ادارة الميناء كل التسهيلات التى يحتاج اليها طلبة الاكاديمية العربية للنقل البحرى فى دراستهم وتدريبهم العملى ، فهناك معهد ادارة واقتصاديات النقل البحرى ، احد المعاهد التابعة للاكاديمية ، ويتلقى الدارسون في هذا المعهد ، الدراسات الخاصة بالعاملين فى البر بالمؤسسات والشركات الملاحية والموانىء ، وذلك فى مجال ادارة واقتصاديات آليات النقل البحرى ، وكذلك تخطيط وادارة واقتصاديات الموانىء والقانون البحرى ·

(الصورة العليا الى اليسار) مجموعة من طلبة الكلية البحرية فى احد عنابر النوم بالمقر المؤقت للطلبة ، ساعة صحوهم فى الصباح وقد ارتدوا ملابس التدريب استعدادا ليوم جديد·

أحد طلبة الكلية (الى اسفل يسارا) يتدرب على قيادة اللنش ، بينما وقفمجموعة من زملائه يرقبونه باهتمام · وسوف تنتقل هذه « المدرسة العائمة » الى خليج ابى قير ، عندما يتم انشاء مبانى الاكاديمية ، وكذلك الميناء الذى سيقام فى الخليج ، وتمتلك الاكاديمية اليوم لنشين ، هذا احدهما ، اما الثانى فيسير بالشراع والالة ، والنية تتجه الى شراء المزيد من هذه المدارس العائمة ·





اهداف الاكاديمية

الى ان كان عام ١٩٧٠ عندما اصدر مجلس جامعة الدول العربية قرارا بانشاء اول اكاديمية من نوعها على المستوى العربي القومي ، وهي الاكاديمية العربية للنقل البحري لتحقيق الاهداف الرئيسية التالية :

* تأهيل الطلبة الجدد من حاملي الثانوية العامة لكي يصبحوا ضباطا ومهندسين بحريين وضباط لاسلكي على السفن التجارية .

* تأهيل الضباط والمهندسين البحريين للترقي الى رتب الربابنة وكبار المهندسين الفنيين .

* تأهيل العاملين في البر من اداريين واقتصاديين وتجاريين للاعمال التي يقومون بها في مجال النقل البحري .

* تأهيل وتدريب العاملين على ظهر السفن من بحارة وعمال مهرة في اعمال الميكانيكا والكهرباء .

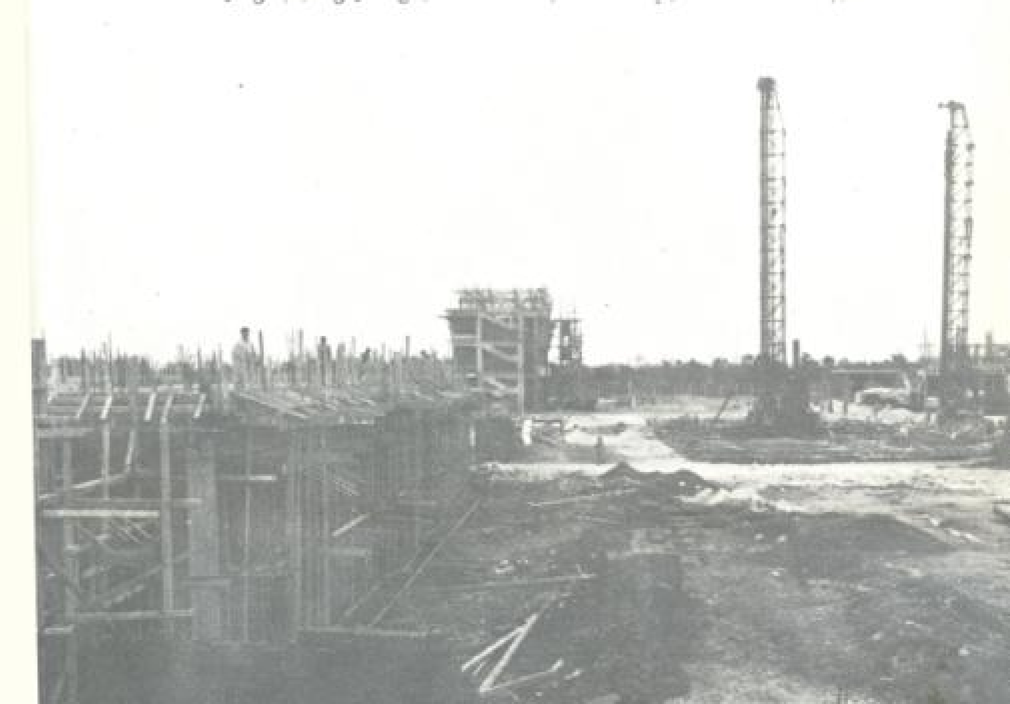
* القيام بالدراسات والبحوث البحرية لتشغيل مرافق واساطيل النقل البحري باقصى كفاءة تجارية ممكنة .

وبعد مرور عامين على صدور القرار سارعت خمس دول عربية هي السودان ومصر وسوريا والعراق وليبيا بالاشتراك في المشروع الجديد . وعلى الفور بدات الدراسات تجرى لاختيار البلد العربي الذى ستقام الاكاديمية على ارضه ..

لماذا اختيرت الاسكندرية

واخيرا استقر الرأى على بناء مقر الاكاديمية في مدينة الاسكندرية ، نظرا لما تتمتع به من موقع جغرافي بحرى ممتاز في حوض البحر المتوسط ، فهي حلقة الاتصال للتجارة العالمية في العالم العربي ، ثم هي بعد هذا تضم اكبر ميناء بحري في المنطقة ، قادر على تفريغ وشحن مايزيد على السبعين سفينة في آن واحد ، ثم هي اخيرا غنية بالموارد البشرية والخبرات الفنية .

جانب من مباني الاكاديمية التي تنتشر فوق ارض تبلغ مساحتها حوالي ٣٠٠ الف متر مربع في خليج ابي قير ، يضاف اليها ٢٥٠ الف متر مربع على شاطيء الخليج مباشرة قدمتها جمهورية مصر للاكاديمية ، التي ينتظر الانتهاء من عملية بنائها في خلال عامين . وتأمل ادارة الاكاديمية ان تقوم الدول الاعضاء بتوفير المال اللازم لانجاز هذا المشروع القومي الهام في موعده .





مجموعة من طلبة الكلية البحرية يستمعون الى شرح احد الحاضرين لجهاز Chronometer وهو الجهاز الذى يستخدم فى ضبط الوقت على السفينة ، ويتم ضبط هذا الجهاز على الوقت الذى تلتقطه اجهزة الاستقبال فى السفينة ، والمفروض انه من الدقة بحيث لا يؤخر او يقدم ثانية واحدة فى اليوم !فالوقت ثمين فى البحر خطير .

وبناء عليه ، فقد تبرعت مصر بالارض التي ستقام عليها مباني الاكاديمية ، كما وعدت بالمساهمة في تكاليف انشاء المباني والتجهيزات .

قال لنا العميد بحرى جمال مختار مدير الاكاديمية ، التى تشغل الان عدة مبان مؤقتة في ارجاء مختلفة من الاسكندرية لحين الانتهاء من بناء مقرها الدائم الذى بدا العمل فيه خلال عام ١٩٧٢ ، قال : « ما كادت عملية البناء تبدأ حتى سارعت الكويت والبحرين والاردن واليمن الجنوبية واليمن الشمالية والمملكة العربية السعودية وقطر ، الى الاشتراك في هذا المشروع القومي الجديد ، ونحن نتوقع ان تحذو دولة الامارات العربية حذو شقيقاتها في المستقبل القريب . وبذلك يصبح عدد الدول المشتركة في الاكاديمية ١٢ دولة ، لكل منها ممثل في مجلس الادارة الذى انعقد في القاهرة في ٢٧ مارس الماضي ، وهو يشرف على سير العمل في معاهد الاكاديمية المختلفة ، ويوصي بجمع الاموال اللازمة لانجاز هذا المشروع الوليد واستكماله ».

دور الكويت

ثم قال : « انني اريد ان اسجل هنا ان الكويت قامت وما تزال تقوم بدور طيب لدعم الاكاديمية ماديا حتى يمكن ان تستكمل هيكلها العام في خلال العامين القادمين .. وقد قام بزيارة الكويت خلال شهر ديسمبر من العام الماضي ١٩٧٣ نائب المدير العام للتخطيط والتعليم بالاكاديمية العميد بحرى الفونس صادق ، ومدير العلاقات العامة المستشار عمر سعيد الحسن المعار من شركة الملاحة الكويتية ، وقابلا خلال هذه الزيارة عددا من المسئولين في وزارة المالية والنفط الكويتية وفي مجلس التخطيط ، وفي شركة الملاحة ، ووعد المسئولون الكويتيون بتقديم معونة للاكاديمية قد تصل الى مليون جنيه مصرى ، مساهمة من الكويت في استكمال بناء منشئات الاكاديمية وتجهيزاتها ..

« كما وعدت شركة الملاحة الكويتية بتوفير اقصى عدد ممكن من الاماكن على ظهر سفنها لتدريب طلبة الاكاديمية من الكويتيين وغير الكويتيين من اخوانهم العرب على سفنها التجارية ، وتقديم منح تدريبية لاوائل الطلبة من القسمين البحرى والهندسي ، وكذلك تقديم بعض ادوات التدريب اللازمة كهدية للاكاديمية . »

خبراء من الأمم المتحدة

وتعاونت الامم المتحدة بدورها ممثلة في المنظمة الاستشارية البحرية للتعاون بين الحكومات (IMCO)(١) وهي تقوم الان بايفاد الخبراء اللازمين لوضع المناهج البحرية والهندسية ومعاونة هيئة التدريس العربية ، كما تقوم بتوفير مساعدات التدريب والاجهزة والمعدات اللازمة للاكاديمية . وهذه المنظمة مسئولة عن تنفيذ المشروع بصفة عامة .

كذلك تقوم منظمة برنامج الامم المتحدة للتنمية « U.N.D.P. »(٢) بتوفير المعونة المالية التي

1- (IMCO) Inter Governmental Maritime Consultative Organization
2- (UNDP) United Nations Development Program

LONGITUDINAL SECTION
IN DRY CARGO SHIP



الصورة العليا الى اليمين لمكتبة الاكاديمية، وهى تضم حالى ٥ آلاف مجلد ،وقد ظهر بعض الدارسين اثناء اطلاعهم على احدث الكتب والمراجع التى تحويها المكتبة فى مجال النقل البحرى ،والتى تصلها من مختلف انحاء العالم.

الى اليمين : اثنان من الدارسين ينصتان الى شرح احد اساتذة الاكاديمية لاجزاء السفينة المختلفة على نموذج يحوى مختلف القطاعات فى بدن السفينة .

صورة عامة لجانب من الترسانة البحرية فى ميناء الاسكندرية ، وقد وضعت الترسانة كل امكانياتها فى خدمة الدارسين الذين يدربون عمليا فى مركز التدريب المهنى التابع لها على الخراطة واللحام والحدادة وهى من الاعمال الاساسية التى تتطلبها عملية بناء السفن ..كما ان هناك تخصصات اخرى كثيرة كلها تتصل بصناعة السفن والانشاءات البحرية .. وفى الصورة سفينة الشحن واسمها «بور سعيد» احدث انتاج للترسانة .

اعتمدتها الامم المتحدة للمشروع ، وقد رصدت له مبلغ ٢ مليون و ٧٠٠ الف دولار .

وفي خليج ابي قير ، وفي نفس المنطقة التي دارت فيها معركة ابي قير البحرية عام ١٧٩٧ بين الاسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت والاسطول الانجليزي بقيادة نلسون Nelson وهي الموقعة التي انتصر فيها الانجليز ، واطلق بعدها نلسون اسمه على الجزيرة الواقعة تجاه هذا الخليج الرملي .. في نفس هذا المكان الذي يشرف على الخليج مباشرة ، رأينا صورة للعمل الكبير الذي يجري الآن لاستكمال بناء منشآت الاكاديمية البحرية ..

مدينة متكاملة

قال لنا المهندس العميد اسعد رياض مدير المقر، والمسئول عن منشآت وتركيبات وتجهيزات الاكاديمية : « لقد بلغت مساحة الارض التي خصصت للمباني والمنشآت المختلفة التابعة للاكاديمية حوالي ٣٠٠ الف متر مربع ، يضاف اليها ٢٥٠ الف متر مربع من الارض الواقعة على شاطىء خليج ابي قير مباشرة ، وستصبح هذه المباني عند اكتمالها خلال العامين القادمين باذن الله مدينة متكاملة لطلبة الاكاديمية ، فهي تشتمل على مبان للمعاهد المختلفة ، ومبان اخرى لسكن الطلبة واعاشتهم ، كما تضم ملاعب رياضية ومستشفى خاصا ومسرحا كامل التجهيز ومعامل وورشا هندسية ، الى جانب مرسى خاص في خليج ابي قير للوحدات البحرية التي تتبع الاكاديمية ، والتجهيزات اللازمة للتدريب العملي .

ويقوم بعملية التنفيذ الآن شركة « المقاولون العرب » ، وينتظر أن تصل التكاليف الاجمالية للمباني والتجهيزات الى ما يزيد على الخمسة ملايين جنيه مصري . كل ما نرجوه الآن أن تساهم الدول العربية القادرة ، بالمساعدة المادية لانجاز هذا المشروع الكبير في الموعد المقرر له » .

دور الدولة المضيفة

ويقول العميد بحري الفونس صادق نائب المدير العام للتخطيط والتعليم : « لقد قامت وزارة النقل البحري بجمهورية مصر العربية باعتبارها الدولة المضيفة ، بمعاونة الاكاديمية على قيامها بواجباتها العاجلة لحين الانتهاء من بناء المقر الدائم لها في العام المقبل باذن الله .

وكان من أهم اوجه هذه المعاونة تسليم الاكاديمية بعض المعاهد التابعة لقطاع النقل البحري، والتي كانت قائمة بالفعل ، لاستخدامها كمقار مؤقتة لمعاهد الاكاديمية ، كما قامت المؤسسة المصرية العامة للنقل البحري والشركة المصرية للملاحة البحرية بنقل خبرتهما وتسليم كافةمطبوعاتهما وامكانياتهما التدريبية للاكاديمية .

الدراسات في الاكاديمية

قلنا : « ما هي المعاهد التي تضمها الاكاديمية ؟

وقال نائب المدير العام : « ان الاكاديمية العربية للنقل البحري هي عدة معاهد في واقع الامر ، (اولها) الكلية البحرية التجارية ، وهي المختصة بالتدريب الاساسي للطلبة الضباط والمهندسين ، وقد تقرر افتتاح قسم جديد في الكلية لتدريب ضباط الراديو والرادار . اما المعهد الثاني ، فهو معهد دراسات الضباط البحريين ، وهو يختص بتأهيل الضباط والمهندسين البحريين بعد قضاء مدد الخدمة البحرية اللازمة ، والتي تتراوح بين عام او عامين للحصول على الشهادات الاعلية .

« ثم هناك ايضا معهد ادارة واقتصاديات النقل البحري ، وهو المسئول عن الدراسات الخاصة بالعاملين على البر في المؤسسات والشركات الملاحية والموانيء ، واساس هذه الدراسة في مجال ادارة واقتصاديات اليات النقل البحري ، وكذلك تخطيط ودراسة اقتصاديات الموانيء والقانون البحري وغير ذلك .

« واهم دراسات هذا المعهد ، هي دراسة دبلوم ادارة واقتصاديات النقل البحري التي تستمر لمدة سبعة اشهر ، وينتظم في الدراسة المنعقدة هذا العام ٢٤ دارسا من المملكة السعودية والبحرين والسودان واليمن الجنوبي وليبيا ومصر .

« وهناك ايضا معهد التأهيل للفنيين البحريين، ويختص هذا المعهد بتدريب وتأهيل الافراد للعمل على ظهر السفن في وظيفة عامل سطح بحري وعامل غرفة الآلات « ميكانيكي » وعامل كهرباء .

وكذلك تعقد بالمعهد الدراسات الخاصة برفع مستوى العاملين على ظهر السفن في هذه المجالات » .

مركز التدريب المهني

وقد وضعت شركة ترسانة الاسكندرية البحرية التي تقوم ببناء الشاحنات البحرية ، مركز التدريب المهني التابع للشركة تحت تصرف الاكاديمية مساهمة منها في هذا المشروع القومي ، ويدرب الطلبة في هذا المركز على مختلف الحرف التي تتطلبها صناعة بناء السفن والانشاءات عموما ، وهو تدريب نظرى وعملى في آن واحد .

ويقوم المركز بتاهيل المتدربين على اعمال الخراطة واللحام ، وهما من الاعمال الاساسية التي تتطلبها عملية بناء السفن ، على ان هناك تخصصات اخرى كثيرة مختلفة ، اهمها مكونات بدن السفينة Construction Planning وكذلك التخصص في ابدان السفن Ship Hull والتخصص في تجهيزات السفينة Ship Equipment

ثم تركيب مكنات السفينة .

كما يتدرب الطلبة الى جانب ذلك على اعمال الحدادة الخاصة بالتشكيلات للمعدات التي تستخدم في الاقسام الاخرى من السفينة ، وقسم المواسير والكهرباء واللاسلكى والنجارة الى آخره .

هيئة التدريس

ويشرف على التدريس والتدريب في هذا المركز مجموعة من الاساتذة المتخصصين في الفروع الهندسية وكلهم من خريجي كلية الهندسة .

وفي المركز الآن ما يزيد على الالف طالب بما في ذلك طلبة الاكاديمية ، وجميعهم يؤهلون للعمل على ظهر السفن ، ولو ان فترة التدريب تختلف ، فهي بالنسبة لطلبة المركز بصورة عامة ، ثلاث سنوات للحاصلين على الشهادة المتوسطة « الاعدادية » .

اما بالنسبة لطلبة الاكاديمية ، فقد اعد لهم برنامج روعى فيه احتياجات الدول التي ينتمون اليها ، وهذا البرنامج يضعه المركز بالتنسيق مع ادارة الاكاديمية .



العميد جمال مختار مدير عام الاكاديمية يتدارس بعض المشروعات مع الدكتور فوك ، وهو فيتنامي فرنسي الجنسية ورئيس مجلس ادارة مؤسسة Cecotrat وهى مؤسسة فرنسية تقوم ببحوث عالمية . وقد ارسلته مؤسسته الى الاكاديمية لتستعين به في تطوير قطاع النقل البحرى في كافة الدول العربية المشتركة في الاكاديمية وفقا لما دلت عليه أحدث البحوث العالمية .

المكتبة ومركز البحوث

بقي بعد هذا معهدان تابعان للاكاديمية ، وهما يتمثلان في المكتبة البحرية التي انشئت لخدمة جميع هذه المعاهد ، وهي تحوى مجموعة ضخمة من الكتب والمراجع والمجلات والنشرات الدورية التي تصدر في مجال الملاحة التجارية في شتى دول العالم ، واخيرا مركز البحوث والاستشارات البحرية .

وقد بلغ مجموع عدد الدارسين والمتدربين للاكاديمية خلال عام ١٩٧٣ ، ٧٦١ دارسا من مختلف البلاد العربية ، وتشمل خطة التعليم للعام الدراسي ٧٣ — ٧٤ فرصا دراسية جديدة في كافة التخصصات البحرية ، من بينها بعض الدراسات التي تعقد للمرة الاولى في المنطقة وهي تؤهل الدارسين للحصول على دبلوم ادارة



بعض الدارسين في معهد دراسات الضباط البحريين امام قطاع في بدن سفينة تجارية ، وقد ظهرت فيه مخازن الوقود والمياه الحلوة والمخازن المعدة لشحن البضائع والسلع .. الخ .. وظهر في الصورة الخريطة التي أهدتها مجلة العربي لقرائها منذ عامين وهي للشمس وكواكبها .

صورة اخرى للدارسين بمعهد دراسات الضباط يستمعون لشرح مهندس الالكترونات لخصائص جهاز ديكا Decca ، الذى يستخدم فى تحديد موقع واتجاه السفينة فى اعالى البحار ، بالنسبة لخطوط الطول والعرض .. وفي الصور ايضا جهاز تحديد الاتجاه بالهوائي الكاشف له Direction Finer Aerial .



الى اليسار : مجموعة من الخبراء فى النقل البحرى التابعين للامم المتحدة والموفدين من منظمة ال IMCO واحدهم كندى والثانى هندى والثالث دانمركى ، وظهر معهم فى الصورة الى اليسار القبطان محمد زكاء الله وهو باكستانى ، وموفد من الامم المتحدة للاشراف على تنفيذ المشروع .

صورة اخرى داخل ميناء الاسكندرية لسفينة شحن تحمل شحنة من الجرارات الزراعية .. قال لنا اللواء يوسف سماحه مدير عام هيئة ميناء الاسكندرية : « ان هذا الميناء الكبير الذى يعتبر حلقة وصل للتجارة العالمية داخل حوض البحر المتوسط ، مقبل على عهد جديد من التطور فى اساليب الشحن والتفريغ » .

البحر وقهروه ، ونجحوا في الوصول بتجارتهم الى الشرق البعيد مسجلين من جديد كفاح الانسان العربي وانتصاره حتى الى ما بعد منتصف هذا القرن العشرين ..



ورشة الخراطة بمركز التدريب المهني ، التابع للترسانة البحرية ، حيث يتم تدريب طلبة الاكاديمية على الاعمال المتصلة ببناء السفن واصلاحها . وفي الصورة المهندس صلاح الدين يوسف مدير مركز التدريب ، اثناء جولته في الورشة لتفقد مدى التقدم الذي يحققه الطلبة في اعمال الخراطة .

نائب المدير يتحدث

ويقول السيد داود القطب نائب المدير العام لشركة الملاحة الكويتية : « يكفي أن تعلموا أن عدد الضباط والبحارة العرب العاملين في هذا المجال لا يتجاوز ٨٪ من مجموع العاملين على بواخرنا لكي تدركوا سبب اهتمامنا بوصول ابنائنا من الخريجين الجدد الذين نأمل أن يتضاعف عددهم في المستقبل القريب ، حتى نستطيع ان نسد هذا الفراغ الذي اضطرنا اضطرارا الى الاستعانة بالاجنبي.»

الدراسات العليا

وننتقل الى معهد الدراسات العليا للضباط البحريين .

وقد زرناه في مقره المؤقت بمدينة الاسكندرية، وهو يشتمل على قسمين ، الاول للدراسات البحرية والثاني للدراسات الهندسية .. وفي مكتب الربان أحمد فؤاد اسعد رئيس معهد دراسات الضباط البحريين جلسنا نستمع الى تفاصيل برامج الدراسة في هذا المعهد ، قال : « أن

التدريب على اللحام بالكهرباء ، من أهم العمليات الاساسية في بناء بدن السفينة . ويتلقى طلبة الاكاديمية التدريب على هذه الاعمال الفنية بمركز التدريب المهني لشركة ترسانة الاسكندرية البحرية .



واقتصاديات النقل البحرى ، وقد بدأت الدراسة للحصول على هذه الشهادة بالفعل يوم ١٢ يناير من هذا العام ١٩٧٤ . والتحق بها العديد من الدارسين الموفدين من الدول العربية تحت اشراف مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية .

تخرج الدفعة الاولى

وسوف تتخرج هذا العام الدفعة الاولى من طلبة الكلية البحرية التجارية التي تضم اليوم حوالي ١٥٠ طالبا من الاقطار العربية المختلفة ، من الحاصلين على شهادة الثانوية العامة (القسم العلمي) . ومن بينهم ٢٧ طالبا كويتيا ، نصفهم تقريبا يتدرب الان عمليا على بواخر شركة الملاحة الكويتية بالكويت ، والباقون ما زالوا يتلقون دراستهم في المقر المؤقت للكلية بالاسكندرية . وقد بدأت الشركة الكويتية تستعد لاستقبال الخريجين الكويتيين الذين سيعودون الى بلادهم هذا العام لاستكمال دراستهم العملية على ظهر البواخر الكويتية .

وستكون هذه اول دفعة من الضباط والمهندسين الكويتيين الذين سيثبتون اقدامهم في مجال النقل البحرى الحديث في الكويت ، ذلك الذى خاضه اباؤهم واجدادهم من قبلهم بمراكبهم وسفنهم البدائية الاولى فكانوا فيه ابطالا غزوا



مجموعة من الطلبة الكويتيين بالكلية البحرية في حديث مع السيد عمر العسن مدير العلاقات العامة بالاكاديمية البحرية . وهو معار من شركة الملاحة الكويتية ،مساهمة منها في تزويد الاكاديمية بحاجتها من الخبرات في شتى مجالات العمل .

الدارس هنا يؤهل للحصول على احدى شهادات ثلاث ، ضابط ثان لاعالي البحار ، وضابط اول لاعالي البحار ، وربان « كابتن » لاعالي البحار .

« اما الدارس الذي يرغب في الحصول على شهادة ضابط ثان ، فيجب ان يكون قد امضى مدة عامين في دراسة نظرية بحرية في الكلية البحرية او اي معهد بحري آخر معترف به مثل معهد الملاحة والمصايد الكويتي ومعهد عدن البحري . وعندئذ يبدأ الدارس عمله كطالب بحري على احدى السفن التجارية لمدة لا تقل عن سنتين ، وبعدهما يكون الخريج قد استوفى شروط التقدم للامتحان للحصول على شهادة ضابط ثان « Second Mate .

تشجيع النابهين من البحارة

« على ان هناك نقطة اود ان اوضحها في هذا المجال ، وهي ان المعهد قد رأى منذ فترة ان يعمل على تشجيع النابهين الاكفاء من البحارة الذين يعملون على ظهر السفن بمهنة « بحري » وذلك عن طريق قبولهم للتقدم للامتحان للحصول على شهادة « ضابط ثان » بشرط ان يكون قد امضى مدة اربع سنوات على الاقل في الخدمة البحرية على السفن التجارية .

« ولو ان هناك اتجاها الآن الى قصر الحصول على هذه الشهادة على خريجي الكلية البحرية التجارية والمعاهد البحرية الاخرى المعتمدة ،نظرا للتطور التكنولوجي الذي حدث في صناعة النقل البحري ، وما ترتب على هذا التطور من تزويد السفن باجهزة الكترونية حديثة ، الامر الذي يتطلب مستوى علميا اساسيا لا يقل عن الثانوية العامة ، يمكن الدارس من استيعاب عملية تشغيل هذه الاجهزة الدقيقة وفهم متطلباتها المعقدة .

« اما الذي يتقدم لامتحان شهادة ربان لاعالي البحار ، فلا بد ان يكون قد امضى مدة تتراوح بين عام ونصف عام وعامين في رتبة ضابط اول ويقضي بعد هذا مدة الدراسة ، وهي لا تقل في تلك الدورات الدراسية الثلاث عن ستة اشهر او اثنين وعشرين اسبوعا على وجه التحديد .

نداء للدول الاعضاء

ثم ماذا ؟

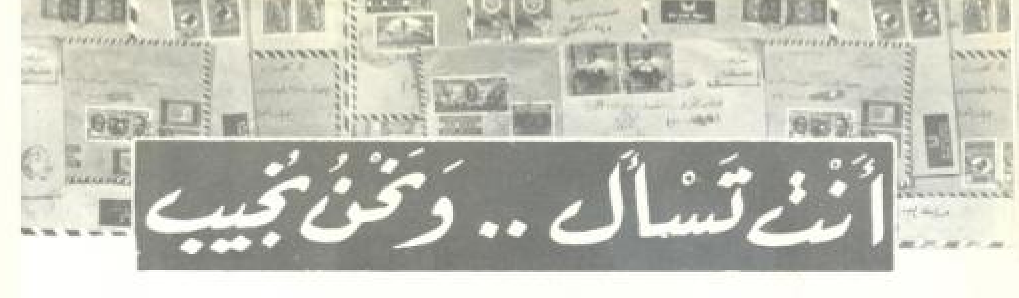
ان هناك الكثير من المشاكل التي تعترض الاكاديمية العربية للنقل البحري التي تعتبر احدث انجاز حققته جامعة الدول العربية .. ولقد اوضح القرار الذي اتخذه المجلس الاقتصادي للجامعة بجلسته المنعقدة في شهر ديسمبر عام ١٩٧٢ اهمية هذه المؤسسة الجديدة ، اذ دعا المجلس الى دعم المشروعات العربية المشتركة العاملة في مجال النقل والمواصلات ، ومعالجة المشاكل والعقبات التي تعترض طريقها وضرورة الاسراع في اتخاذ الخطوات الايجابية الفعالة لاستكمال مقوماتها في اسرع وقت ممكن خدمة للاقتصاد العربي .

ولعل ابرز المشاكل التي تواجه الاكاديمية هي المال .. فهناك حاجة ماسة الى تعاون الدول العربية الاعضاء ، لاستكمال المباني التي يجري العمل فيها الآن على قدم وساق على شاطئ خليج ابي قير .. ان روح ٦ اكتوبر (١٠ رمضان المبارك)، تلك التي وقف فيها العرب جميعا صفا واحدا ويدا واحدة .. هذه الروح تستطيع ان تنمو وتستمر وتتطور وتصنع المعجزات ..

وهل هناك ما هو اكبر واعظم من هذا العمل الذي سيسهم في تنمية اقتصاديات الاقطار العربية من الخليج الى المحيط ؟

■■

منير نصيف



طبيب لكل ٩٩٠ نسمة فى الكويت !

● سمعنا من تقدم الخدمات الطبية فى دولة الكويت ، فكم طبيبا لكل ١٠ آلاف مواطن ؟ وكم عدد الاسرة في المستشفيات ؟ وعدد المرضى الذين يترددون على المنشآت الصحية الحكومية كل عام ؟ وما اكثر الامراض انتشارا فى الكويت ؟

احمد نعمان ـ تعز ـ اليمن

ـ مجموع سكان الكويت بلغ ٨٩١٧٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ حسب تقدير مجلس التخطيط الكويتى، وعدد الاطباء البشريين كان ٩٠١ طبيب في نفس السنة ، وبهذا يكون هناك طبيب بشرى لكل ٩٨٩ نسمة .. وهى نسبة طيبة اذا قورنت بدول العالم، ففى الولايات المتحدة نجد طبيبا لكل ٦٦٩ شخصا، وفى سويسرا طبيب لكل ٦٢٩ شخصا، وفى البرازيل طبيب لكل ١٩٥٣ نسمة .

وكان مجموع عدد اطباء الاسنان في الكويت ٨٩ طبيب اسنان خلال عام ١٩٧٣ أى أن هناك طبيب اسنان واحد لكل ١٠ الاف نسمة .

اما مجموع عدد الاسرة فى مستشفيات الكويت فكان ٤١٣١ سريرا عام ١٩٧٣ .

وكان مجموع عدد المرضى الذين ادخلوا المستشفيات الحكومية ٨٣٧٢٨ مريضا فى نفس هذا العام ١٩٧٣ أى نحو ١٠٪ من مجموع السكان. وبلغ عدد المترددين على الوحدات الصحية والمستوصفات العلاجية وعيادات الاسنان وعيادات الصحة المدرسية ٢٨٦٨٢ر٧٠٣٨ر٧ نسمة .

اما اكثر الامراض انتشارا فى الكويت فهى امراض الجهاز التنفسي، وتشمل الالتهاب الرئوى وامراض المسالك التنفسية العليا ..

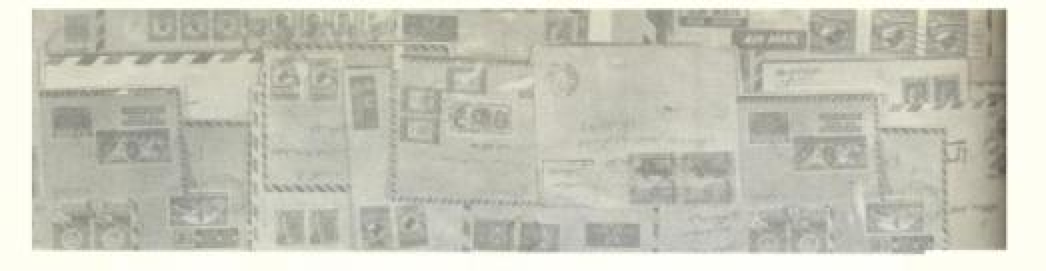
وبعدها امراض الجهاز الهضمى ، وتشمل المرئ ، والمعدة ، والمعاء ، والكبد .

ثم تأتى امراض الجهازين البولى والتناسلى والجلد .

ورابع الامراض الاكثر انتشارا هى امراض الدورة الدموية وتشمل امراض القلب الروماتزمية والاوعية الدموية وكذلك الدورة الليمفاوية .

(س . ز)





التماثيل، ورأى الاسلام فيها

● يتحدث الناس في هذه الايام عن التماثيل والتصاوير واشباهها ، ويقول قوم ، ان الاسلام يحرمها ، فكيف يحرمها الاسلام ، وهي منتشرة في بقاع الارض جميعا ، في بلاد مسلمة وغير مسلمة . ثم ما رأى الاسلام في هذا ؟

عبد القادر احمد ـ الموصل ـ العراق

ـ نكتفي من رأى الاسلام ، بذكر رأى رجلين يشهد لهما العالم الاسلامي بصدق اسلامهما ، وصفاء عقيدتهما، وهما الاستاذ الامام محمد عبده، ثم الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش .

اما الامام محمد عبده فيقول :

(اذا كانت المسالة هي : ما حكم هذه الصور في الشريعة الاسلامية ، واذا كان القصد منها هو تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية ، او اوضاعهم الجثمانية .. هل هذا حرام ، او جائز ، او مكروه ، او مندوب ، او واجب ؟ فاقول لك : ان الراسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال او الصورة قد محى من الاذهان . فاما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة ، واما أن ترفع سؤالا الى المفتي وهو يجيبك مشافهة . فاذا اوردت عليه حديث (ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون) او ما في معناه، مما ورد في الصحيح، فالذي يغلب على ظني انه سيقول لك : ان الحديث جاء في أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين : الاول : اللهو ، والثاني : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين ، والاول مما يبغضه الدين ، والثاني مما جاء الاسلام لمحوه، والمصور في الحالين شاغل عن الله او ممهد للاشراك به . فاذا زال هذان العارضان ، وقصدت الفائدة ، كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات . وقد صنع ذلك في حواشي المصاحف واوائل السور ، ولم يمنعه احد من العلماء ، مع ان الفائدة في نقش المصاحف موضع النزاع . واما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه على الوجه الذي ذكر) .

اما الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش ، فقد نشر مقالة في مجلة « الهداية » تناول فيها حكم الاسلام في التصوير بخاصة ، وهذه نبذة من مقالته بنصها :

(ليس المراد تعميم التحريم في كل زمان او كل امة . فانه لا معنى لذكر الحجر متى أمن جانب العبادة والتعظيم اللذين اختص الله بهما . وكيف يحرم التصوير مطلقا ، مع انه قد يكون سببا في حفظ حقوق شرعية ، كما هو الشان في صور الغرقى والاموات المجهولين ، التي تعرضها الحكومة على الملا ، حتى يعرفهم ذووهم ، فتقوم هنالك احكام المواريث ، واحكام الزوجية ، وحلول الديون المؤجلة ، ونحو ذلك ، وقد يكون التصوير سببا في تحذير الأمة من اللصوص المحتالين والنصابين المستترين عن اعين الحكومة ، فتنشر صورهم للملا ، حتى يقتفوا اثرهم ، ويرشدوا الحكومة الى معاهدهم) .

(ومن الصور ما تعرف به اسرار حِكَم الله تعالى في خليقته ، كما في صور الحيوانات واجزائها التي تحتويها كتب التاريخ الطبيعي والتشريح ، كما انه من ضروب التصوير ما يساعد على علاج المرضى بعلل باطنة ، او المصابين ببنادق الرصاص ونحوها ، كالتصوير باشعة رنتجن الشهيرة . ومن القواعد الاصولية الشرعية أن للوسائل احكام الغايات والمقاصد . فاذا كانت الصور تتوقف عليها بعض احكام شرعية ، او معالجات طبية ، او كشف مسائل علمية ، كان اتخاذها ولا شك من المرغوب فيه شرعا ، وان كانت لمجرد الزينة واللهو المباح كان اتخاذها مباحا . فاما اذا كانت تتخذ للتعظيم والعبادة والتبرك ونحو ذلك ، فهي حرام قطعا ، معذّب صانعها ، ومعذّب متخذها).

(م. غ. ت)

الموسوعة البريطانية فى طبعتها الخامسة عشرة قلبوا نظامها

● اخبرني صديقي ان الموسوعةالبريطانية صدرت مؤخرا في طبعة جديدة منقحة . وسألت احد اساتذةالجامعة مستوضحا فنفى الخبر . ويهمني ان اعرف الحقيقة نظرا لانياحتاج الى هذه الموسوعة وانوى شراءها ..

ـ صدرت الموسوعة البريطانية فى طبعتها الجديدة الخامسة عشرة فى ٢٠ فبراير الماضي ، وذلك وفق البرنامج المقرر . وجاءت هذه الطبعة منقحة تنقيحا كاملا ، ان لم نقل مختلفة كليا عن الطبعة الرابعة عشرة التي سبقتها ، وكانها موسوعة اخرى ...

والطبعة الرابعة عشرة هذه طبعت للمرة الاولى سنة ١٩٢٩ ، ولم تتعرض بعد ذلك الا للقليل من الاضافة والتعديل . هذا بالرغم من التقدم الكبير الذى احرزته العلوم والمعارف الانسانية منذ ذلك الحين .

وكثر نقاد تلك الطبعة ، كما اشرنا فى حديث سابق عن الموسوعة البريطانية (العربى اكتوبر ١٩٧١) ، وذهب بعضهم الى الزعم بان الطبعة الرابعة عشرة لا تختلف كثيرا عن الطبعة الاولى التي صدرت بها الموسوعة البريطانية أول ما صدرت ، وكان ذلك سنة ١٧٧١ ، وفى ادنبره عاصمة اسكتلنده ، ايام كانت الموسوعة البريطانية بريطانية حقا ، وهي الآن بريطانية بالاسم فقط ، وقد اشتراها الامريكيون من الانجليز قبل حين .

على ان هذا الزعم مبالغ فيه ، بل بعيد عن الحقيقة . فالموسوعة البريطانية التى نمت وكبرت حتى بلغ عدد مجلداتها فى طبعتها الرابعة عشرة ٢٤ مجلدا ضمت حوالى ٣٧ مليون كلمة ، اقتصرت فى طبعتها الاولى على ثلاثة مجلدات فقط ..

ومن طريف ما يذكر أن تلك الطبعة الرائدة لم تجد ما تقوله فى العالم الجديد ، سوى الكلمات التالية : « امريكا هى احد الاجزاء الاربعة التى يتكون منها العالم.. وهي بلا نزاع اكبر تلك الاجزاء جميعا .. » . اما الجنس اللطيف فلم يكن جنسا ولا لطيفا فى نظر تلك الطبعة الاولى ، وقد اقتصر مقالها فى المرأة على سطر واحد هو « المرأة هي انثى الرجل ... (ولمعرفة المزيد عنها) راجع ما ذكرناه فى مقالنا عن الرجل » .

ومهما يكن من امر فان الموسوعة البريطانية فى طبعتها الرابعة عشرة لم تخل من تداخل فى تبويبها ونواقص فى مقالاتها العلمية . وقد شعر المسؤولون فى مكاتب الموسوعة فى شيكاغو بالحاجة الملحة الى تنقيح موسوعتهم أو تجديدها من اكثر من ٣٠ سنة ، ولكنهم لم يباشروا العمل الجدى من أجل اصدار الطبعة الخامسة عشرة الا فى اواخر الخمسينات .

وهكذا جاءت الطبعة الجديدة او (البريتانيكا ٣) كما يسمونها ، اكبر حجما من الطبعة الرابعة عشرة . فمجلداتها ثلاثون بدلا من ٢٤ وعدد كلماتها ٤٧ مليونا بدلا من ٣٧ مليون كلمة . وما كان هذا ممكنا لولا المال الذى انفق بسخاء لاصدار الموسوعة الجديدة وقد بلغ مجمل ما انفقوه فى سبيلها ٣٠ مليون دولار .

اما تسميتها (بريتانيكا ٣) فيعزى الى انها تتالف من ٣ اقسام او كما يقولون ٣ موسوعات . وقد اطلقوا على هذه الاقسام اسماء اغريقية هي : بروبيديا للقسم الاول ، وتعني التمهيد ، وميكروبيديا للقسم الثاني وتعنى المعرفة الموجزة أو المبسطة ، وماكروبيديا للقسم الاخر وتعني المعرفة المفصلة .

ولعل القسم الثاني الموجز من الطبعة الجديدة (الميكروبيديا) هو القسم الذى يهم القارىء العادى بصفة خاصة . فهو يساعد على الالمام بموضوع من المواضيع دون الاحاطة به ، وقد خص

كل موضوع بما لا يزيد على ٧٥٠ كلمة . وقوام هذا القسم ١٠ مجلدات اشترك في اعدادها وكتابتها محررو الموسوعة بالذات .

اما القسم الثالث والمفصل (الماكروبيديا) فهو المعدّ بقصد الاحاطة الشاملة بشتى المواضيع ، وقد اشترك في كتابته ذوو الاختصاص من الكتاب المعروفين والمشهورين . ويتالف هذا القسم من ١٩ مجلدا وهو لا يتقيد بعدد معين من الكلمات للموضوع الواحد . وقد شمل احد المواضيع على سبيل المثال نحو ٢٥٠٠٠ كلمة !!

بقي ان نذكر ان القسم الاول (البروبيديا) الذي يتكون من مجلد واحد فقط لا يعدو كونه فهارس تهم الجميع ، ومع هذه الفهارس رسم تخطيطي للمواضيع تهم الذي يقرأ الموسوعة بقصد درس موضوع بذاته ، او موضوعات ..

(ي . ز)

ايطاليا وانتاج الرخام فيها

● أرجو افادتي من الرخام ومن الدول المنتجة له .. وأي الدول هي الاولى في انتاجه ؟

خميس سلطان ـ الكويت

ـ الرخام علميا هو صخور من الحجر الجيري Limestone تعرضت لتغيرات نتيجة درجات حرارة وضغط مختلفة مما ادى الى اكسابها صلابة معينة . والرخام يتكون اساسا من مادة كاربونات الكالسيوم المبلورة Calcium Carbonate ويطلق عليها اسم الكالسيت Calcite لوجودها في حالة تبلور .

والرخام الابيض يحتوى اساسا على بلورات الكالسيت مع شوائب ومواد اخرى بنسب ضئيلة ، اما الرخام الملون فينتج عن احتواء احجار الرخام على مواد معدنية اخرى تكسبه الوانا مختلفة .

والرخام معروف منذ القدم وقد استخدمه اليونانيون القدامى في نحت اجمل تماثيلهم وقد حصلوا عليه من جزيرة باروس Paros في بحر ايجه . واطلق على هذا النوع من الرخام اسم « الرخام البارياني » نسبة للجزيرة المستخرج من صخورها . وهذا النوع يتخذ شكلا شمعيا عندما يصقل . واستخدم اليونانيون ايضا الرخام في بناء معبد البارثينون الضخم Parthenon والذى لا تزال اعمدته باقية حتى الآن في اثينا . وقد استخدم الفنانون الرومانيون القدماء الرخام المستخرج من منطقة كارارا Carara في ايطاليا في صنع تماثيلهم وذلك في عصور ما قبل الميلاد . وحتى الفنان الشهير « مايكل انجلو » استخدم رخام كارارا في عمل بعض تماثيله .

ولا تزال ايطاليا هى الدولة المنتجة الاولى للرخام في العالم ويتميز الرخام المستخرج من محاجر « كارارا » وهى تقع في الشمال الغربى من ايطاليا بلونه الابيض الناصع ، بينما يستخرج الرخام الملون من فيرونا Verona وسينا Siena ، وفنتزا Vicenza وجنوا .

اما الدول الاخرى المنتجة للرخام في العالم على مستوى تجارى فهي بلجيكا وايرلندا والسويد وسويسرا والولايات المتحدة الامريكية والهند وافغانستان .

ويوجد الرخام في بعض البلاد العربية ولكن على مستوى محلى فهو موجود في مصر كما ان الابحاث الجيولوجية اثبتت وجوده في جبال المغرب العربى .

والرخام يعتبر اصلب الاحجار تحملا للاجواء الحارة الجافة ولذلك فهو يستعمل في اعمال البناء في تلك البلاد التى تتميز بجوها الحار الجاف . وذلك علاوة على انه يعطى شكلا جميلا .

(م. ط)

مصائرنا كيف نقررها؟



■ قال احد تلاميذ سقراط يسال الفيلسوف الشهير ، وكان يحرص على لقائه صباح كل يوم عند صخرة كبيرة حيث كان يجتمع بتلاميذه ومريديه ويحدثهم ويعطيهم عصارة فكره وعلمه : « انني اجد مشقة في الوصول اليك في هذه الساعة المبكرة من الصباح ، فانا احرص على الا يفوتني شيء من حديثك الذى اقطع من اجل الاستماع اليه عشرات الاميال كل يوم ٠٠ قل لى بربك ، لماذا اخترت هذا الوقت المبكر ؟ الا تستطيع ان تؤخر موعد مجيئك قليلا ؟ » .

وحدق الفيلسوف الكبير الفتى بعين فاحصة مدققة ، ثم مال بظهره الى الصخرة الرابضة من ورائه ، واستغرق في تفكير عميق ، بينما اتجهت انظار تلاميذه اليه ، وتعلقت به ، في انتظار ما سيقوله لهذا السائل الذى انهكته الرحلة التى يقطعها كل يوم مشيا على الاقدام ، واخيرا قال سقراط : « هناك اشياء يابني تدفع المرء دفعا الى اتخاذ قرارات قد لا تكون دائما صائبة ٠ الله وحده يعلم كم عانيت من الم وانا احاول ان ابحث عن خير وسيلة تخلصني من الضيق الذى احس به ، ولم اجد في النهاية سوى هذا الحل التى توصلت اليه ٠٠ ان اصحو مبكرا قبل طلوع النهار واترك بيتي وآتي اليكم لاجتمع بكم واحدثكم ، واعطيكم فكرى وما تعلمت ! » ٠

ولم يكن بين تلاميذ سقراط واحد لايعرف سر هذا الضيق الذى اراد الفيلسوف ان يخلص نفسه منه ! ولكن احدا لم يجرؤ على ان يساله المزيد ٠٠ لقد كان فيلسوف اليونان الكبير يهرب من زوجته التى احالت حياته الى جحيم ٠ !

ولكن هل كان قرارا حكيما ، هذا الذى اتخذه حكيم حكماء اليونان ؟

يقول سقراط : « لم يكن امامى سوى امرين لاثالث لهما ٠٠ فاما ان اتفرغ للمتاعب التى تثيرها امرأتي واحاول ان احلها في هدوء ، واما ان انصرف الى عملي بكليتي ، فاخترت الاخير ! ربما لم يكن هذا هو افضل القرارات ، ولكنني وجدت فيه راحتي على اية حال » ٠

هكذا كان سقراط راسماليا في احزانه واشتراكيا في علمه ٠

لاتترك لمزاجك حل مشاكلك

مفترق الطرق

يقول ايمرسون فيلسوف امريكا الشهير : « كثيرون منا يصلون في مسيرتهم عبر طريق الحياة الى مفترق الطرق .. فتنتابهم الحيرة ، ترى ماذا يصنعون بانفسهم ، واى طريق يسلكون .. البعض يفكر في الزواج ولكنه يقدم خطوة ويؤخر اخرى .. هل يتزوج ، اولايتزوج ؟

« والبعض غير قانع بوظيفته .. انه يريد ان يتركها بحثا عن وظيفة اخرى تدر عليه دخلا اكبر ، وينعم فيها بمركز ادبي افضل .. ولكنه خائف وجل يخشى التغيير ، ولايعرف ماذا يصنع ؟

« وكثيرون ايضا هم الذين لا يقفون طويلا عند هذا المفترق ، فنراهم وقد اختاروا طريقهم بسرعة ، فلا يلبثون ان يكتشفوا انهم اخطأوا » ..

ترى ماهي العوامل التي تؤثر علينا وتتدخل في وقوعنا في مثل هذه الاخطاء التي قد نفلح في تصحيحها وقد لانفلح ؟ هل هناك علاقة بين الاخطاء التي نرتكبها ونحن نتخذ القرارات التي تحدد معالم مستقبلنا وتؤثر على حياتنا ، وبين مدى ما نتمتع به من ذكاء وعلم وقدرة على التفكير ؟ماهو هذا الشيء الذي يشل اداة التفكير عند البعض منا ، فنجدهم يتخبطون ويسيرون في طريق متعرج مليء بالاشواك والصخور ، دون ان يعرفوا هم انفسهم ، متى تجيء نهايته ، ولا الى اين يكون المصير ؟

من افواه العظماء

يقول ايمرسون : « ان القرارات الخاطئة ، والتردد في اتخاذ القرارات المناسبة هي نتيجة لظاهرة العالم المعقد من حولنا ، كما هي في الوقت نفسه حصاد للتيارات ،والتيارات المضادة التي تتصارع داخل نفوسنا .

ولهذا ، فاننا نستطيع ان نقول انه ليست هناك قواعد ثابتة يمكن للمرء ان يستند اليها ، وهو في سبيل اتخاذ قرار يتعلق بعمله وحياته ومستقبله ، ولكن كل ما يمكن ان نقول هو ان هناك بعض الافكار التي تناقلتها الكتب ، من افواه الكثيرين من الناس الذين استطاعوا ان يشقوا طريقهم بنجاح ويصلوا الى مستوى من الفكر والادراك الناضج لحقائق الحياة .

بين راسل وخادمه

يقول برتراند راسل فيلسوف الانجليز الشهير « هدني التفكير في امور الدنيا حتى غالبني القلق على البشرية ومصيرها ، وكنت كلما جلست الى مكتبي لاسجل مخاوفي انتابني شعور مخيف .. كنت ارى هذه الارض حولي وقد تحولت بما فيها ومن عليها الى اكوام من الدمار والخراب في ظل القنابل النووية .. ولم اخف هذه المشاعر عن الناس ، فافصحت عنها في كتبي ومؤلفاتي ونداءاتي امام لجنة المائة التي تدعو الى السلام ونبذ الحروب . وربما كان في هذا الافصاح ما خفف عني اثر هذه المخاوف ، التي اقضت مضجعي . ! » الى ان كان يوم عادني فيه طبيبي الخاص ، ورآني مستغرقا في تفكير عميق » !

قال يسالني : « ما الخطب » ؟

قلت : « مشكلة ابحث لها عن حل ، ولكنني حائر فانني لا اجد لها مخرجا » !

قال : « هل هي ملحة وعاجلة » ؟

قلت : « لا .. نستطيع ان نجلس ونتحدث الآن ، اما عن صحتي فهي بخير كما ترى ! »

وطال الحديث بين الرجلين لفترة من الزمن ، ثم انصرف الطبيب ، ووجد راسل نفسه يعود الى مشكلته ويستغرق في تفكير عميق لم يصح منه الا على صوت خادمه « سيمون » وهو يقول له « اسعدت مساء ياسيدي ! »

وقال راسل : « وماذا استطيع ان افعل لك يا صديقي « سيمون » . لاافتك قد اتيت لتذكرني بموعد العشاء ، فالوقت مازال مبكرا! »

وقال الخادم : « بل جئتك لاسالك ان تسمح لى بالتغيب عن العمل غدا ! » .

وعاد راسل يسال : « هذه هي المرة الاولى التى تطلب فيها التغيب عن عملك ! تستطيع ان تفعل اذا شئت ، ولكن هل لي ان اعرف السبب ؟

اريد ان اسافر الى قريتى في الريف ياسيدى، لان ابنتى على خلاف مع زوجها ، لقد كتبت لى منذ شهرين تحدثنى عن متاعبها ، ولكننى اثرت الابتعاد .. لم اشأ ان اتدخل .. كنت امل طوال هذه الفترة ان يتمكن الاثنان من حل خلافاتهما وحدهما دون تدخلى ! الى ان جاءنى رسول اليوم ينبئنى بان المشكلة بينهما قد تطورت فباتت تهدد بانفصالهما !

وقال راسل : « هل معنى هذا انك امضيت شهرين لا تحرك ساكنا ، رغم علمك بان زواج ابنتك مهددبالانهيار ؟ » .

« ليس هذا هو ما حدث بالضبط يا سيدى ! لقد كنت افكر في امر هذا الخلاف القائم بين ابنتى وزوجها ، ولكن بصورة اخرى .. كنت احاول ان استعرض اخطاء كل منهما على حدة .. كنت احاول ان اجمع الحقائق من افواه اصدقائهما وجيرانهما ، لكى اعرف موطن الداء وسر الخلاف قبل ان اتخذ قرارى النهائى فى امر استمرار حياتهما !

الطريقة المثلى

وقال الفيلسوف الكبير : « وهل قنعت بما عرفت » ؟

ـ « نعم يا سيدى » .

ـ وما هو قرارك اذن ـ ابنتى مخطئة ، وسوف اسافر لاعوداليها بزوجها الذى هجر البيت،وصمم على الا يرجع اليه !

اذهب اذن ياسيمون !

وذهب سيمون .. وفجاة قام فيلسوف الانجليز الكبير من مقعده ، وترك الغرفة التى كان قد حبس نفسه فيها .. واستغرق في ضحك متواصل .. الم يكن يجدر به ان يفعل مافعله سيمون بمشكلته، وبينه وبين موعد حلها اكثر من ثلاثة اشهر .. لقد وجد راسل في حديث خادمه الطريقة المثلى لحل مشكلته هو ، وكل مشكلة تواجه المرء في حياته . !

كتب راسل بعدهذا يصف حالة خادمه عندما عاد الى عمله فى اليوم التالى : « لقد كان سيمون العجوز متهلل الوجه فرحا ، وكأنه يحمل وساما فوق صدره . فلما سالته : « هل نجحت مساعيك يا صديقى العجوز » !

قال وهو يبتسم ابتسامة النصر : « شكرا لله يا سيدى ، فقد عاد الزوج الغاضب ، وعاد الزوجان الى سيرتهما الاولى » !

تجارب فرويد

روى تيودور ريك Theodore Reik عالم النفس الكبير ، انه جاء يوما الى العالم الشهير سيجموند فرويد يساله عن قرار هام ، كان عليه ان يتخذه .

فقال فرويد : «استطيع يا صديقى ان انقل لك صورة من تجاربى الشخصية فى الحياة .. لقد اكتشفت ان افضل طريقة استطيع ان اعالج بها مشاكلى الصغيرة هى ان ازن بنفسى المزايا والمضار التى ستعود على من جراء اتخاذ مثل هذا القرار..اما المشاكل الكبيرة التى تواجه المرء فى حياته ، فانها تحتاج الى اكثر من وزن الامور ، فالموازين تختل ، وهى كثيرا ما تكون خاضعة لمزاج المرء والحالة النفسية التى يكون عليها فى هذه اللحظة التى اختارها لاتخاذ قراره .. ان المسائل الحيوية التى تتصل اتصالا مباشرا بحياة الانسان ومستقبله كاختيار المهنة التى يفضلها على غيرها فى مستهل حياته ، او اختيار الزوجة التى ستشاركه هذه الحياة .. مثل هذه المسائل التى يتوقف عليها مصيرنا ومستقبلنا ، لا بد لنا ونحن نتخذ قراراتنا ازاءها ان نعتمد على انفسنا وحدنا ، دون ان نترك لاى عامل خارجى ان يؤثر علينا .. ان القرارات التى نتخذها فى مواجهة مثل هذه المسائل يجب ان تكون نابعة من داخلنا، والعامل الوحيد الذى يجب ان نترك له حرية التاثير عليها ، هو الاحتياجات التى تمليها علينا طبيعتنا ! » .

المرونة فى القرارات

على اننا يجب الا نهمل هنا حقيقة هامة وهى ان مزاج المرء له تاثير كبير على القرارات التى يتخذها فى اعقد المشاكل التى تواجهه ..

والانسان مجموعة من الاعصاب ، يوما تكون هادئة ساكنة ميالة الى الانطلاق والمرح ، ويوما متوترة ثائرة تبحث عن متنفس لها تطلق ما يحتويها من ضيق !

وتسأل علماء النفس عن اسباب هذه الظاهرة التي نلمسها في حياتنا كلنا ، فيقولون لك بلا تردد : « لم يصل العلم بعد الى معرفة اسبابها .. كل ما يمكن ان يقال ان مزاج المرء يمكن ان يتغير بين ساعة واخرى عشرات المرات لاى سبب ولاتفه سبب !

قصد محررو الصحف التي يملكها وليام راندلف هيرست ، ملك الصحافة في امريكا ، يوما الى مكتبه ،وكانوا اكثر من ستة محررين ،ونسوا قبل ان يدخلوا اليه في مكتبه ، ان يوجهوا السؤال التقليدي الى سكرتيرته الخاصة : « ترى كيف تجدين مزاجه اليوم ! » فقد اشتهر هيرست بين محرريه بانه رجل متقلب المزاج !

وما كاد يلقاهم في مكتبه حتى نظر اليهم متسائلا : « وماذا استطيع ان افعل لكم ايها السادة ! »

وقال المحررون : « نريد زيادة في مرتباتنا ، فلم تعد تكفي ضروريات الحياة ! »

وثار هيرست ، وضرب المكتب بقبضة يده ، وقال : « هذا هو اقصى مايمكن ان ادفعه لكم ! »

وخرج المحررون يجرون اذيال الخيبة ، الى ان كان صباح اليوم التالي ، عندما ارسل هيرست يطلب استدعاءهم لمقابلته .. واسقط في يدهم : « لابد وانه قرر فصلهم ، بسبب هذه المظاهرة السلمية التي قاموا بها بالامس ! »

دور الزوجة

وكانت مفاجأة ، عندما دخلوا عليه ، فوجدوه مستغرقا في الضحك ، وسماعة التلفون في يده ، قال وهو يعيدها الى مكانها : « تبا لهؤلاء النساء، لا اظن ان هناك رجلا واحدا استطاع ان يفهم المرأة .. اليوم فقط وافقت زوجتي على ان ننتقل لنعيش في البيت الجديد الذي اعددته لها على شاطىء البحر .. هل تعلمون كم كلفني هذا البيت ؟ اكثر من نصف مليون دولار ، وبالرغم من هذا فقد كانت مصممة على البقاء في بيتنا القديم ! »

وقال احد المحررين في خبث : « هل انشر الخبر ياسيدي ! »

ـ لا تكن أبله .. ليس هذا هو ما دعوتكم من اجله ! انما اردت ان اقول لكم انني وافقت على منحكم علاوة قدرها مائة دولار اسبوعيا لكل منكم . ! »

المرونة في القرارات

لم ماذا .. ان الكثيرين منا يميلون الى التمسك برأيهم حتى لو كان يجانبه الصواب ، وهذا اكبر خطأ يقع فيه المرء في حياته . ! يقول سومرست موم الكاتب والمؤلف الشهير الذي ما زالت اعماله تعيش بيننا حتى اليوم : « ان نصف المتاعب التي يواجهها الانسان في حياته تكمن في رغبته في الرد على اى سؤال يوجه اليه بنعم او لا ! ورغم علمه بانه لا هذه ولا تلك ، هي الاجابة الصحيحة السليمة على ماطرح امامه من اسئلة .. فلكل من الجانبين الايجابي والسلبي ، بعض الخطأ وبعض الصواب . ! »

ولقد كان فرانكلين روزفلت رئيس امريكا الاسبق ابان الحرب العالمية الثانية ، من اكثر رجال السياسة الذين يؤمنون بالمرونة فيما يتخذونه من قرارات .. قال فرانسيس بركنز وزير العمل الامريكي في عهده : «لا اذكر انني رأيت روزفلت يوما يقيد نفسه بخطة معينة او ببرنامج محدد ، لا رجعة فيه ! لقد كان علينا دائما ان نفعل كل ما في وسعنا لتنفيذ سياسته ورغباته ، فاذا وجدنا ونحن نسير في الطريق الذي رسمه لنا ان هناك خطأ ما في مكان ما ، سارعنا بتصحيحه، دون ان نرجع اليه » ..

لم ماذا .. ان الانسان ، كما يقول علماء النفس ، دكتاتور بطبعه ، وتجارب الحياة وحدها هي التي تضطره الى التخفيف من هذه النزعة فيعرف ان الاستبداد بقراراته والتصميم على رأيه، سوف يعرضانه للخطر ، وربما اوديا بحياته .

قال جان جاك روسو يوما : « لو ادرك الانسان المعنى الكبير لديمقراطية الرأى ، لتحول العالم الى جيل من العظماء » ! ■■

م . ن

ابراهيم ابن ادهم

رائد من رواد التصوف الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد عاطف العراقي

مدرس تاريخ الفلسفة بجامعة القاهرة

■ سنحاول في مقالتنا هذه التعريف بالمسلك الروحي الذي سلكه رائد من الرواد الاول للتصوف الاسلامي في القرن الثاني الهجري او الثامن الميلادي . وهو ابراهيم بن ادهم . الذي كانت حياته ومسلكه الروحي واقواله كما سنرى دافعة للزهاد والعباد والمتصوفة الذين جاءوا بعده الى ان يسلكوا خطاه ويقتفوا أثره في كثير او في قليل من ابعاد حياتهم الروحية ، حتى اصبح اسمه اسطورة يتردد صداها في كثير من مدارس التصوف الاسلامي .

ونود ان نشير في البداية الى أن التعريف بحياة هذا الزاهد المتصوف وغيره من الزهاد والمتصوفة يعد على درجة كبيرة من الاهمية لانه يدلنا على ان التصوف الاسلامي في بدايته كان عند امثال الحسن البصري ورابعة العدوية وابراهيم بن ادهم وغيرهم ـ زهدا وعبادة ، ثم امتزج بعد ذلك بالفلسفة على النحو الذي نراه عند امثال السهروردي المقتول والحلاج ومحيي الدين بن عربي .

ولعل ما يؤيد ذلك ويوضحه ما نجده عند ابن خلدون في مقدمته حين يعقد فصلا عن التصوف يذهب فيه الى أن اصل الطريقة الصوفية هو العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة . وكان ذلك ـ فيما يقول ابن خلدون ايضا ـ عاما في الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

مسلك فريق من الزهاد

ومعنى هذا اننا اذا اردنا ان نرد التصوف الى بداياته الاولى وكيف نشأ وازدهر ، فلا مفر امامنا من التعرف على المسلك الذي سلكه وارتضاه فريق من الزهاد والعباد عبروا في اقوالهم عن اتجاه صوفي ، بحيث اخذ عنهم ـ بعد ذلك ـ صوفية متاخرون من امثال من اشرنا اليهم آنفا .

ومن هؤلاء الذين نعرف بحياتهم ومسلكهم ونماذج من اقوالهم ، هذا الرائد الذي كانت حياته تعبيرا



من أبناء الأمراء، زهد في المال والدنيا، واتجه بروحه إلى الله

من فكره وعقيدته ، بحيث كان نموذجا ممتازا لهذا الفريق من المفكرين الذين يطبقون على انفسهم الافكار التى يعتنقونها اى يعيشون افكارهم مبتعدا بذلك عن نفر آخر من المفكرين ، يباعدون بين افكارهم وبين حياتهم ، لانهم ـ كما يقال عنهم ـ يضعون افكارهم فوق قمة العقل البارد .

ابراهيم بن ادهم واسباب اتجاهه الى الزهد

هو ابو اسحق ابراهيم بن ادهم بن منصور من كورة بلخ فى خراسان التى شهدت نمو اكبر مدرسة للزهد الذى يتجه نحو التصوف . كان من أبناء الامراء ولكنه اندفع بعد ذلك بكل طاقته الروحية والوجدانية الى الجانب الصوفى .

واذا اردنا ان نتعرف على بواعث ابراهيم بن ادهم ، لاعتزال حياة الملوك والامراء ليصبح زاهدا عابدا ـ وجدنا اسبابا وبواعث عديدة .

١ ـ منها ما نجده مذكورا فى طبقات المناوى مثلا ، من أن ابراهيم بن ادهم خرج يتصيد ، فهتف به هاتف : ما لهذا خلقت ولا به أمرت . فنزل عن فرسه ونزع ثيابه ولبس جبة ، وساح .

٢ ـ ومنها انه بينما هو يركض فرسه سمع صوتا فوقه « افحسبتم انما خلقناكم عبثا ، اتق الله وعليك بالزاد ليوم المعاد » . فرفض الدنيا وعمل للآخرة ، وهام بالبادية .

٣ ـ ومنها ما أورده جلال الدين الرومى ، وهو ان رجال الحرس فى قصر ابراهيم بن ادهم سمعوا ذات ليلة ضجة كبيرة فوق سطح القصر ، وعندما ذهبوا لاجتلاء الخبر ، فاجاوا قوما يدعون أنهم يبحثون عن ابلهم الضالة ، فاقتيد هؤلاء الى الامير وعندما سألهم : هل حدث أن تفقد امرؤ ابله فوق سطوح المنازل ؟ أجابوه بقولهم : « نحن لا نعمل الا اقتداء بك انت ، الذى تسعى الى الاتحاد بالله فى الوقت الذى انت جالس على عرشك . فهل لرجل فى مثل هذا المقام أن يستطيع أن يقترب من الله ؟ » فكان من هذا أن هرب الامير من القصر ، ولم يره أحد منذ ذلك الوقت .

٤ ـ ومنها ما نجده فى كتاب « التوابين » للمقدسى . اذ يقص علينا كيف ابتدأ ابراهيم ابن ادهم الطريق الصوفى وذلك تحت عنوان : « ابراهيم بن ادهم والشيخ الحاج » وذلك نقلا عما ذكره ابراهيم لابى بكر عبد الله ، حين قال : « كنت يوما فى مجلس لى ، متطلعا الى الطريق ، فاذا بشيخ عليه أطمار ، وكان يوما حارا ، فجلس فى فىء القصر ليستريح ، فقلت للخادم : اخرج الى هذا الشيخ فاقرئه منى السلام ، وسله ان يدخل الينا ، فقد اخذ بمجامع قلبى . فخرج اليه ، فقام معه ، فدخل الىّ ، فسلم فرددت عليه السلام ، واستبشرت بدخوله ، واجلسته الى جنبى ، وعرضت عليه الطعام ، فابى ان يأكل ، فقلت له من اين اقبلت ؟ فقال من وراء النهر . قلت : اين تريد ؟ قال : الحج ان شاء الله تعالى .

قال : وكان ذلك فى أول يوم من العشر او الثانى . فقلت : فى هذا الوقت ؟ فقال : بل يفعل الله ما يشاء . فقلت : فالصحبة . فقال : ان احببت ذلك . حتى اذا كان الليل قال لى : قم . فلبست ما يصلح للسفر واخذ بيدى وخرجنا من بلخ فمررنا بقرية لنا . فلقينى رجل من الفلاحين فاوصيته ببعض ما أحتاج اليه . فقدم الينا خبزا وبيضا وسألنا ان نأكل فأكلنا وجاء بماء فشربنا وقال لى : بسم الله قم . فاخذ بيدى فجعلنا

تسير وانا انظر الى الارض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة ، فجعل يقول هذه مدينة كذا ، هذه مدينة كذا ، هذه الكوفة . ثم قال : الموعد هنا في مكانك هذا في الوقت من الليل . حتى اذا كان الوقت ، اذا به قد اقبل فاخذ بيدي وقال : بسم الله .

قال : فجعل يقول : هذا منزل كذا ، هذا منزل كذا ، هذه فيد ، وهذه المدينة ، وانا انظر الى الارض تجذب من تحتنا كأنها الموج . فصرنا الى قبر رسول الله (ص) فزرناه ثم فارقني وقال : الموعد في الوقت من الليل في المصلى ، حتى اذا كان الوقت خرجت فاذا به في المصلى .

فاخذ بيدي ففعل كفعله في الاولى والثانية حتى اتينا مكة في الليل ففارقني فقبضت عليه وقلت : الصحبة . فقال : اني اريد الشام . فقلت : انا معك . فقال لي : اذا انقضى الحج فالموعد ههنا عند زمزم، حتى اذا انقضى الحج اذا به عند زمزم. فاخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة . ففعل كفعله الاول والثاني والثالث ، فاذا نحن ببيت المقدس . فلما دخل المسجد قال لي : عليك السلام انا على المقام ان شاء الله ههنا . ثم فارقني فما رايته بعد ذلك ولا عرفني اسمه. قال ابراهيم: فرجعت الى بلدي أسير سير الضعفاء منزلا بعد منزل حتى رجعت الى بلخ . فكان ذلك أول أمري.

حياته الروحية من خلال أقواله

هذه اسباب وبواعث قد نجد في كلها مجتمعة او في بعضها دفع سليل الامراء الى ان ينفض عن نفسه حياة الترف والثراء حتى يدخل في حياة شاقة جماعها مغالبة هوى نفسه وشهوات جسده ، لدرجة قلما نجدها عند زاهد او متصوف آخر من صوفية الاسلام وزهادهم .

معنى هذا انه حدث تحول روحي في حياة ابراهيم بن ادهم . وهذا ما نجده في كتب التراجم التي ترجمت لحياته ، والتي تحكي لنا ـ بعد ذكر هذا التحول الروحي في حياته ـ كيف انه خرج من خراسان لما وجده من اهتمام الناس بجمع المال وتخزينه ، وخرج من بلاد العراق حين راى فيها نفس الظاهرة ، ثم دخل مكة وصحب الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ، كما دخل الشام . وكيف انه كان لا ياكل الا من عمل يده كالحصاد وحراسة البساتين ، رافضا ان يرث مال أبيه بعد موته ، ورافضا ايضا اللجوء الى سؤال الناس صدقة واحسانا ، بل محتقرا كل من يفعل ذلك ممن يثيرون عطف الناس للتصدق عليهم ، سواء في الشوارع او على ابواب المساجد.

واذا تاملنا في مغزى تحوله الى هذا النمط من الحياة الروحية الخصبة العميقة استطعنا تفسير اكثر الاقوال (١) التي صدرت عن زاهدنا الكبير ابراهيم بن ادهم .

فهو مثلا يقول : لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات :

اولها : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .
والثانية : يغلق باب العز ويفتح باب الذل .
والثالثة : يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد.
والرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.
والخامسة : يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.
والسادسة : يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت .

والواقع ان هذه العقبات وكيف يتجاوزها السالك للطريق الصوفي ، لا نجدها عند ابراهيم ابن ادهم فحسب ، بل نجدها عند اكثر المتصوفة والزهاد والعباد . اي في تلك التعاليم والأقوال التي "أثرت" عنهم ، والتي تجد فيها التزاما بالزهد والعبادة والتوكل على الله في كل شيء . ونريد الآن ان نقف وقفة قصيرة عند كل واحدة منها .

(١) فمن جهة الزهد ، نجد اقواله شاهدة على ذلك . فهو يقول : « قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع » .

والواقع أن الكثير من اقواله ـ نثرا كانت او شعرا ـ فيها دعوة الى الزهد والبعد عن الدنيا .

---

(١) لم يؤثر عن ابراهيم بن ادهم انه ترك لنا مؤلفات ورسائل معينة ، بل أقوالا في مناسبات شتى ، واجابات عن كثير من الاسئلة . وقد قيل له : « لم لا تكتب العلم ؟ » فقال : « شغلني ثلاث : شكر النعمة وخوف الحاجة والعمل لما بعد الموت » .

هذا يتضح لنا تماما اذا [illegible] الى طبقات المناوى، حين يورد لنا هذه الأقوال . [illegible] : « انها حجبت القلوب عن الله لكونها احبت ما ابغضه ، فمالت للدنيا ، وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد .

وقوله أيضا :

ترقـع دنيانا بتمزيق ديننـــا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقـــع

ولا يخفى علينا انابراهيم بن ادهم وغيره من المتصوفية يحاولون الرجوع بمســلكهم هــذا في الزهد الى الحياة الروحية الاولى في الاسلام(٢) . وهذا ما يفسر لنا اطلاق اهل الشام على الصوفية، اسم « جوعية » لانهم انما ينالون من الطعــام قدر ما يقيم الصلب للضرورة ، كما قال النبى (ص) : بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه .

وهذا الزهد من جانبه يفسر لنا اعراضه عــن الدنيا . وفي هذا الاعراض والزهد فيها ، تصفية للسر وتنقية للقلب . والصوفية يؤيدون ذلـك بالحديث النبوى : اذا دخل النــور في القلب انشرح وانفسح . قيل وما علامة ذلك يا رســول الله ؟ قال : التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله . فاخبر النبى (ص) ان من تجافى عن الدنيا نور الله قلبه .

(٢) اما التوكل على الله والتسليم بقضائه وقدره ، فان ما يمثل ذلك اتم تمثيل دعاء ابراهيم ابن ادهم . وقد اورده ابو طالب المكى في كتابه « قوت القلوب » . فهو يحكى عن ابراهيم انـه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا أصـبح ويقول اذا أمسى مثل ذلك « مرحبا بيوم المزيد ، والصبح الجديد ، والكتـاب الشـهيد . يومنـا هذا يوم عيد . اكتب لنا ما نقول . بسم اللــه الحميد المجيد ، الرفيع الودود ، الفعال في خلقه ما يريد . اصبحت بالله مؤمنا ، وبلقائه مصدقا، وبحجتــه معترفا ، ومــن ذنبى مسـتغفرا ، ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله عز وجل في الالهية جاحدا ، والى الله فقيرا ، وعلى الله متوكلا والى الله منيبا »

بل ان ما يدلنا على ذلك ليس هــذا الدعاء فقط ، بل ما يحكى عنه في كتب الزهاد والعبـاد ككتاب « التوابين » تحت عنوان « ابراهيم بن ادهم والبحر الهائج » . فيقول ابراهيم بن بشار : ركبنا البحر مع ابراهيم بن ادهم فبينما نحـن نسير بريح طيبة ، وكانت مراكب كثيرة ، فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت ، وابراهيم ملتف في عباءته مستلق . فجاء اهل المركب اليه فقالوا : يا هذا ما ترى ما نحن فيه وانت مستلق غير مكترث ؟ فجلس وهو يقول : « لا افلح من لـم يكن استعد لمثل هذا اليوم » ثم حرك شفتيه . واذا هاتف ينادى من اللجة : « تخافون وفيكم ابراهيم بن ادهم ؟ أيها الريح والبحر الهائـج اسكنا باذن الله ! » فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كانه دف ، يعنى لوح خشب .

---

(٢) نقول بهذا لاننا لا نجد مبررا لاقامة تشابهبين سيرة ابراهيم بن ادهم وأقواله وبين سـيرة بوذا كما يشير الى ذلك المستشرق الهنغارى جولدتسيهر Goldziher في كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام ، مجرد اشارة . صحيح أن الدعـوةالبوذية فيما يقول اوليرى O'leary كانت نشيطة قبل الاسلام في غرب بلاد فارس وخراسان ، وان الاديرة البوذية اقيمت في بلخ . ولكن صحيح أيضا ــ فيما يقول أوليرى نفسـه ــ أن الشبه سطحىبين النرفانا Nirvana البوذية والفناء الصوفي ، لأن هناك نقطة خلاف جوهرية بينهما . النرفاناالبوذية تمثل النفس وقد فقدت فرديتها في طمأنينة السكينة المطلقة . اما المذهب الصوفي فرغم قولهبفقدان الفردية ، يذهب الى أن الحياة الاصلية في جوهرها ، تأمل وجداني في الجمال الالهي . امامحاولة عقد صلة بين الفناء والفيدانتا كما يتمثل في قولهما بوحدة الوجود ، فان هذا لا ينطبق علىابراهيم بن ادهم ، لأن هذا لم يتبلور تماما الا بعد ابراهيم بن ادهم ، عند أمثال محيى الدين بن عربى .

وما يقال عن هذه المحاولة ، يمكن أن يقـالأيضا عن مدى تأثره بالرهبان المسيحيين . صحيح انه كان على اتصال بالرهبان ، وانه كان يخاطبهمفي صوامعهم . ولكن هذا التأثر يعد قليلا للغاية ، اذا قارناه بالتأثير الاسلامى في أقواله ، أي آياتالقرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .

تفضيله الجانب العملى على الجانب النظرى

هذه الاقوال التى جاءت معبرة عن الزهد والعبادة والتوكل ، تلاحظ فيها بطبيعة الحال الاعتزاز بالمسلك العملى وتفضيله على الجانب النظرى . وهذا ما اشرنا اليه فى صدر مقالتنا . فالصوفية يعتزون دائما بالجانب العملى القلبى الوجدانى ويؤثرونه على الجانب النظرى العقلى الذى يتمسك به الفلاسفة(٣) .

ولهذا نجد الصراع مستمرا بين المتصوفة وبين الفلاسفة . اذ ان المتصوفة ـ فيما يقول عنهم الغزالى فى المنقذ من الضلال ـ ارباب الاحوال لا اصحاب الاقوال. انهم يصلون الى هذه الاحوال بالالهام ، وهو الذى لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين البارى تعالى ، وانما هو ـ فيما يقول الغزالى ايضا فى رسالته اللدنية ـ كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب فارغ لطيف .

ومن هنا لا تخضع المعرفة الذوقية عندهم لمقولات العقل ولا للغة المنطق، لأن لها لغتها الخاصة ومنطقها .

فاذا رجعنا الى ما كنا بصدد الحديث عنه من تمسك الصوفية بهذا المسلك العملى ، وجدنا فى اقوال ابراهيم بن ادهم ما يدلنا على ذلك تمام الدلالة . فهو يقول : اطلبوا العلم للعمل فان اكثر الناس قد غلطوا حتى صار علمهم كالجبال وعملهم كالذر . كما يقول : « من اتسه الله بقربه ، اعطاه العلم من غير طلب » .

بل اننا لو رجعنا الى كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الاصبهانى ، وجدنا ان العبرة ـ عند ابراهيم بن ادهم اساسا ـ بالعمل ، وليس بالادعاء والتظاهر والكلام . لقد لجا اليه اهل البصرة وهو يمر فى اسواقهم يوما وقالوا له : يا ابا اسحق ان الله تعالى يقول فى كتابه «ادعونى استجب لكم» ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا. فقال ابراهيم ابن ادهم يا اهل البصرة ماتت قلوبكم فى عشرة اشياء ؟

١ ـ عرفتم الله ولم تؤدوا حقه .

٢ ـ قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به .

٣ ـ ادعيتم حب رسول الله وتركتم سنته .

٤ ـ ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه .

٥ ـ قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها .

٦ ـ قلتم نخاف النار ورهنتم انفسكم بها .

٧ ـ قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له .

٨ ـ اشتغلتم بعيوب اخوانكم ونبذتم عيوبكم .

٩ ـ اكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها .

١٠ ـ دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بها .

وفاته

اما وفاته فيقول فيها المناوى فى كتابه : الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية : انه مات بالجزيرة سنة اثنتين وستين ومائة (٤). وحمل فدفن بصور وقبره بها مشهور .

★ ★ ★

لعلنا نكون بذلك قد اعطينا صورة عن علم من اعلام الصوفية ، كشفنا فيها عن اسباب اتجاهه للتصوف بعد ان كان اميرا مترفا ، وحددنا فيها التعاليم الصوفية التى قال بها من خلال ما اثر من اقوال تتعلق بالزهد والعبادة والتوكل على الله حتى اثرى الحياة الروحية الاسلامية ثراء كبيرا .

وهذه التعاليم والمعانى اذا كانت قد اخذت بعض اصولها عن اتجاهات سبقته ، فانها بدورها قد اثرت دون شك تأثيرا كبيرا جدا فيمن جاء بعده من زهاد وعباد ومتصوفة ، بحيث ان المقارن بين المعانى التى قصد اليها من خلال اقواله كما اوردنا بعضها ، وبين اقوال من جاء بعده من متصوفة كشقيق بن ابراهيم البلخى وابراهيم بشار وابو اسحق ابراهيم الهروى ـ يجد شاهدا على ذلك التأثير واكثر من شاهد . ■■

محمد عاطف العراقى

مدرس تاريخ الفلسفة بجامعة القاهرة

---

(٣) العربى .

(٤) فى بعض المصادر نجد أن سنة وفاته هى ١٦٠ هـ = ٧٧٦م .



يجيب عليها نخبة من الاطباء

سفعة الشمس ... كيف تقى نفسك منها ؟!

● الاحظ عند ذهابى للبحر كل صيف يحمر جلدى ويتقشر مثل الحرق كما يزداد احمراره فما سبب ذلك ،وكيفية تفادى هذه الظاهرة وعلاجها ؟

ــ ان هذه الظاهرة التى تتكلم عنها ما هى الا نوع من سفعة الشمس Sun Burn وهذه تحدث عادة نتيجة الموجات القصيرة فى اشعة الشمس ، وتحدث فى اوائل الصيف قبل ان يبدأ تلون الجلد الذى يعطى بعض المناعة ؛ وتبدأ كاحمرار عند التعرض للشمس ربما بعد نصف ساعة فقط ، فاذا زاد التعرض ،وكانت الشمس شديدة يبدأ انتفاخ فى الجلد بعد عدة ساعات مع زيادة الاحمرار ويشكو المريض من حرقان فى الجلد واضطراب فى النوم ، وفى اليوم التالى تزداد شدة الحرق وقد تظهر فقاعات . وبعد عدة أيام تخف حدة المرض ويتقشر الجلد مع بعض الحكاك . ونحن نلاحظ ان ذلك كثيرا ما يحدث فى المصيفين الذين يلجأون الى البحر فى فصل الصيف ويمكثون فى الشمس فترات طويلة ، واذا كانت مساحة الجلد المعرضة للشمس كبيرة قد يشكو المريض من اعراض عامة مثل الصداع والشعور بالارهاق مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وقد تحدث ضربة شمس اذا زادت حدة الحرق ومساحته . وحرق الشمس ممكن ان يحدث فى اى شخص اذا لم يتخذ الوقاية اللازمة . ولتفادى ذلك يفضل التعرض للشمس لفترات قصيرة ومتكررة حيث ان ذلك يؤدى الى تلون او زيادة اسمرار الجلد نتيجة زيادة تكون الميلانين فى الجلد بدون حدوث اى حرق. ويجب تجنب التعرض للشمس زيادة عن اللازم فى يوم واحد ، ولزيادة المناعة للشمس يمكن استعمال بعض الادوية بالفم مثل حبوب كلوروكوين ساعتين قبل التعرض للشمس ؛ كذلك تستعمل المراهم الواقية من الشمس مثل Uristat Cream او المراهم المحتوية على حمض التنيك Tannic Acid .

وفى حالة حدوث احمرار او حكاك يستعمل غسول كالامينا Calamina او المراهم الموضعية ، اما فى حالات حرق الشمس الشديدة فيستعمل الكورتيزون موضعيا وبالفم .

ثعلبة الذقن مرض غير معد

● ظهرت في ذقني رقعة خالية من الشعر وبعد عدة اسابيع ظهرت رقعة اخرى ، فما هو هذا المرض وهل هو معد وما علاجه ؟

ـ يعرف هذا المرض باسم ثعلبة الذقن ، وهو مرض غير معد ويتميز بسقوط الشعر كلية، وبسرعة في رقعات محددة من الذقن ، ويمكن حدوثها كذلك في شعر الرأس والحواجب والرموش ، وحتى في شعر الجسم ، وينتشر في الذكور عنه في الاناث والثعلبة برغم حدوثها في الشباب الا انها ممكن حدوثها في اي عمر .

وقد لوحظ ان الناحية الوراثية لها تأثير كبير في حدوثها ، كذلك هرمون الغدة الدرقية ، الا ان الناحية النفسية والعصبية تعتبر من اهم الاسباب ، فكثيرا ما تتبع ثعلبة الذقن الاضطرابات النفسية والعصبية وانشغال الذهن وحالات القلق والخوف حيث ان لها علاقة وطيدة بالجهاز العصبي ، وكذلك وجود بؤرة صديدية في الجسم ، مثل الالتهاب المزمن للجيوب الانفية او اللوز او الاسنان او البروستاتة تؤدي الى انتشار هذا المرض .

وعادة تكون رقعات الثعلبة خالية من الشعر تماما ويبدو الجلد ناعما املس ، بدون اي حكاك او الم وتكون على شكل رقع مستديرة او بيضاوية صغيرة ، وقد تلتحم مع بعضها مكونة رقعا كبيرة .

وفي بعض الحالات يتحسن المريض تلقائيا بدون اي علاج وينمو الشعر

الكوليستيرول وامراض شرايين القلب

● منذ ثلاثة اشهر اصابتني نوبة قلبية وثبت بالفحص الطبي ورسم القلب الكهربائي انني اعاني من انسداد في احد فروع الشريان التاجي للقلب ، كما تبين ان نسبة الكوليستيرول في الدم مرتفعة فوق معدلها . فما هو نوع الطعام الذي يناسب حالتي علما بانني اعمل مديرا لاحدى الشركات، وان عمري يبلغ ٤٦ عاما .

ـ مما لا شك فيه ان النوبات التخثرية القلبية الناتجة عن انسداد شرايين القلب قد ازدادت نسبتها زيادة ملحوظة في المجتمعات الفنية الحديثة المتطورة ، وهي تعتبر السبب الاول للوفاة في هذه البلاد وبين جميع الاجناس ، وبالرغم من الابحاث العديدة التي اجريت حول هذا الموضوع فان سبب انسداد هذه الشرايين لا يزال مجهولا ، الا انه من وجهة النظر الاحصائية فان اولئك الذين ترتفع نسبة المواد الدهنية والكوليستيرول في دمهم معرضون للاصابة بالانسداد الشرياني اكثر من غيرهم اذا ما قورنت اعمارهم ووظائفهم ومراكزهم الاجتماعية ، ولكن لا يوجد دليل مادي ملموس على صحة هذا القول . ومع هذا فاننا ننصح بان تنخفض نسبة الكوليستيرول لدى هذه الفئة من الناس وذلك باتباع انواع الطعام التي تحتوي على نسبة كوليستيرول اقل وكذلك باستعمال الادوية التي تساعد على التخلص من هذه المادة والتي من شأنها انها تساعد على تصلب الشرايين.

كما ان معظم الباحثين من العلماء يشيرون باصبع الاتهام الى الدهنيات المشبعة الحيوانية وعلى الاخص تلك المستخلصة من الالبان .

ومن الدراسات المتخصصة في كل من البلاد الاسكندنافية ونيوزيلاندا واستراليا

خلال بضعة شهور ، ويبـــدوا بالنمو فى منتصف الرقعة ويكون خفيفا فاتح اللون ثم يتحول الى شعر طبيعـى ، ولكـن باستعمال العلاج تقصر فتـرة المرض ويظهر الشعر بسرعة . ويجب ملاحظة ان تعلبة الذقن عموما يطول علاجها عن تعلبة الراس . ومن اهم العلاجـات المستعملة الاشعة فوق البنفسجية يوما بعد يوم مع استعمال الدهانات الموضعية مثل الفينول او حمض الخليك بواسطة الطبيب حيث ان هذه مواد كاوية . كذلك الانتباه الى الناحية النفسية وطمانة المريض مع استعمـال الحبوب المهدئة . وفى الحالات المستعصية يمكن استعمال الكورتيزون على شكل مراهم او بالحقن الموضعى او عن طريق الفم تحت ارشاد الطبيب الاخصائى .

والولايات المتحدة نلاحظ ان العلمـاء متفقون فى مجموعهم على التوصيـات التالية : ـ

١ ـ تخفيض الوزن الى الحد المتناسب مع السن والجنس والطول .

٢ ـ العمل على تخفيض نسبة مـادة الكوليستيرول الى معدلهـا الطبيعى فى الدم .

٣ ـ التقليل من تعاطى المواد الدهنية المشبعة (الكاملة الايدروجين) سـواء كانت حيوانية او نباتيـة واستبدالها بالزيوت النباتية غير المشبعة .

٤ ـ عدم الاكثار من المواد السكرية حيث انها تتحول فى الكبد الى دهنيـات مشبعة .

نخلص من ذلك الى ان ارتفاع نسبة الكوليستيرول فى الدم غير مرغـوب فيه وانه من الافضل العمـل علـى تخفيض النسبة لتصل الى معدلها الطبيعى وذلك بالاقلال من تعاطى المواد الدهنية الحيوانية وباستعمال العقاقير التى تساعد علـى التخلص من مادة الكوليستيرول .

مريض الصرع وقيادة السيارات

● شقيقي البالغ من العمر ٢١ عاما يشكو من نوبات صرع بسيط تنابه مرة كل اسبوع او اسبوعين وقد استخرج رخيصا لقيادة السيارات ولكنني اخشى ان يرتكب حادثا بالسيارة اذا فاجاته النوبة الصرعية وهو خلف عجلة القيادة هل من علاج لمثل هذه الحالة وبماذا تنصحونه ؟؟

ـ ربما كان مرض الصرع من الامراض القليلة التى تحتم على صاحبها ان يتجنب قيادة السيـارات او ان يزاول عملا يعرض حياته او حياة الآخرين للخطر . وهناك قائمة بانواع العمل التي لا تتناسب مع مرض الصرع ، ان نوبة الصرع تاتى بدون مقدمات وخـلال ثوان معدودات يفقد المريض الوعى وتظهر عليه العلامات العصبية المعلومة . وقد تستمر لمدة دقائق . وخلال ذلك فلا يستطيع المصروع السيطرة على سيارته باى حال من الاحوال وهو بذلك يعرض حياته وحياة غيره للخطر المحقق .

وعلى فرض ان اخاك يحظى بعلاج تحت اشراف طبيب مختص ، فـان العرف الطبي يقضي بان يمتنع المريض بالصرع عن قيادة السيارات لمدة لا تقل عن سنتين بعد حدوث آخر نوبة صرع له .

كمـا ان هنـاك بعض الامراض التي يجب على المصابين بها الامتناع عن قيادة السيارات ما امكن ذلك تجنبا لما قد يحدث من مخاطر اذا ما فاجأتهم نوبات مرضية . ونخص بالذكر ما يلي : ـ داء البول السكرى والذى تعرض صاحبه الى اغماءة سكرية ـ انسداد الشريان التاجي للقلب (وخاصة الاصابة المتكررة)، ارتفاع ضغط الدم الخبيث ، هبوط القلب المزمن ، طبعا ناهيك عن اولئك الذين يشكون من ضعف قوة الابصار واولئك الذين يتعاطون العقاقير المهدئة او المنومة او الادوية المضادة للحساسية .

استطلاع الكويت

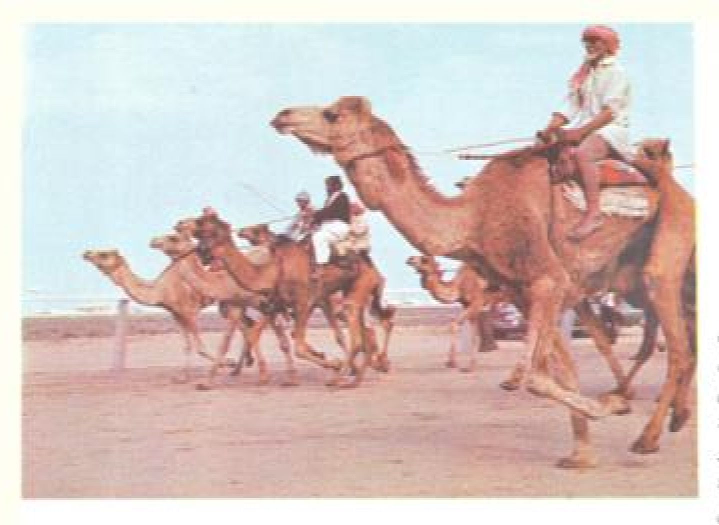


نادي الصيد والفروسية

استطلاع بقلم : **محمد طنطاوى**



الى اليمين : الشيخ عبد الله الجابر الصباح، والشيخ صباح الاحمد وكبار الزوار في المنصة الرئيسية اثناء السباق الذى اقيم على كأس سمو ولى العهد .



صور ثلاث تمثل سباق
الخيل في ميدان السباق
الجديد التابع لنادي
الصيد والفروسية
الصورة الى اليمين الجياد
اثناء انطلاقها ٠والصورة
الى اليسار تمثل سباق
الجمال الذي اقيم اثناء احد مهرجانات النادي ، والى اسفل الجمهور الغفير
الذي يحتشد بعد ظهر كل يوم خميس ليتمتع بمشاهدة سباق الخيل ٠

● أبناء الجيل الجديد يتعلمون ركوب الخيل

● مليون مترمربع مساحة النادى الجديد

● أول حلبة سباق خيل كاملة فى الكويت

■ حب العرب للفروسية والخيل اصيل قديم له فى التاريخ اصول تمتد عبر القرون .. واشتهر العرب بحرصهم على حياة الفروسية وعلى الاعتناء بخيولهم الاصيلة ، التى طبقت شهرتها الافاق .

وفى كتب الادب والتاريخ الكثير من الروايات عن مدى تعلق العرب بالفروسية والخيل ، ومن بين هذه الروايات الطريفة أن احد ملوك العرب اراد ان يشترى فرسا اصيلة من بدوى من رعاياه، فعرض عليه ثمنا مغريا لها ، وكانت الفرس تسمى « سكاب » . ولكن البدوى الفقير أبى ان يبيع فرسه الاصيلة وقال للملك عدة ابيات تعبر اجمل تعبير عن تعلقه بفرسه .. وفى هذه الابيات يقول :

أبيت اللعن ، ان « سكاب » كنز نفيس ، لا يعار ولا يباع
مكرمة مفداة لدينا يجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة منجبين تناسلاها يضمهما ـ اذا اجتمعنا ـ الكراع(١)
فلا تطمع ـ ابيت اللعن ـ فيها وبيعكها بشىء يستطاع

ويقول شاعر العرب المتنبى عن الخيل :

وما الخيل الا كالصديق ، قليلة وان كثرت فى عين من لم يجرب

والامثلة التاريخية ، والاقوال المشهورة عن حب العرب التقليدى لخيولهم وللفروسية كثيرة..

ولعل ابلغ ما نختتم به هذه الاقوال ما قاله الرسول الكريم محمد (صلعم) عن الخيل .. « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة» .

الفروسية فى الكويت
احياء لتقاليد عربية قديمة

وفى الكويت الآن ناد جديد للفروسية والصيد، يعمل على احياء التراث العربى الاصيل ، وعلى تدريب ابناء الجيل الجديد على ركوب الخيل ، ومعرفة كل ما كان العرب القدماء يعرفونه عن الخيول وعاداتها واخلاقها . ولهذا النادى الجديد قصة قديمة بدأت منذ ١٠ سنوات عندما اجتمع عدد من ابناء الكويت فى عام ١٩٦٤ وقرروا انشاء ناد للفروسية ، وتم الحصول على موافقة وزارة الشئون الاجتماعية على انشاء هذا النادى، الا ان الفكرة لم تتحول الى مشروع حتى عام ١٩٧١ عندما اجتمع ٢٠ من رجالات الكويت الذين يحرصون على احياء التراث العربى القديم ، وبث روح الفروسية فى ابناء الجيل الجديد ، بعد ان كادت رياح المدنية تقتلع اصول هذه التقاليد العريقة ، وقرر هؤلاء المجتمعون المضى قدما فى احياء مشروع ناد للصيد والفروسية ، وتم انتخاب أول مجلس ادارة للنادى من تسعة رجال ، عهد اليهم بالاشراف على كل الخطوات التنفيذية لاخراج المشروع الى حيز الوجود .

ويتكون مجلس الادارة من الشيخ صباح الاحمد رئيسا ، وعبد العزيز حسين نائبا للرئيس ، وحمد الحسن الابراهيم ، والشيخ خالد الاحمد الجابر ، وجاسم حمد الصقر ، والشيخ جابر عبد الله الجابر ، وعبد اللطيف الثوينى ، وفيصل سعود الفليج ، وعيسى احمد الحمد الذى اختير ليكون امينا عاما للنادى .

(١) الكراع اسم حصان عربى أصيل ، كانت له شهرة عند العرب فى ذلك الزمان .



اعضاء مجلس ادارة النادى اثناء اجتماعهم فى مقر النادى وفى الصورة الشيخ صباح الاحمد رئيس مجلس الادارة ، والى يساره عبد العزيز حسين نائب الرئيس ، وعيسى الحمد امين عام النادى .

تكاليف انشاء النادى اكثر من نصف مليون دينار

ومنذ عام ١٩٧١ بدات الخطوات الجدية لتنفيذ المشروع . وقامت احدى الشركات الاستشارية بوضع تصميمات النادى ومنشاته ، بعد أن تم تخصيص قطعة ارض تبلغ مساحتها مليون متر مربع وتقع الى الجنوب من الطريق الدائرى السادس فى منتصف المسافة بين طريق المطار ، وطريق الكويت ـ الاحمدى . وكانت اهم مشكلة واجهت اعضاء مجلس الادارة الجدد هى تمويل انشاء النادى ، ولكن هذه المشكلة ذللت امام مساهمة عدد كبير من الشخصيات والمؤسسات والشركات بمبالغ مالية وعينية .. وقد كان صاحب السمو امير دولة الكويت الشيخ صباح السالم أول من ساهم فى هذا المشروع بمبلغ ٥٠ الف دينار كويتى ، كما اعلن الشيخ جابر الاحمد الجابر ولى العهد ورئيس الوزراء استعداده لدفع تكاليف بناء سور للمليون متر مربع التى ستقام عليها مرافق النادى المختلفة . وقد تم تقدير تكاليف انشاء هذه المرافق باكثر من نصف مليون دينار كويتى .

وتم انشاء المرحلة الأولى من نادى الصيد والفروسية

وبعد أن انتهت الدراسات التى قامت بها الشركة الاستشارية بدىء فى بناء وانشاء المرحلة الاولى للنادى . واشتملت هذه المرحلة على انشاء اصطبلات للخيول وحلقة يتم فيها تدريب ابناء الجيل الجديد على الفروسية . ومبنى مؤقت للنادى يضم مطعما صغيرا ، وصالة استقبال بها مكتبة صغيرة تضم بعض الكتب المتخصصة عن الخيول والفروسية ، وكذلك ميدان السباق والمدرج المؤقت على هذه الحلبة ، وبوابات الانطلاق ، واصطبلات خيول السباق ،

٣صور التقطت في مدرسة الفروسية اثناء التدريب اليومي لابناء الجيل الجديد على ركوب الخيل .
الصورة العليا والسفلى الى اليمين للفتيات والفتيان وهم يقومون بحركات رياضية وهم على
ظهور الخيل ،والى أسفل اليسار اهالي المتدربين يراقبونهم اثناء ركوبهم الخيل .

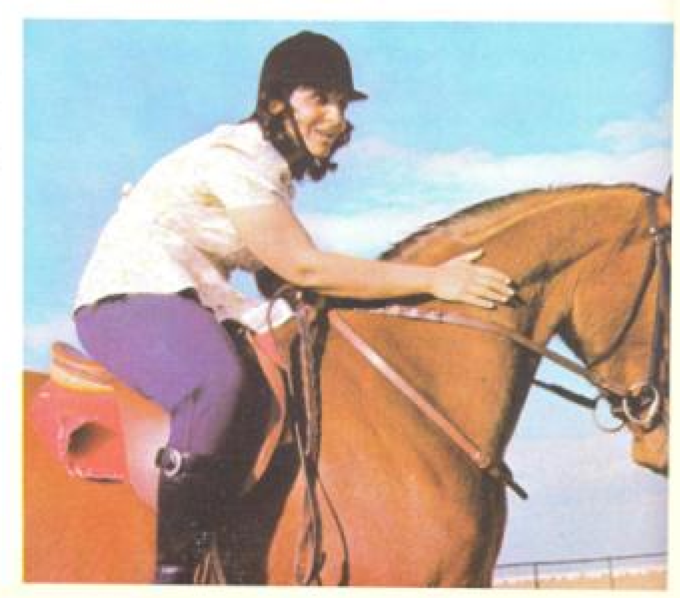




الى اليسار : الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالنيابة . يمارس هوايته المفضلة فى نادى الصيد والفروسية ومما يذكر أن الشيخ صباح هو رئيس مجلس ادارة النادى وهو يحرص دائما على تقضية اوقات فراغه في النادى ليشرف بنفسه على نشاطات النادى المختلفة .



الى اليمين : السيدة حرم الاستاذ عيسى احمد الحمد امين عام النادى . وهى واحدة من السيدات الكويتيات اللاتى يمارسن الفروسية فى النادى . وهى تشرف على كل ابنائها الذين يتدربون يوميا على ركوب الخيل فى مدرسة الفروسية .





التدريب على وثب الحواجز هو المرحلة الثانية التي يقوم المدرب بتعليمها للناشئين بعد أن يتعلموا ركوب الخيل بالطريقة الصحيحة. والصورة تمثل هشام عيسى الحمد (١٣ سنة) في وثبة موفقة •

وغرف الفرسان والحكام وغير ذلك من المرافق الضرورية لادارة سباق الخيل على اسس حديثة • وكذلك غرس ٢٠ الفا من اشجار الاثل والانواع الاخرى حول منشات النادي •

وفي يوم ٦ ديسمبر عام ١٩٧٣ قام سمو امير الكويت بافتتاح ميدان السباق في نادي الفروسية • كما بدأ بعد ذلك تدريب ابناء اعضاء النادي وأسرهم على ركوب الخيل ، بعد ان افتتحت مدرسة الفروسية واصبح لديها ١٩ من الخيول من بينها ٦ خيول عربية تلقاها النادي هدية من امير البحرين ،وبعض الخيول الاسترالية والمهور الصغيرة التي تستخدم في تدريب المبتدئين والاطفال على ركوب الخيل •

٥٠ فتى وفتاة يتدربون في مدرسة الفروسية

وبالرغم من ان مدرسة الفروسية ، لم يمض على افتتاحها سوى شهور قليلة فان عدد الفتيات والفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين ٧ و ١٦ عاما ، والذين بدأوا يتدربون على ركوب الخيل ، قد تجاوز الخمسين •

ويتم تدريبهم تحت اشراف مدرب متخصص كما يشرف على المدرسة محمد ماجد الشاهين وهو مسئول الفروسية في النادي • ويتم التدريب حاليا داخل حلقات التدريب ، كما يقوم المدرب محمد شاهين أسعد بتعليم الناشئين على طرق الركوب الصحيحة وكذلك القيام بتدريبات رياضية وهم فوق سروج الخيل ، حتى تكتسب اجسامهم المرونة اللازمة لكل من يريد أن يصبح فارسا وحتى ينطبق على هؤلاء الفرسان المبتدئين قول المتنبي وهو يصف قوما بالفروسية :

وكأنما ولدت قياما تحتهم
وكأنما ولدوا على صهواتها



السيدة حرم وزير الكهرباء عبد الله يوسف الغانم وهي تمارس رياضة ركوب الخيل،والى جوارها محمد ماجد الشاهين مسئول الفروسية في النادي.

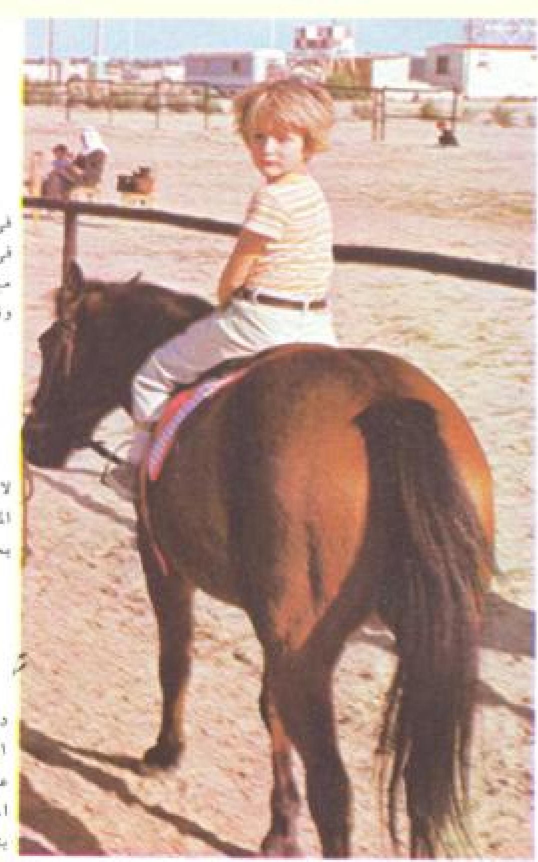
ويقوم ابناء اعضاء النادي الان بالتدريب على ركوب الخيل يوميا .وهم يتلقون دروس الفروسية دون دفع أية رسوم اضافية . ولكن قد يعاد النظر في هذا النظام عندما يتم بناء بقية مرافق النادي الاخرى كحمام السباحة ، وملاعب التنس والاسكواش ، وملعب الجولف الذي سيضم ١٨ حفرة ، وميدان الرماية على الاطباق ، وملاعب وحدائق الاطفال .وقد بدئ فعلا الان في انشاء المرحلة الثانية للنادي وينتظر ان يتم ملعب الجولف خلال الشهور الثلاثة القادمة ، وان يفتتح حمام السباحة في صيف العام القادم ، وكذلك ميدان الرماية فقد وصلت الالات اللازمة له . وينتظر ان يبدأ نشاطه في شتاء هذا العام .

سباق اسبوعي للخيل

ويقام في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم الخميس من كل اسبوع سباق للخيل يتكون عادة من ٦ اشواط تتنافس فيها الخيل المملوكة لابناء الكويت، وتوزع جوائز مالية على اصحاب الخيول الفائزة ، واشواط السباق تختلف بعضها عن بعض . فهناك سباقات الالف متر أو الخمس اثمان وتتدرج هذه السباقات الى اقصى حد لها وهو سباق ٢٤٠٠ متر وهو ما يسمى بسباق الميل ونصف .

ويقبل الجمهور على مشاهدة سباق الخيل ، وقد وصل عدد المشاهدين الى اكثر من خمسة الاف من الرجال والسيدات والفتيات ،والمراهنات ممنوعة منعا باتا . وهناك نظام في سباق الخيل يقضي بتخصيص الوان ثابتة لقمصان الفرسان. وتتم عملية وزن الفرسان وتحليل لعاب الجياد طبقا لقوانين السباق العالمية .

الى اليسار : جلسة عائلية هادئة في احدى قاعات النادي ، التي اقيمت في المبنى المؤقت ، الذي سيحل محله مبنى جديد مزود بمطعم ومكتبة وقاعات للتلفزيون .



الى اليمين : طفل صغير عمره لا يتعدى الثامنة وهو يمتطي جواده المخصص للتدريب في حلقة المتدربين بمدرسة الفروسية .

الى اسفل : ابناء الجيل الجديد داخل اصطبلات الخيول . ان مبادىء التدريب ان يتعرف الفتيان والفتيات على الخيول وعلى عاداتها ، والى اسفل اليسار المتدربون وهم يقومون بتنظيف سروجهم بانفسهم .

وسيتم تطوير حلبة السباق الحالية في المرحلة الثانية من مراحل انشاء مرافق النادي. لوحات اعلان النتائج الحالية ستستبدل بها لوحات الكترونية . ستقام ابراج تليفزيونية للمراقبة الداخلية . بوابات الانطلاق الميكانيكية ستستبدل بها بوابات انطلاق كهربائية .

وتقرر ايضا انشاء مدرجات للجمهور تتسع لاكثر من ١٠ الاف شخص ومزودة بكل المرافق كالبوفيهات ودورات المياه والمظلات .

رسم الالتحاق ١٠٠ دينار والاشتراك السنوي ٧٥ دينارا للعائلة

ومنذ ان افتتح النادي ، وبالرغم من ان كل مرافقه لم تتم بعد ، فقد انهالت طلبات الالتحاق بالنادي من العديد من ابناء الكويت . وتنص اللائحة الداخلية للنادي على تحديد رسم القبول او الالتحاق بالنسبةللاعضاء العاملين او المنتسبين بمائة دينار وتحديد الاشتراك السنوي للفرد بـ ٥٠دينارا كويتيا لمن تجاوز الثامنةعشرةمن العمر. أما الاشتراك العائلي فهو ٧٥ دينارا للاسرة التي لا يزيد عدد اولادها عن خمسة اولاد ، واذا زاد عدد الاولاد على خمسةاضيفتالى رسم الاشتراك خمسة دنانير عن كل طفل .

ناد للاسرة كلها

وقد تحددت اهداف نادي الصيد والفروسيةفي عدة نقاط رئيسية اهمها :

* خلق وتنشيط الاهتمام بكافة فنون الفروسية وترويض الخيول وخاصة العربية منها .
* توفير المرافق الرياضية والترفيهيةوالاجتماعية للاسرة بكاملها .
* تشجيع الافراد على اقتناء الخيول وذلك بتوفير مرافق الاصطبلات والتدريب لاعضاء النادي .

يتم اخذ عينات من لعاب الخيل للتاكد منعدم حقنها بمواد منبهة وبذلك يكون السباق سليما خاليا من الشوائب ، وكذلك يتم وزن الفرسان وسروجهم .







حركة الانشاءات في النادي مستمرة ،ولن يأتي صيف عام ١٩٧٥ الا وأغلب مرافق النادي مكتملة ٠

* غرس حب الخيل في نفوس ابناء الجيل الجديد وما يرتبط بالخيل من المعاني النبيلة والترفيه البريء ٠

* اقامة اول حلبة سباق كاملة الحجم لسباق الخيل في الكويت ، وادارة السباق نيابة عن مالكي الخيل ٠

وقد بدأ فعلا تحقيق اهداف هذا النادي الجديد منذ أن تم افتتاحه حتى الان ٠٠

ولا يسع المرء ، وهو يرى ابناء وبنات الكويت يمتطون صهوات الجياد ويتدربون على طرق الركوب السليمة ، وقواعد الفروسية والرماية والسباحة ، الا أن يتذكر قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ينصح ابناء أمته قائلا :

« علموا اولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » ٠

■■

محمد طنطاوي



السعادة لا تطرق الباب مرتين

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ لا اظن ان والدا وولده ارتبطا بصداقة بلغت من العمق والقوة ما بلغته علاقتي بابي الذى مازلت أراه — رغم تقدم سني — عزائي في الحياة ، وملجئي عند الشدة ، وصديقي الذى أفتح له صدري ، واضع على كاهله ما اعجز عن حمله من همومي . .

انه يكبرني بثمانية وعشرين عاما ، فقد خرجت الى الدنيا وهو يقارب الثلاثين ، ولكن يبدو انه تلكأ عند سن الثلاثين ، على حين مضيت انا اتسلق درجات العمر ، حتى بلغت السادس والعشرين ، لانك لو نظرت اليه والي في ذلك الحين لخيل اليك انك بين اخوين لا تفرق بينهما الا بضع سنوات ، فقد احتفظ الرجل بنشاطه ومنظر شبابه بصورة تدعو الى العجب ، لانه لم يكن من الخليين الذين لايحملون هما ، ولا من اصحاب اللهو والمسرات الذين ينفضون اعباءهم عند قدمي راقصة ، او الذين يذيبون متاعبهم في كأس تدير رؤوسهم ، وتصرفهم عن عالم المتاعب والآلام ... بل كان الرجل « حمال أسية » كما نقول في مصر ، يحتمل من آلام الناس ما لا يعرفه غيري ، فقد كنت مستودع اسراره ، ومتنفس الامه ، وكان حينئذ اباي ينسيه الامه ، وبمنديلي هذا كم جففت من دموعه في ساعات الحرج والضيق ...

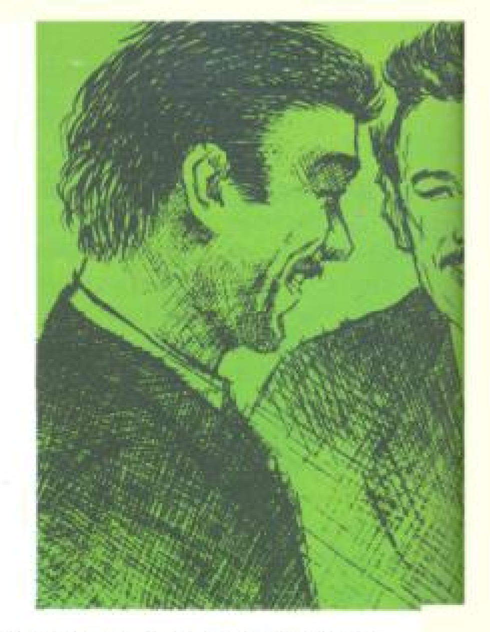
وكان الالم هو الذى ربط بيني وبين ابي على هذه الصورة ، فقد امتحننا الدهر معا وانا في العشرين من عمري بوفاة امي شابة في مقتبل العمر ، وريعان الجمال . وصدقني اذ اقول : ما زلت الى اليوم ، وبعد مرور ستة عشر عاما على تلك الفاجعة ابكي عندما تعود ذكراها الى نفسي ، فقد اختطفتها يد المنون في اقل من اسبوع ! كان ذلك يوم خميس اسود مطيرا حزينا ، عندما شكت صداعا والما في ظهرها ، ولكنها لم تلزم الفراش كما رجوناها ، فقضت يوم الجمعة التالي على عهدها في حركة دائمة ، وفي المساء حل بها المرض دفعة واحدة ، وفي منتصف الليل بدات تغيب عن الوجود ، وارتفعت حرارتها ، حتى اصبح جبينها كاللهب ...

وملكني الفزع ، اما ابي فقد جن فعلا ، ومضينا كالمجانين نبحث عن طبيبنا ، واتينا به ، وبينما كان يكشف عليها احسسنا اننا على ابواب كارثة فقد نظر الينا معاتبا وقال : « وكيف تسكتون عليها الى الآن يا ناس ... » .

وقلت له : « صدقني ، لم تشك الا امس ، ولم تلزم الفراش الا مع هذا المساء ... » .

— غير معقول يا اخي .. هذه السيدة مريضة من اسبوع ...

وصاح ابي فزعا : « ماذا عندها يادكتور .. قل تكلم » .



فصمت لحظة وهز راسه وقال : « ساخذها في سيارتي الآن الى مستشفى الحميات .. عندها التهاب سحائي ، وربنا يستر » ..

وسقط ابى من طوله كأنه لوح من خشب .. فان هذا الالتهاب الرهيب الذى يصيب الغشية المخ كان فيما اظن فى ذلك الحين حكما بالاعدام ...

وكانت تخدمنا خادمة كريمة هى سيدة بمعنى الكلمة تسمى « محظية » وكنا نسميها « محضية » اسرعت تسعف ابى ، اما انا فقد اسرعت ادثر امى بالبطاطين ، ثم حملتها مع الطبيب الى سيارته ، وانطلقت بنا السيارة كالبرق الخاطف نحو مستشفى الحميات فى العباسية ، وانسابت دموعى طول الطريق ، وانا احتضن اعز من فى الوجود ، ويدى على جبينها احسس النار المتصاعدة من الجبين الابيض الناصع الجميل ...

وفى المستشفى اخذوها منى ، ودخلوا بها لا ادرى الى اين .. ولم يلبث ابى ان اقبل مع «محضية»، ووجهه كله يتحدث عن الكارثة ، وانحط على الدكة الى جوارى ..

فى حياتي لم ار رجلا يبكي على هذه الصورة .. لقد فهم كل شيء ..

فى ذلك الوقت كانت محضية تسال كالمجنونة : « ستى .. وأين ستى .. ستى حبيبتى .. وأين بدور هانم .. خذونى عندها » ..

ونهرها الطبيب فنظرت اليه وجلست تبكي فى سكون .. وطوقت ابى بذراعى ، ووضعت راسى على ذراعه ، واشرت الى « محضية » فانتقلت الى جوارى ، وظللنا نحن الثلاثة هكذا نبكى فى صمت وقلوبنا كانها نار تتوهج ...

فى مكاننا هذا ظللنا ثلاثة ايام . غيرت ملابسي طبعا ، ولكن لا انا ولا محضية ذقنا طعاما .. عشنا على الاخبار التى كان الاطباء والمرضون يأتوننا بها .. ظللنا يلعب بنا أمل كاذب ، ويأس شامل، حتى كان صباح الاربعاء .. أسود اربعاء فى حياتى ..

خرج علينا الطبيب وراسه على صدره ، وقال فى صوت يشبه الهمس : « آسفون يا جماعة ، فعلنا كل ما نستطيع ، ولكن القدر كان أسرع منا ، البقية فى حياتكم » .

واجهش الرجل بالبكاء فقد كان يعرف امى ، ويعرف ما كانت عليه من صحة وجمال واخلاص ..

ونهض ابى وقال متوسلا : « أشوفها .. دعونى أشوفها .. نفسى أشوفها .. أين بدور ؟ »

ودخلنا ، على السرير الابيض رأيتها مسجاة على فراش الخلد ، والنور الساطع يتلألأ فى وجهها الملائكى . كانت مسحة من الحزن تغشى وجهها ، كانت هى الاخرى حزينة لفراقنا . واكب عليها ابى يقبلها ، ويبلل وجهها بدموعه، وانا واقف كالصخرة ، وقد مات احساسي ، اما محضية فلم تحتمل فاسندت ظهرها الى الجدار ثم انهارت على الارض .

★ ★ ★

اصبح بيتنا بعد تلك الفاجعة منزل الصمت .. شهور متطاولة عشناها فى صمت . نخرج وندخل كاننا الاشباح ، وكلما فاض بنا الالم دخلنا حجرة امى « بدور » ، تركنا الغرفة كما هى ، كما تركتها . كانت غرفة جلوسها وعملها وملتقاها مع صديقاتها . حتى مكنة الخياطة فى الركن ــ تركناها كما هى ، والقماش الذى لم تتم حياكته ــ مكانه تحت ابرة الماكينة . كانت محضية تنظفها دون أن تغير مما فيها شيئا . تركنا باب الغرفة مفتوحا حتى نشعر انها ما زالت هناك ، وانها لن تلبث ان تخرج علينا على عهدها ، وتقول بصوتها الحنون الذى لا يشبهه فى الوجود صوت : « كفى مناقشة .. قلبتم دماغى .. سأعمل لكم فنجان قهوة يروق دماغكم .. »

ومرت الايام..وغطت الايام على الجرح العميق، ولكنها لم تستطع ان تأسوه .

وتعودت الحياة مع والدي ، وكان هو رجلا انيسا حلو الحديث ، مولعا بالقراءة ، وكان كلانا يعمل في الحكومة ، وكانت سعادتنا الحقيقية تتمثل في الجلوس معا بعد الظهر في الحديقة الصغيرة امام البيت ، هناك تحت شجرة جميز عتيقة كانت محضية تضع لنا الكراسي ومائدة صغيرة ، فنسهر معا ، ونتبادل اطراف الحديث في كل شيء : من الفلسفة ، ومسائل الدين ، الى حوادث اليوم البسيطة الجارية ، وقد يحضر هذا السمر معنا بعض الاصدقاء ، ولكنه كان يقتصر علينا نحن الاثنين في الغالب ، وكانت محضية تحيطنا برعايتها كانها ام لي وله ، وكان وجهها الصبوح المشرق الباسم ابدا منبع مسرتنا ، اما بدانتها التي تستوقف النظر فقد كانت موضع فكاهتنا ، وكانت طول الوقت تنتقل من الحديقة الى المطبخ في خفة الغزال ، ولا تمل العمل ابدا ، مع ان ابي كان كثير المطالب ، وربما كان هذا هو ماخذي الوحيد عليه ، فقد كان لا يكف عن طلب اشياء صغيرة او كبيرة ، وكانت هي شديدة الاعجاب به ، لا تكف عن النظر الى وجهه الوسيم ، بلونه الابيض الذي لوحته الشمس ، وشعره الابيض الغزير ، وشاربه الفخم الجميل ، وصوته العميق الذي يفيض حنانا ، وكان يقول لي من حين لحين : « لا ادري والله ماذا كنا نعمل بدون هذا الملاك السمين ! » .

ومضت بنا السنون دون أن نحسها ، ووجدت نفسي فجاة احتفل بميلادي السادس والثلاثين ، فروعني الامر ، فكل اصحابي الآن متزوجون ولهم أولاد تخطوا العاشرة ، وانا في مكاني هذا ، وقلت لنفسي : « حذار أن يفوتك الوقت .. انت الآن في الدقائق الاخيرة قبل أن تدق ساعة الكهولة ، وبعد ذلك ليس امامك « يا ولد » الا ان تقضي شتاء العمر الطويل وحدك ! » .

وشعرت بقشعريرة في بدني كله ، عندما تراءت هذه الصورة المفزعة في خيالي .. وفي اثناء الحديث مع ابي ذات مساء اشرت من بعيد الى تفكيري في الزواج ..

وكان هو يقشر برتقالة ، فتوقفت يده عن الحركة ، ونظر الي طويلا ثم قال : « اذن سأبقى في النهاية وحدي ! » .

وخيل الي انني ارى سحابة حزن تمر على وجهه .. وظل صامتا بقية الليل ، حتى على المائدة لم يقل كلمة ..

وشعرت بشيء غير قليل من الالم والاسف ، فقلت : « والله لا اغضبه ابدا .. انه اعز علي من كل شيء في الوجود . وما دام حريصا على الحياة معي فلا بد ان اكون احرص منه على ذلك ، والزواج آخر الامر ليس مسالة حياة او موت ، وقد عشت دونه الى الآن ، واعتقد انني استطيع ان اكمل « المشوار » بدونه .. »

★ ★ ★

ومرت شهور .. وفي ذات يوم لقيني في أحد المتاجر صديق قديم ، وجرى بيننا الحديث العادي الذي جرى في هذه المناسبات ، ثم اقبلت فتاة تسأله شيئا ، فنظر اليها وقال : « هل تذكرين صديقي المهندس بدر الدين زكي الذي طالما حدثتكم عنه ؟ .. هذا هو .. »

واشار الي ، ونظرت الفتاة ناحيتي وابتسمت وقالت : « تشرفنا » .

ثم عاد يقول : اختي شيرين لقد حكيت لهم كيف تخرجنا معا من كلية الهندسة ، وكيف ارادت الصدفة أن نعمل معا في نفس الادارة ، وحكيت لهم اطرافا من حياتنا كشابين عزبين في بني سويف .. »

وبعد كلمات من هذا القبيل تواعدنا ، ومضى كل منا في سبيله .. ولكن صورة أخته لم تفارقني .. كانت كما يقولون « نصفي الثاني الذي أبحث عنه .. »

كانت المرأة كما اتصورها : بيضاء وردية اللون ، كل ملامحها دقيقة وجميلة ومتناسقة ، وشعر كستنائي فاتح يتموج على جبينها ، وكانت فارعة الطول رائعة القوام .. حتى صوتها بدا لي وكانني سمعته مرارا كثيرة قبل ذلك ، كان صوت امي الملائكي برقته وحنانه .. لازمني طيفها بقية اليوم وزلفا من الليل .. وكانت صورتها أول ما صافح بصري في الصباح .

وفي المكتب دار الحديث بيني وبين زميلي الباشمهندس امين ، وكان يعرف صديقي هذا ، لانهما عملا معا مدة طويلة في الاسكندرية ، فسألته عن احواله ، فقص علي اطرافا منها ثم قال : « اعرف اننا كنا على وشك أن نكون قريبين .. كنت اريد ان اخطب اخته شيرين .. يا سلام ـ يا بدر ـ على جمال هذه البنت ! ولكن يا خسارة ، لقد سبقني اليها ابراهيم فهمي وكيل النيابة اذ ذاك .. انه قريبي ، وأنت تعرفه ،

لقد زارنى هنا مرارا ..

ـ لا اذكر ، هل تزوجها ؟

ـ نعم ، ولم تسعد معه ابدا .. انه «العَبِيى» و « سكرى » وابن حظ ، وقد تعذَّبت معه طويلا ، ثم طلقوها منه منذ شهور قليلة فقط .. انه لا يستحق هذه الجوهرة ..

ـ وكم يكون سنها الآن يا ترى ؟

ـ حوالى الثلاثين ..

ـ لا تبدو عليها هذه السن ابدا ..

ـ هل تعرفها ؟

ـ رايتها معه منذ أيام .. وجهها يقول انها لم تتعدَّ الخامسة والعشرين .. ولكنها رائعة حقا ..

فنظر الى مليا ثم قال : « لماذا لا تتزوجها يا بدر .. انها العروس التى تملأ حياتك بهجة وانسا..ولا اخفى عنك انها ستَّ بيتٍ من الدرجة الاولى... »

ولم أجب ، وانصرفت الى الاوراق التى امامى .. وبعد قليل قلت له : « هل تعرفه جيدا ؟.. »

ـ جدا .. اذا شئت تحدثت معه .

ـ ولكن لا تقل له من الآن شيئا عن اخته .

ـ ولماذا .. اننى اخشى أن تضيع منك ، مثل هذه الفتاة لا تبقى طويلا دون زواج ..

ففكرت قليلا ، ثم قلت له : « عندى فكرة .. ادعنا للعشاء أو الغداء عندك .. نحن وهم .. »

ـ ومن « نحن » ومن « هم » ؟

ـ اقصد أنا وابى ، أما « هم » فهو واخته ..

فابتسم وقال : « وما دخل ابيك فى هذا ؟ »

ـ انت تعرف اننى احبه جدا ، ولا أعمل شيئا بدون رايه ..

فضحك وقال : « ما زلت تأخذ اذن «بابا» قبل أن تعمل شيئا ؟ »

ـ لا يا أخى ، ولكن ابى تعوَّد على الحياة معى بعد وفاة المرحومة ، ويؤلمه جدا أن انفصل عنه .. ولكنى أعتقد أنه سيوافق اذا رأى شيرين .. ستعجبه وسيسره أن تكون زوجة ابنه ..

وبالفعل قام صديقى بذلك ، وعملت لنا زوجته وليمة عشاء عامرة ، وأتت شيرين مع اخيها ، وملأت عينى منها طوال السهرة ، ولاحظت أن ابى يطيل النظر اليها خلسة ، ثم ينظر الىَّ ويبتسم ، فسرنى ذلك ، وايقنت أنه سيرحب بالموضوع عندما أتحدث اليه فيه .. وعندما صرنا وحدنا فى البيت ، قلت له وسط الكلام : « وما رأيك فى شيرين أخت اسماعيل الانصارى ... »

ـ امرأة رائعة ..

ـ هل اعجبتك ..

ففكر قليلا ثم قال : « سبحان الخلاق .. هكذا كانت أمك عندما تزوجنا ، خيل الى وأنا أتأملها أن المرحومة عادت الينا .. »

ومضى الحديث بيننا شجونا كعادتنا كل مساء.. وفى تلك الليلة نمتُ ، ومعى خيال شيرين ، واخذت ـ منذ تلك الليلة ـ أتصور حياتى معها.. وعوَّلت على أن أتحدث مع أبى فى الأمر بعد أيام.

★ ★ ★

وشغلتنى شواغل عمل طارىء ، ظهر خللٌ فى مستشفى حكومى كبير ، كانت المصلحة تبنيه فى شبين الكوم ، فندَبونى مع مهندسين آخرين للمعاينة، وأخذت العملية نحو شهرين من الزمن، وأخيرا كتبنا التقرير ، وخلصنا من ذلك العمل المرهق .. وفى اليوم التالى لتقديم التقرير قلت لصديقى : « متى أستطيع أن أذهب معك الى الباشمهندس الانصارى لنخطب اخته ... »

فضحك وقال : « أخيرا .. أخذت الاذن من بابا ؟ .. »

فتغاضيت عن تلك الدعابة الثقيلة وقلت له : « نعم .. حصلت على الاذن ... »

واتصل به بالتليفون ، وحدد موعدا بعد غد.

★ ★ ★

واثناء العشاء مع ابى تلك الليلة ، كنت افكر فى وسيلة أدخل بها فى الموضوع عندما نظر الى أبى وقال : « بدر..لقد فكرت طويلا فى مستقبلك، ووجدت أنه من الظلم أن أربطك بى ، اننى أعرف اننا تعودنا الحياة معا ، حتى أصبح الواحد منا لا يطيق الحياة دون الآخر .. تجمعنا معا صورة المرحومة » .

ـ هذا حق يا ابى ، وقد كنت اريد أن أكلمك فى ذلك .

ـ اذن سبقتك انا .. كنت دائما أخشى أن تدخل بيننا امرأة تفسد حياتنا ، حتى دعانا صاحبك هذا..الباشمهندس «الانصارى» للعشاء، ورأيت اخته ، وأحسست للوهلة الاولى أنها هى المرأة الوحيدة التى يمكن أن تعيد الى حياتنا بهجتها الاولى .. الا ترى أنها تشبه المرحومة فى كل شىء ؟ .

ـ حقا ان التشابه بينهما غريب .. حتى الصوت ..

فتفكر هنيهة ثم قال : « نعم .. حتى الصوت ! نفس الرنين الفضي الملائكي الحنون .. »

ثم سكت قليلا وعاد يقول : « ولكنى خشيت يا بنى الا تكون مناسبة لك .. فهى في الثلاثين من عمرها ، وهى مطلقة .. وشاب مثلك .. »

فقاطعته قائلا : « وكيف عرفت ذلك كله عنها؟ »

ـ اثناء انشغالك بالتحقيق في موضوع مستشفى شبين الكوم ذهبت اليهم مرتين ، ثلاثا ..

ـ ولكن يا ابى كان ينبغى ان تقول لى ذلك ..

ـ اردت ـ يا بدر ـ ان ادرس احوالها جيدا ، قبل ان اقول لك شيئا ..

ـ اذن انت لا يضايقك ان تدخل امرأة جديدة في حياتنا ..

ـ قطعا لا .. وهذه بالذات ..

ـ صدقنى يا ابى ، لا يهمنى ان تكون في الثلاثين ، او مطلقة ، انها المرأة الوحيدة التى تمنيتها في حياتى ..

فنظر الى طويلا وقال في لهجة جادة : « ولماذا لم تقل لى ذلك .. »

ـ اظن ان ذلك كان واضحا .. ماذا حدث ؟

ـ الذى حدث ـ يا بدر ـ انى رأيتك غير متحمس للموضوع ، وخفت ان تضيع منا ..

ـ ماذا تقصد .. ؟

ـ وجدتك متراخيا فقلت في نفسي : اذا لم يكن هو يريدها .. فيسعدنى انا ان آخذها ..

فعقدت الدهشة لسانى ، وبعد لأى ما ـ **استعدت هدوئى ، وقلت :** « اذن خطبتها لنفسك .. وهل قبلت هى ؟ »

ـ ولماذا ترفض ؟ حقا انى مثل ابيها ، ولكنك تعرف ان هذه المسائل لا تعترف بالاعمار .. والرجل هو الرجل في العشرين او في الستين ..

ـ اذن انتهى الامر !!

ـ وهل هذا يضايقك ..

ـ الحق يا ابى .. يضايقنى جدا .. لقد تعودنا الصراحة فيما بيننا .. وانا شخصيا كنت امتنع من الزواج ، حتى لا تظن اننى اريد فراقك .. ثم تذهب انت ..

وسمعت صوت محضية تضحك من كل قلبها ، والتفت فاذا وجهها المستدير يسوده البشر وروح الدعابة ، وقالت وهى تنظر الى ابى : « لقد نجحت حيلتى .. »

ـ اى حيلة .. افهمونى ؟ .

فضحك ابى وقال بصوته الهادىء الحنون :

« لا تغضب يا بدر .. المسئولة هى محضية .. لقد لاحظت انك تعلقت بهذه البنت ، ولكنها ظنت انك متردد ، لانها مطلقة ، وفي حدود الثلاثين ، وظنت ايضا انك ربما تتردد بسببى .. وقد رأيناك متراخيا في الامر ، فقلنا نعمل شيئا تثير به همتك .. »

ـ وماذا فعلتم ؟

ـ ذهبت الى الباشمهندس الانصارى وخطبت لك البنت ، ثم خشيت ان تخذلنى فدبرنا الحيلة لكى نثير غضبك فتقول ما في نفسك ..

فتنفست الصعداء ، ثم نظرت الى محضية وقلت : « هكذا يا محضية ! لا تقولين لى شيئا ؟ »

ـ لم تكن امامنا الا هذه الوسيلة لتخرجك عن تراخيك .

فنظرت الى ابى باسما وقلت : « هكذا .. .. دخلت منافسا لى في موضوع الزواج !! »

ـ يا ولدى العزيز .. حقيقة اننى كنت انانيا معك .. ولكن هذه البنت حلت العقدة .. انت تعرف اننى ما زلت متزوجا .. ان امك لم تمت قط يا بدر .. انها هنا ، في حجرتها .. كنا دائما ننتظر ان تخرج علينا من حجرتها بوجهها الصبوح ، كما كانت تفعل .. الآن يتحقق الحلم .. شيرين .. زوجتك المقبلة ستحل مشكلة حياتنا . ستتزوجان وتقيمان في بيت قريب .. ارجو منك ذلك ، لكى استطيع ان اسمع ذلك الصوت الجميل كلما اشتقت الى المرحومة .. بين بيتنا هذا وبيتك ستكون سعيدا جدا .. وستكون معى محضية هذه الانسانة الوفية ..

كان يتحدث وهو في شبه حلم جميل ، ثم افاق وقال : « متى تريد ان تذهب لخطبتها ؟ »

ـ الاسبوع القادم ..

ـ ما زلت تسوف .. الجواهر لا تظل طويلا على قارعة الطريق .. غدا غدا الساعة الخامسة مساء ..

ـ هكذا رتبتم كل شيء ..

ـ السعادة يا بنى لا تطرق الباب مرتين ..

■■

حسين مؤنس



أدوية التخسيس هل تفيد فى علاج البدانة؟

لا علاج إلا ضبط الطعام، لضبط الأحجام والأوزان

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم
استاذ علم الادوية والعلاج ـ جامعة عين شمس

■ يخطىء من يتوهم ان ثمة أدوية لها مفعول السحر فى شفاء علة أو انقاص وزن أو زيادته • فالدواء ـ مهما بلغت فاعليته ـ ليس سوى « دفعة » لتحريك قوى الجسم الدفاعية ، أو حافز « لاعادة تنظيم وظيفة عضو أو اعضاء اضطربت وظائفها • فاذا كانت هذه القوى ـ أو هذه الاعضاء ـ قد أصابها الوهن والخمول ، والتفكك، لم تجد هذه « الدفعة » بل لعلها تزيد العلة سوءا • ومن هنا ،كانت « التذكرة » التى تصرف من الصيدلية ـ مهما بلغت قيمتها عديمة الجدوى مالم تقترن بتصميم على التزام نصائح الطبيب ـ وخاصة فيما يتصل بالغذاء ـ ومحاولة جادة لتعديل نظام الحياة اليومية ، وربما تغيير لنظرة المرء الى الحياة وفلسفته فيها ابان الصحة وفى المراحل الاولى من العمر توقيا للمرض والعوامل المهيئة له فى المراحل المتقدمة •

البدانة تهيىء للمرض

والبدانة من اهم العوامل المهيئة للمرض ، والمعطلة لأنشطة الجسم ، فالبدين اكثر استعدادا للاصابة بارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية وغيرها من أمراض الجهاز الدورى ، وكذلك مرض السكر والتهابات المرارة والمفاصل وتكون الحصوات ، وحتى الاورام الخبيثة تختار ضحاياها ـ غالبا ـ من بين ذوى البدانة •

تقليل البدانة

وقد اختلف العلماء كثيرا فى تعليل منشأ البدانة، فيرى البعض انها وليدة اضطراب فى وظائف الغدد الصماء ذات الافراز الداخلى ، ولكن يدحض هذا الرأى ما لوحظ من أن البدانة التى تنشأ عن هذه الاضطرابات لها طابع خاص وتوزيع معين •

ويعتقد فريق اخر انها استعداد وراثي ، ولكن المحقق ، أن منشأ البدانة يتوقف على النسبة بين ما يتناوله الشخص من طعام وما يقوم به من نشاط حيث ان الغذاء هو وقود الجسم .. يحترق ليمده بالطاقة الحرارية اللازمة للقيام بوظائفه الحيوية ، ويتكدس ما يزيد عن الحاجة على شكل دهن في الانسجة المختلفة .

فالبدانة تنشأ اذن ، عن زيادة الطعام الدسم ، أو قلة النشاط ، أو عنهما معا وقد يكون الطعام طبيعيا ، ولكن البطالة والكسل والخمول تقلل ما يحتاجه الجسم منه .

وكلما تقدم بالانسان العمر ، يقل نشاطه ، ويلذ له الجلوس ساعات متوالية ، وهذا مالا يستسيغه الفتى الصغير ، المتمتع بكامل صحته ويعزف متقدمو السن عن الرياضة التي تتطلب الحركة كالسباحة والتنس ، ويلجأون الى اللعب بالورق ، وهكذا يفقدون نشاطهم تدريجيا .. بينما تظل الشهية للطعام قوية وربما ازدادت ، والنتيجة الطبيعية لذلك ، هي أن يفيض عن الحاجة كميات هائلة من الوقود ، وبعملية حسابية بسيطة تتلخص في انه اذا كانت الاحتياجات اليومية هي ٢٥٠٠ سعر ، بينما ياكل الشخص طعاما يمده بثلاثة الاف سعر ، فهنالك خمسمائة سعر زائدة يوميا ، لابد أن تتكدس على مر الزمن ارطالا من الشحم .

انقاص الوزن
انقاص كمية الغذاء

اذن الوسيلة الوحيدة لانقاص الوزن هي انقاص كمية الغذاء بحيث تكون السعرات الحرارية الناتجة منها اقل من احتياجات المرء الفعلية . ولكن هل يستطيع جميع الراغبين والراغبات في انقاص وزنهم أن يقللوا من كميات الطعام والوانه الدسمة الشهية التي تعودوا أن يسرفوا في تناولها وأن يلتزموا بنظام غذائي محدد لمدة طويلة ؟ .. هنا تبرز نقطة الضعف التي يشكو منها العديدون من عشاق الأطعمة الشهية ـ وخاصة بيننا نحن أبناء الشرق ـ فهم يتوهمون أنهم اضعف من أن يقاوموا شهيتهم الجارفة للطعام . وقد استغلت معامل البحوث بشركات الأدوية نقطة الضعف عند امثال هؤلاء ، وانتجت عدة مجموعات من العقاقير تختلف في مفعولها وفي الفكرة التي بنيت عليها ، ولكنها تهدف جميعا الى اقلال السعرات الحرارية المستمدة من الطعام عن السعرات الحرارية المستهلكة في اتمام انشطة الجسم المختلفة .

عقاقير تعمل على فقدان الشهية

وكان اول ما اتجهت اليه معامل الادوية في بحوثها عما نسميه « ادوية التخسيس » هو الوصول الى عقاقير تعمل على فقدان الشهية .. وقد نجحت في انتاج عدد من الادوية ، اهمها الدواء المعروف باسم « امفيتامين » وهو منبه قوي للجهاز العصبي المركزي ، ينبه مركز الشبع في المخ مما يقلل الشهية للطعام ، ولكن له اعراضا جانبية منها الارق والتهيج واضطراب السلوك وسرعة دقات القلب وارتفاع ضغط الدم كما انه يقود الى التعود بل أن استعماله لفترة طويلة يسبب الادمان .

والتعود على عقار ما معناه أنه عند التوقف عن استعماله تحدث بعض المضايقات التي قد تكون مزعجة ولكنها غير خطيرة مثل التعود على التدخين .. اما الادمان فمعناه أن انسجة الجسم لا تؤدي وظائفها الطبيعية الا في وجود العقار ، اذ تحدث اعراض خطيرة عند التوقف عن استعماله .. مثل ادمان الافيون ..

واحدث عقاقير فقدان الشهية هو دواء لا يسبب تعودا أو ادمانا كما أنه لا يحدث التهيج ، بل على النقيض من ذلك ثبت أن له أثرا مهدئا ولكن أهم اعراضه الجانبية هي جفاف الفم والاسهال والدوخة والاحساس بالتعب الشديد ويندر معه حدوث ارتباك عقلي يحتم وقف الدواء .

ولقد سجلت حالات تسمم شديد وبخاصة بين الأطفال نتيجة تناول جرعات كبيرة من هذا الدواء بطريق الخطأ . ولقد حدثت الغيبوبة والوفاة نتيجة تجرع عشرين قرصا . ولهذا فانه من المهم جدا وضع هذه الحبوب بعيدا عن متناول ايدي الصغار .

ومن هنا يتضح أن ادوية فقدان الشهية لا يمكن أن تكون بديلا عن « الرجيم الغذائي » .. فهي في أحسن الاحوال ليست الا عاملا قد يساعد بعض ذوي البدانة على الاستمرار في « الرجيم » .

وليس هناك مطلقا ما يبرر البدء باستعمال

هذه الادوية اذ ان الافضلية المطلقة هى « للرجيم الغذائى » لكن عندما يفشل هذا « الرجيم » فى انقاص الوزن او الاصح ان يقال انه عندما يفشل المرء فى التزام « الريجيم » فانه عندئذ فقط يمكن التفكير فى الاستعانة باحد هذه الادوية على ان يكون مناسبا لمقتضى الحال ، وعلى أن يؤخذ فى الاعتبار بكل دقة وعناية امكان حدوث الأعراض الجانبية الخطيرة التى قد اوضحناها ٠

استخدام اغذية لا تنهضم

واتجه تفكير بعض الاخصائيين الى استخدام مواد غير قابلة للهضم يقصد بها اضافة حجم للطعام الذى يتناوله المرء ، وخاصة ان عددا كبيرا من ذوى البدانة لا يمكن ان يغادروا مائدة الطعام او يتوقفوا عن الاكل حتى تمتلىء معداتهم وتبرز كروشهم ولا يعود ثمة مكان بها حتى لجرعة ماء ٠ وقد اتضح ان مركبات « السليولوز » يمكن أن تحقق هذا الغرض ، فهى تمدد المعدة وتحشوها دون ان تعطى طاقة وثبت انه لاضرر منها وليست لها آثار جانبية ولكنه لا داعى لاستعمالها قط لو توافرت قوةالارادة والعزيمة والتصميم على الاقلال من الطعام وزيادة الحركة والنشاط العضلى ٠

عقاقير تذهب بالقلق النفسى فبالبدانة

ولاحظ المهتمون بالدراسات النفسية انالمصابين بالقلق والتوتر النفسى يعمدوناحيانا الىالاسراف فى الطعام ، ومن لم يصابون بالبدانة ، وكانهم يحاولون أن يتخذوا منالاكل وسيلة لاغراق همومهم واحزانهم ، فليس صحيحا — فى جميع الاحوال —أن الهموم تقتل الشهية للاكل وتسبب العزوف عن الطعام ٠ وذلك دعا البعض الى استخدام المهدئات ومطمئنات النفس كوسيلة « للتخسيس » ٠٠ ولا شك انها تجدى فى الحالات المصعوبة باضطرابات نفسية اما فى الحالات العادية فلا فائدة منها ٠

ومدر'ات للبول تتخذ علاجا

ويصف البعض مدرات البول كوسيلة للتخلص من البدانة ٠ والواقع انه ما لم يكن هناك «أوديما» أو تجمع للسوائل فىانسجة الجسم كنتيجة ثانوية لمرض فى القلب او الكلى ، فان مدرات البول لامحل لها فى علاج البدانة ٠ هذا بالاضافة الى ان كثرة استعمالها تؤدى الى الاصابة بمرضالسكر كما تعرض لنوبات حادة منالنقرس وايضا تسبب نقصا خطيرا فى البوتاسيوم ٠

وسائل أخرى غير نافعة

ومن الاخطاء الشائعة استعمال المسهلات بغرض التخسيس ، وقد ثبت انه لا جدوى مطلقا من استعمالها لهذا الغرض ٠ هذا بالاضافة الى انها قد تسبب تقلص القولون ، ونقص البوتاسيوم ، وانخفاض ضغط الدم والهبوط العام ٠

وللحمامات التركية والتدليك شهرة فى علاج البدانة ٠ وهى فى الواقع تسبب نقصا مؤقتا فى الوزن ، ولكن سرعان ما يستعيض الجسم سوائله المفقودة بهذه الطرق الخارجية ٠

★ ★ ★

اما هرمون الغدة الدرقية ، فاستعماله يجب أن يقتصر فقط على حالات البدانة المصحوبة بنقص افراز الغدة الدرقية ٠ أما فيما عدا هذه الحالة فليس هناك مطلقا ما يبرر استعمال هذا الدواء فانه ضار بالقلب وبالاوعية الدموية ٠

★ ★ ★

انه لا مناص من تحديد الغذاء للحصول على قوام رشيق ٠ وفى وسعك انت وحدك—وبدون استخدام الادوية — أن تبدا من الآن فى تحديد كمية الطعام التى تتناولها ٠ ولا تتصور انكاضعف منانتقوم بهذه المهمة ٠ ففى داخلك طاقات هائلة لو كشفت عنها واستعنت بها لجعلت منك انسانا جديدا ٠

■■

د ٠ ابراهيم فهيم

ندوات لها تاريخ



جمال الدين الافغانى



ندوة "المنار"

بقلم : انور الجندى

■ عاشت صحيفة « المنار » نيفا وثلاثين عاما منذ انشاها السيد محمد رشيد رضا عام ١٨٩٨ حتى توفى عام ١٩٣٥ ـ كانت دار هافى « شارع الانشاء » بالقاهرة مقصدا لرواد الفكر الاسلامى من جميع الاقطار ، ومصدرا لعشرات من الابحاث والكتب والمؤلفات ، وفى مقدمتها تفسير المنار ، ومؤلفات الائمة : ابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وابن حجر ، وغيرهم من المصلحين الذين اضاءوا العالم الاسلامى باثارهم .

ولقد كانت ندوة المنار واحدة من تلك الندوات التاريخية الحافلة التى ضمت امثال الامير شكيب ارسلان ، والعلامة رفيق العظم ، والسيدعبدالقادر المغربى ، والشيخ احمد شاكر ، وبعض السادة البكرية : توفيق البكرى وعبد الحميد البكرى وكان الحديثبيدا دائما بالدور الخطير الذى قام به السيد جمال الدين الافغانى عندما قدم مصر فى أواخر عام ١٨٧١ ـ وكيف تابع الامام الشيخ محمدعبده استاذه الافغانى فى العمل حتى انشا الجماعة الاسلامية التى حملت لواء التجديد والاجتهاد . وانطلقت منها صحيفة المنار الى اقصى بلاد العالم الاسلامى .

ويروى السيد محمد رشيد رضا فى احدى هذه الندوات كيف وصل الى مصر ، وقصد الى دار المفتى (الشيخ محمد عبده) فاستقبله فى جمع من مريديه،وتحدث اليه الشيخ عن مشروعاته واعماله الفكرية ، فقال الامام : اننى فى حاجة الى مساعد حاذق امين يفحص عن النصوص ،فان جميع ارباب التاليف الكثيرة كالغزالى وغيره كانوا كذلك ، والا فان الوقت لا يتسع لتلك المؤلفات ، وانه لم يجد ـ بعد ـ ذلك المساعد .

قال الشيخ رشيد رضا :ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . وتمضى قصة انشاء صحيفة المنار الى غايتها . فيكتب رشيد رضا مقدمة العدد الاول ، ويعرضها على الشيخ الامام فيرتضيها الا كلمة واحدة : هى تعريف الامة بحقوق الامام وتعريف الامام بحقوق الامة .

وقال الشيخ محمد عبده : ان المسلمين ليس لهم اليوم « امام » الا القرآن ، وان الكلام فى الامامة مثار فتنة يخشى ضرره ، ولا يرجى نفعه الآن .

الرواق العباسى

ويشير السيد رشيد رضا فى ندواته الى العمل الذى تحقق ، والذى لو لم يتم لفات خير كثير ، وهو اغراء الشيخ محمد عبده بالقاء دروس فى



محمد رشيد رضا



الشيخ محمد عبده

تفسير القرآن . يقول : حرضت الشيخ الامام على ان يقرأ درسا في التفسير ، فكان يعتذر ، فلم ازل به حتى اقتنع برأيي . وبدأ هذا الدرس في الرواق العباسي بالازهر الشريف في غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم ١٣٢٣ (وهي الفترة بين عام ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥ وهو نفس العام الذي توفي فيه الامام) ، وتوقف عند قوله تعالى (وكان الله بكل شيء محيطا) من الآية ١٢٦ من سورة النساء ـ فكانه قرأ زهاء خمسة اجزاء في ست سنين . ثم توفي في ٨ جمادى الاول ١٣٢٣ .

وكنت اكتب مذكرات اثناء الدرس . ثم بدا لي باقتراح بعض الراغبين في الاطلاع على تفسير الامام، ان انشر هذا التفسير فشرعت في نشره في محرم ١٣١٨ .

وقال السيد رشيد رضا لمحدثيه ممن سجلوا هذا وفي مقدمتهم الشيخ احمد شاكر : « كنت اولا أطلع الاستاذ الامام على ما أعد للطبع ، كلما تيسر ذلك ، بعد جمع حروفه في المطبعة . فكان ربما ينقح فيه بزيادة قليلة ، او حذف كلمات، ولا اذكر انه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع ، بل كان راضيا بالمكتوب . بل معجبا به . على انه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا اليه . بل كان تفسيرا للكاتب من انشائه ، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما استفاد منها »(١) .

السيد : جمال الدين الافغاني

ولطالما اشار السيد رشيد رضا في ندوته الى انه لم يتحقق له الالتقاء بجمال الدين ، وان التقى به صديقاه وضيفا ندوته : الامير شكيب ارسلان ، والسيد عبد القادر المغربي يقول : لما توفاه الله عزمت على الهجرة الى مصر ،وكان اعظم ما ارجوه الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة . وحصة الاصلاح التي استفادها من صيحة جمال الدين ، وان يعمل معه وبارشاده .

اما الشيخ المغربي فيحدث عن زيارته لجمال الدين في الاستانة،ويصور مجلسه فيقول : اما فيلسوفنا الافغاني فما كنا نراه الا مشرق الوجه منبسط الاسارير ،جذاب لحظ المقلتين ، تبرق عيناه وهو يحدث بما يسال عنه وتنفرج شفتاه عن ابتسامة لطيفة حين سماعه النوادر في مجلسه » .

ويشير المغربي الى اثر جمال الدين في فكره ونفسه فيقول : اهم ما استفدناه من طريقته في الاصلاح . اننا كنا نقرأ الكتب القديمة الموروثة ونصدق بنصوصها دون تردد او ارتياب . فعلمنا شيخنا (حسين الجسر) ان النصوص الدينية الموروثة فيها الغث وفيها السمين . وان بينها ما هو غير صحيح ولا معقول ، فيجب الانتباه اليه. فلما التقينا بالافغاني علمنا كيف نفهم النص الديني فهما صحيحا .

اما الشيخ رشيد رضا فانه يشير الى تحوله من التصوف ، الى السلفية ، فيقول : كان اعجب كتب التصوف الي (احياء علوم الدين) لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي الذي طالعته كله ،وكنت اكثر مراجعته ، وقراءة بعض ابوابه ، عودا على بدء ، ثم صرت اقرؤه للناس ، وكان له اكثر التأثير في ديني واخلاقي وعلمي وعملي وانه كتاب صالح نافع في اكثره ، ضار في اقله ، وقد عالجت الضار منه بعد العلم به ، فما كان فيه من خطأ علمي ، فقد رجعت عنه بالتدريج بعد اشتغالي بعلم الحديث، ولا سيما عقيدة الجبر ، والتاويلات الاشعرية والصوفية والفلسفية في الزهد ،وبعض العبادات المبتدعة .

اما تأثيره الوجداني في الزهد واحتقار الدنيا والمتكالبين عليها ، فلم استطع الاعتدال فيه فضلا عن التخلي عنه .

الخلاف مع شيخه

ولقد كانت الاحاديث تجري احيانا حول اختلاف

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ٣ ص ٧٦٥

منهج الشيخ رشيد في التفسير عن منهج شيخه ، وكان الشيخ شاكر يجيب في هذه النقطة فيقول : استقل بالتفسير وحده بعد استاذه ، فقام به خير قيام،ولكن كان الشيخ محمد عبده روحا وثابا وحكيما عظيما ، وقائدا ماهرا • ولكنه لم يكن مطلعا على السنة النبوية اطلاعا كافيا ولا يكون المفسر للقرآن تفسيرا الا بالتوسع في دراسة الحديث النبوي ، والتشبع فيه • لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ببيان الكتاب للناس ، فقوله وفعله في جميع حالاته شرح لهذا الكتاب •

ومن هنا اختلف منهج صاحب المنار • وقد اتم الشيخ رشيد تفسير اثني عشر جزءا من القرآن وفسر بعض ايات الجزء الثالث عشر •

التاريخ الاسلامي

وكانت ندوة المنار تولي اهتماما كبيرا بالتاريخ الاسلامي ، وكان العلامة رفيق العظم هو محور هذه الابحاث،بعد ان اصدر كتابه (اشهر مشاهير الاسلام) ولطالما شرح منهجه وطريقته في تجديد كتابة التاريخ الاسلامي بما يتفق مع روح العصر ، دون ان ينقص من قدر امجاد هذا التاريخ •

يقول : « ان الحقائق التاريخية ـ لا سيما في تاريخ الاسلام ـ تشبه الدر ، بين اشواك يحتاج من يريد استخراجه من تلك الاشواك الى اناة وروية ونظر في وجوه السلامة من اذى الشوك • ونرى ان كتب القصاصين قد حفلت باخبار مختلقة هي احط ما ينسب الى خلفاء او ملوك كانوا في مثل مرتبتهم من العزة والمنعة وبسط الملك والحياة ، وكان من المحال ان يكونوا من انحطاط الخلق والسيرة في المنزلة التي انزلها اليهم الوضاعون ، ويدوم لهم طويلا ذلك الملك العريض » •

وكانت الابحاث تدور في ندوة المنار حول المنهج الذي اختاره العلامة رفيق العظم ، فكان يقول : اخذت على نفسي ان لا اتحرى في القول عن تراجم الرجال ، وذكر الاعمال ، الا الحقائق التي يسلم بها الضمير الحر • وتقتضيها سياسة الحياة ، وعدم التشيع لانسان دون اخر •او فريق دون فريق ، وعندي ان البطولة هي قوام النهضة ، وانما قامت الدول ، واتصلت بالشعوب اسباب السعادة، بافذاذ في كل امة معدودين ، وافراد من الرجال المشهورين ، كبرت نفوسهم ان تخلد الى الدنيا ، وترضى بالحقير من الشهوات ، فطمحت بهم الى معالي الامور ، وانصرفت بهممهم الى غايات الكمال •

وانه لم يخل عصر من العصور منهم •

ومن منهجي الذي اختططته لنفسي : اجتناب الخوض في الفتن التي ثار ثائرها في عهد الخلفاء عثمان وعلي ومعاوية ، ولم ار بدا من ذكرهم مع الخليفتين ابي بكر وعمر لانهم جميعا من دعائم الاسلام • وقد اكتفيت من سير هؤلاء الثلاثة (علي وعثمان ومعاوية) بما لا يعلق بذكره من هذه الفتن اثر في النفس الا من كان فيه حجة بالغة يجري بها القلم او حكمة ذاخرة يحتاج اليها العاقل •

ويشير العلامة رفيق العظم الى ان للمسلمين بطولات ذاخرة ، جديرة بان تكون موضع نظرهم ، وهي اكثر تالقا من بطولات اولاها المسلمون اهتماما، مع انها ليست من بطولاتهم ، فيقول :اين نابليون الذي طبقت شهرته الافاق من قتيبة بن مسلم فاتح السند وتركستان ، ومن عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة • وقد تنازعتها اطماع الطامعين ، فذلل صعاب الامور • ثم اطلق للجيوش الاسلامية عنان الفتح •

واين ابطال الغرب من موسى بن نصير ومولاه طارق اللذين جاءا الى اقصى الغرب بجندهما القليل البالغ اثنى عشر الف مقاتل ، فاقتحما القارة الاوربية وقضيا على دولة القوط بالدمار • بل اين هو مثيل عبد الرحمن الغافقي الذي اقتحم ما وراء «البرنية»في عهد الخليفة هشام الاموي ، واقسح بجيشه القليل في احشاء المملكة الفرنسية حتى بلغ بواتو وبورغنيا ، على مسافة الف ميل من جبل طارق ، فذعرت منه سكان الممالك الاوربية واستجاشت لقتاله ، وصدته الجنود الفرنسية والكوكسون والقوط والجرمان !

الاشتقاق في اللغة

اما الاستاذ عبد القادر المغربي فكانت احاديثه في ندوة « المنار » تتصل باللغة العربية ، فهو رفيق صبا رشيد رضا ، وهما تلميذا العلامة حسين الجسر ، جاء رشيد رضا الى مصر عام ١٨٩٨ ـ ولحق به المغربي عام ١٩٠٦ ـ حيث عمل محررا في المؤيد ،وقد جرت في هذه الفترة مناقشاته العديدة مع حفني ناصف ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد الخضري ، واحمد الاسكندري ، وحسين والي ، حول دعوته الى الاشتقاق والتعريب التي سبق بها المصلحين في هذه الفترة •

يقول : ان الاشتقاق قانون طبيعي في كل لغة من لغات البشر ، لا اللغة العربية وحدها وان على ابناء هذه اللغة ان يستفيدوا منه في تنمية لغتهم، وتوسيع دائرة التخاطب بها • وان الاشتقاق والتعريب فصيحان كالكلمات الاصلية » قيل له : اذن » فما رأيك في هذه الجملة الخطيرة التي شنها عليك الكتاب والباحثون ؟ » قال : ان احمد فتحي زغلول قد حسم هذا الخلاف حين قال في ختام المناقشات : » اذا عرض لنا لفظ اعجمي ترجمناه الى لغتنا • واذا تعذرت ترجمته اصطنعنا له اسما من لغتنا • واذا تعذر ذلك استعملنا مكان الاعجمي كلمة عربية مصوغة باحدى طرق المجاز • وان لم يكن شيء من ذلك نلجأ الى تعريبه اسوة بالمعربات السائدة في لغتنا » •

وقد كانت هذه الكلمة الحاسمة انتصارا لمذهبي ، وقد واليت الكتابة فيه لتاكيد وجهة النظر هذه • فلما اسس المجمع العلمي العربي بدمشق وضعت كثيرا من المفردات المعربة •

رحلة الاندلس

والامير شكيب ارسلان عضو بارز في ندوة المنار كلما جاء مصر ، او مر بالمشرق • فاذا غاب شارك برسائله في كل المسائل، ولقد ظلت احاديث الندوة لاسابيع متعددة تجرى حول زيارته للاندلس عام ١٩٣٠(١) ، فكان العربي الثاني في العصر الحديث، بعد زكي باشا شيخ العروبة الذى زارها عام ١٨٩٢ يقول : ليس بعجيب ان يكون مثلي مغرما بالاندلس ، وباثار العرب فيها ، وما جاورها من الاصقاع الاوروبية • فان كل عربي حقيق بان يبحث عن اثار قومه ، ويتعلم مناقب اجداده ، ويتدارس معالي هممهم مع اخوانه ويترك من ذلك تراثا خالدا لاعقابه •

ولقد كنت منذ الشباب الباكر اتغنى بمجد العرب وامجادهم ، وقد القيت اول قصائدي امام الشيخ محمد عبده الذى كان منفيا في بيروت في ذلك الوقت وقلت :

يا يومَ حطّين كم حططت من الافـ
ـــرنج شـــأنا ما كـــان ينكسِرُ

هبّـوا مــن الغرب كالجراد ، فلم
يكـــن لشـــرق برَدّهم قـــدَرُ

ويصور غرناطة فيقول : » غرناطة الحمراء مبنية على سفح جبل البشارات ،على رابيتين مسترسلتين صعدا ، يفصل بينهما واد عميق ، والابنية ممتدة على الصبّب من الجانبين ، واخذة برقاب السفوح الى قعر الوادى بشكل يعطي البلدة للناظر هيئة الرمانة ، ومنها اشتق اسمها • اذ معنى لفظة غرناطة : رمانة •

وتحدث كيف امضى سنوات كاملة قبل ان يقدم على زيارة الاندلس في البحث والدراسة والتنقيب، واشترى عشرات المصادر التي تعينه •

ومن هنا جاء كتابه » الحلل السندسية في الرحلة الاندلسية » حافلا في ثلاثة مجلدات ، وله ايضا غزوات العرب في فرنسا وشمال ايطاليا وسويسرا • وقال انه ما دفعني الى زيارة الاندلس والكتابة عنها وعن فتوح العرب في جنوب فرنسا وايطاليا الا اقامة الدليل على ان العرب جديرون بالحرية والاستقلال •

وهكذا كانت » ندوة المنار » حافلة دائما باهل العلم والفضل من كل اقطار العالم الاسلامي • وكان السيد رشيد رضا ، ومن حوله زملاؤه في النضال ،لا يشغلهم الا اعادة تجديد بلاد المسلمين والعرب،والنهوض بها عن طريق الكلمة والتفسير، وتجديد التاريخ •

يقول السيد رشيد رضا الذى ترك ستة وثلاثين مجلدا من مجلة المنار ، بغلاف كتبه وتفسير القران : » لقد كان همي محصورا في تصحيح عقائد المسلمين • فتعلقت نفسي بوجوب ارشاد المسلمين عامة الى المدنية ، مع المحافظة على ملكهم ، ومباراة الامم الغزيرة في العلوم والفنون والصناعات •ولم اعد ارى الدين مجرد وعظ ،وانما اعرف ان الدين اكسبَ عقول البشر عقائد ،واودع في نفوسهم خصالا ،هي اركان لوجود الامم ، وعماد لبناء الهيئة الاجتماعية » •

وهكذا مضت ندوات المنار ومجالسه • ■■

انور الجندى

---

(١) الرجل الذى اوغل في الاندلس عاما بعد عام ، وشغل بها شغلا بعد ذلك هو العلامة : محمد عبد الله عنان •



كل امرىء ، فى بيته ، صبىٌ

هذا مثل عربى ، وفى معناه يقول عمر بن الخطاب : « ينبغى للرجل ان يكون فى اهله كالصبى، فاذا التمس ما عنده كان رجلا » .

في المسألة

روى انس بن مالك قال : «جاء رجل من الانصار الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال : «أتيتك من أهل بيتى، لا أرانى أرجع اليهم من الجوع » . فقال: « اما عندك شىء ؟ » . قال : « لا » . فأعطاه النبى درهمين وقال له: « اذهب فابتع بأحدهما طعاما ، وبالآخر فأسا ،

الضمان الاجتماعى في خلافة الامام على

● كان الأشتر (مالكُ بن الحارث)النخعىمن اشد انصار الامام على اخلاصا له ، ومن كبار قواد جيشه ، ولاه الامامُ مصرَ ولاية عامة ،جبايةَ خراجها ، وجهادَ عدوها ، واستصلاحَ اهلها ، وعمارةَ بلادها ، وذلك بعد أن بلغه اضطرابأمرها على واليها ممن قبله : محمد بن ابى بكر الصديق ، وكتب الامام للاشتر حين ولاه كتابا ،هو أطول كتبه ، يصلح أن يكون دستورا للحكم فى اى ولاية ، وكان مما كتب له يوصيه بالضعفاء :« ثم اللهَ اللهَ فى الطبقةِ السُّفْلَى من الذين لا حيلةَ لهم ، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى (المرضى الذين لا يبرءون) فان فى هذه الطبقة قانعا (ضعيفا) ومُعْتَرا (فقيرا) ، فاحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قِسْما من بيت مالِكَ ، وقِسما من غـلات صواق (١) الاسلام فى كل بلد ، فان للاقصى منهم مثلَ الذى للادنى ، وكلٌّ قد استرعيتَ حقه.ولا يشغلنك عنهم بَطَرٌ ، فانك لا تُعذَر بتضييع التافه ، لاحكامك الكثيرَ المهمَّ ، فلا تُشْخِصْ همك عنهم ، ولا تُصعرْ خدَّك لهم (لا تتكبر عليهم) ، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه (تتجاوزه) العيون ، وتحقِرِه الرجال، ففرِّغ لاولئك ثقتك (من تثق به) من أهلِ الخشيةِ والتواضع ، فليرفعْ اليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه ، فان هؤلاء ــ من بين الرعية ــ أحوجُ من غيرهم الى الانصاف ، وكلٌّ فأعذِر الى الله فى تادية حقه اليه . وتعهَّدْ أهلَ اليُتم ، وذوى الرِّقةِ فى السن ، ممن لا حيلةَ له ، ولا يَنْتصِبُ للمسألة (السؤال) نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل،وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العافيةَ فصبّروا انفسهم ، ووثِقوا بصدق موعود الله لهم » .

---

(١) الصواق : التى ليس لها مالكٌ خاص .



واحتطب وبع ». فغاب الرجل خمسة عشر يوما ثم جاء فقال: « بارك الله لى فيما امرتنى به، اصبت عشرة دراهم فابتعت لأهلى بخمسة طعاما، وبخمسة كسوة » فقال النبى صلى الله عليه وسلم: « هذا خير لك من المسالة، ان المسالة لا تحل الا لاحد ثلاثة: دم موجع، أو غرم منفظع، أو عدم مدقع. »

قالوا فى المزاح

قال اكثم بن صيفى حكيم العرب « المزاحة تذهب المهابة ».

وقال عمر بن عبد العزيز « اياك والمزاح، فانه يجر الى القبيحة، ويورث الضغينة » ومن امثلة العرب « المزاح سباب العمقى ».

أجناس الامهات

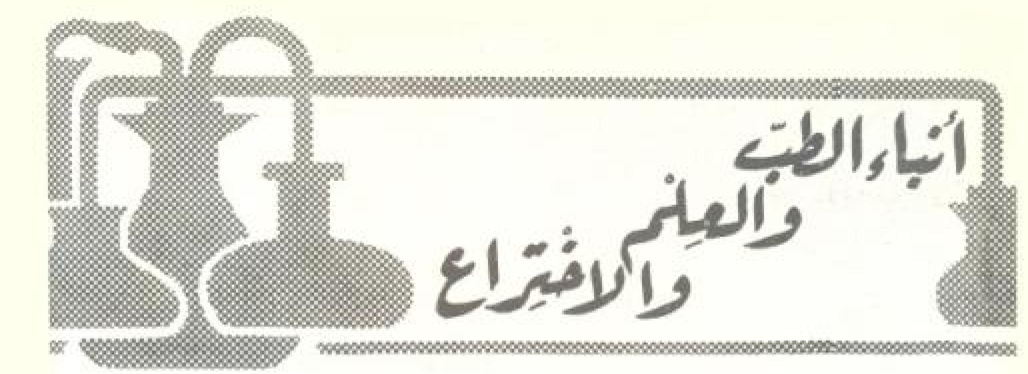
● سئل احد الحكماء عن تأثير اجناس الأمهات فى الأولاد فقيل له: ما تقول فى ولد الرومية؟ فقال: صلف معجب بخيل. قيل: فولد الصقلبية؟ قال: طفس زنيم.. قيل: فولد السوداء. قال: شجاع سخي. قيل: فولد الصفراء قال: هم انجب اولادا والين اجسادا واطيب افواها. قيل: فولد النوبية. فقال: فاسق جاهل. قيل: فولد العربية، قال: انف حسود. قيل: فولد اليهودية؟ قال: دغل قذر. قيل: فولد الفارسية؟ قال: مكر وخديعة.

هات الكراء

حكم احد القضاة على رجل بالافلاس، فاركبه حمارا، وطوف به فى ازقة الكوفة وشوارعها، واخذوا ينادون عليه بان لا يبايع، فانه مفلس، وبقى على هذه الحال طول النهار، حتى اذا كان وقت الغروب انزل عن ظهر الحمار، فلما انزل قال له صاحب الحمار: « هات الكراء » فقال له المفلس: « فيم كنا من ول النهار يا ابله. »

الجوع ابغض

كان مالك الاشتر من قادة الامام على بن ابى طالب فى موقعة صفين، كما كان مشهورا بالشجاعة والاقدام. قيل ان هذا القائد قتل ابا امراة وابنها واخاها وعمها وعشرين من أهل بيتها، وحدث ان اتت هذه المراة تسال الاشتر، فقال لها: « ما اظن على ظهر الارض ابغض اليك منى »، فقالت: « بلى، ان الذى الجانى اليك ابغض الى منك، وهو جوع بطنى. »



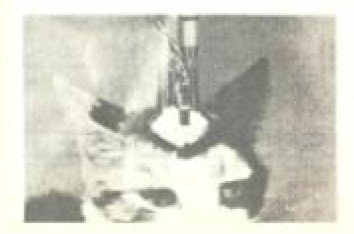
الذاكرة .. هل يمكن التحكم فيها كيميائيا او كهربائيا !

● لا يزال الكثير من عمليات المخ فى الانسان والحيوان أشبه باللغز الذى يحير العلماء .. ومن اهم العمليات التى يقوم بها المخ تخزين المعلومات او ما يسمى بالذاكرة . ومنذ اكثر من عقد من الزمان والابحاث تجرى لمعرفة الاسس البيولوجية التى تتحكم فى الذاكرة . واذا تمكن العلماء من معرفة هذه الاسس ، فانهم قد يصلون الى طريقة يتحكمون فيها فى ذلك الجزء الحيوى من عمل المخ البشرى او الحيوانى . والتحكم فى العمليات الحيوية للذاكرة سيؤدى الى تأثير كبير فى المجتمع وفى الفرد .

ويتركز البحث عن الاسس البيولوجية لعمل الذاكرة فى ميدانين رئيسيين هما الاساس الكيميائى والفسلجة الكهربائية Electro Physiological .

وفى الاساس الكيميائى يقول الباحث جورج اونجار G. Ungar وهو استاذ علم الاقرباذين فى كلية طب بايلور Baylor انه استطاع ان يدرب الكثير من حيوانات المختبر على القيام باعمال مختلفة ، ثم بعد ذلك قام باستخراج مادة كيميائية من امخاخها ثم تنقية تلك المادة وعزلها . وبعد ذلك قام «اونجار» بحقن هذه المادة الكيميائية فى امخاخ حيوانات لم تتدرب من قبل على القيام باعمال دربت عليها الحيوانات التى استخلصت من امخاخها هذه المادة الكيميائية . والغريب انه بعد ان تحقن هذه الحيوانات فانها تؤدى نفس الاعمال التى دربت عليها الحيوانات الاخرى . ومن هذه التجارب يبدو ان هذه المادة الكيميائية قد تتصل بالذاكرة ويمكن نقلها من مخ حيوان الى مخ حيوان آخر . وقد اطلق على هذه المادة الكيميائية التى استخلصها « اونجار » اسم « جزيئات الذاكرة Memory Molecules » . وتتكون هذه الجزيئات المسماة بجزيئات الذاكرة من البروتين وقد سمى احد هذه المواد سكوتوفوبين Scotophobin ويعنى باللاتينية الخوف من الظلام . وقد استخلصت هذه المادة من امخاخ فئران دربت على الخوف من الظلام ، وعندما حقنت فى

اقطاب كهربائية زرعت فى دماغ قار وقط اثناء التجربة التى اثبتت ان هناك نبضات كهربائية تصدر عن منطقة الذاكرة فى المخ عند تلقى معلومات معينة .







• اونجار • هناك مادة كيماوية تسمى • جزيئات الذاكرة •



• جون • انا اختلف مع • اونجار • والذاكرة تعمل بالفسلجة الكهربائية •

امخاخ فئران لم تخضع للتدريب على الخوف من الظلام ، فانها بدات تتخوف من الظلام، وتتصرف نفس تصرف الفئران الاخرى المدربة .

وينوى « اونجار » ان يحقن نفسه هو وبعض المتطوعين من البشر بجزيئات الذاكرة ليرى مدى تاثير هذه المادة الكيميائية على الانسان .

وفى ميدان الفسلجة الكهربائية للذاكرة يقول الدكتور روى جون Roy John ان ابحاثه خلال ٢٠ عاما قد امدته بأدلة متزايدة ، ان الذاكرة تتكون من نبضات كهربائية تنتقل خلال مجموعة الاعصاب الموجودة فى المخ .

ومن هذه الابحاث فى هذين الميدانين تختلف اراء العلماء ، وان كانوا يتفقون فى ان عملية التعلم والذاكرة تتكون من عدة عمليات دقيقة ، قد تشمل العمليات الكيماوية والكهربائية معا . والأمل الآن فى ان ينضم العلماء الكيماويون الى علماء الفسيولوجيا فى دمج تجاربهم لكى يستطيعوا التوصل الى حقيقة عمل الذاكرة .

التنويم المغناطيسي

هل يصلح كعلاج لضغط الدم ؟!

● صرح فريق من علماء النفس والأطباء ان التنويم المغناطيسى يفيد فى علاج حالات ارتفاع ضغط الدم . وقد اجرى اعضاء هذا الفريق تجاربهم فى مستشفى عالمى على ٢١ مريضا يعانون من ارتفاع ضغط الدم، وتتراوح اعمارهم من ٢٢ الى ٦٥ عاما . وقد عولج ٦ من المرضى الذين لم يتناولوا اية عقارات لتخفيض الضغط الدموى ، و٩ آخرين يتناولون الادوية المخصصة لهذا المرض بواسطة التنويم المغناطيسى ، بينما بقى ٦ آخرون دون اى علاج ، وذلك لنفى اية احتمالات فى ان حضور المريض الى المستشفى لقياس ضغط دمه قد يؤدى الى هبوط ضغطه .

وبعد تنويم المريض مغناطيسيا ، يطلب العالم النفسانى منه بان يجعل اعضاء جسمه الداخلية فى حالة استرخاء ، بما فيها القلب والأوعية الدموية والشرايين . وقد سجل الاطباء ان كل المرضى سواء هؤلاء الذين يتناولون ادوية ارتفاع ضغط الدم ، او الذين لا يتناولون اى دواء ، قد هبط ضغط دمهم الى مستواه الطبيعى بعد جلستين او ثلاث يتعرضون فيها للتنويم المغناطيسى .

رواد مختبر الفضاء (سكاي لاب)

يتاقلمون على الجاذبية الارضية

أسرع من تأقلمهم على انعدام الوزن

● « انا اشعر الآن انني اضعف قليلا عما كنت عليه قبل ان ابدا رحلتي الى الفضاء » بهذه الكلمات عبر آلان بين Alan Bean ، عن حالته الصحية بعد عودته باسبوع من رحلة « سكاي لاب» في الفضاء حيث قضى هو وزميلاه جاك لوزما Jack Lousma واوين جاريوت Owen Garriott مدة ٥٦ يوما .

ان مشكلة العودة الى نطاق الجاذبية الارضية الطبيعية بعد قضاء نحو شهرين في حالة انعدام الوزن ، اصبحت من المشاكل التي تشغل بال علماء رحلات الفضاء المأهولة . ولكن يبدو ان ملاحي مختبر الفضاء « سكاي لاب » قد استطاعوا ان يكيفوا انفسهم للجاذبية الارضية بعد عودتهم الى الارض بمدة بسيطة . وقد صرح احدهم ، وهو « لوزما » ، انه استطاع ان يكيف نفسه الى الشعور بوزنه الحقيقي بعد عودته من الفضاء خلال ٢٤ ساعة فقط . ولزمه يوم آخر لكي يمنع نفسه من التصرف وكأن كل الاشياء التي حوله لا وزن لها .

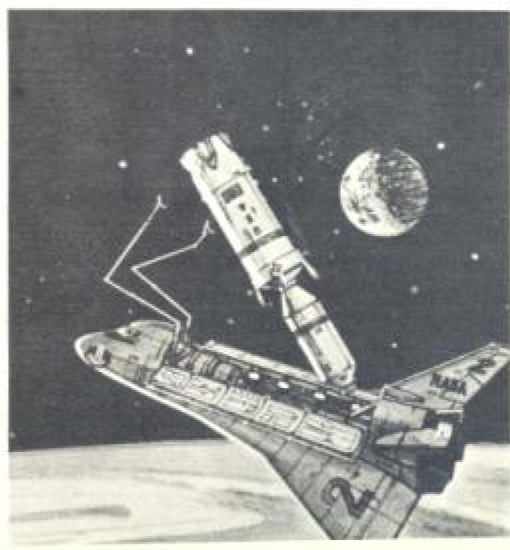
وفي الحقيقة فانه بعد يومين من هبوط رواد « سكاي لاب » الى الارض عاد نبضهم وضغط دمهم الى نفس المستوى الذي كان عليه قبل بدء رحلتهم الفضائية.

ومن الفحوص التي اجريت عليهم ثبت انهم ، بعد اسبوع من هبوطهم الى الارض ، كانوا يصابون بالاجهاد اسرع مما كانوا عليه من قبل . ويبدو ان هذا الشعور بالاجهاد يعود الى انهم تعرضوا الى خسارة ١٢٪ من كرات دمهم الحمراء و٢٠٪ من حجم البلازما . ولكن هذا التأثير يبدأ في الاختفاء بعد أن تسترد اجسامهم المياه التي فقدتها وتبدأ في تكوين خلايا الدم الحمراء من جديد .

وقد اثبتت رحلات مختبر الفضاء سكاي لاب » ان الانسان يأخذ وقتا اطول في التكيف على حالة انعدام الوزن عنه في التكيف في العودة الى جاذبية الارض. ويقول « لوزما » ان تصرفاته هو وزميليه بدأت في الثبوت بعد ٢٥ يوما من بقائهم في الفضاء . واثبتت الفحوص الطبية ان التغيرات في النبض وضغط الدم بدأت في الثبات بعد قضاء حوالي ٤٠ يوما في الفضاء ، وهذا يعني ان في استطاعة الانسان ان يبقى مددا اطول في الفضاء دون التعرض لمتاعب فسيولوجية خطيرة. وبالرغم من عودة ملاحي « سكاي لاب » الى الارض سالمين فان الحيوانات الاخرى التي شاركتهم في رحلتهم وهي من العناكب والاسماك قد لاقت حتفها جميعا . وهذا يدل على ان الانسان سيد الحيوان ، اقوى على الاستجابة الى الظروف من سائر حيوانات الارض.



مختبر الفضاء .. سكاي لاب





السفر كما يراه شعراء الشرق والغرب

سفر العربى منفعة

وسفر الهندى فكرة

وسفر الفرنسى حلم

وسفر اليونانى متعة أو ثورة !

بقلم : سليمان فياض

■ بين السفر والسّفر ، علاقة وثيقة ، كأنما يوحى بها تشابه الحروف بين الكلمتين ، فكلاهما فى تقديرى وسيلة للمعرفة • السفر بمعنى الارتحال والانتقال ، والسّفر بمعنى الكتاب • وليس من مصادفات اللغة أن يكون جمع الكلمتين، هو : « الأسفار » •

وليس السّفر مجرد وسيلة للمعرفة ، لطلب العلم ، أو اكتشاف العالم المجهول ، بالمغامرة فى البر والبحر والجو ـ والاكتشاف فى ذاته معرفة ـ فهو أيضا وسيلة للمنفعة العاجلة أو الآجلة ،للفرد وللجماعة ،بالتجارةحينا وبالسفارة لدى الشعوب حينا آخر • •

وما من انسان الا وحلم بالسفر ، فى أحلام النوم أو أحلام اليقظة • وبعضنا يسافر بخياله عبر العوالم الكونية ، بل وعبر الزمن ، كما فعل « ولز » G.H. Wells حين سافر بآلة الزمان ، عبر الأزمنة الماضية ، والحاضرة ، والمستقبلة ، فى قصته الشهيرة بهذا العنوان « آلة الزمان » • وكما فعل « جول فيرن » Jules Verne فى رحلته الى القمر ، أورحلته الى أعماق

البحار ، وكلتاهما رحلة قصصية مدونة في كتاب ،بلغ فيهما الكاتب بخياله ومعارفه العلمية المتنوعة ، من الدقة حدود الاعجاز العلمي ،حين صنع الانسان بعده بزمن غير قصير السفن للفضاء والغواصات للبحار .

وبعضنا يسافر ، كالسندباد ، للمغامرة ، متنقلا من بلد الى بلد ، « تحطه بلاد ، وتشيله بلاد » ، كما تقول الحكاية الشعبية ، والأساطير، والخرافات . ولعل أشهر مسافرين في التاريخ ، هما : الرحالة « ابن بطوطة » العربي المغربي، والرحالة « ماركو بولو » Marco Polo الأوربي الايطالي . حين طوّف كلاهما بين شعوب العالم القديم وقاراته ، وعاد ليدوّن رحلته في كتاب ، وربما لم يحتو الكتاب من هذه الرحلة الطويلة العاصفة ، وبوسائل النقل القديمة ، وأساليب المعيشة البدائية ، الا على نذر يسير ، هو كل مابقي في الوعي ، من الذكريات . وحتى هذا السفر بدافع المغامرة ، قد لا يحصل عليه كل محب للأسفار ، لكنه يجمع من هذا المسافر العائد ، ومن ذلك الرحالة المار ، أطرافا من المعلومات ، ونثارا من الحكايات ، أو يسطو عليها من كتب السابقين ، ليضمها في كتاب ، كما فعل المؤلف العربي ، لرحلة « التاجر سليمان » ، أولى الرحلات العربية المدونة في التاريخ .

وبعضنا يسافر للتجارة ، أو طلب العلم ، أسفارا موصولة بأسفار ، كعديدين من التجار العرب عبر القارتين الآسيوية والافريقية ، في العالم القديم ، ومثل عديدين من رجال الأعمال في عصرنا ، ومثل أعضاء البعثات العلمية ، والباحثين الدارسين لموضوع معين ، من واقع الشعوب ، أومن تراثها وفكرها ، ورأس هؤلاء المسافرين أبدا ، طلبا للعلم ، هو الامام البخاري ، سعيا وراء جمع الحديث الشريف ، وأحيانا للتحقق من صحة واحد أو أكثر من هذه الأحاديث ، ومثل رجال الكشوف والمغامرات ، بحثا عن منابع الأنهار ، أو ارتيادا لبقاع مجهولة في الصحاري والغابات ، وربما في المناطق القطبية المتجمدة .

السفر حلم الشاعر والفنان

وعن السفر ، والحلم بالسفر ، والمسافرين ، عبّر عديدون من شعراء العالم وأدبائه وفنانيه . فلعلهم أكثر الناس ادراكا لمعنى السفر ، ومعاناة أبدية للرغبة فيه ، لكي يروا العالم ، وكأنهم يكتشفونه من جديد ، كالأطفال ، ويبصرونه بصر المبهور اللاهث الأنفاس . وقليل ، جد قليل من هؤلاء الأدباء ، من استطاع بالارادة قبل القدرة ، أن يخرج هذه الرغبة الى حيز التنفيذ ، وأكثرهم قعدت به همته قبل طاقته ، عن الترحال والتطواف. لكنهم جميعا تركوا لنا من عالم السفر ، بالفعل حينا ، وبالقوة حينا آخر ، آيات من الأدب والفن، أشعارا ولوحات ، أقوالا ، وأمثالا ، وحكما سائرة معظمها خطه يراع شاعر ، قابع على شاطىء ميناء ، يرنو الى الآفاق البعيدة وراء البحار ، أو ريشة فنان عجز عن أن يحمل ألوانه ، ويرحل طلبا لاكتشاف الطبيعة ، في جزائر منسية وغامضة .

دوافع السفر في رأي الشاعر العربي

الحكيم الشعبي القديم المجهول قال في المثل: « اللي يعيش ياما يشوف ،واللي يلف يشوف أكثر » .

والحكيم الشاعر القديم يقول : « سافر ففي الأسفار سبع فوائد » ...

والشاعر الطغرائي ، يقول في قصيدته « لامية العجم » :

ان العلا حدثتني ، وهي صادقة ... فيما تحدّث أن العزّ في النقل

لو كان في طلب المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

والشاعر « العقيلي » ، يدير حوارا شعريا قصصيا بينه وبين حبيبته ، عندما هم بالسفر ، فيقول :

سافرت أبغي الغنى والمجد والأدبا ... وطالب المجد مرهون بما طلبا

قالت تعاتبني : رفقا بفرقتنا ... ولاتدع لي فؤادا طائرا سربا

قلت : اتركيني ، بلاد الله واسعة ... وحبذا كل أرض أنتجت ذهبا

وأمير الصعاليك « عروة بن الورد » ، يتحدث عن الرحيل والسفر ، فيقول :

وسائلة : أين الرحيل ؟ وسائل
ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

مذاهبه أن الفجاج عريضة
اذا ضن عنه بالفعال أقاربه

فلا اترك الاخوان ما عشت للردى
كما انه لا يترك الماء شاربه

وعن رحيل الصعاليك ، يقول الشاعر « قيس بن الحدادية » :

وقالت ، وعيناها تفيضان عبرة
بأهلي ، بين لي متى أنت راجع

فقلت لها : بالله يدري مسافر
اذا أضمرته الأرض ، ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام ، وأعرضت
وأقبل بالكحل السحيق المدامع

واني لعهد الود راع ، وانني
لوصلك ، مالم يطوني الموت ، طامع

هكذا تتعدد أسباب السفر لدى الشاعر العربي القديم ، طلبا للعز والغنى ، كما هي عند الشاعرين « الطغرائي » و « المقبل » ، وفرار من البخل والشح ، أو من الفقر والحاجة ، أو ربما وفاء للأخوة والخلان ، كما هي عند الشاعرين الصعلوكين : « عروة » و « قيس » ، وكلها ألوان من السفر قصيرة المدى والنفس ، فهي لاتجاوز الصحراء الى الجبل ، او الى الشمال ، أو الى الجنوب ، في جزيرة العرب • وهي أسفار بدافع المنفعة ، او الوفاء • وربما كانت طلبا للعطاء كأسفار النابغة الذبياني وغيره من الشعراء ، او طلبا للثار كامرىء القيس •

أيها المسافرون : ماذا رأيتم ؟!

وفي الغرب ، يقبع الشاعر الفرنسي « بودلير » يحلم بالسفر ، على رصيف مقهى ، أو شاطىء ميناء ، يسأل المسافرين في لهفة ، ويدون سؤاله لهم عما رأوا ، في هذه المقطوعة الشعرية الجميلة [illegible] أن ينفذ حلمه بالسفر الى [illegible]

« أيها المسافرون المثيرو الدهشة ، أية حكايات نبيلة نقرأ في عيونكم العميقة كالبحار • أرونا علب ذكرياتكم الثرية ، حلى الأعاجيب المصنوعة من النجوم والأثير • نريد أن نسافر بلا بخار ولاشراع • فدعوا ذكرياتكم في أطرها ، تنسم من الآفاق ، على أفكارنا الممدودة كالأستار ، لتغمر بالبهجة مضيق سجوننا ، وقولوا : ماذا رأيتم » ؟

طاغور شاعر دائب السفر

أما السفر عند شاعر الهند « طاغور » ، الذي كان دائب السفر بعد شهرته العالمية ، فيعني أمورا أخرى • لقد كان طاغور رحالة دائم السفر ، يتحدى التعب • في رحلته السادسة • وحدها ، زار الشرق الأقصى ، وأمريكا الجنوبية ، وأوربا مارا بماليزيا ، والصين ، واليابان ، وبيرو ، والأرجنتين ، وايطاليا • في رحلته السابعة ، واثر مرض سابق من اجهاد السفر ، زار ايطاليا ، وسويسرا ، والنمسا ، وفرنسا ، وانجلترا ، والنرويج ، والسويد ، والدانيمرك ، والمانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وهنغاريا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا واليونان ، ومصر •• كل ذلك في رحلة واحدة ، يلتقي فيها الناس مبتسما ، ويلتقي فيها بالناس ، ليلقي عليهم شعره • وعن أسفاره هذه كتب يقول ، مبررا اياها •

« أيام أسفاري طويلة ، وطريقي بعيد •

خرجت في موكب الشعاع الأول ، وجبت العوالم الخالية •

وتركت أشياء مني على الوف النجوم والكواكب •

ولكن أبعد الطرق أقربها اليك •

على المسافر أن يطرق كل باب ، قبل الوقوف على باب نفسه •

وعليه أن يهيم في [illegible] العوالم الخارجية قبل أن يهتدي الى قدس أقداسه •

عيناي كم جابتا من فضاء ، قبل أن أغمضهما ، وأقول : أنت هنا » .

أسفار عديدة من أجل السلام .. والموت !

كان طاغور يسافر لأنه يبشر بفكرة السلام ، بين الانسان وأخيه الانسان ، يسافر من أجل هذه الفكرة ، رحلته الثامنة ، فالتاسعة ، فالعاشرة ، حتى بعد أن بلغ السبعين من عمره ، وعندما استقر به المقام شيخا فانيا ، كان السفر مايزال يراود نفسه ،ليوثق علاقةخلقية ودية بين الشعوب، بل ويراود نفسه للرحيل عن الدنيا :

«ان نفسي تلبس اليوم رداء المسافر وتهيم ، يلح عليها ظمأ ثائر ،

فهي متلهفة الى الاندفاع في الطريق ،

انه المسافر الأبدي ، في بطاح الأرض ، يدرس أوضاع الشعوب ، باحثا عن نقاط تلاقيها ، لا يهدأ ، ولا يطمئن .

انه غريب يحن الى موطـن غير هذا الوطن ، يشعر فيه بأمن يستمر .

أغوص في أعماق الاشكال ،لعلي أصيب اللؤلؤة الفريدة ، العارية من كل شيء .

تركت السفر من مرفأ الى مرفأ ، على زورق تصدمه الأنواء .

لقد مضى زمن كنت ألهو به في مصارعة الموج .

اني أصبو الآن الى الموت ، في حضن من لا يموت .

في ردهة الاستقبال ، على شفير هاوية ، ليس لعمقها غور ، ولالموسيقاها لحن ، سأتناول معزف حياتي :

أيا أيها اللحن الأبدي ، سأوقعك على معزفي »

ويرى طاغور أيام الحياة الباقية لعملي الأرض، أيام سفر ، ككل أيام الحياة . فيهتف لمن هو نور خالد :

« اني كباقة ضائعة ، في سماء الخريف . فمتى باشمس السناء الخالد ،يذيب لمسك ضبابي، فاتحد بنورك . اني لأحسب شهور سـفري ، أعواما تفصلني عنك »

السفرة الطويلة .. والأخيرة !

وقبيل اللحظة الأخيرةبدأ طاغور سفرتهالطويلة والأبدية . فهمس :

«أزفت ساعة الرحيل ..

اني أسافر فارغ اليدين ،

طافح القلب بالأمل ..

الطير يحلق في الفضاء ،

لاليذهب في تحليقه الى الخلاء .

بل ليرجع ثانية ، الى أرضه المطمئنة » .

ذلك كان معنى السفر وغايته عند « طاغور »، في البدء ،وفي النهاية،لكنه عند الشاعر اليوناني « كافافيس » كان ذا معنى آخر .

السفر هدف لذات السفر

في الأساطير اليونانية ، كان البطل الاغريقي الأسطوري « أوليس » يتوق للعودة الى « ايثاكا» مدينته ومسقط رأسه ، ووطن زوجته «بنيلوبي» وولده ، لكن الآلهة كتبت عليه أن يظل سنين عديدة ، يضرب في تيه البحر الأبيض بسفينته .

وفـي الاسـكندريـة كـان يعيش اليونـانـي « كافافيس » حتى نهاية حياته ، يتوق الـى العـودة الى اليونان ، حيـث « ايثاكا » فـي انتظاره . والتي ربما لم يكن قد رآها أبدا . يحلم بالعودة ، ولعله لم يكن يريد العـودة ، أكثر مما تقصر به الوسائل والسبل . ان الرغبة في السفر عنده ، والسفر نفسه ، يصبحـان مقصودين لذاتهما ، هدفـين لرحلة حياتـه ، لا ينبغي أن ينال أكثر منهما ، لا ينبغي أن يحققهما بالوصول ، قبل أن يتزود من تجارب السفر ، وخيرة أيام السفر ، وتلكالاكتشافات اللانهائية في رحلـة المعانـاة . فهكـذا عـاش « أوليس » ، قبـل أن يعود الى « ايثاكـاه » وهكذا ينبغي أن يعيش هو ، الشاعر ، وكـل انسان . انه يقول في قصيدته « ايثاكا » .

« اذا ما شددت الرحال الى ايثاكا ، فلتتمن ان يكون الطريق طويلا ، حافلا بالمغامرات مليئا بالمعارف . لا تخف الغيلان والمردة ، واله البحر الغاضب ، فانك لن تلقاها في طريقك . مادام فكرك ساميا ، والعاطفة خالصة ، تقود

روحك ومقصدك فلن تقابل الغيلان والمردة ، واله البحر الغاضب ، مالم تكن قد جلبتها معك في اعماقك ، ومالم تكن روحك قد اقامتها امامك •

تمن ان يكون الطريق طويلا • واصبحة الصيف كثيرة ، تدخل فيها فرحا مبتهجا ، الى موانيء تراها لاول مرة •

توقفعند أسواقسورية،واحصل على البضائع الجيدة ، أصداف ومرجان وكهرمان ، وأبنوس وعطور متعددة ، من كل نوع ، وعلى الأخص من العطور ، خذ قدر ما تستطيع •

واذهب الى مدائن مصرية كثيرةلتتعلم،وتتعلممن الجهابذة •

لتكن ايثاكا في فكرك دائما ، والوصول اليها هو مقصدك • ولكن لا تتعجل في سيرك • الأفضل ان يدوم السفر سنين عديدة ، وان تصل الى الجزيرة عجوزا غنيا ، بما كسبته في الطريق •

لاتتوقع ان تعطيك ايثاكا ثراء • لقد منحتك ايثاكا الرحلة الجميلة • فما كنت تخرج الى الطريق لولاها • وليس لديها ان تعطيك اكثر من ذلك •

ولو وجدت ايثاكا فقيرة ، فهي لم تخدعك • ومادمت قد صرت على هذا القدر من الحكمة ، ولك كل هذه الخبرة ، فلا بد انك قد فهمت : ماذا تعني ايثاكا ؟ واى ايثاكا !!

السفر رمز لكل تغير وتطور

شاعر يوناني آخر ،من اليونان هذه المرة لا من الاسكندرية ، يدعونا الى ان نبسط الشراع ، شراع السفر ، السفر الرمز لكل تغير وتطور ، في أنفسنا ، وفي حياتنا ، وفي ارضنا • هذه الدعوة يوجهها الشاعر « اورانيس » لقومه من ابناء اليونان ، ولاسرته العالمية ، من سائر أبناء الانسان ، تحت هذا العنوان : « متى سنبسط الشراع ؟ » :

« متى سنبسط الشراع ،
لنرحل الى أرض الشمال ؟
متى سنمتطي امواج البحر ؟

ان الأوان ، أن نكف عن رؤية الميناء الخامل ، الذي لا تتغير صورته أبدا أمامنا •

فليمح اندفاعنا الجديد ، جمود حياتنا القديمة ، كما تمحو الأمواج آثار الأقدام على الرمال •

ارفعوا الروح عندنا برفرف بأعلى سارية ،
فليس صحيحا أننا جئنا الى عصرنا متأخرين ،
لا زال بامكاننا أن نحيا حياة جديدة ،
أن نبسط الشراع » ! !

أصدق دعوة : السفر داخل الوطن

هكذا حاول الشاعر دائما ، شرقيا كان أو غربيا ، أن يعبر عن السفر ،وتلك كانت رؤيته ، في حدود ما وقع بين أيدينا من النصوص •

رؤية الشاعر العربيللسفر ،وتعبيرهعنه كانت الصق بالواقع ، واصدق مع الحياة ــ علىمايبدو فيه من منفعة ــ من أى شاعر اخر ، في الغرب كان او في الشرق •

ورؤية الشاعر الفرنسي ، كانت تعبيرا عن الحلم بالسفر والتوق اليه ••

ورؤية الشاعر الهندى كانت تعبيرا عن دعوته للسلام ، كامنية للعالم ، ورغبته في الخلاص من ظلمة التراب ، الى نور السنا الخالد •

ورؤية الشاعر اليوناني كانت تمجيداً للسفر ، لذات السفر ، للرحلة ، لذات الرحلة ، طلبا لخبرة العمر ، وتجارب الحياة ، وكانت دعوة للسفر ، كرمز للتغير والتطور ، والخروج من جمود الحياة القديمة الى حرية الأفاق الجديدة ، ولعلها أصدق دعوة ، نحن العرب بحاجة اليها الآن ، أن نسافر أولا في انفسنا ، أن نكتشف حياتنا ، وارضنا ، أن نغير من عالمنا ، كما يغير كل مسافر عالمه ، أن « نسفر » عن طاقة امة بأسرها ، هي الآن بأشد الحاجة الى هذا « السفور » ، عما يعيش في قلب كل رجل ، في عقل كل امرأة • فالسفر ، والسفر ، والسفور، كلها مجالات للكشف والمعرفة ، أول خطوة على طريق التغير والعمل • ان علينا فقط أن نبسط الشراع ، وان نرفع عندنا الروح والارادة ، بأعلى سارية !! ■■

سليمان فياض





ضحية الطيش

بقلم : حسن الجداوى

■ هذه قضية فتاة طائشة اسمها « جين كلوزون » التحقت بخدمة صاحب مطبعة بمدينة جريتونش اسمه « اتين بوك » بدا حياته عاملا فى مطابع جريدة « التايمز » ثم أصبح يمتلك مطبعة خاصة يديرها لحسابه .

وكانت « جين » فتاة جميلة الوجه ممشوقة القوام من نوع التى قال الشاعر يصفها :

« اذا قامت لحاجتهـــا تثنت
كان عظامهـــا من خيزران »

ولا يزيد سنها على الخمسة عشر عاما .

وكان اتين بوك يعيش مع زوجته وولديه : توماس وادموند . وكان طموحا انطلق من وظيفة اجير الى صاحب مطبعة بجده واجتهاده . فلماذا لا يرقى سلم الحياة درجة درجة عن طريق تزويج ولديه بفتاتين من الاوساط الراقية وبذلك يرفع من مستوى حياتهما ومستوى حياة والديهمـــا بالتالى .

★ ★ ★

ولكن الرجل يفكر والرب يدبر . فقد احب توماس ابنه الكبير فتاة من وسط اقل من وسطه وتزوجها رغم معارضة والديه . فوضع الاب امله فى ابنه الثانى ادموند ــ بطل قضيتنا هــذه ــ وحرص على ان لا يتركه يقع فى الخطا الذى ارتكبه اخوه .. وكان صاحبنا هذا برغم انه مريض بالصرع تصيبه نوبات منه بين وقت وآخر ، فكان يطارد فتيات الحى الجميلات ولم يخطر له الزواج على بال . شغله عن التفكر فيه انهماكه فى مغازلة الفتيات ــ لا يقنع بواحدة او اثنتين فقد بلغ عددهن ــ فى الوقت الذى شغلت قضيته الراى العام ــ كما سيجىء شرحه ــ اربعة . وكان يحمل فى جيبه صفارة ينفخ فيها كلما اراد لفت نظر فتاة اليه وقد كان لهذه الصفارة دور هام سوف يتبين اثناء المحاكمة .

ويحسن بنا أن نذكر هنا أن الفتيات ــ فى عهد الملكة فيكتوريا ــ كن محافظات . يقبلن المغازلة ، بل ويتقبلن عليها ، ولكن فى حدود .

لذلك كان ادموند محروما من تحقيق اغراضه الجنسية . شقيا بهذا الحرمان .

ولم تكن هذه حاله مع « جين » . فقد كانت تعيش معه وتنام تحت سقف واحد،وكانت الظروف مؤاتية.هو يريد استمتاعا،وهى خيل لها الوهم أن تتزوج ابن مخدومها . ولعب هو على هذا الوتر فاحبته واستسلمت وطالت العلاقة بينهما حتى احست بثمرة الجريمة تتحرك فى احشائها فافضت بسرها الى احدى صديقاتها .

★ ★ ★

وفى ابريل سنة ١٨٧١ طردت السيدة بوك ــ والدة ادموند ــ الخادمة « جين » بحجة انها تهمل العناية بالنظافة والمظهر . وهو قول لم يصدقه أحد . والاقرب الى المعقول ما قالته « جين » وهو أن مخدومتها اكتشفت علاقتها بابنها ادموند ، بينا كانت تخطط له ان يتزوج بفتاة موسرة من وسط ارقى من وسطه . ولكن الاسرة كذبت « جين » فى زعمها وقالت ان ابنها لا يمكن أن يتدنى الى ايجاد علاقة بينه وبين خادمة . وتمسكوا بأن سبب طردها قذارتها واهمالها . وهو سبب واضح الافتعال اذ لايعقل ان جين بعد ان امضت فى خدمتهم عامين قد تحولت فجاة الى فتاة قذرة فى جسمها وملابسها .. وما من سبب يحمل « جين » على الكذب .

ولم يتضح من التحقيق اذا كانت السيدة بوك قد علمت بحالة الحمل عند الخادمة لان اعراض

الحمل لم تكن ظاهرة ، اللهم الا وعكة خفيفة تظهر من وقت لآخر .

★★★

ولان القوانين في تلك الايام لم تكن تشترط منح العامل او الخادم مهلة قبل فصله فقد وجدت « جين » نفسها في الشارع لا تدري الى اين تذهب. ولجأت الى صديقة لها كانت تعمل عند اسرة بول اسمها ايملي وولدج رتبت لها اقامة عند سيدة تدعى مسز فاني هاملتون . ونشأت بين تلك السيدة وجين صداقة وتمكنت جين من الاتصال باسرتها : عمها وليم تروث وزوجته اليزابيث وابنتهما شارلوت كما اتصلت بالسيدة بروسار التي كانت اعترفت لها قبل ثلاثة اشهر بانها حامل وان ادموند هو المسئول .

كذلك افضت «جين» لابنة عمها بتفاصيل علاقتها بادموند .

ويبدو أن شارلوت لم تعترض على تلك العلاقة واستمرت تلك العلاقة بعد طرد جين من منزل آل بول . ذلك انه كان من مصلحة ادموند أن يوهم ضحيته انه لا يزال يحبها وان يجعلها تسدر في وهمها انه سيتزوجها حتى تستمر في الخضوع له ولا تفضحه ، وكان خوفه من أن يعرف ابوه يعادل خوفه من ان تمتد له يد القانون .. ولكنه بدا يمل الفتاة الجاهلة ، المتمسكة به اذ هو خشبة

« .. وكان من مصلحة ادموند أن يوهم ضحيته انه لا يزال يحبها وان يجعلها تسدر في وهمها انه سيتزوجها .. »



نجاتها الوحيدة من ورطتها. فليس امامها ان لم يحقق ادموند وعده بالزواج الا الفضيحة والخراب.

★ ★ ★

وفي ٢٤ ابريل زارت جين اسرة عمها وكانت مبتهجة يغمر قلبها الامل وسعيدة على غير ما كان يبدو عليها في الاسابيع السابقة . وافضت الى عمتها وابنتها باعتراف له مغزاه تذكرته شارلوت في ما بعد ، بان قالت لها « لاتستغربي اذا تغيبت لبضعة اسابيع فان ادموند يريد مني ان اقابله ليلا لنذهب معا الى الريف ، ويقول انه فكر في طريقة سيعرضها على تنعد العدة لها ، وانه سيأخذني الى حفلة تعميد ثم الى مكان جميل يدخل علينا السعادة . ولكنه طلب مني ان لا أذكر ذلك لأي مخلوق كان او اكتب لفترة من الزمن حتى لا يعرف احد اين ساكون . » ثم وعدت ابنة عمها انها ستكتب لها اول خطاب تكتبه بعد تلك الرحلة، وقالت لها ان ادموند قال لها انها لن تكون في حاجة الى نقود .

وابدت عمتها هذا الاقوال .

والغريب ان جين وعمتها وابنتها لم يستريبوا للحظة واحدة في هذه الحيلة التي يستعملها ـ منذ الازل ـ السفاحون حتى اذا ما قضوا على ضحيتهم لم يستغرب اهلهم واصدقاؤهم سكوتها عن الكتابة .

في ذلك اليوم المشئوم خرجت « جين » مع شارلوت وكانت تسير على اجنحة من الامل والخيال ، وقالت لها : انها وادموند سيتزوجان وانها ستقابله في مكان مهجور يوم الاثنين أو الثلاثاء بعد أن يكون قد أعد كل شيء لاتمام الزواج ، وانها اي جين قالت له انها تامل أن تحسن والدته معاملتها كما تعامل زوجة اخيه الذي تزوج مثله واحدة من وسط اقل من وسطه .. ثم قالت له انها غاضبة للطريقة التي طردتها بها امه ولكن لا حيلة لها فانها في امس الحاجة لزوج يحميها ويتستر على فضيحتها .

بمثل ذلك شهدت مسز هاملتون واميلي وولدج ـ وليس لديهما ما يحملهما على الكذب ـ وذكرا ان « جين » تسلمت في يوم الاثنين خطابا احرقته بعد أن قرأته وارسلت ردا القته بنفسها في صندوق البريد ، وكانت قد قالت لهما انها ستعمل في مصنع ، ثم عادت وقالت انها لم تعد محتاجة للعمل لأن ادموند سيجد لها ما هو افضل .

وكانت جين قد قالت لشارلوت انها تنتظر خطابا من ادموند يحدد لها فيه يوم المقابلة وطلب منها أن تحرق الخطاب بعد قراءته .

★ ★ ★

وبذلك نصل الى يوم الثلاثاء ٢٦ ابريل ١٨٧١ وكل ما نعرفه من تحركاتها انها سارت مع مسز هاملتون وتركتها عند نهاية شارع دوجلاس في حوالي الساعة السادسة والاربعين دقيقة لتذهب الى موعدها مع ادموند في الساعة السابعة . ومن وقتها لم يرها احد الى أن عثر عليها في حالة نزع في الساعة الرابعة من صباح الغد . ترتدي رداء قاتما وقبعة سوداء وتحتها قميص شفاف وعلى صدرها وردة حمراء ..

مسكينة . لقد ذهبت لتقابل ادموند بقلب خال من الهموم وامل واسع .

فما الذي حدث في تلك الليلة ؟

لقد عثر عليها رجل البوليس في الساعة الرابعة صباحا بعد ان كان مر في دوريته في الساعة العاشرة مساء والساعة الواحدة و٤٥ الدقيقة بعد منتصف الليل دون أن يلحظ شيئا غير عادي .. وانما رآها الساعة الرابعة صباحا تزحف على يديها وركبتيها ، واعتقد انها مخمورة ، وسالها ماذا تفعل ؟ فلم ترد واخذت تئن ورفعت يدها تطلب أن ينجدها . واضاء وجهها ببطاريته فرآه ملطخا بالدماء وبوجهها عدة اصابات وفي موضع عينها فجوة مملوءة بالدم وجمجمتها مكسورة يبرز منها مخها وحاول ان ينهضها فلم تقو وقالت له « دعني اموت » .

واحتار رجل البوليس كيف يتصرف فاسندها على مرتفع من الارض واسرع يبحث عن نجدة ولم يستطع ان يسمع منها ما حدث فقد كانت في شبه هذيان .

وعاد الكونستابل ومعه رئيس له وعربة نقلاها فيها واوصلاها الى طبيب ارسلها الى مستشفى وتبين أن حالتها ميئوس منها ..

★ ★ ★

وماتت من غير أن تسترد وعيها . وتبين ان بوجهها اثنى عشر جرحا ، وفي خدها جرحان عميقان ، احدثت كلها بها وهي ملقاة على الارض ، مما دل على أن القاتل أراد تشويهها حتى لا يتعرف عليها أحد . كما ظهر من التشريح انها حامل في الشهر الثاني .

بحث البوليس في المكان الذي وجدت فيه المجني عليها على آثار اقدام منتشرة استدل منها على ان القاتل حاول الابتعاد عن مكان الجريمة ولكن لم يفكر في رفع بصماتها . كما وجد آثار دماء بمجرى ماء قريب حيث حاول الجاني ان يتخلص من آثار الدماء . وتابع آثار الاقدام الى اراضي المدرسة الحديثة فعثر على السلاح الذي استعمل في الجريمة وهو عبارة عن مطرقة كبيرة بها بقايا شعر لاصقة ودماء مما دل على ان القاتل دبر القتل والتشويه .

وبقيت الجثة من غير ان يتعرف عليها احد الى يوم الاحد عندما بدات اسرة « تروث » تقلق لاختفاء ابنة أخيهم من منزل مسز هاملتون ،وكانت الجريدة المحلية قد نشرت اخبار الجريمة فذهبوا الى البوليس وادركوا من رؤية الملابس انها ملابس « جين » » وساورهم الشك حين نظروا الى الوجه المشوه ، ولكن العمة تذكرت انه توجد شامة بصدر القتيلة تبين وجودها مما لم يدع مجالا للشك في انها جثتها . وأفضت شارلوت وعمتها للبوليس بما سبق ان قالته جين لهما واخذ البوليس اقوال مسز هاملتون واميلي ووليدج لم بدأ باستيضاح ادموند .

وقد أحدث ادموند من أول وهلة انطباعا سيئا لدى البوليس . فهو ممتلىء الوجه ضخم الجسم قوى العضلات ولم يكن ـ في احسن حالاته ـ ظريفا مهذبا . وقد تحدث عن الفتاة المقتولة التي كان يعرفها حق المعرفة ـ سواء كان هو الذي قتلها او لم يكن ـ بطريقة وقحة وقال انها كانت فتاة قذرة مما زاد في سوء ظن البوليس به . وأبدى هو ثقة بنفسه وبراءته مع أن هجومه العنيف على الضحية لا يدعو للظن بانه بريء .

وساله المحقق :

س ـ هل كتبت لها خطابا ؟ ج ـ طبعا لا .

س ـ يقولون انك كتبت لها خطابا ؟

ج ـ هم يقولون ؟ هل معك الخطاب ؟ ان كان بخط يدي صح ما يقولون .

وتذكر المستجوب حكاية احراق جين للخطاب بعد قراءته وادرك انه امام القاتل . وطلب منه بيانا بتحركاته ليلة القتل فقال انه ذهب الى مدينة قريبة وعاد في نحو التاسعة والربع مساء .

ـ من الذي ذهبت لتقابله هناك ؟

ج ـ سيدة ولكنني لم ارها .

وفحص المحقق الملابس التي كان يرتديها فظهر انها تنطبق على الاوصاف التي ذكرها احد الشهود . ووجهت اليه تهمة القتل وقبض عليه .

* * *

وتوفر لدى الاتهام بعض قرائن . لقد رأى بعضهم ازواجا يتفسحون ولكنهم لم يروا شيئا غير عادي فذلك مكان يتمشى فيه العشاق . وشهد رجل اسمه « كرونك » انه سمع صراخ فتاة تقول : « اتركني . اتركني » ، ثم ابصر فتى وفتاة يتشاجران ، وكان ان وصف ملابس الفتاة .وتعرف بعد ذلك على ادموند .

كذلك رأى توماس لارزبل في تلك الليلة ادموند مع فتاة بعد الساعة السابعة وكان يرتدي معطفا اسود وقبعة مستديرة .

وقرر وليام نورتون انه كان مع فتاة اسمها لويزا ، وسمعا فتاة تصرخ ، ثم رأيا رجلا يجري وهو يلهث بجوارهما ، ولكنهما كانا في شغل شاغل عنه ولم يمكنهما الظلام من التعرف عليه .

وكان واضحا من مجموع تلك القرائن ان ادانة ادموند ثابتة . ولكن مما يؤسف له ان محاكمة المتهم امام محكمة جنايات (اولد بيلي) في سنة ١٨٧١ لم تكن لتشرف العدالة . لقد اتهم البوليس بالتحيز واصطناع الادلة ضده واهمال التحقق من الادلة التي لصالحه . وذلك ان البوليس وجد نفسه امام رأى عام هائج لقتل الفتاة وافترض الادانة من اول الامر . وكان الناس يقابلون افراد اسرة ادموند بالاستهجان والازدراء في الشوارع . ورافق نعش القتيلة عدد غفير من السكان ، وبعد الدفن ذهبوا في مظاهرة صاخبة الى منزل الاسرة .

وكان من اهتمام الناس بان يروا المتهم يشنق ان كثيرين ـ في حماسهم ـ كانوا يتقدمون بالشهادة وحلف اليمين امام المحكمة باى قول يدين المتهم ، ولذلك فان اقوال كثيرين من الشهود لم تثبت امام الاستجواب ، وتحير المحلفون فيما يأخذون وما يدعون .

وكان دفاع ادموند قويا وحاذقا . ووقفت اسرته بجواره متضامنة في التدليل على براءته لا بحثا وراء الحقيقة بل للاحتفاظ بسمعة الاسرة ومكانتها . وكان يساند الدفاع صاحب جريدة « التايمز اللندنية » ذات النفوذ الكبير لأن صاحبها تحيز الى موظفه السابق .

وربما التمسنا العذر للذين تحمسوا في الدفاع

من ادموند ، وصدقنا انهم اعتقدوا فعلا باستحالة ان يكون قد ارتكبها لان الجريمة كانت وحشية يصعب معها تصور ان شابا صغيرا من اسرة جديرة بالاحترام يقدم عليها ..

★ ★ ★

وكان لدى الدفاع رد على كل دليل يدين المتهم. فالدماء التي وجدت بملابسه مرجعها انه كثيرا ما ينزف من انفه (بذلك شهد عدد من افراد اسرته). واتساخ ملابسه بالوحل لانه وقع على اثر نوبة صرع تنتابه . ووجوده في ذلك المكان لانه ذهب ليراقب شابا كان يشك بان له اتصالا باحدى صويحباته . اما الزعم بانه كان على علاقة بالفتاة القتيلة فتلك تهمة لا يقبلها العقل (عقل اسرته على الاقل) لانه ارقى من أن يتدنى الى مثل ذلك.

اما شراؤه للبلطة (المطرقة) فقد نجح المحامى في بلبلة الشاهدة فخلطت بين التواريخ .

اما اقوال شارلوت ووالدتها (نقلا عن القتيلة) واقوال مسز هاملتون من انها أى « جين » ذاهبة لمقابلة المتهم ، فهذه كلها شهادات سماعية لا يأخذ بها القانون السكسوني ، وكان رئيس القضاة الذى ادار المحاكمة من المتمسكين بحرفية القانون ولم يسمح بأن يسمع المحلفون الحكاية التى ذكرتها القتيلة للشهود . هذا فضلا عما اشيع من انه كان على خلاف شخصي مع النائب العام وصمم على مصادرة الاتهام بقدر ما يستطيع .

★ ★ ★

وبعد مداولة لم تزد على عشرين دقيقة صدر الحكم بالبراءة وغادر ادموند قاعة الجلسة ليقابل بهتافات الجموع ضده واصوات الازدراء من الذين ايقنوا أن العدالة لم تأخذ مجراها .

ولكن الرواية لم تتم فصولا . فقد تعرضت الاسرة لهجوم عنيف متواصل من الجمهور الناقم ولاحقتهم المظاهرات اليومية ، وفي اليوم الثانى لصدور الحكم سار موكب يحمل لافتات مهينة ضمنها عربة تعرض صورة امراة يضربها رجل بمطرقة . وتجمعت المظاهرة التى لم يفرقها البوليس لانه لم يكن راضيا عن الحكم .

ثم توالت المنشورات تهاجم الاسرة وطريقة سير المحاكمة وما سايرها من اهمال قواعد الاثبات . وقال كاتب احدى المنشورات ـ وواضح أنه يعرض نفسه عامدا لان ترفع عليه دعوى قذف ـ « انه قد عرف الآن الطريقة التى ينجو بها من العقوبة متى أحب فتاة وحملت منه وقتلها ،حتى يمكن ان ترفع عليه الدعوى ويمكن المحاكم من اعادة نظر القضية . وكان وراء هذه الحملة رجل اعمال ثرى من لندن اسمه نيوتن كروسلاند ـ ساءه ان ظلما قد وقع ، وقام بحملته لمصلحة الخادمة المقتولة التى لم يسبق أن وقع نظره عليها . وكان شجاعا وعنيدا . ووكل اشهر محامى البلد ليتولى اعادة نظر القضية امام المحكمة المدنية اذا رفعت دعوى القذف وكان لا بد أن ترفع لان موقف الاسرقاعني اسرة بوك ـ لم يعد محتملا .

★ ★ ★

ووجدت الاسرة نفسها مضطرة لرفع دعوى القذف . ولكن الموقف هنا قد تغير فلم يعد في استطاعة ادموند ان يقف مكتوف الذراعين امام المحكمة تاركا أمر اثبات ادانته للخصم ، بل كان لا بد له ـ ان اراد كسب قضيته ، أن يتقدم للشهادة امام المحكمة ـ ولم يكن ادموند يريد ذلك ولكن والده وقد ارهقت ميزانيته المبالغ التىدفعها للدفاع عن ابنه ـ وطمعا في ان يسترد من الثرى اللندنى جزءا كبيرا من هذه المصاريف ـ الزم ابنه ـ الذى فرح بحكم البراءة ولم يكن له مطمع الا في اسدال الستار على جريمته ونسيان الناس لها ـ على أن يتقدم للشهادة امام المحكمة .

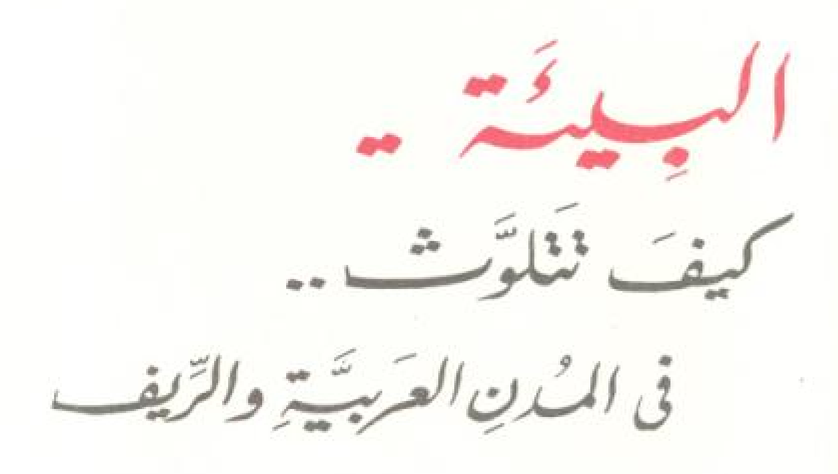
ووقف ادموند في منصة الشهود ، وتعرض لاستجواب مدمر من المحامى الارلندى الجبار الذى اتهم ادموند بانه قتل « جين » وأن اصابع الاتهام والظروف كلها تقطع بانه القاتل ، لولا أن الموت أغلق فم الفتاة الى الابد ـ ولو انها اعادت امام المحلفين ما روته لعمتها وابنتها ومضيفتها لكان ادموند في هذه اللحظة في أغوار السجون يقضي عقوبة الاشغال الشاقة جزاء حقا لجريمته.

★ ★ ★

وكسب ادموند الدعوى لان واقعة القذف لا شك فيها . فقد برىء من محكمة الجنايات . والقضاء المدنى لا يختص بالحكم في خطأ «القضاء الجنائي». ولكن ـ احساس المحلفين واقتناعهم بخطأ حكم البراءة ـ حملهم على أن لا يمنحوه الا خمسين جنيها لا تكاد تغطى الا نسبة ضئيلة من المصاريف التى تحملها ادموند وابوه في الدفاع في القضية الجنائية بل حتى ولا مصاريف دعوى القذف .

■■

حسن الجداوى المحامى



بقلم : الدكتور احمد خالد علام

■ شهد العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية نهضة علمية تكنية شملت كافة المجالات • صاحبها كثير من التغييرات الاجتماعية فى اسلوب الحياة ومطالب الافراد والجماعات•وكان أهم عوامل هذه النهضة اقامة الصناعات الصغيرة والكبيرة على السواء ، والتوسع فى الخدمات والمرافق العامة والتحضر السريع •

الا ان هذه النهضة حملت بين طياتها اثارا جانبية كان لها تاثير مباشر على البيئة السكنية والبيئة العامة المحيطة بها • وعانت المجتمعات المحلية فى كثير من البلاد العربية مشاكل بيئية جديدة بجانب مشاكلها القديمة • فامتد العمران داخل المدن وخارجها امتدادا عشوائيا ، ونشات تجمعات سكنية لا تتوافر فيها مقومات البيئة الصحية ، كما ظهرت مشاكل صرف لمتخلفات الصناعات الجديدة • واصبح التكدس السكانى ، وعجز المرافق العامة ، والضوضاء ، وتلوث الهواء والماء ، من المشاكل التى يعانى منها كثير من المدن العربية •

ما أصاب المدن ، من هجرة أهل الريف اليها

ولقد ظهرت هذه الاثار الجانبية عندما بدات معدلات هجرة أهل الريف الى المدن ـ سعيا وراء الرزق ، وبحثا عن مستوى معيشة افضل ـ تزيد عن معدلات التوسع العمرانى لهذه المدن•مما ترتب عليه ظهور كثير من المشاكل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية• فيسكن اهل الريف عند هجرتهم الى المدينة فى الاحياء الشعبية والمناطق الفقيرة • يقسمون الغرف والاسطح وكل ما يمكن تقسيمه فى الاحياء، ولا يتطلعون الى مستوى أفضل من ذلك حيث انهم غالبا ما ينتمون الى طبقة ذات مستوى معيشة منخفض ، واحتياجاتهم من المسكن متواضعة، وسرعان ما تتحول هذه الاحياء الى مناطق متخلفة ذات كثافة سكانية عالية ، ومستوى صحى منخفض• وتصبح هذه الاحياء محاضن للجراثيم والذباب والعادات السيئة التى تساعد على انتشار الامراض لا فى المنطقة وحدها بل فى المدينة باسرها ، فتتاثر صحة الانسان بدنيا ونفسيا ، وتقل قدرته على الانتاج واتقانه له •

ما أصاب المدن التى تتوسع على غير خطة مرسومة

كما امتد العمران فى ضواحى المدن وخارج حدودها امتدادا اخطبوطيا حيث تبنى المساكن والمصانع بعضها بجوار بعض على اراض غير مخططة لا تخضع

لأي اشراف او توجيه . فتتداخل استعمالات الارض وتنشأ تجمعات سكنية متناثرة تشوه جمال الطبيعة خارج هذه المدن . وغالبا ما ترفض المدن مد هذه التجمعات بالمرافق العامة لمخالفتها للاشتراطات الهندسية والصحية ، ولكن عند ما تكبر تشكل ضغطا سياسيا على اجهزة الحكم المحلي تضطر معه الى الاستجابة لمطالبها ومدها بمختلف المرافق رغم بهاظة التكاليف .

ولقد ترتب على هذا كله ان اختفت من بعض المدن الحدائق الخضراء والميادين والساحات المفتوحة وضاقت الشوارع بالمشاة والسيارات وازدحمت وسائل النقل بشكل رهيب وعجزت المرافق عن تلبية طلبات السكان ونقص شديد في الاسكان .

متخلفات المدن
بعض مصادر تلوث البيئة

كما اصبحت متخلفات المدن من القمامة ومياه المجاري مصدرا من مصادر التلوث ولا سيما في المدن العربية الكبرى . فبعض المدن تتخلص من القمامة بحرقها فتلوث الهواء بالدخان والغازات والوريقات المحروقة فاذا ما نزلت الامطار حملت معها هذه الملوثات الى المياه السطحية فتلوثها . والبعض يتخلص منها بالقائها في الاماكن المنخفضة او في المقالب العامة بطرق غير صحية ، فتصبح معاضن للذباب والحشرات ، والبعض يقدمها طعاما للخنازير فتصيبها بالامراض « مثل الدودة الشريطية » .

اما مياه المجاري فبعض المدن تلقي مياهها دون سابقة معالجة في المصارف والانهار والبحيرات والبحار . والامثلة على ذلك كثيرة في العالم العربي . فنهر العاصي بسوريا تصب فيه متخلفات مدينتي حمص وحماه ، وتلقى القاهرة جزءا كبيرا من مياه مجاريها في مصرف بلبيس الذي يسير مسافات طويلة في ريف مصر . هذه المخلفات مصدر خطير لتلوث المياه فتقتل الاسماك والاحياء المائية ، وتضر بصحة الانسان والنبات والحيوان ، وقد يكون لها تأثير على طعم ورائحة الماء او يكون شكلها غير مقبول ولا مرغوب فيه .

السيارات والضوضاء في المدن

ولقد صاحب التحضر السريع زيادة كبيرة في وسائل النقل ، فقد بلغ عددها في مدينة كالكويت حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ سيارة ، وما يقرب من هذا العدد في القاهرة الكبرى . واصبحت تشكل مصدرا لتلوث الهواء ، حيث تخرج من عادم السيارة الملوثات المختلفة ، مثل : الدخان والغازات السامة والجسيمات الدقيقة اثناء عملية الاحتراق الداخلي ، فتلوث الهواء ، وتؤثر على صحة الانسان والحيوان . ويساعد على تعقيد هذه المشكلة في بعض المدن ضيق الشوارع وارتفاع المباني وصغر المسطحات الخضراء ودوام سطوع الشمس التي تساعد على تكوين مركبات خطرة من هذه الغازات .

كما تعاني المدن العربية ، ولا سيما العواصم ، من الضوضاء التي تختلف مصادرها . فازيز الطائرات اثناء هبوطها او صعودها من المطارات ، وتشغيل اجهزة التكييف ، ومرور الاعداد الهائلة من السيارات في الشوارع الرئيسية في بعض المدن ، وانتشار اماكن تصليح السيارات والورش في الشوارع الاخرى ، كل هذا يقلق راحة السكان ويؤثر على اعصابهم وعلى قدرتهم على التركيز .

التلوث الصناعي في المدن والريف

ولما كانت الصناعة هي عصب الحياة بجانب كونها ركيزة الاستقلال والحرية ، لذا اهتمت بها غالبية الدول العربية او كلها ، وركزت على الصناعات الثقيلة بالذات فبنيت مصانع الحديد والصلب والاسمنت والاسمدة والكيماويات والنسيج ومعامل تكرير البترول ومحطات القوى الكهربائية . وغالبا ما اقيمت هذه الصناعات في ضواحي المدن او بالقرب منها (لاسباب عدة منها قربها من الاسواق واماكن العمالة الماهرة) على مواقع غير ملائمة . وسرعان ما امتد عمران هذه المدن اليها ، واصبحت هذه الصناعات مصدرا لتلوث الهواء والماء للمناطق المحيطة بها .

وتلوث الهواء أنواع حسب نوع الصناعة الصادر منها . فمصانع الحديد والاسمنت والاسمدة تغطي المناطق المحيطة بها بتراب الحديد والكبريت وغيرها من الغازات السامة والجسيمات الدقيقة . ولقد وصلت درجة التلوث في بعض الحالات الى حد الخطورة . فقريتا الشعيبة والفحيحيل بالكويت تعرضتا لتلوث هوائي شديد من مصانع الكيماويات

البترولية فى اغسطس ١٩٦٦ نتج عنه تعرض الاهالى لاصابات حادة . وتشبه هذه الحادثة ما وقع فى لندن سنة ١٩٥٢ حيث مات فى اربعة ايام ٤٠٠٠ شخص نتيجة تلوث الهواء بما يسمى بالضباب الكيماوى المكون من غازات الكربون والمركبات الكيماوية الاخرى . كما اصبحت منطقة حلوان (فى ضواحى القاهرة) التى تتركز فيها صناعات الحديد والصلب والاسمنت من المناطق التى تغطيها الاتربة الصاعدة من مداخن هذه المصانع بدرجات اعلا من المسموح به .

وقد لا يقتصر الضرر الناتج عن تلوث الهواء على المنطقة المحيطة بالمصانع ، بل قد يمتد ليشمل مناطق اخرى فى نفس الدولة أو حتى دول مجاورة تقع تحت مهب الريح . فعلى سبيل المثال تلوث مصانع ايطاليا هواء اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا، وتلوث الابخرة المتصاعدة من مصانع بولنده هواء تشيكوسلوفاكيا وقد ترتب على ذلك ان اصبح حل مشاكل تلوث الهواء لا يتم فى كثير من الحالات على المستوى المحلى أو القومى وانما على المستوى الدولى ايضا .

وكل ما قيل عن تلوث الهواء بالصناعة يمكن ان يقال عن تلوث الماء، حيث يستعمل كثير من المصانع كميات كبيرة من المياه سواء فى عملية الانتاج أو فى عمليات تبريد الالات . وتخرج هذه المياه بعد استعمالها وهى محملة بالفضلات والمخلفات غير المرغوب فيها وفقا لنوع الصناعة . فيخرج الماء من معامل تكرير البترول محملا بالزيوت ، ومن مصانع الكيماويات محملا بالأحماض ، ومن محطات توليد القوى الكهربائية بدرجة حرارة عالية . وتلقى هذه المخلفات السائلة فى مجارى المياه المجاورة فتلوثها . ولقد وصلت درجة تلوث كثير من سواحل الدول العربية الى درجة الخطورة نتيجة ما يلقى فيه من متخلفات المصانع ومن مخلفات زيوت البواخر ومما يتسرب اليها من ناقلات البترول .

البيئة الريفية

والبيئة الريفية بالبلاد العربية اسعد حظا من البيئة الحضرية . فغالبية القرى العربية نمت منذ فجر التاريخ مع احتياجات السكان ولم تخضع لاى اشراف هندسى أو توجيه فى عملية التوسع العمرانى ـ شوارعها ترابية أو رملية ضيقة متعرجة ، مساكنها بسيطة فى تصميمها ، ومواد بنائها لا يتوافر فى غالبيتها المتطلبات الضرورية كالصرف الصحى ومياه الشرب ووسائل الاضاءة والتهوية الطبيعية . كما تفتقر كثير من القرى الى الخدمات والمرافق العامة .

ولم يخل الريف العربى من اثار التلوث الكيماوى، فلقد زاد استعمال المبيدات الحشرية لمقاومة الآفات الزراعية فى الفترة الاخيرة ، واستعملت الطائرات على نطاق واسع فى عمليات رش هذه المبيدات ، وترتب على ذلك تلوث كثير من مصادر المياه السطحية ونفوق بعض الحيوانات .

الخلاصة

ولقد تنبهت الدول الصناعية منذ فترة طويلة الى خطورة هذه المشاكل البيئية . وبادرت باجراء البحوث والدراسات للتخلص او حتى للحد منها . كما تنبهت هيئة الأمم المتحدة وعقدت مؤتمرات كان اخرها مؤتمر تحسين البيئة الذى عقد فى ستوكهلم فى العام الماضى . كما عقدت الجامعة العربية مؤتمرات مماثلة وصدرت توصيات تنبه الحكومات الى مدى خطورة هذه المشاكل .

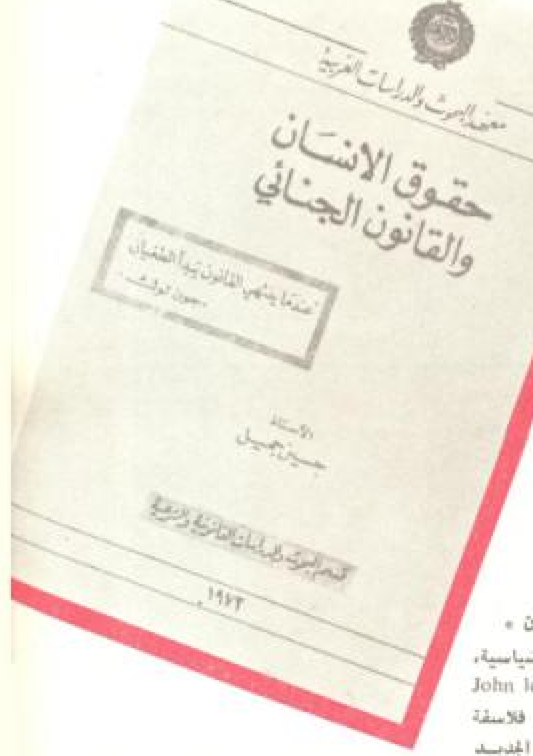
ولقد آن الأوان لان تعطى حكومات الدول العربية (حتى لا يزيد تخلفها عن الركب) مزيدا من الاهتمام فى مجال الدراسات والبحوث البيئية لخلق بيئات صحية جميلة امنة خالية من كل انواع التلوث ، ومجهزة بشبكات طرق ووسائل نقل مريحة وفعالة واقتصادية ، وتخصيص اماكن مناسبة للصناعات ولا سيما الخطرة منها والمقلقة للراحة ، وخلق مناطق تنمية بالريف العربى تتوفر فيها فرص العمالة والخدمات ، وتساعد على الحد من هجرة اهله للمدن ، ووضع المعايير والمقاييس لدرجات التلوث المسموح بها للهواء، والماء، والصوت ، والمواصفات التى يمكن أن تستعين بها المدن العربية عند وضع برامجها، وتوعية الراى العام بموضوعات البيئة وتحسينها . ■■

أحمد خالد علام

القاهرة

"عندما ينتهي القانون يبدأ الطغيان"
"جون لوك"

كتاب الشهر



تاليف :

حسين جميل

عرض :

محمد خليفة التونسى

■ « عندما ينتهي القانون يبدأ الطغيان »

هذه كلمة منجوامع الكلم او الحكم السياسية، قالها الفيلسوف الانجليزى جون لوك John locke (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) الذى يعد من اكبر فلاسفة السياسة المؤسسين للمذهب الحرى الجديد Liberalism .

وقد اختار المؤلف هذه الكلمة شعارا لكتابه ، فركزها على الغلاف تحت عنوانه ، ليخلص بنا فى البداية الى محور موضوعه ووجهة نظره فيه ، فهو يفاتحنا بلباب فكرته اجمالا قبل ان نتجاوز العنوان الى اى صفحة او كلمة فى كتابه . واذا كان لابد ان « يعرف الكتاب من عنوانه » كما يقال ، فهذه العبارة تكفل التعريف بالكتاب كما يكفله أوضح عنوان ، ولو ان المؤلف اتخذها عنوانا اكبر لكتابه لكانت ادنى الى التسمية الادبية او الفلسفية ، وهى اجذب للانظار ، وابعث على الاهتمام عند جمهور القراء ، ولكن المؤلف ـ كما سنبين ـ كان اوفى لمزاجه واصول « صنعته » ففضل العنوان الآخر « حقوق الانسان والقانون الجنائى » وهذا العنوان لا شك ادخل من كلمة لوك فى الفن الحقوقى أو « الصنعة الاصولية » ولهذا استحق عنده الايثار والتقديم .

الأسلوب هو الرجل

وهذا هو الاسلوب نفسه الذى آثره المؤلف فى كل صفحات كتابه التى بلغت ثلاث مائة ، وهو الاسلوب الاليق بالمباحث الاصولية أو الحقوقية ، فالمؤلف فى موضوعه يعنى فى دقة وعمق بتاصيل

افكاره بدءا بالانسان الذى هو المناط الاوحد والاعظم لما يسمى « حقوق الانسان » فيفتتح مقدمته بقوله : « الانسان اثمن ما فى الوجود ، واغلى ما فى الكون من قيم مهما غلت القيم الاخرى » كما يعنى بتاصيل كل حق من الحقوق الانسانية وبيان منشئه وافاقه التى يمتد اليها وينتهى عندها ، وما يمكن ان يتحيف هذه الافاق فينتقصها او يخل بنظامها ، ثم هو ينسق افكاره فى حلقات متماسكة متكاملة ، ويعبر عنها بكلمات يسيرة واضحة تبرز معالمها وتلاحم بينها فى دقة ورصانة ، فلا تزيّد فى عبارة ، اثارة لعاطفة ، او رغبة فى زينة ، وعلى هذا النحو ينبغى ان تكون الكتابة فى الموضوعات الحقوقية والقانونية .

حياة قانونية

وغير عجيب ان يسلك المؤلف الحقوقى الأصولى هذا المسلك فى كتابه هذا او فى سائر كتبه ، فهذا هو مسلكه فى كل تفكيره وحديثه ، وجملة حياته ايضا ، فهو مع ميوله الادبية واهتماماته الثقافية العامة قد استأثرت به الدراسات الحقوقية منذ بواكير شبابه حتى اليوم ، فكان له فيها نشاطه الجم باحثا منقبا وكاتبا ومحاضرا وقاضيا ومحاميا . وقد عكف على هذه الدراسات منذ تخرج فى معهد الحقوق بدمشق سنة ١٩٣٠ ، وعاد الى موطنه العراق ليشتغل بالمحاماة والكتابة الصحفية ، حتى اختير قاضيا سنة ١٩٣٣ ، وقد لبث فى القضاء حتى سنة ١٩٤٦ ، ثم كان عضوا فى المجلس النيابى من سنة ١٩٤٧ حتى ١٩٥٤ ، وقد تولى وزارة العدل ـ وهى وزارة القوانين تشريعا وقضاء واشرافا .

كتاب للمختصين وغير المختصين

وهذه المحاضرات القاها متخصص فى القانون على مختصين فيه ، او طلاب اختصاص ، فاتخذت هذا الاسلوب القانونى الخاص ، ومع ذلك تجدها سهلة قريبة التناول للقارىء المخلص وان لم يكن من ذوى الدراسات القانونية ، فلا تنميق هنا ولا تزيد فى شىء من افكار المؤلف او عباراته ، ولكن اثر ثقافته الادبية يبدو جليا فى سلامة عباراته واسترسالها وبساطة التركيب فيها ولا سيما ترتيب الفاظها فى الجمل الطويلة ، وكثير من رجال الفقه والقانون عندنا قديما وحديثا لا يجيدون وضع الكلمات مواضعها الصحيحة داخل الجملة الواحدة حين تطول .

والكتاب موضوعه من اهم موضوعات الساعة واخطرها واشدها التصاقا بكل انسان فى علاقاته المباشرة خلال حياته اليومية بالسلطات التى تهيمن على المجتمع الذى يعيش فيه ساعة فساعة ، وما تتعرض له حقوقه من حيف هذه السلطات التى تميل بطبيعتها الى التحكم ، وهى فى الوقت نفسه قديرة على تبرير تحكمها بكثير من العلل والتعلات ، اما باسم النظام او باسم المصلحة العامة او غير ذلك من الاسماء الكثيرة التى تختلف ظاهرا عن باطن . وكذلك هى قديرة على سن الدساتير والقوانين العادلة ، ولكنها قديرة ايضا على مخالفتها بالانحراف فى تفسيرها ووضع الاستثناءات لها بحيث تفرغ محتواها فى هذه الاستثناءات ، فتبقى نصوص الدساتير والقوانين الاصيلة اشباحا بلا ارواح ، واكثر ما يقع ذلك فى الدول الحديثة النشأة ، او الحديثة الاستقلال ، لا سيما الدول التى طال على شعوبها الاستعباد من الغرباء عنها او من ابنائها وكلاهما محنة ، فضعف فيها الوعى السياسى والاجتماعى لما الفته من كيد القوى للضعيف ، وكيد الضعيف للقوى ، وكلاهما ظلم ، او كما قال شيخنا المعرى :

ظلم الحمامة فى الدنيا ـ وان حُسبت
فى الصالحات ـ كظلم الصقر والبازى

نظام الكتاب وفكرته العامة

يبدأ الكتاب بمقدمة توضح فكرته العامة ، تليها اقسام الكتاب الثلاثة وفى كل قسم منها باب او اكثر ، كما ان فى كل باب فصلا او اكثر . ويمكن ان نلخص فى نقطتين اثنتين وجهة نظر المؤلف او فكرته العامة التى لم يغفل عنها طوال صفحات كتابه .

احدى النقطتين تبادرنا فى اول جملة فى المقدمة ، اذ يقول : « الانسان اثمن ما فى الوجود ، واغلى ما فى الكون من قيم ، مهما علت القيم الاخرى » . ونسال عن هذه القيم الاخرى فلا نجدها الا فى الانسان ، ومنه ، فهو مصدرها او منشئها ،

وهو مناطها او موضوعها ، لانه وحده وعاها وحاول دعمها لحماية كرامته وخدمة مصلحته ، سواء قلنا انها هبطت عليه من السماء ، او نبتت له من الارض ، فهي به كانت وقامت ، وبغيره ما كانت لتظهر او تقوم ، وهو اذن رأس كل القيم وملاكها الاوحد .

والنقطة الثانية يعبر عنها المؤلف في المقدمة ايضا اذ يقول : « تبدو اهمية القانون الجنائي ، بالنسبة لحقوق الانسان ، في ان معظم القيود التي ترد على حقوق الافراد وحرياتهم ـ ترد في القانون الجنائي . وهذه القيود هي التي تحدد في الواقع مضمون الحرية . لذلك كانت معرفة هذه القيود وتحليلها اجدى في التعرف على حقيقة الحريات التي يتمتع بهامواطنو اىبلد منالبلاد ـ مضمونها وحدودها ـ من الرجوع الى دستور ذلك البلد وما سطر فيه من نصوص بشأن الحريات .

خضوع السلطات لمطالب حقوق الانسان

وهذا القسم الاول باب واحد ، موضوعه المبادىء التي يرى المؤلف وجوب مراعاتها في انظمة الحكم ، لضمان خضوع السلطة لمطالب حقوق الانسان ، هذه المبادىء كما حصرها المؤلف خمسة هي :

١ ـ سيادة الشعب .

٢ ـ سيادة القانون .

٣ ـ الفصل بين السلطات .

٤ ـ استقلال السلطة القضائية .

٥ ـ الرقابة القضائية ، وقد خص كل مبدأ منها بفصل واف ، وهكذا جاءت فصول هذا الباب او هذا القسم خمسة بعدد هذه المبادىء .

القانون الجنائي والحريات والحقوق الانسانية

وقد قدم المؤلف لفصول الباب الخمسة بتمهيد يفسر معنى القانون الجنائي ، وعلاقته بالحريات والحقوق الانسانية ، فهذا القانون يقصد به « قانون العقوبات » و « قانون الاجراءات الجنائية » الذي **يسمى في بعض البلاد العربية « قانون اصول المحاكمات الجزائية » . فاما « قانون العقوبات »** فيحدد الافعالالتي يحرمها المشرع ويعاقب مرتكبها، كما يحدد الافعال التي يلزم المشرع القيام بها ، ويعاقب الممتنع عنها ، واما « قانون الاجراءات الجنائية » فانه « يتضمن القواعد التي تتبعها السلطات العامة عند وقوع جريمة لغرض الكشف عن مرتكبها ،واثبات ارتكابها من قبله ، والتحقق من مسئوليته الجنائية عنها ، واقتضاء حق المجتمع في فرض العقاب عليه » .

ففي قانون العقوبات قيود على حرية الافراد ، بل على حياتهم اذا كانت العقوبة الاعدام ، وفي قانون الاجراءات الجنائية قيود ايضا على الحرية كالقبض والتوقيف (الحبس الاحتياطي) وتفتيش المسكن ، ثم هناك التزامات على اشخاص لم يرتكبوا جريمة » كالمجني عليهم ، واصحاب المحلات التي ترتكبفيها جريمة ، او المحلات التي تفتش ، وكذلك الشهود والخبراء » .

القانون الجنائي بشقيه ـ عقوبات ، واجراءات جنائية ـ يستهدف الدفاع عن قيم تحرص الجماعة عليها وعلى حمايتها ، فكيف نوفق بين هذه القيم الجماعية الانسانية من جانب وحريات الافراد وحقوقهم وهي قيم انسانية ايضا من جانب آخر ؟ ويرى المؤلف ان لاتمس هذه الحقوق الا بالقدر الضروري لحماية القيم والمصالح الجماعية حتى لا تضار او يشقى الفرد ، وعلى هذا الاتجاه تصاغ مبادئ القانون الجنائي بشقيه .

ولكن كيف يقوم هذا القانون بشقيه بحيثلايمس حقوق الافراد الا بالقدر الضروري لحماية القيم والمصالح الجماعية ؟ .

اما جواب المؤلف على ذلك فهو مراعاة المبادىء الخمسة التي اشرنا اليها انفا ، واشرنا الى ان المؤلف قد عقد لتوضيح كل مبدأ منها فصلا .

الفصل الاول سيادة الشعب

الحكومة وهيئاتها الفرعية ذات سلطات واسعة على المواطنين ، بعضها يمس اموالهم كالضرائب والرسوم ، وبعضها يمس حرياتهم كالحبس،وبعضها يمتد الى حد انهاء حياتهم باعدام شخص ، فما الاساس « الشرعي » لهذه السلطات ؟ او ما هي « الشرعية » فيها ؟ .

اساس ما للحكومة من سلطات انها تنوب عن

الشعب الذى هو صاحب هذه السلطات ، فاساس «الشرعية» فى كل اعمال الحكومة انها تمثل الشعب، اذ ليس ممكنا ان يحكم الشعب كله وقد يبلغ ملايين ، فهو ينيب عنه من يمثله ، فالنيابة هنا بمثابة الوكالة فى القانون الخاص ، ومن النواب المنتخبين باقتراح مباشر تنبثق الحكومة المسئولة امامهم ، وهم يشرفون على اعمالها ويمكنهم ان يغيروها،وعنهم تصدر القوانين وهذا جوهر النظام البرلمانى او الديمقراطية النيابية ، فحيثما تكن الانتخابات حرة يكن ممكنا على الدوام اجبار الحكومة على عدم التحيز فى استعمال سلطاتها ، فالحرية الاساسية الحقيقية هى حرية الانتخابات ، ومنها تتفرع سائر الحريات .

ولماذا كانت سيادة الشعب أصلا من أصول احترام حقوق المواطنين وحرياتهم ؟

والجواب واضح ، اذ لا يرعى مصالح الشعب كالشعب نفسه ، ولا يغار او يحرص على حقوق المواطنين احد كالمواطنين انفسهم ، فلا ضمان لحقوق الفرد دون مشاركة فى السلطة التى تدبر امره بالنيابة عنه،ومن اجل ذلك تظهر اهمية الانتخابات الحرة العامة السرية المباشرة أسلوبا للتعبير عن ارادة الشعب فى اختيار نوابه،واقامة هذه الهيئة النيابية عنه فى ممارسة سيادته على اموره هى الضمانة الكبرى لحقوق الانسان ، وهذا ما تنص عليه كل الدساتير الراقية كما نص عليه الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، اذ جاء فيه « ان ارادة الشعب هى مصدر سلطة الحكومة ، ويعبّر عن هذه الارادة بانتخابات نزيهة دورية تجرى على اساس الاقتراع السرى والمساواة بين الجميع،او اى اجراء مماثل يضمن حرية التصويت ... ولكل فرد الحق فى الاشتراك فى ادارة الشئون العامة لبلاده ، اما مباشرة ،او عن طريق ممثلين يختارون اختيارا حرا » .

الفصل الثانى
سيادة القانون

يشير المؤلف هنا الى أن لمبدأ سيادة القانون معانى مختلفة،ويظهر الاختلاف فى مفهومه وآثاره واسعا بين فقه القانون الغربى والنظام القانونى فى الدول الشيوعية ، فالقانون فى الاتحاد السوفييتى مثلا ــ وفاقا للنظرية الماركسية ــ هو احد الوسائل التى تستخدمها السلطة الحاكمة لتحقيق اغراض الحكم ، واكبر هذه الاغراض الآن هو تحويل المجتمع ليصير اشتراكيا فشيوعيا،فالشرعية فى النظام السوفيتى مقيدة بالاشتراكية ،والقانون هناك يخضع لسياسة الاشتراكية ويدعمها،وما دامت الماركسية تقصد اقامة نظام اجتماعى يمحو الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ويمحو الطبقات ليحقق الشيوعية فسبيلها الى ذلك نظام سياسى تسوده دكتاتورية البروليتاريا ، فهى تحتكر كل عمل سياسى فى الدولة وتقمع سائر الطبقات لازالة الطبقية،والماركسية اذن تجعل للدولة فى هذه المرحلة الانتقالية سلطة مطلقة فى مواجهة كل الافراد والجماعات . وما دامت غاية الماركسية هى النظام الشيوعى فجهاز الحكم فى الدولة السوفيتية هو الحزب والحكومة والمؤسسات والقضاء والقانون وما الى ذلك،وكلها وسائل تؤدى الى هذا الغرض ، ولهذا يجب استخدامها اتم استخدام لنقل المجتمع الى الشيوعية ، وما دام القانون احد هذه الوسائل فلا ينبغى ان يعطل بلوغ هذه الغاية . وكل ذلك ينتهى الى نتيجة مغايرة بالنسبة للمحكومين ، « فبدلا من ان يكون مبدأ الشرعية الاشتراكية للمحكومين » نراه يلقى ثقله على المواطنين استنادا الى هذا المبدأ ذاته « سيادة القانون » ليجعل سلطات الدولة مطلقة فى تنفيذ المخطط الاشتراكى» .

اما مبدأ سيادة القانون فى الفكر الغربى ، فمعناه يختلف قليلا بين نظام دولة ونظام سواها . فهذا المبدأ يعنى فى النظام الانجليزى سيادة البرلمان باعتباره الجهة التشريعية المنتخبة من الشعب،ونتيجة ذلك قدرة البرلمان على اصدار اى قانون،ولا تملك هيئة اخرى المساس بتصرفاته او تحدى اختصاصه. ثم سيادة القانون الشفوى (القوانين والسوابق القضائية) . وفى النظام الفرنسى نجد سيادة القانون تعنى « الشرعية » فالقانون يحكم العلاقات بين الافراد والادارة،والتشريع هو مصدر الشرعية، ولا يقيّد السلطة التشريعية شىء الا ما يملكه المجلس الدستورى من تقرير عدم الدستورية فى اى نص قانونى. وسيادة القانون فى هذا النظام « الحكومة فى ظل القانون Government under low » . ومعناها نظام « دستورى يكفل للمواطنين حقوقا دستورية تحميها التعديلات الدستورية وهى تقيد كل سلطات الدولة حتى السلطة التشريعية ،

وترعاها محكمة دستورية تملك أن تعطل وأن لا تطبق اى قانون يخالف الدستور أو تعديلاته ».

فهناك مبادىء مشتركة في فقه القانون الغربي ـ وان اختلفت نظم الحكم قليلا بين دولة واخرى ـ وهذه المبادىء المشتركة هي :

١ ـ ارتكاز مبدأ الشرعية او سيادة القانون على ركيزتين أساسيتين : الاولى سياسية وهي تقيد الحكام والمحكومين على حد سواء بالنظام القانوني القائم ، وهذا النظام نفسه يستند الى القيم السياسية العليا واهمها كرامة الانسان وحرياته ، والركيزة الثانية قانونية ، تضع الضمانات للمحكومين فيتعاملهم معالادارة او فيما يرتكبونه من جرائم ، او فيما يقع بين بعضهم وبعض من منازعات .

٢ ـ ترىالديمقراطيات الغربية ان سلطة الحكم غير المقيدة خطر على كيان الفرد وحقوقه ، وضمان هذه الحقوق انما يتحقق بسيادة القانون الذيتعترف هذه السلطة بتقيدها به وخضوعها لسلطانه ، واقل ما يقيدها هو مبادىء دستورها ان لم يكن تقيدها بمبادىء انسانية يفترض انها اعلى من الدولة .

٣ ـ استنادا الى تاريخ المذهب الديمقراطي وعناصره ، يرى الفقه الغربي انه لا يمكن فصل مبدأ سيادة القانون عن النظام الديمقراطي .

ولتحقيق سيادة القانون في البلاد العربية ـ وهذا ينطبق على غيرها ـ لا بد من شكل ومضمون ، وللشكل جانبان : سلطة تشريعية تكون هي مصدر القانون ، لان «الشعب مصدر السلطات» ثم خضوع سلطة الحكم لهذا القانون . واما المضمون فهو ان يحقق القانون للافراد فيحقوقهم وحرياتهم مركزا قانونيا في مواجهة سلطة الحكم ضمانا لحقوقهم في معاملاتهم مع الادارة او مع بعضهم بعضا فيما يتهمون به من جرائم ، أو يستدعون له منها ، ولو لم يكونوا متهمين ، كان يكونوا شهودا مثلا .

وما القيد الذي يرى المؤلف ان على السلطة التشريعية التقيد به لاقامة دولة القانون في بلادنا العربية ؟ خلاصة رايه في اضيق حدوده انه يفترض الاخذ بالنظام الديمقراطي نظاما للحكم ، لان كرامة الانسان وحقوقه هدف من اهداف هذا النظام.ولضمان حمايتها تتقيد السلطة التشريعية بمبادىء معينة ينصعليها في دستور كلبلد عربي ، وهذه المبادىء متضمنة في « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » . فهذا القدر من المبادىء هو الذي يمثل المستوى المشترك للشعوب كافة .

الفصل الثالث
الفصل بين السلطات

اول من نادى بهذا المبدأ هو مونتسكو في كتابه روح القوانين الذي صدر سنة ١٧٤٨ ، والغاية من هذا المبدأ هي حسن اداء الدولة لوظائفها والحيلولة دون طغيانها ، فتوزع هذه الوظائف بين السلطات الثلاثالتشريعية والتنفيذية والقضائية، وكلمنها مستقلة عنالاخرى،فلا تملك احداها عزل غيرها ، وذلك دون تعطيل حقمجلس النواب ـ وهو السلطة التشريعية ـ في ان يحجب ثقته عن الوزارة وهي السلطة التنفيذية فيسقطها ، ولا يمنع الفصل بين السلطات ان تتعاون فيما بينها وان تراقب كل منها في حدود اختصاصها سلطة اخرى ، وتقاومها عند الحاجة بوسائل سلمية ، فان اجتماع اى سلطتين في يد واحدة حافز الى الطغيان ، ولا حاجة بنا الى تفصيل هذا الاجمال .

الفصل الرابع
استقلال السلطات القضائية

وهذا الاستقلال نتيجة فصل السلطات ، وكل مساس بهذا الاستقلال لا بد ان يخرق هيبة القضاء وجلاله ، ويغل بميزان العدل ويهدم دعائم الحكم لان العدل اساس الملك او أساس الحكم كما قيل قديما ومقومات القضاء ترتكز على ما ياتي :

١ ـ ان يكون سلطة لا وظيفة فيمتد نفوذها الى كل ما يتصل باغراضها ، فلا تخرج من نطاقها اية منازعة ، ولا يجوز ان يشاركها في القضاء جهة تنتحل لها صفة القضاء .

٢ ـ ان تكون هذه السلطة مستقلة وهذا يعني يقينا استقلال القضاء والقضاة معا ، اى استقلال القضاة في وظائفهم القضائية ، امام السلطة

التنفيذية ، وعدم خضوعهم في ترقياتهم لها،وعدم قابليتهم للعزل وحماية مرتباتهم ، وايجاد نظام خاص بهم لتحديد مسئولياتهم المدنية والتاديبية • ويعني استقلال القضاء ـ من حيث هو سلطة حيال السلطة التشريعية ـ رقابته على كل عمل تشريعي ، وحمايته من تدخل السلطة التشريعية في ولايته،او تقيد حق التقاضي امامه ، بمنعه من النظر في نزاعات معينة ، واخراجها من عهدته والتدخل في وظيفته بالغاء حكم قضائي له ، او عدم تنفيذه ، او رفضه ، والتدخل في تنظيمه لتقييد استقلاله او الاعتداء عليه •

٣ ـ ان يكون القضاء متخصصا بمعنى ان تتوفر في اهله شروط ومؤهلات خاصة تجعلهم اكفاء لمهمتهم الجليلة، سواء من حيث ثقافتهم او مراتبهم، او من حيث سلوكهم الشخصي وعلاقاتهم الاجتماعية، فلا يلي القضاء الا المتخصصون الذين تتحقق فيهم هذه المؤهلات والشروط ، مع السمعة النزيهة •

٤ ـ حياد نظام القضاء ، او حياد القضاة ، ولتاكيد ذلك تقرر قوانين المرافعات حق المتقاضي في رد القاضي ، ويلاحظ ان الدولة كثيرا ما تكون خصما في الدعاوى المدنية ، كما يكون لهيئة من هيئات الحكم مصلحة في حسم الدعاوى الجنائية على وجه يرضيها ، ولهذا تحرص الانظمة الديمقراطية على تحقيق الظروف التي تكفل عمل القضاء في حياد ، لهذا ايضا يحظر على القاضي الانتماء الى سياسة حزبية او طائفية ، او ممارسة اي نشاط سياسي ، فكل خضوع منه لهيئة سياسية او سلطة ينفي صلاحيته للنظر بحياد في قضاياه ، ويخل باهليته لضمان تحقيق العدل فيما يقوم بين السلطة والافراد من منازعات •

الفصل الخامس
الرقابة القضائية

وهذه الرقابة جانب من استقلال السلطة القضائية كما اشرنا في عرض الفصل الرابع ، فالدستور في اي بلد هو قانونها الاساسي ، وعنه تتفرع كل القوانين ، وعن القوانين تتفرع الانظمة (او اللوائح) والقرارات الادارية ، وكلها تضبط بالدستور وحده،لانه اعلى منها جميعا • فلنفرض ان السلطة التشريعية اصدرت قانونا خالفت فيه مبدأ او انتهكت حقا مقررا في الدستور ، فهل من رقابة تدفع هذه المخالفة ؟ ان الرقابة على الاعمال التشريعية لازمة لا شك لضمان دستورية القوانين ، ولكن من يمارسها ؟ وكيف تمارس ؟ ثم ان السلطة التنفيذية ايضا في مباشرتها لتنفيذ القوانين تصدر انظمة او قرارات فردية ، قد تخالف في بعضها حكم الدستور او القانون ، فلا بد من رقابة على الاعمال الادارية • فلمن تكون الرقابة ؟ وكيف تمارس ؟

هنا يستعرض المؤلف حال الرقابة القضائية الآن في بعض بلادنا العربية فقها وتشريعا وتطبيقا ثم يخرج برأيه ، وخلاصته انه لا بد من رقابة القضاء على دستورية القوانين ، وان توكل هذه الرقابة الى المحكمة الدستورية (ان وجدت) والمحاكم العادية ايضا ، ولكن اذا صدر قرار بعدم دستورية قانون من محكمة عادية لم تلزم به محكمة عادية اخرى ، واذا صدر من محكمة دستورية التزمته كل المحاكم، وكذلك من حق المحاكم العادية ـ عند غياب القضاء الاداري ـ رقابة الانظمة والقرارات الادارية ، وردها اذا خالفت الدستور او القوانين الدستورية، فلها فحص هذه الانظمة والقرارات ، ولها قضاء التضمين (او دعاوى المسئولية الادارية) ورقابة الالغاء ورقابة الامتناع،ثم للمحاكم المدنية سلطتها في القضايا الادارية ، وللمحاكم الجنائية سلطتها في القضايا الجنائية التي تقع من الموظفين او عليهم خلال تاديتهم اعمالهم فيما يوكل اليهم من وظائف•

من هذه الخلاصة للقسم الاول من الكتاب ـ وهو يستغرق سدس صفحاته ـ تتبين لنا وجهة المؤلف، اما معالم الطريق كله فلا بد لمعرفتها من قراءة القسمين الثاني والثالث ، وان كانت محتوياتهما امتدادا او تفسيرا او تفصيلا لمحتويات القسم الاول، حتى اننا نستطيع ان نتنبأ بمعظم ارائه في القسمين الاخيرين اذا وعينا اراءه في القسم الاول ، فهو مع « النظام » لا شك ولكنه بكل حماسته وتفكيره مع الحرية او مع الحقوق الانسانية للافراد باوسع معانيها ، فلا يحد منها عنده الا بقدر ما يحفظ المصالح الحقيقية للجماعة لا المصالح المدعاة ، فاذا تصورنا الدستور وقوانينه شروطا بين الحاكم والمحكوم فالطرفان ملزمان على سواء باحترامها وحمايتها ، فلا تنقض طاعة شرطا ، ولا ينقض شرط طاعة •

القسم الثاني
ضمانات غير المتهم بجريمة

بحث المؤلف في بقية كتابه الضمانات التي يجب توفيرها للشخص اذا كان غير متهم بجريمة (وهذا موضوع القسم الثاني) او كان متهما بجريمة (وهذا موضوع القسم الثالث) .

وهذا القسم الثاني اربعة ابواب ،بعضها اكثر من فصل ، ولكل فصل موضوعه الخاص ، وقد مهد للقسم كله باشارته الى ان للافراد حقوقا وحريات قد يمسها القانون الجنائي او يهدمها من غير ان يكونوا متهمين بجريمة ، فما الضمانات التي يجب هنا ان توفر للمواطن وما مهمة القانون الجنائي في دعم هذه الضمانات ، وذلك في ظل الاحوال العادية ؟ هذا ما يجيب عليه القسم الثاني بكل ابوابه وفصوله .

القسم الثالث
حقوق المتهم بجريمة وضماناته

وهذا القسم يقارب ثلاثة اخماس الكتاب ، وجهد المؤلف فيه اوضح منه في غيره ، وهو ادلها على قدرته في التوفيق بين ما يتطلبه النظام العام الذي يحقق مصلحة الجماعات ، وما للفرد من حقوق وحريات تحفظ كرامته ومصلحته ، هذا القسم اربعة ابواب تتبع فيها المؤلف خطوات المتهم منذ التحري عنه حتى الحكم باطلاقه او ادانته وما يليه من نتائج .

المراجع وتوثيقها

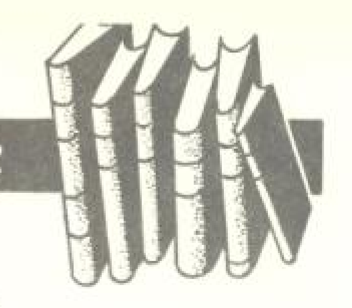
ولم يذكر المؤلف في نهاية كتابه قائمة بمراجعه، ولكن التزم في التوثيق غاية الامانة ، فحيثما اخذ شيئا من غيره خلال عبارة فانه يشير الى مرجعه خلال الصفحة او هامشها، ويكرر الاشارة اذا تكرر النقل ولو خلال صفحة واحدة ، ومما يلفت النظر، ويدل على تحرج المؤلف وتورعه ونزاهته في توثيق مراجعه ، انه اذا اورد شيئا يعرف صاحبه ، ذكر اسمه ، ولا يقتصر على اسم الكتاب او المنشور في اشارة غامضة مثل « مجلة كذا » او « جريدة كذا » او « موسوعة كذا » ، مما يقع فيه كثير من كتابنا ، وكان اولى لهم ان ينسبوا كل راى الى صاحبه احقاقا للحق ، ورفع العهدة عن انفسهم فيه ، وهؤلاء ـ غفر الله لهم ـ يقعون في هذه الزلات عن جهل او غفلة وكلاهما آفة ذهنية ، او يرتكبونها عن عمد ، كانهم ينفسون الراى على صاحبه فيكتمون نسبته اليه حتى لا يعرفه سواهم ، وهذه آفة خلقية وقد برىء المؤلف من الآفتين .

اما مراجع الكتاب فتبلغ عشرات وعشرات بعضها دساتير وقوانين قديمة وحديثة ، او كتب دستورية وقانونية لمؤلفين ذوى مكانة حقوقية في البلاد العربية والاوربية والامريكية ، وبعضها نشرات وبيانات دستورية وقانونية كالاعلان العام لحقوق الانسان ، وبعضها احكام اصدرتها المحاكم في بلادنا وغيرها ، وكلها تدل على تمكنه من الفقه واطلاع واسع على اصوله ومراجعه .

أين نصيب الفكر الاسلامي ؟
تراث ضيعه أهله

وكنا نود ان نجد في الكتاب مكانا للفكر الاسلامي السياسي في اصوله وتطوره ، فكثير من مفكري الاسلام اصحاب نظرات او نظريات في الموضوع تستحق التقدير ، ولعل اقوى شفيع للمؤلف في اغفال ذلك ان الاسلام ، وان جاء بكل الحقوق الانسانية،فان فقهاءنا لم يعنوا بهذا الجانب الفكرى في الاسلام كما عنوا بغيره ، وان العناية به كادت تنحصر في قليل من بحوث المفكرين وعلماء الكلام، قادت بهم اجتهاداتهم الى نظرات او نظريات قيمة ولكنها قليلة ، ثم انها لم تجد الجو الاجتماعي الذى يتبناها ، ويكفل لها الاستقرار والتطور ، وان الحكم نهض ديمقراطيا في عهد النبي عليه السلام وخلفائه الراشدين ، او كان خلافة راشدة رشيدة، ثم انقلب ملكا عضوضا ، فقلب عليه الاستبداد ، وبقيت آراء المفكرين ونظرياتهم في الديمقراطية خبيئة في طوايا الكتب،حتى كانت نهضتنا الحاضرة فبدا تاثرنا بثقافة الغرب وحضارته ، ومنها نظم الحكم الديمقراطي فيه،كما بدانا ننبش عن اسسه في تراثنا ونحييها كي تنافس نظائرها في الغرب، ونحن نستعين بالجانبين معا في اصلاح احوالنا الحاضرة . ■■

محمد خليفة التونسي



من الكتب التي وصلتنا

حياة الامام الحسن بن على

تاليف : باقر شريف القرشي
التاشر: مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف ـ العراق

● درس هذا الكتاب بموضوعية الاحداث الخطرة التي جرت في صدر الاسلام ، وكان من نتائجها تغيير الحياة الفكرية والاجتماعية في الاسلام، كما عالج موضوع الصلح الذي قام بين الامام الحسن بن على بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ، ودلل على حتميته ، وانه لا مناص منه في العرف السياسي ، كما رد المؤلف على اولئك الذين انتقدوا ذلك الصلح وبيّن ان نقدهم هذا لم يكن موضوعيا ، ولم يكن خاضعا لدراسة الاحداث والوقوف عليها ، ثم رد عن الامام ما اتهم به من انه رجل مزواج ، وان هذه كانت من المفتريات التي وضعها الخصوم للامام للحط من شانه .

وثائق هامة من اخبار فلسطين في عام ١٩٢٠

جمعها ونسقها : محمد سعيد الصواف ـ بيروت ـ لبنان .

● يجمع هذا الكتاب بعض الوثائق التي لها مساس بالقضية الفلسطينية ، مطوية في بعض الصحف والمجلات القديمة، وبعض الكتب المطبوعة والمخطوطة ، ويهدف الكتاب الى كشف اخبار القضية الفلسطينية من اواخر العهد العثماني حتى عام ١٩٣٦ ومعظم هذه الوثائق ماخوذة من جريدة (الدفاع) التي كانت تصدر في مدينة دمشق ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ لصاحبها توفيق اليازجي ، وتشكل وثائق هذه الجريدة وثيقة دامغة تدين الصهيونية ومطامعها التوسعية ، واشعالها نيران الحرب في الارض المقدسة ، هذه الوثائق تكشف كل احداث القضية الفلسطينية في عام ١٩٢٠ .

بحوث فقهية

تاليف : عز الدين بحر العلوم
التاشر : دار الزهراء ـ بيروت ـ لبنان

● مجموعة محاضرات القاها العلامة الشيخ حسين الحلي تتناول الحديث عن موقف الشريعة الاسلامية من بعض المسائل الفقهية المهمة التي جلبتها حضارتنا الحديثة ، ولم تكن موجودة في عصر الرسالة او بعد عصر الرسالة .

وقد قام السيد عز الدين بحر العلوم في توسيع هذه البحوث وتقويتها ببعض المصادر التي تتحدث عن هذه المسائل . كما اضاف اليها بعض المسائل الحديثة الاخرى بعد ان اخذ رأى العلامة الحلي بها ودعم هذه البحوث بالنظريات الحديثة وآراء اهل الخبرة من الفنيين .

اما هذه البحوث فهي التامين ، واليانصيب ، والاوراق النقدية ، واعمال البنوك والمصارف ، وحقوق الزوجية وآثارها الوضعية ، الشوارع المفتوحة من قبل الدولة ، وقاعدة الالزام وغيرها .

احياء الاراضي الموات

تاليف : محمود المظفر
التاشر : المطبعة العالية ـ القاهرة ـ مصر .

● احياء الاراضي الموات موضوع فقهي اسلامي واسع ، يعتبر من انفع المواضيع واشدها اتصالا بالحياة العملية ، والمراض الاقتصاد ، وهذا البحث يتناول اهم المشاكل الاقتصادية الآتية : مشكلة الارض بكل ما يتصل بها من ملكية والاقطاع ، واحياء ، واستثمار ، كما يعرض لاحكام الخراج ، والقبالة ، والالجاء ، وكذلك احكام الاراضي المعدنية، والموقوفة ، والعرصات المتروكة من حيث اتصالها بموضوع الاحياء .

ويقوم منهج الكتاب على الاستدلال اى على البحث والنظر والتحليل ، وكذلك على المقارنة والاستقراء لآراء اشهر المدارس الفقهية : وهى الامامية ، والزيدية ، والحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، مضافا الى ذلك مقارنتها ببعض التقنينات الوضعية الحديثة وفي حدود ما كان متصلا بالقانون من مسائل هذا الكتاب .

طـه حسـين
بين أنصاره وخصومه

تاليف : جمال الدين الالوسي

الناشر : مطبعة الارشاد ــ بغداد ــ العراق .

● دراسة موسعة تتناول حياة عميد الادب العربي الدكتور طه حسين وتوضح الخطوط الاساسية لسيرته العطرة وقد رافقه المؤلف خلالها في كل ما كتبه الدكتور وما كتب عنه .

يقول المؤلف ان طه حسين قد اطلع على الكتاب قبل أن يطبع ، وابدى رايه فيه ، وسجل بعض التصويبات ، ونفى بعض الروايات واشار الى ضرورة الرجوع الى النصوص في بعض فصول الكتاب ، كما قال انه راض كل الرضا عن الفصول التي لخصت سيرته . فهذا الكتاب اصبح وكانه قد كملت فصوله تحت اشراف الدكتور طه حسين نفسه ، وحظى بموافقته ، فهو اذن مرجع وثيق.

وقد اثبت المؤلف نص قرار النيابة العامة الذى صدر ضد كتاب « الشعر الجاهلى » ، للدكتور وكذلك المعارك الادبية التى خاضها مع ادباء عصره وهذا القرار يعطى لابناء جيلنا الحاضر مادة كاملة تمكنه أن يتعرف صورة رائعة لنزاهة القضاء واستقلاله ، فضلا عما اشتمل عليه القرار من دراسة قيّمة وحكم صحيح على ذلك الكتاب .

اصول التنظيم والأساليب

تاليف : محمد شاكر عصفور

الناشر : الادارة العامة/الرياض/السعودية

● يدرس هذا الكتاب مسائل التنظيم والادارة والاجراءات في المنظمات العامة والخاصة . كما يهتم باجراء الدراسات المتعلقة بالتنظيم الادارى والاجراءات للاجهزة الادارية الجديدة القائمة منها : فيقوم خبراؤه بوضع القواعد والاسس التي تقوم عليها الادارة والاجهزة الجديدة عند انشائها لاول مرة ، وذلك على وفق المفاهيم والاتجاهات العلمية الحديثة في مجال التنظيم .

ان التنظيم والاساليب نشاط جديد في مفهومه، وفي طبيعة الدور الذى يؤديه ، فقد اخذت الدول النامية بانشاء وحدات للتنظيم والأساليب ضمن اجهزتها الادارية ، وتقوم بتدريب الموظفين على هذا النشاط ، وتدريس مادته في بعض الجامعات ، كما ان التنظيم والأساليب موضوع عملي يعتمد على الممارسة والخبرة ، وهو يمثل الجانب التطبيقى للادارة ، كما يشترط للنجاح في ممارسته الالمام بالجانب النظرى للتنظيم والادارة، ولكي يكون هذا الكتاب متكاملا في موضوعاته ، فقد اولى المؤلف الجانب العملي عناية كبيرة ، فكان يبين عند بحث كل موضوع كيفية تطبيقه والقيام به ، ويوضح ذلك بامثلة عملية لتسهيل مهمة تعلمه وتطبيقه .

حـرب حزيـران/١٩٦٧/الجـزء الأول
الجبهة العربية

تاليف : العميد الركن حسن مصطفى

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت

● هذا الكتاب يدرس الجانب العسكرى لحرب حزيران ١٩٦٧ ، ويبحث في حركاتها الجوية والبرية والبحرية ، وقد استقى المؤلف معلوماته عن بعض الدراسات العربية الرسمية وشبه الرسمية التي اصدرتها المراجع المسئولة عن تاريخ الحرب او التوجيه المعنوى في الجيوش العربية التي اشتركت في حرب حزيران ، كما اعتمد المؤلف كذلك على بعض المعلومات الاسرائيلية والغربية التى تحرى الثقة فيها ، ثم قام المؤلف بتمحيص هذه المعلومات وغربلتها بغية التوصل الى الحقيقة.

لقد كرس المؤلف جهوده على الناحية العسكرية ، وحدها ، وحرص ان يعلق على حركات الحرب الجوية والبرية والبحرية مستهدفا توعية الرأى العام العربي واثارة اهتمامه الشديد بالناحية العسكرية بوجه خاص . كما قام المؤلف بتزيين كتابه ببعض الخرائط الحربية ، وصور بعض الشهداء الذين اظهروا شجاعة نادرة في قتال العدو .

وهو جزآن الاول في الجبهة المصرية والثاني في الجبهة السورية . ■■



خفايا الحياة

■ تناولتُ من كفّ الحياة كتابها
فطالعتُ ما فيه حروفاً وأسطرا

وساءلتُ أهلَ العلم علّ محنكا
فلم ألقَ إلاّ سادراً متردداً

فعشتُ وفي نفسي من اليأس مهمهٌ
أفتّش ملهوفاً على منهلٍ فلا

ولكنّ صوتاً في خيالي سمعتُه
أفاء على روحي السلامَ ودلّني

إذا انكشف الكنهُ الذي أنتَ سرّه
فلا تبتئسْ بالعيّ وارضَ بما ترى

تزين أفانينُ الرموز حواشيهِ
ولم أستطعْ أن أستشفّ معانيهِ

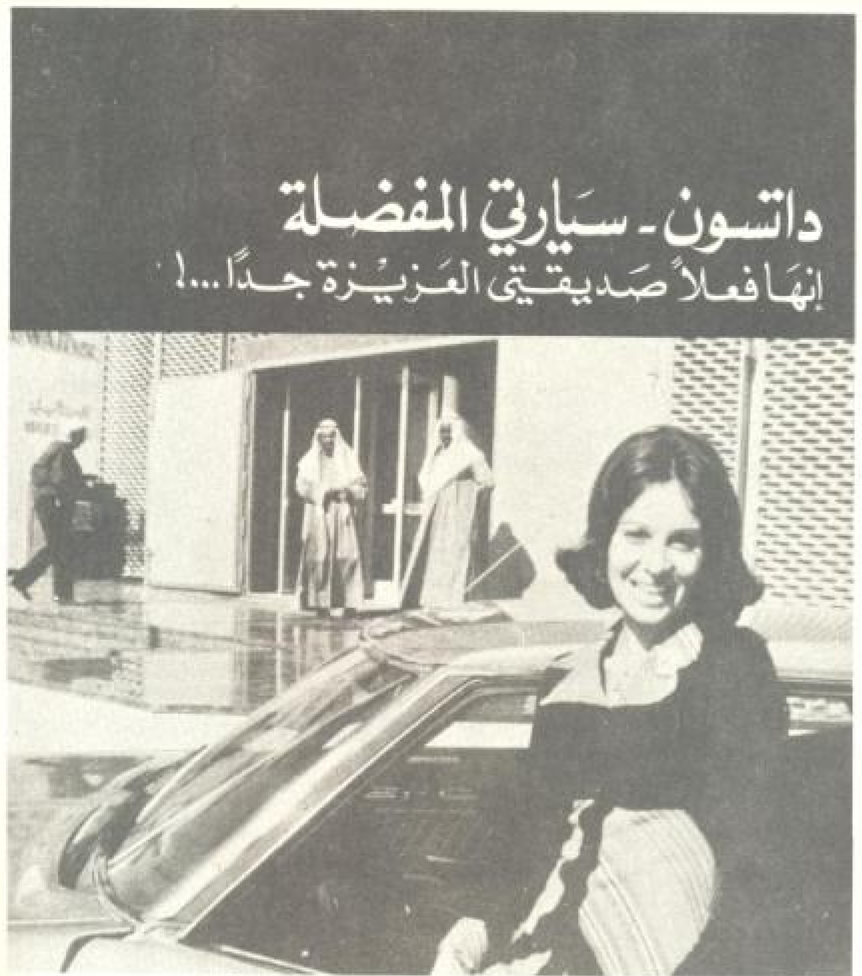
يثوّر أفكاري ويقضي على شكي
تخامره من حيرتي نوبةُ الضحكِ

يعذبّني ، والتيهُ يحدو تخاميني
أشاهد حولي غيرَ نار البراكينِ

تردّده من عالم الغيب أصداءُ
إلى مسلكٍ فيه من الحقِ أضواءُ

تلاشى من الآباد أحلى هداياها
فأعظمُ آلاءِ الحياةِ خفاياها ■■

الارجنتين ــ **الياس قنصل**



A car for all reasons

DATSUN

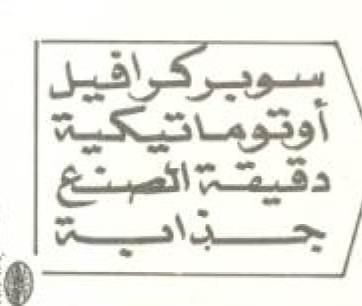
Product of NISSAN



OLMA

Super Caravelle







الوكيل العام } مراد يوسف بهبهاني ساحة الصفاة





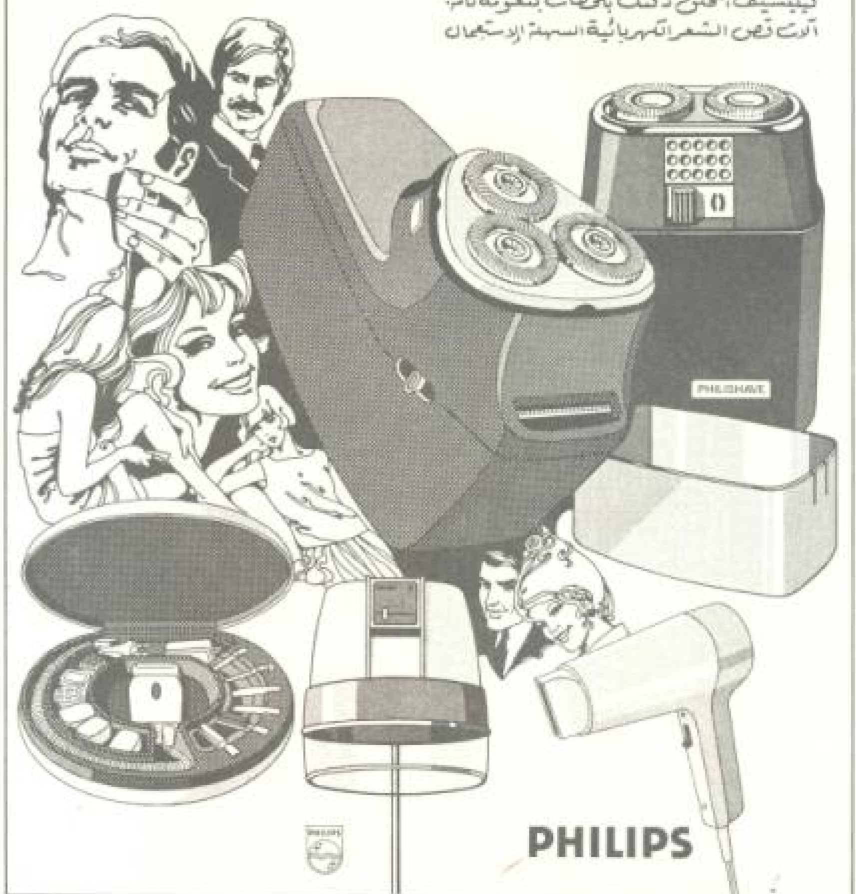
عند ما تنظر
إلى الأفضل..
أنظر الى ساعات
وست اند
WEST END WATCH Co
W
.. وعند ما
تفكر بهدية تقدمها
لمن تحب في:
وست إند أفضل ما تقدم
الوكيل العام في الكويت
يعقوب يوسف بهبهاني
الكويت

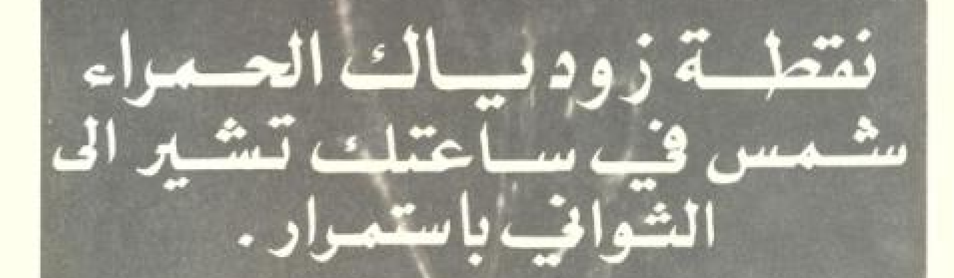
اعتنِ بنفسك.. بواسطة فيليبس

في عالم اليوم، المظهر مهم. ومن واجبك أن تواظب على الاعتناء بمظهرك إذا ما عوّدت الناس من حولك على ذلك. ومن حسن الحظ، ان الأدوات التي تكفل لك المظهر الحسن أصبحت ملك يديك. وفيليبس من أقدم الشركات في العالم التي اهتمت بإنتاج هذه الأدوات على اختلافها. آلات الحلاقة فيليشيف، تحلق ذقنك بلحظات بنعومة تامة. آلات قص الشعر الكهربائية السهلة الاستعمال

تقص وترتب شعرك بسرعة. مجففات الشعر تجفف الشعر بأناقة بعد غسله. آلات إزالة شعر النساء عن الجلد، وعلبة التجميل الصغيرة التي تحتوي على حاجات تزيين المرأة، هذه كلها أصبحت في خدمة المرأة.

تستطيع أن تفحص كل هذه الآلات عند موزعي فيليبس. جرب، لتكتشف بنفسك سحرها.





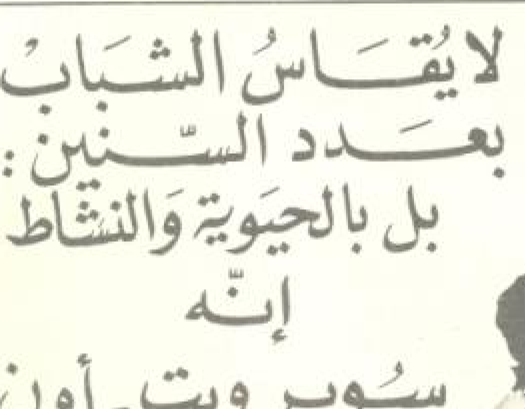
زودياك استروغرافيك طريقة جديدة لتحديد الوقت .
بهجة اوفر ومتعة اكبر وتوقيت ادق .
انها في حدود الاسطورة الخارقة ، ساعة الدقة .
ساعة الرجال تنبض ٣٦٠٠٠ هزة في الساعة .
اوتوماتيكية ، روزنامة للمرأة وللرجل :
ساعة اوستروغرافيك من زودياك



UNIVERSAL

Zodiac

اينما كنتم اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



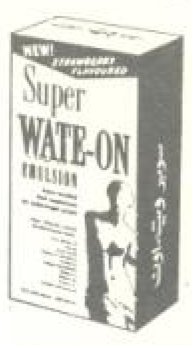


سوبر ويت ـ اون هو الغـذاء الاضافى الذى يمنح النحفاء من الرجال والنساء على السواء ، بعض السنتيمترات والكيلوغرامات التى يحتاجون اليها .

لسوبر ويت ـ اون ، طعم الفاكهة اللذيذ بالاضافة الى احتوائه على الفيتامينات ب١ ، ب٢ ، و د٢ ، التى تكسبك الحيوية وتمنحك القوة الحقيقية فضلا عن فيتامين ب ١٢ الذى يبنى الدم فى الجسم . سوبر ويت ـ أون لا يحتوى على الشحوم الحيوانية ، ويساهم ، فى خفض نسبة الكوليسترول فى الدم . انه جيد للقلب . للنساء النحيلات : ان سوبر ويت ـ اون يصنع المعجزات ! سوف تحظين بالشكل الذى كنت تتمنينه دوماً . ان سوبر ويت ـ أون سيساعد فى استدارة كتفيك بحيث يملأ الفراغ بينهما .

للرجال النحلاء أيضا يصنع سوبر ويت ـ اون المعجزات: اذا كنت نحيلاً، ضعيف البنية فلا يبالى بك احد، فانك ستفقد بالطبع ثقتك بنفسك . فان استعمال سوبر ويت ـ أون سيضفى عليك القوة والصحة ـ ويؤمن لك بالاضافة الى النشاط الصحى ، الحيوية والقوة .

الأولاد الناقهون والنحلاء يكسبهم سوبر ويت - أون العافية الحقيقية والنشاط الأكيد .

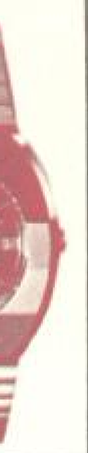


سُوبر ويت - أون يصْنَع
المعْجزات لِلرجال، والنساء والأولاد

RADO









رادو دياستار الكترسونيك

الساعة الاولى في العالم الغير قابلة للخدش والتي تعمل
بواسطة البطارية بمنتهى الدقة. لقد جمعت ساعات «رادو»
بين الذوق. الدقة والمتانة عدا عن مقاومتها للماء. بالاضافة
لتشكيلتها الرائعة التى تناسب كل ذوق مع صيانة تامة من قبل
خبراء فنيين. مع ضمانة دولية

مقاات هذه المميزات لاتنفرد بها إلا ساعات رادو.

الوكلاء العامون بالكويت
محلات البائل للساعات
محمد عبدالله البائل
ت ٤١٩٤١٩ ٤١٦٤١٦ برقيا: غزلان - تلكس: ٢٠٥٣ ص ب ٣٤ الصفاة

المملكة العربية السعودية
مؤسسة الغزالي للتجارة
محمد العلي العبداللطيف
الرياض تلفون ٢٦٩٣٨ برقيا: غزلان - جدة: ت: ٣١١٥٢ ص ب ٢٥٩٥

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو

رمز الجودة



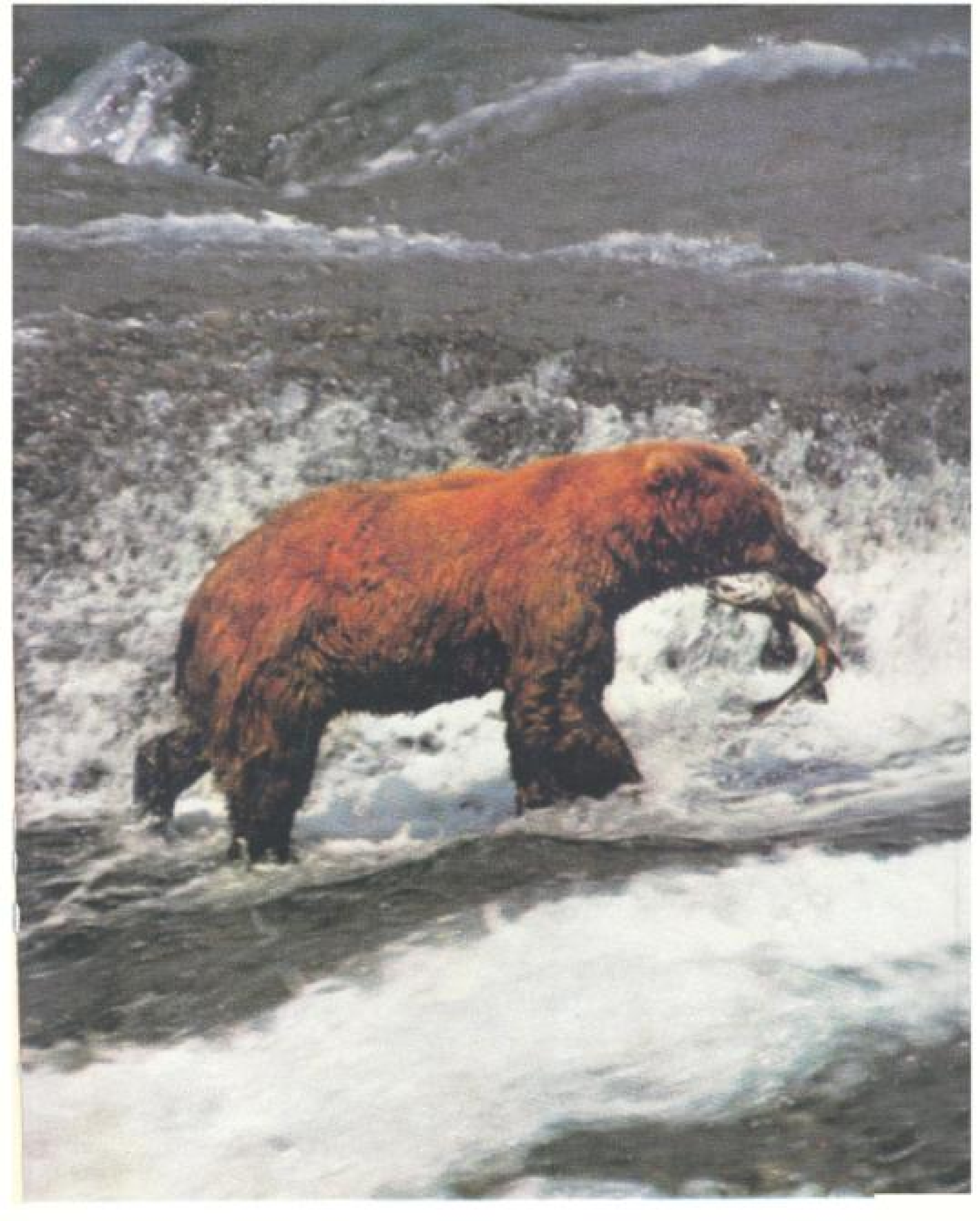
العدد ١٨٨
جمادى الثانية ١٣٩٤
يوليو
تموز ١٩٧٤

صعدة : البوابة الشمالية لليمن ، تفتح أبوابها لأول مرة ..

جوائز ١٢٠٠ دينار سنوياً

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



هذا الدب طلب رزقه فكان سمكة ..حياة تستهلك حياة ، بين حيوان وحيوان .. وبين الانسان والحيوان .. وفي الحضارةالحاضرة صار استهلاك الحياة بين الانسان والانسان . انه في علم الحياة ،وفي الفلسفةعلى السواء ، رزق من الأرزاق ..!

عزيزى القارئ

المسالة العربية تخطو الى الحل خطوات بطيئة صعبة ، وكثيرا مايخطوها الخاطى على أشواك • والموقف الآن يتلخص فى الاشياء الآتية :

١ ـ فك الارتباط مابين مصر واسرائيل وكان فى شهر يناير ١٩٧٤ •

٢ ـ فك الارتباط بين سوريا واسرائيل وكان فى شهر مايو/١٩٧٤ •

٣ ـ اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى القاهرة فى شهر يونيو ١٩٧٤ •

٤ ـ حضور مؤتمر السلم المعروف بمؤتمر جنيف ، والذى فيه تتحدد امور من اخطر الأمور ، وتتعلق بالدول العربية عامة ، والشعب الفلسطينى خاصة •

والعقبة التى نراها ،وهى عقبة حقيقية صادقة لامراء فيها ، هى ماورد فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وفيه اشارة الى المسألة الفلسطينية بأنها مسألة لاجئين فلسطينيين • **ونحسب ان استبدال هذا النص بالنص الاصح ، وهو ان المفاوضة ستكون لحل المسالة الفلسطينية لا مسالة اللاجئين، امر ميسور • فما توجد امة على ظهر الارض ، ناصرت العرب ، وذكرت المشكلة الفلسطينية ، الا ووصفتها بأنها مشكلة شعب فلسطينى ، لا مشكلة لاجئين فلسطينيين**

وباصلاح هذا النص ، نحسب ان سوف يحضر الأخوة الفلسطينيون مؤتمر جنيف •

وفى هذا المؤتمر سيبدأ الصراع الحقيقى ، الشديد ، اللجوج ، الذى لا بد ان يخرج العرب منه منتصرين ، مابقيت جيوشهم على استعداد ، وصمدت قلوبهم على الوحدة •

المحرر

١٩٧٤/٦/٤



التقاليد

يَذكُرهَا مِنْ أَهلِ اليَمينِ مَنْ يذكُر ، فيرفعُها إلى الذروة
ويذكُرها مِنْ أهلِ اليسارِ مَنْ يَذكُر ، فينزِلُ بِهَا إلى الحَضيض

بقلم رئيس التحرير

■ هكذا صار لهذا اللفظ ، لفظ **التقاليد** ، في هذه العصور التي ينظر فيها العرب في احوالهم ليقدروا ما كان بها ، وما هو كائن،من تخلف،وما يرجى لها على الزمن من تقدم ، هكذا سار في افواه الخطباء المستقلين،وفي اقلام الكتبة الباحثين .

خطان مختلفان جدا ، احدهما هو الرفع كل الرفع ، والثاني هو الخفض كل الخفض .

والتقاليد عند اهل اليمين عمد من اعمدة الحياة ، تتقوض الحياة بتقويضها، والتقاليد عند اهل اليسار هي أسواء وأدواء يجب ان تتخلص منها الحياة لتصح وتتطهر .

فهذان طرفان ضاع ، كالعادة ، الحق بينهما .

ما التقاليد ؟

لا بد قبل البحث عن التقاليد ، قبولا او رفضا ، ان نتعرف على التقاليد ، ما

هى ، وماذا تصنع بنا ، وكيف نشات ؟

ان التقاليد ، على ما أفهمها ، انما مى **انماط من السلوك تواضع عليها مجتمع من الناس ، لتنظم الحياة بينهم ، فلا تكون فوضى • ولكى يعرف كل فرد فى المجتمع ،حين يحل به أمر ، او يشكل عنده مشكل ، او يقع له من الأحداث ما يحب او لا يحب ، كيف يتصرف كما يتصرف الناس • لا بد من اسلوب واحد ، او اسلوب متشابه ، يتعوده الجميع فى شتى ما يكون بينهم من علاقات •**

ابسط التقاليد السلام

وابسط مثل للتقاليد عندى هو السلام •

التقليد يقضى بأن يلقى الرجل الرجل ، ممن يعرف فيحييه • فهذا تقليد اول • ثم ان التقليد قد يقضى بأن تكون التحية فى مجتمع ما « **السلام عليكم** » ويكون ردها « **وعليك السلام** » • فاذا لم ترد التحية عرف البادىء بالتحية ان فى الأمر خللا • ان الاخلال بالتقليد هنا « **لغة** » تضمنت معنى •

وفى بعض المجتمعات يقضى التقليد بابتسامة الرجل للرجل حين يلقاه • اسلوب عرفه هؤلاء القوم للتحية ، اذا لم يقع ظن الناس من ذلك الظنون •

وقد يكون التقليد للتحية ،فى مجتمعات اخرى ،برفع القبعات ، او بمس الأنوف ، او بعرك الآذان • المهم انه تقليد اتفق عليه القوم ، يتخذ للتنفيذ شكلا واحدا او اثنين ، ولكن لا ألف شكل • انه اذا اتخذ كل فرد فى المجتمع مسلكا خاصا به للتحية ، عندما يلقى رجل رجلا آخر ، لانبهمت هذه المسالك عند الناس وانبهمت معانيها •

ولسنا نقول برفع هذا التقليد ،تقليد التحية ، من اساسه ، لأنه تقليد دفع اليه الطبع عند لقاء الناس الناس • ان الرجل لا يلقى الرجل وكلاهما كالحجر جامد أصم • لا بد من حركة ،من اشارة ،



السلام تقليد ،
رضيه الانسان طبعا ، وعاش مع الزمان

من كلمة ، من تحية • ولا بد من الاتفاق عليها ليفهم معناها • وهذا هو التقليد عند اللقاء ، وقام بحاجة الانسان •

تقاليد الحياة لا يكاد يشملها حصر

وتسال : **هل هى تقاليد مائة ؟ هل هى ألف ؟**

انها على كل حال عديدة لا يكاد يحصرها حاصر • وهى تتصل بمرافق العيش جميعا • وكل مرفق ، ليس له تقليد واحد ، ولكن عدة من تقاليد • فالطعام ، من حيث زرعه ، وبيعه ، وتهيئته للأكل ، له تقاليد • وهو عندما يوضع على المائدة ،تبدأ به تقاليد جديدة • ووضعه على المائدة ، او اذا هو لم يوضع على مائدة ، فهذا تقليد • ومن يسبق للطعام ومن يتخلف ، فلذلك تقاليد • والطعام وجبتان اثنتان ، او وجبات ثلاث ، او اربع فهذه تقاليد ، حتى التخلص من نفايا ما طعم الطاعم له تقاليد •

ان هذه التقاليد تؤمن الوحدة التى



لا بد ان تنتظم افراد المجتمع وأسره بحكم ما بينهم من شركة فى الحياة • ان هذه الشركة تقضى على كل فرد من افراد المجتمع ان ينسجم مع ما يسود المجتمع من سلوك شخصى او جماعى هو هذا الذى تسميه بالتقليد • فان قضى التقليد مثلا ان تكون فى اوسط النهار وجبة طعام ، وجب على كل فرد فى المجتمع ان يهيىء نفسه ليفرغ من عمله فى وقت يلحق به بهذه الوجبة مع الآخرين ، وليفرغ منها مع الآخرين،ويعود الى عمله مع الآخرين • فالشركة فى عمل الحياة لا تأذن لكل عامل ان يتناول الطعام فى اى وقت شاء ، اذن لتقسم النهار الى وجبات طعام ، ولما اجتمع العمال جميعا ، فى اوقات واحدة على عمل•من اجل هذا كان هذا التقليد•

وكما للطعام تقاليد فكذلك للباس تقاليد •

وكما للطعام واللباس تقاليد ، فكذلك للمسكن وأثاثه تقاليد •

بيوت الناس فى المجتمع الواحد واحدة

انك تدخل بيوت الناس ، فى المجتمع الواحد ، فتجد التشابه بينها عظيما حتى يكاد ان يكون تطابقا • تجد ذلك فيما يختص بطعام ربة البيت طابخته ، وكيف تطبخه ، وعلى اى موقد •

وفيما يختص بما تلبس ربة البيت اثناء عملها وفى فراغها ، وما يلبس رب البيت والأولاد • وكذلك فى البيت نفسه، تقسيمه ، وتوزيع غرفه على الخدمات ، والأثاث القائم فيه ، نوعا وصياغة وترتيبا •

كل هذاتحكمه فى المجتمع الواحد التقاليد الواحدة ، او الواحدة العريضة التى تأذن ببعض تكيف وتبدل وفقا لظروف طارئة •

ومن اجل هذا،انت تدخل بيت صديقك فتعرف اين تجلس،واين تسير بك رجلاك او لا تسير ، وكيف تتصرف فى شتى



للمائدة تقاليد ،تختلف باختلاف الناس ،وهذا تقليد ، لايحمد ولايذم، لانه يفى بحاجة هؤلاء القوم

الأمور ، لأنك تعلمت كل هذه الأشياء فى بيتك قبل ان تأتى بيت صديقك ، وقد حكمت كليهما التقاليد ٠

والتقاليد هنا توحد بين الناس فى مطالب شتى ٠

ومن توحيدها توحيد فى انتاج صناعة ٠ فأوعية الطبخ التى التزمت بها التقاليد معروفة ، وعددها محدود ، وصنعها بالأعداد الكثيرة ميسور لأنه تكرار ٠ اما اذا كان لكل بيت وعاؤه ، ولكل وعاء شكله ، وتعددت الأوعية أحجاما واشكالا حتى بلغت الفا ، تعذر على الصانعين صنعها ٠

فالتقاليد ، فى مثل هذا ، انما هى للاقتصاد عون ٠

ليست الحياة كلها طعاما ولباسا ومسكنا

والحياة ليست طعاما ولباسا ومسكنا ، انها حاجات شتى لابد ان يتواضع لبلوغها على مسالك يسلكونها ، واحدة ، يفهمها الجميع، ولا يخرج عنها احد، والا اضطربت الأمور واختلطت المسالك فلم يكن منها الا زحام لا يؤدى الى طريق ٠ فهذه الأوضاع المسلكية المتفق عليها انما هى التقاليد ٠

تقاليد يعمدها القانون

ومن التقاليد ما يراها المجتمع انها بلغت من الضرورة مبلغ الالزام ، فيجعل منها المجتمع قانونا ملزما ٠ ويقع هذا اكثر ما يقع فيما يتصل بين الناس والناس من معاملات وخصومات ٠

واضرب مثلا بالرقيق

ان الاسترقاق كان من بعض التقاليد ، يمارسه الناس فى كثير من بقاع الارض كما يمارسون طعامهم وشرابهم ، لا تخطر على بالهم خاطرة بأن فى الأمر ريبة ٠ حتى المسلمون ، وقد شجع دينهم اعتاق



ولفتات من الناس لباس ، هو تقليد خاص بهم ، وهو باق فيهم ماارتضوه وارتضاه الناس

الرقيق ، واتخذوه كفارة تكفر عن الناس كثيرا من الذنوب ، فاتهم ان يذكروا ما بهذا التشريع من حفز على تحرير العبيد ٠

تقليد قبلته الأمم جميعا ، ورضيته الأمم جميعا ، على شتى القرون ٠

ولسنا ندخل الآن فى بحث امر الرقيق ٠ قبولا او رفضا ، فليس هذا الآن من غايتنا ٠ وانما نذكره لنقول انه تقليد أريد الغاؤه ، وان يحل محله تقليد آخر ، هو تحرير الرقيق ٠ ولكن كان التقليد القديم من القوة بحيث لزم ان يتدخل فيه القانون ليعمده ، وليكون له سندا ٠

على ان القوانين ، بل الكثرة الكاثرة منها، **انما ترسم للناس جميعا فى حياتهم الجارية كيف يسلكون ٠ ويرضاها الناس حتى لتصبح فيهم تقاليد ، بمعنى انها**



تصبح فيهم عادة ،وخطوطا للعمل،يمشون عليهاغافلين عما تضمنالقانون بها خاصة من ثواب او عقاب .

حتى قانون السير ، الذى يفرض على السيارات السير فى الجانب الأيمن من الطريق ، انما هو تقليد ، لتوحيد ، واحتواه القانون لفرضه ،لأنه بدون ذلك يرتبك المرور ، وما اسرع ما تنسد بارتباكه الطريق .

وتقاليد الف لا يعمدها القانون

على انه الى جانب هذه التقاليد التى يعمدها القانون ، قوانين اخرى عدتها ألف ، لا يعمدها القانون ، ذلك لأن القانون كالسيف القاطع ليس مما يفيد المجتمع ان يعلق فوق كلحائط .وكذلك لأن من شئون الحياة ما يجب تركه لضمائر الناس لتقضى فيه ، فتستخدم فى حكمها ما وهبت من عقل ، وما قسط القاسط لقلوبها من رحمة . **وذلك لأن الهدف الاكبر من التقنين ، وان طال زمانه ان يقوم مقام الضمائر حتى تبلغ غايتها من النضج . لهذا يجب استخدام الضمائر وتدريبها ، حتى يأتى الزمان الذى يكون فيه الضميرهو القانون الذىيحكم ويحتكم اليه الناس .**

ومن هذه التقاليد التى لا تنالها القوانين ،. تقاليد الضيافة ، اضرب بها مثلا :

التقليد ان تهش للضيف ، وتقول اهلا وسهلا ، وتقول هلا،وتزيد ما استطعت .

ومن تقاليد الصداقة المؤاساة فىالسعة وفى الضيق .

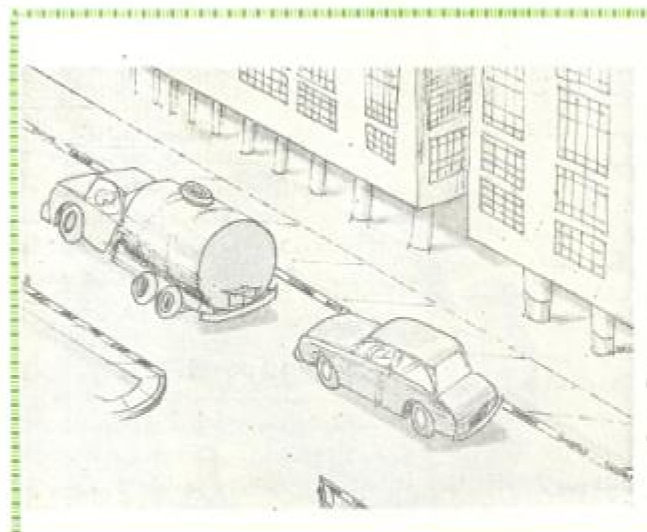
ومن تقاليد الأوطان المؤازرة عند الخطوب .

والوفاء بالعهد والوعد تقليد قديم معهود .

وللميلاد والوفاة تقاليد

وللميلاد تقاليد . وكذلك للوفاة .

وهى تقاليد تفرض نفسها على الناس فرضا ،للذى يصحبها من رجة تهز الكيان البشرى ، فيشتفى المشتفى من رجته بلفائف من التقاليد ، كما يتقى المقرور صدمة برد بلفائف من صوف .



من التقاليد التى يعمدها القانون ، السير فى الطرقات على اليمين

ان الميلاد بدء الحياة ٠

وان الوفاة انتهاء الحياة ٠

وفى كليهما مع الجلال غموض، يمازجه شيء من الذهول ، يبقى مع الرجل فترة من الزمان يحاول فيها فهما ، حتى تعفيه الأيام من محاولة الفهم ، لعقمه ، ثم هو ينساب انسيابا فى مجرى الحياة الذى كان جاريا فيه ٠

وتختلط تقاليد الميلاد وتقاليد الموت بالعقائد ، وهي ، مع غموضها ، اعمق الأشياء جذورا فى بنية النفس ، لهذا تبقى هذه التقاليد فى الشعوب ما طال بها الزمان ، غموض فى غموض ، يحتمى الانسان منه بالايمان فى الكثير من الأديان ٠

والزواج
يأتى بين الميلاد والموت
يهيىء لهما السبيل

والزواج له تقاليد ٠

والزواج ازدواج ، بين ذكر وانثى ٠ وهما يزدوجان ليمهّدا للميلاد ، وليمهدا كذلك للموت ٠ ان الزواج وصلة بين الحياة والموت ٠

والعروس والعريس عند الازدواج ، يغفلان عن كل هذا ٠ ووجب ان يغفلا ٠

انه الحب بينهما ، وانه العشق ، وانه الشهوة ، او ما شئت من اشياء ٠ وكلها اشياء كاسم الكتاب الذي يوضع على غلافه ليزيّنه ٠ ان الانجاب واجب من اشق الواجبات زيفته الشهوة التى تبدأه ٠ انها كشهوة الطعام ٠ لولاها ما قام احد الى مائدة ٠

والتزييف نوعان ٠

ان تخبّىء الخسيس تحت غطاء من ذهب ، وتكشف عنه غطاءه فلا تجد الا شيئا خسيسا ٠

ولكنك ايضا قد تخبّىء الشيء الثمين تحت غطاء من فضة،وتكشف عنه غطاءه، فتجد من دون ذلك ذهبا خالصا ٠

وهكذا كان الانجاب ٠ عمل يغرّى به الانسان ، قشرته من فضة ، ولو كشف



وللناس عند الموت تقاليد ، هدفها تزويد الانفس بما تحتاج اليه فى الازمات



عنه قشرته ، لوجده ذهبا خالصا وقل من الناس من يتوقف ليكشف ·

ومع هذا لا يعدم الانسان ، بسبب شيء في جبلته ان يصيبه شيء من جلال الموقف ، وخطورة الأداء،وصلته بأهداف الكون الكبرى ، فعندئذ يتقيه هو ايضا بلفائف من التقاليد ·

الشيء خطير ، والموقف خطير · ولا بد له من اعلام · ومن التقاليد الاعلام · ودق الطبول وضرب الأوتار لا بد منها ·

التقاليد لها جذور فى شعوبها ثابتة

نعم انها ثابتة ثبوت النبات بجذوره في الأرض ، الا ان تهب ريح عاصفة تنذر كل جذور الحياة باقتلاع · ولقد هبت هذه الريح العاصفة على اوروبا واقتلعت عام ١٩١٤ ، حين وقعت الحرب العالمية الأولى ·

وهبت هذه الريح العاتية على اوروبا مرة اخرى فى عام ١٩٣٩ ، حين وقعت الحرب العالمية الثانية ·

ولقد كان لأوروبا قبل الحربين تقاليد ثابتة ، تكاد أن تكون ثابتة ثبوت الدهر · ثم تبدلت اسرع تبدل عقب الحرب العالمية الأولى · وجاءت الحرب العالمية الثانية،فزادت تلك التقاليد تبدلا ، حتى كان التبدل ثورة ·

ووقع التبدل فى كل القطاعات ، قطاعات التقاليد جميعا ·

ومثل واحد اضربه لذلك يغنى عن الف : ذلك جورب القدم · كان جورب المرأة محتشما قبل الحرب العالمية الأولى · فكان أسود · وكان صفيقا · وكان يغطى القدم والساق · فلما جاءت الحرب ، وبدلت بهذه الجوارب جوارب فاقعة الوانها ، خرجت نساء كثيرات يندِدن حتى بهذه الالوان بحسبانها خروجا على التقاليد ·

ويمضى الزمان · وتزداد للسيقان الالوان · وتتكشف الساق فلا يحجبها شيء·

وتأتى الحرب العالمية الثانية فتزيد المرأة، ساقا وغير ساق ، عريا · ثم اذا بوقتنا هذا الذى نحن فيه تتحطم قواعد السلوك فى اوروبا الى حد ان يخلع الرجال وتخلع النساء ثيابهم ، ويسيروا فى الطرقات عراة كما خلقتهم امهاتهم · وليس فى شيء من هذا عندهم بدعة ، وحجتهم فى ذلك ان خلق الله كله العارى· فقد تعرّت الحمير ، وتعرت البغال ، وتعرت الخيل ، ونسوا ان لهذه الحيوانات ذيولا تحاول سترا ، وليس للانسان ذيل· والطيور اكتست بالريش اكثر مما اكتسى الانسان حتى صار من الصعوبة ان يستبان فيها الذكر من الأنثى ·

نقول ما نقول لنثبت فقط كم تتشبث التقاليد بالوجود فى انفس البشر بمد جذورها عميقة فيها حتى ما يقتلعها منها الا زلزلة حياة · وفى الحروب كم يتزلزل الانسان · أب يذهب به الردى صباحا ، وأخ تقضى عليه القنابل ظهرا ، وابن او بنت تحت الأنقاض تصبح دَرَاكِ وليس هناك حتى الأم تدركهما · نسيج الحياة يتمزق ، ومعه الكثير من الايمان عند الكثير من الناس · يرفعون اكفهم الى السماء يطلبون الرحمة ، وتغلق دونهم ابواب السماء ، او هكذا زعموا ·

وتنتهى الزلازل المتلاحقة وقد تقطعت روابط الناس بالناس · والذى لم يتقطع شك الناس فيه ، وانه النافع حقا · وتتغير التقاليد بتصدع الايمان غصبا ·

ومع هذا ، فللكثرة الكبرى من سكان اوروبا ، وسكان امريكا ، كان لا بد من تقاليد ·

تقاليد جديدة ؟

قد تكون · ولكنها على كل حال تقاليد · وهى ، وان تكن جديدة ، فقد تضمنت الكثير من القديم · ان الطبيعة الانسانية تأبى الانفطام ، والمجتمعات الانسانية تأبى الا الانسجام ، والحياة لا بد ان تسير على خطوط مرسومة مقبولة

سلفا ، ترضاها الاكثرية الكبرى ، ان لم يرضها الجميع •

فان ذهبت تقاليد ، فلا بد ان يحل محلها تقاليد ، والا صارت الحياة فوضى، في منزل ، وفي شارع ، وفي سوق،وفي كل مكان تذهب بالناس اليه خطاهم •

ما وجدت تقاليد في الناس ، لتبقى الى آخر الدهر

ومع هذا اسرع فأقول **ما وجدت تقاليد في قوم لتبقى الى آخر الدهر •**

ان التقاليد وجودها مرتبط بأنها ، مع تيسير عمل الناس في الحياة بتوحيد مسالكهم فيها ، بأنها انما تقوم بخدمة مصالح الناس •

التقاليد ومصالح الناس

ان التقاليد انما خلقت لتكون اسلوب العمل بين الناس • اسلوبا واحدا يقتبسونه جميعا • ويعملون به جميعا • وهم ينتظرونه قبل ان يكون • وقوة التقليد في وحدته •

والتقاليد ما خُلقت ، في بدء خلقها ، الا لتفي بحاجة من حاجات العيش • وهي قد تتوسط معاملات الناس ، وقد تكون بدءا في هذه المعاملات،وقد تكون انتهاء •

وما خلق تقليد ابدا لمضرة الناس ، اذن لما كان تقليدا رضيه الناس •

ولكن مصالح الناس تتغير ، واحوالهم تتبدل • فكل شيء في الدنيا ، او لعلنا نقول اكثر اشياء الدنيا مصيرها الى هرم وشيخوخة • وكذا الكثير من التقاليد تشيخ وتهرم •

والمجتمع قد يبدأ مجتمعا انتقل قريبا من حالة ريفية الى حالة الحضر • وهذه نقلة ذات بال •أساليب الرزق فيها تتغير، وأساليب العيش معها تتبدل • ويزداد المجتمع حضارة فيزداد العيش تعقدا •

واذن لا تكفيه التقاليد الريفية السابقة ، لأنها تقاليد بسيطة لاتوائم تعقد الحياة •

ففي الريف قد تقضى التقاليد بأن تعطى من يأتيك مقترضا ، قرضا دون صك • وان انت اتبعت هذا التقليد في الحضر ، فاكبر الظن انه لن يعود اليك مقترض بمال ، ولن يحمدك على عملك هذا في حَضَرك حامد • في الريف يسمون هذا كرما ، وحسن ثقة وخلوص نية ، وفي الحضر يسمونه سفها وغفلة وقلة احساس بالتبعة •

وفي الريف ، قد تزف العروس الى عريسها على الجمال ، يسبقها الطبل والمزمار ، وفي الحضر ، حيث قد يزلق الجمل ، تزف العروس الى عريسها في السيارة يتقدمها ركب من السيارات !•• المعنى الأصيل في التقليد واحد ، ولكن غلاف البضاعة تغير •

والحضر درجات

والحضر ذاته درجات ، والحضر يختلف من الحضر من اكثر من وجه •

فان نحن زرنا حضرا زراعيا ، وآخر صناعيا ، وجدنا لا شك في الحضرين اختلاف تقاليد • اختلافا في بيت ، وفي سوق ، وفي اماكن يقضي الناس فيها فراغهم للتروّح من اعمالهم ،وعلى الأكثر في اماكن العمل ذاتها ، ان تكن حقلا او كانت مصنعا •

ويتبدل حتى الفكر •

فالرجل والمرأة اللذان يتصلان بالطبيعة ، بالتربة والزرع ، وبالماشية اذ تربى ، وبالخضرة المترامية ارضا ، وبالزرقة المتناهية سماء ، غير الرجل والمرأة القائمين في الصناعة ، في الحضر الصناعي ، حيث لا يتصلان بأصل الحياة ، وبالطبيعة المكشوفة العارية ، الا بالخروج اليها في مناسبات قليلة •

حياة هؤلاء غير حياة هؤلاء •





وللعرس تقاليد،هى فى الريف غيرها فى المدن،وهى باقية ما
وفت بحاجات قديمةهى التى كانت قديما فى الناس سنتها

وتقاليد هؤلاء لا يمكن ان تطابق تقاليد هؤلاء ·

تقاليد الحضر الريفي ، تقوم منسجمة مع اهل الريف ، ومع مصالحه ·

وتقاليد الحضر الصناعي تقوم منسجمة مع اهل الحضر ، ومع صناعته ·

ومن يصنع هذه التقاليد ؟

لا احد · انها مؤلفات فقدت اسماء كتابها · ولعل ذلك كان بسبب كثرة من اشترك في تاليفها · وينشا الناشيء في المجتمع فيحسب ان هذه التقاليد خلقت في المجتمع مع ظهور الشمس والقمر ·

التقاليد البالية

ان الذين يدعون الى العمل على الغاء التقاليد البالية قوم كثيرون · بل ان كل من يريد ، او يراد منه ، ان يتحدث في الاصلاح ، يجد ان من الكليشيهات الواجب ترديدها ليعرف الناس انه من الفئة المتقدمة ان يذكر التقاليد، وان يصفها بالبالية · وانصت لهؤلاء لأرى أى التقاليد يعنون ، فأجدهم لا يفصحون ·

اما ان في التقاليد القديم الذى عاش زمانه ، فهذا صحيح ·

واما اننا ، مكان هذا التقليد فى حاجة الى تقليد جديد، فهذا ايضا صحيح ·

واما ان حاجات الناس تتغير بتغير الأزمان ، فهذا ايضا صحيح ·

ولكن الذى نريده من القائلين بالتبديل ان يذكروا ما يبدلون ، ويذكروا المصلحة في ذلك · وان يذكروها صريحة · وان لا يكونوا كالمرايا تعكس الضوء ولا تنشئه · او كالحوائط التى تردد الأصداء ·· تردد الصوت ولا تصنعه ·

لامانع مطلقا من ابدال جديد من

التقاليد بقديم ، على ان يكون التقليد من الأصالة في العيش بحيث يستاهل كل ما يبذل في ذلك من جهود • وعلى شرط ان يكون للناس ، وأخص السواد ، ان يكون لهم مصلحة محققة في هذا الابدال والتغيير •

اب يفرض الزوج على ابنته فرضا

ذكر لى صديق واقعة تتصل بأب رأى ان يزوج ابنته الشابة من رجل مسن ذى مال رفضته الفتاة زوجا • ففرض أبوها عليها هذا الزوج فرضا •

قلت لصديقى : ما هذا بتقليد ، فالتقليد شىء تواضع عليه الناس • والناس ما تواضعوا على هذا ، انما المتواضع عليه ، ويعززه القانون ، رضاء الفتاة بزوجها ، والا فلا زواج •

ولكن ،هل يجوز ان يقع الزواج برضى الفتاة وحدها ، وفى اى سن ، وفى اى خبرة من الحياة ؟ بعض العباقرة من احرار الفكر يقولون : **نعم ، ولو فى اى سن ، فالحرية هى غاية الغايات** • وتنكر عليهم هذا الرأى اكثر امم الأرض المتقدمة ، فللحرية سن لا يمارسها المرء ، ولا تمارسها الفتاة فى سن دونها •

مثل هذه المسائل من الخطورة بمكان ،

وقد يقضى الحضر بتغيير تقليد رضيه الريف •وهذا مثل رجل لبس الجلباب الطويل فى الريف• ولما وقف امام الآلة الدوارة فى الحضر ، وجب عليه ان يلبس البنطال،والا تعرض للاخطار •





لا تحلها الصرخات المدوية . ولكن الدراسات الهادئة ٠

والسفور ، تقليدا ،

ومثل آخر ضربه للتقاليد صديق آخر قال : « **الحجاب الذى يغطى وجه المرأة فلا تكاد ترى شيئا فى الطرقات،لا سيما الحديثة ، وقد تتعرض للاخطار ٠** »

وهذا لا شك تقليد ٠ ويختلف فيه الناس اختلافا كثيرا ٠ ولا يختلف احد في انكار التبرج والظهور بمظاهر الفتنة والاغراء ٠

ولكن ، هذا التقليد البالي ، ماذا ينفع الصراخ فيه بأنه بال ٠

ان تجربتنا فى الكويت تدل اننا حضرناها منذ نحو ١٦ عاما ، فلم تكد تجد بين سيداتها وجها يرى ٠ والآن لا تكاد تجد فتاة في العشرين او دونها ، او حتى فوق هذه السن ، الا وهى ذات وجه طلق مشرق كما اراده الله ان يكون ٠

فما الذى احدث هذا الانقلاب كله ؟ الصرخة بأن هذا التقليد قديم ؟

ان الذى احدث هذا الانقلاب هو التعليم ٠ دخول المدارس ، ودخول الجامعة ٠

ونعود نؤكد اننا لا نعنى بالسفور التبرج،هذا الفهم الذى يأبى أهل الأفكار المحافظة ـ بغير حق ـ الا ان يفهموه ٠

والذى حدث فى الكويت حدث قبل ذلك فى مصر ، وفى القاهرة ٠

كان التقليد اول هذا القرن هو حجاب الوجه للنساء ، لنساء المدن والعواصم ، ولو انه كان حجابا ابيض من الحرير شفافا ٠ واليوم،لا تكاد تجد فى القاهرة وجها محجبا ٠ والسبب ؟ المدارس ، من دخلنها ومن اتخذن منهن نموذجا مفضلا يتبع ٠

وفى هذا التقليد شىء عهدناه غريبا ٠ عندما قام قاسم أمين يدعو الى السفور ، وتعنى به سفور الوجه ، لم ترضه الكثرة من نساء العرب ؟ !

افتحوا ابواب المدارس ، وافتحوا ابواب العمل والرزق ، تختف اكثر التقاليد ضررا

افتحوا هذه الأبواب ليتعلم الرجال والنساء ،ويسّروا للناس الأعمال ليرتزقوا الرزق الحلال الطيب المجزى ، تتطهر المجتمعات من كثير من التقاليد ، لا نقول البالية ، ولكن نقول الضارة ، قديمة كانت او حديثة ٠

ان للجهل تقاليد تخفّف عن الجهلة أثقال الحياة ، حتى ليكون احيانا من المضرة سلبُهم اياها ٠ انها المخدّر الذى يذهب بالآلام ٠

وكذلك الفقر له تقاليد تخفف عن اهله مرارة العيش،وقد يكون من القسوة تجريعهم كأس العيش بمرارته الكاملة ٠

ويأتى الرجل المثقف ، الغالى فى ثقافته ، الذى لم يعرف الا المدرسة منشأ ، والا العيش الرضى مرتعا ، ولم يعش فى وسط الجوع والعرى وانطماس الفكر يوما،فيروح يلبس رداء الفيلسوف فينادي بالتقاليد البالية ان تزول ٠ وهو يقول البالية ، ولا يحدد للبلى زمنا ٠

ولقد تحدثت يوما الى رجل جاهل فقير،فى شىء يشبه ما يتحدث عنه الناس من تقاليد ٠ فقال فى آخر الحديث : « **عادات ايه وسخام ايه ، ما لها عاداتنا ؟ انها على قدنا ٠٠ ان كنتم تريدون عمل شىء لنا ، فعلموا اولادنا كيف تكتب ، وتعمل وترتزق ، واملأوا افواههم باللقمة السخية الكافية حتى يملؤوها هم بأيديهم** » ٠

اللطيف فيه انه ذكر الأولاد ولم يذكر آباءهم ٠ لعله ظن ان النجدة يحسبها ان تصل الى الأولاد ، وانه ليس فى الزمن متسع لأكثر من هذا ٠

●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٨٥

امستردام قريبة الشبه بالبندقية

دارت مسابقة العدد ١٨٥ من (العربي) على اسئلة في المعلومات العامة في شتى ميادين المعرفة الانسانية وكان المطلوب الاجابة على ستة اسئلة من ثمان ، ويظهر ان الاسئلة كانت صعبة بعض الشيء بحيث اننا لم نجد في اجوبة المسابقة احدا اجاب على الاسئلة الثمانية بكاملها كما اعتدنا دائما في مثل هذه المسابقات ٠

اليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة ٠

١ ـ سميت دلتا النيل بسبب شكلها الذى يشبه المثلث ٠

٢ ـ بانى قناة بنما في امريكا عام ١٩١٤ هي الولايات المتحدة الامريكية بعد بداية فاشلة قام بها الفرنسيون وعلى راسهم دليسبس ٠

٣ ـ سموها فورموزا نظرا لجمال مناظرها الطبيعية ٠ (صواب)

٤ ـ الدول غير العربية في منظمة (اوبك) هي : فنزويلا ـ ايران ـ اندونيسيا ـ (الاكوادور ـ نيجريا) ٠

٥ ـ عمر الخيام كتب كتاب الرباعيات باللغة الفارسية ، وكتب كتاب الجبر باللغة العربية ٠

٦ ـ الدول التي دساتيرها مكتوبة هي : الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية والسودان اما الدول التي دساتيرها غير مكتوبة فهي : بريطانيا واسرائيل ٠

٧ ـ جوجول روسي،ايسن ترويجي،طاغور هندي، مارك توين امريكي ، كروتشة ايطالي ٠

٨ ـ امستردام عاصمة هولندة تشبه كثيرا مدينة البندقية الايطالية ٠

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد حسن البر ـ جمهورية السودان
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عباد موسى العوامي ـ طرابلس ـ ليبيا
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : عبدالعزيز سعد الجراشي ـ الرياض ـ السعودية

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عدنان بن محمد ـ تونس
٢ ـ محمود قجة ـ دمشق/سوريا
٣ ـ احمد الدمرداش تونى ـ القاهرة/مصر
٤ ـ محمد احمد العيسى ـ الكويت
٥ ـ كمال الرافعي ـ طرابلس ـ لبنان
٦ ـ علاء عبد الله قبعين ـ الزرقاء/الاردن
٧ ـ جعفر محمد مكي عمران ـ النويدرات/البحرين
٨ ـ ياسين خضير الدوري ـ بغداد /العراق ٠

وسترسل الجوائز لاصحابها

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARAB — No. 188 July 1974 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● لنقلك العربي في هذا العددالى البوابة الشمالية للجمهورية العربية اليمنية .. الى مدينة صعدةذات التاريخ العريق .. لقد فتحت المدينة ابوابها لاول مرة بعد انغلاقاستمر قرونا عديدة .. وهؤلاء بعض اهالي المنطقة يرقصون رقصة البرعةالشعبية ، وفي ايديهم الخناجر ..

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

تربيــة وعلم نفس :

سياسة واقتصاد :

ركن الأسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر وشــعراء :

كتــب :

قصــص :

متنوعــات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج ٠ م ٠ ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٢ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

ندوة
أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي

أول ملتقى فكري عربي في العصر الحديث يعقد حول هذا الموضوع

■ « ان الهدف الأول الذى يجب ان يتجه اليه المفكرون والمسئولون العرب هو تحرير الانسان العربى : فكريا ،واقتصاديا واجتماعيا وجعله فى مستوى النضال الذى يفرضه عليه العصر ·· »

« واذ كان الدين حقيقة عميقة الجذورفى الذات العربية ، وكانت روح العقيدة الاسلامية روحامتنامية ديناميكية متفتحة،يجب ان تعطى كل الامكانيات لمتابعة رسالتها الحضارية ، فيجب الا تفهم الفهمالجامد الثابت · »

« ان التخلفالسياسى فىالبلاد العربيةحقيقة واقعة تتجلى فى الفرق القائم بين الانجازات السياسية من جهة ، وبينالأهداف القومية والاجتماعية للشعب العربى من جهة ثانية » ·

تلك فقرات من البيان الختامى للندوةالعلمية التى نظمتها جامعة الكويت وجمعية الخريجين الكويتية ، وعقدت فىالكويت فى الفترة ما بين ٧ و ١٢ ابريل عام ١٩٧٤ ، وكان موضوعها « ازمةالتطور الحضارى فى الوطن العربى » · وقد شارك فى الندوة خمسة وتسعون منالمثقفين العرب ، منهم ٤٩ من داخل الكويت و ٤٦ من سائر البلاد العربية ··من المغرب وليبيا ومصر وسوريا والعراق وعرب من امريكا ·

وقد عقدت الندوة تحت رعاية الشيخسعد العبد الله السالم الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخليةوالدفاع ، كما قامت الحكومة الكويتية مشكورة بتغطيةنفقات هذهالندوة العلميةالهامة ، التى بلغت الدراسات المتقدمة لها ٣٥ بحثا وتعليقا ·

وفيما يلى نص البيان الختامى الذىالقاه الدكتور محمد النويهى باسم المشاركين فى الندوة :

« ان اعضاء الندوة التى اجتمعت فى الكويت ما بين ٧ ـ ١١ ابريل ١٩٧٤ بدعوة من جامعة الكويت ، وجمعية الخريجين الكويتية ، لتدارس ازمة التطور الحضارى فى الوطن العربى ··

ايمانا منهم بمسؤوليتهم القومية أمام التاريخ، وامام الاجيال العربية المقبلة ·

وشعوروا منهم أعمق الشعور بخطورة المرحلة الحضارية التى تمر بها الامة العربية فى الظروف



جانب من حفل افتتاح ندوة ازمة التطور الحضارى فى الوطن العربى التى اقيمت على مسرح الجامعة بالخالدية فى الكويت ٠

العالمية الراهنة ، ووعيا منهم للمعطيات الحضارية فى هذا العصر ، ولضرورة العمل الكثيف والسريع ، على ان تواكب شعوبهم مسيرة الحضارة العالمية فى تطورها الشديد السرعة والنمو والتعقد ٠

وادراكا منهم لعظيم القوى المادية والروحية التى تملكها امتهم فى الصراع العالمى القائم ، وللقوى الشرسة التى تعرقل تطورها الحضارى ، سواء منها العوامل الداخلية، او القوى الخارجية ٠

وثقة منهم بان الامة العربية مؤهلة ، كما كانت فى تاريخها العريق الطويل ، لان تحمل قيم الخير ، والعدل ، والفكر ، والعلم ، والعقلانية ، والتجدد ٠ ولان تقدم العطاء المبدع لابنائها ، وللانسانية جمعاء ، ولان تسهم فى اثراء حضارة الانسان ٠

لذلك كله فانهم بنتيجة هذا اللقاء الفكرى الخصب الذى حققوه ، والحوار الذى تم فى هذه الندوة ، وبعد ان تناولوا بالتحديد العوامل المتعددة التى تعيق التطور الحضارى العربى ، وتدارسوا اشكالها وابعادها وتطلعات المستقبل، وبنتيجة ما تحقق لهم من خلال ذلك من انهم رغم اختلاف مشاربهم وافكارهم واقاليمهم يلتقون عند مبادىء مشتركة واحدة ٠

فقد رأوا ان يصدروا هذا البيان الذى يلخص رؤيتهم الفكرية للموقف الحضارى العربي الراهن، ولما يرجون ان يكون موضع العمل والكفاح والبناء من قبل كل مفكر عربى وكل مسؤول ٠ وهم متفقون فى تلك الرؤية حول النقاط الاتية :

١ ـ فى مشكلة التطور الحضارى العربى من حيث الشان والتاريخ

ان مشاكل التطور الحضارى العربى على اختلاف نواحيها هى من الالحاح والخطر ضمن الظروف العالمية الراهنة والمستقبلية على السواء، بحيث تقتضى تجنيد كافة العاملين فى ميادين الفكر والعمل ، وكافة المسئولين لدراستها، وبث الوعى بشانها ، والتخطيط لتجاوزها ٠ ولما كانت عواملها متداخلة بعضها مع بعض فان التصدى لتجاوزها لا يمكن ان يتم الا بجهد شامل متكامل فى كافة الجوانب ٠

ان المعوقات الحضارية التى تمثل التطور الحضارى العربى وان كانت لها جذور تاريخية : منها الاقتصادى ، ومنها الاجتماعى ، ومنها الفكرى ، ومنها السياسى ، الا ان تاريخية تلك المعوقات ـ رغم خطورتها وتجذرها العميق احيانا فى الذات العربية ـ لا يعنى انها معوقات غير قابلة للتجاوز ،ونعتقد بالعكس ان التخلف الحالى سبب من اسباب جمود فهمنا للماضى العربى ودور التراث ٠ وان العمل على تغيير البنى الاجتماعية ـ الاقتصادية ، وعلى تطوير القيم الروحية وعلى تحديث القيم الفكرية ـ كفلية بفرض معطيات جديدة على التاريخ ، تدمر تلك المعوقات ٠

٢ - في الهدف الاساسي

ان الهدف الاول الذى يجب ان يتجه اليه المفكرون والمسؤولون العرب هو تحرير الانسان العربي : فكريا ، واقتصاديا ، واجتماعيا،وجعله في مستوى النضال الذى يفرضه عليه العصر ، والذى يرد قيمته الانسانية المثلى اليه ،ولا يكون ذلك الا بتوفير الضمانات لحريته الكاملة ، لا من الناحية السياسية والفكرية فحسب ، ولكن الاجتماعية ايضا ، للنضال ضد التخلف • كما لا يكون الا بتوحيد القوى الفكرية التقدمية وتعبئتها ، لاحداث التغيير الجذرى المنشود ، على المستوى القطرى ، وعلى مستوى الوطن العربي كله •

٣ - في التخلف الفكرى

يرتبط التخلف الفكرى الارتباط الوثيق بانواع التخلف الاخرى وهذا ما جعل الحياة العربية المعاصرة مفتقرة الى العنصر العقلانى في توجيهها ، بسبب عجز الفكر العربي عن القيام بدوره الواسع في شتى جوانب تلك الحياة •

واسباب هذا التخلف ترجع الى عوامل متعددة، اهمها ما تركته عهود الانحطاط العربية من رواسب فكرية سيئة ، وما حدث من انقطاع في مسيرة الفكر العربي نتيجة لانهيار الدولة العربية ، ثم ما كان من عجز الفكر العربي بعد ان عاود نهضته في العصور الحديثة عن استيعاب منجزات الثقافة العربية ، ومنجزات الثقافة الاجنبية استيعابا اصيلا متكاملا • وقد ادى هذا الى ظهور مدرستين فكريتين مصطرعتين ، كلتاهما خاطئة • المدرسة التى تحاول احياء الثقافة العربية دون تجديدها ، والمدرسة التى تنكرها وتتجه من دونها نحو ثقافة العصر الحديثة • ولم تعمق بعد جذور المدرسة الفكرية السليمة التى تدعو الى توليد فكر عربي اصيل وحديث معا من خلال نظرة تجاوزية تجديدية لا استرجاعية سكونية •

ومن ابرز مظاهر التخلف في الفكر العربي السائد البعد عن الروح العلمية والعقلانية في النظر الى الكون والاشياء والانقطاع الواضح عما يتجدد باستمرار من منجزات العلم والفكر الحديث وافاقه •

ومن هنا كان لابد من تعميق منازع التفكير العلمى ، والمنهج العقلانى ، والعمل على ربط الفكر باسس الحضارة العلمية التكنولوجية،القائمة على العلم والتنظيم والتخطيط •

ان العقل ليس مجرد اطار او اداة للعلم النظرى ولكنه وسيلة تحرر اجتماعى اقتصادى ايضا ، وطريق لتحقيق مجتمع انسانى اكثر توازنا وعقلانية وانتاجا •

٤ - في التراث

ولقد كانت القضية التى واجهت الندوة في اكثر من بحث من بحوثها وباشكال مختلفة هي دور الماضى العربي في توجيه المستقبل ، وسواء سميتا هذه المشكلة بالاصالة والتجديد او بالتراث ، والتحديث ، او بالسلفية والتقرب ، او غير ذلك ، فما كان لها ان تاخذ هذا الدور المتعدد الوجوه ، والاثر في التطوير الحضارى العربي - لولا أننا ننظر اليها نظرة لاتاريخية •

ان هذا التراث جزء منا ومن تكويننا الحضارى، ولكنه لا يجوز ان يجعل المستقبل ملكا للماضى • ان محاولة اسقاط الماضى على المستقبل - عدا انها محاولة فاشلة - فانها تؤدى الى القطيعة بين العربي وعصره ، وبينه وبين مستقبله • وان دمج معنى الاصالة بمعنى التراث مزلق خطر ، فالاصالة لا تكون بالتشبث الحرفى بذلك التراث ، ولكن بالانطلاق من خلاله الى مابعده ، ومن خلال قيمه الى مرحلة جديدة ، فيها الاغناء له وفيها التطوير لقيمه •

٥ - في الدين

واذ كان الدين حقيقة عميقة الجذور في الذات العربية وكانت روح العقيدة الاسلامية روحا متنامية ديناميكية متفتحة،يجب ان تعطى كل الامكان لمتابعة رسالتها الحضارية - فيجب الا تفهم الفهم الجامد الثابت ، وعلى شكل صيغ محدودة يفرضها الخلف باسم السلف • بل يجب العمل على ان يسمح للفروع فيها - مع حفظ الاصول - بمواكبة التغيير الحضارى المستمر ، وذلك بالاجتهاد الحكيم والتطوير الواعى ، وبالاعتماد على روح الشريعة ومبادئها السامية لا النصوص اللاحقة مع العصور، وعلى العقل ومصلحة المجتمع •

ويدعو أعضاء الندوة الى مناقشة دور الدين في المجتمع العربي المعاصر مناقشة متفتحة ، لا تثقلها الحسابات او يحد منها ضيق الافق ، وذلك لتحرير الطاقات الروحية الهائلة التي يفجرها الايمان الصافي في الصدور ووضعها في خدمة مجتمع انساني افضل ٠

٦ ــ في التخلف السياسي

ان التخلف السياسي في البلاد العربية حقيقة واقعة تتجلى في الفرق القائم بين الانجازات السياسية من جهة ، وبين الاهداف القومية والاجتماعية للشعب العربي من جهة ثانية ٠ ومظاهر هذا التخلف متعددة منها النظرة التجزيئية لمشكلات الواقع العربي السياسي ، ومن ورائه الواقع الاجتماعي والاقتصادي ، ومنها العمل الارتجالي المرحلي الذي يقصر عن ادراك الطابع الدائم للنهضة العربية ، وبالتالي فقدان التخطيط المستقبلي ، ومنها افتقاد الاجهزة السياسية التنظيمية الفعالة ، ومنها غياب الروح الديمقراطية ، والابتعاد عن سيادة القانون ، وافتقاد الفكر السياسي العلمي الموجه ٠

ولا بد لمواجهة هذا التخلف السياسي من دراسة علمية تحدد أسبابه ، سواء رجعت الى البنى الاجتماعية والاقتصادية السائدة في البلاد العربية ، او الى اثر الاستعمار والعوامل الخارجية عامة ، او الى عوامل تاريخية تيسر ظهور بعض انماط السلوك السياسي ، او الى غياب النظرية السياسية الواضحة ، والمذهب الاجتماعي المتكامل ، او الى غير هذه وتلك من العوامل ٠

ومن المشكلات الاساسية التي ينبغي ان توجه العمل لتغيير هذا الواقع السياسي المتخلف ــ الاهتمام بتحقيق التفاعل بين الشعب والحكم ، بازالة الهوة التي تفصل بين السلطة السياسية والجماهير الشعبية ٠ ويستلزم هذا توفير مناخ ديمقراطي يتيح للشعب ان يشارك في بناء مصيره ٠

ويلعب المفكرون والمثقفون في هذا المجال دورا اساسيا ، ولا بد ان يتعاظم هذا الدور بحيث يقودون العمل الشعبي وبحيث يحققون الصلة المرجوة بين مشاعر الجماهير واهدافها وبين الحكم ٠ ولا يتم ذلك الا اذا كان الفكر اخلاقيا نضاليا ملتزما باهداف الامة القومية ، ومصلحة الجماهير الواسعة ٠

من هنا تقع على المفكرين مسئولية ضخمة ، تستلزم منهم التضحيات ، وتفرض عليهم ان يكونوا رسل الاهداف القومية والشعبية ٠ وان يقيموا التضامن الاقوى فيما بينهم في الوطن العربي كله ٠

واخيرا لا بد ان يكون محور النضال السياسي في البلاد العربية العمل على توحيد الامة العربية بالنضال الوحدوي ، الذي يلتقي مع النضال من اجل الاهداف الاجتماعية للمجتمع العربي ، ويتكامل معها ٠

ان الوحدة هي قدر هذه الامة ومصيرها والطريق الى ان تاخذ مكانها الحضاري اللائق في المجتمع الانساني ٠

٧ ــ في الاستعمار

مما لا شك فيه ان من اهم العوامل التي حالت بين الامة العربية وبين تجاوز عوامل التخلف المتعددة ــ تدخل الاستعمار المبكر في قدرها ومصيرها ، وخنق امكانات انطلاقها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ٠

لقد اخذت الحضارة العربية بالافول منذ سقوطها على يد اخلاط المغول والتتر ، ووقعت في قبضة التسلط العثماني الذي جمدها وقطع مسيرتها الصاعدة ٠ ثم جاء الاستعمار الغربي فاخضع حياة الامة العربية لمطامعه الاستقلالية ووجه كل شيء فيها نحو خدمة مصالحه ، وحاول ان يقيم في بعضها استعمارا استيطانيا يفقدها هويتها العربية وتراثها الاسلامي ، كما اقام في الوطن العربي كله هياكل اقتصادية رأسمالية احتكارية وكرس التكوينات الاقطاعية القديمة ، وعمل خاصة على تمزيق وحدة هذا الوطن ، وضرب الحدود بين اقاليمه ، وجعله دولا ، بل دويلات وفئات وطوائف متصارعة ضمن الدولة الواحدة ، ووجه له طعنة اساسية باقامة الجسم الصهيوني الغريب فيه باسم اسرائيل ، وما هو الا قطعة من التكوين الامبريالي الغربي زرعت الزرع الاصطناعي في قلب الوطن العربي ، لتعمل على تمزيقه والسيطرة عليه ، وتتولى تحقيق اغراض الاستعمار والامبريالية فيه ٠

على ان الاستعمار كان في الوقت نفسه تحديا للحضارة العربية ، حملها على ان تعيد النظر في ذاتها ومنطلقاتها ، وعلى الاقتباس من حضارته لتتمكن من مغالبته ٠

ورغم انحسار الاستعمار المباشر عن البيئة العربية فانه قد تابع محاولاته لاستغلال الوطن العربي عن طريق الاستعمار الثقافي والاقتصادي وسائر اشكال الامبريالية القديمة والحديثة ٠ من هنا كان النضال ضد بقايا الاستعمار وصوره الجديدة في البلاد العربية مطلبا اساسيا من مطالب التطور الحضاري وكانت المعركة ضد العدو المزدوج (الصهيوني ـ الامبريالي) ، المتحالف لتدمير القوى العربية ، وكانت التعبئة لهذه المعركة هي الشكل الاول والامثل للثورة الحضارية العميقة ، فعن طريق تعبئة امكانات الامة العربية لمواجهة العدو،واصوله الامبريالية ـ تحقق هذه الامة ايضا نهضتها العلمية والتكنولوجية ، وتوحد كيانها القومي ، كما تؤكد طابعها الانساني ، عن طريق اضطلاعها ـ باسم سائر الشعوب المضطهدة والحرة في العالم ـ بدور القضاء على اشرس محاولات اضطهاد الانسان للانسان ٠

على اننا ـ ونحن نسجل جرائم الاستعمار ومآسيه ضدنا ـ نهيب برجال الفكر العربي ان يعمدوا بمزيد من الشجاعة الى تحليل الاخطاء التي وقع فيها العرب انفسهم خلال غلابهم للقوى الامبريالية ، وفي مسيرتهم السياسية ، في نقد ذاتي امين يستهدف تلافي اسبابها المادية والاجتماعية والثقافية ، ليكونوا اوضح رؤية ، واكثر قدرة على المسيرة الصحيحة المتكاملة ، نحو التطور الحضاري ٠

٨ ـ التخلف الاقتصادي

اذا كان التخلف الاقتصادي مصطلحا اختزاليا لظاهرة واسعة مركبة ، معقدة العوامل ، شاملة لمختلف نواحي الحياة ـ فان التخلف الاقتصادي في البلاد العربية يدوره مختلف الشدة والآثار ، ولا بد من اخذه بالدراسة العلمية المتأنية ، والتحليل التفصيلي العميق الوثائقي في عملية مسح كاملة ومن خلال استراتيجية انماء مخططة جادة ، يجري التركيز فيها بصورة خاصة على ضرورة التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية ، وحسن استغلال ثرواتها من المواد الاولية ، ومن الارصدة المالية ، ومن الخبرات البشرية ، وضرورة تهيئة البيئة الاجتماعية الثقافية للمجتمع العربي، لاستيعاب امكانات العلوم والتكنولوجيا الحديثة ٠

ان التحديات الاقتصادية التي تواجه العرب متعددة منها :

الحاجة الى تنظيم اقليمي ، يخلق من اختلالاتها الجزئية توازنا كليا هائل الكتلة والدينامية ٠

ومنها الحاجة الى اجماع مجتمعي يعبيء الطاقات والكفايات في سبيل الفراغ التنمية الاقتصادية ٠
ومنها القدرة على حسن استخدام الطاقات الاقتصادية الهائلة التي تملكها البلاد العربية والتي انكشفت خاصة في الفترة الاخيرة ٠

ومنها اختيار الاسلوب الافضل للتنمية ، على اساس سلسلة من التوازنات الصحيحة بين العاجل والآجل ، وبين الاستهلاك والادخار ، وبين الرفاه والعمل ، وبين المساواة والحوافز ، وبين المركزة واللامركزة ٠

ومنها اخيرا الاسراع في وضع السياسات السكانية والتربوية ، والاجتماعية ، بما يتناسب مع حاجات التنمية الاقتصادية ٠

ان الوضع العربي الحالي يمنح فرصة نادرة للعمل العربي الموحد ، ولقد برزت بالفعل الاتجاهات الواضحة لمثل هذا العمل ٠ ولما كان الاطار الاقتصادي عاملا اساسيا في تغيير البنى الاجتماعية الثقافية ، كما كان يتغير بدوره عن طريقها في العلاقة الجدلية بين الطرفين ـ فان دفع هذه العملية حتى نهاياتها من شأنه اقامة المجتمع العربي الوحدوي المتقدم ٠

٩ ـ في القيم والعادات والتقاليد

تأتي القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية في جذور مشكلة التطور الحضاري ، باعتبارها احدى المتغيرات الرئيسية في مسيرة الحضارة العربية ٠ فالقيم محركات للسلوك ، واضواء مرور للتعامل مع مطالب الحياة واقعا وتطلعا وجهدا ٠ والعادات والتقاليد مصطلحات تعكس العلاقات الاجتماعية ومظاهر التواصل الاجتماعي ورموزه٠

وقد توصف حركة القيم والمواصفات الاجتماعية فى الوطن العربى بانها نقلة من سمات البداوة وخصائصها الى سمات التحضر وخصائصه ، او من السمات التقليدية الى السمات المعاصرة . ومهما كان توصيفنا لهذه الحركة فان من الواضح ان مجتمعنا العربى يعانى – ضمن ما يعانى فى ازمته الحضارية – صراعا وتناقضا فى القيم ، وفى المسالك الفردية والاجتماعية ، ازاء ما يواجهه من تحديات وآمال فى المستقبل القريب والبعيد .

ويتمثل هذا التناقض فى مجالات القيم ، والاتجاهات المترابطة بالعمل والانتاج والاستهلاك والاستثمار ، ومفهوم السلطة والقيادة والمسئولية الاجتماعية ، وفى دور الاسرة والمراة ، وفى التعامل مع مصادر المعرفة والفكر ، وفى شروط المشاركة فى صياغة الحياة وصنعها والاستمتاع بثمراتها .

واذا كان اعضاء الندوة يؤكدون على اهمية تطوير القيم ، وانماط السلوك الايجابية والمؤثرة فى صنع التقدم المرتكز على التخطيط العلمى ومستلزماته ، وعلى المصالح الحقيقية للجماهير – فانهم يشددون فى الوقت نفسه على ضرورة الفهم المتعاطف للقيم والمواضعات المحفزة للثقافات الشعبية ، وعلى التفاعل مع هذه الثقافات تاثرا وتاثيرا ، لتمكينها من الاسهام الكامل فى صياغة المصير القومى تنمية وابداعا . وفى هذا المجال تظهر الحاجة خاصة الى امرين : –

اولا – حاجة الوطن العربى الى مسح اجتماعى شامل يدرس عاداته وتقاليده وقيمه فى تاريخها الماضى ، وفى صلتها بالاوضاع الجديدة التى يحياها الانسان العربى ، سواء كانت هذه القيم متخلفة من حياة البداوة ، ام مرتبطة بحياة الزراعة . ومن شان هذا المسح ان يكشف العناصر السلبية والايجابية فى هذه القيم ويحدد ما يصلح منها وما لا يصلح لحياة الانسان العربى الحديث .

ثانيا – دور المثقفين وعلماء الاختصاص ورجال الفن والادب فى تنوير القيم والحوافز الاجتماعية ، وهو دور رئيسى رائد ، وذلك عن طريق الدراسة الواعية لمدى فاعلية الوسائل التى يستخدمونها فى التواصل الفكرى مع الجماهير ، ولمسالك هذا التواصل ومجالاته ومضامينه .

١٠ – فى الاسرة

ان الاسرة العربية ما تزال تشكل العنصر الامامى فى تماسك المجتمع ، وتضامن افراده ، فى المجتمعات البدوية والريفية والحضرية . وتواجه الاسرة فى وضعها الحالى صراعا ليس فقط بين الاجيال بل بين الحضارات ، ويتضح ذلك من العادات والقيم الاسرية التقليدية التى ما تزال تعيش جنبا الى جنب مع الاتجاهات العصرية المستوردة من الغرب .

وحالة الصراع الحضارى فى المجتمع العربى المعاصر لا تنبع فقط من الواقع الحالى لبناء النظم الاقتصادية والاسرية والسياسية والتربوية والدينية ، بل ترتبط بدرجة كبيرة بالوظائف التى تؤديها هذه النظم . اذا ما اخذنا بعين الاعتبار تطلعات الانسان العربى المعاصر نحو الحاضر والمستقبل .

ان الاستقرار الاجتماعى والرفاهية والتنمية الاجتماعية للفرد والاسرة والمجتمع فى الوطن العربى لا تاتى بصورة طبيعية او تلقائية ، او بالتطور المتدرج البطىء ، بل تاتى عن طريق الدراسة العلمية ، وتحديد الواقع الاجتماعى ، والمشكلات الاجتماعية التى تواجه الاسرة ضمن التركيب الاجتماعى المعاصر ، وبالتغيير الجذرى على اساس هذه الدراسة للبنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، وبانجاز الوحدة القومية على اساس ديمقراطى .

وفى ضوء الحركة الاجتماعية والديمغرافية السريعة والمتعددة الاتجاهات التى تشاهدها المجتمعات البدوية والريفية والحضرية بدرجات متفاوتة فى العالم العربى ، نرى ان الخدمات الاجتماعية لا بد ان تتصدى لتلبية الاحتياجات المتزايدة للخدمات الوقائية والعلاجية ، على اسس علمية سليمة ، بحيث تستهدف تنمية القدرات والطاقات والمواهب واستثمارها للتنمية الاسرية والاجتماعية .

١١ ـ فى التربية

ان التربية العربية فى وضعها الحالى تساعد على توطيد الاوضاع المتخلفة الراهنة ، ولكى تكون الوسيلة الناجعة لتجاوز هذه الاوضاع وتقوم بدورها البناء ـ يجب ان تستهدف بناء الذات العربية ، وتنمية خصائصها المميزة ، والكشف عن الامكانات والمواهب فيها ، وخلق ارادة البناء والتغيير فى الاجيال الناشئة ، والجمع بين الشمول والتخصص ، وان توفر التربية ـ من الناحية العملية ـ الكفايات الفنية الانتاجية والكادرات العلمية اللازمة للمجتمع العربى فى الغد ، وذلك كله بالتنسيق مع البناء الاقتصادى الاجتماعى .

ولا يتم ذلك جميعا الا حين تحدث التربية انقلابا جذريا فى ذاتها ، وتعيد النظر فى بنيتها الحالية ، وفى فلسفتها ، وفى محتواها ، بحيث تساير التجدد التربوى العالمى الذى يطرحه ظهور التقنيات الجديدة فى التربية ، نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى فى العصر ، وان تعنى عناية خاصة بتكوين روح الخلق والعلم المنهجى والابداع التى يستلزمها هذا التقدم.ولا بد لها من ان توجه عناية خاصة لتوفير وحدة الثقافة القومية،ولادراك دور اللغة العربية فى تدعيم هذه الوحدة .

١٢ ـ فى تكوين النواة العلمية للتطوير الحضارى

وان اعضاء الندوة ليقترحون فى مجال التطوير الحضارى المنظم : ـ

اولا ـ تكوين «فريق باحث»من العلماء العرب ، لوضع خطة لتحقيق ثورة علمية تكنولوجية عربية ، ولتكوين البنية الاساسية المتكاملة العربية للتقدم العلمى والتكنولوجى .

ثانيا ـ انشاء معهد انماء متخصص فى تطبيق منهجية البحث العلمى المستقبلى ، وفى تكوين باحثين انمائيين عرب .

وتوصية الجامعات العربية بانشاء شبكة معاهد متكاملة للبحث والتدريب بعد الجامعى .

ثالثا ـ واخيرا وضع خطة لتنظيم عملية استعادة الادمغة العربية النازحة لتثميرها تثميرا انتاجيا وابداعيا فى حركة التقدم العربى .

١٣ ـ فى مسؤولية الفكر العربى

ان اعضاء الندوة فى الختام ليعتبرون المفكرين والمثقفين فى الوطن العربى مسؤولين مسئولية مباشرة عن العمل لكسر قيود المعوقات الحضارية فى الوطن العربى ، وفى مطلعها الارهاب الفكرى ، ويؤكدون مبدأ حرية الفكر ، ويرون فى المناقشات التى دارت فى هذه الندوة نموذجا له ، لان خنق الفكر هو ابرز مظاهر التخلف ، واشرس عوامله .

وانهم ليدعون المفكرين والمؤسسات العلمية والمجلات الثقافية فى انحاء الوطن العربى ـ الدعوة المخلصة لجعل موضوع التطور الحضارى العربى فى مركز اهتماماتهم ، ومتابعة مناقشته ، والتعمق فى ابعاده ، واعداد البحوث حوله فى سبيل المزيد من الحوار فى عوامله ونشر الوعى بشأنه .

ولما كانوا يعتبرون متابعة هذا الحوار ضرورة قومية ملحة فهم يدعون الى تحويل هذه الندوة الى شكل دورى ، والى عقد ندوات اخرى مماثلة تتناول بالتفصيل ما أجملته ابحاث هذه الندوة . وهم يكلفون اللجنة التى اشرفت على اعداد المؤتمر طبع ابحاث وتعليقات ومناقشات الندوة فى كتاب شامل ، يشكل الخطوة الاولى نحو الدراسة المستعمقة لهذا الموضوع .

١٤ ـ كلمة الختام

ان اعضاء الندوة لحريصون كل الحرص على تهنئة وشكر دولة الكويت ، على المناخ الحر الذى توفره للفكر ، والتى سمح للندوة ان تكون بناءة الحوار ، مثمرة النتائج ، كما يشكرون رجال الصحافة والاذاعة والتلفزيون على مجهودهم الممتاز فى تغطية انباء الندوة،وتلخيص بحوثها ومناقشتها، بشكل واع مسؤول للناس .ويقدمون الشكر الطيب اخيرا لجامعة الكويت وجمعية الخريجين الكويتية على المبادرة فى عقد الندوة وعلى حسن تنظيمها وكريم ضيافتها » .

مقرر الندوة
عيسى العصفور
من جمعية الخريجين



غاز النفط

إن يكن غاز الفحم الحجري
غاز القرن التاسع عشر
فإن غاز النفط

غاز القرن العشرين

■ انت اذا سألت ربة بيت في انجلترا، بأي وقود تطبخ طعام الأسرة ، لقالت لك بالغاز . وانت اذا سألت ربة بيت في الكويت ، بأي وقود تطبخ طعام الأسرة ، لقالت لك بالغاز . غاز ، وغاز ، وهما ليسا سيّان .

غاز انجلترا،الى اليوم ، غاز مصنوع من تسخين الفحم الحجري في معزل عن الهواء.وتتحلل مادة الفحم بهذا التسخين ويخرج من تحللها هذا الغاز الذي يطبخ به الانجليز منذ فترة طويلة من الزمان . وهو يصل الى مطابخهم ، ويربط بمواقدهم في مطابخهم ، ربطا ، بالأنابيب كما يصل الماء .

وسموه غاز الاستصباح Illumination gas لأنهم بدأوا بأن أناروا به شوارع مدنهم ليلا . وسموه غاز المدينة City gas ، لأن كل مدينة كانت تستصنع هذا الغاز من هذا الفحم . واليوم اولى بنا ان نسميه غاز الفحم ، او غاز الفحم الحجري .

وهو غاز يتألف اساسا من : غاز الادروجين وغاز أول أكسيد الكربون وغاز الميثان .

وغاز الكويت ، غاز غير مصنوع ، انه غاز مطبوع ، يوجد في طبقات الأرض ، ومن اجل هذا اسموه الغاز الطبيعي Natural gas .

وهو يوجد في طبقات الأرض مع زيت البترول . مع زيت النفط ، وقد يوجد في اقبية الأرض وحده . واليوم اولى بنا ان نسميه غاز النفط .

الغاز وقود المطابخ

ولقد نظرت في امر الغاز ، اول ما نظرت ، من حيث انه وقود المطابخ ،

لأين الصلة الوثيقة التي بينه وبين حياة الفرد . وهي صلة حضارة لا شك فيها .

في الماضي البعيد كان وقود الطبخ افرع الشجر الجاف يجمعها جامعها من كل صوب . ثم كان الفحم . ثم كان البترول ، لا كله ، ولكن بعضه ، ذلك الذي نسميه بالكيروسين Kerosine وبالعامية بالجاز . وكان آخر موقد لهذلك الموقد السويدي المعروف باسم (بريمس Primus) .

حتى اذا دخلت التكنية الحديثة بالغاز ، غاز فحم حجري ، او غاز نفط ، الى المطابخ ، اصبح الطبخ فنا ، وكادت المطابخ ان تصبح مراسم . تيسّر الوقود الغاز النظيف ، فجعل من الطبخ متعة .

انها متعة حضارية لا شك فيها ، أؤكدها للذين لا يرون الحضارة الحاضرة الا في اسوأ مظاهرها .

لماذا احترق الغاز ولم يحترق الحجر ولا الحديد

غاز النفط يعطينا طاقته فقط عندما يحترق .

وانت تنظر في اشياء هذه الدنيا فتجد أنها نوعان : نوع يحترق ، ونوع لا يحترق . والذي يحترق هو وحده الذي يعطينا الطاقة .

الحجر لا يحترق . الرمل لا يحترق . الحديد والفضة والذهب لا تحترق . الى ما شئت ان تعدّ . وطعامك يحترق ، من خبز وأرز ولحم . وثيابك تحترق من قطن وصوف وحرير . وكل ما في بيتك من خشب ، انه يحترق .

وتنظر في الذي يحترق فتجد ان مصدره الأول نبات الأرض ، وفيه عنصر الفحم ، عنصر الكربون ، حاملا لطاقة يريد ان يرمي بها عن ظهره ، ليعود مرة اخرى الى الأصل الذي بدأ منه ، الى ثاني اكسيد الكربون ، وذلك بالاتحاد باكسجين الهواء (وهذا هو الحريق) . وهذه الأشياء ، من طعام ، الى لباس ، الى اثاث ، انما نشأت من الزراعة ، من النبات ، النبات انما تكوّن بالتمثيل الخضيري من ثاني اكسيد الكربون الموجود في الجو ، مع الماء ، مع حياكة كيماوية تقوم بها اشعة من الشمس .

انها دورة اذن من دورات الحياة : الخشب ينشأ في الشجر من ثاني اكسيد الكربون ، والماء الذي في الجو ، فاذا احترق ، عاد الى ثاني اكسيد الكربون والماء مرة اخرى ، وسكن كلاهما الجو ، ليعيدا بالتمثيل الخضيري ، تخليق نبات آخر .

غاز النفط يتالف من كربون وادروجين وقد اتحدا

وتنظر في تركيب غاز النفط فتجد انه يتالف من مركبات فيها الكربون والأدروجين متحدين . ومالنا نذكر غاز النفط وحده ، ولا نذكر معه النفط ، زيتا .

انهما سلسلة واحدة من المواد ، ذات التركيب الواحد .

اما السلسلة فتتالف من عنصر الكربون (عنصر الفحم) وقد تأدرج ، اي اتحد به الادروجين .

وابسط هذه المركبات يتالف من ذرة كربون واحدة ، ومعها أربع ذرات من الأدروجين لتشبعها اتحادا . ويرمز اليه الكيماويون هكذا ك يد٤ . ويعرف هذا المركب بالميثان Methane . ومنه يتالف اكثر الغاز الطبيعي ، غاز النفط .

يلي هذا المركب ، المركب الذي به ذرتان من الكربون ، وبه الكفاية التي تشبعه من الادروجين . ويرمز اليه في الكيمياء هكذا ك٢يد٦ ، ويعرف باسم ايثان Ethane .

ويلي هذا المركب ، المركب الأعلى

منه وهو ك٣يد٨ ويعرف بالبروبان Propane •

ثم المركب ك٤يد١٠ وهو البيوتان Butane .

ثم المركب ك٥يد١٢ وهو البنتان Pentane • وهلم جرا •

ونلاحظ ان الميثان غاز في درجة الحرارة العادية ، وكذا الايثان ، وكذا البروبان ، وكلما زاد الجزىء كبرا زادت المادة ميلا الى السيولة في درجة الحرارة العادية ، عندئذ يبدأ تكون المركبات التى يتألف منها زيت النفط ، اعنى سائل البترول نفسه • فالفرق بين تركيب غاز النفط ، وسائل النفط اى زيته ، انما هو كبر الجزيئات للمركبات التى يتألف منها الزيت •

وسبب هذه الطبيعة الواحدة النشأة الواحدة ، وسوف نتحدث عنها •

وبسبب هذه الطبيعة الواحدة،والنشأة الواحدة،يكثر ان نجد غاز النفط وزيته يخرجان معا من البئر الارضية الواحدة•

وغاز النفط ، او الغاز الطبيعي ، يتألف اكثره من المركب العضوى الأول والأصغر من هذه السلسلة ، اى الميثان كما ذكرنا ، ومعه بالطبع ما يليه من اعضاء السلسلة ، الايثان والبروبان والبيوتان بنسب مختلفة • على ان نسبة الميثان تبلغ في الغاز نحو ٩٧ في المائة منه •

كيف نشأ الغاز والزيت في بطن الأرض ؟

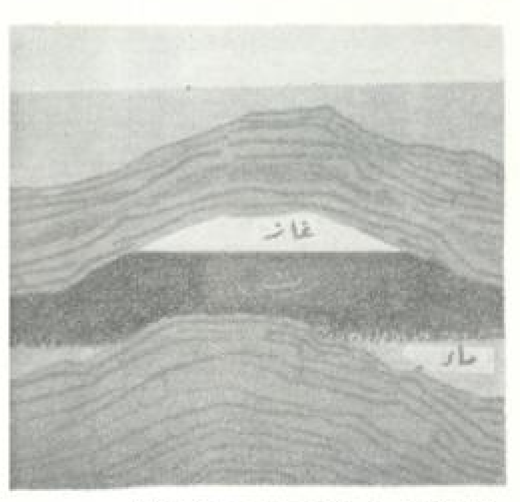
للعلماء رأى في ذلك : انه كان بحر ، بل بحار ، امتلأت بالكائنات المكروبية وغير المكروبية الصغيرة ، كالتى لا تزال توجدفي البحار اليوم،ونسميها بالعالقات او الهائمات Plankton (لانها لا تفتأ متعلقة هائمة في الماء) وتكثر هذه الكائنات كثرة كبرى ، ثم هي تهبط الى قيعان هذه البحار •

حدث هذا منذ ملايين كثيرة من السنين• واختلطت بقايا هذه الأحياء بالأوحال التى في قاع البحر • وتمضى السنون ، وترسب الى قاع البحر احياء اخرى من هذه الأحياء ، ويتكرر هذا،فتصبح طبقا من فوق طبق •

ويجرى في هذه الصخور ببطن الأرض من التغيرات ما يجرى ، فمن التواء ، ومن تصدع ، ومن تفتت ، ثم تجمع • ومن هذه الصخور الناشئة صخور ذات مسام • وتحت الضغط الكبير والحرارة العالية تتحول بقايا هذه الأحياء الى غاز وزيت، يمتصهما ما في الصخور من مسام •

وفي هذه الأقباء من بطن الارض يحتبس الغاز ويحتبس الزيت ، تحت ضغط من الصخور يمنعهما من الافلات ، حتى يأتى الانسان ثاقبا للأرض ، فيخرج من الثقب الزيت والغاز بنسب بينهما متفاوتة •

نظرية عند العلماء واحدة ، تصوّر نشأة الزيت ونشأة الغاز معا •



مقطع ايضاحي في الارض يتضح فيه القبو الذى فيه غاز النفط ، ومن فوقه الصخر الاصم ، ومن تحته زيت النفط،ومن تحت الزيت ماء •

البحث عن الغاز في بطن الأرض

هو شبيه بالبحث عن الزيت.. ووسائل التنقيب العلمية تكاد تكون واحدة .

ان المنقب يعلم ان الغاز يوجد في صخر مسامي ، يعلوه صخر أصم يمنعه من الهروب .

والباحث يلجأ الى الوسائل التي يتعرف بها طبقات الأرض .

ومن هذه تفجير المفجرات في سطح الارض التي يكون بها احتمال وجود الغاز ، ثم تسجيل صدى هذا الانفجار في اماكن حول مركز التفجير عدة . انها اصداء هذا التفجير ، تنعكس من حيث يرجى وجود الغاز ، ومن الصدى يعرف العلماء شيئا عن الطبقات التي تعكسه .

ومن ذلك قياس المغناطيسية عند السطح المرجو . وكذلك قياس الجاذبية ، وذلك بناء على ان الصخر الحاجب للغاز من فوقه انما هو صخر أصم ثقيل . فهو اكثف كتلة ، وهو اقوى جاذبية .

ودراسة الصخور التي بالناحية قد تكشف فيها نباتات شبيهة بنباتات قديمة، منها نتج غاز النفط وزيته .

على ان وجود الغاز لا يتحقق الا بثقب الارض بالثاقبات .

ويبلغ عمق البئر التي تثقب لغاز النفط في المتوسط نحو ٤٠٠٠ قدم . وفي البحر قد تبلغ عمق البئر ضعف هذا القدر .

الغاز أنابيب متطاولة تحمله عبر البلاد

والغاز تحمله ، من منابعه ، الى حيث يكون استهلاكه ، أنابيب من فولاذ متين ، تسير ملتحما بعضها ببعض ، عبر الرمال

رجل ينظر في المقياس المغناطيسي ليرى تغير مغناطيسية سطح الأرض الذي هو واقف عليه، واختلافه عن سائر مغناطيسية المنطقة المجاورة، ومنه يستدل على وجود الصخر الكثيف الأصم الذي يمنع غاز النفط من فوقه من التسرب..

رجل فني قام بتفجير الديناميت لاحداث هزات بمنطقة الأرض التي يرجى ان يكون فيها غاز النفط . ويوجد آخرون حول هذه المنطقة من الفنيين يسجلون الأصداء المنعكسة من صخور الأرض التي في باطنها ، ومن هذه الأصداء يستدلون على نوع الصخر ، لاسيما المسامي الذي يحتوي في العادة على غاز النفط .



والسهول والجبال والوديان ، الكثير من الأميال . وتبنى خطوط الأنابيب هذه حيث سوف تكون من الارض ، فالى هذه البقاع تحمل الأنابيب ، في السيارات ، عشرات عشرات ، وتُلحم اطرافها ، بعض ببعض . وتنظّف دواخل الأنابيب،وتلف ظواهرها بلفّات من الورق عليها القار حفظا للفولاذمن عادية الارض،وأكسدتها. وقبل ذلك يستوثق القائمون على الأنابيب بأنه لا ثقوب فيها يتسرب منها الغاز .وهي تدفن آخر الأمر في أخاديد من الارض .

ويبلغ قطر هذه الأنابيب ٣٦ بوصة او يزيد .

وينطلق الغازبقوة في الأنابيب بضغطه الطبيعي ، ولكنه لا يلبث ان يخف .

وعندئذ تقام في طريق هذه الأنابيب مكابس تكبس الغاز الى الضغط المناسب . وهذا الضغط لا بد من تعديله قبل توزيع الغاز على زبائنه .

والغاز الطبيعي الذى يصل منازلنا ، في اسطوانات من فولاذ ، انما هو الغاز المضغوط . والغاز يسيل تحت الضغط . ويُرفع عنه الضغط فيتغوز .

والغاز ، لا رائحة له . ولهذا هم يضيفون اليه مادة قليلة المقدار تكفى لاعطائه ريحة تنذر بوجوده اذا هو تسرب في المصنع او في المطبخ . او حتى في الصالون . وهنا يجب ان نذكر ان الغاز يستخدم في المنازل كذلك للتدفئة في الشتاء .

والخطر من تسرب هذا الغاز في مكان ما ، سببه انه باختلاطه مع الهواء،يتكون منهما مزيج اذا اصابه شرر من نار ، تفرقع ونسف .

اشياء
يستخدم غاز النفط فيها

ولقد ذكرنا منها الطبخ ، وذكرنا التدفئة في المنازل .

وقدنذكر ان الغازالذى سبق استخدامه



انابيب غاز النفط وعمال قائمون بلحم اطرافها، بياقات من فولاذ تضم هذه الاطراف ضما حتى لايتسرب عن طريقها غاز . وهذه الانابيب توضع في قيعان البحار .



خط من الأنابيب يقوم العمال بمده وهو يدفن في الارض بعد ان يعالج ، كما وصفنا في نص المقال .

فى الطبخ انما هو غاز الفحم الحجرى ، لأنه أقدم فى حياة الناس . فلما جاء غاز النفط وجب ان يتغير موقد الغاز القديم للطبخ فى المنازل ليأتلف مع الغاز الجديد ، فالغاز الجديد يعطى حرارة اكثر عند احتراقه .فاحتراق غاز النفط يبدأ ، او يكاد يبدأ ، من كربون وادروجين ، يحترقان اكمل احتراق،بالتأكسد الكامل، فيعطيان اكبر مقدار من حرارة.اما غاز الفحم الحجرى ، غاز الاستصباح ، فيتألف من غازات منها اول اكسيد الكربون . واول اكسيد الكربون،كربون سبق تأكسده،فهو اذا احترق اعطى بعض ما كان يعطى من حرارة لو أنا بدأنا به كربونا لا اول اكسيد كربون .

واذا ذكرنا الطبخ والتدفئة فى المنازل، يجب ان لا ننسى الطبخ والتدفئة فى الأماكن العامة.فالطعام الذى يُعطى فى مطاعم الولايات المتحدة يطبخ نحو ٩٥ فى المائة منه بهذا الغاز . وفى المستشفيات، فى المطاعم والمغاسل،يستخدم هذا الغاز.

فى الصناعة ، ما اكثر ما يستخدم هذا الغاز . فى صناعة الطوب،والزجاج وفى صناعة الكيماويات والعقاقير والأدهنة والورنيشات.وفى الطعام المعلّب المحفوظ وفى النسيج فى قصره،وصبغه،وطبعه .

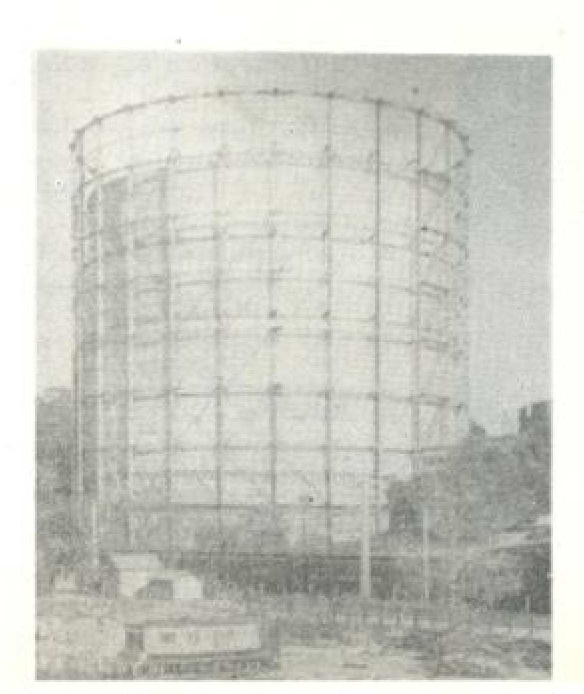
وان يكن هذا الغاز يستخدم فيما سلف ذكره وقودا ، فهو يستخدم كذلك فى الصناعة خامة من الخامات . فمنه يصنع المطاط الاصطناعى ، والنيلون ، ولا ننسى البولينة ، وهى تستخدم سمادا آزوتيا له دور فى الزراعة خطير .

غاز النفط فى التاريخ

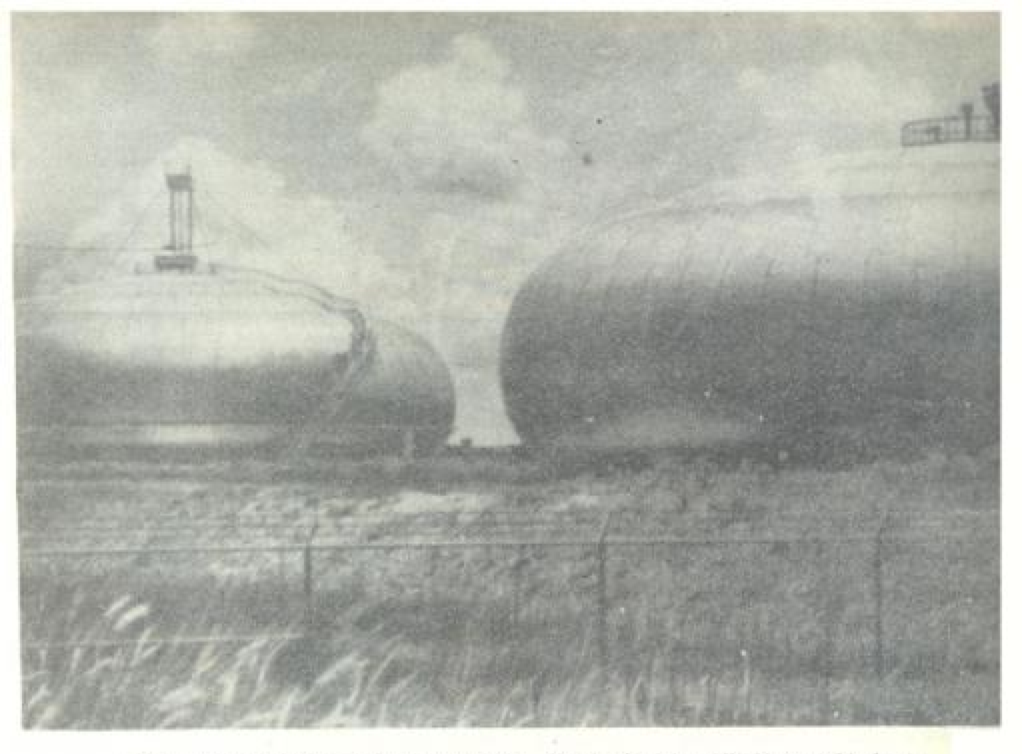
ان حديث غاز النفط فى التاريخ ، هو نفسه حديث زيت النفط فى التاريخ ، حديث البترول .

ان اول بئر ثقبت للزيت وكانت فى عام ١٨٥٩ . وخرج الزيت منها ومعه الغاز . وتضايق الثاقبون من هذا الغاز ، وارادوا ان يزيحوه ، فلم يجدوا شيئا ايسر من احراقه حيث هو فى الحقل .

وظل هذا الاحراق حتى يومنا هذا .



خزان من الخزانات التى يخزن فيها غاز النفط ، عند امكنة استخراجه من الارض . وهو خزان اسطوانى ، مقلوب فى وعاء اسطوانى اوسع منه قليلا ، به ماء ، وبهذا يظل الغاز فى الاسطوانة العليا تحت الضغط دائما .



صنوف اخرى من الخزانات ، لها شكل الفطائر ،يخزن فيها غاز النفط • وهذه الخزائن تقام للغاز بعد تنقيته ، وعلى مقربة من اماكن استهلاكه ،وهو ينقل الى مستهلكيه بالانابيب •

ونحن رأيناه ونراه في بعض الحقول التي لم يصل بعد اصحابها الى امكان تجميع هذا الغاز والاستفادة منه • ونحن ما زلنا نذكر ما وقع لنا كلما نظرنا الى هذا الغاز وهو يحرق عبثا ، لا يستفاد منه • طاقة لها من الخطر ما لها،تستهلك هكذا استهلاكا لا يستفيد منها حتى للدفء احد •

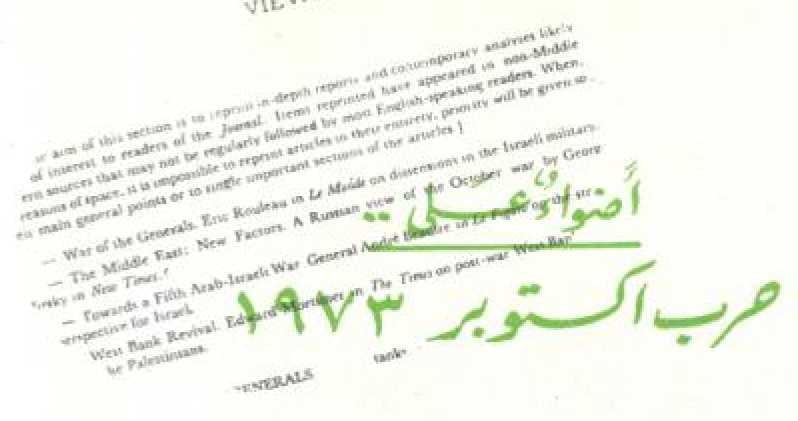
ولما ألح الغاز فى الخروج مع الزيت فى القرن التاسع عشر،فطن اهل الصناعة الى هذه الخسارة الضائعة،فراحوا يفكرون فى جمعها والاحتفاظ بها • وشيئا فشيئا تولدت صناعة غاز النفط ، الغاز الطبيعى • وهى صناعة لم تتخذ لها مكانا مرموقا الا فى قرننا هذا،القرن العشرين •

وزاد خطرها بزيادة اكتشاف مخابىء هذا الغاز فى كثير من بقاع الأرض • ويحضرنا هنا مخابىء هذا الغازفى ارض الجزائر ، ومخابئه تحت سطح البحر،على مقربة من سواحل بريطانيا ، فى الشمال منها •

والجزائر تصدر الغاز الى الولايات المتحدة مكثفا فى السفن • اما بريطانيا فتعمل على ايصاله الى الأرض اليابسة منها عن طريق الأنابيب تلقى فى قاع البحر القاع بعد وصلها • ومن الطريف ان بريطانيا اعلنت بين اهلها قرب استخدام الغاز الطبيعى فى المنازل وغير المنازل،مكان استخدام غاز الفحم الحجرى، غاز الاستصباح ، فوجب على الناس ان يستبدلوا بمصابيح مواقدهم مصابيح تأتلف واستخدام الغاز الجديد • وقد رصدت بريطانيا لهذا التبديل الملايين من الجنيهات •

●●

احمد زكى



(نقلا عن صحيفة لوموند الفرنسيـة المعروفة، وقد كتب مقالاتها الثلاث المتعاقبة احد كبار محرريها ارك رولو Eric Rouleau الذى كان فى اسرائيل فى تلك الاثناء)

■ قال موشه دايان ، مخاطبا محررى الصحف والمراسلـين الاسرائيلين والاجـانب ، فى المؤتمر الصحفى الذى دعـا اليـه يوم الاثنين المـوافق ٨/١٠/١٩٧٣ : « الحالة حرجة ··· وكل ما نستطيع فعلـه ، من أجل انقاذ اسرائيل ، هو ان نسحب قواتنا الى ماوراء الممرات فى سيناء ووراء المرتفعات فى هضبة الجولان ·· ومن حق الشعب ان يعرف الحقيقة كلها ·· وسأوجه خطابا الى المواطنين على شاشة التلفاز ·· »

وبدا وزير الدفاع الاسرائيلى وكانه غير موشه دايان الذى نعرفه ·· بدا كئيبا كسير الخاطر ، وهو يحدثنا بصوت خافت كالهمس فى الاذان ، ويرسم لنا الصورة الحقيقية لما وصلت اليه المعارك فى الميدان، وكانت صورة تختلف كثيرا عن الصورة الزاهية الملفقة التى روجتها البلاغات والبيانات الرسمية ··

وعرف المحررون، فيما عرفوا ، ان الجيش المصرى تمكن من شق طريقه عبر قناة السويس فى اقـل مـن ٤٨ سـاعة ، مجتاحا حصون خـط بارليف « المنيعة التى لاتقهـر » Impregnable ··· وعرفوا ايضا ان خمس فرق مصرية كاملة ، تضم وحدات مشاة ، ودبابات ، وسـيارات مصفحـة ، ومدفعية ثقيلة ـ كانت تتقدم فى سيناء على امتداد جبهة طولها ١٨٠ كيلومترا ··· وعرفوا كذلك ان مايزيد على ألف دبابه سورية ، يساندها سلاح الطيران السورى ، قد اجتاحت هضبة الجولان ، وان بعض هذه الدبابات تمكنت من اختراق الحدود القديمة ، حدود ماقبل ١٩٦٧ ··

ولم تلبث دهشـة محررى الصـحف ان تحولت الى لوعة·· وهم يصغون الى بيان وزير الدفاع·· وفجاة سمع صوت امراة تجهش بالبكاء ، وتقول : « اذن فهذه هى نهاية الدولة (دولة اسرائيل) وبدايـة عهد ثـان من التشتت والاضطهاد ·· »

واطرقت المراة ، وكانت محررة احدى صحف المساء الاسرائيلية الواسعة الانتشار، ومن اخلص المؤيدين لموشه دايان وسياسته ·· ثم نظرت الى الوزير ·· وسالته ببرود : « ولكن كيف انتهينا الى هذا المأزق ·· »

قـال الـوزير : « عامـل المفاجـاة كـان عاملا حاسما ·· »

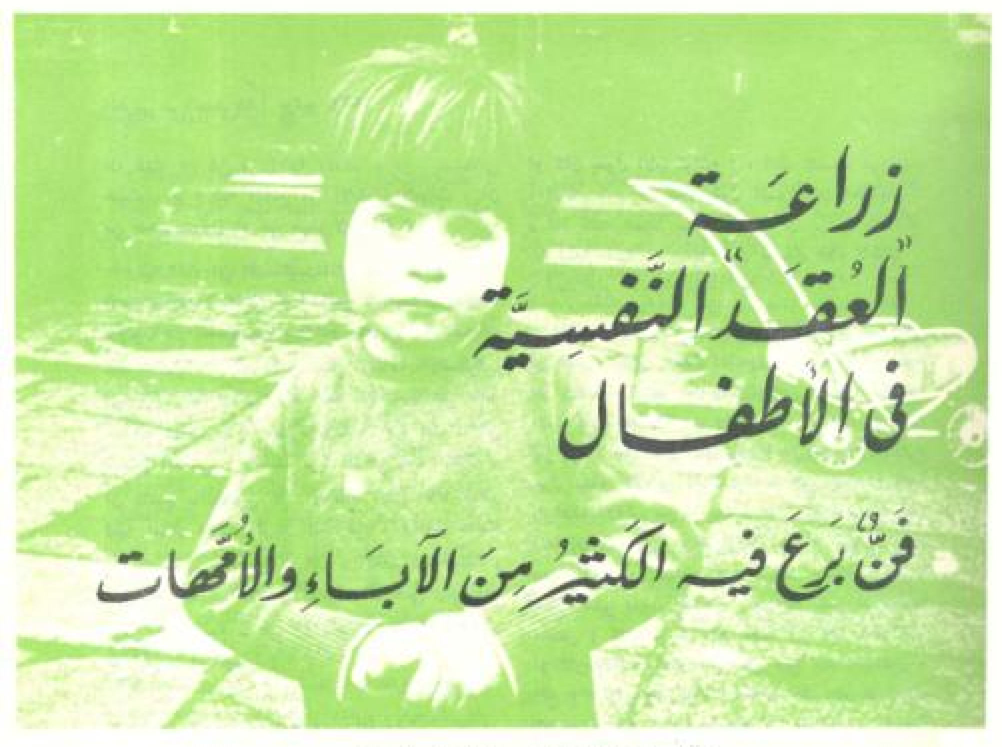
وردت المراة : « ولكـن جولدا اخبرتنا فى أول ايام الحرب اننا على علم تام باستعدادات العرب العسكريـة » وصمتت المحررة قليلا ثم قالت : « انت وحدك المسئول عن هذه الكارثة·· والافضل لك ان تستقيل وتترك الحكومة »

ولم يقلل الجنرال دايان عن مدى مسئوليته ، وفداحة قصوره، وقد اعرب بعد ذلك عن رغبته فى تقديم استقالته ، ولكن المسز مائير رفضت الاصغاء الى اى حديث فى امر الاستقالة اصلا ·· لقد صعب عليها ان تفارق الرجل الذى طالما عملت معه ، وتعاونت فى تسيير دفة الحكم ، وانتهاج السياسة التى مهدت لقيام حرب اكتوبر ··

ى · ز

من مجلة مركز الابحاث العدد الثالث من المجلد الثالث

ربيع عام ١٩٧٤ ص · (١٧٣)



زراعة العقد النفسية في الأطفال

فن برع فيه الكثير من الآباء والأمهات

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

حينما يتحدث علماء النفس عن « العقد » Coplexes ، فانهم يعنون بها تلك « الانماط المتلائمة (بكسر اللام) للسلوك ، ... لحظة الحياة ، مما تم تكوينه في العادة على نحو لاشعوري ، في مرحلة مبكرة من مراحل الطفولة ، نتيجة لخبرات معينة كانت سببا في اصابة الشخصية بضرب من الاضطراب او الاختلال » . ولو شئنا ان نبسط هذا التعريف ، لكان في وسعنا ان نقول ان « العقد » هي بمثابة «اصابات نفسية تطرأ على البناء العام للشخصية ، نتيجة لظروف خاصة اقترنت بها المرحلة الاولى من مراحل الطفولة » . ولكن على حين ان فرويد Frued كان يعد « عقدة اوديب » هي العقدة الوحيدة الاصيلة في حياة الطفل نجد ان الباحثين قد اصبحوا يتحدثون عن العديد من « العقد النفسية » ، وعلى رأسها « عقدة الذنب» (او الالم) ، و « عقدة القلق » (او عدم الطمأنينة ، و « عقدة البتر » (او الاخصاء)، و « عقدة الهجر » (او الاقصاء) و « عقدة النقص » (او القصور) ، و « عقدة التفوق » (او الاستعلاء) .. الخ .

حين يكون « الابناء » مجرد ضحايا لآبائهم !

وعلى الرغم من ان « العقد النفسية » ـ كما لاحظ يونج Jung ـ انما هي في العادة وليدة بعض الصدمات او الازمات ، او الاحداث الدرامية ، او غير ذلك من مصاعب الحياة ، فان التجارب نفسها قد اظهرتنا على ان سلوك الاباء والامهات نحو ابنائهم ـ خصوصا في السنوات الخمس الاولى من حياة اطفالهم ـ قد يكون هو السبب المباشر ـ أو غير المباشر ـ في اضطراب شخصية الطفل،او اصابته ببعض العقد النفسية. والواقع انه كثيرا ما يكون اطفالنا « ضحايا » لنا : ضحايا لقصر نظرنا ، او لسوء فهمنا ، او لنقص خبرتنا ، او لضعف شخصيتنا ، او ـ على الاقل ـ لخطأ اساليبنا التربوية ! وقد لا نبالغ

اذا قلنا ان فن « زراعة العقد » فن شيطاني خبيث ، برع فيه الكثير من الاباء والامهات ، ان من حيث يدرون او من حيث لايدرون !

واية ذلك ان الاساليب التي قد ينتهجها بعض الاباء والامهات فيتربية ابنائهم - خصوصا حينما يكونون هم انفسهمعصابيين او منحرفين او اصحاب عقد نفسية - قد تعمل على اشاعة الاضطراب في حياة اطفالهم ، او قد تتسبب في خلق « عقد شخصية » خطيرة تهدد - من بعد - كل نموهم النفسي • ولسنا نريد - في هذا المقال - ان نتتبع بالتفصيل كل الاخطاء التي طالما تردى فيها امثال هؤلاء المربين المنحرفين ، وانما حسبنا ان نتعقب - فيايجاز - اهم « العقد الشخصية » التي قد يتسبب الاباء والامهات - حتى ولو كان ذلك بحسن نية - في زراعتها - بشكل خطير - في نفوس ابنائهم ! (١) •

قد يزرع الآباء والأمهات في نفوس ابنائهم « عقدة الذنب » ••

ولعل في مقدمة « العقد » التي قد يعمل الاباء والامهات على زراعتها في نفوس ابنائهم « عقدة الذنب » (او الاثم) • وربما كان من اهم اعراض هذه العقدة ، الرغبة في « العقاب الذاتي » :

الحرص على « القصاص » ، والنزوع نحو تنظيم « الفشل » ، بشكل قد لا يخلو من تناقض ظاهري ! وحينما يصطنع الاباء - في تربيتهم لاطفالهم - طريقة « التأنيب المستمر » ، فان هذه الطريقة التربوية - وحدها - قد تولدلدى الطفل ضربا من الشعور المرضي بالذنب او الاثم • وهنا قد يلجا الوالدان - او احدهما - الى استخدام عامل « الاخجال » او « التعيير » او « التهديد الوجداني » •

كان تقول الام لطفلها : « انك بذلك تقتلني » ، او كان يقول الاب لولده : « انك تتسبب في موت والديك » ، او كان يقول الوالدان لطفلهما : « اذا كنت تحبنا حقا ، فانك لن ترضى بلا شك ان تفعل هذا » ، او كان تقول الام لابنتها : « انت عار الاسرة كلها ! » ••• الخ •

فكل هذه العبارات - وغيرها كثير - قد تنمي في نفس الطفل عقدة الشعور بالذنب ، خصوصا اذا انضافت اليها ذكرياتالنواهي الجنسية الكثيرة التي كان يتلقاها من والديه ، ابتداء من سن الرابعة ، حين كان يبدي ضربا من حب الاستطلاع حول بعض الامور الجنسية ، حتى بداية فترة المراهقة الاولى مع ما يقترن بها منممارسة لبعض العادات السرية • وقد تزداد المسالة خطورة ، اذا عمد الاباء والامهات الى اضفاء صيغة دراميـة خطيرة على بعض الاخطاء البسيطة التي قديرتكبها الطفل (كان يسرق مثلا لعبة من احد رفقائه ، او كان يتفوه بكلمة نابية في حق احد البالغين•• الخ) • وفي مثل هذه الحالات ، قد يتورط الاباء والامهات في معاقبة الطفل باساليب رادعة عنيفة ، او قد يلجاون الى ايهامه بانه سيتعرض لعقوبة الحبس او حتى الموت ، مما قد يسبب له اصابات نفسية بالغة ، وبالتالي قد يولد فينفسه « عقدة الذنب » او الاثم !

وهم قد يزرعون ايضا في نفوس اطفالهم « عقدة النقص » !

واذا كان ثمة عقدة نفسية اخرى وثيقة الصلة بعقدة الذنب ، فتلك هي « عقدة النقص » (او القصور)• وربما كانمناهم اعراض هذه العقدة الشعور المرضيبالخياة (او الخجل)،والخوفمنمواجهة الاخرين ، واعتبار « نظرة الغير » بمثابة حكم او ادانة « أو لوم » او سخرية •• ومن هنا فان المصابين بهذه العقدة يخشون المجتمعات ، ويهابون الناس ، ويعجزون عن الكلام او التعبير عنانفسهم امام الغرباء ، ويشعرون بتصورهم وعجزهم

---

(1) R. Muchielli: « Les Complexes Personnels. », Paris, Editions Est., 1971 ., pp 45 - 71

وفشلهم في الحياة ، لدرجة ان البعض منهم قد يتصور نفسه مثار سخرية الجميع ! وقد دلتنا التجارب على ان الاباء والامهات قد يعملون – من حيثلا يريدون – على تربية هذه العقد في نفوس ابنائهم حينما ينمون لديهم مشاعر النقص ، او حينما يلجاون باستمرار الى اساليب اللوم او الاستهزاء او التحقير • فالاب الذى يقول لابنه (مثلا) « أنت تلميذ خائب » ، او « انت ولد غبى » ، او « أنت عاطل لا تصلح لشيء » ! ، والام التى تقول لابنتها (مثلا) : « هل رأيت شكلك في المرآة ؟ » ، او « أنت لن تكوني يوما سيدة ناجحة » ، او « لا اظن أن هنالك من هي احمق منك ! » •• ، نقول ان امثال هؤلاء الآباء والامهات يمارسون مناهج تربوية هدامة ، لانهم بذلك يولدون في نفوس اطفالهم « عقدة النقص »

صحيح ان الآباء والامهات قد يتوهمون انهم – بامثال هذه العبارات – يستحثون ابناءهم على الاعتراف بخطئهم ، والعمل على اصلاحه ، ولكن الابناء قلما يدركون الدلالة التربوية لامثال هذه العبارات ، ومن ثم فانها قد تولد في نفوسهم تاثيرا عكسيا ! وكثير من المقارنات التى يجريها الآباء والامهات بين ابنائهم « الفاشلين » وغيرهم من الاطفال « الناجحين » ، قد لا يكون من شانها سوى ان تربى « عقدة النقص » في نفوس اولئك الابناء!ومن هنا فان الكثير من الاساليب التربوية التى يصطنعها الآباء والامهات لتشجيع ابنائهم ، او حثهم على التنافس ، ان هي الا مناهج فاشلة تتسبب في زيادة شعور الطفل بالنقص ، وتدفع به الى اتخاذ مسلك تعويضى متطرف او شاذ •

قد يولد الآباء والامهات في نفوس ابنائهم « عقدة التنافس الاخوى » ••

لقد فطن علماء النفس – منذ عهد بعيد – الى اهمية عاطفة « الغيرة » في حياة الطفل ، فتحدث فرويد عن « عقدة قايين » : Complexe de cain (او كما نقول نحن « قابيل ») ، كما تحدث كل من بودوان Beaudouin ولاكان Lacan ، عن « عقدة الدخيل » Camplexe d'intrusion ، وكل هذه التسميات انما تشير الى « الغيرة » المرضية التى قد تتولد في نفس الطفل بسبب التنافس البغيض الذى قد يقوم بينه وبين اخيه الصغير • وقد روى لنا القديس اوغسطين في « اعترافاته » ان الطفل الرضيع نفسه لا يحتمل رؤية منظر امه (او مرضعته) وهى ترضع طفلا آخر (حتى ولو كان اخا له) ، فهو بمجرد ما يشهد هذا المنظر،يبدى من امارات الحنق وعلامات الغضب ما قد يصل احيانا الى حد التشنج ! ولا نرانا في حاجة الى القول بان « الاخ » (او «الاخت») يمثل (او تمثل) – في نظر الطفل – « المنافس » الخطير الذى يغار منه ، ويريد القضاء عليه ! واما في المراحل المتاخرة من الطفولة ، فان الاهتمام الذى قد يبديه الوالدان باحد الابناء (دون سواهم) ، خصوصا اذا اقترن بالتفضيل ، والمديح ، والملاطفة المستمرة ، قد يولد في نفوس باقى الاخوة ، « عقدة الغيرة » او « عقدة التنافس الاخوى » •

حقا ان الاباء والامهات قد يلجاون الى « طريقة التنافس » بدعوى تشجيع ابنائهم على التفوق في الدراسة او الامتياز في السلوك،ولكن التجربة قد اثبتت ان هذه الطريقة كثيرا ما تشيع روح البغضاء بين الاخوة والاخوات، خصوصا اذا اقترنت بتفضيل واضح – من جانب الابوين او من جانب احدهما – لابن واحد بعينه ، على غيره من الابناء• ولاشك ان اى « تفضيل » محسوس – من جانب الاباء والامهات – لاى طفل بعينه على غيره من الاطفال ، لابد من ان يكون بمثابة علة مباشرة لنمو « روح الغيرة » في نفوس باقى اخوته•ولكن هذا الشعور الطبيعى بالغيرة قد يتحول الى«عقدة»، حينما يعمد الابوان الى معاقبة طفلهما على غيرته، او حينما يقفان منه موقفا متحيزا ، بان يعمدا (مثلا) الى هجره ، او نبذه ، او اهماله • وليس امعن في الخطا هنا من ان يعطى الوالدان للطفل الصغير كل لعب اخيه الكبير ، او ان يعاقبا الابن الكبير ، لعدم اهتمامه باخيه الصغير (او لكراهيته له ، او لحقده عليه ••) • والواقع ان العناية الزائدة التى يلقاها المولود الجديد قد تكون كافية–

في حد ذاتها ـ لاثارة الغيرة في نفوس الاخ الاكبر، فلا موجب لتوليد « عقدة التنافس الاخوي » في نفس هذا الابن المسكين باعطاء ممتلكاته (او لعباته) لذلك « الدخيل » الذي خلعه عن العرش، واصبح هو ـ وحده ـ محط انظار الجميع ، وموضع اهتمام كل من الاب والام معا ولعل هذا هو السبب في ان « عقدة الغيرة » كثيرا ما تسير جنبا الى جنب مع « عقدة الهجر » !

ثم هناك « عقدة البتر » وهي ايضا قد تكون ثمرة للتربية الخاطئة !

•• حينما يتحدث علماء النفس المعاصرون عن « عقدة البتر » (او الاخصاء) : Castration فانهم قد لايقصدون اليوم بهذا التعبير ما كان يقصده به فرويد (منذ حوالي خمسين سنة) ،بل هم يعنون بهذا الاصطلاح « صعوبة تاكيد الذات بطريقة شخصية مستقلة تحمل طابع المسئولية ، مما هو في العادة نتيجة لتاثير سيىء من قبل البيئة (وخصوصا من جانب الوالدين) ، بحيث يصبح الشاب (او الفتاة) عاجزا (او عاجزة) عن شق طريقه (او طريقها) في الحياة » •

وقد لاحظ عالم النفس الفرنسي المعاصر لافورج Laforgue ان « هنالك من بين الفتيات عذارى كثيرات لم يجدن انفسهن بحاجة الى الاحتماء بين جدران اي دير من الاديرة، لانهن ضحين بشبابهن، وجمالهن ، وحياتهن ، في سبيل ام فرضت عليهن واجبا لا مفر من ادائه، الا وهو واجب رفض كل متعة في الحياة ! » ثم يحدثنا لافورج عن موقف بعض « الامهات الباترات » Meres Castatrices من ابنائهن فيقول : « واما بالنسبة الى الولد ، فان الام قد تستعين بامثال هذه المبادىء من اجل خنق كل مظاهر الرجولة في نفس ابنها منذ نعومة اظفاره • فحسبه ـ مثلا ـ ان يبدي اي تعبير قوي ينم عن الشخصية ، لكي تشن عليه حربا شعواء لا هوادة فيها ولا رحمة ، آملة من وراء ذلك أن تحطم « راسه العنيد » ، او ان تولد لديه ضربا من الشعور بالضعة او العار او الخجل من نفسه عاملة في الوقت نفسه على تزويده بمثل عليا ذات طابع انثوي صرف : كالعفة (او الطهارة) ، والرقة (او الانوثة) ! وهنا قد تتفنن الام في العمل على اخصاء ابنها، نفسيا على الاقل ، ما دامت لاتملك اخصاءه جسميا••!! ثم يستطرد لافورج فيحدثنا عن ردود افعال الابناء ضد هـذه الطريقة البترية في التربية فيقول : « ان ردود الافعال التي تتولد لدى الابناء ـ في هذه الحال ـ تختلف باختلاف امزجتهم الشخصية : فهنالك صبية يكادون ان يتحولوا الى بنات، وكان الواحد منهم قد اتخذ من « امه » مثلا اعلى له راح يعمل على محاكاته وينمو على غراره •• وهنالك اولاد آخرون يستجيبون لموقف الام بضرب من النزوع العدواني ، ولكن دون ان يقووا على مواجهة الام صراحة بهذا النزوع العدواني، خشية ان يتعرضوا لقصاصها او مجازاتها ، ومن ثم فانهم يتجهون بميولهم العدوانية نحو انفسهم ، او هم قد يعمدون الى اسقاطها على غيرهم •• »

وهكذا نرى ان «الاسلوب البتري» في التربية هو اسلوب خطير يقوم على الوقوف في سبيل نمو الطفل ، والحيلولة دون استقلاله الذاتي ، والعمل على اعاقته عن تاكيد ذاته ، وبالتالي شق طريقه الخاص في الحياة • ويدخل في هذا الباب كل ما قد يقوم به الاباء والامهات من تصرفات قد يكون من شانها استبقاء ابنائهم في مرحلة الطفولة Infantilisation ، خصوصا حين يكون الاباء في سن متقدمة ، او حينما يصدرون في سلوكهم عن مبدأ « عبادة الطفل » ، او حينما يكونون بازاء « طفل وحيد » ••

وفي كل هذه الحالات ، نجد الاباء ينمون في نفوس ابنائهم روح « الاعتماد على الوالدين »، خوفا عليهم من المستقبل ، فلا تلبث مخاوفهم ان تنتقل الى نفوس الابناء ، وعندئذ قد يشعر

الطفل بالقلق والخوف من « النمو » (او البلوغ)، لدرجة انه قد لايجد فى نفسه اى استعداد لترك الملاذ العائلى الذى يحميه !

ثم هناك أخيرا عقدة العقد ، الا وهى « عقدة القلق » •• !

لقد كان فرويد يجعل من « القلق » العامل المشترك بين كل الاضطرابات الباثولوجية (= المرضية) ، ومنذ ذلك الحين ، راح علماء النفس المهتمون بدراسة الطفولة يبرزون اهمية الشعور بالامن،مؤكدين انه يمثل الدعامةالاساسية لكل نمو سوى • وقد اثبت لنا اوديبه Odier ان ترقى شخصية الطفل لايتم الا اذا تحقق له ــ على التوالى .. اولا الشعور بالامن ، ثم القدرة على « تقييم الذات » واخيرا عملية الاستقلال الذاتى ، وهكذا جعل أوديبه من « مركب الخوف » او « عقدة القلق » العصب الحيوى فى كل المسار الباثولوجى للشخصية المنحرفة• ثم جاءت جماعة هورنى K.Horney فوضعت مشاعر القلق،والخوف ، وعدم الطمانينة، على رأس المشاعر العصابية ، وقالت عن « عقدة القلق » انها « عقدة العقد » •

والملاحظ انه حينما يعمد الابوان الى اظهار الكثير من مظاهر الجزع ، والقلق ، واللهفة ، حول صحة الطفل ، وحياته ، ومستقبله ، فان هذا المسلك نفسه قد يتسبب فى توليد عقدة الخوف ، والقلق،وعدم الطمانينة فى نفس الطفل• وليس من شك فى ان الاباء والامهات حينما يبسطون مشكلاتهم العائلية والاقتصادية على مسامع اطفالهم الصغار ، او حينما يبالغون فى وصف خطورة الاحداث السياسية والحربية التى تجتازها مجتمعاتهم، فانهم بذلك يسهمون فى بث روح الذعر والخوف وعدم الاطمئنان فى نفوس ابنائهم ومن هنا فان فقدان الطفل لثقته فى نفسه وفى الاخرين،وتزايد اضطرابه الوجدانى ، كثيرا ما يكونان من جملة الاعراض المرضية التى يزرعها الاباء فى نفوس ابنائهم حينما يجتثون ــ ان من حيث يدرون او من حيث لا يدرون ــ مشاعر الامن والاطمئنان ، من نفوس ابنائهم •

على ان « مشاعر الامن » ــ كما اثبتت التجارب السيكولوجية العديدة ــ وثيقة الصلة (اولا وقبل كل شيء) بتوافر محبة الام ، واستمرار رعايتها لطفلها ، خصوصا فى السنوات الخمس الاولى من عمره • وآية ذلك انه حينما ينعدم المناخ الدافىء الذى يشيعه حول الطفل « حب » امه له ، وتعلقها به ، وعطفها عليه ، فهنالك لا بد للطفل من ان يستهدف لخطر الوقوع تحت طائلة « عقدة القلق » ومن هنا فان اى تصدع يطرأ على علاقة الام بطفلها ، لا بد من ان تمتد اصداؤه فى كل الحياة النفسية للطفل ، لانه يتسبب ــ بلا شك ــ فى زعزعة ثقة الطفل بالحياة والاخرين • هذا الى ان كل « تربية » تشيع فى الوسط العائلى روح الخوف ، والقلق ، والجزع من المستقبل ، والذعر المسبق من احتمالات الفشل ، لا بد بالضرورة من ان تزرع فى نفس الطفل « عقدة القلق » (او عدم الاطمئنان) •• الخ •

★ ★ ★

وبعد ، فقد حاولنا ان نضع بين يدى القارىء ثبتا موجزا باهم «العقد النفسية» التى قد يزرعها الاباء والامهات فى نفوس ابنائهم ، ان من حيث يدرون او من حيث لا يدرون •• افلا يحق لنا ان نقول ــ فى خاتمة المطاف ــ ان الطفل ــ هذا المسكين ــ كثيرا ما يكون ضحية لجهل ابوين يحكمان عليه بان يحيا طوال حياته ، نهبا لمشاعر القلق ، او الذنب ، او النقص (او غير ذلك) ، وهو المخلوق البرىء الذى ما كان احرى بهما ان يكفلا له حياة الامن ، والمسئولية والاستقلال الذاتى ؟ ■■

زكريا ابراهيم



المدرسة الشاملة *

اتجاهات في التعليم الثانوي

إمّا اتجاه نحو التخصص طلبا للرزق ، وإمّا اتجاه نحو التعميم في المدارس الجديدة المسمّاة بالمدارس الشاملة

بقلم : ابراهيم مهدى الشبلى

■ لئن كان التعليم فى الماضى امتيازا لقلة من الناس فقد اصبح حقا لكل الناس ، ولما كان هذا المبدأ فى ديموقراطية التعليم قد صار مبدأ عالميا لا يكاد يختلف فيه اثنان ، فان دول العالم المختلفة قد اخذت تعمل ما فى وسعها لتحقيقه ٠

وكان امرا طبيعيا ـ بعد ان تقرر مبدأ الحق فى الحصول على التعليم ـ ان يتغير الغرض منه ايضا ، فلم يعد متمثلا ، كما كان من قبل ، فى اعداد صفوة من الناس تعمل فى الوظائف الحكومية ، وتمسك بزمام الامور بل اصبح الآن اعداد الجيل الناشىء للحياة ، وذلك لان المعرفة قد غدت هى الطابع الذى يسود العصر من ناحية، كما ان اجهزة الدولة قد امتلأت بالعاملين ، ولم يعد هناك مجال لمزيد الابالضغط فيمعظم الاحيان من ناحية اخرى ٠ فكان لا بد للمدارس ان تدخل هذا فى حسابها وهى تعد خريجيها لولوج باب الحياة العملية ، متسلحين بالمعرفة الضرورية المتالفة من جانب عام ضرورى لكل فرد ، وآخر يؤهل لعمل ـ ان عاجلا او آجلا ـ بعد اكمال الدراسة العالية ٠

والآن نجد فى التعليم الثانوى (وبخاصة فى المرحلة الاعدادية ـ وهى السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة من المرحلة فى العراق) اتجاهين مختلفين ، ولعل سبب هذا هو الاختلاف فى الاستجابة لهذا النداء العاجل او ذاك النداء الآجل ، وقد ادخل كل من الاتجاهين فى حسابه ضرورة الارتباط الوثيق بالحياة ، يأخذ منها ويعطيها ، ويؤثر فيها ويتأثر بها ٠

وانه لامر طبيعى ان تظهر الاتجاهات المختلفة فى التعليم الثانوى ، وذلك لان التعليم العالى متخصص بحكم كونه آخر مرحلة تعليمية ، كما ان التعليم الابتدائى والمتوسط ـ الذى يشمل السنوات الثلاث الاولى من التعليم الثانوى ـ يمثلان مرحلة تزويد الناشئة بالتعليم العام وقلما يترك صبى دراسته بعد المرحلة الابتدائية او المتوسطة الا لاسباب قاهرة خارجة عن ارادته

---

* Comprehensive School .

وارادة اهله ، وهو – ان اضطر الذلك – فسيجد نفسه ضائعا فى خضم حياة لم يؤهل لها ، ولا تفسح المجال الا للماهر المتعلم ، لتنزله منزلا لائقا • اما التعليم الثانوى فامره مختلف بحكم كونه وسطا بين المرحلتين فهناك ، من يراه امتدادا للتعليم العام (فى اوله على الاقل) ومنهم من يراه ابتداء للتخصص ومنهم من يرى فيه كفاية للاعداد للحياة ، ومنهم من يراه تمهيدا للاعداد للحياة لا يبدا الا فى المرحلة العالية •

ويمكن حصر هذه التيارات فى اتجاهين كبيرين فى التعليم الثانوى (والاعدادى منه بخاصة) اولهما اتجاه التخصص المتمثل فى كثرة الفروع فى هذه المرحلة ، وثانيهما اتجاه التنويع اى تقديم انماط مختلفة من التعليم فى مدرسة واحدة •

وسنتناول هذين الاتجاهين كلا على حدة بشيء من التفصيل •

اتجاه التخصص فى التعليم الثانوى (الاعدادى) (١)

ان المنطلق الاساسى لهذا الاتجاه هو اعداد الشباب لحياتهم المستقبلة بما ينسجم مع قدراتهم ورغباتهم وميولهم عن طريق اختيارهم لفرع التخصص الذى يلائم كلا منهم ، لهذا نرى كثرة التفرعات فى هذه المرحلة لكى تجد الاهتمامات والقابليات المختلفة مجالات لها ، فاننا نجد ان الدراسات فى هذه المرحلة فى العراق مثلا تتفرع فرعين رئيسيين هما الفرع العام والفرع المهنى ويتفرع أولهما الى قسمين هما القسم الادبى والقسم العلمى كما يتفرع الثانى (المهنى) اربعة اقسام هى التجارى والصناعى والزراعى والنسوى (الفنون المنزلية) •

اما السويد فاننا نجد فيها نموذجا للتطرف فى كثرة التفرعات ، مما يؤدى الى ارباك للطالب فى عملية الاختيار ، اذ ان الثانوية العالية (Upper Secondory School) وهى توازى الاعدادية العراقية ، تنقسم ثلاثة اقسام هى الجمنازيوم والفاكسكولا والمدارس المهنية • وتنقسم الجمنازيوم بدورها الى ثلاثة فروع هى الدراسات العامة والدراسات التطبيقية والدراسات التجارية وينقسم التفرع الاول من هذه الدراسات (العامة) الى ثلاثة اقسام هى الدراسات الكلاسيكية (وتتفرع بدورها فرعين): الكلاسيكية التامة ونصف الكلاسيكية والدراسات العامة والمعاصرة (وتتفرع فرعين : الدراسات الاجتماعية والدراسات اللغوية) والدراسات العملية (وتتفرع ثلاثة فروع هى علوم الحياة والرياضيات والدراسات التطبيقية) ولعل المسؤولين لاحظوا كثرة التفرعات فعمدوا مؤخرا الى عملية تبسيط وتوحيد ، فاصبحت مدارس الجمنازيوم تضم خمسة فروع فقط هى : الآداب، والعلوم الاجتماعية ، والاقتصاد ، والعلوم الطبيعية ، والدراسات التطبيقية • (٢) (يلاحظ هنا المخطط الذى يبين تفرعات المدرسة الثانوية العالية فى السويد) •

ونجد ان المدرسة الثانوية المتقدمة فى اليابان تتفرع أيضا تفرعات كثيرة ، فهى تنقسم قسمين رئيسيين هما الدراسات المتخصصة ، والدراسات العامة وتتفرع الاخيرةالى دراساتتقودالى الجامعة واخرى تقود الى الحياة العملية اما الاولى (المتخصصة) فهى تتفرع فرعين : دراسات مهنية ، واخرى لا مهنية ، وتتفرع الاولى بدورها الى دراسات صناعية وزراعية وتجارية وصيد الاسماكوالاقتصاد المنزليوالتمريض،اما الدراسات اللامهنية فتتفرع هى الاخرى الى الرياضيات العملية والموسيقى والفنون الجميلة ودراسات اخرى (٣) •

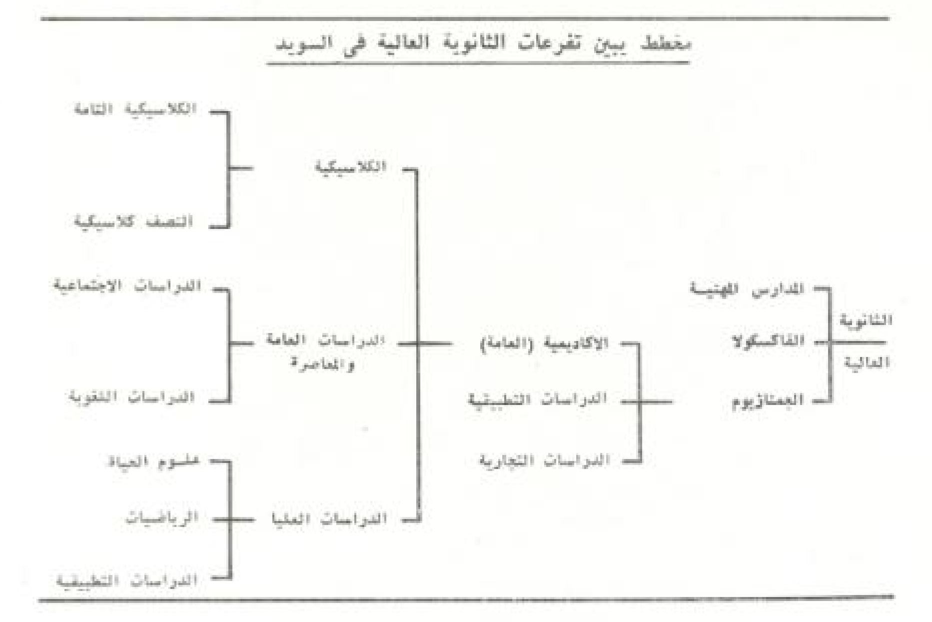
---

(١) المقصود بالتعليم الاعدادى فى العراق هوالتعليم بالسنوات الثلاث او الاربع الاخيرة من المرحلة الثانوية لا السنوات الاول

(٢) التعليم فى السويد ترجمة ابراهيم الشبل ،قسم التوثيق والدراسات ،وزارة التربية العراقية، ١٩٧٣ ، ص ١٤

(٣) التعليم فى اليابان – اعداد ابراهيمالشبل – قسم التوثيق والدراسات – وزارةالتربية العراقية ١٩٧٣ ، ص ١٢ •

مخطط يبين تفرعات الثانوية العالية فى السويد



(يلاحظ هنا المخطط الذى يبين تفرعات المدرسة الثانوية المتقدمة فى اليابان) .

اما جمهورية مصر العربية فاننا نلاحظ فيها ان التخصص ، وبخاصة فيما يتعلق بالتعليم المهنى ، يبدأ مبكرا ، اذ نجد ان بعض التخصصات المهنية تبدأ من المرحلة الاعدادية (٤) .

كاقسام التدريب العملى الملحقة بالمدارس الاعدادية العامة والمدارس الاعدادية الصناعية (صفوف ملحقة بالمصانع) والمدارس الاعدادية الصناعية والمدارس الاعدادية التجارية والمدارس الاعدادية الزراعية والمدارس الاعدادية المهنية للبنات ،هذا بالاضافة الى تفرعات القسم الثانوى (السنوات الثلاث الاخيرة من المرحلة الثانوية) كالمدارس الثانويةالصناعية والتجارية والزراعية والمدارس الثانوية المهنية للبنات واقسام العلوم المدنية فى المدارس الثانوية العامة ومدارس اللغات المهنية كما اننا نجد تفرعات ثلاثة للثانوية العامة هى المدارس الرسمية ومدارس الازهر والمدارس اللغوية . (٥)

اما تفرعات المرحلة الثانوية فى الجمهورية العربية السورية فانها مشابهة تقريبا لتفرعات التعليم الاعدادى فى العراق ، اذ اننا نجد هذه المرحلة (السنوات الاخيرة من التعليم الثانوى) تتفرع بشكل عام الى فرعين هما : العام والفنى وينقسم اولهما الى قسمين : الادبى والعلمى ، اما ثانيهما فينقسم الى تعليم صناعى وتجارى ونسوى وزراعى (يتبع وزارةالاصلاح الزراعى) وتعليم شرعى (يتبع وزارة الاوقاف) (٦) .

وبطبيعة الحال ،فان الغرض منكثرة التفرعات هذه هو تقديم تعليم ينسجم مع قابليات الطلبة

---

(٤) المرحلة الاعدادية فى جمهورية مصر العربيةتطلق على السنوات الثلاث الاول من المرحلة الثانوية .

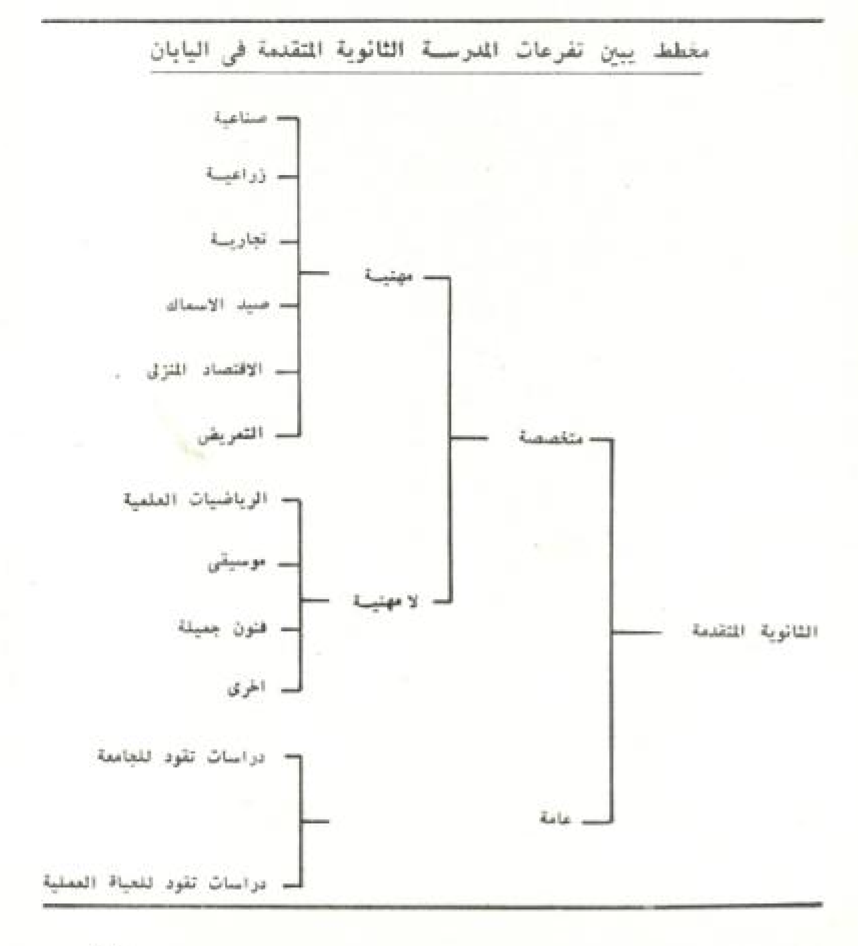
(5) World Survey of Education, Unesco, 1971, P. 1189 .

(٦) مجلة التوثيق التربوى ـ قسم التوثيقوالدراسات ـ وزارة التربية العراقية ـ العدد الخامس ـ شباط ١٩٧٣ ـ ص ٧٩ .

ورغباتهم من جهة ، ومع حاجات البلد من جهة اخرى ، وبخاصة في نهاية المرحلة الثانوية ، حيث يكون الطلبة قد بلغوا درجة من النضج الجسمي والفكري تساعدهم على حسن الاختيار والتكيف لمتطلبات التخصص الذي يختارونه . وبالنظر لاختلاف الحاجات الاجتماعية بين بلد وآخر تظهر بعض الفروع المهنية في بلد دون آخر ، كفرع صيد الاسماك في اليابان وفروع صناعة الساعات في سويسرا ، والتعليم الديني (الذي غالبا ما يكون تابعا لوزارة الاوقاف) في كل من العراق وسوريا ومصر وغيرها .

ولعل من ابرز مشاكل هذا الاتجاه في التعليم الثانوي هو الميل الدائم الى الاكثار من التفرعات، بسبب اختلاف رغبات الطلاب وقابلياتهم من جهة، وتزايد الحاجات الاجتماعية وتنوعها من جهة اخرى ، وقد تكون مشكلة خريجي هذا النوع من التعليم في بعض البلدان من اخطر مشكلات هذا الاتجاه ، اذ ماذا يكون مصير الطالب الذي تم اعداده هذا الاعداد المتخصص الضيق فيما لو لم يجد مكانا له في التعليم العالي ، او مجالا للعمل في الحياة يناسب تخصصه ؟ الا نكون قد اعددناه عاطلا كتفناه بهذا التخصص ؟ وحتى ان افلح في ايجاد مكان له هنا وهناك ، ماذا

مخطط يبين تفرعات المدرسة الثانوية المتقدمة في اليابان



عن ثقافته العامة كفرد يعيش في مجتمع تعتبر المعرفة من ابرز سماته ؟

ومن هنا برز الاتجاه الثاني في التعليم وهو اتجاه تنويع التعليم ٠

اتجاه التنويع في التعليم الثانوي (الاعدادي)

ان اتجاه التنويع يختلف عن اتجاه التخصص في انه لا يقوم على الاختيار ، لا بالنسبة للطلبة ، ولا الموضوعات ، بل يؤمن بالتعليم الشامل الموحد ـ الشامل من حيث انفتاحه على كافة الطلبة بغض النظر عن كل اعتبار ، والشامل من حيث ايمانه بضرورة تزويد الطلبة بتعليم متنوع ، ليجعل كثيرا من الابواب مفتحة في وجه خريجيه من جهة ، ولكي يعد شبابا مؤهلا للحياة العصرية التي يحتاج فيها الانسان الى الالمام بجوانب مختلفة علمية وادبية وعملية ، وليبتعد بهم عن اتجاه التخصص الذي يعد متخصصين ماهرين ولكن يكاد الواحد منهم ان يكون اميا في المجالات الثقافية العامة الاخرى ٠

ومن هنا ظهرت الحاجة الى المدرسة التي تقدم تعليما متنوعا شاملا وسميت هذه المدرسة بالمدرسة الشاملة ٠

ماهي المدرسة الشاملة ؟

ان المدرسة الشاملة Comprehensive School هي تلك المدرسة التي تقدم تحت سقف واحد انواعا مختلفة من التعليم لكافة تلاميذ المنطقة التي توجد فيها ٠

ويعرف جيمس كونانت James Conant المدرسة الشاملة قائلا انها المدرسة التي تنسجم برامجها مع الحاجات التربوية لكل شباب المجتمع (٧) وفي رايه يجب على المدرسة ان تحقق ثلاث وظائف في نفس الوقت هي :

(١) ان تقدم تعليما عاما جيدا لكل الطلبة بصفتهم مواطني المستقبل ٠ (٢) ان تقدم برامج اختيارية للاغلبية لتساعدهم على تكوين مهارات مفيدة ٠ (٣) وان تعلم بجدارة ، ذوي القابليات الذهنية العالية لدراسة الموضوعات العلمية المتقدمة (٨) ٠ وبالرغم من صعوبة تحقيق هذه الوظائف في وقت واحد ، الا ان كونانت يراه لازما في المدرسة الشاملة ٠ اما كونواي Conway فيحدد وظيفة المدرسة الشاملة ، بصورة ابسط فيرى انه يتحتم على هذه المدرسة الواحدة ، التي تضم تلاميذ ذوي قدرات واتجاهات ورغبات مختلفة ، تقديم تشكيلة متنوعة من الموضوعات والبرامج الدراسية لتستطيع مواجهة هذه القدرات وتلبية تلك الرغبات (٩) ٠

اما اغراض المدرسة الشاملة فيمكن اجمالها فيما يلي :

١ ـ الاغراض التربوية : اذ انها تعمل على تمكين الناشئة من تحقيق النمو المتكامل في شخصياتهم بجوانبها المختلفة الجسمية والفكرية والروحية والاجتماعية ، وتعمل على اعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين في مجتمع متقدم متطور ، ولهذا فهي تفتح ابوابها لجميع الطلاب وتوفر جميع النماذج من النشاط التربوي ، وتكييف الفرص التربوية لخصائص الناشئين الفكرية والوجدانية ومطالبهم وحاجاتهم الشخصية وتطورها ، وهي ـ بالاضافة الى سعيها الى تحقيق التكامل في شخصيات الناشئين ـ تعمل على تحقيق التكامل بين فروع المعرفة وبخاصة التكامل بين الجانب النظري والجانب العملي وبين العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية والانسانية وتسعى الى تطوير المعرفة وتجديدها ٠

٢ ـ الاغراض الاجتماعية :

وهي تحقق هذا الغرض في عملها على ازالة الفوارق الطبقية ، وتكوين مجتمع متجانس ،

(7) James Conant, the American High School Today, NewYork, 1960, P. 14.

(٨) نفس المصدر السابق ص ١٥ ٠

(9) E.S. Conway, Going Comprehensive, London, 1970, p. 23.

يتساوى فيه المواطنون بلا تمايز قائم على الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية ·

٣ ـ الاغراض الاقتصادية :

ويتحقق ذلك فيتنوع النشاط التربوي والسعي الى الوفاء بحاجات الناشئين والتفاعل مع المجتمع وتنظيم دراساتها بطريقة يراعى فيها مطالب العمل والتنمية الاقتصادية للبلاد ·

٤ ـ الاغراض السياسية :

ان المدرسة الشاملة تعمل على غرس الروح الديمقراطية فى نفوس الناشئين وتعمل للقضاء على التفاوت بين الطبقات ، واعداد الناشئين للاسهام فى مجتمعهم بفاعلية (١٠) ·

اشكال المدارس الشاملة

لقد اخذت دول كثيرة بالنظام الشامل فى التعليم ، ولكن يجدر بنا ان نشير الى اختلاف اشكال المدارس الشاملة من بلد لآخر ، اذ لايوجد نمط واحدمتبع فيكل البلاد التياخذتبها ·فهيفي السويد تختلف عنها فى انكلترا ، وهى فى الولايات المتحدة الامريكية تختلف عنها فى المانيا الديمقراطية او غيرها وهكذا ، ولكن الهدف الاساسي لكل المدارس الشاملة واحد وهو قبول اطفال المنطقة فى العمر المدرسي الواحد وتعريضهم لتشكيلة من الخبرات العملية والاجتماعية والفكرية وتقديم اكبر امكانات لها فى تكييف الخبرة التربوية لمواجهة الحاجات الفردية (١١) ·

ان هذا الاتجاه الجديد فى التعليم الثانوى (الاتجاه الشامل) ، حظى باهتمام عدد كبير من المربين فى كافة انحاء العالم ، واعتبره بعض المتحمسين له ، النظام الامثل لتعليم ثانوى منسجم مع روح العصر ، فهذا الدكتور محمد قدرى لطفى يقول : « اذا نظرنا الى ماحدث لنظم التعليم المتقدمة فى تطورها نجد الاتجاه الى الغاء طبقية التعليم الثانوى ، وتوحيد انماطه فى مدرسة واحدة ، كما حدث فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا والاتحاد السوفيتي وانكلترا وغيرها منالدول ، ويبدو ان الاتجاه نحو التعليم الشامل يتوسع ، وقد يكون هو التطور الحتمى للنظمالتعليمية انعاجلا ام آجلا » (١٢)·

وقد يكون فى هذا الرأى تحميس زائد للنظام الشامل ، لاننا قد نحتاج الى اكثر من نظام تعليمي واحد فى البلد الواحد ، فيما لو كانت الاغراض التى يخدمها كلُّ نظام منها سليمة ، والحاجةُ اليه ضرورية ، ويخدم كل نظام منها متطلبات خاصة يحتاجها البلد ، وهكذا يتمم النظام الشامل مثلا نظام التخصص ، ولعل ما يوجد الآن فى انكلترا من مدارس متنوعة كمدارس الاجرومية والمدارس الحديثة والمدارس الشاملة دليل على مانقول ·

وفى وطننا العربى ربما يكون الوقت قد حان لتجريب انماط جديدة من التعليم الثانوى كالتعليم الشامل ، بعد ان لقى اختبار المرحلة الثانوية لاجراء التجارب ترحيبا وتاييدا لدى المنظمات الدولية كاليونسكو ، وذلك بالنظر لاهمية التعليم الثانوى فى سلم النظامالتعليمي، لنفيد من شبابنا الفائدة المرجوة منهم ، فيكونوا عنصرا فعالا فى تقدم امتنا العربية ·

وتتجه النية فى العراق الآن الى تجريب هذا النوع من المدارس الشاملة في اربع مدارس وتجرى الاستعدادات للبدء بالتجربة عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ·

■■

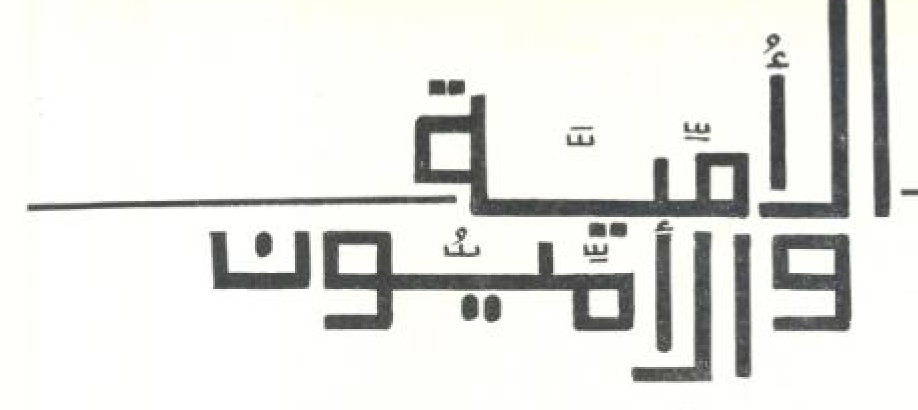
ابراهيم مهدى الشبلى
بغداد ـ العراق

---

(١٠) الدكتور عبد العزيز البسام ـ المدرسةالثانوية الشاملة · (مقالة فى مجلة التوثيق التربوى ـ قسم التوثيق والدراسات ـ وزارةالتربية العراقية ـ العدد الاول (شباط ١٩٧٢) ص ٦ ، ٧ ·

(11) Conway, Going Comprehensive, p. 25.

(١٢) روبن بيدلى ـ المدرسة الشاملة ـ ترجمةالدكتور محمد منير مرسى ويوسف ميخائيل اسعد ، القاهرة ١٩٧١ ـ مقدمة الدكتور محمد قدرىلطفى ·



الأمي في القرآن هو «غير اليهودي» أما في اللغة الدارجة فهو من جهل القراءة والكتابة

بقلم : محمد خليفة التونسي

عرب وعجم

■ كان أسلافنا العرب ، يختصون أنفسهم باسم « العرب » ، ويعملون من عداهم جميعا باسم « العَجَم » او « الاعاجم » ، وهذه التسمية ناشئة عن التفرقة اللسانية فكلام بعضهم لبعض « مُعرَب » اى مفهوم فى الجملة عند سائرهم مهما تختلف بينهم اللهجات ، واما كلام غيرهم فهو عليهم مُعجَم او اعجمى ، اى ليس بواضح ولا مفهوم،ومن هنا يصفون الحيوانات بانها عجماء اى أن اصواتها مبهمة ، فالتفرقة العرقية بينهم وبين غيرهم قائمة على اخص خصائصهم او مفاخرهم القومية ، وهى لغتهم او لسانهم ، ولكن هذه التفرقة اللسانية لا تملى عليهم شيئا من الاثرة او الكبرياء ولا تقف حجابا بينهم وبين التعاطف مع سائر الشعوب واحترامها وتبادل المودة والمنافع معها ، فهم لا يستأثرون عليها ، ولا يقفون منها موقف العداء ، او يعدونها مغنما مباحا ، او يخلون معها بالواجبات الانسانية او الاخلاقية التى يلتزمونها فيما بين بعضهم وبعض ، سواء فى سلم او حرب ، وهذا الالتزام معروف عنهم فى اشد عصورهم الجاهلية تخلفا حتى ابان المجاعات التى كانت تجتاح مجتمعاتهم البدوية او الصحراوية الفقيرة، وما اكثر هذه المجاعات .

رومان وجنتيل

وكما سمى العرب غيرهم « اعاجم » كان الرومان يسمون من عداهم Gentilis بمعنى شعوب اجنبية او غريبة ، ومعروف ان الرومان اهتموا بالشرائع فى امبراطوريتهم كما لم يهتم بها شعب آخر قبلهم ، فسنوا قوانين خاصة بهم ، وسنوا لمن عداهم قوانين اخرى تسمى قوانين الجنتيل Gentilis اى الاجانب او الغرباء ، وكانت للمواطن الرومانى حقوق اوسع واعلى مما لغير الرومان وكانوا يبتزون هذه الشعوب الاخرى ويستأثرون دونها بالثروة والسلطة وكثير من امتيازات السيادة ، وقد ينظرون اليها فى الجملة نظرة

استهانة ، ولكنهم لايناصبونها العداء او يميلون عليها بالحقد اللدود •

يونان وبربر

وقبل الرومان كان اليونان يسمون من عداهم « البربر » ولم يكن يقصد بها سوى انهم غرباء، ولم يستثن اليونان من هذا الاسم اولا غير الشعوب التى تتلمذوا عليها ، وتعلموا منها ، وفي مقدمتها المصريون الذين سبقوهم الى الحضارة والثقافة ، وكانوا ينظرون الى اليونان فى ازهى عصورهم نظر الرجل الرشيد الى الطفل الناشىء وذلك ما يظهر من كلمة رواها هيرودوت عن كاهن مصرى من كهنة عين شمس حين كان يباحثه فى المعرفة، فقال له الكاهن : انتم اطفال • وليس فى هذه الكلمة او هذه النظرة المصرية الى اليونان وغيرهم غير نظرة المعتز بحظه من التقدم الثقافى والحضارى ، الى من حرم مثل هذا الحظ ، دون استعلاء عليه ، او احتقار له،او استنثار دونه، او خصومة معه او محاولة لابتزازه وتسخيره ، فلم يعرف ذلك عن المصريين القدماء وهم فى ازهى عصورهم ناعمين بالسيادة والمدنية ، او حين كانوا يصابون بالضعف،وكل مافى الامر هو ما اشتهر به المصريون – منذ اقدم عصورهم المعروفة حتى الآن ، سواء فى عصور النهضة او الركود – وهو ميلهم الى الفكاهة والنكتة ، يتندرون بها على غيرهم ولا يتنزهون عنها فى نقد انفسهم اوبعضهم لبعض اذا اقتضاها المقام ، لان « النكتة لا تعذر » كما يقولون ، مع بسط المودة لكل غريب واعتباره كانه منهم،ومساواته بانفسهم فى الحقوق الانسانية وفى مقدمتها حقوق الجوار والعشرة توكيدا للاخاء بين البشر • وكذلك لم يكن اليونان مع اعتزازهم بانفسهم وتراثهم – ينظرون الى غيرهم حتى خلال ازهى عصورهم نظرة كبرياء او عداء •

يهود وجوييم

اما اليهود فيقسمون الناس قسمين : يهودا ، وجوييم Goyim اوجنتيل اى غير يهود،والكلمة جوييم لا تعنى فى اصلها لغويا الا الاقوام والامم بعامة ، ولكنهم يختصون بها الامم الاخرى (غير اليهودية) اصطلاحا بينهم ، كما غلبت فى لغتنا احيانا كلمة « الشعوبيين » اصطلاحا على بعض من يعادون العرب من الشعوب الاخرى ، مع أن العرب انفسهم احد الشعوب • واذن فالدلالة اللغوية اصلا لكل من الكلمتين – جوييم عندهم،والشعوبية عندنا – تختلف عن دلالتها الاصطلاحية •

الاميون

وقد ترجمت كلمة « جوييم » قبل الاسلام بالكلمة العربية « الامم » فى حدود معناها الاصطلاحى عند اليهود ، وتنسب الى مفردها «امة» فقيل « اميون » اى « غير يهود » ثم صارت تشمل غير اليهود وغير المسيحيين ، واستعمالها بالمعنى الاول « غير يهود » هو الذى غلب فى القرآن الكريم والحديث النبوى •

وقد دعت الى هذا التغيير أسباب تاريخية تتصل باحوال اليهود قبل ظهور المسيحية ، وفى اوائل انتشارها ، ويكفينا هنا أن نعلم منها أن اليهود ولا سيما عزرا الكاهن واتباعه – عقب عودة بعضهم من السبى فى بابل الى فلسطين – نفخوا ملء افواههم وقلوبهم فى نيران القطيعة ثم نيران الحقد والعداء بين اليهود وغيرهم ، وأبرزوا بما لا مزيد عليه من الوضوح عقيدة « الشعب المختار » اى اليهود ، وأنهم وحدهم شعب ربهم « يهوه Jehova » الذى اختارهم دون سائر البشر،وقد خصهم بشريعة منه فلاتلتزم مع غيرهم، ولهم ان يفعلوا بغيرهم ما يشاءون ، لان العالم وسكانه ملك لهم وحدهم ، وذلك كله ما وضحه القرآن الكريم ورفضه حين ذكر « الأميين » وذكر موقف اليهود واتباعهم فى هذه العقيدة تجاه غير اليهود او تجاه الأميين ، ويشير اليها قوله تعالى « قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ••• »

وقد بقيت هذه العقيدة حتى اليوم غالبة على كل اليهود الا شواذ ، وكانت اشد حدة حتى ايام السيد المسيح،وكان ذلك فى العهد الرومانى، فقد بدأ عليه السلام رسالته بالدعوة اليها بين اليهود وحدهم ، ثم اتجه بها الى سواهم ايضا – كما تقول الاناجيل – لأنه استخفهم اليها فابى معظمهم ان يستجيبوا له،ثم اتجه حواريوه بدعوته بعد ذلك الى اليهود وغيرهم ، وكان انتشارها بين غيرهم أوسع ، والفضل الاول فى انتشارها يرجع الى بولس (شاول) الذى اتجه الى

« الامم » ولا سيما ذوى الثقافة واساليب المعيشة اليونانية ـ اكثر مما اتجه الى اليهود ، ونجح فى وجهته اشد من سائر الرسل ، ولهذا لقبوه « رسول الامم » أو « رسول الاميين » اى غير اليهود ، وتبنى بعض المسيحيين ـ لا سيما ذوى الاصل اليهودى ـ هذه النظرة ، فصاروا يطلقون على غير اليهود والمسيحيين معا الكلمة الرومانية او اللاتينية Gentilis التى تعنى فى اصلها اللغوى مجرد « الغرباء » او الاجانب ، والتى اطلقها الرومان اصلا على غيرهم من البشر،وهى تعنى « الامم » او « الاميين » بمعناها اللغوى وبمعناها الاصطلاحى فى العربية قبيل ظهور الاسلام وبعده ، فهذه التسميات والتشابك بينها يرجع الى أصول اعتقادية تاريخية متداخل بعضها خلال بعض فى التراث اليهودى والتراث المسيحى، وكل ذلك يشير اليه التراث الاسلامى ولا سيما القران والحديث .

الاميون فى القرآن الكريم

ونبدأ بالقرآن الكريم لان المعنى الدينى لكلمة « الاميين » فيه اوضح منه فى اى مصدر وثيق آخر ، ولا يدل على المعنى الذى شاع وطغى بعد ذلك وهو « الجاهل بالكتابة » او « الجاهل بالقراءة والكتابة » وهو المعنى الذى لـم يزل طاغيا حتى الآن .

ففى سورة ال عمران الآية (٧٥) ـ خلال مناقشة لعقائد اهل الكتاب وبيان معاملاتهم مع غيرهم ـ جاء ما يأتى « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤدّه اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدّه اليك الا ما دمت عليه قائما،ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأمّيين سبيل » والمعنى القريب لقولهم هذا هو اننا غير ملزمين برد الامانة فى معاملة الاميين ، اى من عدانا ، فشريعتنا لا تضع علينا اى التزام شرعى فى معاملة الاخرين . « ليس علينا فيهم سبيل » بل كل السبل مباحة . وليس فى المسيحية هذه العقيدة،بل فى اليهودية وحدها ، وقد اشرنا الى ذلك من قبل . والاسفار اليهودية تعج ببيان هذه العقيدة ، وتلح فيها الحاحا شديدا ، فلا معنى للاميين هنا الا « غير اليهود » وهم وحدهم الذين يستبيحون اعتقادا وعملا ـ كل السبل للمكر بغيرهم دون حرج ، بل بتشجيع من شريعتهم التى يقدسونها ، ولا يحتكمون لغيرها ، وهذه العقيدة ركن من اركان العقيدة الكبرى « الشعب المختار » وخلال ارشاد لما ينبغى ان يكون عليه موقف النبى حين تقع المناظرة بينه وبين اهل الكتاب فى حقيقة الاسلام ـ بمعنى توحيد الله واسلام المرء نفسه اليه ، وانه دين كل الانبياء قبله ـ « ان الدين عند الله الاسلام » ـ جاء فى سورة ال عمران (الآية ٢٠) مايلى : «فان حاجوك فقل : أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين : أأسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد» فالاميون هنا تقابل اهل الكتاب ، فمعناها هو غير الكتابيين ، وقد فهم بعضهم من كلمة الكتابيين (التى تقابل الاميين) انها نسبة الى الكتابة او الكتاب (مصدرا ، بمعنى الكتابة ايضا) فتوهم ان الكتابيين من يكتبون ، والاميين من يجهلون الكتابة ، ولا موضع لهذا المعنى فى الآيتين السابقتين ، ولا سيما الآية الاولى ، لان اهل الكتاب هؤلاء انما يستبيحون الخيانة مع الامى ، لا لانه يجهل الكتابة والقراءة ، بل لانه اجنبى عنهم ، اى ليس من قومهم ، فليس مناط معاملته بالشريعة هو علمه او جهله بالكتابة والقراءة بل الصلة القومية (ثم الدينية) ، فقريبهم قوميا (ثم دينيا) يُعد منهم،وهم ملزمون معه بالشريعة، وان كان جاهلا بالكتابة،واكثرهم يومئذ كان يجهلها كسائر الشعوب قديما ، ومن لم يكن قريبهم فليس عليهم فيه سبيل،او هم غير ملزمين معه بالشريعة، ولو كان يعرف الكتابة ، بل لو كان من كبار العلماء، وكان كاتبا قارئا بعدة لغات .

وهذا المعنى لكلمة « الامى » هو الذى يطرد فيها حيث وردت فى آيات القرآن الكريم ، وهو يبدو شديد الوضوح فى ضوء هذه الايات جميعا، مقارنة بعقائد اهل الكتاب التى تناقشها الآيات القرآنية ، ومن ذلك الآية (٢) فى سورة الجمعة « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته .. » (١) والآيتان (١٥٧) و (١٥٨) من

---

(١) بعض العلماء يخص كلمة الاميين فى هذه الآية وحدها بمعنى « العرب » أى بعث فى العرب رسولا منهم .

سورة الاعراف في وصف المؤمنين « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي... » و « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته » . ففي الآيات الثلاث دفع لعقيدة يهودية هي ادعاؤهم ان النبوة او الهداية الالهية منحصرة في بني اسرائيل وهم - بحجة هذا الاحتكار - يرفضون هداية النبي محمد عليه السلام ، لانه «أمي» اي غير اسرائيلي او غير يهودي ، وهذه النظرية او العقيدة تناقض النظرية او العقيدة الاسلامية في عموم الهداية الالهية ، وانها ليست خاصة بقوم دون قوم . والآيات الثلاث السابقة اذن - على وفق هذه النظرية الاسلامية - انما هي رد على اليهود في رفضهم لنبوة محمد ، بحجة انه ليس من بني اسرائيل .

وفي ضوء هذه الآيات ومقارنة هذه العقائد بين النظريتين الاسلامية واليهودية ، نلتفت الى هذه الآية (٧٨ من سورة البقرة) في الكلام على اهل الكتاب «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني ، وان هم الا يظنون » (٢) بمعنى ان من اهل الكتاب اميين لا يعرفون كتابهم الا تخرصا بالباطل ، لا يتبعون في ذلك الا الظن ، وهم في الحقيقة جاهلون به ، وهذا ما اشار اليه بعض السلف من المفسرين . ومعلوم من التاريخ ان الديانة اليهودية قد اعتنقها كثير من غير اليهود، اما اكراها ، واما اختيارا ولو دون تبشير بها ، وقد وقع ذلك في اليهودية منذ اقدم عصورها حتى اليوم ، وكان منه - والنبي في المدينة - تهود بعض ابناء الانصار ، وجلاؤهم معهم عن المدينة حين اجلاهم النبي عنها .

فهؤلاء الاتباع من الشعوب الأخرى انما هم « اميون » ، اي ليسوا من الجماعة اليهودية اصلا ، ولذلك لا يعرفون مضامين الكتب اليهودية التي تتلى عليهم في الصلوات وغيرها ، وانما حظهم منها اظانين ، بل قد يحفظون بعضها سماعا دون فهم ، وهذه ظاهرة كانت - ولم تزل - منتشرة بين اتباع الاديان ممن لا يعرفون اللغات التي بها تتلى عليهم كتبها ، وينصرف قادتهم على قراءتها باللغات الاصلية ، لا مترجمة الى اللغة التي يعرفها هؤلاء الاتباع ، وقد يكون في القادة انفسهم من يجهلها ، ولكنه يحفظ بعض نصوصها سماعا ويرتلها ، وقد رأينا ذلك عيانا في بعض المساجد والكنائس بلغات كثيرة .

الأمي في الحديث النبوي

ويقول النبي عليه السلام « انا امة أمية لانكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا » الحديث ، في رواية ابن كثير - وفسره بقوله اي لا تفتقر عبادتنا في مواعيدها الى كتاب ولا حساب ، وعبادة الاسلام كذلك حقا من صلاة وحج وصيام واعياد ، فهي تعتمد على رؤية القمر في تحديد الشهور وعلى رؤية الشمس في تحديد الاوقات ، وليس الامر كذلك عند من يستعملون التقويم الشمسي وحده ، او مع التقويم القمري . ولاشك أن العرب امة « أمية » بمعنى انها « غير يهودية » واما جهل الكتابة فقد كان عاما بين العرب كما كان عاما في غيرهم ، حتى اليهود ، وان قلنا انه كان في العرب أكثر منه في بعض الامم الأخرى .

الاميون بمعنى العرب

وكثير من سلفنا بين المفسرين واللغويين يفسرون كلمة « الاميين » بمعنى العرب ، وهو تفسير يسند رأينا في ان « الامية » يقصد بها معنى قومي واعتقادي ، لا صلة له بجهل الكتابة ، فالعرب اذن « اميون » بمعنى « غير يهود » وهذا معنى جزئي للكلمة ، لأنها في معناها العام تشمل غير اليهود سواء كانوا عربا او غير عرب . وقد استعملها ايضا بمعنى « العرب » الامام اللغوي ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) في اول كتابه « الاشتقاق » الذي دافع فيه عن مذاهب العرب في تسمية ابنائها وعبيدها ونحو ذلك ، ووضح اشتقاق هذه الأسماء وأسبابه .

رأي مسبوق

ورأينا هنا في كلمة « الاميين » مسبوق،سبقنا اليه كثير ، منهم الامام محمد عبده وأستاذنا العقاد ، وكان مصدر اهتدائنا الى هذا المعنى الواسع - هو الآيتان القرآنيتان الاوليان من الآيات الست المذكورة آنفا .

ثم هناك كثير من المهذبين من اهل الكتاب

(٢) لم تأت كلمة الأمي مفردا أو جمعا في القرآن الكريم الا في هذه الآيات الست ، وقد ناقشنا الكلمة فيها جميعا .

يصفون النبي بانه رسول « الأميين » او رسول « العرب »،وهذا تفسير صحيح للأميين لكنه جزئي قاصر ، فالأميون عند اليهود هم من ليسوا يهودا ، سواء كانوا عربا او غير عرب ·

امية النبي

ولا شك فيامية النبيبمعنى انهليس مناليهود، وهذا واضح في الآيات القرآنية السابقة ، وهو اوضح مايكون في الآيتين الأولين من الآيات الست التي اوردناها ، ثم في الحديث النبوي،كما لاشك في امية النبي بمعنى عدم معرفته الكتابة ، ولكن لا بدليل الآيات الست السابقة ، بل بدليل آية اخرى من القرآن الكريم ايضا هي « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتابالمبطلون » وان الآياتالاخرى للقرآنالكريم وتاريخ السيرة النبوية تؤيد ذلك ، فقد افترى عليه اعداؤه فيحياته مفتريات كثيرةذكرها القرآن الكريم ورد عليها بالنقي ، وليس منها فرية انه كان يعرف الكتابة ، وبقية اخبار السيرة تؤيد عدم معرفته بالكتابة (واهمها اخبار صلح الحديبية) ولا شك عندنا انه عليه السلام لم يكن يقرأ او يكتب،وهذا ما تتفق عليهكل الاخبار ،ولا يقف على مماحكات المستشرقين فيذلك الا من كانمثلهم متغرضا ، و « الغرض مرض » كما يقال ·

الأمية وجهل الكتابة

ولا شك ان العرب استعملوا « الأمي » بمعنى الجاهل بالكتابة ، ويعلل الامام ابن جرير الطبري ذلك فيقول : « نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى امه في جهله بالكتابة ، دون ابيه » وخالفه بعض المفسرين في هذا المعنى ، ولم يعللوا مثله هذه النسبة ، ويظهر من هذا التعليل ان كلمة « الأمي » وان كانت واحدة،لكن لها مرجعين في النسب او النسبة : احدهما « الأمة » والآخر « الام » والمنسوبان متحدان في اللفظ ، ومختلفان في المعنى ، ومـا اجدرهذه التفرقة ان تكـون صحيحة ، ولكن لا بد هنا من ملاحظة ، فان نسبة المرء الى امه ، لجهله بالكتابة معا ليست تتاتى الا حيث تنتشر معرفةالكتابة بين الرجال،ولم يكن ذلك شائعا بين عرب الشمال في الجاهلية وصـدر الاسلام ، بل كان نادرا كالعدم ، فاما ان تكون الكلمةبمعنى«جهل الكتابة»قد ظهرتبعد شيوعمعرفة الكتابة بينهم ، وذلك لم يتم الا بعد انتشار الاسلام،او ان هناك «خطوة»متوسطةخطتها الكلمة ولم يتنتبه اليهـا ، وهـي « الأمي » ـ نسبة الى الام ـ بمعنى الساذج ، او الغفل الذي لم يثقف ولم يصقل اجتماعيا ،وهذا لا يتمالا بمعاشرةالرجال في المجتمع ـ ويمثلهم الاب ـ ولا يكفله الجو البيتي بنسائه وفي مقدمتهن « الام » وكلهن كالامهات ، ولهن طباعهن وعاداتهن الخاصة ، ويشهد لهذه الخطوة ان « الأمي » ـ كما جاء في لسان العرب ـ هو « العيي الجلف الجافي القليل الكلام » ، واستشهد لذلك بقول الراجز :

ولا اعـــود بعدهـــا كريـــا
امـارس الكَهلـةَ والصبيـــا
والعـــزب المنفـَّــةَ الأميـــا

اى لا اسير سيرة المكارين والاجراء في ملاعبة الفارغين من الكهلة والصبي والعزب الضعيف او الجبان الغفل الساذج ، ثم عقب لسان العرب بقوله : « قيل له « أمي » ، لانه على ما ولدته امه من قلة الكلام وعجمة اللسان » ولنا ان نتوسع فنقول : « ساذج » اى لم يصلح بعدُ لمجتمع الرجال ، وهذه الخطوة لازمة للانتقال بمعنى الأمي ـ نسبة الى الام ـ من معنى الساذج الذي لم يهذبه مجتمع الرجال ، الى معنى الجاهل بالكتابة التي هي من الخطوات الاولى للدخول في المجتمع الذي لا بد ان تكون الكتابة منتشرة فيه ، وغير نادرة ، ولم تنتشر الكتابة بين عرب الشمال ولا سيما البدو الا بعد انتشار الاسلام ، وميلهم الى الاستيطان ·

ترجمة جوييم وجنتيل

اسلفنا ان اليهود حتى اليوم يسمون من عداهم « جوييم »،(٣) وقد ترجمت هذه الكلمة في اللغات الاخرى بكلمة تدل على « الآخرين » مطلقة في ظاهرها ، ونسبية في حقيقتها ، لان هذه الكلمة ايا كانت ترجمتها لا بد انتكون دالة علىاستثناء من شيء تغايره وتقابله ، ومن هذه ـ كمـا

---

(٣) يطلق اليهود على غيرهم « جوييم » بمعانأخرى فهم يدينون بالههم « يهوه » فغيرهم جوييم اى « وثني » أو كافر ، لأنه لا يشاركهم في عبادةربهم الخاص بهم ، وان كان يؤمن بوحدانية الله ، ويرون انهم وحدهم الاطهار ، فغيرهم جوييم أى نجس ، وانهم البشر فغيرهم «جوييم» أى حيوانات

اسلفنا ـ الكلمة اللاتينية Gentilis ، التي لا تعني لغويا الا « الاخرين » وفي الاصطلاح الديني بمعنى « غير اليهود » ، ثم شمل معناها اخيرا « غير اليهود والمسيحيين » ، لان بعض المسيحيين من اصول يهودية ربطوا المسيحية باليهودية ، في عهد واحد متصل ، ثم قسموه قسمين : قديما وجديدا ، وسموا اسفار اليهود « العهد القديم » واسفار المسيحية « العهد الجديد » ولا موجب لهذه التسمية ولا لهذا العهد عند المسيحيين من اصول وثنية ، او اصول غير يهودية . ووجهة الاولين هي التي سادت في المسيحية اخيرا ، فبقي العهد متصلا ، او بقي العهدان متصلين ، وكلمة جنتيل اللاتينية هي التي انتشرت ـ مع بعض التغيير ـ في كثير من اللغات الاوربية ، بمعنى « غير اليهود » أحيانا ، ومعنى « غير المسيحيين واليهود » أحيانا .

ولا نعلم الكلمة العربية التي وضعها مترجمو اسفار العهدين او احدهما الى العربية في العصر العباسي حين ترجموا كلمة جوييم او جنتيل وما يرادفهما ، اذ لا شك ان بعض هذه الاسفار قد ترجم الى العربية ، ولكن هذه الترجمات ليست في ايدينا الآن ، واخيرا جاء المحدثون من مترجمي هذه الاسفار الى العربية فترجموا هذه الكلمة او هاتين الكلمتين بكلمة « الامم » جمعا ، ونسبوا اليها فقالوا : « أممي » و « أمَمِيّة » وهي ترجمة سديدة ، لم هي لازمة بعد ان شاع لفظ « الأمي » و « الاميين » لمن يجهل الكتابة ، حتى لقد نسخ ذلك ما سواه من معانيه الكثيرة ، فالنسبة الى الجمع على لفظه صحيحة وشائعة(٤) ، وضرورات التفرقة بين المعاني او الحاجة اليها تسوغ ذلك ان لم توجبه ، فاما ترجمتها بكلمة « الاجانب » فقاصرة غامضة ، واشد منها قصورا وغموضا وخروجا عن العربية ترجمتها ـ كما يفعل كثير من المترجمين المتعجلين ـ بكلمة « الاغيار » جمع « غير » لان كلمة « غير » متغرقة في الابهام، فما لم يكن المقابل لها حاضرا معها لم يُفهم لها معنى ، ولا شك ان كلا من لفظي « الأمي » و « الاميين » الذي ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العربالقدماء كانأولى بالاستعمال، لـولا التباسُ المعاني بعضها ببعض ، وجهلُ المقصود بالكلمة،ومنواجباللغاتازالةُ كلِّ لبس ما امكنت ازالته ، كما لا شك ان لفظ « الأمّي » يرجع الى كلمتين : « الأمة » و « الأم ». فاذا نسب الى الامة كان معناه « غير اليهودي » واذا نسب الى الام كان معناه الغفل الذي لا يقرأ ولا يكتب كانه الصبي الذي لم يفارق أمه .

الأمية والمعرفة والنبوغ

ونختم هذا التحقيق بملاحظة لا بد منها ، فنحن نربط بين الذكاء والنبوغ او المعرفة في جانب ، وقدرة الكتابة والتحصيل من الكتب في جانب آخر ، فضلا عن ربط ذلك بالتهذيب الخلقي، وفي مقابل ذلك نربط بين جهل الكتابة وبين التخلف في الذكاء او المعرفة ، كما نربط ذلك بالسذاجة او الجلافة ، وهذا وهذا من أغاليط الاوهام ، والشواهد التاريخية والمعاصرة تكشف هذه الاغاليط ، وتزيفها ، فكثير من زعماء الدول وقوادها في السياسة والادارة والحرب والاصلاح الاجتماعي قديما لم يكونوا يعرفون الكتابة ، وهم فخرُ أممهم ، ومنهم من هو فخرُ الانسانية عقلا وخلقا وذوقا واصلاحا،وكثير من العارفين بالكتابة بل القارئين لمئات الكتب متخلفون علما وعقلا ، وكثير منهم مَثَل في الفدامة ذوقا وخلقا ، وكم راينا بين اعيان البادية والريف حتى اليوم زعماءَ يحسنون من سياسة مجتمعاتهم وفض مشكلاتها واجتذابها الى الخير ما لا يحسنه ابناؤهم الذين تعلموا في الجامعات وحصلوا ارقى الشهادات ، وقد انتشرت معرفة الكتابة ، وعمت القراءة ، وكثرت الكتب وغيرها في هذا العصر كما لم يحدث في اي عصر من قبل ، فهل زادت نسبة النبوغ في اي جماعة ، أو حسنت التربية عما كانت عليه ؟

ان « الاميـة » أو « العامية » في الذوق والسلوك ، بل في العلم والفهم ـ لم تنحسر في ارقى الامم ثقافة وحضارة بقدر ما امتدت فيها معرفة الكتابة والقراءة ، وكثرة الكتب وغيرها من وسائل المعرفة ، فالرابطة بين النبوغ ومعرفة الكتابة وما اليها واهية ، وأوهى منها الرابطة بين النبوغ أو حسن التربية وبين الجهل بالكتابة وما يتبعها من مطالعات الأوراق وسواها . ■■

محمد خليفة التونسي

(٤) انظر مجلة العربي ـ العدد ١٧٩ ، ص ١٠٦ .

نظرة في ..

العقوبات البدنية
لاسيما للسارق والقاتل
في التشريع الاسلامي

بقلم : الدكتور جمال الدين محمد محمود

■ ظفرت الشريعة الاسلامية في مجال التشريع المدني بما تستحقه من تقديرعلمي لم يقتصر على علماء القانون من المسلمين ، بل تعداه الى علماء القانون من غير المسلمين ، والى المحافل العلمية الدولية التي أبدىعلماؤها ـ صراحة ـ تقديرهم العظيم للتشريع الاسلامي المدني موضوعاوصياغة .

غير ان التشريع الجنائي الاسلامي لم يظفر ـ للاسف ـ بذلك الاهتمام والتقدير سواء من علماء القانون المسلمين او من غيرهم،بل استهدف لكثير من النقد ، واول اسباب ذلك ان هذا التشريع لايكاد يطبق في البلاد الاسلامية ذاتها ، وسادت في هذه البلاد نظريات في التجريم والعقاب تختلف اختلافا كاملا عن السياسة الجنائية الاسلامية ، وبذلك لم يكن للتشريع الجنائي الاسلامي حظ التجربة التي تكشف عن الصلاحية او الجمود بوضوح كاف .

ومن اهم مواطن الخلاف بين التشريع الجنائي الوضعي ، والتشريع الاسلامي ـ ان الشريعة الاسلامية تعتمد العقوبة البدنية في سياستها الجنائية بصفة أساسية ـ وذلك في طائفة كبيرة من الجرائم : كجرائم الحدود ، وجرائم الاعتداء على النفس بالقتل ، او بما دون القتل ، فمن المعلوم ان الشرع الاسلامي يقسم ظاهرة الجرائم وعقوباتهاقسمين رئيسيين :اولهما ما نص الشارع فيه على الجريمة وعلى العقوبة وحدودهما تحديدا قاطعا لاخيار فيه للحاكم او القاضي ، وهذا القسم يشمل جرائم الحدود ، مثل : حد السرقة وحد الحرابة ، وحد الزنا ، وحد القذف ، وكذلك شرب الخمر وقد وردت عقوبات هذه الجرائم في القرآن او في السنة النبوية الصحيحة ، ومن هذا القسم ايضا جرائم الاعتداء على النفس بالقتل، او بما دون القتل ، اذ العقوبة الاسلامية مقدرة هنا ـ كاصل ـ بالقصاص ،وهو المماثلة بين الجريمة والعقوبة ، وفي جرائم الحدود والقصاص نجد ان العقوبة بدنية اى تلحق ببدن المجرم ، وهي مقدرة من الشارع ، ويتم توقيع العقوبة متى توفرت شروط انزالها ،فلا يجوز العدول عن عقوبة الحد أو عن القصاص الا لسبب تقرره الشريعة .

واما القسم الثاني من جوانب التجريم والعقاب في الشريعة الاسلامية فمرجعه في تحديد الجريمة وعقوبتها الى الحاكم او القاضي بحسب المصلحة والعدل،مما لايختلف في شيء عن اصول السياسة الجنائية الوضعية ، التي تتاثر بظروف الزمان والمكان والجريمة والمجرم .

العقوبات البدنية خاصة بعدد من الجرائم

وقد وردت العقوبة البدنية في القرآن الكريم لعدد من الجرائم ـ ففي جريمة السرقة قال تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » وفي جريمة الحرابة (وهي الاستيلاء على المال كرها بالقتل او

بغيره او قطع الطريق لاخافة الناس) قال تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا،اويصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من الارض» كما وردت عقوبة الجلد لجريمة الزنى فى قوله تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » كما وردت العقوبةلجريمة القذف(وهى اتهام شخص محصن بارتكاب جريمة الزنا وفقا لشروط معينة) قال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة » وهذه هى العقوبة البدنية فى جريمة القذف •

اما عقوبة الزانى المحصن ـ وهو من سبق له الزواج ـ فقد وردت فى السنة النبوية الصحيحة وهى الرجم (الموت رميا بالحجارة) ، كما وردت عقوبة شرب الخمر كذلك فى السنة النبوية الصحيحة ـ وهى الجلد •

وفى قدر العقوبة خلاف يسير ـ والارجح انها ثمانون جلدة • ومن اليسير ان نتبين ان الرجم ما هو الا عقوبة الاعدام،وتستوى الوسيلة ما دامت الغاية ازهاق روح المجرم•كما ان عقوبة الجلد قد عرفتها التشريعات الوضعية فى اوقات معينة•وقد طبقت حتى عهد قريب فىبعض الدول ، فى اوقات خاصة كاوقات الحروب ونحوها ، او بالنسبة لجرائم معينة ، كما طبقت بالنسبة لتنظيمات خاصة،كالنظم العسكريةاحيانا، واباحتها لوائح السجون والمعتقلات كعقوبة لنزلائها فى بعض المخالفات •

وهنا تبقى عقوبة القطع (قطع اليد فى جريمة السرقة ، او قطع اليد والرجل من خلاف فى جريمة الحرابة) ، كما تبقى عقوبة القصاص(وهى احداث نفس الفعل الاجرامى ببدن المعتدى على وفق شروط خاصة ، فى جرائم الاعتداء على النفس)ـ وهماعقوبتان بدنيتان تنكرهما التشريعاتالوضعية، وتستهدف كل منهما لجانب كبير من النقد من علماء القانون الوضعى الذين يضعون العقوبة البدنيةـ فى الغالب من كتاباتهم ـ ضمن مرحلة من مراحل تطور العقوبة •

عقوبة القطع والقصاص بدنيا

ونحن نحاول ان نلقى الضوء على هاتين العقوبتين ـ القطع و القصاص ـ من الناحية العلمية وفى اطار مقررات علماء القانون الجنائىالوضعىفى بحثهم لظاهرة الجريمةوالعقوبة•

ومن السهل ان نتصور ما يوجه الى عقوبتى القطعوالقصاصمننقد ـ بجسامةالعقوبة،ومساسها ببدن المجرم ونفسه ، ونتصور مع الناقدين ايضا ان السرقةقد تقععلى مال قليلفلا تستوىالجريمة والعقوبة ، او يعتدى على النفس نتيجة غضب، وكذلك قد يقضى بالعقوبة خطا ، فاذا تبينتالحقيقة بعد ذلك استحال رفع الضرر ، وقد تقع جريمة السرقة ممن تضطره الحاجة اليها •

واخيرا فلسنا فى حاجة الى زيادة عدد الذين يعجزون عن العمل فى المجتمع ، والعطاء له ، بسبب آخر هو العقوبة البدنية فاذا تصورنا هذه الانتقادات سهل علينا ان نناقش المسالة مناقشة علمية هادئة،بعيدة عن استفزاز المشاعر الانسانية ونعتمد فيها على العلم والاحصاء لظاهرة جرائم الاعتداء على النفس ، او اكتشاف افضل الوسائل لمواجهة هذه الظاهرة مواجهة حاسمة •

ان جريمة السرقة هى اعتداء يتوجه الى غريزة الاقتناء التى يشترك فيها جميع البشر ، كما ان جرائم الاعتداء على النفس تتوجه الى غريزة البقاء ذاتها وهى اوسع ، ويقع الاعتداء فى كليهما من شخص يرضى نفسه هو بطريق شاذ ، فيعتدى على حق غيره فى ممارسة هاتين الغريزتين •

يقول الاستاذ موراش (Maurach) منعلماء القانون الجنائى « يجب ان يكون تقدير المشرع حول احقية السلوك للعقوبة متفقا مع جسامة هذا السلوك » كما ان علماء القانون الجنائى الوضعى يسلمون بان الدولة ـ حين تكافح الجريمة عامة ـ انما تكافح سلوكا يهدم كيانها ، فهى تدافع عن حقها فى البقاء، وان جهاز القانون الجنائى يكلفالدولة فىتسييره اعباء مالية كثيرةفى الوقاية من الجريمة ، والتحرى عن مرتكبها ، وملاحقته ، وتقديمه للقضاء ، وتنفيذ ما يصدر ضده من احكام ، ولذلك يقول احد علماء القانون الجنائى : ان حق الدولة فى انزال العقاب بالمجرم « سيف بلا مقبض يجرح الضارب والمضروب » •

فاذا نظرنا الى عقوبتى القطع فى السرقة

والمرابة ، والى القصاص الذى ينزل بالمجرم فى جرائم الاعتداء على النفس ـ كما قدرنا وجدنا ان جرائم الاعتداء على النفس والمال اكثر الجرائم انتشارا وشمولا فى المجتمع الانسانى ، وهى جرائم وقعت منذ القدم وما تزال تتطور وسائلها وطرق ارتكابها بحسب المجتمع الذى تقع فيه • ولا بد لذلك من مقاومة ضررها الاجتماعى غير المباشر (الذى يلحق بالمجتمع وليس بالمجنى عليه وحده) ومواجهة ذلك بحزم ، واذا تصورنا مجتمعا انسانيا من مليون نسمة يتهدده عشرات قليلة من الافراد فى أمنه على النفس والمال فاننا عندئذ نفضل مواجهة هذا الخطر باجراء حاسم ضد هذا العدو الضئيل ـ بدلا من ان يتحمل مليون شخص نتائج الخوف ، على النفس والمال ، وتكاليفه المادية والنفسية المستمرة • وتبدو العقوبة البدنية الشديدة هنا كانذار مبكر لعدد محدود للوقاية ، لا لتعميم العلاج او انتشار تطبيقه •

الاحصاءات تنير طريق الباحث

ويجب هنا ان نقف متأملين الاحصاءات فان احصاء تنشره احدى الدول الاسلامية يدل على ان جرائم السرقة التى وقعت فيها خلال عام ١٩٦٨م يبلغ من الجنايات والجنح ٣٣٤ ، و ٦٠٣٥١ (على التوالى) وان هذا العدد فى سنة ١٩٦٩ قد بلغ ٣٢٦ ، و ٦٢١٩٦ • وفى عام ١٩٧٠ بلغ العدد ٣٧٧ ، ٥٩٠٥٨ ـ كما يتبين من ذلك الاحصاء ان من حكم عليهم فى جرائم السرقة ـ وفى الجنح فيها فحسب ـ هو فى السنوات الثلاث ٢٥٨٧٣ ، ٣١٣٩٦ ، ٢٧٤٧٩ بالتوالى ، فالجملة ٨٤٧٤٨ •

كما ان ذلك الاحصاء بالنسبة لجرائم الاعتداء على النفس بما دون القتل ـ يدل على ان هذه الجرائم فى السنوات الثلاث تتفاوت بين اعتداء خطير قد يسبب الموت او العاهة،وبين اعتداء بسيط يبلغ بالنسبة للاعتداء الجسيم الذى يعد جناية عاهة،وعدد هؤلاء المحكوم عليهم هو ١١٦٠ ، ١١٨٤ ، ١٠٥٠ على التوالى فى السنوات الثلاث،وعدد المحكوم عليهم للاعتداء الذى ادى الى الموت (وان لم يقصد به القتل ابتداء) هو ٣٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٧٠ على التوالى ، اما من حكم عليهم بالعقوبة بسبب اعتداء على النفس لا يعد جناية ـ فعددهم فى السنوات الثلاث المشار اليها يبلغ ٦١٢٤٤ ، ٦٠٠٥٠ ، ٥٩٤١٢ على التوالى وجملة ذلك فيمن حكم عليهم فى جرائم الاعتداء على النفس فى السنوات الثلاث يكون ١٨٤١٠٠ شخص (١) •

هنا تبرز الحقيقة التى اشرنا اليها من قبل ، وهى ان انزال العقاب بالمجرم يجرح المجتمع حقا ، فاذا حددنا متوسطا للعقوبة التى قبض بها على كل واحد من هذا العدد الضخم فى السنوات الثلاث بعقوبة الحبس لمدة ثلاث اشهر فقط ـ وهو تقدير شديد التواضع ـ فكم يضيع على المجتمع من ايام العمل وشهوره واعوامه ؟ وكم يتكلف المجتمع من اموال الأبرياء ، لاعالة هذا الجيش الكبير فى السجون اطعاما وكساء وايواء وحراسة وتعليما ـ ان كانت العقوبة اليسيرة السالبة للحرية وسيلة للاصلاح ـ وهو ما يشك فيه علماء القانون الجنائى انفسهم •

هنا نجد ان التهديد بالعقوبة الجسيمة يصبح واجبا للوقاية من هذه النتائج ـ فالمجتمع لايتمتع بالامن بطريقة حاسمة وهو مع ذلك يدفع تكاليف باهظة ، ولسنا فى حاجة الى اثبات سعة انتشار هذه الجرائم فى البلاد كلها ، حتى المتمدين منها، والتى نقرأ ان فيها عصابات متخصصة تحترف الجريمة ولا تفتقر الى السلاح ، مما تنشر الصحف انباءه ، واحيانا تنشر ما لكبار مجرميها من اقوال ومذكرات •

هذا عن وجه المصلحة ـ اما من ناحية المشاعر الانسانية التى قد تفزع لجسامة العقوبة البدنية ، فيجب ان يكون لدينا احصاء عن نتائج اعتداءات فئة محدودة ، اداتها القضاء الجنائى : نتائج اعتداءاتها على آحاد او عشرات او مئات او الاف من المجنى عليهم •

ان مشاعر العطف على المجرم بسبب جسامة العقوبة تتم فى غيبة كاملة عن مصير المجنى عليهم ـ وهم اولى بهذه المشاعر ، ويجب الا تقتصر هذه المشاعر الطيبة على استنكار عقوبة بدنية جسيمة، وانما يجب ان تستنكر كل عدوان على جسد آدمى مهما كان الباعث عليه ، او شخص من قام به •

---

(١) من الاحصاء القضائى السنوى الذى تصدره وزارة العدل بجمهورية مصر العربية ـ الجداول ١٣، ١٥ ، ٢١ ، ٣١ من هذا الاحصاء •

درء الحدود بالشبهات

ومع ذلك فهل العقوبات البدنية فى التشريع الاسلامى بحسب ضوابطه المقررة علميا تؤدى الى حرمان عدد كبير من الناس من سلامة ابدانهم ؟

اشك فى ذلك،لان هذه العقوبة الجسيمة تندرىء بالشبهة اليسيرة طبقا للحديث الشريف « ادرءوا الحدود بالشبهات » وهو خطاب للحاكم والقاضى ، ولقد فهم الفقهاء المسلمون ذلك منذ مئات السنين ، فما اكثر الشبهات التى عددها الفقهاء ، لتجنب انزال حد القطع فيما يعد من جرائم السرقة فى الشرع والقانون الوضعى (٢) ، فلا قطع فى سرقة على قليل (يقل عن عشرة دينارات على رأى من الآراء) (٣) ولا قطع فى السرقة من الشجر او التمر ، او السرقة من مكان عام ـ بل من مال عام ، ولا قطع فى سرقة مال يُهمل صاحبه ان يضعه فى حرز امين يليق بمثله،وهناك من الظروف مايطرأ حتى بعد الجريمة ، فيسقط الحد ، كايلولة المال المسروق الى الجانى بوجه من الوجوه ، واهم منذلك ان تنعدم ـ لدى السارق،كل ضرورة وحاجة للسرقة وان يتوفر لاثبات التهمة عليه شاهدان عدلان او يعترف اعترافا صحيحا امام القضاء، فقواعد الاثبات هنا تقيد القاضى الجنائى ٠

وكذلك فى جرائم الاعتداء على النفس ، فقد اخرج الفقهاء المسلمون معظم الاصابات التى تلحق الجسد من عداد ما يستوجب القصاص ـ وهو العقوبة البدنية ـ فلا قصاص فى اصابة تلحق العظم ، او جرح تستحيل معه المساواة ، او يكون فى انزال العقوبة بالجانى خطورة عليه حتى لسبب يتعلق به ـ ويرجع فى انزال العقوبة الى اهل الخبرة الذين يجب ان يقرروا امكان تحقيق المماثلة بين الجريمة وعقوبتها ،وضابط ذلك كله ان تتحقق المماثلة الكاملة بين الجريمة والعقوبة ،بحيث يُؤمَن عند التنفيذ من وقوع حيف على الجانى ٠

سقوط عقوبة القصاص

وفضلا عما تقدم فان عقوبة القصاص تسقط بعفو المجنى عليه عن حقه نظير مال ، او بغير مال، كماتسقط فى أحوال ليست بالقليلة ، لاسباب راعاها الشارع ـ فاذا اعتبرنا حالة العفو العامة، وحالات سقوط القصاص ، امكننا ان نقول : ان تطبيقه يضيق ، الا عن الحالات التى يبدو هو فيها انسب وسيلة للعقاب منوجهة نظر المصلحة والعدل ٠

عقوبة التعذير

ولا يخفى ان عدم تطبيق العقوبة البدنية فى جرائم السرقة ، او الاعتداء على النفس ـ يرجع بنا الى تطبيق التعزير ـ باعتبار العقوبة الشرعية ،وبتحد بذلكموضوع العقوبة ووسيلتها فى الشرع الاسلامى وفى التشريع الوضعى،مادمنا قد خرجنا فى الواقعة محل النظر عن الالتزام بالحد او القصاص ، وعندئذ يمكن اختيار العقوبة الملائمة بحسب مقررات التشريع الوضعى ٠

ان الضوابط التى تطبق بها العقوبة البدنية فى التشريع الجنائى الاسلامى ، والضمانات الاكيدة فى مجال الاثبات لضمان سلامة التطبيق ، يحقق لنا الموازنة بين فرض العقوبة البدنية الشديدة وبين الابتعاد بها عن احتمالات الخطأ،وليت التشريع الاسلامى ياخذ حظه فى التطبيق ولو تدريجيا،وسنرى ان كثيرا من القرارات التى تسير عليها السياسة الجنائية الوضعية تحتاج الى التامل والمراجعة٠

■■

جمال الدين محمد محمود

مستشار باللجنة العليا لمراجعة التشريعات
المحكمة العليا ـ طرابلس ـ ليبيا ٠

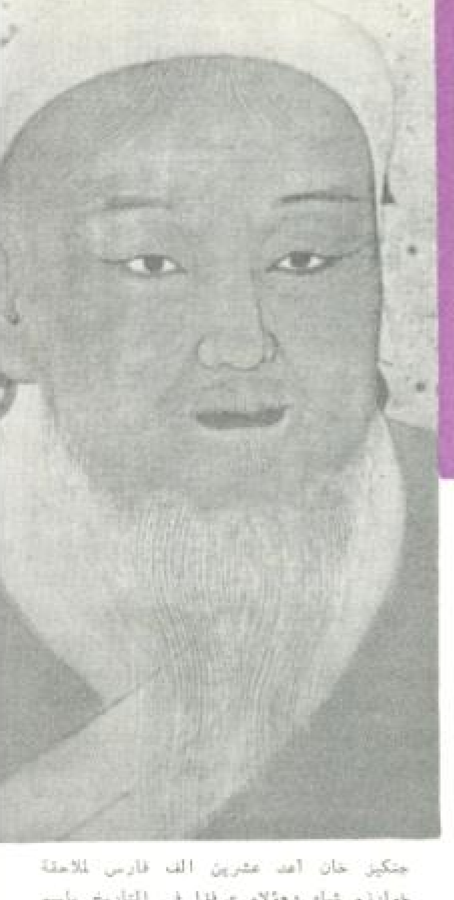
(٢) فى شبهات السرقة تراجع الكتب الآتية:البدائع ص٧ والمبسوط فى الفقه الحنفى ، ونهاية المحتاج ص٧ والاحكام السلطانية للماوردى فى الفقه الشافعى،ومنح الجليل جـ ٤ فى الفقه المالكى ، وكتاب المغنى لابن قدامة جـ ٩ فى الفقه الحنبلى ٠

(٣) باعتبار قيمة العملة بالنسبة للذهب او الفضة فى نصابهما الشرعى ٠

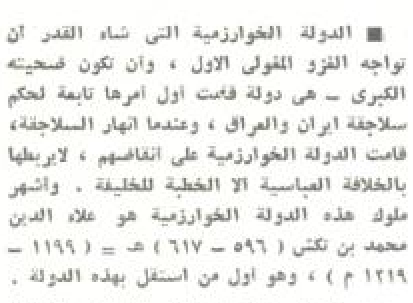
(العربى) ومع ذلك نذكر بيتاى العلاء المعرى :

يـد بخمـس مـئين عسـجد وديـت ما بالهـا قطعـت فـى ربـع دينـار

غزو المغول للدولة الخوارزمية



جنكيز خان أعد عشرين الف فارس لملاحقة خوارزم شاه وهؤلاء عرفوا في التاريخ باسم (التتر المغربية) .



■ الدولة الخوارزمية التى شاء القدر أن تواجه الغزو المغولى الاول ، وأن تكون ضحيته الكبرى ـ هى دولة قامت اول أمرها تابعة لحكم سلاجقة ايران والعراق ، وعندما انهار السلاجقة، قامت الدولة الخوارزمية على انقاضهم ، لايربطها بالخلافة العباسية الا الخطبة للخليفة . وأشهر ملوك هذه الدولة الخوارزمية هو علاء الدين محمد بن تكش (٥٩٦ ـ ٦١٧) هـ = (١١٩٩ ـ ١٢١٩ م) ، وهو اول من استقل بهذه الدولة .

ومن اعماله المذكورة قتاله الضارى للخطا(١) وتغلبه عليهم ، ومنها توسيعه رقعة المملكة ، حتى لقد امتدت بحسب التقسيم الجغـرافى الاسلامى القديم من حد العراق الى تركستان ، ودخل فيها بلاد غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل ، بما فيها أصفهان والرى، وبعض الهند . ثم تجاوز ذلك الى ما وراء النهر كبخارى وسمرقند .

وهى كما نرى رقعة طويلة عريضة يمكن أن تؤلف دولة كبرى .

ويحدد ابن الاثير فى الكامل شمول هذه الدولة الخوارزمية وامتدادها ونفوذها فى عهد علاء الدين خوارزم شاه بقوله : لم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه (٢) .

غير ان السلجوقية زادت عليه بانها سيطرت على الخلافة فى بغداد وخطب لملوكها فيها ، فى حين ان خوارزم شاه حاول ذلك ولكنه فشل .

ومن عجيب امر علاء الدين الذى (فعل الافاعيل

---

(١) الخطا : أمة من الترك الوثنيين ، فرضوا فى وقت من الاوقات الجزية على بلاد المسلمين فيما وراء النهر ، وكانت بينهم وبين المسلمين احداث وخطوب ، منها هزيمتهم للسلطان سنجر السلجوقى (٥٣٦ هـ = ١١٤١ م) ، تلك الهزيمة التى سيطروا بعدها على بلاد ما وراء النهر ، الى ان غلبهم عليها علاء الدين خوارزم شاه .

(٢) يروى صاحب (مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب) انه : (قيل ان جيش علاء الدين بلغ اربعمائة الف مقاتل) .

غزوة على المسلمين مهلكة ضارية :

ذبح رجال ، وسبي نساء ، ونهب أموال وذهاب دولة ، هي الدولة الخوارزمية ، من الوجود

بقلم : حسن الأمين

العظيمة « بالخطا » وملك بلادهم) على حد تعبير ابن الاثير ، انه هو هو نفسه الذى انهار انهيارا كاملا بعد لقائه الاول بالمغول كما سترى ، وان بين هذين الامرين تناقضا اى تناقض ، حتى انك لتكاد لا تعرف الرجل الاول في الرجل الثاني وتكاد تشك في أنهما رجل واحد .

فطنة متأخرة

لو ان الفطنة التي لمعت في ذهن خوارزم شاه بعد أن قتل تجار المغول ، كانت قد ومضت له قبل أن يفعل فعلته ، لاعتبر قائدا حكيما ، يعرف كيف يزن خطواته ويعالج متاعبه . ولكن الحذر الذي بدا انه يتحلى به جاء متاخرا جدا . فانه بعد أن امر واليه في (اوترار) بقتل موفدي جنكيز خان ، زعيم المغول ، ومصادرة اموالهم ، دون تروٍّ وتفكير في العواقب ، وبعد أن أوقع الواقعة بينه وبين الطاغية ، دون النظر الى قوته وتقدير تلك القوة ، ومدى مقدرته على مقاومتها واستطاعته الوقوف في وجهها ، عاد يفكر فيما كان يجب ان يفكر فيه من قبل ، عاد يفكر حين لم تعد فائدة من التفكير ..

اذ انه ارسل جواسيسه الى جنكيز خان يتحرون له حقيقة قوة هذا المتحفز للانتقام المتربص به ساعة الانقضاض ، وليروا بأعينهم صدى ما جرى على تجاره وموفديه من قتل وسلب وماذا يبدو أنه يريد أن يفعله ردا على ما جرى .

ومضى الجواسيس ثم عادوا بعد رحلة بعيدة شاقة حاملين صورة رهيبة لما رأوا وما سمعوا . ولكي نترك الصورة على ما عرفها سامعوها يومذاك ندع كلمة ابن الاثير تظهر كما هي حين قال يصف عودة الجواسيس : « .. فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الاحصاء ، وانهم من أصبر خلق الله على القتال ، لا يعرفون هزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بأيديهم » .

وهكذا نرى انه قد تجمع للمغول كل مقومات الجيش المستفرى ، كثرة عدد ، وصبرا على الشدائد وتمرسا بالحروب ، وتعودا للنصر ، واكتفاء ذاتيا بالسلاح . وهي صفات مخيفة حقا جعلت خوارزم شاه في وضع يقول عنه ابن الاثير : « فندم خوارزم شاه على قتل اصحابهم واخذ اموالهم . وحصل عنده فكر زائد » .

استشارات

فرأى ان يستشير اهل الرأى فيما ينبغي عمله ، وقسم الاستشارة الى نوعين : استشارة فردية لشخص بعينه كان يثق به ويطمئن اليه ، يبدو انه كان بمثابة مستشاره الدائم لدى الازمات ، وهو الشهاب الخوقي .

واستشارة جماعية لامرائه ورجاله مجتمعين . ويصف ابن الاثير المستشار الشخصي لخوارزم شاه بانه : « فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف مايشير به » .

فالصفة الاولى للرجل هي انه فقيه ،

ولكن الاعتماد على آرائه لايدل على انه فقيه متواكل متكاسل متخاذل ، مكتف من الفقه بمواعظ يرددها واحكام يطلقها ، بل هو الفقيه العالم - كما يريده الاسلام - رجل العلم والعمل والجد والمشاركة في الشؤون العامة مشاركة صحيحة سليمة .

لقد كان من رأى المستشار خطة لاهي بالهجوم المحض ولا بالدفاع المحض ، بل هي بينهما ، وان كانت في النهاية تفضي الى الدفاع لا الى الهجوم .

لقد كان رأى الشهاب ان يستنفر خوارزم شاه الاطراف ويجمع العساكر ، او بالاحرى ان يعلن ما نسميه في مصطلحنا الحديث : « التعبئة العامة » . ثم تتحرك الجيوش في اتجاه ارض المغول حتى تصل نهر (سيحون) وهو النهر الكبير الفاصل بين المغول والخوارزميين ، وعلى ضفة النهر ترابط القوى الخوارزمية جاعلة من النهر حائلا مائيا بينها وبين اعدائها ، تاركة محاولة العبور الشاقة للعدو بعد ان تكون قد سبقت الى الضفة فاستراحت منتظرة وصول العدو المتعب المكدود فتقاتله مستريحة .

اما راى العسكريين والاداريين ، فقد كان على العكس من ذلك ، لقد كان رأيا دفاعيا محضا ، يرى بان يترك العدو يعبر النهر ، ثم يوغل في الجبال والمضايق ، فيكون في طريق يجهلها ، بينما يعلمها الخوارزميون .

الصدام المروع

على ان جنكيز خان قطع عليهم الحوار بمجموعة من رجاله اوفدها اليهم حاملة الى خوارزم شاه التهديد والوعيد ، قائلا : (تقتلون اصحابي وتأخذون اموالهم ... استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به) . فقبض خوارزم شاه على رئيس الوفد فقتله ، وامر بحلق لحى الباقين ، واعادهم الى جنكيز خان يخبرونه بما حدث لهم ولرئيسهم ويقولون له ان خوارزم شاه سائر اليك يلحقك باصحابك .

وهكذا اصبح خوارزم شاه ملزما بالزحف الى عدوه ، محاولا مباغتته واخذه على غرة ، وظل في سيره اربعة اشهر حتى انتهى الى ديار المغول فلم يجد فيها المقاتلة ، بل وجد النساء والصبيان والاطفال فغنمهم ، وغنم مافي ديارهم ، وقبل ان يقفل راجعا ، كان الخبر قد وصل الى المغول الذين كانوا قد تركوا ديارهم في غزو لهم لبعض الاتراك عادوا منه منتصرين ، فاسرعوا عائدين الى ديارهم فادركوا فيها الخوارزميين ، فاشتبكوا معهم في قتال عنيف دام ثلاثة ايام بلياليها وسقط فيها ما لا يحصى من القتلى ، وصبر الفريقان وثبتا لايحولان .

لم يكن الجيش الذى اصطدم بالخوارزميين هو الجيش الرئيسي ، ولا كان في قيادته جنكيز نفسه ، بل كان الجيش بقيادة ولده ، وكان جنكيز لم يصل بعد . وبلغ عدد قتلى الخوارزميين في هذه المعارك عشرين الف قتيل .

وايقن الفريقان ان احدهما لن ينال من الاخر منالا ، وان كلا منهما صامد صابر لايستطيع عدوه ان يكسب النصر عليه . وحين اقبل الليل عزم كل منهما على الانسحاب دون ان يشعر الفريق الاخر بذلك لئلا يتعقبه فيحيل انسحابه الى هزيمة ، لذلك عمد المغول الى ايقاد نيرانهم وتركوها منسحبين ، وكذلك فعل المسلمون .

الهزيمة النفسية

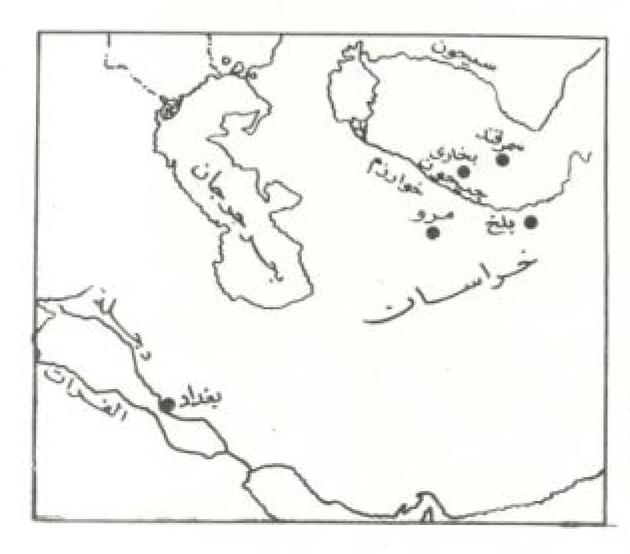
واذا كانت هذه المعركة لم تنته بهزيمة خوارزم شاه العسكرية ، فانها انتهت بهزيمته النفسية ، ذلك انه رأى انه خاض معركته بكل قواه ، ومع ذلك لم ينتصر على قطعة واحدة من جيش المغول . انه لم يقابل جنكيز خان في القتال ، بل ولده الذى كان يقود بعض المغول ، فكيف اذا قابل غدا جنكيز خان نفسه في كل المغول ؟

اما الخطة الجديدة التي باشر خوارزم شاه تنفيذها فقد كانت خطة انهزامية بحتة ، كانت تقضي هذه الخطة بعدم الاصطدام بالمغول بنفسه فانسحب الى بخارى مستعدا للحصار . ثم ترك من جيشه عشرين الف فارس في بخارى لمشاركة اهلها في الدفاع عن مدينتهم ، وكذلك فعل في سمرقند فترك لهم خمسين الف فارس ، وامر اهل المدينتين بجمع الذخائر والمؤن استعدادا لحصار طويل ، ووعدهم بالعودة اليهم بعد جمع العساكر الجديدة والاستنجاد بالمسلمين .

ثم مضى ذاهبا الى خراسان فعبر نهر جيحون ونزل بالقرب من مدينة بلخ حيث اتخذ من ذلك المنزل مقرا له .

المغول يزحفون

واما المغول فبعد ان حشدوا قواهم واعدوا



خريطة تبين نهر « سيحون » الفاصل بين « المغول » والخوارزميين وتظهر في الخريطة « خراسان » ونهر « جيحون » ومدينة « بلخ » .

امرهم ، زحفوا يطلبون (ماوراء النهر) فوصلوا اول ماوصلوا الى بخارى بعد خمسة اشهر من وصول خوارزم شاه اليها ، فاحكموا حصارهـا (وقاتلوها ثلاثة ايام قتالا شديدا متتابعا) على حد تعبير ابن الاثير . ولكن الملك كان قد اعدى شعبه بروح الهزيمة وسرى الفشل النفسي منه للناس بعد آن رأوه يبتعد عن طريق المغول ، ويوكل للناس ان يدافعوا عن انفسهم ، وهكذا فان الحصار الذى حسبه خوارزم طويلا لـم يطل اكثر من ثلاثة ايام ، وكان اول المنهزمين فرسانه العشرين الفا الذين تركهم (الشاه) في بخارى ، فخرجوا منها يطلبون خراسان ، واصبح اهل بخارى وقد راوا انفسهم وحدهم. لذلك فاننا لانعجب اذا راينا انه لم يبق في نفوسهم بقية قوة ولا في معنوياتهم اثر لم يتهدم ، فقرروا التسليم وجعلوا رسولهم الى المغول قاضي البلد (بدر الدين قاضي خان) فطلب من المغول الامان لاهل بخارى فاعطوهم الامان ، وفتحت المدينة ابوابها لهم يوم الثلاثاء (رابع ذى الحجة سنة ست عشرة وستمائة) فدخلوها ولم يتعرضوا لاحد من اهلها باذى . وكل مافعلوه هو ان طلبوا من البخاريين معاونتهم على قتال من بقي في القلعة من الخوارزميين . ذلك ان بقية من الفرسان لم تستطع الانسحاب مع من انسحب ، فلجأت الى القلعة .

واضافوا الى هذا الطلب طلبا ثانيا هو ان يقدموا لهم كل ما لشاه خوارزم من مال وذخيرة . ثم ساروا فيهم احسن سيرة .

واقبل جنكيز خان على المدينة ودخلها مشرفا بنفسه على حصار من بالقلعة من الخوارزميين ، وطلب بان لا يتخلف احد من البخاريين عن المشاركة في هذا الحصار ومن تخلف قتل .

فاستجاب البخاريون فامرهم بردم الخندق المحيط بالقلعة بالاخشاب والاحجار ، وكان المغول يقتلعون منابر المساجد ويحملون ربعات القرآن التي تودع عادة في المساجد بكثرة ، واضمن كل ذلك في الخندق مساعدة في ردمه .

اما الذين في القلعة فكانوا لايتجاوزون الاربعمائة الفارس فصمدوا في القتال اثني عشر يوما ، ولما تم ردم الخندق ووصل المغول الى سور القلعة نقبوه على مـن في القلعة فاشتـد القتال واستمات الخوارزميون بحيث اعجزوا المغول عن ان ينالوا منهم منالا ، وقد استعملوا في قتالهم كل ماوصلت اليه ايديهم ، استعملوا السهام والحجارة والنار ، فاشتد حنق جنكيز عليهم ، وامر بالارتداد عنهم ، ثم باكرهم من الغد فصمدوا صمودهم بالامس

ولكنهم كانوا قد اعيوا ، وظلوا يقاتلون حتى ابيدوا .

مصير بخارى

وهنا تفرغ جنكيز خان للبخاريين فطلب ان يكتب له اسماء رؤساء البلد ، ثم احضرهم بين يديه وطالبهم بما اشتروه من خوارزم شاه من الاموال التي اخذها من تجار المغول المقتولين ، وقال لهم : هذه الاموال اموالنا ، فراح كل من عنده شيء منها يعيده ثم امرهم بالخروج من البلد .

فخرجوا لا يحملون سوى ملابسهم على اجسادهم ، وانطلق المغول في بخارى يقتلون وينهبون ويهدمون ويهتكون الاعراض . ووجد من ابى ان يحتمل مانزل من الهوان والشنار فجرد سيفه يقاتل حتى قتل ، وبين هؤلاء الفقيه ركن الدين امام زاده وولده والقاضي صدر الدين خان . ثم اشعل المغول النار بالمدينة ، ومضوا عنها الى سمرقند مستصحبين معهم من سلم من البخاريين اسارى .

لم يكن رجل الموقف

بعد المعركة الاولى التي التقى بها خوارزم شاه بالمغول وانسحب عنهم بجيشه ، لم يحاول ان يلتقي بهم بنفسه ، وكان قد ترك في سمرقند خمسين الف مقاتل ليدافعوا عن سمرقند مع السمرقنديين . ثم اخذ يحاول جمع المقاتلة وارسالهم الى سمرقند مددا لها ، ولكن الرعب كان قد سيطر على النفوس ، فكان اذا ارسل نجدات تملصت ولم تصل الى سمرقند . فقد ارسل مرة عشرين الف مقاتل ليتضموا الى حامية سمرقند فلم يواصلوا السير ، وكذلك ارسل مرة عشرة الاف ففعلوا كالاولين .

والواقع انه مادام الرعب قد سيطر على القائد الاول ، ومادام الرجل الذي جعلته المقادير زعيم المقاومة ، ينهار بعد الصدمة الاولى ، فلماذا نلوم تلك الفرق من الجند على تملصها من القتال مادامت تجد القائد الزعيم الموجه مرعوبا مستسلما لليأس بعيدا عن المعركة .

من هنا نستطيع القول ان علاء الدين محمد خوارزم شاه لم يكن الرجل المعد لمثل هـذه الاحداث . ومن سوء حظ المسلمين في ذلك العصر ان الذي واجه رجلا مثل جنكيز خان هو علاء الدين محمد ، فعندما لاحت له المغانم في ايدي تجار المغول سهلة هينة اسرع لانتهابها وقتل اصحابها ، متصرفا تصرف الرجل الاحمق الذي لاتسيره الا المطامع الرخيصة . وعندما جد الجد فر من الميدان وتباعد عن لقاء العدو تاركا عبء ذلك على شعب حائر مشتت يفتش عمن يقوده فلا يجد .

تحطيم المعنويات

لم يكن يخفى على المغول ان قوى كبرى تنتظرهم على الطرق الطويلة ، كما لم يكن يخفى عليهم مايمكن ان يفعله الانهيار المعنوي في نفوس تلك القوى ، لذلك عمدوا الى خطة تحطم روح المقاومة في المسلمين ، حتى اذا تحطمت لم تفد عند ذلك الكثرة والوفرة ، وكانوا على علم بان قوى سمرقند اضخم من قوى بخارى ، وان مايمكن ان تحشده تلك لم يكن مستطاعا لهذه . كما انه لم يكن ليخفى عليهم ان مافعلوه في بخارى وما نكثوه من عهود وما حل بالمدينة العظيمة من الفواجع سيكون حافزا للسمرقنديين على عدم الاستسلام ، وعلى المقاومة المستميتة . لذلك عمدوا الى الحرب النفسية واعتمدوا على التهويل لينهار السمرقنديون نفسيا ويقتلوا روحا فلا تبقى فيهم الا اجسام لا ارواح فيها ولا نفوس تاوى اليها وبذلك يسهل اخذ الاجسام الخاوية الخالية .

الزحف الى سمرقند

الخطة التي اعتمدها المغول كانت ترتكز اول ما ترتكز على تضخيم صورة الجيوش الزاحفة الى سمرقند ، فعمدوا اولا الى حشد جميع البخاريين الذين سلموا من القتل وساقوهم معهم وكل من عجز عن السير قتلوه ، فلما دنوا من سمرقند قدموا خيالتهم ومن ورائها رجالتهم ومن وراء الرجالة الاسارى البخاريون باعدادهم الكثيرة ، ووراء البخاريين الاثقال والاحمال . واعطوا كل عشرة من البخاريين علما يرفعونه امامهم ، ايهاما لمن يراهم انهم من صميم الجيش .

وتقدم الخيالة فادركوا سمرقند ، وفي اليوم الثاني تقدمت تلك الجموع منتشرة على الطرق بكثافتها وتكتلها ، فاحدث ظهورها اثره في نفوس السمرقنديين ، وهالهم ماراوا من اعداد زاحفة اليهم ، ظنوها كلها جنودا مقاتلة .

الدفاع عن سمرقند

وكانت قوى السمرقنديين مؤلفة اولا من

الخمسين الالف المقاتل الذين تركهم علاء الدين للدفاع عن سمرقند ، ثم من اهل سمرقند انفسهم الذين يقول ابن الاثير انهم لا يحصون كثرة . ومن هنا يتبين ان قوة الدفاع لم تكن ضعيفة ولا سهلة الاخذ ، لو انها كانت تتمتع بقيادة مؤمنة شجاعة ، ولو انها كانت كلها على مستوى رفيع من المعنويات يتفق مع ما هي عليه من الماديات .

واول خذلان اصابها هو ان الخمسين الالف المقاتل الخوارزميين كانت قد ماتت فيهم عزيمة المقاومة وتملكهم الرعب فابوا المشاركة في القتال . ولكن هذه الصدمة لم تضعف السمرقنديين ، فتقدم رجالتهم خارجين من البلد وزحفوا للقاء المغول امامهم ، وقد وضعوا لهم كمينا فلما جاوزوه خرج عليهم الكمين ، وقطع عليهم طريق الرجوع ، فاحيط بهم من الامام والوراء فاستقتلوا فابيدوا عن آخرهم . ويقدر ابن الاثير عددهم بسبعين الف شهيد .

فلما راى من بالبلد ما حل بالخارجين ، كان الجنود الخوارزميون اسرع الناس الى التسليم ، فقد اعتقدوا ــ وهم اتراك من جنس المغول ــ ان الرابطة العنصرية ستنجيهم من القتل فطلبوا الامان فاعطوه ففتحوا ابواب المدينة ولم يقدر الناس على منعهم ، وخرجوا الى المغول باهلهم واموالهم ، فطلب المغول منهم تسليم السلاح اولا، وتعهدوا لهم بايصالهم الى مامنهم ، فلما سلموا السلاح ، عمل المغول فيهم السيف حتى افنوهم جميعا واخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم .

وفي اليوم الرابع وذلك في المحرم من سنة ٦١٧ للهجرة اعلنوا في المدينة بان يخرج اهلها جميعا ومن تأخر قتل ، فخرج الجميع رجالا ونساء واطفالا ، فاعادوا ما فعلوه في بخارى من القتل والنهب والسبي والاسر والتعذيب والهتك .

مطاردة خوارزم ونهايتـه

بعد سمرقند كان هم جنكيزخان ملاحقة خوارزم شاه نفسه فاعد لذلك عشرين الف فارس جعل مهمتهم الوصول الى خوارزم شاه ، وهؤلاء عرفوا في التاريخ باسم (التتر المغربة) لان اتجاههم كان الى غرب خراسان وتمييزا لهم عن بقية المغول الذين عهد اليهم بمهمات اخرى .

ومضى التتر المغربة حتى بلغوا النهر في مكان يدعى (بنج آب) اي المياه الخمسة ، فكان النهر حاجزا بينهم وبين خوارزم شاه ومن معه من المقاتلة ، ولم يطل الامر ، بل عمدوا الى صنع احواض من الخشب غلفوها بجلود البقر ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم واطلق كل واحد منهم فرسه في الماء ممسكا بذيل الفرس وشادا اليه الحوض الخشبي فانطلقت الخيل في النهر دفعة واحدة جارة وراءها الرجال ، والرجال بدورها تجر الاحواض . فلم يشعر خوارزم شاه ومن معه الا والمغول معهم على ارض واحدة .

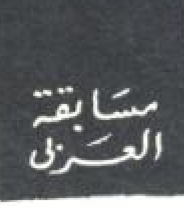
وقد كان الحاجز المائي باعثا على تماسك المسلمين اول الامر ، فلما عبر المغول الحاجز انتهى كل شيء وساد الرعب والهلع ، وانفرط النظام ، واصبح هم كل جماعة نفسها ، وانتهت المقاومة كجيش مجتمع ، اذ سلكت كل شرذمة جهة من الجهات ، اخذت تسرع اليها فرارا .

ومضى خوارزم شاه نفسه في شرذمة من تلك الشراذم ، تضم خواص اصحابه حتى وصل نيسابور فاجتمع عليه من فيها من العسكر . ولكنه لم يكد يستقر حتى فوجيء بالمغول قادمين اليه ، فلما بلغه قربهم رحل عن نيسابور الى مازندران، فلما علم المغول بذلك لم يعرجوا على نيسابور ،بل واصلوا السير وراءه ، وهو يواصل الفرار امامهم ، وظل يفر وهم يطاردونه كلما نزل منزلا نعقبوه فيه فيتركه الى غيره ، فقد مضى من مازندران الى الري الى همذان ، ومن همذان عاد في قلة من اصحابه الى مازندران ، حتى انتهى الى بحر خزر المعروف ايضا ببحر قزوين ، والذي كان معروفا باسم بحر طبرستان ، وهناك ركب الماء الى (آب سكون) ونزل قلعة كانت له فيها .ولم يكن المغول مهيئين لركوب البحر فتوقفوا على الشاطيء ، وكان آخر العهد بعلاء الدين خوارزم شاه .

وبانطواء علاء الدين انطوى آخر امل يمكن ان تجتمع عليه البلاد للمقاومة والدفاع ، واصبح الوطن كما عبر عنه ابن الاثير : (وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم اصبح سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفعه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد) .

على ان العدو لم يترك شيئا فقد حطم ما مر به ، حرقا وهدما وقتلا ونهبا وهتكا . ■■

بيروت ــ **حسن الامين**



دَوْلة ومَدينَة
وجوائز ١٠٠ دينار

● هذه المسابقة تعتمد على خارطة الوطن العربي .. وامامك على هاتين الصفحتين ١٢ خارطة تمثل ١٢ قطراً عربياً مختلفاً .. وداخل كل خارطة اسم مدينة بحروفها غير المرتبة .. والمطلوب منك ذكر اسم كل دولة ، ومعرفة الاسم الصحيح للمدينة التي تعمدنا كتابة اسمها بحروف افقية غير مرتبة ، وهي من مدن الدولة نفسها ..

شروط المسابقة وجوائزها

ارفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة • واكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح • ضع اجابتك فى مغلف واكتب عليه العنوان الآتي :مجلة العربي/ ص•ب ٧٤٨/ الكويت ـ مسابقة العدد ١٨٨ •

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ •

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا • الجائزة الثانية ٢٠ دينارا • الجائزة الثالثة ١٠ دنانير •

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير •





تجارب "زوج" و"زوجة"

الأول ماتت زوجته والثانية مات زوجها
وقامت الأقدار برعاية ما خلفا من اطفال

بقلم : منير نصيف

■كان يحب اطفاله حبا كبيرا ، فقد اصبحوا كل حياته بعد ان ماتت امهم وهي تضع طفلها الاخير ، كانوا بالنسبة اليه هم دنياه ،وهم امله، وهم سلواه في وحدته منذ ان رحلت شريكة عمره ، فاعطاهم كل حبه وكل عطفه ، وكل الحنان الذى يمكن ان يقدمه الاب لابنائه ٠٠ وبالرغم من هذا كله لم يستطع الاب المسكين ان يزيل تلك المسحة من الحزن التى كانت ترتسم على وجوه الاطفال الابرياء منذ ذلك اليوم الذى فارقتهم فيه امهم وافترقوا عنها ٠٠

وما اكثر اللحظات التى كان يرى فيها صورة الالم على هذه الوجوه الصغيرة ، كلما احسوا بحاجتهم الى امهم ، فقد كان يعلم انه عاجز تماما عن ان يمسح دمعة واحدة من دموعهم ! كانوا ثلاثة : صبيبة في الحادية عشرة ، وولدين احدهما بلغ الثامنة من عمره ، والثانى فى الرابعة٠انه هذا الاخير الذى لم تتحمل امه الام الوضع وهى تلده،فماتت بعد أن وهبته الحياة ٠٠

كم كان المه عظيما ، وكم كان حزنه شديدا ، وهو يرى هذا المولود الصغير فى مهده ، وحده ، بلا ام ٠٠ اربعة ايام كاملة امضاها الاب المسكين وحده مع المولود الجديد ، ومع دموع طفليه الاخرين ، ومع الممرضة التىراح يرجوها ويتوسل اليها ويجزل لها العطاء لكى تبقى بجوار طفله ترعاه وتعنى به ، الى ان جاءت اخت زوجته لتحمل الطفل بعيدا وتضمه الى اسرتها هى ، وتحاول ان تعطيه من حبها ورعايتها ما يعوضه الحب الذى فقده فى مهده ٠٠

فراق ٠٠ ولقاء

وبقى الصغير عند خالته حتى اشتد عوده ، وبلغ السن التى تسمح له بدخول المدرسة ، فحملته خالته ، وعادت به الى الوالد لتسلمه الامانة ، وتعيد اليه ذكرى تلك اللحظة الاليمة التى طالما استعان بالزمن على نسيانها ٠٠ ولكن كيف ينسى ، وهاهو يلتقى وجها لوجه من جديد مع الثمرة التى نبتت وكبرت فوق ارض قاحلة !

ومزقه الحزن ، عندما جاءت لحظة الوداع ، وسمع الصغير وهو ينادى خالته ويقول لها : « لا تتركينى وحدى فى هذا البيت يا أماه ! »

قالت وهى تقبله وقد امتلات عيناها بالدموع : « هذا والدك ،وهؤلاء هم اخوتك ٠ ستكون اسعد حالا هنا يا بنى ٠ وساعود لزيارتك ! »

وخرجت مهرولة ، قبل ان تخونها اعصابها ٠٠ لقد احبته كما لو كان ابنها ٠٠ وكيف لا ؟ وهى التى حملته رضيعا وربته ورعته ، ثم اذا بها تفترق عنه ويفترق عنها ، وهى التى كانت له اما طوال الاعوام الاربعة الماضية ٠٠ واحست بقلبها يغوص بين ضلوعها !

حيرة الاب

ومرت السنوات ٠٠ والحيرة تستبد بالاب المسكين ، كلما راى ابنته تكبر وتكبر ٠٠ كان قريبا منها عندما كانت طفلة ، اما الآن ، وقد بدات تنضج وتتحول الى امراة ، فقد بدات الفتاة تحس ، كما لم تحس من قبل بحاجتها الى ام ترشدها وتوجهها وتنصحها ٠٠ حتى شقيقاها اللذان طالما كانت تقضى معهما كل اوقات فراغها



في اللعب والجرى وراء الفراشات الملونة التى تملأ حديقة البيت •• حتى شقيقاها بدأت تبتعد عنهما ، فقد بدأت الفتاة تشعر بانوثتها •• بدأت ترى فى مرآتها وحدها هذا الانقلاب الذى طرأ عليها •• فانطوت على نفسها !

وحار الاب ماذا يفعل ؟ هل يتزوج ؟ ان ابنته فى حاجة الى امرأة يمكن ان تكون لها اماً•• امرأة تحكى لها متاعبها واسرارها ، ولكن من اين له ان يضمن انه سيجد فى هذه المرأة التى سيختارها زوجة ثانية له ، الام التى يمكن ان تثق فيها ابنته وتحبها وتطمئن اليها •• ثم من يدرى فربما وجدت ابنته فى هذه الزوجة اماً ، ولكن ماذا يحدث اذا انقلبت هذه المرأة بعد زواجه بها الى انسانة انانية ترى فى كل ما يذكره بزوجته الراحلة ،منافسا لها ، لا بد من التخلص منه ، حتى لو كان هذا المنافس هم ابنته وولديه !

وسرعان ما استبعد الفكرة عن ذهنه ، وطردها من رأسه ، وبقى الاب فى حيرته ! كم تمنى لو ان خالتهم كانت قريبة منهم •• انها الانسانة الوحيدة التى كان يمكن ان تعطى ابناءه بعض حبها ورعايتها ولكنها بعيدة عنهم ، فهى تعيش مع زوجها واطفالها على بعد آلاف الاميال ••

عن بديل للام !

وخطر له خاطر ، مالبث ان شرع فى تنفيذه على الفور •• بعد بضعة اشهر سوف تكمل ابنته دراستها الثانوية ، لماذا لا يرسلها الى خالتها لتعيش معها وتكمل دراستها الجامعية هناك •• ؟

حقيقة سوف يعز عليه فراقها ، سوف يفتقدها •• يفتقد ابتسامتها الحلوة التى طالما ذكرته بامها ، وحديثها العذب الذى شاءت ان تحجبه عنه ، وهى ترى الايام تصنع بها ما تصنع فى هذه السن التى تحس فيها الفتاة بحاجتها الى ام تحكى لها تجربتها مع الزمن !

وحزمت الفتاة حقائبها ، وسافرت الى بيت خالتها••وانتابها شعور غريب فى تلك اللحظة ، هو مزيج من السعادة والالم •• فقد كانت تحب هذه الخالة التى ستذهب لتعيش معها ، ولكنها كانت فى الوقت نفسه تحس بانها سوف تفتقد والدها وشقيقيها •• هؤلاء الذين اعتادت عليهم، واحبتهم •

والتحقت الفتاة بالجامعة •• وذهب والدها لزيارتها مرتين عند خالتها •• وعندما جاء للمرة الثالثة ، كانت فى انتظاره مفاجأة •• لقد تقدم شاب من اسرة طيبة يطلب يد ابنته الحسناء •• وارتمت الفتاة بين ذراعي والدها وبكت •• !

رسالة الوداع !

ودمعت عينا الوالد وهو يحتضن وجهها بكلتا يديه ويتأمله •• ما اسرع ما تمضى الايام •• طفلته الصغيرة كبرت ، واصبحت عروسا فى غفلة منه ، ومن الزمن •• ولم ينم فى تلك الليلة •• كم كان يتمنى ان تعيش زوجته وام اطفاله لترى هذا اليوم الذى ستزف فيه طفلتها عروسا •• ما احوج ابنته الى امها اليوم••انها لم تتكلم •• لم تقل له شيئا ، ولكنه قرأ فى عينيها اشياء كثيرة •• واحس بالم يمزق قلبه !

وبات ليلته مع الذكريات •• مع المرأة التى رحلت بعد ان اثقلت رأسه بالهموم والاحزان !

وذهبوا ليوقظوه فى الصباح ، ولكن الاب المسكين لم يستيقظ •• لقد مات •• هذه الفكر والالم فسكت قلبه الى الابد ••

وعلى مائدة صغيرة بجوار فراشه ، كانت هناك رسالة قصيرة موجهة الى ابنائه الثلاثة ، قال

الاب : « كنت اتمنى لو امتد بى العمر قليلا •• ولكن هكذا شاءت ارادة الله •• لقد كنت احس بدنو اجلى •• وفى هذه الليلة بالذات شعرت بانها تناديني •• تمامتنى ذاهب اليها ابنائى •• ذاهب الى امكم الحبيبة التى رحلت وتركتنى اعانى فى وحدتى اكثر من عشر سنوات كاملة •• لقد اعطيتكم كل شيء •• كل ما يستطيع الاب ان يقدمه لابنائه ، ولكننى لم استطع ان اعوضكم عن حنان امكم وعن حبها ورعايتها •• كنت اتمنى ان ارى زوجك المقبل يا طفلتى الحبيبة الصغيرة لاوصيه بك . ولكنها ارادة الله ! »

بدونها !

قصة من واقع الحياة يرويها عالم النفس المعروف وليام بيرك William Berck فى كتابه « بدونها » Without her ! وما اكثر ما تتكرر وان اختلفت ظروفها واسبابها ونتائجها ••

رجل يفقد زوجته وهو احوج ما يكون اليها ، او زوجة تفقد رجلها بعد ان رحل وترك لها من الابناء من ترك ••

وقد يكون الموت هو الذى فرق بينهما ، وقد لا يكون •• واسوأ ما يمكن ان يحدث بين زوجين ان ينفصلا بالطلاق •• هنا تكون الماساة التى تعانى منها كل المجتمعات ، ومجتمعنا العربى بصفة خاصة ، حيث بقيت الروابط التى تشد الابناء الى الابوين قوية راسخة •• من هنا تكون الماساة التى يصبح الاطفال اول ضحاياها ••

والقانون يعطى الام حق حضانة اطفالها ، ولكنها حضانة غير دائمة ، اذ سرعان ما ينتقلون الى الحياة مع والدهم عند بلوغهم سنا معينة !

وما تلبث فصول الماساة ان تتطور ويشتد اثرها عندما تتزوج الام المطلقة ، او يتزوج الاب المطلق ، لا رغبة فى الزواج فحسب ، وانما تحديا لمشاعر الطرف الاخر ، ورغبة كل من الجانبين فى استعادة الثقة التى فقدها فى وحدته بعد الطلاق ••

ضياع الابناء

وتكون الطامة الكبرى ، اذا اثمر هذا الزواج الثانى ، فاصبح للاب او للام من زواجهما الجديد اطفال •• حينئذ يشعر الابناء بالضياع ، عندما يكتشفون ان لا مكان لهم وسط هاتين الاسرتين الجديدتين •• فقد جاء من يحتل هذا المكان الذى كان لهم وحدهم فى يوم من الايام ••

فالضحية فى النهاية هم الاطفال وحدهم •• الاطفال الذين يعيشون فى حيرة بين الابوين اللذين فشلا فى المحافظة على كيان الاسرة الاولى ، ولو من اجل هؤلاء الابرياء ••

ومن هنا برز السؤال الذى كان وما زال مثار جدل بين علماء النفس والتربية ورجال الدين •• ولندع رأى القضاء جانبا ، فقد حار رجاله حتى الان فى ان يقولوا كلمتهم صريحة محددة فى ايهما أحق بحضانة الاطفال •• فهم تارة يقولون « انه الاب اذا كان جديرا بهذا الحضانة وكفؤا لها » •• واخرى يقولون : « بل الام » ، ولكن حتى سن معينة تنتقل بعدها الحضانة الى الاب ، وقد لا تنتقل ، او انها قد تمتد بالنسبة للام ، اذا ثبت للقضاء ان الاب غير امين على رعاية ابنائه وتربيتهم •

لندع الحديث اذن عن الجانب القانونى للمشكلة فليس هذا مجاله •

رأى رجال الدين

واذا كان لابد ان نسوق حكم رجال الدين ، نقول انهم اعطوا الام حق حضانة اطفالها ورعايتهم ، فاذا لم تتيسر ، انتقلت الى ام الام ، اى جدتهم لامهم ، فاذا لم تتيسر انتقلت الى ام الاب ، اى جدتهم لابيهم ! .

اما علماء الاجتماع ، فيكاد يتفق رأيهم على منح الام هذا الحق الذى لاينازعها فى استحقاقها اياه انسان ، طالما بقيت على قيد الحياة ! فالصلة التى تربط بين الام وطفلها ، هى اعظم صلة تربط بين مخلوقات الله !

يقول ايمرسون فيلسوف امريكا : « انظروا الى وحدة الجنين فى رحم امه ، وهو ينمو ويتمو ، من نطفة الى انسان تام ، يدق بقدميه ويرفس برجليه متعجلا الخروج الى الحياة •• انها وحدة الخلق ، وسر حياته ووجوده ، فهل ينساها ؟

« ان الطفل يتعلق بامه ، ويبقى متعلقا بها ، مهما يكبر ، لانه يبقى طفلا دائما ابدا ، ولانه لن ينسى المرأة التى وهبته الحياة •• تماما كما تبقى فى ذهنها هى دائما صورة هذا الطفل الذى انجبته للدنيا مهما تقدم به العمر » !

« ثم تعالوا ننظر الى الحياة من حولنا •• الى مخلوقات الله من حيوانات مهما دنت رتبتها •• أو علت ، ترى هل هناك اروع ولا اعظم من صورة الأم وهي ترضع صغارها وتطعمهم وتحنو عليهم وترعاهم ! »

•• وأم رحلَ زوجُها

يروى بريك فى كتابه تحت عنوان « ام رحلَ زوجُها » •• قصة زوجة شابة مات زوجها وتركها وحيدة مع طفليها ، وكانا صبيا فى الثالثة عشرة ، وابنة فى السابعة •• ماذا صنعت ؟

يقول بريك : « ما كادت فترة الحداد تنقضى ، حتى جلست الام تجمع شتات افكارها ، وتحصى ما تركه لها زوجها من مال ، فهالها ما وجدت من امرها •• مبلغ صغير من المال ، هو قيمة وثيقة التامين على حياة زوجها ، ومبلغ آخر اصغر منه ، هو كل ما تبقى له من رصيد فى البنك ولا شيء اكثر من هذا •• فقد كان المعاش الذى تقرر صرفه لها ولاطفالها بعد وفاة زوجها لايكاد يكفى اجر البيت الذى يعيشون فيه !

« وكان لابد لها من ان تواجه ولديها بهذه الحقائق •• انها تريد ان توفر لهما حياة كريمة بعد ذهاب عائل الاسرة •• ولكن لكى تفعل ذلك ، لابد لهما ان يدركا ان هناك اشياء كثيرة يجب ان تتغير فى حياتهم •• وكان اول هذه الاشياء هو الانتقال من البيت الذى يعيشون فيه الى بيت اصغر واقل اجرا •• وقال الابن : « انا الآن رجل البيت يا امى ، فلا تحملى هما •• سأذهب الى مدرستى فى الصباح ، ولن اهمل تعليمى •• اعدك بهذا •• ولكننى سأقضى بعض ساعات فراغى فى القيام بعمل ، اى عمل استطيع ان احصل منه على اجر يعاوننا على مواجهة اعباء الحياة ! »

حياة جديدة

« اما شقيقته ، فقد كانت اصغر من ان تتحمل اية مسئولية فى هذه السن الصغيرة •• وانتقلت الاسرة للحياة فى البيت الصغير الجديد ، والتحق الابن بعمل فى المساء ، وخرجت الام بدورها تبحث لنفسها عن عمل ، فقد كانت امرأة متعلمة ، وقد عملت بالتدريس فى وقت من الاوقات ، ولم تترك وظيفتها ، الا عندما اصبحت اما ، واضطرتها ظروف الحياة اضطرارا الى ترك عملها لتخصص كل وقتها لوظيفتها الاولى كأم وزوجة وربة بيت ••

وانقضت بضعة اعوام ، والحياة تسير بهم فى هدوء ويسر ، الى ان تخرج الابن من الجامعة •• واصبح محاميا •• وكبرت الطفلة الصغيرة •• واصبحت عروسا ، قاربت سن الزواج ••

وسام على صدر الام

الى ان جاء يوم ، وقف فيه المحامى الشاب يترافع فى اول قضية له بين زوجين انفصلا بالطلاق ، واحتدم الخلاف بين الزوجين المطلقين على حضانة ابنهما الوحيد ، وكان صبيا فى العاشرة ••

« وجاءت ام الصبى تبكى ، وترجو المحامى الشاب ان يحميها من زوجها السكير الذى يريد ان ينتزع ابنها منها ! »

وفى المحكمة ، وقف المحامى يتكلم ـ وكانت مفاجأة •• انه لم يشر بكلمة واحدة الى قضية موكلته •• وانما راح يسرد لهيئة المحكمة قصة حياته هو مع امه وشقيقته بعد ان مات والده •• قال : « لقد افتقدنا والدنا ، فقد كان ابا صالحا كريما •• ولكننا لم نفتقد يوما معنى الحياة •• لقد كانت امنا ، ابا واما لنا فى آن واحد « حقيقة فقدنا بموت والدنا بعض ما تعودناه من نعومة ويسر فى حياتنا •• ولكننا تعلمنا اشياء كثيرة لولاها لما كنت اقف اليوم محاميا امامكم فى هذا المكان •• فقد تعلمنا الشعور بالمسئولية ، وافخر بمشاركتى فى تحمل جانب من مسئولية رعاية امي وشقيقتى •• لقدعملت بائعا للصحف ، وسائقا للسيارات ومع هذا مضيت اكمل تعليمى ، وتفوقت فى دراستى ، حتى تخرجت فى الجامعة •• اننى مدين لرحيل ابى المبكر بهذا النجاح الذى حققته ، ومدين لأمى التى ضحت بشبابها وحياتها وكل ما تملك من اجلنا انا وشقيقتى •• وهو دين سيظل يطوق عنقى ما حييت ! »

وحكم القاضى بحق الام فى حضانة ابنها

وفى صفوف الجمهور • كانت هناك امرأتان •• الاولى ، ام الصبى التى كسبت القضية لتوها ، وكانت تبتسم ابتسامة النصر •• اما الثانية فقد كانت تبكى •• لقد كانت ام المحامى الشاب •• الام التى وقف ابنها يضع بيده وساما على صدرها فى ساحة القضاء •

■■

منير نصيف



الزعيم الفلاح يقول :

هذه الارض اكسبتنى ما قد يكون لى من مواهب

● كتب والتر ليبمان المعلق السياسى الامريكى الشهير عن الرجال الذين صنعوا التاريخ فى بلاده . قال : « **لقد كانا رجلين .. اقربهما الجنرال دوايت ايزنهاور ، الرجل الذى عرف الحرب ، وعاش ويلاتها ونكباتها ، وهو يقود قوات الحلفاء فى اوروبا فى اعنف المعارك واشدها ضراوة فى القرن العشرين ، فلم يكن غريبا اذن ان يعمل هذا الرجل من اجل السلام ويسعى الى ارساء دعائمه** » .

ولكن ماذا يمكن ان نقول عن جورج واشنطون ، الرجل الثانى الذى عاش ومات منذ اكثر من قرنين من الزمان ..؟

لقد كان واشنطون فلاحا عريقا، وكان يمقت السياسة ويجهل فنون القتال .. وبالرغم من هذا ، فقد اصبح قائدا لجيش منتصر حقق الاستقلال لبلاده ، ثم زعيما لهذه الامة التى حطمت قيود الاستعمار البريطانى ، واول رئيس للولايات الامريكية بعد اتحادها .

لقد كانت شجاعة جورج واشنطون وتصميمه وعزمه وقوة ارادته ، وايمانه بالمثل العليا ، هى الصفات التى لازمته طوال حياته ، ومكنته من تحقيق هذه الانجازات ..



أما هو فقد قال عن نفسه : « **انها المواهب المتواضعة التى اكسبتنى اياها الطبيعة .. فمن الارض التى ارتبطت بها وعشت فوق ترابها ، انثر البذور وانتظر حتى تنمو وتكبر ثم تثمر .. من هذه الارض تعلمت اعظم صفات يمكن ان يتحلى بها الانسان .. اننى مدين للارض فى كل ما حققت من نجاح من اجل بلادى !** »

عندما يسخر الرجل من نفسه !

● لامارتين La Martine ، شاعر الحب والجمال ، كان من اروع من كتب في جمال المرأة واطرى محاسنها ، وقدكان شاعرا رقيقا حساسا امتلأ قلبه بحب الناس والخير ، ومع ذلك فقد كان يسخرمن نفسه ومن شعره ، ولعل اطرف ما قالهعندما سالوهيوما عن الشعروالشعراء،« **ان من يقرض الشعر ايها السادة ، هو اشبه ما يكون بفنانيحاول ياتسان يرسمصورة بالالوان للريح التى تعصف بـه وتهب من حوله !** »

قال لورد بيرون Lord Byron ،شاعرالانجليز الكبير عندما نقلـوا اليـه رأى لامرتين فىالشعر : « **ليس معنى هذا انلامارتين** كان يسخر من الشعر ، وانما معناه ان الشاعر العظيم ، قد بلغ قمةالنضوج الفكرى ! »

الموت ثمن الثبات على المبدأ !

● سير توماس مور Sir Thomas More (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥) المـفكر والسياسى والفيلسوف الانجليزى صاحب « Utopia » او المدينة الفاضلة،اتهموه بالخيانة ، وهو الذى بلغ ارفع منصب فى الدولة عندما اختاره الملك هنرى الثامن حاملا لاختامالملك ، وسجن فى برج لندن الشهير الذى لقى المئاتفيه منقبله حتفهم، وقدم للمحاكمة وصدر الحكم عليه بالموت، وهو جالس على كرسى الاتهام فى كبرياء ينفى الخيانة عن نفسه ويعلن انه اشرف الشرفاء ٠٠

قـال عنه صديق عـمره الفيلسـوف الهولندى ارسموس Erasmus :« **لقد حمل سير توماس الشعلة فى عصر الظلام الذى كان يحتوى اوروبـا كلها ٠٠ لقد كان مور اعظم المغامرين فى مياه بحار العلم والفكر والمعرفة٠٠كان رجلا مؤمنا بالله وبوطنه ومن اجل هذا قتلوه ! !** »

لقد رفض أن يقسماليمين على احترام قانون وراثة العرش الجديد فى بريطانيا، فحملوه الى وكر التعذيب والارهاب فى البرجالذى كانت تفوحمنه رائحةالموت٠٠

ولم يفقد سير توماس يوما ايمانـه بالله ٠٠ لم يستسلم للمرض الذى كان ياكلصدره وهو ينتظر الموت٠٠لميستجب الى نداءات زوجته وهى تتوسل اليه ان يعدل عن موقفـه من اجلهـا ومن اجـل بناته ٠٠ كان اروع ما فى هذا الرجل ، قوة ايمانه وروحه المرحة ، وابتسامته التى لم تفارق وجهه لحظة واحدة !

حتى عندما قادوه الى حيث ينتظره الموت ، وقف سير توماس لحظة وطلب الى حراسه ان يمهلوه حتى يحلق لحيته التى اطلقها فى سجنه ، فاجابوه الى طلبه ، ووقف ينظر الى الشعيرات التى تتساقط على الارض وتطير فى الهواء ثم قـال وابتسامـة ترتسم على شفتيـه : « **لقد لازمتنى فى سجنى ، ولا اريد لها الموت معى ٠٠ انها تستطيع الان ان تتطاير فى حرية فى الهواء !** »

ثم نظر سير توماس الى جلاده وقال : « **والآن ايها الصديق ، قم بواجبك ، ولا تدع الخوف يسيطر عليك !** »

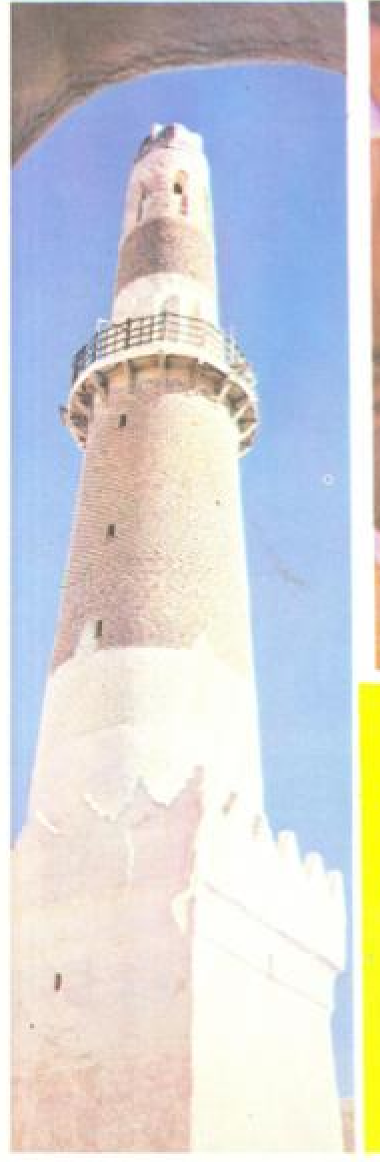
وجاءت النهاية ٠٠ وانطفأت الشعلة ولكن الى حين٠٠فقد بقى اسمسير توماس رمزا للحب والوفـاء والمثل العليا التى تجسدت فى كتابه Utopia ، تلك التى حدثنا عنها من قبله افلاطون !

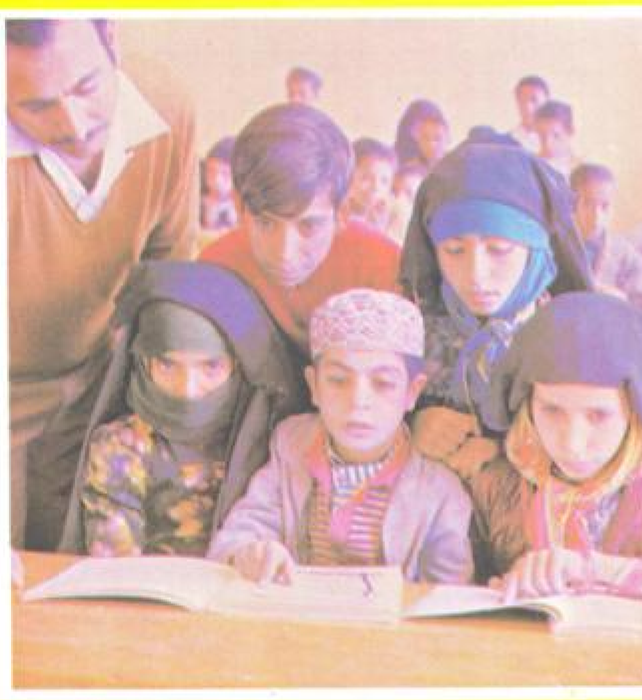


اعرف وطنك
أيها العربي

صعدة

على طريق الانفتاح .. بعد انغلاق





استتب السلام في ربوع اليمن .. فبدأت صعدة المستكينة في مجاهل شمال اليمن ، تفتح ابوابها أمام رياح التبديل والتغيير .. وكنا هناك .. حيث شهدنا اقبالا هائلا على التعليم الحديث .. ورأينا روعة العمارة اليمنية في مساجدها الأربعة عشر ، لاسيما جامعها الهادي ، ذا المئذنة التي ترتفع ٣٧ مترا .. وتألمنا للامراض التي تعصف بأهل البلد ، والتي يعالجها طبيب وطبيبة جاءا من المانيا لعلاج أبناء صعدة من الامراض التي تعصف بهم .. وفي مقدمتها البلهارسيا .

استطلاع :
سليم زبال

تصوير :
اوسكار متري

استمر أكثر من ألف عام !!



■ اخيرا جاء اليوم الذى بدأ فيه ابن اليمن يحس بالدنيا التى حوله .

جاءت الساعة التى ظل ينتظرها عبر الاف السنين ..

اشرقت الشمس على هذه البقعة التى عاشت فى طي النسيان ، يحتويها الفقر والمرض والجهل والظلام ،بدأت اليمن تخطو ببطء محاولة الاقتراب من حياة القرن الذى نعيشه .. القرن العشرين..

ان صورة اليمن ، وحياة أهل اليمن ، لم تغب عن مخيلتنا منذ ان وطئت اقدامنا ارض هذه البلاد العزيزة فى عام ١٩٦٢ .

لقد بقينا نتابع عن كثب طموحها الذى يفوق الآمال والامكانات .. ونتمنى لها التوفيق فى محاولاتها اليائسة للتخلص من عبودية ماض اليم ..

علة العلل ؟

كنا نحاول دائما التعرف على « علة العلل » التى يعانى منها ابن اليمن .. ولكن اليمنى حريص على اخفاء الامه عن اعين الجيران .. حتى كانت رحلتنا الاخيرة الى شرق وشمال اليمن .. وفيها رأينا الرجل القبلى على الطبيعة .. وتابعناه فى صنعاء ، فرأينا مجتمعا غريبا،سكانا جددا جاءوها من الضواحي والقرى ، ليتمتعوا بمزايا الكهرباء والماء العذب ، والأرز،والبامية!! ولكن انشغالهمبمظاهر المدنية لم يستطع ان يمحو من قلوبهم الدمغة القبلية .. واذا جرف تيار المدينة احدهم،وجد من يقول له : « تقبيل !! » اى لا تنس عاداتك القبلية ..

وفى مقدمة هذهالعادات : الولاء لزعيم القبيلة اولا ، ثم للوطن ثانيا ..

وانطلاقا من هذا المفهوم اصبح لرئيس القبيلة حجم يفوق حجمه الطبيعى .. أصبح فى حجم رئيس الدولة الاقطاعى ، له أراضيه المترامية ، واتباعه ، وقوانينه ، وقواته المسلحة .

انها دويلات داخل الدولة ، تقف امامها حكومة صنعاء عاجزة حائرة .

دفاع عن القبيلة

وعندما سألنا الشيخ صالح بن هادى غسان شيخ قبيلة آل عمار عن رأيه فى النظام القبلى ، اجابنا بحماس زائد قائلا : « النظام القبلى فى اليمن علميحتاج الىدراسة .. وهو نظام تأسس فى فترة لم يكن فى اليمن خلالها دولة ، وكان نظاما دقيقا ، له دستور مكتوب ، يحدد جميع الانظمة القانونية والجنائية والعسكرية ..

« والنظام القبلى لا يتعارض مع نظام الدولة كما تتصورون ، ولا مع التطور بشيء .. واذا وجد نظام قبلى يتعارض مع نظام الدولة أو نظام الشريعة ، فان الخضوع فىهذه الحالة يكون لنظامى الدولة والشريعة .. »

رئيس الوزراء يقول ..



وسألنا رئيس مجلس وزراء اليمن الدكتور حسن مكي رايه ، فقال : التخلف فىاليمن لا ينصب على النظام القبلى فقط .. انما النظام القبلى هو احد مظاهر التخلف ، وليس هو السبب الرئيسى .. انما التخلف بكل اشكاله ومظاهره هو مشكلة اليمن اليوم .

« ولو استطاعت اليمن ان تخطو خطوات اخرى نحو التطور ، والخروج من مرحلة التخلف الذى تعيشه ، فلا بد لها من ان تعمل على ايجاد المؤسسات الحضارية ، التى كلما كبرت ونمت، قلت مظاهر التخلف واسبابه .. وعندما تظهر هذهالمؤسسات الحديثة ويحل القانون والنظام فان هذا يعنى ايجاد اسس جديدة لتنظيم العلاقات بين افراد المجتمع ،تسهل النمو والتطور فى اليمن الحديثة .. »

ثلاث محافظات جديدة

بعد توقف الحرب اليمنية الاهلية فى عام ١٩٧٠ انضمت الى الجمهورية العربية اليمنية ثلاث محافظات يمنية كانت تسيطر قوات البدر على معظم أراضيها .. محافظات كانت مراكز لقتال شرس عنيف .. محافظات لم تعرف شيئا من الانفتاح الذى عاشته بقية اجزاء اليمن ..

والى محافظة صعدة ـ وهى واحدة من هذه المحافظات ـ اتجهت بعثة العربي .

من صنعاء ركبنا السيارة الصحراوية (اللاند روفر) ويممنا ثانيا صعدة فى مجلس



خريطة تبين الجزء الشمالي من الجمهورية العربية اليمنية ، وفيها تبدو مدينة صعدة ، انها بوابة اليمن الشمالية ، فهي على مسافة ٧٠ كيلو مترا فقط من الحدود السعودية،وتقع على ارتفاع ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر ٠٠ الذي يبتعد عنها مسافة ١٥٠ كيلومترا ٠٠ وقد تم مسح الطريق من صعدة الى ظهران الجنوب في السعودية (٩٠كم) وهو الطريق الذي وعدت السعودية بشقه ورصفه منذ ثلاث سنوات ٠٠ اما الطريق من صنعاء الى صعدة وطوله ٢٥٠ كيلومترا ــ فقد قدم الصينيون قرضا لليمن لشقه ، وسوف ينتهي العمل منه تماما مع نهاية ١٩٧٤ ، وتضم محافظة صعدة مدينة صعدة و ٩٦٣ قرية و ٨١ عزلة و ٩ نواح و ٥ اقضية ٠

الشورى : الشيخ فيصل عبد الله مناع ، والسيد عبد الوهاب المؤيد ٠٠

وقد تكرما بمرافقتنا ، وهما يقولان : « اننا نريد ان يطلع العرب على بلادنا ٠٠ ان صعدة تعيش بعيدا عن الاضواء ٠٠ والمسافر اليها من صنعاء مثل المسافر الى ما وراء البحار ٠٠ لهذا اطلقوا على محافظتنا اسم « **لواء الشام** » » ٠

طريق الحياة

كان الاهالي يقطعون المسافة من صنعاء حتى صعدة على ظهور الحمير في خمسة ايام ٠٠ اما نحن فقطعناها في ١٢ ساعة ، داخل سيارة تتمايل بنا يمينا ويسارا ٠٠ اما أنت ايها القارىء ، اذا شدك هذا الحديث ، واردت أن ترى بنفسك هذه المدينة ، فلن تشعر باى عذاب ،لان الصينيين اوشكوا على الانتهاء من تعبيد الطريق الذي سيختصر المسافة **الى ٢٠٠ كيلومتر فقط !!**

تعالوا نسير معا وبسرعة على هذا الطريق ٠٠

هذه هي قرية عمران ٠٠ انها على مسافة ٥٠ كيلومترا شمالي صنعاء وهي نقطة استراتيجية هامة ، سيتفرع من عندها طريق مختصر (٦٠ كيلومترا) حتى مدينة حجة ، تبرع الصينيون بشقه من اموال فاضت خلال شقهم لطريق صعدة !! واجمل ما في قرية عمران مدرستها الابتدائية الاعدادية التي بنتها حكومة الكويت منذ تسع سنوات ٠

وهذه هي قرية ريدة ، سكانها ينزلون من قمة الجبل ، ليسكنوا السفح ، حيث الارض الخصبة التي اقاموا عليها ٥٠ مضخة ماء ، بينما المطلوب ١٠ الاف مضخة !!

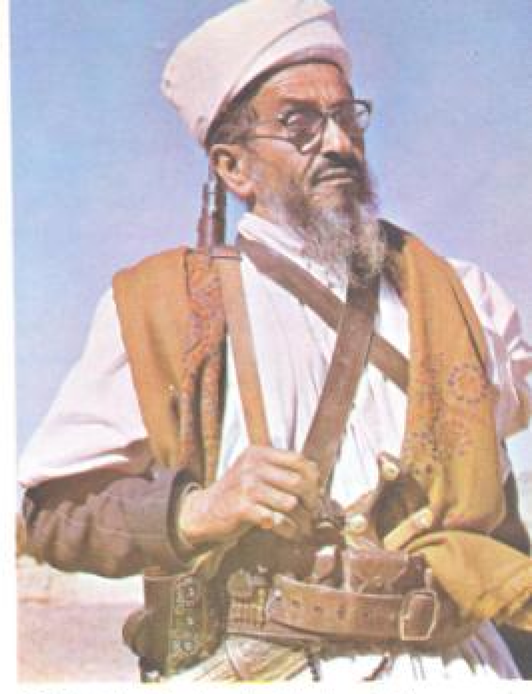
وهذا هو « قاع البون » **٠٠ ارض زراعية شاسعة مستغلة كلها ٠٠ انها** سهل البقاع **اليمني ٠٠ وهاتان القريتان المتقابلتان امامه ٠٠ يطلقون عليهما اسم** السنتين **: السنة العلياء والسنة السفلى ٠٠**

اننا نمر الآن في اراضي قبيلة « بكيل » ٠٠ **وبعد جبل القولة تبدأ اراضي** « حاشد » ٠٠ **« وقرية عمران » ــ التي مررنا بها ــ هي** جيب من حاشد في ارض بكيل **!! وبعد هذا تتابعت اراضي القبائل ٠٠ هذه** لسفيان ، وتلك لهمدان، والثالثة لسحار **٠٠ وهكذا ٠٠**

ووصلنا الى مدينة « خمر » **الشهيرة ٠٠ وفيها شهدنا المستشفى الوحيد الذي شيدته الكويت في المنطقة يعمل فيه طبيب وممرضة وثلاثة ممرضين، وسألنا الطبيب اليمني** « عبد الملك ابو طالب » **عن متاعب خمر ،فقال :** « انقطاع الماء عن المدينة لعدة ايام متتابعة بسبب امراضا وازعاجا كبيرا للثلاثة الاف نسمة يعيشون في خمر ، ويعانون من

الى اسفل : القات فى قمة ازدهاره فى صعدة ·· انه يكثر وينتشر عندما تتحسن الطرق وتسهل المواصلات··ومن الغريب أن كل منطقة فى اليمن « ترتاح » الى نتاج منطقتها ·· وهنا فى صعدة نجد أن « قات رازح » هو أحسن قات ·· وهو يزرع فى جبل رازح على مسافة ٢٤ ساعة من صعدة ، يأتون به على ظهور الحمير ، والجمال ، وعلى الاكتاف"·وبعضهم يفضل القات العمّارى ، نسبة الى مكان يقع فى قضاء همدان على مسافة ساعتين بالسيارة من صعدة ·· وربطة القات العمّارى ثمنها عشرة ريالات ·· والمولع بالقات يخزن فى اليوم الواحد أربع ربطات،أى ما يساوى ثمنه ٨ دولارات يوميا ! ! وقد تحولت مجالس القات التى تستمر نحو اربع ساعات ، ويحضرها الامير والفرّاش ، الى ندوات كلها أحاديث واستذكار ، واصبح الكثيرون يأخذون ثقافاتهم من مجالس القات ·· وطلبنا رأى صالح ضيف الله من مزارعى القات ، فقال : « **اذا ضمنت الحكومى لى دخلا يوازى دخلى من القات ، فانى على استعداد لاقتلاع اشجار القات وحرقها ·· انى اربى ١٥ طفلا من زراعتى للقات ، واذا زرعت مكانه عنبا،فانى لن أربى اكثر من طفلين !** »

ان حل مشكلة القات يحتاج الى دراسات وافية لا يمكن ان يقوم بها الا جهاز مثل منظمات الامم المتحدة



الجنبية وحزام الرصاص على الوسط··والبندقية والشال على الاكتاف··ان ابناء صعدة وضواحيها لا يسيرون الا وسلاحهم معهم ·· « **لقد تعودنا على هذا ونشأنا عليه ، ولا يمكن ان نفترق عن سلاحنا**»**هذا ما قاله لنا السيد بن محمد الصعدى**·

« انا ضعيف .. انا في ذمتك » كان يقولها المتهم للشيخ محمد بن علي رئيس محكمة لواء صعدة الذي انهمك في قراءة ملخص للقضية يقع في ورقة واحدة طولها خمسة امتار ـ ! ! ـ امسك باولها كاتب المحكمة ! ! وتطبق على المتخاصمين احكام الشريعة الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنة .. واكثر القضايا المرفوعة هي قضايا المال ، والارض ، وجرائم القتل !



البلهارسيا اللعينة .. والمرأة في خمر تنفضل الموت على ان تتكشف على طبيب رجل . وفي خمر مدرسة ابتدائية اعدادية بنتها الكويت منذ سبع سنوات ومدرسة ثانوية ستسلمها الكويت في مطلع العام الدراسي القادم .

ووصلنا الى قرية « الحرث » التي تحيط بها رمال ناعمة .. اهلها يزرعون عندما تهطل الامطار، ولكن الامطار لم تهطل منذ خمس سنوات ! وفتح الله لهم بابا جديدا للعمل هو طريق صنعاء ـ صعدة .. انهم يعملون عند الصينيين بمرتب يتراوح بين ٥ و ٢٥ ريالا يوميا (كل ٥ ريالات يمنية تساوى دولارا تقريبا) .

الاموات يستقبلوننا !

ووصلنا مع الغروب الى مشارف صعدة .. ان صعدة ـ وهي وريثة التاريخ الطويل القديم ـ ترقد هادئة تحت سفح جبل تلثمس ، يحيط بها سور كبير متكامل يحجبها عن العالم ، ويحجب العالم عنها !

ومررنا وسط القبور لندخل المدينة .. وشهرة قبور صعدة تعم كل انحاء اليمن ، ويقولون في ذلك : ان عدد الاموات يزيد على عدد الاحياء في صعدة ! .. واهلها يفتخرون بشواهد قبور الأموات ، وبالخط الذي كتبت به الاشعار على الشواهد .. ويحفظون عن ظهر قلب قصيدة فاطمة، التي نظمها القاضي الافضل سعد الزيدي ، عام ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) .. ووقفنا عند قبر فاطمة نقرأ القصيدة التي مطلعها :

يا قبر لا زال يهمي فوقك المطر
وفوق تربك ينمو الورد والزهر
ففيك لؤلؤة مكنونة دفنت
تحت التراب وفيك الشمس والقمر
بنت الاكارم من اعلى الأصول نمت
عديمة المثل ، عنها يحسن الخبر
حليفة الدين والتقوى منزهة
عن كل عيب نماها سادة غرر
عدمتها قبل ان اشفي الفؤاد بها
وقبل ان ينقضي منها لنا وطر
بالله ، يا قبر ، هل زالت محاسنها
وهل تغير ذاك المنظر النضر
وا حسرتاه على ذاك الجبين ، وهل
يجدي التحسر ، او يشفى به الضرر ؟
لقد تنغص عيشي بعد فاطمة
ومقلتي بعدها اودى بها السهر ..

٢٥٤ كيلومترا في ١٢ ساعة

ومن باب اليمن اخترقنا سور صعدة الكبير العالي ، ان صعدة تكاد تكون المدينة العربية الوحيدة التي ما زالت تعيش داخل سور قديم متكامل ..

وعلى ضوء « لمبات الجاز » التي كانت تضيء بعض الطرقات ، اتجهنا الى استراحة الحكومة ، فوجدنا النزلاء على وشك الانفضاض من مجلس القات .. وبعد السلام والتحية والتعارف ،اتجهنا الى غرفتنا ، ورحنا في سبات عميق بعد رحلة شاقة مرهقة قطعنا خلالها ٢٥٤ كيلومترا في ١٢ ساعة ..

أسلوب الاجداد

ماذا يمكن ان يكون حال مدينة ظلت منغلقة على نفسها فترة الف عام ؟!

ان عقارب الزمن قد توقفت عن الدوران في صعدة .. هكذا خيل لنا .. حقيقة انهم ورثة اصالة وامجاد .. ولكن ايا منهم لم يسع الى تطوير تلك الحضارة او الاصالة المتوارثة .. مطالبه في الحياة بسيطة : مسمار في الحائط يغني عن الدولاب .. وسجادة على الارض بدلا من

٥٠ مهندسا صينيا ، والف عامل يمني ، يضعون اللمسات الاخيرة على جسر من ٢٠ جسرا ، والف معبر لمرور الامطار ، موجودة على الطريق المعبد الممتد مسافة ٢٠٠ كيلومتر،من صنعاء حتى صعدة .



السرير .. « وكدمة » من الخبز الجاف هى وجبة الطعام .. لا يذوق الخضراوات ولا الفاكهة .. يعتقد بوجود الجن فى دلعان ، ويخاف من جنية تدعى « قرضة » فى جبل « غلم » ترجم الأشرار بالاحجار ، وتفضح أسرارهم فى مجالس القات !

حتى كلامهم أصبح محرفا ، يقولون قديح بدلا من قليل .. والمتبش عوضا عن النزل .. وازيط بدلا من الانسحاب بهدوء ..

ويتفاخرون بانتمائهم الكبير الى « حاشد » « وبكيل » « ومدحج » .. يسقون اطفالهم الرضع دهن الحراق السائل ، لتهدئتهم ، فيموت ٥٠٪ من الاطفال قبل بلوغ الشهر الثالث ! ..

وقبل ان يموت الرجال يوصون اولادهم بخزانة الكتب ذات الورق الاصفر التى ورثوها عن اجدادهم .. كتب ما تكاد تقلب صفحة منها حتى تتساقط على الارض من فرط قدمها !!

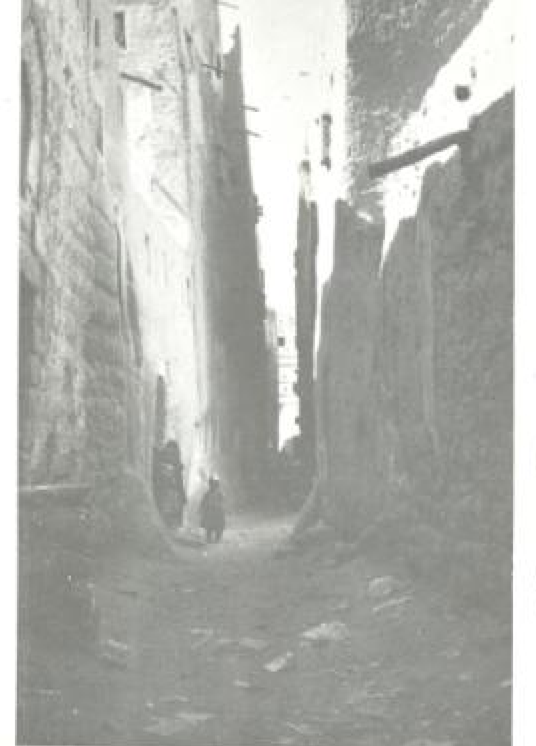
التدهور من القمة !

من اين جاء اسمها ؟ صعدة اسم المرة من : « صعدت صعدة » اى واحدة.هكذا يقول اللغويون اما ابناء البلد فيقولون : صعدة هى النبتة المستوية او قصبة الذرة » ، وكانت صعدة اكثر علما من « زَبيد » ، ومعقلا للعلم والعلماء .. لم يدا الأفول ، وهاجر العلماء الى هجرة فللة ، وهجرة ضحيان القريبتين ..

وتحولت صعدة وضواحيها الى منفى للسياسيين المغضوب عليهم عند الامامين يحيى ، واحمد ، لم قامت الثورة ، واستمرت الحرب الاهلية لماني سنوات ، اثخنت خلالها صعدة بالجراح ، اذ تبادلتها واستباحتها قوات المتحاربين اكثر من ست مرات !!

وكانت هذه الحرب سببا فى زيادة عوامل الريبة والشك عند المواطن الصعدى الطيب .. فاصبح لا يتقبل — حتى سنتين ماضيتين — اى فكرة للتعاون ، او الاصلاح ، او التطوير . ونتيجة لهذه السلبية اصبح المسئولون بدون مسئولية ، فى حين ظهرت مسئوليات بدون مسئولين .. !!

ولم يكن لهذا الوضع ان يستمر ، لان صعدة هى البوابة الشمالية لليمن ، لهذا ما كاد السلام يرفرف ، حتى بدات قوافل الحجاج اليمنيين تنطلق على طريق صنعاء — صعدة — المدينة .. وكان لا بد لصعدة ان تتحرك ، وتفتح محلات



شارع الدرب، عرضه متران ونصف متر .. وكل حارة فى صعدة كان لها باب يقفل عليها فى الليل ..

لاصلاح السيارات ، وورشا للنجارة والحدادة .. وادرك الاهالى حاجتهم الماسة للكهرباء والماء ، فسارعوا بالمساهمة فى شركة الكهرباء والماء .

حديد بدون حدادين

والواقع ان صعدة عرفت من قبلُ عمليةَ صهر الحديد الخام الموجود بكثرة فى جبل خنمفر .. ان نسبة الحديد فى هذا الجبل تفوق ٧٠٪ ، لهذا كان سكان قرية « المجز » كلهم من الحدادين .. كان فى صعدة والمجز ٢٠٠ حَوِية (اى معمل صهر الحديد) افران عادية تعمل على الحطب ، تفصل خام الحديد عن الخبَث .. كانوا يصنعون السيوف والسبيكى ، وكانت شهرة حديد صعدة تعم اليمن كلها ، اذ كانوا يصدّرونه لصنعاء وعدن ..

كانت هذه الصناعة مزدهرة حتى عام ١٩٥٠ ، وبعدها اغلقت الحويات ابوابها ، ولم يعد احد يكترث بالحديد او بخام الحديد الملقى عند بوابات السور ، ومنازل صعدة !!



كلنا يذهب الى الاسواق ليشترى تحفا وعاديات ، أو احذية وملابس ، او فاكهة وخضراوات ". أما أن نشترى القنابل والالغام ، والبنادق والخناجر ، والمسدسات والرشاشات ، من وسط السوق ، فهذا مالم يخطر لنا ببال ، حتى دخلنا سوق صعدة ، ورحب بنا عبدالله بن جابر الفرازى فى متجره العجيب ، مبتسما ابتسامة كشفت عن اسنان خضراء من فرط تخزين القات .. قال لنا : « **تشتهون لغما صينيا ؟ بخمسة ريالات فقط والقنبلة اليدوية من كل نوع : امريكى ، انجليزى ، صينى .. بعشرة ريالات .. والمسدس بثلثمائة ريال فقط** » ". وعندما ابدينا دهشتنا ، قال لنا عبد الله مقهقها من « سذاجتنا »: « **انتم ما عندكم قنابل فى بلادكم ؟ . هنا كل مواطن يمنى عنده خنجر وبندق وقنبلة ومسدس ورشاش** »

الى اليسار : مبانى صعدة تعكس الطابع العربى للمدينة ، مساكن اشبه بقلاع ، مصنوعة من الاحجار والتبن والتراب . والخطوط التى فى المبنى تسمى صرعا ، سمكها ٦٠ سنتيمترا ، وكل ٧ صروع تكون طابقا

مصنع للاسلحة والذخيرة في الهواء الطلق !!
احمد ومحمد العوشي خبيرا المفرقعات اليمنيان يجمعان القنابـل الكبيرة التي لم تنفجر في الحرب ، يفكانها ويأخذان منها البارود ليحشوا به الرصاص الفارغ للبنادق!!انهما يشتريان كـل ٢٠٠ رصاصـة فارغـة بريال واحد من اطفال المنطقة الذين يجمعونها من الارض ، وبعدها يبيعان كل رصاصتين محشوتين بارودا بريال واحد ! !







باب اليمن الجنوبى هو الباب الرئيسى فى سور صعدة ، الذى يحوى خمسة ابواب ثلاثة منها مستعملة والرابع يجرى فتحه ، والخامس سوف يفتح عندما يفتح المستشفى الحديث ابوابه ٠٠ لاحظ تكدس الطلبة فى السيارة التى تنقلهم الى المدرسة ٠

ماذا يجدى العلاج والدوا[ء] فى هذه البحيرة ــ الظاهرة حاملة معها اوساخ قر[ى] المصدر الوحيد للماء ، يا[...] يشربون جنبا الى جنب ،

البامية العملاقة !!

ومن ثروات صعدة الزراعة ٠٠ لقد تجولنا فى صعيد صعدة (٤٥ كيلومترا طولا و ٢٥ عرضا) ٠٠ ارض خصبة بكر لا يزرع منها الا بضعة افدنة فقط ، شهدنا فيها حبة البامية طولها ١٥ سنتيمترا ، وحبة البطاطس وزنها نصف كيلو ٠٠ نجاح مذهل لزراعة تقوم على اسس بدائية فى مزارع خاصة محدودة ٠٠

وماذا عن بقية الارض التى تزيد مساحتها على الف كيلومتر مربع ؟

ان الاسلوب الاقطاعى القبلى فى ملكية الارض يقف عقبة فى سبيل زراعة هذه المساحة الشاسعة فى صعيد صعدة الخصب ٠٠ فالارض تتقاسمها القبائل فيما بينها ، لكل منها حق معين فيها : هذه القبيلة لها حق الماء ، وهذه لها حق الرعى ، وتلك حق ملكية الاشجار ٠٠ وهناك اراض مشتركة بين عدة قبائل ٠

ان هذا التقسيم الغريب يجعل من استغلال الارض عملية مستحيلة لصعوبة الاتفاق بين الافخاذ والبطون المتفرعة عن القبيلتين الرئيسيتين : خولان بني عامر ، وهمدان !!

فشل محاولة اختراق السور

وعندما وجد وزير الاشغال السابق ، السيد عبد الله بن يحيي الصعدي ، ان اصلاح صعدة القديمة واعادة تخطيطها يتطلب اموالا ومجهودات هائلة ، رأى مع مهندسه ان عملية بناء صعدة جديدة خارج اسوار صعدة القديمة سيكون اسهل بكثير من الهدم واعادة التعمير !! وخطط المهندس للمدينة الجديدة خارج السور ٠٠ وعندما تقرر تنفيذ المشروع فوجئوا بمشايخ القبائل يدعون ان هذه الارض ارضهم ، وانهم ورثوها عن آبائهم !!؟

وأسقط فى يد وزير الاشغال ، وبدأ التحقيق فانكشفت امور مذهلة ٠٠ فاثناء الحرب الاهلية كان المسئولون يبيعون اراضى الوقف ــ التى لا يملكونها ــ لمشايخ القبائل ، وقواد الوحدات ٠٠





... كان سبب الداء باقيا ثابتا؟
... صورة ـ تتجمع مياه الامطار
... المرت ، ٠٠ ان البحيرة هى
... كان القرية مع حيواناتهم ،
... س المياه الملوثة القذرة ؟؟؟

احترقت ساق الطفلة « آسيا » وهى تلعب ، فجلست فى منزلها البعيد لا تستطيع حراكا . وفى كل يوم بعد الظهر يأتى الدكتور والدكتورة « ويردا » الالمانيان ، يفحصان القدم ويعالجانها ٠٠ ان ٩٢ طبيبا من مختلف انحاء العالم يعملون فى علاج اهل القرى اليمنية ! !

واليوم اصبحت كل املاك الدولة والاوقاف داخل السور وخارجه مباعة ! ٠

وهكذا توقف بناء صعدة الحديثة ، ولم يعثروا الا على قطعتى ارض اقيمت عليهما مدرسة الكويت ، والمستشفى الحديث ٠٠

الهادى كان اكثر توفيقا

ولم تكن هذه اول مرة يفكرون فيها لنقل صعدة من مكانها ، ففى عام ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) عندما جاء الامام الهادى من المدينة المنورة الى صعدة ، داعيا اهلها لمبايعته ، والانضمام الى المذهب الزيدى كانت صعدة مدينة حميرية قديمة زاهرة تقبع تحت جبل تلنمص ، واراد الهادى بناء مدينة خاصة به وباعوانه فجلس فى مكان المدينة الحالية ، وغرس « صعدة » ، اى قصبة ذرة ٠٠ وقال : هنا سوف تبنى صعدة الجديدة !!

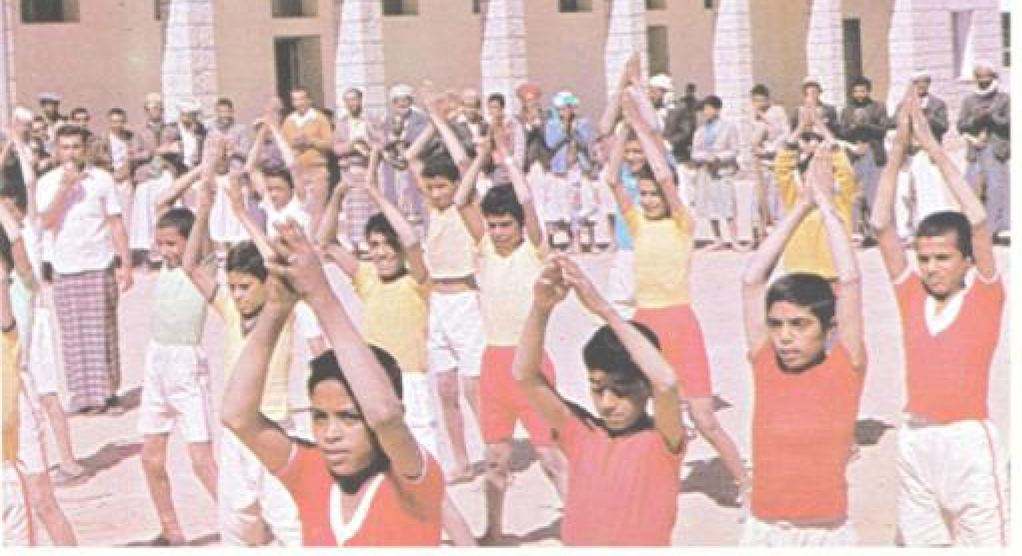
وخلف الامام الهادى ولده محمد ، الذى تنازل لشقيقه الناصر ، وكان رجل حرب ، اتخذ من صعدة قاعدة له ، وانطلق يخوض معارك دموية عنيفة مع القرامطة ٠

وتتابعت المحن على صعدة ، وقامت الحروب الدموية بين ابناء الناصر ، فهرب الناس من المدينة عام ٣٢٢ هـ (٩٣٣ م ٠) وبعدها ابتعدت الامامة عن صعدة ، لكن سلطان الائمة ظل محصورا فى شمال اليمن حتى اوائل القرن الحادى عشر للهجرة ، الا فى فترات قصيرة متقطعة ، بسبب معارضة الدول اليمنية الاخرى لهم ، ومناهضة سلاطينها لحكمهم ٠٠

ومما يذكر ان حكم الائمة فى اليمن ، الذى بدأ على يد الامام الهادى الى الحق عام ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) استمر بعد ذلك لمدة ١٠٦٥ عاما ، تعاقب خلالها ٦٧ اماما على حكم اليمن ، حتى قيام ثورة اليمن واطاحتها بالامام البدر فى شهر سبتمبر ١٩٦٢ ٠

على نفسها جنة براقش

لقد عاشت اليمن خلال هذه الفترة تحت ظل حكم تعسفى عفن ، لم يعرف العالم له مثيلا ٠٠



مطلوب بناء ١٢٠ مدرسة جديدة حول صعدة وضواحيها، لتستوعب ٧٥ بالمائة من اطفال المنطقة المحرومين من التعليم ، لعدم وجود مبان مدرسية ! ! ان بناء مدرسة واحدة ذات ست حجرات ، طبقا للهندسة المحلية ، يكلف نحو ١٠ آلاف دولار ٠٠ فلماذا لا تبنى مدرسة تخلد بها اسمك في صعدة ؟ ! سؤال نوجهه الى كل عربي قادر ؟ ٠٠ **والصورتان اللتان الى اليمين** ، التقطناهما في مدرسة الكويت ٠٠ اول مدرسة حديثة اقيمت في لواء صعدة ٠٠ **في الصورة الاولى** الفتيات والفتيان يتعلمون معا ٠٠ **وفي الصورة الاخرى** الفتيان فقط هم الذين يتعلمون الرياضة دون الفتيات!! اما الصورة العليا فهي لأطفال « هجرة فلـلة » يتلقون التعليم الديني في الكتّاب المقام داخل أحد الاضرحة القديمة المهجورة٠٠ سألنا الاستاذ عن عدد التلاميذ فاجابنا : « **ربما يكونون ٤٠** **تلميذا** » ، محشورين في مقبرة ليس بها تهوية، ولا تزيد مساحتها على ستة امتار مربعة ٠٠ ولم نسمع شيئا من الدرس ، لان



حكام لم يسمحوا بتسرب بصيص من النور الى شعب عريق الاصل .. حكموه حكما هو اقرب الى عالم الأساطير منه الى واقع عالم اليوم .. ومن الامثلة التي عادت على صاحبها بالكوارث قصة الامام صلاح بن علي بن الحسين .. عاش في القرن التاسع الهجري ،وكان يوهم افراد قبيلة « منبه » بقدرته على التحكم في هطول الامطار .. فكانت الامطار تهطل في حله ، وتنحبس عند ترحاله ، فيهللون ويكبرون !! وحاول المسكين السفر بعد ذلك ، فاصروا والحوا عليه في البقاء .. ولكنه تمسك بالسفر .. فما كان منهم الا ان اردوه قتيلا بالرصاص ، واحتفظوا بجثته تبركا ، لكي يضمنوا بقاء الخير في ارضهم !! وطالبت قبيلة « جماعة » بجثة الامام ، فرفض طلبها .. وقامت على الفور حرب صغيرة بين قبيلتي « جماعة » و « منبه » سقط فيها ٧٠ قتيلا و ١٥٠ جريحا ، وانتهت بنقل جثة الامام الى مقبرته الحالية في هجرة فللة !!

ووقفنا عند قبره فوجدنا على شاهده آثار رصاص ترمز الى الاسلوب الذي قتل به !! (انظر الصورة) .

من هنا خرج ١٦ اماما

وتجولنا في فللة انها بلدة القبور والاموات .. مقابر ومشاهد رائعة .. هذه من القرن السابع، وتلك من القرن الثامن .. مقابر تشهد باصالة هذه البلدة واهميتها .. انها بلدة اشتهرت بخروج ١٦ اماما من بين ابنائها ، انها قرية هاشمية بحتة «والهاشميون كانوا يرون أن حتمية الامور تفرض عليهم وجوب القيام بالامامة ، بمجرد احساس احدهم بشيء من الافضلية على الاخر ، ومع هذا فانه لم يحدث في الغالب ـ خصوصا بعد القرن العاشر الهجري ـ ان مات امام ولم يعقبه قيام امامين او اكثر ، كل منهم يرى احقيته في الامامة ! وهذا هو سبب التطاحن والانقسامات ، وما خلفته من ضغائن واحقاد بين القبائل ، جعلتهم يعيشون في صراع مستمر ، وفوضى مستحكمة » (١) .

ان هذه القرية الصغيرة ، هجرة فللة تعيش اليوم نسيا منسيا ، بالقرب من صعدة ، تجتر ماضيها وتتغنى بامجاد اجدادها .. بعيدا عن انظار العالم كله ..

البلهارسيا مرض غير خطر

سألناهم ، وقد رأينا ماء الوضوء آسنا اخضر اللون ، لشدة قذارته : « الا تخافون من الجراثيم الكامنة في هذا الماء ؟ »

فاجابنا الشيخ السيد سراج الدين بن عز الدين، مفتي هجرة فللة : « نقول لهم ، ويعرفون ان البلهارسيا من هذا الماء .. ولكنها الحاجة هي التي اضطرتهم الى استعماله .. ونعتقد ان الشرع لا يبيح لنا العدول عن التيمم بالتراب بدلا من ذلك الماء الملوث .. لان التيمم لايسمح به الاخشية التهلكة ، اما الضرر فليس بعذر .. »

قلنا : « والبلهارسيا ، أليست من التهلكة؟»

فانبرى لنا رئيس البلد السيد علي بن عبدالله حورية قائلا :«ما زلنا نعتقد أن البلهارسيا مرض غير خطر ، وانه غير مهدد للحياة .. ونحن عشنا على هذه الحالة ، كما عاش اباؤنا عليها .. وعلى الجيل الناشيء الجديد مسئولية تدبير نفسه !!؟ »

والفئران كذلك ليست خطرة

وخلف كل ضريح زرناه ، كانت تسترعي نظرنا اكوام من الاوراق المطبوعة القديمة البالية الصفراء ، ملقاة خلف الضريح ، والفئران تتسلل بينها ، وتعجبنا من هذا المنظر ، فقال لنا مفتي فللة : « انها اوراق المصاحف القديمة نلقيها خلف الاضرحة ، احتراما للمصحف ، وحرمة له من « الدعس » ، وقد اتخذت الفئران منها مأكلا لها » .

قلنا : « وخطر الميكروبات التي ينقلها الفأر ، الا يمكنكم حرق الاوراق ؟ »

اجابنا : «لم يكن يخطر بالبال ان في ذلك اسبابا لامراض خطرة .. ونحن لا يمكن ان نفتي بحرق اوراق المصاحف القديمة الا بعد مؤاذنة ، حتى لاينقم الناس علينا .. ويجب ان نبدي لهم اولا الرأي الوجيه المبيح للحرق !! »

عيب

ولا يفتح الناس في هجرة فللة ، الراديو الا خلال نشرة الاخبار ، اما سماع الموسيقى فحرام ، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى : « ومن الناس

---

(١) كتاب تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي للدكتور حسن سليمان محمود .

من يشترى لهو الحديث ، ليضل من سبيل الله «..
قلنا : « هل توافقون على تعليم البنات ؟ »
فاجابونا بالم ومرارة : «ماوجدنا معلما للصبيان، حتى نعلم البنات ! »

عدد السكان ؟!

وفي سوق صعدة الشهير ، بدات الحركة تنتعش.. ان انفتاح المدينة ، وقرب وصول الطرق اليها ، جعل البضائع ترد اليها من الشمال والجنوب ، وبدا اصحاب المتاجر يتحولون الى تجار كبار ، يبيعون ويشترون من الحجاج .

ولكن الرجل القبلي يرى العيب ، كل العيب ، في بيع الخضراوات والفواكه ، من بطاطا ، وبصل، « وطماطيس » وعنب .. كما ان احتراف اى مهنة مازال يعتبر عيبا عند القبلى ..

وسألناهم عن عدد سكان صعدة ، فتضاربت اقوالهم ولم يتفقوا على رقم ، وراجعنا دفاتر جمع الزكاة ، فوجدنا عدد الذين يدفعونها ١٥٠٠ نسمة فقط ، ومن المعروف ان الفقراء لا يدفعون الزكاة ..

وسألنا مدير الامن العام في صعدة ، فقال : لا يزيد عدد سكان المدينة على اربعة الاف نسمة .. وطالعنا كتاب « الاحصاء السنوى لجمهورية اليمن » ، فوجدنا عدد سكان صعدة ٣٠ الفا !!

امراض صعدة

اما صحة السكان فحدث عنها ولا حرج .. الامراض تفتك بهم فتكا .. ان الاوبئة تنتشر بين بيوتهم .. والعلاج في مدينة مثل صعدة لا يجدى كثيرا ، لان الوقاية والوعى الصحى لا وجود لهما، فمن السهل معالجة المريض ، ولكن من الصعب حمايته من الوقوع في المرض نفسه . الاطفال يولدون ولا ياخذون اى جرعة من التطعيم ضد الشلل ، او الدفتريا او التيتانوس ، او السعال الديكى ، والحمد لله ان الله قد حماهم من شلل الاطفال ، فهو غير موجود في المنطقة ..

اما الكبار فمرضهم الرئيسى هو البلهارسيا ، والمرض الثانى هو الديدان المعوية ، نتيجة عدم غسل الخضراوات جيدا .. والمرض الثالث هو السل .. وهناك امراض اخرى : مثل الجدرى والكوليرا ..



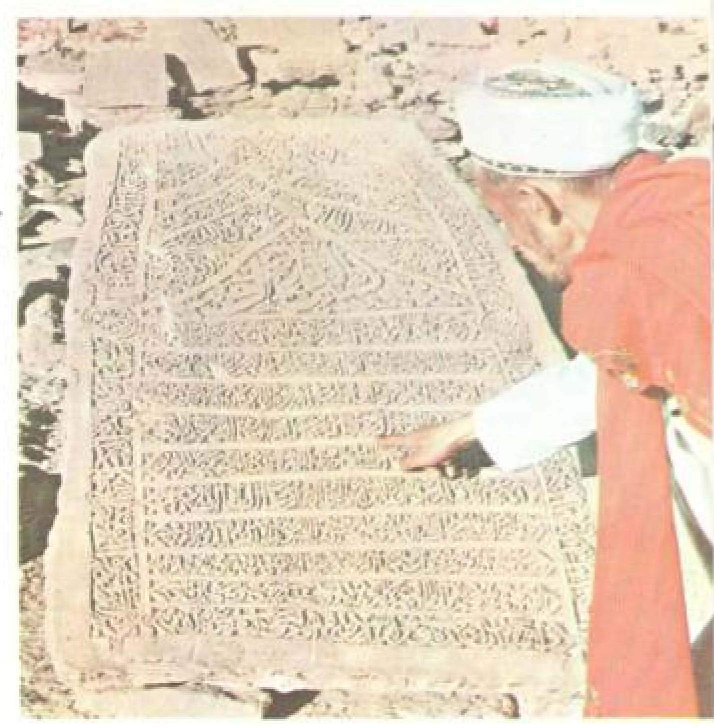
لشد ما هو محزن ومؤلم ، منظر آلاف الاطفال اليمنيين الذين هم في سن التعليم ، وليس لديهم مدرسة يتعلمون فيها ! ولا مستوصف ليخفف عنهم آلام خلع الاسنان بالكلابتين .. والام التراخوما التي تعمى العينين .. واوجاع البلهارسيا التي تفتك بالكليتين .. انها صورة مهداة الى ضمير كل عربى حى ! !

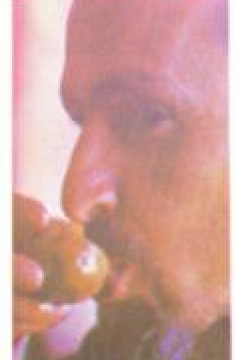
وفي صعدة ثلاثة ادعياء طب ، ينتحلون صفة الاطباء ، ويزاولون عملهم بين الاهالي الطيبين .. كل منهم يدعى انه مدير صحة صعدة !!!

وقد اصيب هؤلاء بخيبة امل كبيرة ، عندما جاء في العام الماضى طبيبان المانيان ، وثلاث ممرضات من استراليا ونيوزيلندا وامريكا تابعين لهيئة الخدمات العالمية ، اقاموا في مبنى المستشفى القديم وبداوا في علاج الاهالي باحدث الاساليب..

والمستشفى الذى تقوم المملكة السعودية ببنائه مازال تحت البناء منذ عامين ..

الى اليسار : الحلبة الحامضة مع الخل ، والشفوط، واللحوح وبنت الصحن ولحم المراق المشوى ، ماكولات يمنية شهيرة .. ولكن صعدة تتميز باكلة «الكواعيب» .. انه « سلاح سري » يبقى في المعدة بلا هضم ثلاثة ايام على الاقل !! فهو ملعقة من العجين تحشى بها حساء اللحم ، وتاكلها سويا : الملعقة والحساء ! (**الصورة السفلى**) .





على هذا الحجر كتبت قصة مقتل الامام صلاح بن علي قتلوه للتبرك بجسده ؟ !

الى اسفل : حلقة دراسة في جامع الهادي ، يرأسها فضيلة الشيخ حسن بن قاسم الحوثي ..



الى اليسار : قبر الامام الهادي، اول ائمة اليمن .. مازال الاهالي يتبركون به ، يضعون عليه اغصان الريحان والنور .. فياتي الاطفال ياخذون النور ويشتركون الريحان للسدنة ! !

بلدية بالاسم فقط

وتحدثنا الى مساعد مدير بلدية صعدة عن نظافة المدينة فقال : « ما عندنا امكانيات لدفع مرتبات لعمال نظافة .. ان ميزانيتنا ٣٠٠ ريال شهريا ، نصرفها على الكهرباء والايجارات ومصاريف البريد ، ونحن نحصل شهريا على ١٣٠٠ ريال من عائدات القات ، و ٨٠٠ ريال من عائدات اللحوم ، وهي ايرادات تسلمها للخزانة العامة ، ولا يمكن ان نتصرف في ريال واحد منها » .

رأى له وجاهته

وما تكاد الساعة الثامنة تدق ، حتى تتوقف الحياة في صعدة ، ويتجه الناس الى منازلهم .. فيما عدا مقهى غازى حيث يسهر الاساتذة العرب.!

وقد حاول بعض رجال صعدة فتح دار للسينما فيها ، ولكن العلماء رفضوا الطلب ، واتجهنا الى القاضي الفاضل جاسم بن حسن سادن جامع الهادى والمدرس بالمعهد العالى ، نسأله عن الموضوع ، فقال : « رفضنا المشروع ، لان السينما تصور اشياء حقيقية ، فيرى الناس المرأة سافرة مكشوفة، ويرون الخرافات التى لا أصل لها في الاسلام .. وهى تلهى الشباب عن أداء واجباتهم ، وتجعلهم يرفضون النعمة التى هم فيها .. بمعنى انه اذا نظر الشاب الى من هم فوقه في الدنيا ، ورأى التطور الذى هم عليه احتقر نفسه .. وهذا يؤدى الى كفر بالنعم ! !

« ونحن لانقول بتحريمها شرعا ، ولكننا نتخوف من نتائجها..واذا كانت هناك افلام لاتظهر فيها المرأة سافرة ، فلا بأس من عرضها ، في غير أوقات الصلاة ! ! ! »

رأى طريف له وجاهته ..

مشاكل التعلم

ان العديد من مشاكل صعدة ، واليمن عامة ، لن يحلها الا نشر التعليم الحديث في البلاد ..

وقد بدأت فعلا عمليات تطوير التعليم .. فالتعليم الديني - وكان يجلس الطالب فيه ١٢ عاما يتعلم ، اختصر حاليا الى ٦ سنوات وهناك مشروع حديث يجرى تنفيذه من اجل بناء معهد علمي جديد .

وفي ١٩٧٠ فتحت « مدرسة الكويت » ابوابها، فكانت اول مشروع تربوى حديث تشهده المنطقة الشمالية .. وتضم مدرسة الكويت حاليا ٤٦٥ طالبا ، منهم ٨٥ طالبة يدرسون في الفصول الابتدائية حتى الثانية الاعدادية .

ومشاكل التعليم تتلخص في صعوبة نقل الطلبة الى مقر المدرسة خارج السور ، وهذه المشكلة حلها وزير الاشغال السابق بتبرعه الكريم لنقل الطلبة ..

ومن المشاكل الاخرى عدم تناول الاطفال تغذية كافية .. ثم انعدام وسائل ايضاح البديهيات . الاطفال يعيشون بعيدا عن العالم .. اما المشكل الاكبر فيكمن في تنوع مصادر الكتب المدرسية ، فهى تأتى من مصر ، ومن العراق ، وسوريا .. تتحدث بالليرة والجنيه والقرش،بينما عملة اليمن هى الريال والبقشة !!

تحية للاساتذة

وزرنا الاساتذة العرب واليمنيين في الشقة التى اعدت لاقامتهم .. كل منهم يعيش في غرفة ارضها من الاسمنت .. جدرانها مطلية بالنورة البيضاء ، ليس فيها خزانة او طاولة .. وانما مسامير على الجدران يعلقون عليها ملبوساتهم .. وصندوق خضراوات فارغ يضع الواحد منهم عليه الراديو الترانزيستور .. انه الوسيلة الوحيدة للاتصال بالعالم ، فالصحف لاتصل،واخبار العالم من حولهم معدومة ..

وحتى لايمتعض الاهالى من ارتداء الاساتذة للسروال استبدلوه بالفوطة التقليدية المحلية ..



وتحدثنا الى وزير التربية احمد جابر عفيف، الرجل الذى يتحمل مسئولية التعليم في اليمن منذ الاستقلال عن رأيه في هذا الكلام فقال : « ان مشكلة التخلف في اليمن لم يعرف العرب ابعادها الحقيقية بعد .. ان اليمن يعتمد على نفسه للنهوض ببلاده .. ومشكلة التعليم في بلادنا متعددة صعبة ، ومازال ثلاثة ارباع اولادنا في الشوارع بدون تعليم .. »

« وفى صعدة نعرف جيداً ان ظروف المنطقة صعبة جداً ، لهذا تجدنا شاكرين ومقدرين للدور الكبير الذى يؤديه الاخوة المدرسون .. انهم يبنون اليمن الجديد بالتعليم فى ريفنا المحروم .. »

العناية بالاطفال والشباب

والتعاون بين المنزل والمدرسة فى صعدة شبه معدوم .. اما العناية بالاطفال فلا اثر لها .. يتركونهم يتجولون فى الطريق حتى الليل .. ورأيناهم باعيننا .. اطفالا لاتتجاوز سنهم ٦ سنوات يدخنون وياكلون « الشمة » او«البرتقان» وهى خليط من ملح وتبغ ورمل .. بها من الاضرار مابها !!

واغلب الشباب يقبلون على قزقزة «المصفص» اى اللب او البذر ، بنهم زائد ، ويبصقون قشرته بسرعة غريبة خلال حديثهم معك ..

آثار الحرب

وتاثير الحرب يبدو ظاهرا جليا فى الاعداد الكبيرة من المجانين الذين يملاون المدينة ..

وفى شوارع صعدة لايسير الناس الا والاسلحة على الاكتاف ، وكأنما الحرب على الابواب ، بينما العكس هو الصحيح ، فليس هناك حرب ، او حتى شبح حرب ، ولكن الناس من فرط تعودهم على الحرب نسوا الحياة فى سلام !!

الباخرة المجهولة !

ان الاهتمام بالريف اليمنى لم يبدأ بعد على نطاق واسع .. واغلب المسئولين الذين يتعاقبون على حكم اليمن هذه الايام ، تشغلهم مشاكل المدن عن الريف ، فيبقى منطقة مجهولة بالنسبة لهم..

ان طرق المواصلات الحديثة هى الشرايين التى سوف تمد هذه المناطق بماء الحياة .. واهل اليمن ينتظرون بفارغ الصبر انتهاء طريق«صنعاء ـ صعدة»، ويأملون ان تبدأ المملكة السعودية بشق طريق صعدة ـ « ظهران الجنوب » ، اما الطريق الى البحر، الى ميناء ميدى ، فما زال فكرة لابد من تحقيقها ليعرف طلبة صعدة ماهى السمكة،وماهى الباخرة، انهم لم يشهدوهما ولم يعرفوهما حتى اليوم ؟!!

اجب على السؤال

اننا عندما ننقل للقارىء الكريم صورة الواقع الاليم الذى يعيشه اليمن السعيد ، نهدف الى مزيد من البذل والعطاء لليمن ..

ان هذا الشعب العربى القديم العريق ، لن تقوم له قائمة الا اذا ساعدناه واخذنا بيده ..ان الامم المتحدة تعامل اليمن معاملة « الدولة الخاصة المرموقة » .. والناس يجمعون التبرعات فى مدينة استوكهلم عاصمة السويد وفى غيرها من مدن اوربا، من اجل اليمن ، واطفال اليمن .. أجل اطفال اليمن ..

ونحن العرب .. الاشقاء الاحباء ماذا فعلنا لليمن ؟ ... سؤال نترك الاجابة علية لضمير كل عربى .. ■■

سليم زبال



منظر جوى لمدينة صعدة بكاملها .. وهى من المدن العربية القليلة التى مازال يحيط بها سور قديم متكامل بنى فى عام ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) وجدده الامام احمد عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) ومجموع طول السور ٣١٦٠ مترا ، وارتفاعه ثمانية امتار من الخارج ، و٦ امتار من الداخل ، وقد استعمله المتحاربون فى الحرب الاهلية اليمنية للدفاع عن المدينة .



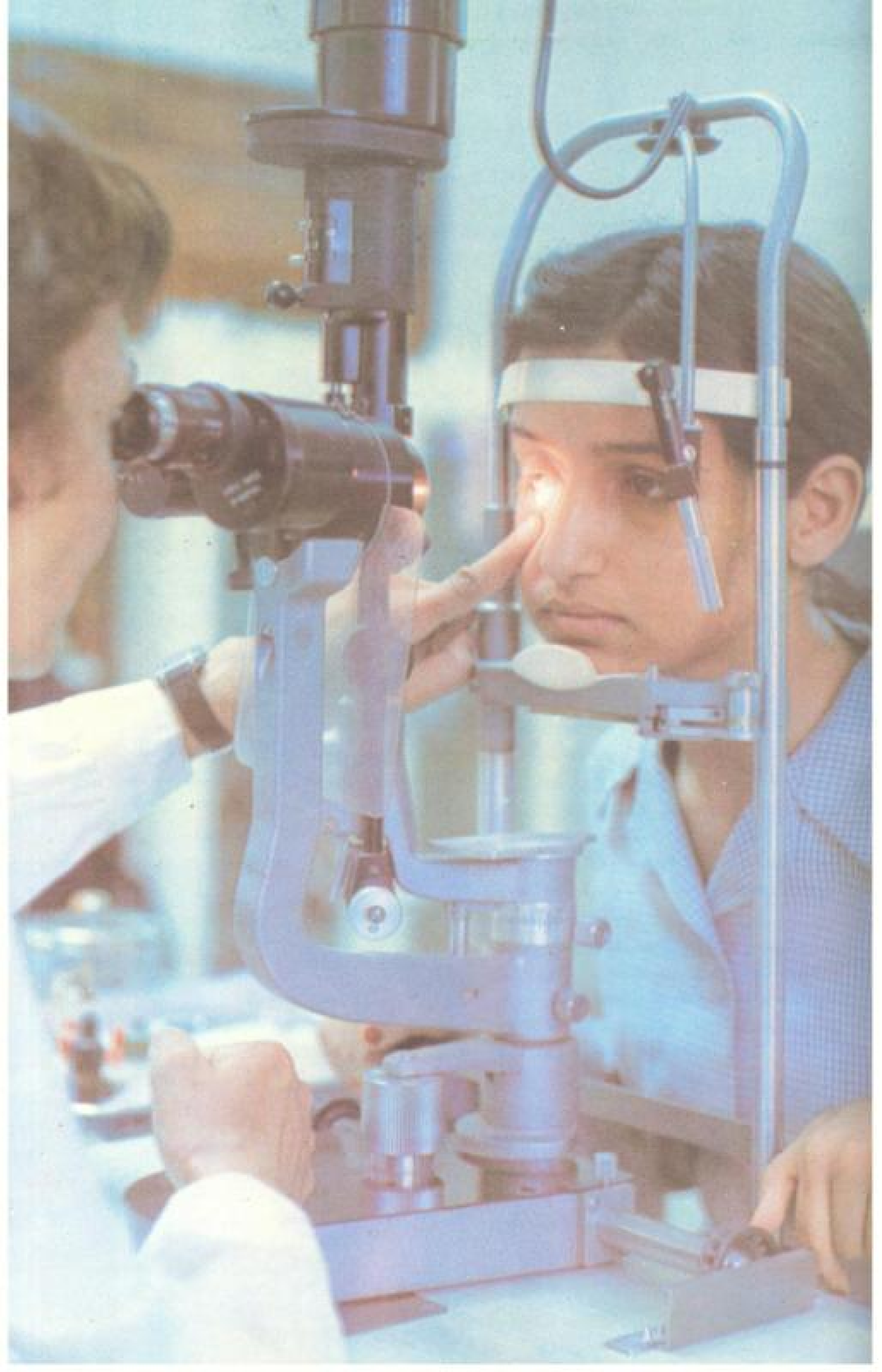
عندما يتعود الطفل على رؤية الاجهزة الطبية ولمسها يقل خوفه من الطبيب

الصحة المدرسية
الأمراض تتراجع أمامها

الى اليمين : عمليات التطعيم ، تبدا بتطعيم اطفال الروضة ضد شلل الاطفال والدفتيريا والتيتانوس، وتنتهي بطلبة الجامعة ، الذين يطعمون ضد الجدري والكوليرا ··

الى اليسار : تحظى عيون التلاميذ بعناية خاصة من اطباء الصحة المدرسية،وفي بداية كل عام دراسي يجري فحص شامل لعيون الطلبة المستجدين ، مع وضع المراهم اللازمة على عيونهم لوقايتها من الاصابة بالرمد او التراخوما ·





■ في كل مدرسة عيادة ٠٠ وفي كل عيادة ممرض أو ممرضة ٠٠ ولكل ست مدارس طبيب عام ، وهناك ١٤ عيادة لعلاج الاسنان ٠٠ ومع بداية كل عام دراسي تفتح ابواب ما يزيد على عشرين عيادة جديدة في المدارس الحكومية الحديثة بالكويت !

انها الصحة المدرسية ٠٠ المسئولة وقائيا وعلاجيا عن صحة ٢١٥ الف تلميذ وتلميذة يمثلون اكثر من ربع سكان الكويت !

اعتاد المرء منا عندما يشعر بالم أو مرض أن يبحث عن طبيب ليعالجه ٠٠ اما في الكويت فتجد ٥٠ طبيبا مجندا للبحث عن الشباب المرضى ، يتجولون بين ٢٧٣ معهدا ومدرسة حكومية بحثا الالام ، واكتشافا لبداية الامراض بين الطلبة ٠٠ يشخصون المرض ، ويصفون الدواء ، ويعالجون المرضى منهم !

ان الكويت عندما تطالب شبابها باستيعاب العلوم والدروس التي تلقى عليهم في المدارس والمعاهد والجامعة ، تدرك ان هذا الطلب لا يكفي لان الذهن المتوقد المتفتح ، القادر على التحصيل العلمي،لا مكان له الا في جسم سليم خال من العلل والامراض ٠٠ ومن هذا المفهوم انشئت الصحة المدرسية لرعاية صحة الطلبة والطالبات !

مجتمع صغير مغلق

« ان همنا الاكبر هو ان يدخل كل تلميذ جديد الى المدرسة خاليا من اي مرض معد ٠٠ فالفصل مجتمع صغير مغلق ، من السهل ان ينتقل الى افراده المرض ، الذي قد ينقله احدهم معه من منزله الى المدرسة »

ويتابع الدكتور محمد الشاذلي نائب رئيس الصحة المدرسية في الكويت كلامه هذا بقوله :
« وتحقيقا لهدفنا هذا تجدنا نقوم بعمليات تطعيم وتحاليل شاملة للطلبة المستجدين، تفحص البول والدم والبراز ٠٠ واي مرض تكتشفه نعالجه في الحال ٠٠ واذا كان مرضا مستعصيا تابعناه بالعلاج والعناية ٠٠ نعفي مرضى القلب من لعب الرياضة ٠٠ ونحول ناقصي النمو والمشلولين الى المدارس الخاصة بهم ٠٠ ونعمل كشوف نظارات لضعاف البصر ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

« وفي العام الماضي ١٩٧٣ قمنا باجراء اربعمائة الف عملية تطعيم ضد الامراض المعدية للتلاميذ والتلميذات ٠٠ »

طبيب لكل ٤ آلاف تلميذ

بدات قصة العناية بصحة تلاميذ الكويت منذ ١٨ سنة ، كان طبيبان يعتنيان بصحة ٢٠ الف تلميذ ٠٠ واليوم اصبح لكل ٤١٠٠ تلميذ طبيب واحد ٠٠ وهي نسبة طيبة اذا ماقورنت ببلاد عديدة اخرى متقدمة ٠٠

وفي « روضة اطفال طارق » ، شهدنا اول لقاء بين التلميذ والطبيب ٠٠ لقد دعت الدكتورة بثينة ياسين اطفال الروضة لزيارة عيادتها ٠٠ وكانت قد اعدت لهم بعض العرائس ، والعابا على هيئة ابرة وزجاجة دواء وشاش وقطن ٠٠

دخل الاطفال الى العيادة وهم يؤخرون رجلا ويقدمون اخرى ٠٠ وشجعتهم الطبيبة على اللعب بالادوات الطبية ، كانت تساعد ، وتشرح لهم، وهي تقول لنا :

« اغلب الاطفال يرتعبون من الطبيب وادواته ٠٠ وهذا نتيجة طبيعية لتصرف معظم الاهالي ، الذين

١٧ الف عملية تطعيم ، بطعم الدرن ٠ ٠ تمت للاطفال المستجدين في مدارس الكويت





فى روضة طارق افلام تثقيفية صحية تعرض على الاطفال ، تعلمهم كيفية تناول الطعام ، واستعمال فرشاة الاسنان ، وعدم الكلام أثناء الطعام ·· ان الصحةالمدرسية تبدأ مع الاطفال منذ دخولهم الروضة

يخيفون اطفالهم بقولهم : اذا لم تأكل سنأخذك للطبيب يعمل لك ابرة !!

«واناهنا احاول انامسح فكرة الطبيب والبعبع» من ذهن الطفل ·· وقد نجحنا فى هذا كثيرا ، فالطفل الذى يتعود على اللعب بالأدوات الطبية ويألفها نراه يأتى الى العيادة فى الفسحة يطلب بنفسه الدواء والابرة ! »

من الروضة حتى الجامعة

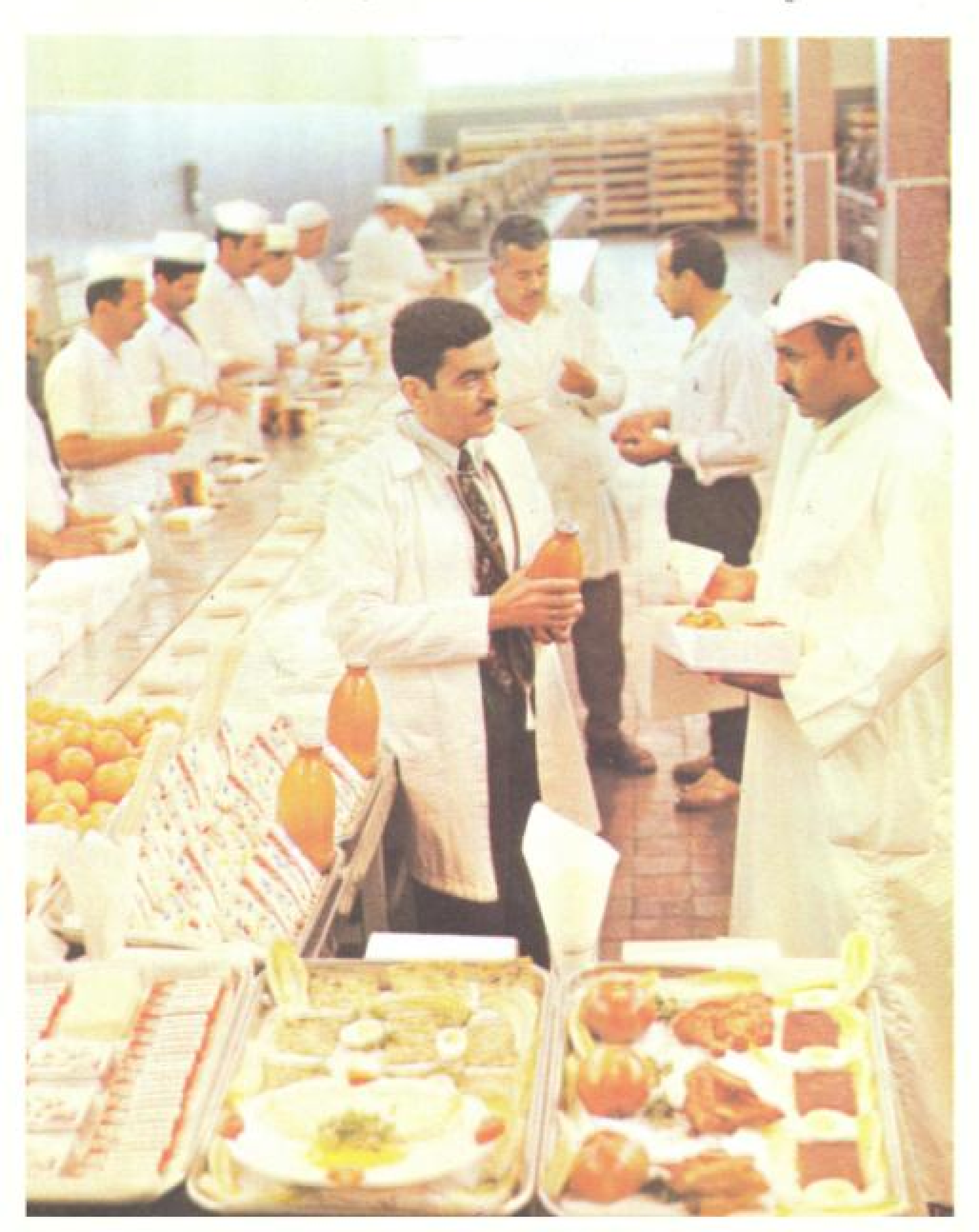
وكل طفل يدخل رياض الاطفال ، يفتح له سجل صحى ، يجيب فيهوالد الطفل على نحو ٢٥٠ سؤالا تشمل : التطعيم ، والامراض السابقة للطفل ومدى القرابة بين الاب والام ، وقرابة الجد للجدة، وحساسية الوالدين للبنسلين،وهل احدهما مصاب بالسكرى أو ضغط الدم ، او الروماتيزم ، أو الصرع ، أو الامراض العصبية ، او الربو ، أو الاكزيما ·· و ·· و ·· و

اجابات لابد منها للاطباء الذين سوف يعالجون الطفل طوال فترة وجوده فى مختلف مراحل التعليم، لان هذا الملف الصحى سوف ينقل مع التلميذ من مدرسة الى اخرى ، حتى يصل الى مرحلة التعليم الجامعى ··

مسئوليات المنزل

« يا دكتورة انا معتمد عليكم فى علاج بنتى ·· ان عندها بقعا على جسمها لا ادرى سببها ؟ » **وتتولى الدكتورة بثينة فحص الطفلة وتقول لوالدها مطمئنة :** « لقد اكلت كثيرا من الحلوى

الى اسفل : ان عملية وضع اسس التغذية السليمة للتلاميذ ليست بالامر السهل ، فهم يمرون بعدة مراحل : اختلاف في الوزن ، واختلاف في الطول ، واختلاف في العمر . لهذا كانت ال ٢٢ مليون وجبة التي قدمها المطبخ المركزي للطلبة في العام الماضي، متنوعة مختلفة ، تحتوي على اجبان والبان وخضروات ولحوم واسماك وفواكه وحلويات وغيرها ‥ وترى هنا الدكتور محمد رشاد عامر، طبيب الصحة المدرسية، يتحدث مع السيد « محمد شاهين » مراقب ادارة التغذية، عن انواع الطعام الذي سوف يتناوله الطلبة‥





٢٧مليون بيضة مرت تحت الضوء على هذا الحزام المتحرك في المطبخ المركزى،لفحصها، واتلاف الفاسد منها ، قبل تقديمها للطلبة٠

الى اسفل : فحص يومى ظاهرى للعمال فى المطبخ المركزى ، بحثا عن أى مرض جلدى ، أو التهابات بالاذنين،أو اصابة بالانفلونزا ، قبل ان يبدأ العمل٠٠

والشيكولاته ، فظهرت على جسمها هذه البقع .. حاول ان تقلل من تقديم الحلويات لها .. »

ان الصحة المدرسية تشارك المنزل في العناية بصحة التلاميذ .. لان حياة التلميذ موزعة بين هاتين البيئتين ..

ومسئوليات المنزل تجاه صحة الاطفال بسيطة سهلة لكنها حيوية .. لخصها لنا مختلف اطباء الصحة المدرسية بقولهم : اهم واول واجبات المنزل هو تحصين الاطفال ضد الجدري والشلل والدفتيريا ، في الشهور الاولى من عمرهم .. ولو اتقى الآباء ربهم في اطفالهم لما وصل عدد الاطفال المشلولين في الكويت الى نحو ٢٠٠٠ طفل، بسبب اهمال اهلهم في اعطائهم مصل شلل الاطفال!

والتلميذ الصغير يلزمه بين ١٠ و ١٢ ساعة نوم يوميا ، ليأخذ جسمه كفايته من الراحة .. اما تركه ساهرا امام شاشة التلفاز ، فان هذا السهر ينعكس عليه في المدرسة ، فتجده قليل الانتباه لا يعي الدروس كما يجب .

ومن مسئوليات المنزل ايقاظ الطفل في موعد مبكر ، لتمكينه من غسل وجهه واسنانه وقضاء حاجته .. ثم تناول افطاره ، ليغذي جسمه بالطاقة اللازمة .. ومن المستحسن ان يحتوي الافطار على مادة سكرية مثل العسل او المربى .. بالاضافة الى مادة بروتينية ، مثل البيض والجبن، مع كوب اجباري من الحليب ـ للصغار والكبار ـ من اجل نمو الجسم وبناء انسجته .. ونقص هذه البروتينات هو الذي يؤدي غالبا الى تعثر نمو جسم الطفل ..

وهناك عادة سيئة اصبح يتبعها الكثير من الآباء مع اولادهم .. انهم يعطونهم النقود ، ويحرمونهم من تناول طعام الفطور .. على زعم ان الاطفال سوف يشترون الطعام من «الكانتين» ، او من البائع المتجول عند باب المدرسة .. وهذا خطأ كبير .. فالطفل لن يشتري بالنقود الا الحلويات والمثلجات ، وبالتالي سيفقد العناصر الاخرى اللازمة لنمو جسمه ..

ومن المؤسف اننا لاحظنا ان اغلب تلاميذ الفصول المتوسطة والثانوية يأتون الى المدرسة دون تناول طعام الافطار .. وهذه من الاخطاء التي تنبهت اليها الصحة المدرسية .. ، لان الوجبة الغذائية المدرسية لا تغني ابدا عن الافطار في المنزل ..

مراقبة الغذاء

وفي الكويت تقوم وزارة التربية بتقديم وجبات غذاء متكاملة لتلاميذها ، يتم اعدادها في المطبخ المركزي الكبير ..ويتولى طبيب من الصحة المدرسية عملية الرقابة والاشراف على طعام هذا المطبخ ، وعلى صحة العاملين فيه .. وقد حدثنا الدكتور محمد رشاد عامر قائلا : « يخضع العاملون في المطبخ المركزي ـ وعددهم ١٧٨٩ عاملا ـ لرقابة صحية دقيقة للغاية..نفحصهم فحصا صحيا شاملا مرتين في السنة .. وفي كل يوم نفحصهم فحصا ظاهريا ، بحثا عن مرض جلدي ظاهر .. واي شخص مصاب ، ولو بنزلة بردية بسيطة ، نبعده في الحال عن لمس الغذاء » ..

كما اننا نحدد نوعية الطعام للطلبة ، مراعين سنهم .. فالطفل نعطيه مخصصات تساعده على سرعة النمو، وتشمل الزلال والبروتين والسكريات.. ولاعب الكرة نعطيه طعاما يشتمل على حوالي ٣٥٠٠ سعر حراري .. وهكذا ، وحسب قائمة خاصة يتم توزيع الطعام من المطبخ المركزي على مختلف المدارس والمعاهد الحكومية ، بعد رقابة صحية دقيقة » .

٢٢ مليون وجبة طعام في السنة

واصطحبنا السيد محمد الشاهين مراقب التغذية في جولة للمرور على اقسام المطبخ المركزي .. مطبخ هائل نظيف قال لنا عنه مرافقنا : « قبل عشر سنوات كان هذا المطبخ يقدم لطلبة مدارس الكويت تسعة ملايين و ٨٠٠ الف وجبة طعام في السنة الدراسية .. ارتفعت حاليا الى اكثر من ٢٢ مليون وجبة ، قدمناها في العام الماضي » .. اي بزيادة نحو مليون و ٧٥٠ الف وجبة سنويا ..

وعن نوع الوجبات قال لنا : في عام ١٩٧٤/٧٣ قدمنا للطلبة والطالبات ما يلي : ٢,٥٩٥,٥٠٠ وجبة فطور لرياض الاطفال ، تحتوي على : خبز وحليب طازج وفواكه وبيض وجبن وبسكويت وشيكولاته .. وقدمنا ١٧,٣٢٠,٠٠٠ وجبة خفيفة لعموم المراحل التعليمية ، وتحتوي هذه الوجبة على خبز ولبن وفواكه صيفا وخبز وشوربة عدس وفواكه وشيكولاته شتاء .

« كما قدمنا ١٠٠,٠٠٠ وجبة غذاء للنشاطات الرياضية ، تحتوي على دجاج ولحوم وبيض وخبز



الى اليسار : مع بداية كل عام دراسى يأتي الأب مع طفلته الى عيادة المدرسة ليجيب على الاسئلة الصحية وهذا هو مسعود عبد العزيز الخضير يتوسط الدكتورة « بثينة ياسين » والسيدة « سامية زعيتر » ناظرة روضة طارق ، التى دخلتها طفلته « مها » ..

وجبن وخضراوات طازجة وفاكهة .. وللاقسام الداخلية فى المدارس الحكومية قدمنا ٤٠٠ الف وجبة عشاء و ١١٠ الف وجبة فطور وسحور خلال شهر رمضان .. وكان نصيب طلبة معاهد التربية الخاصة وشلل الاطفال نحو نصف مليون وجبة فطور وغداء ..

« ان هدفنا هو مساعدة المنزل فى النهوض بصحة الطالب ونموه،لهذا نقدم للطلبة غذاء صحيا مليئا بالفيتامينات .. فمثلا كوب لبن الروب (الزبادى) الذى نقدمه للطلبة يحتوى على نسبة من الدسم تقدر بنحو ٢ر٣٪ فى حين ان نسبة الدسم فى اللبن المباع فى اسواق الكويت لاتتعدى ١٪ وكذلك الخبز الذى نقدمه للطلبة نخلطه بالحليب والزبدة والدهن النباتي والسكر والدقيق والملح »

التراخوما والدرن يتراجعان

ونتيجة لهذه العناية بصحة الاطفال بدات النتائج الإيجابية تظهر جلية فى ارقام ونسب عمليات المسح الصحى الذى تجريه ادارة الصحة المدرسية .. فمرض التراخوما وهو من امراض العيون المنتشرة بكثرة ، كانت نسبة اطفال الكويت المصابين به ٢ر٨٥٪ منذ ١٣ عاما .. انخفضت هذا العام الى ١٤٪ فقط ..

وكذلك نسبة انتشار السل بين الطلبة،انخفضت الى ٢٧ فى كل مائة الف طالب ، فى حين ان هذه النسبة ترتفع الى حوالى ١٣٠ لكل مائة الف نسمة من سكان الكويت .. وهذا دليل ملموس على مدى تاثير العلاج الذى تقدمه الصحة المدرسية للطلبة.

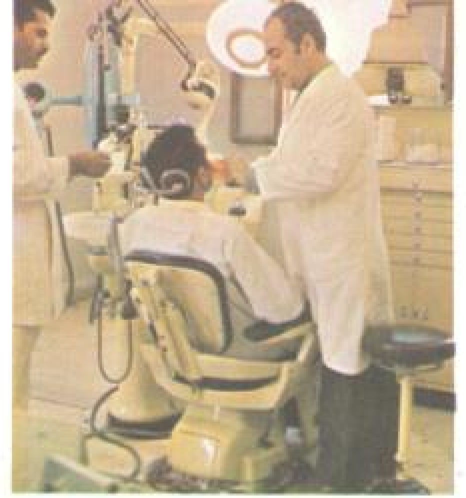
وتجرى الصحة المدرسية مسحا سنويا شاملا لمرض القراع بين التلاميذ الذين تقل اعمارهم عن ١٢ سنة،وقدرت نسبة انتشار هذا المرض بين هذه الفئة من التلاميذ باقل من ٢٪ وهى نسبة طيبة حين تقارن بما كان عليه هذا المرض من قبل ..

وما زالت نتيجة عملية مسح حالة اسنان طلبة مدارس الكويت قيد الاعداد ..

أمراض الطلبة

اما عن الامراض المختلفة المكتشفة بين الطلبة خلال العام الدراسى ١٩٧٣/٧٢ والتى عولجت فى عيادات الصحة المدرسية والمدارس فكان توزيع حالاتها كالآتى :

انيميا ٢٧٢١ ــ نقص تغذية ١٧٢١ ــ امراض الاسنان ٢١٢٨٧ ــ نكاف ١١١٥ ــ انفلونزا ٤٦١٦ ــ الام روماتزمية ٨٢٧٦ ــ رمد صديدى ٣١٣٩ ــ التهاب اللوزتين ١٩٢١٨ ــ امراض جلدية ١٢٨٩٤ ــ طفيليات معوية ٥٠٢٨ ــ امراض باطنية ٤٨٦٨ ــ امراض عيون ١٠٢٠ ــ نزلات معوية ، وعسر



الى اليسار : ثمانية عشرة طبيبا ، منهم ٩ طبيبات ، يتولون معالجة أسنان الطلبة فى ١٧ عيادةاسنان موزعة فى مختلفالمعاهد والمدارس فى الكويت ··وترى هنا الدكتور جلماد باروود يعالج احد الطلبة بكلية الشريعة والآداب بجامعة الكويت ·

الى اسفل : التعليم الالزامى الذى تطبقه الكويت سيجعلها تتخلص من مشكلة مرض السل··لان كل تلميذ مستجد تجرى له اشعة صدر ، واختبار للدرن ، وتطعيم للوقاية ·



الى اليسار : منذ ١٥ سنة والممرضةامل كامل يموت؟ تعتنى باطفال مدارس الكويت··وهى اليوم تعمل فى معهد الشلل ، تعالج جروح الاطفال ، وتبلغ عن حالاتكسر العظام التى قد تنشأ عن استعمالالالات··



الى اليسار : يقوم القسم الفنى فى الصحةالمدرسية، بعمل الرسوم الايضاحية، للتربية الصحية ، تحت اشراف الاطباء انفسهم·· وهذه الملصقات المخصصة لتوعية التلاميذ ، يتم لصقها بالمئات فى مختلف مدارس الكويت ··



هضم ١٣٥٣٠ ـ ربو ١١٢١ ـ التهاب الاذن الوسطى ٢٨٢٤ ـ حساسية بالانف ٤٩٨٦ ـ عدم ضبط التبول ٣٩٢ ـ صرع ٢٠٣ ـ امراض نفسية ٥٥٤ ـ حصبة ١٧٩ ـ التهاب الكبد ٢١ ـ جديرى ٦٤٩ ـ دفتريا ٤٨ ـ امراض الجهاز البولى ٣٥٦ ـ جراحة ٥٠١ ـ امراض تناسلية ٣٢٥ زحار ميكروبى ١١٥ ـ زحار اميبى ٤٩٨ ـ حوادث ٢٤٨ ـ حساسية للادوية ٣٢٨ ٠

١٥ توصية

وكانت فرصة طيبة تلك التى سنحت عندما انعقدت الحلقة الدراسية عن خدمات الصحة المدرسية ، فى شهر مارس الماضى ببغداد بحضور مندوبى ١٢ دولة تحت اشراف هيئة الصحة العالمية ـ مكتب شرق البحر المتوسط ٠٠ ففى هذه الحلقة اجتمع مندوب الكويت مع مندوبى ١١ دولة ، وخرج المجتمعون بعد جدال مطول بـ ١٥ توصية مبدئية للنهوض بالصحة المدرسية ، كان من اهمها :

١ ـ ضرورة تشكيل لجنة مركزية دائمة فى كل دولة ، لبحث شئون الصحة المدرسية فيها ، وتضم هذه اللجنة اعضاء من وزارتى التربية والصحة ، ومن مهامها التخطيط ، وتقييم خدمات الصحة المدرسية ٠٠

٢ ـ تمتد خدمات الصحة المدرسية لتشمل المدارس الاهلية ٠

٣ ـ لا مانع من وجود « مقصف » لبيع المأكولات الجاهزة ، والمياه الغازية والحلويات فى المدرسة (وهذه اول مرة يسمح فيها بمثل هذه التوصية)٠

٤ ـ يجب تحسين الامكانات لتدريس مادة التربية الصحية فى المدارس ٠

٥ ـ تقوية الصلة بين المدرسة والبيئة المحيطة بها ٠٠ فالمدرسة التى فى القرية عليها ان تشع على البلدة وترشد الاهالى الى الاسلوب الصحى فى الحياة ٠٠

٦ ـ عمل تقييم الخدمات الصحية المدرسية للنهوض بمستواها ٠٠

لقد تبنت هيئة الصحة العالمية هذه التوصيات، وبقى على الدول الاعضاء ان تنفذها ٠٠

متاعب الصحة المدرسية

ان مشاكل الصحة المدرسية فى مختلف بلاد العالم كثيرة وشائكة ٠٠ والتعامل مع النظار والمدرسين والطلبة ، والطالبات ، ليس من الامور الهينة السهلة ابدا ٠٠

نجد بعض النظار ، من ناحية ، يعرقل حصص التربية الصحية بمختلف الاساليب والمعاذير ٠٠ والطلبة من ناحية اخرى يتمارضون ويؤلفون الطوابير الطويلة امام عيادة الطبيب ، كل منهم يحاول الوقوف فى آخر الصف حتى يتاخر وتنتهى ساعة العمل ٠٠ ان هذا يتيح له فرصة ذهبية للهروب من الفصل ومن الدروس ! !

ونتيجة لهذه الاسباب وغيرها ارتفعت الاصوات تطالب بان تصبح الصحة المدرسية ٠٠ صحة وقائية فقط ، ليس لها اى دخل فى العلاج ٠

حتى لا يضيع وقت التلميذ

وعرضنا الامر على الدكتور خالد حسين رئيس الصحة المدرسية فى الكويت فقال لنا :

« الصحة المدرسية فى بلاد العالم تنقسم الى نوعين :

ـ فى البلاد المتقدمة :نجدها صحة وقائية فقط ٠٠

فى عيادة الصحة المدرسية بجامعة الكويت ، عملية اسعاف سريعة يقوم بها الدكتور عبد الامير الكليدار ، لطالب جامعى٠



• اما في البلاد النامية فهي صحة وقائية وعلاجية معا .. ولا يمكنها الا ان تكون كذلك .. ففي البلاد المتقدمة تجد التنسيق دائما بين وزارة الصحة وبين ادارة الصحة المدرسية .. بمعنى ان الاولوية في العلاج في المستوصفات والمستشفيات للتلاميذ والطلبة حتى لايتاخر الواحد منهم عن مدرسته .. انهم جيل المستقبل ، والبلاد ستعتمد عليهم لبناء مستقبلها ، لهذا كان من الضروري اعطاؤهم الاولوية ، على بقية المرضى ».

وهكذا نجد انه كلما تحسنت وارتفعت مستويات الصحة العامة تبع ذلك – وليس قبله – تحول الصحة المدرسية الى صحة وقائية فقط .

• ان الصحة المدرسية هي احدى فروع الصحة الوقائية الكبرى ، لهذا كانت هي الاساس .. الا اننا حريصون على عدم اضاعة وقت الطالب ، فبدلا من ان تحوله الى المستشفى نتيجة امراض بسيطة نقوم نحن بعلاجها، مثل الصداع ، والمغص، والرمل في العين ، والم الاسنان وغيرها .. اما الحالات الطارئة الخطرة فنحولها في الحال الى المستشفيات العامة لعلاجها ».

• وعندنا في الصحة المدرسية ٥٠ طبيبا عاما ، و١٧ اطباء اخصائيين يعملون بمركز الصحة المدرسية في عيادات الانف والاذن والحنجرة، والجلد، والعيون والامراض النفسية ، والامراض الباطنية ، والصدرية والاسنان .. وفي العام الدراسي القادم سوف يكون عندنا عيادة لمرضى القلب ، واخرى للاطفال ! . »

التربية الصحية

ويتطرق الحديث الى التربية الصحية ، فيقول الدكتور خالد حسين : « بدانا في العام الماضي بتطبيق التربية الصحية في مدارس الكويت : نأخذ ساعة من وقت النشاط المدرسي يذهب خلالها الطبيب الى المدرسة ومعه وسائل ايضاح كثيرة : افلام متحركة وثابتة .. وملصقات .. ويتحدث الى الطلبة عن مختلف المسائل من التدخين وفقر الدم ، والامراض المعدية والام الاسنان .. وفي العام الماضي قمنا بعقد عشرات الندوات مع الطلبة والصقنا مئات اللوحات الايضاحية على الجدران » ..

• ونامل كثيرا ان تتطور التربية الصحية في العام القادم ، بحيث يستطيع الطبيب من خلالها



«رشيف خاص لبطاقات مكافحة الدرن لجميع طلبة مدارس الكويت، تحتفظ به ادارة الصحة المدرسية في مكاتبها .

ان يعقد ندوات مع الطلبة عن امور تكون اكثر تعلقا بالتغيرات التي تطرأ على اجسامهم ، بعد وصولهم الى سن البلوغ » ..

سؤال

ان ما تم عمله حتى اليوم لتحسين صحة تلاميذ المدارس الحكومية في الكويت يعتبر من الاعمال الكبيرة .. ولكن بقيت هناك امور كثيرة اخرى ينبغي عملها ..

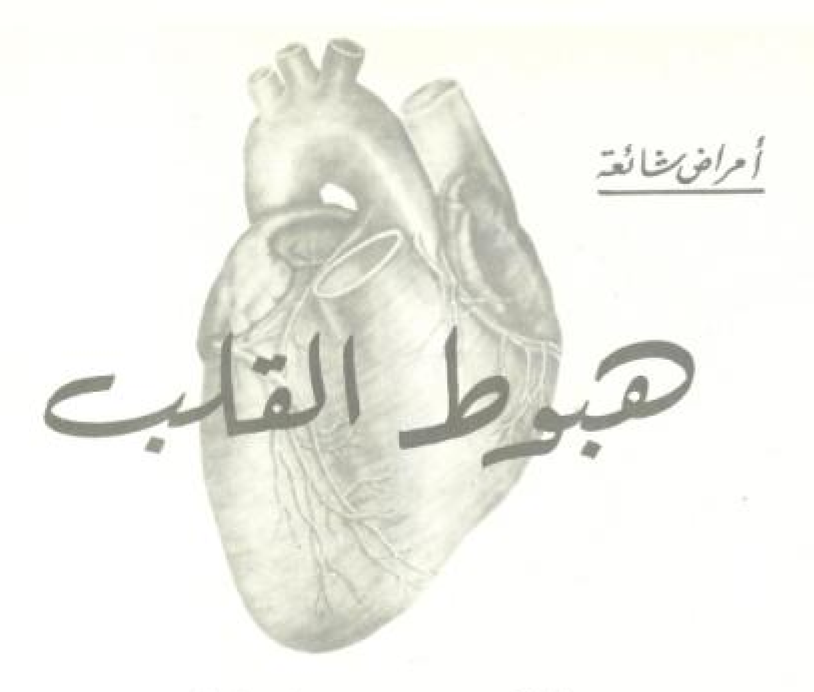
ان مسئوليات الصحة المدرسية في الكويت تتنوع وتتعدد في كل عام ، لتواجه زيادة طلابية سنوية بمعدل ٢٠ الف طالب في المدارس الحكومية .. وتوصيات مؤتمر بغداد ، بضرورة شمول خدمات الصحة المدرسية لطلبة المدارس الاهلية – وعددهم ٣٥ الف طالب وطالبة في الكويت – هذه الزيادات النسبية الكبيرة في اعداد الطلبة تجعل الصحة المدرسية تتساءل : الى متى استطيع العمل وقائيا وعلاجيا ؟

سؤال ستحدد السنوات القادمة الاجابة عليه .

■■

سليم زبال

أمراض شائعة



هبوط القلب

للدكتور محمد محمد ابو شوك

■ احببت ان اكتب في هذا المرض الشائع لالقي بعض الضوء على جوانبه المختلفه والتي ما زالت خافيه على المريض وعلى من حوله فالمريض لا يعطى نفسه العنايه الكافية ، ونراه يتخبط في علاج نفسه ، فلا ياخذ العلاج تارة ، او يستحوذ عليه المرض تارة اخرى فيتغالى في كل شيء ، ولطالما جرته هذه المغالاة الى عواقب وخيمة ، ومضاعفات شديدة ، كان في غنى عنها لو توخى الاعتدال ، والمنهاج السليم .

ولعل وقع كلمةهبوط القلب Heart Failure في نفس المريض لها الاثر كل الاثر في حياته ، بل وفي نفس من حوله فالكثير يظن انه ما دام قد هبط القلب ، فلا شفاء يرجى ، ولا علاج يفيد ، وحياة المريض مهددة بالخطر . ولو علم المريض وذووه انه كثيرا ما يحيا مريض القلب بعد هبوطه سنوات وسنوات يمكنه فيها ان يعمل وينتج ويحافظ على اسرته ، ويبنى لها مستقبلها ، لما نظروا هذه النظرة اليائسة الى هذا المرض ، ولعل البعض يظن انني ابعث الامل فقط في نفوس المرضى ، ولكنني في الوقت نفسه ابنى ما اقوله على اساس علمي سليم ، وعلى سنوات عديدة من الخبرة .

متى نقول ان القلب قد هبط ؟

نقول ذلك عندما يعجز القلب عن ضخ الدم الذى يحتاجه الجسم ونقول ان القلب ليس في حالة تكافؤ لانه يقصر عن ضخ الدم الذى يصل اليه .

اسباب هبوط القلب

القلب كعضو له اهميته في الجسم يتكون من عضلة قوية تنقبض وتنبسط لتدفع وتتلقى الدم في نظام دقيق يستمر ما استمرت حياة الفرد ، وبالقلب صمامات بين حجراته وصمامات على الشرايين التي تخرج منه ، ويغطى القلب غشاء رقيق يسمى اتامور Pericardium

وتتغذى اجزاء القلب المختلفة عن طريق الشرايين التاجية التي تحمل الدم بما فيه من غذاء واكسجين لخلايا القلب المختلفة . ويتضح جليا انه اذا حدث خلل في اى جزء منهذه الاجزاء ، واستمرت لفترة طالت أم قصرت حسب تحمل طاقة كل جزء يعمل في القلب ، فانه في النهاية يؤدى الى عدم تكافؤ القلب ويحدث الخلل في المضخة وقصور في عملها وهو الذى نسميه

بهبوط القلب . على انه فى بعض الحالات يكون الخلل او بمعنى اخر المرض فى جزء خارج عن القلب ، ولكن هذا بالتالى يؤثر على القلب ففى بادىء الأمر يحاول القلب ان يتغلب على العوائق التى تعتريه ، فيقوى من عضلاته فتتضخم ،ولكن لكل شىء مدى .فعندما تستمر هذه العوائق لفترة طويلة ، تنهار هذه العضلات القوية وتضعف وترتخى ويحدث هبوط القلب وتتمدد حجراته .

من ذلك يتضح ان هناك اسبابا عدة لهبوط القلب ففى امراض القلب نجد ان اهمها روماتزم القلب الذى يؤثر فى عضلة القلب وفى الصمامات ـ ضيق او انسداد شريان تاجى القلب وهو يسبب اعلى نسبة فى هبوط القلب .ثم الامراض التى تصيب التامور ، وما ينتج عنه من تضييق حول الاوردة التى تصب فى القلب او حول حجراته وتسبب فى النهاية هبوطا فيه .

ثم الامراض الخلقية فى القلب وما تؤول اليه فى النهاية من عدم تحمل هذا القلب غير الطبيعى اعباء الحياة وما يحتاجه الجسم باجزائه المختلفة من دم لازم له ليتمكن من تادية وظائفه الحيوية .

واذا ما تعرضنا للاسباب خارج نطاق القلب والتى تعوقه عن عمله ،وتؤثر عليه نجدها عديدة نذكر منها ارتفاع ضغط الدم ، فالقلب يدفع الدم فى شرايين ازدادت مقاومتها له .فيستمر لفترة متغلبا على هذه المقاومة الى ان تنهك قواه ، فلا يمكنه دفع الدم اللازم ويكون هبوط القلب وما يتبعه من اعراض .وكذلك امراض الرئتين المزمنة وما تؤول اليه من ارتفاع فى ضغط الدم داخل الشريان الرئوى الى الحد الذى لايقوى ان يدفع البطين الايمن ما به من دم ليتاكسد بالرئتين وبالتالى لا يكون الدم مؤكسدا تاكسدا طبيعيا ، ويختزن الدم خارج القلب فى الاوردة وفى الكبد واجزاء الجسم المختلفة ، بل ومن جراء ارتفاع ضغط الدم داخل الأوردة والشعيرات الدموية يخرج سائل الدم خارج الاوعية الدموية مسببا التورم الذى يلاحظ فى الوجه مع زرقة به والتورم فى القدمين والساقين بل وربما امتد الورم الى جميع اجزاء الجسم ، واذا زاد رشح السائل من الدم امتلأ به تجويف البطن وتجويف الصدر بمايعرف بالاستسقاء ،والانسكاب البلورى .

ومن الامراض الخارجة عن نطاق القلب ولكنها تسبب هبوطا له نجد ايضا التسمم الدرقى Hyperthyrodism ـ اى كثرة افراز الغدة الدرقية وفقر الدم الشديد ونقصا فى المواد الغذائية الهامة للجسم اهمها البروتينات والفيتامينات » .

الاعراض

وتختلف اعراض هبوط القلب باختلاف السبب الذى ادى اليه ، ولكنها كلها تجتمع فى النهاية على اعراض ظاهرة يشكو منها المريض ، عدا الاعراض التى تظهر بسبب المرض .

ضيق التنفس

ويختلف هذا حسب تطور المرض فنجده مثلا فى حالة ارتفاع ضغط الدم عند مايبدا الهبوط فى الظهور يحدث للمريض ضيق فى التنفس بعد ان ينام لفترة فيستيقظ على هذا الضيق والاحساس بالاختناق فيتجه الى النافذة فيفتحها لعله يحصل على هواء اكثر ،ويصحب ذلك سعال شديد يزيد من سوء حالته مع رغوة تخرج من صدره وربما كانت مدممة بعض الشىء ثم ان الحالة تهدأ بعض الشىء فيعود المريض الى طبيبه ليكتشف انه يعانى من هبوط بالقلب . على ان ضيق النفس يزداد سوءا كلما تقدمت الحالة فيكون اولا عند القيام بمجهود عضلى ، ثم يحدث ذلك والمريض فى سريره مما يدل على تقدم الحالة ، وفى حالات اخرى لا يمكن للمريض ان ينام الا وهو جالس ، وفى حالات اخرى ـ وذلك يعود الى شدة احتقان الرئتين ، وعندما تهبط الجهة اليمنى من القلب ، ولا يذهب الدم الى الرئتين للتاكسد ـ نرى ان هناك زرقة فى الوجه وفى الشفتين مع انتفاخ اوردة الرقبة التى ترى والمريض جالس ، ويتبع ذلك تضخم فى الكبد وتورم فى الساقين وفى اجزاء عديدة من الجسم . ونظرا لاحتقان المعدة والجهاز الهضمى نرى ان المريض يفقد شهيته للاكل ،واذا تاثر الدم الذاهب الى المخ نراه فى بعض الاحيان فى حالة عدم استقرار وقلق شديد مع ارق يزيد فى انهاك جسمه وتاثر قلبه .

وبسبب تورم الجسم يقل البول . ولعدم حركة الامعاء وركون المريض الى فراشه نجده يعاني من امساك شديد مع انتفاخ في البطن .

تشخيص المرض

ويستعان على تشخيص المرض باخذ تاريخ دقيق له . ولا يفوت المريض ان يسرد لطبيبه كيف بدأ المرض معه . ومدى تقدم المرض ويستعان بذلك بالكشف على المريض كشفا دقيقا حتى يصل الى اصل المرض . وتعمل الاشعة اللازمة على القلب وتخطيط القلب واذا اشتبه في مرض خلقي ربما استعان الطبيب بعمل قسطرة للقلب واشعة ملونة لحجرات القلب والاوعية الدموية التي تخرج منه . وكذلك لا بد من معرفة الاسباب الخارجة عن القلب والتي تؤثر عليه حتى تكون على بينة من كل ما يحيط به من عوامل مؤثرة .

العلاج

هناك حقائق لا بد من ان يعرفها مريض هبوط القلب ويتعرف عليها اقاربه حتى يعرف الطريقة السليمة التي يجب ان يستمر عليها . عجبت كثيرا لمرضى هبوط القلب بالخارج وتبينت انهم على بينة صحيحة من مرضهم . فهم يقرأون ويفهمون الشيء الكثير حتى ان الواحد منهم يحس بحق انه طبيب نفسه . ومتى يستعين بطبيبه في الوقت المناسب وما هي الاشياء التي لا بد ان يسال عنها طبيبه اذا ذهب لزيارته وليتحقق انه ما زال على الطريق الصحيح في العلاج .

ثم انه فوق ذلك يعرف الادوية التي يتناولها معرفة دقيقة . وما هو الضرر لو استعمل كمية اكثر وما مضاعفات هذه الادوية . ثم انه عنده الدراية الكافية عن الاطعمة التي يجب ان يبتعد عنها . والاعمال الشاقة التي يجب ان يتلافاها . كل ذلك هيا الجو المناسب لمرضى هبوط القلب مما جعلهم يعيشون حياة اقرب الى الطبيعية ولفترات تمتد الى سنين طويلة دون معاناة او دون دخول المستشفى الا لفترات قصيرة ونادرة .

ولو قارنا هذا الوضع بحالة مرضانا نحن هنا في الشرق لوجدناه يختلف اختلافا كليا فالمريض عندما يخرج من المستشفى وهو في حالة حسنة تراه يهمل في علاجه . بل ولربما توقف عنه كلية لتعاوده نوبة هبوط القلب مرة اخرى . او انه يستمع الى احد اصدقائه او معارفه بان هذا العلاج ليس صحيحا واحرى به ان يتعاطى العلاج الذي يتعاطاه فلان من المرضى . او يصف له احد ادعياء الطب علاجا آخر وهكذا . فلا يلبث المرض ان يعاوده المرة بعد المرة مما يستدعي دخوله المستشفى وقد زادت حالته سوءا . او هذا الذي يهمل حتى مراجعة الطبيب ويظن انه طالما انه يسعى في الارض فهو بخير ولا حاجة لمراجعة الطبيب الا عندما يهبط قلبه مرة اخرى . ثم هذا الذي لا يحلو له طعام الا الممنوع عنه . فتراه لا يحب الا الاكل المتلىء ملحا . او هذا الاكل الدسم الذي يزيد في وزن جسمه . وبالتالي يرهق قلبه ويحمله ما لا يطيق فسرعان ما يهبط . بل ويكون الهبوط شديدا ربما أودى بصاحبه . والادهى والامر ان يصر مريض على ترك المستشفى دون ان تتحسن حالته . ضاربا بنصح الطبيب عرض الحائط ثم اذا به يعود في اليوم التالي وهو في اسوأ حال . وربما استعصى علاجه .

ثم النظر الى اقارب المريض واصدقائه ومعاونيه يرهقونه بالزيارة . ويتحدثون اليه فيما يشتهي وما لا يشتهي ويرغمونه على مجاراتهم الحديث ولو ارهقه ذلك . ثم اذا بهم يحضرون الاطفال . ويتكدسون في حجرته او من حوله او فوق سريره وكانهم ذاهبون لحفل عرس لا لزيارة مريض . ولا يحضرون الا الاطعمة التي تضر بالمريض . ثم هم يحلفون عليه يتناولها والا غضبوا منه . ويدعونه الى عدم سماع ما يقوله الاطباء . فكله كلام فارغ . ولا يتركونه الا في نهاية الزيارة التي يطيلون وقتها حسبما يريدون لا حسبما يريد الاطباء او المديرون . ويا ليتهم يحضرون بعد ان يتركوا مريضهم ليروا باعينهم ما تركت فيه الزيارة من آثار . عنده قيء وذاك اسهال وذلك ارهاق شديد وهذا زادت الامه وهذا حدثت له مضاعفات كان هو في غنى عنها لو لم يحضر احد لزيارته .

وكأني بهذه المناظر تجرى على مرأى ومسمع منا في مستشفياتنا . ونمدح الغرب ومستشفياته فهلا عملنا بنظام الغرب واخذنا بما يقوم به اهل المريض هناك . نجد انه لا يسمح بزيارة

المريض الا للشخصين او ثلاثة على الأكثر ويدخل الواحد تلو الآخر ببطاقة خاصة ووقت محدد ، ولا يزوره الا اذا سمح الطبيب بذلك . فتجد دائما واحدا فقط بجوار سرير المريض ، ثم ماذا يحضر معه ، باقة من الزهور ، او حتى زهرة واحدة تعبيرا عن شعوره ازاء مريضه ، ثم لا يرهقه في حديث ولا تسمع وقت الزيارة الا همسا وهدوءا يعم ارجاء الاجنحة ، ولو وجد الزائر احساسا بان مريضه متعب استأذنه بالانصراف وتركه ليستريح او ويترك له بطاقة متمنيا له الشفاء ، ثم هو كذلك لا يتدخل فيما لايعنيه ،فلا يسأل لماذا لم ياخذ المريض هذا ولماذا لم يعط ذاك ،فامر كل مريض الى طبيبه ،هناك البسمة حق محيا كل زائر والتمنيات الطيبة من الشفاء. ولا تجد طفلا بصحبة زائر والكل يحافظ على نظافة المستشفى ونظافة اجنحة المرضى ، نظام ودقة وهدوء كله مسخر لراحة المرضى ٠

علاج الحالة الحادة

على انه فيحالة هبوط القلب اى الحالة الحادة التيتستدعى دخول المريض المستشفى يلزم ذلك راحة المريض الراحة التامة بالفراش في بادىء الامر ، مع وضعه في موضع مريح بان ترفع الوسائد وينام المريض شبهجالس معوجود وسائد مريحة يضع عليها ذراعيه ، هذا الوضع يريح القلب فلا تضغط البطن والحجاب الحاجز الى اعلى على القلب والرئتين فتزداد صعوبة التنفس ، وفي حالة الزرقة اي عدم تاكسد الدم التاكسد الكافي فيستعاض عن ذلك باعطائه اكسجينا حسب حاجته الى ان تتحسن حالة القلب ٠

هذه الحالة من راحة واعطاء اكسجين تستمر حسب ما يرى الطبيب لان طولها ربما سبب اضرارا للمريض وليضع كل مريض نصب عينيه ان كل حالة هبوط قلب ليست شبيهة بالاخرى بل ان كل مريض يعالج حسب حالته فلا يسمع من احد ان مريضا قضى مدة اطول منهفي السرير، على ان يتبع الراحة في الفراش ان يحرك المريض ساقيه مرةن لاخر ،خوف حدوثتجلط داخلالاوردة في الساقين وما يتبعذلكمنمضاعفات ٠ويستحسن في فترة الراحة الأولى الى ان تتحسن حالة المريض ان يستعمل (مبولة) وان يقضى حاجته على كرسى خاص بجوار الفراش ، وعندما يسمح للمريض بمغادرة الفراش يجب ان يكون تدريجيا وعلى قدر ما يتحمل من مشقة وذلك الى ان يغادر المستشفى ويعود الى بيته ٠

الغذاء

واهم ما في الغذاء ان يكون سهل الهضم بكميات قليلة ، اى لا يملأ المريض معدته ويسير على نهج الوجبات ، بل ياكل كمية قليلة كل ساعتين ويكون طعامه منالنوع المسلوق اوالشواء، فلقد وجد انالمواد الدهنية تزيد فياعباء القلب، واذا كان هناك ورم في الساقين او في انحاء عدة في الجسم وجب التقليل منالملح لا الامتناع عنه، وتقل السوائل حتى لا يزيد الورم ٠

واذا ما ترك المريض المستشفى ليتابع علاجه في البيت فلياخذ حذره وليكن حريصا على ان لا يتردى في اكلات دسمة كبيرة او تراوده نفسه في اكلة كلها ملح او اكلات تسبب له عسرا في الهضم ، ولا يملأ معدته خصوصا في العشاء فتمتلىء هذه وتضغط على قلبه وتكون النوبة مرة اخرى ، ولتكن وجبة العشاء خفيفة ، ولتكن في وقت مبكر لينام ومعدته خفيفة الحمل واذا احس بجوع فليكن كوبا من حليب او عصير فاكهة طازجة ٠ وليبتعد عنالمنبهات خصوصا اثناء الليل حتى لا تؤرقه امثال القهوة والشاى والمشروبات الغازية واذا اخذت فلتكن بكميات قليلة اثناء النهار ٠

ولياخذ كل مريض بهبوط القلب في اعتباره انما يريحغيرهمن طعامربما اضر به ، لذا كان من واجبه ان يتناول ما لا يضره ويبتعد عما يسبب له المتاعب ٠

العلاج بالدواء

واهمها العلاج بمركبات الديجيتالا ، وهي تساعد على التقليل من سرعة ضربات القلب ، وتقوية عضلاته فيسترد القلب قوته لضخ الدم في جميع اجزاء الجسم فتتحسن حالة المريض ٠ وتعطى هذه المركبات بكميات وافية بادىء الامر ثم تقلل حسب استجابة المريض للعلاج ، ويعطى المريض ما يسمى بالجرعة الدائمة عند خروجه من المستشفى على ان يستمر عليها الى ان يراجع

طبيبه وككل دواء فلمركبات الديجتالا مضاعفات، منها القيء والنقص الشديد في عدد ضربات القلب ،فاذا قل النبض عن ٦٠ نبضة في الدقيقة وجب على المريض سؤال طبيبه او مراجعته ليقلل له من الجرعة اذا رأى ذلك ، وكذلك فقدان الشهية والقيء لعدة ايام يستدعي انتباه المريض الى ان يوقف الدواء ويراجع طبيبه ، ولا يجوز له باي حال من الاحوال ان يوقف الدواء عندما يشعر بتحسن ويقول انه لا داعي للعلاج اذ انه بهذه الطريقة يهدم ما بناه اثناء اقامته بالمستشفى، وما بذله اطباؤه من جهد ، فتعود حالته الى سيرتها الاولى ويهبط القلب مرة اخرى ، ولا يقلل الدواء الا باذن من الطبيب المعالج بعد ان يقف على الحالة ويقيمها ، ومدى الاستجابة للعلاج ٠

مدرات البول

وهذه لها اهميتها الخاصة في ازالة السوائل المختزنة في الجسم وبالتالي ينقص العبء عن القلب وتتحسن حالة المريض ولا يحس بثقل جسمه وسرعة نهجانه عند قيامه بعمل ولو بسيط ، ويلاحظ معها زيادة كمية البول وتبعا لذلك يفقد الجسم ما اختزنه من ملح يساعد على اختزان هذه السوائل ، وتبعا لذلك ايضا يفقد الجسم املاح البوتاسيوم الهامة في الجسم والتي ان قلت عرضت القلب لمضاعفات منها زيادة دقاته وعدم انتظامها ، لذا كان من الواجب امداد الجسم بهذه الاملاح فتجد الطبيب يضيف هذه الاملاح على هيئة اقراص تعطى مع مدرات البول ، وواجب على المريض عدم التهاون في اخذها ،ومدرات البول على انواع مختلفة يختار منها الطبيب ما يناسب كل مريض ٠

وهنا ايضا تختلف استجابة كل مريض للعلاج عن الاخر فلياخذ كل مريض ما وصف له من علاج ولا ينظر الى ما ياخذه غيره

المنومات والمهدئات

يحتاجها المريض اذا كان الارق حليفه اذ اننا نريد لمرضى هبوط القلب الراحة التامة والنوم الهادىء اثناء الليل ، فاذا لم يحدث ذلك يمكن للمريض ان يستعين بها على انه من الاهمية بمكان ان لا يستعملها الا عند اللزوم وبكميات يصفها الطبيب وذلك خوف الادمان ، ولا يخاف المريض من استعمالها من ان لآخر ويترك نفسه للارق والاجهاد وتعرضه لنوبة هبوط القلب اذا لم يتعاطها في الوقت المناسب ٠

علاج السبب

وكما اسلفت هناك اسباب عدة لهبوط القلب بعضها لو عولج في الوقت المناسب قبل ان يؤثر على عضلات القلب فان هبوط القلب لا يعاود المريض ، من ذلك الاسباب التي تزول بالتدخل الجراحي كامراض القلب الخلقية وكضيق الصمامات وتوسعها ، وتكلس التامور ، وارتفاع ضغط الدم الذي ينتج من ضيق في شريان الابهر ، او وجود كلى واحدة ضامرة ، وعلاج التسمم الدرقي بالتدخل الجراحي وغير ذلك ٠

وهناك اسباب تعالج بالادوية وبتحسن حالة المريض يتحسن القلب ولا يعاوده الهبوط كفقر الدم الشديد مثلا او التهاب الرئتين المزمن ، على ان هناك من الامراض ما يستدعي العلاج الدائم المتواصل كارتفاع ضغط الدم الأصلي فاذا تهاون المريض في علاجه بعد ان يكون قد وصل الى مستواه الطبيعي ارتفع ضغطه مرة ثانية وهبط القلب لذا كان من الواجب معرفة سبب هبوط القلب وعلاجه مع تبصير المريض بحالته ٠

ومريض هبوط القلب كغيره من الناس معرض لاي مرض اخر كالالتهابات ،ومرض البول السكري وامراض الجهاز الهضمي وغيرها ولكنه ليس كغيره في قدرة التحمل لمثل هذه الامراض لوقت طويل فهي تؤثر فيه بشدة ثم بالتالي تؤثر على قلبه وتسبب له الهبوط ، لذا كان من الواجب علاج اي مرض عارض بسرعة وبدقة متناهية ٠

ونصيحتي لمريض هبوط القلب هي عش في حدود قلبك دون ارهاق وكن متوسطا في كل ما تعمل ولا تدع قلبك يسيطر على كل ما فيك فتكن مجنونا بقلبك ٠ ونفذ تعليمات طبيبك بكل دقة واستفسر منه عما يعن لك من الامور لتكون على بينة من مرضك وراجعه من آن الى اخر ، لتعيش سعيدا قرير العين هادىء البال ٠

■■

د ٠ محمد محمد أبو الشوك



نظرة فاحصة على - حرب الشرق الأوسط ٦ اكتوبر ١٩٧٣

تأليف : فريق من محرري صحيفة الصنداي تايمز البريطانية

■ هذا اول كتاب يتصدر عن حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية • وقد تم طبعه وصدوره في بريطانيا في مطلع عام ١٩٧٤، وقام باعداده وتحريره نخبة من مراسلى صحيفة « الصنداى تايمز » الذين شهدوا معارك سيناء والجولان في الجانبين العربي والاسرائيلي • ومن المراسلين من كان بالقاهرة ودمشق والقدس وتل ابيب،على مقربة منالدوائر السياسيةوالصحفية في هذه العواصم • ومنهم من كان في واشنطن ، مقر البيت الابيض ، ونيويورك حيث هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن • وفى هاتين المدينتين يمكن ان يطلع المرء على خلفيات الأحداث ومخفياتها •

والكتاب شامل ووافٍ يغطى احداث الحرب ووقائعها ، ويكشف عن خططها وعملياتها،ويميط اللثام عن احداث السياسة قبل الحرب وبعدها • وهو مزود بالخرائط التى تبين سير العمليات العسكرية ، ويشتمل على ملحق بصور الاسلحة المستخدمة في الحرب ،ويشرح فاعليتها ومزاياها •

وقد كتب هذا الكتاب باسلوب صحفي شيق ، ويمتاز بعمق التحليل ، وهدوء المناقشة وموضوعيتها ، فيقابل اقوال الاطراف المتنازعة ، ويحللها برويئة واتزان ، ويحاول ان يساعد القارىء في التوصل الى الحقيقة بعد استبعاد المبالغة في اقوال كل فريق من فرقاء النزاع •

وعلى غير عادة الغالبية العظمى من الكتاب الغربيين الذين يتناسون المأساة الفلسطينية ، نجد ان هذا الكتاب يحاول ان يعود بالنزاع الى بعض اسبابه ودوافعه ، فيذكر معاناة الشعب الفلسطيني منذ ان طرد من وطنه في حرب ١٩٤٨ وما تلاها من حروب حتى عام ١٩٧٣ ،وما تمخضت عنه من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ وما فيه من غموض وثغرات ، ثم دور الامم المتحدة ووسيطها الدكتور « جونار يارنج » وجولاته بين العرب واسرائيل ، ثم انهيار مساعيه لتصلب اسرائيل وعنادها ، رغم ما ابداه العرب من مرونة وليونة مع هذا الوسيط وغيره من الوسطاء •

على الرغم من كل هذه المزايا التي يتمتع بها الكتاب ، نجده احيانا يبتعد عن تحليل بعض الحقائق الهامة ، فهو مثلا لا يبرز دور التسليح الامريكي لاسرائيل في المعارك ، مما غير من سير الاحداث لغير صالح العرب ، ولكنه بدلا من ذلك يعزو كل ما حققته اسرائيل في اخر ايام القتال

الى كفاءة جيشها جنودا وضباطا وقادة . صحيح انه تدارك هذا الاهمال بعض الشيء في اخر الكتاب فذكر على لسان رئيس تحرير الاهرام محمد حسنين هيكل ان كيسنجر قال له بشأن التسليح « ان الولايات المتحدة لا يمكن ان تسمح اليوم اوغدا للسلاح السوفيتي ان يتفوق على سلاحها ـ ان هذه مسالة ينبغي ان لاتهمكم ، ولاتهم اسرائيل .. انها مرتبطة مباشرة بامر ميزان القوى بين القوتين العظيمتين » .. لقد كان هذا التدارك من الكتاب في غير موضعه وكتب بطريقة لاتبرز اهمية السلاح الامريكي في قلب ميزان المعركة .

وعلى اية حال فالكتاب ممتع ، لذلك نورد في بقية هذه الكلمة بعض ما جاء فيه .

السادات يقرر الحرب

يبدو ان الرئيس السادات قرر الحرب منذ ان تسلم الحكم بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، فالوضع كان يتطلب ذلك . وقد ذهب السادات الى الاتحاد السوفيتي للحصول على السلاح لبدء المعركة ، ولكن الروس خيبوا امله ، ولم يعطوه ما طلب ، فكان رد الفعل عنده طرده خبراءهم في مصر ، وبذلك اعطى الحرية والمرونة لنفسه كي يستعد للحرب منذ اكتوبر ١٩٧٢ ، وذلك حينما عين الفريق احمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للجيش ،واللواء سعد الدين الشاذلي رئيسا لهيئة الاركان .

لماذا لم تستطع اسرائيل ان تتنبأ بالحرب

ان فشل اسرائيل الذريع في التنبؤ بحرب اكتوبر يرجع الى اسباب رئيسية ثلاثة :

١ ـ السبب الاول عملي صرف ، ذلك لان اجهزة المخابرات الاسرائيلية ركزت جهودها في السنوات الاربع الماضية على ضرب الفدائيين الفلسطينيين ، وبالذات على عملياتهم في الخارج. ونظرا لندرة القوة البشرية في اسرائيل ، ولكي يمكنها مقاومة النشاط الفلسطيني كان لا بد من سحب كثير من عملائها الذين يعملون في المخابرات السياسية الموجهة الى كل من مصر وسوريا .

وقد ادى هذا النقص الى جعل اسرائيل في حالة ما يسمى ـ من جهة النظر البريطانية ـ بالمخابرات التقليدية ، تكون وظيفتها معرفة قدرة العدو ، لا نياته .

٢ ـ السبب الثاني ناجم عن الاول مما جعل اسرائيل تصاب بالعمى ، فاعتقدت ان العرب غير قادرين على التحكم في العمليات الفدائية والحرب التقليدية في آن واحد . وقد صرح موشي دايان ورؤساء اركان الجيش الاسرائيلي مرارا بان العرب يلجأون الى (الارهاب) ، لعدم قدرتهم على مواجهة اسرائيل في المعركة .

٣ ـ والسبب الثالث يعود الى الفلسطينيين ايضا،فمخابرات اسرائيل تنبأت بالحرب ولكنهاكانت تعتقد بانها ستنشب في مايو نتيجة عمليات فدائية .

لقد كان من نتيجة هذا « البعبع » الفلسطيني ان اصيبت اسرائيل بالعمى ،فلم تر الاستعدادات العربية التي كانت تجري في الصيف على قدم وساق .

ففي مارس بدا الرئيس السادات يبني استراتيجية سياسية عامة مع سوريا ، بغية توحيد اهداف الحرب ، واعادة العلاقات بين كل من مصر والاردن من جهة ، وبين الاردن وسوريا من جهة ثانية .

وفي ٢١ ـ ٢٢ ابريل اجتمع رؤساء اركان الجيوش العربية في القاهرة لتقييم الوضع العسكري الاسرائيلي . وقد صاغ الفريق احمد اسماعيل استنتاجاته ـ فيما بعد ـ عن المزايا التي تتمتع بها اسرائيل في اربع نقاط :

١ ـ قدرتها التكنولوجية ٢ ـ كفاءة التدريب فيها ودقته ٣ ـ اعتمادها السريع على الولايات المتحدة ٤ ـ استمرار الامدادات اليها بلا انقطاع.

وفي نفس الوقت اوضح ان اسرائيل تعاني من عيوب رئيسية هي :

١ ـ طول خطوط مواصلاتها التي تمتد على عدة جبهات مما يجعل من الصعب الدفاع عنها .

٢ ـ ندرة القوة البشرية فيها ، بحيث لا تسمح لها بان تفقد الكثير من عساكرها .

٣ ـ اموالها الاقتصادية لا تسمح لها بحرب طويلة المدى .

وقد جرت بعد ذلك اتصالات مع سوريا تباحث فيها المصريون والسوريون على توقيت المعركة ،

وظل الموضوع مثار اخذ ورد ، ولحل هذه المسالة طار الفريق احمد اسماعيل فى ٢ اكتوبر ١٩٧٣ الى دمشق ، واتفق الطرفان على ان تبدأ المعركة عند الظهر .

اما اختيار ٦ اكتوبر كيوم للمعركة فقد خطط له المصريون منذ شهور للاعتبارات الاتية :

١ - يكون فيه التاييد العربي والعالمي قد بلغ ذروتـه .

٢ - يصادف هذا اليوم ليلا مقمرا ، فالقمر يظهر فى موعده المحدد ، وقد اعتمدوا فى هـذا على حسابات الفلكيين .

٣ - يكـون فيه التيار المائي للقناة مـلائما لعملية العبور . وقد استدلوا على ذلك مـن مراجعة السجلات القديمة لشركة قناة السويس ، فقاسوا سرعة التيارات المائية .

٤ - فى هذا اليوم يكون العدو غير مستعد للحرب ، لانشغاله بيوم الغفران Yom Kippur وهو عيد بدء السنة اليهودية .

هذا الى جـانب الانشـغال بالاعـداد لمعركـة الانتخابات ، كما ان اسرائيل لم تكن تتوقع هجوما عربيا فى هذا الوقت الذى يصادف اليوم العاشر من رمضان المبارك ، وفيه يتفرغ المسلمون للصيام والعبادة . ولكن رغم ذلك فانه كان احد المزايا لانه يوم محبب عند المسلمين ففى هذا اليوم من عام ٦٢٣ م استعد النبى صلى الله عليه وسلم لمعركة بدر الكبرى وتيمنا به اطلق على حـرب اكتوبر « عملية بدر » .

الاستعدادات السرية للحرب

لقد حذرت وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية اسرائيل مـن خطـر نشوب الحـرب ، ولكـن اسرائيل لم تاخذ التحذير على محمل الجـد . ويبدو ان حادث معسكر « شناو Schonau » النمساوى ، قد استغله المصريون أحسن استغلال، لتغطيـة اسـتعداداتهم للحرب . فقد اسـتطاع الفدائيون الفلسطينيون اخذ خمسة يهود،ومسئول الجمارك النمساوى رهائن فى قطار يقل فوجا من اليهود المهاجرين من روسيا ، وهددوا بقتلهم اذا لم تقفل حكومة النمسا هذا المعسكر الذى اعد لاستقبالهم تمهيدا لنقلهم الى اسرائيل . وقال الفريق احمد اسماعيل بان مصر استغلت الحادث لتحويل انتباه انظار اسرائيل عن استعداد المصريين للمعركة . وبالفعل قامت المظاهرات فى اسرائيل وانشغلت صحفها ووزارتها بالاجتماعات وشجب القرار النمساوى باقفال المعسـكر ، وسـافرت « جولدا مائير » الى النمسا لاقناع مستشـارها اليهودى « برونو كرايسكى » كى يعدل عن قراره فلم تفلح .

ولكن يبدو ان اسرائيل علمت بالاستعدادات المصرية (ولكن لم تاخذها على محمل الجد) عن طريق محطات التقاط لها فى سيناء ، يديرها امريكان كانوا من قبل يعملون فى وكالة الامن القومى الامريكى ويحملون جوازات سفر اسرائيلية . ويدعم هذه المحطات جهاز تجسس الكترونى تابع لوكالة الامن القومى الامريكى ، يتسمع من قاعدة فى غاية السرية ، مقامة فى جنوب ايران ، تلتقط جميع الحركات فى الشرق الاوسط .

واذا كانت صواريخ سام المصرية قد عاقت طائرات الاستكشاف الاسرائيلية عن التقاط صور لاستعدادات مصر،فان الاقمار الصناعية الامريكية (Samos) قد اراحت اسرائيل من هذا العبء . ولكن كل هذه الحقائق التى تجمعت لدى اسرائيل عن الاستعداد للحرب لم تستطع ان تكشف عن نواياهم . وادعى « حاييم بارليف » رئيس الاركان السـابق انه كان يعرف نوايا العرب ، كما ان مصادر مقربة من السلطة العسكرية فى اسرائيل زعمت معرفتها بهذا الامر ، حتى موعد الهجوم المصرى ، ولكن اسرائيل كانت تعتقد ان الزعماء العرب كانوا غير مستعدين للحرب ، وانهم يخطئون دوما فى حساباتهم ، واذا قاموا بشن هجوم فانهم ولا شك سيهزمون ، فالغلبة دائما - على حد رايهم - لاسرائيل .

مائير تقرر الانتظار

فى الساعة الرابعة من صباح السبت أخبر « دافيـد اليعازار » رئيس الاركان الاسرائيلى « جولدا مائير » بان محطات الالتقاط الاسرائيلية والامريكية التقطت استعدادات العرب النهائية للحرب ، واستنتج بان الحرب واقعة لا محالة ، واقترح عليها بان يقوم سلاح الطيران الاسرائيلى فى الساعة الواحدة ظهرا بضرب العرب ، ولكن « مائير » عارضت الاقتراح خشية ردود الفعل الامريكية ، وقالت له : « كم من الاصدقاء سيبقى لنا لو عملنا ذلك ؟ » . واستدعت « مائير »

السفير الامريكي في السادسة صباحا فحذرها من القيام بالضربة الاولى ، والا فان امريكا ستجد نفسها غير ملزمة بمد اسرائيل بالسلاح . ثم قال لها السفير : اذا هجم العرب فانبلاده ستكون ملزمة ادبيا بالمساعدة .

الهجوم الضاري وتحطيم خط بارليف

بدأت الحرب في الساعة الواحدة والدقيقة الثامنة والخمسين بعد الظهر من يوم السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وذلكحينما اغارت خمس طائرات ميج ١٧ سورية علىالمواقع الاسرائيلية فيالقطاع الشمالي من الجولان ، تبعتها اسراب مؤلفة من ١٥ طائرة ميج اخرى .

وفي الثانية بعد الظهر عبر رجال الكوماندو المصريون القناة .

لقد كان اقتحام خط بارليف عملا باهرا ، فقد كان تحصينا هائلا ، وعبوره يحمل اخطارا جمة ، اذ توجد تحت كل نقطة من نقط الحراسة شبكة منالخزانات تحتالارض تتصل بانابيبتستطيع بمجردالضغط علىازرارها قذف الزيتعلىسطحمياه القناة فتتكون طبقة رقيقة حارقة . ولكن المصريين كشفوا هذا السر من قبل ، واستطاعوا في الليلة السابقة للهجوم سد هذه الانابيب بالاسمنت فابطلوا مفعولها .

وقد كان من الصعب عبور القناة برمائيا ، لانها متعددة ، وحوافها عالية وشبه عمودية ، هذا الى جانب الساتر الرملي الذى اقامه الاسرائيليون ويبلغ علوه من ٣٠ الى ٦٠ قدما ، ولذلك كان « دايان » يتبجح قائلا بان اية محاولة مصرية لعبور القناة سيقضى عليها في ٢٤ ساعة فقط . ولكن المصريين استطاعوا العبور في ست ساعات فقط مما يدل على عبقريتهم ، وحسن استعمالهم للاسلحة الحديثة التى بامكانها تدمير استراتيجية اسرائيل .

وللنفاذ من هذا الساتر الرملي الهائل خططت مصر من قبل لعمل ستين ممرا فيه على طولالقناة، وهذا يكلفها ازالة ما مقداره ٩٠٫٠٠٠ ياردة مكعبة من الرمال . وهذه الكمية تصل الى الضعف اذا اضفنا اليها كمية من الرمال الواجب ازالتها في الساتر الرملي الذى اقامه المصريون على الجانب الاخر للقناة . وقد صممعلى ان تكون سعة كل ممر ٢٠ قدما لان ذلك هو الحد الادنى لعبور الدبابة . وقد كانت الفكرة السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ تقضى باستعمال المتفجرات لشق الممرات ، ولكن ضابطا مصريا صغيرا يعمل فيسلاح الهندسة اقترح استخدام خراطيم المياه التى تعمل بضغط عال ومستمر ولمدة تتراوح من ثلاث الى خمس ساعات ، وهي اقل مننصف المدة التى تستغرقها المتفجرات، وتتغذى المضخات من مياه وسط القناة .

وامعانا في الحيطة والحذر لم تدخل مصر هذه المعدات الا في اللحظة الحاسمة .

وبعد استخدام المياه ، كان لا بد من تسوية حوافالممرات بالمتفجرات والبلدوزرات المصفحة . وفي العبور استخدم المصريون الطريقة الروسية في مد الجسور عبر القناة ، وهي الاولى من نوعها في الحروب ، ويطلق عليها جسر PMP ويستغرق اقامة الجسر الواحد على القناة نصف ساعة فقط، اى بمعدل ١٥ قدما في الدقيقة . اما الطريقة الروسية فهي عبارة عن سلسلة من اطواق على هيئة صناديق ، كل صندوق تحمله عربة خاصة وتنزله الى الماء بواسطة رافعة ، ثم تتبعها عربة ثانية لانزال طوق ثان يثبت في الاول وهكذا .

انها حرب لم تكن قد حاربناها من قبل

استطاع السوريون في يوم الثلاثاء ٧٣/١٠/٩ ان يثبتوا هجومهم ، فقد اصبح لهم اليوم جيش قوى قادر على الوقوف في وجه اسرائيل . ولكن

جولدا مائير وقد هالتها الحرب ..





.. وتحطمت اسطورة اسرائيل التى لا تقهر!
جنودمصر بعدأن اقتحموا خط برليف.. خط الدفاع الاسرائيلى « المنيع » !

الطيران الاسرائيلي رد على السوريين بضربات وحشية مستخدما النابالم ، ثم استعملت المدفعية بعد ذلك . وقدتكبد الاسرائيليون خسائر فادحة، ففي اربع وعشرين ساعة حاولت الطائرات الاسرائيلية انتركز غاراتها علىمواقع الصواريخ السورية « سام ٦ » وهذا افقد سلاح الطيران الاسرائيلي تفوقه . فتقدم السوريون نحو « الخشنية » وجعلوها مقرا لقيادتهم .

وكانت الخطة السورية فيبداية الهجوم تهدف الى شطر الجولان نصفين عند طريق القنيطرة ـ « فيق الرئيسي » . وفي نفس الوقت تستولى على الطريق في اقصى الجنوب ، وهو يصل الى اسرائيل مارا بقرية « العال » في الجولان .

وحتى تنجح هذه الخطة بادرت سوريا باحتلال جبل الشيخ عن طريق قوات محمولة جوا ، مما مكن السوريين من الرماية بالمدفعية على المواقع الاسرائيلية بسهولة .

وردا على الهجوم السورى قام الاسرائيليون بهجوم معاكس على المواقع السورية في الجولان صباح الاربعاء (١٠/١٠/١٩٧٣) وساروا على الطريق المؤدى الى دمشق فوصلوا سعسع ، ولكنهم ردوا علىاعقابهم،بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة . وكانت الكتيبة المراكشية متمركزة على طول سفوح جبل الشيخ تهددالقوات الاسرائيلية، بينما هاجمالعراقيون والاردنيون الزحفالاسرائيلي نحو الجنوب ، ولكن الاسرائيليين نجحوا فيالنهاية في مطاردة العراقيين حتى قرية دير العدس . اما القوات الاردنية باتجاه القنيطرة فقد انسحبت الى « جاسم » لعدم توفر الدعم الكافى لها من القوات السورية .

ونظرا لضراوة المعارك في سيناء والجولان قال « اريك شارون » : « لقد حاربتمدة ٢٥ عاما كلها مجرد معارك ، أما هذه الحرب فقد كانت حربا حقيقية » . وقال احد الاسرائيليين تعليقا على هذه الحرب : انها حرب تختلف عن الحروب التى خضناها مع العرب من قبل .

اسرائيل في ساعاتها الحرجة

لقد كانت الست والثلاثون ساعةالتى ابتدأت من صباح الاربعاء ١٠ اكتوبر حتى مساء الخميس ١١ اكتوبر حرجة بالنسبة لاسرائيل ، فقد اصبحت مقدرتها علىالحربفى وضعسيىءللغاية، وذلك للفشل الذريع الذى منيت به يوم الثلاثاء حينما قامت بهجومها المضاد في سيناء ، وهذا اثبت ضعفها وعجزها فيهذه الجبهة . اما الجولان فقد استنفدت قسما كبيرا من احتياطها . ولذلك اصبح هدف اسرائيل اخضاع سوريا في وقت مبكر وكاف ، قبل وصول اية قوات عربية الى المعركة وبخاصة من العراق والاردن .

ان تدمير طابور المدرعات ١٩٠ في سيناء بقيادة « عساف ياجوري » كان نكبة لاسرائيل ، وان اي هزيمة على غراره ستلحق بها ـ ولا شك ـ مصيبة كبرى لانه سيجعلها بدون احتياطي تماما. ولهذا كان لا بد من اعادة التسليح من الولايات المتحدة الامريكية .

وكانت « جولدا مائير » تعلم ماذا يريد « كيسنجر » وزير خارجية امريكا مقابل وعود التسليح . انه يريد موافقة اسرائيل على وقف اطلاق النار مع شروط واقعية ، وهي ترك العرب يمتلكون كسبهم الجديد . ولكن اسرائيل يمكنها ان تتحمل فقدان شريط من سيناء ، وقد صرح « ابا ايبان » في الامم المتحدة بصورة غير رسمية عن استعداد بلاده بالانسحاب من معظم سيناء . ولكن امن اسرائيل وكبرياءها لا يسمحان لها بان تعطي اي مغنم للسوريين في الجولان .

ولذلك رات الوزارة الاسرائيلية انه قبل ان تصبح في وضع لا يمكنها من رفض المقترحات الامريكية ان تعمل فورا على استعادة الجولان ، وانتزاع « القنيطرة » و « الخشنية » من السوريين ، وتم اتخاذ هذا القرار في صباح الاربعاء ، وفي المساء كان كل شيء قد انتهى ، ولكن بعد ان تكبد الاسرائيليون كثيرا من الرجال والدبابات بفضل استبسال السوريون وكفاءتهم في استعمال الصواريخ .

اريك شارون
يخطط لعبور القناة

فكر «شارون» في نقل الحرب غرب القناة لتخفيف الضغط على المضايق في سيناء ، وحتى يمكن عزل الجيش المصري الثالث الذي يعمل على ضفتي القناة عند السويس ، ولكن دايان واليعازار وبارليف عارضوا خطة شارون ، لانهم كانوا يفضلون الانتظار وعدم الدخول في مغامرة كهذه، فان كل يوم في نظرهم يمر على اسرائيل يمكنها من التزود من الاسلحة الامريكية الجديدة واستيعابها ، وهذا يزيد من قوتها وبالتالي يتحسن موقفها في سيناء ،كما انه كلما زاد تحشد المصريين في شرق القناة يقل عدد دباباتهم في غربها ، وهذا يسهل في النهاية على اسرائيل عملية العبور .

معركـة المزرعة الصـينية والعبور

لقد حدد « شارون » النقطة التي سيعبر منها القناة من قبل الحرب ، وذلك حينما كان يشرف على منطقة سيناء . وتقع هذه المنطقة بين بحيرة التمساح ، والبحيرة المرة الكبرى . وتبعد نقطة العبور بنحو ١٣ ميلا جنوب مدينة الاسماعيلية .

وتتلخص خطة شارون في استعمال احدى كتائب قواته المسلحة لتحويل انظار المصريين عن هدفه ، بينما تسيطر كتيبة ثانية على الطريق الذي يسير جنوب شرق من موقع الطاسة في سيناء ، الى البحيرة المرة الكبرى . وهذا الطريق يتصل بطريق القناة الرئيسي .

ويطلق على منطقة الاتصال هذه « المزرعة الصينية » ذلك لانه قبل حرب ١٩٦٧ قام بعض الخبراء الزراعيين من الصين بتجارب ري فيها ، وبناء عليه اطلق على الموقعة « معركة المزرعة الصينية » وهي التي مهدت للعبور .

وكان يرى « شارون » انه اذا تمكن من السيطرة على الطرق والمواصلات في المنطقة فانه يستطيع منها ارسال مهندسين وصنادل آلية ومظليين لتامين عملية العبور مع كتيبة تحارب في غرب القناة . وبالفعل تم نقل الدبابات في اول الامر بالصنادل، وبعد ذلك قام المهندسون بعمل جسر عبر القناة. وفي الساعة الخامسة مساء تمركزت القوة الاسرائيلية شمال المحور الذي يصل الطاسة بالبحيرة المرة الكبرى ، وبدات بالهجوم صوب الاسماعيلية لتحويل انظار الجيش المصري عن العملية ، وبالفعل انسحبت معظم القوة المصرية ٢١ تدريجيا من مراكزها لتواجه الاسرائيليين وهذا مما مكن الكتيبة الاسرائيلية الثانية من الاتجاه جنوبا تحت جنح الظلام ، ثم انحرفت غربا دون ان تواجه اية عقبة ، حتى وصلت البحيرة المرة الكبرى من الفجوة التي تقع بين الجيشين الثاني والثالث .

وقد انقسمت الدبابات الاسرائيلية لتقوم بثلاث مهمات : المهمة الاولى تامين نقطة الاتصال بطريق الطاسة ، وتسير شمالا بشرق كي تصل الى الطريق الرئيسي ومفاجاة القوات المصرية هناك من الخلف .

اما المهمة الثانية فتهدف الى تامين الطرق الجانبية المؤدية الى القتال (ويطلق عليها نقطة اتصال Y) وبعد ذلك تتجه القوة المكلفة بهذه المهمة بالسير غربا لتامين موقع العبور .



الاسرى الاسرائيليون بعد وقوعهم فى قبضة القوات السورية فى الجولان .. رؤوس منكسة ،وشعور بالمذلة والهوان .

أما المهمة الرئيسية فيقوم بها القسم الاكبر من القوة الاسرائيلية التى من واجبها عمل محيط متسع وآمن ، بدرجة تكفى حماية نقطة العبور من الشمال .

شارون يفقد عنصر المفاجأة

لقد فقد شارون عنصر المفاجأة حينما تعرضت قواته لضرب شديد بعد ان كشف المصريون هدفه . وقد وافقت القيادة الاسرائيلية فى النهاية على عملية العبور والاستمرار فيها على الرغم من ادراكها لخطورتها وتكلفتها ،ذلك لانها كانت تريد تحقيق نصر قبيل فرض وقف اطلاق النار الذى كان على الابواب .

اسباب نجاح العبور الاسرائيلى

ان نجاح عملية شارون لا ترجع الى عدم كفاءة الجيش المصرى على مستوى الجنود والضباط والقادة ، وانما السبب هو ان نجاح الحرب دائما يتوقف على سرعة توصيل المعلومات ،وهذا بدوره يحدد سير المعركة . وكما يقول روميل عن احكام وقواعد حرب الصحراء فان نتائج الرصد والاستطلاع يجب أن تصل الى المسئول باقصى سرعة ممكنة . واذا ما طبقنا هذا القول على حرب اكتوبر ١٩٧٣ نرى ان مسالة العبور لم يكن يعلم بها الجيش الثالث ، كما ان وزير الحربية والرئيس السادات لم يكونا على علم بالعبور الاسرائيلى اثناء توجههما الى مجلس الشعب

المصري ، علما بانه كان قد مضى على التمركز الاسرائيلي في غرب القناة احدى عشرة ساعة .

وعلى عكس المصريين امتاز الاسرائيليون بنشاط رصد واستطلاع واسع ، فلهم دوريات ومخابرات ميدانية ،ودائما يرسمون ويحددون مواقع اعدائهم باستعمال الراديو .

اما المصريون فكانوا لا يطلع بعضهم بعضا على ما يفعلون ، وذلك على مستوى القاعدة ، فمن النادر عندهم استعمال اللاسلكي او تلفون الميدان . ونظرا لعدم توفر المعلومات عن تحركات اعدائهم في جبهات القتال ، كان القادة الصغار يحاربون الاسرائيليين حينما يواجهونهم فقط . كما ان المصريين لا يعطون الاولوية لمسالة تقارير الميدان على اهميتها .

اما القادة على مستوى الالوية ، فليست لهم حرية العمل الا القليل النادر ، وهذا يعني انه ليست هناك مراكز قيادة قريبة من الميدان ، بل تدار جميع المعارك من غرفة العمليات التي يتراسها وزير الحربية نفسه . وحتى يمكن تنفيذ عملية مشتركة بين الجيشين الثاني والثالث فمن الضروري اصدار الاوامر بمنشور دوري يحمل توقيعات اربعة ضباط كبار ، وهذا يستغرق وقتا طويلا بالنسبة الى حرب تحتاج الى سرعة فائقة . فلو تلافى المصريون كل العوامل السابقة لامكن للجيش الثاني والثالث التقدم باقصى سرعة ، ولاطبقا معا على القوة الاسرائيلية وبذلك يحبطان عملية العبور .

بعض الدروس من حرب اكتوبر

ان دورس حرب اكتوبر كثيرة ، منها ان الجيوش العربية قد اظهرت تغيرا جذريا في هجومها وحربها مع العدو ، فهذه الحرب في ضراوتها وشدتها تختلف عن الحروب السابقة ، مما اعاد للعرب اعتزازهم بانفسهم .

وقد حققت الحرب هدف الرئيس السادات الذي كان يريد من الحرب ان تخلق وضعا جديدا ، فالعالم ـ على حد قوله في مارس ١٩٧٣ ـ كان نائما عن مشكلة الشرق الاوسط . وكان هذا القول صحيحا ، اذ ان « كيسنجر » اخبر محمد حسنين هيكل بانه لم يفتح ملف الشرق الاوسط قبل ٦ اكتوبر .

ومن دروس الحرب تبين بان الدبابات قد فقدت زعامتها في الحروب ، على الرغم من انها لم تفقد قيمتها ، وكان هذا نتيجة تطوير الصواريخ، وكذلك الحال بالنسبة للطيران .

ولكن اذا زاد سمك الدبابات الحالية فينبغي ان يزداد حجم الصواريخ ووزنها مما يجعل حملها من قبل الافراد مستحيلا ، ولابد من الاستعانة بعربة خاصة باطلاق الصواريخ ، وهذا يعني العودة الى حرب الدبابات .

ويبدو ان على اسرائيل ـ كي تدعم سلاح دباباتها ـ ان تتزود بالدبابات الانجلو ـ جرمانية الحديثة التي هي الان قيد التحسين والتطوير ، اذا ان الدبابة الامريكية طراز XMI لم تعد صالحة ،وقد تلجا اسرائيل لصنع دباباتها محليا .

ومن الناحية الاخرى فان على العرب ان يعترفوا بان الدبابات الروسية طراز T - 54/55 اصبحت عاجزة ، على الرغم من انها تشكل القوة الكبرى في جهازهم الحربي .

وحتى الدبابة الروسية المتقدمة طراز T - 62 s ينقصها نشاط جهاز ضبط الرماية ، ودبابات T - 62, T - 55 لم تعد الان قادرة على الوقوف في وجه الصواريخ الامريكية Tow التي تتزود بها القوات الاسرائيلية ابتداء من هذه الحرب الاخيرة .

ومن دروس الحرب الاخرى التي آلمت اسرائيل كثيرا ان العرب قد اكتشفوا سلاح النفط الذي لعب دورا كبيرا في الحرب . فقد كان لمؤتمر البترول الذي تقرر فيه تخفيض انتاج النفط دوي هائل في جميع انحاء العالم .

هذا وان الملك فيصل ـ المعروف بولائه التقليدي للغرب ، وعدائه للشيوعية ـ سار اثناء الحرب على المثل العربي القديم « عدو عدوي هو صديقي ،وصديق عدوي هو عدوي » . وبناء عليه كان استقباله لـ « كيسنجر » فاترا بعد الحرب ، وقال له : انه يفضل وقف انتاج النفط تماما ما دامت الارض المحتلة في حوزة اسرائيل ، وعلى اسرائيل ان تعيد القدس القديمة ، وبصفته حاميا للاماكن المقدسة فانه مصمم على الصلاة في المسجد الاقصى بالقدس قبل وفاته .

م . ع . ق



من الكتب التي وصلتنا

النظرية العامة للقانون الدستوري

تاليف : رمزي طه الشاعر
الناشر : مطبوعات جامعة الكويت/الكويت

● لقد اختلف الفقهاء في تسمية الدراسة التمهيدية التي يجب ان تسبق البحث في نظام الحكم الذي يتضمنه الدستور الوضعي ، فاطلقوا عليها تسميات متعددة ، مثل : المبادىء الدستورية العامة ، او النظرية الدستورية العامة ، او النظم الدستورية وغيرها ، وترتب على هذا الاختلاف في التسمية اختلاف في الموضوعات التي يتناولها الفقهاء قبل دراسة القانون الدستوري الوضعي الذي يتناول نظام الحكم في دولة معينة .

والمؤلف في هذا الكتاب لا يقصد استخلاص نظرية عامة لنظام الحكم في الدول المختلفة ، بل يفضل استعمال اصطلاح « النظرية العامة للقانون الدستوري» للتعبير عن الدراسة التمهيدية للقانون الوضعي ما دامت هذه الدراسة تنحصر في ايضاح الجوانب المختلفة للقاعدة الدستورية التي تعتبر الاساس الذي يستمد منه النظام الدستوري وجوده في اية دولة من الدول .

واذا كان المدخل للعلوم القانونية هو المقدمة العامة للدراسة القانونية ، فان النظرية العامة للقانون الدستوري الوضعي هي المقدمة الاساسية لدراسة النظام الدستوري الوضعي في دولة من الدول .

وهذا المؤلف يقتصر على دراسة المبادىء العامة والقواعد الكلية التي تقوم عليها مختلف القواعد الدستورية ، وقد قسم المؤلف كتابه ثلاثة ابواب : درس في اولها الطريقة التي تنشا بها قواعد القانون الدستوري ، وتناول في الباب الثاني نفاذ القاعدة الدستورية ، وختم المؤلف الكتاب بطريقة تعديل القاعدة الدستورية ووسائل انهائها، كما ان المؤلف قدم للبحث في القاعدة الدستورية بباب تمهيدي خصصه لتعريف القانون الدستوري ليميزه من غيره بين الانظمة والقوانين .

القومية العربية في النظرية والتطبيق

تاليف : احمد الشيباني
الناشر : دار الكاتب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

● تناول هذا الكتاب دراسة القومية العربية في نشوئها وتطورها ، والاسس الفكرية التي تقوم عليها ، والمبادىء الانسانية التي تنزع اليها .

واهم فصول هذا الكتاب سيكولوجية الامة العربية ، الانبعاث العربي الاول ، لماذا انهارت جامعة الشعوب العربية ، الثورة نظريا وتطبيقيا، ازمة الوجدان وتحدي التاريخ ، القومية العربية والايدلوجيات المعاصرة ، مفهوم القومية العربية ومفاهيم القوميات الاخرى ، والطريق الى العدل الاجتماعي .

مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديما وحديثا

تاليف : الدكتور محمد بديع شريف
الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية / الجامعة العربية / القاهرة

● يهدف هذا الكتاب الى توضيح غربة اليهود في فلسطين ، وعدم وجود حق تاريخي لهم في هذه المنطقة ، استنادا الى الاصول التاريخية التي حددت الموجات العربية التي انحدرت من الجزيرة العربية وانتساب هذه الموجات بعضها مع بعض ، دون وجود اية علاقة للمجموعة اليهودية ، كما اثبتت ذلك المكتشفات الاثرية القديمة ، وان هذه المجموعة لم تقم باي جهد حضاري ،كما يفند مزاعم اليهود في وجود حق تاريخي لهم في المنطقة ، كما ان القارىء سيجد في هذا الكتاب ما يحمله على اعادة النظر في الاراء السابقة التي ظل اليهود يضللون بها الناس حقبة من الزمن ، وكسبوا بها عطف بعض الامم ، وبذلك شردوا ابرياء من مرابع اوطانهم ، وخلقوا ماساة انسانية تحمل في طياتها شرا مستطيرا .

من هدى النبوة

تاليف : كمال الدين الطائى

الناشر : مطبعة سلمان الاعظمى ـ بغداد ـ العراق .

● مجموعة مقالات واحاديث كان المؤلف قد اذاعها من راديو العراق،شرح فيها بعض الاحاديث النبوية ، وقد جمع مادتها من امهات الكتب الدينية المعتمدة .

وموضوعات الكتاب كلها اسلامية ومن صميم التاريخ العربى تربط بين ماضى العرب وحاضرهم ، وقد تحدث الكتاب عن واجبات المسلم فى امور العبادات والمعاملات ثم تحدث عن الكتب السماوية كالزبور والتوراة والانجيل والقرآن الى غيرها من مواضيع تمس حياة المسلم .

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

تاليف : زكريا القزوينى

حققه وقدم له : فاروق سعد

الناشر : دار الامامة الجديدة ـ بيروت ـ لبنان

● كتاب من تراثنا العربى القديم يمكن ان نطلق عليه فى دراستنا الحديثة من باب التجـــاوز كوزموجرافيا Cosmography أو علم نشوء الكون او الارض .

ان كتب العجائب قد لاقت انتشارا واسعا فى ادب الشرق الاسلامى ، وقد عرفها حاجى خليفة فى كشف الظنون بانها كتب وصفية للارض واصلها ومسالكها وحيواناتها وتربيتها ، اى بمعنى انها تعالج الجغرافيا والتاريخ الطبيعى .

وكتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات يتالف من توطئة يتلوها اربع مقدمات ثم تاتى بعدها معالجة المصنفات فى قسمين كل قسم فيهما يحمل اسم مقال ، وفى التوطئة يتحدث المؤلف عن مبررات وضعه للكتاب ، ووسيلته فى جمع مواده ومصادره ، ثم يشرح عنوان الكتاب الذى يعبر عن محتوياته فى مقدمات اربع ، ومن ثمّ ياتى الى القسم الاول الذى هو تحت اسـم « العلويات » وهو يتكون من اثنى عشر نظرا ، اما القسم الثانى فهو تحت عنوان « السفليات » وهو ما دون فلك القمر من العناصر والمولدات ، ثم يتصدى للنظر فى الكائنات وهى الاجسام المتولدة من الامهات فيبحث على التوالى فى المعدنيات ثم النبات ثم الحيوان .

ديوان ذى الرمة

حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح

الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق /سوريا .

● تحقيق قيم لديوان ذى الرمة بشرح صاحب الاصمعى : الامام أبى نصر احمد بن حاتم الباهلى المتوفى سنة ٢٣١ هـ ورواية الامام ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ . وهذا الكتاب يتكون من مقدمة مطولة تناولت بالدراسة مكانة ذى الرمة ورواية شعره واسانيد ديوانه وشروحه ثم ترجمة الشارح ابى النصر وطريقة شرحه ، ثم وصف مخطوطات الديوان ، وبيان منهج التحقيق ، ثم ياتى بعد ذلك شرح القصائد،ويقع فى جزءين كبيرين ثم ملحق الديوان ، وهذا الملحق يضم ما نسب الى ذى الرمة من شعر ، ويتلو بعد ذلك كله تخريج قصـــائد الديوان وتتمة مع الفهارس العامة المتنوعة .

بواكير الفلسفة قبل طاليس أو : من الميثولوجيا الى الفلسفة عند اليونان

تاليف : الدكتور حسام محيى الدين الالوسى

الناشر : جامعة الكويت ـ الكويت .

● يحاول هذا الكتاب أن يضع العلم والفلسفة والعقائد اليونانية فى مكانها المناسب من التاريخ العالمى العام لهذه الامور محصورة فى بواكـيره الاولى ، ويهتم اولا بما ليس بالفلسفة الطبيعية قبل سقراط ، فهو يتحرى اول الفلسفة اليونانية فيما سبق عهد طاليس وهنا يحاول المؤلف ان يضع الخطوط العامة لهذه الفلسفة ومدى ارتباطها بالميثولوجيــا او اللاهـوت ومـدى مـا تديـن به النهضة اليونانية للحضارات المحلية المجاورة ، مثل حضارة بحر ايجه ، وحضارة وادى الرافدين، وحضارة النيل .

والكتاب ينقسم الى اربعة فصول الفصـــل الاول والثانى بعرسان للاراء المختلفة حول اصالة الحضارة اليونانية وفلسفتها بين نفاتها ومثبتيها، اما الفصل الثالث فيربط الفكر اليونانى بالتراث الحضارى البشرى واما الفصل الرابع فيناقش الاراء المختلفة حول مدى (علمية) الفكر اليونانى قبل سقراط ، والفصل الاخير من الكتاب دراسة مفصلة لافكار هومر وهزيود والاورفية والحكماء السبعة وأثرها فى الفكر اليونانى منذ طاليس .

النظرية النقدية
مقدمة في نظرية الاقتصاد التجميعي

تاليف : الدكتور حازم البيلاوى

الناشر : جامعة الكويت/الكويت

● ينقسم هذا الكتاب قسمين كبيرين : قسما وصفيا للتعريفات والمؤسسات وقسما نظريا تحليليا (للنظرية) وقد خصص فصل مستقل للمؤسسات النقدية والمالية ، بدلا من الاقتصار على دراسة البنوك التجارية ضمن نقود الودائع ، وقد اشار في هذا الفصل الى المؤسسات المالية الاخرى الوسيطة، والى اهمية نظرية الأصول المالية الوسيطة لفهم ظاهرة النقود ، وكذلك راى المؤلف ان يخصص فصلا في القسم الاول لدراسة الدخل القومى والحسابات القومية قبل التعرض للنظرية النقدية.

اما القسم الثاني المتعلق بالنظرية فقد حاول المؤلف فيه ان يعرض النظرية النقدية بالاسلوب والمنطق نفسه في دراسة بقية اجزاء النظرية الاقتصادية ، فخصص فصلا للطلب على النقود ثم فصلا آخر لعرض النقود ، ومن هذين الفصلين يتضح ان نظرية النقود تبر في الواقع نظرية الاصول بصفة عامة ، وهذه الأصول كنوع من الارصدة ترتبط ضرورة بتيارات اقتصادية متعلقة بقرارات للانفاق والانتاج ، وبذلك ترتبط النقود بنظرية الاقتصاد التجميعي .

وقد كان اهتمام المؤلف موجها بصفة اساسية الى التحليل والاعتبارات النظرية ، وان كان قد خصص القسم الاول للتعريفات والمؤسسات فان ذلك كان بالقدر الذى يخدم النظرية .

رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة

تاليف : كمال الدين الطائى

الناشر : مطبعة سلمان الاعظمى ـ بغداد .

● يتضمن هذا الكتاب جزءين : اولهما دراسة مفصلة في علم التوحيد املاها المؤلف على طلبة المدرسة القادرية في الحضرة الجيلانية ببغداد . استقاها من مصادرها الموثوقة المعتمدة . اما الجزء الثانى فدراسة مفصلة للفرق الاسلامية المعاصرة ومعتقداتهم وآرائهم بكثير من التفصيل ، ومراجعه في دراساته ، كتب هذه الفرق ، لا كتب خصومها ، ومن هنا قيمة الكتاب .

المراسلات التاريخية ١٩١٤ ـ ١٩١٨ الثورة العربية الكبرى

تحرير : سليمان موسى ـ عمان ـ الاردن

● يقدم هذا الكتاب قصة الثورة العربية الكبرى من الداخل،اى من خلال الرسائل المتبادلة بين اطراف هذه الثورة ، فيجمع رسائل الشريف حسين ، ورسائل ابنائه : على وعبد الله وفيصل وزيد ، كما نجد رسائل وتقارير من مكماهون ونجت وسايكس والنبى وولسون ولورانس .

ان اكثر هذه المراسلات يرى النور لاول مرة وخاصة تلك المنقولة عن اوراق الامير زيد بن الحسين وعن وثائق رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية في بريطانيا ، وهنا يجد القارىء صورة واضحة للمفاوضات التى دارت بين الحسين والحكومة البريطانية،كما يرى اتجاهات السياسة البريطانية نحو العرب ، هنا تبدو الصورة التى حملها قادة هذه الثورة والحروب التى خاضوا غمارها طوال ثلاث سنوات في الصحارى والقفار .

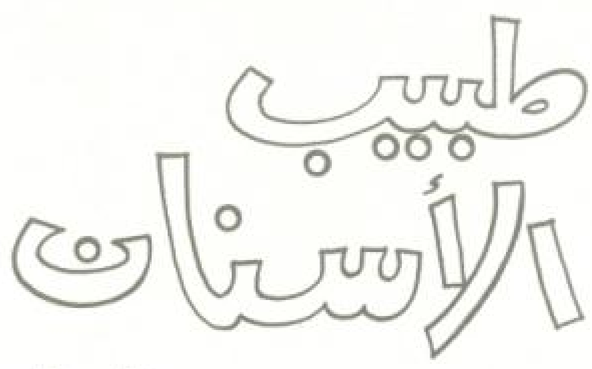
سماء المعركة

مذكرات مارشال الجو ا. آ ـ بوكريشكن

ترجمة : العميد الجوى الركن محمود عزام .

● ترجمة حياة قائد طيران روسي مشهور يعد مثلا رائعا للمواطن الممتاز الذى احب الطيران وناضل في سبيل الوصول الى غايته ، وهو من اشهر ابطال وطنه بل اشهر ابطال العالم في الحرب العالمية الثانية .

كان بوكريشكن مثالا للطيار الشجاع وقدوة لكل الطيارين السوفيت ، وكانوا يتطلعون للعمل معه ، ويتوقون لخوض المعارك الجوية برفقته ، وقد قام هذا الطيار خلال الحرب العالمية الثانية باكثر من خمسمائة طلعة ، وخاض مائة وستا وخمسين معركة جوية ، اسقط خلالها تسعا وخمسين طائرة معادية . وقصة حياة هذا الطيار تعتبر درسا واقعيا لكل طيار تتوفر لديه الرغبة والارادة في ان يكون بطلا لوطنه ، وقدوة لرفاقه ، ووفيا لتربة ارضه التى عاش عليها ولسمائه التى ظللته .



بقلم : فؤاد جبور حداد

■ نظر طبيب الاسنان الى السن التى قلعها من فم المريض وغمغم بلغته الأصلية « لا حول ولا قوة الا بالله » فقد كانت هى السن الثالثة السليمة التى قلعها الطبيب خطأ فى ذلك اليوم. واحس الطبيب وكان الدنيا تدور به ، فجلس على اقرب كرسى اليه ، ونظر الى المريض نظرات جوفاء ، وهو لا يعلم ماذا يقول له ، هل يعتذر عن غلطته ، فيعرّض نفسه لغضب المريض ، واعتبارات قانونية لا يريدها ؟ أم يحاول التغطية على غلطته وتناسيها بالقول « جل من لا يسهو » ؟ • وبينما هو يحاور نفسه اذ أخرجه المريض من تاملاته الافلاطونية بقوله « هل انتهيت منى يا سيدى الطبيب » فيتمتم الطبيب قائلا « نعم ، نعم ، اغسل فمك واعمل موعدا آخر لأراك فى الاسبوع القادم » وذهب الطبيب بعد ذلك الى الغرفة المجاورة ، واستدعى ممرضته ، وطلب منها ان تلغى مواعيده الثلاثة الباقية لذلك اليوم لانه أحس بالم عنيف فى معدته •

وذهب الطبيب متوجها الى بيته ، وكان يسكن فى ضاحية من ضواحى لندن ، فى شارع أنيق ، بيوته متشابهة ، ولكنها جميلة • وكانت الرحلة تستغرق حوالى نصف ساعة ، فجلس فى أقصى العربة ليخلو الى نفسه وتاملاته ، فتذكر كم جاهد من اجل الوصول الى ما هو عليه الآن من منصب وجاه ، وقال لنفسه وكانه يطمئنها انه يعرف الكثيرين ممن يحسدونه على حاله ، ولكنه اضاف انهم لن يحسدوه لو رأوه على حالته الآن من يأس وحزن ، وأخذ يحاور نفسه من جديد فتارة تقول له « الم يكن الوصول الى الجامعة والتخرج فيها هو الحلم الذى داعبك خياله سنوات عديدة » ويهز رأسه موافقا نفسه التى تواصل القول « ها قد حققت الحلم ، وانت اليوم سيد لنفسك ومصيرك ، وهذه حياتك مستقرة من الناحية المالية ، وثابتة الأركان ، والناس عموما يحترمونك ويكرمونك ، وهذه الحالة ذاتها هى التى كنت تسعى جاهدا ، وتحلم فى الوصول اليها وتحقيقها ، فماذا جرى الآن حتى زهدت بها ونقمت عليها وكنت تتمناها من قبل ام انك لا تزال كما كنت طول عمرك تركض وراء السراب ، وتسعى لتحقيق المستحيل؟ فاذا تحققت الاعجوبة وتجسد المستحيل أمامك وقال لك : « ها انا ، خذنى » أدرت له ظهرك ، لتركض وراء مستحيل آخر لا يتجسد ولا يتحقق • اليست هذه الحالة هى استمرار لحالة مراهق غير ناضج ؟ وانت اليوم كهل قد اجتزت حتى فترة الشباب وامامك الشيخوخة اما ان الأوان أن تنضج وترى الأمور كما هى ، وليس كما تريدها أن تكون فتكتفى بالموجود ، وترضى به وتقنع • انت متعب ، وتحتاج الى عطلة ترتاح فيها ولا شك انك سترى الأمور بعدها من زاوية اخرى اكثر بهجة واشراقا » •

واحس الطبيب بثقل هذا المنطق ، فتحرك فى مجلسه وكانه يزحزح من ثقل هذا المنطق على كتفه • وهو دائما يخاف من منطق نفسه لانه يوافق



وقربت منه أكثر من قبل ، حتى
أصبح جسماهما أكثر تلاصقا ،
فقبّل شعرها وجبينها وخدها

عليه بعقله ولا يوافق عليه بروحه وعواطفه •
فهو قد حقق كل هذه الأمور بالفعل ولكنه لم
يحقق ما وراءها من سعادة حقيقية ، وما الفائدة
من المال والجاه واحترام الناس ان لم تكن تحمل
فى طياتها ما يرنو اليه من سعادة وهناء ؟ ومتى
كانت سعادة الانسان فيما يملك وما يلبس وقد
تكون السعادة أحيانا فى عكس ذلك تماما اى فى
قلة ما يملك وما يلبس وعند ذاك تذكر الطبيب
قصة الأعرابى الذى قال : « اللهم أمتنا موته
عرفجة » فقيل له : « وكيف مات عرفجة » فقال:
« لقد أكل حتى شبع ، وشرب حتى رَوِى ،
والتف بعباءته ومات ، فمات شبعان ريان دافئا •
ثم قال الطبيب ولكن عرفجة كان سعيدا بذلك ،
وليس كل الناس سواسية فيما يريدون ، وفيما
يبعث السعادة فى نفوسهم ، فهناك من يحتاجون
الى أن يحققوا أكثر مما حققه عرفجة ليموتوا
سعداء • هذا اذا كان ثمة حقا اناس يموتون
سعداء •

ورفع الطبيب راسه من هذه التأملات فرأى ان قطاره
قد وصل المحطة التى يريدها ، فخرج مسرعا من

من عربته ومن المحطة ، واتجه نحو بيته • وما ان سار قليلا بخطوات – تكلف فيها الثبات ، حتى لا يلفت اليه نظر الآخرين – حتى بان لـه الشارع الذى فيه بيته ، فاحس بالراحة بعض الشيء ، لأنه بدا يتصور ما سيلقاه في رحاب بيته من هدوء واطمئنان ، وضغط على زر الجرس الكهربائي ، وانتظر ، ففتحت الباب سيدة رشيقة ليست شابة في ريعان الشباب ،بل امرأة ناضجة، صحيحة الجسم ، أنيقة الملبس ، يبعث منظرها الرضى في النفس ، وما آن راها حتى قـال « لقد جئت مبكرا هذا اليوم يا عزيزتي فانـا مضطرب غاية الاضطراب » • وسالته عن السبب، فقال انه اصبح كثير النسيان ، الى حد انـه يقلع الأسنان السليمة ، وهذه أكبر خطيئـة يرتكبها طبيب الاسنان ، فطيبت نفسه ، وقادته الى اريكة مريحة ، ووضعت لـه وسـادة وراء ظهره ، وخلعت له حذاءه ، ووضعت تحت رجليه حشوا من الجلد ، وذهبت من توها فقلت لـه ابريقا من القهوة •

اما هو فجلس متمددا زائغ البصر ، يتأمل في حياته ، ويحتسي القهوة على مهل وكانه في شبه غيبوبة ، ويقول : « هـذه بدايـة النهايـة يـا عزيزتي ، الا تعلمين ان أطباء الأسنان تصيبهم نهتهة بعد ان يجتازوا سن الأربعين • اننا نموت اصغر من رجـال اى مهنـة اخـرى ، وهنـاك الانتحار ، فنسبة المنتحرين من أطباء الاسنان اعلى من نسبتهم في اية مهنة اخرى او وظيفة اخرى • والسبب يا عزيزتي واضح غاية الوضوح وذلك هو الرتابة المضنية القاتلة ، والاحساس بالأسر ، فطبيب الاسنان سجين غرفـة صغيـرة وسجين منظر متشابه متكرر ،وذلك هو منظر الفم المفتوح والاسنان التالفة واللـسـان البارز في الوسط • انه من الطبيعي أن يصـاب اطبـاء الاسنان بما يصابون به ، وهم لا يرون الا هذه المناظر ، ساعة بعد ساعة ، يوما بعد يوم ، شهرا بعد شهر ، سنة بعد سنة ، وهم يصابون اولا بانهيار في اعصابهم ، ثم بحالة من نسيان كل شيء ، وهم ينسون اولا الأشياء الصغيرة ، ثم ينسون الأشياء المهمة ، وهذه الحالة هي هروب من الواقع ، فهم يريدون ان ينسوا أسرهم ورتابة عملهم ، وضيق افق حياتهم ، وهي بعبارة اخرى حالة مبسطة من حالات الجنون » •

واخذت السيدة تمسح له جبينه ، وتربت على شعره ،وتكرر عبارات تقصد منها ان تعطيه شيئا من الثقة بالنفس ، وجلبت له مشروبا احتساه بسرعة وشعر بالدفء فى احشائه ، وقال : « ليتني يا عزيزتي اخذ حماما ساخنا ، فان هذا سيهدىء اعصابي » ،وذهبت السيدة في الحال الى الحمام وادارت الماء الساخن ، حتى امتـلا الحـوض ، واضافت شيئا من الصابون الذائب الذى يولد رغوة فوق مياه الحوض • وعند ذاك نادت عليه قائلة ان حمامه اصبح جاهزا • فخلع ثيابه ، وجلس في الماء الساخن ، واخذت السيدة تدلك له ظهره ، وتمرج عضلات كتفه بلطف وعناية ، واحس بالراحة والرضى ، واخذ يسترد روحـه شيئا فشيئا ، وبقى في الحمام ثلث الساعة ، وهو يحس بالحرارة والدفء يتسربان بين خلايا جسمه ، فتلين عضلاته واعصابه ، ونسي كـل شيء حتى الاسنان الثلاثة السليمة التي قلعها خطأ في ذلك اليوم ، ثم لبس ثيابه وجلس على الأريكة أمام نار المدفاة ، وجلست السيدة ملاصقة له وأسندت راسها على صدره فاخـذت يـداه تتحسسان جسمها وشعر بجمال تركيب جسم الأنثى، فهو لدن مرن ناعم دافىء ، ذو تضاريس طبيعية تسر العين واليد ، ونشق رائحة جميلة من شعرها وجسمها ، ليست رائحة عطر خاص من العطور الاصطناعية ، بل أجمل من رائحة اى عطر اخر ، ذلك هو عطر الانوثة ، واحس بالنشوة والارتياح والاطمئنان وقربت مجلسها منه اكثر من قبل ، حتى أصبح جسماهما اكثر تلاصقا من قبـل ، فقبلها من شعرها وجبينها وخدها وفمها ثـم اخذ يقبل عنقها ، وبينما كانت شفتاه تتحركان فوق عنقها دقت الساعة السادسة ، وانتظرت السيدة حتى تمت الساعة من دقاتها الست ، فاخذت بعدها ترفع راسها شيئا فشيئا ، وتخلص جسمها من قبضته قليلا قليلا ، الى ان تلاقت نظراتهما ، وابعدت صدرها بعض الشيء عـن صدره ، وقالت : « الساعة الآن السادسـة ، وزوجي سياتي بعد قليل ، ولهذا يجب ان تذهب الآن » •

ونظـر طبيب الأسنان اليها نظرة مشدوهة فاضافت : « لعلك نسيت يا عزيزي – كعادة أطباء الأسنان – أن بيتك هو البيت المجاور لنا» ■■

فؤاد جبور حداد

أنباء الطب والعلم والاختراع

العقاقير الجديدة وخطرها على الانسان

● تدور الآن فى الولايات المتحدة الامريكية معركة عنيفة بين شركات الادوية من جانب وبين الادارة الفدرالية للعقاقير ، وهى التى تشرف على اباحة استعمال الادوية والعقاقير الجديدة بالنسبة للمرضى ، من جانب آخر .

وهذه المعركة تبين بوضوح الاخطار التى يتعرض لها الانسان نتيجة الكثير من الادوية والعقاقير الجديدةالتى تطرحها بعض الشركات فى الاسواق دون اجراء تجارب وافية عليها .

وقد ادت هذه المعركة الى تشكيل لجنة تحقيق تابعة لمجلس الشيوخ الامريكى . وقد اذاعت هذه اللجنة تقريرها الذى يتناول عدة نقاط من اهمها :

ــ ترى اللجنة أن قوانين الادارة الفدرالية للعقاقير الخاصة بالاستعمال المحدود للادوية الجديدة على المرضى قبل طرحها للبيع فى الاسواق على نطاق واسع هى قوانين لا تكفى لحماية المرضى من اخطار هذه العقاقير . ومن بين الاشياء التى اكتشفتها لجنة التحقيق ان الادارة الفيدرالية للعقاقير قد فشلت فى ايقاف تجارب الادوية الجديدة التى تجرى على المرضى بعد أن ثبت أن هذه الادوية تشكل خطورة على الانسان . ونتيجة لهذا الفشل تعرض اكثر من ٢٠٠٠ مريض لخطر الاصابة بامراض سرطانية فى حالة دواء معين أثبتت التجارب المعملية ان تناوله يسبب السرطان فى حيوانات المختبر التى تتناوله ، وقد استمرت تجارب هذا الدواء على المرضى لمدة عام بالرغم من أن ادارة العقاقير طلبت من الشركة المنتجة للدواء ايقاف تجاربه على الآدميين لخطورته .

ــ لا تستطيع ادارة العقاقير اجبار الشركات على اجراء دراسات تكميلية على المرضى الذين يتعرضون لتناول الادوية الجديدة ولا متابعة حالتهم بعد انتهاء التجارب عليهم . وقد حدث ان احد الادوية الجديدة جربت على الفئران وظهرت على فئران التجارب اورام فى اكبادها ، وطلبت ادارة العقاقير من الشركة المنتجة للدواء متابعة الحالة الصحية للآدميين الذين تناولوا الدواء فى فترة تجربته ،ولكن الشركة رفضت الانصياع الى طلب الادارة ، بل وامتنعت عن تقديم نتائج تجاربها على الفئران . واتضح أن شركات الادوية تقوم تحت ظل النظام المعمول به حاليا فى اعطاء الآدميين الادوية الجديدة بعد ١٤ يوما فقط من تجربتها على الحيوانات المعملية وقبل التقييم الكامل لتاثير هذه الادوية على الحيوانات .

ونتيجة لهذه الحقائق قامت لجنة مجلس الشيوخ الأمريكى بوضع مشروع قانون جديد لحماية المرضى من الادوية الجديدة التى قد تعرضهم للهلاك . ومن بينها العمل على تقييم تاثير الادوية تقييما كاملا من مختلف النواحى العلمية قبل السماح بتجربتها على الآدميين . وكذلك تشديد رقابة ادارة العقاقير على الشركات المنتجة بحيث يتم تنفيذ كل التعليمات الخاصة باجراء التجارب على الحيوانات والآدميين .

الدخان والغازات الناتجة عن الحرائق تتسبب في قتل اضعاف ما تقتله النيران من البشر

● تقول الاحصائيات ان ١٢ الف امريكي يموتون سنويا ضحية الحرائق ، وان ٣٠٠ الف شخص يصابون بجروح او تشوهات كبيرة من هذه الحرائق سنويا . بينما تبلغ الخسائر المادية السنوية الناتجة عن الحرائق في الولايات المتحدة حوالي ٤ر١١ بليون دولار . وتدل هذه الأرقام على ان امريكا هي اكبر دولة في العالم تعاني من الخسائر الفادحة في الأرواح او الأموال من الحرائق كل عام .

ونتيجة لهذه الخسائر الفادحة بدأ الاهتمام بالبحوث الخاصة بمكافحة الحرائق وحماية ارواح الناس وممتلكاتهم من الدمار .

ومن بين الأشياء التي اظهرتها البحوث



يتم اخذ عينات من دماء رجال الاطفاء بعد تعرضهم للدخان المتصاعد من الحريق ، وبعدها ترسل هذه العينات الى المعامل لتحديد نسبة أول اكسيد الكربون في الدم .

الحالات النفسية وصرير الأسنان تعرضان الانسان للاصابة بأمراض الأسنان والجهاز الهضمي

● من المعروف ان صرير الاسنان هو علامة من علامات التوتر النفسي والاجهاد . وقد وجد اطباء الاسنان ان التوتر والاجهاد وصرير الاسنان ، كل هذه تؤدي في كثير من الأحيان ، الى اضطرابات في الفم والجهاز الهضمي .

وقد اكتشف الأطباء مؤخرا ادلة واضحة على ان خناق فنسنت الغشائي المتقرح Trench Mouth والذي كان يظن من قبل انه مرض معد ، قد ينتج في الواقع من تأثير التوتر الذي تعانيه مجموعة كاملة من الناس ، وليس



الخاصة بالحرائق ، خلال السنوات الخمس الماضية ، ان الدخان والغازات الناتجة عن الحرائق هى التى تقتل اكبر عدد من ضحايا الحريق • ان غازات اول اكسيد الكربون ، وثاني اكسيد الكربون ، والحرارة ،والدخان ومكوناته تقتل من البشر اعدادا اكبر ممن تقتلهم السنة اللهب نفسها • •

ولعل غاز اول اكسيد الكربون هو اشد الغازات فتكا بأرواح الناس • فهذا الغاز ، ولو كان موجودا بنسبة ضئيلة ، يؤدى الى اضعاف حواس الانسان وبصره، ويؤدى الى شل تصرفاته تجاه الدخان والسنة اللهب •

وينتج من الحرائق حوالى ٣٠٠ نوع من الغازات الاخرى الىجانب اول اكسيد الكربون ، وبعض هذه الغازات قاتلة ايضا ••• وعندما تحترق المواد الصوفية او المواد المصنوعة من البلاستيك ، فان غاز سيانيد الايدروجين Hydrogen Cyanide يتصاعد فى الجو •••

ويتنافس مع الاكسجين على احتلال مكان فىجزيئات الهيموجلوبين فىدم الانسان•

ويبدو ان اغلب الوفيات الناتجة عن الحرائق تحدث فى المنازل السكنية ، فمن بين ١٠١ شخص قتلوا فى حوادث حريق مات ٨٦ فى منازلهم أو شققهم ، وقد نتجت ٤٥٪ من هذه الحرائق بسبب التدخين ، وكان ٦٠٪ من هذه النسبة مصحوبا بشرب الخمر •

ويقول المتخصصون فى مكافحة الحرائق فى الولايات المتحدة الامريكية ان ابحاثهم قد دلت على صعوبة وضع قوانين موحدة بالنسبة لاجراءات منع الحرائق فى المبانى المختلفة • كما ان وسائل مكافحة الحرائق الموجودة حاليا ، سواء كانت اوتوماتيكية او يدوية او على شكل شبكاتانذار كهربائية ، قد ادت الى بعض النتائج الحسنة الا ان امامها شوطا طويلا لتؤدى الغرض منها بطريقة افضل •

من الاهمال فى مراعاة قواعد النظافة او المشاركة فى استعمال الأدوات الشخصية•

ويقول اطباء الأسنان فى امريكا ان الطرق المختلفة فى التصرف تجاه التوتر قد تؤدى الى نتائج مرضية مختلفة ، فأحد الأشخاص قد يصاب بالقرحة فى جهازه الهضمى ، بينما يصاب الآخر بادماء فىلثته •

وقد وجد احد اطباء الأسنان ان ٥٠٪ من مرضاه الذين يعانون من التهابات فى اللثة والاسنان لهم تاريخ مرضى من ناحية الاضطرابات النفسية • ويقول هذا الطبيب ان هذه الحقيقة ليستمذهلة على الاطلاق ، فان الفم هو العضو الأول الذى يعبر به الطفل عن ارتياحه او اضطرابه • ويبقى الفم عضوا رئيسيا فى حياة الانسان مدى حياته فهو يأكل ، ويقبل ، ويدخن ويمضغ ، ويقضم ، ويضحك ، ويتكلم ، عن طريق الفم •

■■



بقلم : الدكتور ملاك جرجس

تعتمد التنمية الاقتصادية لدرجة كبيرة على الكفاية الانتاجية للعاملين ، وهذه بدورها تعتمد على قدرة الادارة على موافقة العمال للاعمال التى يقومون بها وفقا لميولهم واستعداداتهم وقدراتهم ، كما تعتمد على درجة نجاح الادارة في تنمية هذه القدرات بحيث يمكن تحقيق اكبر قدر من الانتاج باقل مجهود انسانى وباقل معدل للاصابات ، وقد حقق علم النفس الصناعى الكثير من هذه الاهداف باستعمال اساليب علم النفس في المجالات الاتية :

١ ــ تحليل العمل نفسه :

ان الخطوة الاولى في تنظيم اى عمل وتحديد مسئولياته واختصاصاته وتقييمه هى تحليل هذا العمل، وتعيين مراحل تعلمه من الوجهتين النفسية والحركية ، وتحديد القدرات الخاصة اللازمة لاداء العمل على احسن وجه ــ ولذلك يعنى علم النفس الصناعى بالمساهمة في الدراسة الدقيقة لجميع الحقائق الاساسية عن خطوات العمل في كل وظيفة والالمام التام لظروف العمل ، والمؤهلات او القدرات التى يجب ان تتوافر في العامل لكى ينجح في عمله ، ويمكن تعريف تحليل العمل بانه « الطريقة المباشرة الشاملة للحصول على الحقائق عن الاعمال وطرق ادائها وتشمل هذه الدراسة ملاحظة العمل وتسجيل الحقائق التى تجمع عن طريق الملاحظة ، والتى تجمع عن طريق مناقشة العمال المشرفين وغيرهم ممن لهم دراية بالعمل » ، وبمعنى آخر فان علم النفس الصناعى يعنى في كل عمل، بجمع الحقائق الاساسية عن طبيعة العمل وواجباته ومسئولياته والشروط الواجب توافرها في العامل وفي جو العمل لاداء العمل بنجاح ، ويسمى الوصف لعمليات ومسئوليات وواجبات عمل ما ، بوصف العمل Job des criptioun كما تسمى الشروط الواجب توافرها في العامل من قدرات وغيرها بشرط العمل Job specification

هذا وتستعمل بيانات وصف العمل وشروطه عادة في تقييم العمل Job evaluation وتحديد الاجور ، وفي تصنيف الاعمال وتنظيمها في المؤسسة او المصنع وفقا لسلم تنظيمى خاص Job classification.

٢ ــ الاختيار والتعيين والترقى :

من المسلم به عمليا وعلميا انه من صالح العمل والعامل نفسه ان يقوم العامل بالعمل الذى يتفق وقدراته واستعداداته ، وعلم النفس الصناعى يهتم اهتماما بالغا باختيار اكفا العمال لكل نوع من الاعمال ، ليحقق تكييف العامل للمهنة ، وملاءمة المهنة للعامل باختيار كلٍّ للعمل الذى يتفق واستعداده الطبيعى ، اذ انه من المسلم به علميا ان هناك فروقا فردية بين الناس في درجة الذكاء ودرجة تكييف الشخصية والصحة العقلية والنفسية وفي القدرات اللازمة للعمل ، وقد نجح علم النفس الصناعى في السنوات الاخيرة نجاحا كبيرا في وضع الاختبارات الدقيقة ، الجمعية ، والفردية، لقياس الذكاء وقياس القدرات الخاصة، والشخصية والميول .

وكما ان الاختيار هام عند تعيين العمال فانه في غاية الاهمية عند ترقيتهم خصوصا للوظائف القيادية ، اذ ان الاختيار على اساس الاختبارات



بالاضافة الى نتائج الملاحظة المباشرة للعامل اثناء فترة خدمته ، ثم على اساس المعلومات التى تم الحصول عليها من سجله اثناء الخدمة ، يضمن لدرجة كبيرة حسن الاختيار والتنبؤ بنجاح او فشل العامل قبل وضعه فى مركز قيادى ، او فى عمل يتطلب خبرة او مهارة خاصة .

ولا شك في ان الاختيار ومواءمة العمال للاعمال التي يصلحون لها تكون ادق كلما كانت هذه الاعمال قد تم تحليلها ، وكلما توافرت الاختبارات اللازمة لقياس القدرات اللازمة لاداء هذه الاعمال ، وكلما استخدمت بالاضافة الى « مجموعة الاختبارات » ، الطرق الاخرى المستعملة في الاختيار كالمقابلة ، واستمارة الالتحاق التى تبين الخبرات السابقة ـ ولا يفوتنا هنا أن نبين ان أخصائى علم النفس الصناعى لديه من الوسائل العلمية الكثير مما يساعده على التحقق من صدق نتائج الاختبارات التى يستعملها ، ومن هذه الوسائل وسيلة اختبار معايير النجاح او الفشل فى العمل عن طريق تفريق الاختبارات بين الفاشلين والناجحين على اساس كمية انتاج كل مجموعة عمليا ، وكذلك صدق نتائج الاختبار مع نتائج اختبار آخر يقيس نفس او بعض القدرات التى يقيسها الاختبار الاول ـ لكن يجب ان ندرك ان استخدام الاختبارات النفسية او اى طريقة من طرق الاختيار لاتحقق الكمال أو تنبأ بنتائج صحيحة ١٠٠٪ ، ولكن الثابت ان طريقة الاختبارات النفسية تحقق درجة من الكمال اعلى بكثير من الطرق غير الموضوعية اى المبنية على اساس حكم شخصى ، كالمقابلة فحسب ، او دراسة استمارة الالتحاق ـ او الاعتماد على خطابات التوصية وغير ذلك. وقد ادى النجاح الذى أحرزته الاختبارات النفسية فى عملية الاختيار الى انتشارها في المؤسسات الصناعية والجامعات فى معظم الدول المتقدمة ، بل لقد دلت عدة بحوث لا يرقى اليها الشك على أن استخدام الطرق السيكولوجية فى الاختيار يؤدى الى تحسين ملموس فى الانتاج وفى تكييف العمال لاعمالهم . وكذلك فى الحد من اصابات العمل .

٢ ـ التدريب المهنى وتنمية القوى البشرية :

ليس بكاف ان نجد العامل الكفء لعمل معين وانما من الضرورى ان نهتم بمرحلة تعليمه واعداده لممارسة عمله على خير وجه ونستعين فى ذلك بدراسات بتحليل العمل وبنتائج اختياره نفسيا وقياس قدراته اثناء عملية الاختيار ، كما سبق ان بينا .

وينظر علم النفس الصناعى الى التدريب المهنى على انه عملية تعليم تمكن الفرد من اتقان مهنته فى اقصر وقت وباقل جهد ممكن ، وانه مهما كان العامل يتمتع باستعدادات وقدرات نظرية وفيرة ، فلا بد من تدريبه تدريبا منظما كى يصل الى مستوى من الانتاج عال.

ويراعى علم النفس الصناعى اهمية المبادىء السيكولوجية للتعليم فيستثير الدوافع لدى العمال للتعليم ، لانه من الثابت علميا انه كلما كان الدافع قويا زادت فاعلية التدريب والمثابرة عليه والاهتمام به ، وكلما علم العامل بنتائج ممارسته للعمل اثناء التدريب مقارنة بنتائج زملائه ، كان ذلك دافعا لاجادة التحصيل ، بل ان الثواب والمدح على التقدم في التعليم ، والمنافسة بين المتدربين على الحصول على جوائز او امتيازات ، كلها وسائل يجب ان تستخدم في تنمية القوى البشرية العاملة فى المصنع ـ او المؤسسة .

وجدير بالذكر هنا أن تحليل العمل ، السابق الاشارة اليه ، له اهمية كبرى فى برامج التدريب بحيث يشمل التدريب العملى للعامل شرح اجزاء او مواصفات العمل وتحليله وحصر جزئياته ، ثم التمرن عليها وفقا للطريقة المثلى للعمل ، التى تحقق الكفاية الانتاجية باقل جهد انسانى ممكن ، ويستعين علم النفس الصناعي بوجه عام في مساعدته في رسم برامج التدريب بالاسس العلمية التربوية والوسائل السمعية والبصرية التى تحقق للمتدرب صورة ذهنية واضحة لما يجب ان يتعلمه .

٤ ـ التعب والملل والاعياء الصناعي :

لعل اهم العوامل التي تؤثر على انتاج العامل ، بعد قدراته العقلية واستعداده النفسي وقدراته البدنية ، هو عامل التعب الذي يعزى اما لعوامل فسيولوجية او عوامل نفسية ، ويعبر عادة عن التعب النفسي بالملل الذي يتجلى في فقد الرغبة والميل للاستمرار في نفس العمل الذي يقوم به الفرد ،وهناك صلة مباشرة بين التعب الفسيولوجي والتعب النفسي بل انهما يتلازمان ، الا انه هناك حالات كثيرة يكون التعب النفسي فيها ناتجا عن عوامل غير فسيولوجية خصوصا في حالات اعتلال الصحة النفسية او انخفاض الروح المعنوية .

ويشترك اخصائي علم النفس الصناعي في مجالات كثيرة توضع حد للتعب والملل اللذين يصيبان العاملين في الصناعة . ومن هذه البحوث بحوث دراسة الحركة والزمن وتحليل الاعمال المهنية والبحث عن افضل واسهل الطرق للعمل .

وبحوث عن انسب عدد لساعات العمل اليومي والاسبوعي وتوزيع فترات الراحة اثناء العمل ، ثم المساهمة في حل مشاكل العمال النفسية والاشتراك في وضع البرامج الترفيهية وكل ماله صلة وثيقة بتعب العامل جسميا او نفسيا .

ومن الثابت علميا ان الشعور بالتعب والملل يقل كلما كانت ظروف العمل من حيث الاضاءة والتهوية والضوضاء مناسبة وايضا كلما كانت دوافع العمال وروحهم المعنوية وطرق العمل والحوافز المادية وفترات الراحة مرضية .

ان التعب والملل في الواقع حصيلة العوامل والنتائج التي تفصح عن نفسها في نقص الكفاية الانتاجية وزيادة التكاليف الصناعية ، وتستحق دراسة وسائل خفض اثاره لدى العمال كل عناية من الوجهتين الاقتصادية والانسانية ، ولعله من المناسب هنا ان نورد ان احدث المصانع التي انشئت وفقا لاحسن النظم الهندسية والنفسية وصممت فيها الآلات مراعية حجم العامل من حيث الطول والوزن وسرعة الحركة وما الى ذلك والتي تحقق وفرا في الحركة للعامل وتحول بينه وبين ملل ورتابة العمل ، ظهر في بعضها حالات كثيرة من التعب النفسي سمي « بالاعياء الصناعي » من اعراضه عدم القدرة على التركيز والاضطراب الحركي والفكري والرغبة في البعد عن العمل ، والضجر والملل الشديد اثناء ذهابه للعمل ووجوده فيه بل ان البعض يصاب بحالة ضيق شديد في النفس ليس له سبب فسيولوجي ويزول كلما بعد عن جو العمل . وقد دل الفحص الاكلينيكي لمثل هذه الحالات على ان مرجعها الضجر والغيظ من رئيس متعسف ، او شعور بالظلم ، او عدم القدرة على التكيف مع اقران العمل ، او التهديد بالفصل من الخدمة الى غير ذلك من العوامل التي تسبب توترا يؤدي الى التوتر الفسيولوجي فتظهر بالتالي اعراض التعب والملل على الفرد فيقل انتاجه وتكثر اصاباته وحوادثه اثناء العمل .

٥ ـ حوافز العمل والروح المعنوية :

لم يهتم اي علم من علوم الادارة بحوافز العمل ودوافعه ، كما اهتم بها علم النفس الصناعي ، والى عهد قريب ، بل لايزال البعض يعتقد الى الان ، ان سلوك العمال لا يتأثر الا بظروف العمل وبالحوافز المالية فحسب في حين ان الاتجاهات النفسية للعمال وعلاقاتهم الانسانية في العمل من اهم العوامل التي تحقق الرضا والسعادة والاستقرار الصناعي .

ويعتمد علم النفس الصناعي في رسم سياسته بالنسبة للحوافز في اي عمل على اشباع الحاجات الانسانية ومنها حاجات اساسية كالحاجة الى الشعور بالقبول ، والحاجة الى الامن ، والحاجة الى التقدير الاجتماعي ، والحاجة الى الشعور بالذات وتوكيد الشخصية ، ومنها حاجات مكتسبة اغلبها في الواقع يرمي الى اشباع الحاجات الاساسية سالفة الذكر .

والحوافز قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية ، وكما ان المال ليس الباعث الاول والاخير للعمل ، فانه من الخطأ الاعتقاد بان الخوف واستثارته هو الدافع السلبي الرئيسي الذي يجب ان يلجأ اليه رجال الادارة ، فالثابت ان استثارة الحوافز الايجابية اجدى بكثير على الانتاج والروح المعنوية للعاملين ، بل ان السلوك الواحد قد تتداخل في ظهوره عدة دوافع ، لذلك فانه مما يساعد رجال الادارة العليا على تفهم اتجاهات عمالهم ، القيام بدراسات من وقت لاخر لتقصي اتجاهاتهم السلوكية نحو العمل وظروفه وفي ضوء هذه الدراسات ترسم السياسات الحافزة لمصلحة الانتاج ، بحيث تساعد الفرد على الشعور بالرضا خصوصا اتجاهاته النفسية نحو عمله .

ولا شك أن مقومات الروح المعنوية العالية في اى مصنع يجب ان تتضمن العناية بالظروف الفيزيقية للعمل ، وتستند الى قيادة ديمقراطية عادلة وعلاقات انسانية تشبع حاجات الانسان الضرورية كالشعور بالتقدير المنصف الذى لاتحيز فيه ، والتشجيع عندما يستحق العامل التشجيع لقيامه بعمل قدير ، ورحابة الصدر في الاستماع للشكاوى،ورسم سياسة واضحة للترقى والتقدير ، الى غير ذلك من العوامل النفسية والفيزيقية التى تشعر العامل بالارتباط الوثيق بالمصنع او المؤسسة.

ويلجا اخصائى علم النفس الصناعى فى المصنع من وقت لاخر ـ الى قياس الروح المعنوية بين العمال وتقصى الاتجاهات والاراء السائدة بينهم . كوسيلة لوقوف رجال الادارة العليا على حقيقة اتجاهات العمال وارائهم وسير الروح المعنوية في المنشاة ، مما يساعد كثيرا على تلافى مشاكل كثيرة قبل وقوعها ، كما يساعد على المحافظة على مستوى الانتاج وكفاية العمال الانتاجية .

٦ ـ الامن الصناعى :

حوادث العمل والامن الصناعى من الميادين الهامة لعلم النفس الصناعى خصوصا بعد ان اثبتت معظم الدراسات العلمية ان حوالى ٨٠٪ من حوادث العمل ـ اسبابها انسانية نفسية وليست فيزيقية ، وان هناك افرادا لهم صفات نفسية خاصة هم الذين يتورطون دائما في الحوادث ـ هذا بالاضافة الى ان تكاليف الحوادث في اى بلد صناعى تكاليف باهظة خصوصا لو حسبنا التكاليف المباشرة والتكاليف غير المباشرة للحوادث والاثار الاجتماعية والنفسية التى تنتج من وقوعها. وتقدر تكاليف الحوادث الصناعية فى كل بلد صناعى بعشرات ومئات وملايين الدينارات ، هذا غير التكاليف الدائمة التى تتحملها الدولة او شركات التامين في صورة معاشات لمن اصابهم العجز نتيجة الاصابة .

ومن وسائل علم النفس الصناعى في الوقاية من الاصابات ، ما يلجا اليه الاخصائى في هذا الميدان من تطبيق الاساليب العلمية لتحليل الوظائف واختيار العمال ، اذ انه من الثابت علميا ان الاستعداد للحوادث يصاحب انخفاض مستوى الذكاء ، واضطراب الشخصية ، والافتقار الى التوافق الجسمى والحركى ـ كما ان الحوادث تزداد كلما كانت الروح المعنوية بين العمال سيئة ، وكلما كان العمال غير مدربين تدريبا كافيا وغير ملمين بمخاطر المهنة .

ولا أدل على اهمية العوامل الانسانية في الحوادث من الدراسة التى قامت بها احدى شركات التامين الامريكية في عدة مصانع اذ ظهر ان المخاطر التى تنجم عن الالات مسئولة عن اقل من ٩٪ من الحوادث ، وان العيوب الجسمية والعقلية للعمال مسئولة عن ٣٪ منها ، وان نقص المهارة مسئول عن اقل من ٨٪ من هذه الحوادث ، في حين ان الـ ٨٠ ٪ الباقية ترجع الى عيوب ونواحى ضعف في الشخصية تفصح عن نفسها في الاستهداف للحوادث .

ويلجا اخصائى علم النفس الصناعى في المصنع الى اكتشاف واستبعاد العمال المستهدفين للحوادث، اذ ان اغلب الحوادث يرتكبها عادة نسبة صغيرة من العمال المستهدفين الذين يتورطون في حادث تلو الاخر ، بحيث تجد لهؤلاء القلة سجلات تثبت ان العامل الواحد تعرض لاكثر من حادث في السنة الواحدة ، سنة بعد اخرى ـ هؤلاء هم من يسمون بالمستهدفين للحوادث وهم مرضى بامراض نفسية ولهم خصائص نفسية تميزهم عن غيرهم ، ويجب وضعهم في اعمال تقيهم شر التعرض للحوادث .

كما يعنى اخصائى علم النفس الصناعى بالتوجيه المهنى للعاملين وفقا للتخطيط المرسوم لتغذية المصنع بالعمال المهرة ورؤساء العمل وفقا لاستعدادات وقدرات وتقارير العمال عن اعمالهم.

ولعل أجل خدمة يقوم بها اخصائى علم النفس الصناعى للعمال هى الارشاد والتوجيه النفسي للعمال الذين يعانون من مشاكل نفسية ، كما يساهم الاخصائى الاجتماعى في حل مشاكلهم الاجتماعية ، والعمل على مساعدتهم بكل الطرق للتكييف لظروف العمل وللبيئة الاجتماعية ، كما يعنى بدراسة مشكلة دوران العمل واسبابها خصوصا العوامل النفسية منها ، ويحاول الحد من هذه العوامل ، لما لارتفاع نسبة دوران العمل من اثار اقتصادية ضارة .

■■

القاهرة : **ملاك جرجس**



بقلم : ثروت اباظة

■ كلما اقترب العهد بالشعراء ازداد وضوح القصة في شعرهم · لهذا نجد امثلة كثيرة من الشعر الذي يتلون بلون القصة عند حافظ وشوقي·وان ظلت القصة في عهدهما غريبة على الادب العربي ، يتلمسها فيما كتبه الغرب ولا ينشئها المنشئون في الادب العربي · ولكن الرياح الغربية كانت قد داعبت الذوق العربي حتى لقد حملت حافظاعلى ان يترجم « البؤساء » لفيكتور هيجو ، وحملت حافظا نفسه ان يكتب « ليالي سطيح » قريبة كل القرب من القصة · ونظر شوقي الى لافونتين La Fontaine فكتب مقطوعات كثيرة ، فيها من قصص الاطفال ما ادخل هذا الفن في ميدان الادب العربي ·

القصة في شعر حافظ

وهكذا لم يكن غريبا ان نجد في كثير من شعر حافظ وشوقي الوانا مختلفة من القصة ، فاذا نظرنا الى حافظ مثلا وجدنا له مقطوعات كثيرة نصنع من ايجازها قصة كاملة · من ذلك مثلا انه نزل ضيفا على المرحوم « دسوقي اباظة باشا » في الريف · ويبدو انه جاء في غير موعد الطعام، فطلب أن يعدوا له مائدة خفيفة ، وتاخرت الخادمة ــ وكان اسمها فاطمة ــ في تلبية امره ، فلجأ الى رئيس الخدم احمد ، فسارع ينفذ مطلبه، فكتب هذه القصة في بيتين : ــ

اذا جئتهم طالبا لقمة
وجدت مظاهرة قادمة

الا بارك الله في احمد
ولعنة ربي على فاطمة

وهي قصة يبين فيهاالمزاح وقد شاع كثير مثلها لحافظ ·

ومن ذلك انه كان معروفا عن رشدي باشا ، وعدلي باشا ــ وكان كلاهما رئيسا للوزارة في مصر ــ ان تعليمهما فرنسي ، وانهما لا يصليان ولكنهما اضطرا انيصاحبا الملك فؤادا فيالصلاة، ولم يستطع حافظ ان يسكت فقال :

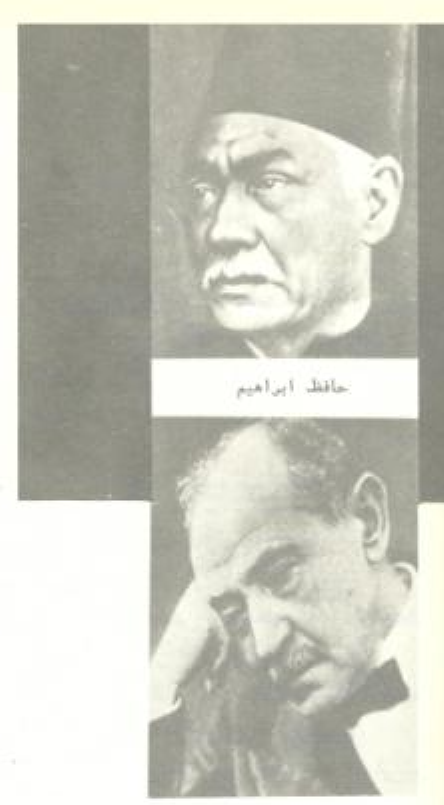
عدلي يصلي ورشدي
آمنت بالله ربي

يارب ، أبق فؤادا
حتى يصلي (النبي)

وقد كان (الينبي) هوالمعتمد البريطاني بمصر في ذلك الحين ·

حافظ يصف زلزال مسينا

وفي عام ١٩٠٨ وقع في مسينا ــ وهي بلدة بجنوب ايطاليا ــ زلزال عنيف ، لا اصفه ، وانما قصيدة حافظ تصفه : ــ



حافظ ابراهيم

احمد شوقي

نبئاني ان كنتما تعلمان
مادهى الكون ايها الفرقدان ؟

غضب الله ، أم تمردت الارض
فأنحت على بني الانسان

كنت أخشى البحار والموت فيها
راصد غفلة من الربان

فاذا الارض والبحار سواء
في خلاق ، كلاهما غادران

ماامسين عوجلت في صباها
ودعاها من الردى داعيان

خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت
قضي الامر كله في ثوان

وأتى امرها ، فاضحت كان لم
تك بالامس زينة البلدان

ليتها امهلت ، فتقضى حقوقا
من وداع اللدات والجيران

لمحة يسعد الصديقان فيها
باجتماع ، ويلتقي العاشقان

بغت الارض والجبال عليها
وطغى البحر أيما طغيان

تلك تغلى حقدا عليها ، فتنشق
انشقاقا من كثرة الغليان

فتجيب الجبال رجما وقذفا
بشواظ من مارج ودخان

وتسوق البحار ردا عليها
جيش موج نائي الجناحين داني

فهنا الموت اسود اللون جون
وهنا الموت أحمر اللون قاني

جند الماء والثرى لهلاك
الخلق ، ثم استعان بالنيران

ودعا السحب عاتيا فامدته
بجيش من الصواعق ثاني

فاستحال النجاء ، واستحكم اليأس
وخارت عزائم الشجعان

وشفى الموت غلة من نفوس
لاتباليه في مجال الطعان

رب طفل قد ساخ في باطن الارض
ينادي : « أمي ، أبي ، أدركاني »

وفتاة هيفاء تشوى على الجمر
تعاني من حره ما تعاني

وأب ذاهل ، الى النار يمشي
مستميتا تمد منه اليدان

باحثا عن بناته وبنيه
مسرع الخطو ، مستطير الجنان

تأكل النار منه ، لا هو ناج
من لظاها ، ولا اللظى عنه واني

هل تاثر حافظ بالمذهب الواقعي

اترى ظلال الواقعية في القصة ؟ انه يصف بتفصيل دقيق ـ شان كتاب الرواية الواقعيين ـ حين بدا مذهبهم هذا يسود الفن الروائي • وان

كان الوصف هنا اخاذا بفضل اللغة الجميلة والالفاظ المنتقاة ،فقد كان فى الرواية الواقعية – فى اول نشأة المذهب الواقعي – مملا، يكاد يصرف القارىء عن اكمال الرواية • فان القارىء كان قد تعود على الأدب الرومانسي الذى كانت الاطالة فيه اطالة فى المديح ، او الذم ، او فى وصف الخير والشر ، او فى رسم الحب ولواعجه ومآسيه وجماله • اما هذه التفصيلات فى وصف الحدث وما يحيط به من جميع جوانبه فهى ابن المذهب الواقعي • وما زال هذا المذهب بقرائه ، وما زال قراؤه به ، حتى اعتدل وعدل عن الاطالة فى التفاصيل • ولعل دخول السريالية والتعبيرية ميدان الفنون قد جعل اغلب الكتاب الواقعيين يكتفون بلمسة هنا ،واخرى هناك ،فاذا الشخصية امامك واضحة المعالم ، مكتملة الملامح •

وانا لا احسب ان حافظا قرأ شيئا من الادب الواقعي ، بل لا احسب انه سمع به ، وانما استهواه الوصف ، واطاعته القافية ، واستجاب له التصور ،وجرى معه القلم ،فكانت هذه القصة الواقعية •

القصة فى شعر شوقى

خذ بيدى الان لننتقل الى شوقى • او لا تاخذ بيدى ، فانى اذا ذكر شوقى انشط اليه بقلبى وعقلى ووجدانى • عملاق الشعر العربى وعبقريته الخالدة • ذلك الباذخ الاشم الذى استطاع أن يجمع ضخامة المتنبى ، وصياغة البحترى ،وأناقة الشريف الرضي ، وصناعة ابى تمام • ثم هو الذى انشأ المسرحية الشعرية فى الادب العربى، واذا كان « عزيز اباظة » قد طور المسرحية بعده، وجعلها فنا سامقا رفيعا ، فلشوقى دائما فضل السبق والريادة ، كما كان عزيز باشا يقول ذلك دائما •

ولو شئت ان اتكلم عن القصة عند شوقى لكتبت فيه وحده كتابا كاملا ، فالقصة التاريخية عنده لا نهاية لها واللفتات التاريخية ايضا من العسير ان يحيط بها بحث •

فحين يقول مثلا :

والعلم يدرى أحل
لأهله ما يفعلون

مشيرا بذلك الى ان النبى بَشّر اهلَ بدر بان الله غفر لهم ذنوبهم •

وحين يقول :

السبق من عاداتكم
أترى القيامة تسبقون

مشيرا الى سبق قدماء المصريين على زمانهم – تحس مدى اتصاله بالتاريخ وتعلقه به •

قصة من وحي لبنان

اما القصة عنده فاليك بلا تقديم :

السحر من سود العيون لقيته
والبابلى بلحظهن سقيته

الفاترات وما فترن رماية
بمسدد بين الضلوع مبيته

الناعسات الموقظاتى للهوى
المغريات به وكنت سليته

الشارعات الهدب ، امثال القنا
يحيى الطعين بنظرة ويميته

وأغن أكحل من مها « بكفية »
علقت محاجره دمى ، وعلقته

لبنان دارته ، وفيه كناسه
بين القنا الخطار خط نحيته

السلسبيل من الجداول ورده
والآس من خضر الخمائل قوته

ان قلت : تمثال الجمال منصبا
قال الجمال : براحتى مثلته

دخل الكنيسة ، فارتقبت ، فلم يطل
فأتيت دون طريقه فزحمته

فازور غضبانا ، وأعرض نافرا
حال من الغيد الملاح عرفته

فصرفت تلعابى الى أترابه
وزعمتهن لبانتى فأغرته

فمشى الىّ ، وليس اول جؤذر
وقعت عليه حبائلى فقنصته

قد جاء من سحر الجفون فصادني
واتيت من سحر البيان فصدته

قصة كاملة ، فيها الرومانسية في اجمل صورها وازهاها . وفيها وصف بطلة القصة في لفظ موفق ، ذلك الوصف الذي يقدح لدى القارىء شرارة التشويق تهم بان تقول : كفى ، ثم تثاني تريد ان تسمع من الوصف مزيدا .

قصة كفاح مصر

وانظر معي كيف كتب قصة مؤتمر الصلح بين الاحزاب في مصر فكتب قصة كفاح مصر وبرلمانها :

بشرى الى الوادي تهز نباته
هز الربيع مناكب الادواح

تسري ملمحة الحجول على الربى
وتسيل غرتها بكل بطاح

التامت الاحزاب بعد تصدع
وتصافت الاقلام بعد تلاحي

سحبت على الأحقاد أذيال الهوى
ومشى على الضغن الوداد الماحي

وجرت احاديث العتاب ، كأنها
سمر على الاوتار والاقداح

ترمي بطرفك في المجامع ، لاترى
غير التعانق واشتباك الراح

شتى فضائل في الرجال ، كأنها
شتى سلاح من قنا وصفاح

فاذا هي اجتمعت لملك جبهة
كانت حصون مناعة ونطاح

الله ألف للبلاد صدورها
من كل داهية ، وكل صراح

وزراء مملكة دعائم دولة
أعلام مؤتمر ، أسود صباح

يبنون بالدستور حائط ملكهم
لا بالصفاح ، ولا على الأرماح

وجواهر التيجان مالم تتخذ
من معدن الدستور ـ غير صحاح

احتل حصن الحق غير جنوده
وتكالبت أيد على المفتاح

شجت على ابطالها ثكناته
واستوحشت لكماتها النزاح

هجرت أرائكه ، وعطل عوده
وخلا من الغادين والرواح

وعلا نسيج العنكبوت ، فزاده
كالغار ،من شرف ، وسمت صلاح

ارايت كيف روى محنة الدستور والبرلمان في مصر .. ثم ارايت هذه الاشارة في البيت الاخير وكيف روى لك بها قصة الغار والعنكبوت على غار ثور في هجرة النبي عليه الصلاة والسلام . ورايت ورايت .. وماعظم ما ترى لشوقي العبقري وفنه الخالد .

مصاير الايام

ولو شئت ان اختار قصيدة اخرى لشوقي لما استطعت ان اغض الطرف عن خالدته « مصاير الايام » .

ألا حبذا صحبة المكتب
وأحبب بأيامه ، أحبب

ويا حبذا صبية يمرحون
عنان الحياة عليهم صبي

يراح ويغدى بهم كالقطيع
على مشرق الشمس والمغرب

الى مرتع ألفوا غيره
وراع غريب العصا أجنبي

ومستقبل من قيود الحيا
ة شد على النفس مستصعب

توارث بهم ساعة للزمان
على الناس دائرة العقرب

تشول بابرتها للشباب
وتقذف بالسم في الشيب

يـدق بمطرقتيهـا القضـاء
وتجـرى المقاديـر فـى اللولـب

اليست هذه بواكير قصة الحياة في الطفولة ؟ فلننتقل معه الى الصبا ، اذ يقول :

جميل عليهـم قشـيب الثيـاب
وما لم يجمـل ولـم يقشـب

كساهـم بنان الصبـا حلـة
أعـز مـن المخمـل المذهـب

وابهـى مـن الورد تحت النـدى
اذا رف فـى فرعـه الأهـدب

واطهـر مـن ذيلـه لم يلـم
من النـاس ماش ولـم يسـحب

ثم انظر الى هذا الهول الذى تحيط به الحياة ابناءها ، وامسك قلبك ان يطير من مكانه :

قطيـع يزجيه راع من الدهـ
ـر ليـس بلـين ولا صـلّب

اهـابت هـراوتـه بالـرفاق
ونادت علـى الحُـيَّد الهـرب

وصـرّف قطعـانـه فاستبـد
ولم يخش شيئا ، ولم يرهـب

أراد لمن شـاء رعى الجديـب
وأنزل مـن شـاء بالمخصـب

وروّى علـى ريهـا الناهـلات
ورد الظمـاء فـلم تشـرب

والـقى رقابا الـى الضاربين
وضـن باخرى فلم تُضـرب

وليـس يبالـى رضا المستريح
ولا ضـجر الناقـم المتعـب

وليس بمبـق على الحاضـرين
وليـس بباك علـى الغيَّـب

فيا ويحهم هل أحسوا الحيـاة
لقـد لعبـوا وهي لـم تلعـب

تجرب فيهـم ـ وما يعلمـون ـ
كتجربـة الطـب فـى الأرنـب

سقتهم بسم جرى فى الأصـول
وروى الفـروع ، ولم ينضـب

لا بد ان اقف • احس قلبي يتقافز في صدري •• ما هذه الحياة ؟ ولكنها الحياة • وما هذا الهول ؟ ولكنها الحقيقة •

وتمضى القصيدة فى هذا السموق الشامخ ، تروى الأدوار التى يمر بها الانسان الذى يعانى الحياة حتى :

وخدش ظفـرُ الزمان الـوجـوه
وغيّض مـن بشـرها المعجـب

وغال الحـداثة شـرخ الشـباب
ولو شـيب المـرد فى الشـيَّب

سرى الشيب متئدا فى الـرؤوس
سُـرى النار فى الموضع المقشـب

حـريق أحاط بخيـط الحيـاة
تعجبت كيف عليهـم غـبى

ومـن تظـهر النـار فـى داره
وفـى زرعـه منهـم يُرعَـب

قد انصرفوا بعد علم الكِتـاب
لبـاب مـن العلـم لـم يكتـب

حـياة يغامـر فيهـا امـرؤ
تسـلح بالنـاب والمخلـب

وصـار الى الفاقة ابن الغـنى
ولاقـى الغـنى ولـد المـترب

وقـد ذهب المـمتلـى صـحة
وصـح الـسقيم فلم يـذهـب

وكم منجب فى تلقى الـدروس
تلقـى الحـياة فلم ينجـب

وغـاب الرفـاق ، كأن لم يكـن
بهـم لك عهـد ، ولـم تصـحب

لا تعليق •

ثروت اباظة



المريض لا يجب أن يستمر على دواء معين مدى الحياة

● انا سيدة فى الاربعين من عمرى اصبت بمرض من امراض الحساسية فى الجيوب والقصبات الهوائية ونصحنى الاطباء باستعمال حبوب مضادة للحساسية ، وانا اداوم على استعمالها كل مساء فهل هناك مضاعفات او خطورة نتيجة استمرارى على تعاطى هذه الادوية ؟؟

ـ اود ان اتناول الاجابة على هذا السؤال من وجهة النظر الطبية العامة .

انى لا اعتقد ان هناك عقارا يعطى للمريض وله صفة الدوام والاستمرار . اذ ان الحالة المرضية التى بسببها اعطى العقار لا تستقر على وضع ثابت ودائم . فالحالة المرضية اما ان تشفى تماما او ان تتحول الى حالة مزمنة تتخللها نوبات حادة . واما ان تحدث مضاعفات مرضية تغير من طبيعة المرض الاصلى . وعلى ذلك فلا بد من التسليم بالقاعدة الاساسية وهى ان العلاج بعقار معين يجب ان تتحدد مدته وان يعاد النظر فى مدى فعاليته من قبل الطبيب المعالج بين فترة واخرى . وبتعبير آخر فليس هناك عقار يعطى للمريض طول حياته اللهم الا ما ندر والشاذ لا حكم له .

كما ان من مخاطر صفة الاستمرار فى تعاطى دواء معين ان المريض يتعود على هذا الدواء دون النظر الى فائدته الطبية . اى يتكون لدى المريض نوع من الادمان ، وما يترتب على ذلك من آثار طبية واجتماعية سيئة . وهناك خطر آخر فلربما استجد مرض مختلف عن سابقه واعطى المريض عقارا ثانيا ، حينئذ قد يتعارض العقار الجديد مع العقار الاول الدائم ويسبب ذلك آثارا ضارة بالمريض .

واعود للاجابة الموضوعية على سؤال السيدة فاقول ان الادوية المضادة للحساسية ـ فى معظمها تتميز بخلوها من المؤثرات الضارة بصحة الانسان ، غير ان من خصائصها انها تسبب فتورا عاما وضعفا فى التركيز العقلى وعدم الدقة فى تقدير الاحكام . وهناك بعض المرضى تظهر عليهم اعراض الصداع والقىء وجفاف فى الفم واختلال فى ادرار البول . وهناك بعض الحالات النادرة التى يظهر فيها فقر الدم نتيجة لتعاطى هذه العقاقير وانخفاض فى فعالية انتاج مكونات الدم (من كرات بيضاء وحمراء وصفائح دموية ومواد مضادة) ولاكتشاف هذه الحالة فلا بد من اجراء الفحص الطبى والمخبرى حتى يتم العلاج بصورة مرضية .

من ذلك نخلص الى القول بانه لايجب ان يستمر المريض على دواء بعينه بل يجب مراجعة الطبيب لاعادة تقييم المرض والعلاج بين وقت وآخر .

المعدة والطعام الخاص بمرضاها

● ذكرتم فيما مضى قائمة بالطعام المصرح به للمصاب بالتهاب الكلى فهل لكم ان تذكروا لنا قائمة بالطعام المتبع في حالة قرحة المعدة والاثنى عشر.

– يجب ان يكون الطعام في هذه الحالة خاليا من المواد المثيرة لغشاء المعدة سواء كان منها المهيج بكثرة اليافه او المهيج لوجود مواد كيماوية تزيد من افراز المعدة مثل التوابل او الحمضيات او المواد التي تحتوي على مواد سكرية بكثرة ، وكذلك تكون الوجبات صغيرة وعلى فترات قصيرة حتى لا تبقى المعدة فارغة فيزداد تركز الحامض بها ويمنع التئام القرحة ويؤخذ كوب من الحليب بين الوجبات ، ويجب ان تكون الوجبات في اوقات منتظمة ويمضغ الاكل مضغا جيدا ، ويأخذ المريض قسطا من الراحة قبل وبعد الاكل ، ويجب ان يكون الاكل متوسط السخونة ، لا يكون ساخنا شديد السخونة ، ولا باردا شديد البرودة ، « وهذه عينة من الاكل الذى يتناوله مريض قرحة المعدة والاثنى عشر » .

عندما يصحو المريض يعطى – كوب حليب مع بسكوت .

الفطور – عصير فواكه – ولا يكون حمضيا شديد الحموضة او يكون شديد الحلاوة – بيضة مسلوقة – توست – مربة او عسل نحل – شاي خفيف مع حليب .

بين الفطور والغداء كوب حليب .

الغداء – شوربة خفيفة – توست – قطعة لحم مسلوقة جيدا او جيدة الشواء – بطاطس او خضار مصفى ومهروس – عصير فواكه .

بين الغداء والعشاء – كوب حليب .

العشاء – بيضة – او قطعة جبن او لبن زبادي – توست – عصير فواكه .

قهوة خفيفة او شاي بحليب .

قبل النوم – كوب حليب .

على انه قد لوحظ في السنوات الاخيرة ان ما يلائم مريضا بقرحة المعدة لا يلائم المريض الآخر – فبعضهم مثلا يشكو من الانتفاخ بعد أن يتناول الحليب ، وفي هذه الحالة يقلل الحليب او يخفف او يكون على هيئة «مهلبية» او كاسترد بحليب .

وبعد ان تتحسن حالة المريض يمكن ان تزداد كمية الطعام وتتغير نوعيته تدريجيا الى ان يعود المريض لحالته الطبيعية بعيدا عن الاطعمة التي تهيج المعدة وتساعد على تقرح المعدة او الاثنى عشر مرة اخرى .

أقلام الحواجب قد تسبب

● اصبت باحمرار وحكة في جفوني اعتقدت انها من قلم الحواجب ، وبالرغم من ايقاف استعماله فلا تزال الحكة موجودة ، فهل ممكن ان يكون طلاء الاظافر هو السبب ، وكيفية علاجه ؟

– المعروف ان اقلام الحواجب التي تحتوي على المسكارا Mascara او الوان صناعية من منتجات القطران Coal tar قد تؤدي الى احمرار وحكة وورم في الجفن العلوي للعين ، كذلك فان طلاء الاظافر Nail Polish خاصة ذلك المحتوى على مادة صمغية Resin لتجعل من الصعب ازالته يؤدي الى حساسية شديدة في جميع الاجزاء التي يلمسها . ولذلك بعد طلاء الاظافر ونتيجة لمس الاجزاء المختلفة من الجسم او الوجه تحدث تلك الحساسية وعادة تحدث في الوجه ، الجفن ، وجوانب الرقبة وخلف الاذن . وتظهر الحساسية بسرعة على شكل رقعات محددة محمرة وفيها حكاك ، واحيانا قد تظهر خلف الرقبة مؤدية الى نوع من الاكزيما ، كما انه قد

الغـــدة النكفية لها علاقة بعقم الرجال

● تزوجت منذ ٦ سنوات ، ولم انجب اطفالا ، وسالنى الطبيب اذا كنت اصبت بالغدة النكفية ، فهل لهذه الغدة صلة بالعقم ، وهل هناك امل فى الانجاب ؟

– التهاب الغدة النكفية Mumps يصيب كثيرا من الاطفال ، ويحدث هذا المرض نتيجة العدوى بفيروس بعد فترة حضانة تختلف من اسبوع الى ثلاثة اسابيع ، وفيه تتورم الغدة النكفية اسفل وخلف الاذن ، وعندما تصاب الناحيتان يبدو الوجه وكأنه منتفخ ، وهذا المرض لا يصيب الأطفال فقط ، بل يصيب الشباب ايضا الان مضاعفاته تكون أكثر فى الشباب عنه فى الأطفال ، من اهم هذه المضاعفات التهاب الخصية Orchitis وعادة تؤثر فى الشباب ولكنها نادرا ما تحدث فى الاطفال تحت عمر ١٢ سنة ، فعندما تبدأ الغدة النكفية تتماثل للشفاء ويخف ورم الوجه فاذا بالحرارة ترتفع ثانية مع الم شديد وورم بالخصية ، ومع الراحة التامة والعلاج تخف الخصية تدريجيا خلال بضعة أيام ، الا انه فى بعض الحالات قد يحدث ضمور بالخصيتين ، وقد يكون الضمور بسيطا مؤديا الى ضعف فى الحيوانات المنوية أو يكون الضمور كليا مؤديا الى عقم تام . وللاسف فان مضاعفات الخصية هذه تحدث ربما فى حوالى ثلث المرضى البالغين المصابين بالغدة النكفية . لذا نرى اهمية اتباع ارشادات ونصح الطبيب عند الاصابة بالتهاب الغدة النكفية لمنع مضاعفاتها أو على الأقل التخفيف منها . لذلك فان الامل فى الانجاب فى هذه الحالة يعتمد على مدى تأثر الخصية بالالتهاب ، فاذا كان الضمور كليا وجميع خلايا الخصية تأثرت بالمرض بحيث اصبح لا يوجد اى حيوان منوى فى السائل المنوى فنستطيع القول ان الأمل فى العلاج والانجاب ضعيف جدا ، أو يكاد يكون معدوما ، اما لو كان الضمور جزئيا فان ذلك مع العلاج يتحسن كثيرا والأمل كبير فى الانجاب .

التهاب الجفون

تتكون حساسية فى اى جزء من الجسم نتيجة لدلك الطلاء .

وافضل طريقة لاكتشاف ما اذا كان طلاء الأظافر هو السبب ، ازالة هذا الطلاء وعدم استعماله قطعيا لمدة شهر على الأقل ، وبعد تمام الشفاء ، تطلى الأظافر ثانية لرؤية ما اذا كان سيتكرر هذا الطفح الجلدى . ومن البديهى بعد ذلك ، اذا كان طلاء الأظافر هو السبب ، فالامتناع عن استعماله هو السبيل الوحيد لعدم تكراره ، واذا كان هناك ورم فى الجفون ، فتعمل مكمدات مثلجة من البوريك واستعمال دهانات ملطفة للحكة والحساسية مثلا الكالامينا والبنادريل وكذلك الدهانات المحتوية على مثل لوكا كورتين وسيلستودرم مع استعمال الحبوب المضادة للحساسية عن طريق الفم .

حساسية فى الجفن بسبب طلاء الاظافر



قصة :



بقلم : حسن حسن المشميشي

■ ان الجزيرة العربية هي القبس الذى يشع منه على العالم أمثلة البطولة والتضحية والوفاء ... ترى فى كل سهل قصة ، وبعد كل طفينة رواية وكلها تؤكد أن عرب الجزيرة يمثلون الانسانية فى أسمى صورها ... مثالية وتضحية.. من ذلك هذه القصة التى رواها لى عن مشاهدة .. ورؤية أحد الذين عاشوا هناك عشرات السنين ابان الثورة الوهابية ...

كان الوقت ظهرا ... ورمال البادية الصفراء تمتد ذات اليمين وذات اليسار لا يحيط بها طرف، وقرص الشمس يلتهب فى كبد السماء التهابا يقذف وجه الكون بامواج من السراب تتراقص بذرى الكثبان وتتماوج معها رءوس النخيل المنتشرة هنا وهناك حيث تقبع فى فيئها مضارب عشيرة الحاج مسعود ، وقد اوحشت البيداء حينذاك من كل طير وانس ووحش ...

فى ذلك الوقت كان الحاج مسعود شيخ القبيلة يجلس امام خيمته يتناثر حوله جمهرة من ابناء عمومته وخئولته ، وقد ارتفعت ضحكاتهم ، وهم يتخففون من لفح الحر بالشراب تارة ، وتارة اخرى يتبادل الملح والنكات .زمام الحديث للشيخ، فكاهاته لا تتناسب مع السنين الستين التى أحنت ظهره ، وغضنت ملامحه ، ربما يبرهن بحديثه انه لم يبرح بعد بستان الشباب .. : ـ

صحب البخيل ابنه الى الخلاء ، وتصادف ان مرت جنازة وراءها امرأة تنتحب وهى تقول : انهم يذهبون بك الى بيت لاطعام فيه ولا وطاء ولا نسيم ولا غطاء ، فجذب الولد ذراع أبيه البخيل قائلا فى لهفة : انهم والله يا ابت يذهبون الى بيتنا ... قالها الحاج مسعود وهو يلهث من الضحك والكلام ، وغرق الجميع فى الضحك ..

كان يقوم بالخدمة عليهم غلام أسمر فصيح يدعى « ابن الازور » له قدرة على ان يتشكل فى حركات مضحكة ، وقد وهبه الله طريقة مسلية فى تقديم الطعام والشراب والقاء بعض الملح التى حذقها من اختلاطه بالرعاة فى البطحاء ، تكمل أطراف ما يأكله لسانه من الكلمات ... تتسم حركاته بالخفة والمرح المطبوع مما جعله محبوبا لدى الجميع..

اعتدل الحاج مسعود فى مجلسه وادار العمامة الكبيرة التى يحملها فوق رأسه ، وأمسك بيده عثنونه الابيض وخاطب الغلام قائلا :

ضع ما بيدك ايها الغلام ، واكمل لنا قصة ما فعلت بالرعاة الثلاثة الذين غافلوك واستاقوا أمامهم بعض الشياه من المرعى • صاح بعض الجالسين مؤمنين على طلب شيخهم •احك ياغلام• احك • وضع الغلام القعب أمام الجمع ومد يديه، وتحفز في وقفته كمن يستعد لامر ذى بال ، وارتسمت على وجهه ابتسامه عريضة امتدت حتى ليخيل الى من يراه انها شملت كل اعضاء جسمه •• وكانه احس باهميته لاول مرة •• قال :

تناومت أمام الرعاة ، وتركتهم حتى ابتعدوا قليلا بالشياه ، ثم عدوت كالظليم فوق الرمال في طريق غير الذى سلكوا حتى سبقتهم،واختبات عند ثنية الوادى،وانا انوى عندما يصلون •••!!

توقف الغلام فجاه واخذ يحد النظر نحو الصحراء البعيدة ، وقد بدت عليه الدهشة ، فاسرع احد الحاضرين يقول : ثم ماذا : ؟ ولكن الغلام لم يجب وظل متجها ببصره نحو الصحراء كانه يريد أن يتحقق من شيء لا يبين • اشرأبت الاعناق نحوه وخف لغط القوم شيئا فشيئا حتى كاد يتلاشى •• استمر الصمت مدة حتى قطعه الحاج مسعود : ـ



تحقق منها تماما ، فوجد نفسه امام طفلة هيفاء تأسر القلوب والنفوس بملاحتها ، وبانوثتها فعجب

مــاذا دهاك أيها الغلام .. ؟ أجاب الغلام بصوت كأنه يأتى من بعيد .. وقد وضع يده مظلة تحمى عينيه من وهج الشمس :

هنالك يا سيدى شبح تتقاذفه أمواج السراب نحونا .. فرد أحد الحاضرين : ولكن من الخبل السير وسط هذه الرمضاء .. !! وعقب آخر : ترى من يكون ؟ استمر الغلام :

انه يقترب ،انني أتبين فيهاعرابيا رث الهيئة، انه يسرع مترنحا لا يبالى بلهيب الرمال الذى يشوى قدميه الحافيتين ، ولا بسوط الاشعة يكاد يذيب جسده شبه العارى .. مضت فترة صمت قليلة اقترب الاعرابى ، وانفرد عقد الحاضرين يتأملون مبهوتين ... صرخ الحاج مسعود قائلا : سر اليه يا غلام واسرع به الى المجلس تكشف عن حاله وقصته ،فوالله لئن كان طالبا لأعطيته، ولئن كان شاكيا لانصفته .. !!

خرج الغلام اليه واسرع به فلما مثل بين يدى القوم بقامته الفارهة النحيفة ، وقد برزت فى حدة عظامُ وجهه ، خاطبه الحاج مسعود قائلا : « من الرجل ، وما قصتك ؟ أراك تحمل شنى احالك الى ما نرى » .

أجاب الاعرابى بصوت متقطع : « منك اشتكى واليك اشتكى » .

انا أعرابى من بنى عذرة لجأت الىشيخ القبيلة مشتكيا اليه بظلامة نزلت بى من أحد تابعيه املا فى عدلك وانصافك .. !

تبادل الحاضرون نظرات الدهشة وعلاهم الصمت : وما قصتك مع عاملى ايها الاعرابى ..

اجلسوه رحمة بما بدا عليه من فرط الاعياء ، وارتشف رشفات قدمها ابن الازور : أصلح الله الشيخ ، كانت لى ابنة عم نشأنا سويا ، وشهد ربعنا مراتع صبانا ، ونشوة حبنا . ولما شبت على عينى خطبتها الى أبيها فزوجنى منها ، وكنت بها كلفا لما فطرت عليه من كمال عقلها وجمالها ، وقد سارت بنا الحياة سعيدة لا يكدر صفونا مكدر الا ما كان يطفو احيانا من أسف ابيها على عدم زواجها من رب الضياع والنياق ، وكانت سعدى نعم الزوج ، تسرنى اذا حضرت ، وتحفظنى اذا غبت .. حتى حل بنا قضاء الله ، وسرى الداء فى ابلى وشويهاتى ، فأتى عليها كلها ،فغدوت بين يوم وليلة صفر اليدين لا املك قوت يومى، ولا اطمئن على غدى وقد ندّت سعدى جفاف حياتي بقرب الامل وانكشاف الغمة .. ولما بلغ ذلك اباها حال بينى وبينها ، وانكرنى ودفعنى عنها ولم تجد معه توسلاتى ، ولا ما بدا له من رغبة سعدى فى الاستمرار معى ومشاركتى الكفاح ، ذهبتُ يا سيدى أهيم على وجهى ، وغدت الدنيا فى ناظرى كسم الخياط ..

وما بلغ الاعرابى هذه المقالة حتى تهدج صوته، وارتفع صدرهوترافصت رءوس القوم فى ناظريه، وكاد يغيب لولا خلجة من حياء،ورشفة من ماء ..

مضت مدة قبل أن يستأنف الاعرابى حديثه : « ثم توجهت الى شيخنا منظور بن الحارث باسطا شكواى وطلبت رد زوجى على » .

استحضر الحاج منظور عمى فى التو وسأله : لم حلت بين ابن أخيك وزوجه ؟ فانكر الرجل زواجها منى قائلا له : ليس له عندى زوجة ، ولا زوجته من ابنتى قط !! صمت الحاج منظور مدة ثم اشار اليه بعض الحاضرين فطالبنى بالبينات دعواى .. وعبثا حاولت ذلك ، فلم اوفق فقد تملق الجميع عمى رغبة أو رهبة .. !!

ولما حار امرى قلت للشيخ : انا راض بحكم زوجتى .. فان رأيت أن تبعث اليها وتسمع منها .. ؟ وفى الحال بعث من أتى بها . ولما دخلت عليه ووقفت بين يديه نظر اليها بدهش فاغرا فاه ، وحينذاك ادركت أنها وقعت منه موقع الاعجاب والاستحسان ، خيم الصمت مدة ، ثم نظر الى الشيخ منظور متفرسا فى وجهى وكأنه لا يؤمن بزواج امثالى من امثالها . وحينئذ ادركت وكنت صادقا فى ادراكى أنه صار لى خصما ، وانقلب أملى فى عدله وانصافه الى يأس وخوف منه ....!! فض الشيخ المجلس وأمرنى بالخروج لأعود اليه فى الغد ثم تحول الى سعدى وابيها فاكرم وفادتهما ، وأسبغ عليهما النعم والهدايا !! ، وقد علمت بعد ذلك انه اتفق مع صهرى على أن يزوجه سعدى مقابل مائتين من الشياه ، وخمسين من النياق اذا افلح فى تطليقها منى،ولما كان الغد بعث فى احضارى ، ولما مثلت بين يديه أخذ يحدجنى بنظرات

كالشرر ويتفرس في وجهي ، علة يهيبه من نفسي لنزعاته اذعانا واستسلاما .. كان يعتمد على سلطانه وماله ، يغريه فقري وضعفي وقلة حيلتي ... وبعد لحظات خلتها الدهر ذهبت بي الظنون الناءها كل مذهب صرخ ملوحا :
« يا اعرابي طلق سعدى واطلب مني ما شئت »
فبادرت مجيبا ، وقد تجسم خوفي عقربا تلدغني:
« لا افعل ذلك ابدا فهي النبضة التي تبعث الحياة في جسدي ، والبلسم الذي يشفي جروحي اذا نكاتها نوائب الايام ... انك تعقر ناقتي، وتحول جدولي » وتملكتني قوة دافعة . « هي زوجي امام الله ... وستظل كذلك ماحييت وبدا كل جزء مني يعلن الاصرار والقوة . »

تململ الشيخ في مجلسه بجثته الضخمة كبرميل من الخمر انفجر من احد جوانبه ، فخرج الزبد يتطاير ، واحسست من حركته نية الغدر، وسوء المصير .. قال بلهجة يغلفها الاصرار والوعيد :

اتعصيني .. ؟ !! ثم اخلى المجلس وامر بتعذيبي امام عمي ثم قذف بي الى السجن ... ظل يطؤه بقدمه .. عود ثقاب يشعل به سعفة يابسة يصطلي عليها .. وظل حالي معه عدة ايام يحاول ان يضطرني الى طلاقها مستخدما في ذلك كل صنوف التنكيل .. ولكنه لم يفلح ، ولم اصنع .. !!

توقف الاعرابي لحظة ، وغص بريقه ، وحارت مقلتاه في محجرته فبدا اكثر شحوبا ... عجز عن مواصلة الحديث ، ثم تماسك ، بلل شفتيه بلسانه واكمل في لهف :

وذات صباح تمنيت الا تشرق على شمسه دفعني الحراس الى مجلسه ، ونظرت فاذا بالشيخ يقف متقلدا سيفه وقد بدت عيناه اكثر جحوظا ، وتضخمت وجنتاه واحمرت اذناه من الكظم ، كانه يقود كتيبته ضد جيش لجب .. خلا المجلس الا من بعض الحرس ، وقفت مطاطئا والشيخ يذرع المكان في خطوات هيستيرية تدل على ما يعتمل داخل كيانه وانا اتضاءل في وقفتي ،قوتي تنهار، نبضي يشتد ، احسست به يقف ورائي يصرخ :
« وكرامة ابي لئن لم تطلق سعدى الآن لافرقن بين جسدك وموضع لسانك .. »

فاستدرت نحوه فاذا به يضع يده على مقبض سيفه ، ويبدو على وجهه الاصرار الشديد بتنفيذ وعيده ، فخشيت على سعدى لوعة مصرعي ، فطلقتها طلقة واحدة ، وعندها اطلق سراحي ، وقذف بي الى الخارج ، فذهبت الى منزلي منتحبا لا اعرف للحياة معنى ،ولا يستقر بي المضجع حتى اشرفت على الهلاك وغدوت من حبها بلا عقل كالمحتضر لا يملك الا ان يلبي ملاك الموت ، غابت الشمس في دموعي ، وحولت همومي النهار ليلا كالحا ...

وما انتهى الاعرابي من مقالته حتى خر مغشيا عليه بين يدي القوم ، ولم تمنعه خلجة الحياء ولا شربة الماء ... نظر اليه الحاج مسعود نظرة كلها اشفاق وتمتم : « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. اعتدى والله منظور على حرمات المسلمين » باتت الحيرة في عينيه ، يتنقلها بين القوم كانه يتساءل ماذا يفعل ؟

افاق الاعرابي والحاج مسعودبوجه الخطاب اليه :
« والله يا اعرابي لقد جئتني بحديث ما سمعت بمثله قط ... ثم اشار الى ابن الازور الذي كانت تبدو عليه علائم الالم والحزن ان ياخذ الاعرابي ويهيىء له الطعام والشراب ... اسرع ابن الازور ... وكانه كان يريد ان يقوم بهذا وحده ، غير مامور الابشفقة على هذا المسكين نظرا لما يبدو عليه من ضعف وهزال ... امر الشيخ باستحضار دواة وقرطاس وكتب الى منظور : —

اما بعد : فانه بلغني عنك انك اعتديت على ضعفاء عشيرتك ، وانما كان ينبغي لكبير القوم ان يغض بصره ويزجر نفسه عن ملذاته ... واني اعطي الاله يمينا لست اكفرها ، وابرا من ديني ودياني ان انت خالفتني فيما اكتب به اليك لاجعلنك طعاما للاوابد الجائعة،طلق سعدى في التو وعجل بها الينا مجهزة .. ثم ختم المكتوب وارسله الى منظور وامر الرسول الا يضعه الابين يديه .

لما ورد الرسول الى منظور وجده يجلس امام خيمته حزينا يحتويه هم جارف ... سلمه الخطاب فلما فضه وعلم ما فيه اسقط في يده وغامت الدنيا امام عينيه ... نهض مسرعا ثم اخذ يتمتم

فى ضجر ظاهر ••• ويل للاعرابى ••• ويل للاعرابى ••• كان ينبغى أن اقتله لا قبل لى بمسعود لا بد من الاذعان••ودلف مسرعا الى سعدى• وحبات العرق تتساقط على جبينه ، وتتدحرج على شعرات لحيته فوجدها مكبة تنتحب تحيط بها هالة من القدسية طالما وقف امامها خاشعا كالناسك فى معبده ••• لا يجرؤ شيطانه على الدنو منها •• اقترب منها •• ولما أحست به انتفضت واقفة تستعد للدفاع عن نفسها كعادتها كلما دخل عليها ونظر اليها ••• اضطربت الافكار فى راسه ونفخ الشيطان فى أوداجه ووسوس له ••• لاتدعها تبرح من تحت يدك وليكن لمن ذلك ما يكون ••• ولما اعتلجت نفسه بالرغبة خيل اليه انه يستطيع ان يصحبها الى تيه الصحراء ويعيش معها فى ظل جرف او عند ماء مجهول حيث لا مسعود ولا زوج ولا احد •• ولكنه جبن فى النهاية ، وربت على كتفها قائلا بصوت متهدج : ــ

كان الله استجاب لدعائك وحفظك ما حفظت الجميل لزوجك •• كنت أود أن يتركني معك لم يقتلني بعدها ، فكان ذلك احب الى ••• وكانت سعدى اثناء حديثه تلقى بنظرها على جانب الخباء حيث تواجهه بظهرها ••• ترك الخباء وخرج لا يدرى من امر نفسه شيئا ••• ماذا عساه ان يفعل ، وقد تدحرج العقال بشاله الابيض على اذنه اليمنى ، ينتعل خفا فى احدى رجليه بينما يمشى بالاخرى حافيا ••• اعتمد رأسه بين يديه فترة يعلم الله مداها • رفع رأسه ودار بعينيه فيما حواليه ••وجد الرسول ينتظر ••جلس بعيدا عن الخباء ••• استحضر دواة وكتب الى الحاج مسعود كتابا مسهبا جاء فيه : ــ

أعذر ايها الشيخ ، فانك لو ابصرتها لابصرت حوراء المدامع لا يعدلها غيرها ••• سلام على سعدى من شيخ قد خلفته باوصاب واحزان ••• واله يا شيخ ان سعدى لانبل مما تظن ، ولقد حفظت عفة زوجها ولم استطع ان اكشف لها عن ذيل ••• !!

رجع الرسول الى الحاج مسعود وسلمه الخطاب ••• ولما قراه امر فادخلت عليه سعدى وقد بدا عليها هزال شديد ، نظرت فيما حواليها ثم استقر نظرها على زوجها المسكين وقف ناحية بعيدة تغطيه المذلة ••• وكانها تجيبه وتطمئنه بنظرات هزيلة مستضعفة ••• أشار الحاج مسعود الى حارسه فقرب سعدى منه ••• وتحقق منها تماما فوجد نفسه امام طفلة هيفاء تاسر القلوب والنفوس بملاحتها وتصم القلوب بانوثتها فعجب وأخذ ثم تحول الى جلسائه وقال : ــ والله انها لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة بحسن البيان فلقد كملت النعمة لمالكها •••!! فاستنطقها وتبسط معها سائلا ومستثيرا فاذا هى فصيحة فى ادب جم وكياسة ورزانة ••• رفع الحاج مسعود يده اليسرى تتحسس ما رسمته الايام على وجهه من اخاديد وكانه يريد ان يطمئن نفسه على ما تيقظ من نفسه وقلبه •

وكان ابن الازور ينظر الى سيده فى عجب ودهشة وكانه حدس بما يجول فى قلب الشيخ ••• اطرق الحاضرون ، واطرق الحاج مسعود ، وطال اطراقه وكانى به وقد سنح له فى اطراقه خاطرة اضمرها فى نفسه •• ثم رفع رأسه الى الاعرابى بعينين ضيقتين فيهما بريق متكسر مدة طويلة •• اكرم وفادته وقربه وابقاه فى ضيافته اياما ••• وفى ذات يوم انفرد به وأجلسه بجواره وقال له بعد ان ملا جوفه من الشراب : يا أعرابى : انى موقن انك شقيت بسبب هذه الجارية ، وما أحوجك الى الراحة والنعيم وما أجدرك بالسلو عنها ، وقد بان عليك الضعف ، وحال لونك مما جعلنى اخشى على نفسك التلف •• ثم صمت مدة وأخذ يتفرس وجه الأعرابى ليرى اثر مقالته على وجهه•• وفى بسمة عريضة وصوت حاول ان يملاه بالحنان الكاذب قال : هل لك من سلو عن الجارية يا أعرابى واعوضك عنها جارية بكرا ، معها الف دينار ، ومائة من النوق والجياد •••وتكون من اتباعى •••!! فما اتم الشيخ المتصابى عرضه السخى حتى صعق الاعرابى وشهق شهقة كادت تخرج لها نفسه ••• وسقط مغشيا عليه فانكب عليه الشيخ وحارسه وما زالا به حتى افاق فقال له: ما بالك يا اعرابى؟ اجاب الاعرابى فى لهف : شر بال وأسوأ حال •• عذت بجور من جور •• ثم غلبه حنينه فتهدج صوته ••• ثم انقطع تماما وبعد لحظات فتح عينيه واستعاد وعيه ••• واخذ يردد : لجأت من

ظلم الى ظلم فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار ثم رفع راسه الى الشيخ واستمر فى توسل : ــ

بالله عليك يا شيخ اردد على سعدى ، لاتعلل بها على ماتبقى لى من الحياة ، ولا تدعنى احس بالندم يوم طلبت انصافك ، فلا تضع نفسك موضع من استحق لومك ووعيدك !! اين عدلك يا شيخ ؟ ولكن كلمات الاعرابى ذهبت هباء !! وكيف تنفذ الرحمة الى قلب هذا الشيخ ، وقد اعمته الضلالة وعيث جمال الجارية بوقار السنين التى خطاها ••• ؟ وما الذى يضطره الى التخلى عن هذه الجارية التى لها فى كل قلب مكان وهو السيد المالك ؟ •

فكر الشيخ وقدر وأطال التفكير والتقدير ثم رفع عينيه فى الاعرابى وصرخ : يا أعرابى انك مقر عندنا انك طلقتها امام ابيها والحاج منظور، وقد بانت منك ومن منظور ، واصبح امرها بيدها ••• واصل حديثه بعد فترة صمت ••• ومع ذلك فلأكن منصفا لك ، وندعها تختار ••• اينا تشاء !! وترك الاعرابى شاخصا لا يدرى احى هو أم ميت ؟ ودلف الى بيته ••

اوعز الشيخ الى جواريه ليذكرنه لدى سعدى ويحببن اليها النعيم بجواره ، ويذكرن لها شياهه وأمواله التى لا يحصيها عدد ،وأن يبغضن اليها الفقر والمرض الذى حاق بابن عمها •••

اتخذ الحاج مسعود مجلسه صباح الغد ، وقد ارتدى من الحرير ما توهم ان يثقل كفته واصطنع من الاصباغ ما ظن انه يعيد اليه شيئا من سيماء الشباب ••• وقف الاعرابى اخر المجلس ووقف ابن الازور بجواره مكفهرا ينتظر تعاليم الشيخ••• اتجه الجميع بأنظارهم الى حيث اقبلت سعدى متثقلة بحلى الشيخ محملة بقزه وديباجه ، وقد بدا على وجهها اثر الاشمئزاز والضيق ••• والجوارى يساندنها ويهمسن فى اذنها مزينات لها ان تختار النعيم والجاه،وكفاها فقرا ومتربة •••!!

وقفت الفتاة بين الشيخ وابن العم حائرة ضجرة ، وقد غارت عيناها ، وذبلت نضرتها ، فاقترب منها الشيخ مسعود فى هرولة صبيانية ، ونظر اليها مبتسما فى بلاهة وقال : ــ

يا سعدى ان زمامك الآن فى يدك ، وقد بنت من الاعرابى ومن منظور •• فاينا أحب اليك ؟ الحاج مسعود فى سيادته وماله ، أم هذا الاعرابى فى جوعه واطماره ؟!!

مضت لحظات كأنها دهر طويل ظن الشيخ خلالها انه لا ريب راجح الكفة ، سباق الحلبة ، تعلقت الانظار بشفتى سعدى المرتعشتين ، وكان اقواها أثرا نظرات الزوج المسكين حيث تحول الى شبح شاخص ، وما لبثت الجارية ان اشارت الى ابن عمها وهى تقول : ــ هذا وان كان فى جوع واطمار ••• أحب عندى من أهلى ومن جارى •

لست يا شيخ لصروف الزمان بخاذلته ، ولقد كانت لى معه صحبة جميلة وأنا أول من نعم معه بالعافية والرخاء ، فما أجدرنى بالصبر معه على الشدة والبلاء ••• !!

قال محدثى : ــ ونظرنا الى الاعرابى لنرى اثر الغبطة على وجهه فما الفيناه الا وقد سقط منبطحا على الارض ••• !! لقد ذهبت الفرحة باللقاء بآخر انفاسه ، كما ذهب الجور قبلها ببدنه فقمنا نواريه التراب خلف الخيام ، والسنة المشيعين جميعا تجرى باللعنة على منظور ومسعود معا وكان اشدنا بكاء ابن الازور الذى دل منظره وجحوظ عينيه انه ــ لو أعطى الحق فى ابداء رايه ــ لانهال بالعصى على رأس شيخه حتى يواريه مع ضحيته •• !!

اما سعدى ••• سعدى التى رفضت المال والجاه ــ وهما اغلى ما ترومه امراة فى هذا الوجود ــ فما فارقت قبر زوجها ــ فقد انكبت عليه ولزمته منتحبة فى وفاء نادر المثال ••• !!

وبعد سنين تطرق الحديث فعلمنا ان سعدى لم تعش طويلا بعد ان رفضت كل صنوف العروض والاغراء ••• فقد لحقت بزوجها ، ودفنت بجواره ••• !!

وبعد فمن يذهب الى نجد ويسأل عن « قبر الوفاء » ير الجميع يشير اليه بيد ترتعش ، وعين تنهمر ولسان يتمتم ، وقد ظللته نخلة لا تبخل عليه بظلها الدائم ••• !! ■■

القاهرة : حسن حسن المشميشى



أكيل

حكى الأصمعي ، قال : قال لي احد اصدقائي : « لم لا تدعوني في ولائمك ، وانت رجل كثير الولائم » فقلت : « لانك جيد المضغ ، شديد البلع ، اذا اكلت لقمة هيأت اخرى » فقال : « اتريدني اذا اكلت لقمة ان اصلي ركعتين بين كل لقمة ولقمة » ثم قلت له : « وانت رجل تحلق ، وتتشدق وتحدق » اى تحمل واحدة في يدك واخرى في شدقك وتنظر الى اخرى بعينك .

أقصر خطبة جمعة

● روى الأصمعي بسنده أنه شهد الجمعة في احدى البلاد وكان أميرُها رجلا من الأعراب ، فلما حانت الصلاة خرج الامير وخطب ، وقد لف ثيابه على راسه وبيده قوس ، فقال : « الحمد لله رب العالمين ، والعاقبةُ للمتقين ، وصلى الله

احتيال لطيف

● كان أبو دلامة الشاعر نديما للمهدي (الخليفة العباسي) فتواطأ مع زوجته ام دلامة على أن يأتي هو المهدي فينعيها ، وتأتي هي الى الخيزران فتنعيه .

فأتى ابو دلامة المهديَّ وهو يبكي ، وأنشد .

وكنا كزوج من قطا في مفازة — لدى خفض عيش مورق ناضر رغد
فأفردنا ريبُ الزمان بصرفه — ولم نر شيئا قط اوحشَ من فردِ

فقال له : « ما بالك » ؟

فقال : « ماتت امُّ دلامة ، واني لأحتاج الى تجهيزها » فاطلق له مالا . واتت امُّ دلامة الخيزرانَ وقالت : « ان ابا دلامة مضى لسبيله » . فاغتمت وأمرت لها بمال ، واعطتها ثيابا وطيبا .

ثم لما دخل المهدي على الخيزران قالت له : يا امير المؤمنين : ان ابا دلامة مضى لسبيله ، وام دلامة كانت عندي الساعة ، فاعطيتها التجهيز لزوجها » . فقال المهدي « ان امُّ دلامة مضت لسبيلها وكان عندي ابو دلامة الساعة وأعطيته نفقة تجهيزها » فعلما أنهما احتالا ، فضحكا واستدعياهما ووهبا لهما شيئا وضحكا منهما .

حسان الوجوه

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعتمد لحوائجك الصِّباحَ الوجوه ، فان حسن الصورة اولُ نعمة تلقاك من الرجل » .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : «اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه» ، وسئل ابنُ عائشة عن هذا الحديث فقال : « معناه اطلبوا من الوجوه التي يحسن بالانسان ان يطلب منها » .

وقيل ان ابن عباس نظر الى رجل حسن الوجه فقال : أنت شرط النبي اذ قال يوما : « اطلبوا الخير من حسان الوجوه » .



على سيدنا محمد خاتم النبيين . اما بعد، فان الدنيا دارُ بلاء، والآخرةَ دارُ قرار، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسرارُكم، واخرجوا من الدنيا الى ربكم ، قبل ان يُخرج منها ابدانكم ، ففيها جئتم ، ولغيرها خلقتم . اقول قولى هذا، واستغفر الله لى ولكم ، والمدعوُ له الخليفةُ . قوموا الى صلاتكم » .

أشأم من طويس

طويس تضرب به العرب المثل في الشؤم ، وهو رجل من اهل المدينة من موالى بنى مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله ، قيل انه اول من اظهر المجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب بالدف، وسئل عن مولده فقال : « ولدت يوم مات ابو بكر وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، ووُلِدَ لى ولد يوم قتل الامام على بن ابى طالب » .

فيقولون في امثالهم السائرة : اشأم من طويس .

سوّغنا تيهه له

● قال الرشيد يوما لجلسائه ان عمارة بن حمزة ــ وكان من عظماء رجال الدولة مباسية ــ قد ذهب بـه التيه كل مذهب وأحبُ ان أضع منه ! فقيل له : لا شيء ضع للرجال من منازعة الرجال، والرأى ان يؤمر رجل ليدّعى افضلَ ضيعة لعمارة، ن عمارة غصبه اياها ، ففعل ذلك فلما حضر عمارةُ مجلس الرشيد قام الرجل ظلم منه وشنع عليه ، فقال الرشيد : اماتسمع ما يقول الرجل ؟ فقال : من يعنى؛ ال الرشيد : يعنيك انت يا عمارة ، فقم واجلس معه مجلس الحكم! فقال : ان كانت ه الضيعة له فلست انازعه فيها ، وان كانت لى فقد جعلتها له .

فانقطع كلام الرجل .

فلما انصرف قال عمارة لرجل كان معه من هذا المدعى فاننى لم أملأ عينى .. فأخبر الرشيد بذلك ، فقال : سوغناتيهه له بعد ذلك .

قف عند هذه

دخل احد الاعراب على الحسن بن زيد ــ وهو أميرُ المدينة ــ فقال : جُعلت ك ! انى عصيت الله ورسوله . قال « بئس ما صنعت ! وكيف ذلك ؟ » : لأن الله عز وجل يقول : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . ل رسول صلى الله عليه وسلم : « لا يُفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » ، وانا ت امرأتى فاشتريت غلاما فهرب الغلام ليومه » فقال أمير المدينة اختر واحدة من ث ، ان شئت أعطيتك ثمن الغلام ... فقال الاعرابى : « بأبى انت ! قف عند فلا تجاوزها » قال : اعرض عليك الخصلتين ؟ فقال : « حسبى هذه » .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

المتاحف في وطننا العربي

■ صادف أن كنت في دمشق، فخطر لي وأنا أجول بين ردهات المتحف الوطني، ما لهذه المتاحف من قيمة ثقافية عظيمة .. فهل تتكرموا وتذكروا لنا ما في الوطن العربي من متاحف .. لاسيما تلك التي تتصل بالحضارة الحاضرة ..

احمد القلاييني ـ دمشق

ـ للاجابة على سؤالك تحيلك الى كتيب « دليل المتاحف في الوطن العربي » الذي اصدرته في عام ١٩٧٣ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية ومع هذا تأتي لك بشيء مما فيه طلبا للفائدة العاجلة :

يورد الدليل عدد المتاحف في كل بلد عربي (حسب الترتيب الهجائي) فيقول :

الاردن : متحف واحد للاثار .

الجزائر : ١٨ متحفا ، منها ١٢ للاثار ، وواحد للاطفال ، ومتحفان للمأثورات الشعبية ، ومتحفان فنيان ، ومتحف للعلوم الطبيعية .

السودان : ٦ متاحف ، منها ٤ للاثار ، ومتحف علمي ، ومتحف للاثنوغرافيا ، Ethnography أي لعلم الاعراق البشرية وعادات وتقاليد مختلف القبائل .

سوريا : ١٠ متاحف ، منها ٧ للاثار ، ومتحف للزراعة ، ومتحف حربي ، ومتحف للتقاليد الشعبية .

العراق : ١٩ متحفا ، منها ١٣ للاثار ، و ٣ متاحف للفنون الشعبية والتشكيلية، ومتحف للتاريخ الطبيعي ، وواحد حربي ، ومتحف سياسي .

الكويت : ٥ متاحف، منها ٣ للاثار ومتحف علمي، واخر للفنون التشكيلية .

ليبيا : ١٤ متحفا ، منها ١٢ للاثار ، ومتحف حربي ، وآخر للتاريخ الطبيعي .

مصر : ٢٧ متحفا ، منها ٨ متاحف للاثار والتاريخ ، و ٦ متاحف فنية و ٥ متاحف وطنية و ٣ متاحف للعلوم والتكنية ، ومتحف للزراعة ، ومتحف جيولوجي ، ومتحف حيواني ، ومتحف بحري، ومتحف للاحياء المائية .

ولكن من المؤسف ان هذه الاحصائية ليست كاملة، ولا تعطي صورة واضحة عن هذا النشاط الثقافي الهام في الوطن العربي ، فهي ارقام عن ثمانية دول عربية فقط ، في حين أن عدد دول الجامعة العربية اصبح ٢٠ دولة .. لقد ارسلت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، خطابات تطلب معلومات من ١٩ دولة عربية ، ولكنها لم تتلق الا ثمانية ردود حتى ساعة طبع كتيبها !!

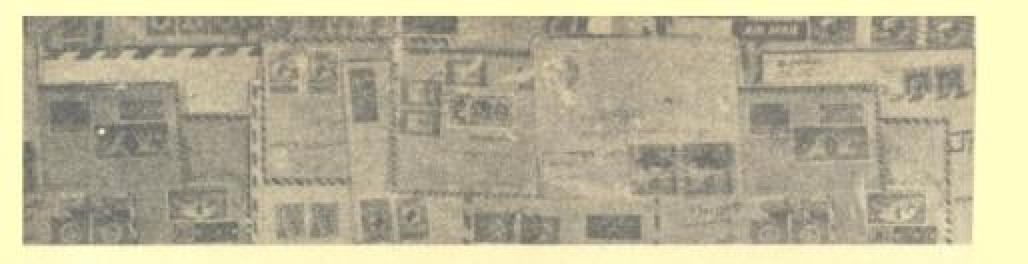
(س . ز)

اخوان الصفاء

● نسمع كثيرا باسم « اخوان الصفاء » ، فمن هم ، ومتى عاشوا ، وماذا كانت نزعتهم الفكرية ؟

ابراهيم عبد الله خليفة/كبري القبة/القاهرة

ـ هذه جماعة فلسفية دينية سياسية سرية ، من الطائفة الباطنية الاسماعيلية (الشيعية) ، كان اعضاؤها يعيشون في البصرة في اواسط القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وهم الذين اطلقوا على جماعتهم « اخوان الصفاء » لانهم قصدوا تصفية انفسهم من كل ما يحول بينها وبين



السعادة الخالدة ، المقسومة للانفس الانسانية الطاهرة ، وكانوا يتعاونون معا في اخاء على بلوغ هذه الغاية العملية ، اما نشاطهم النظري في مجال التصفية او الصفاء (الذي هو غايتهم عمليا) فقد جاءنا من نتائجه جملة رسائل تسمى « رسائل اخوان الصفاء » وبعضهم يضيف الى عنوانها هذا « وخلان الوفاء » ، وهي ٥٢ رسالة (وكلها مطبوعة) ، وهذه الرسائل اربعة اجزاء : أولها في مبادىء الرياضيات والمنطق (١١ رسالة) وثانيها في العلوم الطبيعية ومنها علم النفس (١٧ رسالة) وثالثها في الميتافيزيقا او ما بعد الطبيعة (١٠ رسائل) ورابعها في التصوف والتنجيم والسحر (١١ رسالة) فهي اشبه بموسوعة فلسفية علمية.

ولم ينشرها مؤلفوها باسمائهم لان الجماعة كلها سرية ، وقد عرف منهم : زيد بن رفاعة ، وعلى بن هارون الزنجاني،ومحمد بن احمد النهرجوري، ومحمد بن مشير البستي المقدسي ، ونظام الجماعة مفصل في الجزء ٤ من الرسالة ٤٥ . وكان من اثر سرية الجماعة كتابة الرسائل بعبارات غير صريحة ، وعدم ذكر مؤلفيها معها .

وفلسفة هؤلاء تقوم على الاختيار والتوفيق فيما يستمدونه من حكمة الاغريق والهنود والفرس كما اشاعها مترجموها الى العربية في الاجيال السابقة لهم ، فيختارون من كل حكمة فيها ، ويوفقون بين هذه المختارات ، فالجديد في فلسفتهم هو صورتها العامة لا اجزاؤها، وكانوا يقولون بنظرية«الصدور» او « الانبثاق » اي ان العالم انبثق من الله انبثاق الضياء من الشمس وكذلك انبثقت الكائنات بعضها من بعض تدريجيا ، فمن الله الواحد انبثق العقل الواحد ، ومن العقل صدرت النفس الكلية ، فالمادة الاولى ، فالطبائع ، فالاجسام ، فالافلاك واخرها العناصر ، ثم ما يتركب منها : من معادن ونباتات وحيوانات ، والمادة اصل الشر والنقص في العالم ، لبعدها عن المصدر الاول وهو الله . والنفوس الفردية اجزاء من النفس الكلية ، تعود اليها بعد الموت ، وهذا ما يسمونه البعث الأصغر ، واما البعث الاكبر فهو رجعة النفس الكلية الى الله . وخلاصة مذهبهم ان الاديان والفلسفات على اختلاف الازمنة والناس ينبغي ان توافق هذه الحكمة ، لان غاياتها جميعا هو تشبه النفس بالله على قدر استطاعتها ، ومن ثم دعوتهم الى الفضيلة الفلسفية في كل ماخلفوه من الرسائل .

(انظر مجلة العربي : الاعداد ٢٣ ص ١٤٨ و ٥٧ ص ٥) و ٧٣ ص ٢٣) .

(م.خ.ت)

الباسك ونزعتهم الى الاستقلال

● نسمع عن اعمال الباسك الارهابية في اسبانيا .. فمن هم هؤلاء الباسك .. ؟

ـ الباسك شعب اتخذ من شمال اسبانيا وجنوب غرب فرنسا موطنا له . ولايمت هذا الشعب الذي يبلغ تعداده نحو (٢) مليون نسمة ـ الى الاسبان او الفرنسيين بصلة . وهو من اقدم الشعوب الاوربية ، اذ يرجع تاريخه الى العصور الحجرية الاولى ، وهو ايضا من انقى تلك الشعوب دما واصفاها عرقا .فبينما تعرضت تلك الشعوب كالطليان والالمان والانجليز والفرنسيين وسائر الاوروبيين لكثير من الاختلاط مع جموع المهاجرين الذين اجتاحوا اوربا واستقروا فيها على مر التاريخ ، ترى ان الباسكين كانوا في منأى عن ذلك التمازج الى حد كبير . وتدل على ذلك ملامحهم الفريدة ، كاستدارة الوجه ، وتدل عليه لغتهم التي تختلف اختلافا كبيرا عن اكثر اللغات الاخرى ، الاوروبية وغير الاوربية .

فاللغة الباسكية من اللغات اللصقية التي لاتعتمد على الاشتقاق ، او التصريف ،وانما على الاضافات التي تلحق بالكلمات ، فتتولد كلمات جديدة ذات

● انت تسأل ٠٠ ونحن نجيب

معان جديدة • ومن طريف ما يذكر هنا ان الافعال فى لغة الباسك لازمة ولا تتعدى • فهم يقولون « آكل الطعامَ من قبل الرجل ٠٠ » بدلا من « آكل الرجلُ الطعامَ » •

لا عجب اذن ان اشتهر الباسك بنزعتهم القومية وحرصهم على الاحتفاظ بهويتهم وكيانهم• فهم يطالبون بالانفصال التام والاستقلال عن اسبانيا وفرنسا ، ويسعون الى اقامة دولة باسكية خالصة تضم مختلف مقاطعاتهم وترعى مصالحهم • وقد ظهرت هذه النزعة بصورة او باخرى فى شتى عصور التاريخ بيد ان الباسك اذعنوا للحكم العربى فى الاندلس (دون ان يعتنقوا الاسلام) فترة غير قصيرة من الزمن• ويذكر هنا ان الباسك ـ وقد سماهم العرب البشكنيش ، تعريبا لاسمهم اللاتينى ـ Vascones ـ مالبثوا ان تمردوا وشقوا عصا الطاعة على الحكم العربى فى الاندلس•

وجاءت الحرب الاهلية فى اسبانيا سنة ١٩٣٦، فخاضها الباسك وراحوا يحاربون الجنرال فرانكو واتباعه • وقد تمكنوا من تحقيق حلمهم السياسى ، فاسسوا جمهورية باسكية مستقلة ، ابان تلك الحرب • ولكن تلك الجمهورية ما لبثت ان انهارت بعد مضى بضعة شهور على ظهورها •

وانتهت الحرب الاهلية، الا ان مقاومة الباسك لحكومة فرانكو لم تنته • فنزعتهم الانفصالية هى اقوى الان منها فى اى وقت مضى • وحسبنا ان نشير الى ما يعامل به الباسك من ظلم واضطهاد والى ما ينسب الى الكثير منهم من ميول يسارية لندرك بعض العوامل التى زادتهم تشبثا باهدافهم السياسية القومية •

وتتمثل اهداف الباسك هذه فى حزبهم الذى اسسوه فى الخمسينات باسم اتا E. T. A. وترمز هذه الحروف الى اسم الحزب الكامل فى اللغة الباسكية ، وهو يعنى « بلاد الباسك

المناطيد بدأت فى عام ١٦٧٠ وازدهرت فى بداية القرن العشرين

● نرجو أن تعطونا نبذة مختصرة عن أشهر المناطيد في العالم وتحدثونا بشيء من التفصيل عن المنطاد الذي انفجر وتحطم بمن فيه وسقط حطامه في مدينة هندنبرج فى الثلاثينات من هذا القرن •

فاهم مجبل العامرى ـ النجف الاشرف

ـ يعود تاريخ المناطيد الى حوالى عام ١٦٧٠ ميلادية حيث قام احد القسس من طائفة الجزويت ويسمى فرانشيسكو لانا ترزى Francesco de Lana Terzi ببناء منطاد حاول أن يطلقه في السماء بعد تفريغه من الهواء الذى بداخله . وفشلت فكرة القس الجزويتى ولكنها مهدت في الواقع لتجارب عديدة فى هذا المضمار . وينسب الفضل في اختراع أول منطاد ناجح للاخوين الفرنسيين جاك اتيان وجوزيف مونتجولفيي Montgolfier

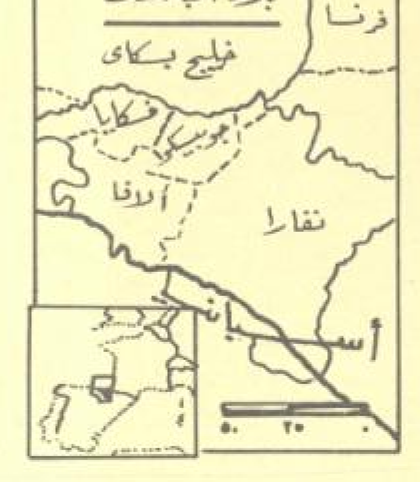
وقد استطاعا ان يملآ بالونا كبيرا قطره ٣٣ قدما بالدخان الناتج من حطب مشتعل وبذلك ارتفع البالون في السماء مسافة الف قدم وعندما برد الدخان داخله ثقل وهبط مرة اخرى الى الارض ، وكان ذلك فى ١٥ يونيو عام ١٧٨٣ .وفكر عالم فيزياء فرنسي يسمى البروفيسور ج. تشارلز J. A. C. Charles في استخدام غاز الايدروجين الخفيف في ملء المناطيد حيث ان الف قدم مكعب من هذا الغاز لا يزيد وزنها على ٣ر٥ رطلا . ونجحت فكرة تشارلز وبدا نجاح المناطيد المملوءة بغاز الايدروجين . ولعل منطاد تشارلز يعتبر من اشهر المناطيد فى نهاية القرن الثامن عشر . وقد قام تشارلز ومعه زميل يدعى مارى نويل روبرت Maria Noel Robert بالقيام بجولة في السماء في سلة معلقة بمنطاده . واستمرت جولته هذه ساعتين وفتحت الباب واسعا بعد ذلك الى رياضة المناطيد واقبال الناس على ركوبها والتجول في السماء بها .

وبايجاز اخذت المناطيد تتطور واصبح من الممكن التحكم في خط سيرها وغير ذلك ، بل واشتركت المناطيد فعلا اشتراكا فعالا في الحرب العالمية الاولى.

وحريتهم » . ويمارس هذا الحزب الوانا مختلفة من النشاط ابرزها اعمال الارهاب . وتستعرض احدى المجلات الامريكية عددا من تلك الاعمال التي وقعت منذ سنة ١٩٦٩فتذكر (٦) اغتيالات و (٣) اختطافات و (٤٠) عملية سطو كانت ثمرتها ١٤ مليون دولار . وقد ادعى ممثلو حزب اتا انهم هم الذين اغتالوا رئيس وزراء اسبانيا في شهر ديسمبر الماضي ، وكان اغتيالا متحكما ومروعا على ما يذكر الكثيرون .

وتسأل عما يحدث للباسك بعد وفاة الجنرال فرانكو ، وهي وشيكة نظرا لمرضه فضلا عن كبر سنه (٨١ سنة) ، فنقول لا ندري.. الا اننا واثقون من انهم لن يستسلموا او يتراجعوا في ظل الملكية التي مهد الجنرال فرانكو لعودتها الى اسبانيا بعد موته ،والتي اعلن الباسك مقاومتهم لها منذ البدء .

(ى. ز)

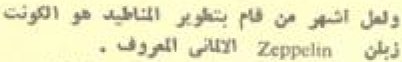


ولعل اشهر من قام بتطوير المناطيد هو الكونت زبلن Zeppelin الالماني المعروف .

ولعل السائل يشير هنا الى احد المناطيد من طراز زبلن والتي اشتعلت فيها النيران في السادس من شهر مايو ١٩٣٧ وادى اشتعال النيران في غاز الايدروجين الى تدمير المنطاد تماما وقتل كل ركابه وعددهم ٣٦ راكبا وملاحا .

وقد وقع السائل في لبس عندما ذكر ان هذه الحادثة وقعت في مدينة هندنبرج والحقيقة ان المنطاد كان يدعى« هندنبرج» وأن النيران اشتعلت فيه عند محاولته الهبوط في بلدة ليكهيرست Lake Hurst بولاية نيوجرسي الامريكية . واعتبر هذا الحادث أول كارثة طيران في تاريخ الطيران التجاري . أما المنطاد هندنبرج فقد تم بناؤه في عام ١٩٣٦ وكانت مساحته ٧٫٠٦٣٫٠٠٠ قدم مكعب وكان يتكون من ٣٦ قائمة خشبية طولية و١٥ دائرة معدنية تربط قوائمه الخشبية كما كان مزودا باربعة محركات قوة كل منها ١١٠٠ حصان بريطاني وكانت سرعته القصوى ٨٤ ميلا في الساعة ويستطيع أن يحمل ٥٠ راكبا ومداه ٨٧٥٠ ميلا وخصص للرحلات بين المانيا والولايات المتحدةعبر المحيط الاطلنطي . وكان جسم المنطاد المصنوع من القماش والبلاستك مملوءا بغاز الايدروجين . وفي عام ١٩٣٨ تم بناء المنطاد الشهير « جراف زبلن » واستعمل فيه غاز الهليوم Helium بدلا من الايدروجين . ولكن جاءت الحرب العالمية الثانية وبدأت صناعة المناطيد في الاضمحلال نتيجة للتطور العلمي الكبير في الطائرات ذات المحركات القوية .

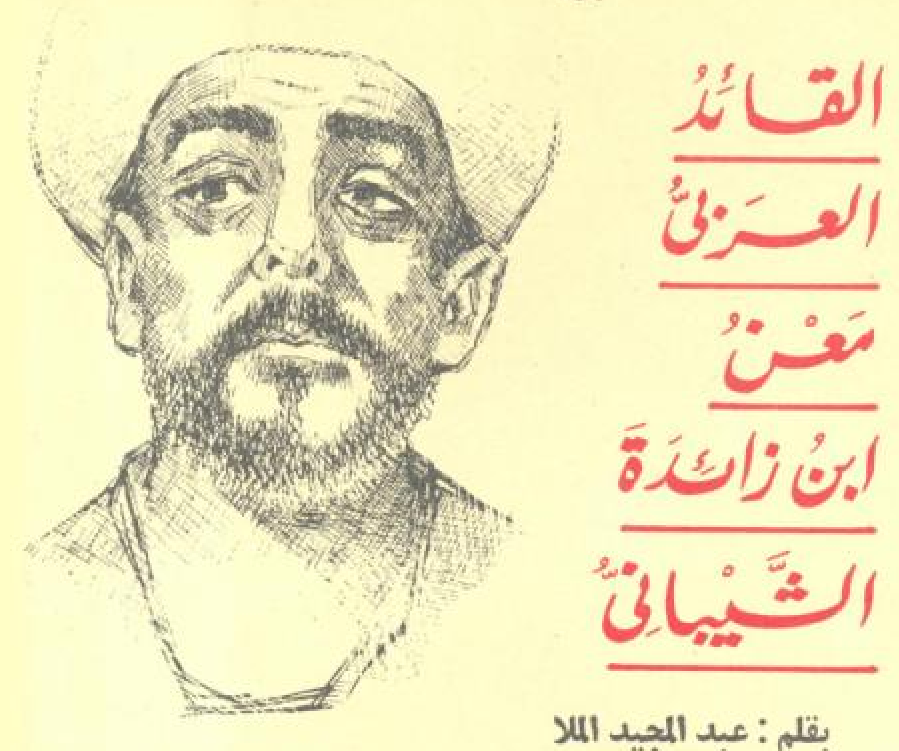
(م. ط)



في شهر يناير عام ١٧٨٥ تمت اول رحلة بالمنطاد عبر المانش بين فرنسا وانجلترا



القائدُ العربيُّ مَعْنُ ابنُ زائِدَةَ الشَّيْبانيُّ



بقلم : عبد المجيد الملا

■ عرفنا معن بن زائدة الشيباني بطلا من اشد الابطال طموحا وبسالةواقداما ، ومن اعظمهم حلما وكرما ، نافح عن الدولة الاموية ، وذب عنها وعن كيانها ، وجالد من اجلها جلاد من يعتقد بصحة وجودها حين شهد اعلام خراسان تجتاح المدن والامصار حاقدة على الوجود الاموى ، حقدا بالغ الاثر ، ورأى هو وابن هبيرة ان الامر ابعد من نزاع بين الامويين والعباسيين وانما هو نزاع بين وجودين اما العرب واما غيرهم فقاتلا وصبرا صبرا دونه الصبر،وقتالا دونه القتال،ثم قتل ابن هبيرة بعد الامان واهدر المنصور دم معن اينما وجد، بعد ان خضدت شوكة الامويين وتهاوت عروشهم ، وذهب سلطانهم ، ولم تعد الارض توارى رجالهم ، فتوارى معن عن الانظار ينتظر ما يأتي به القدر ، وكان اختفاؤه عند ابي الخصيب حاجب المنصور . وكان ابو الخصيب ينتظر الفرصة ليأخذ لمعن الامان من المنصور .

وتهيأت الفرصة لمعن قبلان تتهيأ لابي الخصيب فاغتنمها معن في خروج الراوندية (١) على المنصور وقد اشفى المنصور على الهلاك ، فانطلق امامه ، وجعل الى الاعداء من الراوندية صدر جواده ، وهو كالنار المسعرة يضرب وجوههم ، ويحطم شوكتهم ، ويضعف من منتهم ، حتى تبلج النصر ، وعاد قلب المنصور الى صدره هادئا مطمئنا ، وقد

---

١ ــ الراوندية : ــ قوم من اهل خراسان كانواعلى رأى ابى مسلم الخراساني صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون ان روح آدم حلتفي عثمان بن نهيك ، وان ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وان جبرائيل هو الهيثمبن معاوية ، فلما ظهروا اتوا قصر المنصور فقالوا : « هذا قصر ربنا » فأخذ المنصور رؤساءهم فحبسمنهم مائتين ، فغضبوا وكسروا السجن وفعلوا ما هو مذكور في التاريخ ، يراجع الكامل ج ٥ ص ٥٠٢ .

فرج عنه بعدما وجد في ذلك الفارس مـن نصـر استلبه من بين اسنة الخسران ، ولم يتعلق قبله بشيء تعلقه بذلك الفارس الذى انطلق بين يديه ، وفي ذبابة سيفه الموت الاحمر .

وعرفه المنصور ، فادنى مكانه ، ورفع شانه ، وشكر بلاءه في ذلك الموقف الحرج . الذى تتوجس البطولة خيفته، وتخشى صرامته وحدته ، فكان من جراء ذلك ان ارسله واليا على اليمن وكان المنصور يخشى ذلك الجانب من مملكته ، ويرغب ان يجد من يستطيع السيطرة عليه ، ومن هو كفء له .

وقبل معن ما عرضه المنصور عليه من ولاية اليمن ، بعد أن اظهر له ما في صدره من ذلك الجانب الموبوء بتحزبه ضد النزارية ، فأراد اخضاد شوكتهم ، بسيف يحمل معه نعرة القيسية واليمانية .

ونفذ معن ما اراده المنصور في اليمن حتى اذا اذاقهم ذرابة ذلك السيف وحِدّته استدعاه ، واظهر غضبه عليه بحجة بعيدة عن غرضه المكتوم .

لم يكد يَمْتثل معن امام المنصور حتى قال له :

« ـ هيه يا معن ، تعطى مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم ، لقوله : ـ

معن بـن زائدة الذى زيدت بـه
شرفـا على شـرف بنو شيبان »

قال : « كلا يا امير المؤمنين انما اعطيته ذلك لقوله في هذه القصيدة : ـ

ما زلت يـوم الهاشميـة مُعلنـا
بالسيف دون خليفـة الرحمـن
فمنعت حوزتـه ، وكنت وقـاءه
مـن وقـع كـل مهند وسنان »

فقال المنصور : « احسنت يا معن » . وما كان المنصور بما ردّ به معن « بمثل هذه السذاجة » ، لو لم يكن يخفى غرضه في خضد شوكة اهل اليمن، والا فان تلك الشدة التي واجهه بها اول الامر لو لم تكن مصطنعة لم ينته الامر عند ذلك الحد ، وبمثل هذه السهولة،واول ما يدل على ذلك ان المنصور ولاه سجستان ، فانتقل اليها ، وبها قتل غيلة بسيوف الخوارج،وهو يحتجم في بيته. وفي اعتقادى ان الشجاعة تكون قرينة الجود والكرم ، ومن هانت عليه نفسه في المواطن لم يكن من شانه الحرص على ماله ، ولست بحاجة الى التعليل، لتصل من ورائه الى ما اتسم به معن من بذل وكرم وسخاء ظل مثلا يحتذى ، واثرا يقتفى ، فان كتب التاريخ قد استفاضت بذلك .

قال ابو عثمان المازني النحوى حدثني صاحب شرطة معن قال : « بينما انا على راس معن اذا هو براكب يوضع» (٢) ، فقال معن : « ما احسب الرجل يريد غيرى » ثم قال لحاجبه : «لا تحجبه» قال : فجاء حتى مثل بين يديه وانشد : ـ

« أصلحك اللـه ، قلّ مـا بيدى
فمـا اطيق العيـال اذ كثـروا
الـح دهـر رمـى بكلكلـه
فارسلوني اليـك ، وانتظـروا »

فقال معن واخذته الاريحية : « لاجرم والله لاعجلن اوبتك » . ثم قال : « يا غلام ، ناقتي الفلانية ، والف دينار ، فادفعها اليه » فدفعها اليه وهو لا يعرفه .

وكان لمعن شاعر يغشى مجلسه في كل يوم ، فانقطع عنه اياما ، فلما دخل عليه ، قال ما ابطا بك ؟ قال : « ولد لي مولود » . قال : « فما سميته » قال :

سميت معنـا بمعن ، ثم قلت لـه
هذا سميّ عقيد(٣) المجد والجود

قال : « يا غلام اعطه الف دينار وقل بيتا آخر» فقال :

سما بجودك جـود الناس كلهـم
فصـار جودك محراب الاجاويد

قال : « يا غلام اعطه الف دينار ، وقل بيتا آخر » فقال : ـ

« أنت الجواد ، ومنك الجود اوله
فـأن فقدت فمـا جود بموجود »

قال : « يا غلام اعطه الف دينار ، وقل بيتا آخر » فقال : ـ

«من نور وجهك تضحي الارض مشرقة
ومـن بنانك يجرى الماء في العـود »

قال : « يا غلام اعطه الف دينار ، وقل بيتا آخر » فقال له الغلام : « لا تقل شيئا بعد ذلك

---

(٢) يوضع : يسرع

(٣) عقيد الجود : ملازمه

والله لم يبق في بيت المال الا ما اخذت » ثم انصرف .

ومدحه مروان بن ابي حفصة فقال : ـ

قد امِنَ اللهُ من خوف ومن عَدَمٍ
من كان معنٌ له جاراً من الزمن
معنُ بن زائدة الموفي بذمته
والمشتري المجدَ بالغالي من الثمن
يرى العطايا التي تبقى محامدُها
غنماً ، اذ اعدَّها المعطي من الغَبَن
بَنَى لشيبانَ مجداً لا زوال له
حتى تزول ذرى الاركان من حضن(٤)

ومدحه بقصيدته اللامية التي يقول فيها : ـ

بَنُو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
أسودٌ لها في بطنِ خَفَّانَ أشبُلُ (٥)

ثم يقول : ـ

تشابه يوماه علينا فأشكلا
فلا نحن ندري ايُّ يوميه افضلُ
ايومُ نداه الغمر ام يومُ بؤسه
وما منهما الا اغرُّ محجّل
بهاليلُ في الاسلام سادوا ، ولم يكن
كأولهم في الجاهلية اولُ
هم القوم ان قالوا اصابوا ، وان دُعوا
اجابوا ، وان اعطوا اصابوا واجزلوا

الى آخرها وهي قصيدة رائعة نشأت عن قريحة اطلقها العطاء الجم ، فسقاها ورواها ، وذكر انه اخذ من معن عليها مالا كثيراً لا يقدر قدره .

ومما يشير الى حلمه وجميل صبره أن اعرابيا دخل عليه بايعاز من اناس اخرين ، وممن جالس على سريره ، فانشده : ـ

« اتذكر اذ قميصك جلد كبش
واذ نعلاك من جلد البعير
وفي يمناك عكاز طويل
تهش به الكلاب عن الهرير »

قال : « نعم اعرف ذلك ولا انساه » فقال : ـ

فسبحان الذي أعطاك ملكاً
وعلمك الجلوس على السرير

قال : « بحمد الله لا بحمدك » فقال : ـ

فاقسم لا احييك ابن معن
مدى عمري بتسليم الامير

قال : « اذا والله لا ابالي » فقال : ـ

فمر لي يا ابن ناقصة بمال
فانني قد عزمت على المسير

فقال : « لغلامه اعطه الف درهم » فقال : ـ

قليل ما امرت به وانني
لاطمع منك بالشيء الكثير

قال « يا غلام زده الف درهم » فقال : ـ

ملكت الجود والانصاف جمعاً
فبذل يديك كالبحر الغزير

فقال : « يا غلام ضاعف له الحساب » فاضعف له (٦)

تلك امثلة يسيرة جدا اتيت بها براهين على كرمه وحلمه ، ولم يرجع معن الى بغداد بعد انصرافه الى ولاية سجستان فقد بقي فيها حتى قتل سنة ثمان وخمسين ومائة على ابعد حد في تاريخ قتله ، لان ابن خلكان تردد في تاريخ قتله بين سنة احدى وخمسين واثنتين وخمسين وثمان وخمسين ومائة وذكر قصة قتله فقال كان معن بن زائدة في داره ، وكان هنالك صناع يعملون له شغلا ، فاندس بينهم قوم من الخوارج ، فقتلوه وهو يحتجم بسجستان ، ثم تتبعهم ابن اخيه يزيد ابن مزيد الشيباني فقتلهم بأسرهم ، وكان قتله بمدينة بست .

لقد قتل معن بن زائدة على ما ذكره ابن خلكان فتنافس الشعراء في رثائه فرثاه مروان بن ابي حفصة في قصيدته التي ابكت الرشيد من بعد .

وقال عبد الله بن المعتز (٧) دخل مروان بن ابي حفصة على جعفر البرمكي ، فقال جعفر : «انشدني مرثيتك في معن بن زائدة » فقال « بل انشدك

---

(٤) حضن : جبل عظيم بين نجد وتهامة بينه وبين تهامة مرحلة يقال في المثل : انجد (أي دخل نجدا) من رأى حضنا .

(٥) خفان : مأسدة بين المثنى وعذيب ، وقيل : قرب الكوفة .

(٦) شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٧) البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٢٩

مديحي فيك » فقال جعفر : انشدني مرثيتك في معن : ـ

وكـــان النـــاس كلهـــم لمعـــن
الـــى أن زار حفرتـــه عيـــالا

فجعل جعفر يرسل دموعه على خديه فلما فرغ قال له جعفر : « هل اثابك على هذه المرثية احد من ولده واهله شيئا » فقال « لا » قال جعفر : « فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ » فقال : « اصلح الله الوزير اربعمائة دينار » ، قال جعفر : « فانا نظن انه كان لا يرضى لك بذلك ، وقد امرنا لك عن معن ـ رحمه الله ـ بالضعف مما ظننته ، وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن الفا وستمائة دينار قبل ان تنصرف الى رحلك » .

ورثاه كذلك الحسين بن مطير بمرثية رائعة موجعة وذلك في قوله : ـ

الما على معـــن وقـــولا لقبـــره
سقتك الغوادي مربعـــا ثم مربعـــا
فيا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كـــان منه البر والبحر مترعا
ويـــا قبر معـــن انت اول حفـــرة
من الارض شقت للسماحة مضجعا
بلى قد وسعت الجود ـ والجود ميت ـ
ولو كان حيـــا ضـــقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى
واصبح عرنين المكـــارم اجدعـــا

واذا عدنا الى ابن خلكان فاننا نجده قد وقع في خطأ في حياة معن بالرغم من دقته في التراجم وتثبته ولم اجد من اشار الى هذا الخطأ او صححه بالرغم من ان كتابه قد طبع عدة مرات وحقق ، ولكن الخطأ بقي كما هو لم يتعرض له احد من المحققين حتى في الطبعة الاخيرة .

قال ابن خلكان (٨) وكان معن في ايام بني امية متنقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد بن مزيـد الفزاري امير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بني العباس وجرى بين ابي جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط فابلى يومئذ معن بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له مدة استتاره غرائب فمن ذلك ما حكاه مروان بن ابي حفصة الشاعر المذكور قال اخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ان المنصور جد في طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا ، قال فاضطررت لشدة الطلب ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لاقيم بها . قال فلما خرجت من باب حرب وهو احد ابواب بغداد تبعني اسود متقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخه وقبض على يدي فقلت له ما بك ؟ فقال انت طلبة امير المؤمنين فقلت له يا هذا اتق الله عز وجل واين انا من معن ؟ فقال دع هذا فوالله اني لاعرف بك منك فلما رايت منه الجد قلت له هذا جوهر قد حملته معي باضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي قال هاته فاخرجته اليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسالك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت قل ، قال ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت لا : قال : فنصفه قلت لا : فثلثه قلت لا : حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت اظن اني قد فعلت هذا قال : ما ذاك بعظيم انا والله راجل ورزقي من ابي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الوف الدنانير وقد وهبته لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو اجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت : يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي اهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فاني غني عنه فضحك وقال : اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا اخذه ولا آخذ لمعروف ثمنا ابدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكان الارض ابتلعته.

---

(٨) ابن خلكان جـ ٥ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦

هذه قصة طريفة جدا نرى فيها مبارة الكرم وبعد الهمم وجمال الاباء والشمم ولكنها مع شديد الاسف لاظل لها وانها لبعيدة كل البعد عن الحقيقة لانها وقعت اعنى هذه القصة وبغداد لم تشيد بعد فكيف خرج معن من باب حرب وهو كما يقول ابن خلكان احد ابواب بغداد وبغداد لم تظهر في الوجود ولست ادرى كيف ذهب عن ابن خلكان وهو يذكر بعد ذلك مباشرة ان معنا ظل مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من اهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة بينهم وبين اصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ثم يقول ابن خلكان لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك في ذى القعدة سنة اربع وثلاثين ومائة وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما ملثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا شديدا ابان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما افرج عن المنصور قال له من انت ويحك فكشف لثامه وقال انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة فامنه المنصور واكرمه وكساه وزينه وصار من خواصه .

كل هذا جرى وبغداد لم تشيد ولم ينهض لها باب ولا قام عليها بواب .

ومع ذلك فان القصة طريفة ورغم طرافتها فان الذى اتى بها اراد زحزحة معن بن زائدة عن اريكة كرمه وعرش بطولته لغلام اسود ليس له من المنصور غير عشرين درهما في كل شهر لم ابي ان ياخذ الجوهر ليكون اعلى درجة في الكرم من معن الذى لم ينفق يوما اكثر من عشر ما كان يملك من دراهم ودنانير .

لقد اخذ ابن خلكان هذه القصة ولا شك عن الاغاني (٩) وانما يؤخذ عليه انه لم يدقق كما هي عادته ولعل طرافة القصة قد سدت عليه سبل التفكير فيها فاثبتها كما ورد او انها قد الحقت في كتابه من احد النساخ والا فانه قد اعترض على خبر بهذا الصدد قد اورده المسعودى ، فناقشه واستبعده .

ولم يقع في الخطا ابن خلكان وانما وقع ايضا في مثل هذا الخطا المسعودى في مروجه والمسعودى ـ كما تعلم ـ له وزنه في التاريخ وقيمته ، كما هو شان ابن خلكان في تراجمه واستمر الخطا في المروج مع الطبعات جميعها ولم يشر اليه احد من المحققين ولا من الطابعين قال المسعودى : ودخل معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يا معن قال في طاعتك يا امير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هي لك يا امير المؤمنين قال وانك لجلد قال على اعدائك يا امير المؤمنين فرضي عنه وولاه .

وكما ذكرنا ان معن بن زائدة قد قتل سنة تولى المهدى الخلافة (١٥٨هـ) فهل خرج من قبره الآن ليكون قائدا لجيش الرشيد .

هذا الكلام كما اشارت اليه مصادر التاريخ كان بين المنصور ومعن ولم يكن بين الرشيد ومعن بن زائدة .

ويزيد صاحب المروج فيقول وقال الرشيد لمعن ابن زائدة : « اني قد اعددتك لامر كبير » فقال « يا امير المؤمنين ان الله قد اعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ، ويدا مبسوطة بطاعتك ، وسيفا مشحوذا على عدوك ، فان شئت فقل » .

وهنا يتردد صاحب المروج في الخبر فيقول وقيل : « ان هذا الجواب من يزيد بن مزيد » يعني بذلك ابن اخي معن .

ونستدل من هذا ان الخبر الاول لم يكن موضع ريبة او شك فهو بالنسبة لصاحب المروج خبر صادق لامرية فيه وان الخبر الثاني كان موضع شكه على ان ابن خلكان قد ناقش ذلك ورده (١٠) .

لاشك ان الخبر الثاني كان بين الرشيد ويزيد ابن مزيد وكان يزيد القائد العام لجيش الرشيد وهو الذى قاد الحملة لفتح القسطنطينية ومعه الرشيد يوم كان وليا للعهد وانتصر النصر الاول بعد محاولات كثيرة سبقت حملته .

هذه اخطاء وقفت عليها وقعت عن سهو او اضطراب في النقل اردت اعادتها الى مكانها من الحقيقة بتوفيق الله ومعونته . ■■

عبد المجيد الملا

---

(٩) مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٤٩ .

(١٠) ابن خلكان جـ ٦ ص ٣٣٧ .

إلى ولدي .. في الميدان

■ شَدَتْ بِذكرِكَ في (سينا) البطولاتُ
فَفَوْقَها منكَ يوم الرَّوْعِ آياتُ
أعدت يومَك في (حِطّين) مُنْتصراً
ورَفْرفتْ بك يوم الزَّحفِ راياتُ
عَبَرتْ تَهتفُ باسمِ اللهِ فاندفعتْ
خُطاكَ للنصرِ ترعاكَ العنايات
واللهُ يَنصرُ من يدعُوه يا ولدي
وتَسْتجيبُ لدعواهُ السَّمواتُ

★★★

نَفَخْتَ في الصورِ فاندكَّتْ كتائبُهم
ولاحقتهم مع الويلاتِ ويلاتُ
في حومةِ الهولِ تمضي غير مكترث
تحدُو خطاك مصابيحٌ مضيئاتُ
من عند ربِّي ومن أنوارِه سطعتْ
ونورُها لدعاةِ الحقِّ مِشْكاةُ

★★★

أرضُ العروبةِ عادت وهي مشرقةٌ
وباركتْ يومَك الغالي البُطولاتُ
هذا سَمِيُّك في (الجولان) يعصرُهم
ويشربُ الدَّمَ ظمآناً وبقتاتُ
أعدت بَسْمتنا من بعد ما عَصَفَتْ
بنا الليالي وهدّتنا الجراحاتُ
وصفّق النيلُ والأهرامُ من طربٍ
وكبّرت في رُبَى القُدسِ النُّبُوّاتُ
نَصرٌ من اللهِ بالإيمانِ ظلَّلنا
علَتْ به لجبين الشمسِ هاماتُ ■■

مصطفى عبد الرحمن


عندما تنظر
الى الأفضل..
أنظر الى ساعات
وست اند
WEST END WATCH Co
W
.. وعندما
تفكر بهدية تقدمها
لمن تحب و:
وست إند أفضل ما تقدم
الوكيل العام في الكويت
يعقوب يوسف بهبهاني
الكويت



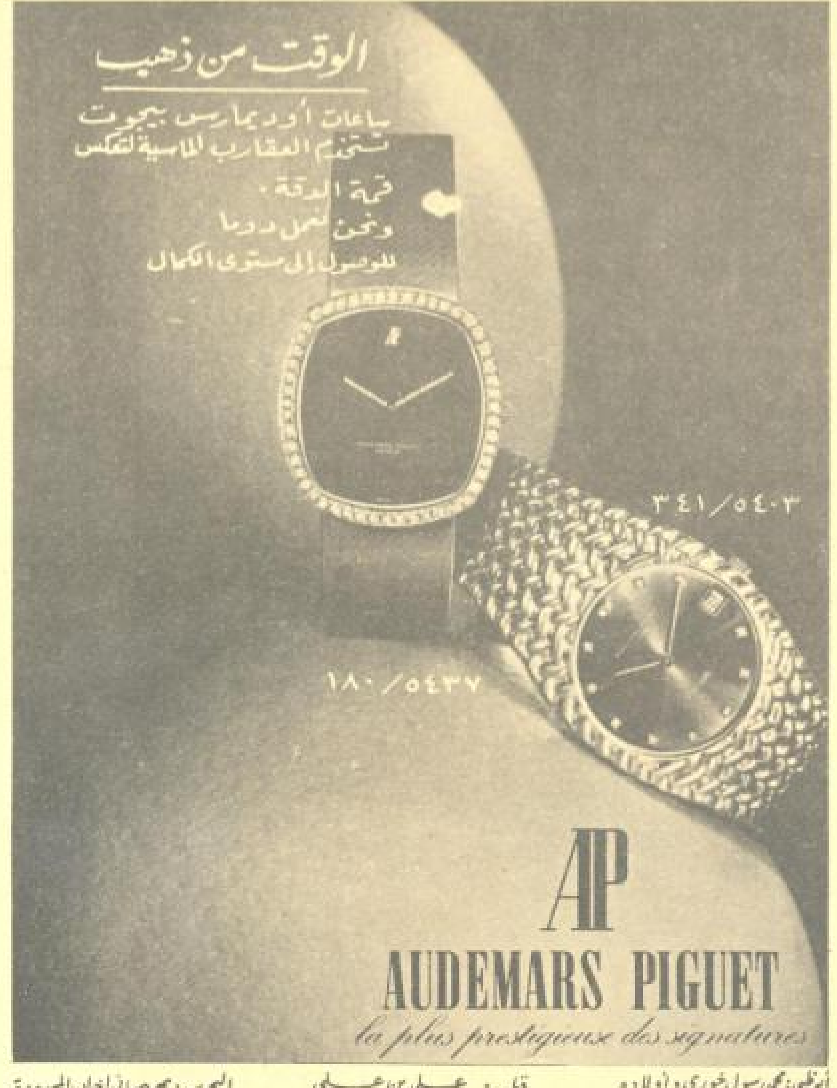
[illegible] مع زوجها [illegible] في سيارتنا الـ "داتسون"

المرأة والسيارة، كل منهما محبب القلب
إذا كانت أنيقة وجميلة التكوين،
وطبعاً في صالون التدليك حيث أعمل
أتعامل مع المرأة فقط... أما السيارة
فيسعدني القول بأني أجدها دائماً أنيقة
بل رائعة التكوين، بالإضافة إلى ذلك فإن
حجمها مناسب تماماً للعائلة [illegible]
مع السيارة والدي في مدينة كاباريكا التي
تبعد ٣٠ دقيقة من لشبونة حيث المكان
جميل وهادئ. طبعاً ليس جميع
طرقات لشبونة جيدة، لذلك أعتقد أنها
تحتاج لشيء من التدليك أيضاً.
وما يعجبني في سيارتي الـ "داتسون" هو أنها
تلتصق بالطريق بحيث تخفف من
الارتجاج وذلك بالإضافة إلى أنها قوية
واقتصادية. عادةً، داتسون ١٦٠٠ تكون
أحياناً سيارة خاصة بالرجال، والشيء
المضحك في الموضوع هو أن زوجي يقتني
سيارة داتسون ١٢٠٠، أما أنا فعندي
داتسون ١٦٠٠ الأقوى وذات الميزات الكثيرة.
تصميمها جيد، لونها جميل، مقاعدها
مريحة، وقوية بحيث تتحدى حتى
مرتفعات البرتغال.
إني امتلكتها منذ ستة أشهر والـ ٢٧٠٠٠
كلم الأولى التي قطعتها بها كانت
مريحة ولم تحتج إلى أية صيانة.
إنها سيارتي الـ "داتسون"،
ذات التكوين الرائع، وذات
الخدمة الممتازة، في
الظروف القاسية.

A car for all reasons

DATSUN

Product of NISSAN



أبوظبي: محمد رسول خوري وأولاده
عمارة محمد رسول ص. ب ١٢٦
هاتف ٢٢٥٤٩

قطر: علي بن علي
ص.ب ٧٥ ـ الدوحة ت ٢٦٢٠١

البحرين: بهبهاني إخوان المحدودة
ص.ب ١٦٨ ت ٣٨٧٢

دبي: ابراهيم أحمد صديقي
ص.ب ٢١٢٣
هاتف ٢٢١٦٩

الكويت: أحمد يوسف بهبهاني
ص.ب ٥٦٧ ت ٤٢٧٠٧١

لبنان: مؤسسة جورج أبو فضل
ص.ب ١٣٣٢ ت ٢٥١٢١٥
بيروت



تصدير

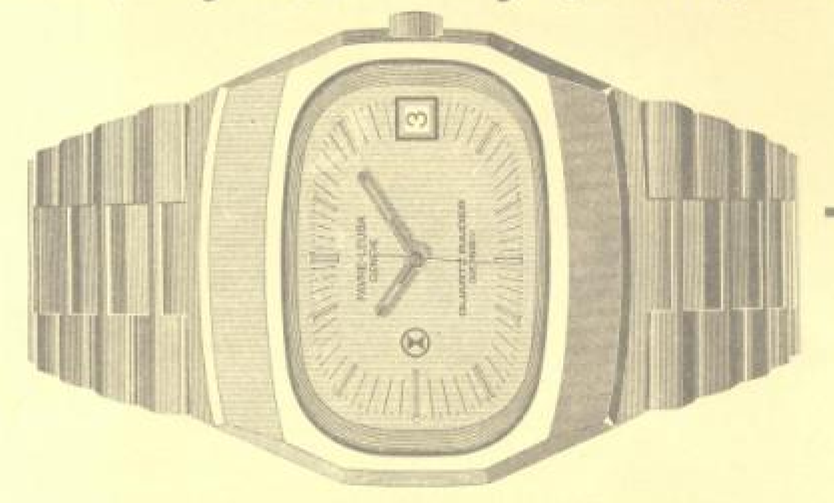


استيراد

فافر ـ لوبا

الكوارتز ريدر ٣٢٧٦٨ Hz

العقل الالكتروني الذي يعطي الوقت



في الوقت الحاضر يوجد بين مجموعة الفافر ـ لوبا جيل جديد من ساعات الكوارتز، حركتها منظمة بواسطة دائرة دقيقة تجعل من فافر لوبا كوارتز ، عقلا الكترونيا لاعطاء الوقت ٠

ان الكوارتز ريدر هو طرازنا الطليعي ، وأكثر ساعات الكوارتز أناقة في أيامنا هذه ٠ فقد اختار لها مصممو فافر ـ لوبا اطارا جذابا معبرا عن القوة الخلاقة واصالة التصميم ٠

فافر ـ لوبا الكوارتز ريدر ٣٢٧٦٨ Hz تبين التاريخ ٠



FAVRE-LEUBA

QUARTZ RAIDER
32768 Hz

Genève

دع مُدّخراتك تنمو بكل أمان معنا

١٣½٪ في السنة
وديعة زمنية

١٣¼٪ في السنة
وديعة دخل شهري

٩½٪ في السنة
وديعة عادية

يقدم لومبارد نورث سنترال تشكيلة كاملة من حسابات الودائع المصرفية التي غرضها إعطاء نمو أكيد مع أقصى درجة من الأمان وتدفع جميع الفوائد دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر.

حساب الودائع العادية يدفع ٩½٪ في السنة. لا يوجد حد أدنى للوديعة. يجب إعطاء مهلة ٦ أشهر فقط قبل السحب. تدفع الفائدة كل نصف سنة.

حساب ودائع بدخل شهري يدفع ١٣¼٪ في السنة عن ١٠ آلاف جنيه أو أكثر لمدة معينة طولها سنة واحدة. أما المبالغ ما بين ألف و ١٠ آلاف جنيه فتربح ٩½٪ في السنة. تدفع الفائدة شهريًا.

حساب ودائع زمنية يدفع ١٣½٪ في السنة عن ١٠ آلاف جنيه أو أكثر لمدة محدودة طولها سنة واحدة. تدفع الفائدة كل نصف سنة. أما المبالغ ما بين ألف جنيه و ١٠ آلاف جنيه فإنها تربح ٩½٪ في السنة. ويمكن إيداع ودائع دخل شهري وودائع زمنية لمدد أخرى طولها سنتان أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات بفوائد جذابة.

للحصول على كامل التفاصيل ارسل الكوبون بالبريد اليوم.

Lombard North Central
Bankers

To The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU, England

الاسم: ____________________

العنوان: ____________________

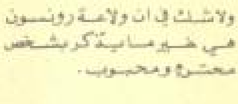
182 CDW

أحد المصارف التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي يجاوز رأسمالها واحتياطياتها ٧٩٧ مليون جنيه استرليني.

اجعل هذا اليوم يوماً خاصاً لشخص تعزه

قدم له ولاعة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الأعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، ان تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.



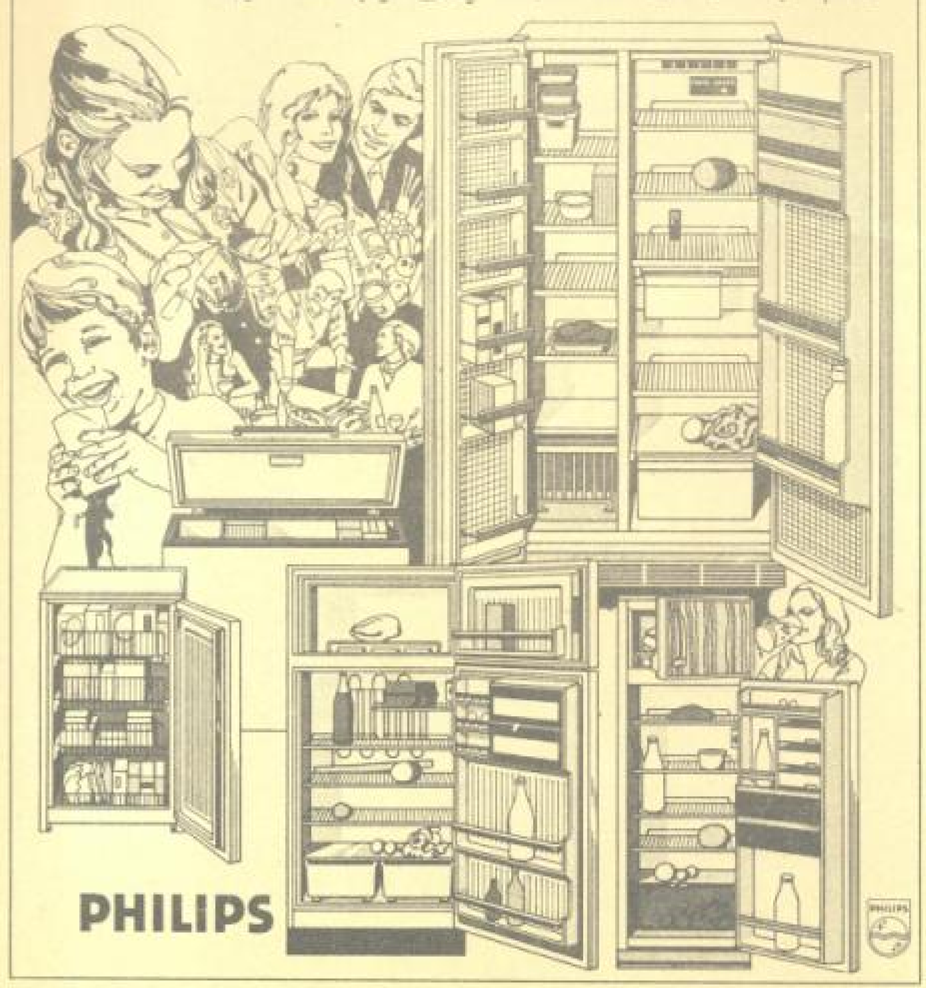




قدم أكثر من هدية ... قدم رونسون

برّادات فيليبس لن تخيب ثقتك

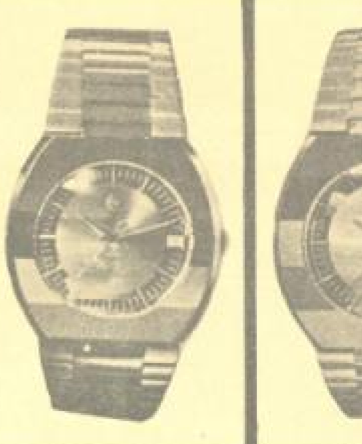
شركة فيليبس تدرك أن البرادات والثلاجات يجب أن تكون أكثر ما يعتمد عليه بين الأجهزة المنزلية. لذلك فهي تصنعها بغاية الإتقان لكي تؤدي مهامها على أكمل وجه، حتى في أشد الأيام حرا. إن أية أسرة لا يسعها إلا أن تعتز وتفخر بموديل كه ٢١٥٣ المزود ببابين، والذي يحتوي على ثلاجة سعتها ٢٩٥ لترا وفريزر سعته لترا في خزانة واحدة ذات بابين كبيرين. وجميع ثلاجات فيليبس بالطبع مانعة أوتوماتيكيا لتراكم الجليد. وحتى إن أحد الموديلات مكسو بخشب الساج لينسجم مع كسوة الخشب في بعض المطابخ الحديثة. أما إذا كنت تبحث عن فريزر فقط، فلك أن تختار الموديل القائم المتوسط الحجم، أو الأكبر حجما بشكل صندوق. وتذكر، إن جميع منتجات فيليبس مصحوبة بضمان وتدعمها شبكة عالية من محلات الصيانة التي لن تخيب ثقتك فيها.





RADO





رادو دياستار الكترسونيك

الساعة الاولى في العالم الغير قابلة للخدش والتي تعمل بواسطة البطارية بمنتهى الدقة. لقد جمعت ساعات «رادو» بين الذوق - الدقة والمتانة عدا عن مقاومتها للماء. بالاضافة لتشكيلتها الرائعة التى تناسب كل ذوق مع صيانة تامة من قبل خبراء فنيين. مع ضمانة دولية

مقاات هذه المميزات لاتنفرد بها إلا ساعات رادو.

الوكلاء العامون بالكويت — **محلات البابطين للساعات** — **محمد عبدالله البابطين**

ت ٤١٩٤١٩ / ٤١٦٤١٦ برقيا: غزلان - تلكس: ٢٠٥٣ ص ب ٣٤ الصفاة

المملكة العربية السعودية — **مؤسسة الغزالي للتجارة** — **محمد العلي العبداللطيف**

الرياض تلفون ٢٦٩٣٨ برقيا: غزلان - جدة: ت: ٣١١٥٢ ص ب ٢٥٩٥

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو

رمز الجودة



A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

لقد جعلنا تسجيل الصوت والصورة سهلاً كتسجيل الصوت

VC 500

VTC 7100

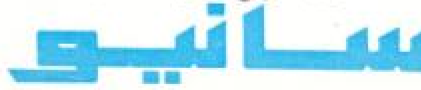
Video Cassette Tape

فالأمر يختلف تماماً مع الكاسيت ذو البكرتين قياس ½ بوصة . وكل ما يحتاجه كبسة ونقرة خفيفتين لتثبيته ، وكبسة ونقرة لإزالته ، والباقي كبسة أيضاً.

* التسجيل « في كل زمان ومكان » بالتيار الكهربائي المتناوب أو البطارية التي يعاد شحنها .
* الصوت متوافق مع مكبّر الصوت المثبت داخل الكاميرا .
* التأكد من « الموقع » من خلال آلة التصويب التي تعمل كجهاز مرئي للتحكم .
* الإستماع والمشاهدة من خلال تلفزيون المنزل بالسرعة العادية أو البطيئة أو الثابتة
* خفيف الوزن جداً ، إذ يقل وزن الكاميرا والمسجل والبطارية عن ٢٠ باونـد .



SANYO



العربي

العدد ١٨٩
رجب ١٣٩٤
أغسطس
آب ١٩٧٤

الحياة تعود جديدة الى شواطيء الكويت..

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



هذا البيض تفقس وخرج منه ، لا فراريج تكبر فتصبح دجاجا ، ولكن عظايا اي سحالى،
هي بعض الزواحف ، تزحف على ارض ، اوحائط ٠ وللسحلية الوليدة اعداء ، ومن هذه
الأعداء امهاتها وآباؤها ، فهي قد تاكلها طعاما لها ، أحسبه شهيا ٠

عزيزي القارئ

سؤال يسأله اليوم كل عربي :

الآن ، وقد تم فك ارتباط القوات ، عند القنال ، وعلى الجولان ، خطوة اولى نحوالسلام ، ماذا يكون بعد ، وكيف يكون ؟

اما ما يكون بعد ، فعلم ذلك عند الله ٠

واما كيف يكون ، فهذا يتوقف على ، كم يكون عند العرب من سلاح ، وكم يكون من مال ٠

اسرائيل عندها مواردللسلاح لا تفنى ، ومعونات من المال كأنما تخرج منخزائن قارون ٠

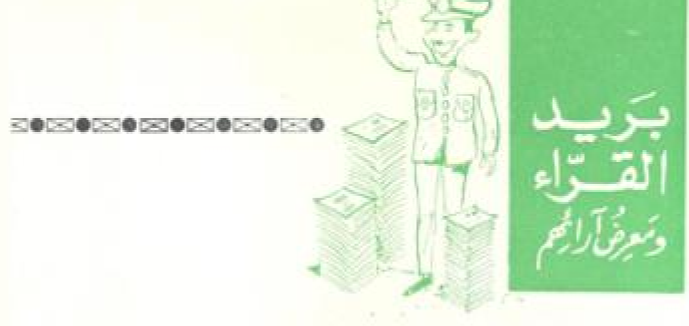
والعرب ، من اين سلاحهم ، وكم ؟

والعرب ، من اين حصيلتهم من مال ، وكم ؟

كثير وافر ان شاء الله ٠

المحرر





طرفة اسيء فهمها !

س : قرات فى « العربى » ، عدد ١٨٦ ، فى باب طرائف عربية ، كلمة تحت عنوان « فهل انتم منتهون » ، وفيها قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى : « انى قرات مابين دفتى المصحف ، فما وجدت للخمر تحريما ، الا انه تعالى قال : « فهل انتم منتهون ؟ » • قلت : لا • فسكت وسكتنا » •

فهل يفهم من هذا ، ان من المسلمين من قال بعدم تحريم الخمر ؟

« العربى » : هذه الكلمة جاءت فيما اورده الاستاذ صادق يلى ، مقدم باب طرائف عربية ، على اعتبار انها طرفة • وهذه الطرفة ليس فيها جديد ، فكم سمعناها تقال فى المجالس ، لا على اعتبار انها حكم شرعى ، ولكن على اعتبار انها أمزوحة يتفكه بها الناس • ومانحسب ان قائلها، عمرو بن معدى كرب ، ان صح انه قالها ، ماقالها الا مازحا • وهذا واضح فى قوله « فسكت وسكتنا » • وقد يقال انه لم يرد فى القرآن الكريم نص بالتحريم كالذى ورد فى قوله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله) • ولكن قول الله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) نحسب هذا القول تحريما للخمر ، لسببين واضحين السبب الأول : وصف الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان ، والسبب الثانى ، أن الخمر جاءت فى السياق مع الميسر والانصاب والازلام •• وكلها محرمات قطعا •

فروق بين الفصحى والعامية

● قرات فى العدد الاخير بحثا قيما ومفيدا للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال فى عامية اللغة العربية وتصحيحها ـ واخذت عليه الاتى :

١ ـ ان سيادته لم يفسر لنا متى تكون الكلمة عامية ومتى تكون فصيحة • فلا خلاف ان معظم الكلمات العامية لها جذور واصول فصيحة ثابتة•

٢ ـ واعتقد ان الفرق بين اللغتين العامية والفصيحة ـ يرجع اساسا الى طريقة استعمال الالفاظ • ففى الفصحى نشترط خضوع اللفظ لقواعد النحو والاعراب ووضع الشكلات وخاصة فى نهاية الكلمة ـ اما فى العامية فلا توجد هذه الشروط ولا هذه القيود النحوية •

٣ ـ استعمال الكلمات الاعجمية شائع فى الفصحى وفى العامية واستعمالها فى الفصحى يخضع للابحاث العلمية المختصة التى تجيز اوترفض •

سعيد على حامد ـ الجيزة



معاهدة !
فتح بيت المقدس

● ارجو اعادة نشر صورة وثيقة المعاهدة الموقعة بين عمر بن الخطاب رضي اللهعنه وقس ايلياء (القدس حاليا) التي سبق ونشرتموها في العدد (٢٧) فبراير (شباط) ١٩٦١ حينما استطلعتم القدس حيث انني ارغب جادا في اقتناء هذه الصورة القيمة ولكن العدد المذكور قديم جدا ومن المتعذر الحصول عليه ولكم جزيل الشكر .

عبد الكريم عزيزي ـ حلب

العربي : نعيد نشر الوثيقة المطلوبة تلبية لرغبتك ورغبة الكثيرين من امثالك .

أراضي الصومال لم تخضع كلها لسلطان زنجبار

● نشرتم في العدد رقم ١٨٥ من مجلتنا العربي الغراء لشهر ابريل ١٩٧٤ وفي باب « انت تسال ونحن نجيب » وتحت عنوان « هذا هو الصومال وثرواته » ، ردا على سؤال احد قرائكم .

ونحن نشكر لكم اهتمامكم بتقديم المعلومات القيمة عن هذا الجزء من الوطن العربي الذي انضم الى جامعة الدول العربية مؤخرا والذي كان مساندا للقضية العربية منذ امد طويل ..

لقد جاء فيما نشرتم ما يلي : ـ

« وهذه الصومالات الخمسة كانت : ـ الصومال الايطالي ، فالبريطاني ، فالفرنسي ، فالكيني ، فالحبشي .. كانت كلها ارضا واحدة تخضع لامر سلطان زنجبار حتى منتصف القرن التاسع عشر » ..

اود هنا ان اقوم بتصحيح هذا الخطا الذي وقع فيه محرركم . حقا ان جميع اجزاء الصومال كلها ارض واحدة ، الا ان اراضي الصومال لم تخضع كلها لسلطان زنجبار ، كما ذكرتم ... ان الجزء الجنوبي من الاقليم الجنوبي من جمهورية الصومال الديمقراطية ، والمعروف بمحافظة بنادر، وكذلك اراضي الصومال الكيني ، خضعا فعلا لسلطان زنجبار . وهذه هي الاراضي المقصودة في رد محرركم ، وقد تنازل سلطان زنجبار عن موانيها لايطاليا عام ١٩٠٥ . اما بقية اراضي صوماليا الكبرى (والتسمية اصطلاح سياسي اتفق عليه الوطنيون من الصوماليين ويعني الجمهورية الصومالية الديمقراطية) وبقية الاراضي الصومالية المحتلة ـ ساحل الصومال الفرنسي المعروف باقليم عنبر وعيسى ، والصومال الكيني والصومال الحبشي ـ فلم تخضع في يوم من الايام لسلطان زنجبار .

اسماعيل الحاج جامع ـ ابو ظبي

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسال ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

عروبـــة :

طب .. وعلـوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 189 AUGUST 1974 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● حوض السباحة بنادي القزال المطل على شاطىء الخليج العربي .. انه احد الأندية البحرية العديدة التي ستقام على طول شواطىء الكويت بعد ان عادت اليها الحياة بكل حديث جديد

(اقرأ الاستطلاع ص ٨٨)

تربية وعلم نفس :

اجتمـــاع :

سياسة واقتصاد :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر وشعراء :

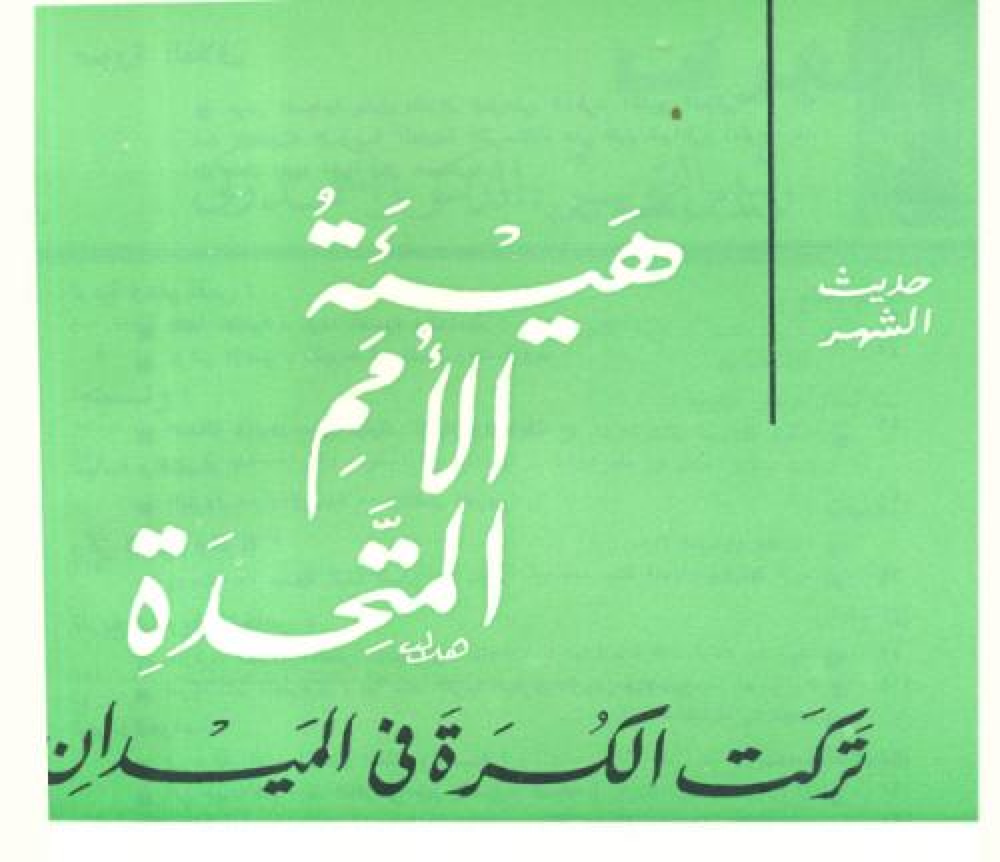
كتـــب :

قصص وقضاء :

متنوعـــات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى · البحرين ٢٠٠ فلس بحريني،العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠فلس · السعودية ٢ ريال · السودان ١٠ قروش · ج٠ م٠ ع ١٠ قروش · تونس ٢٠٠ مليم · الجزائر ٢ دينار جزائري · المغرب ٢ درهم · اليمن ٢٫٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي · وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب ·



بقلم رئيس التحرير

▪ اتفقت مصر واسرائيل على فصل قواتهما عند القنال ، فى غيبة هيئة الأمم المتحدة ٠

واتفقت سوريا واسرائيل على فصل قواتهما عند الجولان ، فى غيبة هيئة الأمم المتحدة ٠

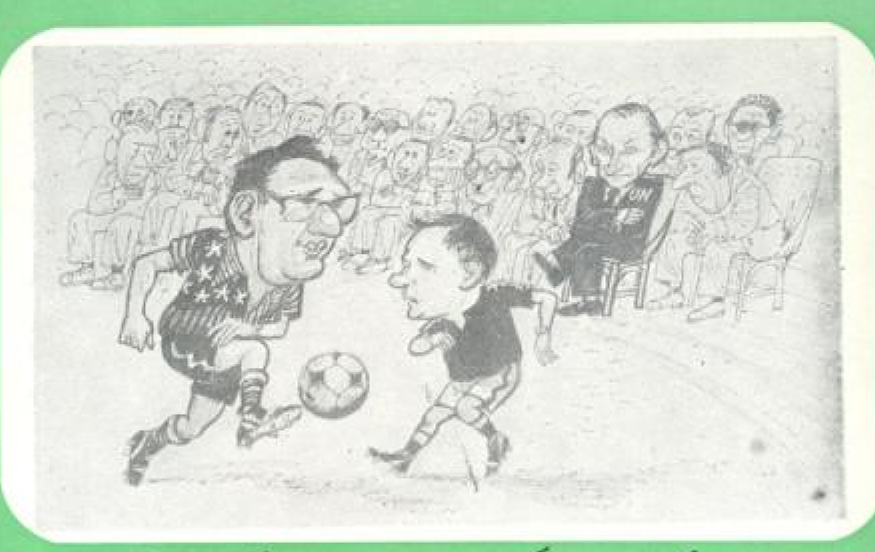
ثم جاءت الهيئة ، بعد تمام الاتفاق فى غيبتها ، تزوّد المناطق الحرام التى تفصل بين الجيوش بقوى دولية من عندها ٠

عمل الهيئة هذا عمل ثانوى جدا ٠ وما كان يخطر ببال احد ان يأتى اليوم الذى فيه تكتفى الهيئة بهذا العمل الصغير، ملحقا للعمل الكبير الذى قام به الآخرون٠

وكثير من الناس يعود باللائمة على هيئة الأمم بان صارت الى ما صارت اليه من وضاعة قدر ، وودّ آخرون لو ختمت الهيئة اعمالها كما ختمت اختها السابقة اعمالها ، واعنى بها عصبة الأمم ٠

والواقع ، ان الذى أصاب عصبة الأمم فى زمانها ، فارداها ، لم يكن داء عضالا انتشر فيها ٠ ولا الذى أصاب هيئة الأمم فى حاضرها هذا كان مما يضعف الهيئة او يحط من قدرها ٠

انما هو التناقض الذى قام بين كل من هاتين الهيئتين من جهة ، وواقع الحياة من الجهة الاخرى ٠



وجلست تشهد اللعب مع الشاهدين

وكان التناقض الذى وقع فى عصبة الأمم غير التناقض الذى وقع فى هيئة الأمم ، ففعل بهما ما فعل ٠

عصبة الأمم

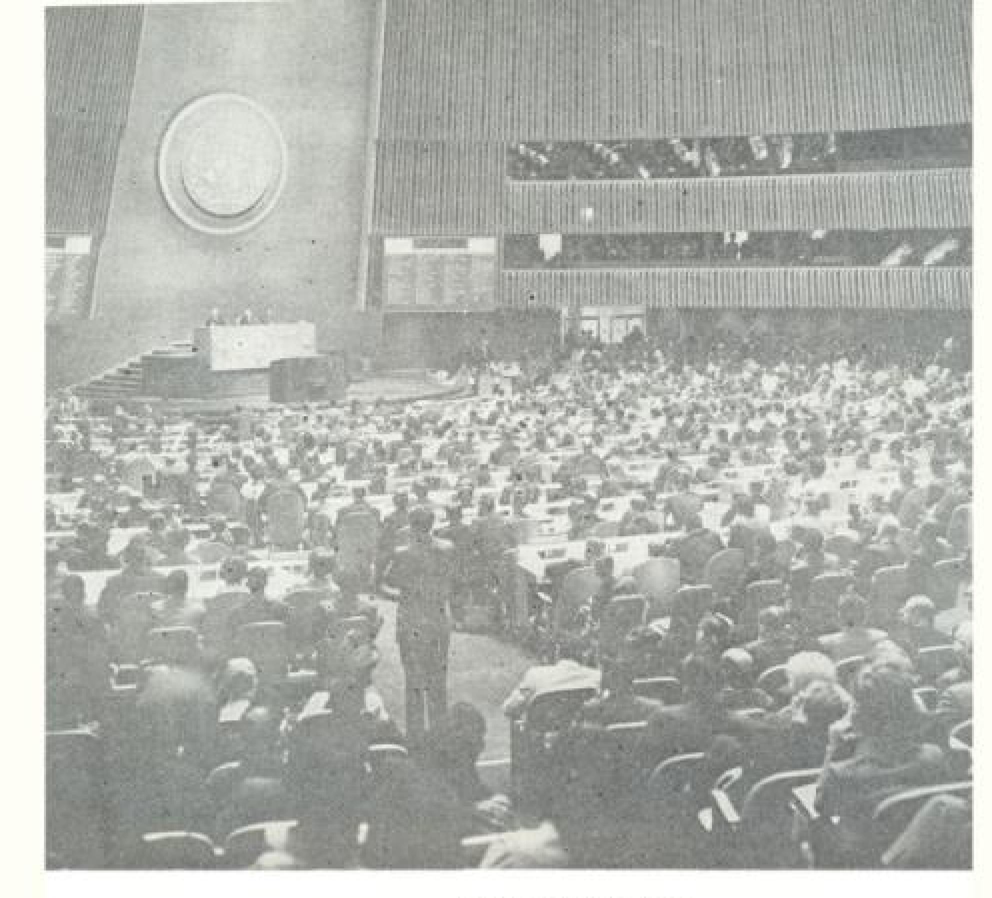
عصبة الأمم أضاعها انها قامت على عاطفة مريرة ، وأمل طاهر كبير ٠

اما العاطفة المريرة فهى الغل الطبيعى الذى خلقته الحرب العالمية الأولى فى قلوب الحلفاء ، لاسيما فرنسا وانجلترا ، تجاه دول المحور ، اى المانيا وايطاليا ٠ وكان أن احتوى الحلفاء من مستعمرات الأرض اكثرها ، ولم تكد تحتوى المانيا وايطاليا شيئا هو فى حكمها كافلهما وأقروا السلم، وبعض الأمم له نصيب كبير من مصادر الثروة فى الارض ، وبعض ليس له ٠

اما الأمل الكبير الطاهر،فالذى احتوته وثيقة عصبة الأمم ، وماخططت له من سبل للسلام ، اساسها العدل،ومع العدل الخير٠

نقيضان ابيا ان يجتمعا ٠

فكان اول من نقض العهد ايطاليا اذ غزت الحبشة دون انذار ٠ ولم يكن فى سائر دول العصبة من يتزعم للرد على المعتدى ، وجاء هتلر فجرى على سنة موسيلينى وزاد ٠



الجمعية العامة للأمم المتحدة

هيئة الأمم

اما هيئة الأمم فتناقضها قد احتواه بناؤها .

ان الهيئة لها مجلسان اساسيان،الجمعية العامة ، ومجلس الأمن .

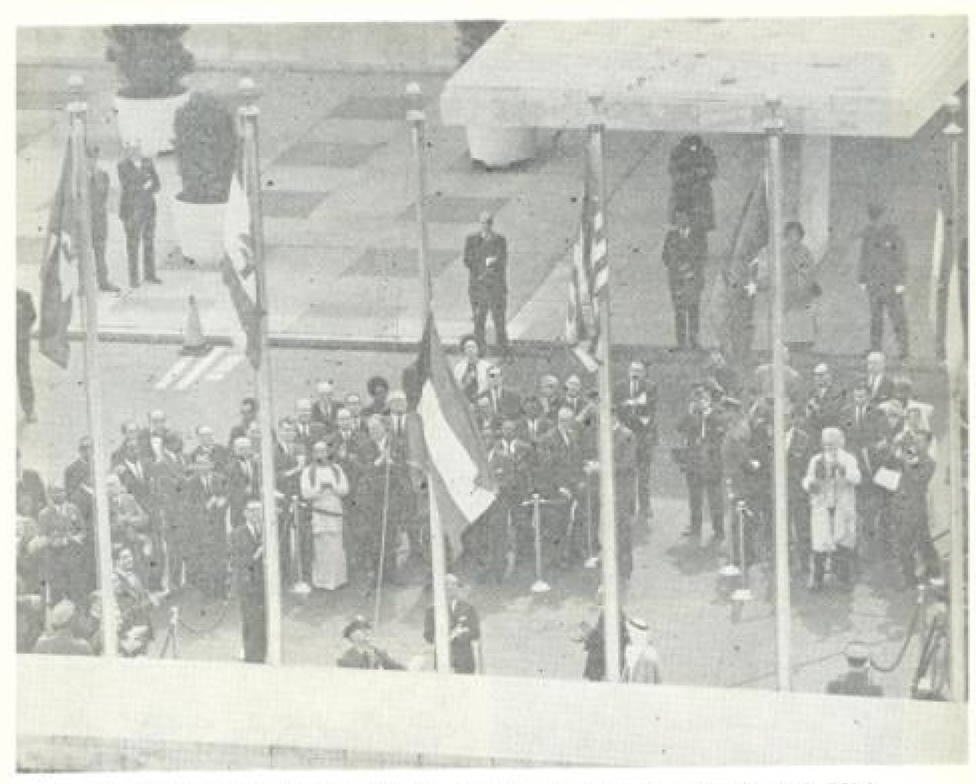
اما الجمعية العامة فتدخلها كل دولة فى الأرض ، الكبيرة منها والصغيرة ، القوية منها والضعيفة ، الغنية منها والفقيرة ، والتى تملك المليارات والتى لا تملك شيئا . واستقلت أمم كثيرة حديثة ، فدخلت الهيئة بحكم استقلالها ، ولم تكن استكملت حتى مظاهر الدولة المستقلة ذات السيادة ، من حيث وجود ادارة فعالة، وأدوات عيش جارية ، ونظام أمن محترم، وشيء من جيش يستطيع الوقوف على الحدود ينذر المعتدين . وامتلأت القاعة العامة بكثرة كاثرة من الأمم .

وحمدنا نحن ، وحمد معنا كل محب للخير والعدل ، هذا المجتمع العالمي الكبير.

وقضت وثيقة هيئة الأمم بأن يكون لكل امة من هؤلاء ، صوت عند التصويت واحد . وحمدنا نحن ، وحمدت الدنيا معنا هذه المساواة .

ولكن هذه المساواة ناقضت حقائق الدنيا .

قال بعض كبار هذه الزمرة من الأمم



ارتفت اعلام الأمم امام مبنى هيئة الأمم المتحدةفي نيويورك ارتفاعا واحدا ، طلبا للمساواة .
ثم ما لبثت ان انهارت المساواة ، داخل القاعات عند اتخاذ القرارات وتنفيذها

المتقدمة كيف يوضع صوتنا نحن ، ونحن امة بها اكثر من مائة مليون نفس ، وبها من العلم والفنى والحضارة ما بها ، كيف يوضع صوتنا فى كفة ميزان ، ويوضع صوت أمة هى بضعة آلاف ، لم تكد بعد تصعد من درجات العلم والغِنَى والحضارة غير درجات معدودات ، فى الكفة الأخرى من الميزان ، ويتعادلان .

ولكن ، كان الذين صنعوا وثيقة الأمم المتحدة قدروا وقوع هذه الحال . وكانوا هم الأغنياء العلماء الكبار . فتداركوا الأمر بأن خلقوا الى جانب الجمعية العامة، مجلس الأمن ، وجعلوا فيه الخمسة الكبار من الأمم ، وجعلوا ان لا يجرى قرار فى هذا المجلس مُلزِم الا بموافقتهم جميعا .

وكانت قرارات الجمعية العامة قرارات لا تحمل قوة النفاذ ، الا ان يوافق عليها مجلس الأمن .

واصبح مجلس الأمن هو فى الواقع مجلس ادارة هيئة الأمم المتحدة .

واذن اصبحت هيئة الأمم ، انما هى هيئة الأمم الخمس التى احتواها مجلس الأمن .

سيادة الدولة أولا ..

تحدثت الى رجل دبلوماسى فى هذا



مجلس الأمن ، في هيئة الأمم المتحدة

الأمن : قلت له : لم تتعالى الأمم الكبيرة عن الأمم الصغيرة ، فحيث تتساوى الأصوات لا يكون لقرارات نفاذ ، وحيث تتفق اصواتكم انتم ، وانتم قلة ، تحمل القرارات قوة النفاذ . قال : ما هذا بالتعالى ، انما هو الحرص على سيادة دولتنا ، وذلك لأن القرار الذى تتخذه الجمعية العامة ، وفيها من فيها ، قد يمس حاجات لنا،سياسية ، او اخرى اقتصادية، هى فى الصميم من سيادتنا . والسادة فى العالم هم الذين يحملون التبعات وهى ثقيلة.

قلت:واذن فكيف قبلتم ذلك فى مجلس الأمن ؟

قال : من قال اننا قبلنا . ان الفيتو ، ان حق النقض،انما وضع هناك،لنستخدمه فيما لانريد مما يمس سيادتنا .

وكان محدثي امريكيا .

واذن فالاحتفاظ بسيادة الدولة الكبيرة هو الذى افشل الجمعية العامة لهيئة الأمم، وهو الذى أفشل مجلس الأمن الا ان يكون القرار قد وافق الجميع عليه ، فلا حاجة للنقض فيه .

سيادة الدولة عند ولسن

ولقد ذكرت بهذا كلمة قالها هارلد ولسن Wilson رئيس وزراء بريطانيا، وهو يتحدث منذ أيام عن السوق الأوروبية، وانجلترا من اعضائها ، قال ولسن : انه يريد ان تتغير بعض الشروط التى دخلت انجلترا بمقتضاها السوق . ثم قال : ان للسوق أهدافا سياسية ، منها الوحدة الأوروبية . واني اعلن من الآن، ان انجلترا لاتوافق على هذه الوحدة السياسية لأنها تمس سيادتنا القومية .

بهذا خرجت
مشكلة الشرق الأوسط
عن نطاق هيئة الأمم

من اجل هـذا ، لم يكن مستطاعا ان تعالج هذه المشكلة ،مشكلة الشرق الأوسط، لا داخل الجمعية العامة للهيئة ، ولا داخل مجلس الأمن ، وفيه الدولتان المتنازعتان العظميان .

وهيأ لهذه المشكلـة ، مشكلـة الشرق الأوسط ، ان تخرج عن نطاق هيئة الأمم، ما وقع من انفتاح وسلام بين الدولتين المتنازعتين الكبيرتين ، امريكا وروسيا .

هارلد ولسن رئيس وزراء بريطانيا



هيئـة الأمـم
لم تفقد قيمتهـا

على ان هيئة الأمم لم تفقد قيمتها ، ولن تفقدها .

فمشكلة الشرق الأوسط يقوم القائمون عليها خارج نطاق الهيئة ، وهدفهم تطبيق قرار نوفمبر رقم ٢٤٢ .

ولكن ما هذا القرار ؟

انه قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم .

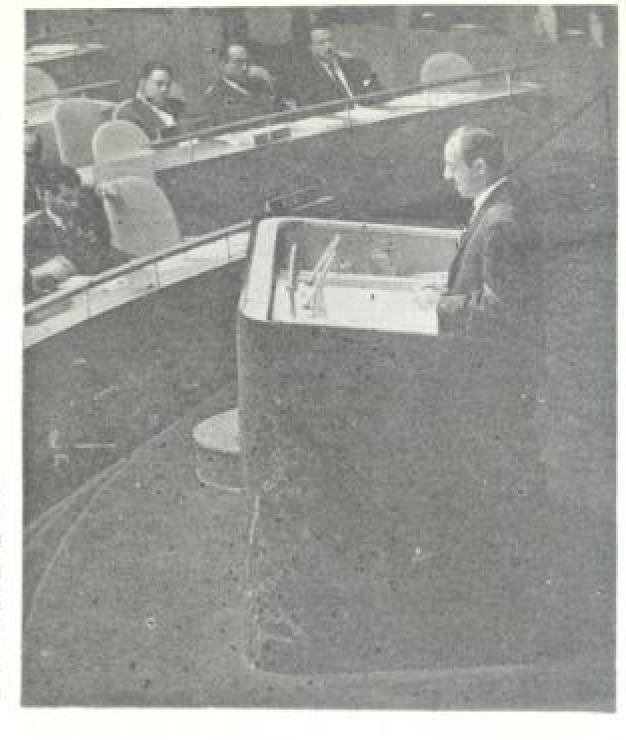
وهيئة الأمم ، ولو ان قراراتها تفتقد قوة النفاذ،الا انها لاتفتقد القوة الاعلامية الهائلة التى لها .

فمهما كان للدولة الكبيرة من قوة،ومن مال ، ومن علم ، فهى فى حاجة دائما الى حسن السمعـة فى الدنيا . ومن حسن السمعة حسن السمعـة فى البلد الفقير القليل ، فهو اليوم فقير قليل ، وهو غدا غنى كثير .

وحتى والبلد صغير فقير ، فكثرة هذه البلاد عددا في الدنيا تجعل لها من الخطر مايزيد نصيبهامن السلطان فى هذه الدنيا. فالدول الكبيرة لها تجارة ، ولها تصدير واستيراد ، ولها خطط دفاع فى الأزمات، وهي لاتجرى ماتجريه من عمليات وفاء بهذه الأغراض في الفضاء والعراء . لابد اذن من احتواء هذه البلاد الصغيرة الكثيرة في نطاق من الود يأذن بشتى ما يحتاجه الكبار من معامـلات معهـا ، ومفاعـلات ومناصرات .

وفى الحـرب البـاردة التى كانت فى الخمسينات والستينات الماضية بين الدولتين العملاقتين ، حرصت كل منهما الحرص كله على التودد الى هؤلاء الصغار . ظهر هذا فى منابر اعلامهم ، واصوات اذاعاتهم ، وظهر على المنبر الاكبر الذى لم يزل هو الاكبر ، منبر هيئة الأمم المتحدة .

ومنبر الأمم المتحدة ، كما كان كسبا



بقيت هيئة الأمم منبرا للاعلام خطيرا ، تسمع من فوقه الأمم الصغيرة اصواتها ،وينصت العالم. وفى الصورة الشيخ صباح الأحمد ، وزير خارجية الكويت ،يدلى بكلمته فى الجمعية العامة للأمم المتحدة

لبعض الأمم ، عاد بالخسران على بعض الأمم الاخرى .

مثل صارخ ، ما حدث فى البرتغال

والمثل الصارخ لهذا ما حدث للبرتغال. بقيت تلك البلاد متمسكة بمستعمراتها الافريقية ، دهرا طويلا ، وحكمتها بأدوات من حديد ونار ،وقلوب صنعوها من حجر، وآذان صاغوها من طين .

ثم حدث فجاة فى هذه الأيام ان سقطت فى البرتغال تلك الحكومة الاستعمارية التى عانت منها افريقيا ، من اذاها ، عشرات السنين .

ظن الناس ان معجزة لابد حصلت فى البرتغال انهدم بهاهذا الصرح الذىماخال احد انه ينهدم يوما .

والمعجزة ، ماحدثت فىالبرتغال،وانما حدثت من فوق منابر هيئة الأمم المتحدة وفى ردهات اجتماعاتها،وفيما اتخذت من قرارات . لم يكن لها فى النفاذ أمل،ولكن كان لها فى الاعلام دور حاسم .

اجتماع هيئة الأمم بدعوة دعاها عاهل الجزائر

ومن امثلة قوة هيئة الأمم ، ممثلة فى جمعيتها العامة ، تلك الدعوة التى دعا اليها الرئيس هوارى بومدين ، واجتمع استجابة لندائه كل هذا العدد الوافر من اعضاء الهيئة ، وفضح الرئيس بومدين فيه ، وفضح سائر المتحدثين ، النوايا الخاصة باستراق الزيت التى كان يدبر لها المدبرون.وفشلت الخطةوخاب المدبرون.

هيئة الأمم والاعتداء على مصر عام ١٩٥٦

ومايذكر فيشكر من صنيع هيئة الأمم

ماكان منها عام ١٩٥٦ ، عندما اعتدى الاسرائيليون والفرنسيون والانجليز ، عصبة واحدة ، على مصر ، فأصدرت الجمعية العامة قرارها،بشجب هذاالاعتداء ودعوة المعتدين الى ترك البلاد فورا ، وفعلوا ٠

بالطبع لم يكن قرار المجلس هذا قرارا عاديا ٠ انه قرار احتضنته امريكا ، واحتضنته خاصة رئيسها ايزنهاور ، واحتضنته كذلكروسيا٠احتضنتهالدولتان العظميان في الدنيا ، واحتضناه قرارا ، واحتضناه نفاذا ٠

وجرى كلهذا مصداقا لأن الذىيُجرى سياسة هذا العالم ، ويحرك سياسته ، ليس هو العقل ، وليس هو العدل ، وليس هو الايمان بالمساواة ، ولكنها السيادة فى ميدان الحرب،والسيادة فىميدان الاقتصاد، وما يتبعها من ميادين للعلم والتكنية ٠



الرئيس هوارى بومدين

منظمات فى هيئة الأمم نافعــة

على انه لابد ان لا ننسى الجانب غير السياسى الذىتتالفمنه هيئة الأمم ٠ فالى جانب الجمعية العامة للهيئة ومجلسالأمن، توجد منظمات كثيرة معاونة لها نفع بين سائر الأمم واسع عظيم ٠

واضرب لذلك مثلا مؤسسة اليونسكو، ومؤسة الزراعة والتغذية ، ومؤسسة الصحة العالمية ٠٠٠ الى آخر ما هناك ٠

كلها مؤسسات ناجحة ، انتفعت الأمم فيها بالكثير ٠ ومن الناس من يقول انه كان فى استطاعة هذه المؤسسات ان تنفع بالأكثر ٠ وهذا صحيح ولكنه قول صحيح يصح على الف مشروع ٠ فالنفع الذى يرتجى من مشروع يتوقف على مايبذله المشروع من عون ، وما يستجيب له الناس ، من اهل الأرض جميعا ، بالرضا والقبول ، رأيا وعملا ٠

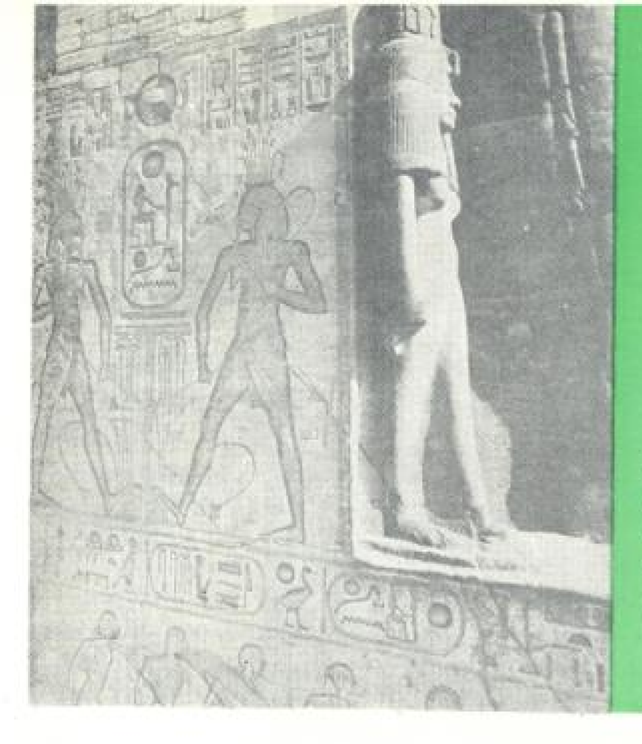
والذى حمىهذهالمؤسساتمن سوء المصير اشياء كثيرة،من اهمها خلوها من الساسة المحترفين ، وان الكثرة التى هيمنت على مناشطها من رجال اتصلوا بالعلم نشأة ومهنة وطيب مزاج ٠

انفصـــام

حاول قادة الأمم ، بعد تجربة حربين عالميتين قاسيتين ، ان يجمعوا الأمم تحت سقف واحد ، طلبا للنظام ، وطلبا للوئام، وطلبا آخر الأمر للسلام ٠

ولم يصل قادة الأمم ، بابتداعهم عصبة الأمم ، وهيئة الأمم ، الى ماكانوا أمّلوا٠

ولم تستطع الأمم بعد هذا الفشل ان



حديث الشهر

اليونسكو من اخطر مؤسسات هيئة الامم لبعدها عن سياسة الامم والصورة اشارة لما قامت به اليونسكو فى مشروع انقاذ آثار أبى سنبل من الغرق بحسبانها آثارا للحضارة لاتعوض .

تعيش على سطح هذه الأرض فرادى لانصيرلها . ان النعجة الواحدة فى طبيعتها ان تحتمى ولو فى القطيع الكثير ، مادام على الأرض تسرح ذئاب كثيرة .

ومالبثت هذه الأمم ، امم الأرض ، ان تجمعت ، وتصنفت ، مجموعة بعد مجموعة .

ومن هذه المجموعات مجموعة روسيا وصواحبها ولا نقول توابعها ، فالتابع يحمل معنى سياسيا اعلاميا ، معناه انه يتبع عن غصب لا رضاء فيه . وكان اجتماعها عن تبع ، او كان عن غصب ، فلاشك انها كسبت فى هذا التجمع نوعا تشتهيه كل الأمم من الأمن ، علما بأن الانفراد لا يكون منه غير الضياع .

ومن المجموعات التى تكونت ، تحسبا لما صارت اليه هيئة الأمم او ماتصير اليه ، تكتل دول الغرب من اوروبا تحت عناوين من الكتل شتى، منها منظمة المحيط الأطلسى المعروفة بناتو ، ومن بين دولها الولايات المتحدة . ومنها السوق الأوروبية المشتركة، وليس من بينها الولايات المتحدة . وذلك ليعتدل الميزان .

ومن المجموعات التى تألفت فى ظل تطور القوى العالمية الذى حدث ، وقصور هيئة الأمم عن بلوغ آمالها ، مجموعة الدول اللاتينية لامريكا الجنوبية . واحتوتها الولايات احتواء بالذى سنته بينها وبينهم من معاهدات ، ولكن هيهات . المستقبل لهذه الأوطان واصحاب هذه الأوطان .

ثم افريقيا وكتلتها الضخمة ، وما بها من وحدة ، وجدَ فيها الكثيرُ منهم الطمأنينة التى يحتاجها الضعفاء الفقراء فى دنيا الأقوياء الاغنياء .

كل هذه الكتل قامت فى ظل ريبة فى اس هيئة الأمم ، بدأت من اليوم الذى خططوا فيه لوجودها . وأطلت الريبة

من وثيقة هيئة الأمم ذاتها، اذ جعلت للأمم، لكل من هبّ ودبّ منها، الجمعية العامة، تقول فيها ما تقول وتهدر بما تهدر، وتقرّر ما تقرر، ثم لانفاذ لقراراتها، كما سبق ان وصفنا. وجعلت للفئة القليلة المختارة من الأمم، مجلسا سمّته مجلس الأمن. وضمت فيه القوة كل القوة.

ثم اعتزلت الدولتان العظميان على وفاق بينهما

كان لابد، بعد توزع أمم الأرض هكذا على ما شاءت من تكتل، ان ينظر الناس فيما سوف يطرأ على علاقات ما بين الأمم من تطور.



من منظمات الأمم المتحدة منظمة الزراعة والاغذية العالمية ولها انجازات في الزراعة عظيمة. وفي الصورة عينة من القمح الجديد الذي ساهمت الأمم المتحدة في انتاجه انتاجا ضاعف محصوله مرات.

ولم يجرؤ احد على ان يحدس على اى نحو يكون التطور.

وجاء التطور اخيرا، فادهش العالم. القوتان العظميان المتنافستان على منافع الأرض وخيراتها، واذن على صداقات الأمم، هاتان القوتان تخرجان من الميدان ليبقى الميدان بعدهما خاليا من القوة.

وكان اول مشروع لهما هو مشروع احلال السلام في منطقة الشرق الأوسط، وكفى بذكر الشرق الأوسط الذى له من خطر اشارة.

ولسنا ندرى ماسوف يكون بين القوتين العظميين بعد ذلك من مشاريع، غير ما يكون بينهما في المجال الاقتصادى من تعاون.

فان اصاب هذا المشروع النجاح، فبها.

والا، فليس عند الأمم الحية ان يقف تخطيطها للمستقبل عند غد او بعد غد. انها تخطّط للسنين، وعقود السنين، وللقرون.

اصدقاء اليوم قد يكونون في غدا اعداء.

واعداء اليوم قد يكونون في غد اصدقاء.

واليوم الروس وامريكا تملآن الأرض.

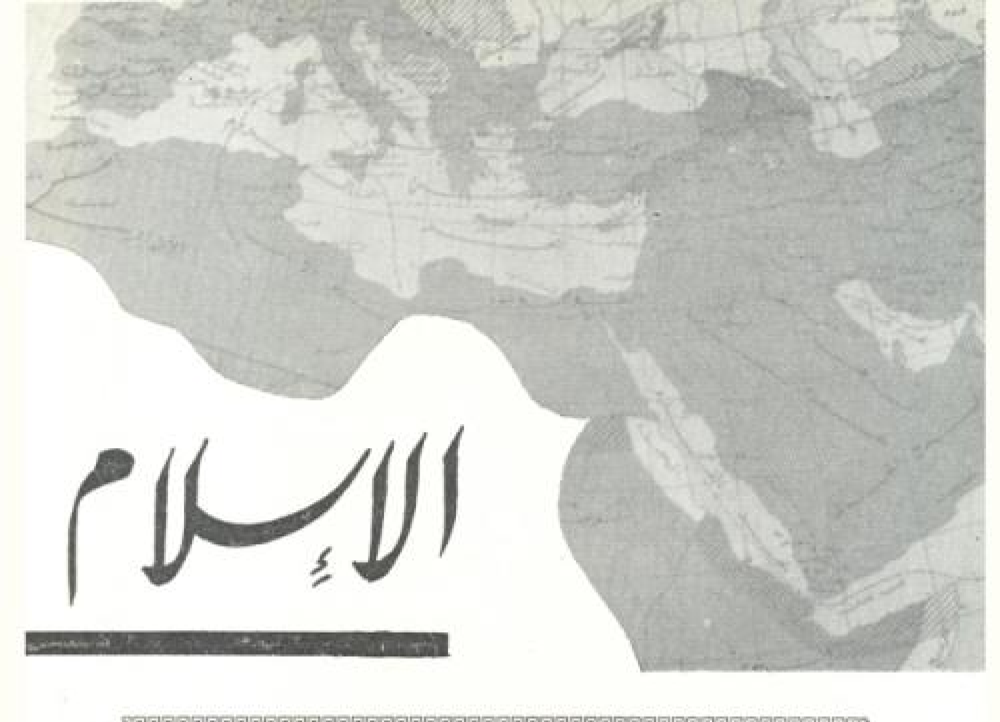
وقد سمعت من رجل له بالسياسة والساسة خبرة، سمعته يقول: من يدرى، فلعل الدنيا تكون غدا بالروس والصين املأ.

وسكت ولم يزد، وظللت افكر فيما قال، وخلت انى اهتديت. ومن هديي ان خطر على بالى هذا البيت:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

●●

احمد زكى



الإسلام

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

هذه الآية القرآنية الكريمة ـ وهي ١٣ من السورة ٤٩ (الحجرات) ـ تجري على ألسنة المسلمين في كل زمان ومكان ، فيندر ان يمر اسبوع دون ان تقرأها في مقال او كتاب ، او تسمعها في خطبة جمعة او في حديث عن الاسلام وفضائله .

وهي آية واضحة جدا معنى ولفظا ، ولهذا فان المفسرين لا يقفون عندها طويلا فليس فيها لفظ غريب يعطي الفرصة للمفسر ، لكي يبحث وينقب ، ليعرض عليك علمه الواسع ، وليس فيها معنى غامض تذهب الأفكار في تفسيره مذاهب شتى ، ولا اشارة تاريخية تسمح للمفسر بان يمعن في الشرح والتفصيل .. انما هي آية بليغة واضحة كل الوضوح .

وهذا المعنى لا يتضح على حقيقته الا اذا وقف الانسان أمام ألفاظ هذه الآية وقوفا طويلا وفهمها فهما صحيحا ودقيقا .. ثم حاول ان يفهم الآية كلها على ضوء ما حدث من قُبَيل ظهور الاسلام، الى قيام دولته وامتدادها من «فرغانة» الى «غانة» كما يقول الجغرافي المقدسي ، او من كاشغر في اقليم سيكيانج وهو اقصى الصين غربا ، الى ساحل المحيط الاطلسي وقلب افريقية فيما يلي الصحراء جنوبا فضلا عن اقصى اوروبا (الاندلس) واقصى شرقها (تركيا) .

فالآية الكريمة تتحدث عن « شعوب » و «قبائل» ونفسر هذين اللفظين بالمفهوم التاريخي ، فنقول : ان الشعوب هي الامم المستقرة الثابتة ذات الحضارات ، والقبائل هي الامم المتبدية التي

وحدة البشر

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

كانت تعيش قبيل ظهور الاسلام فى الصحارى الشاسعة الفاصلة بين شعوب الحضارة والاستقرار قبيل ظهور الاسلام ثم قرونا طويلة بعده ٠

فالآية القرآنية اذن تقول ان الله سبحانه وتعالى جعل هذا الخلق امما او شعوبا متمدنة ذات حضارات وتقاليد وقواعد فى التنظيم والحكم، وامما اخرى بدوية تعيش وفق النظام القبلى المعروف ٠٠

ثم تضيف الآية عبارة « لتعارفوا » اى ليتصل بعضكم ببعض ، ويعرف بعضكم بعضا وتصبحوا امة واحدة ٠

وتقول الاية بعد ذلك « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وهذا هو اساس التعارف بين الناس الذى يدعو اليه الاسلام : تعارف وتفاهم وارتباط وتعاون على أساس اننا جميعا بشر متساوون ، لا فرق بين جنس وجنس او بين حضر وبدو ، الا على اساس التقوى وهى جماع الاخلاق والفضائل التى دعا اليها الاسلام ٠

والآن فلننظر فيما « حدث فى التاريخ » (١) منذ ظهور الاسلام حتى قيام جماعته الكبرى ٠

نظرة جغرافية تاريخية

لننظر الى الخارطة البشرية للعالم قبيل ظهور الاسلام ، سترى اننا اذا استعرضنا الشعوب من غربى الصين الى المحيط الاطلسى وجدنا انها كانت مكونة من وحدات بشرية متحاجز بعضها عن بعض، كانها اجناس شتى ، لا جنس بشرى واحد،وسواء اكانت هذه الشعوب شعوب حضارة واستقرار ، او شعوب بداوة وقلق سياسى واجتماعى ، فلم يكن هناك الا قاعدة واحدة للتفاهم والتعامل بين هذه الجماعات وهى العداوة والعنف ، وما يتبع ذلك من غلبة وسيادة واستعباد وقهر واستسلام وضياع فى احيان كثيرة ٠

الصينيون

فهناك فى اقصى المعمورة غربا كان يعيش شعب الصين ـ او شعوب الصين بتعبير ادق ـ ذات الحضارة العريقة ، والتنظيم السياسى والاجتماعى الذى تحجر لطول العهد به،وتطاول الاعصر عليه، دون تغيير او تبديل ٠٠ وهؤلاء الصينيون سواء حكمتهم حكومة واحدة من بكين ، او تفرقوا فى دول شتى ما بين بحر الصين فى الجنوب وسهوب منغوليا فى الشمال ، كانوا يرون انفسهم شعبا واحدا ممتازا على غيره من شعوب الارض ، ولا ينبغى لصينى يحترم نفسه ان يتدنى الى التعامل المباشر مع غير الصينى ٠

وهذه الشعوب الصينية كانت تؤمن بصور شتى من البوذية ، اشبهها الشامانية ، وهى تقوم على

---

(١) العبارة مقتبسة من عنوان كتاب مشهور هو لاستاذ من كبار شيوخ الاصول فى علم التاريخ وهو جوردون تشايلد What Happened in History Gordon Childe والكتاب مترجم الى العربية ، ولكنه لم يأخذ فى الفكر العربى المكانة الضخمة التى يحتلها فى الفكر الغربى ٠

ان هذا العالم تسكنه ارواح شريرة ، واخرى خيرة ، والارواح الشريرة تحيط بالبشر وتحرص على افساد امرهم • والكهنة وحدهم هم الذين يستطيعون التفاهم مع هذه الارواح ، وابعاد اذاها عن الناس ، ولهذا كان الكهنة سادة هذا المجتمع الصيني ، فهم عماد سلطة الحاكم وهم حماية للمحكوم من شرور هذه الدنيا • وكانت معابد البوذية هي المنشات الوحيدة الآمنة في عالم الصين ، فلا يامن انسان على نفسه واهله وماله الا اذا زار المعبد ، وقرب الى كهنته ما يستطيع، فاذا رضى عنه الكهان فقد أمن ، واصبح انسانا متميزا على غيره من غير المؤمنين او غير الآمنين ، والامران سواء •

ولكي يؤيد الصينيون هذا المعنى انشاوا سور الصين العظيم ، فاصلا بينهم وبين غيرهم ، ممن هم ادنى منهم واقل حظا من البشر • فهذا السور هو حد الأمن والرقي والحضارة ، ومن ورائه بشر في مراتب العجماوات،ومن هنا فانه لا يجوز لصيني ان يتدنىالى التعرفعلى اولئك الاشقياء غربي السور •

المغول ، أو التتار

وغربي ذلك السور ، والى مستوى بحيرة ملكال او بلكاش وما الى جنوبها من جبال ضخمة وعرة، هي الهند كوش ، والقرة قورم ، ثم الهملايا في في الجنوب ـ كانت تعيش جماعات المغول ، وهي من شعوب البداوة وعدم الاستقرار • كانت جماعاتهم تمتد في الشمال الشرقي الى صحراء جوبي وجنوبي سيبيريا ، وتصل الى الضفاف الشرقية لنهر سيحون او سرداريا •

هؤلاء المغول كانوا يعيشون في عالمهم الواسع حياة كلها فوضى وقلق وسلب ونهب ، يسود مجتمعهم رؤساء عسكريون يقود كل منهم جماعة من الجند تعرف باسم الطومان ، وكان « القان » او « الخان » ـ وهو رئيس الطومان ـ في حرب دائمة مع زملائه • اى ان عالم المغول كان عالم حرب وضرب وسفك دماء،يعيش اهله على قطعان من الماشية يرعاها رعيان مساكين ، هم ضحية الخانات ومصدر رزقهم • وهمكذلك يرعون ليلقان الذى يتبعون خيوله ، ومن المعروف ان الحصان اول ما استؤنس واستخدم كسلاح حربي كان على ايدى المغول ، وبواسطتهم انتقل الى الغرب ، فوصل الى اوروبا ، والى الجنوب الغربي ، فوصل الى ايران ، ثم الى شعوب العراق القديمة ، واخصها هنا الاشوريون • ومن هناك انتقل الى جزيرة العرب ومصر والمغرب •

وبرغم هذه الفوضى التى كانت تسود عالم المغول ، فقد كان لهم بانفسهم اعتزاز يقارب اعتزاز اهلالصين بانفسهم،فهم المحاربون الاقوياء ذوو البسالة والاقدام ، وهم الفرسان ذوو الخيل التى تطير على الارض طيرانا ، وهم اصحاب السيوف الصغيرة المصنوعة من صلب ازرق فريد في نوعه،كان لا يوجد الا في الجبال الى جنوبهم• وقد مهر في صناعته وعمل السيوف منه اهل قرى صغيرة يعيشون في مخارم تلك الجبال فيما يعرف اليوم بافغانستان وكشمير وشمال البنجاب ، ومن عجب ان اهل هذه القرى احتفظوا الى يومنا هذا بالمهارة في صنع السلاح ، وفي دكاكينهم الصغيرة يصنعون اليوم من نفس الصلب الممتاز الطف انواع المسدسات والبندقيات •

هؤلاء المغول الذين سماهم اهل الصين بالتتار، كانوا يعدون انفسهم افضل من اهل الصين ويسمونهم « بالخطا » او « الخطاى » وكان الواحد منهم يترفع عن ان تكون بينه وبين صيني خطائي علاقة الا بواسطة السيف ، فهم مادة للقتار ، ومغنم ، وميدان غارات ونهب واسلاب ، •

الأتراك

والى غرب المغول او التتار عاشت جماعات الأتراك •• والاتراك او الترك اسم عام يطلق على خليط ضخم كان يسكن المساحات الشاسعة التى تشمل ما وراء النهر ـ اى البلاد الواقعة بين نهرى سيحونوجيحون ـ سرداريا وآموداريا ـ وجنوبي بحر آرالالذى سماه العرببحيرة خوارزم، وشرقيهضبة ايران حتى نهر صغير يسمىالمرغاب، وهوالذى تقومعليه مرو ومرو الروز او الرود (اى مرو النهر ، لان رود في الفارسية هو النهر) ويجرى هذا النهر الى الجنوب الغربي من نهر جيحون • وتشمل بلاد الترك ايضا اقاليم كابل ، وغزنة وقندهار الجبلية،فيما يعرفالان بافغانستان وتمتد جنوبا فيما يعرف باسم بلوخستان (وهي اليوم قسمة بين الباكستان وايران) •

وهؤلاء الترك كانوا ايضا جماعات من البدو . معظمهم رعاة في سهوب بلادهم الواسعة . وعلى سفوح جبالهم المتهيلة ، يحكمهم رؤساء عسكريون يعرف الواحد منهم باسم «الارخون» او «الطرخون» والكبير منهم يسمى « الخاقان » اى «الخان الكبير» . وهؤلاء الرؤساء العسكريون لم يكونوا فرسانا في الغالب ، وانهم مقاتلون مشاة ذوو قوة وجلد ، واجسام ضخام واصوات غليظة كما يقول العرب ، وكانوا يحاربون رجالة ، بالسيف تارة ، وبالنبل تارة اخرى ، وكانوا مرهوبي الجانب لبسالتهم ، وحسن استعمالهم للسيوف والاقواس والسهام . وقد سماهم العرب عندما لقوهم « الهياطلة » وهو تعريب لاسم اطلقه عليهم رجال الاسكندر عندما صادفوهم اثناء مغامرة الاسكندر الكبرى في فجاج آسيا ، ولهذا فاننا نجد المقدسي الجغرافي يسمى بلاد الترك بلاد هيطل • وكان كبير ملوكهم اثناء الفتح العربي هو « زنبيل » او « الزنبيل » المشهور الذى تحرف بعض المخطوطات اسمه الى رتبيل •

هؤلاء الترك كانوا يعيشون في بلادهم الواسعة ، متعالين على المغول الذين يعيشون الى شرقهم ، وبلغ من تعاليهم عليهم ان سموهم «القرا خطاى» اى الصينيون السود ، لانهم كانوا يسكنون في خيام صغيرة سوداء ، من جلود الماعز والشياه السوداء • وكانوا ايضا يترفعون على من يسكنون غربهم من شعوب الهضبة الايرانية • وكان معظم جند اكاسرة ايران من اولئك الاتراك • ولهذا كان الاتراك ينظرون الى الايرانيين نظرة احتقار وكراهة ، رغم ان هؤلاء الاخرين كانوا اهل حضارة عريقة ، وعمران واسع عريض •

الايرانيون

واولئك الايرانيون كانوا يعيشون في هضبتهم الواسعة غربي بلاد الترك حياة متطورة بين البداوة والرعي والاستقرار في الواحات وعلى ضفاف الانهار • وقد توالت عليهم الدول القاشمة من الاكمينيين ، والبارثيين ، والساسانيين ، وكلها دول متشابهة لثقيلة الوطأة على الناس • اذ انها كانت تحكمهم بواسطة رؤساء اشداء هم امراء الاقطاع يسمون المرازبة (جمع مرزبان) يجمعون الجند من الناس بالغصب ، ويسوقونهم في حروب مهلكة لا هدف لها الا ارضاء غرور الملوك ، وكانوا يستعينون في جمع المال بجباة غلاظ يسمون الاصبهبذين (جمع اصبهبذ) • وهؤلاء يستعينون بالدهاقين وهم شيوخ القرى ، وجباة المال •

وقد تعود الايراني العادى ان يهرب من يد الجابي فيفر من قريته وينصرف الى الرعى في السهوب • فنشأ الايراني العادى غريبا في وطنه ، ولكنه كان حراً طليقا ، فنما في نفسه اعتزاز بالنفس ، وغرور بفضائلها ، يشبه غرور البدوى ، ولهذا كان الايراني يستعلى على من عداه ، وينظر الى جيرانه نظرة المترفع ، واما الحكام – وآخرهم الساسانيون ورجالهم – فكانوا يرون انفسهم فوق مستوى البشر ، وقد تجمعت في خزائنهم اموال لا تحصى ، وفي معسكراتهم جند محشود يعد بمئات الالوف ، وكان الملوك يسوقونهم الى هذه الحروب مصفدين في سلاسل حتى لا يفروا من الميدان •

العرب

لم يجيء العرب الى غرب هؤلاء ، وكانوا يعمرون جزيرتهم الواسعة وهي حصنهم وملاذهم • كانوا يعيشون قبائل ، او احلافا من القبائل ، كل منها تحسب انها اعز اهل الارض جميعا ، وكما فخر الايراني بلغته فكذلك كان العربي يرى انه لا لغة على الارض جديرة بهذا الوصف الا ما جرى به لسانه •

أهل العراق والشام ومصر

وفي الشام والعراق ومصر كانت تعيش شعوب حضارات قديمة زاهرة ، تحطمت تحت وطأة الظلم الذى تعاقب عليها منذ الأزل • وكما هرب البدوى الايراني الى سهوبه – وهناك نسى الدنيا وهمومها – فكذلك انحصرت دنيا العراقي والشامي والمصرى في قريته وعشيرته ، ونسى الدنيا من حوله ، وقبل حياته بخيرها القليل وشرها الكثير كما هي •

البربر

والى غرب المصريين : مما يلى الاسكندرية الى المحيط كانت تعيش امم البربر ما بين بتر (بدو) وبرانس (حضر) وكانت الحرب دائرة على طول التاريخ بين هذين الجذمين الكبيرين من البربر ، وجرى الناس على تسميتهم بزناتة وصنهاجة على الترتيب وقد اضرتهم الحروب ، فصاروا اشد الناس باسا،واقدرهم على القتال، وفى مغربهم الشاسع عاشوا وكانهم فى كوكب وحدهم ، يستوى فى ذلك من عاش فى الحواضر ، او سكن الجبال والهضاب • وكانوا على الوثنية، مثلهم فى ذلك مثل الايرانيين الذين كانوايعبدون النار ـ رمز النور والاهته المعروفة باسم « مازدا » ـ والاتراك وكان معظمهم عباد اصنام• واما المغول والصينيون فكانوا على مذاهب شتى من البوذية ، والشامانية فرع منها •

الاسلام يرفع الحواجز بين الشعوب ليجعلها امة واحدة

هنا ظهر الاسلام،والعالم يومئذ شعوب وقبائل متراصة ، بعضها الى جوار بعض ، دون ان يكون بينها من العلاقات الا علاقات الحرب والعداوة والكراهة والاستعلاء •

وبدأ الاسلام بالعربى نفسه فحط من غروره ، وهبط به الى مستوى عباد الله الذين يمشون فى الارض هونا ، وافهمه انه لا يمتاز على غيره الا بالايمان والاخلاق والعلم • وامتلأ قلب العربى بالايمان ، فنهض فى فتوحه الكبرى ، فهدم حائط الايرانيين الهائل فى سلسلة من الوقائع الضارية من كاظمة الى نهاوند وهى فتح الفتوح ، وذهب امر بنى ساسان ومرازبتهم ، وزال الحاجز بين الايرانى وعامة البشر ، ودخل الايرانى فى الاسلام ، والتقى مع العربى على بساط الولاء والعهد والمودة والاسلام ، ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلى العظيم ، وهدم الحائط الذى كان يحول بين الاتراك والايرانيين ، وزلزل كبرياء زنبيل واحزابه،فانساح العرب والايرانيون فى بلاد الترك ، ودخل الترك ارض الايرانيين والعرب ، وجمعهم الاسلام فى اسرته الواسعة • ثم نهض العرب والايرانيون والاتراك وازالوا الحواجز التى كانت امم المغول تتستر من ورائها• وادخلوهم فى الاسلام ، واجتمع الاربعة بعد ذلك، فهدموا سور الجنس والاستعلاء الذى كان اهل الصين قد اداروه على انفسهم ، ودخل قتيبة ورجاله مدينة كشغر،وضربوا خيامهم على ضفاف نهر تاريم وسط سلاسل من الجبال كانها الرواسى الشامخات •

وتهدمت الاسوار التى كان يعيش وراءها اهل العراق والشام ومصر • وهبت عليهم مع الاسلام نسمات العدل والاخاء ، فاخذوا ينتسبون الى امة العروبة والاسلام • ثم سار العرب فى بأس شديد ودخلوا فى معارك طاحنة مع البربر ، دامت سبعين سنة ، وصل فيها العرب الى ساحل المحيط الاطلسى ، وادخلوا امم البربر جميعا فى اسرة العروبة والاسلام •

واجتمع العرب والبربر وعبروا الى الاندلس ، فادخلوا شعبها الايبيرى الاوروبى فى اسرتهم ، واصبح مضيق جبل طارق مجرد ممر مائى داخل عالم الاسلام الشاسع ، بعد ان كان حاجزا بين قارتين وعالمين • وفعل المسلمون مثل ذلك بجبال البرت وهى « البرانس » الحاجزة بين اسبانيا وفرنسا • واصبحت هذه ايضا مجرد مرتفعات داخل دار الاسلام والسلام •

هكذا اتم الاسلام مرحلة كبرى من رسالته ، وهى ازالة الحواجز بين البشر ، وتحقيق التعارف بين الشعوب والقبائل الذى بشر به القرآن • واجتمعت هذه الشعوب كلها على اقامة صرح حضارى اسلامى واحد ، تعاونوا على بنائه واعلائه •

وهذا هو الدرس البليغ الذى قصدت اليه الآية فى افتتاحها ، اذ انها تقول : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » •• اى انكم اخوة ، وينبغى أن تكونوا اخوة ، متساوين متحابين فى الله والايمان ، بعد أن أزلنا من بينكم فروق الاجناس •• ومنذ اليوم وفى عالمكم الاسلامى الواحد هذا ـ لن يتفاضل بعضكم على بعض الا فى مراتب الخير والفضائل •

وهذا هو ختام الآية الفاصلة : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » •

حسين مؤنس

نتيجة مسابقة العدد ١٨٦

جزر ومضائق ومدارات على خريطة العالم

■ اقتصرت مسابقة العدد ١٨٦ من العربي على اسئلة جغرافية ، فقد كان المطلوب من القارىء معرفة اسماء بعض الجزر والمضائق المعروفة على خريطة صماء نشرناها مع المسابقة ، ومع ذلك لم يوفق الكثيرون في معرفة الاجابة الصحيحة على سهولتها : ولو انهم رجعوا الى اية خريطة للعالم لما تعذر عليهم الوصول الى الاجابات الصحيحة ٠

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة ٠

١ ـ ا ـ قناة بنما
ب ـ مضيق ماجلان
جـ ـ مضيق بيرنج Behring
٢ ـ ا ـ جزر كنارى
ب ـ جزيرة مدغشقر او جمهورية ملجاشي
جـ ـ جزيرة جرينلند
د ـ جزر هاواى
هـ ـ جزيرة نيوزلنده
و ـ جزيرة تسمانيا
ز ـ جزيرة سيلان او جمهورية سيرلانكا
٣ ـ ا ـ خط الاستواء
ب ـ مدار السرطان
جـ ـ مدار الجدى
د ـ خط التاريخ الدولي
٤ ـ البحيرة التى تقع بجوار بحر قزوين اسمها بحيرة آرال

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :توفيق احمد بكار ـ بيروت ـ لبنان
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها :عزيزة محمد عبد الشفيع ـ الاسكندرية ـ مصر
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها :حنان مصطفى ـ تونس

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ صبيحة العمودى ـ الجزائر
٢ ـ خالد عبد اللطيف الوطبان البصرة ـ العراق
٣ ـ عيسى خليفة موسى ـ بنغازى ـ ليبيا
٤ ـ منصور عبد القادر بشير ـ بورسودان ـ السودان
٥ ـ محاسن عبد العزيز الصالحي ـ عمان ـ الاردن
٦ ـ محمد امين الراشد ـ حمص ـ سوريا
٧ ـ عبد الكريم محمد باحميد ـ الخبر ـ السعودية
٨ ـ عفاف عبدالله جاسم ـ الدسمة ـ الكويت

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■



القانون المقارن

- ماهو ، وكيف نشأت دراسته ؟
- ماغاياتها ؟
- القانون المقارن والشريعة الاسلامية •
- الدول العربية وتوحيد القوانين •

بقلم :
مراد الطحاوى

■ منذ بداية القرن العشرين بدأ علم القانون يتخذ طريقا جديدا نحو العالمية والشمول شأنه فى ذلك شأن سائر العلوم الأخرى ، فبينما نجد أن الطب والهندسة وعلوم الفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم الانسانية تصطبغ بصبغةعالمية ويجد العلماء منمختلف الدول لغة مشتركةللحديث عندما يلتقون فى مؤتمراتهم ، فاننا نجد أن علم القانون كان الى عهد قريب يتسم بالانطواء بسبب افراط رجال القانون فى النظر الى القانون على انه « تعبير عن القومية » وأن امتداد أى قانون اجنبى أو الاعتراف به يعتبر اعتداء على السيادة القومية وانتهاكا لمبدأ اقليمية القانون أى مبدأ سيطرة الدولة بقوانينها الخاصة على كافة اقاليمها ومن يعيشون تحت ظلها •• ومن لم فقد افتقد رجالالقانون وعلماؤهتلكاللغةالمشتركة التى يتحدث بها سائر العلماء فى شتى فروع المعرفة الانسانية ••

نشوء الحاجة الى دراسة القوانين الاجنبية

وقد كان نتيجة تقدم سبل الاتصال بين الدول فىمجتمعنا الحديث ، أن تعددت العلاقات والروابط الانسانية والمادية بين الافراد ، وما يستتبع ذلك من وجود نزاعات بينهم لا بد وأن يفصل فيها القضاء • وهناك العديد من الحالات التى ينبغى فيها على القاضى أن يرجع الى القوانين الأجنبية التىيجب تطبيقها على المتنازعين الأجانب،بالاضافة الى نمو التجارة الدولية ، وتمتع بعض ثروات الافراد بالصفة الدولية ، حين يتجاوز نطاق استثمارهم لثرواتهم نطاق بلادهم الى بلاد أخرى أجنبية وما الى ذلك من اسباب متنوعة كانت سببا فى نشوء الحاجة الى معرفة ودراسة القوانين الاجنبية دراسة وافية للتعرف عليها ، أو للأخذ عنها ، أو للاستئناس بها •

القانون المقارن

ويمثل «علم القانون المقارن» في عصرنا ، أحد الاتجاهات البارزة في ميدان الدراسات القانونية. وقد بدأ هذا العلم يحتل مكانا هاما في مناهج كليات الحقوق في الجامعات المختلفة الى جانب العديد من الجمعيات العلمية التي تخصصت في الدراسات التي تتعلق به والتي تقوم الى جانب تلك الدراسات باصدار المجلات والدوريات المتخصصة في القانون المقارن بمختلف اللغات ، كما ان هيئة اليونسكو قد انشات في عام ١٩٤٩ «اللجنة الدولية للقانون المقارن » لهذا الغرض .

فماهو المقصود بعلم القانون المقارن؟ وكيف نشأ؟

وفي أي مكان من فروع المعرفة القانونية يكون موقعه ؟

وما هي غاية البحث فيه ؟

كيف نشأ القانون المقارن

يحدثنا التاريخ ان الانسان في المجتمعات القديمة، كثيرا مالجأ الى الدراسات المقارنة في مختلف ميادين المعرفة الانسانية ، بما في ذلك ميدان القانون ، وان تلك الدراسات المقارنة التي كانت تهدف الى التعرف على ماوصلت اليه الجماعات الاخرى من تقدم انما تقوم في الواقع على ما فطر عليه الانسان من غريزة المحاكاة والتقليد .

وبالنسبة للقانون، يروي علماؤه، ان العامة في مدينة روما القديمة عندما ثاروا وطالبوا بتدوين القوانين منعا لتحكم الاشراف ، ارسلت بعثة الى بلاد الاغريق في راي البعض، او الى بعض المستعمرات الاغريقية في راي فريق اخر ، لتقوم بدراسة القوانين اليونانية خاصة قانون صولون (Solon) الذي وضع في اثينا عام ٦٠٠ ق.م وعندما عادت هذه البعثة بعد ان اتمت مهمتها شكلت لجنة لوضع القانون المطلوب ،ومن ثم وضع القانون الشهير والمعروف في تاريخ القانون الروماني باسم قانون الالواح الاثنى عشر .

وعلى اثر تفتت الامبراطورية الرومانية وتعدد الولايات والامارات والممالك في اوروبا . كان هناك نوع من دراسات القانون المقارن دعت اليه الحاجة للتعرف على احكام القوانين الأجنبية عند نشوء نزاع يتطلب الفصل فيه الرجوع الى تلك القوانين ..

ورغم ان العالم الفرنسي مونتسكييه قد نبه الأذهان في كتابه « روح الشرائع » الذي نشر في ١٧٤٨ الى ان النظم القانونية المختلفة لايمكن فهمها او تفسيرها الا في ضوء التاريخ الخاص بكل جماعة، ووجوب دراسة الظروف الجغرافية والطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤدي الى نشوء قواعد قانونية بعينها في بيئة دون اخرى .. الا ان هذه الافكار لم تكن من القوة بحيث تدفع الباحثين الى الاهتمام بهذا النوع من الدراسات ـ وقد تعددت المحاولات الفردية بعد ذلك في ميدان القانون المقارن .. الا ان العامل الحاسم الذي جعل هذه الدراسات تتبوأ مكانها الجدير بها هو ادراك الفقهاء في مختلف البلاد ان المبالغة في العزلة القانونية وسياسة اغلاق الابواب امام القوانين الاجنبية تحت تاثير الحساسية القومية ليس امرا حكيما، وان هناك العديد من الفوائد التي يمكن أن تكون ثمرة معرفة القوانين الاجنبية ودراستها والتعرف على الاتجاهات الحديثة فيها . فبدا اهتمام الدوائر الدولية بهذه الدراسات ، وعقد في سنة ١٩٠٠ في مارس أول مؤتمر للقانون المقارن ، ونتيجة للأبحاث القيمة التي طرحت في هذا المؤتمر ظهر الى الوجود علم جديد هو علم القانون المقارن ..

وحسبما هو معروف عن رجال القانون ، في كل زمان ومكان ، مالبث أن دب الخلاف بينهم حول الاسم او « التعريف » ثم مالبث أن امتد الى « الخصائص » ـ والمميزات او السمات العامة والخاصة .ففريق من العلماء يرى ان القانون المقارن انما هو علم مستقل يتميز عن سواه من علوم القانون، وفريق اخر يرى ان القانون المقارن ليس سوى « طريقة » او منهج من مناهج البحث يمكن أن نلجأ اليها لتحقيق اهداف شتى ، كما تعددت الاسماء التي اطلقت عليه من « قانون مقارن » الى « مقارنة القوانين » أو « التشريع المقارن » وما الى ذلك من مصطلحات ، الا ان اسم القانون المقارن ظل له الغلبة على تلك الاسماء جميعا وما زال هو الاسم الذي يكاد يجمع علماء القانون على استعماله في مؤلفاتهم ..

القانون المقارن والشريعة الاسلامية

ومن الثابت ان الفقهاء المسلمين قد عرفوا هذا الفرع من الدراسات القانونية في وقت مبكر ، وفي التراث الفقهي الاسلامي العديد من المؤلفات التي ابتغى واضعوها المقارنة بين المذاهب المختلفة في الشريعة الاسلامية،ومن اقدم الآثار الفقهية في هذا الميدان كتاب « اختلاف الفقهاء » للطبري المتوفى في سنة ٣١٠ هجرية • ويطلق علماء الفقه الاسلامي على هذه الدراسات اسم «علم الخلافيات» الا ان الدراسة عند فقهاء الشريعة مقصورة على المقارنة بين جزئيات المسائل في المذاهب المختلفة ولم تمتد الدراسات المقارنة عندهم الى تناول الاصول او القواعد الاساسية للمذاهب ، ويرجع ذلك الى ماتتصف به الشريعة الاسلامية من نزعة عملية ولقيامها على صورة فروع ، وان كان ذلك لا يحول دون امكان المقارنة بين اصول الفقه في المذهب الحنفي على سبيل المثال واصول الفقه في المذهب الشافعي على الأساس العلمي الحديث •

من اكبر غايات القانون المقارن توحيد القوانين

ولعل من اكبر اهداف علم القانون المقارن التي يرمى الى تحقيقها هدف في غاية الطموح ، الا وهو توحيد القوانين ، وتوحيد القوانين في العالم اجمع هو حلم تطلع اليه فلاسفة الفكر ، وهو امر تقصر دونه الآمال •• ولكن علم القانون المقارن يهدف من الوجهة العملية الى تحقيق غاية اقل تواضعا،هي توحيد القانون بين النظم المتقاربة والمتشابهة والتي تجمع بينها العناصر الدافعة الى تحقيق هذا التوحيد والكفيلة بتحقيقه ، كوحدة الظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخ المشترك والتقاليد الواحدة وغير ذلك من العناصر •

وتوحيد القانون قد يأخذ صورتين :

فقد يحدث أن يوجد في الدولة الواحدة عدة قوانين متنافرة تتنازع السيطرة على اقاليم الدولة المختلفة ، فنجد ان الجنوب تسوده قوانين واعراف مختلفة تماما عما يسود الشمال • وقد كان ذلك قائما بالفعل داخل فرنسا قبل قانون نابليون الذي صدر في سنة ١٨٠٤ • كما كان ذلك سائدا في سويسرا • وكان قانون نابليون يقوم في الواقع على اساس تجميع القوانين والاعراف السائدة في مختلف انحاء الدولة ، وفي مثل هذه الصورة تكون الحاجة ماسة الى توحيد القانون بين اقاليم الدولة الواحدة •

والصورة الثانية لتوحيد القانون هي العمل على توحيده بين دولتين فاكثر ، وقد يتم التوحيد بسبب الغزو واجتياح أراضي دولة بالقوة ،وفرض قانون الدولة الغازية على الدولة المحتلة ، كما قد يتم ايضا في غير حالة الغزو وذلك بنقل قانون دولة اجنبية رضاء ، للاقتداء وتطبيقه ، بعد تحويره أو أدخال تعديلات عليه ليتفق مع ظروف الدولة الناقلة • وعادة يكون ذلك في بعض فروع القانون فلا يمتد النقل او الاقتباس الى البناء القانوني كله ••• وان كان المثال الفريد لنقل البناء القانوني باكمله من دولة أجنبية رضاء قد حدث في تركيا حين عمد الغازي مصطفى كمال اتاتورك الى نبذ الشريعة الاسلامية كبناء قانوني في تركيا ونقل القانون المدني السويسري بصورة كاملة وبدون أدنى تعديل ليتم تطبيقه على البلاد ، ومازالت الآثار التي نجمت عن ذلك الاقتباس الكامل لقانون أجنبي موضع دراسات وابحاث رجال القانون المقارن •

الدولة العربية وتوحيد القانون

على أن توحيد النظم القانونية بين دولتين فاكثر ، هو اتجاه طبيعي بين الدول المرتبطة بوحدة الاصل والتقاليد والمشاعر والتاريخ المشترك والأهداف الموحدة • ولكن قد تاخذ حركة التوحيد القانوني اتجاها عالميا ، وان كان الغالب والمألوف ان يتم ذلك التوحيد جزئيا في موضوع بعينه او مسالة بذاتها ، كما هو مشاهد في موضوعات النقل الجوي والبحري،ولعل ميدان التشريع الجوي بالذات هو أكثر الميادين صلاحية للتوحيد بين مختلف الدول • ذلك لان الحدود السياسية لاتعتبر عقبات او حوائل بالنسبة للطائرات ، خاصة بعد التطور

فى صناعتها اوكلما ظهرت الى الوجود انواع حديثة تخترق حاجز الصوت وتستخدم فى الطيران التجارى ٠

ويتجاوز التوحيد فى القانون المسائل الجزئية الى ميدان ارحب واوسع هو التوحيد بين النظام القانونى باكمله بين دولتين ، وهو مايسمى اليه مشروع توحيد قانون الالتزامات بين فرنسا وايطاليا وما تحقق فعلا من وحدة التشريع بين دول اسكنديناڤيا التى امتدت فشملت فنلندا ايضا ٠

ولسنا بحاجة الى القول بان ميدان توحيد القانون يجد ميدانه الرحيب فى الدول العربية ، والتى كانت اصلا تخضع لقانون واحد ٠

فقد كانت الشريعة الاسلامية هي القانون السائد بالنسبة لكافة الدول العربية التى انتشر فيها الاسلام ٠٠ وكانت العلاقات القانونية فيما بين الافراد او فيما بينهم وبين الدول ، سواء فى عهد الدولتين الاموية والعباسية او بعد النزعات الاستقلالية ، او تعدد الخلفاء ، ففي كل تلك العصور لم تعرف الدول العربية والاسلامية سوى الشريعة الاسلامية قانونا ٠

وعندما اخذ الانحلال يدب فى اوصال الدولة العثمانية بدات القوانين الاجنبية تتسرب الى الدول العربية وراحت الشريعة الاسلامية تتراجع وينحصر نطاق تطبيقها الى ان اصبحت ولم يعد لها من سلطان فى بعض الدول العربية الا فى شئون الاحوال الشخصية ٠٠ وبذلك تقاسمت الشرائع الاجنبية الكبرى الدول العربية ، فنجد ان الشريعة اللاتنية تطبق فى ميدان المعاملات فى مصر وتونس والجزائر والمغرب وسوريا ولبنان بينما ان الشريعة الانجلوسكسونية هى التى تسود فى البلاد التى خضعت للنفوذ البريطاني كالعراق والاردن وفلسطين والسودان وجنوب اليمن ٠٠ وان ظل للشريعة الاسلامية مكانها بطبيعة الحال فى ميدان الاحوال الشخصية ٠٠

وشهد علماء الغرب للشريعة الاسلامية

ويثور الجدل بين المفكرين العرب حول الشريعة الاسلامية ومدى امكان تطبيقها فى المجتمعات الحديثة ، فمن متحمس الى تطبيقها فورا وبدون امهال ، الى مطالب بالتانى والتريث ، الى ثالث يرى ان الشريعة قد اصابها بتقادم الزمن الجمود وانها لاتصلح ان تساير مقتضيات التطور والتقدم فى العصر الحاضر ٠٠

ولا مراء فى أن القائلين بهذا الراى الاخير لم تتح لهم الفرصة لادراك مقدار الثروة التى يحتويها تراثنا من الفقه الاسلامى والفكر القانونى الاسلامى ٠

ولاشك انه اذا اتجهت الجهود الجادة الى دراسة الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة بين مذاهبها ومدارسها المختلفة ، ومقارنتها بالشرائع الاجنبية ، فان تلك الدراسات سوف تؤدى الى نتائج لاتخطر على البال بالنسبة للمؤيدين والمعارضين على حد سواء ، وذلك لان قواعد الشريعة الاسلامية قابلة للنمو والتطور ، وان القول بانها قد اصابها الجمود والعقم قول لاتدحضه حقائق التاريخ فحسب بل ايضا قد دحضته آراء علماء القانون فى الغرب ايضا ٠٠ والى اولئك الذين لايقتنعون الا باقوال العلماء الاجانب ٠ نسوق اليهم ماقررته المجامع والمؤتمرات القانونية الدولية فى هذا الشان :

فقد جاء فى قرار مؤتمر القانون المقارن المنعقد فى لاهاى عام ١٩٣٧ مايأتى :

١ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام ٠

٢ ـ انها شريعة قائمة بذاتها ليست ماخوذة عن غيرها ٠

٣ ـ انها شريعة حية قابلة للتطور ٠

كما جاء ايضا فى تقرير اسبوع الفقه الاسلامى الذى انعقد فى جامعة باريس عام ١٩٥١ مايلى :

« ظهر من الابحاث التى عرضت فى اثناء انعقاد المؤتمر وما اثارته من مناقشات ان مبادىء التشريع الاسلامى لها قيمة غير قابلة للجدل ، وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه الشريعة ينطوى على ثروة من الافكار القانونية ، وصياغة تثير الاعجاب وهى امور تمكن هذا التشريع من الاستجابة لجميع مطالب الحياة الحديثة » ٠

■ ■

القاهرة ـ مراد الطحاوى المحامى



بقلم الدكتور أحمد زكي

الشمس

■ كتب الينا كاتب يقول : **انكم تكتبون للناس تواريخ حياة ، فلم لا يكون للشمس تاريخ ، وهى كما قلتم ورددتم كثيرا ام الحيـــاة ؟**

كتاب لطيف احتوى مطلبا هو بعض الأماني الحلوة ، يتعذر تحقيقه ·

اننا لانستطيع أن نبدأ للشمس بذكر حياة · واذا نحن ابتدأنا ، فلا نستطيع ان نختم للشمس ذكر حياة · ذلك ، اننا نحن الأحياء ، سبقتنا الشمس فى الوجود ، ولأننا نحن الأحياء ، سوف نسبق الشمس فى الفناء ·

ان العلماء يقدرون عمر الشمس فى حاضرها كما يقدر الطبيب عمر الرجل الـذى فقد شـهادة الميلاد ، فيقولون ان الشمس قد يبلغ عمرها خمسة مليارات من السنين ، والمليار الف مليون ·

ويقدر العلماء حياة الشمس التى سوف تكون بعشرة مليارات من السنين · وقيل ستتحول الشمس الى نجم غير ذى بال سوف يخرج من الاشعاع مايرفع درجة حرارة الأرض الى فوق درجة غليان الماء، وعندئذ تطوى الحياة طيا من فوق سطح الأرض ·

* * *

وأحداث اخرى احدثتها الشمس فى التاريخ ، فى ماعرف الانسان منه ، وفى التاريخ قبل ان يعرف الانسان ماالتاريخ، دلت على بعض انجازات الشمس فى حياتها السابقة فى هذا الكون · وهى انجازات لم تفرغ بعد من انجازها ، وانجاز اشباه لها · انها تعطى اليوم كما اعطت فى سالف

× تعطى الانسان البصر والدفء

× تصنع النبات من هواء الأرض

× اختزنت طاقات قديمة من فحم وزيت

× ومن طاقاتها الماء اذ ينحدر

× ومن طاقاتها الريح اذ تهب

× ومن طاقاتها ماء البحر اذ يمدُّ ويجزر

× ثم أمكن باشعة الشمس تدفئة المنازل

× وأمكن باشعة الشمس طبخ الطعام

الدهور . فلننظر فى الشمس اليوم، وكفى بتاريخ حياتها اليوم، مع الأرض تاريخا .

★ ★ ★

ويذكر صاحب الكتاب انه ما سال عن الشمس خاصة الا لما قرأ فى الصحف، من عربية وغربية، محاولة العلماء الكشف عن بديل للطاقة السائدة اليوم، طاقة الفحم والنفط . وهو يتساءل ايضا كم يرتجى ان يكون نصيب الأرض . من هذا العطاء، من شمس ومن غير شمس .

وللاجابة على سؤال القارىء لابد من الالمام بطيف الشمس ، المامة خاطفة . فهو مصدر الطاقات التى ينتفع بها الانسان على سطح الأرض .

من الشمس
طاقات عدة

ينقلنا هذا الحديث الى ما تعطى الشمس من طاقات ، وما أعطت منها .. وما سوف تعطى .

وليس القارىء فى هذا الشأن ، فى حاجة الى تذكير بطيف الشمس ، ذلك الذى يبدأ باللون البنفسجى ، فالنيلى، فالأزرق، والأخضر والأصفر والبرتقالى والأحمر .

كشف (نيوتن) فى مختبره اول كاشف .

أمرّ شعاعا من ضوء الشمس ، وهو ابيض ، عبر منشور من زجاج ، فانشق الشعاع الأبيض عن تلك الأشعة الملونة السبعة . الشعاع الأبيض اذن مزيج .

ويمضى العلم ليخرج بنا الى ان هذا الضوء عبارة عن موجات تمضى فى الفضاء كما يمضى الموج ، موجة بعد موجة ، على سطح الماء فى البحر . وتصغر الموجات جدا فيكون منها الاشعاع البنفسجى . انها تبلغ من الصغر الى نحو ٠٫٠٠٠٤٠٠ من المليمتر . وتكبر الموجات فيكون الاشعاع الأحمر ، وهذه الموجات تبلغ من الكبر الى نحو ٠٫٠٠٠٧٠٠ من المليمتر .

وللألوان الاخرى الخمسة من طول الموجات مابين هذه المقادير .

والشعاع الأبيض ، وهو يجمع كل هذه الشعاعات الملونة السبعة ، انما كان ليرى

به الناس أشياء هذه الدنيا . ووفقا لذلك صُممت العدسات التي في اعين الناس .

الطيف فيما فوق البنفسجي

ويكشف العلم على موجات اصغر من موجات اللون البنفسجي . انها موجات مافوق البنفسجي . وهي تتصاغر طولا كلما ذهبنا بها بعيدا عن اللون البنفسجي .

ومن الطبيعي أن هذه الأمواج ، البالغة الصغر ، ليست للابصار . ذلك لاننا لانراها ، فلا نرى بها .

انها موجات قصيرها يضر بالجسم ضررا بليغا . وهي في العين عمى . من اجل هذا يمتص الهواء المحيط بسطح الأرض هذه الموجات الضارة . ومع هذا ينفذ الى الأرض بعضها . والمستحمون عند سواحل البحار ، والمستحمات ، تكاد تسود جلودهم بفعل هذه الموجات .

وهي موجات لهافعل كيماوي ، ولها الأثر الأكبر على الأفلام الفوتوغرافية العادية .

الطيف فيما دون الأحمر

وهو يحتوي على اشعة تأتي في الطيف الشمسي بعد اللون الأحمر .

وهذه كشفها العلم بعد كشفه الطيف المرئي .

قام احد العلماء بوضع الترمومتر في اوضاع مختلفة من الوان الطيف المرئي ، فوجد أن درجة حرارته ترتفع بعض ارتفاع . ويقترب بترمومتره من اللون الأحمر ، ويتعداه الى مالايرى ممادون الأحمر ، فيجد درجة الحرارة ترتفع ارتفاعا بيّنا . فاذا هو زاد بترمومتره بعدا عن الأحمر فوق ذلك ، اخذت الحرارة تنخفض .

الحرارة ترتفع ، وهو لايرى لونا اوشيئا .

انها الموجات التي لاتُرى . انها أشعة ماتحت الحمراء .

ويكشف العلم عن انها موجات اكبر طولا من امواج اللون الأحمر في الطيف المرئي .

بهذا يكشف العلم عن عطاء للشمس خطير . تلك الحرارة . انه كان يعلمها ، ولكن لاكهذا العلم ، ولا في هذا الموضع من طيف الشمس .

صنفان من اشعة الشمس
كان لهما الخطر ، اكبر الخطر ، في ايجاد الحياة

اما الصنف الأل من الأشعة ، فأشعة الطيف المرئي كله . ذلك لأنه يربط في أوراق النبات ، بين ثاني اكسيد الكربون الذي في الجو ، والماء الواصل الى النبات من الأرض ، وذلك بواسطة المادة الخضراء المعروفة بالخضير ، فينتج عن ذلك تخليق المواد العضوية كالسكر ونحوه ، تلك التي يبدأ بها النبات وجوده . ويسمى هذا بالتمثيل الخضيري . وهي العملية الكيماوية الأولى التي تؤمّن وجود النبات ، فتؤمن وجود الحيوانات ، على ظهر هذه الأرض . وبتأمين وجود النبات ووجود الحيوانات تؤمّن وجود الانسان .

وهذه العملية لاتحدث الا بأشعة الشمس التي يمتصها هذا الخضير . وهذه الأشعة هي اشعة الطيف المرئي كما ذكرنا . تكاد تشترك موجاته كلها في هذا الانجاز الخضيري ، ولو على درجات متفاتات .

أما الصنف الثاني من اشعاع الشمس الذي يعطي الحياة ، فتلك الاشعاعات ذات الحرارة ، المنتشرة في الطيف المرئي ، والمتركزة فيما دون الاشعة الحمراء ، انها ضرورة من ضرورات الحياة في النبات والحيوان جميعا . ان الحياة تفاعلات كيماوية ، والتفاعلات الكيماوية لاتصح الا بين طرفين من الحرارة ، طرف قليل الحرارة وطرف كثيرها فدون الطرف القليل الحرارة يموت النبات ويموت الحيوان من البرد . وفوق الطرف الكثير الحرارة يموت النبات ويحترق ، ويموت الحيوان من الحر .

مصادر للطاقة قديمة
صنعتها الشمس واختزنتها
منذ ملايين من السنين عديدة

اقصد المخزون في طبقات الأرض ، من فحم ، ومن نفط .

وهذان صنعتهما الشمس من احياء قديمة ، من حيوانات ونباتات ، صغيرة ، منذ ملايين السنين ، دفنت فى الأرض دفنا ، ثم تحولت الى ما تحولت . وكثيرا ما تحدثنا عن هذا ، فلا داعى للمزيد .

انما نريد تعداد ما كان للشمس من انجازات ، ولو قديمة . لا سيما هذا الانجاز القديم الذى هو الأساس الأول الذى قامت عليه المدنية الحاضرة .

انجازات للشمس قائمة

ان الشمس لا تزال تصنع الحياة ، حياة نبات ، وحياة حيوان ، كما ذكرنا .

وفى سبيل الطاقة تبخر الشمس بحرارتها مياه البحار ، فتعلوها سحبا ، تنزل امطارا ، وقد تتحول الأمطار ثلوجا فى قمم الأرض . وقد يهبط الماء من الأعالى،فيتخذ الانسان من هذا السقوط طاقةيدير بها العجلاتليقيمبها الصناعات او يصنع الكهرباء .

والريح تتسبب عن الشمس : حرارة تبثها الشمس هنا ، وبرودة تنبث هناك ، وحركة هواء يجرى فتكون ريحا،وبطاقة الريح ننتفع انتفاعا .

حتى البحار ننتفع بأمواجها ، ومن وراء الأمواج تربض الشمس .

فى سبيل الحصول على مصادر للطاقة جديدة

لا يزال النفط بيننا يعطى من طاقته بسخاء .

ولا يزال الفحم المخزون فى باطن الأرض يمد الصناعة بكثير من العون .

وهناك الرواسب الكثيرة المشربة بالنفط واشباه النفط ، الراقدة فى بطن الأرض ، تنتظر الجهود التى تستثمرها ، وتخرج منها وقودا للطاقة خالصا .

واخيرا هناك الطاقة النووية فى اطواء الصخور،وفى قيعان البحار ، وهى آخذة اليوم فى منافسة النفط مصدرا للطاقة خطيرا . وهى طاقة لاتتصل بالشمس .

ومع هذا

ومعهذا لا بد من الرجوع الى الشمس آخر الأمر فيما تعطيه اليوم ، وكل يوم ، من عطاء لا يفنى الا بفنائها او فناء الأرض .

من ذلك ماذكرنا من طاقةالماء الهابط .

ومن طاقة الموج زاحفا ومتراجعا ، اى مدا وجزرا .

ومن الريح تدير المراوح التى تدير التربينات التى تدير المولدات التى تنتج الكهرباء .

ثم هناك الشمس نفسها

اعنى ما تطلقه هى مباشرة من طاقة وعلى الاخص من حرارة .

ان الطاقات يتحول بعضها الى بعض : الضوء يتحول الى كهرباء،وكذا الحرارة، وكذا الحركة . والطيف المرئى طاقته تتحول الى طاقة كيمياء .

والطاقات جميعا تتحول آخر الأمر الى حرارة .

ولكن كانى بالحاجات الانسانية هى احوج ما تكون الى حرارة الشمس كما وكيفا .

ومن اجل هذا نرى البحوث قائمة فى الانتفاع بحرارة الشمس ، بديلة من الفحم والنفط ، فى اقامة الحياة وفى ادارة عجلة الصناعات (١) التىهى قوامهذه المدنية الآلية الحاضرة .

الشمس لتدفئة البيوت وتبريدها

وقد اتجهت البحوث ، فى هذا العصر وقبل هذا العصر ، فى استخدام اشعة

---

(١) راجع « العربى » ص ٤٠ عدد ١٣٩



ام الطاقات

الشمس في تدفئة البيوت وتبريدها ، وكذلك لتثليج الطعام ·

ومن هذا ما جاءت به الأخبار هذه الايام عما قام به الدكتور مارتن Martin بجامعة شيكاجو من صنع جهاز يلتقط اشعة الشمس حتى فى الايام التى هى فيها غير ساطعة ، وينتفع بحرارتها فى المنازل ، جهازا لكل منزل ·

والجهاز يحتاج الى مساحة تساوى ثلث مساحة سطح البيت او نصفها ، ويرى مخترعه انه قد يستخدم لتوليد الكهرباء فيما بعد ·

وسئل عن تكلفة الجهاز ؟

فقال : انها تبلغ ١٠ او ١٥ فى المائة من تكلفة المنزل،ومنازلهم هناك مفرّقة ·

وقال ان هذه التكلفة يقابلها الوفر في نفقات الوقود والكهرباء لستة اعوام او ثمانية ·

وقد سبق هذا الجهاز اجهزةمثله،ولكن يقال ان هذاالجهاز اوفى بالأغراض التى استهدفها ·

ولا يغيب عن البال ان نفقة تدفئة المنازل في البلاد الباردة نفقة كبيرة ،والشعوب أحس بآثار هذه الطاقة، حصولا عليها ، وافتقادا لها ، من سائر الطاقات ·

ومن الشمس
مواقد للطبخ

وكما اتجه الانسان الى استخدام اشعة

موقد الطبخ

مقطع لمرآة مقعرة لها شكل الجسم المكافىء الدورانى ، وتجد ان الاشعة التى سقطت عليها فى نقطة هى البؤرة .

مقطع لمرآة مقعرة كروية الشكل ، وتجد ان الاشعة التى سقطت عليها تركزت فى اكثر من بقعة على امتداد قطر الكرة .



الشمس في تدفئة المنازل ، كذلك اتجه الى استخدامها في الطبخ • وبدأت هذه المحاولة منذ عهد غير قريب •

وكان اول لقائي بمثل هذا الموقد الطابخ ، واشعة الشمس مصدر حرارته ، في ربيع عام ١٩٥٢ فيزيارة لي للهند •

كنت في العاصمة ، نيودلهي ، وكان من الخطة المرسومة ان ازور مختبر الهند الفزيائي الكبير ، وهو مختبر تجمعت فيه شتى البحوث الفزيائية القومية • وكان صاحب ضيافتي فيه الدكتور بتناجا • ودار معي في ارجاء المختبر الواسع العظيم ، فكان من النظافة ، ومن التماع زجاجه وقرميد ارضه اني خلت نفسي في ارقى مستشفيات العالم نظاما وترتيبا • وزَلقت قدمي على البلاط وكدت اقع ، وسلَّم الله ، فسألني الدكتور بتناجا عن حذاء انا لابسه قلت : حذاء اشتريته من انجلترا • قال : حذار من كل شيء انجليزي،فهو زلق خداع خوّان •وضحك وضحكنا • كان يجمع الى العلم الكثير ، والسن الوقورة ، والشهرة المنتشرة ، فكاهة نادرة • وكان صديقا حميما لنهرو •

وفي هدأة من الزيارة وصلنا الى رحبة من رحبات الدار فساقني الدكتور بتناجا الى اوسطها • وقال هذا مطبخ وقوده الشمس • ورفع الرافع عن الوعاءالطابخ غطاءه ، فرأيت الطعام يغلي • فناولني الدكتور منه شيئا اتذوقه ، فكان حسن المذاق • قال : كان يودي ان نطعمك منه غذاءك الآن ، ولكني آسف ان هذا الطعام المطبوخ هو على تقليدنا ليس فيه لحم • واخذني معه الى طعام المختبر •

واتماما لخبر هذه الزيارة اقول : ان نهرو علم من صديقه بزيارتي ، فودّ ان يلقاني ،وضرب موعدا خاصا ، فكان بعد الظهر من يوم الأحد ، وكان يوم عطلة •

ولقيت نهرو رجلا من اهدأ الرجال صوتا ، جالسا وحده وبغير سكرتارية ، في أشد حجرات الأرض سكونا • وتحدث بلغة انجليزية صافية • ولما وصل الحديث الى الطابخ الشمسي وعد نهرو ، لو انه خرج الى السوق ، فستكون منه نسخة تهدى الى مصر •

رحم الله بتناجا ، ورحم نهرو •

واعود الى الطابخ ، فأقول ان الشمس ترمي سطح الأرض بأشعة ، تنتج الحرارة الكثيرة،ولكنها مع الأسف حرارة مفرقة • فالذي يصل الى الأرض من طاقة الشمس حين تقع اشعتها عمودية على سطح من الأرض مقداره سنتي متر مربع واحد ، هذه الطاقة تبلغ نحو سعرين اثنين من الحرارة • ومع هذا يمتص الهواء ، وهي تعبره ، نصفها •

وهذا بالطبع مقدار لا يكفي لغلي ماء• اذن لا بد من تركيز هذه الأشعة المفرقة ، ليقع منها الكثير على المساحة القليلة من الأرض •

ولتركيز اشعة الشمس سبيلان : العدسات والمرايا •

اما العدسات فغالية الثمن •

واما المرايا فهي الأنسب •

والمرآة المقعرة تصل الى سطحها اشعة الشمس فتعكسها الى بؤرة يوضع عندها وعاء الطبخ •

ولكن وجد ان هذه البؤرة لا تتمركز في نقطة واحدة ، وانما في نقاط عدة على طول قطر الدائرة التي المرآة المقعرة جزء منها •

واذن استبدلوا بالشكل الكروي للمرآة المقعرة ، الجسم المكافيء الدوراني Paraboloid •

اما مادة المرآة فليست زجاجا • انها تصنع من حديد يطلى بطبقة عاكسة من الالمنيوم • اما من حيث الحجم فلا بد ان تتسع المرآة ليبلغ بعد طرف منها عن طرف ، مقدارا يزيد على ١٨ بوصة •

●●

احمد زكي

في مراقد الشهداء كان ...

اللقاء

■ ذهبتْ تسائل عن فتاها · لهفى بسابقها أساها
السهدُ أضناها ، ونا · رُ الشوق يحرقها لظاها
وتكاد – لولا الكبرُ والـ · إيمانُ – تهمي مقلتاها

***

بالأمس ودعَها ، وهبَّ · بحثُّ للساح المسيرا
وتعاهدا أن سوف يكـ · تب بالدم النصرَ الكبيرا
أتراه وفى نذرَه ؟ · أم أنه أمسى أسيرا

***

قالت : سأسألُ من أرا · ه ليطمئنَّ الآن قلبي
قالوا : أتعنينَ الفتى الـ · مغوار ؟ قالتْ : إيْ ، وربي
قالوا : رأيناه بوجـ · هِك ،إن وجهكِ عنهُ ينبي

***

رأتِ الجراحَ بصدره · فاستبشرتْ تختالُ كبرا
كانتْ جراحُ الصدر تـ · تفُ : إنني وفيتُ نذرا
إني،وربك،لم أدرْ · يا أمُّ للاعداءِ ظهرا

***

فدنت تقبلّه ، فقا · لوا : ملتقاكمْ في الخلود
قالت – ودمعُ الفرحة الـ · كبرى تلألأ في الخدود –
حسبي إذا ذُكِرَ الشهيدُ · بأنني أمُّ الشهيد ■■

مصطفى عكرمة



بقلم : محمد حسن التيتي

■ يعتبر تعليم اللغة الثانية من اشق موضوعات الدراسة ، واكثرها تعقيدا ، لاعتماده على عدد لا يحصى من المتغيرات الانسانية والفكرية والنفسية والاجتماعية التي يصعب اخضاعها للتجربة والتحليل العلمي • فما ان نفلح في السيطرة على بعض هذه المتغيرات حتى يبرز اضعاف اضعافها معاندا متحديا •

وهناك شعور يتفاقم بين اولياء الامور بان مردود تعليم اللغة الثانية على درجة من الضعف والهزال لا يمكن معه تبرير الجهود الضخمة المبذولة في سبيله ، وقد ظهر في استطلاع حديث اجراه معهد جالوب (1) للرأي العام ان اولياء الامور متفقون على ان اللغة الثانية هي ابرز نقاط الضعف في المناهج المدرسية ، وهم يرون ان اللغة الثانية يجب ان تختفي من المناهج قبل غيرها عند اية محاولة لتقليص الجهود والنفقات •

حاجتنا الى اللغة الثانية

الا ان اللغة الثانية قد اصبحت من الأهمية والمساس بحياتنا نحن اهل الشرق ، وحياة ابنائنا، بحيث لم يعد يكفي ان نقف منها موقف المتفرج ، فنحن احوج ما نكون لان نتخذ منها موقفا ايجابيا واعيا وان نعمل على تفهم ابعادها ومشكلاتها ، ونساهم في التغلب على صعوباتها • فابناؤنا يكرسون ربع الوقت الذي يقضونه في معاهد التعليم لدراسة اللغة الثانية •

من الحقائق المسلم بها في علم النفس ان الانسان يتمتع بقدرة خارقة على التعلم ، وهي ظاهرة يتفرد بها الانسان عن غيره من الكائنات الحية الاخرى • وهذا التعلم يتم بشكل معجز يتحدى افهام المتعلم والعالم على حد سواء ، ويستعصي عليهما وصفه او تفسيره حتى ولو جزئيا وبابسط الاشكال ، وليس ادل على هذا الاعجاز من سهولة تعلم الانسان للغة، والذي دعا الكثير من العلماء المحدثين الى القول بان الطفل يولد مزودا باستعداد فطري لتعلمها واكتسابها• ومفاهيم « المنبه » « والاستجابة » « والتعزيز » «والعادة» التي ابتدعها علماء النفس والاجتماع لتفسير هذه الظاهرة الفريدة تقصر عن تقديم اي تفسير مقنع لظاهرة تعلم اللغة حتى في ابسط اشكالها وادنى مستوياتها ، ويرتكب هؤلاء العلماء خطأ فادحا بمحاولتهم تفسير هذه الظاهرة عن طريق المفاهيم المتصلة بالاحداث الخارجية كالمنبه والاستجابة وبرامج التعزيز ، في حين ان تفسير هذه الظواهر يرتبط ارتباطا لا ينفصم بالالية الداخلية للدماغ

(1) انظر كتاب « موقف الآباء السلبي من الطرق الحديثة في تعليم اللغات » من تأليف Grace D. Wagner

وقدرات العقل البشري والعمليات الخفية التي تجري في داخله •

نظرية ان اللغة سمع وعادة(٢)

وهذه النظرية من اوسع نظريات تعلم اللغة انتشارا ، وابعدها اثرا في العالم اليوم ،وتنسب للعالم السلوكي الامريكي B.F. Skinner رغم انجذورها موجودةعند بافلوف I.P. Pavlov وواطسن J.B. Watson وقد بدىء بتطبيق هذه النظرية منذ مطلع عام ١٩٤٠ • ويدعي انصارها بانها البديل العلمي والعملي الصحيح لطريقة القواعد والترجمة التقليدية ، وهم يصرون على ان نظريتهم تقوم علىاسس علمية ونفسية ثابتة، تؤيدها التجارب المخبرية(٣) والنتائج التطبيقية الباهرة •

وتعلماللغة فينظر السلوكيين Behaviorists امر لا يتصل بحل المشكلات ، ولا باستنباط الحلول ، وهدفه الوحيد هو تكوين العادات اللغوية الصحيحة •

فاللغة في نظرهم هي مجموعة من العادات والتي بدونها لا يمكن ان نستخدمها بالطريقة التلقائية التي نستخدمها فيها ، وتكوين العادات يحتاج الى قدر كبير من الاعادة والتكرار وكلما اكثرنا من هذا التكرار كانت قدرتنا على الاعادة الصحيحة افضل واكمل(٤) وهذا بلا شك يصدق على العادات جميعها بخيرها وشرها •

ويرى سكنر واتباعه ان حياتنا الشاعرة هي سلسلة من المنبهات Stimuli والاستجابات Responses والتي تؤمّن للانسان التاقلم والتكيف مع المحيط الذي يعيش فيه ، والامر كذلك فيما يتعلق باللغة والتعزيز Reinforcement فالتعزيز يلعب دورا كبيرا في تثبيت اللغة وتدعيمها ، فردود الفعل او الاستجابات الصحيحة للطفل غالبا ما تحظىبالتشجيع كالابتسامأو تقديم المكافات او غير ذلك من ضروب التشجيع ، وهذا من شانه تقوية الاستجابات الصحيحة وتثبيتها • اما الاستجابات الخاطئة والتي لا تقابل بالتشجيع فان مالها الى الزوال والاندثار ، وهذا التفسير فينظر العلماء السلوكيينيمتد ليشملكافةالظواهر اللغوية •

تعلم اللغات اذن هو في جوهره تكوين للمهارة Skill او العادة Habit ، واكتساب اللغة الثانية كما هو الحال في اللغة الاولى او اللغة الام يجب ان يبدا بسماع اصوات اللغة والتمييز بينها ، وعلى الدارس ان يقلد الانماط اللغوية التي يقدمها له مدرسه ، وعلى المدرس ان يوفر للطالب الفرص الكثيرة لترديد اصوات وتراكيب اللغة الجديدة حتى تتمله السيطرة الآلية عليها •

حرب على اساليب القواعد والترجمة

ولا عجب ان نرى مؤيدي هذا الاتجاه يشنون حربا لا هوادة فيها على الاساليب التقليدية المرتبطة بطريقة القواعد والترجمة ، وهم يرون ان المدرّس في الطريقة التقليدية يقضي جلّ وقته في شرح وتحفيظ قواعد اجرومية نحوية لغوية عقيمة،وتكليف طلبته بحل التمارين اللغوية التي لا تتصل باية تجربة واقعية لهم ، وفي كل مرة يقوم احدهم بالاجابة بينما يبقىالاخرون ينتظرون دورهم دون الاهتمام بما يجري في الفصل •

وهذا حق ، فمعرفة قواعد اللغة والقدرة على ترجمة نصوصها لا يعتبران دليلا على ان صاحبها يتمتع باية قدرة على استعمال اللغة كاداة للاتصال في المواقف الحياتية العادية ، وقد يحفظ احدنا الاف المفردات ولكنه يعجز مع ذلك عن طلب وجبة طعام باللغة الاجنبية ، ولدينا مثال حي على ذلك فالكاتب الفرنسيالكبير اندريه جيد André gides الذي قام بترجمة روائع شكسبير وكونراد الى الفرنسية لم يستطع عندما زار انجلترا ان يطلب من سائق الحافلة التي يركبها ان ينزله في المكان الذي يريد • (٥)

---

(٢) Audio - Lingual Habit Theory .

(٣) الواقع ان تجارب سكنر اجريت كلها علىالحيوانات ، وهو يرى ان عملية التعلم الرئيسية هي نفسها عند الانسان والحيوان على حد سواء •

(٤) انظر كتاب « السلوك اللفظي » Verbal Behavior من تاليف B. F. Skinner

(٥) انظر « تحليل تعليم اللغة الانجليزية » English Language Analysis من تاليف وليم ف • ماكي W.F. Mackey

ان طريقة القواعد اللغوية والترجمة قد استنفدت اغراضها ، فقد كانت تصلح في الماضي لتعليم اللغات الميتة (Dead language) كاللاتينية واليونانية والتي لم يكن احد يعنى باستعمالها كوسيلة حية للتخاطب ، والسبب الرئيسي في فشل الطرق التقليدية هو انها غفلت عن ان اللغات الحية هي اولا وقبل كل شيء وسائل للاتصال الشفوي(Means of communication) فالنظرية السمعية الشفوية لتكوين العادات هي في الواقع رد عملي على الطرق التقليدية في تعليم اللغات ، وهي ترى ان اللغة تكتسب عن طريق الاتصال المباشر وعن طريق الاستعمال في مواقف من الحياة اليومية العادية ، وقد الغت الطريقة السمعية الشفوية والتي تسمى احيانا « بالطريقة المباشرة » (Direct Method) الترجمة الغاء يكاد يكون تاما من معظم مساقاتها ، فنحن عندما نتحدث اللغة نستخدمها بشكل تلقائي الى نتيجة للعادات اللغوية الراسخة ، ولهذا فان « الطريقة المباشرة»ترى ان تعليم اى جانب من جوانب اللغة يكون قاصرا ان لم يتمكن الدارس من استخدامه بطريقة الية تلقائية،فالتفكير غالبا ما يقف عائقا في طريق التعبير الحر،ومن هنا يتبع انصار الطرق المباشرة على تقديم اللغة شفويا في اول مراحل التعلم ولمدة تتراوح بين الستة اشهر والسنتين . وتختلف هذه المدة باختلاف اعمار الدارسين .

صفات الطرق السمعية الشفوية

والخلاصة ان الطرق السمعية الشفوية تتميز بالصفات الآتية :

١ ـ البدء بتقديم اللغة الشفوية اولا .

٢ ـ بناء المادة اللغوية المقررة على التحليل العلمي والدراسات المقارنة بين اللغة الام واللغة الثانية .

٣ ـ يتم تثبيت التراكيب والانماط اللغوية عن طريق التدريب المستمر المتنوع،كما ان اللفظ والتنغيم الصحيحين يحظيان بقسط وافر من الاهتمام ، ولا مانع بعد التدريب الجيد من تقديم بعض التعميمات التحليلية المبسطة للتركيب اللغوي المعالج .

٤ ـ تعرض التراكيب والانماط اللغوية من خلال محادثات قصيرة ترتبط بمواقف حياتية ذات دلالة .

٥ ـ يستمر التدريب على المحادثة الى ان يتم تمثلها والسيطرة عليها تماما ومن ثم تستخدم الانماط والتراكيب اللغوية في قوائم التبديل (Substitution tables) وغيرها من التدريبات اللغوية المتنوعة .

٦ ـ يؤجل بناء المفردات الى ان تتم السيطرة على التراكيب اللغوية الاساسية .

نظرية القواعد التحويلية

لم تسلم الطريقة السمعية بدورها من النقد ، فقد هوجمت بلا هوادة من قبل النظرية الجديدة لتعلم اللغة وهي نظرية القواعد التحويلية Transformational Grammar لاهمالها جانبا من الجوانب الهامة لتعلم اللغة وهو الجانب المتعلق بالتعليم الواعي للقوانين (Cognitive code-Learning) . ويميز انصار القواعد التحويلية بين المقدرة في اللغة والطلاقة في التعبير (٦) ويعتبرون الاولى اهم من الثانية بكثير اذ ان فهم التركيب اللغوي اهم من الطلاقة في استعماله وهم يرون ان السيطرة الواعية على الانماط الصوتية والنحوية والدلالية للغة المدروسة على درجة عالية من الاهمية . وهذه القدرة في رايهم يمكن ان تكتسب من خلال الدراسة والتحليل الواعيين لهذه الانماط اللغوية . وهم يعتقدون بان الطالب الذي يسيطر سيطرة واعية على هذه الانماط يستطيع ان يستخدمها بشكل الي عندما يجابه بالموقف الحياتي المناسب . فعالم النحو التحويلي يرى ان اختزان عدد كبير من الجمل لا يؤدي الى تعلم اللغة ، فاللغة عبارة عن سلوك تحكمه القوانين ، وتعلم اللغة يتضمن ان تصبح هذه القوانين جزءا لا يتجزأ من التجربة الذاتية للمتعلم ، والتعميمات المبهمة التي نصل اليها عن طريق القياس لا تكفي لتحقيق هذه العملية . والنقد الاساسي الذي يوجه لنظرية تكوين العادات السابقة هو انها تغفل عنصر الابداع في اللغة ، اذ ان في استعمال اللغة من الخلق والتجديد

---

(٦) انظر كتاب Foreign Language Learning by L.A. Jakobovits (ص ١٥)

والابداع ما يتحدى كل مفاهيم العادة وكل التفسيرات الالية التى تقتصر على الوصف الخارجي ·

ويرى تشومسكي وهو رائد مدرسة النحو التحويلي ان الطفل فى تعلمه للغة يقوم بعمل اشبه بعمل العالم فهو يجمع المعلومات من المحيط الذى يعيشه · واعنى بالمعلومات هنا الاصوات والعبارات التى يسمعها ، ثم انه يصنفها تحت الفئات القواعدية التى تنتمى اليها ، ثم انه يقوم ببناء القوانين التى تنضوى تحتها جميع النواحي النظامية التى يكتشفها · ويقوم الطفل بعد ذلك باستخدام هذه القوانين فى تكوين جمل وتراكيب جديدة · وبعبارة اخرى فان اكتساب اللغة لايعتمد على التعرض للمنبهات الخارجية التى يقدمها المحيط الاجتماعى فحسب ، بل يعتمد ايضا على استعداد فطرى فى الكيان العضوى ، اى ان الطفل يولد مزودا باستعداد غريزى لتعلم اللغة ·

الهوة بين النظرية والتطبيق

ومن هنا تتضح لنا مدى الهوة التى تفصل بين النظرية والتطبيق ، فنظرية اكتساب العادات تلقى نجاحا متزايدا فى التطبيق تفتقر الى الاساس النظرى السليم، ونظرية التعلم الواعى للقوانين والتى تستند الى اساس نظرى صلب متماسك لاتقدم اى تصور واضح للشكل او المحتوى او الدور العملى لهذه القوانين ·

الدكتورة ولجاريفرز Wilga Rivers في كتابها « عالم النفس ومدرس اللغة » The Psychologist and the Language Teacher والذى يعتبر اكبر انجاز علمي معاصر في ميدان تعلم اللغات ، تبدى ادراكا واضحا لقصور طريقة تكوين العادات وضعف الاساس النظرى الذى ترتكز عليه ، الا ان الاساتذة القائمين على تدريس اللغات الاجنبية لايظهرون مثل هذا التحفظ فهم يتبنون الطريقة السمعية ـ الشفوية فى تكوين العادات حرفيا مظهرين الثقة التامة والايمان الذى لا يتزعزع بدعوى العلمية والدقة التى تدعيها المفاهيم التى تستند اليها كالمنبه والاستجابة والتعزيز والمنعكس الشرطي ·

وبالرغم من الهوة (٧) التى تفصل النظرية عن التطبيق ، الا اننا لانستطيع ان ننحو باللائمة على المدرسين ، فالمدرسون رجال عمليون بالضرورة ، ولا يجدر بنا ان نلومهم لانهم يتبنون الطرق التى تبدو لهم فعالة وتعطى نتائج شبه مضمونة ·

ان هذا التناقض الغريب يعكس بوضوح افلاس المشاريع العلمية الاجتماعية الحديثة ، فالاساليب التى تبدو ناجحة فى التطبيق ليست كذلك من الناحية النظرية · وكذلك فان النظريات التى تبدو قوية وكاسحة فى منطقها من الناحية النظرية لا تستطيع ان تقدم لنا الاتجاهات والحلول العملية·

ويبدو ان الكثير من علماء اللغة والنفس ، ومنهم تشومسكي ، يشكون فى ان التجربة والبحث العلمى سينجحان فى تفسير الحقائق الاساسية فى ميدان اللغة · ولذا فان علينا ان نعترف بقصور العلوم السلوكية والاجتماعية كما نعرفها اليوم والا ننسب لاى منها اكثر مما يستحق · وحين يتفق العالم والممارس على هذه الحقيقة يصبح بالامكان وضع الاسس الايجابية للتفاعل بين الجانب النظرى والجانب العملي، وبدلا من التشبث الاعمى ومحاولات التبرير الفجة يمكن للمهتمين بامور اللغة الثانية ان يركزوا اهتمامهم على تطوير اساليبهم وطرائقهم وتقويمها تقويما واقعيا حسب مقتضيات المصلحة ونتائج البحث والتجريب الموضوعيين ·

وعلى الرغم من الهوة الفاصلة بين النظرية والتطبيق الا ان التقدم فى ميدان علم النفس العام وعلم نفس اللغة سيكون ولا ريب ذا اثر مباشر على اللغة ، وما من شك فى ان ذلك سينعكس بشكل ايجابى على تعلم اللغة الثانية ·

واعود الى طرق التدريس فاقول ان اكتساب العادات عنصر هام من عناصر تعلم اللغة ويستند الى نظريات التعلم النفسية والطريقة السمعية ـ الشفوية فى تكوين العادات ، ولكن بما أن العادات جامدة ولا تتمتع بقابلية الامتداد فان علينا ان نسعى لاكساب طلبتنا القوانين القابلة للامتداد بالاضافة الى العادات اللغوية الصحيحة وبهذا نكون قد حققنا تزاوجا عمليا بين النواحي الايجابية لكلتا الطريقتين · ■■

محمد حسن التيتى

---

(٧) انظر كتاب « دراسة اللغة » The Study of Language من تاليف جون ب · كارول John B. Carrol



بقلم : الدكتور ابراهيم دسوقى اباظة

■ان قرار مضاعفة اسعار البترول العربي يؤدي ولا شك الى انعكاسات خطيرة على اقتصاديات جميع الدول المستوردة لهذا البترول ، ويرتب آثارا بعيدة المدى على موازين مدفوعاتها ونقودها مما يدفع بنا الى وقفة بحث وتحليل عند هذا الاجراء الاخير .

لقد جاء هذا القرار على غير المتوقع من جانب الدول المنتجة للبترول .. وان كنا لا نشك فى ان صدوره كان عن وعى ودراسة مسبقة . والحق انه يرتب نوعين من الآثار :

النوع الأول : ارتفاع تكاليف الانتاج فى الدول الصناعية المستوردة للبترول العربى ، وعلى وجه الخصوص تلك الدول التى تعتمد على هذا البترول اعتمادا شبه مطلق ، وهى اوربا الغربية واليابان . وتختلف ارتفاعات التكاليف فى هذه الدول الاخيرة تبعا لمدى اعتماد كل صناعة على البترول .. ففى الصناعات الكيماوية البترولية وفروعها المختلفة تؤدى مضاعفة اسعار البترول الى ارتفاع هام فى تكاليف الانتاج ، يصل احيانا الى اكثر من ٥٠٪ بينما تتفاوت نسبة ارتفاع التكاليف فى الصناعات الاخرى التى تستخدم البترول كطاقة بين ١٠٪ و٢٠٪ .

وارتفاع تكاليف الانتاج الصناعى على هذا النحو سيؤثر اكثر ولا شك على صادرات اوربا الغربية واليابان بالقياس للولايات المتحدة التى سيكون تأثرها من هذه الزاوية ضئيلا بسبب ضعف النسبة التى تستوردها من البترول العربى .

ويقول آخر ان ارتفاع تكاليف الانتاج الصناعى فى اوربا الغربية واليابان تبعا لمضاعفة اسعار البترول العربى سيجعل انتاج الولايات المتحدة الصناعى فى مركز افضل من حيث تكاليف الانتاج، بالقياس لما كانت عليه من قبل ، وبالتالى سوف يشجع على الاستيراد منها مما يحسن ميزان اداءاتها ويرفع من قيمة عملتها ..

وما الارتفاعات التى سجلها الدولار اخيرا فى أسواق الصرف العالمية الا نتيجة طبيعية لهذه التوقعات ، لان معنى زيادة الطلب على الواردات الامريكية هو زيادة الطلب على الدولار الامريكى .. يضاف الى ذلك أن عددا من الدول المستوردة للبترول العربى تؤدى ثمن هذا البترول بالدولار .. وقد نتج عن مضاعفة اسعار البترول زيادة حاجة هذه الدول الى الدولار .

غير ان ارتفاع سعر الدولار فى سوق الصرف على هذا النحو يعتبر ارتفاعا عارضا وغير متعمد . وهو لن يؤدى فى الراجح الى انقاذ الدولار من مرضه المزمن .. خصوصا وأن دول أوربا الغربية واليابان تسعى اليوم لابرام اتفاقيات ثنائية للتعاون المشترك مع الدول العربية . وما من شك ان هذه الدول ستسعى للحصول على أسعار تفضيلية للبترول العربى ، مقابل اسهامها فى تصنيع الدول



العربية المنتجة للبترول .. وهذا الاتجاه الجديد سيؤدى لا محالة الى تخفيف نسبة الارتفاع في تكاليف الانتاج كما انه سيفوت على الدولار فرصة الاستفادة من هذا الوضع بل وربما ادى الى انتكاس في قيمته باسواق الصرف .

النوع الثاني : اشتداد العبء المالي على دول العالم الثالث غير المنتجة للبترول ، ومن بينها دول عربية عديدة .

وهذه نتيجة منطقية لارتفاع اسعار البترول العربي وما يؤدى اليه من ارتفاع تكاليف الانتاج الصناعي في دول اوربا الغربية واليابان .

ومن المعلوم ان هذه الدول وخاصة الدول العربية غير المنتجة للبترول ـ تنتهج سياسات انمائية طويلة الامد .. وترتبط في تجهيزاتها الصناعية بعدد من الدول الاوربية واليابان ، ولا شك ان هذه الدول ستواجه عجزا شديدا في موازين اداءاتها ، اذا ما ظلت تشترى ما يلزمها من معدات صناعية بالاسعار المرتفعة الجديدة ولا شك ان العديد من هذه الدول لا تستطيع تحويل مشترياتها بسهولة من دولة الى اخرى ، خصوصا اذا كانت قد بدات تجهيزها الصناعي على اساس معدات استوردتها من دولة معينة اذ لن تستطيع العدول عن التجهيز من هذه الدولة الى دولة اخرى ، دون ان تمنى بخسائر فادحة .

البترول في خطر

ولعل الاخطر من هذه الآثار القريبة التي سببها استخدام سلاح البترول ورفع اسعار البترول .. تلك الآثار البعيدة التي يمكن توقعها بالنسبة لهيكل الطاقة في الدول الصناعية .

ونظرة باحثة الى الجانب الآخر من مسرح الاحداث ـ وهو الجانب الذى يقف فيه الغرب بعدده ومدده ـ كفيلة" بابراز مدى التغيير الذى طرا على استراتيجيته في ميدان الطاقة .

فهذا الغرب لم يعد يضع مشكلة البحث عن مصادر جديدة للطاقة في الرتبة الثانية .. بل اصبح يضعها في المرتبة الاولى من سلم اولوياته الحيوية .

وقد بدات الابحاث تجرى بخطى متسارعة لاكتشاف مصادر جديدة للطاقة .. وعمدت الحكومات الغربية والمحافل المعنية الى تكريس ارصدة ضخمة وامكانات متعاظمة لهذا الميدان الحيوى ، ولاحت اتجاهات جديدة في مجال الطاقة المحركة .

واقول محاولات لان هذه الابحاث تجرى في اكثر من اتجاه ، وتدور في اكثر من دولة ، وتمول من اكثر من جهة ..

والغرب مدفوع الى هذه البحوث بعاملين على الاقل :

اولهما : التحرر من سلطان الدول المنتجة للبترول عموما ، وسلطان الدول العربية بوجه خاص،ذلك السلطان الذى يضعمستقبل المجتمع الصناعي برمته في قبضة الدول المنتجة للبترول .

ثانيهما : ان موارد البترول المعروفة في العالم ـ من احتياطي ومستغل فعلا ـ معرضة للنفاد في مستقبل قريب لا يتعدى بضع عشرات من السنين . فالمجتمعات الصناعية مقدمة لا محالة ـ اذا ما استمرت معدلات الاستهلاك الحالية ـ على ازمة طاقة خانقة .. فهى تفضل ان تبحث اليوم عن حل لها على ان تواجهها غدا بغير حل .

ولا يخفى ان تنبه الدول الصناعية الى خطورة الطاقة ، واتجاهها بكل قواها الى حلها ـ يضع الدول العربية المنتجة للبترول امام احتمالات جديدة : وهى ان امتياز البترول الذى تتمتع بثماره مهدد بزوال قريب .. زوال ربما كان خلال مدة تقل كثيرا عن التقديرات السابقة للخبراء .. ربما كان خلال العشرين سنة القادمة !!

ولكن علينا ان نضع امام هذا الاحتمال الكبير تحفظا هاما ، وهو ان اكتشاف الدول الصناعية لمواد جديدة بديلة للبترول من حيث الطاقة لن يترتب عليه ـ في الراجح ـ فقدان البترول لاهميته الحيوية بصورة كلية ومطلقة ، بل سيظل محتفظا ببعض مكانته كمادة اولية تدخل في تركيب العديد من مختلفات الصناعات الحديثة ..

وبناء على هذه التوقعات فالدول العربية المنتجة للبترول امامها ـ على اسوا الفروض ـ

فرصة" للاستفادةمنمواردها البترولية ، بتكريسها لخدمة تنميتها الاقتصادية والاجتماعية ، وغنىعن البيان ان معظم هذه الدول لا تملك في هذه اللحظة ثروات اخرى هامة غير الثروة البترولية .

ويبقى املها بعد ذلك في مواصلة النمو والتقدم رهينا بجهودها الخاصة ، وتعاونها الاقتصادي مع الدول العربية الاخرى .

الارصدة العربية والتنمية

والواقع أن مواجهة المستقبل العربي على ضوء هذه الظروف يستلزم استراتيجية شاملة تجمع المبعثر من جهود الامة ، وتوجهه نحو البناء الاقتصادي والاجتماعي .

والدول العربية المنتجة للبترول ـ بما تملكه من موارد مالية وارصدة احتياطية ـ انما تملك سلاحا حاسما يمكن ان تقهر به اعداءها كما يمكن ان تقهر به التخلف العظيم الذي يرزح تحت اثقاله اكثر من مئة مليون عربي .

والواقع أن هذه الموارد والارصدة المتاتية من انتاج البترول تتجه في نسبة هامة منها الى الاستثمار في المؤسسات المالية الاجنبية ، وفي مقدمتها سويسرا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

ونحن لا نستطيع تقدير هذه الموارد والارصدة المستثمرة في المؤسسات الاجنبية بصورة دقيقة ، وذلك اعتبارا للعديدمنعوامل السرية التي تفرضها تلك المؤسسات على الودائع والارصدة المستثمرة لديها ، ولكن من الممكن اجراء تقدير تقريبي لها اعتمادا على بعض المؤشرات الاستدلالية :

١ ـ تبلغ احتياطيات بعض الدول العربية المنتجة للبترول وهي المملكة السعودية والكويت والعراق وليبيا والجزائر من العملات والذهب حوالي ٨ مليارات من الدولارات وذلك بخلاف الارصدة الاحتياطية لدول امارات الخليج العربي التي تدخل احتياطياتها في نطاق احتياطيات الكتلة الاسترلينية .

٢ ـ تقدر رؤوس الاموال العربية الخاصة المودعة في البنوك السويسرية وغيرها من البنوك الاوربية بحوالي ٦٠٠ مليون دولار ، وان كانت تقديرات بعض الخبراء تذهب الى ابعد من ذلك، فتحددها ببضعة مليارات من الدولارات .

٣ ـ تقدر رؤوس الاموال العربية الخاصة المودعة في البنوك المحلية في كل من المملكة العربية السعودية والكويت وقطر ودبي والبحرين وليبيا بحوالي ٢٥٠٠ مليون دولار ، يستثمر منها محليا حوالي ٤٠٪ ،اما النسبة الباقية فيعاد استثمارها في المؤسسات المصرفية والمالية الاوربية والامريكية .

واذا ما جمعنا هذه الارقام توصلنا الى مبلغ يقارب عشرة مليارات من الدولارات وهو مبلغ هائل في ميزان الاستثمارات الدولية .

وغني عن البيان ان هذا الرقم آخذ في التزايد المطرد مع تزايد دخول الدول المنتجة للبترول ومع تزايد اسعار البترول .

ويقدر الخبراء الرقم المتوقع لمجموع عوائد البترول العربي عام ١٩٧٥ بحوالي عشرين مليارا من الدولارات .

وهذا التقدير لا يدخل في الاعتبار ـ بطبيعة الحال ـ الزيادة الاخيرة في اسعار البترول والتي تقررت في شهر ديسمبر من عام ١٩٧٣ .

والحق ان هذه الارصدة الهائلة كانت موضع نظر في المحافل العربية المعنية ، على ضوء حرب اكتوبر الماضي ، بل اتخذ وزراء الاقتصاد العرب ابان اجتماعهم السنوي الاخيرللمجلس الاقتصادي العربي قرارا بالتدرج في تحويل الارصدة العربية المودعةفيالمؤسسات المصرفية الاجنبية الىالمؤسسات العربية،وذلك قصد استثمارها في الدول العربية، وبخاصة دول المواجهة والدول الافريقية ..لتمويل جانب من خططها الانمائية .

ولا شك أن السحب التدريجي لهذه الارصدة وان كان لم يدخل بعد الى حيز التنفيذ ـ سوف يؤدي الى انعكاسات خطيرة على الاقتصاد الغربي خاصة في اسواق المال والنقد .

ذلك أن سحب ارصدة بهذه الضخامة سيؤثر على السيولة النقدية للمؤسسات المصرفية والمالية الغربية ، كما انه سيؤثر بالضرورة على حجم الاستثمارات في الدول الغربية وبخاصة الدولتين المستفيدتين بهذه الاموال في المرتبة الاولى وهما الولايات المتحدة وبريطانيا .

غير ان قرار وزراء الاقتصاد العرب لم ينص على الكيفية التي يمكن أن يتم بها سحب الارصدة العربية ، وان كان قد اشار بتحويل تلك الارصدة الى المؤسسات العربية المشتركة التي تسهم فيها رؤوس اموال اجنبية الى جانب رؤوس الاموال العربية .

والمؤسسات العربية التي عناها القرار هي

المؤسسات المالية الثلاث التى انشئت على الصعيد العربى :

١ ـ الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى التابع لجامعة الدول العربية .

٢ ـ صندوق الانماء الكويتى .

٣ ـ صندوق ابو ظبى للتنمية .

اما المؤسسات المشتركة فهى التى قامت بتضافر الجهود العربية والاجنبية وهى :

١ ـ البنك العربى الاوربى .

٢ ـ اتحاد المصارف العربية والفرنسية . (U.B.A.F)

٣ ـ البنك العربى الافريقى .

٤ ـ بنك فراب . (F.R.A.B)

٥ ـ البنك العربى المحدود .

٦ ـ البنك العربى اليابانى .

والواقع ان قرار وزراء الاقتصاد العربى يمكن ان يحقق تمويلا هائلا للتنمية اذا ما تم وضعه موضع التنفيذ .. لا سيما وان فرص استثمار رؤوس الاموال العربية فى الاقطار العربية اصبحت اليوم مواتية اكثر من اى وقت مضى ..

فقد ارتفعت اسباب عديدة كانت تحول دون هذا الاستثمار طوال الاعوام الماضية ، وفتح الطريق امام استيعاب رؤوس الاموال العربية فى مشروعات الانماء العربية ، مع التطورات الجذرية الاخيرة التى عرفتها المنطقة ..

وفى الماضى القريب كان استثمار رؤوس الاموال العربية على الارض العربية معرضا لنوعين من العوائق :

ـ عوائق سياسية .

ـ عوائق اقتصادية .

اما العوائق الاقتصادية فكانت متأتية اساسا من ندرة الاطر الفنية فى العديد من الفروع الصناعية ، وضعف البناءات والتجهيزات الاساسية الضرورية لنجاح كل استثمار حديث ، واخيرا ضيق السوق المحلى وعجزه بالتالى عن استيعاب نسبة هامة من انتاج هذه الاستثمارات .

ومعظم هذه العوائق قد زالت او فى طريقها الى الزوال مما يسمح بتحقيق عوائد هامة ربما جاوزت بكثير عوائد الاستثمار فى البنوك والمؤسسات المالية الغربية .

والعوامل السياسية التى كانت تعطل من استثمار هذه الارصدة فى الاقطار العربية قد تهاوت بدورها الواحدة تلو الاخرى ..

فقد تداعت الحواجز التى صنعتها المذاهب والنظريات المستوردة .. وتلاشى التنابذ والخلف بين الانظمة العربية وهما لا يبررهما منطق ..كما تباعدت مخاطر المصادرة والتاميم التى كانت ترهب المال العربى وتدفع به الى تجنب الاستثمار فى الاراضى العربية .. واصبحت التربة مهيئة افضل من اى وقت مضى لتقبل راس المال العربى فى وطنه .. واحاطته بالوان الرعاية الكفيلة بحسن استغلاله لصالح التنمية العربية .

آفاق المستقبل العربى

اننا مقبلون فى الغد القريب على مرحلة جديدة تستحث العقل على اجادة التفكير فى العسير من امورنا وربما كان ضروريا مواجهة المستقبل بتنمية اقتصادية متسارعة .

والمتتبع للاحداث الجارية على الساحة العربية .. يستشف ولا شك اتجاها جديدا من بعض القادة العرب ، اتجاها ربما كان مؤذنا بتغير عميق فى الاستراتيجية الانمائية للوطن العربى كله .

فهذه الاستراتيجية عليها ان تنتقل من سياسة السلحفاة .. الى سياسة الفرس فتتقدم بالتنمية عدوا وقفزا .. لا تمهلا وبطئا .

وقد بدا اهتمام المملكة العربية السعودية واضحا بوجوب تطبيق استراتيجيةانمائيةمتسارعة خلال المحادثات التى جرت بين جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية والسيد عمر السقاف وزير الدولة السعودى وبين موريس جوبير وزير خارجية فرنسا عند زيارة الوزير الفرنسي للمملكة السعودية قبيل نهاية شهر يناير الماضى .

وقد انتهت الزيارة بمشروع اتفاق يعتقد انه يتناول التعاون المشترك بين البلدين فى نقطتين رئيسيتين :

١ ـ تزويد المملكة العربية السعودية لفرنسا بالبترول .

٢ ـ تعاون سعودى فرنسي لبناء الجهازالصناعى فى المملكة العربية السعودية ، وقد اتجهت المملكة السعودية الى نهج المسلك ذاته مع دول صناعية اخرى على راسها اليابان ، كذلك يجرى الاتصال

بين الكويت وفرنسا للتوصل الى اتفاقيات تعاون اقتصادي على هذا النسق .

ومن ناحية اخرى طلبت السوق الاوروبية المشتركة من مجلس وزراء بلدان الرابطة الاقتصادية الاوربية اجراء مفاوضات مع الدول المنتجة للبترول، بهدف توقيع اتفاق شامل للتعاون معها في ميدان التصنيع والتجارة ، والواقع ان دول السوق الاوربية المشتركة ـ بما فيها فرنسا ـ تسعى الى امرين :

اولهما : تامين تزويدها بالطاقة البترولية .

ثانيهما : ضمان استثمار عوائد البترول العربي في ارضها .

اما المقابل فيتلخص في تصنيع الدول العربية المنتجة للبترول .

والواقع ان استثمار عوائد البترول العربي في الدول الصناعية يتعارض مع احتياجات التنمية الشاملة في البلدان العربية ولكن هذا التعارض ليس بالمطلق انما هو تعارض نسبي يمكن حله على ضوء المصالح المشتركة للطرفين .

فاذا كانت دول السوق الاوربية تصر على استثمار ارصدة الدول العربية المنتجة للبترول في مؤسساتها الاقتصادية كشرط لاسهامها في التصنيع العربي .. فان الدول العربية المنتجة للبترول يمكنها في مرحلة اولى ان توزع ارصدتها بين الدول العربية وبين دول السوق المشتركة وفي هذه الحالة الاخيرة يجب ان يكون استثمار الارصدة العربية في المؤسسات المشتركة التي انشئت برؤوس اموال عربية واجنبية وذلك حتى نضمن لرأس المال العربي عائدا مرتفعا باسهامه في ارباح تلك المؤسسات .

ان الاستراتيجية الانمائية المتسارعة التي تفرضها احداث اليوم .. تعتبر الضمان الاكيد لبناء الغد .

غير ان وضع استراتيجية انمائية بهذه الضخامة والشمول ، يقتضي دراسات موسعة لافضل الاستثمارات وطرق تمويلها .

والمشروعات المقترحة عديدة متنوعة لعل اول ما يتبادر الى الخاطر منها ما سبق ان اقترحناه في محاضرتنا بمركز تكوين المفتشين بالرباط ومؤداه ان تقدم الدول العربية المنتجة للبترول على انشاء هيئة او مؤسسة للتنمية العربية تسهم فيها كل دولة عربية منتجة للبترول بحصة تتناسب ومواردها . على ان تقوم هذه الهيئة بدراسات واسعة عن امكانات الاستثمار في ارجاء الوطن العربي كله . وتوجه ارصدتها الى افضل الاستثمارات التي تسفر عنها هذه الدراسات .. كما ان عليها رعاية الدراسات والاستثمارات المتعلقة بالصناعات البتروكيميائية في الدول العربية المنتجة للبترول لان امل هذه الدول معلق في نظرنا على التخصص في هذا الفرع الصناعي الذي يعتمد اولا واخيرا على ما تنتجه من بترول .

ان هيئة على هذا القرار يمكن ان تكون مصدر قوة هائلة للعالم العربي ، اذ يمكنها ـ فضلا عن دعم اقتصادياته ـ تحقيق التكامل الاقتصادي بين اطرافه وانماء التجارة بين اقطاره وفي كل ذلك اختصار لاشواط بعيدة تفصلنا عن التنمية الشاملة ، وتنسيق لمسيرتها بين مختلف الاقطار العربية .

ولا نعتقد ان في قيام مثل هذه الهيئة على مستوى الدول العربية المنتجة للبترول تزيدا لا مبرر له .. بل نرى في قيامها ضرورة ملحة لان مؤسسات التمويل الثلاثة القائمة حاليا في العالم العربي ، والتي سبقت الاشارة اليها ، لا تكفي ـ على الرغم من اهمية جهودها ـ لمواجهة الاعباء المالية والفنية التي تتطلبها التنمية العربية الشاملة .

فالتنمية العربية بحاجة الى تمويل ضخم ، تسهم فيه اموال جميع الدول العربية المنتجة للبترول ، كما انها بحاجة الى دراسات مستفيضة تحدد افضل الاستثمارات ، واسلوب توزيعها بين الدول العربية ، ومن غير الممكن الاستجابة الى هذه المتطلبات وتحقيق تنمية عربية متسارعة بغير هيئة انمائية تتولى هذه المسؤوليات على المستوى العربي كله .

وبعد ..

لقد اعتادت امتنا التحرك في المطلق ..فعاشت قرونها الاخيرة خارج دائرة الزمن .. لا تعرف له قياسا ولا تقيم له حسابا ..

وعليها اليوم ان تستنهض الزمن الميت بتنمية اقتصادية متسارعة تدخل بها الى هذا القرن .. قرن البترول .. الذي يوشك ان يمضي ربعه الاخير .

د. ابراهيم دسوقي اباظة

استاذ العلوم الاقتصادية والسياسية
كلية الحقوق ـ جامعة محمد الخامس الرباط



المرض النفسى

مفهومه فى الدين وعند فرويد

بقلم : الدكتـور مصطفى فهمى

■ خلال السنوات الاخيرة ، حاولت مجموعة من الباحثين النفسيين الاستفادة مما ورد فى الرسالات السماوية من مبادىء وافكار واتجاهات فى فهم الطبيعة الانسانية وتحليلها ، للوصول الى مذهب جديد يفسرون به المرض النفسى •

ومن بين هذه المجموعة من الباحثين كل من :

ا ــ استيكل Stekel (١٩٥٠)

ب ــ مورر Mourer (١٩٦٠)

جـ ــ فروم Fromm (١٩٥٦)

فقد خرج هؤلاء وغيرهم من العلماء بمذهب او تفسير للمرض النفسى ، يعرف باسم « المذهب الدينى او المذهب الاخلاقى » •

مفهوم المرض النفسى فى نظر المذهب الدينى

تعتبر الاضطرابات النفسية ، فى نظر اصحاب هذا المذهب ،استجابات غير سوية لضمير مريض، بسبب ما تعرض له من اهمال ، او نتيجة لقيام الفرد بسلوك يتضمن انواعا من التحدى السافر لقوة الضمير :

« Active defiance of the conscience » (1)

وفى ضوء هذه النظرية ، بدأ « استيكل » يتحدث على ما اطلق عليه (الذات او الانا الاخلاقية Moral Ego) ، والتى اعتبرها عاملا محددا فى التكوين العصابى •

ومعنى ذلك ان « استيكل » حسب هذا الاتجاه ــ يعتبر العصاب (المرض النفسى) ذا صلة كبيرة بالضمير ، او بعبارة اخرى بالذات الاخلاقية ، كما ان التكوين الديناميكى للاضطراب يمكن ان يكون على النحو التالى : يحدث القلق، الذى سيؤدى الى الاضطراب عندما يقوم الفرد باعمال ، كان يتمنى الا يقوم بها ، فى حين ان القلق ــ حسب المفهوم الفرويدى ــ ينشأ من مجرد التفكير فى القيام باعمال لا يقرها الضمير (فى حالة عقدة اوديب مثلا •• كراهية الاب وعشق الام) •

(1) Stekel : Technique of Analytical Psychotherapy (1950).

والفرق كبير بين الاتجاهين ، اذ يؤكد الاتجاه الاول فكرة الصراع بين الفعل (الممارسة) والشعور بالاستياء الناجم عنه ، في حين يؤكد الاتجاه الثاني فكرة الصراع الناجم عن مجرد النية ، ثم الخوف المترتب عن هذه النية او الرغبة (Wish) .كذلك يمكن القول : ان نظرية (فرويد) في القلق .تتعلق بالنزعات .والرغبة في اشباعها Impulse Theory ، في حين ان نظرية (استيكل) ـ ومن على شاكلته من العلماء ، امثال (مورر) ـ ، تقوم اساسا على محاسبة الضمير وعقابه ، والشعور بالخطيئة على اعمال مارسها الفرد ، ويطلق على هذه النظرية « Guilt Theory » اى نظرية الخطيئة .

العلاقة بين عذاب الضمير والمرض النفسي

يرى اصحاب المذهب الديني ان هناك علاقة ايجابية بين المرض النفسي وعذاب الضمير ، فهما شيئان « مرتبطان » متلازمان ، يسيران جنبا الى جنب .

ولكن يجب علينا ان نلاحظ الحالات التالية :

× هناك فئة من الناس ، ليس لديها من الخلق او قوة الضمير ، ما يجعلها تشعر بالخطيئة ..

× وهناك مجموعة اخرى ، ترتكب الجريمة ، ثم سرعان ما تنال العقاب على ما جنت ايديهم ، وبذلك تخف عليهم مشاعر الاثم والالم الناجم عن عذاب الضمير .

× ثم هناك من يرتكب خطا ويشعر بعذاب الضمير ، ثم تزول عنه المشاعر بعد الاعتراف ، ذلك ان هذا الاعتراف يعيد الى النفس المضطربة اتزانها وطمانينتها .

× وهناك فئة اخرى من الافراد ، تكفر عن الخطيئة بطرق غير مباشرة ، كالعمل الصالح او الحج الى بيت الله ، وما هذه الا وسائل تعيد للانسان طمانينته ، وتشعره بالخلاص .

ومن خلال هذه الامثلة المتعددة ، يرى اصحاب المذهب الديني « ان الاثم قد يكون له تاثير ضار ، مدمر للشخصية عندما يشعر به الانسان ، ولا يستطيع ان يعبر عنه او يصححه » (٢) .

المذهب الديني واللاشعور

كان (فرويد) من الاوائل الذين نادوا باللاشعور (العقل الباطن) واثره في احداث الاضطرابات الانفعالية . وتعتبر الدراسات الخاصة باللاشعور ، من الامور التي احاطت التحليل النفسي الفرويدي بجو من الغموض ، كما انها احاطت المحللين النفسيين بهالة من القدسية والكهنوتية ، وبنوع من المعرفة الخفية المقصورة على فئة قليلة .

ولقد ناقش اصحاب المذهب الديني (نظرية اللاشعور) في اطار جديد من المعرفة الاخلاقية والدينية والفهم العام .

فاذا كان المقصود باللاشعور .مجموعة العوامل الغريبة الغامضة ، غير المرتبطة التي تؤثر في الشخصية وفيما تتعرض له من اضطراب ، فالمذهب الديني في تفسير المرض النفسي.لا يمانع في فهم اللاشعور داخل هذا الاطار المحدود . اما اذا تعدى فهم اللاشعور هذا الاطار ومعرفته فهنا يبدا الاختلاف واضحا بين المدرسة التقليدية في التحليل النفسي .وبين المدرسة الدينية ، ويتمركز هذا الاختلاف حول النقاط التالية :

١ ـ ماذا يحتوي اللاشعور ؟

٢ ـ كيف تسللت هذه العناصر الى هذه المنطقة ؟

٣ ـ ماذا تعمل او تحاول ان تفعل هناك ؟

٤ ـ هل تقابل هذه العناصر معارضة من الخارج ؟ ام انها تواجه عوامل مساعدة لها ؟

ان هذه الاسئلة وغيرها ، مازالت غامضة ، لانها لم تجد لها جوابا صريحا ، حتى وقتنا هذا .

وهنا نرى ان الفرق كبير بين المذهبين ، ففي الوقت الذي يهتم فيه المذهب الديني بدراسة الضمير والذات الاخلاقية والحياة الشعورية ،

---

(2) Mowrer, D : The Crisis in Psychiatry and Religion (1960).

نلاحظ ان مدرسة التحليل النفسي ومؤسسها « فرويد » تنادي بان « اللاشعور Unconscious » و « الكبت Repression » هما مصدر البلاء ، وفي ضوء هذا ،اتجه المذهب الاول الى دراسة الذات الاخلاقية Moral Ego وهي شعورية ، عاقلة ، منطقية ، رزينة • هذه الذات الشعورية تمثل الجانب النفسي الذي يواجه العالم الخارجي ويتاثر به • ومن اجل ذلك تركز اهتمام اصحاب المذهب الديني حول الدراسات الخاصة « بسيكلوجية الذات Ego Psychology في حين تركز اهتمام المحللين النفسيين ـ الذين يتبعون (فرويد) في التحليل النفسي ـ على دراسة اللاشعور والكبت •

ان هذا المفهوم الجديد للمرض النفسي ، لايقوم على اساس الكشف عن النزعات اللاشعورية ومساعدة الفرد على اشباعها او الشعور بها ، او على حد تعبير (مورر) في عبارته المشهورة : ـ « To Make The Unconscious Conscious » ومعناها « ان يجعل اللاشعور واعيا » ، بل مساعدة الضمير Conscience على ان يسترخي Relax ويهدأ ثم يتراجع • والوسيلة في ذلك مساعدة الفرد ليعمل على ارضاء (الاله) وارضاء الضمير ،ان هذا السلوك الروحي من شانه ان يعيد الى النفس طمانينتها، والى الشخصية تكاملها •

وتلعب التربية الجيدة في الاسرة والمدرسة دورها في العناية بنمو الذات وتنميتها ومساعدتها على النضج لكي تصبح صمام امن للفرد • ومما لا شك فيه انه كلما اتسعت الدائرة التي يعمل او يتعامل معها الطفل ، ازدادت ـ نتيجة ذلك ـ خبراته ومعلوماته ، مما يجعل ذاته اكثر ملاءمة، وهذا شرط اساسي لازم لتحقيق الصحة النفسية •

ان ملاءمة الذات Ego Adequacy ، عملية يستطيع ان يقوم بها المعلم ورجل الدين والموجه النفسي ، وكذلك الاباء والامهات •

★ ★ ★

ان التفسير الديني للمرض النفسي ، كما اوضحناه ، ترتب عليه نظرية علاجية جديدة • ان هذه النظرية العلاجية تعتمد اعتمادا كبيرا على الدين ، ذلك لان الدين هو الطريق الى العقل •• ان الدين كذلك هو الطريق الى القلب •• ان الدين يحدث نوعا من «غسيل المخ» Brain Washing للفرد • ان الدين هو الطريق الى بقاء ودوام القيم الانسانية التي تعتبر اطارا مرجعيا لسلوك الفرد وتصرفاته واسلوب حياته•• ان الدين من العوامل المعينة للانسان ، للتغلب على التوترات والصراعات التي يتعرض لها ، فقد ساعد الافراد على مر العصور والازمنة ، على مواجهة قوى الظلم والاستبداد • من اجل ذلك ظهرت محاولات عدة لصياغة الكثير من القواعد والمبادىء الدينية في قوالب نفسية • ونستطيع ان نعبر عن ذلك بالعبارة المشهورة التي ذكرها « مورر » : «To Psychologize Religion».

ان هذه المحاولات النفسية ذات الاصول الدينية سوف تنقذ البشرية في وقت قريب• ■■

د • مصطفى فهمي

العود

● احضر عبدُ الملك بن مروان آلةَ العُود في مجلسه ، ثم قال للوليد بن سعدة : ماهذا ؟ فقال : « خشبة تُشقّق،ثم تُرقّق ، ثم يعلّق عليها أوتار ، ثم تُنطَق ، فيحرك الكرامُ رءوسهم سرورابها » •

وكان أحد الأعراب حاضرا في المجلس،فلما عاد الى البادية أخذ يصف العود لأصحابه فقال : « رأيت في مجلس اميرالمؤمنين عبد الملك شيئا محدودبَ الظهر، أرسحَ البطن ، أكلف الجلد ، أجوف ،أسقف ، أحنف ، جبينه في مؤخرته ، وعيناه في صدره ، وأمعاؤه من خارج بطنه ، بها يُتكلم ، ومنها يُترجم ، مَعرُوك الآذان ، مشوق المُعَلّق ،يسمونه العُود •

مسابقة العربي

فى اى البلاد تصدر هذه الصحف والمجلات؟
٢٠ اسما.. و ١٠٠ دينار للجوائز

■ مسابقة هذا العدد عن صحافة العالم ٠٠ واليك ايها القارىء اسماء ٢٠ صحيفة ومجلة ، تصدر فى مختلف الأرجاء ، تردد ذكرها كثيرا فى الانباء ٠٠ والمطلوب منك معرفة اسماء الدول التى تصدر فيها عشر من هذه الصحف على الأقل :

١ ـ ديرشبيجل DER SPIEGEL
٢ ـ الأوبزرفر THE OBSERVER
٣ ـ تايم TIME
٤ ـ التايمس THE TIMES
٥ ـ هيرالدتريبيون HERALD TRIBUNE
٦ ـ ناشيونال جيوجرافيك مجازين NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE
٧ ـ جيوجرافيكال ماجازين GEOGRAPHICAL MAGAZINE
٨ ـ كريستيان سايتس مونيتور CRISTIAN SCIENCE MONITOR
٩ ـ الايكونومست ECONOMIST
١٠ ـ الفيجارو LE FIGARO
١١ ـ ايبوكا EPOCA
١٢ ـ ازفستيا IZVESTIA
١٣ ـ الفاينتشيال تايمس THE FINANCIAL TIMES
١٤ ـ اساهى ASAHI
١٥ ـ لوموند LE MONDE
١٦ ـ العلم
١٧ ـ الهلال
١٨ ـ المجاهد
١٩ ـ اليمامة
٢٠ ـ الحياة

شروط المسابقة والجوائز

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه: مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت ـ مسابقة العدد ١٨٩ ٠

٤ ـ اخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اليوم الاول من شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٤ ٠

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الاتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠ ■■





بقلم : الدكتور على أحمد على

تعريف الثقافة

■ يمكن تعريف الثقافة بانها طريقة حياة الناس Way of Life • والثقافة عبارة عن نسيج من المعرفة والمعتقدات والقيم والمهارات وانماط التفكير ، والمؤسسات التى يعيش فيها الفرد ويتعامل معها • ويدخل فى اطار الثقافة الاساليب التى يتبعها الافراد لكسب العيش ، والابطال الذين يقدسونهم ، والموسيقى التى يلعبونها وأسلوب العناية باطفالهم ، وأسلوب انتقالهم واتصالهم ، والتنظيم الاسرى ، وهذه وغيرها من البنود مما لا يمكن حصره فى هذا المجال الضيق يكوّن الثقافة التى يعيش فى ظلها الناس • فالثقافة تعتبر الجانب الهام من البيئة التى صنعها الانسان بنفسه •

ويعرّف كلكهورن Kluckhorn الثقافة بانها « وسائل الحياة المختلفة التى توصل اليها الانسان منذ القديم عبر التاريخ ، السافر منها والمتضمن ، العقلى واللاعقلى ، والتى توجد فى وقت معين والتى تكون وسائل ارشاد توجه سلوك الافراد فى المجتمع » • والثقافة حسب التعريف السابق ينظر اليها نظرة شاملة على انها وسائل وأسلوب الحياة ، وهذه الوسائل وهذا الاسلوب قد توصل اليهما الانسان على مر العصور•وهذه الثقافة توجه وتحدد سلوك الفرد فى المجتمع الذى يعيش فيه • ومن التعريف السابق يتضح ايضا ان الثقافة تختلف باختلاف المجتمعات والشعوب ، فطالما ان كلا منها عاش ظروفا وأحوالا مختلفة فانه ينتج عنها ثقافة مختلفة •

الثقافة تختلف من مجتمع لمجتمع

والثقافة ما دامت من صنع الانسان فهى تختلف من مجتمع الى اخر ، كما انها تختلف من زمن لآخر بالنسبة لنفس المجتمع ، لانه من الواضح ان ما يفعله الناس وما يعتقدونه وما يعطونه قيمة Value وغير ذلك ـ يختلف من مجتمع الى اخر ويتغير على فترات زمنية طويلة •

الطفل يأخذ من ثقافة منشئه

وفوق ذلك فان ما يعتقده فرد معين وما يفعله وأسلوب استجابته لمختلف المثيرات فى بيئته يتوقف على الثقافة التى يشب فى ظلها هذا الفرد •

فاننا نتوقع – لو ان طفلا رضيعا ولد في ظل ثقافة شرقية ونقل وهو في هذه السن المبكرة الى مجتمع غربي – ان يشب هذا الطفل متبنيا أنماط السلوك السائدة في المجتمع الجديد ، ويصبح مثله مثل غيره من المواطنين الغربيين في اتجاهاته ووجهات نظره والمهارات والعادات التي تحكم سلوكه ، والعكس صحيح . ولا نغالي اذا قلنا ان الثقافة تصنع وتشكل الجوانب الأساسية من شخصية الفرد الذي يعيش في ظلها . وهي بذلك تؤثر تأثيرا كبيرا على سلوكه وأفعاله وتصرفاته في الحياة .

وكثيرا ما يأخذ الانسان معه هذه الثقافة اذا هاجر من بلد الى بلد آخر . فالمصري عندما يهاجر الى الولايات المتحدة أو استراليا مثلا ، يحمل عادة معه الثقافة المصرية الى حيث يعيش كالمعتقدات والقيم والتقاليد وأساليب التفكير والنظرة الى مختلف الامور . وكثيرا ما نسمع مثلا عن الشخصية المصرية وهي تمثل الشخصية الشائعة للفرد المتوسط الذي يعيش ويتربى في ظل ثقافة المجتمع المصري . وقد تكون هناك فروق في الشخصية بالنسبة لمختلف المصريين نتيجة لمستوى تعليمهم ، وطبقتهم الاجتماعية ، والاعمال التي يقومون بها والتي تجعل أثر المؤثرات الثقافية عليهم مختلفا تبعا لذلك .

الثقافة من صنع الانسان

والثقافة من صنع الانسان وهي تشمل كل ما صنعته يده وخلقه فكره وعقله . ولكن بالرغم من أن الافراد في اي مجتمع يصنعون الثقافة الا ان هذه الاخيرة تعيش وتستمر بعد رحيل هؤلاء الافراد عن هذه الارض وتكون لنفسها حياة وكيانا مستقلا عن حياة الافراد الذين صنعوها ، وقد أقام المجتمع – وخاصة بعد أن تعقد هذا المجتمع ونما حضاريا – مؤسسات اجتماعية كالمدرسة من وظيفتها ضمان استمرار هذه الثقافة ونقلها الى الاجيال المتعاقبة ، وكذلك من وظيفتها المحافظة على التراث الذي يريد المجتمع المحافظة عليه ، وتطوير وتدعيم بعض جوانب هذا التراث ، مع محاولة التخلص من الجوانب السلبية او السيئة من هذا التراث .

عناصر ومكونات الثقافة

يمكن تقسيم عناصر الثقافة – وهي الاشياء التي يعرفها الناس ويعتقدون فيها ويعملونها وهكذا – الى ثلاث مجموعات (١) :

اولا – عموميات الثقافة Universals . وتتضمن تلك العناصر الشائعة والموزعة بين جميع الراشدين في المجتمع . فالافراد في المجتمع قد يأكلون نفس الطعام ويطهونه بنفس الطريقة ، ويلبسون ثيابا معينة ويستخدمون نفس اللغة ، ويحيون ويجاملون بعضهم البعض بنفس الطريقة، ويتطلبون من الصغار سلوكا واحتراما معينا عند تعاملهم مع الكبار . والافراد قد تشملهم معتقدات دينية واحدة ،ونظرة واحدة بالنسبة لمصير الانسان بعد الحياة ،وقد تشملهم معتقدات سياسية معينة . وكثيرا ما يجمع الافراد نوع من الاتفاق على كل ما يعتبر سلوكا مناسبا ومهذبا . كل هذه الاشياء التي تتقبل Accepted عموما بواسطة اعضاء المجتمع – يطلق عليها عموميات الثقافة . وكما نلاحظ فان عموميات الثقافة لها تأثير واضح على سلوك الافراد لان الطفل يشب ليجد نفسه طوعا او كرها يتبع ما هو سائد في مجتمعه بالنسبة لعموميات الثقافة . فنجده يأكل على الطريقة التي يأكل الناس بها ويتزوج حسب العرف والتقاليد السائدة ويفكر بالاسلوب الشائع ، ويعتقد نفس المعتقدات الشائعة بين جموع الناس بالنسبة للمسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الهامة .

ثانيا – خصوصيات الثقافة Specialties وبعض عناصر الثقافة ليست شائعة بين جموع الناس في المجتمع ولكنها موجودة فقط في قطاع معين من الأفراد الراشدين . ففي كل مجتمع توجد أشياء معينة يعرفها أو يستطيع القيام بها عدد محدود من الناس . وهذه الاشياء يطلق عليها خصوصيات الثقافة التي تتصل عادة بالمهن التخصصية التي تتطلب خبرة فنية ومعرفة ومهارات متخصصة ، في ظل تقسيم العمل الذي يسود قدر منه جميع المجتمعات الآن . فقد تعرف ربة البيت أشياء عن الطهي والحياكة وتدبير المنزل وتربية الاطفال لا يعرفها غيرها من الرجال.

(1) R. Linton, The Study of Man : An Introduction. New York : Appelton — Century Company Inc.

والطبيب لديه معلومات وخبرات واسعة فى مجال جسم الانسان والامراض التى تصيبه والعوامل التى تؤثر عليه • وهكذا الحال مع كل صاحب مهنة ، لديه رصيد متخصص من الثقافة اتى اليه عن طريق المهنة التى يكسب منها عيشه،ويشترك معه فى هذا الرصيد الافراد الذين يعملون معه فى نفس المهنة •

وبالاضافة الى خصوصيات الثقافة ذات الطبيعة المهنية فهناك خصوصيات اخرى ترتبط بالمستوى الاجتماعى والطبقة الاجتماعية التى يعيش فيها الافراد • فالافراد الذين ينتمون الى الطبقة الارستقراطية مثلا عادة ما تجمعهم وجهات نظر وطرق واساليب سلوك موحدة خاصة بهم دون غيرهم ، وعادة ما يدخل فى حدود ذلك معلومات وخبرات تكون بعيدة عن متناول الافراد فى الطبقات الاجتماعية الاخرى كالطبقة المتوسطة والطبقة الدنيا •

وبالرغم من ان خصوصيات الثقافة كما سبق ان ذكرنا تتعلق بفئات محددة من المجتمع ولا تتعلق بالفئات الاخرى الا ان ذلك لا يمنع ان يكون لدى الاخرين بعض المعلومات عنها وقدر من التذوق لما يقوم به افراد مهنة معينة من اعمال • فالفرد مثلا قد لا يعرف الا القدر الضئيل عن المعلومات والخبرات والثقافة الطبية المتخصصة التى تتعلق بمهنة الطب ، ولكن هذا لا يمنع ان يعرف هذا الفرد العادى وظيفة الطبيب فى المجتمع واهمية الصحة ودورها ، كما انه يمكن هذا الفرد ان يعرف ويعى الاسلوب الذى يجب ان يتصرف به الطبيب وان يدرك اى انحراف فى هذا التصرف مما هو معتاد •

ومع هذا فقد نجد بعض خصوصيات الثقافة المتصلة ببعض المهن وقد اصبحت الآن بعيدة عن متناول فكر وخبرة الرجل العادى بحيث لا يمكنه ان يدرك حقيقتها ولا يمكنه ان يستوعبها ذهنيا وذلك بعد تقسيم العمل وظهور تخصصات دقيقة للغاية تحتوى على بعض المعلومات والخبرات والنواحى الثقافية الغاية فى التخصص والتعقيد•

ثالثا ـ البدائل Alternatives

وهذه بعض العناصر الثقافية لا تدخل ضمن عموميات او خصوصيات الثقافة ولا تنتمى لاى واحدة منها • وهذه البدائل الثقافية لا يشترك فيها حتى افراد فئة مهنية او طبقة اجتماعية معينة ، ولكنها تمثل انماطا للسلوك والتفكير ولعمل الاشياء وللتعامل معها يبتعد عما هو متعارف عليه او معتاد • فمثلا استخدام الات التدريس Teaching Machines قد يتقبل بواسطة قلة من المعلمين فى مهنة التدريس لذلك فهم يدافعون عنها ويحاولون الاقناع بها ، ولكن غالبية المعلمين يقاومون هذه الالات والافكار التى تحملها او لا يعرفون عنها شيئا او على الاقل لا يريدون ان يعرفوا عنها اى شىء • واستخدام القطار فى الانتقال ونقل البضائع كان يمثل بديلا من ضمن البدائل المستخدمة بواسطة الناس للانتقال من مكان لآخر فى الماضى ، وكان على الناس ان يختاروا بديلا من بين هذه البدائل • وكان هذا القطار يمثل تطويرا هائلا فى حياة الناس وربط الناس بعضهم ببعض فكريا وماديا ومكانيا • وفكرة تعليم وتحرير المراة فى بلادنا العربية كانت تمثل بديلا ثقافيا دافع عنه بعض الناس ومن الرواد الاوائل فى هذا المجال ، وفى مقدمتهم قاسم امين المصرى • وقد اقتنع قلة من الناس فى الماضى واتبعوا هذا البديل ، فى حين قابله اخرون بالمقاومة والتوقف والتوجس والرفض•

والبدائل على هذا الاساس تتضمن كل طرق الحصول على نتائج تبتعد عن الاساليب والطرق والاجراءات المتفق عليها•وفى كلمات اخرى فان البدائل تمثل تلك العناصر الثقافية التى يمكن للفرد الاختيار من بينها •

وتاخذ البدائل طريقها للاستقرار فى النسيج الثقافى للمجتمع وذلك عن طريق الابتكارات والاختراعات التى تعدل من حياة الناس او تجعلهم يؤدون الاشياء باسلوب جديد مغاير لما اعتادوا عليه•وقد تدخل هذه البدائل فى النسيج الثقافى لشعب وتستقر فيه عن طريق الاستيراد من شعب آخر • فالكثير من البدائل تاتى عن طريق ثقافة شعب معين لكى تستقر فى ثقافة شعب آخر • وطريق الحياة والمعيشة وطرق اداء الاشياء وانماط السلوك قد تاخذ طريقها من شعب الى آخر عن طريق الاتصال المباشر او غير المباشر بين افراد هذين الشعبين •

والمجتمعات التى تسودها ثقافة جامدة غير متغيرة وغير متطورة عادة مايكون لديها بدائل محدودة •

والبدائل تكون الطرف النامى من الثقافة التى تسود اى شعب ، وطالما ان هذه البدائل ـ بما

تاتي به من وسائل وأساليب جديدة لاداء الاشياء ـ قد تقبلت بواسطة افراد الشعب او قطاعات منه وحققت قدرا من الاستقرار ، فانها تصبح جزءا لا يتجزأ من عموميات او خصوصيات الثقافة التي سبق أن تكلمنا عنها .

أثر الثقافة على سلوك الافراد والجماعات

الواقع أن الثقافة لها تأثيرها الواضح على سلوك الافراد . فعموميات الثقافة تربط الناس في المجتمع بعضهم ببعض . وعادة ما يتأثر الفرد بعموميات الثقافة ويمتصها من مجرد معايشته لهذا الجو الثقافي الذي يسود المجتمع . فاسلوب الفرد في التعامل مع الناس ومع الاشياء وانماط التفكير واسلوب المأكل والملبس وطرق التحية والمجاملة ، والسلوك المتقبل ، هذه وغيرها كلها امور يتقبلها الفرد دون تفكير او مقاومة . وعموميات الثقافة عادة ما تشكل الكثير من أوجه الشبه بين الافراد وتقرب الفوارق السلوكية بينهم .

وتقدم الثقافة للفرد عددا كبيرا من أنماط السلوك واشكال التكيف المعدة مسبقا والتي يمكنه استخدامها في مواجهة المواقف والمشاكل وما على الفرد الا أن يتعلمها ، فاذا واجه الفرد موقفا او مشكلة معينة فانه عادة ما يجد السلوك المناسب والحلول المناسبة في مواجهتها . فاذا جاع الفرد كانت أمامه اجابة سريعة لما يمكن ان يفعله لاشباع حاجته للطعام ، واذا دخل في علاقة مع غيره من الناس عرف كيف يكون التصرف المناسب ، واذا أهين وجد سريعا رد الفعل المناسب للرد على الاهانة . وهكذا ، فان الثقافة تزود الفرد بالقدرة على مواجهة كل موقف وكل مشكلة . وهذا يوفر على الفرد الجهد والوقت . وهذا لا يعني أن الثقافة تزود الفرد باجابات جاهزة عن كل المشكلات والمواقف التي تقابله في حياته ذلك لان بعض هذه المشكلات والمواقف قد تقتضي من الفرد تفكيرا وتصرفا جديدا . والثقافة قد مكنت الفرد من الاستفادة من خبرات الاجيال السابقة ونقلها اليه وذلك حتى لا يبدأ الفرد من فراغ نشاطه في كافة نواحي الحياة .

عند الانتقال من ثقافة الى ثقافة

وما يحدث بالنسبة لقلق واضطراب الفرد عندما ينتقل من مجتمعه الى مجتمع آخر تسوده قيم ثقافية مختلفة يحدث في اوقات التغير الثقافي حيث يجد الفرد نفسه في مواجهة هذه التغيرات في حيرة وقلق . فمثلا اتجاه مجتمعنا العربي الذي نعيش فيه الآن الى اعطاء الحرية للفتاة اوقع الكثير من الاباء والفتيات في حيرة فيما يتعلق بالمدى الذي يمكن أن تصل اليه هذه الحرية ، وما هي حدودها ؟ والتغير الثقافي الكبير الذي شمل مجتمعنا العربي نتيجة تحول المجتمع من الجهل والتخلف الى العلم والتقدم وسيادة قيم جديدة تقدر العمل وتعطي قيمة للانسان على قدر عمله واسهامه في تقدم المجتمع الذي يعيش فيه لا على أساس حسبه ونسبه فقط ، وتحول العمال من مجرد أجزاء يستعبدون للحصول على لقمة العيش الى مشاركين في الانتاج وفي ملكية وسائل الانتاج ، كل هذا وغيره يتطلب توجيه ومساعدة افراد لكي يتقبلوا هذه التغييرات ومدهم بانماط وأساليب جديدة للسلوك تناسب هذه الظروف الجديدة .

والمراهقة مشكلة تظهر في بعض الثقافات دون اخرى

الواقع أن تأثير الثقافة على الافراد والجماعات عادة ما يكون كبيرا . فمثلا مشكلة المراهقة لا تظهر في بعض المجتمعات البدائية التي تسودها ثقافة معينة حيث يمر المراهق بهدوء منتقلا من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب . وفي هذه المجتمعات لا توجد ضغوط أو توقعات Expectations كبيرة مفروضة على المراهق . كما أن المراهق لا يعاني من التفاوت القائم بين نظرته الى نفسه ونظرة الاباء والكبار المحيطين به ، مثلما يحدث في المجتمعات الحديثة حيث ينظر الى فترة المراهقة في هذه المجتمعات الحديثة على أنها فترة توتر واضطراب يمر بها المراهق بتغيرات عضوية ونفسية واجتماعية كبيرة . ولكن حساسية فترة المراهقة والاضطراب الذي يسودها في المجتمعات الحديثة يرجع الى طبيعة الثقافة Culture التي تسود المجتمع والتي تضع قيودا معينة على تصرفات المراهق ، وتصنع نظرة الاباء والكبار المحيطين بالمراهق اليه .

ولهذا وجدت Margret Mead (٢) عالمة الانثروبولوجيا المشهورة انه لا توجد صعوبات تواجه

(2) Margret Mead. Form The South Seas. New York; Norton 1963.

المراهقين الذين يعيشون عيشة بدائية فى جزيرة ساموا فى المحيط الهادى • ففى ظل الثقافة التى تسود هذه الجزيرة عادة ما ينظر الى الاطفال على انهم مختلفـون فى قدرتهم على التعلم ولكنهم موهوبون بقدرة على الفهم تنمو وتنضج باستمرار • وبالرغم من ان الاطفال فى الجزيرة يحثون على التعلم والعمل والسـلوك المناسب ، فان هؤلاء الاطفال لايضطرون على الاطلاق لكى يدخلوا تغييرات معينة على سلوكهم طبقا لجدول زمنى او اعمار محددة • فمثلا لا توجد سن معينة تفرض على جميع اطفال الجزيرة لكى يتحملوا مسـئولية معينـة فى اعمال المنزل او غير ذلك • وطبقا للثقافة السائدة فى جزيرة ساموا ، فطالما ان فهم الاطفال يتطور وينمو ببطء وبدرجات مختلفة ، فلا يتوقع احد ان يتصرف جميع اطفال السادسـة مثلا بنفس الاسلوب ، او يقوموا بنفس الاعمال نتيجة الفروق الفردية القائمة بين هؤلاء الاطفال • فكل طفل ينمو ويتقدم ويتعلم حسب امكانياته وظروفه دون ضغط وبدون محاولة مقارنة هذا الطفل بغيره من الاطفال •

وفى ظل مجتمع جزيرة ساموا فان المراهقة لا تمثل مرحلة نمو حافلة بالصعوبات والمشكلات ولكنها تمثل جانبا من تطور بطىء وثابت لطفل الجزيرة حتى يصبح راشدا فاهما •

والمثال السابق وغيره الكثير يوضح كيف تؤثر الثقافة السـائدة فى مجتمع من المجتمعات على تطور الفرد وعلى تطور شخصيته • وهذه الثقافة تترك آثارها وبصماتها الواضحة على شخصية الفرد •

الثقافـة وصراع الافراد

والثقافة التى تسود مجتمعا معينا تحدد نواحى الصراع Conflict فى حياة الافراد ، وذلك حين حين تتعارض القيم الاساسية والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع مع سلوك الفرد ومحاولاته المتعددة لاشباع حاجاته ودوافعه ، فالفرد يسعى دائما للتوافق والتكيف وتحقيق اهدافه واشباع دوافعه • ولكن قد يتعارض ذلك مع القيم والتقاليد والعادات التى تمثل جزءا من الثقافة السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه الفرد وقد يؤدى هذا الى مواجهة الفرد للصراع، والى اثارة صور من التوتر و القلق والخوف فى نفس الفرد •

وكثيرا ما تفرض الثقافة السائدة فى مجتمع ما قيودا معينة على تصرفات الفرد وعلى تفكيره وعلى حريته فى التعبير عن نفسه • وقد يؤدى هذا الى شعور الفرد بالاحباط ، والى لجوء الفرد للعدوان ضد الاشياء او الاشخاص الذين سببوا له الاحباط •

فالثقافة التى تسود مجتمعا معينا تضع حدودا لتعلم الفرد ولسـلوكه ولتصرفاتـه تؤثر على شخصية هذا الفرد باشكال مختلفة • ■■

على أحمد على

مـتّان بعطائه

● حكى ان المنصور دعا طبيبا للخيزران (زوجة ابنه وولى عهده المهدى) وكانت قد اشتكت من الم فى عينيها استمر مدة طويلة ، وقد استطاع الطبيب بمجموعة من الأكحال أن يزيل الألم الذى استمر طويـلا ، فاعطاه المنصـور عشرةَ آلاف درهم ، فلما دفعها اليه ندم ثم استدعى الطبيب وقال له : « احفظها فانها مال له خطر » فقال الطبيب : « نعم » ، ثم ذهب الطبيب فأمر المنصور باحضاره وقال له : اياك ان تُنفق منها شيئا حتى تَتّفقَ لك ضيعة تشتريها بها • فقال : « نعم » •

ثم اخذ يشرح له كيف يحفظها ، فقال له الطبيب : ان رأيت ـ يا امير المؤمنين ـ فاختمها بختمك ، حتى القاك بها يـوم القيامة على الصراط ، فضحك المنصور وخلاّه •



باخ يصف حياته في الظلام !

● الموسيقار الالماني الشهير جوهان سباستيان باخ John Sebastian Bach (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) كتب يصف حياته بعد ان فقد نور عينيه : « **كان صوت الطيور في الصباح هو الشيء الوحيد الذي يذكرني بان الظلام قد انقشع ، وكنت اقوم من فراشي واتجه صوب نافذة غرفتي ، واقف وراءها فاحس بدفء الشمس وهي تتسلل في رفق الى حيث كنت امضي أيام الظلام !**

« **انني لم اغادر هذه الغرفة منذ ان اختفي امامي آخر خيط من الضوء .. فقد كنت لا احتمل ان امسك بيد تقودني، لا احتمل ان اشعر بالصمت الذي كان يحتوي المكان الذي اظهر فيه فجاة ، فتتحول الضحكات الى همس ، وهي التي كانت تدوي منذ لحظات قبل وصولي اليه . ! »**

« **لقد احببت الحياة ، واحببت الناس، واحببت الطبيعة ، وعشقت الموسيقى ، ولكن الله شاء ان يحرمني من كل هذه الصور، ماعدا ذلك النغم الذي بقي يصل الى اذني في الظلام ! »**



« **كان الشيء الوحيد الذي يذكرني بانني ما زلت حيا، هو صوت موسيقاي.. فكنت احس كلما سمعت نغما جديدا أن ابواب السماء تفتح لي ذراعيها لتستقبلني ولتخلصني من الالم الذي اعانيه على الارض بعد ان كساها الظلام .. »**

ومات باخ بعد عام واحد من اصابته بالعمى ! وكانت ليلة عاصفة ممطرة تلك التي مال فيها بجسمه الى الوراء ، وقال « **انني ارى بصيصا من النور ولكنه قادم من بعيد .. قادم من السماء .. انها تدعوني اليها ! »**

ثم سقطت رأسه فوق صدره ، ولاول مرة رأوا وجهه الحزين يشرق بابتسامة باهتة



المرأة المثالية !

● سألوا وليام فولكنر William Faulkner (١٨٩٧ ـ ١٩٦٢) ، الكاتب والمؤلف الامريكى المعروف ان يصف لهم المرأة المثالية فى نظره،فقال : « **انني لا استطيع ان اصفها بلون شعرها او عينيها ٠٠فهذه صفات يراها الرجل ويعجب بها لحين ، ثم لا تلبث ان تختفى عن ناظره ٠٠ ان المرأة المثاليـة فى رأيى ، هى تلك التى تبقى صورتها فى رأس كل رجل ، وهى صورة تستطيع هى وحدها ان ترسمها لنفسها بكلمة جميلة او راى جديد يثير اعجابه وتقديره فتبقى كلماتها حية دائما فى مخيلته ، كما لو كانت صورة رائعة لفنان مبدع ٠٠** »

وربما كان اجمـل وصف للمرأة هو الذى جاءعلى لسان تولستوى وهو يتحدث عن «أنا كارتينا » فقد قال عنها : « **نعم،** لقد كانت جميلة ، ولكن اجمل ما فيها بصيرةكادت بها ان ترىكل شىء من حولها ولو فى الظلام ! »

الرجل العظيم فى رأى حكيم الصين !

● صان يات سن (١٨٦٧ ـ ١٩٢٥) الزعيم الصينى الذى استبق ثورة الصين، والذى حاول ان ينقل الحضارة الغربية الى بلاده التى بقيت تغط فى نومتها الطويلة قرونا من الزمان ، سالوه يوما عن الصفات التى يجب ان يتحلى بها الرجل العظيم ، فقال : « **لا اجد اروع مما جاء على لسان كونفوشيوس ، معلمنا الكبير ، فقد وصفه بقوله : «انه الرجل الذى لايشعر بعظمته، فهو يتالم لقدرته المحدودة،ولا يتالمعندما يجد الاخرين من الرجال لايعترفون له بقدرة !** »



كونفوشيوس

ويقول صان يات سن فى الكونفوشيه: « **لقدكنت ابشر بتعاليم هذا الرجلالعظيم الذى ظهر قبل السيد المسيح باكثر من اربعـة قرون من الزمان ٠٠ فقد كانت تعاليمـه هى « الناموس الخلقى » الذى سيطر على روح شعب الصين قرونا طويلة حتىبعد ثورتهاالكبرى٠٠ان كونفوشيوس المعلم والمصلح واحكم حكماء الصين ، هو الرجل الذى زرع بيديه بذور الحركة التى ظلت تحمل اسمه حتى يومنا هذا ٠٠** »

لقد مات كونفوشيوس ، ولكن تعاليمه ما زالت تعيش بيننا ، وقد كانت القاعدة الذهبيـة التى ارسى اسسها فى مجتمعـه القديم ، عندما قال للذين جاءوا يشكون اليه ظلم الانسان لاخيه الانسان : « ما لا تحبه لنفسك لا تصنعه لغيرك ! »

هازليت



شكسبير النثر الانجليزي

عاش طفولة مرحة سعيدة فلما كبر أصبح نفورا عزوفا غليظ القلب

بقلم : جمال كناني

■ **قال عنه بيويك** Bewick : « انه شيكسبير الناثرين في العصر الذهبي للأدب الانجليزي ... » ، **ووصف كراب روبنصون** Crabbe - Robinson **نقده لشعراء مدرسة شعر العاطفة في القرن التاسع عشر ، فقال :** « انه يقرع بالعصا كل الاحياء من الشعراء ، فيلهب بنثره ظهورهم في غير احترام ، ولكن في شهامة وفصاحة . »

وقال عنه كيتس Keats : أسمى واعظم ثلاثة أشياء في هذا العالم الجديد ، هي « رحلة » وردزورث Wordsworth ، وصور هايدن Hayden ،وعمق ادراك هازليت Hazlitt **اي قدرته على التمييز بين الشعر الاصيل والشعر الزائف ...**

ذلكم هو وليام هازليت .. شيكسبير النثر .. الكاتب الصحفي الناقد الانجليزي ، الذي ولد في ميدستون Maidstone **، في مقاطعة كنت** Kent **، في اليوم العاشر من شهر ابريل (نيسان) ١٧٧٨ .**

ايامه الاولى :

فقضى وليام هازليت باكورة حياته يدرس الفلسفة والادب والفن والسياسة ، ولكنه اساسا كان باحثا في شئون الحرية والانسانية ، وكانت انسانيته هي التي اكسبت كتاباته مانالت من خلود .

ولد صاحبنا هذا في عهد الثورة ، وعاش في احضانها،لان اباه القس كان قد ثار على الكنيسة الرسمية ، وكان قد ساند الثوار في امريكا ، واعتنق مبادىء الثورة الفرنسية ، وبشر بتعاليمها ... وفي هذا الجو نشأ وليام هازليت ، وفيه نما وترعرع ..

قيل ان وليام هازليت الطفل كان مرحا سعيدا ضحوكا الوفا ، فلما دهمه البلوغ تغير وتألم ، واصبح عزوفا نفورا جافا غليظ الطبع .. قال ابوه في ذلك « مرت على ولدي سحابة حرمته نعمة المدنية الفطرية » .

والانسان مدني بالطبع كتب هذا المراهق وهو في المدرسة خطابا لابيه قال فيه : « ما اسعد من



يستطيع – اذا ادركه الموت ، يا ابي – أن يقول بشيء من الرضا الذي لا يحسه غيره ، « لقد نلت من الدنيا غايتي ، ولم يعد فيها من المباهج ما يستهويني . وأحمد الرب أني قد هزمت كل شهواتي .فلا دموع .. ولا أسى ... ولكن سعادة دائمة مقيمة ... وما اتعس الرجل الذي اذا احس باجله يدنو ، أو بنوره يخبو ، قال : ليتني اديت واجبي نحو الخالق ، ونحو العباد ... » قال هذا وهو يلفظ انفاسه الاخيرة وهو يطلب المغفرة من ربه » .

لقاؤه مع كولردج Coleridge

كان عميدا الشعر الانجليزي في القرن التاسع عشر – كولردج ، ووردزورث – يناصران مبادىء الثورة الفرنسية اول الامر ، ويبشران بتعاليمها، وكانا يناديان بالتحرر من ضغط الكنيسة الرسمية وتزمتها .. فاتفقت مذاهبهما وما يؤمن به القس هازليت الذي لم يتردد في دعوة كولردج للعشاء في بيته الريفي .. وكان الابن وليام هازليت اذ ذاك في العشرين من عمره ، وكان من المعجبين بالشاعر كولردج ..

وتمت الزيارة ، وأخذ القس وابنه يستمعان لحديث كولردج ، وهو ينتقل كالفراشة من موضوع الى موضوع في يسر وطلاوة وطلاقة ، واحس وليام وهو يستمع اليه الى الحق ، وقد وجد في الخيال حليفا ونصيرا ..

واهتم كولردج بأمر الشاب وليام ، وبحث معه ، بعد العشاء رسالة فلسفية كان هازليت الصغير ينعدها ، فناقشه فيها كما يناقش نداً .. فلما لم يصلا الى قرار دعاه كولردج لاتمام المناقشة في بيته « نيذَر ستووى Nether stowey » فاحس الشاب بسعادة وغبطة،وقبل الدعوة شاكرا .

عناد وخلف

قلنا ان المراهق هازليت كان يكتب لابيه ويبادله الرأي ، حتى وهو في مدرسته ، فلما عرف أن اباه يرغب رغبة اكيدة في دخوله الكنيسة قسا ، كما دخلها الاب من قبل،امتثل وليام لرغبة ابيه والتحق بكلية اللاهوت ، ولكنه لم يستطع البقاء فيها اكثر من عام واحد .. وتغلبت طبيعته الثورية فاعلن انه يريد احتراف الرسم ، ليكون فنانا كاخيه الاكبر .. وحاول ابوه رده فلم يفلح ، ولم يسمع الابن أو يستمع ، وراح يتتلمذ على اخيه ،واظهر في الرسم موهبة لا باس بها . وكلفهاحد الاثرياء بقضاء عام في باريس ،لنسخ بعض اللوحات الفنية التي رسمها كبار الفنانين ، ففعل .

وفي باريس اتصل وليام هازليت بالثورة الفرنسية عن كثب ،واصاب في نسخ اللوحات بعض النجاح، لان النسخ مقيد ، يحرم الابتكار أو التصرف ، وكلفه ثري آخر برسم صورة لكولردج ، وأخرى لوردزورث ، ففعل .. وكانت العلاقات قد بدات تفتتر بين هازليت ومعلمه كولردج ... فلما لم تعجب الصورة كولردج رفض هازليت تعديلها ، واصر على رايه ، وركب راسه .. فكتب كولردج الى صديقه وردزورث : « لقد خاب رجاؤنا في تلك الصور ... وتقسم مدام ويلكنسون أن صورتك جد هزيلة ... وهازليت يدرك ذلك تماما ، ولكنه يصر على عدم تعديلها .. لم ؟ لان الشبه بين الصورة وصاحبها ، في حسابه ، اعتبار ثانوى ... كل مايهمه أن تكون الصورة قيمة من الناحية الفنية، في رأيه هو ! »

ومما زاد الطين بلة ، أن وردزورث اكتشف ان هازليت كان خلال الفترة التي كان يرسم فيها ، ويعيش معه في بيته – قد عبث باحدى بنات الحي ، واتصل بها اتصالا غير شريف ، مما اضطر هازليت

للهروب ، وغضب المضيف ، وحنق على هازليت معلمه كولردج لما سمع خبر الفضيحة ٠٠ وبدأ الخلف يدب ، واخذت الأحداث تتوالى ٠٠ وساءت العلاقات ، وتوترت فانقلبت الصداقة عداوة بين هازليت من ناحية وبين كولردج ووردزورث من ناحية اخرى ٠

الكتابة بدل الرسم

كان هازليت قد بلغ السادسة والعشرين من عمره دون ان يكون له مورد رزق ثابت يعتمد عليه ، بعد ان فشل كفنان ، فلما اعيته الحيلة عاد الى الكتابة ، ونشر اول كتبه عام ١٨٠٥ ، وهو الكتاب او الرسالة الفلسفية التي كان قد ناقشها مع كولردج يوم زاره في بيته أول مرة ٠٠٠

وبدأت آراء هازليت الفلسفية تتبلور ،فاستطاع ان يعبر عنها تعبيرا واضحا ، وتجلت في كتاباته تلك النزعة التحررية ، فبدا وكأنه يسير في الدرب الذى سارت فيه الثورة الفرنسية ، واحس انه يعيش في فجر عصر جديد ، تتحرك تتفكك الناس فيه دوافع جديدة ، وآمن بأن شمس الحرية تشرق مع شمس الحياة وان الشمسين احستا بشيء من الزهو ، وهما تدوران في الفلك الجديد معا ٠

وهكذا افترق هازليت عن صاحبيه كولردج وردزورث ، لانهما انكرا الثورة ومبادئها لما توج نابليون امبراطورا عام ١٨٠٢ ، ثم نشبت الحرب للمرة الثالثة بين انجلترا وفرنسا عام ١٨٠٣ ٠٠ اما هو فظل مؤمنا بالثورة وتعاليمها ، بل انه اتخذ من اعداء الثورة مادة لهزئه وسخريته ٠٠

وتأثر اسلوب هازليت كذلك بحب الطبيعة ، ذلك الحب الذى غرسه كولردج في قلبه ٠ فلما تزوج هازليت من سارة ستودارد عاش اكثر وقته في بيتها الريفى فيمقاطعة هامبشاير ٠٠٠ ووضعت سارة طفلها الاول ، ولكنه لم يعمر طويلا وحزن عليه حزنا بالغا ٠٠

« لم اكن قد رأيت الموت من قبل الا مرة واحدة ٠٠ حين ادرك الموت رضيعا ٠٠ علت الوجه نظرة هادئة ساكنة ، فبدا باهتا جازما ٠٠٠ كان ما رأيت اشبه بدمية من الشمع ، اودعت في النعش ، ومن حولها زهور بريئة ٠٠٠ لم يكن ما رأيت كالموت ، ولكنه كان اشبه بصورة الحياة ٠٠ فلا كان النفس يحرك الشفاه ، ولا النبض يدق في العروق ، ٠٠٠ واما هذه العيون وتلك الآذان ٠٠ فقد استحالت عليها الرؤية ٠٠ واستحال السمع ٠٠ ونظرت الى الدمية فلم ار للألم اى اثر ٠٠٠ وبدا لى انها تبتسم ساخرة من ومضة تلك الحياة التى فارقتها ٠٠ ولكن قلبى لم يطاوعنى أن اضع الغطاء فوق النعش ، لانى احسست أن الغطاء يخنقنى ويكتم انفاسى انا ٠٠٠ الا أن ذلك النسيم الذى يحرك العشب الذى نما فوق المقبرة الصغيرة ٠٠ ذلك النسيم الكريم ٠٠٠ يخفف ما يملأ صدرى من ضيق » ٠

كانت حياة الريف عند هازليت انشودة من اناشيد الرعاة تعاقبت ايامها الهادئة ٠٠٠ الا ان دخله تضاءل ، لانقطاعه عن زيارة لندن ، فلما رزقت سارة طفلا ثانيا عاش ، اضطر هازليت للعمل ٠ فلما عرضت عليه احدى الصحف اللندنية عملا قبله فورا ، واتخذ له بيتا في لندن ٠٠ وبعد أيام من بدء العمل الصحفى الجديد قال « لم اكن حتى هذه اللحظة قد تعودت الكتابة اطلاقا ، او انى كنت استغرق فيها وقتا طويلا ، ولكنى وجدت ان قلمى اصبح طيعا تحت ضغط الحاجة » ٠

هازليت وكولردج

كان هازليت في سن ٣٨ ، لما سنحت له الفرصة لنقد شعر معلمه وراعيه كولردج ٠٠٠ طلب اليه ان يستعرض قصيدتين من قصائد الشاعر الكبير ، فتغلب عناده وحقده على حكمه الموضوعى ، فبهتت في عينيه الوان عبقرية كولردج ، لانه كان قد قرر ان يهبط به الى مستوى اى شاعر عادى ٠٠٠ ووقع كولردج تحت رحمة هازليت ، فنسى هذا انه هو الذى علمه معانى الشعر الجديد ، فكشف للناس عن مواطن الضعف في كولردج وفي شعره ، وقال : « ان خطيئة كولردج هى انه لا يصل في الادب الى قرار او خاتمة ،لانه رجل حباه الله عبقرية شمولية جبارة تترك عقله ممزقا بين الشعر والنثر ، تائها بين الحق والباطل،ضالا بين اللانهايات ٠٠٠ وهو بسبب هذا الفيض من القدرة يأتى بالنزر اليسير ، أو يتمخض عن لا شيء » ٠٠ ثم قال : « وكولردج يقف من الادب موقف الكلب الأنانى من عظمة لايريدها لنفسه،ولا يسمح بها لغيره ٠٠٠

لكولردج يأبى ان يصل في الادب الى نتيجة معينة، ويحرم ذلك على غيره » .

ورد" وردزورث على هازليت ، وطعن في اخلاقه،وذكر الناس بفضائحه ومغامراته الغرامية، فكان في هجومه عنيفا قاسيا ، ولكن هازليت لم يسكت وراح يقول : « كان بعض الناس في اول حياتي يظنونني عبيطا ، ابله وكان كولردج في ذلك الوقت يؤكد لي ان عقلي يفوق في ميتافيزيقيته عقول كل من لقى في حياته ، فلما جسمت ميتافيزيقيتي هذه في كلمات تطبع وتقرأ، ادفع بها عن نفسي غضب منى ، ولما دانت لى لغة أعبر بها عن افكارى ، راح يدعى ان الافكار افكاره » .

على ان هازليت حاول بعد ذلك ان يكون موضوعيا ما استطاع في نقده لشعر كولردج ووردزورث ، وبذل في ذلك جهدا ، فاستطاع وربما عن غير قصد ، ان يصل الى اكبر درجة من الفهم لما كتب الشاعران ، لانه استطاع ان ينفذ الى الصميم ، ويكشف عما غمض فيما كتباه ونظماه .

على ان هازليت لم يكن عنيفا قاسيا في نقده لكولردج طول الوقت ، بل انه حاول ان يتلمس له الاعذار ، حين اشار الى ادمانه تعاطي الافيون فقال : « ان كولردج في حاجة الى ما يعينه على تحمل الالم ، ثم انه واحد من اولئك الذين مارسوا متعة الشعور بتلك الاحاسيس اللذيذة المتعاقبة ، وهؤلاء لا يستطيعون تحمل ألم الحرمان من تواتر تلك السلسلة من الاحاسيس ولو لفترة وجيزة ، ثم ان عقولهم التي الفت حالة المتعة والارتخاء تحس بظلم يقع عليها ، وتثور ضد ما يعكر الصفو » .

هازليت المحاضر

ولعل اكبر نجاح صادفه هازليت كان نجاح سلسلة المحاضرات التي القاها عن الشعر والشعراء في معهد سرى Surrey ، وكان موضوع المحاضرة الاولى هو تعريف الشعر فقال هازليت في ذلك : « الشعر هو لغة الخيال ، تنعكس على العواطف . هو تقليد الطبيعة .. والعواطف جزء من طبيعة الانسان . والشعر هو اللغة الكونية التي يحاور بها القلب" الطبيعة" ، وبها يخاطب القلب نفسه . وهو ذروة الحماسة في اطار الخيال والشعور . وليس الشعر فرعا من فروع الكتابة ولكنه العنصر الذي منه تنسج الحياة وما عدا ذلك فنسي منسي" .. عدم موات !! فليس هنالك ما يستأهل الذكر في الحياة غير ما فيها من شعر .. الخوف شعر ، والامل شعر،والحب شعر،والكراهية شعر ، الاحتقار.. الغيرة.. الندم.. الاعجاب.. العجب .. الشفقة .. العطف .. واليأس او الجنون .. كلها شعر . » .

واهتدى هازليت الى الطريقة التي بها يرسم بالكلمات «النسيج" الاساسي» للشعر الجديد،فكان داعية له .. فهو الذي فهم روح شعر العاطفة الجديد ، وقد"مه بما قنّن له من معايير النقد ، وطرق الدرس والتحليل .

كانت القوانين الاولية للطبيعة هي المادة الحقيقية لشعر وردزورث الجديد ، **وعبر كولردج عن ذلك بالاشارة الى نقطتين اساسيتين في الشعر:**

الاولى هي القوة المستمدة من اثارة عطف القارىء **بالتزام ما هو حق بالنسبة للطبيعة . والثانية هي القوة المستمدة من الاهتمام الذي تثيره الجدة الناتجة عن تعديل الوان الخيال ..**

وكان فضل هازليت هو انه استطاع ان يحول هذه العموميات الى معيار يمكن ان يقاس به الشعر .

خاتمة

اعتلت صحة وليام هازليت ، وتأثر عمله ، وقل" دخله ، والتقلت الديون" كاهله ، فدخل السجن لما عجز عن السداد ، وبقى سجينا حتى قيض الله له واحدا من اهل الخير كفله فافرج عنه ، والح المرض عليه واقعده ، فمات بسرطان المعدة في بيته ، بشارع فريث . Frith str في حي سوهو Soho بلندن ، في اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر (ايلول) عام ١٨٣٠ وهو في الثانية والخمسين من عمره وكانت كلماته الاخيرة لولده « لقد كانت حياتي سعيدة حقا » ..

ولعل اشهر مقالاته كلها مقال له بعنوان « كيف تعيش لنفسك » !!

جمال كناني
ماجستير في التربية وعلم النفس

إلى حبيب

على خط النار

في جبل الشيخ

ارفع جبينك يا حبيـ ـبي ... داميا حرا ... كريما
واترك شفاهي في اشتيا ق تلثم الجرح الوسيما
لله در الجرح ... فجّـ ـر فيك بركانا مقيما
فانساب في أرض البطو لة يغسل العار القديما
اقرأ سطور الحب .... في شعر الكرامة والبطولة
شوقي اليك معينه .. لهب الشجاعة والرجولة
اضرب عدوك ، شبّه يسري على أرضي الظليلة
اني أحبك ساحقا .. في قمة الشيخ .. فلولـه
واذا رجعت اليّ ..... ترْ وي قصة النصر الجليلة
وتحدث الأطفال كيـ ـف هزمت أقواما دخيلة
واذا همست لقلبي الـ ـولهان أسرارا طويلة
عن كل شبر .. من ربى الـ ـجولان .. قد روّى غليله
فلسوف تحمل حبّنا . للخلد .. أنسام عليلة

★★★

هذي الرسالة يا حبيـ ـبي من شذى البارود تندّى
أودعت بين سطورها من قلبيّ الدفّاق وجدا
ونضدت من شعري .. ومن أزهار شوق القلب عقدا
سأحيط زندك بالحنا ن اذا انثنى صهيون عبدا
وتعود ترشف يا حبيـ ـبي من رحيق الوجد شهدا
جذلىّ أسطر للحبيـ ـب رسالة الحب الكبير
أتراك تقرؤها .. وأنـ ـت بخندق بين الصخور
لله درك .... دع ثرى الـ ـجولان ... ينثر في السطور
واذا حملت ذخيرة الـ أبطال .. في زحف مرير
فابسط رسالتي الصغيـ ـرة فوق رشاش صغير
ستطير في جو المعا رك بين أصداء الهدير
وتحط في أرض العرو بة .. بعد تقبيل النسور
وترف بين يديك .. تمـ ـزج حبنا بلظى السعير

★★★

هذي رسالتي الأخيـ ـرة للحبيب على الحدود
خلدت بين سطورها أسطورة الحب الجديد
عجبا لقلبي ... كيف يهـ ـوى مرتين بلا قيود ؟
يهوى القذائف ترتوى من صدر أفاق مريد
اني عزمت اليوم أمـ ـرا سوف ينشده قصيدي
ساكون قربك يا حبيـ ـب' لردع مجتاح عنيد
ساخوض معركة الكرا مة انها درب الخلود
ويقام عرس المجد يو ما للشهيدة والشهيد

هند هارون ـ اللاذقية

فَرْحانٌ وَجَوْعانُ وَغَضْبانُ ونَعْسانُ..



▪ تقول العرب : الرجل فَرْحانٌ ، والمرأة فرحانة ، والرجلان فرحانان ، والمرأتان فرحانتان ، والرجال فرحانون ، والنساء فرحانات .

وهكذا الأسماء الآتية حين تؤنث ، أو تثنى ، أو تجمع ، وكلّها على وزن « فَعْلان » : جَوْعان ، حرّان ، خزيان ، رغبان ، سأمان ، سكران ، سهران ، شبعان ، شهوان ، صديان ، ظمآن ، غضبان ، كسلان ، ملآن ، نشوان ، نعسان ، يقظان .

وكل هذه كلمات عربية فصيحة ، نجدها كما نجد عشرات أمثالها في معاجم اللغة ، ولا يندر ان نجدها في النصوص الأدبية الفصيحة شعرا ونثرا ، ومهما نحسن الظن بشمول المعاجم فلا شك انها لم تقيد كل الكلمات الفصيحة ، وان قيدت اكثر اصولها او جذورها ، وهي تذكر اشتقاقات بعض الجذور ، وتترك الاشتقاقات من الجذور الاخرى للقياس : قياس المجهول على المعلوم ، واعطائه حكمه ، فلا موجب للتوقف عند السماع ، « وما جاء على العرب فهو من كلام العرب » .

اشتقاق فعلان ودلالته

ويلاحظ في كل اسم على « فعلان » انه ثلاثي الجذور ، مزيد بالف ونون ، وهذه الزيادة تدل على الوصف،(١) فالاسم « فرحان » مثلا ماخوذمن الجذر « فرح » ومن هذا الجذر تؤخذ الافعال الثلاثة ، (فرح ، يفرح ، افرح) واسم الفاعل : فارح ، وفرح ، ومفراح ، وفرحان ، فكان زيادة الالف والنون هنا دليل على النسب الى الجذر (٢) ، كما قالت العرب : رجل نصران ، وامراة نصرانة،في النسب الى الديانة النصرانية.

« فعلان » في لهجاتنا الدارجة

وفي لهجاتنا الدارجة كثير من الاوصاف على وزن « فعلان » مثل : بغلان ، بردان ، بطران ، بهتان ، تعبان ، جربان ، جعدان ، حردان،حلمان، خدران ، زعلان ، زهقان ، زوران ، سرحان ، سهيان ، شرقان ، شقيان ، صفيان ، ضعفان ، طرشان ، عصيان ، عمشان ، عميان ، عيان ، فجعان ، فشلان ،فلسان ،فهمان ، قلقان ، كحيان، كفران ، كمشان ، ، ليدان ، مرضان ، ندمان ،

---

(١) انظر « صفحة في اللغة » في مجلة العربي/العدد (١٨٠) ، « اسم الفاعل : صيغه ودلالته » • •

(٢) زيادة الالف والنون آخر الاسم ودلالتها على النسب تعد من الظواهر التي تشارك فيها بعض اللغات الشرقية والغربية •

ندیان ، تحفان ، نسيان ، هَبيان ، هربان ، همدان ، وَجمان ، وحمان ، ورمان .

ومعظم هذه الاوصاف نجد جذوره في المعاجم ، وهو يشاركه جذورها في حيز معناها العام ، حقيقة او مجازا ، فالوصف « بخلان » مثلا من « بخل » ، و « تعبان » من « تعب » ، وهكذا ؟ فلماذا اذن تتنكر لهذه الاوصاف وهي عربية الجذر والجرس والوزن او الاشتقاق ، مع حاجتنا اليها ، ودورانها وخفتها على السنتنا ، وسهولة فهمنا اياها ، وبعضها يؤدي المعنى بدقة لا نظير لها في الفصيحة المتداولة .

« فعلان » في الأعلام

كثير من الاوصاف قد استعمله اسلافنا اعلاما ، ومنه مايُستعمل حتى الآن ، مثل : حسان (اى حساس ، مثل : حسان بن ثابت شاعر النبي) ، حمدان (بنو حمدان ، ومنهم سيف الدولة الحمداني) ، حيان (ابو حيان التوحيدي) ، سحبان (الخطيب المشهور، يضرب المثل بفصاحته) ، شعبان ، شرهان (أسر مشهورة في بعض بلادنا العربية) ، عدنان ، عفان (عفيف) ، غسان ، غيلان (اسم الشاعر ذى الرمة) قحطان ، كهلان ، همدان (الثلاثة قبائل عربية) ، وردان (مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه) ، يقظان (حى بن يقظان) ، ومن الكنايات عن مجهول النسب : « هيان بن بيان » .

من الاسماء الجامدة

ومن الأعلام على هذا الوزن ما اصله جامد ، مثل : صفوان ، مروان ، سعدان ، فالصفا والمرو نوعان من الحجارة ، وفي القرآن الكريم « ان الصفا والمروة من شعائر الله » وفيه ـ وصفا لمن ينفق ماله رياء ـ « كمثل صفوان عليه تراب » فاذا سمي الرجل « صفوان » أو « مروان » فالمقصود وصفه بالصلابة ـ او هذا ما قصده اول من اتخذه علما وهو يلاحظ فيه الوصف ـ واذا سمي الرجلُ « سعدان » ـ وهو نوع من الشوك ـ فالمقصود وصفه بالخشونة وصعوبة المراس . فالجامد هنا كالمشتق في دلالته ، كما نقول : اقبل الرجل نارا ، وانصرف ماء ، اى : جاء محتدا ، وذهب هادئا .

اعراب فعلان : علَما ووَصفا

إذا كان الاسم الذى على وزن فعلان علماً مُنع من الصرف (أى من التنوين) ــ مثلُه مثل كلِّ علم مزيد بألف ونون ــ فاذا وقع مجرورا كانت علامة جره الفتحة ، فنقول : « لسلمانَ الفارسيِّ منزلة عالية عند النبي ، وتزوجت في شعبانَ » .

وإذا كان وصفا فقد كان معظم النحويين (وهم البصريون) يقسمونه ثلاثة أقسام :

١) ما كان مؤنثه على فَعْلَى ، مثل عطشان (عطشى) ، وسكران (سكرى) وغضبان (غضبى) وكانوا يمنعونه من الصرف ، ولذلك يجرونه بالفتحة ، مثل : نظرت إلى سكرانَ يَهْذى» ولا يجوزون عندهم أن يقال : نظرت إلى سكرانٍ يهذى »

٢) ما كان مؤنثه على فعلانة ، مثل : سهران (سهرانة) كسلان (كسلانة) نعسان (نعسانة) [٣]

٣) ما ليس له مؤنث ، لاختصاصه

---

(٣) بعض هذه الأوصاف يؤنث علىفعلانة وعلىفعلى ، مثل فرحان ، فمؤنثه فرحانة وفرحى .

بالرجال ، مثل لحيان (الطويل اللحية) وكانوا يصرفون (أى ينونون) هذين القسمين الاخيرين ، فيجرونهما بالكسرة ، مثل : كلُّ سهرانٍ مهمومٌ وعجبت من لحيانٍ يتبذّل

وكانوا في معرفة مؤنث كل اسم من ذلك يعتمدون على ما سمع من العرب ، ولا يقيسون على كلامها .

قرار المجمعين اللغويين

ثم جاء اعضاء المجمع اللغوى في القاهرة ـ خلال انعقاد دورته في بغداد مع اعضاء مجمعها العلمى سنة ١٩٦٥ ، فاجازوا في كل وصف على فعلان .

(١) ان يؤنث على فعلانة .

و (٢ ، ٣) واذن يجوز تنوينه ، واذن يُجرّ بالكسرة .

وهم لم يبتدعوا هذا الرأى ،ولكن كان مخبوءا فكشفوه ، وهو رأى قديم للنحويين الكوفيين ، اقاموه على ما سمعوا منقبيلة بنى اسد العربية، التى كانت تؤنث كل فعلان على فعلانة ، فتنونه ، وتجره بالكسرة ،وفي هذا تيسير يستوجبالشكر .

م . خ . ت

***

أرسلت اليك السيف لا اليد التى تضرب به

● كان عمرو بن معد يكرى الزبيدىمن شعراء العرب ، ومن اشهر شجعانهم في الجاهلية ، وكان لـه سيف مشهور يسميه« الصمصامة » ، تردد اسمهكثيرا فيالادب العربى حتى أيام العباسيين . ولما جاءالاسلام اسلم عمرو ، حتى كانت حركة « الردة » في خلافة ابى بكر ، فكان عمروفى المرتدين ، ثم اسر وعاد الى الاسلام ، فعفا عنه ابو بكر . وفى خلافة عمر كانتموقعة القادسية فكان عمرو ممن شاركوا فيها،وظهرت له ولسيفه فيها فتكات جبارةسار ذكرهـا حتى وصل مسمـع عمر فى المدينة ، فافترض ـ وهو الحاكم العبقرىالمسئول عن المسلمين وجيوشهم ـ انه ربما كـان للصمصامـة خصائص دون بقيـةالسيوف ، وعليه اذن معرفة ذلك ، ليطبع امثال الصمصامة ، ويزود بها جيوشه فيحروبهم مع الاعداء ، فارسل الى قائده في القادسية : سعد بن ابى وقاص ، أنيرسل اليه الصمصامة ، فلما وقع فى يده قلّبه وهو الخبير بالسيوف ـ فلم تظهر لهفيه خصيصة ، ولكن بقيت في نفسه بقية عجبمن شهرة الصمصامة،فهل له خصيصةلم تنكشف له ، ولكن يعرفها صاحبه ؟ فكتب الى سعد يطلب منه أن يسأل عمراعن سبب شهرة سيفه وشدة فتاكته ، فلما ساله سعد قال له : اخبر أمير المؤمنين أننيارسلت اليه السيف ، ولم ارسل اليه اليد التى تضرب به .

وفى هذا المعنى قال أحد شعرائنا :

ان السيوف جميـع الناس تحملها ... وليـس تعملُ الا في يدى بـطل



زوجتك

علمها كيف تعيش من بعدك !

■ لقيته صدفة وهي عائدة من رحلتها التي تعودت ان تقوم بها مرة كل عام ·· وترددت طويلا قبل انتستوقفه وتمد اليه يدها مصافحة ، وهي تقول : « طبت صباحا ياسيدى ·· هل تذكرني ؟»

وتطلع الرجل الى وجهالفتاة التياعترضتطريقه فجاة ، كانت فتاة جميلة في الرابعة والعشرين من عمرها ترتدى ملابس الحداد ، وتكسو وجهها مسحة من الحزن ··

وحاول ان يتذكر ، واسعفته ذاكرته ، فصاح يناديها باسمها ·· نعم انها هي ·· ابنة صديقه العزيز الذى تركها ورحل وهي طفلة لم تبلغبعد عامها الحادى عشر ··لقد قابلها بعد ذلكعدة مرات وكانت ترتدى نفس الثوب ·· ثوب الحداد الاسود، وهي في طريقها الى المدرسة ، او وهي عائدة الى البيت في المساء ·· وفجاة اختفت ولم يرها ·· لقد اتمت تعليمها الثانوى ، ودخلت الجامعة ·· ثم هاهو يلتقي بها مرة اخرى بعد غيبة دامت خمس سنوات او يزيد ··

ماتت أمنا !

وشد على يدها بحرارة ، وقال وهو يربت على كتفها « كيف حال والدتك واخوتك يابنتي ؟ »

قالت ، وهي تخرج منديلها الصغير لتجفف به دموعها : « لقد رحلت امنا ياسيدى ·· ماتت منذ ثلاث سنوات وانا مازلت طالبة في الجامعة ، ونحن اليوم نعيش مع جدتنا العجوز ! لقد قاست امنا المسكينة كثيرا لكي توفر لنا حياة كريمة بعد وفاة والدنا ، حتى اشتدت عليها وطأة المرض ، وعجز الطب عن علاجها··كنت اتمنى ان يمتد بها العمر قليلا لتراني بعد ان اكملت تعليمي وتخرجتفي الجامعة ·· كنت اتمنى ان ياتي اليوم الذى احصل فيه علىمرتبمنوظيفتيالجديدةلاضعه بين يديها ، واقول لها : « تستطيعين الان ان تنامي وتستريحي ياامي ، فقد كبرت ، وتعلمت واصبحت قادرة على ان اتولىمهمة الانفاق عليك وعلى اخوتي الصغار



•• ولكنها رحلت وهى اكثر ماتكون لهفة علينا وقلقا على مصيرنا ! »

وقال الرجل محاولا ان يهون عليها : « تاكدى ياصغيرتى انها قد احست بالراحةاليوم وهى ترف رقدتها الابدية •• ان الموتى لايفارقوننا ، فهم يعيشون معنا بارواحهم !

•• وافترقا

وصافحها مودعا ، وهو يعدها بزيارتها هى واخوتها فى بيت جدتهم ، ويرجوها بحق الصداقة التى كانت تربط بينه وبين والدها الا تتردد فى الاتصال به اذا اعوزتها الحاجة فى اى من الايام !

وافترقا ••

وذهبت الفتاة الى مكتبها فى الشركة التى التحقت للعمل بها منذ اكثر من عامين ••

حتى اذا انتهى اليوم ، عادت الى البيت حيث وجدت اخوتها وجدتها العجوز فى انتظارها ،كما تعودوا ان يفعلوا كل مساء ••

وانهمكت فى عملها فى المطبخ لتعدطعام العشاء، وطعام الغداء لليوم التالى ، ثم مالبثت ان جلست، وجلسوا من حولها على المائدة وراحت تستمع الى قصصهم ومغامراتهم مع زملائهم فى المدرسة ، وتعاونهم على تادية واجباتهم المدرسية ، الى ان استبد بها التعب فى النهاية ، فذهبت الى غرفتها لتنام ••

مع الذكريات

ولكنها لم تنم ولم يغمض لها جفن فى تلك الليلة •• لقد وجدت نفسها بالرغم منها تعيش ذكريات تلك الاعوام القاسية المريرة التى كافحت فيها امهم المسكينة التى بذلت كل ماتملك من جهد ومال فى سبيل رعايتهم بعد ان ذهب الاب والراعى وتركهم وحيدين فى هذه الدنيا ، بلا مال يقتاتون به ••

فى مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات جاء الطبيب لعيادة امها المريضة ، انها تذكر كلماته ، كما لو كانت بالامس القريب ، وهو يحذرها من مغادرة فراشها •• لقد اصيبت المسكينة بداء السل نتيجة للجهد المتصل الذى كانت تبذله وهى جالسة على مكنة الحياكة تعد الملابس التى كانت تعكف على تفصيلها وحياكتها للسيدات من صديقاتها اللواتى كن يعطفن عليها ويجزلن لها الأجر ، وهم يرون هذا العبء الكبير الذى تحمله وحدها بعد رحيل زوجها ••

•• وجاءت النهاية

كم عانت الأم المسكينة ، وكم سهرت الليالى فى غرفتها الصغيرة بعد ان ينام ابناؤها ، لكى تتمكن من انجاز عملها وتسليم الملابس فى مواعيدها •• حتى عندما فاجاها الداء اللعين •• رفضت ان تذهب الى المستشفى لتوفر نفقات العلاج ، واخفت النبأ عن ابنائها ، وحاولت ان تبتعد عنهم بقدر ما تستطيع حتى لا تنتقل عدوى المرض اليهم •• ومضت المسكينة تعمل وتعمل ، ولا تكف عن العمل ابدا حتى عندما ساءت حالتها ،وخارت قواها ،واضطرها المرض اضطرارا الى ملازمة فراشها •• الى ان كان هذا اليوم المشئوم ، عندما تذكرت الام فجاة انها لم تعد تملك شيئا من المال الذى كانت تدخره للانفاق على تعليم ابنائها ، فقامت من فراشها ، وجلست



على مكنة الحياكة لتعد ثوبا كانت قد وعدت احدى صديقاتها باعداده منذ فترة قبل ان يقعدها المرض ..

وعندما فتحوا باب غرفتها في الصباح ، وجدوها هناك جالسة على مقعدها الذي امضت عشر سنوات من عمرها تجلس عليه وسط محرابها .. وقد انكفأت براسها الذى كساه الشعر الابيض في هذه السن المبكرة ، فهي لم تكن بعد قد بلغت الاربعين من عمرها .. وكانت المسكينة قد فارقت الحياة !

باقة الحب

مرت هذه الذكريات الاليمة براس الفتاة وهي راقدة على فراشها ، بعد ان هرب النوم من عينيها .. ولم يكن ممكنا ان تفارقها صورة امها المسكينة طوال الليل ، وكيف تفارقها ، وهي التي كانت منذ ساعات قليلة في صباح ذلك اليوم ، تزور قبرها حيث وضعت بيديها باقة الورد الصغيرة التي تعودت ان تضعها على قبرها كل عام ، منذ رحيلها ..

ومرت ساعات الليل ثقيلة متباطئة ، ولم تصح الفتاة من ذكرياتها الا عندما بدات خيوط الفجر تتسلل في رفق لتبدد الظلام من حولها ، وتنقذها من ذكريات هذا الليل الطويل الذي بدا وكانه لا يريد ان ينتهي ابدا ..

وقامت من فراشها لتبدا يوما جديدا ، مع العمل والكفاح من اجل الرزق والحياة .. ؟

***

انها قصة ام ، رحل عنها زوجها ، في وقت كانت احوج ما تكون اليه .

وهي قصة زوج ، لم يفكر يوما في هؤلاء الذين ربطوا حياتهم بحياته ، وماذا سيكون مصيرهم اذا فاجاه القدر يوما وانتزعه من بينهم ، وحرمهم من عائلهم ومن مصدر رزقهم الوحيد ! انها قصة زوج لم يعمل لهذا اليوم حسابا .. قصة يرويها الدكتور سمايلي بلانتون تحت عنوان « علم زوجتك كيف تعيش من بعدك ».

ويقول الدكتور بلانتون : « ان اسوأ ما يمكن ان يحدث للاسرة ان يختفي عائلها قبل ان يعد العدة لهذه الساعة » ..

اضخم مسئولية في الحياة

« ان مسئولية الرجل تتضاعف بعد الزواج .. ثم لا تلبث ان تصبح اضخم مسئولية في الحياة عندما يصبح ابا » .

« ماذا اعد لهذه الاسرة ؟ ماذا سيصنع لها لكي يؤمن لزوجته واطفاله حياة كريمة في وجوده وبعد نهايته ؟ هل اعد زوجته لمواجهة الحياة من بعده ؟ وكيف يعدها ؟ ثم يقول : « ان الزوج العاقل هو الذي يعلم زوجته كيف تصبح ارملة ناجحة .. فالحياة رسالة في حاجة الى رجل وامراة لاتمامها.. ولكن ماذا يحدث اذا تدخل القدر واختطف الرجل في منتصف الطريق ، قبل ان يصل بهما القطار الى نهاية رحلة الحياة ؟

عمل الزوجة .. ضمان لمستقبلها

« اذا كانت الزوجة صاحبة مهنة ، فدعها تمارس مهنتها ،فهذه الممارسة تساعدها في الاعتماد على نفسها ! حقيقة ان المكان الطبيعي للمراة هو بيتها مع اطفالها ، الذين تقع على عاتقها مهمة تربيتهم ورعايتهم .. ولكنها اذا استطاعت ان تجمع بين المهنتين ، فهي قد نجحت في اسعاد نفسها وضمان مستقبلها ومستقبل اسرتها ! »

« ثم يجب الا ننسى ان المراة هي نصف المجتمع ، ومسكين هذا المجتمع اذا بقي نصفه عاطلا عن العمل والانتاج .. فقد ذهب العصر الذي كانت المراة تتفرغ فيه « لانتاج » الاطفال وحدهم !

تجربة زوجة

« روت زوجة شابة قصتها مع زوجها الطبيب قالت : « كنت زميلته في كلية الطب ، وتخرجنا معا في نفس العام ، وتقدم زميلي يطلب يدي من والدي الذي وافق على الزواج وباركه » ..

« ولكنني فوجئت بزوجي بعد مرور عام واحد

من زواجنا ، يطلب الى ان اتخلى عن ممارسة مهنتى لاتفرغ له وللبيت ، وبقيت فى البيت ، ورزقنا باربعة اطفال ! » .

« وفى عيد زواجنا الخامس عشر ، مات زوجى اثر نوبة قلبية مفاجئة .. ونظرت من حولى فلم اجد شيئا .. عيادة خالية ، ورصيدا هزيلا فى البنك ، فقد كان زوجى ينفق كل دخله تقريبا ، حتى لايشعرنى بعجزه عن تلبية طلبات الاسرة والانفاق على الابناء ، فاضطررت الى العودة الى مزاولة المهنة التى تعلمتها معه ! » .

« وحاولت ان املأ المكان الذى خلا بوفاة زوجى فى العيادة .. ولكننى عجزت .. فقد شطبت نقابة الاطباء اسمى من جدول العاملين ، لاننى توقفت عن ممارسة المهنة ، ثم ، وهذا هو الاهم ، اننى نسيت كل شىء عن الطب ، وما تعلمت ! » .

« ولم يكن امامى ، الا ان اقبل وظيفة صغيرة، بمرتب بسيط فى احدى المؤسسات ، لكى اتمكن من ان اكمل الرسالة التى لم يفكر زوجى يوما فى الاعتماد علىّ لاكمالها ! » .

حيرة وخوف !

ويعود الدكتور بلانتون الى الفتاة التى تركها مع ذكرياتها وتجاربها المريرة فى بداية هذا الحديث .. لقد شاءت الاقدار اخيرا ان تمد لها يد العون فى مواجهة الحياة واعبائها ومسئولياتها .. ولكنها وقفت حائرة لا تدرى ماذا تفعل وهى ترى اليد الممدودة امامها .. هل تتعلق بها وتترك القارب الذى مضت الامواج تلاطمه وتعصف به ، ام تبقى فيه حتى تهدأ العاصفة ويعود البحر الى صفائه وسكونه !!

« وحملت حيرتها وذهبت تطرق باب بيت صديق والدها الذى لقيته فى الطريق وهى عائدة من زيارة قبر امها ! » .

« واستقبلها مرحبا ، ودعاها الى الجلوس ، وقالت : « جئتك فى امر هام يتصل بمصيرى ومستقبلى ومستقبل اخوتى الصغار .. لقد تقدم شاب الى جدتى يطلب يدى . وانا فى حيرة لا ادرى ماذا افعل ؟ ان امامى مسئولية رعاية اخوتى والانفاق على تعليمهم ، واخشى ما اخشاه يا سيدى ان يطلب الىّ زوجى ان اترك وظيفتى ، لاتفرغ لبيتى ولحياتى الجديدة معه ! » .

انهم اليوم اخوتى الذين ارعاهم ، وغدا سيكونون ابنائى .. واخشى ان يحدث لى ماحدث لامى المسكينة .. لقد عاشت وعشنا معها حياة قاسية ياسيدى .. كانت تحترق لكى تهب لنا الحياة وكنا نبكى ونحن نرى شمعة حياتها تذبل وتنطفىء .. »

« لا اريد ان تتكرر مأساة امى معى ! » .

وانصت الرجل فى اهتمام الى حديث الفتاة التى تخشى الترمل وتخشى الحياة وهى التى كانت تنتظر هذا اليوم الذى يرقص له قلب كل عذراء طربا.. وفجأة قال يسألها « هل صارحت خطيبك يا ابنتى بهذه المخاوف التى تعتمل فى صدرك ؟ » .

قالت : « لا ! » .

وعادت الابتسامة الى الوجه الحزين !

قال : « اذهبى اليه الان وصارحيه ، وارو له قصة حياتك مع اخوتك وامكم ، بعد رحيل والدكم» .

وفعلت .. ومر يومان ، وعادت اليه ، ولم تكن وحدها .. كان معها خطيبها .. وتكلم الشاب قال : « ان اخوتها هم اخوتى واسرتها هى اسرتى يا سيدى .. كل ماطلبه هو ان يقبلونى فردا جديدا فى هذه الاسرة .. ولن اطلب الى زوجتى ان تترك عملها .. سوف اقف بجانبها واشجعها ،ولن انسى ان اعلمها كيف تعيش من بعدى حياة كريمة ناجحة ! » .

ونظر الرجلان الى وجهها الحزين ، فوجداه قد اشرق بابتسامة حلوة .. مليئة بالحب والامل والحياة ! ■■

منير نصيف

اعرف وطنك أيها العربي

عادت الحياة إلى واحة..

الأحساء

استطلاع بقلم :

محمد طنطاوى

تصوير :

عبد الناصر شقرة



صورة التقطت من الجو تمثل ٤ عيون للمياه وسط اشجار النخيل ومحطة الضخ الرئيسية التي تقوم بضخ مياه هذه



العيون لري الاراضي المرتفعة والى اليمين خبراء الزراعة في محطة التجارب يتفقدون حقلا مزروعا بالقمح المكسيكي.

● مشروع الري والصرف تكلف ٢٤٠ مليــون ريــال وأعاد الخصوبة لـ ٥٠ ألف فدان •

● قنوات من الأسمنت والحديد طولها ١٥٠٠ كيلومتر تحمل المياه الى الأرض فتحييها من بعد موت •

■ منذ بدء الخليقة والانسان في صراع دائم مع الطبيعة ..

وقد استمر هذا الصراع المرير منذ ان وطئت قدما ادم سطح الكرة الارضية حتى وقتنا هذا • ودفع هذا الصراع الانسان للتفكير والاختراع .. فسلاحـه الوحيد الذى حاول به ان يقهر جبروت الطبيعة من حوله هو عقله•وتطورت معرفة الانسان بفضل التحديات التى واجهها والمعارك التيخاضها ضد الطبيعة ليؤمن لنفسه غذاءه وكساءه • ودخلنا عصرا جديد بدأ الانسان فيهيحقق بعض الانتصارات على الطبيعة ، استطاع ان يستغل بعض قواها التى كانت تعتبر مدمرة بالنسبة له فى الماضى ، وان يحولها الى مصادر طاقة تساعده على توفير الرخاء والرفاهية له •

استطاع ان يقيمالسدود على الانهار..واستطاع ان يحفر الابار فى جوف الصحراء فيحول الارض الجدباء الى ارض خضراء معطاء •واستطاع انيولد الكهرباء من مساقط المياه .. ومن باطن الارض استخرج النفط الذى اداربه الالاته الميكانيكية،وغير هذا من الانجازات التى استطاع الانسان بما وصل اليهمنعلم وتكنية،بعد سنوات طويلة من الصراع مع الطبيعة ، ان يحققها ويجعلها امرا واقعا بعد ان كانت منذ زمان ليس ببعيد خيالا يراود عقول فئات قليلة من بنى البشر •

والصراع مع الطبيعة لم يتوقف حتى اليوم .. واهم صراع يدوم الان هو كيفيـة توفير الغذاء الكافيلملاين الافواهالجائعةالتى تولد كليوم•وهناك الان معارك كثيرة دائرة فى كثير من بلدان المعمورة لتحقيق الاستفادة من كل شبر من الارض التى يمكن زراعتها بمحاصيلغذائية تقيانسان المستقبل من الموت جوعا • وفى نفس الوقت فان الطبيعة لا تقف ساكنة فهي تحاول ان تسلب الانسان بعض هذه الاراضى التى يحصل منها على قوته وقوت أولاده •

وفى منطقة الاحساء بالمملكة العربية السعودية مثال رائع للصراع بين الطبيعة والانسان • ففى هذه الواحة القديمة التى كانت تعتبر من اكبر الواحات فى الجزيرة العربية تدور الان معركة كبيرة بين الانسان والطبيعة • لقد استطاعت قوىالطبيعة ممثلة فى رمال الصحراء المتحركة ان تحرز نصرا على الانسان فى الجولة الاولى ، وان تسلبه اجزاء كبيرة من ارض هذه الواحة • وان تدفن عددا كبيرا من قراها تحت هذه الرمال الناعمة .. اما بقية الارض فقد تعرضت هى الاخرى لفقدان خصوبتها نتيجة لتراكم الاملاح التى اخذت تتزايد فيها بسبب مياه الابار المستخرجة من العيون وعدم توفر نظام علمى لتصريف هذه المياه •

هجرة من الواحة

ومنطقة الاحساء وهى تلك المنطقة التى تحيط بمدينتى الهفوف والمبرز ، تقعفى الجزء الشرقى من شبه الجزيرة العربية وتبعد نحو ٧٥ كيلو مترا عن شواطىء الخليج العربى (انظر الخريطة) وهى تعتبر مـن اكبـر الواحات فى المملكة العربيـة السعودية • وتدل الاثار القديمة التى عثر عليها فى المنطقة على انه كانت هناك حضارة زراعية فى هذه الواحة منذ العصر الحجرى الحديث Neolithic ولكن تضافرت قـوى الطبيعة ممثلـة فى سلاحين رئيسيين هما الرمال المتحركة والملح الناتج عن مياه الابار الارتوازية فى تقليص المساحة المتزرعة من الواحة القديمة .. ويقول بعض الخبراء ان الرمال



خريطة تبين موقع واحة الاحساء ومدينة الهفوف وهي المدينة الرئيسية في الواحة التي تضم نحو ٥٠ قرية ٠

الناعمة دفنت ما يقارب من ٣ ملايين فدان في هذه المنطقة ، ودفنت معها اكثر من ٥٠ قرية ، كانت ثم بادت ، اما زيادة الملوحة في الارض فقد نتجت بسبب سوء استعمال الآبار في ري الاراضي المنزرعة وعدم وجود نظام للصرف يضمن عدم ترسب الاملاح في الارض وافسادها ٠ ونتيجة لهذين العاملين تقلصت مساحة الارض المنزرعة في الواحة من ٢٠ الف هكتار (نحو ٥٠ الف فدان) الى ٨ آلاف هكتار (نحو ٢٠ الف فدان) ٠ ومع تقلص الرقعة الزراعية ، وزحف الرمال المستمر ، بدأ سكان الاحساء في هجرة اراضي واحتهم الخصبة ٠ لقد شعروا انهم لن يستطيعوا الصمود طويلا امام الطبيعة التي ناصبتهم العداء ٠

مشروعان لانقاذ الواحة

ولكن هل يقف الانسان عاجزا امام الطبيعة ٠٠ ويترك ارضه التي تمده بكل اسباب الحياة تتحول الى خراب ؟

ان الانسان دائما يعيش مع التحدي ٠

وبدأت المعركة بين الانسان والطبيعة على تلك الرقعة الواسعة من الارض ٠ الرمال والملح هما سلاحا الطبيعة الرئيسيان ، والعلم والتكنية والتفكير السليم سلاح الانسان ٠

ومن هنا نشأ المشروعان الرئيسيان لانقاذ الاحساء من الدمار ٠

المشروع الاول هو ايقاف زحف الرمال ، والمشروع الثاني هو الري والصرف ٠ وقد تعرضت مجلة العربي في عددها رقم ٩١ الصادر في شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٦ لمشروع ايقاف زحف الرمال في استطلاع عن الاحساء ٠ وسنركز في استطلاعنا الحاضر على مشروع الري والصرف مع الاشارة السريعة لما جد في مشروع حجز الرمال ٠

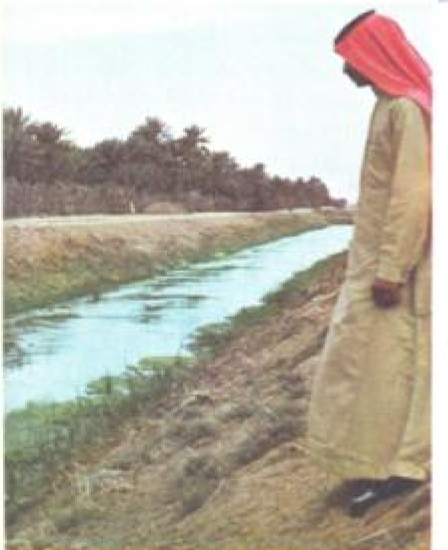
دراسة مشروع الري والصرف استمرت ٦ سنوات

عندما بدأ التفكير في انقاذ اراضي واحة الاحساء من الملوحة الزائدة ، تقرر تنفيذ مشروع ضخم متكامل للري والصرف ٠ على ان تتم في البداية دراسة مفصلة علمية عن الواحة وكميات المياه المتدفقة من العيون ٠ واسندت وزارة الزراعة الى احدى الشركات الاستشارية العالمية مهمة

الى اليسار : قناة الرى الرئيسية ويبلغ عرضها ١١ مترا عند نقطة تفرعها لقنوات فرعية ٠ ان شبكة قنوات الرى الاسمنتية يبلغ طولها ١٥٠٠ كم ٠

الى اليمين : تتم صيانةالعيونوقنواتالرى على احدث الطرق العلمية الحديثة وهنـاك غواصون يقومون بتنظيف خطوط الانابيب التى تربط العيون بمحطات الضخ وتمثل الصورة واحدا من هؤلاء الغواصين يستعد للغوص للقيام بمهمته ٠

الى اسفل اليسار : عين الخدود وهى تعتبر اكبر العيون الارتوازية فى الواحة ، ويصل تصرف هذه العين الى ١٠٠ مليون جالون يوميا ٠ وتبلغ درجة حرارة مياهها ٣٥ درجة مئوية ٠ وقد اقيم بجوار العين كازينو صغير يقبل عليه الاهالى ، كما أن بعضهم يستعملها كحمام سباحة ٠



الى اليسار : المصرف الرئيسى ، وهو يحول مياه الصرف التى تحمل الكميات الزائدة من الاملاح الى بحيرة الشبغي حيث يتم تبخر المياه أو يتم تسربها تحت رمال الصحراء ٠ ان نسبة مياه الصرف تصل الى ٣٥٪ من نسبة المياه التى تستخدم فى الرى ٠وهناك فكرة الآن لاستغلال مياه الصرف فى الرى بعد خلطها بالمياه النقية وذلك بعد أن قلت ملوحة التربة نتيجة تشغيل مشروع الرى والصرف ٠



دراسة وتصميم المشروع ، وكان ذلك عام ١٩٦١ ٠ وقد استمرت عملية هذه الدراسة ووضع التصميمات مدة ٦ سنوات كاملة قبل ان يبدأ تنفيذ المشروع.وظهر من دراسة الشركةالاستشارية عدة حقائق عن طبيعة المياه في المنطقة ونسبة الأملاح وتتلخص في النقاط الآتية :

- المنطقة المنزرعة قبل بدء تنفيذ المشروع : ... ... ٨ الاف هكتار
- المنطقة التي ستزرع بعد تنفيذ المشروع : ... ... ٢٠ الف هكتار
- معدل البخر السنوي : ... ... ٣٥٠٠ ملم ـ ١٣٨ بوصة
- سعة جميع الآبار الارتوازية (تصرفها) : ... ... ١٥ مترا مكعبا في الثانية
- المتطلبات المائية الكلية في السنة : ... ... ٢٣٥ مليون متر مكعب
- نسبة الاملاح في المياه الناتجة : ... ...
  - كالسيوم ١٢٥ جزء في المليون
  - مغنسيوم ٨٠ جزءا في المليون
  - صوديوم ٢٦٠ جزء في المليون
  - بوتاسيوم ٧٠ جزءا في المليون
  - كب أ ٤ ٣٣٠ جزء في المليون
- مجموع كمية الاملاح التي تنقل الى الاراضي المروية سنويا : ٦٠٠ الف متر مكعب
- نسبة الماء الذي يذهب الى الصرف : ... ... ٣٥٪
- محتويات مياه الصرف الملحية: ... ... ٤٥٠٠ جزء في المليون ٠

القناة الرئيسية للري ، عرضها ١١ مترا،وفيها بوابات رئيسية تتحكم في منسوب المياه بكل القنوات٠ لقد انقذ مشروع الري والصرف نخيل الواحة من الدمار بعد أن كانت جذوره تكاد تختنق بسبب زيادة المياه والمستنقعات ٠





عبد اللطيف العجاجي مدير مشروع الري والصرف بالاحساء يقوم بالاعتناء بحديقة منزله داخل مقر المشروع . ان سكن المسئولين في المشروع في نفس الموقع يسمح لهم بالعمل ليل نهار .

قنوات اسمنتية طولها ١٥٠٠ كيلو متر

ودلت الدراسات على ضرورة اقامة شبكة من قنوات الري الخرسانية لتقوم بنقل الماء الى المزارع بدلا من القنوات الترابية القديمة . وقدر مجموع طول هذه القنوات بنحو ١٥٠٠ كم . وقدر طول شبكة المصارف اللازمة بنحو ١٢٥٩ كم .

وقدرت الشركة الاستشارية مدة تنفيذ المشروع بحوالى ٤ سنوات ونصف . وبدىء فعلا في تنفيذه في شهر مايو ١٩٦٧ .

في مقر هيئة مشروع الري والصرف

كانت هذه هي بعض المعلومات الاساسية التي حصلنا عليها بعد وصولنا الى مقر مشروع الري والصرف بالاحساء والذى يقع على بعد عدة كيلو مترات من مدينة الهفوف . ويضم مقر المشروع مصنعا كبيرا لصنع القنوات الخرسانية وورشة كبيرة لصيانة اليات المشروع ، ومكاتب الادارة ، ومساكن الخبراء والموظفين والمهندسين ، ومدرسة حضانة لابناء العاملين في المشروع تقوم ابنة احد الخبراء الاجانب بتدريس اللغة الانجليزية للاطفال فيها . وهناك ايضا حمام سباحة وملعب تنس لكي يمارس العاملون في المشروع رياضاتهم المفضلة اثناء اوقات فراغهم .

عين الخدود

بعد زيارة قصيرة لمكتب مدير هيئة مشروع الري والصرف الاستاذ عبد اللطيف العجاجي اصطحبنا معه للقيام بجولة في انحاء المشروع.ووسط غابات النخيل (في الاحساء اكثر من مليون نخلة) التي تمتد على مجال البصر،ووسط الحقول الخضراء التي صنعها الانسان ، وصلنا الى عين الخدود وهي تعتبر من اكبر العيون الارتوازية في الجزء الشرقي من الواحة . ويصل تصرف عين الخدود من المياه الى ٥ امتار مكعبة في الثانية (١٠٠ مليونجالون يوميا). وتبلغ درجة حرارة المياه الناتجة عنها حوالى٣٥درجة مئوية . وهنالك ٢٠ عينا للمياه في المنطقة

الى اليمين : مصنع القنوات الاسمنتية . وقد انشيء خصيصا لعمل القنوات الاسمنتية المستعملة في مشروع الري والصرف . والمصنع الآن لا يعمل بطاقته الكاملة . ولكن في امكانه انتاج من ٤٠٠ الى ٧٠٠ قناة اسمنتية في اليوم الواحد . اذا تم تشغيله بطاقته الانتاجية الكاملة .

الى اليسار : احد خبراء زراعة الارز من بعثة الصين الوطنية التي تقوم بتجارب عديدة على زراعة الارز في الاحساء . وهو يقوم بشرح نتائج احدى التجارب التي قامت بها البعثة في محطة التجارب الزراعية بالاحساء . وتدل الابحاث على أن في الامكان زراعة الارز على مدار السنة .

الى اليمين : تتم الآن عمليات تهجين وتحسين السلالات المحلية للابقار في محطة التجارب الزراعية . وتمتليء حظائر الابقار بعدة انواع وسلالات اهمها ابقار « الجرسي » . والصورة تمثل احد الثيران المحلية ويتميز بشبه سنام صغير فوق ظهره .

الى اليسار : احد المزارعين وهو يقوم بري قطعة ارض يملكها مستعملا السيفونات . انها طريقة سهلة ولا تكلفه شيئا . وسيتم تحديد اقطار السيفونات المستعملة في الري .





دورة تدريبية للمسئولين عن الرى ، وهى واحدة من الدورات التدريبية التى تتم داخل مقر مشروع الرى والصرف للعاملين فيه ٠

الشرقية تم ربطها جميعا فى القناة الخرسانية الرئيسية والتى يبلغ عرضها فى الجزء الاول منها ١١ مترا ، وتتحكم البوابات الرئيسية التى اقيمت على الجزء الاول من القناة الرئيسية فى تصرف المياه الناتجة عن عين الحدود وبقية العيون التى تصب فى القناة الرئيسية ٠ وعندما تقفل البوابات الرئيسية فان الماء فى العيون وفى القناة يرتفع الى مستوى التوازن ، وهذا المستوى يمنع خروج وجريان الماء باية حال من الاحوال ٠ وتنقسم واحة الاحساء الى جزءين شرقى وشمالى ويضم الجزء الشمالى نحو ١٢ عينا ٠

المصرف الرئيسى طوله ٥٠ كيلو مترا

والى جوار قنوات الرى التى تتفرع وتتفرع ، وكانها الشرايين تحمل الغذاء الى خلايا الانسان ، توجدقنوات الصرف وهىقنوات ترابية غيرالاسمنتية وهنالك قناتا صرف رئيسيتان تقطعان الواحة وتنقلان فائض الماء الى بحيرة التبخير خارج الواحة فىالصحراء حيث تتبخر المياه اوتتسرب فى الرمال٠ والمصرف الرئيسى فى الواحة الشمالية يبدا غربى مدينة الهفوف ويبلغ طوله اكثر من ٥٠ كيلومترا٠ وتبلغمساحة المنطقة التى يتمتصريف مياهها بطريق مباشر او غير مباشر بواسطة المصرف الرئيسى حوالى ٢٠ الف فدان ٠

وتبلغ كمية المياه الزائدة اللازم تصريفها حوالى ثلث كمية الرى المعطاة وهذا يعنى بالنسبة للمصرف الرئيسى تصرفا مقداره حوالى ٢ متر فى الثانية فى المنطقة التى يترك فيها المصرف ارض الواحة ٠ وتقوم هذه المصارف بعمل الاوردة فى جسم الانسان فهى تحمل معها الماء الزائد عن حاجة الارض والذى يحتوى على نسبة عالية من الاملاح الى حيث يتم التخلص منه ٠

٣ محطات ضخ

وفى جولتنا فى انحاء المشروع قمنا بزيارة محطة من محطات الضخ الثلاث التى اقيمت فى مناطق مختلفة داخل الواحة ٠ والغرض الرئيسى من انشاء

هذه المحطات هو تزويد بعض الاراضي المجاورة للعيون بالماء حيث ان ضغط العيون الارتوازية ليس من الارتفاع لتزويد هذه الاراضي المرتفعة نسبيا بالمياه • وتبلغ مساحة الاراضي المرتفعة نحو ٩ آلاف فدان • وتضم محطة الضخ الرئيسية ٤ مضخات تسحب الماء من مجموعة العيون المجاورة، وتبلغ طاقة المضخات الاربعة ٤ر١ مترا مكعبا من الماء في الثانية (٣٠ مليون جالون يوميا) تقوم بضخها الى خزان رئيسي•وهذه المضخات يتم التحكم فيها ذاتيا حسب مستوى الماء في الخزان الرئيسي • الذى تبلغ سعته ٥١ الف متر مكعب ويسمح بتخزين متطلبات ٤ ساعات رى ويبلغ طول الخزان ٥٥ مترا وعرضه ٥٥ مترا وارتفاعه ٨ر٥ مترا •

١٠ ملايين شجرة اوقفت زحف الرمال

استمرت جولتنا فى ارض واحة الاحساء اكثر من ٥ ساعات ويبلغ مجموع طول الطرق الزراعية التي تربط بين اراضي الواحة الزراعية نحو ٣ الاف كيلو متر ، رصف منها ٧٥ كيلو مترا فقط • ورأينا القرى الجديدة التى بدات فى الظهور والعمران بعد ان بدأت الارض تزدهر مرة اخرى • ورأينا آثار القرى التى اندثرت ودفنت تحت الرمال التي كانت تتحرك بمعدل يتراوح بين ١٠ أمتار و ٦٠ مترا سنويا ، على جبهة طولها اكثر من ١٥ كيلو مترا • واليوم توقف زحف الرمال او كاد • وازدهرت غابات من الاثل والخروع وتحولت احدى هذه الغابات الى متنزه عام يقضي فيه اهل الهفوف والمبرز اوقات فراغهم يتمتعون بالخضرة والماء والجو الجميل •

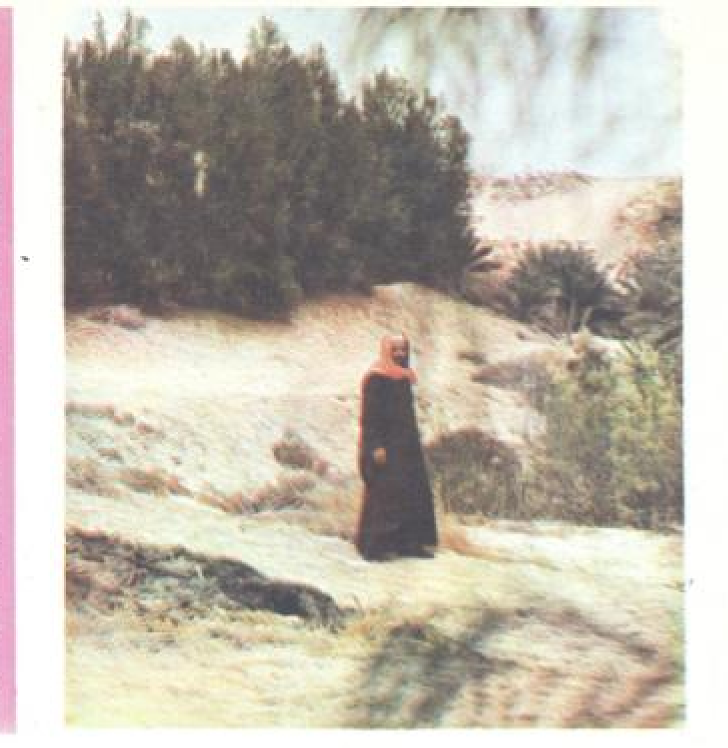
لقد تم حتى الآن زراعة اكثر من ١٠ ملايين شجرة في مشروع حجز الرمال • ووفرت هذه الاشجار الحماية لبقية المساحة المنزرعة من الواحة• ولكن الخطر لا يزال قائما • ولذلك فان العمل الآن يجرى فى زيادة الاشجار المزروعة واقامةخطوط دفاعية اخرى امام الرمال التى تاتى من الخليج العربي ومن صحراء الربع الخالى •

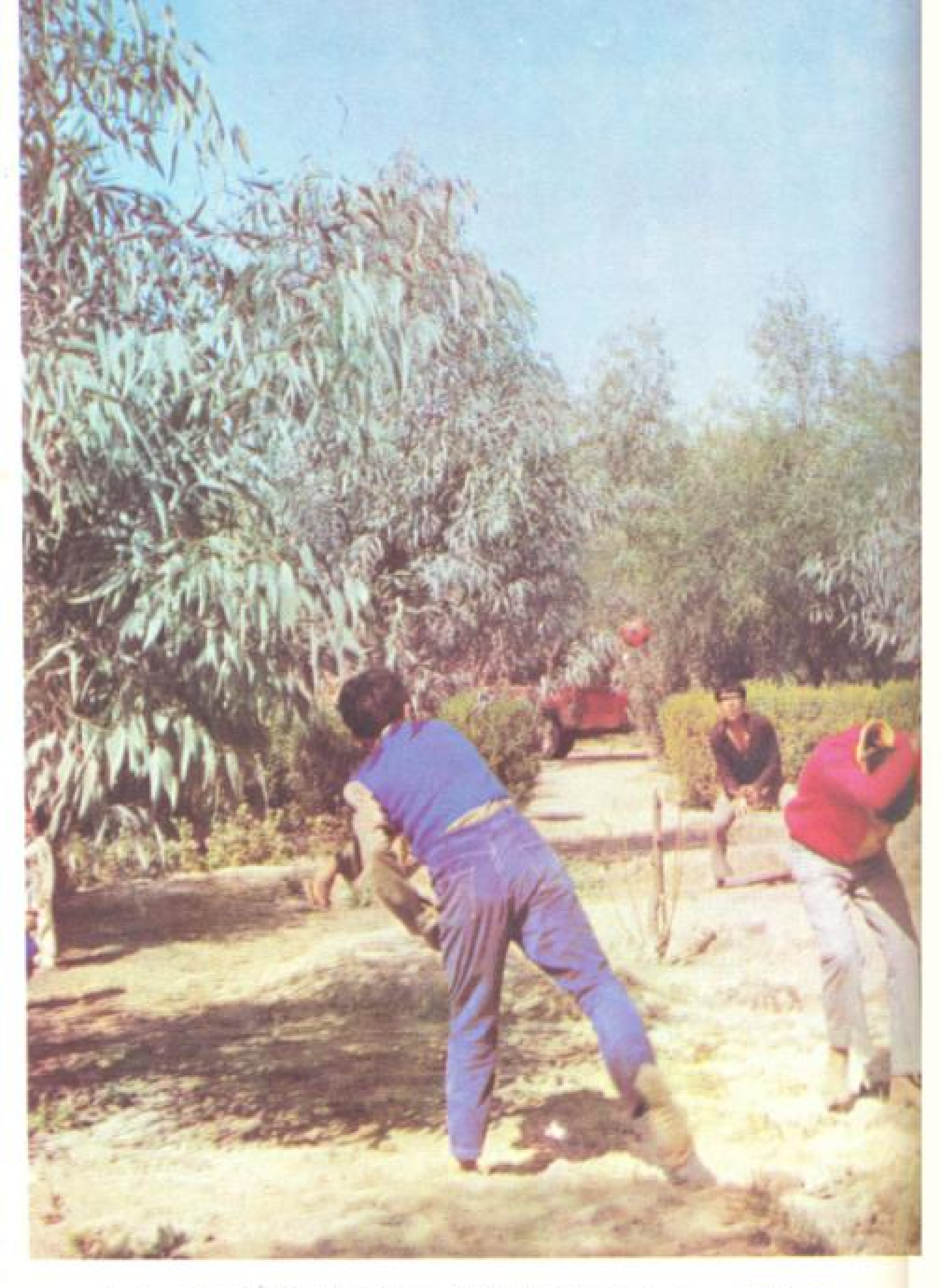
الميدان الرئيسي في قلب مدينة الهفوف . لقد ارتفع سعر متر الارض فى الهفوف الى نحو الف ريال بعد تنفيذ مشروع الرى والصرف وعودة الحياة الى واحة الاحساء •



الى اليمين : احد الخطوط الدفاعية الامامية التي اقيمت لحجز رمال الصحراء وقد ارتفعت اشجار الاثل مع الرمال ، ومنعتها من التقدم منقذة بذلك الاف الفدادين من الارض الزراعية ·

الى اسفل : صورة التقطت من الجو تمثل جزءا من العشرة ملايين شجرة التي زرعت لوقف زحف الرمال عن واحة الاحساء · لقد نجح مشروع وقف زحف الرمال في انقاذ الواحة ، وتجري الان دراسات جديدة لايقاف زحف الرمال نهائيا ·





هذه الحديقة الغناء ، التي يقضي فيها مئات من اهالي الاحساء والمناطق المجاورة اوقات فراغهم ، اقيمت اساسا ضمن مشروع وقف زحف الرمال وتحولت بعد ذلك الى حديقة ومتنزه وهكذا اصبح للتشجير فائدة مزدوجة ٠

٢٤٠ مليون ريال
تكاليف مشروع الري والصرف

بعد ان انتهينا من جولتنا في المشروع وتفقدنا منشاته ، دارت في اذهاننا اسئلة كثيرة .. عن تكاليف المشروع ؟ وهل حقق الغرض منه ؟ وعن الاراضي الجديدة التي عادت اليها الحياة وكيفية الاستفادة منها ؟ وتاثير عودة الحياة الى الواحة على سكانها ؟!

ومن خلال لقاءات عديدة مع مدير المشروع عبد اللطيف العجاجي والخبراء والمهندسين والمزارعين بدات الاجابات عن هذه الاسئلة تتضح :

ـ تكاليف المشروع وصلت الى ٢٤٠ مليون ريال (نحو ٢٠ مليون دينار كويتي) .

ـ المشروع استغرق اكماله ٥ سنوات .

ـ عدد المستفيدين من المشروع يصل الى ٧٠٪ من سكان الاحساء سواء كانت استفادتهم بطريق مباشر او غير مباشر . المزارعون تحسن انتاج اراضيهم . الذين هاجروا من الاحساء عادوا اليها . ازدهرت

مدير محطة التجارب الزراعية المهندس الزراعي الياس اديب يقوم بتسجيل درجة حرارة باطن الارض .



مدينة الهفوف ، وتغيرت معالم مدينة « المبرز » التي اصبحت مدينة حديثة بكل معنى هذه الكلمة . سعر متر الارض في السوق الرئيسية بمدينة الهفوف ارتفع الى اكثر من الف ريال . ببساطة عادت الحياة الى الواحة بعد ان كانت مهددة بالموت .

ـ المستنقعات التي كانت تملأ المنطقة جفت ، والناموس الذي كان يعيش في هذه المستنقعات وينشر الملاريا بدا في الاختفاء هو الآخر .

ـ خلقت فرص العمل امام العمال السعوديين المدربين ، وتبعا لذلك ازداد الطلب على هؤلاء العمال المدربين مما دعا الى تطوير معهد التدريب المهني في الاحساء والذي يخرج عمالا مهرة يلتحقون فيه بعد حصولهم على الشهادة الاعدادية ويقضون ٣ سنوات دراسية يحصلون بعدها على شهادة ثانوية صناعية .

ـ ازدهرت صناعة الاسمنت وصناعة القنوات الاسمنتية .

ـ تحسن انتاج التمور في المنطقة بعد ان كانت مهددة بالزوال .

ـ زراعة الارز التي بدات التجارب عليها في محطة التجارب الزراعية تؤكد امكانية زراعة هذا المحصول العام على مدار السنة لا في موسم واحد فقط .

ـ دخلت زراعات جديدة في المنطقة لاول مرة . من بينها زراعة القمح المكسيكي « المكسيباك » الذي يعطي انتاجا افضل من بقية الانواع الاخرى .

ـ بدات العناية بالثروة الحيوانية وهناك الآن فريق من علماء جامعة « ويلز » يجري ابحاثه في الاحساء لتحسين الانتاج الحيواني وتهجين الابقار البلدية والجرسي .

ـ هناك الآن ٩٠ مدرسة ابتدائية في قرى منطقة الاحساء و٢٣ مدرسة متوسطة ، ومدرسة ثانوية ومعهد اعداد المعلمين ، والثانوية المهنية وثانوية معهد النور . ويبلغ مجموع طلبة المرحلة الابتدائية ٢٢٢٦٣ طالبا ، والمرحلة المتوسطة ٤٢٢٦ طالبا والمرحلة الثانوية ١٥١١ طالبا .

ـ ازدادت الرقعة الزراعية من ٨ آلاف هكتار الى ١٢ الف هكتار وهناك نحو ٨ آلاف هكتار صالحة للزراعة وتجري الآن دراسات حول تكوين شركة زراعية كبرى تقوم باستغلال هذه الاراضي بحيث تحقق اكبر فائدة لمنطقة الاحساء بدلا من تفتيت هذه المساحة الى مساحات صغيرة غير انتاجية .



فى معمل تحليل التربة فى محطة التجارب الزراعية بالاحساء حيث تتم التجارب لتحديد نسبة الملوحة فى الأراضي الزراعية وقد أثبتت التجارب انخفاض نسبة الملوحة بعد تشغيل مشروع الرى والصرف .

مشاكل التطوير فى المجتمع الزراعى التقليدى

تلخصت فوائد المشروع ، سواء المباشرة او غير المباشرة ، فى النقاط السابقة التى ذكرناها بايجاز ولكن لا بد من مناقشة نواحى المشروع الاخرى وهى المشاكل التى نشأت من تطبيق نظام الرى الحديث فى مجتمع زراعى تقليدى تعود على الطرق القديمة التى ورثها عن آبائه واجداده .

فى بداية تشغيل المشروع فى عام ١٩٧٢ كانت هناك شكاوى عديدة من المزارعين . وكان هناك فى ايام الصيف بالذات حوالى ٢٥٠ شكوى يوميا، وكلها بسبب تقنين المياه ونظام دورات الرى المبنى على دراسات علمية عن حاجة الارض والنباتات المختلفة من المياه . ولكن المزارعين لم يكونوا قد تعودوا على هذه القواعد ولذلك ظنوا ان الماء قد قل . وظهرت الحقيقة لهم بعد السنة الاولى عندما وجدوا ان هذا النظام قد كفل لهم زيادة فى الانتاج . وفى الصيف بالذات تزداد الحاجة الى المياه ولذلك فان دورة الرى تستمر ٢٤ ساعة اما فى الشتاء فالرى بالنهار فقط . وفى الايام الاولى كان المزارعون يضعون « سيفونات » المياه فى القنوات ويتركونها فتغرق اراضيهم . ولذلك فقد قامت الهيئة باقامة دورات تدريبية للمزارعين على طرق الرى الحديثة . وبعد ذلك كانت هناك فرق تفتيشية تمر ليلا ونهارا على الحقول وتقوم بمصادرة اى « سيفون » لا يكون المزارع موجودا بجواره اثناء عملية الرى .

وكان من عادة المزارعين الاستحمام والسباحة فى العيون وقنوات الرى وقد نتج عن ذلك عدة حوادث غرق ، كما اصيبت بعض القنوات الاسمنتية باضرار ،وكل ذلك توقف بعد مرور عامين على تشغيل المشروع . وقامت ادارة المشروع بانشاء بركة فى كل قرية يقوم المزارعون بغسل ثيابهم فيها .

وبعد أن كانت مجارى القرى يتم تصريفها فى القنوات المعدة للرى والصرف أصبحت مياه الرى والصرف الآن نقية تماما مما ادى الى تحسن الحالة الصحية فى المنطقة التى كانت تعانى من الاوبئة .

وكان اهالى القرى قد اشتكوا لان قنوات الرى الاسمنتية قد قطعت الطرق التى تربط بين قراهم والمقابر التى يدفنون فيها موتاهم . ولحل هذه

الى اعلى : قسم المعادن في المدرسة الثانوية للتدريب المهني،لقد تم تطوير هذه المدرسة نتيجة للنهضة العمرانية التي عمت الاحساء بعد انقاذ اراضيها من الملوحة والرمال · وقد بلغ عدد طلبة الصف الاول هذا العام ٢٢٣ طالبا ، وهو رقم قياسي بالنسبة للسنوات الماضية : **والى اسفل :** الطريقة التقليدية القديمة لنسج البشوت « العباءات » وتشتهر الاحساء بهذه الصناعة·، وقد اقيم مصنع ميكانيكي لنسج العباءات ولكن الطريقة القديمة لا تزال موجودة حتى الآن ·

الى اعلى : منظر رائع لمغارة جبل قارة وهو يعتبر من الاماكن السياحية فى واحة الاحساء ·



الى اليسار : فى مدرسة الحضانة بمقر مشروع الرى والصرف حيث يتعلم الاطفال اللغة الانجليزية·

المشكلة قامت الهيئة المشرفة على ادارة المشروع باقامة جسور بين المقابر والقرى • ونشات مشكلة اخرى هي مشكلة استغلال مجارى المياه القديمة وجمعت الهيئة المزارعين وجعلت كل مجموعة منهم تتفق على تقسيم هذه المجارى بينهم وساعدتهم الهيئة في ردم هذه القنوات واستفاد المزارعون بعد ذلك من زراعتها •

ونظرا لان المزارعين في حاجة الى ارشاد فقد تقرر اقامة ١٢ مكتبا فنيا للمشروع في القرى لحل المشاكل الفنية الناتجة عن سوء استخدام المياه او عدم المعرفة بالطرق الحديثة • وتقرر أن يقيم المهندسون المشرفون على الرى في القرى نفسها ومعالجة المشاكل على الطبيعة •

وسيبدأ في هذا العام تخصيص مناطق معينة يقوم فيها المزارعون بتوزيع المياه بينهمدونتدخل من الهيئة وذلك لتعويدهم على التعاون •

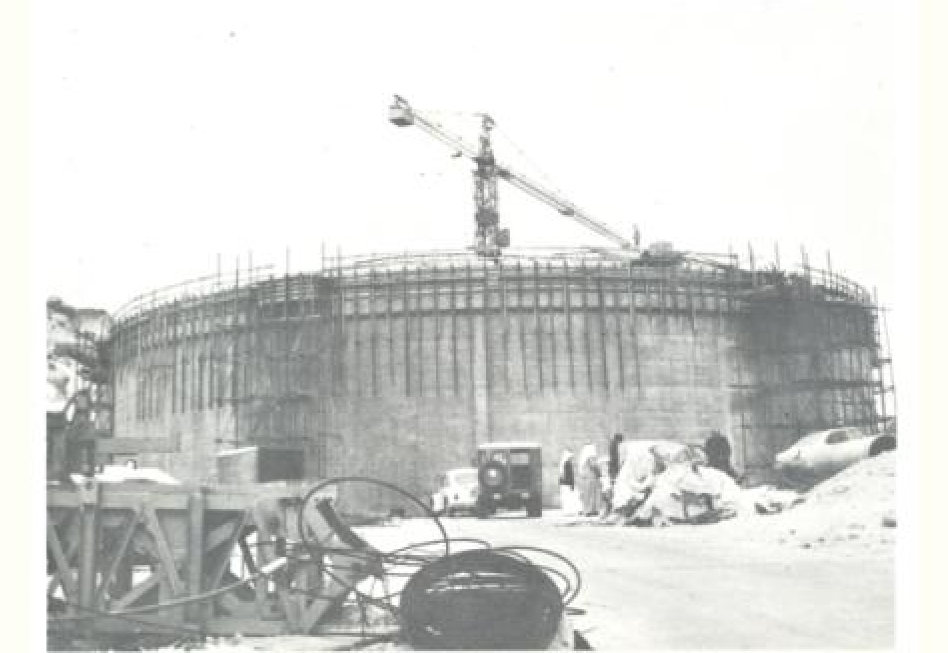
مزارع ارشادية

والهيئة الآنتقوم بدراسة مشروع انشاء مزارع ارشادية بطريقة جديدة • وتتلخص هذه الطريقة في ان تغرى الهيئة المزارع الصغير على أن يعمل في حقله هو وبراتب شهرى تحت اشراف الخبراء والمرشدين الزراعيين وتمده بالبذور والسماد وبالآلات الحديثة ثم فينهاية الموسم الزراعي تعطيه المحصول بعد أن يكون قد تعلم طرق الزراعة الجديدة كما يصبح حقله نموذجيا يشجع بقية المزارعين على الاقتداء به لاتباع الطرق الجديدة للزراعة •

والى جانب المشروعات التيتتبناها الهيئة كادخال محاصيل جديدة الى المنطقة كالخضراوات والقمح والمحاصيل غير التقليدية، فان الحكومة السعودية تقوم بصرف اعانات تشجيعية لكل مزارعينتج القمح او الارز وتبلغ هذه الاعانة التشجيعية ٥ قروش لكل كيلو قمح منتج ، و ٧ قروش لكل كيلو أرز.

وهناك الآن مشروعانشاء جمعية تعاونية زراعية في منطقة الاحساء ستكون اكبر جمعية تعاونية زراعية في المملكة العربية السعودية • وتتبنى هيئة ادارة مشروع الرى والصرف هذا المشروع الذى يقوم الاهالى بتدعيمه ماليا وبراسه امير الاحساء •

خزان المياه الضخم الذى يتم انشاؤه الان لتزويد سكان الاحساء بالماء النقي-وهو واحد من المشروعات الضخمة التى بدأت في الواحة نتيجة لازدهارها بعد انقاذها من زحف الرمال وملوحة التربة •





مصنع نسج العباءات « البشوت » الميكانيكي وهو الوحيد من نوعه الذى ينتج الاقمشة المصنوعة من وبر الجمل النقي في المملكة السعودية ٠

الادارة العربية تثبت نجاحها

عندما تمت انشاءات المشروع ، قامت الشركة المنشئة بادارته لمدة شهور قليلة ٠ واقترحت ان تقوم هي بتشغيله لمدة عدة اعوام حتى يكتسب الموظفون السعوديون الخبرة اللازمة لادارة مثل هذا المشروع الكبير ٠ولكن الحكومة السعودية ارتأت ان تدير المشروع هيئة وطنية غير خاضعة للروتين الحكومي ٠ وفعلا اثبتت الهيئة العربية انها قادرة على ادارة المشروع ٠ واصبح العاملون فى المشروع كلهم من ابناء البلاد ما عدا ٢ من الخبراء الاجانب و ٨ من الخبراء العرب ، ويبلغ عدد العاملين فى المشروع ٣٤٠ من المهندسين والموظفين والعمال ٠

وقد استطاعت الادارة العربية ان تدخل الكثير من التعديلات والتحسينات على المشروع وذلك بعد مرور نحو عام ونصف من التشغيل ونتيجة للتطبيق العملي على الطبيعة ٠ والطريف ان الهيئة عندما تسلمت ادارة المشروع ارادت ان تغطي احدى القنوات التى تعرضت للانسداد بسبب الرمال بالاسمنت ٠ وتقدمت احدى الشركات الاجنبية بمناقصة لتغطية هذه القناة وطلبت مبلغ ٦٥٠ الف ريال للقيام بهذه العملية ٠ ولكن الهيئة قامت بواسطة مهندسيها وعمالها بتغطية القناة التى لم تتكلف سوى ٧٠ الف ريال فقط !!

★ ★ ★

وتركنا الاحساء بعد أن شهدنا انتصار الانسان العربى على قوى الطبيعة التى حاربته بعنف وقسوة ٠ ولكنه صمد وصمم وحارب باسلحة العلم والتكنية الى أن استطاع أن يقهر الرمال والاملاح ويعيد الحياة الى الارض التى كانت مهددة بالموت والخراب ٠

وهكذا عادت الحياة الى الاحساء من جديد لتعود وتصبح اكبر واحة فى صحراء المملكة العربية السعودية ٠

■■

محمد طنطاوى

استطلاع الكويت

شواطئ الكويت

الحياة تعود إليها، ولكن بكل جديد وحديث.
٦ مليون دينار لتعمير الشواطئ وتجميلها.

استطلاع
منير نصيف

تصوير:
أوسكار متري

الى اسفل : الشواطيء الهادئة الجميلة التي نسيها اهلها في غمرة انشغالهم ببناء بلادهم وتعميرها .. جاء دورها ، وبدأت الحياة تعود اليها من جديد · **والى اليسار** مخطط لمشروع النادي البحري في منطقة الفحاحيل ، وهو يتألف من مرحلتين ، تقوم بتنفيذه شركة نفط الكويت K.O.C ، ويتكلف المشروع ٦٧٠ الف دينار كويتي بعد اتمام مرحلتيه ، وهو يتسع لحوالي ١٧٠ قاربا صغيرا ·

فى مياه الخليج الدافئة يمتلىء البحر بالأطفال فى حر الصيف القائظ ، يسبحون ويلهون ٠٠ من اجل هؤلاء ، ومن اجل الالوف من ابناء الكويت ، قامت المشاريع الكبرى لتوفير اسباب الراحة والاستجمام على الشواطىء ٠

■ هل هناك ماهو اجمل من منظر المياه وهي تعانق الشاطىء ، ثم وهي ترتد عنه لتعود اليه من جديد وكانهما عاشقان يتناجيان ‥ هل هناك اروع من هذا الذى نراه يحدث بين هذين الحبيبين اللذين لايفترقان ‥ الماء والرمال الناعمة ‥ الرمال التى تحتضنها المياه وتجرفها معها ، ثم لاتلبث ان تعود بها لتحطها فى رفق على الشاطىء من جديد ‥ انها رحلة الحب بكل مافيها من هجر ووصل ، وبعد وقرب ‥ ولكنها اطول رحلة حب فى تاريخ هذا الكون ، فلم يعرف الانسان شاطئا بلا ماء ‥ ولم ير ماء بلا شاطىء ‥ بلا حدود تحتويه وتترفق به ، فهو لايهدأ الا عندها ، ولا يستريح الا عندما يلامسها ‥ فعند الشاطىء دائما يكون اللقاء !

قصة هذا الحب الاول عرفها كل انسان عاش على الشاطىء ‥ ولكنه لم يقف يوما متفرجا ‥ فقد ادرك بعقله مايمكن ان يعود عليه من خير بفضل هذا اللقاء بين الماء والشاطىء ، ان قربه منهما وحياته معهما علماه أشياء كثيرة ‥ تعلم الانسان كيف يركب البحر ، ويلقى بشباكه فى مياهه بحثا عما يحتويه جوفه من رزق وتعلم كيف يصنع المراكب الصغيرة والكبيرة التى كان يطلق اشرعتها لتنقله الى مناطق اخرى حاملا اليها سلعه وبضائعه ، فيبيع ويشترى ويرتزق !

شواطىء الخليج فى الكويت

هذه القصة عاشتها الكويت على هذا الشاطىء الجميل ‥ شاطىء الخليج ‥ حقيقة لقد تغيرت صورة الحياة فى هذه البقعة من الارض العربية ، بعد أن نمت هذه الدولة وتطورت بفضل ماكان يخبئه الله من خير تحت ارضها ‥ ولكن البحر لم يتغير لقد بقى هو هو ‥ وبقيت مياهه ، وشواطئه الجميلة الهادئة تحكى للاحفاد ماكان من امر آبائهم واجدادهم ، هؤلاء الذين عرفهم وعرفوه ، والتصقوا به ، فعاشوا حياتهم على شواطئه ،حتى اصبح جزءا منهم ، واصبحوا هم ايضا جزءا منه !

فهل نسى الابناء والاحفاد قصة آبائهم واجدادهم مع البحر ؟ هل نسوا الشواطىء الجميلة ، والمياه التى كانت ومازالت مليئة بالخير ؟ ‥

لم ينسوا البحر

والجواب لا ! لم تنس الكويت البحر ، كان قلبها النابض ومازال ‥ فحتى مياهه المالحة ، قطروها بفضل احدث ماوصل اليه العلم ،فاضحت مياها عذبة حلوة يشربونها ويسقون بها زراعاتهم وحيواناتهم ‥ انه وفاء البحر للكويت ، أو قل وفاء الكويت لمياه خليجها !

ولكنها مشاغل الحياة الجديدة ومسئولياتها ‥ واعباء التعمير والتطوير وبناء الكويت الحديثة الناهضة ، وربما كانت السبب فى هذا الفتور الذى اصاب ماكان بين الشاطىء واهل الكويت من حب ‥ لم ينس الكويتيون ان البحر منقذهم ، ولم ينس الكويتيون ان البحر وسيلة مواصلاتهم لنقل الخير الذى كان كامنا تحت ارضهم ‥ فقد اقاموا احدث الموانىء على البحر ‥ واقاموا اهم مراكزهم الصناعية على البحر ‥ ولكنهم نسوا لفترة تلك المناطق الجميلة الممتدة على طول هذا الشريط الساحلى ‥ ! ترى ما الذى انساهم هذه الشواطىء ؟ لماذا اتجه اهل الكويت الى التعمير فى العمق فى قلب الصحراء،وابتعدوا عن المناطق المشرفة على البحر ؟

بين الصحراء ‥ والشاطىء

توجهنا بهذا السؤال الى المهندس حامد عبد السلام شعيب،الرجل المسئول عن تنظيم وتخطيط مشروعات تجميل شواطىء الكويت وتزويدها بالمرافق العامة والخدمات لجمهور المواطنين ؟

خريطة تبين جانبا من شواطىء الكويت وجزرها التى يجرى الآن تعميرها وتجميلها





مخطط لمشروع نادي « رأس الارض » البحري بالسالمية . وملحق به ميناء صغير يربط بين السالمية وجزيرة فيلكه . ويجري العمل في تنفيذ هذا المشروع الآن . وتقدر تكاليفه بحوالي مليونين من الدنانير الكويتية .

قال : « ربما يكون الامر كذلك الان ، فقد اتجهنا في بداية عملية بناء الكويت الحديثة الى العمق بدلا من ان نتجه الى الشاطيء .. ولكن هذا لا يعني اننا نسينا شواطئنا الجميلة..ولكن معناه انه كانت هناك مبررات في بداية مرحلة التعمير والتطوير .. مبررات اقتضت الالتفاف حول قلب الكويت النابض..فقد كان كل النشاط الحضاري مركزا في مدينة الكويت .. وكانت النتيجة الطبيعية لهذا ان يتركز النمو العمراني كله بالقرب من قلب المدينة وحوله . لان كل اماكن العمل في منطقة وسط المدينة ، وكل المحال التجارية والمصانع والمدارس والمكاتب الحكومية ودور الترفيه في قلب مدينة الكويت .. ولم يكن ممكنا اذن ان تقوم العمارات السكنية وتشيد المباني بعيدا عن هذا القلب النابض ..

عودة الى الشاطيء

ولكن الصورة سوف تتغير قريبا .. فسوف نترك العمق ونتجه مرة اخرى الى شواطئنا الحبيبة .. ان المخطط المقرر تنفيذه في المستقبل القريب باذن الله يشمل امتداد العمران على طول الشريط الساحلي من الصليبيخات حتى الاحمدي على شكل حرف ل ، او زاوية حادة موازية للشاطيء .. فهذا هو الامتداد الطبيعي لنمو الكويت واتساعها .. وقد حرصنا على تطوير هذا المخطط نظرا لتوفر امكانيات التنمية على شواطيء الكويت الان،مثل المناطق الصناعية في الشعيبة ، والموانيء البحرية ، والاندية الرياضية والاجتماعية ، وخاصة لان طبيعة جو الكويت تتطلب الاتجاه الى الشاطيء والاقتراب منه.فكلما اقتربنا من البحر هبطت درجة الحرارة وخاصة في ايام الصيف ، وكلما اقتربنا من الشاطيء قلت الاتربة التي تتصاعد بكثرة في الصحراء ..

ثم هناك حقيقة.لا يفوتنا ان نذكرها في مجال الحديث عن الاهتمام بتعمير المنطقة المحاذية للشاطيء وهي وجود عدد من القرى الساحلية التي قامت منذ القدم ، في مناطق تجمع مياه السيول . وقد اصبحت هذه القرى اليوم تشكل رئات لاهل الكويت ، نظرا لتكاثر الاشجار الكثيفة فيها ، تلك التي قامت وارتوت بمياه هذه السيول فقد ساعدت الاشجار المنتشرة فيها على تلطيف الجو ، والتخفيف من حدة الحرارة في هذه المناطق الساحلية ..

استغلال الشواطيء

قلنا للمهندس حامد : « قلتم ان الصورة سوف تتغير قريبا ، وسوف تتجهون الى الشاطيء تبنون فيه وتعمرون . فهل لكم ان تشرحوا لنا بعض المشروعات التي اعددتموها لشواطئكم ؟ »

قال : « ان هناك العديد من المشروعات التي وضعت الآن موضع التنفيذ ، والهدف منها استغلال شواطيء بلادنا الجميلة الاستغلال السليم ، طبقا لموقع الشاطيء وطبيعته الجغرافية والمائية ، فهذه المشروعات تختلف من منطقة الى اخرى ، ويمكن تقسيمها الى ثلاثة انواع :

مخطط لمشروع نادى الشعب ، بكسر الشين ، او الوادى الصغير ، وهو ناد بحرى على الشاطىء المواجه لثانوية عبدالله السالم فى شارع بغداد ، وتقدر تكاليفه بحوالى ٧٠٠ الف دينار ٠

العمارات الجديدة والمباني الحديثة التي بدأت تقام الآن على طول شارع الخليج العربي (الكورنيش) الذى يشرف على مياه البحر مباشرة ٠٠ ان التعمير سيشمل الشاطىء كله من الصليبخات حتى حدود المملكة العربية السعودية ٠

مخطط ثالث لمشروع النادى البحرى فى منطقة البدع ، ويقع على الشاطىء عند نهاية الطريق الدائرى الخامس ، ويتسع هذا النادى ايضا لمائة وسبعين قاربا ، ويتكلف مايقرب من ٨٠٠ الف دينار ٠

على الرمال الناعمة التي تكسو الشاطىء يجلس الأطفال مع آبائهم تحت المظلات ، ينعمون بالبحر ومياهه ، وعلى هذه الرمال ستقام البلاجات والمرافق العامة على طول الشواطىء ٠





في اليوم العالمي لحماية البيئة من التلوث ، (٥ ، ٦ ، ٧ يونيو الماضي) حرص المسئولون في دولة الكويت على المشاركة بالعمل والتوعية في هذه المناسبة ، فخرج رئيس المجلس البلدي السيد بدر يوسف العيسى والاستاذ سعدون محمد الجاسم وكيل وزارة الاعلام وعضو جمعية رعاية البيئة ، والمهندس حامد عبد السلام شعيب رئيس مهندسي البلدية ونائب رئيس الجمعية ·· وغيرهم من المسئولين الكويتيين ··
خرجوا جميعا في مقدمة المئات من طلبة المدارس والموظفين وفئات اخرى من المواطنين ، وكانت وجهتهم الشواطيء ·· شواطيء الكويت التي راحوا يعملون على تنظيفها من القاذورات ·· وكانت بادرة طيبة وعملا رمزيا للجهود الذاتية .

اما النوع الاول ، فهو يشمل الشواطيء القريبة من المناطق المكتظة بالسكان ، حيث يقصد هذه الشواطيء اعداد كبيرة من جمهور المواطنين يوميا ، ويتضاعف عددهم ايام العطلات الرسمية، وهذا النوع من الشواطيء سوف نحرص على ان نوفر فيه مختلف النشاطات الترفيهية ، فسوف نقيم الكازينات والمقاهي على البحر ، وسوف نشيد الاندية البحرية للسباحة ومزاولة مختلف انواع الرياضة البحرية مثل سباق الزوارق والتزلج على الماء،وغير ذلك من انواع الرياضة التي يمكن للشباب مزاولتها على الشواطيء · كما ستزود هذه « البلاجات » بكل المرافق الحيوية من كبائن لخلع الملابس ، وارتداء لباس البحر ، وبحمامات يغسلون فيها اجسامهم بعد خروجهم من البحر ، ودورات مياه صحية ، الى آخر ما هناك من مرافق وخدمات اخرى،أساسية،وستكون هذه الشواطيء مفتوحة للجمهور طوال ساعات النهار والليل ··

بناء الشاليهات على البحر

وننتقل بعدذلك الى النوع الثاني من المشروعات التي يجرى العمل لتنفيذها ، وهي التي تشمل الشواطيء البعيدة عن العمران وعن المناطق السكنية المزدحمة ، والقصد بهذه الشواطيء ، تلك التي يمكن ان يقضى فيها الجمهور اوقات الفراغ الطويلة ، مثل عطلة نهاية الاسبوع ، أو العطلات الموسمية او السنوية ··

وهذه المشروعات تشمل بناء مساكن صغيرة او « شاليهات » مزودة بكل وسائل الراحة ، لاقامة المواطنين وافراد اسرهم وسوف نشيد هذه المساكن أو الشاليهات من احجام مختلفة وفئات مختلفة ، تناسب كل اسرة طبقا لعدد افرادها وقدرتها على دفع الايجار الذى سيتفاوت من مسكن الى آخر بطبيعة الحال ·· كذلك نظام تاجيرها نفسه سوف يختلف وفقا لحاجة المستاجر ، فسيكون هناك ايجار يومي ، وايجار اسبوعي ، وايجار موسمي أو سنوى ·

وسنراعى تزويد هذه المدن الساحلية الصغيرة ، أو البلاجات الجديدة ، بكل المرافق والخدمات الاساسية كالماء والكهرباء ،كما سنقيم فيها المحال التجارية لبيع المواد الغذائية ، وكذلك دور الترفيه ، سواء كانت مغلقة أو في الهواء الطلق، وبذلك يتحقق الاكتفاء الذاتي لهذه الشواطيء بحيث يمكن لمن يقيم فيها أن يستغنى تماما عن الذهاب الى المدينة ··

ويشمل مشروع تعمير هذه الشواطيء البعيدة



التي نرجو ان تدوم وتستمر .. الصورة الاولى (الى اليمين فوق) للمسئولين الكويتيين فى حديث مع مندوب التلفزيون يشرحون فيه مغزى هذه المشاركة . والثانية لابناء الكويت المتطوعين وهم يجمعون القاذورات ويحرقونها على الشاطىء، والثالثة (الى اليسار) للشواطىء الذى قام المواطنون بتنظيفه تجاه فندق هيلتون .



وتجميلها الى جانب ماذكرناه ، تزويدها بمختلف الانشطة الرياضية لجميع الفئات من مختلف الاعمار ، الى جانب حمامات السباحة للاطفال ، وملاعب التنس والكرة الطائرة وكرة السلة الخ .. بالاضافة الى النشاطات البحرية والرياضية مثل التزلج على الماء وسباق المراكب الشراعية وغيرها من نشاطات اخرى ..

بقى النوع الثالث والاخير من شواطئنا الجميلة الممتدة على طول مياه الخليج داخل حدود بلادنا ، واقصد بها تلك الشواطىء التى تقع ايضا فى المناطق البعيدة عن العمران ، ولكنها تتميز عن النوع الثانى بجمال الطبيعة فيها .. وهو جمال لم تعبث به يد انسان .. كما تتميزبنقاء مياهها، وصفاء رمالها ..

جمال الطبيعة

وهذه الشواطىء سوف تترك على طبيعتها دون اى تشويه ، وليس معنى هذا اننا سوف نمنعجمهور المواطنين من الاقتراب منها او التردد عليها ، والا كنا اشبه بالفنان الكبير الذى قضى سنوات عديدة من عمره فى رسم وتلوين اروع لوحاته ، فلما انتهى منها ، حملها الى غرفة مظلمة ، حتى لا يراها الناس ! !

سوف نسمح بطبيعة الحال للمواطنين بالتردد على هذه الشواطىء والتمتع بجمالها وقضاء اجازاتهم واوقات فراغهم عليها .. ولكننا لن نسمح لهم باقامة اية منشئات ثابتة فيها .. اى ان المواطن يستطيع اذا شاء ان ينصب فيها خيمة او مظلة ويقضى نهاره على رمالها ، وان شاء ان يبيتليلته ايضا ، فله الحرية فى ذلك.. المهم الا يبنى فيها مقرا او سكنا دائما له .. والهدف من هذه الاجراءات ، هو المحافظة على الشواطىء الجميلة على طبيعتها ، كما صنعتها يد خالقها ،بحيث تبقى دائما مكانا هادئا للراحة والاستجمام والتمتع بجمال الطبيعة ..

وليست هذه بدعة ، ففي اوروبا ، وفي جميع بلدان العالم ، مناطق تنفرد بجمال الطبيعة فيها، يؤمها المواطنون والسائحون لقضاء ساعات بين ربوعها الأخاذة التى لم تمتد اليها يد الانسان !

وجزر الكويت ايضا

قلنا : « فى مياه الكويت العديد من الجزر الجميلة . ترى هل اعددتم شيئا للنهوض بهذه الرقع الصغيرة من اليابسة التى تسبح فى مياه الخليج ؟ »

نادى المسيلة الذى يشرف على البحر مباشرة ، وقد اقاموا فى ارضه حماما للسباحة ، وزود النادى بشتى وسائل الترفيه والرياضات البحرية ٠٠ وسوف تتعدد هذه النوادى فتنتشر فى المستقبل القريب ٠

المخطط رقم ٤ لمشروع نادى بنيد القار ، وقد اوشك العمل على الانتهاء من المرحلة الأولى فيه ، ويقع هذا النادى على الشاطىء المواجه لفندق هيلتون ، ويتكلف المشروع حوالى ٧٠٠ الف دينار ٠





الاسترخاء تحت المظلات والتمتع بمنظر المياه ، وهي تعانق الشاطىء هربا من حر المدينة ، متعة كل سكان الشواطىء مع حلول فصل الصيف .



منطقة الشاليهات في الضبيعية ، حيث يقضي اهل الكويت عطلاتهم الاسبوعية والموسمية ، والصورة الى اسفل لرياضة التزلج على الماء ، وهي هواية العديد من ابناء الكويت .





الروافع والجرارات وناقلات الرمال على الشواطىء حيث يجرى العمل على قدم وساق لاتمام المشاريع الخمسة الكبرى لانشاء النوادى البحرية وتجميل سواحل الكويت وتعميرها .

وقال رئيس مهندسي بلدية الكويت : « نعم ، هناك اهتمام خاص بتطوير الجزر الكويتية بحيث تصبح اماكن ترفيهية وسياحية نظرا لما تحويه بعضها من اثار قديمة ، مثل جزيرة فيلكه ، او مناظرطبيعية اخاذةومياه صافية رقراقة،كماهوالحال فى جزر عوهه وكبثر وام المرادم ..

اما بالنسبة لجزيرة فيلكة ، وهى من اكبر جزر الكويت ، والوحيدة المسكونه بينها ، حيث مازال اهلها يحتفظون بالكثير من عادات وتقاليد الكويت القديمة ،وهى عادات وتقاليد نعتز بها ونصونها، لانها جزء من تاريخنا وتراثنا .. هذه الجزيرة تنتظرها مشاريع سياحية وترفيهية ، ومشاريع اخرى للتنمية فى مجال الزراعة والصناعة ، وخاصة صناعة صيد الاسماك ..

ويجرى العمل حاليا لانشاء ميناء بحرى فى جزيرة فيلكه ، وسيتصل هذا الميناء ، بميناء آخر عند منطقة راس السالمية بالكويتعلى بعد عشرين كيلومترا ، وسيتمكن المواطن من قطع هذه المسافة البسيطة من الجزيرة الى ارض الكويت وبالعكس فى اقل من نصف ساعة ، بواسطة وسائل النقل البحرية الحديثة ..

اما بالنسبة للجزر الثلاث الاخرى ، فهى تدخل ضمن المناطق التى تتميز بجمال الطبيعة فيها ، كما ذكرنا ، هذا الى جانب وفرة المناطق الغنية بالاسماك بالقرب من شواطئها ، وكثرة الطيور البحرية التى تتجمع علىهذه الشواطىء فىمواسم هجرة الطيور .. ولذلك فسوف تترك هذه الجزر الثلاث الاخرة على ماهى عليه ، ولن يحدث لها الا ماذكرنا بالنسبة للنوع الثالث من الشواطىء، اى ان للمواطنين الحرية فى زيارتها وقضاء بعض الوقت بين ربوعها دون الاقامة الدائمة فيها .. وهى جزر صغيرة لاتتسع لاى نوع من انواع التطوير والتنمية .

دور القطاع الخاص

قلنا : « هل هناك دور للقطاع الخاص فىتنفيذ هذه المشروعات ، أم انها كلها من اختصاص الدولة وحدها ؟ »

وقال المهندس حامد عبد السلام شعيب : « لا يمكن للدولة وحدها القيام بتنفيذ كل هذه المشروعات الضخمة ، ولذلك فقد استعنا بالقطاع الخاص ، وسمحنا لراس المال الوطنى بالاشتراك فى هذه المشاريعوانشاء الاندية البحريةوالترفيهية مثل نادى الغزال ، وشاطىء المسيلة وغيرهما ، كما ان الدولة سوف تؤجر بعض اجزاء من هذه الشواطىء للقطاع الخاص لاستثمارها طبقا لشروط ومواصفات معينة،بعيدا عن اى استغلال

لجمهور المواطنين.وقد نفذت الدولة هذه السياسة بالفعل فى منطقة الضباعية ، فقد اجرت الدولة مسافة كيلومتر ونصف من الشاطىء لشركة الفنادق الكويتية ، وقامت الشركة بتنفيذ مشروع سياحى وترفيهى يشتمل على عدد من الشاليهات التى تؤجرها بدورها للجمهور ..

وسوف يستمر هذا التعاون بين الدولة والقطاع الخاص فى جميع المشروعات التى ستنفذ مستقبلا .

الهجرة فى الصيف !

ثم ماذا ؟

قلنا للمهندس حامد عبد السلام شعيب :

« هب اننا انتهينا من انجاز كل هذه المشروعات التى توليها الدولة اليوم كل اهتمامها ، فهل تعتقدون ان شواطىء الكويت الجديدة الجميلة سوف تحد من هجرة الكثير من المواطنين للخارج فى الصيف ؟ » .

قال : « الذى لا شك فيه ان النهوض بالشواطىء وتجميلها سوف يساهم الى حد ما فى الحد من الهجرة الجماعية التى تحدث فى بداية كل صيف من الكويت الى الخارج .. ولو اننى شخصيا اعتقد ان هناك اسبابا اخرى اساسية تشجع المواطنين على السفر للخارج . وفى مقدمتها الناحية الاقتصادية ، فالمواطن الكويتى قادر على تحمل نفقات السفر والاقامة فى المصايف العربية او الاوروبية ، ثم هناك ايضا اسباب طبيعية ، وهى قسوة الاحوال الجوية فى موسم الصيف والجفاف .

ويجب الا ننسى بعد هذا ان الكويت بلد صغير ، وسوف يجد المواطن الكويتى ، حتى لو توفر لديه المكان الذى يمكن ان يقضى فيه شهور القيظ على الشاطىء ، نفسه مضطرا الى التغيير لمجرد الرغبة فى التغيير .. فهذه هى طبيعة النفس البشرية .. وخاصة اذا وجد المرء متسعا من الوقت لتحقيق هذه الرغبة .. والعطلة السنوية فى الكويت طويلة ، بحيث تشجع الفرد على قضاء ولو جزء منها فى الخارج .. هذا الى جانب تقاليدنا الاجتماعية التى لا تسمح بتوفير بعض انواع الترفيه التى يجدها المواطن فى اماكن اخرى فى الخارج » .

ويختتم كبير مهندسى البلدية حديثه متسائلا :

« وهل الكويت وحدها هى التى يتركها مواطنوها لقضاء جانب من عطلاتهم فى الخارج » . ؟

ان ظاهرة التنقل والسياحة ، ظاهرة عالمية ، ان صناعة السياحة ، اصبحت اضخم صناعة فى العالم اليوم ، فقد دلت الاحصاءات على أنها تشكل فى بعض بلدان اوروبا مثلا اكثر من ٥٠٪ من مجموع الدخل القومى . !

من أين تأتى كل هذه الاعداد الكبيرة من السائحين ؟ انهم يجيئون من كل انحاء العالم .. حتى من امريكا .. فحتى المواطن الامريكى الذى يعيش فى شبه قارة تتباين فيها المناطق وتختلف اجواؤها ، نراه يمل الحياة فيها ويبحث عن مكان بعيد لم يره ليقضى فيه عطلته او جانبا منها .. وهو يفعل ذلك ، رغم توفر كل الامكانيات الترفيهية فى بلاده .. وبعض هؤلاء يأتون الينا .. نعم يأتون الى الكويت ، وربما جاءوا فى عز الحر والصيف ! ؟ » ■■

منير نصيف

قيادة القوارب الشراعية . من الرياضات البحرية التى يعشقها أهل الكويت . وسوف تتسع النوادى البحرية للمئات من هذه القوارب فى موانئها الصغيرة .





غلاف الأرض وما به من أحياء

بقلم: الدكتور عبد الحليم منتصر

■ استعمل اصطلاح الغلاف الحيوى فى العلم لاول مرة بواسطة العالم الجيولوجى « ادوارد سويس » منذ نحو قرن من الزمان ، فى كتاب له عن « نشأة جبال الالب » نشر سنة ١٨٧٦ ، وقد ذاع منذ نشرت ترجمة روسية له سنة ١٩٢٦ واخرى فرنسية سنة ١٩٢٩ .

ولقد عرف الاصطلاح بانه هذا الجزء من الأرض الذى توجد به حياة . الا أن ذلك يحتاج الى مزيد من الايضاح ، فانه على ارتفاعات كبيرة فوق سطح الأرض يمكن اثبات وجود أنواع البكتريا والفطريات، كما انه توجد مساحات على سطح الأرض مباشرة تكون جافة جدا ، أو باردة جدا ، أو ساخنة جدا ، مما لا تطيقه اية كائنات حية . واحيانا يمكن لبعض الانواع أن تعيش فى مثل هذه البيئات ولكن على صورة مستكنة . ونحن نعرف انه يمكن الآن أن توجد حياة وأحياء داخل سفن الفضاء أو معامل الفضاء بعيدة جدا عن الغلاف الحيوى للارض ويمكن تصور هذه البيئات الصناعية على أنها حجوم صغيرة منتزعة من الغلاف الحيوى وبرزت فى الفضاء الخارجى .

فالغلاف الحيوى للارض ، هو النطاق الذى يمكن أن يوجد فيه الماء سائلا بكميات كبيرة ، ويتلقى مددا كافيا من الطاقة من مصدر خارجى هو الشمس، وفيه تتلاقى صور ثلاث للمادة، هى الغازية والسائلة والجامدة .

كما أن كل الكائنات الحية النشيطة أيضا بها جزيئات عضوية كبيرة منتشرة فى وسط سائل ، وان تكيف الكائنات الحية للظروف المحيطة لكبير ، حتى انه فى بعض الصحارى أو فى المناطق القطبية الجليدية ، قد توجد كائنات هى وحدها تحوى بداخلها الماء سائلا وانه وان تكن النباتات الجفافية قادرة على الاحتفاظ بمددها المائى الداخلى لمدة طويلة، ولكنها فى حاجة الى مزيد من الندى أو المطر .

اما مصدر الطاقة وهو الشمس ، فيمكن أن تدخل طاقة الاشعاع الشمسى الدورة الحيوية ، عن طريق انتاج المواد العضوية بعملية البناء الضوئى التى تقوم بها الكائنات التى تحوى اليخضور وعلى التحديد البكتريا القرفرية اللون والطحالب الخضر المزرقة والعوالق النباتية الى جانب النباتات الخضراء ، وهى جميعا محصورة فى هذا الجزء من الغلاف الحيوى الذى يستقبل الأشعة الشمسية بالنهار .

انه يشمل الجو ، وسطح الأرض ، والمليمترات السطحية والقليلة من التربة والماء فى المحيطات

والبحيرات والانهار كما ان المنطقة المضيئة قد تعمق الى سنتيمترات قليلة فى نهر عكر، او تزيد على مائة متر فى مياه المحيطات الصافية . ومع ذلك فان الغلاف الحيوى لا ينتهي عند هذه الاعماق التى يصلها الضوء فان الجاذبية تعمل على انسياب الطاقة الى أسفل ، حيث تسقط دائما فضلات الكائنات حية او ميتة ، من المناطق المضيئة الى الاعماق ·

وان الحياة النباتية فى البحار والمحيطات المفتوحة تلك التى تعتمد عليها الحيوانات البحرية فى طعامها ، انما هى نباتات هائمة اغلب الأمر ، وانها لتسقط الى القاع تحت تاثير ثقلها وكثافتها ·

وعند الارتفاعات العالية على قمم الجبال حيث يقل او ينعدم الماء السائل ، وتنخفض درجة الحرارة ، ويقل الضغط – فان النباتات والحيوانات التى تطيق هذه البيئة قليلة جدا ·

مركز الطاقات فى الغلاف الحيوى

وتتمركز طاقات الغلاف الحيوى حول عملية البناء الضوئى، التى تجريها النباتات الخضر وبعض انواع البكتيريا والطحالب الزرق · وتتلخص فى اختزال غاز ثانى اكسيد الكربون ليكون مركبات عضوية ، وينطلق الاكسجين فى وجود طاقة ضوئية من الشمس · وينتزع الايدروجين ، اما من كبريتور الايدروجين كما فى بكتريا الكبريت او من الماء كما فى الطحالب الزرق والنباتات الخضر ، والنتيجة النهائية لهذا التفاعل ، أن يتاكسد جانب من هذا الغلاف الحيوى ، ومعظم الماء الذى يذوب فيه الاكسجين ، وان يختزل مزيد من اجسام الكائنات يتحللها فى التربة والماء ، وقد يتحول بعضها مع الزمن الى وقود حفرى (الفحم والبترول والغاز الطبيعى) · وهذه العمليات المستمرة من اكسدة للأجزاء المختزلة حية او ميتة – بواسطة الاكسجين الجوى لانتاج مزيد من ثانى اكسيد الكربون – يمكن أن يستغل ثانية فى عملية البناء الضوئى ، واطلاق طاقة يمكن ان تستغل فى النمو والتكاثر ، فهى دورة عكسية مستمرة ، وان انتاج الوقود الحفرى من فحم أو بترول او غاز طبيعى ، مما يعتمد عليه كلية فى العصر الحاضر ، ليبدو صدفة طيبة فى هذه الدورة المستمرة التى ينبغى أن تكون متوازنة · فاذا تصورنا بحيرة ذات انتاج طبيعى عادى ، فاننا نجد نحو ٥ر٢ مليجرام من المادة العضوية تحت كل سنتيمتر مربع من سطح الماء ، واذا قدرنا ان كل هذه المادة العضوية من النباتات الدقيقة الهائمة ذات المحتوى المائى الذى يزيد على ٩٠٪ فيكون هناك ٢٥ مليمترا مكعبا من الكائنات الحية التى تجرى عملية البناء الضوئى فى كل ١٠٠ مليمتر مكعب من سطح البحيرة ، واذا طفا كل ذلك فوق السطح ، فانه يكون غشاء أخضر تبلغ ثخانته ½ المليمتر ، وقد يتضاءل على أحسن الفروض ١/١٠ المليمتر : فكانما نشرت ورقة رقيقة فوق سطح الماء ، وان مجموع المادة التى تقوم بعملية البناء الضوئى فى المحيط العريض قد لا تزيد على ذلك · وعندما ينظر المرء الى ارض غابة ذات اشجار عريضة الأوراق يرى الأوراق متراكبا بعضها فوق بعض ، وان خمس ورقات فوق بعضها البعض كفيلة بمنع الطاقة من الوصول الى ما باسفلها من اوراق · كما ان معظم المادة العضوية فى النبات سليلوزى يدعم هيكل النبات ، ويقلل البخر ، فكان نباتات الغابة اقل استهلاكا للطاقة من هائمات البحر · وكذلك نرى أن ميكانيكية دخول الطاقة الى دنيا الكائنات الحية ، انما هى عملية غامضة ومعقدة ·

مقدار الطاقة الشمسية فى النباتات

ومع ذلك فان الطاقة الشمسية التى تستغلها النباتات فى أرض منزرعة لا تجاوز ١ر٠ الى ٣ر٠٪ ومع ذلك فان التقدير النظرى لما تستغله هائمات البحار قد يزيد على ذلك فضلا عن أن معظم الطاقة الشمسية على النباتات الأرضية الطويلة لا تضيع هباء ، وانما تستغل فى عملية النتح · وان حركة المواد داخل الكائنات تشمل عناصر كثيرة من تلك الموجودة فى الماء وثانى اكسيد الكربون، فبالاضافة الى الكربون والاكسجين والايدروجين ،فان كل الكائنات تستعمل النتروجين والفسفور والكبريت والصوديوم والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنسيوم والحديدوالمنجنيز والكوبلت والنحاس والزنك ، وكذا الكلور والألومنيوم ، والبورن والبرومين واليود والسلينيوم والكروم والموليدونيم والفانديم والسليكون والاسترنشيوم والباريوم والنيكل وأحيانا يوجد الكادميوم فى

كلي بعض الفقاريات ، وبعض الأرضيات النادرة في اوراق بعض الاشجار .

وبعض هذه العناصر أساسي في بعض الكائنات كالبورن في النباتات واليود في كثير من الحيوانات والكروم في الفقاريات والسليليوم في بعض النبات والطيور والثدييات وانه حتى العناصر الأرضية النادرة قد توجد بكميات معقولة في الخيد مثلا ، كان تكون بمقدار مليون ذرة في كل خلية، كما قد يحل عنصر محل آخر ، فبعض البكتريا والطحالب قد تستعمل الروبيديوم بدلا من البوتاسيوم دون أثر مضاد الا البطء في النمو ونحن نعلم أن هناك عناصر معينة سامة جدا مثل الرصاص والزرنيخ والزئبق ، على أن كثيرا من العناصر اللازمة للتغذية تغدو سامة حين تمتص بتركيزات معينة .

واذا تحدثنا عن العوامل التي تحدد وجود كائن ما ، في الصحراء والأراضي الجافة فان عنصري الايدروجين والاكسجين على صورة ماء يحددان كمية الحياة ، على حين انه في مياه البحر الزرقاء، يكون نقص الحديد عاملا محددا ، وحيث يكون العنصر منتشرا على هيئة ايدروكسيد الحديديك يمكن أن تفيد منه النباتات الهائمة حينما يلتصق بجدر خلاياها . وفي الحالات الوسط بين الماء والهواء ، كالأرض الرطبة ، فان الفسفور يكون هو العنصر المحدد ، فهو أندر في الطبيعة من جاريه « السليكون » « والكبريت » في الجدول الدوري للعناصر ، وفي بعض الاحوال يكون كل من الفسفور والنتروجين محددا فاذا اضيف أحدهما لم يزد في كمية الحياة ، على حين أنهما اذا اضيفا معا ظهر الأثر واضحا .

وفي الغلاف الحيوي للأرض لا بد أن تستمر هذه الدورات متتابعة ، حتى أن هذه العناصر بعد أن تستقل وتؤدي دورها تلفظ في الطبيعة ثانية على حساب الطاقة الشمسية ، وتكون على صورة يمكن أن تستقل ثانية .

على أن معدل هذه الدورة يختلف في الأحوال المختلفة ، فان سرعة المادة العضوية للكائنات الأرضية المستغلة لثاني اكسيد الكربون الجوي ، تقاس بعشرات السنين فان الكالسيوم المأخوذ من الصخور القارية في الأنهار على صورة ثاني كربونات الكلسيوم يرسب على صورة كربونات الكلسيوم في المحيط العريض ، ويحدث ذلك غالبا في الاصداف الصغيرة للمتنخربات ، ويكون معظم الاحلال نتيجة لحركة قاع المحيط نحو الشواطيء الجبلية ويحتاج هذا الاحلال الدوري الى مئات الملايين من السنين ، وغالبا ما يكون الحال مع الفسفور مثله مع الكلسيوم ، ومع الأزوت مثله مع الكربون ، وان يكون مخزون الجو من النتروجين اكبر كثيرا ، كما أن التثبيت البيولوجي للعنصر اقل انتشارا ونشاطه اكثر نفقة .

حقن العناصر في المحيط والجو

والواقع أن حقن بعض العناصر في صورة مائعة في المحيط او الجو ، انما يحدث بسرعة تفوق كثيرا ما كان يحدث قبل عصر التصنيع الحالي . ونشات دورات جديدة قد تنتشر على نطاق واسع ، وبكميات سامة من عناصر الرصاص او الزئبق ، وكذا بعض المبيدات مما سيكون له اثر بالغ على الغلاف الحيوي الأخضر للأرض ، مما تنبغي دراسته في جدية وعمق اذا اريد للحياة ان تستمر على هذا الكوكب . وانا لنعلم أن المدد الحالي من اكسيجين الهواء الجوي انما يتجدد باستمرار في عملية البناء الضوئي ، ولولا ذلك لاستهلك ببطء في أكسدة أملاح الحديدوز الى حديديك والكبريتيد الى كبريتات في عمليات التجوية .

الشواهد الحفرية ودلالاتها .

وثمة شواهد حفرية على أن أول ظهور للكائنات البكتيرية انما كان منذ أكثر من ثلاثة بلايين سنة في جنوب افريقيا ، ثم خيوط من طحالب زرق يبلغ عمرها بليونين من السنين كانت هذه الكائنات تجري كلتا العمليتين البناء الضوئي وتثبيت الأزوت . وتدل بحوث كثير من العلماء حول هذه الحياة القديمة ، انه منذ نحو ثلاثة بلايين سنة بدات عمليات كيميائية حيوية تلعب دورها في التغذية الشاذة لبعض الكائنات الحية ، وهي تلك التي تستمد غذاءها من جزيئات عضوية خارجية ، وهي في الوقت نفسه محمية من الأشعة فوق البنفسجية ، حيث تكون على عمق مناسب تحت الماء أو تحت رواسب صخرية وبعد نحو بليون آخر من السنين ، ظهرت خلايا بدائية النواة ،

ليس بها جهاز فتيلى كامل للانقسام ، وليست بها حبيبات سبَحية ، هذه الخلايا هي التى بدأت عملية البناء الضوئى،وهى التى بدأت فى الوقت نفسه التحول الكامل للغلاف الحيوى من نظام التغذية الشاذة القديم الى نظام التغذية الذاتية، وكذا عمليات الاكسدة والتنفس ويعتبر هذا التحول اعظم ثورة تطورية بيولوجية حدثت على سطح الأرض ، كانت نتيجتها النهائية انقراض عدد كبير من الكائنات البدائية التى لا تحتمل الاكسجين الطليق وظهور كائنات اكثر كفاءة تتنفس الاكسجين •

ولقد اثبت بعض العلماء وجود خلايا ذات نوى متميز وانقسام فتيلى حقيقى وحبيبات سبَحية ، يرجع تاريخ ظهورها الى نحو بليون ونصف بليون سنة • وينسبون هذا الحدث التطورى الهام الى وجود جو كاف من الاكسجين • وفى منتصف هذه الحقبة ظهرت كائنات متعددة الخلايا • وقد ثبت ان اول حيوان حفرى يرجع تاريخه الى نحو ستمائة مليون سنة وكان ذلك فى بداية العصر الكمبرى •

الغلاف الحيوى أبقى من الانسان

ودن ان ندخل فى تفاصيل التقديرات المختلفة لعمر المجموعة الشمسية ، فانه يبدو ان الغلاف الحيوى للارض يمكن ان يعمّر مسكونا بالاحياء مدى طويلا اكثر عدة مرات من عمر الجنس الانسانى « هومو » الذى قد يقدر بنحو مليونين من السنين، ونحن كتطان للغلاف الحيوى للأرض — ينبغى ان نعتبر انفسنا فى طور الطفولة ،وخاصة عندما نلقى مواد مهلكة • وكثير من الناس يقدرون عمر حياة الغلاف الحيوى منذ سكنته الأحياء بعشرات المئات من ملايين السنين • وانه لا يبدو من الخطأ ان نتوقع قرب وقوع حدث آخر يشبه ذلك الذى وقع ببدء انطلاق الاكسجين الحر فى الجو •

ومن الخير ان نقرر أن هناك مفارقات كثيرة ، فان الكائنات الأولى التى قامت بعملية البناء الضوئى التى أطلقت الاكسجين ، ربما كانت لديها المناعة ضد الآثار المميتة التى للغازات السامة التى نستنشقها اليوم • ومن جهة أخرى فربما كانت أجهزتها اليوم لديها المناعة ضد اول اكسيد الكربون والرصاص و د•د•ت ، وان كنا فى الواقع لسنا كذلك • وفضلا عن زيادة طفيفة فى الانتاج الزراعى نتيجة زيادة كمية ثانى اكسيد الكربون فى الجو ، فمن الصعب ان نتبين كيف ان الملوثات الأخرى التى نلوث بها الغلاف الحيوى يمكن ان تكون اساسا لثورة أخرى الى الأمام • ومع ذلك فاننا نلاحظ انه عندما نشأت الخلية ذات النواة الحقيقية فى أواسط العصر قبل الكمبرى ، فان ذلك قد تضمن ايضا ثورة جديدة فى التنمية، فاذا اردنا ان تستمر الحياة فى الغلاف الحيوى ، فلا بد من احداث ثورة جديدة ، انها ثورة عقلية تغير أسلوب الحياة ، حتى لا تنتهى حياة الانسان فجأة •

دورة الطاقة فى الأرض

وهناك دورة الطاقة فى الأرض ، فالطاقة الشمسية التى تمتصها الارض ، يعاد تشعيعها فى الفضاء على صورة حرارة ، ومن ثم تنتشر على سطح الأرض من خلال الجو والمحيط • فان كل مظاهر الحياة على الأرض انما مردها جميعا الى الشمس ، ومن ثم فانها تتأثر كثيرا باختلاف الاشعاعات الشمسية على سطح الكرة الأرضية •

وكذلك توجد دورة مماثلة للطاقة فى الغلاف الحيوى وأخرى للماء وهو الوسط الذى تجرى فيه العمليات الحيوية ومصدر الايدروجين اللازم لها ، انه ينساب خلال المادة الحية وبخاصة فى تيار النتح من الأرض الى جذور النبات ثم الى اوراقه ، وثالثة للكربون وخطها الرئيسى من ثانى اكسيد الكربون الى المادة الحية ثم يعود الى غاز ثانى اكسيد الكربون مرة أخرى ، ويختزن بعضه مترسبا فى بعض الصخور ، ورابعة للاكسجين ، حيث تلفظه النبات ، وعلى ذلك تلعب النباتات دورها فى دورة الاكسجين اللازم لحياة النبات والحيوان معا • وخامسة للازوت الذى يكون نحو ٧٩٪ من الهواء الجوى الا أن الكائنات الحية لا تستغله مباشرة ، بل ينبغى أن تثبته أولا كائنات خاصة أو بعمليات صناعية • وسادسة للعناصر المعدنية ، فانه وان يكن الغلاف الحيوى مكونا فى الغالب من الايدروجين والكربون والازوت والاكسجين فان هناك عناصر أخرى أساسية لحياة الكائنات الحية كالفسفور والكبريت • وعلى الانسان أن يحسن استغلال هذه الطاقات وتلك الدورات لاستمرار حياته على الأرض • ■■

القاهرة : د • عبد الحليم منتصر

معركة ذات الصوارى

بها ساد العرب البحرين : الأبيض والأحمر

بقلم : سالم عرفات سالم

■ ظهرت البداية لتكوين البحرية الاسلامية فى أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب . فاخبار الحبشة تتحدث عن موقعة بحرية حدثت بين السفن الاسلامية وبين القراصنة الاحباش فى عهد عمر ، وقد هزم العرب فى هذه الموقعة . ويبدو أن الهزيمة تركت اثرها فى نفس عمر ، فقد ظلت الدولة الاسلامية تنظر الى هذه المسالة بشيء من الحذر والخوف ، ولم يكن من الطبيعى أن يبقى الحذر طويلا خصوصا فى عهد الخليفة عثمان بن عفان . فقد بدا الروم يغيرون على سواحل الشام . او رأيناهم فى سنة ٢٥ هـ يحاولون استرداد الاسكندرية .. بل استرداد مصر كلها معتمدين على قوتهم البحرية ، وكان من المحتم اذا ظل المسلمون على حذرهم هذا وترددهم أن يفقدوا كل مافتحوه . لذلك كان لابد من أن تنشأ البحرية الاسلامية ، ضرورة لابد منها لمواجهة غارات الروم من ناحية ، ولتامين فتوحات المسلمين فى الشام ومصر من ناحية أخرى . وقد رأينا كيف استولى المسلمون على قبرص سنة ٢٨ هـ ، ورودس سنة ٣٣هـ ، وكذلك اغارت البحرية الاسلامية على معاقل الروم فى صقلية وكريت والحقت بها خسائر فادحة .

وقد اظهر العرب بذلك نشاطا بحريا ملحوظا جعل جزر البحر الأبيض المتوسط الشرقى تحت رحمة أسطولهم القوى ، كما أن تلك الاغارات البحرية اتاحت للعرب ميدانا تدربوا فيه تدريبا واسع النطاق ساعدهم على الفوز فى أعظم موقعة بحرية تاريخية فى البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، تلك هى معركة ذات الصوارى (سنة ٣٤ هـ ـ ٦٥٥ م) التى تقرر فيها مصير البحر الأبيض المتوسط ، وكانت دولة الروم هى البادئة بالعدوان بسبب رغبة الامبراطور قنسطانز الثانى فى القضاء على قوة العرب البحرية فى بداية عهدها .

الامبراطور قنسطانز يمهد للمعركة

وكان الامبراطور قنسطانز الثانى يعتقد بان الظروف قد ادخرته لانقاذ دولته من الضعف والانحلال ، ودفع خطر قوات البحرية العربية عنها ، ذلك أنه جاء الى عرش الامبراطورية عقب فترة حرجة فقدت فيها دولة الروم اغنى اقاليمها فى مصر والشام ، واعظم جزرها فى قبرص ورودس ، كما وقع افراد البيت المالك فى القسطنطينية فريسة للاحقاد والمؤامرات ، وقد تربى قنسطانز فى تلك الفترة المظلمة التى سادت دولة الروم عقب وفاة جده هرقل . وشارك فى مؤامراتها ودسائسها حتى استطاع اخيرا أن يفوز بالعرش سنة ٦٤٢ م (٢١ هـ) . فبادر قنسطانز باعداد الوسائل والحيل التى تمكنه من المحافظة على وحدة الامبراطورية والقضاء على قوات البحرية العربية التى هاجمت بلاده .

وقد دلت استعدادات أسطول الروم على أن الامبراطور قنسطانز قد صمم على وضع حد



للنشاط البحرية العربية الاسلامية وكسر شوكتها نهائيا . على حين أثبتت المجهودات العربية أن الأسطول العربى الاسلامى قد صار حقيقة واقعة ليس من السهل النيل منه . فضلا على ذلك التعاون البحرى بين الشام ومصر فى تلك الفترة المبكرة من نشاط البحرية العربية الاسلامية ٠

معركة ذات الصوارى سنة ٣٤هـ (٦٥٥م)

خرج على راس أسطول مصر واليها عبد الله بن سعد بن أبى السرح بنفسه ، وانضم الى اسطول الشام ٠٠ وسار الأسطول العربى الضخم الى ساحل ليكيا بآسيا الصغرى حيث ألقى مرساه عند ثغر فونيكس Phoenix غربى الاسكندرونة ، حينما بلغه نبأ اقتراب أسطول الروم وعلى رأسه الامبراطور قنسطانز ٠

وكان قنسطانز قد خرج فى عدد لم يجتمع للروم مثله منذ كان الاسلام على حد قول الطبرى، فكان أسطوله يتكون من خمسمائة سفينة أو تزيد ، مزودة بآلات الحرب التى راع العرب منظرها ٠

ووصف أحد المشتركين فى الحملة العربية شعوره حين تقابل الأسطول العربى والأسطول الرومى قائلا : فالتقينا فى البحر فنظرنا فى مراكب ما رأينا مثلها قط (١) ٠

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ (٥) ص : ٦٩ و ٧٠ ٠

وكانت الرياح غير ملائمة حين التقى الفريقان في البحر فقضى العرب والروم ليلتهما انتظارا لما يسفر عنه الصباح ، واخذا يستعدان فيها ويعملان على تقوية روحهما ، فبات العرب ليلتهم هذه يصلون ويدعون الله ، على حين قضى الروم هذه الليلة وهم يضربون بالنواقيس ٠

وفي صباح اليوم التالي دارت المعركة واشترك فيها الامبراطور قنسطانز نفسه حيث اخذ يصدر من سفينته التعليمات لقتال العرب ويتابع منها الانباء بانتظام عن سير المعركة ٠

بدأ العرب القتال باستخدام الاقواس والسهام، فادرك قنسطانز تفوق جنده عليهم لان المسلمين يجيدون استخدام هذه الأسلحة في الحروب البرية فقط ، وأن الموقف الآن يجرى وليس بريا ، وان ذخيرة العرب سوف تنفد سريعا ٠٠ وتحقق ماراه قنسطانز اذ اضطر العرب الى استبدال الاقواس والرماح التى نفذت بالحجارة وقذفوا العدو بها ٠٠ وهنا أيقن قنسطانز مرة اخرى ان الفوز حليف اسطوله ، غير ان العرب راوا نفاد ذخيرتهم من الحجارة ، وأن العدو مازال بعيدا عن متناول سفنهم وانه يراوغ ويماطل لانهاك قواهم ٠٠ فربطوا سفنهم بعضها الى بعض وقذفوا خطاطيفهم وجذبوا منها سفن الروم اليهم ٠ ثم اتخذوا من ظهور السفن المتلاحمة ميادين قتال أشبه بميادين البر ، وحين وصلت انباء تلك الخطة الجديدة الى الامبراطور قنسطانز ادرك فشل حملته وان الهزيمة لاشك محيقة بجنده (٢) ٠

وتحقق استنتاج قنسطانز اذ وثب العرب على الروم بالسيوف والخناجر واعملوا فيهم التقتيل واشتد الصراع وكثرت القتلى حتى وصف شاهد عيان هذه المعركة قائلا : رجعت الدماء الى الساحل تضربها الامواج ٠٠ وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما (٣) ٠

وقد أبدى الفريقان المتحاربان من صنوف التفاني في الواجب ، ومن ضروب الشجاعة والاقدام ماسجلته مراجع العرب والروم على السواء ، ومن ذلك أن العرب نسوا في غمرة الحرب مخاوفهم واستماتوا في الدفاع عن سفينة القيادة العربية التى حملت والى مصر عبد الله بن سعد بن ابى السرح ، فلقد عمد الامبراطور قنسطانز ـ حين علم بخطة العرب الجديدة ـ الى نشر الفوضى في صفوف العرب بالقضاء على سفينة القيادة عندهم ، فأمر جنده بقذف خطاف علق بسفينة امير البحر العربي عبد الله بن سعد واخذ الروم يجذبون السفينة العربية اليهم ٠٠ وكاد الروم ينجحون فى أسر سفينة القيادة العربية لولا شجاعة احد الجنود العرب ويدعى (علقمة) اذ القى هذا الجندى بنفسه على الروابط التى كانت تجذب السفينة العربية واخذ يعمل فيها القطع برغم ماتعرض له من ضربات العدو وسهامه ، وكلل عمل علقمة بالنجاح ، اذ قطع الروابط وانقذ سفينة القيادة العربية من الوقوع في الأسر ٠

ونال هذا الجندى ثناء زوجة أمير البحر التى تسمى (بثينه) حيث كانت على ظهر السفينة اثناء القتال ، ولقد شاءت الظروف فيما بعد ان يفوز ذلك الجندى بالزواج منها بعد وفاة زوجها(٤)٠

وقد اظهر الروم فى تلك المعركة تفانيا في الدفاع عن سفينة قيادتهم حين دارت عليهم الدائرة ، اذ بعد نجاح العرب في انقاذ سفينة قيادتهم ، هجموا على الروم بشدة واقتحموا السفينة التى على ظهرها الامبراطور وأعملوا القتل في جندها ، وكاد الامبراطور نفسه ان يقع في قبضة العرب ٠٠ غير انه هرب من المعركة على ظهر سفينة اخرى فر بها الى مدينة سرقوصة او سيراكيوز (Syracause) وهي اكبر مدينة بجزيرة صقلية حيث قتله أهلها ٠

وبفرار الامبراطور قضى العرب على تلك الحملة البحرية التى أعدها الروم والتى اشتهرت في التاريخ باسم « معركة ذات الصوارى ٠

وقد جاء في تاريخ الطبرى وصف لهذه المعركة جاء فيه :

فلقوا جموع الروم في خمسمائة أو ستمائة فيها « القسطنطين بن هرقل » ٠ فقال أشيروا على ٠ قالوا : ننتظر الليلة ٠ فباتوا يضربون بالنواقيس ، وبات المسلمون يصلون ويدعون

---

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص : ١٦٠ ٠

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ (٥)ص ٦٩ و ٧٠

(4) Kuever : Orient under the coliphs P. 358.

الله . ثم اصبحوا وقد أجمع القسطنطين ان يقاتل . فقربوا سفنهم . وقرب المسلمون ، فربطوا بعضها الى بعض . وصف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن وجعل يامرهم بقراءة القرآن ويامرهم بالصبر .. ووثب الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها فكانوا يقاتلون على غير صفوف فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم ان الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . لم ينج من الروم الا الشريد .

مقتل الامبراطور قسطنطين

كما أورد المقريزى وصفا لمقتل الامبراطور قسطنطين بعد فراره الى صقلية فقال :

« فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين فانه نجا بمركبه . فالقته الريح بصقلية فسالوه عن امره فاخبرهم فقالوا : شتت النصرانية ، وافنيت رجالها ، لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم . فقال : خرجنا مقتدرين فاصابنا هذا . فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال : « ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم .. ! » قالوا : « كانه غرق معهم » . ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المركب » .

وهكذا انتهت معركة ذات الصوارى بهزيمة ساحقة للبحرية الرومانية .. ويقول بعض المؤرخين انها سميت كذلك لكثرة صوارى السفن التى اشتركت في المعركة (٥) .

بينما يرى آخرون أنها سميت كذلك لأن المكان الذى وقعت فيه كان يدعى ذات الصوارى ، فالمؤرخون الذين رووا نبأ هذه الغزوة يقولون ان عبد الله بن سعد اقام أياما بعد المعركة بذات الصوارى ، ثم عاد بعدها ظافرا الى الاسكندرية ، وقد أخذ عليه خصومه وخصوم الخليفة عثمان بن عفان وأذاعوا في الناس انه لو تعقب الروم لقضى على اسطولهم القضاء الأخير .

نتائج معركة ذات الصواى

تعتبر معركة ذات الصوارى من المعارك البحرية الحاسمة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية اذ غيرت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط لأنها قضت على اتصاف البحر المتوسط بأنه بحر الروم، وصار لقوات البحرية العربية فيه الكلمة العليا، كما ان الأباطرة الرومان ادركوا ان الأسطول العربى صار قوةضاربة فيالبحر الأبيض المتوسط وان دولة الروم لا تستطيع اخراج العرب من البلاد التى تملكوها على شواطىء هذا البحر .

ويرى المؤرخون ان هذا الانتصار يشبه انتصار معركة اليرموك لأنه كان ايذانا ببداية السيادة البحرية الاسلامية ونهاية السيادة الرومانية ، كما أن الروم لم تقم لهم بعد هذا الغزوة في البحر قائمة .

غير أن هذا الانتصار غير المتوقع ، وخوف العرب من تعرض السواحل والموانىء المصرية لهجوم آخر من جهة الروم دفع عبد الله بن سعد ابن أبى السرح الى ضرورة التفكير في بناء قوة بحرية عربية أسلامية ، وقد استغل عبد الله بن سعد المهارة التى اشتهر بها اقباط مصر في صناعة السفن فانشأ دارا للصناعة في جزيرة الروضة التى عرفت حينئذ باسم (جزيرة مصر) ثم بعد ذلك قام معاوية بن أبى سفيان ببناء دار ثانية للصناعة في ميناء عكا بنى فيها ثانى اسطول عربى أسلامى .. وكانت دار صناعة السفن الثالثة في ميناء تونس التى انشاها حسان بن النعمان .

على كل حال فمنذ سنة ٣٢ هـ فصاعدا ، شرعت البحرية المصرية خاصة .. والبحرية الاسلامية عامة ، تظهر على مسرح الاحداث وتريد انتزاع السيادة البحرية من دولة الروم .. ورأينا اساطيل مصر تنضم الى اساطيل الشام واساطيل المغرب والأندلس لتكون الأسطول العربى الاسلامى العظيم الذى استطاع أن يؤكد نفسه ويقضى على السيادة البحرية الرومانية .. وان المسلمين استطاعوا بعد ذلك أن يستولوا على جميع الجزر المتناثرة في حوض البحر الابيض المتوسط ، واصبحوا سادة البحرين المتوسط والأحمر ، بل استطاعوا أن يهاجموا الروم في عقر دارهم .

■■

سالم عرفات سالم

---

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ والكندى : الولاة والقضاة ص : ١٣

أنباء الطب والعلم والاختراع

الجمال وتأثيره في عدالة المحلفين !

● قام بعض علماء النفس في جامعة متشيجان Michigan بدراسة دلت على ان الجاذبية والجمال والمظهر الخارجي لهما تأثيرهما الواضح في القرارات التي قد يتخذها المحلفون في قضية ما ٠

وتتلخص الدراسة التي قام بها هؤلاء العلماء في انهم جاءوا بمجموعة من الطلبة وجعلهم في مكان المحلفين في قضايا تمثيلية عن حوادث السيارات الناتجة عن الاهمال ٠ ويتم عرض صور للمتهم والمدعي اثناء استماع المحلفين لتسجيلات المحاكمة ٠٠٠ وقسم المحلفون الى مجموعات بعضهم عرضت عليه صور متهم انيق وجذاب ، بينما كانت صورة المدعي لا تتمتع بأية جاذبية ، ومجموعة اخرى كان المدعي جذابا ، بينما المتهم قبيح الوجه ٠ في حين ان وقائع القضية كانت واحدة ٠٠ والنتيجة ان ١٧٪ فقط من المحلفين اصدروا حكمهم في صالح المدعي غير الجذاب ٠

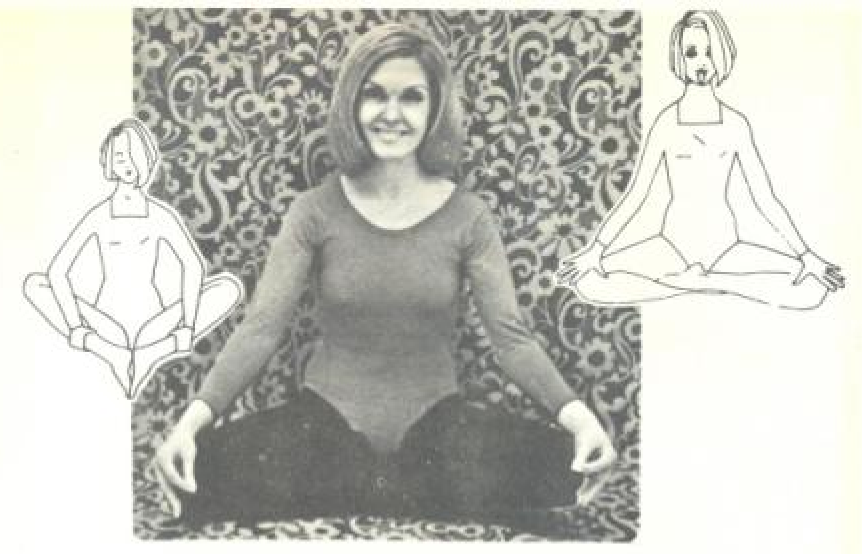
وبلغ متوسط التعويضات عن الاضرار التي حكم بها للمدعي الجذاب ١٠ الاف دولار ٠ بينما لم يحكم للمدعي الذي لا يتمتع بالجاذبية والمظهر الجميل باكثر من ٥٦٠٠ دولار ٠

ويبدو من نتائج هذه الدراسة النفسية ، ان على المحامين ، ليس فقط الدفاع عن موكليهم ، ولكن ايضا ارشادهم بالظهور بمظهر حسن وجذاب امام المحلفين٠٠ لأن المحلفين مهما كانوا، بشرا يتأثرون بمظهر المتهم او المدعي ٠

علاج ناجع لاصابات البرد !

● هناك اعداد كبيرة ومتنوعة من الفيروسات التي تسبب اصابات البرد ٠ وهذا هو السبب الذي منع الأطباء حتى الآن من التحكم في امراض البرد عن طريق الأمصال المعروفة ٠

ويبدومن المحتمل ان الأصل الوحيد في الحصول على علاج فعال لأمراض البرد هو في انتاج عقار يكون فعالا ضد عدد كبير متنوع من الفيروسات ٠ وقد تم التوصل مؤخرا الى نوع من العقاقير المشتقة من مادة الجوانيدين Guanidine العضوية ، وله تأثير فعال ضد ٢٥ نوعا من الفيروسات المسببة لأمراض البرد ، والتي تخترق الخلايا الرئوية للانسان ، ويقول الدكتور باكنال Bucknall ، وهو احد المشرفين على الأبحاث التي تجرى على هذا العقار في انجلترا ، ان هذا الدواء لا يدمر الفيروسات او يمنعها من اختراق خلايا الانسان ، ولكنه يمنع تكاثر هذه الفيروسات داخل الخلايا المصابة ٠



اليوجا علاج لضغط الدم !!

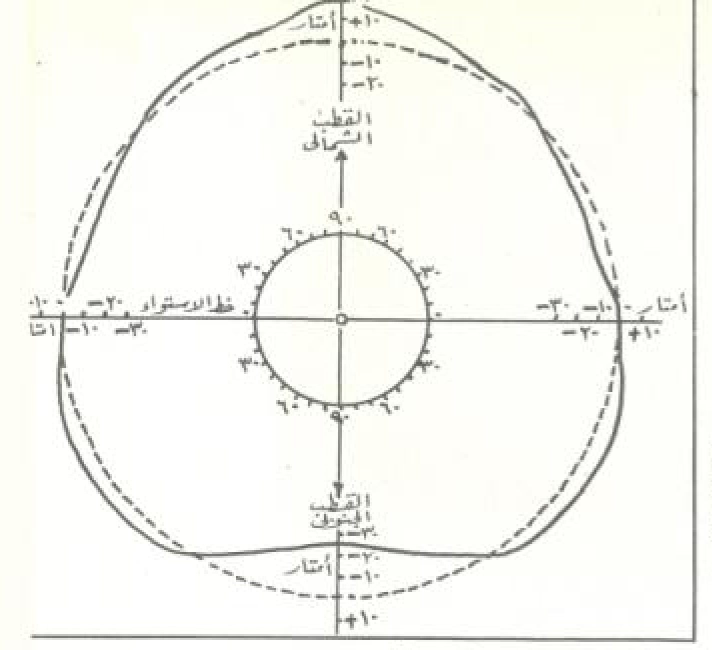
● تدل الاحصائيات الطبية على ان الوفيات بحالات النوبات القلبية تتناسب تناسبا طرديا مع حالات ارتفاع ضغط الدم ٠

وهناك العديد من العقاقير التي تعمل على تخفيض ضغط الدم ، ولكن هذه الأدوية لها آثار ضارة ، فكثرة استعمالها قد تؤدى الى الصمم ، او الجلوكوما (الماء الأزرق فى العين) ، او حالات الكآبة النفسية التى تشجع الانسان على الانتحار ٠ ولهذا فكر الأطباء فى انه من المفيد والمستحسن ان يتمكن المرضى من خفض ضغط الدم باستعمال وسائل اخرى غير الأدوية ٠

وفى عام ١٩٦٩ لاحظ فريق الباحثين ان التمرينات الرياضية المعروفة باليوجا تساعد فى تخفيض ضغط الدم المرتفع٠ وبناء على هذه الملاحظة قام الطبيب البريطانى س ٠ هـ ٠ باتل C.H. Patel بتجربة تأثير اليوجا على ٢٠ من مرضاه الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم ٠ وظل هؤلاء المرضى يترددون على عيادة باتل ثلاث مرات اسبوعيا طوال مدة ٣ أشهر ٠ وكان كل واحد من هؤلاء المرضى يستلقى فى حالة استرخاء على سرير ، ويبعد ساقه عن الأخرى ، ويضع ذراعيه الى جانبه ، ويبسط اصابعه ، بينما تبقى كفه ثابتة لا تتحرك ٠ وثبت فى كل مريض جهاز دقيق ينقل نبضات العصب السمبثاوى Sympathetic Nerve ويحولها الى اشارات على جهاز الراديو٠

ومن المعتقد ان الأعصاب السمبثاوية تعمل كوسيط لرفع ضغط الدم ٠وعندما تزداد طبقة صوت الاشارات الصادرة عن العصب السمبثاوى فان هذا معناه ان المريض فى حالة اثارة او هياج ، وعندما تقل طبقة صوت هذه الاشارات فان معنى ذلك ان المريض فى حالة استرخاء ٠٠٠ ويبدأ المرضى فى مزاولة حركات اليوجا، وهم فى نفس الوقت يتتبعون اشارات العصب السمبثاوى على اجهزة الراديو ، ويحاولون خفض هذه الاشارات الناتجة عن اجسامهم ٠

وبعد انتهاء الشهور الثلاثة التى استغرقتها هذه الدراسة توقف ٥ من المرض عن تناول الأدوية التى تعمل على تخفيض ضغط الدم ، بينما خفض ٧ آخرون تناولهمللادوية بنسبة تتراوح بين ٣٣الى ٦٠٪ ، وتحسن التحكم فى ضغط دم ٤ من المرضى ، بينما لم يتجاوب الأربعة الباقون ،ويقول د ٠ باتل ان هذه النتائج تحمل املا فى اتجاه جديد لعلاج ارتفاع ضغط الدم ٠



رسم يوضح شكل الكرة الارضية الشبيه بثمرة الكمثرى ، والذى اتضحت صورته بواسطة الأقمار الاصطناعية ورحلات الفضاء ٠

الكرة الأرضية

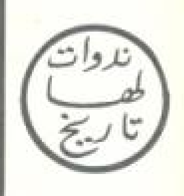
أشبه بثمرة كمثرى منها بالكرة !

● كان من المعروف ان الأرض اشبه بالكرة المتبعجة عند القطبين ٠٠ فهى تنتفخ عند خط الاستواء ، ثم تصبح مسطحة عند القطبين الشمالى والجنوبى. وهذا يرجع الى دوران الأرض ٠ ولكن اطلاق الأقمار الصناعية وتحليل المعلومات التى قامت هذه الأقمار بالحصول عليها ، ادى الى معرفة حقيقة شكل الأرض ٠ واصبح من المؤكد ان الأرض اشد شبها بثمرة كمثرى مما كان العلماء يعتقدون٠

وقد دلت المعلومات التى تم الحصول عليها عن مدار كل من القمرين الاصطناعيين (سبوتنيك) ٢ Sputnik 2 و « فانجارد » (١) Vanguard 1 على ان محيط الأرض ليس متماثلا عند خط الاستواء ولكنه يميل الى الانبعاج شأنه فى ذلك شأن ثمرة الكمثرى ، اما ساق الثمرة فهو الى ناحية القطب الشمالى ٠

وقد قام عالمان بريطانيان هما د ج كينج هيل D.G. King Hell وج ٠ كوك G.E. Cook بتحليل مدارات ٢٧ قمرا اصطناعيا ، واستنتجا من دراستهما ان شكل الأرض يزيد ١٠٪ شبها بثمرة الكمثرى عما كان يعتقد من قبل : فالمعلومات القديمة كانت تشير الى انه اذا طرحنا نصف قطر القطب الشمالى من نصف قطر القطب الجنوبى فان الناتج يساوى ٤٠ مترا ولكن المعلومات الجديدة التى تم الحصول عليها تدل على ان القطب الشمالى له ساق او عنق كعنق الكمثرى ، على حد تعبير العالمين البريطانيين ٠ ونتيجة لهذا فان زيادة الشبه بين الأرض وثمرة الكمثرى هو فى الواقع اكثر مما كان العلماء يظنون ٠٠٠ والرسم المرفق يوضح الاكتشاف الجديد ٠

وهكذا يحصل العلماء على معلومات جديدة عن الأرض والفضاء من الأقمار الاصطناعية التى تدور حول كوكبنا ٠



روضة «شفيق»

«بستان» حفل بالفكر وأشجار الفاكهة والذكريات

بقلم : انور الجندى

■ حفلت ندوة « احمد شفيق باشا » بعديد من الاعلام والنوابغ ٠ وفى مقدمتهم طلعت حرب، احمد زكى الملقب بشيخ العروبة ، الدكتور سيد كامل ، احمد فهمى العمروسى ، انطون الجميل ، الدكتور عبد الحميد سعيد ، رشيد رضا،مصطفى عبد الرازق ، منصور فهمى ، محمود ابو العيون٠

وكانت الندوة حفيلة ، بالاعلام الوافدين من العالم الاسلامى كله ، اذ كان شفيق باشا مهتما بالدعوة الى « الرابطة الشرقية » ٠

توديع الثعالبى

وكان توديع العلامة عبد العزيز الثعالبى عام ١٩٣٧ من اضخم احداث روضة شفيق باشا بمناسبة عودته الى تونس ، بعد ان أمضى اكثر من عشرين عاما فى مصر والعالم الاسلامى ، وقد انتهز الكتاب والباحثون هذه المناسبة ، فاعلنوا دعوة متجددة الى انشاء ثقافة شرقية : عربية او اسلامية – على حد تعبير الدكتور منصور فهمى – تكون خاصة بنا ، دون غيرنا ٠ فلا نكون عالة على الغرب ، ولا نقلده تقليدا اعمى فاسدا ، ولا نحاكيه محاكاة فجة مملولة ٠

ووقف لطفى جمعة يتكلم فى توديع الثعالبى ، فايد منصور فهمى فى دعوته ٠ واشار الى خطر عودة ابناء البلاد من الغرب،وقد تغيرت شخصيتهم،

وقال انه لا يوجد نصب تذكارى لشهداء التل الكبير (١) وعددهم عشرون الفا ٠

اما الزعيم الثعالبى فانه تحدث عن مفتاح شخصيته وكفاحه فقال : انه بدأ بعبارة قرأها اثناء زيارته لمصر عام ١٨٩٧ لاحد كتاب الغرب ، يقول فيها : لقد فصلنا بين شمالى افريقيا والتاريخ العربى ٠ فاثرت فى نفسه هذه الجملة تاثيرا بالغا،وصمم على العمل لمقاومة هذه الفكرة، والمحافظة على هذه الرابطة ٠

تأبين على بهجت وكشف الفسطاط

واولت روضة شفيق الاهتمام بتابين المرحوم العلامة « على بهجت » مكتشف مدينة «الفسطاط» العربيـة الاسلامية ، بعد ان دفنت فى صحراء مصر القديمة اكثر من سبعمائة عام ٠ قال احمد شفيق باشا « ان على بهجت بدأ حملته الشريفة التى انتهت بحفظ مابقي من اثار مدينة الفسطاط، والكشف عنها منذ عام ١٩١٢ ٠ وقد عاونته بكل ما فى وسعى ٠ وقد كان مدفوعا بحماسة كبيرة ، وايمان صادق ، ووجد صعوبات جمة ، ولكنه تغلب عليها باقدامه ، وطول اناته وعزمه ، وقد كان وكيلا لدار الاثار حين كان رئيسها الاجنبى (هرتس باشا) لا يشجع كثيرا مثل هذا العمل ٠

وقد سار فى الحفر على معلومات استطاع ان يستخلصها من كتب التاريخ الاسلامى،كما استعان

(١) العربى : معركة وقعت بين الانجليز والجيش المصرى بقيادة الزعيم احمد عرابى باشا ، هزم فيها عرابى ، فاحتل الانجليز على اثرها مصر سنة ١٨٨٢ ٠

بالوسائل الحديثة في تحديد طبغرافية مدينة الفسطاط ، حتى تأكد له الموضع الذى يعمل فيه، وكان ذلك بجوار « ابى السعود » ثم اتجه الى الناحية القبلية الى جامع عمرو • ثم الى الشرقية، حتى وصل الى أول الخيط عام ١٩١٤ • وكانت هذه المدينة قد عاشت سبعة قرون ، ثم ادركها الفناء والزوال اذ اندلعت فى جوانبها السنة اللهب ، واستمرت مشبوبة شهرين كاملين ، وظلت مدينة الفسطاط مدفونة تحت اكوام وتلال من السباخ « الكفرى »(٢) لم يعلم الناس ما بها من كنوز وذخائر ذات قيمة بالغة ، حتى وفق على بهجب للكشف عن هذا الاثر التاريخى • فاضاف ثروة جديدة للعلم والتاريخ •

جمعية الرابطة الشرقية

واولى شفيق باشا اهتمامه بجمعية « الرابطة الشرقية » وكون نواتها من رواد ندوته : الشيخ محمد بخيت المطيعى ، رشيد رضا ، مصطفى عبد الرازق ، عبد المحسن الكاظمى ، الشيخ التفتازانى ، عبد الرحمن فهمى ، الشيخ الظواهرى ، منصور فهمى ، داعية الى توثيق الروابط بين الامم الشرقية بالتعاون معها ، ودرس حضارة الشرق • وما يناسب اقتباسه من الحضارة الغربية، واعلنت الجماعة انها ليست ذات غرض دينى ، ولا سياسى • فهى لعموم الشرقيين من جميع الاديان، للتعارف والتآلف بين امم الشرق • وقد احيت ذكرى جمال الدين الافغانى ، وبحثت الازياء والتقاليد • ودعت الى توحيد برامج التعليم فى البلاد العربية •

وقال شفيق باشا : « لقد ابتكرت زيا قوميا للصيف ، ولبسته • وهو زى اقتصادى وعملى وصحى ، ولكن بكل اسف لم ترق البدعة فى اعين من راها • لأنها ليس لها من الاناقة ما لغيرها » •

ولقد ناقشت ندوة شفيق فكرة « الجامعة الشرقية » شهورا متوالية حتى استطاعت ان تعلن بها • وكان منصور فهمى هو شبه المتحدث الرسمى لها • يقول : ليست فكرة الرابطة الشرقية مجرد وهم فى رؤوس • بل قامت فى نفوس العاملين لها على أصول اجتماعية مستفادة من تاريخ المدنيات ، وقيام الحضارات ، ذلك لان لكل امة ما تتشخص به وتتميز ، حسبما تقضى ظروف البيئة وبواعث الكفاح الحيوى •

ولما كانت طائفة من الامم فى آسيا وافريقيا متأثرة بتعاليم الاسلام ، فقد كانت تنزع لتحتل مركزا جديدا بين الامم على اساس توثيق الصلات بين اهل الشرق ومفكريه •

مذكرات نصف قرن

وكان شفيق باشا حفيا بالحديث عن مختلف الوقائع التاريخية التى تثار فيما يتعلق بقناة السويس او معركة التل الكبير ، او حياة الخديوى عباس الثانى ، فقد حفلت مذكراته بكثير من الاسرار فى هذا المجال • وكان قد عمل كاتبا فى المعية الخديوية منذ عام ١٨٧٩ فى اواخر عصر اسماعيل • ثم ظل يترقى ، وارسل الى اوروبا (١٨٨٥ ـ ١٨٨٩) فلما عاد عمل مع البرنس عباس حتى تولى عباس الخديوية (يناير ١٨٩٢) وظل يرقى حتى اصبح رئيس الديوان الخديوى ، فلما خرج عباس عن مصر فى اوائل الحرب العالمية الاولى خرج معه ، فاقام فى تركيا واوربا ، حتى استقال من الخدمة عام ١٩١٩ وعاد الى مصر ١٩٢١ • فكأنه امضى فى المعية الخديوية اكثر من اربعين عاما • وفى خلال هذه الفترة كان يكتب مذكراته ، ويدون يومياته • ويعنى بالمحافظة عليها • فلما تم طبع هذه المذكرات احتفلت ندوة شفيق باشا بذلك الحدث • وتحدث احمد شفيق فقال : « مد الله فى اجلى ، ومنحنى الصحة الكافية ، لاتمام هذا العمل الذى وقفت عليه جانبا من حياتى ، لقد عشت حياتى كلها معتزا بهذه المذكرات ، وكنت استصحبها فى اسفارى خوفا عليها • ثم اودعها فى خزائن بنك من البنوك مدة اقامتى فى اوروبا خوفا من ان تمتد اليها يد النسيان او السرقة ، حتى اذا ما قطعت المواصلات بين تركيا وسويسرا • وانا عائد مع عائلتى ، وكنا فى نيس عام ١٩١٨ ـ كنت حائرا بهذه المذكرات وانا احملها ، كحيرتى بعائلتى وابنائى • وما كانت مشاغلى الخاصة لتحول بينى وبين كتابة مذكراتى يوما بعد يوم ، بعد ان غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياتى •

(٢) الكفرى : الاثرى القديم (العربى) •

وقد كشفت المذكرات عن اسرار كثيرة،وبخاصة فيما يتعلق بزعماء تركيا (سعيد حليم ، وطلعت، وانور ، وجمال) وزعماء مصر ، (محمد فريد ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمود لبيب) وكذلك عن مطامع بريطانيا وفرنسا والمانيا • وعرضت لعشرات الرجال والاعلام •

صورة مصر

وتكشف مذكرات شفيق باشا صورة مصر منذ عام ١٨٩٢ تقريبا ، الى عام ١٩٢١ ثم توالى « حوليات مصر السياسية » التى اصدرهافىعشرة مجلدات (١٠٤٦٠ صفحة) تاريخ مصر الى عام ١٩٣٠ تقريبا • ويتميز بالكشف عن اسرار كثيرة لم تكن متاحة الا لرجل عمل فى القصر • وتابع الاحداث يوما بعد يوم •

يقول شفيق باشا : لقد دفعتنى الى تدوين هذه المذكرات عوامل كثيرة ، كان بعضها كامنا فى نفسى•والبعض الاخر هيأته الظروف التى احاطت بى ، لاسيما انى اشعر منذ الحداثة بشغف قوى الى تدوين مذكرات يومية •

ولقد كان لدراستى للعلوم التاريخية والسياسية فى باريس اثر كبير فى ادخال هذا الفن فى البلاد العربية • وكان لأستاذى فى معهد العلوم السياسية فى باريس فضل وافر • فقد قال لنا بعد انتهاء الدراسة « سيعود كل منكم الى وطنه • وفى نفسه حاجة للاشتغال بتاريخ بلاده • فاذا تقدم احدكم بوضع تاريخ فليجعل همه الأول التجرد من كل تعصب وتحزب • وان لا يكون له ضلع مع فئة دون اخرى،وان يتحرى الصدق فى الرواية وتمحيص الحوادث • وان لا يلهيه التفصيل عن الاجمال • بل يسرد الحادثة ويشفعها ببيان عللها واسبابها وانتقاد اربابها • فينبه الى موضع ما ارتكبوه من خطأ ، وما أتوه من صواب ليكون التاريخ عبرة من اهل الزمن الغابر لاهل الزمن الحاضر » •

روضة شفيق

ظل احمد شفيق باشا يطلق اسم « روضة شفيق » على ندوته بعد ان بنى قصر الروضة عام ١٩٢٨ على مساحة قدرها ثلاثة وثلاثون فدانا، فى شبرا ، بعد روض الفرج ، تشرف على النيل اشراقا تاما • مزروعة بالموز والبرتقال والمشمش والتفاح ، وتحفها الأزهار والرياحين •

وقد دعا اليها ١٥٠ علما من الكبراء والاعلام• وكانت هذه الروضة موئل الزائرين والوافدين الى مصر من مختلف انحاء العالم الاسلامى •

وقد حياه احمد شوقى امير الشعراء بمناسبة المهرجان الذى أقامه فى روضة شفيق ، عندما بلغ سن الثمانين فقال :

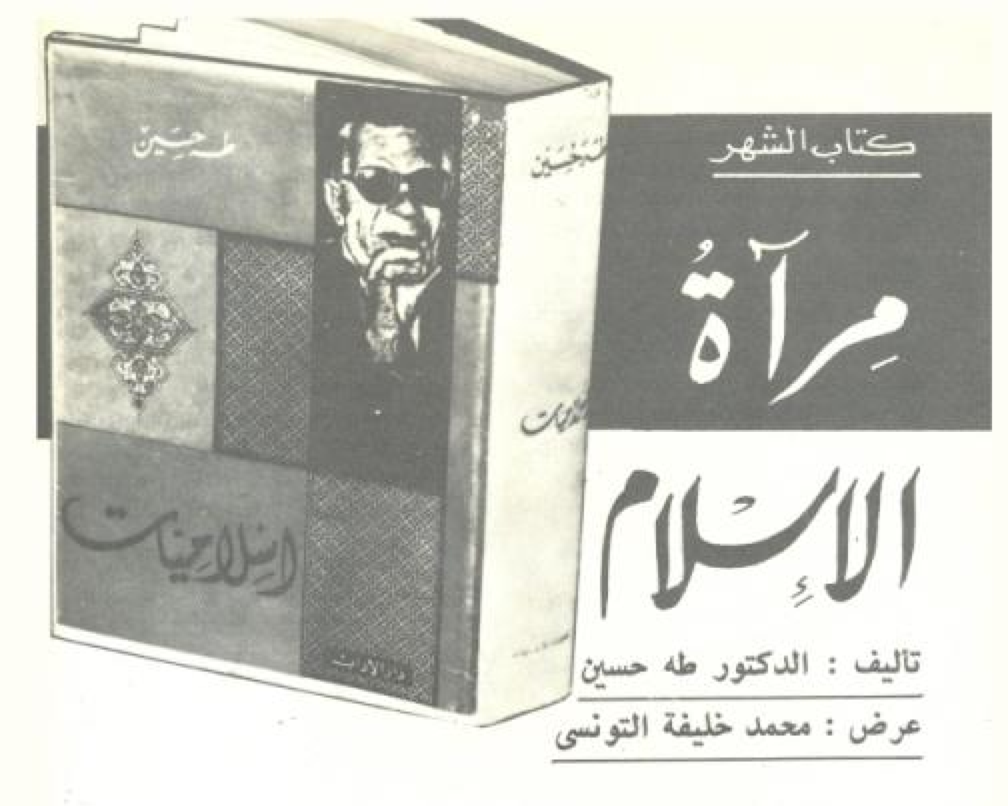
طلع الشرقُ علينا
من سماء المهرجانِ
هُوَ فى « روض شفيق »
معنا يُهدى التهانى
وكما راقَ بَنيه
راقه طيبُ المكان
أنتَ يا أحمد فى مصـ
ـر «جَبَرتىُّ» الأوان(٣)
أنتَ قرّبتَ لنا أمـ
ـس وما كانَ بِدان
قد نسيناه وما مـ
ـر به من حَدَثان

ولقد كان شفيق باشا يعرف رأى الوطنيين فيه • ويحاول دائما ان يدافع عن نفسه تجاه موقفه من عرابى،والشيخ محمد عبده،وعبدالعزيز جاويش ، ولكن الواقع يثبت انه حاول بكل ما يستطيع المؤرخ ان يتحاشى وجهة النظر التى كان يحملها عباس او غيره بين رجال القصر • وعمل بكل ما يستطيع على ان يكون فى صف الحركة الوطنية ، وخاصة بعد ان عاد الى مصر ، واخذ فى اعداد الحوليات السياسية التى ما تزال مرجعا هاما لكثير من الباحثين • ■■

انور الجندى

---

(٣) اى ان احمد شفيق مؤرخ عصره ، كما كان الشيخ الجبرتى مؤرخ عصره قبل الحملة الفرنسية على مصر الى مابعد تولى محمد على باشا حكمها(العربى) •



كتاب الشهر

مرآة الإسلام

تأليف : الدكتور طه حسين

عرض : محمد خليفة التونسى

■ كان من اسباب يقظتنا الاسلامية الكبرى فى العصر الحديث ــ ثم من نتائجها ايضا بعد بدئها ــ التفات كثير من نوابغنا الى الاسلام فى جوهره الحقيقى الاصيل خلال عصر قوته او جدته، وتنحيتهم ما تراكم عليه حتى كاد يطمسه من متحجرات العقول الضيقة والطباع الجاسية والاهواء المغرضة خلال عصور التخلف والجمود .

ويكاد هذا الالتفات يعم كل نوابغ الاقطار الاسلامية عربية وغير عربية من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ، ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب . وان كان السواد الاعظم حتى المتعلمين منه لم يزل مفتونا بتلك المتحجرات ، عاكفا عليها فى اصرار عنيد .

ونرجع الى اولئك النوابغ الذين اسهموا فى تجلية جوهر الاسلام : عقائده واخلاقه وشرائعه وعلومه وتاريخه وفتوحه الثقافية والحربية وتراجم نوابغه ، فنجد ان جلهم او كلهم ممن لم يتخصصوا فى الدراسات الاسلامية الخالصة ، او لم يقتصروا عليها ، ثم نجد ان لكل منهم نشاطه او تخصصه فى مجال او اكثر من المجالات الثقافية الاخرى ادبية او علمية ، وكلهم ممن احسن الاطلاع على نتاج الثقافة الغربية الحديثة وتمثلها ، واستنار بمناهجها فى البحث والعرض .

ومن هؤلاء المجددين النوابغ الذين خدموا التراث الاسلامى وجلوه وقربوه الى عامة القراء ــ ولا سيما الشباب ــ اديبنا الكبير الدكتور طه حسين رحمه الله ، واظهر ما تتجلى فيه جهوده خمسة من كتبه : هى « على هامش السيرة » فى اجزائه الثلاثة ، و « الوعد الحق » ، و « الفتنة الكبرى » بجزءيه (عثمان) و (على وبنوه) ، و « الشيخان » (ابو بكر وعمر) ، و « مرآة الاسلام » ، وآخرها ــ كما سنوضح بعد ــ هو الصقها بالاسلام واشدها تجلية لجوهره الاصيل .

والموضوع الشامل تقريبا لهذه الكتب الخمسة هو « السيرة » بمعناها فى الاوساط التعليمية التى نشأ فيها طه حسين وبدأت تربيته ، ومايزال هذا المعنى غالبا فى هذه الاوساط حتى الآن ، فمفهوم السيرة عندهم فترة الجاهلية التى نشأ خلالها الاسلام ليقضى على مفاسدها ، ثم ظهور الاسلام وجهاد النبى وأصحابه فى عهده حتى نهاية

وأربعة كتب إسلامية اخرى من تأليفه

عهد خلفائه الراشدين . فالدكتور في هذه الكتب لم يخرج عن نطاق هذه السيرة كما كان ولم يزل مفهوما في تلك الاوساط . وان كانت نظرته المستقلة اليها غير نظرتهم ، وانتفاعه برواياتها غير انتفاعهم ، او اعظم منه. • وكثير ممن عاشوا في تلك الاوساط كما عاش ، واكثر مما عاش ، وغنموا منها اكثر مما غنم ، قد طالعوا من تلك السيرة بمعناها الواسع ، ومن العلوم الاسلامية الخالصة - مثل ما طالع ، وهم يعدون بالمئات بل الالوف ، ولكن معظمهم لم يكتبوا بعض ماكتب من جديد في الموضوعات الاسلامية ، ولم يكن لما كتبه الكاتبون منهم بعض ماكان لكتاباته من الاثر في تحبيب ذلك التراث الاسلامي الى المستنيرين ، ودفعهم الى البحث في كنوزه ، وذلك بفضل ما للكاتب من شهرة ادبية ،واسلوبه الطريف الجذاب في عرض موضوعاته ، وقد راينا كثيرا من القراء متجذبين الى قراءة هذه الكتب وغيرها من كتبه وهم راضون عن انفسهم ، لشعورهم انهم يقرءون لاديب كبير ، ويفهمون عنه ،وهذا حسبه من توليد وتجديد ، نتيجة لما اطلع عليه من تراث الاسلام ، وقد اصاب ابن الرومي اذ قال :

اذا الارض ادت ريــع ما أنـت باذر
من الحب فيها ــ فهي ناميك من ارض

وقد لا يعد الدكتور بين من نسميهم « الكتاب الاسلاميين » بحجة انه لم يتفرغ في الموضوعات الاسلامية بمقدار ما تفرغ للادب بمعناه الواسع، فقد خلق اديبا ، وعاش استاذا للادب جامعيا ، سواء داخل الجامعة او خارجها ، وكانت كتاباته الاسلامية جانبا من نشاطه الفكرى • وهذه من نقم الاشتهار باحدى المزايا حين تغطي على شهرة كل مزية سواها •

كتابه « مرآة الاسلام »

ولكن كتابه الاخير « مرآة الاسلام » لا يقل في محصوله الفكرى الاسلامي عن مجموع ماكتبه آ ي ممن تفرغوا للدراسات الاسلامية ، فسموا «كتابااسلاميين»•وكثيرا ماتضل الشهرةوتضلل•

وكتاباه « على هامش السيرة » و « الوعد الحق »

وكتاباه « علىهامش السيرة » و « الوعد الحق » قد قربا للشباب وامثالهم الجو العام الذى نشا فيه الاسلام كما نقل الاخباريون هذا الجو بحقائقه وارهاصاته وخوارقه ، فقد عمد في كتابه « على هامش السيرة » الى هذه الاخبار التى تختلط فيها الحقائق بالارهاصات والخوارق ، فتناولها بملكته القصصية ، ونفخ فيها من روح القاص وخياله ما زادها حياة وحركة ، وصاغها ممطوطة بلغته الرشيقة المكينة التى لاتقل دقة وبيانا عن ارقى ماوصلت اليه اساليب البلغاء القدماء ، وتزيد عليها انها الينا اقرب ، ولنا انسب ، وفي بعض كتاباته يستعمل الفاظا كاعذب الالفاظ وادقها ، ولكن قل ان نستعملها ، لجهلنا بها ، وقد نقلهامما حفظه من اشعار البلغاء القدماء ، ولا سيما صديقه ابو العلاء ، واثر القرآن الكريم في هذه الاستعمالات اوضح ، وكل موضوع من موضوعات هذا الكتاب ، وكتابه « الوعد الحق » نوع من القصة او المسامرة شبه التاريخية التى تحمل طابع صاحبها - كما ينبغي لكل عمل فني او ادبي - وان كان لا يشغل القارىء بنفسه عن موضوعه الذى يسامره به •

وكتابه « الوعد الحق » قريب من كتابه « على هامش السيرة » فهو مثله في اسلوب العرض ، وان كان ادخل منه في التاريخ،ومخالفا لهفيالموضوع•«علىهامش السيرة»يدور حولالسيرة او مقدماتها ، ويعتمد كثيرا على الارهاصات والخوارق ، وموضوع « الوعد الحق » من صميم السيرة او توضيح لصدى الاسلام في نفوس اوائل الصحابة وحياتهم اول دخولهم في الاسلام ، ولا

سيما الذين لم يكن لهم سند اجتماعي من اسرة او مال او سلطان ، حتى حقق الله لهم ما وعد في قرآنه الكريم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا، يعبدونني ، لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون».وهذه الاية القرآنية الكريمة هي التي صدر بها كتابه « الوعد الحق » وهي تشير الى مجمل محتويات الكتاب الذي يبين ان هذا الوعد قد تحقق اسرع مما كانوا ينتظرون » •

كتاباه « الشيخان » و « الفتنة الكبرى »

واما كتابه « الشيخان » (بقسميه ابي بكر ثم عمر) و « الفتنة الكبرى » (بجزءيه عثمان ثم علي وبنوه) فهما تاريخ محض،وهما يعرضان لحياة الخلفاء الراشدين (وقليل من اخبار ابناء علي) ، وتراجمه لهم من الطف السير الحديثة ، او من املح المرايا التي تعرض سيرة كل منهم داخل اطار خفيف من بيئته ، في ايجاز ووضوح ، وهو يختار لكل « سيرة » او « مرآة » منها ما صح عنده من اخبار ، ويتجنب ما لا يقبله ، وقلما يعرض لما لا يقبله فيبين اسباب رفضه اياه ، وهو يعتمد في العرض على التركيب دون التحليل ، وعلى التفسير دون التعليل ، ولكنه يخرج من العرض بسيرة سهلة واضحة موجزة •

كتب اربعة خامسها « مرآة الاسلام »

وهذه الكتب الاربعة وخامسها « مرآة الاسلام » يدور معظمها ـ كما اسلفنا ـ داخل اطار « السيرة » بمعناها العام ، وهو اطار ان يكن صغيرا زمانا ومكانا ، فانه يضم حقبة ان لم تكن اخصب حقب التاريخ العربي بل التاريخ الانساني العام،فهي من اخصبها باحداثها ورجالها والمبادىء التي تتصارع خلالها للخروج بالعرب ثم بغيرهم من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام ثم هي من اخصب الحقب التي تركت آثارها في تاريخ العالم كله،فما من حدث كبير في تاريخ العالم بعدها الا وهو متأثر بها ولو من بعيد ، وقد ضمت هذه الحقبة

ما سماه الدكتور بحق « الفتنة الكبرى » وهي الفتنة التي وقعت داخل صفوف المسلمين في عهد عثمان وعلي ، فتركت آثارها العميقة الدامية في تاريخ الاسلام طوال عصوره حتى الآن •

هذه اشارة سريعة فيما يمكن ان نسميه « اسلاميات طه حسين » ، ثم نأتي الى كتابه « مرآة الاسلام » ، لنفرده بعرض وجيز يكشف محتوياته ومنهجه في اجمال •

كتابه « مرآة الاسلام » تفرده بالشرح الموجز

يقول المؤلف خلال كتابه (ص ٦٤) مبينا منهجه وموضوعه « لا نكتب السيرة في هذا الحديث، وانما نصور في ايجاز شديد ما ليس بد من تصويره ، لنعرض عليك مرآة صادقة للعصر وللبيئة اللذين عاش فيهما النبي واصحابه ، ولنشأة الاسلام وانتشاره قليلا قليلا حتى شمل جزيرة العرب كلها ، قبل ان يختار الله نبيه الكريم لجواره » • فالكتاب ـ كما اراد مؤلفه ليس سيرة ، وان كان موضوعه الاصيل يدخل في اطارها بمعناها العام ، وقد شمل هذا الموضوع معظم صفحات الكتاب التي بلغت نحو مائة وسبعين صفحة ، ولكن المؤلف رأى ان يضيف الى هذا الموضوع خاتمة في نحو بضع وعشرين صفحة جعلها مرآة لمسيرة الاسلام المضطربة بعد عصر الراشدين حتى النهضة الاسلامية الحاضرة ، وهي خاتمة مفيدة لانها تزيد الصورة الاولى عمقا وجلاء •

اقسام الكتاب وفصوله

هذا الكتاب اذن تاريخي في الصميم ، وقد جعله المؤلف في قسمين او كتابين : اول ، وثان ، كما سماها المؤلف ، وليس للفصول عناوين الا ارقام مسلسلة ، ولكل قسم ارقامه المستقلة ، وبعض الفصول يطول حتى يبلغ سبعا وعشرين صفحة كالفصل الخاص بالقرآن ، وقد يقصر حتى لا يكاد يجاوز صفحة واحدة ، فالنطاق يطول ويقصر وفاقا للمسألة التي تبحث طولا وقصرا •

اما القسم الاول فيبلغ نحو سبعين صفحة من القطع الكبير ويبدأ بتوضيح مقدمة السيرة ، او

البيئة العربية العامة التى ظهر خلالها الاسلام ، واسرة النبى وحياته حتى مبعثه ثم دعوته وكيف جاهد بنفسه وحده ثم مع من اتبعه لنشرها فى مكة فالمدينة حتى وفاته وتولية ابى بكر .

واما القسم الثانى فيبلغ نحو سبعين صفحة تبدأ ببيان اهم مصدرين للاسلام:القران والسنة، ثم مسيرة الجماعة الاسلامية فى عهد النبى والراشدين حيث تطبق مبادىء الاسلام فى مجتمع اخوة احرار متساوين فى الكرامة،كمالم تطبق بعد ذلك فى اى عصر او مجتمع ، واما بقية الصفحات العشرين فتتحدث ببدء اهتزاز هذه المبادىء فى الجماعة الاسلامية خلال الفتنة الكبرى ، ثم اغفال تطبيقها تدريجيا بين الجماعة فى عصر الامويين والعباسيين،وما كان عقب الفتنة من ظهور الاحزاب السياسية وحروبها الدموية والفرق الكلامية والمذاهب الفقهية ، وغلبة العناصر الاجنبية على الحكم ، وقيام امور الدول الاسلامية على الغلبة حرصا على المنافع العاجلة ، وما اعقب ذلك من دخول الجماعات الاسلامية المنتشرة المفككة فى فترة تخلف وجمود دامت قرونا ، لاهمالها الدين والعلم وحرية التفكير ، ولتفاقم النزاع بينها فى الراى والقول والعمل حتى عمهم الفساد وخربت البلاد، ثم قيام النهضة الحاضرة عقب هجوم الاستعمار الغربى على الشرق حيث بلاد الاسلام ، لان تخلف اهله وتمزقهم وكثرة عددهم وسعة رقعتهم وكثرة خيراتها اغرت المستعمرين بالفتح والتسلط ، وكان رد الفعل من جانب المسلمين ان يتيقظوا لانفسهم، فعملوا على تدارك ما فاتهم بوسيلتين:احياء تراثهم القديم كما كان فى عهد النهضة الاولى،والاستفادة بما لدى الدول الغازية من اسباب الرقى والقوة، وهذه محتويات الكتاب بايجاز ، نعقبها بشىء من التوضيح والتعليق .

الامة العربية ، فى تخلف حضارى ، خلال القرن السادس الميلادى

يبدأ المؤلف القسم الاول ببيان ما كانت عليه الامة العربية من تخلف ثقافى وحضارى فى داخل جزيرتها وفيما حولها خلال منتصف القرن السادس للمسيح ، سواء فى ذلك احوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية ، وذلك اذا قيست بالامم المجاورة لها،فسكان اليمن جنوبا كانوا اهل حضارة سادت ثم بادت ، فلا يعرفون غير اسماء دولها وبعض ملوكها من تبابعة حمير واذواء سبا ، وكان لبقية الاذواء شىء من السلطان على من حولهم من حواضر اليمن وبواديها ولكن اليمن خضعت للاحباش ، فلم يستطع اهلها اخراجهم منها الا بعون من الفرس ، فصاروا تابعين لفارس،وكان لاهل اليمن شىء من الاستقرار بما بقى لهم من قليل زراعة وتجارة مع الحبشة والهند ، فكان لهم حظ من الرخاء لا ينعم بمثله بقية العرب .

فاذا انتقلنا الى قلب الجزيرة العربية فهناك منطقة نجد بحياتها البدوية القاسية ونظام قبائلها القائم على العصبية وحروبها المتواصلة ، وليست تهامة والحجاز احسن حالا،ولكن كانت فى الحجاز قرى ينعم اهلها بالاستقرار ، فلاهل مكة تجارتهم يرحلون بسببها الى الجنوب شتاء والى الشمال صيفا ، وعندهم الكعبة يحج اليها سائر العرب ، فيعظمونهم لتعظيمها ، ولتراثهم التجارى ايضا ، وللطائف القريبة منهم شىء من الزراعة وغرس الحدائق وبين اهل القريتين لا سيما الاغنياء مشاركة فى الغرس والتجارة ، ثم المصاهرة فكانهم فى حلف ، واما المدينة فلها زراعتها اليسيرة ولكن يشارك عربها فيها بطون يهودية ، وعربها قبيلتان يمنيتان(الاوس والخزرج)،اصلهما واحد ولكنهما فى معارك مستمرة ، ولكل منهما حلفاؤها من البطون اليهودية يشاركونها السلم والحرب ، وحول هذه القرى قبائل غليظة العيش ، يقوم الاجتماع فيها على العصبية فهى دائما فى عراك ، ولم يبرأ اهل هذه القرى من العصبية وجرائرها،ولانعموا بالعيشة المتحضرة،فالحضر والبدو قريب من قريب.

وفى تلك الفترة بل قبلها بقرون كان العرب قد جاوزوا بلادهم فبلغوا العراق والجزيرة شرقا، والشام شمالا ولكنهم كانوا خاضعين للفرس فى الشرق وللروم فى الشمال ، ودخل معظمهم المسيحية ، وان لم يتركوا تقاليدهم البدوية . وهكذا بقيت الوثنية هى الغالبة على العرب داخل جزيرتهم وخارجها .

كانت الوثنية هى الغالبة على العرب

لقد انتشرت المسيحية بين عرب العراق والجزيرة

والشام ، وعرفت كذلك في مكة والطائف وانحاء من اليمن ، ولكن المتدينين بها لم يدركوا منـــها الا طرفا وصوروا اقرب الى الوثنية ، وكذلك سكن يهود في اليمن ويثرب ، ولكن احبارهم كانــوا جهالا منقطعين عن سائر اليهود،وقد تاثروابالعرب اكثر مما اثروا فيهم ، وكذلك عرفت المجوسية الفارسية بين القبائل المجاورة للفرس ، ولكنها لم تنتشر الا في اضيق نطاق ، وكان السبب في انتشار هذه الاديان التجارة والتبشير والجـوار والرقيق الوافد من البلاد التي تدين بهذه الاديان، وفي الشعر الجاهلي وصف لأطراف من حضارات هذه البلاد ونظمها المعيشية يدل على ان العرب كانوا على صلة بالعالم حولهم ، وفي ذلك يقول المؤلف«عزلة الامة العربية اذن سخف من السخف، لاينبغي ان يقبل او يطمان اليه ، وكل مافي الامر ان قلب الجزيرة العربيـة وشمالها لم يخضعا لسلطان امة متحضرة ، وانما خلى بينهما وبين الحياة الحرة يحياهـا اهلها كـما يريدون او كما يستطيعون ، فعاشوا عيشتهم تلك الغليظة الجافية، لم تصل اليهم الحضارة ، وانما وصلت اطراف منها ، فهموا بعضها ، وقصروا عن فهم بعضها الاخر ، فسيطرت عليهم جاهليتهم بكل مافيها من الآثام والشرور والمنكرات • »

وثنية العرب ساذجة

ثم ينتقل المؤلف الى وثنية العرب ، فيصفها بالسذاجة والقلق ويقول « لم تفكر فيها عقولهم ولم تمتزج بقلوبهم وانما كانت اخلاطا ورثوها عن آبائهم فلم يغيروا منها شيئا ، بل انكروا كل من حاول ان يغير منها شيئا كالذي صنعت قريش بزيد بن عمرو حين اظهر السخط على دينهـا » ، وزيد الذي يشير اليه المؤلف هوعم عمر بن الخطاب، وقد انكر وثنية قريش فاضطهده الخطاب واخرجه من مكة حتى مات غريبا،وهو يعد فيمن تسميهم كتب السيرة «الحنفاء» الذين رفضوا الوثنية وطلبـوا الدين الذي يرضاه الله وهو دين ابراهيم الحنيف وهو القائم على توحيد الله •

العرب الوثنيون لم ينكروا الله

ويرى المؤلف ان هؤلاء الوثنيين « لم يكونوا ينكرون ان للسموات والارض وما فيهن خالقا هو الاله الاعظم وذلك عنده ماتدل عليه الاية القرآنية « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » ، وقول لبيد في الجاهلية قبل ان يدرك الاسلام فيسلم « الا كل شيء ماخلا الله باطل » • ولكن علمهم بالله كان ساذجا ، فاتخذوا من دون الله الهة قريبة منهم يحسونها بصرا ولمسا ، وهي الاصنام •

ويرى المؤلف ان وثنية اهل مكة لم تكن صادقة ولا خالصة ، وانما كانوا يتجرون بالدين كما كانوا يتجرون بالسلـع التي كانوا يجمعونهـا » وانهم كانوا اذكى قلوبا واكثر ممارسة لشئون الحياة في جزيرتهم وخارجهـا واطـلاعا على حضاراتها من ان يؤمنوا بهذه السخافات التي يؤمن بها العرب الوثنيون » •

قريش اهل تجارة

ويرى ان قريشا لم يكونوا اهل ايمان ، ولا اصحاب دين ، بل اصحاب تجارة ، فهم يظهرون الوثنية ويعظمون الهتها ، ويحببونها الى العرب ترغيبا لها في الحج كي يحققوا معها منافعهم من التجارة ، ولم يكن يعنيهم غيرها ، فمكة لم تكن الا كما كانت المدن الفينيقية : كل همها التجارة والمال ، وهي تتحاشى الحروب والمنازعات لانها تعوق التجار وتضيع المال،وآخر ما اهتدت اليه في ذلك حلف الفضول الذي شهده النبي مع اعمامه قبل البعثة والتي عليه بعدها ،وقد دخلته معظم بطون قريش ، اذ تعاهدوا على مناصرة كل مظلوم في مكة واخذ الحق له من ظالمه ، ليطمئن الغرباء والضعفاء الى الامن والعدل فيها،فياتوها حجاجا ومتجرين ، واما نظام الحكم في مكة فيختلف عن سائر النظم التي تعرفها الدول ، اذ كان ماله الى شيوخ البطون القرشية يلتئم منهم مجلس في المسجد او دار الندوة للفصل في مشكلات الخصومة بين حين او اكثر •

عبد المطلب جد النبي

ثم ينتقل المؤلف الى احد هؤلاء الشيوخ : عبد المطلب بن هاشم (جد النبي عليه السلام) فيصفه

بالوقار والتنسك والاخلاص فى تعظيم ماكان قومه يعظمونه ، حتى حفر بئرا خاصمته قريش فى ملكيتها فجعلها للكعبة ، ورأى خلال هذه الخصومة انه وحيد لا نصير له من الولد ، فنذر لئن تم له عشرة اولاد ليقربن احدهم ، وأراد ـ بعد تمامهم عشرة ـ أن يقرب أحدهم : عبد الله (ابا النبى) فاستبشعت قريش عمله ،واقنعته ان يقرع بين ابنه وعشرة من الابل ، فجعل كلما اقرع خرج السهم على ابنه حتى بلغت الابل مائة فخرج السهم عليها ثلاث مرات فقربها للالهة ، فنجا ولده ، وعندئذ زوجه من آمنة (أم النبى) ، ثم ارسله فى تجارته مع قومه الى الشام ، فذهب ولم يعد ، اذ ادركه الموت فى يثرب عند اخوال ابيه فيها خلال عودته من الشام ، وولد له من آمنة بعد وفاته بثلاثة اشهر طفله محمد ، الذى اختاره الله ليأتى العرب بدينهم الجديد » .

وفى تلك الايام طمع الاحباش الذين كانوا يحكمون اليمن ، فحاولوا فتح مكة وهدم كعبتها، ليصدوا العرب عنها ، ويتملكوا التجارة من قريش ، ويفسحوا المجال لمسيحيتهم ان تنتشر فى سائر بلاد العرب كما بدأت فى اليمن ، وقد باء الغزو الحبشى بالخيبة الساحقة ، دون مقاومة من قريش ، اذ كان عبد المطلب هو الذى نصح قريشا بتخلية مكة ، وجاءت ضربة من ضربات القدر ردت الجيش على اعقابه ممزقا ، وسمى ذلك العام « عام الفيل » لان الجيش الذى هزم كان يضم فيلا او فيلة .

مولد النبى ، ورضاعته ونشأته ، ثم زواجه

وهنا يتقدم المؤلف ، فيقص قصة مولد محمد ، ورضاعه فى بنى سعد ، وتمام نشأته فى مكة فى رعاية جده عبد المطلب ، ووفاة امه وهو فى السادسة حين ارادت ان تزور وتزيره معها قبر ابيه فى المدينة فماتت ودفنت فى طريق عودتها الى مكة،وفى نحو السابعة فقد جده ايضا فكفله عمه الشقيق ابو طالب « فكان له نعم الكافل ونعم الولى » . وحين كان فى الثانية عشرة خرج ابو طالب الى الشام للتجارة فتعلق به الغلام ، وصحبه ثم عاد به . وحين كان فى الرابعة عشرة من عمره شهد مع اعمامه حرب الفجار بين قريش وقيس دون ان يشارك فيها لصغره ، فكان ينبل على اعمامه ، وكان لفقر عمه وكافله أبى طالب يرعى الغنم لقومه ، ولكنه لما شب سلك سبيل التجارة كأبيه واعمامه وجده وسائر قبيلته ، وربطه عمه فى التجارة بسيدة من شريفات قريش ثرية ليتجر لها فى مالها فرأت من امانته وبراعته ورجولته ما يسر زواجهما ، فعاش فى سعة ، وهذا ما ذكره الله بعدئذ فى قوله « الم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنى » ويسر الله له من الذرية ما زاد غبطته.

وجاءه الوحى

ولكنه اخذ كلما ازداد نضجا يزداد ميلا الى العزلة ، وكان اخيرا يلجأ الى غار حراء الى جوار مكة فيخلو فيه الايام والليالى ، حتى جاءه الوحى بقول ربه « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » . وكانت زوجه (خديجة) نعم العون له فى رده الى الاطمئنان حين عاد اليها فزعا عقب مفاجأة الوحى له ، فهدأته واخذته الى ابن عمها المستنير ورقة بن نوفل ، فسمع منه ان ما رآه هو الناموس الذى كان ينزل على موسى ، وتمنى ان يكون حيا حين يخرجه قومه ، فلما فوجىء النبى بانه سيخرجه قومه اعلمه ورقة بان هذه سنة الدعاة مع من يهدونهم الى الهدى .

ويمضى المؤلف فى بقية السيرة النبوية حتى منتهاها ، ولا حاجة بنا الى تلخيص السيرة كما عرضها ، فان وقائعها معروفة ، ولكن براعة المؤلف تظهر فى طرافة عرضه لهذه الوقائع بعد ان اختارها محققة كما ترضى المستنيرين ، ونظمها مترابطة فى يسر ودقة كأنها قصة فنية جذابة ، وزادها توهجا او حرارة وتألقا كما زادها تمكينا

انه استشهد لهذه الوقائع بما نزل فيها من ايات القران الكريم ، وهذه ناحيـة يغفلها كثير من كتابنا المحدثين،ومع انها كانتموضع عناية كبيرةمن كتاب السيرة القدماء،فاما الطريف فيهذا القسم او هذا الكتاببقسميه مما جعله كما اراد المؤلف مراة الاسلام لا مجرد سيرة ، فهذا ما سنبينه فى اخر هذا العرض .

القسم الثانى من الكتاب :
الفصل الاول فى الغاية من الرسالة

اما القسم الثانى فيبدأ بفصل تمهيدى يبين الغاية من الرسالة المحمدية ، وهى تبصير الناس بمسئولياتهم الانسانية ومكانتهم من الوجودليكونوا احرارا فيما يفكرون ويشعرون ويعملون ، وفتح طريق الهداية امامهم الى الله كى يخلصوا النية والعمل فى سعيهم اليه ، فهى رسالة هداية او رسـالة تعليم تعنى بالانسـان كله متعاونا مع الوجود كله حاملا مسئوليته الشخصية والجماعية والكونية .

الفصل الثانى
فى القران وفضله

اما الفصل الثانى فهو اطول فصول الكتاب واطرفها جميعا ، اذ يعرض للقران من حيث هو المعجزة الكبرى التى ايد الله بها نبيه لتكون اية صدقه فيما يبلغه عن ربه ، والمؤلف هنا يدرس موضوعه بكل ماآتاه الله من هبات الاديب الناقد الذواقة لما فى الكلام البليغ من اسرار الجمال ، والجلال ، وبكل ما افاده من قراءاته فى الفن بعامة والادب بخاصة،فمن عجائبهذا القران عنده موضوعاته التى يعرضها ، وعرضه اياها باسلوب قوى بارع يجذب الناس اليها ، ويربطهم بها ، كما يربطهـم بانفسـهم وبماضـيهم وبحاضرهم ومستقبلهم وبالكون كله وبخالقه المدبر له ، ولا غاية له الا ان يعملوا بانفسهم لانفسهم ولغيرهم متعاونين على التطهر والتزكى ، ليرضـوا عن انفسهم ويرضى الله عنهم فى الدنيا والاخرة ايضا .

كما يرى ان من عجائب القران ان ياتى الى الناس « على لسان رجل من قريش لم يتعلم قط كتابة ولا قراءة ولا حسابا ، ولم يجلس قط الى احبار اليهود ولا رهبان النصارى ولا اصحاب الفلسـفة ، وانما هـو رجل عربى امى كاكثر العرب ، لايعلم من امر الدنيا الا مثل ما كان اوسـاط العرب يعلمون ، وهو مع ذلك يجادل اليهود فى التوراة ،ويجادل النصارى فى الانجيل، ويصفهم بانهم يكذبون على موسى ، ويقولون على المسيح غير الحق ، ويحرفون ماعندهم من التوراة والانجيل . كل ذلك وهو لايقرأ التوراة ولا الانجيل وانما ينبئه اللـه نبأ الحق بما فى كليهما ، وهو لم يأت لنسخ التوراة ولا لنسخ الانجيل ، وانما جاء مصدقا لما بين يديه منهما ، ومضيفا اليهما ما امره الله ان يضيف ، وهو يحاج المشركين فيالهتهم تلك التيكانوا يعبدونها، ويجعلونها لله اندادا ، ويتخذونها عنده شفعاء ، والتى لا تجيبهم ان دعوها ، ولا تسمع لهم ان تحدثوا اليها ، ولا تنفعهم ولا تضرهم ولا تغنى عنهم من الله شيئا » .

ثم انهم يتهمونه بالشعر أو السحر او الكهانة او الجنون ، ليستريحوا منه ، ثم يستبين لهم انه من كل ذلك براء ، لانهم يرونه فى كل وقت فلا ينكرون منه شيئا الا هذا الكلام الذى يتلوه عليهم ، ثم يصارحهم بانه بشر مثلهم لا يدعى لنفسه امتلاك نفع او ضر ، ولا معرفة بغيب الا ما يعلمه الله من وحى القران ، فلا يملكون الا مجاهرته بالعداء والحرب ، فلا يرده ذلك عن اسماعهم ايات القران ، ويلجئون الى اخذه مرة باللين ومرة بالشدة فيمضى فى طريقه لا يحيد ولا يتردد .

فصل فى السنة

ويتبع هذا الفصل فصل فى « السنة » التى هى المصدر الثانى للاسلام ،فالنبى يفسر لاصحابه القران ويبين قـولا وعملا كيف تطبـق تعاليمه

فى الحياة ، ويذكر المؤلف هنا طرق النبى فى تعليم اصحابه وهدايتهم الى طريق الله بقوله وفعله فى اطار القرآن .

تدوين القرآن

ثم ينتقل المؤلف الى تدوين القرآن وجمعه وتوثيق نصوصه فى عهد النبى فخلافة ابى بكر ، ثم خلافة عثمان ، وما ارتضاه من بعض وجوه القراءات .

وفصول اخرى

ويتبع ذلك فصول عن تمثل هذا التعليم حية فى سيرة النبى واصحابه خلال عهده وعهد الراشدين ، وما رفعت من اقدارهم وحسنت من احوالهم حتى صاروا سادة فى اخلاقهم ومعايشهم وفتوحهم الثقافية والحربية ، وهنا يلم المؤلف بالفتن التى وقعت فى اخريات حياة النبى وعقب وفاته حتى انبثقت الفتنة الكبرى فى عهد عثمان حتى انتهت بقتله ومحاولة الامام على ان يرد المسلمين الى طريق النبى والشيخين (ابى بكر وعمر) قبله ، ويابى فى ذلك كل مساومة،فتنبثق الاحزاب السياسية فى عهده وبعده ، ثم تنشأ الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية،ويشتغل الناس بالمنافع العاجلة ، وبفروع الدين وقشوره دون اصوله الناصعة كما وضعها القرآن والسنة وعمل النبى وصحابته الاولين ، ثم يتسلط عليهم الاجانب فيزداد الظلام عليهم اطباقا ، وينامون احياء كاموات حتى يطلع عليهم الفجر وهم غافلون او كارهون ،حين جاءهم الاستعمار الغربى ليتخذهم سخريا ، فيبدؤون باليقظة ، ثم يحاولون النهضة على قدمين : احياء التراث القديم فى ازهى عصوره ، والانتفاع بما لدى الغرب من اسباب الرقى والقوة . .

هذه هى صورة الاسلام التى قدمها المؤلف فى « مرآته » وقد تجسدت تعاليمه مجتمعا حرا عزيزا يعيش اهله كما يعيش سائر البشر ، ولكن كانهم لا يعيشون ولا يطلبون البقاء الا ليمثلوا هذه التعاليم افضل ما يمكن ان يمثلها بشر فى الحياة اليومية ، فهم تجسيد حى لها وان كان ذلك على تفاوت بينهم فى مقدار تجسيدها ، وقد زاد هذه الصورة بروزا فى مرآة المؤلف كثرة استشهاداته بآيات القرآن الكريم فى مواضعها ، والقرآن صوت الاسلام الحى الذى ينفذ الى العقول والقلوب والضمائر اقوى مما ينفذ غيره،ويحفز الى العمل اقوى مما يحفز غيره،وكان من تمام احسان المؤلف ان افرد القرآن باطول فصول الكتاب واقواها عرضا .

وحظ الكتاب من نقد الاخبار والوقائع قليل فى الظاهر ، وليس الامر كذلك فيما يبدو لنا ، غير ان مجال النقد كان خارج الكتاب لا داخله ، اذ ان المؤلف نقد الاخبار والوقائع التى تيسرت له واختار منها ما صح عنده ، ثم اختار من ذلك مايحقق غرضه وحده،ومن هنا جاء الكتاب رشيق العرض لطيف الحجم .

وطريقة المؤلف فى كتابه هى طريقته فى معظم كتبه : تقسيم الموضوع العام مسائل على وفق تسلسلها تاريخيا فى الغالب ،ومعالجة كل مسالة فى فصل ، فالفصول متجاورة ومتلاحقة اكثر مما هى متداخلة ، ومن هنا سهولة الالمام بها ، ويزيد الامر فيها سهولة براعة عرض الاجزاء فى اسلوب اقرب الى التوسع او الاسهاب منه الى القصد او الايجاز،واذا كان اكثرنا لم يجلس الى المؤلف فى ندوته ، ولم يسمع آحاديثه او أسماره فيها ـ ونحن من هؤلاء ـ فاننا ومن سمعوا مثلنا محاضراته فى الجامعة ، واحاديثه فى الاذاعة ـ نقرأ كتابه هذا وسواه من كتبه فكاننا نسمع جملها منه مفصلة الكلمات موزونة النغمات،وقد امتلأ بها فمه الاشدق وحنجرته القوية ، فتمتد الى أسماعنا ونفوسنا فى وقار هادئ ونفس طويل ويسرنا أن يترجم هذا الكتاب الى غير العربية ليكون سفير الاسلام بالاسلام الى غير العرب مسلمين وغير مسلمين ، وانه لسفير صادق واضح يرضى المختصين وغير المختصين.ورحم الله المؤلف، وجزاه عن التفكير الاسلامى خير ما يجزى المخلصين ■■

(م . خ . ت)



من الكتب التى وصلتنا

الهجرة والتفسير البنائى فى المجتمع الكويتى دراسة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية

تاليف : محمد عبده محجوب

الناشر : وكالة المطبوعات ــ الكويت

● دراسة تعاونية فى الانثروبولوجيا الاجتماعية، تعنى بالتعرف على مظاهر التغير البنائى فى المجتمع الكويتى ، التى ارتبطت بظهور النفط ، وما تبعه ما تغيرات فى التركيب السكانى فى الكويت ، وبخاصة ما كان ناتجا عن تاثير عامل الهجرة ، فالمشكلة التى يدور حولها البحث تتمثل فى أن التغير الاقتصادى الذى نشا فى المجتمع الكويتى ــ بعد ظهور النفط ــ ادى الى اختلال التوازن فى العلاقات التقليدية التى لا تربط بين موارد الثروة الطبيعية ، والقوى العاملة فى هذا المجتمع ، وتتضمن هذه الدراسة مقدمة عرض فيها المؤلف الظروف التاريخية والجغرافيةفى المجتمع الكويتى، ثم تناول مشكلة التغير المفاجىء الذى طرا على موارد الثروة الطبيعية ، وما تبعه من تغيرات ديموجرافية .

والكتاب ينقسم خمسة فصول : تناول فى الفصل الاول مشكلة الهجرة والتغير فى المجتمعات العربية ، واشكال الهجرة فى المجتمع الكويتى الحديث ، اما الفصل الثانى فيورد النقاط التى تدور حول المناشط الاقتصادية التقليدية وبخاصة (الغوص) و (السفر) وارتباط الكويت بالاسواق الخارجية ، والصيد ، والزراعة ، والرعى ، ثم نظام الملكية ونظام تبادلها وحمايتها فى النسق التقليدى . اما الفصل الثالث فعرض لمشكلة الهجرة والتغيرات الاقتصادية والسياسية اما الفصل الرابع والخامس فتناولا ترتيب الفئات الاجتماعية،والتماسك الاجتماعى فى المجتمع الكويتى الحديث .

المعارك الفاصلة فى التاريخ

تاليف : حنا خباز

الناشر : دار الكاتب العربى ــ بيروت ــ لبنان .

● هذا الكتاب عرض رائع لمعارك فاصلة خاضتها البشرية على اختلاف العصور ، درس فيها المؤلف عبقريتها الفكرية ، واساليبها وخططها وعناصر تفوقها ، انه كتاب ادب ، وكتاب تاريخ ، وكتاب معارك ، يجمع خطط القادة ومفاجآت الحروب ، ولا شك ان هذه المعارك هى نقاط الوصل والفصل والترابط والتنابذ بين المجتمعات البشرية ،وبزوغ بعض المدنيات وافول بعض وكم من معركة حولت مجرى الاحداث ، وغيرت وجه التاريخ .

الصحة النفسية والنمو

تاليف : دحام الكيالى

الناشر : مطبعة دار السلام ــ بغداد ــ العراق

● تناول هذا الكتاب بالدراسة والبحثموضوع الصحة النفسية ، فقد درس المؤلف الشذوذ واسبابه ، وطرق العلاج الفعالة للتخلص منه ، وهذا العلاج كفيل بتيسير الصحة النفسية فى مراحل النمو المختلفة ، وقد دفعه هذا العمل الى جمع المعلومات التجريبية الدقيقة ، وكتابتها حينا ، وتعريبها حينا آخر ، وتلخيصها من بطون الكتب والبحوث التجريبية ، وقد عمل ذلك لندرة البحث الحديث فى موضوع الصحة النفسية باللغة العربية .

عيد القلم ومقالات اخرى

تاليف : عباس محمود العقاد

الناشر : منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ــ لبنان

● مجموعة مقالات جمعت من مختلف المجلات التى كان العقاد يكتب فيها ، وعيد القلم عنوان لمقال من مقالات هذا الكتاب . والمجموعة متنوعة الموضوع والغرض ، وكلها فى الادب ، وهى تعالج بعض القضايا الادبية التى اثارهاالادباء المعاصرون، ثم مقالات فى النقد الادبى ، ثم اخرى فى التاريخ، ثم مقالات متنوعة تتناول شؤون الحياة ، يعالجها العقاد معالجة البصير المتفتح الذهن الذكىالفؤاد.



أمراض شائعة /

العجز الجنسي

بقلم : الدكتور ابراهيم محمد القشلان

■ العجز الجنسي Impotence مرض مثل سائر الأمراض وليس فيه ما يعيب ، وكثير من مشاهير الرجال ، منهم ملوك وقواد كبار اصيبوا به. كذلك، فان كثيرا من الناس يمر اثناء حياته الزوجية بفترة ضعف جنسي مؤقت محدود ببضعة ايام او حتى اسابيع Temporary impotence سرعان ما يشفى منها •
وقد يكون العجز الجنسي عجزا كاملا او جزئيا تبعا لشدته ، دائما او مؤقتا معتمدا على السبب مطلقا نحو كل النساء ، او مقيدا بنساء معينات •

وقد تمت عدة ابحاث واحصائيات على الاضطرابات الجنسية وجد منها :

ـ ان ٧٢٪ من الحالات عبارة عن حالات عجز ، بينما ٢٨٪ هي اضطرابات في القذف مثل القذف المبكر Premature او القذف السريع Rapid ejaculation ، او عدم القذف بالرغم من وجود انتصاب طبيعي

ـ وقت حدوث العجز : فهناك الحدوث المبكر الذي يحدث في بعض الاشخاص عند الممارسة الأولى للجنس ، وهذا يكون حوالى ٤٦٪ من الحالات ، ويحدث عادة في اولئك الذين يعانون من نواح نفسية وضعف الشخصية والخوف من تكوين عائلة •
والحدوث المتاخر ويشكل ٥٤٪ من الحالات ، وذلك يحدث بعد فترة من الحياة والممارسة الطبيعية ، والاسباب تعود الى عامل نفسي او عضوي قد استجد عليهم ، فمثلا قد يحدث هذا العجز في فترة الخطبة ، شهر العسل نظرا للتباعد الجنسي ، او الاختلاف بين الطرفين او خوفا من شعور الخطيبة او احراجها او الخوف من ايلامها ، كذلك قد يحدث عندما يترك الجندي زوجته ويذهب الى الحرب عدة سنوات ينقطع فيها عن الجنس، وعند العودة للزوجة وبداية شهر عسل جديد قد يفاجا بالعجز بعد فترة الانقطاع ، وما راى من اهوال الحرب ، وتعرف هذه الظاهرة باسم ضعف الجنود Soldier's impotence • ولكنها عادة تتحسن وتشفى بسرعة •

ـ الضعف نتيجة تقدم السن Male Climatric :
وهذا يحدث تدريجيا نتيجة عوامل بيولوجية طبيعية في الجسم ، وعامة يبدا هذا الضعف ابتداء من عمر ٤٥ سنة بنسبة ضئيلة جدا تزداد تدريجيا ببطء حتى انه في عمر الستين لا يتعدى الضعف ٢٠٪ من قوة الشخص الطبيعية • ثم تزيد نسبته بعد ذلك فتصل الى ٣٠٪ في عمر السبعين ، وتزداد بسرعة اكبر ليصل العجز الى ٨٠٪ في عمر الثمانين، الا ان هناك بعض الاشخاص ممن يحتفظون بقوتهم الجنسية لفترة طويلة من العمر ، كما ان هناك اشخاصا اخرين ممن يحدث فيهم الضعف الجنسي مبكرا Premature aging ، وكان البعض سابقا يعتقد ان هناك عوامل نفسية تؤدي الى العجز في كبار السن ، ولكن هذه الفكرة اهملت الآن ،

وعادة لا يهتم الشخص المسن بهذه الناحية،او تلك التغيرات،ولا تؤثر على حياته العامة اذا كان طبيعيا في عاداته وعلاقته الجنسية في فترة شبابه ، اما اولئك الذين تعتمد حياتهم على الناحية الجنسية كمؤثر رئيسي في حياتهم العامة ، فانهم عندما يشعرون ببداية العجز يتسبب لهم اضطراب كبير في طبيعتهم وعلاقاتهم •

ـ العجز المفاجيء نتيجة حادثة او عملية معينة :
فمثلا قد تحدث كرد فعل نفسي في بعض الاشخاص بعد التهاب الخصية نتيجة الغدة النكفية او تحدث بعد عملية فتاق،او حتى،بعد عملية نسائية للزوجة• Paychophysical Stress •

ـ العجز النسبي Relative impotence :
كالذي يحدث مع امراة معينة مثلا دون الاخرى ، اى انه،نوع اختياري Selective وهذا يدل على انه نفسي ، ويقع للرجل تحت تاثير معين او ظروف معينة دون الاخرى •

نوعان رئيسيان من العجز الجنسي

يوجد بعض الاعتقاد ان هناك عاملا وراثيا من ناحية القوة او الضعف ، وعامة يمكن تقسيم العجز الجنسي الى نوعين رئيسيين :

١ ـ Organic impotence اى عجز عضوى وهو يكون حوالى ٥٪ فقط من مجموع الحالات وفيها يوجد سبب واضح يؤدى الى ذلك العجز •

٢ ـ Functional impotence اى عجز وظيفي وهو يكون ٩٥٪ من الحالات ، وفيها يشكو المريض من ضعف مع عدم وجود اى مرض او اى اختلاف في الجسم •

ولكل من هذين النوعين الرئيسيين للعجز الجنسي عدة اسباب نوردها كلاً على حدة •

اسباب العجز العضوى

١ ـ اسباب موضعية Local genital causes :
مثل وجود اى مرض او اصابة بالعضو التناسلي قد تؤدى الى تورمه او اعوجاجه مما يؤدى بالتالى الى صعوبة الاتصال،او الشعور بالالم،اثناء الاتصال، او ضمور العضو خلقيا او نتيجة،مرض،او تشوهات بالذكر ، في حالات القيلة المائية الضخمة او الفتق الكبير ، كما ان هناك بعض الصعوبات التي تنتج عن عدم الختان •

٢ ـ اضطرابات،الغدد Endocrinal disorders :
ا ـ قد يكون الاضطراب اوليا ،كعدم تادية الخصية لوظيفتها ، او نتيجة عدم تكونها او تشوه خلقي فيها او نتيجة الاصابة بمرض او حادثة او استئصالها بالجراحة • وهناك بعض الامراض،العامة التي تؤدى،الى ضعف في الخصية ، وبالتالى في القوة الجنسية مثل تليف الكبد ، سوء التغذية المزمن ، بعض حالات استئصال المعدة ، وامراض سوء امتصاص الغذاء • كذلك يقل نشاط الخصية مع تقدم،العمر ،وقد يصاحب،ذلك،علاوة،على،هبوط،الرغبة الجنسية بعض العصبية واضطرابات في التبول •

ب ـ قد يحدث العجز ثانويا نتيجة نقص افراز الغدة النخامية بسبب العجز الذى يصيب،افرازها، او ورم او مرض بالغدة ، كذلك قد يحدث العجز بسبب امراض في الغدة الدرقية والغدة الكظرية •

٣ ـ اسباب عصبية Neurogical Causes :
وهي تحدث نتيجة امراض او التهابات في المخيخ او الاعصاب ، وقد يكون العجز الجنسي هو اول ما يشتكي به المصاب بمرض في الحبل الشوكي ، كما يحدث في الزهرى مثلا ، كذلك يحدث عجز في مرض تكهف النخاع او التصلب المنتشر ، ويحدث في تصلب الشرايين نتيجة ضعف الدم الواصل الى المخ •

وكثيرا ما يحدث،العجز في،حوالى ٥٠٪ من مرضى السكر نتيجة التهاب الاعصاب الطرفية •

وقد يبدأ مريض السكر بالشكوى من العجز اولا ، وبالتحاليل يتضح ، انه مصاب بالسكر وان مضاعفاته هي السبب •

٤ ـ اسباب عامة : كما يحدث في ادمان الخمر الذى يؤدى الى تليف الكبد والتهاب الاعصاب ، كما ان الادمان يؤدى الى سوء التغذية نتيجة كثرة الشراب ورفض الطعام •

كذلك استعمال المورفين والحشيش والكوكايين يؤدى الى العجز ، واستعمال بعض الهرمونات مثل هرمون الانثى في،بعض الامراض يؤدى الى العجز، ولذلك يستعمل هذا الهرمون للتقليل من حدة القوة الجنسية ، كذلك فان كثيرا من العقاقير المستعملة في علاج ارتفاع ضغط الدم تؤدى الى بعض العجز ، كما ان الاستعمال المزمن للمنومات وزيادة استعمال الكورتيزون تؤدى الى العجز الجنسي •

أسباب الضعف الوظيفي

وينتج العجز الوظيفي من عدة أسباب اهمها :

١ ـ الاضطرابات النفسية ، وهي من اهم الاسباب واكثرها انتشارا ، ومما يساعد على ذلك ضعف الشخصية وكثرة المشاكل العائلية • وهذا يحدث مثلا نتيجة الخوف من الليلة الاولى للزفاف او الخوف من الحمل ، كذلك التخوف من عواقب الافراط في العادة السرية او كثرة الاحتلام او الالتهابات السابقة في مجرى البول ، كما انه يحدث للزواج الاجبارى او عدم الرغبة الجنسية ، او حتى للبرود الجنسي في الطرف الآخر • كذلك عقدة الذنب وتانيب الضمير في الشخص المتدين او الخوف من ايلام الزوجة او جهل الطرفين بالنواحي الجنسية • وكذلك الخجل او الفزع من حادثة عارضة كان يفتح عليهم الباب اثناء الاتصال •

ومما لا شك فيه ، ان العواطف المتبادلة بين الطرفين لها اهميتها ، حيث تزيد القوة اذا كان هناك حب وتجاوب ويحدث ضعف اذا كان هناك نفور وكراهية كما يحدث احيانا في الزواج الاجبارى ، كذلك مؤثرات الطرف الآخر حيث تزداد الرغبة والقوة اذا كانت الزوجة ناضجة بينما يحدث ضعف اذا كانت صغيرة السن غير متجاوبة او كانت متقدمة في العمر • وهناك الضعف الفسيولوجي المؤقت حيث يحتاج الشخص لفترة استراحة بعد الاتصال الجنسي يشعر فيها بعدم الرغبة والعجز •

٢ ـ اجهاد المركز الجنسي العصبي ، وذلك بسبب الاثارة الدائمة او الالتهاب المزمن في قناة مجرى البول الخلفي •

٣ ـ الوهن العصبي الناتج من الافراط في ممارسة العادة السرية او كثرة الاندماج في الجنس او الامتناع التام •

العلاج

في الكشف على المريض يجب تحليل حياة الشخص اجتماعيا وعائليا وتاريخ الامراض التي اصابته وبداية بلوغه وحياته الجنسية ، ومدى ارتباطه العاطفي مع الآخرين،ونوع شخصيته وقدرة تفاعله نفسيا وعصبيا ودراسة الاجواء المحيطة بالشخص والناحية الدينية وتاثره بالبيئة وادمان الخمر ومشاكله العامة • كذلك فحص عام مع فحص الجهاز التناسلي بما فيذلك البروستاتة والحويصلة المنوية، وفحص الجهاز العصبي والغدد بما في ذلك طول الشخص ووزنه ، كذلك عمل التحاليل اللازمة وتحليل نفسية الزوجة • ويلاحظ ان العلاج انجع في الحالات العضوية التي يوجد فيها سبب واضح يمكن علاجه او ازالته ويتلخص العلاج فيما يلي :

١ ـ الشرح والتعليم الجنسي الصحيح ،والكشف على الاطفال قبل سن البلوغ لملاحظة اى اصابة بالغدد وعلاجها •

٢ ـ دراسة الجو المحيط بالشخص وارجاع ثقته بنفسه وطمانته ، والعلم ان الوقاية الزائدة من الاهل والمنع التام قد يؤدى عكس النتيجة حيث ان الحياة العامة والاختلاط فيهما متنفس برىء للجنس، كما يحدث في الرياضة والرحلات والحفلات العامة ، كذلك يجب ابعاده عن اصدقائه غير الطبيعيين الذين يؤثرون عليه وتغيير الجو وتكييفه بالجو المناسب وبالحياة الطبيعية العادية •

٣ ـ علاج السبب ، ان وجد سواء احتقان او التهاب البروستاتة بالتدليك وجلسات الموجات القصيرة ومضادات الحيويات ومس نترات الفضة •

٤ ـ العلاج النفسي Psychotherapy بواسطة الطبيب النفساني الذى يدخل في اعماق حياته العاطفية •

٥ ـ العلاج الطبي : حسب حاجة الشخص سواء كان المهدئات اذا كان مجهدا نفسيا ، او المنشطات التي تزيد الدورة الدموية للاعضاء التناسلية والفيتامينات واملاح الفسفور والخارصين •

استعمال الهرمونات اذا كان هناك ما يدل على وجود نقص مثل هرمون الغدة الدرقية والتستوستيرون سواء كانت حبوبا بالفم او ابرا قصيرة الاجل او طويلة المفعول،واستعمال حبوب لتوسيع الشرايين، والحمام الساخن يساعد بعض الشيء •

٦ ـ الجراحة : وهذه تشمل عدة انواع من بينها: عمليات موضعية مثل كي مجرى البول الخلفي في حالة وجود التهاب ، كذلك الختان اذا دعت الضرورة • ■■

الدكتور ابراهيم محمد القشلان



السوق الاوروبية المشتركة
هل من خطر على بقائها

● يبدو ان بريطانيا تنوى الخروج من السوق الاوروبية المشتركة .. ترى ماهى الاسباب التى حدت بحزب العمال الحاكم فيها الى اتخاذ هذه السياسة ؟!

. . . . . .

ـ لانستطيع القول بان بريطانيا عازمة على الانسحاب من السوق الاوروبية المشتركة . فحكومة العمال لم تعلن ذلك صراحة ولا تلميحا .. بل ان تصريحات المستر كالاهان Callaghan ، وزير خارجيتها، لتؤكد حرص بريطانيا على البقاء عضوا فى تلك السوق.. ولكنها ترغب في تعديل شروط عضويتها فيها فى النواحي ووفق المبادىء التالية :

١ ـ النواحي المالية : تزعم حكومة العمال أن نصيب بريطانيا من نفقات السوق الاوروبية المشتركة كبير نسبيا واكبر كثيرا مما يسمح به النفع الذى يعود عليها من تلك السوق .. لابد اذن من تخفيض حصة بريطانيا من نفقات السوق الاوروبية المشتركة ..

٢ ـ الزراعة : تاخذ حكومة العمال على سياسة السوق المشتركة الزراعية ماخذ هاما وترى فى الكميات الفائضة المتراكمة سواء من الزبدة أو لحم البقر أو غير ذلك دليلا على فساد تلك السياسة . لابد اذن من تعديل اساليب التسويق والتوزيع للمنتجات الزراعية التى تدخل ضمنها اللحوم ومستخرجات الالبان ..

٣ ـ الكومونولث : لامبرر لبقاء القيود التى تحد مما تستورده بريطانيا من دول الكومونولث ، كمنتجات الالبان من نيوزيلنده ، والسكر من بعض جزر البحر الكاريبى. فالروابط الاقتصادية بين بريطانيا وبين هذه الدول وبخاصة نيوزيلنده ، قديمة وراسخة ولا بد اذن من تخفيف القيود التى

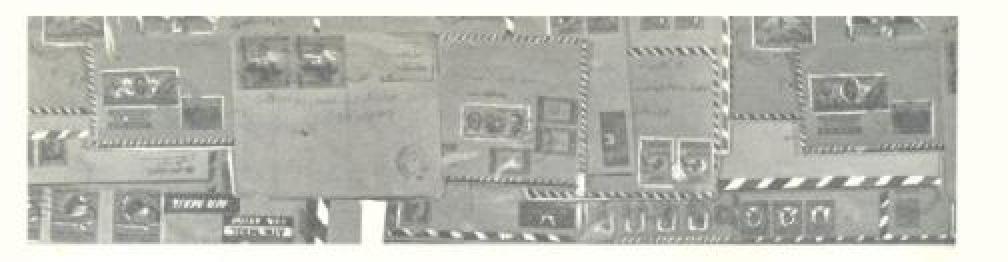
سن يات سن

● قامت فى الصين جمهورية سنة ١٩١١ ، برئاسة الدكتور سن يات سن ، فمن كان هذا الرجل .

مرشد عبد الله عبد السلام/اغادير/المغرب الاقصى

ـ لقبوه « ابا الصين » والزعيم سن يات سن جدير بما لقب به ، فالصين الحديثة لاتدين فى نهضتها المعاصرة بفضل مصلح كما تدين لحسن قيادة هذا الزعيم واعماله العظيمة التي اخرجتها من ظلمات التخلف والاستعباد الى نور الحضارة والاستقلال والكرامة ، ولم يزل موفر المكانة حتى الآن فى الصين .

قبل مولده كانت تحكم الصين اسرة (المانشو) وهي منغولية اجنبية ، بدأ حكمها هنالك سنة ١٦٤٤ ، وكانت قد انتزعت الملك من اسرة منج الوطنية الحاكمة (١٤٠٣ ـ ١٦٤٤) ، وظلت اسرة المانشو تحكم بكين العاصمة حتى ازالها هذا الزعيم سنة ١٩١٢ ، بعد أن نودى به رئيسا للجمهورية الصينية فى ١٩١١/١٢/٢٩ .



فرضتها سلطات السوق المشتركة وفق مقترحات الحكومة البريطانية السابقة ، حكومة المحافظين ٠

٤ ـ السيادة : هذا ولا تخفى حكومة العمال البريطانية تشاؤمها من الوحدة السياسية التى قررت دول السوق المشتركة تحقيقها فيما بينها اعتبارا من سنة ١٩٨٠ ٠ فوحدة اندماجية تذوب فيها سيادات الدول الاعضاء فى السوق المشتركة وتتلاشى برلماناتها ، وحدة لاتروق لحزب العمال البريطانى ، من قريب ولا من بعيد ٠ وهذا يعنى ان حكومة المستر ولسن تعارض قيام الوحدة السياسية بين دول غرب اوربا التسع وان كانت تقر وحدتها الاقتصادية ٠

وتجدر الاشارة الى ان انسحاب بريطانيا من السوق المشتركة يعود عليها بضرر كبير وهذا الرأى هو رأى بعض كبريات الصحف كالصنداى تايمز والايكونومست وغيرهما ٠ وقد أيدت هذا الرأى بعض الاستفتاءات التى اجريت فى الشهور الاخيرة٠ ذلك ان الصناعة البريطانية قد تكيفت واغراض السوق الاوروبية وزاد اعتمادها على التصدير الى دول السوق ٠

(ى ٠ ز)

ولد سنة ١٨٦٦ لاب فلاح فى الجنوب ، وسمى (سين ون) ، وتعلم ما يتعلمه ابناء الفلاحين فى قريته من القراءة والكتابة والحساب وشئون الزراعة ومأثورات الاسلاف ٠ وكان له اخ اكبر منه بتاجر فى هنولولو ، استدعاه من قريته هذه اليه ليريح اباه الفقير من عبئه ، وليتيح له تعليما عصريا يبعده عن مهنتيهما ، الزراعة والتجارة ، سافر سن بعد ان ناهز الثالثة عشرة الى هنولولو، ادخله اخوه مدرسة حديثة للآباء الانجيليين ، رف خلالها بعض تعاليم المسيحية فاعلن اخاه ميله اليها ، فاسرع اخوه باعادته الى ابيه حتى يفارق دين اسلافه ، وفى القرية اصر على لمسيحية ، وجاهر بمخالفة دينه الموروث فابعده بوه الى كانتون ليتمم دروسه العصرية ، وهنا نب (يات سن) او الرجل الحر كعادة اهل كانتون تكريم المرء عند بلوغه الشباب ، وهناك نصحه بيب فى البعثة البروتستنتية الامريكية بدراسة لطب وارسله الى هونج كونج لدخول كليتها طبية ، فتخرج فيها سنة ١٨٩٢ .

وقد شرع فى دعوته لتجديد الصين عقب انهزام جيوشها هناك امام الجيوش الفرنسية ١٨٨٥ ، وكان ذلك فى اول دراسته الطبية ، ولكنه بعد تخرجه واشتغاله بالطب مع الدعوة شهورا زاد نشاطه لدعوته وتفرغ لها ، وكلما زاد نشاطا زاد تضييق الحكومة عليه لاسيما بعد ان امتد نشاطه داخل الصين وخارجها اذ كان كثير الرحلات لضم اعضاء فى حزبه من قومه المقيمين فى الصين ومن جالياتها فى اليابان وجزر المحيط الهادى وامريكا واوربا ، وقد استطاع تكوين جيش فى الجنوب هزم جيش الحكومة سنة ١٩٠٧ ، ولكنه لم يتمكن من احتلال بكين فى الشمال ، لان اليابان خذلته بعد ان كانت تؤيده وتمده بالسلاح والمدربين والقواد .

وبعد اربع سنوات قامت الثورة الكبرى التى انتهت بانتصاره والمناداة به رئيسا للجمهورية ، وهى شبت فى ١٩١١/١٠/١٠ ، ثم تنازل عن رئاسة الجمهورية لغيره ، حرصا على الوحدة الصينية ، وقنع بوظائف ادنى ، ولكن بقيت له زعامته العامة حتى موته فى ١٩٢٥/٣/٢ .

(م٠خ٠ت)

٥ آلاف مليون نسمة عدد سكان العالم فى عام ١٩٨٥

■ نسمع ان العالم يعانى من مشكلةتزايد عدد سكان الكرة الأرضية مما يشكل خطرا كبيرا على الجنس البشرىالذى سيجد صعوبة فى الحصول على الغذاء اللازم لاطعام الملايين من الافواهالجائعة التى تولد كل يوم · فما هى اخر الاحصائيات عن عدد سكان العالمالان··والاعداد المتوقعة خلال السنوات القادمة ؟

عبد الحليم مشهور ـ القاهرة

ـ عدد سكان العالم يزداد زيادة كبيرة سنويا··فاذا عدنا الى الاحصائيات القديمة لوجدنا ان عدد

كم ننتج من السكر ، وكم نستورد ؟

● السكر،تلك المادة الحلوةالتالية·· هل يمكنكم ان تذكروا لنا مقدار مانستهلك منها فى البلاد العربية··وهل كله من انتاجنا ؟

ـ سؤالك ايها القارىء متشعب ، تصعبالاجابةعليه كاملا ، لعدم توفر الاحصائية اللازمة عن الدول العربية العشرين ··

وفى كتاب الاحصاء السنوى لمنظمة الاغذيةوالزراعة العالمية (الفاو) ذكروا مساحات الاراضى المزروعةبقصب السكر والشمندر السكرى(البنجر)،فى بلاد العالم ومقدارها انتاجها ، وفى الكشف التالى نقتطف الاحصاءاتالخاصة بالدول العربية:

احمد الشهابى ـ الكويت

البلد	المساحة المزروعة بالهكتار		مقدار الانتاج بالطن المترى	
	قصب سكر بالهكتار	شمندر سكرى بالهكتار	قصب سكر	شمندر
مصر	٧٦,٠٠٠	—	٧,٣٠٠,٠٠٠	—
الصومال	٧,٠٠٠	—	٤٥٠,٠٠٠	—
السودان	١٢,٠٠٠	—	٧٥٠,٠٠٠	—
لبنان	—	٤,٠٠٠	١,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
سوريا	—	١٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٢٧١,٠٠٠
العربية اليمنية	٢,٠٠٠	—	٥,٠٠٠	—
الجزائر	—	٤,٠٠٠	—	٩٠,٠٠٠
المغرب	—	٤٦,٠٠٠	—	١,٧٠٠,٠٠٠
تونس	—	٢,٠٠٠	—	٣٢,٠٠٠
العراق	—	٦,٠٠٠	—	١١٥,٠٠٠
فلسطين المحتلة	—	٦,٠٠٠	—	٢٤٨,٠٠٠

اما عن انتاج واستيراد واستهلاك الدولالعربية من السكر ، فقد جاء فى نشرة مركز التنمية الصناعية التابع لجامعة الدول العربية ،الارقام التالية عن انتاج السكر المكرر فى الدول العربية :

سكان العالم في القرن التاسع عشر لم يكن يزيدعلى الف مليون نسمة وارتفع هذا الرقم الى نحو الضعفين في خلال ١٠٠ سنة فقط ٠ اما الاحصائيةالاخيرة عن تعداد سكان العالم فهى تبين ان سكان الكرة الارضية وصل عددهم الى ٣٧٥٠ مليون نسمة(احصاء ٧٣ للامم المتحدة) في حين ان عدد سكان العالم في عام ١٩٥٠ كان نحو ٢٥٠٠ مليون منالبشر ٠

واذا ظلت نسبة تزايد السكان على ما هي عليهالان فان عدد سكان العالم سيصل الى ٥ آلاف نسمة في عام ١٩٨٥ ٠٠ وسيرتفع هذا العدد في نهايةالقرن الحالي الى ٦٥٠٠ مليون نسمة ٠

وهذه الزيادة ، هي في الحقيقة خطر داهم علىالبشرية،اذا لم يتم منذ الان تطوير وزيادة مصادر الغذاء في العالم واستغلال كل المصادر الطبيعيةالاستغلال الصحيحالقائم على التقدمالتكنى الحديث، ولهذا السبب فانه تجرى الان ابحاث على توفيرالغذاء للانسان من على سطح الارض وباطن البحر على السواء ٠

(م ٠ ط)

البلد	انتاج السكر المكرر بالألف طن (عن عام ١٩٧٠)	واردات السكر المكرر بالألف طن (لعام ١٩٦٨)	واردات السكر الخام بالألف طن (لعام ١٩٦٨)
تونس	٥٢	٢٩,٤	٦١,٨
الجزائر	٧,٥	١٨٦	٤٠,١
سوريا	١٢٢,٩	١٥	٥٤,٩
لبنان	١٢	٥	١٩,٩
الاردن	—	٧٢,٤	—
السودان	٧٦	١٦٠,٧	—
العراق	٦١	١٩٨,٩	٥٢
السعودية	—	٧٢,٣	—
ليبيا	—	٤٩,٣	—
مصر	٤٩٠	٤٩,٤	٦٥,٦
الكويت	—	٤٠,٨	—
المغرب	٣٥٣	٠,٩	٢٧٠,٤
اليمن الشعبية	—	٥٨,١	—
اليمن العربية	—	٧٠	—

اما عن استهلاك الدول العربية من السكرفقد ذكرت نشراتمراكز التنمية الصناعية العربية، احصائيتين متضاربتين تماما ، خلال سنة واحدة ،ففي النشرة الاولى مثلا ، جاء أن استهلاك تونس من السكر ٨٣٫٤ الف طن ٠ وفي السنةالتاليةذكر ان استهلاك تونسهو ٥٨٧ الف طن !! وهذا ما جعلنا نشك في صحة الارقام المنشورة فاغفلناها ٠٠

والى جانب انتاج السكر واستيراده ،نجد هناكخمس دولعربية تصدر السكر،هي :مصر،والكويت، والمغرب ، ولبنان ، واليمن الديمقراطية ، ومنهذه الدول دولتان لاتنتجان السكر ، هما: الكويت واليمن الديمقراطية ، اللتان تقومان بتصديرالسكر من وارداتهما ٠٠

ومما يذكر ان الاستهلاك العالمي من السكريزيد قليلا عن الانتاج العالمي ٠٠ وتحتل الدول النامية المركز الاول في انتاج السكر العالمي ،وقد بلغت نسبة ماانتجته هذه الدول ٥١٪ من جملة الانتاج العالمي عام ١٩٧١ وتعتبر جمهوريةكوبا هي اكبر دول العالم انتاجا للسكر ٠

(س ٠ ز)



الشاعر أنور العطار

قدّم حبّه وصداقته للناس، فجازوه على هذا شر الجزاء!

بقلم : احمد الجندى

■ منذ شهور قليلة مات في دمشق انور العطار، مات لم يدر به الا القليلون من صحابته واخوانه وعارفي فنه وادبه.مات كمايموت كل انسان وقدصدق فيه قول حافظ ابراهيم يوم رثى الكاتب المنفلوطي:

وتـراث الاديب في الشرق حـزن
لبنيـــه وثـــروة للـــرواة

ولد انور العطار في دمشق عام ١٩٠٨ على وجه التقريب من اسرة دمشقية عريقة القدم معروفـــة بالدين والتقوى . ونشا في حجر والده الى ان دخل مدرسة دار المعلمين الابتدائية المنبثقة عن «مكتب عنبر» القديم . وهو المدرسة الثانوية الاولى التي كـــانت معروفة في سوريا . وفيها تخرج كل رجال العهد الماضي من وزراء وكتاب وصحفيين وشعراء .

كان اسمر ناعم الصوت براق العينين في ميـل الى الطول قليلا ، رقيق الحديث تشوب صوته بحة محببة ، وتلمح على وجهـه سيماء السذاجة والبساطة الذكية التي لايعتورها دهاء مصطنع او مكر مفتعل ، وكان طيب القلب ، صافي السريرة يحدثك بصراحة ، ويدلي برايه واضحا بينا لايخفي منه شيئا ولا يداري فيه انسانا . وظهر على انور منذ نعومة اظفاره ميل طاغ الى الادب وحفـظ الشعر ، وكره ظاهر للرياضيات والعلوم وما يتفرع عنها ، وكانت هذه الصفة معروفة بـين الادباء المطبوعين البعيدين عن تعقيد الرياضيـات والفيزياء ،القريبين من الخيال الشعري والاحساس الفني ،على ان العلم لايقر هذا التفريق ولاياخذ به ، فان الكثيرين من الشعراء والادباء قد كانوا

من الرياضيين الموهوبين وقد عرفنا من هذا الصنف نفرا من التلامذة نبغوا في العلم الى جانب الادب وتقدموا في الفن والفكر على السواء ، ياخذون من كليهما بحظ كبير •

تباشير شعره

وبدات تباشير شعره تظهر منذ كان في دار المعلمين ، واخذت الصحف الدمشقية تنشر له الابيات بعد الابيات ، وقرا الناس لانور شعرا انيقا ، نقي الالفاظ ، صافي الديباجة ، فوجدوا عنده نغمة حلوة ، وقافية مطمئنة ، وعرفوا ان في جلباب هذا الشاب شاعرا جديدا ستتحدث به الاوساط الادبية ، وسيكون له شان مذكور في تاريخ الادب العربي الحديث •

وعمل انور بمقتضى اختصاصه معلما في مدرسته الاخيرة،واعجب به تلامذته فيالللغةوالادب، وكان انور قوي الحافظة في الشعر مرهف الحس في انتقاء الابيات ، يدرك الهمسة الفنية ويشعر بالومضة اللفظية في البيت الواحد • ومن هنا كان يحتفظ فيجعبته بعدد كبير من الابيات النادرة الرائعة للشعراء الاعلام الذين اعجب بهم ، واخذ عنهم : من مثل البحتري وشوقي والمتنبي • وقد جمع لشوقي في اخريات ايامه مايقارب الف بيت من شعره غير المنشور في دواوينه المطبوعة ، وكان ـ رحمه الله ـ يجهد في سبيل طبع هذه المختارات ولكنه لم يفلح •

الشاعر الفقيد

لم يكن انور غنيا ،ولا موسعا عليه في رزقه ، وهذا مادفع به الى الانتساب الى دار المعلمينحتى يصل الى المعاش بسرعة ، وقد تاثر في لغته باساتذةكبار هم الذين وضعوا اساس اللغةوالادب العربي في عهدنا الحاضر ، وهم الذين عملوا في مصطلحات اللغة الحديثة العصرية،اذ كانوا جميعا اعضاء في مجمع اللغة العربية ـ المجمع العلمي العربي سابقا ـ وهم الاساتذة المغفور لهم :سليم الجندي ، عبد القادر المبارك ، محمد البزم • وكان رفاقه من نوابغ الطلاب الذين اسهموا في الحركة الادبيةوالعلمية والسياسية فيما بعد ، ولكن انور ظل فيميدانه لايريم ولايتعدى حدوده وكان الاديب الموهوب ، كما قيل،لايستطيع عمل شيء غير الادب، فكانت آثاره لاتتعدى حدود القصائد القليلة ينشرها بين حين وآخر • وكان جهده مقصورا على تلك الدروس يلقيها متبرما ، ضيق الصدر في قرية نائية من قرى دمشق هي قرية « منين » •

الحياء سمته

كان الحياء سمة انور العطار البارزة ، فما عرف عنه انه خاصم انسانا،او تصدى لمخلوق، الا عن طريق الكلام ، فكان يشكو من بعض اصدقائه تنكرانهم للجميل ، وانحرافهم عن طريق الصدق والاخلاص ، كل ذلك بصوت خفيض وبحة تنم على ماكان يعتمل في صدره من اسى وحزن لاولئك الذين قدم لهمصداقته ، فقدموا له النكثوالخداع• وكثيرا ماكان يتمثل ببيت شوقي منرواية «قمبيز»:

باعدت الاخلاق ماييننا ... أين اخو العهد من الناكث

وانطلق شعر انور العطارمن دمشق ليصل الى القاهرة ورأينا في عدد من اعداد مجلة الرسالة الشهيرة هاتيك الايام ، قصيدة لشاعرنا موشحة بالعنوان الاتي : لشاعر الشباب السوري انور العطار • كان ذلك مابين الثلاثين والاربعين منهذا القرن ، واعتبر هذا النجاح كبيرا في الاوساط الادبية،ورحنا نقرأ لانور شعرا اليجانب ابراهيم ناجي وعليمحمود طه والزهاوي والرصافي وبدوي الجبل من شعراء ذلك العهد •

اماشعر انور فكانت له نكهة خاصة ، كاناصيلا في لغته ، صحيحا في اسلوبه • بل لعله ، والى اليوم،خير نموذج يمكن انيحفظه التلامذةوالشادون في الادب ، لانه يقوم اسلوبهم ويمكن من لغتهم ويدربهم على اللهجة الصادقة التي كان ينطقبها العرب • ولم يكن انور العطار متقعرا فيلغته ولا متكلفا،بل كان كثير الحفظ ، وكان يستطيع الافادة من هذا الحفظ ، كما كان يحسن استعمال اللفظة الاصيلة في مكانها • ولست تلحظ في شعر انور اثرا لشاعر معين من الشعراء ، وكان تاثر الشاعر بمن سبقه كان موزعا توزيعا متناسبا بحيث لاترى لاحد من اولئك السلف الصالح اثرا واضحايمتاز به من غيره •

روعة شعره

ولكي تعرف جمال اسلوب انور العطار ، هذا الاسلوب الذى ماز من بين شعراء عهده ، لابد لك ان تقرا معى هذه الابيات الجميلة الناعمة :

ياحبيبى أفق فقد ضحك الـــ
ـــروض وابدى جماله المحجوبا

طرب القلب فانتشى وتغنى
ومن الحب ان اعيش طروبا

وانا الشاعر الذى يغمر الار
واح ضحكا وما اريم كئيبا

فى فؤادى اللهيف داء قد استعـ
ـصى وجرح يمضُّنى تعذيبا

فالسهولة وتساوق الالفاظ واطمئنان القافية كلها بارزة فى الابيات ، واختيار الكلمات الشعرية ، يدلك على تمكن الشاعر من لغته ، وعلى كثرة حفظه للشعر الجيد المختار ، فاذا اردت ان تطمئن الى رايك فى جمال اسلوب العطار فاقرا الابيات الرائعة الاتية فى وصف « لبنان » .

غاب لبنان فى رقيق من الغيـ
ـم كما غاب فى مدى اليم زورق

ضفر الثلج والسحائب تاجا
واختفى فى الضباب ثم تعلق

والروابى توسدت راحة السحـ
ـب ، ونامت على وشاح مرتق

والذرى البيض فى العلاء نسور
حومت تكشف الخفى المغلق

والقرى غلغلت بأخبية الغيـ
ـب وضاعت بين الغمام المنمق

غرق ملؤه فتون وسحر
وتعيم شاف وحلم منزوّق

فالديباجة رائعة ، والاسلوب اكثر روعة ، يضاف الى ذلك كله صور محببة واخيلة حلوة قريبة من النفس والقلب .فلبنان اشبه بالزورق يغيب فى اليم والذرى البيض كالنسور المحومة والقرى اختفت وراء ستائر من الغيب كل ذلك كانه حلم مزوق او خيال منمق ضاع فيه الشاعر وسبح مع خياله فى عالم ملؤه النشوة والطرب . ولكن انور كان ظاهر الحياء كما قلنا ، وقد منعه هذا الحياء من الغزل الذى يلجا اليه الشاعر اذا مر به هم او كربه غم ، فان الغزل يتطلب المرح والدعابة ، وقد يصل بصاحبه الى المجون ،وانور ناء عن كل ذلك بعيد ،انه محكوم بالتقية والخلق الرزين فغزله ، لذلك ، غزل الصناعة لا غزل العشق ،وحبه حب الشاعر لا حب الموله المفتون ، واقرا معى هذه الابيات لترى هذا اللون من الغزل المسكين :

أتدرين انك احلاميه
وانك اعذب انغاميه

وان خيالك فى خاطرى
يرف كزنبقة ناديه

وانك اشعارى الهامسات
بنفسى فى العزلة القاسية

ذكرتك والقلب نهب الفتون
رهين الرؤى الحلوة الوافية

و « لبنان » يسبح فى نشوة
من السحر والحب والعافية

بين العطار وحافظ والجارم

فالغزل هنا لايبعث فى النفس شعورا ولا يوقظ حسا ، انه كلام يقلد فيه الشاعر غيره من الشعراء فى تذكر المراة والاشارة اليها من بعيد ، والشاعر هنا ليس محبا ولا مدلها ، وغزل كهذا ينبغى الا يذكر فى معرض الحب الذى يفطر القلوب ويؤجج الاحاسيس ويوله النفوس ،وغزل العطار هذا يذكرك بغزل حافظ ابراهيم والجارم واحمد محرم والبزم ،غزل يصطنعه الشاعر مقدمة لغرض شعرى اخر من وصف او مدح او هجاء ، وقد شذ بعضهم فجعل الغزل مقدمة للرثاء ، كما فعل دريد بن الصمة فى رثاء اخيه ، فكان عيبا ادبيا اشار اليه الذوق

الصحيح والحس النقي . وقد انتقل العطار من غزله في هذه الابيات الى وصف « لبنان » دون ان يترك الغزل الرا في نفس القارىء ، كما فعل ابن الرومي حين وصف « وحيدا » المغنية ، فتغزل بها في بيت واحد ، هو مطلع القصيدة ، ثم انتقل الى وصف صوتها وغنائها ، وكان حبه لها مقدمة لا تحتاج الى اكثر من بيت واحد .

كان انور العطار يمثل جيلا ادبيا ، هو الجيل الرومانتيكي ، ان صحت التسمية ، الذى ظهر في العقد الثالث من هذا القرن ، وهذا الجيل يعتمد في شعره على الاحساس المرهف الرقيق البعيد عن العنف والقسوة ، كما يعتمد على استقلال الادب عن كل المؤثرات الغريبة عنه ، في حين ان ادب هذه الايام فيه الكثير من الاقتصاد والعلم والفلسفة والتعقيد ، كما ان فيه الشيء الكثير من السياسة الثائرة المهتاجة ، ويرى اصحاب هذا الجيل ، ان الادب يجب ان يكون مقدمة للفكرة السياسية كما كان ادب روسو وفولتير ، وهذه مهمته ، وفيما عدا هذه المقدمة فان استقلاله لابد منه لنجاحه ، ولا بد منه لبقائه ، وخير لفاعليات الذهن الانساني ان تكون ظاهرة الالوان والخطوط تتجاور ولا تختلف ، وتتفاعل ، ولا يضيع بعضها في بعض .

الجزالة العربية والدقة اللغوية

ان انور العطار شاعر اسلوب ولفظ وتركيب ، في شعره الجزالة العربية والدقة اللغوية،والنغمة البحترية ، فهو من هذه الناحية بارز بارع ، اما اذا طلبت منه غير هذا فانك لن تعثر على الشيء الكثير ، لان المعاني عنده قليلة ، والصور نادرة ، والاخيلة متباعدة متفرقة واعتقد ان المؤثر الذى ترك شعر انور على هذه الحال هو ان شاعرنا لم يعن بالثقافة العامة ، الاجنبية والعربية . وقد قصر جهده على حفظ الشعر وقراءة الكتب الادبية الصفراء القديمة ، وهذا يكفي لتقويم اللفظ والاسلوب ولكنه لا يفي بالغرض فيما اذا اريد للشعر ان يحمل المعاني الكثيرة والاخيلة المتعددة التي ترفع من هذا الفن وتجعله موضع التقدير والاعجاب على اختلاف العصور وتباعد الايام .

وهذا الشعر الذى يقتصر على الاسلوب في غايته أصبح اليوم غريبا بعد ان ضعفت اللغة عند الادباء وبعد ان اصبح الادب مهنة لا موهبة ، لان شعر انور العطار وامثاله يطلب للفن،ولتقويم النظم والانشاء ، لا للعلم والاستفادة .

ويموت انور في اليوم الثالث والعشرين من شهر تموز ١٩٧٢ ، يموت فلا يحس به احد ، فان مرضه كان كاسلوبه الشعرى هادئا بسيطا ، لقد اصيب جهازه الهاضم ،ويبدو انه اسرف في تناول الدواء ، ومن الدواء يكون الداء ، واصابته ازمة ذهب على اثرها الى المستشفى وهناك توفي ، هادئا مطمئنا كطبعه الخير وشعره الهادىء المطمئن.

ويذهب انور العطار دون ان يمتع نفسه باثاره، فلم ير من دواوينه مطبوعا الا واحدا فقط هو « في ظلال الايام » ومازالت اثاره باقية مخطوطة تنتظر من ينظر اليها بعين العطف والتقدير . ■■

دمشق — احمد الجندى

غرس شريف

قيل : ان المنصور العباسي بعث الى شيخ كان من بطانة هشام بن عبد الملك الأموى ، فاحضر ، وساله عن تدبير هشام واحواله ،فاقبل الشيخ يقول : « فعل هشام رحمه الله، وقال يوم كذا رحمه الله » ، فقال المنصور :« قم لعنك الله ، أتطأ بساطي وتترحم على عدوى ؟ » . فقال الشيخ : « يا أمير المؤمنين ان نعمة عدوك قلادة في عنقي ، لا ينتزعها الا غاسلي ، وانني لا أذمرجلا لا أملك ربعا ،ولا مالا ، ولا أثاثا ، الا منه » . فقال المنصور: « لله درك من شيخ ، اني اشهد انك غرس شريف . »



ما نحتاجه في الحرب

● قيل : ان الله جمع في آيتين كلَّ مايحتاج اليه الانسان في الحرب ، وذلك في قوله : « ياايها الذين امنوا ، اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا ، لعلكم تفلحون • واطيعوا اللهَ ورسوله ، ولا تنازَعوا فتفشلوا ، وتذهبَ ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين » (الأنفال : ٤٥ ، ٤٦) .

أخصبُوا

● أكل اعرابيان على مائدة عبد الملك بن مروان ، فمد أحدهما يده في المكان الذى كان يأكل منه زميله ، فقال له زميله « كفَّ يدك ! فان لك في ما بين يديك مَقنعاً » فقال : « اني من قوم اذا

أكرموا عزيز قوم ذل

● لما انهزمت قبيلة طيء ، ومعها عدى بن حاتم ، امام المسلمين ، استاق المسلمون أسلاب طيء وسباياهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعرض عليه الأسرى ، نهضت من بين القوم سَفّانة بنت حاتم الطائى ، فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رايت أن تَخلّيَ عنى ، ولا تُشمت بى احياءَ العرب ؟ فان ابى كان سيد قومه ، يفك العانى ، ويقتل الجانى ، ويحفظ الجار ، ويحمى الذّمار ، ويفرّج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ويحملُ الكلّ ، ويعين على نوائب الدهر ، وما اتاه أحدٌ في حاجة فردّه خائبا ، انا بنت حاتم الطائى . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بتخلية سبيلها ثم قال : ارحموا عزيز قوم ذل ..

ثم استأذنته بالدعاء له فقالت :

أصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل لكَ الى لئيم حاجةً ، ولا سلب نعمةً عن كريم قوم الا جعلك سببا في ردها عليه . »

فلما أطلق النبى سراحها ، رجعت الى أخيها عدى ــ وهو في دُومَة الجندل ــ فحدثته عن النبى بما رأت ، فقدم عدى على النبى فأسلم ، واسلمت سفانة .

قلة المال

● قيل لابن سيّابةَ : « قد كرهت امرأتك شيبَك ، فمالت عنك الى آخر » فقال : « انما مالت الى الآخر ، لقلة المال ، والله لو كنت في سنّ نوح ، وشيبةِ ابليس ، وخلقةِ منكر ونكير ، ومعي مال ، لكنت احب اليها من فقير في جمال يوسف ، وخلق داود ، وسن عيسى ، وجود حاتم وحلم أحنف بن قيس » .



فى الزواج

● قال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل : « ألك زوج ؟ » قال : « لا » قال : « وانت صحيح سليم ؟ » قال : « نعم » قال : « انك اذا من اخوان الشياطين ، ان شراركم عزابكم، وان أراذل موتاكم عزابكم ، ان المتزوجين هم المبرؤون من الخنا، والذى نفسى بيده ماللشيطان سلاح فى الصالحين من الرجال والنساءابلغ من ترك النكاح » .

خيّروا

اجدبوا انتجعوا » فقال له : « ويلك وهل على مائدة امير المؤمنين جدب ؟ » . ثم مد الاخر يده فقال له زميله « كف يدك ! » فقال : « اني من قوم اذا اخصبوا تخيروا » . فاستحسن عبدالملك كلامه وامر له بصلة .

ابن شهيد

● قيل ان المنصور بن ابى عامر ـ احد حكام الاندلس ـ عزم يوما على الانفراد بخاصته وندمائه . فامر باحضار الوزراء والندماء . واحضر كذلك ابن شهيد وكان عالما من علماء الاندلس المرموقين ـ محقة . لنقرس كان به ، فكان يوما مشهودا . لم يشهدوا مثله ، فلما اشتد بهم الطرب نهايج القوم . وجعلوا يرقصون بالنوبة . حتى انتهى الدور الى ابن شهيد . فاقامه احد الوزراء فجعل يرقص ويرتجل ويومي الى المنصور ، وقد غلب عليه السكر :

هاك شيخا قاده عذر لكما
قام فى رقصته مشتمكا
عاقه عن هزها منفردا
نقرس اخنى عليه ، والكما
انا لو كنت كما تعرفني
قمت اجلالا على راسي ، لكما
قهقه الابريق منى ضاحكا
وراى رعشة رجلى فبكى

وكان ابن انكل البغدادى حاضرا المجلس ، فلما راى ابن شهيد على هذه الحالة قال : « لله درك يا ابن شهيد ، ترقص بالقائمة ، وتصلى بالقاعدة . »

أصله بخطوة

● يروى ان فتى من الأزد دفع الى المهلب بن أبى صفرة سيفا له فقال : « كيف ترى سيفي ياعم ؟ » فقال المهلب : « سيفك جيد . يا ابن اخي ، الا أن فيه قصرا » فقال : « أصله بخطوة » فقال المهلب : « يا ابن أخى ، المشى الى الصين او انياب الافاعي اسهل من تلك الخطوة ! »

ولم يقل المهلب هذا جبنا ، وانما اراد توجيه الأمر .

قصة



ابتسامة في المرآة

بقلم : غبريال وهبة

■ لقد اصبح يوم الخميس بالنسبة لي يوما عصيبا .. ففي هذا اليوم من كل اسبوع أتوجه للقاء دُرية . واني احرص دائما ، قبل ان اقابلها ، على الوقوف امام المرآة لأقوم بتجربة استبدل فيها بوجهي وجها آخر .. فارسم عليه ابتسامة عريضة لاختبر نجاحي في جعلها تعبر عن اشراقة الغبطة والسرور ! . بيد أنني في بعض الأحيان يخيل الى أن درية لا ريب تحس بمدى الاصطناع في هذه الابتسامة ، وانها تنفذ الى اعماقي بنظرتها الثاقبة فتستشف ما اتكلفه من جهد عنيف لتنفرج عن الابتسامة شفتاى . ولكنني لا البث ان أبعد هذا الخاطر عن ذهني هامسا لنفسي .. هيهات أن تفطن الى شيء من ذلك .

اعتدت أن اجلس تجاهها في قاعة الاستقبال الرحبة معاودا سؤالها بين الفينة والفينة في بشاشة ولطف : ـ كيف أنت يا حبيبتي ؟

فتفرك درية يديها في عصبية وهي تحاول الابتسام قائلة : ـ شكرا يا صبري .. انني على خير ما يرام . وعما قريب سيجتمع شملنا ان شاء الله .

فاقول لها : ـ وحقك عندى ان اقامتك هنا لن تطول اكثر من أسبوعين . هكذا كان الحديث يدور بيننا عاديا شأن أي حوار يجرى بين زوجين في مثل هذه الظروف .

وفجأة دون اية مقدمات تتبدل نظرة درية وتتفرس فيوجهي بعينين جامدتين كأنهما منحوتتان من زجاج .. وتتقلص يداها على حافة المنضدة وهي تتشبث بها .. ثم تصرخ غاضبة : ـ أين هم المسئولون ؟ يجب أن أتوجه الى مرضاى .. منتهى الفوضى والاهمال والاستهتار .. ان هذا لا يطاق .

ثم تصيح وهى تتاوه لتنحى عليهم باللوم والتانيب والتقريع . وسرعان ما تتقدم اليها اثنتان من الممرضات تهدئان من روعها وهما تقولان لها فى لطف وود : ـ تعالى معنا يا دكتورة .. سنذهب بك الى المرضى .

ثم يصطحبانها معهما .. فتفارق الابتسامة وجهى دون ان تفتر شفتاى المتقمتان عن كلمة ، واطرق براسى الى الارض ممزق القلب اشفاقا على المسكينة ، واقفل راجعا الى بيتى منهوك القوى كشيخ هده الكبر ، وبلغ منه الاعياء ، وقد تقدمت سنه ، واحدودب ظهره .. اتخذ من الالم عصا يدب عليها . واصعد الى مسكنى ، وانفق ليلتى حائرا ذاهلا ، اضرب كفا على كف توجعا ، واصعد الزفرات فى اثر الزفرات ، وقد افاضت نفسى المفجوعة على جدران الغرف وعلى ما فيها من الاثاث كابة وحزنا .. تلك التى كان يتضوع فيها شذا درية الزكى وعبيرها الجميل .

لقد تزاملنا معا فى جامعة عين شمس حيث كنا ندرس الطب . كانت محافظة لا تختلط بالطلبة. وكنت اصعد فيها النظر واصوبه مرددا فى نفسى : ما اجملك ! كم انت جميلة ! وملكنى الاعجاب بها ، وسرعان ما اضطرم قلبى هياما بها،وطويت ضلوعى على هذا الحب .

وبعد ان نلنا « البكالوريوس » عملنا طبيبى امتياز .. هى فى مستشفى الجلاء ، وانا فى دار الشفاء .

انقضى عام وزع بعده خريجو دفعتنا على الوحدات المجمعة بريف مصر .

التقينا مرة اخرى فى اجازة دراسيةبمستشفى قصر العينى . كانت صعبة المنال كعهدى بها .. وانقضت اربعة شهور قبل ان تخرج معى . وتعددت لقاءاتنا .. عندئذ ادركت انها تبادلنى الحب .

كانت ارق من النسيم ، صافية كالماس ، نقية كاطواق الياسمين ، غير ان آراءها فى الزواج قد ادهشتنى .. فهى ترفضه لانها تكره العلاقات الزوجية،وطالما تاقت لان يعيش الزوجان كشقيقين.. وكم احسست بالحرج وانا احاول فى خجل ان ابين لها شطط هذا الراى ولكن جهودى فى هذا السبيل ذهبت ادراج الرياح . كنت فى حالة من الذهول غير مصدق لشىء مما تقول وكان يغلب على ظنى انها تمزح .. الى ان كانت ليلة استمتعت فيها معها بمشاهدة مسرحية « مائة تحت الصفر » .. ففى اثناء انصرافنا من مسرح الريحانى تعثرت قدمها وهى تتخطى عتبة المقصورة..فاسرعت استندها ممسكا بذراعها البضة. ولكننى شعرت بها ترتعد وترتجف كانما قشعريرة قد سرت الى عظامها حتى النخاع ، واذ بها تدفع يدى قائلة لى : ـ لا احب ان يلمسنى رجل !

فظللت مشدوها جامد الحدقتين برهة ، ثم قلت لها مستنكرا والالم يعصر قلبى : ـ وهل انا غريب .. انك يا درية زميلة الصبا وصديقة العمر فلا تكونى قاسية ..

فقاطعتنى قائلة دون ان تتحول عن موقفها : ـ ارجوك .. لقد سبق ان ناقشنا هذا الامر بما فيه الكفاية فلا تضايقنى .

فساد صمت ثقيل ، ولا اظن ان احدا قد احس بمثل ذلك الشعور المر الذى اجتاحنى فى هذه اللحظة ، وقام فى نفسى صراع اليم ، فتارة اقول هذا شىء غير طبيعى .. وتارة اخرى اهيب بنفسى ان اضحى من اجلها وهى تضحية تتضاءل بجانب المحب الذى يضحى بحياته من اجل حبيبته .. ومالى اذهب بعيدا .. فلنفرض انى تزوجتها وانها اصيبت بمرض عضال ..افلا اضحى بكل شىء فى هذه الحالة ! .. بل هاهى ذى قد بدات تدير دفة الحديث شاكية من مرض السكر والضغط المرتفع .. وفى احيان اخرى تذكر لى انها تشك فى ان السل قد داهم صدرها رغم ان صور الاشعة لم تبين شيئا ! .. وانها تحس بدنو اجلها .. فاقول لها : ـ اتركى هذه الاوهام !

وسواء اكان ما تقول حقا ام محض اختلاق .. فلن يثنينى عن حبها شىء مهما كان .. ولاح لى شبح جراتسيا فى مسرحية « الموت فى اجازة » للكاتب الايطالى البرتو كاسيلا حيث تجسد الموت فى صورة انسان وامتنع عن ازهاق الارواح طوال ثلاثة ايام نزل خلالها ضيفا على اسرة مركيز التقى فى قصره بفتياته الثلاث اللاتى احببنه . واختبر حبهن فاتضح له ان حب اثنتين منهن ليس حبا صادقا بل نزوة مراهقات ، اما الثالثة..جراتسيا فقد احبته من الاعماق وتفانت فى حبه وحاول ان يبعدها عنه ويحذرها منه فابت واكدت انها لن تتخلى عنه مهما كان .. ولما

دقت الساعة الثانيةعشرة فى منتصف الليلمعلنة انتهاء اجازته ..ارتج صدر الفضاء بضحكات شيطانية مرعبة بين قصف الرعود وومضات البرق واذا بالموت يعود الى شبح مخيف .. هيكل عظمى يتدثر فى عباءة سوداء وقد امسك بمنجله وظلاله الرهيبة تتراقص فوق الجدران .. وهو يقول لبراتسيا بصوت اثار الهلع والفزع فى نفوسنا:

ـ لقد حذرتك منى .. وهاانت ذى تريننى على حقيقتى .. انظرى الى تجويفى عينى .. مااقبح شكلهما .. وهاك فمى المخيف ما ابشع صورته !

فرفعت الفتاة الرائعة الحسن نظرها اليه ، وانساب صوتها عذبا فى هدوء،،من غير أن ترتاع ، ودون أن تنصرف عنه مشمئزة ، او تنحرف عنه نافرة : اننى لا أرى ادنى تغيير قد حدث .. ان لك نفس العينين الساحرتين والفم الجذاب .. فانت دائما ابدا فى عنفوان شبابك ، وريعان حسنك وجمالك ..

وطوقته بذراعيها وقبلته فسقطت بين يديه وقد فارقت الحياة . لقد أبدع مخرج هذه المسرحية فى تجسيد هذا النص الأدبى الرفيع فرسم لنا بالأضواء والمؤثرات الصوتية والموسيقية لوحة رائعة احاطها باطار شاعرى فابرز لنا الحب الحقيقى قوة جارفة..فالمحب لا يتخلى عن محبوبته مهما حدث له بل سيظل يراه دائما ابدا بعين العاشق جميلا حتى اذا انقلب الى شبح مخيف.. ولو كان الموت بعينيه .

وهكذا عزمت على التضحية مهما تكن عزيزة ولم اتخل عن درية وتزوجتها .. فقد خلقت انسانا عاطفيا لا عقل لى ، قلبى يامرنى فاطيع. ولكننى لم أصمد كثيرا .. وانهزمت فى معركتى ضد الطبيعة . ومع ذلك ازداد تعلقى بها وعطفى عليها .

وبعد ان نلنا معا دبلوم الدراسات العليا عملنا معا فى مستشفى واحد .. درية كطبيبة تخدير ، وانا كاخصائى فى التحاليل الكيميائية.

ذات صباح جاءتنى قبل اول عملية جراحية تعمل فيها كطبيبة تخدير وقالت لى بصوت مرتعش :

ـ امل الا ارتكب خطأ . كانت مهتاجة قلقة مضطربة بعد ان بلغتنا الأنباء بان رئيس اركان حرب جيشنا قد استشهد بعد ان اصابته شظية من قنابل الاعداء فى حرب الاستنزاف بالمدافع عبر القناة .

وعبثا حاولت ان اهدىء من روعها قائلا لها:

ـ ان شعبا يجود فيه رئيس اركان حرب جيشه بروحه فى حومة الوغى لن يموت .

ولكن رعدة غريبة اخذتها فبدت كانها مقرورة ترتعدمن البرد فقلتمشفقا عليها : ـ فلتتناولى بعض الاقراص الصغيرة ثم استدركت قائلا : ـ يكفى قرص واحد يا درية . ولكنها ابتلعت اربعة اقراص دفعة واحدة .

وحدثتنى بعد ساعتين قائلة : لقد مر كل شىء بسلام .. لم يسبق لى ان شعرت بهدوء أعصابى كاليوم .

ومن ذلك الحين اصبح اسم الدكتورة درية على كل لسان كاخصائية فى التخدير يلهج بذكرها الجميع . غير انها لم يزايلها البتة شعور الاهتياج واضطراب الاعصاب قبيل كل عملية .

واصبحت اسمعها على مر الأيام تقول لى : اننى احتاج الىبعض الاقراص المهدئة يا صبرى .

ولما كان قلبى لا يطاوعنى على رفض طلبها داومت على اعطائها قرصين قبل كل عملية .

وذات يوم كنت اتجاذب اطراف الحديث مع زميلى الدكتور ابراهيم الذى قال لى : ـ ان زوجتك ستصبح طبيبة تخدير لامعة .

فاومات برأسى مؤمنا على كلامه وانا أشعر بالزهو .

لم استطرد قائلا : ـ ولكننى لاحظت أنها دائما ابدا تكون متوترة الاعصاب قبل كل عملية .. ولا تهدأ قبل ان تتعاطى الاقراص .

فاخذت اتمتم لنفسى وانا منقبض : ـ ان درية قد جاوزت الحد .. اخشى أن تصبح مدمنة لهذه الأقراص ... يجب ان أكلمها بصراحة .

ودار الحديث بيننا ، فقالت زوجتى وهى تربت خدى برقة : ـ لا تبتئس هكذا من أجل حفنة من الاقراص لاضرر منها .. اذ لا تتجاوز جرعة حمض الليسرجيك بها اثنين من المليجرامات .. وانا محتاجة اليها حتى أهدأ نفسيا .

وما لبثت ان لاحظت عزوف درية عن الطعام بعد ان كانت تقبل عليه بشهية .. كما كان يقبل

الى أحيانا أنها نسيت أبسط المفاهيم الأساسية فى الطب ·

وفى العاشر من يوليو عام سبعين وتسعمائة بعد الألف ، كانت لدى درية عملية جراحية كبيرة ·· بتر الساقين من عند الفخذين لراهبة فى الثلاثين من عمرها بعد أن صوب الاسرائيليون مدافعهم من الشاطىء الشرقى واطلقوها على دير راهبات القلب المقدس المجاور لمستشفى الاسماعيلية الذى كنا نعمل به ·

وعادت درية تطلب منى الاقراص ·· ولكننى صمدت فى هذه المرة وكنت حازما معها ·· ـ لن أعطيك هذه الاقراص اللعينة بعد الآن · وهذا هو رأى الدكتور ابراهيم أيضا ·

ألجمتها المفاجأة فوقفت هنيهة واجمة ساهمة كأنها التمثال لا تأتى بحركة ، ولا تنطق بكلمة ثم انسلت فى رفق ·

مرت ساعة كاملة وعلى حين غرة سمعت صخبا وضوضاء آتية من ردهة المستشفى ، فاتجهت صوب حجرة الأطباء لاستطلاع الأمر ·· وهناك رأيت زوجتى مندفعة من قاعة العمليات وهى تصرخ : ـ ماتت الراهبة المسكينة !

واضحت تغشاها نوبات متكررة تعاود فيها الصراخ ، ثم تنهار بين ذراعى ·

وجاء فى تقرير كبير جراحى المستشفى الذى رفعه الى القومسيون الطبى العام ما يلى :

« فى اثناء آخر عملية زاملتنى فيها الدكتورة درية ماتت المصابة متأثرة بجراحها الجسيمة ·· فهرعت الطبيبة مسرعة الى الخارج وهى تصرخ وتصيح مبهورة الأنفاس مرتجفة الأوصال ، ثم تشنجت وأصيبت بانهيار عصبى · ومما زاد الطين بلة أنها بينما زوجها كان يصطحبها الى قسم الأمراض النفسية والعصبية ،أصيب عنبر الجراحة فى نفس اليوم بقنبلة مباشرة هدمته فوق رءوس المرضى ، وفاض رشاش الدم من بين الأنقاض · وتناثرت الأشلاء ، وتصاعد الأنين الذى أعقبه سكون الموت الرهيب ·· ووقع بصرها على هذه المجزرة ، وشاهدت المنظر الفظيع ،فازدادت حالتها سوءا مما يحتاج الى فحصها على يد لجنة من الاخصائيين ليقرروا ما يلزم بشأنها ·· وخاصة أن الشك بدأ يساورنى أنها لن تستطيع ممارسة الطب مستقبلا » ·

لقد أدخلت درية فى مصحة · ويبدو أن الأهوال التى رأتها ، وهى الرقيقة الحس ، قد جعلت عقلها النابه يختلط ·

ومنذ ثلاثة أعوام وأنا أتوجه لزيارتها يوم الخميس من كل أسبوع مرددا قولى لها : ـ لم يبق سوى أسبوعين وتغادرين هذا المكان ·

وفى الزيارة الأخيرة سألت مدير المصحة : ـ الى متى ستستمر نزيلة هنا ؟

فهز الدكتور فايق ، الطبيب المحنك ، رأسه أسفا وقال فى ألم : ـ سنة أخرى على الأرجح

ثم استدرك قائلا : ـ لا تيأس ··

وأردف يقول برجاء : ـ لا تقلق نفسك ·· وعلى فكرة لقد استطعت أن أصل الى الأسباب النفسية لجانب من شكواك منها ·· فقد أظهر التحليل النفسى أنها كانت ملتصقة بأمها فى الصغر ومرتبطة بها ارتباطا زائدا عن الحد · هذا بالاضافة الى أن والديها كانا يعاملانها وهى طفلة كما لو كانت غلاما ··

كان جوابى الصمت والاطراق ·

فاكتسى وجهه بسيماء المهابة والوقار عندما قال : ـ أملى كبير فى أن يعود كل شىء الى مجراه الطبيعى ·

وفى الاسبوع التالى ·· وكان ذلك على وجه التحديد فى الحادى عشر من شهر أكتوبر عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة بعد الألف استقبلنى مدير المصحة متهللا وهو يقول :

ـ أبشر يا دكتور صبرى ·· لقد تحسنت حالة الدكتورة درية تحسنا فجائيا وعاد اليها صوابها وتستطيع أن تغادر المصحة اليوم معك ·

نظرت اليه متعجبا مندهشا ، وقلت له غير مصدق : ـ هكذا ·· تبدل الحال دون آية ···

لم يمهلنى الدكتور فايق حتى أكمل حديثى وقال باسما :

ـ كان ذلك منذ أن قطع راديو القاهرة اذاعته يوم السبت الماضى وأذاع البيان الذى أصدرته القيادة العامة لقواتنا المسلحة ·· أولم تستمع اليه وهو ينبئنا بأن جنودنا البواسل قد اقتحموا قناة السويس ، واجتاحوا خط بارليف المنيع ودكوه فوق رءوس الأعداء ، ورفعوا علم مصر خفاقا فوق أرض سيناء ·· ■■

مصر ـ غبريال وهبة



المنجد في طبعته الجديدة

بقلم : ابراهيم القطان

■ صدرت الطبعة السابعة للمنجد في الاعلام ملحقة بالطبعة الحادية والعشرين من المنجد في اللغة في مطلع عام ١٩٧٣ ·

وهي طبعة انيقة جدا لما تشتمل عليه من لوحات ملونة رائعة ، وورق جيد ، وحرف جميل ، وطباعة فاخرة ·

وقد بدل القائمون على هذه الطبعة الكثير من المواد ، وغيروا في ترتيبها ، وحذفوا الكثير مما كان في الطبعات السابقة · وكان هذه الطبعة كتاب جديد يختلف عن الطبعات السابقة اختلافا كبيرا · وحشدوا لها عددا من افاضل العلماء والادباء والمؤرخين اشرفوا على تنقيح المواد وتصحيحها ·

وكان المنتظر ان تاتي هذه الطبعة الجديدة المنقحة خالية من الاخطاء والتحريف وتشويه الحقائق · ولكنها جاءت وبها اخطاء وتحاريف كالعادة مع الاسف · ولو ان الاخطاء من المطبعة لكان لهم عذر لانه لا يوجد كتاب بدون اخطاء مطبعية ·

ومن مراجعة الكتاب يتضح لذوي المعرفة والنظر ان الاساتذة الافاضل المشرفين على هذه الطبعة لم يطلعوا بانفسهم على جميع المواد ، ولم يشرفوا اشرافا كاملا على جميع ما جاء فيها · والا لما سمحوا لهذا الكتاب ان يخرج الى الوجود ·

فقد جاء في هذه الطبعة طعن في بعض الانبياء الكرام مثل « النبي ايوب » عليه السلام فقد قيل عنه انه « ولني » · وقيل عن النبي محمد صلى

العلماء من مختلف المذاهب • وذلك بسبب بعض الفتاوى التي اصدرها • وبسبب انكاره الشديد على شعوذة المتصوفة والمبتدعين • اما مؤلفاته فقد قال الكتبي في فوات الوفيات انها بلغت ثلاثمائة كتاب •

٦ ـ ص ١٠ ابن خلدون : عينه ابوعنان سلطان تونس •• لم يصلنا منه الا مقدمة كتاب العبر •

الصواب : ابوعنان سلطان المغرب •

وقولهم لم يصلنا منه الا مقدمة كتاب العبر قول غريب وعجيب • الم يسمع الاساتذة بتاريخ ابن خلدون وهو مطبوع عدة طبعات في سبع مجلدات • وله غير التاريخ والمقدمة رسالة في المنطق • وكتاب في الحساب ، وتلخيص المحصول في اصول الفقه ، وشرح البردة • وله شعر •

٧ ـ ص ١٣ ابن هشام عبد الملك ـ كتب سيرة الرسول مستندا الى سيرة ابن اسحاق المفقودة •

الصواب : ان سيرة ابن اسحاق موجودة كاملة بخط جيد في مكتبة جامع القرويين بفاس رأيتها بعيني •

٨ ـ ص ١٦ ابو سلمة الخلال ـ عاون ابا مسلم الخراساني ••

الصواب : ان ابا مسلم الخراساني كان تابعا لابي سلمة، وهو اول من لقب بالوزارة في الاسلام•

٩ ـ ص ١٦ ابو الشيص محمد بن عبدالله بن رزين •• نسيب الشاعر دعبل •

الصواب : انه ابن عم الشاعر دعبل •

١٠ ـ ص ١٨ ابو الفرج الاصبهاني •• تمتع بحماية سيف الدولة •

الصواب: هذا الكلام غير صحيح فان ابا الفرج كان يعيش في بغداد وكان يتمتع بحماية الوزير المهلبي وصداقته • وسيف الدولة كان في حلب مستقلا بها، وعندما الف ابو الفرج كتابه الاغاني اهدى منه نسخة الى سيف الدولة فارسل اليه الف دينار •

١١ ـ ص ٢١ اتاترك مصطفى كمال •• اجرى اصلاحات عظيمة من اعمقها تاثيرا في الحقل الديني •

الصواب : اتاترك قام بنشاط كبير في الاصلاح الداخلي في بلاده وذلك باقتباس النظم الغربية فغير معالم تركيا تغييرا كليا • والغى الخلافة ، وغير الحروف العربية ، وابعد الدولة التركية ابعادا كليا عن الاسلام ، وجعلها دولة لا دينية •

فاذا كان هذا هو الاصلاح الديني العميق الذي ارضى المسئولين عن المنجد ومن ورائهم الاساتذة الافاضل المشرفين على هذه الطبعة ، فهنيئا لهم بهذا الاصلاح العميق •

١٢ ـ ص ٢٦ خارطة للبحر الاحمر فيها جزء من المملكة السعودية ، جاء فيها زبيد في شمال مكة •

والصواب : ان زبيد في اليمن في القسم الجنوبي منه وبعيدة جدا عن مكة •

١٣ ـ ص ٢٧ احياء علوم الدين •• شرحه ابن الجوزي وابن يونس ••

الصواب : ان ابن الجوزي لم يشرح الاحياء ولكنه جمع كتابا سماه « اعلام الاحياء باغلاط الاحياء » •

واما ابن يونس شرف الدين الاربلي فانه اختصر الاحياء • واما الذي شرحه شرحا كبيرا في عشر مجلدات فهو الامام الزبيدي شارح القاموس وهذا الشرح مطبوع •

١٤ ـ ص ٢٩ الادريسي المغربي (احمد بن ميمون) زعيم مغربي •• من مؤلفاته « بيان غربة الاسلام » •• الخ

الصواب : اسمه « علي بن ميمون الهاشمي القرشي » لا احمد •

اسم كتابه الصحيح « غربة الاسلام في مصر والشام وما والاهما من بلاد الروم والاعجام »

١٥ ـ ص ٣١ اربد احد القصور الاموية في مشرق الاردن • وهذا خطأ •

الصواب : لا يوجد في الاردن قصر للامويين ولا لغيرهم بهذا الاسم • بل توجد مدينة في شمال الاردن اسمها اربد •

١٦ ـ ص٣٣ الاردنية (المملكة ـ الهاشمية) •• وتقسم اداريا الى ٨ محافظات •• ومعّان اهم مدنها •• ومعّان••اسسها الملك عبد الله بن الحسين في اعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٦ •

الصواب : معان بتشديد العين خطأ الصواب « مَعَان » بفتح الميم والعين بدون تشديد •

تاسيس المملكة الاردنية كان سنة ١٩٢١ باسم امارة شرق الاردن ، واعلنها الملك عبدالله المملكة الاردنية الهاشمية سنة ١٩٤٦ ٠

١٧ ـ ص ٣٠ اذرح .مكان بين معّان وسلّع ٠٠ وكان الحكمان ابو موسى الاشعرى ٠٠

الصواب : (مَعَان) بفتح العين بدون تشديد كما تقدم وهذا الخطا سيتكرر ٠٠ وسَلع بفتح السين وسكون اللام هى البتراء ٠

وفى قولهم كان الحكمان ابو موسى الاشعرى ٠٠ الخ خطا نحوى ٠

الصواب : ابا موسى الاشعرى بالنصب لانه خبر كان ٠

١٨ ـ ص ٤٤ اسلى نهر فى افريقيا الشمالية ٠٠ ينبع فى المغرب ويواصل مجراه فى الجزائر عنده غلب بنو مرين السلطان بن عبد الواد ٠

الصواب : وادى يسلى بالياء فى اوله ، وهو فى المغرب ٠

وقولهم : عنده غلب بنو مرين السلطان بن عبد الواد خطا ٠

الصواب : سلطان بنى عبد الواد ٠

١٩ ـ ص ٤٧ اسيوط فى مصر ٠٠ مسقط رأس افلوطين الفيلسوف .وجلال الدين السيوطى ٠

الصواب : ان جلال الدين السيوطى ولد فى القاهرة وتوفى فيها ٠

٢٠ ـ ص ٦٨ خارطة كتب تحتها الامويون فى الاندلس ٠ جاء فيها سلامانكا ٠

الصواب : الذى فى كتبنا والأطلس العربى سلمنكه ، وشانتاريم ٠

الصواب : فى القاموس وشرحه « شنترين » ٠

وفى ص ٦٩ جدول بخلفاء بنى امية ٠

الصواب : ولم يذكر فيه مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية ٠

٢١ ـ ص ٧٧ انستاس الكرملى ٠٠ من مؤلفاته الكثيرة خلاصة تاريخ بغداد ٠

الصواب : خلاصة تاريخ العراق ، مطبوع ، واما تاريخ بغداد فاسمه « الفوز بالمراد فى تاريخ بغداد » ٠

٢٢ ـ ص ١٠٦ باب المندب : مضيق بين البحر الاحمر وخليج عدن ٠٠ وفيه جزيرة البريم ٠

الصواب : ضبطوا « المندب » بكسر الدال وهو خطا ، الصواب : « باب المندَب » بفتح الدال وجزيرة بريم بدون ال ٠

٢٣ ـ ص ١٠٧ باجرمى او باجرمق : اسم اطلق فى العهد العباسى على اقليم يقع شرقى دجلة ٠

الصواب : باجرما اسم قرية من اعمال البليخ قرب الرقة ٠ وباجرمق : كورة ٠ فليس الاسمان لمكان واحد ٠ (معجم البلدان) ٠

٢٤ ـ ص ١١٦ باويط قرية فى مصر (محافظة اسيوط) ٠٠٠

الصواب : بويط كزبير من اعمال الصعيد الادنى من كورة الاسيوطة ٠ واما كفر باويط فانها من قرى الاشمونين ٠ « تاج العروس » ٠

٢٥ ـ ص ١١٨ بُجّاية : مدينة ساحلية وميناء فى الجزائر ٠ (ضبطت بضم الباء وتشديد الجيم) ٠

والصواب : بِجَاية بكسر الباء وفتح الجيم بدون تشديد « القاموس » ٠

٢٦ ـ ص ١٢٠ البدوى ، احمد شهاب الدين ابو العباس ٠ من القابه القطاب اى الفارس ٠

الصواب : لا يوجد لقب القطاب للسيد بدوى، ولا يوجد فى اللغة العربية كلمة القطاب ٠

٢٧ ـ ص ١٢٠ بَدَيل بن ورقاء (هكذا ضبط بفتح الباء) ٠

الصواب : بُدَيل بالتصغير ٠

٢٨ ـ ص ١٣٤ البصرة ٠٠ مسقط رأس الحسن البصرى ٠

الصواب : الحسن البصرى ولد بالمدينة ٠

٢٩ ـ ص ١٤٥ بنى عباس بلدة وواحة فى الصحراء الجزائرية ٠

الصواب : سيدى بلعباس ، مدينة قريبة من الساحل وليست واحة فى الصحراء ٠

٣٠ ـ ص ١٨٤ تجيب أسرة عربية ٠٠ ومقرهم سرّقطة ٠

الصواب : تجيب قبيلة من كندة لا اسرة وهناك فرق بين الاسرة والقبيلة وسَرَقطة بفتح السين والراء بدون تشديد ٠

٣١ ـ ص ١٨٨ تطوان ٠٠ اسسها أبو ثابت ٠٠ المرّينى ٠ (المرينى بتشديد الراء خطا) ٠

الصواب : بفتح الميم وكسر الراء بدون تشديد ٠ وهذا الخطا تكرر كثيرا فى هذا الكتاب ٠

٣٢ ـ ص ٢٣١ حراء ٠٠ فيه غار كان النبي يتحنث فيه قبل بعثته ، وبات فيه قبل هجرته الى المدينة بصحبه ابو بكر ٠ هذا خطأ فاحش ٠

الصواب : **ان النبي صلى الله عليه وسلم لجا الى غار ثور ليلة الهجرة هو وابو بكر ، ولم يلجأ الى غار حراء ٠**

٣٣ ـ ص ٢٣١ حران مدينة في بلاد ما بين النهرين (العراق) ٠

الصواب : **حران في تركيا لا في العراق ٠**

٣٤ ـ ص ٢٣٢ بنو حرب قبيلة يمنية الاصل استوطنت الحجاز ، انقسمت الى فريقين بني سالم وبني مصروح ٠

الصواب : **بنو حرب قبيلة عدنانية لا يمنية ، وبني مسروح بالسين لا مصروح ، ويوجد عدد من القبائل بهذا الاسم من اليمنية غير هذه ٠**

٣٥ ـ ص ٢٣٣ مولاى الحسن ابو على بن احمد ٠٠ وهو الرابع عشر في بيت الحسن اشراف سجلماسة وهم يلقبون ايضا باشراف فلالى الخ ٠

الصواب : **مولاى الحسن بن محمد لا احمد ٠ وهو السابع عشر لا الرابع عشر ، ولقبهم الاشراف الحسنيين الفيلاليين العلويين ٠**

٣٦ ـ ص ٢٧٤ خارطة لقناة السويس تمتد من بور سعيد الى بور توفيق في خليج العقبة ٠

الصواب : **ان قناة السويس تمتد الى خليج السويس وهو بعيد عن خليج العقبة ٠**

٣٧ ـ ص ٢٨٤ دداح مختار اولد محمدون ٠٠ رئيس جمهورية موريتانيا) ٠ هكذا كتب بالماء في آخره ٠

الصواب : **المختار ولد محمدون بن داده بالهاء في اخره ٠**

٣٨ ـ ص ٤٧٢ عقبة بن نافع ٠٠ ابن اخت عمرو بن العاصي ٠

الصواب : **ابن خالة عمرو بن العاص ٠**

٣٩ ـ ص ٦٧١ صورة ملونة كتب عليها مراكش مركز مولاى ادريس في مراكش، هو من اجل الاماكن المقدسة في المغرب ٠ يكرم فيه ادريس مؤسس المدينة ٠

الصواب : **ان مقام مولاى ادريس بفاس ، وهو مؤسس مدينة فاس لامراكش ٠**

هذه دراسة سريعة للطبعة الجديدة من كتاب المنجد في الاعلام ياخذ القارئ منها فكرة عما فيه من اخطاء وتحريف ٠ ■■

ابراهيم القطان

وصـــية !!

● كان الحطيئة من فحول الشعراء وفصحائهم ، متصرفا في جميع فنون الشعر ، وكان ذا شر وسفه ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغمور النسب ، فاسد الدين .

قيل انه لما حضرته الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : أوص . يا ابا مليكة فقال : قولوا ؟ من الذى يقول :

اذا انبض الرامون عنها ترنمت
ترنم ثكلى اوجعتهـــا الجنائز

قالوا : الشماخ ..

قال : ابلغوا غطفان انه اشعر العرب .

فقالوا : ويحك اهذه وصية ؟ أوص بما ينفعك.

فقال : ابلغوا الانصار ان حسان بن ثابت اشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا : يا ابا مليكة ، دعنا من هذا ، وقل : الك حاجة ؟ فقال : لا والله ، ولكن أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له اهلا .

فقالوا : أوص أيها الرجل ، ما تقول في عبيدك وامائك ؟ قال : هم عبيد ماتعاقب الليل والنهار.

قالوا : فأوص للفقراء بشيء .

قال : اوصيهم بالالحاح في المسألة ، فانها تجارة لا تبور .

قالوا : فما تقول في مالك ؟ ..

قال للانثى من ولدي مثل حظ الذكر .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟

قال : كلوا أموالهم وتزوجوا امهاتهم .

قالوا : هل هناك شيء تعهد فيه غير هذا ؟

قال : نعم . تحملونني على اتان ، وتتركونني حتى أموت فان الكريم لا يموت على فراشه .



نقص فيتامين ا
يؤدى الى امراض جلدية كثيرة

● ظهرت فى وجهى ويدى وظهرى حبيبات صغيرة ، اخبرنى الطبيب انها نتيجة نقص فيتامين ا ، فما هى اعراض نقص هذا الفيتامين فى الجلد ، وهل فى زيادته اى ضرر لو تعاطيته بكثرة ؟

ـ هناك امراض كثيرة ناتجة عن نقص فيتامين ا ودرجة اشتداد المرض تختلف حسب كمية النقص ، وعموما نقص فيتامين ا يؤدى الى اضطرابات فى تكوين الجلد وتكثفه وتكون الاصابة به عبارة عن حبيبات مختلفة الاحجام منتشرة على الأطراف والكتف والظهر والالية ثم الوجه وخلف الرقبة . ويبدا اولا الجلد فى الجفاف ، ويصبح خشن الملمس ، ثم تظهر فوقه حبيبات ، واخيرا يزداد سمك الجلد ، وهذه الحبيبات تظهر على شكل حبيبات جافة يابسة ذات صبغة خفيفة وتكون نصف كروية او قمحية وعندما تكون على الوجه فانها تشبه الى حد ما حب الشباب ، ولكنه يختلف فى كون الجلد جافا ولا تظهر به تقيحات ، وكذلك يؤثر على اللسان والشفة فيزداد احمرار اللسان وتتشقق جوانب الفم .

كما أن نقص فيتامين ا يقلل مناعة الجلد فيصبح عرضة للاصابة بالتقيحات والفطريات . اما تاثيره على الشعر والأظافر فتاثير خفيف ، وقد يؤدي نقصه الى خطوط وأخاديد عرضية فى الاظافر ، الا انه مهم فى نمو الشعر الطبيعى .

ويجب عدم الاكثار فى تعاطى فيتامين ا بدون حساب ، وبدون داع حيث أن زيادة فيتامين ا فى الجسم يسبب امراضا جلدية تشبه الى حد ما اعراض نقصه ، وعادة تنشا هذه الزيادة فى الاطفال عند تعاطيهم كميات كبيرة من الفيتامينات لتقويتهم ، ويؤدى الى زيادة الصبغة فى الوجه والرقبة فتشبه كلف الحمل ، كما يحدث بعض الحكاك الخفيف ، وجفاف الشفة وتشققها ، كما أن زيادته تؤدي الى جفاف وسقوط الشعر والحواجب وتقصف الاظافر . وتعرف كمية نقص او زيادة فيتامين ا فى الجسم بواسطة تقدير نسبته فى الدم ، فالنسبة الطبيعية هى ١٠٠ وحدة فى كل ١٠٠ سم من الدم .



هل يتعارض الاسبرين مع الادوية الاخرى ؟ وهل يضعف الاسبرين القلب ؟

● **هل هناك خطورة من استعمال الاسبرين مع الأدوية الاخرى الخاصة بقرحة المعدة ؟**

— يعتبر الاسبرين ومركبات الساليسلات — بحق — من اهم العقاقير التى اكتشفت فى تاريخ الطب الحديث · اذ ان مجالات استعماله واسعة يعرفها العالم والجاهل · ولكن ·· لا بد من الأخذ بعين الاعتبار ان العقاقير جميعها لا تخلو من مخاطر · والاسبرين لا يشذ عن هذه القاعدة ، وخاصة اذا اعطى مع ادوية اخرى مثل مركبات الكورتيزون او العقاقير المسيلة لتجلط الدم ، فمثلا نرى كثيرا من المرضى يتعاطون علاجا طويل الأجل لأمراض مزمنة اذكر منها الصرع — الربو — قرحة المعدة والاثنى عشر — تخثر الأوردة — ارتفاع ضغط الدم · وغالبا ما يلجأ هؤلاء المرضى — بين الفينة والفينة — الى مركبات الساليسلات لتخفيف صداع طارىء او نزلة برد · وفى معظم الأحوال تمر الأمور بسلام · غير انه لا بد من التحذير من ان الاسبرين قد يسبب حساسية فى المعدة او فى الجلد ، كما انه قد يدمى المعدة ادماء خفيا ويتسبب فى احداث حالة فقر الدم نظرا لما يفقده الانسان من جزء من دمه خلال فترة استعمال الاسبرين · ونادرا ما تسبب مركبات الساليسلات نزيفا ظاهرا فى القناة الهضمية · ان احتمال حدوث هذه المضاعفات يزداد مع تعاطى الادوية الاخرى كتلك التى ذكرتها آنفا · اى ان الاسبرين قد يتفاعل مع العقاقير الاخرى فى غير صالح المريض محدثا اعراضا غير مرغوب فيها ، وان كان ذلك من الامور النادرة · اريد ان اقول لهؤلاء المرضى ان يستشيروا اطباءهم قبل الاقدام على تناول اقل العقاقير خطورة بالاضافة الى ادويتهم وان كان ذلك العقار اسبرينا ·

مرض البول السكرى

● **انا شاب فى الثلاثين من عمرى اصبت منذ عامين بمرض البول السكرى ، وارغب فى الزواج ، فماذا تنصحوننى ، وهل انجب اطفالا ؟ وهل سيصابون بمرضى هذا ؟؟**

— ان مرض البول السكرى واسع الانتشار فى جميع انحاء العالم ، وربما وصلت نسبته الى ٢٪ من مجموع السكان فى كثير من الامم ، ولقد كان المرض فى الماضى داء وبيلا لا علاج له ولكن بعد اكتشاف مادة الانسولين «الحارقة للسكريات» وكذلك العقاقير الاخرى التى تنظم عملية تحويل المواد الغذائية داخل الجسم وخاصة فى الكبد ، اصبح فى مقدور الانسان المصاب بداء البول السكرى ان يعيش حياة طبيعية سوية يعمل ويتزوج وينجب اطفالا



واخيرا اود بأن أؤكـد بأن الاسبرين لا يضر القلب ولا يضعفه،حتى وان اعطى بكميات كبيرة بشرط ان يخضع المريض لاشراف طبى مباشر ٠

لا يمنع من الزواج

مثله مثل سائر الناس ولكن يجب ان اوجه اليه النصائح التالية : ـ (١) ان لا تكون شريكة حياتك مصابة بهذا المرض او ان يكون المرض فى اسرتها ، ويستحسن ان لا تكون قريبة لك ، حتى تقل فرصة اصابة انجالك بالمرض الى الحد الادنى ٠ (٢) ان تواظب مدى حياتك على استعمال العقاقير الطبيـة تحت اشراف الطبيب المختص ، والتزام التعليمات الغذائية وان تسارع الى استشارته اذا لاحظت اعراضا جديدة ٠ (٣) كما اشترط عليك ان تحافظ على وزن جسمك فى المستوى الامثل بالنسبة لطولك وسنك وبنيتك ٠

وعلى ذلك فانى اقول لك تزوج واهنأ بالا وعش حياة منتجة سعيدة ٠

التهاب الكبد الوبائى والمشروبات الكحولية

● انا رجل اعمال فى الاربعين من عمرى ، مرضت بالصفراء وما يسمى بالتهاب الكبد الوبائى او المعدى وذلك منذ ثلاثة اشهر ، وشفيت تماما ، ونظـرا لظـروفى الاجتماعيـة فانى اضطر الى المشـاركة فى تناول بعض من المشروبات الروحية ٠

فهل يؤثر ذلك على كبدى ؟؟

ـ من المعروف طبيا ان المريض بالتهاب الكبد الوبائى الحاد يتماثل للشفاء تماما فى ٩٠٪ من الحالات ٠ ويستمر المرض فى صـورة مزمنة عند نسـبة قليلة من المرضى واقل من ذلك من ينشط المرض معهم الى درجة التليف الكبدى ٠ غير ان الحالات التى يتم فيهـا الشفاء ظاهريا (اى بدون اعراض مرضية) فانه من المستحسن ان يبتعـد الانسان فى فتـرة النقاهة عن اية مؤثرات ضارة بالكبد ومن اولها المشروبات الكحولية لفترة لا تقل عن عام كامل مع التزامه بالراحة البدنية والنفسية وتعاطى السكريات والنشويات مع الاقلال من الدهنيات والاقلال مـن تعاطى العقاقير بصفة عامة الا بأمر الطبيب المختص ٠

وعلى ذلك فانى انصح السائل الكريم بأن يتجنب تناول المشروبات الروحية لمدة عام منذ تاريخ شفائه ٠ والافضل ان يقلع نهائيا عن الشرب حتى ولو بكميات قليلة ، وعلى فترات متباعدة لما ينطوى ذلك مـن خطورة على كبده التى قد لا تتحمل تأثيرا ضارا كذلك الذى يحدث عادة للكبد من تأثير تلك المشروبات ولا تجامل الناس على حساب صحتك فحياتك أولى ٠

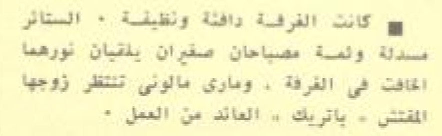
جَرِيمَة أَخطأها العِقاب



للكاتب الانجليزي : رولد داهل

ترجمة : محمد زاهد أبو غدة





■ كانت الغرفة دافئة ونظيفة . الستائر مسدلة وثمة مصباحان صغيران يلقيان نورهما الخافت في الغرفة ، وماري مالوني تنتظر زوجها المفتش « باتريك » العائد من العمل .

كانت ماري بين الحين والآخر تلقي بنظرة الى الساعة ، ولكن بدون قلب .. كان شعورها ان كل دقيقة تمر ستعجل عودته القريب .

كان كلشيء حولها يبتسم .. فقد كانت حاملا في شهرها السادس ، واصبح رأسها يتعب عندما تنحني فوق آلة الحياكة ، وان كانت قد اكتسبت بشرتها ذلك اللون المميز للحوامل .

وعندما اشارت الساعة الى الخامسة الا عشرا بدأت تنصت.وبعد لحظات سمعت صوت الاطارات على الحصى ، ثم باب السيارة وهو ينطبق .. خطوات عبر النافذة ، مفتاح يدور في القفل ..

وضعت الثوب الذي كانت تخيطه جانبا ، وتقدمت ، وعندما دخل قبلته ، وتناولت منه معطفه ، لتعلقه على المشجب . ثم مشت تعد الشراب .. كاس قوية له ، واخرى خفيفة لها ، ثم عادت الى كرسيها حين جلس هو ازاءها ، حاملا الكاس الطويلة بكلتا يديه ، مقلبا قطع الثلج من طرف الى اخر ..

كانت هذه اللحظات مباركة بالنسبة لها .. كان يجلس صامتا حتى انتهاء الكاس الاولى ، وكانت من جانبها مستعدة لتجلس هادئة تستمتع بصحبته بعد ساعات الوحدة الطويلة في المنزل الخالي .. كانت تشعر باشعاعه الدافيء من حولها ، كما يشعر المستمتع على الشاطيء بحرارة الشمس ..

كانت تحبه .. تحب جلسته في تراخ فوق كرسيه .. طريقته في الدخول من الباب .. مشيته ببطء عبر الغرفة .. نظراته الوادعة المتسائلة وهي تستقر عليها ..

وسألته : « متعب يا عزيزي ؟ »

فاجاب « نعم . انا متعب »

ثم تجرع كاسه دفعة واحدة على غير عادته .. كانت كاسه لم تزل حتى نصفها .. على الاقل نصفها !

لم تنظر اليه ، ولكنها سمعت قطع الثلج وهي تقرقع في الكاس الفارغة عندما انزل ذراعه .. سكت لحظة ، ثم انحنى لينهض ، ومشى ببطء ليحضر كاسا اخرى .

وقالت وهي تقفز : استرح ساحضرها لك ، واجابها بلهجة آمرة « اجلس » ولكن عندما عاد لاحظت ان لون الكاس الجديدة كان مثل العنبر القاتم ..



راقبته وهو يتجرع الشراب الداكن وقالت : « انه لامر مخجل ان يجعلوا رجلا في مثل مرتبتك يمشي على قدميه طوال اليوم ..

ولم يجبها . فثنت رقبتها وعادت الى الحياكة، ولكن كلما رفع الكاس الى شفتيه كانت قطع الثلج تصطدم بطرف الكاس .. وسالته : « ما رايك في شيء من الجبن . لم اعد العشاء اليوم لانه الثلاثاء » .

واجاب بنفس اللهجة « لا اريد » .

ولم تنهزم . فاستانفت حديثها : « لذا كنت متعبا . ولا تريد ان تاكل في الخارج . فما يزال هناك متسع من الوقت . هناك الكثير من اللحم والطعام في الثلاجة . ساعد لك الطعام لتتناوله دون ان تغادر كرسيك .. »

كانت تنتظر الجواب بسمة . او ايماءة . ولكن ما من جواب .. فاستمرت : « على اية حال ساتيك ببعض الخبز والجبن اولا »

وكان الجواب : لا اريد !

وتململت في كرسيها .. عيناها الواسعتان تغطيان وجهه : « ولكن يجب ان تاكل ..استطيع ان اعد الطعام بسهولة .. بامكاننا ان ناكل لحما مفروما او شواء .. اي شيء تحب .. كل شيء موجود في الثلاجة .. »

« لا اريد ! »

« ولكن يجب ان تاكل . على كل حال ساضع الطعام ولك ان تاكل او لا تاكل .. كما تحب »

ثم وقفت ووضعت الثوب على المنضدة قرب المصباح . فقال لها : « اجلسي .. فقط دقيقة.. اجلسي .. »

منذ تلك اللحظة بدات تشعر بالخوف . وعادت الى كرسيها ببطء . مراقبة اياه طول الوقت بعينيها الواسعتين المذهولتين . كان قد انهى كاسه الثانية وجلس يحدق في الكاس الفارغة .

« اريد ان اتحدث اليك في امر هام »

وجلس بدون حراك .. كان الضوء الخافت يمر على وجهه . تاركا فمه وذقنه ضمن منطقة الظل .. كان شبه ارتجاف قرب زاوية عينه اليسرى ..

« سيكون الامر صدمة لك .. ولقد فكرت في ذلك كثيرا . ووجدت ان اول شيء يجب فعله هو اخبارك . وارجو الا تلوميني كثيرا »

واخبرها . لم يستغرق ذلك اربع او خمس دقائق على الاكثر . كانت خلالها جالسة بهدوء . تراقبه بشيء من الخوف والذعر عندما كان يبتعد عنها اكثر فاكثر مع كل كلمة ..

« هذه هي القضية .. ادرك ان وقعها عليك سيكون سيئا . ولكن لا يوجد حل آخر .. بالطبع ساتكفل بمصاريفك وسارى انك تعيشين في راحة تامة..لا داعي لاثارة الضجة باي حالمن الاحوال فذلك لا يكون له اثر طيب بالنسبة لعملي .. »

كان رد فعلها الاول هو انها لا تصدق اي شيء .. ان ترفض كل شيء قاله . وخطر لها انه ربما لم يتكلم هو اي شيء . وانها هي التي تخيلت كل ما قاله .. ربما لو قامت واستمرت في عملها . وكانها لم تستمع الى شيء مما قاله، فانها ـ فيما بعد . عندما تفيق من صدمتها ـ ستجد كل شيء على ما يرام ..

وقالت فيما يشبه الهمس :«ساعد الطعام ..»

ولم يعترضها في هذه المرة . وعندما مشت في الغرفة لم تستطع الاحساس بالارض التي

تحتها . لم تكن تحس بشيء على الاطلاق سوى قشعريرة خفيفة ورغبة في التقيؤ

كان كل شيء اليا ٠٠ نزلت الدرج الى المطبخ ٠٠ اشعلت النور ،وفتحت الثلاجة ، واحست بالبرودة العميقة ٠٠ مدت يدها داخل الثلاجة ، وامسكت اول ما وقعت عليه يدها ، اخرجته ونظرت اليه ، لم لفته في قطعة ورق ٠٠ نزعت الورقة ونظرت اليه ثانية ٠٠ فخذ ضان !

حسنا سياكلون الضان على الغذاء ، ورفعته حاملة اياه من العظمة الرفيعة بكلتا يديها ، ودخلت غرفة الجلوس حيث كان يقف عند النافذة معطيا ظهره لها ٠٠ توقفت ٠٠ وقال : «بحق السماء ٠٠ لا اريد طعاما لاجلي ٠٠ ساخرج الان ! »

عند هذه النقطة ، مشت ماري ببساطة ،ووقفت وراءه ، وبدون اي تردد رفعت فخذ الضان الكبيرة المتجمدة عاليا في الهواء ثم هوت بها باقوى ما تستطيع على مؤخرة راسه ٠٠

وخطت خطوة الى الوراء تنتظر ٠٠ كان المنظر مضحكا فقد بقي واقفا لعدة ثوان ، ثم انهار بخفة مصطدما بالارض دون حراك ٠٠ وساعدها صوت الاصطدام ، والضجة ، والمنضدة التي انقلبت ، على الخروج من تاثير الصدمة ٠٠ واستعادت نفسها ببطء شاعرة بالبرود والدهشة ٠٠ وبقيت لحظة هكذا تحدق في الجسد حاملة قطعة اللحم بكلتا يديها ٠ وقالت لنفسها : حسنا ٠٠ وهكذا قتلته !

اصبح الامر عجيبا الان ، فقد اصبح ذهنها صافيا ، وبدات تفكر بسرعة كبيرة ٠٠ انها زوجة لمفتش مباحث فكانت تعلم تماما العقوبة التي تنتظرها ، ولكن هذا لا يعني شيئا بالنسبة لها ٠٠ في الحقيقة ستكون العقوبة راحة ٠٠

ولكن ماذا عن الطفل ٠ ؟ ما هي القوانين المتعلقة بالقاتلات في اثناء الحمل ٠٠ هل يعدمون الام والطفل معا ؟ ام ينتظرون حتى الشهر التاسع ؟ ! ٠ ماذا يفعلون ؟ !

لم تكن ماري تعلم ، وفي كلتا الحالين لم تكن لتقبل المجازفة ، حملت اللحم الى المطبخ ،وضعته في المقلاة ، اشعلت الفرن بحرارة عالية ٠ ثم ادخلتها فيه ، ثم غسلت يديها ، وصعدت الى غرفة النوم ، حيث جلست امام المراة ، مسحت

وجهها ، وزينت شفتيها ووجهها ، ثم حاولت ان تبتسم ٠٠ كانت ابتسامتها غريبة نوعا ٠٠ حاولت ثانية ، ثم قالت بصوت مسموع وهي تبتسم : مساء الخير سام ـ وبدا لها الصوت غريبا هو الاخر ـ اريد بعض الخضراوات وعلبة بازلاء ايضا ٠

ذلك سيكون احسن ٠٠ كانت ابتسامتها وصوتها احسن من ذي قبل ، وكررت ذلك عدة مرات حتى اتقنته ، ثم اسرعت الى الباب حاملة معطفها ، ذاهبة خلال الحديقة الى الشارع ٠

لم تكن الساعة قد بلغت السادسة ، ولم تزل الانوار مشتعلة في البقالة ٠٠

« مساء الخير سام ٠٠ اريد بعض الخضراوات وعلبة بازلاء ايضا .

فاجاب : « مساء الخير ٠٠ كيف الحال مسز مالوني » واستدار الرجل ليحضر من الرف الذي خلفه علبة البازلاء ٠٠

ان باتريك متعب ، وقررنا ان لا نتعشى اليوم في الخارج ٠٠ ولكن لا خضراوات في البيت ٠ !

« واللحم ، يا سيدة مالوني ؟ »

: شكرا ٠ لدينا لحم ٠٠ لدينا فخذ ضان رائعة اخرجتها ، من الثلاجة ٠ انا لا احب طهي اللحم من الثلاجة ولكن ساجرب هذه المرة ٠ هل تعتقد انه سيكون جيدا ؟

اجاب البقال : « انا لا اعتقد شخصيا بوجود فرق ٠٠ هل تريدين بطاطس ؟ »

: نعم ٠٠ علبتين اذا سمحت ٠

« هل تبقى شيء ؟ » هكذا تساءل البقال وهو يميل براسه ناظرا اليها « وماذا ستقدمين له بعد الطعام ؟ »

: اه ٠٠ وماذا تقترح ؟

ونظر الرجل حوله في المحل ثم قال : « ما رايك بكعكة الجبن ٠٠ اظنه يحبها ؟ »

واجابت : تماما انها مناسبة ٠

وعندما اخذت الاكياس وحاسبته وضعت على وجهها افضل ابتسامة لديها ، وقالت « شكرا ٠٠ مساء الخير » كانت تسرع عائدة وهي تحدث نفسها ٠٠ كل ماعلي ان افعله هو ان اعود الى المنزل حيث ينتظر باتريك الطعام ٠٠ على ان

اطهيه جيدا . ليصبح لذيذ المذاق فباتريك متعب .. اما اذا دخلت المنزل ، وحدث ان رأيت شيئا غير عادى .. ماساويا .. فسيكون ذلك صدمة ، وستصابين بالذعر والهلع .. ولكن : ما الذى سيحدث ؟ لاشيء ..لاشيء ..سيقولون.. كانت ذاهبة الى بيتها حاملة الخضراوات .. السيدة مالونى تذهب الى منزلها لتعد الطعام لزوجها في مساء الثلاثاء .

قالت لنفسها : هذه هى الطريقة . تصرفى وكان كل شيء طبيعى . ولن يكون هنالك داع للتمثيل على الاطلاق .

وعندما دخلت المطبخ من الباب الخلفى كانت تدندن لحنا خفيفا ، وتبتسم ، ونادت : باتريك . كيف انت ياعزيزى ؟

وضعت الأشياء على المنضدة ، ومضت الى غرفة الجلوس ، وعندما رأته ملقى على الارض ، مثنى الركبتين ، واحدى يديه ملوية تحت بدنه ، كان ذلك فعلا صدمة لها .. كان الحب القديم والشوق ينبعان فى داخلها ، وجرت نحوه ، ثم ركعت بجانبه باكية .. كان ذلك سهلا .. لم يكن التمثيل ضروريا !

وبعد دقائق نهضت وذهبت نحو الهاتف .. كانت تعرف رقم الشرطة ، وعندما اجابها الصوت على الطرف الاخر صرخت : بسرعة تعالوا بسرعة .. باتريك ميت ..

« من يتحدث ؟ » السيدة مالونى .. السيدة باتريك مالونى ..

« باتريك مالونى ميت !؟ »

واجابت وهى تنتحب : اظن كذلك .. انه مرمى على الارض ، واظنه قد مات ..

ووصلت السيارة بسرعة ، وعندما فتحت الباب دخل رجلا شرطة تعرفهما جيدا — فهى تعرف تقريبا كل الرجال فى المنطقة .. كانت تنتحب هستيرية ، واجلسها جاك فى كرسى ، ثم انضم الى الرجل الاخر الذى انحنى بجانب الجثة ..

وصرخت : هل مات ؟

« اخشى ان يكون كذلك . ماذا حدث ؟ » .

وباختصار روت لهم القصة منذ ان ذهبت الى البقال حتى عودتها لتجده على الارض ..

بعد ذلك بدأ رجال اخرون يفدون الى المنزل.. اولا جاء . الطبيب ، ثم ضابطا مباحث تعرف اسم احدهما ، ثم مصور الشرطة ثم خبير البصمات .. كان هناك الكثير من الهمس والجدل بجانب الجثة ، ومع ان الضابطين امطراها بالاسئلة ، الا انهما بقيا يعاملانها بلطف .. وقصت عليهم القصة ثانية . هذه المرة منذ البداية .. منذ ان دخل باتريك المنزل .. كانت هى تخيط ، وكان هو متعبا فلم يرغب فى الخروج للعشاء .. اخبرتهم كيف وضعت اللحم فى الفرن : انه مايزال هناك.. وكيف ذهبت الى البقالة لشراء الخضراوات ، ثم عادت لتجده ملقى على الارض .

وسألها احدهم « اى بقالة ؟ » . واخبرته . واستدار ليهمس شيئا للرجل الآخر الذى خرج حالا الى الشارع ..

وعاد الآخر بعد ربع ساعة مع صفحة من الملاحظات .. كان هنالك الكثير من الهمس ، وخلال نحيبها سمعت بعض المقاطع من الهمس .. « تصرفت بشكل طبيعى تماما .. كانت منشرحة جدا .. تريد ان تقدم له طعاما جيدا .. بازلاء .. كعكة بالجبن .. مستحيل ان تكون .. » .

بعد قليل ذهب المصور والطبيب . وجاء رجلان وحملا الجثة على نقالة ،ثم انصرف خبير البصمات وبقى الضابطان ورجلا الشرطة .

كانوا لطيفين بشكل غير عادى معها .. وسألها جاك عما اذا كانت ترغب فى الذهاب الى مكان اخر .. ربما منزل شقيقتها او عند زوجته لتعتنى بها وتخفف عنها ..

واجابته بالرفض ، فهى تشعر انها لاتستطيع التحرك هذه اللحظة.وترجو الا تضايقهم بجلوسها حيثما هى الى أن تشعر بالتحسن . وتساءل اذا لم يكن من المستحسن ان تذهب وتنام واجابت بانها ترغب فى البقاء هكذا وفى هذا الكرسى .. ربما فيما بعد ..

وهكذا تركوها وانصرفوا ليفتشوا المنزل .. كان احد الضابطين يمر ليسالها سؤالا .. وكان جاك يغمرها بكلمات رقيقة كلما مر .. اخبرها ان زوجها قد قتل من جراء ضربة خلفية باداة ثقيلة .. على الارجح قطعة معدنية كبيرة ، وهم الان يبحثون عن هذه الاداة .. ربما اخذها القاتل، ولكن ربما رماها . او خباها فى مكان ما .. قال

جاك » انها نفس القصة القديمة ... الاداة ثم المجرم » .

وفيما بعد ، جاء احد الضابطين وسألها عما اذا كانت تعلم بوجود شيء في المنزل قد يستخدم كاداة للجريمة ، واذا كان بمقدورها البحث ، لترى ما اذا فقد شيء كهذا : مفتاح صواميل ضخم .. او مزهرية معدنية قديمة ..

واجابت انه لايوجد لديها اية مزهرية معدنية ثقيلة او مفتاح صواميل ضخم .. لا تظن انه يوجد لديهما ذلك ، ولكن اشياء كهذه ربما توجد في الجاراج .

واستمر البحث . كان تشعر بوجود رجال اخرين في الحديقة ، وحول المنزل . كانت تسمع وقع اقدامهم ، واحيانا تلمح وميض كشافاتهم خلال الستائر .

واصبح الوقت متاخرا ، فالساعة المعلقة على الجدار تشير الى التاسعة ، وبدا الرجال الاربعة متعبين مرهقين ، وعندما مر جاك في المرة التالية قالت له : اذا سمحت ... أرجو شيئا من الشراب .

واسرع ليناولها الكاس وقالت : لماذا لاتشرب شيئا .. انت متعب للغاية .. ارجوك . لقد فعلتم مافي وسعكم ..

« رغم انه ممنوع .الا ان قليلا منه سيساعدني على العمل » ..

وجاءاو واحدا تلو الاخر ، مستجيبين لاغراء الشراب ووقفوا حولها ، والشراب في ايديهم يحاولون ان يسروا عنها ..

ذهب جاك الى المطبخ ، ثم عاد بسرعة قائلا « انظري سيدة مالوني ، الفرن ، لايزال مشتعلا ، واللحم بداخله » وقالت بنهجة المستدرك : اه لقد نسيته حقا .. من الافضل ان اطفئه اليس كذلك :

نعم من فضلك .. شكرا جزيلا ..

وعندما عاد للمرة الثانية نظرت اليه بعينيها الكبيرتين المغرورقتين بالدموع وقالت : « جاك . هل لك ان تسدى الى معروفا .. انت والاخرين .. » .

« سنحاول مافي وسعنا » .

حسنا .. انتم جميعا الاصدقاء الاعزاء لباتريك تحاولون القبض على الرجل الذى قتله . ولا بد ان تكونوا جائعين تماما الآن ، لانه قد مضى وقت طويل على موعد الطعام . وباتريك ـ فليرحمه الله ـ لن يسامحني ابدا اذا انا ابقيتكم في هذا المنزل دون ان اقوم بواجب الضيافة . لماذا لا تاكلون تلك الفخذ في الفرن ، ستكون الان قد نضجت ! » .

اجاب احدهم « لا تحلمي بذلك » .

ارجوكم .. ارجوكم كلوه .. انا شخصيا لااستطيع لمس اى شيء ، خاصة الاشياء التى كانت في البيت عندما كان هنا .. ولكن الامر ليس كذلك بالنسبة لكم وسيكون لطيفا منكم ان تاكلوا ثم تستانفوا عملكم فيما بعد ..

كان هنالك قدر كبير من التردد بين الاربعة ولكن كان من الواضح انهم جائعون فقد انتهى المطاف بهم في المطبخ بينما بقيت المراة في مكانها تستمع اليهم عبر الباب المفتوح ..كانت اصواتهم غليظة لان افواههم ملأى باللحم ..

« اترغب في المزيد يا شارلي » .

« لا . من الافضل ان نبقي لها شيئا » .

« انها ترغب في ان نقضي عليها .. هكذا قالت .. » .

« حسنا .. اعطني تلك القطعة » .

« لابد ان يكون القضيب كبيرا جدا .. باتريك المسكين .. قال الدكتور ان جمجمته تحطمت الى قطع وكانها وقعت تحت مطرقة حداد .. » .

« هذا هو السبب في ان العثور على الاداة سيكون سهلا .. » .

« هذه نظريتي حول القضية .. » .

« مهما كان فلن يذهب القاتل حاملا شيئا كهذا معه الى مسافة بعيدة » .

وتجشا واحد منهم ثم قال : « شخصيا اعتقد انها هنا في حدود المنزل .. ربما تكون اقرب مما نتصور ... تحت انوفنا تماما كما يقول المثل .. مارايك يا جاك ؟ » .

وفي الغرفة الثانية كانت مارى مالوني تقهقه بصمت ! ■■

محمد زاهد أبو غدة ـ الرياض

مِنَ المسرح العَالَمِىّ

سِلْسِلَة ثقافيّة

تصدرها فى مطلع كل شهر

وَزارَة الإعْلام فى الكوَيْت

أول آغسطس ١٩٧٤

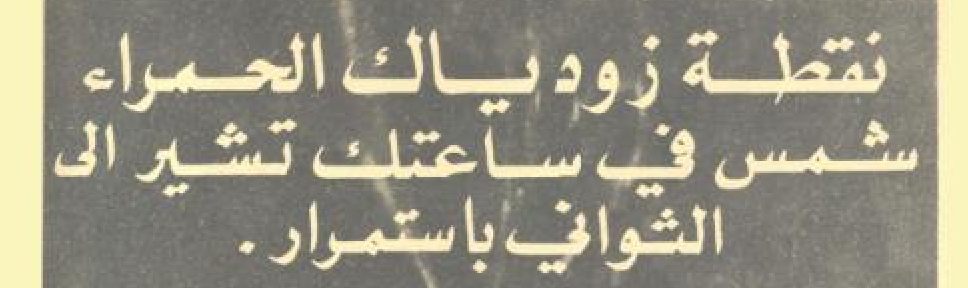
٢/٥٩

من الأعمال المختارة

موليير - ٢

- سجانا ريل
- المتحذلقات المضحكات
- مدرسة الأزواج
- الطبيب الطائر
- غيرة الباربوييه

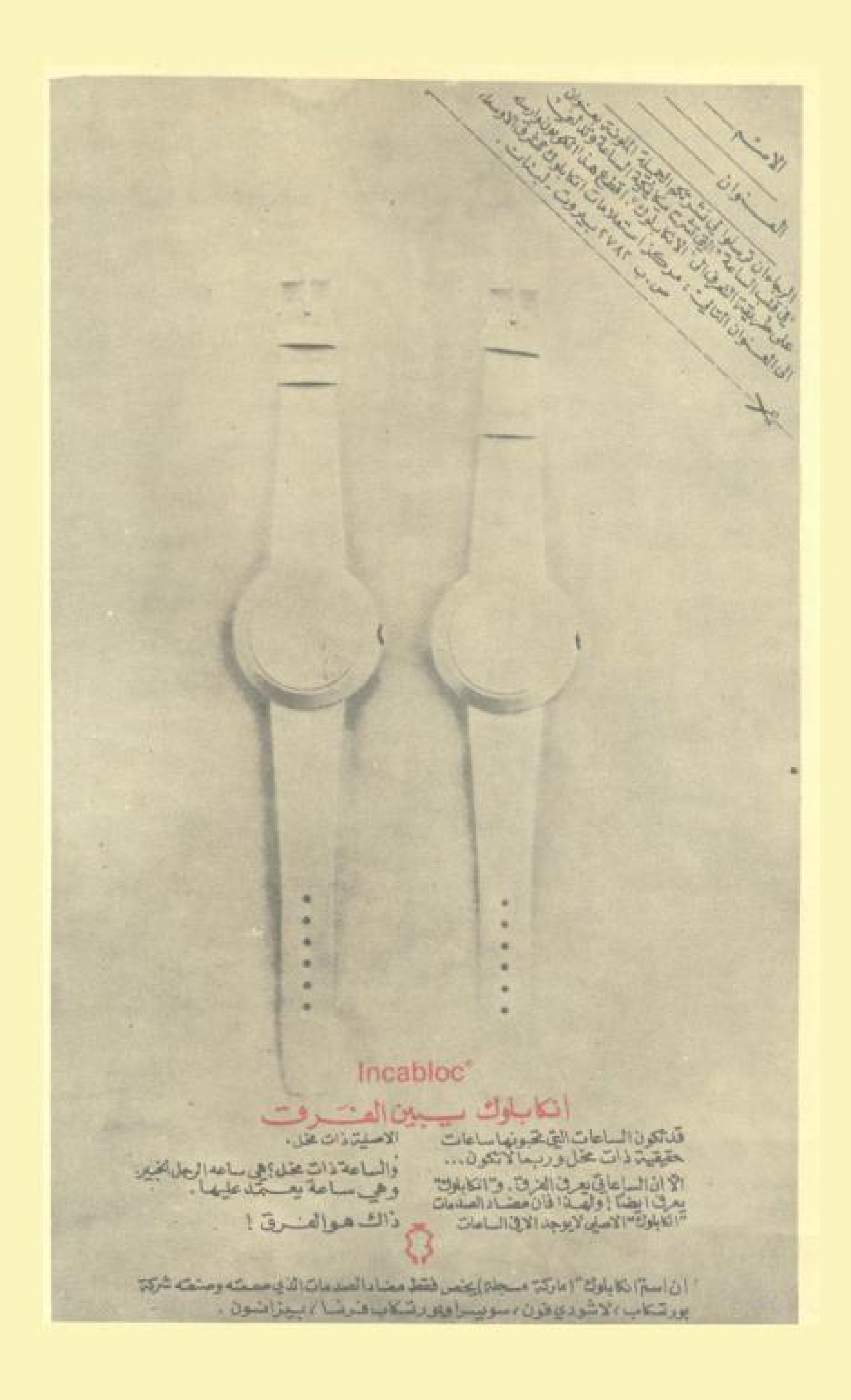
ترجمة وتقديم: د. محمد م. القصاص



زودياك استروغرافيك طريقة جديدة لتحديد الوقت .
بهجة اوفر ومتعة اكبر وتوقيت ادق .
انها في حدود الاسطورة الخارقة ، ساعة الدقة .
ساعة الرجال تنبض ٣٦٠٠٠ هزة في الساعة .
اوتوماتيكية ، روزنامة للمرأة وللرجل :
ساعة استروغرافيك من زودياك



اينما كنتم اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



الاسم
العنوان
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت - لبنان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات محل وربما لا تكون...
الآن الساعاتي يعرف الفرق. و"انكابلوك"
يعرف أيضاً! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات محل.
والساعة ذات محل؟ هي ساعة الرجل الخبير
وهي ساعة يعتمد عليها.
ذلك هو الفرق!
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة
بورتسكاب / لاشو دي فون / سويسرا وبورتسكاب فرنسا / بيزانسون.



الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الرقة.
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠٣
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGUET
la plus prestigieuse des signatures

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة اندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والقصدير والنيكل تنتظر من يستثمرها؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية؟ أو عن آثار الثورة الزراعية.

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري في نطاق الخليج؟ أو أن يخبركم عن تكامل الاسواق المالية؟ أو أن يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة، حتى أن اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث. انهم يدركون ما يترتب الى احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكنكم اتباعها.

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم.

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى، او في اي مكان آخر، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا.

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في: اندونيسيا، تايوان، تايلاند، سنغافورة، غوام، فيتنام، كوريا، ماليزيا، الهند، اليابان.

مؤسسات مشاركة:

استراليا - تشيس - ن. ب. أ. غروب ليمتد.

نيوزيلنده - تشيس - ن. ب. أ. نيوزيلند غروب ليمتد.

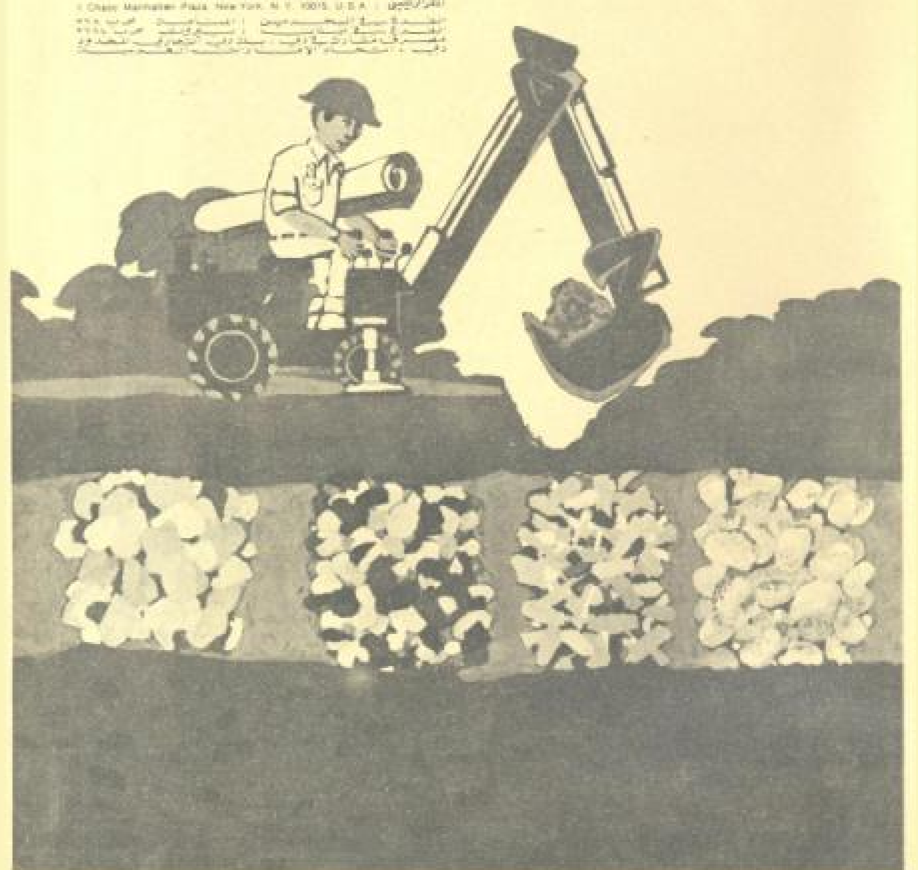
ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي: 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.





عندما تنظر
إلى الأفضل..
أنظر الى ساعات
وست اند
WEST END WATCH Co
W
..وعندما
تفكر بهدية تقدمها
لمن تحب فـ:
وست إند أفضل ما تقدم
يعقوب يوسف بهبهاني الكويت
الوكيل العام في الكويت

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو
رمز الجودة



A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

ألم يحن الوقت الذى تبدأون فيه مشاهدة التلفزيون بالألوان الطبيعيّة المثيرة؟



الموديل CTP 3401

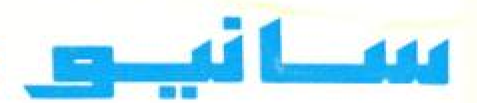
تلفزيون ملوّن نقال

١٤ بوصة ... يتألق في صورته الواضحة بجلاء ويعطيكم ألوان البشرة باتقان تام.
جميع الدوائر من الترانزستور مع صمام رئيسي مصمم حديثاً للشاشة السوداء. يعمل على كافة القنوات فوق العالية/والعالية جداً. يسهل نقله بين الغرف (الوزن يقل عن ٤٠ رطل) ويتوفر في صندوق من خشب الجوز الفاخر.

الموديل CTP 437 CTP 5401

تلفزيون ملوّن

١٨ بوصة مع جهاز التنغيم VARACTOR
جميع الدوائر من الترانزستور للعمل مع القنوات فوق العالية/والعالية جداً، الوان طبيعية متألقة على صمام الشاشة السوداء مع زاوية انحراف بمقدار ١١٠ درجات. يضم مفاتيح VARACTOR للتنغيم الفوري بالزر الضاغط، مع أجهزة تحكم ازرارية قاعدة جميلة للدوران وصندوق جذاب من خشب الجوز.







العدد ١٩٠
شعبان ١٣٩٤
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧٤

الاسماك .. ثروة هائلة فى بحيرة ناصر

جوائز
١٢٠٠
دينار سنوياً

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريال ق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلوس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٥ر٢ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



عزيزي القارئ

الحريـــة ! !

سألت الصيدلاني عن ثمن دواء ، قال المائة حبة بدينار ٠ قلت كيف هـذا ، والكيلو منهذا الملح لايزيد على دينار !؟ وفي النقاش انتهى بقـوله انالتجارة هنا حرة ، ونحن التجار فيما نشتريه او نبيعه احرار ٠

وتركته ٠ ورحت اصنف الحرية فوجدتها صنوفا شتى :

× حريـة ان تسير في الناس بوجه ابيض ، او أسود ، او اسمر ، او اصفر ٠

× حرية ان تقول لااله!او تقول لااله الا الله ٠

× حرية ان تقـول انأباك آدم ، أو أن أباك قـرد !

× حرية ان تسرق مالالناس ماقدرت عليه ، والحياة عندك جهاد ٠

× حريـة ان تسرق عفاف النساء ، وتتخذ للفسق من الحب ذريعة ٠

× حريـة ان تضرب القـوم الضعفاء ، بحكم ماوهبك الله من قوة الأقوياء ٠

× حريـة ان تخدع وتسلب اهل الغباء ، بحكم ماحباك الله به من ذكاء ٠

× حريـة ان تستغـلالاغنياءلتصلح من حالالفقراء٠

× حريـة ان تستغـلالفقراء ، لتزيد الاغنياء ثراء ٠

انك تسميأي شيء تشاء ، باسم الحرية ،**فيطيب عند الناس سماعه ، ويحلّ عند الناس حرامه ٠**

المحـــرر

● الأرنب ، وهو صنوف ، والأرنب الوحشي احدها ، وهو كبير الحجم ، كثير الوزن ، يسكن الأدغال ٠ ثم الأرنب الأنيس ٠ وهو في البيوت ، وهو اصـغر حجما من الوحشي ٠ واصـله وحشي ثم استـأنس ٠ وانثاه تلد في العام ٥ مرات او ستا ، وتلد في كل مرة من ٤ الى ١٥ ارنبا ٠ وفي الصورة الأرنب المستأنس ٠

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 190 SEPTEMBER 1974 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

في مياه بحيرة ناصر ، تكمن ثروة سمكية هائلة لم يستغل منها حتى الآن اكثر من ١٪ بمعدل يتراوح بين ٢٥ و ٢٨ طنا يوميا ٠٠
وتجرى الآن دراسات لمضاعفة انتاج البحيرة من الاسماك عن طريق الاستعانة بالاساليب العلمية الحديثة ، وتطوير وسائل النقل والتسويق ٠٠ ان كمية الأسماك فى هذه البحيرة تكاد تكفى سكان مصر كلها ٠
(انظر الاستطلاع ص ٨٤)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ٠ البحرين ٢٠٠ فلس بحريني،العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، ٠ لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠فلس ٠ السعودية ٢ ريال ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج ٠ م ٠ ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٠٠ مليم ٠ الجزائر ٢ دينار جزائرى ٠ المغرب ٢ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى ٠ وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باتدونج ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب ٠



الاحتكار

بقلم رئيس التحرير

■ تقول انك احتكرت بضاعة ما ، فيفهم الناس من ذلك انك جمعتها عندك ، واحتبستها ، حتى تقل فى السوق ، فيغلو ثمنها ، وعندئذ تطلقها وتبيعها بالسعر الذى تريد ·

ويرى الجمهور ان مثل هذا العمل استغلال للظروف غير حلال ، ويرى فيه الطمع ، ويرى فيه الكسب الحرام لأنه كسب لم يقابله بذل من عمل ، فيلعن الاحتكار والمحتكرين ·

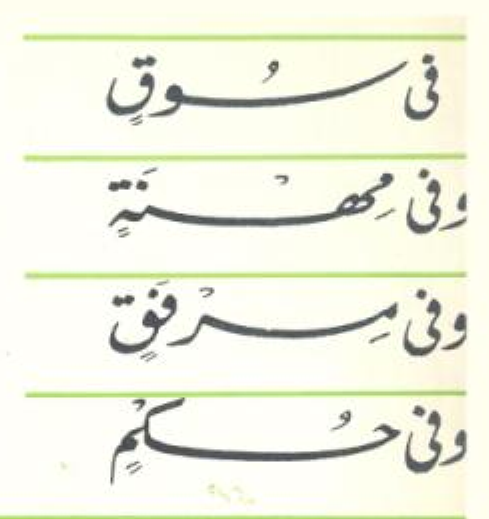
ولكن ليس كل احتكار بضار ، وليس كل محتكر بملعون·

الاحتكار صنوف

الاحتكار ليس صنفا واحدا ، وان كان مر فى البضائع والتجارة أشهر · **والمحتكر يطلق على كل من يحتكر لنفسه امرا من امور الحياة له خطره ·** ولما كانت السلطة لها خطرها فى حياة الناس ، تجدهم دائما يطلبون فى المجتمع المراكز التى بها السلطة احتكارا ، ففى كل مرفق من الحياة محتكر او محتكرون ، وفى كل منشط من مناشط الحياة محتكر ومحتكرون ، ومهنة الطب يحاول الأطباء فيها احتكارا ، وفى الأسواق المالية يحاول اهل المال فيها احتكارا · وتنشأ مراكز القوى فى الدولة الواحدة ، صنوفا شتى ، يتوجها النظام السياسى الذى يعرف باسم الحكم الكلى وفيه تتصل صنوف الاحتكارات جميعا بالرأس الواحد عند الذروة العليا ·

الاحتكار فى المجال الاقتصادى

والاحتكار فى المجال الاقتصادى مر اقدم انواع الاحتكارات جميعا ·



وليس كل احتكار بذميم

وكانت احجامه فى الماضى صغيرة ، لصغر المجتمعات الكائنة ، ولكنها اصبحت اليوم المجتمعات كبيرة ، بعد ان صارت القرى مدنا ، وصارت المدن عواصم ، وارتبطت المدن والعواصم فى البلاد الواحدة فصارت منها سوق واحدة لها نظم مرسومة وخطوط فى البيع والشراء معلومة ٠

ففى البلاد الواحدة يكون للبضاعة الواحدة مصادر انتاج متعددة ، او مصادر استيراد مُتعددة وذلك فى البلاد غير المنتجة ٠ اما البيع فللأسواق ، فى القرى والمدن والعواصم ٠

فاذا استقل طرف بمصدر الانتاج للبضاعة الواحدة او بمصدر الاستيراد ، استطاع ان يحتكر هذه البضاعة فيجد لها الثمن الذى يريده ، وفى الاقتصاد الحر يضطر الناس الى الشراء ٠ وتصحيح هذا الوضع يكون بازالة اسبابه ٠ وهذا يكون اما بتعدد المصادر التى تأتى منها البضاعة ، انتاجا او استيرادا ، وتعدد المنتجين والمستوردين ٠ وهذا مجهود فوق مجهود الفرد والجماعات وكثيرا مايقع على عاتق الدولة ، فتقوم به ، فتظهر وكأنها تقوم بمحاربة الاقتصاد الحر ٠ والجواب على هذا : **انه لا حرية يكون منها الاضرار بالناس ٠**

الاحتكار نقيضه التنافس

ونقيض الاحتكار التنافس ٠

ويقع التنافس عندما لا ينفرد شخص واحد ، ببضاعة واحدة ، انتاجا او استيرادا ، بل نفتح الباب للجميع ، يحاول كل ان يبيع للناس ، لا بالغصب تحت وطأة الحاجة ، ولكن بالتراضى ٠

والتنافس من شانه تجويد البضاعة وارخاص ثمنها ٠



تاجر ، يقول للناس ليس عندى مع الأسف سكر ، وخلفه زكائب السكر مكدسة ، وبينه وبينها حائط .

والتنافس من شانه وضع حد للجشع الذى هو من طبع الانسان اذا اطلق لـه العنان .

وليس من التنافس فى شىء ان يبيع المتنافس بضاعة بثمن دون التكلفة . ان الصانع للبضاعة ، او المستورد لها ، ما تحقق له ذلك الا بسبب مجهود بذله . ولكل مجهود أجر . وهذا الأجر انما يتمثل فى الربح الذى يأتيه عند بيع بضاعته .

والتنافس الذى ينزل بالبضاعة دون ثمن التكلفة تنافس ممقوت . وكل شىء لا عدالة فيه ممقوت .

شركات متنافسة تتجمع لتصنع احتكارا

حدث هذا فى الولايات المتحدة بأمريكا . واسموا هذا التجمع بالتّرست Trust **وهو اتحاد احتكارى بين عدة من شركات متشابهة للحد من المنافسة بينها ، واذن فللتحكم فى الأسعار ، والحد من المنافسة اضاعة لمصالح الجمهور .**

وأصدرت الولايات المتحدة قانونها الأول لمقاومة هذا التجمع فى عام ١٨٩٠ ومن ذلك الحين تُوالى حكومة الولايات مقاومة هذه التجمعات الاحتكارية، وترفع القضية فى خصومة مع الشركات التى خالفت القانون . وما جاء عام ١٩١٤ حتى أصدرت قانونا ضد الاحتكار جديدا اصلب عودا .

وظلت الحرب قائمة ، بين الحكومة والمحتكرين ، حتى اذا جاء عام ١٩٥٠ ، أدخلت الحكومة على قوانين الاحتكار تعديلات تزيده احكاما .

والذى حدث فى امريكا حدث مثله فى اوروبا • واسموا هذا التجمع الاحتكارى فى انجلترا كُمْبَيْن Combine واسموه فى اوروبا (كارتل Cartel) •

طرق التجمع الاحتكارى

والتجمع التجارى تختلف اساليبه ، فمنها دمج شركة بشركة او شركات مثلها، كلها أشباه ، تتنافس فى الأسواق فى مجالات واحدة لبضائع واحدة ، او بضائع يجوز ان يحل بعضها محل بعض • **وهذا الأسلوب هو ابسط الأساليب واوضح الأساليب** ، والأسلوب الذى ينكره قانون الاحتكار انكارا واضحا •

ومن هذه الأساليب ان تشترى شركة اسهما كافية فى شركة تنافسها،واذن يصبح الاثنان يعملان فى الأسواق بهدى واحد ، لايعوقهما شىء • وقد يبلغ بهما الحال ان يتنقل بينهما المديرون ضمانا لابقاء خط العمل واحدا •

واسلوب ثالث : هو اسلوب التراضى غير المكتوب ، فتقوم الشركتان معا على اقتسام الربح فى نهاية العام ، زاد عند هذه او عند تلك ، او نقص •

كل هذه الأساليب الاحتكارية قامت القوانين تحرمها فى الدول التى تكون فيها السعادة لشعوبها •

مثل صارخ

ومن الأمثلة الصارخة لذلك ، شركة النفط الأمريكية المعروفة باسم ستاندرد اويل Standard oil هذه الشركة انشأها عام ١٨٧٠ جون ركفلر ، هو واصحابه ، وما لبثوا جريا على عادةذلك الزمان ان استولوا على صناعة تكرير النفط كلها او كادوا بطريقة التضامن التجارى Trust •وبسبب مالاقوا منكسب كبير اقتدىبهم الكثير منالصناعاتالاخرى، واخذ الناس يتحدثون عن « تضامن «السكر » ،و« تضامن » اللحم،و« تضامن» الفولاذ ، و ُجدتهذهالتضامناتام لم توجد•

تحدث الناس بها كراهة لها ، وحفزا للحكومة ان تتحرك فتعمل عملا ضدها • وكان ان صدر القانون الأول الذى يحرم الاحتكار فى عام ١٨٩٠ •

وانشطر التضامن الذى صنعته شركة ستاندرد اويل فى عام ١٨٩٢ ، وصارت شركة واحدة لاتضامنا • ولكن الشركة عادت ، بعد نحو عشرين عاما ، الى نوع جديد من الاحتكار لم ترضه الحكومة • فكانت ان رفعت الحكومة ضد الشركة قضية امام المحكمة القضائية العليا للبلاد، وذلك فى عام ١٩١١ ، ونالت الحكومة نصرا عظيما •

وكانت الحكومة قد شنت على هذه الاحتكارات،وكانت مراكز للقوى ضخمة، **حروبا متصلة اسموها لشدتها بالصليبية،** وذلك فى عهد رئيس الولايات ثيودور روزفلت Thedor Roosvelt (١٩٠١ـ ١٩٠٩) •

حين التضخم يصبح احتكارا

على انه هناك نوع من الاحتكار ينشأ مع قوم ، لم يريدوه بادىء ذى بدء ، ثم

ثيودور روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، شن حروبا ضارية على شركات الاحتكار ، حتى كان من شدتها انهم وصفوها بالحروب الصليبية



اذا بحقيقة لامفر منها • ومن امثال هذا: الشركات التى تنجح ، ويدعو نجاحها غصبا عنها الى التوسع • وتتوسع برؤوس من المال كبيرة ، وامكانات عظيمة ، من ثراء ، وفن وحذق رجال ، فتصبح بحكم قوتها ونفوذها حصنا عزيز المنال • وهى لاتستأثر بشيء ، وقد تدعو الآخرين الى القيام بمثل مابه تقوم، ولكنهم يعجزون •

امثال هذه الاحتكارات مرهونة بسيادة الدولة • وهى ليست باحتكارات بالمعنى المكروه ، ولكنه تخصص كبير ناجح ، وهو كثيرا مايكون اعمدة ذات خطر فى بناء الدولة الاقتصادى ، ترعاه البلاد لتزيده قوة وتزيده صمودا ، وتزيده فى الأسواق الداخلية ،ولا سيما فى الأسواق الخارجية، سلطانا •

على اننا لابد ان نذكر ان ضخامة العمل الصناعى او التجارى لاتجتمع دائما مع حسن النية والنظرة البريئة التى تجمع بين صالح المجتمع وصالح الأمة ، القريب العاجل منه والبعيد • فلقد رأينا الشركة الكبيرة الغنية تنافسها فى الأسواق شركات بادئة صغيرة ، فتجنح الشركة الكبيرة الى بيع منتوجها بسعر دون سعر التكلفة ، فى الأسواق التى تجمع بينها وبين الشركة المنافسة ، لتفلسها ،فتخرج من السوق • وتعود الشركة الضخمة الغنية الى رفع اسعارها بعد ذلك ، لكى تعوض ماكان اصابها فى هذه المغامرة من خسارة •

اجرام كاجرام القتل تماما ، ينام عليه اصحاب البطون الضخمة هانئين •

ومن ضم الشركات ما لا يعتبر احتكارا

الضم المكروه هو الضم الذى يسميه القانون بالضم الأفقى ، اى ضم شركة الى شركة من مثلها ، وكلاهما فى موضع من دنيا الاعمال افقى واحد •

ولكن الى جانب هذا الضم الأفقى يوجد الضم الرأسى • مثال ذلك: مصنع للاحذية يشترى الجلد اللازم له من السوق ، ثم اذا به يضم اليه ، عن طريق الشراء ، مصنعا لدبغ الجلود • انهما مصنعان لم يقم بينهما أبدا تنافس • انهما متكاملان تكامل الرأس والجسد •

الخدمات العامة يحمد فيها الاحتكار

وبالخدمات العامة **نقصد تلك المرافق التى تخدم الجمهور عامة ،** كالسكك الحديدية ، والشبكات الكهربائية ، وكاقامة للطرقات ، وشق الترع للرى ، ولا ننسى البريد وسائر ادوات المواصلات كالبرق والهاتف •

ومن الامم من يعهد بهذه الأمور الى هيئات تستقل بها،ولكنها تحميها وتعطيها من السلطان ما كان للحكومة لو انها قامت هى نفسها بهذه الأمور •

اما الاحتكار فله أسباب عدة ، منها ان رأس المال الذى تحتاج اليه اقامة السكك الحديدية مثلا فى البلاد رأس مال كبير لا يضطلع به احد كما تضطلع به الحكومة ، **وان** التجهيزات والمنشآت الناتجة منشآت قائمة ثابتة،لا عشرات السنوات ولكن مع التجديد مئات السنين وتزيد •

وسبب ثالث ، ان هذه السكك الحديدية مضطرة الى ان تمشى فى خطوط تخترق أراضى يملكها الغير ، فلا بد لها من نزع ملكيتها ، ولا ينزع الملكية احد كالحكومة فى سبيل الصالح العام •

وسبب رابع، ان التنقل بين بلد وبلد آخر فى الدولة الواحدة ضرورة العصر الحاضر، وكل عصر ، فهى للحياة العامة كضرورة الطعام والشراب للفرد• والسكك الحديدية قد تخسر وقد تكسب ، ولكن لابد من جريانها • ومن اجل هذا كان مصدر تمويلها الضرائب التى يدفعها الشعب •



معامل النسيج بالمحلة الكبرى ، تضخمت حتى كادت تصبح دولة ، وهي لا يمكن ان تجنح الى احتكار ، لانها ملك الدولة ، الا ان يدخلها انحراف

وكالسكك الحديدية الكهرباء ، انتاجا وتوزيعا ، تقوم بها الأمم ، او شركات محمية ، فهي في حكم قيام الحكومة بها . انها احتكار لا شك فيه . والكهرباء ضرورة كما كانت المواصلات بالسكك الحديدية ضرورة ولنفس الاسباب . وللكهرباء كما للسكك الحديدية رخص . فمن ذلك انها تستطيع ان تمد اسلاكها ، اما دفنا في الارض في الطرقات ، او مدا في الهواء مارة برؤوس المنازل ومرتبطة بهذه الرؤوس .

وكالكهرباء البريد . وكالبريد المواصلات بالبرق والهاتف . واشياء اخرى كثيرة ، لا سيما تلك التي تكون من السعة بحيث تعم البلاد .

والتأميم احتكار

ويقودنا الحديث في احتكار الخدمات العامة **الى التأميم الذي تدعو اليه بعض الحكومات، حتى الديمقراطية منها . وتدعو اليه كاملا غير منقوص حكومات ترد كل الاشياء في الدولة الى الحكومة .**

ومن النوع الاول انجلترا . وانجلترا يحكمها الحزبان الكبيران ، حزب المحافظين ، وحزب العمال . وحزب المحافظين لا يرى ان يحتكر الصناعات القائمة في البلاد احد ، وهو لا يؤمن بتأميمها . وحزب العمال يرى نقيض ذلك . وهدف التأميم موجه اولا الى صناعة الفحم وصناعة الفولاذ .



السكك الحديدية ، نشأت فى الأمم ، وهى هيئة محتكرة،تديرها الحكومات ، وصح هذا احتكارا

اما فى الامم التى ترد الامور كلها الى حكوماتها ، فهى ترى ان الحكومة تقوم بكل الصناعات وكل الاعمال ، فلا تكاد تترك شيئا لاحد ، او لفئة من العمال •

والسؤال قد يكون ايهما خير •

والجواب مرده الى عقائد مرسومة وحجج كثيرة مستفيضة.لا ينتفع بالدخول فيها هنا ، والحديث عنها ، احد •

فلنتركها تعالج حيث المكان أرحب •

احتكار فى غير التجارة والأسواق

هذا الحديث الذى سبق كان كله عن الاحتكار والمنافسة فى الصناعة والتجارة والأسواق، وفى الخدمات • ولكن مرافق الحياة جميعا فيها مظاهر للاحتكار كثيرة ، وفيها مظاهر للتنافس،ولكن قلما تستخدم هذه الألفاظ، لفظ الاحتكار والمنافسة ، للتعبير عنها •

الاحتكار السياسى

ومن ميادين العيش ، **التى يدخلها الاحتكار ، بقوة وعزم** ، الميدان السياسى فى الأمم •

أن الأمم اليوم ديمقراطية وغير ديمقراطية ، ونحن نستخدم هذه الالفاظ فى المعانى التى قصدت لها أصلا •

اما الأمم الديمقراطية فهى التى تجرى فيها الأمور بالمشاورة ، فى قرية ، وفى مدينة ، وفى عاصمة •

والأمة لها برلمان منتخب،ولها هيئة قضاء، ولها حكومة لتنفيذ الاحكام • ويقف فيها الرجل الصغير امام الرجل الكبير ، لايخشى ولايهاب منه الا الحق ، أمام الشرطة،وامام القضاء •

ولايرضى الشعب عن حكومته فيبدلها وفقا لدستور كلهم ارتضوه• ويأتى البرلمان

والبريد ، خدمة عامة ، واحتكار لم يكن منه مهرب

الجديد ، وتأتى الحكومة فتكون للشعب أرضى •

والأعضاء فى مجالس النواب يقفون فى الانتخاب متنافسين ، ويحظى بالغلبة أرضاهم للناس •

صورة طيبة ، جميلة ، رائعة **ولكن بين الصور المرسومة او الموصوفة واصولها فروق •**

وصورنا هذه الصورة وفيها التنافس قائم لتظهر الصورة الاخرى التى فيها الاحتكار قائم •

فهناك صور يحتكر فيها المحتكر الحكم من منابعه الأولى ، كمن يستولى على المنبع ، فكأنما استولى على النهر كله •

وهناك صور يحتكر فيها المحتكر، ويكون اقل طمعا ، كأن يحتمى بعترة من عشيرة، او ثراء ، فيحتكر من السلطات نصيباً لف او آلاف من الناس •

وتتعدد مراكز القوة فى الأمة ، فيكون من كل منها قلعة ، تحتكر نوعا من اشياء الحياة التى لاتشترى بالمال ، لأنها اغلى ثمنا من المال •

وفى المجتمعات
يتنافس الناس
وهدفهم احتكار مركز فى الحياة ذى امتياز

انك حيثما توجهت فى عيش الناس ، لابد ان تقع على صورة من منافسة • فى مخبز صغير • فى مكتب محام كبير • فى مدرسة ثانوية • فى كلية جامعية • فى مؤسسة علمية • وحيثما تجد منافسة ، تجد تطلعا لاحتكار •

ان المنافسة تطلب السبق، وبلوغ المنصة عند الراس ، وعند المنصة تكون الكلمة الواحدة التى تقال فتسمع ، وهذا هو الاحتكار •



فى موسيلينى ، تمثل احتكار السلطة ، فلم يكن له فيما يتصل بالحكم ، فى الخطير منه ، وغير الخطير ، منازع وقفى هتلر على اثره • وانتهى الاثنان الى نهاية سواء •



مؤلف الكتاب من حقه ان يحتكره لعدة اعوام، لينتفع بمجهوده • وكمؤلف الكتاب ،مؤلف الاغنية ، وكل فنان ، يحتكر انتاجه ، وحق ذلك احتكارا •

احتكار سلطة • احتكار في امتلاك آذان الناس وقلوبهم •

ويخاصم المدرس المدرس • وتسأل فيقال لك انها المنافسة بينهما • كل يريد ان يسبق • وكل يريد ان ينظر • وكل يريد ان يحتكر • والناظر لاشك محتكر سلطة •

ومن اساتذة الجامعة الأطباء ، من يسخى على طلبته فيصحبهم الى المرضى ويعطيهم من علمه صادقا وافرا • انه كبر فعلا على المنافسة ، فهو يجود ولا يخشى • ولكنه قد يضن على زميل له لأنه منافس • وهو منافس له في السوق ، وداخل الجامعة او خارجها • وبما انه منافس فهو خصم محتمل • اذن هو يحمي نفسه باحتكار علمه ، فيحبسه عن الزملاء •

ومخترع يبتدع اختراعا ، ما وصل اليه الا بعد دراسة متطاولة وعلم كثير ، ونفقة كبيرة ، فهو يخشى ان يسطو عليه ممن لا خلاق لهم ساطٍ ، فيروح يسجله عند حكومته ،ويستخرج له براءة تصونه • انه بذلك يحتكره ، وسمح له احتكارا له •

وكالمخترع المؤلف ، يؤلف كتابا ، او يؤلف لحنا ، لابد له ان يحميه ، وان يحتكره لعدة سنين • وحقٌ له •

ورجل عرفته ، حكى لي انه طلب الزوجة ، وعرضت عليه الزوجة الجميلة فأباها • قال : انه اباها لجمالها لأن جمالها يبعث على المنافسة ، وقد يخسرها بعد الزواج زوجة • والزواج عنده احتكار • وهو احتكار عند كل احد ، لا يماري في هذا الا النذل الوضيع •

ولأول مرة عرفت ان من اشياء هذه الدنيا ما لا يصح الا احتكارا • ●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٨٧

جزر وخلجان وبحيرات

■ دارت مسابقة العدد ١٨٧ من « العربي » على مجموعة اسئلة متنوعة في المعلومات العامة ، فمن سؤال عن الفضاء ورجال الفضاء الى اسئلة عن البراكين والخلجان والبحيرات في العالم ،اما اجابات القراء فكانت دون المستوى المطلوب ، وذلك لاعتمادهم على معلومات اختزنتها ذاكرتهم ، والمعروف ان الذاكرة تخون وانها تخطيء • ونحن دوما ننادي بأنه لا سبيل الى الاجابة الصحيحة الا بالرجوع الى امهات الكتب والموسوعات العلمية •

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة،ثم اسماء من فازوا بالمسابقة •

١ ـ نيل ارمسترنج ، اول رجل وضع قدمه على ارض القمر •
٢ ـ الفريد نوبل مكتشف الديناميت •
٣ ـ دلتا نهر الجانج في بنغلادش اكبر دلتا في العالم •
٤ ـ بحيرة قزوين اكبر بحيرة في العالم •
٥ ـ دمشق اقدم عاصمة في العالم •
٦ ـ اندونيسيا تضم اكبر تجمع للبراكين •
٧ ـ خليج المكسيك اكبر خليج في العالم •
٨ ـ شبه جزيرة العرب هي اكبر شبه جزيرة في العالم •
٩ ـ جزر اندونيسيا تضم اكثر من ٣٠٠٠ جزيرة وتعتبر اكبر ارخبيل في العالم •
١٠ ـ فالنتينا هي اول امرأة انطلقت في صاروخ حول الارض •

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : ابراهيم محمد حسين / الكويت
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : اشور يونان شمعون ـ بغداد ـ العراق
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : جاسم احمد القصي ـ البحرين

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ صادق خطار / غوما / لبنان
٢ ـ كامل حسين المضوى / عطبرة / السودان
٣ ـ محمد كامل عبدالله صلاح / عدن / اليمن الديمقراطي
٤ ـ عبد القاهر الاتاسي / حمص / سوريا
٥ ـ عبد الغني حفني محمد / القاهرة / مصر
٦ ـ ماجد علي محمد عبد الباري / عمان/الاردن
٧ ـ مازن فريج ابو محفوظ / طرابلس / ليبيا
٨ ـ سلافة نظام / لندن / انجلترا

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■



من قصيدة « الفدائي »
للشاعر ابراهيم طوقان

● نشرتم في عدد نيسان (ابريل) ١٩٧٤رقم ١٨٥ ، كلمة قيمة للاستاذ محمد سليم رشدان عن شعراء فلسطينيين رثوا بلادهم قبل ان تصيبهانكبة اسرائيل فاثارت الكلمة ذكريات عزيزة على نفسي ، ونفس كل عربي وقد فتحت المأساة فيهاجرحا لا ينقطع نزيفه • ولكنني عجبت لعدم اشارة الكاتب الفاضل الى الشاعر الفلسطيني ابراهيمعبد الفتاح طوقان ، الذي حذر ، وتنبأ ، ورثى ، وسعى الى ايقاظ العرب وشحذ هممهم ، فخلفثروة شعرية غنية على الرغم من وفاته في عز شبابه عام ١٩٤١ • والمرحوم ابراهيم هو اخوالشاعرة الفلسطينية المجيدة فدوى طوقان ، وله ديوان مطبوع في بيروت عام ١٩٥٥ بعنوان (ديوانابراهيم) ، كما ان له شعرا غير منشور في الديوان • وقصائده الوطنية تستحق ان تفرد لها(العربي) مقالا مستقلا ، وانا اكتفي هنا بهذه الابيات من قصيدته (الفدائي) التي نظمها عام١٩٣٠ :

وتفضلوا بقبول شكري مع احترامي • • •

علي حيدر الركابي ـ بغداد

لاتسل عن سلامته ... روحه فوق راحته
بدلته همومُه ... كفناً من وسادته

حمّلته جهنم
طرَفاً من رسالته

★★★

صامت لو تكلما
لفظ النار والدما

قل لمن عابَ صمتَه
خُلق الحزم أبكما

العربي : نشرنا عن الشاعر ابراهيم طوقان اكثر من مقال،نذكر منها : مقال بعنوان « ابراهيم طوقان شعره صورة لكفاح وطنه » وقد نشر بالعدد رقم ٤٧ ـ اكتوبر ١٩٦٢ (صفحة ٦١)

زمرد الدمشقية !

● قرات في العربي الغراء ، العدد ١٨٦ لشهر مايو ١٩٧٤ ، مقالا للسيدة سنية قراعة ، تحت عنوان « زمرد الدمشقية » ، تقول فيه : ان زمرد خاتون ، ارملة ملك دمشق ، بوري بن طغتكين ، تزوجت ثانية من قسيم الدولة ، حاكم حلب واتابك جندها • والواقع ان زواج زمرد انما كان من الملك عماد الدين اقسنقر ، والد الملك العادل نور الدين • وجدير بالذكر ان كلمة قسيم كانت لقبا ، مثلها كمثل كلمة شهيد التي اقترن بها اسم الملك عماد الدين • وكان الفرنجة يلقبون الملك نور الدين « القسيم ابن القسيم » ••

عبد الملك بن مروان قبل الخلافة وبعدها

● في العربي العدد ١٨٥ وفي زاوية مواقف رجال قرات مقالا عن (عبد الملك بن مروان) بقلم الاستاذ عبد الستار احمد فراج • نعم كان عبد الملك بن مروان قبل ولايته يجالس العلماء ويحفظ الحديث ومعتكفا في المسجد ومتقشفا وزاهدا في الحياة، ولكن لما افضت الخلافة اليه كان المصحف بيده فاطبقه ، وقال ، هذا آخر العهد بك او هذا فراق بيني وبينك •

واصبح عبد الملك مولعا بسفك الدماء واطاحة الرؤوس وهو القائل لام الدرداء حين قالت له (بلغني انك شربت الطلا بعد العبادة والنسك) فقال : (اي والله والدماء ايضا شربتها) وهو القائل في خطابه الذي القاه في يثرب امام المهاجرين والانصار ••والله لا يامرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه •

وهو الذي سلط الحجاج، ذلك الطاغية السفاح، على رقاب العباد ، حيث ارسله في جيش من اهل الشام لحرب عبدالله بن الزبير الذي لجا الى الكعبة واعتصم بها لاعتقاده ان قدسيتها سوف تحميه وتعصمه من بطش ابن مروان والحجاج • الا انهما لم يقيما وزنا لحرمة البيت، فعمد الحجاج الى رميه بالحجارة بعد حصاره ، حتى قتل ابن الزبير ، ومثل به ، وبعث رأسه الى ابن مروان الذي طوفه في البلاد •

وسئل الحسن البصري عن عبد الملك بن مروان فقال، ما اقول في رجل ، الحجاج سيئة من سيئاته•

ولما حضرت الوفاة عبد الملك بن مروان اوصى ولده الوليد في اخذ البيعة له بالسيف وقال وهو في آخر ساعة من الدنيا •• يا وليد ، حضر الوداع ، وذهب الخداع ، وحل القضاء •• فبكى الوليد ، فقال له عبد الملك : لا تعصر عينيك كما تعصر الأمة الوكاء •• اذا انا مت فغسلني وكفني وصل علي، وأسلمني الى عمر بن عبد العزيز، يدليني في حفرتي، واخرج انت الى الناس والبس لهم جلد نمر ، واقعد على المنبر ، وادع الناس الى بيعتك ، فمن مال بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا وتنكر للصديق والقريب واسمع للبعيد واوصيك بالحجاج خيرا •

المدرس حسين هادي محمود
البصرة — العراق

من كان زوجها الثاني •• ؟

هذا وقد تزوجت زمرد قبل مقتل ابنها الثاني، شهاب الدين محمود، بدليل ان الملك عماد الدين، عندما اراد الزواج منها ، طلبها من ابنها شهاب الدين •• ولما قتل شهاب الدين حزنت عليه كثيرا وأرسلت الى زوجها ليذهب وليقتص من قاتليه•

نرجو نشر هذا التصحيح ، خدمة لتاريخنا ، علما باننا من المعجبين بالسيدة قراعة وبقلمها الذي طالما داب على احياء الامجاد في تراثنا •

المراجع (١) ص ٢٨٤ الجزء ١٢ من البداية والنهاية لابن الكثير (طبعة المعارف)

(٢) احداث عام ٥٣٢ الجزء ١١ من الكامل في التاريخ لابن الاثير

يحيى عمار — بيروت

سعد زغلول هو القائل ••

اطيب تحية وازكى تسليم ، وبعد : فقد كنت في زيارة صديقنا عبد الرحمن عزام باشا وقرانا معا في « العربي » عدد فبراير مقالا عن عزام ، فشكرنا للعربي افضاله بالكتابة عنه • ولكن لم خطا ورد في المقال لايجوز أن يبقى بدون تصحيح ، ذلك ان الكاتب عزا ، على لسان عزام باشا ، قولا الى الملك فيصل الاول، مع ان قائله هوالزعيم سعد زغلول باشا ، وقد كلفني اخونا عزام ، الذي يبدو انه لايقوى على الكتابة الآن ، ان احمل اليكم تحياته وان ارجوكم الايعاز بتصحيح الحديث•

ومن غريب الصدف انني في الحين ذاته كتبت مقالا في جريدة النهار « انقد فيه كتاب » « رجال معاصرون » للدكتور مجيد خدوري ، وفيه رويت الحكاية كما رواها لي عزام باشا نفسه ، وهاانذا ارسل المقال لمحض اطلاعكم عليه راجيا الا اكون بهذا قد اضعت من وقتك الثمن دقائق •

ولاستاذنا الكبير مع التجلة اصدق مشاعر المودة والتقدير •

اكرم زعيتر — بيروت

التقليد والاتباع

في الإسلام

والرأي في اتباع الناس مذاهب الأئمة

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ تكلمنا في مقال سابق عن امكان الاجتهاد ووجوبه في كل عصر ، لان هذا الذي يتمشى مع عموم دعوة التشريع الاسلامي وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان ، وتنظيمه لمجتمع متطور ، فكان من المناسب أن نبين ما قاله الائمة عن التقليد والاتباع، وهل يصح الالتزام بمذهب معين لا يتعدى الفرد أو الجماعة الاحكام التي نص عليها ائمة هذا المذهب طبقا لاجتهاداتهم التي كانت تتفق مع مصالح الناس في عصورهم · حتى لو تغير وجه المصلحة · ام ان هذا من قبيل الالتزام بما لا يلزم ، وانه قد يوقع الناس في الضيق والحرج في حياتهم وامور معاشهم ·

معنى التقليد

والتقليد كما يقول الآمدي(١) : هو العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة كاخذ العامي بقول العامي، واخذ المجتهد بقول مجتهد مثله ، وعلى هذا فليس من التقليد الرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والى الاجماع الصحيح ، لان كلا منهما حجة شرعية ومصدر ، وليس منه ايضا عمل العامي بقول المفتي لانه وان لم يكن احدى الحجج والمصادر الشرعية ، فان العمل لا يعتبر من غير حجة اذ النص أمر العامي ان ياخذ بقول المجتهد لانه اتبع ما قام عنده بحجة، والواقع ان هذا ليس من قبيل التقليد وانما هو من قبيل الاتباع ·

معنى الاتباع

والاتباع غير التقليد ، وهو كما يقول ابن القيم(٢) : ما ثبت عليه حجة · والمتبع كل من أوجب الدليل عليه اتباع قول غيره · وعلى هذا فاخذ الحكم من الدليل يعتبر اتباعا ، والمجتهد يعتبر بمثابة الدليل بالنسبة للعامي ، اذ أوجب الله عليه العمل به ، كما أوجب على المجتهد العمل باجتهاده ، وعلى هذا فاخذ العامي عن امام يعتبر في الحقيقة اتباعا لاتقليدا، ولو جاز تسمية العامي مع هذا مقلدا لجاز تسمية المجتهد مقلدا أيضا ·

اما اذا تعارف الناس على تسمية هذا تقليدا فهو اصطلاح ولا مشاحة في اللفظ(٣) اذ ان حقيقة التقليد هو أن يرجع المجتهد الى مجتهد آخر فياخذ عنه ، ويرجع العامي الى من هو مثله فياخذ عنه لانه أخذ بغير دليل اذ لا يعتبر كل منهما دليلا بالنسبة للآخر ·

مثل للفرق بين المجتهد والمتبع

يروى أن مالكا وعبد العزيز بن مسلمة ، ومحمد بن ابراهيم بن دينار وغيرهم كانوا يختلفون الى أبي بكر بن هرمز فكان اذا ساله مالك وعبد العزيز أجابهما ، واذا ساله ابن دينار لا يجيبه · فلما ساله ابن دينار عن سبب ذلك قال له :

---

(١) الاحكام في أصول الأحكام جـ ٤ ص ٢٩٧

(٢) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ١٧٨

(٣) الاحكام في أصول الأحكام جـ ٤ ص ٢٩٨

مالك وعبد العزيز عالمان فقيهان اذا سمعا منى حقا قبلاه وان سمعا ما رأياه خطأ تركاه • وانت ما اجبتك عنه قبلته واخذت به واني قد كبرت ودق عظمي وانا اخاف ان يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني •

ومرجع هذه التفرقة في نظر ابن هرمز ان مالكا وابن مسلمة ينظران فيما يجيبهما به بنظر الفقيه ويأخذان بعد ذلك بما تطمئن اليه النفس ويسانده الدليل ، فهو بالنسبة لهما لا يعتبر الدليل وان كان موجها ، اما ابن دينار فانه سيعتبر ابن هرمز بالنسبة له الدليل الذي يعتمد قوله ويتبعه فيه دون نظر فقهي ولا استئناس بدليل اخر • ولذا فان ابن هرمز كان يخشى تبعة هذا فلا يجيبه •

منع تقليد العالم المجتهد للعالم المجتهد

واذا كان المجتهد لا يجوز له اتفاقا مخالفة ما وصل اليه باجتهاده ، فان المسالة التي لم يسبق له فيها اجتهاد ، وقد اجتهد غيره فيها يحرم عليه التقليد فيها ويجب عليه الاجتهاد على ما اختاره ابن السبكي وغيره(٤) لان الاجتهاد بالنسبة للمجتهد هو الاصل ، ولا يجوز العدول عن الاصل الممكن الى بدله • وينقل الآمدي عن القاضي ابي بكر واكثر الفقهاء منع تقليد العالم للعالم سواء كان اعلم منه او لم يكن وقال :وهو المختار (٥) :وقد بينا اقوال الاصوليين في هذا تفصيلا في موضع آخر(٦) •

اما بالنسبة لغير المجتهد فان كان عاميا صرفا فانه يجب عليه اتباع قول المفتي الذي يستفتيه ، وان كان قد ترقى عن رتبة العوام بتحصيل بعض العلوم المعتبرة في رتبة الاجتهاد فالصحيح كما ينقل الآمدي ان حكمه حكم العامي فيجب عليه اتباع المفتي الذي يستفتيه •

والواقع ان الفقهاء يفرقون بين مسائل الأصول والفروع • فبالنسبه للمسائل المتعلقة بالعقائد من وجود الله وما يجوز عليه وما لايجوز فاكثر الأصوليين على أنه لايجوز فيها التقليد وانما لابد من الدليل الاجمالي حتى بالنسبة للعوام • يقول الشربيني في حاشيته على جمع الجوامع (٧) : ان العوام غير مقلدين هنا لنظرهم في الدليل الاجمالي وليس في هذا مايشغلهم عن معاشهم لأن مسائل الأصول محدودة وادلتها اجمالية ، كما انها غير متجددة •

اما بالنسبة لمسائل الأحكام الفقهية عموما ، فقيل انه يلزمه اتباع قول المجتهد والأخذ بفتواه، وقيل لايجوز التقليد بل يجب عليه التعرف على الدليل وأن يطمئن على صحة الحكم بدليله • يدل على الأول وهو القول المعتبر عند الفقهاء بقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » وأن العامة لم تزل في زمن الصحابة والتابعين يستفتون المجتهدين ويتبعونهم في الأحكام الشرعية، والعلماء منهم يبادرون الى الاجابة من غير اشارة الى ذكر الدليل • ولأن العامي لو كان مكلفا بمعرفة الدليل التفصيلي لشق ذلك عليهم وخاصة أن الاحكام الفقهية كثيرة متعددة متجددة فيكتفى فيها باعتبار المجتهد بالنسبة للعامي دليلا يعتمد عليه •

والقائلون بان العامي ومن في حكمه يلزمه اتباع المجتهدين واستفتاؤهم على جواز استفتاء من هو معروف له بالاجتهاد ، واختلفوا في جواز استفتاء من لا يعرفه ، والجمهور على عدم الجواز لاحتمال أن يكون غير عالم لأنه كما يقول الامام الغزالي (٨) : كل من وجب عليه قبول قول غيره لزمه معرفة حاله ، ويكفي لتعرف المستفتي حال المفتي بغالب الظن الحاصل بقوله على عدل او عدلين •

واذا اتبع العامي بعض المجتهدين في حكم حادثة وعمل بقوله فيها • فان الاصوليين يكادون ان يكونوا متفقين على انه ليس له الرجوع عنه الى راى آخر في نفس الواقعة التي استفتى فيها لا في غيرها ولا فيما يماثلها • لأنه كما لم يجز للمجتهد نقض ما امضاه فكذا لا يجوز للمقلد لان اتصال الامضاء بمنزلة اتصال القضاء، واتصال القضاء يمنع النقض فكذا اتصال الامضاء (٩) •

وينقل الزركشي عن بعض الأصوليين ما يقتضي جريان الخلاف في هذا •• وقال (١٠) : وكيف

---

(٤) جمع الجوامع جـ ٢ ص ٣٩٥

(٥) الاحكام جـ ٤ ص ٢٧٥

(٦)مناهج الاجتهاد في الاسلام مطبوع على نفقة جامعة الكويت سنة ١٩٧٣

(٧) جمع الجوامع جـ ص ٤٠٣

(٨) المستصفى جـ ٢ ص ٣٩٠

(٩) التقرير والتحبير جـ ٣ ص ٣٥٣

(١٠) المرجع السابق ص ٣٥٠

يمتنع عليه الرجوع اذا اعتقد صحة القول الآخر. ونقل ابن امير الحاج القول بلزوم العمل به بمجرد الافتاء. وقيل بالشروع في العمل،وقال السمعاني: يلزمه ان وقع في نفسه صحته ..

هذا بالنسبة لنفس الحادثة التي استفتى بشأنها ، اما غيرها من المسائل فالحق انه يجوز له ان يسأل مجتهدا آخر ويأخذ بفتواه قال الآمدي وغيره (١١) : وهو المختار .

هل يجب أن يتعبد العامي بمذهب معين :

لايلزم،فيما يرى جمهور الفقهاء والاصوليين(١٢)ان يلتزم العامي مذهبا معينا فيأخذ عنه جميع الاحكام وهذا الراجح،وان كان ابن امير الحاج يقول(١٣) : يجب على العامي وغيره ممن لم يبلغ مرتبة الاجتهاد التزام مذهب معين من مذاهب المجتهدين يعتقد رجحانه .

وعلى كل فاذا عين العامي لنفسه مذهبا انتسب اليه والتزمه . فانه قيل : لايصح له الرجوع عنه،لأنه التزم به وان لم يجب التزامه شرعا قبل ذلك ، وقاسوه على من اخذ بقول امام في مسألة واتصل عمله بها ، وقيل : لايجوز فيما عمل به ويجوز في غيره ، قال ابن السبكي وهو الاعدل . وقال الكمال بن الهمام:هو الغالب على الظن(١٤) وقيل :يجوز. اذ التزام مالايلزم غير ملزم،ولا أوجب بالاتباع الا ماأوجبه الله ورسوله،وما أمرنا الله أن نتعبده على مذهب أحد .

على أن المتمذهب بمذهب انما يكون لمن له نوع نظر واستدلال ، أو لمن قرأ كتابا في فروع هذا المذهب وفتاوى امامه وكان على علم ومعرفة باحكام المسائل فيه . فالمختار ان العامي اذا اتبع مذهبا في مسألة جاز له ان يرجع الى مذهب آخر في مسألة اخرى بشرط ان لاتكون المسألة الثانية متصلة بالاولى . يقول الامام صلاح الدين العلائي : « والذى صرح به الفقهاء في مشهور كتبهم جواز الانتقال في آحاد المسائل والعمل فيها بخلاف مذهب امامه الذى يقلد مذهبه اذا لم يكن ذلك على وجه تتبع الرخص » (١٥) .

فمن التزم مذهبا معينا كان له الانتقال عنه كلية الى مذهب آخر ، كما ان له أن ينتقل عنه في بعض الاحكام وفي آحاد المسائل .

وينقل القرافي عن يحيى الزناتي (١٦) ان تقليد المذاهب في النوازل والانتقال من مذهب الى مذهب جائز بشرط ان لا يجمع بينهما على على وجه يخالف الاجماع ، ويشترط ابن الهيثمي (١٧) لصحة التقليد ان لا يلفق قولين يتولد عنهما حقيقة مركبة لا يقول بها كل منهما.

واشترط الروياني لجواز تقليد المذاهب والانتقال اليها ان لايجمع بينها على صورة تخالف الاجماع، وان يعتقد فيمن يقلده الفضل ، وينشرح صدره له ، وان لايتتبع الرخص في المذهب . لكن ابن دقيق العيد لم يشترط عدم تتبع الرخص واشترط بدله ان لايكون ماقلد فيه مما ينقض فيه الحكم لو وقع .

وعلى وجه العموم فان العامي ومن في حكمه وان كان لايلزمه تعيين مذهب له واتباع احكامه في جميع مسائله فانه لابد له من قائد يقوده وعالم يقتدي به ويرجع اليه ، ومن الطبيعي أن يقلد في المسألة الواحدة مجتهدا واحدا . غير انه ينبغي كما يقرر الشاطبي (١٨) ان لا يصمم على تقليد من تبين له في تقليده الخطأ شرعا ، فاذا تبين له في بعض مسائل متنوعة الخطأ والخروج عن صوب العلم فلا يتعصب لمتبوعه بالتمادي على اتباعه لان تعصبه يؤدى الى مخالفة الشرع .

حملة على التقليد المعروف والتزام العلماء

وقد حمل كل من ابن حزم وابن القيم على التقليد المعروف والتزام العلماء ومن لهم قدرة على الاخذ والاستنباط ويقول ابن حزم(١٩):ويكفي

(١١) الاحكام جـ ٤ ص ٣١٨ ، ونهاية السول ص ٣٤٩ والتقرير والتحبير جـ ٣ ص ٣٥٠ وفتح القدير جـ ٥ ص ٤٥٦

(١٢) التقرير والتحبير جـ ٣ ص ٣٥٣

(١٣) جمع الجوامع جـ ٢ ص ٣٠١

(١٤) التقرير والتحبير جـ ٣ ص ٣٥٠ ، نهاية السول جـ ٣ ص ٣٥٠

(١٥) التقرير والتحبير جـ ٣ ص ٣٥١

(١٦) تنقيح الفصول ص ٣٨٦

(١٧) تحفة المحتاج جـ ٤ ص ٢٦٦

(١٨) الاعتصام جـ ٢ ص ٣٣٧ / ٣٤٥

(١٩) الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم جـ ٦ من ص ٧٩٣ ـ ٨٨٦

لبطلان التقليد انه يقال لمن قلد انسانا بعينه : ما الفرق بينك وبين من قلد غير الذى قلدته ؟! فان قال بتقليد كل عالم فقد جعل الدين هملا وأوجب الضدين فى الفتيا ...

ثم يقول : التقليد الذى نخالف فيه ونمنعه هو اخذ قول رجل ممن دون النبى صلى الله عليه وسلم لم يامرنا ربنا باتباعه بلا دليل يصحح قوله . ولم نؤمر قط باتباع هؤلاء المذكورين، وانما أوجب اتباع ما قام الدليل على وجوب اتباعه .. فلا يحل اتباع فتيا صاحب ولا تابع ولا أحد دونهم الا أن يوجبها نص او اجماع .

ثم قال ان عصابة من اهل القرن الرابع الهجرى ابتدعوا فى الاسلام هذه البدعة الشنعاء الا من عصم الله تعالى منهم ، والواقع ان هذه البدعة ابتدىء بها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم باكثر من مائة عام وثلاثين عاما ، وانه لم يكن قط فى الاسلام قبل ذلك تقليد بمعنى أن يتبع رجل اقوال عالم بعينه فى الفتيا لايخالف شيئا منها .

وانتهى الى أن التقليد كلـه حرام فى جميع الشرائع اى فى العقائد والعبادات لافرق بين عامى وعالـم . ويقول : ولا شك أن المجتهد المخطىء اعظم اجرا من المقلد المصيب والفضل .

الأئمة نهوا الناس عن تقليدهم واتباع مذاهبهم

كما افاض ابن القيم فى ذم التقليد وفساده وقال (٢٠): ان التقليد مذموم ولا خلاف بين الأئمة على فساد التقليد ، وانـهم نهوا الناس عن تقليدهم ، وذموا من اخذ اقوالهم بغير حجة فقال الشافعى : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمـة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدرى .

وكان ظهور التقليد بصورته يرجع كما اشار ابن حزم الى القرن الرابع الهجرى ، ففى منتصف ذلك القرن بـدأ الضعف يدب فى جسم الدولـة العباسية وتفرقت كلمتها وانقسمت الى دويلات واخذت عوامل التفرقة والانهيار تسرى فى كيان الدولة وتبع ذلك ان انتاب الدولة ما يؤثر فى نهضتها ونشاطهـا العلمى مما امات فى نفوس الفقهاء تدريجيا الاستقلال الفكرى وجعلهم يركنون الى التقليد ويبعدون عن الاجتهاد الحر الطليق فى نطاق النصوص والقواعد العامة وروح التشريع الى الاجتهاد المذهبى اولا، ثم الى التقليد الصرف بعد ذلك حتى وصل بهم التعصـب لدرجة انهم يعتبرون عبارة امامهم نصا فى الفقه لايرجع عنه ومصدرا تتخذ منه الاحكام .

ومع تطاول الزمن وتغير وجه المصلحة وتبدل كثير من الاعراف اصبحت بعض هذه الاراء التى كانت مبنية على عرف سابق او مسايرة لمصلحة فى ذلك الحين ، لاتتناسب مع هذه العصور . وترتب على الوقوف عندها والالتزام بها تقليدا من غير بحث ونظر أن اصبح الفقه الاسلامى فى كثير من أحكامه بعيدا عن واقع الحياة . كما اثر هذا التقليد الصرف دون نظر وبحث عـلى كثير من النـاس فجعلهم يضيقون مما هم فيه من حيرة بين رغبتهم فى الدين وضرورة مسايرتهم للحياة .

وقد تعجب حينما تعلم ان جميع الائمة قد نهوا مريديهم وتلاميذهم عن التعصب لارائهم، ووجهوهم الى النظر فى الدليل والأخذ بما يقوى فى نظرهم ويصح .

ومن ذلك ما قاله أبو حنيفة : علمنا هذا رأى وهو أحسن ماقدرنا عليه فمن جاءنا باحسن منه فهو اولى بالصواب .

ويقول الامام مالك اذا ما استنبط حكما : انظروا فيه فانه دين وما من أحد الا وماخوذ من كلامه ومردود عليه الا صاحب هذه الروضة يريد الرسول الكريم ويقول : انا بشر اخطىء واصيب فانظروا فى رأيى كل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا بـه وما لم يوافقها فاتركوه .

ويقول الشافعى: لاتقلدونى واذا صح خبر يخالف مذهبى فاتبعوه واعلموا أنه مذهبى، ويقول لصاحبه الربيع : يا ابا اسحق لاتقلدنى فى كل ماأقول وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين ، ويروى عنه احد تلاميذه : لقد نهى الشافعى عن تقليده وتقليد غيره ، ويقول أحمد بن حنبل : انظروا فى أمر دينكـم فان التقليد لغير المعصوم مذموم ، وقـد نقلنا لك قبل ماروى عن ابن حزم الظاهرى من قوله : ان المجتهد المخطىء اعظم أجرا من المقلد المصيب . ■■

محمد سلام مدكور

---

(٢٠) اعلام الموقعين جـ٢ ص ١٦٨ وقد أسهب فى مناقشة الموضوع فى قرابة المائة صفحة .



تمرد الشباب
أسبابه وعلاجه

بقلم : الدكتور ملاك جرجس

انفعالات الشباب اما توافق واما تمرد :

■ أي شاب اما عنده القدرة على التكيف للعالم الخارجي المحيط به فيحاول التوافق معه واما هو متمرد على هذا العالم ... والتوافق عملية حيوية يحاول بها الشاب أن يتكيف مع البيئة وان يحقق التكييف بينه وبين نفسه بهدف الوصول الى حالة من الاستقرار النفسي والتكيف الاجتماعي ، اللذين بدونهما لا تتحقق الصحة النفسية . اما التمرد فهو صراع بين الفرد والعالم الخارجي وصراع بين الفرد وذاته ... وقد لا يبدو الصراع بين الفرد وذاته بشكل واضح .... فكلما زاد التمرد حاول الشاب كبت الصراع الذاتي ... ليبرر لنفسه تمرده ، وعدوانه ضد البيئة او ضد المجتمع ، وليتمسك بقيمه وسلوكه التمردي،واصبح يعاني من الافكار الثابتة ..

وبمعنى اخر ان المتمرد ، بعكس المتوافق المتكيف ، لا يهدف الى تغيير سلوكه ليتوافق مع البيئة ، ولا يحاول أن يكون علاقة توافقية للتعاون بينه وبين البيئة ... وبالتالي لا يكون على علاقة طيبة مع المجتمع .

وتتخذ انفعالات المتمرد شكل الثورة على افراد المجتمع أو عاداته او قوانينه أو قيمه أو اتجاهاته السلوكية ، وبالتالي فانه لا يتعاون أو يتفاعل مع المجتمع ... وقد ينقطع عنه كلية ... لا ياخذ منه ولا يعطي ... وبالتالي لا يشعر بالانتماء الى المجتمع ... ويعيش الى حد ما منفصلا في مشاعره عن البيئة ... ولعل أهم الفروق بين الشاب المتوافق والشاب المتمرد ، هي أن الاول يمكنه مواجهة مشكلات الحياة ويتيسرله حلها او معايشتها ، اما الثاني وهو المتمرد فانه لا يجد في نفسه القدرة على حل المشاكل أو معايشتها .. بل يفشل في حلها ويتململ منها ، ويجنح الى أساليب شاذة ، عدوانية او هروبية ، تتسم بالتمرد والثورة على الحياة ... ولكن لماذا يختلف المتمردون وهم القلة عن اغلبية الشباب وكيف يحدث التمرد ؟ ..

التطور الصناعي والتكنولوجي وهل له أثر على تمرد الشباب :

في كل عصر من العصور كان هناك متمردون من الشباب وغير الشباب .... ولكن الملاحظ

ان ظاهرة تمرد الشباب قد ازدادت اخيرا بشكل ملحوظ فى بعض الدول الصناعية وفى بعض الدول النامية ... بل ان اشكال التمرد قد تباينت ... ولنبدأ اولا بالدول الصناعية المتقدمة ... التى قفز فيها الانتاج نتيجة التقدم التكنولوجى وتحولت فيها الثقافات الى ثقافة مادية محضة ، تعتمد على الذاتية والانفرادية .

وقد وصف الحياة فى هذه الدول احد علماء الاجتماع فقال : « ليست الضوضاء او الدخان هى التى تحطم اعصاب الناس خصوصا الشباب... بل انعدام الجوار وانعدام المعرفة الشخصية والعلاقة الشخصية فى حياة المدينة .... حتى العائلة لم يصبح لها المركز الذى كانت تشغله ... فلا تماسك بين افراد الاسرة الواحدة ، ولا شعور بالانتماء »

وقال اخر : «ان العوامل الاقتصادية والتكنولوجية فى المجتمع الصناعى تسهم فى اضطراب الشخصية ، فظروف العمل السيئة ، او العمل الذى يجد الفرد نفسه فيه مستغلا يعوق نمو الشخصية خصوصا عند الشباب ... لانه يقلل من قيمة الذات .... ويشعر الفرد بالكبت والاحباط ... كما ان ازدياد عدد الامهات العاملات يقلل من اهمية البيت كمصدر للحب والامن ونمو الشخصية ... فلا غرو اذ تعذرت على بعض الشباب القدرة على التكيف لهذه الظروف ، ونزعوا الى الهروب منها والتمرد على المجتمع كله والحياة بعيدا متمركزين حول ذواتهم » ... اى حول انفسهم ... »

اما فى المجتمعات النامية كما هو الحال فى بعض الدول العربية ... فان عملية التحول من مجتمع قبلى او ريفى الى مجتمع صناعى ناشىء لها اثار كثيرة منها نشأة المدن ،واكتظاظها بالاحياء الفقيرة نتيجة نزوح العمال الى المدن ، او الى حيث انشئت المصانع فى الريف .

وهذا التحول يقتلع الفرد من عائلته الكبرى ، ومن قريته ، فتنشأ مكان العائلة الكبرى والروابط القروية او القبلية علاقات جديدة مبنية على الاستخدام او الوظيفة ، وتحل محل العلاقات الشخصية والعادات القروية الانظمة المدنية اللاشخصية ، فيزول بذلك التجاوب القبلى او الريفى الفورى مع الحاجة ،والاندفاع وراء الطيبة والعاطفة والقيم الدينية ، ويحل محلها التنوع والحيرة ، ـ وتضارب القيم الاجتماعية والاتجاهات السلوكية التى تتصف بها بعض المجتمعات النامية...

ويرافق هذه التغيرات كثير من الحيرة والارتباك للفرد والتعقيد فى العلاقات العائلية ..

وكنتيجة للتطور الصناعى تتحول العلاقات بين الناس من علاقات تعاونية الى علاقات تنافسية... وان كانت تتخذ مظهر التعاون فى شكلها الظاهرى... وقد يعجز بعض افراد الشباب عن التنافس لاسباب تكمن فى قدراتهم العقلية او قدراتهم الجسمية او لمرضهم النفسى وعدم قدرتهم على التكيف... ومن ثم يثورون على المجتمع او الهيئة التى يعيشون فيها ويتمردون على قيمها وعلى اتجاهاتها السلوكية .

الشباب فى الدول الصناعية الكبرى مصدر صور التمرد المستورد :

بعد ان تفككت العائلة وانهدمت القيم الدينية فى المجتمعات الصناعية الراسمالية الكبرى ، وبعد ان طغت المادية على هذه المجتمعات ، أصبح بعض افراد الشباب ممن يعانون اكثر من غيرهم من الاضطرابات النفسية ينوءون باثقال الحياة ،خصوصا اعباء القتال فى حروب يدفعون اليها ، فتمردوا على مجتمعاتهم وبيئاتهم وتحللوا من القيم الاجتماعية والاتجاهات السلوكية التى كانت تعمل على تماسك المجتمع والتى مازالت ولو ظاهريا ـ سائدة فيه .... فثاروا وتمردوا على القومية ونادوا بالعالمية كامل للسلام فى المستقبل ، وهم بذلك يهدفون الى الهروب من الخدمة العسكرية والحروب التى تشنها بلادهم لأغراض غير عادلة .. كما ثاروا على نظام العائلة ونادوا بالحب بلا قيد ولا شرط ، كما ثاروا على أسلوب الحياة نفسها من ماكل وملبس ومظهر انسانى ، وتمردوا على الانظمة الاقتصادية والسياسية فى بلادهم ... ومن هذه الدول الصناعية الكبرى انتشرت موجات وموضات التمرد الى الدول النامية ... ولكن بصورة مخففة للغاية لاختلاف الظروف التكنولوجية الاقتصادية والسياسية ، ولقوة القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة فى الدول النامية ،تلك الدول التى ماتزال الى حد كبير ريفية فى أساليبها وطرق معيشتها .... وعلى هذا الاساس فان اغلب مظاهر تمرد الشباب فى الدول العربية مظاهر مستوردة ... تعتمد على التقليد اكثر مما تعتمد فعلا على الثورة الأصلية والتمرد . والمتمردون فى بلادنا القلية وهم الشباب الذى

يعاني من مشكلات التكيف الاجتماعي والتكيف للذات ... وذلك لظروف ومشاكل في حياة كل منهم ، ولكن ماهي هذه الظروف والاسباب... وهل هناك اسباب واقعية للتمرد بجانب الاسباب النفسية والاجتماعية الشخصية التي تعمل في حياة اغلب المتمردين من شبابنا . ؟

صراع بين جيلين « قديم وجديد » :

تتميز العقلية الشرقية ـ خصوصا الريفية ـ بتقديس واحترام كبار السن ، خصوصا الاب ، الذي تتسم شخصيته بالسلطة ويتسم سلوك كل افراد العائلة نحوه بالانصياع لهذه السلطة ... ومعنى ذلك انه من الواجب على الشباب ان ينصاع انصياعا تاما للتقاليد المرعية في المجتمع ، وان الايدولوجية العائلية في مجتمعنا ايدولوجية اوتوقراطية ، الامر الذي يسبب في بعض الاحيان تباعدا اجتماعيا ونفسيا بين الابناء والاباء ... ويؤيد هذه الايدولوجية بطريق غير مباشر العقائد التي تقدس الاب والام وتوجب احترامهما وان كانت الاديان بعيدة كل البعد عن الاوتوقراطية التسلطية التقليدية فالاديان السماوية توجب احترام الوالدين على أساس المحبة والتقدير ، وتوجب على الشباب أن يتقي الله في شبابه .

فالاب في بعض العائلات مايزال رمز القوة والقسوة والاحترام والتقديس ...... والام ماتزال ايضا في بعض من العائلات مجرد زوجة وامراة البيت ولا راى لها الا بعد أن تستطلع راى الزوج ... وفي مثل هذه العائلات نجد ان الاخوة تتباين مراكزهم وفقا لسن كل منهم ودرجة تعليمه ، كما انه هناك تفرقة بين الصبيان والبنات ... وبالتالي فالمنزل يكاد يكون مكانا مغلقا على اعضاء الاسرة لكل منهم فيه مركزه المتميز ، دون تفاعل أو اندماج ملموس بين الكبير والصغير ، وبين الذكر والانثى بل ان فوارق السن والجنس والثقافة هي الغالبة في الجو النفسي لبعض الاسر العربية ... ومعنى ذلك ان بعض الاسر في بلادنا النامية مازالت المجتمع النظامي الذي تسوده الاوامر والنواهي ، وتحكمه التقاليد والعادات ... بدرجة من الاحكام تمنع الحركة .

هذا ـ وان التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الذكور في بعض العائلات تختلف في أمور كثيرة عن تلك التي تتلقاها الاناث ... فالانثى عليها قيود ولها حدود لايمكنها ان تتجاوزها بحكم التقاليد ، تلك التقاليد التي هي في الواقع ارسخ في نفوس الافراد من اى تعليم او ثقافة ، خصوصا في عقول اغلب الاباء حتى المثقفون منهم والذين اقاموا طويلا في الخارج ...

وتتميز المدرسة في بعض المجتمعات العربية بان الكثيرين من مدرسيها يعاملون الطلبة حتى المراهقين منهم والشباب معاملة اوتوقراطية ، ومعنى هذا ان الشاب في هذه البيئات يعامل في كثير من الاحيان معاملة اوتوقراطية من الكبار داخل الاسرة ـ وخارجها ، مما يشعره بالقسوة فيثور عليها ، او يستكين فيرضخ لها ، ولحكم التقاليد .

ولكن انتشار التعليم في الدول العربية وانتشار الثقافة خصوصا في مجالات العلوم الانسانية ، والتصنيع ، وهجرة العمال والشباب من القرية الى المدينة صاحبته هزة كبيرة في القيم والاعتقادات والاتجاهات السلوكية الاوتوقراطية القديمة ... خصوصا وان انظمة الحكم العربية السائدة تعتمد على الديمقراطية والمجالس الشعبية وراى الاغلبية ، والشورى ، فبدا الكثيرون من الشباب العربي محاولات للوصول الى قيم تحقق لهم التكيف لظروف الحياة ، تلك الظروف التي تختلف كثيرا عن ظروف ابائهم واجدادهم ، وبمعنى اخر حاول الشباب ان يبني ذاته وقيمه في اطار القيم الجديدة للمجتمع العربي ، كما تاثر بعض الشباب خصوصا المرضى بامراض نفسية برياح تيارات القيم الواردة من الغرب ... ومن هنا نشا الصراع بين قيم الاباء وقيم الابناء بشكل اكثر وضوحا من الصراع الذي كان ينشا عادة بين الفريقين في الاجيال السابقة .

ان الفجوة بين قيم بعض الاباء وقيم الشبان اليوم اكبر بكثير من الفوارق بينهما في اجيال سابقة ، فالاباء كعادتهم يريدون تاكيد قيمهم القديمة ، تلك القيم التي عاشوا بها ، ولكن بعض الاباء المرضى بامراض نفسية ينبذون هذه القيم ويعتقدون انها تعطلهم عن الانطلاق ومن هنا يبدا الصراع والتمرد ، ويكتشف الاباء في اخر الامر التباعد الصارخ بين قيمهم ومفاهيمهم وقيم ومفاهيم ابنائهم من الشباب ، فيقابلون هذا الصراع او التمرد على أنه مروق ، وتتعقد العلاقات بين الاباء



ظاهرة تمرد الشباب ، ازدادت اخيرا بشكل ملحوظ فيبعض الدول الصناعية وفيبعض الدولالنامية.

والابناء من الشباب ، فتسودها الكراهية والحقد ، والشعور بنكران الابناء لجميل الاباء ، ويصل الامر احيانا الى محاولة ايذاء الابناء او حرمانهم من الميراث او غير ذلك من صور التباعد النفسى والاجتماعى فى الاسرة ...

هذا فى حين ان الابناء الاسوياء نفسيا يتكيفون لابائهم مهما اختلفت القيم ويحترمونهم ويكنون لهم كل حب وتقدير .

ورغم التباين الشديد بينالاباء والابناء فان بعض الاباء يقابل قيم ابنائهم من الشباب بحكمة ويشعرونهم بالمحبة فيسود العلاقة جو من الحرية وديمقراطية المعاملة .... فيشعر الشاب اوالشابة بانه فى جو اسرى يعترف بمكانته،ويحترم فرديته وشعوره بالكيان الذاتى ... وبذلك تكون الثورة او التمرد - ان حدث - فى اخف الصور،وسرعان ماتنتهى كنتيجة لتسامح الاباء ويقظتهما وفهمهما لسيكولوجية الشباب ... وبذلك يساعدون على النمو السوى لشخصية الابن او الابنة ... ولكن ماهى الحاجاتالنفسية الواجب اشباعها فى الشباب حتى لايتمرد ؟ ....

العوامل المؤثرة على سيكولوجية الشباب

تتاثر انفعالات الشباب بعدة عواملاهمها التغييرات الجسمية الداخلية والخارجية والعمليات والقدرات العقلية ، والعلاقات العائلية ، وقيم المجتمع والشعور الدينى .

فمن الناحية السيكولوجية يزداد ادراك الفرد فى مرحلة الشباب للعالم المحيط به نتيجة لنموه العقلى وخبراته ، ويزداد ميله للجنس الاخر ، ويميل الى تكوين علاقات اجتماعية ناضجة مع الشباب من الجنسين ، كما انه يسعى جاهدا لبلوغ الاستقلال الانفعالى عن الوالدين وغيرهم منالكبار ومن هنا ينشا الصراع غالبا بين الاجيال ، كما ينشغل الشباب من الجنسين - كل فى بدء حياته- بالتفكير الجدى فى مستقبله والمهنة التى يختارها وفى التفكير للزواج بل والاستعداد لهلتكويناسرة خاصة به او بها ، كما تتميز مرحلة الشباب بانها مرحلة لتكوين المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك فى حياة المجتمع اشتراكا ايجابيا .

ويهدف الشاب من ذلك كله الى اشباع حاجات نفسية هامة هى الحاجات الى الحب والتقدير الاجتماعى ، والحاجة الى معرفة واكتشاف الاشياء، والحاجة الى الانتماء،والحاجة الى تحمل المسئولية، والحاجة الى النجاح والشعور بالكفاية لمواجهة مواقف الحياة .

ويمكننا ان نلخص تطلعات الشباب النفسية وامله فيما يلى :

١ - الشعور بأنه حر :

ومعنى الحرية السوية التحرر من الضغوط والسلطة الجائرة التى لاتعترف له بحقه فى التفكير والاختيار ... والمقصود بالحرية السوية هو الحرية المنظمة التى تعتمد على الاخذ والعطاء باسلوب ديمقراطى اما المتمردون من الشباب فانهم ينظرون الى الحرية على انها التمركز حول الذات دون اعتبار للاخرين وحياتهم ، وهى حرية مطلقة وتعنى الفوضى .

وللأسف ان كثيرين من الاباء لايدركون حاجة الشباب الى الشعور بالحرية ولا يسمحونلهبالتحرر فى نطاق معقول فتكون النتيجة الثورة والتمرد وطلب الحرية المطلقة التى تتمثل فى مصارعة السلطة .

٢ - الشعور بأنه مستقل :

ويقصد بالشعور بالاستقلال ان يكون للشاب فرصة فى تقرير مصيره ، وقدرا من الاستقلال

الاقتصادي ، وحرية في اتخاذ الكثير من قراراته . وقد يعجز بعض الشباب عن الشعور بالاستقلال رغم ميلهم الشديد اليه وطلبهم له وذلك لنشأتهم الاتكالية ٠ ان التربية الاستقلالية من الصغر تساعد الشاب على الشعور بالاستقلال، اى بالتحرر من الحماية الانفعالية والنفسية والحماية الاجتماعية والاقتصادية٠٠٠بل انه يصارع الحياة وتصارعه الى ان يكون نفسه ٠٠٠ ولكن من الاباء من يحول دون استقلال ابنه عنه نفسيا واقتصاديا مهما بلغ من العمر ٠

٣ ـ الشعور بالمساواة والمعاملة بالعدل :

يطمح كل شاب في ان يعامل في الحياة معاملة مساوية لاقرانه ممن هم في مستواه العلمي او المهني ، وذلك على أساس ان المساواة اساس الحياة الديمقراطية ، سواء مهنيا او اجتماعيا أو قانونيا ٠

٤ ـ تكوين فلسفة للحياة :

ولعل اهم ماتصبو اليه نفس الشاب او الشابة هوتكوين فلسفة في الحياة،اى الاقتناع بقيم واتجاهات سلوكية تحقق له الرضا عن الذات ، والشعور بالانتماء ، والشعور بانه محبوب وناجح في الحياة، الامر الذى يحقق له الشعور بالامن والطمانينة ، والشعور بالثقة في النفس ٠

٥ ـ القدرة على التكيف الاجتماعي :

يسعى كل شاب الى النجاح في الاخذ والعطاء في المجتمع ، الى ان يصبح قادرا على مواجهة مشاكل الحياة بطريقة تحقق له الهدوء والاستقرار النفسي والاجتماعي ويتحقق ذلك عادة اذا كان الشاب غير متمركز حول ذاته ويدرك ان سعادته وثيقة الارتباط بسعادة غيره من الناس ، وكانت عنده القدرة على تكوين علاقات بالغير لايشوبها الخوف او الخجل أو العار ٠٠٠ بل يرضى عنها المجتمع والدين ٠

★ ★ ★

هذه هي اهم الدعامات المؤثرة على سيكولوجية الشباب،فان تحققت له عن طريق التربية السليمة تحقق نموه الانفعالي الى السوى وأصبح عضوا نافعا في المجتمع ، ولكن ان لم تتحقق ثار الشاب او الشابة وتمرد على بيئته ، وأحيانا على المجتمع ككل ٠

بعض أسباب وصور التمرد

فيما يلي بعض الحالات التي توضح اسباب وصور التمرد :

الحالة رقم ١

شاب في الثانية العشرين من عمره طالب بالجامعة ، دائم الثورة على ابويه واخوته وكلهم أصغر منه (ولدان وبنت) ٠٠٠ كان يجدلة في المقارعات الكلامية مع والده ، وكان دائم النقد المستمر لتصرفات الاسرة ٠٠٠ واخيرا وجد ان والده احضر من البنك ٢٠٠٠ دينار فسرقهاوهرب من المنزل ٠٠٠ وضبط بعد ان كان قد صرف منها ٥٠٠ دينار وصفح عنه والده وعاد الى المنزل ٠٠

كان تاريخه المدرسي حافلا بالعدوان على المدرسين والحملات العلنية ضد رجال الدين ، كان يدخن منذ ان كان في الخامسة عشرة من عمره ٠٠

وقد دلت دراسة الحالة على أن والده كان يقسو عليه قسوة شديدة لايمانه بالقول القديم (رب ابنك بقضيب من حديد) كما أن الأب كان ديكتاتوريا أتوقراطيا في المنزل يقف دون تحقيق رغبات ابنائه المتعلقة بمزاولة الرياضة اواستقبال الاصدقاء في المنزل بل كان ينعت اصدقاء ابنه باقبح النعوت لانهم يلبسون الملابس الضيقة والقمصان المزركشة ٠٠ وكان اذا حضر له صديق ٠٠ قابله الاب واخذ يلقي عليه المواعظ ٠ كان الابن محبا للموسيقى ٠٠٠ فمنعه منعا تاما من حضور حفلات الموسيقى التي تعقد في بعض المؤسسات والمعاهد ٠٠ تدخل في اختيار ابنه للشعبة الدراسية في الثانوية العامة وارغمه على دخول غير الشعبة التي كان يميل اليها ، ثم ادخله الكلية التي اختارها له ، الشاب على درجة كبيرة من الذكاء متفوق في دراسته ٠٠ لم يذق طعم الحرية أو الشعور بالاستقلال من طغيان الاب ٠٠٠ وكان الاب شديد البخل بالنسبة لما يعطيه لاولاده كمصروف يد ٠٠٠ ولكنه يسرف في شراء كل ما يحتاجونه من ملابس أو فاكهة او حلوى ، وحجته في ذلك ٠٠٠ « أن الفلوس في يد الاولاد تفسدهم » ٠٠ ولذلك فان الابن عندما سرق مال والده صرف منه ٥٠٠ دينار في ثلاثة ايام ٠٠٠ ماذا فعل ٠٠٠ اشترى كل ما كان

يتمناه .. صرف الكثير على شلته من الطلبة . ان بخل الوالد . الجأ الابن الى البذخ والاسراف عندما وقع تحت يده المال .

ان هذه حالة تمرد على السلطة الاتوقراطية للاب ، التى حرمت الابن الشاب من كل ما يصبو اليه من هم فى سنه من شعور بالحرية والاستقلال والتقدير ..

ان خطأ الأب يتلخص فى أنه ظل يعامل ابنه كطفل وهو فى سن الشباب اى بعد أن تخطى سن الطفولة بكثير ... وثار الابن على هذه المعاملة ... وتمرد بان كان ينتقد والده علنا ... ويتهمه بالرجعية، وضيق الذهن ، والتسلط والبخل .. بل أخذت ثورته وتمرده ايضا صورة عدوانية ضد كل من فى المنزل من اخوة وخدم .. انها قيم الابوة الريفية القديمة وجمودها أدت بالشباب الى مصادقة المتمردين من اقرانه .. مما نمى فيه شعور العداء للاسرة ... ان المتمردين من الشبان والشابات يجدون لذة فى المشاركة الوجدانية واجترار مشاعر العداء للاباء ، ويشعرون بالعطف المتبادل نتيجة الشعور بالاضطهاد الاسرى ، ذلك لان المتمردين يشعرون بالاستقلال نفسيا عن أسرهم ، بل يشعرون بالعداء والنفور منها ، ولكن يشعرون بالانتماء الى جماعة الشباب المتمرد الذى يشاركهم وجدانيا فى ظروفهم الاسرية أو الاجتماعية وفى قيمهم واتجاهاتهم السلوكية المخالفة للبيئة .

الحالة رقم ٢

صراع بين القيم الريفية والحضارية

شاب ريفى من اسرة مستواها الاقتصادى فوق المتوسط ، اكبر الابناء فى العائلة ، والده متدين لدرجة التزمت ، امله فى الحياة ان يربى ابنه تربية مثالية .. علمه الصلاة من صغره ، ادخله فى المدرسة الابتدائية ثم المدرسة الثانوية فى الريف ، كان يدخن خفية .. والتدخين فى نظر والده جريمة .. فى حين ان الوالد نفسه يدخن .. دخل الابن الجامعة فى المدينة .. وحضر معه والده واسكنه عند احد اقاربه واوصاه به ، واشترط عليه ان يخطره تليفونيا اذا ما تاخر الابن عن موعد خروج الجامعة ، او اذا سهر خارج المنزل .. وكان يعود الى القرية فى العطلات الصيفية او عطلة نصف السنة .. وعلى الرغم من القيود التى فرضت على هذا الشاب فى المدينة ، فانه كان كثيرا ما يقضى يومه بعيدا عن الجامعة ، فى صحبة بعض زملائه ، وتضاربت قيمه الريفية مع القيم التى وجدها سائدة بين اقرانه (الشلة) .. ومع القيم التى استمدها من الثقافة الجامعية وكان كثيرا ما يناقش قريبه الذى يسكن معه ويختلفان فكان دائما يعارضه كما كان يعارض والده واقاربه فى القرية فى امور كثيرة من امثلتها ما يلى :

- اختلاط الجنسين مفسدة للاخلاق .
- الزوج هو سيد البيت المطلق .
- يجب ان يكون الطلاق وفقا على ارادة الزوج وحده .
- تعليم البنت يضعف انوثتها .
- البيت هو المكان الطبيعى للمراة ، ولا يصح ان تسند اعمال او وظائف الا للرجال .
- موافقة الابوين يجب ان تكون الشرط الاول لاتمام الزواج .
- وظيفة المراة انجاب الاولاد وخدمة الزوج .

وكان هو يجاهر بأرائه المخالفة لهذه القيم ويعلن انه يعتقد فى قيم لا تقرها البيئة الريفية ومنها :

- ينبغى اتاحة قدر من الحرية للتعرف بين الشاب والشابة قبل الزواج .
- يجب مساواة المراة بالرجل فى الاجر على نفس العمل .
- يجب تشجيع المراة فى النوادى الرياضية والاجتماعية المختلطة الى غير ذلك من القيم التقدمية ، واعتبره والده واهله انه قد فسد ، واصبح متمردا .

وانتهى به الامر الى الانضمام الى مجموعة من الشباب الخنافس ، فاطال شعره ولبس الملابس الضيقة ، واصبح يتاخر فى العودة الى المنزل ، ولما علم والده بذلك حضر الى المدينة واعتدى عليه بالضرب ، واجبره على قص شعره ، وهدده بقطع ما يرسله له من مصاريف ، واضطر الابن لمجاراة والده الى ان يتخرج واصبح موظفا وعاد

الى حياة المجون وانتهى بـه الامر الى الادمان على الخمر ، ففصل من عمله ٠

لقد ترتب على الصراع بين القيم الريفية والقيم الحضرية بين الاب والابن فقد الابن لمكانته وتقديره في الاسرة ، مما زاد من ارتباطه بالشلة التى انتمى اليها ٠٠ شلة المتمردين من الشباب المرضى نفسيا امثاله ٠٠ كما انه انغمس في التدخين وشرب الخمر ٠٠ تمثلا بهم وفهما خاطئا منه للحرية ٠٠ وفى نهاية الامر ثار هذا الشاب ثورة صريحة وتمرد على العائلة بانفصاله عنها نفسيا واقتصاديا استقلالا ماديا بعد التوظف ٠٠ وتنكر لاهله وعشيرته ٠٠ ولكنه كان بائسا يعانى من الوحدة والاضطراب النفسى والعاطفى ٠

هل تسامح ومرونة الابوين يحولان بين الشباب والتمرد ؟

اجريـت بعض البحوث العلمية لدراسة اثر تسامـح الوالديـن ومرونتهما على ثـورة وتمرد الشباب ، فتبين انه كلما كان الوالدان قد تعرضا لتاثير التعاليم التربوية الحديثة كانا متسامحين وندرت ثورة ابنائهـم او تمردهم ٠٠ والمقصود بالتعرض للدراسات التربوية الحديثة ، هو كـل او بعض درجة التعليم ، وكثرة الاحتكاك بثقافات غير شرقية محضة ،ومعرفة اللغات الغربية،ومشاهدة الافلام السينمائية الجادة،والاستماع الى الاذاعات العالمية ، والسفر الى البلاد الاجنبية ، وقراءة الكتب والمجلات والصحف ، الى غير ذلك مما يحول بين الاباء والقيم التزمتية التسلطية على الابناء، وقد تجلى تسامح هؤلاء الاباء فى السماح للابناء والبنات بالخروج او السباحة مع اقرانهم وزملائهم والسماح لهم بالذهاب الى السينما ، والسماح لهم فى اختيارهم للمهنة،او الزوج او الزوجة ٠

هذا الا انه قد وجد ان بعض الاسر رغمتعرضها لتاثير الدراسات التربوية الحديثة فان قيم الاباء المحافظة لم تتاثر لدرجـة ملحوظـة فى تسامحهم ومعاملتهم التسلطية للابناء ، ويرجع ذلك الى تاصل ورسوخ القيم التسلطية فى سيكولوجية بعض الاباء ، ولا غرابة فى ان بعض العرب الذين تعلموا فى الدول الغربية لسنوات طويلة ، وعاد بعضهم منها مليئا بكثير من اساليب الحياة فيها فى حين عاد اخرون رافضين لكل القيم الغربيـة رفضا تاما ٠

كـما ان بعض الاسر التى تـاثرت بالحضارة الحديثة قد تركت الحبل على الغارب لابنائها ، فلم تحطهم بالرعاية والتوجيه ، فتمرد بعض ابنائها من الشباب ، وتمردهم فى الواقع ضرب من ضروب الضياع وعدم الثقة فى النفس ونتيجة الصداقات مع شبان متمردين او مرضى بامراض نفسية

بعض العوامل الحضارية التى تساعد على ظهور سمات تمرد الشباب فى بعض الدول العربية

كثيرون من الشباب المتمردين ما كانوا يتمردون حتى رغم البيئـة التسلطيـة التى نشاوا فيها ويعيشـون فيها للان ، لو لم تكـن ضغوط الحياة والقسوة التى يعانى منها الشباب الان،وخصوصا فى المدن الكبرى فى الدول العربية ، سواء كانوا من طلبة الجامعة او من صغار الموظفين والعمال ٠

ولعل درجـة قسـوة الظروف بالنسبة لطلبـة الجامعات اكبر بكثير من درجتها بالنسبة للعمال وصغار الموظفين ، ولا ادل على صحة ذلك من ان التقارير الرسمية تشير الى ان ١٢ من كل مائة مريض يتقدمون للعلاج فى مستشفى الامراض العقلية باحدى الدول العربية الكبرى ، ممن لا يزالون فى سنوات الدراسة ٠

فالطالب الجامعى فى القاهـرة مثلا يعانى من التوتر النفسى والعصبى ، ذلك التوتر الذى يبدا معه منذ بداية العام الدراسى ، اذ ينوء فى اول كل عامتحت ضغوط شراء الكتب والادوات اللازمة خصوصا لطلبة الهندسة والطب ، ثم عمل اشتراك فى احدى طرق المواصلات (اوتوبيس ـ تروللى باص ـ مترو ـ ترام) وغالبا ما يضطر الى ركوب اكثر من مواصلة واحدة ، ٠٠ وكلها مواصلات مزدحمة خانقة ، وما ان يصـل الى الجامعـة الا ويعانى من زحام آخر اشد وقعا على نفسه وعلى مستقبله ، وذلك هو زحام قاعات المحاضرات ، وضيق الاماكن فى المعامل والورش ، كما يعانى الطالب من مشكلة التغذية وعدم انتظام مواعيد

الاكل لان جدول الحصص يحتم عليه الحضور احيانا فى الصباح واحيانا اخرى فى المساء .. لم يعود فى المساء ، وعليه ان يعمل الى ساعة متاخرة من الليل .. يستذكر مواد لا حصر لها « ووجهات نظر متباينة » .. الامر الذى يدفع بالكثيرين من طلبة الجامعة الى الدروس الخصوصية . اما بالنسبة للشباب من صغار الموظفين والعمال فان قسوة الحياة من حيث مشاكل الاسكان وارتفاع تكاليف المعيشة وسوء طرق المواصلات كفيلة بان تجعل هؤلاء الشبان فى حالة من التوتر النفسى والعصبى الشديد ، وعادة يؤثر التوتر النفسى الناتج من هذه الظروف الاجتماعية على الشبان ممن يتسمون بشخصيات « هشة » نتيجة طفولة غير سوية .. فيثورون ويتمردون ، او ينكسرون فينطوون على انفسهم ويعانون من المرض النفسى.

السخط العام والاكتئاب كصورة من صور التمرد

تصل درجة تمرد وثورة بعض الشبان والشابات حدا ابعد من الثورة على قيم الاباء فيثورون على قيم المجتمع كله،والواقع ان هذا النوع من الثورة هو فى الواقع وسيلة هروبية من مواجهة الحياة ومحاولة للتحلل من قيوده ، وقد يتزوى الفرد ويتقوقع مبررا هروبه من الحياة بعدمموافقته على قيم المجتمع ، وقد ينضمالىبعض الجماعاتالساخطة الرافضة للمجتمع ولتقاليده امثال « الهيبز » .. وهذه الجماعات ليست بالجديدة ، فامثالها موجود فى كل العصور ، ويشاهدون فى الاحياء الشعبية الفرنسية والانجليزية علىمر العصور ...وكثيرا مايتعدىالسخط على المجتمعالى العدوان ،ومحاولة تحطيم القيم ممثلة فى بعض افراد البيئة فيرتكبون الجرائم ، بحجة الثورة على التقاليد والقيم ، ويجد هؤلاء الثائرون المتمردون لذة « مرضية » فى اثبات وجودهم بهذه الطرق الفوضوية وذلك بعد ان فشلوا فى اثبات الذات بالطرق السوية ، والباحث فى سيكولوجية جماعة الساخطينالمتمردين لايجد فيما تربطهم ، على قدر مايجد قدرا من المشاركة الوجدانية...المشاركة بالسخط والرفض للمجتمع ومنه ، بل قد تصل الدرجة بالمتمرد الى رفض الفرد لذاته وعدم رعايتها او حمايتها .

الانتقام من الوالدين بايذاء الذات كصورة من صور التمرد

وقد يتخذ تمرد الشباب صورة مرضية « فيضرب الشاب عن المذاكرة او دخول الامتحانات ، وقد يكون هذا السلوك هو العرض الوحيد للتمرد ، وقد يكون مصحوبا بنزعات الحادية او سياسية شاذة ، او بوسيلة استعراضيـة فى المظهر او الملبس ، وقد يصل الصراع الى غير الاباء ،فيعم الاسرة والمجتمع ، فيتكمش الشاب وينطوى على ذاته ، او ينضم الى امثاله من الشبان الساخطين الشاعرين بالاضطهاد من اسرهم ومن المجتمع ، ومثل هذه الحالات فى الواقع حالات مرضية نفسيا او عقليا .

سلوك الاباء نحو تمرد الشباب :

يختلف سلوك الاباء نحو تمرد الابناء ،فبعضهم يستسلم ويسلم امره لله ، ويهمل الابن او الابنة الى ان يؤدى به او بها التمرد الى مشاكل سلوكية او مشاكل مع السلطة والقانون .

فى حين ان بعض الاباء يزيدون من سيطرتهم وسطوتهم على الابناء ، والنتيجـة اما استلام ظاهرى من الشباب ، واما انفجار وانشقاقوصراع عائلى ، قد يؤدى بمستقبل الشاب ...

والعلاج لحالات التمرد يجب ان يبدأ مبكرا منذ اول ظهوره ، فيغير الآباء من سلوكهم التسلطىان كانهذا هو سبب التمرد ، ويلجاونالىعرضالابن او الابنة علىأخصائى فى الامراض النفسية ، بعد كسب ثقته او ثقتها باشعاره او اشعارها بالعطف والمحبة والتقدير .

ان حالات الشباب المتمرد قابلة للعلاج ، وعلى الاسرة والمدرسة ان تتعاون فى العلاج ، وعلى المجتمع انيوفر للشباب وسائلشغل اوقات الفراغ والترويح عن النفس ، انمجتمعاتنا العربيةمازالت تشيع فيها القيم الدينية التى تحض الاباء علـى الرحمة والمحبة للابناء وتحض الابناء على حب الاباء واحترامهم ■ ■

القاهرة : ملاك جرجس

في سبيل موسوعة علمية

الجاذبية

كل ما في الكون يجذب بعضه بعضا

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ كتب يقول اننا نزن الخبز ، ونزن السكر ، ونزن الاسمنت والحجر ، فهل من سبيل الى وزن الأشياء الأكبر والأضخم ، كالجبل ، او حتى كالأرض والقمر ؟

الجاذبية

وجواب هذا السائل لابد من التحضير له بالحديث عن الجاذبية ، جاذبية الأرض لكل ماعلى سطحها من أشياء ٠

انها ظاهرة لم تخف على احد منذ كانت الخليقة ٠ فالانسان منذ آلاف السنين لابد عرف انه اذا تخلى عن شيء في يده ، عصا كان قد حملها ،او ثمرة كان قد اقتطفها، فهي لابد ساقطة الى الأرض٠وهو قدعلم لاشك انه مارمى بشيء عاليا في الهواء الا هبط ٠ ويعلم انه يقعد على الأرض ، ثم يقوم عنها واقفا ، تعمده ساقاه ٠ وهو واقف ماعمدته ساقاه ، فاذا تخلت عنه الساقان ، او تخلت القدمان ، فهو لابد ساقط كالكومة على الارض ٠

الى الأرض دائما هو يسقط ٠

والانسان لم يكد يدرى في تلك الأزمان انه يعيش على ارض ، هي في حقيقة أمرها كرة ، وهو كان يعبر عن هذا السقوط فيقول انه سقوط الى تحت ٠

ثم تتقدم السنون ، وتتلاحق القرون، فيعلم الناس انهم انما يعيشون على سطح منحن ، على سطح كرة ، وان الذى يسقط منه شيء في انجلترا ، يسقط الى تحت ، وان الذى يسقط منه شيء في استراليا او زيلندة الجديدة ، وهي في الناحية الاخرى من الكرة، يسقط الى تحت ايضا ٠ ولكن يتضح لهم ان التحت في انجلترا نقيض التحت في زيلندة او استراليا ، وان التحتين انما يتجهان الى موضع واحد

"وزن" الأرض يساوي ٦٠٠٠ مليون مليون طن

في الأرض ، هو مركز هذه الكرة الضخمة الكبيرة ٠

وتعودنا ان نقول ان الارض تجذب الاشياء التي على سطحها اليها٠ وهي تسقط الى هذا السطح اذا رفعناها عنه ، وتود لو انها استطاعت ان تصل الى مركز الارض ، فهذا المركز هو مركز الجاذبية الارضية جميعها ٠

بالجاذبية نزن الاشياء

وتعلمنا بالجاذبية كيف نزن الأشياء ٠

ان الوزن مقارنة جاذبية الأرض لكتلة من الحديد او النحاس معلومة ، نستخدمها مقياسا ، ونسميها رطلا او أقة او كيلوجراما ، بجاذبية الأرض للشيء الذى نريد وزنه ٠ فما الوزن الا جاذبية فنقول انه رطل ، او رطلان ، او رطل ونصف رطل ، وهلم جرا ٠

ونجرى هذه المقارنة بالميزان ، وله كفتان ٠

ونحمل هذا الميزان ،بالذى في كفتيه ، من الصومال عند خط الاستواء ، الى الخرطوم ، الى القاهرة ، الى روما ، الى المانيا والدنمركة ، الى السويد ، فالقطب الشمالى ، فنجد ان دلالة الميزان لم تتغير ٠ فان كان دل" على ان الشيء الموزون رطل فى الصومال فهورطل فى كل هذه الارجاء ٠

ولكنا اذا استبدلنا بهذا الميزان ، ذى الكفتين ، ميزانا ذا زنبرك دقيقا ، يعلق الانسان فى خطافه الشيء المراد وزنه ، ويقرأ عليه كم استطال زنبركه بفعل جاذبية الأرض للجسم المعلق الموزون ، عندئذ نجد ان هذا الميزان ذا الزنبرك لاتثبت له ، في وزن الشيء الواحد ، دلالة واحدة،ونحن ننتقل به على سطح الأرض ٠

ذلك ان الأرض جسم هائل ، له جاذبية تفعل وكأنما تركزت كلها فى مركز هذه الكرة الهائلة ، كرة الأرض ، كما ذكرنا، والذاهب بالزنبرك الى الصومال ، فالى القطب الشمالى ، لايبعد بعدا واحدا عن مركز الأرض ، فليس نصف قطر الأرض واحدا ٠ وهو كلما اقترب من المركززادت الجاذبية ، وكلما ابتعد قلت الجاذبية ٠

فالجاذبية شيء غير ثابت ٠

ان قلت وزن شيء ما كذا ، وجب ان تذكر اين وزنته من سطح الأرض ٠ على ان هذه الفروق ضئيلة ليس لها خطر فى المعاملات٠كذلك الصاعد بالميزان الزنبركى من سطح الأرض الى قمة جبل ٠ انه بالارتفاع يخف" الشيء الموزون ويخف اكثر لو ارتفعنا به فى طائرة !

وزن الشيء Weight الذى نزنه اذن يتغير بالموضع ، ولكن مادته تبقى واحدة

ونعبر عن هذه المادة الثابتة بالكتلة ، كتلة الشيء

انتفعنا بالجاذبية ، ووصفناها ومع هذا ، بقى كنهها خافيا

انتفعنا بالجاذبية فى القعود ، وفى القيام ، وفى حمل الأجسام ، وفى حطها ، وفى الحذر من السقوط ، وفى السقيا بالماء من رؤوس الجبال ، وبالسقيا من الماء من اعماق الآبار ، وفى وزن الأشياء ، ومع هذا تسال الناس عن الجاذبية ماهى ، فلا تجد جوابا شافيا · جوابهم هو انها ذلك الشيء الخفى الذى يربط الأشياء والناس بالأرض ·



جاليليو

ويأتي العالم الايطالى جاليليو Galileo وهو من اهل السبق من علماء العصور الحديثة ، فيحاول ان يفهم عن الجاذبية اكثر مما فهم الناس ، او لعله يفهم أصح مما فهم الناس ·

كان الناس فى عصره يعلمون ان الأشياء تسقط الى الأرض ، بفعل الجاذبية طبعا ، ولكنهم قالوا : ان الشيء الكبير الثقيل يصل الى الأرض قبل الشيء الصغير الخفيف ·

وهذه كانت قولة قالها الفيلسوف ارسطو ، ذلك الذى سماه اهل اوروبا « المعلم الأول » ، وظلوا يؤمنون بها بضعة وعشرة قرون من الزمان ·

قام جاليليو فاسقط اشياء من برج بيزا Pisa ، البرج الشهير المائل فى تلك المدينة الايطالية القديمة ، وهو ظل مائلا الى ايامنا هذه · واثبت جاليليو بما اسقط من اشياء بطلان هذا القول · أثبت ان الثقيل والخفيف من الأشياء يسقطان الى الأرض فى وقت واحد ، لولا الهواء الذى يعوق الشيء الصغير لاسيما اذا هو افترش من الجو مساحة كبيرة · وأفرغ جاليليو انبوبا من هوائه ، واسقط فيه من الأجسام ،ثقيلها والخفيف ماأسقط ، فوصلت جميعا الى القاع فى برهة من الزمان واحدة ·

جاليليو



صور تصور ماجاء فى التاريخ ، منان جاليليو اسقط من برج بيزا اجساما سقطت الى الأرض فى وقت واحد ، مع اختلاف احجامها ، فاثبت بذلك خطا ارسطو ·

جاليليو
والمسافة التى يقطعها الجسم الساقط فى الثانية

واجرى جاليليو تجارب على الأجسام الساقطة استدل منها على ان الاجسام الساقطة ، تحت تأثير الجاذبية ،تزيد سرعة سقوطها فى كل ثانية بمقدار ٣٢ قدما ٠ فهى ان بدأت بسرعة صفر ، فان سرعتها فى ختام الثانية الأولى تكون ٣٢ قدما فى الثانية ، وفى ختام الثانية الثانية تصبح ٦٤ قدما فى الثانية وهلم جرا ٠

والصورة المرفقة صورة جسم اسقط من طيارة عمودية فقطع فى الثانية الأولى (التى بدأت بسرعة صفر،وانتهت بسرعة ٣٢ قدما فى الثانية) ١٦ قدما ٠ وقطعت فى الثانية الثانية (التى بدأت بسرعة ٣٢ قدما فى الثانية وانتهت بسرعة ٦٤ قدما ، اى بسرعة متوسطة مقدارها ٤٨ قدما) ٤٨ قدما ٠ وهلم جرا ٠

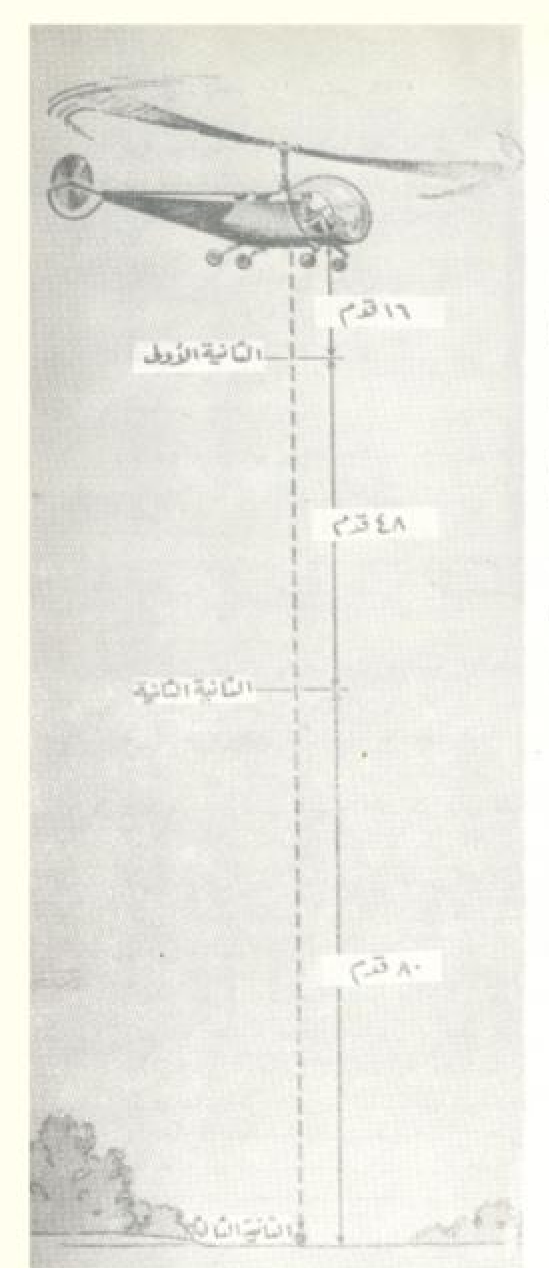
وتسمى هذه الزيادة فى السرعة بالعجلة Accelaration ، وهى هنا عجلة الجاذبية الأرضية ٠

معنى « القوة » يزيد اتضاحا

ان « القوة » فى اللغة ، فى استخدام الناس فى حياتهم ، غير « القوة » فى العلم Force ٠

ان القوة فى علم الحركيات او علم الميكانيكا،انما هى الشىء الذى اذا اطلقته على جسم غير متحرك ، او متحرك بسرعة ثابتة ، اعطى له سرعة حركة ، اى عجلة، وهى عجلة تظل قائمة ما لم تتدخل قوى اخرى تناقضها ٠

وليس من مثل احسن ، وأصفى لفكرة القوة فى العلم ، ولوضوح معناها ، من



طيارة هيلوكبتر تسقط جسما
هذا جسم يسقط من طائرة عمودية ، بعجلة ، تساوى ٣٢ قدما فى الثانية ، نستنتجها من المسافات التى قطعها الجسم الساقط فى كل ثانية ٠

قوة جاذبية الأرض،وما تحدثه من زيادة فى سرعة الحركة ، تلك الزيادة التى هى منصميم كنه القوة فيما تحدثه منآثار ٠

اسحق نيوتن والجاذبية عامة

عاش جاليليو فى ايطاليا فى القرن السادس عشر ٠

وجاء نيوتن Newton الانجليزى فى القرن الذى يليه ، فى القرن السابع عشر ٠

ونيوتن هو الذى توسع في نظرية الجاذبية حتى عمّت اجرام الأرض والسماء ٠

كان نيوتن يعرف من جاذبية الأرض للأشياء ما يعرف ، وكان يدرك ان كل شيء على سطح الأرض منجذب اليها ٠ ونظر الى القمر ، وظل ينظر مرارا وتكرارا ٠ ثم يأتيه الخاطر بأن هذه الجاذبيةالأرضية التى تشد ما على الأرض الى الأرض،لم لا تكون هى نفس الجاذبية التى تشد القمر الى الأرض فلا يفتأ يدور حولها ٠

ان فكرة ارتباط القمر بالأرض فكرة قديمة حامت حولها الظنون ، منذ عهد بطليموس ، عالم الاسكندرية وفلكيها ، الذى عاش فى القرن الثانى من الميلاد ، ولكنها كانت ظنا يأتي ويذهب ٠ حتى اذا جاء نيوتن ، تمسك به ، وزاد عليه ، وحاول ان يمده بما استطاعمن حساب٠

وكان ماهرا فى علمالرياضةوالحساب٠

وحاول ان يثبت وجود هذه العلاقة بين القمر والأرض ، ففشل ٠ وعندئذ طرح الفكرة اعواما ٠ ثم حدث ان جاءت نتائج ادق عن بعد القمر من الأرض ٠ واستخدمها نيوتن فى حساباته فخرجعلى نتائج تتفق وما يتخذ القمر من مسار حول الأرض ٠

نظرية الجاذبية كما اقرها نيوتن

انها نظرية عامة لا تتصل بالأرض وحدها ، ولكن بكل شيء فى الكون ٠ كل شيء فى الكون يجذب وينجذب الى كل شيء آخر ٠

وان قوة الجذب بين جسمين تزيد مع زيادة كتلتهما ٠ فكلما كبر الجسمان كتلة زادت بينهما الجاذبية ٠ وكلما صغرت كتلتهما صغرت بينهما الجاذبية ٠

ويعبر الرياضيون عن هذا فيقولون : ان الجاذبية بين جسمين تتناسب تناسبا طرديا مع كتلة الجسم الاول ومعكتلةالجسم الثانى ٠ ويجملون هذين المعنيين بقولهم انها تتناسب طرديا مع حاصل ضرب كتلة الجسم الأول فى كتلة الجسم الثانى ٠

ثم ينظر العلماء فى البعد بين الجسمين فيرون ان الجاذبية تزيد كلما اقترب الجسمان ، وهى تنقص كلما تباعدا ٠ فهى تتناسب تناسبا عكسيا ، لا مع المسافة التى بينهما ، ولكن مع مربعها (كالضوء الذى اذا توزععلى مسافة مترعلى ستارة مساحتها متر مربع ، فهو لا يصل الى مسافة مترين حتى يكون هو نفسه قد انتشر على مساحة مقدارها ، لا مترين مربعين ، ولكن اربعة امتار مربعة) ٠

واذن يلخص نيوتن نظريته بقوله ان الجاذبية بين جسم ا و جسم ب تساوى :

$$= \frac{\text{كأ} \times \text{كب}}{\text{م}^{2}}$$

اما كأ فكتلة الجسم الأول ، وأما كب فكتلة الجسم الثانى ، واما م فالمسافة التى بين الجسمين ٠

ومن قوانين الجاذبية
استنتجوا مقدار ما فى الأرض من مادة

اى استنتجوا كتلة الأرض ٠ اى كم تزن لو اننا استطعنا ان نضعها فى كفة ميزان ٠

ومعهد لهذا الرياضى الفرنسى بوجير Pierre Bouguer ، وذلك انه فى عام ١٨٣٥ ، وهو ببلاد اكوادور بامريكا الجنوبية ، قام بتقدير كتلة لقمة جبل هناك اسمها شمبرازو Chimberazo ومسح هذه القمة مسحا هندسيا بقدر ما يسرت له وسائله ٠ وقدّر اين يقع مركز الثقل Center of Gravity لهذه القمة ٠ واخذ من مادة الجبل عينات ، وقدر كثافاتها ، وخرج من هذه الكثافات على متوسط كثافة لقمة الجبلعامة ٠ ومن الكثافة ومسح ارجاء القمة ، اهتدى الى كتلة هذه القمة كم تكون ٠

وجاء بخيط يحمل بطرفه ثقلا،يمسكه البنّاء من طرفه الآخر ، فيستقيم الخيط، فيدل البناءّ على الاتجاه العمودى الصحيح ٠ فهو خيط البنّاء Plumbline .

وجاء (بوجير) بهذا الخيط ، وجعلفى طرفه ثقلا،ثم علقه قريبا من حافة القمة الجبلية ، فكان من الخيط ان ترك الاتجاه العمودى ومال نحو الجبل ٠

ونشأت من ذلك مسألة رياضية يحلها عالم الميكانيكا ٠

ثقل الخيط عملت به قوتان جاذبيتان ، جاذبية القمة الجبلية ، متركزة فى ثقلها، وجاذبية الأرض ، متركزة عند مركز الأرض على بعد نحو ٤٠٠٠ ميل ٠ القمة الجبلية كتلتها معلومة ، وبعد مركز ثقلها عن خيط البناء معلوم ، والارض ، بعد مركز ثقلها عن خيط البناء معلوم ، ولكن كتلتها هى المجهولة ٠



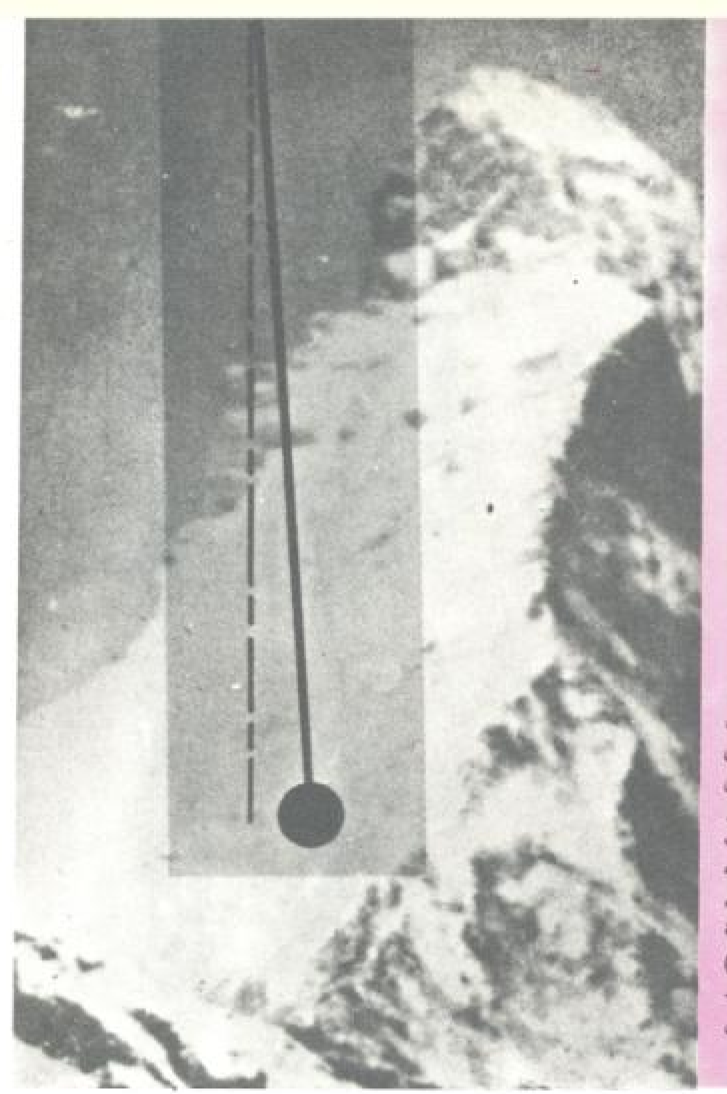
نيوتن

وجاء اينشتين بعد هذا

ظلت النظرية الجاذبية العامة لنيوتن قائمة لا يكاد يناقشها احد حتى اوائل هذا القرن العشرين ٠ وفى الربع الأول من هذا القرن جاء العالم الرياضى الفزيائى اينشتين بنظريته ، النظرية النسبية ، وبها نقض بعض ما جاء فى نظرية نيوتن ٠

ولا ندخل فى النظرية النسبية ، ولا ما لحق بها من نظريات ، فلا تزال نظرية نيوتن هى القائمة التى تعمل فى الميدان لشتى الأمور والغايات ٠

على ان نظرية نيوتن وما تلاها من نظريات لم تزدنا بمعنى الجاذبية فهما ٠ ان الجاذبية سر من اسرار الوجود الأخفى، التى نستطيع ان نصفها ، ونصفمسيرها، وكيف تتخلق ، دون ان نصل الى فهم كنهها ٠ كالكهرباء ، خادمة طيّعة لنا ، وهى اطوع ما تكون فى ايدينا ٠ ولكن ما كنهها ؟ لا ندرى ٠ وليس علمنا بها ، وبالالكترونيات التى تحدثها ، مما يزيد الانسان فهما ٠



صورة القمة التيجبل في اكوادور ، وهي التي استخدمها الرياضي الفرنسي في تقدير كتلة الارض ،بالكشف عن مقدار جذب هذه القمة لخيط البناء (في الصورة المركبة على صورة الجبل) وقد مال هذا الخيط الى قمة الجبل بفعل جاذبيته

ويتدخل الحساب فيخرج العالم الرياضي (بوجير) بأن كتلة الأرض هي ٦٠٠٠ مليون مليون مليون طن ٠

طريقة كافندش لتقدير كتلة الارض ٠٠٠٠٠٠

وجاء كافندش Cavendish ، العالم الانجليزى الشهير ، وفي عام ١٧٩٨ قام بتجربة لتقدير كتلة الأرض ادق من تلك التي سبقت ٠

استخدم فيها الميزان المعروف بميزان الالتواء Torsion Balance وهو عبارة عن قلم رفيع جدا مصنوع من الكوَرت Quartz (وهو اكسيد الرمل النقى المتبلور) ٠ وهو مثبت طرفه الأعلى ٠ اما طرفه الأسفل فيرتبط بمنتصف قضيب ثابت بالنسبة للقلم في وضع افقى ٠ ووضع على طرفى هذا القضيب كرتين صغيرتين من الرصاص متساويتين ٠



الميزان الالتوائى الذى استخدمه كافندش فى تقدير كتلة الارض ·

وتبدأ التجربة بوضع كرتين من الرصاص كبيرتين تعلقان من عالق الميزان · ليكون الخط الواصل بينهما فى اتجاه عمودى على اتجاه القضيب الذى يحمل الكرتين الصغيرتين ·

واذن تجذب الكرتان الكبيرتان ، بحكم الجاذبية التى بين الأجسام عامة ، الكرتين الصغيرتين ، فيلتوى بذلك قلم الكورت الذى يحملهما ·

ومن زاوية الالتواء هذه تحسب القوة الجاذبة بين الكرتين الصغيرتين والكبيرتين·

المسافة بينهما كذلك معروفة ·

ووزنهما كذلك معروف ·

اذن فهذه حالة من الجاذبية بين جسمين، عرفت كتلتاهما ، وعرفت المسافة التى بين مركزى ثقلهما ·

بقى مقارنة احدى الكرتين بالأرض: —

جسمان ، البعد بين مركزى ثقلهما معروف (هو نصف قطر الارض) ·

ووزن احدهما معروف (وزن الكرة) · بقى وزن الجسم الثانى الذى هو الارض (او باللغة الادق كتلته) · ونستخرجه بالحساب مما سبق عندنا من نتائج،وذلك بناء على ان الجاذبية بين جسمين،تتناسب تناسبا طرديا مع وزن الجسمين ، وتتناسبا عكسيا مع مربع المسافة بينهما ·

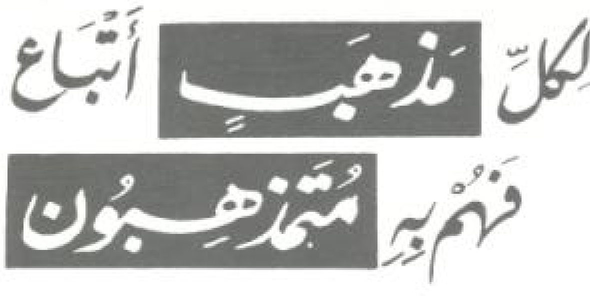
صنع كافندش كل هذا فى زمانه (عام ١٧٩٨)

وفى عام ١٩٤٢ قام الدكتور هيل Paul Hey ، فى المعهد الشهير للمقاييس المعيارية فى الولايات المتحدة Bureau of standards ، قام باعادة تجربة كافندش ، بوسائل أدق ، وخرج على ان كتلة الكرة الارضية تساوى ٥٩٦٠ مليون مليون مليون طن تقريبا ·

●●

احمد زكى





بقلم : محمد خليفة التونسي

تمذهب
اشتقاقه ودلالته

■ حين نتصفح تراثنا العربي الاسلامي من كتب التاريخ والتراجم وعلم الكلام ، التي الفت منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الماضي ـ نجد انها كانت تعنى كثيرا في تراجم الرجال بان تذكر مذهب المترجم له ، لاسيمامذهبه الفقهي ، وكثيرا ماتشير الى مذهبه الكلامي،وربما تذكر مذهبه النحوي أو الرياضي أو الفلكي ان كان من النحاة او الرياضيين او الفلكيين ، وكان لذكر المذاهب يومئذ دواعيه ونتائجه التي لاتعنينا هنا ، بل يعنينا انه كانت تتكرر فيها عشرات بل مئات اشاراتها الى مذهب المترجم له بنحو قولها : « تمذهب او كان يتمذهب بمذهب فلان أو المذهب الفلاني » اى كان يعتنقه ويتبعه .

وزن مفعل وتمفعل في الفصيح

(١) تمذهب : هذه اذن كلمة مستعملة في الفصيحة،وهي مشتقة من كلمة « مذهب » ، وعلى هذا النحو الذي سار عليه السلف تشتق من هذا الاصل « مذهب » كلمات اخرى ، فنقول مثلا : لكل مذهب اتباع ، او متمذهبون به وكل منهم يود لو اجتذب الآخرين فمذهبهم بما تمذهب به ، ولا على الانسان ان يمذهب الآخرين بما يتمذهب به اذا كان اقتناعه به عن اجتهاد حر أصيل،ولا بأس بالتمذهب ان لم يصحبه تحزب او تعصب .

هذه كلها مشتقات ميمية الاول ، منها فعلان ماضيان:مذهب (الرباعي) وتمذهب (الخماسي)، ومضارعاهما : يمذهب ويتمذهب ، والمصدر : التمذهب ... وكلها تشترك في هذا الاصل الرباعي « مذهب » .

ولكننا حين نتامل هذا الاصل نجد انه مشتق من جذر ثلاثي ، هو « ذهب » بمعنى المضي ، زيدت الميم في اوله حرفا رابعا فصار « مذهب » ولكن المشتقات الميمية السابقة لم تشتق مباشرة من الجذر الثلاثي ، بل اشتقت مباشرة من « مذهب » كما لو كانت الميم الزائدة فيه حرفا اصليا ، وهذه الظاهرة اللغوية يسميها اهل اللغة « الاشتقاق على التوهم » : اى توهم شيء غير حقيقي كانه حقيقي ، وهي في لغتنا شائعة في اوزان كثيرة ، سنتعرض لها في فرص اخرى ، ونفرد لكل منها صفحة ، وحسبنا منها هنا ماكان على وزن مفعل او تمفعل في الكلمات الفصيحة ، ثم نظائرها في الكلمات الدراجة .

(٢) تمدرع في مادة « درع »،ذكر القاموس: « المدرعة كمكنسة : ثوب كالدراعة ، ولا يكون الا من صوف ، وتمدرع لبسه » .

(٣) تمندل : جاء في القاموس ـ مادة « ندل » قوله : « المنديل بكسر الميم وفتحها ، وكمنبر : الذي يتمسح به ، وتندل به وتمندل : تمسح » .

(٤) تمنطق : في مادة « نطق » جاء في لسان العرب « وقد انتطق بالنطاق والمنطقة (الحزام) وتنطق وتمنطق » وفي المنجد « تمنطق : اى لبس المنطقة (كتمدرع وتمندل من المدرعة والمنديل)».

(٥ ـ ٦) مرحب ومسهل : في مادة « رحب» ـ اورد القاموس « مرحبك الله ومسهلك » .

(٧) تمكن : وعلى هذا النحو في اللهجات الدارجة كلمات كثيرة ،كلها من جذور ثلاثية في الفصيحة ، وكلها تلتزم معاني هذه الجذور ، فهي عربية الاصل والجرس والاشتقاق ، وهي أحيانا تؤدي المعاني باقرب واخصر وايسر مما تؤديه غيرها

من الكلمات الفصيحة،ثم هي خفيفة على الالسنة، شائعة الاستعمال على درجات متفاوتة ·

ومن ذلك مشيخ وتمشيخ (بمعنى كبر السن او المقام) ·

مرأس وتمرأس (بمعنى الرياسة) ·

مغطر وتمغطر (بمعنى التبختر) ·

مرقع وتمرقع (بمعنى الحماقة والعوج) ·

مسخر وتمسخر ، ومثلها مهزا وتمهزا (بمعنى الاستهانة والتحقير) ·

مرجل وتمرجل (بمعنى التصرف كالرجال) ·

ملعن وتملعن (بمعنى تصرف الملاعين) ·

مشدق وتمشدق (بمعنى التشدق والتقعر في الكلام) ·

مهلس وتمهلس (بمعنى الهلس ، وهو ضعف العقل) ·

محلس وتمحلس (بمعنى التذلل ، والحلس في الفصيحة : هو التافه والذليل) ·

ومن اسماء الاماكـــن

ومن اسماء الاماكن العربية : المغرب ومسقط ومطرح (بلاد عربية) ومسرح :اسم مكان التمثيل، وقد كانت للاجانب في المغرب قبل استقلالها املاك كثيرة ، وقد أممتها الدولة بعد استقلالها ، تقول مثلا : « مغربت الدولة املاك الاجانب»اي جعلتها مغربية ، « وتمغرب فلان » صار مغربيا ، والمغربة جعل الشيء أو الشخص مغربيا والتمغرب : صيرورة الشيء او الشخص مغربيا ·

وكذلك يقال في مسقط ومطرح ·

ويتصرف في « مسرح » على النحو الآتي : «اضطررنا لقلة المسرحيات عندنا ان نمسرح بعض الروايات»اي صيرناها مسرحيات لتصلح للتمثيل·

ومن اسماء الآلة ونحوها من الادوات

فيما تقدم ذكرنا « تمدرع وتمنطق وتمندل » وهي مشتقة من المدرعة والمنطقة والمندل اوالمنديل·

ومــن اسم المفعـول

من الشائع بين صناع الاثاث المنزلي ونحوه ان يقول احدهم لغلامه «اعجن هذا الدقيق» اي ضعه في سائل (ماء أو زيت غالبا) ، فاذا انعقد عجينا او معجونا قال له : « معجن هذا الكرسي » أو هذا الشباك أو هذه السيارة » ، أي : ضع المعجون في الحفر والثقوب التي توجد في هذه الامتعة ، لتكون سطوحها مستوية قابلة للصقل ، ثم يوضع عليها الدهان فتلمع · فكلمة « معجن » مأخوذة من اسم المفعول معجون ، مثل تملعن : مأخوذة من اسم المفعـول « ملعون » او من المصدرين : معجنة ، وملعنة ·

اشتقاق مفعل وتمفعل ودلالتهما

ظهر مما تقدم ان هذه المشتقات الميمية تؤخذ من اي اسم ميمي (ذي جذر ثلاثي زيد في اوله ميم) سواء أكان مصدرا ميميا مثل : مذهب ومسخرة ، او اسم مكان،مثل مغرب ومنطقة،أو اسم الآلة ونحوها من الادوات ، مثل : مدرعة ومنطقة ، أو اسم مفعول ، مثل : معجون ·

والفعل على وزن تمفعل مطاوع لفعل من جنسه على وزن مفعل ، فنحن نقول مثلا : قومته فتقوم، اي جعلته قويما ، فصار كذلك ، وشجعته فتشجع: اي دفعته لان يكون شجاعا فصار كذلك ، أو تكلف الشجاعة ، فالفعل الثاني مطاوع للاول لان الحدث فيه نتيجة تابعة للحدث في الفعل الاول ·

واذا حللنا الامثلة الميمية السابقة نجدها على هذا النحو : فالفعل على وزن « مفعل » يدل على الجعل او التصيير ، ويكون في الغالب متعديا ، مثل مدرعت الام فتاتها ومنطقتها اي جعلتها او صيرتها ذات مدرعة ومنطقة وقديكون لازما «مخرق» بمعنى شعوذ أو دجل،واما الفعل علىوزن تمفعل فيدل على التهيؤ أو الصيرورة ، وقد يدل على التظاهر أو الادعاء أو التكلف ،ويكون في الغالب لازما ، نقول : « تمدرعت الفتاة وتمنطقت » أي صارت ذات مدرعة ومنطقة ، « وتمرجل فلان »أي صار ذا رجولةصحيحة او مدعاة او تكلفالرجولة·

والمعرب كالعربي

ولعل هذا الوزن هو الذي يسر للعرب ماكان من الكلمات الاعجمية مبدوءا بميم على هذاالنسق وان لم يكن على وزنه ، فقد نعلم جذر الكلمة الاعجمية أو نجهله ، وقد تكون الميم فيها اصلية او زائدة ، والامران مع ذلك سواء عند الاشتقاق، فنحن نقول : «موسق الشاعر كلامه فتموسق » أي جعله موسيقيا فصار كذلك،والاصل «موسيقى» ونقول : « مغنطنا الحديد فتمغنط » أي جعلناه مغناطيسيا فصار كذلك ، والاصل « مغناطيس »، والكلمتان « موسيقى » « ومغناطيس » اعجميتان دخيلتان في العربية · ■■

مرحلة جديدة على طريق البناء العربي

١٠٠٠ مليون دينار

رأس مال الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية

استطلاع بقلم سليم زبال

سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح ، يقوم بافتتاح المبنى الجديد للصندوق الكويتي يحف به الشيخ عبدالله الجابر الصباح، ووزيرا المالية والدولة ، وبعض كبار رجال الكويت .



الى اسفل : مدير الصندوق الكويتي، الاستاذ عبد اللطيف الحمد ، يقوم بشرح تفاصيل مشاريع القروض المقترحة لمجلس ادارة الصندوق ، الذى يرأسه السيد عبد الرحمن سالم العتيقي .. ان مدير الصندوق يدافع عن المشاريع بنفس حماس المحامي المقتنع بعدالة قضيته ..







المبنى الجديد لمقر الصندوق . استغرق بناؤه ثلاث سنوات،فجاء روعة في البناء منظره الخارجي لا يوحي بشيء كثير ·· لان جميع شرفاته ونوافذه تطل على الساحة الداخلية للمبنى،حيث النافورة والحديقة الصغيرة ·· تصميم خاص لمواجهة طقس الكويت الحار (تصوير اوسكار مترى) ·

■ سكك حديد السودان .. مشروع تطوير سهل تهامة باليمن .. المحطة الكهربائية فى سامراء بالعراق .. توسعة قناة السويس بمصر .. استصلاح الارض بتونس .. مد انابيب النفط بالجزائر .. صوامع الغلال بلبنان .. مصنع السكر بالمغرب .. استخراج الفوسفات فى الاردن .. طحن الاسماك فى اليمن .. مشروع مصافى النفط بسوريا .

مشاريع كثيرة تتناثر فوق ارضنا العربية الفسيحة ، تبدو وكأنها بلا رابط يربط بينها ، فى حين انها جميعا تشترك فى قاسم واحد هو : « الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية » .

ان هذا الصندوق يقف حاليا وراء ٤٨ مشروعا عربيا انمائيا كبيرا ، يدعمها بالقروض ، والاموال ، والخبرات الفنية اللازمة لتسييرها ..

رمز للتضامن العربى

والعاملون فى صندوق التنمية الكويتى يعملون بصمت وهدوء بعيدا عن الدعاية ، تاركين لاعمالهم مهمة التحدث عن نفسها ..

« ان انشاء الصندوق الكويتى للتنمية هو رمز للتكافل والتضامن العربى ، وتجسيد لمسئولية الكويت فى الاسهام فى تنمية الوطن العربى » .

هذا ماقاله سمو ولى عهد الكويت ورئيس وزرائها الشيخ جابر الاحمد الصباح ، الذى تابع كلامه قائلا :

« ان الشعب الكويتى لم ينظر فى أى وقت الى النعمة التى افاء الله بها عليه ، نظرة انانية ضيقة ، بل وضع فى الاعتبار ، احتياجات اخوانه العرب ، فاشركهم فى هذه النعمة .. وكان يتطلع دائما الى تعزيز ارتباطاته القومية فى اطار المصير العربى المشترك .. ولقد تحمل الشعب الكويتى من طيب خاطر ، فى وقت من الاوقات ، تحويل معظم الاحتياطى المالى للدولة الى البلاد العربية الشقيقة ، وهذا ادى الى توقف الكثير من المشاريع الضرورية لمتطلباته الاساسية .. »

قصة الصندوق

ترى ماهى قصة هذا الصندوق ؟ كيف يعمل ؟ وكيف يقدم قروضه ؟ وماهى نسبة الفائدة التى يتقاضاها ؟ وماذا تعلمنا من تجربته ؟ .

ان الصندوق الكويتى لو استطاع التكلم ، لروى ملحمة انسانية رائعة عن كيفية مساعدة الاخ العربى لاخيه العربى ... تعالوا نستمع اليه يحدثنا عن قصته : « تأتى مناسبات فريدة فى حياة المؤسسات يكون من الملائم فيها القاء نظرة الى الوراء ، لنرى ماحققته من اعمال وانجازات .. والواقع ان عمرى لايتجاوز ١٣ عاما .. فقد ولدت عندما استكملت الكويت مقومات استقلالها السياسى فى عام ١٩٦١ وقد حققت من الاعمال خلال السنوات الاولى من عمرى ، مالم يحققه غيرى فى عشرات الاعوام .. حتى اطلقوا على اسم « البنك الدولى العربى » .

« وفى قانونى الاساسى وضح الغرض من انشائى : ... **لمساعدة الدول العربية فى تطوير اقتصادياتها ومنحها بالقروض اللازمة لتنفيذ برامج التنمية فيها .. »**

« وفى نظامى الاساسى مادة تقول : **يساهم فى المشروعات العربية عن طريق تقديم القروض للدول والبلدان العربية ، او عن طريق الكفالات ، او عن اى طريق آخر يراه مجلس الادارة مناسبا .. »**

« ومن هذين النصين يتضح ان مجال عملى كصندوق للتنمية هو مجال واسع للغاية ، يرتكز على محور الاقراض للاسهام فى تمويل المشاريع الانمائية والانشائية العربية .. »

٤٨ قرضا

« ولايمكنكم تصور مقدار سرورى عندما احتفل فى ٢٥ مارس ١٩٦٢ بتوقيع اول قرض بمبلغ سبعة ملايين دينار لتمويل المرحلة الاولى فى تطوير سكك حديد السودان .. »

« لقد ساهم هذا المبلغ فى مد خطوط حديدية جديدة فى السودان الشقيق ، وفى شراء ٣٥ قاطرة ديزل كهربائية كبيرة و ١٣ قاطرة صغيرة ، و ٤١٠ مقطورات للبضائع ، و ٢٣ مقطورة لنقل الركاب .. ومعدات اخرى كثيرة .. »

« وتوالت بعد ذلك القروض حتى بلغت ٤٨ قرضا قيمتها الاجمالية نحو ١٤٢ مليون دينار » .

راس المال يتضاعف

« وكان راس مالى عند تأسيسى هو ٥٠ مليون دينار كويتى فقط .. ولكن لم تكد تمضى بضعة



توقيع اتفاقية قرض بمبلغ ٥ر٨ مليون دينار كويتي لتمويل مشروع تنمية واستغلال حقل غاز ابو قير البحرى فى مصر .. ونرى هنا السفير المصرى عز العرب امين ابراهيم يوقع الاتفاقية مع وزير مالية الكويت عبد الرحمن سالم العتيقى . وبجانبهما ناصر مساعد الساير نائب المدير العام . وعبد المحسن العتيق المدير المالى .

شهور حتى رفعت حكومة الكويت المبلغ الى مائة مليون دينار . اى حوالى ثلث اجمالى الدخل القومى للكويت فى عام ١٩٦٢ ..وفى عام ١٩٦٦ ارتفع رأس مالى الى ٢٠٠ مليون دينار .. » .

« وهذه الزيادات الكبيرة فى رأس مالى تعكس شعور حكومة الكويت باهمية الدور الذى العبه فى تحقيق النمو الاقتصادى العربى .. » .

« واليوم قدمت الحكومة لمجلس الامة الكويتى مشروعا بمضاعفة رأس مالى بمقدار خمسة اضعاف . اى رفعه الى الف مليون دينار كويتى. وتوسيع نشاطى ليشمل . الى جانب الدول العربية . الدول النامية بوجه عام ..

تعبير عن ثقة الدولة

« وقد علق وزير مالية الكويت عبد الرحمن سالم العتيقى على زيادة رأس مالى الى الف مليون دينار بقوله :

« ان ماحققه الصندوق من اعمال . ومابلغه من مركز فى خارج البلاد وداخلها . هذا النجاح هو الذى جعل الحكومة تتخذ ذلك القرار التاريخى بزيادة رأس المال الى الف مليون دينار .. وقد جعل هذا القرار من الصندوق الجهة المسئولة عن توزيع المعونات الانمائية لدولة الكويت على مختلف الدول النامية » .

« وبقدر مايحمل هذا القرار من تعبير عن ثقة الدولة بادارة الصندوق . فانه يلقى على عاتقه مسئولية كبيرة . ويعهد اليه بامانة ثمينة . امانة حسن تدبير شئون مايقدمه من تمويل انمائى . ومن دعم سوف يشمل مختلف دول العالم الثالث، بما فيها من تغاير فى العادات والانظمة ،واختلاف فى انماط العمل واللغة . والاستجابة للمؤثرات الخارجية .. » .

« ليس هذا فحسب،بل اننا نتوقع من الصندوق خلال عمله الجديد . وعن طريق ماسوف يحققه من انجازات ومايعقده من علاقات طيبة . نتوقع منه ان يقوم بدور فعال ،يساعد على ان تفتح للاموال الكويتية والعربية . آفاق اقتصادية واستثمارية جديدة . تتعاون فى نطاقها مع شتى دول افريقيا واسيا وغيرها من مناطق العالم الاخرى .. فالصندوق سوف يذهب الى هذه البلاد ،لاليفرض رأيا . او يدعو لمذهب . او ليحقق نفوذا . وانما ليمد يد الصداقة والتآخى وتضافر الجهود لحل مشكلات الانماء فىعالم نحن جزء لايتجزأ منه.. » .

« انها بداية مرحلة جديدة للصندوق . ولقد قامت مؤخرا بعثة من الصندوق نيابة عن الحكومة، بزيارة عدد كبير من دول ذلك العالم النامى فى افريقيا . وقد لمست البعثة بوضوح مدى ماتتمتع به الكويت من سمعة حسنة فى هذه البلاد . ومدى الاستعداد للترحيب بمبادراتنا المختلفة العامة والخاصة . الاقتصادية منها والتجارية . لما فيه النفع والخير للطرفين ..

« وانى لا اشك فى ان الصندوق سوف يكون فىهذا المجال ايضا رائدا حافزا قادرا على ارساء القواعد السليمة لانطلاق ذلك التعاون على اساس من العمل الطويل الاجل . والعلاقات



مكتبة الصندوق الكويتي .. تهتم بالتقارير والكتب والمجلات المتعلقة بالاقتصاد والقانون الدولي ، والتخطيط والتنمية .. وتضم المكتبة نحو ستة آلاف كتاب ، وآلاف التقارير .

الى اليمين ، صورتان : الاولى من اليمن الديمقراطي توضح عملية تجفيف الاسماك بالاسلوب البدائي وقد قدم الصندوق منحة بمبلغ ١٠٠ الف دينار كويتي لعمل الدراسات واقامة مصنع تجريبي لانتاج العلف واستخراج الزيت من طحن الاسماك .. **والصورة الثانية** لمنطقة استخراج الملح من الصليف بالجمهورية اليمنية .. لقد زاد الصندوق قيمة قرضه لهذا المشروع الى ثلاثة ملايين دينار ، للتغلب على المصاعب التي واجهت المشروع ..

الى اسفل : « على بركة الله .. » بهذا الدعاء يبارك وزير المالية الكويتي ، مشاريع القروض التي يوافق عليها مجلس ادارة الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في اجتماعاتهم .

المتينة القائمة على الاحترام المتبادل لمصالح الدول المضيفة ومصالح الكويت .. »

اربع عمليات تقييم للمشاريع

وقد يتساءل البعض عن كيفية عمل الصندوق واسلوبه وشروطه في اعطاء القروض ..

والواقع ان الصندوق ليس مؤسسة خيرية بل هو مؤسسة انمائية اقتصادية تتمتع بالشخصية الاعتبارية المستقلة .. كانت هي الوحيدة في العالم النامي التي تتولى تقديم المساعدات المالية داخل نطاق الدول النامية نفسها .

اما عن اسلوب الصندوق في العمل فيقول عبد اللطيف الحمد مدير عام الصندوق :

«يختلف اسلوب الاقراض الذي يتبعه الصندوق في كل عملية من عمليات الاقراض باختلاف ظروفها وملابساتها وخصائصها بطبيعة الحال .

وتبدأ الاتصالات عادة بين الصندوق والطرف الراغب في الاقتراض ، بمبادرة من جانب هذا الاخير ، وذلك على اساس شبه رسمي : يعرض علينا المعالم الجوهرية للمشروع او المشاريع المرغوب في تمويلها . وبعد دراسة مبدئية وتبادل الرأي يقوم الصندوق بعملية « تقييم المشروع » وهي تشتمل على اربعة جوانب .

أ ـ جانب التقييم الاقتصادي للمشروع :

وفيه تجري عملية تقدير للمنافع المباشرة وغير المباشرة التي سوف يحققها تنفيذ المشروع للاقتصاد القومي للبلد .. مثل تحديد افضل السبل لمواجهة الحاجة الى الطاقة الكهربائية ، او تقدير ثمن المزروعات المتوقعة من مشروع استصلاح أراض ، أو الوفورات الناجمة عن الخدمات التي يؤديها مشروع نقل .. ثم يجري تقييم المنافع الاخرى للمشروع مثل التخفيف من ازمة البطالة في البلاد ، وزيادة الحصيلة من النقد الاجنبي او تقليل المنصرف منه وتحسين ميزان المدفوعات في الحالتين .. أي ان البحث يدور في الواقع ، بصفة اساسية ، حول اسهام المشروع في التخفيف من حدة المشكلات التي يعاني منها العالم النامي ..

ب ـ جانب التقييم المالي للمشروع : ويشمل تقدير التكاليف اللازمة للانشاء ، وتكاليف الاستغلال ، ثم تحليل المصادر التي تغطى بها تلك التكاليف ..

قروض الصندوق الكويتي للتنمية

المقترض والمشروع	القرض
الأردن	
وادي اليرموك	١٫٩٠٠
مناجم الفوسفات	٢٫٩٩٠
تطوير مناجم الفوسفات	٢٣٠
كهرباء القدس	٢٤٠
فندق القدس	١٧٥
فندق الاردن	٨٥
نهر الزرقاء	٤٫٦٠٠
محطة الحسين الكهربائية	٣٫٠٢٠
البحرين	
مصهر الالمنيوم	١٫٠٠٠
مطاحن الدقيق	٥٠٠
انشاء جسر واصلاح طريق	٥٠٠
محطة سترة	٧٫٣٥٠
الجزائر	
خط انابيب النفط ـ م/١	٧٫٥٠٠
خط انابيب النفط ـ م/٢و٣	٢٫٥٠٠
السودان	
سكك حديد السودان	٧٫٠٠٠
مصنع السكر بخشم القربة	١٫٧٠٠

« ويشمل التقييم المالي كذلك ، دراسة قدرة المشروع على تغطية تكاليفه من موارده النقدية الذاتية .. حتى لايكون المشروع عالة على ميزانية الدولة .. » .

جـ ـ جانب التقييم الهندسي او الفني : ويتم فيه تقدير نوعية تصاميم التشييد والبناء .. وتدقيق الرسومات الهندسية .

د ـ جانب التقييم الاداري للمشروع : قد يكون خير المشاريع من النواحي الهندسية والمالية والاقتصادية فاشلا فشلا كبيرا ان لم تتوفر له الادارة المناسبة .. وهنا بالذات يصادف المرء في الواقع عنصرا من العناصر الاساسية التي ليس من السهل توفرها ، حتى في البلدان الاكثر تقدما ..

الاقتصادية العربية الى مختلف الدول العربية (مقدرة بالف دينار كويتى)

المقترض والمشروع	القرض
استصلاح الاراضى الزراعية	٥ر٠٧٠
الزراعة الالية المطرية	١ر٦٠٠
مشروع الرهد	٣ر٣٠٠
مصنع السكر بسنار	٤ر٥٠٠
العراق	
محطة سامراء الكهربائية	٣ر٣٠٠
مشروعسماوة/امقصر لانتاجالاسمنت	٣ر٨٠٠
المغرب	
مشروع تساوت الزراعى	٧ر٣٥٠
مشروع تادلة الزراعى	٢ر٧٠٠
انتاج السكر (سكرافور)	٨٦٠
اليمن الجنوبى	
المسحالزراعىودراسةانماء وادىابين	٢٣٠
تطوير دلتا ابين	٤ر٢٠٠
اليمن الشمالى	
مشروع وادى زبيد	٣٢٥
تطوير مناجم الملح بالصليف	٣ر٠٠٠
مشروع الطرق	٢٨٤
تطوير تهامة	١ر٩٠٠

المقترض والمشروع	القرض
تونس	
كهرباء حلق الوادى ـ م/١	٣ر٨٠١
كهرباء حلق الوادى ـ م/٢	٤ر٦٠٠
احياء وادى مجردة (١)	٢ر٠٠٠
احياء وادى مجردة (٢)	٣ر٢٠٠
خط انبوب لنقل الغاز	٩٠٠
انشاء موانىء الصيد	٢ر٨٥٠
سوريا	
صوامع الغلال	٧ر٠٠٠
مصافى البترول وملحقاته	٢ر٠٠٠
لبنان	
محطة جون الكهربائية	١ر٨٤٥
صوامع الغلال	١ر٠٠٠
مصر	
قناة السويس	٩ر٨٠٠
تدعيم الاسطول التجارى	٣ر٥٠٠
غاز ابو قير	٤ر٥٠٠
اعادة فتح قناة السويس	١٠ر٠٠٠
مصنع سماد طلخا	٧ر٠٠٠

القروض : شروطها وفوائدها

ويتابع مدير الصندوق كلامه قائلا : « كل هذه الجوانب فى عملية التقييم تتبلور اخيرا فى تقرير فنى شامل يضعه الصندوق اعتمادا على ماأجرى من دراسات وابحاث متنوعة،بعضها يتولاه المقترض نفسه ومستشاروه . والبعض الاخر يقوم به جهاز الصندوق .. » .

« واذا جاءت نتائج التقرير مقبولة ، تبدأ بعد ذلك بصفة رسمية المفاوضات على شروط القرض التفصيلية . وهى مفاوضات تنتهى بابرام اتفاقية بين الصندوق والمقترض .. »

ومما يذكر انه لايجوز تمويل اى مشروع باكثر من ١٠٪ من راس المال المقرر للصندوقالكويتى.. كما لايجوز ان يتجاوز تمويل اى مشروع ٥٠٪ من التكاليف الاجمالية لهذا المشروع ، الا فى حالات استثنائية .. وتتم جميع عمليات الصندوق بالدنانير الكويتية على اساس القيمة الذهبية للدينار ..

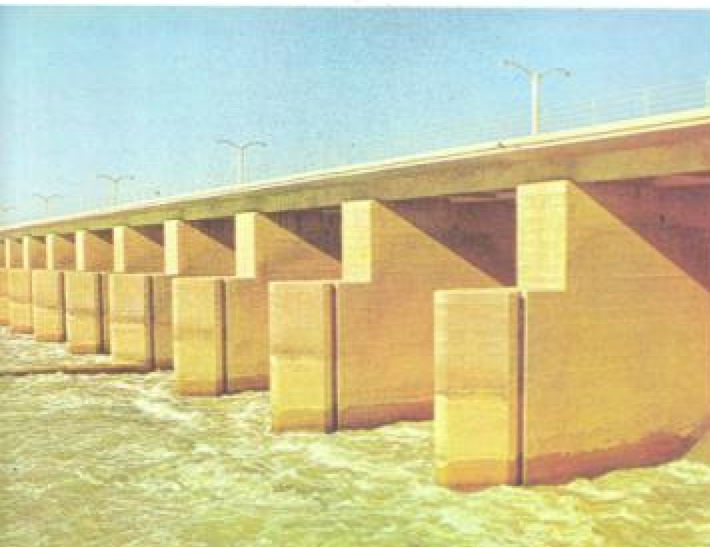
اما سعر الفائدة فاقصى ماوصل اليه كان ٤٪ ويطبق على المشروعات ذات العائد المرتفع و ٣٪ على المشروعات الزراعية .. اما الدول العربية التى لاموارد لها فتعامل معاملة خاصة ، اذ تدفع ½٪ فقط كرسم لتغطية التكاليف الادارية للقرض . كما تقدم لها تسهيلات كبيرة لتسديد قيمة القرض .

السداد والسحب

اما آجال سداد القروض فتتراوح بين ١٠ و٢٤ سنة .. بما فى ذلك فترة امهال حتى يصبح

اربعة ملايين وربع
مليون دينار ،
قدمها الصندوق
الكويتي لتطوير
وادى ابين فى
اليمن الديمقراطى

الى اليسار :
ثلاثة ملايين دينار
قدمها الصندوق
لاقامة محطة
كهربائية على سد
سامراء بالعراق .



القرض الاول للصندوق الكويتي ، قدمه لجمهورية السودان في ٢٥ مارس ١٩٦٢ بمبلغ سبعة ملايين دينار ، لتطوير سكك حديد السودان .. **والى اسفل** وادي زبيد في الجمهورية العربية اليمنية . انه واحد من اربعة مشاريع في اليمن ، يقدم لها الصندوق القروض من اجل تنفيذها .

وهذا اعتراف بان هذه المؤسسة خلقت من اجل خدمة الدول العربية ، ومن ثم ينبغي الحفاظ على قدرتها الاقراضية وتمكينها من مواصلة نشاطها دون تعثر او تضييق ..

معونات فنية بمليون دينار

والى جانب القروض المالية التي يقدمها الصندوق الكويتي نجده يركز على ضرورة توفير المعونة الفنية للمؤسسات المقترضة ، يقدم لها المنح لتمويل عمليات الاستكشاف ،ودراسة الجدوى الاقتصادية للمشاريع واعدادها للتنفيذ .. كما توجد بعثات فنية مقيمة في بعض البلاد العربية يقوم الصندوق الكويتي بتمويلها ، مثل البعثة الفنية الموجودة في الجمهورية العربية اليمنية ، وتضم خبراء عرب يعملون في مجالات الاقتصاد والتخطيط والزراعة . ويشترك البنك الدولي مع الصندوق الكويتي في تغطية مصاريف هذه البعثة الفنية ..

ومما يذكر ان قيمة المعونات الفنية التي اقرها مجلس ادارة الصندوق الكويتي ، زادت على مليون دينار كويتي ..

حتى المشاريع العربية الخاصة

ولاحظ المسئولون في الصندوق ، ان القروض التي يقدمونها ، تذهب اساسا لتمويل المشاريع الانمائية الحكومية الكبيرة .. ورغبة من الصندوق في تعميم الفائدة من قروضه ، اتجه التفكير الى ايجاد وسيلة مناسبة حتى تستفيد الوحدات الانتاجية العربية الخاصة الصغيرة من قروض الصندوق ووجد خبراء الصندوق الكويتي ان افضل سبيل لتحقيق هذا الهدف هو التعاون مع بنوك التنمية الصناعية في مختلف البلاد العربية، لايصال مساعدات الصندوق لهذه الوحدات الانتاجية الخاصة ..

وبدا الصندوق في عمل دراسة عن البنوك العشرة للتنمية الصناعية العربية الموجودة في مختلف اجزاء الوطن العربي وبعدها تقرر امكانية منح قروض لهذه المؤسسات،لتقوم بدورها بتقديم قروض فرعية الى المشاريع الصناعية الصغيرة التي يقوم بها القطاع الخاص .. على ان يراجع خبراء الصندوق الكويتي التقارير التي تعدها



محاسبان فقط كانا يقومان بمهمة تدقيق ومحاسبات الصندوق الكويتي مع الدول العربية ، اما اليوم ، وبعد انتقال ادارة الصندوق الى المبنى الجديد اصبح هناك قسم خاص للمحاسبة..سوف يتضاعف هو الآخر.. عندما يرتفع رأس مال الصندوق الى الف مليون دينار .

المشروع قادرا على الانتاج ، وعلى سداد قيمة القرض بموارده الذاتية .. ويقوم المقرض بسحب قيمة القرض بطرق مختلفة حسب ظروفه وظروف كل عملية ..ويقوم الصندوق عادة بمتابعة تنفيذ المشروع ، ويتم دفع اقساط القرض طبقا لمقدار تقدم العمل في المشروع ..

جميع الدول اوفت بالتزاماتها

ومن الجدير بالذكر ان جميع الدول العربية التي استفادت من قروض الصندوق قد حرصت على الوفاء بالتزاماتها ازاء الصندوق كاملة ، بالرغم من ان بعض الدول كانت تمر في احلك الظروف واشدها وطأة على احوالها المالية ..

البنوك من تلك المشاريع التي ستمول من قرض الصندوق ..

وكانت بداية هذه القروض قرضا بمبلغ مليون دينار كويتي قدم لبنك الانماء الصناعي الاردني.. وقيمة هذا القرض سوف يسحبها البنك تباعا ، عندما يتم تقديم القروض الفرعية .

التعاون مع المؤسسات الاقليمية والدولية

ولم يعد الصندوق يعمل متفردا في مجال التنمية العربية ، فقد استطاع ان يجذب الى المنطقة المؤسسات الدولية للاتفاق معها على استكمال تمويل بعض المشاريع ..

« وهكذا توثقت الصلة بين الصندوق من جهة وبين البنك الدولي ، ومؤسسة التمويل الدولية ، ومنظمة التغذية والزراعة وبرنامج الامم المتحدة للتنمية ، والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وصندوق ابو ظبي للانماء ، وبعض مؤسسات المعونة الثنائية الاوروبية والبنوك العالمية .

«وبذلك اصبح الصندوق يحتل مركزا مرموقا، في اسرة المنظمات العاملة في حقل التمويل الانمائي ، حاملا راية الدول النامية الوحيدة التي استطاعت اقامة مؤسسة للمعونة الانمائية على هذا الحجم من الموارد ، وبهذا المستوى من الاداء ..

كما ان الصندوق الكويتي قام بدور ايجابي فعال في تأسيس الكثير من المؤسسات الاقتصادية العربية ، وفي مقدمتها الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي،والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار .

فلسفة الصندوق

والواقع انه ليست هناك فلسفة للصندوق .. بل هناك اسلوب عمل .. وافكار عامة يهتدي بها الصندوق .. واهم هذه الافكار هي كما يشرحها مدير الصندوق ، تتمثل في حياد الصندوق حيادا تاما من النواحي السياسية والمذهبية ، او ما يمكن ان نسميه اذا اردنا، « لا سياسة » واقصد بذلك اننا حريصون كل الحرص على الا نفرق في تعاملنا مع البلاد العربية اي تفرقة تستند الى شئون تعتبر من الشئون الخاصة لكل بلد ، ولا نلتفت الى اي من الامور المتعلقة مثلا بالنظم الاجتماعية السائدة او بالسياسة الخارجية المنتهجة ..

الصندوق في مقره الجديد

لقد عشنا مع اسرة الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في مبناهم الفخم الجديد ، ورايناهم كيف يعملون .. بعثات تروح وبعثات تعود بين ارجاء وطننا العربي .. بعثات تختلف عن بقية البعثات .. انها بعثات الخير تذهب الى البلد وهدفها خدمة البلد على اسس علمية صحيحة .. تدرس المشاريع على الطبيعة وتناقش وترى افضل الطرق لتقديم المساعدة .. مستهدفة العثور على افضل وسيلة لانجاح المشروع .

اسرة واحدة

ان نجاح صندوق التنمية لا يقاس بمقدار ما قدمه من مال وقروض .. انما بروح الاخوة العربية التي يتحلى بها .

ويقول السيد خالد الشلفان المدير الاداري للصندوق : « اننا نعمل بروح الاسرة الواحدة الكبيرة..سواء في اعمالنا الخارجية او الداخلية، دون جمود او روتين .. ونحن حريصون جدا في اختيار خبرائنا من مختلف الدول العربية . نختارهم بعد تجارب معهم .. معتمدين الكفاءة ، والعمل الجاد ، مع القدرة على العطاء ، مؤهلات ضرورية للعمل معنا .. »

وفي الساعة العاشرة من صباح كل يوم يجتمع جميع خبراء وموظفي الصندوق الكويتي حول فنجان شاي ، يتناقشون ويتحادثون في كل الامور التي تمكنهم من مساعدة اخوانهم العرب .. جاعلين نصب اعينهم قوله تعالى :

« مثلُ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثلِ حبة أنبتت سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبلة مائةُ حبة والله يضاعف لمن يشاءُ والله واسع عليم . »

هنيئا للكويت وهنيئا للعرب وتحية لكل من ساهم في بناء عالم افضل ، عالم اكثر رفاهية واشراقا . !

سليم زبال

أمراض شائعة



■ لعل اكثر الامراض شيوعا فقر الدم ، فهو يصيب الصغار والكبار على حد سواء ، ولا يفرق بين دولة متحضرة ودولة نامية ، فالكل يشكو من زيادة نسبة المرض .

وفقر الدم او الانيميا - ليس في حد ذاته مرضا ، بل هو عرض لامراض شتى ، لذا كان من الواجب على الطبيب ان يتحرى السبب الذى ادى الى فقر الدم ، فيصل الى اصل الداء ، وبذلك يمكن ان يستأصله ويعالجه العلاج الناجع، ولذلك نرى الفارق واضحا بين من يعالج العرض ولا يستقصى المرض ومن يعالج المرض فيقضى على العرض . فالذى يعطى العلاج على غير هدى لابد وان يرى مريضه وقد عاوده المرض ، ويراه يشكو فقر دمه من آن لاخر .

احب فى بادىء الامر ان استرعى انتباه القارىء الى انه كثيرا مايقال للمرء انك شاحب اللون اليوم فسرعان مايتطرق الى فكره انه يعانى من فقر الدم مع ان لشحوب الوجه اسبابا عدة .

فترى ذلك مثلا فى بعض العائلات من ذوى البشرة الشاحبة ،وكذلك فى بعض امراض الكلى او خمول الغدة الدرقية ، ولكن هذا لايعنى ان صاحب هذه البشرة لايعانى من فقر الدم ، وفى بعض الاحيان ترى الوجه متوردا ،ذا حمرة جميلة نتيجة لتمدد فى الشعيرات الدموية ولكنه يخفى تحته فقر الدم ، ومن هنا يجب ان لا يغتر الفرد بالمظهر ، او يحكم على وجود المرض أو عدمه .

متى يقال ان الشخص يعانى من فقر الدم ؟

تكون الكرات الدموية الحمراء فى الدم الطبيعى حوالى ٤½ - ٥ مليون كرة فى المليمتر المكعب من الدم ، وتحتوى هذه الكرات الحمراء على مايقرب من ٦ و ١٤ جراما فى المائة سنتيمتر المكعب من الدم من المادة الحمراء التى تعرف بالهيموجلوبين وهى المادة التى تحمل الاكسجين الى خلايا الجسم ، والذى عليه تعتمد حياة خلايا الجسم ، فاذا نقصت هذه الكمية عد الفرد ممن يعانون من فقر فى دمه ، ويكون بسيطا فى بعض الحالات ومتوسطا فى حالات اخرى ، وشديدا فى الحالات التى تنقص فيها نسبة الهيموجلوبين عن ٧ جرام فى المائة .

ولكون النساء يعضن كل شهر فيفقدن بعض الدم ، نجد ان نسبة الهيموجلوبين بينهن تقل عن النسبة فى الرجال بحوالى ١٠ - ١٥٪ ، والاطفال بعد الولادة تتكسر كراتهم الحمراء سريعا فيكونون فى فقر دم بعد هذا التكسر فى الشهور الاولى ،

ثم بعد ذلك تخرج خلايا الدم السليمة فتكون طبيعته لاتتكسر بسرعة،فترتفع نسبةالهيموجلوبين، الى ان تصل الى المستوى العادى بعد الشهر السادس ، على شرط ان يغذى الطفل الغذاء الصحيح •

وبالبحث العلمي وجد ان عمر الكرات الحمراء هو ١٢٠ يوما للكرة • وتاتى بعدها كرة صحيحة لتحل محلها واذا زاد التكسر عن اللازم قلت الكرات ، وبالتالى قل الهيموجلوبين ، فيحدث فقر الدم ، ومن هنا يمكننا ان نلخص اسباب فقر الدم فيما ياتى : ـ

اسباب فقر الدم

ا ـ اسباب ناتجة عن نقص المواد التى تدخل فى تركيب الهيموجلوبين والكرة الحمراء واهمها مادة الحديد •

ب ـ فقدان الدم من الجسم •

ج ـ زيادة تكسر الكرات الحمراء

د ـ عيوب خلقية فى الكرات الحمراء

هـ ـ فقر الدم الذى يصاحب الامراض الاخرى•

(ا) قلت فى اول المقال ان سبب شيوع فقر الدم لايقتصر على الفقراء الذين لايجدون مايحتاجونه من حديد فى غذائهم ، أو اصابتهم بالديدان التى تتغذى على كراتهم الحمراء كالانكلستوما ، اذ اننا نجد الاغنياء كذلك أحيانا لايحسنون اختيار طعامهم ، او يحجمون عن الطعام الغنى بالحديد عندما يتبعون حمية خاصة حفظا على وزنهم ورشاقتهم • ومن حكمة الخالق جل وعلا ان اودع مادة الحديد فى معظم الاطعمة ، حتى يقدر عليها الفقير والغنى ـ ولكن سوء اختيار الاطعمة هو السبب فى فقر الدم ، فنجد مادة الحديد اللازمة للهيموجلوبين موجودة فى الخضراوات الطازجة كالفجل والخس والطماطم والفلفل ، وغيرها من الخضراوات التى تطبخ : كالملوخية والبامية والسبانخ والبازيلاء والكرنب (الملفوف) وغيرها، وبنسبة اقل فى الفواكه ، ويوجد كذلك بكميات كبيرة فى العدس والبازيلاء الجافة ، ثم انه يوجد بكميات كبيرة فى اللحوم والكبدة والكلاوى وغيرها من اللحوم •

ولكى لا يتعرض الانسان لفقر الدم ، لا بد وان ياخذ الكميات الكافية من هذه الاطعمة ، ومعظمها كما نرى لا يؤدى الى السمنة المفرطة ، والحامل كالمرضع تحتاج الى كميات اكثر من هذه الاطعمة الغنية بالحديد ، وكذلك بعد العمليات المختلفة ، والذين يقومون بعمل حمية شديدة لنقص وزنهم والمسنون اسدى النصح اليهم للعناية بطعامهم ، حتى لا يتعرضوا لفقر الدم ، وهم فى غنى عنه •

وهناك مواد اخرى لا بد وان يحتويها الطعام كذلك ولكن الكمية التى يحتاجها الانسان قليلة بحيث ان اى طعام صحى لا يخلو منها مثل فيتامين ب او ج ـ مركبات فيتامين ب والمواد البروتينية، فمن الواجب اذن ان نتحرى الدقة فى اختيار طعامنا •

خذ مثلا هؤلاء الذين يفطرون على كوب من الحليب (الفقير فى الحديد) وقطعة ساندوتش • وساندوتش جبنة فى الظهر ومثلها فى العشاء ، او الذين يعيشون على الشاى والبسكوت وما شابه ذلك ـ كل هؤلاء معرضون لان ينتابهم فقر دم ، سرعان ماتتحسن حالتهم لو عادوا واتبعوا الطريقة الصحيحة فى تناول طعامهم •

(ب) فقر الدم الناتج من فقدان الدم : وهذا اما ان يكون شديدا وبصورة حادة ،او يكون قليلا وعلى مدى طويل •

فاذا فقد الشخص دما غزيرا اثر حادث ، او نزف من اى جزء فى جسمه كما هو الحال فى قرحة الاثنى عشر ، او اثناء الولادة ، أو الاجهاض او بعد عملية جراحية ـ كل هؤلاء فى حاجة الى دم يعوضهم مافقدوه ، وفى اسرع وقت ممكن ، والا توقفت اجهزة الجسم ، وربما اودى ذلك بحياة المصاب •

اما الذين يفقدون دمهم ببطء ، فانهم لايحسون انهم يعانون من فقر دم ، الا اذا نقص المستوى الى درجة عالية اى حوالى ٤٠٪ او ٣٠٪ بل فى بعض الاحيان نرى المريض يسير على قدميه ، ونسبة الهيموجلوبين فيه لاتزيد على ١٠ ـ ٢٠٪ مع انه يعانى من اعراض كثيرة سرعان مايؤولها لاسباب تحتلو له •

ثم نجد انه مصاب بعد فحص دمه • مثال ذلك:

مرض البواسير التي تنزف ، او العادة الشهرية التي تحدث بكثرة ويفقدان كميات كبيرة من الدم، او قرحة الاثنى عشر المزمنة - ، او نزف بسيط وبطيء من الجهاز الهضمي من المرىء الى الشرج، او اصابة المريض بالانكلوستوما التي تدفن نفسها في امعائه وتتغذى على دمه،او البلهارزيا، او فقدان الدم في البول والبراز - كلها اسباب تؤدى الى فقر شديد بالدم .

ويجب ان لاننسى ان اى مرض يصيب الجهاز الهضمي ويعطل امتصاص المواد اللازمة لتركيب الكرات الحمراء - وعلى راسها الحديد - تؤدى في النهاية الى فقر الدم ، مثال ذلك - الاسهال المزمن نتيجة لمرض بالامعاء الدقيقة ، والتهاب القولون المتقرح وغيرها .

(د) العيوب الخلقية التي تصيب الكرات الدموية الحمراء ، وهي في معظم الحالات وراثية : هذه الكرات تكون ضعيفة ، ولا تحتوى الا على كميات قليلة من الهيموجلوبين ، وتتكسر بسرعة وبعدد كبير ، بحيث انه لايمكن تعويضها الا بعد فترة طويلة ، بل وفي بعض الحالات تعجز الاعضاء التي تنتج الدم كالنخاع العظمى عن تعويضها ، مثال ذلك الانيمياء المنجلية ، ومرض الثلاسيميا Thalacaemia وغيرها ، ولكن هذه تشكل نسبة قليلة من اسباب فقر الدم ، وبما انها وراثية فالواجب - منعا لحدوثها - ان يمنع التزاوج بين افراد العائلة المصابة به ، حتى يقل عدد الافراد المصابين بهذا النوع من فقر الدم .

(هـ) وهناك فقر الدم الذي يصحب امراضا عدة ، كامراض الكلى ، وخمول الغدة الدرقية ، والالتهابات المزمنة ، وتضخم الطحال ، والامراض الخبيثة ، وامراض الدم المختلفة ، لذا كان من الواجب عمل الفحوصات اللازمة لابعاد مثل هذه الامراض .

على انه من الممكن ان تعمل عدة اسباب على حدوث فقر الدم ، لذا كان من الواجب ان يكون فحص المريض بفقر الدم فحصا دقيقا ، مع معرفة كل جوانب المرض حتى تكون الاسباب واضحة ، وبذلك يكون العلاج صحيحا .

اعراض المرض

الدم كما هو معروف هو اكسير الحياة ، وعلى الكرات الحمراء وما تحمل من هيموجلوبين يحمل الاوكسجين الى الخلايا - تتوقف حياة كل خلية . فاذا قلت نسبة الهيموجلوبين تاثرت جميع خلايا الجسم التي تكون الاجهزة المختلفة ، لذا كان من الواضح انه في فقر الدم لابد ان تتاثر كل اجهزة الجسم ، وتظهر الأعراض المختلفة ، ومع هذه الاعراض تكون اعراض المرض الاصلي الذي سبب فقر الدم .

ومن الملاحظ انه كلما كان فقر الدم بطيئا كان ظهور الاعراض متاخرا وليس شديدا ، مما لايضطر المصاب الى ترك عمله اليومي ،حتى يصل الى الحد الذي لايمكنه معه ان يقوى على هذا العمل ، واذا كانت الحالة حادة وشديدة فان الاعراض تظهر واضحة وشديدة،وسريعة الحدوث .

الجهاز الدوري

الجهاز الدوري يتاثر بفقر الدم ، ويتاثر كثيرا اذا كان القلب غير سليم (اى به مرض)،وكذلك تكون الاعراض شديدة اذا كان فقدان الدم سريعا .. فيحس المريض زيادة ضربات القلب عند القيام باى مجهود ولو بسيط ، وكذلك تكون سرعة التنفس ، وفي الحالات الشديدة تحدث الصدمة ، والعرق البارد الغزير ، وسرعة النبض وضيق التنفس ، مع القلق الشديد ، وعدم الاستقرار .

واذا كانت كمية الدم ، وبالتالي كمية الهيموجلوبين والاوكسجين قليلة - فان عضلات القلب تتاثر ويحس المصاب الاما شديدة وضغطا على الصدر ، وهو مايعرف بالذبحة الصدرية ، وفي الحالات الشديدة يتضخم القلب ، وربما حدث هبوط فيه .

الجهاز العصبي

يحس المريض دوارا ، وتسود الدنيا في عينيه عندما يقف بسرعة اذا كان مستلقيا على ظهره ، وكذلك يحس صداعا مع ازيز في الاذن ، وارهاق

شديد ، وضعف في العضلات وتنميل وخدر ـ وارق في بعض الحالات ٠

الجهاز الهضمي

ومريض فقر الدم يعاني من تلبك في جهازه الهضمي ، فهو يشكو دائما من انتفاخ بالبطن ، وامساك يعقبه اسهال ،والشعور بالغثيان والقيء في بعض الاحيان ، ثم فقدان الشهية في الحالات الشديدة ، مما يساعد على زيادة المرض حدة ، لعدم اكتفاء الجسم بما يحتاجه من المواد اللازمة له ، كما تظهر بعض الاحيان التهابات باللسان والفم ٠

الجهاز التناسلي والبولي

من المشاهد في حالات فقر الدم الشديد ان الحيض يقل عند النساء ، وفي بعض الحالات يزيد فيزداد بذلك فقر الدم ٠ وفي الرجال تقل الرغبة في الجماع ، ويحس الفرد بعدم النشاط ، ويحس بالخمول ، وتتأثر الكلى كذلك ، فيظهر في البول بعض الزلال ٠

وهناك اعراض اخرى مثل شحوب الجلد ، وشحوب الغشاء المخاطي المبطن للشفتين واللسان، والتهابات وتشققات بزوايا الفم نتيجة لنقص الفيتامينات ، ثم هناك تقعر الاظافر بدلا من انحدابها ٠

تشخيص المرض

ويشخص فقر الدم ونوعه منتحليل الدم تحليلا دقيقا حتى نصل في النهاية الى نوع فقر الدم وسببه ٠ وكما قلت لابد من معرفة السبب حتى تعالج الحالة على اكمل وجه ٠ وفي بعض الحالات يكون الوصول الى التشخيص سهلا ، وبالتالي يكون العلاج سريعا ومجديا ٠ وفي بعض الحالات تتشعب الاسباب ولا يسهل التشخيص فيقوم المختص باللجوء الى اختبارات عدة ، منها الفحص المجهري لكل مكونات الدم ، وملاحظة ان خلايا غريبة به ، وفحص الكرات الحمراء وتعريضها لتحاليل خاصة ، لمعرفة طبيعتها ، ومدى حيويتها وعمرها ،وغير ذلك ، ثم معرفة ما اذا كانت هناك مضادات في البلازما تعوقها عن وظيفتها ، او تساعد على هدمها ، وكمية الحديد الموجودة في البلازما ، والمركبات الاخرى التي لها علاقة بالكرات الحمراء ٠

لكي يصل الطبيب الى تشخيص المرض لابد ان يفتح صدره لتلقي كل المعلومات من مريضه ، وكذلك من واجب المريض ان لايبخل على طبيبه بالمعلومات التي تؤدي في النهاية الى الطريق للوصول الى المرض ،وتاريخ المرض مهم في مجال فقر الدم ، فلا ينسى المريض ان يخبر طبيبه ان كان قد فقد دما في الماضي عقب نزف من اي مكان في جسمه ، ويشرح له طعامه وهل تعرض الى حمية خاصة ، او ان عمله متصل بالكيمياء ، او تعرض لاي مرض في حياته ،وهل فقر الدم منتشر في اسرته ، ولا تبخل السيدة في احاطة طبيبها بالعادة الشهرية وكميتها ، وعن عدد اطفالها وهل اجهضت او فقدت دما في الولادة شديدا ٠ وهل ترضع اطفالها ـ كل هذه معلومات تفيد الطبيب وتلقي الضوء على المرض ، اما ان يترك الطبيب في متاهات لايدري مداها ليعرف مدى مهارته ـ فهذا ليس من التبصر ، فعلى المريض واجبات ايضا يجب ان يؤديها حيال مرضه ويساعد طبيبه ويخبره عن كل مايتعلق بهذا المرض ٠

واجد الشرح يطول في هذه الفحوصات وغيرها مما يختبر به الدم حتى نعرف سبب فقر الدم ، والذي يهمني في الامر واريد ان اوضحه هو ان بعض المرضى يضيق ذرعا لو اخذ منه دم لفحصه يوما بعد يوم ٠ ويظهر هلعا شديدا من انه يفقد دمه بهذه الطريقة ، علما بانه لايفقد الا شيئا يسيرا جدا حتى لو وصل الى ٥٠سم٣ فلن يضره هذا ، على ان هذه النسبة الضئيلة للفحص يعوضها الجسم بسرعة ، ويجب على المريض ان لايبخل بدمه في هذا المجال حتى يصل الطبيب الى تشخيص مرضه ، واذا وجد انه يحتاج الى نقل دم فسيعوضه عن ذلك ايضا ، وكم من مريض خرج من المستشفى دون التوصل الى تشخيص مرضه ، لانه ابى ان يعطي هذا الجزء اليسير من دمه للفحص ،ضاربا عرض الحائط بنصيحة الاطباء له ٠

وفي بعض الحالات نحتاج لنعرف ماذا يجري

في نخاع العظام حتى يسبب فقر الدم فيجرى مايعرف ببزل نخاع العظام وهي عملية سهلة ولكنها تقدم فكرة جيدة ، وربما كشفت تشخيص المرض وسببه بفحص محتويات النخاع العظمى تحت الميكروسكوب •

ولقد دخلت النظائر المشعة في اختبارات الدم المختلفة ، ومنها اختبار الكرات الدموية الحمراء : عددا ونوعا ، ومدى تحملها ، ومدة حياتها واين يكون مصيرها ، وغير ذلك من الفحوصات اللازمة حتى نكون على بينة مما يجرى في الدم ، وفي بعض الحالات نحتاج الى مثل هذه الفحوصات للتوصل الى معرفة كنه المرض ، وعلى المريض بفقر الدم ان لايضيق صدره حين يجد نفسه يتعرض لفحوص البول والبراز ، واشعات مختلفة على جسمه : من صدر وامعاء وكلى ، فان فقر الدم ـ كما قدمت ـ ربما يكون عرضا ، ولا بد من التوصل الى هذا المرض ، وبذلك نعرف اصل الداء ، فنصف له الدواء •

العلاج

وهنا للوقاية دور كبير ، وكما اسلفت لابد ان يعتني الانسان بغذائه كما ونوعا ، له ،ولاسرته : زوجته واولاده ـ طعام غني بالبروتينات والفيتامينات والحديد ، حتى لايتعرضوا لفقر الدم . وتزداد كمية الاطعمة التي تحتوى الحديد اذا تعرض الجسم لفقدان كثير من الدم •

وكذلك الوقاية من الامراض الوراثية وفي مقدمتها امراض الدم الوراثية : كالانيميا المنجلية والسلاليميا والهيموفيليا ، وامراض نزف الدم وغيرها ، ثم علاج الامراض المختلفة علاجا صحيحا سليما ، حتى لايعاود المريض فقر الدم اذا اعطى العلاج • ولابد من علاج الديدان المعوية ، وعلى راسها الانكلوستوما وعلاج البواسير التيتنزف • وعلاج الامراض النسائية التي تسبب نزفا من الرحم او عنقه وغير ذلك • فاذا ماعولجت الاسباب سهلت معالجة فقر الدم •

وكما قلت لفقر الدم انواع كثيرة ، وعلى راسها فقدان الدم او نقص في الحديد ، وفي هذا النوع ،اذا كان فقدان الدم شديدا وسريعا اعطى المريض نقل دم حتى يتسنى للجسم القيامبوظائفه لم يستمر المريض على العلاج بواسطة الحديد على هيئة اقراص ، مع العناية بالتغذية الكافية والغنية بالحديد والفيتامينات اما اذا كان نقص الحديد بسيطا ، فيعطى العلاج بواسطة مركبات الحديد بالفم ،على انه في بعض الحالات لايستجيب المريض للحديد بالفم ، او يصيبه ارتباك شديد في معدته وامعائه،او يكون هناك نوع من الاسهال او التهابات القولون او امراض فيالامعاء لاتسمح بامتصاص الحديد فهنا يعطى الحديد بواسطة الحقن، ويقتصر الحقن على هذه الحالات او الحالات التى يراها الطبيب ، ولا داعى لان يصر المريض على اخذ الحديد بالحقن مع انه لايحتاج الى ذلك لان لذلك مضار ، ففي بعض الحالات يسبب الحقن ارتفاعا في حرارة الجسم مع خفقان بالقلب ••• وغثيان وقيء ، وسرعة تنفس ، وفي بعض الحالات يسبب الاما تشبه الى حد كبير الام الذبحة الصدرية ، وكذلك الاما في منطقة الكلى ، هذا علاوة على الام الحقنة ، والتهاب العضلات التى يعطى فيها الحديد ، وزرقة تحت الجلد اذا لم يعط في عمق العضل •

ومركبات الحديد بالفم كثيرة ومتعددة ، واذا وجد المريض ان نوعا منها لايلائمه فيمكن ان يستبدله بغيره ، حتى يجد النوع الملائم الذى لايسبب له اعراضا تمنعه من تعاطيه •

وهناك انواع من فقر الدم تحتاج الى مركب الفيتامين ـ ب١٢ ـ او حمض الفولك وهو مايسمى بالانيميا الخبيثة ، وتعطى هذه المركبات مدى الحياة اذا كانت الانيميا خبيثة ، ولكن لاتعطى هذه لاى مريض بغرض التقوية ، وحمض الفولك يعطى في بعض حالات فقر الدم الذى يصاحب الحمل ، مع خلاصة الكبد في بعض الحالات • وفي بعض انواع فقر الدم ، يعطى فيتامين ـ ب او ج ـ واقراص الثيروكسين ، اذا كان هنالك نقص في هذه المواد في الجسم •

من هنا نجد ان كل حالة فقر دم تحتاج اليعلاج خاص يتناسب مع سببها ونوعها ، وبمعاونة المريض ومهارة الطبيب مع المختص بالتحاليل ـ يمكن التغلب على معظم حالات فقر الدم التى تنتشر ويزداد انتشارها يوما بعد يوم ••• ■■

د • محمد محمد ابو الشوك



شهقة !.. وابتهال

■ أنا ظلٌ مهاجر يا حبيبي — راعشُ الخطو في متاه اللغوب

لى قلب يضرّى به ساعر الوجـ — د ضراما ، في خفقة ووجيب

لم تهبه الحياة إلا شقاءً — وأسىً صارخا بوجه قطوب

وشجونا علمنه كيف يبكى — لشباب يذوى ، بدمع صبيب

يا لمضنىً براه صمتُ الليالى — وعراه وجومها بالشحوب

كم تمنّى لو أنه كان طيفا — وهواه مضمّخا بالطيوب

ما الذى شفّه فعاد كئيبا — غارقا في رؤى العذاب الرهيب؟

رب رُحماك ، أنت كلُ رجائى — فاهدنى وارعنى وبدّد كروبى

وأنر لى دربى اذا ما ادلهمّت — عاصفاتٌ ، وأرعدت بالخطوب

فأنا الوالهُ الذى قد رمته — لجّةُ الهمّ فى خضم اللهيب

فأذاب الفؤاد في شهقة حيـ — رى ، تنزّت من داميات الندوب ■■

النجف الأشرف ـ **محمد رضا آل صادق**

الجَمعيّات التعاونيّة الاسْتهلاكية

ماهي؟ وكم هي؟ وكيف بدأتْ في العالم العربي وفي غيره؟

بقلم : الدكتور اسحق يعقوب القطب

معنى الجمعيات التعاونية :

التعاون لفظ قديم ، عرفته لغة الأديان ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

اما مفهوم التعاون بالمعنى الذي استخدم فيه منذ اوائل القرن التاسع عشر فقد جاء اكثر تحديدا . فقد عرف بول لامبر الجمعية التعاونية بانها « مشروع تكونه وتديره جماعة من المنتفعين وفق المبدأ الديمقراطي وبقصد خدمة اعضائها وخدمة المجموع في الوقت ذاته » .

وقد عرف مكتب العمل الدولي التعاون عام ١٩٥٢ بانه « شكل من اشكال التنظيم يرتبط فيه جماعة من الأشخاص ارتباطا اختياريا على أساس المساواة لتحسين احوالهم الاقتصادية » .

ونخلص من هذا بان للجمعيات التعاونية هدفين أساسيين : الأول اقتصادي يتمثل في تجميع جهود وطاقات وامكانيات الافراد من ذوى الحاجات والمصالح المشتركة في اطار تنظيمي تستمر فيه هذه الطاقات والامكانيات البشرية والمادية في خدمة المجموعة : اما الثاني فهو اجتماعي وينبثق عن هذا التنظيم الاقتصادي من اجراءات تعمل على حماية ذوى الدخل المحدود والضعفاء من الاستغلال والسعي لنشر الديمقراطية والمساواة وتوثيق العلاقات الاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع وتطوير القيادة الجماعية وتعميق العادات والقيم التعاونية التي تؤدي الى التماسك الاجتماعي « الجميع للفرد والفرد للجميع » .

نبذة تاريخية عن الجمعيات التعاونية الاستهلاكية :

ابتدأ التعاون الاستهلاكي في انكلترا عام ١٨٤٤ حين تاسست أول جمعية تعاونية في بلدة روتشديل Rochdale المشهورة بصناعة الغزل والنسج للصوف والقطن ، وتعتبر من المدن التي لحقت بها المساوىء السوداء التي نجمت عن

التنظيم الصناعي في أوائل الثورة الصناعية من انخفاض في الاجور والبطالة المزمنة والاضرابات وتفشي الديون وسوء التغذية وتدني المستوى الصحي وذلك بسبب استغلال الراسمالية الصناعية للعمال دون شفقة او رحمة (١) ٠ وهذا الوضع حدا العمال الى التفكير في اقامة مشروعات لتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية ٠ وحينما اشتدت وطأة الظروف السيئة على عائلات الطبقة العاملة في المدينة تشكلت مجموعة منهم عرفت بجماعة رواد روتشديل The Rochdale Pioneers ٠ واخذ هؤلاء بتطبيق آراء روبرت اوين Robert Owen ، الملقب بابي التعاون ، ووضعوا القواعد والمبادىء التي تحدد اهدافهم وتنظم خطواتهم ، واستاجروا طابقا ارضيا من مخزن قديم ، وافتتحوا اول جمعية تعاونية استهلاكية في ٢١ ديسمبر ١٨٤٤ ببضاعة ضئيلة وبراسمال قدره ٢٨ جنيها ٠ وبعد سنة بلغ عدد الاعضاء ٧٤ وجملة المبيعات ٧١٠ وراس المال ١٨١ جنيه والفائض ٢٢ جنيها ٠

ومن هذه البداية البسيطة تطورت الحركة التعاونية في انكلترا تطورا كبيرا ٠ ففي عام ١٩٦١ بلغ عدد أعضاء الجمعيات التعاونية التي قامت على أساس مبادىء روتشديل ١٣ مليون عضو كما زادت مبيعات هذه الجمعيات على ١٠٠٠ مليون جنيه استرليني !

وكان وراء الحركة التعاونية رجال الفكر من الاقتصاديين والاجتماعيين الذين نادوا بالتعاون كوسيلة لمعالجة الأوضاع السيئة التي نشات بعد الثورة الصناعية،امثال روبرت اوين كما ذكرنا ٠ وكان من بين رواد روتشديل ٦ من تلاميذ اوين على رأسهم وليم كنج William King حملوا مبادئه وكان لهم اثر مباشر في انشاء محلات الاتحاد التي كانت مخازن تنيمها جمعيات من العمال براسمال يشتركون في جمعه من انفسهم ويشترون به مايلزمهم من المواد الغذائية بثمن الجملة ويبيعونه لانفسهم ليوفروا أرباح المفرّق ـ وبذلك وضع كنج فكرة المساعدة الذاتية Self Help .

وفي فرنسا : يعتبر شارل فورييه Charles Fourier مؤسس التعاون في فرنسا ، اذ ان الافكار التعاونية برزت بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ٠ ونادى بتأسيس المستعمرات التعاونية واعتبر ان المعيشة الجماعية تحت سقف واحد تحقق للمستهلك اكبر قسط من وسائل الترفيه كالتدفئة والاضاءة وغيرها باقل التكاليف. وتاسست اول مستعمرة تعاونية في فرنسا سنة ١٨٥٩ حول مصنع أجهزة التدفئة اطلق عليها اسم (Fami Listere) وهي حديقة تقع في وسطها الدار المشتركة التي تضم مدارس ومسرحا وجمعية تعاونية استهلاكية ٠ وانتشرت الجمعيات التعاونية وازدهرت منذ ذلك الحين حتى وصل عدد الجمعيات الاستهلاكية حوالي ١٠٠٠ ويزيد عدد الأعضاء على ثلاثة ملايين بالرغم من العقبات التي واجهتها هذه الحركة بعد الحرب العالمية الثانية ٠

وفي المانيا : كان على رأس الحركة التعاونية في المانيا رجلان من كبار المصلحين الاجتماعيين هما شولز ديليتش (Schulze Delitzch) وفريدريك رايفايزن (Fredrich Raiffeisen) فعندما حلت الازمة الاقتصادية باوربا سنة ١٨٤٨ وانتهز المرابون هذه الفرصة لاثقال كاهل الاهالي بالفوائد ، اسس شولتز اول مصرف تعاوني في المدينة عرف باسمه فيما بعد ٠ وفي نفس الوقت قام رايفايزن بعمل مماثل في القرى ٠ وانشا في سنة ١٨٧٦ البنك المركزي لجمعيات رايفايزن التعاونية لاقراض الجمعيات التعاونية ، ثم ازدهرت الجمعيات التعاونية الاستهلاكية حيث بلغت ٣٠٣ جمعية وعدد الاعضاء اكثر من مليونين ٠

في الدول الاوروبية الاخرى : وعلى مثل هذا النحو جرى التعاون في سائر بلاد اوروبا ، في الشمال في السويد والدنمركة والنرويج ، وفي الجنوب في مثل سويسرا وايطاليا واسبانيا ٠

دول شرقي اوروبا : كذلك نشطت الحركة التعاونية الاستهلاكية في دول شرقي اوروبا ـ بولونيا والنمسا وهنغاريا وبلغاريا ويوغوسلافيا وفي اليونان في مطلع القرن التاسع عشر ٠

---

(١) د ٠ كمال حمدي ابو الخير ـ التعاون الاستهلاكي ـ تاريخه ، نظمه ومشكلاته ـ مكتبة عين شمس ١٩٦٤ ص ٦٠

وتركزت حول تحسين احوال الطبقة العاملة ونشأت الجمعيات التعاونية المركزية (Spolem) التي لعبت دورا هاما في انتاج السلع اللازمة للجمعيات الاستهلاكية للحد من الاستيراد من الخارج • وقد تراوح عدد الجمعيات الاستهلاكية بين ٢٢٢ جمعية في النمسا و ٥ر١٦٩ جمعية في يوغوسلافيا وتراوح عدد الاعضاء بين ربع مليون (النمسا) و ٥ ملايين (يوغوسلافيا) حوالي عام ١٩٥٧ •

اما في روسيا : فان جمعيات المستهلكين ابتدات من ١٨٦٤ وبعد ثورة ١٩١٧ تأثرت الحركة التعاونية بالنظرية الشيوعية التي تنادي بان تعاون المستهلكين يؤدي الى تربية العمال والفلاحين تربية تعاونية واعدادهم للاشتراك في التعاون الانتاجي المتمثل في المزارع التعاونية (الكلوخوز) التي تعتبر ثورة في الاقتصاد الروسي • وقد بلغ عدد الجمعيات عام ١٩٥٢ حوالي ٣٩٫٠٠٠ جمعية وعدد الاعضاء ٤٢ مليونا وتعمل التنظيمات التعاونية خلال خطة السنوات السبع ١٩٥٩/٦٥ على اشتراك غالبية السكان في عضوية جمعيات المستهلكين التعاونية •

الدول الأمريكية : اتخذت الحركة التعاونية في الدول الامريكية ، في شمال امريكا وجنوبها ، نمطا يختلف عن الدول الاوروبية وان سارت على نفس المنهج والمبادىء • وقد لفتت انظار العالم في نموها السريع وربطها في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية •

التعاون في البلاد العربية

في مصر : يعتبر التعاون حديث العهد في البلاد العربية ، اذ ابتدأ في مصر على يد عمر لطفي في عام ١٩٠٨ ، وقام بتأسيس الجمعيات التعاونية لمختلف الاغراض •وصدر قانون التعاون عام ١٩٢٣ للجمعيات الزراعية • وبلغ عددها ٤١٠٠ وعدداعضائها ربعمليون فيعام ١٩٦٨ (١)•

وبعد الثورة ثورة عام ١٩٥٢ صدر قرار جمهوري سنة ١٩٦٠ يدعو بانشاء المؤسسة التعاونية الاستهلاكية تتولى تنمية قطاع التعاون الاستهلاكي في الاقتصاد القومي •

وبلغ عدد الجمعيات التعاونية التابعة للمؤسسة ٤٠١ جمعية بعضوية حوالي ربع مليون عام ١٩٦٠ •

وفي الكويت : اصدرت الحكومة قانون التعاون سنة ١٩٦٢ ونشطت الجمعيات التعاونيةالاستهلاكية وبلغ عددها حوالي ١٩ جمعية بعضوية حوالي ٢٧٫٠٠٠ مواطن من مختلف الاعمار ومن الجنسين وتنتشر هذه الجمعيات في معظم انحاء الكويت وقد تم انشاء اتحاد عام للجمعيات التعاونية الاستهلاكية فيعام ١٩٧١ لدعم النشاط التعاوني الاستهلاكي •

وفي تونس : تبشر جمعيات المستهلكين التعاونية في تونس بمستقبل لامع تلعب فيه دورا انسانيا • وتضم اهم جمعيات المستهلكين التعاونية في تونس « جمعية عامة للتجارة بالجملة » وقد انضمت الى الاتحاد الوطني للجمعيات التعاونية والاستهلاكية عام ١٩٤٩ • ، هذا بالاضافة الى قيام جمعيات تعاونية متنوعة تسهم في مختلف ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية •

وفي الاردن : ابتدأ التعاون عام ١٩٢٢ في فلسطين زمن حكومة الانتداب البريطاني وكان مركزا حول العمال ، ثم انتقل الى الريف حيث تأسست الجمعيات الريفية ، وكانت الحكومة البريطانية تدعم الجمعيات التعاونية اليهودية (التي تأسست في فلسطين بجانب الجمعيات التعاونية العربية) اكثر من الجمعيات العربية بسبب عدة عوامل سياسية واقتصادية وتربوية (٢) وبعد حرب ١٩٤٨ وبعد ان شرد حوالي مليون فلسطيني من بلادهم ومدنهم وقراهم فقد تجمدت اموال التعاونيين في بنك بركلس •

وفي عام ١٩٥٢ صدر قانون التعاون في الاردن وتأسست بموجبه الجمعيات التعاونية الانتاجية والخدمات والمتعددة الاغراض والجمعيات التعاونية

---

(٢) دكتور اسحق يعقوب القطب « اثر الجمعيات التعاونية للتسليف والتوفير الريفية في التغير الاجتماعي والاقتصادي في الريف الاردني ـ دراسة ثلاث قرى ـ قبيا ، عابود ، المصن » • رسالة دكتوراه ـ جامعة ولاية متشيجان ١٩٦٦ص ٣٦ •

المدرسية • وقد برزت الجمعيات التعاونية الاستهلاكية في الفترة الاخيرة ، وقد بلغ مجموع عدد الجمعيات في السبعينات حوالي ٤٣٠ جمعية بعضوية اكثر من ٤٨٫٠٠٠ عضو ، وقد تاثرت الحركة التعاونية بحرب حزيران ١٩٦٧ حيث ماتزال اقل من نصف الجمعيات تحت الاحتلال الصهيوني • وقد تاسس معهد تعاوني للتدريب على مختلف النشاطات التعاونية عام ١٩٦٣ •

وفي ليبيا : ظهر النظام التعاوني في ليبيا منذ عام ١٩٥٦ وبلغ عدد الجمعيات التعاونية العاملة ١٠٩ جمعية حتى اواخر عام ١٩٧١ منها ١٠ جمعيات تعاونية استهلاكية ، وقد كان مجموع الجمعيات التعاونية ١٠٦ في عام ١٩٦٨ • ويرجع الانخفاض الى تصفية بعض الجمعيات التي ثبت فشلها • وقد بلغ عدد الاعضاء ١٩٫٨٩١ عضوا • والجدير بالذكر ان الجمعيات التعاونية الاستهلاكية تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بينما تقوم وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي بمهمة الاشراف على الجمعيات التعاونية الزراعية • وتقدم الحكومة المساعدات النقدية والعينية لهذه الجمعيات •

وفي السودان : ظهر قانون التعاون بالسودان عام ١٩٤٨ وبدأ الحكم البريطاني آنذاك بتسليف الجمعيات التعاونية الزراعية • وفي عام ١٩٥٦ عندما حصلت السودان على استقلالها بدأ المصرف التعاوني (بنك الشعب التعاوني) يركز نشاطه على تمويل تجارة الاستيراد للاتحاد التعاوني المركزي الذي يعمل في مجال السلع الاستهلاكية (٣) •

سوريا : ظهرت اول بوادر الحركة التعاونية في سوريا عام ١٩٤٣ في قرية دير عطية حيث قام مجموعة من الفلاحين بحفر الآبار واقامة مشروعات الري • ولم يصدر المرسوم التشريعي للتعاون حتى عام ١٩٥٠ • وقد توحدت القوانين التعاونية المصرية والسورية عقب الوحدة عام ١٩٥٨ ، وقد تغيرت الاتجاهات عام ١٩٦٣ ليشمل النشاط التعاوني المجالات التالية (السكن – ١٠٥ جمعية ، الانتاج الصناعي – ٣٠ جمعية – الخدمات – ٦ جمعيات – النقل والمواصلات – ٤ جمعيات ، الزراعية – ٦٠٨ جمعيات) • اما الجمعيات الاستهلاكية فقد بلغ عددها ٥٤ جمعية في عام ١٩٧١ وبلغ عدد اعضائها ٤٧٫٩٠٠ عضو وتلعب دورا كبيرا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على المستويين المحلي والقومي (٤) •

لبنان : ابتدأ التعاون في لبنان عام ١٩٦٤ وقد بلغ عدد الجمعيات عام ١٩٧٢ حوالي ٣٦ جمعية تعاونية تعمل في القطاع الزراعي بعضوية ٢٠٠٠ تعاوني يساندهم الاتحاد الوطني للتسليف التعاوني وتولي الحكومة عنايتها لتطوير الحركة التعاونية (٥) •

العراق : ظهر التعاون في العراق عام ١٩٢٢ ولكن ظهرت اول جمعية تعاونية في مزرعة الزعفرانة سنة ١٩٣٧ مقتبسة نظامها من مصر • وقد بلغ في الوقت الحاضر عدد الجمعيات العاملة حوالي ١٠٠٠ جمعية منها ٤٠٠ زراعية و ٧٧ استهلاكية و ٣٦٩ جمعية للاسكان والباقي جمعيات متنوعة الاغراض تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (٦) •

السعودية : يعتبر عام ١٩٦١ مولد التعاون في المملكة العربية السعودية في بلدة القرباب على يد الشيخ عبدالله السديري الذي يعتبر من رواد التعاون ، ثم ارتبط التعاون بمشروع التنمية الاجتماعية فانشئت جمعيتا الدرعية وعرفة عام ١٩٦٥ • ومساندة للحركة التعاونية فقد انشئت دائرة التعاون التابعة لوزارة العمل والشئون الاجتماعية • وقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية في عام ١٩٧٠ ٣٦ جمعية تضم في عضويتها حوالي

---

(٣) محمد نور عبد الهادي – تقرير السودان للجنة خبراء التعاون العرب – الدورة الثالثة – دمشق ١٩٧٢ •

(٤) تقرير سوريا للمؤتمر الخاص بخبراء التعاون • دمشق ١٩٧٢

(٥) تقرير لبنان للمؤتمر الخاص بخبراء التعاون • دمشق ١٩٧٢

(٦) تقرير العراق للجنة خبراء التعاون – دمشق ١٩٧٢ •

٢٠ ألف مواطن مقسمة على النحو التالي : متعددة الأغراض (١٣) ، استهلاكية (١٢) ، زراعية (٥) مهنية (٢) خدمات (٤) ٠ وتقوم الجمعيات بدور فعال في التنمية الاجتماعية والاقتصادية لمساندة النهضة التي تشهدها المملكة في الريف والمدن والبادية (٧) ٠

على الصعيد العربي

وعلى الصعيد العربي فقد تم تاسيس الاتحاد التعاوني الزراعي العربي عام ١٩٧٢ بعضوية الاردن وتونس والسودان وسوريا والعراق ولبنان وليبيا ومصر بهدف رفع مستوى الفلاحين والمزارعين التعاونيين العرب اقتصاديا واجتماعيا بغرض الحصول على ربح مادي (٨) ٠

انواع الجمعيات التعاونية

يمكن تقسيم الجمعيات التعاونية حسب الوظائف التي تؤديها والاهداف التي تسعى الى تحقيقها في مختلف مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ليس على مستوى الأعضاء فحسب بل وعلى المستويين المحلي والقومي ٠ويقسم خبراء الاقتصاد والاجتماع الجمعيات التعاونية بحسب وظائفها الى ثلاثة انواع مميزة وهي :

١ ـ الجمعيات التعاونية الاستهلاكية
٢ ـ الجمعيات التعاونية الانتاجية
٣ ـ الجمعيات التعاونية للخدمات ٠

وحتى تتضح خصائص ومميزات كل نوع من هذه الجمعيات سوف نتحدث بايجاز عن كل منهما ٠

الجمعيات التعاونية الاستهلاكية

الهدف من هذه الجمعيات تزويد الأعضاء (ثم غير الاعضاء) بالسلع والمواد الغذائية والادوات المنزلية والملابس بالأسعار المعقولة والجودة المناسبة ، وكذلك تقديم الخدمات الاجتماعية الاخرى للأعضاء وعائلاتهم وأولادهم ،مثل الاندية للشباب وروضة للأطفال ، واللجان الاجتماعية والثقافية للجنسين ، وتخصيص بعثات لدراسة التعاون في الخارج ، الى غير ذلك من خدمات الرعاية الاجتماعية والصحية والتربوية ونشر روح التعاون ومساعدة الاعضاء للتغلب على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهونها ٠

ويمكن ان تلعب الجمعيات التعاونية الاستهلاكية دورا حساسا في حماية الاعضاء وقطاع اوسع من الجمهور من المحتكرين والتجار المستغلين الذين يتحكمون في توفير السلع وتسعيرها وذلك عن طريق توسيع سياسة الاستيراد المباشر وتصنيع بعض السلع محليا ثم اتباع نظام البيع بالجملة وتعميم المخازن الكبيرة وفتح فروع لخدمة الأعضاء في مواقع تجمعاتهم ٠

اما الجمعيات الانتاجية : **فالوظيفة الاساسية** لهذا النوع من الجمعيات هو انتاج السلع والادوات الى غير ذلك من البضاعة التي يحتاج اليها الاعضاء وغير الاعضاء ٠ وتشتمل عضوية هذه الجمعيات على الحرفيين من ذوي المهنة الواحدة الذين يواجهون ظروفا اجتماعية واقتصادية مماثلة ، ويسعون عن طريق توحيد جهودهم وطاقاتهم ومواردهم المحدودة الى تاسيس جمعية تعاونية لحماية انفسهم من استغلال اصحاب المصانع والورشات والمحلات الكبيرة وبذلك يصبح العمال الذين كانوا يعملون بالأجر ملاكين منتجين يعملون معا وفق النظام التعاوني السائد في الدولة ، ويوفرون لانفسهم الدخل المستمر والعمل المتواصل لهم ولاولادهم من بعدهم ٠

ومن انواع الجمعيات الانتاجية جمعيات الحرفيين

---

(٧) وزارة العمل والشئون الاجتماعية ـ التعاون في المملكة العربية السعودية ، ابحاث المؤتمر التعاوني الاول ١٩٧٠ ص ٢٨ ٠

(٨) ادارة الشئون الاجتماعية والشباب ٠ جامعة الدول العربية ـ لجنة خبراء التعاون ـ دمشق ١٩٧٢ ٠

على اختلاف أنواعهم مثل عمال الاحذية ،والبلاط والموزاييك ، وعمال المطابع ، وصناعة الملابس ، والانتاج الزراعي والحيواني ، وجمعيات الاثاث والادوات المنزلية والمعدنية والجلدية ...

ومن خصائص هذه الجمعيات أنها تعمل كصمام أمان لحماية صغار العمال والمنتجين من أصحاب المصانع الكبيرة والشركات الذين يحتكرون الانتاج والسوق والايدي العاملة بالاضافة الى المساهمة الفعالة في خطط ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

جمعيات الخدمات التعاونية : اما جمعيات الخدمات التعاونية فهي التي تقوم بين مجموعة من ذوي المصالح المشتركة والذين يعانون مشكلات اقتصادية واجتماعية متشابهة ويشعرون بالحاجة الى تزويد انفسهم وعائلاتهم بالخدمات اللازمة ثم توسيع نطاق الفائدة لتشمل قطاعا أوسع من الجمهور .

وتنشط مثل هذه الجمعيات في الظروف التي تكون فيها الخدمات محصورة في أيدي الشركات والمؤسسات الاهلية والتجارية يتحكمون في ثمن الخدمات وتنظيمها بما يتلاءم ومصالح أصحابها دون الالتفات الى مصالح الجمهور او مراعاة الاوضاع المحلية مثل فرض الاسعار ونوع الخدمات المعروضة . ومن الامثلة على الجمعيات التعاونية للخدمات مثل جمعيات المنفعة المتبادلة والجمعيات الصحية وجمعيات المواصلات ، وجمعيات الاسكان وجمعيات الانارة الكهربائية وجمعيات التمويل والاقراض (التوفير والتسليف) في المدن والقرى وجمعيات التامين على اختلاف أنواعها وجمعيات التوفير المدرسية التي اخذت تنتشر في البلاد العربية .

الفرق بين الجمعيات التعاونية والشركات التجارية والجمعيات الخيرية

لكي تتضح خصائص الجمعيات التعاونية والاسس التي تختلف بموجبها عن الشركات التجارية والجمعيات الخيرية فانه من الضروري ذكر المبادىء التي تقوم عليها الجمعيات التعاونية على اختلاف انواعها الاستهلاكيةوالانتاجية والخدمات . اما هذه المبادىء فهي :

١ ـ باب العضوية مفتوح

٢ ـ لكل عضو صوت واحد مهما بلغ عدد الاسهم (ديمقراطية الادارة)

٣ ـ الفائدة المحدودة على رأس المال (لاتتعدى ٦٪)

٤ ـ توزيع العوائد بحسب حجم التعامل

٥ ـ الحياد الديني والعنصري والسياسي

٦ ـ التعليم المتواصل

٧ ـ التوسع باستمرار .

ونخلص من هذا الى أن حركة التعاون ديناميكية ومتطورة ، انتقلت من الدول الغربية الى العالم العربي ، وقد حققت الدول العربية تقدما ملموسا في مضمار التعاون الاستهلاكي والانتاجي والخدمات ويزداد عددالجمعيات التعاونية ويتوسع النشاط التعاوني افقيا وعموديا . واخذ التعاون يلعب دورا في خطط ومشروعات التنمية في القطاعات الصناعية والزراعية والخدمات في الريف والمدن .

وحتى تؤدي الجمعيات التعاونية دورها الفعال لابد وان تجرى المزيد من الدراسات والبحوث الميدانية لتقييم مختلف جوانب القوة والضعف في مجالات النشاطات وقياس مدى تاثير الجمعيات التعاونية على التغير الاجتماعي والاقتصادي على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع ، هذا بالاضافة الى اهمية تبادل الخبرات والمعلومات ومناقشة افضل الوسائل لتطوير الجمعيات والنهوض بها . ■■

دكتور اسحق يعقوب القطب
جامعة الكويت

ذكر هو أم أنثى ؟

العلم يكشف نوع الأجنة حتى وهى فى أرحامها

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ كان الاستاذ « بار » استاذ التشريح باحدى كليات الطب بكندا عاكفا على سلسلة ابحاثه عن الاجهاد واثره على خلايا الجسم .. واختار لتجاربه الخلايا العصبية للقطط .. يسلط عليها شحنات كهربائية ، ثم يراقب تحت المجهر ما يعتورها من تغيرات نتيجة ارهاقها بتلك التنبيهات الكهربية المتلاحقة . وعلى الرغم من انكبابه على استقصاء تلك الاثار ، الا ان ملاحظة عابرة وذكية معا شدت انتباهه ، فاوقفته على كشف جديد لم يكن معروفا للانسان من قبل ، ولم يكن جديدا فيه الا كشفه اياه ، اما الحقيقة العلمية فيه فقديمة قائمة منذ ملايين السنين،وانما كانت طوال الأزمنة خافية في انتظار من يعثر بها من العلماء . ومرة اخرى تكافا دقة الملاحظة بثمرة علمية قيمة ، تماما كما كان اكتشاف البنسلين ومن بعده سائر المضادات الحيوية نتيجة ملاحظة عابرة ولكن مرهفة من العالم الانجليزى فلمنج Fleming .

علامة تميز الذكر من الانثى

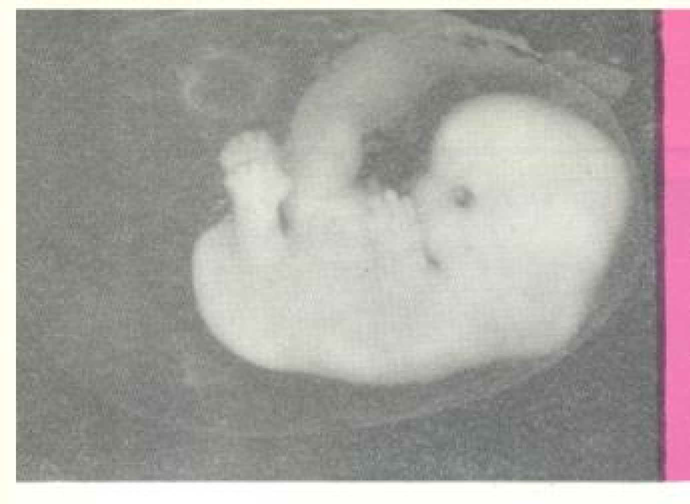
استرعى انتباه « بار » ان بعض الخلايا تحمل على جدار نواتها جسما صغيرا قاتم اللون ، شكله مربع او هلالى او مثلث او مشقوق ، ويبلغ طوله نحو ميكرون واحد ، والميكرون جزء من الالف من المليمتر . ولحظ الاستاذ ان بعض العينات خالية تماما من هذا الجسم على حين تزخر به عينات اخرى .. وراجع سجلات البحث فوجد ان كل العينات التى تبدى هذا الجسم ماخوذة من قطط اناث ، وان العينات الخالية منه كانت كلها من قطط ذكور .

كانت هذه هى البداية .. فانصرف الاستاذ وزملاؤه عن الخلايا العصبية وراحوا يدرسون نفس الظاهرة فى سائر انسجة الجسم ، فاذا العلامة المميزة موجودة فيها .

ثم تركوا القطط الى غيرها من الحيوانات ، ثم الى الانسان .. فثبتت الملاحظة فيها جميعا ، وامكن التمييز بين الجنسين بالبحث عن هذا الجسم المميز للانوثة ، وامكن التعرف على الجنس ، لا بفحص الاعضاء الجنسية الخارجية ، ولا حتى بالفحص المجهرى للغدد الجنسية ، وانما بفحص خلايا اى جزء من الجسم .

الصباغ الجنسى

لم يعد من العسير بعد ذلك كشف سر هذا الجسم . فالمادة الصبغية داخل نواة الخلية مكونة



ليس تشخيص الجنس بالامر الهين في الاجنة الصغيرة ‥ ففي هذا الجنين وما هو اصغر منه لا يجدى فحص الاعضاء الظاهرة ولا حتى الغدد الداخلية (طول الجنين الحقيقى ١٧ مليمتر)

من اجسام تسمى الكروموزومات او الاجسام الصبغية او الصبغيات عددها في الانسان ستة واربعون او ثلاثة وعشرون زوجا في نواة اية خلية من خلايا جسمه ‥ وهذه الكروموزومات هي حوامل الشفرة الوراثية التي تميز الانسان عن غيره ، وتميز الاجناس والامم ، بل وتميز القبائل ثم الاسر ثم الانسان الفرد عن غيره من الناس ٠

واحد هذه الازواج الثلاثة والعشرين يعرف بالصباغ الجنسى وهو الذى تتحدد به الذكورة والانوثة ٠ والكروموزومان المكونان لهذا الزوج اما متشابهان فيسمى كل منهما « × » وهذا يكون في الانثى ‥ واما مختلفان فاحدهما اسمه « × » اما الثاني فاسمه « Y » ويكون ذلك في الذكر ٠

وعلى هذا فالصباغ الجنسى في خلايا الانثى « × × » وفي خلايا الذكر « Y × » ٠

وليس الانسان في بدء تكوينه الا التحام نصفى نويتين ، نصف من الذكر ونصف من الانثى ٠ وواضح ان النصف الذى تعطيه الام في بويضتها لا يمكن ان يحوى الا « × » ‥ اما الذكر فاذا نصفت خليته المنوية فسيكون في نصف « × » وفي النصف الآخر « Y » ‥ والصدفة الحبوية وحدها هي التي تحدد هل يلتقى « × » الوالدة « × » زوجها فينجبان بنتا ، او يلتقى « × » الوالدة « Y » زوجها فينجبان ذكرا « Y × » ٠

وعلى هذا فالعامل المحدد لجنس الجنين كامن في ناحية الزوج لا الزوجة ، واذن فلا يلومنّ رجل زوجته ان انجبت الاناث دون الذكور ‥ فان كان لا محالة لائما فنفسه فليلم ‥ وقديما قالت الاعرابية :

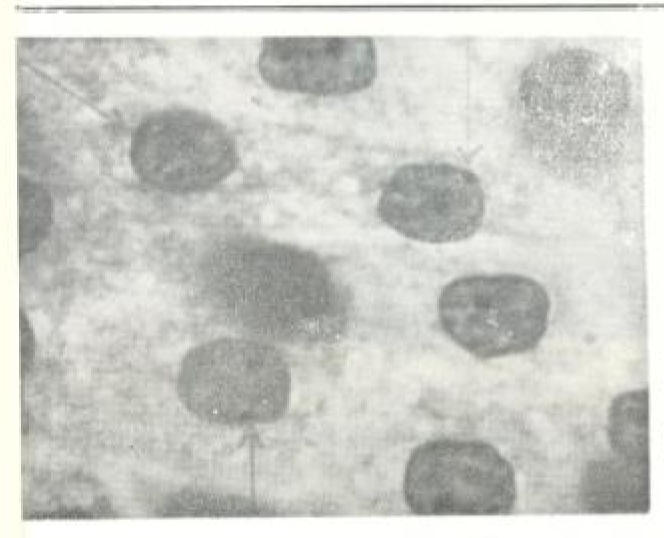
ما لأبى جمعةَ لايأتينا ... يظل في البيت الذى يلينا
غضبان ألاّ نلد البنينا ... والله ماذلك في أيدينا

وبسلسلة من الابحاث الذكية عرف العلماء ان هذا الجسم الذى اكتشفه العالم « بار » ناتج من الكتلة المشتركة لزوج صباغي مكون من « × × » ٠

اما في الذكر حيث لا يوجد الا × واحد (والآخر Y) فكتلته لا تنهض ان تنتج تلك الجسيمة ‥ التي اسموها « جسم بار » او « الصباغ الجنسى » ٠

معرفة الذكر من الانثى عندما تنبهم المعالم

وسرعان ما وجد هذا الكشف تطبيقاته العملية ٠ كان اهمها معرفة الجنس حيث لا تتضح معالمه ‥ فقد يولد المولود واعضاؤه الجنسية ليست صريحة الذكورة ولا الانوثة ‥ فلقد يكون ذكرا ولكن خصيتيه باقيتان في بطنه وقناة البول فيه لا تفتح على طرف القضيب كالمعتاد وانما عند قاعدته ،



الصباغ الجنسي ٠٠ علامة مميزة على جدار النواة في خلايا الانثى (مكبرة ١٥٠٠ مرة)

وهذا عيب خلقي طالما ادى الى اعتباره انثى وتسميته باسم انثى ، وتمر الاعوام فلا ياتيه طمثوتنمو لحيته وشاربه وشعر جسمه ويكتشفون بعد بعيد ان مولودهم ذكر ٠٠ وقد يجد الامر طريقه الى الصحف فتقرأ امثال « فتاة تتحول بالجراحة الى فتى » ٠٠ وبالمقابل قد تولد انثى فتكون كبيرة البظر نتيجة خلل هرموني لدرجة ان يحسبوها صبيا ٠٠ حتى تقرأ في الصحف عكس ما قرات ، عن « الفتى الذى تحول الى فتاة » ٠ والحل بسيط عند وجود هذا الاشتباه٠٠٠ فان الطبيب ان حك شريحة خشبية على باطن الخدين من الفم التصقت بها بعض الخلايا ٠٠ فاذا مسحها على شريحة زجاجية التصقت بها الخلايا ، ثم تعرد على اصباغ كيماوية معينة وتفحص بحثا عن الصباغ الجنسي او « جسم بار » ٠٠ وينحسم التشخيص ويدرج المولود في جنسه الصحيح ويتناوله العلاج الباكر ٠

وحسبك بهذا مثلا فان تشخيصحالات «التخنث» او « الخلل في التركيب الجنسي » ذات صور واشكال في الصغار والكبار ذكرانا واناثا لو تقصيناها لاستعصت فهما على القارىء الفهيم ٠

احصاء الذكور والاناث وهم في الارحام

لوحظ ان نسبة الجنسين عند الميلاد اى في المواليد تشير الى زيادة طفيفة ولكن ثابتة في المواليد الذكور عن الاناث ٠ وتعرف هذه النسبة « بالنسبة الجنسية الثانوية » وهي في المتوسط في العالم « ١٠٦ » من الذكور لكل مائة من الاناث ٠ ولوحظ كذلك عند فحص الاجنة المجهضة وهي التي لم تمكث في ارحامها المدة التي تمكنها من الحياة ان انفصلت ، ان نسبة الاجنة المجهضة الذكرية ازيد من تلك النسبة ، بمعنى ان الفاقد النماء الحمل اكثر ذكورا منه اناثا ٠ بيد ان هذه النسبة لم تحكمها معادلة منتظمة في الاشهر المتباكرة اى السادس فالخامس فالرابع فالثالث وهكذا ٠٠ فلميكن ممكنا اذا الاستنباط الرياضي لنسبة الجنسين لا عند الميلاد بل عند بدء التكوين اى عند تلقيح البويضة بالحيوان المنوى ، وهو ما يعرف بالنسبة الجنسية الاولية ٠

ولقد كان اعتماد الباحثين في تشخيص جنس الجنين على اعضائه الخارجية ٠ ولكن الاجنة



ى عينة من السائل الامنيوتى ٠٠ نواة خلية من الجنين وما زال فى الرحم ٠٠ بها الصباغ الجنسى ، فالجنين انثى (مكبرة ١٥٠٠ مرة)

الاصغراى المبكرة تتشابه فيها الاعضاء الخارجية٠ فكان الاعتماد اذن على شق الجنين المجهض واخذ غدده الجنسية لفحصها بالمجهر ومعرفة ان كانت خصية او مبيضا ٠ ولكن هذه الطريقة ايضا تعجز قبل مرحلة معينة من النمو٠٠اذ ان الخصية والمبيض آنذاك يتشابهان حتى فى التكوين المجهرى ٠

من هنا جاء كشف العالم « بار » مفتاحا لهذه المشكلة ٠٠ ففى هذه الاجنة الباكرة ، بل وفى اصغر منها ، تمكن معرفة الجنس بفحص الخلايا للصباغ الجنسى ٠٠ بل وابلغ من ذلك انك لا تحتاج للجنين بذاته ، فليست كل من تجهض يعثر على جنينها خاصة ان تاه فى جلط الدم او كان ماله المرحاض ٠٠ تكفى اى قطعة من نسيج جنينى ولو كان قطعة من المشيمة للوصول الى معرفة الجنس ٠

وفى محاولة التعرف على النسبة الجنسية الاولية ، فحصنا النسيج الجنينى المنغرس فى الانابيب الرحمية فى حالات الحمل خارج الرحم٠٠ حيث لا تكمل البيضة رحلتها الى الرحم فتنغرس فى الانبوب المؤدى اليه ٠٠ ولما كان الانبوب غير مهيا للانتفاخ ناميا مع الجنين فانه ينفجر محدثا طارئة طبية توجب ازالة الانبوبة بالجراحة العاجلة ٠

وفى هذه الاحمال التى تطالعنا باكبر مراحل الجنين،حسبنا النسبة الجنسية الاولية٠٠فوجدناها حوالى مائة وثلاثين ذكرا لكل مائة انثى ٠

اذن فهى مائة وثلاثون ذكرا عند التكوين لكل مائة انثى ، ثم تصبح ١٠٦ عند الميلاد ٠٠ وعند العام الاول من الحياة تصبح ١٠٣ ٠٠ ثم يكادان يتساويان بعد البلوغ ٠ اى ان السنة الحيوية وهى تريد ان تصل الى التساوى عند الشباب ذكرا لكل انثى،عليها ان تبدأ عند التكوين بمائة وثلاثين ذكرا ، حتى تعوض الفاقد الاكبر من الذكور خلال الحمل اجهاضا وخلال الطفولة وفاة٠٠ فاذا نظرنا للنسبة الجنسية الثالثة وهى عند الوفاة فى الكهولة ، وجدنا نسبة الارامل من النساء اعلى من نسبة الارامل فى الرجال فى فئات العمر المتساوية ٠٠ دليل آخر على زيادة الفاقد من الرجال ٠٠ وهكذا يبين ان الذكر اقل احتمالا من الانثى – حيويا ان لم يكن عضليا – لضغوط الحياة فى مراحلها المختلفة بدءا من

التكوين وحتى الاكتهال .. ونصدق ان قلنا انهن الجنس اللطيف ولكننا الجنس الضعيف .

ونعرف الذكر والانثى من السائل الامنيوني بالرحم

الجنين في رحم امه يحتويه كيس مليء بسائل اسمه السائل الامنيوني . وجلد الجنين كجلد الكبير يظل ينفض عنه من الخلايا مايزخر به هذا السائل . فلو حصلنا على كمية من هذا السائل لاستطعنا بصبغ ما به من خلايا جلد الجنين ان نعلم ان كان الصباغ الجنسي موجودا فالجنين انثى ، او غير موجود فالجنين ذكر .

وليس في الامر صعوبة .. فابرة نغرسها خلال جدار البطن والرحم نستطيع ان نشفط خلالها كمية من السائل الامنيوني بما فيه من خلايا الجنين .

وهكذا شخص الطب جنس الجنين.وهو تشخيص لا تجريه لمجرد ارضاء عزيزة حب الاستطلاع عند سيدة غلبتت على صبرها فهي تتعجل معرفة ما في بطنها ذكرا ام انثى . وانما لذلك مواضعه الطبية في حالات الامراض الوراثية التي تنتقل الى احد الجنسين دون الآخر ، او لزرع الخلايا الجنينية وتشخيص بعض الامراض الخلقية التي لم يكن من سبيل الى الكشف عنها الا بعد ولادة الجنين مشوها او مصابا .

ولا يظنن احد ان هذا الكشف متعارض مع الآية الكريمة « ويعلم ما في الارحام » ..فالواقع ان الله سبحانه وتعالى يعلم مافي الارحام وما في غير الارحام وما في الكون جميعا ويعلم كل شيء .. فعلمه هو العلم الكامل المطلق . وما اوتي الانسان من علم فقطرة من بحر علم الله اذن ان يصل اليها الانسان باعمال فكره وجهاد عقله .

ومن علم الله مااختص به الله سبحانه نفسه فلا سبيل لغيره الى معرفته .. من ذلك ماهية الروح « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .. ومثل ذلك قوله تعالى : « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت » ..فالتعبير هنا قطعي بان ذلك فوق علم الانسان .. ومثل قوله تعالى « قل لايعلم الغيب الا الله » .. فعلم الغيب لله ولن يكون لغير الله .. اما غير ذلك من علم الله فقد قضت حكمته بان يكشف منه الانسان قليلا فقليلا .. بل دعا الانسان الى النظر والتفكر في ملكوته ليزداد بصرا بقدرة الله ويدرك من اسرار خلقه ما يستدل به عليه ويهتدي به اليه ويزداد به ايمانا ويقينا .. وصدق الله ربنا اذ يقول : « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

ولم ينكر احد على الطب ان قال انه يستطيع معرفة وجود جنين ، والاستماع لدقات قلبه،وعدد الاجنة اواحد ام اكثر ، وحي ام ميت ، وحجمه ووضعه واين رأسه وعقبه ، بل ورؤية هيكله العظمي بصورة الاشعة . فان الجنين في الرحم حاضر وليس غيبا .. فاذا نفذنا بابرة نستجلب بها بعض خلاياه ونفحصها فهو امتداد الى حاضر وليس تطلعا الى غيب.وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم . وآمنت بالله رب العالمين . ■■

حسان حتحوت

القبلة

● قيل : قبلة المؤمن للمؤمن المصافحة ، وقبلة الرجل زوجته الفم ،وقبلة الوالد لولده الرأس،وقبلة الام للابن الخد .

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : قبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة،وقبلة الوالدين عبادة ، وقبلة الاخ للاخ رقة .

أنباء الطب والعلم والاختراع

الاتحاد الطبي الأمريكي يقرر :

من حق المريض الميئوس من شفائه ان يطلب عدم اطالة عمره بالوسائل الاصطناعية

● « انني اطلب ان اموت ، وان لا ابقى حيا بواسطة الوسائل الصناعية، كما انني اطلب ايضا ان اعالج بواسطة الأدوية المسكنة للألم حتى ولو كانت هذه الأدوية ستجلب لي الموت بسرعة » ..

لقد اجاز الاتحاد الطبي الأمريكي American Medical Association لكل مريض ميئوس من شفائه ان يوقع مثل هذا الاقرار هو او احد أقاربه . وعندما يتم التوقيع يمكن للطبيب ان يخرج المريض من تلك الآلات التي تحتفظ بالحياة صناعيا كالرئة او الكلية الاصطناعية .وان يسمح بعد ذلك باعطاء المريض جرعات كبيرة من الأدوية المسكنة وبذلك يريحه من الالم ، وان كان هذا الأمر قد يعجل بموته في كثير من الاحيان.

وقد قام الاتحاد الطبي الأمريكي باجراء بحث عن موقف مختلف الكنائس في الولايات المتحدة من هذه المشكلة ،وقد اكدت نتائج البحث ان هذه الكنائس تؤيد حق المريض في تقرير مصيره عندما يقوم الطبيب بشرح حالته بدقة ، وكذلك مدى الفرص المتوفرة له في البقاء حيا وبالوسائل الاصطناعية . وفي نفس الوقت فان اغلب هذه الكنائس رفضت رفضا باتا فكرة القتل من باب الشفقة .

ان الكثير من الأطباء في امريكا يطالبون الآن باصدار تشريعات تحميهم من المحاكمة بسبب اخذهم اعضاء من انسان توقف مخه عن العمل في حين ظل قلبه يعمل بواسطة الآلات الحديثة ، وذلك للقيام بزرع هذه الاعضاء في انسان آخر لانقاذ حياته . ولهذا فقد طالبوا بوضع تعريف قانوني للموت . ولكن المؤتمر رفض وضع مثل هذا التعريف ، والسبب في ذلك ان اي تعريف قانوني للموت مثلا بانه تلك الحالة التي تحدث بعد توقف عمل المخ هو تعريف مطاط . وقرر الاتحاد الطبي الأمريكي الابقاء على حرية الأطباء في تعريف الموت كما يرون طبقا للمعلومات الطبية المتوفرة حاليا .

ويدل هذا القرار الذي اتخذه الاتحاد الطبي الأمريكي على مدى المشكلة التي تواجه الأطباء الآن بسبب الآلات الحديثة التي تبقي على قلب المريض نابضا لفترة قد تطول او قد تقصر ، في حين انه ميئوس تماما من شفائه وقد انقسم الأطباء حتى الآن الى فريقين : الفريق الأول لايقوم باستعمال هذه الآلات الاصطناعية عندما يتاكد من انه لايمكن انقاذ حياة المريض عن طريقها ، والفريق الثاني يُبقي جسم المريض حيا حتى يأتي الوقت الذي يمكن الاستفادة بعضو من اعضائه السليمة لزرعه في جسم انسان آخر .

ويبدو ان هذا القرار ليس هو الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع اذ ان هناك الكثير من الأمور التي يجب ان تناقش قبل الوصول الى قرار حاسم بهذا الشأن .

العالمات من النساء

يتفوقن على العلماء من الرجال

● بالرغم من ان نسبة النساء الى الرجال فى الميدان العلمى بالولايات المتحدة الامريكية لا تتعدى ٩٪ ، وبالرغم من ان العالمات من الجنس اللطيف يتقاضين اجورا اقل ، ولا يجدن فرصا متساوية مع الرجال بالنسبة للعمل والمنح والجوائز الا ان الاحصائيات اثبتت ان النساء فى الميدان العلمى اكثر انتاجا وكفاءة من الرجال . وقد نشر للنساء اللواتي يحملن درجة الدكتوراه بحوث اكثر من الرجال الذين يحملون نفس الدرجات العلمية . والغريب فى الامر ان انتاج المتزوجات منهن هو اكبر انتاج . وهذا يدحض الفكرة التى كانت تقول ان تعليم الفتيات تعليما عاليا ليس الا مضيعة للوقت والمال ، لانهن بعد زواجهن لن يعملن . وقد اثبتت دراسة احصائية اجريت ان ٩٠ر٧٪ من النساء المتزوجات وليس لديهن اطفال وحاصلات على الدكتوراه منذ ٤ او تسع سنوات لا يزلن يعملن ، فى حين ان النسبة بين النساء المتزوجات ولديهن اطفال وصلت الى ٨٣ر٨٪

واثبتت الاحصائيات ايضا ان عدد الفتيات الحاصلات على درجة جيد جدا فى دراستهن الجامعية يبلغ ضعف عدد الرجال .

ويبدو ان تفوق النساء فى اعمالهن ودراستهن لم يتح لهن فرصا متساوية مع الرجل فى العمل . فان المرأة التى تحمل شهادة الدكتوراه فى الكيمياء مع خبرة من ٥ الى تسع سنوات لا تحصل الا على مرتب يبلغ ثلاثة ارباع مرتب الرجل الذى يساويها فى المؤهلات . ولهذا تطالب نساء امريكا الآن بمساواتهن بالرجال فى المرتبات وفرص العمل .

حاملو شهادة الدكتوراه فى امريكا

معرضون للبطالة ..

فى الفترة مابين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧١ ازداد عدد خريجى كليات العلوم والهندسة فى امريكا بنسبة ٥٠٪ . وارتفع عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه من بينهم الى نحو ١٠٪ . وقد جاءت هذه الزيادة بسبب التوسع فى انشاء معامل البحث فى الجامعات الأمريكية المختلفة حتى عام ١٩٦٩ . ونتيجة لزيادة عدد حاملى شهادة الدكتوراه فقد اثبتت الاحصائيات ان عددا كبيرا منهم فى مختلف ميادين العلم لن يجدوا وظائف تلائم تخصصاتهم . ويقول احد الاخصائيين فى هذا الموضوع ان واحدا فقط من بين اربعة يحملون شهادة الدكتوراه ، هو الذى سيجد فرصة للالتحاق بوظيفة فى سلك التدريس الجامعى فى الوقت الحاضر ، اما فى بداية عام ١٩٨٠ فان واحدا من عشرة هو الذى سيجد مثل هذه الوظيفة .

ومن بين الاقتراحات التى تقدم بها بعض الخبراء لمعالجة مشكلة تزايد عدد حاملى شهادة الدكتوراه . هو انشاء دراسات للخريجين تركز على معالجة مشكلة معينة مثل انتاج الغذاء مثلا . ويتم تدريب الخريجين فى هذه الدراسات على النواحى التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المشكلة . وبهذه الدراسات يتم تأهيل الخريجين لتولى وظائف فى الحكومة والشركات الصناعية .



رجل فضاء ..
ام طبيب جراح ؟!

هذا الرجل الذى يرتدى ملابس اشبه بملابس رجال الفضاء هو فى الحقيقة طبيب جراح فى مستشفى سانت لوك St.Luke بمدينة دنفر بولاية كولورادو الأمريكية .

وقد اصبح الجراحون والممرضات ، وكل من يعمل فى غرفة العمليات الجراحية بهذا المستشفى يرتدون مثل هذه الملابس اثناء اجراء العمليات الجراحية كوسيلة من وسائل تخفيف احتمالات تعرض المرضى لأى عدوى . وهذا الزى الجديد الذى سيصبح سائدا فى كافة غرف العمليات الجراحية فى المستقبل القريب ، توصل اليه العلماء اثناء البحوث الخاصة برحلات الفضاء .

وهكذا يستفيد العلماء فى كافة الميادين العلمية من ابحاث الفضاء !

حجم العائلة يؤثر على ذكاء الأطفال

● ثبت من الابحاث مؤخرا ان للبيئة دورا كبيرا فى تنمية الذكاء عند البشر . وهناك ادلة توحى ان الطفل الوحيد ، او الطفل الذى ينشأ فى اسرة صغيرة يكون اشد ذكاء واكثر قابلية للتعليم من الطفل الذى ينشأ فى عائلة كبيرة مكونة من عدد كبير من الاشقاء . وتشير الادلة ايضا على ان الطفل الاول يكون اذكى من الطفل الثانى ، والطفل الثانى احسن من الطفل الثالث وهكذا ..

وقد اثبتت دراسة حديثة اجريت على ٤٠٠ الف رجل ، فى سن التاسعة عشرة ولدوا فى هولندا ، ان حجم العائلة وترتيب المواليد له تأثير كبير على درجة الذكاء عند هؤلاء الرجال .

وفى هولندا يتم اعطاء اختبارات الذكاء لكل الرجال وذلك لاختبار صلاحيتهم للتجنيد . وقد قام عالمان من علماء السلوك بدراسة نتائج اختبارات الذكاء هذه لرجال ولدوا فى الفترة ما بين ١٩٤٤ و ١٩٤٧ ، واثبتت هذه الدراسة انه كلما ازداد حجم العائلة ، قلت درجة الذكاء والكفاءة . وعندما يكون ترتيب المولود متأخرا يقل ذكاؤه وكفاءته ايضا .

●●

غزو الفضاء

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ من منا لم يخفق قلبه يوما عند سماعه لنبأ من انباء غزو « الفضاء الخارجى » ؟

من منا لم يشاهد يوما — فى لهفة وفرحة — صور رُوّاد الفضاء وهم يهبطون على سطح القمر ؟

من منا لم تلعب براسه يوما نشوة الامل ، فود لو استطاع في المستقبل القريب ان يقوم برحلة من رحلات الفضاء ؟ •

لقد ظل الانسان حتى الآن اسيرا لهذا الكوكب الذى يسمونه « الارض » ، ولكنه نجح اخيرا فى تجاوز حدوده الكونية ، فلم يعد مصيره مرتبطا بمصير « الارض » !

اجل ، لقد استطاع الانسان المعاصر ان يغزو الفضاء الخارجى ، فكان هذا الغزو ايذانا بحلول عصر جديد ، ستصبح فيه البشرية قادرة على التهرب من مصيرها المحتوم على ظهر هذه الارض ! وسرعان ما استحالت واقعة غزو الفضاء الخارجى الى اسطورة عريضة مثيرة ، بطلها « الانسان التكنولوجى » ، الذى سيكون بمثابة الانسان الاعلى او « السوبرمان » !

وظن بعض ان مشكلات البشرية جميعا قد حُلّت ، او انها فى طريقها الى الحل ، لمجرد ان التقدم التكنى قد مكن الانسان من التحرر — الى حين — من جاذبية الارض ! وتوهم الذين شاهدوا (على شاشات) التلفزيون رواد الفضاء فى حالة انعدام الوزن ، انه لم يعد لقضايا الساعة اى وزن ، وان بيت القصيد اليوم قد اصبح هو « المستقبل » لا الحاضر » ! وهكذا كان « غزو الفضاء الخارجى » فاتحة عهد حضارى جديد ، واصبح الشعار السائد بين الجميع : « الى النجوم ! الى النجوم ! »

غزو « الفضاء الخارجى » مهمة من الدرجة الثانية !

بيد ان الملاحظ — مع الاسف الشديد — انه اذا كان الانسان المعاصر قد نجح فى ارتياد « الفضاء الخارجى » فانه لم ينجح حتى الآن فى ارتياد « الفضاء الداخلى » Inner Space •
وآية ذلك ان الموجود البشرى الذى اجهد نفسه كثيرا ، للتحكم فى القوى الطبيعية ، والسيطرة على بيئته الخارجية ما يزال حتى هذه اللحظة بعيدا كل البعد عن التحكم فى قواه الذاتية ، او السيطرة على بيئته الداخلية • وعلى حين اننا قد اصبحنا على وعى تام (او شبه تام) باتجاه التطور الطبيعى ، فاننا ما نزال نجهل الى اين يتجه الضمير البشرى ! وربما كان السبب فى ذلك اننا قد نسينا انفسنا ، فى غمرة اهتمامنا بالتطور، فلم نعد نذكر ان الوعى البشرى هو الذى يوجه حركة « التقدم الحضارى » وان المعايير الانسانية هى التى تتحكم فى مسار « التاريخ البشرى » • ومن هنا اصبح لزاما على الفلاسفة ، وعلماء النفس ، ورجالات الاصلاح ، ان يهبوا من جديد ، لكي يذكروا انسان الربع الاخير من القرن العشرين



بانه لا بد له من العمل على اكتشاف هويته ، وادراك ذاته ، حتى يصبح اهلا للقيام برسالته فى صميم الكون ، والاضطلاع بدوره الحقيقى فى دراما التطور • ولعل هذا ما عبر عنه احد الباحثين الامريكيين المعاصرين حين كتب يقول «ان غزو الفضاء الخارجي مهمة من الدرجة الثانية، فهى لا بد من ان تجىء فى المحل الثانى بعد العمل على الاخذ بيد الانسان ، من اجل مساعدته على التقدم الى الامام فى حركة مستمرة نحو غزو الفضاء الداخلى • »

هل نجح علم النفس التحليلى فى ارتياد « الفضاء الداخلى » ؟

وهنا قد يقول معترض ان ما تعنونه بغزو الفضاء الداخلى هو ما حاول القيام به ـ منذ اكثر من نصف قرن من الزمان ـ بعض علماء النفس ، من امثال فرويد ، وادلر ، ويونج ، وتلاميذهم من رجالات المدرسة التحليلية الحديثة : فانهم جميعا قد صرفوا اهتمامهم الى دراسة اعماق النفس البشرية ، وفض اسرارها المطوية الدفينة ، والعمل على الكشف عن مكونات اللاشعور ••

ونحن لا ننكر اهمية الدراسات السيكلوجية التى اضطلع بها هؤلاء العلماء الممتازون من اجل الاخذ بيد الانسان على درب « معرفة الذات » ، ولكننا نميل الى الظن بان علماء التحليل النفسى قد بقوا حتى النهاية عاجزين عن سبر اغوار الامكانيات البشرية الهائلة ، لانهم قد وجهوا كل اهتمامهم اوجله الى مظاهر ضعف الانسان، وقصوره، وعجزه ، بدلا من العناية بالكشف عن مظاهر قوته، وسموه ، وامتيازه • والواقع ان معظم علماء النفس التحليليين قد وقفوا عند عقد الانسان ، وامراضه النفسية، واضطراباته العصبية ، وشتى مظاهر انحرافه ، دون ان يفطنوا الى ما لديه من « مرونة » Flexibility ساعدته ـ خلال كل مراحل تطوره ـ على مواجهة ظروف البيئة المتغيرة ، وتحقيق اكبر قسط ممكن من « التنوع » Variety و « التعقد » : Comqlexity • فلم يكن الانسان يوما مجرد « كائن ضعيف » يخضع تماما لمبدأ اللذة (كما توهم فرويد) ، بل لقد اظهر الانسان من « القوة » (بذكائه ، ومقدرته على التكيف) ما جعله قادرا على التحكم فى ذاته من جهة ، وفى بيئته الخارجية من جهة اخرى • ومن هنا بقى المستقبل امامه « مفتوحا » ، بينما تقوقعت سائر الكائنات داخل قشرتها الخارجية الصلبة ، بسبب حرصها الشديد على التماس الامن والحماية ، مما اغلق امامها كل امكانيات التطور فى المستقبل !

مصير الانسان رهن بقدرته على استبقاء طابعه الانفتاحى

والحق ان كل مصير الانسان قد اصبح رهنا بهذه « السمة الانفتاحية » Openness التى جعلت منه موجودا مرنا ، متغيرا ، متطورا ، قادرا على تشكيل مستقبله ، بدلا من ان يظل مجرد كائن مغلق على ذاته ، متحجر فى انماطه السلوكية ، متصلب فى عاداته الحركية ، عاجز تماما عن تغيير ذاته ، ولكن اختراع الالة ، وظهور العصر التكنولوجي ، وارتباط الانسان المعاصر فى كل اساليب حياته ببعض الاجهزة اللاعضوية ،

قد كانت جميعها بمثابة عوامل فعالة أدته الى الحد من تطوره الذاتي ، والحيلولة دون استمرار ترقيه الباطني ، والوقوف حجر عثرة في سبيل استمرار عمليات فض امكانياته الداخلية . وربما كان السبب في ذلك ان اعتماد الانسان المعاصر على الآلات والاجهزة ، وشتى القوى اللاعضوية - قد مال به نحو انتهاج « الطريق السهل » ،واهمال الجهد السيكولوجي اللازم من اجل تحقيق مالديه من امكانيات عميقة ، وقدرات دفينة ...

ومعنى هذا ان الانسان المعاصر قد اصبح مطالبااليوم بالعملعلى تجاوزوسائله التكنولوجية الحديثة ، والامتداد بذاته الى ماوراء تلك القوى الطبيعية اللاعضوية ، حتى لا تستحيل « التكنية » التي يستخدمها الى « فوقعة » جديدة ، تتحكم مبادئها التنظيمية في كل انماط سلوكه ، وتسيطر اجهزتها الآلية على كل اساليبه في المعيشة . ولا شك ان فلاسفة الحضارة الذين يُهيبون بانسان اليوم ، ليعمل على « تجاوز الآلة » ، والاهتمام باسترجاع الزمام بين يديه - انما يرمون من وراء هذا التحذير الى تذكير الانسان بضرورة الرجوع الى ذاته ، والحرص على استرجاع هويته، حتى لا يفقد السيطرة على مسار تطوره ، بل حتى يظلّ قديرا على الاحتفاظ بمركزه في مملكة الموجودات الطبيعية . وليست هذه الصرخة سوى مجرد « نداء » يُهيب بالانسان المعاصر ان يصبح « انسانا » (بكل ما لهذه الكلمة من معنى) . من خلال عملية اكتشاف « فضائه الداخلي » .

هل تصلح « العقاقير » وحدها لارتياد « الفضاء الداخلي » ؟ !

اننا لا ننكر - بطبيعة الحال - ان ثمة « حيوانا بدائيا » ما يزال يكمن في اعمق اعماق ذواتنا ، وكأنما هو « طبقة سفلية » ما تزال توجد في مؤخرة الدماغ البشري المتطور ، ولكننا لا نوافق كستلر Koestler على أن « العقاقير » Drugs وحدها هي الكفيلة بالتحكم في « الكائن المتوحش » الكائن في نفوسنا ، ومن لم « فانها السبيل الاوحد الى منع الانسان من تحطيم ذاته » ! والحق انه اذا كان قد وقع في ظن الكثيرين ان الطب النفسي الحديث قد اصبح قديرا على حل الكثير من ازماتنا النفسية ، ومشكلاتنا الخلقية ، عن طريق طائفة من « العقاقير » ، فان من واجبنا ان ننبه الى خطورة استعمال تلك « العقاقير » ، لا في مضمار « الضبط الاجتماعي Social control » فحسب ، بل في مضمار عمليات « تحقيق الذات » Self - realzation ايضا . ومهما يكن من مزاعم القائلين بنجاح تلك العقاقير في رفع درجة التذكر ، وزيادة القدرة على التصرف ، ومضاعفة قابلية الفرد للتكيف ، والارتفاع بمستوى ذكائه وقدرته على حل المشكلات ... فقد اثبتت التجارب ان هذه « العقاقير » تحدث لدى الافراد الذين يتعاطونها مضاعفات خطيرة تحتاج بدورها الى عقاقير اخرى ، وهلم جرا !

صحيح ان البعض ما يزال يتوهم ان عملية ارتياد « الفضاء الداخلي » للنفس البشرية قد تتحقق بالالتجاء الى امثال تلك « العقاقير » ، على اعتبار انها وسائل ضبط تقبل الملاحظة ، ولكن من المؤكد ان استخدام هذه الاساليب التكنيكية لا يمكن ان يصبح فعالا مثمرا ، اللهم الا اذا ارتضى الفرد لنفسه منذ البداية التعاونَ مع القائمين على اجرائها ، او اذا كان الفرد متعزلا جسمانيا عن غيره من الافراد ، بحيث يكون خاضعا تماما لسيطرة الشخص الذي يقوم بتغيير افكاره او تعديل سلوكه . ومعنى هذا انه لا يستطيع العقار ان يغير ما بانفسنا ، الا اذا استقر قرارنا على ذلك : لأن ما يحرك الارادة ، وما يغير الضمير انما هو الضمير !

وذا كان الانسان المعاصر لم ينجح حتى الآن في قتل « الوحش » الكامن في اعماق ذاته ، فما نظن ان « العقاقير » ستكون هي الكفيلة بتحقيق هذه المهمة ، بل نحن نعتقد ان الحرية الانسانية الواعية هي وحدها القادرة على اجتلاء ابعاد المستقبل البشري ، والكشف عن امكانيات ارساء اسس المجتمع السليم .

وحين تعلو صيحات بعض المتشائمين معلنة ان « الحرب » هي شريعة الانسان في كل زمان ومكان، وانه ما يزال من المستحيل علينا القضاء على الاساليب البربرية الغاشمة في التعامل ، سواء لدى الافراد أو لدى الجماعات ، فان المهمة الكبرى التي تقع على عاتق رواد « الفضاء الداخلي » هي اعادة الثقة بالنفس الى هذا الجنس البشري التائه في بيداء « الفضاء الخارجي » ! وحين

يقول البعض ان الانسان ما يزال محبوسا خارج ذاته ، فانه يعني بهذه العبارة ان الانسان لم يعمل بعد بنصيحة الحكيم اليوناني القديم سقراط حين قال قولته المشهورة : « ايها الانسان: اعرف نفسك ! » .

واليوم حين يتحدث بعض علماء النفس او الاجتماع عن عملية « اعادة توجيه الحضارة » : (The Reorientation of culture)

فانهم يعنون بذلك ضرورة اضطلاع الموجود البشري (من حيث هو موجود ذكي واع بذاته) بدوره الكامل في عملية « التطور » ، آخذا على عاتقه مسئوليته التامة عن نفسه من جهة ، وعن الكون من جهة اخرى . فلم تعد مهمة الانسان - في هذا العصر - مقصورة على ارتياد الفضاء الخارجي ، والعمل على استجلاء الكواكب البعيدة، بل لقد اصبح لزاما عليه ايضا ان يرتاد فضاءه الداخلي ، وان يعمل على استجلاء عالمه الباطني السحيق . وهذا هو الاصل في الدعوة القائمة الى العمل على « اعادة توجيه الحضارة » .

الجهل بأسرار « الفضاء الداخلي » مسئول عن الزعم باحتمال زوال الدين !

ان الكثيرين ليظنون ان المشكلة الوحيدة التي ما تزال تؤرق بال الانسان ، والتي ما تزال تستحق منه - دون سواها - كل اهتمام ، انما هي مشكلة « غزو الطبيعة » . وليس من شك في ان حل الكثير من مشكلات الانسان الاقتصادية والسياسية - في المستقبل القريب او البعيد - سيظل متوقفا على مدى نجاح انسان الغد في السيطرة على الطبيعة ، ولكن من المؤكد - مع ذلك - ان كل نصر يحرزه الانسان على الطبيعة لابد من ان يضطره - ان عاجلا أو آجلا - الى اعادة تقييم ذاته ، من اجل سبر اغوار نفسه ، والوقوف على حقيقة مراميه ومقاصده في الحقبة المقبلة .

ولو اننا سلمنا - اليوم - بما يقوله بعض علماء المستقبل من اننا على أبواب عصر جديد ، الا وهو عصر « الانسان التكنولوجي » ، لكان علينا ان نعترف بان مشكلة التوازن بين الانسان والطبيعة ، او بين عالم القيم وعالم الوقائع ، ستفرض نفسها علينا من جديد ، في ضوء ما استجد (وما سوف يستجد) على البشرية من ظروف وجودية معقدة .

والحق ان التطورات الجديدة التي يتنبأ بعض رجالات المستقبل بقرب حدوثها (خصوصا في مضمار الطب وعلم الاحياء) قد اصبحت تتطلب من المهتمين بشئون الحضارة البشرية التفكير جديا في اعادة النظر الى اهداف الانسان الحقيقية، بالاستناد الى نظرة شاملة عميقة تكون هي الكفيلة بالكشف عن اسرار « الفضاء الداخلي » للنفس البشرية ..

فليس يكفي - مثلا - ان يسارع بعض الباحثين الى الاعلان عن قرب زوال « عهد الدين » ، لمجرد ان الناس - في معظمهم - قد اصبحوا يسلمون بالنظرة العلمية الى الكون ، بل لابد لامثال هؤلاء الباحثين من النفاذ الى اعمق اعماق النفس البشرية، من اجل الوقوف على الحاجات الروحية الدفينة التي تشبعها الروح الدينية، وفي مقدمتها الايمان بمعنى الحياة ، والتسليم بقيمة الوجود ، والاقرار بوجود حقيقة عليا تتجاوز حقيقة دائرة التجربة البشرية المتناهية . واذن فان الزعم باننا « نسير سيرا وئيدا نحو عصر جديد سوف يصبح الدين فيه اثرا بعد عين » - انما هو في رأينا زعم واه لا يستند الى معرفة صحيحة بخبايا « الفضاء الداخلي » للانسان ، وخفايا « الحاجات العميقة » الدفينة في صدر الموجود البشري . واذا كان بعض المتحمسين من دعاة « العصر التكنولوجي » من اهل اوروبا » مايزالون يؤمنون ببقية من القيم المسيحية (خصوصا فيما يتعلق بمعنى الحياة البشرية) (، فما ذلك الا لانهم قد فطنوا الى ان « الانسان - حتى في العصر التكنولوجي - سيظل مختلفا - من حيث الكيف - عن « الآلة » » .

ومهما يكن من شيء ، فان الحاجة اصبحت ماسة اليوم الى نظرة تكاملية جديدة ، تدخل في حسابها كل خبرات الانسان المعاشة ، بما فيها الخبرة الدينية، والخبرة الجمالية، والخبرة الاخلاقية.. الخ ، حتى لا يكون الحكم على المقاصد الحقيقية للموجود البشري وليد نظرة جزئية قاصرة ، تسقط من حسابها جانبا هاما من انشطة الحياة الانسانية.

ونحن نعرف ان بعض فلاسفة الحضارة قد تنبأوا بقرب حلول عهد الرخاء الاقتصادي الذي ستخف معه الحاجة الى «العمل» وتزداد الرغبة في «اللعب»

خصوصا بعد تزايد اوقات « الفراغ » . ولكن المهم ان نقف على نوع « اللعب » الذى سيكون هو الكفيل باشباع الحاجات الدفينة الباطنة فى اعماق « الفضاء الداخلى » للانسان . والواقع ان « اللعب » ان لم يجىء مشبعا لأمثال تلك الحاجات - فانه لن يكون الا عاملا جديدا من عوامل « السأم » . مثله فى ذلك كمثل اية صورة بغيضة من صور « العمل » واذن فان الحاجة الى معرفة اسرار « الفضاء الداخلى » تمثل شرطا ضروريا لا غنى عنه لكل محاولة جديدة يراد من ورائها « اعادة توجيه الحضارة » .

لا بد لنا من ان نعرف « من نحن » حتى نعرف « ماذا نفعل »

ان حركة سباق غزو الفضاء الخارجي - بلا شك - ستظل قائمة على قدم وساق . وربما كان من المحتمل ايضا ان ينجح انسان « العصر التكنولوجى » فى اخضاع المحيطات ، والسيطرة على البحار . ولكن ، مالم يشرع البشر - منذ الآن - فى تحديد الاغراض التى من اجلها يقومون بمثل هذا النشاط ، فقد تصبح عملية غزو الفضاء وقهر المحيطات مجرد فرصة اخرى لتزايد الاضطراب الاجتماعى ، وتضاعف خطر الانحراف الحضارى ، وتفاقم احتمالات انفجار حرب عالمية ، ومعنى هذا انه لابد للبشرية ان تاخذ على عاتقها مهمة التعرف على حقيقة نواياها ، ومقاصدها ، وأهدافها حتى تصبح عملية « توجيه المستقبل » عملية واعية ، مرسومة ، واضحة المعالم . ولن يتاتى للبشر ان يعرفوا - على وجه التحديد - ماذا يريدون ، الااذا جاءت عملية غزو « الفضاء الداخلى » ، فوضعت بين ايديهم صورة صحيحة دقيقة ، متكاملة ، لما يمكن ان يصبح عليه الانسان فى المستقبل القريب ، حتى يستعيد هويته ويصبح « عين ذاته » . واذن فان تكوين الانسان لفكرة صحيحة عما يريد القيام به ، ومايبغى الوصول اليه امر مرهون بمدى نجاحه فى اكتشاف ذاته ، والوقوف على امكاناته الباطنية العميقة . ومن هنا فقد يصح لنا ان نقول : « اننا اذا لم نعرف من نكون ، فاننا لن نستطيع مطلقا ان نعرف ما الذى ينبغى لنا ان نقول : او ما الذى يجدر بنا ان نضعه نصب اعيننا فى برامجنا التكنولوجية المقبلة » .

واخيرا : الانسان ما يزال أمل الانسان !

وبعد ، لقد دلتنا التجربة البشرية الطويلة على انه ليس ثمة « توقف » فى تاريخ الانسان : فان سير البشرية مستمر ، وحركة الانسان نحو المستقبل دائبة ، ومظاهر الجدة فى الحياة البشرية مطردة . ومهما يكن من امر الكشوفات التى استطاع اصحاب « العلوم الانسانية » - حتى الآن - ان يحققوها فى مضمار « غزو الفضاء الداخلى » ، فان سر النفس البشرية ما يزال بكرا او شبه بكر ! وربما كان من بعض افضال الاكتشافات العلمية على الحضارة البشرية انها تلزم الانسان فى كل عصر بمعاودة النظر فى حساباته القديمة ، من اجل العمل على اعادة « تقييم » الانسان !

واليوم يجىء تقدم الحضارة التكنولوجية الحديثة ، فيضطرنا - مرة اخرى - الى الغوص فى مجاهل النفس البشرية ، والسعى نحو الكشف عن اسرارها العميقة الدفينة ، من اجل ملاحقة حركة غزو الفضاء ، ولكن فى الاتجاه الاخر المقابل لها ! انه « الفضاء الداخلى » : بكل ابعاده ، واعماقه ، واسراره ، وهو فضاء سحيق ، عميق ، دفين ، ولكنه فى الوقت نفسه حافل بالاعاجيب والمعجزات ، والكنوز المجهولة !

وليس ما يدفعنا الى الاعتقاد بان الانسان قد استطاع - حتى الآن - ان يفض كل امكاناته ، او ان يسبر غور كل قواه ، فما يزال الانسان « أملا » للانسان ، وما تزال القصة التامة ، المتكاملة ، للوجود البشرى حلما يراود مكتشفى (او مرتادى) « الفضاء الداخلى » !

فلنقل اذن ان كل الآفاق ما تزال مفتوحة امام رواد الفضاء الداخلى ، ولنعترف بان الموجود البشرى لم يصبح - حتى الآن - كل ماهو ميسر لان يكونه ، ولم ينجح - الى هذه اللحظة - فى بلوغ كل ما يصبو اليه ، وما دامت النفس البشرية عالما مرنا ، معقدا ، كثير الاحتمالات ، فستظل عملية « غزو الفضاء الداخلى » ، مهمة عسيرة لا تخلو من مخاطر وصعوبات ، وان تكن فى الآن نفسه رحلة مشوقة ، لاتخلو من كشوف ومفاجآت ! ■■

الدكتور زكريا ابراهيم

مسابقة العربي

طعامك .. أي الأنواع هو؟

١٥ سؤالاً و ١٠٠ دينار للجوائز

■ مسابقة هذا العدد عن الغذاء ..

كلنا يعرف ان الأغذية ثلاثة انواع اساسية :

١ ـ بروتين

٢ ـ دهون

٣ ـ نشويات سكريات

وفيما يلي اسماء ١٥ صنفا من الأغذية.. والمطلوب منك ان تحدد النوع الغذائي الغالب في عشرة من هذه الأصناف على الاقل :

١ ـ لحم البقر	٦ ـ الارز	١١ ـ الموز
٢ ـ الدجاج	٧ ـ الجبن	١٢ ـ سكر القصب
٣ ـ السمك	٨ ـ الفول	١٣ ـ سكر البنجر
٤ ـ العنب	٩ ـ العدس	١٤ ـ البيض
٥ ـ الخبز	١٠ ـ القشدة	١٥ ـ زيت الزيتون

شروط المسابقة والجوائز

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٩٠ »

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر نوفمبر (تشرين الثاني)١٩٧٤

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■



طرائف غربية

القطة وفولتير والحرية !

● فولتير ، كاتب فرنسا وشاعرها العظيم الذى مهد بكتاباته وآرائه للثورة الفرنسية الكبرى فى بلاده ، كان انسانا رقيق الحس مرهف المشاعر ، يحب الحياة ، رغم ماكان يجده فيها من صور الظلم والطغيان التى كان الشعب يرزح تحتها !

حدث يوما ان كان يزور صديقا له فى بيته بالريف ، وفجأة رأى احد ابناء هذا الصديق يقف وراء نافذة الغرفة ويتطلع من ورائها بأسى وهو يجهش بالبكاء ..

فاقترب منه فولتير ليرى هذا الذى رآه الصبى الصغير وأثار فى نفسه الحزن والالم .. فاذا به يرى طفلين صغيرين يحملان قطة بيضاء صغيرة ، ويهمان بوضعها فى قبر حفراه لها بأيديهما بعد أن عقرها ذئب جائع مفترس ،عجزت عن أن تدافع عن نفسها أمام شراسته !

لقد كانا شقيقى الصبى وكانت قطته التى يحبها ! قال الصبى والدموع تملأ عينيه : « لقد ماتت « لوسيل » .. ماتت



لحظة يسقط

● هل صحيح ان هناك شيئا خفيا فى وجه كل رجل وامرأة لايراه الا الفنان ،مصورا كان ام رساما !؟ يقول يوسف كارش المصور العالمى الشهير الذى قدم لنا وجوه ساسة العالم وعظمائه « نعم صحيح .. والمصور الناجح وحده هو الذى يستطيع أن يكشف هذا الشيء الخفى فى صوره ولوحاته .. وهذا الاكتشاف ، اذا حدث فهو يجيء فى ومضة خاطفة ، فقد يجده الفنان فى لفتة أو ابتسامة أو نظرة

قطتى وصديقتى ياسيدى ! »

وامسك كاتب فرنسا الكبير وشاعرها بيد الصبى وقال « تعال ٠٠ تعال معى ٠! » وقاده الى النافذة الاخرى المطلة على حديقة البيت الأمامية ثم قال : « هل ترى هذه الزهور الجميلة يابنى ٠٠ ثم هذه الطيور التى تتنقل بين غصون الاشجار مغردة سعيدة ٠٠ تطلع اليها يابنى ،واملأ عينيك بها ٠٠ فهذه هى الحياة فى اجمل صورها ٠٠ لاتحزن ياصديقى الصغير وسوف ابحث لك عن قطة اخرى وستحبها وتحبك اكثر من « لوسيل » ! »

وترك فولتير بيت صديقه ، وعاد الى بيته فى المدينة ، وصورة القطة المسكينة لاتزال امام عينيه ، وامسك بقلمه ليسجل خواطره قال : « كان الفرق بين الصورتين وكانت المسافة بين النافذتين ٠٠ هو نفس الفرق ، وهى نفس المسافة بين فرنسا اليوم فى ظل الطغيان ، وفرنسا الغد فى ظل الحرية ٠٠ مسكينة « لوسيل » فما اكثر الذين وقعوا فريسة بين انياب الذئاب الجائعة ! »

كانت امنية فولتير ان يرى الثورة التى زرع بذورها ، ولكن القدر حرمه من رؤية ثمار مازرع ، فمات قبل أن تندلع بنحو احدى عشرة سنة !

القناع !

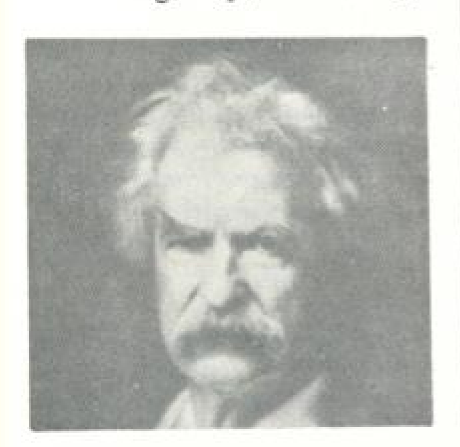
وربما وجده فى سقوط ذلك القناع الذى يضعه المرء أو تضعه طبيعته على وجهه ، رجلا كان ام امرأة،عندما يلتقى بالناس، ليخفى وراءه حقيقة نفسه ٠! فاذا سقط ظهر الوجه عاريا على حقيقته ٠٠ واذا عرف المصور كيف ينتهز هذهالفرصة فقد فاز بالجائزة ٠٠ وهى اعظم جائزة تلك التى يفوز بها « الفنان » عندما يقدم « الاصل » فى صورة ، ويكشف خفايا النفوس فى وجوه اصحابها » ٠!

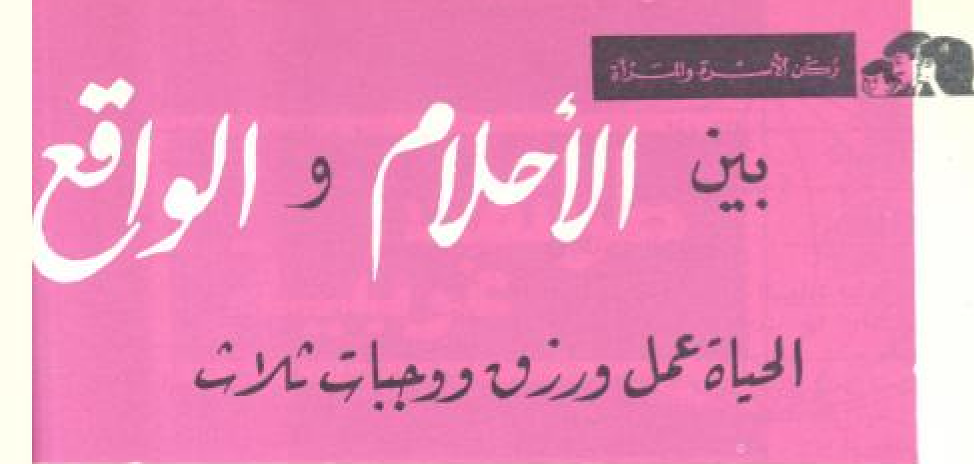
ماذا قالوا فى السعادة ؟

● ماهى السعادة ؟

يقول مارك توين ان السعادة قناعة ، فاذا رضينا بحياتنا وقنعنا بها ، فقد بلغنا قمة السعادة ! ويقول هـ ٠ ج ولز انها راحة البال ، وليس هناك ماهو اثمن ولا اندر من تلك اللحظات التى يحس فيها المرء بأن ضميره مرتاح ، لانه لم يظلم احدا أما مونتسكيو Montesquieu الفيلسوف والمؤلف الفرنسى الشهير (١٦٨٩ ــ ١٧٥٥) ، فقد قال : « لو أن المرء اكتفى بأن يكون سعيدا ، لهان الامر ٠٠ فليست السعادة امرا صعب المنال ، ولكن مشكلة البشر ، اينما كانوا، هى انهم يريدون أن يكونوا اسعد من غيرهم،والصعوبة فى تحقيق هذه السعادة، تكمن فى اننا نتصور دائما أن غيرنا اسعد حالا منا ٠٠ ولو قنع الناس بما هم فيه من سعادة ، لعاش العالم كله فى سلام ! »

اما جان جاك روسو فيلسوف فرنسا الذى مهد بكتاباته وافكاره لثورتها فقد كان له رأى آخر فى السعادة اذ قال « انها الطموح ، فالتطلع الى مستقبل أفضل وحياة اكثر حرية وكرامة ، هو السعادة عينها ، ولا سعادة بغير طموح ! »





بين الأحلام و الواقع

الحياة عمل ورزق ووجبات ثلاث

■ كانت صغيرة جميلة تمتلىء بالحياة ..وكنت تنظر الى عينيها السوداوين الواسعتين فترى فيها ابتسامة حلوة لم تحاول ابدا ان تخفيها،فقد كانت فى قمة سعادتها .. كانت تنظر الى الدنيا من حولها وكانها قد اصبحت ملكا لها وحدها بكل ماتحمله من خير ومن مال ..

وكان فى حديثها براءة وفى صوتها نغم،وكانها تغنى وهى تتكلم .. فقد كانت تحبه ، وكانت صادقة فى حبها ، مخلصة لهذا الحب الذى ملأ حياتها من بعد فراغ ، وكانت تعد الايام التى ستزف بعدها عروسا لهذا الشاب الهادىء المرح الذى اختاره لها والدها ..

وقد كان شابا لامعا متفوقا فى دراسته يشغل منصبا لابأس به . لقد احبها حتى قبل ان يعرفها وملأت صورتها قلبه ورأسه وعينيه ، فلم يعد يرى الاوجهها ، ولم يعد يسمع الاصوتها ، حتى اصبحت كل شىء فى حياته ..

والتقيا ، وتكررت لقاءاتهما امام الاهل فى البيت ، وبدأ قلبها الصغير ينبض بهذا الاحساس الذى لم تعرفه من قبل .. وكيف لا ، وهو الذى كان يحملها فى احاديثه ويحلق بها فى آفاق بعيدة، ويرسم لها من صور السعادة التى تنتظرها بعد الزواج ، مالم تكن حتى تحلم به ، فقد كان يخيل لها وهو يمسك بيدها ويسير معها ، انها لم تعد تمشى على الارض كما يمشى سائر الناس ، وانما تطير بجناحيها فوق السحاب ..

نغم الحياة

كان خطبة طويلة استمرت لشهور عديدة .. وكم كانت جميلة وحلوة تلك الساعات الطويلة التى كانا يقضيانها معا فى احلامهما ، دون ان يشعرا بشىء مما يجرى حولهما ، وكان الدنيا كلها قد سكتت لتنصت الى مايدور بينهما من همس ، ولترى مايملأ عيونهما من حب وسعادة واخلاص..

حقيقة لم يكن الامر يخلو من لحظات نشاز فى هذا النغم الذى كانا يرقصان على الحانه .. فقد كانا يختلفان ، وكانا يتشاجران ، ولكنه كان يجد دائما حتى فى اسوأ حالات الغضب التى تعترى حبيبته ، وشريكة حياته المقبلة ، جمالا وسحرا من لون جديد .. كان لايطيق ان يراها مهمومة مكتئبة دامعة العين ، فقد كانت دموعها تعنى نهاية الدنيا بالنسبة له !

واخيرا جاء اليوم وتزوجا،وانقضت ايام العسل بكل ماتحمله من حلاوة ، كما لو كانت طيفا ، ظهر فجأة ثم اختفى بنفس السرعة التى ظهر بها.!

وعادا .. عادا الى عش الزوجية الصغير الذى شيداه معا،والى الحياة التى تنتظرهما بعد الزواج تلك التى امتلأت بالامال والاحلام والقصور التى كانا يبنيانها معا فى الهواء .. وذهب الزوج الى عمله .. وعادت هى الاخرى الى عملها ، فقد كانت فتاة عاملة قبل الزواج ، واتفقا على ان تستمر فى هذا العمل بعد الزواج ، لكى يتعاونا معا على مواجهة اعباء الحياة ..

وانقضت بضعة اشهر والحياة تسير بهما تحت سماء صافية وان كانت لاتخلو من بعض السحب التى كانت تظهر فجأة ثم لاتلبث ان تنقشع .. فقد كان حبهما اكبر من أن تعصف به رياح الحياة..



ملل وضيق

ولكن مالبث الحال ان تغير فجأة . هكذا وبلا مقدمات .. فقد بدأت الزوجة الصغيرة الشابة تشعر بالملل يتسلل الى قلبها الصغير .. لقدملت عملها فى البيت ، وضاقت بعملها خارج البيت ، وبدأت تنظر من حولها فلم تجد سوى فراغ هائل يحتويها ، ورتابة فى نظام حياتها لم تعتدها وهى التى ألفت المفاجآت التى عودها عليها زوجها أيام خطبتهما السعيدة الطويلة .. كانت فى كل امسية ، تتوقع منه شيئا جديدا .. هدية صغيرة يحملها اليها ، أو دعوة للعشاء فى احد المطاعم الهادئة على شاطىء البحر .. أو نزهة بالسيارة الى الاماكن التى تعودا أن يرقبا منها قرص الشمس وهو يغوص فى الافق البعيد عند الغروب . اين حياتهما قبل الزواج من تلك التى يعيشانها معا تحت سقف واحد بعد ان اجتمعا فى ظل الله .. لم تكن تحسب للمال حسابا .. لم تكن تحمل مسئولية شىء فى الدنيا ، فقد كانت تعيش وسط ابويها ولا تحمل من هموم الدنيا ، الا مايتصل بنفسها واحتياجاتها ، وحتى هذه ، كثيرا ماكانت امها تعنى بها وتوفرها لها دون أن تبذل أى جهد من جانبها ..

ولكن هاهى اليوم تحمل مسئولية البيت ومسئولية الزوج الذى يعود متعبا من عمله ، ومسئولية الانفاق على ضروريات الحياة ومستلزماتها .. واحست أن مسئولياتها الجديدة اكبر من أن تتحملها وحدها ..

هل تغير الزوج ؟

لم زوجها نفسه، وانه لم يعد نفس الرجل الذى عرفته أيام خطبتها .. لقد تغير كثيرا ، أو هكذا خيل لها ، حتى تلك الاشياء الصغيرة التى عودها عليها فى الاسابيع الاولى لزواجهما قد بدأ ينساها .. لم يكن يفوته مثلا ان يودعها بقبلة وهو يستعد للذهاب الى عمله فى الصباح .. وكان اذا عاد فى المساء احتواها بين ذراعيه وراح يهمس فى اذنها بتلك الكلمات الحلوة التى تتوق المرأة لسماعها ويطرب لها قلبها .

وبدأت تشعر بالقلق يساورها ، ترى ماذا حدث له .. ماهو سر هذا التغير المفاجىء الذى طرأ عليه .. ماذا دهاه ؟ هل فتر حبه لها ؟ اهكذا تكون الحياة بعد الزواج ؟ أين حديثه الحلو الذى كان يملأ به رأسها وقلبها كلما لقيته ولقيها ؟ أين الآمال والأحلام التى كانت تملأ دنياها ، ؟ أين مشاعره الدافقة التى طالما حار فى التعبير لها عنها ؟

وبدأت الوساوس تملأ صدرها ، والتخيلات تحوم حولها فى البيت .. وشيئا فشيئا بدأت ابتسامتها العذبة تختفى وراء الهموم التى كان اثرها يبدو واضحا على وجهها ..

قلق وحيرة

ولم يكن من العسير على الزوج ان يلحظ بدوره هذا القلق الذى بدأ ينعكس على تصرفات زوجته وعلى مسلكها منه .. لقد كان يشعر بأن هناك شيئا ماينغص عليها حياتها ويقض مضجعها ،

ويستغرق كل تفكيرها .. وحاول ان يعرف ، ولكنه لم يستطع ان يصل ابدا الى جذور المشكلة التى تعانى منها زوجته .. اماهي ، فقد بدات تمل حياتها .. وحارت ماذا تفعل ، والى من تتجه ؟

واخيرا حملت متاعبها وذهبت .. ذهبت للقاء الرجل الذى قدم لنا صورة هذه الزوجة الصغيرة الشابة ومتاعبها فى كتابه « معنى الزواج » (The Meaning of Marriage) وهو الدكتور سمايلى بلانتون .

وجلست تحدثه وتكشف له عما يعتمل فىصدرها من مشاعر واحاسيس خلال تلك الفترة الوجيزة من زواجهما وهى تلك التى نقلناها عنه فى بداية هذا الكلام ..

واحست بارتياح وهى تسرد له ما كان من امر هذا التغير الذى طرأ على زوجها ..

نعم احبه

وتكلم بلانتون قال : « هل تحبين زوجك ياسيدتى ؟ »

قالت : « نعم احبه ! »

قال : « وهل تعتقدين انه يبادلك هذا الحب ؟»

: « نعم انه يعبدنى »

اذن : فانت قد اخطات فى فهمك وتقديرك لمعنى الزواج ياصغيرتى .. فالزواج ليس مجرد حب وعناق وقبلات ، فحسب ، ان الزواج عمل ورزق وثلاث وجبات فى اليوم .. ثم لاتنسى ان زوجك يعمل ، ويعمل كثيرا ويعطى عمله جزءا كبيرا من وقته وفكره ، انه يمضى ثمانى او عشر ساعات فى اليوم فى عمل غريب عليك ، لست انت جزءا منه على اية حال ..

وليس معنى هذا ان حبه لك قد فتر ، او ان شعوره نحوك قد تغير .. وانما معناه انه بدايشعر بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقه والتى تضاعفت بعد الزواج .. شانه فى هذا ، شان كل زوج مخلص وفى لبيته وزوجته .حاولى ياسيدتى الاتشعرى زوجك بانك عبء عليه ، اتركيه يتفرغ لعمله ، فهو يريد ان يثبت اقدامه،ويظهرلرؤسائه انه كفء لهذا العمل الذى اسند اليه ، وتاكدى انه سوف يعود اليك ، وستعود بكما الحياة الى سيرتها الاولى ..

« كل ماطلبه منك ان تعطيه الفرصة التى يحتاج اليها ليثبت وجوده ، اما انت فحاولى ان تملئى وقت فراغك .. فالاحساس بالفراغ هو الذى يضاعف من شعورك بالوحدة والاهمال .. »

كبرياء المرأة

وعادت الزوجة الى بيتها .. ولاول مرة احست بان كابوسا ثقيلا قد انزاح عن صدرها .. وبدات تفكر فيما عساها فاعلة لتملأ تلك الساعات الطويلة التى كانت تقضيها وحدها فى البيت فى انتظار عودة زوجها من عمله ..

وبدات تقرأ ، فقد كانت مولعة بقراءة القصص التاريخية وكتب الادب القديم والحديث ، حتى اذا ملت القراءة خرجت تزور صديقاتها ، وتخرج معهن الى الأسواق ..

وشيئا فشيئا بدأ يفارقها هذا الشعور الذى كان يستبد بها .. الشعور بفراغ حياتها ، وهى التى كانت تمتلىء به وتزخر باحاديثه الحلوة معها .. فقد ابت عليها كبرياؤها ان تصارحه .. واكثر ماتعتز به المرأة كبرياؤها .. ماذا تقول له ؟ هل تستجدى حبه ؟ هل تسأله لماذا تهملنى؟!

لا .. لن تقول له شيئا عن سر هذا التغير المفاجىء الذى اعتراه .. سوف تسكت .. وسوف ياتى اليوم الذى سيشعر هو فيه بانه قد تغير ، وانه لم يعد الرجل الذى تقدم الى هذه الفتاةالتى طلب يدها من والدها،منذ اكثر من عامين .. انها واثقة من انزوجها سوف يعود الى نفسه،وسوف يحاسبها ، وسوف يكتشف حتما انه كان السبب فى هذه الجفوة التى بدات تتسع وتتسع يوما من بعد يوم ، وتبعد مابينه وبين المرأة التى احبها واتخذ منها شريكة لعمره .. حقيقة ان عمله يشغله عنها ، لقد اقتنعت بهذا .. ولكنها لم تقتنع بان عمله يمكن ان ينسيه زوجته !

قلق الزوج !

ومرت شهور طويلة اخرى ، لم يطرأ خلالها اى تغير على حياتهما الجديدة التى احتواها الفتور.. مع فارق واحد بين الاثنين .. لقد بدأ القلق يعتريه هو ، والحيرة تستبد به هو وخاصة كلما عاد الى البيت فى المساء ولم يجدها .. وبدأ يتساءل « ترى هل وجدت فى صحبة صديقاتهاالجدد كل هذه المتعة التى بدأت تنسى معها كل شىء يمت

الى البيت بصلة حتى مواعيد عودة زوجها من عمله » !

ولكنه لم يستطع ان يجد سببا واحدا يمكن ان يبرر توجيه اللوم لها ٠٠ فقد كان البيت دائما مرتبا نظيفا٠٠وكان الطعام دائما هناك في انتظاره حيث تعود أن يجده ٠٠ وكانت الاطباق الشهية التي يحبها تملأ مائدته !

وصدق احساسها ٠٠ واحساس المرأة لايخونها ابدا !

عودة !

كانت ليلة صافية،تلك التي عاد فيها الى البيت مرهقا متعبا بعد يوم طويل من العمل ٠٠ وعلى غير عادته وجدها حيث تعود ان يجدها دائما في بداية ايامها الاولى بعد الزواج ٠٠ كانت تجلس على مقعد كبير ، وقد مدت قدميها فوق مسند لتريحهما من التعب ، وقد امسكت في يدها بكتاب جديد ،راحت تقرأ فيه باهتمام،حتى انها لم تشعر به وهو يدير المفتاح في الباب ويدخل في هدوء ٠٠

واقترب منها ، وطبع على جبينها قبلة حارة ، استجابت لها بابتسامة رقيقة ٠٠ ثم مالبثت ان قامت من مقعدها والقت بالكتاب جانبا ٠٠ وقالت وهي تهم بالاتجاه الى المطبخ :

« لابد أنك جائع ياعزيزى ، سأعد لك طعام العشاء فورا » !

ولكنه استوقفها،وقال وهو يمسك بيدها ويدعوها الى الجلوس بجانبه على الكنبة الصغيرة التي طالما جلسا عليها وتبادلا الاحاديث الحلوة في بداية حياتهما بعد الزواج ٠٠

حوار ٠ !

وقال : « هل تذكرين آخر مرة جلسنا فيها على هذا المقعد ٠ ؟ »

قالت : « نعم اذكر ٠ ولقد كنت انت الذى اسميته ركن احلامنا وآمالنا ٠٠ هل نسيت ؟ »

ـ لا لم أنس ياحبيبتى ٠٠ ولكني في حيرة ٠٠ الا ترين أن حياتنا قد تغيرت ٠٠ هل هذه هي الحياة التي تواعدنا على أن نعيشها معا ، بعد أن يجمعنا بيتنا الهادىء الجميل الذى شيدناه معا وبنيناه معا قطعة من بعد قطعة ؟

وقالت وفي عينيها الجميلتين نظرة عتاب : « هل حاولت طوال الاشهر الماضية ان توجه الى نفسك هذا السؤال ؟ هل حاولت مرة ان تعرف اسباب هذا التغيير المفاجىء الذى طرأ على حياتنا ؟ »

قال : « كنت اشعر به ، ولكنني كنت حائرا في معرفة اسبابه ودوافعه ٠٠ هل ما زلت تحبينني كما كنت تحبينني قبل الزواج ؟ » !

قالت وهي تبتسم : « ان شعورى نحوك لم يتغير وحبي لك لم يفتر ، والا لما تحملت كل هذه الشهور الطويلة التي انقضت وانت لا تكاد تحس بوجودى بجانبك ، وكاننا زميلان ، لازوجان متحابان »

هو : « واليست الزمالة نوعا من الحب يا عزيزتى ؟ اقسم ان حبي لك يملأ كل حياتى ٠٠ فانت حاضرى ومستقبلي وكل شيء في دنياى ٠٠ ولكنه عملى ، نعم عملى الذى ارتزق منه من اجلك ، ومن اجل بيتنا واسرتنا ٠٠ انه عملى الذى يأخذنى منك ويبعدنى عنك ، ويستغرق جانبا كبيرا من تفكيرى ٠٠ ولكننى اعدك بأن اتغير ٠٠ سوف انسى كل شيء ورائى عندما اعود الى البيت ٠٠ عندما اعود اليك٠٠انني اريد ان انجح في هذا العمل لكي اكون جديرا بك وبالاسرة الصغيرة التي سنبنيها معا في المستقبل ! »

ثمرة الحياة

وعادت الابتسامة الى وجهها ، وامتلأت عيناها بتلك السعادة الغامرة التي تعودها منها وضمها الى صدره وفجأة قال ، وكانه تذكر شيئا : « ولكن لماذا لم تخرجي مع صديقاتك هذا المساء كما تعودت ؟ »

قالت وهي تزداد التصاقا به وتلف ذراعها حول عنقه : « عندى خبر سار لك يا عزيزى ٠٠ لقد قال لي الطبيب هذا الصباح انني حامل ٠٠ نعم انني احمل في احشائي ثمرة حبنا ! وقد نصحني بالراحة لمدة شهرين على الاقل ! » وقفز الزوج من مقعده ، وحملها بين ذراعيه ، والتصقا في عناق طويل ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع ٠٠ دموع الاب السعيد الذى سيكون ! ■■

(م ٠ ن)



الاسماك في شباك الصيادين ٠٠ثروة سمكية هائلة في مياه البحيرة تكاد تكفي سكان مصر كلها،لم يستغل منها سوى ١٪ حتى الآن ٠

اعرف وطنك

أيها العربي

بحيرة السد العالي

أو بحيرة ناصر

أمل مصر الجديد.. الحياة تدب فيها بعد طول إهمال



▶ جانب من بحيرة ناصر ‥ مناظر طبيعية جميلة ومياه حلوة عذبة يحتضنها غربا شاطيء تميز برماله الصفراء الناعمة . بينما الشاطيء الشرقى القريب فى الصورة تنتشر فيه المرتفعات والجبال الحمراء . شواطيء بكر لم تستغل بعد

▲ القوارب البخارية او (قوارب تجميع السمك)، وهى مزودة بثلاجات كبيرة . فى بداية رحلتها من ميناء الصيد بالبحيرة لجمع الاسماك من قوارب الصيد الصغيرة المنتشرة فى عرض البحيرة والعودة بها الى الشاطيء ·

استطلاع القلم: منير نصيف — تصوير: أوسكار مترى

■ حتى النيل نفسه ، ذلك النهر الخالد الذيبقيت مياهه تنساب في مجراها الذى اختارته لنفسها منذ الاف السنين،حاملة معها الخير للأرض الطيبة وما فيها وما عليها ٠٠ حتى النيل الذى مضت مياهه الحلوة تسير في هدوء احيانا ، وفي ثورة احيانا ، بادئة رحلتها الطويلة عبر هذا الوادى القديم الذى قامت على جنباته حضارة من اقدم الحضارات في التاريخ ٠٠ حتى النيل هذا الذى عاش شاهدا في نومه وفي صحوته ، في ليله وفي نهاره ، في بخله وفي سخائه ، في كل زمن وفي كل عصر ، وفي كل جيل من اجيال الحياة التي امتدت جذورها الى ماقبل التاريخ ، فمضت مياهه « توسوس » بما سمعت ، وتهمس بما رات ، من حضارات سادت ثم بادت ٠٠ فلم يعد باقيا منها الا آثارها تلك التي ظلت تحكي عبر القرون ماكان من امرها للأجيال التي تعاقبت على مر السنين ٠٠

حتى النيل ، هذا العملاق الذى طالما اشاع الخوف في النفوس ، وهم يرون بطنه تمتلىء ، ومجراه يعلو ويعلو حتى يكاد يغرق ما حوله من ارض وما قامت عليها من حياة ، فيسرعوا الى حسانهم يبحثون بينهن عن « العروس » التى سيزفونها اليه ، حتى اذا وجدوها ، راحوا يزينونها ، ثم يلقون بها في جوفه ، لتحتضنها مياهه الهادرة ، فلا يلبث ان يهدأ ، ولا تلبث مياهه ان تنحسر عن الأرض التي خشوا عليها من الغرق والطوفان ٠٠ !!

حتى النيل لم يكن يتصور انه سياتي ذلك اليوم الذى سيشتد فيه عود الانسان ويقوى ، بعد ان تسلح بهذا السلاح القوى ، سلاح العلم والتقنية ذلك الذى قهر به الطبيعة من حوله ، والكون من فوقه ، فكان ماكان عندما روضوه وطوعوه وتحكموا في مجراه وفي مياهه ، فاذا بالعملاق يتسخر ولا يتسختر ٠٠ واذا به يتحول الى اداة طيعة في يد الانسان العربي الذى شيد السد العالي ٠ ذلك الذى اصبح اليوم رمزا للكفاح من اجل مستقبل اكثر رفاهية واشراقا ٠٠٠ ودليلا على الانتفاضة من اجل البحث عن امكانيات الأرض الطيبة ومواردها ٠٠

بحيرة السد

ومع قيام السد ، نشأت البحيرة الشاسعة وتكونت في الجزء الجنوبي لجمهورية مصر العربية ، وهي موضوع استطلاعنا اليوم ٠٠

طرنا اليها في الشتاء ، مع افواج السائحين الذين تمتلىء بهم هذه المنطقة الدافئة في هذا الموسم من كل عام ٠٠ فماذا وجدنا ؟

وجدنا بحيرة من اجمل البحيرات التي صنعتها يد الانسان في العالم ٠٠ مياه حلوة تمتد امامك على مدى البصر لمسافة تزيد على الخمسمائة كيلومتر طولا ، منها ٣٠٠ كيلومتر في الاراضي المصرية ، والباقي في اراضي جمهورية السودان الشقيق ٠

لقد نشأت هذه البحيرة وتكونت نتيجة لبناء سد اسوان العالي كما ذكرنا ، وهو الحلم الذى

خريطة تبين المناطق التي غمرتها مياه بحيرة السد على جانبي النيل في مصر وفي السودان الشقيق ٠



بحيرة ناصر ثاني اضخم بحيرة اصطناعية في القارة الافريقية بعد بحيرة الفولتا في جمهورية غانا ٠٠ ويبلغ طولها ٥٠٠ كيلومتر ، منها ٣٠٠ كيلومتر في الاراضي المصرية و ٢٠٠ كيلومتر في اراضي السودان الشقيق ٠٠ ويتراوح عرضها بين كيلومتر واحد و ٦٠ كيلومترا ٠

طالما راود الانسان العربي منذ اعوام طويلة ، حتى اصبح حقيقة واقعة ، وما اكثر ما تتحقق الاحلام بالصبر والكفاح والعمل والبناء ٠٠

مليون و ٣٠٠ الف فدان

ومع قيام السد العالي بدأت المياه تتجمع ، وبدا التخزين في نفس العام الذي تحول فيه مجرى نهر النيل الى مجراه الجديد عبر انفاق السد في عام ١٩٦٤ ، ومنذ هذه اللحظة ومنسوب المياه في البحيرة يرتفع ويرتفع عاما من بعد عام حتى يصل الى مستوى المنسوب النهائي وهو ١٨٣ مترا فوق مستوى سطح البحر ٠

انمساحة بحيرة السد تقدر اليوم بحوالي مليون وثلثمائة الف فدان ، وهي تعد احدى البحيرات الكبرى في العالم ، كما تعتبر ثاني بحيرة صناعية في القارة الافريقية من حيث المساحة بعد بحيرة الفولتا في جمهورية غانا ٠٠

ولكن اذا جازت المقارنة بين بحيرة السد العالي وبين بقية البحيرات الصناعية الاخرى في افريقيا، فسوف نجد ان بحيرة ناصر تتميز عن غيرها من البحيرات بوقوعها في منطقة صحراوية تحتضنها من كل الجوانب ٠٠ ارض جرداء وسهول تتخللها بعض التلال الرملية او الصخرية ولا شيء اكثر من هذا ٠٠ بينما نجد غيرها من البحيرات الصناعية الافريقية واقعة وسط مناطق من الغابات الكثيفة التي تحيط بها ، فتعوق عملية الصيد في مياهها، وتؤثر الى حد كبير على سير الملاحة فيها ٠٠

مجموعة من الاخوار

وثمة ميزة اخرى تنفرد بها بحيرة السد عن بقية البحيرات ، فهي في واقع الامر ليست بحيرة واحدة تستطيع ان تصل الى اطرافها المترامية في رحلة واحدة ٠٠ وفي اتجاه واحد ٠٠ انها مجموعة من الجيوب المائية او الاخوار التي تنتشر على ضفتي النيل القديم ٠٠ الذي كانت ترتفع المياه فيه وترتفع في موسم الفيضان وتمضي جارية مندفعة في المدى الطويل حتى اذا وصلت

بدات الدراسات تجرى لتطوير وسائل الصيد فيبحيرة السد العالي ، وادخال الاساليب الحديثة ، فالمشكلة التي تواجه المسئولين اليوم هي عدم توافر سفن كبيرة يمكن ان تستخدم في الصيد في مجرى نهر النيل القديم ، لان المياه هناك عميقة وتحتاج الى شباك جر على سفن صيد كبيرة ، وعندما تتوافر هذه السفن سوف يتضاعف انتاج السمك الى ثلاثة امثال انتاجه الحالي وربما اكثر ٠٠ **والصورة** اسفل هذا الكلام **لقوارب الصيد** الصغيرة التي عرفت منذ مئات السنين ، والصيادون من فوقها يلقون شباكهم في مياه البحيرة حيث تخرج منها دائما محملة بالاسماك ٠٠ والصورة **الى اليسار** للسفن الام او سفن التجميع وهي تتجه بسرعة لتنقل الاسماك في الثلاجات قبل فسادها ، اما الصورة الثالثة **(الى اليسار اسفل)** فهي لميناء الصيد في البحيرة ، وقد اصطفت على شواطئه بعض السفن المزودة بالثلاجات ، استعدادا للانطلاق لتجميع الاسماك من الصيادين ٠



مدينة القاهرة عاصمة مصر ، فتح النيل ذراعيه وتفرع الى فرعين هما فرعا رشيد ودمياط ، وتمضى المياه فى سيرها السريع حتى تصب فى البحر المتوسط وتذهب هباء منثورا .

هذه الاخوار يبلغ عددها ما يزيد على الخمسة وثمانين خورا منها ٤٨ على الضفة الشرقية للنيل و ٣٧ على الضفة الغربية منه .

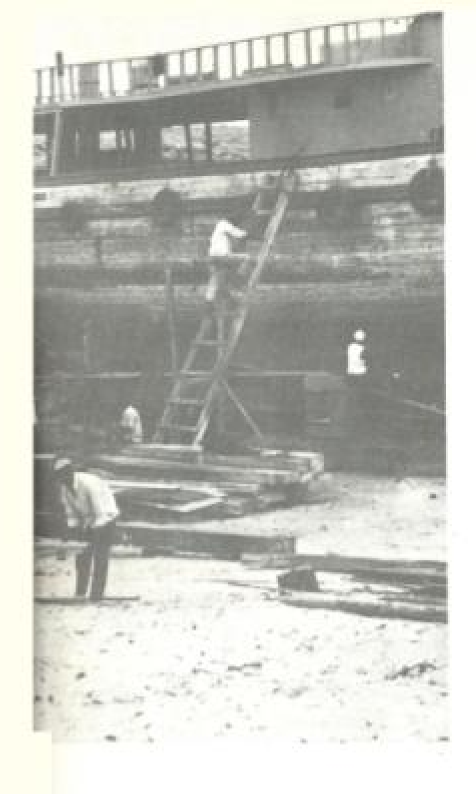
ثروة سمكية هائلة

ومرة اخرى كانت هذه الاخوار،هى التى اعطت بحيرة السد العالى اهمية خاصة من حيث انها مياه غنية بالثروة السمكية،نظرا لهدوء المياه،التى تتجمع فيها وقلة التيارات المائية بها ، الامر الذى جعل منها بيئة مناسبة لازدهار العوالق النباتية والحيوانية (Planktons) .

على ان هنالك عاملا اخر له اهميته بالنسبة لتكاثر الاسماك فى مياه بحيرة السد ، وهو توافر الاوكسجين . وقد اظهرت البحوث المستمرة التى اجريت،ان مياه هذه البحيرة الهائلة تحوى كميات من الاوكسجين خلال فصل الشتاء من شهر ديسمبر الى شهر ابريل من العام التالى ـ اما فى الربيع فترتفع كمية الاوكسجين الذائب فى الطبقات السطحية الواقعة على عمق يتراوح بين خمسة امتار وعشرة امتار . وخاصة فى الثلثين الاوسط والجنوبى من البحيرة،فى حين تقل كمية الاوكسجين فى الطبقات السفلى الى ان يصل الى ادناه فى شهر يونيو،بينما تكون الطبقات السطحية مشبعة بالاوكسجين فى شهرى اغسطس وسبتمبر قبل وصول مياه الفيضان المحملة بالطمى،ونتيجة ذلك هو عملية التمثيل الكلوروفيلى التى تقوم بها العوالق النباتية التى هى غذاء للاحياء الحيوانية وكلاهما للاسماك غذاء .

الاملاح فى البحيرة

كما لوحظ ايضا انكمية الفوسفات فى البحيرة تزيد طوال العام فى المنطقة الجنوبية عنها فى الشمال بمتوسط قدره ٥ر١ مليجرام فى اللتر الواحد . ولو انه لم يلاحظ تغير كبير فى املاح الفوسفات تبعا لاختلاف عمق المياه فيها ، فى حين لوحظ ان مياه الفيضان تزيد تلك الاملاح . اما بالنسبة لاملاح النيترات فقد وجد انها تختلف منمكان لآخر فتتراوح بين ٠٥ر٠٪ و ٥٥٪ مليجراما



فى اللتر . كما ان كمية هذه الاملاح تزداد مع عمق المياه فى النصف الاول من العام ، حتى تصل الى اقصاها خلال موسم الفيضان من سبتمبر الى نوفمبر .

وفى نفس الوقت تزداد املاح السليكات اثناء موسمالفيضان ، وتعتبر البحيرة غنية بهذه الاملاح .. وتتحول مياه البحيرة فى بعضالمناطق من الحالة الصافية الرائقة الى الحالة العكرة مع فيضان النيل ، نظرا لما تحمله مياه الفيضان من مواد عضوية كالعوالق والمواد غير العضوية كالطين والطمى.وتزدهر العوالق بدرجة اكبر فى الربيع والصيف قبل مجىء موسم الفيضان ، كما ان شدة الضوء وارتفاع الحرارة يعملان على نمو الطحالب الخضراء المائلة الى اللون الازرق ، وهى تعتبر من اهم مكونات مجموعة الهوام النباتية فى بحيرة ناصر .

٥٠ نوعا من الأسماك

انها نبذة سريعة عن خصائص هذه البحيرة الهائلة ، التى اثبتت البحوث انها من اغنى البحيرات الحلوة بالأسماك . فقد امكن حصر ما يزيد على الخمسين نوعا من الأسماك التى تعيش



ورشة اصلاح القوارب البخارية،ويعمل فيها مجموعة من المهندسين الفنيين الذين يسهرون على صيانة اللنشات والقوارب التي تستخدم في نقل وتجميع الاسماك من الصيادين في بحيرة السد العالي ..

في مياهها ، وهي تختلف فيما بينها من حيث الكميات الموجودة منها،فبعضها نادر كدبيب الحوت وبعضها شائع ومالوف كالبلطي والساموس ، وهما موجودان بكميات كثيرة ،وهناك ايضا اسماك الانومة او البويزة واسماك البياض والقرموط ، كما تختلف هذه الأسماك من حيث الحجم فبعضها صغير لا يصل لأكثر من عشرة سنتيمترات طولا واربعين جراما وزنا كالسردينة ، بينما يصل الساموس الى ما يزيد على المترين طولا وما يزيد عن المائة وخمسين كيلوجراما وزنا ، ومن هذه الأسماك ما يعيش في المياه السطحية كالراية والكلب ومنها ما يعيش على القاع كاللبيس والقرموط والبياض ، ومنها ما هو مالوف قرب الشاطيء كالبلطي وما هو مالوف في وسط البحيرة كالكلب .

ماذا صنعوا بهذه الثروة وكيف استغلوها ؟

خمسون صيادا

لقد نزل الصيادون بقواربهم الى الماء ، فالصيد بالنسبة لهم ليس جديدا عليهم .. انه مصدر رزقهم في هذه المنطقة التي تضيق فيها سبل الرزق ، ثم هو حرفتهم وصناعتهم التي توارثوها عن الاباء والاجداد عبر القرون .

وخرج الصيادون من الماء ، بعد ان فاض مجرى النهر بالماء ، وامتدت المياه حتى غمرت كل ما كان على شفتي النهر من سهول ووديان .. خرجوا من الماء وقد غصت شباكهم بالاسماك،واستبشروا خيرا ..

وكانوا قلة لا يزيد عددهم على الخمسين او ستين صيادا منذ سنوات او اكثر قليلا ، وكانوا يستخدمون قواربهم الصغيرة التي تسير بالمجداف .. وكانوا يتبعون في صيدهم طريقة « الدق » وهي الطريقة القديمة التي توارثوها عبر الزمان .. يلقون بشباكهم في المياه ، ثم يدقون باقدامهم على ارض القارب ، فيهرب السمك من مكانه بين الصخور ويصطدم بالشباك التي لا تلبث ان تمتليء به ، فيرفعوها بما تحمل ..

وكان انتاج البحيرة التي لا تبعد عن قلب مدينة اسوان باكثر من خمسة عشر كيلو مترا تقريبا ، يباع كله في مدينة اسوان ، ولا يكاد يكفي الاستهلاك المحلي .

ومرت الاعوام ، وبدات اخبار اسماك البحيرة تنتشر ، وانباء الخير الكامن في مياهها تملأ المنطقة



على ارصفة ميناء الصيد في البحيرة تقوم شركة المصايد بفرز السمك والتاكد من طزاجته ، ثم وزنه ونقله من الثلاجات الى مراكز التسويق في مدينة اسوان ، ومنها الى مختلف انحاء مصر .. وانواع السمك في بحيرة ناصر كثيرة ومتنوعة ، الا ان الغالب فيها هو السمك البلطي الذى يمثل اكثر من ٨٥٪ من انتاج البحيرة . اما البياض وقشر البياض وبقية الانواع الاخرى فتمثل ١٥٪ فقط . ويصل وزن السمكة الواحدة في بعض الاحيان الى خمسين كيلوجراما او اكثر ، بينما لا يقل اصغر سمكة عن خمسة كيلوجرامات .. **والصورة العليا لمجموعة من الاسماك بعد تفريغها** في ميناء البحيرة لوزنها وتسويقها . والصورة الى اليمين **فوق لاحد قوارب التجميع التجارية عند** عودته محملا بالاسماك التي جمعها . والصورة السفلى **(الى اليمين)** للصيادين وهم يرفعون شباكهم من الماء .. وفي البحيرة اليوم ٥ الاف صياد .

كلها .. وجاء الصيادون بقواربهم وشباكهم ليشاركوا فى اقتسام هذا الرزق الوفير ..

وشيئا فشيئا بدأ عدد الصيادين يرتفع ، وكميات السمك التى يستخرجونها من مياه البحيرة تتضاعف وتتضاعف حتى بلغت عشرات الاطنان يوميا ، من مختلف انواع السمك الممتاز الذى يشكل البلطى ٨٥٪ تقريبا من مجموع الانتاج ، وبلغ عدد الصيادين اليوم حوالى ٥ آلاف صياد..

مشاكل بالجملة

وبدات المشاكل تبرز ، مشكلة جمع الاسماك .. مشكلة حفظ الاسماك طازجة .. مشكلة تسويق الانتاج واخيرا مشكلة نقل هذا الغذاء الغنى الى مختلف انحاء القطر ..

وبدات مصر تتحدث عن الثروة الضائعة المهملة .. وبدا الناس يتحدثون عن السمك الذى تمتلىء به مدينة اسوان .. الناس ينتظرونه وهو فى بحيرة السد ، والسمك ينتظر من يصطاده ، والصيادون الذين يصطادونه ينتظرون نقله الى الناس .. وهكذا تدور المشاكل فى حلقة مفرغة .

لماذا لم تستغل البحيرة حتى الآن الاستغلال الصحيح ، ولو من ناحية الثروة السمكية وحدها ؟ ان هناك ست جهات مهمتها اصطياد السمك وتجميعه ونقله وتسويقه ، وهى الجمعية التعاونية لصيد الاسماك بأسوان ، وشركة المصايد الجنوبية، وشركة تسويق الاسماك ، وشركة الات الصيد ، ومركز تنمية بحيرة ناصر ، واخيرا مؤسسة الثروة المائية ،وبعض هذه الهيئات مضى على تاسيسه اكثر من عشر سنوات ، مثل الجمعية التعاونية لصائدى الاسماك التى بدات نشاطها عقب انشائها مباشرة فى عام ١٩٦٠ .

الجمعية التعاونية ولماذا فشلت

ولكى نجيب على هذا السؤال ، فلا بد لنا من العوده قليلا الى الوراء .. لقد كانت الجمعية التعاونية لصائدى الاسماك باسوان ، هى الجهة الوحيدة المشرفة على عملية الصيد فى البحيرة .قبل انشاء بقية الهيئات الخمس الاخرى ، وحتى قبل ان يكتمل تكوين البحيرة .

وبدات الجمعية تعمل ، ولكنها سرعان ما اكتشفت عجزها عن مساعدة الصيادين فى نقل وحفظ اسماكهم نتيجة لقلة الامكانيات المتاحة لها ..



صياد فى البحيرة يحمل سمكة من نوع القرموط. وهو نوع من السمك المصرى الذى يعيش فى مياه النيل . والسمك فى هذه البحيرة يكبر وينمو بسرعة . وقد وصل وزن بعض الاسماك التى اصطادوها الى اكثر من مائة كيلوجرام.



بعض خبراء الزراعة والاغذية يتوسطهم المهندس سيد مرعى مساعد رئيس الجمهورية السابق ورئيس هيئة الاغذية والزراعة بالامم المتحدة حاليا ، والمهندس مصطفى مرعى مدير عام مشروع التخطيط الاقليمى لاسوان ، يتفقدون جانبا من الاراضى الواقعة على جانبى بحيرة السد ، والتى بدأ العمل فى استصلاحها واستزراعها وتبلغ مساحتها ٣٠٠ الف فدان ، وهى تبعد عن مدينة اسوان بحوالى ٦٠ كيلومترا ٠

لقد بدأت اول مابدأت اثر انشائها بتقديم بعض الخدمات للصيادين عن طريق نقل انتاجهم من الأسماك الى الشاطىء ، ثم تسويقها بواسطة عدد من اللنشات التى تملكها ، غير ان مشكلة نقل جميع الأسماك ظلت قائمة ، ولم تستطع التغلب عليها ، وهذا هو الذى اثر بالتالى على الانتاج نفسه ٠٠

وبقى الصياد حائرا ، انه يمثل ركيزة الجمعية ٠ وبالرغم من هذا فهو لايجد الرعاية التى يستحقها سواء من الناحية الصحية او الغذاء ، او حتى من ناحية تطوير معدات الصيد التى كان لابد لها ان تتطور حتى يتحقق الهدف الاساسى من انشاء الجمعية ، وهو مضاعفة انتاج البحيرة من الأسماك ٠

شركة المصايد الجنوبية

الى ان كان عام ١٩٦٨ عندما تقرر انشاء شركة المصايد الجنوبية ، وكان الهدف من انشائها هو اصلاح الأخطاء التى وقعت فيها الجمعية التعاونية ، ومضاعفة الجهود من اجل تحقيق الهدف الذى فشلت فى بلوغه الجمعية التعاونية لصيد الأسماك ٠

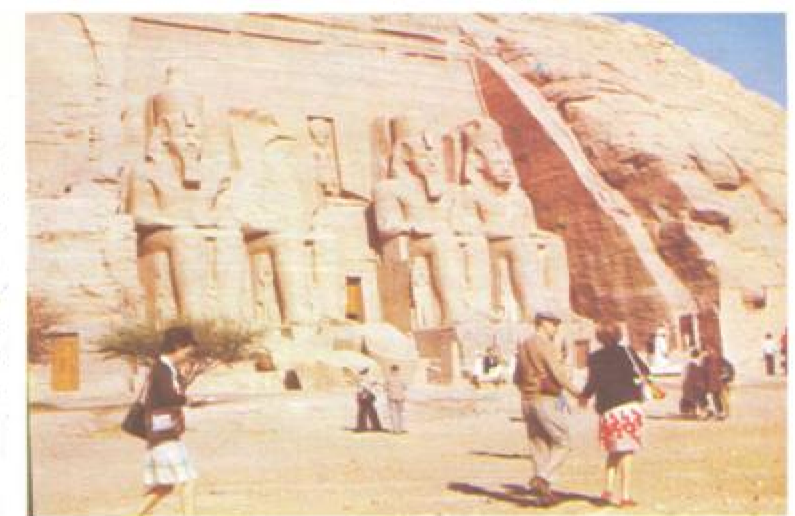
وبدأت الشركة الجديدة تباشر اعمالها فى البحيرة ٠٠ ولكنها مالبثت ان اصطدمت بالمشكلة نفسها ٠٠ مشكلة نقل وحفظ الأسماك من التلف ثم تسويقها ٠٠ وعلى الفور بدأ المسئولون فيها العمل فى محاولة للتغلب على هذه العقبة التى طالما وقفت حائلا دون استثمار الثروة السمكية فى هذه البحيرة الهائلة ٠٠ فقامت باصلاح اللنشات القديمة التى تسلمتها من الجمعية ، ودعمتها بوحدات نقل جديدة مزودة بثلاجات لحفظ الأسماك ، حتى بلغ ما لديها من هذه الوحدات حوالى ستين لنشا من مختلف السعة والقوة اذ تتراوح سعتها بين اربعة اطنان و ٦٥ طنا ٠

وكانت مهمة هذه اللنشات هى الخروج الى مياه البحيرة حيث ينتشر الصيادون بقواربهم الصغيرة ، ونقل ما لديهم من الأسماك التى اصطادوها ، وحفظها فى الثلاجات ثم العودة بها الى ميناء البحيرة حيث تتم عمليات فرزها ووزنها ونقلها فى السيارات المزودة بالثلاجات ايضا الى مقر شركة تسويق الأسماك فى اسوان ، واعدادها للاستهلاك المحلى ٠

المشكلة باقية

ولكن هل حلت المشكلة بعد ذلك ؟ الواقع انها لم تحل ٠٠

لقد قال لنا اللواء عبد المعز النجار رئيس مجلس ادارة شركة المصايد الجنوبية ، وقد تولى منصبه هذا منذ عام واحد تقريبا ، قال الرجل : « ان المشاكل التى صادفتنى عندما باشرت مهام



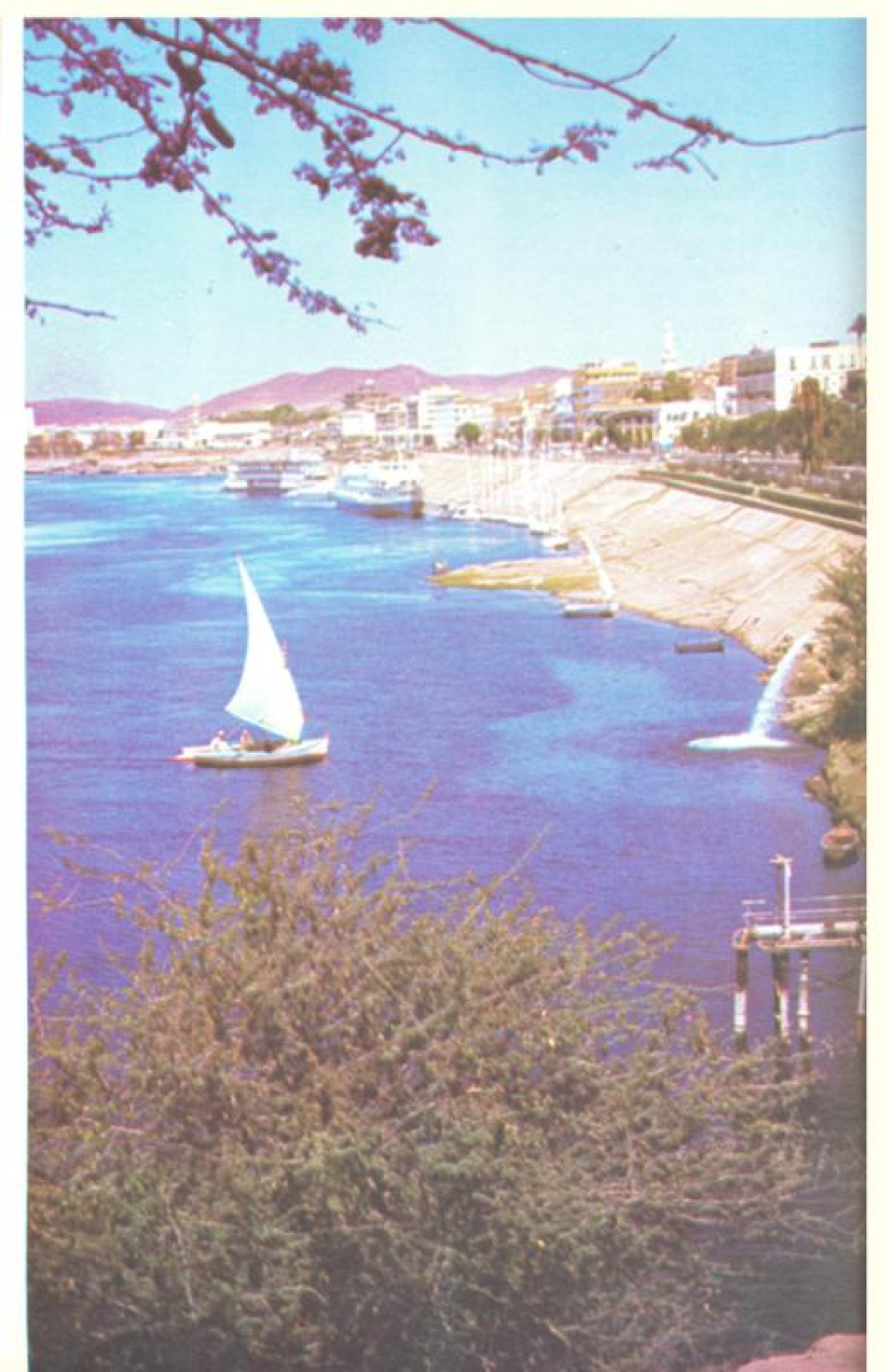
«ابو سمبل» (الى اليمين)، الذى ساهم العالم كله في انقاذه من الغرق ، منطقة سياحية تجذب الالوف من السائحين ٠٠ ولكن ليس هناك مشروع سياحى واحد يمكن ان يسهم في استثمار هذه البقعة الجميلة سياحيا ٠٠



(الى اليمين) الطائرة الصغيرة او اللنش السريع في مياه بحيرة ناصر هما وسيلتا المواصلات الى معبد « ابو سنبل » ، ومن هناك تتولى سيارة اتوبيس نقل السائحين الى المعبد حيث يعيشون لحظات قصيرة بين الآثار القديمة ، ثم يعودون الى اسوان في نفس اليوم ولا شيء اكثر من هذا ٠٠



النيل عند اسوان ، لوحة رائعة في اجمل صورها ، لا تمل العين النظر اليها ٠٠ وقد شيدوا « الكورنيش » بمحاذاة شاطىء النيل ، واقيمت بعض الفنادق الفاخرة المطلة على مياه النيل وهى اثنان او ثلاثة ٠٠ واجر الاقامة فيها مرتفع ٠ يقول خبراء السياحة : «نحن في حاجة الى فنادق صغيرة نظيفة رخيصة ، ومطاعم على طول الشاطىء ٠٠ فسائح اليوم لم يعد مليونيرا ! »



منصبي الجديد ، مشاكل عديدة ومتشعبة ، فنحن نريد ان نضاعف من انتاج البحيرة من الاسماك في حدود امكانيات لا يمكن ان تتيح لنا بلوغ هذا الهدف .

« ان في البحيرة اليوم حوالى ٥ آلاف صياد كما ذكرنا ، ليس بينهم سوى مائة صياد تابعين للقطاع العام ، اى للشركة التى اتولى رئاستها ، اما الباقون فهم يتبعون القطاع الخاص ، اى للجمعيات التعاونية التى تشرف عليها مؤسسة الثروة المائية .

« والشركة تشترى انتاج صيادى القطاع الخاص بطبيعة الحال ، فهى الجهة الوحيدة التى تشرف على عمليات نقله وحفظه وتسويقه،وهى فى نفس الوقت تعمل على تحقيق الهدف الاساسى من قيامها ، وهو مضاعفة الانتاج .

لابد من تطوير اساليب الصيد

ثم قال : « وهنا تكمن المشكلة .. كيف نضاعف الانتاج .. والصياد ما زال يستخدم حتى الآن قوارب الصيد البدائية الصغيرة ، وما زال يتبع نفس اساليب الصيد التى كانت متبعة منذ قرون طويلة ، وهى احدى طريقتين ، اما بالدق على قاع القارب ، التى سبق ان شرحناها ، واما بالجرف ايام الصيف ، وهى الطريقة التى تبدأ بالقاء الشباك فى البحيرة ثم جرفها بما حملت من اسماك حاصرتها الشباك واحتوتها ..

« اننا فى حاجة الى تطوير اساليب الصيد فى البحيرة ، فى حاجة للنشات سريعة تستطيع ان تصل الى المناطق النائية من البحيرة التى لم تستغل بعد .. قد لا تعلمون اننا لم نستغل حتى الآن اكثر من ١٪ من مياه البحيرة الكبيرة التى تزيد مساحة مسطحها على الف كيلومتر مربع ».

« فى حاجة الى اسطول من الثلاجات التى تستطيع ان تنقل انتاج البحيرة الهائل من الاسماك الى مراكز التسويق المختلفة فى جميع انحاء القطر ... اننا مع امكانياتنا الضئيلة،استطعنا ان نحقق ارقاما قياسية فى كميات السمك التى نصطادها من البحيرة والتى تصل الآن الى ثلاثين طنا فى اليوم الواحد ، ..

« ان هذه الكميات سوف تتضاعف اذا استطعنا تطوير معدات الصيد ، واستخدمنا القوارب التى تسير بالمحركات،واستعضنا عن الأساليب القديمة بالاساليب الحديثة فى صيد السمك . ان هناك ثروة هائلة-عائمة فى مياه هذه البحيرة الهائلة وفى مجرى نهر النيل القديم ، وقد بدأنا مرحلة البناء ، وسوف تتغير الصورة قريبا باذن الله ».

ولكن هل الثروة السمكية وحدها ، هى كل ما يمكن استثماره فى بحيرة السد العالى ؟ وما هى طبيعة المشروعات التى اعدت للبحيرة فى مرحلة التعمير التى تمر بها مصر هذه الايام

مدير التخطيط يتحدث

قال لنا المهندس مصطفى مرعى مدير عام مشروع التخطيط الاقليمى لاسوان . « ان بحيرة



اللواء عبد المعز النجار رئيس مجلس ادارة المصايد الجنوبية اى جنوب الدلتا وتشمل الغردقة والبحر الاحمر واسوان . فى حديث مع المهندس محيى الدين حسين متولى حول ادخال الوسائل الحديثة لمضاعفة انتاج البحيرة من الاسماك .

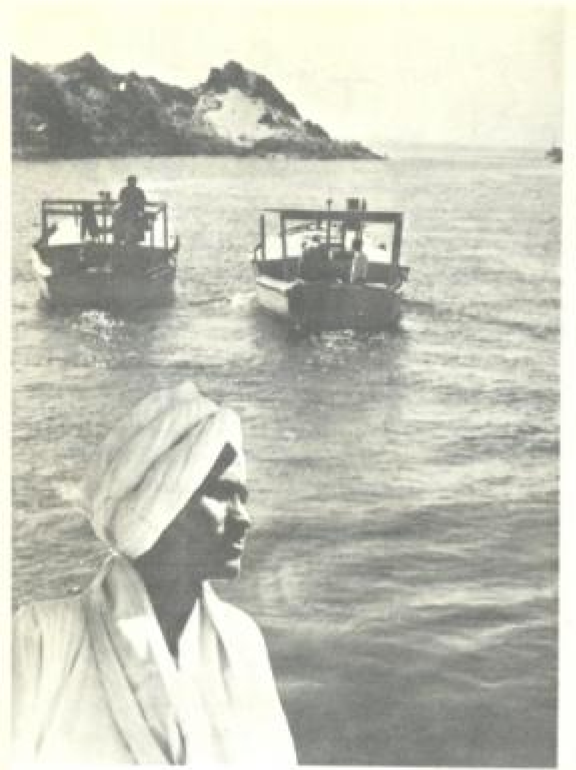
ناصر هى امل مصر الجديد.ومن هنا بدأ المسئولون فى الدولة توجيه اهتمام خاص الى هذه الثروة التى ظلت ضائعة مهملة اعواما طويلة ·· ان هناك اليوم مشروع كامل متكامل اسموه مشروع التنمية الشاملة للبحيرة،وهو يهدف الى استثمارها واستثمار شواطئها والاراض المحيطة بها حتى حدود السودان ، سواء من الناحية الزراعية او الصناعية او السياحية ،الىجانبتطوير وسائل النقل والمواصلات وكذلك المواد البشرية وربطها بالناحية الاجتماعية ، وفى مقدمتها توطين الايدى العاملة التى تمارس الصيد والزراعة ، وكل ما تتطلبه المشروعات الاستثمارية المزمع تنفيذها·

ففى المجال الزراعى مثلا ، اعد مشروع لاستصلاح واستزراع الاراضى التى لبثت صلاحيتها للزراعة من خلال الدراسات والبحوث التى قام بها مشروع التخطيط الاقليمى منذ عام ١٩٧٠ حتى اليوم ، للاهتداء بها فىزراعة المحاصيل الزراعية الرئيسية والملائمة وفى مقدمة هذه الاراضى زراعة شواطىء البحيرة فى المساحات التى تنحسر عنها المياه فى موسم التحاريق الذى يستمر لمدة خمسة او ستة اشهر من كل عام ، وتبلغ مساحة هذه الارض حوالى ٣٠٠ الف فدان شرقى البحيرة وغربها ، وهى ممهدة ، وليست فى حاجة لاية اصلاحات تتطلب تكاليف باهظة ·· ومن هنا فقد رئى البدء باستزراعها فورا ·

« اما باقى المساحة والتى قد تزيد على نصف مليون فدان شرقا وغربا ايضا ، فسوف يرجأ استصلاحها واستزراعها حتى يصل مستوى البحيرة الى الحد الاقصى المقدر له وهو ١٨٣ مترا (المستوى الحالى لعام ١٩٧٣ بلغ ١٦٧ مترا) ·

مشروعات عديدة

« وعلى ضوء المحاصيل التى سيتم زراعتها والتى قد تزيد او تنقص حسب الامكانيات المتاحة، سوف تقام عدة مشروعات فى مقدمتها الاهتمام بالثروة الحيوانية لامكان الاستفادة بثروة السودان الشقيق واحتجازها على شواطىء البحيرة مدة خمسة اشهر من كل عام لرفع معدلات تغذيتها فى هذه المنطقة ، ثم تسويقها الى جميع انحاء الجمهورية باسعار مناسبة ، كاحد الحلول المتوقعة للحد من ازمة اللحوم التى تتفاقم عاما من بعد عام ·



الريس محمود يوسف من ابناء اسوان ، وهو من القواد القدامى للقوارب البخارية ·· ونظرة الى المستقبل وسط مياه البحيرة ·· امل مصر الجديد ··

« وهناك ايضا مشروع اقامة صناعات زراعية تعتمد اساسا على بعض محاصيل الخضر التى يتضمنها برنامج زراعة الشواطىء ، والتى تفيض عن حاجة التسويق الطازج ، كما ستعتمد بعض هذه الصناعات على مخلفات المحاصيل الزراعية ومخلفات الثروة الحيوانية ·

« اما بالنسبة لمخلفات المحاصيل الزراعية فانه يمكن الاستفادة من حطب محصول الذرة ، وكذلك مخلفات محصول الذرة السكرية (علف الحيوان) فى صناعة حوائط البناء بواسطة جهاز مبسط للغاية ورخيص للغاية · وقد نجحت التجارب التى اجريت على هذا الجهاز ، فى بناء بيوت الفلاحين، وثبتت صلاحيتها ومتانتها ، الى جانب خاصية عزلها للحرارة التى تسود هذا الاقليم لمدة سبعة اشهر فى السنة ، تصل خلالها الى ٤٧° مئوية ·

صناعات جديدة

ومضى يقول « وهناك صناعة اخرى ستقام على مخلفات الانتاج الحيواني ، فقد تقرر اقامة مجزر الى لذبح وتنظيف الاغنام بعد تسمينها ، كما ذكرنا ، وسيلحق به قسم للتبريد والتجميد وانتاج الثلج .

« وبذلك يمكن تجفيف دماء هذه الذبائح ، واستخدامها في تصنيع العلائق (العلف الحيواني) المجفف ، والذي سيعتبر مخرجا لتوفير الاعلاف على المستوى القومي . كما تقرر ايضا اقامة مصنع لدباغة جلود الحيوانات ، وسيلحق بهذا المصنع ، قسم لتنظيف الصوف واعداده للغزل .

توحيد الجهود

« اما عن الثروة السمكية ، وهي تدخل ضمن المشروعات الزراعية بطبيعة الحال ، فقد رئي ان لا سبيل الى مضاعفة انتاج البحيرة من الاسماك ، الا عن طريق تنسيق وتوحيد جهود القطاعات المشتركة حاليا في انتاج ونقل وتسويق الاسماك ، سواء كانت هذه القطاعات شركات حكومية او جمعيات تعاونية متخصصة ، حتى لا يكون هناك صراع بين القطاعات .. هذا الصراع الذى طالما ادى الى خسائر فادحة .. ان السبيل لانقاذ السفينة من الغرق هو ان يقوم على تسيير دفتها ربان واحد !

« ان انتاج البحيرة من الاسماك يتراوح بين ٢٥ و ٢٨ طنا في اليوم ، ورغم هذا فان الشركات تخسر لعدم وجود التنسيق والتوحيد للجهود التى تبذل في سبيل سرعة النقل والتسويق حتى لا تفسد الاسماك ، فهي كلها جهود مبعثرة لا رابط لها ولا ضابط » .

قلنا : « وماذا عن المشروعات السياحية .. لقد لاحظنا من خلال جولتنا في البحيرة ان هناك مناطق من اجمل ما يمكن ان تقع عليه عين .. وهي غنية بمناظرها الطبيعية الى جانب الآثار القديمة التى تجذب اليها السائحين من كل انحاء العالم . ولكننا لم نر مشروعا واحدا يمكن ان يسهم في استثمار هذه البقعة الجميلة سياحيا ؟ » .

النهوض بالساحية

وقال مدير عام مشروع التخطيط الاقليمي لاسوان : « الواقع ان شواطىء بحيرة ناصر غير مستغلة اطلاقا ، باستثناء الفندق الصغير او الاستراحة التى شيدت في منطقة ابى سمبل ، هذا المعبد الاثرى القديم الذى ساهم العالم كله في انقاذه من الغرق ..

« حتى وسائل النقل الى هذه المنطقة الاثرية غير كافية ، فهي تتلخص في الهيدروفيل باعداد غير كافية اطلاقا ، او الطائرة التى لا تتسع لأكثر من ثلاثين راكبا . »

« انني استطيع القول بأنه ليس هناك خطة متسقة تناسب راحة السائحين خلال رحلتهم الممتعة الشاقة معا من اسوان الى ابى سمبل بالطريق المائي..ولذلك فلا بد من طرح عمليات النهوض بالسياحة في البحيرة على شركات عالمية تتولى هذه النهضة بالاسلوب العلمي ، ومن خلال الخبرات الطويلة التى اكتسبتها في هذا المجال » .

وبعد .. ان الحديث عن النهوض بالسياحة والاستثمار في بحيرة ناصر حديث طويل ، نكتفي منه بنقل بعض مايراه الخبراء في هذا المجال ..

● لماذا لا نقيم القرى والمدن الصغيرة على طول الشاطئين الشرقي والغربي للبحيرة ، اسوة بما يحدث حول البحيرات التى تمتلىء بالمياه الحلوة وغير الحلوه في بلدان العالم ؟

● لماذا لا نقيم طريقا بريا يصل بين اسوان وبين السودان الشقيق .. ؟

● لماذا لانوفر الحياة الكريمة لمئات الصيادين الذين يكسبون رزقهم من مياه البحيرة ، انهم يعيشون في قواربهم شهورا طويلة قد تمتد الى عشرة اشهر .. من كل عام .. لماذا لانربطهم بالبحيرة مصدر رزقهم ونربطهم بأسرهم فنقيم لهم المساكن على شواطئها ، يعودون اليها،كلما استبد بهم التعب .. انهم يعيشون حياة قاسية يستحقون معها الرعاية والتشجيع ..

لماذا لا نعد البواخر المريحة التى تنقل السواح الى ابى سمبل ، والى النوبة ووادى حلفا .. ؟

كلها مشروعات خطرت على بال المسئولين عن التخطيط والتنمية في القاهرة وفي اسوان ... وقريبا سوف تشهد هذه البقعة الجميلة من الارض الطيبة العربية انتفاضة سريعة .. انتفاضة ما كان يقدر لها ان تتحقق الا مع بداية عهد البناء والتعمير والانفتاح على العالم من حولنا ... فهذا هو امل مصر الجديد . ■■

منير نصيف



يجيب عليها نخبة من الاطباء

وجود الأملاح يؤدى الى حرقان اثناء التبول

● اشكو من حرقان اثناء التبولواخبرني الطبيب انها مجرد املاح ومنعني من بعض الماكولات . فما هيهذهالاملاح وهل هناك ضرر منوجودها، وكيفية تفاديها ؟

ـ ان هناكأنواعا كثيرة منالأملاح التى تتكون فى البول معتمدة على عدة عوامل منها نسبة تركيز البول،وجود اضطرابات فىالتمثيل الغذائىاونقص فىالفيتامينات، وجود اى التهاب فى المجارى البولية،كذلك فى بعض امراض الغدد مع ملاحظة تفاعل البول اذا كان حمضيا او قلويا حيث انه اذا كان تفاعل البول قلويا فانه عرضة ان تترسب فيه املاح : كربوناتالكالسيوم وفوسفات الكالسيوم ويورات الأمونيوم واملاح فوسفات غير متبلرة .

واذا كان تفاعل البول حمضيا فقد تترسب فيه املاح :

اكسلات الكالسيوم واملاح اليورات غير المتبلرة .

واملاح حمض اليوريك واملاح يورات الصوديوم .

وكذلك املاح السيستين وليسين ونيروسين .

ووجود الاملاح فى البول يؤدى الى حرقان فى التبول ، وقد يؤدى الى حدوث التهابات ايضا واذا زاد تركيز هذهالأملاح واهمل علاجها فانها قد تؤدى الى تكون الحصى فى المجارى البولية سواء فى الكلى او الحالب او المثانة .

وزيادة حموضة البول او قلويته تتأثر الى حد كبير بالماكولات وتعاطى الأدوية ، فمثلا فى علاجقرحة المعدةتعطىالكربونات مما تؤدى الى بول قلوى ، كذلك فىمرض النقرس يزداد حمض اليوريك فى الدم وفى البول كذلك .

والغذاء مهم جدا فى تكون الأملاح وبالتالى الحصى فى مجرى البول فالغذاء الجيد المحتوى على الفيتامينات يقلل من فرصةحدوثالأملاحوالحصىوذلك يلاحظفى الأطفال الأصحاء حيث يندر وجود الحصى عندهم بخلاف الأطفال فى المناطق الفقيرة، وفيتامين أ مهم جدا لحفظ خلايا الكلية والغشاء المخاطى للحالب والمثانة فى حالة صحية جيدة ، وكذلك فيتامين ب المركب يساعد على منع تكون املاح الاكسالات .

وقد لوحظ فى الدول المنتجة للموالح



كثرة ترسب الفوسفات في البول ، وذلك بسبب كثرة اكل الموالح التي تجعل البول قلويا ، اما املاح اليورات فتكثر في اولئك الذين يأكلون اللحوم والأسماك والبروتينات بكثرة مع حياة خاملة غير نشيطة ، كما ان زيادة الكالسيوم تحدث في البول سواء لأسباب مرضية او لزيادة الكالسيوم في المأكولات مثل اللبن والجبن كما لوحظ زيادة الاكسالات عند كثرة تناول الكرنب والسبانخ والطماطم والمانجة والتين والكاكاو .

وقد لوحظ ان زيادة تركيز الأملاح في البول تنتج من قلة شرب السوائل وكثرة العرق في المناطق الحارة او عند القيام بمجهود عضلي او اعمال يدوية شاقة ، وفي امراض الحميات وكذلك في القيء والاسهال .

ولتفادي كثرة تكون الأملاح في البول فانه علاوة على الاعتدال في اكل المأكولات السابق ذكرها يجب شرب السوائل بكثرة حتى يصبح البول مخففا من هذه الأملاح ويمنع ترسبها ، الا انه حتى بالامتناع عن اكل تلك المأكولات التي تؤدي الى زيادة الأملاح ، فانه قد تتكون بعض الأملاح نتيجة اسباب داخلية في الجسم او لأسباب خلقية او وراثية .

سل الجلد ...
هل هناك امل في شفائه ؟

● **اصبت في كتفي بالتهاب جلدي يشبه الحروق منذ شهور ولم يشف حتى الآن ، ثم علمت انه نوع من سل الجلد ، فهل يصيب السل الجلد ؟ وهل هناك امل في الشفاء ؟**

ـ كما ان السل يصيب الرئة والعظام والجهاز التناسلي فانه يصيب ايضا الجلد ، وهناك انواع متعددة من اصابة السل للجلد منها ذلك النوع الذي تسأل عنه ويسمى Lupas Vulgaris وهو كثيرا ما يصيب الأطفال خاصة في الأماكن المعرضة مثل الوجه . ويبدو المرض كرقعات لونها بني مائل الى الاصفرار او الاحمرار ، متكونة من حبيبات صغيرة لونها مثل التفاح وتخف في منطقة ، ولكنها تزداد في ناحية اخرى ، وتكون اما في مستوى سطح الجلد او بارزة فوقه او تهبط تحت مستوى الجلد عند حدوث ضمور فيها ، وهذا المرض عادة مايكون مدمرا للخلايا وكثيرا ما يؤدي الى تقرحات وعند الالتئام فانه يترك ندبة واضحة .

وعلى الوجه فانه قد يؤثر ايضا على الأنف حيث يؤدي الى تآكلها وتشوهها ، كما انه يؤثر على الاذن والشفاه مؤديا الى تورم وتشقق مع تقرحات وتكون قشور وقد تنزف احيانا . كذلك ممكن حدوث التورمات على الجسم والأطراف . وهذا النوع من سل الجلد مزمن ويطول علاجه وكثيرا ما يكتشف مؤخرا وقد تظل الاصابة في مكان محدد كما هي لبضعة سنوات ، وقد تظهر في الطفولة وتظل حتى الكبر ، وفي هذه الأثناء تنتشر تدريجيا ببطء الى ضعف او ثلاثة اضعاف حجمها أو تظهر رقع جديدة في اماكن اخرى . وفي بعض الحالات قد يظهر عليها تقرحات او يحدث بها تليف .

واذا كانت الاصابة صغيرة فان افضل علاج لها هو ازالتها بعملية جراحية للتخلص منها نهائيا وعمل عملية تجميل للجلد ، اما لو كانت متقدمة ومنتشرة فتعالج بالعلاج العام للسل عموما مع استعمال الاشعة فوق البنفسجية موضعيا .

ديدان الشرج الخيطيــة وكيفية التخلص منها

● لى طفل عمره عشر سنوات اصيب منذ خمسة اعوام بديدان الشرج الخيطية وعولج منها عدة مرات ثم تعود الديدان مرة اخرى وتسبب له تهيجا فى فتحة الشرج والتهابا فى المستقيم هل من علاج ناجع للقضاء على تلك الديدان ؟؟

ـ ديدان الشرج الخيطية Thread Worm تصـيب الاطفـال وتنتقـل تقريبا الى كل افراد الاسرة عن طـريق تلوث الايدى ببيض هذه الديدان ثم ادخالها الى الفم مـع الطعام او الشراب حيث يفقس البيض وتنمو الديدان فى القناة الهضمية وتستقر اخيرا حول فتحة الشرج. ولذا لا بد من علاج جميع افراد الاسرة وخاصة الاطفال منهم فى وقت واحد مع نظافة الملابس وتطهيرها بمطهر قاتل للديدان ـ او غليها فى ماء وصابون • ثم تعليم وارشاد الاطفال الى العادات الصحية السليمة وعلى الأخص غسل الايدى بالماء والصابون بعد التبرز •

كما انصح بأن تقص الاظافر ولا يسمح لها بأن تطول حتى لا يختبىء بيض الديدان خلفها • ويستحسن ان يلبس الاطفال قفازات اثناء النوم حتى لا تذهب ايديهم الى فتحة الشرج وبالتالى تضمن عدم تلوث الايدى ومن ثم اعادة العدوى بالديدان • اذا روعيت هذه الاحتياطات جميعا فان الديدان تموت خلال ثلاثة اشهر وهو تاريخ حياتها ، ومع هذا فانه لا مفر من علاج كامل لجميع افراد العائلة ثم اعادة فحص البراز لهم جميعا بعد شهرين من تاريخ العلاج •ولا بد من ان تكون النتائج سلبية لدى كل فرد من افراد الاسرة• حتى يتم القضاء نهائيا على تلك الديدان الخيطية من محيط اسرتك •

قرحة الساق قد تكون بسبب الاصابة بدوالى الساقين

● اصبت بقرحة فى ساقى ، فظهر بعض الاسمرار حولها ، وذلك منذ فترة طويلة ، اخبرنى الطبيب انها نتيجة الدوالى ، فهل يمكن التخلص منها ؟

ـ اذا كان عندك دوالى فى الساقين Varicose Veins فان هذه القرحة تحدث فعلا كتغيرات ثانوية نتيجة للدوالى وتسمى Varicose Ulcer وتحدث فى الجزء السفلى من الساق وعادة على الجانب الداخلى وتنتج من الاصابة بأى رضة او حتى خدش بسيط، ولو كانت الساق سليمة بدون دوالى لشفى الخدش بسرعة دون ان يلاحظ الشخص، واحيانا قد تكون القرحة مصحوبة بورم فى ذلك الجزء الأخير من الساق وعند مفصل القدم ، كذلك يتلون الجلد حول القرحة بلون بنى فاتح او بنى غامق • واذا كانت الدوالى مزمنة فان ذلك يؤدى بالطبع الى ازمان القرحة وحدوث التهابات ثانوية فيها مؤديا الى ذلك الورم والتلون وقد يحدث تليف فى الجلد فى تلك المنطقة •

ولعلاج القرحة يجب علاج الدوالى اولا وعلاج اسبابها لمنع استمرار القرحة وتكرارها مع ملاحظة عدم الوقوف لفترات طويلة او المشى مسافات بعيدة او الجلوس او العمل فى الأماكن شديدة الحرارة ، وبالنسبة للقرحة تعالج اى التهابات ثانوية فيها بمضادات الحيويات موضعيا وداخليا مع حفظ القرحة دائما نظيفة باستعمال مكمدات بوريك دافئة ، وتفضل الراحة بالسرير مع رفع الساق الى اعلى ويمكن بعد ذلك عمل تجميل للساق بترقيع الجلد، كذلك استعمال الكورتيزون داخليا قد يفيد فى بعض الحالات •

من أصول الفكر الغربي

المذهب الكلفيني

وأثره فيمن اعتنقه من شعوب أوروبا المسيحية وأمريكا

بقلم : صباح الدملوجي

برزت اثناء حرب الاسترداد العربية في تشرين ١٩٧٣ ظاهرة جديرة بالملاحظة والدراسة، واعني بهذه الظاهرة التأييد الغريب للموقف الاسرائيلي من جانب هولندا وحدها دون بقية دول اوربا الغربية ذلك اضافة الى التأييد المتواصل لاسرائيل من قبل الولايات المتحدة الامريكية .

نستطيع تشبيه سلوك الامم بسلوك الاشخاص فالامة ليست الا مجموعة من اشخاص وسلوك الاشخاص بدوره يعتمد على حوافز ومسببات بعضها ظاهرية واضحة وبعضها داخلية عميقة ذات اصول ترجع احيانا الى دور الطفولة وتكون احيانا اخرى مدفونة في اللاشعور بحيث لايدركها الشخص نفسه ، وقياسا على ذلك تجد حوافز الامم والشعوب تتراوح اسبابها بين الاقتصاد والمصالح القومية الآنية للشعب وما شابه ذلك وبين الاسباب التاريخية والحضارية البحتة .

وقد تضيع اصول هذه الحوافز كما تضيع اصول حوافز الاشخاص في اللاشعور بحيث لايدركها الشعب نفسه كما يحتاج المدقق الى الوقت والجهد ليستنبطها كما يفعل المحلل النفسي مع الاشخاص ليصل الى حوافز اللاشعور التي تتحكم في سلوكهم .

المذاهب الدينية ونفسيات الشعوب

ان الدين وبخاصة التطوير المذهبي لدين من الاديان هو احد الظواهر الفريدة في حياة الامم والشعوب . نستطيع القول ان اي قوم او مجموعة بشرية تطور الدين الذي تعتنقه بالصورة التي يلائم فيها نفسيتها ومعتقداتها السابقة لاعتناقها لذلك الدين وبذلك تخلق مذهبا جديدا في ذلك الدين . نضرب مثلا على ذلك في الانشاق الذي حصل في الكنيسة المسيحية الاولى بخروج الاقباط عن الاجماع الكنسي وتاسيس المذهب الاحادي الطبيعة (Monophysite Christianity) الذي عرف في سوريا بالمذهب اليعقوبي . كانت تلك الحركة تعبيرا عن الاستقلال الفكري للاقباط عن التيار الاغريقي آنذاك والذي طور وفسر التعاليم المسيحية بالشكل الذي يلائم النفس الاغريقية .

كما ان اعتناق مسيحيي سوريا آنذاك من العرب والارامين للمذهب نفسه بعد برهة قليلة من انتشاره في مصر دليل على الالفة المبدئية والتقارب الفكري والثقافي لسكان سوريا مع اقباط مصر .

كما ان انتشار تعليمات لوثر بين الشعوب الجرمانية والاسكاندنافية فقط وعدم تاثيرها على الشعوب اللاتينية او السلافية لمثل آخر على قولنا . والاغرب من هذا ان انتشار هذا المذهب في المانيا نفسها اقتصر على الاجزاء التي لم تخضع تاريخيا لحكم الرومان وبذا بقيت بافاريا وفرتمبرك واراضي حوض الراين كاثوليكية رغم مرور اكثر من الف عام على انحسار السيطرة الرومانية عن هذه الاقاليم .

لذا فاننا نستطيع القول بان المذهب الديني ونفسية الشعب هما عاملان متفاعلان يعبر احدهما عن الآخر ويؤثر احدهما في الآخر وبالاحرى فان



جون كلفين

المذهب الدينى هو من خلق عقلية بشرية تفكر بطريقة معينة ، واعتناق قوم او شعب له يثبت تجاوب ذلك الشعب مع تلك الطريقة الفكرية •

وبعد سرد هذه المقدمة سنحاول تفسير سلوك هولندا وحتى الولايات المتحدة بدراستنا لتاريخ الكنيسة الكلفينية وتعليماتها وبدراسة تاثيرهافى تاريخ هاتين الدولتين •

حياة كلفين

ولد جون كلفين Calvin مؤسس هذه الكنيسة سنة ١٥٠٩ فى بلده نويون من مدن مقاطعة بيكاردى فى شمال شرق فرنسا • درس اللاهوت وتصب قسيسا وهو لم يكد يبلغ العشرين من عمره ولكن ذكاءه الثاقب وافكاره الهرطقية بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية جعلته يترك ابرشيته ويعيش متنقلا فى انحاء فرنسا وقدقام خلال هذه المدة بنشر ثلاثة كتب اكسبته الشهرة فى اوربا كلها ولكنها جلبت له عداوة الكنيسة فاضطر للتخفى حينا من الوقت ومن ثم استدعته مدينة جنيف التى كانت قد تحررت لتوها من سلطة دوق سافوى وانضمت الى الاتحاد السويسرى ليقيم بها ويبث منها مبادئه البروتستانتية وكان ذلك عام ١٥٣٦ وهو لم يزل فى السابعة والعشرين من عمره • وقد عاش كلفين ما تبقى من حياته عدا ثلاثة سنوات (١٥٣٨ ــ ١٥٤١) فى جنيف وقام هناك باستحداث جمهورية دينيةليوقراطية اراد بواسطتها الرجوع بالسلوك المسيحى الى الصورة التى رسمها فى مخيلته للكنيسة والواقع المسيحى فى القرون الثلاثة الاولى من التاريخ المسيحى •

اهم مبادىء كلفين

كانت اهم مبادىء كلفين الاعتقاد بسيادة الله وبالقضاء والقدر(او الجبرية)وان كانت فلسفته فى هذا المضمار تختلف فى جوهرها عن الفلسفة الاسلامية كما اعتقد كلفين اعتقادا مطلقا بدون اى جدل فى مضمون الكتاب المقدس اضافة الى اعتقاده بوجوب كبح العواطف وعدم المبالاة بالمؤثرات الجسدية وعرفت الكنيسة التى اوجدها بالمشيخية Presebyterian وتتميز هذه الكنيسة بتضاؤل السلطة الكهنوتية فيها والغاء طبقة الاكليروس بمعناها وسلطتها المعروفة فى الكنيسة الكاثوليكية•وتتم ادارة شؤون الابرشية من قبل مجلس منتخب من الرعية •

وقد نتج عن هذه التعليمات والمبادىء بروز حكومة فريدة فى مدينة جنيف يصفها المؤرخ البريطانى هربرت فيشر فيقول (١) (كانت حكومة كئيبة تتقصى الخطا وتعتمد على دواوين التفتيش وقد نتج عن انتهاج بلدان اخرى لمسلكها فى كلا العالمين القديم والجديد كثير من القسوة والعذاب)•

انتشار مذهب كلفين

انتشرت مبادىء كلفين فى بعض اقسام سويسرا خارج جنيف كما انتشرت فى هولندا واسكتلندا واصبحت الكنيسة السائدة فى كلا البلدين كما اعتنق مبادئها العديد من الفرنسيين الذين عرفوا باسم (الهوجينو)وبقى تاثيرهم عظيما فى فرنسا واعترفت لهم الدولة بحقوق خاصة واصبحوا لفترة من الزمن يمثلون دولة داخل الدولة،وبقى الوضع كذلك لبضعة عقود من الزمن حتى قضى عليهم الكاردينال ريشيليو رئيس وزراء فرنسا سنة ١٦٢٩ وكسر شوكتهم لاسباب سياسية اكثر منها دينية فهاجر عدد كبير منهم يقدر بالملايين الى البلدان البروتستانتية الاخرى كهولندا وانكلترا •

اما هولندا فقد انتشرت تعاليم كلفين فيها وهو لم يزل على قيد الحياة وكانت التعاليم اللوثرية قد سبقتها الى هناك ومهدت لها الطريق •

---

(١) هربرت فيشر • تاريخ اوربا • الفصل ٤٦ •

ولم تلبث الكلفينية ان اصبحت المذهب البروتستانتي الوحيد في الاقاليم المتكلمة بالهولندية وكانت الاراضي المنخفضة انذاك تحكم من قبل العرش الاسباني وتضم مملكتي هولندا وبلجيكا الحاليتين اضافة الى بعض الاقاليم الفرنسية • وقد ساعد انتشار الكلفينية التي اقترن اعتناق الهولنديين لها مع بداية شعورهم القومي على خلق هولندا كدولة مستقلة بذاتها وانفصالها عن العرش الاسباني • اذ كانت محاولة سحق الكلفينية احد الاسباب الرئيسية للثورة الهولندية على اسبانيا وقد تبلورالموقف بانفصال الاقاليمالتي اعتنقت الكلفينية فقط بينما رجعت الاقاليم الكاثوليكيةالىسيادةاسبانياثمالنمسا وحتى اصبحتسنة ١٨٣٠ دولة مستقلة تحتاسم بلجيكا• وقد كان لامتزاج الدين بالقومية على هذا الشكل ومساعدته في المخاض الصعب لولادة هولندا كدولة مستقلة اثره الفعال والعميق في الفكر الهولندي•

اماقي انكلترا فان الكنيسة الانكليزية التيكانت قد انفصلت في بداية القرن السادس عشر عن السلطة البابوية لاختلافات شخصية وسياسيةبين ملك انكلترا هنري الثامن والكرسي البابوي وجدت نفسها في حالة فراغ فكري ومبدئي سدت جزءا منه باستعارتها لبعض الاسس الكلفينية منجارتها اسكتلندا وبخاصة بعد وحدة البلدين سنة ١٦٠٣ ولكنالاضطراباتالسياسية التي عانت منهاانكلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ادت الى انفصال تيارات سياسية ودينية متعددة عن المجرى الرئيسي للحياة الانكليزية وكانت البيوريتانية او التطهيرية احد المذاهب الدينية التي تبنت الفلسفة الكلفينية المتزمتة ووجدت نفسها مضطرة الى الانفصال عن الكنيسة الانكليزية واضطهد معتنقو هذا المذهب ككل جماعة منشقة واضطر بعضهم الى الهجرة الى امريكا في السفينةالشهيرة مايفلاور سنة١٦٢١واسسوا مستعمرة ماساشوسيت التي لعبت قبل وبعد استقلال امريكا دورا كبيرا جدا يفوق دور اية ولاية اخرى من ولايات الاتحاد في خلق وتطوير وتوجيه المجتمع والفكر والسياسة وفلسفة الحياة الامريكية •

هذا عرض موجز لتاريخ نشوء وانتشار المذهب الكلفيني في اوروبا وامريكا بقدر ماتسمح به هذه المقالة • والاهم من تعليمات كلفين الاصلية والمذكورة سابقا هو ان هذا المذهب قد تطور بعد موته تطويرا كبيرا في المبدا والتطبيقحتى اصبحت الكلفينية مذهب الطبقة التجارية الراسمالية الجديدة التي نشات اثر فتح طرق التجارة الجديدة الى الشرق والى امريكا وقام فلاسفة اللاهوت للمذاهب والكنائس المتشعبة عنها بصياغةمتطلبات مجتمعاتهم الجديدة بوضع يتقبله التفكير الديني السائد وقد اوجدت الكلفينية مدرسة فكرية ديناميكية فعالة بقي لظاها متاججا لاكثر من قرنين من الزمن بعد وفاة كلفين نفسه •

وخلاصة القول ان الدين المسيحي بفلسفته الانسانية النبيلة وفكره السامي ودعوته الموجهة الى البشر جميعا تحول من خلال الكلفينية الى مذهب مستغل خاص بالطغمة التجارية الجديدة وبالشعوب الاوروبية التي وجدت في تقدمها الاقتصادي والتجاري والعلميفي القرنين السادس عشر والسابع عشر وفي اتساع نطاق سيطرتها السياسية على بقعة جغرافيةكبيرة سبيلا لاعتقادها او ادعائها بانها (شعب الله المختار) • وبذلك نجح المسيحيون الكلفينيون في ارجاع المسيحية المتطورة المنفتحةوالميل بها الىاليهودية عاكسينبذلك الجهد الاساسي العظيم الذي بذله السيد المسيح للارتقاء بالفكر الديني اليهودي من دين قومي خاص باليهود الى دين موجه الى البشرية جمعاء ويمكننا في هذا المضمار مقارنة الجهود التبشيرية الجبارة التي بذلها اليسوعيون الكاثوليك في محاولاتهم الناجحة لكسب الهنود الحمر في الاقطار الامريكية الواقعة تحت الحكم الاسباني مع سلوك مستوطني الولايات المتحدة البيض مع هنودهم الحمر وذلك بمحاولتهم ابادة وافناء هذا الشعب •

يحدثنا البروفسور ريشارد تاوني (٢) فيكتابه (الدين ونشوء الراسمالية) عنالكنائسالكلفينية فيقول (لو افترضنا ان الوثائق المسيحية الوحيدة في المستقبل ستقتصر على العهد الجديد وسجلات الكنائس الكلفينية من عهد الاصلاح الديني فاناي اقتراح بوجود اي صلة بين الاثنيناكثر مناتفاقفي العبارات سيكون مغالاة وجراة من قائله • فالنظام الذي اوجده كلفين كان ميكانيكيا صارمابدون اي عاطفة او اي خيال شان عمل مشاور قانوني او

---

(٢) ار ٠اج تاوني ٠ الدين ونشوء الراسمالية-طبعة بنكوين ١٩٦٩ صفحة ١٣٨ (باللغة الانكليزية)

منظم عبقري • وهذا النظام يبدو رومانيا اكثرمنه مسيحيا وهو يهودي اكثر من كونه مسيحيا او رومانيا) •

ان جوهر القضية والسبب الاساسي في تاييد هولندا وامريكا للاسرائيليين يكمن في صرامة ومادية التفكير الكلفيني وفي الاعتقاد المطلق بفحوى العهد القديم (اي التوراة) اضافة الى العهد الجديد من الكتاب المقدس مما جعل اتباع هذا المذهب ومن تاثر فكريا بتعاليمه يعتقدون كما اعتقد اتباع موسى قبلهم بانهم شعب الله المختار وان الله احل لهم ابادة غيرهم للحصول على ارض الميعاد وهم يرون فيما مافعله الصهاينة اليوم من طرد عرب فلسطين ومحاولتهم ابادتهم تحقيقا لنبوءة التوراة التي يؤمنون بها ايمانا مطلقا كما اسلفنا واضافة الى هذا الاعتقاد الديني فهم يشعرون بالتعاطف مع اسرائيليي اليوم لمحاولة هؤلاء تقليد تلك الشرذمة من ركاب المايفلاور الذين القوا رحالهم على صخرة بليموث واسسوا ولاية ماساشوسيت والذين آمنوا بان ابادة الهنود الحمر جزء من دينهم وكما يشعر الهولنديون ومن نسل منهم في افريقيا الجنوبية بان الله اباح لهم ابادة زنوج تلك الارض لينعموا بخيراتها •

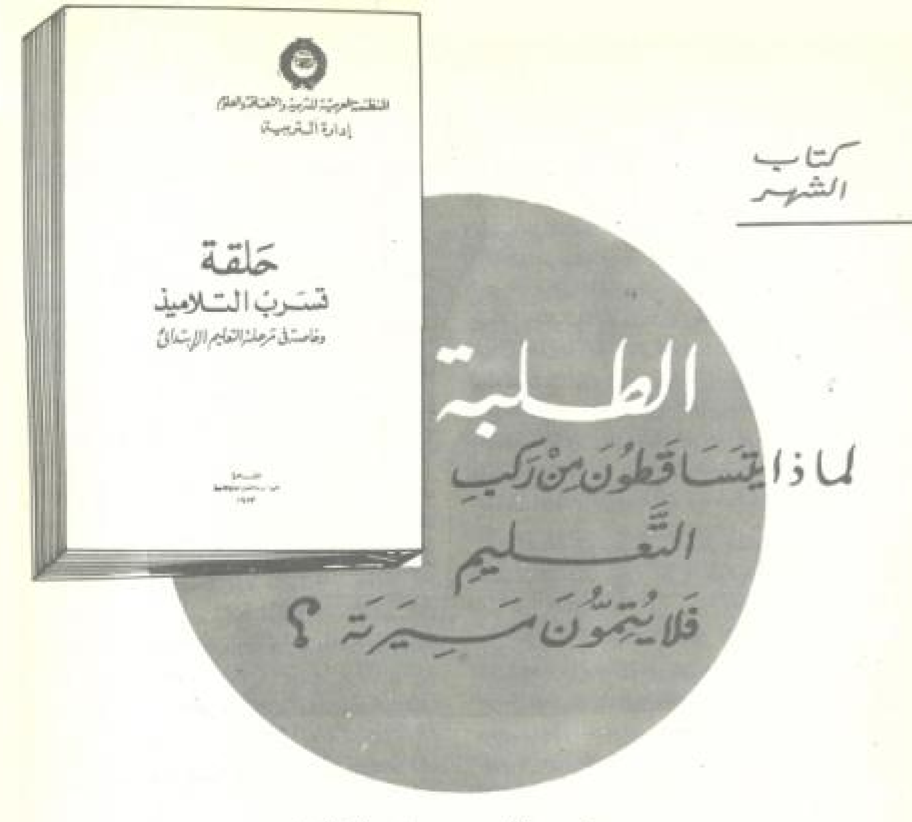
لااجد خيرا من المؤرخ البريطاني العظيم ارنولد توينبي لاتركه يحدثنا عن هذه النزعة (٣) « ان الفتوى التي استمدها المسيحيون الانجيليون (ويقصد بهم توينبي الكلفينيين على وجه الخصوص) الذين قضوا على الهنود الامريكيين والبانتو الافريقيين وسكان استراليا الاصليين من اعتقاد الاسرائيليين المدون في التوراة بان الله ارسلهم للقضاء على الكنعانيين قد لاحظناها سابقا (يعني فيما سبق من كتابه الذي نقتبس هذا المقطع منه) ونستطيع ان نصف قولنا بان رد فعل الكنعانيين الجدد من مختلف الاجناس للضغط الذي تعرضوا له من قبل الاسرائيليين الجدد (يلاحظ استعمال توينبي المجازي لكلمتي الكنعانيين والاسرائيليين) لم يكن متشابها • فان الحظ على الاغلب وليس بعد النظر هو الذي جعل الاسرائيليين البريطانيين من غزاة امريكا الشمالية واستراليا يواجهون كنعانيين واهنين وعاجزين بدرجة هيات للغزاة انتزالهم الى راسب امكن التخلص منه بابقائهم في معسكرات اعتقال Reservation ولكن اسرائيليي افريقيا الجنوبية لم يستطيعوا التخلص من كنعانييهم من البانتو الافريقيين بهذه السهولة وبهذه السرعة • وكذلك فشل اسرائيليو ايرلندا من الانكليز والاسكتلنديين في القضاء على كنعانييها من الايرلنديين الهمج كما كانوا يصفونهم وكذلك فشل ايضا اسرائيليو بروسيا من الالمان في القضاء على كنعانييها من البولنديين • فحضارة البانتو الزهيدة ازرتها قوتهم العددية الكبيرة كما ان عدد الايرلنديين او البولنديين الضئيل اسنده كونهم ورثة حضارة رفيعة » •

ان القواما تتوارى في اعماق تفكيرهم مثل هذه المعتقدات الراسخة يجب ان لا يتوقع الانسان العربي منهم غير التاييد الشامل وغير المشروط لاسرائيل ضد العرب • ولكن مما يثلج الصدور الاستنتاج الذي يصل اليه توينبي في نفس المقطع الذي اقتبسنا منه اعلاه فهو يختمه بقوله (اما كنعانيو اليوم ، من العرب ، الذين يواجهون اسرائيليي اليوم ، من الصهاينة ، فيجمعون قوة البانتو العددية مع حضارة البولنديين او الايرلنديين • فعرب فلسطين هم ورثة الحضارة العربية العريقة اضافة الى كونهم اعضاء في المجتمع المتكلم بالعربية والذي يمتد جغرافيا الى ما وراء حدود فلسطين بكثير فيصل من الموصل الى مراكش ومن زنجبار الى جاوا فامحاء العرب من الخريطة سيكون في الواقع بصعوبة امحاء الصينيين او الهنود) •

ان الفكر الامريكي والمجتمع الامريكي بنيا على احترام القوة وان امريكا لم ولن تفقه غير سياسة القوة واذا ما كان هنالك اي تغيير في سياستها فهو نتيجة لايقانها بان النفس العربية لن تستكين وانها نفس تستند الى حضارة عميقة واصيلة تفرض على خصمها ان يحترمها وتكيل له الصاع صاعين عندما يعتدي عليها • ولتكن هذه الفكرة نصب اعيننا ودليلا لنا في تفكيرنا وسلوكنا عند مجابهة الغرب عامة وامريكا على وجه الخصوص •

كركوك : صباح الدملوجي

(٣) ارنولد توينبي Study pf History الجزء ٨ حاشية صفحة ٣١٠ طبعة جامعة اكسفورد بالغلاف الخفيف سنة ١٩٦٣ •



عرض بقلم : محمد طنطاوى

■ يواجه التعليم بصفة عامة ، والتعليم الابتدائى بصفة خاصة فى الوطن العربى مشكلات عديدة فى مقدمتها مشكلة تسرب التلاميذ اثناء هذه المرحلة من التعليم ·

ولفظ التسرب هذا ، اصطلاح جديد ، اصطلح عليه التربويون ، وعرفوه بان قالوا :

« ان مشكلة التسرب تتمثل فى انقطاع التلاميذ عن الدراسة فى مرحلة معينة دون اتمامهم لمناهج هذه المرحلة مما يترتب عليه ضياع له ابعاده المتعددة فى العملية التعليمية وفى النظام التعليمى وما يرتبط به من نفقات» ·

ونترجم هذا الى اللغة العربية المعتادة بان نقول انه هو انقطاع التلاميذ عن الدراسة فى اى سنة من سنوات التعليم لاسباب شتى وتركهم المدرسة الذين هم فيها تركا نهائيا ·

ومشكلة التسرب تظهر خاصة فى المرحلة الابتدائية فى جميع البلاد العربية · ويزداد حجم هذه المشكلة فى بعض البيئات العربية وخاصة البيئات الريفية · كما ينتظر ان يزداد حجمها كثيرا نتيجة للنمو المتزايد فى عدد التلاميذ وما تحاول الدول العربية ان تقدمه من فرص للتعليم فى هذه المرحلة ·

وقد اهتمت الدول العربية بدراسة ظاهرة التسرب فى المرحلة الابتدائية بالذات ، وخاصة ان هذا التسرب يؤدى الى تاخر تحقيق الالزام فى التعليم بالبلاد العربية وضياع كثير من الجهد والمال ، وبقاء ظاهرة الامية المتفشية فى مجتمعاتنا العربية على حالها ، او زيادة نسبة الامية عاما بعد عام ·

ونظرا لاهمية هذه المشكلة بالنسبة لمستقبل التعليم فى الوطن العربى قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعدة دراسات علمية لهذه المشكلة ، وقامت ايضا بعقد حلقة دراسية خاصة عن التسرب عقدت فى عام ١٩٧٢ بالجزائر،

● ملايين الدنانير تذهب هباء بسبب تسرب الطلبة العرب من الدراسة

● من أسباب هروب التلاميذ من التعليم الابتدائي :

درجة تاهيل المدرس للتدريس ـ سوء المباني المدرسية ـ حشو المناهج

وتم في هذه الحلقة دراسة المشكلة واخطارها واقتراح الحلول العملية المناسبة لعلاجها . وظهرت نتائج كل هذه الدراسات في كتاب نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالجامعة العربية واسمه حلقة تسرب التلاميذ وخاصة في مرحلة التعليم الابتدائي ، وهو كتاب اشتمل على نحو ٢٨٠ صفحة من الحجم الكبير ونلخص بعض ما جاء في هذا الكتاب في الكلمة الاتية :

أسئلة للدول العربية

من اهم ما قامت به هذه الحلقة الخاصة بدراسة مشكلة التسرب مجموعة الاسئلة التي ارسلت للدول العربية كلها والتي تهدف الى حصر البيانات الاساسية عن حجم هذه المشكلة ومظاهرها ومراحلها .

وقد قامت ثماني دول عربية بالاجابة على الاسئلة التي ارسلت اليها وهذه الدول هي : الاردن ـ سوريا ـ البحرين ـ قطر ـ الكويت ـ العراق ـ مصر ـ والسودان .

ويبلغ عدد الاسئلة التي وجهت الى الدول العربية ٢٣ سؤالا تتناول سبع موضوعات رئيسية هي :

× مدى تطبيق الالزام في التعليم الابتدائي .
× حجم التسرب في التعليم الابتدائي .
× ما يتكلفه التسرب .
× العوامل التي تؤدي الى التسرب .
× علاقة التسرب بالامكانيات التعليمية .
× علاقة التسرب بنظم الامتحانات .
× مقترحات لعلاج مشكلة التسرب .

وجاءت اجابات الدول العربية تحمل بيانات على جانب كبير من الاهمية وتلقي الضوء على جوانب المشكلة التي تعاني منها الدول العربية كلها وايضا الدول النامية .

وسنحاول هنا ان نذكر بايجاز اهم ما تناولته اجابات الدول العربية في كل موضوع من هذه الموضوعات السبع .

الالزام في التعليم

الالزام في التعليم الابتدائي يعني ببساطة وجود تشريعات تلزم الآباء بارسال ابنائهم الى مدارس التعليم الابتدائي ، وتفرض عقوبات ضد المتخلفين . وقد اتضح من نتيجة الاستبيان الذي قامت به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ان خمس دول عربية تاخذ بمبدأ الالزام . وهذه الدول هي : مصر ـ سوريا ـ الاردن ـ العراق ـ الكويت .

ويبلغ سن الالزام في جميع هذه الدول ما بين ٦ و ١٤ سنة . واكدت ثلاث دول هي : مصر ـ والاردن ـ والكويت ، وجود تشريعات معتمدة من الدولة بشأن الالزام ، بينما اقتصرت هذه التشريعات في كل من العراق وسوريا على مناطق معينة دون غيرها .

وينص قانون الالزام في اربع دول هي مصر وسوريا والعراق والكويت على توقيع عقوبة على ولي امر التلميذ في حالة عدم تطبيق الالزام . وتتمثل العقوبة في غرامة يدفعها ولي الامر . وهذه الغرامة تتفاوت من دولة الى اخرى . فهي جنيه واحد في مصر ، وثلاثة دنانير في العراق ، وعشرة دنانير في الكويت .

نسبة التسرب في البنات اكبر منها في البنين

تدل الارقام التي قدمتها مصر ان مجموع نسب التسرب لمجموعة التلاميذ التي التحقت بالصف الاول عام ٦٤ ـ ١٩٦٥ ووصلت الى الصف السادس عام ٦٨ ـ ١٩٦٩ بلغت ٢٠ر١٪ وفي سوريا بلغ مجموع نسب التسرب بالقياس الى المجموعة التي التحقت بالصف الاول عام ٦٤ ـ ١٩٦٥ حتى وصلت الى الصف الخامس عام ٦٧/١٩٦٨ نحو ١٧ر٥٪ .

وفي العراق وصلت هذه النسبة عن نفس السنوات الى ٢٣ر٥٪ للذكور ، و ٢٦ر٨٪ للاناث .

اما في الكويت فيلاحظ انخفاض نسب التسرب بصفة عامة من سنة الى اخرى ، وقد بلغ اجمالي التسرب بالدفعة التي دخلت الصف الاول عام ٦٥ ـ ١٩٦٦ حتى وصلت الصف الخامس عام ٦٨ ـ ١٩٦٩ نحو ٩ر٩٪ .

وتدل الارقام ايضا على ان نسبة التسرب ترتفع تدريجيا في الفرق العليا عنها في الفرق الدنيا .

لوحظ ايضا ان نسب التسرب بين البنات اكثر بصفة عامة خلال سنوات البيان عن نسب الذكور وذلك فيما عدا الكويت بالذات حيث يلاحظ ارتفاع نسبة التسرب بين الذكور اكثر منها بين الاناث .

التسرب يكلف الدول العربية خسائر تقدر بملايين الجنيهات

تشير الارقام الى العلاقة بين التسرب والخسارة في الاموال المرصودة للتعليم ، والتي تؤدي بالتالي الى نتيجة حتمية هي ارتفاع كلفة التلميذ .

واول ماتشير اليه الارقام في هذا المجال ، التفاوت بين الدول العربية في متوسط تكلفة التلميذ بالمرحلة الابتدائية في السنة .

ويبين الجدول الآتي هذا المتوسط في البلدان العربية المذكورة :

الاردن	١٤	دينارا
البحرين	٥٢	دينارا بحرانيا
العراق	٣٦	دينارا
سوريا	١٥٠	ليرة سورية
الكويت	١٠٠	دينار
قطر	١٨٦٩	ريال
مصر	١١ر٧٤٤	جنيها مصريا

وبلغة الارقام يتبين ان الخسارة المالية الناتجة عن التسرب خلال الفترة الواقعة بين ٦٤ ـ ١٩٦٥ و ٦٩ ـ ١٩٧٠ هي :

ـ في مصر بلغت تكلفة الفاقد من المتسربين خلال هذه المدة ٣.٣٣٨.٧٢٠ جنيه مصري ، ولما كانت نسبة الفاقد من التلاميذ خلال الصف السادس فقط قد بلغت ٢٥.٧٪ فان تكلفتهم المالية خلال السنوات الست التي امضوها قبل انقطاعهم عن الدراسة كلية تقدر بحوالي ٨.٧٧٨.٧٥٧ جنيه مصري .

ـ في سوريا قدرت الخسارة خلال هذه الفترة بحوالي ٧.٩٩٧.٨٠٠ ليرة سورية .

ـ في الاردن قدرت الخسارة بحوالي ١٠٢.٧٤٦ دينارا في الفترة ما بين ٦٣ ـ ٦٨.١٩٦٤ ـ ١٩٦٩

ـ في العراق تقدر الخسارة بضعف ما ينفق على التعليم الابتدائي .

ـ في قطر تقدر الخسارة بحوالي ٧.٤١٨.٠٦١ ريال .

ـ في البحرين بلغ تقدير الخسارة بحوالي ٣.٧٦٤.٤٦٠ دينارا .

وهذه الخسارة المادية في الاموال يفوقها بطبيعة الحال الخسارة النوعية ، اي الخسارة التي تنتج عن انقطاع التلاميذ عن الدراسة وزيادة عدد الاميين في الدول العربية ، مما يسبب مشاكل عديدة لاتقدر بمال ، ويزيد في فرص التخلف الذي تعاني منه هذه الدول النامية .

عوامل كثيرة تؤدي الى التسرب

هناك عوامل عديدة تؤدي الى ظاهرة التسرب . ولكن اهمية هذه العوامل تختلف من بلد الى بلد ومن بيئة الى بيئة .

وقد تبين من البحث ان هناك ٦ عوامل رئيسية تتسبب في مشكلة التسرب في الوطن العربي هي :

ـ التهاون فى تطبيق القانون على اولياء الامور .

ـ تعذر الوصول الى المدارس .

ـ اسباب اجتماعية تتعلق بالعادات والتقاليد .

ـ قلة دخل الاباء مما يدفعهم الى تشغيل ابنائهم فى سن الالزام للاستعانة بدخلهم فى المساهمة فى اعاشة الاسرة .

ـ عدم تطور الوعى التعليمى بين بعض فئات المجتمع .

ـ قصور فى الخدمة التعليمية مما يزهد الاباء فى التعليم وينفر التلاميذ منه .

ومن البيانات التى وردت من الدول العربية تبين ان قلة دخل الاباء باعتباره عاملا من عوامل التسرب يبرز بصورة واضحة وياخذ مرتبة متقدمة فى الدول التى يتميز اقتصادها بالطابع الزراعى مثل مصر ، وسوريا ، والاردن ، والسودان . أما فى الدول التى تعتمد على النفط كمصدر اساسى فان هذا العامل لا يبدو بنفس التاثير على التسرب . وتبين ايضا ان العادات والتقاليد وخاصة المتعلقة بتعليم البنات ما زالت تلعب دورا اساسيا فى مشكلة التسرب . اما قصور الخدمات التعليمية فان اغلب الدول العربية تعتبر انه ياتى فى مرتبة متاخرة بالنسبة للعوامل التى تؤثر على زيادة التسرب .

التسرب والامكانيات التعليمية

والامكانيات التعليمية لها علاقة ايضا بظاهرة التسرب . وتتمثل هذه الامكانيات فى الوجبة الغذائية التى تقدم للتلاميذ ، وفى المبانى المدرسية .

وبالنسبة للوجبة الغذائية فان العلاقة بين تقديمها وبين التسرب لا تزال فى حاجة الى دراسة على نطاق واسع حيث انها لاتقدم بانتظام فى اغلب البلدان العربية .

وبالنسبة للمبانى المدرسية فان الدراسات تجرى الان لتحديد علاقة هذا العامل بالتسرب وذلك على ضوء اوضاع مختلفة مثل مساحة حجرات الدراسة ، ومبانى المدرسة وهل شيدت من الاساس على انها مدارس ام هى مبان مستاجرة ، وهل هى مزودة بملاعب واماكن لمزاولة النشاط الرياضى والهوايات ، واهم من ذلك كله نسبة المدرسين الى التلاميذ ومتوسط كثافة الفصل الدراسى ، ونصيب كل تلميذ من مساحة الفصل .

وحتى تنتهى الابحاث الخاصة بهذه الموضوعات فان دور الامكانيات التعليمية بالنسبة للتسرب لايزال غير واضح تماما ..

التسرب ونظم الامتحانات

تاخذ معظم الدول العربية بنظام الامتحان فى نهاية المرحلة الابتدائية ، وتبين الاحصائيات ان هناك نسبة من التلاميذ المقيدين بالصف السادس الابتدائى لا تدخل الامتحان النهائى . وتختلف هذه النسبة اختلافا كبيرا من بلد الى اخر فهى ترتفع الى ٢٩٪ فى العراق، و ٢٥٫٧٪ فى مصر ، وتنخفض فى كل من الكويت وسورية لتصبح ٣٪ وفى البحرين تصل الى ٢٫٥٪ بينما لاتوجد على الاطلاق فى قطر .

ونسبة النجاح فى الامتحان النهائى الخاص بالمرحلة الابتدائية تختلف ايضا من بلد الى اخر فهى فى مصر تصل الى ٥٠٪ وفى سورية والعراق وقطر ترتفع لتصل عام ٦٩ـ١٩٧٠ الى حوالى ٩٠٪ ، و ٨٠٪ و ٩٣٪ على التوالى . وفى الكويت فان هذه النسبة تصل الى ٧٣٫٤٪ . ولكن يجب النظر الى هذه الارقام فى ضوء عدد المقيدين فى الصف السادس وعدد المتخلفين منهم عن الامتحان . فان نسبة ٨٠٪ للنجاح فى العراق لا بد من النظر اليها فى ضوء المتقدمين للامتحان وهم ٧١٪ فقط من مجموع المقيدين بالصف السادس .

والعلاقة بين نظم الامتحان وظاهرة التسرب فى حاجة ايضا الى مزيد من الدراسة ، ولكنها اساسا تقوم على ان نظم الامتحانات قد تكون سببا فى الرسوب ، وبالتالى التسرب .

اقتراحات الدول العربية لعلاج مشكلة التسرب

عندما قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باستطلاع اراء الدول العربية فى مشكلة التسرب ، طلبت ايضا من هذه الدول ابداء مقترحاتها لعلاج هذه المشكلة وتقدمت كل دولة بمقترحاتها ، وبدراسة هذه المقترحات اتضح ان كل الدول العربية تشترك فى المقترحات التالية :

× نشر الوعى التعليمى وخاصة فى الريف وجعل المدرسة مركز اشعاع . وقيام اجهزة الاعلام بدورها فى توعية الشعب باهمية التعليم .

× توفير المباني المدرسية الصالحة وتزويدها بالامكانيات التعليمية والخدمات المختلفة التي تحقق مناخا تربويا سليما .

× اعادة النظر في المستوى الذي يجب ان يكون عليه معلم المرحلة الابتدائية ثقافيا وعلميا ومهنيا . والى ان يتم ذلك لا بد من العناية بتدريب المدرسين والنظار الحاليين . ويجب ايضا رفع كفاية الادارة المدرسية .

× توصيل الخدمات التعليمية الى القرى الصغيرة والمناطق النائية .

واشتركت دولتان او اكثر في عدة اقتراحات اخرى تتلخص في :

× تشديد العقوبة على اولياء الامور بشأن الالزام .

× الاهتمام بالتغذية بالمدارس الابتدائية .

× جعل الجو المدرسي محببا للاطفال ورفع الكفاية التربوية والخدمات المدرسية وطرق التدريس . وربط التعليم بالحياة العملية ، واعادة النظرفي المناهج والكتب علىهذا الاساس.

وبنظرة فاحصة الى هذه الاقتراحات يستطيع القارىء ان يضيف الى مشكلة تسرب التلاميذ من المرحلة الابتدائية ، مشكلة اخرى هامة وهي ان مستوى مدرس هذه المرحلة هو اقل مما يجب وهذا يعني ببساطة مفجعة ان حتى هؤلاء التلاميذ الذين يتمون الدراسةالابتدائية يكونون فيمستوى علمي ضعيف او انصاف اميين على احسن تقدير .

ولعل هذه المشكلة في رأى الكثير من التربويين لا تقل ضررا عن مشكلة التسرب .

★ ★ ★

ان الحقائق والارقام التي قامت الدول العربية بتسجيلها عن واقع التعليم الابتدائي فيها ، ارقام وحقائق يجب دراستهابدقة .. فالتعليم الابتدائي هو في الواقع من اهم المراحل التعليمية بالنسبة لاجيالنا القادمة .. وهو بمثابة الاساس الذي نشيد عليه ، واذا كان الاساس ضعيفا فسينهار البناء كله . ■■

محمد طنطاوي



المجتمع التكنولوجي الحديث

تاليف : الدكتور حازم الببلاوي

الناشر : منشأة المعارف الاسكندرية

● مجموعة من الابحاث كتبت في مناسبات وتواريخ مختلفة ويجمعها كلها انها ترتبط عامة بموضوع واحد وهو مظاهر المجتمع الحديث وتاثير الثورة التكنولوجية عليه .

والكتاب ينقسم ثلاثة ابحاث فالدراسة الاولى تتحدث عن مجتمع الاستهلاك على ضوء احداث مايو ١٩٦٨ في فرنسا ، وقد كتب في شكل مذكرات خاصة عن الاحداث المتصلة بحركات الطلبة في فرنسا .

اما البحث الثاني وعنوانه التنظيم السياسي في المجتمع التكنولوجي الحديث، فقد غلب الجانب الاقتصادي فيه على الجانب السياسي لان المؤلف اقتصادي اما البحث الثالث فهو بعنوان الاتوميشن والاقتصاد وهو يعرض لآثار الثورة العلمية التي صاحبت الاتوميشن على علم الاقتصاد ذاته ، وقد كتب المؤلف هذين البحثين لمجلة عالم الفكر الكويتية التي تصدرها وزارة الاعلام في الكويت ، اما خاتمة الكتاب ففيها بحث عن العالم الثالث في مواجهة الثورة التكنولوجية .

الاسلام فى عصر العلم

المؤلف : الدكتور محمد احمد الغمراوى .

اعداد : الدكتور احمد عبد السلام الكردانى .

الناشر : دار الانسان للتاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة .

● كان مؤلف هذا الكتاب استاذا فى الكيمياء، وقد اشتغل طويلا بالبحث العلمى والتعليم الجامعى فى مصر ، وكان متدينا بحكم نشاته ، فنزع الى النظر فى امور دينه من الوجهة العلمية التى استفادها من ثقافته العصرية ، وكتب فى بعض موضوعات الاسلام عدة مقالات ، نشر معظمها فى المجلات الاسبوعية المصرية كمجلة « الازهر » ولواء الاسلام،وتوفى رحمه الله دون ان يجمعها فى كتاب.

ثم جاء صديقه العالم الدكتور الكردانى ،فجمع هذه المقالات ، تقديرا لها ولمؤلفها ، ورغبة فى تعميم النفع لها بين المسلمين ولاسيما الشبان ، فكان منها هذا الكتاب،وقد قسمها على وفق مابينها من روابط ، فكانت اربعة اقسام :

اما مقالات القسم الاول فعنوانها « الاسلام دين الفطرة » وهى توضح مابين الاسلام والفطرة من توافق ، وصلة الاسلام بالمدنية ، وسنن الاجتماع، وتبين ان الطريقة العلمية هى طريقة القران من حيث اعتمادها على المشاهدة واستخدام الحواس واعمال الفكر .

واما مقالات القسم الثانى فعنوانها « محمد رسول الهدى » وهى توضح عظمة شخصية النبى ، والاحاديث النبوية من حيث هى بيان لما اجمله القران الكريم ، وتبين معجزاته ، ثم تفند مزاعم بعض المستشرقين فيما خاضوا فيه من سيرته .

واما مقالات القسم الثالث فعنوانها « القران المعجزة الخالدة » وهى تبين حفظ الله للقران ، وجعله اياه مصدقا لما سبقه من كتب الانبياء ومهيمنا عليها ، وتحديه للفصحاء ان ياتوا بمثل اقصر سورة منه ، ثم توضح الجانب البلاغى للقران من خلال بعض نصوصه .

واما مقالات القسم الرابع فعنوانها « الاعجاز العلمى للقران » وهى توضح ان القران يخاطب كل البشر ، فلا بد له ـ غير الاعجاز البلاغى ـ من معجزات علمية،تخاطب كل البشر على اختلاف لغاتهم واجناسهم،وتثبت المقالات نبوءات القران العلمية، مما لم يعرفه البشر الا بعد نزول القران بعدة قرون ، تتحدث عن اطوار خلق السموات والارض وحركات النجوم ، وما ورد من اسرار ذلك فى القران .

وقد كتب الدكتور الكردانى للكتاب مقدمة مختصرة،ترجم فيها للمؤلف ، وبين فضل كتابه،كما صدر الكتاب بكلمتين تقديريتين : اولاهما للدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الازهر ، وثانيتهما للدكتور عبد العزيز كامل ، نائب رئيس الوزراء للشؤن الدينية ووزير الاوقاف فى مصر ، وهذا كتاب جدير بان يقرأه الشباب بخاصة ، لما فيه من روح اسلامية خالصة .

المكتبات المتخصصة ادارتها وتنظيمها وخدماتها

تاليف : د . احمد بدر وحشمت محمد على قاسم

الناشر : وكالة المطبوعات ـ الكويت .

● المكتبات المتخصصة هى المكتبات التى تقتنى مجموعات متخصصة ، وتتبع اساليب واجراءات فنية متخصصة ، ويعمل بها متخصصون موضوعيون ، وتقدم خدماتها بصفة اساسية لجمهور متخصص .

وهذا الكتاب يجمع بين طياته الاسس النظرية التى تحكم تنظيم المكتبات المتخصصة وادارتها وخدماتها ، وتحرص ان تقدم اقصى درجات الشمول فى عرض الانتاج الفكرى فى الموضوع ، بل ان الكتاب يضع امام القارىء جميع الخدمات المتعلقة بمختلف اوجه نشاط المكتبة المتخصصة .

تاريخ فلسطين القديم

تاليف : ظفر الاسلام خان

الناشر : دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان .

● هذا الكتاب بحث تاريخى يبين ان ليس لليهود ـ ساميين كانوا او غير ساميين ـ اىّ حق فى فلسطين ، وان الصهيونيين الذين قدموا الى فلسطين واغتصبوا ارض العرب ليسوا ساميين ، ولا توجد اية رابطة نَسَبيّة تربطهم باسرائيل (يعقوب) الذى يطلقون اسمه على دولتهم،ويخرج المؤلف بنتيجة مؤداها انه لم يكن اليهود فى تاريخ فلسطين الحافل الا لاجئين او عابرى سبيل او مغتصبين لجزء من الارض التى صنعت هذا التاريخ .

بين يدى الرسول الاعظم

تاليف : محمد بحر العلوم

الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان .

● فصول هذا الكتاب قصص استقاها المؤلف من واقع السيرة النبوية الشريفة لبعض الرجال الذين كانوا بين يدى الرسول الاعظم ، امثال سلمان الفارسي ، ومصعب بن عمير ، وبلال بن رباح الحبشي ، وحمزة بن عبد المطلب ، وجعفر ابن ابى طالب والخباب بن الارت ، وغيرهم .

هؤلاء الرجال الذين خلدوا التاريخ الاسلامى ، وصوروا جوانب السيرة باحلى صورة ، وهذه القصص فصول من السيرة النبوية الشريفة عرضها المؤلف مستبعدا التعقيد والاطالة ، وهذه القصص تصور حياة هؤلاء الابطال الذين عاشوا قضيتهم الاساسية بكل وعى ، وادركوا بعمق معنى مفهوم الدعوة التى امنوا بها ، فاخلصوا لها ، وتفانوا فى سبيلها . فكانوا اللبنة الاولى لصرح الايمان والعقيدة ، والطليعة الفذة للمجد الاسلامى .

علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى

تاليف : الدكتور ناجى معروف

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ العراق .

● يدرس هذا الكتاب المدارس الاسلامية التى بناها العرب فى المناطق الشرقية من المملكة الاسلامية ، ويحاول المؤلف أن يبين هنا ان العرب قد انشأوا مدارس عدة قبل ان ينشيء نظام الملك مدارسه وان هذه المدارس الاولى انشئت فى منطقة خراسان وما وراء النهر وخاصة مدارس نيسابور وسمرقند ، وقد كانت لغة التدريس بهذه المدارس هى اللغة العربية ، وكانت العلوم الاسلامية مادتها ، وهذا الكتاب يبحث فى تاريخ المدارس النظامية العشر التى انشاها نظام الملك ثم يبحث فى أكثر من مائتى مدرسة من مدارس المشرق الاسلامى كما نوه بذكر مائتين وعشرين عالما من مؤسسيها ومدرسيها ونظارها . وهذه محاولة لاجلاء صفحة مشرقة من الخدمات العلمية التى قدمها الوزير نظام الملك والعلماء العرب والعلماء المسلمون لعلوم العربية والثقافة الاسلامية .

دراسات فى مذاهب فلاسفة المشرق

تاليف : الدكتور محمد عاطف العراقي .

الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

كتاب يدرس مذاهب فلاسفة المشرق ، وقد دعا المؤلف الى اتباع منهج جديد لدراسة نتاج هؤلاء الفلاسفة فهو يرى ضرورة التفرقة بين دائرة فلسفية محدودة دقيقة وبين دائرة واسعة غير محدودة المعالم بل مبهمة ، الدائرة الاولى يدخل فى نطاقها تفكير رجال تنطبق عليهم لفظة (الفيلسوف) لان المنهج الذى ساروا عليه كان منهجا فلسفيا ، والدائرة الثانية فضفاضة غير دقيقة المعالم يدخل فيها تفكير اناس اثاروا العديد من القضايا والمناقشات التي تتعلق فى قليل جدا من جوانبها بدائرة الفلسفة ولكنها لا تصعد الى مستوى (المذهب الفلسفي) باية حال من الاحوال ، لذلك ينادى المؤلف فى الحاح بضرورة اعادة كتابة تاريخ الفلسفة العربية بحيث تفرق تفرقة حاسمة بين تاريخ الفلسفة ، وتاريخ علم الكلام ، وتاريخ التصوف ، طبقا لما يراه من ضرورة التفرقة بين دائرة فلسفية دقيقة محدودة لا يدخل فيها الا الفلاسفة وحدهم ودائرة واسعة نستطيع ان نطلق عليها فكرا لا مذاهب فلسفية ، ومن هنا نستطيع ان نقول ان الكثير من علماء الكلام والكثير من المتصوفة لديهم هذا النوع من الفكر الذى ينتسب الى الفلسفة من بعيد ولكن هذا الفكر لا يصعد الى مستوى المذهب الفلسفي .

والكتاب ينقسم الى ثلاثة ابواب كبيرة وكل باب مقسم الى عدة فصول ففي الباب الاول درس للجوانب الالهية فى فلسفة الكندى وينقسم الى اربعة فصول عناوينها كالاتي : التوفيق بين الفلسفة والدين عند الكندى ثم مشكلة حدوث العالم وقدمه عند الكندى ثم وجود الله عند الكندى واخيرا الوحدانية .

اما الباب الثاني من الكتاب فدرس الكائنات اللاحية والكائنات الحية فى طبيعيات ابن سينا ، وينقسم الى اربعة فصول عناوينها كالاتي : المعادن والاثار العلوية ثم النبات ثم الحيوان ثم النفس اما الباب الثالث والاخير فهو بين الفلاسفة والغزالي ويتكون من فصلين عناوينها كالاتي العلم الالهى بين الفلاسفة والغزالي ثم المعاد الروحاني والجسماني بين الفلاسفة والغزالي .



بقلم : محمود محمود

■ ظهرت حديثا جدا مسرحيات جديدة ثار مؤلفوها على تقاليد المسرح القديمة المعروفة وعرفت « بمسرح العبث » ومن اشهر واضعى هذه المسرحيات الجديدة صمويل بيكت مؤلف « انتظار جودو » ويوجين ايونسكو مؤلف « الكراسى » وقد مثلت هاتان المسرحيتان على المسرح العربى ولقيتا شيئا من النجاح • وتاثر بهذا الاتجاه الجديد من الكتاب المسرحيين العرب توفيق الحكيم فى مسرحيته « يا طالع الشجرة » •

ويرى كثير من النقاد ان هذه المسرحيات العابثة ليست سوى محاولة فاشلة • غير ان هؤلاء النقاد انما يحكمون فى الواقع على هذا المسرح بمعايير المسرح التقليدى القديم •

المسرحية التقليدية

والمسرحية التقليدية قوامها قصة تروى فى بناء محكم متين ، وعقدة او مشكلة تتناول عدة اشخاص لكل منهم سلوكه الظاهر ودوافعه الخفية ، ولا بد ان تنتهى المسرحية بحل لهذه العقدة او المشكلة ، سعيدا كان هذا الحل او غير سعيد • فالمسرحية القديمة اذن مرآة لما يقع فى الطبيعة ، وهى تصور الآداب السائدة فى العصر الذى تتناوله ، كما تعكس خصائص هذا العصر فى غضون القصة • وهى تقوم على اساس الحوار بين اشخاص الرواية ، وهو حوار اساسه التفكير المنطقى الذى يقبله جميع الناس •

المسرحية العابثة

فى حين ان مسرح العبث لا يقوم على قصة مسلسلة الحوادث ، ولا يعرض لمشكلة معينة،ومن لم كانت شخصياته غريبة عن خبرة الجمهور • ولما كانت المسرحية بغير عقدة فمن الطبيعى الا يكون هناك حل لها ، اى ان المسرحية العابثة ليست لها بداية ولا نهاية ، وتكاد اشخاص المسرحية ان تكون عرائس آلية يحركها المؤلف كيفما شاء • ولا تتعرض المسرحية من هذا النوع

الجديد لموضوع معين بمنطق العقل الواعي ، انما هي اشبه ما تكون بانعكاسات الاحلام الحقيقية او الكوابيس (الاحلام المزعجة) وهي عبارة عن خواطر متداعية لا يربط بينها رابط ، هي في حقيقتها قصيدة شعرية تعبر عن احساس معين في صور خيالية ، ولا تحلل موضوعا بذاته .

ولما كان قوام المسرحية العابثة يختلف في اساسه عن قواعد المسرحيه التقليدية فلا بد بالتالي ان تختلف وسائل الاخراج ، ولا يصح ان تقاس هذه المسرحيات الحديثة بالمعيار القديم .

المسرحية العابثة أحدث التعابير الفنية عن قلق النفوس في العصر الحديث

واذا كان لكل كاتب من كتاب مسرح العبث طريقته الخاصة واسلوبه الخاص،فان بينهم جميعا صفة مشتركة ، وهي انهم يحاولون تصوير القلق الذي يساور النفس البشرية في العصر الحديث ، وبخاصة بين اهل الغرب .

واذا كان من العسير ان تميز السمة التي يتصف بها اى عصر من عصور التاريخ ، فان سمة هذا العصر بالذات اشد عسرا في تمييزها لان صور الحياة اصبحت اشد تعقيدا من اى عهد سبق. ومن سذاجة التفكير ان نقول ان عصرنا هذا هو عصر العلم وحده،او عصر العقل،او الاشتراكية، او الماركسية ، او غير ذلك من الاتجاهات الحديثة، لان الخرافات القديمة والثقافات البدائية،وعقائد العصور الوسطى ، ما تزال حية في الاذهان تتاثر بها في السلوك والمعاملة . ولكل عنصر من هذه العناصر تعبيره الفني ، وربما كان مسرح العبث هو احدث التعابير الفنية التي تمثل اشد ما يتميز به عصرنا هذا الحديث ـ القلق وبلبلة الخواطر .

ضاعت ثقة الناس بافتقادهم عقيدة يطمئنون اليها

لم تعد هناك ثقة في اى شيء ، وتبين للناس ان كثيرا من المبادىء والمثل القديمة ليست سوى اوهام صبيانية ليس بوسعها ان تزيل عن المرء احساسه بالقلق وعدم الاطمئنان . وكان الانسان فيما مضى يسكن الى عقيدته الدينية ويحيا بها سعيدا ، فلما ضعف الايمان بالدين اخذ الانسان يبحث عن مثل اخرى لتحل محله ، فامن بالقومية، وامن بالتقدم ، وامن بالاشتراكية ، وغير ذلك مما لا يمكن ان يغني المرء عن ايمان بعقيدة سماوية مقدسة . وكانت الحرب العالمية الثانية التي انتهت في الاربعينات من هذا القرن ضربة قاصمة حطمت كل امل لدى الانسان في ان يظفر في حياته بالطمانينة المنشودة . حتى انا لنجد كاتبا مثل (البير كامي) يتساءل قائلا : اذا كانت الحياة قد فقدت كل معنى فلماذا لا يلوذ الفرد بالانتحار ! وفي كتابه « اسطورة سيسيفس » (١) يحاول ان يحلل موقف الانسان في عالم تحطمت فيه جميع العقائد ، يقول : « ان عالما له هدف ومغزى ـ مهما يكن هذا الهدف او ذلك المغزى ـ عالم معقول يمكن ان يالفه الانسان ، اما في دنيا حرمت من العقيدة ومن شعاع الايمان فان المرء يمسي غريبا ، وكانه في منفى لا انس فيه ، ولا امل في شفائه لانه محروم من ذكريات وطنه المفقود ، وليس له امل في ارض موعودة . وهذا الفصل بين المرء وبيئته ، بين الممثل ومسرحه،يثير في نفسه الاحساس بالعبث» .

العبث نشاز في النغم

والعبث في المجال الموسيقي معناه نشاز في النغم ، وفي مجال الفكر يعني اللامعقول ، او اللامنطقي ، وقد نعني به في الحديث العادي « ما يثير الضحك » . ولكن ليست هذه هي المعاني التي قصد اليها كامي او التي نضعها في اذهاننا ونحن نتكلم عن « مسرح العبث » انما العبث في هذا الصدد هو كما يعرفه ايونسكو « ما يخلو من الفرض..لان الانسان يضل الطريق اذا نزعناه من جذوره الدينية .. ان جميع اعماله تمسي عندئذ بلا معنى ، عبثا لا يعود بالفائدة » .

(١) تحكي الاساطير اليونانية أن سيسيفس كان ملكا من ملوك اليونان عصى الاله زيوس فكان عقابه ان يدحرج حجرا من اسفل الجبل الى اعلاه.فكان الحجر كلما بلغ القمة تدحرج ثانية الى اسفل ، فظل الملك طوال حياته في هذا العمل المضني الذي لاينتهي ولا يعود بفائدة .

سابقون عبروا عن عبث الحياة اللامعقول بالمعقول ولكن المسرح العابث اليوم يعبر عن اللامعقول باللامعقول

هذا الاحساس بالضيق الذى ينشا عن ضعف الايمان بالعقيدة الدينية ، هو موضوع كتاب مسرح العبث المحدثين • ولكنا لا نقصد بمسرح العبث مادة الموضوع فحسب فقد سبق كتاب العبث المحدثين كتاب اخرون عبروا عن شعور الانسان بان الحياة التى نحياها باتت بغير معنى بعدما تدهورت قيمة المثل العليا القديمة ، ومن هؤلاء الكتاب السابقين سارتر وكامى • غير ان سارتر وكامى ومن لف لفهما عبروا عن عبث الحياة او لا معقوليتها بمنطق معقول • اما الكتاب المحدثون الذين جاءوا بعد هؤلاء السابقين فقد خطوا خطوة جريئة اخرى الى الامام بمحاولتهم التوفيق بين المحتوى والاسلوب ، او المضمون والشكل ، فاذا كان المضمون هو اللامعقول فليكن الشكل كذلك لا معقولا ، ومن ثم كان كلامهم غير مفهوم عن قصد لا من عجز فى القدرة على التعبير ، كما اهتز رسم الشخصيات فى مسرحياتهم لا لانهم لا يستطيعون خلق الشخصية المتكاملة ولكن لان شخصية الانسان طبقا لنظرياتهم هى بطبيعتها متناقضة لا ثبات فيها ، ومن ثم فانه يستحيل ان تجد لها حلا لمشكلتها•ولذلك فكتاب مسرح العبث يعتقدون ان فى عرض العبث بمنطق المعقول تناقضا فى تاليف المسرحية•وتستطيع ان تقول ان الفرق بين المؤلفين السابقين والمؤلفين اللاحقين هو الفرق بين المفكر والشاعر ، او بين صاحب النظرية وصاحب الخبرة الحية •

المسرحى العابث لاينقل المشاعر الى المسرح بالالفاظ ، وانما بالحركة

ونحن وان كنا نصف كاتب المسرحية العابثة بانه شاعر ، الا انه ينبغى لنا ان نذكر هنا انه لا يعتمد فى نقل الخبرة الشعرية على الالفاظ ، لان اللغة فى ظنه عاجزة عن نقل المشاعر ، وانما يعتمد على الحركة التى تحدث على المسرح ، فـ (ايونسكو) مثلا فى مسرحية «الكراسى» لا يضع شعره على الستة اشخاص الرواية ، وانما ينقل الى المشاهد الاحساس الشعرى بمخاطبته بالالفاظ عددا من الكراسى الفارغة ياخذ فى التزايد كلما تقدمت المسرحية ، فهو لا يخاطب عقولا تفهم،وانما يخاطب مقاعد صماء تتكاثر لحظة بعد اخرى •

وليس مسرح العبث وحده من بين الفنون هو الذى يبنى تكوينه على اللامعقول،بل لقد سايره فى هذا الاتجاه فن التصوير التجريدى والرواية التى تعتمد على وصف المناظر وتاثيرها ولا تقيم لرسم الشخصيات المتكاملة وزنا كبيرا •

هل العبث موضوع للفن جديد ؟

يجب للاجابة عن هذا السؤال ان تحدد اولا مدلول « المسرح » • انه لا يعنى الادب الدرامى التقليدى فحسب كما قد يتبادر الى الاذهان ، انما هو يشمل كذلك كل ما يراه المشاهد من مناظر او اعمال تعرض عليه فتشده اليها بما تتميز به من قدرة ومهارة ، فمن المسرح عروض السرك وحيل الحواة ومهارة الاكروبات او البهلوان ، ومصارعة الثيران ، وحركات المهرجين وفكاهاتهم ، وتمثيل الجنون،والتمثيل الصامت بحركات الجسد ، ومسرح العرائس ، والهراء اللفظى او الكلام الفارغ ، وتمثيل الاحلام والاوهام لما تحتويه من ميول واتجاهات عند كثير من الناس،ومن المسرح مواكب الالعاب الرياضية ، ومواكب سير الملوك ، بل وما يؤديه رجال الدين احيانا فى المعابد من حركات واشارات ، وعروض الباليه وما نسميه بالمتنوعات فى الرقص والغناء ، وغير ذلك مما يقبل عليه الناس بشغف واهتمام •

وهذه الفنون كلها قديمة ، والاساس فيها جميعا انها لا تعتمد على اللغة فى نقل الاثر الى المشاهدين • ومن هذه العناصر ومن الايمان بان اللغة عاجزة عن نقل اثار امثال هذه المشاهد ـ من هذا استمد مسرح العبث اصوله وفلسفته ، ومن ثم كان الاعتراض عليه اعتراضا على كل هذه الفنون ، التى تعبر عن معان وتنوعن قدرات فوق ما تستطيعه اللغة او الفكر المنطقى •

وليس من شك فى ان هذه الفنون جميعا قديمة فى التاريخ المسرحى ، وقد وجدت اما فى شكلها الخاص بها يستقل كل فن فيها عن الاخر ، او

متداخلة كاجزاء من عرض عام ، او من مسرحية تقليدية كلاسيكية تستغلها لجذب الشاهدين •

والتمثيل الصامت خاصة (Mime) قريب الصلة بمسرح العبث ، فهو يعتمد على اداء المهرجين الذين يتصفون بالغباء وبالعجز عن ادراك ابسط العلاقات المنطقية بين مختلف الافكار• كذلك الذى يريد ان يبيع منزله فيحمل منه الى السوقحجرا ويعرضه عينة يفحصها طلاب الشراء• وكذلك الذى رأى فى الحلم انه داس على مسمار اصاب قدمه بجرح فتيقظ من نومه واخذ يضمد مكان الجرح • فساله صديقه : ماذا تفعل؟واجاب: لقد رأيت فى الحلم اننى دست على مسمار ادى الى جرح فى قدمى ، فانا اضمد هذا الجرح • ويرد الصديق : ما اشد غفلتك ، لماذا تنام عارى القدمين ؟

وكذلك الذى اراد ان يعلم حماره كيف يعيش بغير طعام ، فلما مات الحمار من الجوع قال : ما افدح خسارتى ! لقد مات حمارى بعد ماعلمته كيف يعيش بغير طعام !

هذه شخصيات ظهرت على المسرح قديما ، وهى لاشك عابثة تعرض صفة من صفات الناس ، وهى انعدام المنطق •

وعبث شيكسبير فى مسرحياته

وكثيرا ما يعرض شيكسبير نفسه فى سياق مسرحياته الجادة نديما او مهرجا يهذى بكلام ليس له معنى ، ولعله يحكى مايدور فى العقل الباطن، او يمثل مافى نفوس الكثيرين من طباع حيوانية، وكثيرا مايسخر شيكسبير من بعض صفات الانسان التى يعدها نبيلة كريمة ، كالحب والبطولة •

وفى الفلم السينمائى كان عبث

وكما عبر شيكسبير عن العبث فى مسرحياته عبرت كذلك الفنون الاخرى فى مختلف ارجاء العالم حتى ظهرت السينما وبدات بالفيلم الصامت ، وقد استغل كبار المثلين امثال شارلى شابلن هذا الفن الجديد فى تمثيل اللامبالاة عند بنى الانسان عامة التى كانت اثرا لعجز الانسان امام الآلات الحديثة التى استبدت بالناس بدلا من ان يستبدوا بها •

واستمر العبث بعد ظهور الفيلم الناطق وبرع فيه ممثلون من امثال لوريل وهاردى بحركاتهم الهزلية •

كما شاعت عروض مسرح العرائس اشارة الى ان الانسان العوبة فى يد الاقدار •

العبث متعة عند فرويد

وهكذا حتى كان مسرح العبث بمعناه الحديث الذى يعتمد على العبارات التى تخلو من المعنى او الهراء اللفظى الذى يسر لسماعه المشاهد برغم ـ بل بسبب ـ انعدام المنطق فيه • وفى هذا الصدد يقول (فرويد) : « ان الاستمتاع بالكلام الفارغ يرجع الى الشعور بالحرية الذى يتمتع به المرء حينما تتاح له الفرصة لكى يتخلى من احكام المنطق الصارم » ويستطرد فرويد قائلا « وهذه متعة تحرمنا منها الحياة الجادة التى نعيشها • »

الكلام الفارغ له سحره

ان الكلام الفارغ له سحره ، فهذه اغانى الاطفال ينشدها الكبار مترنمين بها برغم خلوها من العقل والحكمة • وقد استغل كبار الادباء سحر الكلام الفارغ فالفوا قصصا وحكايات لاتمثل الواقع ، كعالم العمالقة الذى تخيله (رابليه) ، او عالم الاقزام والعمالقة الذى صوره (سويفت) فى « رحلات جلفر » • وكثير من الكتاب غيرهما اخترعوا مخلوقات ليس لها وجود ونباتات لم يسمع بها احد ، او اشكالا غير واقعية كالسفينة التى يكون قاعها كالغربال ومع ذلك فهى تبحر فى الماء • ومن هذا القبيل كل الاعمال التى لاتخضع للقوانين الطبيعية المعروفة • وكل ذلك فى لفظ متحرر من معناه المألوف •

العلاقة بين ادب العبث والفن التجريدى

وكثير من الكتاب قبل ظهور مسرح العبث من امثال جيمس جويس (فى رواية يوليسيس) وكافكا (فى رواية المحاكمة) كانوا ينضحون من اللاشعور بكل مافيه من تناقض مع منطق الشعور • وفى هذا تجد العلاقة وطيدة بين ادب العبث والفن

التجريدى او السريالى والشعر الحديث • لان العالم الذى نعيش فيه اشبه مايكون بقاعة مليئة بالمرايا التى وضعت فى اتجاهات مختلفة بحيث تختلط الحقائق مع التصورات والاوهام فيضل الرائى بين الواقع والخيال •

مسرح العبث الحديث اذن ليس الا حلقة جديدة من سلسلة التعابير الفنية التى لاتعتمد على الواقع والمنطق ، ولعل الجديد فيه هو استخدامه للغة استخداما يتفق تكوينها اللامعقول مع المضمون اللامعقول الذى يراد لها ان تعبر عنه •

الفلسفة التى يستند اليها مسرح العبث :

كان الايمان بالدين يعمر قلوب الناس حتى اواخر القرن التاسع عشر ، ثم جاءت موجة من التشكك فى الدين ، ونشبت فى القرن العشرين حربان عالميتان قوضتا كثيرا من امال الناس فى حياة يسودها الامن والسلام • فكان طبيعيا بعد مافقد الانسان الاوروبى طمانينته النفسية التى كان يبعثها فيه الدين والعقائد السماوية – ان يبحث عن طريق جديدة تجعل لحياته هدفا ومعنى وتربط كل شىء بالآخر وتخرجه من احساسه « بعبث » الوجود •

ان الاديان الكبرى تعلمنا ان الكون لغز مهما حاولنا تفسيره فستبقى منه الى الابد جوانب يشق على المرء تفسيرها بعقله • بل ان العلم الحديث ذاته ليتفق مع الدين فى هذه الناحية • ومن هذه الحقيقة جاء اعتماد مسرح العبث على عنصر اللامعقول ، ايمانا من دعاته بان العقل وحده لايكفى لتفسير كل المظاهر الطبيعية والاجتماعية • يقول كامى فى هذا الصدد :

« ان الاعتقاد فى وجود الله اشد جاذبية للمرء من انكاره لوجود الله وحريته فى فعل الشر بغير عقاب • »

ان عجز الانسان عن فهم لغز الكون ومعرفته انه لايستطيع بالحواس وحدها ادراك كل شىء هو الذى يمد المتصوف بالمتعة والتحرر • ومثل هذه المتعة وهذا التحرر هو مايشعر به المرء حينما يدرك ان اللغة والمنطق يعجزان عن التعبير عن حكمة الوجود •

واذن فالعلاقة واضحة بين التصوف ومسرح العبث • كلاهما يقوم على اساس ان العقل وحده لايستطيع ان يدرك حقائق الوجود ، وكلاهما يجد ملاذا فى الصورة الشعرية • ■■

محمود محمود

الله اعلم بما فى انفسهم

● قيل ان بعض الخوارج دخلواالكوفة ، فانتهوا الى أبى حنيفة – رضى الله عنه – فانتضوا سيوفهم ، وقالوا :« ياعدو الله،ماأحد منا الا وقتلك عنده أحب اليه من عبادة سبعين سنة ، وقدجئناك بمسألتين فان اجبت عنهما والا أرقنا دمك » فقال : « تكلموا » فقالوا :« جنازتان على باب المسجد : احداهماجنازة شارب خمر ، شربها فمات فيها غرقا ،والاخرى جنازة زانية ، حبلت وشربت دواء فقتلت جنينها وماتت » قال : « فمنأى الملل كانا ؟ » قالوا : « ممن يشهد أن لااله الا الله ، وان محمدا رسول الله »قال : « فما يشهدان به ، من الكفر هو أم من الايمان • » قالوا : « من الايمان • »قال : اقول كما قال نوح عليه السلام فى قوم كانوا أعظم جرما منهم : « وماعلمى بما كانوا يعملون ، ان حسابهم الا على ربى » ،أو ماقال ابراهيم : « فمن تبعنىفانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم » • او ماقال عيسى : « ان تعذبهمفانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم • » واقول ماقال نبينا صلى الله عليه وسلم : « لا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ، ولا اقول للذين تزدرىأعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله اعلم بما فى انفسهم،انى اذا لمن الظالمين • » ••

فالقى القوم أسلحتهم،وقالوا : « تبرأنامما كنا عليه » •



حرب اكتوبر وخسائر العدو فيها

● كم بلغت خسائر اسرائيل بالارواح فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. ؟

بلغت خسائر اسرائيل في حرب رمضان ٢٥٢٢ بين قتيل ومفقود . هذا ما اعلنته وزارة دفاع العدو فى الكتاب الرسمى الذى نشرته فى مطلع هذه السنة . وقد تضمن هذا الكتاب الكثير من الصور والمعلومات الخاصة باولئك القتلى والمفقودين . واليك فيما يلي تحليلا للرقم الذى ذكرنا حسبما ورد فى نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية الصادرة بتاريخ ١٦ مارس ١٩٧٤ :

٥٨١ ضابطا
٢٦٩ ملازما وملازما اول
١٩٥ نقيبا
٨٩ رائدا
٢٥ مقدما
٢ عقيدين
١ لواء واحد
١٩٤١ جنديا
٢٥٢٢ مجموع القتلى والمفقودين من جنود وضباط ولا تشمل هذه الخسائر أيا من جرحى الحرب وقد بلغ تعدادهم ٧٠٥٦ جريحا وفق آخر بيان رسمى صدر عن قسم التاهيل فى وزارة دفاع العدو . (المرجع السابق) . ويذكر هذا البيان ان حوالي نصف اولئك الجرحى اصبحوا عاجزين بسبب جروحهم وان عجزهم يقدر بنسبة ١٠٪ او يزيد . لذلك فان التعويضات والمكافئات التى تنفقها السلطات الاسرائيلية على العجزة بقصد اعادة تاهيلهم ستضاعف فتصبح ٢٥٠ مليون ليرة اسرائيلية فى هذه السنة ١٩٧٤ وكانت لا تجاوز ١١٣ مليون ليرة فى السنة الماضية .

وغنى عن البيان ان هذه الارقام مطعون فى صحتها . وليس ادل على ذلك من التقرير الذى اصدرته السلطات المعنية فى اواخر شهر نوفمبر ١٩٧٣ والذى حددتفيه خسائرها فى حرب رمضان بما لا يزيد على ١٨٥٤ بين قتيل ومفقود . وما اسرع ما اتضح للاسرائيليين فى اعقاب ذلك التقرير ان حكومتهم تخفى عنهم الحقائق ، بقصد الحفاظ على الروح المعنوية ، فراحوا يتجمهرون ويتظاهرون ويضغطون على الحكومة الاسرائيلية بشتى الوسائل حتى صدر الكتاب الذى ذكرنا ، وحدد القتلى والمفقودين بزيادة ٧٠٠ شخص عما ذكره التقرير الاول ، على نحو ما أسلفنا

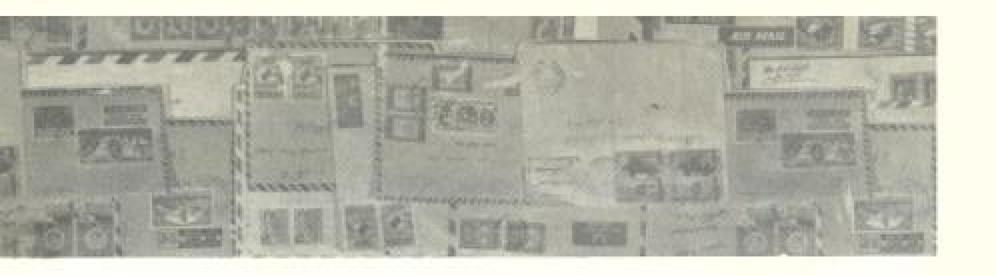
ومهما يكن من امر فان خسارة ٢٥٢٢ من القتلى والمفقودين،خسارة كبيرة اذا نسبناها لسكان اسرائيل وهى نسبة لو طبقناها على الاتحاد السوفياتى مثلا لبلغ مجموع الخسائر بالارواح ٨٠٠ر٠٠٠ر١ نسمة .

(ى . ز)

عدد الاطباء واسرة المستشفيات فى الوطن العربى

● نشرتم فى العدد ١٨٦ من «العربى» احصائية عن عدد الاطباء فى الكويت، وعدد السكان بالنسبة لكل طبيب ،وعدد الاسرة بالمستشفيات .. والواقع انها كانت معلومات طيبة ، وياحبذا لو زدتم فذكرتم لنا الاحصائيات عن الدول العربية الاخرى ؟

أحمد شهاب/البحرين



ـ الواقع ان الاجابة على سؤالك تبدو سهلة، اذ من الطبيعى ان تكون هذه الارقام موجودة فى الدليل السنوى لمنظمة الصحة العالمية او دليل الامم المتحدة ، او لدى سفارات الدول العربيةعلى الاقل • ولكن للاسف نجد ان الادلة العالميةلاتذكر الا ارقام بعض الدول العربية فقط،اما السفارات العربية فالاحصاءات الحيوية هى آخر ماتجده عند اغلبها ••

والجدول التالى يوضح الاحصاءات الطبيـة المطلوبة لبلادنا العربية،مستقاة من مصادرعدة •• وهى مرتبة ترتيبا هجائيا مع ذكر سنة الاحصاء بالنسبـة الى عـدد الاطباء وعـدد الاسرة فى المستشفيات ••

اسم البلد	سنة الاحصاء للاطباء	عدد الاطباء	عدد السكان بالنسبة لكل طبيب	سنة الاحصاء للمستشفيات	عدد الاسرة في المستشفيات	عدد السكان بالنسبة لكل سرير
الاردن	١٩٧٠	٦٠٩	٣٨١٠	١٩٦٦	٣٤٩٣	٥٦٤
البحرين	١٩٦٩	١١٦	١٨١٠	١٩٦٩	٨٩٧	٢٣٤
سوريا	١٩٧١	١٦٧٣	٣٨٦٠	١٩٧٠	٦٢١٦	١٠٠٥
السودان	١٩٧١	١١٦٨	١٤٠٠٠	١٩٧٠	١٥٠٤٢	١٠٤٠
الصومال	١٩٧٠	١٣٢	٢١٠٠٠	١٩٧٠	٤٨٨٢	٥٧٠
الصحراء الاسبانية	١٩٧١	٥٣	٩٤٠	١٩٧١	٢٥٨	١٩٠
العراق	١٩٧٠	٢٨٩٠	٣٢٧٠	١٩٧١	١٨٥٦٥	٥٣٠
فلسطين المحتلة	١٩٧١	٧٧٢٣	٣٩٠	١٩٧١	١٧٣٦٩	٦٧٠
قطر	١٩٧١	٧٨	١٠٣٠	١٩٧١	٦١٦	١٣٠
الكويت	١٩٧٣	٩٠١	٩٨٩	١٩٧٣	٤١٣١	٢١٥
لبنان	١٩٦٩	١٨٣١	١٤٧٥	١٩٦٩	١١٨٢٠	٢٢٨
ليبيا	١٩٧٠	٧٣١	٢٦٥٤	١٩٧٠	٧٥٧٤	٢٥٦
مصر	١٩٧١	١٨٨٠٢	١٨٢٠	١٩٧٠	٧٢٠٧١	٤٦٠
اليمن	١٩٧٢	٢٠٩	٢٨٩٠٠	١٩٧٢	٣٩٠٥	١٥٥٢
اليمن الديمقراطى	١٩٦٦	١١٧	١٠٩٥١	١٩٦٨	١٢٢٢	١١١٣
موريتانيا	١٩٧٠	٦٨	١٧٠٠٠	١٩٧١	٢٧٣٠	٤٤٠
السعودية	١٩٧٠	٨١٨	٤٨٩٠	١٩٧٠	٧١٥٦	٥٥٩
تونس	١٩٦٧	٦٥٦	٧٣٤٨	١٩٦٩	١٢٤١٩	٤٠٥
الجزائر	١٩٦٩	١٦٩٨	٨١٩٢	١٩٦٩	٣٩٠٥٣	٣٥٦
المغرب	١٩٦٩	١١٤٤	١٣١٥٦	١٩٧٠	٢٢٥٧٠	٦٨٨
سلطنة عمان	١٩٧٢	٦٢	٩٦٦٦	١٩٧٢	٥٠٨	١١٨١

دولة الامارات   لا توجـد بعد احصائيات رسمية متوفـرة .

الصحافة الامريكية وتحيزها لاسرائيل !

● سمعت ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد جعلت الصحافة الامريكية تغير موقفها المتحيز ضد العرب . فهل هذا صحيح .. ؟ !

نبيل خالد فاخرة ـ الكويت

ان ماسمعته صحيح الى حد ما.وان كان التغير الذى حدث فى اتجاه الصحافة الامريكية ليس كبيرا .

ولعل البحث الذى نشر فى مجلة الدراسات الفلسطينية التى تصدر عن معهد الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت فى العدد الثالث من

جدول رقم (١)

المجلة أو الجريدة	الاضطهاد الذى تعرض له اليهود في الماضي			رغبة اسرائيل في السلام والامن			انجازات اسرائيل		
عام	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
نيويورك تايمز	٣	.	١	٣٢	٢٤	١١	١٥	٣٠	١٥
مجلة يو أس نيوز أند ورلد ريبورت	١	١	٣	٢١	٦	٢٠	٢٤	٤	٦
نيشن Nation	١٢	.	١	١٥	٣	١٢	٩	.	٤
نيوريبابليك	.	.	.	١٣	.	٤	١	١	١
نيوز ويك	١٥	٤	٤	٣	٨	٧	١	٢	٢٧
تايم	٣	١٢	١٤	١١	٢٠	١٧	٩	١١	٣٧
المجموع	٣٤	١٧	٢٣	٩٥	٦١	٧١	٥٩	٤٨	٩٠

جدول رقم (٢)

اما الاحصائية التالية فهي تمثلها نشر عن

المجلة أو الجريدة	ذكر مشكلة اللاجئين العرب			رغبة العرب في السلام والامن		
عام	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
نيويورك تايمز	٥	١٩	٣	.	.	١
مجلة يو أس نيوز أند ورلد ريبورت	١	١	٢	.	٢	.
نيشن Nation	٣	٥	٢	.	.	.
نيو ريبابليك	٢	٣	١	.	.	.
نيوز ويك	٢	١٣	٥	.	١	٢
تايم	١	١٤	٢٤	.	.	١٤
المجموع	١٤	٥٥	٣٧	.	٣	١٧

المجلد الثالث لربيع عام ١٩٧٤ ، يوضح موقف الصحافة الامريكية تماما ٠

وتدل الدراسات على أن تحيز الصحفالامريكية لاسرائيل ضد الدول العربية كان واضحا بشدة خلال حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وتدل الاحصــائيات ايضا على أنتغطية انباء اكتوبر ١٩٧٣ فيالصحف الامريكيـة تحولت قليلا ٠ فقد اظهرت الصحف رغبة العرب فى السلام والأمن وبررت موقفهم من الحرب ٠ كما ان النجاح العسكرى العربى التى احرزه العرب فى حرب ١٩٧٣ نال مايستحقه من ابراز وتقدير فى الصحف الامريكية ٠

وتبين الاحصائيات التالية بالارقام مدى صحة هذا التحليل ٠

والاحصائيات الاولى تبين ماذكر فى الصحف الامريكية عن اسرائيل واليهود فى الفترات مابين يوليو ـ ديسمبر ١٩٥٦ ، ومايو ـ يونيو ١٩٦٧ ، واكتوبر ـ نوفمبر ١٩٧٣ ٠ وتبين الارقام عـدد الانبـاء او المقـالات التى نشرت فيمـا يختص باسرائيل : ـ

اسرائيل قوية بالرغم من صغرهـا			نوايا العرب في تدمير اسرائيل			العرب يسيئون معاملة اسرائـــيل			تبرير مواقف اسرائيـل		
٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
٣	١١	٣	٢٤	١٨	٣	١٣٧	٤٧	١٥	٣٦	٥٨	١٣
١٩	٣٤	٣	٥٠	٣٦	١٢	٦٤	٢٩	١٥	٦٠	١٩	١٧
٤	١	٤	٨	٧	٢	٢٥	٩	٥	٢٣	٥	١٠
٤	١	١	٢٤	٢	٣	٤٩	٤	٤	١٨	٣	٥
.	.	٣	٢	٥	٣	١١	٢٢	٣٠	٤	٧	٣٩
.	٣	٧	٩	٣٠	١٧	١٠	٤٧	٤١	١٨	٣٠	٣٦
٣٠	٥٠	٢١	١١٧	٨٨	٤٠	٢٩٥	١٥٨	١٠٠	١٥٩	١٢٢	١٢٠

... هذه الصحف وفى نفس الفترات الزمنية

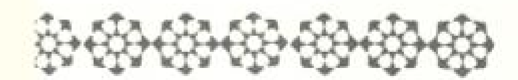
انجـــازات العـــرب			اسرائيل تســىء معاملـــة العرب			تبرير موقـــف العـــرب		
٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
٢	.	١٠	٣٦	٤	٢	٩	٤	١٣
.	.	١٢	.	٨	٣	.		٢٠
٥	.	.	٤	١	.	.	.	.
.	.	٢	٣	١	١	٢	—	.
.	.	٢٤	٦	٧	٦	.	—	٢
٤	.	٤٦	١٧	٣١	٨	٣	٨	٢٧
١١	.	٩٤	٦٦	٥٢	٢٠	١٤	١٢	٦٢

■ ■ (م ٠ ط)

الوحدة النفسية

في القصائد الجاهلية

بقلم :
الدكتور حسين عطوان



■ يتفق اكثر النقاد المحدثين على ان القصائد الجاهلية في جملتها تفتقر الى الوحدة الموضوعية والعضوية . ولكن الملاحظ أن نظرهم الى وحدة الموضوع ، وترابط صياغته ، وتطورها مع تطور الافكار والعواطف وتسلسلها وتكاملها ـ قداداهم الى اهمال مايمكن ان نطلق عليه « الوحدة النفسية في القصائد الجاهلية » . وهي وحدة يصعب على القارىء العادي ، او على الباحث المتسرع استظهارها وتمثلها ،ويتعذر عليه شرحها وتفصيلها . لانها تحتاج الى دراسة القصائد دراسة متانية واعية ،والى معرفة الظروف المحيطة بها ، والملابسات المؤثرة فيها ، والغايات المتوخاة منها معرفة دقيقة وافية .

وقد احس المستشرق جوستاف جرنباوم هذه الوحدة النفسية احساسا ضعيفا غامضا ،لم يقدر على توضيحه ، وضرب الامثلة الدالة عليه ، وانما اكتفى بالاشارة اليه ، والتعبير عنه بقوله (١) : « ان هناك نوعا من رابطة نفسية بين القفز الاستطرادي من موضوع الى موضوع ،وبين الانتقالات العاجلة من حال الى حال ، ومن انتباه الى انتباه في القصائد الجاهلية » .

معنى الوحدة النفسية

ومعنى الوحدة النفسية ان الشاعر اذا كان صادقا ، وكان انفعاله بتجربته وموقفه عميقا ، فانه يلون مقدمة قصيدته تلوينا عاطفيا ينبثق من موضوعها ومناسبتها وهدفه منها انبثاقا ، فاذا هي وقد ساد فيها ، وسيطر عليها الانسجام النفسي على اختلاف اجزائها .

قصائد الرثاء

واية ذلك ان الشاعر اذا قال قصيدة في الرثاء يتفجع فيها على هالك او ميت ففي الاعم الاغلب انه لايفتتحها بمقدمة غزلية او طللية ، بل يختار لها بيتا او مجموعة ابيات في الحكمة تتلاءم مع موضوعها ومقامها ، وتدور على التعزية والتسلية . وحتى المراثي القليلة التي استهلها

(١) دراسات في الادب العربي ص : ٤٢

بعض الشعراء بوصف الأطلال وفقوا في استهلالها به ابعد التوفيق ، لان مشهد الديار المقفرة الموحشة ، وما يثيره في النفوس من الاحزان والالام ومن التفكير في البقاء والفناء ، وفي الحياة والموت يتفق مع موضوع المرثية وظرفها المؤلم اشد الاتفاق • وبالمثل — حين تغزلوا في مقدمات بعض المراثي — فانهم لم يعبروا في غزلهم عن صبابتهم ولهوهم بالمرأة ،وانما تحدثوا فيه عن صدودهم عنها ، وقلة اشتغالهم بها •

قصائد الفخر والهجاء

ومعناها ايضا ان الشاعر اذا نظم قصيدته في الفخر او الهجاء ، يعتد فيها بشخصيته وقبيلته ، ويدافع عنها ، وينتصر لها ، فانه يحمّل مقدمتها معاني الاعتزاز والتعالي ، ويظهر ذلك بجلاء في ترفعه على محبوبته ، واصراره على معاملتها معاملة الند للند ، لامعاملة المتعلق بها ، او المتذلل لها •

واذا الف الشاعر قصيدته في الوساطة والدعوة الى الالتزام بمعاهدة او هدنة او مبدأ ، وكان لايعرف نتيجة وساطته ودعوته ، ومدى استجابة الاخرين له ، فانه يفتتحها بمقدمة مضطربة حائرة، تصور في حقيقة الامر اضطرابه وحيرته في مصير ماينادي به ، ودعا اليه •

قصائد في المراجعة السياسية

اذا صاغ الشاعر قصيدته في المراجعة السياسية في امر من امور قبيلته ، لان المسئول عنها ، او المتحكم فيها اساء اليها ، او اعتدى عليها ، وكان واثقا من قوتها ومقدرتها على الدفاع والردع ، فانه يشمخ في مقدمة قصيدته اعلى الشموخ ، ويكون حازما فيها اشد الحزم ، واذا كان عارفا ان قبيلته اضعف من ان تحارب خصمها ، وتنتدم لنفسها ، فانه يضمن مقدمة قصيدته معاني الرجاء والامل والاستعطاف المؤثر ، لعل ذلك المسئول او المتحكم يرق له ، ويتفهم موقفه ، ويلبي رغبته وامنيته •

ومن تتمة الحديث عن الوحدة النفسية في القصائد الجاهلية ، ان الشاعر كان دقيقا في انتخاب الاجزاء التي تلي مقدمة قصيدته،وتتوسط بينها وبين موضوعها الاساسي،ذلك انه اذا كان في موضع الرثاء والواعظ،ووصف بعد المقدمة منظرا من مناظر الصيد بين الصياد وكلابه ، وبين ثور الوحش،فانه كان ينهي المعركة بقتل ثور الوحش، يرمز بهذه النهاية الى ان كل كائن حي مهما استتر ، او ناور ، او قوي ، فلا بد ان يدركه الموت • اما اذا كان في مقام المدح ، فكان يختتم المعركة باخفاق الصياد ، او بجرح كلابه وموتها وهو يرمز بهذه الخاتمة الى جبروت ممدوحه وعظمته ، وان احدا لا يستطيع مغالبته،ولا يتمكن من قهره • واما اذا كان في موضع الاعتزاز بشخصيته ، والافتخار بقبيلته ، فانه كان اذا وصف رحلته في الصحراء ، وناقته التي حملته في رحلته ، واوصلته الى غايته ، يشخص قوة ناقته ، وطاقتها الخارقة على الانبعاث في السير ، ومقدرتها الفائقة على احتمال مهالك الصحراء ، واخطارها ، حتى تبلغه الى نهاية رحلته ، وهو يرمز بذلك الى فتوته وفروسيته ، ومنعة قبيلته ، وصبرها في الشدائد والمحن ، وخروجها منها سالمة غانمة •

قصيدة المرقش في رثاء ابن عمه

والشواهد على مانقول اكثر من ان نحصيها ، فمن المراثي التي استهلت بوصف الاطلال ،قصيدة المرقش الاكبر في رثاء ابن عمه ثعلبة بن عوف • فقد الم في اولها بتصوير المنازل الخالية الخاوية تصويرا ينسجم مع موقف الرثاء والجزع والدموع، دون ان يتوسع فيه ، او يسهب في عرض مقوماته وتقاليده :

هل بالديار أن تجيب صَمَمْ
لو كان رسمٌ ناطقاً كلَّمْ

ثم اضرب عن وصف الاطلال ووحشتها ،وانتقل الى الحديث عن صاحباته المرتحلات ، معلنا ان الديار الداثرة ، والمحبوبات المفارقات لاتحزنه في هذا الموقف العصيب ، ولاتستثير فيه شوقا

ولا وجدا ولا هوى ، وانما الذى يؤله ويبكيه هو مقتل ابن عمه :

بل هل شجتك الظُّعْنُ باكـرة
وكأنهن النَّخْل من ملْهَـم
لم يشج قلبي م الحوادث إلا
صاحبي المتروكُ في تَغْلَـم

ومضى بعد ذلك يصور كيف ان الموت نهاية كل انسان وحيوان ، متخذا دليله على ذلك من حياة الوعول المتوحشة فى شماريخ الجبال الباذخة، واستتارها من الموت فى قممها الشامخة ، وانها مهما طال بها الاجل ، وابتعدت عن الخطر ، وسلمت من الهلاك اكبر مدة ، فان اسباب المنية لا بد ان تصيبها ، ان لم يكن بالسهام والكلاب، فيتعثر اقدامها وهى تتنقل فى رؤوس الجبال الحادة :

لو كان حَيّ ناجيا لنَجا
من يومه المُزَلَّم الأعصَم
في باذخات من عمَايَة أو
يَرفعه دون السماء خِيَم
برقاه حيث شاء مِنْـه ، ولا
مّا تنسه مَنيّةٌ يَهْرَم
فَغَاله ريبُ الحوادث حـ
زل عن أرْيَاده ، فَحُطم(٢)

قصيدة بشر بن أبى خازم الاسدى

ومن القصائد التى قيلت فى المديح ، ولم يتنازل الشاعر فيها عن كرامته وعزته • ولا ضعف احساسه بنفسه فى مقدمتها ـ قصيدة بشر بن ابى خازم الاسدى ، فى مديح اوس بن حارثة الطائى • وكان بشر هجاه ،واقذع فى هجائه ، بسبب تضارب مصالح القبيلتين ، ثم توادعا وتصافيا ، وكف بشر عن التشهير به ، والتحقير له • ومع ذلك ظل حذرا فى علاقته معه ، لا يتخلى عن اعتداده بذاته ، وتمجده بقبيلته ، حتى فى مديحه الذى كفّر به عن اهاجيه السابقة فيه•فنحن نراه فى مقدمتها يلمح تلميحا واضحا الى انه صحيح العزم على التحول عنه ، والرجوع الى هجائه ، اذا هو حاول الكيد له او المكر به :

كفى بالنأْي من أسماءَ كافي
وليس لحبها إذْ طال شافي
بلى ، إن العزاءَ له دواءٌ
وطولُ الشوق ينسيك القوافي

واستمر يموه على اوس بهذا الغزل التقليدى الذى ذكر فيه محاسن صاحبته المادية • ولكنه لم يستطع كتم عواطفه نحوه ، ولم يرد ان يخفى عليه موقفه منه•ولذلك ختم هذا الغزل بالتلويح لصاحبته بانها ان قطعته قطعها ، وتمادى فى هجرها ، ولج فى الابتعاد عنها ، وان اظهر فى شعره انه ما يزال يحبها ويحرص عليها :

وحاجة آلفٍ بدّلتُ صَرْما
إذا همَّ القرينةُ بانصراف
على اني على الهجران مُغْدى
أمنيها المودة في القوافي

واكبر الظن انه لم يوجه الحديث الى صاحبته، بل الى اوس ، وانه اراد ان يعلمه به انه اذا غدر به وبقبيلته ، فانه قادر على مناواته ومعاداته •

وانتقل بعد ذلك الى وصف رحلته وناقته

(٢) المزلم : الوعل المجتمع الخلق • والاعصم :الذى فى يده بياض • وعماية ، وخيم : جبلان • وتنسه أصلها تنسئه اى تؤخره • وغاله :أهلكه•والارياد : جمع ريد ، وهو رأس الجبل •

وصفا طويلا ابان فيه عن صلابتها وقوتها ، وقدرتها على اجتياز مجاهل الصحراء ، وقطع قفار الارض :

فسل طلابها ، وتعز عنها
بناجية تخيل بالرداف
شججت بها إذ الآرام قالت [٣]
رؤوس اللامعات من القيافي

متوسلا به الى التغني بشدته وصرامته ، والى اظهار فخامة قبيلته . وانهى قصيدته بمديح اوس ، منوها بحمايته للجار ، وكبر همته ، وعراقة نسبه ، وسعة خبرته .

معلقة زهير بن ابي سلمى

ومن القصائد التي نظمت في اوقات الفتن والتطاحن بين القبائل العربية ، وصيغت في المناداة بالتصالح والتصافي ، والوفاء بالعهود والمواثيق ، والاعتصام بالسلام ، وكان اصحابها يجهلون اثر مناداتهم بين القبائل،ومبلغ استماعها لهم ، واخذها بارائهم ، وسادها الاضطراب ، وبدت فيها الحيرة من اولها الى آخرها ـ فادق شاهد يوضحها معلقة زهير بن ابي سلمى ، التي قالها في الحرب بين عبس وذبيان ، وفي الثناء على الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان الذبيانيين ، اللذين تدخلا بين القبيلتين ، وحلا الخلاف الذي احتدم بينهما ، وتحملا ديات القتلى من كل منهما . فنحن نلاحظ ان زهيرا افتتح معلقته بوصف الاطلال وصفا تقليديا في الظاهر ، ولكنه لم يجعل همه الاستكثار من التقاليد الفنية ، واظهار براعته في حفظها ، وحشدها في مواضعها الموسومة ، وانما اختار منها مجموعة ، ثم نسقها تنسيقا رائعا ،كشف به عن الشكوك التي كانت تساوره وهو واقف ازاء الديار المتغيرة المندثرة ، يتفرس منها ويعيد النظر فيها ، ليتاكد من انها بقايا ديار زوجه ام اوفى :

أمن أم أوفى ، دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم
ديار لها بالرقمتين ، كأنها
مراجيع وشم ، في نواشر معصم
بها العين والآرام ، يمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافي سفعا ، في معرس مرجل
ونؤيا كجذم الحوض لم يتهدم
فلما عرفت الدار قلت لربعها
ألا انعم صباحا، أيها الربع ،واسلم [٤]

والارجح ان المناسبة المضطربة التي نظم زهير معلقته فيها ، والغاية البعيدة التي كان ينشد تحقيقها بها ، وجهله بنتائج دعوته الى السلام هي التي لونت مقدمة معلقته هذا التلوين ، وهي التي جعلته يكثر من الظن والشك في التائها، لانه كان متاثرا اعمق التاثر بالافكار والخواطر التي كانت تراوده بشان مناداته بالسلام،فصاغ المقدمة الطللية هذه الصياغة التي عبر فيها عن قلقه وحيرته .

وظل عنصر الظن والشك يلح عليه ، في بقية المعلقة ، ويظهر من خلال ابياتها ، اذ نراه يسالصاحبه عن محبوباته المرتحلات في الصحراء، وما يتراءى له من هوادجهن هل هو لهن ، ام لغيرهن ؟

---

(٣) قالت : من القيلولة ، اى الراحة في الظل ظهرا . (العربي)

(٤) المراجيع : جمع مرجوع ، وهو المجدد . والنواشر: العروق . وخلفة : يذهب شيء ويجيء شيء . والاطلاء : الاولاد . واللأى : الجهد . والسفع : السود .

تبصّر خليلي ، هل ترى من ظعائن
تحمّلن بالعلياء، من فوق جرثم

وبعد ان مدح سيدي ذبيان ، راح يحذر عبسا وذبيان من التنكر للعهد والتنكث به :

فمن مبلغُ الاحلاف عنّي رسالة
وذبيان ، هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتُمنّ اللهَ مافي نفوسكم
ليخفى ، ومهما يكتم اللهُ يعلم

يؤخّر ، فيوضعْ في كتاب ، فيدخرْ
ليوم الحساب، أو يُعجّل فينقم

كما بث في ابيات الحكمة التي اختتمها المعلقة شيئا من حيرته وجهله للمستقبل ، وشيئا آخر هو انذاره للعبسيين والذبيانيين ، وانهم اذا ناوروا بقبولهم للصلح ، واضمروا الشر من جديد ، فان الايام كفيلة بان تجلو الحقيقة ، وتكشف عن خططهم التي اسرّوها :

وأعلم علمَ اليوم ،والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عَم

ومهما تكنْ عندَ امرئْ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس ، تعلم

ومن يوف لايُذمم ، ومن يُفْض قلبُه
إلى مطمئن البر ، لا يتجمجم

قصيدة المثقب العبدي

ومن قصائد المراجعة السياسية التي يبدو فيها الانسجام التام بين مقدماتها وموضوعاتها ، قصيدة المثقب العبدي التي انشدها في بلاط عمرو بن هند ، احد ملوك المناذرة ، بعد ان اصطدم مع قبيلة عبد القيس بالبحرين،وتنكر لها ، وآذاها، وضيّق عليها .فنحن نبصر المثقب العبدي في مقدمتها الغزلية هائجا عنيفا حازما ، اذ يطلب الى صاحبته ان تكون صادقة وفية ، وان لا تسوّف في وعدها له،ولا تخدعه بكلامها العذب، فان الموعد الكاذب لا يرضيه ، والقول الجميل لا ينفعه ، وانما يزيدانه ثورة عليها ، ونفورا منها ، ويمضي ذراعها في صخب وضجيج،مصرحا لها بان يده اليسرى لو خدعته خداعها ، وتلاعبت به تلاعبها ، لاهملها اهمالا ، بل لقطعها قطعا ، لانه صارم في علاقاته بكل الناس،يحب من يحبه، ويكره من يكرهه ، ولا يداهن ، ولا يجامل ، ولا ينافق :

أفاطم -- قبل بينك - متّعيني
ومنعك ما سألتُ كأن تبيني

فلا تعدي مواعدَ كاذبات
تمرُّ بها رياحُ الصيف دوني

فاني لو تخالفني شمالي
خلافكِ ـ ما وصلتُ بها يميني

إذًا لقطعتُها، ولقلتُ : بيني
كذلكِ أجتوى من يجتويني (٥)

وما هكذا عهدنا الشعراء يتغزلون في مقدمات قصائدهم بمحبوباتهم ، وانما عهدناهم يعبرون عن اسر المحبوبات لهم ، وخضوعهم لهن ، وتمسكهم بهن ، بلهجة هادئة ، واسلوب ناعم . ولكن المثقب العبدي لا يتغزل غزلا عاديا ، وانما يتخذ هذا الغزل التقليدي وسيلة الى مخاطبة عمرو بن هند ، وتحذيره من مغبة سياسته .

ثم انتقل الى تصوير صديقاته المسافرات تصويرا سهيا ، ليتخفف به من غضبه وثورته ، ويتيح لعمرو بن هند فرصة يفكر فيها بما سمع ، غير انه لم يمهله طويلا ، فقد انهى هذا التصوير ببيتين ، ابان فيهما انه لايستسلم لمحبوبته ، ولا يذل لها بل يزورّ عنها ، ويهجرها اذا مطلته وخدلته ، لينبه عمرو بن هند تنبيها

---

(٥) اجتوى:كره . وخلافك : اى مثل مخالفتك.

قويا ، ويلقى فى روعه انه لن يقبل منه قرارا سياسيا مطاطا ، لا يضع حلا للتفضية التى جاء براجعه فيها ، وانه مصر اصرارا عنيدا على ان يعود الى قبيلته بمعاهدة جديدة تنصفها ، وترفع الظلم عنها :

فقلت لبعضهن وشُدَّ رحلى
لهاجرة نصبْتُ لها جبينى
لعلّكِ إن صرَمْتِ الحبلَ منى
كذاك أكون مُصحبتى قرونى (٦)

ثم تحدث عن رحلته وناقته حديثا مفصلا ، ليدل به على فتوته وقوته ، وليعطى عمرو بن هند فرصة ثانية للتفكير والتقرير ، ولكنه عاد فختم هذا الحديث بابيات ، ساله فيها ان يكون صريحا واضحا فى سياسته مع قبيلته ، فاما ان يصادقها ، ويخلص فى صداقتها ، وحينئذ تعلم منافع محالفته ومضارها ، وتتصرف على وفق هواها ومصلحتها ، واما ان يخاصمها ، ويجهر بخصامه لها ، وحينئذ يتحمل مسئولية معاداتها ، وتعمل بدورها على اتقاء خطره :

فاما أن تكون أخى بحق
فأعرف منك غثى أو سمينى
وإلا فاطّرحْنى واتخذنى
عدواً ، أتقيك ، وتتقينى

وما أدرى إذا يممتُ أمرا
أريد الخير أيّهما يليني
أألخيرُ الذى أنا أبتغيه
أم الشر الذى هو يبتغينى

وانما سمح للمثقب العبدى ان يراجع هذه المراجعة العنيفة العنيدة انه كان يعلم اهمية البحرين للمناذرة والفرس ، وحرصهم على ان تظل منطقة نفوذ لهم ، كما سمح له بذلك ايضا انه كان يعرف قوة قبيلته ، وانها يمكن ان تقاتل المناذرة،لانها لن تقف وحدها فى ميدان المعركة ، وانما يسهب لنجدتها بقية قبائل بكر وربيعة فى اليمامة وغيرها .

ولعل فى الامثلة السابقة ما يدل على ان القصائد الجاهلية ، وان بدا انها تتكون من اقسام متعددة متباينة المضامين ، لا تتحقق الوحدة الموضوعية من اجتماعها ، ووصل بعضها ببعض ، فانها كانت تتمثل فيها الوحدة النفسية، فقد كان الشعراء من المهارة بحيث عرفوا كيف يصطفون تلك الاقسام ويؤلفون بينها ، وكيف يحملونها أدق خواطرهم ، واوضح افكارهم ، لانهم قد تطوروا بها من التعبير المباشر العادى ، الى التعبير الرمزى . ■■

حسين عطوان • الجامعة الأردنية

---

(٦) المصحبة : التابعة . والقرون : النفس . وكذاك اكون مصحبتى قرونى : اى اذا قطعت الوصل اطعت نفسى ، وقطعت وصلك .

ممدوح بجملة معان

● حكى محمد الأنماطى الفقيه قال : تغدينا يوما عند المأمون فكان كلما وُضع لون من الطعام على الخوان ، يقول : من به كذا فليأكل من هذا ، ومن به كذا فليتجنبه . فقال يحيى بن اكثم : لله درك يا امير المؤمنين ، فانا اذا خضنا فى الطب ، فانت جالينوس ، وان ذكرنا النجوم فانت هرمس ، وان تحدثنا فى العلم فانت على بن ابى طالب ، او السخاء ، فانت حاتم ، او الصدق ، فانت ابو ذر او الكرم فانت كعب بن مامة ، او الوفاء فانت السموال ، فقال المأمون للانسان فضل على غيره بالنطق والفهم ، ولولا ذلك لم يكن لحمه اطيب لحم .



اعمى

● حكى انه اجتمع فى مجلس شراب فى بعض حانات بغداد أعمى ومفلوج وأقطع ، فقيل للاعمى : « غن » فغنى :

انى رأيت عشية النفر
حورا نفين عزيمة الصبر

فقيل له : « ويلك ! . كيف رأيت وانت اعمى ؟ »

ثم قيل للمفلوج « غن » فقال :

عبادة

● قال ابو الفيض خرجت مرة حاجا ، فمررت بحى ،فرأيت جارية كأنها فلقة قمر ، فغضت وجهها، فقلت لها : « يرحمك الله ، اسفرى ، فان النظر الى الوجه الحسن عبادة . » .

مثلة او شر منه

● قال احمد بن سليمان بن وهب ،قال لى ابى يوما : « يابنى قد عزمت على معاتبة عمك الحسن بن وهب فى حبه لفلانة ، فقد اشتهر بها ، وافتضح امره بين الناس ، فأعنى يابنى عليه .

فوافيناه فى ذلك اليوم ، وكان من جملة ماقاله له أبى : « الهوى الذ وامتع، والرأى أصوب وانفع » فقال عمى متمثلا :

اذا عذلتنى العاذلات على الهوى ... أبت كبد عما يقلن صريع
وكيف أطيع العاذلات وحبها ... يؤرقنى ، والعاذلات هجوع

فالتفت ابى الى ،يريدنى أن اساعده،فقلت :

وانى ليلحانى على طول حبها ... رجال ، ترى منهم قلوب صحائح

فقال ابى : « فأنت مثله،أو شر منه. » .

مبغض الى الناس

● قيل : ان انو شروان لما أراد انيولى ابنه ولاية العهد استشار وزراءه ، فذكر كل واحد منهم عيبا من العيوب التى وجدها فى ولى العهد ، فقال بعضهم : « انه قصير القامة وذلك لايصلح للملك . » فقال انو شروان محتجا له : « انه لايكاد يرى،الا راكبا أو جالسا . » فقال آخر : « انه ابن رومية » فقال انو شروان : « الابناء ينسبون الى الاباء ،وانما الأمهات أوعية . » فقال الموبذ : « انه مبغض الى الناس . » فقال أنوشروان حينئذ : « هذا هو العيب . »



ومفلوج واقطع

اذا اشتد شوقي ، وهاج الألم
عدوتُ على بابكم في الظُلَم
فقيل له : « عجيب والله ، مفلوج يعدو !
لاتكذب » .
وقيل للأقطع « وهات غن » فقال :
شبكت عشري على راسي ، وقلت له
ياراهب الدير ، هل مرت بكَ الابل
فقالوا : « قاتلك الله ، أنت أكذبُنا ، واجودُنا غناء » .

اين الرعاية

● قال عمر بن الخطاب لرجل طلق امرأته : « لم طلقتها ياعبد الله » قال : « لاأحبها » فقال عمر : « أكل البيوت بنيت على الحب ، اين الرعاية والتذمّم ؟ » .

واعمراه

● حُكي أن لصا دخل بيتَ عجوز ليلا ، فلما احست به قالت رافعة صوتها : يانفسي ، لو تزوجت زوجا فألدت ثلاثة بنين ، فسميت أحدهم عمراً والآخر بكراً ، والآخر صقرا . يانفسي ماأصنع بهم وأخشى أن يموتوا فاندبهم فأقول : واعمراه وابكراه . واصقراه ، ورفعت صوتها عاليا ، وكان لها جيران يسمون بهذه الاسماء ، فجاءوها مسرعين ، فقالت : « دونكم اللص » فامسكوا به وأشبعوه ضربا .

الاخوان

● قال لقمان الحكيم : الاخوان ثلاثة : مُغالِب ، ومُحاسب ومُراغب ، فالمغالب الذى ينال من معروفك ولا يكافئك ، والمحاسب الذى ينيلك بقدر ما يصيب منك ، والمراغب الذى يرغب في مواصلتك بغير طمع .

وقال الخليفة المأمون : الاخوان ثلاثة : أخ كالغذاء يُحتاج اليه كل وقت ، وأخ كالدواء يُحتاج اليه أحيانا ، وأخ كالداء لا يحتاج اليه ابدا .

سَلامَةُ والقَسُ

● قالت سلامة للقس يوما : أنا ـ والله ـ أحبك ، فقال : « وأنا ـ والله ـ احبك » قالت « وأحب أن أضع فمي على فمِك » فقال : « وأنا ـ والله ـ احب ذلك » قالت : « فما يمنعك ولا احد » قال : « اني سمعتُ الله ـ عز وجل ـ يقول : « الاخِلاء يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌ الا المتقين » وانا اكره أن تكون خلّة (محبة) ما بيني وبينك تئول الى عداوة » ثم قام فانصرف ، وبقي على ما كان عليه من النسك .



بقلم : عبد الرحمن سلامة

■ حي القصبة .... مازال هذا الحي يحتفظ بملامح المدينة القديمة .... مبانيها ذات السطوح المستوية ... شوارعها التي هي اشبه بالمتاهات.. الازقة الضيقة .. الاسواق التقليدية التي تعج على الدوام بالحركة والضجيج ... الحياة تسير حسب نمط لايتغير ... الحلاقون فوق الادراج ، يعملون في الهواء الطلق ... التجار يتجاذبون اطراف الحديث امام متاجرهم...يعقدون الصفقات في المقاهي العتيقة المنتشرة هنا وهناك خلال اركان الازقة الضيقة .... كل شيء في هذا الحي يحمل اثر الماضي الاشيب ، الا ان هوائيات التلفزيون فوق سطوح المباني العتيقة ، وواجهات المحلات الحديثة،تذكرني بانني في اواخر القرن العشرين...

السلالم التي لا حصر لها،المحيطة بشقتي من كل جانب ، تمتد وتتمطط لتربط هذا الحي بالاحياء المركزية ... حيث تتوالى المباني ذات الاسلوب الكلاسيكي الحديث وتبدو ناطحات السحاب الى جنبها اكثر رشاقة وخفة ، وبهجة .

مدينة الجزائر تبدو لناظري باحيائها الناصعة البياض تنحدر نحو البحر وكانها على موعد مع سطحه الازرق . لشد ما انا محظوظ بحصولي على هذه الشقة المتواضعة ،وفي هذا الحي بالذات.. فالحصول على الزوجة مثلا اسهل بكثير من الحصول على شقة متوضعة كهذه هنا في العاصمة،بل ان الزواج اصبح مرتبطا في الدرجة الاولى بايجاد شقة ... اذ ان عدد سكان الجزائر العاصمة ارتفع الى مليون واربعمائة الف نسمة بعد الاستقلال ، في حين كان نصف ذلك قبله ... فقد نما عدد السكان فيها على حساب الولايات والارياف ... فنتج عن ذلك اشتداد ازمة السكن ....

اما الآن وقد حصلنا والحمدلله على شقة فقد اتجه تفكيري الى البحث عن زوجة صالحة،تقاسمني الحياة ، افراحها واتراحها،وقد ارتسمت في مخيلتي صور عديدة متناقضة عن هذه الزوجة المنتظرة ... فتارة كنت اتخيلها شقراء ، فاتنة ، فارعة الطول، زرقاء العينين ، ذات شعر ذهبي اصفر ، تنتمي الى اسرة برجوازية ثرية ، تقطن فلة ضخمة في حي حيدرة ، تبدو عليها مظاهر الثراء ... تقع بين مجموعة من الفلات المخططة على جانبي التل ، قريبة من صفحة السماء بواجهاتها الطوبية الحمراء، او الحجرية البيضاء ، وممراتها المزدانة بالتماثيل، وشرفاتها المزدهية بالعطر ، واشجارها السامقة المورقة في الحدائق .... يمتد امامها ممر مغطى بالحصباء ... بين صفين من الشجيرات المشذبة على شكل دوائر ومكعبات ، وباب بلوري يتصل ببهو لامع ذي ارضية من الرخام على شكل مربعات سوداء وبيضاء مصقولة كالمرآة ... يوصل الى غرف الطابق الاعلى الذي خصص لي ولها ، لنقضي

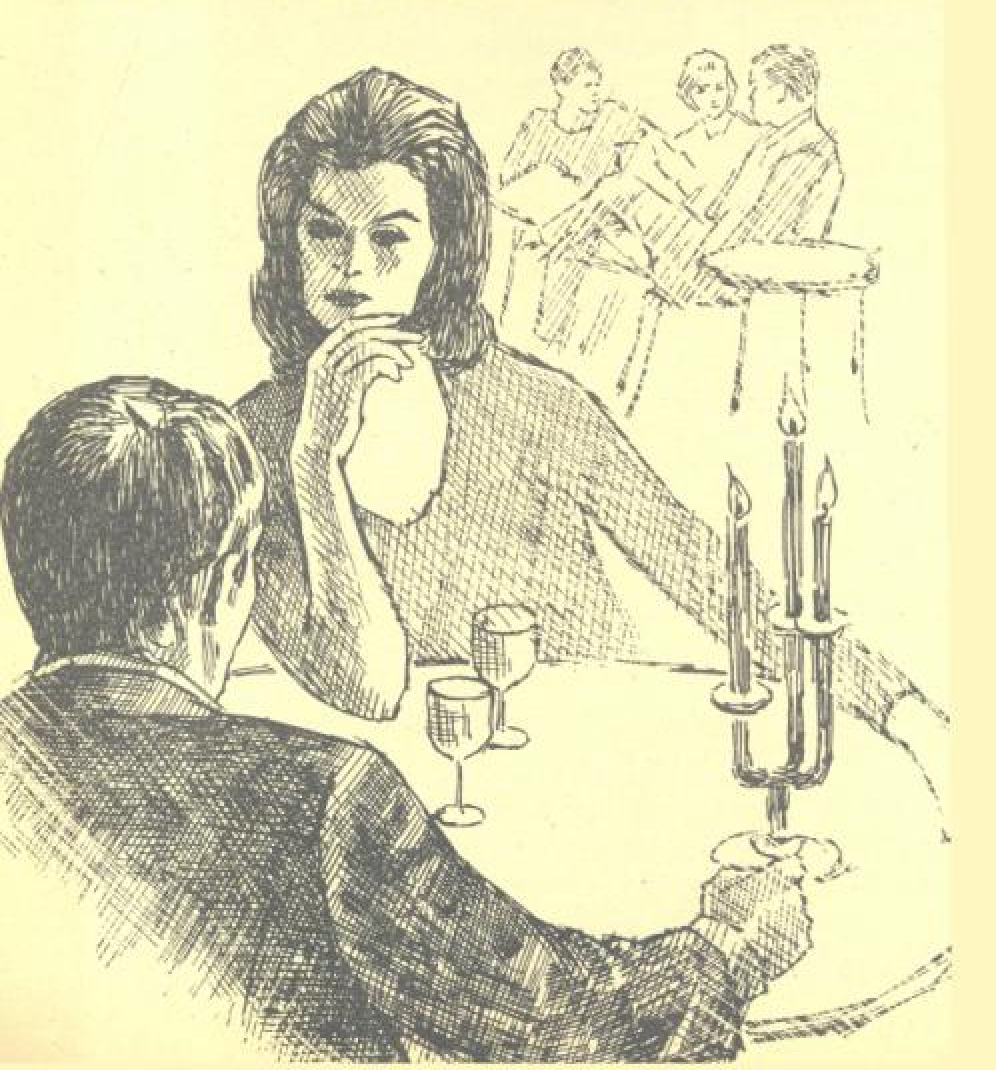
حياتنا معا في سعادة وهناء ٠ وطورا كنت اتخيلها ٠٠ سمراء ٠٠ فاتنة ٠٠٠ تملك سيارة فخمة ، وفلة على شاطىء البحر فى « ابى بلاج » او « سيدى فرج » ، واحيانا اتمناها يتيمة مثلى ، بائسة مثلى ، تبحث عنى كما ابحث عنها ، اهبها الحب وتهبنى الهناء والسعادة ٠٠٠

كانت هذه الافكار تعاودني وتؤرقني كلما جلست على الشرفة أحدق النظر في اللوحة الخالدة المجسمة لناظرى ٠٠٠٠ الميناء الواسع الممتد ٠٠٠ العديد من البواخر المبحرة فى عباب البحر ٠٠٠ اللج الازرق ٠٠٠ الحركة التى لا تهدأ ولا تتوقف خلال ازقة هذا الحى الضارب فى عمر الزمن ٠٠٠٠

عقارب الساعة تسير ببطء شديد ٠٠٠ تقترب من التاسعة والنصف صباحا ، الزمن الجريح تجسد فى شكل عجوز ٠٠٠ فى سن جدتى ٠٠٠ جدتى الراحلة ٠٠٠ وجدتى الخالدة ٠٠٠ جاءنى باكيا ٠٠٠ يبحث عنى ٠٠٠ عن نفسه ٠٠٠ لاهثا فى ظلمة الطريق يترنح نهاره بلا ضوء ٠٠٠ ليله طويل يمتد ويطول ٠

قالت بكلمات مهيضة متعثرة : « هل انت بحاجة الى خادمة ياولدى ؟ »

تساءلت في أعماق أعماقي ما فائدة عجوز كهذه ؟ وماذا بوسعها ان تفعل ؟ ولست ادرى كيف هززت راسى



موافقا ؟ ! فقد كان ثمة صدى لنداء من القلب يدعوني بالحاح لقبولها ... وبدات تحرق بقية عمرها في خدمتي ... تداري العدم ... كان منظرها ... شعرها الاشيب...جبينتها المقطب... نظراتها البائسة الكئيبة ... تثير عطفي ... تذكرني بطفولتي المشردة ... بجدتي ... جدتي التي لايعدلها شيء في الوجود ... وكنت احس انها تقاسمني الامي وهي تحدثني عن ابنتها الوحيدة التي تعمل من اجل توفير لقمة العيش لها ، في انتظار ابن الحلال الذي يقودها الى السعادة ، وينقذها من عالم البؤس والشقاء ... لم تكن كلماتها في بداية الامر تستثيرني ، ولكن ! لشد ما ادهشني الامر عندما وجدت نفسي ارسم صورة ابنتها في مخيلتي ، وابني لها قصورا من الاوهام ، وكانني فارس الاحلام الشجاع الذي سينقذها ... وبت اراها في احلامي كل ليلة حتى اضحت صورتها لاتفارقني ، وازداد تعلقي بهذه العجوز وابنتها التي اصبحت وكانها خيط الامل الذي يشدني اكثر فاكثر نحو الحياة والسعادة ... رغم انني لم احظ برؤيتها ولو مرة واحدة ...

وقد ساقتني قدماي ذات يوم في رحلة قصيرة خلال الزمن الجريح ، ابحث عن حظوة في عالم الاحلام ، حيث تتجسد في متعة ، لها شكل حبيبة عاشقة تخفف عني وطاة الرحلة ... الى « ميلك بار » بساحة الامير عبد القادر التي تتوسط شارع « العربي بن المهيدي » ارقى شوارع العاصمة واجملها .

فتاة في عمر الزهور ، تذكرني بصورة الزوجة الاولى...تلك التي تملكفلة فيحي «حيدرة»... اثارني منظرها ... ابتسامتها ، ... وجهها ... شعرها ... حركاتها ، مسكها لكاس الجعة ... خيل الى انها تنتمي الى اسرة ارستقراطية من عالم اخر من عالم راسمالي يختلف عن عالمنا الاشتراكي ... بذلت كل مافي وسعي للتعرف بها ونجحت...وكانت هذه بداية الرحلة الحقيقية عبر الزمن .. حيث الحب مذاق كل شيء يوحي بروعة الحياة ... ويوقع على الوتر الحساس .... وتمر الايام وانا غارق في حب هذه الفتاة وقد انساني الزمن تعلقي بابنة العجوز ... العجوز التي افتقدتها منذ مدة ... وانقطعت عنخدمتي.. مخلفة فراغا كبيرا في اعماق اعماقي اثار في مخيلتي الصور التي انطبعت فيها لتلك الابنة البارة ، واحسست بكبت الضمير ، وبرغبة ملحة للذهاباليها لطلب المعذرة،وخطبة ابنتها منها ... فقد تملكني شعور غريب جعلني احس وكانني افقد جدتي للمرة الالف،وافقد معها شريكةحياتي، وبفقدانها افقد سعادتي وهنائي ... قضيت ليلة مرهقة ، القن نفسي الكلمات المناسبة المعبرة والمفصحة عن رغبتي ... كان القرص قد تمطى في وجه السماء ، وكانه يجسد الصورة في اروع معانيها ... الحي ... الخرائب القابعة تئن من وطاة الحضارةتذكرني بجدتي...جدتي الراحلة... لقد ماتت العجوزتاركه وراءها ابنتها الوحيدة... ازداد احساسي بالواجب والمسئولية ورحت اسال عنها ... كان اخر من حضر الجنازة هي ، وكانت هي نفس تلك الفتاة التي تعرفت بها في « الميلك بار » .

الجزائر ـ عبد الرحمن سلامة

سيئة الخلق

● روى ان حكيما زوّج ثلاثة بنينمن أولاده ، فلما كان رأس الحول ، سأل ولده الاول عن امرأته فقال : « هي امرأةمن خير النساء ، الا انها خرقاء لاتعمل شيئا . » فقال الحكيم : « انزلها في بنيثقيف فان نساءهم صنّاع ، لتتعلم . » وسأل ابنه الثاني فقال : « انها لاتدفع يدلامس » فقال : « انزلها في بني فلان ، فانّ نساءهم عفيفات نجيبات . » ثمسأل ولده الثالث ، فقال : « انها سيئة الخلق » فقال الحكيم : « طلقها يابني فهذاشيء لاحيلة له . »



فداء

■ أصلحٌ والمرابعُ تُستباحُ ... وسلمٌ والجراحُ هي الجراحُ ؟

ومن حربٍ مسعّرةٍ ضروسٍ ... إلى سلمٍ توشيها الأقاحُ ؟

وللدمِ في مرابعنا ضجيجٌ ... وللشهداءِ ألسنةٌ فصاحُ

وأروقةُ الخيامِ ممزقاتٌ ... ولكنْ بينها هممٌ صحاحُ

تمرُّ بها الشدائدُ وهي تسمو ... فلم يُخفضْ لعزمتها جناحُ

لها في كلِّ آونةٍ لقاءٌ ... مع الغازينَ مستعرٌ صُراحُ

يُحاربها دخيلٌ مستميتٌ ... يرى الوطنَ السليبَ هو المراحُ

ويخذلها قريبٌ لا يبالي ... أتشمخُ أم تمزقها الرياحُ

كأنْ لم يغشَ ساحتَه فداءٌ ... ولم ينبضْ بخافقه طماحُ

ولم يستهوهِ عهدٌ مضيءٌ ... بنورٍ منه قد وضحَ الصباحُ

وأبطالٌ تصبّاهم جهادٌ ... فعزتُهم فتوحاتٌ فساحُ

وأشرقتِ الصحارى من سناهم ... وأزهرتِ البلاقعُ والبطاحُ

فدائيّون بالإسلام هاموا ... فعزّتْ يثربٌ وزهتْ صلاحُ *

فدائيّون لم يخلقْ مثيلٌ ... لوثبتهم إذا ذُكرَ الكفاحُ

فهم في المشرقينِ رجالُ صدقٍ ... وهم في المغربينِ هم الوضاحُ

صدحتُ بذكرهم لمّا تردّى ... نحيبٌ في المسامعِ أو نُواحُ

فتمتُ وبعضُ قولي ذو شجونٍ ... أصلحٌ والمرابعُ تستباحُ ■■

* يثرب المدينة وصلاح هي مكة .

فاضل خلف



بقلم : شريف يوسف

« تعرفوا على ما صنع اسلافكم
لتصنعوا خيرا مما صنعوا »
« العربي »

■ حين نمهد لهذه الدراسة المقتضبة لتخطيط اهم المدن الاسلامية وانشائها فى مختلف البلاد التى استطاع المسلمون فتحها والاستقرار فيها ، لابد لنا من معرفة العناصر التى تؤلف البيئة التى انشئت فيها المدن كالمناخ والطبيعة المحلية والاحوال الاجتماعية فى تلك العصور ، ثم انعكاس كل ذلك على الحياة الفكرية التى قامت فى وضع المخططات اللازمة لتلك المدن .

هذا ما سنحاول شرحه عند ذكر كل مدينة من تلك المدن . ولا شك ان تخطيط المدن الاسلامية لم يتم بصورة ارتجالية دون ان تكون وراءه دراسة وتدقيق ، فقد ذكر المؤرخون ان المخططات لهذه المدن كانت ترسم على الورق والجلود والاقمشة ويعمل لمبانيها المجسمات كما يفعل المهندسون فى الوقت الحاضر . وقد ادرك المهندس المسلم اهمية وجود شارع عظيم فى كل مدينة من المدن واعتباره شريانا رئيسيا عاما فى وسط المدينة ، يخترقها طولا وتتفرع منه الشوارع الجانبية ، وتتوسط هذا الشارع العظيم رحبة عامة فيها مسجد المدينة الكبير ودار الامارة (سراى الدولة العام) . وقد ظهرت بعض هذه المدن كالمتوكلية ، بعد تخطيطها وانشائها ، أشبه شىء برقعة الشطرنج ، وهى بهذا التخطيط اشبه ما تكون بمدينة نيويورك فى الوقت الحاضر .

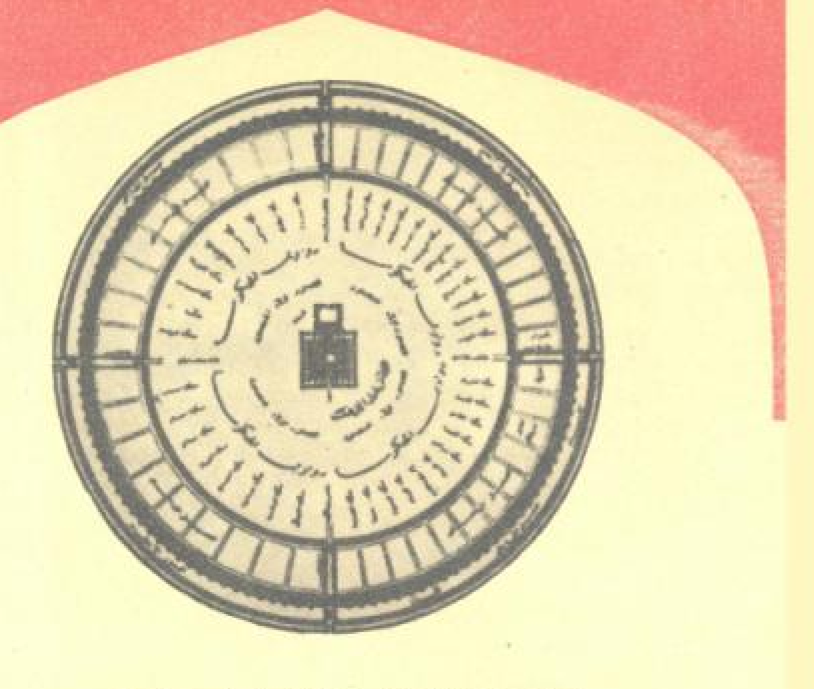
والآن سنحاول شرح كيف تم تخطيط وتاسيس بعض المدن بصورة مختصرة .

مدينة البصرة

البصرة اول مدينة اسسها المسلمون بعد فتح العراق . أسسها عتبة بن غزوان المازنى عامل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عام ١٦ هـ / ٦٣٥ م لتكون معسكرا لجنده ومشتى لهم . وكانت البصرة قبل هذا تسمى أرض الهند ومكانها يسمى الخريبة . وقد جعل عتبة المدينة فى الضفة الغربية من النهر فى مكان لا يحول الماء بينه وبين المدينة المنورة عاصمة المسلمين الاولى .

بنيت البصرة اولا بالقصب ، ثم باللبن ـ بعد الاستئذان من الخليفة ـ خشية الحريق ، وخططت وفقا للقبائل التى سكنتها ، فاصبحت المدينة بشكل مستطيل ، لكل قبيلة خطة فيها ، وحدد عرض شارعها الرئيسى بستين ذراعا ، وعرض كل زقاق من ازقتها بسبعة أذرع . وفى وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط الخيول وقبور الموتى .

وكانت المنازل متلاصقة فيها ، ووضع مسجدها الكبير ودار الامارة وبيت المال فى وسط المدينة ، وجعلت الطرق (المناهج) والشوارع تؤدى كلها



بغداد ، دار السلام ، المدينة المدورة التي انشأها ابو جعفر المنصور سنة ١٤٥/٧٦٢م .

الى المسجد ، كما جعلت الاسواق قريبة من المسجد، ليتيسر لعامة الناس الاتصال بالولاة ، واداء الفرائض ، ودفع الضرائب ، وردها الى بيت المال . ونظرا لموقع البصرة التجاري - فرضة العراق ووسط بين الشام وفارس - أسرع اليها العمران ، واتخذت مقرا للحكومة في ايام بني امية ، واتسعت عماراتها حتى بلغت مساحتها في امارة خالد بن عبد الله القسري زهاء الـ ٣٦ ميلا مربعا .

مدينة الكوفة

خططت مدينة الكوفة على غرار مدينة البصرة . اسسها سعد بن ابي وقاص سنة ١٨ هـ/٦٣٨ م في الجانب الغربي من نهر الفرات بالقرب من مدينة الحيرة القديمة . بنيت الكوفة اولا بالقصب ، كما بنيت البصرة من قبل ، وعندما تعرضت للحريق استأذنوا الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في البناء باللبن فاجابهم على ذلك ، على ان لا يزيد احدهم على ثلاثة ابيات ولا يطاولوها . فخططوا الخطط للقبائل واقطعوا فيها القطائع ، ورسموا السكك والدروب والاسواق ، فاصبحت المدينة على شكل مربع طول ضلعه رمية قوس . وكان اول ما شيد فيها من الابنية المسجد ، ودار الامارة ، وبيت المال ، وجعلت في وسط المدينة . وقد أصبحت الكوفة مقر الخلافة في عهد الامام علي بن ابي طالب (رض) .

ويذكر ياقوت الحموي ان الخليفة عمر (رض) كتب الى سعد يأمره بان يخطط المسجد بحيث يتسع للمقاتلة او ما يكفي لاربعين الف مصل . وفي امارة زياد بن ابيه (عهد خلافة معاوية) وسع المسجد بحيث صار يتسع لستين الف مصل . وبنيت الجدران بالآجر ، ورفعت السقوف على عمد من الحجر استخرجت من الحيرة . اما دار الامارة ، فركنها الشمالي الغربي يتصل مباشرة بسور المسجد . ويبلغ طول كل ضلع من اضلاع سور هذه الدار المربعة الشكل ١٧٠ مترا تقريبا ، ويقع المدخل الرئيسي لهذا السور في منتصف الضلع الشمالي .

مدينة الفسطاط

بعد ان تم لعمرو بن العاص فتح مصر ، وطرد الروم منها - اختط سنة ٢١ هـ/٦٤٢ م معسكرا لجنده سمي بالفسطاط،فاصبحت ثالث مدينة شيدها المسلمون بعد البصرة والكوفة.وقد تقاسمت القبائل خططها ، وسميت كل خطة باسم القبيلة التى اختطت لها،واخذ الناس يتسابقون فى بناء الدور، وتعمير المساجد فيها ، ولم يمض زمن طويل على تخطيط الفسطاط حتى صارت غاية العمارة ونهاية الحسن والابداع . وقد وضع عمرو اساس اول مسجد فيها ، وصلى فيه يوم الجمعة ، وجعل البناء مستطيلا طوله ٥٠ ذراعا ، وعرضه ٣٠ ذراعا ، والجدران كلها من اللبن . وقد اتخذ عمرو الدار التى اقامها بالقرب من المسجد مقرا للحكم ، واتخذها الولاة من بعده سكنا للامارة . وكانت اكثر دور الولاة شهرة دار عبد العزيز بن مروان التى بناها سنة ٦٨٧ م ، وسماها دار الذهب ، وجعل لها قبة مذهبة . وقد اصبحت الفسطاط جزءا من مدينة القاهرة الحالية .

مدينة القيروان

فى سنة ٦٦١ م أرسل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) القائد عقبة بن نافع لفتح افريقية (تونس) ، وبعد ان تم له النصر قام بتأسيس مدينة فى وسط الصحراء سماها القيروان لتكون معسكرا للجيوش الاسلامية الفاتحة سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م.ورغم انعزال المدينة فان هذا لم يمنعها من ان تنمو وتكبر ، وظلت ما يقرب من اربعمائة عام المدينة الرئيسية فى شمال افريقية والمغرب .

وصفها ابن حوقل ، فى كتابه«المسالك والممالك»، فقال : « أعظم مدائن الغرب واعظمها تجرا واكثرها مالا ، واحسنها منازل واسواقا ، بها ديوان جميع المغرب ، واليها تجبى اموالها ، وفيها دار سلطانها » .

وذكر البكرى فى كتابه « المغرب » ان لمدينة القيروان ١٤ بابا ، وكانت سوقها تمتد على طريق يبدأ من الجامع وتنتهى الى باب الربيع فى جنوب المدينة . وكان طول هذا الطريق ميلا وثلثى ميل ، وكان سطحها متصلا ، فيه جميع المتاجر والصناعات . وقد امر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك » . فاذا كان الفضل فى نشأة وتخطيط القيروان يرجع الى عقبة بن نافع فانها مدينة هشام بن عبدالملك فى نظامها واعلاء مبانيها.

انشأ عقبة بن نافع المسجد الجامع فى وسط القيروان ، وجعله يسيطر بروعته على هذه المدينة. ويشغل المسجد ارضا مستطيلة طولها ١٢٧٫٧٧ مترا ، وعرضها فى الجناح الشمالى ٧٠٫٨٣ مترا ، واختط عقبة دار الامارة وجعل الدور من حولها .

مدينة واسط

تولى الحجاج بن يوسف الثقفى ولاية العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م ، فاقام بالكوفة سنة،ومثلها فى البصرة،واخمد الفتن فيهما .ولكى يسيطر على المناطق



صور جوية لجامع الكوفة .. اسس هذا الجامع سعد بن ابى وقاص سنة ١٨هـ/٦٣٨ م .



جامع سامراء الكبير يتوسط انقاض المدينة القديمة ، والى الجنوب منه سامراء الحديثة ، شيد هذا الجامع المعتصم سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م وزاد سعته ابنه المتوكل ٠

الجنوبية في العراق شيد سنة ٨٣ هـ/٧٠٣ ـ ٧٠٤ م(١) على ضفة دجلة الغربية بلدة سماها واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وجعلها مقرا لحكمه ، واسكنها جنده من اهل الشام الذين كان يثق بهم كل الثقة ٠

بنى الحجاج المسجد الجامع في الضفة الغربية من واسط وشيده بالجص والآجر ، فصار يشغل ارضا مربعة تقريبا بعداها ١٠٤٫٣٠ × ١٠٣٫٥٠ مترا ٠ وبنى الحجاج ايضا دار الامارة وراء الجدار القبلي للجامع ، ولم يكشف لحد الآن الشكل التخطيطي الكامل لهذه المدينة ٠ ويذكر ياقوت الحموي ان الشطر الغربي من واسط كان محاطا بخندقين وبسور ، بينما يذكر بحشل الواسطي ان المدينة محصنة بسورين وخندق ، وقد تكاملت استحكامات هذا الشطر من المدينة بشاطىء دجلة فصار معسكرا محصنا منيعا ، لا يدخله احد الا اذا اجتاز ابواب المدينة ٠

جعل الحجاج على مقربة من القصر سوقا عامرة ، كان تجارها يتعاطون مختلف البضائع في تجارتهم، وكانت هذه السوق واسعة تمتد من القصر حتى شاطىء دجلة شرقا ، والى درب الحرازين جنوبا ٠ وكان درب الحرازين شارعا عظيما يبتدىء بالقرب من القصر ويمتد جنوبا الى القرب من السوق وينعطف ثم يقترب من دجلة ٠ وكان في داخل المدينة رحبات واسعة ، ذكر ياقوت الحموي منها ثلاثا ، اكبرها رحبة كانت قريبة من السوق في جنوبها ، ومساحتها للثمانة ذراع في مثلها ٠ وكان الجانب الغربي من واسط سجن الحجاج المعروف بالديماس ٠ وكان هناك فرضة عند رأس الجسر تعرف بمشرعة الفيل ، وكان الجسر عائما على سفن ، طوله نحو ٦٨٠ ذراعا ، يربط جانبي المدينة ٠

عاشت مدينة واسط نحو الف سنة وكانت من اعظم المدن في سواد العراق واغناها ٠ وفي سنة ١١٠٧ هـ/ ١٦٩٥م اصبحت اثرا بعد عين ، وابرز آثارها الشاخصة باب في الجانب الشرقي من النهر ، الى جانبه منارة سقط برجها ٠

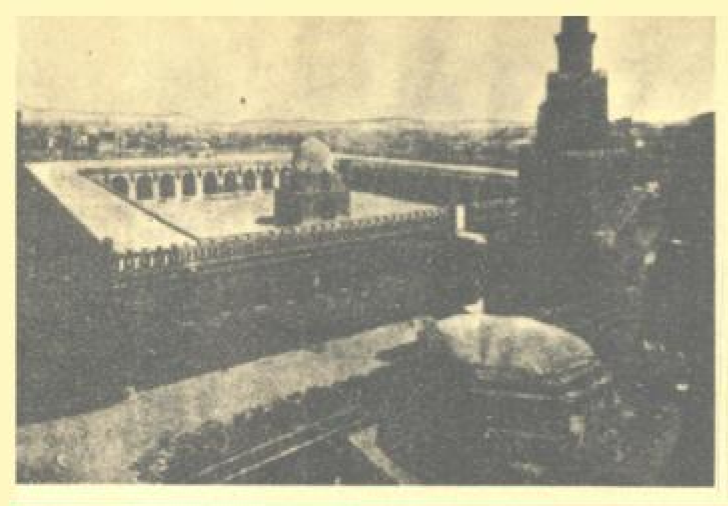
بغداد (دار السلام)

عندما تولى الخلافة العباسية ابو جعفر المنصور سنة ٧٥٤ م خرج بنفسه ليختار مكانا يستقر به وباهله وجنده، على ان يكون هذا الموضع موضع خصب وخيرات ، ويتوسط اقاليم دولته ، ويشرف على اطرافها، ويتصل بكل سهولة بكل جزء من اجزائها٠ فاستقر رأيه على موقع بغداد الحالية في الجهة الغربية من نهر دجلة ، والذي كان معروفا في ايام الدولة الساسانية ٠

بدأ المنصور في تخطيط مدينة (دار السلام) سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م وجعلها مدوّرة ٠ واحاطها بخندق وسورين عظيمين من الخارج ، وبنى سورا ثالثا في الداخل بين السكك ورحبة القصر والمسجد، وجعل للسور اربعة ابواب عظيمة٠ ويعتبر التخطيط الدائري لهذه المدينة حدثا تاريخيا مهما ، وانجازا هندسيا بمقياس واسع ٠ قسم المنصور المدينة الى شوارع محدودة سماها السكك ، واسكنها الذين

---

(١) هذا ما جاء في كتاب فتوح البلدان وتاريخ الطبري ٠ غير ان بحشل الواسطي يذكر ان بناء واسط كان بين سنة ٧٥ و ٧٨ هـ ٠



جامع ابن طولون في القطائع ، بناه احمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م

اختارهم من الموظفين والموالين ، وجعل لهذه السكك ابوابا وثيقة من طرفيها٠

وقد بنى المنصور في الرحبة الوسطى من المدينة مسجدها الجامع وقصره المسمى بقصر الذهب ذي القبة الخضراء التي عليها تمثال فرس عليها فارس في يده رمح ٠ وبنى ايضا الدواوين منها ديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجوائح ، وديوان النفقات وديوان الصدقات ، وبيت المال ٠ لقد اختلف المؤرخون في تحديد مساحة المدينة المدورة وابعادها ، فذكر اليعقوبي ان كل باب من ابواب المدينة يبعد عن الباب الذي يليه من خارج الخندق خمسة الاف ذراع ، فعلى هذا الاساس يكون محيط المدينة المدورة عشرين الف ذراع ، وهذا ما يقرب من عشرة كيلومترات ٠ وكان على كل باب قبة عالية ، وبين كل قبتين ٢٨ برجا ٠

ان التخطيط الدائري لمدينة المنصور لم يعط المدينة قدرات النمو والاتساع ، وهذا ما دفع الناس الى الاتجاه في الانشاء والتعمير خارج الاسوار ٠ فقامت حارة الكرخ خارج باب الكوفة واصبحت مدينة للتجار ، ثم سمح المنصور لابنه المهدي ان ينتقل بجنده الى الجانب الشرقي من دجلة ، وبنى له قصرا فيها ، وسميت المحلة الجديدة بالرصافة ، واتصلت هذه المحلة بالجانب الغربي بجسر اقيم عند باب الشعير ٠ وقد توسعت هذه المحلة حتى صارت بقدر مدينة المنصور ، وكان مسجدها الجامع اكبر من جامع المنصور ٠

وخلال القرون الاربعة التي سبقت استيلاء المغول على بغداد اقام العباسيون قصورهم في الجانب الشرقي من النهر والى الجنوب من محلة الرصافة احيطت بسور عظيم نصف دائري تقريبا ٠ وقد ظل هذا السور قائما الى عهد قريب ٠ وكان للسور اربعة ابواب لم يبق منها الا الباب الوسطاني (باب الظفرية) شرق مدينة بغداد الحالية ٠

مدينة الرقة

انشا المنصور مدينة الرقة على نهر الفرات ، واقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين للمحافظة على الجبهة السورية خشية غارات الروم عليها ٠ وقد جعل سورها بشكل حدوة الفرس ، اي انها مستديرة من جهات ثلاث والجانب الجنوبي مستقيم ٠ وجعل اسوار المدينة مزدوجة كمدينة بغداد (المدينة المدورة) وفي السور الداخلي ابراج مستديرة يبعد بعضها عن بعض ثلاثون مترا ٠

ويقع المسجد الكبير في النصف الشمالي من المدينة ، وهو على شكل مستطيل ابعاده الداخلية ٩٢،٩٠ × ١٠٨،١٠ مترا ٠

ان اكثر الاقسام المحافظة على شكلها القديم في سور المدينة هي باب بغداد ، وان كان اكثر من ثلاثة ارباع بنائه قد تهدم ٠ اما القسم الباقي فيكفي ان يعطينا فكرة واضحة عن بناء هذا الباب ونوع الزخرفة الاجرية الموجودة فيه ٠

مدينة سامراء

بنى الخليفة المعتصم بن الرشيد مدينة سامراء سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م فى الجانب الشرقى من دجلة، بعد ان اقلقته الاقامة فى بغداد لاسباب سياسية واجتماعية ، فترك مدينة السلام وانتقل الى سامراء مع رجاله وجيشه • وقد فصل المعتصم الأجناس والطبقات من الجند والموظفين واصحاب المهن وسائر السكان ، فاسكن كلا منهم فى قطيعة خاصة ، وجعل قطائع الجند بعيدا عن الاسواق وعن محلات اصحاب المهن • وقد اتسعت سامراء فى بضع سنوات حتى امتدت الى مسافة ٣٥ كيلو مترا على ضفتى دجلة •

وابرز الاثار القائمة من هذه المدينة المسجد الجامع الكبير الذى اشتهر بمئذنته الملوية، ويعتبر اوسع جامع بنى فى العالم الاسلامى ، حيث تبلغ مساحته ٤٥٥٠٠ متر مربع •

لقد كانت سامراء سيدة مدن العالم ، انفق الخلفاء العباسيون الأموال بلاحساب لتشييدها وجعل قصورها وحدائقها بهجة للناظرين • ولكن سامراء هذه مافاجات العالم بظهورها الا لتفاجئه بكسوفها الدائم بعد ان هجرها الخليفة المعتمد على الله هجرانا تاما فانقلبت بعد انقضاء نحو خمسين عاما على تاسيسها الى اطلال كما يشاهدها الزائر اليوم•

مدينتا العسكر والقطائع

فى عهد العباسيين ، انشا الأمير ابو عون سنة ١٣٥ هـ/٧٥٢ م مدينة شمال الفسطاط سميت بالعسكر ، وشيد فيها دار الامارة، وازداد العمران فيها ، وبنى الفضل بن صالح بن على سنة ١٦٩هـ مسجدا جامعا فيها ، وصار الولاة يتنافسون فى اقامة القصور والدور الفخمة فيها ، حتى امتدت مبانيها واتصلت بالفسطاط •

وعندما تولى احمد بن طولون ولاية مصر وجد فيها من الغنى والثروة مايساعد على تنفيذ مايطمح اليه من تاسيس مملكة لها شخصيتها ومكانتها بين الممالك الاسلامية الاخرى ،فبدأ اولا فى تخطيط حاضرة جديدة تماثل سامراء قصبة الخلافة العباسية فى عهده، تلك العاصمة التى ترعرع فيها، واعجب بجمالها وبرحابة ميادينها ، وعظمة قصورها ومساجدها • فكان له ماأراد ، واسماها القطائع، ذلك لانه اقطعها قطعا بين حاشيته ورجال دولته، وشيد فيها قصرا وساحة او ميدانا للفروسية •

بنى ابن طولون فى هذه المدينة مسجدا جامعا مازال قائما الى هذا اليوم ، بوشر فى بنائه سنة ٨٧٧ م وصار درة فريدة بين المساجد ، ولكن تاثير طراز مساجد سامراء ظاهر فيه •

كما شيد دارا للامارة بجوار المسجد،ثم توسعت مبانى القطائع حتى اصبحت مدينة فسيحة تقدر مساحتها حينذاك بما يعادل اكثر من ٧٠٠ فدان ، واتصلت مبانيها بمبانى العسكر والفسطاط •

مدينة القاهرة

بعد ان تم لجوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين فتح مصر سنة ٩٦٩ م شرع فى بناء مدينة جديدة لتكون معسكرا لجنده سماها القاهرة • وعند انتقال الخليفة الفاطمى من المهدية فى تونس اليها أصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية • خطت القاهرة بحيث يتوسطها قصر الخليفة ويكون هذا القصر مركزها ومحورها • وقد اراد المعز ان يجعل القاهرة مدينة الخاصة ، وان تبقى الفسطاط مدينة العامة ، فاحيطت القاهرة بسور مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع ، طول الضلع الممتد من الشرق الى الغرب ١١٠٠ متر ، وطول الضلع الممتد من الشمال الى الجنوب ١٢٠٠ متر • وكان بناء السور من كتل ضخمة من اللبن • وقد بلغت مساحة القاهرة فى عهد المعز نحو ٤٠٠ فدان • وجعل للسور ثمانية أبواب، أهمها (بوابة الفتوح) الواقعة فى منتصف الضلع الشمالى من السور ، (وبوابة زويلة) الواقعة فى منتصف الضلع الجنوبى، وكان يصل هاتين البوابتين الطريق الرئيسى الذى اطلق عليه (ما بين القصرين) • وهذا الطريق يقسم القاهرة الى قسمين متساويين تقريبا• ثم قسمت القاهرة الى حارات او اخطاط، كل خطة منسوبة الى قوم او قبيلة كانت فى صحبة جوهر الصقلى •

وقد بنى الفاطميون فى القاهرة قصورا ومناظر ومتنزهات كثيرة داخل المدينة وخارجها ، واسوة بجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط وجامع ابن طولون فى القطائع ، اختط جوهر الجامع الازهر فى القاهرة وفرغ من بنائه سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م • والجامع الأزهر الحالى يختلف عن جامع جوهر كل الاختلاف ولكن لا تزال ثمة بقية من الجامع القديم باقية •

وفي عهد المماليك بلغت القاهرة شأوا كبيرا من الناحيتين العمرانية والادبية واصبحت محط انظار العالم كله ، خاصة بعد ان افل نجم مدينة بغداد باستيلاء المغول عليها سنة ٦٥٦ هـ ، وسقوط مدينة قرطبة على يد الفرنجة سنة ٨٩٧ هـ ، وقد نتج عن ذلك ان اصبحت مدينة القاهرة السوق الكبيرة للبلاد الاسلامية .

مدينتا الزهراء والزاهرة

في ايام عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ، ٩٣٦ م ، ضاق بلاطه في قرطبة رغم سعته لكثرة الوفود التي ترد اليه . فانشأ مدينة الزهراء واختار موقعها غرب قرطبة وعلى بعد ثمانية كيلو مترات منها،انشأها على السفح المنحدر المؤدي الى الوادي الكبير،وقد جعلها ثلاثة احياء او طبقات: الاولى تتضمن القصور والمساكن والاسواق،والثانية خصصت للحدائق والرياض ، والثالثة للبساتين والحمامات والخانات والحراس . وقد هرع الناس الى الزهراء وشيدوا فيها البيوت والقصور والاسواق والمتاجر واوشكت ان تتصل بقرطبة .

اما المنصور بن ابي عامر فبنى مدينة الزاهرة ليضارع بها مدينة الزهراء،فشيد فيها الدور ونقل اليها مظاهر الملك والادارة ، واقطع ما حولها للوزراء والكتاب والاتباع ، فاتسعت مساحتها وكملت زينتها ، كما انشأ (المنية العامرية) ، وبنى فيها القصور والبساتين وجعلها تضاهي مدينة (منية الرصافة) التي انشأها عبدالرحمن الداخل.

مدينة اصفهان

في عام ١٥١٤ م اسس الشاه عباس الصفوي الاسرة الصفوية التي حكمت في بلاد فارس حتى سنة ١٧٢٦ م . وقد تركز عمل شاه عباس العمراني في عاصمته اصفهان ، فانشأ فيها القصور والمساجد والجسور ، وجعل للمدينة شارعا عريضا يمتد من الشمال الى الجنوب بطول ثلاثة كيلو مترات ، مظللا بالاشجار ، ومحاطا بالحدائق والبرك المائية واماكن الراحة والاستجمام . ويقطع هذا الشارع نهر زندرهور على جسر (الله ويردي) المؤلف من ثلاثين قنطرة ، وفوقه طريق على جانبيه ممران مسقوفان للمارة . كما انشأ جسرين آخرين يؤديان الى (جولفا) وهو الربض الجنوبي للضفة الشمالية حيث تمتد المدينة .

وجعل الشاه عباس للمدينة ساحة ملكية (ميدان شاه) مستطيلة الشكل ، طولها ٥١٢ مترا ، وعرضها ١٥٠ مترا ، محاطة بقناة وبصف من الاشجار . وتحيط بالساحة بعد ذلك بيوت ذات شكل موحد ، تنفتح فيها الدكاكين ، وتقطع هذا الترتيب منشآت مختلفة،فمن الجنوب المسجد الشاهي ومن الشمال القيصرية الكبيرة ، وفي الغرب تبدو الاستراحة التي يطلق عليها اسم (الاكابي) ، وهي مدخل الحدائق والقصور ، وفي الشرق مسجد لطف الله . وهكذا اصبحت اصفهان في هذا العهد من اجمل مدن الشرق وصارت تسمى (اصفهان نصف جهان) اي نصف العالم .

مدينة اكــرا

كان عهد (اكبر) المغولي في الهند ، الذي دام نحوا من خمسين سنة ، ٥٥٦ ــ ١٦٠٥ م ، من احسن العهود التي افضت على الهند نعمة السلام والتقدم والازدهار . وقد جعل (اكبر) مدينة (اكرا) عاصمة له ، فبرزت في مبانيها وقصورها ومساجدها آثار نبوغ الهند الفني . شيد (اكبر) قصرا عظيما في اكرا لابنه جهانكير ،وجعله يجمع بين الطراز الهندي وروعة العمارة الاسلامية ، حتى اصبح هذا المزيج رائد الطراز المختلط فيما بعد.

توسعت مدينة اكرا في زمن جهانكير وفيها شيدت زوجته (نور محل) مدفنا فخما لوالدها (اعتماد الدولة) ، كما اضفى شاهجهان بن جهانكير اروع الحلل على اكرا حين بنى فيها قبرا لزوجته (ممتاز محل) المعروفة بتاج محل ، والذي يعد من اجمل واغنى الاضرحة والمباني الاسلامية في العالم . وتخليدا لانتصاراته العديدة بنى اكبر مدينة خاصة سماها (فتح بور سكرى) . وتقع هذه المدينة على مسافة ٣٠ ميلا من اكرا ، وتحتوي على اكثر من ثلاثين عمارة تقوم في صف طويل ، ويلحق قلعتها سور منيع الفيم على بابه الرئيسي تمثال لفيلين منحوتين من الحجر ، وتلي القصور الملكية بيوت الامراء تحفها البساتين والحدائق ، وبنى اكبر ايضا (الديوان الخاص)



الجامع الازهر من عهد المعز لدين الله ، تم بناؤه سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م ٠

وهو اجمل واروع الابنية فى اكرا،كما بنى مسجدا كبيرا ومستشفيات وحمامات واصطبلات ودار ضرب النقود وساحة الصولجان وغيرها ٠

الخلاصة

نستخلص مما تقدم ان المسلمين عندما خرجوا من الجزيرة العربية لفتح البلدان شرقا وغربا لم يكتفوا بما وجدوا فى تلك البلاد من مدن عامرة ذات ابنية فخمة ، بل ارادوا ان يؤسسوا بانفسهم مدنا جديدة حسب طراز معاشهم ونظام مجتمعهم ، فجعلوا تلك المدن مراكز لحكوماتهم فى تلك البلاد، وعند اقدامهم على هذه المشاريع وضعوا نصب اعينهم النقاط التالية :

١ ـ ان تكون المدن الاولى التى أسسوها بسيطة فى مادة البناء توفيرا للمال المخصص للحروب والفتوحات ٠

٢ ـ ان تؤسس هذه المدن فى مواقع يسهل معها الاتصال بمركز الخلافة فى المدينة المنورة حرصا منهم على تحقيق رغبة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الذى أوصى قواده ان لا يجعلوا بينه وبين المسلمين بحرا ٠

٣ ـ ان يختار القواد أصلح المواقع الجغرافية لهذه المدن من حيث التربة والمناخ ومناعة الموقع عسكريا ، بحيث يكون هذا الموقع مسيطرا على سائر اطراف المملكة ، وكذلك توفر الماء ووسائل العيش وسبل المواصلات ٠

٤ ـ ان تكون مراكز الحكومة ، دور الامارة ، والمساجد والدواوين فى وسط المدينة لتسهيل اتصال الناس بهذه الاماكن فيتسنى لهم اداء الفرائض الدينية من جهة ، ومراجعة الدواوين ودفع ما عليهم من ضرائب من جهة أخرى ٠

٥ ـ تنسيق الشوارع والسكك وتخطيط المدينة بحيث يكون لكل قبيلة من القبائل قطيعة من القطائع بغية تنظيم الحياة الاجتماعية فيها ٠

٦ ـ الاهتمام بوسائل الترفيه للسكان بتزيين الساحات العامة بالاشجار والبرك المائية والحدائق وميادين الالعاب المختلفة وأماكن الراحة والاستجمام ٠

٧ ـ تخصيص اماكن خاصة للاسواق والمتاجر والحمامات والطواحين وغيرها ، يراعى فيها جميع وسائل الصحة والنظافة ٠

٨ ـ انشاء الاسوار والخنادق حول المدن اذا اقتضى الامر للدفاع عنها وقت الحروب ، وتيسير جميع وسائل الراحة والعيش للسكان فى حالة الحصار داخل الاسوار ٠

هذه صورة مختصرة لما كانت عليه المدن التى أسسها المسلمون من ابداع فى التخطيط وحسن تنسيق وترتيب وقد ذكرنا منها القليل وتركنا الكثير ٠ ومن المؤسف ان نرى معظمها قد فقدت بهجتها ونضارتها ، لما أصابها من دمار وخراب بعد النكبات المتكررة التى انصبت عليها منذ عدة قرون ٠ ولا شك ان النهضة الحديثة التى أخذت تدب فى معظم البلاد الاسلامية ستعيد لهذه المدن رونقها وجمالها السالف ٠ ■■

شريف يوسف

فقاعات في رغوة صابون.. لا أكثر

للقصاص الاسباني هرناندو تيليز

■ لم يقل شيئا حينما دخل . في تلك الاثناء كنت اشحذ احسن موسى للحلاقة بحوزتي على المشحذة الجلدية . عرفته ، فارتجفت . لكنه لم يلحظ شيئا من ارتجافي . رجوت ان اخفي عاطفتي المتقدة ، فتشاغلت بشحذ الموسى. واتماما في ذلك ، قمت ايضا بفحص حدتها على لحمة ابهامي الداخلية ، ثم رفعتها في الضوء امامي مدققا النظر فيها . خلال ذلك ، كان هو يخلع حزامه العامر بالرصاص ، والذي تدلى منه مسدس في جرابه . علق الحزام على المشجب واضعا قبعته العسكرية فوقه .

التفت صوبي ، وقال وهو يحل ربطة عنقه : « الجو حار ... كأنما الدنيا جهنم ... هلا حلقتَ لي ذقني ؟ »

وجلس على المقعد امامي .

قدرت بدوري انه لم يحلق ذقنه منذ اربعة ايام . كانت هذه هي عين المدة التي قضتها الحملة العسكرية الاخيرة في البحث عن قواتنا . بدا وجهه محمرا وقد لوحته الشمس المحرقة .

باهتمام مبالغ به ، بدات عملية اعداد الصابون اللازم للحلاقة. قطعت بضع شرائح صغيرة اسقطتها في صحن الحلاقة ، ثم مزجتها بقليل من الماء الدافيء ، واخذت في تحريك الفرشة . وفي الحال بدات الرغوة تطفو وتعلو .

« اظن ان رفاقك الشباب قد طالت لحاهم هم ايضا مثلك ؟ » قلتها وانا مازلت متشاغلا بتذويب الصابون .

« ولكننا قمنا بعملنا على اكمل وجه كما تعلم . لقد نلنا بعض الرؤوس الكبيرة ، وعدنا وبحوزتنا بعض جثث اولئك الذين قتلناهم ، في حين اننا احضرنا معنا بعض الاحياء الاسرى . لكنهم جميعا سيلقون جزاءهم ، ويموتون قريبا » .

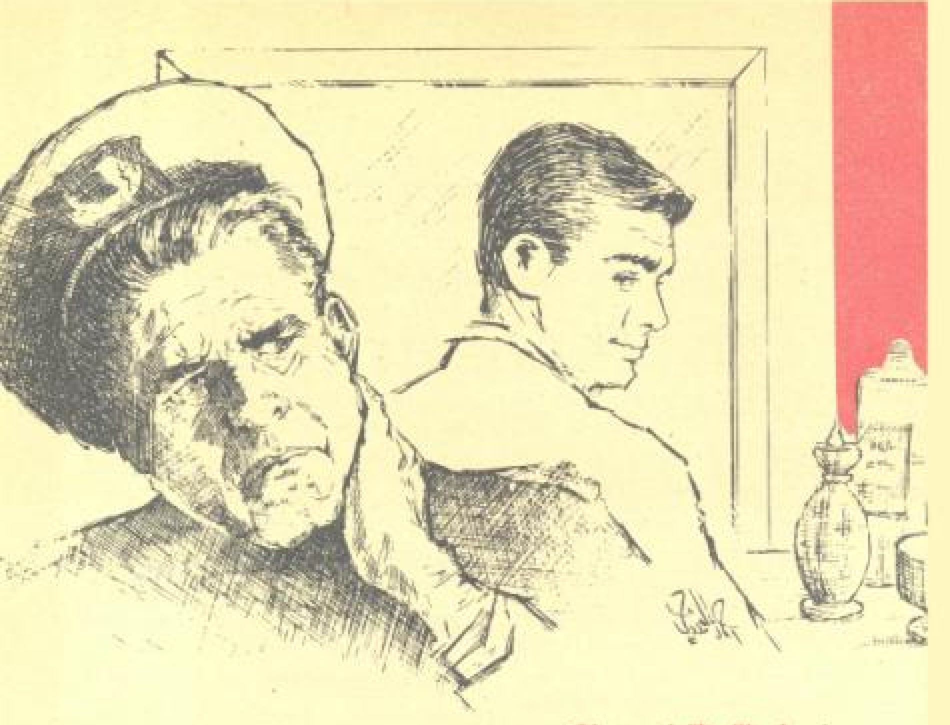
سألت : « وكم الاسرى ؟ »

« اربعة عشر . ولقد توغلنا لمسافة بعيدة في الغاب حتى وجدناهم . سنمسك بآخرين في المستقبل لن يخرج احد منهم حيا ، ابدا ، لاحد » .

مال الى الوراء في جلسته حينما رآني احمل الفرشة المغطاة بالصابون . كان على ان اضع فوطة فوق صدره . بالتأكيد ، كنت اشعر بالغثيان يقلب انفاسي من جراء ما قال . اخرجت فوطة من الدرج ، وعقدتها حول رقبة الزبون . وهو لا يتوقف عن التكلم . ربما يظن باني اتعاطف مع حزبه .

قال : « لا بد انا اعطينا المدينة درسا لن تنساه بما عملناه ذلك اليوم » .

قلت : « اجل » . بينما كنت افرغ من عقد الفوطة في اسفل رقبته المسودة التي يسح العرق عليها .



في هذه اللحظة غدت ذقنه ناعمة نظيفة استند الرجل في جلسته والقى نظرة على نفسه في المرآة . ثم فرك يديه فوق بشرة وجهه واحس بها ناعمة دافقة بالحياة كانما خلقت من جديد . قال : « شكرا لك » .

ـ « كانت منازلة تستحق المشاهدة .. الا ترى ذلك ؟ » .

اجبت : « حسن جدا » ، واستدرت لاطول الفرشة . اغلق الرجل عينيه وقد بان فيهما التعب وجلس ينتظر كي افرغ من مسح وجهه بالصابون. لم يكن اقرب الى مما كان عليه في تلك اللحظة ، مرة ، تقابلت واياه وجها لوجه ، لم يدم ذلك اللقاء اكثر من لحظة ..

لحظة قصيرة . كان ذلك حينما امر كل السكان في المدينة ان يتحلقوا في ساحة المدرسة ليشهدوا شنق الثوار الاربعة . رؤية الاجساد المنكل بها والمشوهة حالت بيني وبين امعان النظر في وجه ذلك الرجل الذى كان وراء العملية من اولها . وهو نفس الوجه الذى كنت على وشك ان اتناوله بيدي الان . لم يكن وجها كريها على الاطلاق . وقد بدت اللحية مناسبة له ، وان جعلته يبدو اكبر سنا مما هو في الواقع . كان اسمه توريس . الكابتن توريس . لا شك انه يتمتع بخيال واسع، كيف لا وقد جادت قريحته بفكرة شنق الثوار عراة ، وليته اكتفى بذلك،بل امر رجاله بتصويب بنادقهم على اجزاء معينة من اجسادهم .

بدات بوضع الصابون فوق وجهه . واصل حديثه ، وقد اغمض عينيه ، قائلا : « استطيع بسهولة ، ومن دون بذل اي مجهود ، ان استغرق في النوم حالا » . ثم اضاف : « الا انه يجب علىّ فعل الكثير هذا المساء » .

اوقفت فرك ذقنه بالصابون ، وسالت بلهجة بدت خالية من اى اهتمام متعمد : « هل هيات فرقة لاطلاق النار ؟ » .

ـ « شيء مشابه لذلك ... انما ستنفذ العملية ببطء » .

واصلت فرك ذقنه بالصابون . ارتجفت يداى للمرة الثانية . من المحتمل ان الرجل لم يلحظ شيئا من ذلك . كان هـذا لصالحي . تمنيت في قرارة نفسي لو انه لم يدخل صالوني . من

المحتمل ان بعض اعضاء حزبنا قد راوه يدخل محلي . وكما يقتضي الواجب ، فان وجود عدو تحت هذا السقف يتطلب اتخاذ بعض الاجراءات . وفي مقابل ذلك ، كان يتوجب علي ايضا ان اقوم بحلاقة هذه الذقن برفق واهتمام ، كاى ذقن اخرى لاى زبون آخر ، باذلا اقصى مهارتي كي لا اسمح لقطرة واحدة من الدم ان تنز من وجهه . كان علي ايضا ان انتبه لكي لاتدفع خصل الشعر الصغيرة بالموسى فتحيد عن موضعها . يجب ان ارى وجهه وقد اصبح املس نظيفا ، يفيض بالحيوية ، وحينما امر براحة يدى فوقه ، فلن احس بشعرة واحدة نائتة .

اجل ، كنت احد الثوار ، ثائرا بصورة سرية ، الا انني كنت مزينا اعتز بمهنتي ، وعملي ، وكنت فخورا دائما بدقة انجازاتي . وهذه الذقن التي مرت عليها ايام اربعة من دون حلاقة ، كانت تشكل بالنسبة لفني تحديا مناسبا .

قبضت على الموسى بيدى ، فتحتها مخرجا النصل . بدأت باسفل احدى السالفتين متجها بالموسى للاسفل . انزلق النصل بنعومة . كان شعر ذقنه قاسيا ، الا انه لم يكن طويلا ، بل كثا . بدا جلد الوجه يبين . تناهى لمسمعي صوت صرير الموسى تجز الشعر ، بينما كانت اكوام الصابون المختلط بقطع الشعر المحلوق تتجمع على حافة النصل . توقفت لحظة كيما انظف ما تراكم فوق النصل من الصابون ، ثم تناولت المشحذة وشحذت النصل . اجل ، يجب ان انجز عملي على اكمل صورة . فتح الرجل عينيه بعد ان كانتا مغمضتين طيلة الوقت ، وحرك احدى يديه تحت الفوطة البيضاء واخرجها متحسسا البقعة التي ازيح الصابون من فوقها ، ثم قال :

« احضر الى المدرسة اليوم في الساعة السادسة مساء » .

وسألته مرتعبا « وهل سيتكرر نفس ما حدث ذلك اليوم ؟ » .

اجاب : « بل سترى مشهدا افضل من المشهد الذى رأيته في السابق » . ثم استأنف مضيفا : ماذا تنوي ان تفعل ؟ » .

« لا اعلم ما سافعله .. اظن اننا لن نعدم وسيلة نسلي انفسنا بها » .

وللمرة الثانية ، اتكأ بظهره للوراء ، واغمض عينيه . اقتربت نحوه موازنا وضع الموسى في يدى .

ـ « قلت مجازفا ، ولكن بلباقة » . « وهل تنوي ان تعاقبهم جميعا ؟ »

ـ « جميعهم » .

كان الصابون قد بدا يجف على وجهه ، علي ان اسرع . نظرت في المرآة لارى ماذا في الشارع . كان الشارع كعهدي به دائما : ثلاثة او اربعة زبائن في البقالة المقابلة . نظرت بطرف عيني الى الساعة ، كانت الثانية وعشرين دقيقة . وواصلت الموسى عملها بانتظام متجهة الى اسفل الذقن . الان يجب أن انقل الموسى الى الجانب الاخر من الوجه . يالها من لحية كثة زرقاء . لم لا يطلقها ـ مقلدا الشعراء والرهبان ؟ سيبدو منظره مهيبا ؟ رغم ان كثيرين لن يعرفوه اذا ماراوه . وذلك لاريب سيكون من حسن حظه فكرت في نفسي بينما كنت احاول ان ابسط الصابون على رقبته . هنا ، في هذا المكان ، يجب ان أجيد استعمال الموسى جيدا ، خاصة وان الشعر ، رغم انه لم يكن كثا جدا ، الا انه كان ملتفا بعضه فوق بعضه مجعدا . وبسهولة متناهية كان يمكن ان ينشق الجلد فيندفق منه الدم الارجواني . لكن مزينا ماهرا مثلي يفخر بانه لن يسمح لمثل هذا ان يحدث مع اى زبون . وزبوني الان شخص له مكانته . كم يبلغ عدد الذين امر بقتلهم منا ؟ كم يبلغ عدد الذين سمح بسحلهم ؟ من الافضل الا افكر في هذه الامور . توريس لم يكن يعلم باني عدو له . هو لا يعرف هذا ولا غيره من الناس . كان سرا كتم الا عن قلة قليلة ، وذلك لكي اتمكن من القيام بمهامى على اكمل وجه ، واعلم الثوار بتحركات توريس في المدينة ، وعن خططه كلما جرّدت حملة لمطاردتهم واقتناصهم . لذا فسيكون موقفي دقيقا اذا ما اضطررت في يوم ان اوضح كيف كان في متناول يدى وتركته يفلت سالما ـ حيا وحليقا .

الان ، اوشكت اللحية الطويلة ان تزول . وبدا يلوح مظهر وجهه شابا ، صغيرا ، لا ينوء كاهله بعبء السنين ، كما بدا حينما دخل هذا الصالون منذ لحظات . كان هذا اعتقادي عن جميع اولئك الذين يلتزمون بالذهاب الى صالون الحلاقة دائما ، والاعتناء بمظهرهم . اذن ، تحت لمسات الموسى ، تجدد شباب توريس ـ تجدد شبابه لاني مزين ماهر ، امهر المزينين في المدينة ، اذا جاز لي ان

استعمل هذا التعبير . مسحة من الصابون هنا ، اسفل الذقن ، وعلى تفاحة ادم ، فوق هذا الشريان المنتفخ .... وينتهي الامر .

يالهذا الحر الشديد . لابد وان توريس غاطس في العرق هو الاخر مثلي تماما . لا يظهر عليه الخوف ... انه رجل هادىء ، وهذا يبدو واضحا من قلة اكتراثه بما سيحدث لاولئك التعساء الاسرى هذا المساء .

امام هذا الامر ، ماذا افعل انا ؟ اظل ، بموسى الحلاقة في يدى ، تذهب وتجيء فوق جلد الوجه محاولا الا اجعل الدم ينزل من ذلك الجلد . ليتني كنت استطيع ان افكر بصفاء ذهن اكثر .

لعنه الله ، ولعن الساعة التي اتي فيها الى هذا الصالون . انا ثائر ولا استطيع ان اكون قاتلا . يبدو امر قتله في غاية السهولة لو اردت. لا شك انه يستحق ذلك . هل يستحقه فعلا ؟ لا . وحق الشيطان ، لا يوجد امرؤ على هذه الارض يستاهل ان يضحى به من اجل ان يصبح انسان اخر قاتل يقتل غيلة وغدرا .

ماذا ستجني من ارتكابك هذا الجرم ؟ لا شيء البته . سياتي آخرون ، وسيقتل السابقون اللاحقين ، وهؤلاء سيقتلون من يتلوهم، وستستمر الامور على هذه الصورة ، حتى يستحيل كل شيء الى بحر من الدماء .

استطيع الان ، وبضربة واحدة ، ان احز هذه الرقبة واقطعها .. زز .. زز .. اقدر ان افعل ذلك وبسرعة خارقة ، وحتى من دون ان ادعه يتالم ، خاصة ولان عينيه مغمضتان ، وهو لن يرى تلالؤ نصل الموسى ، او ان يلحظ عيني المتوهجتين .

ولكني ارتجف .. كمجرم حقيقي . سيتفجر الدم وينطلق رشيشا ينصب على الفوطة ، وفوق الكرسي ، وعلي يدى ، وسيسيل الدم فوق الارض . علي ان اغلق الباب . وسيسيل الدم الدافىء فوق المصطبة ، وسيصعب احتواؤه ، وسيسيل حتى يصل الى الشارع كجدول قرمزي صغير .

اني واثق من ان ضربة واحدة قوية ، حز عميق ، سيمنع الالم ويحول دون معاناته . لكن ماذا سافعل بالجثة ؟ اين اخبئها ؟ علي ان اهرب تاركا ورائي كل شيء ، وعلي ان اجد مكانا التجىء اليه ، مكانا بعيدا جدا . سيقتفون خطوى ويلحقون بي . سيصرخون بي : « ايها القاتل . ياقاتل الكابتن توريس ... لقد حز رقبته بينما كان يحلق ذقنه عنده ... بالجبان » . وسيقول الاخرون : « هو الذى ثار وانتقم لنا جميعا . اسمه ستذكره كل الاجيال القادمة (وهنا سيذكرون اسمي) ... كان مزين المدينة ، ولم يعلم احد بانه كان واحدا منا مدافعا عن قضيتنا » . ماذا سينتج عن كل هذا ؟ بطل او قاتل ؟ مصيري معلق بحد هذا النصل . استطيع ان ازيح يدى قليلا، ثم اضغط على الموسى غارزا اياها في اللحم. سينزاح الجلد كالحرير ، او المطاط ، او حتى مثل الشحلدة . لا شيء انعم وارق من جلد الانسان الذى يحوي الدم الجاهزدائما للانطلاق كنافورة . نصل كهذا الذى تقبض عليه يدي لا يمكن ان يخون ثقتي فيه . انه احسن ماعندي . لكني لا اريد ان اكون قاتلا . لا والف لا .

لقد حضرت طالبا مني حلق ذقنك . وانا ساقوم بعملي بامانة وحسبما يقتضيه شرف المهنة. لا اريد ان تتلوث يداي بالدماء . يكفي ماعلق بهما من صابون ... ولا اريد غير ذلك . مهنتك انت ان تنفذ العقوبة وتقتل ، ومهنتي انا مزين .. حلاق . لكل شخص مكانه في دنيا الاشياء ، والخطط .. ذلك حق ، وذلك مكان الانسان الاصلي .

في هذه اللحظة غدت ذقنه ناعمة ونظيفة . استند الرجل في جلسته والقى نظرة على نفسه في المرآة . ثم فرك يديه فوق بشرة وجهه ، واحس بها ناعمة دافقة بالحياة كانما خلقت من جديد .

قال : « شكرا لك » .

توجه الى المشجب ، وتناول حزامه ومسدسه وقبعته . لا بد وانى كنت شاحبا جدا في تلك اللحظة . كان قميصي مبتلا بالعرق . وفرغ توريس من تثبيت حزامه ، ثم صحح من وضع مسدسه في الجراب ، وقبل ان يضع القبعة على راسه ، مسح شعره براحة يده الاخرى .

اخرج عدة قطع من النقود وناولني اياها . ابتدا يسير تجاه الباب . عند المدخل توقف لبرهة قصيرة ، ثم استدار نحوى وقال :

« اخبروني بانك ستقتلني . حضرت الى محلك وراء الحقيقة ... القتل ليس بالعملية السهلة ، واستطيع ان اقسم على ذلك » .

ثم سار نازلا في الشارع .

ترجمة : عصام سليمان موسى
عمان / الاردن



بقلم : ثروت اباظة

■ لعل عمر بن ابى ربيعة هو أول شاعر فى العربية أحب الحب لذاته،وعشق الهوى نفسه،دون ان يثبت على حب واحدة بذاتها ، كما فعل المجنون ، وكثير عزة ، وجميل بثينة .

غنى الحب لجيله

فعمر بن ابى ربيعة احب الكثيرات ، وغنى الحب لجيله وللاجيال بعده ، ويبدو لى ان عمر احب الشعر ، كما أحب الحب . ولم يكن عمر شاعرا فقيرا يتكسب بالشعر ويدور به على ذوى الوجاهة والغنى ، فهو ينتسب الى قريش ، وحسبه هذا نسبا ، وهو غنى موفور ،فالفن عنده للفن . واذا كانت الاجيال التى تلت جيل عمر قد احبت الفن ، وفكرت انه قد يجلب اليها نباهة الذكر وبعد الصيت ـ فما اظن ان هذا المعنى قد خالط حب عمر لفنه . فقد كان نابه الذكر بحكم انتسابه الى اشرف بيت عرفته العرب ، وقد كان يستطيع ان يرفد الشعراء فيتغنوا به ولكنه اراد هو أن يتغنى ،فغنى اعذب الغناء واجمله وارقه .

كان من شعراء صدر الاسلام

وقد عاش عمر قريبا من عام الهجرة ، فقد ولد فى عام ثلاثة وعشرين ، وتوفى فى سنة ثلاث وتسعين . فهو اذن من شعراء صدر الاسلام الذين تاثروا بالشعر الجاهلى أعظم التاثر ، ولكنه فى رهافة ، ونقاء فنى مشرق ، تخلص من الفاظ الجاهلية الخشنة ، وجاء شعره كالنبع الرقراق الصافى .

وقد استطاع عمر بعذوبته ان يفرض نفسه على جيله وعلى الأجيال بعده حتى يومنا هذا . وان كثيرا مما نردده فى حياتنا اليومية ـ ان كنا مانزال نردد الشعر فى حياتنا اليومية ـ ينتسب الى عمر ، لما فى الفاظه من موسيقى ، وما فى نظمه من احكام . فلا تحس عنده لفظة تريد ان تنبو عن مكانها ،ولا قافية غير مطمئنة فى بيتها .

ابن العباس وقصيدته « أمن آل نعم »

ومما يروى عن شعر عمر ان عبد الله بن العباس ـ الذى كان فقيه عصره ـ كان ينشد شعر عمر ، ويعجب به اعجابا شديدا . وفى يوم بينما كان جالسا وقد تحلق حوله جماعة ممن جاءوا يستفتونه فى شئون دينهم راح ابن العباس يلقى قصيدة عمر « امن ال نعم » فقاطعه احدهم:

ـ ياابن العباس ، أنضرب اليك اكباد الابل من اقاصى الارض لنعرف رأيك فى الدين فتسمعنا شعر عمر بن ابى ربيعة .

فقال له العباس :

ــ اسكت انها « امن آل نعم » .

دعمة من دعائم القصص في الشعر العربي

وراح ينشدها مبتدئا بمطلعها حتى انتهى الى آخر بيت فيها .

والواقع ان قصيدة « امن آل نعم » من اعظم القصائد التي تثبت دعائم القصة في الشعر العربي . وقد وقعت في يدي نسخة من ديوان عمر بن ابي ربيعة ، اشرف عليها « بشير يموت » ، ووجدته يقول فيما قدم به الديوان « وانك لتجد له في قصيدته « امن آل نعم » قصة لو تجرد لها قلم كاتب روائي لأخرج منها رواية لاتجد ابدع ولا اوفى منها في بابها ، في اسلوب ماعرفه روميو ولا دي موسيه ولاغيرهم من معبودي الفتيان المتفرنجين » .

وهكذا كان عجيبا أن ينظر شارح الديوان من وراء عام اربعة وثلاثين وتسعمائة والف ، ليجدني احاول ان انظر في اللمسة القصصية في شعر عمر بعد ذلك باربعين عاما .

قصيدة تروي قصة المحب الغادر

ولكن لو كانت قصيدة « امن آل نعم » هي وحدها التي وجدتها في شعر عمر ماكلفت نفسي عناء كتابة هذا المقال . فهي قصيدة مشهورة ، ولعل الكثيرين ممن قرأوها أدركوا ــ دون عناء ــ روح القصة فيها ، ولكن شعر عمر مليء بهذه الروح .

اقرأ معي :

أرسلت خلتي اليّ بأنا ... قد أتينا ببعض ماقد كتمتا

وبهجرانك الرباب حديثا ... سواءً ــ ياخليل ــ ماقد فعلتا

وهجرت الرباب من حب سعدى ... ونسيت الذي لها كنت قلتا

ولعمري ليحسنن عزائي ... عنك ، والنفس فيها قد التقتا

وكأني قد كنت اعلم أني ... لست الا كمن به قد غدرتا

غير أن قد غدرتني قبل خبر ... فوجدناك كاذبا اذ خبرتا

اين أيمانك الغليظة عندي ... ومواثيق كلها قد نقضتا

لاتخون الرباب مادمت حيا ... ياابن عمي فقد غدرت وخنتا

وأتيت الذي اتيت بعمد ... لم تهبنا لذاك ، ثم ظلمتا

ان تجد الوصال منك كفانا ... قبح الله بعدها من خدعتا

من كلام تهزه وبحلف ... فلعمري فربما قد حلفتا

ثم لم توف ــ اذ حلفت ــ بعهد ... بئس ذو موضع الامانة انتا

اتلمح قصة الحبيب الغادر ، وكيف اكتملت في هذه الابيات ، وكيف رواها لك على لسان خلته . فتحس برنة الاعتزاز انه غادر لايقيم على عهد ولا يبقى على ايمان كثرة ماكثرت هذه الأيمان .

والشاعر سعيد تترنح نغمات السعادة في ابياته جميعا بانه غير وفي . انه يمثل لنا فالنتينو ، وكازانوفا ، ودون جوان . وهكذا كان عمر بقصصه يمثل حالة غريبة على عصره . فحين كان جميل ، والمجنون ، وقيس لبنى ، يشببون : كل منهم بفتاة واحدة،يرون الدنيا جميعا فيها،كان عمر يتنقل بين الفتيات ، خفيف القلب ، رقيق الشعر ، سعيدا انه غادر ، وانه شاعر ،وان نظرة متسعة الى شعره لكفيلة ان ترجع الناظر وانما من سعادة الشاعر بفنه وبغدره في وقت معا . فان وفي فانما يفتش لمعنى الحب في ذاته .

اقسم ان لا يقول الشعر ثم حنث في يمينه

حين علت به السن اقسم لايقول بيتا من الشعر او يعتق جارية من جواريه في مقابل كل بيت يقوله وفي يوم بينما هو عند الكعبة وجد حبيبين يتناجيان ، فسالهما : « لماذا لاتتزوجان ؟ » فقال الشاب : ان ابا الفتاة يطلب منه مهرا كبيرا فقال عمر « بنا اليه » ودفع عمر مهر الفتاة وتزوج الحبيبان • واحس عمر بالشعر يثور به ، فتوزعت نفسه بين ان يقول فيحنث بالقسم ، وبين ان يكتم هذا المرجل الذي يغتلي في صدره •

ورات جاريته المقربة ماهو فيه من حيرة ، فسالته عما به ،فلم يطق صبرا،وانفجر بالشعر :

تقــــول وليفـــتي لـــمـا راتنـــي
طــربـت وكنت قـد اقصرت حينـــا

أراك اليـــوم قـــد احـدثـت شـــوقا
وهــاج لـــك الـــهوى داء دفيـــنا

وكنـــت زعمـت أنك ذو عـــــزاء
اذا ماشـــئت فارقـتَ الـــقرينـــا

بربـك ، هــل أتاك لهـــا رســـول
فشـــاقك ، ام لقيت لهـا خديـــنا

فقلـت : شـــكا الىّ أخ محـــب
كبعـض زمانـــنا ، اذ تعلميـــنا

فقــص علىّ مايلقـــى بهـــند
فــذكّـر بعـض ماكنـــا نســـينا

وذو الشـــوق القـــديم وان تعـزّى
مشـــوق حـــين يلقى العاشـــقينا

وكـم مـن خـلة أعرضـت عنهـــا
لغـــير قلى ، وكنت بهـــا ضـــنينا

أردت فـراقهـــا ، وصـــبرت عنهـــا
ولـــو جُـنّ الفـؤاد بهـــا جنونـــا

واعتق تسع جوار • لقد كان يريد ان يعيش للفن • بل انني احسب انه ماأحب من احب ، و، غامر ماغامر ،ولا هجر من هجر،الا ليقول الشعر • تراك هل لاحظت القرشي الاصيل يعفعن ان يذكر ماقدمه من المال الى العاشقين • وانما يذكر هذه النبضات التي تذكر بها بعض زمانه • ثم هذا البيت الذي مازال صداه يرن في سمع الاجيال حتى اليوم :

وذو الشـــوق القـــديم وان تعـزّى
مشـــوق حـــين يلقى العاشـــقينا

قصة شعرية اخرى

معي الان الى قصة شعرية اخرى • وهي لاتحتاج الى مقدمات :

ارســـلت هنـــد الينـــا رســـولا
عاتبـــا أن مالنـــا لا نـراكـــا

فيـم قـــد اجمعـت عنـا صـــدودا
أأردت الـــصـرم ، ام ماعـداكـــا ؟

ان تكـــن حاولـت غيظى بهجرى
فلـــقد ادركـتَ ماقـــد كفـاكـــا

كاذبـا قـــد يعلـــم اللـــه ربـى
انـنى لـــم اجـــن ماكنـــه ذاكـــا

والـــى داعيـــا ان دعـانــــى
وتصـــامم عامـــدا ، ان دعـاكـــا

واكـــذب كاشـــحا ان اتانـــى
وتصـــدق كاشـــحا ان أتاكـــا

ان فى الارض لَسـاحـا عريضـــا
ومنـاديـحَ كثـــيرا ســـواكـــا

غـــير انى فاعلمـــن ذاك حقـــا
لاأرى النعمـــة حـــتى اراكـــا

قلـت : مهمـا تجـدى لى فانـــى
أظهـــر الـــود لكـم فـوق ذاكـــا

انـت هـــمى واحـاديـث نفـــسى
ماتغـــيبت واذ ما اراكـــــا

وانك تستطيع ان ترى في هذه الابيات صورة من اوضح الصور للقصة الحوارية ، فلقد رددت الابيات موقفه الذي تاخذه عليه حبيبته،وغضبها،

ثم حبها ، فهي قائلة له ان الارض واسعة ، وبها مناديح كثيرة سواه ، ولكنها لاتعب من الارض ومن هذه المناديح الا هو • ويعطف هو على هوى حبيبته ويزيد ، فان وده فوق ذاك •

قصيدة قصصية اخرى لها صلة بالتاريخ

وهناك قصيدة لعمر يعلق بها الرواة حدثا من اهم الاحداث في حياة الدولة العباسية على بعد الزمن بين القصيدة وبين الحدث •

ليت هندا انجزتنا ماتعد
وشفت انفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لايستبد

زعموها سألت جاراتها
وتعرت ذات يوم تبترد

اكما ينعتنني تبصرنني ؟
عمركن الله ، ام لايقتصد ؟

فتضاحكن ، وقد قلن لها :
حسن في كل عين من تود

حسد حملنه من شأنها
وقديما كان في الناس الحسد

ولقد أذكر اذ قلت لها
ودموعي فوق خدي تطرد :

قلت : من انت ؟ فقالت انا من
شفه الوجد ، وأبلاه الكمد

نحن أهل الخيف من أهل مِنى
ماالمقتول قتلناه قود

قلت : اهلا ، أنتم بغيتنا
فتسمين ، فقالت : أنا هند

انما أهلك جيران لنا
انما نحن وهم شئ أحد

حدثوني أنها لي نفثت
عقدا ، ياحبذا تلك العقد

كلما قلت : متى ميعادنا ؟
ضحكت هند وقالت : بعد غد

اليست هذه القصيدة مجموعة القصص كاملة : قصة الغيرة بين الفتيات ، وقصة الحب ونشاته ، وهل تراك لاحظت مايقوله عن صلته باهلها ؟ الا ترى مثل هذا في حياتنا اليومية ، حين يحاول فتى ان يتقرب من فتاة ، فيخلق صلات بينهما قديمة،ويقول لها : ان اهله واهلها شيء واحد • ثم آلا ترى غرور الشاعر ، وكيف يذكر أن حبيبته تستعين عليه بالسحر « نفث العقد » ،وهو سعيد بسحرها هذا • ثم البيت الاخر الذى يشبه قصة صاحب المطعم الذى علق لافتة تقول : « من ياكل اليوم ويدفع ياكل غدا مجانا » وترك اللافتة معلقة ، فلم يات هذا الغد ابدا •

كلما قلت : متى ميعادنا ؟
ضحكت هند وقالت : بعد غد

صلة هذه القصيدة بالتاريخ

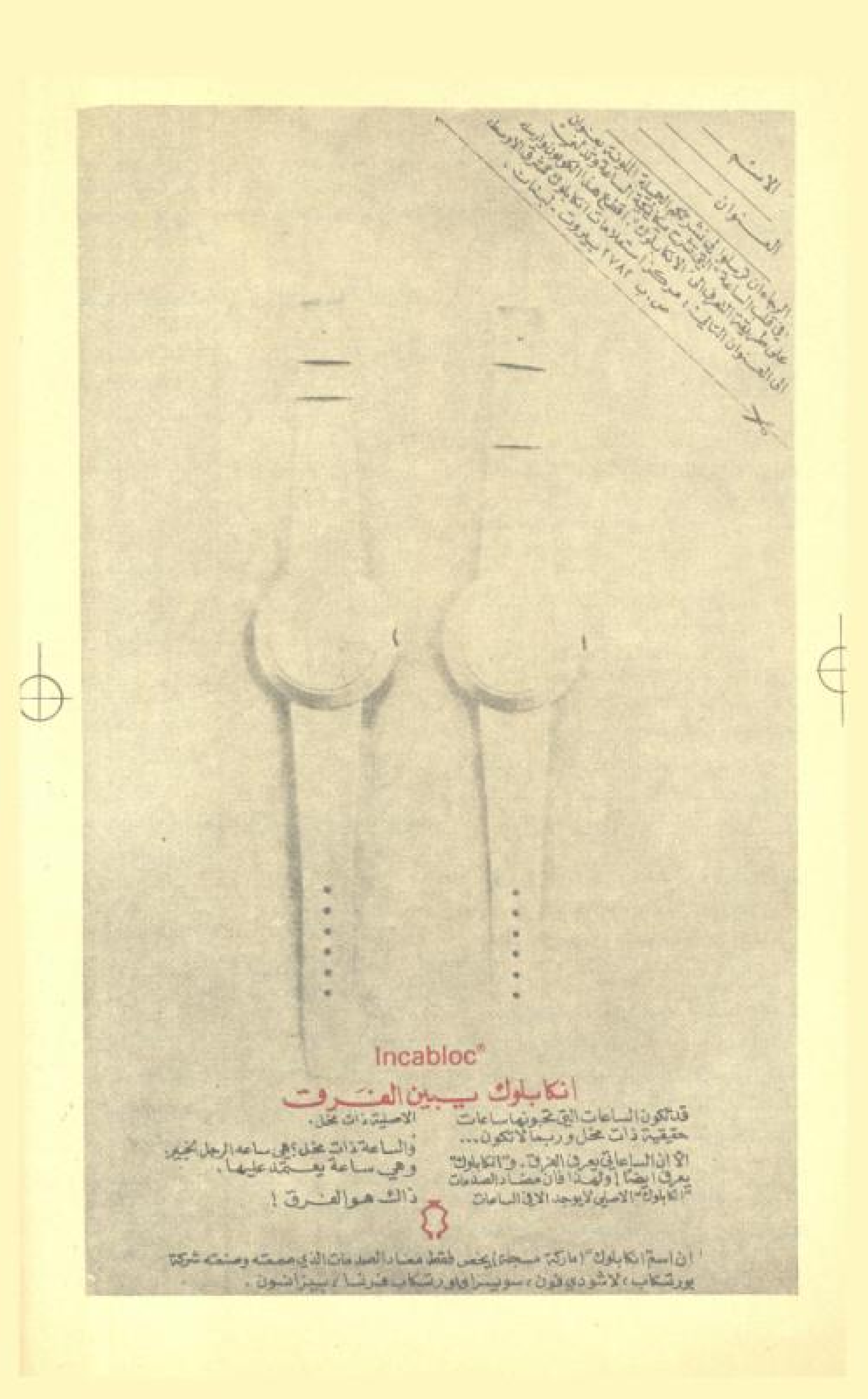
اما ما قيل عن اثر هذه القصيدة في التاريخ فانه يروى ان اسحق الموصلي غنى امام هارون الرشيد :

واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لايستبد

وظل يطرب فيها ، ويعيد ، ويزيد ، ثم يروى ان الرشيد ظل يردد : انما العاجز من لا يستبد حتى انزل بالبرامكة ما انزله من نكبات •

اليس عجيبا ان يكون هذا الشعر الرقيق الغزل العذب سببا في نكبة • ولكن الناس لا يستطيعون في شرتهم ان ينأوا عن مواطن الجمال في الحياة،فاذا هم يجعلون منها ظلما واستبدادا• علم الله لو كان عمر يدرى انه يقول هذا الشطر لغير الفن والجمال ما قاله • فما قصد استبداد الكاره ، بل استبداد المحب ، وما قصد استبداد الرشيد ، بل استبداد هند • ■■

ثروت اباظة


الاسم
العنوان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات حقيقية ذات محل وربما لا تكون...
الا ان الساعاتي يعرف الفرق . و"انكابلوك" يعرف ايضاً ولهذا فان مضاد الصدمات "انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات الاصلية ذات محل.
والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير وهي ساعة يعتمد عليها .
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركتا بورتسكاب، لاشو دو فون، سويسرا وبورتسكاب فرنسا، بيزانسون .

إنك في المقدمة حين تتعامل مع
البنك الوطني





بنك الكويت الوطني ش.م.ك
تأسس عام ١٩٥٢

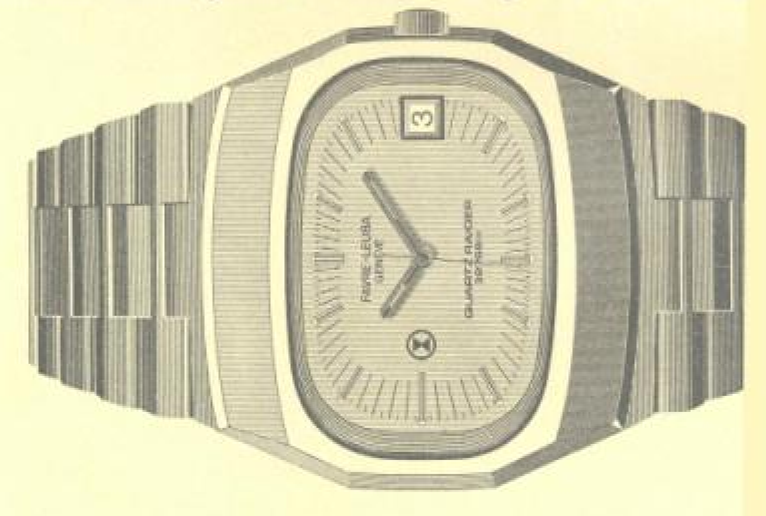
مرآة اقتصاد الكويت

سسات شقيقة : بنك الكويت المتحد ، لندن . بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف ش.م.ل - بيروت ، فرانس بنك الدولي - باريس - بنك البحرين والكويت ، ش.ب.م ، البحرين - البنك الأوروبي العربي - بروكسل - البنك الأوروبي العربي ، ج.م.ب.هـ - فرانكفورت

فاڤر-لوبا

ـــز ريـــدر ٣٢٧٦٨ Hz

ل الالـكتروني الـــذى يعطـى الـو قــت



الوقت الحاضر يوجد بـين
الفافر ـ لوبا جيل جديد
ـت الكوارتز،حركتها منظمة
دائرة دقيقة تجعل من فافر
ارتز ، عقـلا الكترونيـا
الوقت ·

ان الكوارتز ريدر هو طرازنا
الطليعي ، واكثر ساعات الكوارتز
أناقة فى أيامنا هذه · فقد اختار
لهـا مصممو فافـر ـ لوبا اطارا
جذابا معبرا عن القـوة الخلاقـة
واصالة التصميم ·

فافر ـ لوبا الكوارتز ريـدر
٣٢٧٦٨ Hz تبين التاريخ ·



FAVRE-LEUBA

QUARTZ RAIDER
32768 Hz

Genèv

دع مدخراتك تنمو بكل أمان معنا

١٣٪ في السنة
وديعة زمنية

١٢¾٪ في السنة
وديعة دخل شهري

٩½٪ في السنة
وديعة عادية

يقدم لومبارد نورث سنترال تشكيلة كاملة من حسابات الودائع المصرفية التي غرضها إعطاء نمو أكيد مع أقصى درجة من الأمان وتدفع جميع الفوائد دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر.

حساب الودائع العادية يدفع ٩½٪ في السنة. لا يوجد حد أدنى للوديعة. يجب إعطاء مهلة ٦ أشهر فقط قبل السحب. تدفع الفائدة كل نصف سنة.

حساب ودائع بدخل شهري يدفع ١٢¾٪ في السنة عن ١٠ آلاف جنيه أو أكثر لمدة معينة طولها سنة واحدة. أما المبالغ ما بين ألف و ١٠ آلاف جنيه فتربح ٩½٪ في السنة. تدفع الفائدة شهريا.

حساب ودائع زمنية يدفع ١٣٪ في السنة عن ١٠ آلاف جنيه أو أكثر لمدة محدودة طولها سنة واحدة. تدفع الفائدة كل نصف سنة. أما المبالغ ما بين الف جنيه و ١٠ آلاف جنيه فانها تربح ٩½٪ في السنة. ويمكن ايداع ودائع دخل شهري وودائع زمنية لمدد أخرى طولها سنتان أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات بفوائد جذابة.

للحصول على كامل التفاصيل ارسل الكوبون بالبريد اليوم.

Lombard North Central
Bankers

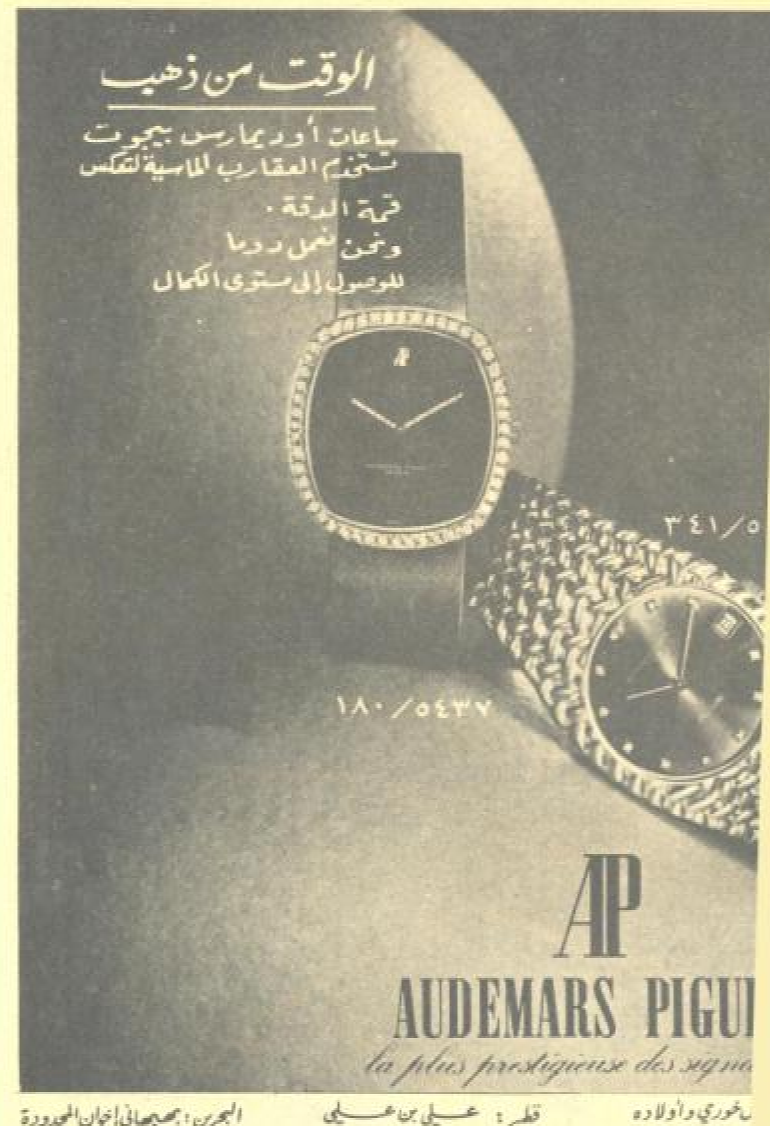
To The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd
Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU, England

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

182CDW

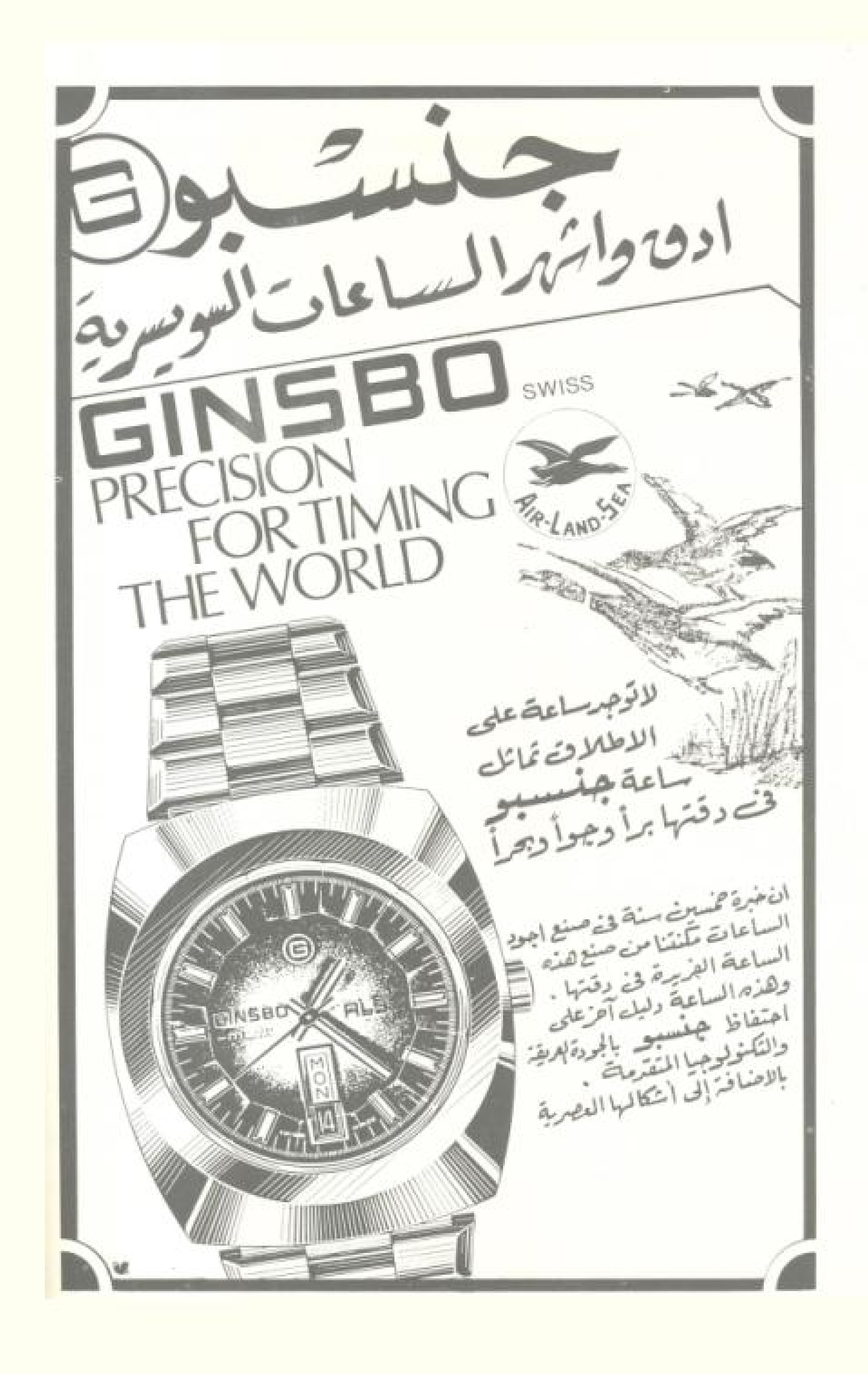
احد المصارف التابعة لمجموعة بنك ناشونال ويستمنستر التي يجاوز رأسمالها واحتياطياتها ٧٩٧ مليون جنيه استرليني.



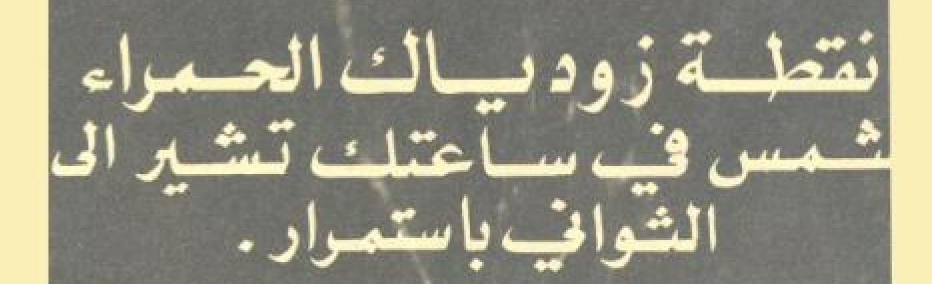
الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الدقة.
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGU
la plus prestigieuse des signa



موسيقى فيليبس تسحر أفراد العائلة كلها
لعبات الكاسيت البسيطة، ومسجلات الكاسيت المتعددة الجوانب. أجهزة كاسيت
فيليبس صنعت لتسحر ذوي السمع الدقيق والدراية الواسعة بأصول الموسيقى
وجمال التصميم. منها الموديلات السهلة النقل والتي توضع على الطاولة. منها ما يعمل
بالبطارية أو بالتيار العادي. منها المونو ومنها الستيريو، ومنها الجهاز الذي ينتج الموسيقى
باستمرار دون انقطاع. لهذا المسجل ستيريو، وميزته الكبرى
انه يربط كاسيتات الأشرطة واحدة بالأخرى. انه يقدم
بمكبرين للصوت لإنتاج موسيقى ستيريو مجسمة.
PHILIPS
C-60
C-90
٣ أنواع من كاسيتات الأشرطة الفارغة أو
المعبأة: سي ٦٠ وسي ٩٠ وسي ١٢٠ (الأرقام
تشير إلى الدقائق). كلها تنفرد بأحدث الابتكار،
لأن فيليبس هي التي ابتكرت أجهزة الكاسيت،
وهي السباقة في مجال أجهزة التسجيل.
PHILIPS



جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION
FOR TIMING
THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
في دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة في صنع اجود
الساعات مكنتنا من صنع هذه
الساعة الفريدة في دقتها .
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة العريقة
والتكنولوجيا المتقدمة
بالاضافة إلى أشكالها العصرية .
GINSBO
ALS
MON
14



زودياك استروغرافيك طريقة جديدة لتحديد الوقت .
بهجة اوفر ومتعة اكبر وتوقيت ادق .
انها في حدود الاسطورة الخارقة ، ساعة الدقة .
ساعة الرجال تنبض ٣٦٠٠٠ هزة في الساعة .
اوتوماتيكية ، روزنامة للمرأة وللرجل :
ساعة استروغرافيك من زودياك



Zodiac

UNIVERSAL

اينما كنتم اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



RADO









رادو دياستار الكترسونيك

الساعة الاولى في العالم الغير قابلة للخدش والتي تعمل
بواسطة البطارية بمنتهى الدقة. لقد جمعت ساعات «رادو
بين الذوق. الدقة والمتانة عدا عن مقاومتها للماء. بالاضـ
لتشكيلتها الرائعة التى تناسب كل أ مع صيانة تامة من قبـ
خبراء فنيين. مع ضمانة د ية
صفات هذه الميزات لاخـ ت رادو.

الوكلاء العامون بالكويت **محلات البابـ ، ملـ** **محمد عبد الله البابطين**
ت ٤١٩٤١٩ ٤١٦٤١٦ برقيا : ت. تلكس : ٢٠٥٣ ص ب ٢٤ الصفاة

المملكة العربية السعودية **مؤسسة الغزالي للتجارة** **محمد العلي العبد اللطيف**
الرياض تلفون ٢٦٩٣٨ برقيا : غزلان جدة : ت : ٣١١٥٢ ص ب ٢٥٩٥

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر







A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

ألم يحن الوقت الذى تبدأون فيه مشاهدة التلفزيون بالألوان الطبيعيّة المثيرة؟

الموديل CTP 3401

تلفزيون ملوّن نقال

١٤ بوصة ... يتألق في صورته الواضحة بجلاء ويعطيكم ألوان البشرة بإتقان تام. جميع الدوائر من الترانزستور مع صمام رئيسي مصمم حديثاً للشاشة السوداء. يعمل على كافة القنوات فوق العالية/والعالية جداً. يسهل نقله بين الغرف (الوزن يقل عن ٤٠ رطلاً) ويتوفر في صندوق من خشب الجوز الفاخر.

الموديل CTP 437 CTP 5401

تلفزيون ملوّن

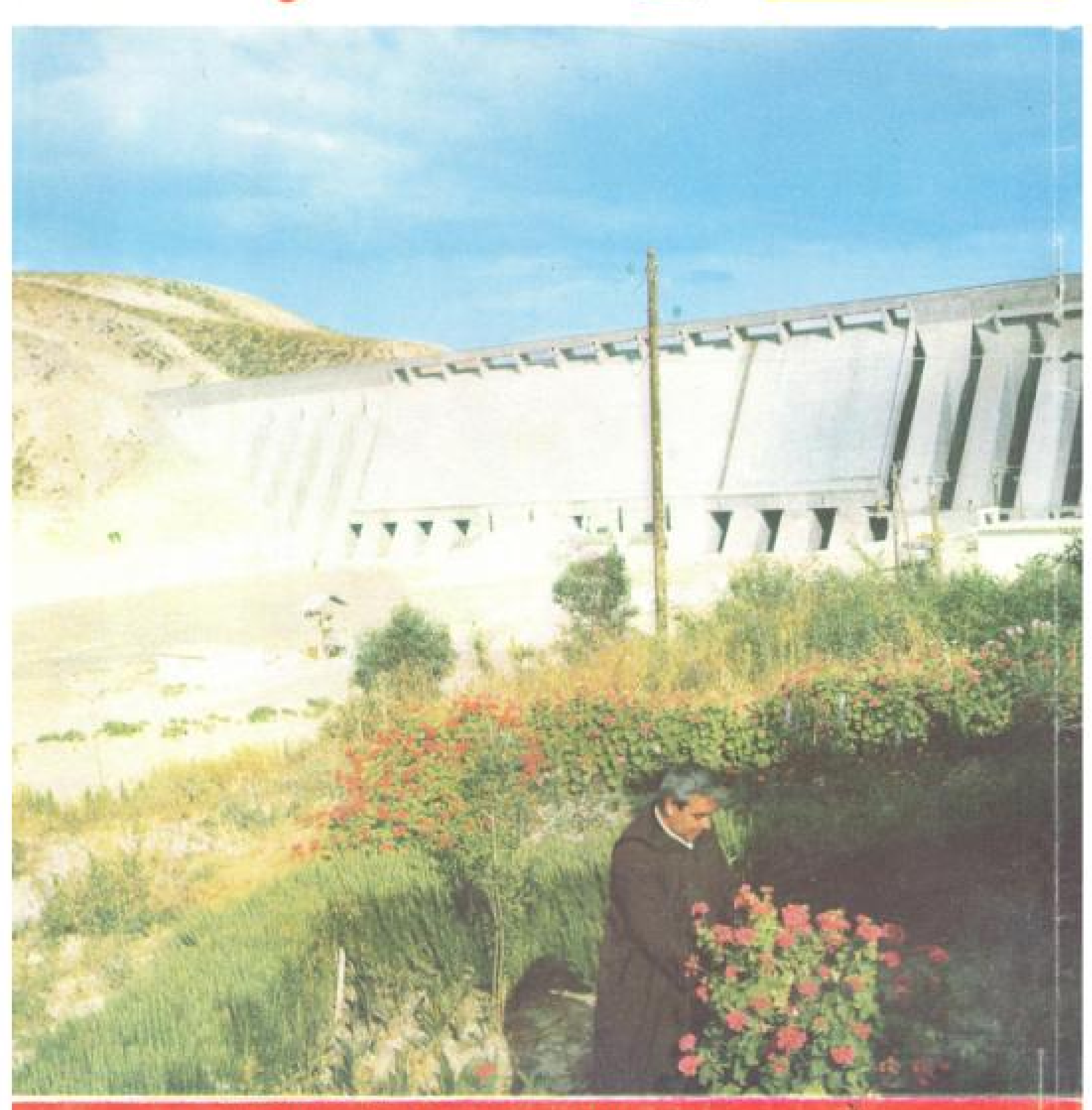
١٨ بوصة مع جهاز التنغيم VARACTOR جميع الدوائر من الترانزستور للعمل مع القنوات فوق العالية/والعالية جداً، الوان طبيعية متألقة على صمام الشاشة السوداء مع زاوية انحراف بمقدار ١١٠ درجات. يضم مفاتيح VARACTOR للتنغيم الفوري بالزر الضاغط، مع أجهزة تحكم انزلاقية. قاعدة جميلة للدوران وصندوق جذاب من خشب الجوز.



SANYO سانيو

العربي

العدد ١٩١
رمضان ١٣٩٤
اكتوبر
(تشرين اول) ١٩٧٤



سد ادريس الاول . واحد من ٢٥ سدا فى المملكة المغربية .

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	[illegible]	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	[illegible]
الخليج العربي	٢ ريال	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	[illegible]
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	[illegible]
البحرين	[illegible]	سوريه	١٠٠ قرش	الجزائر	[illegible]
اليمن	[illegible]	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	[illegible]



الثعلب
الاحمر

هذه صورته : رشيق ، جميل ،منسق الاعضاء، مرفوع الاذنين ، حاد البصر ، تلمع بؤبؤتاه بسبب خلايا فى العين تعكس الضوء الداخل اليها ..

« انظر صفحة ٢٣ »



عزيزى القارىء

عصبة الامم كانت ثم زالت

(١٠ يناير ١٩٢٠–١٨ ابريل ١٩٤٦)

وهيئة الامم كائنة فى سبيلها الى الزوال

(٢٤ اكتوبر ١٩٤٥ – .....)

الناس تمرض ثم تموت .

والموتة واحدة ، ولكن تختلف الأمراض .

اما هاتان المنظمتان العالميتان فسوف تموتان موتة واحدة ، ولكن بمرض واحد .

اما المرض : فالجبروت الذى يستيقظ فى بعض اعضاء هذه المنظمة

استيقظ الجبروت بعد الحرب العالمية الاولى فى المانيا ، واستيقظ فى ايطاليا، والجبروت قوة ، والقوة والعدل شيئان جعلهما الله بين خلقه نقيضين ، فهما لا يكادان يجتمعان ابدا .

واستيقظ الجبروت بعد الحرب العالمية الثانية فى امريكا ، والجبروت قوة ، والقوة والعدل جعلهما الله بين خلقه نقيضين ، فهما لا يكادان يجتمعان أبدا .

فى عصبة الامم بلغت المانيا من القوة مبلغ السباع ، وبلغت ايطاليا من القوة ، مبلغ الضباع ، وظهر أن العصبة لا عصب فيها عندما افترست ايطاليا أضعف شاة فى ذلك المجتمع، وكانت الحبشة. ولم تلبث المانيا أن افترست من سائر القطعان ما كان أقرب الى مخالبها فى أوروبا . وفلسفوا سياسة الغاب ، هذه البشرية ، بأن البشر مراتب ، سباع آكلة ، وكراع مأكولة .

وفى هيئة الأمم بلغت الولايات المتحدة من القوة ما بلغت السباع وفوق ما بلغت الضباع ، فضاقت بصحبة سائر الحيوان لا سيما الأبقار والاغنام . ومسها الجوع الفطرى الذى تعطيه القوة، فخرجت بمشاكل الأمم خارج هيئة الأمم ، وبعيدا عن عيونها ومسامعها ، لتقضى فى أمرها بعيدا عن تلك الردهات .

المحـرر



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسال .. ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 191 OCTOBER 1974 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● في المملكة المغربية الآن ثورة تعميرية جديدة يطلق عليها اسم « ثورة المليون هكتار » ان اهداف هذه الثورة هي توفير مياه الري لمليون هكتار (٥ر٢ مليون فدان) من الاراضي الزراعية وهذا الهدف سيتحقق بالكامل عن طريق انشاء شبكة كبيرة من السدود على انهار المغرب الشمالية وصورة الغلاف تمثل سد ادريس الاول وهو واحد من ٢٥ سدا تم انشاؤها حتى الآن في المغرب • وهذا السد بالذات هو الخطوة الاولى في توفير مياه الري لـ ٣٠٠ الف هكتار في سهل المغرب الكبير • (اقرأ الاستطلاع من ص ٣٨ الى ص ٥٧)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ٢ ريال قطري • البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش . • لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج • م • ع ١٠ قروش • تونس ٢٠٠ مليم • الجزائر ٢ دينار جزائري • المغرب ٢ درهم • اليمن ٥ر٢ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص•ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي • وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص•ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب •



هضبة الجولان
اسماء قراها ومدنها
اسماء عربية صميمة

● قرات في مجلة العربي العدد (١٨١)ديسمبر ١٩٧٣ مقالا بعنوان « الجولان » للدكتور عادل عبد السلام ، ولكنني عثرت على بعض الاخطاء وان جئت الآن مصححا فما ذلك الا لكي لا ينتقص من قيمة المقال القيم •

في الصفحة رقم ٤٥ السطر الرابع من المقال ورد اسم سهل الخويجه ، والاصح سهل الخويخه او خوخه •

ثم في ذات الصفحة السطر السادس ورد اسم سهل القال والاصح هو سهل العال حيث ينبت زهر النرجس •

وفي الصفحة ٤٨ الفقرة الاولى ورد ، ويلي مدينة القنيطرة مدينة فيق ، وتسمى الزوية ايضا، وهي مركز منطقة فيق والاصح ان فيق هي بلدة لاغير ولا تسمى الزوية لان الزوية هو القضاء وفيق البلدة هي مركز القضاء ليس الا •

مع عظيم تقديري لجهود الدكتور عادل عبدالسلام لمقاله القيم املا ان يتحف قراء العربي بامثال هذا المقال عن ربوع قرية اخرى •

سليمان ابو الحسن ـ دمشق

المرثية الاندلسية

● قرات في مجلتنا الكبيرة « العربي » العدد ١٨٥ ابريل بحثا عن مرثية الاندلس التي عزاها الخفاجي الى القرطبي وغيرها كما اشار المؤرخ الكبير الاستاذ محمد عبد الله عنان •

والحقيقة ان هذه القصيدة رائعة وقد اخذناها في المدارس الاولية منذ نصف قرن تقريبا ،ونذكر منها هذه الابيات :

لكـل شيء اذا ما تم نقصـان	فلا يغر بطيب العيش انسـان
هي الامور كما شاهدتها دول	من سره زمن سـاءته ازمان
فجائع الدهر انواع منوعة	وللزمان مسرات واحـزان
حيث المساجد قد صارت كنائس ما	فيهن الا نواقيس وصلبان
على ديار من الاسلام خالية	قد اقفرت ولها بالكفر عمران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد	ان كان في القلب اسلام وايمان

محمد جبر شهوان



رمازينى
هو أبو الطب المهنى

● فى مقالة بعنوان « علم الصحة المهنى » للدكتور محمد سيد عبد العال ـ العدد ١٨٤ مارس ١٩٧٤ ذكر الكاتب ان الاهتمام بالعامل ظهر فى انجلترا ، وكان « روبرت اون » الرائد الاول فى هذا الميدان ، وهو يعتبر أبا للخدمة العمالية لما قام به عمليا من الخدمات وبسبب مقالاته التى كتبها مابين عام ١٨٠٠ ـ ١٨١٦م تحت عنوان (وجهة نظر جديدة للمجتمع) .

وذكر الكاتب ايضا ان الواضع الاول لدعائم علم الصحة الحديث هو مصلح السجون الكبير « جون هوارد » .

هذا صحيح ـ الا انه قبل هذا التاريخ يرجع الفضل لرائد عظيم من رواد القرن السابع عشر وهو يعتبر بحق أبا للطب المهنى،يدعى « رمازينى» الذى نشر أول عمل خالد له فى الامراض المهنية سنة ١٧٠٠ وهو فى السابعة والستين من عمره والذى ولد فى ايطاليا سنة ١٦٣٣م أى بعد مائة من بدء دراسة « باراسيلسس » للتسمم بالمعادن.

وتصدر فى فلورنسا،تكريما له وتخليدالذكراه، مجلة للصحة الاجتماعية منذ ١٩٠٧م اسمها « الرمازينية » ويذكر رمازينى الحادثة التى أثارت اهتمامه الكبير بالصحة المهنية وبالمآسى التى تحيط بالعمال فيقول : انه يوم من الايام بينما كان احد العمال يقوم بعملية تنظيف احدى البالوعات فى بلدة مودينا جاريا فى منزلنا رأيته يبذل مجهودا ضخما لينهى عمله باسرع ما يمكن ، فشعرت نحوه باسى لقسوة العمل الذى يقوم به ، وسالته.: لماذا يبذل كل هذا الجهد ؟ وكان الاجدر به ان يتانى فى عمله منعا للارهاق الشديد ... فرفع العامل راسه من الخزان الذى يعمل به وقال : «لا يمكن لمن لم يجرب هذا العمل ان يتصوركم يقاسى المرء لو استمر هكذا اكثر من اربع ساعات انه من السوء كمن هو على وشك ان يفقد بصره » .

ولم ينس ابدا هذه الحادثة وقد تركت فى نفسه أثرا لا يمحى .

ويقول رمازينى : ان الطب كالقانون يجب أن يكون عونا للعمال ، عاملا على راحتهم ، كمايجب ان يمكنهم من اداء واجبهم دون ان يتعرضوا لأذى ...

جاد الكريم الزارع
سوهاج ـ ج . م . ع

قرى اللطرون واراضيها المنهوبة

قرات مقال « ماساة اللطرون » بقلم الاستاذ الكبير عارف العارف رحمه الله فى العدد (١٨٣) وقد جاء فيه قوله :

واليك عدد الدونمات التى تملكها كل واحدة من القرى الثلاث المذكورة :

عدد الدونمات	القريـة
١٤٫٩٩٢	يالـو
١١٫٤٠١	بيت نـوبـا
٥٫١٥١	عمواس

لقد قصد استاذنا العارف ـ دون ادنى شك ـ ما كانت تملكه هذه القرى الثلاث بعد حرب ١٩٤٨.. لا قبلها . اننى من قرية عمواس والذى اعرفه من اصحاب الارض فى بلدتى انه كان لاهلها قبل سنة ١٩٤٨ املاك تقدر بستة وثلاثين الف دونم (٣٦٫٠٠٠) وقد احتل الاعداء القسم الاكبر منها ووقع قسم آخر فى «المنطقة الحرام» . واما ما تبقى وهو الرقم الذى ذكره المرحوم هو عبارة عن مسطح القرية والكروم الواقعة حولها ! وقل مثل ذلك فى قريتى يالو وبيت نوبا اللتين فقدتا ولا شك الكثير من اراضيهما بسبب حرب ١٩٤٨ .

عبد العزيز ابو غوش ـ ابها ـ المملكة السعودية





بقلم رئيس التحرير

« الثنائية » منهج من مناهج الفكر قديم ·

مهدت له الطبيعة بأن جعلت من الزمان ليلا ، وجعلت منه نهارا · فالليل اسود والنهار ابيض · وفى الليل العمى ، وفى النهار الابصار · وفى الليل الضلال ، وفى النهار الهدى ·

من هذه الثنائية الطبيعية القديمة الأولى ، ابتدع الانسان سائر الثنائيات · وضمنها صورا فلسفية ، وضمنها عقائد دينية ·

فكانت من ذلك ثنائية الخير والشر ·

وكانت منذلك ثنائية الروح والجسد ·

وثنائية الحياة والموت ·

وثنائية الوجود والعدم ·

★★★

وفى عصرنا هذا الحديث تولدت ثنائية شائعة حديثة،هى ثنائية الميمنة والميسرة·

فالناس تقول هذا رجل يمينى ، وهذا رجل يسارى ·

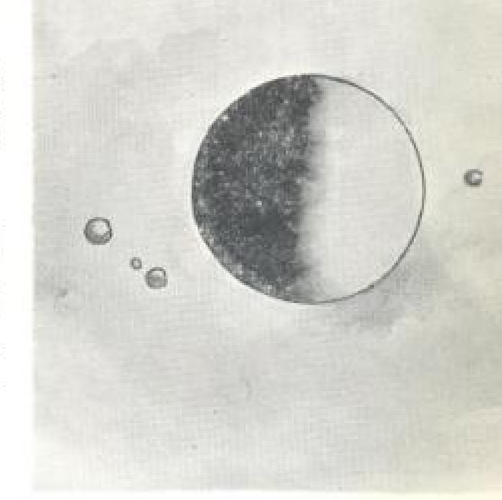
وهذا من اهل اليمين ، وذاك من اهل اليسار ·

وتسال عن اهل اليمين فتسمع عن اوصافهم الكثير ، وتسمع الكثير عن اهل اليسار ·

والسبب فى هذا ان هذه الثنائية انما نشات عن تحولات وتطورات حديثة ، منها مايتصل بسياسة ،ومنها مايتصل بمجتمع، ومنها مايتصل بمال ، ومنها مايتصل بخلق ، ومنها مايتصل بدين ، وغير ذلك من مذاهب العيش فى الحياة ·

وسبب آخر يجعل الابهام يسيطر على معنى هذه الثنائية ،ومايدل عليه طرفاها، ذلك ان المذاهب ، قد يذهب اصحابها

وَأَهلُ اليَسارِ



الثنائية بدات بثنائية الزمان : ليل ونهار

يمينا ، ويذهب آخرون يسارا ، ولكن هناك من يذهب مذاهب اخرى ، لاهي باليمينية ، ولا هي باليسارية ، ولكنها بين هذه وتلك مسارات مختلفة ·

وهناك صنوف من الرجال والنساء متارجحون ، فهم في السياسة احرار،وهم في الأسرة محافظون ، وهم في الاقتصاد ثوريون ، وهلم جرا ·

الا ان الأبحاث الحديثة التى قام بها علماء الاجتماع وعلماء النفس ، اظهرت ان هناك في الشخص الواحد مزاجا غالبا ، يميل الى الانفتاح ، او الى الانضباط ، وهذا المزاج يرمى بظلاله على مايأتيه صاحبه من فكر ، ومايأتيه من عمل ·

اليمين واليسار في الحقل السياسى

اهل اليمين هم تلك الطائفة من الناس التي ترى الثبات احسن الثبات في ان تظل الأشياء على ماهي عليه ، في الحكم ، وما ينشأ في الحكم ، خشية التغير ، ولو كان في التغير بعض مايصيب الناس من خير · ان الحاضر معروف ، والغائب غير معروف ، وربما لو تكشف ، ود الناس

لو عادوا الى ماكانوا فيه . وهم يرون فى ذلك رأى الشاعر الذى يقول :

رب يوم بكيت منه فلما
صرت فى غيره بكيت عليه

وليس معنى هذا ، ان اهل اليمن يرضون بالظلم ، ولكنهم يرضون بالعدل الذى ياتى وفى حواشيه بعض مالايرضى الناس ، وهم يعللون هذا الرضا بأنه ليس فى الامكان خير مما كان ، وان الخير المحض ليس من ثمرات هذا الوجود، وانما هو فكرة من افكار الفلاسفة ابتدعوها عند الجدل خالصة ، وهى لاتخلص فى الحياة ابدا ، وانت واجد فى الصفاء دائما كدرا ، والماء ينزل من السماء خالصا ، حتى اذا جرى على الأرض شابَهُ ماعلى سطحها من تراب .

وعلماء النفس يردون ولاء اهل اليمن للحاكم الواحد ،او للزمرة الواحدة من الحكام ، الى ماكان فى طبيعتهم ، وهم اطفال ، فى الأسرة الواحدة ، من اتباعهم الاب الواحد بحسبان هذا أحد نواميس الحياة ، فالاب هو الأقوى ، وهو الأعلم ، وعنده الحماية ، وعنده الحرب ان تكن حرب . ومن ولاء الأطفال لرب الأسرة انتقل ولاء الكبار الى رب الدولة .

وكما يحدث احيانا فى الأسرة ان يكون



الأب رب الاسرة ، وله ولاؤها ، ومن ولاء البنين والبنات للأسرة ، جاء ولاؤهم للدولة .

فيها اطفال ثائرون ، ثائرون على الأب ، وعلى الأم ، فكذلك يوجد فى الدولة اهل اليسار ، الثائرون على كل مافى الدولة من سلطان • هؤلاء لايعجبهم في الدولة شيء ، وليس عندهم فى مرافق الحياة مايُرضى ، ومنهم من لايرضى بالاصلاح ويقول بالهدم •

وليس معنى هذا ان مرافق الحياة كلها جديرة بالهدم ، اذن مابقيت حياة • وانما هى اليسارية ، كالعقيدة اليمينية ، هى مزاج اكثر منها منطق • وما خلت اليمينيّة من كل المنطق ، ولا خلا اهل اليسار •

اليمين واليسار في شئون الأسرة

الأسرة وحدة صغيرة ، ومن وحدات الأسر يتألف المجتمع • المجتمع كما نعرفه اليوم فى شتى ارجاء الأرض،حيث الناس يكتبون ويقرأون ، ويعملون في زراعة وصناعة ، وبالتجارة يتعاملون •

والأسرة كما نعرفها اليوم حاجة من حاجات الانسان،بحسبانه حيوانا عاجزا • ان الطفل الانسانى الوليد يموت بدون اسرة ، بدوم ام ، وبدون اب • الأم ترضع ، والأب يسعى • والطفل يولد



تنشئة الطفل فى الأسرة تستغرق السنين الطوال ، لكي يتأهل للدخول فى المجتمع • عضوا فيه عاملا •

وليس فيه من صفات الانسان شيء . لا كلام ، ولا عقل ، ولا حركة ، والاسرة تنشئه في كل هذا . وهي في اثناء هذا تمجمعه ، اى تعطيه الصفات والفكر والعادات التي بها يستطيع ان يخرج الى المجتمع ويمشى في طرقاته . وهذا كله لايتم في عام واحد او عامين . انها الاعوام .

فالاسرة ضرورة حيوية بيولوجية اجتماعية انسانية ، تحضر الطفل ليكون انسانا .

والأسرة في العهود الزراعية كانت من المنزلة في مكان امين . ويكبر الاطفال ، نيكونون صبية ، فشبانا ، ومع الشباب حمل الحياة المرسوم . ثم ماأسرع مايطلب الشاب منهم ان يتزوج ، فتكون له أسرة ويكون اطفال . وهكذا يتبع الجيل الجيل في رتابة تمتد على الدهور .

ولكن ماأسرع ماتغيرت الحال بدخول العصر الصناعي ، وظهور الآلة ، وظهور المصانع الصغيرة والكبيرة .وتنوع الهيئات في المجتمع ، وتصنّف الفئات ، واختلاف المهن واتساعها . وفي الحياة السياسية وجدت الاحزاب . وفي الحياة الرياضية والاجتماعية ، وجدت النوادي . والى جانب الأسرة ، اسرة الدم ، وجدت اسر اخرى ، تشارك اسرة الدم في ولاء افرادها .

ولم تكن وسائل الاعلام ، من صحف ، واذاعة وتلفاز ، وسينما ، لها خطر كبير في اوائل هذا القرن . وبمرور الزمن وجدت كل هذه الوسائل سبيلها الى الأسرة، تدخل من الباب ، ومن النافذة ، وعبر الحائط ، لايمنعها مانع ، ولا يستطيع رب الأسرة ان يحتويها . فاخذت تنافسه السلطة في عقر داره .

وخرج الابن الى العمل،وخرجت البنت الى العمل ، وكان لهما في بيئة العمل تجارب لم تتفق دائما وتجارب الفوها في البيت ، مقر الاسرة .

ومن هنا انقسم الآباء ، وانقسمت الأمهات ، الى فئة ترضى عن هذا التحول ، وتزيد فيه ، فهؤلاء هم اهل اليسار ، والى فئة اخرى لاترضى عن هذا التحول،وتريد ان تبقى على ولاء الاسرة اول الولاءات، فهؤلاء هم اهل اليمين .

ومن اهل اليسار من يشكون في



وسائل الاعلام ، من صحف ، ومن كتب ،واذاعة وتلفاز ، وسينما اخذت تنافس ، رب الأسرة ، في السلطة ، في عقر داره .

الضرورة التي تقضي ببقاء الاسر مفارخ انسانية لابد منها لانتاج البشر، وتجهيزهم تحت الأسقف الواقية للخروج الى الحياة .

واهل اليمين ، في اعطائهم ولاءهم للاسرة اول ولاء ، انما يصدرون في ذلك عن عاطفة انسانية صميمة ، تلك وقاية الافراخ من الضياع . ولكن لعل الخطأ عندهم انهم ينسون ان الافراخ تكبر ، فلا تكون من بعد ذلك افراخا ، يخشى عليها مايخشى على الافراخ من ضياع . وهم ينسون ان الصبي الذي لايخرج الى الطريق ليتعلم السير في الزحام ، سيكون اول ضحية للعجلات اذا هو خرج الى الطريق مرة واحدة في العام .

ان الاسرة اليوم ، والحديث هنا على الاكثر عن أسر اوروبا، ليس لها الروابط الوثيقة التي كانت تربطها في اول هذا القرن ، وافراد الاسرة يقضون اليوم بين جدران البيت الواحد الساعات الاقل ، ويقضون خارج هذه الجدران الساعات الاكثر يقضونها في المدارس ، او حيث لهم اعمال في متاجر ومصانع او مكاتب ، او حيث هم يتروحون من عناء يومهم في دار للسينما او غير ذلك من وسائل الترفيه .

اسلوب الحياة تغير .

ولزم تبعا لذلك ان يشرك ولاءهم للاسرة سائر الولاءات .

ومع هذا ، بقيت للاسرة الرابطة العاطفية التي لاتنفك ابدا ، الا ان يصاب الفتى ، او تصاب الفتاة بمرض نفسي عضال .

رابطة الدم لاتزال هي الرابطة الاقوى .

اليمين واليسار
في الثورة على التقاليد القائمة

والتقاليد القائمة ، وهي موروثة ، من صفة اهل اليمين الحفاظ عليها ، وذلك بحكم المزاج الذي يطمئن الى الشيء القائم ويرتاب فيما قد يكون لو جئنا بشيء قد يحل مكانه .

والتقاليد القائمة ، من حيث انها موروثة ، من صفة اهل اليسار ان يثوروا عليها ، وذلك بحكم المزاج العام الذي هو الثورة على كل شيء قائم .

واهل اليسار راح منهم من يؤكد هذه الثورة ، فاتجهوا الى انفسهم يثورون عليها . ومن الثورة على انفسهم اطالة الشعور حتى ماتفرق بين الذكر والانثى . ومن الثورة على انفسهم اطلاق لحاهم حتى لاختفت اكثر وجوههم تحتها، فانت تعرفهم بلحاهم اكثر مما تعرفهم بسيمات وجوههم .



ومن اهل اليسار من ثار على نفسه ، فاطالوا شعورهم حتى ماتفرق بين الذكر والانثى ، واطالوا لحاهم حتى ماتعرفهم الا باللحى ، وملابس سلكوا بها مسالك عجيبة شتى .

ومن الثورة على انفسهم ثورة في الملابس من حيث اقمشتها ، وطريقة تفصيلها ، وكذلك الوانها ،حتى لصارت لهم في المدن الكبيرة متاجر للثياب تفى بشتى اغراضهم، وترضى سائر الأهواء .

كل هذا دليل على الثورة .

وفتاة لقيتها صباح يوم في لندن ، وجه صبوح جميل ،وشعر اصفر مسروح، وثياب غريبة عجيبة حسنة المقطع ، زاهية الالوان ، لافتة للابصار . ثم قدمان حافيتان يمس جلدهما ارض الشارع مسا.

قلت لنفسي : ان تكن هذه ثورة يسارية ، او مرضا نفسيا ، وكان هذا دواؤه ، فانعم به ، لو صدق ، من دواء .

اهل اليمين واليسار في ثورة الجنس وما يتصل بالنساء

اما الثورة التى اعنى فثورة الجنس ، التى تتصل بالعفاف .

واعود فأقول انى انما احكي عن هذه الثورة في مواطنها من اوروبا وامريكا . ولكن لن يطمئن احدا أن بين اوروبا وامريكا البحار والمحيطات . فالسيارة عبرت الينا رغم البحار والمحيطات،وعبرت الهاتفات ، وعبرت الاذاعات والتلفازات ، وعبرت الكتب،حملتها السفن والطائرات.

اما الثورة ، فالانفتاح على الجنس . جرت التقاليد ، وجرت الأديان على ربط الجنس بالزواج .

وتقضي الثورة بالفكاك من هذا الرباط .

وتسأل الرجل اليسارى منهم ، في هذا الأمر ، فيأتيك بحجج يزعم فيها ان تحريم الجنس بلا زواج عمل غير منطقى وعمل غير طبيعي . ومنهم من يضرب لك مثلا بأن الجنس طبيعي بغير زواج بما يجرى بين الخيل والحمير . وهذا صحيح ولكن الخيل والحمير ليس لها بيوت تسكنها . ولا اسر تعولها ، ولا مجتمعات تقيمها ، ولا برلمانات تحييها . وليس لها لسان يقول ، ولا عقل يفكر .

والحق انهم يقضون بذلك ، فيما يقضون ، لأنه يتفق مع مزاجهم ، سببا الى التحرر من كل قيد .

ولكن التحرر من الجنس سبق وجود اليساريين،او سبق ارتباطهم بهذا المعنى .

الذى دعا الى التحرر ماأصاب المجتمع الغربي من انقلاب كبير ، ذلك الذى تمثل في الثورة الصناعية . فالثورة الصناعية خلطت بين الذكور والاناث في المصانع والمتاجر والمكاتب خلطا . والثورة الصناعية اطالت مدة التعليم والتدريب للشباب ، فاصبح الشاب لايفرغ من ذلك الا في العقد الثالث من عمره ، وبقى الجنس يشغله طوال هذه السنين . ثم ضعف الأثر الديني في الغرب كله ، وكان هذا آخر عقبة تزال .

وهذا الانفتاح على الجنس له بالطبع عواقب وخيمة . وهى عواقب اقتصادية ، وعواقب اجتماعية ، ظاهرة بينة . وهى تتركز فيما ينتج عن الانفتاح الجنسى من الحمل . ولكن جاء العلم ، فيسّر الأمر بان منع الحمل بطرائق شتى ، فازال الخطر المخوف .

وظهر في الغرب ، في قلة غير قليلة من الناس ، بسبب ذلك ، تغير في معنى الطهارة ، طهارة المرأة عند الزواج . لم تعد هذه القلة تسأل المرأة عما كان لها او كان منها قبل اللقاء . وهذا التراخى اضعف من قيمة الزوجية ، ونال من حرمتها ، بين الرجال والنساء .

وخرج من رجال العلم ، اولئك الذين اسموهم بعلماء النفس ، فئة تبرر هذا الانفتاح الجنسى،فلا تكاد تجعل له حدودا. ويكتبون الكتب فتروج،ويأتي منها العائد الكبير ، حتى امتلأت الأسواق بهذا الزيف العلمى الذى لا أساس له من تجربة او خبرة . وما العلم الا تجربة وخبرة

ومختبرات • ومنهم من ذهب ، فى سبيل مفاجأة قرائهم بالغريب الرائع،الى القول بأن الزواج رتابة من حيث الجنس مملة ، ونصحوا ، وهم العلماء ، باتخاذ النساء ، الى جانب ازواجهم الرسميين ، اخلاء • قالوا : ان هذا انعاش للنفس ، وتجديد لها • وكيف تنكر عليهم هذا ، وهم علماؤها ؟ !

وكم فى العلم من شعوذة ، وكم فى العلماء •

فهؤلاء هم اهل اليسار ، المغرقون فى يساريتهم •

والى جانب هؤلاء يوجد اهل اليمين ، المغرقون فى يمينيتهم ، اولئك الذين لا يتركون منازلهم حتى يغلقوا على نسائهم الأبواب • ويتحدثون اليك عن المرأة ، فيقولون انها أم ولد • وعاء كاوعية الطبخ تطبخ فيه الذرارى ، من بنين وبنات • ينظرون الى اجسادهم فيجدون فيها قوة الأبدان ، وفى النساء الضعف



والنساء تعمل ، وقد تعمل فوق مايعمل رجالهن : امرأة تطبخ ، وترضع الخ ••

والرقة . وينظرون الى جيوبهم فيجدون بها حصيلة الكسب،فهم الكاسبون،والنساء تعمل ، وقد تعمل فوق ما يعمل رجالهن ، ولكن من غير اجر . كفاهم اجرا ما ينفقنه من طعام وكساء وغطاء وحماية ، والحمل والوضع ، وهما من أشق اعمال الحياة ، وأطولها مدى ، وآلمها للجسم والنفس معا ، تقوم النساء بهما ، وقد حق لهم الأجر ان صح ان لكل عمل اجرا .

غضب رجل من امرأته لنقص زعمه عندها من رعايته.قلت:رفقا بالقوارير. قال في غطرسة الرجل القوي الذي بيديه ملاك الأمر كله : ان القوارير ما رقت الا ليحق عليها الكسر .

ومن عجيب امر هذا الرجل انه كان متصلا بأعمال الساسة،وانه كان لا يتسم في السياسة بالاستبداد . وكان من احب الكتب اليه كتاب ، طبائع الاستبداد ، للكواكبي . ولكن ضاع عجبي عندما تبين لي ان الرجل قد يكره الرجل الذي يستبد بأموره ، اما ان يستبد هو بأمور الناس فشيء فيه الصلاح كل الصلاح ، فهو لا يستبد الا للخير !

فهذان طرفان ، يسارية غالبة،ويمينية غالبة ، تجمعهما امتهان المرأة ، النصف الثاني من بني الانسان .

اهل اليمين واهل اليسار في الجريمة والاجرام

كذلك في الاجرام ، يوجد في الناس اتجاهان ، يمنة ويسرة .

ونبدأ بأهل اليمين لأنهم الأقدم .

وهم الذين يؤمنون ان لكل جرم عقابا. فللسرقة عقاب ، وللقتل عقاب ، وللسلب عقاب . ويؤمنون بأن العقاب ، فوق انه حق ، فهو مانع رادع .

وجرت على ذلك الأجيال من قديم الزمان .

ثم تغيرت المجتمعات في القرون الحديثة ، ولا سيما في القرنين الماضيين ، وهما القرنان اللذان اتسعت فيهما رقعة الصناعة اتساعا كبيرا ، غير من معالم العيش تغيرا بالغا ، حتى لو ان رجلا من القرن السادس عشر بعث اليوم ، ورأى الدنيا الحاضرة ، وقارنها بدنياه الغابرة، لرأى عجبا كثيرا .

واخطر وجوه التغير الذي حدث،لصلته بما نحن فيه من حديث ، هو الذي حدث من انفتاح الناس بعضهم على بعض ، واتساع القرى فصارت مدنا ، واتساع المدن فصارت عواصم ، واوصلت بين اهلها شبكات من مواصلات عدة ، مواصلات ارض ، ومواصلات هواء ،ثم مواصلات ثقافية عظيمة شاملة تمثلت في صحف واذاعات . اختلط الناس اجساما ، واختلط الناس افكارا،واختلطوا اعمالا.

وزادوا فيما زادوا اجراما .

وهنا بدأ اليسار يخطو اول خطاه .

ومن اول خطاه ، تخفيف النظرة الى الجريمة . ان الجريمة التي يجرمها عشرة من الناس ، غير الجريمة التي يجرمها الألف من الناس والعشرة الآلاف .

وخفت بذلك العقوبات .

وعقوبات الزنا ، وانا أتحدث دائما عن اهل الغرب الذي نحن سائرون في ركابه ، ونكاد نصل ، أقول وعقوبات خفت حتى صار لا عقوبة لها ، مع التراضي ، بين ذكر بالغ وانثى بالغة .

حتى عقوبة الاعدام ، تفضل الكثيرون من علماء النفس المحدثين ، وتطوعوا في النظر في الدوافع التي تدفع القاتل الى القتل ، فوجدوا انها كثيرا ما تكون عن مرض نفسي ، نشأ في الطفولة،ثم تدرج حتى صار مرضا عضالا ، انتهى بسفك الدماء . والمريض يجب ان يرحم . فهو لم يقتل لأنه قاتل ، وانما هو يقتل بسبب انه مريض . واذن فعقوبة الاعدام هي نفسها عمل اجرامي تقوم به الدولة . واذن يجب الغاؤه !



النفس بالنفس
والذين يرون مافي حكم الاعدام من بشاعة يجب ان يذكروا الجريمة التى سبقت ، فلعل البشاعة فيها بشاعة مضاعفة ٠والحياة قصاص٠

والغى فى كثير من البلاد ٠

ومن هذه البلاد من يتحدث اليوم بعد تجربة سنين الى العودة الى اعدام القاتل٠

ورجل قتل اسرة ، ابا واما ، واولادا ثلاثة ، فلما حكموا على الرجل بالاعدام، قام من الكتاب من يصف عملية الاعدام وصفا يثير الثورة في نفوس قارئيه ٠ وهو يطلب الرحمة بالقاتل ٠ وهو بحذق المنافقين يتجنب وصف ما وقع في هذه الأسرة يوم ذبحها هذا الغادر ، واحدا بعد واحد ٠

ومن اليسارية الغربية ان الرجل يدخل الى بيته ، فيرى زوجته فى احضان غيره، فيطلق على الغادر الطلقة من مسدسه ، ثم تاتى الشرطة فتضعه فى القيد ثم تدينه ٠

انه عندهم ، ما جاز له ان يقتل ، ولو كان قتلا فى سبيل حماية عرضه ٠

ومع هذا الجمع من اهل اليسار ،يوجد مقابلون لهم مغالون من اهل اليمين ٠

هؤلاء الذين يرون القاتل يساق الى المشنقة فيودون لو يشربون من دمه ٠ وهو لو دفع اليهم لقاموا بتقطيع لحمه اربا اربا ٠

اما اسباب الجريمة ، ودراسة الجريمة، فحيلة للوصول الى ما وصل اليه العالم من فساد ٠

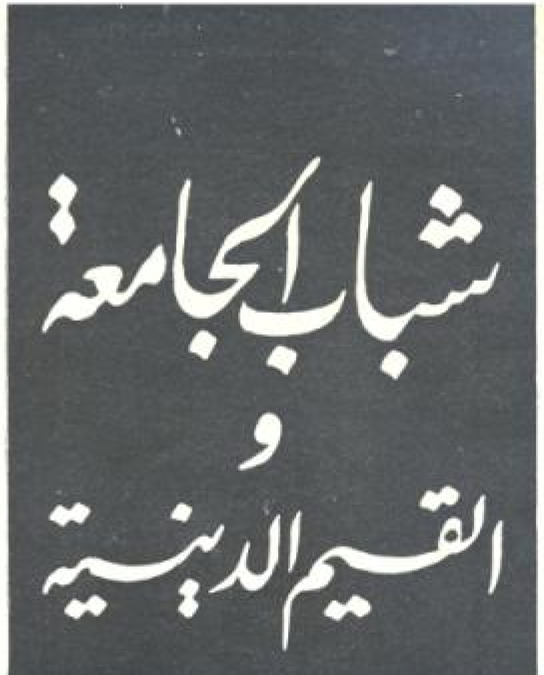
وجريمة الفكر عند هؤلاء اكبر جريمة٠

وفى العقائد هم احفظ للعقائد من رب العقائد ، واقرب الى سفح الدماء ٠ الله يقول على لسان نبيه : « لكم دينكم ولي دين » ، وهم يقولون : اما تدينون بما ندين ، والا قطعنا لكم حبل الوتين ٠

وقل منهم من يستعين بالحجة ، وقد تكون حجتهم الراجحة ، ولكنهم يجدون من الأيسر الاستعانة بالشرطة ٠ ●●

احمد زكى







استفتاء أجرى في جامعة

بقلم : الدكتور عبد الباسط محمد حسن

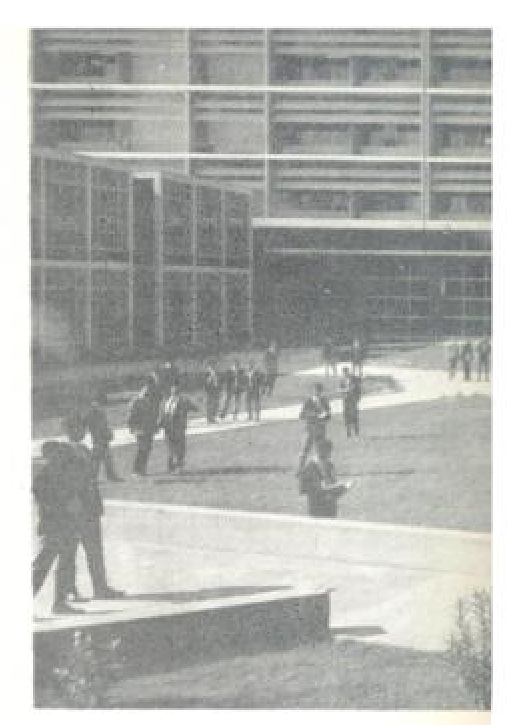
■ يتخذ السلوك فى المجتمعات المختلفة مسارا نحو مجموعة من القيم • وهذه القيم يخلقها الاطار المرجعى العام فى المجتمع الذى يتمثل فى نوع الثقافة السائدة فيه • واذا تعمقنا فى دراسة العلاقة بين القيم السائدة فى مجتمعما على اختلاف مستوياتها وبين ثقافة ذلك المجتمع لتبين لنا ان الثقافة ـ فى واقع الامر ـ ماهى الا تنظيم لمختلف انماط السلوك فى المجتمع حول ركيزة من القيم فى مستوياتها المختلفة (١) •

وليس من الضرورى ان تسود المجتمع قيم واحدة مشتركة • فمنها ماينتشر فى بعض الفئات او الطبقات الاجتماعية دون غيرها ، او تتمسك به بعض الفئات بدرجة اكبر مما تتمسك به غيرها من الفئات ، ومنها مايعم انتشاره المجتمع كله بغض النظر عن ريفه وحضره وطبقاته وفئاته المختلفة • وكلما اجتمع افراد المجتمع الواحد على اطار قيمى مشترك ، كان ذلك أدعى الى تدعيم وحدة المجتمع ، وتماسك بنيانه •

القيم فى المجتمعات النامية

ويرى كثير من المفكرين الاجتماعيين ان اغلب المجتمعات النامية تسودها مجموعة من القيم أهمها

(١) Klukhohn, C., Value Orientation: Towards a General Theory, Parsons and Shills, Cambridge, 1952, P. 424.



قيم تعوق عملية التنمية ، وتقف فى سبيل التغير •

ويتعرض المجتمع العربى ـ منذ النصف الثانى من القرن العشرين ـ لكثير من التغيرات بعد حصول غالبية دوله على استقلالها السياسى ، واتجاهها نحو التحرر الاقتصادى والاجتماعى ، ونتيجة لاخذها بالاساليب التكنولوجية الحديثة ، ونتيجة لاكتشاف موارد جديدة ، وزيادة وسائل الاتصال الجمعى ، وانتشار التعليم بين مختلف الفئات الاجتماعية ، وزيادة الاتصالات الحضارية •

غير ان من الحقائق الاجتماعية المتعارف عليها ان التغيرات السريعة غير المخططة كثيرا ماتترتب عليها « تلكؤات ثقافية Cultural Lage » نتيجة للتفاوت فى سرعة التغير بين العناصر المادية والعناصر المعنوية • وغالبا ماينشأ عن هذا التفاوت فى معدلات التغير صراعات ومشكلات اجتماعية متعددة •

اتجاهات الشباب الجامعى نحو القيم الدينية

وفى الماضى حيث كانت التغيرات فى المجتمعات العربية تسير بمعدل بطىء ، كانت المشاكل التى يصادفها اى مجتمع من النوع الذى يمكن التغلب عليه او تحمل نتائجه ، وذلك فى ضوء الوقت المتاح لمجتمع بطىء الحركة • ولكن سرعة الحركة فى الحياة الحديثة ، وسرعة التطور فى ميادين الانتاج الحديث لاتتركان للانسان مجالا ليتطور على مهل بطريقة تلقائية غيرمخططة وغير مقصودة، ومن هنا كانت اهمية وضرورة التدخل لاحداث التطوير القيمى وتوجيهه بناء على دراسة علمية، وكجزء من خطة متكاملة للتطوير •

ولما كان الدين عنصرا اساسيا من عناصر الحضارة ، وعاملا مهما فى حياة البشر ، فقد رأينا ان نتعرف على اتجاهات الشباب الجامعى نحو القيم الدينية فى هذا العصر الذى انتشرت فيه الفلسفات المادية ، وكثر فيه التهجم على الدين ورجاله •

وقد وقع الاختيار على شباب الجامعة لانهم من اكثر الفئات التى تعرضت لعمليات التغير

ـة الكويت

ان الفرد فى تلك المجتمعات يشعر بانه ينتمى انتماء كليا الى الجماعة ، وبانه يعتمد اعتمادا تاما على السلطات المختلفة ، ويدين لها بالولاء والاحترام • وهذه السلطات هى السلطة السياسية ،والسلطة الدينية ،وسلطة الوالدين • كما ان هناك تاكيدا شديدا على ضرورة اتباع قيم ومعايير الجماعة (٢) •

والى جانب تلك القيم تسود المجتمعات النامية كثير من القيم التى تتصف بالجمود ، والتى تدعو الى التواكل ، والوقوف موقفا سلبيا تجاه التقدم المادى ، والادخار بعيدا عن اوعية الادخار العامة، واحتقار العمل اليدوى ، ووضع المرأة فى مكانة اقل من الرجل ، وعدم الاهتمام بعنصر الزمن ، والميل الى التقليد والمحاكاة ، الى غير ذلك من

(٢) السيد يشير عريضة : دور التصنيع فى لبنان،بحث نشر فى كتاب « التكنولوجيا والمجتمع » اعداد وتقديم الدكتور حسن الساعاتى ، ص ٩ •

الاجتماعي والحضاري ، كما انهم من ناحية اخرى الفئة المتعلمة القادرة على احداث التغيير الرشيد، والقوة البشرية التي تعلق عليها المجتمعات النامية اعظم الآمال في بناء صرح التقدم ، ودفع عجلة التنمية •

خطة البحث

اعد استفتاء للطلبة والطالبات الكويتيين بجامعة الكويت للتعرف على القيم السائدة بينهم •وقد تضمن الاستفتاء مجموعة من العبارات تم اختيارها وصياغتها وفقا للقواعد المتفق عليها بين المشتغلين بالقياس النفسي والاجتماعي ، وكان على الطالب ان يعبر عن رأيه في مضمون كل عبارة بحيث يوضح مدى موافقته او عدم موافقته على ماتتضمنه كل منها من احكام وفقا للاستجابات الاربعة الآتية :

موافق جدا ــ موافق الى حد ما ــ غير موافق الى حد ما ــ غير موافق نهائيا •

وقد تضمنت العبارات الجوانب الآتية :

١ ــ اتجاهات الشباب نحو الايمان بالدين واهميته •

٢ ــ علاقة الدين بأمور السياسة وشئون الاجتماع •

٣ ــ العلاقة بين الدين والعلم •

٤ ــ اتجاهات الشباب نحو حرية العقيدة •

٥ ــ دور المسجد او الكنيسة في المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية (٣) •

وصف العينة

تألفت عينة البحث من ٢٠٪ من الطلبة والطالبات الكويتيين الذين يدرسون بجامعة الكويت • وكانت تتألف من ثلاثمائة وخمسين طالبا وطالبة يدرسون في كليات العلوم ، والآداب والتربية ،والحقوق والشريعة ،والتجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، والبنات ، وهي الكليات الخمس التي تشتمل عليها جامعة الكويت • وقد بلغت جملة الطلبة ١٣٠ طالبا،بينما بلغت جملة الطالبات ٢٢٠ طالبة •

وبتوزيع الطلبة والطالبات على فروع الدراسة ظهر ان ١٩٠ طالبا وطالبة كانوا يدرسون الآداب ، ٨٠ يدرسون التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، ٥٥ يدرسون العلوم ، ٥٥ آخرين يدرسون الحقوق والشريعة •

ونعرض فيما يلي لاهم النتائج :

١ ــ الايمان بالدين وعلاقته بسعادة الانسان

اشتمل الاستفتاء على عبارتين لقياس اتجاهات الشباب نحو اهمية الايمان بالدين هما :

* سعادة الانسان مرتبطة بايمانه بالدين •
* ضعف الوازع الديني في نفوس الافراد هو السبب في اغلب المشكلات النفسية والاجتماعية •

وبتحليل الاستجابات ظهر ان ٩٤٪ من الطلبة والطالبات يوافقون على العبارة الاولى • وهذا معناه ان الغالبية العظمى من شباب جامعة الكويت تعتقد في اهمية الايمان بالدين من حيث انه يكفل للانسان الراحة النفسية ، ويمنحه الهدوء والاطمئنان ، ويحقق له العيش في امان مع نفسه ومع الآخرين •

كما يوافق ٩٠٪ من الطلبة والطالبات على ان اغلب المشكلات النفسية والاجتماعية ترجع الى ضعف الوازع الديني في نفوس الافراد ، ذلك لان الدين يساعد الانسان على التغلب على ما يصادفه من ازمات ويفتح امامه آفاق الامل كلما واجهته مشكلة، او انسد امامه مسلك من مسالك الحياة •

وهذه النتيجة التي تكشف عنها هذه الدراسة تتفق مع مايذهب اليه كثير من علماء النفس والاجتماع من حيث ان اغلب المشكلات التي يعانيها الناس ــ افرادا وجماعات ــ ترجع الى احساس الفرد بعدم الانتماء ، وشعوره بالحيرة والضياع ، وعدم تكامله وترافقه مع النظم الدينية والأسرية والسياسية القائمة في المجتمع •

---

(٣) هذا البحث جزء من دراسة كبيرة اجراها الباحث من « القيم في المجتمع الكويتي » • وكان الهدف الاساسي منها الوقوف على القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الكويتي ، والتعرف على الاتجاهات العامة للتغير في الاطار القيمي في مجالات : العلم ، والدين ، والاسرة ، والسياسة، والاقتصاد ، والعلاقات الاجتماعية • والدراسة الاصلية لم تنشر بعد •

٢ – علاقة الدين بامور السياسة وشئون الاجتماع

اشتمل الاستفتاء على اربع عبارات لقياس اتجاهات الشباب الجامعي نحو الدين ودوره في تسيير امور السياسة وشئون الاجتماع • وهذه العبارات هي :

* سيطرة الدين على شئون الحياة في المجتمع معناه التاخر والجمود •

* يجب اعتبار الدين علاقة بين الانسان وخالقه ، وتنحيته عن امور السياسة والعلم والمجتمع •

* الحلول الدينية للمشكلات لاتتمشى مع الحلول العصرية لها •

* القوانين السماوية اقدر على حل مشكلات الناس من القوانين الوضعية •

وقد صيغت العبارات الثلاث الاولى بطريقة سلبية ، بينما صيغت العبارة الرابعة بطريقة ايجابية ، فظهر من تحليل النتائج ان الذين لايوافقون على العبارات الثلاثة الاولى تبلغ نسبتهم على التوالي ٧٦٪ ، ٥ر٦٠٪ ، ٥ر٦٠٪ ، بينما يوافق على العبارة الاخيرة ٥ر٨٠٪ •

ويتضح من هذه الاستجابات ان النسب الكبرى من شباب جامعة الكويت لاتعترف بوجود تعارض بين الدين والتقدم ، وترفض الراى القائل بان سيطرة الدين على شئون الحياة في المجتمع معناه التاخر والجمود ، كما ترفض القول بان الحلول الدينية للمشكلات لا تتمشى مع الحلول العصرية •

حقيقة ان تاريخ التفكير الديني في كثير من بلاد العالم لايخلو من شواهد فسر فيها الدين تفسيرا مضادا لطبيعته على انه قوة تحارب التقدم ، وتقف في وجه التطور ، وتسرق الانسان من الحياة ، وتدير ظهره الى كل ماقبلها من قوى ، وتضعه في حرب مع قوانين المجتمع وسنن الكون ، غير ان الواقع الموضوعي يتعارض مع هذه التفسيرات • فالدين في حد ذاته لم يقدم تفسيرا منحرفا للحياة ، ولم يقف عقبة في سبيل التقدم ، بل هو على العكس من ذلك يدفع الانسان الى التفكير الحر ، ويحارب الجمود الفكرى ، والتعصب المذهبى ، ويتشدد في اهدافه الراسمة للحياة الانسانية المثلى •

لذلك ليس بمستغرب ان تجيء استجابات الطلبة مؤكدة قدرة الدين على احداث التقدم ، ليس هذا فحسب ، بل ان الغالبية العظمى من الطلبة والطالبات (٥ر٨٠٪) تذهب الى ان القوانين السماوية اقدر على حل مشكلات الناس من القوانين الوضعية ، وترى ان الدين ينبغى ان يكون له دور رئيسى في دفع حركة المجتمع ، وفي تسيير امور السياسة وشئون الاجتماع •

٣ – علاقة الدين بالعلم

اشتمل الاستفتاء على ثلاث عبارات لقياس اتجاهات الطلبة نحو الصلة بين الدين والعلم • وهذه العبارات هي :

* كلما تعمقنا في دراسة اسرار الكون ازددنا ايمانا بالله •

* الحقائق العلمية تقربنا الى الله ولاتبعدنا عنه

* التمسك بالمبادىء الدينية لايتعارض مع الاخذ بالاسلوب العلمى في التفكير •

وقد ظهر من تحليل الاستجابات ان الذين يوافقون على العبارات الثلاثة تبلغ نسبتهم على التوالى : ٩٧٪ ، ٥ر٩٦٪ ، ٩٦٪ •

وهذا معناه ان الغالبية العظمى من الطلبة ترى انه ليس ثمة تعارض بين العلم والدين ، فحقائق العلم تقرب الانسان الى الله ، كما ان الاخذ بالاسلوب العلمى في البحث لايتعارض مع التمسك بمبادىء الدين •

وهذه النتائج تتفق الى حد كبير مع ما توصل اليه باحثون اخرون في هذا المجال •فقد قام مفكر امريكي هو « جون كلوفر مونسما John Clover Monsma » بسؤال اربعين من العلماء المبرزين في امريكا – من مختلف التخصصات العلمية – عن رايهم في مسالة وجود الله ، فاجابوا جميعا بالايجاب ، وايد كل منهم اقواله بحقائق علمية من مجال تخصصه • وقد نشر نتائج دراسته في كتاب بعنوان « الدليل على الله في عالم يزداد اتساعا The Evidence of God in an Expanding Universe .

كما استفتى عالم المانى اسمه « دينرت Dennert » مائتين وتسعين عالما عن رايهم في وجود الله ، ومدى ايمانهم بحقائق الدين • فكانت النتيجة كما يلى :

٢٤٢ اجابوا بانهم يؤمنون بوجود الله ٠

٢٨ اجابوا بانهم لم ينتهوا الى عقيدة ٠

٢٠ اجابوا بانهم لم يهتموا بالتفكير في الدين ٠

وواضح تماما من هذه النتائج ـ سواء التي توصلنا اليها او توصل اليها غيرنا في هذا المجال ـ أن مايشير اليه البعض من وجود تعارض بين العلم والدين لااساس له من الصحة ٠ فمنجزات العلم الحديث تكشف يوما بعد يوم عما في هذا العالم من نظام واحكام يؤكد وجود صانع له قدرة مبدعة ، وارادة نافذة ، وحكمة شاملة ٠

٤ ـ اتجاهات الشباب نحو حرية العقيدة

اشتمل الاستفتاء على ثلاث عبارات لقياس اتجاهات الشباب نحو الحرية التي ينبغي ان تكفل لاصحاب الديانات والفلسفات والمذاهب المختلفة ٠ وهذه العبارات هي :

× يجب ان يتمتع اصحاب الديانات المختلفة بحريتهم الكاملة في اقامة الشعائر الدينية ٠

× يجب محاربة الفلسفات والمذاهب التي تعارض الدين ٠

× يجب فرض رقابة صارمة على المجلات والكتب والافلام التي تنشر افكارا تهدد القيم الدينية ٠

وقد ظهر من تحليل الاستجابات ان الذين يوافقون على العبارات الثلاثة تبلغ نسبتهم على التوالي : ٩٠٪ ، ٧٧٪ ، ٨٢٪ ٠

وهذه النتائج تشير الى ان غالبية الطلبة يعتقدون في وجوب تمتع اصحاب الديانات المختلفة بحريتهم الدينية من غير ضغط او قهر او اكراه ٠ اما الفلسفات والمذاهب التي تعارض الدين ، وكذلك المجلات والكتب والافلام التي تنشر افكارا تهدد القيم الدينية فيرون ضرورة محاربتها وفرض رقابة صارمة عليها حتى لاتحدث تاثيرات سلبية في عقائد الافراد والجماعات ٠

٥ ـ دور المسجد او الكنيسة في المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية

كانت العبارة التي تتعلق بقياس اتجاهات الطلبة نحو الدور الذي ينبغي ان يقوم به المسجد او الكنيسة هي :

× ينبغي ان يلعب المسجد او الكنيسة دورا دينيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا في المجتمع ٠

وقد وافق المبحوثون على هذه العبارة بنسبة ٨٨٫٧٪ ٠ وهذا معناه ان الطلبة والطالبات يرون ان المسجد والكنيسة لاينبغي ان يقتصر دورهما على النواحي الدينية ، وانما ينبغي ان يكون لكل منهما ـ الى جانب دوره الديني ـ دور اخر ثقافي وسياسي واجتماعي ٠

خاتمة

لقد اجريت هذه الدراسة على شباب جامعة الكويت ٠ ولسنا ندعي ان النتائج التي اسفر عنها البحث تنطبق انطباقا تاما على كل شباب الجامعات في البلاد العربية ، لان مثل هذا التعميم يحتاج الى دراسات اخرى مقارنة في بقية الجامعات العربية ٠

غير اننا ـ في الوقت نفسه ـ نقول ان الشباب في جامعة الكويت ليسوا عنصرا فريدا متميزا ، وانما هم كغيرهم من الطلبة العرب يشتركون في كثير من السمات الحضارية التي تجمع بينهم ٠ والتي تزودهم باطار مرجعي مشترك ٠ ولذا فان من الممكن ان نعمم ـ بشيء من اليقين ـ ماتوصلنا اليه من نتائج على بقية الشباب في الجامعات العربية ٠

ومن الواضح ان الدراسة تشير الى تمسك الشباب بالقيم الدينية باعتبارها عنصرا هاما من عناصر الحضارة ، ومقوما اساسيا من مقومات الحياة الاجتماعية ، كما تشير الى ان الدين عميق الجذور في الذات العربية ٠ ولذا فان اي محاولة لتطوير المجتمع العربي وتنميته لابد وان تاخذ القيم الدينية في الاعتبار لانها هي وحدها القادرة على منح هذا التطور والنمو انبل المثل العليا ، واشرف الغايات والمقاصد ٠

دكتور عبد الباسط محمد حسن
استاذ الاجتماع بجامعتي الازهر والكويت

نتيجة مسابقة العدد ١٨٨

آلاف الإجابات الصحيحة

■ المئات بل الألاف من الرسائل وصلتنا تحمل فى طياتها أجوبة مسابقة العدد ١٨٨ من العربى بصورة لم نشهدها من قبل فى اية مسابقة من مسابقاتنا الشهرية المعتادة ، ولاول مرة ترتفع نسبة الاجابات الصحيحة الى درجة عالية وهذا يدل على ان معرفة القارىء العربى بمدن وبلدان وطنه العربى الكبير هى معرفة وثيقة ٠

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

اسم الدولة	اسم المدينة الصحيح	اسم الدولة	اسم المدينة الصحيح
١ ـ الصومال	مقديشو	٧ ـ العراق	البصرة
٢ ـ مصر	السلوم	٨ ـ الاردن	اربد
٣ ـ اليمن الجنوبى	لحج	٩ ـ المغرب	مراكش
٤ ـ ليبيا	درنه	١٠ ـ عمان	مسقط
٥ ـ موريتانيا	شنقيط	١١ ـ اليمن الشمالى	تعز
٦ ـ سوريا	حلب	١٢ ـ تونس	القيروان

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا **فاز بها :عبد الرحمن عمر باقيس** ـ جدة ـ السعودية

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا **فاز بها :صاحب الدين محمد** ـ بازمور ـ المغرب

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير **فاز بها :حسن محسن عبد الحسين** ـ مسقط ـ عمان

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ محمد حسين الشريف ـ الجزائر

٢ ـ عزام الدروبى ـ حمص ـ سوريا

٣ ـ مدحت سعد ابراهيم ـ سوهاج ـ مصر

٤ ـ ابراهيم خليل قاسم ـ بيروت ـ لبنان

٥ ـ ادم حسين آدم ـ بور سودان ـ السودان

٦ ـ سحر عبد القادر الهارون ـ البصرة ـ العراق

٧ ـ سليمان نمر عبد الفتاح الخطيب ـ العقبة ـ الاردن

٨ ـ مريم سالم عبدالله الهولى ـ خيطان ـ الكويت

وسترسل الجوائز الى اصحابها ٠

طفولة مهشمة

من ٧٤٩ طفل مصاب وجد باحثون أمريكيون

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ يكاد يجمع غالبية البشر على ان اعذب مراحل حياتهم هى مرحلة الطفولة لما تتضمنه من رعاية وحنان الوالدين وخفة المسؤولية وانشراح اللهو والغبطة فى اللعب ولذة الانطلاق والصفاء. فهى اذا ماقورنت بمراحل المراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة فاقتها جميعا بتلك المزايا وبزتها بذكرياتها الخلابة الراسخة فى ذهن الانسان.

على ان طفولة البشر ليست سواء . فهى عند البعض مزركشة سعيدة ، وعند الآخرين بغيضة ثقيلة . وعادة مانجد اناسا كانت طفولتهم خاطفة قصيرة ، او باهتة جافة ، او قاتمة شقية . وتتجمع تلك الامثلة المحزنة لدى علماء النفس والتربية والاجتماع لتشكل ظواهر خطيرة تستوجب الدرس والمعالجة . وبين هذين النقيضين نجد نماذج متفرقة لطفولة خاطفة لامدة ليس فيها من متعة الا سرعتها وجديتها وصرامتها ..

طفولة كبيرة

قال المؤرخون عن الفيلسوف الاقتصادى والكاتب الانكليزى الشهير (جون ستوارت ميل) John Stuart Mill (١٨٠٦ – ١٨٧٣م) ، « بانه الانسان الذى لم يعرف معنى الطفولة » . والسبب بسيط جدا ، لانه باشر طفولته واستنفدها فى اعمال تخص الشباب والرجال . فقد حرم من الاختلاط مع الاطفال الآخرين ، وتولى تعليمه والده المفكر المعروف فى مسكنهم الخاص الى ان بلغ الرابعة عشرة من العمر . والذى حدث فى تلك السنوات مايلى :

فى الثالثة من عمره ، بدا يتعلم اليونانية ، حتى اذا بلغ التاسعة كان يدرس ويفهم روائع الفكر اليونانى القديم ويقدم تقريرا يوميا الى والده عما قراه .

وفى السادسة والنصف كتب بوضوح وسلاسة عن تاريخ روما .

وفى السابعة قرا لافلاطون .

وفى الثامنة درس اللاتينية . وقبل نهاية السنة كان منهمكا فى قراءة الادباء اللاتين . ولم يهمل الرياضيات اذ كان منهجه الهندسة والجبر .

وفى التاسعة اضاف عليها هندسة المخروط والكرة ورياضيات نيوتن .

وفى العاشرة ، كان اسلوبه بالكتابة ينم عن البراعة والالمعية .

وفى الحادية عشرة كتب ملخصا لبلاغة الفيلسوف ارسطو ، وكتب متنوعات فى النثر والتراجم والتاريخ . وقبل الثانية عشرة بدا يساعد والده



أن ١٠٪ منهم ماتوا نتيجة الضرب المتكرر

في تصحيح مسودات كتابه عن تاريخ الهند ، ومن ثم انطلق الى كتب الاقتصاد والسياسة •

وليست تلك الطفولة العبقرية بالظاهرة المريضة او المنحرفة ، لكنها تعتبر طريفة وغريبة بالنسبة الى طفولات الآخرين • وكل مانجيزه لانفسنا هو التعليق عليها بانها « طفولة مختزلة » لقصرها وسرعتها وخلوها من المرح واللهو البرىء البسيط ، وانها لم تكن طفولة محرومة او مجردة من الحنان والعطف الابوى •

طفولة شقية

وعلى الطرف الاخر من هذه الظاهرة تتجمع سحب سوداء ودلائل متجهمة ـ وخاصة في العقدين الاخيرين ـ تشير الى ان مجموعة كبيرة من الاطفال يتعرضون الى الالم والشقاء من قبل ذويهم ليس بسبب الحرمان العاطفى فحسب ، او لصعوبات الحياة او الفقر او فقد احد الابوين ، بل لانهم يتعرضون الى الضرب الشديد والاذى الجسمى فوق كل ذلك •

وقد تكشفت هذه الحقائق المحزنة تدريجيا عندما لاحظ الاطباء في مراكز الاسعافات الاولية واطباء الاطفال والجراحين بان بعض الاباء والامهات يجلبون اطفالهم للعلاج بسبب اصاباتهم برضوض او جروح او كسور مدعين انها كانت نتيجة حادثة عارضة (كالسقوط او الارتطام) • وبعد الفحص الدقيق لا تحصل القناعة الكافية لدى الاطباء بان الحادثة عرضية وتحوم شكوكهم حول احتمال تعرض الطفل الى ضرب متعمد ، ولا يعوزهم الا الدليل الدامغ احيانا بسبب نكران ذويهم •

وضرب الطفل واساءة معاملته ظاهرة متكررة عند الآباء والامهات العنيفات بحيث ان البروفسور (هنرى كمب H. Kemp) فى امريكا اطلق على الطفل المضروب اصطلاح : « تناذر او ظاهرة الطفل المهشم The battered baby Syndrome

ومنذ ذلك الحين بدأ الاطباء في تدقيق حالات الاطفال المصابين • وقد بلغ العنف والقسوة الى حد القضاء على حياة الطفل • فمن ٧٤٩ طفل مصاب وجد باحثون امريكيون ان ١٠٪ منهم قد لقوا حتفهم نتيجة الضرب المتكرر • ويقدر في بريطانيا ان ما لا يقل عن ثلاثة الاف طفل يتعرضون الى اصابات متنوعة فى كل سنة ، وان اربعين طفلا (٤٠) يموتون قبل بلوغهم عاما واحدا من عمرهم بسبب الاهمال او العنف •

والمسالة ليست بالبساطة التى قد تبدو لنا ظاهريا ، فاثبات « الجريمة » والاعتداء يحتاج الى ادلة ، وغالبا ماتفشل الدعوى المقامة على الوالدين في المحاكم لهذا السبب ، كما ان سياسة العقاب لاتجدى مع الوالدين لان المعضلة تحتاج الى معالجة نفسية اجتماعية لهما • ولذلك فان حوادث الاعتداء على الاطفال لاتصل منها الى المحاكم الا نسبة ضئيلة تقدر بـ ٥٪ من المجموع الكلى •

وقد اشارت دراسات حديثة الى ان اغلب

الاطفال المعرضين للاصابة المتعمدة من قبل ذويهم تتراوح اعمارهم بين الثانية والرابعة من العمر، وان هذه الحالات في تزايد ـ ربما بسبب الحذر والتدقيق اللذين كشفا عن المستور منها ـ • وقد بلغت في السنة الماضية (١٩٧٣) ٤٦٠٠ حالة في انكلترا فقط •

نوع الاصابات

قد يندهش القارىء الكريم اذا عرف نوع الاصابات التي يتعرض لها الطفل المضروب فهي واحدة او اكثر مما يلي : كسور في العظام ، سحجات وكدمات وخدوش ، حروق على القفا بالكهرباء والسجائر ، كسور في الجمجمة ، تمزق في الكبد ، انفجار في الامعاء والمعدة،او التسمم•

واورد الحادثة التالية كمثال على ذلك : « طفل رضيع عمره ثلاثة اشهر وتصف ادخل الى ردهة للاطفال لاصابته بنزف دماغي تحت اغلفة المخ ادى الى قلة السمع والرؤية والى تخريب في انسجة المخ وثبت انه تعرض الى الاذى من قبل والدته •

وقد توفيت الطفلة (ماريا كولويل) في مدينة (برايتون) الانكليزية هذا العام (١٩٧٤) بسبب الضرب المعمد وقد تساءلت احدى الممرضات الرفيقات مرة : « ترى اي صنف من الناس يمكن ان يرتكب هذا العمل الشنيع ؟ » ، وهو سؤال يراود كل انسان عطوف •

نوع الوالدين

اجريت دراسات متعددة ومتفرقة لمعرفة طبائع وشخصيات وامراض آباء وامهات « الاطفال المهشمين » ، وظهرت نتائجها متقاربة ومتفقة على ان ذويهم يعانون من اضطراب نفسي او عقلي بشكل من الاشكال• فمثلا :انحوالي ٣٠ ـ ٦٠٪ من هؤلاء كانوا انفسهم عرضة للضرب والاذى من قبل ذويهم نتيجة التهيج والغضب او اثناء تناولهم الخمر • بل ان المثال الذي اوردناه سابقا كشف عن ان الضرب والاعتداء والقسوة كان عادة مكرورة في خمسة اجيال في تلك الاسرة وكانها صفات متوارثة او طقوس لابد من ادائها • وهي بالطبع لاتنتقل بالوراثة بل تدل على ان القسوة تولد القسوة والعنف يؤدي الى العنف •

كما اظهرت الابحاث والدراسات النفسية لذوي الاطفال ان معظمهم عاجزون نفسيا وغير ناضجين عاطفيا وينقصهم الصبر والتحمل والشعور بالمسؤولية • وقد لوحظ انهم عادة مايكونون عديمي الخبرة ومن طبقات اجتماعية دنيا ، او انهم فوجئوا بالاطفال قبل الاستعداد الفكري والعاطفي لتربيتهم ورعايتهم • ومن دراسة احصائية اتضح ايضا :

ان حوالي ٦٥ ـ ٧٥٪ منهم يعانون من اضطرابات الشخصية •

وان حوالي ١١ـ ٢٩٪ منهم لهم سوابق جنائية مسجلة لدى الشرطة •

وان ٥٠٪ من آباء لااجتماعيين (سايكوباثيين) Psychopaths •

وان ٤٨٪ من الامهات عصبيات يعانين من قلق مزمن ، كما ان نسبة كبيرة منهن من ذوات الذكاء الواطىء او تحت المتوسط •

وتدل كل هذه الاضطرابات النفسية على عدم توفر الكفاءة والقابلية في الوالدين لتربية الطفل وتحمل صراخه او استيقاظه في الليل او مرضه او صخبه اثناء اللعب • والخلل واضح في هؤلاء الاباء والامهات كما هو واضح في الاجداد••

ويبدو ان جهل الوالدين وانخفاض ذكائهم وتسطح عواطفهم وقلة خبرتهم وتربيتهم السابقة ووجودهم في مجتمع مادي حاد المنافسة (وهو المجتمع الغربي)قد دفعهم الى معاملة الطفل وكانه شخص بالغ ومعتاد •

ان ظاهرة ضرب الاطفال الى هذه الحدود الفظيعة قليلة الحدوث في البلاد العربية على الرغم من وجودها بين حين وآخر ، مما يدل على ان الاسرة الشرقية والعربية لا تزال تحتفظ بدرجة كبيرة من التماسك والتآزر والمحبة • فاواصر الاخلاق والدين والمثل السائدة تمنع الوالدين من التفريط باطفالهم الى حد التشويه•

مصير الطفل المهشم

ان الاذى النفسي للطفل المهشم اشد واعمق من الاذى الجسمي • فهو يتراوح بين الحرمان العاطفي والحسي والشعور بالكره الطاغي للابوين ، والخوف الشديد والكبت العنيف ، والميول العدائية تجاه الآخرين،والسلوك الجانح والاجرام في المستقبل •

ان ضرب الطفل الى هذه الحدود يدل على

اضطراب عائلي شنيع وعلى خلل في الاسرة بعيد المدى والنتائج . ولكن ماذا سيحدث في شخصية الطفل المصاب بعدئذ ؟

يقول الباحث النفساني - الاجتماعي (باولبي) J. Bowlby ان الحرمان العاطفي والبعد عن الام او الاب ، والاسرة المشتتة (اى المهشمة بالفراق او الطلاق او الموت او الحوادث) Broken home تحدث في الطفل اضطرابا نفسيا وخاصة اذا وقع هذا الحرمان في السنوات الخمس الاوائل من حياة الطفل .

وتركز نظرية (فرويد) على مراحل الطفولة في السنوات الاولى وما يتعرض له من تجارب مختلفة تؤدى به الى الكبت والعقد المختلفة . اما ابنته (آنه فرويد) ، فقد اكدت على ان تكيف الطفل ونضجه ونموه الجسمي والعقلي يعتمد على حسن علاقته الوجدانية مع الام خاصة والابوين عامة .

وتضيف (هيلين دوتش)H. Deutchان احترام الذات والصراعات النفسية هي نتائج العلاقات العاطفية ونوعيتها بين الابوين والطفل .

اما الدراسات الاجتماعية والنفسية عن الجنوح والاجرام فتدل على وجود علاقة ايجابية بين الطفولة التعسة الممزقة والميل للاجرام والسلوك اللااجتماعي والادمان والعنف . وقد ثبت من دراسة في انكلترا ان الاطفال الصغار الذين تعرضوا الى الحرمان والخوف والاهمال بسبب الظروف العصيبة للحرب العالمية الثانية وخاصة فيالسنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٣ اصبحمعظمهم من المغالقين واللااجتماعيين والمنحرفين ابتداء من سنة ١٩٤٨ وبعدها ، اى ابتداء من بلوغهم سن الثامنة .

فالسنوات الخمس الاوائل من حياة الطفل ونوعية علاقته الوجدانية مع والديه واسرته وما يتخللها من حوادث وتجارب ترسخ في نفسية الطفل وتحور من شخصيته واتجاهاته ونظرته الى الناس والمجتمع والحياة ، وتتضح الآثار السيئة بعدئذ في فترة الصبا والمراهقة والشباب.

والحل السليم ...

ليست الحلولبالهينة اذا اردناها عملية تطبيقية بعيدة عن الخيال والنظرية الصرفة . فحقوق الآباء والامهات تترها جميع الاديان السماوية والقوانين البشرية . والام التى تنجب طفلها لسان حالها يقول : « هذا ولدى .. ولى حقوق عليه .. » . ولكن الى اى مدى يمكن الاساءة الى الاطفال..؟. فالتعاليم الدينية والاخلاقية والقانونية،والاعراف الاجتماعية لاتؤيد الاعتداء ولاتعطى الحقوق لجهة وتحرمها من اخرى ، وتوصى بالعطف والرحمة .

ولقد وجد في علم النفس والطب النفساني ان اواصر المحبة والالتزام بالتبعية والمسؤولية تجاه الاسرة وهى القوى الحساسة الدقيقة التى تزيد من متانة العائلة وتعاطف افرادها فيمابينهم، ومن لم ازالة شوائب الامراض النفسيةالمستقبلة، واية ميول لااجتماعية واجرامية . فكيف نتوصل الى ذلك ؟ ..

١ - باكثار مراكز ارشاد المتزوجين الجدد التى تقدم لهم الحقائق الاولية والعلمية عن الحمل والولادة والزواج ..

٢ - بتوعية الامهات خاصة (والابوين) عنطريق عيادات الام والطفل وتنظيم الاسرة لكى تعرف الام اصول الرضاعة والعناية الطبية ، وليستطيع الوالدان تخطيط انجابهما للاطفال . وعندمانقول (تنظيم الاسرة) فيجب ان لانقع في مغالطة (تحديد النسل) لان التنظيم يشمل التحديد عند الحاجة ويشمل الانجاب والاكثار من النسل عند الحاجة ايضا بالاضافة الى كل التعليمات الصحية البعيدة عن الدجل وخرافات العجائز .

٣ - تعزيز الخدمات الاجتماعية التى توفر للاطفال دور الحضانة ورياض الاطفال والملاعب العامة والحدائق الترفيهية بحيث يتمكن الوالدان من التمتع باوقات الفراغ مع ضمان سلامةوسعادة اطفالهما .

٤ - استمرار التوعية والتثقيف الصحى والاجتماعي للوالدين عن طريق المذياع والتلفاز والصحافة باهمية الطفولة ومعنى الامومة ، والنتائج السيئة للاهمال والقسوة ، وكيف ان الرسالة السيئة تنتشر من الكبار الى الصغار ، وان الطفلة التى لم تتلق حنان الامومة من والدتها سوف لن تكون الام المثالية في المستقبل.

٥ - علاج حالات الاباء والامهات المصابين بالامراض النفسية بالوسائل العلاجية النفسية المعروفة . ■■

جامعة الموصل ـ فخرى الدباغ



- فى صيادة اللؤلؤ
- فى بحوث بحار
- فى اسعاف طارئ
- فى رياضة محببة

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ سمعت مرة من يقول ان الانسان يعرف عن اعماق المحيطات ، تلك التى تغطى مياهها نحوا من ثلاثة ارباع سطح هذه الأرض ، اقل مما يعرف عن سطح القمر ، فى حين ان القمر يبعد عنا نحوا من ربع المليون ميلا .

والسبب فى ذلك ان الانسان فى ماء البحار ، وهو مائع ، لايملك القدرة على التحرك كما يتحرك على سطح الأرض او سطح القمر ، وكلاهما جامد .

وسبب ثان ان الانسان فى الماء يفتقد الهواء ، فهو لايستطيع ان يتنفس .



سفينة المراقبة
عند سطح الماء ·

على عمق ١٠٠ قدم يبلغ ضغط الماء نحو ٦٠ رطلا على البوصة المربعة ·

على عمق ٢٠٠ قدم يبلغ ضغط الماء نحو ١٠٥ من الارطال على البوصة المربعة ·

وسبب ثالث ، ان الانسان كلما هبط في الماء احس بوطأة ثقل الماء على كل ناحية من جسمه ، فماء البحر له ضغط على الاجسام التي تكون به ،وهذا الضغط يزداد بازدياد هبوط تلك الاجسام في الماء ·

ان الضغط الواقع على جسم الانسان وهو عند سطح الماء يبلغ نحو ١٤٫٦ رطلا على كل بوصة مربعة من الجسم ، وذلك هو ضغط الهواء · فاذا هبط الانسان في الماء زاد الضغط على الجسم بمقدار ضغط جوى واحد ،وذلك لكل ٣٣ قدما من هبوط · وبناء على هذا يبلغ الضغط اكثر من ١٥٠ ضغطا جويا عند عمق ٥٠٠٠ قدم · وهذا ضغط هائل ·

وهذا الضغط يقع على صدر الانسان فيمنعه ان يتسع للتنفس حتى في الحالة التي يتزوّد بها الرجل الغاطس في الماء بالهواء ·

الغاطسون بجلودهم في الماء

الغاطس الذي يريد ان يبلغ الى أعماق بعيدة في الماء ، عليه ان يتزود بالهواء وهو في الماء ، وكذلك ان يتزود بالذي يدفع عنه غائلة هذا الضغط القاتل · وبهذين الأمرين زوده العلم وزودته التكنية كما سوف نصف ·

ولكن قبل ذلك لعلنا نبدأ بوصف الغطس كيف كان ، وكيف هو كائن الى

اليوم ، على بساطته الأولى ، حين يغطس الغاطس في الماء دون عون من علم او من تكتية ·

ان الغطس حرفة في الانسان قديمة قام بها وهو يبحث عن اللؤلؤ في اصدافه في قيعان البحر غير العميقة ·

ويغطس الغاطس في البحـر ، وليس عليه شيء غير جلـده ، والا مايستر به عورته · ولهذا اسميناه بالغاطس بجلده ·

والغاطس بجلده،يلبس من الثياب الشيء القليل الذى يلبسه عادة وهو يستحم في البحر ، ويضع على اعلى وجهه شبه كمامة من الزجاج ، تحمي عينيه من الماء ، ومن نافذتها الزجاجية يرى في البحر الأشياء ·

والغاطس بجلده لايستطيع ان يهبط في الماء هبوطا كبيرا · انه يهبط في العادة مابين ١٠ الى ٢٥ قدما ، الا ان يكون قد تدرب فمهر فاستطاع فوق ذلك هبوطا ·

وقد سجل عضـو في نادى الغطاسـين بكلفورنيا ، في عام ١٩٥٩ ، رقما قياسيا في حبس انفاسه في ماء البحر ، كان ١٣ دقيقة و ٤٢٫٥ ثانية · وقد اعانه على ذلك انه اخذ يتنفس الاكسجين الصافي مدة عشرين دقيقة قبل هبوطه في الماء ليطرد بذلك كل ماكان في رئتيه من ثاني اكسيد الكـربون ، وهو أهم انتجة الزفير عند التنفس ·

الغاطسون الى الاعماق

الذى وصل اليه الغطاسون الى الاعماق ، بالجهاز التقليدى الذى سوف نصف ، لم يزد على ٦٠٠ قـدم ، وهو عمق قياسي بلغه بحار انجليزى في عام ١٩٥٦ · وفي التنقيب عن زيت النفط هذه الايام ، في بحر الشمال،هبط رجال بالجهاز التقليدى الى ١٠٠٠ قدم فاكثر ، مجازفة ، ومات منهم غير قليل ، وفي سبيل النفط ترخص الارواح ·

وبالطبع هبط الانسان في البحر الى اعمق من هذا ، ولكن باجهزة خاصة ، مثل كرة الاعماق Bathysphere وقارب الأعماق Bathyscaphe · وهذه أجهزة كالسفن مغلقة على رجالها · وقارب الأعماق مجهز بكل مايحتاجه الرجال وهو قابع في قاع البحر على الف قدم أو الفين · وهو اشبه بمختبر يدرس العلماء من نوافذه الزجاجية احياء البحر وقاعه ·

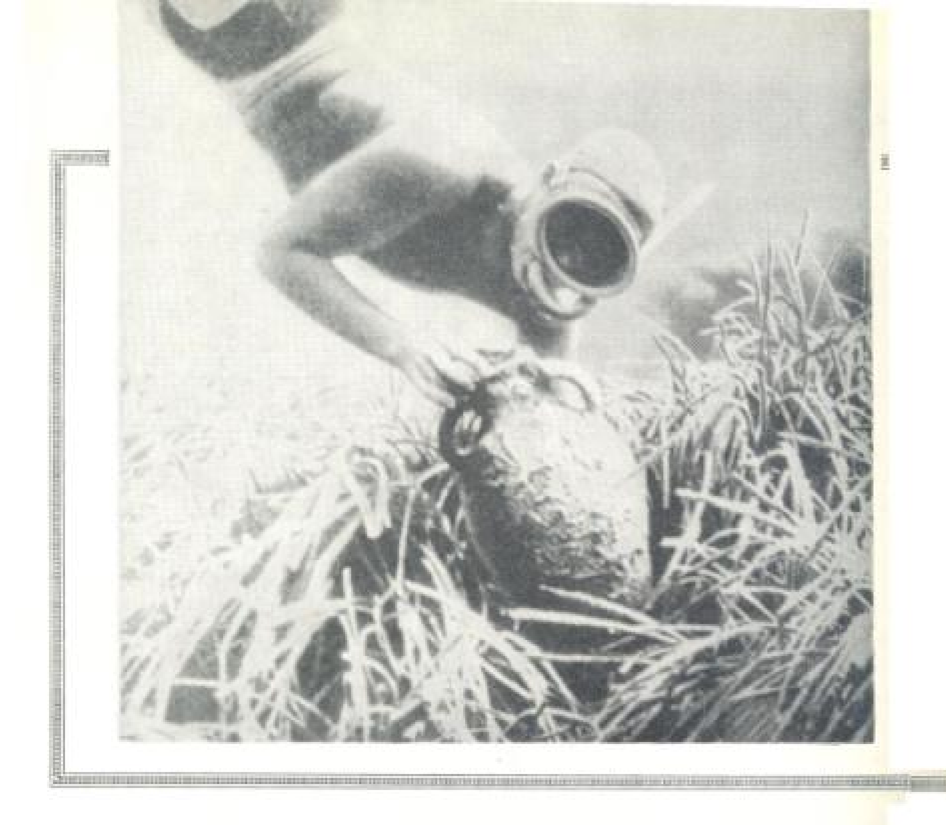
وكـذلك وصـلت الغواصـات العادية المعروفة الى اعمق من ٦٠٠ قـدم ، ولكن الرؤية فيها كانت محدودة، ومحدودة كذلك كانت الحركة ·

غاطـس في الماء بجلده ، يعثر في قاع البحر على قدرة من عهد الرومـان ظلت في الماء الفين من الاعوام ·

جهاز الغاطس

ان الرجل الغاطس الى العمق يحتاج الى جهاز خاص ، يتزود بواسـطته بالهـواء باستمرار ، وكذلك ليدفع عنه ضغط الماء الواقع على الجسم والصدر وما يصيبهما به من اضرار ·

وهذا الجهاز يتألف اساسا من كسوة يدخل



فى تركيب قماشها المطاط،لاينفذ منها الماء ولا الهواء ، وهي تكسو الجسم كله • وعند الرقبة تتصل اتصالا وثيقا بخوذة تشمل الرأس كله ، بها نوافذ من مادة شفافة كالزجاج تؤمن الرؤية للرجل الغاطس •

ويأتي الهواء الى الرجل الغاطس من سفينة المراقبة عند سطح الماء ،مضغوطا فى انابيب ، فيدخل الى ثياب الرجل وخوذته ليجعل جسم الغاطس فى نفس الضغط الذى عليه ماء البحر فى العمق الذى يكون هو فيه ، فلا يصيبه الضرر من اختلاف الضغطين • ويزيد ضغط الماء كلما هبط الغاطس فيه ، فيزيد كبس الهواء ليوازن زيادة الضغط الحاصلة فى البحر •

والغاطس اذ يتنفس يتنفس هواء مضغوطا ، ولا بأس من ذلك الى حد •

ويلبس الغاطس فى وسطه حزاما ثقيلا يزيد فى وزنه فيساعد على هبوطه في الماء فلا يطفو ، وكذلك يلبس حذاءين ثقيلين يلبسهما لنفس الغاية • وقد يزن الحزام ٨٠ رطلا • ويزن الحذاءان ٤٠ رطلا • هذا عدا الخوذة فهي تزن ٦٠ رطلا •

واشياء اخرى فى هذا الجهاز تزيد فى سلامة الغاطس وتحميه من المخاطر •

وبين الغاطس وسفينة المراقبة على سطح الماء وسائل للمواصلة ، تكون بشد حبل ، وبالتلفون ، تعطي للرقباء الذين على السفينة انذارا بالخطرفما اسرع مايرفعون الغاطس الى سطح الماء ، وفقا للظروف القائمة « انظر صورة كسوة الغاطس بالالوان صفحة ٣٥ »

والغطس هذا الذى اسميناه عميقا نافع فى كثيرمن الامورالتى تحدث تحت الماء،ماء البحار ، الى عمق لايزيد بسبب المخاطر عادة عن ٦٠٠ قدم • فمن ذلك اسعاف بحارة تعطلت بهم غواصة ، او اصلاح كبل فى القاع او معونة علماء ارض ساقتهم بحوثهم الى هذه القيعان • وكثيرا ماعمل

هؤلاء الغواصون في انتشال سفن غرقت في قيعان البحار قديما ، وبقيت حيث هي حتى جاء من رد اليها مااحتوته من نسمات الهواء .

الغطس العميق وما يصحبه من اخطار

اخطر الخطر الذي يعتري الغاطس في الماء،لاسيما اذا هو ذهب بعيدا في الأعماق، يأتي بسبب اضطرار الغاطس الى التنفس من هواء تحت ضغط كبير .

ان الهواء يتكون اساسا من اكسجين وآزوت . وهذا الخطر الذي نذكر كامن في الأزوت .فهو تحت الضغط يذوب في الدم، في الرئتين . وعندما يبدأ الغاطس في الارتفاع في الماء للخروج من البحر،يأخذ هذا الآزوت المضغوط يخرج من الدم في الرئة فقاقيع تتجمع فتفسد بها العملية . عملية التنفس،وقد تحجبها فيكون الهلاك.

والهلاك قريب كلما حاول الغاطس ان يصعد بسرعة الى السطح ، ولهذا ينصحه الخبراء بالوقوف والتمهل عند الاعماق ، وبالارتفاع في الماء على فترات ، ليأذن للآزوت ان يخرج على مهل فلا يتراكم ، وبذلك يتفادى الغاطس المرض المعروف بمرض كيسون Caisson's Disease .

وهو مرض يصيب من يعملون في الهواء المضغوط عامة .

الغاطس الحديث ، يتحرر فيحمل انفاسه معه

وهو بذلك يقطع ما بينه وبين السفينة التي تمده عند سطح الماء بالعون من علاقة.

حدث هذا في عام ١٩٤٢ عندما قام رجلان فرنسيان باختراع ما اسمياه برئة الماء Aqualung وهي ليست برئة ، وانما هي جهاز يحمله الغاطس على ظهره، يتضمن عددا من الاسطوانات،من اسطوانة واحدة الى ثلاث،مملوءة بالهواء المضغوط تتصل بصمام ، ينظم خروج الهواء من



الصعود من الاعماق على دفعات ، يتخلص بها الغاطس مما ذاب في رئتيه من الآزوت .

اسطواناته . ومن هذا الصمام تخرج انبوبتان تتصلان بجهاز قائم فى فم الغاطس، من احدهما يدخل الهواء الذى يتنفس به الغاطس شهيقا ، ومن الاخرى يخرج الهواء الذى يتنفس به الغاطس زفيرا .

وعلى وجه الغاطس كمامة من زجاج تغطى العينين والانف .

وفى قدمى الغاطس ترتبط «زعنفتان» من المطاط .

وقد يلبس فى وسطه منطقة ثقيلة تعينه على الهبوط فى الماء .

ولا بد له من سكين يقطع بها الحشائش اذا عاقته ، وقد وصل الى القاع ، وهو من « رئة الماء » هذه يتنفس الهواء مضغوطا . ثم هو يزفره فى الماء و... فقاعات من ثانى اكسيد الكربون هى من نتاج التنفس .

والغطس على هذه الصورة الحرة يستخدم فى كثير من الاغراض ، ومنها البحث عن السفن ، وفى السفن التى تغرق . وهذا الغطس على كل حال هواية رياضية محببة فى هذه الايام .. لا تذهب الى الاعماق بعيدا .

والخبراء لاينصحون بالنزول برئة الماء الى أعمق من ١٣٠ قدما .

الرجال الضفادع

الرجل الضفدع او الرجال الضفادع Frogmen هو اسم اطلقوه على الغطاسين الذين دُرِّبوا خاصة لاعمال تجرى تحت سطح الماء .

وكان خطرهم فى الحرب العالمية الثانية هذه الماضية كبيرا .

فهم قاموا للحلفاء بازاحة كل اصناف العوائق التى اقامتها المانيا عند سواحل نرمندى بفرنسا لتحول دون هجوم « الحلفاء » وغزوهم اوروبا . وقد قدروا ان هؤلاء الرجال ، الرجال الضفادع ، من رجال « الحلفاء » ، ازالوا من البحر نحوا من ٢٥٠٠ عقبة اكثرها الغام .

والخدمة التى اداها غواصو الحلفاء للحلفاء ، قام بمثلها نظراؤهم على الجانب الآخر من الحرب ، لدول المحور ، المانيا وايطاليا واليابان .

وجهاز هؤلاء الرجال يشبه الجهاز الذى سبق ان وصفنا ، سوى ان التنفس فيه يكون بالاكسجين بدلا من الهواء .

والسبب فى ذلك ان التنفس بالهواء يخرج زفيره ، وبه ثانى اكسيد الكربون وكذلك آزوت ، فقاعات ظاهرة فى الماء ، فهى بذلك تدل الأعداء على مواقع هؤلاء الرجال .

والزفير الذى يخرج من تنفس الرجال الضفادع ، وهم يتنفسون الاكسجين وحده، يتألف اساسا من اكسجين وثانى اكسيد الكربون ، ثم لا آزوت .

ثم ان الزفير هذا لايؤذن له بالخروج مباشرة الى الماء . انه يعاد تدويره ،فيمرر على مادة قلوية تمتص ثانى اكسيد الكربون ، هى الصودا الكاوية ، ثم يضاف الاكسجين المتبقى الى الاكسجين الوارد من الاسطوانة ليبدأ فى تزويد الرجل الضفدع بالأنفاس من جديد .

ومعنى هذا ، انه بهذه الدورة المغلقة لايتسرب غاز الى الماء ،يراه العدو فيستدل على ماوراءه او من وراءه من الغطاسين .

والعمق المأذون به فى الماء بهذا الجهاز يبلغ عادة ٣٠ قدما . ويراعى ان طول التنفس بالاكسجين يصيب الرجل بالتشنج وضياع الوعى .

الغطس
فى الحمامات والمسابح
رياضة طيبة

وهو لايحتاج الى جهاز غطس .

ومع هذا فله شروط .

ان الغاطس يبدأ من ارتفاع معلوم ، من لوح مرن من خشب او غيره ،ينط عليه السابح مرات ، فيزداد بذلك ارتفاعا فى الهواء كل مرة ، ثم هو بعد ذلك يقذف بنفسه فى الماء .



ضرب من الغطس في حمامات السباحة انظر تقوس الجسم عند البدء ، وحمل الرأس الى الوراء ، وينتهي الجسم عموديا عند دخوله الماء .

وللقذف في الماء قواعد ، وله تدريب ، وليس هو موضع حديثنا الآن .

ومع هذا ، قد نذكر ان من قواعده ، في الغطس والرأس اول ، ان تمتد اليدان فوق الرأس امتدادا ، فتكون هي فاتحة الطريق في الماء ، يفتحانه للرأس . وتظل اليدان ممتدتين حتى في الماء خشية ان يكون الغطاس قد وقع على قاع قريب ، فهما يحميان الرأس من ان تصطدم بهذا القاع .

وللحمام كذلك شروط ، من ذلك ان الغاطس من ارتفاع ١٠ اقدام لابد له من عمق ماء لايقل عن عشرة اقدام للغطس البسيط . فاذا زاد الارتفاع عن ذلك وجب ان يبلغ العمق ١٦ قدما حداً اعلى .

حول الأرض
نطاقان من ماء وهواء

وكلمة أخيرة

الحق اننا نعيش في بحرين ، بحر من هواء ، وبحر من ماء .

او الاصح ان تقول اننا نعيش في بحر من هواء ، الى جانبه بحر من ماء ، تغزوه عندما تريد ، فيه اسباب الموت ، وفيه اسباب الحياة .

ولكن الذي يجمعنا بالبحرين في هذا المقال ان لكليهما ضغطا على جسم الانسان . ففي الهواء ، وعلى سطح الارض ، يضغط الهواء على الجسم بنحو ١٥ رطلا على البوصة المربعة من الجسم . وهذا الضغط هو وزن انبوبة من هواء ، قاعدتها بوصة مربعة عند سطح الارض ، وترتفع عاليا في الهواء الى ابعد حدوده .

وكذلك الضغط في الماء : انه وزن مثل هذه الاسطوانة من ماء البحر، قاعدتها السفلى بوصة مربعة عند عمق معلوم ، وقاعدتها العليا عند سطح الماء .

ان الماء والهواء ، يجمعهما انهما كليهما مائعان .

●●

احمد زكي

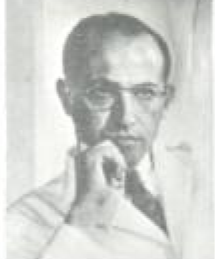


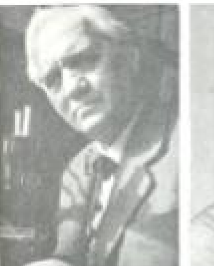
كسوة الغاطس ، وهو يهم بالنزول في الماء ٠ وقد اتسعت لتتقبل الهواء الذى ترسله كابسة الهواء التى بسفينة الرقابة الواقفة عند سطح الماء،وهي تزيد ضغط هوائها كلما زاد ضغط الماء في الاعماق ٠


نيوتن


جان شامبليون


روبرت كوخ


جوناس سلك


اسكندر فلمنج

مسابقة العربي

١٨ شخصية عالمية و ١٠٠ دينار جوائز

■ هذه اسماء ١٨ شخصية عالمية لامعة .. وبجانب كل منها اسماء ثلاث دول .. والمطلوب منك معرفة اسم الدولة الصحيحة التى ينتمى اليها كل من هؤلاء، لابد ان تجيب على ١٠ منها على الاقل :

١ ـ غوليلمو ماركوني .. احد مخترعي اللاسلكي كان :

امريكيا ـ فرنسيا ـ ايطاليا

٢ ـ اسحق نيوتن .. مكتشف قوانين الجاذبية ، كان :

نمساويا ـ بلجيكيا ـ انجليزيا

٣ ـ روبرت كوخ Koch مكتشف ميكروب السل ، كان :

اسبانيا ـ المانيا ـ فرنسيا

٤ ـ جان شامبليون Champollion الرجل الذى حل الحروف الهيروغليفية ، كان :

فرنسيا ـ بريطانيا ـ ايطاليا

٥ ـ جوناس سلك .. كاشف مصل شلل الاطفال ، كان :

امريكيا ـ فرنسيا ـ سويديا

٦ ـ اسكندر فلمنج Fleming .. مكتشف البنسلين ، كان :

انجليزيا ـ امريكيا ـ سويديا

٧ ـ كريستوفر كولمبوس ، مكتشف القارة الامريكية .. كان :

برتغاليا ـ اسبانيا ـ ايطاليا

٨ ـ اسكندر بيل Bell احد مخترعي التلفون اللاسلكي ، كان :

امريكيا ـ فرنسيا ـ انجليزيا

٩ ـ توماس اديسون Edison مخترع الجرامفون والمصباح الكهربائي .. كان :

انجليزيا ـ بلجيكيا ـ امريكيا

١٠ ـ ديفيد ليفنجستون Levingston مكتشف بحيرة فيكتوريا ، كان :

المانيا ـ سويسريا ـ انجليزيا

١١ ـ فرناند ماجلان Magellan مكتشف مضيق ماجلان في امريكا الجنوبية ، كان :

اسبانيا ـ برتغاليا ـ هولنديا

١٢ ـ جيمس وات Watt، باسمه سميت وحدة الطاقة الكهربائية (وات) كان عالما :

برتغاليا ـ فرنسيا ـ دانمركيا



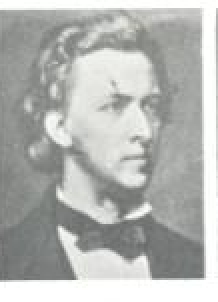






كولمبوس — اسكندر بيل — توماس اديسون — ماجلان — جيمس وات




ليوناردو دافنشي — ألفريد نوبل — شوبان — جوهان جوتنبرج

١٣ ـ هوارد كارتر ، اكتشف قبر « توت غنخ امون » ، كان :

انجليزيا ـ فرنسيا ـ نمساويا

١٤ ـ ليوناردو دافنشي Davinci النابغة الذى رسم لوحة الجيوكوندا كان :

نمساويا ـ ايطاليا ـ سويسريا

١٥ ـ الفريد نوبل صاحب جائزة نوبل العالمية ، كان

سويديا ـ دانمركيا ـ المانيا

١٦ ـ فاسكو دى جاما Vasco de gama اكتشف طريقا جديدا بين اوروبا والهند عن طريق راس الرجاء الصالح ، كان

اسبانيا ـ برتغاليا ـ ايطاليا

١٧ ـ فريديريك شوبان ، المؤلف الموسيقى الشهير ، كان :

بولونيا ـ مجريا ـ نمساويا

١٨ ـ جوهان جوتنبرج Gutenberg مخترع احرف الطباعة ، كان :

المانيا ـ ايطاليا ـ نمساويا

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت ، مسابقة العدد ١٩١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر كانون الاول ١٩٧٤

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير . وعند تعدد الاجابات تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■



الى اعلى : صورة كاملة لسد مشروع حمادي التحويلي والى اسفل واحدة من قنوات التحويل •







معركة المليون هكتار في المغرب العربي

٢٥ سداً على ٨ أنهار توفر المياه اللازمة لنهضة زراعية كبرى

استطلاع بقلم

محمد طنطاوي

تصوير

عبد الناصر شقرة

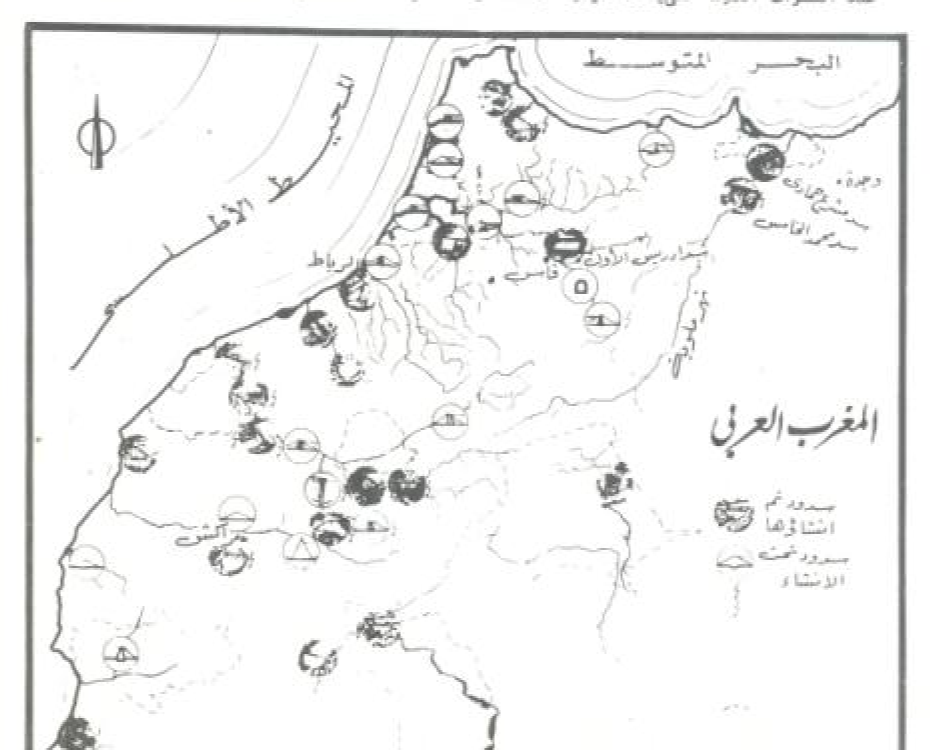
الصورة الاولى الى اعلى اليسار تمثل شلالات المياه في منطقة صفرو بالقرب من سد ادريس الاول. **والصورة الثانية في الوسط** تمثل حقول العنب في المنطقة الشرقية قرب بركان . **والصورة الثالثة** لباحثة زراعية تجري اختبارا على طبيعة التربة في المكتب الاقليمي للزراعة في ملوية .

■ « وجعلنا من الماء كل شيء حي »

بهذه الكلمات لخص لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم اهمية الماء بالنسبة للحياة على ارضنا هذه ٠ ان الانسان في حاجة الى الماء ليروي عطشه ويحافظ على حياته ، والحيوان يشارك الانسان في هذه الحاجة ايضا ٠ والارض في حاجة الى الماء لكي تنبض بالحياة وتنتج وتعطي ٠ واذا حرمنا الارض من الماء ، او اكسير الحياة ، فانها تتحول الى صحراء جرداء خالية من كل معالم الحياة ٠

وقد عرف الانسان منذ ان بدأ يعيش على الارض اهمية الماء بالنسبة له ولحياته ٠ وعندما كان هذا الانسان البدائي يختار مكانا لاقامته فانه لم يكن يختار سوى المكان الذي تتوفر فيه المياه ، وعندما تنضب المياه في هذا المكان فانه يتركه ليبحث عن مكان آخر ٠ كان الانسان القديم دائم التنقل من مكان الى مكان باحثا عن الماء ، وكان السبب الرئيسي في تنقله هو عدم تمكنه من التحكم في مصادر المياه التي وفرتها له الطبيعة ٠ واليوم يزداد سكان العالم زيادة كبيرة ، ومع هذه الزيادة تشتد الحاجة الى الماء ، والى تنظيم الاستفادة من كل نقطة ماء تتوفر لدى الانسان ، حيث ان الماء يحيي الارض الميتة ويحولها الى ارض تنبض بالحياة وتفيض بالخيرات والنباتات ٠ ان ازمة الغذاء في العالم لايمكن التغلب عليها الا بتوفير الماء اللازم لري الاراضي الصالحة للزراعة واضافة اراض جديدة الى الرقعة المزروعة حاليا ٠

ان الاعتماد على الامطار وحدها هو في الحقيقة مغامرة كبيرة ، فعندما تتحول الرياح ولا تأتي السحب بالماء ، يسود الجفاف حاملا معه الخراب والموت والجوع ٠ وتعلم الانسان من التجارب التي



خريطة تبين السدود التي تم انشاؤها حتى الآن في جميع انحاء المملكة المغربية ويبلغ عددها ٢٥ سدا ، والسدود التي تحت الانشاء وهي نحو ١٥ سدا ٠ وقد تكلفت السدود التي انشئت في المغرب منذ الاستقلال في عام ١٩٥٦ حتى الآن ،وهي ١٠ سدود ، نحو ٢٢٠ مليون دولار ، ويقدر عدد السنوات اللازمة لكي يسدد المردود الاقتصادي للسد الواحد كافة تكاليف هذا السد بنحو ثلاثين عاما ٠

خاضها في حربه الازلية مع قوى الطبيعة ، كيف يستفيد من الماء الذى هو من أهم الاشياء لحياته ، وكيف يدخر هذا السائل الثمين ولايتركه يذهب سدى ،وبدأ يقيم السدود والخزانات بحيث يستفيد من كل قطرة ماء يرزقه الله بها ، وبذلك يتقى شر سنوات الجفاف العجاف ، ويقى نفسه واهله من المجاعة وسوء المصير .

٨ أنهار و ٢٥ سدا في المغرب العربى

والعالم العربى ، واغلب مساحة اراضيه صحارى ، يواجه مشكلة توفير المياه اللازمة لزراعة هذه المساحات الشاسعة وتحويلها الى اراض منتجة تفيض بالخير والبركات . وقد بدأ الاهتمام بالزراعة وتوفير المياه اللازمة لها في اغلب بلدان العالم العربي مشرقه ومغربه خلال السنوات القريبة الماضية . ولم يقتصر هذا الاهتمام على بلد عربي دون بلد عربي آخر .. فتلك البلدان التي بها انهار او تلك التي تعتمد على المياه الجوفية ، كلها بدات في الاهتمام بالزراعة . ومع هذا الوعى الزراعى بدأ الاهتمام ايضا بتنظيم استهلاك مصادر المياه في كل بلد والعمل على عدم اهدارها . وبرزت مشروعات السدود ومشروعات البحث عن المياه الجوفية وضخها واستغلالها .

واستطلاعنا اليوم عن مشروعات السدود في المغرب العربي ، وهى مشروعات تمثل خير تمثيل حقيقة المعركة التي يخوضها حاليا الانسان العربي لتوفير الحياة الكريمة لنفسه ولأولاده من بعده .

والمغرب العربى يتميز بطابع مزدوج ، اطلسى وصحراوى ، فهو يقع على الراس الغربي لشمال افريقيا ويحده من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب المحيط الاطلسى وتقوم الرمال الصحراوية بعملية زحف مستمر على الحدود الشرقية والجنوبية . وتمتد في قلب المغرب سلسلة من الجبال تطل على السهل الاطلسى الخصب وهى جبال الاطلس الكبير والمتوسط وجبال الريف وتنبع من جبال الاطلس الكبير والاطلس المتوسط وجبال الريف ٨ انهار من أهمها وادى سبو وينبع من الاطلس المتوسط ويصب في المحيط الاطلسى ويبلغ طول هذا النهر ٦٠٠ كم . وكذلك نهر الملوية وهو يعتبر اطول انهار المغرب وهو ينبع من



منظر عام لمدينة وجدة من فوق مئذنة الجامع القديم فى المدينة ويبلغ تعداد وجدة الان نحو ١٧٥ الف نسمة وهى تعتبر واحدة من احدى عشرة مدينة رئيسية فى المغرب .

الاطلس المتوسط ، وهو النهر الكبير الوحيد الذى يصب في البحر المتوسط . ويبلغ عدد السدود التى اقيمت على انهار المغرب الثمانية نحو ٢٥ سدا حتى الان ، وهى سدود تكمل بعضها بعضا .وتعتبر جزءا من الخطة التى رسمها المغرب لتحقيق هدفه الاساسي في تحويل مليون هكتار من اراضيه الى أرض مسقية خلال السنوات القادمة.

نهر الملوية وسد محمد الخامس

كان من الطبيعى ان نختار لاستطلاعنا عددا صغيرا من السدود تعطى صورة واضحة عن السدود التى اقيمت فى المملكة المغربية .. ووقع اختيارنا على منطقتين متباعدتين ، المنطقة الاولى تقع فى شرق المغرب وهى منطقة وادى الملوية والسدين الواقعين عليها وهما سد محمد الخامس وسد مشرع حمادى التحويلى . أما المنطقة الثانية فهى منطقة وادى سبو وسد ادريس الاول الواقع بالقرب من مدينة فاس المعروفة .

وكان لابد من استقلال الطائرة من الرباط الى مدينة « وجدة » في شرق المغرب والتي تقع بالقرب من حدود المملكة المغربية مع دولة الجزائر وتعتبر اقرب مدينة كبيرة الى منطقة سد محمد الخامس وسد مشرع حمادى التحويلى . وهى تبعد نحو

الى اليسار : على بعد ١٠ كيلو مترات غرب مدينة السعدية يلتقي نهر ملوية بالبحر المتوسط ، لقد نجح سد محمد الخامس وسدمشروع حمادى التحويلى فى الحد من كميات المياه التى كانت تضيع فى البحر المتوسط دون الاستفادة منها .



الى اليمين : داخل محطة توليد الكهرباء فى سد محمد الخامس ان المحطة تنتج ٨٥ مليون كيلوواتساعة من الكهرباء سنويا . **والى اسفل** منظر عام لسد محمد الخامس ووراءه البحيرة التى تختزن كميات كبيرة من المياه .

الى اسفل : العمل يجرى فى انشاء القنوات الاسمنتية التى ستحمل
مياه نهر الملوية الى الاراضى الجديدة فى منطقة بركان ، ان هناك مئات
الكيلومترات من هذه القنوات وسط الاراضى الزراعية فى حوض ملوية

٩٠ كم عن سد مشرع حمادى و ١٢٠ كم عن سد محمد الخامس .

ومدينة وجدة مدينة يعود تاريخها الى ماقبل الاسلام وان كانت اعادة تعميرها تعود الى القرن الرابع الهجرى حيث قام « زيرى بن عطية » باعادة بنائها .

وهى الان مدينة حديثة تضم الكثير من المبانى الجديدة الى جانب بعض المبانى القديمة التى تحمل الطابع المغربى الصميم . ويبلغ عدد سكان مدينة وجدة نحو ١٧٥ الف نسمة . وهى تعتبر واحدة من احدى عشرة مدينة رئيسية فى المغرب .

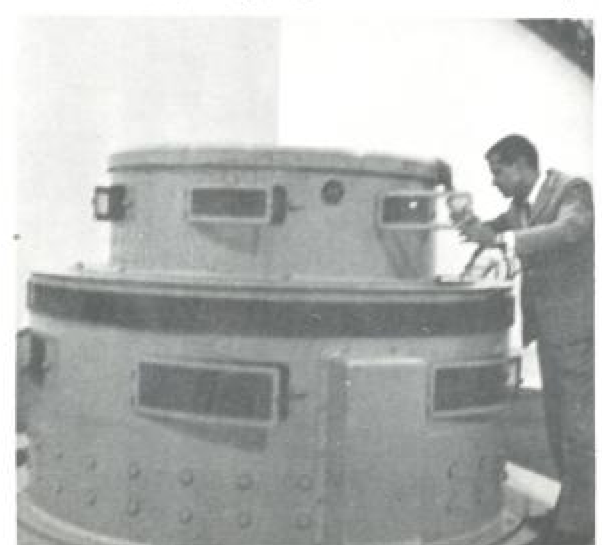
ويقع سد محمد الخامس (كان يدعى سد مشرع قليلة) على بعد نحو ١٢٠ كم جنوب غرب مدينة وجدة . والطريق الى السد يمر اولا بمدينة « بركان » وبها يقع المكتب الاقليمى (الجهوى) للزراعة فى منطقة ملوية ، وهو المكتب الذى يشرف على تنفيذ المشروعات الزراعية فى المنطقة. ويمتد الطريق وسط مناظر طبيعية مختلفة ، سهول منبسطة ، وجبال وعرة المسالك بعضها مغطى بالاشجار الخضراء ، وبعضها جردته عوامل الطبيعة من كل لون اخضر .

وعندما تشتد وعورة الطريق ، وتتكاثر قمم الجبال الكلسية فان هذا يعنى ان السد قد اصبح قريبا .. ومن اعلى احد الجبال المحيطة بالسد ظهرت لنا بحيرة زرقاء واسعة تتالق تحت اشعة الشمس كانها ماسة زرقاء تحلي جيد الجبال المحيطة بها ، وما هى الا دقائق حتى كنا نتفقد سد محمد الخامس ومحطة توليد الكهرباء التابعة له .

٢٠ مليون دولار تكاليف انشاء السد

يعود تاريخ انشاء سد محمد الخامس الى عام ١٩٦٢ وانتهى العمل فيه فى عام ١٩٦٧ ، وقد تكلف انشاء السد ومحطة توليد الكهرباء التابعة له مبلغ ١٠٠ مليون درهم (٢٠ مليون دولار) ، وساهم فى تمويله البنك الدولى للانشاء والتعمير ، والكويت ، وفرنسا ، والمانيا الغربية ، وايران ، والاتحاد السوفيتى . ويمكن للسد احتجاز كميات من المياه تصل الى ٧٣٠ مليون متر مكعب وذلك فى بحيرة تبلغ مساحتها نحو ٤٢٠٠ هكتار ، والسد يضمن ضبطا جزئيا لمياه النهر ، ويسمح بصب متوسط مضبوط نافع يقدر بـ ٢٤ مترا مكعبا من المياه فى الثانية تقريبا ، ويسمح ايضا بسحب كميات من المياه تصل الى ٥٣٥ مليون متر مكعب سنويا ، وهى الكمية المطلوبة حاليا لتغطية حاجيات الارض المستية فى وادى الملوية السفلى ، ويبلغ ارتفاع جسم السد فوق ادنى نقطة فى اساساته ٦٤ مترا ، كما يبلغ عرضه ٣٠٥ امتار . وهو يضم ٤ بوابات قدرة تصريف المياه منها ٦٠٠٠ متر مكعب فى الثانية . ويتم التحكم فى اغلاق او فتح هذه البوابات اوتوماتيكيا بحيث يتم فتحها اذا ازداد منسوب المياه وراء السد عن حد معين .

وفى اسفل السد اقيمت محطة توليد الكهرباء التى تدار بواسطة توربين مركب فى اسفل انحدار الماء الذى يبلغ ارتفاعه ٤٨ مترا ، ويقدر انتاج هذه المحطة من الكهرباء سنويا بنحو ٨٥ مليون



فى غرفة التوربين الضخم الذى يولد الكهرباء فى سد محمد الخامس احد المهندسين يراقب عمل التوربين الذى يستطيع ان يولد ٨٥ مليون كيلوواط ساعة سنويا .

كيلوواط ساعة كما ان هناك ايضا محطة توليد كهرباء تقع على بعد نحو ١٠ كيلومترات من سد محمد الخامس عند شلال يطلق عليه شلال بوعرق ويتم توليد ٥٥ مليون كيلوواط ساعة من هذه المحطة •

سد مشرع حمادى يقوم بتحويل المياه ورفعها

وعلى بعد نحو ١٠ كيلومترات شمال سد محمد الخامس يقع سد مشرع حمادى التحويلى ، ويقوم هذا السد بمهمتين رئيسيتين الاولى اعادة تنظيم تصرف مياه سد محمد الخامس على اساس يومى وطبقا لقوة الفيضان اثناء موسم الامطار • والمهمة الثانية تحويل مياه نهر الملوية مع رفعها الى علو يكفى للسيطرة على رى ٨٠٪ من الاراضى المطلوب ريها دون الاستعانة بآلات الضخ • ومن سد مشرع حمادى يبدأ نظام الرى لحوض نهر ملوية السفلى ، وهو ذلك النظام الذى ينقسم الى قناتين واحدة الى اليسار والاخرى الى اليمين ويبلغ تصرف المياه فى القناة اليمنى نحو ١٨ مترا مكعبا فى الثانية ، اما القناة اليسرى فيبلغ تصرف المياه فيها نحو ١٧ مترا مكعبا فى الثانية •

وتكفى كميات المياه فى القناة اليمنى لرى نحو ٤٠ الف هكتار (١٠٠ الف فدان) •

كما توفر القناة اليسرى المياه لرى نحو ٣١ الف هكتار (٧٥ الف فدان) من بينهم ٩٥٠٠ هكتار من الاراضى المرتفعة والتى يلزمها محطة ضخ لايصال المياه اليها •

ويستطيع سد مشرع حمادى ان يحجز نحو ٤٢ مليون متر مكعب من المياه خلفه وان يبقى فى مياه البحيرة التى تكونت خلفه نحو ٣٢ مليون متر مكعب كمنسوب ثابت • ويبلغ ارتفاع هذا السد ٥٦ مترا وعرضه ٢١٥ مترا ، وهو يبعد نحو ٥٠ كيلومترا عن مصب نهر الملوية فى البحر المتوسط •

انتاج الهكتار يتضاعف ٥ مرات

تبلغ مساحة وادى ملوية السفلى نحو ٣٠٠ الف هكتار ، يزرع منها حاليا نحو ١٣٨ الف هكتار وقد تم تحويل نحو ٤٤ الف هكتار الى اراض مروية بعد ان كانت تعتمد فى السابق على مياه الامطار والآبار •



هذه الفتاة المغربية الصغيرة وقفت على جسم سد مشرع حمادى تتطلع الى المياه وهى تتدفق من بوابات السد وقد ظهرت امامها قنوات التحويل التى تحمل المياه الى القناتين اليسرى واليمنى •

ان مجموع الاراضى التى ستتحول الى ارض مروية تعتمد على نظام ثابت للرى ، وتزرع بدورات زراعية سنوية سيصل الى ٧١ الف هكتار فى عام ١٩٨٢ اى مايزيد على نصف مساحة الارض المنزرعة حاليا فى حوض ملوية السفلى • ولكى نستطيع ان نتبين الاهمية الاقتصادية لتحويل الاراضى الزراعية الى نظام الرى الثابت بدلا من الاعتماد على الامطار ، يكفى ان نعلم ان الدراسات التى قامت بها منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة فى منطقة وادى الملوية ، قد بينت ان انتاج الهكتار من الارض المروية يصل الى ٢٥٠٠ درهم سنويا (٥٠٠) دولار فى حين ان انتاج الهكتار من الاراضى التى تعتمد على الامطار يصل الى ٥٠٠ درهم سنويا (١٠٠ دولار) فقط • ذلك علاوة على انه يمكن زراعة انواع جديدة من الحاصلات الزراعية فى الاراضى المسقية ، وبذلك يتم تنويع الانتاج الزراعى للمنطقة •

مشروعات زراعية واجتماعية

بعد ان قمنا بزيارة سدى محمد الخامس ومشرع



٤ صور تمثل النهضة الزراعية في منطقة بركان والمناطق المحيطة بسد محمد الخامس **الصورة الاولى الى اعلى اليمين** طلبة المدارس الصغار يعملون في الحقول اثناء عطلتهم الصيفية ، **الصورة الثانية الى اعلى اليسار** تمثل انتاج احد الحقول من البنجر الذي بدأت زراعته تنتشر في المنطقة وخصوصا بعد انشاء مصنع السكر ٠ **والى اسفل اليمين** حصادة ميكانيكية تقوم بحصد محصول القمح في احد الحقول التي لاتزال تعتمد على مياه الامطار ٠ **والى اسفل اليسار** واحدة من قنوات الري وبوابات التحكم فيها في مشروع ري حوض ملوية **السفلى**٠




يعتمد نظام الري في الاراضي المسقية بوادي ملوية على شبكة كبيرة من القنوات الاسمنتية (**الصورة الى اليمين**) . ويتم صنع هذه القنوات في مصنع خاص بمدينة بركان ثم تنقل الى المناطق التي يتم توصيل المياه اليها لريها ريا دائما (**الصورة الى اليسار**) .

حمادي ، كانت المهمة الرئيسية امامنا هي تفقد المشروعات الزراعية والاجتماعية والصناعية المترتبة على تشغيل السدود والاستفادة بمياه نهر الملوية ، والكهرباء الناتجة عن سد محمد الخامس وشلال بوعرق .

وكانت اول زيارة لنا هي زيارة المكتب الاقليمي للزراعة في مدينة « بركان » ويشرف هذا المكتب على مشروعات الزراعة في منطقة ملوية ، كما يشرف ايضا على اجراء ابحاث زراعية تتعلق بالتربة وكميات المياه اللازمة لكل نوع من انواع المحاصيل ، ويقوم ايضا باجراء تجارب على زراعة انواع جديدة من المحاصيل في المنطقة واهمها زراعة قصب السكر والبنجر وذلك لانتاج السكر منهما . ويقول المهندس الزراعي عبد العزيز العلمي مدير المكتب الاقليمي للزراعة انه قد تمت حاليا زراعة نحو ٨ آلاف هكتار بالبنجر ويبلغ متوسط انتاج الهكتار نحو ٣٥ طنا ، ويتم تحويل البنجر الى سكر في المصنع الذي اقيم خصيصا في منطقة « زايو » في وادي الملوية . وهناك ايضا نحو ٥ آلاف هكتار خصصت لزراعة قصب السكر ، ولا تزال التجارب تجرى لاختيار احسن انواع قصب السكر وذلك في محطات التجارب الزراعية الموجودة بالمنطقة .

كما أن هناك مشروعات كثيرة لتنمية الثروة الحيوانية في المنطقة وتحسين السلالات الموجودة حاليا . وتقوم الجمعيات التعاونية الزراعية بتعبئة وتسويق محصول البرتقال الناتج من مزارع البرتقال التي تبلغ نحو نصف مساحة الاراضي المسقية في المنطقة . وهذه الجمعيات التعاونية تتكفل ايضا بتسديد الضرائب عن اعضائها ، وتمدهم بالبذور والاسمدة ودفع مصاريف الري ، وهي تبلغ ٣٠٠ درهم (٦٠ دولارا) للهكتار سنويا ، ثم تقوم بتحصيل ذلك كله من اعضائها بعد تسويق المحصول .

قرى نموذجيه
ومراكز للارشاد الزراعي

وتضم دائرة منطقة « بركان » حاليا ٨ قرى نموذجية في كل قرية مدرسة ، ووحدة صحية ، ومسجد ، ومركز للارشاد الزراعي . وهي مزودة بالكهرباء والماء العذب . ويتم الان انشاء عدد اخر من هذه القرى النموذجية ، وتضم كل قرية نحو ٣٠٠ عائلة من الفلاحين الذين تقع اراضيهم بالقرب من القرية ، لقد كان هؤلاء الفلاحون في الماضي يقطنون وسط اراضيهم ، كل واحد يبعد عن الاخر ولكن بعد انشاء هذه القرى أصبح من السهل توصيل الخدمات اليهم في مراكز تجمعهم بعد ان كان من الصعب ايصال هذه الخدمات اليهم وكل واحد منهم يعيش بعيدا عن الاخر .





في احدى المزارع التابعة لمحطة التجارب الزراعيةفي بركان تجرى تجربة زراعة ٨ اصناف مختلفة من قصب السكر لتحديد اكثر الانواع ملاءمة للجووالتربة فى هذه المنطقة (**الصورة الى اليمين**) **والى اليسار** مصنع السكر فى منطقة « زايو »وينتج المصنع السكر من القصب ومن البنجر ٠

مصنع السكر في زايو يصل انتاجه الى ٤٠ الف طن سنويا

من بين المشروعات الضخمة التى تم انشاؤها فى منطقة ملوية ، مشروع مصنع السكر فى « زايو » ٠ وقد تم افتتاح المصنع فى عام ١٩٧٢ وبلغت تكاليفه نحو ٢٥ مليون دولار وهو يستطيع انتاج السكر من البنجر ومن قصب السكر فى نفس الوقت ٠ وحتى الان فانه لم يتم تشغيل المصنع بكامل طاقته الانتاجية التى تصل الى ٤٠ الف طن سنويا ٠ ان انتاجه فى العام الماضى وصل الى ١٠ الاف طن من سكر القصب ، و ١١ الف طن من سكر البنجر ٠ ويضم المصنع اكثر من ٣٠٠ عامل كلهم من اهل المنطقة ٠

واحدة من القرى النموذجية التى انشئت فى منطقة مشروع نهر ملوية السفلى ٠ وتضم كل قرية مدرسة ومسجدا ومستوصفا وهى ايضا مزودة بالكهرباء والماء العذب ٠



ارشاد صحي واجتماعي فى الاسواق

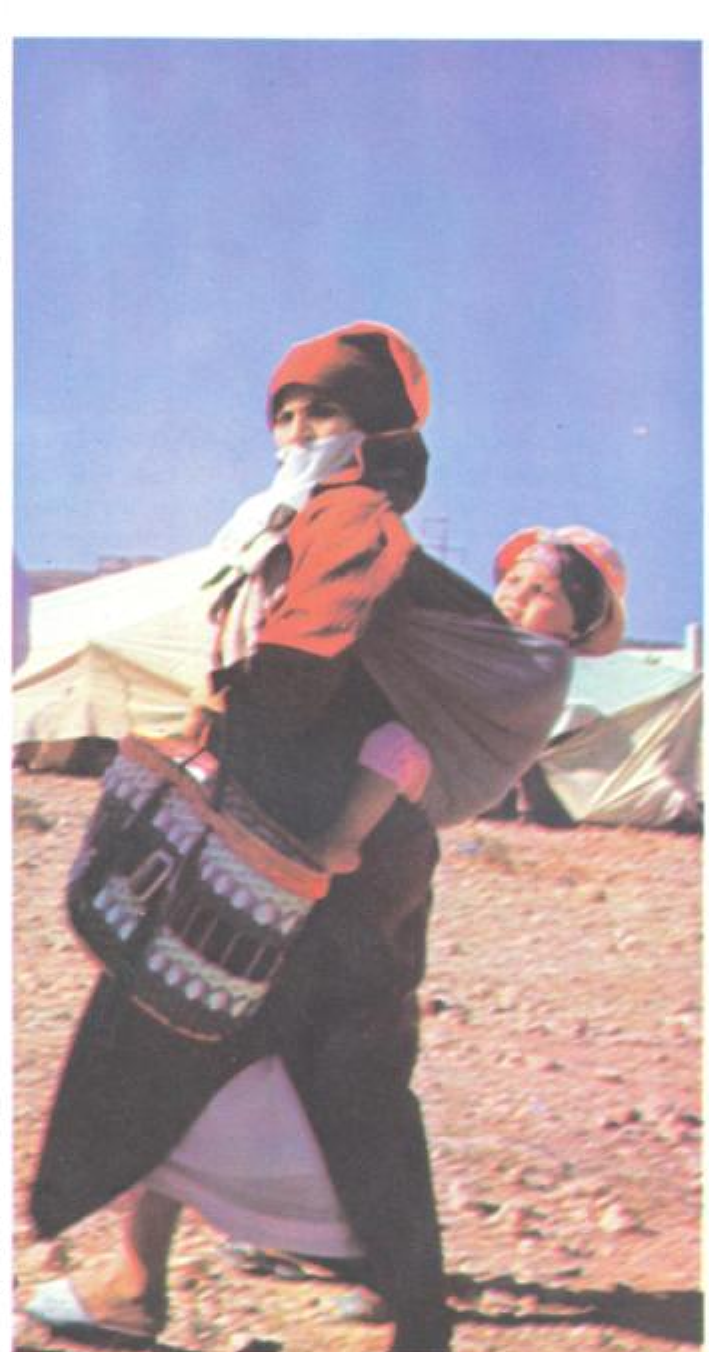
كعادة اهالى المناطق الريفية فى كل مكان فى العالم العربى يقوم اهالى منطقة وجدة والاماكن الزراعية المحيطة بها باقامة اسواق اسبوعية ٠٠ كل منطقة من المناطق لها سوق اسبوعى ٠٠ ويتوجه المزارعون الى هذه الاسواق بواسطة الدراجات البخارية ، اما النساء فهن يستأجرن العربات التى تجرها الخيول ٠

وقد لاحظنا فى سوق سيدى يحيى بالقرب من مدينة وجدة ان احدى المرشدات الصحيات جلست تحت خيمة صغيرة وامسكت بالميكرفون واخذت تتلو نصائحها الصحية على رواد السوق مستعينة بنماذج بلاستيكية مصغرة لجسم الانسان ٠والسوق الاسبوعى هو احد المجالات لتسويق انتاج المزارعين من الخضر وغيرها من المنتجات الزراعية بطريق مباشر ٠

الى اليسار : مرشدة صحية جلست في سوق سيدى يحيى بالقرب من مدينة وجدة تتحدث فى الميكرفون الى رواد السوق حول بعض الارشادات الصحية ووجوب مراعاة النظافة والاستحمام وغسل الماكولات وغير ذلك من مبادىء المحافظة على الصحة .

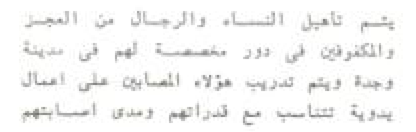
الى اليمين : فى سوق «احافير» هذه المرأة التى اتت من قريتها تحمل ابنها فوق ظهرها وترتدى الزى التقليدى للمنطقة ان المرأة المغربية فى المناطق الزراعية تشارك الرجل مشاركة فعالة فى العمل والانتاج .

الى اليسار : الاسواق الاسبوعية هى المكان الذى يهرع اليه سكان القرى فى المناطق القريبة من السوق . وهم يحملون جانبا من انتاجهم الزراعى يبيعونه ويشترون مايلزمهم من منتجات اخرى . وتشاهد هذه الاسواق رواجا كبيرا بعد تحويل الاراضى الزراعية الى اراض تروى على مدار السنة .









يتم تأهيل النساء والرجال من العجز والمكفوفين في دور مخصصة لهم في مدينة وجدة ويتم تدريب هؤلاء المصابين على اعمال يدوية تتناسب مع قدراتهم ومدى اصابتهم

مصب نهر الملوية يتحول الى مصيف عالمي

على طول الطريق من سد محمد الخامس الى مدينة السعيدية على ساحل البحر المتوسط وهي المدينة التي يقع بالقرب منها مصب نهر الملوية تنتشر المزارع الخضراء الجميلة ، هذه مزرعة عنب ،وتلك مزرعة برتقال ، وهناك عمليات حصاد للقمح او الشعير ، قرى صغيرة تتناثر هنا وهناك ، بينما نهر الملوية يتلوى بين الجبال المحيطة به ٠وتمتد في الحقول القنوات الاسمنتية التي تحمل مياه الرى الى الارض المسقية الجديدة والى جوارها ايضا قنوات الصرف الترابية التي بدىء في حفرها خاصة في بعض المناطق المنخفضة ٠ وعندما تقترب من مدينة السعيدية تجد نفسك ليس على ساحل البحر المتوسط فقط ، ولكن على حدود الجزائر الغربية ، لايفصل بينك وبينها سوى بوابة صغيرة للحدود ٠

وتعتبر مدينة السعيدية مصيفا صغيرا لأهل المنطقة الشرقية من المغرب ٠

وقد تم بحث مشروع سياحي مشترك بين الجزائر والمغرب لاقامة مصيف عالمي في هذه المدينة الهادئة التي تتمتع بشاطيء رائع على البحر

يقوم مركز التعاون الوطني بانشاء دور لتدريب الفتيات الصغيرات اللواتي لم يلتحقن بالمدارس ولا عمل لهن على اعمال نسج السجاد والتطريز والحياكة وغيرها من الاعمال اليدوية ٠ وتضم دار تدريب الفتيات في « وجدة » نحو ٦٠٠ فتاة (الصورتان الى اعلى) ٠



والصورة الاولى تمثل واحدة من السيدات تعمل فى جدل الحصر . والصورة الثانية لشخص مصاب بالشلل فى ساقه يعمل فى انتاج السلاسل من جريد النخيل .

المتوسط ، وعلى بعد نحو ١٠ كيلومترات من قلب مدينة السعيدية ، وهى كيلومترات عشرة تقع فيها معسكرات الصيف للعديد من المصالح الحكومية والهيئات المغربية ، يوجد مصب نهر الملوية ، وامام هذا المصب جزيرة صغيرة تسمى جزيرة « المجرة » وهى لاتزال محتلة بالقوات الاسبانية ويطلق عليها الاسبان اسم جزيرة « شافارين » .

محو الامية والتدريب المهنى

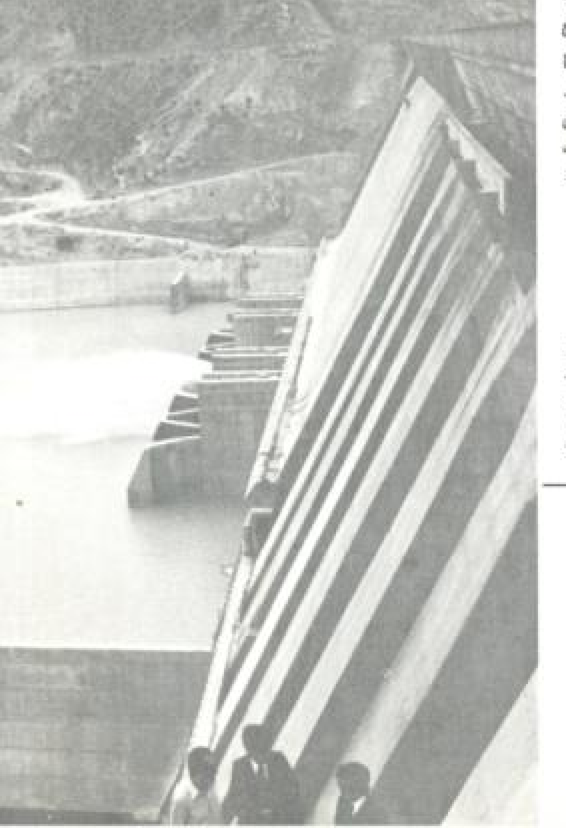
وفى مدينة وجدة والمدن المحيطة بها توجد مراكز لتدريب الفتيات اللواتى لاعمل لهن على صناعة السجاد والحياطة واشغال الابرة والتطريز التقليدى ، والى جانب تدريب الفتيات العملى تقوم مدرسات متخصصات بتعليمهن القراءة والكتابة . مدة الدراسة فى هذا المركز لاتزيد على عامين وبعدها يتم الحاق الفتيات باعمال تتناسب مع خبرتهن العملية .

والى جانب مراكز التدريب هذه توجد مراكز للعجزة والمكفوفين حيث يتم تدريبهم على اعمال النسيج والسجاد والحصر وغيرها .

سد ادريس الاول ومعركة المليون هكتار

بعد ان تركنا وجدة اتجهنا الى مدينة فاس لزيارة سد ادريس الاول ومشروعات سهل الغرب.

ويعتبر سهل الغرب من اكبر السهول فى المملكة المغربية ومساحته تبلغ نحو ٤٠ الف كيلومتر مربع اى عشر مساحة المغرب كله . ونهر سبو يمثل النهر الرئيسى فى هذه المنطقة ، ذلك الى جانب نهرى ورغة وبهت . وفى عام ١٩٦٩ قام الملك الحسن الثانى عاهل المغرب



يتميز سد ادريس الاول بانه يقع فى منطقة قريبة من مدينة فاس المشهورة وهذا الموقع يساعد على تحويل البحيرة الكبيرة التى تكونت خلف السد الى بحيرة سياحية يقوم السياح بممارسة صيد الاسماك والتزلج على الماء فيها.



الى اليمين : محصول الكرز (حب الملوك) احد المحاصيل الرئيسية في منطقة صفرو القريبة من سد ادريس الاول ·

●

الى اسفل : منظر عام يبين طبيعة الارض في المنطقة المحيطة بسدادريس الاول·· انها سفوح جبال ووديان مزروعة · ان سهل الغرب يمتاز بوجود ٣٠٠ الف هكتار يمكن تحويلها الى ارض **مروية**



الى اعلى : على نهر سبو وقفت هذه الفتاة تملأ اناءها بالماء ان وادي سبو يعتبر من اخصب المناطق في المغرب العربي ·

الى اليسار : سد ادريس الاول ، والبحيرة التي تقع خلف السد ، ان البحيرة تبلغ مساحتها ٦٧٠ كيلومترا مربعا ،وهناك عدة مشروعات لاستغلالها سياحيا ·

بوضع حجر الاساس لسد ادريس الاول على نهر ايناون واستغرق العمل فيه ٤ سنوات ثم تم افتتاحه رسميا فى عام ١٩٧٣ ٠

وستقام عدة سدود اخرى تكميلية على نهر سبو تؤدى مع سد ادريس الاول الى رى ٣٠٠ الف هكتار اى نحو ثلث المليون هكتار التى قررت المغرب تحويلها الى اراض ذات رى دائم ٠ انهم فى المغرب يطلقون على هذه المشروعات اسم « معركة المليون هكتار » وهى فى الحقيقة معركة بين الانسان والطبيعة ، وهى تتطلب الكثير من الجهد والمال والوقت ٠ ان تحقيق الهدف النهائى يستلزم مالا يقل عن ٢٥ عاما اخرى ، وانشاء ٧ او ٨ سدود جديدة ٠ ولكن تحقيق هذا الهدف اصبح ضرورة وخاصة ان سكان المغرب الذين يصل عددهم الان الى نحو ١٦ مليون نسمة يتزايدون بنسبة ٢ر٩٪ سنويا وهى نسبة من اعلى النسب فى العالم ، وهذه الافواه الجديدة فى حاجة الى غذاء ستوفره لهم الارض الطيبة التى يتم تحويلها الان الى ارض مسقية ٠

بحيرة السد تستغل سياحيا

وتبلغ مساحة البحيرة التى تكونت وراء سد ادريس الاول ٦٧٠ كم مربع وهناك الان مشروعات لاستغلال هذه البحيرة سياحيا لقرب موقعها من بعض المناطق السياحية فى المنطقة كمدينة فاس ومنتجعات ايموزار وايفران وهى تعتبر من المصايف الجبلية الشهيرة فى المغرب ٠ وسد ادريس

هذه القنطرة القديمة تسمى قنطرة مولاى رشيدوقد انشئت فى عام ١٠٨٤ هـ (١٦٦٦ م) على نهر سبو ٠ ان مشروعات السدود والقناطر لم تتوقف عبر تاريخ المغرب الطويل ولكنها الان بدأت فى التطور معتمدة على الوسائل التكنية الحديثة ٠





صورة شاملة لمدينة فاس تحيط بها الجبال الخضراءمن كل ناحية • ومدينة فاس أهم المدن السياحية في المغرب • وهي ايضا اقرب مدينة رئيسية الى سد ادريس الاول •

الاول هو سد ذو كتل مستقلة بعضها عن بعض ويبلغ ارتفاعه فوق الاساس ٧٢ مترا وعرضه ٤٤٧ مترا • وللسد ٤ بوابات قادرة على صب ١٢٠٠ متر مكعب من المياه في الثانيـة • وقد تكلف السد نحو ٩٠ مليون درهم (١٨ مليون دولار) • ومن المقرر ان يتم انشاء محطة توليد كهرباء من السد خلال العام القادم • وقد ساعد سد ادريس الاول على انقاذ الخط الحديدى الذى يربط بين المغرب والجزائر من السيول التى كانت تهدده في كل عام • وبعد ان توفرت المياه ادخلت زراعات جديـدة الى المنطقـة اهمها زراعة عباد الشمس لاستخراج الزيوت منه،والطماطم والبنجر والقطن ، وذلك علاوة على ان المنطقة الجبليـة المحيطة بالسد تمتاز بوفرة اشجار الكرز (يسمى في المغرب حب الملوك) والزيتون والذى يبلغ عدد اشجاره هناك مايزيد على ٨ مليون شجرة ، والغابات ومن بينها اشجار الارز •

نهضة صناعية

وقد بدأ تنفيذ مشروعات صناعية جديدة تتعلق بالصناعات الزراعية ، منها انشاء مصنع لانتاج السكر من القصب وذلك بعد ان تمت زراعة ٨ آلاف هكتار بقصب السـكر في منطقة الغرب • وسـيصل انتاج هذا المصـنع الى ٥٠ الف طن من السكر سنويا ، وهناك ايضا صناعة استخلاص الزيت من بذور عباد الشمس ، وصناعات الالبان وتعبئة البرتقال ،ومصانع للنسيج الآلي والنسيج اليدوى التقليدى للسجاد والمنسوجات الصوفية •

هذه هي صورة سريعة للجهود التى تبذل الان في المغرب العربي في سـبيل تحقيق النصر في معركـة المليون هكتار •• معركـة توفير الغذاء والرفاهية لملايين البشر من الاجيال القادمة • وهي صورة مشرقة للانسان العربي الجديد •• انسان القرن العشرين •

■■

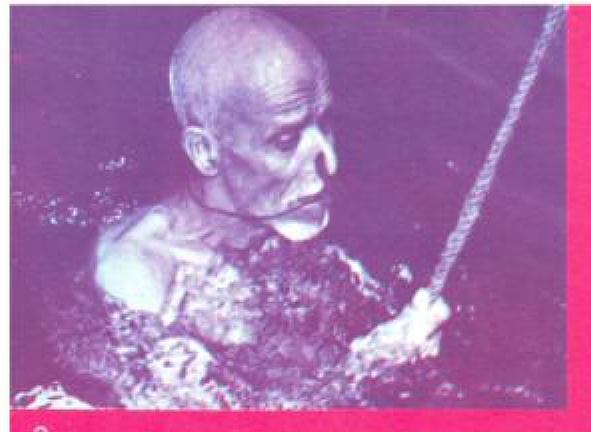
محمد طنطاوى

العلاقة بين الكويت والبحر

١٠ ناقلات نفط عملاقة و٣١ سفينة شحن تجارية ترسم

لم يعد أهل الكويت يغوصون في مياه الخليج بحثا عن اللؤلؤ .. لقد أخذت ناقلات النفط العملاقة





استطلاع بقلم:
سليم زبال

علاقة الكويت الحديثة مع البحر

[illegible]

■ منذ ٥٦ عاما خرج من ميناء الكويت اسطول بحري ضخم ضم ١٢٠٠ سفينة كويتية انطلقت الى عرض البحر بحثا عن اللؤلؤ فى قاع مياه الخليج.. كان هذا ايام حكم الشيخ سالم المبارك الصباح للكويت التى شهدت العصر الذهبي لتجارة اللؤلؤ فى ذاك الوقت . فقد كان هناك نحو ٨٠ الف كويتي يعملون فى مختلف فروع هذه المهنة المزدهرة !

الرجال يخرجون الى « المغاصات » ، حيث مكامن اللؤلؤ الطبيعي ، يمكثون خمسة شهور فى البحر ، من مايو الى سبتمبر، يعودون بعدها الى اليابسة حيث تستقبلهم النساء بالزغاريد والاهازيج .

واستمر الكويتيون يعتمدون في حياتهم على البحر يغوصون فى اعماقه ، ويصطادون الاسماك من مياهه، وينطلقون بسفنهم فوق مياهه ينقلون البضائع بين الخليج والهند وسواحل افريقيا ..

وفجأة هدأ كل شيء .. لم يعد احد يغوص بحثا عن اللؤلؤ.. وران الهدوء على السواحل، وسكتت الزغاريد والاهازيج .. لقد كسدت تجارة اللؤلؤ الطبيعي ، بعد نجاح اليابان فى زراعته صناعيا ..

البحث عن المعادن الجديدة

مضى البحر بكل محاسنه ومآسيه .. ولم يبق لاهل الكويت منه غير ذكريات تعيش فى نفوسهم، يفجرها الكتاب فى ملاحم شعرية جميلة رائعة..

لقد قلبت الكويت صفحة البحر ، لتنفتح على صفحة النفط .. وظهر فيها « جيل ما بعد النفط » .. جيل لم يقاسِ متاعب الغوص ومآسي البحار .. ولكن هذا الابتعاد الزمني لم يستطع ان يقطع الوشائج الطويلة التى ظلت تربط الكويت بالبحر على مر السنوات ..

حقيقة ان جيل ما بعد النفط ، لم يعد يضع « الفطام » على انفه ويغوص بين الاسماك المفترسة بحثا عن اللؤلؤ ، ولم يعد يمكث بالشهور تحت اشعة الشمس المحرقة وسط المياه المالحة .. لقد تبدل كل هذا واصبح ابن الكويت يجلس اليوم فى حجرة مريحة مكيفة .. ويخطط ويدرس باسلوب علمي هادئ ، بحثا عن المعادلة الجديدة التى ستربط الكويت بالبحر ..

اضخم اسطول عربي

وجاءت اولى القرارات مفاجأة مذهلة للجميع، ففى صباح يوم ١٥ ابريل ١٩٥٩ وصلت اول سفينة حديثة كبيرة اوصت عليها الكويت .. انها ناقلة النفط « كاظمة » .. كانت حمولتها ٤٩ الف طن .. اى ما يعادل اربعة اضعاف مجموع حمولة الالفومائتي سفينة من سفن الغوص التى كان اهل الكويت القدامى يفخرون بها ! !

ولم يتوقف طلب السفن الحديثة ، فسرعان ما توالى وصول الناقلات الى مياه الكويت ، كل منها اكبر من الاخرى : « وربة » و « الصبية » وحمولة كل منهما ٦٠ الف طن .. ثم كانت المفاجأة عندما وصلت الناقلات « عربية » و « القنطاس » و « البادية » وحمولة كل منها ٢٠٨ الف طن ..

وهكذا اصبحت الكويت تمتلك اول واضخم اسطول عربي لنقل النفط ، يضم ٦ ناقلات مجموع حمولتها ٧٩٣ الف طن ..

وفى العام الماضي (١٩٧٣) وقعت شركة ناقلات النفط الكويتية عقودا لشراء اربع ناقلات جديدة تساوى حمولتها ١٢٤٪ من مجموع كل الاسطول العامل الذى تملكه ..

اى ان هناك اربع ناقلات جديدة حمولة كل منها على التوالى ٣٦٠ الف ٣٢٨ الف ٣٩٥ الف طن و٢٦١ الف طن سوف تتسلمها الشركة الكويتية ابتداء من منتصف عام ١٩٧٥ حتى منتصف عام ١٩٧٧ وهكذا سوف يرتفع عدد الناقلات الكويتية الى عشر ناقلات مجموع حمولتها مليونان و ١٣٨ الف طن ساكن ..

« نعمل فى ظروف فى منتهى القسوة »

ويقول الاستاذ عبد العزيز الصقر رئيس مجلس ادارة شركة ناقلات النفط الكويتية :

« اننا متفائلون بالنسبة لمستقبل سوق



تبلغ حصة حكومة الكويت ٧٧٪ من رأس مال شركة الملاحة الكويتية، (بصفتها المؤسس للشركة)وقد كان رأس مال الشركة مليوني دينار كويتي عند تأسيسها، ارتفع اليوم الى ١٨ مليون دينار ٠٠ وترى هنا وزير مالية الكويت ، السيد عبد الرحمن سالم العتيقي يقص الشريط ، ايذانا بانطلاق السفينة «المباركية» من حوض السفن باسكتلندا

الناقلات ، ونحن في شركتنا لا تدخر جهدا لبناء اسطول من الناقلات، ليس لخدمة المصالح الكويتية فحسب ، ولكننا على الدوام نستقرىء ضخامة الثروة العربية من النفط ، ونؤمن بقوة بان تلك الثروة ستفقد من قيمتها اذا لم تسندها وسيلة النقل المتممة لها، والممثلة في الناقلات ٠٠ ذلك ما كنا نعيه ، حين اسسنا هذه الشركة ، ومن اجل المساهمة في خدمة هذا الهدف ، كان علينا ان نكافح خلال السنين ، وستمضي في ذلك لنصبح - وبجدارة - في عداد الشركات العالمية، ليس بالنسبة للطاقة الكبيرة لاسطولنا ، وانما في ممارسة كل الاعمال الملاحية باوسع معانيها ٠٠

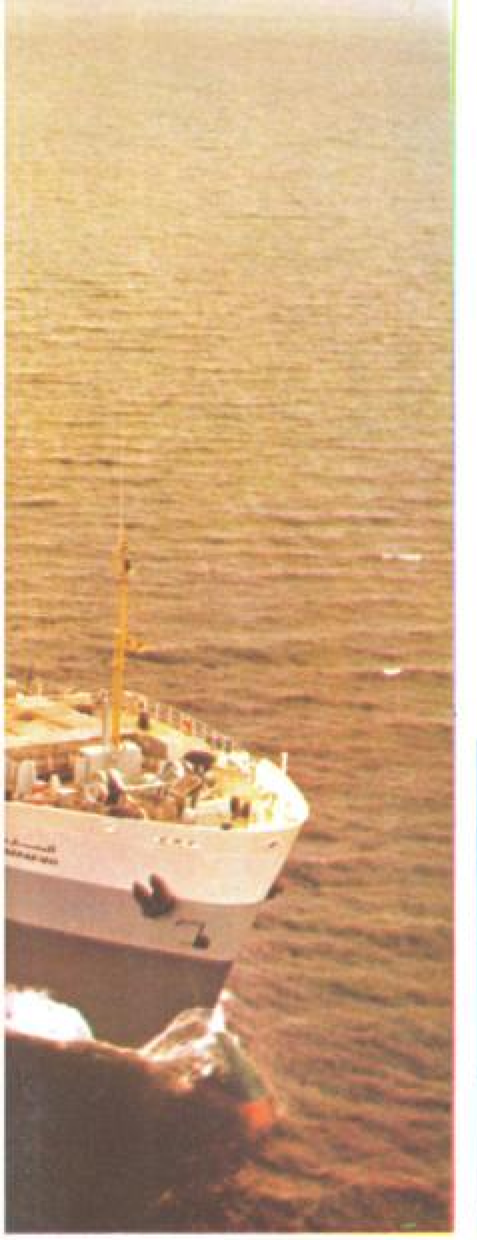
« ونحن نعمل في ظروف في منتهى القسوة في السوق وفي حقل له خصائص فريدة ٠٠ ومع ذلك حققنا غايتين من اعز الغايات ٠٠

« واحدة تمثلت باخذ ادارة ناقلاتنا بايدينا على المستويات الفنية والعملية ٠٠ واصبحنا الان مستقلين ، بل وقادرين ، ليس فقط على تسيير كل شئون الملاحة الخاصة بنا ، ولكن على ان نقدم اية مساعدة لاى مشروع عربي يحتاجها في ادارة البواخر وتصليحها وتصميمها وبنائها ٠٠

« والغاية الثانية التي حققناها هي تسجيل رقم قياسي في تنمية اسطولنا ، وزيادة عدده وحمولته ، بحيث سيصبح قادرا على نقل حوالي ١٢ مليون طن من النفط سنويا بين الكويت وامريكا ٠٠ او حوالي ٢١ مليون طن ، اذا اريد نقل النفط الى اليابان » ٠٠

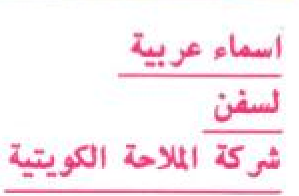
النقل التجاري بعد النفط

وظلت شركة ناقلات النفط هي الشركة البحرية الوحيدة في الكويت حتى عام ١٩٦٧ وفيه وصلت « القادسية » اول سفينة كويتية للنقل التجاري ٠٠ لقد كانت باكورة اسطول شركة الملاحة الكويتية التي ظل عدد سفنها يتضاعف سنويا ، حتى وصل اليوم الى ١٨ سفينة ، سيرتفع الى ٣١ سفينة بعد عامين ٠٠



الى اسفل : هذا المنظر ليس لخطوط انابيب البترول على الارض ·· بل هو لسطح الناقلة العملاقة « القنطاس » ·· انها واحدة من ست ناقلات نفط كويتية تجوب حاليا مختلف بحار العالم ناقلة معها نفط الكويت الخام ·· ومما يذكر أن شركة ناقلات النفط الكويتية هي التي تتولى حاليا عملية الاشراف فنيا واداريا على الناقلات ، التي تؤجرها لمدد زمنية متفق عليها ··





اسماء عربية لسفن شركة الملاحة الكويتية



المباركية ٠٠ هي احدث سفينة استلمتها شركة الملاحة الكويتية في شهر اغسطس ١٩٧٤ وتبلغ حمولتها ٢٢ الف طن ٠٠ وكانت حمولة كل سفينة سابقة لاتتعدى ١٦٦٠٠ طن ، الا انه تقرر شراء ١٤ سفينة جديدة حمولة كل منها ٢٢ الف طن لمواجهة الضغط الزائد على سفن الشركة ٠٠ ومما يذكر أن السفن الجديدة ـ التي اوصت عليها الشركة ـ سوف تحمل اسماء عربية ، مثل : ابن بطوطة ، وابن طفيل ، وابن حيان ، وابن رشد ٠٠ بالاضافة الى ابن خلدون ، وابن ماجد اللتين تعملان حاليا ٠٠



من أهداف شركة الملاحة الكويتية تكوين نواة صالحة من الضباط والمهندسين الكويتيين لكي يتسلموا ادارة بواخرها ·· لذا تقوم الشركة سنويا،وبالتعاون مع بعض وزارات الدولة بايفادعدد من الضباط والمهندسين الى الاكاديمية العربية للنقل البحرى بالاسكندرية ليتلقوا الدراسات النظرية ، وبعدها يلتحقون ببواخر الشركة من‌اجل التدريب العملى·· وفي شهر يوليو الماضي احتفلت الشركة بتخريج الدفعة الاولى من الطلبة الكويتيين في الاكاديمية العربية للنقل البحرى ، وتأمل الشركة في ان ترسل هذا العام ١١طالبا كويتيا الى احدى الكليات البحرية فى المملكة المتحدة وتتكفل بنفقات معيشتهم وتدريسهم وتدريبهم وفى الصورة ترى الطلبة الاربعة تحت ظلال السفينة (العارضية) وهم من اليمين عبد القادر الشارخ ، سعدون العبيد ، احمد نايف ، عامر المضيان ·

٦٦ رحلة سنويا

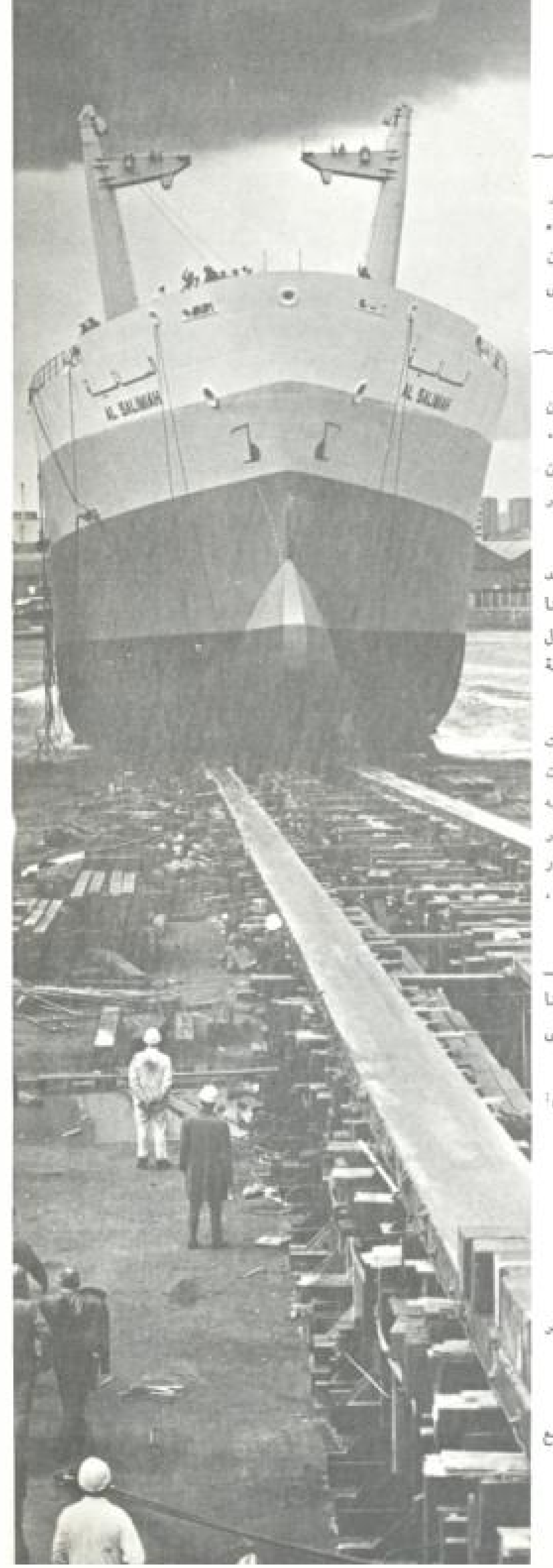
وذهبنا الى شركة الملاحة ، وقابلنا مدير الادارة ، الشاب حامد جمال ، شاب كويتي فى مقتبل العمر،انه يمثل«شباب ما بعد النفط»·· استقبلنا قائلا : يمكننى ان احدث اليكم عن شئون الملاحة لمدة ٢٤ ساعة متواصلة ·· فما الذى تريدون معرفته ؟

قلنا:الى اين تتجه رحلات بواخركم حاليا·· وهل توجد حمولات كافية لها ؟

اجابنا قائلا : حاليا جميع بواخرنا تعود الى الكويت وهى محملة بكامل حمولتها ·· بل ان المسالة وصلت حدا دفع بعض التجار والشركات الى استعمال الواسطة لنقل لهم بضائعهم الى الكويت ·· ان فى اوروبا نحو ربع مليون طن حديد ، وفي اليابان نحو ١٠٠ الف طن ، لا تجد البواخر الفارغة لتنقلها الى الكويت ··

● واسطولنا الحالي لا يكفي لتلبية طلبات النقل الموجودة فى مكاتبنا فى ليفربول واليابان ودبى ، وعند وكلائنا في كل ميناء شحن هام ·· لذلك ترانا نستأجر اربع بواخر باستمرار ، لنقل البضائع الى الكويت ··

● ان مشكلتنا ان بواخرنا ترجع ملأنة بالبضائع دائما ·· لكنها عندما تنطلق من الكويت الى مختلف ارجاء العالم لا تجد ما تنقله معها ·· احيانا تنقل السكر من جزر



الى اليسار : السالمية ٠٠ تأخذ طريقها الى البحر لاول مرة بعد الانتهاء من بنائها فى حوض بناء السفن باسكتلندا ٠٠ وتبلغ حمولتها ٢٢ الف طن وسعتها مليون قدم مكعب ، وسرعتها ١٧ عقدة فى الساعة ٠٠

مورشيوس الى اوروبا ٠٠ او خامات المعادن والحبوب من سواحل افريقيا الى اوروبا ٠٠ وفى احدى المرات نقلنا الالومنيوم الخام من البحرين الى اليابان ٠٠ ولكنها غالبا ما تسافر الى اليابان فارغة ٠٠

ويتابع المدير الشاب كلامه قائلا : « وقد يظن بعض القراء اننا احرار فى ارسال سفننا الى اى مكان نريده،وهذا اعتقاد خاطىء فالنقل الملاحى تحدده اتحادات ملاحية عالمية مختصة بالمنطقة ٠٠

« فاذا اخذنا مثلا الخط الملاحى بين الكويت واليابان ، فهذا الخط تعمل عليه ٨ شركات ملاحية كبرى ، كونت اتحادا بحريا انضممنا اليه وهذا الاتحاد هو الذى يحدد عدد الرحلات لبواخر كل شركة من الشركات الثمانى ، اخذا بالاعتبار اقدمية الشركة ، وعدد بواخرها ، وجنسيتها ، وحجم التبادل التجارى بين البلدين » ٠٠

« وعلى هذا الخط ــ بين الكويت واليابان ــ كان من حقنا تسيير ١٢ رحلة سنويا ، استطعنا زيادتها الى ١٧ رحلة فى عام ١٩٧٣ ستزداد الى ٢٤ فى عام ١٩٧٤ ٠

« وعلى هذا اصبحت ارتباطاتنا حاليا كالاتى:

٢٤ رحلة من اليابان ٠٠

٣٠ رحلة من شمال اوروبا ٠٠

١٢ رحلة من شرق الولايات المتحدة ٠٠ »

متاعب

قلنا : وماذا حدث لخط استراليا والبحر الاحمر ؟

فقال المدير الادارى لشركة الملاحة :

فيما يتعلق بخط استراليا ، كانت لنا اربع

البادية ٠٠ احدث ناقلات النفط التى استلمتهاشركة ناقلات النفط الكويتية ٠٠ وتبلغ حمولتها الساكنة ٢٠٨ الف طن ٠٠ وهى تقطع المسافة منالكويت مباشرة الى ميناء روتردام فى فترة ٦٥ يوما ، ذهابا وايابا ،دون التوقف فى اى ميناء ٠٠مستهلكة فى رحلتها نحو ٨ الاف طن منالوقود ٠٠

الى اسفل : احدى سفن الشحن التابعة لشركةالملاحة الكويتية تمخر عباب البحر الى اليابان ٠

رحلات سنويا ، بين الكويت والموانىء الاسترالية وواجهتنا صعوبات عدة فى الموانىء الاسترالية ، الى جانب الحجم غير المشجع للبضائع المستوردة من استراليا . كل هذا جعل مجلس ادارة شركة الملاحة الكويتية يأمر بالغاء سير بواخرنا الى استراليا ..

« اما **خط البحر الاحمر** ، فهو خط عزيز علينا ، انه يمثل امنية كل عربى فى ان يرتبط الوطن العربى بخطوط بحرية تجارية منتظمة .. وتحقيقا لهذه الامنية خصصنا باخرتنا الجديدة « ابن خلدون » ــ التى استلمناها فى هذا العام (**١٩٧٤**) وحمولتها ٩١٠٠ طن ، لتعمل على هذا الخط .. وقمنا بعمل دعاية كبيرة اعلنا فيها ان رحلات « ابن خلدون » سوف تصل الى موانىء البحر الاحمر .. الى العقبة فى الاردن .. والى سفاجة فى مصر .. والى بور سودان فى السودان .. وسافرت « ابن خلدون » ولكن حمولة بضائعها لم تكد تزيد فى كل مرة عن الفى طن ، فى الذهاب و مثلها فى الاياب بدلا من تسعة الاف طن فى كل مرة ..تحمل الاسمدة المعبأة فى الكويت .. والقار من البصرة والبحرين وايران وترجع بمواد غذائية معبأة من مصر .. وباسمنت من الاردن .. وبسمسم من السودان .. لم يكن هناك شىء منتظم بل بضائع متقطعة موسمية .

والى جانب خسارتنا فى نقص الحمولة،تكلفنا كل رحلة مبلغ ١١ الف جنيه استرلينى ندفعها تأمينا ضد « خطر الحرب » فى المنطقة !

« نحن على استعداد للخسارة .. ولكن فى حدود الخسارة المعقولة .. فنحن شركة تجارية ..

« وهذا الكلام لا يعنى اننانستخرج من البحر الاحمر . لاننا نأمل فى تعويض خسارتنا عندما تفتح القناة . وينفتح معها الطريق الى بيروت واللاذقية . وموانىء اوروبا وشمال افريقيا ..»

لم تكن عملية سهلة !

ومن قطاع النقل البحرى ننتقل الى قطاع صيد الاسماك البحرية .. الذى حقق هو الاخر تطورا سريعا مذهلا ..

لم تكن العملية سهلة عند بدايتها ، فقد تأسست فى الكويت اربع شركات حديثة لصيد الروبيان (ونعنى الجمبرى او القريدس) .. ولكنها شركات قامت فىغياب اى مسح علمىللثروة السمكية الخليجية .. وهكذا ظلت سفن هذه الشركات تلقى شباكها فى البحر دون رقيب او حسيب عليها ، حتى نقصت الثروة السمكية فى مياه الكويت ، ونقصت بالتالى ارباح شركات الصيد ، التى سارعت تستغيث بالحكومة تطلب دعمها ومساندتها ، وكانت النتيجة توحيد الشركات الاربع،فى شركة واحدة لصيد الاسماك تجوب سفنها بحار العالم بحثا عن الروبيان ، تصطاده وتثلجه وتصدره الى دول اوروبا وامريكا ..

مطلوب ٢٥ الف طن سمك !

ان متوسط استهلاك الفرد فى الكويت من الاسماك يصل حاليا الى عشرة كيلوجرامات من الاسماك سنويا .. فى حين ان هذا الرقم يجب ان يرتفع الى ٢٥ كيلوجراما فى السنة ، وهو متوسط استهلاك الفرد ، كما يجب ان يكون ، طبقا لابحاثمنظمة الاغذية والزراعة الدولية..

« ان الانتاج الحالى من الاسماك فى الكويت يصل الى ١٠ الاف طن سنويا .. وحتى يتساوى نصيب الفرد من الاسماك فى الكويت ، مع ما وصلت اليه ابحاث المنظمة ، فانه يلزم مضاعفة الانتاج السنوى ليبلغ ٢٥ الف طن سنويا .. وهذا الرقم ممكن الوصول اليه دون الاضرار بالثروة السمكية الاقليمية ، بعد تطوير وسائل الصيد المستخدمة ، ووضع تشريع حكومى يحظر الصيد الا بوسائل معينة اساسها الشباك القانونية ، لاستخدامها فى صيد الاسماك بعد وصولها لدرجة النضج .. ويكون الصيد فى مواعيد محددة بعيدا عن ايامالتناسل او التوالد للاسماك .. »

وينهى السيد نبيل ابو شليب المدير المساعد لمراقبة الثروة السمكية فى الكويت حديثه قائلا:

« لو استغلت الثروة السمكية فى المياه الاقليمية الكويتية باسلوب علمى ، فاننا سوف ننجح فى الحفاظ عليها ومضاعفة كمياتها ، لان

اصطياد كيلو واحد من الاسماك الصغيرة الوليدة معناه خسارة عشرة كيلوجرامات من الثروة السمكية » •

« ان هذه الثروة البحرية يمكن ان تصبح الثروة رقم ٢ بعد النفط •• لانها ثروة متجددة باستمرار والى الابد ، وهي لا تنتهي ، بعكس النفط، فهو مادة سوف تنضب في سنة من السنوات » !

« ان ما نقوم بعمله حاليا هو عملية مسح علمي شامل للثروة السمكية الخليجية تحت اشراف مجموعة من الخبراء الروس •• »

٣٠٠ نوع من الاسماك في الخليج

وقمنا بجولة في ميناء الشويخ ورأينا الشباب الكويتي المتخرج من معهد المصايد والملاحة البحرية الكويتي يعمل مع الخبراء في اول عملية مسح علمي للخليج العربي ، لدراسة التركيب النوعي للاسماك القاعية والسطحية ، والبيئة التي تعيش فيها •• وفي منتصف عام ١٩٧٥ سوف يظهر التقرير الاولي عن عمليات المسح الذي يتم حاليا في ظروف قاسية ••

ومن التقارير المبدئية التي ظهرت اتضح ان في مياه الخليج حوالي ٣٠٠ نوع من الاسماك ، تنتسب الى ٩٥ عائلة سمكية •• كما قدر احتياطي الاسماك الصالحة للاستهلاك البشري بنحو مليون ونصف مليون طن تقريبا ••

ان الفترة القادمة من عملية المسح ستوضح بدقة احتياطي الاسماك بمناطق الخليج العربي•• مع تقدير لحجم الصيد السنوي الممكن اصطياده•• واعداد الخرائط الخاصة بتجمعات الاسماك في الخليج العربي ••

وعلى ضوء هذا التقرير يأمل المسئولون ان تصدر الحكومة تشريعا لحماية ثروة البلاد السمكية المحلية التي تعيش في المياه الاقليمية الكويتية الممتدة مسافة ١٢ ميلا داخل الخليج العربي ••

شركة عربية مشتركة

ولا تقتصر صلة الكويت الحديثة بالبحر على المشاريع الكويتية المحلية فقط، بل امتد النشاط الى مختلف انحاء العالم ، وخاصة في ارجاء الوطن العربي فقد لعبت الكويت دورا رئيسيا مؤثرا في انشاء الشركة العربية لنقل البترول، وهي شركة عربية رأس مالها ٥٠٠ مليون دولار •• اشتركت في تأسيسها ثماني دول عربية نفطية هي الجزائر وليبيا والسعودية والعراق والكويت والبحرين وقطر وابو ظبي •

انها اول شركة عربية مشتركة بهذه الضخامة وقد بدأت نشاطها فعلا من مركزها الرئيسي في الكويت ، واوصت على بناء ست ناقلات نفط ضخمة عملاقة مجموع حمولتها نحو مليونين و ٣٠٠ الف طن من النفط الخام •

مشكلات العرب واحدة

ان انفتاح الكويت الحديثة على البحر ، لا يتم بدون مشاكل ، ولكن المشكلة الرئيسية التي تجابه الشركات الكويتية هي نفس المشكلة التي تجابه جميع الشركات البحرية العاملة العربية ، انها النقص الشديد في عدد رجال البحر العرب ••

اننا ننشىء الشركات الوطنية العربية الكبيرة، ولكن اين اليد العربية التي يمكن ان تسيرها ؟

ان شركة ناقلات النفط ـ مثلا ـ لا يمكنها ان توكل مسئولية ادارة ناقلة حديثة ثمنها ٦٠ مليون دولار لشخص غير مؤهل تأهيلا بحريا عاليا •• وكذلك شركة الملاحة الكويتية لايمكنها تسليم باخرة تجارية صغيرة ، ثمنها ستة ملايين دولار لقبطان غير مؤهل ••• ونفس المشكلة تصادفها الشركة العربية البحرية لنقل البترول عندما تستلم ناقلاتها في عام ١٩٧٧ •

ان شركة الملاحة الكويتية سوف تحتاج الى الف ضابط بحري في الخمس سنوات القادمة •• وشركتا الناقلات سوف تحتاجان الى نفس الرقم ايضا ••

ترى كم عدد العرب الذين يعملون حاليا على بواخر هذه الشركات ؟ النسبة مؤلمة للغاية ، ففي شركة الملاحة الكويتية يعمل ٤٠ عربيا فقط بين ٩٠٠ اجنبي •• وعلى ناقلات النفط الكويتية



يعتبر الخليج العربي من اغنى مناطق العالم في الثروة السمكية ، لتوفر عدة عوامل فيه ، اهمها ارتفاع نسبة ملوحة مياهه الى مابين ٣٩و٤٢ من الف بروميل ٠٠ ومنذ عام ١٩٧١ تقوم وزارة الاشغال باول عملية مسح علمي شامل لدراسة مقدار الثروة السمكية ، واماكن تواجدها ، وتقدير حجم الصيد السنوي ، وطريقة الصيد في مياه الخليج العربي ٠٠ وتحقيقا لهذه الاغراض يجرى العمل حاليا في اعداد خريطة شاملة للخليج تبين اماكن تجمعات الاسماك ٠٠ وترى هنا الخبراء الاجانب مع رجال مراقبة الثروة السمكية ، يحددون موقع بعض انواع الاسماك على الخريطة ، وهم فوق السفينة المهلب ٠٠ احدى السفينتين المخصصتين لعملية المسح العلمي هذه ٠٠

يقل عدد العاملين العرب عن عدد اصابع اليد الواحدة !!

لقد قررت شركة الملاحة الكويتية تدريب الضباط العرب البحريين ـ كلما امكن ذلك ـ للمساهمة في خلق جيل جديد في حقل الملاحة البحرية ، كما قررت تحمل نفقات كل شاب كويتي يرغب في التخصص في حقل الملاحة البحرية ٠٠

ان للكويت شبابا يدرسون في الكلية البحرية بالاسكندرية ، ولكنها في حاجة الى مئات آخرين للعمل على بواخرها ٠٠ ولن يمكننا سد هذا النقص الا بانشاء كليات بحرية اخرى في مختلف اجزاء وطننا العربي مشابهة لكلية الاسكندرية ٠٠

ان شركات ناقلات النفط الوطنية العربية ، بدات تتكون في معظم اقطار الدول النفطية العربية ٠٠ شركات تولد وتعمل دون ان يكون بينها اى اتصال او تنسيق او تخطيط ، في حين ان حل معظم مشاكلها يمكن ان يتم عند اتحادها ٠٠

☆☆☆

واخيرا ان حياة البحر شاقة وصعبة ٠٠ ولكن هل حياة اليابسة ـ في اغلب اجزاء وطننا العربي ـ اقل قسوة وصعوبة ! ! ؟

فالى البحر ايها الشباب ٠٠ الى البحر ٠٠ فهناك يكمن مستقبل مشرق اكيد ٠٠

سليم زبال



بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

جاء في القاموس . وَلِيَ الشيء وعليه ولاية ، وهي الامارة والسلطان ، وفي مصطلح علماء المسلمين يختلف تعبيرهم عن وليّ الامر فقيل : انهم الولاة او العلماء ، ونقل المفسرون عن ابى هريرة أنهم الامراء والولاة . وقيل انها رواية عن ابن عباس . ويتايد ذلك بما رواه الامام على عن النبى صلى الله عليه وسلم « على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فان فعل فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا » . وكذلك نقل الرازيّ : ان المراد بهم السلاطينُ والامراء ، لان أوامرهم نافذة على الخلق . فهم أولو الأمر على الحقيقة ويقول في تفسيره : « ان المراد باولي الامر اجماعُ أهل الحل والعقد ، بدليل أن الله امر بطاعتهم جزما (١) » كما يتايد بحديث الصحيحين من ان النبى صلى الله عليه وسلم بالغ في الترغيب فيطاعة الامراء فقال : « من أطاعنى فقد اطاع الله ، ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى » وفي حديث البخارى عن انس ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زَبيبة ، ما اقام فيكم كتابَ الله » .

ويقول الطبرى بعد ان عرض مختلف الاقوال : ان أولى الاقوال بالصواب أنهم الأمراء والولاة ، ومثله قولُ الزجاج : ان اولي الامر من يقوم بشان المسلمين في امر دينهم وجميع ماادى اليه صلاحهم .ونقل عن الامام احمد في ذلك روايتان: فنقل عنه أنهم الامراء ، كما نقل عنه أنهم العلماء . ويقول الالوسى : وحمله كثير على مايعم الجميع ، لتناول الاسم لهم ، لان للأمراء ، تدبيرَ الجيش والقتال ، وللعلماء حفظَ الشريعة وما يجوز وما لايجوز (٢) ، وهذا مايراه ابن تيمية أيضا (٣) .

مراتب ولاية الامر

وقد ذكر القرافى المالكى ان لولى الامر مراتبَ كثيرة ، اورد منها خمسَ عشرة رتبة ، مع بيان مايناسب كلَّ رتبة من السلطة والمكانة . ومن هذه الرتب الامامةُ الكبرى . وهي تخول في جميع ابواب القضاء ،لانها تتناول اهلية القضاء، واهلية السياسة العامة . فللامام الأعظم ان يقضي ويفتي بنفسه اذا توافرت فيه الاهلية لذلك ، او باعوانه ، كما له ان يجمع الجيوشَ ،

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ ١٠ ص ١٤٤وتفسير المنار جـ ٥ ص ١٨١ ، وروح المعاني جـ ٥ ص ٦٥ ، والجامع لاحكام القرآن جـ ٥ ص ٢٥٩ .

(٢) روح المعاني جـ ٥ ص ٦٦

(٣) السياسة الشرعية ص ١٦٢



وسلطانهم على الأحكام الشرعية

ويُنشيء الحروب ، ويصرف الاموال العامة في مصارفها (٤) ٠

وقد عُني علماء المسلمين المشتغلون بالسياسة الشرعية وعلم الاجتماع والعقائد ببيان مايجب توفره في الامام الاعظم من شروط وهي في جملتها تنحصر في اشتراط الاسلام والذكورة والرشد والعلم والعدالة والكتابة وسلامة الحواس ٠ على انه ليس بضروري ان يكون قد وصل في العلم الى درجة الاجتهاد ، اذ في وسعه الاستعانة بالعلماء المتخصصين ، ولا وصل في العدالة الى درجة الورع ، بل يكفي ان يكون حريصا على ان تصل الحقوق الى اربابها ٠

والاسلام يشير في كثير من النصوص الى مالكل من الراعي والرعية من واجبات وحقوق ، كما جاءت بكثير من التشريعات التي تنظم العلاقات في المجتمع الاسلامي في مختلف الظروف والاحوال ، في ايام الحرب والسلم ، وما يتعلق بذلك من معاهدات وسفارات ، ومن هنا كان التلازم في الاسلام بين الدعوة الى الدين وقيام الدولة ٠ فوظيفة الدولة في الاسلام حماية نشر الدعوة ، والاشراف على تنفيذ الاحكام ، مع ملاحظة ان الدعوة والاقناع هما الطابعان الرئيسيان لحركة الدعوة الى الاسلام ، وقد فصلنا القول في كل هذا في موضع آخر (٥) ٠

الحاجة الى اقامة الولاة

والمجتمع في حاجة ماسة الى ضرورة اقامة ولي يُرجع اليه في تنظيم شئون الناس ، وجمهور الفقهاء على ان ذلك فرض من فروض الدين ٠ يقول الماوردي : الامامة موضوعة لخلافة النبوة ، في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالاجماع ٠ يقول ابن تيمية : ان ولاية الناس من اعظم واجبات الدين ، ولا قيام للدين الا بها ٠٠ لان الله اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة ، وكذلك سائر ماوجبه من الجهاد والعدل واقامة النسك ٠ ويقول الكمال ابن الهمام : ان نصب الامام واجب على الامة ٠ وقد جعل المسلمون ذلك في الصدر الاول من أهم الواجبات ، وبدءوا به قبل دفن الرسول ٠ لكن الشيعة يرون ان نصب الامام من عمل الله سبحانه ، ولذا فانهم يرون الامامة موصى بها من الله لائمة معصومين (٦) ٠

وتعيين الامام يكون بالاختيار كما هو عند جميع اهل السنة وكل من عدا الشيعة الامامية ٠ فمصدر سلطة الامام مبايعة الجمهور له ، ورضاهم به ، فالامة هي الحافظة للشريعة بواسطة نصب ولي عنهم ، يسهر على تنفيذها ، ويدخل ضمن ذلك ماعرف في عصرنا من تشريع من دائرة الكتاب

---

(٤) الاحكام في تمييز الفتاوى من الاحكام جـ ٦ص ٤٤ ٠

(٥) انظر كتابنا « الاباحة عند الاصوليين والفقهاء » من ص ٣١٧ وانظر كتابنا « مناهج الاجتهاد في الاسلام » المبحث الخاص بفكرة الدولفي الاسلام الذي تقوم بطبعه جامعة الكويت ٠

(٦) المرجعين السابقين ٠

والسنة والقواعد العامة . اى استنباط الاحكام الشرعية من النصوص والامارات الدالة عليها . فيشمل ذلك مالو منع الحاكم نوعا من الاعمال والتصرفات المباحة او قيدها اتقاء مفسدة . تطبيقا لقواعد شرعية.فهذا وامثاله فى اصطلاحنا القانوني يسمى تشريعا ، وهو يدخل فى دائرة تنفيذ حكم الله فى اصطلاح فقهائنا القدامى .

سلطة اولياء الامر على الاحكام

وهذا يقتضى الكلام عن سلطة ولى الامر على الاحكام الشرعية وعوامل تغير الاحكام :

اولا : عوامل تغير الاحكام الشرعية :

ان نقل بعض الاحكام الى بعض أمر معروف فى الشريعة الاسلامية بالنسبة للاحكام الظنية ، تبعا لتغير العلل او الازمنة او الامكنة ، وتبعا لمسايرة أعراف الناس ومصالحهم . وهذا النقل يكون ممن له قدرة التصرف فى الاحكام الشرعية الظنية ، وربطها بمصالح الناس ، وان عامة المكلفين فضلا عن خواصهم لهم الحق احيانا فى بعض الاحكام كان يجعلوا من المندوب واجبا بالنذر ، وبالشروع فى النفل كما يرى بعض الفقهاء .

ومن المعلوم ان الحاكم قد ميزه الله بسبب الولاية العامة ، فجعل له سلطانا على شئون الناس ، وربطها بمصالحهم ، وقد يقتضى ذلك منه تغيير بعض الاحكام بحسب مايرتبط بالافعال : من المصالح الطارئة ، أو المفاسد المتجددة ، كما يشير اليه الاثر القائل : تحدث للناس اقضية بحسب مايحدثون من الفجور . وفى هذا يقول القرافى الفقيه المالكى : ان للمكلف نفسه ان ينشىء الوجوب فيما ليس بواجب كما فى المنذور الذى تنتقل به الطاعة غير الواجبة الى الوجوب.. وجعل الشارع الاسباب قسمين : منها ماقدره فى اصل الشريعة ، ومنها ماوكل انشاء سببه الى المكلف بالنسبة لجميع الاحكام ، بما فيها المباح . فليكن الحاكم أولى بان يعطيه الشارع سلطة الانشاء ، لضرورة درء الفتناء ، ودفع الفساد ، واخماد الثائرة ، وابطال الخصومة .. والدليل على ذلك اجماع الائمة قاطبة على ان حكم الله تعالى ماحكم به الحاكم فى مسائل الاجتهاد ، وأن ذلك الحكم يجب اتباعه على جميع الائمة ، ويحرم على كل واحد نقضه (٧) .

ويقول ابن القيم الفقيه الحنبلى :ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم والمصالح ، وهى عدل كلها ورحمة ومصالح وحِكَم . وكل مسالة خرجت الى خلاف ذلك فليست من الشريعة وان دخلت فيها بالتأويل . وضرب لذلك امثلة كعدم التكليف بانكار المنكر اذا ترتبت على الانكار مفسدة ، مثل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قطع الايدى فى الغزو ، كما رواه ابو داود ، خشية ان يترتب على الحد ماهو شر منه ، مثل اللحوق بدار الحرب ، والانضمام الى الاعداء ، وكاسقاط عمر الحد بالقطع فىعام المجاعة (٨) .

ويقول ابن عابدين الفقيه الحنفى : كثير من الاحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف اهله، او لحدوث ضرورة ، أو فساد أهل الزمان - بحيث لو بقى الحكم على ماكان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف ورفع الضرر والفساد ،لبقاء العالم على اتم نظام واحسن احكام . ولهذا ترى مشايخ المذهب خالفوا مانص عليه المجتهد فى مواضع كثيرة .. (٩)

دائرة تغيير ولى الامر الشرعى للحكم

تصرف ولى الامر فى الاحكام انما يدور بين الانواع الثلاثة التى يعقل ان يكون له تصرف فيها . وهو الواجب والحرام والمباح وليس من المقبول ان ينظر ولى الامر فى التغيير الى المندوب او المكروه ، يقول القرافى المالكى : ان حكم الحاكم - وان كان حكما لله تعالى - فانه لا يتصور فيه الاحكام الخمسة . فان مقصوده انما هو من باب الخصومات ودرء الظلامات.بل يتصور

---

(٧) الاحكام فىتمييز الفتاوى عن الاحكام صفحة٤

(٨) اعلام الموقعين جـ ٣ من صفحة ٢٢/١٤

(٩) رسائل ابن عابدين جـ ٢ ص ١٢٥

فيه ما يكون سببا وهو الوجوب والتحريم والاباحة (١٠) وجملة الامر ان وظيفة الحاكم في حكمه ـ خليفة كان او واليا او قاضيا ـ ان يكلف بفعل شيء او تركه ، او يرفع التكليف به ، مسايرة لحاجات الناس ومصالحهم ، من غير مصادمة لقاعدة من قواعد الشريعة • وهو ما يسمى في تعبيرات العلماء بالسياسة الشرعية • وهذا ينحصر في هذه الثلاثة • اما المندوب والمكروه فانهما مما يتعلق بما بين العبد وربه من طلب القربة •

وقد يؤدي البحث والمنظر ان ينقل ولي الامر احد هذه الاحكام الثلاثة الى الاخر ، ما دام الحكم مبنيا على الاجتهاد بمقتضى القرائن والامارات ، ولم يرد فيه نص قطعي او حكم اجماعي ، وما دام ذلك يؤدي الى درء مفسدة او جلب مصلحة ومستندا الى سبب شرعي كالعرف ، والمصلحة المعتبرة او المرسلة ، والذرائع ، وما الى ذلك • فهو في حكمه مقيد بما يدل عليه الدليل الشرعي •

ولي الامر منفذ لاحكام الله

والواقع ان ولي الامر انما هو منفذ للحكم الشرعي الذي وصله اليه اجتهاد معتبر ، وامتثال امر الامام يحدث حكما شرعيا اخرويا وحكما دنيويا • فامر الامام الذي توافرت فيه شروط الامامة ، الذي اعتمد فيه على سبب شرعي يحقق مصلحة ، ويدرأ مفسدة ، ولا يصطدم مع نص قطعي ، ولا حكم مجمع عليه هذا الامر يحدث حكما شرعيا ، ونهيه يحدث حرمة شرعية ، لان الحكم لم يحدث في الحقيقة بامره ونهيه ، بل حدث بامر الله ، فخطاب التكليف « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول ، واولي الامر منكم » يتوجه على الناس عند امر الامام ونهيه • فالامر من قبل الامام سبب في توجه خطاب الشارع ، كما ان الزوال سبب في توجه الخطاب باقامة الصلاة ، ويكون الذي احل وحرم في الواقع هو الله سبحانه ، وقد اتجه الى ذلك وقال به الامام المراغي من قبل (١١)

سلطة ولي الامر في تغيير الاحكام

مما ذكرنا تتبين بوضوح انه ليس لمسلم كائنا من كان ان يغير حكم الشرع ، على معنى الاتيان بتشريع ليس من تشريع الله ورسوله ، ومن تخول له نفسه ذلك يكون خارجا على حكم الله ورسوله ، وبعيدا عن الجادة ، وكل المسالة ان هناك احكاما ظنية لم يرد فيها نص قطعي ولا اجماع ليصل اليها المجتهد بالقرائن والامارات التي عينها الشارع•وان هذه الاحكام قابلة للتغيير والتبديل، خاضعة لظروف البيئات والازمنة والامكنة والاعراف وغيرها ، وهي أسباب الاحكام الشرعية ومصادر الفقه الاسلامي ، وما تركها الشارع الحكيم دون تعيين الا لتدور هذه الاحكام مع مصالح الناس •

ويشبه هذا من ناحيته ما يقوله فقهاء القانون من ان لولي الامر ان يصدر قوانين تخالف ما هو المتبع في قواعد القوانين واصولها ، من وجوب موافقتها للقانون الطبيعي ، والا كانت جائزة • فاذا راى ولي الامر ـ لظروف خاصة ـ ان ياخذ شعبه بما يخالف القانون الطبيعي ، فان له ذلك لانه صاحب النظر الاول في تعرف المصالح والمفاسد (١٢) • وان كانا يفترقان من ناحية ان الحكم الشرعي الذي ينتهي اليه ولي الامر الشرعي بالاجتهاد والنظر ـ لا يخالف امرا واجب الاتباع عن طريق قطعي ، وانما المخالفة لحكم اجتهادي سابق ، مبني على اعتبار مصلحة تغير وجهها او عرف تبدل •

---

(١٠)الاحكام في تمييز الفتاوى من الاحكام ص١١

(١١) بحوث في التشريع الاسلامي • لمحمدمصطفى المراغي ص ٤٣

(١٢) راجع في هذا كتاب « اصول القوانين »للاستاذين محمد كامل مرسي . وسيد مصطفى / نبذة / ٥٢ ص ٥٥ مطبوع سنة ١٩٣٥ •

الفرق بين الوالي وغيره من المجتهدين في الشريعة

والواقع ان الوالي بالنسبة لهذه الاحكام لا يختلف عن غيره من سائر الناس ، باكثر مما له من وصف السيطرة والتنفيذ • فهو ان كان مجتهدا أو المجتهد مرجعا له ـ فان من حقه ان ينظر في تغيير الاحكام الشرعية الظنية ، على وفق المصالح التي لا تخالف نصا من نصوص الشرع ، وتكون ملائمة لمقاصد الشرع وغاياته • فيرى مثلا ان الحكم الذي كان واجبا اصبح مباحا او ممنوعا لان ما كان يقتضي وجوبه تغير باقتضاء آخر يؤدي الى احد النوعين الاخرين وهكذا • وعند ذلك يصير ما رآه ولي الامر حكما شرعيا ظنيا ويوصف بالاباحة او الحرمة ، بعد ان كان الحكم الشرعي فيه الوجوب الظني ايضا • لان الحكم الذي تغير من الوجوب الى الاباحة ـ حين كان يوصف بالوجوب ـ كان مقترنا بصفة تقتضي ذلك الوجوب،وحين وصف بالاباحة اشتمل على صفة اخرى اقتضت ان يكون مباحا • وكذلك حين اتصف بالتحريم فانه ايضا اشتمل على صفة غير التي كانت له قبل ذلك • وهذه الصفة هي التي اقتضت ان يكون الفعل محرما • وبهذا يمكن ان يقال : ان الفعل الثاني غير الفعل الاول ، والذي اوجب تلك المغايرة اختلاف الصفتين ، مما اوجب اختلاف الحكمين •

وفي هذا يقول الشيخ ابو زهرة « ان ولي الامر عندما توجب المصلحة عليه ان يقيد امرا كان في اصله مباحا ـ هو في الحقيقة لا يعد مباحا ، اذ وصفه بالاباحة قد زال » (١٣) • وهذا التعبير كما قلنا قدر مشترك بينه وبين غيره من المجتهدين ، الا ان لتغيير الحاكم صفة اقوى من تغيير المجتهد الذي لا يعدو بوصف الاجتهاد وحده ان يكون مفتيا او معلما • واما وصف الامرة فانه يعطي تاكيد الحكم ، ووجوب الاخذ به لجهتين : جهة العلم والمعرفة ، وجهة الحكم والامارة • ولهذا يقول الامدي : « اتفقوا على ان حكم الحاكم لا يجوز نقضه في المسائل الاجتهادية لمصلحة الحكم •• الا اذا كان مخالفا لدليل قاطع » (١٤) •

الحكم في المسائل الاجتهادية يقطع الخلاف

ومن المقرر فقها ان حكم الحاكم في مسائل الاجتهاد يرفع الخلاف ، ويلزم المخالف له ان يرجع عن رأيه ، ويلتزم بما قرره الحاكم ، مادام ملتزما برايه،ولم يتغير عهده وسلطانه • وبهذا تستقر الامور ، وينتظم حكم السلطان في ولايته، ويعرف كل ما له وما عليه ، من غير خلاف على الحكم الواجب الاتباع ، ولذا فان الفقهاء قرروا ايضا : ان حكم الحاكم في المسائل الاجتهادية لا ينقض (١٥) ، ويجب الوقوف عنده ، والاخذ به ، ما دام قد امر باتباعه ، اذ ان طاعته واجبة فيما هو مستمد من طاعة الله ورسوله • وهو قد اخذ حكمه عن طريق الاجتهاد الشرعي فيما يسوغ فيه الاجتهاد •

اما اذا لم يكن ولي الامر مجتهدا ولا آخذا احكامه الظنية ـ فيما يراه من التغيير والتبديل ـ عن طريق المجتهدين فان ذلك لا يكون من حقه لانه مخالفة لحكم الله ، وليس بتغيير معتبر في الفقه والشريعة ، اذ اساس التغيير المعتبر هو ـ كما قلنا ـ الاجتهاد من اهله ، فيما يسوغ فيه الاجتهاد ، واذا اقدم الحاكم على هذه المخالفة ، ودعا الناس الى اعتبار ما دفعه اليه الهوى دون سند شرعي ، بحقق مصلحة ، ويدرأ مفسدة ـ فليس على احد اتباعه ، الا ان يامر ظلما بالاخذ بما قاله ، فانه يجوز الامتثال لامره، اذا ترتب على مخالفته ضرر اكبر ، وتكون الطاعة هنا من قبيل اتقاء شره ، والبعد عن جوره ، والخلاص من بطشه ، وواضح ان ما امر به لا يكون حكما شرعيا في هذه الحالة •

فالفرق بين تغيير ولي الامر للاحكام في دائرة

---

(١٣) الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ص٢٢٩

(١٤) الاحكام جـ ٤ ص ٢٧٣

(١٥) انظر الاحكام في تمييز الفتاوى عن الاحكام ص ٥١ ، ٥٥ وكذلك الفروق جـ ٢ ص ١٠٣ ، وتهذيب الفروق ص ١١٤ •

الاقسام الثلاثة وبين طاعته في المعروف هو ان طاعته في هذا تشتمل على ناحية وجوب طاعته لكونه اميرا امر الله بطاعته ، واوجب بره ، وعدم الخروج عليه ، او على اوامره،بقطع النظر عن كونه مجتهدا ، او مستعينا باهل الفقه والاجتهاد ، مادام الذى يامر به ليس معصية ، اى لايامر بما حرم الله ، ولا ينهى عما الزمنا به الله ، اما ماعدا ذلك فيجوز ان يضع له من الانظمة مايرى فيه مصلحة للناس ، ولكيان الحكم .ويشمل هذا ماورد النص الشرعي باباحته، فان ولي الامر اذا الزم بمباح فيه مصلحة عامة ، او نهى عن مباح فيه ضرر عام ـ وجب امتثال امره ونهيه ظاهرا وباطنا ، فيصبح امره وجوبا شرعيا . اما المباح الذى يامر ولي الامر بفعله او تركه ولم تتبين في الامر بذلك مصلحة ، ولا في النهي عنه دفع مضرة فانه واجب الطاعة ظاهرا فقط . ويبقى حكم الفعل على الاباحة الشرعية مادام اصله الاباحة .

ثم نعود فنتذكر بما قلناه من ان ولي الامر اذا كان مجتهدا ، او يعتمد ـ فيما يصدره من قوانين ملزمة ـ على المختصين من أهل الراى والاجتهاد ، فان له النظر في الاحكام الظنية ، وتغييرها من الوجوب او التحريم الى الاباحة ، او من الاباحة الى واحد منهما ، وله التغيير بينها عموما بحسب مايتتجه السبب الشرعى الذى يستند اليه حكمه ، لتحقيق مصلحة عامة ودرء مفسدة دون اصطدام بنص قطعي ، ولا اجماع مقطوع به ، وانه ـ بما له من سلطان الولاية الشرعية ـ يملك جمع الناس بذلك على راى واحد يرفع به الخلاف . ويجب ان ينزل الجميع على حكمه ، وان خالفه احد منهم كان آثما ، لمخالفته لحكم شرعي .

أمثلة من تغيير ولاة الامور للاحكام

وقد عرضنا في كتابنا « الاباحة عند الاصوليين والفقهاء » العديد من الصور التطبيقية التى تدل على تصرف ولاة الامر في صدر الاسلام في الاحكام الشرعية،والتغيير فيما هو ظني ، حسب وجهة النظر الاجتهادى ، وما يراه ولي الامر مصلحة ، ونزول الجميع على هذه الاحكام ، حتى من كان له اجتهاد مخالف مادام ولي الامر الزم به ، ومن ذلك نزول عمر على راى ابى بكر في تقسيم الغنائم بالتساوى بين الانصار والمهاجرين. فلما صارت اليه الخلافة عمل برأيه في التفاضل بين المهاجرين والانصار ، ومن ذلك تقييد عمر للمباح ، وتحريم اكل اللحم يومين متتاليين ، وتغيير ابى بكر حكمه بالنسبة لجمع القرآن ، فقد رأى وجوبه بعد ان كان يرى ذلك عملا محظورا ، وجمع عثمان الناس على مصحف ، وحرق ماخالفه ،مع ان الناس كانوا يقرأونه على سبعة احرف ، وكان ذلك مباحا ، ومنه تحريم عمر ، على اعلام الصحابة من المهاجرين ، ان يخرجوا من المدينة ، الا باذن ، والى اجل ، ولما جاء عثمان فك هذا الحصار الجزئى ،واطلقهم يتقلبون في الارض ، ثم جاء معاوية فامر بترحيل العرب الى الشام ، ليعتز بهم . فعمر حظر المباح ، واعاده عثمان للاباحة ، ثم اوجبه معاوية. الى غير ذلك من الجزئيات الكثيرة المتنوعة التى عرضناها والتى اشرنا اليها في كتابنا المذكور . (١٦) .

وفي ختام مقالنا نقول : انه ينبغي ان يتحرى الحكام مقاصد الشريعة،وان يرجعوا الى المخلصين الصادقين الأمناء من العلماء المختصين واستشارتهم، ليعرفوا حكم الله على وجهه الصحيح الذى قصد الله من ورائه اصلاح المجتمع ، ولم يعينه على وجه ثابت مستقر ، ليدور مع مصالح الناس واعرافهم . وعليهم جميعا ـ حكاما وعلماء وامناء ـ مراقبة الله فيما يسوسون به الناس من احكام هم المسئولون عنها أمام الله ، ومااثقل هذا العبء . ■

د . محمد سلام مدكور
استاذ الفقه والاصول بجامعة الكويت

(١٦) الاباحة عند الاصوليين والفقهاء ص ٣٤٣/٣٦٨ ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ نشر دار النهضة العربية بالقاهرة .

طرائف غربية

« الصمت » ٠٠ تفكير وحياة !

● وليام هارفي William Harvey العالم الشهير ومكتشف الدورة الدموية الكبرى (١٥٧٨-١٦٥٧) ، دعي يوما لحضور مؤتمر علمي في كامبريدج بانجلترا، ولكنه اعتذر عن حضور الاجتماع بسبب وعكة المت به ٠ !

وفي المساء وعقب انتهاء المؤتمر ،زاره بعض اصدقائه وتلاميذه في البيت للاطمئنان على صحته ، وما كاد يستقبلهم في غرفة نومه حتى قال يسألهم في لهفة : «**حدثوني عن مؤتمركم ماذا دار فيه من مناقشات ، هل نجح المؤتمر ؟ » قالوا :** «لقد تميز المؤتمر بظاهرة غريبة ٠٠ كان الصمت يسوده في كثير من الاحيان ٠٠ وكان المجتمعون يجلسون في سكون وكان على رؤوسهم الطير ! »



وقال العالم الكبير : « **وهل انتهت اجتماعاتكم ؟ »**

قالوا : لا ٠٠ بعد يومين سنجتمع مرة اخرى لمناقشة احد البحوث المقدمة ٠٠ وسيعقد اجتماع ثالث في الاسبوع المقبل!»

وقال هارفي : « **اذن فسوف ينجح المؤتمر ٠ ! »** وذهل الحاضرون وقالوا متسائلين : « وهذا الصمت الذي خيم على المجتمعين في اولى جلسات المؤتمر ٠٠ بماذا تفسره ! »

قال : « **انتم تخطئون اذا تصورتم ان الصمت موت ٠٠ فالصمت حياة يا اخواني ٠٠ الصمت تامل وتفكير ٠٠ ان الافكار الجديدة لا تقفز الى راس صاحبها الا عندما يسكت كل شيء من حوله ٠٠ ان المشاعر كلها تتحفز للانطلاق تماما كما يفعل المرء وهو يقف على اطراف اصابعه، استعدادا للقيام بعمل كبير ٠٠ الصمت يا اصدقائي اجراس تدق في اذني دقا خافتا، اسمعه وحدي ويسمعه كل منكم على حدة، انها الاجراس التي توقظ الذاكرة وتنشط الذهن فتعاونه على التفكير والانتاج ! لا تصفوا الموت بالصمت ولا تصموا الصمت بالموت ، فالصمت اول مظاهر التفكير والحياة والانطلاق ! »**





وفــــاء ٠٠ ووفــــاء



● **لورد بادن باول** Lord Paden Powell
مؤسس الحركة الكشفية ، كان يحب الكلاب ٠٠ وكان بين من اهتم بتربية الكلاب الاصيلة واستخدامها في رحلاته ، وقد كانت من قبل تستخدم في رحلات الصيد التي يقوم بها راكبو الجياد ، فتنطلق امامهم لترشدهم الى مخابيء صيدهم السمين ، ٠٠ كما استخدمت في الحراسة ، وفي اقتفاء الاثر،وفي الحروب، وكانت دائما صديقا وفيا للانسان اينما وجد !

كتب بادن باول عندما تقدم به العمر، يحدثنا عن كلبه الذي لازمه في شيخوخته: **« لقد كان مرشدي في رحلاتي واسفاري، وكنت لا افترق عنه ولا يفترق عني الا عندما اترك الارض ، وامتطي السماء ! »**

« ثم اصبح حارس بيتي وحارسي الامين الذي لا ينام ٠٠ ولكنني اكتشفت بعد هذا انه قد اصبح رفيقي الذي لا احتمل فراقه لحظة واحدة ٠٠ فقد كنت استمد من وجوده بجانبي الشعور بالامن والطمانينة ٠٠ فالرجل ، اى رجل،عندما يتقدم به العمر ينتابه شعور غريب بالحاجة الى من يذكره من وقت لآخر ، ان عروقه ما زالت تنبض بالحياة وانه هو هو لم يتغير ! اليس غريبا ان يكون هذا الحيوان، هو الوحيد الذي يستطيع ان يعيد اليه ثقته بنفسه وشعوره بالحياة ! »

الحرمـان اكبـر حافـز للنجـاح

● **بنيامينو جيلي** Beniamino Gigli (١٨٩٠ ـ ١٩٥٧) كان من اشهر المغنين في ايطاليا ، وكانوا يسمونه صاحب الصوت الذهبي ، الذي احتل عرش الغناء في الاوبرا اعواما طويلة ولم يستطع احد ان يهز العرش من تحته الى ان داهمه المرض قبل ان يحتفل بعيد ميلاده السابع والسبعين ومات ٠كتب يقول « **لقد علمتني الحياة ، ان الحرمان هو الحافز القوي الذي يدفع المرء الى البحث عن نفسه ، وعما يكمن فيها من مواهب ، يمكن صقلها ، وقد اكتشفت في طفولتي انني اعشق الموسيقي،واحب الغناء،ولكنني كنت فقيرا معدما لا املك ثمن ارخص آلة موسيقية يمكن ان اشبع بها هذه الهواية !**

وفي روما وكنت شابا في العشرين من عمري ، بدأت الحياة تبتسم لي، لاول مرة عندما عثرت على وظيفة صغيرة في محل لتحضير العقاقير الطبية ٠٠ ولم يكن اجري يكفيني لمواجهة الحياة ، فأرسل الله لي طباخا طيب القلب ، كان يعمل في احد المطاعم الصغيرة ، فكان يملأ لي طبقي من فضلات الطعام التي يجمعها من اطباق الزبائن ويقدمه لي من الباب الخلفي بدلا من أن يلقي بها في صندوق القمامة !

ولكن الذي ترك اكبر الأثر نفسي ، حدث عندما دخلت الجيش ، فقد اكتشفت ان وراء هذا السلاح الذي يحمله كل جندي على صدره ، قلبا من ذهب ٠٠ فقد كان قائد الفرقة التي اعمل فيها ، هو الذي شجعني على المضي في دراستي ، وممارسة هوايتي ، وكان اول رجل يضع في جيبي أول مبلغ اكسبه من الغناء ! ، عندماوقفت اغني « لامي » التي فارقتها وفارقتني ! »

الاعتراف بالخطأ

قمة النضوج الفكرى والعاطفى

متى وكيف يقول المرء "آسف" ؟

بقلم : منير نصيف

▪ كان يشعر بالمرض يزحف الى جسمه ، كان يحس بآلام فى رأسه وفى ساقيه وفى ظهره وفى كل جزء من اجزاء بدنه الذى هده التعب ..

وحار فى امره الاطباء .. لقد قصد اكثر من طبيب يشكو علته ، وفحصوه بدقة وعناية واجروا له التحاليل اللازمة ، وجاءت النتائج كلها مؤكدة انه يتمتع بصحة طيبة ، وانه ليس هناك مايدعوه الى الاستسلام للقلق . !

ولكن الآلام ظلت تلازمه وتلح عليه ، وتقض مضجعه ، وعبثا حاول ان يطرد الاوهام التى كانت تملأ رأسه وصدره ، وتصور له ان نهايته قد اقتربت ، وان الموت يقف له بالمرصاد ، رغم انف تقارير الاطباء التى اكدت له انه ليس هناك مبرر لهذه المخاوف التى استبدت به !

وعندما هرب النوم من عينيه ، وعندما وجد الرجل ان حالته تسير من سيىء الى اسوأ ، لم يجد مفرا فى النهاية من أن يحمل متاعبه وآلامه ، ويذهب الى عيادة احد العلماء النفسانيين ، لعله يجد عنده الدواء لهذا المرض الخفى الذى استعصى علاجه ! ولقد كانت تلك هى نصيحة زوجته وأم اطفاله ، التى هالها مارأته من امر زوجها ، وهو يقضى الليالى جالسا على مقعده ، دون ان ينطق بكلمة واحدة .. حتى الطعام لم يكن يقربه الا عندما يحس بالجوع يعض معدته فاذا اكل اشفق على نفسه من الألم الذى يصيب معدته !

فى عيادة الطبيب النفسانى

وطرق باب عيادة العالم النفسانى ، ودعاه الى الجلوس ، ففعل ، ولم ينتظر ، فقد انطلق يشكو اليه آلامه ومتاعبه :

« اننى لا انام يا سيدى .. ان الصداع يكاد يحطم رأسى،وعسر الهضم يمزق احشائى .. لقد عرضت نفسى على اكثر من طبيب ، ولكنهم فشلوا جميعا فى اكتشاف سر علتى ! قل لى يا سيدى ماذا افعل ، وكيف اخلص نفسى من هذه الاعراض التى احس بها دون ان يدرى الاطباء لها سببا » .

وامسك الرجل بالقلم واخرج دفتر الشيكات من جيبه وكتب . !

وقال الطبيب يسأله : « هل هذا هو كل المبلغ الذى ابحته لنفسك من ثروة هؤلاء القصر ام

وشفى المريض

قال : « انه ضعف ما اخذت يا سيدى ؟ »

وقال الطبيب : « والآن .. اريد منك ان تفعل شيئا آخر .. اكتب لهم ، اكتب لابناء شقيقك واطلب اليهم ان يغفروا لـك هذا » الخطأ



المسابى » الذى وقعت فيه .. عبر لهم عن اسفك لما حدث ، واطلب منهم الصفح ! »

وفعل .. وحمل الرجل الشيك والرسالة ووضعهما فى مظروف .. ثم مد يده للطبيب شاكرا مودعا .. ولكنه فوجىء به يقول « سوف اصطحبك الى الخارج ! »

وخرجا معا .. ومشيا فى الشارع ، وفجأة توقف الطبيب عند اول صندوق بريد ، واخرج الرجل المظروف من جيبه ودس به فى الفتحة الصغيرة .. وتوقف برهة ، ثم ما لبث ان انفجر باكيا ، واخرج الطبيب منديله من جيبه ليجفف الدموع التى ملأت عينيه !

قال الرجل ، وقد اشرق وجهه بابتسامة امتزجت بدموعه : « شكرا لك .. شكرا يا سيدى .. فقد شفيت .. نعم اننى احس ان الحياة قد عادت تدب فى عروقى من جديد ! »

الاعتراف بالخطأ

انها قصة يرويها الدكتور « سمايلى بلانتون » فى كتابه « فن الحياة » ، وهو يحدثنا عن « الاعتراف باخطائنا » واثر هذا الاعتراف فى حياتنا وفى علاقتنا بالناس .. بهؤلاء الذين نعرفهم ونحبهم ..

ويقول بلانتون : « ان الاعتذار ، هو اكثر من مجرد اعتراف بالخطأ .. انه اعتراف بأن شيئا ما فى تصرفاتنا او فى احاديثنا قد اساء الى علاقاتنا بالاخرين .. وهو شعور باهتمامنا باصلاح ما افسده هذا التصرف ، لكى تعود علاقتنا بهؤلاء الذين اسأنا اليهم الى ما كانت عليه من ود وحب وصداقة !

« قد لا يكون من السهل على المرء ان يعترف بخطئه .. فالاعتراف بالخطأ قد يؤذى مشاعره .. واصعب مرحلة يمر بها الانسان رجلا كان ام امرأة ، هى تلك التى يخلو فيها الى نفسه ويحاسبها ، فاذا احس بانه اخطأ اقدم على هذه الخطوة التى لا بد له من ان يقدم عليها ، فينسى كبرياءه ويتقدم بشجاعة ليقول « انى اسف ! »

واطرق العالم النفسانى ، وحدق الرجل بنظرة فاحصة ، ثم راح يتأمله فى جلسته على المقعد الكبير المربع الذى وضعه امام مكتبه ! ولم يجد الطبيب مشقة فى اكتشاف سر علة

الرجل .. فقد كان الاضطراب يبدو واضحا عليه .. كان يرفع ساقه ليضعها على اختها ، ثم لايلبث ان ينزلها بعد لحظات .. كانت قسمات وجهه كلها تعبر عن انفعالات شتى تعتمل فى داخله .. كان يحرك يديه بعصبية ظاهرة ، ثم لايلبث ان يريحهما ، على طرف المكتب القريب منه ، حتى لاتظهر تلك الرجفة التى تهتز لها اصابع يديه !

ألم نفسى !

وتكلم العالم النفسانى اخيرا ، قال : « انت مريض فعلا ياسيدى ، ولكنه مرض غير عضوى هذا الذى تشكو منه .. انك تعانى من حالة نفسية ، ولن استطيع ان افعل لك شيئا الا اذا حدثتنى بصراحة .. قل لى ماذا يدور فى رأسك ، وفيم تفكر . فاذا فعلت ربما استطعت ان اساعدك فى التغلب على مشاكلك وربما خلصتك من الامك ومتاعبك ! »

واجفل الرجل ، وغاص فى مقعده ، واستند برأسه الى الوراء .. ومرت لحظات صمت ، قطعها رنين التلفون القابع على مكتب الطبيب الذى مد يده ليرفع السماعة ، ويرد بكلمات قصيرة واضحة : « سعدت مساء ياعزيزتى .. نعم لقد انهيت عملى ، سأعود الى المنزل بعد نصف ساعة على الاكثر .. الى اللقاء ! »

لابد انها زوجته ، وهى تنتظر عودته .. معنى هذا انه يريد أن ينتهى منه سريعا حتى يعود اليها .. ألم يقل لها انه قد انهى عمله .. !

المريض يعترف

ونظر الرجل الى طبيبه نظرة توسل ورجاء ، وفتح الرجل فمه اخيرا ، وقال : « سأتكلم ياسيدى .. سأفتح لك قلبى ، وسأروى كل شيء بصراحة » : « لقد نهبت ثروة ابناء شقيقى .. لقد كنت قيّما ووصيا عليهم بعد وفاة والدهم واغرانى الشيطان ، فأبحت لنفسى اموال هؤلاء اليتامى .. كنت اعطيهم الفتات ، بينما احتفظ فى جيبى بنصيب الاسد .. ثم استيقظ ضميرى فجأة،وبدأت اشعر بأثر الجريمة التىاقترفتها ! »

« انتى اتعذب ياسيدى .. اريد ان اكفر عن جريمتى ، ولكننى لاادرى ماذا افعل ولا كيف ابدأ ! »

وقال الطبيب العام : « لاتحزن ، فنى يدك انت وحدك العلاج لكل امراضك .. خذ هذاالقلم واكتب صكا لابناء اخيك بالمبالغ التى اخذتها منهم ! »

كلمتان فيهما سحر !

« ان هاتين الكلمتين ، يمكن ان يحركا الجبال ، ويصنعا المعجزات،وخاصة بين الزوجين المتحابين.. انتى اذكر ذلك اليوم الذى جاء الى فيه زوجان شابان ، وقد تعاركا وتشاجرا ، واحتدم الخلاف بينهما ، حتى بات يهدد عشهما الصغير بالسقوط والانهيار ! »

ولم يكن ممكنا ان اتحدث اليهما ، او ان استمع الى شكواهما فى وقت واحد ، فى مكان واحد .. فقد كانت ثورتهما وكان صياحهما اقوى من ان يهدأ امام اية محاولات لتصفية ما بينهما من خلاف ..

واخيرا طلبت الى الزوج ان يترك زوجته الشابة الجميلة بضع دقائق ، ريثما انتهى من حديثى معها على انفراد .. وخرج من مكتبى ، وقدمت لها كوبا من عصير الليمون .. وقلت : « انا اعرف انك قد تحملت كثيرا ، واعرف ان زوجك قد اخطأ فى حقك .. ولكن كل ما ارجوه منك هو ان تذكرى لى شيئا واحدا .. اريد اعرف ما هو التصرف الذى تشعرين انك قد ندمت على الاقدام عليه ازاء زوجك .. سامهلك فترة من الوقت ، اذهبى الى الغرفة المجاورة لمكتبى واجلسى على المقعد المريح هناك وركزى كل تفكيرك فى تصرفاتك خلال الايام القليلة الماضية ولا اريد منك ان تعودى الىّ قبل ان تكونى قد وجدت شيئا .. اى شيء مهما كان صغيرا وتافها ! »

وخرجت الزوجة ، وجاء دور الزوج ، وقلت له ماقلت لزوجته .. ودعوته الى البقاء فى مكتبى،بينما تظاهرت بالانهماك فى قراءة كتاب.. ولكننى كنت ارفع عينى بين حين وآخر ، لأرقب الانفعالات التى تظهر على وجهه .. كان ثائرا غاضبا عندما هم بالجلوس على المقعد .. وشيئا فشيئا بدأ الهدوء يعود اليه ، ثم مالبث ان استغرق فى تفكير عميق ، وقد أسند رأسه الى كلتا يديه ، ومرت عشر دقائق قبل ان ارى شبح ابتسامة على هذا الوجه الذى كان منذ دقائق قصيرة يكسوه الشحوب والاصفرار والغضب !

وتعانقا

وفجاة نهض الزوج الشاب من مقعده ، وقال ، لقد اخطات ياسيدى ·· نعم اخطات ·· انني احب زوجتي واعرف انها تحبني ·· ولكنني اعترف لك بانني رجل عصبي المزاج أثور لاى سبب واتفه سبب قد تكون زوجتي اساءت الي" ، ولكنها لم تفعل ذلك الا نتيجة لثوراتي المتكررة ،واستفزازي لمشاعرها واحاسيسها ·· ارجوك ان تبلغها اسفى ·! »

وقلت : « اريد ان اسمع اولا ماستقوله لي زوجتك · اريد ان اعرف ما اذا كانت هي الاخرى قد اكتشفت مابها من عيوب واخطاء ·· »

« وفتح الباب في هذه اللحظة وظهرت الزوجة، وكانت هي الاخرى تبتسم ·· وقلت اسألها » : « هل وجدتها ؟ »

ولكنها لم تجبني على سؤالي . فقد كانت تتطلع الى ذراعي زوجها الممدودتين اليها ، وهرولت اليهما لترتمي براسها فوق صدره وتجهش بالبكاء ·!

« قال الزوج ، وهو يداعب باصابعه خصلات شعرها الأسود الجميل : « انا آسف ياحبيبتي ! »

قالت : « وانا اسفة ياعزيزي ·· لقد كنت متيقة في ثورتي عليك ·· ارجوك ان تغفر لي ، ولنبدأ من جديد ! »

وخرج الزوجان وقد نسيا كل ما كان بينهما من خصام !

لغة العيون والقلوب

يقول بلانتون : « بعض الناس يجدون حرجا في الاعتراف باخطائهم ·· والبعض الاخر قد يشعر بالخطأ الذى ارتكبه في حق الاخرين ، ولكنه لايجد الشجاعة لان يقول : « لقد اخطات ! »

فاذا كنت احد هؤلاء الذين يعجزون عن التعبير عن اسفهم بالكلام ، فهناك الف طريقة وطريقة تؤدى الى نفس النتيجة ·· باقة من الزهور تحمل بطاقتك مع كلمة رقيقة الى الزوجة الغاضبة تنسيها كل ماكان بينكما من شجار ! ·· هدية صغيرة تضعها بجوار طبق الطعام على المائدة التي جمعتك بمن اسات اليه في يوم من الايام ، يمكن ان تحمل اليه ماتشعر به من أسف لما بدر منك ازاءه !·· رسالة قصيرة تحت الوسادة قبل النوم، تضع فيها ماتحس به من ندم على ماصنعت ، قد تعيد اليك الراحة التي تنشدها ، وتعيد الى صاحب القلب الجريح ،الأمل من جديد في الحياة ! ان لمسة يد او نظرة تحمل معنى الندم ، قد تصنع مايعجز عن اصلاحه كتاب امتلأ بعبارات الاسف والاعتذار ! يجب دائما ان تذكر مايمكن ان تحققه تلك اللغة الصامتة ·· لغة العيون والقلوب !

بسمارك يعتذر لجنوده

قال بسمارك السياسى والقائد الالمانى الشهير يوما لرجاله عقب احدى المعارك الضارية التي خاضوها من اجل توحيد المانيا : « لقد قاتلتم ببسالة ، ولكننا فقدنا الكثير من الرجال ·· انني اعتبر نفسي مسئولا عن ضياع هذه الارواح ·· كان يمكن ان تكسب المعركة بأقل عدد ممكن من الخسائر ولكنني اخطات في التقدير ·· ارجوكم أن تصفحوا عني ! »

يقول بلانتون : « ان الاعتذار ليس مذلة ·· انه اقصى مراتب النضوج الفكرى والعاطفى ·· فالعظماء وحدهم هم الذين يشعرون بأخطائهم وهم في قمة النصر ، لا في هوة الهزيمة ! »

« اعتذر عن خطئك الآن ، ولا تعتذر عن خطئك بعد فوات الاوان ! »

« اعتذر من خطئك عن اقتناع ، ولا تعتذر عن خطئك لمجرد انك تريد ان تنهى مشكلة لابد لها من انهاء »

ويقول بلانتون في نهاية حديثه : « على اننا يجب ان نفرق دائما بين الشعور بالأسف بدافع الشفقة ، وبين الشعور بالاسف على خطأ ارتكبناه في حق غيرنا ·· فالاول لايتطلب اعتذارا ! »

احسن صفات الرجل

قال هـ · ج · ولز كاتب الانجليز الشهير يوما عندما سألوه عن رأيه في نفسه كانسان : « ربما كانت احسن صفاتي ، انني لا اتردد لحظة واحدة من أن اعتذر لمن اسأت اليهم ·· ولكنني كنت احرص دائما على أن اعتذر وانا واقف على قدمي ··لم اركع يوما على ركبتي لانني لااستجدى صفح الناس ، وانما اعترف امامهم باخطائي ثم اعتذر من هذه الاخطاء ولكن بكرامة ! »

منير نصيف

« حاول طلعت حرب ان يصلح بين محمد عبده ومصطفى كامل وقال الشيخ محمد عبده لطلعت حرب : ان الكنافة بالامس كانت شهية ! »

مائدة طلعت حرب

بقلم : انور الجندى

■ كانت ندوة طلعت حرب من الندوات الشائقة التى حفظت جزءا عزيزا من تاريخ مصر ، وقد اتصل بالاستاذ الامام محمد عبده ، والزعيم الوطنى مصطفى كامل ، كذلك كان اتصاله بالشيخ حسونة النواوى شيخ الازهر والشيخ سليم البشرى شيخ الازهر ايضا ، وعدد كبير من اعلام عصره ، كان طلعت حرب يجمعهم على مائدة الطعام حتى اشتهر بها وتحدث الناس عن ان طلعت حرب يحل مشاكله ويقضى مصالح الناس حول موائد الطعام فى بيته .

ولقد وصف تلميذه ومريده الاستاذ صالح جودت هذه المائدة بانها مائدة مستديرة ، تصفها المقاعد حولها ، فيشعر الجلاس بانهم سواسية كأسنان المشط لا رأس فيها ولا ذنب . وقد كانت الغاية من الجلوس حول مائدة مستديرة ان لا يشعر احد انه اقل من احد ، اذ ليس يوجد لها صدر او عجز ، ولقد كان يلتقى حولها الكثير من العظماء فى اكثر الليالى ، فلا يشعر احد — لاستدارة المائدة — بانه مفضل على الآخر .

طلائع شهرته وأثره فى مجتمع مصر

ولم تكن شهرة طلعت حرب واثره فى المجتمع المصرى السياسى مرتبطين ببنك مصر ، (١) بل كانا سابقين لذلك بسنوات طويلة ، منذ اوائل القرن ، حين انعقدت بينه وبين مصطفى كامل باشا اواصر الصلة ، وكان عمله فى ميدان الاقتصاد من ابرز العوامل التى انعشت صحافة الحزب الوطنى،وامدتها بالزيت فى ظروف الازمات وكان طلعت حرب — وهو يدير اراضى الدائرة السنية—مشاركا فى الحركة الوطنية والادبية،وله مؤلفات ، وله رأى فى المرأة،وفى الادب،وفى السياسة وله مواقف وقلم ، فقد كان محاميا ومؤلفا ، ومرجعا يثق به رجال المال والسياسة جميعا .

رجل ساحر

قال طلعت حرب لرجال الحزب الوطنى فى احدى ندواته : انه يفكر فى دعم جريدة اللواء ، وكان مصطفى كامل يقاسى المرض ، وخشى رجال الحزب الوطنى من طلعت حرب ان يفاتح الزعيم ، فقال له على فهمى كامل — اخو مصطفى كامل : « على اى اسلوب تود دعم اللواء ؟ »

فمضى طلعت حرب بشرح فكرته فى تاسيس شركه مساهمة برؤوس اموال وطنية متأهبة للتضحية،وقال : « وانا اول المتأهبين للتضحية » .

قال على فهمى: « ارجوك يا طلعت بك ان لا تكاشف

---

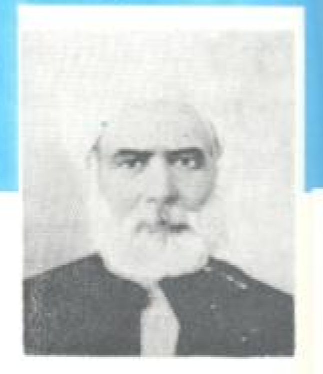
(١) محمد طلعت حرب باشا هو مؤسس الاقتصاد المصرى الاول ، والعامل على استقلاله وهو مؤسس بنك مصر وما اتصل به من شركات صناعية ، ولد عام ١٨٧٩ ومات عام ١٩٤١



طلعت حرب



مصطفى كامل



الشيخ محمد عبده

مصطفى بشيء من هذا ، فانه سيغضب ويثور ، وقد لايحتمل الصدمة • »

فضحك طلعت حرب •• وقصد في اليوم التالي الى مصطفى كامل ، ودخل عليه في غرفته وهو مسجى بها •

قال مصطفى كامل : ما وراءك ؟

قال طلعت حرب في دعابة : لقد فتح بار جديد كتب عليه « بارُ اللئواء » ، ونطقتها على نحو يفهم منه معنى آخر ، فقد فتح الراء وضم الهمزة المفردة • اى بارت جريدة اللواء ،فضحك مصطفى كامل وقال : « وما المخرج من ذلك ؟ »

قال : « المخرج ان نكوّن شركة مساهمة باموالنا ، مستعينين ببعض اصحابنا من انصار القضية •

ومضى طلعت حرب يقص على مصطفى كامل تفاصيل المشروع •

هنالك ، ابتسم مصطفى كامل وفرح بالفكرة ، وشد على يد طلعت حرب بحرارة ، ودعا على فهمي كامل وصحبته وقال لهم: « نفذوا المشروع على الفور • »

وقال على فهمي : « الحقيقة أن طلعت حرب رجل ساحر • »

كان غوثا لاخوانه

ولقد كان طلعت حرب في ندوته البسيطة الأنيقة يستقبل اصحابه من خلال مكتبة تضم خمسة الاف مجلد ، فيها من كل علم وفن ، وقد حوت نوادر الكتب مما نفدت طبعاته ، وكان يقدم لضيوفه شيئا جديدا من نوعه في هذه الفترة هو عصير القصب ، وكان هذا العصير يستمد من قصب من نوع جديد ، يسمى (خد الجميل) الذى عرفت به مزارعه في المنيا وكان له طعمه الشهي •

يقول الاستاذ صالح جودت في بعض مذكراته عن طلعت حرب :

« لقد عرفت ان الزعيم مصطفى كامل كان كلما أعوزه المال لم يجد من يلجأ اليه غير طلعت حرب . كذلك كان المرحوم محمد فريد ــ بعد ان وُلّى زعامة الحزب الوطني ــ يعتمد على طلعت حرب في وقت حاجته ، اعتماد الأخ على أخيه ».

ولما تفرّق رجال الحزب الوطني ابان الحرب العالمية الاولى ، وذهب أغلبهم الى استانبول ، كتب الدكتور سيد كامل خطابا الى طلعت حرب

من تركيا يروى له الضائقة التي ألمت بفريد بك في اوروبا . فسافر طلعت حرب الى هناك ،وقصد الى فريد بك . فاطمأن عليه ، وفرّج ضائقته » .

طلعت حرب والامام محمد عبده

وكان طلعت حرب صديقا مخلصا للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وكان طلعت حرب يروى في ندوته بعض الخيوط الدقيقة عن حياة الشيخ . لايعرفها الا القلة القليلة : قال طلعت حرب مرة :

كان خصوم الشيخ محمد عبده يروّجون عنه انه لايقيم الصلاة ، وحدث ذاتَ ليلة ان دُعينا الى ليلةِ عُرس كبيرة بالعباسية،حضرها العظماء والكبراء . واخذَتنا حلوُ السَّمر ،وطيبُ المجلس، حتى انتصف علينا الليل ومرت بعد ذلك ساعة وساعتان وهممنا بالانصراف .

ولما كان طلعت حرب يقطن بالعباسية فقد رأى ان يدعوَ بعض الخلصاء الى قضاء بقية الليل عنده لقرب منزله ، وكان منهم الاستاذ الامام والشيخ عبد الكريم سليمان يقول فلما دخلنا البيت كنّا على وشك الفجر .

اما الشيخ الامام فلم يلبث ان ذهب الى دورة المياه ، فتوضأ وضوءا كاملا ،وتسلل الى المصلى، فصلى العشاء حاضرا ثم مضى الى فراشه .

تصرفات مختلفة لكل منها دلالته على صاحبه

ويقول طلعت حرب لجلسائه : « ان قطعا من الارض كانت معروضة للبيع علىاساس التقسيط والدفع بالرباوكان للثلاثة :الشيخ سليم البشرى والشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد عبده ازاء هذا العرض مواقف مختلفة :

اما الشيخ حسونة النواوى فقد رفض التعامل بالربا .

اما الشيخ سليم البشرى فقد قبل العرض .

اما الشيخ محمد عبده فقد افتى بما يأتى : « ان يحسب ثمنُ الصفقة ، وتحسبَ فائدةُ الاقساط ، ثم تضم الفائدة الى الثمن ، ويعتبر المجموع ثمنا أصليا يقسط عليه دون ان تذكر كلمة (الفائدة) في مستندات نقل الملكية ولا في المبايعة . »

ويقول طلعت حرب : ان الاستاذ الامام خير من يدرك ان مثل هذا التصرف لايعفيه من انه قد تعامل بالربا فعلا .

محاولة للتقريب بين الامام محمد عبده والزعيم مصطفى كامل

وهكذا تمضى احاديث الذكريات في ندوة طلعت حرب .

ولكن الاحداث تقدر لها موقفا خطيرا وحدثا بالغ الاهمية ، ذلك هو موقف طلعت حرب من صديقه مصطفى كامل والشيخ محمدعبده ومحاولته الاصلاح بينهما ، وازالة أسباب الازمة .

ذلك ان الرجلين كانا فى عصر واحد ، وكان احدُهما مصلحا اجتماعيا يشار اليه بالبنان ، وكان الاخر سياسيا وطنيا يهزالقلوب والاسماع، وكان الكثيرون يظنون انه لو تم اللقاء بينهما لتغير وجه التاريخ .

وقد نبتت الفكرة حين تحدث الى طلعت حرب فيها المجاهدُ لطيف سليم الحجازى باشا (والد المرحوم فؤاد سليم الحجازى) من انقطاع الود بين الزعيم السياسى الشاب مصطفى كامل والزعيم الاجتماعى محمد عبده ، فتمنى لطيف باشا على طلعت باشا لو استطاع ان يزيل بلباقته وكياسته مابين الزعيمين ، فضلا عن صداقته لهما ، وحسن مركزه عندهما .

ويروى طلعت حرب وقائع هذا التاريخ فى ذلك الامر الحاسم لرواد ندوته فيقول :

كان من اقرب الناس الى نفسى المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان الذى كان محررا بالوقائع ، واتفق انه كان جارى فى العباسية . وكان يقضى عندى اكثرَ سهرات المساء ، وكان من خلصاء الشيخ محمد عبده . وكان من الرجال النوادر فى العلم والفضل ، فاردت ان اجمعه وساطة الخير فدعوتهما معا : مصطفى كامل وعبد الكريم عندى فى البيت ، لتناول الغداء وجاء مصطفى كامل والشيخ سلمان مع بعض الاصدقاء من اهل

الفصل - وجلسنا نتكلم في مختلف الشئون العامة ، ونتضاحك على الطعام ، حتى رأيت الفرصة سانحة فدخلت الى الموضوع بلطف ، وتطرقت اليه وئيدا ، فما ان ذكرت اسم الاستاذ الامام حتى قفز مصطفى كامل من مكانه ، وامتقع لون' وجهه ، وتطاير الشرر من عينيه ، وجعل يقول في لهجة الثائر كلاما قاسيا ليس لي ان اردده ٠

والى هنا غص' كل' اكل بلقمته ، وانفضت المائدة ، وكان عليها طبق شهي من الكنافة ، فلم يمسّه احد ، ونهضنا الى غرفة الجلوس فشربنا القهوة في وجوم وصمت ، كأننا نحن في مأتم ، ثم انفض الجميع في اسوأ حال ٠

لقد كان موقف الشيخ عبد الكريم هو اكبر ما برّح بي في هذه الساعة ، فقد رأيت انه آمن في بيتي ، وانا الذى دبّرت لهذا اللقاء ، ومن هنا عددت نفسي مسئولا عن الاهانة التى لحقت به ، ولا سيما انه كان قال لي قبل الدعوة انه مشفق من نتائج هذا المؤتمر ، فانه يعرف ان مصطفى حاد المزاج ، وقد يشتد الموقف سوءا ، بدلا من ان يصفو الجو،فطمأنت ساعتئذ خاطر'ه' ، وبددت هواجسه ٠

فلما حدث ما حدث لم ينبس الشيخ عبد الكريم ببنت شفة ، وقد بقيت متألما له اشد الالم بعد انصرافه فلما كان المغرب قصدت الى بيته لاعتذر له ٠

ولكني لم اجده ، ولعله كان عند الاستاذ الامام ٠

وقضيتها ليلة مسهدة طويلة ، احاسب فيها نفسي ، وادبر ما انا فاعل في غدي ، فلما كان الغد لم اذهب الى الدائرة السنية ، وانما بدأت بالذهاب الى دار الافتاء ، لالقى الشيخ عبد الكريم سلمان ، واعتذر' له ، فلم اجد الشيخ في غرفته ، اذ كان مشغولا عند بعض رؤسائه.ولكني وجدت الاستاذ الامام محمد عبده، فسلمت وجلست' فلم اكد استقر في مجلسي حتى بادرني قائلا :

لقد حدثني الشيخ عبد الكريم يا طلعت بك ان الكنافة بالامس كانت شهية ! فقلت يا مولانا : انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى.هذا ما عندى من تعليق على حديث الامس ٠

الخلاف بين طلعت حرب وسعد زغلول

اما سعد زغلول فقد كان علاقته معه يشوبها شيء من الفتور ، وربما كان مرجعه خلاف طلعت حرب مع قاسم امين ، وانسحاب هذا الخلاف على سعد زغلول الذى اهدى قاسم له كتابه ، ولعل سعد زغلول ظن ان كتاب طلعت حرب عن المرأة يعارض فكرته ، ذلك ان طلعت حرب قبل مادعا اليه قاسم من وجوب تعليم الفتاة وتهذيبها وتثقيفها ثقافة دينية ودنيوية ، ولكنه تحفظ في الشطر الثاني الخاص بعمل المرأة واختلاطها ، وركز على ان عمل المرأة في البيت مقدم على عملها في الخارج ٠

ولقد كانت علاقته هذه القديمة،وخلافه' هذا ـ قد اثرا بعض آثار ، بعد ان انشا طلعت حرب بنك مصر ٠

وقد جمع طلعت حرب آثار حفني ناصف وكتب لتراثه مقدمة بليغة لم تنشر بعد ، وعرف بالاسلوب الادبي الذى كان يحمل الارقام والنظريات الاقتصادية في اصالة وترفع ٠

كما احب الطراز العربي من البناء ، وعممه في كل مكان حل فيه ،وله كتاب هام هو « تاريخ دول العرب والاسلام » ، وله كتاب عن قناة السويس من خير ماكتب في موضوعها ٠

القاهرة ـ احمد الجندى

أين العلل

حكى ان الخليفة عمر بن الخطاب مر في بعض الايام بمملوك يرعى غنما فقال : اتبيعني منها شاة ؟ قال : فأين الله ؟ قال : فأين العلل ؟ قال فأين الله ؟ فاشتراه عمر واعتقه لوجه الله فقال المملوك : اللهم قد رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الاكبر ٠



العلق الطبي [1]

دود يستخدم في الطب من قديم

بقلم : الدكتور فيصل دبدوب

■ زارني قبل امد قريب الزميل الدكتور (ع • ص) بعد عودته من عاصمة دولة شرقية كبرى كان فيها زائرا ، وقد حدثني هذا الزميل فيما حدثني والعجب قد اخذ منه ماخذه انه اصيب (بتجلط تاجي) Coronary Thrombosis حينما كان في تلك العاصمة ، وادخل على اثرها المستشفى ، وبعد ان تاكد الاطباء من التشخيص علقوا خمس علقات على صدره حول موضع القلب من خارج • ولما بدا التعليق Hirudin Ization وانشب العلق فكوكه واخذ يمتص بمحاجمه الدم امتلا به ثم سقطت العلقات الخمس من بعد امتلاء ، وتركت الطبيبة المعالجة الدم النازف يستمر على سيلانه مدة عشر ساعات ثم انقطع • وبعد ذلك دعاه فضول المهنة ان يسال الطبيبة عن اتخاذها العلق واسطة للمعالجة وهو من وسائل الطب القديم التي اكل الدهر عليها ، قال : فاجابته بان الطب يَقيِّم الدواء لا نسبة لحداثة اكتشافه وجدّته بل لنجاعته وفائدته بالمعالجة. فكل ماافاد المريض وضعناه امامنا في علاج المرضى وهل في هذا تقصير نلام عليه او ننتقد، اووجهة نوصم بسيرنا في ركابها وتحاسب ؟ ان العلق والاستطباب به قد اخذناه عن طبيبنا ابن سينا (وتعني طبيبهم) فقد ذكره في موسوعته الطبية (القانون) وثبتت فوائده في الطب الحديث فاحيينا التداوي به من جديد والفضل للمتقدم•

قال الزميل : لقد القلقني قولها ان ابن‌سينا من اعلام‌تراثهم،واثلج فؤادي كون‌التداوي‌بالعلق‌من‌طب ابن‌سينا كما‌اشفاني التداوي‌به‌من‌اصابتي(بالتجلط التاجي) ، فرايت ان ارغب اليك في ان تكتب‌لنا عن استطباب العلق في الطب العربي والطب الحديث فودعته ثم ودعني وانصرف •

مهما يكن من شيء فان حديث الزميل الذي اوجزته قبل قليل حفزني ان اكتب عن العلق‌الطبي في الطب العربي والطب الحديث لما في هذا الحديث من فوائد علمية وتراثية •

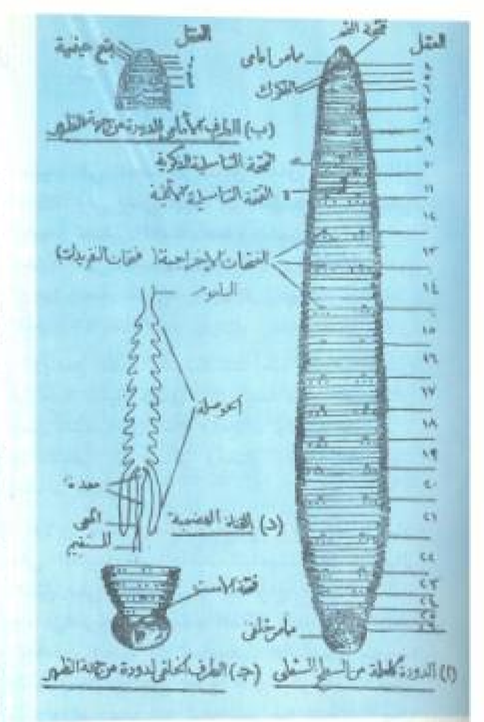
العلق الطبي HIRUDO MEDICINALIS

ان وصف العلق الطبي اي (دودة الحكمة) والتطرق الى صفاته وتركيب جسمه لما يستلزمه البحث العلمي الدقيق •

يعيش‌العلق عادة في البرك والمستنقعات‌ومجاري المياه البطيئة ، وقد يعيش في البحار او الانهار ولايمكنه العيش في المياه المتجمدة والمناطق الباردة كثيرا ، ويتطفل على الحيوانات الفقارية سواء‌منها

---

(1) HIRUDO MEDICINALIS



(أ) منظر عام من الجهة البطنية.
(ب) الطرف الأمامي من الجهة الظهرية.
(جـ) الطرف الخلفي من الجهة الظهرية.
(د) القناة الهضمية كاملة (تخطيطي).

التي تعيش في الماء كالأسماك والضفادع أو التي تزور الماء من حين الى حين مثل الجاموس والخيل والانسان. ان هذا الحيوان دودي الشكل مع قليل من التفلطح بحيث يبدو وكأنه احد الديدان الحلقية عامة، وهو ذو ظهر محدب قليلا.

ويتراوح طول العلقة مابين (٦ــ١٠سم)، والعلق الطبي الانكليزي او مايسمى Brown English Medicl Leech طوله (١٢ سم).

ان للعلق قدرة عظيمة على الانقباض والانبساط، وله ممصان (محجمان) احدهما قمعي الشكل يقع في مقدمة الجسم والاخر طبقي ويقع في مؤخرة الجسم.

وجسم العلقة مقسم الى عدد من الحلقات تبلغ نحو (١٠٥) مئة وخمس حلقات، وهذه الحلقات لاتقابل تقسيم الجسم من الداخل الى عقل حيث تقابل العقلة الداخلية ــ في الجزء الاكبر من الجسم خمس حلقات خارجية، ويبلغ مجموع العقل ثلاثا وثلاثين (٣٣)، ولكل علقة من العقلات الخمس الاول زوج من الأعين الصغيرة على السطح الظهري.

ان لون العلقة الطبية اخضر داكن (نفطي) وعلى ظهرها بقع سود غير منتظمة. وفي فمها ثلاثة فكوك مسننة هلالية الشكل، وبمساعدة عضلات خاصة تجرح هذه الفكوك الجسم الذي تتطفل عليه لتمتص دمه. ويلي الفم بلعوم عضلي يقوم برشف الدم، وفي البلعوم خلايا عديدة تفرز مادة تمنع تخثر الدم هي مادة الهيرودين Hirudine اما مايلي البلعوم فحوصلة كبيرة الحجم تمتد الى قرب نهاية الجسم، ولهذه الحويصلة (Crop) احد عشر زوجا من الجيوب الجانبية التي يختزن فيها الدم لمدة طويلة قد تصل الى سنة كاملة، وتمتص العلقة النشيطة من (١٠ ــ ١٥ سم) من الدم كما يسيل بعد سقوطها مثل هذا المقدار او اكثر.
ولابد لي ان اذكر ان العلق يتنقل بالزحف (التقلب) Looping مستعينا بالممصين او يتحرك حركة دودية تموجية، وله ايضا القدرة على السباحة، والحيوان ذو جهاز تناسلي خنثوي.

يتصل نسب العلق برتبة العلقيات Hirudinea وتتميز هذه الرتبة بوجود عدد محدود قليل من العقل، والعقل مقسمة الى حلقات، ولها ممصان احدهما امامي والاخر خلفي، وهي تعيش على الارض وفي الماء العذب أو المالح، ويعيش بعضها حرة، وبعضها الاخر متطفلا، ولبعض انواعها اهداب Setae.

قلنا ان العلق ينتسب الى رتبة العلقيات Hirudinea وهذه تنتسب الى شعبة الحلقيات Phylum Annulata. ان كلمة Hirudo اي العلقة كلمة لاتينية وجمعها Hirudines وتسمى العلقة بالانكليزية Leech.

انواع العلق

ان للعلق انواعا عديدة فمنه الطبي ومنه غير الطبي. والعلق الطبي هو الذي يطلق عليه باللاتينية H. Medicinalis ومن انواعه العلق الطبي الياباني H. Japonica والعلق الطبي في امريكا الشمالية واسمه Macrobdella Decora. اما العلق غير الطبي فانواع كثيرة وهي قد تتطفل على جسم الانسان.

استطباب العلق

تتناول بالبحث استطباب العلق في الطب العربي والطب الحديث ، وتضع العلق الطبي في الطب العربي في المقدمة ثم نتبعه بالعلق الطبي في الطب الحديث لتتم الفائدة وتحصل المقارنة .

١ ـ استطباب العلق الطبي في الطب العربي

استعمل العلق الطبي للمرضى في الطب العربي في امراض عديدة نوجزها بما هو آت :

١ ـ في فرط التوتر الشرياني اى ارتفاع ضغط الدم Hypertension واسمه في الطب العربي (امتلاء الدم) وسماه بعض اطباء العرب (كثرة الدم) .

٢ ـ عرق النسا Sciatica ويرسل العلق في حالات الاستعداد لهذا المرض كذلك .

٣ ـ النقرس Gout .

٤ ـ اوجاع المفاصل واورامها والورم الدموي المفصلي .

٥ ـ الرمد الحاد Acute Ophthalmitis

٦ ـ الرمد المزمن Chronic Oththalmitis

٧ ـ ويوصف ارسال العلق اى تعليقه للنساء اللاتي قد احتبس عنهن دم الحيض (الطمث) Menoschesis

٨ ـ ويرسل العلق (يعلق) لمص الدم في موضع نهش الحية من جسم الانسان .

٩ ـ ذات الجنب Pleurisy

١٠ ـ في الآلام الجنبية Pleuralgia وسماها اطباء العرب (الشوصة) .

اما مضار الاستطباب بالعلق ،وهومايطلق عليه Contra Indication ، فهي :

١ ـ الحمل Fetation

٢ ـ الطمث ، اى العادة الشهرية .

٣ ـ الضعف العام General Weakness واطلق اطباء العرب على الضعف العام (سقوط الهمة) .

هذا ، وقد قال حكماء العرب قديما في كتبهم الطبية المعتمدة كالقانون لابن سينا وفردوس الحكمة لعلي بن الطبري وكامل الصناعة المسمى (الملكي) لعلي بن عباس المجوسي الاهوازي والعمدة لابن القف والمختارات لابن هبل :قالوا انه اذا اضطر الطبيب الى الفصد أو تعليق العلق ـ Hirudi nization في الحمى فيجب ان يقلل ولا يكثر، وعلى الطبيب تحاشي الفصد لصغار السن والاشياخ ما امكن ، وفي الابدان النحيفة ، وكذلك في ذوى الوجوه الصفر من قلة الدم اى الذين ابتلوا بفقر الدم Anaemia .

وينصح اطباء العرب كذلك بعدم مفارقة النبض في حالة تعليق العلق ، اى يجب على الطبيب ان يجس النبض بين الحين والحين ، وكانوا يقولون : ان النبض اذا صغر وصار الى ضعف وجب اسقاط العلق .

ولابن سينا وصايا ونصائح اوصى بها واشار على الطبيب او القاصد اتباعها عند ارسال العلق على المكان المراد استخراج الدم منه فقد جاء في قانونه : ان جذب العلقة للدم اغور من جذب الحجامة ، ويجب ان تصاد قبل الاستعمال بيوم ، وتقيا بالاكباب حتى يخرج مافي بطونها ان امكن ذلك ، ثم يصب لها شيء يسير من الدم من حمل او غيره ليتغذى به قبل الارسال ، ثم تؤخذ وتنظف لزوجتها وقذارتها بمثل اسفنجة ويغسل موضع ارسالها بالبورق وهو (بورات الصودا) اوما يسمى (بملح الصاغة) Borax ،ويحمر بالدلك ثم توضع العلقة عندما يراد استعمالها في ماء عذب فتنظف ثم ترسل ، ومما ينشطها عند التعلق لكي تتعلق بصورة تامة مسح الموضع بطين الرأس او بدم ، فاذا امتلأت واريد اسقاطها ذر عليها شيء من ملح او رماد او بورق او حراقة خرق كتان او اسفنجة محرقة او صوفة محرقة ، والصواب بعد اسقاطها ان يمتص بالمحجمة فيؤخذ من دم الموضع شيء يفارق معه ضرر اثرها ولسعها ، فان لم يحتبس الدم ذر عليه عفص محرق او نورة او رماد اوخزف مسحوق جدا ،اوغير ذلك من حابسات الدم .

لنقف قليلا عند الجملة السابقة فماذا يلوح لنا ويظهر ؟ انه لينكشف لنا ان ابن سينا كان قد هدف الى مقصد بعيد ، فهو اذ يقول : (والصواب بعد سقوطها ـ بمعنى العلقة ـ ان يمتص بالمحجمة فيؤخذ من دم الموضع شيء يفارقه معه اثر ضررها ولسعها ، فان لم يحتبس الدم ذر عليه عفص محرق)،انما قد علم بوافر تجاربه ودقيق ملاحظاته بان الدم يستمر سيلانه بعد سقوط العلقة وان مص الدم بالمحجمة من الموضع يوقف النزف .والطب

الحديث ايد ماذهب اليه طبيبنا العربى (الشيخ الرئيس ابن سينا) وايد ماقاله من قبله (على بن ربن الطبرى) (فى فردوس الحكمة) (وعلى بن العباس المجوسى الاهوازى)فى (كامل الصناعة) من ان الدم يستمر بالنزف بعد سقوط العلقة وذلك لوجود مادة (العلقين) Hirudin فى الدم، تلك المادة التى تلقيها العلقة فى دم الجسم الذى تتطفل عليه،تفرزها من لعابها وتلقيها فى الدورة الدموية،ومن هنا جاءت الفائدة من تعليق العلق فى الأمراض الناشئة عن الخثرة الدموية (الجلطة)٠

مادة الهيرودين :

قلنا ان لعاب العلقة يحتوى على مادة الهيرودين، ولعابها يفرز عادة من خلايا لعابية فى بلعومها ، وهناك مابين (٠٫٠٠٣ ــ ٠٫٠٠٥ غرام) من مادة الهيرودين فى الغدد اللعابية للعلقة الواحدة ٠ ومن الثابت علميا ان الدم الذى يسيل بعد سقوط العلقة لا يتخثر وتزداد قابليته فى عدم التخثر فى اليوم الثانى ، ولا تزول من هذا الدم القدرة المضادة للتخثر قبل مرور بضعة ايام ، هذا ولو اضفنا الى الدم المصل الفزيولوجى العادى Normal Physiological Serum او كلوريد الكالسيوم Calcium Chloride لما تخثر مطلقا ٠ ان هذا الامر يدعونا الى الاعجاب بابن سينا والى اكباره وتقديره وذلك لما اوصى به من وضع المحجمة مكان ارسال العلقة بعد اسقاطها ٠

لقد اكتشف مادة الهيرودين اى (العلقين) فى لعاب العلق الطبى عام (١٨٨٤م) اكتشفها العالم الالمانى هاى كرافت Haycraft ٠ ان الهيرودين عبارة عن كلكيو بروتامين Glicoprotamin وان الحبوب (هيروديناز) Hirudinase الحاوية على مادة الهيرودين مع مقدار من اليود وملونات الصودا Citrate Sodium التى صنعتها بعض معامل الادوية بشكل ملبسات وتعطى فى حالة تخثر الدم قد حل مكانها ادوية اخرى احدثمنها لعلاج التخثر ٠هذا وان بعض الدوائيين يرجحون استعمال العلق فى الطب الحديث على اعطاء (الهيروديناز) فى حالة تخثر الدم ٠ مهما يكن من الأمر فلا داعى اذن للزميل الدكتور (ع ٠ ص) ان يعجب من ان يتخذ(اطباء الدولة الشرقية الكبرى التى تمرض فيها ثم مولج) العلق الطبى واسطة علاجية له بعد اصابته بالتجلط التاجى ، بعد ان يقرأ هذا المقال ويرى كيف ان الشيخ الرئيس (ابن سينا) قد سبق الطب الحديث بالف سنة بوصفه العلق علاجا لحالات مرضية مختلفة نوهنا عنها سابقا ٠

وللاحاطة بالموضوع من اطرافه يلزمنى ان اذكر الامراض التى ماتزال الطب الحديث يشير الى استعمال العلق فى علاجها ٠

بـ استطباب العلق الطبى فى الطب العربى

يشير الطب الحديث الى استعمال العلق الطبى فى الأمراض الاتية :

١ ــ التهاب الكلية الحابس للازوت والرافع لضغط الدم ٠

٢ ــ داء الزرقاء فى العين Glocoma

٣ ــ احتقان الدماغ

٤ ــ نزف الدماغ Cerebral

٥ ــ احتقان العين

٦ ــ الرمد او التهاب العين Ophthal Mitis

٧ ــ التهاب الوريد النفاسى او من جراء الحمى التيفية Phlebitis

٨ ــ جلطة الشريان التاجى Coronary Thrombosis

٩ ــ فى كل الحالات المرضية التى يوصف لها الهيرودين او الهيبارين Heparin علاجا اى الادوية المضادة للتخثر ٠

اما مضادات الاستطباب بالعلق او الهيرودين اى الامراض التى لا يجوز تعليق العلق فيها او اعطاء مضادات التخثر كالهيرودين واشباهه فهى :

١ ــ داء الناعور Hemophilia

٢ ــ قصور الكبد

٣ ــ فقر الدم Anaemia

٤ ــ الضعف العام والشيخوخة ٠

٥ ــ النزوف المرضية كالنزف المعوى فى الحمى التيفية وما اشبه ٠

وبعد : ــ

فان دراستنا لتراث العرب الثقافى دراسة علمية حديثة تدنينا من علماء تاريخ العلم وتجعلنا نشاركهم الكشف عن حلقات مفقودة من سلسلة تاريخ العلم فى العالم ، وهذا ماهدفت اليه من كتابتى هذا البحث ٠ ■■

الموصل ــ العراق : د ٠ فيصل دبلوب

التعليم المبرمج

وآلات تعليمه

بقلم : محمد حسن التيتي

■ يقترن التعليم المبرمج فى اذهان غالبية الناس بالات التعليم ، وما من ريب فى ان ما بينهما من الارتباط والتلاحم يجعل من العسير الفصل والتفريق بينهما • فما يذكر احدهما حتى يتداعى الآخر الى الذهن ، ولذا لابد من معالجة هذين الموضوعين معا ، وكانهما وجهان لعملة واحدة •

ومن المناسب قبل الخوض فى هذا الموضوع ان نقوم بتعريف مبسط لهذين المصطلحين • ان مايقصد بالات التعليم Teaching Machines هو اية الة او جهاز يستخدم لتقديم برامج التعليم الذاتى ، Self - instruction ، للدارسين ، سواء كان الة بسيطة لا يتجاوز ثمنها بضعة جنيهات ، او جهازا الكترونيا معقدا يبلغ ثمنه الالوف ، او حتى كتابا عاديا تشتريه ببضعة قروش ، ويطلق على البرامج التى تقدمها هذه الالات اسم « التعليم المبرمج » •

سقراط والاسلوب الحوارى

ان الاسلوب الرئيسى الذى تعتمده آلات التعليم هو ما يعرف بالاسلوب الحوارى Tutorial ، او المنهج السقراطى الذى ينسب للفيلسوف اليونانى سقراط ، فهذه الالات تقدم للطالب برنامجا من الاسئلة والاجوبة ، او المشكلات والحلول •

والتعليم المبرمج يدور حول فكرة اساسية ، مؤداها ان العديد من موضوعات الدراسة يمكن ان يدرس بشكل افضل ، اذا عرضت هذه الموضوعات على شكل خطوات صغيرة متدرجة الصعوبة ، يسهل تخطيها على جميع الطلبة ، رغم اختلاف قدراتهم واستعداداتهم • والنجاح فى كل خطوة من هذه الخطوات يكافا حالا ، اما بمكافاة عينية : كقطعة من الحلوى مثلا ، او معنوية عن طريق الشعور بالتقدم والنجاح •

اول الة للتعليم

يرجع اول العهد بالات التعليم (١) الى نصف قرن مضى ، عندما قام العالم النفسى س • ل • بريسى Pressey ،بعرض الته التعليمية الاولى فى اجتماع للهيئة الامريكية للبحوث النفسية عام ١٩٢٤ • وقد قال الدكتور بريسى فى معرض نقاشه : « لست ارى مايبرر عدم الاستفادة من الالات التى توفر الجهدالانسانى فىميدان التربية، وليس هناك مايمنع من ادارة التربية والتعليم بنفس الكفاية والنجاح الذى تدار به المشاريع

---

(١) بعض العلماء ـ ومنهم الدكتور كاربنتر F. Carpenter من جامعة متشيجان يفضل تسميتها بالات التعلم الذاتى ، لان التسمية الحالية توحى بأن هذه الالات تستطيع ان تحل مكان المدرس كلية ، مع ان الواقع هو غير ذلك •

الكبرى فى البلاد • ان هذه الآلات ستغنى التربية ، وتعفى المدرس من الكثير من الأعباء الشاقة التى تثقل كاهله : كالتدريب المتواصل ، والتكرار الممل • فهذه الآلات ستسمح له بان يتفرغ للعمليات التربوية الملهمة والانشطة المبدعة ، التى ينبغى ان تكون المهمة الاساسية للمدرس •

كانت الآلة التعليمية التى عرضها الدكتور بريسى فى ذلك الوقت عبارة عن جهاز بسيط فى حجم آلة الكتابة الراقمة العادية ، الا انها اقل منها تعقيدا بكثير • وهذه الآلة مزودة بفتحة مستطيلة ، يظهر من خلالها سؤال مكتوب ، وللاجابة على هذا السؤال يقوم الطالب بتحريك واحد من اربعة مفاتيح تتصل بالاجابة التى يختارها ، وفى حالة اختيار الجواب يختفى السؤال من الفتحة المذكورة ، ويظهر مكانه سؤال جديد ، اما فى حالة اختيار الجواب الخطأ فان السؤال يبقى دون تغيير ، الى ان يفلح الطالب فى اختيار الاجابة الصحيحة • ومتى اتم الطالب الاجابة على كل اطار من الاطر التى يتالف منها البرنامج يقدم له الجهاز آليا قطعة من الحلوى ، او بطاقة صغيرة ، عليها بعض عبارات الشكر ، مكافاة له على جهوده الناجحة •

ولايقتصر هذا الجهاز الجديد على التعليم فقط، بل يمكن الاستفادة منه ايضا فى الاختبارات ، وفى هذه الحالة يختفى السؤال الذى يظهر فى الفتحة المستطيلة فور تحريك اى مفتاح منمفاتيح الاجابة ، ويقوم الجهاز مباشرة بعد الاجابات الصحيحة ، وتقدير الدرجة التى حصل عليها •

مزايا الجهاز

لهذا الجهاز الذى عرضه الدكتور بريسى مزايا تربوية عديدة اذكر منها مايلى :

١ ـ يمكن الطالب من معرفة الخطأ الذى وقع فيه مباشرة ، دون الحاجة الى الانتظار بضعة ايام، الى ان يصحح له المدرس كراسة اجابته ، وهذا يتفق مع واحد من أهم قوانين التعلم وهو قانون الحداثة Recency •

٢ ـ يحتم على الطالب معرفة الاجابة الصحيحة قبل الانتقال للسؤال التالى ، وهذا يتفق مع قانون ثان من قوانين التعلم ، وهو قانون التردد Frequency • فالاجابة الصحيحة تتكرر مرات متعددة ، قبل ان يختفى السؤال نهائيا •

٣ ـ يقيس الجهاز تقدم الطالب فى سيطرته على الموضوع المعالج ، ويبقيه على اطلاع دائم على مدى التقدم الذى يحرزه •

٤ ـ يقدم الجهاز مكافاة للطالب على جهوده الناجحة ، وهذا يتفق مع قانون من اهم قوانين التعلم وهو قانون التعزيز Re-inforcement •

٥ ـ يعمل على توفير الكثير من الوقت والجهد ، وخصوصا عند استخدامه للتقويم Revaluation فاوراق الاجابة التى يستغرق المدرس فى تصحيحها الساعات الطوال ـ يمكن ان تصحح فورا ،وبدون هدر للوقت والجهد •



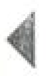
شكل (١)

نموذج حديث للآلة التعليمية التى صممها بريسى •



شكل (٢)

آلة مبسطة لتعليم الحساب •



٦ - الجهاز يمكن الطالب من التقدم في برنامجه التعليمي ، بالسرعة التي تسمح له بها قدراته واستعداداته .

وبالرغم من المزايا التربوية والنفسية التي تتمتع بها هذه الآلة التعليمية فانها لم تلق قبولا لدى رجال التربية في ذلك الحين . فالعصر لم يكن مهيئا لمثل هذه المستخدمات،والثورة « الصناعية » التي تنبأ بها بريسى في مجال التربية كانت لم تزل بعيدة المنال .

آلات التعليم الحديثة

ومضت فكرة الات التعليم تغط في سبات عميق طيلة ثلث قرن تقريبا ، الى ان احياها العالم السلوكي الشهير سكنر B. F. Skinner كان ذلك عام ١٩٥٤ ، حينما نشر بحثا بعنوان « علم التعلم وفن التعليم » (٢) كان له صدى كبير في الاوساط التربوية . وقد اكد سكنر في هذا البحث أهمية التجارب المختبرية التي يجريها في السيطرة على انماط السلوك وتعديله ، وبين انه من الممكن ان يكون لهذه التجارب تطبيقات تربوية بالغة الاهمية ، موضحا رايه بوصف الة تعليمية تقوم بالتعزيز الفوري ويمكن استعمالها في المدارس .

وتلا هذا البحث برنامج تجريبي مُركّز ، اجرى في جامعة هارفرد تحت اشراف سكنر نفسه ، لوضع الافكار والمبادىء التي نادى بها موضع التجربة والاختبار .

وفي عام ١٩٥٨ قدم سكنر تقريرا مفصلا عن التجربة،القاه امام رابطة علماء النفس الامريكيين، وقد اثار هذا التقرير اهتماما بالغا في جميع الاوساط التربوية ، ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا ، والاهتمام بالات التعليم يتزايد،والشركات الصناعية تطلع علينا يوما بعد يوم بفيض لا ينتهي من هذه الآلات .

ان الشكل الخارجي للالة التي عرضها سكنر يختلف كثيرا عن آلة بريسى ، ولكنها من حيث الجوهر لا تعدو ان تكون تعديلا لسابقتها . فقد حاول سكنر تلافي عيب مهم من عيوب الآلة السابقة وهو اقتصارها على مجرد التعرف على الاجابة الصحيحة . فالآلة الجديدة تتطلب من الدارس ان تكون اجابته من نفسه ، بدلا من اختيارها من ضمن مجموعة جاهزة من الاجابات .

والتجديد الفعلي لسكنر لا يتركز في الجهاز نفسه بل في وضع وتنظيم المادة التعليمية التي يقدمها الجهاز ، اذ ان الاجهزة السابقة كانت تقتصر على تقديم مجموعات من الاسئلة لا رابط بينها . اما الالة التعليمية الجديدة فتقدم سلسلة مترابطة من الاسئلة والمشكلات التي يعتمد كل منها على سابقه ، هذا بالاضافة الى ان الخطوات المترابطة للموضوع تبلغ من الصغر الى حيث يقل احتمال الاجابة عنها اجابة خاطئة،فالطالب الذي يتمكن من الاجابة عن سؤال ليس من المتوقع ان يفشل في الاجابة عن السؤال الذي يليه ، وهكذا فان كل خطوة صغيرة يخطوها الطالب تسير به قدما في طريق السيطرة على السلوك الجديد المراد اكتسابه .

بين الآلة التعليمية والمدرس الخاص

يرى سكنر ان هناك شبها كبيرا بين اثر الآلة التعليمية والاثر الذي يتركه المدرس الخاص الجيد ، فلنسمعه يقول :

« لا استطيع القول بان الآلة وحدها تستطيع ان تعلم ، فهي بكل بساطة لاتزيد عن كونها رابطة وصل بين الطالب وواضع البرنامج الذي تقدمه ، ان الآلة التعليمية توفر الكثير من الجهد، لانها تستطيع ان تصل بين مبرمج واحد وعدد لا يحصى من الطلبة ، وقد يتبادر الى الذهن ان هذا لا يعدو ان يكون نوعا من الانتاج بالجملة . ولكن ما يدعو للدهشة حقا هو ان اثر الآلة التعليمية هو اشبه ما يكون باثر المدرس الخاص الجيد (٣) .

ويمضي سكنر فيقارن بين الآلة التعليمية والمدرس الخاص في النواحي التالية :

١ - الاتصال المتبادل بين الآلة التعليمية والطالب مستمر ، وعلى العكس من المحاضرات والكتب المقررة والافلام ، فان الآلة تفرض على

(٢) The Science of Learning and the Art of Teaching ظهر هذا المقال في العدد الثاني من المجلد الرابع والعشرين من مجلة التربية التي تصدر عن جامعة هارفارد .

(٣) انظر كتاب « الات التعليم والتعليم المبرمج » من تأليف Lumsdaine and Glasser

الطالب القيام بنشاط دائم ، فهو متيقظ ومشغول دوما •

٢ ـ ان الالة التعليمية ، ومثلها فى ذلك المدرس الخاص الجيد ، تصر على اتقان النقطة المعالجة قبل الانتقال الى النقطة التى تليها ، اما المحاضرات والكتب وغيرها من الوسائل فهى لا تولى هذا الامر كبير اهتمام ، وتنتقل من نقطة الى اخرى ، ومن موضوع الى اخر ، مخلفة الكثير من الطلبة وراءها •

٣ ـ الالة التعليمية كالمدرس الجيد تقدم تلك الخطوة فقط ، التى يكون الطالب مهيأ لها •

٤ ـ الالة التعليمية والمدرس الخاص يساعدان الطالب،ويقودانه للوصول الى الاجابة الصحيحة•

٥ ـ الالة التعليمية والمدرس الخاص الجيد يعملان على تعزيز الاجابة الصحيحة ، وبالتالى تشويق الطالب واثارة حماسه لمتابعة الدراسة •

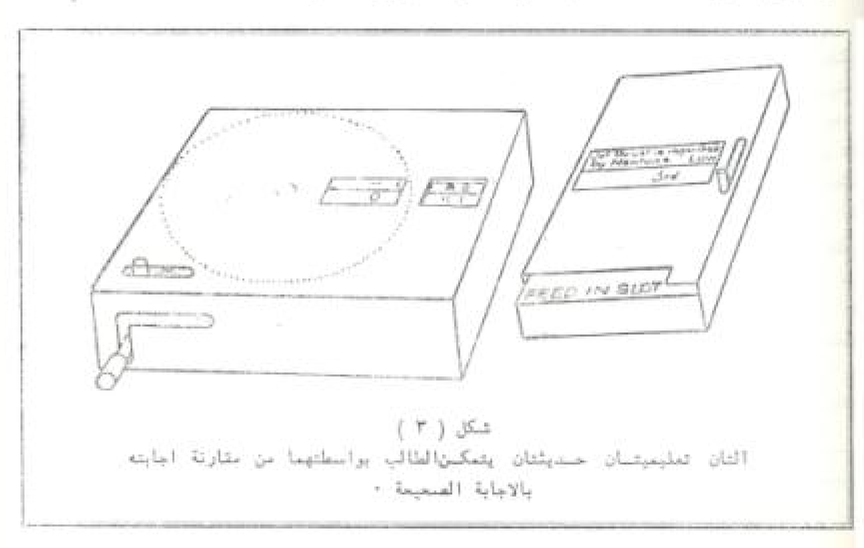
ومن هذا يتبين لنا ان المقارنة بين المدرس الخاص والالة التعليمية لا تبعد عن الواقع كثيرا •

البرمجة
عمل شاق ، يمر بمراحل عدة

نجاح الات التعليم ، كما يرى سكنر ، يعتمد على البرمجة الجيدة للمادة العلمية التى تقدمها هذه الالات ، وعملية البرمجة قد تبدو سهلة للوهلة الاولى ، الا انها فى الواقع غاية فى الصعوبة والتعقيد ، وتقتضى دراسة مستفيضة وتحليلا دقيقا للمادة المعالجة ، للتعرف على انماط السلوك المرغوب ، وبعدها تتم اثارة هذه الانماط وتثبيتها عن طريق التعزيز ، الى ان يمكن اخضاعها لسيطرة منبهات محددة •

وضع البرنامج اذن يحتاج لعملية انتقاء دقيقة ، يتعاون فيها خبراء فى المادة التعليمية ، وخبراء فى البرمجة ، واهم من هؤلاء جميعا التعاون مع الطلبة الذين يوضع البرنامج من اجلهم ، فقبل تبنى البرنامج يقوم واضعوه بتجربته على الطلبة انفسهم،ويكون لاستجاباتهم الاثر الكبير فى تعديل وتطوير البرنامج،وفى توزيع مادته ، والتقديم والتاخير فى عرضها وترتيبها ، وفقا لحاجات الدارسين ، وبعد ان يمر البرنامج بكل هذه المراحل يصبح وسيلة فعالة للتعليم ، يجرى عن طريقها تكييف سلوك المتعلم وتعديله•

وترتيب المادة لا يخضع للتسلسل المنطقى ولكنه يخضع للتسلسل الذى يثبت من الناحية النفسية انه يؤدى الى التعليم بشكل افضل • فوحدة البرنامج واتجاهه اذن وحدة نفسية وعلمية،اكثر منها منطقية ، ومن هنا فان فشل الطالب فى الاستفادة من البرنامج يعتبر فشلا للبرنامج وليس للطالب •



شكل (٣)
آلتان تعليميتان حديثتان يتمكن الطالب بواسطتهما من مقارنة اجابته بالاجابة الصحيحة •

الأساليب الرئيسية للبرمجة

هناك اساليب عديدة للبرمجة ، ولكنها في مجملها ليست سوى تفرعات للاسلوبين الرئيسيين التاليين ولا تختلف عنهما كثيرا من حيث الجوهر.

١ – البرمجة الطولية Linear .

تطورت الفلسفة التي يستند اليها هذا النوع من البرمجة ، نتيجة للدراسات السلوكية في المختبرات ، وقد اجريت على الحيوانات ، ويعتبر سكنر رائد هذا الاتجاه في عصرنا الحديث . وفي البرمجة الطولية يقوم الطالب بسلسلة من الاعمال التي تدنيه تدريجيا من الهدف ، ويجرى تعزيز الافعال الصحيحة حال ظهورها ، اما الافعال الخاطئة فتمضي دون تعزيز ، وهذا يضعفها ، ويؤدى بالتالي الى القضاء عليها والتخلص منها ، ويقوم الطالب عند الاجابة على سؤال ، او حل مشكلة ، بالمقارنة بين اجابته وبين الاجابة الصحيحة ، ثم ينتقل بعدها الى الاطار (٤) الذى يليه ، ويجرى عرض الموضوع خطوة خطوة ، ويأخذ بالتكامل تدريجيا منتقلا من البسيط الى المعقد ، ومن السهل الى الصعب ، بشكل يتيح لكل طالب ان يتقدم في دراسته بالقدر الذى تسمح له به قدراته واستعداداته .



شكل (٤)
نموذج لآلة تعليمية تتيح للطالب مجالا كبيرا للاختيار .

٢ – البرمجة التشعبية Branching او البرمجة الجوهرية ، Intrinsic ' هذا الاسلوب تطور على يدى نورمان كراودر Norman Crowder ، والبرمجة التشعبية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتجارب والابحاث التي اجراها السلاح الجوى الامريكي لتطوير الآلات التعليمية .

وقد ظهرت البرمجة التشعبية بشكلها النهائي عام ١٩٥٧ عندما ادخل كراودر في برامجه عنصر التفسير والتعليل ، واصبح في مقدور الطالب ان يتتبع خطاه ، ويعرف اسبابه وطرق علاجه . فالآلة المبرمجة على وفق هذا الاسلوب تقدم للطالب سؤالا او مشكلة ما ، وتعرض عليه عددا من الاجابات او الحلول ، وطبقا للاجابة التي يختارها تقوم الآلة بتوجيهه الى اطار آخر يبين له صحة جوابه او خطاه ، وفي حالة الخطا تشرح الآلة له سبب خطئه ، ثم توجهه بعدها اما للعودة للاطار الاصلي الذى بدا منه ، او الى برنامج فرعي موضوع خصيصا لتصويب الخطا الذى وقع فيه .

والواقع انه لا يمكن انكار مزايا هذا النوع من البرمجة ، وعلى الاخص في معالجة الفروق الفردية ، الا ان تكاليفه الباهظة تحد من استعماله على مقياس واسع .

الكتب المبرمجة

ان الاسلوب المتبع في برمجة الكتب لا يختلف كثيرا من حيث المبدا عن البرمجة التشعبية ، فالكتاب يقدم للطالب اسئلة تقابلها اجابات متعددة لاختيار الصحيح منها،وكل واحد من هذه الاجابات يرشد الطالب الى صفحة معينة ليستدل على صحة اجابته او خطئها،وعلى الصفحة التي تظهر عليها الاجابة غير الصحيحة فان الطالب يجد شرحا مفصلا للخطا الذى وقع فيه ، مع بعض عبارات التقريع احيانا ، بالاضافة الى اشارة تهديه الى الاجابات الصحيحة.اما الصفحة التي تحوى الاجابة الصحيحة فان الطالب يجد عليها بعض عبارات التشجيع ، مع ارشادات

---

(٤) تقسم مادة البرنامج التعليمي الى اجزاء صغيرة متدرجة الصعوبة ، تعرف بالاطر Frames ويتكون البرنامج من مجموع هذه الاطر التي تشكل سلسلة مترابطة لموضوع دراسي متكامل .

توجهه الى السؤال الذى يليه،وهكذا • وصفحات هذا النوع من الكتب المبرمجة لا تخضع لترتيب متسلسل (٥) •

آفاق اضافية لآلات التعليم

لا يقتصر استخدام الات التعليم على المدارس ومعاهد التعليم ، فاستخدامها خارج نطاق هذه المعاهد اضعاف ما هو عليه في داخلها ، ويكثر استخدامها بشكل خاص في مجالات التدريب الصناعى والعسكرى ، حيث يصعب تصنيف المتدربين في مجموعات متجانسة ، نظرا للاختلاف الكبير بينهم فى المستوى العقلى والتحصيلى ، والحل الوحيد لذلك هو التدريب الفردى ، والآلة التعليمية تلبى مطالب التدريب الفردى بشكل جيد •

ويمكن استخدام آلات التعليم كذلك لاغراض الدراسة الخاصة ، عندما يضطر الطالب لمتابعة تحصيله منفردا فى منزله ، بسبب وجود عوائق تمنع التحاقه بمعاهد الدراسة النظامية •

كما ان الات التعليم يمكن ان تحل مشكلة النقص فى المدرسين الكفاة - وهذا النقص اخذ فى الازدياد يوما بعد يوم - وذلك عن طريق برمجة الموضوعات الدراسية التى لا يتوفر لها مثل هؤلاء المدرسين •

ومن التطبيقات الهامة لآلات التعليم استخدامها لتعليم المعوقين من التلاميذ ، والذين تمنعهم عاهاتهم من السير مع امثالهم من الطلبة الاسوياء فى برامج الدراسة العادية ، كما يمكن ايضا اجراء التعديلات اللازمة على هذه الآلات بحيث تتلاءم مع الظروف المختلفة للمتعلمين •

بين الجديد والقديم

ينظر الكثيرون من رجال التربية الى التعليم المبرمج على انه اضافة جيدة لطرق التعليم التقليدية ،الا ان انصار التعليم المبرمج يرفضون ان تكون الآلات التعليمية مجرد حلية تزدان بها النظم التربوية القديمة ، وهم يرون ان تبنى التعليم المبرمج فى النظم التربوية التقليدية ينطوى على شيء من التناقض ،لان التعليم المبرمج يستند الى فلسفة وتكنية تهدف الى توجيه السلوك وتعديله،والتطبيق السليم لهذه الفلسفة يستدعى اعادة نظر شاملة فى فلسفة التعليم ونظمه ومناهجه وادارته الحالية •

لم يكن هناك حتى عام ١٩٥٤ سوى برنامج واحد للآلات التعليمية ،ومنذ ذلك الحين والبرامج تتتالى وتتدفق بفزارة فائقة ، اذ توجد الات برامج فى جميع الموضوعات الاكاديمية :كالقواعد، واللغات ، والموسيقى ، والرياضة ، والعلوم •

ومن هذه البرامج مايتناسب مع مختلف المراحل التعليمية : ابتداء برياض الاطفال ، وانتهاء بالجامعة ، والتطبيقات الحالية للتعليم المبرمج فى ميادين الصناعة والتدريب العسكرى أكثر من ان تحصى • والتعليم المبرمج يلقى اهتماما متزايدا فى بلدان كثيرة ، اذكر منها على سبيل المثال - لاالحصر - الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتى ، واليابان ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وتشيكوسلوفاكيا والفلبين ، وغيرها كثير •

التربية والانفجار السكانى والثقافى

ان الحاجة لتوسيع نطاق الخدمات التعليمية تتضاعف يوما بعد يوم ، فالانفجار السكانى والانفجار الثقافى يسيران بخطى يعسر على التربية باساليبها التقليدية أن تسايرها ، وفى كل عام تتام مئات المدارس ، وينضم الاف الشباب الى صفوف المعلمين ، وبالرغم من ذلك فان هذه الاساليب التقليدية فى مجابهة الازمة المتفاقمة لم تعد تفى بالحاجة ، مما يفرض على المعنيين بامور التربية البحث عن طرق واساليب جديدة للرفع من كفاية العملية التربوية ذاتها • وقد ساهم التقدم التكنى الحديث فى حل الكثير من المشكلات فى مختلف ميادين الحياة ، وليس هنالك مايمنع من الاستفادة من امكانات العلم والتكنية الحديثة فى ميدان التربية • ▪▪

محمد حسن التيتى

---

(٥) انظر كتاب Automatic Tutoring من تأليف نورمان كراودر

أنباء الطب والعلم والاختراع

فيتامين ج وفيتامين هـ

هـل يقيان الانسـان من سرطان الجلد ؟

● هناك شكوك كثيرة حول ما اذا كان استعمال فيتامين ج C بجرعات كبيرة قد يقي الانسان من نزلات البرد ، او ان استعمال فيتامين هـ E قد يؤدي الى زيادة النشاط الجنسي والخصوبة .

وفي نفس الوقت فان هناك الآن ادلة ملموسة على ان هذين الفيتامينين بالذات يلعبان دورا كبيرا على الأقل داخل الانسجة وعلى حيوانات التجارب والدراسات الاكلينيكية .

وقد دلت التجارب المعملية على ان الفئران التي تعطى جرعة من فيتامين هـ يوميا يطول عمرها بنسبة ٢٥ الى ٣٠٪ عن المعدل الطبيعي لأعمارها . وثبت ايضا ان فيتامين هـ قد ساعد في تقليل الاصابة بامراض اللثة في عدد من المرضى اجريت عليهم دراسات علمية .

وقد اثبتت الدراسات ان فيتامين هـ وفيتامين جـ يقللان من الأضرار التي قد تلحق بالكروموسومات في الأنسجة .

وقد اعلن اثنان من اطباء أمراض الجلد بولاية تكساس الأمريكية مؤخرا ، ان هناك شواهد تدل على ان فيتامين ج و هـ قد يكون لهما دور فعال في منع الاصابة بسرطان الجلد الناتج عن التعرض لأشعة الشمس .

ومن المعروف ان ضوء الشمس او الاشعة فوق البنفسجية قد تسبب بعض انواع سرطان الجلد ، ولكن الشيء الذي لم يكن معروفا بطريقة واضحة هو كيفية حدوث سرطان الجلد بواسطة اشعة الشمس .

وقد قام كل من وان بانج لو Wan - Bang Lo وهومر بلاك Homer Black الاستاذان في كلية طب بايلور Baylor بولاية تكساس بدراسة على كيفية تأثير اشعة الشمس على الجلد . وقد اكتشفا ان مادة الكولسترول الموجودة في جلد الانسان والحيوان تتأكسد وينتج عن هذا التأكسد عدة مواد كيماوية من بينها مادة تسمى Cholestrol alpha oxide وهي مادة معروف عنها انها تسبب الاصابة بالسرطان . واستنتج «لو» و«بلاك» ان عملية تأكسد الكولسترول في الجلد ينتج عنها مواد كيماوية معروف عنها انها تسبب السرطان ، وان هذه المواد الكيماوية الناتجة عن تأكسد الكولسترول هي التي تنشط الخلايا السرطانية في النمو . ولما كان من المعروف ان المواد المقاومة للتأكسد مثل فيتامين ج وفيتامين هـ ، تقلل من اكسدة المواد الدهنية ، فقد قرر « لو » و « بلاك » ان يختبرا مدى تأثير هذين الفيتامينين على عملية اكسدة الكولسترول في الجلد عند تعرضه للأشعة



كرسي آلي يسير بواسطة حركة العيون

● مشوهو الحرب واعادة تاهيلهم،من اهم الاشياء التى تشغل بال العلماء • ان الحروب تترك وراءها الالاف من الجرحى والمقعدين • وتعمل الدول على اعادة تاهيل هؤلاء الجرحى •والصورة تمثل كرسيا آليا يستطيع مشوه الحرب الذى فقد يديه وساقيه ان يحركه بمجرد حركة عينيه ، وهو مزود باجهزة الكترونية تحرك دواليبه بمجرد حركة العين • وقد تم اختراع هذا النظام الالكتروني ضمن دراسات رحلات الفضاء •

فوق البنفسجية وقام العالمان باعطاء مجموعة من الفئران غذاء عاديا ، بينما اعطيا مجموعة اخرى غذاء مخلوطا بفيتاميني ج و هـ مضافا اليهما نوعان آخران من المواد المقاومة للتأكسد ، وذلك لمدد طول كل منها اسبوعان •

وقد قام العالمان بأخذ عينات من جلود الفئران كل اسبوعين • واثبت تحليل هذه العينات ان جلود الفئران التى اضيف الى غذائها المواد المقاومة للتاكسد ، احتوت على نسبة ٥٤٪ من المواد المقاومة للتاكسد اكثر من تلك الفئران التى لم تعط الفيتامينات فى غذائها ، وذلك بعد اسبوعين من بدء التجارب • وانخفضت هذه النسبة الى ١٨٪ بعد مرور ٨ اسابيع على بدء التجارب • واثبتت التجارب ايضا ان جلود الفئران التى اشتمل غذاؤها على الفيتامينات ، لم تحتو على اى اثر من مادة ألفا أكسيد الكولسترول، بعد اسبوعين من بدء التجربة ، وانه لم يظهر على جلودها اية آثار جانبية نتيجة زيادة كمية المواد المقاومة للتأكسد •

ولكن بقيت هناك عدة اسئلة امام الاطباء للاجابة عليها قبل ان يقروا استعمال فيتاميني ج و هـ ، والمواد الاخرى المقاومة للتأكسد كعلاج وقائى ضد سرطان الجلد في الانسان • والسؤال الاول هو هل مادة ألفا اكسيد الكولسترول هى المسبب الرئيسى لسرطان الجلد فى الانسان ؟ اما السؤال الثانى فهو ما هى الكمية اللازمة من المواد المقاومة للتأكسد والتى قد تقى الانسان من سرطان الجلد ؟

والى ان تتم الاجابة على هذين السؤالين ، ستبقى الشكوك قائمة بين الاطباء حول مدى تأثير فيتاميني ج و هـ على سرطان الجلد •

هل يرحب العمال بالعمل ٤ ايام في الأسبوع فقط ؟

● هناك الآن اتجاه فى بعض الدول المتقدمة مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية الى جعل ايام العمل ٤ أيام فى الأسبوع فقط .

وقد ادى هذا الاتجاه الى قيام مناقشات عديدة من علماء النفس والسلوك حول تأثير زيادة اوقات الفراغ على سلوك الافراد وتكوينهم النفسى . ولكن الفرصة العملية لدراسة ميدانية على هذه المشكلة لم تتح لعلماء النفس سوى مؤخرا عندما قامت احدى شركات انتاج الأدوية فى مدينة سانت لويس الأمريكية بجعل فترة العمل فيها تسع ساعات ونصف ساعة يوميا لمدة اربعة ايام فى الاسبوع فقط، وقد قامت الشركة بتطبيق هذا النظام منذ اكثر من عام حتى الآن . وقام عالمان امريكيان هما روبرت كوستيجان R. Costigan من جامعة الاسكا ، ووالتر نورد Walter nord من جامعة واشنطن بدراسة نفسانية حول تصرف العمال ازاء هذا النظام الجديد . واستغرقت دراستهما فترة عام كامل .

وقد قام اكثر من ١٠٠ عامل بالاجابة على اسئلة معينة بعد مرور ٦ اسابيع ، و ١٣ اسبوعا ، وسنة من تطبيق النظام . ومن اجابات هؤلاء العمال اتضح ان الأغلبية تؤيد نظام العمل اربعة ايام فى الاسبوع ، وان ١٩٪ فقط ابدوا رأيهم ان العمل خمسة ايام افضل من النظام الجديد . وقد كان تأييد نظام الأربعة ايام ، اكبر بين العمال الذين يؤدون اعمالا تتطلب سرعة معينة مثل هؤلاء الذين يعملون فى خطوط انتاج كالتعبئة والتغليف . اما بين هؤلاء الذين يعملون فى وظائف كتابية او فى اعمال النظافة والصيانة فقد كانوا اقل حماسا للنظام الجديد ، ومن البحث اتضح ايضا ان العمال الذين يقومون بوضع خطط لقضاء عطلات نهاية الاسبوع اكثر تأييدا للعطلة الطويلة من هؤلاء الذين لا يضعون خططا لتمضية عطلاتهم .

ومن بين الأشياء التى ذكر العمال انهم استفادوا منها تحت ظل النظام الجديد :

اتاحة وقت اكبر يقضونه بين عائلاتهم واصدقائهم :

● زيادة فى اوقات الراحة والاسترخاء .

● استطاعتهم تأدية اعمال كثيرة داخل منازلهم لم يكن هناك وقت كاف لاتمامها قبل ذلك .

● حصيلة اكبر فى الانتاج اثناء العمل .

● سلوك افضل وراحة نفسية اثناء العمل .

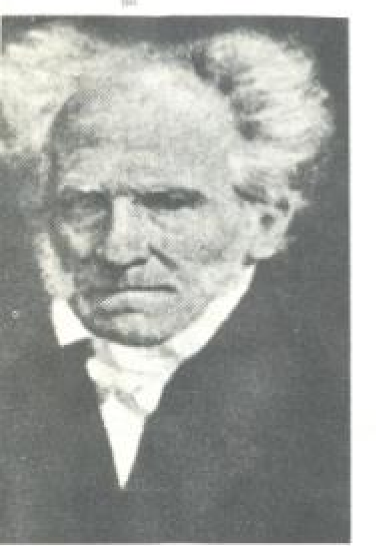
وقد دلت سجلات الشركة على ان نسبة التغيب بين العمال قد انخفضت ١٠٪ بعد مرور عام من تنفيذ نظام الاسبوع القصير .

ولكن العمال الذين لم يعجبهم النظام الجديد لهم رأى آخر . فهم يقولون ان العمل تسع ساعات ونصف ساعة يوميا يرهقهم وانهم عندما يعودون الى منازلهم لا يستطيعون قضاء اى وقت مع عائلاتهم او اصدقائهم بسبب هذا الارهاق . وان هذا الارهاق ايضا يقلل من قدرتهم الانتاجية . وقد ذكر بعضهم ان عدد ساعات نومهم قد قلت بسبب النظام الجديد ، فقد اصبح متوسط عدد الساعات التى يقضونها وهم نيام ٦٫٧٢ ساعة كل ليلة فى حين ان هذا المتوسط كان حوالى ٧٫٠٥ ساعة قبل تطبيق نظام الأيام الأربعة .

وقد استخلص الباحثان انه ربما بعد مرور وقت طويل على تطبيق نظام الأيام الأربعة فى العمل ، سيقوم عدد من مؤيدى هذا النظام بسحب تأييدهم وخاصة بعد ان يجدوا ان قضاء اوقات الفراغ الطويلة اصبح امرا صعبا ومملا .

شوبنهور

الفيلسوف الألماني الشهير



كره أمه، وكره الناس، وكرهه الناس .. حتى إذا بلغ الخمسين انهالت عليه التهاني من جميع الأرجاء

بقلم : عزت محمد ابراهيم

■ لا باس في أن تكون العلاقة بين ارثر شوبنهور Schopenhauer وبين امه مدخلا لمقال، يكتب عن هذا الفيلسوف المنحرف المزاج، المتقلب الاهواء، المفرط في تشاؤمه، وهي علاقة جديرة بان تلفت النظر، وتثير الانتباه، لغرابتها وخروجها عن المالوف، وأى شيء ادعى لاثارة الانتباه في مثل ذلك من أم تزدرى ابنها، وتنطوى حناياها على حقد نحوه، وغيرة شديدة مما قد يصيبه من خير، او يحققه من نجاح، على غير عادة الامهات وما فطرن عليه من طبيعة سوية، قوامها الحب والحدب على الابناء، وايثارهم على من عداهم .

فقد الود بينه وبين أمه

كانت امه اديبة وقصاصة في زمانها، يجتمع الادباء والمفكرون في صالونتها، ويكون بينها وبين هؤلاء مايكون في مثل هذه الاجواء من حب شريف أو غير ذلك، مما أثار حفيظة ابنها نحوها، وكأنما ارادت ان تضيف الى شعوره العدائي نحوها شعورا اخر من جانبها، يؤجج نار العداوة بينهما، ذلك هو شعور الغيرة مما يتوقع لابنها من رفعة الشان، ونباهة الذكر، فتسخر من الشاعر الالماني الكبير « جوته » حين تنبأ له بشان عظيم في مستقبل حياته، قائلة في تهكم وازدراء يشوبه ادعاء ومباهاة : « انها لم تسمع

بان اسرة واحدة انجبت عبقريين » . وتهزأ من احد مؤلفاته . وتصف وقع اسمه في اذنيها بانه كوقع انكر الاصوات في الاسماع .

ويكون رداء على كل ذلك بان كتبه ستظل تقرأ ، حين تصبح كتبها من سقط المتاع ، او الكم المهمل الذي لايجدي ولا ينفع ، ولا يلقى الا في اكوام القمامة ، وان الناس لن يذكروها الا بانها « ام شوبنهور » . وليست لانها الاديبة القصاصة « جوهنا » صاحبة الصالون الادبي ، وصديقة المفكرين والمشاهير . وكانه كان يستعيد معنى ابي الطيب المتنبي ، وهو يرثي امه ، اذ يقول لها :

فان لم تكوني بنت أكرم والد
لكان اباك الضخم كونك لي أما

مع الفارق بين ام المتنبي التي احبها واحبته، وام « شوبنهور » التي ابغضها وابغضته . .

ولا غرابة بعد ذلك ان يكون « شوبنهور » عظيم السخط على النساء ، سيء الرأي فيهن ، ولا غرابة كذلك ان يظل عازفا عن الزواج طيلة حياته ، وان يستهل وصيته بقوله ان الموقع عليها هو « دكتور الفلسفة آرثر شوبنهور ، الذي لم يتزوج قط ، وليس له من اصلابه اقارب على الاطلاق » . وكانه يريد ان يقول ماقاله فيلسوفنا المعري :

هـذا جناه أبـي عـلـيّ
ومـا جنيت عـلى أحـد

شوبنهور ورأيه في القصص والقصاصين

ولعل اشتغال امه بالادب وكتابتها للرواية كان دافعا لاهتمامه بهذا الفن ، ربما تتبعا لسقطاتها بادئ ذي بدء ، ثم نقدا له ، وابرازا لعيوبه ، واصلاحا لشانه ، وتوجيها له من عمل يمس السطح مسا رفيقا ، ويكتفي بالظاهر دون الباطن ، الى غوص في اعماق النفس البشرية ، وسبر لاغوارها ، ومعرفة لخباياها وخفاياها . ومن قوله في ذلك « ان الرواية ترقى وتسمو بقدر ماتمثل من الحياة الداخلية ، لا الحياة الخارجية » وكان لذلك اثره الملحوظ فيمن اتى من بعده من مفكرين ، وفنانين ، وروائيين ، كان منهم نيتشة ، وفاجنر ، وتوماس مان ، واندريه جيد ، وقد وصفه « توماس مان » بانه كان ذا بصر ودراية بالفن تفوق غيره من الفلاسفة والمفكرين .

كان يدافع عن آرائه بلسانه ويده

وايا كان نوع العاطفة التي كان ينبض بها قلب هذه الام نحو ابنها ، فقد كانت خير من وصفه ، ونقب عن دخائل نفسه ، فكابته ـ في رايها ـ لاحد لها ، ونظرته عابسة ،ووجهه متهجم، وآراؤه عجيبة ، لايجرؤ انسان على معارضتها ، انها الوحي المنزل ، او القاعدة التي ليس لها استثناء ، ان كانت هناك قاعدة لااستثناء لها .

ولقد صدقت ، فلم يكن « شوبنهور » يدافع عن آرائه امام معارضيه بلسانه وبيانه وقوة عارضته فحسب ،بل كان يتعدى ذلك الى استعمال اليدين ، مثلما حدث مع خادمته حين دفعها دفعة قوية اصابتها بالرضوض والكسور في جسمها ، على اثر مناقشة حامية بينه وبينها ، وقد ظل يلعنها ، ويصب عليها جام غضبه طيلة حياتها التي طالت ـ نكاية فيه ـ لانه جوزي على مااصابها من ضرر باعالتها طيلة تلك الحياة .

صعوبة أخلاقه

ولم يكن « شوبنهور » متواضعا ،موطأ الاكناف، كشأن العلماء والفلاسفة ، وانما كان شديد الغرور ، عظيم الاعتداد بالنفس ، يحاضر في الجامعة وهو لايزال مغمورا ، قليل الحظ من الشهرة ، وبعد الصيت فلا يختار من اوقات المحاضرات غير الوقت الذي يلقي فيه الفيلسوف الكبير « فردريك هيجل Hegel » محاضراته ، وهو يومذاك ملء سمع المانيا ، وصاحب الصوت المدوي في جامعاتها . ولا يكتفي بذلك ، بل يحط من قدر فلسفة « هيجل » ويستعير وصف « شكسبير » ليصفها بانها القول الذي يهذي به مجنون لايعي مايننطق او يقول . واذا كان « هيجل » قد حظي بالشهرة والمجد ورضا الناس من دونه ، فليس ذلك الا من نكد الزمان الذي كتب عليه ان يسمع باذنيه ضجيج الشهرة يدوي بالاخبثاء التافهين.

ومن الطبيعي ان ينفض الناس من حوله ، بدلا من ان يطوقوه باكاليل الحمد والثناء ، ولا يعوزه ان يجد العلة في عيب زمانه واهل زمانه الذين يابون الاعتراف بـ « آرثر شوبنهور العظيم » ، ويلتمس العزاء لنفسه مما كان يلقاه

« سقراط » من سخرية وتهكم اهل زمانه ، فيقول متهكما : « كم لقى سقراط من تبجيل اهل زمانه ؟! »

كتابه « العالم ارادة وفكرة »

وهو يكتب كتابه « العالم ارادة وفكرة » ، وهو باعترافه نفسه ـ قليل الشهرة ، ضئيل الحظ منها ـ وهو مع ذلك يضع الشروط لناشر كتابه، كأنه احد المشهورين الذين يتلهف الناشرون على نشر كتبهم ، ويسعون للظفر بها السعي الحثيث .

الجزء الاول من كتابه

وبعد ان أمضى اربعة اعوام في تاليف الجزء الاول من كتابه ، ـ اعتبره وفقا لرأيه ـ بأنه سيكون الوحيد من بين المراجع التي يعتمد عليها المؤلفون فيما بعد ، لكتابة المئات من مؤلفاتهم ، وهو لذلك يطلب من ناشره مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة « ثلاث مرات قبل الطبع » ، لم يطلب اجرا على كتابه قطعة ذهبية عن كل ورقة مطبوعة ، حتى اذا وافق الناشر وطبع الكتاب ، بيعت نسخه بيع الورق التالف الذي لايحمل فكر مفكر ، ولا فلسفة فيلسوف .

ولم يفت ذلك في عضد « شوبنهور » ، فان التماس العلة من غير نفسه موجود دائما ، متوفر الأسباب : « عندما يصطدم رأس وكتاب ، فرن أحدهما رنينا أجوف ، فلا ينبغي الظن بأن هذا الرنين ينبعث دائما من الكتاب » .

وما كان لـ « شوبنهور » بعد ذلك الا ان يكون متشائما ، عظيم السخط على الحياة،دائم الكراهية لزمانه ، متصل الشكوى والتبرم من اهل دهره ، فلم يكن على وفاق مع العالم الذي يعيش فيه ، كما لم يكن على وفاق مع امه اقرب الناس اليه، فيهجرها اربعة وعشرين عاما ، لاتراه ولا يراها ، بالاضافة الى عصر الدمار والخراب الذي عاش فيه ابان الحروب النابليونية ، فهان عليه العالم حتى سمى كلبه « اتما » أو روح العالم وهان هو على بني جلدته ومواطنيه في « فرانكفورت » فكان ظهوره في شوارعها مدعاة لاثارة السخرية منه ومن كلبه « شوبنهور الصغير » وهما « الفيلسوفان اللذان هما على اهبة الاستعداد دائما للنباح في وجه العالم » كما كانوا يقولون.

الجزء الثاني من كتابه

ولم يقدر له الفراغ من الجزء الثاني من كتابه الا بعد اربع وعشرين سنة، وقد بلغ الخامسة والخمسين من عمره « لان من يعش طويلا ينمو بطيئا » ، وعهد بطبعه الى نفس ناشر الجزء الاول منه ، ولكنه في هذه المرة لم يطلب منه قطعة ذهبية عن كل صفحة مطبوعة ، وانما مس هذا الأمر مسا رقيقا ، خلوا من شططه القديم : « اني أترك لك تماما تقدير حقوق نشر هذا الكتاب ، وما اذا كنتستدفع او لاتدفع مايقابلها، وفي هذه الحالة تكون قد حصلت على ثمرة جهود حياتي بلا مقابل » .

ولم يحظ « شوبنهور » من هذا المقابلبغير عشر نسخ من الكتاب ، ولم يشتط في طلب المراجعة ، والتصحيح ، وتحديد مقاسات الصفحات ، وانما اكتفى بان يذكره بان الأعمال العظيمة هي التي تلقى الاهمال اول امرها ، ولا تسمى الشهرة السريعة الا الى التافه منها » وهكذا سيأتي الوقت الذي تأخذ فيه أعمالي مكانها الملائم الصحيح » .

تشاؤمه وأوهامه

وكان مدار كتابه هو تمجيد الارادة التي هي كل شيء في حياة الإنسان ، وما العقل الا الخادم لها ، القائم على تلبية رغباتها ، ومع ذلك كان هو آخر المتقعين بالارادة كما صورها وجلاها ، او من غير المتقعين بها على الاطلاق ، فلم يكن ليستطيع كبح جماح نفسه الشديدة الوسواس ، السيئة الظن بكل مايحيط بها من اصدقاء واعداء على السواء ، ولم تنفعه ارادته في تغيير نظرته المتشائمة للحياة والاحياء ، فكانت حياته كلها ضربا من الخبل والجنون ، أو شيئا يشبه الخبل والجنون ، يحسب الناس جميعا متربصين به ، يريدون ان يسلبوه الحياة ـ التي لم ير فيها خيرا ابدا ـ فيحتفظ تحت وسادته بقدارة محشوة على اهبة الانطلاق ، وبجانبه سيف معلق ، دفاعا عن النفس ، اذا اطبق عليها المكروه ، او ضاق بها الشر الذي لايفتا يتراءى له في احلام يقظته واحلام منامه ، اما اذا حدثت ضجة في هدأة الليل،فقد وقعت الطامة الكبرى،التي يقوم بسببها وجلا مذعورا ، في احدى يديه غدارة ، وفي

الاخرى سيف ، يحارب بهما طواحين الهواء ، وينازل اشباح الليل الذين يعملون في الخفاء .

ويلح عليه هاجس الخوف من المرض فيحتفظ لنفسه بقدح جلدي يحمله أينما ذهب ، يشرب منه الماء خوف العدوى التي يمكن ان تنتقل اليه من افواه الناس . ويحفظ ادواته في حرز امين ، لئلا يلوثها اصدقاؤه باستعمالها ، ويخبىء امواله بعيدا عن العيون والانظار ، لان الناس في ظنه متربصون لسلبها ، وحرمانه منها ، ولا يدون حسابات املاكه باللغة الالمانية ، وانما يكتبها باللغتين اللاتينية والاغريقية القديمتين ، امعانا في الاخفاء والتضليل .

ويتسلط عليه وهم بانه من الجائز ان يشتبه في وفاته ، فيدفن وفيه رمق من الحياة ، فيوصي بان يدفن في قبر يظل مفتوحا فترة من الزمان تكفي للجزم بالوفاة ، وتترك له فرصة النهوض للبحث عن امواله ، اذا كان الامر غيبوبة او اشتباها في وفاة . وكل هذا الحرص الشديد على الحياة ومتاعها ، يناقض رايه فيها ، واتهامه لها بكل الشرور ، حتى لا يعتبر الزواج غير احبولة يراد بها استمرار النوع ، لتستمر الام الانسان، وليدوم عذابه . وكان شحيحا بالمال ، شح « بخيل ضاع في التراب خاتمه » ، ثم لايقنع بهذه النقيصة وحدها ، بل يضيف اليها بعض غرائب اطواره ، وشواذ طباعه ، فاذا جلس الى الاكل اخرج قطعة ذهبية ووضعها على المائدة ، ثم يعيدها الى جيبه بعد الفراغ من الاكل ، على مشهد من الناس ، وهو يحذر من الخادمة التي تتطلع الى قطعته الذهبية في طمع ورغبة ، فاذا سئل عن هذه العادة الغريبة ، اجاب سائليه : بانه قد نذر قطعة الذهب للفقراء معلقة بشرط، هو ان يرى الناس من حوله يخوضون في حديث جاد يتجاوز الناس والخيل والكلاب .

ولا يتجاوز الناس هذا اللون من الحديث ، ولا تتجاوز القطعة الذهبية مكانها المعهود بين صحائف الطعام ، وحرز جيبه المأمون . وبما كان لبَخله ذلك الاثر الذي تركه على رايه في الصداقة ، بعد ان فقد كل صديق :

« الصديق عندما يحتاج لايكون بالصديق الحق، ولكن يكون مجرد مقترض »

« لاتطلع صديقك على ماتخفيه عن عدوك » فسيان عنده الصديق والعدو ، لانه سيان عنده متع الحياة واوصابها .ومن غرائب اطواره مايذكر في مجال الفكر والفلسفة ، كما يذكر في مجال السمر والتسلية : كان نهما ذا اقبال عظيم على الطعام ، ووراه رجل ياكل فوقف مشدوها مستغربا لما يلقى في جوفه من صنوف الطعام ، ولم يشأ « شوبنهور » ان يترك الرجل المشدوه بغير تفسير وتعليل او اجابة شافية وافية ، فانبأه بانه ياكل ثلاثة امثال ماياكله هو ، لان له عقلا يوازي عقل ثلاثة امثاله .

رايه في تخليد العظماء

واراد ان يسهم في تخليد ذكرى الشاعر « جوته » ، فخرج على الناس بنظرية جديدة قوامها ان الأدباء والشعراء والفلاسفة ، ومن يخدمون الناس بعقولهم ــ ينبغي ان تقام لهم تماثيل نصفية ، اما غيرهم من الساسة والقادة ورجال الطعن والنزال ، او الحكم والتدبير ، فيكون تخليد ذكرهم باقامة التماثيل الكاملة . ومن الطريف هنا انه اقام لاحدكلابه تمثالا نصفيا تخليدا لذكراه ، كان يضعه جنبا الى جنب مع تمثال نصفي للفيلسوف « عمانويل كانت » .

وقد واتت « شوبنهور » « الشهرة » التي كان يتطلع اليها دائما ، ويتمنى الظفر بها ، ولكن بعد ان كانت شمس حياته قد اذنت بالأفول ، واقتربت من الانحدار الى مغيبها ، ولم يبق بينه وبين خطوته الاخيرة سوى اعوام قلائل ، فانهالت عليه في عيد ميلاده السبعين التهاني من انحاء بلاده ، واهداه الموسيقار « فاجنر » احدى اوبراته اعجابا وتقديرا .واعتبر الشاعر « فردريك هيبل » زيارته تحقيقا لامنية طالما تمناها لزيارة « اكبر الفلاسفة الاحياء في عصره » .

ولم تسلم شهرته التي جاءت بعد أوانها ، وبعد ان اصبح هامة يومه او غده ــ من سخريته المتشائمة حين يقول : « لقد عشت وحيدا الزمن الطويل ، وهان أمري على الناس ، والآن جاءوا يشيعونني الى قبري بالدوي والضجيج » .

■■

عزت محمد ابراهيم



الثعلب الأحمر

كلمة متصلة بالصورة التى بالصفحة ٢
من هذا العدد (صفحة الغلاف الداخلى)

■ هذه صورته : رشيق ، جميل ، متسق الأعضاء ، مرفوع الاذنين ، حاد البصر ، تلمع بؤبؤتاه بسبب خلايا فى قاع العين تعكس الضوء الداخل اليها ٠

وسُمى بالأحمر للون الشعر الذى على بشرته ، فهو احمر بنى او اصفر مخلوط ببياض ٠

اما مساكنه فتمتد عبر اوروبا وآسيا، فى الغابات ، فهو فى النرويج والسويد ، وهو فى الهملايا ، وهو فى شمال امريكا، وفى شمال افريقية شمال الصحراء الكبرى ٠

ومنه خمسين نوعا ٠

وفى اواخر الشتاء واوائل الربيع ، اى نحو شهر فبراير ، يخرج عن سكونه ، فهذا فصل تتلاقى فيه الذكور واناثها ٠ والذكر من الثعلب الأحمر لايشترك فى معارك ضارية كالتى يشتبك فيها كثير من حيوان البر لنيل الأنثى والغلبة على منافسيه فيها ، ولكن مع ذلك ، هو يثير كثيرا من الهرج والمرج فى سبيل ذلك ٠

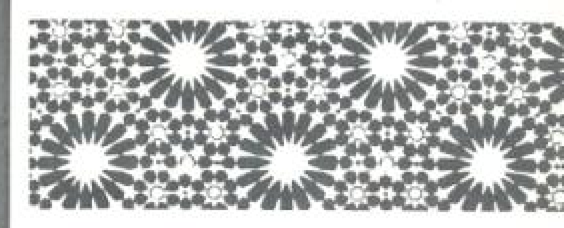
وبعد شهرين من هذا اللقاء تلد الأنثى ، نحو اربعة الى ستة من اولادها ٠ ولا يمضى على هؤلاء غير اربعة اسابيع او نحوها حتى تراها تلعب وتتواثب امام جحور أمهاتها ٠

ويقوم الأب والأم على رعاية ذريتهما بعناية ، ويزودانها بالطعام ، وما اكثر نهمها عند ذلك ٠

وقد تفتقد الأم الأب ، فتقوم هى على رعاية اولادها بنفسها ، فاذا ضاق بها العيش ، بالصيد ، لجأت الى السرقة ، من البيوت المجاورة ، كأن تصيد دجاجة او نحو ذلك ٠ وهو صيد ، بحكم قانون الغاب ، حلال ٠

اما جحور هذه الثعالب فعجيبة حقا ٠ انها تبنى بيوتها حفرا فى الأرض ، ويتم البيت ، وفيه اكثر من حجرة ، ومن دهليز ، ومن طرقات للمواصلة ، وكثيرا مايحتوى مخرجا يهرب منه الثعلب عندما تنزل به المخاطر ٠ ■■

كتاب الشهر



دستور الأخلاق فى القرآن

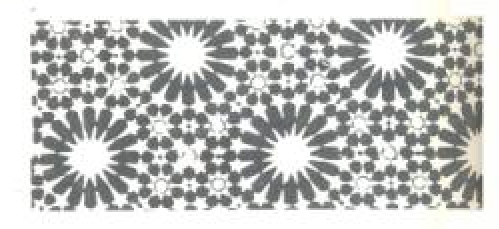
■ « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ، بهذه الكلمة الجامعة السهلة اجمل النبى مهمته الالهية الانسانية ، وهذه الكلمة النبوية تكاد تكون ايضا محور هذا الكتاب « دستور الاخلاق فى القرآن » وخلاصته العاجلة ·

وهى دعوة عالمية لاتتقيد بزمان ولا مكان ولا طائفة ، بل تنظر الى الانسان بما هو به انسان ايا كان شانه ، ولهذا تشمل شتى البشر ·

وترجمة هذا الكتاب الى العربية التى نعرضها هنا تبلغ نحو ٧٦٠ صفحة من القطع الكبير ، مكتوبة باسلوب علمى واضح دقيق لا استطراد فيه ولا حذلقة ولا فضول ·

ومؤلف هذا الكتاب مصرى ازهرى ، تعلم الفرنسية خلال دراسته الازهرية ، وبعد تخرجه فى جامعة الازهر سافر الى فرنسا لتحصيل الدكتورية ولكنه لم يتعجل غرضه مباشرة ، اذ كان همه ان يزداد ثقافة مع اتقان الفرنسية ، وبقى اكثر من سنة يعد نفسه كما يعد الجامعى الفرنسى فكره اعدادا متانيا مكينا ، مع ان الاحوال يومئذ فى فرنسا كانت مضطربة لاشتباك فرنسا وتدهورها فى الحرب العالمية الثانية ،وقد التحق بالسوربون لتحصيل درجة الليسانس بدءا ، وتمكن من دراسة ، الفلسفة والمنطق والاخلاق وعلم النفس والاجتماع ،على ايدى اساتذة السوربون والكوليج دى فرانس فحصل على الليسانس بعد خمس سنين ، ثم شرع نحو سنة ١٩٤١ فى اعداد رسالته للدكتورية (بالفرنسية ضرورة) حتى اتمها فى نحو ست سنوات ، وقد كتب مقدمتها فى يونيو سنة ١٩٤٧ ، ثم نوقشت فى ١٩٤٧/١٢/١٥ ، امام لجنة ضمت خمسة من اساتذة السوربون والكوليج دى فرانس ، وكانت هى رسالته

"ليست أخلاق الإسلام إلاّ أخلاق القرآن، ولم يكن خلق النبى إلاّ القرآن"



تاليف :
الدكتور محمد عبدالله دراز

عرض بقلم :
محمد خليفة التونسى

الرئيسية للحصول على دكتورية الدولة فى الفلسفة من جامعة السوربون بعد جهاد احدى عشرة سنة ، ولم يترجم رسالته الى العربية ، مع انه عاد بعد ذلك الى مصر ، وبقى نحو عشر سنوات يدرس علم الاخلاق وغيره فى كليات الازهر ، ويؤلف البحوث فى موضوعات اسلامية بل قرآنية ، حتى توفى رحمه الله فى ١٩٥٨/١/١٦ ، وكانت مشيخة الازهر قد طبعت على حسابها النسخة الفرنسية سنة ١٩٥٠ وبقيت الرسالة كذلك عند القارىء العربى حتى قيض الله لها الدكتور عبد الصبور شاهين ، فاتم ترجمتها وتحقيقها والتعليق عليها فى ثلاث سنوات ، ثم اخرجها قبل سنة ، فكان من ترجمته وتحقيقها وتعليقاته هذا الكتاب الذى يعد من كتب المواسم ، ولقد سد فى الدراسات الاسلامية ، بل الثقافة الانسانية لثغرة لم يسدها فيما نعلم كتاب قبله .

وقد كان المؤلف فوق ذلك على اطلاع واسع عميق اصيل فى تراثنا الاسلامى كما كان مربيا موهوبا ، وكتبه ومنها هذا الكتاب ، تدل على اصالته وتبحره ، وكان تلاميذه فى الجامعة الازهرية اشبه بالمريدين له .

لم ير المؤلف بدأ ان يكون كتابه على النحو الذى انتهى اليه ، بل اراده ان يكون مقصورا على موضوعه الاصلى «الاخلاق فى القران» كما هو عنوانه المختصر بالفرنسية La Morale De Koran غير ان احد اساتذته الفرنسيين ـ الاستاذ لويس ماسينيون المعروف عندنا بدراساته الاسلامية لاسيما الصوفية ـ اقترح عليه ان تتناول دراسته لموضوعه بعض نظريات المدارس الاسلامية ، كما اقترح عليه استاذ فرنسى اخر ـ الاستاذ رينيه لوسن René Le Senne ـ ان يقارن النظرية الاخلاقية المستمدة من القران ببعض النظريات الغربية ، فاستجاب لاستاذيه بما طلباه على اوسع نطاق ، وكان ذلك سببا لخير اعظم ، فلم يترك نظرية اخلاقية مهمة عند مفكرى الاسلام وفقهائه ومتكلميه وفلاسفته ومتصوفيه ، ولا عند فلاسفة الغرب منذ اليونان حتى اليوم ، ولا اسفار العهدين القديم والجديد لليهودية والمسيحية ـ الا الم بها ، مقارنا ذلك كله بنظرية الاخلاق فى القران ، فاتجاهه القرانى المحض لم يمنعه من جولته الواسعة بين النظريات الاخلاقية فى غيره ، ولكن هذا الاتجاه هو الاصل عنده ، وغيره الفرع ، وكان اتجاهه هذا عونا له على جولاته خارجه ، كما كانت جولاته هذه من اكبر اسباب اقتناعه بان نظرية الاخلاق فى القران تفوق كل نظرية اخلاقية فى غيره ، ومن كل هذه البحوث مجتمعة جاء كتابه كما يدل عليه عنوانه المطول فى ترجمته العربية « دستور الاخلاق فى القرآن » : دراسة مقارنة للاخلاق النظرية فى القرآن ، ملحق بها تصنيف للآيات المختارة التى تكون الدستور الكامل للاخلاق العملية..وهو عنوان واف فى الدلالة على جملة

محتويات الكتاب : موضوعه الاصلي ومقارناته وملحقاته ٠

للترجمة العربية مقدمتان اضافيتان

وتمتاز الترجمة العربية بمقدمتين اضافيتين ، ترى علينا الالماع اليهما بدءا : اولاهما لمراجع الترجمة الدكتور السيد محمد بدوى استاذ الاجتماع بجامعة الاسكندرية وثانيتهما لمترجم الكتاب ومحققه والمعلق عليه،الدكتور عبدالصبور شاهين ، الاستاذ للدراسات اللغوية بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة ، اما مقدمة المراجع فيذكر فيها انه عايش الكتاب عند تاليفه ، ثم عند ترجمته،اذ عايش المؤلف في فرنسا في سنوات الحرب الشداد التي كان يعد فيها كتابه فاعجب بنزعته الى تفقد الطلبة العرب في باريس ، وجمعه اياهم في بيته عند المناسبات الدينية والقومية،فكانوا يستمتعون بكرم ضيافته واحاديثه ومناقشاته في شئون الدين والعلم والسياسة ، وكان لايضيق صدرا بالاراء المتطرفة ، بل يقيدنا في سماحة بروح العالم المستنير حتى يقتنع المتطرف بالبرهان العلمي المنطقي ٠

اما مقدمة المترجم فيذكر فيها انه تتلمذ على المؤلف بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في شتاء سنة ١٩٥٤ وهو طالب بالليسانس ، وكان معجبا بمنهاجه في تفسير القران ، وسمته الوقور، وتواضعه الجم وسماحته السخية ، ثم اشار الى اضطراب احوال امم العالم عقب الحرب العالمية الثانية وسوء احوال العرب والمسلمين وانتهى الى ان الحل الامثل لعلاج احوالنا هو « الوحدة القائمة على اساس المنهاج الاخلاقي والفكر الديني » ٠

اقسام الكتـــاب

الكتاب قسمان ومقدمة ، والقسم الاول صلب الكتاب ، ويشغل نحو ٦٦٠ صفحة ، والقسم الثاني ملحق بالاول ، ويشغل نحو ٩٠ صفحة ، وسننظرهما بعد النظر في المقدمة التي شغلت ١٨ صفحة ، وقد وضح فيها المؤلف المشكلة التي واجهها فدفعته الى تاليف كتابه ، وهذه المشكلة هي اننا حين نقلب مؤلفات علم الاخلاق العام التي كتبها علماء غربيون نلحظ فيها فراغا هائلا عميقا ، لصمتها المطلق عن علم الاخلاق القرآني فهي تؤرخ ـ باختصار او افاضة ـ المبادىء الاخلاقية في الوثنية الاغريقية ، ثم الديانتين اليهودية والمسيحية ، ثم تقفز فجاة الى العصور الحديثة في اوروبا ، مغفلة كل مايمس الدستور الاخلاقي في الاسلام ، مع ان اضافات القرآن في هذا المجال«ذات قيمة لاتقدر» ثم هي تفيد«النظريات الاخلاقية سعة وعمقا وتوافقا » كما تفيدالمشكلة الاخلاقية ذاتهافي حل مصاعبها المتجددة والدائمة٠ ولقدقامت محاولاتعند الغربيين خلال القرن التاسع لاستخراج المبادىء الاخلاقية في القرآن ، ولكن اطار هذه المحاولات كان محدودا ، كما كان بعيدا عن مطابقة النظرية القرآنية الحقة ، فاغفلوا دستور الجانب النظرى منها ـ وهو الاهم ـ واكتفوا في الناحية العلمية،بجمع عدد قليل او كثير من ايات القران المتعلقة بالعبادة او السلوك ، وترجموها ترجمةحرفية وكثير من هذه التراجم لم يكن صحيحا، ومن اجل ذلك تصدى المؤلف لسد هذه الثغرة في المكتبة الاوروبية ليعرف علماء الغرب اخلاقية القرآن ٠

في المكتبة الاسلامية مثل هذا الفراغ

وبالرجوع الى مكتبتنا الاسلامية نجد مثل هذا الفراغ ، فالمؤلفات الاخلاقية فيها نوعان : اما نصائح عملية لتقويم اخلاق الشباب حين توحي اليهم بالقيمة العليا للفضيلة مثل كتاب « مداواة النفوس » لابن حزم ، واما اوصاف لطبائع النفس وملكاتها مع تقسيم للفضيلة غالبا على وفق النموذج الافلاطوني او الارسطي ، مثل كتاب « تهذيب الاخلاق » لابن مسكويه ، واما جامعة بين المنهجين مثل كتاب « الذريعة » للاصفهاني، و « احياء علوم الدين » للغزالي ، فهي كتب انسانية محضة اودع فيها مؤلفوها تاملاتهم الفلسفية ولم يظهر فيها النص القرآني كلية ، او هو لا يكاد يظهر الا بصفة ثانوية فلم تكن الاخلاق القرآنية اذن الموضوع الرئيسي للدراسة والتقنين لدى المسلمين او المستشرقين ، لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية ٠

للمسلمين بحوث نظرية وعملية للاخلاق في القرآن

ولا شك انه كان للمسلمين من قبل بحوث في المجالين النظرى والعملي للاخلاق في القرآن ٠

ففى المجال النظرى فكر علماء الكلام وعلماء الاصول منذ عهد مبكر فى مقياس الخير والشر (او مسالة الحسن والقبح) وفكر الفقهاء فى شروط المسئولية ، والاخلاقيون والصوفية فى فاعلية الجهد ، واخلاص النية والقصد ، ولكن افكارهم بقيت متناثرة فى مختلف المذاهب ، صادرة فى نظريتها الاخلاقية عن روح المذهب الذى ينتمى اليه كل مؤلف منهم ، او وجهة نظره الشخصية ، فكانت ايات القران تاتى شاهدا او برهانا على راى سبق الاقتناع به • واما فى المجال العملى فقد حاول بعض علمائنا جمع ايات القران وتحليل جوهره ولكن محاولاتهم كانت قاصرة على صور شتى ، فمنها ما وضع اساس البناء ولم يتممه ، ومنها ما خلط بين ايات الاخلاق فى القران بغيرها من اياته فى موضوعات اخرى ، فتاهت فى الزحام ، وهذه كلها لم تجر على نظام منطقى،ومنها ما اشبه الفهرس لايات القران المتعلقة بالفقه الاسلامى ، ولكنها لا تعالج الامور الاخلاقية الا نادرا ، وهكذا بقى استخلاص النظام الاخلاقى من القران فى مجموعه امرا محتاجا الى من يقوم به ، حتى جاء المؤلف فجعله مهمته ، وما زال به حتى اتمه بقدر طاقته، ومن هنا يعتبر رائدا فى مجال قرانى ان يكن غيره قد سبقه اليه فانه لم يطوف بكل جوانبه ويعرض له صورة متكاملة،كما فعل المؤلف المبدع•

وقد جرى فى تمييز « النظام الاخلاقى » ـ كسائر الباحثين ـ بين فرعين:النظرية والتطبيق، فمن ناحية التطبيق هنا او الجانب العملى يرى المؤلف ان القران فى علاقته بالحكمة القديمة يتميز بثلاث خصائص : الخصيصة الاولى انه جمع ماتفرق من ذلك فى الحكمة القديمة فهو استمرار لها ، ولكنه ارحب منها لانه جمع القانون الاخلاقى كله ، وليست هذه الخصيصة المن الخصائص ولا اصلها •

ولكن الاصالة تبدو اوضح واقيم فى الخصيصتين الثانية والثالثة • اما الثانية فهى توفيق القران فى تقديم تلك الدروس المختلفة(المتضاربة احيانا) وتقريبها ، بحيث صاغها مع تنوعها فى وحدة لاتقبل الانفصام،ونزع عن الشرائع السابقة مافيها من تطرف فى ظاهر الامر : افراطا او تفريطا ، وحقق التعادل فى ميزانها ، ودفعها جميعا فى جانب واحد ثم نفخ فيها من روح واحدة،فصار من حقه ان ينسب اليه مجموع هذه الاخلاق •

والخصيصة الثالثة ان القران اكمل ما فى الحكمة القديمة من نقص ، فهو لم يكتف بحفظ ذخائر الاسلاف ودعمها ، ولا بالتوفيق بين وجهاتها المختلفة وتوحيدها ، بل زادها رفعة وجمالا،واضاف اليها فصولا جديدة كانت تنقصها ، وبذلك ختم القران العمل الاخلاقى • ومن هنا نعرف معنى الحديث النبوى الذى بدانا به هذا العرض « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فالجديد فى الاسلام او القران هو هذا التتميم،لا انشاء كل فضيلة من جديد ، اذ ان كثيرا من الفضائل كانت معروفة ومسلمة قبل الاسلام ، ولكنها كانت متفرقة ومتضاربة وناقصة •

القسم الاول من الكتاب

وقد اطلنا الوقوف مع المقدمة لانها تلقى اضواء على جملة الكتاب ومنهج البحث فيه واقسامه دفعة واحدة ، فهذا اولى من البدء بالتفصيلات ، لان البدء بها يشتت الذهن •

وننتقل الان الى القسم الاول ونعرضه على طريقتنا : الاجمال ثم بعض التوضيحات • هذا القسم هو صلب الكتاب ويشغل منه نحو ٦٦٠ صفحة وينقسم خمسة فصول •

فى مطلع كل منها عنوان واحد يدل على الموضوع العام لهذا القسم الاكبر ، والعنوان المشترك بين الفصول هو « النظرية الاخلاقية » ، كما يمكن استخلاصها من القران ، مقارنة بالنظريات الاخرى « قديمها وحديثها » ،فموضوع البحث هو النظرية الاخلاقية فى القران وتتمة البحث هى مقارنة هذه النظرية بغيرها من نظريات ، ثم ينفرد كل فصل من الفصول الخمسة بموضوعه الخاص ، فموضوع الفصل الاول : « الالزام » ، والثانى « المسئولية» والثالث « الجزاء » والرابع «النية ودوافع العمل» والخامس « الجهد » ثم خاتمة قصيرة تلخص مزية النظرية القرانية على غيرها • ويلاحظ هنا ان المؤلف يلتزم ـ حتى فى العناوين ـ ما وعد به من

استعمال المصطلحات الحديثة المتعارفة اليوم في البحث ، لانه يخاطب اهل عصره ، فلا بد له من مخاطبتهم بلسانهم او بمصطلحاتهم ، ليبين لهم ، لابمصطلحات الاقدمين ،فلكل زمان لسانه،والمسايرة خير من المكابرة .

الفصل الاول : الالزام

ففي الفصل الاول « الالزام » يبين المؤلف ان الالزام (الاخلاقي) هو اساس كل مذهب او نظرية في الاخلاق ، فلا مسئولية حيث لا الزام ، « واذا عدمت المسئولية فلا يمكن ان تسود العدالة » ، وحينئذ تتفشى الفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية ، لا في مجال الواقع فحسب بل في مجال القانون ايضا ، فكيف تتصور قاعدة اخلاقية دون الزام ؟ انجعل من الضمير مجرد اداة للتقدير الفني ؟ اليس علم الاخلاق وعلم الجمال امران مختلفان ؟ كل خير فهو جميل،فهل العكس صحيح ؟ ان الفضيلة بطبيعتها عاملة محركة ، وليس كذلك الاحساس الفني او الجمالي ، لا سيما حين يكون متصلا بارادتنا ، واذا فرض نفسه علينا فليس هو كذلك مع الآخرين ، ونقص العمل الفني قد يصدم الحواس ، ولكنه لا يثير الضمائر ، ولا يقال عن مرتكبه انه خالف الاخلاق ، اذن ماطبيعة الالزام ومصادره وخصائصه ومناقضاته ؟ وهنا يبسط المؤلف،وهنا يناقش المؤلف اراء الفلاسفة المسلمين لاسيما اعظمهم الغزالي ، والغربيين لاسيما اعظمهم عمانويل كنط ، وينتهي الى ان للاخلاق مصدرين : العقل المحض والعقل العلوي المبثوث في النفوس وبدلا من النظر الى الاخير على انه تجديد تصوري ذهني ، نلجا الى الواقع المحس ، فنسميه « العقل الالهي » الذي يعبر عنه الوحي ، فهذان العقلان ليسا مصدرين مختلفين للالزام الاخلاقي بل هما مستويان لمصدر واحد ، اقربهما الينا اقلهما نقاء . ولو كان العقل الانساني يبدع القانون لكان السيد المطلق ، فيبقى عليه او يبطله ، ولكنه لايستطيع ذلك لان القانون في الفطرة اسبق وجودا من العقل .

الفصل الثاني : المسئولية

هنا يوضح المؤلف معنى المسئولية وتولدهـا من الالزام ، فلا معنى للالزام الا ان الانسان مكلف ان يقوم باشياء ، وان يقدم حسابا عنها ، وهذا في حدود فكرة المسئولية الانسانية،ثم يمضي في تحليل الفكرة العامة للمسئولية ، وانواع المسئولية من دينية واجتماعية واخلاقية محضة ، او هي جميعا مسئولية اخلاقية اذا ارتضيناها ، فبمجرد رضانا بها تصبح مطلبا صادرا عن شخصنا، ثم يوضح شروط المسئولية الاخلاقية والدينية ، ومن ذلك انها شخصية،وانها معلومة فلا مسئولية عما يجهل (وهذه علاقة معرفة) ثم انها مرداة (وهذه علاقة ارادة) وانها اختيارية ، فلا يسأل انسان دينيا او امام الله عن عمل غيره ، ولا عما لا يعلم انه مكلف به ، ولا عن اعماله غير الارادية ، ولا عما اكره عليه ، فهل الامر كذلك في علاقة الفرد بالمجتمع ؟ هنا يوضح المؤلف الجانب الاجتماعي للمسئولية ، فيرى ان هنالك نوعين من المسئولية : عقابية واخلاقية ، وبعد ان يوضح هذين النوعين ينتهي الى ان : العمل الارادي الفردي المزود بالعقل هو الموضوع الدائم والوحيد للمسئولية ، وتبقى ايضا نية فعل الشر شرطـا فرديا للعقاب .

الفصل الثالث : الجزاء

يوضح المؤلف الرابطة بين الالزام والمسئولية والجزاء بان القانون يتوجه الى ارادتنا الطيبة بالدعوة ، فهو « يلزمنا » الاستجابة اليها ، فاذا قبلنا او رفضنا حملنا « مسئوليتنا » ثم يقيم موقفنا هذا فهو « يجازيه » ، والقانون الاخلاقي مطلب لانفسنا لا يقاوم ، ثم هو فرض لضميرنا الجماعي ، ثم هو امر مقدس لضمير الفرد في اكمل صورة واقدسها،ومن هذا الشكل المثلث للمسئولية تتبين للجزاء ثلاثة ميادين : اخلاقي ، وقانوني ، والهي . وفي بحث الجزاء الاخلاقي يميز المؤلف بين علم الاخلاق والنزعة الاخلاقية ، بين مقتضى العدالة في ذاتها والاهداف التي تنشدها الارادة، كما يوضح الفرق بين الندم والتوبة ، « وهل خلق الانسان من اجل القانون او ان القانون هو الذي خلق من اجل الانسان ؟ »

ثم ينتقل لتوضيح الجزاء القانوني فاذا الجزاء الثوابي في الاخلاق قد فقد نصف معناه ولم يبق منه غير الجزاء العقابي،فلا مكافاة مادية على تنفيذ

القانون ، ولكن هناك عقوبات على مخالفته،وهنا يوضح المؤلف العقوبات كما وضحها القرآن : سواء منها المحددة فيه وهى « الحدود » او المتروك تقديرها للناس بحسب احوالهم الاجتماعية ثم ينتقل المؤلف الى الجزاء الالهى ، ويقارن بين صورته فى القرآن وصورته فى الاديان الكتابية ، ويكاد ينتهى فى تفضيل الصورة القرآنية بما لخصه حكيم العرب اكثم بن صيفي حين علم بدعوة النبى فدعا الى تعجيل الاستجابة له حتى لا يسبقهم غيرهم اليه وقال عما جاء به النبى من تعليم « انه لو لم يكن دينا لكان دعوة الى مكارم الاخلاق » وهذا حسبه للتمسك به وهكذا اسلم هو ومن اتبعه ، فالجزاء للفضيلة واضح فى نظر كل حكيم ، قبل ثواب الاخرة ، او قال كما قال شيخنا المعرى ·

فلتفعل النفس الجميل لانه
خير وافضل ، لا لأجل ثوابها

الفصل الرابع : النية والدوافع

يبدأ المؤلف هذا الفصل بشرح معنى النية ، والغاية او الهدف ، والباعث او الدافع ، فالنية حركة تنزع بها الارادة نحو شيء معين لتحقيقه او احرازه ، والموضوع المباشر للارادة الفاعلة هو العمل الذى تشرع فى ادائه ، وهذا المشروع لا يكون اراديا على وجه الكمال مالم يلمح الانسان فى صميم العمل ، ثم من ورائه شيئا من الخير يزكيه ، ومن هنا تكمن الغاية التى يقصدها الجهد العاقل الواعى المتطلع الى بلوغها ، وتطلق كلمة الغاية او الهدف على ذلك الموضوع البعيد من حيث هو حقيقة مستقبلة يتعين السعى لبلوغها ، ولكن من حيث هو مبدأ او فكرة تحفز النشاط الارادى وتمهد له يسمى باعثا او دافعا ، وحين نتجاوز المرحلة العقلية نجد فكرة الهدف تبدو كقوة تحرك نشاطنا فتؤثر على الارادة ، ومن هنا - تسمى دافعا Mobile ولا بد من النظر بين نوعين من مطالب الارادة : الماهية والسبب ، لانه لابد للارادة من نظرتين فى اى قرار يتخذ بعد تامل : نظرة تنصب على العمل ، ونظرة الى الغاية ، وهاتان موضوعان مختلفان من مواضع الدراسة ·

الفصل الاخير : الجهد نفسيا وبدنيا

اما الفصل الاخير فموضوعه « الجهد » نفسيا وبدنيا ، اذ لا فضيلة بلا مقاومة «كما قال سقراط ، او كما الح المتنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

فالانسان مكلف ، وهو كائن ناقص ، ولكنه فى الوقت نفسه قابل للكمال ، فلا بد له من العمل وهو مسؤول عن عمله ، ووجودنا صراع دائم ضد كل الشرور ، ولكن الى جانب الجهد الطبيعى الذى تفرضه الغريزة جهدا آخر يقتضيه العقل ، من اجل مثل أعلى ·

وهذا النوع الاخير هو موضوع الدراسة الاخلاقية· وهنا يمضى المؤلف فيبين ان ليست للجهد اى قيمة اخلاقية الا من حيث هو وسيلة لتحقيق خير اخلاقى ، فبين « الجهد » و« القيمة الاخلاقية » علاقة ثابتة · والفضيلة فى اى مراحل الحياة الاخلاقية ليست ثمرة الطبيعية المحصنة ولااكتساب المطلق ، ولا تستغنى اطهر النفوس عن بعض الجهد فى مقاومة الشر ، طلبا للترقي ·

ثم يتبع المؤلف ذلك بالكلام على الجهد البدنى، فكثير من الاعمال الاخلاقية يستدعى جهدا بدنيا ، كالجهد من اجل المعيشة او الدفاع عن الحرمات ، حتى اداء العبادات ، وخلاصة رأى المؤلف ان اخلاقية الاسلام تنكر كل جهد بدنى يزيد على ما يقتضيه القيام بالعمل الاخلاقى ، مما يشبه تعذيب البدن ، لهذا ينكر الاسلام كثيرا من ضروب الحرمان والتقشف ·

القسم الثانى : الاخلاق العملية

اما القسم الثانى فموضوعه الاخلاق العملية فى القرآن ، بعد ان بين آنفا ان نظامه الاخلاقى نظريا بناء عضوى حقيقي تتعاون فيه كل العناصر، ويمتزج فيه المثالى بالواقع العملى الصلد ، وصرامة الاطار تسير مع المرونة فى المضمون جنبا

الى جنب ، فيشتركان معا فى حفظ النظام وفى تحقيق التقدم•والعنوان العام الذى يتكرر فى اول كل فصل من فصوله الخمسة والخاتمة فهو « الاخلاق العملية : نصوص من القرآن » اما الفصول الخمسة فالعنوان الخاص فيها يدل على مضمونه من الايات القرآنية فعنوان الاول « الاخلاق الفردية » والثاني « الاخلاق الاسرية » والثالث « الاخلاق الاجتماعية » والرابع « اخلاق الدولة » والخامس « الاخلاق الدينية » والخاتمة « اجمال امهات الفضائل الدينية » وهى الفضائل التى يميز القرآن بها المسلم الحق • وليس هذا القسم فهرسا مصنفا جامعا لكل ما فى القرآن من آيات تختص بالاخلاق وحدها،لان المؤلف اقتصر من الايات فى كل فصل على ما يكفى لبيان موضوعها العام،وقسمها وفاقا لموضوعاتها الفرعية المتمايزة ، ووضع لكل موضوع فرعى عنوانه المميز له ، الموضح لمحتوياته،ونسق بين الموضوعات حتى جاءت فى نظام محكم شامل ، وكان لا بد للمؤلف من ايراد ايات هذا القسم الثاني ، فهى مرجعه او مراجعه التى استوحى منها النظرية الاخلاقية فى القرآن،ثم ان الاخلاق لا يقصد منها فى الحياة ان نعرف نظمها،ونضعها امامنا كالتحفة الجميلة نتملى جمالها ونعجب بما فيها من اقتدار فنى بل ان نسير عليها فى حياتنا اليومية ونضبط بها كل تصرف ارادى لنا حتى ما يهجس فى النفس من نيات ، وان نحاسب بها انفسنا كما نحاسب الآخرين •

« من القرآن نبدأ وعنده ننتهي »

لقد التزم المؤلف الاتجاه القرآني المحض ، فجاء كتابه آية بديعة مبصرة من آيات الفكر الاسلامى الحديث ، وهذا الاتجاه وحده آية الاصالة والنقاء ، واذا كان قد اهمل بين جملة المفكرين المسلمين قبل نحو الف سنة ، فقد جاءت الدعوة اليه مع نهضتنا الحديثة ، ولعل اول من دعا اليه حديثا رفاعة الطهطاوى ، وتلاه من هو ابعد صوتا واعمق الرأ : جمال الدين الافغاني ومحمد عبده والسيد احمد خان الهندى ، وردد دعوتهم كثير منهم محمد فريد وجدى وأبو الكلام ازاد ومحمد مصطفى المراغى وعبد الحميد بن باديس،والبشير الابراهيمى وغيرهم، ولا امل فى كسر القيود التى تقيد الفكر الاسلامى اليوم الا الاخذ بهذا الاتجاه الذى اخذ به المسلمون الاول منذ عهد النبى فحققوا للاسلام واهله النهضة الاولى التى احتفظت فى ايامهم وبعدهم بقدرتها الجبارة ،على التفتح والهضم والاستيعاب والتطور مع الاحداث المتجددة وتقييمها باجتهادهم عقليا ، وقد استطاعت تلك النهضة ان تتمثل كل ما صادفته من ذخائر الثقافة والحضارة عند الامم التى اتصلت بها حتى صارت نهضة الاسلام يومئذ نهضة عالمية انسانية شاملة رغم ماصادفته من تعويقات اهلها وخصومها معا فالاتجاه القرآني المحض هو الذى يكفل للعقل كل حرية وللهمم كل وجوهها فى السعى والعمل •

خاتمة

ونختم هذا العرض بان نقول : كان المؤلف موفقا وسعه حين اتجه الى القرآن وحده يستوحيه الجواب ، وكان له ـ فيما نرى حجته بل حججه ، فى هذا الاتجاه الامثل ، وكذلك كان موفقا فى اسلوب بحثه خلال آيات القرآن كلها لمسائلتها مجتمعة كى تملى عليه الجواب كما تريد ، دون تدخل منه غير حسن الاصغاء اليها وحسن الوعى عنها ، ثم كان موفقا فى تدوين اجابتها وعرضها اخيرا بامانة ، وحسب المؤلف حجة على صوابه فى اتجاهه الى القرآن وحده ان القرآن هو المرجع الاول والاعلى فى الاسلام ، وانه كان وحده وسيلة الناس والنبى الى تبين مهمته ثم تبيينها للناس ، وان النبى لم يعول فيما اخذ به نفسه ودعا الناس اليه من الفضائل الا على القرآن ، فقد سئلت السيدة عائشة عن خلقه ، فقالت : كان خلقه القرآن •

ومن هنا يتبين سداد المؤلف فى اتجاهه القرآني ، اذ ليست اخلاق الاسلام الا اخلاق القرآن ، ولم يكن خلق النبى الا القرآن • واما ما عدا ذلك من عنعنات الجماعات الاسلامية، ومن آراء الباحثين المسلمين فانها تقاس بالقرآن ، ولا يقاس هو بها فما وافق روحه او اتجاهه فهو اسلامى وما صادمه فليس اسلاميا مهما يكن مصدره •

■■

محمد خليفة التونسى



من الكتب التى وصلتنا

فلسفة التربية
واثرها فى تفكير معلمى المستقبل

دراسة تجريبية

تاليف : الدكتور محمد جواد رضا

الناشر : جامعة الكويت / الكويت

● يحاول هذا الكتاب ان يبرز نمطا جديدا من الادب التربوى حيث يمتاح مادته من عقول الشباب الجامعى مباشرة ، ويحاول بهذا كسر الحلقة المفرغة القديمة التى كان ينظر فيها الى الطلاب على انهم مادة تربوية من حق النظم التعليمية ان تصوغهم على هواها ، وحسب اجتهادها ، ومن واجبهم ان يتكيفوا مع القوالب المعده نصبهم فيها وراء المنهج والكتاب ، كان الطلاب كم مهمل .

لقد ضرب هذا الموقف العقلى بين الطلاب ونظمهم التعليمية اكثر من سد،ودفعهم الى التماس التعبير عن انفسهم فى الحركات الاجتماعية خارج معاهد العلم ، ولم تعد المدارس والجامعات عندهم الا اماكن تلتمس فيها الشهادة ، ولقد كان لهذا معنى واحد هو ان مؤسساتنا التربوية فقدت القدرة على القيادة الاخلاقية لروادها او تنازلت عن حقها، وقد يؤذي بعضنا او الكثير منا ،ولكنه هو الواقع.

ويحاول المؤلف فى هذا الكتاب ان يتفهم الشباب الجامعى العربى ، ويطرق دربا غير مطروق ، فيه الكثير من المجازفة ، والمغامره ، الا انه مع ذلك فياض بامكانيات الاثارة العقلية ، ثرى باحتمالات التوهج الفكرى

وهذا الكتاب يفتح بابا من ابواب الدراسات السلوكية ظل مسدودا حتى الآن فى لغتنا العربية، كذلك يعين هذا الكتاب الشباب الجامعى على ان ينظر فى نفسه وفى اعماقه الروحية ، فان الضوء الذى ينير لنا دروب الحياة ينبثق دائما من داخلنا ومن تجاربنا .

الطحالب
اشكالها ونشاطها واهميتها الاقتصاديه

تاليف : الدكتور عبد الحليم نمر والدكتور صبحى كامل معوض

الناشر : مطبوعات جامعة الكويت / الكويت

● كتاب يتناول بالدراسة موضوع الطحالب ، وهو فرع كبير من فروع علم الحياة ، يتمتع بمجالات دراسية فسيحة ، وبامكانات فى البحث متفتحة ، ذلك ان الطحالب فى جملتها كائنات متنوعة أشد التنوع فى أشكالها وفى تراكيبها ، وفى أساليب معيشتها ، وفي دورات حياتها ، وفى التغيرات الكيماوية الخلوية ، فلا غرو ان جذبت اليها فئات متباينة من الدارسين وعشاق المعرفة ومن المهنيين غير المتخصصين فى الطحالب اصلا ، فمنهم على سبيل المثال اصحاب المزاج الفنى الذين يستوحون روعة التصميم البنائى فى صنعة الطبيعة الحية ، وكذلك علماء التطور الذين يبحثون فى نشاة الحياة على كوكب الارض ، ومنهم كذلك خبراء التغذية المهتمون بمشكلة الزيادة الهائلة فى كثافة سكان العالم مع نقص مصادر البروتين .

ان الطحالب بسيطة التركيب شديدة المرونة سريعة النمو نسبيا ، طيعة الاستجابة ، متواضعة المطالب ، فبمحلول ملحى ، وفى اضاءة مناسبة ، ومع قليل من اكسيد الكربون فى تيار الهواء يستطيع هذا الكائن بما وهب من قدرات تخليقية باهرة أن ياتى بالاعاجيب .

والكتاب ينقسم ستة ابواب ، يبدأ الباب الاول بدراسة تمهيدية عن الطحالب ، اما الباب الثانى فيدرس مورفولوجيا الطحالب او صورها واشكالها البيولوجية ، والباب الثالث يدرس الطحالب فى مصادر اعداد الحياة ، وأما الباب الرابع فيتناول الطحالب فى بحيرات الاكسدة ، والباب الخامس يتكلم عن الطحالب ومشكلة التغذية فى العالم ، والباب السادس يتكلم عن الطحالب فى الصناعة والطب ، اما الباب السابع والاخير فيدرس الطحالب فى عصر الفضاء .



الماء العذب فى سيناء

هل اكتشفه الاسرائيليون حقا وبكميات ؟

● قرأت فى احدى المجلات الاجنبية ان الاسرائيليين اكتشفوا الماء العذب فى سيناء بكميات كبيرة منذ عدة سنوات ، ولكنهم حرصوا على التكتم الشديد فى هذا الصدد ٠٠ ترى هل هذا صحيح ٠٠ ؟

تحدثت بعض الصحف الاسرائيلية عن اكتشاف المياه الجوفية بكميات ذات بال فى مطلع هذه السنة ، ولا نذكر انها تناولت هذا الموضـوع باى قدر من التفصيل قبل ذلك ٠ ونخص بالذكر من تلك الصحف صحيفة هارتس التى نشرت تحقيقا وافيا فى هذا الصدد فى عددها الصادر فى ٢١ / ١ / ١٩٧٤ (راجع نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١ / ٢ / ١٩٧٤) ٠

ولا يحدد التحقيق المذكور الوقت الذى تم فيه ، ولكنه يورد من التفاصيل ما يفهم منه انه وقع قبل ثلاث سنوات،او تزيد ٠ فهو يذكر ان المياه المكتشفة كانت موضع تجارب عملية طيلة السنوات الثلاث الماضيـة ٠٠ وتضيـف صحيفة هارتس وتقول ان الخبراء استغلوا تلك المياه فى اعمال الرى ومشاريع لاستيطان الصحراء ٠ وقد ثبت لهم ان تلك المياه ليست سطحيـة ، او ناتجـة عـن تجمعات الامطار العابرة ، وانما هى ثابتة ويمكن الاعتماد عليها لاغراض الرى والشرب فى المدى البعيد ٠

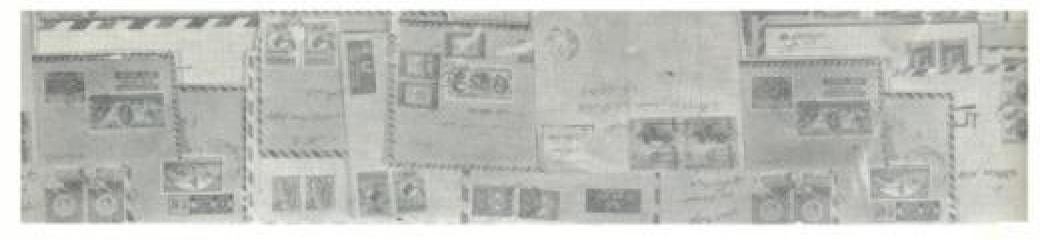
ذلك ان مصدر هذه المياه خزان كبير يقع على عمق ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ متر ويقدر حجمه بنحو ٢٠٠ مليار كوب ماء وقد تكوّن هذا الخزان ـ فى راى الخبراء الاسرائيليين ـ فى فترة جليديـة تراكمت اثناءها المياه الجوفيـة وتجمعـت داخـل الحجر الرملى النوبى ٠٠ ٠

وحجم الخزان هو غير الكمية التى يمكن الحصول عليها من مياهه ٠ وتبلغ بالمتوسـط ٣٠٠ مليون متر مكعب سنويا ٠ وتتراوح اعماق الابار اللازمة لاستخراج تلك المياه بين ٢٥٠ ـ ٤٠٠ متر ٠ ولا بد من استعمال المحركات والمضخات فى هذه الابار نظرا لان المياه فى جوف الارض لا تتعرض للضغط ولا سبيل الى اندفاعها الى سطح الارض بدون ضخ، على نحو ما هى عليه الحال فى الابار الارتوازية ٠

اما موقـع هذه المياه ففى اواسـط شبه جزيرة سيناء٠وهو يمتد من الغرب الى الشرق حيث يتصل بمثيل له فى صحراء النقب ، حسبما تقول الصحيفة الاسرائيلية ٠ وتمر حدود الخزان الشمالية بالاماكن التالية : عين موسى ، دير بير ، ثدمة ، قادش،برناع حتى سدوم ٠ وتمر حدوده الجنوبية بابو رديس ، العجمة ، الكنتيلة حتى يطفانا فى عربة الجنوبية ٠

بقى ان نشير الى عذوبـة هذه الميـاه ٠ فنسبـة ملوحتها او محتويات الكلور فيها لا تزيد على ٣٠٠ ـ ١٠٠٠ ملغرام فى اللتر الواحد ٠ اما محتوياتها الكبريتية فلا تتجاوز هى الاخرى ٥٠٠ ملغرام فى اللتر الواحد ايضا ٠

(ى ٠ ز)



هذه ثروتنا الحيوانية

● ثروتنا الحيوانية في الوطن العربي .. هل هناك احصائية باعدادها ؟

كمال فؤاد ـ القاهرة

ـ نأسف لتاخرنا في الرد على خطابك ..الا انارقام الثروة الحيوانية لم تكن متوفرة . واخيرا صدر الكتاب السنوي لمنظمة الاغذية والزراعةالعالمية (الفاو) وفيه احصائية عن الثروات الحيوانية في بلاد العالم لسنة ١٩٧٢ نقتطف منهاالأرقام الخاصة بالوطن العربي :

	الخيل	الحمير	الأبقار	الجاموس	الجمال	الأغنام	الماعز
الجزائر	٣١٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	٨٦٣٠٠٠	—	١٨٠٠٠٠	٨٤٢٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠٠
مصر	١٤٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠	٢١٣٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠	٢٠٩٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠
ليبيا	٨٠٠٠٠	١٧٠٠٠	١٠٨٠٠٠	—	١٠٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠
موريتانيا	٢٣٥٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠	—	٧٢٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠٠	٣٠٥٠٠٠٠
المغرب	٩٥٠٠٠٠	٤٢٠٠٠٠	٣٦٤٠٠٠٠	—	٢٣٣٠٠٠	١٧٥٠٠٠٠٠	٨٨٧٠٠٠٠
الصومال	٢٢٠٠٠	١٠٠٠	٢٨٥٠٠٠٠	—	٣٠٠٠٠٠٠	٣٩٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠
السودان	٦٥٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	١٤٧٠٠٠٠٠	—	٣٢٠٠٠٠٠	١٤٨٠٠٠٠٠	١٠١٥٠٠٠٠
تونس	١٨٥٠٠٠	٩٨٠٠٠	٦٧٠٠٠٠	—	٢٩٠٠٠٠	٣١٠٠٠٠٠	٤٥٠٠٠٠
العراق	٥٩٠٠٠٠	١٢٨٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٢٩٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
فلسطين المحتلة	٦٠٠٠	٥٠٠٠	٢٦٣٠٠٠	—	١٠٠٠٠	١٨٤٠٠٠	١٣٤٠٠٠
الأردن	٤٣٠٠٠	٢٠٠٠	٣٦٠٠٠	—	٩٠٠٠	٧٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠
لبنان	٢٥٠٠٠	٣٠٠٠	٨٦٠٠٠	—	—	٢٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠
السعودية	١٤٠٠٠٠	—	٣٣٠٠٠٠	—	٥٧٠٠٠٠	٣٤٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠
سوريا	٢٣٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٥٧٠٠٠٠	٢٠٠٠	٧٠٠٠	٦٥٠٠٠٠٠	٧٧٠٠٠٠
اليمن العربية	—	٣٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	—	٦٠٠٠٠	٣٧٥١٠٠٠	٨٨٤٩٠٠٠
اليمن الديمقراطية	٢٩٠٠٠	—	٩٣٠٠٠	—	٤٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠	٨٨٥٠٠٠
الكويت	—	—	٧٠٠٠	—	٦٠٠٠	٨٥٠٠٠	٦٥٠٠٠

ومن هذه الاحصائيات يتضح ان اكبر عدد منالخيل والحمير والاغنام موجود في المغرب .. واكبر عدد من الجمال والمعز موجودة في السودان ،واكبرعدد من الجاموس موجود في العراق ..

(س . ق)

« الوَحَم » تعبير لجسم المرأة الحامل عن احتياجاته لمواد معينة

● المرأة الحامل غالبا ما تحب أكل الحمضيات والموالح .. فهل لهذه الظاهرة ، التي نسميها « وحما » تعليل علمي او طبي ؟

علي احمد عياش القندي
ابها ـ المملكة العربية السعودية

ـ ان المرأة الحامل تحتاج في الواقع الى تغذية كاملة مع زيادة في كميات المعادن Minerals ، وخاصة الكالسيوم وكلوريد الصوديوم والماجنزيم والحديد والفسفور ، وكذلك زيادة في كميات البروتينات ، وذلك لتكوين الجنين السليم وتامين العناصر التي تكون جسمه وانسجته المختلفة مع تغذيته طوال فترات نموه المختلفة داخل رحم الام .

و « الوحم » هو في الحقيقة ظاهرة علمية فسيولوجية تعبر عن حاجة جسم المراة للاملاح والمعادن والبروتينات التي تساعد على نمو الجنين، والملاحظ غالبا ان النساء الحوامل يشتهين الاشياء المالحة لسد النقص في احتياجات اجسامهن من الاملاح او المعادن . ولعل في هذا ما يفسر عملية الوحم او اشتهاء صنف معين من الطعام في اشهر الحمل الاولى وهي تلك الشهور الحاسمة في تطور نمو الجنين وبناء انسجته المختلفة . ودائما ما ينصح الاطباء بتغذية المراة الحامل بالمواد البروتينية والماكولات الغنية بالمعادن والاملاح . (م . ط)

الشهاب الخفاجي المصرى

● في الاوساط المهتمة بتراثنا الادبي ، يتردد كثيرا اسم العلامة الشهاب الخفاجي ، فنرجو ترويدنا بنبذة توضح حياته وآثاره ، مع بيان رأيكم فيه .

مكي حسين الخفاجي
بغداد / العراق

ـ لقبه شهاب الدين ، ومختصره « الشهاب »، من اعيان الادب واللغة في القرن ١١ هـ ، واسمه محمود بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ، ينتسب الى خفاجة ـ احدى القبائل العربية الكبيرة ـ وكان لها في العراق دولة وأمراء ، ولد في مصر ايام حكم العثمانيين ، وأبوه من سرياقوس (قرية لم تزل حتى اليوم)، قريبة من القاهرة في الشمال الشرقي منها ، وقد تعلم على ابيه وخاله (توفيا سنة ١٠١٩ هـ) ، وكانا من رؤساء عصرهما في الدين والادب واللغة ، وكان الشهاب يعتز بهما، فهو يصف مقام والده بانه « غني عن المدح » ويقول في خاله ابي بكر الشنواني التونسي : انه «سيبويه زمانه» وانه قرأ عليه علوم العربية، وكذلك تعلم على كثير غيرهما من كبار شيوخ مصر ، حتى تبحر في الفقه على المذهبين : الشافعي (كابيه) والحنفي ، والتفسير والحديث ، والادب بكل فروعه والم بالطب والرياضيات .

وقد ارتحل الى الحرمين ثم القسطنطينية، فازداد علما، وقد ولاه العثمانيون القضاء في الرملي « الروم ايلي » في تركية اوربا ، حتى بلغ رياسة قضاتها أيام السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠م) فاستفاد مالا كثيرا ، ثم ولي

قضاء سالونيك ، فقضاء مصر ، ثم عزل عنه ، فرجع الى القسطنطينية ، وهناك اصطدم بمفتيها الاكبر ، فنفى الى بلده مصر واسند اليه القضاء فيها ، فاستقر هناك يؤلف ويدرس حتى صار من الاعلام ، الى ان توفى ١٠٦٩هـ (١٦٥٨م) ،وقيل انه خلف مكتبة فيها عشرة الاف مجلد .

ومع قيامه بالقضاء عملا ، كان في تواليفه اشد انصرافا الى الادب واللغة والشعر ، وقد حظى بالشهرة حتى اليوم لما بقى من كتبه ، وقد طبع منها : الريحانة (ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا) ، وطراز المجالس (خمسون مجلسا او درسا في التفسير والحديث والتاريخ والادب والبلاغة) ، والشفاء (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) ، وشرح كتاب الحريري «درة الغواص في اوهام الخواص » وحاشية على تفسير البيضاوي (٨اجزاء) ، وشرح كتاب « الشفاء » للقاضي عياض ، وله كتب اخرى كثيرة ، ومقامات ادبية كمقامات بديع الزمان والحريري ، وله ديوان شعر ، وكلها باقية لم تطبع ، وتدل جملتها على اطلاع واسع في الدين والادب واللغة .

واسلوبه في الكتابة الادبية مثقل بالصور البيانية والبديعيات ، وكذلك شعره فهو كاهل عصره تكلفا وركاكة .وقد كان عصره (عصر الدول المتتابعة التركية او الفترة المظلمة) عصر جمود وخمول وتقليد محض ، فلا اجتهاد ولا ابتكار ، ولا استقلال في رأى ولا حرية في نظر او عمل ، والشهاب في كل ذلك ابن عصره ، مع تبحره في علوم الدين والادب ، وهذه ايضا من سمات العصر الذى كان عصر اجترار وتجميع على نطاق واسع .

(م·خ·ت)

جامعة الهواء
ماذا تم بشأنهـــا

● كنتم حدثتمونا في عدد سابق عن جامعة الهواء في بريطانيا ، جامعة الاذاعة والتلفاز .. نرجو أن تعطونا فكرة عن سير أعمال هذه الجامعة ان كانت لا تزال على قيد الحياة .. تريما هو عدد طلابها وخريجيها .. ان كان ثمة خريجون ؟

ـ بلغ عدد طلاب جامعة الهواء سنة ١٩٧٢ نحو ٤٢٠٠٠ طالب . ولولا حرص الحكومة البريطانية على الوقوف عند هذا العدد لتضاعف طلاب جامعة الهواء اضعافا . ذلك أن الدراسة في هذه الجامعة لا تكلف الطالب كثيرا .. والاهم من ذلك انها لا تشترط في طلابها التفرغ لها .. فهم في الغالب مدرسون او موظفون او غير ذلك اى انهم يجمعون بين طلب الرزق وطلب العلم اما اساتذة الجامعة ومدرسوها فقد بلغ مجموعهم ٧٦٠٠ استاذ ، منهم ١٦٠٠ استاذ متفرغون لاعمال جامعة الهواء تفرغا تاما .

وقد خرجت جامعة الهواء دفعتين من الخريجين في مدة السنوات الاربع التي مضت على تاسيسها، بل قل في نهاية السنتين الاخيرتين .. وبلغ عدد الخريجين في دفعة ١٩٧٢ ، وهي الدفعة الاولى ٩٠٣ خريج وتضاعف هذا العدد حتى بلغ ٢٥١٦ خريجا في الدفعة الثانية سنة ١٩٧٣ .

وتجدر الاشارة الى أن اكثر هؤلاء الخريجين رجال وقد بلغت نسبة النساء من مجموعهم ٢٧٪ وهم يمارسون أعمالا وحرفا مختلفة ، الا أن أكثرهم يعملون في التدريس . ولعلك لا تستغرب هذه الكثرة الكبيرة وقد بلغت نسبتها ٧٤٪ اذا علمت أن التدريس هو المهنة التى عمل بها ٥٩٪ من هؤلاء الخريجين أصلا وقبل التحاقهم بجامعة الهواء .

وتجدر الاشارة ايضا الى أن ٤٪ من هـؤلاء الخريجين يعملون مهندسين ورجال علم و ٣٪ منهم مدراء .

هذا ولم تزد نفقات الحكومة البريطانية على جامعة الهواء على ١٢ مليون جنيه في ميزانية ١٩٧٣.

(ى · ز)

الشعر و الشعراء

في الريف ارضاً و في الريف انساناً

بقلم : الدكتور احمد الحوفي

■ طالما تغنى شعراء العصر الحديث بالريف حقولا وجداول وزروعا وثمرات وجوا وسكونا ووداعة سكان وجمال فتيات.فقرضوا قصائد كثيرة في وصف الفلاح وفي وصف الريف ٠

وهذه القصائد ضربان :

ضرب لم يتجاوز الوصف المعجب الى قضية الفلاح او ما يتصل بها من قرب او من بعد.وضرب تجاوز الوصف الى القضية والى مناصرة الفلاح٠

(١)

من الضرب الاول وصف البارودي للريف في فصل الربيع بان المطر غمره فجرت الجداول بالماء وفاضت وازدانت الحدائق بازهارها.وطربت البلابل فغردت.وبدت النخلات الباسقات تميس في اعاليها قباب من الجريد الاخضر ، وتتدلى من صدورها عناقيد البلح الاحمر القاني والاحمر الناصل والمخضب بالحمرة كأنه الانامل اللطاف او القناديل الذهبية والعراجين سلاسلها :

عمَّ الحيا واستَنَّتِ الجداول
وفاضت الغدران والمناهل
وازَّيَّنَتْ بنورها الخمائل
وغردت في أيكها البلابل
والباسقاتُ الشُّمُخُ الحوامل
مشمورة عن سوقها الذلاذل
ملوية في جيدها العثاكل
معقودة في رأسها الغلائل
البسر فيها قانى وناصل
مخضب كأنه الأنامل
كأنه من ذهب قنادل
من العراجين لها سلاسل (١)

وفيه قول محمد غنيم :

عشقوا الجمال الزائف المجلوبا
وعشقت فيك جمالك الموهوبا

(١) استنت : جرت ٠ الشمخ : العالية ٠الذلاذل : الاطراف ٠ العثاكل : المراد العناقيد ٠ الغلائل : جمع غليلة وهو الشعر المجتمع ٠العراجين : اصول الكباسات ٠ البسر : البلح ٠

كست الطبيعة وجه أرضك سندسا
وحَبَتْ نسيمك اذ تَضَوَّعَ طيبا
مالت على الماء الغصون كما انحنت
أم تقبل طفلها المحبوبا
وبدا النخيل غصونه فيروزج
يحملن من صافي العقيق حبوبا
والغيدُ تغمس في الغدير جرارها
فيظل يضحك ملء فيه طروبا
وترى الجداول في الاصيل كأنها
من فضة فيها النُضار أذيبا

وبلغ الاعجاب بمحمد طاهر الجبلاوى **ان صور خوار البقر وثغاء الغنم موسيقى ، ثم توهم فى الريف ظباء سمع بغامها ، او اطلق البغام على صوت النوق :**

وخوارٌ وثغاءٌ وبغامْ
تبعث البهجة في كل مكان
هي موسيقى جلال وانسجام
تبعث الدنيا بها في مهرجان

ولكل من الشعراء المعجبين بجمال الريف نظرة تلائم نفسيته وخياله وثقافته وبيئته ، فالفاس التى يحفر بها الفلاح التربة يتصور محمود حسن اسماعيل **فى يدها المشبية سرا يمر على الصخر فيحيله تربة تنبت الزهر والورد :**

حملت فأسه من الغيب سرا
حيَّر العقل كامنٌ من صفاته
حطب يابس يمر على الصخر
فتزهو الورود في جنباته

ويتخيلها عبده بدوى تنقب فى الثرى عن فكرة :

وقمنا نُعَمِّق ضوء النهار
بفأس تنقب عن فكرة

والساقية التى تدور لترفع الماء من الترعة او من البئر الى القناة لها صوت ، اختلف العلماء فى تصويره ، فصورها البارودى **تبكى وتنوح ، ولكنه لم يبين باعث بكائها ولا هدف نواحها :**

للمنجنون بينها أزامل
تخالها محزونةً تسائلْ
لها دموع ذُرَّفٌ هوامل
كأنها أم بنين ثاكل (٢)

وتخيلها محمود حسن اسماعيل تنوح على الثور الذى يجرها :

دءوبة الشكوى على راسف
في الذل مفجوع على جَدِّه
شُدَّت حبال الذل في رأسه
وفتَّ صرف الدهر في كبْده
منادحُ الضجة في أذنه
وملعبُ السوط على جلده

وكثيرا ما هتف الشعراء بجمال الحسان من فتيات الريف ، كقول شاعر البرارى يصف ريفية حسناء ، تسلقت شجرة توت لتجتنى منها :

صعدت تُرى الأغصان غصن قوامها
ما أشبه القامات بالاغصان
وحنَت على بعض الغصون فخلتها
نشوانةٌ مالت على نشوان

---

(٢) المنجنون : دولاب الساقية ، الازامل : جمع ازمل وهو الصوت المختلط ، ذرف : مذرفة دافقة .

مدت أناملها فقلت لصاحبي
أرأيت كيف تقابل الثمران ؟

توت بعُناب الأنامل يُجتنى
ما أرخص المجنى وأغلى الجانى

(٢)

وصف احوال الفلاحين

اما الضرب الثاني فانه يصور احوال الفلاحين الذين رزحوا تحت وطأة الظلم والحرمان والبؤس منذ الفتح العثماني الى اوائل القرن العشرين ·

فقد عاش الفلاح احقابا لا يقتات من الطعام الا بالفتيل الضروري الخشن الذي يسد جوعته ، ولا يتناول من الشراب الا الماء العكر الذي يروى ظماه ، وفي هذا الشراب وذاك الطعام اصناف من جراثيم الامراض تتزاحم في اجساد ، لولا وثاقة تكوينها ومتانة بنائها واشعة الشمس وصفاء الهواء والقناعة والصبر ، لكان الهلكى اضعاف من هلكوا ·

وكان من الطبيعي الا يجد هذا الفلاح البائس من الملابس الا الزهيد الذي يستر العورة ، والا يسكن الا في كوخ قذر يجاور فيه ماشيته ·

فلنصغ الى اديب اسحاق **وهو يصور بعض هذا في مقال له عنوانه (نفثة مصدور) وازن فيه بين الفلاح المصري والفلاح الاوروبي ، فقال :** « رأيت فلاحهم في حقله الصغير يتناول الطعام اكلا مريئا ، وينام القيلولة نوما عميقا ، ويأوى الى بيته فيأكل بين عياله ،ويتلو عليهم صحيفة النهار، ثم ينام ملء عينيه لايحلم بسوط المأمور ، ولا يتصور عصا الشيخ ، ولايذكر حبس المدين ، فتخيلتكم بين السواقي والأنهار تشتغلون سحابة اليوم ، ثم تجتمعون على القصعة السوداء ، فتلتهمون فتات الشعير ، وتنكبون على الترعة فتشربون الماء الكدر ، ثم تعودون الى الارض المريعة تزرعونها ، والى الغلة الوفيرة تحصدونها، لتنصرفوا الى اكواخ بالية ، تشبه قبورا توالت عليها السنون ، فيجتمع من حولكم صغار لاتعرف ابدانهم الوقاء،ونساء تعوضن الاقذار عن الكساء، ثم يأتيكم المأمور سالبا ، والشيخ غاضبا ، والمدير ناهبا ، فانتم في بلاء مستقر ، وعناء مستمر ، تحصدون البر ولا تأكلون ، وتملكون الارض ولا تسكنون ، فقلت : ماعلة هذا الفرق بين الطائفتين ؟ فاجابني لسان الحال : هو العلم يعز طلابه ، والجهل يذل اربابه ، والاقدام ترتفع به النفوس ، والوهن تنخفض معه الرءوس » ·

فلا غرابة في ان تنبه فريق من الشعراء الى شقاء الفلاحين وبؤسهم ، وسخطوا على مايعانون من جشع المالكين وقسوتهم ، ومن اهمال الحكام وترفعهم ، فعبروا عن هذا كله في شعر كان من بواعث اليقظة ومن مقدمات الثورة ·

وربما كانت اول صيغة شعرية تلك القصيدة (الفلاح المصري) التي نشرها احمد الكاشف **سنة ١٩١٢ ومنها :**

إذا استبقيتُ في الدنيا حبيبا
فخير أحبتى فلاح مصرا

كريم يملأ الوادى ثراء
ولا يلقى سوى الاجحاف أجرا

فقير ما أراه شكا افتقارا
ولو يُجزى على تعب لأثرى

فمحراث يشق الأرض عندى
ويخرج من ثراها الخصب تبرا

كسيف في يد الجندى لاقى
به جيشا وحصنا مشمخرا

فلو عرف الصواب الترك قومى
لما احتقروا له عملا وقدرا

ولما استحكمت الضائقة المالية في اوائل العقد الرابع من هذا القرن ، وكسدت سوق المحصولات الزراعية ، واشتد الضنك بالفلاحين ، اسى احمد محرم **، ونشر قصيدة سنة ١٩٣٢ وصف فيها بؤس الفلاح ، ونضوب موارده ، وعجزه عن سداد دينه ، منها قوله :**

هلا سألت عن الفلاح ما صنعت
به الخطوب . وهل أبقت له جلَدا ؟

جفت موارده القُصْوَى فطاح به
ما ذاق من عنت الأيام أو وَرَدَا

ان يطلب المالُ تعجزه وسائلـه
وإن يُصبه يجده صاحبا نكـدا

عون الكنانة ان أودى به جَـدَثٌ
فلن ترى بعده عونا ولا عَضُـدا

وصور محمود غنيم بؤس الفلاح في حوار بينه وبين لؤلؤة يزدان بها غني . فقال :

شاهدت لؤْلؤَة كالبرق تأتلـق
على جبين أمير سار مختـالا

فقلت : ما أنت ؟ قالت : انى عرق
من جبهة الزارع المسكين قد سالا

الناس تنعم والفلاح يحـترق
وليس يحرز لاجاها ولا مـالا

امتصه الناس حتى ما به رمـق
كأنـه صَبَّ للايثـار تمثـالا

وتقبل شاعر البرارى الساقية تئن على الفلاح البائس الحزين ، وتبكى بدموع غزار تستعطف بها الناس وتستعطف الدهر اشفاقا على الفلاح ورحمة بـه :

لم تستطع أن ترى الفلاح مكتئبـا
تستشعر الفقر في واد يفيض غـنى

فاستعطفتنا بأنات مطولـة
وأوقدت دمعها يستعطف الزمنـا

وقد اسف محمد خليفة التونسى لانه راى الفلاحات عجافا ضوامر مهزولات شواحب يمشين فى الطرقات فى اردية سود باليات ، فكانهن موميات :

أفعصر الفلاح يرضى لفـلا
حاتنا لعنة السنين العجـاف ؟

لهف نفسى هزلن جوعا وكدحا
ضـامرات الثـدى والأرداف

موميات يسعين في طرق القـر
ية أو في الحقول كالأطيـاف

كاسفات الوجوه في الخرق السو
د كبالى الأكفان دون كفـاف

ولم يقتصر ذلك الضيم على الفلاح المصرى ، بل تعداه الى اخوانه فى العالم العربى ، ويكفى ان نذكر بعض مارثى بـه شعراء العراق حـال فلاحيهم ، لنجدهم توافوا جميعا على صور واحدة تصلح هنا كما تصلح هناك .

فهذا على الشرقى يعلن اساه سنة ١٩٢٥ على احوال الفلاحين بالعراق ، اذ يشكو من فقرهم وشقائهم فى قصيدته (منجل الفلاح) ويوازن بينهم وبين الحيوانات التى تمرح فى الحقول طليقة خلية مسرورة ، فيفضل حالها على حالهم :

ما لهذا الفـلاح في الارض روح
أهـو من معشر بـلا ارواح ؟

هـو في جنـة ينـال عـذابا
وهو تحت الاشجار اجرد ضـاح

وقرى النمل لهف نفسى اثـرى
من قـراه الا مـن الاتـراح

أرهقتـه ضرائب باهظـات
وديـون ثقيلـة الاربـاح

تسعد الشاة في المـراح وراعى الشا
ة بلقـى شقـاءه في المـراح

وهناك دعا الزهاوى الى انصاف الفلاحين

ومساواتهم بمالكي الارض قبل ان تنادى الثورة بهذا في العراق :

ان من كدوا يزرعون البقاعـــا
أشبعوا غيرهم وباتوا جياعـــا
ومن العدل أن يكون نتــاج الـ
أرض بيد المستثمرين مشاعـــا

ونجد مثل هذا في شعر محمد مهدى الجواهرى ومحمد صالح بحر العلوم واحمدالصافى النجفى .

(٣)

لكن بعض الشعراء لم يكتفوا بالاشفاق على الفلاح والدعوة الى انصافه ، بل سخط بعضهم على الشعراء الذين تغنوا بجمال الريف،وزخرفوا مناظره بخيالهم ، غافلين عن الفلاحين الكادحين الاشقياء،ووصفوا شعر اولئك الشعراء بانهاوهام واباطيل لا صدق فيه ولا فن ، قال محمد كمال عبد الحليم في قصيدته (الشاعر التائه) :

أنت تحلو إلى النجـــوم إلى الزهـــ
ـــر الى الطير حينما يتغـــنّى
ربة الخمر بـــاركتك فغنيــــــــ
ـــت هراء ورحت تسأل دنّـــا
في سمـــاء الخيال ضمّ جناحيــ
ـــك فقعْ بيننا فتصبح منّـــا
دع جمال الخيال وادخـــل كهوفا
للملايين وارو للكـــــون عنـــا
انما الفن دمعـــة ولهيـــــــــب
ليس هذا الخيال والتيـــه فنـــا

فلما حدثت الثورة ملكية الارض الزراعية ، ومحت الاقطاع،واصدرت قانون الاصلاح الزراعي، رحب الشعب ، وصدح الشعراء ، كقــول على الجندى :

ذهـــب الحقـــــد والحســـــد
ومضى البؤس والكــــــــــد
وانقضى الظلم وانزاـــــــــوت
دولة الصيّــــد والصيّـــــد
والتقى الناس اخـــــــــــوة
لاذئـــاب ولا نقـــــــــــد
وتســاوى بنو الغـــــــــنى
وبنو الفقـــر في الرّغــــد (٣)

هذه لمحات الى اعجاب بعض الشعراء بالريف ، والى اشفاق بعضهم على الفلاح ، وهم جميعامن ابناء الريف ، نشأوا به وعرفوا طبيعته،اوخالطوا ابناءه ، واتصلوا بهم اتصال قرابة وجوار . ■■

د . احمد الحوفى

---

(٣) الصّيد : المتكبرون . الصّيد الكبر . النقد جنس من الغنم قبيح الشكل .

مصيبة الزواج

● زوجت امرأة ابنتها الى اعرابي لاتحبه فقالت : يابنية اقلعى زجّ رمح زوجك ، اولا ، فان اقر فاقلعي سنانه ،فان اقرى فاكسرى العظام بسيفه ، فان اقر فاقطعى اللحم وضعيه على ترسه ،فان اقر فضعى الأكاف على ظهره فانه حمـار .

ثم خذى هذه الابيات واجعليها الطريق التى تسلكينها فى معاملته :

عليـك ياسيـدة البنـــات	معصية الـزوج الى الممـــات
وداومــى غيرتــه وشتمــه	وقاتلــى فى كل يوم امّــه
وبـاعدى مابينهـا وبينــه	وعينــها فـأسخنى وعينــه

من تاريخ العلم
عند العرب

ابن زُهر

الطبيب العربي الاندلسي

٤٦٤ ـ ٥٥٧ هـ ـ ١٠٧٢ ـ ١١٦٢ م

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ هو عبد الملك بن ابي العلاء زُهر بن محمد بن مروان بن زُهر الايادي ، احد مشاهير اطباء الاندلس ، عرفه الاوروبيون باسم Avenzoar وهو سليل بيت اشتهر ابناؤه بصناعة الطب ، فابوه طبيب من قبله ، وقد خلفه ابنه في صناعة الطب ايضا ، وكذا ابنته وابنة ابنته ، فقد كانت لهما خبرة بالمداواة ولاسيما فيما يتعلق بامراض النساء والتوليد. اما ابن زُهر ،فكان حسن المعرفة بالادوية والمعالجات،خدم الملثمين ، ونال منهم اموالا جزيلة وصار الطبيب الخاص للملك « ابي محمد عبد المؤمن بن علي » . وله الف ابن زهر كتابه « الترياق السبعيني » ومختصره . وكتاب « الاغذية » ومنه مخطوطة في مكتبة احمد الثالث في استنبول ومنه ميكروفيلم بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ولد في بلدة « بنغلور » في الاندلس عام ١٠٧٢م ، وتوفي في اشبيلية عام ١١٦٢م ،عاش في اشبيلية وكان ابن رشد تلميذه وصديقه .

له من المؤلفات كتاب في الزّينة ، ورسالة في علتي البرص والبهق ، ومقالة في علل الكلى، وله ايضا كتاب التذكرة ، وضعه لولده في معالجة الامراض ،وفيه ملاحظات شخصية تستحق الذكر . منها قوله « ان احسن علاج للحمى في الاعضاء ، هي غمس المحموم في الماء البارد . » وقد انتقد وقاوم تهافت الاطباء على استعمال المسهلات ، فيقول ، ماسقيت مسهلا قط كدواء ، الا واشتغل بالي قبله بايام وبعده بايام ، فانما هي المسهلات سموم ، وكيف حال مدبر السموم وسقيه اياها لطالب المنفعة ، وهو يوصي الطبيب بالتلطف في ادويته ومراقبة تاثير الدواء في اليوم الاول والثاني والثالث . فاذا افاد ، قوّى ادويته بزيادة مقدارها وكميتها ، ثم هو يعود لذكر المسهلات فيقول « لاتعط مسهلا حتى تعطي معه ما يقوّي المعدة كالمصطكي . وما يحجب المضرة عن الامعاء كالمخيطاء ، والكثيرا ، ولب الفستق . ويذكر ابن زهر،ان العسل والسكر يوصلان الادوية الى الكبد كما يوصلها الخل الى الطحال ، وان الرئة تجتذب العناب لمشابهته لها في الشكل ويؤكد ان الحلاوة تفعل في الكبد وان عود السوس يوافق المثانة .

اشهر كتبه

ومن اشهر كتبه « التيسير في المداواة والتدبير » ناقش فيه كتاب القانون لابن سيناء والكتاب الملكي للمجوسي ، واتهمهما بالاطالة ، وقد مال الى الاقتصاد والوضوح في الكتابة ، وعالج فيه الامراض الباطنة والجراحة ، ووصف خراج الحيزوم وصفا دقيقا لانه كان مصابا به ، كما وصف التهاب غشاء القلب وميز اعراضه عن التهاب الرئة ، وقد ترجم كتابه الى اللاتينية واللغات الاجنبية الاخرى .

يقال انه الف هذا الكتاب للقاضي ابي الوليد محمد ابن احمد بن رشد ليكون متمما لكتابه الكليات في الطب وانتهى من تاليفه في اواسط القرن السادس الهجري او الثاني عشر الميلادي، يوجد منه في المكتبة الوطنية بباريس مخطوط في مجموع رقمه ٢٩٦٠ ، يحتوي على ثلاث

مخطوطات اخرى هى كتاب الاغذية لابى مروان عبد الملك بن زهر ، ورسالة فى الادوية لابى العلاء زهر بن زهر ، والتذكرة للمؤلف نفسه ، وقد كتبت هذه النسخة فى برشلونة عام ٥٦١ هـ. وتوجد من هذا الكتاب نسخة فى المتحف البريطانى فى لندن ، كما توجد نسخة اخرى فى مكتبة بودلى فى اكسفورد بانجلترا ، ومخطوطة لترجمة العبرية فى مكتبة ليدن بهولندة . ويوجد للتفسير نسخة فى مكتبة اللغات الشرقية بباريس وتحتوى على كليات ابن رشد .

والحق ابن زهر بكتاب التيسير مقالة أطلق عليها اسم « الجامع فى الاشربة والمعجونات » ، والجامع عبارة عن مجموعة كبيرة من وصفات الادوية والترياقات التى كان ابن زهر يشير باستعمالها مع طريقة تركيبها .وبما ان ابن زهر الف الجامع بعد اتمام كتاب التيسير ، فربما كان ذلك بطلب من ابن رشد ، فان من المؤرخين من يميل الى عد الجامع كتابا مستقلا ، لاسيما ، وان من نسخه ماكتب منفصلا عن التيسير . وتوجد من « الجامع فى الاشربة والمعجونات » مخطوطة فى المكتبة الوطنية فى جوتا بالمانيا الشرقية ومع ان هذه النسخة كتبت مستقلة عن كتاب التيسير فى المداواة والتدبير ، فان الناسخ يقول فى اخرها : كمل الجامع من كتاب التيسير فى المداواة والتدبير ، املاء الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر ، وتوجد من الجامع نسخة فى مكتبة بودلى فى اكسفورد بانجلترا واخرى فى المتحف البريطانى فى لندن ، وهى ملحقة بكتاب التيسير على اعتبار انها جزؤه الاخير .

وله ايضا كتاب الأغذية ، من مخطوطة فى المكتبة الوطنية بباريس ، واخرى فى مكتبة أحمد الثالثة فى استنبول .وكتاب « الزينة » .ذكره ابن ابى اصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الاطباء » . وكتاب «تذكرة فى امر الدواء المسهل». ومقالة فى علل الكلى ، ورسالة فى علتى البرص والبهق ، كتبها ابن زهر الى بعض الاطباء فى اشبيلية.وتذكرة فى علاج الأمراض . وقد اورد ابن ابى أصيبعة هذه المؤلفات فى كتابه عيون الانباء . وله ايضا « مصباح الشفاء » . ذكره سارتون فى كتابه المدخل الى تاريخ العلم هذا عدا مؤلفات اخرى كثيرة . اغلبها مفقود مع الأسف الشديد .

اعظم طبيب بعد جالينوس

ويعتبر ابن زهر واحدا من أعظم علماء الاندلس . تميز باقتصاره على دراسة الطب ، على حين انصرف العلماء الآخرون الى الفلسفة .

كان موضع احترام العامة والخاصة ، ومن بين هؤلاء الفيلسوف المشهور والطبيب المعروف ابن رشد الذى يذكر فى كتابه الكليات ان اعظم طبيب بعد جالينوس هو ابن زهر مؤلف « التيسير » وقد رويت عن ابن زهر قصص غريبة فى تشخيصه للامراض ومعرفته بالام المرضى دون ان يسالهم عن اوجاعهم ـ اذ كان يقتصر احيانا على فحص احداق عيونهم او على جس نبضهم . ، وكان ابن زهر قد الف كتاب « الزينة » قبل كتاب التيسير ، كما الف لابراهيم بن يوسف بن تاشفين كتاب « الاقتصاد فى اصلاح الانفس والاجساد » .

ومن المؤرخين من يزعم ان ابن رشد تلميذ ابن زهر ولعل منشأ هذا الوهم ان ابن رشد لما الف كتاب « الكليات » ، اقترح على ابن زهر تاليف كتاب الامور الجزئية ، يكون تتمة لكتابه فى « الكليات » .ويدرس الأمراض واحدا بعد واحد، والاعضاء عضوا بعد عضو .

ولعلنا ان نعرض لموضوعات « كتاب التيسير فى المداواة والتدبير » الذى يعتبر اشهر مؤلفات ابن زهر حتى نتبين مكانة ابن زهر بين اطباء القرون الوسطى بعامة . والاطباء العرب بخاصة، فهو يقسم كتابه الى ثلاثة اجزاء ، فى كل جزء عدد من الرسائل،تختص كل رسالة بعدد من الامراض، ويتضمن الكتاب الاول ست عشرة رسالة تتناول الاولى قروح الراس خاصة بالاطفال ، من قرع ، وداء الثعلب ، وداء الحية ، والصلع ، وتشقق الشعر ، والسعفة ، وتبيض موضع من الشعر ، ونبات الشعر فى غير موضعه ، وفى الرسالة الثانية ، مايعرض فى الراس من الجراحات ، وفى الثالثة امراض الراس،وفى الرابعة امراض الاذنين،وفى الخامسة امراض الانف،وفى السادسة امراض الفم من عسر حس الذوق ، وبثور الفم

واورامه ،وفي السابعة امراض الشفاه والفم من تشقق الشفاه واسوداد الاسنان ونتن الفم ، والثامنة في امراض العين ٠

وهكذا في الرسائل الباقية يتناول ابن زهر امراض الرقبة وامراض الرئة وامراض القلب والكبد والمعدة وامراض الصدر ٠ ويتابع ابن زهر في رسائل الاجزاء الاخرى من الكتاب بقية الامراض والعلل من كلى وعظام واسنان ، والتشنجات والنقرس والحميات والامراض الوبائية ٠ وفي نهاية كتاب التيسير قوائم بالوصفات الطبية سماها ابن زهر « الجامع » ووصايا في تركيب الأدوية واستعمالها ٠ ويلاحظ ان وضع العلاج في متناول غير المتخصصين امر معروف في تلك العصور كما ان وصفات الادوية المركبة التي اثبتها المؤلف يبلغ عددها اثنين وخمسين وفيها بيان تحضير الاشربة والمراهم والمعاجين ٠

ويلاحظ ان كتاب التيسير عامر بالملاحظات الشخصية مما اشاع صيت ابن زهر وصيت الطب العربي عامة ٠

عمل أصيل

ولا شك ان تاليف ابن زهر مثل هذا الكتاب في هذا العصر ٠ كان عملا اصيلا ، دعاه الى انجازه ابن رشد ، ويذكر ابن زهر في مقدمة الكتاب انه ماأقدم على تاليفه الا بسبب نقص الكتب الطبية ، والحاح القوم عليه في تاليفه ٠ ومطالع هذا الكتاب يعجب باستقلال مؤلفه بارائه وبجراته على نقد الخاطيء من اراء المتقدمين السابقين ٠

اما كتاب الاغذية فيقول ابن زهر انه ليس بالموجز المخل ، ولا الطويل الممل ، وانه يشتمل على الادوية التي يمكن ان يجدها المرء بسهولة ويسر في اكثر الاقطار ، ثم ينتقل بعد ذلك الى دراسة الاغذية حسب الفصول فيتحدث عن انواع الخبز المصنوعة من الحبوب ومن طحين الحمص والفول والفاصوليا والعدس ، ثم انواع الاغذية من اللحوم وانواع الحليب ومشتقاته اللبن والزبدة ، وعن سمك المياه الحلوة وسمك مياه البحار ثم انواع الفواكه والخضراوات والتوابل والعسل والسكر والحلويات والمشروبات والزيوت والاشربة ٠ ثم مواقيت الاكل والنوم والاغتسال والرياضة ، ولا شك ان كتاب الاغذية يستحق العناية والتقدير ، فهو يشتمل على مبادىء علم الصحة العامة كذلك ٠

واسلوب ابن زهر اسلوب تعليمي ، على نمط اساليب الاطباء والكيميائيين العرب ، يشعر القارىء بانه يحضر درسا علميا حيا ، يلقيه استاذ متمكن ، يوشي حديثه ببعض الطرائف وذكريات الشخصية وفي اثار ابن زهر قيمة كبرى من حيث المفردات والمصطلحات العلمية ، كما انها تدل على اطلاع ابن زهر على اثار المشارقة ، فمنها اسماء ادوية فارسية وهندية كالكهرباء ، والبنج و « دار صوص » والسكنيجبن ، وهذا يدل على ان العرب افادوا من طب الامم الاخرى ، ولم يكونوا مجرد نقلة للطب اليوناني ٠

ولا مراء ان في اثار ابن زهر مما يدل على ابتكارات استحدثها ، لم يسبقه اليها احد ، كوصفة للاورام التي تحدث في الغشاء الذي يقسم الصدر طولا ، او قرحة الحجاب الحاجز ، وهي امور يقول المختصون انه لم يسبقه الى وصفها احد ، وكان اول طبيب عربي يقبل عملية خزع الرغاوى ، كما عرف التغذية الصناعية عن طريق البلعوم والشرج وشرح طريقتها ٠

وبعد : فهذا عرض موجز لبعض اعمال ابن زهر ، يطول بنا الحديث اذا حاولنا استقصاء بقية اعماله ومؤلفاته ، وانما قصدنا الى مجرد الاشارة الى أعمال هذا الطبيب العربي الاندلسي الاشهر لعلنا بذلك نثير الحماس لدى المسئولين على العناية بالتراث العلمي العربي ، ونشر هذه المؤلفات محققة وملخصة حتى يعلم شباب امتنا العربية مكان امتهم في تاريخ العلم ■■

عبد الحليم منتصر

العربي : راجع مقالا عن ابن زهر في العربي عدد ٣٢ صفحة ٥٠ بتاريخ يوليو ١٩٦١



اخ

● حكى ان مسيلمة الكذاب احضر رجلين فقال لاحدهما : تعلم انى رسول الله ؟ فقال الرجل : بل محمد رسول‌الله، فاخذه مسيلمة وقتله · ثم قال للاخرنفس السؤال فقال : انت ومحمد رسول اللـــه

اتكال

مر الشعبى يوما بابل قد فشا فيها الجرب فقال لاعرابى كان يحرسها : اما تداوى ابلك ؟ فقال الاعرابى : ان لنا عجوزا مؤمنة تتكل على دعائها · فقال الشعبى لو جعلت مع دعائها شيئا من القطران كان ذلك ارجى ·

موقف سياسى بارع

● بلغ‌عمربن الخطاب ان‌قومايفضلونه‌على ابى بكر الصديق فوثب مغضبا حتـى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى‌على محمد ثم قال :

ايهاالناس انى‌سأخبركم عنى‌وعن ابى بكر،انه‌لما توفى رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتهاوبعيرها،فاجمع رأينا كلنا اصحاب محمد أن قلنا له ياخليفة رسول الله : ان رسول اللـــه‌كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم وقد انقطـع ذلك فالزم بيتـك‌ومسجدك فانه لاطاقة لك لقتال العرب ·

فقال ابو بكر : اوكلكم رأيه على هذا؟فقلنا : نعم فقال : والله لان أخِر من السماء فتخطفنى الطير احب الى من ان‌يكون هذا رأيى · ثم صعد المنبر وقال : ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمداقد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت · ايها الناس · ان كثر اعداؤكم وقل‌عددكم ركب‌الشيطان‌منكم هذاالمركب· والله ليُظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون ، قوله الحق ، ووعده الصدق،بل يقذف الحق على‌الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق · والله ايها الناس لو افردت من جميعكم لجاهدتهم فى اللـه حق جهاده حتى ابلى بنفسى عذرا او اقتل قتلا · والله ايها الناس لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهـو خير معين ·

حكمـــة

● رأى ابراهيم بن ادهم رجلا يتحدث بكلام لايعنيه فوقف عليه : وقال : اهذا كلام ترجو منه الثواب ؟ قال : لا ، قـال: افتأمن عليه العقاب ؟ قال : لا ، فقال ابن ادهم : عليك بذكر الله ، وما تصنع‌بكلام لاترجو منه ثوابا ولا تخاف عقابا ·



برخصة الله

فخلى سبيله واطلق سراحه . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اما الاول فقد مضى على عزمه ويقينه ، واما الآخر فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليــه .

اسباب الحزم

قال احد البخلاء لغلامه وكان اسمه مسرورا يامسرور هات الطعام واغلق الباب ، كي لايرانا احد . فقال مسرور : يامولاى هذا خطا قل اغلق الباب اولا ثم قدم الطعام . فقال البخيل : لله درك من غلام اذهب فانت حر لعلمك باسباب الحزم .

السينية المشهورة

● دخل ابو تمام على الخليفة المعتصم قبل خلافته وانشده قصيدته السنية المشهورة ، فلما بلغ قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء اياس

قال يعقوب بن الصباح الكندى وكان حاضرا المجلس ، ماصنعت شيئا ياابا تمام، وما زدت على ان شبهت ابن امير المؤمنين بصعاليك العرب .

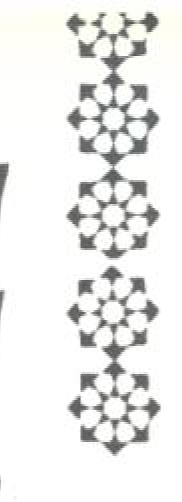
فاطرق الطائي ثم انشد :

لاتنكروا ضربي لــه مــن دونه   مثلا شردوا في الندى والباس
فاللــه قــد ضــرب الاقل لنوره   مثــلا عن المشكــاة والــنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة اصلا ،وعمرو الذى عناه الشاعر هو عمرو بن معدى كرب الفارس الشجاع اما حاتم فهو حاتم الطائي المشهور بكرمه وجوده . اما احنف فهو الاحنف بن قيس الحكيم المشهور ،اما اياس فهو اياس القاضي وكان من قضاة عمر ابن عبد العزيز .

عيوب الاعمش

● حكي انه وقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل الاعمش بعض اصحابه ان يرضيها ويصلح ذات البين فدخل عليها ، وقال : يامة الله ان ابا محمد الاعمش شيخنا وفقيهنا ، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ، وحموشة ساقيه ، وضعف ركبتيه، وقزل رجليه ، ونتن ابطيه، وبخر شدقيه، فقال : قم قاتلك الله وقبحك فقد اريتها من عيوبي مالم تكن تعرفه وتبصره .



الأمثال العربية

مرت بمراحل ثلاث

بقلم : احمد عبد الرحيم احمد

■ الامثال اقوال سائرة مسلمة ، سيقت للعظة والاعتبار ، مع الايجاز ، والاحكام ، والدقة ، والتركيز ، وقضايا الامثال مما تتظاهر العقول البشرية على التسليم به ، فاذا ماعرض للناس فى حياتهم امر من الامور التى تدخل مفهوم احد الامثال ـ تمثلوا به ، فتأنس النفوس لذلك .

والامثال من اداب العرب الهامة لانها تجرى على السنتهم مجرى الشعر ، وهى عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح (١) . والامثال من كلام العرب فى الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ماحاولت من حاجاتها فى النطق بالكفاية ،فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابه المعنى ، وحسن التشبيه (٢) .

الأمثال فى الشعر

والشعر العربى ، تضمن كثيرا من الامثال والحكم ، وبهذا وصل الى قمة الابداع ، ومن ذلك قول ابى ذؤيب :

فلا تك كالثور الذى دفنت لـــــه
حديدة حتفٍ ثم أمسى يثيرهـــا

وبعض الشعراء نظم القصائد كلها من الامثال، كارجوزة ابى العتاهية التى سماها « ذات الامثال » ، ومنها :

حسبك مما تبتغيه القــــــوتُ
ما أكثرَ القوتَ لمن يمـــوتُ
الفقـــر فيما جاوز الكَفَـــافا
من اتقى الله رجا وخافــــــا
هى المَقادير فَلُمْنى أو فَـــذَرْ
إن كنت أخطأْتُ فمـــا أخطا القدر
لكل مايؤْذى ـ وإن قلْ ـ ألَمْ
ما أطـــول الليـــل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثـــل عقلـــــه
وخيرُ ذخـــرِ المرء حسنُ عقلـــه
ان الفساد ضده الصــــــلاح .
ورب جدجـــرة المِــــزاح

(١) تاريخ آداب اللغة العربية . جورجى زيدان جـ ١ ص ٤٧ ط ٣ مطبعة الهلال بمصر ١٩٣٦ م
(٢) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٢٣٤ .

في سبيل تجميعها وتدوينها

من جعل النمّامَ عيناً هلكا
مبلّغك الشرَّ كباغيه لكا

ونكتفي من هذه الارجوزة بما ذكرنا ، ويقال انها اشتملت على اربعة آلاف مثل ٠

مراحل جمع الامثال وتدوينها

والعرب قد اهتموا بجمع الامثال وتدوينها في وقت مبكر ، وذلك بعد ماتيسرت الكتابة ، وسهلت وسائلها ، وانتشرت بينهم ٠ فحظيت الامثال بالاهتمام كغيرها من الفنون التي تمثل التراث العربي القديم ، والباحث يجد ان حركة جمع الامثال القديمة وتدوينها ، قد مرت بمراحل ثلاث :

المرحلة الاولى

بدات على ايدى الاخباريين والقصاص ، واول من تذكره المصادر في هذا الشان هو عبيد بن شرية الجرهمي اليمني ،وقد نسب اليه ابن النديم كتابا بعنوان : « كتاب الامثال » غير ان هذا الكتاب ـ ولعله اول كتاب للعرب فيهذا المجال ـ فقد مع ما فقد من كتب التراث العربي ٠

وذكر ابن النديم في فهرسته اسماء بعض الرواة الذين اخذ عنهم عبيد بن شرية مروياته ، ومعظمهم يمانيون ، مما يؤيد ان امثال عبيد كانت في معظمها امثالا يمانية ٠

ومن هؤلاء الاخباريين الاوائل ، الذين الفوا في الامثال ، في القرن الاول الهجرى ، « صحار ابن العياش العبدى » (٣) ٠ وكان ممن اتصلوا بالخليفة الاموى معاوية بن ابى سفيان ٠

ومنهم ايضا علاقة الكلابي ، وينسب اليه كتاب في الامثال ، يشتمل على خمسين ورقة (٤) ٠

المرحلة الثانية

ابتداء من القرن الثاني الهجرى ،تحولت حركة جمع الامثال تدريجيا من ايدى القصاص والرواة والاخباريين ، الى ايدى اللغويين ، الذين اشتدت عنايتهم بالامثال العربية ، كنماذج جيدة للغة العربية الفصحى ، فنشطت حركة تدوين الامثال عندهم ، حتى ليخيل للباحث ان كل لغوى في ذلك العصر ، كان يشارك في تصنيف الامثال ، وجمعها ودراستها ، فظهرت في هذا القرن والذى بعده مؤلفات :

ابى عمرو بن العلاء توفي سنة ١٤٥ هـ ٧٧٠ م ٠

والمفضل الضبى توفي سنة ١٧٠ هـ ٧٧٦ م ٠

ويونس بن حبيب توفي سنة ١٨٢ هـ ٨١٤ م ٠

وابى فيد السدوسى توفي سنة ١٩٨ هـ ٨٣٠ م ٠

وابى زيد الانصارى توفي سنة ٢١٥ هـ ٨٣١ م ٠

والاصمعى توفي سنة ٢١٦ هـ ٨٣١ م ٠

وسعدان بن المبارك توفي سنة ٢٢٠ هـ ٨٣٥ م ٠

وابى عبيد القاسم بن سلام الهروى توفي سنة ٢٢٣ هـ ٨٣٧ م ٠

---

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٩٠

(٤) انظر : معجم الادباء ٠ لياقوت الحموى ٠ طبعاحمد رفاعى ١٢/١٩٠ والفهرست ص ٩٠

وابن الاعرابي توفي سنة ٢٣١ هـ ٨٤٤ م ٠

وابن السكيت توفي سنة ٢٤٣ هـ ٨٥٧ م ٠

وغيرهم ممن بذلوا جهودا جبارة في هذا الميدان ، ولم يبق لنا من مجموعات القرن الثاني الهجري ، الا كتابان ، احدهما : « كتاب امثال العرب » للمفضل ابن يعلى الضبي ، وثانيهما : « كتاب الامثال » لأبي فيد مؤرج بن عمر السدوسي (٥) ٠

وكتاب المفضل الضبي ، طبع مرتين ، احداهما في القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ، والثانية في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ٠ وهذه المرحلة التي تحوّل فيها جمع الامثال ، من أيدي الاخباريين والرواة ، الى اللغويين والنحاة والبلاغيين والصرفيين ـ تتميزُ بالجدية العلمية ٠ والدراسة الجادة ، اذ لم يعد الغرض من الامثال حكايةَ مايدور حولها من قصص وتاريخ ، واجترارَ ذلك، والتندرَ به ٠

وانما اصبحت العنايةُ تتجه الى تسجيل الألفاظ الغريبة ، والتراكيب الفصحى،والنوادر ، فومثلت الامثال « كمواد خام » يجد فيها العلماء ضالتهم العلمية سواء من ناحية دلالة اللفظ على المعنى ، او من الناحية التركيبية للجملة ٠

فاصبح المثل لهذا شاهدا لغويا نحويا اسلوبيا عند هؤلاء العلماء ، وتميزت هذه المرحلة ايضا بميزة اخرى ، وهي الحرص على الامثال السائرة المسموعة من العرب ، والتي يلتقطها اللغوي بأذنه ، من بدو الجزيرة العربية ٠ ولا ريب ان كثيرا منها ، كان منحدرا مع العرب عبر عصور سحيقة بعيدة في القدم ٠وهكذا اعطت هذه المرحلة ثمارا جيدة في الحقل اللغوي ، والتراكيب البلاغية والاساليب الادبية ٠

المرحلة الثالثة

وهي مرحلة جمع هذا التراث الهائل من الامثال العربية ، الذي توزعته مجموعات اخبارية ولغوية وتصنيفية في موسوعات عامة ، تميزت بالترتيب والتنسيق ، فظهرت بذلك معجمات الامثال عند العرب مثل :

جمهرة الامثال ، لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م ٠)

ومجمع الامثال ، للميداني (ت سنة ٥١٨ هـ ١١٢٤ م ٠)

والمستقصى في امثال العرب ، لجار الله محمود الزمخشري (ت سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٤ م ٠)

ومجامع الامثال ، للبيهقي تلميذ الميداني (ت سنة ٥٦٥ هـ ١١٧١ م ٠)

وتميزت هذه المرحلة ، بجمع الامثال العربية القديمة ، من العصر الجاهلي حتى القرن السادس الهجري ٠ واصبحت مرجعا لرواد العلم ، وطلاب المعرفة ، وجهابذة النحو والصرف والتراكيب اللغوية ، والاساليب المختلفة ٠ وقد عنيَ رجالُ العلوم بمعرفة احداثها ووقائعها ، والمناسبات التي قيلت فيها ، وشرحها والتعليق عليها ٠

الأمثال العربية نوعان
أمثال حكمية
وأمثال مبنية على الحوادث

واننا نجد ان الامثال العربية نوعان :

الاول : امثال حِكمية كقولهم : « الجارُ قبل الدار » ، و « الحرب خدعة » و « الخطأُ زادُ العَجول » و « العِتابُ قبل العِقاب » ٠

وقول ابي العتاهية في ارجوزته « ذات الامثال » :

لكل إنسان طبيعتان
خير وشر وهما ضِدّانِ
والخير والشر إذا ما عُدّا
بينهما بونٌ بعيدٌ جدا

(٥) مقدمة كتاب الامثال ، لأبي فيد السدوسي ، تحقيق الدكتور أحمد الضبيب ، ص ٣٣ (طبع كلية الآداب ـ جامعة الرياض ـ المملكة العربية السعودية) ٠

إنك لو تستنشقُ الشحيحـــــا
وجدتـه أنـــتن شيء ريحـــا

ما تطلع الشمس ولا تغيـــب
إلا لأمر شأنه عجيـــبُ (٦)

الامثال الحكمية عامة بين الشعوب

والامثـال الحكميـة ، يتناقلهـا النـاس وترويها الامم بعضها عن بعض ، واقدم مجموع لها امثال سليمان ، واكثر الامم اخذت عنها ، وهي عند العرب مقتبسة من امثال الهند والفرس والروم ، فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكمائهم، كاكثم بن صيفي وغيره ، وينسبون امثالا كثيرة الى لقمان ، وهو من قدماء الحكماء ، يشبه شاعرا حكيما له نحو هذا الاسم عند اليونان Alcman من اهل القرن السابع قبل الميلاد ، ولد رقيقا ثم اعتق ٠ وهو اقدم من نظم الشعر الغنائي عندهم (٧) ٠

الامثال المبنية على الحوادث

الثاني : امثال مبنية على الحـوادث ، وهذه الامثال خاصة بالعرب ، ولم يأخذوها عن غيرهم ، لان الحوادث جرت لهم ، ووقعت وقائعها عندهم ، ولمسوا حيثياتها بانفسهم ، مثل : « الصيفَ ضيعتِ اللبن » ٠ واصل هذا ، المثل ان امرأة تزوجت رجلا موسرا مسنا ، فلم يعجبها ، فطلقها في الصيف حيث يكثر الخصب واللبن ، ثم تزوجت شابا مقترا ، وارسلت الى زوجهـا الاول ، تسأله لبنا فقال لهـا : « الصيـفَ ضيعتِ اللبن » (٨) ٠

ومثل « مايوم حليمة بسر » ٠ فمن حليمة ؟ وما يومها ؟

امـا حليمة فهي ابنة الحـارث بـن ابى شمر ملك الشام،وكانت كاجمل اهل دهرها واكملهم٠

ويومها يقال عنه : انه استحكمت الجفوة بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، والحارث بن ابى شمر الغساني ملك الشام ، وطمع كل منهما في صاحبه ، فخرج اليه بما ملك من قوة وباس شديد ، وبينما الحارث في طريقه الى العراق قدم عليه قادم من الحيرة له نسب في الغساسنة ، فاخبره ان جيش المنذر لا يناله العدو ، وان لا طاقة له بقتاله ، فلما تراءى الجيشان على « عين اباغ » (٩) اختار الحارث مائة من فتيانه كلهم شديدو الباس ، وامرهم ان يأتوا المنذر،فيفضوا اليه بطاعتهم وطاعة اهل الشام جميعا ، حتى اذا انسوا منه هدوءا فتكوا به ، ثم امر ابنته حليمة، فطافت بهم،فضمختهم بالمسك جميعا ، وكان ذلك مما افاض عليهم حمية وعزما واقداما ، فذهبوا حيث امروا ، وقتلوا المنذر وهو في العديد من قومه ، حتى اذا سمع الحارث وجنده صيحة الظفر من فتيانهم ، زحفوا فتلاقوا باعدائهم واوقعوا بهم ٠

ذلك هو يوم حليمة ،وهو من اروع ايام العرب واهولها (١٠) ٠

وقد يروى العرب عشرات الامثال ،قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (١١) ٠

فذكروا في اثناء هـذه الحادثة ، عشرات من الاقوال ، ذهبت مثلا ، منها : قول قصير :

---

(٦) الاغاني جـ ٣ ص ٤٥٤ الطبعة المتقدمة ٠

(٧) تاريخ اداب اللغة العربيـة لجورجي زيدان،جـ ١ ص ٤٧

(٨) لسان العرب لابن منظور ٠ مادة « ضيف ٠

(٩) موضع ٠

(١٠) مجمـع الامثال للميداني جـ ٢ ص ١٥٠وخزانـة الادب جـ ٢ ص ١١ وانظر المـرأة في جاهليتها واسلامها للاستاذ عبد الله عفيفي جـ ١ص ١١٧ الطبعة الاولى ٠

(١١) ابن الاثير جـ ١ ص ١٤٩ ٠

رأيٌ فاتـــر . وعدوٌ حاضـــــر .
رأيك في الكن لافي الضـــــح
ماضلّ من تجـــرى بــه العصـــا

وقول الزباء :

لأمرٍ ماجدّع قصـــيرٌ انفـــه
بيدِي لابيـــدِ عمـــرو

وهـذه الامثال واشباهها كثيرة في اقوال الجاهلية (١٢) .

ورجال ضربت بهم الامثال

وهناك من العرب من ضرب بهم المثل ، وهم : كُلَيبُ بن ربيعـة ، وكَعبُ بن مَامة ، وحاتم طى ، وعوف بن محلم الشيباني .

فقيل : اعز من كُلَيب وائل (١٣) .

قال النابغة الجعدى :

كليبٌ ـ لعمرى ـ كان أكثرَ ناصرا
وايسرَ جُرْمـاً منك ضُرِّجَ بالدم

ويقال : اجود من كعب بن مامة (١٤) .

قال اعشى بنى شيبان :

أقلْ تعلُّـــلاً يوما بنجـــــل
على السؤّال من كعب بن مامــه

ويقال : انت اسخى من حاتم طيىء

ويقال : لاحرّ بوادي عوف (١٥) .

يقول : ليس احد مثله في الحرية ، لانه منع جاره من الملك ،وجاء في مجمع الامثال للميداني، ان بعض الملوك ، وهو عمرو بن هند ، طلب من عوف رجلا ، وهو مروان القرظ ، وكان قد اجاره، فمنعه عوف ، وابى ان يسلمه ، فقال الملك عمرو ابن هند : « لاحر بوادى عوف » اى يقهر من حل بواديه ، فكل من فيه كالعبد له ، لطاعتهم اياه .

وقيل :

وأصبح ممسكا من حبل عـــــوف
بلاربّ الجوار ولا ذمـــــيمِ

والامثال تمثل نماذج صادقة من تفكير العرب وادابهم . وقد فطن العرب الى اهمية الامثال فدونوها ضمن التراث الذى اهتموا به في وقت مبكر .

مهمة الامثال لغويا

والامثال قد ادت دورا بارزا في حفظ اللغة العربية ، ونموها واتساعها وشمولها ، واهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ ، وجمال الاسلوب ، والتراكيب اللغوية .

وافادت الامثال الادب العربي ،فامدته بتراكيب لفظية بديعة ، كما ان وراء كل مثل قصة تحكى الاحداث والوقائع .

وبما ان الامثال ، تضمنت كثيرا من الكنايات والمجازات والتشبيهات والاستعارات والطباق والجناس والتورية ، وغيرها من النكات ـ فقد افادت منها البلاغة العربية واستمدت القوة .

مزايا الامثال بلاغيا

وعن بلاغة الامثال يقول ابراهيم النظام : تجتمع في المثل اربعة لاتجتمع فيغيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه، وجودة الكناية .

وابن المقفع يقول : اذا جعل الكلام مثلا ، كان اوضح للمنطق ، وانق للسمع ، واوسع لشعوب الحديث .

ولا شك ان الامثال العربية ذخيرة حية ، وثروة عظيمة ، جديرة بالدراسة والتحليل ، لتزداد استفادة بالتراث الفكرى الاصيل .

والامثال من اعظم مصادر اللغة العربية اذ امدتها بتبعاتها عبر التطور الذى تعيشه العربية في بنيانها وعطائها وتفاعلها . ■■

احمد عبد الرحيم احمد

(١٢) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ ص ٤٧ .
(١٣) مجمع الامثال جـ ٢ ص ٤٢ .
(١٤) المستقصى . للزمخشرى جـ ١ ص ٥٤
(١٥) جمهرة الامثال جـ ٢ ص ٣٤٦ .



التورم حول العينين بعد القيام من النوم

ظاهرة يشكو منها الكثير من الناس

● اقوم من النوم فاجد تورما حول العينين ، فهل يعني ذلك انى مريض باى مرض ؟

ـ التورم حول العينين ظاهرة يشكومنها كثير من الناس عند الصحو من النوم ، خصوصا حول الجفن الاسفل ، ويبقى هذا التورم لفترة ، ثم يزول تدريجيا في اثناء النهار ، ويلاحظ ذلك كثيرا اذا أطال الانسان السهر ، وفي بعض الاحيان نجده منتشرا في العائلة الواحدة ، ولعل ذلك راجع الى تهدل الجفون ، وبالتالي تجمع السائل اللمفاوى فيها بسهولة اثناء النوم، لعدم حركة الجفون ، واذا لم يكن هذا مصحوبا باعراض اخرى ، وكان الشخص يتمتع بصحة جيدة وعملت له الفحوصات اللازمة ـ فلا داعي للخوف من هذا ، اذ ان ذلك طبيعة هذه الجفون ، ومثلها في ذلك كمثل لون العينين وكبر الانف او صغره ، وغير ذلك .

اما اذا كان هذا مصحوبا بأعراض اخرى فان ذلك يكون عرضا من اعراض المرض ، ويلاحظ ذلك في مرض التهاب الكلى بانواعه الثلاثة الحاد ، وتحت الحاد، والمزمن ، ويكون ذلك مصحوبا بزلال في البول ، مع التغيرات التي تحدث في الدم، وفي وظائف الكلى ، كما يلاحظ ذلك في خمول الغدة الدرقية ، وما يصحب ذلك من زيادة سمك الجلد وجفافه ، والخمول العام في الجسم ، والشعور بالبرودة دائما وزيادة في الوزن ، والامساك، والاعراض الاخرى التي تصحب هذا المرض مع تغير في وظائف الغدة الدرقية .

ويلاحظ تورم العينين كذلك في مرضى هبوط القلب ، والربو المزمن ، وارتفاع ضغط الدم ، وفقر الدم،وسوء التغذية ـ من هنا يتضح انه اذا صاحبت التورم اعراض اخرى فالواجب ان يعرض الشخص نفسه على الطبيب ، ليعرف سبب التورم، وعمل الفحوصات المختبرية ، للتوصل الى المرض واعطائه العناية والعلاج الكافي .

● قصة

الطيران مع الكركدن

بقلم الدكتور حسين مؤنس

■ القيت نظرة اخيرة على غرفتى فى فندق لوكس فى مدينة بناما ، وتاكدت من اننى لم اترك خلفى شيئا ، وقلت للخادم : « احمل هذه الحقائب الى الردهة ... » .

واخذت حقيبة يدى ونزلت الى الردهة .

كانت الساعة الثامنة مساء وكان علىّ ان اركب الطائرة الى ليما عاصمة بيرو الساعة التاسعة والنصف مساء ..

ومضت بى السيارة نحو المطار . كان الجو خانق الحرارة كما هو دائما فى بناما . وكانت الشوارع غاصة بالناس كما هو الحال هناك كل ليلة ...

ودخلت المطار فلاحظت فيه هدوءا غير معتاد...

واتجهت الى مكتب الشركة التى ستقلنى هذه المسافة الطويلة ، فوجدت موظفة كسلى تتثاءب ، فقامت بعملية الوزن والتسجيل فى تكاسل غريب ، وسالتها : ما للمطار ساكنا كانه بلد مهجور ... قالت :

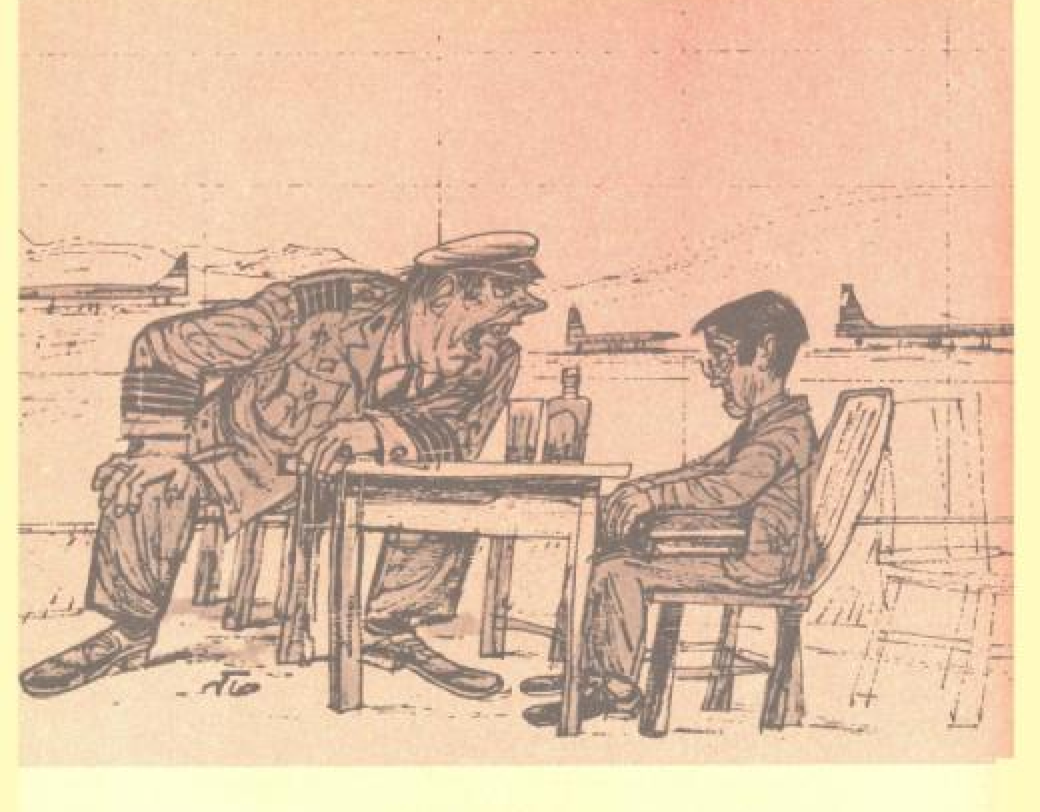
– ليس لدينا الى الساعة الرابعة صباحا الا طائرة واحدة ، هى تلك التى ستطير عليها . فى الساعة الرابعة صباحا تاتى طائرة الشركة الأمريكية « جاما » وعليها نحو مائتى راكب ... لابد ان نرتاح الان لنستعد لهذه الطائرة ..

وسكتت قليلا ثم قالت : طائرتك ستتاخر ... لن ترحل الا فى منتصف الليل ، فاذهب الان الى الاستراحة هناك ، وانتظر الى ان نبلغك ..

ولم اجد فى وجهها مايشجع على مزيد من الاستفسار ، فاخذت حقيبة يدى ، ومضيت الى الاستراحة ، ووضعت نفسى فى كرسى وثير وسبحت بى الافكار ... ثم وجدت نفسى اقول : اما وجدوا لى غير هذه الشركة الفقيرة المجهولة .. !

وقرات اسمها على التذكرة . اسم غريب لم اسمع به ابدا ..

وتذكرت اننى لم امر بمكتب الجوازات فاسرعت اليه . وجدت هناك موظفا وحيدا يتيما . فتح جوازى ، ودون ان ينظر فيه ، ختمه ، وناولنى اياه ، ثم اغلق نافذته واطفا نور المكتب ومضى .



وانتظرت ان ياتي راكب اخر اتجاذب معه اطراف الحديث • ولكن احد لم يات • فقمت الى مكتب الشركة فلم اجد الموظفة ، بل وجدت الشباك مغلقا ••

وطفت ببصرى فى المطار فتمشى فى جسدى بعض الخوف • كانت نصف مصابيح البهو الواسع مطفأة، وكان الظلام يخيم على جوانب كثيرة من البهو • وكانت مكاتب الشركات كلها خالية من الموظفين فقلت لنفسى : اخشى ان اكون قد ضللت طريقى الى مطار مهجور •••

ثم تذكرت الموظفة التى تسلمت منى متاعى ، وانباتنى نبا تاخر الطائرة ، وتذكرت كذلك موظف الجوازات فاطمانت نفسى بعض الشىء ، وعدت الى مكانى فى الاستراحة الكابية • لم اجد هناك احدا، فمضيت اذرعها ذهابا وجيئة •

وحوالى العاشرة مساء دخل فراش زنجى ، ونظر الىّ وقال : انت الذى سيسافر الى ليما على طائرة شركة بلونا •

ـ نعم ••• هل هناك تاخير اخر ؟

ـ لا ••• ولكن تعال معى الى البوفيه ، فالجو هناك احسن وارطب • هناك تكييف هواء ، وهناك بوفيه ، تستطيع ان تتناول منه شيئا •••

ومضيت معه الى قاعة اخرى فيها مشرب (بوفيه) يقف فيه خادم زنجى ايضا • كان يتصفح مجلة امامه • وضعت حقيبتى على مائدة ، وذهبت اليه، وقلت : ماالذى حدث ؟ اين الركاب ••

فنظر الىّ وقال : اى ركاب ؟

ـ الذين سيطيرون معى الى ليما على طائرة البلونا •••

ـ ليس هناك غيرك !

فتلفت حولى وقلت له دهشا : انا وحدى ؟ ليس فى هذه الطائرة سواى ؟

ـ نعم ••• ليس هناك الا انت •

ـ ولكن ، كيف تطير الطائرة براكب واحد •• ؟

ـ ولماذا تستقل نفسك ياسيد •• راكب واحد ،

كناريا ! طائرة رائعة من طراز الهيسبانو سويتا بمحركات جاليوتي جنوا تعتبرها حضرتك عصفورا.. اسمع أيها السيد : على هذه الطائرة ستسافر ولو كانت فيرة او حتى ذبابة .. هيا ... لقد حان الوقت ... خذ بالك منه يا انطونيو .. ساغسل وجهي واعود ..

ومضى متثاقلا كأنه الماريشال فون هندنبرج..

وهمس انطونيو في اذني . لقد وصل واحد من رجال الشركة الامريكية وقال لي ان لديهم امكنة خالية في طائرتهم التي ستصل هنا بعد اربع ساعات...الزم مكانك ولا تخف من الكابتن. ارفض التحرك ... لاتغامر بنفسك .. امامك فرصة للسفر على طائرة بوينج عظيمة .

ونظرت اليه شاكرا ووضعت يدي في جيبي لاعطيه شيئا .

وسمعت صوت الكابتن يصيح من بعيد : ابعد عنه يا انطونيو الكلب ... واقترب مني متهملا وقال : قلت ان هذا السيد سيسافر معي ، ومعي سيسافر ... انني لست مستعدا لفقدان سمعتي من اجل مسافر جاهل كهذا لايفهم شيئا في الطيران او الطيارين ..

وكانت المضيفة قد اقبلت ، فاصدر امره اليها بالمسير...ولم اجد اي سبيل للمقاومة...وسرنا نحو طائرة الموت ...

الكابتن في المقدمة ، ومن خلفي المضيفة الرهيبة ، والى يميني انطونيو وقد ملكه الذعر .

ودخلنا الطائرة .. واحكموا رتاجها ..

ونظرت فاذا بي وكانني في السرداب الذي حفره الاب فاريا في قصة الكونت دي مونت كريستو .. ودار محركا الطائرة .. وبعد قليل كنا في الهواء ..

واتتني المضيفة بصينية من الكرتون عليها اشياء من طعام بارد هزيل كأنه زاد لدفين مصري قديم ، وضعوه الى جانبه في القبر ، لعل الروح تعود الى جسده ..

ووضعت امامي زجاجة من البيرة

وانتظرت لحظة ثم قالت : ـ الا تريد ان تاكل ؟

ـ لا لا اريد ..

وفي سرعة البرقة اخذت الطعام والزجاجة ومضت تاكل وتشرب في نهم بالغ . وتاملتها وقلت لها : ـ وانت .. اليس لحياتك ثمن .. لماذا تلقين بنفسك في هذا الهلاك كل يوم .. ؟

ـ لانني اريد ذلك .. اريد ان اموت . حياتي كلها شقاء . تزوجت مرتين لم اذق في اي منهما طعم السعادة .. زوجي الثاني هو هذا الكلب الذي يسوق هذه الطائرة .. لقد طلقني بسبب فتاة هزيلة حمراء الوجه كأنها جزرة .. كم اكره جنس الرجال .. كلكم كلاب .. كلكم تستحقون الشنق .. ما ركبت هذه الطائرة مرة الا تجدد الامل في نفسي ان تنفجر بنا في الجو ، فيموت هذا الشيطان روبرتو واستريح انا من حياتي !

واحسست انني اتلاشى في الهواء ..

ومن فرط تعبي ويأسي تصبب عليّ عرق بارد كثير ، ثم احسست باستسلام كامل، واسترخاء في البدن واغرقت في النوم !

★ ★ ★

صحوت قبل الهبوط بلحظات

لا أصف لك كيف هبط بنا هذا الرجل ! في خفة العصفور حط، بنا في المدرج ..

لا والله ماشعرت بان الطائرة تجري على الارض حتى وقفت ... كانت الساعة السادسة صباحا.. ونزلنا ... ووجدت بعض أصحابي في انتظاري.. وذهبت الى الفندق فاغتسلت وطعمت واسترحت... وقضيت نصف النهار في عملي المرسوم لي ،وفي الظهر جلست انتظر الغداء في بيت مواطن عربي سوري من الجالية العربية في ليما عاصمة بيرو...

ومضينا نتجاذب أطراف الحديث وصوت الراديو يترامى من ركن في القاعة...وفجأة توقفت موسيقى الاذاعة واعلنوا عن نبأ خطير .

وبعد لحظة سمعت المذيع يقول :

في فجر امس وقعت كارثة من افدح كوارث الطيران هذا العام . لقد انفجرت في الجو طائرة شركة « جاما » الامريكية القادمة من ميامي وبناما الى ليما ، وهلك ركابها جميعا وعددهم ١٤٧ ، وهيئتها وعددهم ثمانية ... وقع الحادث بعد اقلاع الطائرة من مطار بناما بعشر دقائق ..

وسبح بي الفكر بعيدا ... وذكرت الكابتن روبرتو جالان مارينو وعصفور الكناريا الذي يقوده ، وفاض قلبي بالحمد لله وللكابتن روبرتو وللمضيفة كاتالينا ذات وجه الكركدن الجميل... وهل هناك اجمل من الكركدن ؟ ■ ■

حسين مؤنس

طيفُ وَلَدى لَيلَةَ العيد

■ أىُّ طيفٍ زارنى هذا المساءْ ؟ رفَّ في عينى كما رفَّ الضياءْ
إنه طيف حبيبى جاءنى من بعيد . . من بعيد كيف جاءْ ؟
كيف جاز الجوَّ والبحرَ معا دون أن يُرهبه عمقُ الفضاء
إنه حبى الذى يدفعُه إنما الحب كبير لا السماء

★★★

دخل البيتَ على عادته أىُّ نورٍ قد سرى ؟ أىُّ رُواءْ ؟
ثم حيَّانى ، وما عانقنى آه . هل ينسى عناقُ الأصدقاء ؟
ومضى يخطِر في غرفته ناثراً . أشياءه كيف يشاء
وتركتُ الطيفَ في عزلته مُغمِضاً جفنىَّ عنهُ ، بهناء

★★★

دقت الساعةُ حولَ أربعا فإذا الليلُ نضا عنه الرداءْ
فاقتحمتُ الباب ! لا طيفاً أرى لاصدًى أسمع من ذاك النداء
وإذا غرفتُه ساكنةٌ غيرَ كُتب راح يذروها الهواءْ
وستورٍ لم تحركها يدٌ ، وسرير لَمْ يُزَحْ عنه غِطاء
وإذا الطيفُ خيالٌ كاذب وإذا رؤيایَ وهمٌ وهَباء

★★★

ومشى المرءُ على آثاره مثلما عوَّده كلَّ لقاء
وأنا أرنو إليه واجماً ماله قد ملأ البيتَ مُواء ؟
كذَّبَتْه عينُه فيما رأى .. فانثنى يغمرُ عينيه البكاء

★★★

أيها الطيفُ إذا زرتَ فعُدْ ! ستَرانى ساهراً كلَّ مساء
ناظراً . رسمكَ في مكتبتى سامعاً ماكدتَ تهوى من غناء
وعلى خدى دموعٌ جمَدت وعلى قلبى نزيفٌ من دماء
إنها تعزيةٌ باطلةٌ وحدها ظلَّتْ على عهد الوفاء ■■

خليل الهنداوى

قول ابن عربى فى كتاب المواقف

على ان اهم من التفتاليه من الصوفية البارزين محيي الدين بن عربى ، فقد ذكره في خمسة مواضع من كتابه « الفتوحات المكية » ، نورد هاهنا ما قاله في موضعين منها ، لأن فيهما توضيحا لمعنى « الوقفة والموقف » عند النفرى .

يقول محيى الدين بن عربي (٥) : « ... اما اعتبار الآن الفاصل بين الوقتين فهو المعنى الفاصل بين حكم الاسمين اللذين لايفهم من كل واحد منهما اشتراك ، فظهرحكم كل اسم في موضعه على الانفراد ، وهو حد الوقف عندنا . فان الانسان السالك اذا انتقل من مقام قد احكمه وحصّله الى مقام آخر ليحصّله ايضا يقف بين المقامين وقفة يخرج في تلك الوقفة عن حكم المقامين ، ويعرف في تلك الوقفة آداب المقام الذى انتقل اليه ، وقد بيّن ذلك النفرى محمد بن عبدالجبار في كتابه المسمى المواقف ، وهو كتاب شريف يحتوى على علوم المقامات .

ويقول في موضع آخر (٦) : « ... واعلم انه ما من منزل من المنازل ، ولا منازلة من المنازلات ، ولامقام من المقامات، ولا حال من الحالات الاوبينهما برزخ يوقف العبد فيه يسمي الموقف ، وهو الذى تكلم منه صاحب المواقف محمد بن عبد الجبار النفرى رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بالمواقف الذى يقول فيه : اوقفنى الحق فى موقف كذا ، فذلك الاسم الذى يضيفه اليه هو المنزل الذى ينتقل اليه او المقام او الحال او المنازلة .

والموقف الثامن من المواقف ـ وعدتها سبعة وسبعون موقفا ـ يسميه النفرى باسم « موقف الموقف » وفيه يشرح مايعنيه بكلمة « موقف » .

ويحسن بنا على كل حال ان نقف وقفة قصيرة عند بعض المصطلحات التى يستخدمها النفرى في « مواقفه » و « مخاطباته » حتى نستطيع أن نتابعه فيها،وان نلم الماماً عابرةبفلسفته الروحية.

وفي هذا المجال قام « آربرى » بجهد مشكور في تجميع مايتصل بكل مصطلح من هذه المصطلحات من اقوال النفرى نفسها ، وليس لنا الا فضل الرجوع الى النص العربى فى المواضع التى اشار اليها آربرى من فقرات « المواقف » و «المخاطبات» وسنبدأ بالطبع من كلمة « وقفة » .

الوقفـة

الوقفة ينبوع العلم ، فمن وقف كان علمه تلقاء نفسه ، ومن لم يقف كان علمه عند غيره . وللوقفة مطلع على كل علم ، وليس عليها مطلع لعلم . والوقفة روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ، والعلم روح الحياة . والوقفة عمود المعرفة ، والمعرفة عمود العلم . وفي الوقفة احترقت المعرفة ، كما احتراق العلم في المعرفة . والوقفة وراء البعد والقرب ، والمعرفة في القرب ، والعلم فى البعد ، فالوقفة هي حضرة الله ، والمعرفة خطاب الله ، والعلم حجاب الله . وهكذا يمكن أن نقول ان الوقفه تاتى في المقام الاول تتلوها المعرفة ، ثم العلم .

والوقفة هي باب الرؤية ، وهي تعتق من رق الدنيا والآخرة . انها نور الله الذى لاتجاوره الظلم ، وهي يد الله الطامسة ما اتت على شيء الاطمسته ، ولا ارادها شيء الا احرقته : وهي ايضا ريح الله التى من حملته بلغ اليه . ومع ذلك فانها لاتهدى الى الله ، كما أن المعرفة لاتهدى اليها ، كما ان العلم لايهدى الى المعرفة ، ذلك انها جوار الله ، والله غير الجوار . ولوصلح شيء لله ، صلحت الوقفة ، ولو اخبر عنه شيء اخبرت الوقفـة . وهـى نـار السّوى ، ونـار الكون : والوقفة خروج الهم عن الحرف (اللاواقع) وهي نار تاكل المعرفة ، لانها تشهدك المعرفة سوى. فالوقفة تنفي ماسواها ، والمعرفة ترى الله وترى نفسها ايضا ، فان الوقفة لاترى غير الله وحده . الوقفة وراء مايقال ، والمعرفة منتهى مايقال . واذا خرج المتصوف عن الوقفة انتهبته المكونات . والوقفة محالة ان بقى عليك جاذب من السوى، بيد انها ترى السوى بمبلغ السوى ، فاذا رآه المتصوف خرج عنه .

الواقف

العارف يَعْرِف ويُعَرّف ، والواقف يَعْرف وَلايُعَرّف . والعالم يرى علمه ولا يرى المعرفة ،

---

(٥) الفتوحات المكية : طبعة القاهرة سنة ١٢٩٣هـ . الجزء الاول ، صفحة ٥٠٥ .

(٦) نفس المرجع ـ الجزء الثانى ، ص ٨٠٥

والعارف يرى المعرفة ولا يرى الله ، والواقف يرى الله ، ولا يرى سواه . والعالم يخبر عن العلم ، والعارف يخبر عن المعرفة ، والواقف يخبر عن الله . والواقف يدخل كل بيت فلا يسعه ، ويشرب من كل مشرب فلا يرتوى ، حتى يفضى الى الله ، فيكون قراره وعنده موقفه . يموت جسم الواقف ولايموت قلبه . فلا يرى حقيقة الا الوقف ، ولايعرف الله الا الواقف ، ولو انفصل عن الحد شيء انفصل الواقف ، فهو من وراء كل حد ، اطلب كل شيء عند الواقف تجده ، واطلب الواقف عند كل شيء لاتجده . والله اقرب الى الله من كل شيء .

المعرفة

راس المعرفة هو حفظ الحالة الروحية للمتصوف ، وكل مايجمعه على المعرفة فهو من المعرفة . والمعرفة هى لسان الفردانية ، اذا نطق محا ما سواه ، واذا صمت محا ما تعرف . وباب الله هو العلم ، والمعرفة بوابه . وما العلم الاعمود لا يثقله (تحمله) الا المعرفة ، والمعرفة عمود لايقله الا المشاهدة . وما بقيت معرفة بقى خاطر . وحين يرى المتصوف الله يرى العلم والمعرفة طردا عن الله : فاذا حمل العلم والمعرفة فى طريقه الى الله اعترضته الدنيا والآخرة ، فان كان طريقه فيهما حبساه . المعرفة بلاء الخلق ، وفى الجهل نجاة الخلق : فكل احد تفره معرفته الاالعارف الذى وقف بالله فى معرفته . وآية المعرفة ان يزهد فى كل معرفة ، فلا يبالى بعد معرفة الله بمعرفة سواه . وكل من سكن فى معرفة الله على معرفة سواه انكر الله ، لان المعارف المتعلقة بالسوى تكثر فى المعارف التى لاتتعلق به . لان المعرفة التى يحصل عليها بواسطة يمحوه الله بها عن حقيقتها .

العلم

العلم حجاب الله ، لان العلم حجاب الرؤية . والعلم حجة الله على كل عقل ، فهى فيه ثابتة لايذهل العقل عنها وان تذاهل ، وان انحصر العلم لم يكن علما . العلم لاينفذ الى الله ولا يبلغ الله : ونور العلم يضيء للعبد عن نفسه ، لا عن الله . وما بقى العلم بقى خاطر وبقى خطر ، فالعلم حرف لايعتربه الا العمل ، فاخرج من الحرف تعلم علما لاضد له وهو الربانى ، وتجهل جهلا لاضدله وهو اليقين الحقيقى . والعلم ليس الواسطة ، فلا تحمل العلم والمعرفة فى طريقك الى الله والااعترضتك الدنيا والآخرة . فلا تكن بالعلم فيزل بك ، ولاتكن بالمعرفة فتتنكر عليك . وصاحب الرؤية يفسده العلم كما يفسد الخل العسل . والعلم الذى ترى فيه الله هو السبيل اليه ، اما العلم الذى لاترى فيه الله فهو الحجاب الفاني. فاذا رأى المتصوف الله رأى الخوف والرجاء فى الطرد عنه ، ورأى العلم والمعرفة فى الطرد عنه . ومن لم ير الله فلا علمه نفع ولا جهله ارتفع . ومن لم يستقر فى الجهل لم يستقر فى العلم . والعلوم كلمات الله : وفيها بيت الله الذى يحادث منه العلماء .

الرؤية

باب الرؤية هو الوقفة ، واذا خرج الواقف من رؤية الله ، احترق . وذكر الله فى رؤيته جفاء ، فكيف رؤية سواه ؟ أم كيف ذكره مع رؤية سواه ؟ ولن يقف المتصوف فى رؤية الله حتى يخرج من الحرف والحروف ، ولن يقف فى الرؤية حتى يرى حجاب الله رؤية ، ورؤيته حجابا . مقام المتصوف هو الرؤية ، فان لم يبق فى الرؤية ، تخطفته ظواهر الكون : ذلك أن رؤية الله تفصم الصلة بين المتصوف والأشياء ، على حين ان غيبة الله تجدد الصلة . ورؤية الله تثبت القلب وتمحو الوجود . وفى الرؤية تكون الهوية بين الذات والموضوع تامة . « ياعبد قل لى فى الرؤية انت انت ، وقل لى فى الغيبة انا انا » . (مخاطبة ٤٧) . والرؤية باب الحضرة : ففى الرؤية يثبت الله الأسماء ، ويمحوها فى الحضرة. وحين يرى العبد الله ، يفنيه الفنى الذى لاضد له. والرؤية علم الادامة ، ومن يتبعه يتغلب على الضدية . اذ لاوجود لضد فى الرؤية . وفى الرؤية لاصمت ولانطق ، ولا اصحاء ولاظل . والرؤية هى ان ترى الله فى كل شيء ، والغيبة الا تراه فى شيء . الرؤية للصفوة ، والغيبة للعامة ، والغيبة دنيا وآخرة ، والرؤية لادنيا ولاآخرة .

الغير

اذا رأى المتصوف غير الله ، لم ير الله ، لان الغير كله طريق الغير. واذا عرف الله المتصوف

آبار الأرض الحرارية

طاقة قد تنفع الناس

بقلم : محمد العيسى الذكير

■ تلعب علوم الارض Earth Sciences دورا رئيسيا في البحث والتنقيب عن مصادر الطاقة ، كالبترول مثلا • ومن المنجزات الحديثة التي تقدمها هذه العلوم ـ في البحث وراء مصادر جديدة ـ استكشاف الحقول الحرارية الارضية Geothermal Fields ، وتسخيرها لمد الانسان بالطاقة •

والحقول الحرارية الارضية مكامن في جوف الارض تجمعت فيها ابخرة المياه الجوفية حارة ، واليسير من الغازات الاخرى •

تكون الابخرة وصعودها

عندما تتسرب مياه الارض السطحية الى جوف الارض تصبح مياها جوفية • وفي اماكن معينة من الطبقات الارضية ، يتسرب بعض تلك المياه الى الأعماق ، حيث حرارة الصخور الجوفية مرتفعة الى مافوق درجة غليان الماء فتتحول المياه الجوفية الى بخار يتسلل من خلال الشقوق ان وجدت في الطبقات الارضية ، حتى ينفذ من سطح الارض كما توضح الصورة « ا » وهو يخرج من خلال الآبار المحفورة عمدا •

التعريف بالبئر الحرارية الارضية

البئر الحرارية الارضية Geothermal Well تشبه لحد ما بئر البترول ، مع وجود فوارق • ومن تلك الفوارق ان هذه البئر الحرارية يخرج منها بخار الماء المندفع بسرعة فائقة ، تصل الى خمسمائة متر في الثانية ، او تزيد (انظر الصورة ب) • واما صرير البخار الصاعد من فوهات الآبار غير الملجمة فيشبه صوت طائرة نفاثة لحظة اقلاعها •

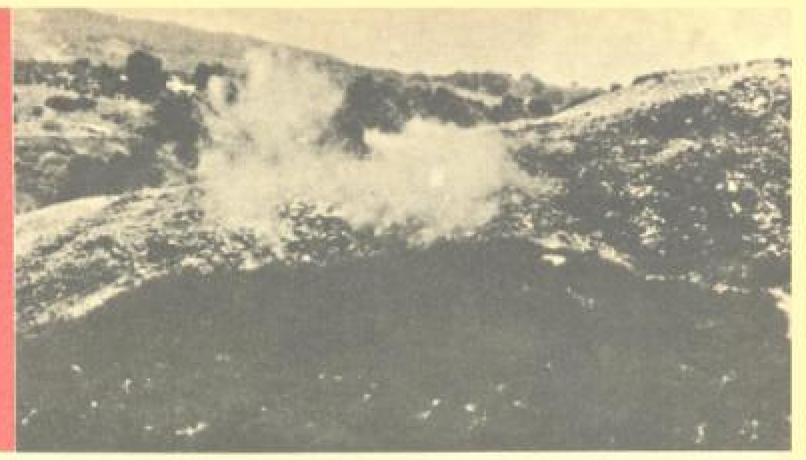
ويبلغ عمق الآبار في المتوسط الف متر ، وقد وصل عمق بئر في ولاية نيومكسيكو الامريكية الى ٢٩٠٠ متر •

عوامل تتحكم

اثبتت الدراسات العلمية في الحقول الحرارية الارضية ان هناك ثلاثة عوامل رئيسية تتحكم ، في تكوين المكامن البخارية في باطن الارض • هذه العوامل هي :

١ ـ الطبقات الارضية

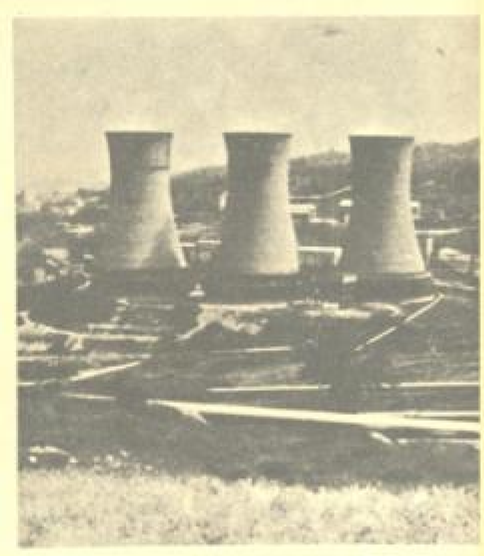
لا بد من وجود طبقات ارضية ذات خواص وتركيبات معينة تسمح بتسرب الماء الى الداخل ،



الابخرة الطبيعية تنفذ من شقوق في الارض · وحرارة الارض عند الشقوق تبلغ حوالي مائة وخمسين درجة مئوية ·



اندفاع البخار من بئر حرارية عمقها سبعمائة متر، وتعتبر احدى كبريات هذه الآبار في العالم انتاجا، وتوجد في منطقة ترافيل Travale في ايطاليا (وللمقارنة بين اندفاع البخار واندفاع البترول ، راجع الصورة المنشورة في العربي العدد ٥٢ ص ٣٨) ·



انابيب ممدودة تنقل الابخرة الى محطة توليد الكهرباء ، وثلاثة ابراج تبريد بجوار المحطة ·

واخرى تمنع البخار من النفاذ · ولا بد من وجود انحدارات وتصدعات Faults وطيات Folds في الطبقات ، لتتحكم في اتجاه المياه الى المناطق الحارة في جوف الارض ، ومن ثم تتحول هذه المياه الى ابخرة ، وعندما تحاول النفاذ الى سطح الارض تصدها الطبقات غير المسامية · وبهذا تتجمع الابخرة غازات من ماء تحت هذه الطبقات بكميات كبيرة ، وذلك اما في اقبية او

داخل طبقات لها خواص التخزين ، مثلها كمثل الطبقات التي تخزن فيها المياه • والهدف من حفر الابار هو الوصول الى مثل هذه التجمعات البخارية •

٢ ـ الصهير

الماء المتسرب الى جوف الارض ـ حين يصبح بخارا ـ يحتاج الى طاقة حرارية • فهذه الطاقة يستمدها الماء من الصهير او الصهارة Magma ، وهي مادة صخرية منصهرة في بطن الارض ، وعنها ينتج الصخر البركاني عندما تبرد • فوجود كتلة او كتل من الصهير تحت الطبقات المعنية عامل ضروري • ويمكن تشبيه دور الصهير في هذه الحالة بدور النار تحت غلاية الماء •

ومن الملاحظ ان الآبار الارضية الحرارية والينابيع الحارة Hot Springs والنوافير البخارية Geysers تكثر في المناطق البركانية وذلك لوجود الكتل الصهيرية Magmatic Lodies على مسافة غير بعيدة نسبيا عن سطح الارض (٣) •

٣ ـ الامطار

يجب ان تتوفر الامطار على مدار السنة لكي تتسرب الى داخل الطبقات الارضية ، فتعوض النقص الذي يخرج من الابار على هيئة بخار • وبذلك يكون هناك توازن طبيعي في المخزون •

طرق الاستكشاف

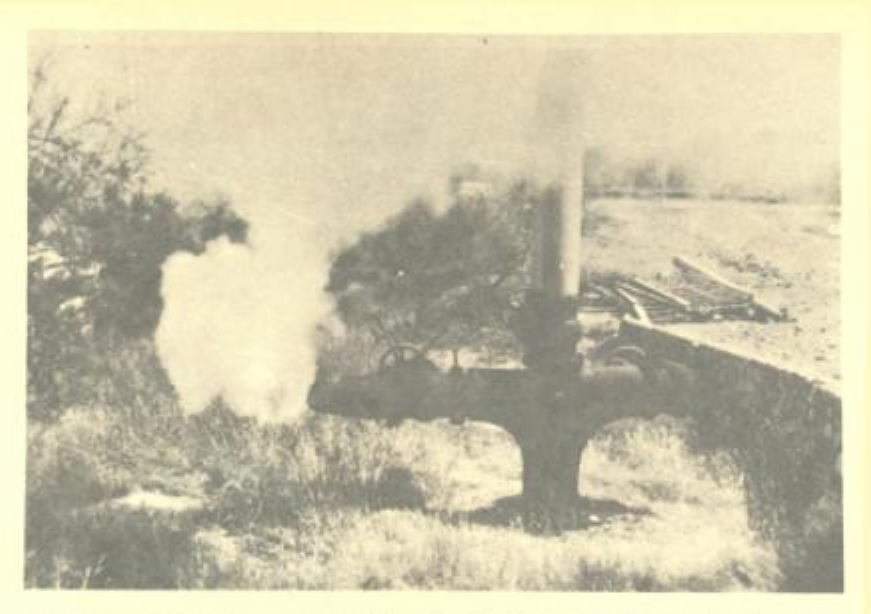
البحث عن المكامن الجيو حرارية يتطلب دراسة المنطقة من ناحية علم طبقات الارض ، الجيولوجيا، وعلم المائيات Hydrolgy ،وعلم الكيمياء الارضية Geochemistry ، وعلم الفزياء الارضية Geophysics • وكل فرع من هذه العلوم تعتبر نتائجه الدراسية مكملة للفروع الاخرى • والربط والمقارنات بين النتائج المختلفة ترشد القائمين على البحث الى وضع نسبة معينة عن احتمال العثور على مكمن البخار او مكامنه• فاذا كانت النسبة عالية يشرع في الحفر •

طرق الحفر والنقل

الطرق المتبعة في حفر الآبار الارضية الحرارية تشبه ، بصفة عامة ، تلك التي تستخدم في الآبار البترولية • وعندما يصل الحفر الى طبقة غنية بالبخار ، يجد البخار له منفسا من تلك البئر ، فينطلق مندفعا الى السطح • وهذا البخار خطر على المهندسين والعمال الذين يلتفون عادة حول البئر اثناء حفرها ، فهو ان اصاب شيء منه الجسم ادى الى احتراق الجزء الذي لامسه •



اول بئر بترول في العراق •• صورة تبين اندفاع النفط من « بابا كركر رقم ١ » الى ارتفاع ١٤٠ قدما في صباح ٥ اكتوبر ١٩٢٧•



احدى الآبار الارضية الحرارية المنتجة،والانبوبةالممتدة الى اعلى يسرى فيها البخار ، ولقد ترك بعض البخار يتسرب من الجانب وذلك كصمامامان.

وبعد السيطرة على البئر (انظر الصورة ج) ينقل البخار الى محطة توليد الكهرباء ،بواسطة انابيب تختلف كثيرا عن انابيب البترول ، وذلك راجع لحرارته التى تتراوح عادة مابين ١٥٠و٢٦٠ درجة مئوية ، مع ضغطه المرتفع ، الذى يبلغ فى بعض الاحيان خمسة واربعين ضغطا جويا ، كالذى فى الصورة «ب» .

انتاج الابار

يختلف الانتاج من بئر لاخرى ومن حقل لآخر . بعضها ينتج من خمسين الى مائة طن بخار فى الساعة ، وتصل معدلات بعضها الاخر الى ثلاثمائة طن فى الساعة ، او تزيد .

التحليل الكيميائى للأبخرة

ليست الأبخرة المتصاعدة بخار ماء محض بل هناك بعض الغازات الاخرى . ونسبة هذه الغازات تختلف من حقل لآخر،وذلك راجعلاختلاف التكوينات الجيولوجية . وبصفة عامة يؤلف بخار الماء حوالى ٩٥ فى المائة ، وثانى اكسيد الكربون حوالى ٥ر٤ فى المائة ، اما الباقى فغازات مثل النيتروجين ، والأيدروجين ، والميثان Methane وكبريتور الايدروجين Hydrogene Sulfide . وغيرها .

من طاقة الى طاقة

للايجاز نقول : الطاقة الكامنة فى الابخرة ، والمستمدة اصلا من الصهير ، يحولها المحولون الى طاقة كهربائية وذلك بربطها بالتربيناتTurbines لتديرها . وهذه تدير المولدات الكهربائية ، وقد يستخدم البخار مباشرة لتدفئة المنازل كما هوالحال فى ايسلنده واليابان .

■■

محمد العيسى الذكير
مركزالجيولوجيا التطبيقية
جده ـ السعودية

قصة مترجمة

ثمن المنصب

■ (مارتا هيلر) ربة بيت شابة ، تعيش مع زوجها (توم) في احدى ضواحي لندن ، و (توم) هذا موظف لدى شركة لحفظ اللحوم ، يذهب كل يوم الى عمله في القطار ،اما (مارتا) فقد اعتادت الذهاب الى لندن مرة كل شهر ، وكان لرحلتها تلك في نفسها شعور كالذي يحس به الذاهب الى مجاهل افريقيا ، فهي تصل قرابة الظهيرة لتستهل زياراتها للمخازن التجارية ، ومن ثم تلتقي بالسيدة (ويندى) رفيقة صباها، وزوجة (غراهام) زميل (توم) ، في منتدى قريب اعتادت الزوجتان ان تتغذيا فيه كلما التقتا .

اما غراهام وزوجته فهما يقطنان لندن ، ولكم تمنت السيدة (مارتا هيلر) ان تلحق بها (ويندى) وتقطن معها في الريف ، بحيث تكون على مقربة منها .

في احد الايام التقت (مارتا) بصديقتها (ويندى) في المنتدى ، بعد ماا شترت مايلزمها من السوق التجارية . الا انها بدت منفعلة ، وقد علا الاصفرار وجهها ، حتى كادت تتلعثم في ردها تحية (ويندى) ، ويبدو ان الاضطراب قد اخذ منها ماخذا ، فلم ترد على اسئلة صديقتها ، حتى فرغت من طعامها ، واخذت لفافة تبغ واشعلتها ، ومالت على الكرسي ثم تمتمت :

ـ « انه النوم .. اعني قلة النوم ... فمنذ قرابة الاسبوعين وانا اتناول المهدئات ، لعلني احظى ببضع ساعات من الراحة ، ولكن دون جدوى ، وكل ذلك بسبب دانتسون ... » .

ـ من ؟ .. دانتسون ؟ أهو رب عمل توم وغراهام ؟

ـ بعينه .. أصغي الي يا (ويندى) ، ان ما سارويه لك سر لم أبح به لانسان بعد ، وارجو ان تبقيه طي الكتمان ، كما انني آمل ان لاتبوحي به حتى لغراهام زوجك .

ـ اقسم لك يامارتا بانني لن اتفوه بكلمة .

ـ اكرر رجائي ياويندى لانه في حال تسرب كلمة ـ مما سأقوله ـ لتوم او لاي شخص يعمل في تلك الشركة اللعينة ستكون الحصيلة طرد زوجينا من العمل .

ذهلت ويندى لاقوال صديقتها ، وفغرت فاها ، وشبكت يديها على الطاولة ، تنتظر بفارغ صبر تفسيرا ، الا ان مارتا لم تدعها تنتظر طويلا حين قالت :

« كان ذلك منذ ثلاثة اسابيع تقريبا ، بعد يومين فقط من تلك الحفلة التي اقامها دانتسون في منزله لكل موظفيه ، لا شك تذكرين ؟ نعم ، بعد يومين من تلك الحفلة كان توم مسافرا في مهمة لمصلحة الشركة ، الى احد فروعها في

العربي : انها رواية لم تتم فصولها ، فيمامضى منها عبرة ، وفيما لحق لاشك عبرة اكبر . فالجريمة اولها لذيذ واخرها مر .

(فورت وورث) . أما أنا فكنت في الحديقة أزيل الاعشاب الضارة منها ، وارتب الأصص ، واذا بجرس الهاتف يرن ، فهرولت مسرعة ، وامسكت بالسماعة ، وعلى الطرفِ الآخر كان دانتسون ٠

عقدت لساني المفاجأة ، لان دانتسون يعلم بغياب توم عن المنزل ، فلماذا يتصل بي اذن ؟ ولكنه لم يمهلني ، اذ سالني عن امكانية لقاء فيما بيننا لامر يخص توم على حد زعمه ، ثم انه اكد لي ان الامر في غاية الأهمية ، فلم املك الا الموافقة ، ارتديت ثيابي على عجل ، وركبت القطار الى لندن ، فوجدته ينتظرني داخل مطعم الملك ادوارد ٠

اعجبتني اناقته في بادئ الامر ، وكان لكلماته وقع جيد عندي ، اذ قال لي انه سعيد جدا بهذا اللقاء ، كما انه امتدح توم لاخلاقه ، وهنأني به، لكنه اسف لحياته هو ، وكانت قد استهلت بزواج ظنه الناس حدث المجتمع ، بينما فشل بعد مدة وجيزة ، وانتهى بطلاق ٠ لم انطلق يتحدث عن توم ـ وهذا ماكنت متشوقة لسماعه ـ فهو هدف ذلك اللقاء ٠ طفق يعدد مناقبه ، ويطرى سلوكه وغيرته على العمل وكيف انه ، اى دانتسون ، قد فكر في تسليمه منصبا رفيعا لدى فرع الشركة في فورت وورث ، واخذ في حديثه يتطرق الىّ ، ويكيل المدح لي باعتبارى زوجة رجل ذى مستقبل باهر ، الى ان شرع يتحدث بحياء عن الموضوع الاهم لديه ٠

اخيرا قدمت لنا القهوة ، عندئذ استرسل في في الحديث براحة ،وكنت مازال اترقب واتساءل :

ـ ٠٠٠ فارتعشت وبسرعة قالت له:ماذا جرى بربك؟
ـ لقد عين غراهام نائبا للمدير في فورت وورث ، وانني لاستغرب تعيينه في هذا المنصب ، وهو لم يمض السنتين بعد في خدمة الشركة ٠٠٠٠ ـ

لماذا يغضبني بذلك الحديث كله ، ومن الافضل ان يقوله لتوم مباشرة دون حاجة الي" .

غير ان الحديث اخذ وجهة ثانية حين قال لي دانتسون بانني سوف اشعر بالوحدة القاسية خلال غياب توم عن المنزل ، لانه سيضطر للسفر مرارا ولمدة طويلة ، هذا ولن تسمح له اعماله واسفاره المتعددة ان يصحبني معه ، افلا يكون ذلك مزعجا بالنسبة الي ؟ ثم انه تساءل عن مبلغ افتقادي لتوم اثناء غيابه ، واوضح بانه سيكون ، اي دانتسون ، نعم الرفيق لي ، والصاحب في تلك الفترات ، وفي اعتقاده ان سيدة شابة ممتلئة بالصحة مثلي لن تسعد بل لا بد ستشعر بالتعاسة لفقدان حنان زوجها وعطفه ، وانه لا يحبذ بقائي في الريف وحدي ، وطلب مني ان افكر في انسان يملأ ذلك الفراغ الذي سيتركه زوجي ، انسان صديق لكلينا انا وزوجي ، يتفهم وضعي في تلك الفترات .

بالطبع ياويندي بدات افهم مايرمي اليه ،وجف لعابي في فمي من الدهشة ، وقد حذرني بانه لا يريد باي شكل ان يعلم توم بما جرى بيننا من حديث .

لم اعد اتذكر ماجرى بعد ذلك سوى الساقي، وقد جاء بقائمة الحساب . وانصرفنا من المطعم ، وهو يذكرني بان افكر في الامر مليا ، ويامل مني ردا ايجابيا .

شعرت بالغثيان بعد ما ركبت القطار عائدة الى البيت ، وتملكتني رجفة طوال الطريق من راسي حتى قدمي ، وشعرت بان كل الركاب يعلمون مايختلج في قرارة نفسي .

هذا ماحصل ياويندي .. والان تعلمين سبب شحوبي واضطرابي ، بالطبع انا لم انبس بحرف لتوم ، لانني لا اريد ان يخسر خمسة اعوام من العمل في الشركة ، كما انني لم اعر اهتماما لطلب دانتسون .

ـ وماذا جرى بعد ذلك يامارتا ؟ ماذا قلت للسيد دانتسون .

ـ كما قلت لك ، لم اعره اهتماما ،وقد اتصل بي منذ عشرة ايام ليسالني عن رايي في ذلك الموضوع ، غير انني اجبته بنفي قاطع لتلك الفكرة ، بالاضافة الى اني لااهتم به شخصيا ، ولست ادري ماسيحصل لتوم الآن ، من الممكن ان لايحصل شيء البتة ، والله اعلم ..

في المساء عادت مارتا مع زوجها توم وقد لفتت نظرها امارات الجهد والكلل البادية عليه ، لقد قرات التعب في خطواته الثقيلة ، وعندما ارادت ان تستفسر عن سبب اعيائه فاجاها بقوله : احزري ياحبيبتي ماذا جرى ؟

فارتعشت وبسرعة قالت له : ماذا جرى بربك ؟

لقد عين غراهام نائبا للمدير في فورت وورث، وانني لاستغرب تعيينه في هذا المنصب ، وهو لم يمض السنتين بعد في خدمة الشركة ، على انني لااملك الا ان اهنئه على ذلك باعتباره زميلي وصديقي .. هل تتصورين يامارتا ذلك القرار الذي اتخذه رب العمل ، ولي في خدمته مايزيد على خمس سنوات ، ومن الخبرة في تدبير شؤون الشركة وامورها ـ مالم يتوصل اليها اي موظف ؟

ـ وانا بدوري ياتوم اعجب لذلك ولكنني اود ان اهنيء ويندي بتعيين زوجها في ذلك المنصب .

ونهضت مارتا وامسكت بقرص الهاتف تديره على رقم ويندي ، غير ان الجرس في الطرف الآخر اخذ يرن ويرن ويرن دون جواب . ■■

ترجمة : انطون عرار

كل قصير فتنة

● يوصف القصير بالمكر والخبث فيقال : كل قصير فتنة . وحكي ان كسرى جلس يوما للمظالم فتقدم اليه رجل قصير القامة فأخذ يصيح : انا مظلوم ، وكسرى لا يلتفت اليه . فقال الموبذان : انصفه يامولاي ، فقال كسرى: ان القصير لايظلمه احد . فقال الرجل : ان الذي ظلمني هو اقصر مني . فضحك كسرى واستمع له .

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول اكتوبر ١٩٧٤

٦١

المهرجون
قصة فيلادلفيا

تأليف : فيليب باري
ترجمة وتقديم : د. صلاح عبد المجيد العربي
مراجعة : د. عادل سلامة



عند ما تنظر
إلى الأفضل..
أنظر الى ساعات
وست اند
WEST END WATCH Co
W
.. وعند ما
تفكر بهدية تقدمها
لمن تحب ف:
وست إند أفضل ما تقدم
الوكيل العام في الكويت
يعقوب يوسف بهبهاني
الكويت

إنك في المقدمة حين تتعامل مع البنك الوطني



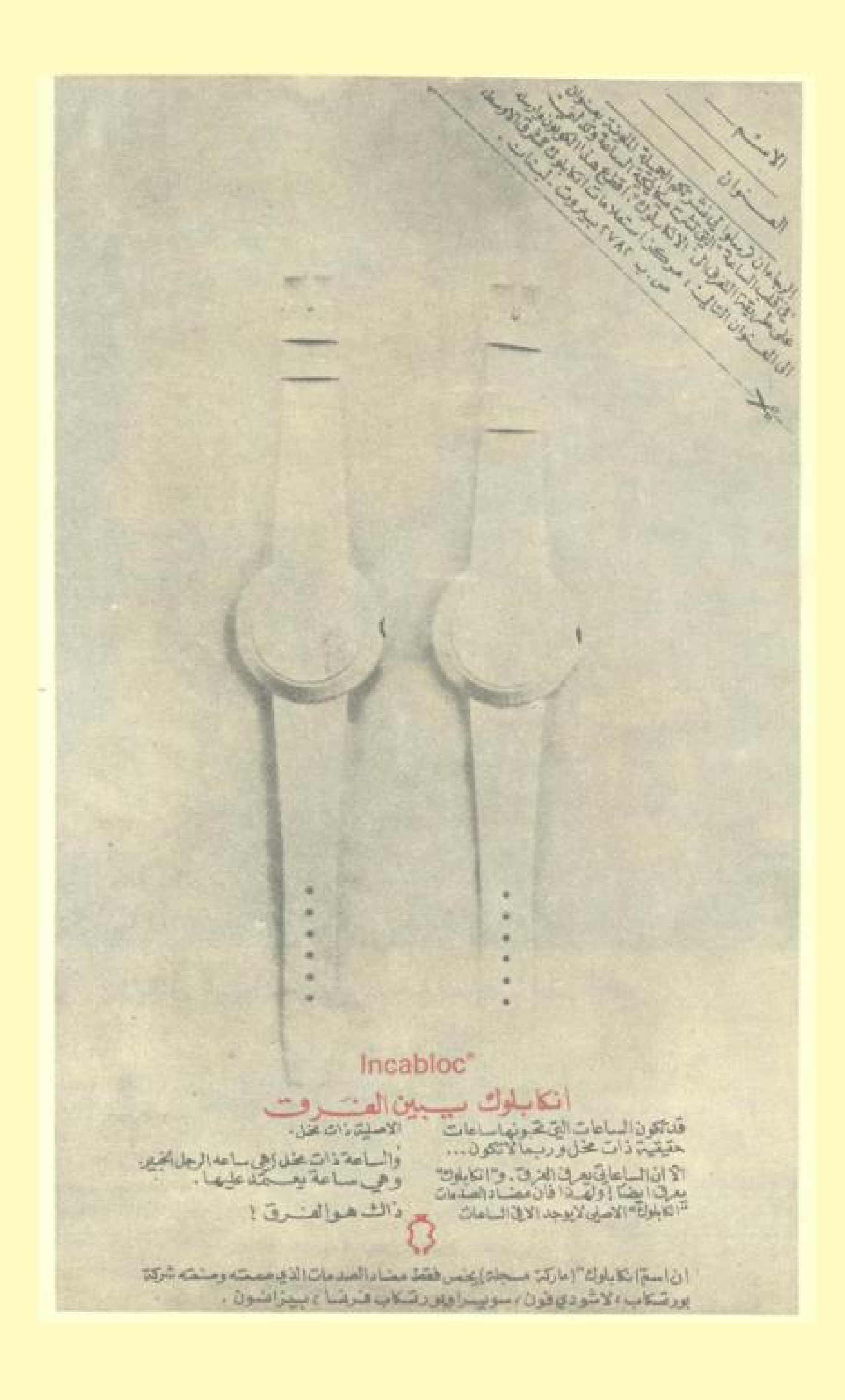


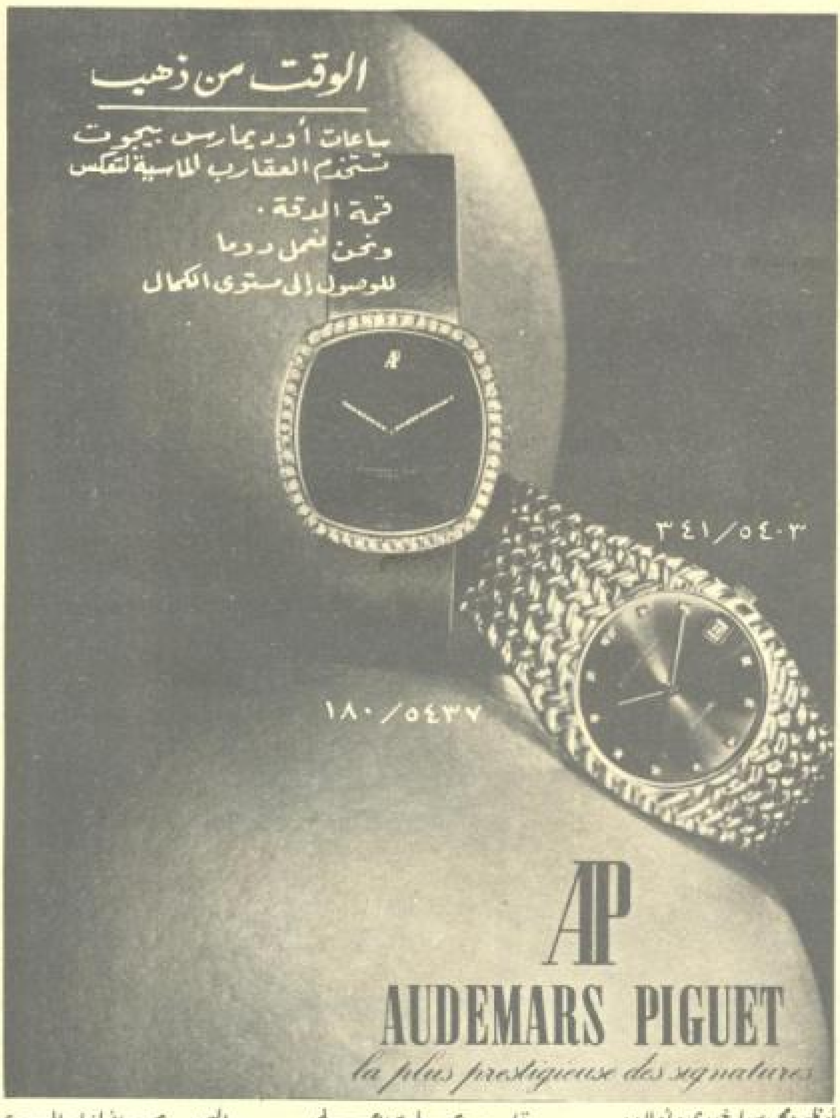
بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مؤسسات شقيقة : بنك الكويت المتحد ، لندن . بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف . ش.م.ل . بيروت . فراب بنك الدولي - باريس - بنك البحرين والكويت . ش.ب.م . البحرين . البنك الاوروبي العربي . بروكسل - البنك الاوروبي العربي ج.م.ب.هـ . فرانكفورت


الاسم
العنوان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحوزونها ساعات حقيقية ذات محل وربما لا تكون...
الآن الساعاتي يعرف الفرق. و"انكابلوك" يعرف أيضاً. ولهذا فان مضاد الصدمات "انكابلوك" الأصلي لا يوجد الا في الساعات الأصلية ذات محل.
والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير. وهي ساعة يعتمد عليها.
ذلك هو الفرق!
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة بورتسكاب، لاشو دي فون، سويسرا وبورتسكاب فرنسا، بيزانسون.



أبوظبي: محمد رسول خوري وأولاده
عمارة محمد رسول ص. ب ١٢٦
هاتف ٢٢٥٤٩

قطر: علي بن علي
ص.ب ٧٥ ـ الدوحة ت ٢٦٢٠١

البحرين: بهبهاني إخوان المحدودة
ص.ب ١٦٨ ت ٣٨٧٢

دبي: ابراهيم أحمد صديقي
ص.ب ٢١٢٣
هاتف ٢٢١٦٩

الكويت: أحمد يوسف بهبهاني
ص.ب ٥٦٧ ت ٤٢٧٠٧١

لبنان: مؤسسة جورج أبو فضل
ص.ب ١٣٣٢ ت ٢٥١٣١٥
بيروت

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن بريطانيا والسوق المشتركة

هل باستطاعته ان يوضح لكم ما يمكن لبريطانيا أن تتوقع من حسنات وسيئات؟ أو ما يمكن أن تنتفع أوروبا بأسرها من مكاسب في المدى الطويل؟ او أن يبين لكم ما سيترتب على ذلك من أثر فوري في أوضاع الدولار والاسترليني؟

ان تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه أن يوضح لكم معنى انضمام بريطانيا في منتصف السبعينات الى البلدان الموقعة على معاهدة روما، او ماذا يعني القبول بالسياسة الزراعية المشتركة، بالنسبة الى التجارة العالمية؟ او هل يستطيع التكهن بردة الفعل في الولايات المتحدة؟ او في الاتحاد السوفياتي؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة، حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث. انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق الجديدة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم.

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في أوروبا، او في اي مكان آخر من العالم، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا.

شبكة تشيس منهاتن في أوروبا:

فروع في: اسبانيا، المانيا، ايطاليا، بريطانيا، دنمارك، سويسرا، فرنسا، اليونان.

مصارف مشاركة: ايرلندا - تشيس اند بنك اوف ايرلند
بلجيكا - بنك دي كومرس
النمسا - اوستررايخيشه كوميرشيال بنك. أ. جي.
هولندا - نيدرلاندشي كريديت بنك ان. في.

مؤسسة مشاركة: اسبانيا - ليفا فينشيرا، اس. أ.

ان لك صديقا في
بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي: 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

[illegible]





RADO







رادو دياستار الكترسونيك

الساعة الاولى في العالم الغير قابلة للخدش والتي تعمل
بواسطة البطارية بمنتهى الدقة . لقد جمعت ساعات «رادو
بين الذوق . الدقة والمتانة عدا عن مقاومتها للماء . بالاض
لتشكيلتها الرائعة التى تتناسب كل ا مع صيانة تامة من قب
خبراء فنيين . مع ضمانة د ية
صفات هذه الميزات لا ت رادو .

الوكلاء العامون بالكويت — محلات البابطين — محمد عبدالله البابطين

ت ٤١٩٤١٩ ٤١٦٤١٦ برقيا : ت . تلكس : ٢٠٥٣ ص ب ٢٤ الصفاة

المملكة العربية السعودية — مؤسسة الغزالي للتجارة — محمد العلي العبداللطيف

الرياض تلفون ٢٦٩٣٨ برقيا : غزلان تجارة : ت : ٣١١٥٢ ص ب ٢٥٩٥

ألم يحن الوقت الذى تبدأون فيه مشاهدة التلفزيون بالألوان الطبيعيّة المثيرة؟

الموديل CTP 3401

تلفزيون ملوّن نقال

١٤ بوصة ... يتألق في صورته الواضحة بجلاء ويعطيكم ألوان البشرة باتقان تام. جميع الدوائر من الترانزستور مع صمام رئيسي مصمم حديثاً للشاشة السوداء. يعمل على كافة القنوات فوق العالية / والعالية جداً. يسهل نقله بين الغرف (الوزن يقل عن ٤٠ رطلاً) ويتوفر في صندوق من خشب الجوز الفاخر.

الموديل CTP 437 CTP 5401

تلفزيون ملوّن

١٨ بوصة مع جهاز التنغيم VARACTOR جميع الدوائر من الترانزستور للعمل مع القنوات فوق العالية / والعالية جداً. ألوان طبيعية متألقة على صمام الشاشة السوداء مع زاوية انحراف بمقدار ١١٠ درجات. يضم مفاتيح VARACTOR للتنغيم الفوري بالزر الضاغط. مع أجهزة تحكم انزلاقية. قاعدة جميلة للدوران وصندوق جذاب من خشب الجوز.



SANYO سانيو

A.A.A./K-7/CTV



العدد ١٩٢
شوال ١٣٩٤
نوفمبر
تشرين الثاني ١٩٧٤

الذهب الابيض في ارض الجزيرة بالسودان

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٣ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢,٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ دراهم



العنكبوت

العنكبوت الصليبي ، وسمي الصليبي لأن على بطنه علامة كالصليب ، وهو يكثر في حدائق اوروبا • ومن عجائبه انه ينسج نسيجه من فتائل غاية في الدقة كشف عنها المجهر الالكتروني ، فاذا قطرها ما بين واحد الى اثنين من المكروءات ، والمكروء جزء من ألف جزء من الملي متر • هذا في حين ان ادق فتلة صنعها الانسان بلغ قطرها ٥ مكروءات ، وهي من الزجاج او من معدن التنجستون •

عزيزي القارئ

■ ليس فى الجو العربى اليوم مسالة خطيرة ، باستثناء ما بين الاشقاء العرب من شقاق ، غير اتهام العرب برفع اثمان الزيت ، وبان هذا الرفع هو سبب الضائقة المالية التى تعم العالم اليوم • ويحضرنا فى هذا الصدد ان نقتبس من اقوال القادة اشياء ، تلقى الضوء باهرا على الحقائق :

● المستر فل بريت ، السياسى الامريكى الحر الشهير ، رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ ، قال حديثا عن العرب : « ان الغزلان يجب ان لا تهز لحمها وشحمها امام الاسود الجائعة وهى تنظر » • والمستر فلبريت من الساسة الذى فضحوا نية الولايات فذكر ان الولايات المتحدة قد تحتل منابع الزيت حيثما كانت • وكان رد العرب خاصة : والله لننسفها قبل ان تخرج من ايدينا • وذكر ذاكرون ، عند ذكر هذا الاحتمال ، ان قد ترسل رسلها الاسرائيليين ليقوموا بهذه المقامرة •

● المستر فورد ، رئيس الولايات المتحدة ، ووزير خارجيته ، انذرا العرب انذارا مكشوفا، ان سلاح الزيت له عند امريكا سلاح الطعام وغير الطعام ، تمنعه عن العرب ، فيجوعون •

● وزير الاعلام الكويتى ، الشيخ صباح الاحمد الجابر ، قال فى خطابه فى الجمعية العامة لهيئة الامم عن ارتفاع اسعار النفط : انه اجراء تصحيحى لوضع غير عادل ، وظاهرة استغلال واستنزاف استمرت ربع قرن من الزمان •

● شاه ايران تحدى امريكا والغرب حيث قال : انا مستعد لمناقشة اسعار الزيت ، شريطة ان تجمع الى اسعاره اسعار ما بين ٣٠ الى ٤٠ شيئا مما تصدّره الدول الصناعية الينا بعد تصنيعه ، لنرى ايها اعلى عند التسعير الحاضر درجة •

● وشهد شاهد منهم فى تقرير رسمى امريكى صدر فى يوليو الماضى جاء فيه ان ارتفاع الاسعار فى امريكا بلغ فى العام ١١ر٢ فى المائة ، وقدر ان ٢ فى المائة فقط من هذا الارتفاع يعزى الى ارتفاع سعر النفط •

● واجتمع مؤتمرون من الدول الخمس ، الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا الغربية ، واليابان يأتمرون فيما يصنعون بالتضخم ، وباسعار الزيت خاصة ، وبالعرب على الاخص ، والذى تسرب من اخبارهم انهم انما طرحوا دخول الزيت الكبيرة التى تكون عند العرب ، واقترحوا امتصاصها فى الاقتصاديات الغربية الصناعية علاجا للأزمة الحاضرة •

وعند العرب القول الفصل فى كل هذا ان شاء الله •

المحرر

٣ اكتوبر ١٩٧٤



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 192 November 1974 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

سورة الغلاف

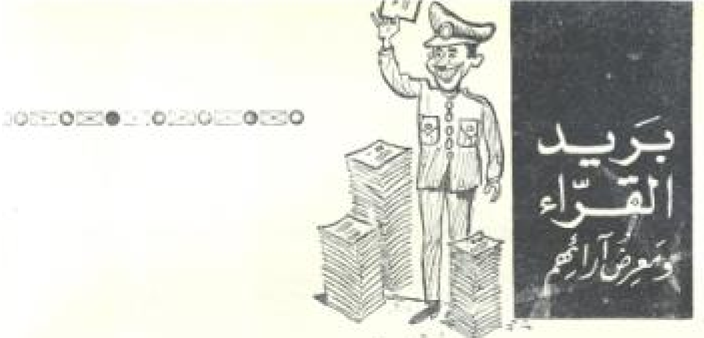


● الخير في جوفها والخير فوقسطحها ، والخير بين حبات ترابها .. انها ارضنا الطيبة .. الارض العربيةالتي نعيش على خيراتها وما أوفرها.. وما ارض الجزيرة في السودان حيثتنتشر زراعةالقطن او الذهب الابيض، وغيره من المحاصيل الزراعية الاخرى ،سوى نموذج لهذه الارض التي يمكن ان ينعم بخيراتها كل فرد من افراد الامة العربية (تصوير : اوسكار متري) (اقرا الاستطلاع صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى • البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، • لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج • م • ع ١٠ قروش • تونس ٢٠٠ مليم • الجزائر ٢ دينار جزائرى • المغرب ٢ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي • وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب •





مؤامرة صهيونية خبيثة ينبغي احباطها

● وردت معلومات مؤكدة تفيد ان بعثة تضم يهوديا عراقيا وبعض الفلسطينيين تتجول في دول امريكا اللاتينية للاتصال بالاخوة الفلسطينيين المغتربين لشراء اراضيهم وممتلكاتهم في الاراضي العربية المحتلة •

ونحن اذ نعلن هذا ونؤكده فاننا ننبه الى خطورة ما يحاك ضد الامة العربية والثورة العربية وشعبنا الفلسطيني ولان هذه الخطوة الصهيونية تهدف الى تاكيد وجود الكيان الصهيوني في الاراضي العربية •

ولهذا فاننا نناشد كل عربي حر •• مخلص لامته ولقضيته ، بان يبذل مافي وسعه من اجل احباط المؤامرة الجديدة ومخططها القذر •• ونناشد ايضا كل اجهزة الاعلام العربية ، وفي الكويت الشقيقة خاصة على العمل الجاد لتعرية هذه المؤامرة وهدفها •

وفقنا الله •

والسلام عليكم ورحمة الله

سفارة
الجمهورية العربية الليبية
القسم الصحفي
الكويت

اسس التمييز بين الفصحى والعامية

● عطفا على ما نشره العربي حول التمييز بين الفصحى والعامية وذلك في عدد اغسطس/١٩٧٤، يطيب لي ان اعقب بالملاحظات التالية :

اولا : تكون الكلمة عامية اذا كانت غريبة لا اصل لها بين مفردات اللغة العربية ، بمعنى ان تكون مما تداولناه من مفردات لغات الامم التي تعاملنا معها قبل الاسلام وبعده ، كالهندية ، والفارسية ، والتركية ، والقبطية ونحوها من لغات الامم التي كان لها اتصال بالعرب في جوار او اتجار •

اما اذا كانت الكلمة التي نظنها عامية ذات اصل عربي ، وحية يتداولها الناس في حديثهم فهي فصحى وان ترفع بعض الخاصة عن استعمالها فانهم يخالفون بذلك قول ابن مكي في كتابه «تثقيف اللسان» (لا بأس في استخدام الالفاظ العامية ما دام لها وجه في اللغة) •

ورأى ابن مكي هذا يساعدنا كثيرا على عدم ازدواج اللغة فتصبح ذات شقين احدهما للعامة والآخر للخاصة •وهو مشكلة تربوية جعلت ابناءنا يكرهون اللغة العربية لعدم التقارب بين لغة البيت ولغة المدرسة •

وربما يسأل المستفسر عن الوسيلة التي تمكنه من معرفة اصل الكلمة العامية • وهل يبحث عنها في معاجم اللغة ، ونصوصها الكثيرة المنتشرة في

كتب الادب ؟ وقل ان يهتدى او يصل . فانصحه بالبحث عنها فى (معجم الالفاظ العامية ذات الاصول العربية) وفيه مايقرب من خمسين الف لفظ هجرها الخاصة لان آباءنا وامهاتنا يستعملونها، وقد رد المعجم السابق الى هذه الالفاظ اعتبارها الفصيح .

ثانيا : لايتمثل الفرق بين اللغة العامية واللغة الفصحى فى مفردات كل منهما ، وانما يتمثل فى الاسلوب والصياغة حيث يجب ان تسير فيهما وفق قواعد الاعراب ، ووجوه البلاغة ، فاذا شذت العبارة عن هذا النسق كانت اللغة عامية ، وان كانت تضم مفردات عربية فصيحة .

ثالثا : لك ان تستعمل الكلمة الاعجمية فى اسلوبك العربى اذا لم يكن لها نظير فى مفرداتنا العربية ، ولم يقم المختصون بتعريبها ، وذلك بوضعها بين قوسين فيدلان على عدم فصاحتها .

دكتور عبد المنعم سيد عبد العال
جامعة الرياض ــ كلية الاداب السعودية

ابراهيم بن ادهم اين توفى ..؟

لفت نظرى اثناء مطالعتى للعدد ١٨٧ (حزيران ١٩٧٤) فى مقال « ابراهيم بن ادهم » احد رواد التصوف الاسلامى قول الكاتب الدكتور محمد عاطف العراقى ، مدرس تاريخ الفلسفة بجامعة القاهرة ان ابراهيم بن ادهم مات بالجزيرة ،ودفن فى صور ، وقبره بها مشهور .

والصحيح انه دفن بمدينة جبلة بسورية ويوجد جامع كبير يتسع لحوالى الف مصل يسمى باسمه ومشهور جدا بمئذنته التى يبلغ ارتفاعها حوالى الاربعين مترا والتى لايوجد لها مثيل الا فى استانبول بتركية . وكانت مجلتنا (العربى) قد قامت بتصويره فى احدى زياراتها للساحل السورى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نواف عبد الله غلاونجى
سورية ــ حلب

قطع اليد
وحدود الشرع فيه

وبعد فقد كتب الاخ الدكتور جمال الدين محمد فى عدد يوليو من « العربى » مقالا بعنوان « العقوبات البدنية فى التشريع الاسلامى » ،ومع اعجابى الشديد بما ورد فى المقال فان لى تعقيبا على بعض نقاط :

١ ــ قال الاخ (فلا قطع فى سرقة على قليل يقل عن عشرة دينارات على رأى من الاراء) .

واقول ان تحديد القليل بانه الذى يقل عن عشرة دنانير ليس له دليل من السنة او الفقه ولم يقل به احد من العلماء فيما اعلم ويبدو ان الامر اشتبه على الاخ الكاتب اذ هناك راى يقول ان النصاب الموجب للقطع هو عشرة دراهم او دينار وهذا منقول عن ابى حنيفه واصحابه ولم ياخذ به الجمهور وانما اعتبروا اقل مقدار فيه هو ربع دينار عملا بالسنة الصحيحة . وعلى اية حال فربع الدينار او الدراهم العشرة لاتساوى عشرة دنانير بعملتنا .

ومع هذا فقد ذهب الحسن البصرى والظاهرية الى انه يثبت القطع بالقليل والكثير عملا باطلاق الاية ولكن هذا الراى محجوج بالسنة التى هى مقيدة لاطلاق الكتاب فالمطلق يحمل على المقيد كما يقول الاصوليون .

٢ ــ جمع الاخ كلمة دينار على دينارات وهذا غير مسموع فى اللغة والصواب ان تجمع على دنانير .

خضر محمد خضر
مدرسة التربية الاسلامية بثانوية الدوحه
الكويت

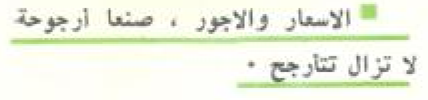


بقلم رئيس التحرير

ليس حديث غلب على أحاديث الناس جميعا ، في هذا الصيف المنصرم ، وفي هذا الخريف الحاضر ، كالحديث عن الاسعار • كل شيء ارتفع سعره ارتفاعا بالغا ، الا اثنين : الهواء والماء ، ومن فضل الله ان الهواء لا يزرع ولا يصنع ، ولا يزرع ولا يصنع الماء • انها هبة الله المطلقة لا تكاد تمسها ارادة انسان •

وأحسَّ بهذا الغلاء قابع في هذا الصيف في وطنه ، وأحس به مرتاد لغير وطنه يطلب الراحة من عناء • واستمع لكل عائد فلا اجد منه الا الشكوى •

وكانت من اشقى الامم بالغلاء ، في هذا الصيف ، انجلترا ، وهو غلاء أحسه مثلي ، صادقا كل من تعوّد ان يكون



- الاسعار والاجور ، صنعا أرجوحة لا تزال تتأرجح ٠

- دخل أجر العامل عاليا فى تكلفة الاشياء ، فرفع ثمنها ٠

- صارت الاجور اليوم تحسب بالساعة بعد ان كانت بالاسبوع او الشهر ٠

- لم يغلُ الغذاء والكساء ، وانما رخص المال ٠٠

- النقابات والاضرابات أصابت اقتصاد بريطانيا فى الصميم ٠



- التضخم المالى ، منضبط او مفتوح ، يذهب بمدخرات العاملين ٠

- بلغ التضخم المالى الالمانى ان كان طابع البريد يشترى بالآلاف من المركات ٠

- هل بدأت نذر ، انذر بها العلماء ، من جوع وعرى ، يأتى بها انفجار الارض بسكانها ؟

مستراحه الصيفى ذلك البلد الذى قضيت فيه زهرة شبابى وأطلت ٠احسسنا بالغلاء هناك الصيف الماضى ٠ فالصيف الذى سبقه ، ولكنا كنا اكثر احساسا به هذا الصيف ٠حتى الملابس تطلب شراء الجديد منها ، فنجدها قد نفدت ٠ والمطاعم اصبح القاعد على خزينتها ألف بالاسترلينيات صحيحة منه بالبنسات ٠ والفنادق رفعت

اسعارها ،ومنهم من رفعها على حذر ،فلم يغال فى الرفع ، وتركز على وجبات الطعام يرفعها رفعا حاسما ، ونازل الفندق مضطر الى الطعام • وهو اذا خرج الى المطاعم وجد قوائم الطعام أحرق لاصابع يده وهو يتفحصها •

والفرق بين الطعام تشتريه خاما من دكاكينه ، من لحامين او بائعى خضار او بقالين ، وبين الطعام تاكله جاهزا فى المطاعم ، فرق كبير • **والسبب فى ذلك ارتفاع اجر العامل من طابخ الى سائر من هناك من خدم يهيئون لك المائدة ويحملون اليك الالوان •**

وقد أدرك كثير من الوافدين على لندن، هذا السر ، وما هو بالسر الخافى ، فتركوا الفنادق الى الشقق المؤجرة ، ولو من حجرة او حجرتين ، والمطبخ والحمام ، ليقوم النازلون ، بانفسهم بالطبخ والخدمة عامة ، فيقتصدوا بذلك اجر العامل المرتفع • ونشأت فى لندن من اجل ذلك تجارة رائجة فى الحجرات المفروشة •

ولقد مررت مصادفة بمكتب للعمل فى اوسط العاصمة ،ووجدت على بابه اعلانا، يعلن فيه عن حاجته الى عمال • وضمّن الاعلان اجر العامل • وعلى رأس هذه الاجور أجر السكرتيرة ، وجعلوا لها جنيها استرلينيا ونصفا فى الساعة الواحدة التى تعملها • وتلا ذلك عدة من اعمال بلغت نحو ثمانية كان أجر آخرها واوطئها جنيها واحدا فى الساعة •

والسكرتيرة ، او غيرها ، اذا فرضنا انها تعمل فى اليوم ثمانى ساعات ، فهى تكسب فى اليوم الواحد ما بين ٨ جنيهات الى ١٢ جنيها •

اجور تتناسب والاسعار العالية الجارية •

وتتطور جوانب من السوق لتتفق مع الاحوال الجارية ، فتجد فى لندن مطاعم تبيع لك الطعام لتأخذه الى بيتك ، وبذلك تقتصد فى اجر الخادم ـ العامل ـ فيهبط سعر الطعام • ومن اجل هذا نشأت الطوابير عند هذه المطاعم • وهى ليست



السائح ، فى الشقة المفروشة ، يطهى الطعام لنفسه • اما فى الفندق ، فيطهيه الطابخ ، فيدفع السائح اجر هذا العامل عاليا ، واجر خدم المطعم كذلك •



فضل السائحون ، فى الازمات الاقتصادية الحاضرة، تاجير الشقق المفروشة ، ليتجنبوا اجور العمال العالية فى الفنادق • فالشقق المفروشة فنادق هم عمالها •

بالمطاعم الحقيرة ، واكثرها يديرها اقوام اجانب •

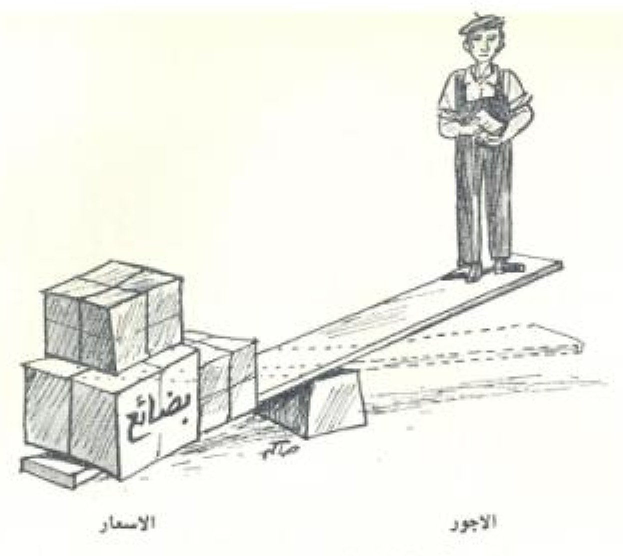
ومما ترعرع صناعة الشطائر من كل صنف ، وهى تحمل الى البيت ، والى الحديقة ، والى اماكن النزهة • وكثيرا ما رايت السائحين والسائحات يجئن الى الحدائق العامة مثل حديقة هيد بارك وحديقة كنسنجتن ، فى اوقات الظهيرة ويجلسون او يجلسن للغذاء ، فاذا هو من شطائر تلفها اغلفة من الورق الشفاف ، ومعها اشربة فى علب مغلفة تبينت ان بعضها من الكوكاكولا ،والآخر من الحليب، ويختم الفتى او الفتاة السائحة الطعام بتفاحة واحدة تقضمها قضما •

الاجور والاسعار
ارجوحة دائمة التارجح

وتحدثنا الى بعض من نزلوا معنا بفندقنا ، فى هذه الحال ، من اهل البلاد ومن غير اهل البلاد ، فوجدتهم جميعا مقبلين على الاحاديث لانها احاديث الساعة •

أما اهل البلاد ،فتحدثت منهم الى عميد رجال المائدة ، مائدة الفندق ، ووجدته رجلا شيخا متزنا ، كان رأيه انه لا يبالى كثيرا بالغلاء ما دام ان الاجر الذى يعطاه يضاهيه ، ولو انه شكا انه كان يود ان يكون الاجر اكثر مضاهاة ، ولكن الذى اصابه انه بارتفاع الاجور تولد ذلك الشىء القبيح الذى يسمونه بالتضخم الذى كاد ينزل بقيمة الجنيه الى الحضيض• اما شكواه فانه اقتصد فى حياته مالا ، اشترى ببعضه قطعة ارض صغيرة على شاطىء النهر فى الريف ، ثم جمع مقدارا من المال ظن انه يكفى لبناء حجرتين صغيرتين له ولزوجته فوق هذه الارض يقضيان بهما باقى ايامهما ، ثم جاء هذا التضخم فذهب بقيمة ما اقتصدا ، فأصبح لا يفى ببناء شىء ، وضاع الحلم الذى راودهما فى الحياة طويلا •

وتحدثت الى آخر ، فحدثنى عن هذه اللعبة ، لعبة الارجوحة ، التى شاعت فى هذا العصر الحديث • قلت : اى لعبة هذه، واى ارجوحة ؟ قال : ارجوحة الاسعار



الاجور — الاسعار

ارجوحة دائمة التارجح فى تصاعد دائما

والاجور • تزيد الاسعار فيطالب العمال بزيادة الاجر • ويزيد اجرهم ، عن رضا او غصبا ، فيكثر المال فى السوق ، فتقل قيمته كما تقل دائما قيمة الكثير ، فتزيد الاسعار فى البلد الحر كبلدنا • وترتفع الاسعار فوق ما ارتفعت الاجور ، فتشكو الاجور انخفاضها ، فلا تلبث ان ترتفع • وهكذا رفع وخفض ،يتلوه خفض ورفع• ارجوحة !

وتحدثت الى رجل آخر حسبته انجليزيا ،وعلمت آخر الامر انه استرالى، نزح الى استراليا منذ سنوات عديدة ، وانه رجل اعمال هناك ناجح ، وانه عاد يزور اقاربه فى اسكتلندة • ويدق التلفون فى بيتهم هناك وليس من مستجيب • وظل ينتظر ليلقى بعد سنوات اهله •

قال الرجل ، ان علة العلل التضخم •

قلت : تضخمُ اسعار ، وتضخم أجور •

قال : بل اعنى التضخم الثالث ، التضخم المالى Fiscal Inflation • انه الورم الذى يحسبه الناس سِمَنا الى حين • وهو داء الامم جميعا •

وراح يقول : « ان حاجات الانسان لم تَغلُ ، وانما المال الذى نشترى به هذه الحاجات هو الذى رخص • الدولار الامريكى ، الجنيه الاسترلينى ، وعملات اخرى كثيرة هبطت قيمتها •ولهذا اسباب كثيرة ، ومحاورات ومداورات بين الامم كثيرة • ولكن هبوط الاسترلينى فى هذا الشعب (يعنى انجلترا) انما سببه الشعب نفسه ، والعمال خاصة ، ونقاباتهم » •

« ان كل امة ، ككل فرد ، لها موازنة، من دخل يعادله انفاق • وان زاد الانفاق على الدخل فهو الدين • فان قلت ثقة الدنيا بوفاء الدين ، هبطت قيمة عملة البلاد •

والدولة التى لا يفى دخلها بنفقاتها ، ويضيق بها ما لديها من مال ، تروح حكوماتها تفرج هذا الضيق بصنع المال • انها تصنعه بطبع جنيهات على ورق • او

هي تطلب الى بنوكها المركزية ان تنشىء القروض ، سندات تتوزع بين الناس لا يقابلها في حقيقة الامر رصيد . وتتعامل هذه الدولة مع الدول تجارة وتبادل منافع ، وتستورد الدولة من الدول اكثر مما تصدر ، فيختل ما يسمونه بميزان المدفوعات . ومعنى هذا تراكم ديون اجنبية فوق الديون الاهلية ، فضياع الثقة في الدولة المدينة الكثيرة الديون .

قلت : حدثنا عما كان من ذلك في هذا البلد خاصة .

قال : غيبتي لم تمنعني من متابعة الاحداث . فهذا البلد ، لا يزال بلدي ، والذي اراه عصف بهذا البلد ذلك المبدأ الذي اسموه ديمقراطيا ، وهو حق النقابات في الاضراب كلما طلبوا في الاجور زيادة لا تتحقق . ورأيي ان الذي عصف بانجلترا ، وسوف يعصف ،كل هذه الاضرابات التي ما انتهت بزيادة الاجر الا اعقبها اضراب بل اضرابات تطلب زيادة اجور » .

قلت : « الديمقراطية العمالية تتخذ من الاضراب حقا مشروعا ، وهو حق قد لا يوافق عليه بالطبع رجال الاعمال حيث الراسمالية مسيطرة او هكذا هم يقولون » .

قال : « انا ، الرجل الرأسمالي ، لاأبالي ان تتضاعف اجور العمال شريطة ان ينتجوا بالقدر الذي يفي بهذه الاجور . اما الكسل ، وكسل العامل البريطاني صار اليوم امرا مشهورا ، فلا يأتي الا بالفقر . والاضراب وزيادة الاجور افقار ، لان مؤداها زيادة الدين فارخاص المال . والتضخم المالي هو اليوم محكوم منضبط . ولكن اذا افلت الزمام صار التضخم المنضبط Controlled Inflation تضخما ماليا مفتوحا Open Inflation



حق العمال في الاضراب،مبدأ اتخذه الديمقراطيون،وهو احد العوامل التي عصفت باقتصاد انجلترا عصفا

وهذا يجر من المصائب ما يجر ، ويقضى على فئات كثيرة من فئات الامم بالخراب».

التضخم المالى المفتوح والخراب

ولم اجد بى حاجة الى ان اسأل صاحبنا عن التضخم المالى المفتوح ، ذلك المطلق الذى لا ينتهى عند حدود . فقد عشناه او عاشه منا بعض هذا الجيل الحاضر وعاصره معاصرة اليمة بعد الحرب العالمية الاولى ، ذلك التضخم الذى وقع فى المانيا عقب هذه الحرب .

ان الدولة ، فى الحرب وهى قائمة ، تتكلف نفقات باهظة لا تغطيها الضرائب المفروضة على الشعب وهيئاته المختلفة ، فتجنح الى القرض،او زيادة صنع النقد. وهى من بعد حرب تحتاج الى اصلاح ما افسدت الحرب ،ويصبح فرض الضرائب على الشعب اقسى بعد ان عانى فى الحرب ما عانى من الشدة والقحط . واذن فلا بد من وسائل هى القروض تواجه بها النفقات الزائدة ومع القروض زيادة النقد .

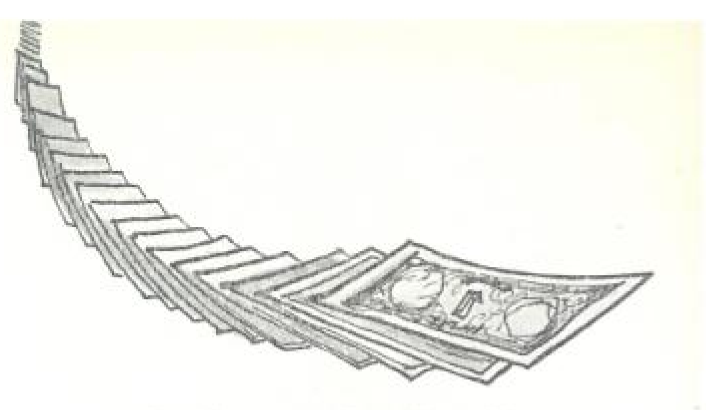
والنقد الذى كان متداولا فى المانيا قبل الحرب العالمية بلغ فى عام ١٩١٤ نحوا من الفى مليون من الماركات . وهى من ورق ، فما جاء عام ١٩٢٣ من بعد حرب حتى كان النقد المتداول فيها ٥٠٠ مليون مليون مليون مارك . وعندئذ صارت القوة الشرائية لكل مليون مليون مارك من الورق تساوى قوة شراء كانت للمارك الالمانى الواحد من قبل حرب . وبلغ طابع البريد مائة الف مليون مارك. وبسرعة تقلب الاسعار كان العاملون يتناولون مرتباتهم يوميا ، ولا يمضى اليوم حتى يكونوا قد سبقوا الى شراء شىء تخلصا من التخفيض فى قيمة المارك فى الغد . والغى المارك القديم ، وحل محله مارك جديد فى عام ١٩٢٤ ، فأعاد الثقة جديدة فى اقتصاد البلاد .

واذكر فيما اذكر فى تلك السنوات ، وانا طالب ادرس فى انجلترا ، أنى لقيت رجلا عربيا مغامرا ، حضر الى انجلترا بمال ، وحاول الاسراع بالذهاب الى المانيا ليشترى عمارة هناك بأرخص الاثمان ، والمارك من الهبوط هو ما هو . وعلمت من بعد ذلك انه اصاب صيدا ثمينا . ولست ادرى ابقى له الصيد من بعد ذلك ام لا .

اما الخراب الذى يحيق بالناس ، فهو ذلك الذى يصيب الطبقة الوسطى من الشعب . فكل ما اقتصده المقتصدون فى حياتهم من مال يصبح صفرا ، ولا يعود الرجل ، وقد طرق باب الشيخوخة او كاد، ان يجد موردا للعيش الا ما يكسبه حاضرا من عمل . ويدخل فى هذه الطبقة اهل المهن جميعا من مدرسين ومهندسين واطباء ومحامين وقضاة وفئات مثلهم كثيرة .

واذكر فيما اذكر انى فى ذلك العام ، وبعد التضخم الذى كان فى المانيا ، طلبت الذهاب صيفا ، وانا طالب فى انجلترا ، الى المانيا فى اسرة لقضاء الصيف بها ، فجاءنى خطاب من استاذ جليل فى جامعة المانية يرحب بى ان انزل فى اسرته ضيفا . ضيفا يدفع . وعلمت ان هذه الحال هى حال الكثير من الاساتذة . ضاع ما اقتصدوا فى لمحة بصر . وكانت هذه الدعوة من ذلك الاستاذ مزعجة لى أشد الازعاج .

وبالطبع انتفع بهذا الخراب كل مدين ، وضاع الدين على الدائن .



انهارت قيمة المرك الالماني عقب الحرب العالمية الكبرى، حتى صار طابع البريد ثمنه بضعة آلاف الملايين من الماركات •

وكل حامل سند من قرض حكومى ضاع عليه ماله •

وتكشفت الامور عن اختلاف وقع فى المحظوظ كبير •

الخشية من التضخم المالى قائمة اليوم فى الامم

انها قائمة ، وكل يعمل ليتفاداها ، ولكن على صمت ، ودون ثرثرة • ومن ادلة ذلك فى انجلترا غلاء العقارات •

نزلنا فى انجلترا منذ ست سنوات فى شقة مفروشة بلندن ، فى ضاحية قريبة ، وعلمنا ان ثمنها نحو ٥٠٠٠ جنيه استرلينى • ولم يمض على هذه الشقة سنتان حتى زاد هذا الثمن زيادة مفاجئة فصار ٨٠٠٠ جنيه • وعلمنا انها اليوم ثمنها يناهز ١٥٠٠٠ جنيه •

وهكذا سائر العقارات بلندن حتى سميت هذه الظاهرة جنونا •

وما هى بجنون ، انها حس الرجل الانجليزى بما دهى الجنيه الانجليزى من تدهور ، وما عسى ان يزيده اعتصاب نقابات العمال المتصلة من تدهور متصل • وقال الرجل الانجليزى لنفسه ، ان العملة تهبط قيمة ، فلنتمسك بالعقارات ، فهى من حجر ، والورق يبلى ويحترق ، ولا يبلى الحجر •

واحسب هذه الظاهرة منتشرة اليوم فى كل العالم ، وقد عمه التضخم المالى ، وعجزت حيل الدول عن حسمه ، وتركوه للاقدار ان تحسم فيه •

التضخم المالى والانتاج فى الدول الناهضة والمتخلفة

ان علاقة التضخم المالى بالانتاج علاقة وثيقة • والانتاج هو سبيل الخلاص للامة اذا استطاعت الزيادة فى انتاجها • انها كالرجل الذى وقع فى ضائقة من دين ، يستطيع ان يسد دينه بزيادة غلة ارضه ، او مردود مصنعه •

قال لى احد العارفين فى حديث انه ، مع الانتاج وزيادة الانتاج ، لا يبالى ان ترتفع الاسعار او ترتفع الاجور • فالانتاج يزيد غلة الدولة فتستطيع ان

تدفع . نفقاتها تزيد حتما ، ولكن كذلك مدخولها .

ورحت اطبق هذا على الدول ذات التخلف ، فوجدت اكثرها دولا زراعية ليس لها غير الارض مصدر ايراد . لا صناعة فيها ،والصناعة اليوم هي المورد الاكبر والاوثق لايراد الدول .

ويزيد الطين بلة في الدول الزراعية المتخلفة انها تطلب الترقي ، وليس امامها مثل تحتذيه للترقي غير الدول الصناعية ، وهي تهدف اول ما تهدف من الترقي الى ثمراته تتطف منها قبل ان يصبح الترقي عندها حقيقة ، وذلك باستيراد ما صنعت الدول الصناعية من اشياء هذه الحياة الجميلة المريحة التي هي ازهى مظاهر المدنية الحاضرة . تستورد السيارة ، وتستورد القاطرة ، وتستورد الطيارة ، وتستورد شتيت الانسجة من قطنية وصوفية وحريرية ، كساء ، وشتى مواد البناء والمرافق مساكن وقصورا،وتستورد من وسائل الرفه وغير الرفه ما لم يكن لها نصيب ولو صغير في صناعته ، وتدفع ثمن كل ذلك مما تبيع من قمح او ذرة ، أو عدس ، أو سمسم ، فلا يفي بكل ذلك ما تدفع ،ولا يكون لها مخرج من مأزق هي فيه الا ممارسة التضخم في داخل البلاد وخارجها على السواء .

اكاد أقول ان البلاد التي لم تتصنع ليس من حقها ان تشترى من هذه المدنية الصناعية ما تشاء بغير حساب ، لا سيما في البلاد التي اذا اشتريت فيهاسيارة ذهب ثمنها بطعام مائة او الف من الناس ، لا سيما سيارة لا يركبها راكبها الا لينتمي ظاهرا الى المدنية الحاضرة ، وهو ليس منها ، وهي ليست منه .

التضخم المالى
يضر بالناس
ولو لم يطلق له العنان اطلاقا

ان كل تضخم مرذول .

واكثر التضخم نهب وسرقة .

وتسألني عن السارق فيه وعن الناهب، فلا استطيع ان اضع اصبعي على شخص معين او هيئة معينة وكثيرا ما كدت ان اضع اصبعي على كل فرد في الشعب الذي جرى فيه التضخم بما جرى بحسبان ان كل شخص في الامة مسئول عما يجرى فيها .

ان التضخم يذهب بقيمة كل مال مدخر .

واركز على المال الذي كسبه الرجال العاملون بالعمل الدؤوب والعرق الصبيب. الف من المال او الفان او الاف ، اقتصدها الرجل الكهل لنفسه لينتفع بها عند التقاعد ، ولاهله من بعده ، يصيبها التضخم المالى ، فاذا بها تصبح وليس لها الا نصف قيمتها ، او ثلث قيمتها او دون ذلك قيمة . ولو ان هذا المال سرق نصفه في البيت او ثلثاه لقامت الشرطة تبحث عن سارقه . ويسرق مال هذا الرجل الشيخ المقتصد فلا يقوم احد يسأل عن السارق ، لان السارق غير معروف تماما .

ومثل هذا الموظف او المستخدم او العامل الذي ظل حياته يدفع من اجرشهره او اجر يومه نصيبه من الاقساط التي تتراكم وتدفع له عند التقاعد معاشا . انه اذا اقترب من التقاعد ، فتقاعد ، حسب له معاش تقاعده بالعدل ، ودفع له كل شهر . ولكن اذا اصيبت الدولة

بالتضخم لم يجد المتقاعد مفرا من ان يرضى بالمعاش المتضخم ،وقد نقصت قيمته الثلث او فوق ذلك · انه دفع الاقساط طول عمره ، وهو فى العمل نقدا سليما ، فلما تقاعد تقدوه معاشا نقدا مريضا ·

فى مطاحن للدقيق

ذكرنى هذا بزيارة لمطاحن للدقيق فى انجلترا ، زرتها استطلع اماكن البحوث العلمية والصناعية فيها ، وبعد الزيارة دعانى اصحابها الى طعام ، ولما جلسنا اليه ، مس الحديث ما كان من تضخم وقع عقب الحرب العالمية الثانية · وأوحى الىّ وجودى فى هذه المطاحن وبين دقيق قمحها رأيا ذكرته لهم على اثر شكوى احد الحاضرين من انه قارب التقاعد وسيخرج فى موجة من التضخم عارمة ·

قلت : ان اتخاذ الذهب اساسا للنقد خطأ فى رأيى بالغ ، فالذهب لا يؤكل ، والاكل اول حاجات العيش · وكذا الورق ، ورق النقد ، كالذهب لا يؤكل ، وتفعل الحوادث فعلها فى الورق عامة رفعا وخفضا · والرأى عندى انه ، مع تضخم النقد ورخصه ، تبقى مواد العيش ثابتة القيم ، منسوبا بعضها الى بعض ، بوجه عام · واذن اقترح ان يرد الحساب كله الى مادة من مواد العيش ثابتة · وأولى المواد بهذا ، مادة يصنع منها الرغيف · وذكرت لهم انه فى بلادنا يدعى الرغيف بالعيش ، لاصالته فى تزويد الجسم بالطاقة ، فبالحياة · واذن تُردّ كل الحسابات الى قيمة الطن من القمح ·

وتوجهت بالحديث الى صاحبنا الذى كاد ان يتقاعد ·

قلت : فأنت يا صاحبى ، لو بدأت حياتك من جديد ، اذن لدفعت اقساطا يصنع منها معاش تقاعدك ، لا بالجنيه ، ولكن بالطن من القمح ، معبرا عنه فى دفاتر الحسابات بما يشاء الحاسب · فاذا تقاعدت حسبوا لك معاش التقاعد كذا طنا من قمح · انه الصخرة الصلبة الصماء التى وجب ان تستند عليها كل الحسابات ·

وابتسم اصحاب ضيافتى ابتسامة عريضة ·

ولست ادرى هل ابتسموا اقتناعا ، أم ابتسموا لتحية توجهت بها على غير قصد الى القمح وهم طاحنوه ·

كلمة لا بد منها

بقيت كلمة لا بد منها :

ان التضخم المالى ظاهرة معروفة عند الامم ، وكذا الاسعار وارتفاعها ، ولكن الجديد فى هذه الظاهرة اتساعها حتى لوسعت الامم جميعها · والجديد كذلك هو وقوف الامم حيارى امام هذه الظاهرة لا يدرون ما يصنعون بها أو لها ·والجديد المنذر فوق ذلك ان كثيرا من حاجات العيش بدأ يشح انتاجه فى الدنيا · بل هو لا يشح ، ولكن يكثر طالبوه فلا ينال الناس منه الكفاية · ان اختفاء السكر والزيت والصابون فى بعض الدول الحاضرة نتيجة حرب امر مفهوم حاضر تفسيره وتعليله ·ولكن ان يشح السكرمثلا فى بلد مثل انجلترا والسلام قائم ، فيحدث ازمة ، شىء قد يكون عرضا لمرض يصيب الدنيا يتحاشى الناس تشخيصه خوف الهلع الناتج عن ذلك ·



هـذا ما خاله الفنان عن تفجر الارض بسكانها

وكالسكر القمح ، وسائر الاطعمة الاساسية وصنوف الغذاء ·

ان امريكا تهدد العرب ، اذا هم استخدموا الزيت سلاحا ، فسوف يقومون باستخدام الاغذية سلاحا ، يمنعونه عن بعض ، ويجيزونه الى بعض ·

وعلى أى شيء يدل هذا ؟

يدل على ان الارض اليوم لا تنتج بوسائلها القائمة وأحوالها المتخلفة الحاضرة ، الكفاية من الطعام لاهل الارض · انفجار السكان الذى انذر به العلماء والاحصائيون والجغرافيون هل هذه بوادره الاولى ؟ انهم ينذرونهم بالجوع ، ومع الجوع العرى ·

نحن قد لا نقول بهذا ، ولكننا نورده ، فقد يكون غذاء للفكر فى هداة من الزمان لقوم ، عما خبأته الاقدار للانسان غافلين ·

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٨٩

مجلات وصحف عالمية

■ قامت مسابقة العدد ١٨٩ على اسماءصحف ومجلات تصدر فى انحاء متفرقة من بقاع العالم يتردد ذكرها كثيرا فى نشرات الاخبار من مختلف اذاعات العالم وقد استطاع الكثير من القراء التوصل الى الاجابة الصحيحة وذلك لان مجال الاختيار كان امامهم كبيرا حيث كان المطلوب الاجابة على عشرة اسئلة من عشرين سؤالا ·

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم قائمة باسماء من حالفهم التوفيق بالفوز فى المسابقة :

الاسم		البلد
١ دير شبيجل	Der Spiegel	المانيا
٢ ـ الأبزرفر	The Observer	بريطانيا
٣ ـ تايم	Time	امريكا
٤ ـ التايمس	Times	بريطانيا
٥ ـ هيرالد تريبيون	Herald Tribune	امريكا
٦ ـ ناشونال جيوجرافيك مجازين	National Geographic Magazine	امريكا
٧ ـ جيوجرافيكل مجازين	The Geographical Magazine	بريطانيا
٨ ـ كريستيان ساينس مونيتور	Christian Science Monitor	امريكا
٩ ـ الايكونومست	Economist	بريطانيا
١٠ ـ الفيجارو	Le Figaro	فرنسا
١١ ـ ايبوكا	Epoca	ايطاليا
١٢ ـ ازفستيا		روسيا
١٣ ـ الفاينننشيال تايمس	The Financial Times	بريطانيا
١٤ ـ اساهى تشيمبو		اليابان
١٥ ـ لوموند	Le Monde	فرنسا
١٦ ـ العلم		المغرب
١٧ ـ الهلال		مصر
١٨ ـ اليمامة		السعودية
٢٠ ـ الحياة		لبنان

الفائزون بالمسابقة

❊ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **محمد ميلاد المزروقى** طرابلس/ليبيا ·

❊ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **عبد الله عيدروس باهارون** ـ عدن/اليمن الديمقراطية ·

❊ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **جبارة عبد الكريم** ـ الأوراس ـ الجزائر ·

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عقيل عبد السلام زروق** ـ ام درمان/سودان ·
٢ ـ **عبد الرحمن محمد الفارس** ـ الظهران/سعودية ·
٣ ـ **سوسن الوفائى** ـ حمص/سوريا ·
٤ ـ **نزيهة ابراهيم الناهض** ـ الدعية/الكويت ·
٥ ـ **هاروت بقاليان** ـ بيروت/لبنان ·
٦ ـ **عبد الكريم محمد حاتم** ـ القاهرة/مصر
٧ ـ **نايل محمد سليم** ـ الزرقاء/الاردن ·
٨ ـ **كاظم المنصورى** ـ البصرة/العراق ·

وسترسل الجوائز لأصحابها ■■



ومَوْقف

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ الاقتصاد دائما ـ وبخاصة في عصرنا ـ هو المحور الذي تدور حوله حياة الشعوب والأفراد ، بل ان الانسان يتاثر في حياته بامرين رئيسيين : عقيدته الدينية ، وأموره الاقتصادية ، ولذا فان الانسان يحرص دائما على محاولة التوفيق بين الأمرين ، ليشعر بالاطمئنان العقائدي في معاملاته وتصرفاته المالية .

والاسلام وحدة نظامية شاملة متكاملة لضروب الحياة المختلفة ، لأنه دين ودنيا ، والتلازم بين هذين الأمرين لاينفصم أبدا في الاسلام . فلايمكن تصور الاسلام بأحد الجانبين دون الآخر .

الاسلام يفصل في العبادات ويجمل في المعاملات

واذا كان الاسلام بنصوصه الاولى من الكتاب والسنة . يبين على وجه التفصيل علاقة العبد بربه مما يسمى « العبادات » ، فما ذلك الا لأنها ثابتة مستقرة ، لاتتاثر باختلاف البيئاتولا بتتابع الأزمان واختلاف العصور . اما عدا ذلك من الاحكام المنظمة لعلاقات الافراد والجماعاتـوبخاصة في معاملاتهم المالية ـ فانها جاءت غالبا في أصول كلية وقواعد عامة حتى يكون المجتهدون في سعة عند استنباط الاحكام فيها من تحقيق مصالح الناس ، ومسايرة شئون الحياة في عصورهم المتعاقبة دون اصطدام بنص جزئي ، كما ان الكثير من هذه الاحكام جاءت معللة ، تنبيها للمجتهدين بتبعية الحكم فيها للعلة وجودا وعدما .

واذا كان الشارع قد بين لنا علة الحكم في مسائل المعاملات والامور الدنيوية ، فانما ذلك ليُنبه الفقهاء والمسئولين الي توجيه الناس وارشادهم الى ان يسلكوا هذا الطريق ، ويسيروا بمعاملاتهم في وادي المصالح ، والا يجمدوا على التقليد الصرف ، والوقوف في أحكامهم هذه على رأى معين ، ربما كان يتفق مع مصالح الناس وقت صدوره ، ويناسب بيئة خاصة .

ومن المعلوم أن الله سبحانهوتعالى في كلمسالة حكما . ومن هذه الاحكام ماورد النص بها في الكتاب أو السنة،ومنها ما اكتفى الشارع بوضع الأمارات التي ترشد المجتهدين الى التعرف عليها، ووجههم الى أن ملاحظة مصالح الناس ، وتيسير الحياة عليهم من الطرق التي تؤدي اليها .

واجب العلماء أمام قضايا العصر

فواجب كل عالم مسلم مخلص لدينه أن ينظر الى قضايا العصر ذات الصلة الدقيقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، بعين الرعاية للمصلحة ، والتيسير على الناس ، وفي ضوء



القواعد العامة للتشريع التى منها « نفى الحرج ومسايرة المصالح » . مادام لم يرد فيها بخصوصها نص قطعى ، ولا حكم مجمع عليه ، ثبت نقله على وجه اليقين .

فالاسلام يتصف باليسر والسماحة لانه تشريع عام،ولذا فانه يحث القائمين على احكامه بالتيسير دائما . فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : « يسروا ولا تعسروا،وبشروا ولا تنفروا » وروى البخارى والنسائى عن ابى هريرة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد الا غلبه، فسدّدوا وقاربوا ،واستعينوا بالغدوة والرّوحة وشىء من الدّلجة » وهو ماأشارت اليهالآيةالكريمة « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » وقوله جل شأنه : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . فالاسلام بهذا يأبى الجمود والتخلف ، ويوجبالأخذ بالوسائل التى تكفل التقدم والتغلب على كل ما يعترض ذلك من صعاب ، بتطويعها لقواعد الفقه الاسلامى .

والحق أن نصوص التشريع الاسلامى كلما زاد العلماء فيها بحثا زادتهم هدى ، وانه فى كل عصر تجدّ وقائع تقتضيها حاجات الناس ، قد لاتكون متصوّرة فى العصور السابقة ، وحياتنا الواقعية خير دليل وشاهد . فهذه العقود المتنوعة التى جدت كعقود التامين بانواعها ، وعقود البورصة واليانصيب ، وعقود المضاربات وأعمال الكمبيالات ـ كل هذا يحتاج الى بحث بما يتلاءم مع مقصود الشارع من تشريع الاحكام .

منشأ الخلاف بين المجتهدين واحترامه

ومن الحقائق الثابتة اختلاف الناس فى تفكيرهم، وتباين وجهات نظرهم ، وقد يكون منشأ الخلاف غموض فى الموضوع ، كما يكون منشأ الخلاف عدم تبين كل واحد وجهة نظر الآخر على الوجه الصحيح، ولقد كان الفقهاء يختلف بعضهم مع بعض تحت تحت راية الاسلام وهم أشد ما يكونون ولاء وصفاء بعضهم مع بعض ، مادام الكل يبتغى وجه الحق دون اتباع للهوى ولا قصور فى الفكر . والحق فيما ينتهون اليه يعلمه الله . وكل منهم يحوم حول قصد الشارع، وكل يبتغى الوصول اليه . وكلٌ مثاب على مابذل من جهد .

واذا كان الاختلاف فى دائرة النص يحكمه النص نفسه ، فلا يخرج الخلاف عن دائرته . فان مجال الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص، طليق لايقيده شىء سوى الالتزام بالقواعد العامة ، وروح التشريع . وفى هذا من تيسير الشارع على عباده مافيه . فلا ينبغى ان يكون الخلاف فى الرأى مثار خصومة، وسبب طعن .

التعاقد فى الاسلام :

ونظام التعاقد فى الاسلام لم يقصر الناس على انواع معينة منها ، سمّيت فى نصوصه ، بحيث لايحل استحداث غيرها . وانما سمى بعض العقود التى كانت معروفة متداولة ، واقرّ منها ما كان صالحا كما هو ، وعدّل ماكان منها فى حاجة الى تعديل ، ليتفق مع اتجاهات الشرع الاسلامى ، وحرم منها ماكان ضارا ، وأشار الى القواعد التى يجب ان تحكم نظام التعاقد .

والحق ان الشارع الاسلامى فتح المجال لاستحداث كل عقد يخضع لقواعده العامة ولا يتنافى مع شىء منها ، ولذا فانه أمر بالوفاء بالعقد . وجاء الأمر بذلك عاما شاملا لكل عقد مستحدث يتفق مع اتجاهات الشارع ، يقول الله سبحانه « ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، فهو لم يخص العقود المسماة دون غيرها . والى هذا اتجه جهود الفقهاء خلافا للظاهرية .

وعقود التامين من العقود المستحدثة التي لم يحرمها نص ، فينبغي ان تكون مباحة ، الا اذا كانت تتنافى مع أصل من أصول الدين • وهذا ماسنحاول الكشف عنه في مقالنا هذا •

وعقد التامين بنطاقه المطبق المتعارف ماهو الا عقد بين طرفين يلتزم بـه المؤمّن ان يؤدى الى المؤمّن له او الى من شرط التامين لمصلحته مبلغا من المال ، او اى عوض مالى آخر : عينا ، أو منفعة فى حال وقوع الحادث المؤمن ضده المبين فى عقد التامين ، وذلك فى مقابل مايدفعه المؤمّن له ـ او المستامن ـ من اقساط مالية ، لشركة التامين حسب الاتفاق •

انواع التامين وهيئاته

وانواع التامين المعروفة حاليا كثيرة ومتعددة ، والهيئات التى تقوم بالتامين مختلفة ، فمنها :

هيئات التامين التبادلي ،وهى عبارة عن جماعة من افراد كلهم معرضون لنفس الخطر ، ويتفقون فيما بينهم على انه اذا حلت باحدهم خسارة فانهم يوزعونها عليهم جميعا •

ومنها شركات التامين المساهمة ، اذ تؤسس بعض الشركات للقيام بعمليات التامين،كماتؤسس لاى عمل تجارى آخر ، وتعتبر مسئوليتها محدودة، بمعنى ان كل مساهم فى الشركة يكون مسئولا فقطعن الحد المكتتب فيه من الاسهم•وغرض هذه الشركات من القيام بتلك العمليات غرض تجارى•

ومنهاهيئات التامين بالاكتتاب،وهىان يقوم بعض الافراد بالتامين بغرض الربح ، كما تقوم شركات التامين المساهمة ، وكل منهم يقوم بالتامين لحسابه الخاص ، وهو مسئول عن عمليات التامين التى يقوم بها ، ومنها الهيئات الحكومية • فقد تدخل الدولة السوق كمؤمّن منافس ، اذا تغالت الهيئات الاهلية فى الرسوم ، او الاقساط،او فى الشروط التعسفية التى تفرضهـا ، كما تعمل الهيئـات الحكومية احيانا كمؤمّن وحيد ليس له منافس •

ومنها جمعيات التامين التعاونى•وهى جمعيات تؤسس للقيام بعمليات التامين • كما تؤسس للقيام باى عمل آخر • وقد يكون نشاطها مقصورا على التامين فقط ،وقد تقوم باوجه نشاط أخرى •

اما انـواع التامين • فمنها التامين التبادلى الذى تقوم به جمعيات التامين التبادلي ، والتامين التجارى ، وهو الذى تقوم به الشركات المساهمة وهيئات التامين بالاكتتاب ، والتامين الحكومى الذى تقوم باجرائه الدولة ، والتامين التعاونى وتقوم به الجمعيات التعاونية •

الاخطار المؤمّن ضدها

كما يتنوع التامين من ناحية الخطر المؤمّن ضده الى انواع :

١ ـ أخطار الاشخاص ، ويدخلفى ذلك التامين على الحياة ، والتامين ضـد المرض والشيخوخة والبطالة ، وضد الحوادث الشخصية ونحو ذلك •

٢ ـ أخطار الممتلكات • ويدخل فيه التامين ضد الحريق ، والتامين البحرى ، والتامين ضد السرقة، والتامين على الماشية والمحاصيل الزراعية ضد الامطار والظواهر الطبيعية •

٣ ـ أخطار المسئولية المدنية • وهذا القسم يضم انواع التامين التى يكون فيها الخطر المؤمّن ضده من اخطار المسئولية المدنية • ويدخل فى هذا تامين المسئولية المدنية لاصحاب السيارات والسفن والطائرات ، وتامين المسئوليـة المدنية لاصحاب المحالالعامة كالسينما والمسارحوالفنادق والمطاعم، وتامين اصـابات العمل وامراض المهنة ، وتامين المسئوليـة المدنيـة لاصحاب العمارات والمخازن والجراجات ، وتامين المسئولية المدنية للمقاولين ، وتـامين المسئوليـة المدنيـة لأرباب المهـن الحرة كالمهندسين والاطباء والصيادلة ، وتامين المسئولية المدنية للمستاجر قبل المالك لما يحدثه من ضرر بسبب حريـق شب فى المكان المؤجر لـه ، وتامين المسئولية المدنية قبل الجيران لما يحدثه من ضرر بسـبب حريـق شب فى مبناه ، وامتد الى مبانى وممتلكات الجيران • ويمكن ارجاع كل هذه الانواع الى قسمين : قسم التامين على الحياة ، وقسم عام يشمل جميع الانواع الاخرى •

فوائد التامين

هذا وقد فطنت معظم الدول الى فوائد التامين من النواحى الاقتصادية والاجتماعية باعتباره عملا

تعاونيا ، وعاملا هاما في محاربة الفقر ، وزيادة الانتاج وحفظ الثروة المستغلة ، وخلق رؤوس الاموال ، فعملت على تشجيعه بشتى الوسائل • ومن ذلك اعفاء الاقساط وفوائد اموال التامين من الضرائب ، او تخفيض فئات الضرائب عنها ، واصدار القوانين لحماية حملة الوثائقومن تعسف الشركات ، او الاحتيال عليهم • وحماية هذه الشركات ايضا من المنافسة غير المشروعة •

كما تعمل كثير من الدول على الاستفادة من التامين الى اقصى حد ، فتصدر التشريعات التى تلزم الهيئات باستغلال جميع اموال التامين او الجزء الاكبر منها داخل البلاد مما يساعد على انعاش حالتها الاقتصادية • ولذا فان بعض الدول قررت جعل بعض انواع التامين اجباريا ، كالتامين الاجتماعي ، والتامين على المسئولية المدنية لاصحاب السيارات •••

اطراف عقود التامين

وقد بينت كتب التامين كل ذلك وفصلت القول فيه (١) • ومن الطبيعي ان عرض تفصيل ذلك ليس من اختصاصنا ولا من موضوع مقالتنا ، وما سقنا ماذكرناه هنا الا لنتصور – ويتصور معنا كل قارئ – عقود التامين التى نبحث عن حكمها فى الفقه الاسلامي ، من حيث المشروعية والحل ، واننا سنجعل أساس الكلام في مقالتنا شركات التامين المساهمة لانها ابرز الهيئات التى تقوم بالتامين ، واكثرها انتشارا •

ومما تقدم يتبين أن التعاقد في عقود التامين يتم بين هذه الهيئات – ومنها الشركات المساهمة للتامين – وبين افراد عديدين ، طبقا للقوانين التى تنظم هذه الشركات • بان يقوم هؤلاء الافراد بدفع الاقساط المتفق عليها ، وتقوم الشركة بالتزامها قبل المؤمن له – ويسمى بالمستامن – عند وقوع الخطر المؤمن ضده • وواضح ان هذا الخطر لايتصور وقوعه لجميع المؤمن لمصلحتهم في وقت واحد حسب التجارب والاحصاءات ، وذلك من الاقساط التى تحصلها الهيئة المؤمنة ، من مجموعة الافراد المؤمنين لديها • وعلى هذا فهو حقا نظام تعاوني تنظمه الهيئة (الشركة) بين الافراد المتعاملين معها عن طريق ذلك العقد لتوزيع الضرر الناتج من الاخطار الزمنية ، بتعويض من يقع عليه الضرر ، ويحيق به الخطر المؤمن ضده ، من حصيلة هذه الاقساط التى جمعتها الهيئة (الشركة) من سائر المتعاقدين معها ، والملتزمين بدفع الاقساط لها •

فلا بد اذا ان يكون احد طرفى عقد التامين شركة مساهمة او جمعية تعاونية او مؤسسة حكومية او غير ذلك على مابيناه ، ولابد أن تتعدد عقود التامين التى تجريها الشركات المساهمة بخاصة ، وغيرها من الهيئات ايضا ، مع عدد كبير من الافراد والجهات لهذا الغرض حتى تتجمع لدى هذه الشركة او الجمعية أو المؤسسة حصيلة واسعة تغطى احتمالات الاخطار الفردية التى تقع لاحد المتعاقدين أو بعض منهم • وهم قلة كما اثبتت الاحصاءات بالنسبة لمجموع المستامنين • ولذا فان عقد التامين لو اقتصر على فرد ، أو كان بين فردين فانه يكون عقد رهان ومقامرة ، محرما شرعا ويجب استبعاده •

اما عقود التامين مع الشركات المساهمة والجمعيات التعاونية والمؤسسات الحكومية – بناء على صورته التى ذكرناها من عقود أفراد المستامنين – فانها تكون بعيدة عن المقامرة والمراهنة التى منعها الشارع وحرمها ، وسنبين ذلك فيما بعد ، كما ان الاسس الفنية التى يقوم عليها تقدير اقساط التامين مستمدة من احصاء علمي دقيق ، ووجهت فيه جميع الاحتمالات ، ولوحظت فيه كافة التقديرات ، مما يجعله بعيدا عن معنى الغرر ، والوسائل التى تعتمد عليها الشركات فى هذا كثيرة وتكاد تكون منضبطة •

ومع هذا فان الشركة نفسها كثيرا ما تقوم بالتامين لدى شركة اخرى او جملة شركات ، لتؤمن نفسها من احتمال حدوث خطأ فى تقديرها ، ووقوع خطر عليها ، مما يسمى باعادة التامين • فقد يطلب

---

(١) التامين للخبير الدكتور احمد جاد عبد الرحمن وكيل كلية تجارة القاهرة ، ورئيس قسم الرياضة والتامين •

الى شركة ما التامين على حياة شخص مثلا بمبلغ ٨٠٠٠٠ جنيه ، تدفع عند وفاته ، في حين ان متوسط مبالغ التامين لدى هذه الشركة ١٠٠٠ فقط • فمثل هذه العملية تعتبر من الاخطار المركزة ، اذ ان وفاة هذا الشخص المؤمن له يعادل وفاة ٨٠ شخصا،مبلغ تامين كل منهم ١٠٠٠ فتحقق الخطر في مثل هذه الحالة يخل بالاسس الفنية التي بنت عليها الشركة حساب اقساط التامين •

وكذلك قد يطلب من احدى شركات التامين ان تؤمن على محل تجاري ضد الحريق بمبلغ ربع مليون، او التامين على باخرة وحمولتها ضد اخطار البحر بمبلغ مليون جنيه ، في حين ان رأس مال الشركة واحتياطيها يكون اقل من هذه المبالغ المؤمن بها •

فالذي يحدث في مثل هذه الصور ان الشركة تقبل العملية عادة ، وتحتفظ لحسابها بجزء مناسب لقدراتها ، وتؤمن من الباطن على الجزء الباقي لدى شركة اخرى او لدى جملة شركات • وفي هذا ما يطمئن الشركة ، ويطمئن الافراد والجهات المؤمن لهم طرفها الى قدرتها على مواجهة ما يحتمل وقوعه ، وقدرتها في جميع الاحوال على الوفاء ، وما يجعل الخسارة عند افتراض حدوثها توزع على نطاق واسع جدا بحيث تتلاشى آثارها، ولا ترهق كاهل احد • بل هناك اكثر من ذلك ، فقد لجأت شركات التامين الى ما يسمى اعادة التامين ، لتكون اكثر امنا ، واوفر طمأنينة ، وابعد عن احتمال اخطار الخسارة •

هل عرف الفقه الاسلامي هذا ؟

ليس في الفقه الاسلامي في عصوره السابقة عقد بهذا الاسم • ولا عرف المسلمون الاوائل نظام التامين الحالي،ولا شيئا من انواعه المتعارفة، اذ البشرية لم تعرف نظام التامين هذا الا في القرن الرابع عشر الميلادي في ايطاليا ، وكان فقط بالنسبة للبضائع التي تنقل عن طريق البحار، ثم امتد بعد ذلك حتى شمل السفن وما عليها من ركاب ، كما شمل معظم النواحي وكافة الاخطار التي يتعرض لها الانسان،او تتعرض لها الاموال، وخاصة بعد أن تطورت الصناعات ، وتطورت وسائل النقل،وما ترتب على ذلك من كثرة الاخطار، واشتداد رغبة التجار وارباب الاعمال في تلافي تبعات احتمال هذه الاخطار ، مما ادى الى شيوع التامين،واقبال الكثيرين عليه، حتى اصبح شيئا مالوفا معتادا تعارف الناس عليه،واطمانوا اليه،واثبتت التجارب الكثيرة المتعددة سلامته وفائدته لطرفي العقد•فهو يحقق لشركات التامين والهيئات القائمة به ارباحا ، بعد تغطية نفقاتها واجور العاملين فيها ، واحتساب رصيد احتياطي لمواجهة الطوارىء وكافة الاحتمالات ، كما انه يوفر الامن والطمأنينة للافراد او الهيئات المؤمن لها بتعويضها عما عساه يصيبها من الخطر •

موقف الفقهاء من العقود المستحدثة

والعقود المستحدثة التي لم يرد بخصوصها نص في التشريع الاسلامي ـ يختلف الفقهاء في اعتبارها وعدم اعتبارها تبعا لما قالوه في مدى حرية المتعاقدين في انشاء العقود والشروط،وان الاصل فيها الحظر والمنع فلا يباح منها الا ماورد نص باباحته وكان التعاقد عليه معروفا • بهذا يقول الظاهرية لان الالتزامات الشرعية لاتاخذ قوتها من اقوال المتعاقدين وارادتهم ، وانما من ترتيب الشارع ، وما لم يرد له حكم من الشارع فلا يترتب عليه اثر ولا يعمل به •

ويتجه ابن تيمية ومن ينهج نهجه ، وهو الذي تنتهجه اتجاهات المذاهب الاخرى • الى ان الاصل في العقود والشروط الاباحة ، ولا يحظر منها الا مانهى عنه الشارع ، أو كان مخالفا للقواعد الشرعية العامة •

واساس هذا الاتجاه عموم امر الشارع بالوفاء بالعقود في قوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) بالاضافة الى ان في مصادر الحنفية والشافعية مايتسع لاحداث عقود جديدة غير العقود المسماة في نصوص التشريع ، كما ان المالكية وسائر الحنابلة اقرب الى هذا الاتجاه ، اذ ان في اعتبارهم للمصلحة والاستحسان مايجعلهم لايقفون عند العقود المسماة • على مابيناه في كتابنا « المدخل للفقه الاسلامي » ، عند الكلام عن نظرية العقد •

والواقع ـ كما أشرنا ـ ان الفقه الاسلامى اكتفى فى أصوله بوضع القواعد التى تحكم التعامل، حتى يتسع لكل جديد نافع يخضع لهذه القواعد ، او يمكن تطويعه للخضوع لها • اذ نظرته الى شئون التعامل المالى أساسها تحقيق المصلحة ، واقامة مجتمع سليم ، فهى فى ذاتها ليست أصلا للتقرب والعبادة •

على ان عقد التامين فى الجملة عقد معاوضة ملزم للشخص مدى الحياة ، أو مدى التعاقد ، أو حتى يتحقق الخطر المؤمن ضده • يلتزم فيه المؤمن له (المستامن) مع الهيئة المؤمن لديها بدفع الاقساط المتفق عليها ، وتلتزم الهيئة المؤمنة بتحمل التعويض اذا وقع الخطر،ورد المبلغ المدخر، مع شيء من الربح الذى حققته ، وذلك بالنسبة للعقود التى تتضمن الادخار ، اذا انقضت مدة التعاقد ولم يقع الخطر •

وظيفة شركات التامين

واذا كان فى عقود التامين نوع غرر وجهالة ، فليلاحظ ان وظيفة شركة التامين انها تقوم فى واقع الامر بدور الوسيط بين الافراد المتعاونين ، فتجمع منهم الاقساط التى التزموا بدفعها ، ودفع التعويض ، او رد المدخر مع شيء من الربح لمن يستحقه فى بعض صور العقود ، ورصد الحصيلة المتبقية بعد ذلك من الاقساط التى تجمعها والارباح التى حققتها لتغطية النفقات ، واجور العاملين واحتجاز احتياطي الطوارىء المحتملة،مع استثمارها لكل هذه الاموال التى تجمعها فى التجارة،وتشييد البنايات الشاهقة،وغير ذلك مما يعود على الشركة بربح وفير ، يجعلها دائما فى مأمن من اى خسارة طبقا للحسابات العلمية الدقيقة •

اذا ما لوحظ كل ذلك فانه ولا شك يزول جانب الغرر والجهالة بالنسبة للشركة •

وليلاحظ ان الشخص المتعاقد مع الشركة ـ المستامن ـ انما يقصد من وراء عقد التامين دفع الآثار المادية التى قد تصيبه من الخطر المحتمل المؤمن ضده ، وذلك بتعاونه ، عن طريق الشركة أو الهيئة ، مع مجموعة كبيرة من الافراد الذين توسطت الشركة فى جمعهم معه •

ومن هنا يبدو التامين عملا تعاونيا محضا ينحسر فيه الغرر الى حد ضئيل مغتفر ، ولا يؤثر على سلامة العقد وصحته•فقد وردت صور اخرى جاء بها الشرع ، واقرها الفقهاء ، تقارب عقود التامين من ناحية ما فيها من غرر وجهالة ، وعدم التاكد من نهاية العمل بالعقد ، وما يقوم به احد المتعاقدين •

★ ★ ★

وفى مقال قادم نختتم به الموضوع نبين ذلك ، كما نبين اقوال الفقهاء السابقين والمعاصرين فى عقود التامين ، ونناقش الشبه التى استند اليها المعارضون ، وننتهى بما نراه وما نقترحه من تحفظات بالنسبة لعقود التامين •

محمد سلام مدكور
رئيس قسم الشريعة الاسلامية
بكلية حقوق جامعة القاهرة
واستاذ الفقه والاصول بجامعة الكويت

ثلاثة فى ثلاثة

● ثلاثة تضر باربابها : الافراط فى الاكل اتكالا على الصحة ، والتفريط فى العمل اتكالا على القدر،وتكلف ما لا يطاق اتكالا على القوة •

وثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الايمان : حلم يرد به جهل الجاهل ، وورع يحجزه عن المحارم وخلق يدارى به الناس •

وثلاثة من كن فيه استكمل الايمان :من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، ومن اذا رضى لم يخرجه رضاه الى الظلم ،ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له •



ديمقراطية رئيس !

● **جورج واشنطون** اول رئيس للولايات المتحدةالامريكية كان يؤمن بالعمل الجماعى ، او بعمل الفريق Teamwork ، وكان لايتخذ قرارا قبل أن يناقشه مع اكبر عدد ممكن من خبرائه ومستشاريه ..

وكثيرا ما كانت الاغلبية تقف معه وتؤازره ، وتنتهى المناقشة وينفض الاجتماع ، وينتظر المجتمعون صدور القرار ، وتمر الايام والاسابيع ، وقرار رئيس الجمهورية الذى اجازته الاغلبية قابع فى درج مكتبه لايرى النور !

ويسالونه: « اين القرار الذى ناقشناه واتفقنا عليه ؟ »

ويرد الرئيس : « لقد اعترض ثلاثة على بعض ماحواه قرارنا من فقرات .. ولن استريح قبل ان اعرف اسباب اعتراضهم عليه .. لايكفى ان تجيز الاغلبية قرارا .. فان صوت الاقلية المعارضة اهم بكثير عندى من رأى الاغلبية المؤيدة ! »

ويقولون له « ولكن هذا هو النظام المعمول به فى كل انحاء الدنيا ، حيثما وجدت حياة ديمقراطية ! »

ويقول واشنطون : « لاتنسوا ان هذه دنيا جديدة تلك التى نقيمها اليوم بعد التخلص من الاحتلال .. ولن اصدر قرارا ، ولن اتخذ اجراء يعترض عليه صوت واحد فى بلادى ! »

وكان واشنطون يخرج فى المساء ويزور معارضيه فى بيوتهم ويجلس اليهم ويستمع الى رأيهم .. ويحاول اقناعهم بالانضمام الى زملائهم الذين ايدوا رأيه .. وكان ينجح ، ولكن كثيرة هى المحاولات التى قام بها لكسب معارضيه وباءت بالفشل .. واكثر منها هى تلك القرارات التى كانت تتخذ باغلبية الاراء ، ثم بقيت فى ملفاتها دون أن ترى النور ، لان صوتا او اكثر وقف يعارضها بقوة .. ولان رئيس الجمهورية لايريد ان يصدر قرارا يعترض عليه احد ! »



اكثر الرجال نفوذا على المرأة

● **جورج برناردشو** فيلسوف الانجليز الساخر (١٨٥٦ـ١٩٥٠) كتب يوما عن المرأة ، وما اكثر ما كان يكتب فيها ، فيتغزل في محاسنها ، ويعجب من تصرفاتها ، ويسخر منها ، قال : «**تسالونى اى الرجال اكثر نفوذا على المرأة ، هل هو الزوج ، أم الأب ام المعلم الذى يملأ راسها بالوان العلم والمعرفة ؟**

وأنا اقول ربما يكون اكثرهم حظا معها هو معلمها،الذى يفتح امامها نوافذ الفكر، ولكنه لايستطيع ان ينافس الرجل الذى تضع هى بين يديه هذا الرأس الصغير الجميل ، ان معلم المرأة اكثر تأثيرا عليها من زوجها وولدها ، ولكنه لايلبث ان يتوارى عندما تجلس المرأة على كرسى « المزين » ، وتتأمل رأسها وهو يصفف لها شعرها ويصنع به مايصنع ، فيجملها ويبرز محاسنها ، فتخرج من عنده وهى تمشى مختالة كالطاووس !

ان المرأة عندما تذهب الى « مزين » تحس بأنها فى امان ، ومع هذا الشعور تبدأ فى الاسترخاء ٠٠ » « فالمزين » يعرف لون بشرة وجهها ويعرف لون المساحيق التى تناسب هذه البشرة ، ثم هو يعرف لون شعرها وطبيعته،وأفضل طريقة لتصفيفه ٠٠ وأهم من هذا ، فهو الوحيد الذى قد يستطيع ان يكتشف عمرها الحقيقى وهو سرها الكبير الذى تخفيه كل امرأة عن الناس ٠ ! »

قال « مزين » الملكة فيكتوريا : « **كنت اعرف كل اسرار العرش ، وما يدور فى اروقة القصر ٠٠ حتى الاعترافات التى تتردد المرأة فى الادلاء بها أيام رجال الدين ٠ ! »**

لقد كان « مزين » الملكة فيكتوريااقوى تأثيرا عليها من رئيس وزرائها !

ديجا وعشاق الفن

● ديجا Degas ، الرسام الفرنسى العالمى(١٨٣٤ـ١٩١٧) كتب يصف لقاءه مع «عشاق الفن » Art Lovers فى المعارض التى اقامها وشارك فى تنظيمها ، قال :

« قليلون هم الذين جاءوا من اجل التمتع بمشاهدة تلك اللوحات التى سجلتها انا وزملائى الفنانون من واقع الحياة من حولنا ٠٠ فقد كانوا يحرصون على الا يفوتهم الركب لانهم يشعرون ان الابتعاد عن الفن تخلف ٠٠ ولكن اقل منهم هم هؤلاء الذين عشقوا الفن للفن!

ثم يمسك ديجا بفرشاته ويضع خطا عريضا فاصلا على القماش المشدود امامه على لوحته ويقول :

« هنا على هذا الجانب من هذا الخط ، زائر المعرض الذى يأتى وفى جيبه عشرات الالوف من الفرنكات ليشترى لوحة٠٠ اى لوحة ثمينة٠٠ لا لأنها اعجبته ، ولكن لانها اعجبت كل الناس، فهو يريد ان يقتنيها ليفاخر بها بينهم ٠ !

« وهنا على الجانب الاخر ، الزائر البسيط الذى جمع بضع مئات من الفرنكات التى اقتصدها من مرتبه ، ليشترى بها لوحة صغيرة جميلة ٠٠ لانها اعجبته هو ٠٠ هذا الاخير هو الفنان الاصيل الذى يعشق الفن ، ولا يهمه بعد هذا رأى الناس فى اللوحة التى اشتراها واختارها دون غيرها ! »



وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الدورة الدموية في الإنسان

- دورتك الدموية دورتان: صغرى وكبرى
- وقلبك قلبان: أيمن وأيسر
- وللقلب الأيمن دورته، وللقلب الأيسر دورته
- وبالدورتين أوعية دموية طولها ٦٠٠٠٠ ميل

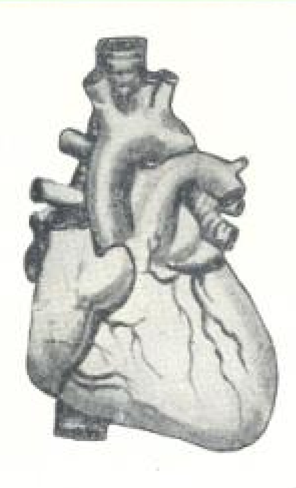
الدورة الدموية اكتملت في الانسان، وهي قلب، وشرايين وأوردة وشعيريات ·

والدورة الدموية في الحيوانات الفقارية عموما هي أشبه ما تكون بدورة الانسان · انها تأخذ تتناقص هبوطا في السلم الحيواني، وتتناقص، ويتبسط القلب تركيبا واداء، وتختصر الأوعية الدموية اختصارا، ثم تصبح أوعية بلا دورة، اى لا يتصل جريانها في دائرة يجرى فيها الدم رائحا غاديا دوارا، حتى اذا بلغنا أوطأ السلم الحيواني، لم نجد للدورة وجودا، فلا قلب ولا دم، وانما الأغذية تدخل الاجسام فتنهضم وتنساح مع سوائل الجسم انسياحا · وهكذا هي في الحيوانات ذوات الخلية الواحدة كالاميبة، وهي آخر ما في السلم الحيواني من درجات ·

ولو عكسنا السير ····

ولو اننا عكسنا السير فصعدنا، بدل الهبوط، في السلم الحيواني لوجدنا نفس التدرج، من الحيوانات ذات الخلية الواحدة كالأميبة، الى الحيوانات ذات الخلايا المتعددة

بقلم الدكتور أحمد زكى



كالاسفنج ، فالذى يعلوها ثم يعلوها من الديدان والحيوانات الرخوة،وفيها القواقع وذوات الأصداف ، ثم الحيوانات ذوات الأقدام المفصلية كالقشريات والحشرات والعناكب ، الى ما يعلوها من الحيوانات الفقارية من اسماك وبرمائيات وزواحف وطيور وذوات ثدى ، ثم الى الانسان ، اذا نحن اتخذنا هذا الصعود اتجاها لسيرنا على السلم الحيوانى اذن لوجدنا ونحن فى السبيل بوادر الدورة تنشأ رويدا رويدا ، فيظهر فى الحيوان ما يشبه الشريان وما يشبه الوريد، وهما غير متصلين · ويظهر الدم، ويظهر شىء كالقلب ليدفع الدم ، قبضا وارتخاء، وما هو بقلب · ثم تظهر الدورة وقد اتصلت دائرتها ، ويتكوّن القلب بخزانات أكثر وأكمل ، حتى اذا وصلنا الى الانسان بلغنا الغاية ·

الوحدة فى ذلك

اما الوحدة فى ذلك فوحدة البناء المتدرجة ، فما من خطوة الا والتى تليها مشتقة منها اشتقاقا · ويقل الاشتقاق ، ويزيد الطباق ونحن صاعدون ، حتى ما تكاد تفرق بين قلب بقرة وقلب نمر ، من حيث التركيب ، ومن حيث الوظائف والأداء ·

واما الاختلاف فاختلاف وفقا لحال قائمة · فالأميبة ، وهى مؤلفة من خلية ، ما كان يرجى أن يكون لها قلب ، وأوعية الدم ، وهى خلايا ملايين · ومع هذا فالعجب اكبر العجب قد يقف بالانسان عند هذه الخلية،وقد علم انها خلية واحدة تسعى لطعامها حتى تجده ، وتهضم طعامها، وتقوم مقام الدورة الدموية بتوزيعه بين اجزائها ، اجزاء هذا الكائن الحى الذى سميناه بالأميبة ، ذى الخلية الواحدة ·

هذا اعجاز فى عمل الحياة فوق اعجاز الوحدة ·

ومع هذا فهو اعجاز فى عمليات تسير فى نفس الخطوات الاصلية التى يسير

عليها الغذاء وانتفاع به في سائر الحيوانات، من صغيرها وكبيرها . تفاعلات كيماوية متشابهة واحدة، وتحولات غذائية متشابهة واحدة، تعين عليها خمائر، كما في الانسان تماما .

ولهذا زيادة في الشرح تأتي بعد حين .

الدورة الدموية

نحن نفرض اذ نكتب هذا ان القارىء سبق له علم بالدورة في الانسان، لهذا نكتب الآن ماتكتب عن دورة الانسان، في ايجاز، وحتى تتم صورة للحيوانات كاملة، دورة الانسان بعضها .

ولهذا نبدأ فنقول ان للانسان قلبا، هو في حقيقة امره قلبان : ايسر وأيمن . كالبيت يلاصق البيت، يشتركان في جدار واحد قائم بينهما، لا فتحة فيه تصل بينهما . وانما لاصق صانع القلبين بينهما اقتصادا في الجهد ولمعاونة تقوم بينهما .

ولكل قلب خزانتان، كبرى تعرف بالبُطين، ومن فوقها صغرى تعرف بالأذُين .

دوران الدم في جسم الانسان

انه يخرج أحمرَ قانياً من بُطين القلب الأيسر، تضغطه عضلة القلب، الى الشريان الكبير المعروف بالأورطة (الوتين) وهو يمتد ويتفرع الى شرايين تسير بدمها الى كل جنبات الجسم، علوا وسفلا، وحيثما كانت فيه خلايا لابد لها من دم يغذّيها ويحييها . وينتهي تفريع الشرايين الى شعَيريات، ذات جدران غاية في الرقة، منها يعبر الطعام من الدم الى انسجة الجسم وخلاياها . وتتحول الشعريات الشريانية الى شعريات وريدية تتجمع فيتكون منها اوردة صغيرة، فأوردة كبيرة، وتنتهي بأن تصب دمها في اذين القلب الأيمن، ففي بطينه، دما اقل حمرة من دم كان خرج الى الجسم من القلب الأيسر .

لقد تمت الدورة اذن ؟

لا . ان الشرايين في دورانها بالجسم كان لها وظائف أدتها . والأوردة وهي عائدة كان لها وظائف أدتها، ومن هذه الوظائف جمع الأغذية التي امتصها الدم في جدران المعاء الدقيق خاصة . فالدم غير القاني الراجع الى القلب الأيمن فيه الغذاء كثير . ولكن هذا الغذاء ليس كل الغذاء، انه في حاجة الى غذاء آخر خطير، ذلك الأكسجين .

ومن هنا وجب على الدم قبل ان ينتقل من القلب الأيمن الى الأيسر ليدور في الجسم مرّة ثانية، من ان يتزوّد بالاكسجين) .

ومن هنا وجب ان تكون للدم دورة اخرى، الى الرئتين، يتزود فيها بالاكسجين بالتنفس، ومن الرئتين يعود الدم الى القلب الايسر، الى أذينه، فبطينه، فيضغطه القلب الى الأورطة، الى سائر الجسم في الدورة الكبرى .

انها اذن دورتان، كبرى، من القلب الأيسر عبر الجسم الى الأيمن، وصغرى، من القلب الأيمن الى الأيسر مارة بالرئتين .

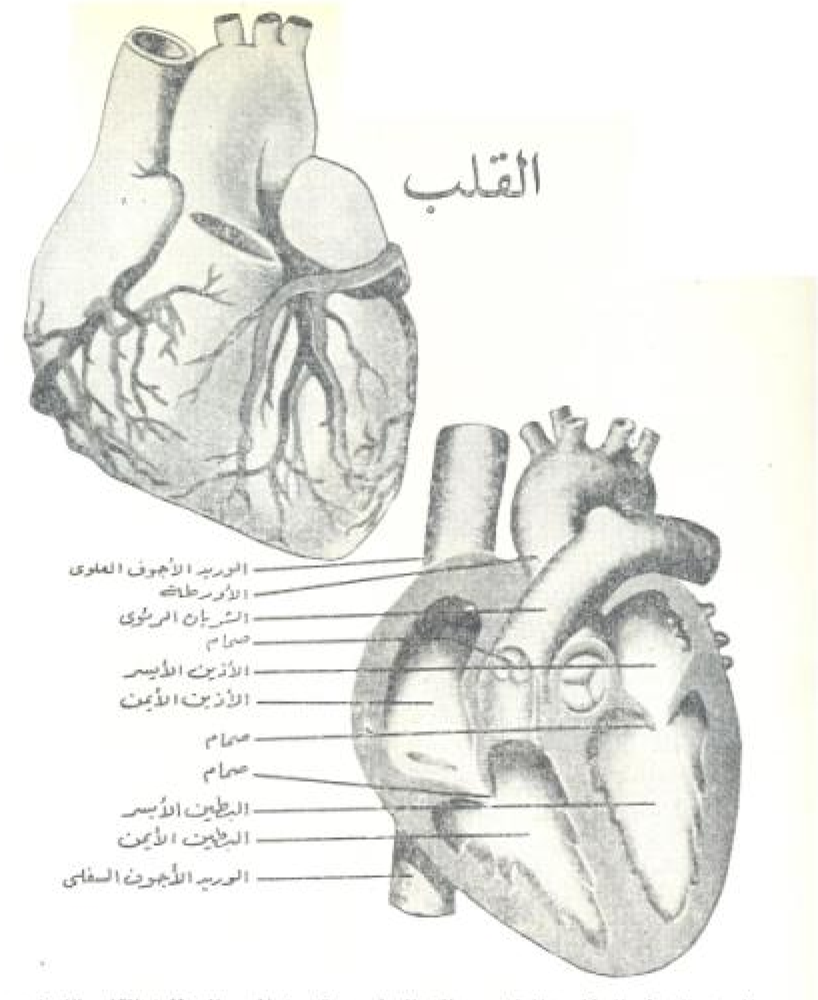
وهذا الوصف يكفي لأهدافنا عند المقارنة بسائر الحيوانات .

الدورة الدموية
شبكة مواصلات في الجسم رائعة

قلنا ان في الحيوانات الصغيرة القليلة الخلايا لانكاد نجد دورة، لأن ابعادها قريبة، فهي ليست في حاجة الى طرق مواصلات . كالقرية الصغيرة، يمر البائع ببضاعته محمولة على عربة في طريقه الواحد فلا ينتهي منه حتى تكون توزعت منه كل حاجات الناس على جانبي الطريق .

وغير ذلك في الجسم الكبير، ذي الاعضاء المتعددة، ذات الخلايا التي تبلغ في جسم الانسان ٣٠٠ الف الف مليون خلية، وكل

القلب

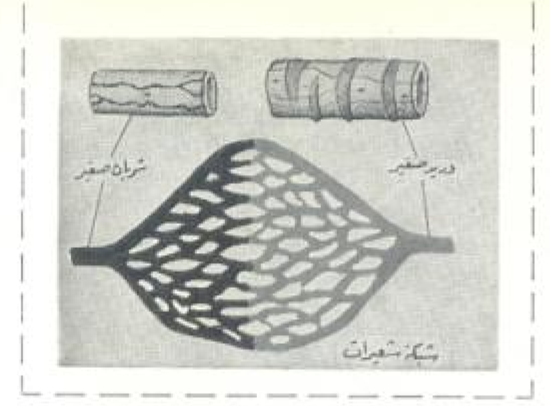


الوريد الاجوف السفلى والعلوى يحملان الدمفى عودته من الجسم الى أذين القلب الايمن • والشريان الرئوى يحمل الدم من البطين الايمنالى الرئتين • والصمامات تاذن للدم فى السير فى اتجاه واحد ، فاذا حاول ان يتراجعمنعته • اما سائر الاسماء فى الشكل فواضحة، فهما بطينان واذينان ، ثم الاورطة •

خلية من هذه تحتاج الى غذاء يحمله الدم اليها ، عُلوا فى الجسم وسُفلا ، والى كل جانب • طرق مواصلات اذن تحمل الدم وغذاءه ، طويلة عديدة •

وهى اوعية دموية،من شرايين واوردة، تفرعت حتى صارت كالشبكات تسجا كما ذكرنا ، ومن شعريات،لو افردناهاجميعا، وصلناها اطرافا بأطراف ، لبلغ طولها ٦٠٠٠٠ ميل ، اى ضعف محيط الأرض مرتين ونصف مرة » •

وفى المدن تتحرك الموصلات،من عربات وسيارات ، بطاقة من بنزين واخرى من حيوانات ، وفى الجسم الانسانى واشباهه تأتى الطاقة المحركة للدم كلها من القلب، يتقبض فيرسل بالدم الى أقصى زقاق ، وينقبض القلبان معا،فيذهب الدم الأحمر



في الدورة الكبرى الى الجسم ، بينما يرسل الدم الاقل احمرارا في الدورة الصغرى ، الى الرئتين .

ومن اين يأتي القلب بطاقته ؟

من غذاء جاء به شريانان يخرجان من الشريان الأعظم الأورطة ، الوتين ، عند خروجه من القلب الايسر ، وهما يعرفان بالشريانين التاجيين Coronary Arteries لان لهما شكل التاج . وهما متخصصان في تغذية عضلات القلب ، يتفرعان فيهما تفرعا . فاذا ضاق هذان الشريانان او ضاق احد فروعهما بسبب مرض ما ، تعذر على القلب ان يحظى بالكافي من غذائه ، فتهبط بذلك قدرة القلب على العمل ، ويصاب الانسان بما يعرف بالذبحة الصدرية ، فاذا بلغ القلب من العجز غاية توقف عن العمل ،وتوقفت الحياة ، كالسيارة يتوقف محركها فتعجز وتقف ،ومحرك السيارة يجوز اصلاحه بعد وقوف ، والقلب الذى عبر ساحة الحياة الى ساحة الموت ليس له رجوع .

ارقام طريفة
عن قلب الانسان ودمه
تزيد المرء علما بالذى يجرى بين جنبيه

والقلب ، تلك المضغة التى تضخ الدم وبه اسباب الحياة الى الجسم كله ، يبلغ وزنه اقل من رطل،ويبلغ حجمه نحو قبضة اليد او يزيد قليلا .

والدم يخرج من القلب ويتم دورته في دقيقة واحدة .

ومقدار الدم في الجسم المتوسط للانسان الذى يزن ٧٠ كيلوجراما ، يبلغ نحو ٦ لترات . ففى هذه الدقيقة الواحدة تمر هذه اللترات من الدم كلها في قلب الانسان ، وهو ساكن مرتاح . اما اذا زاد مجهود يبذله الانسان،فبالطبع يزيد مقدار الدم الذى يضخه القلب .

والرجل عند بلوغه السبعين من العمر يكون قلبه قد ضخ من الدم اكثر من ٤٠٠٠٠٠ طن من الدم .

والقلب يأخذ في الدق قبل الولادة بأشهر . وقلب الطفل يدق ١٣٠ دقة في الدقيقة ، تنقص الى ٧٠ عند البلوغ ، على السكون والراحة ،وتبلغ دقاته بذلك في اليوم الواحد اكثر من ١٠٠٠٠٠ دقة . ولا يرهق ذلك القلب فهو يواصل دقاته على السنين وهى تبلغ نحو ٣٦٠٠٠٠٠٠ دقة في العام ، اى نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠ في العمر المتوسط للانسان .

●●

أحمد زكى



عقدة "الإحساس بالهجر والصّد والبعاد"

بين الفلسفة، وعلم النفس

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليست كلمة « الهجر » فى لغتنا العربية - بالكلمة العلمية التى تحمل اى معنى اصطلاحى ، بل هى كلمة عادية تجرى على اقلام الشعراء والادباء والعشاق ، وتشير الى معانى « الصد » ، و « الجفاء » ، و « البعاد » ۰۰۰۰ ولكن الفلاسفة الوجوديين المعاصرين استخدموا هذا اللفظ للاشارة الى الموقف الوجودى للانسان ، بوصفه كائنا مهجورا ، قد قذف به الى العالم ، على غير ارادته ، ودون رغبة منه ، ومن ثم فقد اصبح « الشعور بالهجر » - عندهم - علَماً على ضياع الانسان ، وعدم قدرته على التكيف مع العالم ، او الاستقرار فيه ، وكأن الانسان - فى رأيهم « موجود مغترب » يجد نفسه بالضرورة نهبا لأحاسيس « القلق » ، دون أن يكون له ادنى موضع - او موقع - فى صميم العالم !

قلق الهجر عند كركجارد

وهذا كركجارد (مثلا) وهو الاب الروحى للفلسفة الوجودية المعاصرة يعبر عن « قلق الهجر » فيقول فى يومياته : « ان كل نظام الاشياء ليفعم قلبى احساسا بالقلق : ابتداء من الذبابة الصغيرة ، حتى سر التجسد ! والحق ان كل شيء انما يبدو لى لغزا معقدا لايقبل التفسير،خصوصا حين اعمد الى الغوص فى اعماق نفسى ۰ وان حزنى لعظيم ، لايحده حد ! وما لاحد علم به ، سوى الله - جل جلاله - فى علياء سمائه ، ولكن الله يضن علىّ بالعزاء ! ان احدا لايستطيع أن أن يهبنى العزاء ، ماخلا الله فى علو سمائه ، ولكن هيهات لله أن يرحمنى أو أن يحنو علىّ ! » (۱)

والمتامل فى هذه العبارة يجد لدى كركجارد

(۱) Soren Kierkegaard: " Journal " ,trad. Franc., 12 Mai 1839.

تعبيرا « ديتيا » عن القلق الوجودى الذى اطلق عليه الوجوديون ـ من بعد ـ اسم « قلق الهجر » Angoisse de derelictoion

وهو ذلك « القلق » الذى يستشعره الانسان حين يدرك انه قد قذف به الى هذا العالم على الرغم منه ، وانه قد خلى بينه وبين ذاته ، فهو لايجد خلفه اية دعامة يستند اليها ، ولا يلمح امامه اى هدف يتزع نحوه ، ولا يرى فوقه ايه قوة عليا تعينه على التحكم فى مصيره ! وقد اسهب الفيلسوف الالمانى المعاصر مارتن هيدجر M. Heideggerفى وصف شعور الانسان بالهجر فقال : ان الموجود البشرى لا « يسكن » العالم (بالمعنى الكامل لكلمة « السكنى ») وذلك لانه ـ وان كان يجد نفسه فى العالم ـ الا انه لا يشعر (فى داخله) باى استقرار او باية الفة ، وكانما هو فيه ، دون ان يكون منه ، او كانما هو « الغريب الذى لايشعر باية وشائج تربطه بالعالم » .

الشعور بالهجر عند الفيلسوف هيدجر

ولا يقتصر هيدجر على الحديث عن شعور الانسان بالهجر والغربة والضياع ،بل هو يتحدث ايضا عن « الوجود من اجل الموت » فيصور لنا الانسان بصورة المخلوق « المهجور » الذى يخيم على سماء كونه « قلق الموت » وكان الانسان مجرد « كائن مجبول للموت » او كان « الحياة » نفسها هى الفترة التى تستغرقها عملية « فناء » الانسان ! (٢) .

وهكذا نرى انه اذا كان « المنزل المهجور » هو ذلك الذى لايسكنه احد ، واذا كان « العاشق المهجور » هو ذلك الذى صد عنه حبيبه ، فان « الانسان المهجور » هو ذلك الذىانقطعت وشائجه بالعالم ، فهو يحيا فى حالة ضياع ، أو اغتراب ، وكانه انسان تائه ، وحيد ، منعزل ، قد ضل سبيله فى بيداء العالم !

الشعور بالهجر يتحول على يد علم النفس الى عقدة هجر !

والظاهر ان كلمة « الهجر » قد راقت لبعض علماء النفس ، فقد راحت طائفة منهم تتحدث عن « عقدة الهجر » على نحو ماعتادت التحدث عن « عقدة البتر Castration » ، أو « عقدة النقص » ، او « عقدة الالم » ، أو « عقدة اوديب » ، أو غير ذلك من « العقد » ! ونحن نعرف أن كلمة « عقدة » Complexe ـ فى الاصطلاح السيكولوجى ـ تشير الى اى « قطاع من السلوك ، يتركب من مجموعة من الميول والتصورات والانفعالات ، بشرط ان يكون هذا القطاع منفصلا عن الذات الواعية المتاملة من جهة ، وخلوا من اية دلالة واحدية بالقياس الى الوجود الواقعى للفرد من جهة اخرى » . ومعنى هذا أن من شان « العقدة النفسية » ـ حين يكون الفرد بصدد الاستجابة لاى منبه خارجى ـان تجىء فتحدد سلوكه ، وافكاره ، وأرجاعه الحركية ، واستجاباته الوجدانية أو العضوية ، وفقا لمخطط نمطى محدد ، أو بمقتضى خطة الية من خطط الاستجابة . ومن هنا فان المقصود ب « عقدة الهجر » الاشارة الى اسلوب نمطى فى السلوك ، يصدر ـ فى معظمه ـ عن الشعور بالاقصاء ، أو الاستغناء ،أو الاغضاء ،وكان الشخص « المهجور » يعانى بعض العقد النفسية الناجمة عن الاحساس بالاحباط الوجدانى ، أو الصد العاطفى ، أو غير ذلك من مظاهر « النبذ » ، أو « الرفض » ، أو « الاهمال » !

العواطف المعبرة عن عقدة الهجر

وهنايقرر بعض علماء النفس ان فى مقدمة العواطف المعبرة تعبيرا مباشرا عن « عقدة الهجر »

---

(٢) ارجع الى « دراسات فى الفلسفة المعاصرة »(للكاتب) ، القاهرة مكتبة مصر ، ١٩٦٨ ، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٣) R. Muchielli: '' Les Complexes Personnels'' ., Paris, E. S. F. 1971, PP. 58

الشعور الاكيد الموجود لدى الفرد بانه « منبوذ » او « مقصى » أو « مستبعد » ،اذ يشعر « المهجور » بانه « مهمل » ، أو « مبغض » ، أو « غير مرغوب فيه » ،ومن ثم يجيء أي اغضاء ،او ادنى اغفال ، او اقل اهمال ، فيحس معه الفرد بانه موضع ازراء ، أو ازدراء ، أو عدم اهتمام ، ويشعر بالموقف شعورا دراميا اليما ، وكانه بازاء حدث خطير يزعزع كل اركان وجوده ، ويضع حياته نفسها موضع التساؤل ! وحينما ينمو لدى الفرد الاحساس بانه موضع اغفال او اهمال من جانب الاخرين - لان الكل منصرف عنه ، دون أن يهتم به احد - فهنالك قد يتولد لديه الايقان بانه لا يتمتع باى « حظ » ، مادام لم ينجح في الحصول على عطف الاخرين ، أو - على الاقل - في الظفر بحب أى شخص آخر - ولا شك أن المرء حين يعجز عن انتزاع اقرار الاخرين بوجوده ، فانه سرعان مايقع فريسة لحالة من الاكتئاب النفسى ، اذ يشعر بضرب من الخواء الوجودى ، ويفقد - بالتالى - كل رغبة في البقاء !

ولما كان الشخص المهجور - في العادة - شديد الحساسية للمواقف الوجدانية التي يتخذها منه الغير ، فانه كثيرا مايسيء فهم الحالات الوجدانية التي يبديها الآخرون نحوه ، ومن ثم فانه يشك في حقيقة عواطف الاخرين ، ولا يثق كثيرا في اخلاص اصدقائه له ، ولا يكاد يطمئن الى صدق عواطف اقرب المقربين اليه ! ومن هنا فان من شان الشخص المهجور أن يجد نفسه مدفوعا الى البحث عن امارات التناقض في سلوك أصدقائه ومحبيه، فضلا عن انه كثيرا مايعمد الى وضع عواطفهم ومشاعرهم نحوه موضع الاختبار أو الفحص ! وهكذا قد يبدو الشخص المهجور بمظهر الانسان الجشع ، صعب المراس ، كثير المطالب ، سيء العشرة ، ان لم نقل بصورة الرجل الممل ، التافه ، الشرير ، وكانما هو يريد من وراء ذلك أن يتحقق من الحدود الحقيقية لتسامح الاخرين معه ، أو مودتهم له ، لكي ينتهى - في خاتمة المطاف - الى القيام بتصرفات عدوانية متطرفة ، من شانها بالضرورة أن تجلب عليه المزيد من الاهمال والاغفال ، وبذلك ينتهى الى الشعور بعزلته الوجدانية الحاسمة ! ولما كان من شان هذا الاعتزال الارادى أن يسبب له بالفعل ضربا من الاستبعاد أو الاقصاء ، فان « عقدة الهجر » سرعان ماتتزايد جدا لديه !والواقع أن مايتطلبه « الشخص المهجور » من الاشخاص الذين قد يظهرون نحوه بعض الاهتمام ، أو قد يبدون له بعض آيات الحب ، انما هو الدليل القاطع على انه « محبوب لذاته » بغير قيد او شرط ، وليس من شان مثل هذا الحرص الشديد على الظفر بالحب المطلق (اللامشروط) سوى أن يلتقى - في خاتمة المطاف - بضرب من الفشل ، أو خيبة الامل ...

الاشكال المختلفة لعقدة الهجر

ولو اننا عمدنا الان الى استقصاء الاشكال المختلفة التي تتخذها « عقدة الهجر » ، لوجدنا - بادىء ذى بدء - صورة مباشرة ، لعلها أن تكون ابسط الصور واقلها قسوة ، وتلك هي الصورة التي تتجلى على شكل طلب مستمر للحب ، وسعى دائب وراء التثبت من صدق هذا الحب ، فلا يكاد المرء يكف عن طرح الاسئلة على « الآخر » من اجل التحقق من اخلاصه ، حتى اذا ماشعر - من جانب هذا « الآخر » - بضرب من الضيق ، والضجر ،كان هذا الشعور نفسه بمثابة تجربة درامية اليمة ليس اقسى منها على نفسه ! وربما كان من اعراض هذه العقدة ايضا الحاجة المستمرة الى « الاخذ » أو « التلقى » أو « الاستقبال » ، وكان الشخص المهجور طفل صغير يفتقر - جسميا ونفسيا - الى « الغذاء » ، حتى لقد اطلق بعض علماء التحليل النفسى على هذه الظاهرة اسم : « الحالة الشفهية السلبية » : Oralite Passive • وهنا ينظر الشخص المهجور الى اى شخص اخر قادرعلى « العطاء » - بصورة لاشعورية - على انه « ام مثالية » (كائنا ماكان عمره أو جنسه) ، ومن ثم تراه « يلتصق » بذلك الشخص ويتعلق به ،في اخلاص بالغ ، ووفاء صادق ، حتى انه ليحرص كل الحرص على ارضاء ذلك الشخص ، وعدم التسبب في اغضابه ، نظرا لانه يجد فيه ينبوع حياته وأصل وجوده !

واما حين يقوم الشخص المهجور بضرب من « الانكار الدفاعي » : Negation Defensive ، فهناك تتخذ « عقدة الهجر » صورة حادة ، اشد

تعقيدا ، اذ نراه يعمد الى اخراس صوت « الوجدان » في اعماق نفسه ، ظنا منه بان « الوجدان » هو مصدر شعوره المستمر بالصد ، او « الاحباط » : Frustration • ثم لايلبث الشخص المهجور ان ينكروجود شيء اسمه « الحب » حاملا في الوقت نفسه على « الصداقة » و « التعاطف » ، و « المشاركة » ، وشتى الاشكال الاخرى للمواطف الرقيقة ! وقد يعمد الشخص المهجور الى التحصن و « التحجر » ، وعندئذ نراه يتخذ من « الكون » موقفا عقليا صرفا ، فلا يعود ينظر الى الاشياء الا « من بعيد » ، ولا يعود يحكم على الناس الا بترفع ، وكانه اصبح يملك « عين » المراقبة الذى يرى الاشياء والاشخاص رؤية عقلية محايدة ! وقد يحدث في بعض الاحيان ان يتخذ الشخص المهجور من الاخرين موقف الناقد الساخر ، فنراه يهزأ بعواطفهم ، ويستخف بتعبيراتهم الوجدانية ، وكانه قد اصبح مجرد « عقل صرف » خلو تماما من كل تاثر وجداني !

واما حين تتخذ « عقدة الهجر » طابعا اعلاميا (Sublime) ـ على سبيل « التسامى العقلى » ـ فانها قد تستحيل الى تصور فلسفى للموقف البشرى ، وعندئذ لايرى المرء في « الانسان » سوى « موجود مهجور » قد قذف به الى العالم ، وكانه كائن غريب قد اصبح نهبا للاحساس الاليم بالضياع ! وقد يقترن بهذه المشاعر شعور الرجل المهجور بالقلق ، فيحس الانسان بانه قد قضى عليه بالوحدة ، ويخيل اليه انه قد اصبح فريسة لحصار الموت ! وربما انضاف الى هذه المشاعر كلها ـ في بعض الاحيان ـ شعور حاد بالرغبة في العدوان والثار ، والتمرد، وعندئذ قد تتجه الميول العدوانية الموجودة لدى « الرجل المهجور » ،اما نحو القدر ، او نحو الله ، او نحو البشرية !

واخيرا،قد تتخذ « عقدة الهجر » طابعا تعويضيا متطرفا ـ Surcompensée فنراها تستحيل الى اتجاهات وجدانية مغالية ،تملى على صاحبها « المشاركة » الحادة ، وتدفعه نحو البحث المستمر المبالغ فيه عن المودة ، وتولد لديه ضربا من النشاط الزائد في طلب « الحب » ، والعمل على استثارته (٤) وهنا قد تنصب الذات من نفسها « اما مثالية » : « Mére Ideale » تعطى ، وتبذل ، وتهب من ذات نفسها ، ولا تالو جهدا في التضحية بنفسها ، املة من وراء ذلك الظفر بالحب ـ على سبيل التبادل ـ كي لا تلبث « الذات » ـ في خاتمة المطاف ـ ان تتحول الى شخصية فضولية تفرض نفسها على الاخرين ، افرادا كانوا ام جماعات •••

الاصول التاريخية لعقدة الهجر

واما اذا تساءلنا عن الاصل في نشاة « عقدة الهجر » لدى الطفل ، كان جواب بعض علماء النفس ان هذه العقدة تتولد عن الحرمان من عطف الابوين (وخصوصا حب الام) وفي المرحلة الاولى (المبكرة) من مراحل الطفولة ، وهي المرحلة التي يكون فيها « حب الام » ضرورة « نفسية » لاغنى عنها لتحقق الترقى الجسماني والوجداني للطفل ، ومعنى هذا ان الحرمان من عطف الابوين هو بمثابة ارض خصبة لترعرع « عقدة الهجر » في حياة الطفل ، خلال كل مراحل حياته النفسية اللاحقة • وآية ذلك انه حينما تفترق الام عن الطفل ـ لاى سبب من الاسباب ـ في المرحلة التي يتلقى فيها الطفل اول دروس النظافة ، او في مرحلة فطامه ، او عندما يولد له اخ صغير، او في اية مرحلة اخرى من مراحل عمره ، فان من شان هذا « الفراق » ان يولد لديه الشعور بالحرمان ، نتيجة للاهمال الذى قد يتعرض له ، خصوصا وان الطفل الصغير احوج مايكون الى الرعاية الجسمانية والوجدانية التي يتم فيها التصاق الجسم بالجسم !

والظاهر انه حين لاتتحقق للطفل ـ في السنوات الخمس الاولى من عمره ـ حاجته الماسة الى الحب، فان من شان هذه الحاجة ان تكتسب ضربا من « التثبيت » Fixation في الصورة البدائية لها ، ومن ثم فان صاحبها يبقى طوال حياته

(٤) CF. G. Robin: " Les Haines Familiales". Paris 1967, P.

متسما بذلك الطابع الاولى المميز للطفولة فى علاقتها الحميمة بالام ! وليس « الحنين الى صدر الام » سوى مجرد رمز لسائر الحاجات الوجدانية المتاخرة التى قد تم « تثبيتها » ، فى المرحلة الاولى من مراحل عمر الطفل ، حين كان يمنح كل شيء ، دون ادنى مقابل !

ولكن من الملاحظ مع ذلك ـ انه حين تتخذ ضروب « الانفصال » او « الفراق » أو «البعاد» ـ فى حياة الطفل ـ (كدخول المدرسة ، أو الالتحاق بمدرسة داخلية ، والعلاج باحد المستشفيات ، أو سفر الكائن المحبوب ، أو وفاة احد الوالدين ٠٠ الخ) ٠ طابع « الاصابة النفسية » ، فانه قد يكون من شان هذه الاحداث ـ وحدها ـ أن تولد فى نفس الطفل « عقدة الهجر » وحتى حين لاتكون هذه الاحداث ـ فى حد ذاتها ـ أليمة شديدة التاثير على نفس الطفل ، فانها قد تصبح كذلك اذا انضافت اليها عوامل نفسية متاخرة تترك فى شخصية الطفل احساسا قويا بانه موضع اهمال ، او اغفال،او اقصاء من جانب الاخرين ٠٠٠ الخ ٠

الصلة بين عقدة الهجر وغيرها من العقد النفسية الاخرى

على أن الملاحظات التى اجراها علماء النفس على الكثير من المصابين بعقدة الهجر قد اثبتت أن هؤلاء قلما يكونون مجرد ضحايا لتلك العقدة وحدها ، بل هم كثيرا مايجمعون اليها عقدا نفسية اخرى ، مثل عقدة المنافسة الاخوية ،وعقدة الذنب (او الاثم) ، وعقدة الفشل العاطفى ٠٠٠ ولعل من هذا القبيل ـ مثلا ـ ماروا « روبان Robin » عن احد مرضاه (وكان فى صباه طفلا مهملا) من انه اصيب فى الثلاثين من عمره بارق حاد ، واضطرابات جسمية متنوعة ، دون ان يكون لديه اى اختلال عضوى ملحوظ ٠ وقد تبين ـ بالفحص ـ ان كل هذه الاعراض قد تولدت لديه ، عقب مولد طفله الاول ، نتيجة لانشغال زوجته بالطفل ، واهمالها له ، واعراضها عنه ، مما اثار فى نفسه « عقدة الهجر » ، فصار يئن كالطفل ، ويعبر عن اوجاعه بشكل مبالغ فيه ، حتى لقد كانت زوجته تجد نفسها مضطرة الى الاستيقاظ بالليل للاهتمام به ، والسهر على راحته ٠٠

فنحن هنا بازاء « عقدة هجر » قد ارتبطت بعامل « الغيرة » من الطفل ، والرغبة فى كسب اهتمام الزوجة والحرص على تاكيد حقوق الزوج٠٠ والامثلة عديدة على ارتباط « عقدة الهجر » بـ « عقدة الغيرة الاخوية » ، ولعل من اشهرها المثال الذى ذكره الشاعر الالمانى جوته Goethe عن نفسه ،من انه القى ـ فى صغره ـ بكل أوانى المنزل من النافذة ، وذلك يوم مولد أخ جديد له ، وكانه اراد بذلك أن يحتج على اهمال ذويه له ، وانشغالهم عنه !

الشعور بالهجر عند الفلاسفة وعلماء النفس وليد انعدام الشعور بالامن

ولو اننا عمدنا الآن الى اجراء حوار بين الفلاسفة وعلماء النفس حول حقيقة امر هذا الشعور بالهجر لدى الموجود البشرى ـ لوجدنا أن الفريقين مُجمِعان على القول بان هذا الشعور مظهر من مظاهر « القلق » Angoisse ، ومن ثم فانه تعبير عن فقدان الذات للاحساس بالامن Securite ، فى حين أن هذا الاحساس الاخير هو محور الارتكاز فى بناء الشخصية السوية ٠ ولكن علماء النفس حين يتحدثون عن « عقدة هجر »،فانهم لايعنون أن « الذات السوية » بعيدة كل البعد عن شتى مشاعر القلق والغربة والضياع وما الى ذلك ، بل هم يعنون أن هذه الذات قد استطاعت أن تتغلب على تلك المشاعر، دون أن تقتصر على انكارها أو التهرب منها بطريقة دفاعية ، اوتوماتيكية ، عمياء ! ومن هنا فان « الشعور بالهجر » لايتحول ـ فى رأيهم ـ الى « عقدة هجر » ، الا حين تعجز الشخصية عن تكوين ذاتها فى مواجهة العوائق الوجدانية التى قد تولد لديها مشاعر القلق ،والغربة والضياع ، وما الى ذلك وقد تحاول الذات المريضة الالتجاء الى الياتها الدفاعية الراهنة ، من أجل التحصن ضد « ماضيها » الذى يفرز فى حياتها سموم « القلق » ، ولكنها ايضا قد تعمد الى مواجهة

الموقف الحالي المليء بأسباب « القلق » عن طريق الالتجاء الى ضروب سابقة من « الوقاية » (او الحماية) مما توطد في نفسها خلال مواقف سابقة مماثلة • وهنا تظهر « الحلقة المفرغة » في سلوك المريض النفسي : فانه يتخذ من « حاضره » وسيلة للدفاع عن نفسه ضد « ماضيه » ، ولكنه في الوقت نفسه يحتمي بتاريخه الماضي ضد « حاضره » ! وربما كان السر في قلق المريض النفسي ان علاقة الحاضر بالماضي ـ عنده ـ لاتتم وفقا للاسلوب السوى الذى فيه يتحقق التكامل بين « الحاضر » و « الماضي » على نحو تدريجي • ومن هنا فان المصاب بعقدة الهجر ـ مثله في ذلك كمثل اى مريض نفسي اخر ـ يعاني ضربا من الرتابة الدائرية Monotonic Circulaire في كل تاريخه النفساني •

ولكن الحياة في رأى الفلاسفة لايمكن ان تكون كلها امنا !

بيد ان الفلاسفة المعاصرين ـ وعلى رأسهم بعض من الوجوديين ـ حريصون على ابراز اهمية « الهجر » في حياتنا النفسية ،خصوصا في تنمية شعورنا بالحرية • والواقع ان الانسان ـ فيما يقول كارل يسبرز ـ يحيا ابان الطفولة حياة آمنة ، سياجها الوالدون والتقاليد والله ، بعيدا كل البعد عن كل ما من شانه ان يضع حريتهموضع التساؤل • ولكن ، سرعان ماتنبت في ذهنه فكرة « المسئولية » ، حينما يتمزق من حوله ذلك المعطف الوقائي الذى كان يغطيه ، فيجد نفسه وحيدا ، قد خلي بينه وبين ذاته ، ويشعر بأن الارض من تحت قدميه لم تعد ثابتة ، وينظر الى ماحوله ، فاذا بالكل يتطاير من حوله ، ورياح الحرية تعصف به من كل صوب ! وكأني بالوجوديين يريدون ان يذكروا الانسان الباحث عن « الامن »، بانه هيهات للوجود البشرى ان يكون كله « امنا »، والا لفقدت الحياة الانسانية طعم المخاطرة ، ومذاق الحرية !

ان علماء النفس ليحدثوننا عن بؤس حياة الهجر ، والوحدة ، والغربة ، والضياع ، ولكن الفلاسفة يابون الا ان يذكروا الانسان بعظمة الموقف البشرى ، الذى لايمكن أن يخلو من قلق ، وحرية ، ومخاطرة ، ومأساة ! وهل كان الانسان انسانا الا لانه ذلك الموجود « المهجور » الذى لابد له من ان يشق طريقه في بيداء الحياة ، معتمدا على نفسه ، ومستندا الى حريته ؟ ■■

زكريا ابراهيم

حرمة الجوار

● حكي ان ابن المقفع الاديب المعروف كان بجنب داره دار صغيرة لاحد الوراقين ،وكان ابن المقفع يرغب في شراء تلك الدار ليضيفها الى داره ، ولكن الوراق كان يمتنع عن بيعها ، واتفق ان ركب الوراقَ دين كبير ، فاضطر الى عرض بيته للبيع ، وعرض البيت على ابن المقفع فقال : « ليست بي حاجة الآن الى داره » فقيل له: «ولكنك كنت عرضت عليه من قبلُ شراءَ البيت » • فقال :« ما قمت اذاً بحرمة الجوار ، ان رغبت في ابتياعها بعد ان باعهامُعدِما » ، ثم حمل الى جاره ثمن الدار وقال له : « ابق دارك لك ، وادفع بهذا المبلغ ديونك • »

مسابقة العربي

أجب على ٧ أسئلة واكسب جائزة

تتضمن مسابقة هذا العدد ٩ اسئلة تشمل مختلف أنواع المعرفة . والمطلوب منك لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة أن تجيب اجابة صحيحة على ٧ أسئلة :

١ ــ دولة اسيوية كبيرة تحتل المرتبة الثانية بين دول العالم من حيث عدد السكان والمرتبة السابعة من حيث المساحة .. يسميها اهلها « بهارات » وهو غير الاسم الذى تتعرف به فى مشارق الارض ومغاربها فما هو اسمها الآخر ؟

٢ ــ بانام Panam جال JAL ساس SAS ايرفلوت Aeroflot سابينا Sabena .

هذه اسماء خمسة مختصرة لشركات خمس مختلفة .. فما هو النشاط الذى تتعاطاه كل من هذه الشركات ، والى اى الدول تنتسب كل منها ..

٣ ــ الصحراء الاسبانية ، بل العربية ، تزيد على ١٠٠ر٠٠٠ ميل مربع مساحة و ٥٠ر٠٠٠ سكانا . وهى فى طليعة بلاد العالم غنى بالفوسفات . ما هى عاصمتها .... ؟

٤ ــ الكولونيا او ماء الكولونيا التى تصنع فى الغالب من الكحول مضافا اليه بعض العطور والتى لا يكاد يخلو منها بيت ليست قديمة فى التاريخ وقد تم صنعها لاول مرة فى القرن الثامن عشر . ترى لماذا يطلق عليها الجميع اسم كولونيا ؟!

أ ــ لان اول من صنعها كان رجلا عسكريا برتبة كولونيل .

ب ــ لانها استعملت فى الماضى لمعالجة الكولون .

جـ ــ نسبة الى مدينة كولون الالمانية حيث صنعت الكولونيا ، لاول مرة فى التاريخ .

٥ ــ قرطبة ، عاصمة الاندلس الشهيرة التى ازدهرت فى القرن العاشر الميلادى ، غنية عن التعريف .. فهى مدينة ابن رشد ومسقط رأس سنكا الفيلسوف الرومانى المعروف .. الا ان الاسم قرطبة تحمله مدينتان اخريان من مدن امريكا اللاتينية .. فما هما الدولتان اللتان تقع فيهما هاتان المدينتان ... ؟

ــ الشيلى ــ الارجنتين ــ كوبا ــ المكسيك .

٦ ــ سفينتان سرعة الواحدة عشرون عقدة وسرعة الاخرى ٢٣ ميلا فى الساعة .. فاى السفينتين تفوق سرعتها سرعة الاخرى .. ؟

٧ ــ الضوء اسرع كثيرا من الصوت ، ولكن الصوت سريع هو الاخر . الا ان سرعته تختلف باختلاف الوسط او الشىء الذى ينتقل الصوت بواسطته . فهو اسرع فى ماء البحر منه فى الهواء واسرع فى الخشب منه فى ماء البحر واسرع فى الفولاذ منه فى الخشب ــ فهل هذا صواب ام خطا ؟

٨ ــ الهيروغلوفية هى الكتابة بالصور والرموز، وقد اشتهر بها الفراعنة ، اول من عرف الكتابة التصويرية ، واول من استعملها فى التاريخ .. ولكن الهيروغليفية لم تكن وقفا على قدماء المصريين .. فقد عرفتها شعوب اخرى غيرهم .. على الاقل احد الشعوب التالية :

ــ اليونان ــ الرومان ــ الحثيون .

٩ ــ الكونجرس والسنت Senate : اى هذين الاسمين يطلق على مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة ؟

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه: مجلة العربى ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اليوم الاول من شهر (يناير «كانون الثانى») ١٩٧٥ .

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .



القيادة الإدارية الناجحة

سيكولوجية القيادة الاوتقراطية



سيكولوجية القيادة الديمقراطية

بقلم : الدكتور ملاك جرجس

■ ان الدولة التى تسبق الى اكتشاف طرق افضل لتدريب طبقة الاداريين ، والاحتفاظ بالروح المعنوية للعمال – لابد ان تسبق الدول الاخرى فى مضمار الاستقرار والامن والتقدم •

ومشكلة اكتشاف الافراد الذين يصلحون للقيادة الادارية مشكلة اكثر اهمية بالنسبة للدول النامية عنها فى الدول المتقدمة صناعيا ، ذلك لان المؤسسات الصناعية او التجارية خصوصا فى المجتمع الاشتراكى – ليست مجرد منظمات تهدف الى الوصول الى غاية اقتصادية فحسب ، ولكنها تشكيل حركى يجمع جهود مجموعة من الناس للوصول الى غاية مثمرة فى المجتمع ، ومن هؤلاء الناس العمال ورجال الادارة والعملاء والمستهلكون ، او بمعنى آخر المجتمع باكمله •

تدل الابحاث العلمية الحديثة دلالة قاطعة على اهمية الدور الذى يقوم به المدير او المشرف ، بل ربما كان هو اهم عامل فى البيئة الاجتماعية النفسية للعمل ، اذ ان المدير يمثل الادارة فى اعين مرءوسيه او عماله ، كما ان درجة تكيفه النفسى ، ومدى مرونة شخصيته ، واسلوب سلوكه – يؤثر فى سلوك وانتاج من يشرف عليهم ويحدد مستوى الروح المعنوية بينهم •

لذلك ، فان اعتماد المدير فى اى مؤسسة على سلطة التنظيم الادارى وحدها يؤدى الى مشكلات كثيرة فى العلاقات الانسانية بينه وبين من يعملون تحت ادارته ، وهذه المشكلات لاشك فى ان الرضا كبير على الانتاج وعلى الكفاية الانتاجية للمؤسسة او المصنع ، ومن هنا كان من الواجب ان نفرق بين معنى الرئاسة التى يخولها التنظيم الادارى للمدير ، وبين القيادة التى تعتمد على القدرة الشخصية على اشعار المرءوسين بان لهم قيمة فى المؤسسة ، وانهم ليسوا مجرد افراد عاملين ، والقدرة على تعبئة دوافعهم النفسية واشعارهم بالرضا ، حتى يتكيفوا لبيئة العمل ومشاكله ، تلك القدرات الشخصية التى يجب ان تتوفر فى القائد الادارى ، وفى الوقت نفسه يجب ان تصقل بفهم علمى عميق لسيكولوجية الجماعات وسيكولوجية الدوافع ، وبالتالى اساليب القيادة الحكيمة • •

تعريف القيادة

وفى ضوء هذه المقدمة يمكننا ان نعرف القيادة بانها « القدرة على القيام بالاعمال التى تساعد الجماعة على تحقيق اهدافها » ، وان نعرف

الرئاسة بانها « السلطة التى يخولها التنظيم الادارى للمدير » . وهى سلطة مفروضة على المرءوسين ويمكن ان تمارس بفرض رغبات الرئيس على المرءوسين ، فيقبلوا على تنفيذها خوفا من الجزاء ، ولكن لكى يتحول الرئيس الى قائد يجب ان تصل جماعة العاملين الى الشعور نحوه بحاجتها الى قيادته تقديرا له ولصفاته كمدير « قائد » ، ولعل اهم الفروق بين الرئاسة والقيادة هى مدى التباعد النفسى والاجتماعى فى كل من الدورين ، فالقائد تكون المسافة بينه وبين الجماعة قصيرة ، ومن ثم يسهل على افراد الجماعة ادراك اهداف المؤسسة ومن ثم يعملون معه على تحقيقها ، اما الرئيس فان المسافة النفسية بينه وبين مرءوسيه تكون بعيدة المدى ، ولايشعر الفرد باى تماسك او ارتباط نفسى بينه وبين تحقيق اهداف المؤسسة ، بل قد يتصرف المرءوسون باسلوب سلبى يعطل سرعة الانتاج وتحقيق الهدف .

وليس معنى ذلك ان القائد شخص يتصف بقوة سحرية ، او انه شخص يمكنه دائما ان ينفذ مايريد ، بل هو شخص يستطيع ان يعمل مع الجماعة على بلوغ اهداف المصنع او المؤسسة التى يعملون فيها ، وفى الوقت نفسه يستطيع ان يعبر عن حاجات الجماعة التى يقودها ، وان يشاركها فى مشاكلها واهدافها ، وان يقودها الى ارضاء هذه الحاجات الانسانية ، وبلوغ هذه الاهداف ، وبمعنى آخر ان القيادة هى حصيلة التفاعل بين شخصية القائد – ولا بد ان تكون شخصيته سليمة مرنة – وبين البيئة الصناعية النفسية الاجتماعية التى يعيش فيها .

القيادة الادارية الناجحة

القيادة الادارية الناجحة فى الواقع خليط بين اسس الادارة العلمية والعلاقات الانسانية ، مع الاستيثاق من ان اهداف التنظيم واغراضه تستهدف المصلحة المشتركة لكل من يعمل فيه ، وهى فى الوقت نفسه ادارة متحركة تتصف بالمرونة ، وتتكيف مع الظروف المتغيرة ، الناتجة عن النمو الاقتصادى ، والتغيير الاجتماعى اللذين نمر بهما .

والادارة العلمية وحدها لاتحقق النجاح الكامل، وان كان اتباع تعاليمها يحقق دورات مبسطة للعمل ، واقتصادا فى الحركة والجهد ، واقتصادا فى التدريب ، كما قد تتحقق الزيادة فى الكفاءة الانتاجية ، نتيجة تحديد الاهداف،وايجاد اساليب واضحة للاتصالات ، واتخاذ القرارات والرقابة ، وغير ذلك من اساليب الادارة العلمية .

ولكن كلنا يعرف المشاكل الانسانية التى تنتج عن الضغط المتزايد على العمال لزيادة الانتاج ، بدون دوافع سيكولوجية تستثير حوافزهم ، وكلنا يعرف الاحتكاك والتصادم بين المستويات المختلفة من العمال والمشرفين والمهندسين عندما تفرض عليهم طرق اسهل وابسط لاداء العمل بدون مراعاة لتهيئة العمال واقناعهم لتقبل طرق العمل الجديدة، ودون مراعاة القيادات غير الرسمية بين العمال والتى تتزعم معارضة الاوامر أو عدم تنفيذها او السلوك نحوها سلوكا سلبيا يؤثر على الانتاج .

لاشك ان الروح المعنوية والانتاج تربطهما علاقة طردية ، اذا اتبعت اساليب الادارة العلمية خصوصا الاشراف الفنى ، فالروح المعنوية العالية والاشراف الدقيق يحققان رضا العمال وحماستهم، وبالتالى الرغبة فى الامتياز فى الانتاج،وخصوصا لو اضيف الى هذين العاملين تطلعات نحو مستقبل متفتح ، وسياسة عامة تزيد من تحقيق الحاجات الانسانية الاساسية للعاملين .

والقيادة الادارية الناجحة هى القيادة الديمقراطية المتكاملة التى تتركز حول الجماعة وعملها كفريق واحد ، وفى نفس الوقت تحقق للفرد مجالا واسعا للابتكار والتعبير عن نفسه ، حتى لاتهبط قيمة الفرد فى الجماعة .

القيادة الادارية الناجحة مهنة

ان الادارة فى البلاد الصناعية المتقدمة مهنة ، ولم تعد ادارة المشروعات توكل الى الفنيين مهما علا شانهم ، مالم يكونوا قد دربوا تدريبا على الادارة العلمية وعلى اساليب العلاقات الانسانية، ومعنى ذلك انه ليس من الضرورى أن يكون مدير المشروع فنيا اخصائيا كان يكون مدير مصنع الكيماويات مثلا ،كيماويا كما كان يظن من قبل – فالواقع ان الادارة تحتاج الى معرفة نواح متعددة

من نواحي النشاط الصناعي ، مما يتعارض مع مبدأ التخصص الفني فحسب ، فالمدير يجب ان يكون ذا معرفة واسعة بالصناعة التي يعمل فيها، ثم بنوع الانتاج الذي يقوم به مصنعه وخصائصه ومميزاته ، كما يجب ان يكون ملما بالاساليب العلمية للادارة التي تحقق حل مشاكل الانتاج والتسويق والتمويل والمراقبة والافراد والعلاقات العامة ، وفوق ذلك يكون مدركا لاهمية العلاقات الانسانية ، وملما باساليبها التي تحقق للمشروع الاستقرار الصناعي والتقدم الاجتماعي ، ومن هنا كانت الادارة تقوم في اغلب الاحيان على اشخاص غير فنيين اى غير متخصصين في الكيمياء ، او هندسة البترول او متعمقين في ناحية ما من نواحي التخصص الفنية الضيقة ، بل تقوم على اشخاص اتخذوا الادارة مهنة ، ولديهم المهارات والقدرات الادارية والسيكولوجية على ادارة الاعمال ، ولا أدل على صحة ذلك من أن المصانع او الوحدات الصناعية الواحدة ، لاتنتج انتاجا متشابها من حيث الكمية وجودة الانتاج ، وذلك يرجع الى الفروق في اساليب الادارة ومدى كونها انسانية علمية ٠

ان كمية الانتاج وجودته تتوقفان الى حد كبير على كفاية الادارة وقدرتها على استغلال العامل الانساني في جماعة العاملين ٠

سيكولوجية القيادة الاتوقراطية

القيادة الاتوقراطية تتسم بالسيطرة وقد يلجأ اليها بعض لما لهم من قيم اجتماعية خاصة تجعل انماط سلوكهم واتجاهاتهم نحو الآخرين اتجاهات شبه استبدادية ، تعتمد على اعطاء الاوامر ، وتوقع اطاعتها دون مراعاة العوامل الانسانية ، وقد يلجأ اليها بعضهم لانحرافات في شخصياتهم تتسم بالشعور بالعظمة والشك في سلوك الغير ، وتوقع المؤامرات منهم ، فيلجأون كمديرين الى اساليب استبدادية في الادارة ، ويركزون السلطة في ايديهم ، ويصدرون من التعليمات مايؤمن جانبهم من المؤامرات المزعومة ، أو احتياطا لما يسمونه عدم أمانة الموظفين ، غير مدركين أنهم بذلك يثيرون القلق والتوتر في نفوس العاملين٠ ونتيجة لهذا الجو السيكولوجي المعبأ بالانفعال السلبي لايقوم العاملون باى خطوة ، مالم يكن لديهم امر صريح بها ، ومن هنا تكون السلبية والبيروقراطية ، هذا كما يسرع كل من العاملين الى « تمرير الكرة » لغيره تخلصا من المسئولية ، وفي مثل هذه البيئة النفسية الاجتماعية يتقرب البعض الى المدير تملقا ، وينفر البعض منه خوفا ، او لشعورهم بالاعتزاز بالنفس ، ومن ثم ينشأ جو من الفتنة والقيل والقال ، وتحاك الدسائس ويوقع العقاب ظلما على البعض ، أو قد يحرمون من بعض الميزات ، وتضعف الروح المعنوية ، مما قد يؤدى الى اضطراب في جو المصنع او المؤسسة ، فتفقد نتيجة لذلك بعض الممتازين من العاملين فيها ، بان يلجأوا الى العمل في مؤسسة أو مصنع آخر ٠

وسواء كان الدافع للقيادة الاتوقراطية مرضيا او قيما اجتماعية يدين بها المدير ، وتحدد اتجاهاته السلوكية نحو هذه الوجهة - فان تركيز السلطة في يد المدير ، وانفراده باتخاذ جميع القرارات - يكبت القدرات العقلية للمرؤوسين كما يقتل القدرات الابتكارية عندهم ، كما ان المؤسسة او المصنع قد يتخبط من حين لآخر لخطأ ارتكبه المدير في سياسته الادارية ، لان احدا لايستطيع تنبيهه لهذا الخطأ ، اما للخوف من سلطته ، أو للسلبية التي يصل اليها العاملون نتيجة الادارة الاتوقراطية ، او لبعد المسافة النفسية الاجتماعية بين العاملين وبينه ٠ ومهما كان المدير على درجة كبيرة من الكفاية فان الانتاج لابد وأن يتأثر ، نتيجة عدم رضا العاملين ، وعدم راحتهم النفسية ٠ ولاشك في أن الفلسفة الجماعية ، الديمقراطية ابعد ماتكون عن سياسة الادارة الاتوقراطية ، وتركيز السلطة المطلقة في يد المدير ،فالديمقراطية تقوم على اساس القيادة في جميع الميادين ، لتحقيق سعادة افراد المجتمع ، واشباع رغباتهم وحاجاتهم النفسية والمادية ، بعكس الادارة الاتوقراطية « الاستبدادية » ، فهي تعتمد على ايجاد الدافع للعمل ، عن طريق استثارة الخوف والتهديد ، بانقاص اشباع الرغبات ، وتوقيع الجزاء ٠

سيكولوجية القيادة الديمقراطية

أما القيادة الديمقراطية فتعتمد على توزيع

السلطة والمسئولية على جميع أعضاء الجماعة ، مع ايجاد الدافع الى التعاون فى العمل ، عن طريق زيادة اشباع رغبات وحاجات الافراد النفسية ، وفى ضوء هذه القيم الاجتماعية يكون سلوك المدير،وهو هنا جدير بان يسمى « بالقائد » لانه لايصدر الاوامر لتنفيذها ، انما يصدرها بعد مشاورات مع اعضاء الادارة العليا ، ثم تفسيرها لباقى افراد المؤسسة ، ويتاكد بنفسه ان اغلبية العاملين الذين صدرت اليهم هذه الاوامر يتقبلونها ، ولذلك فانه يشترك معهم كواحد منهم ويناقشهم فى كل امور المؤسسة وفى خططها المستقبلة ، كما انه يحقق للعاملين جوا من الامن والطمانينة العاطفية ، ويعمل معهم كاب رحيم ، كما يفوض كثيرا من سلطاته لمرءوسيه ،ويمنحهم ثقته وتشجيعه ، وبذلك يكون القائد والجماعة التى يعمل معها وحدة متكاملة ، تتمتع بروح معنوية عالية ، مما يساعد على تنمية روح الابتكار والقدرات لدى العاملين .

ولا يمكن لمدير من المديرين ان يلجأ الى الادارة الديمقراطية الا اذا كان على درجة كبيرة من الذكاء ، وكان يتمتع بدرجة كبيرة من تكيف الشخصية ومرونتها ، مع دراية كبيرة بالنواحى الفنية الخاصة بالنشاط الصناعى او التجارى الذى يعمل فيه ،ومن هنا كانت الضرورة القصوى فى انتقاء المديرين انتقاء سيكولوجيا ومهنيا ، أو اختيار من يصلحون للتدريب على القيام بهذه المهمة .

التعلل بصعوبة القيادة الديمقراطية

وكثيرون يتعللون باستحالة أو صعوبة القيادة الديمقراطية ، بحجة ان العاملين الفوا القيادة التحكمية ، بل ذهب البعض الى الادعاء بان الناس تجد راحة نفسية فى ظل القيادة الاتوقراطية ، لان المدير رمز « للاب » الصارم الذى يتولى أمورهم ، ويأمرهم بما يجب ان يفعلوه ،كما يقول البعض ان القيادة الديمقراطية يفسرها البعض على انها علامة من علامات الضعف .

وكل هذه الاراء مبالغ فيها ،خصوصا اذا فهمنا ان القيادة الديمقراطية ليس معناها الفوضى أو مخالفة النظام ، فالنظام يكون أدق فى الجماعة كلما كانت الروح المعنوية فيها عالية كما ان الاتجاهات السلوكية فى الجو الديمقراطى تكون ايجابية تعاونية وذلك لوجود الحوافز النفسية ، ولتحقيق الحاجات الانسانية التى لاتتحقق الا فى جو من الامن والطمانينة ، وكل هذا يحقق نفوذ القائد ، وليس ضعف نفوذه ، ذلك لان القائد فى الجماعة الديمقراطية أقوى ، لان الجماعة كلها من ورائه والى جانبه ، بل أنها تمضى فى عملها على اتم وجه ، حتى لو تغيب عن الجماعة بعض الوقت .

وليس معنى ذلك ان القيادة الديموقراطية ليس لها مشاكل على الاطلاق ، فان المشاكل الانسانية موجودة فى أى جماعة انسانية ، بغض النظر عن نوع القيادة فيها ، فهناك من العاملين المرضى بامراض نفسية ، والمرضى بامراض عقلية مقنعة ، وضعاف العقول ، والافراد الذين يدينون بقيم اجتماعية رجعية ، والذين يعانون من مشاكل اجتماعية حادة ـ وهؤلاء جميعا قد يسببون بعض المشاكل فى اى جماعة يعملون فيها او ينضمون اليها ، الا ان الاعراض المرضية تظهر بوضوح فى جو الادارة الاتوقراطية ، بل ان اساليبها تستثير هذه الاعراض ، فتبدو مظاهرها فى الانحراف السلوكى داخل الجماعة ، وفى السلبية فى العمل ، وفى الغياب المتكرر بدون اذن ،او لاعذار مختلفة ، وفى التمارض ، والحصول على أجازات مرضية ، وفى الحوادث الصناعية التى تهدد الامن الصناعى وحياة العاملين ، الى غير ذلك من المشاكل الانسانية .

وكذلك لاتعنى القيادة الديمقراطية اطلاقا ترك جميع المسئوليات ، للتابعين ، والاعتماد عليهم كلية فى الادارة بدون توجيههم ، أو الاشتراك معهم فى جميع الحلول والقرارات ، فهذا النوع من الادارة هو الادارة « الفوضوية » التى يقتصر فيها دور المدير على استقبال الزوار ،والاشتراك فى الحفلات الرسمية ، وحضور اللجان خارج المصنع ، لمجرد اشباع دوافع الشعور بالتقدير والاهمية لذاته . ■■

ملاك جرجس

عن الطب الصيني

قصة الوخز بالابر

■ تبدو الصين (ارضها وشعبها) للناس فى الغرب قطعة من الكرة الارضية مغلفة بالغموض تثير لديهم مزيجا من مشاعر الحذر ومشاعر الفضول ، ولو علموا ان للصين حضارة عريقة يتعدى عمرها الخمسة الاف عام لاضافوا الى مشاعرهم شعور الدهشة والغرابة ٠

والجهل بالصين وحضارة الصين له احيانا مايبرره٠٠ فهى لم تكن يوما مزارا سهلا للناس لبعد الشقة من جانب ،ولاحاطتها بسور منيع من جبال الهملايا من جانب آخر ، وهذا حال بين الحضارة الصينية العريقة وبين ان تصب من نبعها فى بحر الحضارة الانسانية العامة كما فعلت قريناتها فى مصر وبلاد الاغريق والرومان ٠

فلسفة للصين قديمة

وكما كان لكل حضارة فلسفة تحدد مسارها ، فقد كان لاهل الصين فلسفة قديمة تقوم على الايمان بان الكون بكل ما فيه تتحكم فيه قوتان متعارضتان متناقضتان لا بد من توازنهما والا اختلت الامور ٠

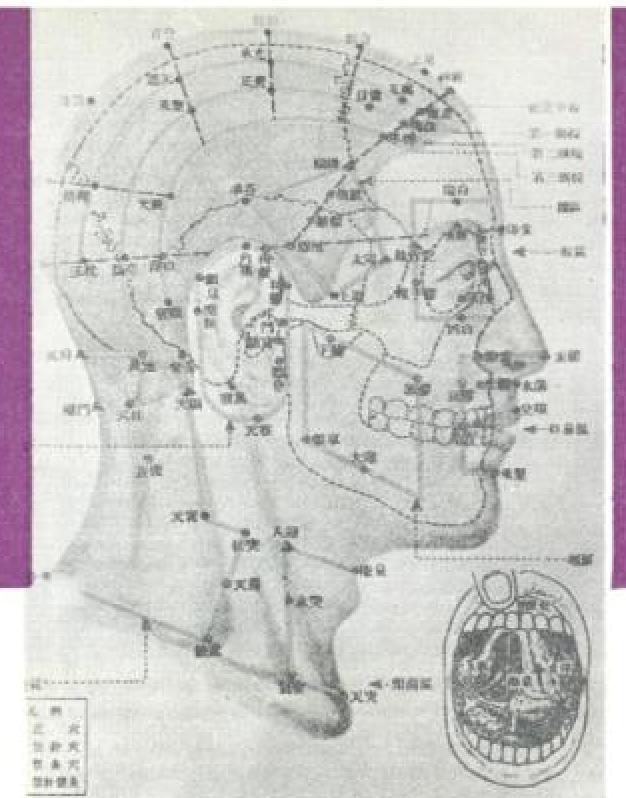
القوة الاولى قوة سالبة تسمى الين Yinn تعود الى القمر وتمثل الانوثة والنعومة والبرودة ومعدن الفضة ٠

اما القوة الثانية فهى قوة موجبة تسمى يانج Yang تعود الى الشمس وتمثل الرجولة والقوة والحرارة ومعادن الذهب والنحاس ٠

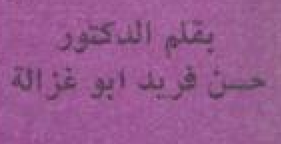
والانسان بحكم تكوينه هو الاخر تتحكم فى احواله هاتان القوتان وهما تسيران فى داخل جسده خلال



مريض مخدر بوخز الابر فى الجبهة تجرى له عملية استئصال الزائدة الدودية وهو يتناول فصا من البرتقال اثناء العملية ٠



بقلم الدكتور
حسن فريد ابو غزالة



خطوط ومسارات شنج لو في الوجه .

مسارات خاصة تدعى شنج لو Chig Lo .

وفى احوال التوازن عندما تتعادل قوة الين واليانج يكون الانسان فى افضل احواله الصحية، فاذا ماتقلبت احدى القوتين لسبب او لاخر اضطربت احوال الانسان الصحية ، فغلبة قوة الين مثلا تصيبه بامراض الضعف والانحلال والخمول بينما غلبة اليانج تؤدى بالانسان الى امراض ارتفاع الحرارة وزيادة النشاط والتهيج والالام الحادة .

نقاط على المسارات تتعطل عندها القوى

والفلسفة الصينية القديمة هذه على ماتقول استنادا الى نظرية المسارات او نظام شنج لو ، ان هنالك نقاطا معينة على هذه المسارات تتعطل عندها القوى . لذا فقد اكتشفوا ان وخز هذه النقاط بطريقة معينة يؤدى الى اصلاح مسار هذه القوى ومن ثم شفاء المريض من اسباب علته .

ومع مرور السنوات وطول التجربة امكن لاطباء الصين القدامى ان يحددوا اكبر قدر من هذه النقاط التى وصلت الى ٦٩٧ نقطة ولكل نقطة منها ارتباط بعضو من الجسم معين ومرض معين يمكن بها التشخيص والعلاج على السواء .

الوخز بالاحجار قبل اكتشاف المعادن

فى العصور القديمة قبل اكتشاف الانسان للمعادن ، كان الصينيون يلجاون الى قطع من الاحجار ذوات الاطراف الحادة تدعى عندهم بين Pien يستعملونها للضغط على النقاط فى الجسم التى يحددها نظام شنج لو ، وقد ورد ذكر علاج الامراض بوخز الاحجار (Pien) فى احدى الوثائق التاريخية التى كتبت فى عهد اسرة هان فيما بين ٢٠٦ ق٠م ــ ٢٢٠ب٠م وتسمى Shou wen chieh Tzu او بما معناه قاموس العادات والتقاليد .

ومع منطق التطور الذى تفرضه السنين تم استبدال الكتل الحجرية بابر حجرية او ابر من العظام او الخيزران .

الوخز بابر من المعادن

وعندما وصلت حضارة الانسان الى اكتشاف المعادن لجأ اطباء الصين القدماء الى ابتكار ابر النحاس والحديد والفضة حتى وصلوا اليوم الى استعمال ابر الفولاذ غير القابلة للصدأ .

تطور الوخز بالابر مع تطور الحضارة الصينية

على اى حال فالمتتبع لتاريخ الصين يجد الوخز بالابر صورة مرادفة لتطور الحضارة الصينية .

ففى عهدى الاسرتين تشن Chin (٢٢١ق٠م ـ ٢٠٦ق٠م) ، وهان Han (٢٠٦ق٠م٠٢٢٠ب٠م)٠ تم جمع اول كتاب مفصل فى الطب يجمع فنون الطب الصينى القديم سمى بكتاب نى‌تشنغ . Nei Ching.

فى هذا الكتاب فصل خاص يتناول مسارات الجسم وما عليها من نقاط كما بحث فى الامراض وطرق علاجها بواسطة وخز الابر .

اما فى عهد اسرة تسن Tsin مابين ٢٦٥ـ٤٢٠م٠

فقد تم جمع كل مايتعلق بامور الوخز بالابر فى كتاب سمى (مقدمة فى علم الوخز بالابر) . الى ان تولت الحكم فى الصين اسرة تانغ Tang (٦١٨ ـ ٩٠٧ م) حيث تم انشاء دائرة خاصة للعلاج بوخز الابر فى كلية الطب الامبراطورية وهى اول مدرسة للطب فى تاريخ الصين .

العلاج بوخز الابر يصاب بنكسة

غير ان تطور العلاج بالوخز اصيب بنكسة لم يكن ينتظرها فى عهد الاسرة تشنغ التى حكمت الصين فيما بين (١٦٤٢ ـ ١٩١١ م) . اذ صدر عام ١٨٢٢ مرسوم امبراطورى يمنع التداوى بالوخز بالابر استنادا الى ان الوخز بالابر اسلوب بال عتيق ليس بعصرى .

الزعيم ماوتسي تونج قام باحياء الوخز بالابر

ولم يكن حال الوخز بالابر فى عهد حكم الكومنتانج بافضل من سابقه فقد صدر عام ١٩٢٩ مرسوم يمنع تداول كل اشكال الطب الشعبى بما فيها العلاج بوخز الابر حتى كان عام ١٩٤٤ حين قام ماوتسى تونج باحياء التراث الصينى الشعبى واكد ضرورة تعاون الاطباء الشعبيين التقليديين مع الاطباء الحديثين لذا لم يحل عام ١٩٤٥ حتى تم افتتاح اول مستوصف للعلاج بوخز الابر .

قصة التخدير بوخز الابر

خلال الاف السنين سار طب الوخز بالابر على طريق علاج الامراض المختلفة وخاصة تلك الامراض المزمنة التى تتميز بالام كالام المفصل والروماتزم واضطرابات الهضم حتى اذا كان عام ١٩٥٨ دخل الوخز بالابر عالما آخر جديدا سجل فيه نصرا مذهلا هو عالم التخدير .

ففى هذا العام تمت اول تجربة لتسكين الام خلع الاسنان بواسطة وخز الابر .

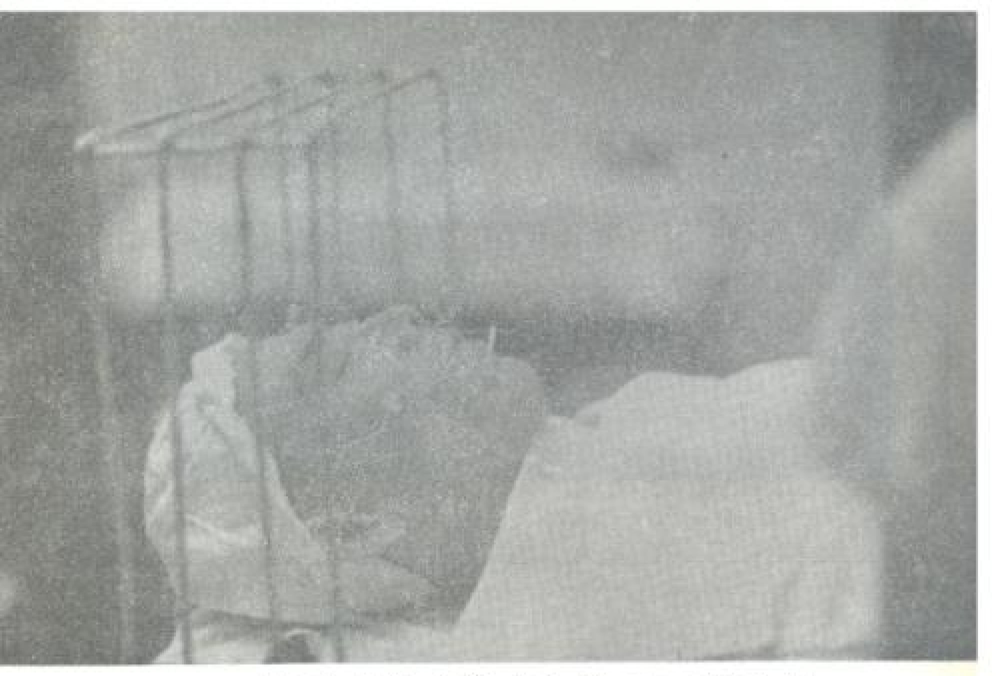
ثم تلتها تجربة تسكين الام مريض ازيلت لوزتاه لم يكن يستطيع معها البلع وكانت تجربة مثيرة اذ تم فى بضع دقائق خلاص المريض من الام لم تفارقه بضعة ايام بالرغم من كل اشكال العلاج والمسكنات .

وهنا ثار السؤال فى ذهن الاطباء : ـ

اذا كان الوخز بالابرة يزيل الالم فهل يمكن



استئصال المعدة والتخدير بوخز الابر .



عمليـة التخدير بوخـز الابر فيالشـفتين لاسـتئصال المـعدة ٠

اجراء العملية بدون الم بفضل الوخز بالابر ؟

وكان الجواب على هذا السؤال آلاف التجارب التي حققت نجاحا اثار الدهشة والاعجاب ، حتى ان تقرير الجمعية الطبية الصينية يقدر عدد العمليات التي جرت في ظلال التخدير بوخز الابر حتى عام ١٩٧٣ بـ ٦٠٠٫٠٠٠ عملية مختلفة وصلت نسبة نجاح التخدير فيها ٩٠٪ تقريبا ٠

كيفية التخدير بوخز الابر

اعتمادا على نظام شنج لو Chig Lo او نظام المسارات يوجد على جسم الانسان ١٢ مسـارا محددة مواقعها على خرائط خاصة ، وعلى كل مسار عدد من النقاط لكل منها اسم خاص ، ولكل من هذه النقاط ارتباط بعضو معين ٠ وعند اجراء عملية ما يختار طبيب التخدير بوخز الابر نقطة او اكثر من هذه النقاط يغرز فيها الابرة بعمق يتراوح ما بين ١سم ـ ٣سم ، ثم يقوم بتحريك هذه الابرة حركة خاصة هي مزيج من الدوران ومن الرفع والدفع بسرعة تتراوح ما بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ مرة في الدقيقة ، وبعدها يبدأ المريض يحس بشعور من الثقل والانتفاخ والحرقة، حتى اذا مامضى من الوقت ما يتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ دقيقة يكون التخدير قد تم،ويصبح المريض مستعدا لاجراء العملية ٠

تطور التخدير بوخز الابر

ان عمر التخدير بوخز الابر قصير لا يزيد كثيرا عن خمسة عشر عاما ، ومع هذا فقد حقق نجاحا باهرا وتطورا سريعا ٠

اذ قد بدأ التخدير بعملية خلع الاسنان وانتهى بعمليات معقدة في المخ والقلب والرئتين والاحشاء ٠

كما ادت الخبرة بالاطباء الى اختزال عدد الابر الى اقل عدد ممكن ٠

فعملية ازالة الرئة مثلا كان التخدير يجري باربعين ابرة ، وانتهى اليوم الى استعمال ابرة واحدة فقط ، هذا الى ابتكار اجهزة كهربائية تقوم بذبذبة الابر بدلا من اليد ٠

غير ان الغريب ان هناك اكثر من مدرسة في الصين للوخز بالابر كل لها أسلوبها بحيث لايوجد اتفاق عام على نقاط محددة للعملية الواحدة ٠

فمثلا في نانكين كان الوخز بالابرة يتركزعلى الاذن ، فهناك نقاط في الاذن تمثل مختلف اعضاء الجسم ٠

بينما في مدينة شانغهاي نجد نفس العمليات



عمليـة اصـلاح الحول والمريض فى كامل وعيـه

يجرى التخدير فيها بالوخز بالابر ولكن بمواضع فى الجسم تختلف عما هو فى تاتكين •

والاطباء الصينيون يقولون انهم اليوم فى دور التجربة ، والدراسة ، وسوف يقومون بعدها بالتدارس والتشاور لاستخلاص افضل النقاط الفعالة حتى يتفق عليها الجميع وهم لاينكرون انهم فى طور الدراسة والبحث • بل هم لم يتفقوا بعد على تفسير علمى لهذه الظاهرة الغريبة التى لاتستند الى اية قاعدة علمية معروفة سواء منها التوزيع العصبى او الاوعية الدموية لذا فانهم مضطرون الى ان يقبلوا بنظام شنج لو القديم الى ان يجدوا له تفسيرا بديلا عصريا •

مقارنة بين التخدير الحديث والوخز بالابر

ليس من الانصاف ان نقول ان كل عمليات اطباء الصين تجرى بالوخز بالابر،ذلك ان عمليات التخدير بوخز الابر لاتزيد على ١٥٪ من التخدير عامة اذ ان لكل نوع من التخدير مزاياه •• له حسناته وماخذه •

غير ان التخدير بوخز الابر يتميز على قرينه التخدير العام بما يلى • ـ

١ ـ امن ، فليس له مضاعفات او تعقبه وفيات•

٢ ـ رخيص لاحاجة به الى اية مواد او عقاقير•

٣ ـ فعال لدرجة ان تاثيره يتعدى زمن العملية الى ساعات طويلة بعدها بمعنى ان المريض لاحاجة به الى مسكنات عقب العملية كماهو الحال مع التخدير العام •

٤ ـ يحقق تعاون المريض مع الطبيب •

ففى عمليات معينة كعملية الحول يمكن مثلا التاكد من نجاح العملية فورا والمريض على الطاولة العملية مادام متنبها •

وكذا فى عملية الغدة الدرقية يمكن تلافى قطع اعصاب الاحبال الصوتية الامر الذى يخشاه الطبيب فى التخدير العام •

اما الماخذ على التخدير بوخز الابر فهى كما يلى • ـ

١ ـ ليس كل المرضى سواء فى استعدادهم للتخدير بالابر •

١ ـ ارتخاء العضلات ليس كاملا اثناء التخدير بوخز الابر ، وهذا يشكل صعوبة ما فى عمليات البطن •

٣ ـ التخدير بوخز الابر قد يتوقف تاثيره اذا طال زمن العملية ، لذا فهو اصلح مايكون فى العمليات القصيرة ، وقد قدروا الزمن الاقصى لعملية الوخز بالابر بساعتين تقريبا على الاكثر •

ومع هذا فليس من العدل ان يحكم الانسان على التخدير بالوخز بالابر الان ، وهو لم يتعد من العمر بضع عشرة سنة ، فما زال امامه متسع من الزمن ليحقق اهدافه ، ولكن الحقيقة التى تبقى ويعترف بها كل من اتيحت له فرصة مشاهدة التخدير بوخـز الابـر انهـا مذهلـة مدهشـة ومعجزة •

■■

حسن فريد ابو غزالة

أنباء الطب والعلم والاختراع

المرأة ليست الجنس الضعيف !!

● « ان تفوق الرجال على النساء في المجالات الرياضية يعود في الواقع الى القيود الاجتماعية والثقافية التي فرضت على النساء ،وليس الى الاختلافات البيولوجية الحقيقية في طاقة الأداء بين الجنسين المختلفين » بهذه الكلمات انهى الدكتور ج . ه . ويلمور J.H. Wilmore الاستاذ بكلية الطب بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية، خلافا كبيرا حول تفوق الرجل على المرأة، في قوة التحمل والأداء ، نتيجة تكوينه البيولوجي وطاقاته البدنية .

ان الطاقات البدنية للمرأة ليست اقل من الرجال كما يعتقد الكثيرون . ويقول ويلمور انقوة الأطراف السفلية للمرأة، تزيد قليلا على قوة الأطراف في الرجال.

وطاقةالتحمل ، في عدّاءات المسافات الطويلة ، والمدربات تدريبا جيدا ، تتقارب مع طاقة التحمل في عدائي المسافات الطويلة من الرجال المدربين جيدا .

ومن الأدلة التي يسوقها ويلمور انه كلما ازداد تشجيع المرأة على الاشتراك في المسابقات الرياضية ظهرت امكانياتها الحقيقية . وفي الدورة الأوليمبية التي اقيمت في عام ١٩٢٤ كان الرقم القياسي للرجال في مسابقة عدو ٤٠٠ متر حرة اسرع بنسبة ١٦٪ عن الرقم القياسي للنساء . اما في عام ١٩٧٢ ، فان الأرقام القياسية بالنسبة للرجال والنساء لاتختلف الا بنسبة ٣ر٧٪ فقط .

تنشئة الطفل على عدم اظهار عواطفه قد تكون سببا في فشل حياته الزوجية في المستقبل

● الرجل لايبكي ... !! الرجل لا يخاف ..!! الرجل يفعل هذا ، ولا يفعل ذاك ..!!

هذه هي بعض التعاليم التي يتلقاها الطفل الذكر وهو صغير من والديه ومن المحيطين به . ان المجتمع في كثير من الاحيان يعلم الصبي ان اظهار عواطفه بالبكاء مثلا ، ليس الا علامة من علامات الانوثة ويتنافى مع الرجولة والشجاعة ، ومن الاشياء المسلم بها لدى الآباء والامهات في كثير منالمجتمعات ان الاطفال الذكور يجب ان يظهروا شجاعتهم بعدم البكاء ...

ويقول العالم النفساني جاك بلزويك Jack Balswick ، الاستاذ في جامعة جورجيا بالولايات المتحدة الامريكية ، ان

هذه التصرفات من الوالدين قد ينتج عنها رجال تخلو وجوههم ونفوسهم من التعبيرات والعواطف . ويستطرد العالم النفساني فيقسم هؤلاء الرجال الى نوعين. الاول : يسميه براعي البقر Cowboy لانه يتميز بالعنف والقسوة .. اما النوع الثاني فيطلق عليه اسم المستهتر Playboy وهو ذلك النوع الذى يجعل من النساء لعبته دون ان يتأثر بعاطفة الحب .

ويقول بلزويك : « ان تصرفات هؤلاء الرجال تعود فى الاساس الى الصورة التى انطبعت فى اذهانهم منذ طفولتهم فى ان اظهار العواطف ليس من سمات الرجال . وكثيرا ما تؤدى تصرفاتهم هذه الى فشل حياتهم الزوجية وارتفاع نسبة الطلاق بينهم ارتفاعا كبيرا . ان المرأة تتوقع دائما من زوجها ان يفتح قلبه لها ، ويشركها معه فى همومه وعواطفه . اما الزيجات التى لا تجد فيها الزوجة تعاطفا من زوجها فهى دائما تنتهى بالفشل . ان الزوجة المحرومة من تعاطف زوجها تحاول فى بداية حياتها الزوجية ان تجعل زوجها يغير من معاملته لها .. وعندما تفشل فى محاولاتها بعد عامين او ثلاثة من الزواج فانها اما ان تستسلم للأمر الواقع وتقنع نفسها بأن الزواج هو هكذا دائما ، واما ان تصبح مهيأة لعلاقة غير شرعية مع أول رجل يطرق بابها ويشعرها بالعطف والحنان » .

ويقول بلزويك ان هذه المعلومات قد تفسر الاسباب الحقيقية التى تكمن وراء انتهاء ثلث حالات الزواج فى الولايات المتحدة الامريكية بالطلاق .

موتور صاروخى لانقاذ ضحايا حوادث السيارات

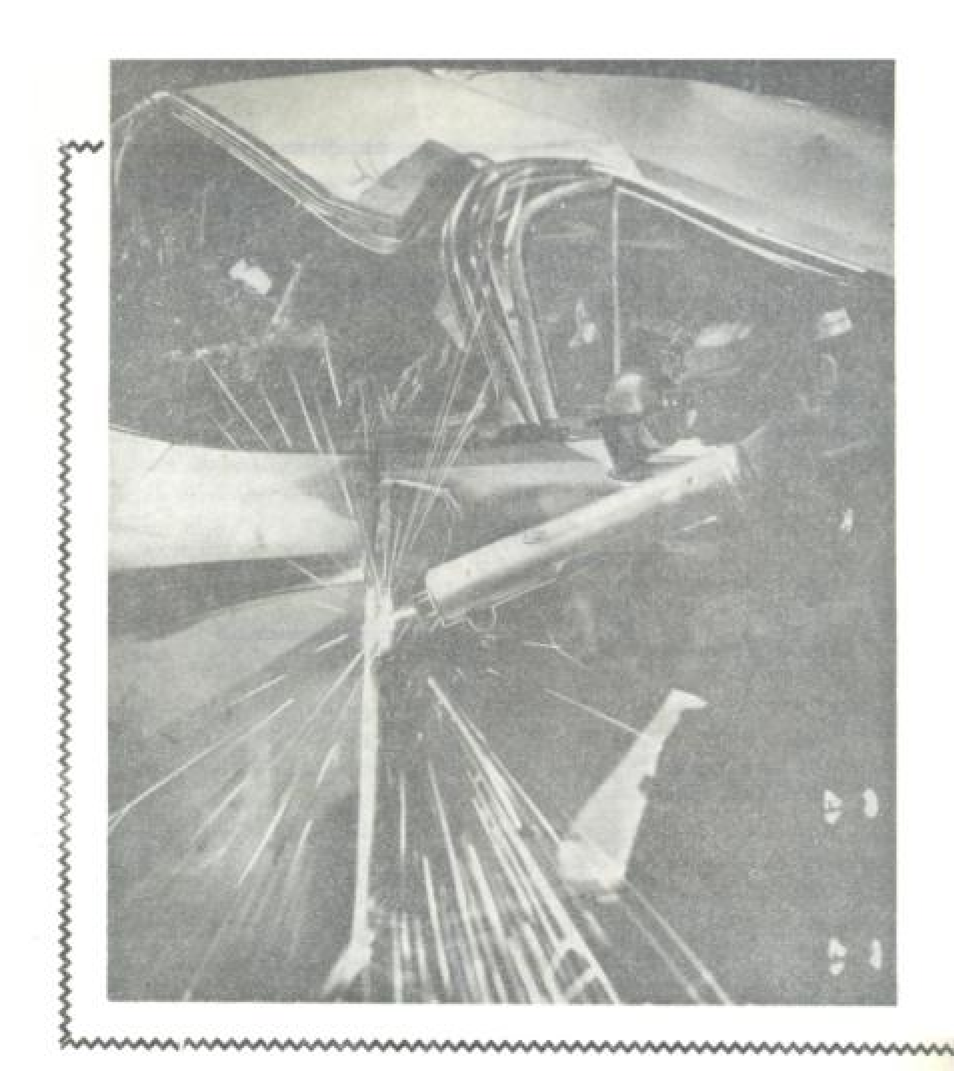
عندما تنقلب السيارة ، او تتعرض لحادث اصطدام عنيف،يتعذر فى الكثير من الحالات اخراج الركاب المصابين منها الا بعد جهد ووقت كبيرين . وقد اثبتت الاحصائيات ان عددا كبيرا من المصابين فى حوادث السيارات يفقدون حياتهم بسبب بقائهم مدة طويلة داخل السيارة المحطمة دون رعاية طبية ، وخاصة حالات النزيف .

ومن اجل سرعة اخراج المصابين من داخل السيارات المحطمة ، قامت احدى الشركات الامريكية بانتاج موتور صاروخى صغير يستطيع ان ينتج شعلة من النيران تصل درجة حرارتها الى ٢٧٠٠ درجة مئوية ، وهذه الشعلة تستطيع صهر اى جزء من جسم السيارة المحطمة بسرعة ، وبذلك يتم اخراج المصابين فى دقائق معدودة .

وهذا الموتور الصاروخى Rocket Motor صغير الحجم بحيث يمكن حمله فى سيارات البوليس والمطافىء والانقاذ او حتى سيارات الركوب العادية .

الاسماك التى تعيش

● منذ عدة سنوات عندما تلوثت مياه البحار بالزئبق الناتج عن بعض المصانع، ادى هذا التلوث الى زيادة نسبة الزئبق فى لحوم الاسماك التى تعيش فى هذه المياه واصبحت تمثل خطرا على حياة الانسان اذا قام باكلها ، واليوم يثبت العلماء ان الاسماك ايضا يمكنها ان تصبح خطرا على صحة الانسان اذا عاشت



فى الأنهار الملوثة تنقل الأمراض المعدية للانسان

فى مياه ملوثة بفيروسات الامراض التى تصيب الانسان .

وقد قام فريق من علماء الميكروبات الامريكيين باجراء عدة تحليلات على مياه نهر فوكس Fox القريب من مدينة شيكاجو ، ووجدوا ان هذه المياه ملوثة بفيروسات شلل الاطفال ،وبعض الامراض الاخرى ، وان نسبة التلوث تزداد فى شهور الصيف ، وبصيد مجموعة من الاسماك التى تعيش فى هذا النهر استطاع العلماء ان يكتشفوا وجود فيروسات شلل الاطفال داخل احشاء هذه الاسماك . ونتيجة لهذا اعتبروا ان الاسماك التى تعيش فى مياه ملوثة بالميكروبات او الفيروسات قد تتسبب فى اصابة الانسان بهذه الامراض .

زكي مبارك

الاديب الشاعر الناقد الحزين

بقلم : فاضل خلف

« لو شرب الصخر من رحيق الوجود بعض ماشربت لتحول الى اوتار وقلوب ، فكيف أصمت والدنيا كلها من حولي تتارج باريج الأزهار والرياحين ، ولي قلب يتشوق الى افنان الجمال ، تشوق الشمس الى انداء الصباح » .

بمثل هذه العبارات الشعرية دخل زكي مبارك دنيا الأدب من اوسع الابواب ، ولو سكت عن مثل هذا التغريد ، واقتصر على كتبه الجامعية التي نال ببعضها اجازات الدكتوراه ثلاث مرات متتالية .. لما كان له في ميادين الأدب هذا الدوي الذي مازال يتردد صداه ، في الوطن العربي مشرقا ومغربا ، ولاقتصرت كتبه على المختصين في الأدب ، والدراسات الجامعية ، وفي محافل المعاهد ، واروقة الجامعات .

لقد كان قلمه ينبض عذوبة وجمالا ورقة ، وهو يترجم مايعتلج في فؤاده من حب وحنين وشوق .. حب للادب واهله .. وحنين للحبيب المعروف والمجهول ... وشوق للمجد والعلاء .. فاذا كتب حملت كتاباته كل هذه الافانين من الحب

زكي مبارك في سطور

١ ـ ولد في قرية سنتريس من محافظة المنوفية في اغسطس ١٨٩٢ .

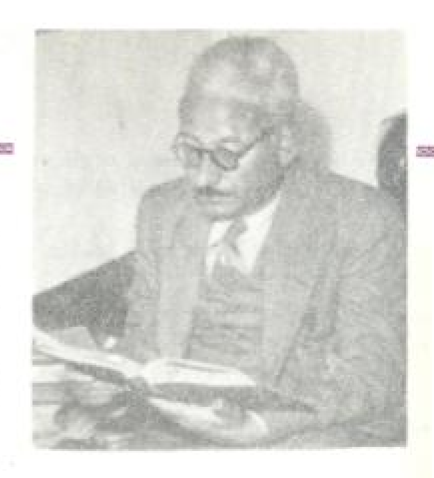
٢ ـ التحق بالازهر الشريف ثم الجامعة المصرية التي نال منها الليسانس ، ثم نال الدكتوراه منها في ١٩٢٤ عن كتابه « الاخلاق عند الغزالي » .

٣ ـ هاجر الى باريس ونال منها شهادة الدكتوراه الثانية في ١٩٣١ عن كتابه « النثر الفني في القرن الرابع الهجري » . وعاد الى مصر .

٤ ـ نال في ١٩٣٧ الدكتوراه الثالثة من الجامعة المصرية عن كتابه « التصوف الاسلامي » .

٥ ـ استضافته وزارة المعارف العراقية في ١٩٣٨ استاذا للادب العربي في دار المعلمين العالية ببغداد ، وبعد رجوعه الى مصر في ١٩٣٩ عين مفتشا للمدارس الثانوية في وزارة المعارف ، وبقي متنقلا بين التفتيش والتدريس ودار الكتب الى ان توفي في يناير ١٩٥٢ ..

٦ ـ من كتبه ايضا « حب ابن ابي ربيعة » و « ذكريات باريس » و « البدائع » و « بين آدم وحواء » و « المدائح النبوية » و « الموازنة بين الشعراء » و « مدامع العشاق » .



والحنين والشوق . وكم من مرة اغتفرت له جماهير القراء شطحاته فى دنيا النقد ، لجمال اسلوبه ، ورقة معانيه ، وطلاوة حديثه ، وكم من مرة تجاوزت عن سيئاته نظرا لكثرة حسناته ، وكم من مرة غضت الطرف عن زلاته بسبب اخلاصه للادب العربى ، وتفانيه فى الوصول باللغة العربية الى مصاف اللغات العالمية التى اخذت تنتشر فى اقطار الارض متعدية السدود والقيود ٠

لقد كانت جماهير القراء تتلقى نتاج قلمه بلهفة وشوق وهو يحمل اليها زاد العقول وزاد القلوب ، فينقلها الى عوالم شعرية سامية ، فيها متعة للروح ، وراحة للعقل ٠ وفى كتبه العلمية اقباس من حديث القلب ، وهمسات الروح ، كان القلم يغلبها احيانا وهو فى صراع مع لغة التحقيق وعبارات البحث العلمى ٠وعندما تنبه الى هذه الظاهرة بعض اساتذته فى باريس وهو يعد رسالة الدكتوراه ، اعتذر عنه الاستاذ ماسينيون قائلا : « انه شاعر ، والشعراء لايستطيعون القرار من نزواتهم » ٠

زكى مبارك كان شاعرا

نعم لقد كان شاعرا ، وشاعرا عليما باسرار الحب وعواطف المحبين ٠ لذلك فقد كانت كل كتاباته تتميز بالرقة والعذوبة ، وهى ليست فى مجموعها سوى قصائد غنائية وان لم تتقيد باوزان الشعر وقوافيه ٠ وهذا ماجعل شاعرا كبيرا فى منزلة على الجارم يجهر بقوله : « لقد ابتكر زكى مبارك فنا جديدا حين نقل الغزل والتشبيب من الشعر الى النثر » ٠

وعندما يصرح على الجارم بهذا القول فهو يعنى مايقول ، بعد ان راى هذا الفن يترقرق فيضه فى كثير مما يدبجه هذا الكاتب الفنان ، كمثل قوله فى كتاب (العشاق الثلاثة) : « هوى جميل عند بثينة ، وهوى كثير عند عزة ، وهوى العباس عند فوز ، فاين هواى ، وماهو الاسم الجميل الذى احجبه بحجاب هذا الكتمان ؟ »

« هؤلاء الموحدون فى الحب لن يكونوا اصدق منى ٠ ولن ترى الدنيا ولو تحولت الى فردوس عاشقا اصدق منى ٠ ولن أرى أكرم منك ياتلك الروح الغالية ٠ ولا اعذب ولا الطف ، وان توهمت أن الصدود من جنود الجمال ! »

« هؤلاء الموحدون فى الحب يتكلمون باسمى على بعد الزمان والمكان ٠ فانا وانت أول صوت يناغى ضمير الوجود » ٠

« اقرئى هذا الكتاب ، ياتلك الروح ، وتناسى أننا تلاقينا لحظة من زمان لتذوقى طعم النوم لحظة من زمان » ٠

وكان له قلم جرىء دخل به عالم النقد

ويضاف الى اسلوبه العذب هذا ، قلم جرىء دخل به عالم النقد ، ووقفه على الصيال والنزال داعيا ادباء عصره الى المبارزة لايستثنى كبيرا ولا صغيرا ، حتى طار صيته فى الافاق ، وضربت شهرته فى المدائن العربية ، مما جعل صاحب مجلة الرسالة الاستاذ احمد حسن الزيات يطلق عليه لقب (الملاكم الادبى) ٠

وكان اذا تناول كاتبا بالنقد لايكتفى بمقال او مقالين ، وانما يسترسل فى كتابة بحث طويل محكم الحلقات متشعب المسالك مدعم بابلغ الحجج واوضح البراهين ،وقد لايكون كذلك احيانا ولكن مقدرته الفائقة فى دنيا الادب وعالم البلاغة ومجال الثقافة الواسعة ، تجعل نقده سائغا ٠٠ مقبولا لدى جماهير القراء ، وكان بعض المنقودين يردون على هجماته ولكنهم يتوقفون بعد مقال او مقالين بعد ان ينالهم التعب ، فيحجموا عن الاستمرار فى مجاهل غامضة النتائج وعرة الدروب ٠

ومن اطرف المقالات التى هوجم بها ، بحث كتبه الاستاذ عبد الله حبيب جاء فيه :

« وصاحبنا ـ كأنه خلق بغير فرامل ، أو هو كالسيارة الضخمة التي لاتقوى فرامنها على ضبط توازنها ودقة سيرها ، فهو ان سار لابد له من حادثة تصادم ، وليس في استطاعة كاتب ان يحصي في مثل هذه الصورة الوصفية كل احداثه ـ كل ذلك يقع في مصر ، ثم لانجد حكومة من حكوماتها المتعاقبة تفكر في سن تشريع جديد يحمي الناس من مثل هذه الهوسة العقلية • ولم لايكون في مصر ـ مادام فيها زكي مبارك ـ نظام مرور للكتاب والمؤلفين • فتعين الحكومة فريقا من « الكونستبلات » يتولون حفظ نظامهم ويمتحنون باشاراتهم مثل هذه المصادمات التي يحدثها صاحبنا ومن سيخلق على طرازه في مقبل الأيام ؟ وهل يليق بحكومة متمدنة ان تدع مثل زكي مبارك يروع الناس كل يوم بحوادث التصادم التي يرتطم فيها دون ان يخشى على رأسه أو رؤوس الناس ! » .

وهذا الكلام الذي خطه الناقد عبد الله حبيب يحمل بين سطوره روح المرح ولاشك ، ولكنه يدل دلالة واضحة على ماكان يثيره زكي مبارك من غبار وقتام في ميادين الأدب والنقد •

والى مثل هذا النقد أشار الاستاذ خليل الهنداوي بقوله : « اذا تركك النقد أيها الدكتور تضيع أصدقاءك فانا نريد ان يجعلنا لك من الاصدقاء » •

والى مثل هذا النقد ايضا أشار الشاعر محمود غنيم قائلا : « رأيتك يادكتور تطل على ذلك المجمع الزاخر من علو شاهق ، غير عابيء ولا مكترث بما قد يكون مخبأ لك من سقطة أو سقطات تهوي بك من ذلك العلو الشاهق الى هوة تمر عليك شماتة الشامتين وكلهم بالمرصاد » •

وقد كان جواب زكي مبارك على هذا الكلام هو قوله : « لم أرزق من الغفلة مااطمئن به الى اني أعيش بلا خصوم وبلا أعداء •• وكيف وحياتي كلها قامت فوق مخازن البارود ، لو وقعت عليها شرارة واحدة من الخطأ لحولتني في لمح البصر الى رماد تذروه الرياح » •

ولكن مخاوف محمود غنيم وغيره من عشاق هذا الأديب تحققت •• فقد وقعت عدة شرارات على مخازن البارود التي قامت عليها حياته فسببت له متاعب كثيرة ، ونغصت عيشته في آخريات أيامه ، وكانت فيالق الشامتين بالمرصاد •

واشتهر زكي بالثناء على نفسه

لقد ذكرنا سببين سما بهما زكي مبارك الى أوج رفيع في دنيا الادب ، وهما أولا أسلوبه المشرق الذي تميز به بين أدباء عصره ، وثانيا نقده القوي الذي عرف به في الأوساط الادبية ونال به مانال من شهرة ومجد • بقي ان نفصل هنا سببا ثالثا اشتهر به وهو الثناء المستمر على نفسه • وقد اختلف النقاد الذين عاصروا زكي مبارك في امر هذا الثناء اختلافا كبيرا ، فمنهم من رأى فيه منقصة لهذا الأديب الكبير باعتبار ان الثناء على النفس ليس من شيم العلماء الأعلام ، وان التواضع هو الذي يرفع أهل العلم ، وليس الاعلان المستمر على النفس ، وبالتواضع فقط يكون التوقير وتكون الهيبة وتكون الشهرة كذلك •

ومن الادباء من حمل ظاهرة زكي مبارك الفريدة في الاعلان المستمر عن أدبه محمل الطرافة والتفكه زاعمين انها من الأمور التي امتزجت في أعماله واصبحت صفة ملازمة تميزه على غيره من حملة القلم وأرباب الفكر •

ومن الأدباء من رأى في هذا الثناء على النفس تجديدا في ميادين الأدب كما جاء في مقال للشاعر محمود غنيم في مجلة الرسالة موجه الى زكي مبارك حيث قال :

« فاجعل لنا يوما من نفسك على صفحات الرسالة تحدثنا فيه بالصراحة التي نعدها من أهم مقوماتك ، من زكي مبارك كما يعرفه زكي مبارك شارحا لنا وجهتك في الحياة الأدبية التي نعتقد انك تعيش فيها منفردا فأنت أجدر من يتحدث عن نوايا النفوس » •

اما زكي مبارك نفسه فله رأيه الخاص في هذا الثناء المستمر على نفسه ، وقد جاء هذا الرأي في رده على الاستاذ عبد الله حبيب الذي نشر بعنوان (كيف أثنيت على نفسي) في جريدة الدستور ، وقد مر بنا منذ قليل بعض نقده وهجومه على زكي مبارك ومما ورد في هذا الدفاع قوله :

« أتحداكم أن تثبتوا انى أثنيت على نفسى بغير الحق .. أتحداكم ان تثبتوا انى كنت كاذبا فيما ادعيت من الفضل .. أتحداكم ان تثبتوا انى لم أكن أهلا لتتكم يوم كرمتمونى بفضل ماأبدعت فى التأليف .. أمثلى يضطر الى أن يقهر الناس على الاعتراف بانه لم يثن على نفسه الا لأنه يحس نقمة الابتلاء بالعقوق » .

واما تعليق الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة على هذا الثناء الغريب فهو :

« ولكن هذه الأعراض النفسية ستفنى فيه وفى الناس ويبقى ذلك المجهود العلمى الضخم الذى قدمه الى الأدب العربى فى شتى نواحيه ، شاهدا على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته فى النهضة » .

اخصب ايامه تلك التى قضاها فى العراق

ولعل اخصب فترة ادبية فى حياته بعد أيام السوربون فى باريس — هى الفترة التى قضاها فى العراق عندما استضافته الحكومة العراقية استاذا للأدب العربى فى دار المعلمين العالية فى بغداد .. ففى خلال تسعة اشهر فقط الف كتبه ، ليلى المريضة فى العراق ، وعبقرية الشريف الرضى ، وذكريات بغداد ، وملامح المجتمع العراقى ، الى جانب عدد وافر من المقالات التى نشرها فى الرسالة وغيرها فى السنوات القليلة التى اعقبت رحلة العراق .

وفى هذه الكتب سكب أروع اناشيده واعذب اغاريده واجمل ذكرياته فى الحياة والحب والأدب ، وفى هذه الكتب سجل عواطفه السامية نحو العراق والعراقيين . وفى كتاب الاستاذ عبد الرزاق الهلالى (زكى مبارك فى العراق) تفصيل شامل عن وجود زكى مبارك فى العراق وعن العواطف المتبادلة بينه وبين العراقيين . وبفضل تلك الزيارة الى العراق طار صيت زكى مبارك فى العالم العربى . فقد كانت تلك الشهور المباركة وحيا جياشا لقلمه ، وغذاء خالدا لروحه التى رفرفت فى سماء الأدب والفن فاغنت الأدب العربى بصفحات لألاءة . وكانت تلك الشهور سببا فى تفجير الطاقات الحبيسة فى اعماقه . وهى طاقات الحب والجمال والصدق والاخلاص . وليس عجيبا بعد ذلك ان يقول فى ديوانه الكبير (ألحان الخلود) :

سيسأل قوم من زكى مبارك
وجسمى مدفون بصحراء صماء

فان سألوا عنى ففى مصر مرقدى
وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائى

ولولا بغداد لما كان هذا الديوان . فانه بدأ بنظم محتوياته وهو فى بغداد على شفاف دجلة ، واتمها فى القاهرة على شفاف النيل بعد سنوات — بعد أن اضاف اليه مجموعته الشعرية الاولى — وكانت اصداء رحلة العراق مازالت حية فى قلبه ووجدانه .

الحزن فى حياة زكى مبارك

هذا ولابد للدارس لأدب زكى مبارك ان يضيف الى صفاته المميزة هذه صفة اخرى متممة لاسلوبه المشرق ونقده القوى وثنائه على نفسه ، الا وهى روح الحزن التى يلمحها القارىء تتدفق فى كثير مما كتب وانتج من شعر ونثر ، فهو لم يكتف باشاعة الحزن فى آثاره الادبية بل انه اخذ يفلسف هذا الحزن ويدافع عنه قائلا :

« والحزن ليس مصدر ضعف كما يتوهم الناس، وانما هو مصدر قوة ، لانه دليل على شعورنا بقيمة مانفقد من الناس ومن الاشياء .. والحزن مقصور على الحيوانات الراقية ، وارقى أنواع الحيوان هو الانسان » .

وهذا الكلام يحتمل الخطأ والصواب .. فالحزن الذى يفيض من النبع الرقراق فى أعماق النفس الانسانية .. هو حزن مبدع خلاق .. والذى يعم نفسه مثل هذا الحزن ، يبدع فى خلق صور فنية من العلوم والآداب والفنون ، ان هيأته الطبيعة وهيأه استعداده للخلق والابداع .

اما الحزن الناتج عن تراكم الهموم والمتاعب ، فذلك حزن ممقوت يذل النفس ، ويقتل الاحساس، ويبلد الشعور ، ويقضى على صاحبه ، وقد كانت احزان زكى مبارك فى شبابه وكهولته مصدرا

للأدب الصادق ، والفن الجميل ، فألف كثيرا من الكتب الجيدة ونظم كثيرا من القصائد الممتعة • ولكن احزانه فى أخريات ايامه تحولت من حال الى حال •• لقد كانت احزانه مصدر قوة وسمو، فاضحت مصدر ضعف وانحسار •• وقد كانت احزانه تمده بفيض زاخر من الادب والفن فامست تبعده عن الأدب الرفيع والفن الراقى •• ان هذه الاحزان التى دفعته الى الابداع فصار من كتاب الطليعة هى نفسها الاحزان التى قضت عليه بعد ان تحولت من حال الى حال حتى قال الدكتور محمد رجب البيومى قبل وفاة زكى مبارك بمدة وجيزة :

« وكم يدركنا الأسف اذ نشهد زكيا قد نزل من سمائه فتراه يقف الآن فى آخر الصفوف ، وقد كنا نرقب له الغد المشرق البهيج » •

وتلك الاحـزان المتراكمـة التى تحولت فى شيخوخته الى نيران متاججة فى صدره هى التى هدت قواه وقضت على أدبه الجميل ، بعد أن ادمن على السهر والشراب •

منابع الحزن عند زكي مبارك

لو تتبعنا حياة زكى مبارك وأردنا معرفة منابع الحزن عند هذا الشاعر الأديب لرأينا أولا ان عقدة الحزن اصابته وهو فى دور الطفولة عندما وجد اهله يخرجون الى المقابر ليلة العيد ليسلموا على الامـوات ، وكانت اسرته تصـاب بابنائها كثيرا فيمر العيد والاسرة محزونـة فيتالم بها الصبى • وهذا هو الذى جعله بعد ذلك يحزن فى كل عيد مثالا حزينا باكيا •• وهـذا الحزن جعله شديد الحساسية ، وصيـره شاعرا يوزع حنينه فى مؤلفاته الكثيرة • فهذا اذن أحد منابع هذا الحزن •

وقبل ان يدرك عهد الشباب احب طفلة من القرية ، ولكنها توفيت وهى فى فجر الشباب ، فاثر موتهـا فى نفسـه تأثيرا عميقا ، وفجر فى أعماقه الشعر والحنين • وهذه الحبيبة الاولى ، هى التى اهداها ديوانـه الاول المسمى « ديوان زكى مبارك » بهذه العبارات المؤثرة :

« الى تلك الفتاة التى خفق لها القلب أول خفقة ، والتى قلت فيها أول قصيدة ، وسكبت عليها أول دمعة • الى تلك الفتاة المنسية التى تنام فى قبر مجهول تحت سماء سنتريس •• الى بقاياك فى التـراب يافاتحـة الامانى وخاتمـة الآمال - اليك يا كل ما كنت املك فى مطلع الصبا وفجر الشباب •• اقدم هذا الديوان :

وأقســم ماقــدمت الا أضـــالعى
يمزقهـــا حزنى وينشرهـــا وجــدى

فلا تحســـبينى بعــــد ان خانك البلى
تخونت مابينى وبينــك مــن عهــد

وهذا منبع الحزن الثانى •

ولعل أهم منبع من منابع حزنه هو « عقدة العقوق التى ابتلى بها وهو الشاعر الأديب ، صاحب الدراسات الجامعية ،والثقافة الواسعة •• الشاعر الأديب الذى لايعرف الا الجوانب المشرقة من الحياة من صدق وحب وصراحة ، ورأى من هم أقل منه أدبا وخلقا يتسنمون مناصب كان يرى نفسه أولى بها منهم •• فخاب أمله ، وأصابه اليأس من اصـلاح النفوس والاوضاع ، فاخذ يهاجم المجتمع ورجاله والمسئولين بخاصة ومن قوله :

« المسئول عن هذا التدهور هو الفريق الجبان من الرؤســاء الذين لا يأنســون بغير الضـعفاء ولا يسلمون الاعمال الا لكل شاب رخو ؟ أين الرئيس الذى يعد مرؤوسيه ليكونوا ذخر الوطن ورجاء البلاد ، فيوصيهم بالترفع عن الصـغار والـذل ، ويغريهـم بحب البـأس والاستطالة والكبرياء ؟ أين الرئيس الذى يحب فى مرؤوسيه اباء النفس وقوة الشكيمة وصلابة العود ؟ ونتيجة هذا ان أصـبح الشبان يرون ان سـلاح العلم والفضل والنبل والشـهامة سلاح مفلول • وان الزاد الانفع هو التملق والمداهنة والرياء » •

هذا هو زكى مبارك فى بعض ملامحه التى اشتهر بها فى عالم الأدب العربى فقطنت اسمه فى صف الطليعة من أدباء العرب ، وطرت صيته فى الآفاق العروبة وسجلت اسمه فى سجل الأدباء الخالدين • ■■

فاضل خلف
سفارة الكويت ـ تونس



صور من القضاء القبلي في افريقيا

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

كانت للمجتمعات القبلية الافريقية ، قبل خضوعها لسيطرة الدول الاوروبية ، نظمها القضائية الخاصة . وقد اصاب هذه النظم شيء غير قليل من التغيير تحت تأثير الدول المستعمرة . فقد عملت هذه الدول احيانا على ادخال نظام قضائي ذي طابع اوروبي ، واحلاله محل النظام القضائي القبلي . كما احتفظت احيانا اخرى بنظام القضاء القبلي مع ادخال بعض التعديلات عليه . وسوف نقتصر في دراستنا الحالية على استعراض خصائص القضاء في المجتمعات القبلية الافريقية في ظل ظروفها الاصلية دون التعرض لنظام القضاء السائد بها في الوقت الحاضر .

الهيئات القضائية او المحاكم

من المجتمعات القبلية الافريقية مجتمعات يتخذ النظام السياسي فيها شكلا هرميا . ففي القمة الرئيس الاعلى وهو زعيم القبلية او اميرها . وينوب عن الرئيس في ادارة شئون بطون القبيلة او احيائها رؤساء محليون . كما يتولى شئون القرى او المضارب رؤساء آخرون . ويتمتع هؤلاء الرؤساء عادة باختصاصات قضائية . فلشيخ القرية او المضرب له اختصاص قضائي معين يتمثل في نظر المنازعات البسيطة التي تثور بين افراد قريته او مضربه . وشيخ الحي او البطن ينظر الدعاوى التي هي اكثر اهمية ، او تلك التي سبق نظرها بواسطة شيخ القرية او المضرب والتي لم يرض احد الطرفين عن الحكم الصادر فيها . اما شيخ القبيلة فيختص بنظر الدعاوى التي تعتبر لسبب او اخر بالغة الخطورة ، او تلك التي سبق نظرها بواسطة شيخ الحي او البطن ويرغب احد الطرفين في اعادة عرضها على محكمة شيخ القبيلة .

وفي بعض المجتمعات القبلية لايوجد مثل هذا التنظيم الهرمي للسلطة ومن ثم يفتقد فيها ايضا التنظيم المماثل للقضاء . فالسلطة في هذه المجتمعات تتركز في يد مجلس من الكبار . ويتمتع هذا المجلس باختصاصات متعددة من بينها اختصاصات قضائية . فيقوم هذا المجلس بدور المحكمة .

محاكم نسائية

وللنساء في بعض المجتمعات الافريقية الحق في تكوين مجالس خاصة بهن . وتتمتع هذه المجالس احيانا ببعض اختصاصات قضائية . فلدى الايبو (في نيجيريا) كان لكل قرية مجلسها النسائي الخاص بها . وكان هذا المجلس يتولى احيانا بمفرده واحيانا بالاشتراك مع كبار الاعضاء الذكور في الأسر المعنية ، نظر المنازعات الزوجية ، وبعض

القضايا الاخرى الخاصة بالنساء (١) • كذلك تتمتع زوجة زعيم القبيلة ، فى بعض المجتمعات الافريقية ، باختصاصات قضائية • فلدى الباسوتو (جمهورية ليسوتو) هناك محكمة نسائية ترأسها الزوجة العظيمة لزعيم القبيلة التى تعتبر بحكم القانون السيدة الاولى فى القبيلة والرئيسة الرسمية لشعائر البلوغ الخاصة بالفتيات •وتناقش هذه المحكمة المسائل المتعلقة بالنساء • ويمكنها اتخاذ اجراءات تاديبية حيث تسيء النساء سلوكهن او حيث يخالفن المحظورات الجنسية (٢) • بل قد يعترف لاحدى نساء اسرة زعيم القبيلة باختصاصات قضائية تتجاوز القضايا النسائية • كما كان الحال مثلا بالنسبة للملكة الام عند الاشانتى (فى غانا) التى كانت تجلس فى المحكمة الى جوار الملك ، والتى كان لها وحدها امتياز تعنيف الملك او ممثليه او مستشاريه علانية فى المحكمة • كما كان لها مخاطبة المحكمة واستجواب الخصوم • وكانت ترفع اليها الالتماسات من اجل العفو او تخفيف الحكم (٣) •

اجراءات رفع الدعوى

تبدا اجراءات التقاضى ، فى الدعاوى الخاصة ، بان يتقدم من يرغب فى رفع دعوى الى القاضى المختص الذى يستمع الى دعواه ثم يحدد موعدا لنظرها • وفى حالة تعدد القضاة يتقدم المدعى بشكواه الى رئيس المحكمة الذى يبلغ الاعضاء الاخرين بها وبالموعد المحدد لنظرها • وبعد تحديد اليوم المخصص لنظر الدعوى يعلن المدعى عليه والشهود •ويتم اعلانهم عادة بواسطة شخص يتمتع بالصفة العامة • فلدى الهوتنتوت (فى جنوب غرب افريقية) مثلا يدعى الخصوم او المتهمون والشهود بواسطة رسول عام يحمل علامة على وظيفته عصا طويلة •وعند دخوله كوخ المدعى عليه يدق بها على الارض ثلاث مرات دون ان يتفوه بكلمة • ثم يخرج فى صمت كما دخل • وعندئذ يعلم صاحب الكوخ انه مطلوب للمثول امام المحكمة • (٤) ولدى الماساى (فى كينيا وتنزانيا) يكلف القاضى مناديا بالذهاب الى المضارب المجاورة لاعلان سكانها بموعد ومكان انعقاد المحكمة • ويستعين المنادى فى اداء مهمته بمزمار يلفت عن طريقه انتباه الناس حتى يتجمعوا حوله وعندئذ يخبرهم بما يريد ثم يدعو القاضى المدعى والمدعى عليه والشهود بواسطة رسل • (٥)

ويلتزم المدعى عليه والشهود المعلنون بالحضور امام المحكمة • واذا لم يحضر احدهم من تلقاء نفسه اجبر على الحضور ولو باستعمال القوة • فلدى الهوتنتوت اذا رفض المدعى عليه الحضور او لم يبعث بعذر مقبول فى الوقت المناسب ارسل اليه عدد من الرجال الاشداء يحملونه عنوة،ويتلقى عددا من الجلدات جزاء له على تحديه الاعلان بالحضور • ولدى الكمبا (فى كينيا) اذا اصر المدعى على عدم الحضور ذهب اليه اعضاء جمعية تضم عددا من الشبان واحضروه •

رسوم تقاض او اتعاب محكمة

ويجرى العرف ، فى كثير من المجتمعات القبلية، بدفع رسوم تقاض او اتعاب محكمة • وقد تدفع هذه الرسوم عند بدء اجراءات التقاضى وقد يؤجل دفع رسوم التقاضى الى ما بعد الفصل فى الدعوى• وتتخذ هذه الرسوم عادة صورة راس من الماشية او راس من الغنم او الماعز • فلدى البوندو (فى اتحاد جنوب افريقية) يدفع المدعى ماعزا او شاة او عشرة شلنات حتى يمكن البدء بمناقشة دعواه • ومن الواجب دفعها ولو « بالفم » قبل بدء الدعوى (٦) • ولدى الكمبا يدفع المحكوم عليه فى سرقة ، فضلا عن التعويض الذى يحكم به للمسروق منه ، راسا او اكثر من الماعز وبعض الجعة للقضاة على سبيل الاتعاب (٧) • كذلك

---

(١) Leith-Ross, African Women, P. 107.
(٢) Ashton, The Basuto, P. 227.
(٣) Rattray, The Ashanti, P. 82
(٤) Shapera, The Khoisan Peoples of South Africa, P. 341.
(٥) Merker, Die Masai, P. 210.
(٦) Hunter, Reaction to conquest, P. 417.
(٧) Lindblom, The Akamba, P. 160.

المال لدى الجيسو (فى اوغندة) حيث كان السارق يلزم ، فضلا عن رد الشيء المسروق بدفع راس من الماعز لشيخ القرية وزملائه وكانت هذه الماعز تذبح وتؤكل بواسطتهم (٨) ·

نظر الدعوى والفصل فيها

ويحدد العرف كيفية انعقاد الجلسة وجلوس الحاضرين · والقاعدة العامة التى تحكم نظر الدعوى فى المجتمعات القبلية الافريقية هى العلانية · وينظم العرف كيفية جلوس القضاة والخصوم والشهود وجمهور الحاضرين · فلدى الهوتنتوت مثلا تجتمع المحكمة عادة فى الهواء الطلق فى ظل شجرة حيث يجلس الجميع فى هيئة دائرة · ويظل المدعى عليه واقفا او جاثيا وسط دائرة المحكمة · واذا كان المدعى عليه امراة سمح لها بالجلوس · ويقف المدعى او يجلس على مقربة حتى يدعى الى الكلام·وعلى الشهود البقاء على بعد مناسب ·

وقبل البدء فى نظر الدعوى قد يطلب الى جمهور الحاضرين التزام الصمت ، ويتولى مخاطبة الجمهور احد الاشخاص البارزين فى القبيلة ، فلدى الانديبيلى (فى جنوب افريقية) كان العرف يجرى باختيار احد وجهائهم ليقف امام الجمهور ويخاطبه قائلا : « عليكم ايها الناس ان تلتزموا السكينة ، وان تجلسوا جميعا فى هدوء تام لان المحاكمة ستبدا الآن » ولدى اليوروبا (فى نيجيريا) كان الجمهور يخاطب على النحو التالي « ايها الناس الزموا الهدوء والادب ، واخفوا سعالكم ، واتركوا النساء مع اطفالهن كى يعتنين بهم ويمنعنهم من الصراخ والبكاء ، وليقفل كل انسان منكم فمه فالخيط الذى يربط الانسانية قد انقطع ويقوم القضاة الآن بوصله واى انسان تحدثه نفسه بمضايقة هؤلاء القضاة سيعامل اقسى معاملة » · (٩)

وتبدا مناقشة الدعوى بعرض المدعى دعواه ، ثم يطلب الى المدعى عليه ابداء وجوه دفاعه ، وبذلك يستدعى الشهود واحدا بعد الاخر ، ويحظر العرف مقاطعة كل من الخصمين خصمه اثناء حديثه·

وتناقش المحكمة الخصوم والشهود · وفى بعض المجتمعات لايقتصر حق المناقشة على اعضاء المحكمة· وانما يعترف به لكل من يحضر الجلسة · فلكل من الحاضرين ان يسهم فى مناقشة المدعى او المدعى عليه او الشهود وتوجيه الاسئلة اليهم · فلدى النجواتو (فى جمهورية بوتسوانا) لكل عضو فى القبيلة حق الحضور والمشاركة فى المناقشات بغض النظر عن نوع المحكمة · ويستمع الى الطرفين والشهود بانتباه دون مقاطعة · ويسالون بدقة من قبل الرجال الحاضرين · ثم يطرح القاضى الامر للمناقشة العامة وتناقش وقائع الدعوى علانية بواسطة كل من يرغب فى المناقشة (١٠) ·

ولدى اليوندو لكل فرد من جمهور الحاضرين حق المشاركة فى المناقشات وتوجيه الاسئلة حتى ولو كان مجرد زائر من اقليم آخر ·

وتستمر المناقشة الى ان تتوصل المحكمة الى تكوين اقتناعها · وعندئذ يطلب الى الطرفين والشهود وغيرهم من الحاضرين الانسحاب ويبقى اعضاء المحكمة للتداول · وقد ينسحب القضاة انفسهم لهذا الغرض · وعندما يتوصلون الى الحكم ، سواء تم الاتفاق عليه بالاجماع ام بالاغلبية ، يقوم رئيس المحكمة باعلانه على مراى ومسمع من الجميع ·

وسائل الاثبات

هناك وسائل متعددة يستعان بها بقصد التوصل الى معرفة الحقيقة · وشهادة الشهود هى وسيلة الاثبات العادية حيث يستعان بها كلما كان ذلك ممكنا·ولا يستعان بغيرها من الوسائل الا فى الاحوال التى يتعذر فيها الحصول على شهود للواقعة التى يراد اثباتها ، او عندما تتعارض اقوال الشهود فلا يستبين وجه الحق · ويحدد العرف الاشخاص الذين يصلحون لاداء الشهادة · والقاعدة ان الشاهد ينبغى ان يكون شخصا مصدقا لم يعرف عنه كذب ولم يرتكب مايخل بالشرف ويعترف للنساء باهلية الشهادة على قدم المساواة مع الرجل وقد يتطلب العرف توافر اكثر من شاهد وقد يكتفى بشاهد واحد · وقد يستلزم العرف ان تنصب الشهادة

---

(٨) La Fontaine, The Gisu of Uganda, P. 43.

(٩) اندا بانجى القومية الافريقية ، ص ١٠١و١٠٢ تعريب عبد الواحد ابراهيم الامبابى ·

(١٠) Shapera, The political organisation of the Ngwata, p. 64.

على ما رآه الشاهد بنفسه دون الاعتداد بما سمعه من الآخرين .ويقضي العرف بمجازاة شاهد الزور. فلدى الهوتنتوت مثلاكان الشاهد الكاذب يعاقب تبعا لمدى الضرر الذي ترتب على شهادته ولدى البامبارا (في مالي) كان الشاهد الذي يدلي بشهادة كاذبة في أي مرحلة من مراحل الدعوى ، يعاقب بمصادرة كل امواله بل كان الرئيس يسترق افراد اسرته.(١١)

وللمحكمة ان تستعين بما يسمى بالابتلاء (Ordea , Ordalie) للتوصل الى معرفة الحقيقة اذا تعذر عليها التوصل اليها عن طريق آخر . فالابتلاء اجراء يخضع له من يشتبه في ارتكابه جرما دون ان يقوم في مواجهته دليل كاف لادانته . والهدف منه التوصل الى معرفة كونه بريئا ام مذنبا . ويستتبع الابتلاء عادة الحاق الاذى بالمبتلى وهو اذى يتفاوت في جسامته . وفي مثل هذه الاحوال لايهدف الابتلاء الى مجرد الكشف عن الحقيقة وانما الى عقاب المبتلى ايضا اذا كان مذنبا ويسود الاعتقاد في المجتمعات القبلية بان نتيجة الابتلاء لاتتوقف على مجرد المصادفة وانما هي تخضع لتوجيه من القوى الغيبية . فالابتلاء هو التجاء الى القوى الغيبية بقصد الحصول على مساعدتها في الكشف عن الحقيقة.واذا كان الابتلاء في حد ذاته ينطوي على اذى بالنسبة للمبتلى كشفت القوى الغيبية عن براءته بالحول دونه والتعرض للاذى المهدد . وللابتلاء في المجتمعات القبلية الافريقية صور متنوعة . .

فلدى الجوكون (في نيجيريا) قد يطلب الى المبتلى التقاط حلقة من حديد في اناء به ماء يغلي . فاذا كان بريئا لم يخف والتقط الحلقة دون ان يلحقه اذى . وقد يوضع مقدار من الحطب في اناء صغير ويشعل الحطب ثم يوضع الاناء فوق معدة المبتلى . فاذا التصق الاناء ببطنه عد مذنبا. اما اذا سقط على الارض في الحال دل ذلك على براءته (١٢) . ولدى بعض الاقوام في شمال الكمرون يتم الابتلاء بدخول المتهم عاريا بركة مقدسة وتفوهه بصيغة اليمين بينما يهال عليه الماء . فاذا كان كاذبا اخذته رعشة لايقوى على التحكم فيها . (١٣)

كذلك قد تستعين المحكمة بعراف اذا تعذر عليها كشف الحقيقة ويستخدم العراف قدرته في سبيل التعرف على المذنب الحقيقي بين المشتبه فيهم . فلدى الهوتنتوت مثلا اذا لم تتمكن المحكمة من الوصول الى الحقيقة بالنسبة للنزاع المعروض عليها دعت عرافا لمساعدتها . فكان العراف ياتي ومعه شريطان صغيران من الجلد ينتهي احدهما بخرزة من النحاس والآخر بخرزة من الحديد . وينظر الى الاول باعتباره ذكرا والى الثاني باعتباره انثى ويضرب العراف الشريطين على جمع يده او على الارض وفي نفس الوقت يخاطب اداة العرافة (Oracle) بالكلمات التالية :

« قل ، تكلم ، قل الحقيقة ، اذا كذبت فسوف احرقك بالنار » .

وعندئذ يلقي بالشريطين من بين يديه في الدائرة المكونة حوله من المحكمة والخصوم او المتهمين . وتشير النهايتان اللتان ربطت فيهما الخرزتان الى الفاعل . وتستند فعالية هذه الطريقة الى الاعتقاد الجازم فيها . فالعراف ، وهو رجل ماهر في الفراسة ، يلاحظ بعناية المتخاصمين او المتهمين اثناء انشغاله بشريطيه . والفاعل الحقيقي . في هذا شان الآخرين ، يعتقد في فعالية هذه الاداة . ومن ثم فهو لايقدر على كتمان مخاوفه الامر الذي يؤدي الى تمكين العراف من اكتشاف هذا الرجل سريعا . وبلوية من يده يوجه الشريطين نحوه .

اجراءات التنفيذ

تعرف المجتمعات القبلية الافريقية اجراءات معينة تتبع في تنفيذ العقوبات المحكوم بها كما تعرف اجراءات اخرى تستهدف تمكين الدائن من الحصول على دينه .

ففي الدعاوى التي تتعلق بجريمة من الجرائم العامة ينفذ الحكم الصادر فيها بواسطة رئيس القبيلة نفسه او بواسطة معاونيه . وقد يوجد الى جانب الرئيس اشخاص متخصصون في تنفيذ الاعدام والجزاءات البدنية . كالمثلة او الجلد . وفي بعض

---

(١١) Aubert, Coutume Bambara, Art. 27, 28.

(١٢) Meek, A Sudanese Kingdom, P. 348.

(١٣) Lambezat, Les populations paiennes du Nord du Comeroun, p. 121.

الاحيان يجرى العرف ، فى حالة تنفيذ حكم الاعدام، بان يوجه رئيس القبيلة الى المحكوم عليه الضربة الاولى ثم يجهز عليه الحاضرون • كذلك يتولى اعوان الرئيس تحصيل مايحكم به من غرامات •

فلدى الهوتنتوت مثلا كان تنفيذ الحكم الصادر بالاعدام يتم بواسطة الجلاد الرسمى الذى يعين من وقت الى آخر بواسطة مجلس الكبار• واذا كان الحكم بعقوبة بدنية تولى مساعد الجلاد تنفيذه • ولدى الشيلوك (فى جمهورية السودان) تنفذ بواسطة حرسه الذى يتكون من عدد من الشبان يتبعونه حيثما ذهب • كذلك كان حراس الملك عند البامبارا ، ينفذون عقوبة الجلد فى الحال • واذا كان الحكم بالاعدام استدعى سياف الملك •

ولا يقتصر استخدام السلطة العامة على تنفيذ الاحكام الصادرة فى جرائم عامة،وانما تسهم ايضا فى تنفيذ الاحكام الصادرة فى قضايا خاصة • فالرئيس يسهم اعوانه فى تمكين من حكم له بتعويض من الحصول عليه •

فلدى البوندو مثلا كان تنفيذ الاحكام الصادرة بديات يتم بواسطة مبعوث الرئيس الذى كان يحمل• علامة على وظيفته ، عكازا شد اليه ذيل فهد • ومقاومة هذا المبعوث فى تنفيذ مهمته كانت تعد جرما عظيما فعندما يلقى مقاومة كان يلقى بعكازه ويجرى • وكان من اللازم عندئذ اعادة العكاز الى المكان العظيم (فناء شيخ القبيلة) مصحوبا بماعز على سبيل الغرامة • وكان المحكوم له يتسلم التعويضات من هذا المكان •

كذلك تعرف المجتمعات القبلية الافريقية اساليب معينة تهدف الى تمكين الدائن من ممارسة صورة او اخرى من صور الضغط على المدين لحمله على الوفاء بدينه •

وقد يتحقق هذا الضغط بالاستيلاء على امواله والاحتفاظ بها كرهينة الى حين الوفاء بالدين •

وقد يتحقق الضغط على المدين بحبسه وعدم اطلاق سراحه الا اذا حصل الدائن على حقه او على كفالة شخص آخر للمدين فى الوفاء به • من قبيل ذلك ماكان يجرى به العرف فى وادى (Ouaday) حيث كان للدائن الذى طالب مدينه بالوفاء عدة مرات ولم يجد منه سوى المماطلة ، الحق ـ اذا لقيه ـ ان يمسك به ويجلسه على الارض ويخط حوله بطرف حربته خطا دائريا وهو يقول ، بالله ونبيه ، بالسلطان وام السلطان بالتينا Tena (القضاة) اعمدة الدولة،لن تخرج من هذه الدائرة حتى تدفع لى دينك » • ويلزم المدين بالبقاء محبوسا وجالسا فى خطه حتى يتدخل احد الاشخاص قبل الدائن ، وحتى يوافق هذا الاخير على اطلاق سراح سجينه • واذا خرق المدين الحجز الموقع عليه وخرج عن خطه واشتكى الدائن الى السلطان ، ارسل السلطان فى طلب الهارب وحكم عليه بعقوبات بالغة الشدة (١٤) •

رأى الافريقيين فى القضاء الاوربى

عندما ادخلت الدول الاوروبية المستعمرة الى المجتمعات الافريقية انظمة قضائية على النمط الاوروبى لم تلق هذا الانظمة استحسانا من جانب الافريقيين • فقد كان نظام القضاء الاوربى ، بالنسبة لهم ، باهظ التكاليف • ففى ظل النظام القبلى كانت التكلفة الكلية لاتتجاوز فى الدعوى البسيطة رأسا من الغنم او عشرة شلنات • اما فى ظل نظام القضاء الاوروبى وما استتبعه من وجود محامين اوروبيين يتولون مباشرة القضايا لحساب الافريقيين فقد اصبحت تكلفة الدعوى باهظة للغاية •

كذلك كان الافريقيون ينتقدون نظام القضاء الاوروبى بوصفه نظاما فاسدا كثيرا ماتجهض العدالة فى ظله وقد كان رأى الافريقيين فى المحامين الاوربيين سيئا للغاية • وكانت الكلمة المستعملة فى الحياة اليومية للتعبير عن المحامى هى كلمة المضلل (Perverter) وقد ذكرت مونيكا هنتر ، التى اجرت دراسة متعمقة لتقاليد قبيلة البوندو فى اتحاد جنوب افريقية ، ان احد رجال البوندو قال لها يوما :كيف تقولون ايها الاوربيون انكم لاتحبون الكذب بينما تحتفظون بكذابين محترفين• فالاوروبيون يحتفظون فى المدن باناس وظيفتهم التضليل • ويقول الاوروبيون » يجب ان تقول الحقيقة » لكن حتى القاضى يقول : » لابد من الذهاب الى محام • » ■■

محمود سلام زناتي

(١٤) Ibn-Omar At-tunisi, Voyage au Ouaday, P. 328



في الحرب

● قال قبيصة بن مسعود يوم ذى قار يحذر قبيلته بكر بن وائل: الجزع لا يغني من القدر ، والصبر من ابواب الظفر ، المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من استدباره ، الطعن في الثغر اكرم منه في الدبر ، وهالك معذور خير من ناج فرور ٠

كله انت

● روى ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله هلكت وأهلكت ! فقال : ما أهلكك قال : « واقعت امرأتي في نهار رمضان ، وانا صائم » فقال : « أعتق رقبة » ٠ فقال : « لا استطيع » ٠ فقال : « صم شهرين

تأبَّى على الله

احضر احد الخوارج الى مجلس يزيد بن الوليد فأمر يزيد بأن يقتل فقال الخارجي:

« عسى فرج يأتي به الله انه ... له كل يوم في خليقته امر »

فقال يزيد : « والله لاضربن عنقك ،اقتلوه الساعة » ٠ وفي هذه الاثناء دخل مجلسَ يزيد بن الوليد الهيثمُ بن الاسود ــ وكان من اشراف العرب ــ فقال: « امسكوه قليلا » فدنا منه فقال : « ياأميرالمؤمنين ، هب مجرمَ القوم لوافدهم » ٠ فقال يزيد : « هو لك » ، فخرج الخارجي وهو يقول : تأبَّى على الله ، فأبى الا ان يكذّبه ، وغالبه فأبى الا ان يغلبه ٠

★★★

شهادة

● سئل رجل شهد على رجل بالكفر عند جعفر بن سليمان فقال : « انه خارجي ، معتزلي ، ناصبي ، حروري ،جبري ، رافضي يشتم عليَّ بن الخطاب ، وعمر بن ابي قحافة ، وعثمان بن ابي طالب ، وابا بكر بن عفان ، كما يشتم الحجاج الذي هدم الكوفة على ابي سفيان »٠

فقال جعفر : « ما أدري على اى شيء احسدك ، أعلى علمك بالانساب ؟ ام بمعرفتك بالاديان والمذاهب ؟ »



وعيالك

متتابعين » . قال : « لا طاقة لى على ذلك » . قال : « فاطعم ستين مسكينا » . قال : « ليس عندى مال للاطعام » . فجاء النبي ﷺ بعرق من تمر ، فيه ثلاثون صاعا ، فقال : « تصدق به » فقال : « والله يا رسول الله ليس بين لابتيها احوج اليه منى » : فقال : « كله أنت وعيالك » .

في وصف الاسد

● قال عبد الملك بن مروان لاحد الاعراب : « صف لى الاسد نثرا » فقال : « له عينان حمراوان مثل وهج التنور ، كانما نقرا بالمناقير في عرض حجر ، لونه ورد وزئيره رعد ، هامته عظيمة ، وجبهته شتيمة ، نابه عنيد ، وشره عتيد، اذا استدبرته قلت افرع. واذا استقبلته قلت اقرع ، اذا مشى تبهنس واذا اتى الليل تجسس » فقال عبد الملك : « حسبك ، والله لقد وصفته بصفة خلته يثب على » .

عروس بين جلوس

● قال الحجاج لابن القرِيَّة : صف لى البصرة قال : « حرها شديد ، وشرها عتيد ، مأوى كل تاجر وطريق كل عابر » . قال : « فواسط » ، قال « جنة بين حماة وكماة » قال : فالكوفة قال : « نقصت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشام فطاب ليلها وكثر خيرها » قال: فالشام قال : « عروس بين نسوة جلوس ، اطوع الناس للمخلوق فى معصية الخالق » .

★★★

الله جميل

● قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس » ، قيل ان الحسن البصرى كان يلبس ثوبا باربعمائة درهم ، وفرقد السبخى كان يلبس المسوح ، فلقيه السبخى يوما ، وقال له : « يا ابا سعيد ، ما الين ثوبك ! » فقال الحسن البصرى : « يا فرقد ، ليس لين ثيابى يباعدنى من الله ، ولا خشونة ثيابك تقربك اليه ، ان الله جميل يحب الجمال » .



اختزان الأحزان عذاب مقيم
والعيش مع الحاضر حياة
والتطلع الى المستقبل حياة أجمل وأحلى

■ لماذا نختزن احزاننا ؟

لماذا نقضى عمرنا نفكر فى الجروح التى اصابتنا ونحن نمضى فى طريق الحياة ؟

« ماهو الاثر الذى يمكن ان تتركه فى نفوسنا ، ذكريات تلك اللحظات المريرة التى تعترض حياتنا؟

ثم كيف نخلص انفسنا بعد ذلك من العيش فى الماضى وفى ذكرياته الأليمة ؟

لماذا لانعيش حاضرنا ، وننسى الماضى بجراحه ، ونتطلع الى المستقبل بما يحمله لنا من صور حلوة ننتظرها ونتوق للقائها ؟

يقول ايمرسون : « ان الانسان بطبعه ميال الى اختزان احزانه ٠٠ وهو يعود اليها ويفكر فيها كلما صادفه حادث الهه ٠٠ فالاشجان تثير الاشجان ٠٠ والاحزان تجر الاحزان ٠٠ واسوا مايمكن ان يحدث للمرء ان يعيش فى ماضيه الحزين ، ولا يذكر من هذا الماضى الا تلك الصور التى ملأت نفسه بالمرارة ، فرسخت فى ذهنه ، وتركت بصماتها فى رأسه ٠ ! ٠ أليس غريبا ان ننسى اللحظات الحلوة ، وما اكثرها ، ونتعلق بكل ماهو مؤلم ومرير فى حياتنا ٠٠ ولكن هكذا الانسان ! »

العودة الى الطفولة

تقول مارجى برويس « Marje Proops » ، الكاتبة الانجليزية المعروفة « ان اعقد العقد التى تلازم الانسان فى حياته هى تلك التى تبدأ معه فى طفولته ٠٠ واذا اردت ان تعرف سر العقدة التى يعانى منها المريض ذكرا كان ام انثى ، فلا تنس ان تعود معه الى طفولته ٠٠ الى سنى حياته الاولى على الارض ٠٠ ترى كيف كان يعيش ٠٠ وهل عاش طفولة سعيدة أم كان الشقاء حظه من الحياة منذ ان راى النور ٠ ؟ ففى رأس الطفل ٠٠ فى تلك الصفحة البيضاء التى تكمن داخل هذا الرأس تترك الحياة نقوشها البارزة بكل مافيها من حب وكره ٠٠ من سعادة وشقاء ٠٠ من صور حلوة وصور اليمة ! »

ثم تروى الكاتبة بعد ذلك قصة الفتاة الجميلة التى جاءتها يوما لتروى لها « ماساتها » على حد تعبيرها ٠٠ كانت فى ريعان الشباب ، رقيقة صغيرة ، حلوة ، يتمنى كل شاب ان تشاركه حياته ٠٠

قالت الفتاة وهى تهز رأسها بعصبية ظاهرة : « حاولت ٠٠ حاولت ياسيدتى ان اقنع ابوى بأننى لااريد الزواج ، ولكنهما أصرا ٠٠ اننى لا اكره هذا الشاب الذى اختاراه زوجا لى ، فهو شاب مثالى ، وهو زميلى فى الدراسة وقد تخرجنا فى الجامعة فى نفس العام ، وتربطنى به بعد هذا علاقة قرابة بعيدة ٠٠ ولكننى لا اريد ان اتزوج ٠٠ لا ليس الزواج ياسيدتى ٠٠ ليس الآن على الاقل ٠٠ ارجوك ان تساعدينى ، فقد اعيتنى الحيلة امام

معي ، لاحظت تغيرا واضحا في نبرات صوتها الحزين ، وهي تشكرني وتقول لي : « لن انسى لك هذا الصنيع ابدا ياسيدتي ! »

في بيت والديها !

وفي مساء هذا اليوم ، ذهبت الى بيت ابويها.. وطرقت الباب،واذا بي اجد نفسي وجها لوجه امام رجل عملاق جاوز الخمسين من عمره ، قال وهو يرمقني بنظرة فاحصة مدققة :

نعم .. هل استطيع مساعدتك .. من انت ، وماذا تريدين ؟ »

وقدمت له نفسي فدعاني الى الدخول ، وجلست في غرفة الاستقبال التي امتلأت بالتحف والآثار القديمة ، ولكنه تركني وخرج .. وانقضت بضع دقائق امضيتها في التطلع الى تلك الآثار التي تطل علي من كل ركن من اركان الغرفة الفسيحة الانيقة .. وفجأة عاد الرجل ، ولم يكن وحده ، كانت معه زوجته ، ام الفتاة التي لقيتها في الصباح .. وكانت سيدة هادئة رقيقة حلوة التقاطيع ، وقد بدا الشيب يزحف الى شعر رأسها الاسود الناعم ..

ومدت السيدة يدها تصافحني،وتقول لي بصوت هادىء خفيض:« لقدكنت اتوقع مجيئك ياسيدتي.. فقد حدثتني ابنتي عن لقائها بك هذا الصباح ولكنني لم اكن اتوقع ان تأتي زيارتك لنا بهذه السرعة..اشكرك على اهتمامك بمشكلة ابنتنا.!»

ثورة الاب !

وفجأة صاح الاب في غضب : « دعيك من هذا الحنان الذي تغدقينه عليها .. انها فتاة مفتونة اصابها الغرور ، فاصبحت ترى انه ليس هناك رجل جدير بها ! سوف تتزوج هذا الشاب ، ولن يكون لها زوج سواه ! »

« وسارعت بتغيير دفة الحديث ، فقد كانت ثورة الاب اقوى من ان تهدأ امام اية كلمات ! قلت : « هل تمتلكون هذا البيت الجميل ؟ أم انكم انتقلتم اليه اخيرا ! »

ورد هو بغلاظة : « نعم .. انه بيتنا ، وقد ورثته عن آبائي واجدادي .. ولكن مادخل البيت الآن بمشكلة ابنتنا ؟ »

قلت :«لاشيء ..لاشيء على الاطلاق ..لابد لي من



تصميم والدي بصفة خاصة..قولي لي بربك ماذا افعل ! »

حالة شاذة

« ووجدت نفسي امام حالة غريبة لاشك في ذلك! فلم اجد في حديث الفتاة كلمة واحدة تشير الى اي سبب واضح يدفعها الى رفض الزواج من الشاب الذي اختاره لها والداها . ! ولكنني آثرت الا استخف باعتراضها ، بل تظاهرت بانني اوافقها الرأي،مادامت هي تصر على الاضراب عن الزواج.. وقلت محاولة ان اخفف عنها : « انها مأساة حقا ياعزيزتي .. ولكن ثقي انني سأفعل كل ما في وسعي ليكون لك ما تريدين . سالتقي بوالديك وساحاول اقناعهما بالعدول عن اصرارهما على زواجك الآن ! »

وتركتني الفتاة مودعة .. وقد انفرجت اساريرها .. واشرق وجهها بابتسامة تحمل معاني الرضى والابتهاج ، ولاول مرة منذ بدأت حديثها

ان انصرف الآن ، وأرجو ان اتمكن من أن اعود لزيارتكم مرة اخرى ، اذا لم يكن في هذا مايضايقكم ! » وقمت ... وخرجت أم الفتاة تودعني حتى الباب الخارجي،وهي توصيني بابنتها، وتتوسل اليّ ان اساعدها !

القصة من بدايتها

وعند الباب الخارجي للحديقة الصغيرة التي تحيط بالبيت ، حدثت المفاجأة .. لقد امتدت يد عجوز تمسك بذراعي وتدعوني الى بيتها الملاصق للبيت الذى تركته لتوى .. البيت الذى ولدت ونشأت فيه صديقتي الصغيرة التي لاتريد الزواج!

وقبلت الدعوة .. وجلست استمع الى القصة كلها من بدايتها .. منذ اليوم الاول الذى جاءت فيه هذه السيدة العجوز لتسكن هذا البيت المجاور لبيت الاسرة الصغيرة التي تضم الاب والام وطفلتهما وشقيقتها الذى كان يصغرها بعامين .. كانت السيدة العجوز تتكلم في صوت هادئ،حزين، وهي‌تحكي لي‌ماساة جارتها ام‌الطفلين الصغيرين.. كم كانت تتالم وهي تسمعها تبكي وتنتحب .. كيف كان قلبها يتمزق وهي تراها تعدو فى حديقة البيت ، وزوجها من ورائها يطاردها ، كما يطارد الصياد فريسته ، وينهال عليها ضربا وركلا حتى تقع على الارض متهالكة وهي تئن ، ومن حولها طفلاها الصغيران وقد استبد بهما الذعر والهلع ، وهما يرتميان على الارض حيث رقدت امهما المسكينة غير قادرة على الحركة من فرط ما اصابها من الم !

مأساة !

ومرت الاعوام ، والأم راضية بما قسم الله لها من اجل طفليها .. الى أن جاء ذلك اليوم المشئوم الذى صحت فيه الام من نومها فزعة مذعورة ، وقد احتواها رعب هائل .. ماذا حدث ؟ لقد ذهبت الى فراش طفلها الصغير الذى لم يكن يتجاوز عامه الرابع ، فلم تجده !

« لقد اختفى الطفل .. خرج من البيت مع الفجر مع كلبه الصغير ، ولم يعد ! »

« وخرجت الام كالمجنونة تبحث عنه في كل‌مكان يمكن ان يكون قد ذهب اليه .. ولكنها لم تعثر له على اثر .. وبعد اربعة أيام وجد البوليس جثة الطفل الصغير طافية على سطح مياه البحر.. وعلى الشاطيء كان كلبه وصديقه الوفي الذى لايفترق عنه جالسا على مؤخرته ، وفي فمه قطعة من ملابس الصبي .. وقد ارخى اذنيه ، وتشبثت نظراته بالبحر الذى انتزع منه صاحبه ! »

« وعاشت الاسرة في مأساة لم تفق منها ابدا.. وقد كان من الممكن ان يغير هذا الحادث المؤلم من طباع الاب..ولكنه ازداد قسوة على زوجته وعلى ابنته التى كثيرا ما كانت تأتي اليّ في بيتي في المساء تنشد الهدوء الذى يمكنها من استذكار دروسها بعد ان كبرت ودخلت الجامعة . ! »

كرهت كل الرجال

ولم يكن من العسير بعد هذا ان تكتشف الكاتبة الاجتماعية سرعزوف‌الفتاة عن‌الزواج..لقد كرهت الرجال .. كل الرجال ، لأنها ترى فيهم صورة هذا الاب الذى اذاق امها شتى الوان الذل والعذاب .. وهي لاتريد ان تتزوج خشية ان يحدث لها ما حدث لامها المسكينة !

ومرت بضعة ايام قبل ان تأتي الفتاة لزيارة الكاتبة مرة اخرى .. تقول مارجي : « لم احدثها عن الزواج في هذه المرة ، وانما كان كل حديثي منصبا عليها هي .. على مستقبلها ، وماذا تنوى ان تصنع بنفسها ، وكيف تعيش ما دامت قد اعتزمت ان تعيش بغير زوج يشاركها حياتها ؟ »

قالت : « لقد حصلت على وظيفة بأجر طيب ، وسوف ادعو والدتي للاقامة معي في شقتي الصغيرة التي استأجرتها .. سأعيش مع امي وستعيش معي..هكذا ستكون حياتي ياسيدتي ! »

وقلت : « اتمنى لكما التوفيق يا عزيزتي ! » وقبلتني مودعة وانصرفت !

حياة جديدة

ومر عامان ، عندما فوجئت بصديقتي الصغيرة تطرق باب مكتبي .. لقد جاءت لتزف اليّ النبأ السعيد : « سأتزوج .. نعم سأتزوج زميلي الشاب الذى اختارته لي امي منذ عامين .. انه لم يفارقنا لحظة واحدة منذ ان تركنا بيت ابى

لنعيش وحدنا في بيتنا الصغير السعيد ·· انه شاب طيب القلب ، وسوف ننتقل الى بيت اكبر، فقد اصر على ان تقيم امي معنا · ! مارأيك ياسيدتي ·· لقد رفضت امي ان تشاركنا حياتنا الجديدة ، ولكنها قبلت في النهاية ، امام توسلات خطيبي ! انني اسعد فتاة في الدنيا ! »

قصة فتاة اختزنت احزانها التي كبرت معها ، فاصابتها بعقدة . ولكنها عرفت كيف تخلص نفسها منها : يقول وليام جيمس : « ما اعظم الشبه بين مختزن الاحزان ، وبين المرء الذي يعيش حياته في الظلام ·· انه لن يرى النور الا اذا نسي احزانه ، وافلح في أن يواجه الواقع في الوقت المناسب··وما اكثر الذين غابت عنهم شمس الحياة اعواما طويلة ، ثم اشرقت عليهم فجأة لتنقلهم معها من الظلام الى النور ! »

الارملة الشابة

روت الكاتبة مارجي بروبس قصة الأم التي فقدت زوجها وهي مازالت شابة في مقتبل عمرها، بعد ان رزقت منه بولد اصبح كل شيء في حياتها ودنياها ·· لقد عملت وضحت براحتها وصحتها لكي توفر له حياة كريمة · وكبر الابن الشاب وتخرج في الجامعة ·· واصبحت امه بالنسبة له هي صديقته الحبيبة التي يفتح لها صدره ويحكي لها اسراره ومتاعبه··الى ان جلس يوما يروي لها قصة حبه الجديد ·· قصة الفتاة التي غزت قلبه وملكت مشاعره !

« واجفلت الام ·· انها لم تستطع ان تتقبل هذا التحول الطبيعي ·· وبدات الدنيا تظلم امامها ·· انها لم تعد تجد في حياتها بعد ظهور هذه الفتاة التي استولت على قلب ابنها الوحيد، سوى الفراغ والوحدة والالم ! »

« وحاول الابن ان يخفف آلامها ويسري عنها·· ولكن كل محاولة من جانبه لم تكن الا لتزيد نار الحقد التي ملأت قلبها اشتعالا ·· »

بين الماضي والحاضر

« واحس الفتى بكيانه يتمزق بين محاولة ارضاء امه التي لايستطيع ان ينسى فضلها عليه ، وبين حبه المشروع وامانيه للمستقبل مع من احب ·· وأمسى الشاب في حيرة ·· انه يخاف مواجهة امه، ويحاول التهرب من صديقته وخطيبته ·· »

« وانعكس هذا الصراع على تصرفاته في عمله فبدأ يتخبط ، وبدأ الفشل يطل عليه في وظيفته التي كافح طويلا من اجل الفوز بها ·! »

« ومرتشهور عديدةسادها الاضطرابوالقلق·· الى أن ارسل الله صديقا لهذه الاسرة الصغيرة، ومد الصديق يده الى الام وامسك بها ، وقادها الى حيث تصبت لنفسها ولابنها هذا الحبل الغليظ الذي كان يلتف حول عنقيهما ··وقصت الام الحبل بيدها هي ، والقت به بعيدا · ! »

« وشيئا فشيئا بدات تنسى احقادها ·· بدات الأم تعيش حاضرها ، فتركته ·· تركت ابنها يسير في الطريق الذي سار فيه كل شاب من قبله ·· وتزوج الفتى من صاحبته ·· وكانت مكافأتها الكبرى ، عندما انجبا لها مولودا ملأ حياتها ، واصبح سلواها في وحدتها ، واحيا في صدرها ذكرياتها الحلوة مع طفلها الذي صار رجلا وابا ! »

الحظ والقدر !

يقول ايمرسون : « لاتلعن الحظ لانك فشلت·· فلم تكن هناك حياة بلا فشل ·· لاتلم القدر لانه حرمك من المال والجاه الذي ينعم به غيرك ·· لاتقض حياتك مع الذكريات المريرة ·· ولا تحقد على الناس الذين ظلموك ·· اننا نحن الذين نصنع الاقدار ·· ونحن الذين نظلم انفسنا ، ونحن وحدنا الذين نستسلم للفشل ·· فاذا استطعنا ان ننسى كل ماصادفناه في حياتنا من الام واحزان ·· نجحنا في ان نخلص انفسنا من هذا الشعور بالتعاسة الذي يملأ نفوسنا ونحن نعيش مع ذكرياتنا المريرة ·· ولا سبيل الى هذا كله الا بالعمل ، والا بالانتاج ، والا بالرد على كل من اساء الينا بالاحسان··ان اختزان الاحزان موت ·· والعيش مع الحاضر ، حياة ، والتطلع الى المستقبل حياة اجمل واروع ولا حياة بغير تسامح وحب وانسجام · » ■■

منير نصيف

اعرف وطنك أيها العربي

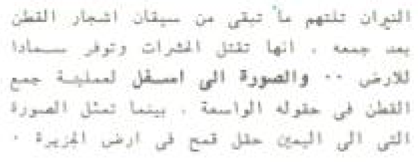
الجزيرة

أرض ما بين النيلين
النيل الأزرق والنيل الأبيض
العمود الفقري لاقتصاد السودان

استطلاع بقلم :
منير نصيف

تصوير :
عبد الناصر شقره

القطن ، عماد الثروة في السودان ، واساس اقتصادها القومي ·· وفي ارض الجزيرة وضعت اول بذرة للقطن في عام ١٩١١ ·· وتبلغ مساحة الارض المزروعة قطنا في هذه المنطقة الزراعية الغنية ما يزيد على الستمائة الف فدان ·· وفي الصورة مجموعة من العمال وهم يعبئون القطن في الجوالات توطئة لارساله الى المحالج ·



النيران تلتهم ما تبقى من سيقان اشجار القطن بعد جمعه . انها تقتل الحشرات وتوفر سمادا للارض .. **والصورة الى اسفل** لعملية جمع القطن في حقوله الواسعة . بينما تمثل الصورة التي الى اليمين حقل قمح في ارض الجزيرة .





■ هنا وضعنا اول لبنة ونحن نبدا مسيرتنا في طريق البناء ...

هنا بدانا اول مشروع ، ونحن نمضي في تصنيع بلادنا .....

هنا زرعنا اول شجرة .. وهنا قطفنا اول ثمرة ..

هنا ، وهناك وفي كل مكان في الدنيا ، تجدهم دائما يعودون ، وتعود بهم الذاكرة الى نقطة البداية .. والى قصتهم مع هذه البداية .. مع اللحظة الاولى التي تحسسوا فيها طريقهم الى الغد .. الى الرفاهية .. الى المستقبل الذي يتطلعون اليه في امل ويتعجلون مجيئه من اجل حياة افضل .

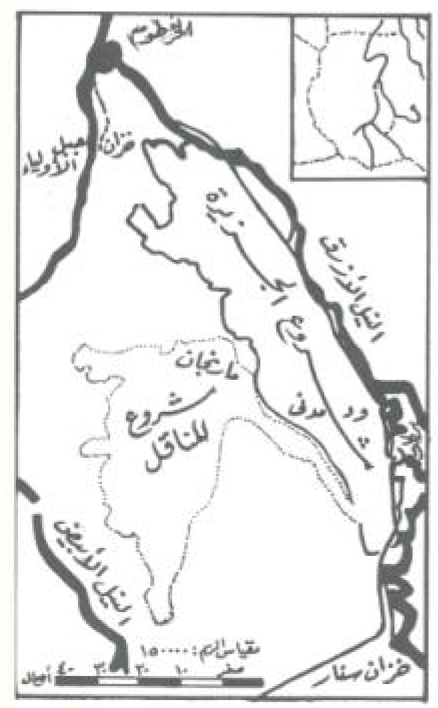
وفي جمهورية السودان الشقيق ،في هذه الارض الواسعة المترامية ، تلك التي تنساب فيها مياه النيل العذبة الحلوة وروافده .. كان لقاؤنا مع بقعة من الارض التي مازالت تشع اليها الاصابع حتى اليوم .. ففي هذه الارض بدات الثورة الزراعية الاولى .. المشروع الرائد الذي نثروا فيه اول بذور الحياة الجديدة .. كان لقاؤنا بارض الجزيرة ، تلك التي تتجه اليها اليوم انظار خبراء التغذية والزراعة بوصفها اكثر بقاع العالم خصوبة واستعدادا للتنمية في كافة مجالات الزراعة ، والصناعات القائمة على المنتجات الزراعية ..

ارض الجزيرة

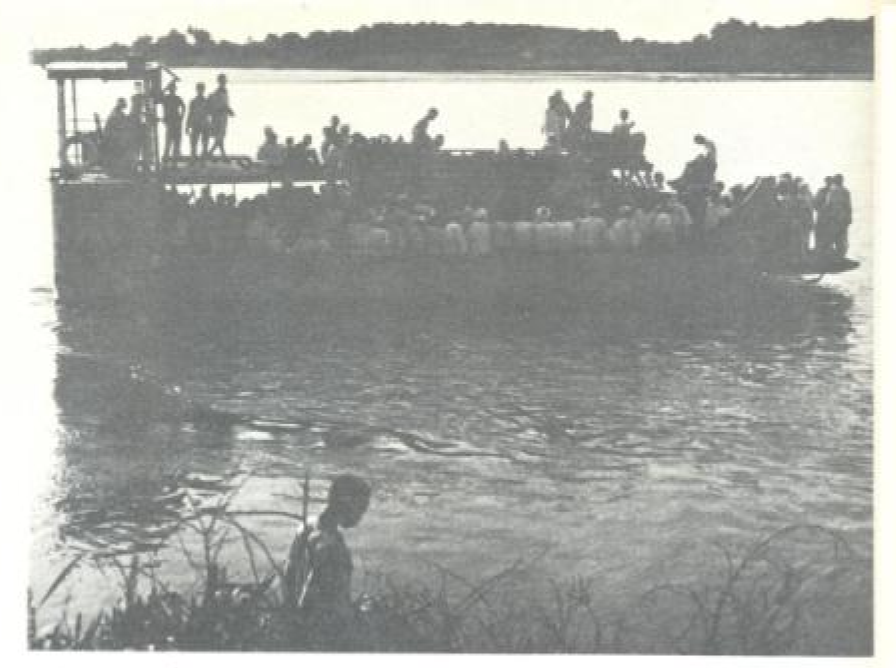
لقد اسموها بالجزيرة نظرا لموقعها الفريد ، فهي الارض التي يحتضنها النيلان الازرق والابيض ، ابتداء من خزان جبل الاولياء جنوبا على النيل الابيض ثم الى نقطة تلاقي النيلين عند الخرطوم عاصمة السودان الذي تزيد مساحة ارضه على مليون ميل مربع .. ثم تمتد ارض الجزيرة ومديرية النيل الازرق الى الجنوب الشرقي حتى منطقة الحدود بين السودان واليوبيا ، حيث تقع منابع النيل الازرق في بحيرة تانا . ويحدها شرقا مديرية كسلا ، ومن الغرب مديرية كردفان ، ومن الشمال مديرية الخرطوم ..

فهي اذن ليست بجزيرة ، وانما هي واحة في قلب الصحراء .. ولكن حتى هذه التسمية الاخيرة ، لاتطابق الواقع ، فليس في السودان صحراء بالمعنى المعروف .. ولكنها ارض طيبة مترامية الاطراف يرويها النيل وروافده وترويها مياه الامطار الغزيرة .. فالماء في ارضها .. والماء في سمائها .. والماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ، يملأ جوفها ويفيض ، ويتفجر من بطن الارض فيغرق سهولها ووديانها ..

فيض من الماء اذن .. وارض بكر في كثير من انحاء هذه البلاد الفسيحة المترامية الاطراف ، تتخللها مناطق خضراء في بعض اجزائها ، هي تلك التي امتدت اليها يد الانسان الذي فلحها واستصلحها ونثر بذور الخير في ترابها ، فنبتت والثمرت ، فاقام فوقها ، ومن حولها ، يحصد ما جادت وتجود به .. ويرعى حيواناته ويسقيها



الجزيرة ، او ارض ما بين النيلين ، الابيض والازرق .



« المعدّية » التي تربط بين ضفتي النيل الازرق عند مدينة ودمدني .. بعد عام واحد سوف تختفي هذه « العبارة » القديمة ، ويصبح الجسر الذي يبنيه الصينيون حلقة الاتصال بين ضفتي النهر . انه سيربط بين خمس محافظات ، وهي محافظات الجزيرة والنيل الازرق وكسلا والبحر الاحمر والخرطوم .

من مياهها الوفيرة .. تلك هي السودان ، وما الجزيرة او ارض الجزيرة الا جزء من هذه المناطق او الاحزمة الخضراء .. ولكنها اكبرها واوسعها، واكثرها خيرا .. انها العمود الفقري ، لهذا الجسم الهائل .. ولو انه عمود لم يكتمل بعد .. فحتى ارض الجزيرة ، او سهل الجزيرة .. اخصب بقاع السودان اطلاقا ، لم يستغل بعد الاستغلال الكامل !

مع ذكرى ثورة السودان

كانت « الجزيرة » هي هدفنا في هذا الاستطلاع الذي بدأناه مع بداية الاحتفالات بعيد الثورة في السودان في شهر مايو الماضي .. وذهبنا اليها ، رغم الحاح المسئولين في الخرطوم بتأجيل مهمتنا الاستطلاعية الى ما بعد الاحتفالات بذكرى الثورة حتى يتمكنوا من تسهيل مهمتنا . فقد كنا مقيدين بجدول زمني ، وكنا بعد هذا حريصين على ان تسجل موسم النشاط الصناعي فيها ، وهو الذي يبدأ مع انتهاء موسم جني المحاصيل الزراعية في الجزيرة .. وذهبنا ، ولكن سرعان ما اكتشفنا عقب وصولنا الى الخرطوم مباشرة ، اننا باستطلاعنا هذا في الجزيرة وارضها ، قد اصبحنا نشازا في نغم يعزفه السودان وشعبه ، احتفالا بثورته . !

قالوا لنا : « انها بلدكم على اية حال .. وانتم بين اهلكم .. اذهبوا حيث شئتم . فكل الابواب مفتوحة امامكم . حتى قبل أن تطرقوها ! » .

وركبنا احدى السيارات الكبيرة (اوتوبيس) التي تنقل المسافرين من الخرطوم الى ود مدني عاصمة الجزيرة ، أو مديرية النيل الازرق ، قاطعة المسافة بينهما ، وهي تقدر بحوالي مائتي كيلومتر في اقل من ثلاث ساعات ..

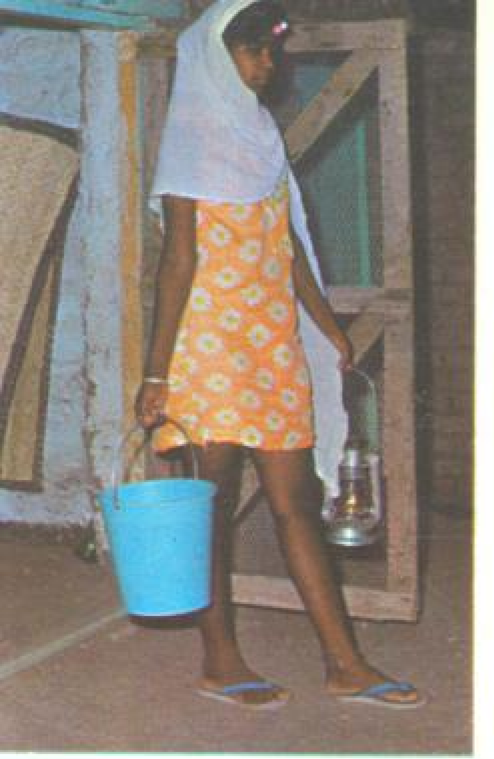
أحبابكم عشرة

ولم تكد تمضي بضع دقائق على وصولنا ، حتى كانت المدينة واهلها على مختلف المستويات الرسمية والشعبية تفتح لمجلة العربي قلبها وذراعيها ..

الارض الطيبة الجرداء ·· وما اكثر ما ترى من ارض لاحياة فيها، والمياه تجرىوسطها وفيها ومن حولها··



الريف هو الريف فى هدوئه وبساطته وجماله ··والصورة لمجموعة من زوجات الفلاحين السودانيين فى قرية طيبة بالجزيرة ·· الارض التى شهدتالمشروع الزراعى الرائد فى السودان ·· فى الامسيات يكون اللقاء والحديث عن كل ما يتصلبالارض وخيرها ··





فتاة الريف ، تحمل الدلو وقدملأته بالماء ، وسارت تتلمس طريقها على ضوء المصباح الصغير الذى حملته بيدها الاخرى ،لتسقى حيواناتها ٠٠انها عون للاب وللزوج.

انسابت المياه فى القناة الصغيرة وارتوت الارض ٠٠ ووقف الفلاح رافعا احدى قدميه واضعا اياها على فخذ ساقه الاخرى . وقد حمل « الطورية » اى الفأس ، واستند اليها ٠٠ لقد اطمأن على رزقه. **(الصورة العليا)**.

• • •

على شاطىء النيل الازرق ، بعض اعضاء الاتحاد النسائى يتجاذبن اطراف الحديث ٠٠ ان اهم ما يشغلهن اليوم هو النهوض بمستوى المرأة فى هذا المجتمع الريفى . فهى ما زالت ، شأنها فى ذلك شأن آية امرأة اخرى فى الريف ، تعيش حياة متخلفة . **(الصورة الى اليسار)** .



ـ « حبابكم عشرة ٠٠ » .

ـ « اهلا بالعربي وناس العربي » .

ـ « كيف انكم ٠٠ وكيف ناس الكويت ٠٠ ان شاء الله طيبين ! » .

قالوا لنا : « انتم الآن في ارض الجزيرة ، حاضر السودان ومستقبله ٠٠ ولكن لكي تعرفوا قصة الجزيرة وقصة الزراعة في الجزيرة ، فلا بد لكم ان تعودوا الى الاصل ٠٠ الى حيث قامت اول نبتة في هذه الارض ٠٠ الى المشروع الرائد ٠٠ الى طيبة ! » .

قالوا : « هناك ومنذ اكثر من ستين عاما ، في عام ١٩١١ على وجه التحديد ، بدأت التجربة الاولى ٠٠ التجربة الرائدة لزراعة القطن في ارض الجزيرة ٠٠ ونجحت التجربة نجاحا كبيرا ٠٠ اكبر مما كانوا يتوقعون لها ٠٠ ومرت الاعوام ، ورقعة الارض المزروعة بالذهب الابيض تزداد وتتسع عاما بعد عام ، حتى بلغت مساحة الارض التي تزرعها قطنا اليوم ، اكثر من ٦٠٠ الف فدان ! » .

في طيبة

وذهبنا الى طيبة ، وسرنا فوق ارضها الطيبة، ورأينا الاصابع وهي تشير الى المكان الذي نبتت فيه اول شجيرة للقطن في الجزيرة ٠٠ وكانت القطر الذي انهمر بعده الغيث ٠٠ لقد اصبح القطن اليوم هو عماد الثروة في السودان والمصدر الرئيسي لدخلها القومي ٠٠ هكذا بدأت قصة الثورة الزراعية في السودان ٠٠

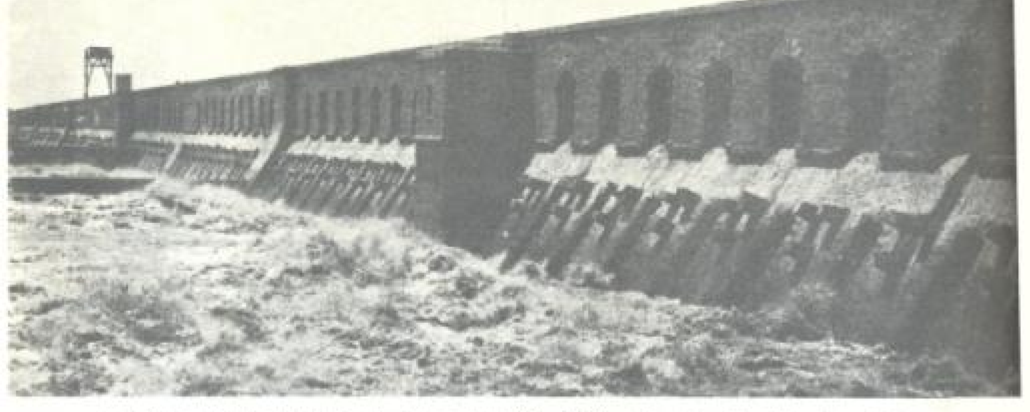
فمع القطن ولدت زراعات اخرى ونمت وتطورت ٠٠ فقد زرعوا القمح والذرة والفول السوداني ، والخضراوات بمختلف انواعها ، والفاكهة وفي مقدمتها المانجو التي تنمو اشجارها في شتى انحاء الجزيرة والسودان كله بصفة عامة، وكذلك الجوافة ، واخيرا علف الحيوانات من ابقار وماعز واغنام ، وهي ثروة اخرى ترعى في السودان ، وتقدر بملايين الرؤوس ٠٠ ففي الجزيرة وحدها ما لايقل عن ثلاثة ملايين رأس من الاغنام والماعز والابقار والجمال ٠٠

ثروة لو استغلت الاستغلال السليم لاضحت غذاء كافيا لكل العرب من المحيط الى الخليج !٠

هذه المزرعة الهائلة ، هي هدية ذلك النهر الثائر الهائج ٠٠ نهر النيل الازرق بمياهه الحلوة المتدفقة العاتية ٠٠ ان مديرية النيل الازرق ، ارض الجزيرة هي هبة هذا النهر ٠٠ وهو لم يهب المياه للجزيرة وحدها ، وانما هو ايضا واهب المياه لشمال السودان فوق مدينة الخرطوم ، وعلى مياهه المتدفقة تعتمد ارض مصر كلها في زراعتها ٠٠

الابقار والاغنام والماعز ترعى في حقول القطن بعد جنيه وجفاف سيقانه ٠٠ وتشتهر ارض الجزيرة بثروة حيوانية هائلة ، شأنها في ذلك شأن بقية محافظات السودان ٠





خزان سنار الذى اقيم على النيل الازرق لحفظ مياهه من الضياع .. انه ايضا واحد من المشاريع الهامة لتوفير مياه الرى فى السودان الشقيق .

خزان جبل الاولياء

ومن اجل هذا شيد المصريون خزان جبل الاولياء ، الذى يقع على بعد ٤٥ كيلومترا جنوبى الخرطوم .. وهو خزان قام فى الثلاثينيات ، وكان الهدف الاساسى منه ، حجز مياه النيل الازرق امامه ، حتى لاتختلط بمياه النيل الابيض فى الجنوب وتضيع فى المستنقعات التى تكثر فى منطقة جنوب السودان وتنتشر !

ولكن كيف تتجه مياه النيل الازرق الى الجنوب، بينما الانحدار الطبيعى للنيل الابيض من الجنوب الى الشمال ، أى من المنبع الى المصب فى البحر المتوسط . ؟ والجواب على هذا ان انحدار النيل الابيض فى مسيرته الطويلة التى يقطع خلالها مسافة تزيد على الالف ميل من منابعه فى بحيرة فيكتوريا .. هذا الانحدار لايتجاوز الالف قدم ، بينما تنصب مياه النيل الازرق انصبابا هائلا من ارتفاع يزيد على الخمسة آلاف قدم ، فلا تلبث مياه النيل الابيض ان ترتد على اعتابها عند مدينة الخرطوم لتفسح الطريق للنهر الشاب الثائر الذى يمتلىء حيوية ، فى الشهر السادس (يونيو) من كل عام ، حاملا معه مئات الالوف من اطنان الخصباء وفتات التربة الى ارض مصر .. ان ستة اسباع مياه النيل الابيض امام خزان جبل الاولياء تاتى اليه من النيل الازرق !من هنا كانت اهمية هذا الخزان الذى اقيم على النيل الابيض، ضمن اتفاقية مياه النيل بين مصر والسودان . وعند طرف النيل الازرق بالقرب من متبعه فى

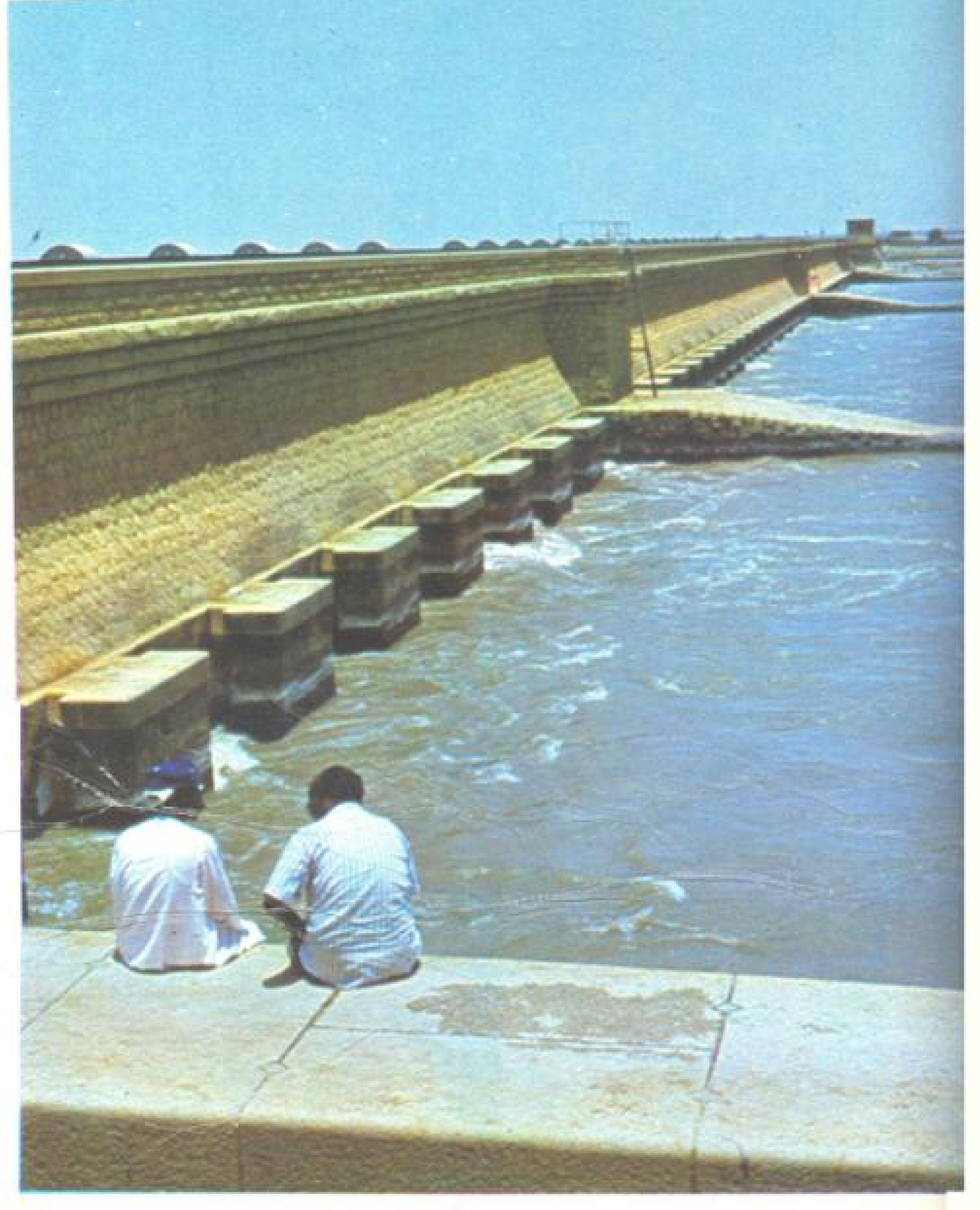
الفول السودانى ، من المحاصيل الرئيسية فى الجزيرة ، وتبلغ مساحة الارض المتزرعة به حوالى ربع مليون فدان ..





يجرى العمل الان على قدم وساق لاتمام بناء الكوبرى الذى يقيمه الصينيون على النيل الازرق عند مدينة ود مدنى •• ويتكلف المشروع سبعة ملايين ونصف مليون جنيه سودانى ، ويعمل فيه الفان من العمال من بينهم ٥٠٠ عامل صينى •• انه هدية الصين للسودان الشقيق ••





يتركز الاهتمام فى الجزيرة بتحسين نوعية ابقار « الكنانة » عن طريق التهجين والتغذية والرعاية الصحية · ويقول الدكتور عوض الكريم محمد بخيت رئيس محطة ابحاث الانتاج الحيوانى ان بقرة الكنانة تعطى فى المتوسط ٤٠ رطلا من الحليب يوميا ·

خزان جبل الاولياء ، واحد من المشروعات الحيوية التى اقيمت لحفظ مياه النيل ·· بناه المصريون مع اخوانهم ابناء السودان عام ١٩٣٣ تحت اشراف المهندس عبد القوى احمد «باشا» وزير اشغال مصر سابقا ·

مرتفعات اثيوبيا ، قام خزان آخر ، هو خزان سنار،ولا تقل أهميته عن اهمية خزان جبل الاولياء، لصيانة هذا المورد المائي الهائل والمحافظة عليه من الضياع ..

ونترك النيلين ، أو النهرين ، ونعود الى موضوعنا .. الى مشروع الجزيرة .. كيف نشا ، وعلى اى اساس يجرى العمل فى هذه المزرعة الكبيرة ، ماهو حاضرها ،وكيف يرون مستقبلها ؟.

وزير الزراعة يتحدث

قال لنا السيد وديع حبشى وزير الزراعة والاغذية والموارد الطبيعية فى جمهورية السودان: « هناك حقيقة ثابتة لابد من توضيحها وانا ابدا حديثى معكم ، وهى ان هذا المشروع الحيوى .. مشروع الجزيرة يقوم اساسا على المشاركة بين جهات ثلاث .. بين الدولة والمزارع وادارة المشروع .. نعم انه قطاع عام ، ولكنه يتمتع بكيان شبه مستقل .. »

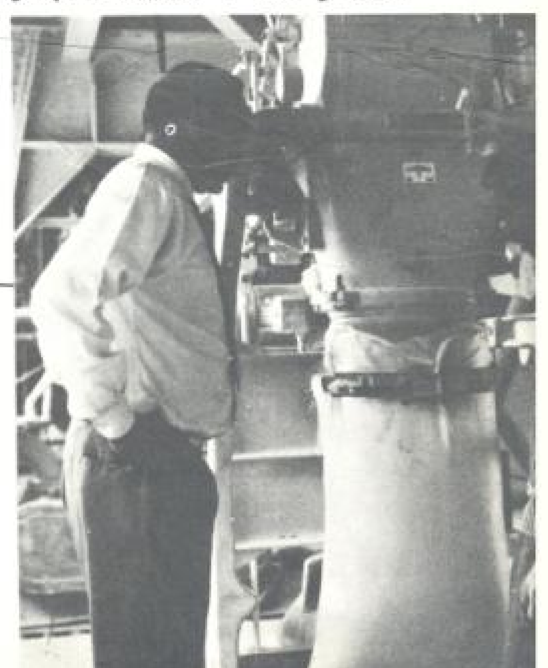
« فقد صدر قانون فى بداية انشاء المشروع يلزم كل من يملك ارضا داخل الحدود التى يشملها المشروع بان يؤجرها للدولة ، وكذلك كل من يريد ان يبيع الارض التى يملكها ، ان يعطى الدولة الاولوية فى الشراء .. فقد وجدنا انه لابد من اصدار مثل هذا التشريع للحيلولة دون حدوث المضاربات داخل نطاق المشروع ، وانتقال ملكية الارض من فرد الى آخر .. وقد اثبت التشريع بعد هذا فعاليته فى ضمان الاستقرار والمضى قدما فى تنفيذ المشروع وتوسيعه .. »

لم ننس الفلاح

« ولم ننس بطبيعة الحال فى ظل هذا القانون ، الفلاح الذى لايريد ان يؤجر ارضه او يبيعها .. فقد اعطى التشريع الفلاح الذى يملك ارضا فى حدود اربعين فدانا الحق فى الحصول على «حواشة» اى قطعة ارض تماثل مساحة الارض التى يملكها (اى اربعين فدانا) ، فاذا كان يملك اكثر من اربعين فدانا ، استطاع أن يحصل على اكثر من



بالات القطن المعدة للتصدير .. وتزن الواحدة منها ٥٥٠ رطلا ، وهى معبأة تحت ضغط يبلغ ٢ر٥ طنا فى البوصة الواحدة ..



قال لنا السيد بشير محمد خوجلى مدير مطاحن النيل الازرق : « فى السودان ست مطاحن للدقيق،واحدة منها قطاع عام وواحدة تعاونية للمزارعين ، والبقية قطاع خاص ، بما فيها مطحنة النيل الازرق ، وتنتج هذه الاخيرة ١٥٠ طنا يوميا ، يستهلك جزء منها محليا،ويصدر الجزء الباقي لانحاء السودان .» والصورة لعملية ملء الاكياس بطحين القمح .



محالج القطن في مارنجان ، وقد اقيمت فوق مساحة تبلغ ٢٧٠ فدانا مربعا ٠٠ وانشئت فيها اقسام حديثة ، يتم فيها حلج القطن بصورة آلية ٠٠ وقطن الجزيرة طويل التيلة ، وله سوق كبير في جميع انحاء العالم ٠٠

« حوّاشة » واحدة ، بعد اقصى ثلاث حواشات ، ويصبح من حقه بعد ذلك ان ينيب عنه من يقوم باستصلاحها وزراعتها وادارتها بدون مقابل ٠٠ »

« اما الدولة ، فقد قامت من جانبها بانشاء كل المرافق الاساسية من خزانات وترع رئيسية وترع فرعية ، وجسور وقناطر الخ ٠٠ »

« وقد كانت ادارة المشروع في بدايته في يد شركة انجليزية ، ثم مالبثت بعد ذلك ان انتقلت الى أيد وطنية بعد انتهاء فترة الامتياز التى استمرت من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٥٠ ٠ »

قلنا : « ماهى مساحة الارض المزروعة الان ، وكم ستبلغ مستقبلا ؟ »

القطن والقمح

وقال الوزير : « **لقد امكن استصلاح المليون فدان الاولى واستزراعها واستثمارها على مدى ثلاثين عاما قبل الاستقلال ٠٠ اما المليون فدان الثانية فقد تم زراعتها واستثمارها في اقل من سبع سنوات عقب حصول السودان على استقلاله مباشرة ، ونحن نزرع منها حاليا ٦٠٠ الف فدان من القطن الطويل التيلة ، و ٣٠٠ الف فدان قمحا ، و ٢٠٠ الف فدان فولا سودانيا و ١٠٠ الف فدان ذرة وعلفا للحيوانات ٠٠ولو أن مساحة الارض المنزرعة ارتفعت هذا الموسم الى ربع مليون فدان ٠٠ »**

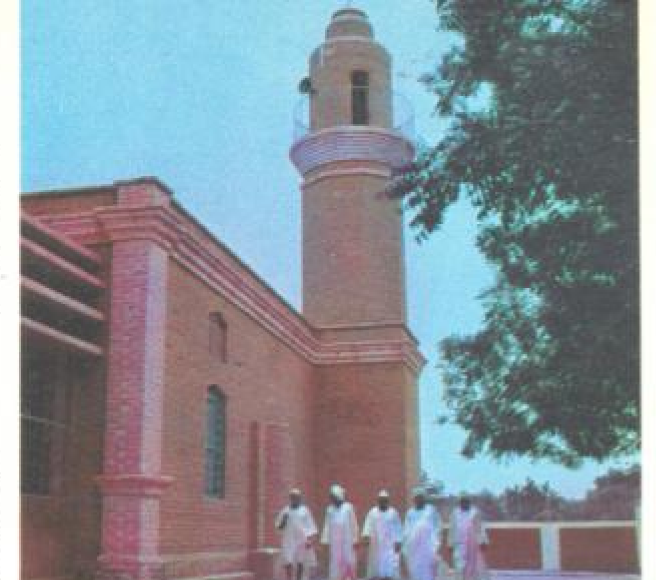
« ولكننا رأينا ابتداء من الموسم القادم ان نخفض مساحة الذرة الى النصف،وتستغل النصف الباقي فى زراعة المزيد من القمح ، الى جانب ٥٠ الف فدان اخرى من الاراضى غير المنزرعة ، وبذلك ستبلغ مساحة الارض المنزرعة قمحا فى الموسم المقبل ٤٥٠ الف فدان ٠٠ »

« ان هذه المساحة ، الى جانب مايزرع من القمح فى مناطق اخرى من السودان ، سوف تحقق لنا اكتفاء ذاتيا ٠٠ هذا الى جانب اننا نخطط حاليا لاستبدال محاصيل اخرى مكان الذرة فى نصف المساحة الباقية ٠٠ محاصيل ذات قيمة نقدية عالية ، مثل الارز الذى سنزرع منه هذا العام عشرة الاف فدان كمرحلة اولى ، تزاد فى العام المقبل الى ٣٠ ألف فدان ٠٠ »

٢١٦ مليون فدان

قلنا : « قرأنا فى تقرير لمنظمة الاغذية والزراعة أن العالم سيأكل من ثلاث مناطق بعد عشرين أو ثلاثين عاما ٠٠ هى استراليا وكندا والسودان ٠ ترىكم تبلغ مساحة الارض الصالحة للزراعة فى القطر الشقيق ؟ »

قال الوزير : « **ان هناك ١٦ مليون فدان من**



مسجد محمد طه شقدى بقرية جزيرة النيل ،وهو من المساجد الحديثة في ارض الجزيرة ، وقد ظهر في الصورة بعض الاخوة السودانيين بعد تأديتهم صلاة الجمعة .

• • •

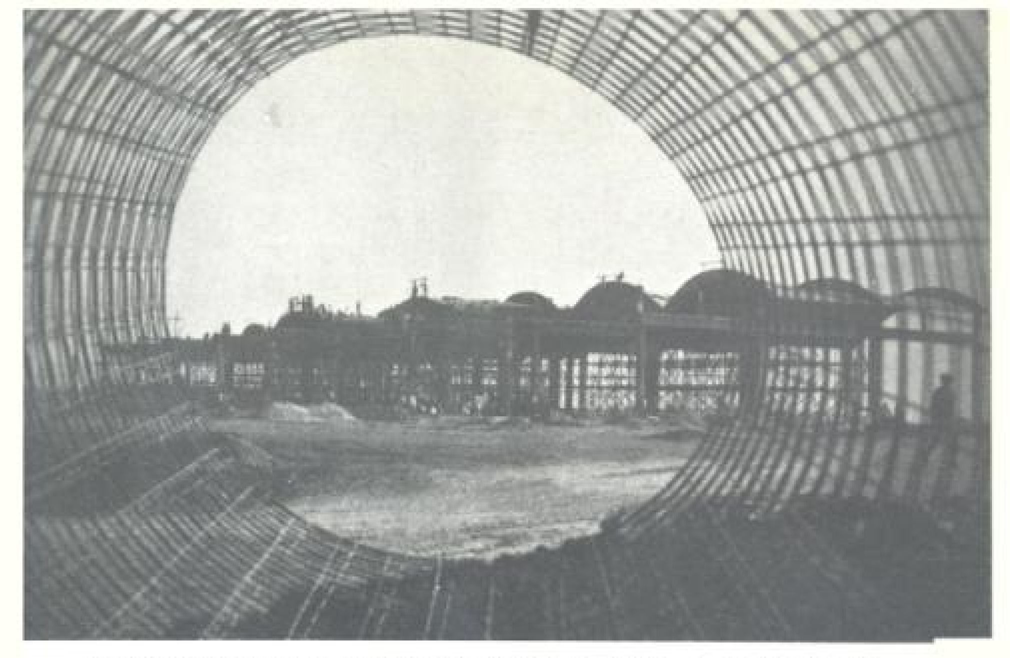
شارع السوق الكبير ، وهو الشارع الرئيسي في مدينة ود مدني عاصمة الجزيرة،ويسمونه شارع الحرية ، وفيه تقع البنوك والمحال التجارية والمقاهي ..



صناعة « المراكيب » من جلود الماعز والتماسيح ، من الصناعات الوطنية في الجزيرة ،ويتراوح ثمن « المركوب » او الحذاء بين جنيه و ٧ جنيهات٠

● ● ●

قطار السكة الحديد الذي يبدأ رحلته من الخرطوم وتنتهي في مدينة الابيض عاصمة كردفان مارا بمدينة ود مدني ، ويبلغ طول المسافة ٧٠٠ كيلومتر٠



بدات فرنسا تشارك في مجال التنمية الصناعيةوالزراعية في السودان ، فقدمت قرضا طويل الاجل ، بفائدة بسيطة لبناء مدبغة للجلود بمنطقةه ود المجدوب ، على مقربة من ود مدني .والصورة لجانب من المباني تحت التشييد ٠

الارض الصالحة للزراعة في السودان ، والتي يمكن ريها من النيل وروافده في الجنوب وفي الشمال ٠٠ ومن بين هذه المساحة ٥ مليون فدان في ارض الجزيرة وحدها ٠٠ الا ان مساحة الارض المستثمرة في الجزيرة لا تتجاوز حاليا مليونين من الفدادين ٠٠ وهناك مليون ثالثة في الجزيرة ايضا، تزرع بواسطة توصيل مياه الري اليها بالآلات الرافعة ٠٠ ويجري العمل حاليا في تعمير مليون وربع مليون فدان اخرى ، وقد بدأنا المرحلة الاولى باستصلاح واستزراع ٣٠٠ ألف فدان في منطقة الرهد بالجزيرة ٠ »

« ولكن ليست هذه هي كل الاراضي الصالحة للزراعة في السودان ، فقد ذكرت لكم مساحة الارض التي تروى بالراحة من النيل مباشرة ، بقي ان تعلموا ان هناك مايزيد على المائتي مليون فدان التي تعتمد الزراعة فيها على مياه الامطار، فيكون المجموع اذن ٢١٦ مليون فدان من الارض التي يمكن استغلال كل شبر فيها ، بينما لاتزيد نسبة الارض المستغلة فعلا من تلك التي تروى بمياه النيل ، او بمياه الامطار ، على اكثر من عشرة في المائة فقط ! »

مزرعة هائلة ٠٠ ولكن

« انني استطيع ان اقول لكم انه ليس هناك مايحول دون استغلال كل هذه المساحة الهائلة من الارض الزراعية اذا توافرت لدينا الاموال والامكانات ٠ »

« ان الدولة من جانبها تفعل كل مافي وسعها لتشجيع الفلاح على الاقبال على استصلاح الارض واستزراعها ، وربطه بها ٠٠ يكفي ان تعلموا ان صافي العائد يقسم على النحو التالي بين الجهات الثلاث التي سبق ذكرها ، اي الدولة ، وادارة المشروع ، والفلاح ، فالدولة تحصل على ٣٦٪ من هذا العائد ، بينما لايزيد ماتحصله ادارة المشروع مقابل خدمتها الاجتماعية للفلاح على اكثر من ٣٪ ، ويحصل الفلاح على اكبر نسبة وهي ٤٧٪ ٠ تبقى بعد هذا ٤٪ ، وهي موزعة بين المال الاحتياطي وضريبة المجالس المحلية ٠ »

ومضى الوزير يقول : « على أن جهود الدولة لم تقتصر على تشجيع الفلاح وحده على الارتباط بالارض وفلاحتها وزراعتها ، بل لقد تعدت هذه الجهود ذلك النطاق المحلي الضيق الى ماوراء

حدود بلادنا ·· ولقد اعددنا بالفعل مشروع قانون سوف يعرض على مجلس الشعب قريبا ، والهدف منه تشجيع وتنمية الاستثمار الزراعي في هذا البلد الزراعي ، ويعطي هذا القانون صاحب راس المال الاجنبي،نفس الحقوق والامتيازات التي يمنحها لصاحب راس المال الوطني · »

تحقيق الاكتفاء الذاتي

وختم الوزير حديثه معنا بشرح موجز للسياسة الزراعية في السودان ، قال : « ان سياستنا في هذا المجال تهدف الى تحقيق الاكتفاء الذاتي من كل ماتحتاجه البلاد من المحاصيل الزراعية ·· فنحن مازلنا نستورد الكثير من المحاصيل مثل القمح والشاي والبن والسكر والمنسوجات والاخشاب ·· اننا نامل ان نحقق الاكتفاء الذاتي لبلادنا ، في مدى السنوات العشر المقبلة ، ونحن نامل ان نحقق هذا الاكتفاء من القمح والارز في العام القادم باذن الله · »

« وتهدف سياستنا الزراعية بعد ذلك الى انتاج اكبر كمية ممكنة مما تحتاجه الاسواق العربية اولا ثم العالمية ، من السلع والمنتجات الزراعية ، وبذلك نحقق زيادة حاصلاتنا من الصادرات ، وزيادة حصيلة البلاد من العملات الاجنبية ·· »

« ولن ننسى تحقيق التكامل بين الانتاج الحيواني والانتاج الزراعي ، وكذلك التكامل بين الزراعة والصناعة ، لتوفير كل حاجات الصناعة من الخامات الزراعية ، وكذلك تحقيق عدالة توزيع فرص التنمية الزراعية بين انحاء القطر المختلفة ·· »

وقال الوزير : « هذه الاهداف لكي تصل اليها ، فلا بد لنا من ان نسعى الى زيادة الانتاج راسيا في المشاريع القائمة بتكثيف دوراتها واستعمال الاسمدة ومكافحة الافات الزراعية وتدعيم الارشاد الزراعي والتوعية ··اما التوسع افقيا في الزراعة فيشمل انشاء عدد من المشاريع الزراعية الجديدة ، وقد بدانا بالفعل تنفيذ بعضها ·· »

وتركنا الوزير في الخرطوم وعدنا الى ود مدني ·· »

المشروع الرائد

وفي ود مدني ، جلس المهندس محمود حسن دهب مساعد محافظ مديرية النيل الازرق للشئون الهندسية والانمائية ، يحدثنا عن مستقبل الجزيرة، وعن التكامل بين الزراعة والصناعة في هذه الواحة الهائلة ·· قال :

« ارض الجزيرة هي المستقبل ، وهي النموذج الذي ستسير عليه جميع المشروعات الزراعية في مختلف انحاء السودان شماله وجنوبه ·· » وفجاة توقف المهندس محمود حسن عن الحديث ، ووجدناه يعود الى الماضي ، ويشير باصابع يده الخمسة الى الاتجاه الذي تقع فيه القرية الصغيرة ·· قرية طيبة ، تلك التي عدنا لتونا من زيارتها ·· ويقول ، وذكريات ستين عاما او يزيد تقفز فجاة الى راسه ، « لم لا تنسوا ان الجزيرة كانت قبل ذلك مقر المشروع الرائد للزراعة في السودان ·· ففيها وضعنا اول بذرة للقطن في عام ١٩١١ ·· ومرت الاعوام واذا بالقطن يصبح اليوم عماد



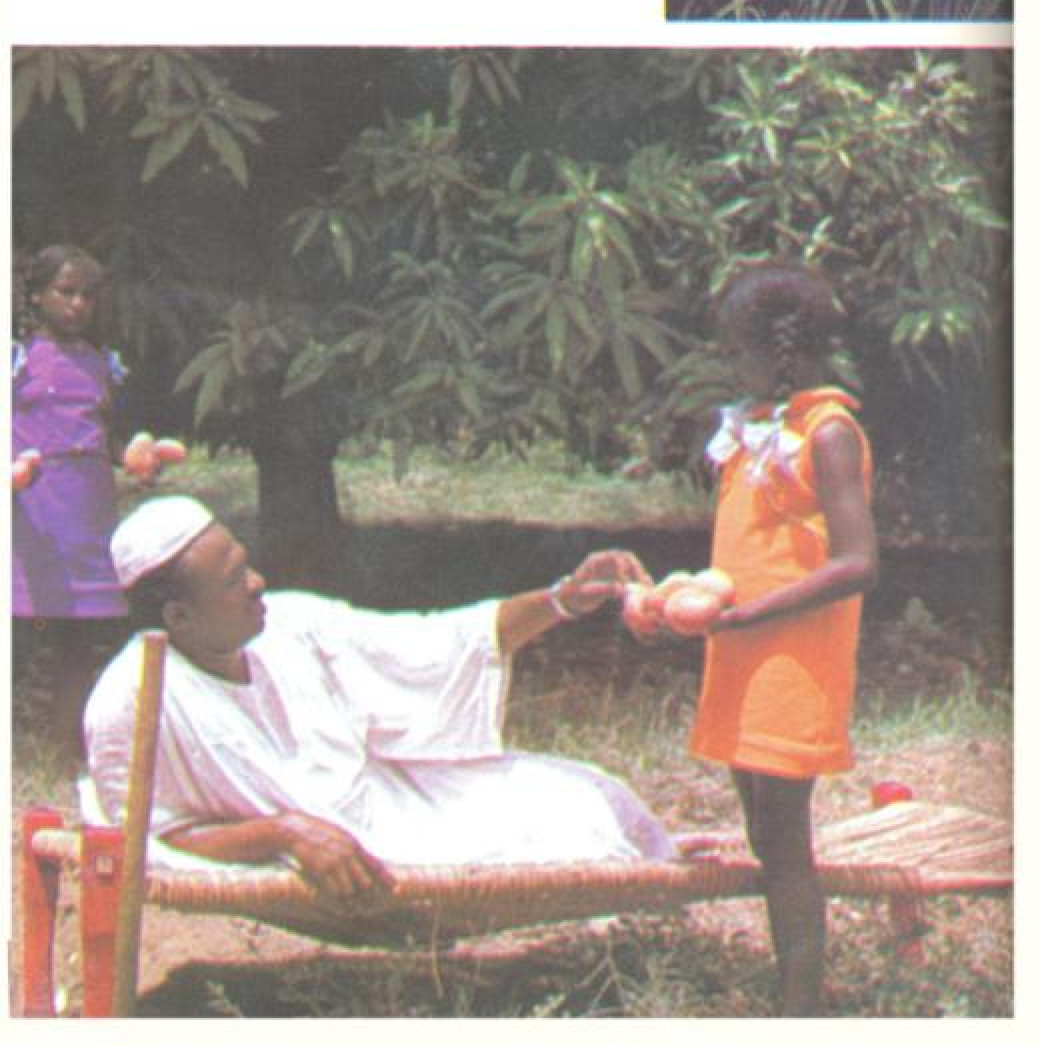
قامت صناعة الزيت من بذرة القطن بارض الجزيرة ، والمصنع تابع للقطاع الخاص ،وقد تكلف مليون جنيه استرليني ، ويبلغ انتاج المعصرة يوميا ٢٠ طنا من الزيت

تلعب الآلة دورا هاما في اعداد الارض للزراعةفي الجزيرة ، ويستورد السودان العديد من الآلات التي تستخدم في تسوية التربة وحرث الارضوشق القنوات واقامة الطلمبات . وتتبع هذه الآلات المركز الميكانيكي للري في ود مدني ،ويعملفيه مايزيد على الاربعة الاف مهندس وعامل ..

ارض الجزيرة غنية بمنتجاتها من الخضر والفاكهة ٠٠ وهي تعرض في الاسواق وتباع باسعار زهيدة، كما يصدر الفائض لبقية ارجاء السودان ، **والصورة الى اقصى اليمين لسوق الخضر** ، والصورة الاخرى للبصل في الحقول الناضجة ٠

• • •

المانجو ، اكثر انواع الفاكهة التي تنمو في مختلف ارجاء السودان ، وفي ارض الجزيرة بصفة خاصة ٠٠ فاينما سرت وجدت اشجار المانجو الوارفة ٠٠ وهم ياكلونها ويصنعون منها الشراب الحلو ، ويصدرونها للخارج ٠٠ وفي الصورة مزارع سوداني يرقد فوق « العنقريب » ، ويتفقد ثمار المانجو التي تقدمها له ابنته ٠٠ لقد طابت وحان قطافها ٠



الثروة في السودان وأساس اقتصادها القومي ، ثم قال يسألنا : « هل رأيتم طنبية » ؟ •• »

الشجرة والانسان في الريف

قلنا : وعشنا ساعات بين اهلها •• مجتمع ريفي بسيط •• ان الفلاح هو الفلاح في كل مكان •• ما اعظم الشبه الذى وجدناه بين الشجرة والانسان في الريف •• الهدوء الذى يعيش في ظلاله الاثنان •• كلاهما ينتظر •• الشجرة تنتظر الماء لترتوى وتنتعش •• والفلاح ينتظر ثمار كده وتعبه ليأكل هو ومن يعول •• حياة على الطبيعة لم تفسدها الحضارة وعقدها •• وما اكثرها !

قال : « وهل زرتم المصانع التى قامت فى الجزيرة ؟ •• »

قلنا : « نعم ، زرنا محالج القطن الآلية فى مارنجان والمحالج القديمة اليدوية ، وزرنا مطاحن النيل الازرق للقمح ، ومصانع شركة زيوت الجزيرة ، لانتاج الزيت من بذرة القطن • ! »

الصناعة فى الجزيرة

قال : « لقد قامت على الزراعات فى الجزيرة عدة صناعات ، وستقوم صناعات اخرى كثيرة فى المستقبل القريب ، فهناك صناعة الغزل والنسيج فى الخرطوم بحرى ، وقريبا سيتم انشاء مصانع النسيج فى الحصاحيصا بمساعدة الصين الشعبية ، الى جانب المصنع الذى اقيم بالفعل فى ود مدنى وهو تابع للقطاع الخاص ، وقد افتتح فى شهر مايو الماضى • »

« وسيتم انشاء مصنعين آخرين للنسيج فى مدني، سيفتتح أحدهما فى الاشهر القليلة المقبلة، وهما ايضا تابعان للقطاع الخاص • »

« قد لاتعلمون ان زراعة قصب السكر فى الجزيرة نجحت نجاحا فاق كل ماكان متوقعا لها ، وقد قدمت انجلترا قرضا لحكومة السودان ، لانشاء اكبر مصنع للسكر فى « الكنانة » ، وهى منطقة واقعة فى جنوب النيل الازرق بين مدينتى كوستى و ربك • ويقدر انتاج هذا المصنع من السكر سنويا بحوالى ٣٠٠ الف طن • »

مساهمة فرنسا

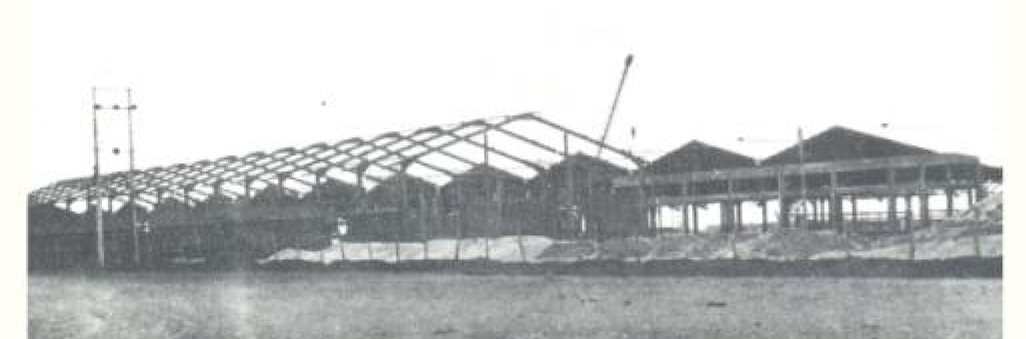
« ولن يكون هذا المصنع هو الوحيد من نوعه ، اذ يجرى العمل الآن لبناء مصنعين آخرين للسكر بالجزيرة ، يعتمد فى انشائهما على رأس المال الوطنى •• »

وقال مساعد المحافظ : « وقد بدأت فرنسا تشارك فى مجال التنمية الصناعية والزراعية فى السودان ، فقدمت قرضا طويل الاجل وبفائدة بسيطة ، لبناء مدبغة للجلود فى منطقة « ود المجدوب » التى تقع بالقرب من ود مدنى وعلى بعد ثمانية كيلومترات منها ، وهو مشروع حيوى لاشك فى هذا ، نظرا لتوافر الثروة الحيوانية فى البلاد •• ولكن لكى تعمل هذه المدبغة بكل طاقاتها ، فلا بد من توفر جلود الماعز والاغنام بكميات كبيرة يوميا •• ومن اجل ذلك بدأت الدراسات تجرى الآن لانشاء مسلخ لذبح المواشى وتصديرها بعد تجميدها ، والاستفادة من مخلفاتها كغذاء للدواجن • »

دور الصين

« ولن ننسى بعد هذا دور الصين الشعبية ،

يجرى العمل الآن فى بناء مصنع للنسيج فى بلدة الحصاحيصا الواقعة على الطريق بين الخرطوم وود مدنى •• وتساهم الصين الشعبية فى تشييد هذا المصنع وهو الثانى من نوعه فى الجزيرة ••



وهو دور اساسى ، فقد بدأ العمل بالفعل فى انجاز اول مشروع حيوى للتخفيف من حدة ازمة النقل والمواصلات فى السودان ٠٠ وهى ازمة مستحكمة كما تعلمون نظرا لاتساع رقعة هذه البلاد وطول المسافات بين مدنها الرئيسية ومديرياتها ٠٠ فقد قدمت الصين الشعبية قرضا طويل الاجل لبناء جسر على النيل الازرق ،وبدات عملية البناء بالفعل ٠٠ وسيكون من نتيجة هذا المشروع ربط خمس مديريات بعضها ببعض ، وهى الخرطوم والجزيرة والنيل الازرق وكسلا والبحر الاحمر عند ميناء بور سودان ٠٠ وكلها كما تعلمون مراكز هامة للانتاج الزراعى والصناعى ٠٠ وقد ساهم صندوق الانماء العربى بالكويت والشيخ زايد آل نهيان حاكم ابو ظبى الى جانب ماساهمت به الصين فى شق هذا الطريق البرى بين المديريات الخمس وتعبيده ٠ »

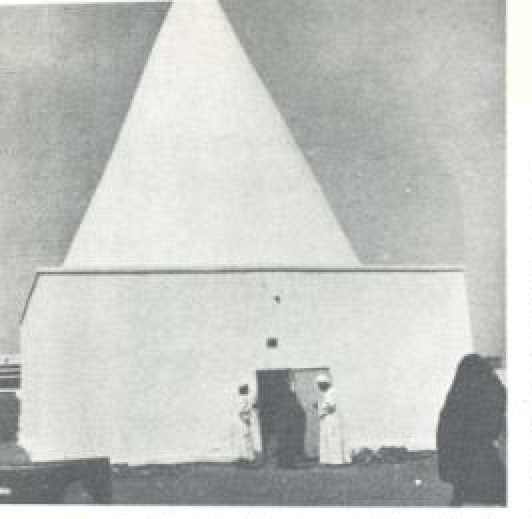
ثورة فى اساليب النقل

« اننى استطيع ان اقول ان هذا الطريق الجديد، سوف يحدث ثورة فى اساليب النقل والمواصلات اذ سيوفر لاول مرة فى تاريخ السودان طريقا بريا مباشرا يربط بين هذه المناطق وبين ميناء التصدير الرئيسى على البحر الاحمر واقصد به ميناء بور سودان ٠٠ وسيبلغ طول هذا الطريق بعد انتهاء العمل فيه عام ١٩٧٨ حوالى ١٥٠٠ كيلومتر ٠٠ »

وانهى مساعد المحافظ حديثه معنا ٠٠ ووقفنا قليلا ، وقفة تفكير وتامل فى هذا الذى شهدناه فى ارض الجزيرة اليوم ٠٠ لاشك انها وثبة ٠٠ وثبة كبرى ، ولكنها لكى تكتمل لابد لها من دعم مادى يساندها ويدفعها خطى اخرى واسعة الى الامام ٠٠

وفى الخرطوم جلسنا ننقل انطباعاتنا الى السيد عمر الحاج موسى وزير الثقافة والاعلام :

« قلنا ان رأس المال الخاص يلعب دورا كبيرا اليوم فى تنمية الجزيرة فى مجالات الزراعة والصناعة على السواء ٠٠ هذه حقيقة لمسناها فى المزارع الخاصة والمصانع الجديدة التى شيدت برؤوس اموال القطاع الخاص ٠٠ ترى هل يجد رأس المال الخاص من خارج السودان نفس التشجيع الذى يجده رأس المال الوطنى للاستثمارات فى السودان ؟ »



فى القرن السادس عشر نزل بهذه البقعة من ارض الجزيرة ، رجل تقى صالح يدعى محمد مدنى السنى ، وطابت له الاقامة بين جوانبها ، فشيد كتابا لتحفيظ القرآن الكريم ، وجاء الناس الى كتابه وعرفوه واحبوه وعاش الرجل اكثر من قرن كامل ، الى ان توفاه الله ، فاقاموا له هذه القبة ، وسمو البلدة باسمه « ودمدنى » اى « ولد مدنى » !

حماية الاستثمارات

وقال الوزير : « نحن نبنى اليوم بلادنا ٠٠ ونحن نمضى على طريق النمو ٠٠ اننا نرحب بكل عربى مخلص يرى فى السودان فرصة يستثمر فيها امواله فيفيد ويستفيد ٠٠ ان السودان يفتح ذراعيه للمستثمر بغض النظر عن جنسيته ، وقد قامت حكومة السودان من جانبها بتقديم كافة الضمانات طبقا لقانون حماية الاستثمارات المسجل بجامعة الدول العربية ٠٠ فلا تاميم ولا مصادرة ، وحرية تحرك راس المال مكفولة وقد بدات بعض الدول العربية والاجنبية تستثمر اموالها بالفعل فى هذه البلاد التى مازالت ثرواتها مدفونة تحت ارضها الخصبة السخية ٠٠ نحن نبنى كما قلت ٠٠ وكل لبنة جديدة تزيد البناء ارتفاعا ٠ » ■■

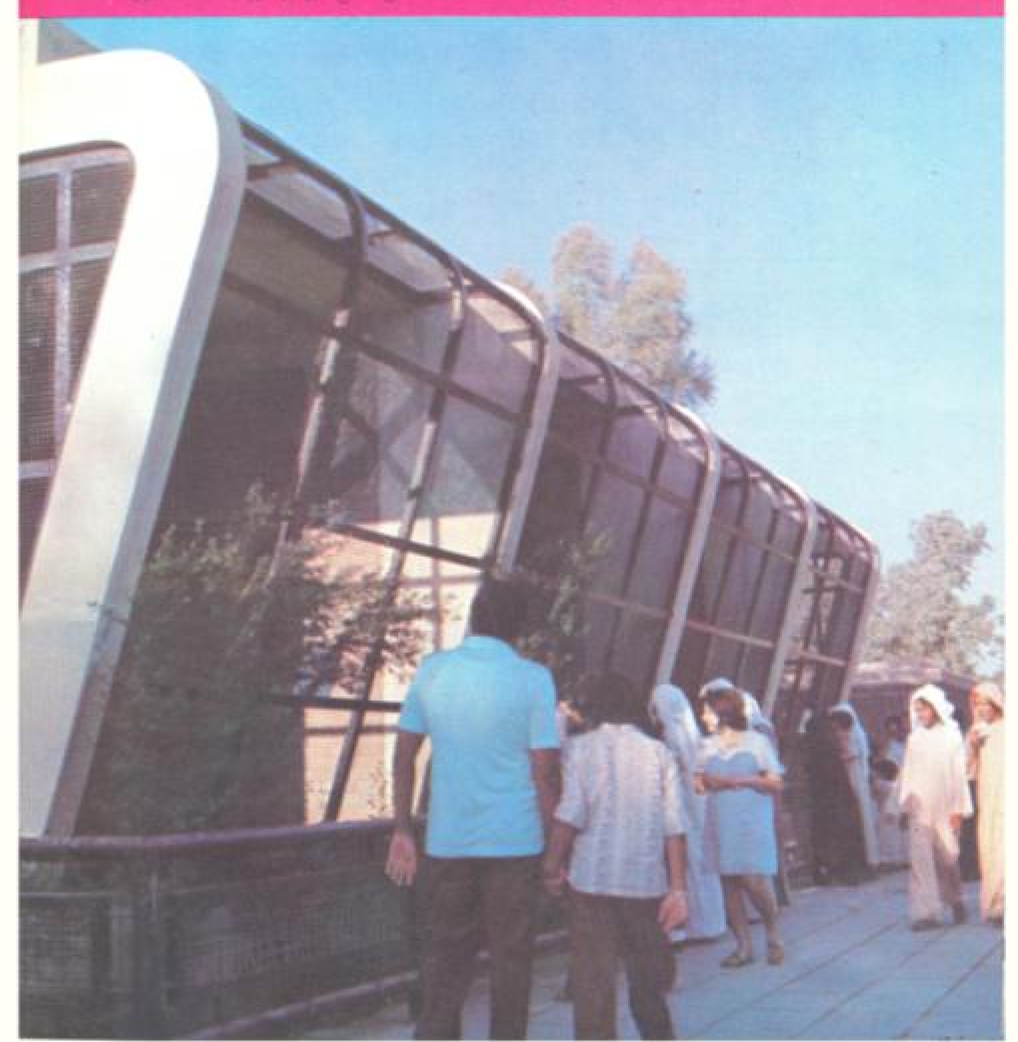
منير نصيف

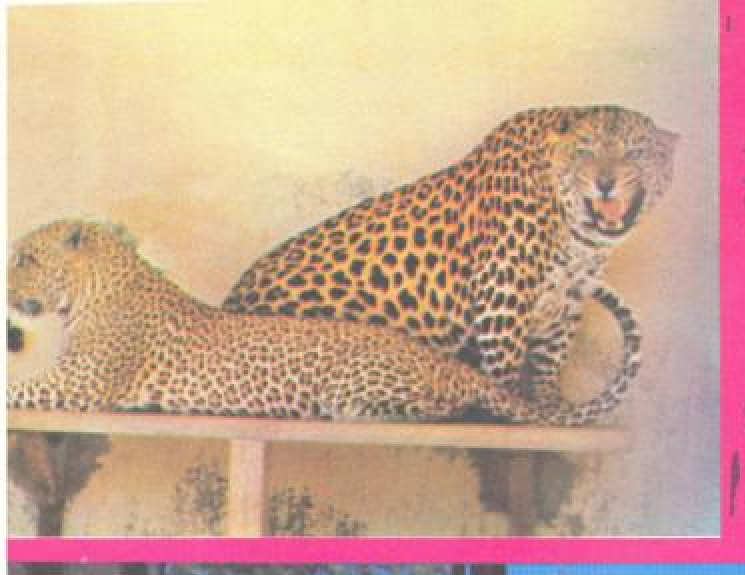
حديقة الحيوان بالكويت

● أكثر من ١٥٠ ألف مواطن زاروا الحديقة في عام ١٩٧٣

استطلاع بقلم : محمد طنطاوى   تصوير : عبد الناصر شقرة

الى اسفل : يقبل الجمهور على زيارة الحديقة التى تفتح ابوابها يوميا بعد الظهر .





الى اليسار : نمر من السودان،انه من اشرس الحيوانات التي تعرفها الغابات في افريقيا .

الى اسفل : بجع ابيض White Pelican وتضم الحديقة مجموعة كبيرة من الطيور من مختلف انحاء العالم .

محاضرات وأفلام عن حياة الحيوانات تعرض على الجمهور

انشاء أحدث حديقة حيوان في نهاية السبعينات

« هذا هو حيوان اللاما .. إنه بمثابة الجمل لسكان الجبال في البيرو بأمريكا اللاتينية وهذا الحيوان يستطيع ان يحمل نحو ١٠٠ كيلوجرام لمسافة ١٧ ميلا في اليوم الواحد عبر جبال الانديز الوعرة .. والمواطنون يشربون لبنه ، ويأكلون لحمه ، ويستعملون صوفه في صنع منسوجاتهم » .

سمعنا هذه المعلومات يلقيها احد المسئولين في حديقة الحيوان بالكويت على اسماع عدد من الطلبة الصغار الذين كانوا يزورون الحديقة .. وعندما كان الطلبة يتنقلون من مكان الى مكان ، في الحديقة الواسعة التي تبلغ مساحتها ٢٠ فدانا ، كانت المعلومات عن الحيوانات ، التي يرونها امامهم تلقى عليهم في اسلوب علمي مبسط .

دور ثقافي وعلمي وترفيهي وسياحي

ان حدائق الحيوان تلعب الان دورا ثقافيا وعلميا كبيرا ، ويخطيء من يعتقد ان هذه الحدائق ليست الا وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية فقط . ويقول ابراهيم سليمان الدهيم رئيس قسم حدائق الحيوان في الكويت : « ان حدائق الحيوان اصبحت مراكز هامة للابحاث العلمية عن عالم الحيوان . كما انها ايضا تعتبر الملاجيء الاخيرة للكثير من الحيوانات والطيور البرية التي بدات في الانقراض ، بسبب استغلال الانسان لاماكن معيشة هذه الحيوانات ، وبسبب عمليات الابادة والصيد غير المنظم ، وكذلك التلوث الناتج عن التطور الصناعي .

ولهذا كله اصبحت حدائق الحيوان مراكز تربية



تفتح الحديقة ابوابها امام رحلات الطلبة والاندية الصيفية . ويقوم المسئولون في الحديقة بمرافقة هذه الرحلات في جولاتهم بالحديقة ويشرحون لهم مختلف المعلومات عن الحيوانات التي يشاهدونها .



في مدخل الحديقة وضعت خريطة تبين للجمهور مواقع الحيوانات المختلفة ، كما وضعت اسهم كبيرة تشير الى الطرق المؤدية الى الاماكن الهامة في الحديقة ·

واكثار لعدد كبير من الحيوانات التى بدات فى الانقراض ·

وهناك بعض الحدائق التى تضم عددا كبيرا من علماء الحيوان الذين يجرون ابحاثهم على الحيوانات فيسجلون معلومات جديدة عن السلوك ، والامراض التى تتعرض لها هذه الحيوانات البرية والتى لم يكن الانسان يعلم الكثير عنها من قبل ·

وتشرف حديقة الحيوان بمدينة فرانكفورت الالمانية على الرسائل المقدمة لنيل درجات الماجستير والدكتوراه فى علم الحيوان · »

المصريون القدماء اول من انشا حدائق الحيوان

ويقول الدهيم : « ان حدائق الحيوان ليست بدعة جديدة ، ولكنها عرفت منذ بدء التاريخ · واول من انشا حدائق للحيوان هم قدماء المصريين وقد ارسلت الملكة « حاتاسو » من الاسرة الثامنة عشرة بعثة صيد الى ارض البنط (الصومال حاليا) حيث قامت بجمع العديد من الحيوانات والزراف وارسلتها الى مصر حيث اقيمت اول حديقة حيوان فى العالم ، بغرض اقلمة هذه الحيوانات وتربيتها فى مصر » ·

« وفى القرن الثانى عشر قبل الميلاد قام الامبراطور الصينى « وين » مؤسس اسرة « شو » بتخصيص نحو ١٥٠٠ فدان لجمع الحيوانات من مختلف انحاء الصين وولاياتها · وكان يهدف بذلك الى غرض سياسى ، وهو ان يظهر لشعبه سيطرته على كافة الولايات بما تحوى من بشر وحيوان !! »

حديقة الحيوان فى الكويت افتتحت للجمهور فى عام ١٩٦٨

وانتقل الحديث مع « ابراهيم الدهيم » الى تاريخ حدائق الحيوان فى الكويت ·· اول حديقة حيوان هى حديقة سلوى ، وهى حديقة خاصة

الى اليسار: ببغاوات تسمى سكارلت ماكاو Scarlet Macaw وموطنها امريكا الجنوبية وتتميز بالوانها الجميلة الزاهية .

الى اليمين : حيوان اللاما، وموطنه امريكا الجنوبية وهو حيوان شديد التحمل، ويستطيع حمل اثقال تصل الى ١٠٠ كيلوجرام ويصعد التلال والجبال دون ان يتعب . ويعتمد عليه الفلاحون في نقل محصولاتهم بين جبال الانديز في بيرو بامريكا اللاتينية .

الى اليسار : هناك مشروعات جديدة سيتم تنفيذها في الحديقة الحالية. وفي الصورة مدير قسم حدائق الحيوان يتباحث مع احد المهندسين حول المشروعات التي ستقام في الحديقة .

الى اليمين : هذا الاسد ، ملك الغابة ، انه يحتفظ بكبريائه ، حتى وهو وراء القضبان. ان الحديقة تضم ١٠ اسود وسيتم انشاء حظائر جديدة لهذه الاسود في العام القادم .





توضع على اقفاص الحيوانات لافتات تحتوى على معلومات كاملة عن الحيوانات التى توجد داخل القفص وموطنها واسمها وتدون هذه المعلومات باللغتين العربية والانجليزية •



هذا الفيل اهدته حكومة الهند لحديقة الحيوان بالكويت فى عام ١٩٦٨ . وسيتم احضار فيل انثى فى العام القادم لتنضم اليه •

انشاها الشيخ جابر عبد الله الجابر محافظ الاحمدى •

وقد استمرت هذه الحديقة حتى عام ١٩٦٣ ثم قرر صاحبها التبرع بها للدولة للاستفادة بما فيها من حيوانات لتصبح نواة لحديقة حيوان عامة •

وبدات وزارة الاشغال فى اقامة حظائر مؤقتة للحيوانات ثم استعانت بالخبراء لعمل تصميمات لانشاء حديقة الحيوان الحالية • وفى شهر ابريل عام ١٩٦٨ تم افتتاح الحديقة للجمهور وكانت مساحتها فى ذلك الوقت ١٠ افدنة ، ثم اضيفت اليها مساحة ١٠ افدنة اخرى فى عام ١٩٦٩ •

وتضم الحديقة الحالية ٢٣٠ حيوانا تمثل ٧١ نوعا مختلفا • ويشرف عليها ٤ من الفنيين و ٢٠ من العمال لاعمال الزراعة ورعاية الحيوان •

١٥٠ الف زائر فى عام ١٩٧٣

وتدل الاحصائيات على ان دخل الحديقة قد بلغ ٦٠٤٥ دينارا فى عام ١٩٧٣ ، وقد بلغ عدد الزوار ممن الذين دفعوا رسوم الدخول ١٢٠ر٩٠٠ زائر ، وذلك عدا الاطفال وطلبة المدارس والمعاهد الخاصة والنوادى الصيفية والاجتماعية والذين لا تتقاضى منهم الحديقة رسم الدخول ، وبذلك يصبح عدد الذين زاروا الحديقة فى عام ١٩٧٣ يزيد على ١٥٠ الف شخص •

مشاكل

وحديقة الحيوان فى الكويت تعانى من عدة مشاكل لخصها لنا المسئولون عن الحديقة فى عدة نقاط هى :

× قسوة الطقس وشدة الحرارة فى الصيف ، والبرد القارس الصحراوى فى الشتاء ، وكذلك درجة الرطوبة التى تصل احيانا الى ١٠٠٪ فجاة مما يتسبب عنه مرض الحيوانات •

ولذلك فان الحيوانات الموجودة حاليا فى الحديقة



عقاب البادية Steppe Eagle واحد من مجموعة الطيور الكواسرالتي تضمها حديقة الحيوان فى الكويت، وهذا العقاب من آكـلـى اللحوم .

هى من بين الحيوانات التى تستطيع تحمل هذا الطقس القاسى وتستطيع التأقلم عليه .

× نقص الخبرات الفنيـة والايـدى العاملة المدربة فى مجال رعاية الحيوانات المختلفة .

× قلة المراجع باللغة العربية بالنسبة لعالم الحيوان ، واغلب المراجع الموجودة حاليا باللغات الاجنبية .

× عدم تعاون الجمهور مع سلطات الحديقة . فكثير من الزوار يلقون السجائر المشتعلة ، والزجاج المكسور ، والعلب الصفيح ، داخل اقفاص الحيوانات مما يؤدى الى اصابة الحيوانات واحيانا موتها ، وهناك ايضا بعض الزوار الذين يعطون الحيوانات فضلات المأكولات والتى قد تكون ملوثة فتصيب هذه الحيوانات بالامراض .

مشروعات لتحسين الحديقة الحالية

وقد تم اعتماد خطة للعمل على تحسين الحديقة الحالية ،والقضاء على المشاكل التى تتعرض لها . ومن بين هـذه المشروعات ارسال بعثات الى بريطانيا للتدريب على شئون رعاية الحيوانات البرية فى حدائق الحيوان الهامة فى بريطانيا ، وتستغرق فترة التدريب ٩ اشهر .

وقد اعتمدت المشروعات الخاصة بانشاءات عام ٧٦/٧٥ وتتضمن انشاء مبنى حديث للأسود يضم ١٠ اسود . وهناك ايضا مشروع لانشاء كازينو فى الحديقة يضم قاعة داخلية مكيفة الهواء وشرفة خارجية لجلوس الجمهور ويحاط المبنى ببركـة للطيور .

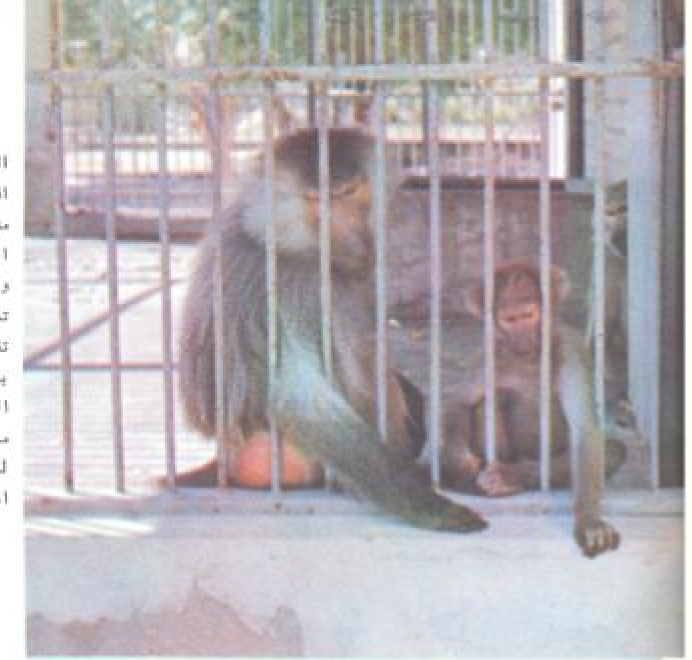
وسيتم ايضا انشاء مبنى حديث للفيل ، وقاعة كبيرة لعرض الافلام والقاء المحاضرات ، ملحق بها قاعة كبيرة تضم الحيوانات المحنطة ، ومبنى جديدا للغزلان .

حيوانات جديدة

وقد اتفقت الحديقة على استيراد عدد جديد من الحيوانات التى ستنضم الى الحيوانات الموجودة

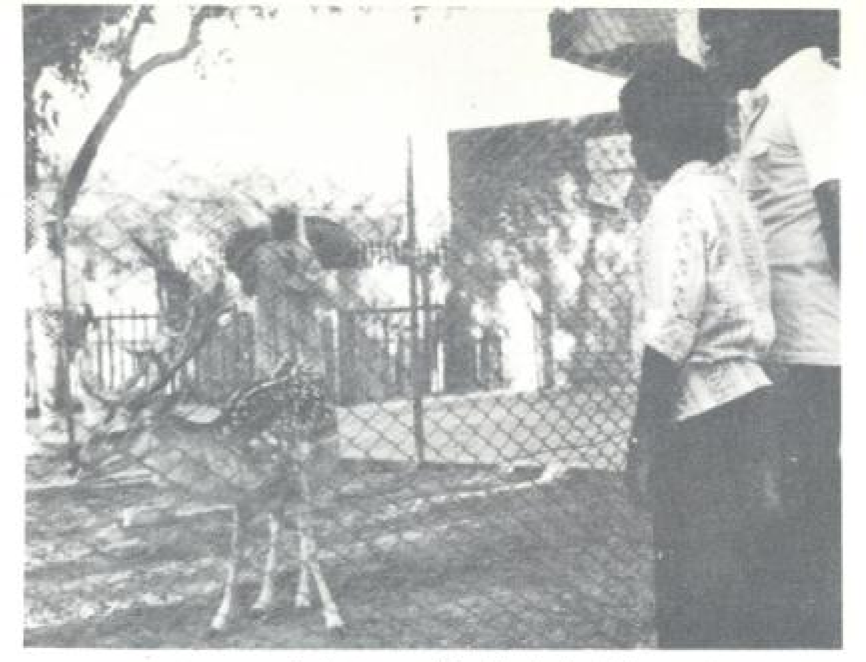
الي اعلي : مجموعة من الغزلان ٠٠ ان الحديقةتضم ٧١ نوعا مختلفا من الحيوانات والطيور والزواحف ٠ وستستقبل حيوانات جديدة خلال‌الاعوام القادمة ٠

الي اسفل : هذا الدب موطنه اسيا واوروبا ،تعود علي الجو البارد ولهذا فقد غطس في المياه محاولا ان يخفف من حرارة الجو ٠



الى اليمين : تلاقى القرود اقبالا من الجمهور على مشاهدتها ومعاكستها ويظن الناس ان القرد لا يؤذى ، وفى الحقيقةفان هذه القرود تستطيع ايذاء الاطفال فقد تقضم اصابعهم او تصيبهم باظافرها · وتتعرض القرودكثيرا لايذاء الجمهور مما يسببالعديد من المشاكل للمشرفين على حديقة الحيوان ·

الى اسفل : الجمهور وقد احتشد امام الزرافويدعى هذا النوع بالذات زراف ماساى Massai Giraffe وموطنه افريقيا · وقد اقيم فى الحديقةمبنى خاص للزراف يتسع لها · والزراف من الحيوانات الخطرة اذا اثيرت وهى تقوم برفس منيتعرض لها رفسات قاتلة ·



واحد من انواع الغزلان العديدةالتي تضمها الحديقة ، وسيتم في العام القادم انشاء مبنى جديد يضم الغزلان ٠

حاليا ٠ ومن بين الحيوانات التي ستصل قريبا فيل انثى وجمل ذو سنامين ، وحمار الوحش ،والكنغر، وشمبانزى ، والطاووس الابيض ٠

حديقة حيوان جديدة مساحتها مليون متر مربع

ويتم الان دراسة تفاصيل انشاء حديقة حيوان جديدة بالقرب من مطار الكويت الدولي ، وقد خصص لهذه الحديقة مساحة مليون متر مربع ، بناء على مشروع المخطط الهيكلي الجديد لمدينة الكويت ٠ وسوف يعهد الى احد البيوت الاستشارية العالمية بتخطيط هذه الحديقة الجديدة على احدث ما توصلت اليه حدائق الحيوان في العالم ٠ وستضم هذه الحديقة بركا صناعية ، واكواريوم للاسماك ، ومبنى للحيوانات الليلية يضاء بالاشعة تحت الحمراء ، ومتحفا للحيوانات ، وكازينوهات ، وقاعة محاضرات ٠

كما سيتم تكييف هواء غرف الحيوانات بحيث يمكن جلب حيوانات جديدة غير تلك الحيوانات التي تحتمل الجو الحار ٠ وسيبدأ العمل في تسوير وتشجير موقع الحديقة الجديدة في عام ١٩٧٥ ، وينتظر ان تفتح للجمهور في اواخر السبعينات ٠

نادي اصدقاء حديقة الحيوان

ومن بين المشروعات التي تتم دراستها حاليا ، تكوين ناد لاصدقاء حديقة الحيوان،بحيث يقوم هذا النادي بعمل محاضرات وعرض افلام عن الحيوانات من مختلف انحاء العالم ، ونشر الوعي بين الجمهور بالنسبة لمعاملته للحيوانات المعروضة في حدائق الحيوان ٠

ويقترح « ابراهيم النعيم » رئيس قسم حدائق الحيوان في الكويت انشاء جمعية تضم المسئولين عن حدائق الحيوان العربية ، لتبادل الخبرات والمعلومات العلمية والحيوانات ٠ وان تقوم هذه الجمعية باقامة مؤتمر سنوى يتم فيه تنسيق التعاون بين حدائق الحيوان في مختلف البلاد العربية ٠

■■

محمد طنطاوى



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

هل تسبب الهستريا شللا ؟

● الهستريا هل تسبب شللا ؟

ـ الهستريا حالةمن حالاتالاضطرابات الوظائفية للمخ،ينتج عنها حدوث اعراض وعلامات لامراض شتى يجعلها المريض تحدث لفائدة يرجوها ، دون وعى تام بالدافع الذى يدفعه لذلك ٠

فمثلا هذه الفتاة التىلاتريد ان تتكلم ولا يسمع كلامها الا همسا ـ ترى نفسها تقوم بهذا العمل ، لانها صدمت فى عزيز لديها ، فلا يمكنها ان تخرج صوتا ، ولكن اذا حدث لها ان تسعل وجدت للسعال صوتا ، وعندما تزول اسباب الصدمة ، ويشرح لها سبب توقف الصوت ـ تجد انها تعود لحالتها الطبيعية ٠

وتعود الهستريا الى اسباب تنشأ فى المحيط الذى يعيش فيه الفرد ، هذه الاسباب تساعد على وجود الشخصية الهستيرية،وتساعد على ذلك وجود عوامل خارجية تسبب الهستريا ، كما يشاهد فى حالات الجنود الذين يصابون بالمرض ، كذلك فى حالات الحوادث التى تحدث فى المصانع،والتى يطالباصحابها بتعويضات، ومن المشاهد ايضا ان الشخصية الهستيرية تنشأ حسب تربية الطفل ومعاملته وهديه الى الطريق الصحيح ، فهذا الذى يدعى المرض دائما ـ لانه خائف من ذهابه الى المدرسة ـ يمكن ان يبصر ، حتى لا يعود لهذه الافعال ، وهذه الابنة التى تساعد امها الكسيحة ترى نفسها يوما وهى مشلولة ، حتى تهرب من القهام بهذه العملية الشاقة اذا طالت ٠

وكذلك الحال عندما نجد اعراض آلام المتوفاة تظهر على ابنتها ، فهى تشكو من قلبها اذا كانت الام قد ماتت بسبب مرض بالقلب ، وتشكو من خدر فى طرفها اذا كانت الام قد ماتت من شلل ، وهكذا ٠

على ان حالات الشلل الهستيرية ، يمكن تمييزها من الشلل العادى ، لان العلامات تختلف ـ ويلاحظ عدم تحريك العضو المصاب امام المشاهدين ، وتحدث مقاومة عند تحريكه ، وتحركه المريضة اثناء النوم ، ويتبع ذلك اعراض اخرى لا تمت الى الشلل بصلة ٠

والاضطرابات النفسية المحيطة بالمريضة وما يصاحب ذلك من اعمال تدل

على وجودها ، على انه يجب ان لا تشخص الحالة من نوع الهستيرية الا بعد الكشف الدقيق والفحوصات اللازمة وان لا تشخص الحالة دائما وفي كل مرة كذلك الا بعد الكشف،خوف حدوث الشلل العضوى الصادق لا الهستيرى ــ وكم من حالات شخصت على انها هستيريا وهى فى الحقيقة من الامراض العضوية ٠

الم فى منتصف الفخذ

● **يشكو من الم من منتصف الفخذ الى اعلى الركبة ، مع الشعور بخدر، وهذا الالم يزداد مع المشى ، فما السبب ؟**

ــ هذا النوع من الالم يرجع حدوثه الى الضغط على العصب الذى يمد الجلد بالحس فى منطقة الفخذ الامامية والخلفية من الثلث الاوسط الى أعلى الركبة ــ اثناء مروره فى اغشية الجلد السميكة ٠ ــ ويلاحظ ذلك اكثر فى متوسطى العمر وذوى السمنة المفرطة ٠

وفى بعض الحالات يحس المصاب باحساس غريب : كالتنميل ، او كأن شيئا حارا يسرى تحت الجلد الذى به العصب المصاب او انه لايحس مطلقا بهذه المنطقة.ويلاحظ كذلك انه لايحس بالماء عند الاستحمام ٠ ولعل مايقلق المصاب انه يظن ان هذا بوادر شلل نصفى فيسرع الى الطبيب ومن المؤكد ان هذه ليست بوادر شلل ــ ولكنها نتيجة للضغط على العصب الذى يغذى هذه المنطقة ٠

والعلاج فى هذه الحالة هو انقاص الوزن ، مع اعطاء المسكنات فى حالة الألم الشديد ، اما اذا منع الالم المريض عن مواصلة عمله فانه تجرى له عملية بسيطه لرفع الضغط عن العصب ٠

دوالى الساقين

● **اعانى من الدوالى فى الساقين، اذ تسبب لى تورما فى القدمين ، يزداد عند المشى ، فما العلاج فى مثل هذه الحالة ؟**

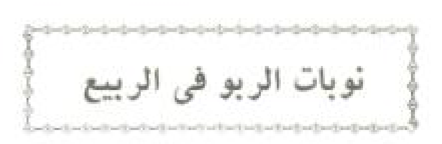
ــ الدوالى او تمدد الاوردة فى الساقين ينتج عن حدوث انسداد فى الاوردة فتتمدد الاوردة الباقية ، ليتحول اليها الدم الذى منع من السير فى الاوردة المسدودة ، وتنتج كذلك من عدم تكافؤ الصمامات التى على الاوردة ، فيبقى الدم فيها ، ولا يندفع الى اعلى كالمعتاد بسرعة ، فيسبب تمددا بها ٠ وكذلك اذا كان هنالك ضغط داخل البطن فانه يمنع صعود الدم الى اعلى بالسرعة المطلوبة

فتتمدد الاوردة ، كما يحدث ذلك فى الحمل عند الاناث ، وتكثر الدوالى فى السيدات الحوامل ، ويزداد تمددها كلما مر على الحمل فترة اطول ، وتزداد سوءا بتكرار الحمل ، علاوة على هذا التمدد فان المريضة تحس بألم شديد عند المشى ، ويزداد انتفاخ الاوردة وكذلك يحدث تورم فى الساقين والتهاب الساقين فى هذه الحالة يحدث بسهولة ، نتيجة لالتهاب الاوردة المتمددة ·

وكذلك يسهل الانسداد فى هذه الاوردة مما يسبب آلاما مبرحة وتورما فى معظم الساق المصابة ، والوقوف لفترة طويلة يزيد من انتفاخ الاوردة·اما النوم فيقلل منها ·

والعلاج فى هذه الحالة اذا كانت الدوالى فى بادىء امرها هو كبسولات الجليفينول (Glyvencl) فهى تساعد على تحسن الحالة مع لبس جوارب خاصة تضغط على الاوردة وتساعد على سريان الدم الى اعلى بسرعة،فلا تتمدد الاوردة، ثم رفع الساقين اثناء النوم الى اعلى ·

على انه فى بعض الحالات المتقدمة تحقن الاوردة المنتفخة بمادة تساعد على انسدادها ولا تتورم ، شريطة ان تكون الاوردة العميقة متفتحة ، وفى بعض الحالات الاخرى تجرى عمليات خاصة عليها لاستئصالها وقبل هذا تعمل الفحوصات اللازمة للتأكد من ان المريض سيستفيد من اجراء العملية ·



نوبات الربو فى الربيع

· ● تعترينى نوبات ربو شديدة فى شهرى ابريل ومايو ، فما السبب وما العلاج ؟

– فى شهر ابريل ومايو يكون الربيع، ويكون الازهار على اشده مما يسبب انتشار حبوب اللقاح فى الجو وكثرة الزهر التى تسبب الحساسية ·

والملاحظ ان نسبة المرض بالحساسية تزداد فى هذين الشهرين ، فتكثر الاكزيما الجلدية ، والحساسية فى الانف،والعينين · والربو يتأثر بالحساسية،اذ انه لو تعرض المريض لهذه الحساسية فانه يزيد من افراز الغشاء المخاطى المبطن للشعيبات الهوائية وتقلص العضلات التى توجد فى هذه الشعب ، مسببا ضيقا فيها ، وعدم القدرة على خروج الهواء من الرئتين ، مع حدوث سعال شديد يزيد من ضيق الشعيبات ، وصعوبة التنفس ولا تقل مدة الصعوبة الا بعد ان يخرج المريض الافراز الذى يسد الشعيبات الهوائية وهذا لايحدث الا بعد السعال الشديد ·

والعلاج فى مثل هذه الحالات هو عدم التعرض لمثل هذه الزهور ، واخذ المصل المضاد بالتدريج ، حتى لايكون الشخص عرضة لحدوث النوبات الشديدة ، ومع ذلك يعطى الاقراص الموسعة للشعيبات الهوائية مثل الافيدرين فى الوريد ، وكذلك تعطى الحبوب المضادة للحساسية مثل البريتون والبولارامين وفى الحالات الشديدة تعطى مركبات الكوتيزون · ■■

تاريخ علم الحساب

الكتاب الأول : حساب أبي الوفاء

بقلم : الدكتور احمد سليم سعيدان

■ ماذا كان دور الفكر الاسلامى فى تكوين تيار الفكر العالمى ، وصرح المعرفة الانسانية ، هذا الصرح العظيم الذى نراه فى تكنية عصر الفضاء وانجازاته ، اى ركن بناء الاسلام فيه ؟ وما القيمة النسبية للركن الاسلامى بالقياس الى مابنى قبله ومابنى بعده من اركان ؟

اسئلة كثيرا ما استحوذت على تفكيرى واستأثرت باهتمامى ، ولقد ايقنت ان الجواب السليم عن اسئلة كهذه ينبغى ان تتوافر فيه خصائص لايستقيم الا بها ، وخصائص بها يحسن ويتحلى بالجودة • فمن الخصائص التى لايستقيم الجواب الا بها : الموضوعية التى تتحرى الحق ، والحق وحده، لاتنساق مع عاطفة ولا تجارى هوى • ومنها العلمية التى ترفض كل كلام غير ذى مضمون وترفض كل منطق لايقوم على دليل مقبول ولاترضى بمبالغة او تهويل •

ومن الخصائص التى بها يحسن الجواب : الشمول الذى يستوعب شتى مجالى الفكر من علم وفلسفة وادب وفن وعمران • ومنها الديناميكية التى تفتح بالجواب افاقا للبحث والتقصى تجعل القارىء كمن يقف على معين جار ينهل منه ماشاء وانى شاء •

٦ ملايين مخطوطة عربية

وغنى عن البيان ان الجواب الذى يحدد بالدقة دور الفكر الاسلامى فى تكوين تيار الفكر العالمى ويتسم بالموضوعية والعلمية والشمول والديناميكية جواب لايتأتى لشخص واحد ولايكفى للاضطلاع باعبائه تخصص واحد • فهو مثلا محتاج الى استقاء الحقائق من مصادرها الاولية • فاذا ذكرنا ان فى مكتبات العالم قرابة ستة ملايين مخطوطة عربية تصل بمجموعها ، اذا استبعدنا النسخ المكررة ، الى ستمائة الف كتاب مختلفات ، منها فى الرياضيات وحدها ، على سبيل المثال ، حوالى الف ، لم يدرس منها اكثر من مائة دراسة علمية محققة تعطى القارىء فكرة عن مضمونها ، ادركنا ضخامة المهمة التى ينطوى عليها الجواب ، ناهيك عن مئات الالوف من المخطوطات اللاتينية التى هى ترجمات او اقتباسات من كتب عربية فقدت اصولها ، وان هذه المخطوطات اللاتينية لم يقيض بعد لها من يعنى بها ، لافى الشرق ولا فى الغرب •

علم الحساب العربى له أصول ثلاثة

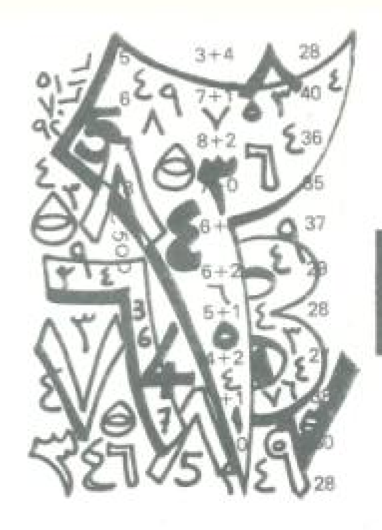
ولكن اذا تعذر على شخص واحد ان يعطى الجواب الشامل الذى يستوعب كل مجالى الفكر ، فقد لايتعذر على متخصص فى تاريخ الرياضيات ان يحاول تحديد مكانة الرياضيات الاسلامية من البنيان الرياضى العالمى تحديدا فيه العلمية والموضوعية والديناميكية • من هذا المنطلق جرى

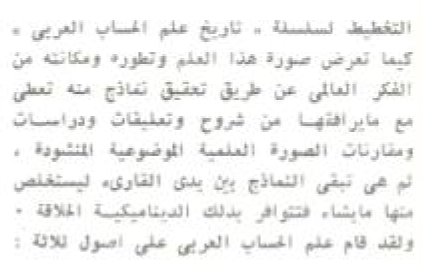
العربيّ

تخطيط



الكتاب الثاني : فصول الإقليدسيّ





التخطيط لسلسلة « تاريخ علم الحساب العربي » كيما تعرض صورة هذا العلم وتطوره ومكانته من الفكر العالمي عن طريق تحقيق نماذج منه تعطى مع مايرافقها من شروح وتعليقات ودراسات ومقارنات الصورة العلمية الموضوعية المنشودة ، ثم هي تبقى النماذج بين يدى القارىء ليستخلص منها مايشاء فتتوافر بذلك الديناميكية الخلاقة •
ولقد قام علم الحساب العربي على اصول ثلاثة :

اولها حساب اليد : وهو الحساب الموروث ، اى النظام الحسابي الذى لقيه العرب عند الفرس والروم البيزنطيين •

وثانيهما الحساب الهندى : وهو نظام حسابي اكتشفه العرب عند عامة الهنود وتجارها فتبنوه وعدلوه ونشروه •

وثالثها مجموعة الافكار الاغريقية فى الجبر وخصائص الاعداد، مما وصل الى الفكر الاسلامي بعد نقل كتب الاغريق الى العربية •

فكان طبيعيا ان يكون الجزء الاول فى سلسلة « تاريخ علم الحساب العربي » عن حساب اليد ، وان يكون الجزء الثانى عن الحساب الهندى • والامل معقود على الفراغ من الجزء الثالث ، وهو بتتبع الاصول الاغريقية فى الحساب العربي •

حساب اليد

أما حساب اليد فكان على الارجح خلاصة المعارف الحسابية التى شاعت عند البابليين والاغريق وانحدرت الى الفرس والروم • ان فيه من السلم الستيني البابلي الذى ترقى فيه منازل الاعداد على نحو ماتزال عليه وحدات الزمن عندنا ترتقى من ثوان الى دقائق الى ساعات • كما ان فيه من التعديل الاغريقي لهذا النظام : اذ لايشار الى الاعداد بالرموز البابلية وانما بالابجدية الاغريقية • فلما اخذ العرب بهذا النظام كان طبيعيا ان يستعملوا الابجدية العربية فى ترقيمهم•فاستعملها المشرق العربي بالترتيب : « أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ » فحروف الالفاظ « ابجد هوز حطى » ترمز بالترتيب الى الاعداد من الواحد الى العشرة • وتليها الحروف « كلمن سعفص » التى ترمز الى العشرات من عشرين الى تسعين ثم تليها حروف المئات « قرشت ثخذ ضظغ » من مائة الى الف •

اما المغرب العربي فقد درج على اتخاذ الابجدية العربية بترتيب يخالف الترتيب المشرقي بعض المخالفة ومن ثم نجد دلالات بعض حروف العشرات والمئات فيه غير مانجد فى المشرق العربي •

ومهما يكن من امر فاننا نجد هذا الترقيم الابجدى فى جداول الفلكيين والمنجمين والجغرافيين والمؤرخين وقلما نجده فى كتاب الحساب • ذلك ان الحساب كانوا يسمون الاعداد باسمائها ويجرون عليها العمليات الحسابية بطرق عقلية كالتى

نجدها عند الاميين . وكالاميين قد يستعملون اصابع اليدين فى اجراء بعض عمليات الحساب . ولكن مالهذا السبب سمى هذا النظام الحسابى بحساب اليد : لقد كان العرب الاوائل يسمونه الحساب او صناعة الحساب دون تمييز لانه كان هو النظام الوحيد الذى يعرفون ، فما الحاجة اذن الى التمييز ؟ وانما دعت الحاجة الى هذا التمييز عندما اخذ النظام الهندى بالانتشار فى العالم العربى فميزوا الحساب الاصيل بتسميته حساب اليد او الحساب الهوائى او حساب الروم والعرب او حساب العقود ، كما ميزوا الحساب الدخيل بتسميته حساب الهند او الحساب الهندى او حساب التخت والتراب او حساب الغبار لاسباب ستجلوها بعد قليل .

لماذا سمى بحساب اليد ! ؟

ولعلنا نستطيع ان نقدر ان الحساب الاصيل سمى بالحساب الهوائى لانه كان يجرى عقليا كانه « على الهواء » . وكذلك سمى هذا النظام بحساب الروم والعرب لان البيزنطيين والعرب كانوا يستعملونه من قبل ان يفد عليهم ذلك النظام الدخيل القادم من الهند . اما سبب تسميته بحساب اليد وحساب العقود فيتضح مما يلى :

لنفرض ان الحاسب يريد ان يضرب ثمانية واربعين فى تسعة وستين :

انه يعرف ان العملية تنطوى على اربع ضربات : ثمانية فى تسعة ، وثمانية فى ستين ، واربعين فىتسعة واربعين فى ستين . ومجموع النواتج هو الجواب المطلوب . فكيف يحصل على هذا المجموع ؟

ثمانية فى تسعة بالثنين وسبعين ، فهو يعقد اصابع يديه بشكل مميز يدل على اثنين وسبعين ، وثمانية فى ستين باربعمائة وثمانين ، ومع الاثنين والسبعين المعقودة على الاصابع يصبح المجموع خمسمائة واثنين وخمسين ، فيغير العقد ليشير الى هذا المجموع . وهكذا حتى نهاية العملية ، كلما حصل على مجموع جديد عقده على اصابع يديه . وقد كان الحاسب يستطيع ان يعقد اى عدد صحيح على اصابعه .

لهذا سمى هذا النظام الحسابى بحساب اليد او حساب العقود .

اما كيف كانت هذه العقود بالضبط فكتب الحساب لاتصفها اذ تعتبرها معروفة مالوفة ،ولهذا لانجد لها وصفا الا فى كتب قليلة متاخرة حينما اخذ استعمالها يندر ولم يعد الناس يتعلمونها كابرا عن كابر . ومن اوائل من وصل الينا وصفهم للعقود حاسب من القرن الرابع عشر الميلادى اسمه « على بن المغربى » وصفهابمنظومة نجتزىء منها هذه الابيات :

اعلم بان عقدك الاحادا
خصوا بها ثلاثة افرادا

فخنصر وبنصر ووسطى
وذاك فى اليمين فاعلم ضبطا

فواحد : ابسط يديك واخصر
وركب الخنصر فوق البنصر

وضم فى الاثنين من كليهما
من غير تغيير لذاك فاعلما

* * *

والعشرات باأخا النجابة
خصوا بها الابهام والسبابة

وتلك ايضا منك فى اليمين
فكن من الضبط على يقين

واعلم اذا اردت عقد العشرة
فانها كجامة مدورة

وضع لدى العشرين ابهام اليد
فى العقد تحت اصبع التشهد

* * *

ثم اعقد المئات فى الشمال
كالعشرات فاستمع مقالى

ثم اعقد الالوف كالاحاد
فى يدك اليسرى على انفراد

اقسامها ثلاثة مدبرة
وسطاك والخنصر يتلو بنصره

تركيبها ان كنت ممن يعرف
كعقدك الاحاد لايختلف

* * *

الكسور في حساب اليد

فكان اعقد مافي حساب اليد نظامه الكسري ، فقد كان يشتمل على ثلاثة انواع من الكسور :

اولها كسور الستين ، وهي كالدقائق والثواني والثوالث ، تتناقص بمنازل ستينية كما تتناقص كسورنا العشرية على سلم عشري • وكسور الستين اساسية في حساب اليد ، واليها كانت تحول الكسور الاخرى عندما يراد اجراء العمليات الحسابية عليها •

والنوع الثاني من الكسور كسور محلية تشتق من الوحدات الدارجة للعملة او الوزن او الكيل• فحيث يكون الدانق سدس درهم والحبة ثمن دانق تستعمل لفظة دانق لتدل على السدس اطلاقا وتستعمل لفظة الحبة لتدل على جزء من ثمانية واربعين •

والنوع الثالث من انواع الكسور تسميه الكتب بالكسور العربية ، وهو يعترف بتسعة الفاظ للكسور يكاد يمنع استعمال غيرها ، وهي النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر ، فكل كسر ينبغي ان يعبر عنه بدلالة هذه الالفاظ ، بترتيبها : الاكبر فالذي يليه :

فالكسر ١ على ١٢ يعبر عنه بالصورة : نصف سدس • اما الكسر ١ على ١١ فلا يمكن ان يعبر عنه بالدقة بدلالة الالفاظ التسع ، ولذا يسمى اصم ، ويجرى التعبير عنه بالتقريب ، ولقد وضع العرب لهذا التقريب مبادىء ذات قيمة في تاريخ الرياضيات •

ومهما بدا في حساب اليد من غرابة فينبغي ان نذكر انه هو النظام الذي تناوله العرب عن الروم والفرس وانه هو الذي اشتقوا منه مااشتقوا من أسس الجبر والفروع الرياضية الاخرى •

العرب أول من كتب في حساب اليد

ولعل العرب كانوا اول من كتب الكتب في شرح هذا النظام فالمعروف ان الاغريق لم يعنوا بالعمليات الحسابية باعتبارها مما يتعلمه الصبيان ، ومنهم انتقلت هذه النظرة الى البيزنطيين والفرس • وربما كان اول من كتب في حساب اليد ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي ، في النصف الاول من القرن التاسع الميلادي • وقد فقد كتابه كما فقدت كتب اخرى كثيرة كتبت بعده ، ولكن احسن مابقي لنا من كتب حساب اليد كتابان : احدهما « لابي الوفاء البوزجاني » ، من علماء القرن العاشر الميلادي ، والثاني « لابي بكر محمد بن الحسن الكرجي » من حساب القرن الحادي عشر الميلادي • ولقد كان البوزجاني فلكيا رياضيا كبيرا حقق منجزات قيمة ، ولا سيما في علم المثلثات ، ولعله في كتابه في حساب اليد قد حقق الكثير مما استهدفه وهو وضع حساب اليد على اسس رياضية سليمة وتخليصه من اخطاء تقليدية علقت به على مدى الاجيال •

ولم يكن الكرجي (ويسمى ايضا الرخي) كالبوزجاني من حيث المقدرة الرياضية ولكن كتابه (وقد سماه الكافي في الحساب) شاع اكثر لانه كان اوجز ، ودليل شيوعه ان شروحا كثيرة وضعت له

ولقد جعل الكتاب الاول من سلسلة « تاريخ الحساب العربي » هو كتاب ابي الوفاء ، لا لان ابا الوفاء اعلى مرتبة من الكرجي ، بل لان كتابه له اهمية تاريخية خاصة يدل عليها اسمه الكامل وهو : « فيما يحتاج اليه الكتاب والعمال وغيرهم من صناعة الحساب » ، فهو اذن اشبه بدليل يقدم المادة الحسابية اللازمة لكل ذي حرفة ، ومن ثم فهو يهم الدارسين لتاريخ الرياضيات في القرن العاشر الميلادي ولما للرياضيات من علاقة بالمجتمع الاسلامي في هذا العصر كما انه يكشف عن نواح ادارية في هذا المجتمع لانجدها في كتاب اخر ، ومن ثم فان توافر صورة محققة منه يؤمل ان يفتح افاقا للبحث يرتادها الدارسون •

وكتاب ابي الوفاء ، كالكتب الاخرى في حساب اليد : فصوله الرئيسية هي النسبة والضرب والقسمة ، وتحتها ينضوي البحث في الانظمة الكسرية • ولكن كتاب ابي الوفاء يختلف عن الكتب الاخرى من نواح هامة : اولها انه يجعل صفحاته الاولى اشبه بجداول وقواعد عامة لتحويل الكسور بعضها الى بعض ، وربما كان ابو الوفاء في هذا يشق طريقا جديدا يحاول به ان يبسط مهنة الحساب على الحاسب • والامر

الثاني الذى يختلف فيه كتاب ابى الوفاء عن الكتب الاخرى فى حساب اليد انه يضم من التطبيقات العملية ما لانجده فى غيره . فهو فى سبعة اقسام يسميها المؤلف منازل . تعرض المنزلتان الاوليان منها المبادىء الحسابية العامة وتعرض الخمس الاخرى التطبيقات التالية :

١ ـ حساب المساحات والحجوم .

٢ ـ حساب الخراج وانواع الضرائب الاخرى .

٣ ـ حساب البيع والشراء والرواتب والبريد ومايجرى مجراها .

٤ ـ حساب الاوزان والموزونات والعمل والعمال وما الى ذلك .

٥ ـ حساب الكيل والمكيلات .

وجدير بالذكر ان الكتاب رغم ضخامته لايعرض مادة الجبر التى نجدها فى مثيلاته من الكتب . ولابى الوفاء عذره فى ذلك ، انه افرد لعلم الجبر كتابا خاصا ، ولكن كتابه هذا لم يصل الينا ، فكان لابد من عرض مادة الجبر فى كتاب الكرجى كيما توضع امام القارىء صورة كاملة لحساب اليد بفروعه المختلفة .

وقد جاء نص كتاب ابى الوفاء فى ٣٠٤ صفحات سبقتها مقدمة عن تاريخ الرياضيات عامة قبل ابى الوفاء وعن مكانة كتابه هذا فى سجل التاريخ ، وتلتها شروح وتعليقات ومقارنات بما فى كتاب الكرجى وبما يذكر شراح هذا الكتاب فكان هذا كله فى حوالى ٦٤ صفحة تكمل مع النص ٣٦٨ صفحة يسعدنى ان قد قدمتها الى المكتبة العربية لتكون تحت متناول الباحثين والدارسين .

الحساب الهندى

واما الحساب الهندى ، وهو كما سبق ، الركن الثانى من الاركان التى قام عليها علم الحساب العربى ، فله مع العالم الاسلامى قصة طريفة يجلوها الكتاب الثانى فى سلسلة « تاريخ علم الحساب العربى » وهو كتاب الفصول فى الحساب الهندى،لابى الحسن احمد بن ابراهيم الاقليدسى .

فى سنة ١٥٤ هجرية وفد على بلاط الخليفة المنصور منجم هندى يحمل كتابا لفت اليه الانظار. فانبرى اثنان من منجمى المنصور لنقل مادة هذا الكتاب الى العربية هما يعقوب بن طارق، ومحمد بن ابراهيم الفزارى . فكان ذلك بدء صلة العرب بالفكر الهندى ، وبدء محاولات طويلة مضنية اضطلع بها الفكر الاسلامى الا وهى محاولات التوفيق بين المعارف المتفاوتة المنتشرة فى العالم الاسلامى وحواليه من فارسية وبيزنطية وهندية .

وفى عصر المأمون بدأ الفكر العربى يتنبه الى قيمة الفكر الاغريقى ومزاياه فكان ان بدأت الجهود للتعرف على هذا الفكر وربما كان اولها مهمة اسندت الى محمد بن موسى الخوارزمى ، وهى التوفيق بين الانظمة الفلكية المختلفة من هندية وفارسية واغريقية ، فى سبيل وضع علم فلكى اسلامى يشمل احسن مافيها . ولدينا مما وصل الينا من كتب الخوارزمى دليل قاطع على انه لم يصب فى هذه المهمة سوى نجاح جزئى . الا ان الخوارزمى قد اصاب نجاحا فى ميدان آخر هو ميدان الحساب .فان صلته بالهنود والفكر الهندى جعلته يكتشف لديهم نظاما حسابيا غير معروف فى العالم العربى فكتب فيه كتابا ذاع صيته . ولقد فقد كتاب الخوارزمى الا ان لدينا عدة مخطوطات لاتينية تجمل محتوياته ، ومن هذه المخطوطات نستطيع ان نقول ان ماوصفه الخوارزمى فى كتابه انما هو نظام هندى ، ولكنه يخالف ماشاع فى العالم الاسلامى باسم الحساب الهندى سواء فى صور الارقام او فى تفاصيل العمليات الحسابية .

اما هذا الحساب الهندى الذى شاع فى العالم الاسلامى فلدينا كتب كثيرة تصفه ومنها مايسميه بالحساب الهندى او حساب الهند ومنها مايسميه بحساب التخت او التراب او الغبار . وسبب هذه التسميات يكشفه لنا كتاب الفصول فى الحساب الهندى للاقليدسى . فمنه يتبين لنا ان الحساب الهندى الذى شاع فى ديار الاسلام كان يستعمل معه تخت يرش عليه الرمل ثم تخط الاعداد على الرمل بميل خاص او بالاصابع والاعداد تكتب باستعمال ارقام تسعة تختلف صورها الا ان اكثر هذه الصور شيوعا فى العالم الاسلامى مجموعتان:

المجموعة الاولى انتشرت فى المشرق وصورها

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩

والمجموعة الثانية انتشرت فى المغرب العربى وصورها

1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9

والمجموعة الاولى هى التى اعطتنا الارقام

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩

والمجموعة الثانية هى التى اعطتنا الارقام

1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9

وسواء استعملنا المجموعة الاولى او الثانية فان الرقم تتغير قيمته حسب المنزلة التى يكون فيها فالواحد هو واحد فى منزلة الاحاد وهو عشرة واحدة فى منزلة العشرات وهى مائة فى منزلة المئات . وهكذا فاذا خلت منزلة من رقم وضع فيها صفر ليدل عليها . وقد كانت صورة الصفر فى الاصل « دارة صغيرة » ثم هو تضاءل فى المشرق العربى حتى صار نقطة فى حين انه احتفظ بشكله الدائرى فى المغرب العربى .

ولم يكن التخت والرمل مجرد بديل عن الورق والحبر وانما كانت العمليات الحسابية فى النظام الهندى تجرى على اساس المحو والنقل فلجمع ٧٤ و ٥٣ مثلا يكتبان على التخت على هذا الوجه :

٧٤
٥٣

ثم يجرى الجمع منزلة منزلة : ٣ + ٤ = ٧ فتمحى الاربعة ويوضع مكانها ٧ .

٥ + ٧ = ١٢

فتمحى السبعة ويوضع مكانها ١٢

ويبقى على التخت ١٢٧
٥٣

اما اذا اريد ضرب هذين العددين احدهما بالاخر فيكتبان على هذا النحو : ٧٤
٥٣

ثم تضرب ٧ فى ٥ فالناتج ٣٥ ويكتب فوق الخمسة فيصبح على التخت

٣٥٧٤
٥٣

ثم تضرب ٧ فى ٣ ، والناتج ٢١ ينبغى ان يكتب فوق الثلاثة : فتمحى السبعة ويوضع مكانها ١ ، ويضاف ٢ الى الخمسة فيصبح على التخت

٣٧١٤
٥٣

والان ينبغى ان يزحف العدد ٥٣ منزلة الى اليمين فيصبح الترتيب :

٣٧١٤
٥٣

الان تضرب ٤ فى ٥ ، والجواب ٢٠ يضاف الى مافوق ٥ فيصبح السطر العلوى ٣٩١٤ ثم يضرب ٤ × ٣ والجواب ١٢ يوضع فوق ٣ فيصبح السطر العلوى ٣٩٢٢ وهذا هو حاصل الضرب المطلوب .

وواضح ان هذا النحو من الحساب يفتقر الى عنصر اساسى من عناصر الكمال ، بالاضافة الى انه يعتمد على الكتابة بالرمل ، وماتنطوى عليه من نقائص . هذا العنصر الاساسى هو ان خطوات الحل تمحى فلا يبقى ثمة مجال لمراجعتها او رؤيتها ككل فى سبيل تعديلها او تطويرها . لذا مالبث العرب ان تعرفوا على هذا النظام حتى اخذوا يعملون على تعديله .

كتاب الفصول للاقليدسى

واقدم كتاب وصل الينا فى الحساب الهندى هو كتاب الفصول للاقليدسى الذى نقدمه فى الكتاب الثانى من سلسلة « تاريخ علم الحساب العربى » ، وقد كتبه مؤلفه سنة ٣٤١ هـ فى دمشق .

وكتاب الفصول هو فى الواقع اربعة كتب : اولها يعرض الحساب الهندى كما تعرضه الكتب الاخرى : عمليات متتالية فى فصول متتابعة تعرض : الجمع فالطرح فالضرب فالقسمة فالجذور، للاعداد الصحيحة ثم للمقادير الكسرية ، ومع هذه

العمليـات نجد عمليات الميـزان بطريقـة طرح التسعات • فاذا فرغ المؤلف من ذلك انتقل الى الفصل الثانى فتناول هذه الموضوعات نفسها على مستوى اعلى محاولا ان يدخل فيها كل شىء فى حساب اليد يجده حسنا يستحق ان يحتفظ به •

اما الفصل الثالث فيورد فيه تعليله لخطوات الحل التى يصادفها القارىء فى الفصلين الاولين كما يورد فيه اسئلة يسالها الذين يتعلمون الحساب الهندى واجوبته عنها •

ولعل الفصل الرابع هو من وجهة نظرنا اهم مافى هذه الفصول • انه يقترح تعديلات للحساب الهندى تحتفظ باحسن مافيه ولكنها فى الوقت نفسه تخلص به من التخت والرمل والمحو • ولقد اصاب الاقليدسى بعض التوفيق فى تعديلاته هذه، ولكن المجتمع العربى ظل من بعده خمسة قرون يحاول ان يشيع الحساب الهندى معدلا ، وربما كان المغرب اسرع من المشرق فى الخلاص من التخت .

وكتاب الاقليدسى لم يقع عليه الاختيار لفصوله الاربعة فقط ولكن لانه ينطوي على حقائق كثيرة لم تكن معروفة من قبل ، ولعل ابرز هذه الحقائق ان الاقليـدسى منذ القـرن العاشر الميلادى كان يستعمل الكسور العشرية التى يعزى اكتشافها الى ستيفن الذى وضع عنها سنة ١٥٨٥ كتيبا لم يستطع فيه ان يرتفع فوق مستوى الاقليدسى الذى سبقه بستة قرون •

وفى كتاب الفصول نجد الاقليدسى يتوسع فى حسـاب المكعبات والجذور التكعيبيـة ويذكر ان الكتب السابقة لاتعطى القارىء عنها شيئا او لاتعطيه عنها الا القليل • فطريقة الاقليدسى هذه فى ايجاد الجذر التكعيبى صـارت بعـد قرن من الزمان منطلقا لعمر الخيام لايجاد الجذور الاخرى : الرابع فالخامس ومابعدهما بعد ان تحقق له وضع ماصـار يسمى فيما بعد بمثلث بسكال وهو متواليات المعاملات فى مفكوك (س + ص) ن •

وثمة عشرات من الطرائف الاخرى فى فصول الاقليدسى • وقد بلغ الكتاب ٥٣٦ صفحة منها مقدمات باربعة واربعين صفحة • اما النص فيملا الصـفحات ٤٥ الى ٤٣١ ويلي ذلك تعليقـات ودراسات • ولقد قامت لجنة الترجمة والتعريب والنشر الاردنية بطبع هذا الكتاب •

بقى من حق القارىء على ان اؤكد له اننى اعمل جادا على الفراغ من الكتاب الذى يغطى الركن الثالث والاخير من اركان علم الحسـاب العربى ، وفيه ساستعرض المنجزات العربية فى الحساب والجبر انطلاقا من الفكر الاغريقى •

■■

احمد سليم سعيدان
الجامعة الاردنية

ثلاث

● قال مالك بن انس :كنا عند جعفربن محمد الباقر ، فدخل سفيان الثورى ، وقال لجعفر: « حدثنى رحمك الله » فقال:« اعلمك ثلاثا هن خير لك من مال كثير : يا سـفيان ، اذا انعم الله عليك بنعمـةفاكثر من الحمد لله ، فان الله تعالى يقول (لئن شـكرتم لازيدنكم) • واذا قلتتفقتك فعليك بالاستغفار ، فانه يزيد من المال والولد والنعمـة ، قال اللـه تعالى(استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال‌وبنين) واذا اشتد بك كرب فعليك بلا حول ولا قوة الا بالله ،فانها كنز من كنوزالجنة » •

فجعل سفيان يقولها ويعيدها ويقول :« ثلاث ، واى ثـلاث ؟ » فقال جعفر : « قد ـ والله ـ عقلها وفهمها » •

أمراض شائعة

الروماتيزم

مرض من أكثر الأمراض شيوعاً وأسبابه لا تزال مجهولة

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

■ ليس الروماتيزم مرضا قائما بذاته ، ولكنه اسم يطلق على مجموعة كبيرة من الامراض ، هى روماتيزم المفاصل،والعضلات والانسجة،وروماتيزم المفاصل الصغيرة ، وعرق النسا واللمباجو ... وغيرها ، مما يعرف علميا باسم « امراض النسيج الضام » .

والروماتيزم بهذا الوصف الشامل هو اكثر الامراض شيوعا وتزداد مضايقاته بتقدم العمر ، ونحو ٢٪ من المصابين باحد الامراض الروماتيزمية يعجزون تماما عن العمل غير انه يندر ان تحدث الوفاة بسبب احد هذه الامراض .

ولقد دلت الاحصائيات على انه فى العام الماضى وحده تسبب الروماتيزم فى عجز مليون بريطانى عن العمل مما سبب خسارة فى الانتاج بلغت ١٩ مليون جنيه استرلينى ، واحصى الوقت الضائع عن العمل فاتضح انه ١٩ر٣٥ مليون يوم ، وظهر ان الامراض الروماتيزمية هى الثانية ـ بعد الحوادث ـ بالنسبة لكثرة عدد المصابين ، والثانية بعد النزلات الشعبية بالنسبة لعدد الايام الضائعة . ولقد تبين ايضا ان ١٠٪ من جهد الاطباء يبذل فى تشخيص وعلاج الامراض الروماتيزمية .

وليس ذلك مقصورا على انجلترا وحدها ، بل انه يتجاوزها الى كثير من الدول الاوروبية والامريكية.وعلى الرغم من انه تعوزنا الاحصاءات بالنسبة لهذا المرض فى بلادنا العربية فان عددا كبيرا من المواطنين عندنا يقاسون من آلامه ولعل اسرافنا فى تناول الاطعمة الدسمة والحريفة يلعب دورا كبيرا فى هذه الناحية .

سبب الروماتيزم مجهول !

ولا يزال منشأ الروماتيزم مجهولا ... وهو يبدأ بآلام هينة محتملة فى مفصل او عدة مفاصل قد تشتد فيتورم موضعها ، فاذا اهملت ترتفع درجة الحرارة وتزيد سرعة ترسيب الدم وتظهر اعراض الضعف والانيميا وينحصر العلاج فى :

١ ـ الراحة والتدفئة .

٢ ـ العناية بالتغذية .

٣ ـ استعمال عقاقير الروماتيزم المعروفة والمهدئات .

ويقصد بالراحة في الحالات البسيطة عدم تحريك العضو المصاب ـ بقدر المستطاع ـ حتى تزول الالام . وعند استعمال الدهونات والمروخات ينبغي استخدامها برفق وعدم التدليك بعنف .

اما في الحالات الشديدة فينبغي ملازمة الفراش حتى تزول كافة الاعراض وقد تمتد فترة الراحة الى عدة سابيع . مع مراعاة الاوضاع المناسبة المريحة للمفاصل المصابة كما ان الفراش يجب ان يكون صلبا وليس رخوا ، وذلك بوضع حواجز خشبية تحت حاشية واحدة رقيقة ولا تستعمل سوى وسادة واحدة . ويحسن الرقاد على الظهر لمدة ساعة بعد الغذاء ، وعلى البطن ربع ساعة فقط .

والتدفئة وعدم التعرض للتيارات الباردة امران ضروريان . ولعل فائدة الحمامات الرملية ترجع الى تهيئة اقصى قدر ممكن من راحة الاعضاء المصابة وتدفئتها كما ان جلسات الاشعة القصيرة لها فائدتها في هذه الناحية .

البدانة والروماتيزم

ومن ناحية التغذية ، ينبغي الاقلال من المواد الدهنية والنشوية التي تزيد الوزن . فالبدانة عبء كبير على المفاصل والانسجة المعرضة للالام الروماتيزمية وكذلك الاقلال من المخللات والمواد الحريفة ويلزم الاكثار من اللبن لمد الجسم بالكالسيوم ومن البروتينات والفاكهة والخضراوات كمصدر غني بالفيتامينات .ولا باس من الاستعانة بجرعات من المقويات المعروفة لمقاومة الانيميا المصاحبة للروماتيزم . وقد اثبتت البحوث التي اجريت اخيرا على أن هذا النوع من الانيميا لايستجيب مطلقا لاية كمية من الحديد تؤخذ عن طريق الفم ، ولكنها تستجيب فقط لمركبات الحديد التي تعطى حقنا في العضل او في الوريد .

الاسبرين انجح علاج

وعقاقير الروماتيزم المعروضة في الاسواق ، والتي يعرفها معظم المرضى لشيوعها وكثرة استعمالها ـ غالبا بغير استشارة الطبيب ـ تنتمي الى عدد من المجموعات الكيمائية .اثبتت اخر البحوث والدراسات ان مجموعة الاسبرين هي الاولى في علاج الروماتيزم بغير منازع . على ان يؤخذ الاسبرين ـ اذا كانت معدة المريض سليمة وليست شديدة الحساسية له ـ لاقصى كمية يمكن تحملها ، وهذه الكمية تتراوح بين ثمانية وعشرة اقراص يوميا من الاقراص العادية التي يحتوى القرص منها على نصف جرام من المادة الفعالة حتى يختفي الورم وتزول الالام . وفي حالة الحساسية للاسبرين تستعمل اقراص الساليسيلات التي تنتمي كيميائيا لعائلة الاسبرين والمغلفة بغطاء خاص لا يذوب في « وسط » المعدة الحمضي التفاعل ولكنه يذوب فقط في وسط الامعاء القلوي التفاعل . وقد استحدثت في الاعوام الاخيرة عقاقير كثيرة ـ ما تزال في دور التجربة ـ ينتظر ان تكون لها فوائد الاسبرين ـ ذلك الدواء الساحر الذي لم تكتشف كل اسراره بعد ـ بغير اضراره . واهمها مشتقات حامض الفيناميك .

اما « البانارول » فهو اقل فاعلية من الاسبرين في السيطرة على الاعراض ولكن يمكن اللجوء اليه عندما يصعب على المريض تحمل الاسبرين او الساليسيلات . و « البوتازوليدين » مسكن فعال ولكنه ليس علاجا شافيا حاسما . وله اعراض جانبية اكثرها شيوعا القيء والطفح الجلدي والتورم بسبب احتجاز الصوديوم فضلا عن توقف النخاع العظمي عن صنع كريات الدم . لذلك يجب الا يستعمل الا بارشاد الطبيب وتحت رعايته ـ وكذلك دواء « التاندريل » و « الاندوسيد » .

الهرمونات للعلاج

وللهرمونات دور في علاج الروماتيزم ، ففي عام ١٩٤٨ حصل العالم الامريكي « هنش » وزملاؤه على نتائج مذهلة باستعمال الكورتيزون، ولكن سرعان ما اتضح ان مشتقات الكورتيزون المشيدة في العمل هي الافضل والانسب للعلاج وهي المستعملة حاليا لانها اكثر امنا . ومع ذلك فان هذه الهرمونات شديدة الفعالية ويجب ان تدخر للحالات التي لم تستجب لانواع العلاج الاخرى وتلزم الحيطة في استعمالها بخاصة عند وجود قرحة في المعدة او الاصابة بمرض السكر او ارتفاع ضغط الدم او هشاشية العظام .

وحقن الهرمون الحاث للغدة فوق الكلوية لتفرز الكورتيزون الطبيعي في الجسم لها نفس مفعول استعمال اقراص مشتقات الكورتيزون عن طريق

الفم ، وهذه الوسيلة تقلل من احتمال تقرح المعدة ولكنها تزيد من احتمال رفع ضغط الدم .

وحقن مركبات الهايدروكورتيزون في فجوة المفصل المصاب ذاته طريقة اخرى تقلل من الورم ، وتزيل حدة الالم لمدة تتراوح بين ثلاثة ايام وثلاثة اسابيع .

ولعله من المفيد ان نذكر انه في الحالات المتقدمة من روماتيزم المفاصل الصغيرة قد تصاب العين بالتهاب لا يستجيب الا لقطرة الهايدروكورتيزون

وفي جميع الاحوال يستحسن استعمال العقاقير المهدئة للتغلب على الارق الذي يزعج مرضى الروماتيزم ، فضلا عن ارخاء العضلات مما يعطي فرصة اكبر لراحة المواضع المصابة .

اما املاح الذهب ، فهي تستعمل في علاج بعض انواع الروماتيزم منذ اكثر من ثلاثين عاما، وقد ثبت حديثا جدا انها ذات اثر اكيد وحميد بشرط ان تعطى حقنة واحدة اسبوعيا لعدة شهور، على ان يتم تحليل البول قبل كل حقنة ، وان يبادر المريض بمراجعة الطبيب اذا اصيب بطفح جلدي او حكة شديدة .

ولعله من المناسب ان نذكر ان نتائج العلاج بالهرمونات هي التحسن السريع المذهل الذي يعقبه انتكاس سريع ، ولكن في حالة املاح الذهب فان التحسن بطيء جدا ، ولكن اي تحسن يحصل عند المريض هو تحسن دائم غير قابل للانتكاس وعليه تجب الموازنة بين تحسن بسيط دائم وتحسن كبير مؤقت .

والواقع ان علاج الامراض الروماتيزمية المزمنة يستلزم تضافر جهود الطبيب واخصائي العظام والعلاج الطبيعي والتاهيل المهني ، ويوضع لكل حالة البرنامج الملائم من حيث تحديد درجة الحركة والنشاط ونوعية التمرينات بعد زوال حدة النوبة واختيار الغذاء ، وانتقاء الدواء . ■■

الدكتور ابراهيم فهيم
استاذ علم الادوية والعلاج
كلية الطب / جامعة عين شمس

هجاء القبائل

● روى ان رجلاتاه في صحراء وانتهى الى خباء لاعرابية ، فاقبلت عليه بماء ولبن ، فسألها الرجل عن قبيلتها ، فقالت من بني عامر ، فقال : الذي يقول فيهم الشاعر :

لعمرك ما تبلى سرائر عامر   من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فنظرت الصبية اليه شزرا ، وقالت : يا عماه ممن أنت ؟ قال الرجل : من تميم قالت : الذي يقول فيهم الشاعر : تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا .

فقال : بل انا من باهلة . فقالت :

اذا ولدت حليلة باهلي   غلاما زاد في عدد اللئام

فقال : بل انا من بني عبس فقالت :

اذا عبسية ولدت غلاما   فبشرها بلؤم مستفاد

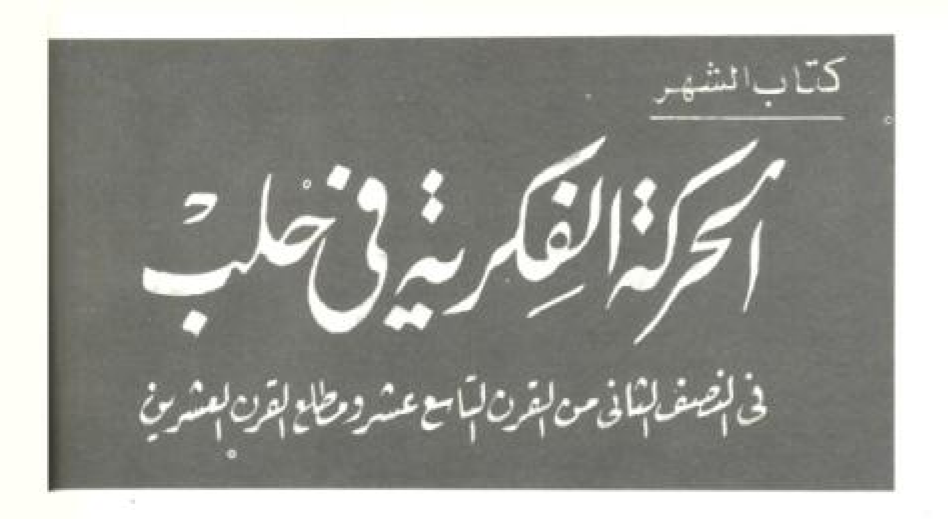
فقال : بل انا من بني اسد . فقالت :

ما سرني ان امي من بني اسد   وان لي كل يوم الف دينار
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم   قالوا لامهم بولي على النار

فضجر الرجل وقال انا من ابليس ، فقالت :

عجبت من ابليس في تيهه   وخبث ما اظهر من نيته
تاه على آدم في سجدة   وصار قوادا لذريته

فقال : اعفيني يا اعرابية ، فقالت : الى لعنة الله ، اذا نزلت بقوم فلا تجحد احسانهم .



تأليف : الأستاذة عائشة الدباغ

ماجستير في التاريخ ـ بيروت

عرض : فاتح ارسلان المحامي ـ حلب

■ التاريخ مراة نرى من خلالها حياة الشعوب الغابرة ، ونحن عندما نقرأ كتابا تاريخيا ، نرى في سطوره حياة الآباء والاجداد ، وكم هو ممتع وجميل ،ان يمتد العمر بالمرء ويستطيل الى ماقبل ولادته بعشرات ومئات السنين فيعيش احداث هذه السنوات ، ويستمتع بمشاركة اهلها هذا العمر المديد ، مستفيداً من تجاربهم ، متعظا باحداثهم ، اذ كثيرا مايعيد التاريخ نفسه .

والقارىء لتاريخ الحضارات يستمتع بقراءته كقارىء تاريخ السياسات . فالاحداث الحضارية ليست اقل اهمية عند رجال الفكر من الاحداث السياسية ،ان لم تكن تعلوها مرتبة . لان الحضارة في الامم هي التي تصنع تاريخها السياسي .

وكتاب « الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين » هو مرجع هام من مراجع التاريخ الحضاري لمدينة حلب (مدينة سيف الدولة وابي فراس الحمداني) خلال النصف الثاني من القرن الماضي ومطلع هذا القرن .

ومؤلفته الاستاذة عائشة الدباغ ـ ماجستير في التاريخ من الجامعة الامريكية في بيروت ـ عرفت بوصفها حلبية الاصل والمنبت .

ان حلب كانت مركزا من مراكز الحركة الفكرية والادبية في القرن التاسع عشر وخاصة في نصفه الثاني . فمن حلب ومابين عامي ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ خرجت صيحات الحرية على لسان مفكرها وعالمها واديبها الكبير عبد الرحمن الكواكبي . وفي هذه الفترة ايضا ارخ لها وفيها الغزي والطباخ والجابري . لذلك رات المؤلفة من الواجب عليها انصافا لهؤلاء المفكرين وامثالهم ، ان تؤرخ لحلب في هذه الفترة ، التي عاشت فيها هذه المدينة اواخر ايام العثمانيين ، وعن اثر هذا العهد في الفكر والادب والصحافة والتاليف (١) .

---

(١) العربي : يقول أحد شعرائنا القدماء :

« ومن وعى التاريخ في صدره   أضاف أعمارا الى عمره »



موقـع حلـب

حلب الشهباء، كانت مركز الولاية العثمانية المسماة باسمها ، وكانت تضم الوية ثلاثة :

الاول حلبوما جاورها من القضيةوقرى،والثاني مرعش وماحولها وكانت تشكل القسم الجنوبي من اسيا الصغرى ، واللواء الثالث هو « اورفة » وكانت تدعى قديما « الرها » .

وحلب مدينة تقوم على دائرة قطرها اثنا عشر كيلومترا ، شوارعها ضيقة ، وبيوتها مبنية من قطع ضـخمة من الحجر الابيض ، مريحة ومزينة بزخارف جميلة من الداخل .

المجتمع الحلبي

لم تكن الحكومة العثمانية ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، تبدي اهتماما بالاحصاء الا ان سكان حلب كانوا عام ١٨٥٠ حوالي مئة الف مواطن بين مسلم ومسيحي ويهودي ، ويشير الاستاذ البير الحوراني الى وجود اقليات غير اسلامية كانت لها صلات بالدول الاجنبية ،وكانت بحكم هذه الصلات اول من استفاد من امتيازاتها، عندما بدات هذه الدول تدخلها في القضايا الداخلية للدولة العثمانية ، مما ادى الى اثراء هذه الاقليات وقوتها ، وخاصة وانها مالت الى الارتباط بالحكومات الاجنبية ذات المصالح،فخدمتها باخلاص .

الحياة الاقتصادية في حلب

تعتبر حلب مركزا تجاريا هاما ،بسبب وجودها على الطريق البري الطويل بين اوروبا والهند .

فكانت محطة كبرى على هذا الطريق ، وكانت القوافل تلقى فيها التسهيلات التجارية ، مما يغري ويحمل على المرور بها والبقاء فيها ، ولقد تحدث شكسبير في الفصل الاول من مكبثه عن حالة امرأة سافر زوجها الى حلب . ولقد قال احد قناصل فرنسا في حلب عام ١٦٨٣ ان حلب كانت اكبر واجمل واغنى مدينة في الامبراطورية العثمانية بعد القسطنطينية والقاهرة .

مقومات الحركه الفكرية

المطابع : ان اول مطبعة انشئت في الشرق كانت في حلب في عام ١٧٠٢ . وقد اكد ذلك فيليب حتي في كتابه تاريخ سوريا ، ثم تتالى في حلب انشاء المطابع .

الصحافة : لم يظهر في حلب حتى عام ١٩٠٠ سوى ثلاث صحف ، ولكن ما ان اعلن الدستور حتى ظهرت صحف عديدة واقبل الناس عليها « اقبال الجياع على القصاع » وكانت اول صحف حلب هي :

جريدة الفرات : صدرت عام ١٨٦٧ في حلب ، وكانت تكتب باللغتين العربية والتركية ، وهي جريدة شبه رسمية ، كانت تنشر اخبار الولاية واوامر الحكومة واعلاناتها والحوادث الداخلية والخارجية ،وكان يتولى الترجمة فيها عبد الرحمن الكواكبي ثم انيطت بعده بكامل الغزي ، وبقيت هذه الصحيفة في حلب حتى اعلان الحرب العالمية الاولى .

جريدة الشهباء : صدرت عام ١٨٧٧ عربية خالصة ، وكان صاحب امتيازها الحاج هاشم العطار ، اشترك في تحريرها عبد الرحمن الكواكبي ايضا ، هذه الجريدة كانت عرضة للتعطيل من قبل الوالي الذي ظن بها الظنون ، اذ صادف صدورها تشكيل حزب في حلب سمي حزب (« اباة الضيم ») .

جريدة الاعتدال : صدرت عام ١٨٧٩ لصاحبها عبد الرحمن الكواكبي باللغتين العربية والتركية اما هدفها ورسالتها فيتضحان مما ظهر في افتتاحيتها في العدد الاول وهو (« نشر كل مايقتضيه تهذيب الاخلاق وتوسيع دائرة المعارف من ابحاث علمية وسياسية وغيرها ») .

المجلات : اما المجلات التي كانت تصدر في هذه الفترة فهاك ماتوصلت اليه منها :

مجلة الشذور : صدرت عام ١٨٩٧ وكانت تضم كثيرا من المواعظ الحكيمة والمنظوم والمنثور ، وبعض الابحاث التهذيبية ، .

مجلة الفوائد : صدرت عام ١٩٠٩ نصفها بالتركية ، ونصفها بالعربية ، وقد اخذت على عاتقها كما كانت تصرح (« نشر المقالات المفيدة لتهذيب النفوس وردعها عما يشين الاخلاق ، وبث روح المدنية بالامة ، وتنوير افكارها ، ورقي المعارف والصنائع والتجارة والزراعة واستقصاء الاخبار المولوقة ») .

مجلة الورقاء : صدرت عام ١٩١٠ وهي مجلة علمية ادبية صناعية ، ولعلها الاولى من نوعها في حلب . بحثت في المجتمع واصله ، وفي المعارف البشرية وفي علمي الاقتصاد والاخلاق . كما افردت المجلة فصولا خاصة في اعدادها للمرأة .

دور الكتب في حلب

حلب مدينة غنية بالكتب ودورها ، والحلبيون مولعون باقتناء الكتب منذ ازمنة بعيدة ، وقد عني اهل اليسار منهم باقتناء المخطوطات النادرة ، باذلين في سبيل الحصول عليها ونسخها كل غال ، وهذه بعض دور الكتب التي كانت في حلب في الفترة التي نؤرخ لها :

المكتبة الأحمدية : انشئت في القرن الثاني عشر للهجرة ، وانشاها عثمان باشا الدركي ، ووقف لها مايتيف عن ثلاثة الاف مجلد ، ولكن يظهر ان الايدي لعبت في محتوياتها ، فلم يبق من هذه المجلدات سوى ١٤٧٢ مجلدا .

المكتبة العثمانية : انشئت في القرن الثالث عشر للهجرة ، وانشاها عثمان باشا الدركي ، وكان فيها ـ لما الف الغزي تاريخه عن حلب ـ نحو ١٥٠٠ مجلد مخطوط في بنود شتى .

مكتبة الجزار : اوقفها السيد محمود الجزار للجامع الاموي الكبير ، وكانت تحوي كتبا عامة وجداول فلكية ورياضية ، وكتبا دينية ، وكانت تحوي اول امرها مايزيد على الالف مجلد الا ان

اولئك الذين يستعيرون ولايعيدون قد انقصوا هذا العدد الى ٨٠٧ ٠

المكتبة العمروية : وهذه تضم كتبا شتى فى التصوف والفقه والطب ، والحديث والفرائض والتفسير والصرف والنحو والبلاغة ، وكان عددها كما جاء فى الفهرس ١٢٢٨ كتابا ٠

اما المكتبات الخاصة فهى كثيرة ٠

المدارس فى حلب

كانت المدارس فى حلب فى الفترة التى نؤرخ لها ، كما فى غيرها من بلدان الدولة العثمانية على انواع :

١ ـ المدارس الدينية الابتدائية : التى يجرى فيها تدريس العلوم الدينية على وفق الاساليب القديمة التى لم تتبدل ولم تتطور من قرون وكانت هذه المدارس على درجات ، فكان هناك اولا المعاهد الخاصة بالصغار والتى تهدف الى تعليم الصغار مبادىء الدين وتحفيظ القران الكريم وبعض مبادىء الخط العربى والحساب ، وكانت هذه المدارس على نوعين منها مدارس خاصة منتشرة فى كل حى من احياء حلب ويتقاضى اصحابها اجرا على كل طفل يعلمونه فى نهاية كل اسبوع وكان هذا الاجر يسمى (« الخميسية ») لانه يدفع كل يوم خميس ٠ ومنها مدارس وقفية يجرى التعليم فيها بلا مقابل ، لانها قائمة على حساب وقف من الاوقاف الكثيرة فى حلب عام ١٩٠٠ ٠ وكان عدد هذه المدارس ٦٥ مدرسة تضم ٢٩٣٤ تلميذا ٠

٢ ـ المدارس الدينية العالية : وهذه خاصة بالكبار ، وكانت اما ملحقة باحد الجوامع او مستقلة عنها ، وفيها يدرس طلاب العلم العلوم الدينية والشرعية واللغوية بشىء من التوسع ، من هذه المدارس المدرسة العمروية ، والعثمانية ، والشعبانية،والقرناصية والسياقية والاسماعيلية، والبهائية ٠

٣ ـ المدارس النظامية والاجنبية والطائفية : الى جانب هذه المدارس الاسلامية كان فى حلب نوعان من المعاهد التعليمية :

المدارس الاجنبية وكل واحدة منها تعتمد على حماية دولة اجنبية تسعى فى نشر لغتها وبث روحها ، وكانت فرنسا انشط هذه الدول كما كانت فى حلب مدارس تابعة للطوائف ، اذ كانت كل طائفة تسعى لتعليم ابنائها بنفسها ٠

واخيرا المدارس الحكومية التى انشئت فى حلب بدءا من عام ١٨٦١ وكانت اولى هذه المدارس هى المدرسة المنصورية ، وكانت تسمى بالمدارس الاميرية ٠

الجمعيات فى حلب

لم تقم فى حلب جمعيات قبل اعلان الدستور ، ولعل مرد ذلك كما يقول زيدان الى « الاستبداد والضغط على الافكار وسوء ظن الحكومة بكل اجتماع » ٠

واول جمعية ظهرت فى حلب هى جمعية (« النشأة التهذيبية ») عام ١٩٠٧ وكان هدفها بث روح التقدم العلمى والرقى الادبى بين الناشئة ٠

وفى عام ١٩١٠ تنادى ادباء حلب لانشاء ناد يبث روح التعاون لنشر العلوم والفنونوالرياضة البدنية ،ونجحت الدعوة وتاسس هذا النادى الذى تولى رئاسته فخرى باشا والى حلب يومذاك ٠

كما تاسست فى حلب فى العام نفسه جمعية سميت بجمعية (« الاخاء العربى ») وكان غرضها (« التعاضد على تاييد احكام القانون الاساسى ، والمطالبة بحقوق الامة العربية فيما يتعلق بخدمة الدولة ») ٠ اما غرضها الباطنى فهو الوقوف فى وجه جمعية الاتحاد والترقى التركية النزعة ٠ وتتابع بعد ذلك انشاء النوادى والجمعيات كنادى الجهاد الادبى ، وجمعية تثقيف الفقير وغيرها ٠

الادباء و المفكـرون

كان لافتتاح قناة السويس اثر سيىء على حلب ، اذ تحولت عنها التجارة بين الشرق والغرب واستبدل الطريق البحرى عبر القناة بالطريق البرى المار بحلب وكان لهذا التحول اثر على اقتصاد البلد مما ادى الى نزوح كثير من المفكرين والنابهين عنه الى بلاد اخرى ٠ ورغم ذلك فقد كان لحلب ادباؤها ومفكروها فى هذه الفترة التى نؤرخ لها امثال :

كامل الغزى : (« ١٨٥٣ ـ ١٩٣٣ ») كان

عالما في الفقه والحديث واللغة والمنطق والشعر وسما في علمي الادب والتاريخ ، وشغل عدة مناصب حكومية واجتماعية ، وكان رئيسا لجمعية العاديات الحلبية ، وكان يصدر مجلتها التي تهتم باثار حلب باللغتين العربية والفرنسية •

وللغزي مؤلفات كثيرة،معظمها لا يزال مخطوطا، لم يبرز منها في دنيا الطباعة الا تاريخه الشهير (« نهر الذهب في تاريخ حلب ») وهو اربعة اجزاء ، اولها يبحث في تاريخ حلب واسمائها وجغرافيتها ، تجارتها وصناعتها ونباتاتها ، عادات الحلبيين وصفاتهم لمراقصية حلب وتوابعها• والجزء الثاني يبحث في اسوار حلب وحاراتها وما فيها من مساجد ومدارس وبيمارستانات ، والجزء الثالث يبحث في تاريخ الامم التي حكمت حلب قبل الفتح الاسلامي ، ثم من تولاها بعده ، ثم يتحدث عن الحرب العالمية واسبابها الاصلية والثانوية ، ثم حكومة الملك فيصل ، ثم فرنسا في حلب • يتخلل هذا العرض بعض الاستطرادات عن الانكشارية مثلا ، ثم يختم هذا الجزء بذكر الاماكن القديمة التي يقصدها السياح في حلب خاصة قلعتها المشهورة ، واخيرا الجزء الرابع من الكتاب الذي مازال مخطوطا وهو تراجم •

وللغزي كتاب آخر سماه (« القول الصريح في الادب الصحيح ») وهو مخطوط بيده يتالف من ١٩٢ صفحة من الحجم الكبير ، وهو قصيدة لامية نظمها في تاريخ مولد ابنه الذي رزق به في الثامنة والستين من عمره ، موجهة الى ولده • والكتاب يمثل اراء الغزي في التربية والاخلاق •

وللغزي ايضا مجموعة من الكتب ما تزال مخطوطة •

بشير الغزي : اخو كامل الغزي لامه ، كان متبحرا في علوم اللغة والادب ، واماما في الفقه والحديث والمنطق ، وكان في عصره يمثل المدرسة القديمة ، تولى التدريس في عدد من جوامع ومدارس حلب،وقيل انه كان رئيسا لجمعية الاتحاد والترقي ، ثم انتخب عضوا لمجلس المبعوثان التركي ونال لقب قاضي قضاة حلب •

له مؤلفات عديدة في اللغة والفقه والتفسير والرياضيات طبع منها :

١ ـ حدائق الرند ، ترجمة ترجيع بند : طبعت في مصر ١٨٩٨ وهي شعر فلسفي صوفي سلس •

٢ ـ المنظومة الشمسية في القواعد المنطقية : طبعت في مصر١٩٠٦وهي تشتمل على جميع ما في متن الشمسية من المسائل المنطقية •

٣ ـ رسالة في فن التجويد •

ومؤلفات أخرى كثيرة بقيت كلها في مسوداتها ثم فقدت ، ولو لم يطبع تلامذته هذه المؤلفات لكان نصيبها الضياع كسواها •

عبد الحميد الجابري : لم ينتسب الى مدرسة قط ، بل اخذ العلم في بيته على بعض علماء عصره فتعلم منهم اللغة والفقه والمنطق ، وكان له ميل شعري يجري على السليقة التي نمتها المطالعات الخاصة •

للجابري مؤلفات عديدة في اللغتين التركية والعربية ، اما مؤلفاته العربية فهي :

١ ـ « مبدأ في بيان ارتباط التمدن بدين الاسلام » : طبع في بيروت ١٩٠٣ وهو دراسة شبه مقارنة بين قواعد التمدن ومبادىء الاسلام ، ورايه في ان الاسلام لايخرج عن كل قواعد صالحة يمكن ان تنبثق عنها قواعد التمدن الحديثة ، وان مبادىء الاسلام تصلح لكل زمان •

٢ ـ (« تلقي علم الدين ، وتقصيرنا فيه ، انحطاطنا وتلافيه ») طبع في حلب ١٩٣٠ وهو يبحث في امور الدين ويقول : ـ ليس علينا شرعا ان نتكلف او نتقيد بما لانعلم ان المشرع كلفنا اليه او قيدنا به ، ولا ان نلتزم احكاما سكت المشرع عن بيانها ، ولو انها وردت في كتب واسفار توسع مؤلفوها في الاقيسة والفرضيات •

وللجابري كتب بالعربية لم تطبع وهي (« البيان في النحو ») ومخطوط (« ماذا يعلمنا التاريخ من شقاء الامة وسعادتها ») • و (دعوة المتدينين لتلافي الانشقاق في الدين ») و (« مجموعة قصائد صوفية واشعار متفرقة »)•

بدر الدين النعساني : اقتصرت دراسة النعساني في حلب حتى الثانية عشرة ثم ارتحل الى مصر ودخل الازهر ،وكان فيه من تلامذة الامام محمد عبده ، تخرج من الازهر وهو يحمل عقلا

جديدا وحسا ثائرا ارتسم في اول كتاب اخرجه وهو :

١ ـ « التعليم والارشاد » طبع في مصر ١٩١٥ وهو نقد وتحليل ، صور فيه الازهر وشيوخه وكتبه ومناهجه ٠

٢ ـ « القواعد الجلية في علم العربية » طبع في دمشق ١٩١٠ وهو كتاب لغوى نحوى ٠

وفي مصر تفتحت شخصية النعساني فتلقفه صاحب جريدة المؤيد فاخذ يكتب فيها المقالات الساخرة التي اوضحت معالم شخصيته ٠ واتجه بعد ذلك الى تصحيح الكتب المعدة للطباعة كالاحكام السلطانية للماوردي ، وديوان زهير ، وشرح « المفصل للزمخشري » ، « والحيوان » و « البيان والتبين » و « الملل والنحل » ، وسواها الكثير ٠

رزق الله حسون : تلقى تعليمه الاولى في حلب ، ثم انتقل الى دير الزور حيث درس وتعلم عدة لغات ومنه ارتحل الى لبنان فباريس فمصر واستقر في الاستانة حيث انشا جريدة « مراة الاحوال » له مؤلفات عديدة ٠

١ ـ « النفثات » : طبع في لندن ١٨٦٧ وهو ترجمة منظومة لقصص كريلوف شاعر الصقالبة ، التي وضعها على طريقة بيدبا الهندى ٠

٢ ـ « اشعر الشعر » : وهو نظم لسفر ايوب وغيره من اسفار الكتاب المقدس ٠

فرنسيس مراش : تلقى علومه الاولى في حلب ، ومبادىء من دراسة الطب على يد طبيب انكليزى ، ثم سافر الى باريس لاكمال دراسة الطب الا ان المرض عاقه عن اتمام دراسته فعاد الى حلب ولم يلبث ان كف بصره فيها ٠

والمراش شاعر ناثر عالم ، وله مؤلفات متعددة هي : (« الكنوز الفنية في الرموز الميمونية ») وهي قصة شعرية ، وديوانه الذى اسماه (« مراة الحسناء ») وقصة شعرية اخرى سماها (« در الصدف في غرائب الصدف ») ٠ وكتاب ديني (« شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة ») و (« رحلة الى باريس ») ٠

وتتابع المؤلفة استعراض مفكرى الفترة التي تؤرخ لها فتكتب عن جبرائيل دلال وعبدالله مراش وتصر الله الدلال وميخائيل دلال واوغسطين عازار ومريانا مراش وميخائيل صقال وقسطاكي الحمصي وتوما ايوب وجرجس شلحت ٠ وتستعرض بالتفصيل الذى يضيق المجال عن ذكره مؤلفات هؤلاء ماطبع منها ومالم يطبع وتاتي بالكثير من الشرح لآرائهم وافكارهم حتى ينتهي بها المطاف عند عبدالرحمن الكواكبي فتقف عنده وقفة طويلة تتناسب مع جلال مكانته وعلو قدره في الفكر والادب والسياسة ٠

عبد الرحمن الكواكبي ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ :

عبد الرحمن الكواكبي شخصية فذة في العالم العربي ، يقفز اسمه الى الخاطر كلما ذكر المصلحون السياسيون او الاجتماعيون ، واذا ماستعرضنا حركة الاحياء الفكرى والادبي للامة العربية ، الفينا الكواكبي وقد حمل لواء النهضة فيها مع من حمل ، وشق الطريق للمجاهدين من ابناء الشرق العربي ، الرامين الى ايقاظ شعوبهم من الضعف والاستكانة وغفلة العقول ، ولقد لامست صيحات الكواكبي اسماع مثقفي الامة العربية الواعين لقضيتها ٠

فالرجل كان علما من اعلام الشرق ، نفخ في بوق النهضة العربية حتى بح صوته ٠

ولد الكواكبي من عائلة عريقة في حلب عرفت بالعلم والفضل ، وانتقل وهو في الخامسة من العمر الى انطاكية مركز اسرة والدته لترعاه خالته بعد وفاة امه ،وكانت خالته شبه عالمة فلقد لقنها ابوها المفتي علوم الفقه ومايستتبع ذلك ٠ وفي انطاكية حفظ الكواكبي شيئا من القران وتعلم اللغة التركية ، ثم عاد بعد بضع سنوات الى حلب حيث تعلم فيها الفارسية والعلوم العربية والشرعية بالاضافة الى علوم الرياضيات والطبيعيات ، وكان ابوه مدرسا في الجامع الاموى في حلب ، ومديرا للمدرسة الكواكبية انذاك ، فنال الكواكبي الفتى جزءا من معارفه في هذه المدرسة واسهمت كتب الادب والتاريخ وغيرها في تكوين الشخصية السياسية للكواكبي ٠

وكان لا يانف في شبابه ان ياخذ العلوم الحديثه عن اولاده ، وقد حدثني ابنه الدكتور اسعد ان والده تعلم منه المثلثات الكروية ،

وقد بدأت تباشير جهاده السياسي عندما اتخذ لنفسه دارا خاصة في حلب يجتمع فيها باصدقائه ويتداول معهم شؤون البلاد والعباد فيدلي بارائه ويستمع الى ارائهم .

تقلب الكواكبي في وظائف حكومية عدة ، وكان فيها مثال العامل ، الساعي لخير أمته وصلاح امرها ، لكن اخلاصه لم يمنع عنه الاذى بسبب ارائه السياسية فوشى به الوالي عارف باشا الى السلطان بعد ان زور وثيقة تدين الكواكبي بالتآمر ضد السلطان فصودرت املاكه وسجن وحوكم ثم برأته المحكمة ، وكان قد دخل السجن قبل ذلك في عهد جميل باشا بسبب التطرف والجرأة في آرائه السياسية والتحريض على قتل الوالي المذكور ،ثم اطلق سراحه بعد حكم بالبراءة ايضا اصدرته المحكمة .

ولقد احب الكواكبي الصحافة ، واشتغل بها مدة في جريدته « الشهباء » « والاعتدال » ، ولكن عمله الصحفي هذا لم يعمر طويلا بسبب الغاء الحكومة لهما ومصادرة المطبعة التي اتى بها الكواكبي من استانبول ، وكانت « الاعتدال » تصدر باللغتين العربية والتركية .

رحلة الكواكبي الى مصر :

ولما لم يجد الكواكبي لقلمه المحيط الواسع الذي يجول فيه في حلب بسبب رقابة الحكم العثماني ضاق به مسقط رأسه فنزح عنه الى مصر عام ١٩٠٠ ، ومصر يومئذ ملاذ النهضة الادبية ، فلم يلبث أن تبوأ مكانا ممتازا من هذه النهضة ، واصبح احد اعلامها البارزين ، وكان يكتب في (« المؤيد ») بتواقيع مستعارة ، وفي مصر كان الكواكبي عضوا عاملا في جمعية الكتاب المصرية . وتقرب منه الخديوي عباس الذي كان له ولع غريب بالقضية العربية وطموح بعيد الى تقلد الخلافة ، وكان همزة الوصل بينهما صاحب المؤيد الذي اقنع الخديوي بارسال الكواكبي الى عدن ليسعى لدى شيوخ وعربان الامارات المحمية بتوقيع عرائض يبايعون فيها الخديوي عباس بالخلافة الاسلامية .

واخيرا خفت صوت هذا المصلح الاجتماعي . ومن المرجح انه مات مسموما كما جاء في رواية لا يرقى اليها الشك خبّر بها صديقه الحلبي المرحوم عبد القادر الدباغ ، احد تجار حلب المتنقلين بين مصر وحلب ، وهو الذي ارشد الى قبره بعد موته بثلاثين سنة عندما تألفت لجنة في مصر لتخليد ذكرى الكواكبي بناء على اقتراح من العلامة المرحوم الدكتور منصور فهمي الاستاذ بالجامعة المصرية .

وللكواكبي مؤلفات عدة ظهرت بها روحه الثورية واندفاعه المتحمس نحو خير امته وبلاده اهمها :

١ ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . وهو دعوة جريئة الى الحرية ، اراد به تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين ، عسى أن يعرف الشرقيون انهم هم المتسببون لما هم فيه فلا يعتبون على الاغيار ولا على الاقدار ،وعسى الذين فيهم بقية رمق من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات .

٢ ـ ام القرى : وهو وصف لمؤتمر خيالي عقد في مكة ١٨٩٨ وصفه المؤلف وقال انه ضبط مفاوضات ومقررات لمؤتمر نهضة اسلامية ، حضرته وفود الدول الاسلامية جميعها وعددهم اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية . وصف فيه باسلوبه الجميل حالة العالم الاسلامي وشخص امراضه ثم بسط آراءه في اصلاح الاسلام وجمع كلمة المسلمين ويعتبر الكتاب من العوامل الفعالة في ايقاظ الشعور القومي بين العرب اذ هو يدعو الى خلافة عربية مركزها الجزيرة العربية .

كما ان للكواكبي كتبا اخرى ، منها « صحائف قريش » مفقود وكتاب « العزة والعظمة لله » وكتاب « مذكرات » عن رحلاته التي قام بها .

كانت هذه جولة بين اعلام المفكرين في حلب وادبائها البارزين تعطي فكرة عن الحركة الفكرية فيها في النصف الثاني من القرن الماضي وفي السنوات الاولى من القرن الحالي . ■■

حلب / فاتح ارسلان



من الكتب التي وصلتنا

التنمية الاقتصادية في دولة الكويت دراسة تحليلية جغرافية

تاليف : الدكتور محمد على الفرا

الناشر : جامعة الكويت ــ الكويت .

● يعالج هذا الكتاب موضوع التنمية الاقتصادية في دولة الكويت ، ويقع الكتاب في ثلاثة ابواب يبحث الباب الاول الاسس الطبيعية والتاريخية للاقتصاد الكويتي ، فيدرس خصائص الكويت قبل النفط ، اما الباب الثاني فموضوعه عن البترول في الكويت ، فيتحدث عن قصة النفط فيها ، والشركات العاملة في اراضيها، ثم يتناول الحديث عن العوامل التي تؤثر في انتاج النفط كالسوق ومنافسة الاقطار المصدرة للنفط ، والعوامل السياسية ومدى خطورتها ثم سياسة الكويت البترولية وعضويتها في الاوبك . ثم يعالج اثر النفط على اقتصاد الكويت ، ودوره في زيادة الايرادات والعائدات ، ثم يتحدث عن محاولة تطبيق التنمية الاقتصادية المتوازنة ، ثم التنمية في المجالات الصناعية والبشرية .

اما الباب الثالث فيتصدى لموضوع الكويت بين التكامل الاقليمي ، والتعاون العالمي ، فيبحث في السوق العربية المشتركة ، وموقف الكويت منها ، وهنا يحلل الكتاب طبيعة تجارة الكويت مع الاقطار العربية ، بالمقارنة مع الاقطار الاجنبية، ثم دراسة عقبات التكامل الاقتصادي العربي ، ونماذج للتعاون بين الكويت والدول العربية الشقيقة .

القاموس الفريد في العصر الجديد

تاليف : الشيخ احمد النجفي

الناشر : دار العلوم العربية ــ طهران ــ ايران

قاموس فارسي عربي يبدأ بتعريب جميع القواعد الفارسية ومختلف مصطلحاتها مع ذكر شواهد وامثال لعبارات مالوفة مع ما يقابلها في اللغة العربية في جميع الشؤون العادية والادبية والعلمية وغيرها مع التشكيل والتعريب الدقيق .

ثم يلي ذلك معجم اللغة الفارسية بعد تشكيلها، وذكر الاغلب منها في عبارات فارسية مالوفة مع الدقة في انتقائها وتشكيلها وتعريبها لتتضح موارد استعمالها .

كما وضع المؤلف في مقدمة القاموس قواعد الفارسية التي يسمونها (الدستور) بعد جمعها وتنسيقها وتطبيقها مع القواعد العربية فكانه كتاب مستقل اضيف الى القاموس .

وهذا الكتاب هو الجزء الاول من القاموس ويبدأ بحرف ا الى حرف خ .

اما الهدف من وضعه فهو الحاجة الماسة عند طلاب اللغة الفارسية من ابناء العرب لمعرفة ما يقابل لغتهم من الالفاظ المالوفة والمصطلحات الحديثة الفارسية وقواعدها ، وكذلك ما شاهده عند طلاب اللغة العربية الفارسيين من الحاجة الماسة لمعرفة مايقابل لغتهم من الالفاظ والمصطلحات العربية الحديثة وقواعدها .

النظام التربوي في الاسلام

تاليف : باقر شريف القرشي

الناشر :مطبعة الآداب ــ النجف الاشرف ــ العراق

● يهدف هذا الكتاب الى ابراز ما منيت به التربية الحديثة من عوامل النقص والانحلال ، كما يُعنى بعرض شامل للتربية الاسلامية وما تهدف اليه من تنبيه الوعي ورفع مستوى الفكر كما ان الكتاب حفل بعرض المخططات الثقافية الاسلامية الهادفة الى نشر العلم المركز على الايمان بالله وتهذيب النفوس .

ان التربية الاسلامية تناولت جميع الطبقات الاجتماعية فوضعت لها المناهج الخلاقة المبنية على احدث الوسائل التي ينتهي اليها سير الحضارة الانسانية وتقدم الانسان وتطوير حياته ونضج عقله . انها المصدر الوحيد لحضارة المسلمين ومجدهم في عصورهم الذهبية . ■■



المسرح العربى في الجزائر، والوج

بقلم : سلامة عبد الرحمن « ابن الدوايمة »

■ يشكل المسرح العربى فى الجزائر الواجهة الحقيقية لحركة التعريب فيها ، وهو المشعل والرسول الصادق لها ، باعتباره اداة شديدة الفعالية فى تثقيف الجماهير ، وفى تصوير الجماهير ، وفى تصوير أحوالها وتبادل الحوار مع قضاياها ، ولانه الكيان السحرى الذى يجرى فيه الحوار ساخنا وحيا بين الانسان « الممثل » والانسان « المتفرج » ، بين الكلمة الحية المنطوقة على خشبته والكلمة المهموسة فى ضمير جماعة المتفرجين .

ولقد ادرك الشعب الجزائرى هذه العلاقة الحية بينه وبين المسرح، فاحبه ،وسعى اليه او استقبله بالاحسان والامتنان اذا سعى اليه ، تقديرا منه لدوره الفعال فى حياته وفى تطوره . وقد احبه وسعى اليه بقدر ماأحبه وصدق فى التعبير عنه : عن حقيقة معاناته ، وعما يعتمل فى ضميره من الامال فى حياة حرة كريمة ، تتحول فيها العلاقة بين الافراد على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم الى عدالة اجتماعية واقتصادية ، من هنا ينفتح باب المستقبل امام المسرح العربى فى الجزائر .

ولكن هناك معطيات تاريخية لابد من العروج عليها قبل التعرض للافاق التى يفتحها هذا المسرح اليوم انطلاقا من الموسم المسرحى (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م) الذى يشكل نقطة انطلاق مسرحية رسمية تكفلت بها وزارة الاعلام والثقافة الجزائرية .

١ ـ المراحل التاريخية لنشأة المسرح العربى فى الجزائر :

عرف المسرح العربى فى الجزائر يقظة حقيقية بعد الحرب العالمية الاولى ومنذ سنة ١٩٢٦ م لغاية ١٩٦٢ مر بخمس مراحل متباينة .

ومن١٩٦٢ لغاية١٩٧٢ مر بمرحلة سادسة وهى:

١ ـ المرحلة الاولى : تمتد من ١٩٢٦ م وهى السنة التى يمكن ان تعتبرها سنة بداية المسرح العربى فى الجزائر والتى امتدت الى سنة ١٩٣٤ م . وقد امتازت بالعروض الفنية الواقعية والاهتمام بقضايا ومشاكل الشعب والمقاومة السياسية التى بدات من عام ١٩٢٢ وتحدث عنها الكاتب الجزائرى « مالك بن نبى » بقوله : « حوالى عام ١٩٢٢ م بدات فى الارض هينمة وحركة ، وكان ذلك اعلانا لنهار جديد ، وبعثا لحياة جديدة ، فكانما هذه الاصوات استمدت من صوت جمال الدين قوتها الباعثة ، بل كانها صدى



جديد للجزائر العربية

لصوته البعيد . وقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات « ابن باديس » فكانت تلك ساعة اليقظة . وبدأ الشعب الجزائرى المخدر يتحرك . وياله من يقظة جميلة مباركة . يقظة شعب مازالت مقلتاه مشحونتين بالنوم . فتحولت المناجاة الى خطب ومعادثات وجدل . وهكذا استيقظ المغنى الجمالي . وتحولت مناجاة الفرد الى حديث الشعب • »

ومن اشهر رجال المسرح فى هذه الفترة ـ « علالو » ـ و ـ « دحمون » اللذان كرسا جهودهما فى اقامة الركائز الاولى للمسرح العربى فى الجزائر . كما أن هناك شخصية اخرى كان لها الفضل فى احداث التأثير الكبير على الحياة الفنية فى الجزائر.وربما قلبت المفاهيم التى كان معمولا بها من قبل ظهورها . هى شخصية رشيد القسنطينى . والذى تعلق به الجمهور فى الجزائر تعلقا شديدا •

ب ـ المرحلة الثانية : امتدت هذه المرحلة من ١٩٣٤ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية . واذا كان رشيد القسنطينى الذى تعلق به الجمهور الجزائرى وتعرف عليه فى المرحلة الاولى قد اكتفى بالتمثيل فى المرحلة السابقة فانه فى هذه المرحلة اخذ يزود الفرقة الشعبية التى كان يعمل فيها بمسرحيات نقدية ساخرة . لقيت تجاوبا كبيرا من الجمهور وساعدت على خلق علاقة متينة بين المسرح والجمهور •

جـ ـ المرحلة الثالثة : وقد امتدت من ١٩٣٩ لغاية ١٩٤٥.وهى مرحلة عصيبة بالنسبة للمسرح العربى فى الجزائر نظرا لتدخلات السلطة الاستعمارية ومنعها للأعمال التى من شانها ان تثير الروح الوطنية فى الجماهير . فحدث طلاق بين المسرح والواقع وبين المسرح والجمهور . وظهرت المسرحيات المترجمة عن الأدب الفرنسى والتى لاتعالج قضايا الانسان العربى فى الجزائر بقدر ماهى مساهمة اخرى لطمس معالم الشخصية العربية فى الجزائر • لكن هذا لم يمنع من ظهور مؤلفين ملتزمين بقضايا الوطن والشعب امثال محمد التورى ومصطفى كزدرلى اللذين واجها ضغوطا استعمارية شلت نشاطهما فترة طويلة •

د ـ المرحلة الرابعة : ابتدأت سنة ١٩٤٥ وفى ظروف غير عادية فقد انتهت الحرب العالمية الثانية فى العالم اجمع وابتدأت الحرب فى الجزائر . ففى ٨ مايو ١٩٤٥ خرجت الجماهير الشعبية العربية الجزائرية فى مدن خراطة وقالمة وسطيف وقسنطينة ترفع العلم الجزائرى خفاقا لاول مرة منذ ١٨٣٠ مبتهجة بتوقف الحرب وهزيمة النازية الهتلرية . وهى لاتدرى أن نازية جديدة وفى ثوب جديد قد ولدت على انقاضها . خرجت تطالب فرنسا بتنفيذ وعدها للذين حرروها من الاحتلال النازى وكان رد الاستعمار الفرنسى قتل ٤٥ الف مواطن . فكان ذلك ايذانا بنهاية حرب وبداية لمأساة شعب • وكان لهذا الحدث الخطير انعكاساته

فى المسرح العربى فى الجزائر اذ اختفت منه مظاهر الترجمة والتقليد وعاد المسرح الملتزم الى خشبته والى جمهوره الذى بدات نار الثورة تغلى فى كيانه ٠

وتعتبر هذه المرحلة من اعنف مراحل الصراع بين الاستعمار الفكرى الدخيل والمطامح العربية للمواطن العربى فى الجزائر ولهذا كان المسرح فى الصف الاول يمد الجمهور للحركة الكبرى واستمر نشاطه الى ١٩٥٤ ٠ حين اندلعت الثورة التحريرية فى فاتح نوفمبر ١٩٥٤ م ٠

هـ ـ المرحلة الخامسة : وهى التى بدات مع الثورة المسلحة ففى السنوات الاولى للثورةظهرت عدة فرق منها فرقة ـ الموسيقى العربية ـومديرها محيى الدين باشترزى والتى قدمتمسرحيات « لرشيد القسنطينى » و « نفلى عبد الله » « وحسين بردوز » و « وضاح محمد » ٠ لكن نشاطها لم يطل بسبب ضغوط السلطات الاستعمارية فالتحق معظم الممثلين بالثورة ٠وظهر المسرح الثورى التابع لجبهة التحرير الوطنى الذى صار يقدم اعماله خارج ارض الوطن ٠ فقد تاسست الفرقة المسرحية التابعة لجبهة التحرير سنة ١٩٥٨ بتونس واعتبرت نواة المسرح الوطنى الجزائرى الحالى ، وقامت هذه الفرقة بمهمتها النضالية التى اسندت اليها وانحصر دورها الرئيسى مبدئيا فى تكذيب دعايات المستعمر والدعوة الى الثورة وقدمت مسرحيات عديدة منها « نحو النور » فى شهر مايو ١٩٥٨ بتونس ، ومسرحية « ثمن الحرية » و « ابناء القصبة » و « الخالدون » و « دم الاحرار » ٠

و ـ المرحلة السادسة : كانت هذه المرحلة بداية لميلاد مسرح عربى رسمى فى الجزائر فمع نيل الجزائر استقلالها عام ١٩٦٢ اعلن عام ١٩٦٣ عن انشاء المسرح الوطنى فى الجزائر وفتح فروعه الجهوية فى كل من وهران وبلعباس وقسنطينة وعنابة ٠ ولكن هذا المسرح لم يكن فى مستوى مطامح الجماهير ولا الرسالة التى انيطت به وظل يتخبط فى مشاكل لاحصر لها حتى تدخلت وزارة الاعلام والثقافة وتبنت مخططا رسميا شاملا لعام (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤) يعمل على جعل المسرحالوطنى فى مستوى الاحداث والتطورات التى تشهدها الجزائر العربية خاصة فى ميدان الثقافة العربية والتعريب والتخلص منرواسب الاستعمار الفكرى الرهيب ٠

٢ ـ الآفاق الجديدة للمسرح العربى فى الجزائر :

اندفع المسرح الوطنى الجزائرى منذ بداية الموسم الجديد (٧٣ ـ ٧٤) فى انتاج متصل وغنى ـ كما وكيفا ـ اذ قدم حتى الان (يناير ١٩٧٤ م) اربعة عروض ، ومايزال يعدنا بمثل هذا العدد من العروض حتى نهاية الموسم :

« باب الفتوح » لمحمود ذياب ، قدمت للجمهور الجزائرى صورة فكرية واضحة عنالاسباب الحقيقية لذكرى سنة ١٩٦٧ ٠

« بوحدبة » و « سلاك الخاصلين » لمحمد التورى (الثانية عن موليير) ، احيت ذكرى رائد من رواد المسرح الجزائرى ،وتعرضت لمشاكل اجتماعية واخلاقية هامة مازال تشغل ضمير الجمهور ، بالاضافة ايضا الى ماقدمه هذا العرض من دراسة فى اطار البحث عن اسلوب المسرح الذى تؤمه الجماهير الان ٠

« العاقرة » ـ لزاهير ـ احد شباب المسرح الوطنى ـ وقد ناقشت امراضا اجتماعية هامة مازال تؤرق المجتمع الجزائرى ، وجانبا كبيرا من المجتمع العربى ، كما فتحت الباب امام الجهود الشابة الساعية لاثراء التاليف المسرحى ٠ « بنى كلبون » لـ عبد الرحمن ولد كاكى ٠ ولقد عرض صورة للتناقض بين الفرد والمجتمع مبرزا اهمية العدل والحق والالتزام بهما ٠ فى اسلوب ظاهره ملحمى ٠

ومن اهم النتائج التى حققتها هذه العروض ـ او اغلبها ـ اجتذاب عدد هام من المتفرجين يتزايد يوما بعد اخر ولا يخفى ان الجمهور من الدعامات الاساسية لقيام المسرح وممارسته لوظيفته الاجتماعية والثقافية ٠ وللاستدراك اشير الى ان هذه العروض قدمت فى مسرح الجزائر العاصمة بينما عرض مسرح وهران عاصمة الغرب الجزائرى « الجفوة » لعلولة ٠ وربما كانت « الجفوة » علامة للطريق الذى رسمه علولة للمسرح ٠ ولكن المسرح الوهرانى قام بعملية فريدة من نوعها فى تاريخ المسرح العربى فى الجزائر او ربما المسرح

العربي ايضا وهي عملية التاليف الجماعي وفي هذا الاطار قدم « المائدة » وقد ناقش فيها بعض قضايا الثورة الزراعية . ولا ننسى بهذا الصدد الدور الذى تلعبه فرق الهواة المسرحية البالغ عددها ٤٥ فرقة موزعة عبر التراب الوطني الجزائري وتستمد اعمالها من الحياة اليومية للناس بالاضافة الى الفرق التابعة للمؤسسات التابعة للدولة .

٣ ـ مدرسة تكوين الاطارات المسرحية :

لقد قامت مدرسة برج الكيفان منذ افتتاحها سنة ١٩٦٥ بتخريج افواج محدودة العدد من الممثلين يكونون الآن جانبا هاما من المسرح الوطني بالعاصمة ووهران ، ويكونون الجسم الكامل « للفرقة الوطنية للرقص الشعبي ، واذا كانت المدرسة في سنوات عمرها القليلة قد اعترتها بعض العيوب ومظاهر النقص ، فان القانون الذى اصدرته الدولة سنة ١٩٧٠ م لتنظيمها يعالج كل مظاهر النقص هذه سواء بالنسبة لاختيار الطلبة او بالنسبة لبرامج التعليم والتكوين ومايلزم لتنفيذها بالضرورة من اساتذة يقومون على تنشئة الفنان المسرحي الناطق بالعربية . ومن باب التذكير اشير الى ان وزارة الاعلام والثقافة بدات في تنفيذ مشروع « انشاء المسرح الاقليمي لعام ١٩٧٤ » على ان يكون مقره الدائم قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ، وان تكون جولاته عبر المدن والقرى الجزائرية الهدف الاول والاساسي ، وسيراعى تحقيق هدفين رئيسيين هما : اجتذاب الجماهير ، والصياغة الفنية العلمية للعرض المسرحي ، وهما هدفان يكفي النجاح في تحقيقهما لانجاح فكرة المسرح ، ولضمان تطوير مشروع التوسع المسرحي .

٤ ـ مشاكل المسرح العربي في الجزائر :

ان ابرز مشاكل المسرح العربي في الجزائر هما التاليف واللغة ، فهما مشكلتان متداخلتان بالنسبة للبيئة المسرحية الجزائرية ،وربما بالنسبة لجميع الفنون التعبيرية التي تقوم على الكلمة ، وان لكل من المشكلتين بطبيعة الحال جوانب واعتبارات تاريخية وواقعية اجتماعية تختلف في الواحدة عن الاخرى . فالقصور الواضح في التاليف المسرحي الآن ، امر مرحلي يبرزه الواقع التاريخي للجزائر ـ هو امر مرحلي بالنسبة للغة لان التعريب عمره مايزال قصيرا بالنسبة لتاسيس الحضارة اللغوية اللازمة للتاليف بنفس اللغة اى اللغة العربية . وهو امر مرحلي بالنسبة للتاليف ذاته ، لان المؤلف ابن عصره ، وابن حضارته ،وابن المجتمع السياسي والاقتصادي الذى يصوره ، وترتيبا على ذلك فمن المنطقي ان ننتظر بعض الزمن حتى يولد صف من المؤلفين من ابناء المرحلة الجديدة ، مرحلة الاستقلال والبناء والتشييد .

ومهما يكن من أمر فان الحركة الثقافية العربية في الجزائر تنمو بسرعة وتسير حركة التعريب سيرا حسنا وفق المخططات المرسومة لها . ولا شك ان كل عربي ينظر الى الجزائر اليوم وكله امل وثقة ان يراها مركز اشعاع ومعرفة وازدهار للثقافة العربية المزدهرة في مغربنا العربي الذى هو جزء لايتجزأ من الوطن العربي الكبير ولعل في هذا يكمن الدور الكبير الذى ينتظر ان يقوم به المسرح العربي في الجزائر لتحقيق هذا الهدف النبيل . ■■

الجزائر ـ سلامة عبد الرحمن
(ابن الدوايمة)

أربع بأربع

● قال النبي صلى الله عليه وسلم :« من أعطى اربعاً أعطي اربعا ، وهي في كتاب الله : من أعطي الذكر ذكره الله لقوله تعالى : (اذكروني أذكركم) ، ومن أعطي الدعاء أعطي الاجابة ،لقوله تعالى : (ادعوني استجب لكم) ، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة ،لقوله تعالى ، (ولئن شكرتم لازيدنكم) ، ومن أعطي الاستغفار اعطي المغفرة ،لقوله تعالى : (استغفروا ربكم انه كان غفارا) . »



بريطانيا
وهل ستستغني عن البترول العربى ببترول بحر الشمال ؟

● كثر الحديث مؤخرا عن بترول بحر الشمال وعن نجاح بريطانيا فى اكتشاف كميات كبيرة منه .. ترى هل سيصبح فى امكان بريطانيا الاستغناء عن البترول العربى تبعا لتلك المكتشفات ... ومتى يكون ذلك ، لو صح اصلا .. !

ــ بترول بحر الشمال ليس وقفا على بريطانيا. فالنرويج لها نصيب كبير فيه .. ذلك ان الدول المعنية اتفقت منذ سنوات على اقتسام بحر الشمال، بل قل جرفه القارى (كما يسمون القاع القريب من الشواطئ، حيث يوجد البترول) فكان القطاع الالمانى والقطاع الدانمركى والقطاع الهولندى وكان القطاعان الرئيسيان قطاع بريطانيا وقطاع النرويج .

تقول رئيسيان نظرا لمخزون البترول الكبير الذى اكتشف فيهما ولم يكتشف بعد فى غيرهما . هذا واعمال التنقيب والاستكشاف قائمة على قدم وساق لا فى قطاعات بحر الشمال التى ذكرنا فحسب . ولكن فى بحر السلتيك Celtic الذى يفصل ارلندة عن بريطانيا وفى بحر المانش ايضا . ولا يخفى ان تلك الاعمال نشطت كثيرا فى اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ حينما استعمل البترول سلاحا من اسلحتها .

ويبلغ مخزون البترول الخام فى القطاع النرويجى ٣ ــ ٥ الاف مليون برميل .وهذا احتياطى كبير يتيح انتاجا متواصلا كبيرا قد يصل الى مليون برميل يوميا .

وقد بدأ انتاج البترول فى القطاع النرويجى فى غضون السنة الحالية ١٩٧٤ . وبدأ بخاصة فى حقل ايكوفسك Ekofisk اكبر حقول ذلك القطاع اطلاقا .

اما فى القطاع البريطانى المجاور فتضاعفت الارقام . اذ يبلغ مخزون البترول الخام فيه حوالى ٨ ــ ١٤ الف مليون برميل . وهذا يكفى لانتاج نحو ٣ ملايين برميل يوميا . ومعنى ذلك ان حظ بريطانيا من بترول بحر الشمال يزيد على حظ النرويج منه بحوالى ٣ اضعاف . وقد ترتفع هذه النسبة تبعا للمكتشفات الجديدة التى تفاجئنا بها اعمال الاستكشاف المستمرة شهرا بعد شهر . وتجدر الاشارة الى ان هذه الاعمال تركزت فى المدة الاخيرة فى اقصى الشمال من القطاع البريطانى حيث توجد جزر شتلاند الى الشمال من اسكتلندة .

وسيبدأ انتاج البترول الفعلى فى هذا القطاع البريطانى فى مواعيد مختلفة فى حقوله المختلفة .. وستكون باكورة هذا الانتاج فى حقل فورتيز Forties الشهير وحقل ارجيل Argyll وذلك فى غضون السنتين القادمتين . اما حقول فينيان وبرنت وهى الحقول العظيمة الواقعة فى اقصى الشمال فسيتأخر انتاج البترول حتى سنة ١٩٧٨ او بعد ذلك . الا انه لن يتأخر عن سنة ١٩٨٠ .

نأتى الان الى الشق الثانى من سؤالك لنجيب عليه بالايجاب . فالظاهر ان بترول بحر الشمال سيمكن بريطانيا من الاكتفاء ذاتيا ويغنيها عن البترول العربى . وغير العربى . ذلك ان حاجة بريطانيا التى تبلغ فى الوقت الحاضر نحو ١٠٠ مليون طن سنويا (= حوالى ٢ مليون برميل



يوميا) ستزداد وتصبح ١٥٠ مليون طن سنويا (= ٣ مليون برميل يوميا) اعتبارا من عام ١٩٨٠ · وهذا هو مقدار الانتاج المرتقب من البترول الخام في القطاع البريطاني في مطلع الثمانينات · وهناك من يقول ان بريطانيا قد تصبح من الدول المصدرة للبترول في اواخر العقد القادم ·

اما النرويج فقد حققت الاكتفاء الذاتي فعلا وستباشر تصدير البترول الخام الى الخارج في المستقبل القريب ·

(ى · ز)

ملاحظة : يقدر احتياطي البترول العربي بنحو ٤٠٠ الف مليون برميل ·

اللغات السامية

● يمر علي كثيرا فيما اقرأ ، ان لغتنا العربية احدى اللغات السامية ، فما هذه اللغات ؟ واي البلاد كانت تتكلمها قبل . او تتكلمها الآن ؟

عمار نويوة/باتنة/الجزائر

ـ السامية لفظة او مصطلح يعني في مدلوله الحديث مجموعة من اللغات او الشعوب التي تنطق بتلك اللغات وتربط بينها قرابة الاصول العنصرية واللغوية . وقد تسمت اللغات السامية ست مجموعات هي :

١ ـ مجموعة اللغات الاكادية (او الكلدانية) والبابلية والاشورية فيما بين النهرين بالعراق ، وهي تشمل البابلية في جنوبي العراق، والاشورية في شماليه ، وقد امتد نفوذها هنالك مما قبل القرن العشرين (ق . م) حتى نهاية القرن الرابع (ق . م) حين قضت عليها الارامية .

٢ ـ مجموعة اللغات الكنعانية في الشام ، ومن فروعها الفونية (الفنيقية) والعبرية ، ومن فروع الفونية اللهجة القرطاجية نسبة الى قرطاجنة التى كانت تقع بجوار مدينة « تونس » اليوم) ، وقد انتشرت في مستعمرات الفونيين في شمال افريقية وسواحل البحر المتوسط وجزره ، وبقيت سائدة منذ القرن العاشر (ق.م) حتى نهاية القرن الخامس الميلادى ، بل القرن السابع ، حين قضت عليها العربية ، واما العبرية فقد تداولتها اطوار مختلفة وبقيت لغة تخاطب من نحو القرن الثالث عشر (ق.م) حتى اواخر القرن الرابع (ق.م) حين قضت عليها الارامية في التخاطب فانحصرت في المعابد والمدارس ، وقد حاول اليهود احياءها على الالسنة مرات دون جدوى ، وآخر محاولاتهم ما يجرى اليوم في اسرائيل ، ولكن عبريتهم اليوم تختلف كثيرا عن العبرية القديمة في معظم اطوارها وتغيراتها السابقة ·

٣ ـ مجموعة اللغات الارامية ، وهى طائفتان كانت تفصل بينهما صحراء الشام ونهر الفرات : الطائفة الشرقية العراقية في جنوبى العراق وشماليه ، ومن فروعها في الجنوب المندائية او المنداعية ، ومن فروعها في الشمال الحرانية والرهاوية وهى السريانية وهذه السريانية اهمها جميعا واما الطائفة الغربية فسادت في الشام وسيناء واهم فروعها الارامية الفلسطينية الحديثة، وكانت الارامية لغة دولية رسمية في الشرق من فارس حتى مصر ، وقد ظهرت منذ القرن الخامس

عشر (ق.م) وبقيت حية منتشرة حتى قضت عليها العربية في التخاطب بعد الفتح الاسلامى ، بل بقيت كذلك في بعض قرى لبنان حتى نهاية القرن السابع عشر ، ويقال انها حية الآن في ثلاث قرى بالشام وبعض قرى العراق شرقي الموصل وشماليه.

٤ ـ المجموعة اليمنية : وهى تشمل المعينية والسبئية والحميَرية القديمة والحضرمية ، وقد قضت عليها العربية قبيل ظهور الاسلام .

٥ ـ المجموعة الحبشية السامية ، وهى تشمل اللهجات الجعزية والامهرية ، والتجرينية ، والتيجرية ، ومن الامهرية تفرعت الجوراجية والهررية (نسبة الى مدينة هرر) .

٦ ـ المجموعة العربية : ولا يعلم شيء وثيق عن نشأتها ، وهى قسمان : بائدة واقدم آثارها يعود الى القرن الاول الميلادي وقد تأثرت كثيرا بالارامية لمجاورة اهلها ومساكنتهم الاراميين جنوبي اطراف الشام وكانوا اشد تحضرا من اخوانهم العرب ويمثل هذه العربية ، ما عثر عليه هناك اخيرا من النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية وغيرها .

والقسم الثانى هو العربية الباقية الآن واشهر لهجاتها اللهجة القرشية التى جاء بها القرآن الكريم ، والتى نتكلمها حتى الآن ، وقد غلبت كل ما عداها ما غالبته من اللغات واللهجات السامية فيما يسمى الآن البلاد العربية ، والى هذه اللغة تنتمى كل اللهجات الدارجة فى هذه البلاد ، ثم هناك اللهجة المالطية (فى جزيرة مالطة) واصلها لهجة عربية مغربية دارجة .

(م • خ • ت)

احلم من الاحنف

● العرب حتى اليوم يضربون المثل بالأحنف فى الحِلم ، فيقولون « أحلم من الاحنف » . فمن هو ؟ وهل كان أحلم العرب ؟ أو لم يكن بينهم مثله من الحُلماء ؟

عبد الرحيم المهندس/منيل الروضة/مصر

ـ اشتهر العرب منذ الجاهلية بفضائل كثيرة ، فاخروا بها ، وفى مقدمتها الشجاعة والسخاء ، واباء الضيم واكرام الضيف ، ورعاية الجوار ، والوفاء بالوعد ، وحماية المرأة والضعيف ،وكلها تعد انسانيا من مكارم الاخلاق ، واذا كنا نعد فى تاريخ العرب مئات من الشجعان والكرماء ونحوهم ، فلا نعد مثلهم بين الحلماء، وقد لا تكون نسبة الحلماء فى العرب اقل من نسبتهم فى سائر الامم ، لكن الحلماء فى كل الامم ندرة ، والحِلم من أندر الفضائل بين البشر جميعا ، وقد احسن العرب فى المغالاة بفضيلة الحلم ، ولذلك يقول الاثر « الحلم سيد الاخلاق » ولا نقول : ان الاحنف ابن قيس كان احلم العرب ، وانه لم يكن بينهم من يكافئه حلما ، ولكنا نقول : انه كان قمة فى الحلم تعز مطاولتها ، اذ كان سيد بنى تميم ، وهم من اعز القبائل العربية واكثرها نفرا ، واغناها واوسعها انتشارا ، وقد انتهت اليه زعامتهم منذ شبابه حتى وفاته سنة ٧٢ هـ اى فى اخريات عهد الخلفاء الراشدين واوائل عهد الامويين وكان تابعا صالحا حكيما عليما ، اشترك مع على ضد معاوية فى صفين ، وشارك فى كثير من الفتوح فى المشرق ايام الامويين ، وكان يقال فيه : انه اذا غضب غضب له مائة الف سيف لا يدرون لم غضب ، ولكنه مع ذلك كان متواضعا وديعا كثير الصمت ، قليل الكلام نادر الغضب .

والحلم ـ وهو قمة الفضائل ـ يشتبه باطنا وظاهرا بنقيصتين : ضعف الاحساس ، والذل : فضعيف الاحساس لا يستشعر وقع الاساءة بكل ثقلها ، فيقل غضبه ، والذليل قد يستشعر وقع الاساءة ولكنه ـ لضعف حوله او حيلته ـ يحتمل، فيقل غضبه ايضا ، واما الحليم فانه يستشعر اى اساءة ، ويهتز لها بعنف ، ولكنه يكبح جماح نفسه بقوة ادبية اكبر يستمدها من يقظة ضميره وعقله ، فيهدأ ، اذ يرى نفسه اكبر واوسع من ان تضيق بالاساءة ، ويرى عقله اوسع من ان تحصره اللحظة الحاضرة عن التطلع لما بعدها من

عواقب ، فيتجاوز الاساءة الراهنة تفاؤلا او تقديرا لمستقبل افضل ويزيده اطمئنانا شعوره بالقدرة على رد الاساءة ، ثم غبطته بالعفو عنها، او امتلاكه لامره وكظم غيظه وغضبه ، وكلمات الاحنف واخباره توضح ذلك ومنها قوله « رُبَّ غيظ تجرّعته مخافة ما هو أشدّ منه » وقوله « ما احب ان لي بنصيبي من الذّل حُمر النّعم » فقيل له : « انت اعز العرب » فقال : « ان الناس يرون الحلم ذلا » ، وسأله احد المعجبين به ان يعلمه الحلم ، فقال له : « او تحتمل الذل ؟ » فلما قال « لا » اجابه : « لن تتعلم الحلم حتى تحتمل الذل ٠ »

(م ٠ خ ٠ ت)

فضيحة ووترجيت بدأت بحادث سطو فى عام ١٩٧٢ وانتهت باستقالة نيكسون فى عـــام ١٩٧٤

● قرانا فى الصحف وسمعنا فى الاذاعات نبأ استقالة الرئيس الامريكى نيكسون بسبب ادانته فى فضيحة ووترجيت فهل لكم ان تذكروا لنا لماذا سميت بووترجيت ومتى بدأت وتطوراتها بايجاز ٠

حمود الغادرى ـ المكلا

ـ « ووترجيت » هو اسم احدى البنايات الضخمة الواقعة على نهر بوتوماك فى مدينة « واشنطن » وفى هذا المبنى الضخم تقع مكاتب اللجنة القومية للحزب الديمقراطى الامريكى ٠وفى ليلة ١٧ يونيو ١٩٧٢ وبعد ان انتصف الليل بقليل شعر الحارس الليلى للمبنى بحركة غير عادية فى احدى الغرف المخصصة لمكاتب اللجنة القومية للحزب الديمقراطى، واقتحم الحارس الغرفة ووجد عددا من الشبان يقومون بتركيب اجهزة للتجسس ، وتصوير المستندات الموجودة فى المكاتب ٠ وتم القبض على هؤلاء الشبان ، وكان من بينهم جيمس ماكورد مدير الامن فى لجنة المواطنين لاعادة انتخاب الرئيس نيكسون التابعة للحزب الجمهورى ٠وبدات الفضيحة تتفجر وخاصة بعد ان قام صحفيان يعملان فى جريدة « واشنطن بوست » وهما « روبرت وودورد » وكارل برنشتاين » بنشر سلسلة من المقالات تبين ان البيت الابيض له علاقة وثيقة بقضية ووترجيت وان نيكسون قد اصدر اوامره بتغطية القضية ٠ وشيئا فشيئا بدات دائرة الاتهام تتسع لتشمل عددا كبيرا من مساعدى نيكسون ومستشاريه٠ واثناء التحقيق مع « جون دين » مستشار نيكسون القانونى فى اواخر شهر يونيو عام ١٩٧٣ تفجرت قضية تسجيلات البيت الابيض ، وطلب قاضى التحقيق « جون سيريكا » من الرئيس نيكسون تسليمه التسجيلات المتصلة بالقضية ٠ ورفض نيكسون تسليم اشرطة التسجيل ٠ وفى شهر اكتوبر ١٩٧٣ قررت اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب الامريكى البدء فى اجراءات توجيه الاتهام الجنائى الى نيكسون ٠٠ وبعدها وافق نيكسون على تسليم بعض الاشرطة ٠ وشغل الرأى العام الامريكى بقضية ووترجيت ٠ وبدات الاصوات تنادى باستقالة نيكسون او اقالته عن طريق محاكمته فى مجلس الشيوخ ، وفى ١٣ يوليو ١٩٧٤ اصدرت لجنة التحقيق فى القضية تقريرها النهائى الذى يقع فى ٢٢١٦ صفحة ، واعلنت فيه ان هذه القضية توضح بجلاء الفساد والخداع والاحتيال وسوء استغلال السلطة ، وفى نهاية شهر يوليو من هذا العام اصدرت اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب توصية نهائية بتوجيه الاتهام الجنائى الى الرئيس نيكسون ومحاكمته امام مجلس الشيوخ وعزله من منصبه بعد ان اقرت ٣ تهم رئيسية موجهة اليه وهى اساءة استخدام السلطة ، وتغطية فضيحة ووترجيت ، وتجاهل سلطة الكونجرس ٠

ووضع نيكسون حدا لهذه الفضيحة وآثر الاستقالة على التعرض للمحاكمة امام مجلس الشيوخ وخاصة انه اذاع بيانا اعترف فيه بمسئوليته الكاملة عن فضيحة ووترجيت قبل استقالته بايام٠

(م ٠ ط)



بقلم : سنية قراعة

■ وقفت امام القصر الشامخ تملأ منه العينين، وقد اخذتها روعته وانتشت بعبير ورود حدائقه، وملحوت من الزهير متعددة الالوان ، وندت عن شفتيها صرخة خفيفة وتخيلت دوحه الباسق ، ونخلاته العالية ، كأنها مردة تحيط باحدى قلاع مطلقات الحسن في احدى حكايات عجائز قريتها ..

وعندما بدات - مع مثيلاتها من الرقيق المستجلب من بلاد التتار والكرج وجبال الاناضول وغيرها - تخطو خطواتها الاولى الى داخل القصر نسيت تصوراتها وأحلامها الأولى ، وبدات تحيا في حلم من ضباب شفاف كساها غلالة من غموض نسيت معها مشاق الرحلة الطويلة ، وصيحات المزايدين في سوق « الجوارى الشركس » وايقنت انها تدخل الجنة ذات السرر المرفوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة ، ولكنها عندما سمعت صوتا رقيقا يفتح لها باب مقصورتها الخاصة ، دارت بها الارض من الرهبة ، وراحت في اغماءة طويلة ..

وبدات الجارية الشركسية الشابة تحس بواقع وجودها شيئا فشيئا ، وقد سمعت اصواتا تهمس وتتهامس ، ورات حركة وحياة وسمعت صوتا يناديها باسم « نفيسة » . فبهتت ولم تجب وسرعان ماهمست « القهرمانة » في اذنها بانها هي نفيسة .. وان هذا هو اسمها المختار ، لانها نفيسة في الحسن .. والفتنة .. والدلال .. لقد ابتسم لها القدر فحملها على اجنحة الورد من جبال وتلال بلاد الكرج الى قصر « علي بك بلوط قبان » المعروف باسم « علي بك الكبير » شيخ البلد ، لتكون ضمن جواريه العديدات ... ومرت الايام .. واحست المشرفة على شئون قصر علي بك الكبير براحة نحو نفيسة ، فقربتها وقررت بينها وبين نفسها ان تدخل في مغامرة شخصية



من اجلها . وهي واثقة من ان النجاح سوف يكللها . فان للجارية الشابة ، سلاح الذكاء اللامع ، والعقل الثاقب وبعد النظر ، وحسن التصرف في الامور ٠٠

كانت المشرفة على شئون القصر وجواريه ترجو ان تدبر لقاء عابرا يبدو وكانه من فعل المصادفة البحتة ، فتجعل نفيسة تقف في طريق سيدها فيراها ، فتروق في عينيه ، وتصبح جاريته الاثيرة عنده ٠ وتم كل شيء ، كما تصورته « القهرمانة » ووقف علي بك الكبير ، ذات صباح ضاحك امام جارية وضاءة الملامح تتالق عيناها بالذكاء ٠

وهكذا ٠٠ وبقوة الاعداد المحكم ليلتقي السيد بجاريته ، انتقلت نفيسة من حال الى حال ، واصبحت الاثيرة عند سيدها ، اذ وجد فيها ميلا للوحدة وكراهية لحياة جوارى القصور وماتميزت به هذه الحياة من وشايات ، ودسائس ومؤامرات ثم ٠٠ لزلزلة نساء فارغات القلب والعقل ٠٠ كانت تريد ان تعرف ٠٠ وان تتعلم وخاصة الدين ، وبعض مايناسبها من علومه واحكامه ٠٠

والواقع ان نفيسة كانت كلما سمعت انباء اهل العلم ، وكيف تتسع لهم شتى مجالات الصدارة ، ويؤخذ برايهم في كل دقائق الامور ـ زادت رغبة في المعرفة ، لالتكون في مكان مَن تعظ ، او توجه او تفتي ، ولكن في مجال يرقى بها فوق مرتبة الجارية ، وتحقق لها ماارادت ،ولكنها كانت تتطلع الى مزيد من الرفعة ٠

واقام شيخ البلد لجاريته الاثيرة نفيسة البيت الذى كانت تتمناه ليكون لها وحدها دون جواريه العديدات ٠٠ وسرعان ماانتقلت اليه في مكانه المختار بدرب عبد الحق المشرف على بركة الازبكية، وبدات تمارس حياتها الجديدة كاحدى سيدات القصور وحولها الجوارى والخدم والاتباع ٠ وصارحها يوما بانه يود ان يتمكن ـ بوصفه شيخ البلد المصرى الاصيل الذى تناسى جنسيته الفعلية ـ لتكون له السلطة كل السلطة بين يديه لتخلص له مصر وحده ، فلا يكون للوالي العثماني ، ولا للسلطان نفسه عليها من ولاية ، او سلطان !! فصارحته بالموافقة وأن عليه ان تكون له عيون في مصر والاستانة عند الباب العالي ٠

لقد بدا علي بك حياته مغامرا جريئا ، وانه ليجد في نفيسة ظله وانعكاسات طموحه ، فيزداد اعجابه بها لانها ، جريئة في غير تهور ، تحب المغامرة وتطرق بابها في حذر الواثق المتمكن ، لتدخل حلبتها وهي على استعداد لكل الوان المفاجاة ٠

وبدات الايام تمر ٠٠ وعلى بك يرقب نفيسة ، ولم يترك فرصة تمر دون استغلالها حتى لقد راح شيخ البلد يمضى مسرعا الى اهدافه مهما كانت التضحيات ٠

وحل عام ١٧٦٨ ٠٠ وتسلم على بك رسالة شخصية من مولاه السلطان ٠٠ واسرع بها الى « درب عبد الحق » وهو لا يصدق ما كانت تحويه ، وهمس في اذن نفيسة بان الحرب قد قامت بين روسيا والباب العالي ، وان السلطان يطلب منه ان يعينه في هذه الحرب بجيش قوامه اثنا عشر الف مقاتل ٠

وضحكت نفيسة وهي تؤكد لشيخ البلد ان عليه ان يسرع في اغتنام الفرصة ، فيجمع الجيش الكبير ، دون ان يثير ريبة الوالي ،او اغا الانكشارية ، او كارهيه من بكوات المماليك ، لانه انما ينفذ امر السلطان وانه ـ حين يصبح له هذا الجيش المصرى الكبير ـ سيصبح هو سيد الموقف الذى يستطيع املاء ارادته على السلطان نفسه ليعصل منه ، ولو عن طريق القوة ، ما كان يتوق اليه من تفرد بالسلطان ! ! وللمرة

الاولى منذ الغزو العثماني وفي ظل الامر السلطاني نفسه ، اصبح لمصر جيش مستقل عن جيش السلطان بعيدا عن تدخل اغا الانكشارية وقادة الولاة وغيرهم ..

وبدات اصابع الحاقدين تنسج مؤامرة ، للوقيعة بين السلطان وشيخ البلد الذى قيل انه انما يجمع الجيش الكبير لا ليساعد مولاه ، بل ليفرض عليه ارادته ، وانه قد يتحالف مع الروس على السلطان ، ويحارب في صفهم للقضاء على النفوذ العثماني في الشرق ويكون جزاؤه الاستقلال عن السلطان .. ووجدت الفرية الدنيئة صداها في قلب السلطان الذى تناسى مشاكله مع الروس وشغل نفسه بما تصوّره من مشاكل سيواجهه بها على بك الكبير ، ومن هنا اتجه الى حربه خفية عن طريق المؤامرة ، للتخلص من المنافس الجديد ..

وضحك على بك ساخرا ، وقد وقع في يده رسول السلطان القادم الى محمد باشا الاورفلى الوالى على مصر برسالة من سيده ، يأمره فيها ان يدبر مؤامرة سريعة يتخلص فيها من على بك بقتله ، قبل ان يستفحل خطره . وقد اعطاه غدر السلطان فرصة الخروج عليه وجمع مماليكه وقادة جيشه وكشف لهم مؤامرة مولاهم السلطان وامره بقتله ، والتخلص من خلصائه . وهكذا جمعت مؤامرة السلطان قلوب المماليك حول شيخ البلد ، فجردوا سيوفهم واقسموا على الوفاء له . ثم اسرع بتنفيذ خطته ، فطرد الوالى العثماني من مصر .

وفي عام ١٧٦٩ اعلن على بك الكبير استقلاله بمصر ، وبلاد الحجاز ، وحرم دخولهما على الولاة العثمانيين واجنادهم واطلق على نفسه اسم « سلطان مصر ، وخاقان البحرين ، وحامى حمى الحرمين الشريفين » ، ونقش السكة باسمه ، وخطب له على منابر المساجد ..

وبدات الاماني توالى نفيسة ، فقد وصلت ووصل رجلها ، وانه اليوم لسيد البلاد ، وانها بدورها لسيدة البلاد المقصودة الرحاب التى يلهج الناس بذكر محامدها واسراعها الى مد يد المعونة الى من يسالها ، او تسالها المعونة ولكن .. هل بقى الخط الباسم المطيع بباب نفيسة وباب سيدها كما تعودت ان تراه .

وتقاربت رءوس المحرضين وعلى رأسهم محمد ابو الذهب ، مملوك على بك وقائد جيشه الظافر الذى استولى في تلك الاونة على الشام ، وضمه الى ملك سيده ، وهذا تحد صارخ للباب العالى سيد هذه البلاد .

واقسم ابو الذهب لاعوان السلطان العثماني انه على استعداده التام لخيانة سيده ، لقاء الثمن وهو ولايته على مصر ، فوافقوه وتمت الصفقة الدنيئة .

كان محمد بك ابو الذهب يعلم ان المؤامرة سيقدر لها الفشل ولا جدال اذا لم يشترك فيها عمليا رجل من اثنين .. ابراهيم بك .. او مراد بك .. ولما كان ابراهيم بك قد تزوج من شقيقة على بك الكبير ، فقد كان من العسير ان يشترك في خيانة صهره .. اذا .. فلم يبق غير مراد بك الذى كان اشجع واكثر حبا للمغامرة خاصة وانه سيتحقق له من وراء نجاحها امل حلو ، ولم يكن امله هذا غير « نفيسة هانم » .

وباع المملوكان ابراهيم ومراد سيدهما على بك الكبير ، باعه اولهما للسلطان ورجال المابين (الوزارة) بالولاية لقاء تفريطه في استقلال مصر .. وباعه الثاني بان اصبحت له نفيسة التى قدر لها ان تترك بيت سيدها الى بيت الرجل المتمرد الحاد الطباع مراد بك ليتزوجها .. ويصبح اسمها من ذلك الوقت نفيسة المرادية التى كتبت اسمها في اظهر سجلات التاريخ الحديث ..

ودخلت نفيسة بيت مراد واصبحت فعلا سلطانة مصر ، وزوج مراد السفاح شريك شيخ البلد الطيب ابراهيم بك ... وبدات الجارية السابقة تشترى الجوارى والخدم ... وبدات كذلك بوحى من قلبها الطيب تقدم المساعدات لكل محتاجة ومحتاج واسرعت تسهم في تخليد آثار باقية يذكرها الناس بها على كر العصور فشيدت خانا ، وبنت صهريجا للمياه داخل باب زويلة في القاهرة . وكانت تحس بالعطف على الشعب الذى بالغ زوجها في القسوة معه ، وطالما وقفت في وجهه تحاول رده عما كان يعتزم ، لانها كانت تؤمن وهي احدى بنات الشعب انه لابقاء الا للشعب ، وكم تمنت نفيسة لو ان زوجها مراد بك كان عادلا محسنا لاحبه شعبه ولكان له الحمى في الاوقات العصيبة التى الّمت به منذ ٣٠ يونيو

١٧٩٨ عندما نزلت حملة بونابرت فى ميناء الاسكندرية ٠٠٠

ودخل بونابرت وحملته الى مصر ليؤسس امبراطورية شرقية تمنى ان يجعل من نفسه امبراطورها وان يقطع الطريق على عدوته بريطانيا فى املاكها التى لاتغرب عنها الشمس٠٠٠ وبوصوله الى الاسكندرية مع اسطوله وجيشه٠٠٠ وتحركه الى القاهرة ودخوله اياها مع جنرالاته واركان حربه ٠٠٠ لم تدخل المشاكل والاضطرابات مصر وحدها ، بل دخلت ايضا الى بيت نفيسة الوادع ٠٠٠ وكانت اول المشاكل بالنسبة لها هزيمة مراد فى موقعة شبراخيت وفراره مع مماليكه واعوانه امام بطاريات بونابرت لينظم جيشه وخطوط دفاعه لصد الفرنسيين كما ادعى ٠٠٠ واحست نفيسة ساعة دخل مراد عليها بيتها فى الجيزة ان سوء الطالع قد رجع مع عودته ٠٠٠ وان مأساة الامس القريب تتجدد فى صورة ابشع فتذكرت هزيمة على بك الكبير على اثر خيانة ابى الذهب ومراد ولكنها رأت عظم الفارق بين الهزيمتين والعودتين : الاولى الى بيتها فى درب عبد الحق والثانية فى الجيزة ٠٠٠ وايقنت أن عودة زوجها هذه المرة ليست ككل عودة لانها عودة لابد أن يعقبها استعداد وتنظيم ومقدرة وجهاد لم خروج الى عودة أو ٠٠٠ لاعودة بل ٠٠٠ الى وداع ٠٠٠

ووقفت نفيسة قلقة فى شرفة قصرها فى الجيزة ترقب زوجها وقد انطلق وسط مماليكه الى موقعة امبابة ٠٠٠ او كما يسميها البعض موقعة الاهرام ٠٠٠ هل ينجح مراد هذه المرة فى صد قوات الغزو ،فتدور الدائرة على بونابرت وجيشه ام ماذا يحدث ٠

كانت قلقة ، لا من اجل نفسها او زوجها بل ٠٠٠ من اجل مصر وقد بدأت تحس انها وهى الشركسية الغريبة تتخلص من اصلها الطورانى وتشعر انها مصرية لحما ودما وتفكيرا٠٠

وتلاقى الغريمان فى امبابة ٠٠٠ واعطى بونابرت شارة الهجوم وحصر قوات المماليك فى مربع محكم التحصين من بطارياته ، لم يستطع كر المماليك وفرهم ان يؤثر فيه ٠٠ وانطلقت النيران كالحمم ٠٠٠ والتحمت الاسلحة البيض ٠٠٠ ولم تلبث قوات المماليك ان راحت تتسلل هاربةتطلب النجاة ٠٠٠ وكان مراد الرهيب أول الهاربين ٠٠٠ واسرع المتسلل الهارب الى بيته لا ليودع زوجته الفاتنة نفيسة ، بل ليحمل ماخف وزنه وغلا ثمنه ويحمّل زوجته بعد ذلك هول المسئولية فيكلفها بالحذر والمراقبة وان تكون على اتصال دائم به فى المكان الذى سيلجأ اليه من صعيد مصر ٠

وخلا قصر مراد من مراد ٠٠٠ وبدأت نفيسة تستشعر هول الوحدة ، ولم تلبث ان استيقظت من كابوس ظلت تقاسى وطأته فقد ايقظتها ابواق مقدمة جيش بونابرت وقد وصل بنفسه الى الجيز٠، وتخير بيت مراد لسكناه ٠٠٠ وشعرت نفيسة وهى تغادر مملكتها الصغيرة أن الحظ قد ادبر عنها وأن عليها من اليوم ان تواجه ظروف القدر بقلب ثابت ٠ خرجت محطمة النفس ٠ لتعيش فى بيت اخر من بيوت مراد العديدة وقد حرصت جهدها على طاعته وتنفيذ اوامره ٠

وبتوجيه من نفيسة راح اتباعها يعملون وقد الهبت قلوبهم للقضاء على الفرنسيين مؤكدة ان جهادهم ليس غير جهاد فى سبيل الله ٠واستطاعت ان تفيد زوجها الهارب ، وان تمده بكثير من الاخبار التى تهمه وهو يستعد لجولة قادمة من جولات صراع تصور انه قادر بفلول بكواته المماليك ان ينتزع النصر من يد بونابرت ٠٠٠

وتعودت نفيسة المواطنة المصرية المغامرة ان ترتب مواعيد لقاء معينة بينها وبين مراد ـ عن طريق شارات ضوئية حذقتها ـ فكانت اذا حان الموعد تصعد أعلى بيتها فتبلغه بالاشارات كل مايكون لديها من انباء ، وبصارحها بكل ماعنده ، وبمدى استعداده ، وتعدد اتصالاته بالانصار فكانت تشجعه على الاعتماد على مملوك دون مملوك ٠٠حتى استطاع مراد ان يلم تماماباحداث البلاد ، وثورات القاهرة واهل الاحياء وشيوخ الازهر فى جهادهم لبونابرت ورجال بونابرت ٠٠٠

وبدأ الناس يتهامسون عن اخلاص نفيسة ٠٠ وجرأتها ومهارتها فى تنظيم حركات المقاومة السرية ، ومواعيد اللقاء المنتظمة بينها وبين مراد بك عن طريق الاشارات الضوئية البارعة ٠٠ ووصلت الهمسات التى استحالت دوى اعجاب وحماسة ـ الى مسامع نفيسة وخشيت وخشى اعوانها ان يسمع بونابرت وجنرالاته لغط الشعب بالشائعة فيضعها تحت مراقبة عيونه وفكرت فى

سرعة للقضاء على الشائعة ·· ونفي التهمة ان هي ووجهت بها ، واخفت اول ما اخفت اجهزة تبادل الاشارات الضوئية،ورأت من الحكمة مواجهة عدوها وعدو بلادها في لقاء يزيل شكوكه ·· وتركت بيتها الى حيث كان بونابرت نفسه ثم طلبت مقابلة خاصة ··

وابتهج بونابرت دون شك لسعي نفيسة هانم المرادية الى مركز قيادته بنفسها ، وتمنى لو انها جاءته لصلح ومهادنة بينه وبين زوجها المتمردمراد الذي كان مصدر متاعب لبونابرت وكل جيشه ·

وبالغ القائد في تصوراته وارتاح الى تصور سيدة مصر الاولى صورة الصديقة الوفية لحكومته، وانها لم تنس ان حكومة «الديركتوار» قد حرصت بدورها الى استمالتها الى جانب فرنسا ، وانها اهدت اليها ذات يوم سابق على حملة بونابرت ساعة ثمينة حملها اليها قنصل فرنسا العام مسيو ماجالون الكبير ·· تذكر بونابرت كل هذا وهو في طريقه للترحيب بزائرته الكبيرة التي صارحته انها انما جاءت لتقضي على شائعة تبغضها قبل ان تصل اليه هي شائعة اللقاء بينها وبين زوجها عن طريق الشارات الضوئية ·وابتسم بونابرتفي صراحة وهو يصغى الى زوج غريمه الخطير مراد بك واسرع يقول لها مؤكدا انه حتى لو جاءته هذه الاكذوبة ماركن اليها ، وانتهى اللقاء ·· وانصرفت نفيسة هادئة النفس ،وبونابرت يراقبها في ضيق من خابت احلامه في تقريب نفيسة بينه وبين غريمه مراد لتوفر على القائد عناء المطاردات ، فيتفرغ لبناء امبراطوريته ، فيصبح امبراطور الشرق !! وسلم بونابرت بالواقع ، وبدأ يعمل للقضاء على تحركات مراد في الصعيد، واتمام الاستيلاء على بلاد الشام·

وفتحت نفيسة ابواب بيتها لكل طارقة وطارق من افراد شعب مصر ·· ومدت يد المساعدة للاسر الكادحة في الاحياء القاصية تساعدها وقد نزلت الخسائر بالناس مع متباين طبقاتهم من تركهم صناعاتهم وتجاراتهم ليقوموا باداء واجب مواجهة قوات الاحتلال ·· وتعددت الثورات في القاهرة وغيرها من بلدان القطر ·· وراح الحاكم الفرنسي في كل مكان كانتتشب فيه ثورة للشعب يفرض الغرامات الباهظة التي اثقلت كواهل الناس ، وعرضتهم للاهانات والايذاء فكانوا يهرعون الى سيدة البر يسالونها العون فكانت تدفع عنهم الغرامات الكبيرة من مالها الخاص ، وهي يومها في اوج الثراء ، والقوة والجاه ··

وراحت توطد صلاتها بكبار قادة الفرنسيين وجنرالاتهم واقامت لهم في بيتها الولائم الكبرى· التي كانت موضع دهشة جنرالات بونابرت وكبار مرافقيه من العلماء ، بحيث ان اسرافها امتد من اقامة الولائم الى كبار المسئولين الفرنسيين انفسهم فكانت تمنح الكثير منهم الاعطيات ·· حتى تعرف اسرار المحتل ومايخفيه من اسرار وما كان علماء الازهر الشريف روح الثورة على المحتل ، وقادتها ، يعرفونه لولا براعتها هذه ·· وقدمت نفيسة في احدى حفلاتها الساهرة الى اوجين بوهارنيه ابن جوزفين بوهارنيه زوجة بونابرت الاثيرة عنده ـ خاتما ثمينا بالغ الفخامة اثار اعجاب كبار الجنرالات الى الدرجة التي جعلتهم يتصورون انها تعيش في اسطورة من اساطير الثراء ، وانه ـ عليهم اذا عز عليهم المال ، او رأوا فرضه على عامة الشعب وكبار التجار في صورة غرامات ـ ان لايتركوا لنفيسة ثروتها ·

وفتحت نفيسة ابوابها لكل قاصد وصاحب مكانة من اعلام حملة بونابرت خاصة علماء الآثار والتاريخ وكبار الاطباء والجراحين ·· وهؤلاء كانت تربطها بهم صلات ود جعلت ، ديجنت ، كبير اطباء الحملة يهدى اليها وحدها ، ودون غيرها من اصحاب المكانة خمسين مجلدا من بحثه الطبي العلمي الذى اجريه في مصر عن مرضى الجدري بها وانتشاره وطرق علاجه ومقاومته والحد من خطر عدواه ··

ولما بدأت احداث المقاومة تشتد ضد المحتلين ·· ركب جنرالات بونابرت رؤوسهم واشتطوا في فرض الغرامات على التجار من الاثرياء ثم اتجهت ابصارهم الى نساء المماليك ظنا منهم انهن من الثراء بحيث يستطعن دفع مايفرض عليهن ، وان ثروات كل منهن لاتقل عن ثروة نفيسة ··ففرضوا عليهن نصف مليون فرنك دفعة واحدة ··فتحملتها نفيسة نيابة عن زميلاتها نساء المماليك ،وسارعت بتقديم الساعة الثمينة التي اهدتها اليها ذات

يوم حكومة الديركتوار لتباع في مزاد علني ، تدفع حصيلته من اصل الغرامة المفروضة ، فقدر ثمن الساعة ذات القيمة المعنوية الكبيرة باربعة وعشرين الف فرنك ..

ولما كانت الساعة من الندرة بحيث تليق بمن اهداها ، ومن اهديت اليه ، فقد استولى عليها الجنرال بونابرت واحتفظ بها عنده .. لم اهداها الى صديقته الجميلة بولين نوريس ..

وكما كان بونابرت رجل حرب كذلك كان بارعا في مجال السياسة ، وكان بعيد النظرة بحيث راى انه مادام شيخ البلد ابراهيم بك قد هرب الى بلاد الشام .. وانه لم يبق امامه في الميدان غير مراد عدوه اللدود الذى كلفه وجيشه خسائر لاتقدر بثمن ـ فقد صمم على ان يتخلص منه سلميا . وصارح بونابرت نفيسة بذلك ، وسالها ان تتدخل عند زوجها مراد ليقبل مهادنته وان يكون له وحده الحكم علىالوجه القبلي تحت ادارة الفرنسيين فوعدته خيرا ..

وراحت نفيسة تفكر في الامر ، وبونابرت يتعجلها ، ولكنها كانت تعمل على مماطلته وتسرع متجهة الى ميدان الجهاد لتقف في جانب الشعب فتمد المقاومة بالمال والسلاح ، وتجتمع بشيوخ الازهر وعلمائه تحرضهم وتشجعهم وتدعوهم الى المثابرة في جهاد الغاصب . ولكنها ذات يوم حملت الى بونابرت ان زوجها يرغب في انهاء هذا الصراع الذى طال امده ، ويقبل شروط بونابرت بان يكون حاكماللوجه القبلي ..

واتفق بونابرت ومراد .. وسعد بونابرت بالاتفاق وتصوره النهاية السعيدة لمتاعبه في مصر .. وظن ان نفيسة وراء هذا التغير السريع، واحب ان يرد لها جميلها ، وان يشعرها انه لن ينسى مافعلت لتساعده على الاستقرار فرتب لها مائة الف « فضة » كانت تصرفها كل شهر .. وسمع الشعب بما حدث .. ولم يستنكره ، لانه لم يدهش لنذالة المملوك الاجنبي الذى يسعى الى مصلحته ، ولا تهمه مصلحة مصر ، كما تهم ابناءها .

وفجاة .. ترك بونابرت مصر .. وفي جو من السرية المطلقة التي لم يعرف بمقدمتها اقرب المقربين اليه .. وترك امرا منه الى الجنرال كليبركي يخلفه في جيشه ، وسافر الى فرنسا لينعم « بالكمثرى » التي قيل له في مراسلات انصاره اليه ، انها نضجت وان عليه ان يسرع لاقتطافها ..

وظن كليبر ان وصول مراد سيكون له تاثير على الشعب الذى لم يكد يعلم بعودة الطاغية الرهيب مرة اخرى حتى اسرع المصريون بكافة طبقاتهم يلقونه وحليفه كليبر احر واعنف لقاء في ثورات عارمة شديدة شبت نيرانها في عديد من الجهات ..

وركب كليبر راسه .. ووقف يواجه تحدى الشعب وقد فاجاه المصريون بان صنعوا بدورهم السلاح واقاموا مصنعا للبارود وراحوا يمطرون الفرنسيين بنيران لم يتوقعوها ، وبدات الحلقات تضيق حول عنق كليبر وجنرالاته وجيشه .

وبدات الدول تتصل وتم شبه اتفاق مبدئي بين الباب العالي وبين الحكومة الانجليزية اعطاها حق التدخل في شئون مصر والوقوف الى جانب العثمانيين في محاولتهم طرد حملة بونابرت من البلاد ..

وعاد العثمانيون يتوددون من جديد لشعب مصر ، ويحفزونه بامر السلطان امير المؤمنين على مهاجمة كليبر وجيوشه حيثما كانت ، مما يسهل للعثمانيين الذين تحركت جيوشهم لتضرب الفرنسيين الذين احسوا ان بقاءهم في البلاد اصبح مستحيلا ، اذ فشل مشروع الامبراطورية الشرقية ، بعد ان تخلى عنه صاحبه وتسلل الى فرنسا .. ومات مراد قبل ان يصل القاهرة ، مات فيسوهاج ودفن بها وكان موته ضربة اصابت امال كليبر الذى نعاه في بيان رسمي واشاد به .. والفرنسيون يستعدون لتنفيذ اتفاقية جلائهم عن مصر .. وعاد العثمانيون ناسين وعودهم كلها للمصريين . وعاد الصراع من جديد .. وبداه الوالي العثماني حسن باشا الجزايرلي بالانتقام من النساء .. وما كانت امامه غير نساء المماليك الهاربين الذين لم يعد احد منهم قط وخاصة بعد موت مراد فيسوهاج.. وقد ادعى الوالي العثماني الطاغية ان نساء المماليك من املاك الدولة ، لها حق بيعهن .. وراح يهاجم الدور ومن فيها من نساء واطفال

قرر انهم جميعا ارقاء بيت المال ..وعلت صرخات نساء المماليك .. واسرعت نفيسة الى الشيخ محمد السادات تستجير به وبزملائه علماء الازهر ، فاستجاب لها الرجل واجتمع بالشيوخ وقر رأيهم على مقابلة الوالى الطاغية العثمانى .. وذهب اليه السادات والشيخ الشرقاوى وكان لقاء عاصفا .. وارتفع صوت السادات والشرقاوى فى وجه الجزايرلى منددين بالذريعة التى ظن انها تبيح له بيع نساء المماليك وقرر الشيخان ان النساء لسن رقيقا وانه لاحق له ولا لبيت المال عليهن ..

وقبل ان يحاول الجزايرلى الاعتراض صرخ السادات فى وجهه يسأله : هل جاء ليحكم ويعيد الامن ، ام ليهتك ستر حرائر النساء .. ويهين كرامة الصغار ويقوم ببيعهم فى سوق الرقيق .. ونكس الباشا العثمانى رأسه خجلا .. وتراجع عن تنفيذ مشروعه واستطاعت نفيسة من وراء ستار ان تهزمه ، وبرغم أحزانها لموت زوجها ، بقى بيتها مفتوحا لقصاده المحتاجين ، مما اطمع الوالى الطاغية احمد خورشيد فى مالها وظن انه لم يزل لديها منه الكثير .. ولما كان الاجتراء على مقامها مغامرة غير مامونة العواقب فقد شغل الطاغية خورشيد نفسه بذلك واذا به يوفق الى الادعاء بانها تساعد نساء المماليك الهاربين الخارجين على سلطان الدولة بالمال .. وتعمل سرا على عودة ازواجهن الى مصر لاثارة القلاقل من جديد .. وبعث يستدعيها لتلقاه فى مقر حكمه بالقلعة .. وذهبت نفيسة وهى لاتدرى ماذا كان يبيت لها ، واذا به يفاجئها بالاتهام .. وان عليها ان تقدم هذه الاموال الى الباشا الوالى العثمانى ليصرفها فى اصلاح حال جنده الذين يثورون عليه لتاخر رواتبهم ، لا فى مساعدة اعدائه وردت نفيسة الاتهام اولا فى جراة ،وقالت انها فى حدود طاقتها تساعد من هن فى حاجة الى العون ..اما المال .. فلم يعد لديها منه مايسمح لها بان تجود به على الباشا الوالى ..

وكتمها خورشيد فى نفسه وامر بابعادها عن بيتها .. وقبل ان تحتج نفيسة او تعارض اصر خورشيد على احتجازها وهنا ثارت فى وجهه ولكن الطاغية اصر على تنفيذ امره وتخير لها بيت السحيمى بجهة القلعة لتقيم فيه مع جاريتين لها صحبتاها فى ذهابها اليه .. وكان امر اعتقالها شرارة الثورة الاولى ضده .. فهب الشعب وهب العلماء .. وكانت المناوشات والمنازعات التى تعاظم امرها حتى انتهت بالتحدى الرهيب بين الطاغية وشعب مصر الذى عزله عن الولاية .. واجبره على الرضا بهذا العزل الصادر من الشعب لامن ولى امره السلطان ثم.. طرد من مصر ..

وظنت نفيسة بعد طرد خورشيد انها تستطيع بعد حياة مليئة بالجهاد والنضال ان تركن الى الراحة ولكن محمد على كان قد قفز الى الصدارة بمكره ودهائه السياسى وبدأ يفرض سلطانه المتحكم على مصر واهلها حتى لقد فكر فى انتزاعها من يد السلطان العثمانى ، لتكون له ولذريته .

وفى ابريل ١٨١٠ جاءت الانباء بوصول زوجة الوالى الى مصر .. واحب الرجل ان يدبر لها مظاهرة استقبال حافل يسوق اليها زوجات كبار المماليك ليكن فى شرف لقاء القادمة ام ابنه اسماعيل .. وأسرعن كلهن بالاجابة ، الا نفيسة التى اعتذرت بالمرض ، فأبى ذلك عليها.. فلم تجد غير ان تحنى رأسها فى حذر ، كى تمر العاصفة .

ثم عادت المرادية الى بيتها لتعيش فى اجواء ذكريات غالية كانت تطوف بها ، وقد قطعت فى مرحلة العمر سنين عددا .. واعتكفت وباعدت اهل الجاه والسلطان واغلقت دونهم بابها الذى لم يغلق فى وجه من كانت لهن عندها حاجات ..

لقد كانت المرادية سلطانة مصر .. وكانت روح المقاومة فيها .. وكانت ملكتها غيرالمتوجة.. التى تعود منها الناس الندى حتى وافاها اجلها المحتوم ، واسدل الموت ستاره على حياة مسلمة استطاعت ان تكتب اسمها فى أظهر صفحات تاريخ الجهاد وان تكون بحق من المسلمات الخالدات . ■■

القاهرة ـ سنية قراعة

ياحُبّنا



■ ياحبّنا .. ياحبّنا . ياحبّنا
يا نفحةَ الأقدارِ . يا فجْرَ السَّنا
وحكايةٌ خضراء تنبض بالمنى
جمعتْ مصيرينا وعُمْرينا هُنا
ورَوَتْ بماءِ النيل قلبيْنا معا
الهائمانِ . تلاقيا .. وتجمّعا
فاهتزّت الأيام سحرا حولنا
وتفجّرتْ أفراحُنا صَفْوَ الهنا
من هذهِ الأرضِ الّتي منها أنا

★★★

ياحُبّنا .. ياحبّنا .. ياحبّنا
مادمت ترعانا فلسْنا وحدنا
إنّا هنا غَرْسٌ نما وترعرعا
إنا هنا أملٌ نُحققهُ معا
إنا هنا بالحب نقتحمُ الدُنى
لنقيم للأحلام عُشّا آمنا
لنصون تاريخا ونَحْمِيَ موطنا
ما ذلّ يوما للطغاةِ ولا انحنى

★★★

قسما بشمس بلادنا وسمائنا
وبنيلها المنسابِ في أعماقنا
قسماً بخضرة أرضها وترابها
ورحيقها النشوان في أكوابها
وبكلّ ما ضمّتْ وهزّ الأغنيُنا
قسما نُذوب في ثراها عُمْرَنا
ونصونها روْضاً يظلل حبّنا
يا حبّنا .. ياحبّنا .. واسلمْ لنا ! ■■

فاروق شوشه



● قصة

لحظة رهيبة

بقلم

الشيخ عبد الفتاح المفلح

■ كان الطبيب معاذ ناجحا في عمله تدر عليه صناعته الربح الوفير وقد اطرد نجاحه الى ان اقام مستشفى خاصا به في الحي الذي كان يسكنه واحبه منذ نشاته الاولى وعمل جاهدا على مواساة فقرائه ورعايتهم ومع هذا التوفيق ومع سعادته البيتية التي كانت تظله بظلها الوارف مع هذا كله كان الوجوم يلازمه والكآبة بادية على اسارير وجهه وكان اصدقاؤه يلاحظون ذلك منه ولا يعرفون له سببا وذات يوم ساله صديقه عن هذا الوجوم والكآبة وقد الح عليه ليكشف له عن خفايا نفسه عسى أن يتمكن من مساعدته لازالة مااصابه من وجوم وعلى اثر ذلك قص الطبيب على صديقه قصته • وقال كانت اولى فواجعي ان حمل البريد الى خطابا من مجهول يقول لي فيه كاتبه مامعناه ان زوجتك غدا في الساعة السابعة مساء ستكون قرب الملعب البلدي للقاء عشيقها أيها الطبيب المخدوع •

ولم اكن اعرف عن زوجتي المحبوبة شيئا ولا نكرا بل انني كنت اسعد الناس بحبها وكانت هي اسعد الناس بحبي ولم يكن يبدو عليها مايريب او يشين فكيف اذن سقطت هذه السقطة الشنعاء وستلتقي مع رفيقها غدا في الساعة السابعة مساء •ادع لك انت ياصديقي ان تتصور هذا الموقف بما يحوى من فزع وهلع وغيظ وثورة عاصفة تحرق الدم وتدق العظام وتتلع القلب اقتلاعا •

بقيت انتظر الغد فتباطات دورة الفلك وطالت الساعات وتبلدت في خطاها حتى صارت اللهفة والثورة الدامية في فؤادي تعصف بي عصفا وجاء الغد اخيرا بعد ان خلته قد ضل طريقه في ركب الايام او كان اعمى كان يقوده وسط الزحام وصبرت للغضب وتجملت بالاناة جهد طاقتي حتى لاترى الزوجة العاشقة مني مايثير حذرها او يوقظ طمانينتها الغافية وقد زادت التهمة ثبوتا ان جاءت في هذا اليوم تطلب الاذن بالخروج لشراء بعض حاجياتها ورايت اول الامر ان اعرف مقدار حرصها على الخروج في الموعد الذي تريده فلم اوافق على الخروج زاعما انني في مثل هذه



الساعة ساكون بحاجة اليها ولقد كدت اصعق في مجلسي حين تجهم وجهها وراحت تلح في طلب الخروج ووافقتها اخيرا لاذهب خلفها من حيث لاترانى ولارى بعيني مبلغ صدق هذا الخطاب الذي قذف به ذلك المجهول ليثلم به عرضي ويصيب بشظاياه احشاء قلبي . خرجت هي قبل السابعة باكثر من ساعة وبقيت انتظر دنو الموعد لالحق بها متنكرا ودار عقرب الساعة دورته وانفرجت المسافة بينه وبين الاخر وهممت بالخروج بعد ان احكمت التنكر والتخفي الى حد كدت ان انكر نفسي في المرآة وبخطوات سريعة رحت الب على درجات السلم قبل ان يرانى بعض الخدم او يستريب في شكلي ولكن هذه الخطوات السريعة اوقفها جرس التليفون اللعين فعدت ادراجي وحملت السماعة في يدي مغتاظا حانقا . لا اطيل عليك حسبك ان تعلم ان هذا الحديث التليفوني كان بيني وبين احد التومرجية وهو يخبرني باشتداد النزيف على بعض المرضى وبان حالته تنذر بالموت اذا انا لم اسرع لاسعافه . ماذا كنت تصنع انت في مثل هذه الحالة لو كنت مكاني مريض ينزف دمه ويجود بقطرات حياته قطرة قطرة وزوجة تخونك وانت تعلم اين تخونك وعلى اتم الاستعداد لان تضع يدك على الخيانة مجسمة في شخصها وشخص ذلك النذل المجهول الذي يستلبك شرفك ويثلم عرضك . حاولت جهدي في هذه اللحظة الرهيبة ان اتصل تليفونيا بكثير من زملائي الاطباء الذين اعهد فيهم القدرة على القيام بمثل هذه الاسعافات الخطيرة فلم افلح في الاتصال باحد منهم واضطربت السماعة في يدي واشتد خفقان قلبي وتحقق احد الخطرين اما ان تفلت الفرصة من يدي فادع الزوجة العاشقة تلقى عشيقها في امن وطمانينة واما ان ادع المريض البرىء المسكين ينزف دمه ويلفظ اخر انفاسه وانا طبيب اعرف واجب المهنة واقدسه ثم انا من جهة اخرى انسان وزوج يقدر الشرف ويفنى في سبيله ماذا اصنع ياصديقي وماعساك ان ترشدني اليه لا لن اطيل عليك اذ ليس في استطاعتك في دقائق ان تقرر ماذا اعمل واى طريق اسلك فساحدثك بما كان فعلا خلال ثوان لقد اسرعت فخلعت ثياب التنكر التي كنت ارتديها وعدوت الى سيارتي الصغيرة امام المنزل فطرت بها الى المستشفى اختطف الفضاء اختطافا وكنت في هذه المرة طبيبا يعرف قداسة مهنته وينسى كل شيء في سبيل الواجب الانساني النبيل اما الزوجة فلتذهب الى عشيقها ان شاءت او الى جهنم الحمراء اذا ارادت والنساء غيرها كثير .

ومضت الايام بعد ذلك متشابهة وانا ارقب سيرها وما آل اليه امرها وتبينت علائم الضجر والملل تزداد وضوحا على اسارير وجهها كان امرا خطيرا كان يشغل بالها ويقلق راحتها .

قد لا يهمك بعد ذلك ان تعرف مااصابني في هذه الايام من الم نفسي وساورتني الشكوك واقضت مضجعي وزلزلت يقيني حتى لقد كنت كالمجنون التفت ذات اليمين وذات الشمال كلما قاربت المنزل او اجتزت حديقته او تنقلت من غرفة الى غرفة . قد لايهمك ان تعرف هذا ولكن احرص كل الحرص على ان اصور لك خلجات نفسي وهمسات فؤادي مهما اخذت بالايجاز فانه يسعدني جدا ان اضع امام عينيك صورة صادقة لموضوعي كما اجرته يد الاقدار في سجل الحياة .

بعد ان جاءتني الرسالة الاولى المجهولة ببضع

اسابيع وصلتني رسالة ثانية وفيها مافيها وارجو ان لاتفزع لوقع الخبر • ان عشيق زوجتي هو حسن بن خالتي وهو ذلك الانسان المهذب الشريف النقي الصفحة الذى طالما شدنا بذكره بين صفوة الرفاق والاصدقاء وهو ذلك الشاب الذى طالما عبنا عليه شدة خجله وفرط حيائه فى مجلس النساء فكيف يكون اذن هو عشيق زوجتي وهو الذى يطعنني فى عرضي وشرفي سادع الحوادث الواقعة تكشف لك سر الموقف الرهيب سادعها وحدها تتحدث ـ فى نفس الرسالة التى تقول ان عشيق زوجتي هو حسن بن خالتي خبر تهتز لهوله القلوب وترتاع لذكره الافئدة هذا الخبر هو ان العشيق النذل سيجعل منزلي مباءة غرامه الدنس وسيكون بعد يومين فى الساعة الثامنة مساء بالمنزل يقتطف الثمر المحرم حيث اكون انا بالمستشفى اواسي المرضى واخفف الامهم لكنني فى هذه المرة ياصديقي لعنت الطب والمرض والمواساة والانسانية كلها وكان لابد ان ارقب هذا اليوم بلهفة تضطرم فيها نيران الانتقام للشرف المثلوم والعرض المهتوك • لااطيل ولا احيد عما اخذت به نفسي من الايجاز لتتكلم الحوادث الدامية ولتتفجر بذلك الدم الذى خضب ارض غرفتي فى ذلك اليوم • لايعنيك ان تعرف كيف احكمت التدبير فى هذا اليوم ولا كيف خرجت للمستشفى كعادتي ثم عدت خفية فكنت فى مكان قصي من المنزل بحيث ارى واسمع مايجرى فيه دون ان يراني او يحس بوجودي احد وقد لايعنيك ايضا ان تعرف كيف رحت الى الجبل بعيدا عن الناس اجرب مسدسي واتاكد من قوة الموت فيه •

كان الليل قد لف المنزل والحديقة فى غياهبه وكان السكون قد شمل الضاحية الهادئة النائية التى اخترتها لسكناي منذ اعوام وكان كل شيء هادئا الا ذلك القلب الذى كان يضطرم بين جوانحي نارا وكنت فى هذه اللحظة قابضا على مسدسي ارقب ذلك النذل الدنس وارقب بعد دخوله ماسيكون •

لم تكذب الرسالة فى شيء فقد لمحته وتبينت تقاسيم وجهه على الضوء الخافت المنبعث من فناء المنزل وبقيت ارقبه حتى توارى ثم حبست انفاسي ورحت اتبعه فى سكون وحذر واجتاز الممر الداخلي حتى غشى الغرفة التى كانت الزوجة جالسة فيها تقطع الوقت فى ملل بقراءة احدى صحف المساء • ورايت من الحزم والحكمة ان ادع لهما فرصة من الزمن كي افاجئهما بعد ان يستقر بهما الشيطان فى موضع الجريمة •

فى هذه اللحظة سمعت صوت جسم ثقيل يهوى على الارض وصوت جسم آخر يهوى فى اثره وتبع ذلك صوت انين متقطع يشبه حشرجة الموت • وثبت فى مكاني وعدوت كالمجنون اتبع مكان الصوت فماذا رايت انا اعرف الناس بك ياصديقي وباحساسك المرهف وعاطفتك المشبوبة فكن حجرا جامدا كالصخر ان شئت ان تقوى على سماع مارايت او فتحسس مكان قلبك بين ضلوعك ثم امسك به كي لايذهب من الهول عندما ستسمع بما شهدت •

رايت ابن خالتي او قل رايت ذلك الذى ثلم شرفي وعرضي واتخذ من منزلي موضعا لخيانته واثمه رأيته مطروحا على الارض والدم يتدفق من رأسه ورايت بجانبه (الزهرية) الكبيرة التى رافقتني زوجتي فى شرائها واختارت لها معي ذلك المكان الذى وضعت فيه رايتها مهشمة بجانبه ورايت بقايا قطع منها مستقرة فوق شعره وثيابه ورايت الدم ، الدم الغزير المتدفق من جرحه البليغ وهو ممدد يئن ويرمقني بنظرات غامضة ملتاعة والزوجة اين هى الآن انها بجانبه تنتفض وتتلوى متهالكة على نفسها لا استطيع ان استبين اى معنى يرتسم على وجهها • ولقد احسست بشيء واحد هو أن ذلك النذل يجود بنفسه الاخير امامي •

اما كيف سقط ومن الذى هشم الزهرية على رأسه فليس ذلك يعنيني فى هذه اللحظة على الاقل فهل اراد القدر العادل ان يثار لي منه فاسقطه هذه السقطة لاشهد مصرعه بعيني دون ان اتحمل وزر قتله ثم هل ادع القدر العادل يتم واجبه فاترك ذلك الصريع ينزف دمه وحياته قطرة قطرة حتى يسلم النفس الاخير •

ماكان اهولها من لحظات مرت بي ياصديقي • انتفضت من غشيتي وقد كان الخطب يذهلني عن كل شيء وجثوت على جسم ذلك الصريع اجس نبضه واتحسس جرحه ولمحت شبح الموت يرف على عينيه فاندفعت بغريزتي كطبيب مسعف وبغير وعي كي امنع تدفق الدم من راسه واحارب شبح الموت فى جد وعزم حتى فر منهزما • نجحت الاسعافات السريعة التى اسعفت بها الجريح ونجا من مخالب الموت وحين بدات نسمات الحياة تنعش

جسمه وبدأ صوابه يعود اليه حتى فتح عينيه وراح يرنو الى بنظرات ساجية ذليلة حين تاكدت ان الحياة عادت اليه وانى انا الذى اعدتها اليه حين ذلك اظلمت الدنيا امام ناظرى ومادت الارض من تحت قدمى واحسست كان يدا عاتية تكتم انفاسى وتضغط على عنقى ضغطا يكاد يزهق بروحى حين ذاك عدت زوجا يشهد بعينه شرفه المثلوم لا طبيبا يؤدى واجبه المحتوم ٠

الـويل لى كيف اهب الحياة لذلك الذى جاء يمزق بيده الاثمة ثياب العفة والشرف بل كيف اهب الحياة لذلك الذى جئت انا فى هذه الساعة لارديه قتيلا برصاصة من مسدسى ٠

اعز على ان ينوب القدر عنى فى ازهاق تلك الروح الملوثة الدنسة فاعدتها الى صاحبها بما وسعنى علمى وطبى حتى اذا عاد حيا قادرا وقفت امامه وجها لوجه الثأر منه بيدى لشرفى لابيد القدر ذلك ام ماذا ذلك او سواء لادرى الواقع الذى كان هو ان الجريح نجا من مخالب الموت على يدى بدل ان اكون انا الذى ارديته قتيلا اما سر سقطته وكيف تهشمت الزهرية الكبيرة على رأسه اما الزوجة وموقفها حياله كل ذلك ساكشفه لك ياصديقى ٠

بعد ان انجيت الجريح وبعد ان ساورتنى تلك الافكار المضطربة الجامحة بعد ذلك تهالكت على نفسى وجررت قدمى جرا الى غرفة مكتبى حتى بلغتها فارتميت على مقعدى واعتمدت رأسى بيدى ثم رحت افكر فى ماذا عسى ان افعل بذلك المجرم الاثم وبتلك الخائنة الملوثة ٠

كان هو لايزال خائر القوى بعد ان ضـمدت جراحه وكان لايزال فى شبه اغماء بعد ان حملته الى سريرى وتركته يستعيد صوابه لارى بعد ذلك ماذا عسى ان افعل به وبشريكته فى الاثم والخيانة اما هى فقد ارتمت على الارض ذاهلة مذعورة لاتعى مما حولها شيئا قلت لنفسى الان قد ادى الطبيب واجبه فليقم الزوج بواجبه نحو شرفه وعرضه الان استنهضه من سريرى ليتكلم اولا وليجبه مسدسى ثانيا وتلك الخائنة المرتمية فى احضان الاثم والفسوق فلتنطلق الى الجحيم وعفا الله عن الدنيا ومن فيها وكان القدر لم يكن قد اتم واجبه فابى الا ان يقعدنى عن تنفيذ هذا العزم بضع دقائق كنت فى خلالها كالذاهل المشدوه لااقوى على الكلام او الحراك اذ ذاك افقت من غشيتى على وقع اقدام تقترب منى ونظرت الى باب الغرفة فاذا انا ارى ابنة خالتى تقبل نحوى فى ذعر وهلع وتجثو بين قدمى مضطربة الانفاس خائرة القوى واشتدت حيرتى وزاد اضطرابى لتلك المفاجاة الجديدة التى فوجئت بها على غرة ٠ انهضتها بين يدى ورحت اسالها عن سبب حضورها على هذه الصورة من الهلع والفزع فامسكت يدى بيدها المرتجفة وقالت بصوت متقطع ونبرات مرتعشة ماذا فعلت يامعاذ بابن خالتك حسن وماذا فعلت بزوجتك رأيته على سريرك الان والدم يغطى ثيابه ناديته فلم يتكلم وزوجتك على الارض مائتة او شبه مائتة قل تكلم ٠ لم اكن اريد ان تقتلها كنت اريد ان تطلقها فقط كنت اريد على اى حال ان تبقى انت حيا يامعاذ لم اكن اريد ان تشنق او يقضى على مستقبلك ٠ اطبقت الحيرة والتوى على الامر حيال هذه الكلمات الغامضة ولم يكن بد من ان ارفه عن فلك واهدىء من روعها ثم استوضحها سر هذه الكلمات اذ ماشان فلك فى هذا الموقف وماسبب حضورها ٠ قلت لها كنت تريدين ان اطلقها فقط وماشانك انت فى ذلك يافلك قولى تكلمى لم يمت حسن ولم تمت زوجتى فانتى ساقتلهما الان لامحالة لقد خاننى حسن وخانتنى زوجتى حضرت متخفيا وكنت على علم بحضوره وموعد لقائهما ولشد مادهشت ياصديقى حينما قاطعتنى فلك والدمع ينحدر على خديها وهى تقول انا اعرف يامعاذ بقية الحديث اعرف ماجرى منذ شهرين ثم اجهشت بالبكاء وانتفضت واقفة ترتجف وهى تقول لا لا لست اعرف فقط بل انا التى فعلت كل ذلك انا المجرمة يامعاذ وانا التعسة الشقية ابن خالتك شريف ومهذب وامراتك شريفة عفيفة لم تخنك كما تظن انا التى زورت الخطاب الاول والخطاب الثانى وانا التى ارسلت لك الخطابين بالتوقيع المجهول وانا التى ارسلت الى حسن على لسان زوجتك وارسلت لزوجتك على لسان حسن كنت اقصد ان ترتاب فقط فتطلقها ويبتسم لى بعد ذلك الامل الذى اذبلته الايام بسبب زواجك منها لم تكن تعرف يامعاذ انى كنت احبك وانى شقيت وتعذبت بحرمانى منك ثلاثة اعوام طويلة منذ حال اغلاق العائلى بينى وبين الزواج منك انا الشقية المحرومة يامعاذ وقد رفضت الزواج كما تعلم من كل اولئك الذين طلبوا يدى ولم تكن انت او سواك يعرف اسباب رفضى كان الامل لايزال يراودنى وكنت احسب اننى استطيع ان انعم

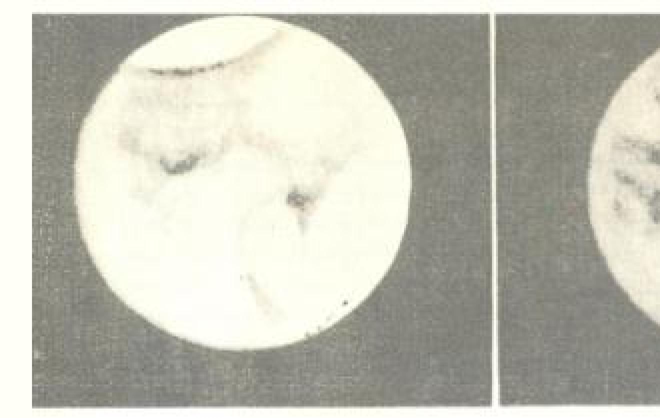
بحبك يوما ما اما الان يامعاذ فقد تكشفت فظاعة الجرم الذي دبرته وتمثلت هذين البريئين اللذين كادا يذهبان ضحية تدبيري بغير ذنب فجئت بين يديك اعترف بكل ماسمعت لتهنأ بحب زوجتك يامعاذ وليسلم حسن من كل مكروه ولادفن انا حبك في حنايا فؤادي ولاعيش في هذه الدنيا بغير امل ٠

الى هنا ياصديقي تستطيع ان تدرك ان الخطابات كانت مزورة وان فلك هي التي لعبت هذا الدور الخطير طمعا في الزواج مني لكن من الذي هشم الزهرية على رأس حسن وكيف حضر الى المنزل كنت في هذه اللحظة التي حضرت فيها فلك فجأة مرتابا في صحة اقوالها وكان لابد لي ان اسمع مايجيب به حسن فذهبت اليه حين تركته على سريري وكان قد استعاد كثيرا من صوابه ووقفت امامه صامتا لا اجد ما ابدأ به الكلام فنظر الي نظرة تكشف عن البراءة والطهر ثم بدأ هو الكلام فقال كان من حقك يامعاذ ان تدعني على الاقل اموت شاكرا بجرحي لانك وجدتني في منزلك اثناء غيابك وبجوار زوجتك وابنتي صريعا يتفجر الدم من رأسي فدفعك نبلك الى اغاثتي ومكافحة الموت الذي كان يتهددني والان لقد قويت على الكلام فمن الواجب ان اتكلم قبل ان تعاودني الغشية او قبل ان اموت ٠ وصلني خطاب بتوقيع زوجتك تقول لي فيه يجب ان تحضر غدا في الساعة السابعة مساء الى الملعب البلدي وحذار ان يعلم زوجي بسر هذا الخطاب وستعلم عند المقابلة كل مايهمك بالتفصيل واخفيت عنك الامر يامعاذ نزولا على ارادتها حتى اعرف سر ماتريد ثم اطلعك على جلية الامر ، وذهبت في الموعد فاذا هي قادمة مكفهرة الوجه تبدو عليها علائم الغيظ والجنون ولم تكد تصل الى موضعي حتى مدت يدها الى حافظتها فاخرجت منها خطابا دفعته الي دون ان تتكلم وتناولت الخطاب من يدها وقرأته فاذا هو خطاب موجه اليها على لساني اقول لها فيه يجب ان تحضري الى الملعب البلدي غدا لاطلعك على سر خطير يتعلق بزوجك ويجب ان لايعرف احد سر حضورك الخ٠٠

وعندئذ ادركت الدسيسة التي دبرت لايقاعي وايقاعها في شرك الريبة والظنون ولم أجد وسيلة ادفع بها عن نفسي التهمة سوى ان اخرج لها الخطاب المرسل الي على لسانها وقرأت هي الخطاب الذي قدمته لها وعلمت هي بعد كذلك انها نكاية تعمدها بعض الناس او دعابة ثقيلة دبرها أحد الاصدقاء وانصرفنا كل الى حيث أتى بعد ان اتفقنا على الا يبوح أحدنا لك بما حصل حتى لا تنغص عليك هدوءك وراحتك وبعد ذلك وصلنا الخطاب الثاني وهو الذي كان سبب فاجعة اليوم كان هذا بخط سابقه وفيه تقول يجب ان تحضر الى المنزل في الساعة الثامنة حيث يكون معاذ بالمستشفى ويجب ان تعلم انني في المرة الاولى عقد الخجل لساني فلم اقو على التصريح لك بكل شيء وزعمت لك مازعمت اما الخطاب الذي وصلك أولا والذي ادعيت لك انه ليس مني فهو في الحقيقة مني ، وسيتكشف لك الامر بعد حضورك عندئذ صممت على الذهاب الى المنزل في غيابك وبدون علمك لاحقق هذا الامر الملتوي ولاضع حدا لهذا الموضوع على اية صورة وحضرت اليوم في الموعد المحدد وتسللت الى هنا فلقيتني زوجتك مرتجفة مذعورة وسارعت فاخرجت لها الخطاب الذي تدعوني فيه للحضور ، فنظرت اليه مرة ثم حدجتني بنظرة مرعبة ثم قالت تخاطبني أيها النذل ، انك انت الذي تبعث بهذه الخطابات انت الذي تزورها لتجعلها سلما للقائي في غيبة زوجي انك نذل وجبان قالت ذلك يامعاذ وقبل ان اجيبها دفعتني بيدها دفعة شرسة قوية اختل لها توازني فسقطت على الارض والزهرية الكبيرة التي استندت عليها اثناء سقوطي كانت هي السبب في شج رأسي اذ سقطت فوق رأسي بثقلها الهائل فكان ماتراني عليه الان وهاأنذا من حياتي بين اليأس والرجاء ، اقسم لك بشرفي انني بريء وانني لم ازور هذه الخطابات ولا علم لي بمصدرها كما زعمت زوجتك ، حقق انت في هذا الامر يامعاذ أما أنا فلا احسبني اعيش بعد اليوم ، قال ذلك حسن ثم اغمض جفنيه وانتابته الغشية فعاد الى اغمائه ومازلت ارعاه حتى عاودته الحياة والصحة وعدت الى زوجتي اغمرها بقبلاتي واضمها الى صدري في لهفة حب وحنان ومرضت فلك بعد ذلك وضعف قلبها فلم يسعفها طب ولا دواء وكانت هي الضحية والاسفاه ٠

تلك ايها الصديق هي مأساتي التي شقيت بها اولا وسعدت بها أخيرا والتي اخفيتها عنك أيام كنت تراني مضطربا حين تعاودني ذكراها ومرحا حينما أصل الى نهايتها ٠ ■■

الاردن/اربد : **الشيخ عبد الفتاح المفلح**





تغير سطح المريخ باختلاف الفصول



الطريق إلى المريخ

بقلم : سعد شعبان

■ مازالت قضية اكتشاف الحياة على المريخ تشغل لب الكثيرين ، وتثور معها احتمالات وجود صور من الحياة على بعض الكواكب الاخرى . ولا عجب في أن تتصاعد هذه الافكار في عصرنا الحالي الذي يحق لنا ان ننعته بحق « عصر الفضاء » . اذ أن الانتصارات المتوالية وهبوط الانسان على القمر ، تعد قمة للتقدم التكنى وخاصة في الصناعات الهندسية .

ومن الطبيعي ان ينال المريخ اهتماما كبيرا في استراتيجية بحوث الفضاء في كل من روسيا وامريكا ، باعتباره أحد الكوكبين القريبين من الارض ، في تسلسل البعد عن الشمس .

فالارض هي الثالثة بين كواكب المجموعة الشمسية التسعة في بُعدها عن الشمس ، واقرب كواكب المجموعة الشمسية منا هما الكوكبان الزهرة والمريخ ، غير أن متوسط بعد الزهرة عن الارض يكاد يبلغ نصف متوسط بعد المريخ عنها .

لذلك فالمريخ هو رابع كواكب المجموعة بعدا عن الشمس ويبلغ متوسط بعده عن الشمس ٢٢٧٫٨ مليون كيلومتر ، بينما لا يزيد بعد الارض عن الشمس عن ١٤٩٫٥ مليون كيلومتر .

المريخ

يمكن تتبع دوران كوكب المريخ حول الشمس ، اذ يتميز بلونه الاحمر دون سائر الكواكب ، ومن السهل رصد بعض التفاصيل على سطحه بالمناظر المقربة ، لان جوه شفاف يفصح عما تحته بخلاف بعض الكواكب الاخرى .

وقد ولع كثير من العلماء ، منذ عدة أعوام ، برصد تفاصيل سطح المريخ ، وكل هؤلاء قد اكدوا ان على المريخ قنوات متشابكة في اشكال هندسية ، يصعب افتراض ان تكون من صنع الطبيعة . وخال بعضهم أن تكون شبكة من القنوات من صنع مخلوقات لديها قدر عال من الذكاء .

وقد قوي هذا الافتراض ، بمشاهدة طاقيتين تظهران بلون ابيض يخالف لون سائر سطح الكوكب الاحمر فوق قطبيه . وقد لوحظ أن حجمهما يتغير بتغير الفصول على سطح الكوكب ، فهما عند هؤلاء العلماء الجليد المتراكم ، وانحسار حجمهما يعني ذوبان هذا الجليد وانسيابه في شبكة القنوات .

وزاد من احتمال هذه الافتراضات اعلان بعض العلماء في أوائل القرن العشرين أن بعض المساحات على سطح المريخ يتغير لونها من آن لآخر . ورجحوا ان تكون هذه مساحات لمناطق زراعية ، يتغير لونها بعد جَنْي حصادها .

كل هذه الافتراضات شجعت عددا من العلماء على تفسير ذلك بوجود الحياة النباتية على المريخ.

وقد اسرف آخرون في تصور صور من الحياة العاقلة على المريخ ، ممثلة في مخلوقات ربما تسعى على عديد من الارجل ، ولها أكثر من عينين وأكثر من ذراعين .

واسرف ارباب الخيال في تصور أهل المريخ وهم يغزون الارض هابطين من السماء في حملة ابادة ، محمولين فوق مركبات تطير بسرعات خارقة او فوق اطباق طائرة . كما اسرع بعض رجال الدين الى القول بان سكان المريخ ربما يكونون من نور كنور الملائكة ، أو من نار كالجان ، وأي منهما لا تراه عين البشر ، وان كان يستطيع تغيير وجه الحياة بالعمل .

والمتتبعون لعمليات رصد المريخ،رسموا لسطحه الخرائط ، واطلقوا على اهم معالمه الاسماء . وكما اطلقوا على معالم القمر اسماء بعض المحيطات والبحار ، اطلقوها كذلك على معالم المريخ .

ويتميز المريخ عند مراقبته من الارض ، بان له قمرين يدوران حوله دوران التوابع ، وقد عرف القمران منذ اواخر القرن التاسع عشر ، واطلق عليهما أسماء « فوبوس » و « ديموس » . ويتميزان بقطريهما الصغيرين ، اذ لا يزيد قطر الاول على ١٨ كيلومترا ، ولا يزيد قطر الثاني على نصف قطر الاول .

ويدور التابعان حول الكوكب في دورات سريعة لا يزيد زمن كل منها على بضع ساعات .

سفن الفضاء تهتك أسرار المريخ

ومن الطبيعي أن تتدرج الجهود في ابحاث الفضاء ، من الاهتمام بالقمر باعتباره اقرب اجرام السماء الينا ، الى الاهتمام بما بعد القمر. ولذلك انطلقت سفن الفضاء السوفيتية اول الامر الى كوكب الزهرة ثم انصرفت عنه الى كوكب المريخ .

وقد تحول اهتمام السوفييت من الزهرة الى المريخ ، باطلاق سلسلة سفن « مارس » التي تحمل اسم المريخ نفسه ، والتي ما زالت تتوالى الى الفضاء .

وقد بدأ اطلاق سلسلة « سفن مارس » السوفيتية منذ اوائل السبعينات ، فقد اطلقت السفينتان « مارس ـ ٢ » و « مارس ٣ » في شهرين متتاليين هما نوفمبر وديسمبر عام ١٩٧١ ، وقد حطت كلتا السفينتين على سطح المريخ . وقد جُهِّزت كلٌّ منهما بوسائل هندسية تمكنها من الهبوط فوقه برفق بواسطة مظلة ، بعد ان ظلتا تدوران حوله عديدا من الدورات .

وقد توالى ارسال الصور من السفينتين الى الارض اثناء دورانهما حول الكوكب ، حيث جهزتا بعدسات بانورامية لارسال الصور الى الارض، بعد عملية الرسو فوق السطح ، غير ان هذه العدسات لم تعمل الا لثوان معدودة بعد الحط فوق السطح .

ويمكن القول بان ملايين الصور التي ارسلتها السفينتان « مارس ـ ٢ » و « مارس ـ ٣ » لها الفضل في التعريف بطبيعة سطح هذا الكوكب .

سلسلة سفن مارينر

وبدأ الامريكان اطلاق سلسلة سفن مارينر في يوليو ١٩٦٢ ، وتوالت حتى الآن تسع سفن آخرها « مارينر ـ ٩ » تدور حاليا حول المريخ . وان كانت السفينة الاولى قد باءت في مهمتها بالفشل، لانها تحطمت عند الاطلاق ، الا أن السلسلة توالت بعد ذلك وحققت عدة انتصارات علمية ، في اكتشافات جديدة عن المريخ .

فعلى سبيل المثال فان « مارينر ٤ » التي اطلقت في نوفمبر ١٩٦٤ قطعت الى كوكب المريخ مسافة ٥٢٣ مليون كيلومترا خلال مدة٢٢٨ يوما .واقتربت من الكوكب حتى مسافة ١٠,٠٠٠ كيلومتر تقريبا وتركزت قياسات السفينة على الغلاف الجوى المحيط بالكوكب ، والمجال المغناطيسي حوله ، بالاضافة الى التقاط الصور لسطحه .

وجدير بالذكر أن السفينة ظلت تدور حول

المريخ اكثر من ثلاث سنوات ، وهى توالى ارسال ملايين الصور الى الارض .

وقد تم التحكم فى مسار السفينة بوسائل فلكية تعتمد على التوجيه باستقبال ضوء الشمس ، والضوء المنبعث من النجم شديد اللمعان المعروف باسم « سهيل » .

وقد استمدت السفينة الطاقة اللازمة لتشغيل اجهزتها طوال هذه المدة من ٢٨ الف خلية ضوئية ترصصت فى صفوف حول جسمها الخارجى .

وفى نهاية مهمة السفينة ، تم التحكم فى محركاتها من الارض لتتخذ لها مدارا حول الشمس وتحولت الى كوكب صناعى .

وقد اطلقت السفينة « مارينر ـ ٦ » الى المريخ فى يوليو ١٩٦٧ لتواصل مهمة تصوير سطحه .

وقد خلص العلماء الى ان الكوكب خلو من عنصرى النتروجين والاكسجين ، ولكن عليه آثار من غازات اول وثانى اوكسيد الكربون والادروجين ، واذن فهو ليس عليه حياة كما زعم السابقون .

وانطلقت « مارينر ـ ٧ » الى المريخ فى مارس ١٩٦٩ واكدت الصور المستقبلة منها وجود قنوات طويلة على سطح الكوكب ، يمتد بعضها مسافة مئات الكيلومترات . وتأكد بواسطة قياسات هذه السفينة وجود غاز الميثان وغاز النوشادر قرب القطب الجنوبى للكوكب ، ورجح ذلك احتمال وجود حياة مكروبية فوق هذه المنطقة .

ورغم فشل السفينة « مارينر ٨ » فى بلوغ مدارها فى مايو ١٩٧١ ، فان عملية اطلاق السفينة « مارينر ـ ٩ » فى ٣٠ مايو ١٩٧١ كللت بالنجاح . وبلغت السفينة الارتفاع المحدد لدوراتها حول الكوكب فى ١٤ نوفمبر ١٩٧١ بعد رحلة طويلة بلغت ٤٠٠ مليون كيلومتر . وقد زودت السفينة بمعدات تصوير تلفازية ، قامت بارسال ملايين الصور الى محطات المتابعة الارضية غيرت كثيرا من المفاهيم القديمة عن الكوكب .

تحليل صور « مارينر ـ ٩ »

ربما اطاحت صور « مارينر ـ ٩ » التى اخذت من قرب ، بكثير من الافتراضات التى اشاعها القدامى عن سطح المريخ . ويمكن القول انه بتطابق ملايين الصور التى وصلت الى محطات المتابعة الارضية ، بنظام « الموزايك » ، يصبح لدى العلماء خريطة كاملة عن سطح المريخ . تمثل جباله ووديانه وفوهاته وشقوقه . وليس بمستغرب أن يقول البعض ، بان سطح المريخ يكاد يقارب سطح القمر فى مظهره الخارجى، غير ان فن تكبير الصور فى عمليات متتالية قد احاط العلماء بثروة ضخمة من التفاصيل .

وقد برع فى تفسير الصور المأخوذة للمريخ فى السنوات الاخيرة العالم الامريكى « دكتور هارولد ماسورسكى » المشرف الجيولوجى على مشروع مارينر الذى اعطى تفسيرا منطقيا سليما لعديد من الصور .

ومن اهم المعالم التى رصدتها الصور على سطح المريخ ، وجود بعض العواصف الترابية على سطحه بحيث تحجب ما تحتها من معالم ، فاذا انقشعت السحابة الترابية يمكن كشف ما تحتها . وقد وضح افتراض وجود القنوات الذى اشار اليه « شياباريلى » فى عديد من الصور حيث تمتد الاف الكيلومترات .

وقد بينت الصور ان احدى هذه القنوات التى تمتد لمسافة ١٨٠٠ كيلومتر بعرض يزيد قليلا عن كيلو ونصف ، وقد اخذت الصورة من ارتفاع ١٧٢٠ كيلومتر .

كما وضح فى كثير من الصور ان سطح المريخ عليه ملايين الفوهات المستديرة التى تشبه الفوهات القمرية .

واوضحت صور اخرى فوهة دائرة يبلغ قطرها ١٥٠ كيلومترا ، كما اوضحت متابعة تصوير بعض المناطق أن سطح المريخ عليه براكين ثائرة الى الآن .

وهناك آثار واضحة على بعض المناطق ، كانما كان عليها الماء يوما ما ثم انحسر عنها . وربما كان ذلك منذ ملايين السنين ، او ربما مئات الملايين من الاعوام . بل ان تاكيدات الدكتور «ماوسورسكى» تقول بان على سطح المريخ آثارا واضحة للامطار .

ويتميز على سطح المريخ بركان «نيكس اوليمبيا» فوق جبل مستدير يبلغ قطره ٥٠٠ كيلومتر . كما تميزت منطقة القطب الجنوبى بتصدعات فى القشرة السطحية تحوى تجاويف عميقة ومرتفعات تظهر عليها آثار عوامل للتعرية . ■■

المهندس سعد شعبان
رئيس اللجنة الفضائية بنادى الطيران المصرى

من غرائب القضايا

الشقيقتان

ترجمة : الدكتور مصطفى صدقي الريحاوي

■ كان الاستاذ لانسولان المحامي في مدينة (مانس) (١) منطلقا مساء يوم في طريقه الى بيت قريب له دعي اليه لتناول طعام العشاء مع زوجته وابنته الوحيدة · وفجأة انتابه احساس غريب ، شعر بانقباض في نفسه لم يعرف كنهه ، او يدرى سببا له ، ولكنه ادرك بان ثمة شيئا غير طبيعي يجرى في الخفاء يمس حياة اسرته ، وتملكته المخاوف · ولما وصل الى بيت قريبه ولم يجد زوجته وابنته انطلق متوجها الى بيته،ولازمه هذا الاحساس الغريب ، والانقباض في النفس ، فازداد قلقه· ولما وصل الى بيته وجده مظلما لا اثر للحياة فيه · ولما حاول فتحه الفاه موصدا من الداخل·غير انه لمح من خلال الظلمة التي تلف البيت نورا خافتا ينبعث من خلال الستائر اشبه بنور شمعة او مصباح يدوى ينتقل من مكان الى آخر · وطفق قلبه يخفق بشدة وطرق الباب ونادى زوجته وابنته وكرر النداء والطرق،وفجأة توقف النور عن الحركة،ثم انطفأ وخيم الظلام والسكون على البيت · ولما عاد الى الشارع ابصر النور الخافت ينبعث من جديد من احدى حجرات المنزل ، وكان النور ، في هذه المرة ، من الحجرة التي تقطن فيها الخادمتان ، وناداهما وكرر النداء ، ولكن ما من مجيب ، واتصل بقريبه ، يستعلم عن مجيء زوجته وابنته وكان الجواب سلبا · وتساءل عما يمكن ان يكون قد دهاهما ، وتتابعت الخواطر السود مزدحمة في راسه ، وجالت في فكره اسئلة كثيرة ، واحتمالات عديدة ، وتشتتت افكاره ، وتملكته الحيرة ، ولم ينته الى راى فيما ينبغي فعله ·

كان كل شيء من حوله يوحي بالكآبة والوحشة: فالجو مظلم شديد البرودة ، والبيوت موصدة والشوارع خالية خاوية ، وجاء قريبه وشاركه في النداء ، وطرق الباب دون جدوى · ازاء ذلك لم يخامرهما شك في ان ثمة خطبا الم بالزوجة والابنة ·واعلم الشرطة بالامر،وحضر بعض رجالها وتمكنوا من اقتحام المنزل · وعلى ضوء مصباح يدوى تقدم الشرطيون بحذر شديد ، مشهرين مسدساتهم وسلطوا النور على المكان وراوا منظرا تقشعر لهوله الابدان : شاهدوا الزوجة والابنة جثتين هامدتين مثخنتين بالجراح ، ومشوهتين بوحشية · لقد مزق الجناة الملابس واقتلعوا العيون وقطعوا الاوصال · والى جانبهما عثروا على

---

(١) مركز (او قضاء) في محافظة السارت La Sarthe وتقع على بعد (٢١٧) كيلومترات الى الغرب من باريس ·



مطرقة واناء معدني وسكين ملطخة بالدماء ، مما لايدع مجالا للشك في انها الأدوات التي استخدمت في اقتراف الجريمة الشنعاء •واغمي على الزوج، وصعق رجال الشرطة لهول المنظر وتصوروا لاول وهلة ان الجاني لابد ان يكون مجرما عاتيا عريقا في الاجرام • وجالوا في ارجاء البيت بحذر كبير• ومن احدى حجرات المنزل العلوية ابصروا نورا خافتا فانذروا من فيها بالخروج مستسلمين• ولما لم يستجب لندائهم احد اضطروا الى كسر الباب واقتحام الغرفة •

كان هناك قبس من نور يسطع من شمعة فينير المكان ، وفوق سرير يتصدر الغرفة قبعت فتاتان في مقتبل العمر لاحت عليهما امارات الفزع • وقبل مخاطبتهما باى سؤال انبرت احداهما تقول: لقد اقدمنا على قتل المرأة وابنتها ولسنا اسفات على ذلك • اما هاتان الفتاتان فلم تكونا الا الخادمتين (كريستين) و (ليا) • وتبلغ الاولى الثامنة والعشرين منعمرها اما الثانية فهيالحادية والعشرين •

ووضع القضاء يده على القضية،ودلت التحقيقات الجارية على ان الفتاتين بداتا العمل في خدمة المحامي قبل سنوات • ومن قبل كانتا تعملان في خدمة اسر اخرى • لقد عاشت الفتاتان في الماضي حياة قاسية ، عرفتا فيها شظف العيش ومرارته • فلقد نشأتا في اسرة ريفية متواضعة جدا • كان والدهما مدمنا على الخمرة ، اما والدتهما فكانت غير متزنة ، ومنصرفة عن شئون بيتها وتربيـــة اولادها - ولهذه عهدت بابنتيها الى احد الاديرة• ولم تخل حياتهما فيالدير منمشقةورتابة • كانتا تنهضانللعمل مع شروق الشمس ولا تاويان الى النوم الا في ساعة متاخرة من المساء،وتقومان خلال ذلك بشتى الاعمال المجهدة • وخرجت الفتاتان من الدير بعد سنوات من العيش التزمت الخالي من كل متعة،يحدوهما الامل في حياة جديدة متحررتمن اجواء الخدمة والعبودية ، ولكن امهما دفعت بهما منجديد الى احدى الأسر البورجوازية ، ولم تكونا لتتركا بيتا الا لتعملا في اخر • وهكذا اخذتا تتنقلان من بيت الى اخر ، ومن اسرة الى اخرى، تعيشـــان في اجواء العمل المنزلي ، والخدمة في البيوت ، فلا تتلقيان الا الاوامر والنواهي ، ولا تسمعان الا قارص الكلام ومره لاقل مخالفة ، وابسط خطا • ويبدو ان هذا الطراز من العيش المر والحياة القاسية ، قد طبع نفسيهما بالحقد والمرارة والالم • ونما هذا الاحساس بخاصة عندما دخلتا اجواء الأسر الارستوقراطية ، وتبلور نهائيا،وبلغ اوجه عندما عملتا لدى اسرة المحامي

(لانسولان) المعروفة ببذخها وعلاقاتها الاجتماعية الكبيرة .

كانت الفتاتان تعيشان لدى هذه الأسرة عيشة يحيط بها الكثير من المتاعب : عمل منذ ساعات الصباح الباكر حتى المساء ، تلقّي الاوامر الخطية من السيدة ، تقبل الاهانات الكثيرة ، رضوخ للجزاءات التي تفرض لاتفه ضرر تلحقانه بالبيت . وفي ذلك افادت المتهمتان أمام قاضي التحقيق بان السيدة كانت مستكبرة ومتعالية جداً، توجه أوامرها اليهما بصورة خطية تبلغانها بوساطة الابنة . وفضلا عن ذلك كانت السيدة تراقب حركاتهما وتلاحقهما في العمل ، وكانت تلمس الأشياء للتأكد من نظافتها ، واذا ماتسببتا عرضا في كسر انية او الحقتا الضرر بشيء من اشياء البيت ، اقتطعت القيمة من اصل اجورهما. وصفوة القول ان الحياة لدى هذه الأسرة في رأيهما كانت لاتحمل ولاتطاق . واخيرا انطلقت الشرارة التي اضرمت النار،وقوضت دعائم بيت ، وحطمت اسرة باكملها .

وعن ذلك افادت المتهمتان أمام قاضي التحقيق بانهما بينما كانتا تقومان بكي الملابس طرأ عطل على المكواة مما أثار حفيظة السيدة ، فانهالت عليهما بالسباب والشتائم ، ولم تكتف بذلك بل عمدت الى اقتطاع خمسة فرنكات من اجرتهما لقاء نفقات الاصلاح ؛ وهذا امر ملأ نفس الفتاتين مرارة ، وجعلها تضطرم وتستعر كراهية وحقدا .

وراحتا تقلبان الامر على وجوهه ، وتفكران في هذا الحظ المنكود،وهذا الشقاء الذي يلازمهما، وسكتتا على مضض ورضيتا بقدرهما. وفي المساء خرجت السيدة وابنتها من البيت لحاجة ، وانصرفت الخادمتان الى كي الملابس ، ولسوء الطالع أصاب المكواة عطل جديد ، أدى الى قطع التيار الكهربائي عن البيت وتعطيل الانارة فيه . وانتابهما خوف شديد وتساءلتا عما سيحل بهما من عقاب في هذه المرة.وفجاة وفي جو الظلام الدامس الذي ساد في أرجاء البيت سمعتا صوت الباب الخارجي يفتح ويغلق ثم وقع اقدام في الممر ، وادركتا أن السيدة وابنتها قد عادتا مما خرجتا اليه ... وانتصبت الخادمتان كوحشين كاسرين متاهبين للانقضاض ، وتقدمتا بخطى حذرة ، يحركهما حقد دفين ، وانتحتا ركنا من الممر ، وأمسكت الكبرى كريستين باناء معدني وجدته فوق رف هناك ، وانقضت على السيدة وانهالت على راسها تكيل لها الضربات الشديدة من سواعد مفتولة اكسبها العمل قوة . أما شقيقتها (ليا) فقد حملت مطرقة وهاجمت الابنة الشابة،ولم تكن صيحات الاستغاثة والتوسلات لتوقف الخادمتين عن المضي في عملهما الاجرامي . ويبدو ان حالة من الهستريا العنيفة الحادة قد استبدت بهما ، وافقدتهما السيطرة على أعصابهما ، فلقد استمرتا في كيل الضربات حتى هشمتا رأسي المجني عليهما ، ثم عمدتا الى فقء عيونهما ، ولم تكفا عن الضرب الا بعد أن تركتاهما جثتين هامدتين تسبحان في بركة من الدماء .

في هذا الجو الرهيب قامت المتهمتان بالاغتسال لتنظيف ماعلق بهما من دماء ، وتبديل ملابسهما.

ومازاد في رهبة هذا الموقف السكون المطبق الذي ساد البيت ، واكتنف كل شيء من حوله .

ودقت الساعة معلنة الوقت ، وقرع جرس الكنيسة مبددا السكون ، وسرت رعشة في جسدي الخادمتين وادركتا هول وبشاعة مااقترفت ايديهما . وأسرعتا فاوصدتا الباب من الداخل وصعدتا الى غرفتهما ومكثتا ترقبان حركات الشارع ، وسمعتا طرق الباب الخارجي فاطفاتا الشمعة ، ولم يكن الطارق الا المحامي لانسولان ، ثم سمعتا صوته ينادي ، ثم وقع اقدامه يبتعد ، فاعادتا اشعال الشمعة وظلتا على هذه الحال حتى حضور رجال الامن والقاء القبض عليهما .

وانتهت التحقيقات وصدر قرار يقضي باتهامهما بجناية القتل العمد ،وأحيلت الخادمتان الى محكمة الجنايات لمحاكمتها . وغصت قاعة المحكمة على رحبها بالناس،وامتلأ قصر العدل بالمتفرجين الذين جاءوا من كل حدب وصوب ، واضطرت سلطات المدينة لاتخاذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على النظام من جهة ، والحد من تدفق حشود الناس من جهة اخرى . وحسب الناس انهم سيلقون عملاقين فظيعين اشبه بوحشين مفترسين ، ولشد ما كانت دهشتهما عظيمة عندما القوا في قفص الاتهام فتاتين عاديتين لاينم مظهرهما الجسماني عن شذوذ في التكوين والخلقة ، الا قوة بادية في البنية تميزهما عمن في مثل سنهما من سكان المدن .

وفتحت الجلسة ، وتليت أوراق الادعاء ، ثم قرار الاتهام ، وجرت المحاكمة ، واستمعت المحكمة الى اقوالهما وشهادات بعض رجال الشرطة ، والاطباء ، وراع الناس ما سمعوه من تفاصيل الحادث وهالهم ارتكاب هذه المأساة المروعة .

واوضحت التحقيقات تفصيلات ودقائق من حياة الخادمتين · فقد تبين انهما كانتا تتقاضيان اجرا شهريا قدره (٣٠٠) فرنك فرنسي وان هذه الاسرة ذات صلات اجتماعية واسعة في المدينة فكانت تستقبل كثيرا من الزائرين وان ذلك كان مصدر تعب متواصل للخادمتين ، الا انه كان مع ذلك يدر عليهما بعض الدخل الاضافي من الاكراميات التي يقدمها لهما الزائرون والاصدقاء ، حتى لقد بلغ ما ادخرتاه من هذه الاكراميات (٢٣٠٠٠) فرنك فرنسي · ولما سال رئيس المحكمة المتهمة كريستين عما اذا كانت تعزو الى المجني عليهما سوء معاملة دهش الجميع عندما اعلنت ان ما ادلت به امام قاضي التحقيق عن سوء معاملة السيدة لها كان افتراء محضا لا يمت الى الحقيقة بصلة · ولما سالها رئيس المحكمة عما اذا كانت هي التي اوعزت الى شقيقتها الصغرى بان تفقا للابنة عينيها اجابت بالايجاب · اما المتهمة (ليا) فقد اصرت على اقوالها السابقة ولم تتراجع عنها ·

وما دامت التحقيقات لم توضح الدوافع الحقيقية لارتكاب هذه الجريمة فهل تكمن هذه الدوافع في جنون متاصل ، او لوثة عقلية طارئة ، او مرض هستري من شانه اعفاؤهما من المسؤولية ، او تخفيفها على الاقل ؟ وانتدبت المحكمة لهذه الغاية ثلاثة من جهابذة الطب ، وادلى هؤلاء بخبرتهم مؤكدين ان المتهمتين صحيحتا الجسم ، سليمتا الفكر لا تعانيان من اى مرض عقلي ، وليست لديهما علة موروثة ·

اما عن بيئتهما العائلية التي نشاتا فيها فقد اوضحت تقارير المحققين ان والدهما سكير مدمن على الخمرة اعتدى على عفاف بنته البكر · وان ابن عم لهما كان يعاني من مرض عقلي ، وتوفى قبل سنة في احد مستشفيات الامراض العقلية ، وان خالهما اصيب بداء الصرع واقدم على الانتحار شنقا في غرفته · اما الام فقد عرفت بعدم اتزانها وانصرافها عن الاهتمام بشؤون بيتها وتربية اولادها ·

اما عن سلوك المتهمتين في حياتهما الخاصة فقد تبين من وضعهما قيد الملاحظة الدقيقة انهما تكنان لبعضهما حبا شديدا ، ولم تكن احداهما لتفارق الاخرى حتى ان الشقيقة الكبرى كريستين كانت في كل بيت تعمل في خدمته تبذل كل ما في وسعها لاقناع من تعمل في خدمتهم بتشغيل اختها معها · ولوحظ ان المتهمة (ليا) تتصرف بايحاء من اختها وانها اسيرة بين يديها ، وبدت العلاقة بينهما للبعض شاذة · ومهما يكن من شيء فان ذلك كله لم يكن محل نظر او موضع اعتبار من المحلفين · وقد ادينت المتهمتان بجناية القتل العمد عن سابق تصور وتصميم · وقضت المحكمة بعقوبة الموت على المتهمة كريستين · ولكن هذه العقوبة ابدلت فيما بعد بالاشغال الشاقة لمدة عشرين سنة· غير ان المحكوم عليها المذكورة توفيت بعد عامين فقط في احد المصحات العقلية · اما المتهمة الثانية (ليا) فقد وجدت المحكمة في ملابسات القضية ما يبرر منحها الظروف المخففة التقديرية باعتبارها كانت في كثير من تصرفاتها خاضعة لايحاء وتاثير اختها الكبرى واكتفت بالحكم عليها بعقوبة الاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات · وقد تم اطلاق سراحها بعد ان امضت في السجن ثماني سنوات ولا تزال على قيد الحياة تعمل خادمة في احد الفنادق الكبيرة في باريس حتى يومنا هذا · ■■

ترجمة : مصطفى صدقي الريحاوي

اربعة واربعة

● يجب ان يكون في المرأة أربعة اشياء سود : شعر الرأس والحاجبان واشفار العين والحدقة ، واربعة بيض : اللون وبياض العين والاسنان والساق ، واربعة حمر : اللسان والشفتان والوجنتان واللثة واربعة مدورة : الرأس والعنق والساعد والعرقوب ، واربعة طوال : الظهر والاصابع والذراعان والساقان ، واربعة واسعة : الجبهة والعين والصدر والوركان ، واربعة دقيقة : الحاجبان والانف والشفتان والاصابع ، واربعة صغيرة : الاذنان والثديان واليدان والرجلان ، وأربعة طيبة : الريح والعرق والفم والانف ، واربعة عفيفة : الطرف والبطن واللسان واليد ·

العنوان، والبرهان

■ تقول العرب : « عنونت الكتاب » اى جعلت له عنوانا .

فاذا اردنا الكشف عن معنى « عنون » او « عنوان » رجعنا الى جذره الثلاثى « عنو » بغير نونه الاخيرة التى زيدت فى نهاية الجذر،فكان من ذلك فعل رباعى هو « عنون » فكيف جاءت هذه النون الزائدة الى الفعل ، وكيف التصقت باخره ؟

انها جاءت من المصدر او الاسم « عنوان » لافادة معنى جديد ، واعتبرت عند الاشتقاق منه كانها اصلية ، وهذه الظاهرة اللغوية تسمى عند اهل اللغة « الاشتقاق على التوهم » اى توهم الشىء على غير ماهو عليه فى حقيقته ، وهى فى لغتنا ظاهرة شائعة فى اوزان كثيرة ، وضحنا بعضها فى صفحات سابقة ، وسنوضح بعضها فى صفحات لاحقة ، ونكتفى هنا بالكلمات الثلاثية التى الصقت النون باخرها ، ولا سيما ما كان على وزن « فعلن » « وتفعلن » فى اللغة الفصيحة ، ثم فى الدراجة .

فى الفصيحة

١ ـ برهن رأيه،او على رأيه : جاء ببرهان ، والجذر « ب ر هـ » .

٢ ـ علون الرسالة : مثل « عنونها » اى وضع عليها علوانها (كما هو مستعمل فى الدارجة) والجذر « ع ل و » .

٣ ـ تشيطن الطفل : تصرف كالشيطان ، والجذر « ش ى ط » .

٤ ـ عرجنت المرأة الثوب : طرزته باشكال كالعرجون ، والجذر « ع ر ج » ومنه العرج اى الالتواء .

٥ ـ فرجن الرجل حصانه : غمزه بالفرجون (آلة كالمنقاس) ليستحثه على السير ، والجذر « ف ر ج » .

٦ ـ عربن الرجل فى البيع : اعطى عربونا ، والجذر « ع ر ب » .

٧ ـ برزن الحصان : سار كالبرزون ، وبرزنه صاحبه : قهره واتعبه .

وقد جرت العرب على زيادة النون على الجذر الثلاثى فى كلمات كثيرة : اما بالمعنى العام للجذر او لاضافة معنى جديد اليه وهى تصادفنا فى المعاجم وكتب الادب شعرا ونثرا ، ولكن اكثرها حوشى ، ولذلك تركنا ذكرها ، وان كانت لصالحة للاستشهاد بها فى استنباط قواعد اللغة .

وفى الدارجة

وقد سارت الدارجة على ذلك فى كلمات كثيرة ، ونحن نعدها فصيحة لانها عربية الجذر والجرس والاشتقاق ، وهى تدل احيانا على معناها باسرع واخصر مما تدل عليه اشباهها فى الفصيحة ، ثم هى شائعة على الالسن فى كثير من لهجاتنا الدارجة ، فلا حاجة لتجريدها من عروبتها دون مسوغ ، ومن ذلك :

والسُلطان

اشتقاقها ودلالتها

١ ـ ٣ ـ الرجل يتولدن ، او يتصبين ، او يتصغرن : اى يتصرف كالولدان ، او الصبيان ، او الصغران (الصغار) •

٤ ـ حلون الرجل على مفقوداته : اى جعل حلوانا (مكافأة) لمن يردها اليه •

٥ ـ يتلعبن : يتصرف كالالعبان •

٦ ـ صهين عن العمل او اى شيء آخر : اى تركه او تناساه •

٧ ـ تسلطن : صار سلطانا ، وسلطنوه اى جعلوه سلطانا •

٨ ـ تنسون : تصرف كالنسوان •

٩ ـ تنحون فى كلامه : التزم قواعد النحو من اجل الحذلقة •

١٠ ـ تشهون : ظهر كالشهوان (من يشتهى اى شيء) •

١١ ـ تحيون : تصرف كالحيوان •

١٢ ـ قطرن عيشة خصمه : جعلها كالقطران (الزفت)

وهناك عشرات امثالها تفرق بين اللهجات الدارجة فى البلاد العربية ، وان كانت تتحد وزنا •

المعرَّب كالعربى

وفى الكلمات المعربة الدخيلة كلمات على هذا النسق ، مختومة بنون ، لا ندرى احيانا أهى اصيلة ام زائدة ، والامران سواء عند الاشتقاق منها ، لان هذه الكلمات تعامل معاملة نظيرتها فى النسق ، وان اختلفت عنها وزنا ، ومن ذلك عندنا حديثا : البستنة (واصلها البستان) من الكلمات المعربة قديما،وتفرعن اى :تجبر (واصلها فرعون) وَزرجَن خصمه : اى اثاره حتى جعل وجهه ممتقعا كالزرجون (وهو الخمر) وزرفنت المرأة شعرها : اى جعلته حلقات ، من الزرفين ، وهو حلقة الباب وكل هذه من الكلمات القديمة فى المعاجم • ■■

محمد خليفة التونسى

لا ، لعمرى

● نحر اعرابى جزورا وقال لامرأته: اطعمى أمى العجوز،فقالت : من أىجزء اطعمها، قال : الورك،فقالت: التى ظهرَت بلحمة وبُطنَت بشحمة،لا لعمرى ! قال : الفخذ ، قالت : الكثيرة اللحم الطيبةالمخ،لالعمرى ! قال الكتف : قالت : الحاملة اللحم من كل مكان،قال : فماذا تطعمينها؟قالت : اللحى التى ظهرت بالجلد وبطنت بالعظم ، فقال : تزوّدى الى أهلك فأنتطالق •

فى الغناء

من أين جاءت كلمة

"يا ليل" ؟

بقلم : ممدوح الجابرى

■ ياليل،ومن الذى لايحب الليل اهل لليل سحر حتى يتغنى به المفتون والشعراء ؟ المحب يناجيه ، والشاعر يناجيه فيقول :

ياليـل ، بـــل يا أبـــد
أنائـم عنـــك غـــد ؟
ياليـــل لـــو تلقـى الـــذى
الـــقى بهـــا أو أجـــد

فلماذا يتغنى الناس بالليل ؟ السحر يجدونه فيه ولا يجدونه فى النهار ؟ أم لان النهار فضاح والليل ستار ؟

وحين ينطلق المغنى بنداء الليل فانما يغنى على سجيته غناء طليقا يخرج من قلبه ، وينبع من شعوره • فاذا كان رخيم الصوت ، عليما بفن النغمة ملك القلوب والأسماع جميعا •

وغناء (ياليل) نحب ان نسمعه اليوم ، واحبه الناس من قبلنا منذ عهد طويل •

(عبده الحامولى) كان اذا غنى (ياليل) وقف الليل مستمعا لكثرة ماكان يضمن غناءه جمالا وابداعا ،وقد قال احمد شوقى امير الشعراء فى (عبده الحامولى) •

يسمـــع الليـل منـــه فى الفجر ياليـ
ـــل فيصغى مســـتمهلا فى فـراره

وغنى (ياليل) كثير من المغنين من قبل ومن بعد ، حتى يومنا هذا •

من أى لغة جاءت « ياليل »

فمن اين جاءت كلمة (ياليل) ؟ لقد شغل مصدر (ياليل) كثيرا من الباحثين كالاستاذ عباس محمود العقاد والاستاذ الحلبى المرحوم خير الدين الاسدى وغيرهما •

ولكن الاسدى قد حقق فى مصدرها ومآتاها تحقيقا لم يسبقه اليه احد ، فسبر غورها ،ووفاها حقها من البحث الذى ناخذ منه هنا فى معرفة اصل كلمة (ياليل) •

فهل جاء العرب بكلمة « ياليل » لانهم كانوا يحتفون بالليل اكثر من النهار ، حتى بلغ بهم الامر الى ان يؤرخوا بالليل ويقولوا (لثلاث ليال خلت من رمضان) مثلا •

وهل كان العرب اول من تغنى بالليل ، لان الليل والقمر وسحر الصحراء كانت بهجة لقلوبهم وفتنة ؟

ام جاءت كلمة (ياليل) من الاغانى السريانية ، وفيها كلمة قريبة منها وهى (هاليل) ـ ومعناها (انشد ، انشدوا) وكانها دعوة الى السامعين



عبده الحامولى



عباس محمود العقاد



احمد شوقى

ليشاركوا المنشد غناءه ، حين يبلغ باللحن قمة النشوة ؟

ام ان (ياليل) كلمة قبطية ـ كما قال عالم كبير من علماء الأقباط ـ ومعناها (افرحى) .. فقول المغنى (ليلى ياعينى) تعنى (افرحى ياعينى) ....

ام ان (ياليل) جاءت من كلمة (لال) الفارسية ومعناها (الحبيبة) فكان (الترك) فى الموشحات العربية حين يغنونها يقولون (ياللى امان) ؟

ام ان كلمة (ياليل) جاءت من كلمة (لى) أى الشيء الذى هو لى ـ كما قال زجال وهو يستشهد بهذه الابيات :

قلتلاّ : شو اسمك ؟
قالت لى : لو ... لو ..

قلتلاّ : لى .. لى : ؟
قالت لى : لا .. لا .. !

اما الاستاذ عباس محمود العقاد فقد قال :
« سألت رجلا من اهل الفن الاقدمين عن اصل « ياليل » فقال : ان جارية ضربها صاحبها فأصاب عينها وكان اسمه (ليل) فكانت تحبه وتستعطفه، فانشأت تغنى وتناديه (ياليل .. ياليل .. ياعين ..) » .

ومن رأى بعض الثقات فى التاريخ المصرى القديم ، ان الكلمتين لاعلاقة لهما بالعربية ، ولكنهما كلمة فرعونية واحدة وردت فى الاغانى المصرية القديمة ومعناها (ايها الطريق الطويل ..) وكانت تتردد على افواه العمال لتقوى انفسهم على المشقة وبعد الطريق ، ثم تناقلها اجيال العمال على توالى الزمن ، حتى دخلها التحريف بعد دخول العربية الى مصر ، والف الناس أن يستهلوا بها كل غناء .. »

اما احد علماء اللغة العبرية فقد قال ان كلمة (ياليل) جاءت من (هللويه) ومعناها (سبحوا الله) وهى مركبة من كلمتين (هلل) ومعناها بالعربية (عظم ، مدح) و (يه) معناها (الرب الازلى (١) و (هللويه) لاتزال حتى اليوم

---

(١) اليهود يسمون الرب « يهوه » ويلاحظ انهم لاينطقون الكلمة حين يقرءونها مكتوبة فى التوراة او غيرها ، بل ينطقون بدلها كلمة « أدوناى » وه أدون » بمعنى « سيد » مضافة الى ياء المتكلم العربى) .

تتردد في المعابد اليهودية ، والمسيحية في الصلوات .

الأستاذ الاسدى ينبذ في تحقيقه هذه الإراء جميعا ، ويقول انها : اما اشورية واما عربية .

يقول (هنرى فارمر) في كتابه (تاريخ الموسيقا العربية) : ان نقوش آشور بانيبال التي يعود تاريخها الى القرن السابع قبل الميلاد تدل على ان أسرى العرب كانوا ، وهم يحرثون الارض لدى سادتهم الاشوريين ـ يمضون ساعاتهم في اغاني (اليلى) فيدهش الاشوريون ويطلبون الزيادة .

فكلمة (ياليل) اما ان تكون تحريفا لكلمة (هالولى Halouli) وهي مدينة اشورية على شفاف دجلة ، انتصر ملكها على بابل في معركة فاصلة قرب (هالولى) ، فردد الناس من فرح النصر هذا الاسم وقالوا (اليلى).

واما ان تكون (ياليل) تحريفا لكلمة (ليلى) وهي كلمة اشورية ايضا ، ومعناها (رسول) اي رسول الحبيب او ان اصلها (ليلى) في اللغة الاشورية ومعناها (اقبل) ، والمراد بها اقبال الحبيب .

او هي تحريف لكلمة (انليل Enlil) اله الارض في مدينة (نيبور) .

او انها جاءت الى اللغة الاشورية من اللغة (السومرية) و (آن) في هذه اللغة معناها (السيد) و (ليل) معناها (الهواء) ، فيصبح معنى الكلمتين (اله الهواء) .

ويقول الاستاذ (غوستاف لوبون) : ان الاشوريين كثيرا ماينظمون الشعر الغنائي لتكريم الآلهة وتمجيدهم .

هذا اذا كان مصدر « ياليل » آشوريا ، اما ان كان عربيا فهي نداء الليل كما عليه معناها حينما تقول (ياليل) ويقول الاستاذ فان درمر (Van Dermer) استاذ اللغات الشرقية في جامعة (امستردام) بهولندا حينما زار حلب عام ١٩٥١ .

هل أصلها عربي

ربما كانت « اليلى » عربية الاصل ، سمعها يوما كاتب اشورى فرسمها محرفة (اليلى) دون ان يعرف معناها .

كما قال الاستاذ (فان درمر) ان « ليلى » ايضا كان اله الليل عند الاراميين .

و « ياليل » قد تكون من كلمة (الأليل) ومعناها بالعربية (الانين والحنين) وقديما قال الشاعر .

اما تراني اشتكى الأليلا ؟

والأليل لها في العربية معنى آخر هو : (ان يرفع الرجل صوته بالدعاء ويجار) .. فالانين والحنين ، ورفع الصوت بالدعاء كلها من مواضيع الغناء

« ويا ليلي » قد يكون مصدرها كلمة اخرى بالعربية وهي (الالّ) ومعناها القرابة ، والجار، وتغني القريب باهله امر طبيعي .

ولعلها جاءت من كلمة (ال) ومعناها الزعامة والسيادة ، فمناداة الاسير ساداته وارد ايضا .

ولكن الاستاذ (الاسدى) في تحقيقه يعتقد ان كلمة (ياليل) جاءت من كلمة (الىى) اى (الهى) و (الال) هو الله .

وتغني الانسان بالله ، ورفع صلاته اليه بالتوسل والشكوى ـ حين ينزل به سوء ،أو يحيط به مكروه ـ امر طبيعي ، طالبا لعونه ،واستدرارا لرحمته .

ويقول (الاسدى) : وكان من عبث الاقوام والمطربين بكلمة (ياليلى) أن ظهرت في عالم الموشحات الغنائية بالصور التالية :« لا ـ ويالا ـ ويالالا ـ ويالِلل ـ ويالالى ـ ويالِلى » الى آخر ذلك .

كما يقول ان كلمة (الليل) عريقة في اللغات السامية :

ففي العربية : ليل

وفي الآشورية : ليلتو

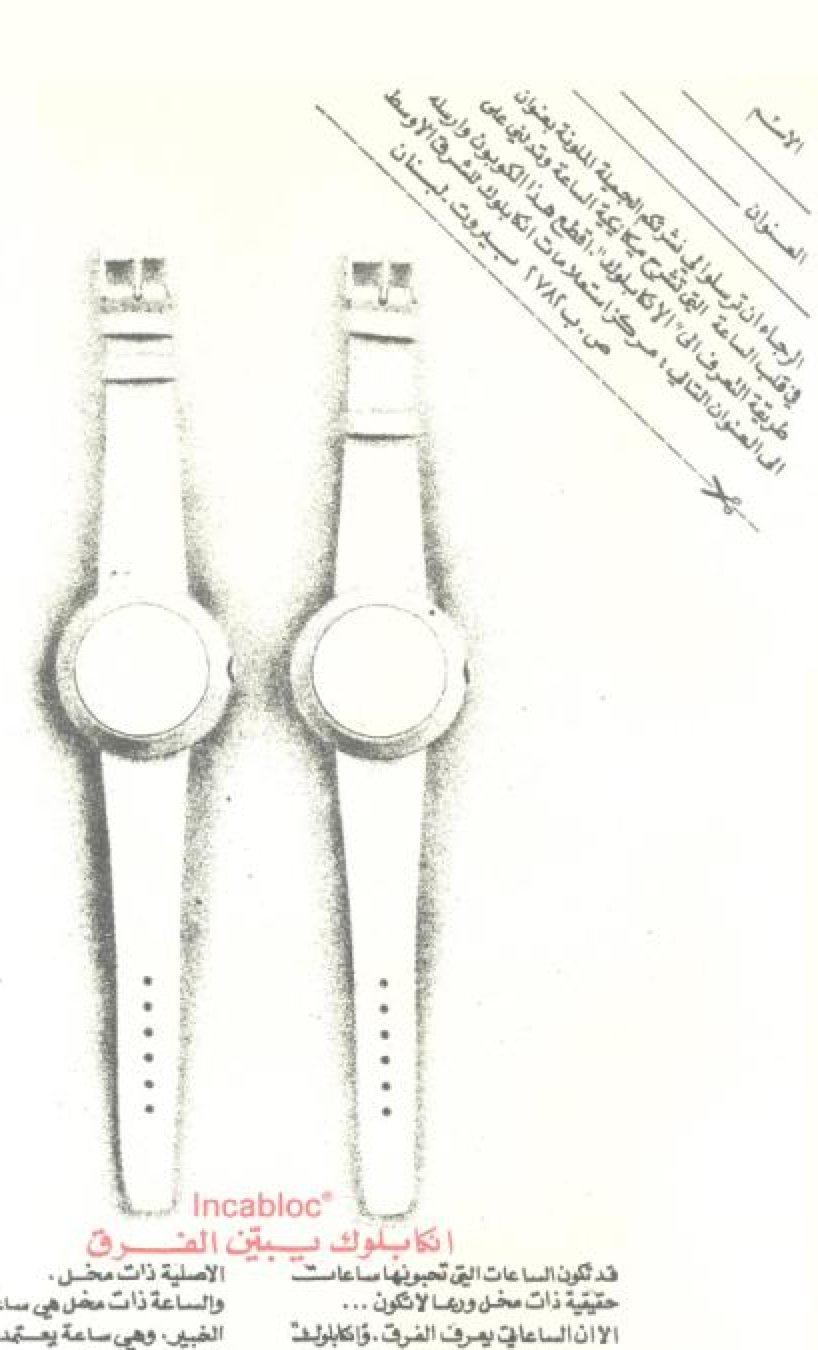
وفي العبرية : ليل

وفي الآرامية : لليا

وفي لغات جنوب الجزيرة والحبشة : « ليله » كما جاء ذلك في تاريخ اللغات السامية لمؤلفه (ولفنسون) .

هذا هو تاريخ (ياليل) .. فهل كان يخطر لك وانت تسمع غناء (ياليل) الذى تحبه دائما ، ويتغنى به المفتون دائما ، انه قديم عريق في القدم ، قد يعود الى ٢٧ قرنا خلت ؟

حلب ـ ممدوح الجابرى ■■



ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب، لاشودي فون، سويسرا وبورتسكاب فرنسا، بيزانسون.

اجعل هذا اليوم يوماً خاصاً لشخص تعزه



قدم له ولاعة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الأعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، ان تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.

ولاشك في ان ولاعة رونسون هي خير هدية لكل شخص محترم ومحبوب.



قدم أكثر من هدية ... قدم رونسون



زودياك استروغرافيك
طريقة جديدة لتحديد الوقت
بهجة اوفر ومتعة أكبر وتوقيت ادق .
انها في حدود الاسطورة الخارقة .
ساعة الدقة . ساعة الرجال
تنبض ٣٦٠٠٠ هزة في الساعة .
اوتوماتيكية ، روزنامة للمرأة وللرجل
ساعة اوستروغرافيك .
من زودياك



Zodiac

اينما كنتم اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد



عندما تنظر
إلى الأفضل..
أنظر الى ساعات
وست اند
WEST END WATCH Co
W
.. وعندما
تفكر بهدية تقدمها
لمن تحب فـ :
وست إند أفضل ما تقدم
الوكيل العام في الكويت
يعقوب يوسف بهبهاني الكويت

إنك في المقدمة حين تتعامل مع
البنك الوطني





بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مؤسسات شقيقة : بنك الكويت المتحد ، لندن . بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت . فراب بنك الدولي ، باريس - بنك البحرين والكويت ، ش.ب.م ، البحرين . البنك الاوروبي العربي ، بروكسل - البنك الاوروبي العربي ج.م.ب.هـ . فرنكفورت

فافر_لوبا

الكوارتز ريدر ٣٢٧٦٨ Hz
العقل الالكتروني الذى يعطى الوقت



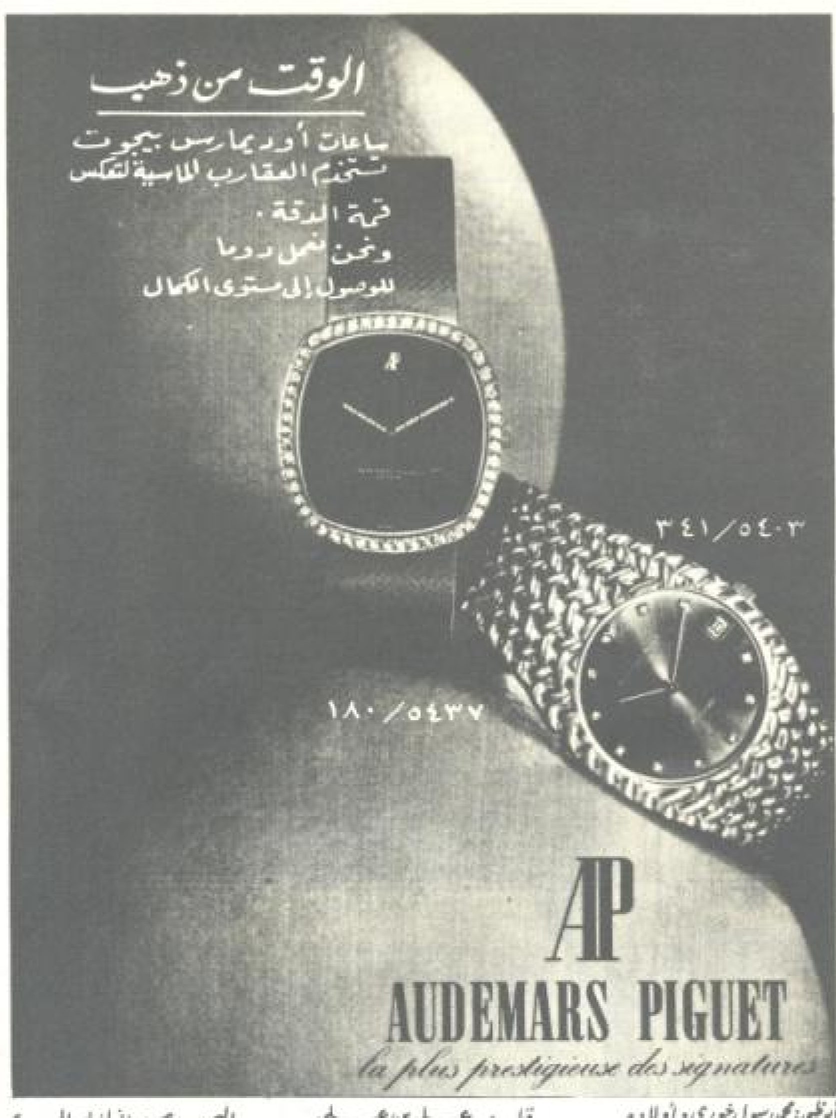
فى الوقت الحاضر يوجد بين مجموعة الفافر ـ لوبا جيل جديد من ساعات الكوارتز ، حركتها منظمة بواسطة دائرة دقيقة تجعل من فافر لوبا كوارتز ، عقلا الكترونيا لاعطاء الوقت ٠

ان الكوارتز ريدر هو طرازنا الطليعي ، واكثر ساعات الكوارتز أناقة فى أيامنا هذه ٠ فقد اختار لها مصممو فافر ـ لوبا اطارا جذابا معبرا عن القوة الخلاقة واصالة التصميم ٠

فافر ـ لوبا الكوارتز ريدر ٣٢٧٦٨ Hz تبين التاريخ ٠

FAVRE-LEUBA
Genève
QUARTZ RAIDER
32768 Hz


تفرّج على صورة مثالية بتلفزيون فيليبس
دع الصورة على شاشة التلفزيون تتحكم في قرارك عندما تعتزم شراء جهاز تلفزيون. ان صورة
التلفزيون الجيدة هي الصورة الناصعة الحادة الأطراف التي تمكنك من رؤية كل التفاصيل.. ثم إنها
صورة ثابتة لا تتعب عينيك. كل هذا تحققه لك وبأفضل شكل، شاشة تلفزيون فيليبس. إلا أن
فيليبس تقدم لك الكثير غير هذا.. تقدم لك التصميم الجذاب الرائع. الق نظرة على جهاز إكس ٢٤
في ٦٨٤ بهيكله الخشبي الفاخر وبابه المنزلق... ثم
انها تقدم لك صيانة سريعة وخبرة فنية تدعمها
شبكة عالمية. كل هذه الخصائص جعلت من صورة
تلفزيون فيليبس الصورة المثالية.
PHILIPS


الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الدقة.
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠٣
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGUET
la plus prestigieuse des signatures

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن الازدهار الاقتصادي في البرازيل

هل باستطاعته ان يخطركم لحكم ما قد يطرأ على الميزان التجاري البرازيلي من تطورات خلال السنوات القليلة القادمة ؟ أو ان يوضح لكم أي مكان من العالم سيتأثر بنمو البرازيل السريع ؟ وكيف ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعامل معه ان يشرح لكم كيف ستتأثر البرازيل بالاتجاهات الاقتصادية في الولايات المتحدة واوروبا ؟ او ان يبين لكم الاثر الذي قد يتركه نمو البرازيل السريع في سياستها الاقتصادية ؟ أو ماذا توفر البرازيل من امكانات للاستثمار في المستقبل ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة في جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا عندما ما يستطيعون هذه الاحداث ، انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون بدقة تنفيذ الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة لتجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في المكسيك والامريكتين الوسطى والجنوبية ، او في مكان آخر من العالم ، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا .

شبكة تشيس منهاتن في أمريكا اللاتينية

فروع في : الارجنتين ، بنما ومنطقة القنال ، البرازيل ، بورتوريكو ، جمهورية الدومينيك ، فنزويلا ، المكسيك ، واكثر من ٤٠ فرعا في جميع انحاء البحر الكاريبي .

مصارف مشاركة :
- الارجنتين . بنكو ارخنتينو دي كوميرسيو
- البرازيل . بنكو لار برازيليرو ، اس . أ .
- فنزويلا . بنكو ميركانتيل اي اغريكولا ، سي . أ .
- كولومبيا . بنكو ديل كوميرسيو
- هوندوراس . بنكو اتلانتيدا ، اس . أ .
- هوندوراس البريطانية . اتلانتيك بنك ، بليز

مؤسسة مشاركة : كوستاريكا . تشيس منهاتن كوستاريكا ، اس . أ

ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي — 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015 U.S.A.

الفرع في البحرين : المنامة ص.ب ٣٦٨

الفرع في لبنان : بيروت ص.ب ٣٦٨٤

مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود دبي ، اتحاد الامارات العربية





RADO









رادو دياستار الكترسونيك

الساعة الاولى في العالم الغير قابلة للخدش والتي تعمل
بواسطة البطارية بمنتهى الدقة . لقد جمعت ساعات «رادو
بين الذوق . الدقة والمتانة عدا عن مقاومتها للماء . بالاض
لتشكيلتها الرائعة التى تتناسب كل ا مع صيانة تامة من قب
خبراء فنيين . مع ضمانة د . ية
صفات هذه الميزات لا ت رادو .

الوكلاء العامون بالكويت — محلات البابطين — محمد عبد الله البابطين
ت ٤١٩٤١٩ ٤١٦٤١٦ برقيا : ت . تلكس : ٢٠٥٣ ص ب ٢٤ الصفاة

المملكة العربية السعودية — مؤسسة الغزالي للتجارة — محمد العلي العبد اللطيف
الرياض تلفون ٢٦٩٣٨ برقيا : غزلان جدة : ت : ٣١١٥٢ ص ب ٢٥٩٥

أفخر سجاير
كنج سايز فيلتر



مارلبورو

رمز الجودة



A quality product by PHILIP MORRIS Inc., Richmond, Va., U.S.A.

ألم يحن الوقت الذي تبدأون فيه مشاهدة التلفزيون بالألوان الطبيعيّة المثيرة؟

الموديل CTP 3401

تلفزيون ملوّن نقال

١٤ بوصة ... يتألق في صورته الواضحة بجلاء ويعطيكم ألوان البشرة باتقان تام. جميع الدوائر من الترانزستور مع صمام رئيسي مصمم حديثاً للشاشة السوداء. يعمل على كافة القنوات فوق العالية/والعالية جداً. يسهل نقله بين الغرف (الوزن يقل عن ٤٠ رطلاً) ويتوفر في صندوق من خشب الجوز الفاخر.

الموديل CTP 437 CTP 5401

تلفزيون ملوّن

١٨ بوصة مع جهاز التنغيم VARACTOR جميع الدوائر من الترانزستور للعمل مع القنوات فوق العالية/والعالية جداً. ألوان طبيعية متألقة على صمام الشاشة السوداء مع زاوية انحراف بمقدار ١١٠ درجات. يضم مفاتيح VARACTOR للتنغيم الفوري بالزر الضاغط. مع أجهزة تحكم انزلاقية. قاعدة جميلة للدوران وصندوق جذاب من خشب الجوز.



SANYO سانيو

A.A.A./K-7/CTV



العدد ١٩٣
ذو القعدة ١٣٩٤
ديسمبر
(كانون اول) ١٩٧٤

براعم الفن في معهد الموسيقى بالكويت

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.ع.م	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم





الوطواط

هذا نوع من الوطواط يسكن المناطق الاستوائية من امريكا الجنوبية ، وطعامه الفاكهة . وهو في الصورة يقضم شيئا من الموز . والوطواط هو الحيوان الثديي الوحيد الذي يطير وله جناحان . وقد سبق أن خصصنا الوطواط بحديث ، ونعود ان شاء الله بحديث اشمل .



عزيزي القارىء

● كثيرا ما ينصحون « العربي » ان لا يتحدث في سياسة ، لان السياسة كلها مزالق ، وكثرت النصيحة وكبرت حتى صارت فرضا او كادت .

وزاد في الحذر ، عن طرق باب السياسة ، اختلاف العرب فيها . ويزيد اختلافهم فيزيد صمتنا . ذلك اننا لو تكلمنا ارضينا جانبا واغضبنا جانبا . ومع الغضب يتقصّ جناح العربي ، يقص منه الخوافي والقوادم .

وقد مضى الصيف هذا الماضي وفي العرب فرقة ، وفيما تكتب الصحف صدام . ومن الكتاب العرب ما ينسى خطورة ما يكتب فيه ، ليشتفي بالذى يكتب نفسا ، ويطفىء به عاطفة في صدره ملتهبة ، ويؤجج في صدور قرائه نيرانا يستعر أوارها اياما .

ويشاء القدر ان يعقد مؤتمر القمة العربي السابع والفرقة على اسوئها .

وتأتي اخبار المؤتمر في اليوم الاول بسوء . وفي اليوم الثاني بسوء . وتستبشر نفسي وانا انشد :

اشتدّي أزمــة تنفرجــي قــد آذن ليلك بالبلــج

وجاء اليوم الاخير باحسن مما رجا الناس من آمال :

مليار من الدولارات لدعم الجيش المصري .

مليار من الدولارات لدعم الجيش السوري .

مئات الملايين لدعائم اخرى .

وحديث عن اتفاق لاقامة صناعة حربية حديثة .

اخبار كلها ، فيها البشر يضحك حتى تظهر نواجذه .

ولكن افضل من كل هذه القرارات ما صدرت عنه : تلك الوحدة العربية ، تلك التي لولاها ماكانت قرارات .

ان الوحدة العربية هي العمود الفقري من الكيان العربي . والعمود قد يصيبه انزلاق قرص هنا ، او قرص هناك ، ولا بأس مادام ان هذا من طبيعة الحياة ، وما دام كل خلل الى صلاح واصلاح .

المحرر

١٩٧٤/١١/٢



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى



العربى

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY – No. 193 DECEMBER 1974 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

العدد القادم
عدد ممتاز
معه هدية مجانية

تربية وعلم نفس :

سياسة واقتصاد :

فلسفة :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

كتب :

قصص وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري • البحرين ٢٠٠ فلس بحريني،العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، • لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج • م • ع ١٠ قروش • تونس ٢٠٠ مليم • الجزائر ٢ دينار جزائري • المغرب ٢ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي • وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونغ ـ ص٠ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب •





العهدة العمرية بين الاصل والصورة

افيدكم انني تصفحت العدد ١٨٩ من مجلتكم الغراء وشاهدت في صفحتها الخامسة صورة وثيقة المعاهدة المبرمة بين عمر بن الخطاب (رض) واهل القدس كما هو مذكور ، وسؤالي هو : هل تلك الصورة ماخوذة عن الوثيقة الاصلية التي ابرمها عمر ، ام انها من ترتيب احد الكتاب • فالكتابة زمن عمر بن الخطاب لم تكن منقطة والوثيقة بها نقط • وليس بامكاني الرجوع الى العدد ـ ٢٧ ـ الصادر في فبراير عام ١٩٦١ م •ولدى الآن صورة مثلها لذا توجهت اليكم بسؤالي راجيا الجواب عليه ولو بالقليل •

عبدالرحمن يوسف شمس الدين ـ الطائف/السعودية

العربي :

نشرنا تعقيبا حول العهدة العمرية على الصفحة السابعة والصفحة ١٥١ من العدد ٢٩ من العربي وقلنا فيما قلنا : « ونحب ان نقول ان الصورة موضوع هذه الملاحظات ليست صورة العهدة الاصلية التي كتبها عمر او وقعها • ولكنها صورة تخيلها الرسام للعهدة العمرية واخرجها على ورق يوحي شكله بالقدم وبخط ظن انه اقرب الى ما كان عليه الخط في ذلك الزمان » •

جزر المحيط الهادى !!

× اشير الى نتيجة مسابقة العدد ١٨٦ والمنشورة في العدد ١٨٩ من العربي :

١ ـ ذكر في الجواب رقم ٢/أ ان الجزر هي (جزر كنارى) وهذا بعيد عن الصواب والصحيح ان الجزر التي اشير اليها في خريطة المسابقة والواقعة تجاه الساحل الغربي لافريقيا الوسطى هي جزر (الراس الاخضر) • لان جزر كنارى تقع شمال مدار السرطان وجنوب خط العرض ٣٠° شمال خط الاستواء على حين ان الجزر التي اشير اليها في الخريطة هي جنوب مدار السرطان •

٢ ـ ذكر في الجواب ٢/د (جزر هاواى) وهذا خطا ايضا والصحيح (جزيرة تاهيتي) • ذلك لان جزر هاواى تقع شمال خط الاستواء وجنوب مدار السرطان ، على حين ان الجزر التي اشير اليها في الخريطة موقعها شمال مدار الجدى وجنوب خط الاستواء •

محمد خير جنكات

حرب رمضان والكتاب

× قرات مقالا في مجلتكم الفاضلة ـ العدد ١٨٨ ـ يوليو ٧٤ بعنوان : « نظرة فاحصة على ٠٠ حرب الشرق الاوسط ٦ اكتوبر ٧٣ وعرفت من صور المقال ان هذا عنوان كتاب طبع وتم صدوره في بريطانيا في مطلع عام ٧٤ • ولما قرات المقال كله اشتقت الى الحصول على هذا الكتاب علني اقف على الاحداث وقفة متاملة صادقة •

كما وجدت في نهاية المقال اسم محرره غريبا لم اعرفه وهو عبارة عن ثلاث حروف هي « م • ع • ق » •

فهل يتكرم سيادتكم بالرد علي عن تفاصيل هذا الكتاب اما عن طريق المجلة نفسها او عن طريق

أصفهان ٠٠ كان لها شأن فى التاريخ

● نشرت مجلة العربي الغراء على الصفحه (١٤٢) من العدد (١٩٠) المؤرخ ايلول ١٩٧٤،بحثا مقتضبا عن مدينة (اصفهان) ضمن مقال بعنوان المدن الاسلامية ـ كيف كان تخطيطها وبناؤها بقلم السيد شريف يوسف ، جاء فيه عن اصفهان مايلي:

« فى عام ١٥١٤ م اسس الشاه عباس الصفوى الاسرة الصفوية التى حكمت فى بلاد الفرس حتى سنة ٧٢٦م ،وقد تركز عمل الشاه عباس العمرانى فى عاصمته اصفهان،فانشا فيها القصور والمساجد والجسور » ، ثم استطرد الكاتب وقال « ويقطعهذا الشارع نهر زندهور » ،ويواصل القول مشيرا الى قرية جولنا ٠

ودفعا للالتباس اقول :

ان الاسرة الصفوية الحاكمة فى ايران لم يؤسسها الشاه عباس الصفوى الاول وانما اسسها (سنة ١٥١٤) الشاه اسماعيل الاول بن حيدر الصفوى ، المتوفى سنة ١٥٢٤م فى عاصمته اردبيل ٠

وخلف الشاه اسماعيل الاول على الحكم ابنه (طهماسب) الاول ، الذى نقل عاصمة ملكه من تبريز الى مدينة (قزوين) ٠ وخلف هذا ابنه الشاه اسماعيل الثانى ، ثم خلفه ابنه الشاه عباس الاول ٠ وهو الملك الرابع فى سلسلة ملوك الاسرة الصفوية فى ايران ٠ وقد ولى الحكم سنة ١٥٨٥م وتوفى سنة ١٦٢٨ بعد ان حكم مدة (٤٣) سنة ٠ وكان الشاه عباس الاول من اعظم ملوك هذه الاسرة واكثرهم اخلاصا واحزمهم حكما ٠ ولذلك نعت بالشاه عباس الكبير ٠

وكان الشاه عباس هذا اول ملك من الاسرة الصفوية نقلعاصمة الملك من (قزوين) الى مدينة (اصفهان) ، وجعلها عاصمته سنة ١٥٨٧ اى فى السنة الثانية من ارتقائه الحكم ٠ وذلك لاعتبارات كثيرة ،منهاموقعها الجغرافيوالاستراتيجى فى قلب البلاد الايرانية،واعتدالهوائها،ووفرةمياهها،وخصب اراضيها ، وماتميزت به فى توزيع مواسم الحر والبرد فى فصولها الاربعة ٠

واصل الكلمة معربة من كلمة (سپاهان) بالباء الفارسية ذات النقط الثلاث التى يقابلها باللاتينية حرف (P) ومعنى الكلمة (الجيوش) لانها كانت مقر ومجتمع جيوش اباطرة ايران وخاصة الاكاسرة منهم ، والكلمة جمع ، ومفردها (سپاه) اى الجيش، ثم تطورت الكلمة وزيد على اولها الف فسميت (اسپاهان) وعندما استولى عليها المسلمون العرب ،فى اواسط القرن السابع الميلادى ،عربوا الكلمة ولفظوها (اصبهان) او (اصفهان) بتبديل الباء الفارسية الى (باء) أو (فاء) ٠ واصفهان مدينة عريقة حكمها قبل الشاه عباس الكبير ملوك واسرحاكمة كالساسانيين قبل الاسلام، والبويهيين والغزنويون والمغول والسلجوقيين وآل تطفر وغيرها من الاسر الحاكمة ٠ ولكنها على عهد الشاه عباس الكبير توسعت وتعاظمت وانتشر فيها العمران واصبحت من عيون مدن العالم ٠

اما النهر الذى سماه الكاتب (زندهور) فاسمه الحقيقى (زاينده رود) وهو يقع فى القسم الجنوبى من مدينة (اصفهان) ٠

ولمدينة (اصفهان) شان واى شان فى تاريخ الاسلام وفى الادب العربى ٠٠٠

السيد صالح الشهرستانى / طهران

الذى عرضه العربي منها

المراسلة ان امكن ؟ ٠

محمد على حامد بيومى/ج ٠ م ٠ ع

العربي :

الدكتور محمد على الفرا هو الكاتب الذى عرض كتاب « نظرة فاحصة على حرب الشرق الاوسط : اكتوبر سنة ١٩٧٣ » فى العدد ١٨٨ من العربي ، فالحروف الثلاثة (م ٠ ع ٠ ف) انما ترمز الى اسمه كما ترى ٠

والكتاب المذكور وضعه فى اللغة الانجليزية اصلا جماعة من محررى صحيفة الصنداى تايمز البريطانية ، كان لهم صلة وثيقة بأحداث حرب رمضان ٠ ولا ندرى ان كان الكتاب قد عرب بكامله وظهرت ترجمته فى الاسواق أم لا ٠



حديث الشهر

الفقر أكثر أسباب التخلف أصالة

بقلم رئيس التحرير

■ سألني سائل كريم عن اسباب التخلف في الامم ، ثم عاد يصحح سؤاله فيسأل عن افعل اسباب التخلف في احداث التخلف في الامم .

قلت انك واجد اسباب التخلف ، فاعلمها أثرا في التخلف ، اذا انت نظرت في الامم المتخلفة ، وأمعنت النظر فيها ، وأحصيت أولا ما بينها من صفات مشتركة . فالصفات المشتركة بينها هي الصفات التي اجتمعت فجعلت منها امما متخلفة . ويزيد في وثوق الباحث بأن هذه الصفات من صفات التخلف في هذه الامم ، انها غير واردة في الجدول الذي يشمل الصفات المشتركة للامم المتقدمة .

- الفقر مذلة جسم ومذلة نفس •
- الفقر ليس من عمل الدنيا ، ولكن من عمل الانسان •
- الطبيعة خيرة لم تبخل بشيء ، وما خلق الانسان ليشقى •
- العمل طارد الفقر ، وفقر الأمم انما يكون عن قلة عمل •
- العمل فى الامم المتحضرة ، أشق من العمل فى الامم المتخلفة •
- العاملون الكاسبون فى الامم المتخلفة قلة ، واكثر الناس عالة •
- المال ، يُعطى للشباب المتعطل ليتلهى ، يزيد الدولة فقرا •

التخلف له اسباب تقليدية ثلاثة

ومضى صاحبى يعيننى فى حصر صفات التخلف ، فاذا به يذكر الصفات التقليدية للتخلف ، تلك الثلاث التى يذكرها كل ذاكر : الفقر والجهل والمرض • فاكتفينا بها لأن بها حقا كفاية •

وبالنظر غير الطويل تراءى لنا ان المرض ليس للتخلف سببا ، وانما هو نتيجة له ، وان الاصل فى اسباب التخلف هو الفقر والجهل •

الفقر أصل فى التخلف سببا ، يليه الجهل فالمرض

وأطرق صاحبى برهة ، وعاد يقول لعل الفقر ليس سببا للتخلف ، وانما هو نتيجة له ، وان لعل الجهل كذلك ليس سببا للتخلف ، وانما هو نتيجة له •

قلت : ان كثيرا من الصفات التى تصف بها حال الانسان والناس كثيرا ما يصدق القول بانها سبب وانها نتيجة معا • والفقر أصل فى السببية هنا من الجهل ، والجهل آصل من المرض • والمرض يوجد فى المتخلف من الناس والامم ، ويوجد فى المتقدم من الناس والامم ، فهو ليس فى التخلف اصيلا ، واكثر أصالة منه فى التخلف الجهل والفقر •

الفقر والجهل تقاربا فى التخلف سببا

قال صاحبى : فكيف تفرق بين الجهل

والفقر ، وايهما فى التخلف اقرب سببا ؟

قلت : لقد تقاربا سببا ، وتقاربا فى احداث التخلف اصالة - ويزيد فى تبعيتهما للتخلف انك لست واجدهما اجمالا فى حيث التقدم قائم فى الناس والامم . ومن تقاربهما سببا للتخلف انك تقول ان الفقر يورث الجهل ، فلا يعترض عليك احد . وانك تقول ان الجهل يورث الفقر فلا يعترض عليك احد .

يسبق الفقر الجهل فى التخلف سببا

قال صاحبى : فان كان لا بد من مفاضلة بينهما ومفاضلة ؟

قلت : فالفقر أصل سببا ، لانك اذا ترجمته الى نتائجه القريبة كان الجوع ، والجوع ألم ، وكان العرى ، والعرى مرض وموت . والفقر نفى لاسباب الوجود واجهاض لمعنى الحياة . ومخلوقات هذه الارض ، من البعوضة الصغيرة الضئيلة ، الى النسر الكبير الخطير ، وما بينهما من كل داب على الارض او طائر فى السماء ، هذه الخلائق جميعها تمضى ساعات نهارها وساعات ليلها ، تطلب غذاءها تدفع به الجوع ، مؤونة الحياة الاولى التى لا يكون بدونها وجود . اما العلم الذى تحصل به على رزقها ، فقد اعفتها الطبيعة عن تحصيله فى مدرسة ، اذ جمعته محصلا فى أعصابها فى أحقاق مختومة نسميها الفرائز .

وبدا لنا كاننا اتفقنا على ان اكثر صفات التخلف اصالة هو الفقر ، فبدفع الفقر اولا تاخذ الانفس تتطلع لى دفع الجهل ، وبدفع الفقر ودفع الجهل ، يحظى الانسان بالقدر الكافى من طيب العيش ، جسما ونفسا ، وعندئذ فقط يتطلع الى الوفاء بحاجات أخرى للجسم والروح ، يضعها التقليد الانسانى ، وتضعها حاجات الحياة مجتمعة ، فى مراتب اعلى .



ان للانفس عزة فى الطبع يذهب بها الفقر ، ويذهب بها السؤال ،ومد اليد فى طلب الحاجة .

الفقر ، مذلة جسم ، ومذلة نفس ،

ان الجسم ، هذا الجسم الانسانى الذى يتضمن عظما ، ويتضمن لحما ، ويزن العشرات من الكيلوجرامات ، ليس عظما موصولا فحسب ، وليس لحما مركوما فحسب ، ان به صنعة ، وبه تكنيئة ، وبه ابداع . لم يستطع شىء فى الدنيا بلوغ مثله . انه نموذج الخلق الاكبر والاعصى والاوسع ، وفيه سر الحياة مكتوبا ، وفيه حرمة الدهور جميعا ، وبمقدار هذه الحرمة ، وجب ان يكون له فى الحياة حرمة ، وان تكون له كرامة ، فلا يذل بالجوع ، ولا يذل بالعرى ، ولا يذل بامتهان كان ما كان . انه آية الوجود الاولى ، تحملها انت ، واحملها انا ، فيجب ان نحملها كما تحمل الذخائر النادرة على ارفف من قطيف وحرير .

وهذا الجسم الانسانى حمل فى طياته نفسا ، اذا تُركت على سجيتها ، تكشفت لنا آن لعلها كانت فى الخلق فوق خلق الجسم خلقا ، وحق لها ان تسمو عن كل حقير من المظاهر والاشياء مهين · ان للانفس عزّة فى الطبع يذهب بها الفقر ، ويذهب بها السؤال ، ومدّ اليد فى طلب الحاجة ·

ما خلق الانسان ليشقى

ان الفقر ليس من عمل الدنيا ، ولكنه من عمل الانسان ·

الانسان فى هذه الدنيا له الارض ، وله الماء ، وله الشمس ، وله قوة الساعد التى تحفر وتبذر وتجمع من ثمار الزرع ما تجمع · وقبل الزراعة سبقت الارض فى انبات النبات ، والارتفاع بالشجر ، وملء الشجر بالطير ، وبالحيوانات تروح فيه وتغدو ، منها الطعام ، ومنها الكساء ، وكل حاجة اصيلة من حاجات الحياة ·

الطبيعة لم تبخل بشىء ·

وما خلق الانسان ليشقى ·

ومن الناس من يعجز حتى فى غمرة هذه الطبيعة الخيّرة ، فيقوم عرق الدم يغذّيه ويكسوه ، ويقوم الرحم ياويه · ومن الرحم جاءت الرحمة ، وهى اتسعت لها القلوب حتى التى ليس بينها وشائج أرحام ·

كل شىء خلق للتيسير فى اول امره ،



• وقبل الزراعة سبقت الارض فى انبات النباتوالارتفاع بالشجر ، وملء الشجر بالطير ، والحيوانات تروح وتغدو ، منها الطعام ومنهاالكساء •

ولكن اختلفت الطباع ،وتكاثرت الاطماع، وتركب البسيط ، وتعقد المرسل الصريح • وخطا الانسان من مدنية الى مدنية ، لا شيء في ايها يهدف الى خير الانسان جملة • حتى وصلنا الى هذه الحضارة التي اسميناها بالكبرى ،وتورطنا فيها اكبر ورطة • والانسان وقيمته ، تلك التي قيل انها هي غاية الحضارات جميعا ، ذهبت الحضارات بكل ما فيها من معنى • والفقر ، وقد شمل ثلاثة اخماس أهل الدنيا ، اصبح لا يحس الامه الا من هم فيه من البشر •

الحضارة
أمر واقع
لا حيلة لنا فيه

ونحن اليوم في حضارة لبسناها لباسا لا سبيل الى خلعه ، قد يضيق على رقابنا عنقه ، او يقصر كمه ، ولا حيلة لنا في ابداله واستبداله • كل عائش في هذه الحضارة محكوم بها من ساعة يصحو الى ساعة ينام ، ومنها واليها تأتي احلام يقظتنا والمنام • وتقوم في هذه المدنية حرب فنساق اليها ، ونرضى بأن نساق لانها هيأت انفسنا قبل ذلك للرضى • وتعصف العواصف الحضارية ، من سياسية ومن مالية ، وفيها النكبات ، فنتقبلها لأنها نكبات حضارية ، كما نتقبل نوازل الطبيعة من براكين تثور فترمي بحممها على القرى وأهلها ، او رياح تعصف بغير انذار وتخرب ، او فيضانات كاسحة تغرق • ونتقبلها لأنها نكبات طبيعية لا حيلة لنا فيها •

ولقد نظرت في النكبات الحضارية ، وهذه النكبات الطبيعية ، فلم اجد فرقا بينهما • كل يحدث بلا سبب ظاهر ، واذن فكلاهما من فعل القدر ، والاقدار ما كانت الا لتعفى الناس من العنت الذي يكون في تفسيرها وتفصيلها ،فهم يتقبلونها بغير حساب •

فلننظر اذن في واقعنا الحاضر • في مدنيتنا الحاضرة •

لا ننظر في كيف كانت ، او ما وجب ان تكون ، فهي حضارة من صنع السنين ، ومن صنع القرون ، نحن في هذه الحضارة سائرون سائرون • انها التاريخ ، وان للتاريخ مسيرة لن يقف في سبيلها بهدف تحويلها عن مسارها انسان او حتى طوائف من الامم •

والامم المتخلفة هي ، في طريق سارت فيه الامم التي سبقتها وسميناها بالمتقدمة، لا شك سائرة •

ان من الناس ، ومن اهل الفكر ، ومن الكتاب ، من كتب في السنين الخوالي ، وفي القرون ، يطلبون من الناس ان يرتدوا الى الطبيعة الاولى • الى الزرع والحصد ، والى اليقظة على الشمس ،والنوم مع غروبها ، والى الحرص على السلام وتجنب الحرب • وكلها مقالات ذهبت مع الريح ، قرأها من قرأها ، ثم غمره سيل الحياة الجاري فنسيها • سيل المدنية الطاغي • المدنية الصناعية هذه الحاضرة•

وقوم يقومون اليوم يذمونها ، ويذمون ما جاءت به للناس من سقم ، لا يسمع لهم اليوم سامع • وهم يركزون على ما أتت به من ارزاء ، ويركزون على ما انتهكت من اخلاق ، ويرضى الناس بأرزائها واسوائها • يرضون رضى المغصوب • حتى اولئك الذين يتمتعون بثمراتها ، ناءوا بتحصيل هذه الثمرات •

سألت رجلا يعيش فى هذه المدنية فى اشد مدنها زحاما واكثرها جلبة ، واكثرها ثمرة • سألته هل رضى عيشه فى هذه المدينة عيشا • والفقر هل مسه • قال : اما الفقر فلم يمسسنا ، ولكنا ندفع فى دفعه غاليا • انه العمل المتصل مع اشعة الشمس او ما وجب ان تطلع علينا فيه اشعة الشمس من ساعات ، الى نهاية اليوم غابت الشمس او لم تغب • وهو العمل المرهق يخرج اليه الرجل الى المكتب او المصنع ، وتخرج المرأة • كل هذا فى سبيل اللقمة الطيبة على مائدة ، والرقدة على سرير مريح • واخيرا تأتى الشيخوخة، وهى خير ما جاءت به المدنية الحاضرة • ان الشيخوخة عجز ، وقد كفلتها المدنية الحاضرة فى الامم المتحضرة ، ولكن لا ننسى اننا نحن ، العاملين ، كفلنا راحة هذه الشيخوخة ،بما قدمناه فى شبابنا وكهولتنا من مال •

بهذا حدثنى هذا الرجل السويسرى الطيّب •

العمل طارد الفقر

انه العمل ، وانه ما كان من العمل ومن الكسب ، هو الذى طرد الفقر من مراحات هؤلاء الناس ومغاديهم ، وهو الذى طيّب الحياة لهم ونعّمها ، وهو الذى خفّف من متاعب الشيخوخة لما جاءتهم •

ولقد نزلت وانا فى هذا البلد ، فى بازل ، بفندق كبير ، يطل من ورائه على نهر ، ومن امامه على شارع من شوارع المدينة سلطانى عظيم • ولقد راعنى وانا فيه انى كنت ارى طوائف الناس تسير مئات ومئات فى هذا الشارع ، وركوبتها عجلاتها ، وهى جملة واحدة ، فتكاد تسده • من فتيان وفتيات ، ومن رجال وكهول • وارى المسيرة تبدأ فى الصباح ، قبل ان افطر ، ووجهتها اوسط المدينة ، للعمل • واراها تسير راجعة عكس سيرها الاول ، فى الظهيرة ، الى بيوت لا شك يسكنونها • وهم يعودون بعد وجبة الغداء



العمل طارد الفقر •• منظر رائع للعمال فوق دراجاتهم فى طريقهم الى عملهم غادون اليه ، ورائحون عنه ، ٤ مرات فى اليوم •

الى مثل مسيرتهم الاولى ، متجهين الى المدينة . وفى المساء اراهم عائدين الى مساكنهم ، الى حيث الراحة من بعد تعب ، والى النوم من بعد طول يقظة .

انهم طوائف العمال يغدون الى اعمالهم ويروحون ، يحملهم اليها عضلهم وتروس من حديد .

ورايتهم صباحا ، ورايتهم مساء ، ورايتهم اليوم وغدا . واستمتعت بهذا المنظر الرائع ،وهم فى سيرهم ، فى انتظام كالجند ، وعليهم وعليهن الثياب نظيفة انيقة ، والوجوه نضرة مستبشرة .

العامل فى الحضارة
ليس اقل اجهادا من العامل المتخلف

ومن زيارتى هذه المدينة وغيرها من المدن الكبيرة تعلمت تصحيح رأى خاطىء ساد فى الامم المتخلفة ، ان العمل فى الامم المتحضرة ، اقل ارهاقا فى غيرها من الامم . **ان الحقيقة ابعد ما تكون عن عن هذا . ان العامل فى الحضارة ، اكثر بذلا من جهد فيما يعمل ، واصبر على عمل . وهو ينفق من جهده بسخاء ، ولكن بغير اسراف وبغير اهمال ، ومن اجل هذا يكون محصول العمل اوفر .**

والفتى من بعد عمل ، والفتاة ، تعود



عمال المناجم يقضون نهارهم او ليلهم تحت الارض فى عمل شاق تضيق به الانفاس ، وتتسخ به الوجوه والاجسام . ولكنه العمل ولو قذرا ، اقذر منه الفقر .

الى بيتها ، وقد نالت من التعب القدر الذى يحبب اليها الراحة ، او الخروج للتلهى • وما اكثر ملاهى الحضارة الحاضرة • انها تذهب بما فى العمل ، كل عمل ، من رتابة •

ومثل الفتاة الحضارية التى تقوم بأكثر من عمل معروف تضرب به الامثال ، منه الفتاة التى تقوم فى المكتب بعمل الراقمة على الآلة الكاتبة ، مع قيامها على بدالة التلفون ، مع قيامها بعمل المستقبلة لكل قادم الى المكتب • وتقوم بكل هذا وحدها ، فلا تكاد تفرغ دقيقة •

انه العمل الذى دفعت به هؤلاء الطوائف ، من ابناء آدم ، غائلة الفقر •

الحضارة تتضمن أشق الاعمال

ونحن فى الشرق نرى السيارة جديدة جميلة بارقة رائعة ، فينسينا جمالها وبريقها ما بذل فيها ، فى البلد المتحضر ، من اعمال ، فيها الارهاق ،وفيها الضيق ، وفيها الحرج الكثير •

المناجم حيث يستعدن الفحم ، وقد نزلت فيها فكادت تضيق بها انفاسى ، فكيف بالعامل يبقى بها نهاره او ليله •

ومصاهر الحديد ، وقد اقتربت منها حتى كلت احترق ، فكيف حال العاملين بها وهم يقفون عندها الساعات • والمطارق ، والمخارط ، والمثاقب ،



الفتاة الحضرية تقوم فى المكتب بعمل الراقمة على الآلة الكاتبة ، مع قيامها على بدالة التليفون،وعمل المستقبلة لكل قادم الى المكتب •

والمداهن ، وهي تملأ الصدر حتى يكاد يختنق •

وغير السيارات من سائر الآلات والمكنات التي تاتينا من الغرب ، تاتي الينا مبرأة من العيوب • واختفي اكثر ما اختفي فيها العمل ، وهو ليس دائما بالعمل الحبيب •

ولكنه ، العمل ولو قذرا ، اقذر منه الفقر •

فقر الامم انما يكون عن قلة عمل

ونعود الى الامم المتخلفة ، فنجد اول ما ابتلاها به المبتلي الفقر • ومع الفقر لا شك الجهل ، لأن العلم يُشترى • ومع الفقر والجهل المرض ، لأن المرض يحتاج دفعه قبل ان يجيء ، الى مال وعلم ،واليهما يحتاج الشفاء اذا حل المرض •

والسبب الاول في فقر الامة المتخلفة قلة العمل ، وتفاهة العمل •

فقد دلت الاحصاءات في كثير منها ان العاملين فيها ، الكاسبين ، قلة قليلة ، وان سائر القوم يعيشون على كسب هذه القلة العاملة ، فهم عليهم عالة ، وهم افقار للدولة ، وهم سبب جوعها وعريها حيث يكون عري وجوع •

وامة اعرفها ، قيل ان القادرين على العمل فيها ملايين ، لا يعمل منهم غير ربعهم • والثلاثة الارباع ، رغم القدرة الجسمانية ، عالة •

واستبدال الاستكفاء بالعوز سبيله واضح ، ذلك تأهيل كل قادر جسما على العمل لأن يعمل • كلمة بسيطة نقولها ، ولكن دونها اهوال •

ذلك لأن تحضير الناس للعمل ، في البلد المتحضر ، او المتخلف عن حضارة وهو طالبها ، لا يكتفي فيه بأن يكون للرجل جسم سليم ، فمع الجسم لا بد من خبرة ومن تدريب ومن تخصص ، وكل هذا يحتاج الى المال • وفوق ذلك ، وقبل ذلك يحتاج الى فراغ من الزمن يعطاه الباحثون من اهل الخبرة في الكثير من الشئون •

ان تيسير اللقمة النظيفة لتصل الى افواه المواطنين هو في حسباني اول واجبات الدولة ، ولكن الدول المتخلفة يشغلها عن هذا الواجب الاصيل الف شيء وشيء • ومن هذه الاشياء صعوبة انجازه • لهذا هم يطمرونه طمرا • ويخفون الفقر والعوز اخفاء ، باسداء شتى المعونات • ولكن من اين تأتي هذه المعونات ؟ انها تأتي من كسب القلة الكاسبة فتزيد البلاد فقرا • انها الحلمة من المطاط تدسها في فم الطفل الجائع لتمنعه من صراخ •

ومن وسائل اسكات الطفل حتى لا يصيح ، اي تأجيل اخذ المشكلة من قرونها والالحاح في طلب حلها ، وسائل كثيرة لها مظاهر الحل ، ولكنها لا تحل



شيئا ، وانما هو تأجيل الشر المخوف الى غد ، اولاً فبعد غد .

من ذلك ان المواطن يخرج من المدرسة الثانوية فى البلد المتخلف ، كما يخرج الطالب فى اوروبا او امريكا ، فيطلب عملا ، يبدأ فيه تدريبه للحياة ، ومع التدرب الكسب ،كما يفعل نظيره من شباب الغرب ، فلا يجد شيئا من ذلك . وخروجا من المأزق الحرج تجنح الحكومات الى امتصاص المتعطلين فيها فى وظائف تبتدعها ، فيها الاجر وليس فيها العمل . ولكن فيها اسكات للطفل فلا يصرخ ، الى حين .

ومن تلك الوسائل فتح ابواب الجامعات وسعها . والجامعات تعمل للمهن ، والمهن لها فى كل البلاد مساحات محدودة . وتعمل الجامعات على انفراد فلا تتصل برجال المهن .ويخرج كل عام من الجامعات الالوف التى سبق ان ضاقت بأمثالهم ساحات المهن ، واذن فهم الى التعطل صائرون ، الا ان تلجأ الحكومات الى امتصاصهم فى وظائف تبتدعها ، لها الاجر ، ولكن لا عمل لها ، وفيها ينسى خريج الجامعة ما كان حصّل . والامة تزداد بذلك كل عام فقرا . لأن الارغفة التى كان يأكلها فى عام ١٩٧٣ الف ، سوف يأكلها فى عام ١٩٧٥ اكثر من الف من الافواه .

★★★

انى اتحدث فيما اتحدث عن الامم ذات الحضارة ، والامم التى تتخذ من الحضارة هدفا تجرى اليه تريد ان تلحق به بحسبانه الشىء الوحيد الذى اتضحت لها رؤيته لمستقبل ايامها .

والدول العربية ، جملة ، لا شك تدخل



يخرج كل عام من الجامعات الالوف التى سبق ان ضاقت بامثالهم ساحات المهن ، واذن فهم الى التعطل صائرون .

فى هذه الزمرة الاخيرة ، وما كانت فى اوسط مجال الرؤية عندى وانا اكتب ما اكتب ، واذ كتبت وجب ان اقول ، ان الدول العربية ، ان اتصل بعضها ببعض ما اقول ، فيُعتذر عنها فى هذه الايام ، بل فى هذا القرن كله ، بأنها كانت ولا تزال فى حال تدفع به عن كيان .

ولكن تبقى الحقيقة التى هدفتُ اليها صريحة مقبولة :ان الفقر لا خلاص منه الا بالعمل ،وان الامة كلها لا بد من ان تعمل، وانه لا بد للعمل فى الدولة ، ومن تأهيل العمال للعمل ، من خطة شاملة تربط بين الرجال (والنساء) وبين الحاجات جميعا ، وعندئذ سوف نتعلم ان الجامعات ، كالتى نعهدها ، ليست دائما هى الساحات التى فيها تحل مشاكل العيش فى البلاد .

●●

احمد زكى

طرائف

أحبكم الينا

● قال عمر بن الخطاب : احبكم الينا احسنكم اسماء ، فاذا رايناكم فاجملكم منظرا ، فاذا اختبرناكم فاحسنكم مخبرا ·

ناقة

● حكى شيبة بن عقال قال : اقبلت من اليمن أريد مكة وكان معي ثلاثة جمال ، فصحبت يمنيا على ناقة فوقفت بى جمالى جملا اثر جمل،حتى بقيت راجلا · فخفت ان يفوتنى الحج ، فقال لى اليمنى: « اتطيب نفسك عما معك واردفك على ناقتى هذه ؟ » فقلت : « نعم » · فنزل عن ناقته ، وقال : « خذ ما تحتاجه من

اعرابى عالم بالشعر

● دخل احد الاعراب مجلس عبد الملك بن مروان ، وكان قد اعد وليمة لبعض اشراف القوم ، فلما انتهوا من الغداء دعا عبد الملك الاعرابى ، وقال له : « من انت ؟ » قال : « انا رجل جائبتنى عنعنة تميم واسد ،وكشكشة ربيعة،وحوشى اهل اليمن ، وان كنت منهم » فقال : « من أيهم انت ؟ » قال من اخوالك ، من عذرة » قال : « اولئك فصحاء الناس ، فهل لك علم بالشعر » قال : « سلنى عما بدا لك يا امير المؤمنين » قال : « اى بيت قاله العرب أمدح،؟ » قال : قول «جرير:

الستم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح

قال : « فأى بيت اهجى ؟ » قال : « قول جرير :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا »

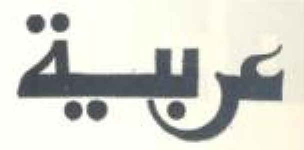
قال « فأى بيت أغزل ؟ » قال : قول جرير :

ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

ثم قال له « أى بيت قالته العرب احسن تشبيها ؟ » قال : « قول جرير :

سرى نحوهم ليل ، كأن نجومه
قناديلُ فيهن الذُبال المُفتّل »

فنهض جرير ، واخذ يقبّل وجه الاعرابى ، ثم قال : « جائزتى للعذرىّ يا امير المؤمنين » · فقال له عبد الملك : « وله مثلها من مالى الخاص » · وكانت جائزةُ جرير أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الطيب والكسوة ·



سريعة

متاعك » . ففعلت واردفنــي ، فجعلت الناقة تعوم بنا عوما كأنها ثعبان حتى انتهى بى الى الموقف فقال : « ان لى حاجة اليك وهو أن لاتطلبها فان هذه الناقة أثر عندى من كل مال فى الدنيا ، أدرك عليها الثار ، واصيد عليها الــوحش ، واوافى عليها الموسم مــن صنعاء كــل عــام » .

حروب وأيام

● الحروب ثلاثة لم يكن للعــرب اعظم منهن : حرب بعاث بين الاوس والخزرج ، وحرب بنى وائل وتغلب فى مقتل كليب ، وحرب ابنى بغيض : عبس وذبيــان فى مجــرى داحس والغبراء .

وأيام العرب ثلاثة فى الجاهلية لم يكن اعظم منهن .. يوم جبلة ، ويوم كلاب الاخير ويوم ذى قار .

بين ابو هريرة وعمر

● حكى انه لما قدم ابو هريرة مــن البحرين قال له عمر بن الخطاب : « يا عدو الله ، وعدو كتابه ، أسرقت مال الله » ؟ قال ابوهريرة : « لست بعدو الله ولا عدو كتابه ، ولكنى عدوٌ من عاداهما ، ولــم اسرق مال الله ؟ » قال عمر : « فمن ايــن اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ » قال : « خيلى تناسلت ، وعطائى تلاحق، وسهامى تتابعت فقبضتها » .

قال ابو هريرة : « فلما صليت الصبح استغفرت لامير المؤمنين ، ثم قال لى عمر بعد ذلك : « الا تعمل » ؟ فقلت : « لا » قال : « قد عمل من هو خير منك : يوسف » فقلت : « يوسف نبى ، وابن نبى ، وانا ابن أميمة . اخشى ثلاثا واثنتين . قال : فهلا قلت خمسا ؟ قلت : « اخشى ان أقول بغير علم ، واحكم بغير حلم ، واخشى ان يضرب ظهرى ، ويشتم عرضى ، وينــزع مالى » .

مزايا البغلة

● قيل ان الحجاج بن يوسف الثقفى لقى احد اشراف الكوفة وقد امتطى بغلة، فاستنكر ذلك عليه ، فقال : « اتركب دابة ان طلبتَ عليها لم تَلحق ، وان طُلبتَ لم تَسبق ؟ » فقال : « لست بحيث احتاج أن أطلبَ أو أُطلب ، فانها دابة تنحط عن خيلاء الخيل ، وترتفع عن ذلة الحمير ،وخير الامور اوسطها » .

القيادة

■ لاشك ان النجاح في رسم الخطط والسياسات الادارية ووضعها في حيز التنفيذ لا يمكن الا بتوجيه القيادات الحكيمة ورقابتها • والقيادة – كلمة تحمل معاني عديدة ، ووظيفة لا يستطيع القيام بها الا عدد قليل من الافراد • ودور القيادة ليس بالسهولة التي يظنها البعض ، فليس لكل فرد الامكان والاستعداد للقيام بهذا الدور • وفي نفس الوقت لا يمكن الحكم على كل من استطاع ان يكون في مركز القيادة بانه قائد ناجح •

ولايمكن انكار ان نجاح الاعمال ، والحكومات، والجيوش واى شكل من الاشكال التنظيمية يعتمد اعتمادا كليا وجزئيا على امكانات القادة •• ماذا يؤدون ، وكيفية الاداء !

وحتى نتمكن من استعراض اثر القيادة في التقدم الادارى فسنحاول تحديد عناصر نجاح وفشل القيادة ، وان نتفهم دور القائد ، وان نحلل الاسباب التي تدعو الى وجوده ، والوظائف التي يجب ان يؤديها •

من القائد ؟

من المتعارف عليه ان الدور الذى يقوم به القائد هو توجيه جهود الجماعة التي يقودها نحو تحقيق الاهداف المرجوة باعلى درجة من الكفاية • ولا بد ان نلاحظ ان هناك مطلبين اساسيين لوجود القائد :

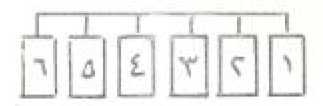
اولا : لا بد ان يكون له اتباع Followers .

ثانيا : ان يؤثر على اتباعه للعمل متضافرين تحت امرته لتحقيق الاهداف المقررة •

لماذا نحتاج الى القائد ؟

تكمن ضرورة وجود القائد في احتياجات الجماعة المتابعة له • فاذا اخذنا على سبيل المثال جماعة مكونة من ستة افراد بلا قائد يعتمدون على انفسهم اعتمادا كليا ، فانهم سيواجهون ضرورة حتمية في ايجاد الاجابة على الاسئلة الآتية :

× ماهي الاهداف التي يجب ان يحققوها ؟
× ما هي الاعمال التي يجب ان يؤدوها ؟
× كيفية اداء هذه الاعمال •
× توقيت مراحل البداية والانتهاء •
× ماهي سياسات الجزاء والمكافاة ؟



والذى لا شك فيه ان كل فرد من هذه الجماعة سيحاول على حدة ان يعطي الاجابة المناسبة لمصلحته الشخصية ، التي قد لا تتلاءم مع مصالح افراد الجماعة • وهنا نلاحظ اهمية ايجاد الاجابة المناسبة بحيث يقبلها جميع افراد الجماعة • اذن ليس امامنا الا احد حلين : (١) اما ان تكون هناك موافقة اجماعية على الاجابة ، (٢) او ان نجد القائد المناسب الذى يصوغ الاجابة الواحدة • وللنظر في الحالين : –

اولا : احتمالات وجود موافقة اجماعية :

نظريا – يمكن لافراد الجماعات العمل متكاتفين، كما يمكنهم تحديد الاهداف والوسائل وتوقيت

وأثرها في التقدم الاداري

بقلم :
علم الهدى حماد

تنفيذها بانفسهم • ولو ان الاسباب العملية والمنطقية تؤيد ان الافراد لا يمكنهم اتخاذ القرارات الا بشكل محدود التأثير على الجماعة كلها •

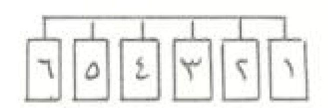
النظريات المعروفة في هذا الصدد تقول ان « الديناميكية الجماعية الكاملة » تاخذ مركز الصدارة ، بتأييدها لفكرة ان على افراد الجماعة التي تشملها القرارات ان يشاركوا بالتساوى في وضع تلك القرارات ، وبشكل ديمقراطي • ويظهر في هذه النظرية عديد من العيوب ، منها ان القرارات اليومية التي تحاول الجماعة اخذها ستكون حلولا وسطا حتى تحظى بموافقة اجماعية• فاذا وجد بعض الافراد الذين لايوافقون على ما اتخذته الاغلبية من قرارات ، فان صبرهم ما اسرع ما ينفد وقد ينفصلون عن الجماعة • ولذلك كان نجاح القرار الجماعي يعتمد كلية على النضج الشخصي للافراد ، وعلى تجردهم من الانانية وعلى استعدادهم لتقبل القرارات التي فيها المصلحة العامة لا المصلحة الخاصة •

ولا شك ان القرار الجماعي له مميزات عديدة ، وان كان غير عملي كوسيلة لتوجيه الافراد للعمل معا وبكفاية كاملة •وقد يكون مبدأ القرار الجماعي اكثر فاعلية في المستقبل وذلك عندما تتوفر الاعداد الكبيرة من الافراد الذين هم على قدر عظيم من الحكمة والذكاء ، والصبر ، والتواضع ليتخذوا قراراتهم جماعيا •

ثانيا : الحل المنطقي بايجاد القائد

وهكذا نجد ان النظرية الاولى صعبة ان لم تكن مستحيلة التنفيذ • وكم من النظريات تحمل اروع الافكار ولكن يستحيل تطبيقها وبذلك تفقد قيمتها :

وللتغلب على هذه الصعوبة سنجد ان هناك حلا منطقيا وهو ايجاد قائد • والشكل الاتى وهو للجماعة سالفة الذكر اضفنا اليهم القائد •



والقائد يمكن انتخابه او تعيينه ، وقد يقوم باخذ المنصب عن طريق القوة او الوراثة • ومن الواضح ان الطريقة التي اتبعها القائد للحصول على المنصب تؤثر على اسلوب قيادته ، وفي نفس الوقت يؤثر اسلوب القيادة مباشرة على فاعلية الجماعة وقدراتها ،وتقبل افرادها للانتماء اليها •

القادة الطبيعيون ، والقادة الاداريون

والقادة نوعان : قادة طبيعيون وقادة اداريون ومحاولة لتعميق المفهوم الاداري للقيادة •

تعتبر القيادة كاى مهارة اخرى مثل التدريس ولعب التنس والعزف على آلة موسيقية • وبالمقارنة يمكن ملاحظة ان عازف الكمان مثلا لا يحسن الاداء الا بعد فترة طويلة من المران ، وكذلك القائد • ومع ملاحظة ان العديد من الافراد لهم من الموهبة والامكانات للتعلم بسرعة ،

يمكن القول بان القائد الموهوب يكتسب ويتعلم بسرعة من الاحداث والخبرات ، وبذلك يعوض بعض ما قد ينقصه من الفترة الزمنية للمران •

والموهبة تخلق القائد الطبيعي الذى لا بد له ان يصقل هذه الموهبة متماشيا مع التطور ومتلائما مع التغيير • وعندما يصل القائد الى هذه المرحلة من الخبرة والمران يتحول من قائد طبيعي الى قائد ادارى •

ويستخدم القائد الطبيعي صفاته ومقدراته الطبيعية التي خلقت معه ، وبذلك يعتمد على انفعالاته الشخصية وبدون الركون الى اى عناصر مكتسبة من التدريب •

لذلك يمكن اعتبار القائد الطبيعي شخصا غير مدرب لاداء وظيفة القيادة ،لان التدريب ينقصه • ولقد اتضح من العديد من الدراسات ان اغلبية ساحقة من الذين يحتلون مراكز القيادة في المنشات ليسوا على مستوى القيادة الادارية الا باعتبارهم قادة طبيعيين • هذا وللاسف الشديد يعتبر تخلفا لا يتماشى مع التقدم في المجالات العلمية والتكنيكية •

ويمكن وصف وظيفة القيادة الآن بانها بالمرحلة البدائية وهي دون الوصول الى غايتها شوط بعيد •

وبالامعان في التفكير نجد ان هناك عديدا من الصعوبات تعوق قيام القائد الطبيعي بدوره بالكفاءة المطلوبة ، وحتى يتسنى لنا رسم صورة واضحة للقائد الطبيعي نقوم باستعراض صفاته• ثم نتلو ذلك باستعراض ما للقائد الادارى من امكانات •

صفات القائد الطبيعي Natural Leader

اولا : النزوع الى التسلط :

من المسلم به ان كل من يوضع في مركز القيادة سيمارس دوره باتخاذ القرارات التي تحدد مصير الجماعة التي يقودها • وتظهر مقومات القائد الناجح في القدرة على التفرقة بين ما يجب عليه، وما لا يجب عليه تقريره • وبما ان الجماعة تعطى القائد السلطة الكاملة في التحكم وتسيير الامور حسب ما يراه ، فان القائد ينزع للتسلط •

ثانيا : الانحراف عن تأدية العمل القيادى :

تكمن قوة القائد الطبيعي في خبرته بالشئون الوظيفية التي تؤدى الى نجاح الجماعة ، والتي تعتبر اساسا في اختياره او انتخابه قائدا • ولكن التركيز على الشئون الوظيفية مثل المحاسبة ، والمبيعات والمشتريات ، وخلافه يجعله ينحرف عن اداء الوظيفة التي عليه ان يؤديها ، الا وهي القيادة • وهناك عديد من المسببات لهذا الوضع ، فقد يفقد القائد الثقة بالجماعة التي يقودها ، او قد لا يستطيع تدريبهم ، وقد يرجع ذلك الى ان القائد نفسه لا يستطيع التفرقة بين العمل الذى يجب ان يؤديه والعمل الذى يجب على الاخرين ان يؤدوه له •

والنتيجة الحتمية لهذه البلبلة هي كثرة الاعباء على القائد تؤدى الى ان يعمل فوق طاقته ، وفي نفس الوقت ، ولعدم تحمل مساعديه المسئولية كاملة يبدأ ، ظهور التهاون بينهم • والذى يمكن ايضا ملاحظته هو ان القائد الطبيعي ياخذ الجانب الاكبر والاصعب من الاعمال لنفسه ، وبذلك لا يتمكن مساعدوه من مشاركته في الاعباء ويصبحون على قدر ضئيل من المعرفة بالابعاد المختلفة لهذه الاعمال •

ثالثا : السرعة في البت واتخاذ الخطوات الايجابية :

تعتبر السرعة في حزم الامور والتكيف السريع مع ما يجد من مواقف من الصفات الواضحة في القائد القوى • ونلاحظ ان الجماعات حديثة التنظيم ، والتي ليس لها الخبرة والتاريخ للاعتماد عليهما في توقع الاحداث ، لا بد ان تكون مستعدة لمسايرة التغيير والتقلبات بسرعة وان تستغل ما يسنح من فرص بقدر الامكان • وهنا نرى ان دور القائد في المنشات التي ما زالت في دور النمو ، له من الفاعلية التي لو استطاع ان يتوافق بها مع احتياجات المنشاة لحقق نجاحا باهرا •

رابعا : الاعتماد على الرقابة الشخصية :

عند تحقيق الاهداف والوصول الى النتائج فانه من الواجب مراجعة ما تحقق ليمكن تاكيد صحة موقف المنشاة • ونؤكد هنا انه من الصعب ايجاد معيار ثابت للتفرقة بين العمل الجيد وغير الجيد ، كما ان نظام التقارير يعتبر حتى الان غير كامل • بالاضافة الى ان وضوح فكرة ماالذى يجب تحقيقه وكيفية تحقيقه تنحصر عامة في عدد محدود من الافراد • والقائد الطبيعي لا يملك من الوسائل لاثبات صحة اى موقف او عدم صحته الا بضمانه وحكمه الشخصي ، وعلى هذا الاساس يعتبر الفحص الشخصي الوسيلة الاساسية للرقابة •

ويستخدم القائد الطبيعي الملاحظة لفحص النتائج ، فيلاحظ ما تم بالفعل ، وكيف تم ، والنتائج المحققة • وللاسباب التي ذكرت ولعدم وجود معيار ثابت للقياس فان تقديره يتم كالاتي: اذا تم العمل بالطريقة التي يريد ان يتم بها ، واذا وصل للاهداف المرجوة فان كل شيء على خير ما يرام ، واذا كان العكس فهناك خطأ ما • ويهتم القائد الطبيعي بادق الامور وعلى اقل مستويات الخط التنظيمي ، وقد يكون هذا العمل مجديا لفترة قصيرة الا ان النمو الطبيعي للمنشأة سيؤدي الى عدم كفاية وقت القائد لمباشرة جميع تلك الاعمال •

القائد الاداري Management Leader

لا يمكن انكار ما للقائد الطبيعي من فاعلية تتناسب مع المنشآت التي في دور النمو ، وهذا يعطي التفسير للنجاح الذي حازه القادة الطبيعيون في بداية طور المنشأة •ولكن اتساع دائرة الاعمال وكبر حجم تلك المنشآت ادى الى ازدياد وتعقيد وتنوع وظائف القائد ، والتي لا يمكن للقائد الطبيعي تاديتها بالكفاءة المطلوبة •

اذا فان القائد الطبيعي لا يستطيع سد حاجة المنشآت الكبيرة ، وهنا تظهر الحاجة الى قائد اداري له من المهارة ما للقائد الطبيعي بالاضافة الى الخبرة والتدريب •

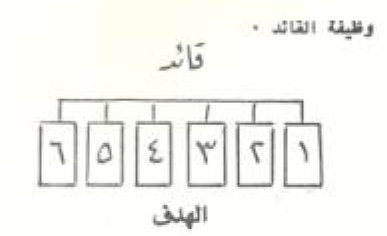
فما هو الدور الذي يجب ان يؤديه القائد الاداري ؟

ليس من السهولة على الباحث ان يحدد وظائف القائد الاداري بالصورة التي يمكن وضعها في اطار محدد • ولكن يمكن دراسة تلك الوظائف بشكل عام خلال تبين العلاقة بين القائد والجماعة التي يقودها والمركز التنظيمي الذي يباشر القائد من خلاله تلك الوظائف •

وسنحاول الان مناقشة دور القائد الاداري بزواياه المختلفة وطبيعة الوظائف التي عليه ان يؤديها :

المركز التنظيمي الفريد للقائد

بمقارنة علاقة القائد بالجماعة نجد انه الشخص الوحيد الذي يستطيع التفهم الصادق والموضوعي لاحتياجات الجماعة • وبالاشارة الى المثال الذي سقناه في بيان دور القائد الطبيعي والجماعة المكونة من ستة افراد ، سنضيف الى الشكل وظيفة القائد •



وهنا نرى ان الجماعة تعمل تحت امرة القائد لتحقيق هدف معين ، كما يتضح ان القائد له مركز لا يشاركه فيه احد ، وفي نفس الوقت يعتبر فردا من الجماعة ولكن بدون تدخل قد يؤدي الى فقدانه للفهم الكامل لاحتياجات الجماعة ككل •

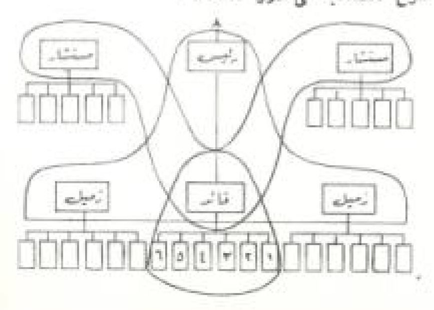
ويستطيع القائد لما له من هذا المركز التنظيمي ان يضمن المصلحة العامة للجماعة بشكل لايستطيعه اعضاء هذه الجماعة لانفسهم • والامثلة عديدة للبرهنة على مكانة القائد ونفعه • فهو الذي يستطيع الحكم على العمل الذي يؤديه افراد الجماعة ، وقياسه بالنسبة للمعايير الادائية •

وفي هذا المجال نجد ان اعضاء الجماعة يتصرفون كبشر محاولين ايجاد الاعذار لاخطائهم ، وحتى يمكن الوصول الى تقييم ما تم تحقيقه لا بد وان نخلق مركزا تنظيميا للقائد ، فريدا من نوعه ، واعلى من المستويات الاخرى وان نضع فيه الشخص الذي يستطيع القيام بدور القائد بالكفاءة اللازمة •

تشعبات دور القائد الاداري

يلاحظ عموما ان القائد بمركزه في الشكل التنظيمي يعتبر عضوا في عدة جماعات مختلفة ، ويلعب دورا مختلفا في كل جماعة ، كما يتحمل مسئوليات مختلفة تصل الى حد التضارب •

سنحاول خلال الشكل الاتي توضيح العلاقة بين القائد الاداري والمستويات التنظيمية المختلفة مع شرح التشعب في دور القائد •



نلاحظ اولا ان دور القائد هو قيادة جماعته ، وحتى يستطيع القيام بهذا الدور بالكفاية اللازمة فعليه ان يتفهم متطلبات الجماعة ويساعد افرادها في العمل متعاونين كاعضاء فريق واحد • وفي تحقيق هذا الدور يقوم القائد بتوجيه جهود افراد الجماعة ، ويتخذ القرارات التي في مصلحة الجماعة ، وان يمثلها امام المستويات التنظيمية الاعلى ، ويقوم بدور الاتصال •

وبفحص الشكل المذكور نجد ان القائد يأخذ دور التابع في الفريق الذي يتكون منه ومن زملائه تحت امرة رئيس • ويجد القائد نفسه بصفته تابعا في نفس الوقت من موقف الموازنة بين ما يراه رئيسه وبين ما يريده من يعمل تحت امرته •

اما الدور الثالث للقائد فيتمثل في كونه زميلا وانتمائه لمجموعة او اكثر من الزملاء • ولا شك ان هذا الانتماء له اهمية كبرى في تعزيز موقفه، ولما كانت القدرة على التعامل مع الزملاء من الاهمية في تحديد الكفاية الشخصية فان القائد يحاول ما في وسعه لتحقيق التعاون المنشود •

ويتحدد الدور الرابع عن طريق العلاقات الخارجية ـ والمقصود بذلك العلاقات خارج التنظيم المباشر ، بمعنى أن على القائد ان يتعامل مع لجان وجماعات او ممثلين حكوميين ولمنشآت اخرى • وعلى القائد ان يحرص على اداء هذا الدورومؤيدا لمختلف النشاطات التي يقوم بها الغير حتى يمكن اعتباره عضوا فعالا في المجتمع الذي ينتمي اليه•

اذا على القائد أن يوفق بين احتياجات جميع هذه الادوار ، فاذا كان هناك اي اختلافات فعليه التوفيق بينها والا خسر قاعديته • وفي جميع الاحوال يتعرض القائد لضغوط مختلفة من الجماعات التي يتعامل معها لما تحاوله من تحقيق اهدافها ومصالحها الخاصة • والامل الوحيد لنجاح القائد الاداريفي تحقيق دوره المتشعب هوالتركيز على عمل محدد من خلاله يستطيع أن يحقق أقصى مدى من الكفاية • فاذا استطاع ان يسلك هذا المنهاج فانه سيتمكن من القيام بتأدية ما في وسعه في حدود امكاناته •

وظائف القائد الاداري

بالنظر الى جميع الاعتبارات التي ناقشناها ، ستجد ان القائد الطبيعي يتحول بالمران الى قائد اداري ويمكن ان نطلق عليه لفظ « مدير » ، بمعنى انه متخصص في وظائف واعمال الادارة •

ولتوضيح اعمال القائد الاداري يمكن الرجوع الى ما كتبه هنري فيول Fayol ، لتصنيف وظائف الادارة والتي ادرجها كنشاط منفصل عن النشاطات الاخرى في اي منشأة ، وقد كانت النشاطات التي ذكرها كالآتي :

١ ـ النشاطات التكنيكية Technical Activities
٢ ـ النشاطات التجارية Commercial Activities
٣ ـ النشاطات المالية Financial Activities
٤ ـ نشاطات الامن Security Activities
٥ ـ النشاطات الادارية Managerial Activites

هذا وقسم فيول Fayol النشاطات الادارية الى : التخطيط Planning والتنظيم Organization واصدار الاوامر Command والتنسيق Coordination والرقابة Control • ويقوم العديد من الكتاب باضافة عناصر مثل التوجيه والقيادة ، ولكن مهما تعددت العناصر المضافة او المحذوفة فكلها تدور حول نفس ما ذكره فيول منذ نصف قرن •

وكما جرى ذكره يقوم المدير بدور القائد ولكن بشكل يختلف بعض الشيء عن الاشكال الاخرى من القيادة • والذي لا شك فيه انه كما توجد قيادة عسكرية ، وسياسية ، واجتماعية يوجد ايضا ما يعرف بالقيادة الادارية •

وبتحديد وظائف المدير التي اتفق على انها التخطيط ، والتنظيم ، واصدار الاوامر ، والتنسيق ، والرقابة يستطيع من يمثل مركز القيادة الادارية تأكيد العمل الجماعي الفعال خلال هذه الوظائف • ونؤكد هنا بان الشخص الذي يتحمل هذه المسئوليات لا بد وان يكون في منصب قيادي ، ويملك القدرة على ان يرى ما يجب على الجماعة ان تقوم به والطريقة المثلى للقيام بذلك العمل •

وبذلك يمكن استخلاص ان الادارة وسيلة لتحقيق غاية ، ولا بد ان تقود الى تحقيق اهداف معينة • وتحقيق هذا العمل ـ الادارة ، خلال القائد الاداري والادارة ، بذلك تمكن الافراد من العمل جماعيا وبكفاءة فائقة • ولا بد للقادة الطبيعيين ان يعملوا جاهدين لاستيعاب الخبرات والتجارب ، والا يكلوا عن المران المتواصل من اجل كفاءة اعلى تضعهم فيمصاف القادة الاداريين كامل في الاصلاح والتقدم الاداري • ■■

واشنطن ـ علم الهدى حماد



المصدر الصناعي

أقرّه مجمع اللغة العربيّة لحاجة العلم والتكنية اليوم إليه

بقلم : محمد خليفة التونسى

يقسم علماؤنا الاسم قسمين : جامدا ومشتقا . فالجامد عندهم مالم يؤخذ من غيره ، فهو في نظر المتكلم كالخامة او المادة الغفل لم تتناولها الصنعة باى تشكيل . ومن امثلة الجامد عندهم : رجل ، ضَبُع ، موز ، حَجَر (وهذه الاسماء كلها تدل على اشياء محسوسة) . ومن امثلة الجامد ايضا : صبر ، حُسْن ، فرَح ، قِدَم ، علم (وهذه الاسماء كلها تدل على معان او اشياء تدرك عقلا) ومن هنا يتضح لنا ان الاسماء الجامدة نوعان :

١ ـ أحدهما يسمى « اسم ذات » وهو ما يدل على شيء محسوس ، او يدخل في حيز الحس كالامثلة الاربعة الاولى هنا : رجل (انسان) ضبع (حيوان) موز (نبات) حجر (جماد) . وتدخل في هذا القسم كل اسماء الاجناس الطبيعية وما يندرج تحتها من انواع وفصائل واسر .

٢ ـ ثم اسم المعنى ، وسمى كذلك لدلالته على « معنى » او شيء يدرك بالعقل المحض ، كما قلنا ، وامثلته الخمسة هنا : صَبر ، حُسن ، فرَح ، قِدم ، علم . كما يسمى هذا النوع ايضا « المصدر » .

واما المشتق فهو ما اشتق من غيره . فمن كلمة « حجر » يشتق تحجّر ، يتحجر ، متحجر ، مُستحجر ، ومن كلمة « علم » يشتق : علَّم ، يتعلم ، عالم ، معلوم . فالمتكلم يفصل من الكلمة الاصل كلمات تؤدى ما في نفسه من معان على وفق صيغ معينة ، كما يعمد النجار الى قطعة من الشجرة يجدها ، فيعتبرها خامة ، فيشتق منها او يفصل ما يريده : وتدا او صندوقا ، او سريرا او مقعدا او بابا او شباكا ، على وفق المهمة او الوظيفة الخاصة التي يريد من كل اداة اداءها .

المصدر

المصدر : اسم معنى ، كما قلنا ، ويعرف بانه « ما يدل على حدث » اى حدث مجرد ، فلا يدل

على من اوقع الحدث او اتصف به ، او وقع عليه، ولا على زمان الحدث او مكانه ، ولا على مرات وقوعه ، أو هيئته (١) او نوع منه . فهو مطلق من كل قيد ومن كل علاقة ، ولذلك يسمى فى لغات اخرى بما يدل على « المطلق » او اللامحدود Infintive .

هذا المصدر ثلاثة انواع : المصدر الاصلى ، والمصدر الميمى والمصدر الصناعى .

١ ـ المصدر الاصلى

هذا النوع اشيع المصادر في لغتنا ، واذا قيلت كلمة « مصدر » كان هو وحده المقصود بها ، وعلامته انه يدل على معنى مجرد دون زيادة ميم في اوله ، ولا زيادة ياء مشددة وتاء تانيث فى اخره .

ومن امثلته للافعال الثلاثية : تجارة ، اباء ، غليان ، زكام ، رحيل ، عواء ، هديل ، خضرة ، صعوبة ، فصاحة ، عطش ، دخول ، فهم ، علم .

ومن امثلته للافعال الرباعية : اكرام ، تقديس، تزكية ، صِدَام ، مباراة ، دحرجة (٢) ، وسواس

ومن امثلته للافعال الخماسية : اجتهاد ، انتهاء، تقدّم ، اخضرار .

ومن امثلته للافعال السداسية : استغفار ، استيلاء ، اشمئزاز ، اطمئنان ، استقامة .

٢ ـ المصدر الميمى

وامثلته ، اقل عددا وصيغا من امثلة المصدر الاصلى ، وعلامته زيادة ميم فى اوله ، ولهذا سمى « ميميا » . وهو يصاغ من الثلاثى على مفعَل ، او مفعِل ، او مفعَلة او مفعِلة ، مثل مَدخَل ، ومَوعِد ، ومَجبنة ، وموعِدة ، تقول : دخلت مَدخلا سهلا ، ونزلته منزلا سارا ، والاولاد مَجبنة مَبخلة ، ووعدت صديقى موعِدة حسنة .

وهو يصاغ من الرباعى والخماسى والسداسى على صورة الفعل المضارع مع ابدال حرف المضارعة فى أوله ميما ، وفتح الحرف الذى قبل اخره اذا لم يكن مفتوحا ، ومن امثلة الرباعى : اكرمت ابى مُكرما تاما ، وللخماسى : اجتمعت باصدقائى مجتمعا مفيدا ، وللسداسى : استقبلت ضيفى مستقبلا حارا ، وهذه صيغ قليلة الاستخدام .

٣ ـ المصدر الصناعى

علامة هذا المصدر انه يدل على معنى مجرد مع زيادة ياء مشددة بعدها هاء تانيث فى اخره،وامثلة هذا النوع أندر المصادر فى اللغة ، اذا قيست بامثلة النوعين الاخرين ، ولذلك نلاحظ ان كتب القواعد ـ حتى المبسطة ـ تهمل ذكره ، أو تشير اليه بكلمات معدودة ، وقد وردت عن العرب امثلة من هذا النوع تبلغ بضع عشرات ،منها : الجاهلية، والاريحية ، والفروسية ، والاعرابية ، والجَبرية ، (والجَبَرية) العبقرية ، الالمعية ، العبودية ، الالوهية ، الربوبية ، الطفولية ، اللوذعية والرجولية ، القبلية ، البلديّة ، .

ولم يحدث تطور او تجديد فى اى نوع من المصادر كما حدث فى هذا النوع ، ولم يتوسع فيه كما توسع ابان النهضة العلمية ترجمة وتاليفا فى العصر العباسى ، وزاد امره سعة خلال نهضتنا العلمية اليوم لتوسعنا فى الترجمة والتاليف ، مجاراة للنهضة الحديثة ، ولا سيما ان العلوم والصناعات قد اتسعت وتنوعت واصبحت تاتينا كل يوم بجديد من المعانى المجردة يحتاج الى جديد من الالفاظ ،ولا مجال اوسع من المصدر الصناعى ولا ايسر منه ولا ادق للدلالة على هذه المعانى .

وهو قياسى ، لم هو قابل لاوزان او صيغ لاتقف بالمتكلم عند نهاية ، فما على المتكلم ـ ليجد المصدر الصناعى المطلوب ـ الا ان ياتى باى لفظ

---

(١) بهذا يخرج اسم المرة ، لانه يدل على وقوع الحدث مرة ، ويخرج اسم الهيئة لدلالته على هيئة وقوع الحدث .

(٢) على مثال هذه الصيغة (لا الوزن) كلمة« بلكفة » واصلها « بلا كيف » وهو قول بعض علماء الكلام عندنا فى تنزيههم الله عن الكيفية،فيقولون انه « بلا كيف » .

من اى نوع ، ويختمه بياء مشددة وهاء تانيث ، بحيث يسهل نطقه ويستساغ ذوقه ، والصحف والمجلات والكتب تمدنا كل يوم بجديد من امثلة هذا المصدر ولا مفر لنا من قبول اكثرها او قبول كل سائغ منها لا بديل له عندنا مهما يكن لفظه الذى يعتمد عليه ٠

أمثلة متنوعة للمصادر

فمن امثلته التى اعتمد فيها على جامد (اسم ذات) : الانسانية ، الوحشية ، السبعية ، الحجرية ، الشجرية ، العلمية ، ومن امثلته التى اعتمد فيها ايضا على جامد (اسم معنى ، او مصدر اصلى) عنادية ، نضالية ، انهزامية ، تقدامية ، وصولية ، رجعية ، ثورية ، تعويضية ، شيوعية ، اشتراكية ٠

ومن امثلته معتمدا على المشتق : (اسم فاعل) القابلية ، الشاعرية ، الواقعية ، او (اسم مفعول) : المحسوبية ، المنسوبية ، المعقولية ، المفهومية او (صفة مشبهة) مثل حتيقية ، وصمدية او صمدانية ، وحرية ٠ او (اسم تفضيل) مثل : افضلية ، ارجحية ٠

وقد يكون اصله كلمة اعجمية ، مثل : امبريالية ، ارستقراطية ، ديمقراطية ،ديماجوجية، برجوازية ، بلشفية ، سريالية ، كلاسيكية ، رومنسية او رومنتية ، ومما ورد فى عصر الصحابة كلمة : هرقلية وقيصرية ، وكسروية ٠

وقد يكون اللفظ كلمة مبنية (فعلا ، او اسماء او حرفا) مثل : ادرية (الاصل : أدرى) وبمعناها الكلمة المعربة (الغنوصية) (٢) ٠

مثل : حيثية ، عندية ، قبلية ، بعدية ، اينية ، كمية ، كيفية ، انانية ، هوية ٠

ومثل ليتية والحرف اذا استعمل للدلالة على معنى اسم عومل كانه اسم ، كقول الشاعر :

ليت ، وهل ينفع شيئا ، ليت ،
ليت شبابا بيع فاشتريت

وليت حرف للتمنى ، صار اسما ، ولهذا يقال : « ليتية » مصدرا صناعيا بمعنى التمنى ٠

وقد يكون اللفظ كلمة واحدة دالة على مفرد او مثنى او جمع ، مثل عصامية ، اثنينية ، صبيانية ، ملائكية ، وقد ياتى مركبا من كلمتين (اسمين معربين) مثل : رأسمالية او (مبنيين) مثل : ماهية (الاصل : ما هو ؟) وقد يكون اللفظ حكاية لجملة من كلمتين ايضا (حرفا وفعلا) مثل : لا ادرية ، (الاصل : لا أدرى) (١)

وقد تاتى زيادة النون المشددة والتاء ، بعد اللفظ كما هو ، مثل : فردية ، قومية ، شعبية ، جمهورية ، احديثة ، غوغائية ، جاسوسية ، وطنية غيرية ، وقد تقتضى تغييرا فى حركات اللفظ او حروفه مثل ملكية (الاصل : مليك) ومثل : قبلية من قبيلة ، او استعادة حرف محذوف مثل : ابوية واخوية (من كلمتى اب واخ) ، او زيادة بعض الحروف مثل انانية و علمانية ، عقلانية ، وحدانية ، ربانية ، صمدانية ، وغير ذلك مما تفصله كتب الصرف فى باب النسب ٠

قرار المجمع فى المصدر الصناعى

ولقد تنبه مجمع اللغة العربية بالقاهرة مبكرا فى اولى دوراته الى الحاجة الملحة لهذا المصدر اليوم ، للتعبير عن المفهومات العلمية والفلسفية والفنية ٠ فاشار لذلك ، واصدر فيه قرارا حسنا ، اذ ورد فى معظر احدى جلساته فى هذه الدورة ان « حاجتنا الى المصدر الصناعى ماسة فى علم الكيمياء وغيره من العلوم ، وقد قال العلماء انه من المولد المقيس على كلام العرب ، وتخريجه سهل ، لان هذا اللفظ مكون من اللفظ المزيد عليه ياء النسب وتاء النقل » ثم اصدر الاعضاء القرار الآتى : « اذا اريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء » ولعل هذا القرار فصل الخطاب ، عند اولى الالباب ٠

■■

محمد خليفة التونسى

---

(٢) أدرية ترجمة لكلمة Gnosticism ، وتقابلها كلمة أروج منها ، هى اللاادرية Agnosticim .



بقلم : الدكتور محمد سلطان ابو على

استاذ الاقتصاد ـ بجامعتي الكويت وعين شمس

■ ابرزت بعض الكتابات الاقتصادية المزايا المتاحة للدول النامية حاليا نتيجة لوصولها متاخرة الى بداية مضمار التقدم الاقتصادي ، والرغبة في رفع مستويات معيشة شعوبها • وتستند هذه الآراء اساسا الى ان الابطاء يتيح لها المعرفة التكنولوجية التي توافرت لدى الدول المتقدمة صناعيا طوال مسيرتها على درب التقدم الاقتصادي والصناعي • وهذه المعرفة تضع بين يدي الدول النامية فرصة تحقيق نمو اقتصادي سريع وتحسين الاحوال المعيشية للشعب بدرجة اسرع وفي فترة زمنية اقصر من تلك التي استغرقتها الثورة الصناعية في البلاد المتقدمة اقتصاديا الآن • ومن ناحية اخرى قد تستفيد من ازدياد عدد الدول المتقدمة عن طريق ما تقدمه هذه الاخيرة للدول النامية من رؤوس اموال ومساعدات ومصادر للطلب على منتجاتها •

وبالنظر الى تجربة النمو الاقتصادي في دول العالم الثالث نجد انها قد جاءت مخيبة للآمال ، ولم تحقق ما كان منتظرا منها •فلم يرتفع مستوى نصيب الفرد من الدخل القومي بدرجة ملموسة • ولم تتحسن الانماط الغذائية لمعظم سكان الكرة الارضية ، ولم تبلغ مستوى صحيا مقبولا بعد • وأشد من هذا أن الفجوة بين الدول النامية والدول المتقدمة صناعيا في تزايد مستمر نتيجة لاختلاف معدلات النمو في كل منهما •

وتشير هذه المظاهر الى ان الادعاء بمزايا

الدخول متاخرا فى مجال التنمية الاقتصادية ليس صحيحا • ولعل احد مؤشرات ذلك هو ضرورة التمييز بين ما هو معروف وبين ما يمكن الاخذ به • او بمعنى اخر التمييز بين الامكانية المتاحة وبين التطبيق الفعلى • صحيح ان هناك وسائل جديدة ومحسنة للانتاج ، وصحيح ان هناك سيطرة اكبر من الانسان على الظروف المحيطة به نتيجة لزيادة المعرفة ، ولكن هذه كلها نشأت فى الدول المتقدمة صناعيا • ولقد تأثر هذا التقدم العلمى بالظروف الاجتماعية السائدة • كما انه اثر فى الاحوال الاجتماعية المحيطة عن طريق تغيير وسائل الانتاج وطرقه • وهذه الظروف لا تتفق بالضرورة مع الاحوال الاجتماعية فى الدول النامية (١) • اذ يتطلب الاخذ بها عملية تطويع وتكييف حتى يمكن ان تلائم التطبيق فى دول العالم الثالث • وهذه العملية تحتاج فى حد ذاتها الى قدرات وامكانيات لا تقل ــ فى كفاءتها وعمقها ــ عن تلك التى كانت مطلوبة للدول المتقدمة صناعيا فى المراحل الاولى من نموها ، اى فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر •

بل من الممكن ان يكون تكريس طاقات العالم الثالث للكشف عن الطريق الملائم لنموها ووسائل رفع مستويات المعيشة بها ايسر من تكييف نتاج الثورة الصناعية الاوروبية لاحوالها المعيشية (٢) فى تحقيق الهدف المنشود • وهذه مسالة تستحق البحث والتمحيص ، ولكنها تخرج عن نطاق الفكرة الاساسية التى نعرض لها هنا •

ويتلخص جوهر هذا المقال فى التالى : اذا كانت الكتابات الاقتصادية قد اظهرت مزايا الوصول متاخرا الى ميدان التنمية ، فلا شك ان هناك بعض الجوانب المعوقة لهذه العملية والتى تنجم من ذات السبب • ونخص بالذكر هنا بعضا من هذه المشاكل هى : مجتمعات الاستهلاك ، وسوء تخصيص الموارد ، ومشكلة السكان ، ومشكلة الاسواق،واخيرا مشاكل التلوث والبيئة •

مجتمعات الاستهلاك

اثمرت الثورة الصناعية فى الدول الغربية والتقدم الاقتصادى الذى تلاها عن اتاحة الكثير من السلع الاستهلاكية والترفيهية فى القرن العشرين مثل الراديو والتلفزيون والسيارة • وكان هذا شيئا طبيعيا بعد بناء الهيكل الاقتصادى والاجتماعى الاساسى للدولة • فبعد اقامة السدود وشق الترع والقنوات ومد الطرق وانشاء الصناعات الاساسية التى تستلزم تضحية فى الاستهلاك الحالى المتمكن من رفع الدخل فى المستقبل•نجد ان حلقة الانتاج لا بد وان تكتمل الى نهايتها فى اتجاه السلع الاستهلاكية والترفيهية والمعمرة (٣) • وهذا شىء ضرورى نظرا الى ان الهدف النهائى للنشاط الاقتصادى هو الاستهلاك• ويتاثر هذا النمط من التطور بالمرونات الدخلية للانفاق •

فمن المعروف انه عند انخفاض مستوى الدخل يخصص الجانب الاكبر من الانفاق لشراء السلع الاستهلاكية الضرورية • وبارتفاع هذا الدخل نجد ان النمط الاستهلاكى للافراد يتغير من حيث نوعية الغذاء وكذلك بين اوجه النشاط المختلفة •

---

(١) يظهر هذا المؤرخ الاقتصادى جير شنكرون بوضوح حين يقرر أن « دروس القرنين الماضيين لا يمكن ان يفيدا الدول النامية الا اذا اخذت ظروفها الحالية فى الحسبان » •

(٢) لعل تقويم التجربة الصينية فى مجال التصنيع بالنسبة الى مصاهر الحديد « خلف المنازل » تمثل هذا جليا • ان التقدم الصناعى لا يعنى نقل الاساليب الحديثة بقدر ما يتطلب تعود النظام والقدرة على الخلق والابداع • ولا شك ان هذه المصاهر قد ساهمت فى ايجاد هذه المظاهر فى المرحلة الاولى • ولكن بعد اجتياز هذه المرحلة يصبح من الضرورى التزاوج مع التكنولوجيا المتقدمة •

(٣) يقرر اشتون ان اصحاب المصانع فى بداية الثورة الصناعية فى بريطانيا كانوا يدفعون « ... مرتبات ضئيلة لانفسهم وقيدوا انفاق عائلاتهم ،وخصصوا الارباح للاحتياطيات • وبهذه الطريقة استطاع ويد جوود ، وجوت ، وكراوشى ونيوتن تشامبرز وغيرهم بناء منشآت كبيرة » •

فيخصص جزء اكبر من الدخل لاغراض الترفيه بعد ارتفاع الدخل عن حد معين . وكذلك يميل عدد ساعات العمل الى الانخفاض مع ارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي . ولقد تمت هذه العملية بطريقة تدريجية في الدول الصناعية ابان مراحل نموها الاولى . فنجد ان معدلات الاجور لم ترتفع طفرة واحدة . ومن ناحية اخرى لم يكن هناك انماط استهلاكية افضل يمكن محاكاتها . ونتج عن ذلك اتاحة جانب كبير من الدخل القومي لعمليات اعادة الاستثمار والتوسع في الانشاء والبناء . وهذا وضع يختلف عن الموقف الذي يواجه الدول النامية الآن .

اي انه قد نتج عن عملية التطور الاقتصادي في الدول الغربية الصناعية ما سمي بعصر الاستهلاك الكبير (باستخدام مصطلحات و . و . روستو) . واصبح تغيير الاستهلاك وانماط السلع الاستهلاكية عملية ضرورية للمحافظة على مستوى النشاط الاقتصادي وتشغيل الطاقات الانتاجية المتاحة (٤) . هذا فضلا عن السعي وراء فتح اسواق جديدة لزيادة سرعة دوران رأس المال ، ورفع معدلات الارباح ، ونمو الانتاج الصناعي باقصى درجة ممكنة .

ولكن عندما بدأت دول العالم الثالث تحصل على استقلالها وتهتم برفع مستويات معيشة شعوبها ـ كانت تواجه عالما مليئا بالسلع الاستهلاكية الترفيهية والمعمرة ، وقوانين عمالية تضمن حدا ادنى للاجور وحدا اقصى لساعات العمل . وعلاوة على ذلك نجد في كثير من الحالات ان الفئة التي كانت بيدها الثروة سواء من اصحاب الاراضي او التجار تأثرت في انفاقها بالانماط الاستهلاكية الغربية ، ومن هنا نشأ حب المحاكاة (٥) . وادت هذه الظروف في معظم الدول النامية الى :

ا ـ رفع نسبة الاستهلاك،ونقص النسبة المخصصة من الدخل ، لاغراض الاستثمار الانتاجي ، وذلك نتيجة لتقليد الانماط الاستهلاكية الغربية .

ب ـ تبذير حصيلة صادراتها في اغراض الاستهلاك،بدلا من اغراض الاستثمار وتكوين الهيكل الاقتصادي والاجتماعي الاساسي .

جـ ـ خفض ساعات عمل العمال وزيادة معدلات اجورهم بمعدل اكبر من معدلات ارتفاع انتاجيتهم مما ادى الى زيادة تكاليف الانتاج المحلية وبالتالي عدم قدرة المشاريع المحلية على التقدم والتوسع والاخذ باساليب الانتاج الاكثر كفاءة . ولعل هذا احد الاسباب الرئيسية في التضخم الذي تعانيه بعض الدول النامية .

د ـ اضعاف القدرة والرغبة في الادخار مما يزيد من حدة حلقات الفقر المفرغة .

هذه العوامل مجتمعة تشكل جانبا هاما في تفسير الوضع الحالي للدول النامية وانها اصبحت مجتمعات استهلاكية قبل ان تبذل الجهد اللازم لعمليات ارساء الهيكل الاساسي لاقتصادياتها . وهي احدى اسباب عجز موازين مدفوعاتها وتبعيتها للعالم الخارجي وانخفاض سرعة عملية البناء فيها .

سوء تخصيص الموارد

من المسلم به ان احد دوافع الانسان والمجتمعات البشرية هو الطموح والرغبة في اللحاق بمن سبقوه في سلم التقدم الاقتصادي والعلمي . ومن هنا نجد انه عندما ولجت الدول النامية ميدان التنمية الاقتصادية ، والتخطيط من اجلها ـ وضعت مستويات المعيشة الغربية كهدف تصبو الى تحقيقه . وارادت ان تحقق ذلك باقصى سرعة ممكنة . ولا غبار على هذا الاتجاه من حيث المبدا . الا ان هذا الطموح قد تسبب ـ خلال حالات كثيرة ـ في سوء تخصيص الموارد المتاحة لدول العالم الثالث . ومن ثم لم تحقق الهدف الموضوع . وكثيرا ما يتولد عن الفشل في تحقيق الاهداف الطموحة خيبة امل تدفع اما الى الاستسلام والرضا بمجهودات محدودة في مضمار

---

(٤) اي ان الاستهلاك بصفته المكون الرئيسي للطلب الفعال اصبح المحدد الرئيسي لرواج او كساد الاحوال الاقتصادية في البلاد المتقدمة صناعيا .

(٥) لا شك ان حب المحاكاة ظاهرة بشرية عامة ،ولكن عندما ينتشر حب تقليد الانماط الاستهلاكية الغربية في الدولة النامية فان هذا يجلب عليها آثارا وخيمة ويعوق عملية التقدم الاقتصادي .

التنمية • واما ان تدفع الى طموح اكبر قد ينجح فى حل مشاكلها • وقد يفشل فيزيد من درجة تخلفها وبعد الشقة بينها وبين الدول المتقدمة صناعيا •

اما بالنسبة للدول المتقدمة صناعيا الآن ، فلم يكن امامها هذه المقارنة فى المراحل الاولى لتنميتها الاقتصادية • ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تقارب مستويات المعيشة فى جميع انحاء العالم فى ذلك الحين ، والى عدم تقدم سبل المواصلات بالقدر الذى بلغته الآن • وبالتالى تمت عملية تخصيص الموارد بين قطاعات الاقتصاد القومى بما حقق لها هذا التقدم الذى نراه اليوم • ولعل هذا احد الاسباب التى دفعت الاتحاد السوفييتى والصين من بعده الى اقامة الستار الحديدى حولها لكى تتم عملية البناء دون الوقوع فى مصيدة المحاكاة او سوء تخصيص الموارد •

وعلاوة على ذلك ، نجد ان التقدم التكنولوجى الذى يتم فى الغرب الآن يميل نحو الادخار فى استخدام الايدى العاملة وزيادة كثافة رأس المال • وقد يكون هذا الاتجاه ضروريا بالنسبة لبعض المنتجات التى تتطلب درجة كبيرة من الدقة الآلية ، او التى يتحقق فيها وفر كبير فى التكاليف نتيجة للانتاج الآلى • الا ان التقدم التكنولوجى لا ينبع جميعه من هذين السببين • ولكنه يتأثر فى ذلك من نقص الايدى العاملة وارتفاع معدلات الاجور فى الدول الغربية • لذلك قد يؤدى نقل التكنولوجيا الغربية الى زيادة حدة المشاكل الاجتماعية التى تواجه الدول النامية • وقد يكون من شأنها استنفاد المتاح لديها من رأسمال دون تسهيل عملية التنمية الاقتصادية كما كان متوقعا من ادعاء مزايا الدخول متأخرا فى ميدان التنمية •

مشكلة السكان

هناك اجماع على ان احد المسببات الرئيسية لفشل الدول النامية فى تحقيق التقدم الاقتصادى بالدرجة المطلوبة ــ مقاسا بمستوى نصيب الفرد من الدخل القومى ــ هو ارتفاع معدلات النمو السكانية • ويمثل سكان دول العالم الثالث حوالى ثلاثة ارباع سكان العالم • وترتفع معدلات النمو السكانية فى بعض الحالات الى ٣٪ سنويا • ويندر ان ينخفض معدل النمو فى اى منها عن ٢٪ • وقد زاد سكان هذه الدول طفرة واحدة فى بداية القرن العشرين نتيجة للتطورات الصحية والدوائية التى نقلت اليه من الدول المتقدمة والتى ادت الى القضاء على بعض الامراض الرئيسية وانخفاض معدلات وفيات الاطفال • ويعيد هذا الى الاذهان العلاقة التى اوردها مالتوس بين عدد السكان وكمية الغذاء • ولكن الوضع الآن اشد حدة ، بسبب انخفاض الاخطار الناتجة عن الاوبئة والحروب والمجاعات وغيرها من الموانع التى كانت تعيد التوازن بين السكان وموارد الغذاء فيما مضى •

ومن الناحية الاخرى نجد ان سكان العالم ابان المراحل الاولى للتنمية الاقتصادية فى البلاد المتقدمة صناعيا الآن ــ كان ثابتا تقريبا ، وكان معدل المواليد مرتفعا ، الا ان معدل الوفيات كان مرتفعا ايضا • وهناك عدة تفسيرات لنمو السكان فى الدول الصناعية المتقدمة • ومنها نظرية الاجر الحديدى التى تبين ميكانيكية المحافظة على التوازن بين السكان والمواد الغذائية • فاذا ارتفع معدل الاجر يميل العمال الى الزواج والانجاب • ومن ثم يزيد عدد السكان • وهذا يؤدى الى زيادة عرض العمل وبالتالى انخفاض الاجر وسوء الاحوال المعيشية وانتشار الاوبئة والمجاعات مما يخفض عدد السكان ويحقق التوازن من جديد • وهكذا تتكرر العملية بحيث لم تحدث طفرة فى حجم سكان الدول الصناعية حينئذ ، مما سهل عملية التقدم •ومن المحتمل ان يكون معدل المواليد قد ارتفع قليلا مع تحسن الاحوال المعيشية ، ولكن سرعان ما انخفض تدريجيا فى ذات الوقت الذى انخفض فيه معدل الوفيات • والنتيجة هى ان معدل النمو السكانى فى الدول الغربية ظل ثابتا تقريبا لفترة طويلة من الزمن •

ونتيجة لابطاء الدول النامية فى مجال التنمية تحملت عبء هذه الزيادة السكانية • وليس معنى هذا اننا نؤيد عدم القضاء على الاوبئة والامراض بغرض رفع معدلات الوفيات • بل ان تحسن الاحوال الصحية واقلال معدل وفيات الاطفال والشباب شىء مستحب فى حد ذاته ، بل ومن مستلزمات التنمية الاقتصادية السليمة • ولكن

يجب العمل على ان يتوافر للاعداد المتزايدة من السكان سبل المعيشة الكريمة وليس البطالة والاحوال المعيشية التي تتدنى الى اقل من المستوى الآدمي ، وانتشار الجهل . واغلب الظن انها ما كانت تقع في هذا المازق لو لم تتاخر في هذا المضمار .

مشكلة الاسواق

لعل ممن اشد العقبات التي تواجهها الدول النامية هي مشكلة الاسواق . وقد نتجت عدة جوانب في هذه المسالة من تاخرها في مساعي التنمية . وتتمثل هذه المشكلة في ثلاث عقبات رئيسية هي :

ا ــ جمود الهيكل الاقتصادي . فنظرا لافتقار بعض الدول المتقدمة صناعيا الان في بداية عملية تصنيعها (بريطانيا على وجه الخصوص) الى المواد الخام اللازمة لتشغيل مصانعها تجد انها سعت الى استعمار الدول المتخلفة . وادى هذا الاستعمار الى ادارة الاقتصاد القومي بما يضمن تيارا منتظما من المواد الخام للدول الصناعية . ومثال ذلك تركز الاقتصاد المصري حول انتاج القطن ، وغانا على الكاكاو ، والملايو للمطاط ، وهكذا . ومن ثم يرجع جزء من جمود الهيكل الاقتصادي للدول النامية الى تاخرها في الدخول لميدان التقدم الاقتصادي .

ب ــ نقص الاسواق : نتيجة لتاخر الدول النامية في الجهود الانمائية والصناعية ، تجد ان صناعاتها الان بالضرورة ناشئة . ولهذا لاتستطيع منافسة منتجات الدول الصناعية الا اذا توافر لها نوع من انواع الحماية ، كالرسوم الجمركية ، او الحصص ، او اعانات التصدير .. الخ (٦) . وبمعنى اخر تحتاج عملية التصنيع الناجحة للدول النامية الى اسواق لتصريف منتجاتها وتخفيف شدة القيد في نقص العملات الصعبة . ولكن نتيجة لتاخرها في دخول مجال التصنيع فانها لاتجد اسواق الطلب التي كانت متاحة للدول المتقدمة صناعيا في المراحل الاولى من نموها (٧) .

جـ ــ تميل حركة اسعار السلع الصناعية والسلع الاولية الى ارتفاع الاسعار النسبية للمجموعة الاولى . وهذه الحركة تؤدي الى تغير شروط التبادل الدولي في غير صالح الدول النامية . وهذا يزيد من العقبات التي تواجهها نتيجة لتباطؤ وصولها الى هذا المضمار .

وتبين هذه العقبات جانبا آخر من مساوىء الوضع الذي تواجهه دول العالم الثالث نتيجة للتاخر في سلم التقدم الاقتصادي .

تلوث البيئة

ان احدث المشاكل التي تهدد المجتمعات المتقدمة صناعيا الان هي مشكلة تلوث البيئة . وقد اخذت الاجراس تدق معلنة الاخطار الناجمة عنها . ويذهب البعض الى القول بان النمو بدون تلوث بيئة امر مستحيل ، وانه من الافضل للدول ان تظل على ما هي عليه (٨) .

وتتاسس هذه النتيجة على المنطق التالي :

ا ــ لايوجد هناك ثمة امل واقعي امام الدول النامية للوصول الى مستويات المعيشة التي حققتها الدول الصناعية المتقدمة .

ب ــ قد يكون التصنيع عاملا مقلقا بطريقة جوهرية بدرجة تفوق ما قد يسببه النمو السكاني .

جـ ــ قد لا يستطيع المجتمع الذي بلغ درجة

---

(٦) بل اننا نجد ان بعض الدول الصناعية يضع العراقيل امام صادرات الدول النامية اليها ، خوفا من المنافسة وحماية لصناعاتها .

(٧) قد يشير هذا الجانب الى اهمية التكامل الاقتصادي بين الدول النامية لتخطي هذه العقبة . ولا شك ان هذا ضروري ولكن يعوقه في كثير من الاحيان الرغبة في التمتع بالاستقلال السياسي والنزعات الاقليمية كرد فعل مضاد لفترة الاستعمار . ومن الناحية الاخرى لاتحتل الدوافع الاقتصادية مكانا متقدما في أولويات متخذي القرارات في كثير من الدول النامية .

(٨) يظهر ذلك الاستاذ أ . داهمن E. Dahmen من مدرسة استكهولم للاقتصاد حين يعرض لسوء ظروف البيئة بقوله انها مسالة اختيار بين الاستهلاك والمنافع الاخرى وبين بيئة افضل .

كبيرة من التصنيع المحافظة على نفسه بل قد يؤدى الى القضاء على كيانه ٠

د ـ قد تكون الجهود التى تبذلها الدول النامية غير حكيمة بعد مرور حوالى قرن من الآن ٠والمنطق فى هذا هو ان هذه الدول قد تكون اقرب للتوازن مع الظروف البيئية ، وفى وضع افضل من وضع الدول الصناعية المتقدمة ٠ للتعايش مع الضغوط المستقبلة ٠

هـ ـ قد يواجه بنى البشر خلال القرن القادم احد اختيارات اربعة هى :

١ ـ كبت جماح النمو الصناعى الحديث نتيجة لعجز الموارد الطبيعية ٠

٢ ـ انخفاض عدد سكان العالم نتيجة لزيادة التلوث ٠

٣ ـ نقص معدلات المواليد بسببعجز الغذاء ٠

٤ ـ انهيار سكان العالم الناجم عن الحروب او الامراض او الضغط الاجتماعى الناتج عن الاكتظاظ المادى والنفسى ٠

وتمثل وجهة النظر هذه ما يراه علماء البيئة سواء بالنسبة للدول المتقدمة او للدول النامية ٠ وهذا امر يعارضه جمهرة من الاقتصاديين فى الدول الغربية ٠ فيقرر احدهم ان الاقتصاد القومى يعتمد على ثلاثة مصادر ٠

اولها ، زيادة رصيد الدولة من راس المال البشرى عن طريق الاستثمار فى التعليم والتدريب وتكوين الخبرة ٠

وثانيها ، زيادة رصيد راس المال غير البشرى عن طريق الاستثمار فى المعدات والآلات والمشاريع المختلفة ٠

وثالثها ، تحسن حالة التكنولوجيا الادارية والعلمية عن طريق الاستثمار فى البحث والتطوير ، وادارة وتنظيم افضل ، ووسائل انتاجية اكثر كفاءة ٠

وهذه الاوجه من النشاط لا يمكن التوقف عن الانفاق عليها ٠ ومن ثم لا يمكن ايقاف النمو الا اذا فرضت ضرائب مانعة واتبعت سياسة نقدية مقيدة ، او عن طريق التحكم المباشر فى النمو ٠ وهذا شىء غير مقبول ٠ وتكون المسالة فى واقع الامر هى ان علماء البيئة يجب ان يتساءلوا عن الطريق الذى سيسلكه النمو وليس حقيقته ، ثم بيان الاستخدامات التى نصنعها بهذا النمو ٠

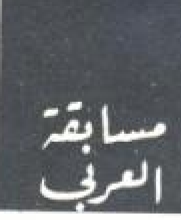
وتتلخص المشكلة اذن فى انه ـ بعد حد معين من النمو ـ قد تتعارض زيادة الدخل القومى بمعدل مرتفع مع المحافظة على نقاء الهواء والماء والظروف المعيشية ٠ وفى هذه الحالة يجب وضع اوزان تبين الاهمية النسبية لكل منها وشروط التبادل بينها ٠ واذا كان هناك مجال لتغليب النمو الاقتصادى على تلوث البيئة فى الدول المتقدمة صناعيا ، فلا شك انه من الضرورى ان تركز الدول النامية على اغراض النمو ٠

واذا كنا قد اطلنا فى عرض هذه المشكلة بالرغم من حداثتها ، فذلك لان انخفاض مستويات المعيشة فى دول العالم الثالث تحتم تركيز مواردها وطاقاتها لمجابهة هذه المشكلة دون تبديدها على جبهات متعددة واذا ما تحقق تحسن ملموس فى المستوى الاقتصادى للسكان قد يتغير ميزان الاهمية ٠ وفى هذه الحالة لا يكون هناك ضرر من التضحية ـ اذا لزم الامر ـ ببعض التقدم الاقتصادى فى سبيل اتاحة بيئة افضل للسكان ٠

خاتمة

ابرزنا فى هذا المقال بعض الجوانب التى تعوق تقدم دول العالم الثالث ، نتيجة لوصولها متاخرة الى مضمار التنمية الاقتصادية ٠ ولا نرمى من وراء هذا الى دفع الدول النامية للتخلى كلية عن المعرفة التى اوجدتها الثورة الصناعية والتقدم الاقتصادى فى الدول الغربية ٠ فنحن ابعد مانكون عن ذلك ،لاعتقادنا بوجود قوانين عامة ، تم الكشف عنها ولا يصح ـ بل لا يعقل ـ اضاعة الوقت وتبذير الموارد فى اعادة اكتشافها ! ٠ ولكن مانقول به هو ان الاخذ بأسباب النمو والتقدم الاقتصادى والصناعى يتوقف اولا واخيرا على تفهم الظروف الواقعية لكل دولة ، والاستفادة من العناصر الايجابية بها ، وتقليل اضرار العناصر السلبية ٠ وان الاعتماد على النقل وحده سواء بعد التعديل والتبديل ، او بدون تغيير ـ لن يؤدى الا الى زيادة تبعية الدول النامية للدول الكبيرة ، دون ان تحقق شخصيتها ، او تفجر طاقاتها الكامنة التى تضمن لها التغذية المستمرة فى الصعود الى افاق اعلى من الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية ٠ ■■

د ٠ محمد على سلطان



١٠ أسئلة من مختلف أنحاء العالم

■ مسابقة هذا العدد تشتمل على ١٠اسئلة متنوعة ٠٠ وقد ذكرنا بجانب كل سؤال ثلاث اجابات ، عليك ان تختارالاجابة الصحيحة من بينها ٠٠ ويجب الا يقل عدد الاجابات الصحيحة عن ثمانيالتفوز بواحدة من مجموعة الجوائز التي تبلغ قيمتها مائة دينار كويتي ٠

١ ـ في بريطانيا ٤٤ جامعة (دون جامعة الهواء («المفتوحة») واقدم هذه الجامعاتهيجامعة اكسفورد التي يرجع تاريخ افتتاحها الى :
١ ـ القرن الثاني عشر ٢ ـ القرن الخامس عشر
٣ ـ القرن الثامن عشر

٢ ـ البانيا ٠٠ من اكثر البلاد الاوروبية جبالا ، اذ ان ثلثي مساحة البلاد يقع على ارتفاع اكثر من ٣٠٠٠ قدم ٠٠ وهي تطل على بحر الادرياتيك وطول ساحلها نحو ١٥٠ ميلا ، وعاصمتها هي :

١ ـ سراجيفو ٢ ـ سكوبي ٣ ـ تيرانا

٣ ـ في فرنسا ٨٧٩ متحفا ٠٠ واشهر هذه المتاحف كان قصرا لملوك فرنسا قبل ان يتحول الى متحف في عهد الثورة الفرنسية عام ١٩٧٣ وهو يضم اليوم ٦٠٠٠ لوحة عالمية ، من بينها لوحة الموناليزا الشهيرة و ٢٢٥٠ تمثالا ، و ٩٠٠٠٠ رسم و ٤٦٠٠٠ نقش محفور و ٨٠ الف قطعة من آثار الشرق و ٣٥٠٠٠ قطعة من الآثار المصرية، و ٣٥٠٠٠ قطعة من الآثار الاغريقية والرومانية٠٠ فما اسم هذا المتحف : متحف فرساي ـ متحف الاليزيه ـ متحف اللوفر

٤ ـ يتكاثر سكان الاتحاد السوفيتي بمعدل ٦ اشخاص في الدقيقة ، اي بمعدل ٩٠٠٠ نسمة في اليوم الواحد ٠٠ وهذه الزيادة ستجعل عدد سكان الاتحاد السوفيتي ٢٦٣ مليون نسمة في عام ١٩٧٥ وهذا الاتحاد اكبر دول العالم مساحة ، اذ يضم ٢٢٤٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع ، اي ٢٪ مثل مساحة الولايات المتحدة ٠٠ وللاتحاد السوفيتي حدود مشتركة مع : ١٠ دول ـ ١٢ دولة ـ ١٥ دولة ٠

٥ ـ انتاج مادة الذهب في العالم يتفاوت من بلد الى آخر ،فما هي اكثر الدول انتاجا للذهب :

ـ جنوب افريقيا ـ الولايات المتحدة ـ استراليا

٦ ـ كوبا ٠٠ جوهرة جزر الانتيل ، عدد سكانها اكثر من ٩ ملايين نسمة ٠٠ تضم ١١ مدينة يزيد عدد سكان كل منها عن ٥٠ ألف نسمة ، والعاصمة هافانا يقيم فيها اكثر من مليون نسمة ٠٠ تشتهر بانتاجها المتنوع ، ولكنها تعتبر ثاني دول العالم انتاجا لـ : ١ ـ التبغ ٢ ـ السكر ٣ ـ القهوة

٧ ـ تتكون الجمهورية السويسرية من اتحاد يضم ٢٢ اقليما (كانتون) وهذه الجمهورية ليست عضوا في الامم المتحدة ، ولا في اي حلف من الاحلاف العسكرية ٠٠ اما عاصمتها فهي :

١ ـ جنيف ٢ ـ زيوريخ ٣ ـ برن

٨ ـ في عام ١٩٤٦ انشيء «صندوق طوارىء» لتقديم ضروريات الحياة لأطفال اوربا التي دمرتها الحرب ٠٠ ونجحت مهمة هذا الصندوق الى حد جعل الامم المتحدة تتخذ قرارا بتحويله الى منظمة دائمة تعالج حالات الطوارىء الدائمة التي يواجهها اكثر من الف مليون طفل وامهاتهن في

البلدان النامية وهي تعمل في ١١٤ دولة ، وتنفق حوالي مائة مليون دولار سنويا تتبرع بها الدول الغنية ٠٠ وهو مبلغ اقل جدا مما تحتاجه لتلبية طلبات المساعدات التي تتلقاها ٠٠ فما اسم هذه المنظمة الدولية الفريدة :

١ ـ اليونسكو ٢ ـ اليونيسيف ٣ ـ اونروا ؟

٩ ـ تشمل الاثار الفرعونية فيما تشمل المسلات، وهي اعمدة فريدة طويلة نقشت عليها عبارات بالهيروغليفية وكثيرا ما تجدها منصوبة عند مداخل المعابد ٠ وتعتبر مسلة كليوباطرة من اشهر المسلات ٠٠ فاين توجد مسلة كليوباطرة هذه :

ا ـ في باريس ، في ساحة الكونكورد ، بالقرب من متحف اللوفر ٠٠ ؟

ب ـ في ايطاليا ، وقد اشتراها منذ زمن بعيد تجار البندقية ٠ ؟

جـ ـ في لندن ، وقد اهداها الوالي محمد علي باشا الى الحكومة البريطانية سنة ١٨١٩ ٠٠ ؟

١٠ ـ حدائق بابل المعلقة ، وهي احدى عجائب الدنيا السبع ، يقال ان الدافع على انشائها كان الحب الغامر الذي شعر به بانيها ، احد ملوك بابل ، نحو عروسته ٠٠ فقد كانت هذه من خارج بابل ، فبنى لها زوجها تلك الحدائق حوالي سنة ٦٠٠ ق ٠ م فمن هو ذلك الملك :

ا ـ حمورابي ب ـ نبوخذ نصر الثاني

جـ ـ آشور بانيبال ٠

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت« مسابقة العدد ١٩٣ » ٠

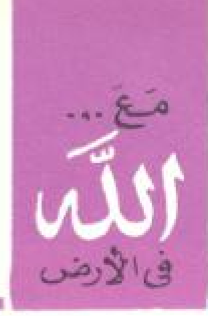
٤ ـ اخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٥٠

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠





وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

دم الانسان

بقلم الدكتور أحمد زكي

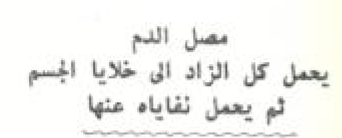
الدم هو طريق المواصلات في الجسم ، فيه الرسل تروح وتجيء ، تطرق باب كل خلية ، تزودها بالطعام ، وتحمل عنها نفايا هذا الطعام • ورسل كرجال الشرطة تدور في ارجاء الجسم ليل نهار ، فاذا هي صادفت خللا بالامن تصايحت يدعو بعضها بعضا ، لتدفع زمرة واحدة ذلك العدو الغازي ، الذي نسميه مرضا ، هو المرض العفن الذي يحمله المكروب الى الجسم • وللدم مآرب اخرى ، ادق غاية ، نذكرها في حينها •

دم الانسان لونان

دم الانسان المتزود بالاكسجين في الشرايين ، احمر قان ، وكلما قل اكسجينه صار احمر غامقا ، ويزيد اغمقاقه حتى ليكاد يكون اسود اللون ، وهو يرى في الاوردة بظاهر الجسم أزرق اللون •

الدم طبقتان

والدم المأخوذ من الوريد ، يضاف اليه مادة تمنع تجبنه ، ويترك حينا ، فينفصل الى طبقتين ، طبقة عليا ، صفراء ، شفافة او فاقدة لبعض شفافيتها ، فهذه هي الطبقة المعروفة بالبلازمة Plasma او الجبلة او مصل الدم Blood Serum ، وهي تؤلف من حيث الحجم قليلا من نصف حجم الدم • ثم طبقة سفلى ، وهي طبقة كرات الدم من كرات حمراء Red Corpuscles وكرات بيضاء White corpuscles ثم الصفائح لويحات الدم Platelets • هذه الطبقة اكثر كثافة من طبقة المصل فهي تهبط •



مصل الدم
يحمل كل الزاد الى خلايا الجسم
ثم يحمل نفاياه عنها

اما البلزمة او مصل الدم فيتألف من ماء · وبه مواد شتى،من اهمها البروتينات وتبلغ نحو ٧ الى ٨ فى المائة من المجموع · وهى بروتينات عشرات ، بعض للتغذية ، وبعض لتثخين الدم،وسد الجروح بالتجلط كما تظهر لنا خبرتنا كل يوم اذا أصاب جلدنا جرح ، وبعض لمكافحة الامراض ، ويعرف بالمواد المضادة Antibodies (اى انها تضاد الامراض) · وفى السائل البلزمى" او المصل الدموى يوجد كذلك السكر (الجلوكوز) والدهون وكل ماخرج من الاغذية بعد تفاعلها فى الخلايا ، وكذا الاملاح · وبالطبع فيه الاكسجين وثانى اكسيد الكربون واشياء شتى غير هذه ·

ان مصل الدم يحمل الزاد كله الى الخلايا ، ويحمل ما يتحول اليه الزاد بعد تركه خلايا الجسم من نفايا لا يريدها الجسم فلا بد من خروجها من الجسم ، اما فى البول ، واما من الرئة أو غير ذلك ·

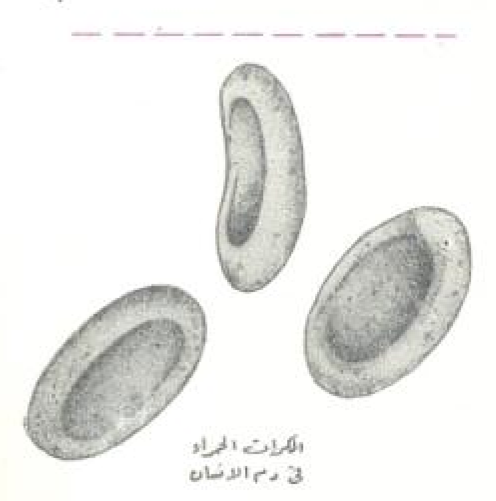
كرات الدم
حمراء وبيضاء

اما كرات الدم فحمراء وبيضاء ·

الكرات الحمراء

والكرات الحمراء هى اكثر الكرات عددا ، ويبلغ عددها فى المللى متر المكعب الواحد من الدم فى الرجل البالغ نحوا من ٥٤٠٠ر٠٠٠ كرة ، وفى المرأة نحوا من ٤٨٠٠ر٠٠٠ كرة ·

والكرة الحمراء ليست بكرة ، انما هى خلية مستديرة كالرغيف الشرقى . قطرها



الكرات الحمراء
فى دم الانسان

يقع ما بين ٧ و ٨ مكرونات (والمكرون جزء من الف من الملى متر) ، اما ثخانتها فمكرون واحد في اوسطها ، ومكرونان عند الاطراف • فهى خلية مفرطحة مقعرة الوجهين •

الحكمة من تسطح الكرات الحمراء

وتظهر الحكمة فى هذا التسطح عندما نذكر ان عمل الكرات الحمراء هو حمل الاكسجين من الهواء فى الرئتين الى كل خلايا الجسم ، فالخلايا تموت اذا لم يصلها نصيبها من الاكسجين • والذى يحمل هذا الاكسجين هى الصبغة الحمراء التى بالكرة الحمراء ، وتعرف كيماويا بالهيموجلوبين Hemoglobin • وهذه المادة تتركز اكثر على سطوح الكرة الحمراء لتاخذ اكثر ما تستطيع من اكسجين وهى فى الرئة • وكلما زادت هذه السطوح زاد حملها للاكسجين • وشكل الكرات الحمراء الذى وصفناه اعون ما يكون على زيادة حمل الاكسجين •وقد قدّر الحاسبون ان هذه الكرات ، لو كانت على شكل كرات حقا ، اذن لاحتاج الانسان من هذه الكرات الى تسعة اضعاف ما بدمه اليوم من هذه الكرات المفرطحة ، مقعرة الوجهين •

الكرة الحمراء خلية لا نواة لها

والكرة الحمراء خلية حية ، ومع هذا فهى فى الانسان لا نواة لها •

وهى تسير مع الدم حيث سار ، فليس لها اداة للسير تسير بها على استقلال •

الكرات البيضاء

وهى لست كرات بالمعنى الهندسى ، بل هى خلايا لها اشكال غير منتظمة،وتسميتها بخلايا الدم البيضاء اولى •• وهى ، على نقيض الكرات الحمراء ، لا لون لها ، ولها نواة ، وهى تتحرك فى الدم بطاقة من نفسها ، وهى لا تكاد تهدأ حركة • وتتحرك وتتجه مع اتجاه الدم او على العكس منه اذا شاءت •

وهى صنوف تبلغ اقطارها بضعة مكرونات (المكرون جزء من الف من الملى متر) وقد تصل الى نحو ١٥ مكرونا •

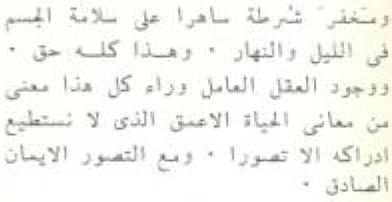
الكرات البيضاء شرطة الجسم تدفع عنه الامراض

واخطر عملها انها تدفع عن الجسم الامراض المعفنة ، اى التى تنشا بدخول مكروبات الى الجسم ، كالبكتير • واذا دخل بكتير الى الجسم فما اسرع ما تظهر عنده عدة من « رجال الشرطة » هذه ، عدة من هذه الكرات • وتحيط الكرة البيضاء بالبكتير ، وتطوّقه ، ثم تلتهمه فاذا هو فى بطنها ، واذا هى تعالجه بالهضم فتهضمه وتفنيه •

وهى معركة تقوم بين البكتير الغازى ، المسبب للمرض ، وبين الكرات البيضاء ، كثيرا ما يظهر اثرها قيحا ابيض ، هو (المدّة) المشهورة كالتى ترى فى الدمل عندما ينضج • وعندما يدخل البكتير الى الجسم تتسع شعريات الدم عند ذلك الموضع ويحمر الجلد ، ونقول انه التهاب • وما التهابه واحمراره الا لزيادة الدم باتساع الاوعية الدموية فى هذا الموضع • وهى ما اتسعت لتسهل دخول المكروب ، وانما اتسعت لتفتح الطريق الى «رجال الشرطة» من الكرات البيضاء لتلتقى بالعدو المهاجم •

والمعركة قد تنتهى بفوز الكرات البيضاء فانتصار الجسم ، وقد تنتهى بفوز المكروب فينتشر المرض فى الجسم انتشارا•

انها ظاهرة من اعجب ظواهر الخلق • تصفها وكأن وراءها عقلا يعمل ،



ومخفر شرطة ساهرا على سلامة الجسم فى الليل والنهار • وهذا كله حق • ووجود العقل العامل وراء كل هذا معنى من معانى الحياة الاعمق الذى لا نستطيع ادراكه الا تصورا • ومع التصور الايمان الصادق •

عدد الكرات البيضاء على الصحة ، وعلى المرض

وعدد الكرات البيضاء يبلغ فى الدم ما بين ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ كرة ، ولكنه عدد لا يثبت حتى فى اليوم الواحد ، فهو يزيد مع بذلك المجهود ، ومع الانفعالات النفسية وغير ذلك •

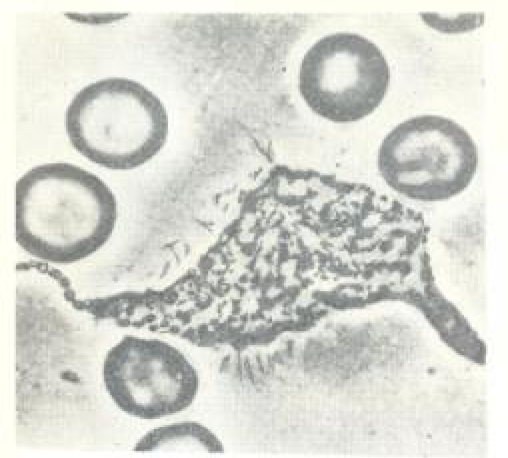
ويزيد عند المرض طبعا عندما يحتاج الجسم للدفاع •

ومن الامراض المشهورة مرض سرطان الدم ، وهو مرض يتزايد فيه عدد الكرات البيضاء فى الدم حتى ليبلغ مليون كرة فى الملى متر المكعب من الدم • وهو مرض وبيل •

الصفائح او لويحات الدم

وغير الخلايا الحمراء والبيضاء فى الدم توجد الصفائح او لويحات الدم Platelets •

وهى خلايا صغيرة لا نواة لها يقع قطرها ما بين ٢ الى ٤ مكرونات • ومتوسط عددها يبلغ فى الملى المكعب من



كرة بيضاء التهمت العديد من الميكروبات التى غزت الجسم لتهضمها وتفنيها

الدم ٢٥٠٠٠٠ ولها من النشاط مثل ما للكرات البيضاء ، بذلك دلت الابحاث حديثا • ولها فى تجليط الدم شأن •

اعداد هائلة

وللذين يعنون بالارقام ، ولو كبيرة ، نذكر ، ان جسم الرجل المتوسط فى الرجال الذين يزنون نحو ٧٠ كيلوجراما به من الدم نحوا من ٦ ألتار •

واذن يكون بجسم هذا الرجل نحوا من ٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ من الكرات الحمراء اى ٢٥ مليون مليون كرة ، وبه الكرات البيضاء مابين ٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ الى ٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ كرة ، وبه من الصفائح او لويحات الدم ١ر٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ • ●●

احمد زكى








فى دم الانسان خمسة انواع من الكرات البيضاء

نتيجة مسابقة العدد ١٩٠

الفول والعدس نشويان

■ تميزت مسابقة العدد ١٩٠ من « العربي » بأنها ذات طابع علمي بحت ، فقد كان المطلوب معرفة النوع الغذائي الغالب في مجموعة من اصناف الغذاء التي لاتخلو مائدة اي انسان منه وقد كانت هناك ظاهرة مشتركة بين القراء حيث اعتبروا مادة الفول والعدس مادة بروتينية فقط في حين ان هذين الصنفين الاساس فيهما هو مادة النشا ٠

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة ٠

١ ـ لحم البقر اساسا بروتين ودهن
٢ ـ الدجاج اساسا بروتين
٣ ـ السمك اساسا بروتين
٤ ـ العنب اساسا سكريات
٥ ـ الخبز اساسا نشويات ومعه قلة من البروتين
٦ ـ الارز اساسا نشويات ومعه قلة من البروتين
٧ ـ الجبن اساسا بروتين ومعه قلة من الدهون
٨ ـ الفول اساسا نشويات ومعه قلة من البروتين
٩ ـ العدس اساسا نشويات ومعه قلة من البروتين
١٠ ـ القشدة اساسا الدهون
١١ ـ الموز اساسا نشويات
١٢ سكر القصب اساسا سكريات
١٣ ـ سكر البنجر اساسا السكريات
١٤ ـ البيض اساسا البروتينات
١٥ ـ زيت الزيتون اساسا الدهون

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : وائل رفيق اسعد / الزرقاء / الاردن

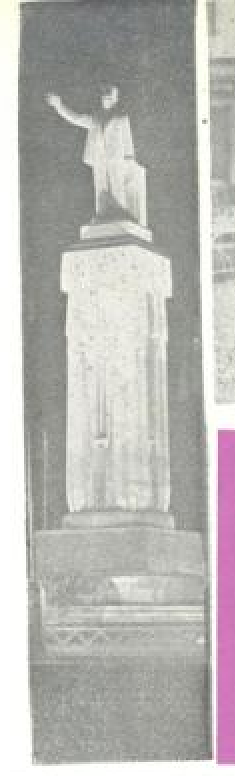
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها / محمد محمود جندية / بيروت / لبنان

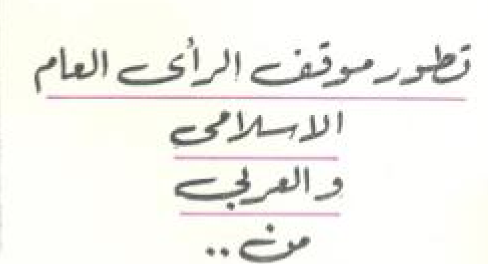
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمود سالم ابو جويعد / الدوحة / قطر

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبد الهادي خالد محمد / تبوك / السعودية
٢ ـ حسن جابر حسن محمود / الجيزة / مصر
٣ ـ هيبة الله عبد الكريم / بغداد / العراق
٤ ـ عوض صبحي يوسف / الكويت
٥ ـ تاج السر محمد النور محمد / عطبرة / السودان
٦ ـ فائدة مصراتي / حمص / سوريا
٧ ـ يوسف عبد الحفيظ يوسف / هون / ليبيا
٨ ـ عذراء هادي / لندن / انجلترا

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■





التماثيل والصور

فى القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

■ نشرت مجلة (العربى) الغراء ، فى عدد شهر يونيه سنة ١٩٧٤ ـ ردا على استفتاء جاءها من احد القراء ـ فتويين تاريخيتين مشهورتين ، لكل من الاستاذ الامام الشيخ (محمد عبده)، والشيخ (عبد العزيز جاويش) ، عن موقف الدين من التماثيل ، التى تقيمها بعض الدول فى ميادينها الكبرى احياء لذكرى ابنائها المبرزين .

وتصور لنا هاتان الفتويان ـ فى الحقيقة ـ تحولا خطيرا فى الرأى العام الاسلامى والعربى ، الذى كان ينظر بعين السخط والاستنكار ـ قبل صدورهما بسنوات قلائل ـ الى التماثيل التى اقامها الخديو (اسماعيل) فى السبعينيات من القرن الماضى ،ببعض انحاء القاهرة والاسكندرية .

فتوى بازالة تماثيل القاهرة سنة ١٨٨٢

وتعبر لنا عن ذلك الاتجاه الساخط ، تلك الفتوى التى اصدرها الشيخ (محمد العباسى

العربى : تصل هذه المجلة الى انحاء الوطن العربى ، وحيث لا تزال توجد قلة ترى الصور محرمة ، وفى نفس الوقت تأبى أن تسمع انه هناك جمهرة من المسلمين كبرى لا ترى فيها اليوم بالذات تحريما ، وتأبى ان تسمع حتى الى المجتهد فى ذلك ، فتقطع هذه الصفحات من العربى . ولهؤلاء نقول ان من يقطع رأى مسلم مؤمن [illegible] له فى الآخرة جزاء ليس بأحسن الجزاء .



المهدى) ـ مفتى الديار المصرية ابان الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ عن هذه التماثيل ، ردا على استفتاء جاءه من ناظر الجهادية ، وزعيم تلك الثورة (احمد عرابى باشا) عن طريق الشيخ (محمد الانبابى) شيخ الجامع الازهر ، فى شان « النظر فى مسالة هدم وحرق الصنم الموضوع بالازبكية ، بمكان مئذنة مسجد الازبكية مع كسر رؤس الصور الموجودة فى فتحتى كبرى قصر النيل ايضا » .

وابدى فى ذلك الاستفتاء ملاحظة ايحائية ، تشير الى « ان المصائب ما نزلت على بلادنا الا من عهد نصب صنمى مصر واسكندرية » .

وكان يقصد بعبارة «الصنم الموضوع بالازبكية» تمثال (ابراهيم باشا) الذى كان قائما فى ميدان العتبة ، ازاء حديقة الازبكية انذاك .

كما كان يقصد بعبارة (الصور الموجودة فى فتحتى كبرى قصر النيل) تماثيل الاسود الاربعة التى لم تزل قائمة على مدخليه حتى الآن .

اما المقصود بصنم الاسكندرية فهو تمثال (محمد على باشا) الكبير الذى لم يزل قائما بميدان التحرير .

وقد قطع المفتى فى الفتوى التى اصدرها ، والتى ورد نصها فى كتابه (الفتاوى المهدية فى الوقائع المصرية) الذى طبع ونشر سنة ١٨٨٤ بان هذه الاصنام « يجب ازالتها شرعا » .

وتنفيذا لتلك الفتوى ، انزل تمثال (ابراهيم باشا) من فوق منصته بميدان الازبكية ، واقترح البعض ان يصهر ، لتصنع من مادة البرنز المصنوع منها بعض المدافع . ولكن حال فشل الثورة العرابية دون استكمال تنفيذ تلك الفتوى ، فنقل التمثال الى موقعه الحالى بميدان الاوبرا .

اقامة تمثال لأحد السقائين بالقاهرة

وقد روى لنا (امين سامى باشا) فى كتابه (تقويم النيل) حادثة طريفة ، تدور حول احدى المشكلات التى واجهها الخديو (اسماعيل) عندما عزم فى سنة ١٨٦٩ على اقامة تمثال لاحد رجال الدولة المشهورين ، فى عهد جده (محمد على) وهو نائبه (محمد لاظ اوغلى بك) الذى كانت تنتهى اليه رياسة دواوين الدولة جميعا ، وكان بمثابة رئيس الوزراء فى زمننا هذا .

وعندما كلف الخديو (اسماعيل) محافظ العاصمة (احمد الدرمللى باشا) بالبحث عن صورة له ، عجز عن ذلك ، برغم الجهود المضنية التى بذلها اذ يبدو ان (لاظ اوغلى بك) كان من الشخصيات التى ظلت تنفر من التصوير حتى الموت .

ثم توصل المحافظ الى حيلة فريدة لم يجد بدا من الاقدام عليها ، اذ عثر اخيرا ـ وبالمصادفة ـ على سقاء فى جهة (خان الخليلى) يشبه (لاظ اوغلى بك) فى الطول والملامح ، فاستدعاه الى دار المحافظة ، حيث جهز له زيا مناسبا ، وكلف مصورا بتصويره ، فى تلك الهيئة ، واقيم من واقع تلك الصورة التمثال القائم حتى الآن بالميدان الذى يعرف باسمه ، بمنطقة الوزارات بالقاهرة .

ومعنى ذلك ان هذا التمثال الشامخ هو ـ فى الحقيقة ـ لسقاء فقير مجهول ، كان من حظه ان يشبه تلك الشخصية المشهورة ، التى كان صاحبها يتمتع بنفوذ وسلطان واسعين فى عهد (محمد على) .

بعض السوابق التاريخية للحملة على التماثيل

والواقع ان تلك الحملة على التماثيل ، التى ظهرت خلال الثورة العرابية ، كانت امتدادا بعيدا لحملات اخرى سابقة ، شهدتها مصر ، وبلغت اشدها فى عصر المماليك .

وكان الشيخ (قطب الدين محمد بن احمد القسطلانى) المتوفى سنة ٦٨٨ هـ احد الذين تزعموا تلك الحملات ، اذ يحكى (ابن شاكر الكتبى) فى كتابه (فوات الوفيات) فى معرض ترجمة له ، انه كان يذهب الى تمثال (ابى الهول) قرب الاهرام ، ويعلو راسه ، ثم ينهال عليه ضربا بالنعل ويقول :

ـ يا أبا الهول ، افعل كذا ، وافعل كذا •

وذلك لان جماعة من أهل مصر ، كانوا يزعمون ان الشمس اذا كانت فى برج الحمل ، وتوجه احدهم الى ذلك التمثال ، واطلق بعض البخور ، وقرأ كلمات يحفظونها ، ، ثم طلب منه شيئا ما ، فانه يقع •

فكان الشيخ (قطب الدين) يقول ذلك اهانة لابى الهول ، لاثبات عجزه وابطال أوهام العامة فيه •

وحدثنا (أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى) فى كتابه (النجوم الزاهرة) عن حملة مماثلة ، تعرض لها ذلك التمثال ، الذى كان الناس يعتقدون ـ فى عهده ـ أنه طلسم يحول دون زحف الرمال نحو النيل •

ففى سنة ٧٨٠ هـ سار الشيخ (محمد صائم الدهر) ـ أحد المتصوفة ـ نحو منطقة الاهرام ضمن حملة منه على بعض المنكرات ، فعمد الى تشويه وجه ذلك التمثال •

وعلق (أبو المحاسن) على ذلك بقوله : « ومن حينئذ ، غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة ، وأهل تلك النواحى يرون أن سبب غلبة الرمل على الاراضى ، فساد وجه ابى الهول » •

الحملة على الصور والتماثيل فى العالم المسيحى

ولم تكن محاربة الصور والتماثيل وقفا على العالم الاسلامى ، بل انتقلت الى العالم المسيحى، فى أواسط القرن الثامن بفضل جماعة من الاحبار اليونانيين ، الذين اعتبروها مظهرا من مظاهر الوثنية ، واستجاب لذلك بعض الاباطرة ، وأولهم (ليون الثالث) فجرّدت كنائس القسطنطينية مما كانت تزدان به من الصور والتماثيل المقدسة، وحطم كثير منها ، أو نقل من مكانه ، كما أسبلت على بعضها طبقة من الطلاء •

واستمرت تلك الدعوة بين مد وجزر ، حتى تغلب أنصار الرأى المضاد ، فى أواسط القرن التالى ، واحتفل باعادة الصور والتماثيل الى الكنائس ، واعتبر يوم عودتها من الاعياد الارثوذكسية •

اقامة تماثيل الشخصيات الهامة لم تكن مجهولة عند العرب

ولم تكن اقامة تماثيل الشخصيات الهامة ، مجهولة عند قدماء العرب ، فالمأثور أنهم أقاموا بعض التماثيل لتخليد ذكرى المشهورين من رجالهم، ثم انتهى الامر الى تقديسها وعبادتها •

وفى ذلك يقول (أحمد تيمور باشا) عن الاصنام ، فى كتابه (خيال الظل ، واللعب والتماثيل المصورة عند العرب) •

« مما ذكروه أن بعض هذه الاصنام كانت تماثيل لقوم صالحين ، أقيمت لهم فى مجالسهم ، وسميت بأسمائهم ، فلما طال العهد بأصحابها ، وتنوسى أمرها ، اتخذت آلهة تعبد من دون الله ، كما هو الشأن فى تماثيل (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) التى وقعت للعرب من أصنام قوم نوح »•

ويقال ان أول من أقام التماثيل على الاعمدة فى الطرقات (مالك الملقب بناشر النعم) ، أحد ملوك اليمن ، فانه نصب عمودا من النحاس ، وأقام عليه تمثالا من المعدن نفسه ، كتب على صدره بالخط الحميرى « هذا التمثال لناشر النعم الحميرى ، ليس وراء هذا مذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيهلك » •

تصوير بعض الشخصيات المصرية أثناء الحملة الفرنسية

وبرغم استمرار استخدام الصور الخيالية فى تزيين القصور والمنشآت العامة ، والثياب والحلى والادوات المنزلية وغيرها فى العصور الاسلامية المختلفة ، فقد كان هنالك نفور عام ، من تصوير الشخصيات الحية •

وظل الامر على ذلك حتى وُفِّق المصور (ريجو) عضو المجمع العلمى الذى انشئ بالقاهرة أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، فى أواخر القرن الثامن عشر ـ الى تصوير بعض العلماء والاعيان المصريين أمثال الشيخ (عبد الله الشرقاوى) شيخ الازهر ، والسيد (خليل البكرى) نقيب الاشراف ، وغيرهما •

وقد شهد المؤرخ الكبير (عبد الرحمن الجبرتى) تلك الصور فى قسم الرسم والتصوير بالمجمع ،

وأبدى اعجابه ببراعة المصور (ريجو) فقال : « وهو يصور صور الآدميين ، تصويراً يظن من يراه أنه في الفراغ مجسم ، يكاد ينطق » . كما شهدها شيخ العروبة (احمد زكي باشا) في قصر فرساي بباريس ،أثناء زيارته لها سنة ١٨٩٢ واشار الى ذلك في كتابه (السفر الى المؤتمر) ونشرت تلك الصور ايضا في الكتاب الضخم الذي وضعه علماء المجمع العلمي باسم (وصف مصر) .

التشدد في شأن التصوير في تركيا

ولعل (محمد علي باشا) هو أول حاكم لقطر عربي ، رضي بأن ترسم له صورة . وقد رسمت له صور عديدة ، في أوضاع وأزياء مختلفة ، بواسطة بعض المصورين العالميين .

وقد سبقه الى ذلك بقليل ، السلطان العثماني (سليم الثالث) المتوفى سنة ١٨٠٨ اذ أخذت له صورة زيتية ، عرضت بعد ذلك في احد متاحف الاستانة .

اما الصور الشائعة للسلاطين السابقين ، فيرجح انها خيالية ، أخذت ملامحها عما دُوّن من أوصافهم ، ونقلت أشكال ملابسهم عن المعروضات الموجودة في سراي (طوب قبو) ، اذ كانت توجد بها أثواب السلاطين من محمد الفاتح الى محمود الثاني ، مرتكزة على أعمدة قائمة ،تظهرها كما لو كانت على أجساد السلاطين ، وفوقها العمائم ، وعلى كل منها ، ما كان عليها من الحلى والجواهر ، التي كان صاحبها يتزين بها في حياته .

غير انه يرجح ان تصوير الشخصيات التركية ـ بصفة عامة ـ بدأ في القرن الخامس عشر عندما استدعى المصور الايطالي (جنتيلي بلليني) الى البلاط السلطاني في الاستانة ،بشيء من التكتم ـ لهذا الغرض .

وظلت مصلحة الرقابة في تركيا ـ زمنا طويلاً ـ تمنع نشر أو تداول بعض الصور ، وبطاقات البريد المصورة ، كتلك التي تصور ، مسجداً ، أو منارة مسجد ، أو امرأة مسلمة ، أو مقبرة اسلامية .

واتفق أن احد الأدباء ترجم رواية (أسير المتمهدي) (لجورجي زيدان) الى اللغة الفرنسية واراد نشرها في الاستانة ، فمنع من ذلك ، لأنها كانت تضم صورة لامرأة عليها ثياب تركية .

ويحكى أن السلطان (عبد الحميد) علم من جواسيسه ان زوجة شقيقه (سليمان افندي) تتردد على المصورين لتصويرها ، فأرغمه على تطليقها .

التسامح في شأن الصور في بعض البلاد الاسلامية الاخرى

وعلى عكس ما كان عليه الحال في تركيا ، كان تصوير الاشخاص شائعا في ايران ، ولم يكن ذلك مقصورا على الشخصيات المعاصرة ، بل كانت ترسم كذلك صور النبي والامام (علي) وولديه (الحسن والحسين) مع احاطتها بهالات التقديس .

وقد انتقل الاقبال على تصوير كبار الشخصيات من ايران الى الهند ، وخاصة في القرن السابع عشر ، حتى شملت بعض الامراء والاشراف ، وكبار الموظفين .

الاستغناء بالطغراء عن صور السلاطين الاتراك

وحتى بعد ان رضي بعض السلاطين الاتراك ان ترسم صورة لهم ، ظل اظهار هذه الصورة ، أمراً لا تتقبله قطاعات عريضة وحساسة من الرأي العام بالارتياح ، في انحاء الدولة العثمانية ، ومنها العالم العربي ـ ولذلك فقد استعيض عن طبع صور السلاطين على النقود ، وطوابع البريد ، وغيرها ، بالطغراء ، التي كانت تحمل اسم السلطان ، ولقبه ، مع الدعاء له .

تأثير الطغراء السلطانية في نفوس المسلمين

وقد اعتبر رعايا السلطان ـ بل كثير من المسلمين من رعايا الدول الاخرى مثل روسيا ، والحبشة وغيرهما ـ شكل الطغراء السلطانية ،

بمثابة رمز مقدس • فكانوا يوقرونها ، مثلما يوقر غيرهم من الشعوب صور ملوكهم وزعمائهم •

ويحدثنا (صادق باشا المؤيد العظم) انه اثناء رحلته الى الحبشة ،للقاء ملكها (منليك الثانى) من قبل السلطان ، شهد بعض اعيان المسلمين رسم الطغراء على غطاء ساعته ، فصاروا يقبلونها ، ويضعونها على رءوسهم •

النفور من أوراق النقد المصورة فى بداية عهد مصطفى كمال

وعندما حدث الانقلاب الكمالى فى تركيا • ثم اعلنت الجمهوريـة ، ظلت النقـود التى تحمل الطغراء السلطانية متداولة بين الناس ، حتى بليت ، فعمدت الحكومة سنة ١٩٢٨ الى طبع أوراق نقدية جديدة ، تحمل صورة الغازى (مصطفى كمال) •

وقد قابلت نسبة كبيرة من الراى العام التركى ذلك الاتجاه بنفور شديد ، حتى كان الفلاحون – لاضـطرارهم الى التعامل بتـلك الاوراق – يعمدون الى عينى الغازى فيخرقونها بالابر ،لكى يثبتوا عدم رضاهم عنها •

فاذاعت الحكومة أنها ستعاقب كل من يثبت عليه انه خرق عينى الغازى ، وأن الورق المخروق سيعد غير صالح للتداول ، فكان التجار ، اذا استلموا ورقة منها وضعوها أمام عيونهم ،ونظروا خلالها نحو قرص الشمس ، فاذا وجدوا بها خرقا ردوها لصاحبها •

الاقبال التدريجى على التصوير

وبرغم المعارضة الشديدة ، التى كانت تسود اوساطا عديدة ازاء الصور ، اخذ كثير من الاثرياء فى تركيا ومعظم الاقطار العربية ، يقبلون على التصوير – اقتداء بحكامهم – منذ أوائل القرن الماضى • وكان ذلك يكلفهم اجورا باهظة ، فضلا عن اضطرارهم للبقاء وقتا طويلا امام المصورين فى وضع ثابت •

وتضاعف ذلك الاقبال ، اثر التطورات التى طرات على طريقة التصوير الفوتوغرافى • فى سبعينيات القرن الماضى ، بحيث امكن الحصول على صور رخيصة – نسبيا – فى وقت سريع •

أول صورة فوتوغرافية للحرم النبوى والمدينة المنورة

وكان القائمقام (محمد صادق) – احد الذين رافقوا (محمد سعيد باشا) والى مصر ، اثناء ادائه فريضة الحج فى سنة ١٨٦٠ ، قد وُفق فى اوائل العام التالى – ولاول مرة فى التاريخ – الى الحصول على صورة فوتوغرافية ، تجمع بين الدقة والوضوح ، داخل الحرم النبوى الشريف ، مع صورة عامة للمدينة المنورة •وكانت قد نشرت لها رسوم يدوية ، مشكوك فى صحتها او دقتها ، من قبل •

صور خيالية لبعض الحكام والزعماء العرب

وقد اضـطر بعض الكتاب والمصورين – ازاء استمرار رفض بعض حكام العرب وزعمائهم ان تؤخذ صور لهم – الى اصطناع هذه الصور ، بحسب الاوصاف التى نشرت عنهم ، او بحسب تخيلهم لها •

ومن تلك الصور صورتا الزعيمين السودانيين الثائرين (محمد احمد المهدى) و (عبد الله التعايشى) • فقد ذكر خير الدين الزركلى فى كتابه (الاعلام) عن الصور التى نشرت للمهدى بانها « خيالية ، تبعد عن الحقيقة بعد السماء عن الارض » ووصف الصور التى نشرت للتعايشى بانها « خيالية ايضا،لا تقرب من الحقيقة مطلقا »•

وذكر (امين الريحانى) فى كتابه (ملوك العرب) أن الامام (يحيى) حاكم اليمن رفض – عندما التقى به – ان تؤخذ له صورة فوتوغرافية ، مع انـه رضى ان تؤخذ صـورة أخرى لجنوده فاخذت ، ولكنها لم تصلح •

وقد اضطرّ (الريحانى) ان يحتال على رسم صورة الامام من الذاكرة ، بعد أن غادر مجلسه وخلا الى نفسه ، وهى الصورة الوحيدة التى نشرت له حتى الآن •

من ذكريات العقاد عن الصور

وقد ادرك الاستاذ (عباس العقاد) ـ كما حدثنا في ذكرياته التي نشرت بعنوان (انا) ـ جانبا من الزمن الذي كان بعض اوساط الناس ، ينفرون فيه من الصور • اذ ذكر ان والده كان ينظر اليها كانها « الاعيب فارغة ، لا تليق بالعقلاء » فلم يتخذ له صورة قط • ولم يوافقه على شراء احدى الصور المدرسية التي كانت تلتقط لتلامذة الصفوف المختلفة في نهاية كل عام دراسي •

فتاوى باباحة الصور والتماثيل

وقد واجه الاستاذ الامام الشيخ (محمد عبده) المحنة التي استهدفت لها الصور ، والتماثيل برايه القاطع ، الذي ذكره ضمن وصفه لرحلته الى جزيرة صقلية اثناء عودته من الجزائر وتونس ، في سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) وقد نشر ذلك الوصف في المجلدين السادس ، والسابع من مجلة (المنار) ثم أعاد السيد (محمد رشيد رضا) ـ صاحب المنار ـ نشره في الجزء الثامن من كتابه عن تاريخ الامام •

وكان الامام ـ مع ذلك ـ من ضحايا التصوير • اذ افتعلت مجلة (حمارة منيتي) الخليعة ـ التي كانت تهاجمه ، وتشهر به ، بايعاز من الخديو (عباس) ـ صورة له مع جماعة من النساء الاوربيات ، في وضع لا يليق ، ولما كان افتعال تلك الصورة واضحا ، فقد قبض على صاحب المجلة ، واودع ـ بعد محاكمته ـ السجن •

واصدر الشيخ (عبد العزيز جاويش) فتوى اخرى عن اباحة التصوير نشرها في مجلد السنة الثالثة من مجلة (الهداية) (سنة ١٣٣١ هـ سنة ١٩١٣ م) واعاد نشرها الدكتور (زكي محمد حسن) في تعليقاته على كتاب (التصوير عند العرب) من مؤلفات (احمد تيمور باشا) •

كما اصدر الشيخ (محمد بخيت المطيعي) مفتي الديار المصرية فتوى مماثلة ، نشرها في كتيب بعنوان (الجواب الشافي في اباحة التصوير الفوتوغرافي) وكان ذلك العنوان على وزن عنوان كتاب اخر صدر قبله هو « التنوير الكافي في التصوير الفوتوغرافي » الذي الفه (علي افندي الشمسي) وطبع في القاهرة سنة ١٩٠٢ ولعله اول كتاب صدر باللغة العربية في هذا الفن •

وكان مما علل به الشيخ (محمد بخيت) اباحة التصوير الفوتوغرافي ، قوله : « ان التصوير المنهي عنه خاص بالصور ذوات الظل الكاملة ، التي لم تفقد عضوا لا يعيش بدونه • واما تصوير ما لا ظل له ، ولو كاملا ، وتصوير ما له جرم وظل ، ولكنه فقد عضوا لا يعيش بدونه ، فلا يعد تصويرا منهيا عنه • لان مالا ظل له ، داخل في الرقم ، وهو مستثنى من النهي » •

فتوى بشأن الصور المتحركة

وعندما بدات تظهر الصور المتحركة (الافلام السينمائية) تساءل الناس عن حكم الشرع في مشاهدتها •

وقد نشرت مجلة (المنار) سنة ١٣٢٧ ، (١٩٠٩ م) استفتاء جاءها من مواطن عربي يقيم في جزيرة (جاوة) : نصه « نسالكم ـ لا زلتم سراجا للمهتدين ـ عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة ، للتفرج عليها • هل هناك في الشرع الشريف ،ما يحظر ذلك ؟ تفضلوا بينوا لنا حكم الله سبحانه ، فان عثرتم على ما يعذرنا بين يدي الباري عز وجل ، في حضورها ، بينتموه • وما الاصل فيها : التحريم ،ام الحل ؟ » •

فرد عليه صاحب (المنار) الشيخ رشيد رضا بالفتوى التالية : « لا نرى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور او حرمتها • فالاصل الحل • اننا لم نسمع ان احدا من علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم،ولا وجه لجعل الحركة سببا للحرمة• ويظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لاباحة رؤية هذه الصور • ولكن عندكم اناسا متنطعين ، يتحريون التحكم ، والاشراف على المسلمين بالامر والنهي ، من سماء الدين ، فيتحكمون ويحرمون بغير علم • وما جرأ امثال هؤلاء من المسلمين في تحكمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة ، الا التقليد الاعمى •

ويزعم هؤلاء المعممون المقلدون ، ان الاجتهاد هو الذى يضيّع على العامة دينهم ، وكثير الذين يتحكمون في شريعتهم ، والامر بالعكس ، فان الذى لا يقبل منه القول الا بالدليل ، لا يستطيع ان يتحكم ، ولا ان يعبث كالذى يقبل قوله بلا دليل ، بدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد الممنوع .

فتوى حديثة بشأن الصور المتحركة والثابتة

ومن احدث الفتاوى التى صدرت بشأن الصور المتحركة ، تلك التى ضمنتها الدكتور الشيخ (احمد الشرباصى) كتابه (يسألونك عن الدين والحياة) الذى نشر سنة ١٩٧٠ اذ قال فيه :

« واما عن رأى علماء الازهر الشريف في السينما، فالذى افهمه هو انهم يعدون السينما سلاحا ذا حدين ، يُحسن بعض الناس استخدامه ، فيثقّفون به الامة والوطن ، ويخدمون به الدين والاخلاق الفاضلة ، فيكون في هذه الحالة خيرا وبركة ،ويسيء بعض آخر من الناس استخدام هذا السلاح الخطير، فيحرّضون به على الجريمة او الرذيلة او التحلل ، او غير ذلك من وجوه الانحراف الحسّي او النفسي او الاخلاقي او الاجتماعي ، فيصبح هذا السلاح بلاء ووبالا ، وسبب كثير من العلل والبلايا » .

كما افتى ـ بالنسبة لوضع الصور على جدران المنازل ـ بقوله : « يسهل علينا أن نفهم أن جميع الصور الفوتوغرافية لا تدخل منطقة التحريم ، لانها ليست تصويرا باليد ، ولا تجسيد فيها ، وانما هى حبس للظل على الورق ، وأن التماثيل التى للعب البنات لا تحرّم ، وأن الصور المجسّمة او غيرها ، التى نضطرُ اليها فى التعليم ، او علم التشريح لا تحرّم ، وأن الصور المتخذة لغير تعظيم لها او تكريم ، لا تحرّم . فان أساس تحريم التصوير هو قطع الطريق على صناعة الاصنام والاوثان ، وسد السبل على الوثنيين ، والاشراك بالله جل جلاله » .

■■

ابراهيم محمد الفحام



ثلاث رسائل خطية
لثلاثة من أقطاب الحركة الفكرية

بقلم : تيسير ظبيان

■ بينما كنت اتفقد واقلب بعض اوراقي القديمة عثرت على مجموعة نفيسة من الرسائل التي كنت اتلقاها قبل ربع قرن من بعض الشخصيات العربية البارزة التي كان لها اثر في دعم الحركة الفكرية المعاصرة ، وقد وقع اختياري على ثلاث من هذه الرسائل التاريخية ، لثلاثة من اولئك الاقطاب ، ولكل واحدة منها قصة تتصل بموضوع من الموضوعات الهامة التي يجدر بقراء (العربي) ان يلموا بها ويطلعوا على دقائقها .

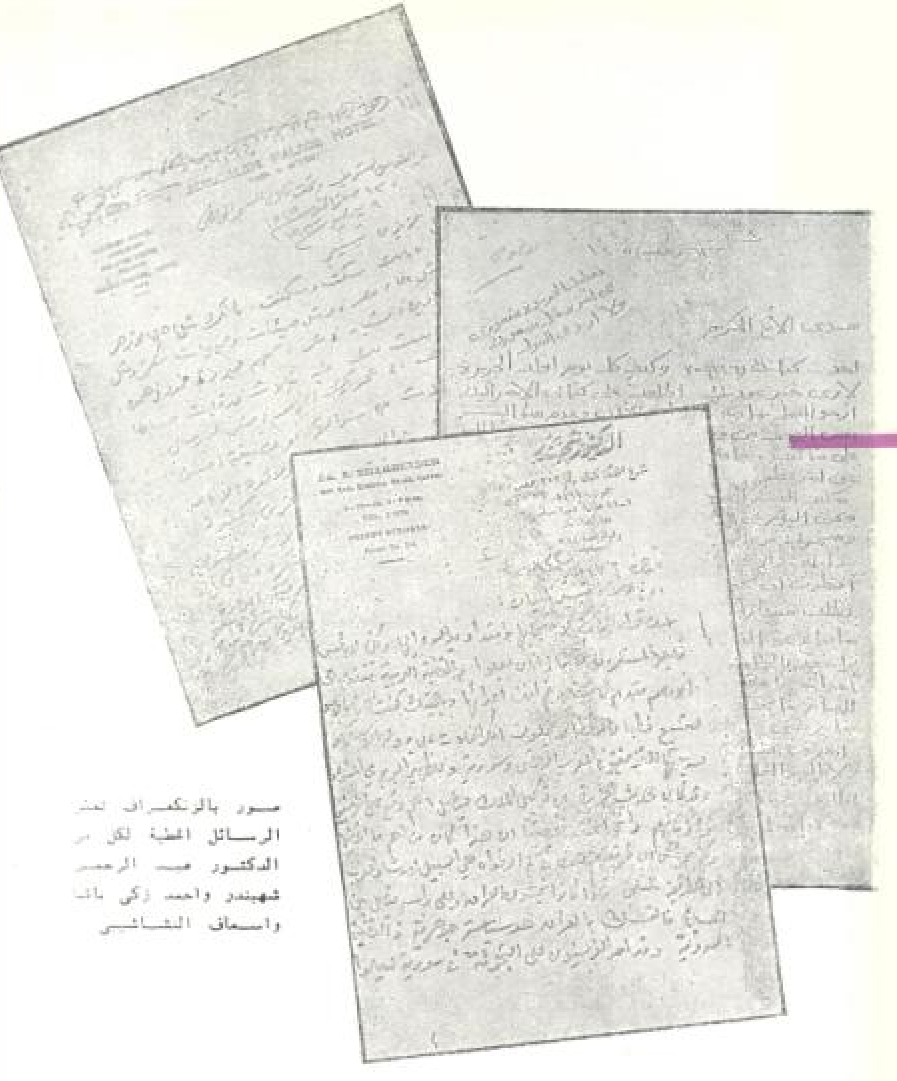
رسالة شيخ العروبة

والرسالة الاولى للعلامة احمد زكي باشا (المعروف باسم شيخ العروبة) وقد بعثها الي من بيت المقدس الى القاهرة بتاريخ ٩ يوليو ١٩٣٠ وكلفني بها ان استحث الهمم في مصر لارسال توكيلات للوفد المصري الذي توجه الى فلسطين للدفاع عن حقوق ابنائها العرب امام لجنة البراق الدولية وكانت . فلسطين ، آنئذ تغلي كالمرجل وتفور كالبركان من جراء التعديات اليهودية ، وصلف المستعمرين ، والمؤامرات الصهيونية المدعمة من الاستعمار والتي كانت تسعى لازالة الصبغة العربية عنها وتحويلها الى بلاد يهودية .

ووقعت في هذه الفترة اضطرابات واحداث دامية في مختلف انحاء البلاد ، ونشبت معارك حامية الوطيس بين الجماهير العربية الفلسطينية من جهة وبين اليهود والانكليز من جهة اخرى مما حمل الحكومة البريطانية على ارسال لجان للتحقيق، وبين تلك اللجان التي تألفت في ذلك العام (١٩٣٠) لجنة البراق التي وصلت الى فلسطين لدرس موضوع البراق ومايطلق عليه اليهود (حائط المبكى) وقد تم تاليف هذه اللجنة بموافقة عصبة الامم على ان يكون اعضاؤها من غير البريطانيين . وقد تقاطرت الوفود الاسلامية من جميع انحاء العالم الى القدس ليدلوا بشهاداتهم امام اللجنة المذكورة ، واثبات ملكية المسلمين لذلك المكان المقدس . وتألف وفد مصر آنئذ من محمد علي باشا علوبة الوزير السابق (وعهد اليه بالدفاع عن حقوق العرب والمسلمين امام لجنة التحقيق من الناحية القانونية) واحمد زكي باشا (من الناحية التاريخية) وبعض كبار العلماء (من الناحية الدينية) . اما التوكيلات التي اشار اليها شيخ العروبة في رسالته هذه فهي تتعلق بتفويض الوفد المذكور للتحدث امام اللجنة باسم الشعب المصري وسائر الشعوب العربية والاسلامية ، وقد ارسلت هذه التوكيلات فعلا وعلى الفور من قبل الهيئات والجمعيات

احمد زكي باشا





صور بالزنكغراف لعدد من الرسائل الخطية لكل من الدكتور عبد الرحمن شهبندر واحمد زكي باشا واسعاف النشاشيبي

والاندية الاسلامية الموجودة في مصر ، ومما يجدر ذكره ان دفاع اعضاء الوفد المصرى كان موفقا الى ابعد الحدود ، وقد اتى اكله واعطى ثمره اذ ان المقررات التى اتخذتها لجنة التحقيق كانت مؤيدة كل التاييد لحقوق العرب والمسلمين ، ودحض مزاعم اليهود وافتراءاتهم • وقد جاء فيها مايلي:

(للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا من ساحة الحرم الشريف) •

بيد ان اليهود ضربوا بقرارات اللجنة عرض الحائط واستولوا عنوة على جدار المبكى بعد حرب ١٩٦٧ • (وهذه صورة الرسالة) :

عن القدس الشريف وتحت ظلال المسجد الاقصى في ١٣ صفر الخير سنة ١٣٤٩

٩ يوليو سنة ١٩٣٠

عزيزى تيسير

مابالك سكت وسكنت ، كانك مثل اهل الازهر ومثل علماء مصر ، ومثل هيئات وجمعيات مصر ، ومثل نوادى الشبان في مصر ، كلهم جمود في خمود في همود •

ابعث لك طية بثلاث ورقات عساها تحركك الى تحريك الهمم في مصر لارسال توكيلات على منوالها او بصيغة احسن منها ، والا فلا حول ولا قوة الا بالله •

عندى هنا توكيلات اخرى كثيرة مثلها ـ طبعا خطابى لشيخ الازهر خصوصى قابل زكى الظاهر واشكره على وقل له يضع يده فى يدك • وليعلم ان برقيته الموجزة المختصرة سيكون لها مقامها ومكانها ، مكانتها فى آخر تقريرى مثل ماجاءنى من غيره وغيره وسلام عليكما من أخوكما •

احمد زكى

كتبت للشيخ على الزنكرى وللشيخ محمد شاكر ولمحب الدين الخطيب ايضا وبعثت لهما ايضا فهل هناك حياة لمن انادى وحياء عند من اخاطب ؟

رسالة الدكتور شهبندر

والرسالة الثانية بعث بها الزعيم السورى المعروف الدكتور عبد الرحمن شهبندر الذى قتل غيلة عام ١٩٤١ ، وقد بعث بها من مصر الى كاتب هذه السطور فى دمشق فى مايو سنة ١٩٣٣ وهى تتناول : ـ

تعطيل السلطات الفرنسية لجريدة الجزيرة لأنها كانت تناوىء الانتداب ، وتدعو الى تحرير الوطن السورى من نير الاحتلال ، وتبشر بالوحدة بين سورية والعراق ، وتفويض الملك فيصل بن الحسين (عاهل العراق) للدفاع عن القضية السورية امام المحافل الدولية • وقد وصل جلالته الى برن (فى سويسرا) فى (شهر اغسطس ١٩٣٣) للاستجمام تمهيدا لاستئناف مساعيه السياسية ولكن المنية عاجلته فانتقل الى رحمة الله قبل اتمام رسالته ، ودون ان يحقق امنيته فى تحرير الوطن السورى وتوحيده مع العراق بعد ان اجهد نفسه فوق طاقة جسمه (كما كتب عنه الامير شكيب ارسلان) • (وهذه صورة الرسالة) :

القاهرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٣٣ •

الاخ الاستاذ تيسير ظبيان :

اسف قراء الجزيرة لاحتجابها وامتداد يد السوء اليها•ولكن لا بأس فليعمل المستعمرون ما شاءوا ان يعملوا والقضية العربية تتقدم الى الامام بقدم ثابتة رغم انف اعدائها وربا ليتك كنت هنا بالامس لتسمع خطباء الاقطار يحملون انكر الحملات على دولة الاستعمار لسياستها التفريقية فى المغرب الاقصى وسورية وللظهير البربرى المشئوم• وقد كان لحديث الجزيرة عن توكيل الملك فيصل أهم وقع على الفرنسيين واذنابهم وانني اعتقد شخصيا ان هذا كان من اهم ما اغضبهم ولكن لا بأس ان طريقتهم هذه فى كم الافواه هى السبيل لارشاد العرب الى الطريقة المثلى فاذا كانوا يخشون العراق وعلى رأسه فيصل بن الحسين فالتمسك بالعراق هو سياسة جوهرية فى القضية السورية وقد اصر الفرنسيون على التجزئة فى سورية ليعلموا السوريين ان الطريق الموصل الى النجاة هو بالاتصال بالعراق لتأسيس الوحدة العربية فاشتغلوا من غير ملل كما نشتغل هنا وقد تناولت من الانحاء رسائل شكر وامتنان لما انشره فى المجلات والصحف عن القضية العربية وآخر هذه المقالات ما ارسلته اليكم منشورا فى الكوكب من غير توقيع • سلامى واحترامى للاهل والاصدقاء واريد ان اسمع منكم حديثا مطولا عن الحالة فى دمشق وعن هذا الوفد من التجار الذين يحاولون عودة الوطنيين الى المجلس المزيف وبث للمخلص •

عبد الرحمن شهبندر

رسالة النشاشيبى

اما الرسالة الثالثة فهى من الاديب الفلسطينى الكبير (اسعاف النشاشيبى) وقد ارسلها من القدس الى كاتب هذه السطور بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٥٤ هجرية ، وقد تحدث فى رسالته عن الكتاب الذى اصدره فى ذلك العام باسم (الاسلام الصحيح) وجاء فى مقدمته (وبعد فهذا كتاب يثبت للمسلم دينه ، ويقوى ايمانه ويقينه ويحامى عن كتاب الله ، ويذود عن رسول الله ، ويدعو الناس كافة الى هدى • وقد استعان صاحبه بالله وهدى القرآن) •

وقد احدث هذا الكتاب ضجة عنيفة فى الاوساط الدينية فى مختلف ارجاء العالم الاسلامى لان مؤلفه جاء بآراء جديدة تجعل القرآن وحده(دون غيره) مصدرا للعبادات والمعاملات والتشريع ، وان الاسلام لايوجد الا فى الكتاب الكريم وليس فى الاحاديث الا ماوافق القرآن ، ولا فى التفاسير والاساطير والاضاليل والاباطيل (كما ذكر المؤلف فى مقدمة الكتاب) كما حمل حملة شعواء على المفسرين الذين يؤولون الآيات القرآنية تأويلا يتمشى مع اهوائهم ونزعاتهم ، وعلى رواة الاحاديث النبوية (من غير دقة وتثبت) لدعم مذاهبهم ولا سيما فى موضوع تفضيل آل بيت النبوة على غيرهم ، واحداث نظام للطبقات فى الاسلام •



الدكتور عبد الرحمن شهبندر

● ثلاث رسائل خطية

وقد انبرى عدد من العلماء والمفكرين المسلمين للرد على المؤلف وتفنيد ماورد في الكتاب من اراء ونظريات لاتتفق مع المفاهيم الاسلامية التي نصت عنها اقوال المفسرين والمحدثين والفقهاء ·

« وهذه صورة عن هذه الرسالة » :

١١ رجب ١٣٥٤

خصوصي

تعطيل الجريدة شعوري
في امره مثل شعورك
ولا ازيد في القول ·

سيدي الاخ الكريم

اخذت كتابك (٦) ت ٣٥ وكنت كل يوم اطلب الجزيرة لارى خبر عودتك اطلعت على كتابي الاخير اليك ارجو العمل بما فيه في شان الكتاب وعدم سؤال بعض الصحف عن وصوله لان هذا لايليق وقد اطلعت على ماكتب وجاءتني كتب من كبار وكلها تخبرني عن امر عظيم ·

مكتب النشر العربي كتب الي كتابا في ١٧ جمادى الثانية ونحن اليوم في ١١ رجب قال فيه ان وزع النسخ الاربعين وسيخبرني عن المقدار المطلوب حتى ارسله فهل بدا له بداء في امر الكتاب ام شغلته شواغله وكتبه انتظرت ان يجيئني منه خبر قبل هذه المدة وان يطلب مقدارا عظيما حتى أعي وراءه ويكون ما يباع عونا لنا في الرحلة ····

راجعت (الجامعة) وار عظيم ميلي اليك ماخاطبت احدا ـ راجعتهم ملحا مشددا فرايتهم في الاستعداد للقيام بما يجب وقبل نصف هذا الشهر يخبروني بما يرضيني ·

اعرف شيئا من راي من ذكرت ، في (الكتاب) ولا الوم الغاضب واشكر الراضي ·

اطلعت في (الاهرام) على مقالة في الكتاب لكاتب من كتابها كما علمت لكني لااعرفه فرأيت من الحسن ان تنشره في الجزيرة ليقف القارئون على راي اخواننا المصريين في الكتاب تنشر كلها **بعنوانها مع اسطر بهذا المعنى المتقدم ولكم الراي الاعلى**

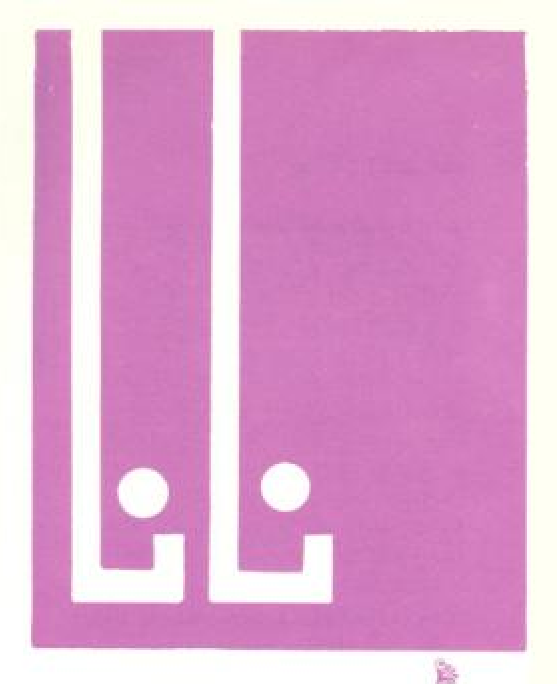
جاءني كتاب من فاضل كبير تعرفونه في شان الكتاب شاكرا الاهداء ومناقشا في قولي (الاسلام في كتابه لا في الاحاديث ولا في التفاسير) مع قولي : محمد لايخالف ربه ومع نقلي احاديث وتعويلي على تفسير لم استطع مجاوبته لاني اذا اردت ان اجيب كل من كتب الي لم يبق لي وقت لدرس ولا بحث فعددت كل كتاب جاءني جواب اهدائي الكتاب · وقد كنت ذكرت لي شيئا من راي العالم الكبير فاقول لك : نعم ان الاسلام في كتابه فقط ولا يجوز غير ذلك واعتقد ان هذا راي ذلك العالم وللشيخ رشيد رضا كلمة واضحة في هذا المعنى ستروى في طبعة ثانية وقد ذكرت صاحب المنار لانه صديق ذلك العالم · واذا رويت حديثا فقلت هذا غير حق لانه يناقض القران ويعاكسه ورويت حديثا وتفسيرا يعضد اية فليس الشرح او التفسير لشيء هو ذلك الشيء وقد اروى في توضيح اية قول افرنجي وقولي (محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يخالف ربه) هو احتجاج على من ياتي بحديث منكر ويقول ان رسول الله قاله · في كتابي كلمة للمرحوم الشيخ رشيد في الصفحة ٣٢٨ في حديث راجعها وسيضاف اليها في طبعة ثانية قوله الذي يساند قولي الاسلام في كتابه لا في الاحاديث الـــخ الخلاصة : كل حديث يخالف القران كائنا من كان راويه ارفضه وكل حديث اجتمعت الائمة على صحته من جميع وجوهه ورضي عنه كتاب الله البينه انه هوقول يفسر مقاصد الله وهو وتفسيرحق يعضده سبب النزول واللغة وروح الاسلام ـ حجة لي ·

تقبيل ليدي سيادة الوالد وتقديم اجلالي الى فضيلة الاستاذ البيطار ·

الدكتور عجلاني اعطاني بعض دينه فاخذ كل قلبي ثم لاح لي انه استرد قليل ماأعطى وقلبي عنده في اسر وانا من امر صاحبك في حيرة رايت ـ حالما ـ ان الدكتور وقف في جمع وقال : الاسلام الصحيح اهم كتاب ظهر في هذا العصر على الاطلاق في العربية واذكروا مايضارعه ان كنتم من الذاكرين وساكتب عنه مقالة عبقرية لن يكتب مثلها · انها رؤيا لا رؤية والسلام ·

اسعاف النشاشيبي ■■

عمان ـ تيسير ظبيان



■ صِلِي المحرومَ يا «نانا»   كفاه منكِ حرمانـــا
صِليه واجملـي في البين واستبقيـه إنســـانا
وروّي روضـة الظمـآن لا تدعيـه ظمـآنا !

أنا المحـروم « يا نانـا »
وحسبى منك حرمانـا

★★★

علامَ الهجـر يا «نانـا»   علامَ علامَ لا أدرى !
يمرُّ العمـر يانانـا   وأيام الصبـا تجرى !
فمدى ظلّـكِ الحانـي   وردّى للصبـا عمـرى
فأنتِ الواحـة الخضراء في صـحراء أيـامى
وأنتِ الشـاطئُ المأمـون في لجّـة أوهـامى
وأنتِ الفتنـة العـذراء أنتِ فتـاة أحلامـى

وأنـتِ الدفء يانانـا
وحسبى منـكِ حـرمانا

★★★

أنا منك فَرَاشٌ حـام حـول النـار مبهـورا



رنا للفتنة العذراء فاستسلم مقهورا
وطوّف زائغ العينين يبغي الدفء والنورا
ولما عاد محترقاً شجيّ القلب خفّاقا
تلفّتَ خلفه يرنو لضوء النار مشتاقا
ولم يبرح على ظمأ إلى العودة توّاقا
أنا الطائر يا نانا
وحسبي منك حرمانا

***

هلمّ إليّ كالماء من الغلّة يرويني
هلمّ إليّ كالبسمة ، كالنسمة ، تحييني
ولومي واعتبي إن شئت . ما يرضيك يرضيني
فكل مناي أن أرنو أو أصغي إلى نانا
وأنهل من سناها الحب أشكالاً وألوانا
وأنشق من شذاها العطر نسريناً وريحانا
هلمّ هلمّ يا نانا
كفاني منك حرمانا

القاهرة ــ علي الفقي

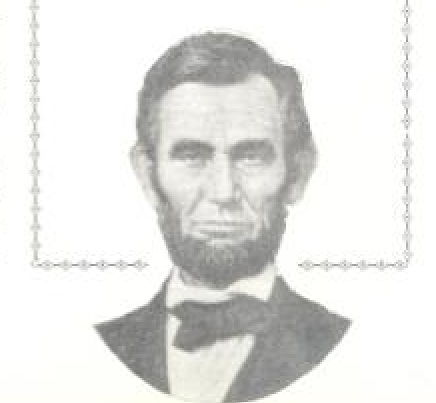


ارادة الانسان

● ابراهام لينكولن ، الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الامريكية ، كان اعظم انجاز حققه خلال رئاسته ، هو تحرير العبيد ..

قالوا له يوما بعد اندلاع الحرب الاهلية فى امريكا وهو يكافح من اجل تخليص الانسان الاسود من احزانه : « هل كنت تصنع ما صنعت ، لو ان قرارك هذا سيؤدى الى كل هذه الدماء التى سالت بين الجنوب والشمال ؟ » .

فاجاب لنكولن بقوله المأثور : « ليس من حق رجل ، اى رجل ، مهما كان عظيما ان يحكم رجلا آخر رغم ارادته ، فما بالكم لو كان هذا الحكم عبودية واذلالا ؟ ! » .



الانسان والكلب !

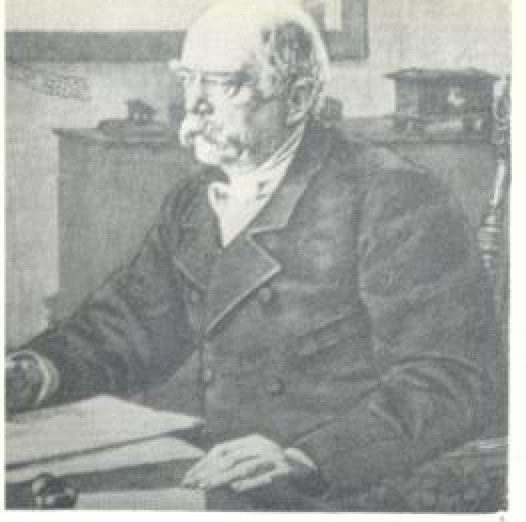
● الصداقة بين الانسان والكلب قديمة قدم التاريخ نفسه ،فقد كان الكلب له حارسا ورفيقا وأنيسا على الطريق ..

كتبت جين اوستن **المؤلفة الانجليزية** تحكى لنا قصصا عن هذا الصديق الوفى الذى يمشى على اربع ، وعن تعلق الانسان به وحبه له ، قالت : « كان الرسام الكبير مايكل انجلو يصحب كلبه معه ، وهو يقوم بأروع اعماله الفنية ، فقد ظل هذا الكلب الصغير يلازمه طوال فترة عمله فى كنيسة سيستين ، حيث كان يرقد فوق مخدة من الحرير ، ويرقب سيده حتى ينتهى من عمله ، فيقفز من مكانه ويتبعه عائدا الى البيت .. » .

« وعندما بدأ الموسيقار العالمى **شوبان** يكتب سيمفونيته الخالدة « Minute waltz » راح الناس يبحثون عن الفتاة المحظوظة التى سيقدمها لها ، فاذا به يهديها الى كلب صديقته المؤلفة الفرنسية « جورج صاند » .

« ولما ذهب **نابليون** ليعيش فى منفاه ، لم يكن وحده ، فقد فوجىء الجميع بكلبه الصغير « لوريل » يسير وراءه الى المنفى »!

قال مارك توين يوما : « خذ كلبا ضالا جائعا ، وأطعمه واملأ معدته ، انه لن يعض اليد التى احسنت اليه ابدا .. وهذا هو الفارق الكبير بين بعض الناس وهذا الحيوان الوفى الامين » .



رسالة فوق طبق من الفضة !

● **لورد بيفر بروك** ، ملك الصحافة الراحل في انجلترا روى قصة طريفة في كتابه « اضمحلال وسقوط لويد جورج » قال : « كان ذلك في ليلة من ليالي الاحاد في عام ١٩٢١ عندما دعي اوستن تشامبرلين Austen Chamberlin ، زعيم حزب المحافظين في ذلك الوقت ، هو وزوجته لحضور مأدبة عشاء تقيمها احدى سيدات المجتمع البريطاني ، وكانت تدعى مسز روني جريفل ، وكانت تشتهر بثرائها وسخائها ٠٠ » ٠

« وجلس الجميع يتناولون الطعام ،وقد امتلات المائدة بما لذ وطاب من الاطباق الشهية ، والنبيذ ، ولكن كان هناك شيء واحد اثار اشمئزاز الحاضرين ، فقد لاحظو ان رئيس الخدم يتطوح في مشيته٠٠ فقد كان الرجل مخمورا ! » ٠

« ولم يغب هذا على صاحبة الحفل ، فأخرجت قلما من حقيبة يدها ، وسجلت على ورقة صغيرة الكلمات التالية : « اترك الحجرة فورا ٠٠ فأنت مخمور ! » ثم ما لبثت ان اومأت اليه برأسها فجاء ودست الورقة في يده بعد ان حدقته بنظرة غاضبة !

واسك رئيس الخدم بالورقة ثم طواها ، ووضعها فوق طبق صغير من الفضة ، واتجه ، وهو ما زال يتطوح الى حيث كان يجلس زعيم حزب المحافظين وضيف الشرف في الحفل ، ثم انحنى امامه في ادب وقدم له الرسالة !!

« وما كادت عيناه تقعان على ما حوته رسالة المضيفة ،حتى قفز مستر تشامبرلين من مقعده ، وغادر الحجرة ، وهو يغلي غضبا وثورة وسط دهشة الحاضرين !! »

السياسة والسياسي ! عند بسمارك

● **بسمارك** Bismarck ، السياسي البروسي الشهير (١٨١٥ ـ ١٨٩٨) مؤسس الامبراطورية الالمانية ، كان يؤمن بالسياسة ، ولكنه لم يرض يوما عن الرجال الذين يصنعونها ! فقد كان يصفهم دائما بالعجرفة والتعالي والكبرياء ،والجهل باصول هذه المهنة التي وصفها بأنها « أخطر لعبة » منذ ان بدأوا يكتبون تاريخ البشرية !!

ولم يكن ينجو من نقده أحد من هؤلاء الذين التقى بهم وتحدث اليهم وجلس معهم ، وهو يمهد لقيام اقوى امبراطوري في اوربا ٠٠ حتى عن نفسه ، فقد قال يوما : « ما أكثر اللحظات التي كنت اقف فيها لاحاسب نفسي على الاخطاء التي اقع فيها ٠٠ وما اسخفني وانا اشعر بالضيق يحتويني كلما سمعت كلمة نقد توجه الى ٠٠ مصيبة السياسيين في رأيي انهم ينسون دائما اثناء جلوسهم على مقاعد السلطة ، انهم قد عينوا في هذه المناصب، فهم يتصورون في جلستهم المريحة ان ذاتهم قد اصبحت مصونة لا تمس ، وان الشبه اصبح كبيرا بينهم وبين القديسين !! » ٠



بقلم : الدكتور سامي عمران

■ ان تجربة الولادة لهي من اهم واعنف التجارب التي تمر بحياة المراة ، هذه التجربة بكل آلامها وآمالها وتوقعاتها بل وهواجسها ومخاوفها هي ضريبة العناء للمراة في هذه الحياة ، و « جواز المرور » لعالم الامومة الرائع الذى ينسيها كل ما عانته وقاسته من الام الحمل والولادة .

التعريف

ونزيف ما قبل الولادة

Antepartum haemorrhage

هو حالة كثيرا ما تعرض للاطباء في المستشفيات وعياداتهم الخاصة ، ومراكز رعاية الامومة والطفولة . وتطلق عادة على كل نزيف دموى رحمي يحدث بعد الاسبوع الثامن والعشرين من الحمل اى من الشهر السابع الى الولادة .

وبمعناها العلمي المحدد : تعني اى نزيف دموى يحدث من مكان زرع المشيمة في جدار الرحم ، سواء اكانت هذه المشيمة في مكانها الطبيعي او في غير مكانها الطبيعي من جدار الرحم .

صفة الرحم التشريحية والوظيفية عند الولادة

ويتعين علينا ان نفهم الصفة التشريحية للرحم في الاسابيع الاخيرة من الحمل ، ففي هذه المرحلة واستعدادا للولادة يتكون الرحم من جزءين تختلف وظيفة كل جزء منهما عن الآخر عند بدء عملية الولادة ، فالجزء العلوى

Upper uterine segment

تكون وظيفته الانقباض والانكماش بصورة منتظمة متقاربة ، لدفع الجنين عبر « قناة الولادة » الى الخارج ، اما الجزء الاسفل

Lower uterine segment

فوظيفته التمدد والانبساط ، ليكون مع قناة المهبل قناة واحدة هي « قناة الولادة » التي يمر فيها الجنين الى الخارج . وهذا الاختلاف الوظيفي بين جزئي الرحم يكون اوضح ما يكون عند ابتداء الطور الاول للولادة .

اين تزرع المشيمة في الرحم

الوضع الطبيعي للمشيمة Placenta « الخلاص » يكون دائما في الجزء العلوى من الرحم اماما ا

خلفا : ولا تخرج من الرحم الا بعد خروج الجنين نهائيا منه لكي تأتي بعده لا قبله • هذا الترتيب الدقيق المحدد لازم لاتمام عملية الولادة بصورة طبيعية باقل كمية ممكنة من النزيف الدموى • اما اذا اختلف هذا الترتيب لسبب او اخر ، كان تزرع المشيمة اسفل الجنين ـ وليس اعلاه ، لتخرج قبله لا بعده ـ فهنا يحدث النزيف الذى نسميه « نزيف ما قبل الولادة » •

صعوبة تشخيص نزف ماقبل الولادة

والصعوبة التى يلقاها الطبيب عندما تواجهه بعض حالات النزيف هذه،تكمن فىصعوبة تشخيص سبب هذا النزيف من اول وهلة ، وعليه ان يبدأ فورا فى العلاج لاسعاف المريضة النازفة ، جنبا الى جنب مع الجهود التى يبذلها ليصل الى السبب، بالاستعانة بالوسائل التشخيصية التى فى متناول يده والتى تحتاج لكثير من الوقت والجهد •

الاسباب التى تؤدى الى نزيف دموى قبل الولادة

١ ـ المشيمة المعيبة Placenta Pracvia

٢ ـ النزيف العارضىAccidental haemorrhage

٣ ـ نزيف من غير مكان المشيمة

٤ ـ الحبل السرى المعيب Vasa pracvia

٥ ـ اسباب لايمكن تحديدها او معرفتها وهذه قد تصل الى ٢٥٪ من الحالات ، ولكن ما يقصد بتعبير « نزيف ما قبل الولادة » هو ما ينتج عن السبب الاول والثانى فقط ، اى من مكان المشيمة كما سبق فى التعريف •

السبب الأول

المشيمة المعيبة Placenta pracvia وفى هذه الحالة تتخذ المشيمة وضعا غير طبيعى بان يكون مكانها فى الجزءالسفلى من الرحم بدلا من العلوى• وهذا الجزء يبدأ فى التمدد فى الأسابيع الاخيرة للحمل بسبب انقباضات الجزء العلوى ، وهذا يسبب انفصالا للمشيمة عن جدار الرحم ، حيث انها لاتتمدد كما يتمدد ، ونتيجة لهذا الانفصال تتقطع الاوعية الدموية التى تصل المشيمة بالدورة الدموية للأم والتى تغذى الجنين ، فيفقد بذلك جزءا من غذائه الحيوى اللازم لبقائه ، وتصبح حياته داخل الرحم مهددة • وهذا هو السبب فى خطورة هذا النزيف فضلا عن تهديده لحياة الأم نفسها اذا زاد وكثر •

درجات المشيمة المعيبة

واندغام المشيمة المعيب هذا يتخذ اربع درجات هبوطا فى هذا الجزء من الرحم ، اخطرها ماغطى العنق الداخلى للرحم كلية ، وهو فى تمام تمدده، حيث لاتكون هناك فرصة للجنين لكى يمر الا بعد الانفصال الكامل للمشيمة،وذلك يحرمه تماما من الدم والاكسجين فيهلك داخل الرحم •

تشخيص هذه الحالة يعتمد على :

● التاريخ المرضى History : نزيف دموى رحمى متكرر ليس له سبب واضح ولا يصاحبه اى الم•

● الفحص الاكلينكى:مع تجنب الفحص المهبلى بصفة قاطعة • وفيه يلاحظ الطبيب ان البطن لين، خال من الانقباضات والتشنجات ، وان اجزاء جسم الجنين محسوسة ، ونبض قلبه مسموع ، وان مجىء الجنين سواء أكان بالرأس او المقعدة غير منحشر فى الحوض وعال فى الرحم لوجود المشيمة اسفل منه •

ـ الاشعة السينية العادية ، وهذه ليست بذات فائدة كبيرة •

ـ الاشعة السينية الخاصة بالانسجة الرخوة التى شاع استخدامها فى العشرين سنة الماضية • Soft Tissue placentography

ـ تحديد مكان المشيمة بواسطة المواد المشعة • Radio Isotope

ـ التصوير الشعاعي للشرايين Arteriography

ـ تصوير المشيمة بالامواج فوق الصوتية Ultrasonic Placentography . وهذه احدث ماتوصل اليه العلماء باستعمال جهاز الـ « سونار» Sonar الذىاستنبطهبروفيسور «دوناك» بجامعة جلاسجو باسكتلندا المبنى على فكرة اعتمدت عليها البحرية البريطانية فى تحديد مكان غواصاتالاعداء فى اعماق البحار باستخدامالاشعة فوق الصوتية Ultra sonic ، ومن مميزات هذا الجهاز سلامته التامة بالنسبة للجنين الذى تضر به انواع الاشعاعات الاخرى .

العلاج

اولا : العلاج العام :

الراحة التامة فى السرير .. اخذ العينات الكافية من الدم لتحديد فصيلة دم المريضة ونسبة هيموجلوبين الدم .

تجهيز كميات كافية من الدم لنقلها للمريضة فى حالة ازدياد النزيف او استمراره لعدة ساعات.

وفى هذه الاثناء تجرى الابحاث الخاصة لتحديد مكان المشيمة فى الرحم اذا كانت حالة المريضة العامة وميقات الحمل يسمحان بذلك .

واذا كان الحمل مازال مبكرا ـ حول الشهر الثامن مثلا ـ وتوقف النزيف بعد وصول المريضة للمستشفى مباشرة ، وظل متوقفا لعدة ايام وتاكد لدى الطبيب المعالج ان الحالة تعتبر من الحالات الطفيفة غير ذات الخطر فيمكن للمريضة ـ اذا اصرت على ذلك ـ استئناف الراحة التامة فى منزلها مع التزامها بالعودة مباشرة الى المستشفى اذا احست بوادر النزيف . وهذا طبعا لايخلو من خطورات اذ ربما يداهمها نزيف قوى مفاجىء وهى خارج المستشفى اما التصرف المثالى فهو بقاء المريضة بالمستشفى حتى الاسبوع الثامن والثلاثين، وهو الوقتالذى يكون فيه الجنين قدبلغ طور النضج الذى يمكنه من الحياة خارج الرحم لو اقتضى الامر ذلك .

ثانيا : العلاج الخاص :

ا ـ الفحص تحت مخدر عمومى E.U.A. فى الاحوال التالية :

ـ بلوغ المريضة النازفة الاسبوع الثامن والثلاثين كما اسلفنا .

ـ ان تكون المريضة فعلا فى حالة ولادة .

ـ ان يكون النزيف من الشدة بحيث لا يمكن التاخير مهما كان ميقات الحمل ولا مجال لوضع المريضة تحت الملاحظة او الانتظار .

ب ـ تفجير جيب المياه Rupture Membranes وترك الولادة لتتم بصورة طبيعية ، وهذا فى الاحوال التالية :

ـ ان تكون المريضة فى حالة ولادة وعنق الرحم متوسع بدرجة كافية .

ـ ان تكون المشيمة المعيبة من الانواع غير ذات الخطر كالمشيمة الجانبية بالدرجة الاولى او الثانية.

جـ العملية القيصرية Caesarian section فى الاحوال الاتية :

ـ نزيف حاد مستمر يهدد حياة المريضة .

ـ ان يكون عنق الرحم مغلقا او لم تبدا عملية الولادة بعد .

ـ ان يكون نبض قلب الجنين مسموعا بصورة واضحة اى مازال حيا .

ـ ان يكون الجنين خاليا من العيوب الخلقية .

ـ ان تكون المشيمة من الانواع الخطرة كالدرجة الثالثة والرابعة .

السبب الثانى لنزف ماقبل الولادة:

النزف العارضى او الانفصام المشيمى
Accidental haemorrhage, Abruptia Placentae

ما هو النزيف العارضى :

فى هذه الحالة يكونن النزيف الرحمى من مشيمة زرعت فى وضعها السوى ، ولكن لسبب او لآخر حدث نزف دموى بين هذه المشيمة وجدار الرحم ظل يتوسع حتى سبب انفصالا لجزء من المشيمة وبذلك يقل الدم الوارد للجنين معرضا كيانه الرقيق للخطر ، وخطورة هذه الحالة تكمن فى كون النزيف الخارجى لايتناسب اطلاقا مع حجم النزيف الداخلى فى الرحم الذى يفوقه بمراحل ، فقد يمتلىء الرحم

عن اخره بالدم ولا يبدو للعيان غير خيط رفيعمن الدم الآسن • مما يعطي اطمئنانا كاذبا للمريضة او لذويها او حتى لبعض الأطباء •

اسباب النزيف العارضي

اسباب هذه الحالة غير معروفة بالضبط ، ولكن هناك عوامل مساعدة وحالات مصاحبة لهذا النزيف في كثير من الحالات مثل :

ـ الحمل التسممي Pre-eclampsia ويعتبر من اهم العوامل التي تصاحب النزيف الرحمي لأن ارتفاع ضغط الدم في هذه الحالة يسبب انقباضا للأوعية الدموية التي تغذي المشيمة مضرا بذلك بالشعيرات الدموية الدقيقة لنقص كمية الاكسجين الواردة لها فتموت وتنفجر امام تيار الدم القوي ، وبذلك يبدأ النزيف •

ـ نقص حمض الفوليك Folic acid deffiiciency وهو احد العوامل الهامة في تكوين الكريات الحمراء في الدم . هذا النقص اكتشف في بعض الحالات النازفة •

ـ وفي قليل من الحالات قد يكون سبب النزيف هو محاولة عدل الجنين اذا كان المجيء بالمقعدة (External cep'halic version) •

ـ او ان يكون السبب ضربة مباشرة للبطن •

ـ واحيانا قد يبدأ النزيف بعد صدمة نفسية او عاطفية هائلة والسبب غير معروف •

ـ وهناك ايضا العديد من العوامل المساعدة كتكرار الولادات وخاصة بعد الولادة الخامسة • ونقص فيتامين ج والعيوب الخلقية الرئيسية في الجنين والاستسقاء الامنيوسي اذا انفجر مرة واحدة وبسرعة والحبل السري القصير •

المضاعفـــات

من مضاعفات هذه الحالة فقدان الدم لخاصية التجلط او التخثر Hypofibrinogenocmia وضمور الغدة النخامية Pituitary مما يسبب مرض شيهان Sheehan,s Syndrom:.

تشخيص الحالة

ـ الاعراض الاكلينيكية الواضحة ، كوجود الحمل التسممي بالاضافة الى تيبس البطن وتشنج عضلات الرحم ، وشعور المريضة بالم شديد في البطن ، مع اعراض الصدمة Shock ، والنزيف الداخلي وعادة لا يسمع نبض قلب الجنين كما ان اجزاءه لايمكن جسها من الخارج •

اما النزيف المهبلي الخارجي فكميته ضئيلة وقد تسبب اطمئنانا كاذبا لدى المريضة او ذويها •

العلاج

العلاج العام : الراحة التامة في السرير ـ المسكنات ـ كالمورفين والبيتيدين Pethidine ،نقل الدم بصورة مستعجلة وبكمية كافية لتعويض المريضة مافد فقدته من دم في النزيف الرحمي الداخلي •

ـ الفحص تحت مخدر عام عندما تتحسن حالة المريضة لاختيار الطريقة المناسبة لاتمام عملية الولادة :

+ فان كان عنق الرحم متوسعا بدرجة كافية وكانت عملية الولادة قد بدات فعلا ففي هذه الحالة يكتفي الطبيب المعالج بتفجير جيب المياه ومساعدة المريضة بواسطة « الطلق الصناعي » باستعمال عقار بيتوسين Pitocin الذي ينشط انقباضات الرحم ويزيد من قوتها وكفاءتها لاتمام عملية الولادة بنجاح •

+ اما اذا كان عنق الرحم مقفلا والولادة لم تبدأ بعد والجنين مازال حيا ونبض قلبه مسموعا بوضوح فليس هناك احسن او اجدى من العملية القيصرية لانقاذ الام والطفل معا •

الخاتمة

من كل ماسبق نلاحظ ان حجر الزاوية فيعلاج حالات نزيف ما قبل الولادة هو وجود كميات كافية من الدم والمحاليل المتشابهة لتعويض المريضة مافقدته من دم وسوائل اثناء النزيف الذي يكون في اغلب الأحيان كثيرا وغزيرا • وان مثل هذه الحالات لاتعالج في المنازل او في العيادات الخاصة ، بل يجب ان تنقل فورا الى مستشفى متخصص في امراض النساء والولادة ومجهز ومستعد لاستقبال هذه الحالات • ■■

الدكتور سامي عمران
اخصائي ولادة وامراض نساء





الفيلسوف الالماني الشهير

عمانويل كنط

شئ من ملامحه

بقلم : عزت محمد ابراهيم

كان الفيلسوف الالماني ·· عمانويل كنط Kant مضرب المثل فى الدقة ، والحرص على النظام،مما دعا الشاعر الالماني «هاينى» الى ان يقول فيه : « لا اظن ان ساعة كاتدرائية كونجسبرج الكبيرة كانت تؤدى عملها بصورة اكثر انتظاما من مواطنها كنط » ·

كان له هناك طريق يسلكه جيئة وذهابا فى موعد لايتقدم ولا يتاخر ، حتى كان الناس يخرجون ساعاتهم من جيوبهم،يضبطون اوقاتهم على تحركات فيلسوفهم فى الطريق الذى تسيره اليه ، فاصبح يعرف بـ «طريق الفيلسوف»،وليس باسمه المتعارف عليه ·

ولم يحدث غير مرة واحدة تخلف فيها عن عادته، فقد حبسه عنها كتاب « اميل » للكاتب الفرنسى « جان جاك روسو » ، حين اقبل على قراءته اقبالا انساه معه صرامته ودقته ، وحرصه الشديد على مواعيده ، واثار ذلك غرابة بالغة عند مواطنيه ،

فقالوا مشدوهين معجبين : لابد ان شيئا فى منتهى الغرابة قد حدث !

صعوبة فلسفته

لعل ذلك هو اشهر ما يعرف عن ذلك الفيلسوف، بل يكاد ان يكون المدخل لكل ماكتب عنه ، وقرات له،وربما استطعت القول ان ذلك هو غاية مايعرفه عامة المثقفين عن « عمانويل كنط » ، وهم فى الغالب الذين يقراون عنه ، ولايقراون له ، ومن ذا الذى يجرؤ على قراءته،وهو الموصوف بالغموض والابهام ، حتى انه يحتاج الى الجهد الجهيد للفهم والاستيعاب ، وهو جهد لايقدر عليه غير القلة من المتخصصين المهتمين بالفلسفة ، الصابرين على

لأوانها ، ومستعصيات امورها ، وحتى هذه القلة لم تخف شكواها من استعصاء الفلسفة الالمانية بعامة ، وفلسفة « كنط » بخاصة على الفهم والاستيعاب ، وقد كان الفيلسوف الانجليزي « جون ستيوارت مل » يصف الفلسفة الالمانية بانها « كتاب اغلق بسبعة اختام » ، وكان يعترف بانه لم يقرأ «كنط» ولا «هيجل» Hegel ولا غيرهما من رواد الفلسفة المثالية ، وانه لم يتصل بفلسفتهم الا عن طريق شراحهم من الانجليز والفرنسيين امثال « فكتور كوزان » و «كولريدج » و « هاملتون » ٠

عطفه العظيم على الفقراء

وقد صدق « هايني » فيما وصف به « كنط » ، فلا يكاد يعرق بين المفكرين والفلاسفة من كان على غراره في دقته التي تبلغ حد دقة الالة ، او تكاد ولكنه يختلف عنها – لا ريب – اختلاف كل ذي حس وشعور ، بما كان له من رقة في احساسه ، ودقة في شعوره ، تبدو في حدبه على الاطفال ، وانسه بهم ، وحبه للفقراء والضعفاء ، وحدبه عليهم ، ومناصرته لقضاياهم اذا احتاجت الى ظهير او نصير ، وكثيرا ما تحتاج ، او هي دائما في احتياج الى الظهير والنصير ، بل هو يبلغ في مدى أبعد ، وغاية اعم واشمل ،حين يتجه بفلسفته وجهة ما ، شفقة على كهولة خادمه العجوز « لامب » ٠

فيلسوف انساني

واول مايلفت النظر الى « كنط » انه كان فيلسوفا انسانيا بالمعنى الذي افهمه ، وهو اعلاؤه من قيمة الانسان من حيث هو فرد ، وكيان قائم بذاته ، فهو ليس مجرد آلة او كما مهلا كما ارادت النازية ان تجعله ، وكما تريد كل فلسفة او سياسة على شاكلتها ٠

كان الانسان في فلسفة « كنط » غاية في ذاته، ولم يكن وسيلة الى غاية سواها ، ومهما علمت الغاية ، ومهما كان الغرض ، فستظل غاية فاسدة كريهة بغيضة ، ما لم تضع نصب عينيها سلامة الفرد ، وانسانية الانسان ، ولو عاش « كنط » في زمن هتلر وموسوليني وستالين ومن لف لفهم لكان مصيره المحتوم غيابات السجن، ان لم يكن ازهاق النفس والقضاء النازل المحتوم ، ولو لم يكن في فلسفة «كنط» كلها غير هذا المعنى لكان جديرا بالعناية والاهتمام ، وهو معنى ما يزال يتالق حتى اليوم بين دياجير النفي والاضطهاد والتعذيب ، للمفكرين واصحاب الرأي ، ليس في الامم المتخلفة فحسب، بل في الامم التي بلغت مابلغت من التقدم والرقي والاخذ بالنصيب الاوفى في حضارة هذا القرن ٠

بعد همته

ويسترعي الانتباه بعد ذلك في حياة « كنط » كثير وكثير ، فقد استطاع ان يرتفع بنفسه من مهاوي الحضيض الى قمة الرفعة والسمو ، وهي ان لم تكن رفعة وسموافي المادة ومظاهرها ، فحسبها ان تكون في الفكر الرفيع ، والفلسفة الممتازة ، والمثل المستمر الذي يبهر ويعجب ، وتنحني الهامات له تقديرا واحتراما ٠

وقد نشأ «كنط» في بيئة فقيرة غارقة في الفقر الى اذنيها فلم يتح له مابه من خصاصة ورقة حال عن الجد والمثابرة ، ولم تحل مسغبة او متربة بينه وبين الدراسة وطلب العلم ، فقد استطاع ان يلتحق بجامعة « كونجسبرج » ، وما كانت بالهينة او اليسيرة تلك العقبات التي ثارت في وجهه ، او اعترضت طريقه ، وماكان باليسير على كل انسان التغلب عليها ، او تذليلها ، فقد اضطرته الى ان يعلم زملاءه المتخلفين في الجامعة ، لكي يجد لنفسه كسيرات الخبز التي يتبلغ بها ، فتحفظ عليه رمقه ، ولكي يدخر نفقات التعليم التي تتيح له مواصلة تعليمه ، فاذا لاحت له فرصة العمل مربيا عند بعض الأسر الثرية من البروسيين لم يحجم عن ذلك ، ولم تاخذه في ذلك انفة او تمنعه كبرياء ٠

وقد كان – على اي حال – اوفر حظا من اخواته اللاتي كن يعملن خادمات في البيوت ، واذا كان من شائبة تشوب حياة هذا الفيلسوف الانسان ، فهي في هذا الموضع لا سواه ، ولا اعني به عمل اخواته الوضيع فلا حيلة لهن في ذلك ٠ ولكنني اعني به تنكره لهن ، كانما قد اردن ذلك

باختيارهن ، ولم تلجئهن اليه الضرورة التي الجاته الى مثله ·

وظل «كنط» يعمل في خدمة البروسيين النبلاء مدى تسع سنين ، عرف فيها الحياة ، وخبر مسالكها ودروبها ، والم فيها بطبائع الناس ، وما تنطوي عليه نفوسهم من خير وشر ، وحظي باعجاب الكونت « فون كيزرلنج » وزوجه ـ وهما بعض من عمل في خدمتهم ـ واصبح محط الاعجاب ممن يتصل بهم ، او تجمع الاسباب بينه وبينهم · ولكن كل ذلك فيما يبدو ، كان بحكم ضرورة لا مخرج له منها ، فلا يكاد يصبح في غنى عمن يخدمهم ، ولا يكاد يعمل في التدريس بجامعة « كونجسبرج » حتى يطرح عن نفسه كل مظاهر الحياة البراقة ، وكل قشورها الزائفة ، وينزوي انزواء المفكر الدءوب ، مكبا على دروسه وفلسفته ، مبتعدا عن الناس ، وما يضطربون فيه ، لا يكاد يعرف منهم غير خادمه « لامب » الذي يقوم على خدمته،ويحمل له مظلته في نزهته ، سائرا خلفه في صمت واعجاب · اما الزوج والولد والاسرة ، فتلك اشياء لا تخطر له على بال ، وحسبه من كتبه وفلسفته زوجات واولاد واسر · واما السفر والرحلات ، فهي فقط في شوارع « كونجسبرج » حيث قضى فيها اربعين عاما لا يبرحها ، وحيث لا يعرف الناس له اسفارا او رحلات غير « نزهة الفيلسوف » في طريق الزيزفون التي اصبحت موضع التندر ومثار الاستغراب ·

عاش خاملا ، ثم سطع فجاة

واذا كان سلوك«كنط»مثار غرابة واستغراب، فقد كانت كذلك«حياته الفكرية»فهو لم يلفت النظر الى نفسه وفلسفته الا بعد ان قارب الستين من عمره،ولقد ظل خلال تلك السنوات العديدة مدرسا مغمورا ، او استاذا لا شان له ولا خطر ، بقامته الضئيلة التي لا تزيد على خمسة اقدام ، وظهره المقوس ، وصوته الخافت الذي لا تسمعه الصفوف الخلفية في مدرجات الجامعة ، وكانما يخفي وراء تلك المظاهر التي تهون من الشان ، وتقلل من القدر عقلا خصبا،ونفسا متوثبة ، تعمل في صمت، وتغلي في داخلها كما يغلي البركان ، لا يدري احد متى يقذف بالحمم·فاذا بلغ السابعة والخمسين من عمره اطلق صيحات ثلاثا ايقظت الراقدين من سباتهم العميق ، ليجدوا انفسهم حيال اشياء ثلاثة اذهلت عالم الفكر برمته : نقد العقل الخالص ، نقد العقل العملي ، ونقد الحكم ·

ولم يهنأ « كنط » بعد كل ما لقي من اوصاب، وما عاني من متاعب ، فقد هاجم المسيحية في فلسفته ، لا من حيث هي دين ، ولكن من حيث هي سلوك المسيحيين ، انحرفوا به عن دينهم ، وبذلك اجاب فردريك وليم ، ملك بروسيا حين اراده على ان يكف عن مهاجمة المسيحية ، وكان لا بد له بعد ذلك ان يتحمل صنوف المتاعب والآلام ، وان يصبر عليها الصبر الجميل · لقد عاش فقيرا معدما ، وبلغ اخريات حياته وهو يسمع الناس يطلقون عليه اسم « الكلب » ويطلقون اسم « عمانويل كنط » على كلابهم ، هازئين ، ساخرين، لاعنين، ولم يمنع ذلك كله ان يجعل « الكلب » علما من اعلام الفكر الفلسفي في كل عصوره وازمانه ·

ذلك شيء عن حياة «كنط»،بل هو غاية ما يمكن من الكتابة عن هذه الحياة ، وقد عبر عن ذلك الشاعر « هاينى » في قوله : « انه لمن العسير ان يكتب المرء تاريخ حياة عمانويل كنط ، فلم يكن لهذا الرجل تاريخ ، ولم تكن له حياة » ·

خلاصة فلسفته

ذلك هو غاية الجهد اذن في الحديث عن حياة « عمانويل كنط » ، اما فلسفته ، فنشير اليها اشارة غاية في الايجاز فنقول انها تتلخص في كلمتين هما « فلسفة النقد » ·

نظر « كنط » حوله فراى اعتقادا من ناحية يحمل لواءه الفيلسوف الالماني « فولف » ، وارتيابا وشكا من ناحية اخرى يحمل لواءه الفيلسوف الانجليزي « دافيد هيوم » ، ولا يلتقي التفكير الفلسفي تحت الرايتين معا ، ولا يتفق المفكرون على راى فيهما ، فهما خطان متوازيان لايلتقيان ، وصاحب لواء كل منهما ـ مع ذلك ـ مفكر فيلسوف له عقل وفكر وتدبير ·

ونظر « كنط » الى فلسفة الذين تاثر بهم ، وقرأ لهم ، فوجد « بركلى » يحطم المادة ، و « هيوم » يحطم العقل،وباتى « فولتير » الساخر،

ليسخر منهما معا قائلا : « سحقا لهذين المذهبين ، لتنس التجريدات ، ولنعتمد على العقل » ، ويأتي بعد هؤلاء ، « جان جاك روسو » ليقول : « لننس العقل ، ولنعتمد على الشعور » .

ويكون السؤال البديهي الذي يمكن ان يسأله « كنط » نفسه او يسأله غيره هو « أيمكن ان يفترق العقل البشري في معرفة الحقائق كل هذا الافتراق ، فيؤكد ويعتقد ويوقن ، ليهدم ويشك ويرتاب ، في نفس الوقت ، ومع نفس الحقائق والموضوعات ؟ » .

وهكذا تساءل « كنط » .

لماذا لا يكون العقل البشري ذاته هو المصاب بالخلل ، وليست الحقائق الازلية هي التي تصاب بالتفاوت والتباين ؟ .

ان العقل هو آلة التحليل ، ولكي نطمئن الى التحليل ذاته ينبغي ان نطمئن الى الآلة التي تتولى شأنه . تلك بديهية من البديهيات .

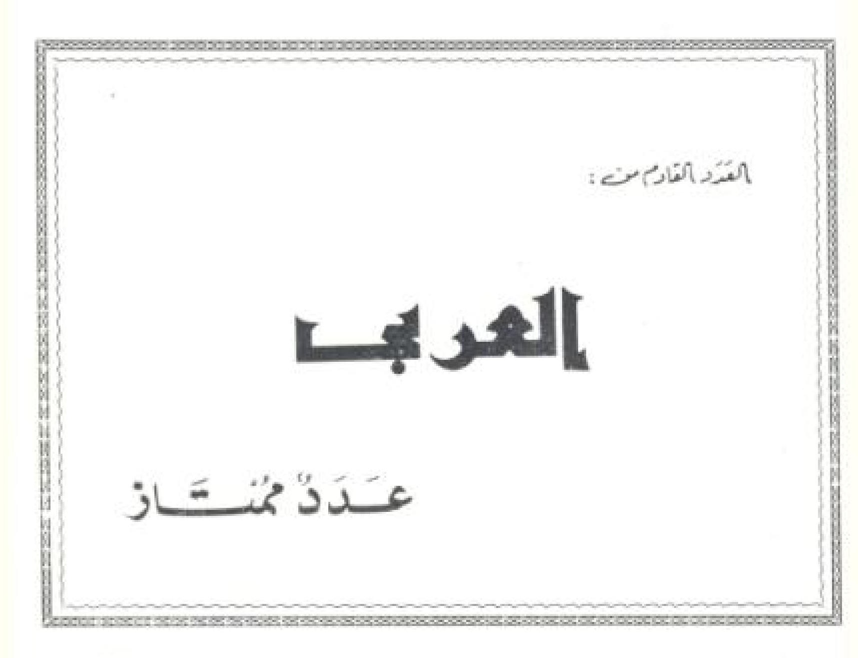
ولكنها بديهية غابت عن العقول والافكار ، حتى اشرق بها عقل « كنط » ، وهي ليست من البساطة الى هذا الحد الذي نراه ، فقد اقتضت منه الاف الصفحات ، وعشرات السنين ، ليؤلف فيها كتبه الثلاثة ، ولتصطبغ فلسفته كلها بصبغة النقد ، حتى اصبحت « النقدية » ، سمتها الكبرى ، وعلامتها التي تعرف بها .

وبعد ، لقد هزيء به الناس في حياته ما وسعهم من الهزؤ ، ولكن عظمة الفكر تفرض نفسها على اي حال ، ان لم يكن في زمانها فبعد زمانها ، مهما طال المدى ، وتباعدت السنون،فبعد وفاته بمائة عام نقلت رفاته الى حيث استقرت تحت الاعمدة الخارجية لكاتدرائية « كونجسبرج » ، ونقشت على قبره عبارة من غرر عباراته يقول فيها :

« شيئان يملآن نفسي اعجابا : السماء المرصعة بالنجوم فوق رأسي ، والقانون الاخلاقي في قلبي » .

■■

عزت محمد ابراهيم







■ عشرون عاما كاملا انقضت منذ ان رحل زوجها وتركها تعاني الوحدة .. كان عزاؤها الوحيد في تلك الذكريات التي تملأ حياتها وتعيش معها .. ذكريات ثلاثين عاما امضتها مع الرجل الذي ملأ حياتها وملأ قلبها بالحب ، فاعطته خمسة ابناء كل ما تعرفه عنهم اليوم هو تلك السطور القصيرة التي يحملها لها ساعي البريد في اول كل شهر ومعها مبلغ من المال يبعث به اليها كل واحد منهم حتى تتمكن الام من مواجهة اعباء حياتها في وحدتها .. فقد كبر الابناء وتزوج بعضهم ، وذهب بعضهم يبحث عن رزقه ، ورفضت الام كل دعوة وجهت اليها للاقامة في اي بيت من بيوت ابنائها الخمسة ، فقد كان مجرد التفكير في تغيير اسلوب حياتها والافتراق عن ذكرياتها ، يقض مضجعها ويؤرقها ..

وبقيت الام المسكينة هي هي لم تتغير منذ ذلك اليوم الذي نظرت فيه من حولها فلم تر غير السكون يحتوي هذا البيت الذي طالما امتلأ بالحب والحياة والاولاد ..

مع اصدقائها الصغار

كانت تصحو كل صباح وتبتهل الى الله قبل ان تبدأ يومها بتلك الرحلة الطويلة التي تقطع فيها مسافة كيلو مترين مشيا على الاقدام الى الحديقة العامة ، حتى اذا وصلت اليها وجدتهم في انتظارها ، وكأنهم معها على موعد .. انهم

اصدقاؤها الذين احبتهم ونشأت بينها وبينهم تلك الالفة القريبة التى تقوم دائما بين الافواه الجائعة، واليد التى تمتد اليها بالغذاء تملأ به معدتها .. ولم يكن هؤلاء الاصدقاء سوى تلك المجموعة الكبيرة من الحمام ، ذلك الطائر الهادىء المسالم ، الذى لم يكن يكاد يرى صاحبته وهى تتقدم الى مقعدها الخشبى تحت الشجرة المورقة ، حتى يلتف حولها وقد استقرت عيون الحمامات البيضاء والسوداء على الكيس الصغير الذى حملته تحت ابطها وقطعت به هذه المسافة الطويلة بعد ان ملأته بالخبز الجاف المبلل ، والحبوب وقطع السكر ..

الحَب .. والحُب

وكانت تجد سعادة ما بعدها سعادة ، وهى تنثر له الحَب والحُب .. وتتامل اصدقاءها الصغار وهم يلتقطونه ، ثم يعودون اليها ويتطلعون الى يديها من جديد ، وكانهم يتساءلون : « هل من مزيد ؟! »

حتى اذا ما فرغ الكيس ، قامت من مقعدها ، وبدات تشق طريقها عائدة مرة اخرى الى بيتها والى وحدتها !

كان اهل الحى كلهم يعرفونها .. وكلهم يحبونها ويحترمونها .. ولكن حياتها الهادئة الرتيبة كانت تثير عطف كل من يلقاها فى طريق ذهابها للقاء اصدقائها فى الصباح ، وفى طريق عودتها الى بيتها بعد ان ينتهى اللقاء .. هل يمكن ان تمضى هذه الام المسكينة فى حياتها داخل هذه الدائرة الضيقة ؟ لماذا لا تحاول ان تملأ حياتها .. لماذا لا تتغير ؟ لماذا لا تبدأ من جديد ؟ حقيقة لقد تقدم بها العمر ، وبدات تقترب فى شيخوختها من عامها السبعين .. ولكنها ما زالت تمتلىء نشاطا .. وما زال قلبها الكبير يخفق بحب الناس والطبيعة واصدقائها الصغار الذين تطعمهم بيدها فى كل صباح كل يوم !

لماذا نكره التغيير ؟

قصة يرويها الكاتب الكبير « جايلورد هوسر » Gayelord Hauser وهو يحدثنا عن اسرار الحياة .. ان كل واحد منا يمكن ان يصبح مثل هذه الام .. كل واحد منا يميل فى مرحلة او فى اخرى من حياته لن يقتفى الآثار القدامة فى نفس الطريق الذى سار فيه بالامس .. كل واحد منا يريد ان يتمسك بالاشياء التى احبها وتعود عليها .. كل واحد منا يكره التغيير ويكره الافتراق عن البيت الذى عاش فيه والفه ، وعن الناس الذين ارتبط بهم وارتبطوا به ، حتى لو كانوا طيورا لا تتجمع الا على فتات الخبز وحبات القمح !

اننا نكره التغيير بنفس القوة التى نحاول بها ان نبعد آثار السنين عن وجوهنا واجسامنا عندما يتقدم بنا العمر ..

التغيير حياة

ولكن التغيير امر لا مفر منه ، لانه الحياة ذاتها .. تماما كما تتغير فصول السنة ، وكما يتغير اتجاه الريح ، وكما تتغير امواج البحر بين مد وجزر ! ونحن عندما نحاول ان نبعد رياح التغيير عن ابوابنا ، انما نريد ان نطرد الحياة نفسها من هذا البيت ! فكل شىء حى يتغير ، وهو فى تغير مستمر ، تماما كما تموت الخلايا وتولد خلايا جديدة بدلا منها داخل اجسامنا .

ان شخصية المرء ، رجلا كان ام امراة تتغير ، كلما تقدمت به العمر ، وكلما صقلته تجارب الزمن ، وكما تتغير شخصياتنا ، تتغير حياتنا تبعا لذلك .. انه التغيير الذى يصحب النمو .. والتغيير الذى يتبع فترة ما بعد النمو عندما تبدا اجسامنا فى الاستقرار ثم الضمور !

اننا لا نستطيع ان نوفر على انفسنا تلك المشاعر التى تحتوينا بالاسف ، لو اننا نظرنا الى ما يطرأ علينا من تغيير ، على انه فرصة اتاحتها السنون لنا لكى ننمو ونكبر وننضج ! فالمرء الذى يفشل فى تغيير نفسه ، هو الذى يتخلف عن ركب الحياة !

محطة القطار !

يقول ايمرسون : « ما اشبه الحياة بمحطة القطار السريع .. انه لا يكاد يتوقف حتى يسرع النازلون الى النزول ، ويصعد المسافرون لينطلق بهم الى محطة اخرى .. ولكن بين هؤلاء وهؤلاء يقف البعض على الرصيف .. انهم ليسوا مسافرين ، وليسوا من القادمين .. انهم يقفون هناك يتطلعون الى الوجوه بعيون بليدة ، وقد استندوا باجسامهم على الاعمدة الحديدية ، وعلى الجدران ، واستبد

التعب ببعضهم بسبب طول وقفتهم . فجلسوا يستريحون بعد ان هدتهم الراحة ! هؤلاء هم الذين يدورون حول انفسهم .. يعيشون حياة مليئة بالفراغ .. لا شيء يزعجهم .. ولا شيء يفرحهم . والوقت يمر بهم . وهم وقوف حيث هم ! انهم قريبون منا . وكم من مرة رأيناهم . وكم من مرة اصطدمت اكتافنا بهم . خلال رحلاتنا وسفراتنا في قطار الحياة ! »

« وتنتقل بعينيك الى الرصيف المقابل ، فترى رجلا يمشي وكأنه يجري ، فهو في سباق مع الزمن. لقد نزل لتوه من القطار ليستقل قطارا آخر .. انه يمضي حياته مسافرا متنقلا لا يعرف له مستقرا. لقد اخذ منه عمله كل وقته ، وانساه النجاح بيته وزوجته واطفاله . الى ان تعثرت قدمه فجأة وسقط . ومع سقطته عاد الى نفسه ، وانقذ حياته وبيته واسرته من الضياع ! »

قصة زوجين

ولنترجم فلسفة ايمرسون في هذه القصة التي يرويها جايلورد هوسر ، يقول : « عرفت زوجين مات الحب بينهما او كاد . فقد كان الزوج صاحب عمل ناجح وكان عمله يستحوذ على كل وقته وفكره ، وكان رصيده في البنوك وفيرا ، فلم يعد يجد الوقت الذي يستطيع ان يعطيه لزوجته وأم اطفاله .. واوشك الزواج ان يصطدم بالصخور ويموت .. ولكن شيئا ما حدث ! لقد افلس الزوج ، خسر معظم امواله في احدى صفقاته الكبيرة .. وفجأة اصبح الزوجان فقيرين كما كانا عندما تعارفا وتحابا وتواعدا على الزواج ! »

« وازاء هذا التغيير الذي طرأ على حياتهما ، وجد الزوج نفسه يفكر في المصير المحتم الذي ينتظر هذه الاسرة الصغيرة .. ماذا عساه ان يفعل الآن .. لا بد من البحث عن مخرج من هذه الازمة » .

« واشترى الزوجان بيتا صغيرا في الريف ، دفعا ثمنه بما تبقى لهما من مال اقتصدته الزوجة، وبدأ الاثنان يعملان في بناء مزرعة صغيرة للدجاج .. واحس بها مرة اخرى وهي تقف بجانبه وتعاونه ، وتعمل معه في مزرعته من شروق الشمس حتى غروبها ، فاستند اليها واعتمد عليها ، واذا بالعاطفة التي افتقداها ترفرف على البيت من جديد وتحتويه .. وكان حبا صادقا قويا ، لم يشعروا به يوما عندما كان الزوج يلعب بالالوف ! »

« تغير الى ما هو اسوأ ، ولكن ما اروع ما حمل معه من مشاعر ومعان افتقدها الزوجان مع الثروة والمال » .

★ ★ ★

ولكن هل ننتظر القدر دائما لكي يغير من انفسنا واحوالنا وحياتنا . ان بعض الناس لا يعبأون كثيرا او قليلا بما تحدثه الاقدار من تغيير في حياتهم .. فهم يحرصون على تغيير انفسهم وعلى تجديد حياتهم وتكييفها كلما سنحت الفرص لهذا التغيير !

حتى في الشيخوخة !

يروي نورمان مايلر في كتابه « الطريق الى حياة افضل » قصصا كثيرة لاناس لم يترددوا في تغيير اسلوب حياتهم حتى بعد ان بلغوا سن الشيخوخة وتجاوزوها ، فقد مضوا يبحثون عن كل جديد ويجربون كل شيء غريب عليهم ، وهم اكثر ما يكونون استمتاعا بهذا الطعم الجديد للحياة التي لم يألفوها ، وكأنهم ما زالوا بعد في سن الشباب ، او سن المغامرة ! اعرف سيدة اقتربت من عامها الثمانين ، جاءت الي يوما ،وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة تحمل كل معاني السعادة والامل .. وكانت تحمل في يدها حقيبة كبيرة ، وما كادت تجلس على المقعد المواجه لمكتبي ، حتى فتحت حقيبتها وقدمت لي كتابا بالايطالية وسألتها : « ما هذا ؟ » وقالت : « انني اتعلم اللغة الايطالية ، فقد قررت ان امضي الصيف هذا العام مع زوجي في ربوع ايطاليا ! انها اول رحلة لنا خلال زواجنا الذي دام اكثر من خمسين عاما ! »

قلت : « اتمنى لكما رحلة موفقة ، وارجو ان القاك عند عودتك ! »

وسألتها عن زوجها فقالت : « انه يعد كتابا عن رحلته ، وقد اوشك ان يفرغ منه ! »

ثم يتساءل الكاتب : « لماذا لا نكون كلنا هذه السيدة ؟ لماذا نترك هذا الشعور بالملل يسيطر

علينا في حياتنا التي نخشى عليها من التغيير ، ونضطرب ونرتجف ازاء اية محاولة من شأنها ان تخل بما اعتدنا عليه والفناه ؟ »

كتلة من العادات !

يقول عالم النفس الشهير وليام جيمس : « انها العادة .. ان الانسان عندما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره يصبح « كتلة من العادات » وفي هذه السن يبحث المرء منا على معنى آخر يترجم به احساسه بتلك العادات التي تمكنت منه فيقول : « لقد بدأت استقر في حياتي .. فقد رزقني الله بزوجة فاضلة بعد ان وفقت في شغل وظيفة ارتزق منها ! »

« والاستقرار شيء اساسي في حياة الانسان » فهو قد امضى حياته كلها يبحث عنه منذ ان كانت هناك حياة .. ولكن الخطأ الكبير الذي ترتكبه هو في تفسير معنى الاستقرار .. فالرجل يستقر عندما يصبح له بيت واسرة .. والمرأة تستقر عندما تطمئن الى حياتها ومستقبلها مع الرجل الذي تزوجته ، ولكن ليس معنى الاستقرار بأي لغة ان ترتبط الاسرة كلها باسلوب معين او مكان بذاته او نظام ثابت لا يقبل التغيير والتبديل .. ولعل التماسك والترابط والتعاون بين افراد الاسرة الواحدة هو السبيل الوحيد لمواجهة اى تغيير يطرأ على حياتها ..

ان الوسيلة الوحيدة لتكييف حياتنا الجديدة بعد التغييرات التي تطرأ عليها ، سواء كانت من صنعنا نحن ام كانت تغييرات مفروضة علينا ، ولا مفر منها .. هي ان نرحب بها ونبتسم لها ، ونحاول ونحن نستقبلها ، ان نحرر انفسنا من عبودية العادة التي تمكنت من نفوسنا !

بين التغيير والجمود

كتب المعلق الامريكي الكبير والتر ليبمان يوما يقول : « انني معجب بهذه المرأة التي لا تضيع لحظة من حياتها دون القيام بعمل بناء .. لقد كانت حياتها كلها مليئة بالخير .. انها امرأة تتمتع بطاقة كبرى قلما وجدت في غيرها من النساء ! » **ولم تكن هذه المرأة التي عناها ليبمان بحديثه سوى اليانور روزفلت ارملة الرئيس الامريكي الاسبق فرانكلين روزفلت ، التي كرست نفسها لخدمة الناس والمجتمع بعد رحيل زوجها !**

وعندما قرأت اليانور هذا الاطراء، قالت ببساطة:

« اخطأ صديقي ليبمان عندما تحدث من الطاقة الكبرى التي تدفعني الى العمل البناء .. فأنا امرأة عادية مثلي في ذلك مثل بقية النساء .. كل ما في الامر انني لا اضيع وقتي وطاقتي في التفكير في شيء مضى وانقضى ! »

يقول وليام جيمس الفيلسوف الامريكي : « التغيير حياة والجمود موت ! » **ثم يروي بعد ذلك قصة المرأة التي عملت مديرة لبيته فترة تزيد على الاربعين عاما الى ان فوجيء بها يوما تطلب اعفاءها من هذا العمل بعد ان ساءت صحتها ! وكانت قد جاوزت عامها السبعين !**

وانقضت بضع سنوات ، انقطعت خلالها اخبارها عن الاسرة التي عرفتها وعاشت بينها ، الى ان كانت احدى الامسيات ، عندما سمع الفيلسوف الكبير طرقا على الباب ، وذهب ليرى من الطارق ، فاذا به يجد نفسه امام سيدة انيقة تغطي راسها هالة من الشعر الابيض المهيب ..

قالت وهي تقدم له نفسها : « انا ليندا يا سيدي .. ليندا مديرة بيتكم .. هل تذكرني ؟ » **وعقدت الدهشة لسان الرجل فلم ينطق بكلمة واحدة واخيرا دعاها الى الدخول ، ودخلت وجلست تحكي له قصتها مع حياتها الجديدة .. قالت : « نعم انني ليندا بعينها .. وقد جئت لادعوكم لحضور حفلة العرض الاول لمسرحيتي الجديدة .. لقد اصبحت ممثلة ، عدت الى المدرسة وتعلمت فن التمثيل ونجحت .. وبدأت اعيش حياتي من جديد ! »**

وكان قد مضى على تركها للبيت الذي عاشت فيه عمرها اكثر من سبع سنوات !!

★ ★ ★

بعد ايام ستبدأ عاما جديدا من اعمارنا ؟ ترى ماذا سنصنع به وبأنفسنا .. هل نقف في اماكننا ونتطلع الى قطار الحياة وهو ينطلق امامنا، ام نلحق بالقطار ونبحث لانفسنا عن مكان بين المسافرين ؟!

■■

منير نصيف







اعرف وطنك ايها العربي

العين

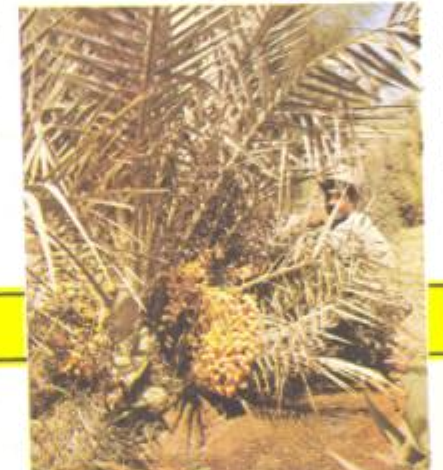
الواحة المدينة، التي ازاحت البريمي عن عرشها

استطلاع :
سليم زبال

تصـوير :
اوسكار مترى

لم يستطع الانفتاح على الحضارات الحديثة ان يغير من عادات أهل العين وتقاليدهم العربية الاصيلة .. في كل مساء يجتمعون في الديوانيات ومعهم جمالهم ، يشربون القهوة ، ويأكلون الفواكه ، ويتسامرون ، ويتحدثون عن اعتزازهم بنخيلهم وتمورهم .. اما المرأة فما زالت تتحجب وترتدي العباءة .. ولكن الخبراء والفنيين الاجانب ، مع زوجاتهم ، يقضون اوقاتهم في مسبح الفندق الحديث هناك ..

واحتلت مكانتها تحت الشمس !



■ الويل لك ان قطعت شجرة في ابو ظبي ..

انها الجريمة التي لا تغتفر في هذا البلدالنامي ..

الطرق المستقيمة تلتوي عندما تتقابل معشجرة .. والمستشفى الضخم الكبير يستبدل مكانه اكراما لغصن شجيرة .. وحاكم البلاد يقطع جزءامن جلبابه ليصلح به اعوجاج شجرة !

الى هذا الحد ، واكثر منه ، وصل شعور سكانابو ظبي تجاه الشجرة .. ان هذا التكريم يعكس شعور ٧٠ الف مواطن يعيشون فوق ارض شاسعةمساحتها ٨٠ الف كيلو متر مربع ، تغطيها رمال الصحراء، تماما فيما عدا واحتين هما : العين ،وليوا ..

شتان .. بين رحلتين

والى واحة العين طارت بعثة العربي ، ولم تكن هذه اول مرة تتجه فيها الى تلك الواحة ، فقد سبق ان زارتها (١) في بداية عام ١٩٦٢ ولكن شتان ما بين الرحلتين ..

في الرحلة الاولى كتبنا نتأسف على حال اهل العين بقولنا : « لقد نسيهم التاريخ حقبة طويلة ، حتى اصبحت ابسط مظاهر الحياة تعتبر من الاشياء النادرة الثمينة بالنسبة لهم .. انهم يحلمون بالبترول ليبدل شقاءهم سعادة ، وفقرهم غنى ، وعبوسهم بسمات .. »



من مدينة ابو ظبي تقوم شركة خاصة بتأجير طائرات الهليكوبتر لمن شاء التنقل بسرعة بين ارجاء الدولة .. انه الهليكوبتر التاكسي !

وفي رحلتنا الثانية هذه تبدلت الصورة تماما، فرايناهم وقد استجاب الله الى دعائهم ، فاغدق عليهم بسخاء، وبدون حساب ـ بعد طول حرمان ـ فقد فجر لهم ينابيع الذهب الاسود من تحت صحاريهم وبحارهم .. فقفز دخل الفرد الواحد منهم ، فيما بين الرحلتين،من ٦٥ جنيها استرلينيا سنويا (عام ١٩٦٢) الى ٦٤٢٢ جنيها استرلينيا (عام ١٩٧٣) وهو من اعلى الدخول الفردية في العالم ان لم يكن اعلاها !

كل شيء على عجل

وبدا كل شيء يتبدل في « العين » ، محطات قوافل الجمال ، تحولت الى محطات بنزين .. وصديقهم الودود ـ الجمل ـ ترك مكانه للشاحنات، وللرافعات الضخمة،وللسيارات الفارهة المكيفة.. وامواج الرمال ، التي كانت تفصل بين ابو ظبي العاصمة ، والعين الواحة ، انشقت ليمتد بينها طريق بري وسيع طوله ١٦٠ كيلو مترا ، تنطلق عليه السيارات يوميا بسرعة ٢٠٠ كيلو متر في الساعة ، غير عابئة باللافتات التي تحمل عبارة : « اخي السائق ، لا تسرع ، فالسرعة جنون ! ! »

البحث عن حجم جديد

في رحلتنا الاولى نمنا في الخلاء فوق اسرة مصنوعة من حبل النخيل ، وضعت ارجلها الخشبية في علب بها ماء ، خوفا من العقارب ، اما اليوم فقد نمنا في فندق هيلتون الفخم المكيف الهواء ، ذي الطعام الشهي ، الذي لم يعز الاقبال في احدى الحفلات الاخيرة ،فتسبب ذلك في نقل مدير الفندق حالا ! ! ؟

(١) انظر العربي فبراير ١٩٦٢ العدد ٣٩



الى اليسار : خريطة توضح الموقع الاستراتيجي لمدينة«العين» في المنطقة .. انها تبعد نحو ١٦٠ كيلو مترا عن ابو ظبي العاصمة .وهناك مشاريع عديدة لشق طريق توصل بين العين وميناء صحار . وبين العين وجنوب سلطنة عمان .

ان قيام مثل هذا الفندق الفخم في تلك البقعة القاحلة كان تحديا صارخا للتاخر والجهل : تنظر اليه فتتذكر قصة علاء الدين ، الذي لا بد وانه ضغط على مصباحه فخرج الجني ليشيد هذا الفندق في هذا المكان !!

انه جزء من التطور الذي عم كل اجزاء المنطقة ، فقد انطلقت حكومة امارة ابو ظبي (وهي اهم اعضاء دولة الامارات العربية المتحدة) انطلقت تبني وتعمر باقصى سرعة ، في محاولة لتبديل صور الماضي القديم ، وبحثا عن حجم جديد للامارة ..

متاعب في الطريق

ولم تكن المسيرة سهلة كانت الحكومة تنفق عشرات الملايين من الجنيهات على مشاريع الانماء والبناء في كل مكان.. وفجأة ارتسمت في عام ١٩٦٩ معالم الكآبة الاقتصادية على ابوظبي.فقد زادت مصاريف المشروعات على دخل البلاد ..

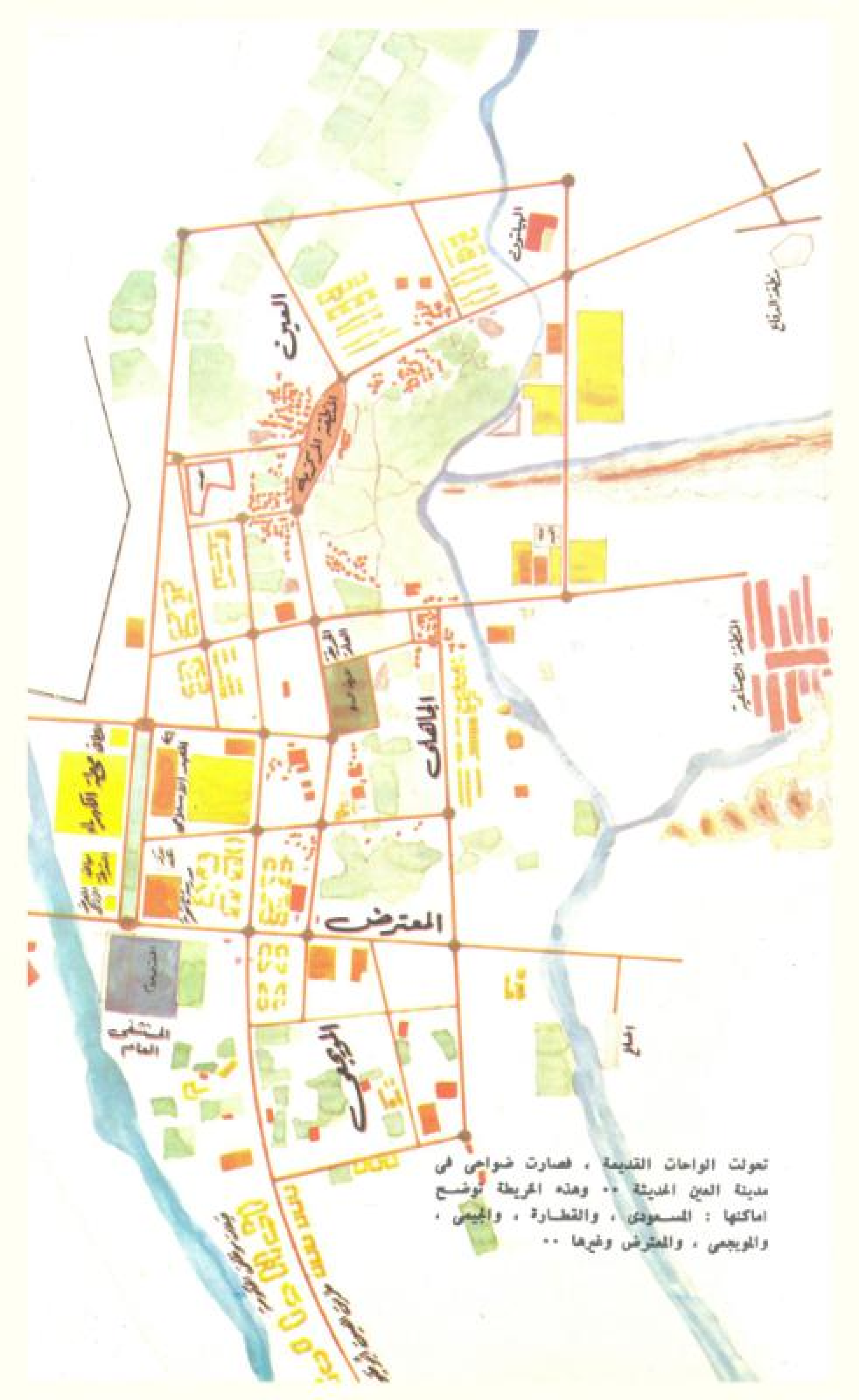
وفي الحال بدات عملية شد الاحزمة على البطون واعتبرت سنة ١٩٧٠ من السنوات العجاف على تجار ابوظبي ، اذ هبطت ارقام مستورداتهم الى ٧٤ مليون دولار فقط ، بعد ان كانت ١٢٤ر٥ مليون دولار في عام ١٩٦٩ .

ولم يستمر هذا التوعك الاقتصادي طويلا ، فقد ظلت عائدات النفط تتضاعف بعد المؤتمر الشهير للاوبك في طهران .. وعاد الازدهار الى البلاد ، وارتفعت قيمة واردات ابوظبي الى نحو ٢٥٥مليون دولار في عام ١٩٧٣ .

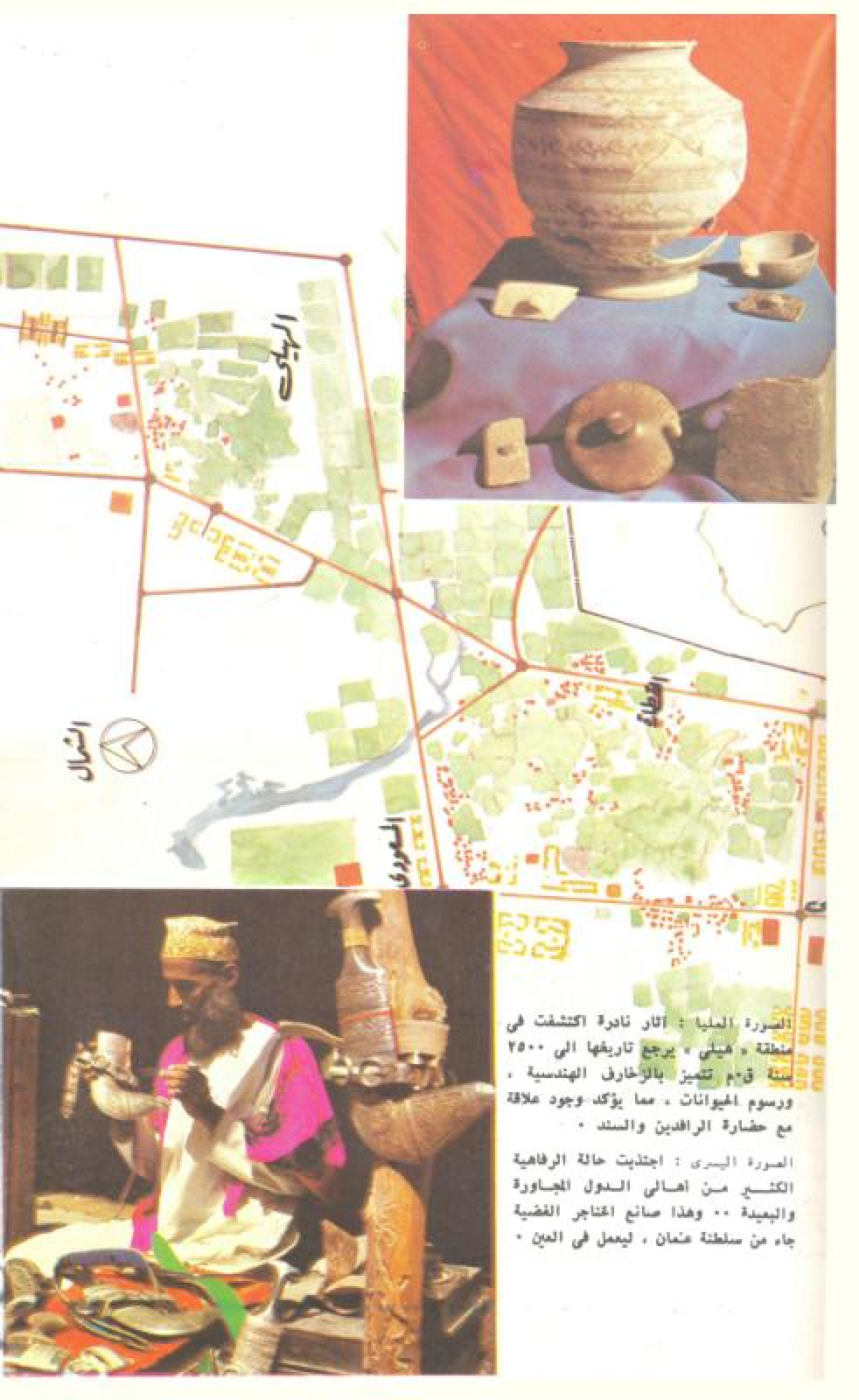
العين تزهو ..

وكان نصيب مدينة العين من هذا الازدهار هو نصيب الاسد ..انها بلاد الاصالة «الظبيانية» .. فاهل ابوظبي الاصليون اغلبهم من مواليد العين..

ان التبديل الذي طرا عليها شمل كل القطاعات، حتى اسمها الذي كانت تشتهر به حتى سنة ١٩٦٤ تبدل ايضا .. فعلى مجموعة الواحات التسع(٣ مع سلطنة عمان ، و٦ مع ابوظبي) كان يطلق اسم واحة البريمي،وهي اكبر الواحات في ذلك الوقت، ولكن انغلاق حكم سعيد بن تيمور في عمان ، اعطى الفرصة لتالق واحة العين ، فبدات تكبر وتتسع حتى احتلت مكان الصدارة بين الواحات .



تحولت الواحات القديمة ، فصارت ضواحي في مدينة العين الحديثة •• وهذه الخريطة توضح اماكنها : المسعودي ، والقطارة ، والجيمي ، والمويجعي ، والمعترض وغيرها ••



الصورة العليا : آثار نادرة اكتشفت في منطقة « هيلي » يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة ق.م تتميز بالزخارف الهندسية ، ورسوم الحيوانات ، مما يؤكد وجود علاقة مع حضارة الرافدين والسند .

الصورة اليسرى : اجتذبت حالة الرفاهية الكثير من اهالي الدول المجاورة والبعيدة .. وهذا صانع الخناجر الفضية جاء من سلطنة عمان ، ليعمل في العين .

٦ مزارع تصبح مدينة

وحتى نلم بابعاد هذا التطور جاءتنا طائرة الهليكوبتر حتى باب فندق الهيلتون ‥ ان الهليكوبتر هناك يمكنك ان تستاجرها مثل سيارة الاجرة تماما !

وانطلقنا فى الجو ، ومن خلف زجاج النافذة راينا الواحات ـ او بالاحرى المزارع الست القديمة ـ التى كانت تفصل بينها طموس من الرمال المتحركة، قد توحدت فى مدينة واحدة اصبحت تحتل مكانها على الخرائط العالمية باسم مدينة العين ‥

ونسى الناس اسم « البريمى » التقليدى ، الذى كان يثير حساسية زائدة بين المملكة العربية السعودية وابوظبى ‥ حتى توصل الفريقان اخيرا الى تسوية لهذا الخلاف الذى بدأ منذ عام ١٩٥٥.

ورغم عدم نشر تفاصيل الاتفاق ، الا أن خطوطه العريضة تنص على الاعتراف بتبعية مدينة العين لابوظبى ‥ وبتقسيم حقل النفط الكبير المعروف باسم « زرارة » فى ابوظبى « وشيبة » فى السعودية بين البلدين ، والنقطة الثالثة هى اعطاء ممر للسعودية الى الخليج بين « خور العديد » « وسبخة البطى » ‥

ان تسوية مشكلة « البريمى » بين البلدين ، تفتح افاقا جديدة للازدهار والاستقرار فى المنطقة ‥

ديكور يخفى مشكلة !

وطرنا فوق «قلب المدينة» انها المنطقة التجارية التى تتمركز حول طريق فسيح ‥

العمارات متراصة على جانبيه فى خط وحيد رفيع طويل ‥ انها اشبه بالديكور تخفى خلفها مشاكل ثلاثة ارباع مليون نخلة ،متناثرة فى اغلب احياء العين ، تخنق المدينة وتعوق توسعها الطبيعى ‥ وعندما جاءوا بمخطط عالمى لدراسة العين قال لهم :

ـ اقطعوا النخيل واخلعوه من ارضكم ‥ فهو يستهلك كمية هائلة من الماء‥ومردوده الاقتصادى هزيل ‥ فضلا عن اجتذابه للذباب والعقارب ‥ وعرقلته لتوسيع المدينة فى الاتجاه الصحيح ‥

وشعر المسئولون بحقد على هذا المخطط العالمى‥ لان النخلة مازالت تمثل جزءا هاما من حياة ابن العين،ذاك البدوى الاصيل ‥ والنخيل هنا يختلف عن نخيل البصرة والقطيف، فهو ليس للتصدير بل للاستهلاك الشخصى المحلى،يتركونه على النخلة حتى يصبح تمرا قبل ان يقطفوه ويخزنوه سنتين دون ان يفسد !

وردا على اقتراح قطع النخيل ، وضع المسئولون برنامجا معاكسا يقضى بزراعة مائة الف نخلة جديدة خلال العامين القادمين !!

محاولة لجذب السائح

وابتعدت بنا الهليكوبتر عن مركز المدينة،وجاءتنا مذكرة من الكابتن سامح حجات يقول فيها : الآن الى « عين القايضة » وجبل « حفيت » ‥

وشهدنا « عين القايضة » واستراحتها من الجو، انها واحدة من نحو عشرين بركة سباحة متناثرة فى المدينة ‥ فى كل مكان بركة سباحة اغلبها بدون سابحين ‥ انه الاشتياق الى البحر فى هذه الواحة المدينة ، التى تبعد ١٦٠ كيلو مترا عن البحر ‥



شبكة رائعة من الطرق الحديثة الفسيحة ، العين ‥ وهى شبكة تفوق حاجة المدينة ، فوق طريق فسيح على جانبيه عشرات وسطه زهور ورياحين ، ومع ذلك لا أثر لمبد للمدينة ، عرضه ٧٠ مترا ، لم يطلقو

انهم يحاولون جذب السائح الى مدينة العين، وبدلا من الشواطىء والبحر يفتحون له استراحات مؤثثة بفاخر الاثاث ومكيفة الهواء . تحيط بها امواج من رمال الصحراء . يقيم فيها السائح وابن البلد باسعار تكاد تكون رمزية.ووصل الامر بهم حدا جعلهم يفكرون فى انشاء حديقة للبط .. نعم . بط فى وسط الصحراء .. ومن انجلترا والسودان جلبوا ١٥٠ بطة صنعوا لها بحيرة خاصة استقرت فيها . وسرعان ما انضمت اليها ١٤ بطة مهاجرة كانت تطير فوق العين .. واصبح هذا البط يتوالد ويتكاثر باستمرار ..

جبل القبور سيتحول الى متنزه

وبدات الهليكوبتر عملية صعود صعبة الى قبة جبل حفيت .. لقد جاءت بعثة جيولوجية وقدرت عمر احجار هذا الجبل بنحو اربعة ملايين سنة !! انه جبل القبور الاثرية . فقد اكتشفوا فيه ٣٥ قبرا يرجع تاريخها الى ٣٢٠٠ سنة ق.م وحددوا اماكن عشرات القبور الاخرى ..

انه جبل الخنته عوامل الزمان بالجراح،فتجعدت احجاره وامتلا بالاخاديد والمغاور .. لا اثر فيه لحياة او ماء .. لهذا استغربنا عندما قالوا هنا ان هناك مشروعا لتحويله الى متنزه عالمي وربطه بترام كهربائى هوائى (تلفريك) مع عين الفايضة..

وردا على استغرابنا قال لنا السيد محمد بن سالم الظاهر مدير اعمال الشيخ زايد والشيخ خليفة بقوله : « بالمال نستطيع تحقيق المستحيل .. هذا الجبل سوف نقطع قمته ونشذب اطرافه . مثلما تقطع السكين الزبد ـ !! ـ بالديناميت والحديد سوف نحسنه .. وبالاشجار والمتنزهات سوف نزينه .. لنجعل منه جبلا اخضر ينافس جبل لبنان فى جماله ـ !!؟ ـ

كل شيء بالمجان !

لقد تغيرت نظرة ابن العين الى الحياة . بعد ان اصبح اطفاله يولدون وفى فمهم ملاعق من ذهب .. ان الحكومة تغدق عليه بلا حساب . حتى قالوا لنا : ان المواطن يأخذ كل شيء بالمجان فيما عدا اللحم والخبز . فهو يشتريهما بنصف ثمنها . والنصف الثانى تدفعه الحكومة فى محاولتها تخفيض اسعار عدد من السلع التموينية ..

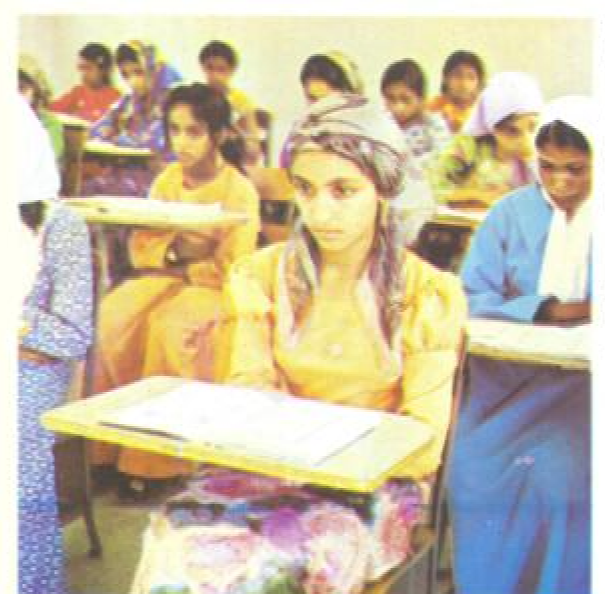
حتى الصحف المحلية اليومية توزع بالمجان على موظفى الحكومة ونزلاء الفنادق .

ولكن رغم هذه المساعدات الكبيرة . وعدم وجود ضرائب الا ان موجة الغلاء تجعل نفقات المعيشة مرتفعة فى العين .. واذا استثنينا السجاير والبنزين . فلن تجد شيئا رخيصا فى هذه المدينة، حتى المكالمة التليفونية بين العين وابو ظبي العاصمة تكلفك ١٥ درهما !!

الاحصاء اليتيم

ويقدرون عدد سكان العين بنحو ٢٥ الف نسمة . نصفهم تقريبا يحمل جنسية دولة الامارات المتحدة لقد اجرى احصاء للسكان فى عام ١٩٧٠ ولكن ارقامه لم تكن متمشية ـ آنذاك ـ مع الآمال الكبار للمسئولين فالغيت النتائج وحفظت بسرية فى ادراج مقفلة حتى اليوم !!

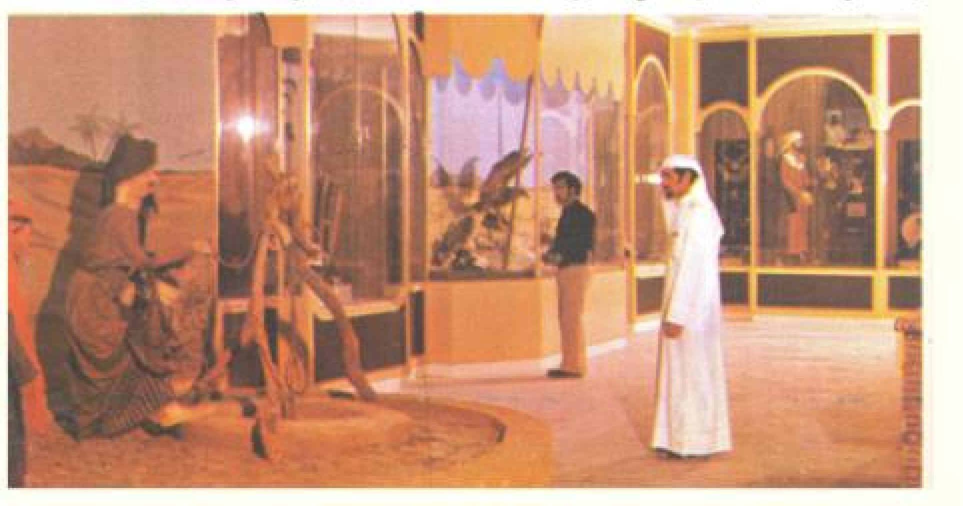
٣٠ كيلومتر . تربط بين الاحياء الداخلية لمدينة . انها طرق للمستقبل ايضا . فقد طرنا مثلا كهربائية . طوله نحو عشرة كيلومترات . وفى ...يه !! والصورة العليا تبين الطريق الرئيسى ...سا . ولكنه اشتهر باسم شارع « المضيف » .



ثلاثة الاف طالبة يتعلمن في عشر مدارس بالعين .. وفي اثناء العطلة الصيفية تفتح لهن ٣ مراكز لتحفيظ القران الكريم ، فيقبلن عليها باعداد كبيرة .. وفي نهاية الصيف تجرى لهن مسابقة ، وتوزع عليهن الجوائز والهدايا .. ومما يذكر ان العمل يجرى حاليا في بناء معهد علمي اسلامي كبير ، سوف يتكلف حوالي ٥٠ مليون درهم(الدولار = ٤ دراهم)

مسجد « خليفة » ذو الهندسة المعمارية الحديثة، واحد من عدة مساجد جميلة في العين .

الى اسفل :« متحف العين » .. يتألف من جناحين احدهما للعصر ماقبل التاريخ، والثاني للعصر الحديث .



تعليم مجاني ومرتب شهري !

واهم المساعدات التي تقدم للمواطنين هي : التعليم .. فكل طفل يتلقى تعليمه مجانا ، من رياض الاطفال حتى انتهاء بعثته الجامعية في الخارج !! ويتلقى خلال تعلمه اعانة مالية شهرية تتراوح بين ٥٠و١٥٠ درهما شهريا (كل ٤ دراهم = دولارا امريكيا) وقد زيدت اخيرا قيمة هذه المكافأة بمقدار ٢٥٪ تشجيعا لطلبة المدارس والمعاهد المهنية والدينية والمعلمين والمعلمات.

وفي كل مدرسة يتناول الطلبة وجبة افطار ، وتصرف لهم الملابس المدرسية ، وتاخذ كل طالبة فستانين او تنورتين وقميصين وحذاء ، والمواصلات مؤمنة من المنزل الى المدرسة وبالعكس ..

منذ ١٢ سنة كان عدد التلاميذ ٦٠ تلميذا يتعلمون في مدرسة ابتدائية واحدة .. ولم تكن هناك مدرسة للبنات ، اما اليوم فقد قفز العدد الى٧٥٦٠ طالبا ، يتعلمون في ٢٨ مدرسة منها ١٠ للبنات .

قصة البناء

وتشجيعا للمواطنين على ان يصبحوا ملاكا ، وزع عليهم ٣ الاف مسكن شعبي ، الى جانب الاراضي في المناطق السكنية والتجارية والصناعية والزراعية ، والتي توزع عليهم بالمجان ايضا .. فاذا كانت الارض في منطقة سكنية ، فان صاحب الارض يؤجرها في الغالب الى رجل اعمال عربي او اجنبي ، يقوم ببناء عمارة سكنية ضخمة على الارض يستغلها لفترة خمس او ست سنوات ، وبعدها تؤول المباني باكملها لصاحب الارض الاصلي .. وهذا هو السر في الارتفاع الفاحش في قيمة الايجارات !

واذا كانت الارض في منطقة زراعية ، فان وزارة الزراعة ترسل اليها جراراتها لتمهيدها وقلبها .. مع حفر بئر ماء وتركيب الماكينة عليها، وتعين مزارعا مجانا لمدة سنتين لمساعدة صاحب الارض وتدريبه فنيا ، وتقديم البذور والشتلات مجانا ، ورش مزروعاتهم بالمبيدات .. وحتى لا يستغلهم التاجر ، يشتري قسم التسويق بوزارة الزراعة كل محصولهم ويتولى عنهم بيعه كاملا .. بمعنى انه اذا اشترى مركز التسويق مائة كيلو طماطم من صاحب الارض ، ولم يبع منها الا ٨٠ كيلو جراما وفسد الباقي فان المركز يدفع القيمة باكملها متحملا الخسارة نيابة عن المزارع !! وفي عام ١٩٧٤ قدمت الدولة قروضا بمبلغ ٣ ملايين درهم للمزارعين ، نصفها يتقاضاها المزارع كهدية، والنصف الباقي يدفعه على مراحل متباعدة تمتد لفترة ٣ سنوات !!

من يزرع الارض ؟

نتيجة لكل هذه الخدمات ، ظهرت في مدينة العين طبقة من اصحاب المزارع يربحون اكثر من الف جنيه استرليني شهريا من زرعهم للخضراوات ! ولكنهم لا يعملون في ارضهم ابدا .. لقد تجولنا خلال عشرات المزارع في العين فلم نجد مزارعا واحدا من ابناء البلد .. الفلاح هنا اما من ابناء سلطنة عمان ، او من البلوش ، اي ابناء بلوخستان العمالقة !

وشاهدنا بلوشيا منهم يقلب الارض في لحظات .. انه مارد طويل سألناه عن اسمه وبلده وهل هو راض عن مرتبه فقال بلهجته الخاصة :

ـ اسمي جول سمير ازات .. وانا من زلابانو .. من سنتين ونصف هنا .. مرتبي في الشهر ١٠ جاسر ٤٠٠ (قال عشرة ناقص ٤٠٠ بدلا من ٤٠٠ ناقص ١٠ اي ٣٩٠ درهما مرتبه) لازم ٦٠٠ درهم يصير زين تماما انا مسكين .. بلد مالي انا واجد بعيد .. واجد شغل هناك .. لكن فلوس شوي ناقص هناك » .

الباتان والبلوش

اما اليد العاملة في البناء فاغلبها من «الباتان» وهؤلاء عمال ياتون من الافغانستان والباكستان يحملون لقب « خان » اي السيد مثل مراد خان وسعيد خان .. بعضهم يكرهون بعضا ، وتتكتل كل طائفة منهما تحت اشراف ما يسمى بالتنديل ، اي رئيس عمال .. ولو اخطأ عامل منهم في عمله ، فمن الصعب على المقاول فصله ، لان بقية زملاء العامل سيتضامنون معه ويتركون العمل كمجموعة ، قد يصل عددها الى ٣٠ عاملا !!

والحد الادنى لمرتب العامل العادى وصل الى ٢٠ درهما فى اليوم وكان ١١ درهما منذ سنة مضت فقط !

العامل العربى

اما العامل العربى فقليل الوجود رغم الاجور العالية التى اصبحت تدفع فالبناء يتقاضى ٣٥ درهما يوميا . والنجار ٦٠ درهما ‥ وسالنا احد المقاولين العرب : « لماذا لا تجلب عمالا عربا ؟ »

فقال : « يستحيل على العامل العربى أن يعيش فى نفس الظروف التى يعيش فيها الباتان والبلوش ‥ انهم ينامون فى العراء فى مكان العمل ‥ واذا اردت الصراحة فان الشغل مع العامل العربى متعب للغاية ‥ فهو يخلق لك المشاكل من حيث لا تدرى ‥ واذا أخطأ فى عمله . وفصلته فانه يذهب ويشتكى للشرطة والشئون . بعكس الباتان : افصله فلا يشتكى . وانما يبحث عن عمل آخر بكل هدوء ‥



التصاق المواطنين بالشيخ عملية تعودوا عليها منذ القدم ـ واليوم ـ وبالرغم من انشاء الوزارات والدوائر الحكومية ـ ما زال الاهالى يجيئون الى الشيخ « طحنون بن محمد » ممثل « الشيخ زايد » فى المنطقة يتقدمون اليه بمطالبهم ورغباتهم ‥

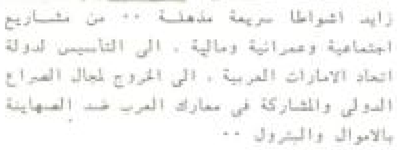
« ان كلامى هذا منصب على العامل العادى ‥ اما العامل العربى الفنى فيعمل وينتج معنا فى مختلف المشاريع القائمة حاليا فى العين ‥ ومعظمهم من المصريين والسوريين واللبنانيين ‥ »

التجارة حرة

والقصة نفسها تتكرر فى مجال التجارة فمعظم متاجر العين يحمل اسماء غريبة : دعبيل ستوديو . غسالة الباكستان . افغان جنرال ستور . مخزن خوست . اقبال ستور ‥

وفى حديث طويل مع الشيخ سهيل بن مانع الذى من النادر ان يتحدث للصحفيين تطرق الحديث الى موضوع التجار الاجانب فى البلد فقال :

« منذ ثمانى سنوات فقط . وابو ظبى تقطع تحت رعاية الشيخ زايد اشواطا سريعة مذهلة ‥ من مشاريع اجتماعية وعمرانية ومالية . الى التأسيس لدولة اتحاد الامارات العربية . الى الخروج لمجال الصراع الدولى والمشاركة فى معارك العرب ضد الصهاينة بالاموال والبترول ‥



« وخلال فترة الثمانى السنوات هذه . المليئة بجليل الاعمال . جاء الباكستانيون والافغان وبعض الاجانب الى العين : وفتحوا متاجر لهم فيها ‥ ولم يكن هناك مانع من هذا الاتجاه . اذ ليس فيه ضرر بل منفعة للبلاد ‥ فالتجارة حرة عندنا ‥ ونحن نرحب باى انسان . وخاصة العرب . فى ان يأتوا الينا ويفتحوا تجارة عندنا ‥ وقد اصبح عندنا حاليا عدد من التجار العرب العاملين ‥ »

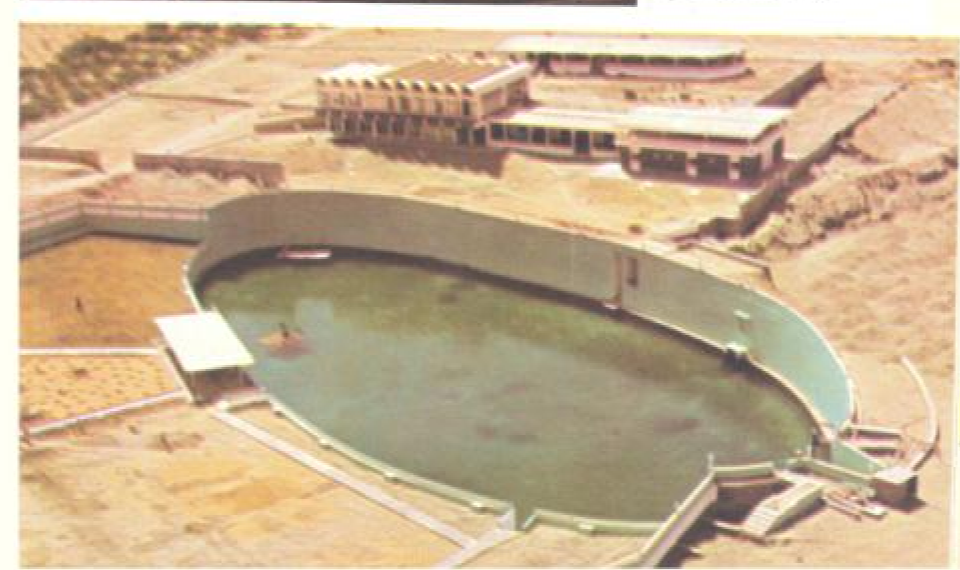
جرائم دون جزاء

ان معظم القادمين للعمل فى العين ، يأتون اليها بمفردهم ، تاركين عائلتهم فى بلادهم ‥ حتى قدر بعضهم نسبة الرجال الى النساء بنسبة ٥ الى ٢ فى مدينة العين !!

والجرائم التى تقع فى هذا المجتمع الغريب جعلت عدد القضاة غير كاف ، حتى انهم قرروا

الى اسفل « عين الغايضة » مع استراحتها المكيفة ذات الطعام الشهي.. كانت مستنقعا آسنا يسمى « عين ام السخنة » اما اليوم فهو ملتقى الاهالي ، لاسيما الشباب .

الى اليسار : حتى الدب استوردوه من اوروبا وامريكا !! ولكنه هنا يشكو الحر وقلة الماء .. فالآبار الثلاث التي كانت مخصصة لحديقة الحيوان جف منها بئران وبقيت بئر يتيمة لا تكفي حاجة مئات الحيوانات !



الى اليمين « النعاشات » الصغيرات يتمايلن بعنف ، فتهتز رؤوسهن وتتطاير شعورهن ، بحركة رتيبة متمشية مع دقات الطبول والدف ·· وغناء الرجال حاملي السيوف « الرعاشة » في ايديهم ·· انها رقصة العيالة او العارضة ، كانوا يرقصونها في المعارك والحروب ، واليوم اصبحت ترقص في الاستقبالات والاعياد ، مقابل مبلغ كبير من المال ، يقدم لكل فرقة من الفرق الخمس في العين، ويضم كل منها ٨٠ رجلا وفتاة ·



توسيع اختصاصات المحاكم الشرعية بحيث تنظر في القضايا المدنية ..

ويقول المسئولون في وزارة العدل : « تجرى حاليا دراسات من اجل اصدار مجموعة قوانين من مقدمتها قانون الجزاء ويشتمل على ٦٧١ مادة .. والقانون المدني ـ الذي سيستمد كليا من الشريعة الاسلامية ـ وقانون المرافعات ، ولوائح القانون التجاري ، وقانون مكافحة المخدرات ، وقانون محاكمة الاحداث ».

ونتيجة لغياب القوانين نجد القاضي يعتمد في احكامه على اجتهاده،وعلى احكام المذهب المالكي.. الا ان هناك احكاما ثابتة لا لبس فيها ، وهي أن الذي يدهس شخصا بالسيارة يدفع ١٨ الف درهم لاهل القتيل ، واذا كان المقتول معزة او خروفا دفع ٥٠٠ درهم .. واذا كسر شجرة بسيارة دفع ٥٠٠ درهم للدولة .. واذا دهس جملا دفع ٥٠٠٠ درهم .. لقد كانت غرامة قتل الجمل ٢٥٠٠ درهم فقط ، ولكنها ضوعفت اخيرا ..

١٢ جملا تذبح يوميا

لقد كان الجمل هو الصديق الودود لابن العين ، وكانت قوافل الجمال تاتي الى العين من خمس طرق قوافل حاملة الحطب من الصحراء .. اما اليوم فقد تغيرت وظيفة الجمل ، انه ما يزال في كل منزل .. يشربون حليب ناقته ، ويستعملون بولها لمعالجة مرضى السكر ، كما يفعل معظم اهل البادية .. ويستعمل الجمل كذلك في السباق .. وما اكثر سباقات الجمال في العين .. لا سيما في ايام الاعراس ، اذ يتبرع العريس بمبلغ الف درهم او الفين للجمل الذي يفوز في السباق ويبدأ هذا السباق عادة من بقعة تبعد نحو عشرة كيلو مترات عن بيت العريس .. ومع شروق الشمس تتجمع الجمال ـ ويسمونها البوش ـ وتنطلق سريعة ، وعلى ظهورها فتيان صغار مدربون .. وينتهي السباق عند باب بيت العريس ، باستقبال حافل يصبون خلاله الطيوب والزعفران على رأس الجمل الفائز ، ويعطون الصبي الجائزة المالية ..

لقد تدهور مركز الجمل في العين .. فقوافل الجمال لم تعد تاتي بالحطب .. لان الغاز اخذ مكان الحطب .. حتى محطة الاستراحة المخصصة للجمال حولوها الى سوق للسمك !! وفي المسلخ المركزي اصبحوا يذبحون يوميا ١٢ جملا ، ياكلون لحومها ، ويقدمون الباقي لحديقة الحيوان !!

ابقار ودجاج

واتجه الرياء البلاد الى ابقار الفريزيان يجلبونها بالطائرات الخاصة من هولندا وانجلترا ، ويضعونها في اماكن حارة ، فكأنها تعيش فيجحيم، تاركين امر رعايتها الى العمال البلوش الذين لا يفقهون شيئا في تربية الابقار،فتصاب بالاسهال ونقص النمو .. كما شهدنا ذلك ..

ان اهل العين يحتاجون الى حليب البقر ليشربه الطلبة في المدارس ، والمرضى في المستشفيات ..



٢٥٠٠ بئر ماء حفروها خلال ست سنوات ، انهم ينقبون عن الماء حاليا ، اما النفط فلا احد يكترث له ، فالكل يعرف ان احتياطي النفط في ابو ظبي يبلغ اكثر من ٢١ الف مليون برميل ، من النوع الممتاز العالي القليل الكبريت .. اما الماء فالابحاث تجرى يوميا بحثا عن مكامن جديدة له .

ولهذا تجرى حاليا فى قسم الثروة الحيوانية بالعين دراسة جادة لانشاء مزرعة كبيرة للابقار ، واخرى للدجاج ·· لان مزرعة الدواجن الحالية ، وهى تضم ٣٦ الف دجاجة ، لا تسد شيئا من استهلاك البلاد الزائد ··

هل ينقص المـاء

ان ازديـاد السـكـان والمنشـــات والمـدارس والمستشفيات والمزارع ، التى وصل عددها الى الف مزرعة فى مدينة العين خلق وضعا حرجا بالنسبة للماء ، فقد استهلك السكان الجدد ٥٠٪ من مخزون ماء العين !

وجاء اسكندر جب المخطط العالمى،واجرى دراسة عن الماء فى دائرة قطرها ٣٥ كيلو مترا ، فوجد نقصا كبيرا فيه ، ولكن ابن العين لا يريد ان يقتنع بان الماء قد خف فى مدينته ، فهو يحفر الآبار فى كل مكان يحلو له ، بعضها يجاور بعضا ، ويسحب ويبيع من مائها ما يريد دون حسيب او رقيب ·· ويعللون ذلك بقولهم : الماء موجود بكثرة عندنا ، اما تقرير جب فهو منحصر فى منطقة قطرها ٣٥ كيلو مترا فقط ونحن عندنا آلاف الكيلو مترات المربعة من الارض · ·

وفعلا جاءوا بحفارتين لولبيتين كبيرتين وحفروا ٢٥ بئرا على مسافة ٣٥ كيلو مترا من مركز العين ، فوجدوا الماء متوفرا ··

قصـة المـاء

وروى لنا رئيس قسم المياه فى العين المهندس محمد غسان جابر قصة الماء فى العين فقال :

• تهطل الامطار بغزارة على جبال عمان ·· ومن خلال ثلاث فجوات فى هذه الجبال تسيل المياه فى اعماق الارض الى مدينة العين ·· وبهذه المناسبة نذكر ان العين ما سميت بالعين الا لانها احتوت على عدة آبار · ·

• وخلال السنوات الست الماضية حفر الاهالى فوق مجرى المياه نحو ٢٥٠٠ بئر ، وضعوا عليها المضخات لسحب الماء من اعماق الارض ··

• والى جانب حفر الاهالى للآبار تقوم الوزارة بضخ مليون جالون ماء يوميا خلال الانابيب الطويلة الى مدينة ابو ظبى ··



قلاع وحصون عربية قديمة ، تجدها مبعثرة وسط المبانى الحديثة فى العين ·· انها تعكس اهمية الموقع الستراتيجى للعين على مر العصور ··

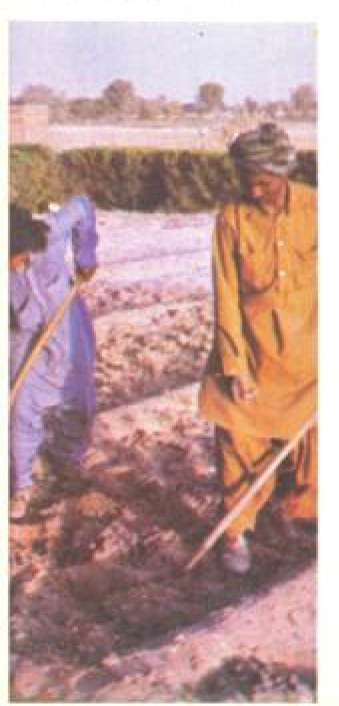
• اما سـكان العين ، فان سيارات نقل الماء تأخذ الماء من اى مزرعة وتضعه فى خزانات المياه على سطوح المنازل بسعر ٥٠ درهما للالف جالون ·· وهناك مشروع شامل لتوزيع المياه من العيون الى المنازل مباشرة ، بدأ يستفيد منه حاليا ٣٠٪ من منازل العين · ·

الميـاه تكتب التاريخ

وحول ميـاه العـين تدور الكثير من القصص التاريخية المختلطة بالاساطير ·· فالآبار والقنوات



الى اسفل عاملان من«البلوش» يتدربان في احد مراكز الارشاد الزراعي الحكومي ٠



حديث هذا العصر هو : الصناعة ، كم ازدهرت وكم انتجت ؟ ٠٠ ولكن حديث اهل العين هو : الزراعة ٠٠ كم انتشرت ، وكم من اشجار ؟ لقد اعلن اهل العين الحرب على الرمال المتحركة المحيطة بهم ٠٠ شقوا في وسطها طريقا طوله ١٦٠ كيلو مترا حتى العاصمة ، وغرسوا حول الطريق ١٤٠٠ هكتار من الاشجار، يسقونها بطريقة « التنقيط » الحديثة توفيرا للماء ٠٠ ان الرمال المتحركة لا تعرف حدودا آمنة ، لذا وجبت مهاجمتها دائما !!

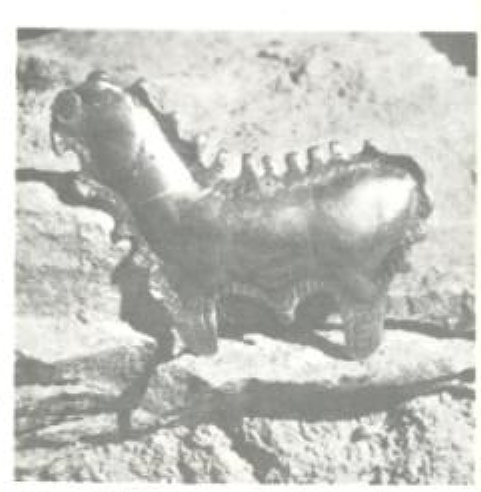
الله اكبر لهذا الزراعة الناجحة وسط رمال الصحراء ·· لقد قدمت شركة النفط الفرنسية محطة تجارب زراعية في العين ، هدية لابو ظبي ، فاستطاع خبراؤها انتاج افضل المحاصيل يغمرون بها الاسواق ، الى جانب الخضراوات المستوردة·(الصورة السفلى)·

المائية المحفورة في اعماق الارض يعزي بعض المؤرخين حفرها الى الجن في عهد سليمان الحكيم !!

وعندما جاء الازد في القرن الثاني الميلادي وقعت معركة حامية حول ابار الماء استعمل فيها الفرس الفيلة ، واستعمل الازد الخيل .. وانتصر الازد ، ولكن الايرانيين دمروا الجزء الاكبر من نحو عشرة الاف بئر كانت في المنطقة ..

ومنذ سنتين توصلت بعثة الآثار الدانمركية الى اكتشاف حضارة هامة كانت مزدهرة حول آبار الماء في منطقة العين منذ ٤٥٠٠ سنة مضت .. اي في نفس الوقت الذي شيدت فيه الاهرامات في مصر .. والمدن العظيمة في وادي السند ..

لقد اثبتت الحفريات القليلة التي اجريت ان منطقة واحة العين كانت محطة كبيرة في الطريق الذي كان يوصل بين الحضارة السومرية وحضارات وادي السند ، عبر دلمون (البحرين) ، ومنها الى ميناء ام النار (قرب العاصمة ابو ظبي) ثم العين ، ومنها الى ميناء صحار ، ثم بالمراكب الى منطقة كولي جنوبي بلوخستان ..



تمثال صغير رائع نادر ـ من الذهب الخالص لبقرة. عثر عليه داخل مقابر « هيلي » ومعه ادوات زينة حجرية وفخارية ، ورؤوس رماح وخناجر ـ عمرها اكثر من خمسة الاف عام .

ان تاريخ المنطقة ما زال محاطا بغموض كبير .. وما زالت هناك اسئلة كثيرة حائرة .. من هو هذا الشعب الذي عاش هنا ؟ هل الحياة كانت متصلة مستمرة في المنطقة ؟ ماذا كان يتكلم هذا الشعب ؟ هل عرف الكتابة ؟ ماذا كانت معتقداته الدينية .. اسئلة يستحيل الرد عليها حاليا ، لان عمليات الاستكشافات الاثرية التي تمت حتى الان ، لا تكاد تذكر بالنسبة لما تحويه هذه الارض من اثار مطمورة ..

عاصمة لدولة لم تولد بعد

ان ابناء العين يحاولون اليوم استعادة امجاد ماض بعيد لا يعرفونه .. انهم يحاولون تحقيق المستحيل .. حتى اسقاط المطر الصناعي صيفا يجرون التجارب لاسقاطه .. ويحاولون في نفس الوقت تسليط كل الاضواء عليهم ، لانهم يعتقدون بان موقع مدينتهم يرشحها لتصبح عاصمة ، لا لدولة الامارات فحسب .. بل للاتحاد الكبير الذي يحلم به كل وطني مخلص ، والذي سيضم في يوم ما كل دول الخليج العربي .

لسنا اتكاليين

وفي خلال مسيرتهم تلاحقهم الاشاعات .. انهم يتهمونهم بان الخدمات الهائلة التي تقدمها الدولة لهم خلقت طبقة اتكالية تعشق الجلوس في الديوانيات تشرب القهوة باستمرار ، اي « تتقهوى » حسب اصطلاحهم .

وعندما واجهناهم بهذه التهمة دفعوها عن انفسهم بحرارة قائلين :

« الانسان ليس كله واحدا .. مثل اصابعك كل منها يختلف عن الآخر .. حقيقة أن المساعدات تاتينا كثيرة ومستمرة .. والحكومة ما قصرت في هذا ، ولكن هذه المساعدات هي التي اعطت المواطن الدافع الكبير على العمل وليس على الاتكال .. كنا نعيش على نمط روتيني متوارث ، فاذا بنا فجاة وكأن عصا سحرية قد مستنا فتحولنا الى اشخاص آخرين ..

« شبابنا يدرسون في المدارس والمعاهد .. ويتوظفون في الدفاع والداخلية .. ونرسلهم في





لمنطقـة العين ماضٍ حافل ولا شـك ، ففى هذه المنطقة كان يعيش الانسان منذ عام ٣٢٠٠ ق٠م ٠٠ وكان هذا الشعب القديم يدفن موتاه فى قبور حجرية ،ومع ذلك يشيد منازله من الطين واللبن !! انه الايمـان بحياة بعد الموت ، وهـذا أمر كان سائدا فى معظم انحاء العالم القديم ٠٠ والصورة اليمنى لقبر هيلى الوحيد الذى تم ترميمه ،وعند مدخله الصغير ، وقف وليد ياسين التكريتى، فنى الآثار هناك ، يوضح النقوش المحفورة عند المدخل : حيوانـين مفترسين يلتهمـان حيوانا صغيرا ٠٠ ثم رسم انسان يركب حمارا ، وخلفه شخص آخر يسير على قدميه ٠٠ ثم نقش لشخصين متعانقين ٠٠ والصـورة اليسرى توضـح المبانى السكنية فى « هيلى »،وكلها من الطين واللبن ٠٠

بعثات للتدرب فى الخارج ٠٠ والمواطن صاحب المزرعة لا يستطيع ان يتحمل اعباء وظيفته الجديدة هذه ، ويعمل فى نفس الوقت بالحقل ٠٠ لقد اصبحت عنده مهام كبيرة ارفع من هذا العمل ، لهذا تراه يجلب اليد العاملـة من الخارج لتزرع له ارضه ٠

« ان قلة عددنا هى التى اضطرتنا لجلب اليد العاملة الخارجية ٠٠ وهذه ظاهرة عامة تجدها فى كل دول الخليج العربى ٠ »

قلنا لهم : « هل تخافون من طوفان الحضارة الحديثة الذى بدأ يقلب حياتكم ؟ »

قالوا : « الخير لا يرتعب منه الانسان ٠٠ والمثل عندنا يقول : « الخير يَخـيِّر ٠٠ والشر يَشـيِّر ٠٠ والحمد لله ان كل ما عندنا خير ٠٠ »

مشكل مختلف

واخيرا ٠٠ ان مشاكل وطننا العربى الكبير كثيرة ومتعددة ، تدور كلها حول الفقر ٠٠ اما هنا فالامر يختلف ، لان المشكلة الرئيسية فى ابو ظبى تتمثل فى كيفية توزيع مليار ، و ١٠٠ مليون دولار ، على ٧٠ الف محظوظ سنويا !! ٠٠

انهم يقيمون يا أخى حياة جديدة لم نتعود على نعومتها فوق رمال صفراء حارقة خشنة !! ■■

سليم زبال

استطلاع الكويت

الدراسات الموسيقية

معهد جديد لرعاية المواهب الفنية بالكويت

استطلاع بقلم : منير نصيف

ثلاث صور من معهد الدراسات الموسيقية- **الصورةالسفلى** لاصغر طالبة في المعهد تعزف الكمان . والصورة العليا **الى اليسار** لعازفة الناي **والصورة الثالثة** للجنة الاختيار وتضم عميد المعهد الاستاذ محمد سليمان والدكتورة رتيبةالحفني ، والفنان احمد باقر ، والسيدة لقيدة الملاح . وامام اللجنة طالبة يجري اختبارهالمعرفة مدى صلاحها للدراسة بالمعهد .





■ الحياة لحن جميل لا يسمعه الا المؤمنون ..وهل هناك ما هو اروع ولا احلى من نغم الحياة .. ان كل ما حولنا ومن حولنا يشارك في صنع هذااللحن .. الريح التي تداعب اوراق الشجر ،المياه التي توشوش على الشاطيء، وهي تلامسه في رفقوكانها اصابع فنان مبدع .. العصافير وهي تزقزق في الصباح .. المطر وهو يتساقط ،فتصطدم قطرات مياهه بكل شيء تحتها ، وكانها جوقة موسيقية تعزف لنا لحن الخريف !

بهذا الوصف الشاعري لموسيقى الحياة ، بداناحديثنا مع الاستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الاعلام ، وهو يحدثنا عن المعهد الجديد للدراسات الموسيقية الذي افتتحته الوزارة لرعاية البراعم الصغيرة والمواهب الاصيلة بين تلاميذ وتلميذاتالمدارس المتوسطة في الكويت ..

قلنا : ما رايك في هذا الذي قالوه عن الموسيقى وعن لحن الحياة ؟

قال : لا شك انه كلام جميل ، ولكن من قائله ؟

قلنا : انه الاستاذ الكبير زكي طليمات ، وقد كان لنا لقاء معه في بيته في القاهرة منذ ثلاث سنوات او يزيد بعد عودته من الكويت .. وقد تناول ، حديث الاستاذ الفنان بين ما تناول ، الموسيقى وصلتها الوثيقة بالمسرح ، النهضة المسرحية في الكويت ، الى ان انتهى به الحديث عن اللحن الاصيل ، لحن الحياة ، الذي ظلت الطبيعة تعزفه على مر القرون .. وكان حديثا ايضا طويلا ،اكتفينا منه بهذه المقدمة لموضوع استطلاعنا اليوم عن معهد الموسيقى الكويتي ..

وكيل وزارة الاعلام يتحدث

وقال الاستاذ سعدون : « لا شك ان المسرح في الكويت كان الابن الفني البكر لدولة الكويت، واما معهد الموسيقى الذي افتتحناه منذ عامين فهو اصغر ابنائها ، ولو ان التفكير فيه والاعداد له سبق قيامه بسنوات طويلة مضت .. »

« ان للموسيقى كما تعلمون اهمية خاصة في الدور الاعلامي الذي تضطلع الوزارة به .. ومن هنا كان اهتمامنا بانشاء اقسام للموسيقى في اذاعة الكويت وفي تلفاز الكويت ، كما انشانا قسما خاصا لجمع التراث الموسيقي وحفظه وتسجيله .. وكل هذه خطوات سبقت قيام هذا المعهد الوليد » .

ويمضي وكيل وزارة الاعلام في حديثه فيقول :

« ان الموسيقى ليست غريبة على ابناء هذا البلد .. فقد كان الكويتيون اهل بحر واسفار وصيد .. وكانت لهم موسيقاهم والاتهم التي يعزفون عليها هذه الموسيقى ، ولكنهم مع اسفارهم جاءوا ببعض الالحان والالات الجديدة من اسيا وشرق افريقيا .. » .

« وكان اهل الكويت يخرجون في وداع اخوانهم، واستقبالهم عند عودتهم حاملين « اللؤلؤ » صيدهم الثمين ، وكانوا يغنون للعائدين ويهزجون ويدقون الدفوف ، والهزّاج لا يكف عن الغناء وسط زغاريد النساء وتهليل الرجال .. » .

قصة انشاء معهد الموسيقى

« ونعود الى موضوعنا اليوم .. الى معهد الموسيقى وقصة انشائه ومتى بدأت .. والواقع ان الفكرة كانت موجودة منذ عام ١٩٦١ ، وقد تحمس لها العديد من المواطنين الشبان الذين

بعض طلبة المعهد اثناء خروجهم من القسم المخصص لهم ، في طريق عودتهم الى بيوتهم حاملين الالات وفي جعبتهم حصيلة يوم دراسي في العلم والفن .



مضوا في محاولاتهم لاقناع المسئولين في الدولة بضرورة الاهتمام بالفن الكويتي بصفة عامة ، حتى يتوفر للكويت اعداد الخريجين الذين ستقوم على اكتافهم مهمة رعاية المواهب الكامنة في مجتمعنا وتطوير هذه المواهب وتشجيعها ٠٠ »

« وبدات وزارة الاعلام من جانبها بدراسة موضوع انشاء المعهد مع المتخصصين في جامعة الدول العربية ، ومع كبار المهتمين بشئون الموسيقى في اجهزة الاعلام ٠٠ الى ان كان عام ١٩٧٢ عندما تحققت الفكرة وانطلقت الى حيز الوجود ، وتم اختيار اول مجموعة من الطلبة والطالبات ليكونوا نواة لمعهد الدراسات الموسيقية في الكويت ٠٠ ولم تدخر الوزارة جهدا في سبيل امداد المعهد الوليد بكل ما يحتاج اليه من الاساتذة والاداريين والاجهزة والآلات ٠٠ وهكذا بدات الدراسة في المعهد في مقره المؤقت بفيلا صغيرة بمنطقة القيعاء ، حيث خصص قسم منها للبنين ، وقسم آخر منفصل تماما للبنات ٠٠ »

اهداف المعهد

« انني اعتقد ان أهم اهداف هذا المعهد هو الارتقاء بالموسيقى واعداد المتخصصين فيها اعدادا علميا والاتجاه بها اتجاها قوميا ، يوفر الرعاية السليمة للتراث الموسيقي في البلاد ، كما يساهم في الوقت نفسه في توثيق الروابط الفنية مع المعاهد والهيئات المماثلة في الدول العربية الشقيقة وفي الدول الاجنبية ايضا » ٠

« كما انني اعتقد ان العمل في اقسام الموسيقى المختلفة بوسائل الاعلام في الاذاعة والتلفاز والمسرح ، تتطلب اعداد موسيقيين دارسين يتمتعون بكفاءة علمية وفنية ، ولا يمكن توفير الاعداد الكافية من العاملين في هذه المجالات من ابناء الكويت ، الا عن طريق اقامة معهد فني للدراسات الموسيقية ٠٠ هذا فضلا عن الشعور بالحاجة الملحة لتوفير الاعداد الكافية من مدرسي الموسيقى في المدارس والمعاهد ٠٠ وهو عمل لا يمكن ان ينهض به الا من كان دارسا لاصول هذا الفن دراسة علمية وفنية ٠٠ » .

واختتم الاستاذ سعدون حديثه معنا بقوله :

« من اجل هذا فان جهودنا لن تتوقف عند انشاء معهد الدراسات الموسيقية فحسب ، بل سوف نمضي في الطريق لاستكمال انشاء المعهد العالي للدراسات الموسيقية في العام الدراسي المقبل باذن الله ١٩٧٥ ٠٠ وهو المعهد الذي سيستوعب الدفعة الاولى من الخريجين من المعهد الموجود حاليا ، والذي سيتيح الفرصة للموهوبين والمتفوقين لاستكمال دراساتهم العليا في الخارج ٠٠ »

قصة الفنان احمد باقر مع المعهد

ولكن لقصة تنفيذ هذا المشروع بقية ، رأى وكيل وزارة الاعلام ان تنسبها الى صاحبها الفنان احمد باقر مراقب الموسيقى في اذاعة الكويت ، ورئيس لجنة الفنون الشعبية بمجمع الموسيقى العربية بجامعة الدول العربية ٠٠

ولم يكن اسم الفنان باقر جديدا علينا ، فقد سمعناه يتردد على شفاه القائمين على معهد الموسيقى والمشرفين على التدريس فيه خلال زيارتنا له وجولتنا بين اقسامه ٠٠ ولقد كان لهذا الشاب الكويتي دور رئيسي في اقناع المسئولين في الدولة بالمشروع الذي تحمس له واعطاه كل وقته وجهده ٠٠

يقول السيد احمد باقر : « منذ اكثر من عشر سنوات ، وانا احمل فكرة تنفيذ هذا المشروع في رأسي وفي قلبي ٠٠ قدمته لوزارة الشئون الاجتماعية مرتين ٠٠ المرة الاولى قبل ان اكمل دراستي ولذا فقد رُئي تأجيل البت فيه حتى انتهي من الدراسة واعود الى بلدي ٠٠ وحصلت على دبلوم الموسيقى ، ولكنني فوجئت بانه لابد لي من ان اعود مرة اخرى لاستكمال دراستي والحصول على الباكالوريوس ٠٠ وتوقف المشروع من جديد ٠٠ الى ان حدث في احدى سنوات الدراسة ، ان طلبوا مني ان اتقدم بمشروعي لوزارة التربية ، وفعلت ، ولكن الوزارة لم تنظر فيه ٠٠ » .

« واخيرا عدت من دراستي بعد اتمامها بنجاح فوجدت نفسي ، انا ومؤسسة المسرح والفنون ، وكذلك معهد التمثيل ، قد نقلنا جميعا من وزارة الشئون الى وزارة الاعلام ٠٠ »

(الى اليمين) طالبة تعزف على البيانو ، والدكتورة رتيبة الحفني الخبيرة الزائرة تساعدها في قراءة النوتة الموسيقية ·

(الى اليسار) فرقة عزف شرقية رباعية تتألف من عازفة على القانون ، وعازفة ناي ، وعازفة شيللو وعازفة كونترباس ··

(الى اسفل) ورشة اصلاح الآلات الموسيقية بالمعهد وفي الصورة احدى المدرسات وطالبتان يفحصن الآتهن بعد اصلاحها ·



حصة صولفيج ، اى غناء
من واقع التدوين الموسيقى
بالدرجات الموسيقية ٠

« وتذكرت مشروعي القديم ، فاسرعت اتقدم به الى وزارة الاعلام التي اصبحت مسئولة عنتا الآن ٠٠ وتحقق حلمي اخيرا عندما اهتمت الوزارة بالمشروع وعكف المسئولون على دراسته دراسة جادة ، انتهت آخر الامر بظهوره الى حيز الوجود ٠ » ٠

دار للاوبرا ٠٠ حلمنا الكبير

ويتحدث الفنان احمد باقر بحماس عن المستقبل الذي يتوقعه لهذا المعهد ، فيقول :

« انني ارى بعد عشر سنوات من الآن ، وقد اصبح لدينا العديد من الفرق الموسيقية التي ستسد حاجة الاذاعة والتلفاز والمسرح ٠٠ وفي مجال التدريس ايضا سوف يكون لدينا العديد من المتفوقين من الجنسين ، هؤلاء الذين سيحملون عبء اتمام الرسالة في اعداد الاجيال القادمة للعمل في هذا المجال الفني الرفيع ٠٠ وسوف يكون لدينا ايضا عازفون وعازفات في مقدورهم أن يقدموا لنا السيمفونيات والاوبرات العالمية ، عندما يتحقق حلمنا الكبير بانشاء دار للاوبرا في الكويت » ٠

وفي المعهد التقينا بالعميد الاستاذ محمد سليمان ، رجل فنان درس الموسيقى وتاريخها ، وهو يحب عمله ويخلص له ٠٠. جلس يحدثنا عن عن طلبته وطالباته وعن المعهد ودراساته ، قال :

« كلهم ابنائي وبناتي ٠٠ اننا نعيش هنا اسرة واحدة يجمعنا اللحن ،وتجمعنا النوتة الموسيقية٠٠ وتربط بيننا الآلة التي يعزف عليها الطالب واستاذه في آن واحد ٠٠ انها مدرسة ولكنها مدرسة فريدة من نوعها ، شانها شان كل مدرسة تبحث عن المواهب وتنميها وتطورها ٠٠ تماما كما يفعل الاب مع ابنائه في البيت ! »

شروط الالتحاق بالمعهد

قلنا : « حدثنا عن شروط الالتحاق بالمعهد وعن المواد التي تدرس لطلبته وطالباته ؟ »

قال : « للمعهد لائحة عامة تنظم كل شئونه الطلابية والادارية والفنية ٠٠ اما الشروط التي يجب توافرها في الطلبة والطالبات الراغبين في الالتحاق بالمعهد ، فهي ان يكون الطالب حاصلا على الشهادة المتوسطة (الاعدادية) او ما يعادلها على الاقل ، والا يقل سن الطالب عن ١٤ عاما ولا يزيد عن عشرين ، وان يجتاز بعد هذا اختبارات الصلاحية التي يجريها المعهد للقبول ، وان يكون لائقا طبيا بطبيعة الحال ٠٠ ثم تمتع الطالب بالجنسية الكويتية ، ولو انه يمكن قبول غير الكويتيين بالمعهد ، ولكن بنسب معينة تحدد كل عام كلما وجدت اماكن شاغرة ٠٠ »

وهذ الشروط لا بد من توافرها بالنسبة للطلبة والطالبات على حد سواء ٠٠

« بقي ان اذكر لكم ان مدة الدراسة بالمعهد اربع سنوات ، يمنح الطالب والطالبة بعد اتمامها شهادة الثانوية الموسيقية ، وهي التي ستؤهلهما للالتحاق بالمعهد العالي للدراسات الموسيقية المزمع انشاؤه باذن الله ٠٠ »

مواد الدراسة بالمعهد

ثم ينتقل الاستاذ سليمان الى الحديث عن المواد التي تدرس بالمعهد خلال السنوات الاربع فيقول : « يدرس الطلبة والطالبات الدين واللغة العربية ولغة اجنبية وتاريخا ،ومجتمعا،ورياضيات ويستعين المعهد بوزارة التربية لتوفير اعضاء هيئة التدريس المتخصصين ، لتدريس هذه المواد ٠٠ »

« اما المواد الاخرى التي تتصل بالموسيقى اتصالا مباشرا فتقوم هيئة التدريس بالمعهد ، وهي تضم نخبة من خيرة الاساتذة من الجنسين ،بتدريسها للطلبة والطالبات كل على حدة ، في قسمي المعهد اللذين خصص احدهما للفتيات والآخر للشبان »٠

« واهم هذه المواد تاريخ الموسيقى ، وعلم الصوت وقواعد الموسيقى والصلفيج ، وقواعد الموسيقى العربية والصلفيج الشرقي ، ومبادىء هارموني ، وايقاع حركي ، وتواشيح وادوار ، وتاريخ فن ، وفنون شعبية ، الى جانب العزف على آلة اساسية ، وآلة اخرى اضافية ٠ »

مكافاة لكل طالب وطالبة

ثم تحدث عميد المعهد بعد ذلك عن المزايا التي يتمتع بها الطلبة والطالبات طوال فترة دراستهم

وهى اربع سنوات كما ذكرنا ، فقال : « لقد حرصت وزارة الاعلام تشجيعا منها لهذه المواهب على صرف مكافأة شهرية لكل طالب وطالبة بالمعهد ، لا تقل عن عشرين دينارا ، هذا الى جانب الملابس التى تقدمها لهم فى بداية كل عام دراسى لتوحيد الزى ، كما يتولى قسم النقليات التابع للوزارة نقل الطالبات اللواتى تبعد اماكن اقامتهن عن مقر المعهد ، ويتمتع الطلبة جميعا برعاية طبية كاملة تحت اشراف طبيب متخصص من الصحة المدرسية ، كما توفر الوزارة الكتب والكراسات والآلات الموسيقية لكل الطلبة والطالبات بالمجان • »

ثم ماذا ؟

ان عميد المعهد يحدثنا بعد هذا عن المشروع الجديد الذى تدرس وزارة الاعلام امكانية تنفيذه فى المستقبل القريب ، وهو يتلخص فى انشاء قسم مسائى للدراسات الحرة للراغبين فى دراسة الموسيقى عزفا وغناء مقابل اشتراكات رمزية يدفعها الدارسون ، وستتم هذه الدراسات فى الفترة ما بين الساعة الخامسة والثامنة مساء كل يوم على ايدى اساتذة المعهد المتخصصين ••

كما شرع المعهد فى اعداد مكتبة موسيقية تضم مجموعة من الكتب الموسيقية باللغتين العربية والانجليزية ، وتبذل الجهود حاليا للحصول على صور من المخطوطات العربية فى الموسيقى ، واهم ما يصدر فى البلاد العربية والاوروبية من كتب ومجلات موسيقية •

مع الدكتوره رتيبة الحفنى

ترى ما راى خبراء الموسيقى فى هذه المواهب التى من اجلها اقيم هذا المعهد ، وقدمت له الدولة بسخاء كل الامكانيات التى يمكن ان تسهم فى تنميته وتطويره والنهوض بمستوى الدارسين فيه، تماما كما فعلت وتفعل مع كل المواهب فى شتى المجالات الاخرى فى الحياة النامية المتطورة بالكويت •

لقد التقينا بالدكتورة رتيبة الحفنى عميدة المعهد العالى للدراسات الموسيقية فى القاهرة ، وهى خبيرة تاتى للكويت •

قالت الدكتورة رتيبة فى حماس عندما سالناها عن رايها فى هذه المواهب الفنية •• قالت :

الفنان احمد باقر مراقب الموسيقى باذاعة الكويت مع بعض افراد فرقته الموسيقية •• انه الشاب الكويتى الذى تحمس لمشروع انشاء المعهد ، ويرجع اليه الفضل الاول فى خروجه الى حيز الوجود •





طلبة المعهد في القسم المخصص لهم ، يهبطون السلم بعد نهاية اليوم الدراسي ، حاملين بين جوانحهم علما وتفنا واجهزة اللحن والغناء .



كلمات من عميد المعهد لأبنائه الطلبة تحمل في حناياها دروسا فنية وتربوية .

(الى اسفل) كورال « مجموعة المنشدين » ، ترند « يالغة الموسيقى يانغم الاحساس فيك حياة الناس لامعة كالماس » .. بمصاحبة فريق الموسيقى الشرقية بالمعهد .



الة الكمان ، سيدة الاحساس من أهم الالات واجملها لحنا ، ومن اكثر الالات الموسيقية مسايرة للحن الشرقي والغربي على السواء .. انها وليدة الة الرباب العربية .



من اجل هذه المواهب ، تنوى وزارة الاعلام الاعلام افتتاح قسم حر لتدريس الموسيقى بالمعهد فى المساء ·· الاب طبيب وموسيقار ، فهو يهوى الموسيقى ويعزف على البيانو ، فهو عجب اذن ان يولع الاطفال بالموسيقى التى تنساب الحانها بين ارجاء البيت ·· هذه هى المدرسة الاولى التى يتعلم فيها الطفل الف باء الموسيقى.كما تقول الدكتورة رتيبة الحفنى·

« لقد وجدت مواهب ممتازة بين الطلبة والطالبات على السواء ·· ولم ادهش لهذا المستوى الطيب الذى لمسته بين الراغبين فى دراسة الموسيقى واصولها ، فاهل الكويت يعشقون الموسيقى بالفطرة ·· وقد اعتادوا على العزف على الآتهم الموسيقية فى بيوتهم ، وهى « العود » كما تعرفون، فهو الالة الشرقية التى لم نكن نعرف غيرها فى عالمنا العربى ·· ولهذا فقد توقع الكثيرون منهم ان يكون « العود » وحده هو الالة التى سيعزفون عليها دائما ·· وربما كان هذا هو السبب فى ان البعض منهم كان يهاب فى بادىء الامر العزف على الآلات الاخرى ، كاى شىء جديد غريب ، ولكنهم عندما عزفوا عليها والفوها ، اصبحوا لا يطيقون الافتراق عنها ! »

الموسيقى تولد مع الطفل

قلنا : « هل هناك سن معينة لطالب الموسيقى او الطالبة ، متى تظهر هذه الموهبة واين ، وكيف يجب ان نرعاها ؟ »

قالت الدكتورة رتيبة التى تلقت دراساتها العليا فى المانيا الغربية بعد ان اتمت الدراسة فى معهد التربية الموسيقية بالقاهرة متنقلة بين المعاهد الموسيقية فى ميونخ واكسبرج وبرلين حيث تخصصت فى غناء الاوبرا وتدريس الغناء والكورال واعدت رسالة الدكتوراه عن اغانى الافراح فى مدينة الفيوم ، قالت : « الموسيقى موهبة تولد مع الطفل ، وقد عشقت الموسيقى وانا طفلة لم اتجاوز الخامسة من عمرى ، فقد كبرت فوجدت والدتى تعزف البيانو ، ووالدى يعزف الفلوت ،ويقوم بتدريس تاريخ الموسيقى ·· لذلك فاننى ارى ان يبدأ تدريس الموسيقى للاطفال الصغار فى المدارس ، فاذا اظهر الطفل موهبة فى هذه السن المبكرة اتجه الى دراسة الموسيقى فى المعاهد المخصصة لها ·· اننى اعلم ان وزارة التربية فى الكويت تهتم اهتماما كبيرا بالموسيقى ، يبقى بعد هذا انشاء معاهد لتعليم الموسيقى للاطفال ·· »

« ان هذه التجربة الجديدة ، لم تبدأ فى مصر الا مؤخرا ، فقد بدأنا نحن ايضا فى تدريس الموسيقى للطلبة والطالبات فى مرحلة الشباب ، اى اننا بدأنا من حيث بدأت الكويت ، ثم تطورت الدراسة بعد ذلك وبدأنا نهتم بتدريس الموسيقى للاطفال دون هذه السن ، اى فى مرحلة الطفولة ··

قلنا : « هل للوراثة علاقة بهذه الهواية او الموهبة ؟ »

قالت الدكتوره رتيبة وهى تبتسم : « اننى ام لفتاتين ·· اما الفتاة الصغرى ، وهى فى الرابعة عشرة من عمرها اليوم ، فهى تهوى الموسيقى ، وتقول ان امنيتها ان تصبح مثل امها ، اى مثلى انا ، واما الكبرى ، فهى تهوى العدسات ، وتريد ان تصنع نظارات للذين يحتاجون اليها من اصحاب البصر الضعيف ، ترى هل استطعت بتجربتى انا ان اجيبكم على سؤالكم ؟ المهم بعد هذا اننى اريد ان اقول اننى اتوقع مستقبلا عظيما لابناء الكويت وبناتها فى عالم الموسيقى ·· لقد ولد المعهد قويا بفضل مواهب طلبته وطالباته » ·

■■



٦٠٠ عام انقضت على وفاة وزير الأندلس ابن الخطيب

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ حينما اصدرت في ربيع سنة ١٩٦٨ كتابي «لسان الدين بن الخطيب ـ حياته وتراثه الفكري»، اشرت في بداية مقدمته الى ان الذكرى الستمائة لوفاة هذا الوزير الاندلسي العظيم ، تقع في سنة ١٩٧٤ واهبت باخواننا علماء المغرب ، ان يتطلعوا الى مقدم هذه الذكرى العلمية الهامة ، وان يعنوا بدراسة مايجب لاحيائها بصورة تليق بعبقرية صاحبها السياسي ، والكاتب والشاعر الكبير ، الذي يرقد رقدته الابدية بارض المغرب الطيبة .

وقد لبثت من ذلك التاريخ أدعو الى احياء هذه الذكرى كلما سنحت الفرص ، ولا سيما خلال زياراتي المتوالية للمغرب ، وكانت آخر صيحة ارسلتها في ذلك الشان ، مانوهت به في خاتمة مقدمتي للمجلد الاول من كتاب « الاحاطة » ، الذي صدر في أواخر سنة ١٩٧٣ ، من ان هذه الذكرى العلمية الجليلة ، قد اصبحت على الابواب ، واهبت بالدوائر العلمية والادبية في مختلف البلدان العربية ، ولاسيما المغرب ، الذي قضى فيه ابن الخطيب اخصب فترات حياته ، وكتب فيه كثيرا من كتبه ورسائله ، ونظم كثيرا من غرر قصائده واشاد بذكره وبعظمته ، ونجدة ملوكه في نصرة وطنه الاندلس ، ثم ثوى الثواء الاخير الى ارضه ـ اهبت بها جميعا ان تتطلع الى مقدم هذه الذكرى ، وان تنظم للاحتفاء بها ، ما يليق بمكانة صاحبها العظيم من صنوف التكريم العلمي والادبي .

وقد كان من دواعي الغبطة ان استجابت الدوائر العلمية المغربية لهذا النداء ، وان وزارة الثقافة المغربية قد قامت بالفعل باتخاذ بعض الخطوات التمهيدية لاقامة مهرجان الذكرى الخطيبية في موعده أعني في شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ . ولكن حدث في اللحظة الاخيرة ان حالت مع شديد الاسف دون انعقاد هذا المهرجان العلمي ظروف طارئة قاهرة . ومن ثم فقد رأينا من دواعي الوفاء ،

لهذا العلامة الاندلسي العظيم . ودواعي العرفان لما افدناه من علمه وتراثه العظيم الزاخر ، ان نحييه في ذكرى وفاته الستمائة باستعراض لمحات من حياته المؤثرة في هذه الصفحات القليلة .

ذكرى أعلام الاندلس

وان هذه الذكرى لتاتي في اعقاب نزعة علمية جديدة ، ظهرت في اسبانيا ، في الحقبة الاخيرة ، للاحتفال بذكريات طائفة من اعلام الاندلس ، او بعبارة اخرى من عظماء اسبانيا المسلمة ، وقد تم من ذلك بالفعل الاحتفال بالذكرى الالفية للخلافة الاندلسية ، وعهد الناصر لدين الله ، وذلك بمدينة قرطبة ، مثوى الخلافة الاندلسية في سنة ١٩٢٩ . ثم بالذكرى التسعمائة لوفاة العلامة الامام ابن حزم القرطبي ، وذلك في شهر مايو سنة ١٩٦٣ ، بمدينة قرطبة ايضا ، وكان احتفالا اسبانيا عربيا رائعا ، تم تحت رعاية الحكومة الاسبانية وبلدية قرطبة ، واقيم فيه تمثال رمزي بالحجم الطبيعي للفقيه العظيم على مقربة من جامع قرطبة . واقيمت بعد ذلك ندوة تذكارية اسبانية عربية ، للاحتفال بذكرى الفيلسوف العظيم ابي الوليد بن رشد القرطبي وذلك في سنة ١٩٦٨ ، وكان ذلك ايضا بقرطبة مسقط رأسه . وهكذا نرى هذا الاتجاه العلمي التاريخي يتألق شيئا فشيئا ، وتاخذ منه اسبانيا المعاصرة بقسط مشكور، بعد ان تطورت النظرة التاريخية الاسبانية للتراث الاندلسي ، واصبحت دوائر البحث الاسباني ترى فيه تراثا علميا وحضاريا عظيما مشتركا ، يحق لاسبانيا ان تفخر به ، الى جانب العرب والمسلمين .

والان تمر بنا في سلسلة هذه الذكريات الاندلسية العلمية ذكرى الوزير والكاتب والشاعر الاندلسي العظيم ابن الخطيب ، لمناسبة مرور ستمائة عام على مصرعه في غمار احداث التاريخ المغربي ذاته، وهو يثوى منذ مصرعه بفاس في خريف سنة ١٣٧٤م ، في ارض المغرب الطيبة ، في ضريحه المتواضع المؤثر ، عند مدخل مدينة فاس ، التي عاش فيها ردحا من الزمن ، على فترات متقطعة ، منفيا من وطنه غرناطة، تحت كنف حماته من ملوك بني مرين .

وزير وسياسي وكاتب وشاعر

عاش ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد) ، (٧١٣ـ٧٧٦هـ)، (١٣٦٣ ـ ١٣٧٤م) ، في اواسط القرن الثامن الهجري ، في تلك الاندلس الصغرى ـ مملكة غرناطة ـ التي كانت تسير يومئذ الى اختتام حياتها المتعثرة ، غير انه كان يمثل بعبقريته ، وقوة نفسه ، واصالة تفكيره ، وروعة بيانه ، وجزالة شعره ، اعظم ماتمخضت عنه الاندلس الكبرى ، من قبل ، من تلك النماذج العلمية والادبية الباهرة ، التي يزدان بها تاريخ التفكير الاندلسي ، ذلك ان ابن الخطيب بتعدد جوانبه ، وسعة افاقه ، اكثر من وزير وسياسي ، وكاتب وشاعر : : كان مزيجا من عبقريات متعددة ، بلغ القمة في كل منها ، ويندر ان تجتمع في شخص واحد . فهو كاتب من اعظم كتاب عصره ، وشاعر من اعظم شعراء عصره ، بل هو من اعظم كتاب الاندلس وشعرائها على الاطلاق . واعظم مايتميز به شعر ابن الخطيب ونثره ، هو وفرة التنوع والافتنان في الموضوعات والمعاني ، ويرجع ذلك الى خصب قريحته ، وسعة افقه ، وروعة بلاغته ، ويرجع بالاخص الى حياته المتنوعة ، الفياضة بمختلف الاحداث والمحن ، ثم هو سياسي ورجل دولة من الطراز الاول ، وقد برع بالاخص في النثر الوزاري والسياسي ، وقد ترك لنا في هذا الميدان تراثا ضخما من المراسيم السلطانية ، ومن الرسائل السياسية والدبلوماسية ، التي كان يكتبها على لسان سلطانه، الى ملوك اسبانيا النصرانية، او سلاطين المغرب او تونس او مصر . وفيها يتحدث عن علائق المودة والتحالف ، او يصف بعض الحوادث التاريخية او يطلق صيحة الجهاد للعمل على نصرة وطنه الاندلس، والتماس الانجاد والعون لها من ملوك العدوة ، وهو كذلك مورخ صادق الحس ، نافذ البصيرة ، متزن الحكم ، تلقي كتبه ورسائله التاريخية ، اعظم ضوء على تاريخ المغرب والاندلس في عصره . واخيرا فقد كان ابن الخطيب طبيبا بارعا، وفيلسوفا ومشترعا ومتصوفا. وكانت غرناطة تلك الاندلس الصغيرة ، اضيق من ان تتسع لمثل عبقرياته الجمة ، ومن ثم فانا نراه خلال حياته المضطربة سواء في الاندلس ، او

المغرب ، يرتفع احيانا الى الذروة ، واحيانا يتحدر الى غمرة المحنة ، تلاحقه تلك القوى الخصيمة التى تضيق بنبوغه وخلاله اللامعة ٠

وليس هنا مقام الافاضة فى ترجمة ابن الخطيب، ولكنا نكتفى بان نقدم بعض لمحات من حياته المضطربة القلقة ، حتى يستطيع القارىء انيكون رايا فى تلك الشخصية اللامعة المتعددة النواحى ٠

لقد بدا ابن الخطيب حياته ، بعد فترة من الدراسة العالية فى غرناطة ، درس فيها اللغة والشريعة والادب والطب والفلسفة ، على اعظم شيوخ العصر ، وبرز بالاخص فى النثر والنظم ـ بدا حياته فى ارفع الدوائر ، ودعى للخدمة عقب وفاة ابيه فى ديوان الانشاء ، وتولى امانة السر لاستاذه الرئيس ابى الحسن بن الجياب ، وزير السلطان يوسف ابو الحجاج(٧٣٣ ـ ٧٥٥هـ)وكاتبه الاثير ٠ وتلقى ابن الخطيب فى ديوان الانشاء على يد استاذه الكاتب والشاعر المبدع ابن الجياب ، ارفع اساليب النظم والنثر فى هذا العصر ، وظهرت براعته فى تدبيج الرسائل السلطانية ، ولما توفى ابن الجياب فى الوباء الكبير او الطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٩م) خلفه ابن الخطيب فى رياسة الكتاب ، ومنحه السلطان رتبة الوزارة والقابها ٠

ومن ذلك الحين يغدو ابن الخطيب شخصية بارزة فى البلاط الاندلسى ، وفى دوائر الكتابة والترسل ، فلما توفى السلطان يوسف ابو الحجاج قتيلا فى يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤م) خلفه فى الملك ولده السلطان ابو عبدالله محمد الذى لقب فيما بعد « الغنى بالله » ، واستمر ابن الخطيب فى منصبه بالوزارة ، يتمتع بكل ما كان يتمتع به فى ظل السلطان الراحل من المكانة والنفوذ،ولاول ولايته بعث السلطان الجديد وزيره ابن الخطيب،سفيرا عنه الى عاهل المغرب السلطان الكبير ابى عنان المرينى ، سعيا الى تجديد اواصر المحبة والوصل التى كانت بينه وبين ابيه السلطان ابى الحجاج،والتماسا لنصرته وعونه على مقاومة اطماع ملك قشتالة ، واستقبل السلطان ابو عنان ، سفير الاندلس ، ابن الخطيب ومرافقيه ، بترحاب وحفاوة ، وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ٧٥٥ هـ ، وانشد ابن الخطيب بين يديه يومئذ قصيدته الرنانة التى مطلعها :

خليفـة الله سـاعد القدر
عـلاك ما لاح فى الدجى قمر

وكان لذلاقة ابن الخطيب ، وحسن سمته ، وروعة قصيدته ، اكبر الاثر فى نجاح سفارته لدى عاهل المغرب ، وكانت اول زيارة لابن الخطيب لذلك المغرب ، الذى احبه فيما بعد اعظم حب ، ونعم فيه ايام محنته ، بحماية سلاطينه ، وسابغ رفدهم ورعايتهم ، واشاد بذكره ، وعظمة ملوكه، وجمال معاهده ومغانيه فى عيون قصائده ورسائله٠

ولم تمض على ذلك اعوام قلائل حتى نشبت بغرناطة فى رمضان سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٩م) ثورة فقد فيها الغنى بالله ملكه ، وتربع مكانه فى العرش اخوه اسماعيل ٠ وقبض على وزيره ابن الخطيب ، وصودرت املاكه ٠ وفر السلطان المخلوع الى وادى اشى ، واستغاث بملك المغرب السلطان ابى سالم ، فبادر الى غوثه ، وتدخل بنفوذه لدى سلطان غرناطة الجديد ، وسمح للسلطان المخلوع ووزيره بالعبور الى المغرب ، والالتجاء الى حماية سلطانه ٠ واحتفل السلطان ابو سالم بقدومهم الى فاس فى يوم مشهود (المحرم سنة ٧٦١) ، وانشد ابن الخطيب بين يدى السلطان يومئذ ، قصيدة من اروع قصائده ، يدعو فيها لنصرة سلطانه وهذا مطلعها :

سـلا ، هـل لديهـا مـن مخبرة ذكـر
وهـل اعشـب الـوادى ، ونم به الزهر ؟

فى المنفى

وقضى ابن الخطيب فى هذه المرة الاولى لنفيه بالمغرب زهاء عامين ونصف عام ، وغمره السلطان ابو سالم بعطفه ورعايته ، وسمح له بالاقامة فى سلا ، واستقر ابن الخطيب فى ذلك الثغر المشرق الجميل زهاء عامين ، عزيز الجانب ، موفور الرزق، وقد انجز خلال هذه الحياة الرغدة الهادئة عددا من مؤلفاته ما بين منثور ومنظوم ٠ وتوثقت بينه

وبين المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، وكان يشغل يومئذ مكانة رفيعة في بلاط فاس ، صداقة متينة العرى ، اسفرت فيما بعد عن تبادل طائفة من الرسائل البليغة ، التي سجلها لنا ابن خلدون في « التعريف » والتي تعتبر من اجمل نماذج النثر والترسل في هذا العصر .

وشاء القدر ان يختفي صديقه وحاميه السلطان ابو سالم من الميدان بسرعة،ففي شهر ذي القعدة ٧٦٢هـ (١٣٦١م) وقع انقلاب في فاس فقد فيه السلطان ابو سالم عرشه . ولقي مصرعه . واستبد بالدولة مدبر الانقلاب الوزير عمر بن عبدالله ، صهر السلطان القتيل ، وزوج اخته .

ولكن شاء القدر ايضا ان تمهد الظروف امام الغني بالله لاسترداد عرشه . وعاونه في ذلك الوزير عمر بن عبدالله ، بان اقطعه مدينة رندة، وكانت يومئذ من املاك بني مرين الاندلسية،التي ينزلون بها عند العبور لنجدة الاندلس ، وعندئذ عبر الغني بالله الى الاندلس . ونزل برندة ، ومعهجماعة من صحبه ثم غزوا منها ثغر مالقة . وسار الغني بالله بعد ذلك الى غرناطة،واستولى عليها ، واسترد عرشه المسلوب .

عودته الى منصبه

وماكاد الغني بالله ، يجلس من جديد على عرشه ، حتى كتب الى وزيره المنفي ابن الخطيب رسالة رقيقة ، ينعته فيها باكرم النعوت وارفعها، ويستدعيه فيها لتقلد منصبه ، فينزل ابن الخطيب عند رغبة مليكه ، ويغادر مقره الهادىء في سلا ، ويعبر الى الاندلس ، ومعه اسرة السلطان وولده ، ووصل الى غرناطة في اواخر شعبان من تلك السنة . وفي الثامن من رمضان . اصدر السلطان ظهيرا (مرسوما) باعادته الى منصبه « وقلده فيه نجاد الوزارتين ، وحلاه بحلي الرياستين » .

وانفق ابن الخطيب في تلك المرة ، في الوزارة زهاء عشرة اعوام انجز خلالها طائفة جديدة من كتبه ، وفي مقدمتها كتاب « الاحاطة في اخبار غرناطة » وهو اهم كتبه التاريخية.والقسم الثاني من مذكراته الشخصية التي تضمنها كتاب «نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب ».وكتب كثيرا من رسائله السلطانية البليغة ، التي تضمن معظمها فيما بعد كتابه الضخم «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» وتمتع في البداية لدى سلطانه الغني بالله بارفع درجات الحظوة والمحبة والثقة . ولبث بضعة اعوام رجل الدولة الاول ، يستأثر بالسلطان المطلق ، ويوجه سياسة المملكة الداخلية والخارجية وفقا لرايه وتفكيره . والظاهر انه جنح يومئذ الى نوع من الحكم المطلق ، وغدا حسبما يحدثنا صديقه ابن خلدون ، وقد عاش الى جانبه بغرناطة فترة من الوقت (سنتي ٧٦٥و٧٦٦هـ) غدا حاكما بامره ، وهو يصف لنا ذلك في قوله : « وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان، ودفع اليه تدبير المملكة ، وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته ،وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه،وعلقت عليه الامال،وغشي بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه » .

حاكم بامره

كان ابن الخطيب اذا في هذه المرحلة منحياته الوزارية حاكما بامره . وكان استئثاره بالنفوذ والسلطان على هذا النحو ، يذكي سخط منافسيه ويثير حوله ضراما من البغض والحسد . وكان السلطان ـ ثقة منه بوزيره الاكبر ، وبمقدرته وكفايته ـ يترك له زمام الامور ، ويعرض عن الاصغاء لاعدائه ومنافسيه . ولكنه بدأ في النهاية يتأثر بسعايتهم . ويرى في استبداد ابن الخطيب اعتداء على سلطانه . وشعر ابن الخطيب من جانبه ، بان سلطانه قد بدا يتغير عليه ، واخذ يتوجس شرا من العواقب . وكان في مقدمة خصومه والساعين في حقه . تلميذه ومعاونه في الوزارة والكاتب والشاعر ابو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن زمرك ، وقاضي الجماعة(قاضي القضاة) بغرناطة ابو الحسن النباهي . وكان الاول يتزعم ضد ابن الخطيب الخصومة السياسية ويتزعم الثاني حملة اشد خطورة ، وهي اتهام ابن الخطيب بالالحاد ، والخروج على احكام الدين وشريعة الاسلام ، اعتمادا على ما ورد في بعض كتبه.وبلغت الامور ذروتها في اوائل سنة٧٧٣هـ

وشعر ابن الخطيب بان السعاية قد اثمرت ، وانه قد عطف مليكه . وكان قبل تفاقم الازمة على هذا النحو ، يرجو ويتوسل الى مليكه ان ياذن له بمغادرة الاندلس ، والسفر الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، وكان السلطان من جانبه يستمهله ويراوغه في تحقيق بغيته . ولكن ابن الخطيب كان عندئذ يبغي مغادرة الاندلس للنجاة بنفسه مما يترقبه من نقمة خصومه وبطش مليكه . فاتجهت انظاره مرة اخرى الى المغرب ، وعمد الى الاتصال سرا بمليكه السلطان عبد العزيز المريني ، وكان يومئذ يعقد بلاطه في تلمسان التي افتتحها من يد بني عبد الواد (سنة ٧٧٢هـ) وكانت العلائق بين بلاد غرناطة وبلاط فاس ، قد فترت يومئذ ، واخذ كل فريق يمالي، خصوم الاخر ، ويحشدهم لمناوأته . ولما اطمأن ابن الخطيب الى وعود السلطان عبد العزيز بالحماية والرعاية ، عول على مغادرة الاندلس ، واستاذن السلطان الغنى بالله في تفقد الثغور الغربية فاذن له ، وسار مع ولده علي ، وجماعة من خاصة الفرسان الى الجنوب ، فلما وصل الى جبل طارق ، تلقاه قائدها في قواته ، وكانت جبل طارق يومئذ من املاك بني مرين . وكان السلطان عبد العزيز قد اصدر اوامره باستقبال ابن الخطيب ، وتجهيز السفن اللازمة لنقله هو ومن معه الى المغرب . ونجحت الخطة وركب ابن الخطيب وصحبه البحر الى سبتة. ولكنه قبل ان يغادر جبل طارق بعث الى سلطانه الغنى بالله رسالة طويلة مؤثرة يودعه فيها ، ويوضح اسباب تصرفه ، ويطلب اليه الصفح والمغفرة ويؤكد له بقاءه على الود ، ويلتمس رعايته لاسرته وولده . وقد اورد لنا ابن خلدون نص هذه الرسالة البليغة المبكية في « التعريف » وهو يصفها بانها من اغرب الرسائل واروعها اجادة وبلاغة .

وكان عبور ابن الخطيب من جبل طارق الى العدوة ، فارا من وطنه على هذا النحو ، في غرة جمادى الاخرة سنة ٧٧٣هـ (نوفمبر ١٣٧١) .

وبعد ان قضى ابن الخطيب وصحبه فترة استجمام قصيرة في سبتة وطنجة سار في صحبه الى تلمسان حيث كان بلاط المغرب ، وهناك استقبله السلطان عبد العزيز المريني اجمل استقبال ، وارسل في الحال سفيرا الى غرناطة ، ليسعى في استقدام اسرة الوزير المنفى ، فاتى بها معززة مكرمة وكان ذلك في اواسط سنة ٧٧٣هـ (اوائل سنة ١٣٧٢م) .

بعيدا عن الاهل والوطن

استقر ابن الخطيب في مقامه الجديد ، بعيدا عن الاهل والوطن ، ولكن ما غمره من السلطان من كرم المثوى وعلو المكانة ، وجزيل العطاء والنعمة ، خفف كثيرا من مرارة المنفى ، وهكذا شعر ابن الخطيب انه استرد في بلاط المغرب مكانته المفقودة .

ولكن فرار ابن الخطيب على هذا النحو ، لم يهدىء من ثورة خصومه ، بل كان بالعكس حجة لديهم تنهض على ادانته ، فيما يرمونه به من التهم ، وقد غضوا لافلاته ونجاته من مكائدهم، فضاعفوا سعيهم لملاحقته وسحق هيبته ، وتلويث سمعته ، فاتهموه بالزندقة ، والمروج على شريعة الاسلام ، ونسبوا اليه في ذلك اقوالا ومقالات مما جاء في بعض كتبه ورسائله . ولا سيما كتاب « روضة التعريف بالحب الشريف » وزعموا ان منها مايتضمن طعنا في النبي ، والقول بالحلول ومجاراة مذهب الفلاسفة الملحدين ، وان كتب ابن الخطيب التاريخية ، وما اشتملت عليه من تراجم الاحياء المعاصرين ، والاموات الاقربين ، وما يتخللها من الطعن المر في كثير منهم ، هي من قبيل الغيبة المحرمة . وكان تلميذ ابن الخطيب وخلفه في الوزارة ابو عبد الله ابن زمرك . اكبر مروج لهذه الدعاية القوية . وتولى صوغ الاتهام عدو ابن الخطيب الالد ، القاضي ابو الحسن النباهي وافتى بوجوب حرق كتبه ، التي هي موضوع الشبه والاتهام . ويقول لنا القاضي ابو الحسن ، ان هذه الكتب ، وهي مما يرجع الى العقائد والاخلاق ، قد تم احراقها بالفعل في حضرة غرناطة في منتصف عام ٧٧٣هـ ، « بمحضر من الفقهاء والمدرسين لما تضمنته الكتب المذكورة من المقالات التي اوجبت ذلك عندهم وحققته لديهم » .

وقد وجه القاضي ابو الحسن الى ابن الخطيب بالمغرب رسالة شديدة ، هي بمثابة دعوى اتهام شخصية وشرعية معا ، يعدد فيها مثالبه وما يسند

اليه من تهم الالحاد والزندقة . وبالرغم من ان هذه الرسالة تحمل طابع التحامل والضغن الشخصي، فانها تلقى ضوءا كبيرا على ماكان يرمى به ابن الخطيب خلال توليه الحكم ، وعلى بعض الوقائع التي اتخذت سندا لاتهامه بالخروج على احكام الاسلام ، والحكم بعد ذلك بادانته ونكبته ، وينعى النباهي على ابن الخطيب انصرافه الى الاغراض الدنيوية ، وشغفه بالاقتناء والبناء ، ثم ينعى عليه ماورد في كتبه التاريخية ، امثال « الاحاطة» ، و«اللمحة البدرية » ، من سير الاحياء والاموات والطعن في حقهم ، وهو مايدخل في باب « الغيبة المحرمة » . وان ماتضمنته بعض مؤلفاته الاخرى من البدع ، والتلاعب بالشريعة ، يجعلها مستحقة للتحريق والتمزيق . ثم ينعى عليه ماأقدم عليه من فراره عن الاندلس ، وان ذلك انما هو غدر بسلطانه ، وان هذا الخروج من الاوطان لم تكن تدعو اليه ضرورة قاتلة . ثم يقول: «وقد مددتم الى التمتع بغيرها اعينكم ولو لم يكن بهذا الجزيرة الفريدة من الفضيلة الا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد لكفاها فخرا ، على مايجاورها من سائر البلاد » .

اتهامه بالالحاد

وينعى النباهي بعد ذلك على ابن الخطيب تدخله في شئون القضاء ، ويعدد بعض ماارتكبه فى ذلك ، ثم يتهمه بالالحاد ، والطعن في حق النبي ، والطعن في احكام الشريعة ، ورمي علمائها بالمنقصة ، وانه قد صدرت منه في هذا الباب اشياء منكرة ، يكبر في النفوس التكلم بها . ثم يختم رسالته القاذفة باتهام ابن الخطيب ايام وجوده في الحكم ، بالضرب والتفريق بين رجال الدولة ، حتى خلا له الجو ، وتمكن له الامر والنهي الذي ينكره عليه سائر الناس في العدوتين .

وهكذا مضى خصوم ابن الخطيب في غرناطة في سعيهم لمطاردته واهلاكه ، ولم يقعدهم بعده عن الاندلس . فبعد ان قضى باحراق كتبه في ساحة غرناطة الكبرى ، سجل عليه القاضي ابو الحسن تهم الالحاد والزندقة ، وصادق السلطان على هذا الحكم ، وبعث القاضي رسله بهذه الوثيقة الى السلطان عبد العزيز المريني ، يطالبه بتنفيذ حكم الشرع ، وهو الاعدام ، في الوزير الملحد فانف سلطان المغرب لهذا المسعى، وعنف رسل الاندلس، وردهم خائبين ، وزاد في اكرام ابن الخطيب ورعايته .

ولم يمض قليل على ذلك ، حتى توفى السلطان عبد العزيز المريني ، وذلك في شهر ربيع الاخر سنة ٧٧٤هـ ، وخلفه على العرش ولده الطفل السعيد . وغادر بلاط المغرب تلمسان الى فاس ، وسار ابن الخطيب صحبة الوزير ابن غازى القائم بامر الدولة ، ونزل في كنف الوزير ورعايته متمتعا بما كان يتمتع به في كنف السلطان الراحل، من المكانة والنفوذ ، وجزيل الصلات ، وطاب عيشه بفاس ، واقتنى كعادته الدور والضياع ، واستمر حينا على مكانته في الدولة . ولكنه لم يتمتع طويلا بهذا الهدوء . ذلك ان ملك غرناطة الغنى بالله، كان يتربص الفرص لمطاردة وزيره السابق، وكان ينقم عليه بالاخص ، مانمى اليه من انه كان يحرض السلطان عبد العزيز على غزو الاندلس . ويؤيد ابن خلدون هذه الواقعة ، ويقول لنا انه قد وضع لذلك الغزو بالفعل مشروع خلال حياة الملك الراحل . ولسنا نستطيع مع ذلك ان نتهم ابن الخطيب بانه كان بذلك يرتكب خيانة في حق وطنه . ذلك ان ابن الخطيب كان يرى في الظروف التي كان يجوزها المغرب والاندلس يومئذ ، مايجعلهما في حكم الوطن الواحد وان مسألة الغزو لم تكن في نظره سوى مسألة انقاذ لوطنه . والواقع انه لولا حماية المغرب للاندلس ، وتوالى عبور الجيش المرينية الى الاندلس ، حتى الى ماقبل ذلك بفترة يسيرة، لنصرة الاندلس ضد النصارى ـ لما عاشت مملكة غرناطة حتى ذلك التاريخ . وعلى اى حال فقد حاول ابن الاحمر (سلطان غرناطة) ان يحمل الوزير ابن غازى على تشريد ابن الخطيب ونفيه ، فابى ابن غازى ، وساءت العلائق بين بلاط فاس وبلاط غرناطة بسرعة . وعندئذ دفع ابن الاحمر ، بعض الخوارج من بني مرين ، الى محاربة حكومة فاس ، وامدهم بمعونة من المال والجند ، وتمخضت الحوادث في المغرب عن انقلاب جديد ، نودى فيه بولاية الامير احمد بن السلطان ابى سالم . واضطر الوزير ابن غازى ان يستسلم للثوار . ودخل السلطان احمد البلد الجديد (ضاحية فاس الملوكية) وجلس على العرش وذلك في اوائل سنة ٧٧٦هـ .

القبض على ابن الخطيب ومحاكمته

وكان ابن الخطيب ، اثناء ذلك ، قد لجأ الى البلد الجديد،وكان التفاهم قد تم بين ابن الاحمر، الغنى بالله ، وبين زعماء الفتنة بشأن ابن الخطيب ومصيره • فلما وقع الانقلاب المنشود ، بادر السلطان الجديد بالقبض على ابن الخطيب واعتقاله تنفيذا للعهد الذى قطعه لابن الاحمر • وكان ابن الاحمر يتوق الى الانتقام من وزيره السابق واهلاكه لما اكده له خصومه من غدره ودسائسه ، ولا سيما تآمره مع السلطان عبد العزيز ، كما تقدم على غزو الاندلس•وبعث ابن الاحمر وزيره ابن زمرك ليعمل على تحقيق هذه الرغبة مع حكومة فاس • ورأى السلطان احمد ان يعقد مجلسا خاصا من رجال الدولة واهل الشورى ، واستدعى ابن الخطيب لمناقشته ، ومواجهته بالتهم المنسوبة اليه، واخصها تهمة الالحاد والزندقة • وعزر ابن الخطيب وعذب امام الملا ، وافتى بعض الفقهاء المتعصبين بقتله • ودس عليه الوزير سليمان ابن داود بعض الاوغاد من حاشيته ، فطرقوا سجنه ليلا ، وقتلوه خنقا ، ثم اخرجوا جثته فى الغد ، ودفنت بالمقبرة الواقعة تجاه باب المحروق احد ابواب فاس القديمة • ثم اخرجت الجثة فى اليوم التالى ، وطرحت فوق القبر ، واضرمت حولها النار ، فاحترق شعر الرأس ، واسودت البشرة ، ثم اعيدت الجثة الى القبر قبل ان تحترق ، وتركت هنالك لتثوى الثواء الاخير • ووقعت هذه المأساة الاليمة فى ربيع الاول او ربيع الثانى سنة ٧٧٦هـ (اغسطس او سبتمبر سنة ١٣٧٤م) •

هذا وما زال قبر ابن الخطيب فى مكانه خارج فاس ، على مقربة من باب المحروق • ويقول لنا مؤرخه المقرى انه زار قبره مرارا ، اثناء اقامته بفاس فى اوائل القرن الحادى عشر الهجرى وقد زرناه نحن كذلك مرارا خلال زياراتنا المتوالية للمغرب • وقد اقامت عليه الحكومة المغربية ضريحا صغيرا ذا واجهة فنية جميلة ، وكتب اعلاه بالخط المغربى(هذا ضريح العلامة لسان الدين ابن الخطيب)

حياة وحياة

هذه صورة موجزة لحياة ذلك الوزير والكاتب والشاعر الاندلسى الكبير ، الذى قضى حياته متنقلا بين الاندلس والمغرب يحيا فى الاولى حياة الرياسة والسلطان والنفوذ ، ويقطع فى الثانية حياة العزلة والمنفى •

اجل لقد عاش ابن الخطيب فى المغرب منفيا ، بعيدا عن المناصب ، مجردا من كل سلطان ونفوذ ، ولكنه كان يشعر بنوع من السعادة ، بالمكث فى ذلك المغرب الذى احبه وآواه ، والذى لقى من سلاطينه ورجالاته كل اعزاز واكرام • وكانت فكرة الهجرة من الاندلس ، والمقام فى المغرب هى اهم امنية يحس بها فى اعوامه الاخيرة ، بعد ان تنكر له سلطانه ، وتنكر له وطنه الذى لم يدخر وسعا فى خدمته والعمل على توطيد امنه وسلامه ورخائه •

ولقد كانت حياة المنفى هذه هى اسعد ايام ابن الخطيب،بل انه ليشيد بالعامين اللذين قضاهما فى سلا ، من شعبان سنة ٧٦١ الى شعبان سنة ٧٦٣ ، ويعتبرهما اسعد اعوام حياته على الاطلاق •

ولقد كانت هذه الحياة السعيدة بالمغرب،يشوبها مع ذلك نوع من الاضطراب والقلق • ولقد كان عهد القلق والمحنة فى حياة ابن الخطيب هو العنصر الغالب • ومع ذلك فقد كان ابن الخطيب يجوز هذه الفترات القلقة بنفس قوية ، وكانت المحنة ذاتها تصقل قلمه ، وتذكى شاعريته ، ولقد كتب ابن الخطيب خلال هذه الفترات القلقة من حياته ، وهى التى قضاها فى سلا وفاس ، كثيرا من كتبه ، ونظم كثيرا من تراثه الشعرى ، وقد خص المغرب بكثير من كتاباته ، واشاد فى كتبه ورسائله بعظمة المغرب ، ونجدة ملوكه ، وبسالة جيوشه ، فى ميدان الجهاد المشترك بينه وبين الاندلس ، وهو يعد بلا ريب من مفاخر المغرب ، كما انه من مفاخر الاندلس •

ومن ثم ، فقد كان من حق ابن الخطيب على المغرب،بل وعلى سائر الدول العربية والاسلامية، ان يحتفى بذكراه الستمائة ، فى ندوات علمية اندلسية عديدة ، بيد انه يلوح لنا ان طالع السعد ، الذى تخلى عن ابن الخطيب فى معظم حياته ، لم يشأ ان يعطف عليه ، حتى فى ذكراه المحزنة ــ ذكرى وفاته الستمائة • ■■

محمد عبدالله عنان

أنت تسأل .. ونحن نجيب

موزمبيق تصدر ١٣٠ الف طن من القطن سنويا وتنتج ٢٠٠ ألف طن من السكر فى العام

● بدأت البرتغال فى منح الاستقلال لمستعمراتها فى افريقيا . وقد اعلن مؤخرا استقلال غينيا بيساو . كما تقرر ان تمنح موزمبيق استقلالها الكامل فى شهر يوليو ١٩٧٥ بعد ان تألفت فيها حكومة انتقالية اعضاؤها من حركة تحرير موزمبيق · هل لكم ان تذكروا لنا بعض المعلومات التاريخية والجغرافية عن موزمبيق وعن أهم مواردها الطبيعية ·

احمد المتجورى ـ القاهرة

ـ فى الفترة ما بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر (م) ، كان العرب يسيطرون سياسيا وتجاريا على الساحل الشرقى لافريقيا ، وعلى الرغم من ان مركز النفوذ العربى كان الى شمال موزمبيق ، الا ان الحضارة العربية اثرت كثيرا فى سكان هذا الساحل ·

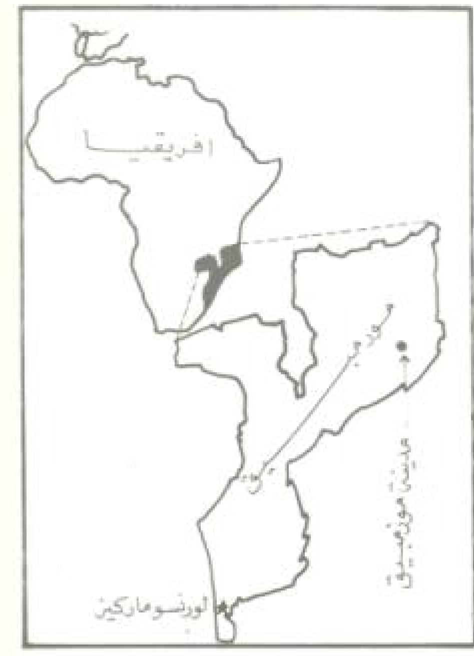
وفى عام ١٤٩٧ قام فاسكو دى جاما بفتح موزمبيق امام النفوذ الاوروبى وذلك اثناء دورانه حول رأس الرجاء الصالح ·· وقد نزل دى جاما الى موزمبيق فى مارس ١٤٩٨ · ومنذ ذلك الحين بدأ نفوذ العرب يتقلص فى هذا الساحل · وفى عام ١٥٠٥ بنيت اول قلعة برتغالية فى منطقة سوفالا · وفى عام ١٥٠٨ تم بناء قلعة سان سباستيان فى مدينة موزمبيق التى اصبحت ميناء رئيسيا فى المنطقة وظلت عاصمة لمستعمرات البرتغال فى شرق افريقيا حتى عام ١٨٩٧ حين انشئت مدينة لورنسو ماركيز Lourenco Marques التى اصبحت عاصمة موزمبيق منذ ذلك التاريخ وحتى الآن ·

وتبلغ مساحة موزمبيق ٢٩٧٫٧٣١ ميلا مربعا ، ويبلغ تعداد سكانها ٧٫٥٩٩٫٠٠٠ نسمة ، لا يزيد عدد المستوطنين البيض منهم على ١٠٪ ·

وهناك فى موزمبيق نحو مليون مسلم ، ويوجد جامع كبير فى مدينة لورنسو ماركيز · وتعتبر موزمبيق اهم دول شرق افريقيا المنتجة للسكر ويبلغ انتاجها السنوى نحو ٢٠٠ الف طن من السكر ويصدر معظمه الى الخارج ، وهى تعتمد اقتصاديا ايضا على تصدير انتاجها من القطن الذى يصل الى ١٣٠ الف طن سنويا ، وقد نجحت زراعة الارز فى اراضى موزمبيق ووصل انتاجه الى ٣٠ الف طن سنويا ·

وقد بدأ الشعب الافريقى فى موزمبيق يطالب باستقلاله عن البرتغال منذ عام ١٩٦٠ ، وتكونت جبهة تحرير موزمبيق المسماة « فريلمو » فى عام ١٩٦٢ ·وبدأت المقاومة المسلحة لقوات الاحتلال ·





وفي مايو ١٩٧٠ عقدت جبهة التحرير مؤتمرا في روما حصلت على تاييد كثير من دول العالم لحق موزمبيق في الاستقلال ٠ واشتدت حركة المقاومة في موزمبيق مما كان يكلف البرتغال اكثر من ٢١٦ مليون دولار سنويا لمواجهة الموقف المتدهور هناك ٠ وفي مايو ١٩٧٢ اعلن المجلس الوطني البرتغالي موافقته على قانون يمنح كلا من انجولا وموزمبيق الحكم الذاتي على ان تظل الشئون الخارجية والعسكرية والتمثيل الدبلوماسي من حق البرتغال ، ولكن جبهة التحرير لم توافق على هذا الحل الجزئي ٠ وفي نوفمبر عام ١٩٧٢ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة ، باغلبية ٩٨ صوتا ضد ٦ اصوات وامتناع ٨ دول عن التصويت ، على ادانة سياسة البرتغال في افريقيا ودعوة البرتغال الى عقد مفاوضات مع الافريقيين لمنح موزمبيق استقلالها ٠ واخيرا تم الاتفاق على منح موزمبيق استقلالها الكامل في شهر يوليو ١٩٧٥ كما ذكرت في سؤالك ٠

(م ٠ ط ٠)

ان غدا لناظره قريب

● اسمع كثيرا هذا المثل « ان غدا لناظره قريب » فما معناه وما قصته ؟

عبد الجليل حسين/جهينة ـ مصر

ـ معنى المثل ان غدا قريب لمن ينتظره ، والناظر هنا بمعنى « المنتظر » ، ويضرب المثل في عدم التعجل بطلب ما لم يأت موعده ، وموعده قريب معروف ٠

وللمثل قصة توضح السبب في ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة في الجاهلية ترك الوثنية الى النصرانية ، وخلاصة القصة ان النعمان خرج للصيد يوما ، فظهر له حمار وحشي ، فطارده على فرسه ، حتى ابتعد عن حاشيته ، وسقط مطر اضطره الى طلب ملجأ منه ، فاذا بيت رجل فقير من طيء يسمى حنظلة ، ومعه زوجته ، فرحبا به مع جهلهما بامره ٠

قال الطائي لزوجته : « ارى رجلا ذا هيئة ، وما اخلقه ان يكون شريفا خطيرا ، فما الحيلة وليس عندنا غير هذه الشاة ؟ » فاخبرته ان لديها بقية من طحين ، ونصحته بحلب الشاة ثم ذبحها ،

واعدت مرقة وثريدا واطعم الطائي ضيفه من الثريد واللحم ، وسقاه من اللبن ، والتمس له شرابا ، ومضى يحدثه بقية ليلته ، فلما اصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ، وعرّف صاحبه انه النعمان ، وطلب منه ان يذكر مكافاته،فاجابه الطائي:« ان شاء الله » ثم لحق النعمان باصحابه ورجع الى الحيرة ٠

ومر زمان ،حتى حلت بالطائي كربة ، فنصحته زوجته ان يقصد النعمان لعله يُعينه ، فلما بلغ الحيرة وافق وصوله يوم بؤس النعمان ـ وكان للنعمان ـ فيما قالوا ـ يومان في السنة : « يوم نعم » يكافىء في صباحه اول من يلقاه ، « ويوم بؤس » يقتل في صباحه اول من يلقاه ، فلما راى النعمان صاحبه يومئذ وعرفه اسف لذلك ، وطلب من الرجل ان يذكر حاجته قبل قتله ، ولم يشفع عنده فضلُ الطائي ولا جهله بهذه العادة ، وعندئذ طلب الطائي منه ان يؤجل قتله، حتى يرجع الى اهله فيوصيهم ، ثم يرجع اليه ٠ فابى النعمان ذلك الا ان ياتيه بكفيل ٠ فالتفت الطائي الى وجيه في الحاشية هو شريك بن عمرو، وطلب منه ان يكفله ، فابى ، وتطوع وجيه اخر هو قراد بن اجدع فكفله لسنة كاملة من يومه ، فاطلقه النعمان بعد ان وهبه خمسمائة ناقة ، واتى الطائي اهله فاعطاهم ما عنده ، ووصاهم ، واقام معهم حتى اذا اقترب الموعد ودعهم ، وقصد الحيرة للقاء النعمان ، فلما كان اليوم السابق ليوم الموعد قال النعمان للكفيل قراد : « ما اراك الا هالكا » ، فقال :

فان يك صدر هذا اليوم ولى
فان غدا لناظره قريب

فلما كان يوم الموعد اراد النعمان قتل قراد ولكن وزراء ه طلبوا تركه حتى نهاية اليوم ، وقبل نهايته وصل الطائي فعجب النعمان منه وساله عما دعاه الى العودة وهو يعلم هلاكه فيها، فاخبره انه عاد بداعي الوفاء ، كما يلزمه به دينه وهو النصرانية ، ثم عرضها على النعمان فقبلها هو ورعيته ـ كما قالوا ـ وابطل عادته في يومي النعم والبؤس ، وعفا عن الطائي ٠

(م٠خ٠ت)

المستر نكسون

● نرجو ان تحدثونا عن اوضاع المستر نكسون المالية ٠٠ فقد قرأت انها متضعضعة للغاية وانه مضطر للعودة الى مزاولة المحاماة طلباً للرزق ٠٠

(٠٠٠٠)

ـ يظن البعض ان المستر نكسون ، الرئيس الامريكي السابق ، يعاني ضائقة مالية شديدة او يشرف على الافلاس كما ذكرت احدى صحف كاليفورنيا قبل حين ٠ والحقيقة هي ان اوضاع المستر نكسون المالية سليمة لا خوف عليها ، في الوقت الحاضر على الاقل ٠ اذ تبلغ ثروته حوالي مليون دولار (بالضبط ٩٨٨ر٥٢٢ دولارا)وذلك حسب الكشوف الرسمية المعتمدة ٠

وقد لا تكون هذه الثروة كبيرة بالمقاييس الامريكية ٠ بل انها لتبدو متواضعة جدا لو قورنت بثروة المستر روكفلر ، مرشح الرئيس فورد لنيابة الرئاسة الامريكية ، وهي تقدر باكثر من ٢٠٠ مليون دولار ٠٠ وامثال المستر روكفلر في الولايات المتحدة كثيرون ٠٠ ومهما يكن من امر فان ثروة الرئيس نكسون الحالية تعتبر كبيرة ، لو قورنت بالثروة التي كانت في حوزته سنة ١٩٦٩، قبيل انتخابه رئيسا للجمهورية ، وكانت تلك الثروة الاولى لا تكاد تبلغ ٠٠٠ر٣٠٠ دولار٠٠

بيد ان للصورة جانبا معتما ٠٠ ولعل هذا الجانب هو الذي حدا بالبعض على الاعتقاد بان وضع المستر نكسون المالي متدهور ٠ ذلك ان البيت الفخم الذي يملكه في سانت كلمنتي ، في كاليفورنيا ، مرهون على مبلغ ٤٤٠ر٢٢٦ دولارا (اي ما يعادل نصف قيمة البيت تقريبا) ٠ والمستر نكسون مطالب بتسديد ٪ هذا المبلغ ، وقد سدد ربعه اثناء الصيف الماضي ٠ اضف الى ذلك الضرائب القديمة التي تفادى المستر نكسون دفعها في حينها ،والتي بلغت بمجموعها نحو نصف مليون دولار (٧٨٧ر٤٣٢ دولارا) ٠ فالرئيس السابق لم يسدد هذه المبالغ كلها قبل استقالته ، ويبلغ الرصيد المتبقي ٠٠٠ر١٥٠ دولار ٠ على ان القانون الامريكي لا يلزم المستر نكسون بدفع



لا يزال فى بحبوحة من الثراء

هذا الرصيد · وهذا حق من الحقوق التى اكتسبها الرئيس المستقيل بحكم استقالته ·

ولا ريب فى ان مخصصات التقاعد هى أهم ما يذكر فى هذا الصدد · واليك فيما يلى حصرا بتلك المخصصات التى يحصل عليها المستر نكسون، وهى نفس المخصصات التى كان يحصل عليها ايزنهاور وترومان وغيرهما من الرؤساء الامريكيين المتقاعدين :

٦٠٫٠٠٠ دولار سنويا راتبا تقاعديا ·

٩٦٫٠٠٠ علاوات تقاعدية لتغطية نفقات مكتب الرئيس المتقاعد ومرتبات موظفيه ·

هذا ويحق للمستر نكسون ان يتخذ لنفسه مكتبا بالمجان فى احد مبانى الحكومة كما يحق له السفر على طائراتها دون اى مقابل ·

اما المسز نكسون فتتقاضى ٢٠٫٠٠٠ دولار سنويا فيما لو توفى زوجها وبقيت هى على قيد الحياة ·

ولو تشبث المستر نكسون بمنصبه ورفض الاستقالة وانتهى به الامر الى الادانة فالاقالة لما ظفر بشىء من المخصصات والاعفاءات التى ذكرنا ،

ولاقتصر مرتبه التقاعدى على ١٥٠٠٠ دولار سنويا ، وهو المرتب الذى يحصل عليه الموظف العادى المتقاعد فى الولايات المتحدة ·

بقى ان نذكر ان المستر نكسون قد استقال من نقابات المحامين التى كان عضوا فيها · ولعله استبق الحوادث فاستقال قبل ان يقال · والمرجح ان يزاول الكتابة والتاليف بدلا من المحاماة ·· وقد شجعه على ذلك كتابه (آزمات ست) وقد بلغ دخله منه نحو ربع مليون دولار · أما مذكراته التى بدا فى وضعها فقد عرض عليه احد الناشرين شراءها بنحو (٢ مليون) دولار ·

(ى · ز)

ماأكثر العملات العربية ··

● اننا نسمع كثيرا عن اسماءالعملات المتداولة فى اقطار وطننا العربى . ولكننا نجهل تمام الجهل كم تساوى لبعضها البعض ، فنرجو منكم ان تضعوا لنا جدولا يبين هذه العملاتحتى نكون على بينة من امرها ·· لاسيما وانتم الذين تجاوبون علىكثير من اسئلة القراء التى استفدنا منها كثيرا ·

محمد احمد عباس ومحمد حمد فضل
عطبرة / السودان

ـ عملات الدول العربية مختلفة كل الاختلاف ، ففيها ما يسمى : الدينار ، والدرهم ، والجنيه ، والقرش ، والفلس ، والريال ، والمليم ، والليرة، والبقشة ، وغير ذلك ·· وكلها مختلفة القيم لايجمعها جامع ، مثال ذلك ان الدينار الكويتى يوازى نحو ١٥ دينارا جزائريا··وكلهذا لا يفيدك الا ان تكون زائرا ، فعندئذ تسأل عما تحتاج ··

ومع هذا فلا باس من ان تقول : لعل فى ميلاد الدينار العربى الموحد،الذى يتحدثون عنه ، صفاء من بعد هذا الخلط ·

■■



الالتجاء إلى البحار

لسد حاجات الأعداد المتزايدة من سكان الأرض من غذاء

بقلم : الدكتور محمد على عمر الفرا

■ هناك نفر من العلماء لا يستهان بهم قلقون اليوم على مستقبل الموارد الاقتصادية المتوفرة فى الطبيعة • ولعل مبعث هذا القلق ناجم ، من التزايد الهائل فى عدد السكان بشكل لم يسبق له مثيل من قبل ، بحيث يخشى معه ان يزداد الضغط السكانى على هذه الموارد الاقتصادية المتاحة ، التى تقدمها الارض لساكنيها • ويبدو ان هذه الطفرة السكانية لا تتمشى مع نمو الموارد مما يهدد حياة كثيرين من البشر ، وهذا ما حدا بكثير من العلماء والهيئات العلمية الدولية ان تبذل جهودها الرامية الى تنمية هذه الموارد ، ورفع انتاجية الانسان ، واستغلال كل ما يمكن استغلاله من عالمنا الارضى •

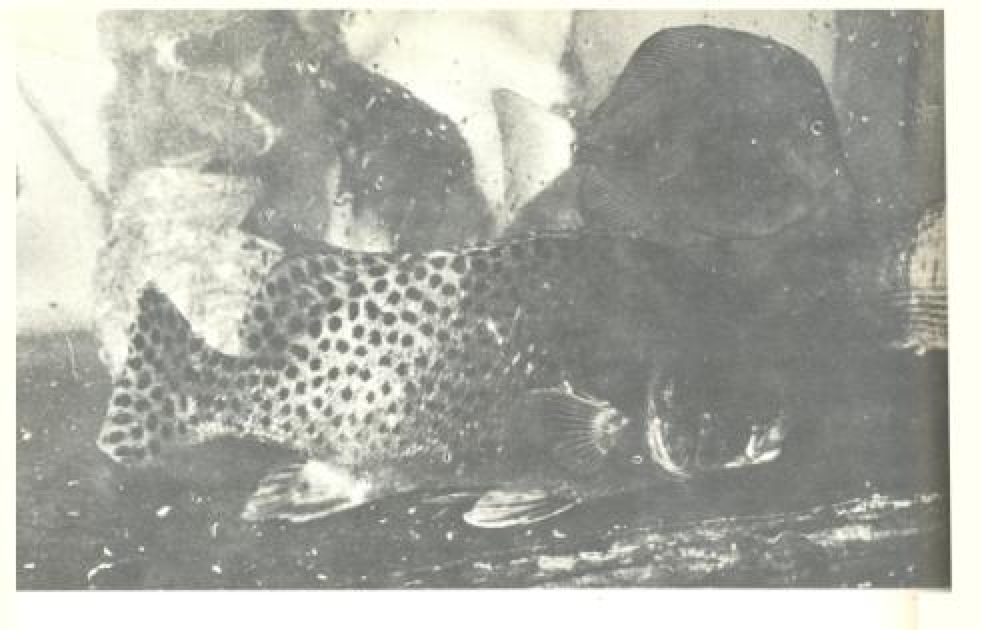
ولكن الارض اليابسة ـ مهما استغلت ـ لها طاقة قد تكون محدودة ، وربما تتوقف عندها • ولهذا اتجه بعض العلماء الى البحار والمحيطات يبحثون فى قاعها وجوفها وعلى سطحها وفى مياهها محاولين الكشف عن الموارد التى يمكن ان تقدمها لعالم الغد •

وقد طالعتنا دور النشر ـ فى الاونة الاخيرة ـ بكتب ينصب اهتمامها على البحار والمحيطات ، ولعل من هذه الكتب المفيدة كتاب « محصول البحر » وقد الفه « جون بارداك » وهو استاذ للاحياء البحرية بمدرسة الموارد الطبيعية بجامعة متشجان الامريكية • وله ابحاث بحرية هامة لعل احدثها نظام نهر ميكونج Mekong فى الصين بتكليف رسمى • هذا وقد شغل منصب نائب رئيس مجلس التنمية للموارد البحرية والهندسية الامريكية • وفى هذا الكتاب معلومات قيمة نلخص بعضها فيما يلى :

مناطق البحر

يبلغ متوسط عمق البحار والمحيطات نحو ٣٧٩٥ مترا اى ١٢٫٤٤٨ قدما ويمكننا تقسيم البحار والمحيطات الى ثلاث مناطق متباينة ، ذات معالم واضحة ، وهى :

١ ـ منطقة الافريز القارى Continentai Shelf وتمتد من اخر حدود المد والجزر ، حتى يبدا البحر فى الانحدار الفجائى • وتمتاز هذه المنطقة بانها تشبه الارض اليابسة فى كثير من الوجوه ، وقد كانت فى الازمنة الغابرة ارضا ، ثم غمرتها مياه البحر ، والدلائل كثيرة : منها وجود الغابات الغارقة فى شط الدوجر ببحر الشمال ، والنار



الوديان النهرية القارية ٠ ويبلغ متوسط عمق الافريز نحو ٢٠٠ متر او ٦٥٦ قدما ٠وهذه المنطقة اهم المناطق البحرية للانسان ،لان مصايد الاسماك وابار النفط والغاز البحرية تقع فيها ٠

٢ ـ منطقة المنحدر القاري Continental Slope وهي بمثابة الجدران الخارجية للمحيطات ، اذ عندها ينحدر قاع البحر بشكل فجائي ، حتى يصل الى منطقة قرار البحر العميق ٠

٣ ـ منطقة البحر العميق Deep Sea Floor وهي شديدة العمق تشغلها بعض الاخاديد والهوات السحيقة مثل اخدود مريانا في المحيط الهادي ، ويبلغ عمقه نحو عشرة الاف متر ٠

جني المحصول من البحر

تزخر البحار بانواع عديدة من الاسماك ، قيل انها تزيد على ٢٥٠٠٠ نوع ، ولكن الانسان لم يستطع ان يصيد لطعامه غير ٢٠٠ نوع فقط ٠ وعلى الانسان ان اراد مزيدا من استغلال هذه الاسماك ان يحاول استئناسها وتربيتها ، على نحو مافعل على اليابسة ، حينما استأنس الحيوانات البرية ، وتمكن بعد ذلك من الاستفادة منها ٠

وحتى ننجح في جني المحصول البحري ـ لنواجه به نقص المحصول على اليابسة ـ علينا ان نلتفت الى البحر ، وهذا يتطلب منا ان نفحص توفر الطحالب ، وامكانية زراعتها ، لانها قاعدة التغذية البحرية ، وذلك على نحو مانفعل على اليابسة ، اذ نسمد التربة ، ونبذر البذور ، ونتعهدها بالعناية ، الى ان ينضج الثمر ونجنيه ٠

خصوبة البحر

الخصوبة البحرية مختلفة من مكان لاخر ، ويمكن ملاحظتها بوضوح من اختلاف لون مياه البحر ، فكلما كان اللون أزرق صافيا دل هذا على ندرة الكائنات البحرية وقلتها ، وكلما مال اللون الى الاخضرار ارتفعت نسبة الخصوبة ٠ ويرجع سبب اختلاف الخصوبة البحرية الى الوفرة النسبية للمواد الغذائية ٠ ففي البحار الاستوائية تسخن المياه على مدار السنة ، وعلى عمق كبير ، مكونة طبقة مائية سميكة دافئة قد تصل الى حدود منطقة الاختراق الضوئي ٠ وتحتها طبقة باردة نسبية ومظلمة ، بحيث لا تساعد على التكاثر الحيواني ٠ ونظرا لسمك هذه الطبقة الدافئة ، تعجز الرياح عن احداث قلب الطبقتين ومزجهما ، كما يحدث في الاقاليم المعتدلة الحرارة ٠ وعملية القلب والمزج بين الطبقتين ، من الماء الدافىء والبارد ، لازمة جدا لتكاثر الاحياء البحرية ونموها ٠

وفي البحار الاستوائية تنمو الطحالب الطافية

بشكل سريع ، وتعيش على العناصر الغذائية في المياه السطحية ، وهذه الطحالب تغذى عليها العوالق الحيوانية التي عليها تعيش الاسماك والكائنات الكبرى • ونظرا لثبات الطبقة العلوية النسبي وعدم حدوث مزج مع الطبقات السفلية ، فان الكائنات البحرية التي تعيش غالبا على اعماق بسيطة لا يتعدى معظمها منطقة الضوء ـ تستهلك معظم الغذاء ، بينما تظل الطبقة السفلية غنية به لقلة الاستهلاك الناجم عن ندرة الكائنات التي تعيش في الاسفل •

اما البحار المعتدلة المناخ فالحال فيها مختلف ، اذ ان طبقة المياه الدافئة العلوية تتشكل فقط خلال فصول الدفء ، وتوجد تحتها مباشرة طبقة مائية سريعة التغير الحراري والكثافي وتسمى بمنطقة الانحدار الحراري Thermocline وهي تتكسر حينما يصبح الهواء الرأسي ابرد نسبيا من حرارة مياه البحر • وفي مثل هذه الاوقات نجد ان المياه السطحية ، والتي تحتها من نفس الكثافة تقريبا ـ تمتزج بحيث ينتج عن هذا المزج توفر الغذاء للطحالب في المستويات التي هي اعمق • وفي الربيع تبدأ الطحالب والدياتومات Diatoms ، وهي طحالب مجهرية واحدة الخلية ، في التكاثر مهيئة الفرصة للعديد من العوالق الحيوانية لان ترعى وتتكاثر ، وللاسماك كي يأكل بعضها بعضا ، وتتكاثر •

وفي بداية الخريف تقل الخصوبة بمعدل الربع تقريبا • وفي يونيو تنخفض مرة ثانية ، لظهور منطقة انحدار حراري ، كانت من قبل تحول دون امتزاج المياه السطحية بالمياه السفلية ، مكونة نفس الظروف السائدة في المناطق الاستوائية تقريبا.

ان الطحالب Algae ـ وبخاصة الطافي منها ـ ضرورية ، ولا غنى عنها لحياة المحيط ذات الطابع الهرمي • وهذه الطحالب تعتمد بدورها على الضوء والغذاء الذي يتألف من عناصر كثيرة كالأملاح • وبدون الضوء والغذاء لا يمكن ان تكون في البحر حياة • ولكن توزيع هذين العنصرين ليس متناسقا •لان هناك مناطق مجدبة، واخرى خصبة • والصيد في المناطق الخصبة لا يتعدى اعماقا قليلة لا تزيد على بضع مئات من الاقدام •وبهذا فان المحصول من الجهات البحرية العميقة قليل جدا • ولكن هناك محاولات لزيادة التكاثر في هذه الاعماق بطرق صناعية ، منها انزال صناديق مضيئة الى اعماق البحار •

مناطق الصيد العالمية

قبل عام ١٩٥٠ لم يكن في نصف الكرة الجنوبي صيد بحري ، فالمحيطات شمالي خط الاستواء تمد العالم باكثر من ٩٥٪ من موارد الصيد البحري •وكان الصيادون يفضلون الصيد بالقرب من اوطانهم ، ثم اخذوا في الابتعاد بالتدريج ، بحثا عن مزيد من السمك ،وطلبا لانواع مطلوبة• ولكن الانجليز والبرتغاليين والفرنسيين لم يلتزموا بهذا الاتجاه ، فقد ابتعدوا كثيرا عن بلادهم ، واشتركوا في مصايد اسماك القد Cod في نيوفوندلند ، وكذلك اليانكي Yankee صيادو الحيتان جابوا كل البحار بحثا وراء الصيد •

وبعد الحرب العالمية الثانية انتشرت الامم المتقدمة تكنولوجيا انتشارا سريعا في مناطق من البحر لم تكن من قبل مستغلة ، بحيث اصبحت المحيطات الجنوبية تزود العالم اليوم بنحو ٣٥٪ من كمية الصيد العالمية • وفيما بين عامي ١٩٥٢ و١٩٦٢ تضاعف الصيد تقريبا،بنسبة هي اعلى من نسبة الزيادة السكانية •

ويعتبر صيد السمك بالنسبة لكثير من الاقطار والامم ـ فيما عدا الولايات المتحدة ـ ضروريا جدا ذلك لانه ليس لدى هذه الامم ارض كافية لزراعتها بنباتات تنتج البروتين على هيئة ثروة حيوانية •

وعلى ضوء هذه الاعتبارات تزايد محصول السمك العالمي بسرعة فائقة ، والامل ما زال معقودا على زيادات كبيرة في المستقبل ، كي تشبع جوع العالم • ولذلك علينا ان ننظر الى اقطار العالم التي تزايد الصيد فيها •

يرى البروفيسور ، جورج بورجستروم ، George Borgstrom خبير الغذاء ، بانه في

العقد الماضي ظهرت ثلاثة امور هامة تتعلق بالمصايد السمكية العالمية : اولها بروز قوة كبرى وهي الاتحاد السوفيتي كامبراطورية بحرية ذات اساطيل صيد في جميع المحيطات ، وثانيها ما حققته اليابان في هذا الميدان . فقد فاق صيدها ما كان عليه قبل الحرب . مع وجود عمليات صيد لها في جميع انحاء العالم ، وهي تقدم اليوم الخبرة الفنية البحرية لكثير من الدول النامية ، وثالثها هو ازدياد تصنيع وجبات السمك Fish Meal في كل مكان . وظهور بيرو بشكل ملحوظ وفي غضون خمس سنوات كاكبر دولة منتجة لوجبات السمك في العالم ،

صيد العوالق

الى جانب صيد السمك . اصبح التفكير اليوم جادا لاستغلال العوالق في عمل الحساء والغذاء . الا ان هذا يعتبر حتى الآن ذا تكلفة اقتصادية عالية . لدرجة تجعل تحقيقه امرا شبه مستحيل ، فالماء الغني بالعوالق لا يكاد يحوي سوى عشر غرام بلانكتون لكل متر مكعب ، ولهذا فان مليون غالون من الماء ينبغي ترشيحها . من اجل الحصول على رطل واحد من العوالق ، وليت الامر يقف عند هذا الحد . اذ انها ليست العقبة ،

الصيد في الاعماق المتوسطة والقيعان

ان شباك الصيد الحديثة الخاصة بالاعماق تصل الى عمق ٢٠٠ متر (٦٥٠ قدم) وهذا كما ذكرنا من قبل هو متوسط الافريز القاري الذي يمثل ٥٪ فقط من عمق المحيطات ،

ولكن تمكنت بعض اجهزة الصيد الحديثة من التعمق اكثر من هذا بفضل الوسائل الالكترونية، وعلى كل حال تجمعت لدينا معلومات عن اعماق البحار تفيد بان الحيوانات البحرية تقل في الاعماق السحيقة ، حتى تكاد تختفي تماما ، كما هو الحال في الاخاديد البحرية المتعمقة ، ولكن الحاجة تدعو هذه الايام لمزيد من الدراسة عن قيعان البحار ، ومنطقة الاعماق المتوسطة ،

ولقد قدر العلماء الروس ان اكثر من اربعة اخماس جميع الكائنات البحرية توجد في المائتي متر العلوية ، وان ١٦٪ من الحياة البحرية توجد في طبقات تمتد من عمق يتراوح بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠ متر . بينما اقل من ١٪ من كائنات البحار تعيش تحت عمق ٣٠٠ متر وهي تقع تحت ٧٧٪ من مجموع سطح البحر . وهذه المنطقة لا وجود للنباتات البحرية فيها ، وفي المستقبل نجد ان نسبة الحياة البحرية دون ٢٠٠ متر يمكن ان يعاد النظر فيها على ضوء التقدم التكنى والعلمي ،ولكن الصورة العامة من المحتمل ان تبقى بدون تغيير ، وبناء على ما تقدم فان ظروف القاع اسفل منطقة الضوء . تعد بلا شك غير مشجعة للآمال من حيث الاستفادة منها للطعام ،

ولكن ماذا يمكننا ان نعمل لزيادة المحصول البحري ؟

من الواضح انه ينبغي للانسان ان يعمل في البحر ما عمله في البر ،وان يطور وينمي ما بداه من عمل في الماء العذب والماء القليل الملوحة ، عليه ان يزرع ويستانس الحيوانات البحرية ، ان هذا النوع من الزراعة المائية Aquabulture يبدو انه يبشر بمستقبل مثمر ،

زراعة البحار

لقد نجح الانسان حتى الآن في الهبوط الى اعماق سحيقة من البحار والمحيطات . وفي المكوث مددا طويلة داخل انابيب خاصة وغرف صغيرة مجهزة بكل ما يلزم لحياة الانسان ، وقد اصبح التفكير اليوم متجها صوب اقامة المدن والمستوطنات البحرية ، وسيكون من اهم واجبات سكان هذه المدن والمستوطنات البحرية القيام بدراسة البحر وكائناته عن كثب . ومحاولة استئناس بعضها وتربيتها . والعمل على زراعة بعض الانواع . وتكاثرها على نحو ما يفعل الزراع على الارض اليابسة ، وبعملهم هذا يمكنهم تزويد العالم بمصدر هام من مصادر الغذاء ، واليك امثلة على زراعة البحر ،

زراعة المحار

يعتبر المحار من اكثر الكائنات البحرية صلاحية

للزراعة ، لانها حيوانات متصلة بالقاعدة ، وتعيش في المياه المالحة نسبيا قرب مصبات الانهار الضحلة عند الشواطيء . هذا ، ومن الممكن تحسين البيئة التي تعيش فيها المحارات بواسطة حمايتها من الاسماك المفترسة . ويمكننا عمل مشاتل لهذه المحارات ،ونقلها بعد ذلك ،وزراعتها في المياه .

ويعتبر المحار اكثر كائن بحري استؤنس حتى الان ، ذلك ان طبائع حياته تجعل من السهل ضبطه والسيطرة عليه من قبل الانسان ـ او بمعنى اخر زراعته مائيا ـ كما انه يعطي انتاجا عاليا من البروتين والدهون والمواد الكربوهيدراتية .

ان اكثر جهات العالم تقدما في زراعة المحار ما يوجد بالقرب من هيروشيما في اليابان فيما بين الخلجان ومداخل بحر اليابان بالداخلي ، وهي تشكل مداخل مصبات نهرية تمد المنطقة بالعناصر المعدنية ، فتجعل البحر غنيا بالعوالق وهي بذلك تعتبر منطقة مثالية لحياة المحار .

زراعة الجمبري (الروبيان)

توجد في قرية « ايكوشيما تشو » ـ Ikushima Che اليابانية ، الواقعة في جزيرة شيكوكو Shikoku ، اول مزرعة للجمبري نجحت على نطاق واسع . وهي تتالف من عدة افدنة تغمرها مستنقعات ضحلة يضخ اليها ماء البحر المرشح بمعدل اكثر من ٥٠٠ طن في الساعة . ويعتبر الماء النقي احد الشروط الضرورية لزراعة الجمبري ، والشرط الثاني هو تزويد المستنقعات بنوع خاص من الجمبري ،هو جمبري البيض والذي يحضره الصيادون في موسم بيض الاناث .

والمرحلة الثانية من مراحل زراعة الجمبري تعتبر اصعب المراحل وادقها ، اذ فيها يمر الجمبري في عدة مراحل يرقية (مراحل تطور اليرقات) مختلفة عن سن البلوغ ، وتطلب هذه المراحل انواعا مختلفة تماما من الطعام ، ومما يزيد في تعقيد المشكلة ان الجمبري في هذه المراحل قد يعيش في عدة طبقات مختلفة من الماء . ويتالف الغذاء في العادة من الطحالب ، او العوالق الحيوانية ، او كليهما معا . ولهذا يتطلب الوضع زراعة انواع متعددة من الاطعمة .

وعلى اية حال تبين ان الجمبري وجراد البحر Lobsters يمكن التوسع في زراعتهما .

الصيد المخرّب

نحن نعلم ان البحار مشاع لجميع امم الارض وشعوبها ، وبالتالي ليست هناك سيطرة عالمية ـ من اي نوع ـ على الصيد الذي يزاوله الصيادون، على الرغم من ان هناك كثيرين يزاولون الصيد بطرق تهدد الثروة السمكية بالانقراض ، وهذا ما حدث للحيتان بالذات . وتعتبر اليابان اكثر بلاد العالم صيدا للحيتان في الوقت الحاضر .

وقد بدا صيد الحيتان في النصف الشمالي من الكرة الارضية ، وحينما قلت الحيتان انتقل الصيد الى النصف الجنوبي بالقرب من القارة القطبية الجنوبية ، حيث بدىء بصيد الحيتان الزرقاء ، وهي اكبر الانواع ، وهي التي ظلت الدعامة الاساسية للصناعة السمكية حتى عام ١٩٣٧ ، وبعد الحرب العالمية الثانية استؤنفت الحرفة ، حيث تدهور الصيد من نحو ٨٠٠٠ حوت في سنة ١٩٤٨ ، الى اقل من ٢٠٠٠ حوت في سنة ١٩٥٥، والى ٢٥٥ في سنة ١٩٦٢ ، وهذا التدهور جعل المسئولين يخشون انقراض الحيتان ، فابرمت في سنة ١٩٤٦ اتفاقية عالمية بشان تنظيم صيد الحيتان من قبل الاقطار التي تزاول هذا النشاط . وقد اقترح بموجبها حصص لصيد انواع مختلفة من الحيتان ، واتفق على تحريم الصيد في بعض المناطق والفصول ، كما اتفق على قيام لجنة عالمية للتفتيش ، لمعرفة مدى تطبيق هذه الشروط والالتزام بها .

النفايات والقاؤها في البحر

ان الغطاء البحري يتاثر ايضا بالمؤثرات البشرية ، ومن بينها القاء النفايات المنزلية

والصناعية فى البحر . ويرى المختصون من مهندسين وعلماء وسياسيين ان معظم التلوث الذى يحدث فى الانهار والبحيرات والبحار يمكن تجنبه . وللتلوث ـ كما نعلم ـ اخطار ، منها زيادة تركيز الاملاح على نسبتها المألوفة ، مما ينجم عنه موت الطحالب ، واختفاء الاسماك ، وبخاصة عند الشواطىء حيث البيئة معقدة نسبيا ، وتوجد انواع كثيرة من الحيوانات والنباتات البحرية ، ولكن اقل مما هو فى اعالى البحار .

هذا وان التلوث العضوى ـ وهو نوع اخر من انواع التلوث ـ يؤدى الى اختفاء بعض الانواع ، ولكن يؤدى الى كثرة النوع الواحد . كما ان التلوث الساحلى يؤثر تاثيرا سيئا على السياحة والنشاط السياحى . اما التلوث الناجم من النفط فله اخطار كثيرة على الكائنات البحرية . ويحدث تلوث الزيت من الناقلات ، وما ترميه فى البحر من فضلات ، او حينما تتحطم احدى هذه الناقلات ، كما حدث للناقلة ، تورى كانيون ، Torrey Canyon التى تحطمت عند « لاندز اند » Lands End فى ابريل ١٩٦٧ .

الطاقة من البحر

ان احتياجات الانسان للطاقة فى تزايد مستمر ، ويعتقد ان يكون البحر احد مصادر الطاقة الهامة فى المستقبل ، وفى اذهان المهندسين تصورات وافكار عن القوى الهائلة لحركات المد والامواج ، يمكن تحويلها الى طاقة يستفيد منها الانسان . وبالفعل استطاع الانسان ان يستفيد من قوى المد من عهد بعيد ، وذلك فى ادارة الطواحين المقامة قرب مصبات الانهار ، وبخاصة نهر « الرانس » Rance على ساحل بريتانى بفرنسا .كما اقيمت السدود البحرية التى استفيد منها فى توليد الكهرباء .

المعادن من البحر

ان كل مليون جالون من ماء البحر يحوى مايزيد قليلا على ربع رطل من الالومنيوم ، الى جانب آثار قليلة من البلاتين والذهب والفضة وعناصر اخرى بنسب متفاوتة . ولكن ما يزال استخراج هذه المعادن من اليابس اقل تكلفة من البحر بكثير .

ولكن هناك املاح يمكن استخلاصها من البحر بتكلفة منخفضة ، مما يجعل الحصول عليها من البحر امرا اقتصاديا ومنافسا . واهم هذه الاملاح هى ملح الطعام والبرومين والمغنيسيوم . هذا ، وقد تم الكشف عن اليورانيوم فى البحر . وقد توصلت معامل الفيزياء الوطنية البريطانية الى طريقة يمكن بها استخلاص اليورانيوم من البحر بتكلفة تنافس الانواع الرديئة المستخرجة من الخامات الارضية .

البحار ومدن المستقبل

يرى الدكتور رتشارد ماير Richard Meier الاستاذ بجامعة متشجان بالولايات المتحدة الامريكية ، ان المدن العائمة ستكون احد المظاهر البارزة للقرن الحادى والعشرين ، بسبب ندرة الارض اللازمة للبناء فى ضواحى المدن الكبرى . وفى الحقيقة يبدو ان المدن الساحلية فى اليابان والواقعة على نطاق ضيق بين الجبال والبحر انما هى بمثابة تجربة عملية وواقعية لهذا الانكماش فى الارض ، لدرجة ، يمكن على ضوئها ان امكانية انتشار مجموعات مؤلفة من منازل مقامة على مراكب عائمة فى البحر .

ولكن مدن البحر للمستقبل يجب ان يكون لها تخطيط مختلف عما هو مألوف لدينا من حيث المبانى والطرقات وتصريف النفايا . ويعتقد ان مدن المستقبل البحرية يمكن ان تكون ذات اغراض سياحية ، او يسكن فيها من يود الراحة والهدوء ، والاستجمام وراحة الاعصاب ، او قد يكون لها اغراض صناعية كان يتخصص سكانها فى الصناعات البحرية . ■■

الدكتور : محمد على عمر الفرا

قسم الجغرافيا ـ بجامعة الكويت



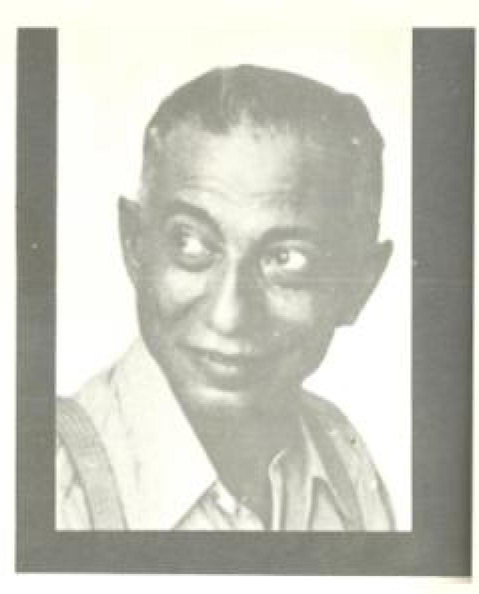
بقلم : جمال بهجت حسن بهجت

■ كانت حقبة مجيدة تلك التي عاش فيها المازني وانتج لم يمض ٠ انها حقبة تمتاز بنشاط جم في الحياة الفكرية والثقافية ، وبتقدم كبير في مجالات الفن والعلم ٠ ولقد كان هذا كله ثمرة ونتيجة حتمية للروح الوطنية التي بلغت الذروة في صراعها مع الغزو الاوربي الحضاري والسياسي والاقتصادي ٠هذه الروح الوطنية التي استطاعت بكل ما فيها من شجاعة وقوة ووعي ان تتحدى عوامل اخمادها ، الخفية منها والظاهرة ، وان تنطلق متلمسة مصادر القوة الذهنية والنفسية والمادية أيضا ٠ ولقد كانت السبل الى تلك المصادر وقتئذ معهدة ميسرة ، وكان الاتصال بلب الحضارة الاوربية ، والتفاعل معها ،والاطلاع على خصائصها ، والاستفادة منها ـ ذلك لا تقف العوائل دونه ٠ وكان اظهر اتجاهين للفكر هما الاتجاه اللاتيني والاتجاه السكسوني اللذين سارا جنبا الى جنب مع اتجاه عربي اصيل متجدد ، وكان لهذه الاتجاهات الثلاثة اكبر الأثر في احداث تغير في الذوق والحكم والتقدير ، وفي فتح افاق عريضة ، وتعصب فريق لهذا الاتجاه ، وتعصب آخرين لذلك الاتجاه ، وقامت معارك افادت الادب والفن والعلم والنقد ٠

المازني واحد من ثلاثة

والمازني احد ثلاثة لايكاد يذكر احدهم الا وذكر الاخران ، اذ تجمعهم جميعا وشيجة فكرية واحدة ، واتجاه ادبي لايختلف كثيرا في طابعه وصرامته ، وهم من ابرز رواد التجديد في ادبنا المعاصر ، هؤلاء الثلاثة هم العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري الذين انشأوا مدرسة في النقد ، قامت على مذهب دعامته كما لخصه المازني بقوله « ان الادب فرع من شجرة الحياة ، وان التقليد يفسده ، وان الاديب يجب ان ينظر بعينه ، ويفكر بعقله ، ويحس بقلبه ، وأن يكون مخلصا للحياة ٠٠ » ٠ ولقد ذكر العقاد في مقدمة « الديوان » الذي كتبه هو والمازني « ان مايميز هذا هذا المذهب الجديد انه مذهب انساني مصري عربي، انساني ، لانه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولانه من ناحية اخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ، ومصري لان دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربي لان لغته العربية ٠٠ » .

ولقد عاش الثلاثة ، العقاد والمازني وشكري في بيئة ثقافية واجتماعية وسياسية واحدة ،



واتجهوا اول ماتجهوا الى الادب الانجليزى ،ومنه الى الآداب العالمية ، يشتارون من رحيقها ، ويتذوقونها ،وينجون افاقا رحيبة واسعة ويطلعون على نماذج رفيعة وهم فى اسفارهم تلك يسبرون اغوار النفس الانسانية ، متفاعلين معها على هدى بصيرتهم ودراساتهم ، ويبحثون فى كنوز العربية محاولين الوصول الى اسرارها ، ونشر امجادها •

ولقد مكنتهم دراساتهم واطلاعهم الشامل وقوة شعورهم ومداركهم العالية من ارساء قواعد فى النقد وانماط فكرية فذة ومستويات ذوقية فريدة ، ولقد قدموا للفكر والشعر ثمرات شهية ، وبحوثا لأهم قضايا الادب والنقد والفلسفة ، فى عرض مونق شهى متحرر ،ونفضوا كذلك الغبار عن روائع الادب العربى ، والفكر الاسلامى ، ولم يكن التجديد فى نظرهم يعنى التنكر لاصالة اللغة العربية ، والعبث بقواعدها، والخروج على خصائصها ، بل لقد كانت لغتهم وأساليبهم على نسق فريد فى تفاوته وبلاغته وابانته ، وفى اشعارهم ظهر الابتكار والتطور ، وتعددت الاوزان ، وتنوعت الموسيقى الا انها احتفظت برونق الاوزان العربية الخالص ولم يخرج عن ضوابطها واصولها •

المازنى وانتحاله قصائد الشعراء الغربيين

وعلى الرغم من تشابه اتجاههم الفكرى والذوقى ، وعلى الرغم من انهم نشاوا فى بيئة تكاد تكون واحدة ، فقد اختلفوا فى تقييم انتاجهم ، واشتدوا فى نقد بعضهم بعضا ، اذ كانوا يتوخون الامانة والموضوعية • ولقد صدر الديوان الخامس لشكرى عام ١٩١٦ وفى نهاية مقدمته عن الشعر ومذاهبه نجد عتابا لاذعا مريرا موجها الى المازنى ، يحس القارىء انه اقحم اقحاما ، يتهمه فيه شكرى بانه انتحل قصائد لشعراء مثل شيلى Shelley وهينى Heine وهود Hood وغيرهم ، ولم يذكر انها مترجمة ، ويتلطف شكرى فيقول : انه لايصدق ان المازنى تعمد اخذ هذه الاشياء ، ولكنه يردف قائلا : ان الشاعر ماخوذ الى الابد بكل ماصنع فى ماضيه ، حتى يداوى مافعل ، ويرد كل شىء الى اصله ، وليس الاطلاع مقصورا على رجل دون رجل ، حتى لايامل المرء ظهور هذه الاشياء واكتشافها ، ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى •

ويذكر الاديب الفنان المرحوم عبد الرحمن صدقى ان المازنى ـ وكان استاذه فى المدرسة الثانوية ـ كان قد اوصاه بمطالعة ودراسة مختارات الشعر الانجليزى فى الخزانة الذهبية Golden Treasury ، وانه ماكاد يتجاوز فى المطالعة بضع صفحات من هذا الكتاب حتى استوقفته بعض ابيات احس انه قراها من قبل ، وسرعان ماتذكر انها موجودة فى شعر المازنى ، وبمراجعته للابيات على ديوان المازنى عرف ان المازنى قد ردد تلك المعانى فى قصيدته المطولة « مناجاة الهاجر » ، وكذلك فعل فى بعض قصائده الاخرى • وقد عزا عبد الرحمن صدقى هذا الى كثرة محفوظ استاذه المازنى ، والى سعة اطلاعه فى الآداب العالمية ، والى قدرته على الافادة منها ، والتصرف فيها ، ويقول : اننا نكون من السذاجة والسطحية بالموضوع الذى لايليق بالنقد فى هذا العصر اذا نحن لم نسجل للمازنى فى ترجماته وانتحالاته الى جانب مؤلفاته الخالصة ـ لونا من الاصالة ، فقد كان من قوة الاستيعاب بحيث يتمثل تلك المعانى الاجنبية فى حسه ، وروحه السخية ، ثم يستولدها ثانية وعليها سيماؤه وطابعه وكانها من صميم العربية •

المازنى يرد على شكرى ، يؤدبه

اما المازنى فلا يدع عبد الرحمن شكرى يهدأ طويلا بعد ان هاجمه ، ولا يتركه يفلت من يده ، ولو كان من دعاة المذهب الجديد فى الادب ، فيضعه وشعره على الوضم فيصدر « الديوان » عام ١٩٢١ مع الاستاذ العقاد ، ويهجم فيه المازنى على شكرى هجوما شديدا ، ويحس القارىء ان النقد لايعنيه بقدر مايعنيه تاديب شكرى ، والسخرية به ، فى صور لاذعة وصلت القمة فى الفن والبلاغة • ويبدأ مقاله بعنوان طريف هو « صنم الالاعيب » يصور فيه شكرى كصنم ملقى على شاطىء البحر للفكاهة ، ويصور الفرق بين طبيعة البحر وطبيعة شكرى فيقول : هذا ثبج مزبد وابد لايحد ، وموج لايكاد يقبل حتى يرتد ، وحياة متجددة واواذى مترتبة متوالدة ـ وهنا نفس خامدة ، وقوة راكدة ، وجثة باردة جامدة ، لاتمتد يدها الى الثمار ، تهدلت بهما عذبات الاشجار ، ولا يملأ صدرها حسن الاصال وروعة الاسحار ، ولا يستجيش الحياة فى عروقها منظر الكمائم تتفتح عن انق الازهار ، او الغمائم ترسم فى صفحة السماء المقلوبة ابهى الصور ، او الخضرة فى مستهل الربيع تكاد العين ترى ذيوعها وانتشارها بل وثبها من شجرة الى شجرة ، ومن عود الى فنن ، حتى تعود الحقول الى اخر مدى البصر بحرا مائجا من الزبرجد ، لا ولا ينبه شعورها الزهر فى الصباح البليل ، وقد اثقلت اكمامه الانداء فتساندت رؤوسها كان سربا من العذارى على الماء وردن فتزاحمن تحت ثوب ابيض ••

قطعة من الادب العالى كتبها المازنى فى بداية نقده فيها تشويق ، وفيها ترفيه ، وفيها تصوير ساحر ساخر ، لكل ما اراد قوله فى شكرى ، وكانى به وقد بدأ بمداعبة فريسته قبل ان يهجم عليها بهذا الاسلوب المعبر القوى الصداح الذى تشيع فيه موسيقى نفسه التى خلت من الفل ، وان كانت قد تملكتها رغبة التاديب ، وتتعاقب الصور بالوانها واصدائها وحركاتها ، ثم يبدأ فى نقد انتاجه فلا تفارقه الفكاهة ابدا فهو مثلا حين يقف عند قول شكرى :

كأنى مـــن نبيــه الذكـــر آنس
تمـر بـى الحســـان فترتضيـنى

يتساءل المازنى قائلا : ولا ادرى ماذا يرتضى الحسان منه ؟ لعله يعنى ـ بعد الشعر والتبرير فيه ـ انه جميل ؟ وكيف تمر به وترتضيه ؟ هل اقام نفسه فى معرض تمر به فيه ، وتتعهده بعيونها واكفها كما يفعل الصبيان باللعب والصور ؟ ، ويستطرد المازنى مهاجما شكرى قائلا : انه لا اسلوب له ، لانه يقلد كل شاعر ويقتاس بكل كاتب ، وينسج على كل منوال ، وان شعره يعكس الاضطرابات فى جهازه العصبى وان من الخير له ان ينصرف عن كل تاليف ونظم •

المازنى يفسر قضية الانتحال فى اواخر حياته

ويرد المازنى على قضية الانتحال فى اواخر حياته ، فيقول ••• وكنت فى شبابى قليل الثقة بنفسى ، على الرغم من غرورى ، فكنت اراجع الكتب اكثر مما اراجع عقلى ، اى انى كنت لاافكر بعقلى ولا انظر بعينى ، بل افكر بعقول غيرى ، وانظر بعيونهم • ولهذا كانت شخصيتى مستترة ، وقلما تتبدى •

وكان الذى يتبدى هو اطلاعى ، اى ثمرة دراساتى وقراءاتى ، ولهذا اتهمت بالسطو على اثار الاقدمين ، وللتهمة وجه ، لان عكوفى على الكتب كان يبدو اثره فيما اكتب او انظم ، ثم انى ـ طوال عمرى ـ ضعيف الذاكرة ، سريع النسيان ، فكان معقولا ان تعلق المعانى بذهنى ، حتى اذا كتبت شيئا ، او نظمت شعرا ، وخطر لى بعض هذه المعانى ـ توهمتها من ابتكاراتى•• وقد تنبهت الى هذا الضعف لما رايت غير واحد يتهمنى بالسرقة الادبية ، فتحرزت جدا ، وماأظن الان احدا يذهب الى انى اسطو على غيرى والحمد لله ••

العقاد يرثى المازنى فيعطيه حقه لااكثر

ويكتب العقاد عن المازنى بعد وفاته فلا يعطيه اكثر من حقه كاديب ، وان اطنب فى صفاته كانسان وصديق ، ويقول عنه : انه لايعرف فى اداب المشرق او المغرب نظيرا للمازنى فى هذه الملكة التى سماها بعبقرية الترجمة ،اذ انه يترجم النثر فى اسلوب كاسلوب الجاحظ ، وخالد بن

صفوان ، ويترجم الشعر فى اسلوب كاسلوب البحترى ، والشريف الرضى ، وانه ياتى بالمقالة المترجمة او القصيدة المترجمة فى طبقة التاليف، او اعلى وابلغ ، وانه يعرض قصيدة الشاعر الاوروبى العالمى بلغة عربية لايزيد عليها صاحب القصيدة لو انه نظمها بلغة الضاد • ثم يتكلم عن شعره فيقول : « ولا يقل شعره المطبوع عن شعره المترجم فى مزايا البلاغة والصقل والسلاسة » •

المازنى اضفى على ماترجم وانتحل قبسا من روحه

وليس من شك فى ان المازنى قد اضفى على ترجماته وانتحالاته قبسا من روحه واحساسه وبيانه ، واعطاها طابعا عربيا اصيلا ، ولعل هذه المعانى التى انتحلها فى شبابه قد استقرت فى اطواء نفسه فاخرجها تعبيرا لما يعتلج فيها ، فى وقت لم تكن شخصيته قد اكتملت ونضجت ، وفى وقت تزاحمت فى نفسه واستقرت خلاصات الفكر الانسانى ، نتيجة اطلاعه الواسع ،وقراءاته الدائبة فى الادب الانجليزى وما يترجم اليه من الآداب الاخرى • ولعل قدرة المازنى الفذة على الترجمة والسهولة والسرعة المعجزة فى التعبير عن الفكرة فى اسلوب عربى مصقول بليغ — جعلته يجد فى ذاكرته الواعية الانماط والقوالب اللغوية الملائمة فى النثر والشعر ، لما يحتشد فى فكره وحسه من معان مجردة تنبجس فى نفسه ، او تنثال عليه مما يقرا •

مثل من ترجماته

ومن العسير جدا ان نعطى فى مقالة نماذج من ترجمته غير انا نجتزىء بترجمته لرباعيتين للخيام ترجمهما عن الرباعيات الانجليزية لفتزجرالد Fitzgerald حيث يقول :

كـــرة تذهب فـى كـــل اتجـــاه
مالهـــا الا الــذى شـــاء الرمـــاه
ان مـــن القـــاك فـى ميـدانـــه
هـــو يــدرى — هـــو يــدرى — لا سواه

او حين يقول :

ابـدا يسـطـر ما شـــاء القــلم
ثــم يمضى — نافـذ الحكــم أصــم
ليس يمحــو نصــف ســـطر ورع •
لا ، ولا يغسـلـه دمــع ســجــم

اى بساطة فى اختيار اللفظ ! •• اى وضوح! اى دقة فى الترجمة واى سلاسة وفصاحة لاتدانيها الا ترجمة الشاعر رامى !

ولقد قدم المازنى للادب العربى ذخيرة نفيسة يعتز بها ، فيها صور حياته ، وحياة من عرف وخالط ، باسلوبه القوى السلس الطبع ، واخرج عصارة عقله وثمرة اطلاعه كاحسن مايكون الاخراج الفنى والاداء •• ان قصصه القصيرة وقصته الطويلة « ابراهيم الكاتب » لنماذج من الادب الرفيع العفيف ترتفع بمضمونها ، وترقى باسلوبها الى اعلى المستويات •

ملكة السخرية والدعابة عند المازنى

ولعل ابرز ماكان يتصف ويمتاز به من ملكات هو ملكة السخرية والدعابة والفكاهة • لقد سخر من نفسه ، بل سخر من الانسان عامة وتهكم وضحك والدموع فى ماقيه ، وهو حين تقبض خواطره،وتنبجس احزانه من اعماق نفسه الشاعرة يخرجها فى صورة فنية ، هى اية فى الروعة والدقة • وكثير من الناس يحسون ويشعرون ، ولكنهم لايستطيعون التعبير ، وكثير من الكتاب يحسون ويعبرون ، ولكنهم لايحسنون التعبير ، اما الاديب النابغة فهو الذى يحس ويعبر ويحسن التعبير وقد كان المازنى فى هذا المضمار لايشق له غبار •

وترجع طبيعة المازنى الساخرة الى احساسه العميق بالهوة السحيقة بن الواقع الانسانى وبين الكمال المنشود ، وكان يرى ان حقائق الدنيا كالخيال ، لان غايتها الى امل او ذكرى وكلاهما خيال ، وكانى به وقد بحث حوله فلم يجد الا هشيما يحصده ، او ربما يحاول القبض عليها ، وهو يعبر عن هذا فى مقدمته لكتابه « قبض الريح » فيقول : زرعت حصى فى ارض صفوان ، وهذا حصادى ، وقبضت الريح من كل نعمى تحت الشمس ، وهاانذا اؤديها الى القارىء ، واطلقها

عليه كما تنقيتها لو يقنع القارىء المدلل ! وقد خرجت ـ كما سيخرج القارىء ، وكما سنخرج جميعا من هذه الدنيا ـ وليس في يدي شيء ».

ولقد كان المازني امينا في التعبير عن كل مايجيش في نفسه من عواطف ونوازع وانفعالات ، وقد كان اسلوبه مرآة صادقة مصقولة لروحه العذبة وتفكيره وذوقه . اسلوب يجمع بين البساطة والقوة ،واضح لا لبس فيه ، ولا غموض . فيه اصالة ، وفيه عذوبة ، قد خلا من المحسنات اللفظية ، ومن الغلو ، ومن التكلف ، وعلى يديه وعلى يدي زملائه من الشوامخ استطاعت العربية ان تبرهن بجدارة انها تستطيع ان تكون اداة تعبير للدقيق من المعاني والغريب من الافكار .

طريقة المازني في النقد

وقد اعانه فهمه للطبيعة البشرية ، وكذا مااتصف به من ذكاء ، وسعة اطلاع ـ ان يرتقي الى مرتبة عالية في النقد والتحليل . وطريقته في النقد طريقة مشوقة ، لاشك انه اكتسبها او شيئا منها من ممارسته التدريس ، فهو حين يعنف لا يحس القارىء انه يريد الانتقام او الهدم ، بل يقصد التاديب والاصلاح .. وهو يبدأ نقده بمقدمة لاثارة التشويق ، تماما كما يفعل المعلم الكفء ، ونقده مزيج من الدعابة والسخرية والفن القصصي يقرأه الانسان فيحس بالمتعة ، ويجد فيه النظرات الصائبة ، والتحليل السليم .

فمثلا ـ حين نقرأ ماكتب في « الديوان » عن المنفلوطي ـ يروعنا صدقه وسلامته ، فهو يقف قليلا عند قول المنفلوطي عن شاب مريض شاهده من غرفة مكتبه في بيت مقابل ، اذ يقول ـ بعد ان دعا طبيبا له ، واخبره الطبيب ان الشاب مشرف على الخطر ، واحضر له الدواء .. « وقضيت بجانب المريض ليلة ليلاء ، داجية النجم ، بعيدة مابين الطرفين ، اسقيه الدواء مرة وابكي عليه اخرى ، حتى انبثق نور الفجر ... » ويعلق المازني على هذا الغلو والتكلف والاغراق بقوله ... « والعادة ان الاشربة يسقاها المريض بعد فترات (زمنية) يحددها الطبيب ، ولكن الظاهر ان طبيب المنفلوطي امره ان يعطيه الدواء بعد كل ... بكاء » .

وما من شك ان المازني كان من اكبر روا[د] النقد في ادبنا المعاصر ، وانه استطاع مقاب[لة] وتغيير اتجاهات زائفة ضارة ، وشطط طائش وشعوذة ادبية كانت سائدة .

المازني الانسان

كان المازني انسانا بكل ماتتسع له هذه الكلم[ة] من معنى ومدلول ، ولقد كان يثور ويندفع ليثار لما لحق به ولكن طبيعته السمحة سرعا[ن] ماتجعله يتراجع . ذهب مرة يهدي الجزء الاول م[ن] ديوانه لاخيه من ابيه ، وكان قد اساء اليه في صباه ، وسبب له ولامه شقيا ، وكان يريد ا[ن] يلقنه باهداء كتابه اليه درسا ، ولكن ماكاد اخو[ه] يتسلم الديوان ويقرا كلمة الاهداء حت[ى] اغرورقت عيناه بالدموع فخجل المازني من نفس[ه] فنهض وقبله بين عينيه ولثم لحيته وانصرف وق[د] غفر له كل شيء .

رحم الله المازني كان عملاقا من العمالق[ة] الذين شاركوا بقوة في حركة البعث والاحيا[ء] للادب العربي ، والذين مهدوا الطريق لتحر[ير] الفكر والارتقاء بالنفس عن هلوسة المشعوذين ومحترفي الادب . لقد كان احد الذين استطاعو[ا] ان يقضوا على عبث الادعياء الذين جهلو[ا] العربية ، فاسفلوا فيما كانوا يكتبون [و]يلفقون .

جمال بهجت حسن بهجت



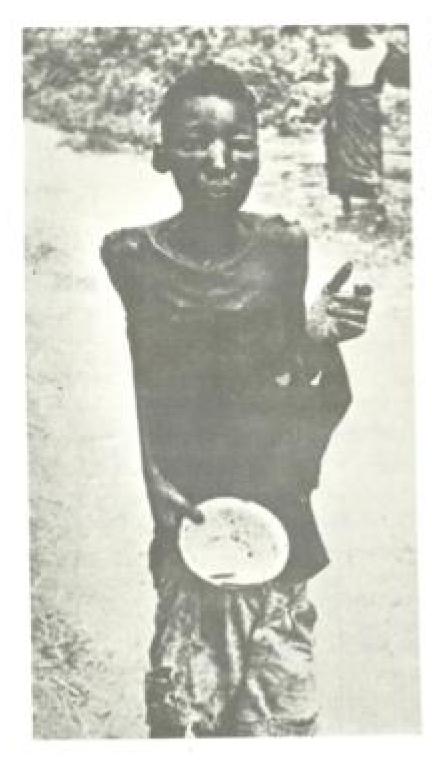


لبن سهل الهضم

● ملايين من البشر فى العالم يعانون من سوء التغذية ومن المجاعات التى تلم بهم مرارا وتكرارا . وتسارع كثير من الدول المتقدمة الى تقديم المعونات الى شعوب هذه الدول التى تعانى من نقص فى الغذاء او تتعرض الى مجاعة تفتك برعاياها فتكا . وغالبا ما تضم المأكولات التى ترسل كمعونة عاجلة فى اثناء المجاعات الالبان المجففة ، كعنصر غذائى غنى بالبروتين والمواد السكرية والفيتامينات . ولكن للأسف قد ثبت ان هذه الالبان لا تفيد هؤلاء الذين ارسلت لانقاذهم من الجوع وسوء التغذية ، لأن هؤلاء لم يتعودوا على تعاطى الالبان واصبحت هذه المادة لا تهضم فى امعدتهم، وتصيب من يتناولها منهم بالاسهال وسوء الهضم .

واهتم الباحثون بهذه المشكلة ، وقام باحثان فى جامعة رود ايلاند Rhode Island بالولايات المتحدة الامريكية بايجاد طريقة صناعية لتحليل مادة اللاكتوز Lactose العسرة الهضم فى اللبن قبل ارساله الى مثل هذه المناطق التى تعانى من سوء التغذية .

ان اغلب الاطفال يوجد فى جهازهم الهضمى انزيم يقوم بعملية تحليل اللاكتوز الى مواد سكرية اولية . ولكن اغلب سكان آسيا وافريقيا من البالغين يفقدون هذا الانزيم كلما كبروا فى السن . ومن هنا تأتى اهمية الاكتشاف الجديد لذلك النوع من الالبان الذى يتم تحويل اللاكتوز فيه صناعيا قبل طرحه فى الاسواق ، ويصبح بذلك لبنا سهل الهضم مفيدا للكثيرين من ابناء الدول الفقيرة والذين يتعرضون للموت جوعا فى كثير من الاحيان .





لماذا يعانى المدخنون عندما يتركون التدخين ؟

● اختلف العلماء فى تفسير سبب الاعراض التى يعانى منها الاشخاص الذين يتركون التدخين بعد طول ادمان . هناك من يقول ان السبب الرئيسى هو حرمان المدخن من الراحة النفسية التى يشعر بها عندما يضع السيجارة فى فمه . فهو لم يعد يجد شيئا يضعه فى فمه ،وهذا سبب نفسانى .

والفئة الثانية من العلماء تؤمن ان اسباب المعاناة عند ترك التدخين هى بسبب مادة النيكوتين التى تعود المدخن عليها نتيجة للتدخين ،وهذا السبب فسيولوجى .

ولم تكن هناك ادلة قاطعة تنصر هذا الفريق على ذاك . ولكن فريقا من علماء جامعة لويسفيل Louisville بالولايات المتحدة قاموا مؤخرا باجراء تجارب على الفئران وذلك بحقنها مرة كل يوم بكمية من النيكوتين تعادل تلك الكمية التى تدخل جسم الانسان المدمن على التدخين . وتستمر عملية الحقن مدة ٦ أيام متوالية . وقد لوحظ ان النيكوتين قد أثر تأثيرا ملحوظا على الاشارات النابعة من امخاخ الفئران والتى كان العلماء يسجلونها .

ولكن بعد مضى ٦ أيام فان هذا التغير العصبى يبدأ فى الابطاء وتبدأ الاشارات غير الطبيعية تتلاشى . وذلك بسبب تعود الجسم (جسم الفئران) على مادة النيكوتين، او بمعنى اصح ان الفئران تصبح مدمنة على مادة النيكوتين .

ويقول العلماء الذين اجروا هذه التجارب ان هذا دليل قاطع على ان مادة النيكوتين هى من المواد التى تسبب ادمانا، وان الاعراض التى يعانى منها كل من يترك التدخين هى بسبب ان الجسم حرم من النيكوتين الذى أدمن وتعود عليه .

مصل جديد تحت التجربة يمنع الاصابة بسرطان الثدى

● قام فريق من علماء معهد الابحاث الطبية فى مدينة كامدن Camden بولاية نيو جرسى الامريكية بتحضير مصل جديد يمنع اصابة الفئران بسرطان الثدى . ويقول الاطباء ان هناك احتمالا ان يكون سرطان الثدى فى الفئران مماثلا لسرطان الثدى فى الانسان ، وان يكون سبب الاصابة فى كل من الفئران والانسان فيروسات متشابهة . ويتكون المصل الجديد من فيروسات ميتة مستخرجة من اورام سرطانية فى ثدى الفئران المصابة . وقد ثبت من التجارب ان جرعة واحدة من المصل تحمى الفئران تماما من الاصابة بهذا المرض . ويأمل الاطباء فى تجربة هذا المصل على النساء فى القريب العاجل بعد اجراء تجارب اخرى عليه .

مقاعد المراحيض
قد تنقل عدوى مرض السيلان !!

● مرض السيلان أصبح من اكثر الامراض انتشارا فى العالم بسبب موجة الانحلال الخلقى التى تجتاح الكثير من الدول هذه الايام · وتدل الاحصائيات على ان اكثرمن ٢ مليون امريكى وامريكية قد عولجوا من هذا المرض فى عام ١٩٧٣· ويقول الاطباء ان الرقم الحقيقى لمن اصيبوا بهذا المرض هو اكثر بكثير من هذا الرقم المعلن . وذلك لأن العديد ممن يصابون بهذا المرض يفضلون العلاج فى العيادات الخاصة وبذلك لا تشملهم الاحصائيات الرسمية ·

وفى الماضى كان الاطباء يعتقدون اعتقادا جازما ان عدوى هذا المرض تنتقل اثناء الاتصال الجنسى فقط · ولكن يبدو ان هذا الاعتقاد الجازم بدأ يتزعزع مؤخرا من حيث انحصاره فى الاتصال الجنسى وحده · وخاصة ان هناك بعض الادلة التى تشير الى ان السيلان قد تنتقل عدواه عن طريق مقاعد المراحيض والادوات الاخرى فى الحمامات ·

وقد قام فريق من اطباء مستشفى ساندسفال Sundsvaal فى مدينة استكهلم بالسويد،بتلويث مقاعد المراحيض وكذلك بعض الادوات الاخرى الموجودة فى الحمام ببكتريا السيلان . وبعد ٤ ساعات وجدوا ان هذه البكتريا لا تزال حية ·

وهذا يدل ، نظريا على الاقل ، ان عدوى السيلان يمكن ان تنتقل بواسطة مقاعد المراحيض وغيرها من الادوات المستعملة فى الحمام ·

طاقة كهربائية من الرياح

● العلماء الآن يتسابقون فى البحث عن مصادر جديدة للطاقة ، ومن بين هذه المصادر الطبيعية التى يمكن استغلالها لتوليد الطاقة الرياح ··

وقد قامت مؤسسة العلوم القومية وادارة ابحاث الفضاء فى الولايات المتحدة الامريكية بتصميم طاحونة للهواء تستطيع توليد ١٠٠ كيلووات من الكهرباء ، وتستطيع سد حاجة مصنع صغير من الطاقة · ويتكون هذا المولد الهوائى من مروحة يبلغ قطرها ١٢٥ قدما مركبة على برج يبلغ ارتفاعه ١٢٥ قدما . وتقوم المروحة بتشغيل توربين يولد الكهرباء ·

وسيقام هذا المولد الهوائى فى منطقة تبلغ متوسط سرعة الرياح فيها ١٠ اميال فى الساعة ، ويستطيع هذا المولد ان ينتج ١٨٠ الف كيلووات ساعة فى السنة ·

وفى نفس الوقت يقوم احد علماء جامعة برنستون Princeton بتصميم مولد كهربائى هوائى صغير اسماه بالشراع لأن شكله يشبه شراع القارب · ويقول مخترع هذا المولد الهوائى ان هذا الجهاز يستطيع توليد ١٢٫٥٠٠ كيلووات ساعة فى السنة ،وان هذه الكمية تكفى استهلاك منزل كبير · وان ثمن هذا المولد لن يزيد عن٤ آلاف دولار فى حين ان مصاريف تشغيله وصيانته زهيدة جدا · وهكذا يحاول العلماء الحصول على مصادر جديدة للطاقة مستغلين فى ذلك قوى الطبيعة المختلفة ·

●●

عرف الانسان طواحين الهواء منذ قرون عديدة وعاد اليها الآن ليولد بها الكهرباء بعد ازمة الطاقة العالمية ·





جمال المرأة عند العرب

بقلم : سمير وهبى

■ اذا تاملنا قصيدة كعب بن زهير التى انشدها فى مدح رسول الله نجده قد بدأها بالغزل على عادة الشعراء القدماء :

بانت سُعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يُفد مكبــــــول

وما سعاد غداةَ البين اذ رحلوا
الا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحول

هيفاء مقبلةٌ . عجزاء مدبـرةٌ
لا يُشتكى قِصَرٌ منهــا ولاطول

تجلو عوارض ذى ظَلْم إذا ابتسمت
كأنه منْهـــلٌ بالراح معلـــــول

ان الأوصاف التى حشدها الشاعر فى الابيات الثلاثة الاخيرة تكشف بصورة جلية عن مقاييس الجمال عند العرب . هنا وصف للعين وللجسم وللاسنان . وهى كل ما يبدو للناظر اليها فضلا عن الصوت . فالأغن مقصود به الغزال الذى فى صوته غنة ونبرة حسنة . والطرف ـ وهو العين ـ المكحول صفة احبها الرجل العربى فى المرأة . خاصة اذا كانت طبيعية . لا صنعة فيها . كعين الغزال . اما القوام . فالمستحب فيه ما كان معتدلا . مثل قوام سعاد . لا طول فيها ولا قصر . وانما القوام بين بين . يراها الناظر فى اقبالها وفى ادبارها رشيقة هيفاء . اما العوارض . وهى الاسنان التى تلى الانياب . فلها ظلم . أى بريق ناصع فكأنما فمها المنهل المعلول . والنهل هو الشربة الاولى بعد ظمأ والعلل هو الشربة الثانية .

مما قال العرب فى عيون المرأة

ان دواوين الشعر مليئة بوصف المرأة الجميلة . كما ارادها خيال الشعراء . ان جريرا مثلا يجد فى العيون الحُور جمالا يقتل :

ان العيـــون التى فى طرفـــا حـــور
قتلننا ثم لم يُحيين قتلانـــــــــــا

وحورت العين حورا اشتد بياض بياضها وسواد سوادها . ويقال : الحور اسوداد المقلة



- **محاسن العيون ومعايبها**
- **وكذلك الحواجب بها محاسن ومعايب**
- **بين بياض المرأة وسوادها**
- **والشعر ما قبح منه وما حسن**
- **ومشية المرأة بين التثنى والتكسر**

كلها كعيون الظباء ◦ وهل للعيون سحر قاتل يحيى ويميت ؟

قال احد الشعراء :

الوجـهُ منكَ عن الصواب يضلُّني
وإذا ضللتُ فإنه يَهديـــــى

وتُميتني الألحاظُ منكَ بنظـــــرة
وإذا أردتَ ، بنظرة تُحييـــــى

او انظر الآن الى بشار ، وهو الذى حرم نعمة البصر يصف فتاة رائعة الجمال تصرف التقىّ عن اخرته ، وتشغل الحكيم بذكرها ◦ اما عيناها فلهما فعل الخمر ، حتى ليخال لسامعها أن لحديثها فعل السحر ، خاصة وقد اتى صافيا كالماء الزلال بعد صيام فافطر به ◦ قال بشار :

حوراء إن نظـــرت إلـيــــــــــــ
ك سقتك بالعينين خمـــــرا

تنسى التقــىّ معـــــاده
وتكـــون للحكمـــاء ذكــرا

وكأن رجْعَ حديثهـــــــــا
قِطَـع الرياض كُسين زهــرا

وكأن تحت لســـانهـــا
هاروتُ ينفُـــث فيـه سحـرا



وتخـــال ما جمعــت عليــــ
ــه ثيابهـــا ذهبا وعطــــرا

وكأنهـــا بـــردُ الشــرا
ب ، صفا ، ووافق منـــك فطرا

جنيّـــــة إنسيــــــةٌ
أوبين ذاك أجـــلُّ أمـــرا

وعلى ذكر العيون ، والحديثُ ذو شجون ، كان الشعراء يحبون العيون المكحولة ، فالعينان يراهما الرائى وكأنهما مكحولتان ، وليس بهما كحل ، وانما يكون حسنهما طبيعيا غير مجلوب ◦ وفى هذا المعنى قال ابن هانىء الاندلسى فى قصيدة له بداها بالغزل ، وفيها يمدح يحيى بن على :

فتكات طرفك ، أم سيوفُ أبيـك؟
وكئوس خمر ، أم مَراشِفُ فيكِ ؟

حسبـوا التكحل في جفـونك حلية
تالله مابأكفهم كحلـــــوك

وهذا امر فطن له المتنبى من قبل حين رفض الحياة المتحضرة وما بها من جمال مصطنع وتكلف

في الطباع . بينما حياة البداوة فيها بساطة وجمال طبيعي :

ما أوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

أفدى ظباء فلاة ماعرفن بها
مضغ الكلام ، ولا صبغ الحواجيب

حديث العيون طويل

وحديث العين طويل ، لان الشعراء تفننوا في وصفها واعلان مكانتها . قال ابن الرومي :

واحسن ما في الوجوه العيون
وأشبه شيء بها النرجس

ويقول ابن رشيق ان وجه الشبه في تشبيه العيون بالنرجس هو الفتور لا اللون . وهذا مصداق ما قاله ابن المعتز :

وسنان قد خدع النعاس جفونه
فحكى بمقلته ذبول النرجس

والعرب في الاصل يكرهون أزرق العين ، لانه يذكرهم بالاعداء . انظر أبا فراس الحمداني يعاتب سيف الدولة قائلا :

وفيك لقيت الألف زرقا عيونها
بسبعين فيها كل أشأم أنكد

وانشد صحار العبدي :

ولا عيب فيها غير زرقة عينها
كذاك عتاق الطير زرق عيونها

غير أن العرب بعد اختلاطهم بالاتراك والجراكسة والروم انسوا العيون التي تشبه زرقة السماء وزرقة البحر فاحبوها . يقول القيسراني :

لقد فتنتني فرنجية
نسيم العبير بها يعبق

ففي ثوبها غصن ناعم
وفي تاجها قمر مشرق

وإن تك في عينها زرقة
فإن سنان القنا أزرق

محاسن ومعايب لعيون المرأة وحواجبها

ومن محاسن العين (الدعج) ، أى أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة ،و (الكحل) سواد جفونها من غير كحل . و (الحور) اتساع سوادها كأعين الظباء . و (الوطف) طول أشفارها وتمامها . وفي الحديث الشريف ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في اشفاره وطف . و (الشهلة) حمرة في سوادها .

اما عيوب العين (فالخوص) هو ضيقها ، و (الخوص) غؤرها مع الضيق . و (الشتر) انقلاب الجفن . و (الجهر) ان لا تبصر نهارا ، و (العشا) ان لا تبصر ليلا .

واذا ارتفعنا عن العين ذاتها الى الحاجب وجدنا ان من محاسنه (الزجج) و (البلج) . ومن معائبه (القرن) و (الزبب) و (المعط) . والزجج رقة الحاجبين وامتدادهما . والبلج ان يكون بينهما فرجة . والعرب تستحب ذلك وتكره القرن وهو اتصالهما . والزبب كثرة شعرهما بعكس المعط وهو تساقط الشعر عن بعض اجزائهما .

وفي الاسنان

ومن محاسن الأسنان (الشنب) وهو رقتها واستواؤها وحسنها و (الرتل) حسن تنضيدها واتساقها . و (الفلج) تفرج ما بينهما ، و (التشتت) تفرقها في غير تباعد بل في استواء وحسن ويقال الثغر الشتيت اذا كان متفلجا أبيض حسنا . والأشر تحزيز في اطراف الثنايا يدل على حداثة السن .

اما مقابح الاسنان فهي (الرَّوَق) وهو طولها و (الكَسَس) صغرها ، و (الثَّعَل) تراكبها وزيادة سن فيها •و (الشَّغا) اختلاف منابتها • و (اللَّعَص) شدة تقاربها وانضمامها • و (اليَلَل) اقبالها على باطن الفم•و (الرَّوَق) انصبابها الى قدام • و (القَلَح) صفرتها • و (الطرامة) خضرتها • و (الدَّرَد) ذهابها • و (الهَتَم) انكسارها •و (اللَّطَط) سقوطها•

من محاسن الوان المرأة

اما عن لون البشرة ، فالعربي يحب منه اللون الابيض • ومصداق هذا شعر الكميت بن زيد يمدح الهاشميين :

طربتُ وما شـوقا الى البيض أطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعـــب

وكانوا يطلقون على البيضاء (حوارية) • والنساء الحواريات هن البيض • قال الاخطل :

حَــوارية" لايدخل الذمُّ بيتهــا
مُطهَّرة يأوى اليها مطهَّــــرُ

وبين البيض والسمر في كتب الادب مخاصمات طويلة • ولكل لون معجبون • قال بشار يتغزل في جارية له :

وغادةٍ سـوداءَ براقـــة
كالماءِ في طيــبٍ وفي لـــين



كأنها صيغـــت لمن نالهـــا
من عنبرٍ بالمسك معجــــون

وقال آخر :

ومن يك معجَبًا ببنـات كسرى
فاني معجَبٌ ببنــات حــام

من محاسن شعر المرأة

اما عن الشعر – ويسمى شعر رأس المرأة بالفرع • فالمستحب ان يكون اسود كالليل وطويلا • في قصيدة احمد شوقي عن زحلة ، قال :

ودخلت في ليلين : فرعك والدجى
ولثمت كالصبح المنوَّر فـاك

وهو معنى شبيه بمعنى قاله شاعر اسمه ابن المنذر :

فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى
وشمسين من خمـر وخد حبيب

والشعر الجميل ما كان اثيثا او جفالا اى كثيرا، ومنسدرا اى منبسطا ومسترسلا غير مجعد • ووصف شاعر جارية استطال شعرها حتى بلغ القدمين :

دعت خلاخيلُهـا ذوائبَهـــا
فجئن من فوقهـــا الى القـــدم

من محاسن مشى المرأة

وليس الجمال في دقة التقاطيع والتفاف القوام واستواء الشكل وحدها ، لأن هناك صفات اخرى غير جسمانية تشغل فكر الرجل ووجدانه وتجعل المرأة محببة اليه ، كالدلال والغنج • ومن قديم انشد امرؤ القيس :

« افاطم ، مهلا بعض هذا التدلل » •

ولشاعر اخر :

يامليحة الدعج
هل لدبك من فرج
أم تراك قاتلتي
بالدلال والغنج
هل علي ويحكما
إن لهوت من حرج

أطلق العرب صفات على مشية المراة ، فكانوا يقولون : تهالكت المراة ، اذا تفتلت في مشيتها ، وتاودت اذا اختالت في تثن وتكسر ، وبدحت وتبدحت اذا احسنت مشيتها ، وكتفت اذا حركت كتفيها ، وتهزعت اذا اضطربت في مشيتها ، وقرصعت قرصعة وهي مشية قبيحة ، وكذلك مثعت مثعا .

اختلاف المحاسن ودرجاتها

رتب القدماء حسن المراة في الفاظ ، فقالوا : اذا كانت بها مسحة من جمال فهي وضيئة وجميلة ، واذا كانت لا تبالي أن لا تلبس ثوبا حسنا ولا تتقلد قلادة فاخرة فهي معطال ، واذا كان حسنها ثابتا كانه وسم فهي وسيمة ، فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة ، واذا كان النظر اليها يسر الروع فهي رائعة ، واذا غلبت النساء بحسنها ، فهي باهر ، واذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية ، وفي هذا المعنى الاخير انشد أمير الشعراء :

خدعوها بقولهم حسناء
والغواني يغرهن الثناء

وقد كتب الاقدمون الشيء الكثير عن محاسن خلق المراة وعن نعوتها المذمومة ايضا ، ونكتفي هنا بذكر المحاسن ، فاذا كانت شابة حسنة الخلق فهي خود ، واذا كانت لطيفة الكشحين فهي هضيم ، واذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة ، واذا كان طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي عطبول ، واذا كان عظيمة الوركين فهي وركاء وهركولة ، واذا كانت عظيمة العجيزة فهي رداع ، واذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي بضة ، واذا كانت حيية فهي خفرة وخريدة ، واذا كانت منخفضة الصوت فهي رخيمة .

غير ان هذه المقاييس غير مطلقة ، فبينما كان الاقدمون يقبلون على عبلاء الجسم ثقيلة الارداف، اصبحت اذواق اليوم لا تقبله .

والمسالة قبل اى شيء اخر مسالة استلطاف ، راى عبد الملك بن مروان بثينة بعد وفاة جميل ، فانكر ان تكون هذه الشابة هي بنفسها التي اهاجت شاعرية جميل ، فقال لها : « ماذا راى فيك جميل حتى هام بك وانت حمشاء ادماء دقيقة الساقين عديمة العقبين ؟ » .

فردت عليه : « لقد رآني جميل بعينيه لا بعينيك انت يا أمير المؤمنين » .

والمعروف أن الشعراء يبالغون ، وهذا دأبهم ، ويجرون وراء الخيال ويخلعون صفات بعيدة قد لا تكون حقيقية ، سطا الجدري على وجه جارية ، فوجد حبيبها في الخدوش جمالا :

أيها العائبون وجها مليحا
نثر الحسن فيه نبذ خدوش
أى أفق بها بغير نجوم
أى ثوب زها بغير نقوش

اليس الامر كله ، كما سبق القول ، راجعا الى الاستلطاف ؟ ■■

سمير وهبي

---

* (العربي) : لم تكن مقاييس جمال المراة واحدة عند العرب على اختلاف عصورهم وبيئاتهم واطوارهم الحضارية ، فالبدو منهم يستحسنون ما لا يستحسنه الحضر ، وأهل الترف منهم يستحسنون ما لا يستحسنه البادئون في الحضارة ،وقد اتضح هذا بعد انتشار العرب في المشرق والمغرب ، وهذا ما تدل عليه اقوالهم وقصائدشعرائهم في عصورهم وبلادهم المختلفة .



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

نقص فيتامين ب المركب يؤدى الى امراض جلدية عديدة

● الاحظ دائما ان بشرة وجهى دهنية ، وهناك مايشبه البودرة على الانف ، وعلمت ان ذلك نتيجة نقص فيتامين ب المركب ، فهل هذا صحيح ؟ وهل هناك اعراض جلدية اخرى نتيجة ذلك النقص ؟

ـ احب ان اوجه عناية السائل الى ان فيتامين ب المركب يتكون من مجموعة فيتامينات ب مثل ب١، ٢، ٦، ١٢، وخلافه. ونقص هذا الفيتامين يؤدى الى اعراض جلدية مختلفة تبعا لنوع النقص الموجود الا انه وجد ان النقص يشمل عدة مجموعات وليس نوعا واحدا. ففى نقص فيتامين ب١ يظهر انتفاخ فى الجلد خاصة فى الوجه واليدين والمفاصل ، اما نقص فيتامين ب٢ فيؤدى الى تشقق وتكون قشور على الشفة ثم تسقط القشور تاركة جروحا خلفها ، كما ان الوجه يصبح دهنيا كما تقول، خاصة الانف وما حوله مع احمرار خفيف ووجود بودرة تشبه الردة على الأنف ، كما يحدث هذا ايضا فى الاذن ويتغير لون اللسان الى احمر بنفسجى . والبلاجرا من الامراض المنتشرة فى البلاد الفقيرة نتيجة نقص مجموعة فيتامين ب وخاصة حمض النيكوتنيك Nicotinic ، والظاهرة الجلدية عبارة عن التهاب واحمرار يظهر فى الاجزاء المعرضة للشمس مثل الوجه والرقبة واليدين او مناطق الضغط فوق اليد ، واحيانا يزداد سمك الجلد فى هذه المناطق وتتكون عليه قشور تسقط تاركة خلفها صبغة بنية شديدة .

وكذلك الاغشية المخاطية تتأثر بالنقص على شكل تشققات وقروح واللسان يجف ويتورم ويشتد احمراره ، كما ان نقص فيتامين ب يؤدى الى جفاف الاظافر وتشققها وتكون اخاديد بها ، كما يؤدى الى جفاف الشعر وتقصفه وسرعة تحوله الى اللون الرمادى او الابيض. كما ان النقص يؤدى الى ضعف مقاومة الجلد للامراض فتظهر عليه التقيحات والفطريات .

ويوجد هذا الفيتامين بكثرة فى اللبن والبيض والبقول والخميرة والكبدة ، فعليك بالاكثار من هذه المأكولات .

ماهى البثرات التى تسبب الما شديدا !؟

● اصبت ببثرات في الجانب الايمن من صدرى وهى تسبب الما شديدا ، اخبرنى الطبيب انها تشبه البثرات التى تحدث حول الفم نتيجة البرد او بعد الحمى ،الا انه مر اكثر من اسبوع ولم تتحسن • فما هو هذا المرض ، وكيفية علاجه ؟

— ان هذه البثرات عبارة عن مرض جلدى يسمى « هربس » Herpes Zoster وهو فعلا يشبه الى حد ما ذلك الذى يحدث حول الفم Herpes Labialis الا انه اشد الما واكثر اتساعا ،ويأخذ وقتا اطول فى علاجه ، كما انه قد يكون دلالة على وجود بعض امراض داخلية اخرى فى الجسم •

وهو يحدث نتيجة الاصابة بفيروس خاص وعادة ينتشر فى فصل الربيع والخريف ويصيب الشباب اكثر من باقى الاعمار • ويتميز المرض بأنه يتكون من مجموعة بثرات أو حويصلات صغيرة فوق قاعدة محمرة من سطح الجلد ، وقد يكون هناك عدة مجموعات متفرقة ويكون الجلد الفاصل بينها طبيعيا ، وعادة تمتد المجموعات مع توزيع الاعصاب فى الجسم • وتحتوى البثرات على سائل شفاف فى البداية يتحول بعد بضعة ايام الى لون ابيض ثم تتكون قشرة تسقط بعد فترة •

ويحدث المرض فجأة حيث ينام الشخص كالمعتاد فى المساء سليما معافى ، ولكن يستيقظ مصابا بهذا المرض فى الصباح ويكون مصحوبا بألم عصبى حاد يشبه اللسعة او الحرق مع بعض الحكة ، واحيانا يصحبه ارتفاع فى درجة الحرارة •

وعادة تكون الاصابة فى ناحية واحدة من الجسم ، ونادرا ما تتكون بثرات فى الناحية الاخرى •

وقد يسبق الالم والحكة ظهور البثرات وقد لا يشعر المريض به الا بعد تكون

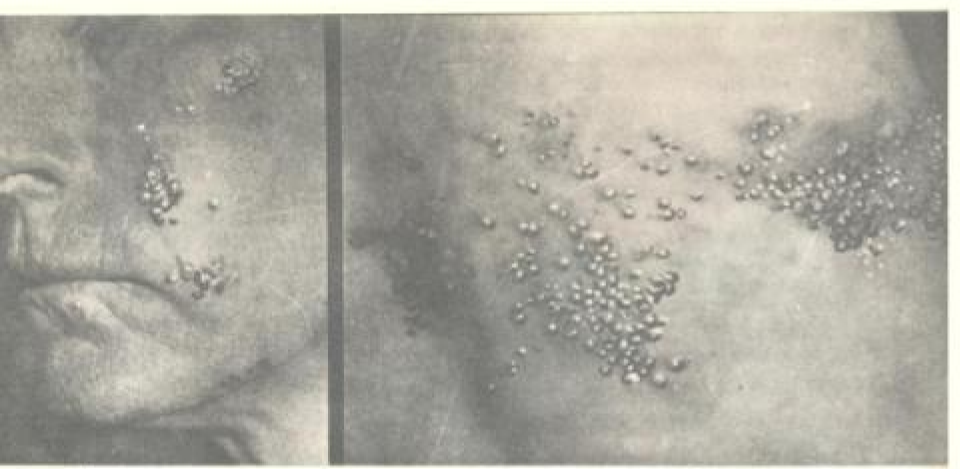
التطعيم ضد الدرن
يكسب مناعة تقل تدريجيا بمرور الأعوام

● سبق لى التطعيم منذ عدة سنوات بطعم ال بى سى جى ولكنى اصبت بسعال ، وبالكشف وجدت مصابا بالدرن ، فما قيمة التطعيم •• وهل اقوم بتطعيم ابنائى ، ام لا داعى لذلك ، ما دامت العدوى تحدث رغم التطعيم ؟

— ان التطعيم بال بى سى جى B.C.G (وهو ميكروب درن مروض) يعطى مناعة للانسان ضد مرض الدرن ولكن هذه المناعة ليست مطلقة • اى ان الشخص الذى يطعم يكون اكثر مقاومة للعدوى من الشخص الذى لم يطعم أو يكتسب مناعة طبيعية ، كما ان هذه المناعة تقل تدريجيا بمرور السنين وفى الغالب تستمر ثمانية اعوام فقط •

لذلك ورغم تطعيمك منذ عدة سنوات اصبت بالمرض عند تعرضك للعدوى •

اما اولادك فهم « مخالطون » وعرضة للعدوى بالمرض ، ولهذا فان من واجبك ان تعرضهم على الوحدات المختصة لعمل الفحوصات اللازمة لهم من اشعة للصدر واختبار التيركلين Tuberculin فمن كان منهم قد اصيب يعطى العلاج ، ومن كان سليما طعم بال بى سى جى لوقايته •



صورتان تمثلان الاصابه بهرس زوستر ٠٠الاولى فى الكتف والثانية فى الوجه ٠

البثرات ، وقد يكون الالم خفيفا ،واحيانا يكون شديدا جدا وغير محتمل ٠

وهناك اسماء او انواع مختلفة من هذا المرض تعتمد على موضع الاصابة فقد تحدث فى الوجه او العين وفى هذه الحالة قد تؤدى الى فقد البصر ٠ واكثر الانواع انتشارا هو ذلك الذى يحدث على جانب الصدر ٠

وتكون الاصابة شديدة فى كبار السن حيث يجب عليهم الراحة التامة حتى تخف حدة المرض ،اما الشباب فيستمر فى عمله كالمعتاد رغم الاصابة ، وعادة يأخذ المرض عدة اسابيع حتى يشفى نهائيا ، ويتلخص العلاج فى استعمال دهان اكتيول يوميا لمدة اسبوع حتى تجف البثرات ثم بعد ذلك ترش بودرة مطهرة ، ولتخفيف الالم يستعمل مرهم بروكين ، كذلك فيتامين ب١ بالعضل او الفم ٠

وموضعيا تستعمل مراهم Hydrophilic ointment او اكوافور لتذيب المادة الكيراتنية التى تسد قناة الغدة فتسهل خروج العرق ٠

مرض النقرس ٠٠قد يسبب تلف المفاصل التى تصاب به

● اصبت بالتهاب فى مفصل ابهام القدم وبالكشف والتحليل اتضح انه مرض (النقرس) Gout وانه فى حالتى ناتج عن خلل فى التمثيل الغذائى لمادة البورين Purine فماهى مضاعفاته ، وكيف احمى نفسى منه ؟

ـ من مضاعفات المرض ، تلف المفاصل التى تصاب به ، فبتكرار الازمات وبعد ان يصبح المرض مزمنا يتسبب ترسب املاح حامض البوليك فى تلف انسجة المفصل ٠

كما ان هذه الاملاح ايضا تترسب فى الكليتين وتتلف انسجتها مما يقلل مقدرتها على القيام بوظائفها ٠

كما تترسب هذه الاملاح فى حوض الكلية والحالب والمثانة وتتسبب فى تكوين حصوة بالمسالك البولية ٠

كما ان المرض له علاقة ايضا بتصلب الشرايين ومضاعفاتها من ذبحة صدرية وخلافه ٠

لذلك انصحك بأن تكون دائما على اتصال بطبيبك لاعطائك الدواء الذى يجعل نسبة الحامض فى الدم قريبة من الطبيعى وان تكثر من شرب الماء ٠ واكل الخضراوات ، والتقليل من اكل اللحوم خصوصا الكبد والكلاوى والمخ والسردين والتوابل والمشروبات الكحولية ، وان تتجنب المجهود العضلى ٠

●●

قصة مترجمة

الحقيبة ذات الجلد الأزرق

تاليف : ماريون سكوت

■ فتحت باب محل (سوانسون) ، اكثر محلات شارع (هاى ستريت) اناقة ، وتوجهت الى الداخل • كنت مليئة بالرغبة والجرأة عندما توجهت الى البائعة •

« اريد حقيبة ذات جلد ازرق تتناسب مع هذا الحذاء » • قلت هذا ومددت قدمي لاوضح لها رغبتي بشكل احسن •

فاجابتني بقولها « ساعرض عليك كل مالدينا يا انسة » •

وتركت نفسي اسقط على المقعد الذى كان بجانب طاولة البيع وانا منهكة ، اذ كنت قد دخلت كل محلات الحقائب الموجودة في هذه المدينة• واستطيع القول انه منذ صباح السبت وهذه (الزيارات) لم تكن مزاحا • كان يبدو لى ان كل الناس قد قرروا ان يبتاعوا كل طلباتهم صباح ذلك اليوم • ولقد سبق ان مررت بهذا المحل ولم ادخله ، على الرغم من جودة بضاعته المشهورة ، لان اسعاره لم تكن في استطاعتي ، غير انى هذا اليوم لم اجد مكانا اخر غيره ، وكنت في حاجة ماسة الى شراء حقيبة جديدة ، فتلك القديمة لم تكن متناسبة للحذاء ، و(هنرى) كان من النوع الذى لاتفوته مثل هذه القضية •

قرات في احدى المجلات ان « الكماليات هي الاشياء الاكثر اهمية » ، وتصورت حينئذ نظرة هنرى لهذا القول وتقديره اياه •

كان هنرى يعمل في مكتب للمحاسبة ، وكنت اعرفه منذ ستة اشهر بدت كافية لتعرفنى انه كان يعجبه ان يكون كل شيء كاملا •

تلفت حولي• لم يكن هناك اثر للمدير المسن الذى رايته في هذا المحل عدة مرات ، بل كان هناك اخر يتنقل دون ان يلتفت الى شيء ، في حين كان واضحا ـ كما بدا لي ـ انه لايفوت عينيه الزرقاوين شيء •

تفحصت بامعان الحقائب الاربع التى حملتها الي البائعة • كانت احداهن ذات شريط ، والثلاث الاخريات كانت ذات جلد ازرق ، ولكني لم اتبين الالوان بشكل واضح ، لعدم كفاية النور في ذلك المكان •

« هل يؤسفك لو ذهبت الى جانب النافذة ؟ »

« تفضلي يا انسة • يوجد ايضا مراة بجانب الباب بمكنك ان ترى تناسبها بشكل تام » •

علقت ثلاثا على ذراعي ، وجربت منها ذات الشريط على كتفي • وعندما كنت اتطلع الى



« ... واحسست بانقيادي الى الحديث ، وكنت شاردة ، ولم ادر لماذا حدثته عن هنري ... »

نفسي لاحظت في المرآة ان عيون المدير كانت تتمعنني بدقة دون ان ينتبه الى اني اراه ، وقلت في نفسي : انه لجذاب حقا وداهمني احساس غريب، اذ مر بخاطري طيف هنري.وعدت من جديدا لتفحص الحقائب. تلك ذات الشريط فلا كلام عليها.واحدى الثلاث كانت غامقة والثانية كبيرة ، اما الثالثة فكانت مناسبة .

فتحتها عارفة اني ساجد سعرها مكتوبا على بطاقة في جيب داخلي . وعندما رايته تملكتني رعشة توقفت بعدها برهة ثم اغلقت الحقيبة بتصميم، كانت اكثر بكثير مما توقعت ، ولم يكن باستطاعتي اقتناء حقيبة كهذه ولا حتى من اجل ارضاء هنري.

عدت الى المكتب ووضعت الحقائب ، وقلت : « يؤسفني أن لااشتري الا ان الحقيبة الوحيدة التي اعجبتني تكلف كثيرا ، يجب ان اعمل حسابي ».

واتجهت الى الباب ، وكنت على وشك فتحه عندما احسست احدا يمسك ساعدي ،وهو يقول : « هل لك ان تتفضلي الى مكتبي لحظة ؟! » ، كان ذاك هو المدير الجديد مع ابتسامة باردةعلى شفتيه. كنت مندهشة لكني لم اهتم ، وتبعته باذعان الى غرفة صغيرة خلف المكتب .

قال « تفضلي استريحي » . غير ان ابتسامته هذه المرة كانت قد اختفت « حضرتك تعرفين طبعا لماذا دعوتك الى هنا » اجبت « لا اعرف » . وكنت

مرتبكة . اعرف ان لي شكلا مقبولا ، واعرف ان بعضهم كان يقدر بخاصة الشعر الاسود والعينين الزرقاوين،لكن يبدو لي انه في مثل هذا الظروف يمكن ان يولد حب من اول نظرة . لم تكن نظراته مركزة على عيني الزرقاوين بقدر ما كانتمركزة على كتفي اليمنى . حاول ان يقترب مني ، وفي تلك اللحظة فقط انتبهت الى ان الحقيبة ذات الشريط كانت ماتزال على كتفي .

« اوه » قلتها منتشية بسعادة ، اذ اني استطعت ان احل الغموض . « اسفة جدا ، لقد نسيت ذلك تماما » . وانتزعت الحقيبة ودفعتها اليه ، فلم يجب بشيء ، وتطلع الي مفكرا ، ولو انه كان منتحيا لحسبت انهيداعب لحيته ولكن على الرغم من انه لم يكن ذا لحية كان يتابع امرار يده على ذقنه واخيرا سألني « ولماذا فعلت ذلك ؟ » .

« فعلت ماذا ؟ » سألته بدوري مذهولة ، غير ان فكرته مرت بخاطري « لعلك تعتقد اني اردت سرقتها ؟ أليس كذلك ؟ » وحاولت ان اضحك غير اني لم افلح .

ثم قال ـ وهو يحدجني بنظرة مليئة بالرثاء : « واضح بشكل كاف انه كان نسيانا ، الا يبدو ذلك ؟ الكل يقولون ذلك » .

« قلت محال ان يكون هذا ، لقد كانت الحقيبة فارغة وخفيفة بحيث لم انتبه الى بقائها على كتفي . لم يكن الامر الا نسيانا . هذا كل ما في الامر » .

نقر باطراف اصابعه على المكتب ، ثم اخذ قلما « هل يؤسفك ان تعطيني اسم حضرتك » . اجبت وكانني في غيبوبة « كلريا دونوفان » ثم نهض بحركة مفتعلة ، ومما زاد دهشتي قوله « اتريدين ان تتفضلي معي يا آنسة ؟ » .

كان كل ما اتمناه في تلك اللحظة هو الخروج من المحل ، ولذلك فقد تبعته سائرة خلفه كما لو انى في حلم ، متصورة بان وجودي خارج المحل يتيح لي الاختلاط بالناس في الزحام ، ولكنه الصق ذراعه بي،وقادني على طول رصيف الشارع باصرار وعزيمة .

قلت « ولكن اين نحن ذاهبون ، انني لا افهم شيئا » .

قال « سنذهب لتناول القهوة معا » .

قالها وهو يدفع بي الى داخل احد المقاهي ، حيث كنت اذهب بعض الاحيان مع هنري .

قلت في نفسي : « آهون شر انه بعد كل هذا صدقني ، ولكن يا له من نموذج غريب » ولم يكن هناك داعلان افكر في الامر ، فقد كنت بحاجة حقا الى بعض القهوة .

وبعد ان طلب القهوة ، التفت الي ، وقال « هلا حدثتني عن نفسك ؟ فان هذا يهمني » . وكان الامر يبدو لي غير مجد ، غير اني رأيت انه من الافضل الاستمرار في هذه اللعبة . وهكذا رحت احدثه عن عملي كامينة سر في احد المكاتب القضائية ، وعن شقتي الصغيرة في منطقة دميلبري ، وعن والدي اللذين جاءا من القرية حيث كانا يعيشان ، واحسست بانقيادي الى الحديث ، وكنت شاردة ، ولم ادر لماذا حدثته ايضا عن هنري .

قال « وهل يحدث ان تكوني دوما .. شاردة ؟ » وكانت لهجته ناعمة بحيث وقعت في المصيدة ، فحدثته عنتلك المرة التي اخذت فيها احدىالمظلات من احد المطاعم ، معتقدة انها كانت لي ، غير ان مظلتي كانت في المنزل ، ولم استطع تذكر ذلك المطعم . وعن السيارة التي استاجرتها للذهاب الى احدى الحفلات ثم تذكرت اني نسيت محفظتي ، وطلبت قرضا من احدى زميلاتي غير انها لسوء الحظ لم يكن معها نقود وقد كنت اضحك لتذكري هذه الحادثة ، في حين انه لم يجد في ذلك ايه متعة .

«وهنري هذا من هو ؟ هل هو خطيبك ؟ » .

« لم يخطبني بعد . على الاقل على مستوى المكتب ، غير اننا نفكر في الزواج » .

« وهل يعرف ذلك ؟ » .

« طبعا يعرف ذلك ، وهل يحدث زواج الا بين اثنين ؟ أليس كذلك ؟ » وبدا لي سؤاله احمق .

« لم اقصد ذلك . كنت احب ان اعرف ما اذا كان هو على علم بهذا (الضعف) الذي عندك »

وكان يبدو عليه شعور الثقة بالنفس ، وهذا ما جعلنى احس بالغليان ٠

سالته بهدوء مفتعل « لماذا احضرتنى الى هنا ؟ »

واجابنى باسلوب الصبر الذى يلجأ اليه رجل رزين مع طفل مشاغب ، قال : « كنت احب ان افلح فى فهمك ٠ ان الناس يهمنى امرهم ، بل انهم يشكلون طرفا من عملى ٠ وانا كما ترين احاول ايجاد اسلوب لتوجيه مديرى المحلات العامة ٠ وفى هذا الاسبوع ساوكل السيد كيبلى فى المحل ليشرف مباشرة على المشاكل التى تواجه البيع بالمفرق » ثم ابتسم وهو يقول ويجب ان اقول انها كانت خبرة مهمة جدا » سالته ببرود ولو انى كنت على وشك الانفجار « حقا ؟ ؟ » وكم من الاشخاص الذين يشردون وكم منهم قد اصطحبت خارج المحل لتتناول القهوة فى هذه الفترة ؟ ٠٠ وباختصار ، ولاكن اكثر وضوحا ، هل تاتى الى هنا غالبا ؟ »

واجاب فى جد « كلا لحسن الحظ ٠ ولكنى اردت النقاش مع حضرتك لاكتشف لماذا ، ٠٠ قصدى ان المعادلة بعيدا عن المحل عن هذه القضايا يتيح لحضرتك ان تحدثينى عن كل ما يدور فى خلدك »٠

ثم واصل حديثه ، وقد ازداد يقينا : « الآن انا متاكد من انك اردت ان تعملى صفقة من اجل خطيبك ٠٠ ولكن اعرف ان هذا لن يحدث مرة اخرى ٠٠ اليس كذلك ؟ »

كان قوله ذلك شديدا علىّ ، فقلت له : « كيف تجرؤ على ان تقول لى مثل هذا ، كنت اعتقد ان حضرتك دعوتنى كى اتناول القهوة لاقتناعك بكلامى ، وليس لكى تعلمنى درسا ، انك انسان كامل ، اليس كذلك ؟ اننى متاكدة من ان حضرتك لا تنسى شيئا ابدا ، لا ترتكب اخطاء ابدا يا سيد ٠ ما كنت اريد سرقة حقيبتك الملعونة ٠٠ بل انها لم تعجبنى » ٠

ونهضت ثائرة وانا اقول : «لم اكن اريد القهوة ولا الدرس » ٠

وشعرت من نظرات الذين حولى بانى كنت قد رفعت صوتى ٠ وابتعدت عن الطاولة متعثرة بمقعد من سرعتى ٠ وعندما اتجهت الى الباب كدت ان اصطدم بشخص امامى ، وكنت على وشك ان اطلب المعذرة عندما رفعت عينى ، وتوقفت كانما اصبت بصدمة ٠ كنت اعرف ذلك المعطف وذلك القميص ، وربطة العنق تلك ، « لا ٠٠ ذلك غير ممكن » ٠ لقد كان هنرى واقفا ينظر الى ذاهلا ، فقال : « كلوريا ٠ ما الذى يجرى » ٠

وتساءل الرجل الذى كان معه « هل يعرف كلاكما الآخر ؟ » ٠

اجاب هنرى موافقا وكانه تعب : « نعم ٠٠ بل كنا على وشك ان تصبح خطيبين » ٠ ٠

ولكن كان كل ما يستطيع هنرى عمله هو النظر الىّ فى جو كله اتهام ٠ واندفعت خارجة دون ان اضيف اية كلمة فقد كان وجود السيد (الجديد) قد شرح كل شىء ٠

اخذت السيارة العامة وعدت الى البيت ٠ كنت غاضبة وانا افكر فى الكلمات التى كان يجب ان اقولها لـ (ذلك الرجل) ، وبعد قليل من الوقت زال غضبى وبدأ يشغلنى ما كان يجب ان اقوله لـ (هنرى) عندما يحضر فى السابعة ، لكى يصاحبنى ٠

ما ان رايته حتى ادركت انه كان شديد الغضب، لم يكن من النوع الذى يفقد السيطرة على نفسه ولكن معرفتى به جعلتنى افهم تعابيره بكل وضوح، فخطوط الوجه المشدودة،وطية زاوية الفم لم تترك مجالا للشك ٠ وبدا لى ان الرجل الذى كان معه فى المقهى هو احد زبائنه المهمين ، وقد وجد هنرى نفسه فى ورطة بسببى ٠

حاولت كل جهدى ان اشرح له ما حدث فى المقهى غير ان هذا جعل الامر اشد سوءا ، فقال فى غضب : « لا استطيع ان افهم كيف تمكنت من فعل ذلك المشهد ، كنت قد فكرت فى خطبتنا المرتقبة ، ولكن بعد الذى حصل يبدو من الافضل ان نفكر بهدوء » ٠

كان هذا هو الرجل الذى اردت زواجه ، يا لى من مسكينة ، كنت ساجن حقا لو انى عشت مع واحد مثله ، وشعرت ببرود فى داخلى ، فقلت له : « اجل انها فكرة رائعة يا هنرى ، ولو انه كان عندى خاتم منك لاعدته اليك ايضا٠٠ ولماذا لا تفكر بهدوء ايضا للسنوات العشر القادمة على سبيل المثال ؟ » ٠

لعل شعوره بالخذلان قد جعلنى احس بتحسن ٠

ولكن بعد ان خرج احسست حقا بالضيق . فواضح انه لا يمكن ان تكون نهاية خطبة امرا عاديا ، على الرغم من انى كنت راضية لاكتشاف حقيقة هنرى فى الوقت المناسب ، ولم اتمكن من السيطرة على شعورى بالوحدة .

★★★

كان ثمة حاجة لبعض الوقت حتى اعتاد هذا التغير . فبعد المكتب كنت اتمشى فى شقتى محاولة ان اريح نفسى . وانتبهت الى انى كنت افكر فى مدير محل (سوانسون) اكثر مما افكر فى هنرى .. آه لو انى تعرفت اليه فى مناسبة غير هذه .

★★★

بعد اسبوعين كنت اسأل نفسى ما اذا كان من الافضل قضاء الخمسة عشر يوما من العطلة (وكان من المفروض ان اقضيها مع هنرى) فى قرية الربانثا لاجمع زهر المارغريتا ، او تمضية بعض الوقت فى منطقة (ماجوركا) وحدى .

فى تلك اللحظة كان الباب يقرع . وعندما كنت ذاهبة لفتح الباب مر بخاطرى احتمال ان يكون هنرى قد عاد بعد ان فكر لمدة اسبوعين بضرورة بقائه بقربي،واستنتجت حالا انه لا يمكن ان يكون هو ، فهذا ليس من طبع هنرى ، بل لعلها صاحبة البيت اتت تطلب الاجرة التى نسيت ان ادفعها لها هذا الشهر .

لم يكن هذا ولا تلك . كان هو مدير محل سوانسون . بشخصه ، فقلت مستهزئة « هل عدت لتلقننى درسا آخر ؟ » .

وكدت اطبق الباب فى وجهه لولا انى رأيت على وجهه بشاشة ، ولعل السماء كانت تمطر خارجا ، فقد كان مبللا بالماء ، ورذاذ المطر على وجهه . وكدت ان اضحك ، اذ لم يكن يملك فى تلك اللحظة ثقته بنفسه،بل على العكس،كان يبدو عليه الاضطراب . ولكنه بادرنى قائلا : « وكان من المفروض ان اقدم نفسى قبلا.اسمى كريستوفر كيرى . لم آت لاعطى درسا بل لاطلب عذرا .. هل استطيع الدخول ؟ » واصطحبته الى الصالون.

قال : « آنسة دونوفان هل استطيع ان اناديك كلايرى فقط ؟ . كان يجب ان آتى قبلا ، ولكنى كنت فى لندن منذ اسبوعين لعمل الاقامة ، من الآن فصاعدا ساعمل فى لندن ، ولكن يجب ان اعود لاعبر لك عن اسفى الشديد ، لكل ذلك الذى حدث ، فقد ارتكبت خطيئة كبيرة ، وآمل ان لا يعطى خطيبك هذا الامر اهمية ! » .

قلت « لسنا خطيبين ولن نكون كذلك ابدا » .

اجاب : « آسف لذلك » . فى حين بدا لى انه غير آسف جدا . ولكن لم افهم شيئا مما حدث ، ولا لماذا غير رأيه بشكل عام هكذا .

قلت « انك غريب حقا ولعل هذين الاسبوعين فى لندن كان لهما اثر طيب على حضرتك !؟ » .

قال : « بل حدث ذلك قبلا » .

قلت : « ما الذى حدث قبلا ؟ » وكان وجهه قد ازداد شحوبا .

قال : « لعلك تذكرين عندما قلت لى انى من النوع الذى لا ينسى ابدا ولا يخطىء ؟ حسنا . عندما خرجت من المقهى ذلك اليوم وقفت قليلا للتحدث مع خطيبـ .. مع هنرى ، ثم خرجت اركض لالحق بك ، وبعد ان قطعت الشارع كله .انتبهت عند نهايته الى انى لم ادفع ما علىّ لصاحب المقهى ، مما اضطرنى للعودة ثانية الى المقهى ».

كانت عليه بعض علامات الاضطراب مما جعلنى اضحك دون ان استطيع ضبط نفسى ، وبعد قليل بدأ يضحك هو ايضا ، ثم قال لى : « هل استطيع ان ادعوك للعشاء هذا المساء ؟ اريد ان اصلح الامر باية وسيلة » .

فكرت لحظة وقلت : « وهل تعدنى ان لا تذكر الحقيبة ذات الشريط طوال المساء ؟ » .

قال : « اعدك وهل تعديننى ان لا تخرجى من المطعم قبل ان ادفع الحساب ؟ » .

فوعدته . وعند نهاية المساء كنت قد قررت بانه لا مانع من تناول العشاء معا ودائما فى المستقبل لعشرين او ثلاثين سنة . وفى لندن كان هناك محام مستعد لان يعطى عملا لامينة سر ، قد تشرد احيانا ، ولكن لا تنسى عملها لحظة تسلمه على الاقل . ■■

نقلها عن الايطالية : عدنان الحمدان



بقلم الدكتور نظام ابو حجلة

■ هناك تعاريف متعددة للذكاء ، ولم يتفق علماء النفس حتى الان على تعريف موحد له . فمنهم من عرفه بانه المقدرة على التعلم والتكيف مع المحيط ، ومنهم من عرفه بانه المقدرة على فهم العلاقات بين الافكار والاشياء المختلفة والوصول الى الاستنتاجات الصحيحة .

ولقد عرفه العالم النفسي سبيرمان Spearman بانه القاسم المشترك لجميع القدرات العقلية اى انه العامل الذى يؤدي وجوده في الانسان الى زيادة في جميع قدراته العقلية . وقد نال هذا التعريف اكبر حظ من التاييد لما دعم به من كثير من البراهين . وهو يعني ان الشخص الذكي يكون متفوقا مثلا في القدرة الحسابية وحل المسائل الرياضية . وفي المقدرة على فهم عمل الالات Mechanical ability . وفهم الافكار الصعبة ، والمقدرة على الابتكار ، كما يتمتع بذاكرة قوية . وانه يفهم المعلومات بسهولة وعمق اكثر من غيره . والمعروف ان الانسان يتذكر ما يفهم بسهولة اكثر من الشيء الذى لا يفهمه . وقد اتى هذا التعريف مناقضا لنظرية التعويض القائلة بان الانسان الضعيف في احدى قدراته العقلية يكون قويا في قدرة عقلية اخرى .

قياس الذكاء

لقد كان العالم الفرنسي بينيه Binet اول من قام بقياس الذكاء وذلك في عام ١٩٠٥ عندما استدعته الحكومة الفرنسية للمساعدة في فصل الطلاب المتخلفين عقليا عن بقية الطلاب في المدارس الابتدائية وذلك لالحاقهم بمدارس خاصة بهم تتبع اساليب في التعليم ومناهج متناسبة مع قدراتهم العقلية .

ويقاس الذكاء باعطاء الطفل مجموعة كبيرة من الاسئلة والالغاز والرسوم ، خاصة بعمره ، للاجابة عليها وشرحها . فاذا فرضنا ان طفلا عمره ١٠

سنوات استطاع ان يحل الاسئلة الخاصة بهذه السن وليس اكثر من ذلك فان ذكاءه يعتبر ١٠٠ . واما اذا استطاع الوصول الى درجة الاجابة على الاسئلة الخاصة بسن ١٢ فان ذكاءه يعتبر ١٢٠ . ومن ناحية اخرى اذا لم يستطع الاجابة على اكثر من الاسئلة الخاصة بسن ٨ سنوات فان درجة ذكائه تعتبر ٨٠ وهكذا . والعمر الذى يستطيع الطفل حل اسئلته وليس اكثر يسمى عمره العقلى Mental Age فالعمر العقلى للطفل الاول فى المثال السابق هو ١٠ سنوات والطفل الثانى ١٢ والطفل الثالث ٨ بالرغم من ان عمرهم الحقيقى اى العمر الزمنى هو ١٠ سنوات فى هذه الحالة .

ويقاس الذكاء تبعا للمعادلة التالية

$$\frac{\text{العمر العقلى}}{\text{العمر الزمنى}} \times ١٠٠$$

ولكل مجتمع اختبارات ذكاء خاصة به ، فالاختبارات المستعملة فى بريطانيا مثلا لا تستعمل نفسها بالضبط فى اوروبا ، ولا تطبق على قياس الذكاء فى المجتمع العربى الا ان مبدأ الاختبارات واحد فى كل مكان والاختلاف يكون فى مادتها وتفاصيلها .

نمو الذكاء وتوزيعه فى المجتمع

ان نمو الذكاء يتوقف حوالى سن الخامسة عشرة وما يميز الكبار عن الصغار بعد هذا السن من قدرة عقلية ينجم عما يكتسبونه من معرفة واطلاع وخبرة عملية ناتجة عن الممارسة والتكرار .

لقد وجد ان كل مجتمع به ٥٪ من افراده ذكاؤهم يزيد فى درجته على ١٣٠ ، وخمسة بالمائة آخرون تنقص درجة ذكائهم عن ٧٠ ، والتسعون فى المائة الباقون تتراوح درجة ذكائهم بين ٧٠ و ١٣٠ . وعندما ينقص ذكاء الشخص عن ٧٠ فانه يعتبر متخلفا عقليا . وهؤلاء اذا ادخلوا فى المدارس العادية فانهم لا يستطيعون اجتياز الامتحانات الرحلية ويخرجون من المدارس عادة قبل المرحلة الاعدادية . وهم يستطيعون كسب رزقهم عن طريق القيام باعمال يدوية بسيطة ، واغلبهم ليس فى حاجة لمساعدة الدولة . ولكن قسما منهم وهو الاكثر تخلفا يحتاج الى رعاية الدولة فى مؤسسات خاصة لانهم عرضة للاستغلال ، كما ان عدم مقدرتهم على التمييز بين الخطأ والصواب فى السلوك يدفعهم الى اباحية جنسية ساذجة والى سرقات تافهة تكشف بسهولة لسذاجة تخطيطها .

وتمتاز الدول الراقية عن غيرها بما تقدمه لهؤلاء من حماية ورعاية وتعتبر الكويت من الدول المتقدمة فى هذا المجال .

الذكاء والتجنيد العسكرى

عندما قامت الحرب العالمية الثانية استدعت الحكومة الاميركية علماء النفس والاطباء النفسيين للمساعدة فى المجهود الحربى ومنذ ذلك الوقت اعتبرت اختبارات الذكاء من اهم الفحوص النفسية لاختبار المجندين وطلاب الكليات العسكرية فى كل الدول المتقدمة ، لا سيما وان الحرب الحديثة اصبحت تعتمد على التكنية واستعمال الاسلحة المعقدة كما ان التخطيط وحساب الاحتمالات زادت كلها فى صعوبتها عن اى وقت مضى .

الذكاء هل هو وراثة ام من تأثير المحيط ؟

ان الذكاء ناتج عن عوامل وراثية لا شك فيها، ولكن هذا لا يعنى انه اذا كان الآباء غير اذكياء فان اطفالهم سيكونون كذلك ، لان الوراثة لاتعتمد على الوالدين فقط ، فلاقارب الطفل الآخرين دخل كبير فى ما يرثه الطفل من قدرات عقلية مختلفة ، ومن هؤلاء الخال والعم والخالة والعمة والجدود . والعكس ايضا صحيح اى انه لا يستبعد ان يكون للابوين المتفوقين فى القدرة العقلية اطفال اقل منهم ذكاء .

اما تأثير البيئة فيأتى بصورة ثانوية فاذا ورث طفل مثلا درجة ١٣٠ من الذكاء فانه لن يحقق هذه الدرجة فى مستقبله الا اذا نما فى بيئة تقدم له ما يحتاج من الغذاء والعناية ، فاذا تعرض فى طفولته الى سوء التغذية خاصة فى مجال البروتينات والفيتامينات فان درجة ذكائه تنخفض كثيرا ، وهذا ما يحصل فى المجاعات فى بعض البلدان الاسيوية ولا يحصل فى الظروف العادية.

كما ان الطفل الذى تتوفر له الالعاب المتناسبة مع سنه له فرصة اكبر فى الوصول الى درجة الذكاء التى ورثها . والمقصود بالالعاب هنا الانواع التى يحتاج فيها الطفل الى تشغيل

قدراته العقلية وليس المهم مادتها او غلاء ثمنها . ويجب الا ننسى انه لا يمكن زيادة درجة الذكاء التي ورثها الطفل وانما يمكن فقط الوصول اليها في البيئة المناسبة فاذا ورث طفل مثلا درجة ٩٠ من الذكاء فانه لا يمكن رفعها الى ١١٠ مهما توفر له من التغذية والثقافة .

الذكاء والتعليم

ما زالت تدور في الدول المتقدمة مناقشة حادة بين المشرفين على التعليم حول تمييز وفصل الطلاب الاذكياء جدا عن بقية الطلاب ، وتعليمهم في مدارس خاصة ، او دمجهم في المدارس العامة . فانصار الفصل يقولون بان دمج هؤلاء مع غيرهم يؤدى الى ضياع وقتهم حيث انهم يستطيعون التقدم في المدارس بسرعة اكبر ، ويمكن ان تخصص لهم برامج مختلفة تسرع في نبوغهم كعلماء او مفكرين او فنانين ، كما ان جلوسهم في الصفوف العادية يؤدى الى شعورهم بالملل والنقمة لانه لا مفر لهم من الاستماع الى افكار ومعلومات يعرفونها مقدما او فهموها من اول مرة في الوقت الذى يحتاج فيه المدرس الى تكرارها وتبسيطها ليفهمها الجميع . واما انصار الدمج فيقولون بان الذكاء ليس هو العامل الوحيد في تقييم الطالب وتحصيله حيث تدخل عوامل اخرى مثل نضجه العاطفي واجتهاده ، كما ان فصل الطلاب يؤدى الى ضرر اجتماعي خطير لاضعافه وحدة المجتمع وترابطه .

الذكاء والنجاح في الحياة

اذا نظرنا حولنا نجد ان الناجحين في الحياة هم من المتفوقين في الذكاء . فان الموظفين الكبار والقضاة والفنانين المشهورين ورجال الاعمال الكبار والمتفوقين في مهنهم والقواد العسكريين .. هم من المتفوقين في الذكاء ولكن العكس ليس صحيحا اى ان الشخص الذى قد يكون فاشلا او قليل النجاح قد يكون ذكيا وذلك لان النجاح في الحياة يعتمد الى جانب الذكاء على عوامل اخرى ، مثل الصحة ، والطاقة على العمل ، والطموح والاتزان العقلى ، وفرص النجاح ، فاذا كان اى من هذه العوامل غير موجود فان احتمال النجاح في الحياة يقل كثيرا .

وهناك نقطة اخرى تجدر الاشارة اليها وهى انه لا علاقة للذكاء بالمرض النفسى فقد يتعرض الشخص الذكى للمرض النفسى كغيره تماما الا انه يكون اقدر على التكيف والتعايش مع المرض النفسى من غيره . ■■

نظام ابو حجلة







تاليف : الدكتور محمد منير مرسى

عرض : علي بركات

■ يؤخذ اهتمام الامم بشئون التربية والتعليم ، مسيارا لتقدمها وارتقائها ، وقد اقترن تطور الحضارة العربية الاسلامية وتالقها بالعناية بالتربية ، والتوسع في التعليم ، فلا جرم ان يكونا مناط دراسة الباحثين ، وتاليف المتخصصين في الحقبة الراهنة من تاريخ امتنا العربية ، رغبة النهوض بهما ،وتطوير اتجاهاتهما، واقامة نموهما على دعائم راسخة ، واسس سليمة .

ومن ثمة تبرز قيمة مصنف « التعليم العام في البلاد العربية .. دراسة مقارنة » الذى وضعه الدكتور محمد منير مرسى ، باعتبار ان التعليم العام سبيل مؤد الى التعليم الجامعي ، والعالي ، والوظائف العامة ، فيتناوله في الوطن العربي في ضوء التيارات التعليمية العالمية المعاصرة ، مما يضعه في مجال الدراسات التربوية المقارنة التي ترتكز على الفترة المعاصرة من تاريخ التربية فيما يعبر « كاندل Kandel » ، وتوازن بين النظريات التربوية وتطبيقاتها في الدول المختلفة ، مع تفسير العوامل التي نجم عنها تمايز النظم التعليمية في مسارات تطورها ونمائها ، مما يكفل الادراك الحصيف للمشكلات التربوية في اطار من ابعادها المتعددة ، دون الاقتصار على دولة الباحث ، بل في اكثر من دولة ، وبموضوعية تناى عن التحيز ، وتسمو على التعصب في تقويم النظم القومية التعليمية، وبذا يمكن تعرف القارىء على الاوضاع الواقعية للتربية والتعليم في الوطن العربي الذى تتعاظم مكانته العالمية .

منهج في المقارنة

وقد عالج المؤلف موضوعهمتدرجا من العموميات الى الخصوصيات ، فيبدا بالاسس والاتجاهات



العامة في النظم التعليمية ،ليصل الى استعراض التعليم العام في كل دولة عربية منفردة ، مع الاستفادة بالمنهج التحليلي للتربية المقارنة كما وضعه « بيريداي Bereday » حيث يقوم على الوصف لما يطبق في كل دولة من نظم تعليمية ، وتاويلها في ظل ظروفها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ادت الى قيام تلك النظم ، بما فيها من الخطط ، وطرق التدريس ، والمناهج ، ثم المناظرة بينها في اكثر من دولة ، والابانة عن مناحي الاتفاق والاختلاف بناء على المعايير الموضوعية،فالمقارنة بين المشكلات التعليمية والتربوية للدول موضع الدراسة والاساليب التي اتبعتها في تذليلها ٠

عوامل تؤثر في النظم التعليمية

والنظم التعليمية تتاثر بعوامل متعددة يستهل المؤلف مصنفه بعرض اهمها ويقسمها الى العوامل العلمانية والدينية ، والطبيعية ٠

فالعوامل العلمانية تتمثل في النظم النمطية التي تستهدف تشكيل نمط موحد من المواطنين يمتثلون لمؤثرات تربوية متماثلة ، اما ان تكون عقائدية ايديولوجية كالتي تطبق في دول الكتلة الاشتراكية ، او حضارية ثقافية قومية كما في فرنسا ، والنظم المتنوعة التي تؤمن بالتعدد والتنوع على اسس ديموقراطية ، تؤيد حرية الاختيار ،وتقوم على الفروق الفردية في القدرات والاستعدادات ، ومثالها نظام التعليم الامريكي والانجليزي ٠

ويؤكد فاعلية العوامل الدينية ارتباط نشاة المدارس بالدين في المسيحية والاسلام ، لان قراءة القران والانجيل والدعوة الدينية من دواعي انشائها ، وقد تطورت علاقة الدولة بالدين ، واسفرت عن نظامين تعليميين ، ديني ومدني ٠
ومن العوامل الطبيعية اللغة التي قد ينجم عنها مشكلات في نظم التعليم من جراء هجرة جماعات كبيرة ذات تفوق ثقافي الى مواطن جديدة، كما حدث في استراليا ونيوزيلندة وامريكا ٠

التعليم العام المعاصر

ويجسد التعليم العام في امريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا اظهر المعالم العالمية المعاصرة للتعليم العام ، مما يقتضي الاحاطة بسماتها الاساسية لتتمكن دراسة التعليم العام في الوطن العربي من منظور الاتجاهات التعليمية السائدة ٠ فالتعليم الامريكي يرتكز على التراث التعليمي الاوروبي ، ويعول المجتمع الامريكي على التعليم في احداث التغيير الحثيث ، ايمانا بان المستقبل خير من الحاضر ، وعدم جدوى الماضي ٠ ويمتد التعليم الروسي الى القرن الثامن عشر ، وتاثر في بداية تطوره بالافكار التربوية الغربية ، ثم حلت محلها النظريات التربوية الماركسية في التطبيق ٠ ويعكس التعليم الانجليزي النظام الاجتماعي الطبقي ، وينظمه قانون « تيلر » الذي صدر عام ١٩٤٤ للنهوض به في اعقاب الحرب العالمية الثانية ٠ وترجع حركة التعليم الفرنسي

الى القرن التاسع عشر ، واهم مبادئه ، المجانية، وعدم الطائفية ، واحتكار الدولة للشهادات والدبلومات •

وتتقارب فترة التعليم العام في انجلترا (١٣ سنة) وفي كل من فرنسا وامريكا (١٢ سنة) وتصل (١٠ سنوات) في روسيا ، ويبدا الالزام في انجلترا في الخامسة ، وفي امريكا وفرنسا في السادسة ، وفي روسيا في السابعة ، وتنتهي في الثامنة عشرة في الدول الثلاث ، وفي السابعة عشرة في روسيا •

وتوجه الدول الاربع اهتمامها لتنظيم التعليم العام على هدى ظروفها الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة ، وتطور البرامج التعليمية والمناهج ، وتقلص المواد النظرية ، وتفسح المجال امام اكتساب المهارات العلمية والعملية ، حتى يمكن اذابة ثنائية التعليم العام والفني والمهني •

اتجاهات التعليم في الوطن العربي

ويستخلص المؤلف الاتجاهات العامة للتعليم في الوطن العربي ،فيبدأ ببسط خلفية تاريخية ترجع الى اوائل القرن التاسع عشر حينما كان التعليم مصطبغا بالطابع الديني ، ابان تبعية الدول العربية للدول العثمانية ـ ماعدا المغرب الاقصى ووسط الجزيرة العربية ـ فسيطرت على توجيه المناهج ، وما ان استقلت عنها الولايات العربية في اعقاب الحرب العالمية الاولى حتى وقعت في قبضة القوى الاستعمارية الفرنسية والانجليزية ، وبالتالي تاثرت الاتجاهات التربوية والتعليمية بها حتى تخلصت منها • وقد اتجهت الدول العربية الى توحيد اتجاهاتها العامة في التربية والتعليم ، فعقدت عدة اتفاقيات منها اتفاق الوحدة الثقافية العربية بين مصر والأردن وسوريا عام ١٩٥٧ ، وبين العراق ومصر عام ١٩٥٨ ، وبين الدول العربية عام ١٩٦٤ واقرتها الجامعة العربية •

ومن اهم مشكلات التنمية التعليمية المتزايدة في الوطن العربي ـ النقص في المعلمين ، اذ يشيع العزوف عن مهنة التدريس ، وقد اوصى مؤتمر اعداد المعلم العربي عام ١٩٧٢ بالاخذ بما تضمنته الوثيقة الدولية لاوضاع المعلمين ومكانتهم التي صدرت عام ١٩٦٦ عن منظمة اليونسكو ، وابانت منهج اعداد المعلمين بما يحويه من دراسات ثقافية ، وتخصصية مهنية ، واكدت حقوق المعلمين التي تكفل الاقبال على هذه المهنة، برفع المرتبات ، وتحديد ساعات العمل ، وافساح مجال الترقيات ، والتامين الاجتماعي •

التعليم في جمهورية مصر العربية

توضح التغيرات التي توالت على تسمية الادارة التعليمية في مصر ، تطور مفهوم التربية فيها ، واتساع دلالته ، اذ عرفت بـ « ديوان المدارس » عام ١٨٣٨ ، ثم « نظام المعارف العمومية » عام ١٨٧٨ ، واصبحت « وزارة المعارف العمومية » عام ١٩١٥ ، واستقرت على « وزارة التربية والتعليم » عام ١٩٥٣ • وتضمن اول دستور مصري عام ١٩٢٣ ، النص على حرية التعليم ، وتنظيمه بقانون ، والزامية التعليم الاولي ، ومجانية المكاتب العامة ، وحرصت الدساتير بعده على تكافؤ الفرص التعليمية امام المواطنين ، كما صدرت القوانين المنظمة للتعليم ، واخرها قانون التعليم العام رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨ الذي حدد اهدافه في تكوين المواطن تكوينا عاما على مستويات متتالية من النواحي العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والقومية ، ليقوم بواجباته نحو ربه ، واسرته ،ووطنه ،والانسانية ، وليمارس الاعمال التي تناسب استعداداته ، ومدتها ٦ سنوات (٦ ـ ١٢) ،والاعدادية ومدتها ٣ سنوات (١٢ ـ ١٥) ، والثانوية ومدتها ٣ سنوات (١٥ ـ ١٨) ، ويتبع هذا السلم في معظم الدول العربية ، ويتشابه مع السلم الشائع في امريكا • وللمدرسة الابتدائية شعبيتها ، والاعدادية اقل منها ، والامل معقود ان يشملها الالزام ، والقبول في الثانوية اساسه المفاضلة في درجات الاعدادية ، وتمهد للتعليم الجامعي والعالي • ومصر كاغلب الدول العربية تفرق بين اعداد معلم الابتدائي والثانوي ، على عكس الاتجاهات العالمية المعاصرة التي يتقارب فيها نظام اعداد معلمي المرحلتين •

المملكة الاردنية الهاشمية

ينظم شئون التربية والتعليم في الاردن القانون رقم ١٦ لسنة ١٩٦٤ الذي حدد مدة

الالزام ومجانية التعليم في الابتدائي والاعدادي بتسع سنوات من ٦ ـ ١٥ ، ونص على تعلم لغة اجنبية ، وتعمل الحكومة على التوسع في التعليم فتنشيء مدرسة حيثما توفر على الاقل ١٥ تلميذا ، وقد صار معدل نسبة عدد التلاميذ لكل معلم عام ٦٦ ـ ١٩٦٧ ، هكذا : في الابتدائي ٤٠ تلميذا ، والاعدادي ٤٠ تلميذا ، وهي نسبة دون مثيلاتها في الدول العربية مما يتيح الفرصة لرفع المستوى التعليمي ، اذا تحقق رفع المستوى المهني للمعلمين ، ولذا نص قانون التعليم على ضرورة الحصول على اجازة مهنة التعليم ، وتقوم الوزارة بتنظيم دورات تدريبية للمعلمين ٠

الجمهورية التونسية

يؤرخ للتعليم في تونس بانشاء جامع عقبة بن نافع في القيروان ، وجامع الزيتونة بفروعه الذى شيد في القرن الثالث ، و « بيت الحكمة » الذى انشيء في القيروان كجامعة للعلوم ٠ وكان التعليم في فترة الحماية من عام ١٨٨١ الى ١٩٥٦ ذا طابع فرنسي ، وحينما استقلت تونس اعادت بناء التعليم وتطويره على اسس قومية ، وفي عام ١٩٥٨ اعيد تنظيم التعليم ليساير ميثاق الوحدة الثقافية العربية عام ١٩٥٧ ٠ ويقسم التعليم العام الى ابتدائي ، ومعلموه يتخرجون في معاهد المعلمين والمعلمات ومدتها ٧ سنوات بعد الابتدائي ، ثم الثانوى نوعان ، طويل مدته ٧ سنوات ، ويضم الثانوى العام ، وقصير مدته ٤ سنوات ، ويضم الثانوى الفنى ، ومعلموه يعدون في معاهد مدتها سنتان بعد دراسة جامعية مدتها سنتان ٠

جمهورية الجزائر

انتشرت الكتاتيب ومعاهد التعليم في المدن الجزائرية مثل قسطنطينة وتلمسان وبسكرة وغيرها ،الى ان جاء الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠، فتدهور التعليم ، اذ انشا الفرنسيون مدارس ذات مستوى عال لابنائهم ، واخرى منخفضة للجزائريين ، والدراسة فيها بالفرنسية ، وحينما تسلم الوطنيون حكم البلاد عام ١٩٦٢ اعيد بناء التعليم لابراز القيم العربية والاسلامية والتراث الانساني الجزائرى ٠

ويمتد التعليم العام ١٣ سنة من ٦ ـ ١٩ ، وينقسم الى الابتدائي ، ومدته ٦ سنوات ، تم تعريب السنتين الاولين منه ، ومن يرسب فيه يلحق بدراسة تكميلية لاكتساب حرفة ، ومن ينجح ينقل الى الثانوى ومدته ٧ سنوات من ١٢ ـ ١٩، وقد ارتفع عدد تلاميذه من ١٣٥٣٣٦ في عام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ الى ١٦٨٠٤٥ في عام ٦٨ ـ ٦٩ ٠

جمهورية السودان

تنبثق معالم التعليم في السودان منذ اوائل القرن السادس الميلادى عندما اسست اول دولة عربية اسلامية وفي عام ١٨٤٩ تاسست اول مدرسة نظامية عن رفاعة الطهطاوى المصرى ناظرا لها ، وباحتلال الانجليز للسودان عام ١٨٩٨ ساد التعليمَ الطابَعُ الانجليزى ، وباستقلاله عام ١٩٥٦ دخل التعليم طورا جديدا ، ان اول مؤتمر قومي للتربية بالسودان عام ١٩٦٩ هو المحاولة الحقيقية لاكتساب الاسس القومية ٠ ويبدأ السلم التعليمي بالابتدائية ومدتها ٦ سنوات ، وتليها الثانوية العامة ومدتها ٣ سنوات ، ثم الثانوية العليا ومدتها ٣ سنوات ٠ ويعد منح الحكم الذاتي لجنوب السودان في نطاق الوحدة الوطنية عام ٧٢ خطوة لحل مشكلاته التعليمية وتهيئة الاستقرار للتعليم وتقدمه ٠

الجمهورية العراقية

يتكون التعليم في العراق من سلم تعليمي يماثل معظم الدول العربية ، الا ان نظام الالزام لم يتبع بعد ، تقديرات الخطة الخمسية (٧٠ ـ ١٩٧٥) قد حددت عام ١٩٨٠ هدفا لتطبيق الالزام بالكامل للبنين ، و ٧٧٪ للبنات ، والتعليم الثانوى ينقسم الى متوسط مدته ٣ سنوات ، وثانوى ٣ سنوات ، وتعليم البنات متخلف ، اذ وصل عام ٦٩ مايقرب من ½ العدد الكلى ٠ واعترف دستور العراق لعام ١٩٧٠ بالقومية

الكردية ، وتشكلت وزارة الشمال التي يدخل في اختصاصها شئون التعليم في الشمال للنهوض بمستواه .

المملكة العربية السعودية

في ظل الدولة السعودية وضعت بذور النهضة التعليمية الحديثة في المملكة العربية السعودية ، ففي عام ١٩٢٦ انشئت مديرية المعارف العامة للاشراف على التعليم ، وفي عام ١٩٣٦ اقيمت اول مدرسة ثانوية ، وتطور التعليم وصار يشرف عليه عدة هيئات منها وزارة المعارف التي تختص بتعليم البنين ، والرئاسة العامة لمدارس البنات، ووزارة الدفاع وتشرف على ابناء رجال الجيش ، والرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، ومهمتها اعداد جيل مؤمن بربه واسلامه في معاهد دينية . ويشبه السلم التعليمي في السعودية نظيره في معظم الدول العربية ، ويتم اعداد المعلمين في معاهد المعلمين والجامعات وكلية التربية لتدارك النقص في المعلمين .

الجمهورية العربية السورية

تشكلت عام ١٩١٨ حكومة وطنية سورية قامت بتعريب المدارس العثمانية التي كانت منتشرة انذاك ، وحينما فرض الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠ سيطر على التعليم ، وبانتهائه عام ١٩٤٤ صدرت التشريعات التعليمية لتنظيم التعليم القومي ، وفي عام ١٩٥٧ وقعت الاتفاقية الثقافية بين مصر وسوريا والاردن ،وصار السلم التعليمي كمثيله في اغلب الدول العربية . واستهدفت الخطة الخمسية (٦٥ ـ ١٩٧٠) تعميم الالزام الابتدائي ، ورفع نسبة تعليم البنات ، وتوجد عدة نظم لاعداد المعلمين لمختلف المراحل ، فيتم اعداد معلمي الابتدائي في دور المعلمين والمعلمات، ولها نظامان الشعبة العامة ومدتها ٤ سنوات بعد الاعدادية ، والخاصة ومدتها ٦ سنوات بعد الثانوية العامة ، ويعد معلمو الاعدادي في معهد الاعداد للمعلمين ، ومدته سنتان بعد الثانوية العامة او شهادة اهلية التعليم الابتدائي ، ومعلمو الثانوي يعدون في نطاق الجامعة .

دولة الكويت

بحصول دولة الكويت على استقلالها في ٩ يونية عام ١٩٦١ ، وصدور اول دستور في ١١ نوفمبر ١٩٦٢ برز الاهتمام بالتربية والتعليم في اكثر من مادة من مواده ، فالمادة ١٣ تنص على ان « التعليم ركن اساسي لتقدم المجتمع تكفله الدولة وترعاه » ، والمادة ٤٠ تنص على ان « التعليم حق للكويتيين تكفله الدولة وفقا للقانون وفي حدود النظام العام والاداب » ويمتد التعليم العام ١٢ سنة ، وفترة الالزام ٨ سنوات من ٦ ـ ١٤ ، والابتدائية مدتها ٤ سنوات من ٦ ـ ١٠ ، وهدفها تنمية شخصية التلميذ ، وللمرحلة المتوسطة نفس الهدف ، والاعداد للحياة العملية ، ومدتها ٤ سنوات من ١٠ ـ ١٤ ، والثانوية ٤ سنوات من ١٤ ـ ١٨ ، والسنتان الاوليان دراسة عامة ، والتخصص في الصفين الاخيرين (ادبي وعلمي) على غرار مصر .

الجمهورية اللبنانية

اصطبغ التعليم في لبنان ابان الانتداب الفرنسي من عام ١٩٢٠ الى ١٩٤٣ بالصبغة الفرنسية ، وبعد الاستقلال صدرت عدة مراسيم لتنظيم التعليم العام ، وبمقتضى المرسوم ٩٠٩٩ لعام ١٩٦٨ يمتد هذا التعليم ١٣ عاما من ٥ ـ ١٥ ، وتبدا الابتدائية من ٥ سنوات ، ومدتها (٥ ـ ١٠) ، ولا يوجد قانون للتعليم الالزامي ، والمرحلة المتوسطة او التكميلية مدتها ٤ سنوات (١٠ ـ ١٤) وتؤهل شهادتها للالتحاق بالثانوي العام ، او الفني ، او معاهد المعلمين ، والثانوية مدتها ٣ سنوات ، تنتهي بالحصول على شهادة الباكالوريا .

الجمهورية العربية الليبية

يعود تنظيم التعليم الحالي في ليبيا الى عام ١٩٥٧ عندما وقع ميثاق الوحدة الثقافية بين مصر

وسوريا والاردن ، وجرى السلم التعليمي فيها على نسق دول الميثاق ، وحقق التعليم الابتدائي والاعدادي نموا سريعا ، الا ان تعليم البنات لايزال متخلفا ، اذ بلغت نسبة البنين الى البنات في الابتدائي ، ٧ : ١ في عام ٥٠ ـ ٥١ ، ولم تزد عن ٤ر٤ : ١ في عام ٦١ ـ ٦٢ ، وفي الاعدادي كانت النسبة ٤٠ : ١ في عام ٥٧ ـ ٥٨ ووصلت ٢٠ : ١ في عام ٥٠ ـ ٦١ ،وفي الثانوي ٥٦ : ١ في عام ٥٧ ـ ٥٨ ، و ١٥ : ١ في عام ٦١ ـ ٦٢ •

ويؤهل للتدريس في الابتدائي من يدرس عامين بعد الاعدادية في معاهد المعلمين والمعلمات العامة ،ومن يدرس ٤ سنوات يعمل في الاعدادية، وتخرج الجامعة الليبية معلمي الاعدادية والثانوي •

المملكة المغربية

حينما حصلت المغرب على استقلالها عام ١٩٥٦ بعد الاحتلال الفرنسي الذي بدأ عام ١٩١٢ ، عمدت الحكومة الى بناء نظام تعليمي يحمل الخصائص العربية الاسلامية • والتعليم العام مداه ١٢ سنة ، الالزام فيه ٧ سنوات ، وهو مجاني في جميع مراحله ، وينقسم الى مرحلتين الابتدائية ومدتها ٥ سنوات ،منها سنة تحضيرية ، وتدرس بها الفرنسية كلغة اجنبية ، والثانوية وتنقسم الى قسمين الاول ٣ سنوات به سنة ملاحظة تعادل الاعدادية المصرية ، والقسم الثاني مدته ٣ سنوات ، والدراسة موزعة بين التعليم العام والفني •

الجمهورية العربية اليمنية

منذ ان استقرت الاوضاع في الجمهورية العربية اليمنية (اليمن الشمالية) عام ١٩٧٠ بعد قيام ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وضعت خطة خمسية للتعليم (٧٠ ـ ١٩٧٥) هدفها التوسع في التعليم ، واعداد المعلمين ، ومحو الامية ، وتعليم الكبار ،وتحسين أجهزة الاشراف والادارة، ويسير التعليم في نفس السلم التعليمي لمعظم الدول العربية ، وفقا للمراحل الثلاث • وتواجه السلطات التعليمية مشكلات ، اهمها النقص في اعداد الكتب الدراسية ، والمعلمين المؤهلين ، والابنية ، والاعتمادات المالية ، وتعمل على تذليلها بمعونة الدول العربية ، ودول اخرى مثل روسيا والصين ، والمنظمات العالمية وفي مقدمتها اليونسيف ، وقد بدىء منذ عام ٦٩/٧٠ تنفيذ مشروع الغذاء المدرسي الذي تسهم فيه هيئة برنامج الغذاء العالمي •

جمهورية اليمن الشعبية

ادى فرض بريطانيا سلطانها على منطقة جنوب اليمن عام ١٩٣٦ ، الى استقدامها معلمين من الهند ، فسار التعليم على نهج التعليم الهندي في المناهج والكتب والدراسة بالانجليزية ، واللغات الهندية مثل الاردية ، وفي حضرموت احتذى التعليم السلم التعليمي السوداني ، وبعد الاستقلال عام ١٩٦٧ اعيد البناء التعليمي على اسس قومية ، تتمشى مع الاتجاهات العالمية بصفة عامة ، وغالبية الدول العربية بصفة خاصة • ويعاني التعليم من عدم توافر القوى البشرية للتوسع ومتطلباته من المعلمين والخبراء ، وقلة الابنية وضآلة التمويل ، ولذا تسمح الدولة بالاسهامات الشعبية لبناء المدارس ، وتعقد الاتفاقيات الثنائية مع الدول العربية وغيرها •

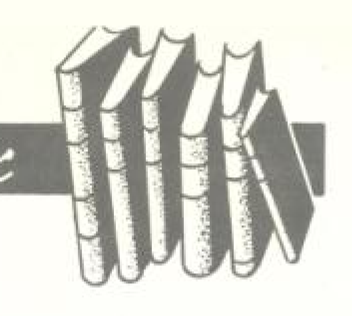
مزيد من حقائق التعليم في الوطن العربي

ان موضوع التعليم في الوطن العربي من الموضوعات الحيوية الجديرة بالبحث والدراسة ، حتى يمكن تدارك النقص في المعلومات والبيانات والدراسات التي تلقى الضوء على صورة التعليم في الوطن العربي ومشكلاته ـ كما يقرر المؤلف ـ مما يجعل المجال مفتوحا لمزيد من الاحاطة بكافة تطورات الحركات التعليمية في الوطن العربي ، لاسيما في دول الامارات العربية المتحدة التي تكونت حديثا ، وجمهورية موريتانيا الاسلامية التي انضمت الى الجامعة العربية اخيرا •

■■

علي بركات

بور سعيد ـ ج • م • ع



من الكتب التي وصلتنا

في رياض الفكر

تأليف : عبدالرزاق البصير ـ الكويت •

● يضم هذا الكتاب مجموعة احاديث ادبية وفكرية سبق ان نشرها المؤلف في مختلف الصحف العربية السيارة كويتية وغير كويتية ، كما القى بعضها في مؤتمرات ادبية عقدت في مدن مختلفة من عالمنا العربي الكبير •

وقد جرت عادة كثير من الكتاب ان يجمعوا مقالاتهم ومحاضراتهم وبحوثهم المتنوعة في كتب ، بعد نشرها متفرقة ، وهذا النوع من الكتب التي تتنوع محتوياتها محببة الى النفوس لان القارىء يتنقل فيها بين انواع مختلفة من المسائل الادبية والنقدية والفوائد التاريخية • وقد انتشر هذا النوع في ثقافتنا العربية الحديثة وسبقنا الى ذلك كثير من ادباء الغرب والشرق وجرينا نحن على آثارهم •

وقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اقسام تناول في القسم الاول قضايا ادبية منها رسالة الاديب وحرية الفكر واللهجات العربية ، اما القسم الثاني فيتضمن تراجم لاعلام قدماء ومحدثين معظمهم من الشعراء مثل حسان بن ثابت وصفي الدين الحلي وحافظ ابراهيم ، والقسم الثالث في نقد كتب بعضها قديم وبعضها حديث وفي هذا القسم يعرض المؤلف محتويات كل كتاب ويبين رايه فيه •

التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها

تأليف : الدكتور عبدالله عبد الدايم •

الناشر : دار العلم للملايين • بيروت ـ لبنان

● يدرس هذا الكتاب موضوع التربية في البلاد العربية ، ويرسم الخطة القادرة على ان يجعل منها اداة ناجحة من ادوات تعجيل التنمية في شتى صورها وابعادها ، وانها لاتكون اداة فعالة من ادوات التقدم الا اذا اتصفت بمواصفات معينة،تربط بين بنيتها ومحتواها وسياسةالقبول فيها، وبين اهداف التنمية الشاملة •

والكتاب بالتالي يحلل بنية التربية القائمة في البلاد العربية ، من اجل الكشف عن مشكلاتها وصعوباتها ، ثم رصد التطور التربوي الذي حدث في البلاد العربية خلال العقود الاخيرة ، ومقارنتها بالاتجاهات المحدثة في العالم • لذلك فمن الواجب ادراك الواقع التربوي في بلادنا وتحليله ، ووضع الخطط التربوية المرتبطة بخطة التنميةالشاملةوان نولد صيغا تربوية جديدة قادرة على تحقيق اهداف التنمية • وسنرى اننا بحاجة الى ثورة تربوية تكنولوجية تغير اطار التربية التقليدي ، وتغير محتواه ، وتستهدف في الخاتمة الى ان تجعل من النظام التربوي وسيلة لتعليم المجتمع كله ، وتربيته واعداده وان هذا المجتمع المتعلم هو الصيغة الجديدة التي ينبغي ان تتبناها الدول العربية ان هي ارادات ان تحدث ثورة تربوية •

راشد الخلاوي

تأليف : عبد الله بن محمد بن خميس

الناشر : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض / السعودية •

● دراسة وافية لشاعر شعبي كبير فاق اقرانه في هذا المجال وما يمتاز به شعره من حكمة ومثل وفلسفة ، والخلاوي شخصية شغلت الذهن العربي داخل الجزيرة العربية اكثر من ثلاثة قرون ، فهو حكيم ذهبت اقواله حكما سائرة وامثالا نادرة وشواهد مأثورة ، وهو ناسك جعلت منه تعاليم الدين ومبادئه نموذجا لرجل الاسلام في متانة الخلق وصفاء النفس وكرم الطباع ، وهو شاعر مطبوع طويل النفس متقن السبك حلو الديباجة متعدد الاغراض ذو مدرسة خاصة ونهج شعري بديع •

وهو فلكي عالم بصير بالكواكب ومواقع النجوم ومساقط الغيث وتصريف الرياح واوقات الريح وهو دليل خريت وقانص ماهر وعالم بطباع حيوانات الجزيرة انيسها ومتوحشها يعيش في مضارب البادية متتبعا اقتناص الاداب ومحالفة الاسفار •

على ضفاف مجردة

تاليف : فاضل خلف/الناشر : مطبعة حكومة الكويت

● ديوان شعر لاحد شعراء الكويت البارزين يضم مجموعة كبيرة من القصائد ذات طابع وطني نبيل ، ومواقف كريمة سواء اكان ذلك على مستوى الجماعات ام على مستوى الافراد • فهو يتغنى اصحاب البطولات العربية والاسلامية ممن لهم مجد كريم وآثار رائعة في ميادين الحروب والفتوح او في مجالات الثقافة والعلم سواء كانوا قدماء او محدثين • كما يلهج الشاعر بما لبلاده من كفاح وطموح في عدة قصائد مثل (درة الصحراء) و (ربة الدر) و (يا صانع الاغان)، و (شروق) و (دفقة من شعور) ثم قصائد تتناول حياة بعض ابطال الاسلام من القديم والحديث امثال عبيدة بن الحارث شهيد بدر وجعفر ابن ابي طالب شهيد مؤتة ، ويوسف بن تاشفين ، كما ان هناك قصائد اخرى تتناول بعض اعلام الادب والشعر مثل شوقي والعقاد والشابي والسياب ومحمد اقبال •

اما مجردة الذى سمي الديوان به فهو نهر في تونس ينبع من جبال الجزائر ويصب في البحر الابيض المتوسط بالقرب من بلدة قلعة الاندلس وعلى ضفاف هذا النهر الخالد وبين مناظره الجميلة التي تحيط به نظم الشاعر فاضل خلف جميع قصائد هذا الديوان •

الفصول في الحساب الهندي

تاليف : ابو الحسن بن ابراهيم الاقليدسي

تحقيق : الدكتور احمد سعيدان •

الناشر : منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والنشر والترجمة ــ عمان ــ الاردن •

● كتاب من تراثنا العلمي العربي القديم يتناول تاريخ علم الحساب العربي ، ويفتح المجال للاطلاع على مادة رياضية كتبت باللغة العربية منذ اكثر من الف عام ، ويبين لناكيف ان اللغة العربية كانت دائما قديرة على التعبير العلمي بكل ما يتطلبه من مصطلحات،ومدى مساهمة العرب في نمو المعرفة الانسانية وتطورها • ويعتبر كتاب الاقليدسي اقدم كتاب وصل الينا عن الحساب الهندي ، وهو ينطوي ايضا على افكار وطرق لحل المسائل الحسابية لانجدها في كتاب غيره •

من مدرسة الامام علي

تاليف : محمد باقر الناصري •

الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان

● يتضمن هذا الكتاب عرضا لسير طائفة من اتباع امير المؤمنين علي بن ابي طالب:هذه الطائفة التي كانت قوية الايمان بعقيدتها فسجلوا لانفسهم صفحة مشرقة في تاريخ الاسلام لاتبلى مدى الايام • لقد كانت حياة هذه الصفوة ملأى بالمآسي المحزنة والاحداث الدامية التي عاشوها ، فكم خاضوا منمعارك ضارية في سبيل عقيدتهم ، وكم بذلوا الغالي والنفيس في سبيل امامهم • وقد عرض الكتاب لمجموعة من هؤلاء ، امثال : عمار بن ياسر ، وحجر بن عدي ، ومحمد بن ابي بكر ، وميثم التمار ، ثم مالك الاشتر وابي الاسود الدؤلي •

الطريق الى القمر

تاليف : المهندس سعد شعبان

الناشر : الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ــ القاهرة ــ مصر

● هذا الكتاب يدرس القمر دراسة علمية مستفيضة ، وابواب هذا الكتاب تجعل منه وحدة متكاملة ، وهذه الابواب هي : الى الفضاء ، ثم طبيعة القمر ، سطح القمر • الحركة في الفضاء ، الاقمار الصناعية ، سفن الفضاء • برامج غزو الفضاء • الرحلة الفضائية : الرحلات الفضائية برائد واحد ، والرحلات الفضائية برائدين ، الرحلاتالفضائية بثلاثة رواد،رحلة ابولو للهبوط على سطح القمر • ماذا بعد القمر •

ان نجاح الانسان في الهبوط على القمر يمثل قمة انتصارات التكنولوجيا ، غير ان القمر ليس الا عتبة للفضاء الفسيح،وما زال الهدف الرئيسي هو بلوغ الانسان سائر الكواكب ثم النفاذ الى اعماق الكون • ولا شك ان الحافز وراء ذلك هو ان يجد الانسان جوابا شافيا للسؤال المحير : هل من حياة في مكان آخر غير الارض •

■■

قصة

على مدى

بقلم : نصرى عطا الله

■ حين نفذ سهم القضاء ، ومات زوجها بغتة وهو فى ريعان شبابه ، وكمال عافيته ــ لم تستطع ان تصدق انه قد رحل الى الابد ، وانها لن تراه بعد ذلك اليوم المشئوم ، ورفضت ، ان تدفنه فى اليوم الذى مات فيه ، وسهرت الليل كله الى جانبه وهى تبكى وتهذى وتسائله لم رحل هكذا سريعا ؟؟ هل مل جوارها ونسى عهده ومواثيقه ؟ أم تراها اغضبته دون ان تدرى ؟ انها تحبه،وتغار عليه ، فكيف تسلمه للتراب ؟ وهو شغوف بها ، حريص على سعادتها وهنائها ، فكيف يطيق فراقها ؟ •

وفى اليوم التالى سكبت على جثته التى بدات تتحلل ثلاث زجاجات من العطر كى تطرد الرائحة الكريهة التى اخذت تتصاعد منها ، وبرغم ذلك ظلت تسال نفسها فى ذهول : أحقا مات ؟ أترضى السماء ان يتركها ارملة حزينة وهى فى الثلاثين؟ أمن العدل ام الرحمة أن يصبح وحيدها «عادل» يتيما بلا عائل ، وهو مازال غلاما غريرا فى الثامنة من عمره ؟ •

لقد ظنت حين تزوجته انها ودعت البؤس ، واستراحت الى الأبد من الشقاء الذى ظل يلاحقها منذ كانت طفلة تحبو ، فقد سلبها القدر ابويها قبل ان تتم عامها الاول ، فسهر على تربيتها شقيقها ، وعاشت فى داره مكروهة من زوجته ، صابرة على اذاها وغطرستها ، قانعة بالكفاف ، محرومة من العطف والحنان ، حتى ارسل الله من انقذها ، وحقق املها فى زواج سعيد يظلله الحب والحنان •

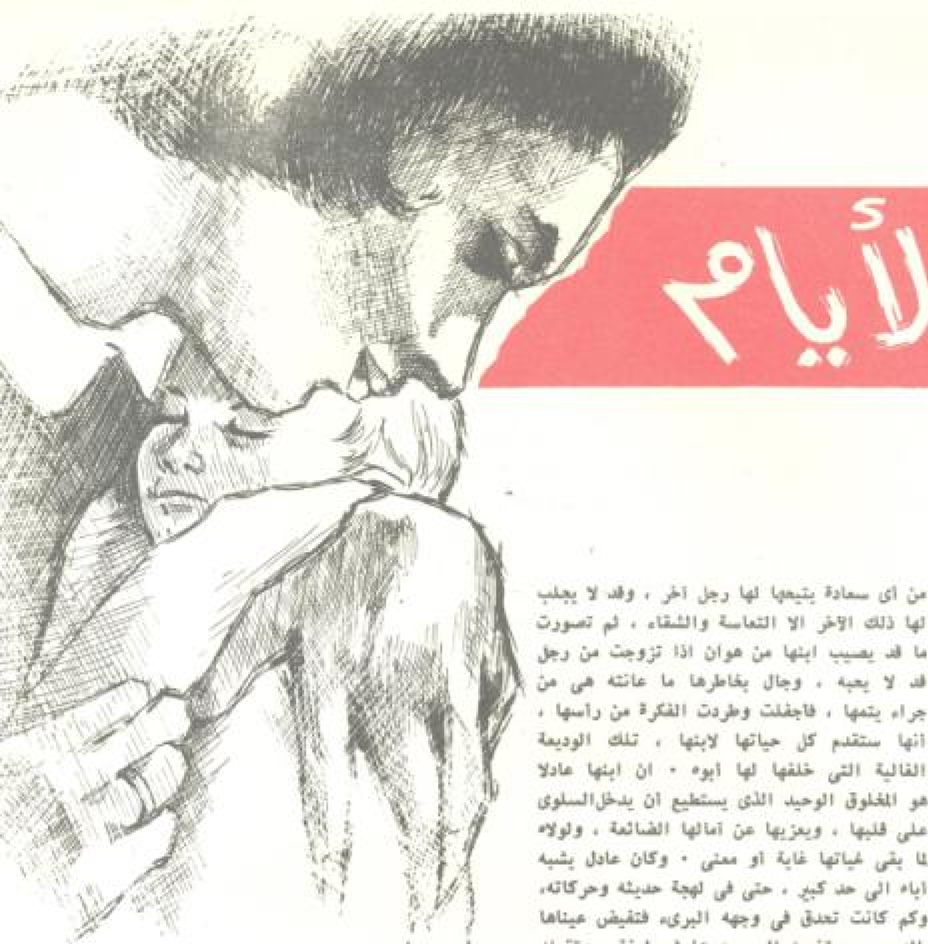
ولكن العهد السعيد لم يدم الا عشر سنوات ، مرت كحلم هنىء ، لم تبدد دون ان يترك لها من علاماته او اثاره ، الا ذلك الغلام الذى لم يفطن بعد الى فجيعته وفجيعة امه •

واستبد بها الحزن فترة طويلة ، ولكن ارادة الحياة كانت اقوى من الاحزان التى اخذت تنقشع شيئا فشيئا ، وتتيح لها ان تفطن الى ظروف حياتها التى اذهلها عنها مصابها •

كان عليها الآن ان تواجه أعباء الحياة بنفسها ، وان تهتدى الى مورد للعيش قبل ان ياتى شبح البؤس ويتطفل عليها •

وما لبثت ان الفت نفسها تفكر فى حياتها هى •• هل يمكنها ان تقاسى طويلا مرارة الوحدة والحرمان ؟ انها ما زالت فى ربيع العمر يتضوع منها عطر الانوثة وتتوثب فى وجنتيها دماء الصبا وتجرى فى عروقها حيويته ومطالبه ، وكانتشديدة الحساسية فياضة العواطف فهل تترك زهرة شبابها تجف وتموت فى صحراء وحدتها القاسية ؟

مرت الايام والشهور وهى لا تستطيع أن تخرج من حيرتها ، وتقرر مصيرها ، وظلت تجادل نفسها ليلا ونهارا طوال تلك الشهور دون ان تظفر بجواب يرتاح له ضميرها ، ولكنها كانت تحس فى قرارة نفسها انها لو ماتت قبله ، وتزوج بعدها ، لما اطمانت عظامها فى التراب ، وهتف بها هاتف : لم لا تعامله كما كانت توده أن يعاملها ؟ وكيف تسمح لرجل اخر ان يكتسح ذكراه من قلبها ؟ قد تكون تلك الذكريات احلى واسمى



من اى سعادة يتيحها لها رجل اخر ، وقد لا يجلب لها ذلك الاخر الا التعاسة والشقاء ، لم تصورت ما قد يصيب ابنها من هوان اذا تزوجت من رجل قد لا يحبه ، وجال بخاطرها ما عانته هى من جراء يتمها ، فاجفلت وطردت الفكرة من راسها ، انها ستقدم كل حياتها لابنها ، تلك الوديعة الغالية التى خلفها لها أبوه ٠ ان ابنها عادلا هو المخلوق الوحيد الذى يستطيع ان يدخل السلوى على قلبها ، ويعزيها عن امالها الضائعة ، ولولاه لما بقى لحياتها غاية أو معنى ٠ وكان عادل يشبه اباه الى حد كبير ، حتى فى لهجة حديثه وحركاته، وكم كانت تحدق فى وجهه البرىء فتفيض عيناها بالدموع ، وتضمه الى صدرها فى لهفة ، وتقبله قبلات حارة مفعمة بالذكرى والحنان والعزاء ، انه الكوكب فى السماء الملبدة بالغيوم ٠

واستمدت من ايمانها وامالها قوة تغالب بها قسوة الايام ، وآنست فى نفسها العزيمة التى تستطيع أن تناوىء بها القدر الذى شرع يعبس لها من جديد : لقد وهبها الله قدرا كبيرا من العناد والاباء ، فكيف تستسلم أو تحنى رأسها ؟ ولكن الحياة لا تنزل على منطق العاطفة دائما ، فقد كان عليها أن تطرد شبح العوز أولا ، ثم تفكر فى المستقبل واحلامه وامانيه ٠ ان زوجها الراحل لم يترك لها ثروة تذكر ، والمكافأة التى منحتها لها الشركة التى يعمل بها لن تكفيها اكثر من شهور معدودة ، أو عام واحد على الاكثر ، وماذا تفعل بعد انقضاء تلك الفترة الوجيزة ؟ كيف تعيش ، وتعنى بتربية نجلها ، وتحافظ على المظهر الذى اعتادت أن تظهر به دائما ؟ لم يكن هناك من تعتمد عليه ، كما انها لا تستطيع ان تلجأ الى شقيقها ، انه الآن رب أسرة كبيرة لا يكاد يفى بنفقاتها ، كما انها لم تنس بعد ماعانته فى داره ٠

وخطرت لها فكرة ٠٠ انها تعرف صاحب الشركة التى كان يعمل بها زوجها ، وكانت تعهد فيه سمو النفس ولطف الاحساس ، وقد أبدى نحوها ـ عندما مات زوجها ـ ما لا تنساه عطفا وكرما ورعاية ، فلماذا لا تزوره اذن ، وتعرض عليه امرها ؟ انه سيقدر دقة ظروفها ويبذل لها كل مساعدة ممكنة ٠٠

وجمعت شجاعتها وذهبت اليه ، وشرحت له ماساتها بكلماتها ودموعها ، ولم يخيب الرجل

قلتها.فقد وعدها بان يعاونها معاونة صادقةفي تربية نجلها ، وان يستخدم كل نفوذه لادخاله احدى المدارس الكبيرة بالمجان ، على ان يحل محل ابيه متى انتهى من دراسته ، اما هي فيمكنها بمساعدته ان تعمل « خياطة » باحدى شركات الملابس •

اتقبل ؟ لم لا ؟ لقد عزمت على ان تناضل وتشقى وتضحى ، كي تحقق املها ، وترى عادلا يشغل كل الفراغ الذى خلفه ابوه •• وخرجت من عند الرجل ، وقلبها يفيض بالامل من جديد • واخذت تروض نفسها على الحياة الخشنة التى لم تالفها من قبل.فكانت تستيقظ فى الصباح الباكر، وتعد لنجلها الافطار ، ثم تصحبه الى مدرسته ، وبعد ذلك تذهب الى عملها ، وعهدت الى جارتها وصديقتها العزيزة « نعيمة » ان تعنى بشان عادل، حتى تعود هى عند الغروب ، وبذلت كل ما فى طوقها كى تخفى عن نفسها وعن الناس الامها ، وحاولت ان تعيش فى احلامها ، وتعلل نفسها بما سيحققه لها عادل من سعادة وهناء ، عندما يشب ويغدو رجلا ، ان ما تعانيه الآن من شقاء وحرمان هو الثمن الـذى تدفعه سـلفا لتلك السعادة المرموقة •

وعاش عادل مع « نعيمة » اكثر مما عاش مع امـه ••

ولم تكن « نعيمة » قد رزقت اطفالا بعد ، فقتحت قلبها لعادل ، كما تفتح الزهرة قلبها للندى ، وكم كان يثير شجونها ان يحرم ذلـك الغلام المسكين من عطف الاب والام مرة واحدة : الاب الذى غيبه القبر ،والام التى تكدح فى سبيل لقمة العيش •• ان نعيمة تستطيع بحنانها ومحبتها ان تكون بمثابة الاب والام لذلك الغلام •

واخذت تبذل كل ما فىطوقها كى تحقق ما املته عواطفها عليها ، وراحت تغدق على عادل كل ما اختزنه قلبها من شوق الى الامومة ، وظما الى الاطفال ، وسرعان ما الف عادل ما كان يلقى من عطف وتدليل ، وانس الى تلك المراة اكثر مما كان يانس الى امه ، ولم تتوان نعيمة مرة واحدة عن تحقيق اى رغبة من رغباته ، معقولة كانت ام غير معقولة ••

وكان اذا ما حان المساء وعادت امه قابلته باشواقها الوالهة الحزينـة ، وغمرتـه بقبلاتها واسئلتها عما يريد وما لا يريد ، وهل من رغبة تحققها له ؟

وشب الغلام ، وبدات تتوضح طباعه ، وكان اظهرها العناد ، وحدة اللسان ، وكثرة التغيب عن المنزل • وقاست امه الامرين فى تربيته ، ولكنها لم تسمح لشبح الياس ان يعبر خيالها ، فكانت تعامله باللين حينا ، وبالشدة احيانا ، املة ان يتخلى عنه عناده وحدة طبعه عندما تتقدم به السن قليلا ، وينضج رايه ، ويستنير عقله ، وظلت تتحمل مشقات حياتها فى صبر وجلد ، وتتقتر على نفسها وعليه ، لتتمكن من ادخار بعض المال ، كى تعلمه تعليما عاليا •• انها تابى ان يكون كاتبا متواضعا فى شركة •

وبلغ العشرين ونال شهادة الدراسة الثانوية •

وعندما اعلنت نتيجة الامتحان ووصل النبأ الى امه هزها الفرح ، وقبلته فى غبطة ، وراحت تحدثه عن امالها فيه ، وتساله اى الكليات يتفق مع ميوله ومواهبه وماذا يامل ان يكون : قاضيا ام طبيبا ، ام مهندسا ؟

ولكنه سخر منها ، ورفض ان يكمل تعليمه ، لقد سئم حياة التلمذة ، وقيودها الثقيلة التى تحول بينه وبين متع الشباب ومباهجه ••

وعبثا حاولت ان تقنعه برايها •• ولما الحت عليه نهرها واهانها ••

وبدد نجاحه فى الامتحان كل ما تبقى فى نفسه من فضيلة وحياء ، وصبرت هى على مضض ، وظلت تؤمل ان يثوب الى رشده بعد حين •

وطالصبرها وهى ترىبعينيها قصور الامانيالتى تعبت فى تشييدها تتصدع وتنهار فوق رأسها ، ولكنها لم تسلم بالهزيمة ، فما زال هناك بعض الامل • انها ستذهب الى مدير الشركة وتذكره بوعده ، ولا شك ان عادلا سيغير من مسلكه عندما يصبح موظفا ، ويعتمد على نفسه • انه سيعرف عندئذ قيمة المال ، ولن يبعثر نقوده التى سيحصل عليها بكده فى حمق واستهتار ، كما انه لن يستسلم لطيشه وغواياته •

وبر المدير بوعده ، وحصل عادل على عمل يكفى راتبه اسرة متوسطة الحال تعيش باعتدال ، ولاول مرة منذ فقدت زوجها علت وجهها ابتسامة عزاء وهى تفكر فى المستقبل : لقد كانت ظامئة الى الفرح ، تتمنى ان تخلد الى الراحة وتنظر الى ايام كدها ونصبها كذكرى سعيدة ، ورفعت وجهها نحو السماء وتضرعت الى الله ان يهدى نجلها سواء السبيل ويحقق امالها فيه .

ومرت الشهور ، وهى تنتظر فى شوق وقلق بوادر التطور المنتظر ، ولكن عادلا لم يغير من مسلكه شيئا ، بل ازداد الما وايغالا فى الشر ..

كان يطالبها بالكثير من النقود ، ويلح فى الطلب ، فترضخ راضية او كارهة ، ويبارح المنزل عامر الجيب ، حسن الهندام ، ولا يعود الا فى اعقاب الليل ، رث الهيئة ، تفوح منه رائحة الخمر واصبح الشجار بينه وبينها من المناظر التى تتكرر كل يوم ، فكانت تتجهم له وتعنفه ، لم يغلبها حنانها ، فتبكى وتتوسل وتجلس عند قدميه ، وتذكره بكل ما قاسته من اجله ، وتشرح له كيف كان أبوه محل احترام الناس واكبارهم ، لم ترفع وجهها نحو السماء ـ ملاذها الوحيد ـ وتبتهل الى الله ان يرشده ويهديه ، رافة بحالها هى ..
ولكن عادلا امعن فى الغه وفجوره ، واخذت انباء مغامراته الدنسة تتواتر عليها ، وتسقط على قلبها الحزين كقطع الجمر المتقدة ، ولم تعد تراه الا مرة كل عدة ايام ، فقد استطاب حياة الليل واللهو ، ولم يعد يتذكر امه أو يراها الا عندما ينفد مامعه من مال ...

وطاف بذهنها خاطر خفق له قلبها : لم لا تزوجه وتهيىء له منزلا سعيدا يستهويه ، فلا يكاد يبارحه حتى يحن اليه ؟ وراحت تبحث له عن فتاة طيبة ترده بوداعتها وجمالها عن الغه وغواياته ، وافضت اليه برغبتها فقهقه ساخرا ، وسألها فى وقاحة كيف يقنع بواحدة وهناك عشرات يبادلنه الحب ويترامين على اقدامه ؟ وكيف يقبل طائعا مختارا ان يودع حياة اللهو والحرية ، ويدخل سجن الزوجية ، ويقيد معصميه بقيودها الثقيلة؟؟ثم رجاها الا تفاتحه مرة اخرى فى اى شان من شئونه ، انه ليس فى حاجة الى نصائحها الثقيلة .

وسكتت هى على مضض ، وراحت تتصل دون علمه ببعض من تعرفهم ، وتسألهم ان يبصروا ابنها بعواقب مسلكه ، وبذلت كل مافى طوق البشر لانقاذه ، واستنفدت كل ما فى ذهنها من وسائل ، ولكن عبثا ... لقد باع عادل نفسه للشيطان ، ولم يعد يكترث لاى شيء فى الحياة الا ملذاته ، وكان على الدوام يزداد قحة واستهتارا ، واصبح يرتكب امامها المخازى التى كان ياتيها خبرها فتتردد فى تصديقها : ...

واخيرا ايقنت ان امالها فيه قد تبددت نهائيا .

وبدأت اعصابها التى خدرتها الاحلام سنوات طوالا تستفيق ، لتنتقم منها ، وتنتهب البقية الباقية من حيويتها وشبابها ، لقد باعت انضر سنى حياتها ، وضحت براحتها وكبريائها من اجله ، والآن ـ وقد اخذ الشيب يقتحم رأسها فى جراة ـ تدرك ان الزمن كان يسخر منها ، وان الأمل الذى عاشت من اجله لم يكن الاسرابا خادعا .... كانت تفكر فى ماضيها السعيد مع زوجها ، وفيما قاسته بعده ، وفى امالها الغالية التى لم يتحقق منها شيء ، فتجرى دموعها غزيرة طيعة ،وتنقضى ساعة اثر ساعة وهى تبكى، وليس هناك من يسرى عنها الامها أو يسمعها كلمة عزاء ، وساءت حالتها ، وتدهورت صحتها شيئا فشيئا ،وفقدت شهية الحياة ... كل هذا ـ وعادل مندفع فى تيار غيه ، لا يلقى بالا الى حالتها ، ولا يعبا بتوسلاتها ودموعها ...

ونمى اليها ذات يوم انه يعيش مع غانية تحترف الرقص فى احدى الحانات ، ولما فاتحته فى امرها ثار عليها ، واهاجت ثورته أعصابها الواهنة فراحت توبخه توبيخا عنيفا قارصا ، فلطمها على وجهها ، واغمى عليها .... وتكرر ذلك الامر حتى اصبح جزءا من حياتهما .

ومالبث ان تحول شعورها نحوه من الحب الى المقت ، ولم يعد لها من امل الا ان ترى القدر يقتص لها منه قصاصا رهيبا ... ان يصيبه بمرض قاس لايشفى منه أبدا ، أو تصدمه

سيارة فتبتر ساقيه . ان اى كارثة تحل به لن تزيد من احزانها . بل ستريحها من شماتة الناس،ومغبة العار الذى لحقها من جراء مسلكه .

ولم تدم هذه الحال طويلا فقد اخذ عقلها ينوء بالحمل الثقيل الذى يرزح تحته . ولم تعد تطيق ان تعيش معه،او حتى تراه . فسافرت الى القاهرة لتعيش فى كنف اخيها . ولو كخادمة .

وكانت تامل ان حالتها ستتحسن فى القاهرة، ولكنها كانت واهمة . فقد اخذت حالتها تزداد سوءا . فكانت تقضى اياما برمتها ذاهلة عن الناس . غارقة فى همومها ودموعها ... وكان من الواضح انها فقدت سلطانها على تصرفاتها وان العاصفة تجرفها شيئا فشيئا نحو هوة مظلمة مخيفة . بعد ان جردتها من كل قواها وسلبتها القدرة على المقاومة . وبذل شقيقها كل ما فى طوقه ليدخل السلوى والعزاء على قلبها . ولكن عبثا . واخيرا سلم بان الاقدار قد تخلت عنها . عندما راى ان تصرفاتها الشاذة ونظراتها الشاردة المضطربة تفزع كل من حولها خصوصا اثناء الليل .

وتبرمت ربة الدار بهذا الحال . ولم يكن فى وسعها ان تعنى بشئون منزلها وصغارها . وهذه المريضة تثير من الخوف والقلق . اكثر مما تثير من الحزن والاشفاق . وتكررت تلك التصرفات الشاذة . ولم يعد هناك بد من مواجهة الحقيقة المؤلمة . والنزول على مقتضياتها : ان المكان الوحيد الصالح لايواء مثل هذه التعسة هو مستشفى الامراض العقلية وهناك استقر بها المطاف . لتقضى بقية ايامها فى الظلام المخيف الذى لايدرك حتى نفسه .

وعرف الطبيب الذى تولى علاجها قصتها . فاشفق عليها . ولم يقطع الامل فى شفائها . بل راح يبذل كل مافى طوقه لانقاذها .

وسار الزمن فى طريقه وهى لاتدرى من امره ولا من نفسها شيئا . وانقضى عام لم تتحسن خلاله حالتها بقدر ضئيل .

وفصل عادل من عمله لسوء سلوكه ... ثم تذكر ان له اما . فحضر الى القاهرة . وذهب لزيارة خاله املا ان يراها هناك ...

ولما فوجىء بما لم يكن يعرف تلقى الخبر فى وجوم . ثم استفسر عن الاوقات التى يمكنه أن يزورها فيها وانصرف ...

وفى صباح احد الايام اصطحب عادل ابن خاله صبرى وذهب لزيارة امه .

وعندما اقترب من المستشفى وسمع الصراخ يختلط بالضحك والبكاء وسائر الأصوات المزعجة التى يحدثها نزلاء المستشفى شعر بقشعريرة هائلة تسرى فى جسده . وتخدرت قدماه،وحدثته نفسه ان يرجع من حيث اتى . ولكنه غالب شعوره . وتقدم نحو المستشفى بخطوات وجلة . والرعب يملأ قلبه . وقادته احدى الممرضات الى القسم الذى تقيم فيه امه . ورجته الا يظل معها طويلا . او يجهدها بحديث مثير ...

وتقدم عادل نحوها ذاهلا . وما كاد يقع بصره عليها حتى ملأ الجزع نفسه : هل هذه امه ؟ كيف ابيض شعرها . وتيبست قسماتها . وملأت التجاعيد وجهها فى هذه الفترة الوجيزة التى غابتها عنه ؟؟

وقابلته هى بصمت عميق . وظل يحدثها فلا يظفر منها الا بكلمات متقطعة فاترة . وهى مطاطئة الرأس . زائغة البصر . كانها تبحث عن شىء ضاع منها فى التراب ... انها تحاول جاهدة ان تصل حاضرها المبهم بماضيها المؤلم، وتنتزع من محيط النسيان الذى غمر قلبها ذكرياتعزيزة ضائعة فىضباب الالام والحسرات ..

وظلت فترة طويلة وحطام افكارها يصطرع فى راسها ويطفو على عينيها ويكسبها بريقا مخيفا ... ثم بدا عليها انها قد تذكرت وعرفته . فقد رفعت راسها فجاة . وحدجتهبنظرة طويلة واسترسلت فى بكاء عنيف ...

واثرت حالتها المؤلمة فى نفسه،ولاول مرة اخذته الشفقة عليها . وبكى بكاء مرا . وراحت هى تحملق فيه . كانها تود ان تلتهمه التهاما . وتقلصت عضلات وجهها . واخذ جسدها يرتجف ارتجافا شديدا . ثم ضمته فجاة الى صدرها .

عنف وشره ... بينما وقف
يخشى الاقتراب من عمته يراقبها
ذاهلتين جامدتين ...

وجاءت الممرضة تذكر الزائرين بانه من الخير للمريضة ان يعجلا بالانصراف ، وانصرف عادل من حضرة امه وهو يجر خطاه ، وقد تيقظ في اعماق نفسه شيء جديد جعله يحس انه يحمل فوق كتفيه حملا اثقل من الجبال .

ولقد بذل كل ما في طوقه كي يحتفظ برباطة جاشه ، ولكنه فشل فشلا ذريعا ، فامسك بذراع صبري وسار معه وهو ذاهل عن كل شيء ، وما ان وصل الى منزل خاله حتى انهارت قواه ، وانهمرت دموعه الغزيرة ، وراح يعول عويلا عاليا ومرت ساعات دون ان يستطيع احد اسكاته .

يوم ويومان وهو لاينام ولا ياكل الا شيئا لايغني ...

تحسنت حالته قليلا كان يخرج كل صباح لا يعود الا في المساء كسير القلب ، مستنزف القوى ، واستطاع ان يحصل على عمل ... ولقد قبل ان يكون ساعيا بمكتب احد المحامين ، وشكر الله على هبته تلك ، وكان ينام في محل عمله ، وانقطع تماما عن زيارة خاله ، ولم يكن ذلك الا خجلا واحساسا منه بفداحة جرمه ...

وظل مواظبا على زيارة امه مرتين كل اسبوع، وكان كل مرة ياخذ معه ماتسمح له به نقوده من فاكهة وماكولات . وفي سبيل ذلك كان يقتر على نفسه تقتيرا رهيبا ... وفي كل مرة كان يودعها وهو دامع العين ، تاكل الحسرة قلبه ، ويمزق الالم والندم ضميره تمزيقا .

ومضت شهور تحول فيها عادل الى شبح هزيل يمثل التعاسة والشقاء اصدق تمثيل ، ولكن شعاعا لامعا من الامل كان يشرق في ارجاء قلبه، فينتشر في ظلامه ضوءا بهيا حبيبا ، ان حالة امه تتحسن وقد مناه الاطباء بقرب شفائها شفاء تاما ...

واتى اليوم الذى تحقق فيه ذلك الامل ... وحين تحدد يوم خروجها من المستشفى راح يبحث عن سكن له ولامه ـ وبعد مجهود عثر على غرفة باحد الاحياء المتواضعة ، ونجح في ان يستعير بعض الاثاث من اقربائه ومخدومه ، وفي تلك الغرفة استقبل امه ، وعاهد نفسه على ان يكون لها نعم الابن طول حياته ....

ونجح عادل في عمله ، واستطاع ان يكسب ثقة وعطف ذلك المحامي الذى كان يعمل عنده خاصة ، بعد ان عرف ظروفه التعسة ، وقد قصها عليه عادل دون ان يظهر بمظهر الجاني الذى تسبب في كل تلك الاثام ، وما ان سمع الرجل قصته حتى دهش كيف قبل عادل ان يكون « ساعيا » وهو الشاب المثقف ، وراح يسال نفسه ما الذى يحدوه الى قبول ذلك الهوان ...ونسب المحامي الطيب القلب كل ما كان فيه عادل الى غدر الايام وتقلبها ، فنفحه بعض المال ، ليشترى به ملابس لائقة ثم جعله كاتبا بمرتب لاباس به.

وطابت الحياة لعادل من جديد ، واطمانت امه الى الدنيا لاول مرة بعد وفاة زوجها.وفيما عدا فترات من الذهول كانت تنتابها من حين لحين ، كانت تصرفاتها كلها لا تنبيء الا عن الاتزان والاستسلام للمقادير ...

وكان الذى يتفرس قسماتها العاجية الشاحبة والسطور العميقة التي حفرها الالم على جبهتها، والغضون التي تملأ صفحة وجهها ، ثم الشعر الابيض الذى يتوج كل تلك الملحمة الحزينة التي سطرها الزمن العاتي على وجه امراة تعسة ـ يشعر بقشعريرة رهيبة تسرى في بدنه ، ولا يسعه الا ان يسال نفسه عما تخبئه له الاقدار وعما اذا كانت الحياة تستحق كل ذلك ؟

ولكن المراة التي ناصبها القدر العداء طوال حياتها لم تكن قد فقدت بعد طعم الحياة ، ولم تكرهها بدليل انها سالت عادلا يوما من الايام اذا لم يكن ينوى الزواج ، وقالت له ان لها مطمعا واحدا ، وهو ان تحمل نجله بين ذراعيها ، وبذلك فقط تحس ان حياتها قد اثمرت .

وفي هذه المرة رحب عادل بالفكرة ، وسالها ان تعاونه في البحث عن عروس وتكفلت هي بتلك المهمة في حماس وفرح ، ولعل اسعد فترات حياتها كانت تلك الفترة التي تمت فيها تمهيدات الزواج ، ولكن ما كاد عادل يصبح زوجا فعلا حتى بدات هموم امه تطل براسها من جديد ..

فلم تكد تمضي على الزفاف بضعة ايام حتى بدات زوجة عادل تتجهم لامه ، واستعانت المراة التي عانت كثيرا من غدر الزمن بالصبر الجميل، وبذلت كل ما تستطيع لاسترضاء زوجة ابنها ولكن عبثا . اذ ان هذه كانت تختلق اسباب الشجار اختلاقا ، وعبثا حاولت الام ان تكتم عن ابنها كل شيء اذ ان الزوجة كانت تبتدره بالشكوى والدموع .

واخيرا رات الام ـ والحزن يكاد يقتلها ـ ان الحياة مع ابنها اصبحت مرة اخرى ـ مستحيلة تماما ، فآثرت ان تنسحب قبل ان تهب العاصفة من جديد .

وجدت في البحث عن سكن ، .. ووجدت ما لا يلائمها : غرفة قذرة رطبة في منزل مظلم باحد الازقة .. غرفة لا فرق بينها وبين القبر .. ذلك هو المكان الذي قدر لام عادل ان تقضي فيه ما تبقى من ايامها .. وتوسلت الى عادل ان يزورها الفينة بعد الفينة ، وان يمنحها ما بقيها شر الموت جوعا ، فوعدها بذلك في كلمات فاترة مقتضبة ، ولكنه لم يبر بوعده ابدا وكان عذره انه لايستطيع الانفاق على منزلين ، وانه لم يطرد امه من المنزل بل خرجت بمشيئتها ، والحقيقة هي ان زوجته لم تكن تستريح الى اى بادرة عطف او حنان يبديها عادل نحو امه ، وكانت تحاسبه على ما ينفق حسابا عسيرا .

وراحت المراة التعسة تستعين بالجمعيات الخيرية ، وحسنات المحسنين ، واداء الخدمات في البيوت .. واستطاعت بذلك ان تعيش ، ولم تكن حاقدة او ساخطة على احد،بل كانت تتردد على عادل في فترات متباعدة وتؤكد له انها سعيدة وقريرة العين ، ولم يكن هناك اسعد منها يوم رزق عادل غلاما ..

ومضت الايام تسر وتسيء ، ترفع وتخفض ، وكانت في سيرها تنتهب قوى المراة الصابرة المجاهدة شيئا فشيئا ، حتى حل يوم وهنت فيه قواها ، ولم تعد تستطيع السير الا مستندة على شخص او عكاز .. ووجدت في محبي الخير من جيرانها كل عون،فكانوا يمدونها بالمال والطعام، ويعاونونها على قضاء حاجاتها ، واستبد بها الشوق الى رؤية ابنها فارسلت له من يستدعيه فوعد بالحضور ولكنه لم يبر بوعده ... لم اتى يوم الخلاص ، وراى الزمن انه قد استوفى حقه من المراة التعسة ، وقد قضت يومين في شبه غيبوبة ولما ايقنت انها على وشك ان تنعم بالراحة الكبرى تمتمت لمن حولها :

اريد ان ارى ولدي ... قولوا له ان امك تريد ان تراك قبل ان تموت ، واريد ان ارى نجله معه . وحضر عادل هذه المرة ، ولكن زوجته رفضت اطلاقا ان ياخذ نجلهما معه ـ وما ان سمعت امه صوته حتى رفعت عينيها الواهنتين، ونظرت اليه نظرة طويلة رهيبة ، واذا بعادل يرتجف ، ومرت بذهنه حياة امه في صور سريعة متلاحقة ، واذا به يلطم وجهه بعنف ويجهش بالبكاء ، وعاد الى خاطره ذكرى رؤيته لها اول مرة في المستشفى ، وارتفع عويله ، وركع الى جانب فراشها ، واخذ يحضنها ويقبلها ويقول لها بين دموعه :

امي ... امي ... كم انا مجرم يا امي ... كم ظلمتك واهنتك يا امي ... انا السبب في كل بؤسك يا امي ونظر اليها نظرة ضارعة ...

وقابلت المراة المحتضرة نظراته بنظرة لم يستطع لها تفسيرا فقال لها مرة اخرى :

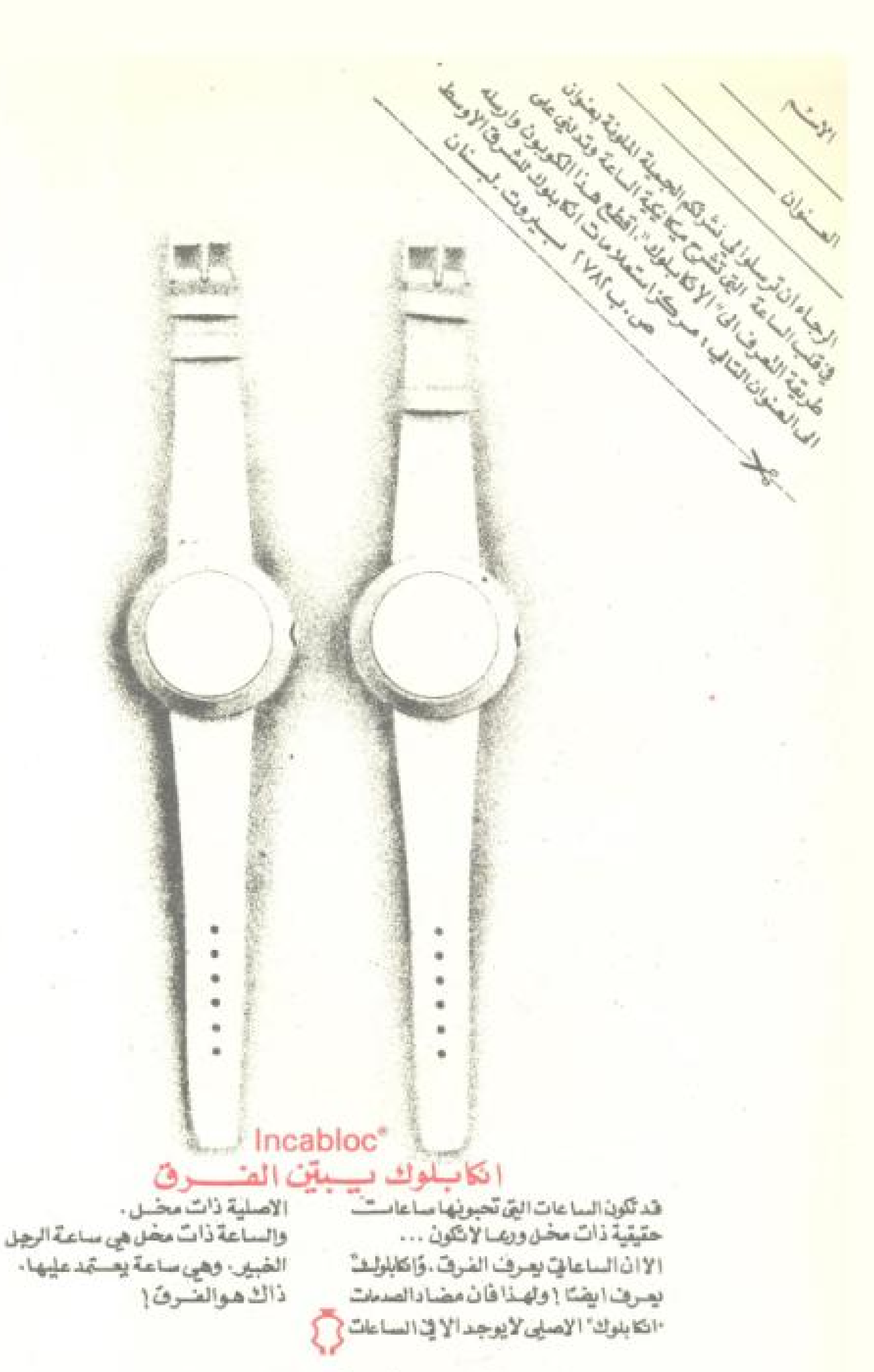
قولي كلمة يا امي ... هل تغفرين لي ؟

وعلت وجهها ابتسامة علوية وهي تنطق باخر ما فاهت به :

من كل قلبي يا ولدي .. ليباركك الله ويسعدك ولا يعرضك لشر طول حياتك

■■

القاهرة ـ نصري عطاالله



ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب ، لاشودي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٤

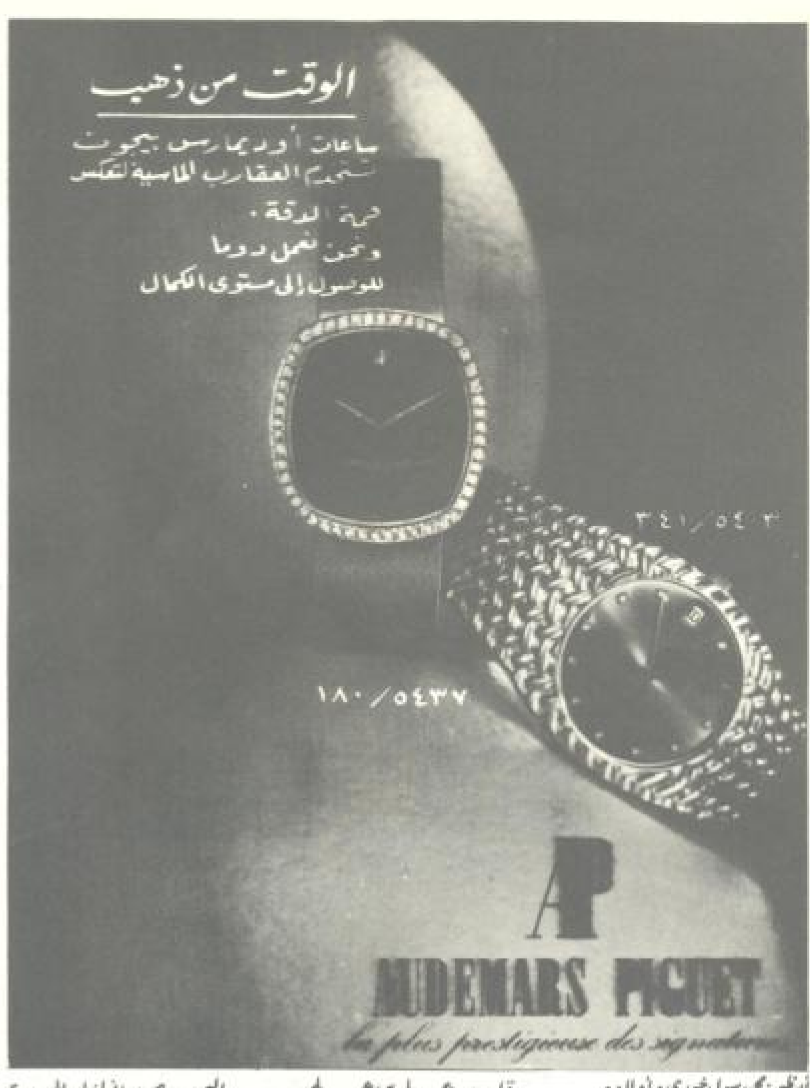
(٦٣)

أوبرا الصعلوك

تأليف : جون جي
ترجمة وتقديم : حسن عبدالمقصود حسن
مراجعة : د . عادل سلامة



عندما تنظر
إلى الأفضل..
أنظر الى ساعات
وست اند
WEST END WATCH Co
.. وعندما
تفكر بهدية تقدمها
لمن تحب ف:
وست إند أفضل ما تقدم
الوكيل العام في الكويت
يعقوب يوسف بهبهاني
الكويت



الوقت من ذهب
ساعات أوديمارس بيجوت
تستخدم العقارب الماسية لتعكس
قمة الدقة .
ونحن نعمل دوما
للوصول إلى مستوى الكمال
٣٤١/٥٤٠٣
١٨٠/٥٤٣٧
AP
AUDEMARS PIGUET
La plus prestigieuse des signatures



هدايا رائعة مفيدة تذكّر بأيام لا تنسى..
ان الذين يسافرون الى بلاد بعيدة يدركون الأهمية التي يعلقها الأهل والأصدقاء على
ما يحملونه لهم من هدايا. مما يجعل الإختيار أمراً هاماً. ولتسهيل بحثك فقد أوجدت فيليبس مجموعة
متنوعة من المنتجات الفاخرة التي يحبها الجميع. خذ معك موسيقى لا ينتهي أجلها، في شكل مسجل كاسيت
أو راديو خفيف. ولعلك تختار كاسيت للسيارة؟ أو آلة حاسبة ببطارية، أو - كتذكار
خاص - تلفزيون متنقل بشاشة عرضها ١١ بوصة. كل هذه المنتجات الممتازة من
فيليبس مصنوعة لتعمل بإتقان طيلة عمرها الطويل. ولكن
أينما ذهبت فانك تجد، اذا اقتضى الأمر، محلات فيليبس
للصيانة. فإذا حملت معك منتجات فيليبس الرائعة
كهدايا، عدت بذكريات طيبة تدوم عدة سنوات.
PHILIPS
PHILIPS

ألم يحن الوقت الذى تبدأون فيه مشاهدة التلفزيون بالألوان الطبيعيّة المثيرة؟



الموديل CTP 3401

تلفزيون ملوّن نقال

١٤ بوصة ... يتألق في صورته الواضحة بجلاء ويعطيكم ألوان البشرة باتقان تام. جميع الدوائر من الترانزستور مع صمام رئيسي مصمم حديثاً للشاشة السوداء. يعمل على كافة القنوات فوق العالية/والعالية جداً. يسهل نقله بين الغرف (الوزن يقل عن ٤٠ رطلاً) ويتوفر في صندوق من خشب الجوز الفاخر.

الموديل CTP 437 CTP 5401

تلفزيون ملون

١٨ بوصة مع جهاز التنغيم VARACTOR جميع الدوائر من الترانزستور للعمل مع القنوات فوق العالية/والعالية جداً. الوان طبيعية متألقة على صمام الشاشة السوداء مع زاوية انحراف بمقدار ١١٠ درجات. يضم مفاتيح VARACTOR للتنغيم الفوري بالزر الضاغط مع أجهزة تحكم انزلاقية قاعدة جميلة للدوران وصندوق جذاب من خشب الجوز.

